عدد ممتاز

العربي

العدد ٢٥٤ ـ صفر ١٤٠٠
يناير / كانون ثاني / ١٩٨٠

لأول مرة: مع المسلمين في الإتحاد السوفييتي





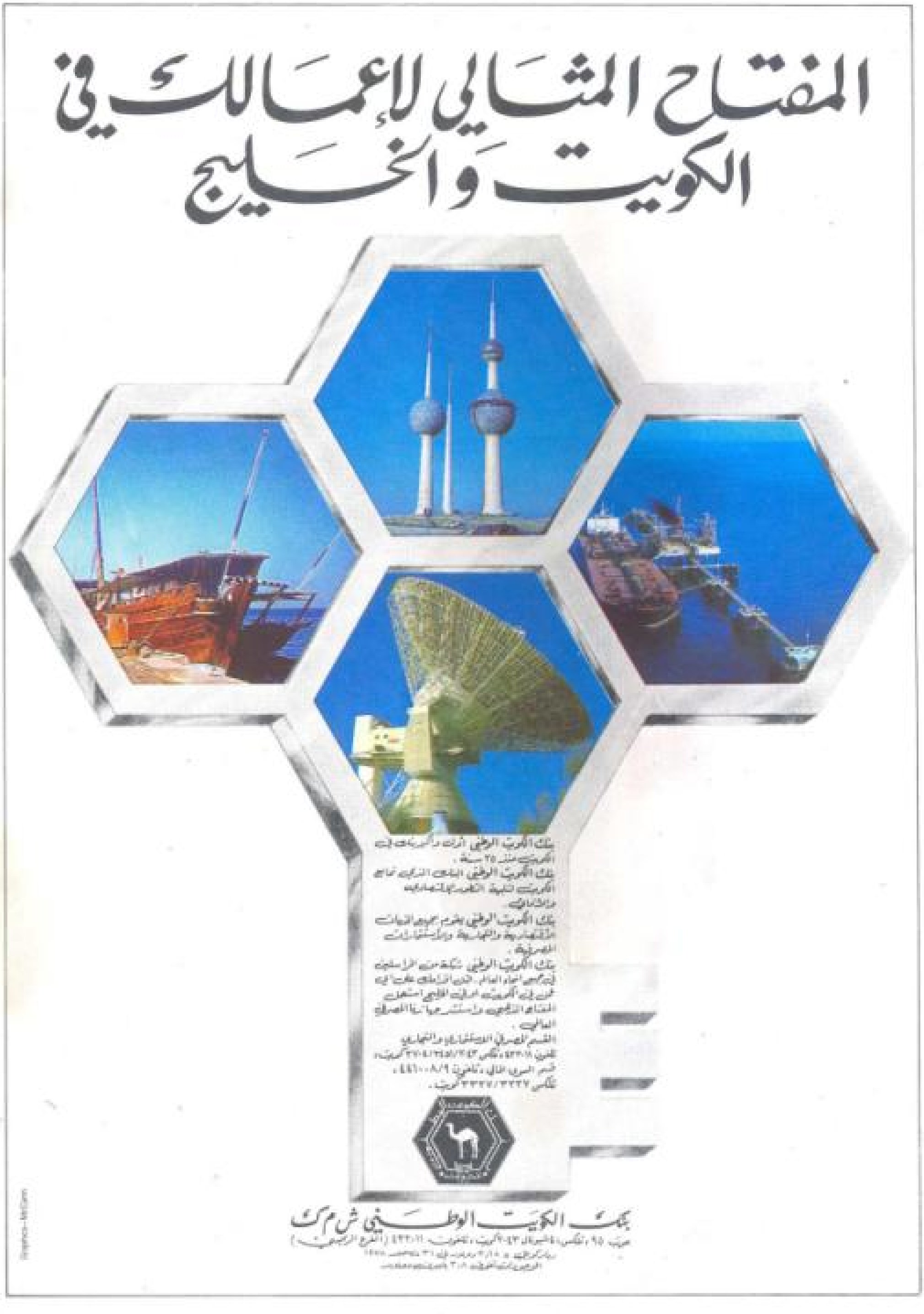
انطوني كوين
في دور
عمر المختار



هدية العدد **القدس** بريشة الرسامين العالميين

جزء خاص عن: الثمانينات

الكتاب والخبراء والعلماء يجيبون على توقعات السنوات العشر المقبلة


المفتاح المثالي لأعمالك في
الكويت والخليج
بنك الكويت الوطني ش م ك

عزيزي القارئ

تقول لك كل سنة : كل عام وانت بخير

ونقول لك هذه السنة : كل عشرة اعوام وانت بخير !

وسوف تجد في العدد ما تعودت ان تجده في العربي ولكنك ستجد شيئا آخر : جزءا خاصا عن الثمانينات حولنا فيه عشرات الدوسيهات الى مادة مركزة مبسطة في صفحات قليلة .

والسنوات لا تفصلَ تسلسل الحياة فصلا حادا .

ولكنها كأعياد الميلاد ، تكون احيانا فرصة لكي يراجع المرء سنة أدبرت وسنة أقبلت . فهو يشكر ، ويندم ، ولا يأسف ، وهو يتمنى ، ويتخوف ، ويتوقع ...

كل هذه المشاعر تخامره في وقت واحد ، مختلطة ، متضاربة ، متداخلة ...

وقد حاولنا في هذا العدد أن نترجم هذا ، بالنسبة لانفسنا ، ولأمتنا ، وللعالم الذي نعيش فيه ! ...

والتنبوء عادة غرور . وهو في هذا العصر الحول القلب ، اكثر غرورا وادعاء ...

ولذلك لن تجد في العدد نبوءة واحدة !

انما ستجد إعمالا للفكر واستخداما للعقل والقلب والاحساس معا ...

وهذا جهدنا ، لا نقدمه اليك « جاهزا » ولكن نشركك فيه ...

اما الباقي فنتركه لعالم الغيب !

« المحـــرر »

صورة الغلاف



● يحاول غلاف هذا العدد الممتاز ان ينقل قدر الامكان بعضا من ملامح العدد ، المتعددة القسمات عمقا وعرضا . فمن رحلة داخل مجتمع المسلمين في الاتحاد السوفيتي تتم لاول مرة ، الى رحلة فريدة اخرى في عقل الفنان العالمي انطوني كوين ، الذي تحول الى عشق الصحراء والشخصيات التاريخية العربية ، الى رحلة في اعماق المستقبل في الثمانينات .. هذا غير جولات اخرى عديدة في عوالم الثقافة والعلوم والفنون .

حديث الشهر

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

آداب وفنون

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة

أبواب ثابتة

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

مدير التحرير : فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج . م . ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليا ، الجزائر ٢٫٥ دينار ، المغرب ٢٫٥ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١

تلغرافيا « العربي »

ALARABI -- No. 254 -- January 1980

P.O. Box 748 -- KUWAIT

بقلم : أحمد بهاء الدين

الأسئلة كانت فى السبعينات..

الاحداث التي رأيناها وعشناها خلال السبعينات ، اكثر من أن تعد وتحصى ، حتى لو اكتفينا بالقليل البارز منها ...

فهي أحداث فيها من التقدم العلمي أقصاه ، كولادة طفل أنابيب الاختبار ، ومن التخلف الانساني أبشعه كمجازر فيتنام ، ومجاعات كمبوديا ...

وهي أحداث ، لو أراد أحد تسجيلها لا ستغرقت من الصفحات ما كان يكفي لتغطية احداث الف سنة من تاريخ العالم قبل ذلك ، وليس عشر سنوات ...

ومنها أحداث تهم العالم كله ، ونحن معه بالطبع ... وأحداث تهمنا نحن العرب أساسا والعالم كله معنا كذلك ، وهو ما سوف نركز عليه ...

وحديثنا عن الثمانينات . ولكن اذا أشرنا الى السبعينات ، فما لشيء الا لأن فيها بذور ما يجب أن نتوقعه في الثمانينات ...

العالم من السياسة الى الاحلاق

على المستوى العالمي ، كانت ثمة أحداث كبرى سياسية ، عسكرية ومعنوية وأخلاقية !

فهناك انتهاء حرب فيتنام بهزيمة أمريكية ، وهناك رحلة نيكسون الى الصين ، والجسر الجديد بين أمريكا والصين ، ثم توقيع الاتفاقية الأولى للحد من الأسلحة النووية (سالت ١) وتعثر توقيع الاتفاقية الثانية بين روسيا وأمريكا (سالت ٢) في الكونجرس حتى الآن . وهناك حرب الهند وباكستان التي اسفرت عن استقلال بنجلاديش . وهناك سقوط فرانكو في اسبانيا وسالا زار في البرتغال والكولونيلات في اليونان . وهناك استقلال باقي أفريقيا ، خصوصا أنجولا وموزمبيق ، فلم يبق سوى روديسيا ، ثم رحلة تنج هسياو بنج الى أمريكا ورحلة هوا كوفنج الى شرق أوروبا ، ومحاولة تغير التحالفات الكبرى بين مراكز القوة الاربعة : روسيا والصين وأمريكا وغرب اوروبا ، على أسس غير مذهبية ، ولكن على أسس جغرافية قومية بحتة . ثم موت ماوتس تونج وسقوط

العرب والثمانينات

والآن نواجه: الإجابات

خلفائه واستيلاء تيار سياسي آخر على الصين ، وسقوط حكومة العمال في انجلترا ومحاولة الحكومة الجديدة ، برئاسة مرجريت تاتشر ، تفكيك دولة الرفاهية « الشبه اشتراكية في انجلترا اى تحرك البندول الدولى » بصفة عامة الى اليمين في البلاد القومية والتقدمية وبروز ظاهرة اقتصادية لم يسبق لها مثيل في العالم الرأسمالي وهى : التضخم الهائل والانفاق العام الضخم ، والبطالة .. معا وفي نفس الوقت ، في حين كان العالم الرأسمالي قبل ذلك يعاني من كل مشكلة من هذه المشاكل على انفراد ، على اساس انها نقائض لا تلتقي تحت سقف واحد ابدا .

وعلى المستوى المعنوى ، نجد ان السبعينات قد حفلت بتحولات اخرى خطيرة ..

فقد اتسعت المسافة بين الشعوب والحكام مهما كانت النظم ، اتساعا هائلا . وساد جو من عدم الثقة في الحكام لم يسبق له مثيل . وذلك بانكشاف درجة عالية من الفساد بين الحكام . فضيحة ووترجيت في واشنطن وما اسفرت عنه من خروج اول رئيس أمريكي من منصبه . استقالة نائب رئيس جمهورية امريكا ـ سبيرو اجنيو بتهمة تلقي الرشوة في مكتبه في البيت الابيض ، فضائح رشاوى الشركات الكبرى ـ لوكهيد واى . ت . ت وغيرها ـ لحكام كبار مثل تناكا رئيس وزراء اليابان ، والامير برنارد زوج ملكة هولندا وعدد من وزراء الحزب الديمقراطي المسيحي في ايطاليا ، وانتحار وزير فرنسي من حزب جيسكار ديستان رئيس الدولة .

الامر الثاني بين الحكام والمحكومين ـ فقد الثقة وعدم التصديق نتيجة خداعات نيكسون وكيسنجر في فيتنام وكمبوديا ، وتدخل السي . آى ايه في اسقاط حكومة الليندى في تشيلي وفي تمويل أحزاب سياسية في ايطاليا ، وانكشاف محاولاتها لاغتيال سوكارنو وكاسترو وغيرهما .

ولاول مرة ، تتعرض الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات لهجات هائلة على تخطيها لسيادات الدول وتلاعبها بالقوانين وافسادها الذمم على اعلى مستوى ، بعد ان كانت هذه الشركات ال MULTI NATIONAL في حالة تعاظم دائم منذ نهاية الحرب العالمية الاولى وقد وقف العالم مبهورا امامها وكأنها أداة التقدم الجديدة ..

وأدت هذه الظروف التي حفرت اخاديد وآبارا من الشكوك وسوء الظن الى ظهور الحركات المتطرفة ، وحركات العنف وما سمي « بحرب عصابات المدن » ... وقد رأينا مظاهرها في ايطاليا حيث يقتل القضاة ورجال الدين وألدومورو رئيس الوزراء . وفي فرنسا وفي المانيا الغربية . وفي اسبانيا ، وفي الولايات المتحدة بدءا من الجمعيات المسلحة التي خطفت قضاة « انجيلا ديفيز » الى العصابات التي اشتركت فيها باتريشيا هيرست ... الى خطف الطائرات ، وقتل السفراء .. واغتيال القضاة .

وانتشر في خط مواز .. سرقات البنوك الكبرى ، واختطاف اصحاب الملايين في مقابل فدية هائلة ...

ومع هذا كله ... انتشار موجات تعتبر أن الفضائل القديمة صارت بالية فصارت حياة الرجل والمرأة حياة معاشرة دون زواج أمرا عاديا ، اعترفت به بعض المحاكم . والاطفال غير الشرعيين تتباهي بهم الأمهات والآباء من كبار الفنانين على صفحات الصحف ، وصار لاهل الشذوذ الجنسي نشاط وجمعيات ومظاهرات وصحف .. ومرشحون في الانتخابات ! وصارت الاميرة مرجريت اخت ملكة انجلترا تظهر في الصحف مع عشاقها واحدا بعد الآخر !

وتأكد لكل الخبراء أن العالم منقسم الى غني وفقير وأن الجزء الغني يزداد غنى وأن الفقير يزداد فقرا ، وأن البحث عن نظام عالمي جديد صعب كالامساك بالسراب وأن حلول الكارثة ربما كان أسرع من العثور على الحل ...

وفقد الانسان ثقته في آخر ما يتصل بأمنه الشخصي ، وهو عملة دولته وادخاره الخاص . فأسعار العملات ترتفع وتهوى كما تتفجر الصواريخ الملونة وهي تتساقط . واكتسحت المضاربة كل شيء حتى زعزعت أعمق أسس الاستقرار العالمي وعاد الانسان مهرولا الى أقدم ضمان كان يطمئن اليه وهو : اقتناء الذهب .

وبعد رحلة الانسان خلال قرون عبر النظريات والفلسفات ، عاد الى اقدم مطالبه وابسطها وهي : حقوق الانسان .

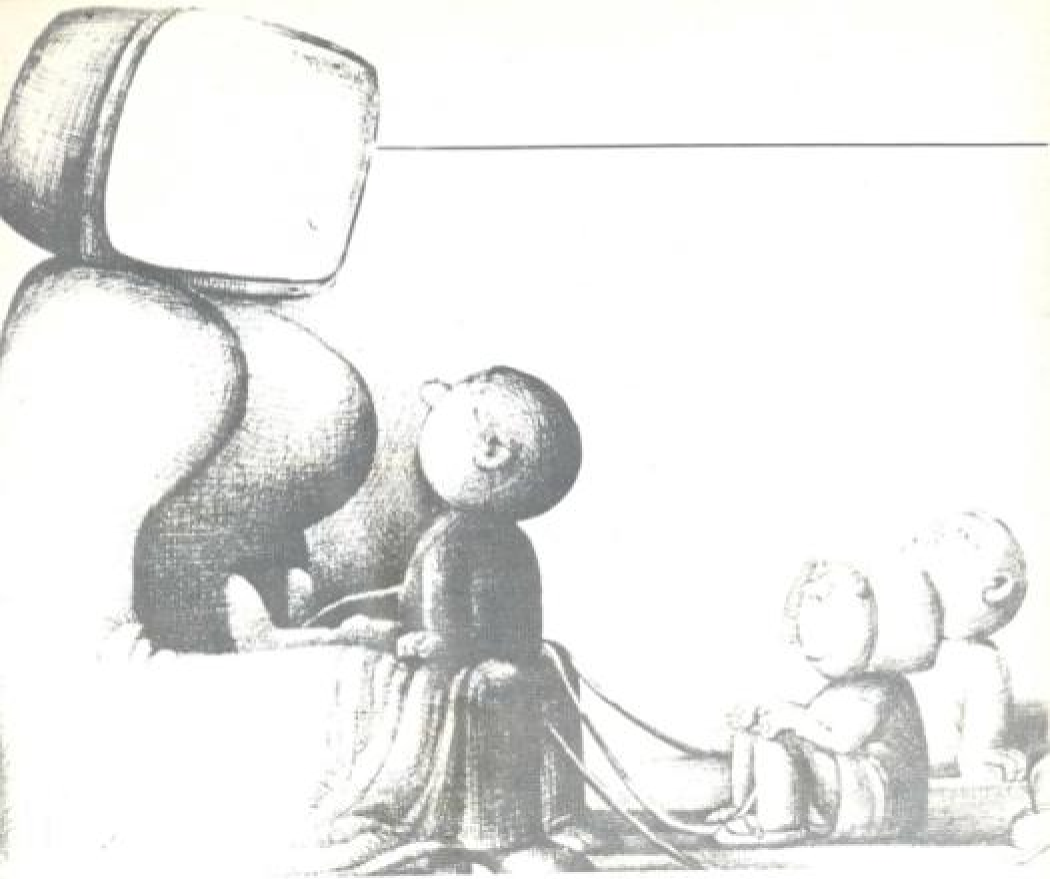
العرب في البحار الهائجة . :

اما على المستوى العربي ، فقد كانت اهم احداث (السبعينات) ، التي تركت وستترك آثارا عميقة في حياة العرب . هي بدون ترتيب :

١ ـ حرب اكتوبر ١٩٧٣

ـ استخدام سلاح النفط لأول مرة في معركة سياسية وبالتالي بروز الطابع السياسي للنفط .

ـ معاهدة الصلح المصرية الاسرائيلية ، وما تلاها من تغير في الخريطة



التلفزيون ... يتحكم في مواليد الثمانينات

الاستراتيجية للمنطقة وما طرحته من سؤال هائل عن العلاقات العربية المقبلة .

- ثورة الخميني في ايران ...

- تعاظم التضخم المالي في العالم

- تعاظم قيمة عائدات النفط على الدول العربية ، وما جلبه من مزايا ضخمة ، ومن مخاطر كبيرة على السواء .

- الحرب الاهلية في لبنان .

- التواجد السوفيتي في القرن الافريقي أو في اثيوبيا بالذات ... عند مدخل باب المندب الى البحر الاحمر ...

- التواجد الامريكي المسلح عند مدخل بحر العرب عند مضيق هرمز المؤدى الى الخليج .

- قرار ايران سحب ارصدتها من امريكا ، ورد امريكا بتجميد كل ما لايران من ارصدة في امريكا في البنوك الامريكية في اى مكان من العالم .

ـ الصراع المسلح غير المباشر بين الجزائر والمغرب ، من خلال « البوليساريو » في الصحراء التي انسحبت منها اسبانيا ، والمطلة على المحيط الاطلسي ...

ـ دخول منظمة التحرير الفلسطينية الى الساحات الدولية التي كانت مغلقة دونها وبالذات دول غرب اوروبا ، ومحاولات امريكا للاتصال سرا بمنظمة التحرير ، مخالفة بذلك تعهدها لاسرائيل .

ـ الانقلاب الماركسي في افغانستان ، والثورة المضادة له ، المستمرة حتى الآن .

عشر سنوات من الاسئلة ..

عشر سنوات من الاجابات ؟

والواقع أنه من المألوف بوجه عام أن نجد كل عصر من العصور ، يجيب على أسئلة سابقة ، ويطرح اسئلة جديدة ... وتبقى في العادة أسئلة تستمر أزمنة متوالية دون جواب ...

.. ولكن هذا يظهر بوجه خاص ، في حالتنا نحن العرب ...

● ربما لأن الامة العربية بوجه عام أمة نامية ، فهي تجرب طريقها بعد سبات طويل ، وسط عالم خطر جديد .

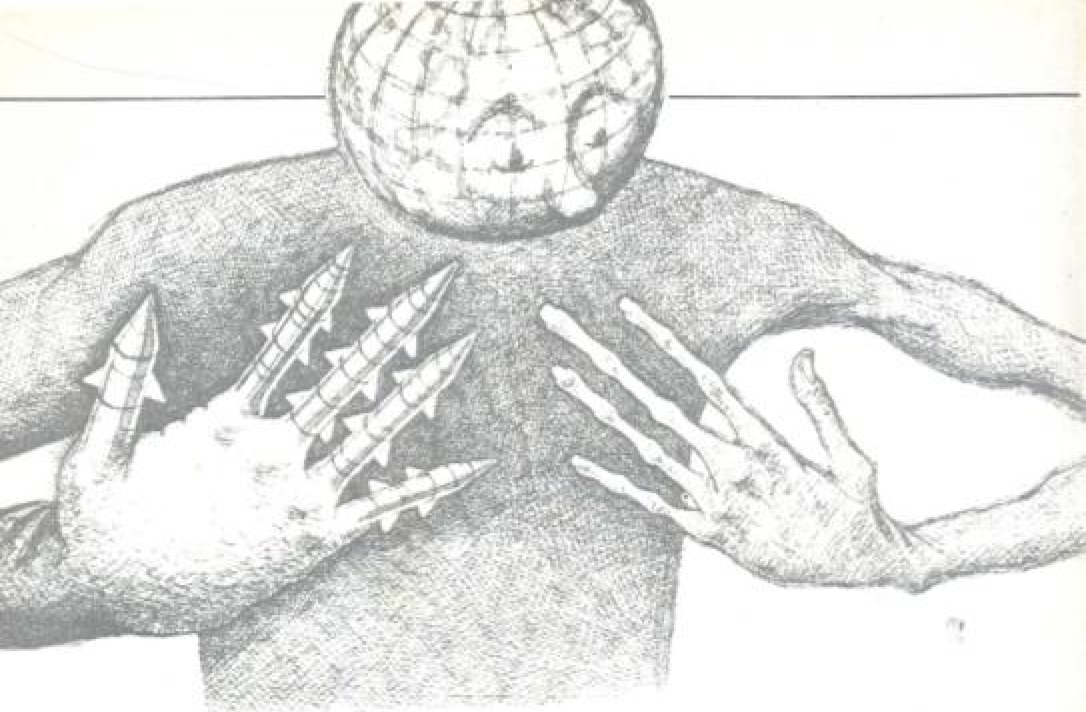
● ولأنها ، في نفس الوقت أمة ذات حضارة عريقة وتراث تليد .... فهي لا تبدأ من نقطة الصفر كبعض دول العالم الثالث الأخرى في أفريقيا وامريكا اللاتينية فليس لديها سوى التقليد ولكنها تنظر الى الأمام والى الخلف معا وتحاول أن تتقدم من خلال مزيج من الاصالة والتجديد الأمر الذى يجعل الاسئلة والاختبارات التي تواجهها أكثر عمقا وتعقيدا ...

● ولأنها فوق هذا وذاك مشغولة ـ فوق قضايا الهوية والوجود والتنمية ـ بقضيتين أساسيتين ، صار العالم كله شريكا فيها : قضية فلسطين .. وقضية البترول ... الامر الذى جعل لها وضعا خاصا ، وجعل اجاباتها ليست متوقفة عليها وحدها ، ولا هي من شئونها الداخلية الخاصة فحسب ، بل هي جزء ملتهب وحساس من شئون العالم وشجونه !

لماذا اخترنا هذه الاحداث ؟

على هذا الضوء كان اختيار القضايا السابقة بالذات ، أو الاحداث التي اخترناها من صفحات السبعينات ...

مثلا ....



العالم .. يد تكتنظ بالسلاح .. ويد تموت من الفقر

للرسام الفرنسي « تيم

● في خلال السبعينات جربت بعض الدول العربية وعلى رأسها مصر ، سلاح الحرب مع اسرائيل في سنة ١٩٧٣ ... ثم جربت دولة عربية هي مصر ، سلاح الصلح مع اسرائيل في سنة ١٩٧٧ .. وقد تلا ذلك انقسام العرب انقساما استقطابيا حادا ، في مجال البحث عن الرد المناسب ازاء التحدي الاسرائيلي الحاد ، وها قد دخلنا الثمانينات والسؤال مطروح : هل الاجابة في أحدهما دون الآخر أم في كليهما معا ، وهو أحد أخطر الاسئلة التي أعتقد أن الثمانينات لابد وان تحسمها ، مهما تعددت الآراء ...

الثورة الفلسطينية

ان الثورة الفلسطينية خاضت الكفاح المسلح كأعنف ما يكون الكفاح ، من حروب المواجهة الى حروب التسلل الى العمليات الخارجية ... وهي الآن ـ الى جانب ذلك ـ تجتاز عتبات المحافل الدولية التي كانت محرمة عليها .. من وقفة ياسر عرفات في الامم المتحدة الى لقائه مع أقطاب « الدولية الثالثة » في فيينا .. فهل سيتكامل السلاحان .. او البندقية وغصن الزيتون كما قال ابو عمار في خطابه في الامم المتحدة ، أم سوف يتعذر الجمع بينهما ، ولا يكون هناك مفر من الاستمرار في اعتماد سلاح واحد منها ؟

ثورة ايران

إن ايران ليست دوله عربية ، ولا هي من العالم العربي حين نستخدم هذا الاصطلاح ..

ولكن ايران دولة اسلامية ، والاسلام أهم عناصر روح العروبة وأقوى وجوه تراثها ، واكثر ما يشكل تكوينها النفسي ...

وهناك محاولات عدة لاقامة دول اسلامية تجمع بين القديم والجديد : من ضياء الحق في باكستان الذي يبدو انه لا يفعل اكثر من محاولة الباس نظامه العسكرى ثوبا اسلاميا مشكوكا فيه .. الى الرئيس القذافي الذي يقدم تجربة من نوع آخر .

والخميني ، لأنه في دولة تعدادها خمسة وثلاثون مليون نسمة ، متعددة الهويات والجنسيات لا يربطها الا الاسلام ، يحاول محاولة ، تعطيها هذه الظروف أهمية خاصة ...

وهو يحاول أكثر التجارب « سلفية » ، ويريد أن يثبت امكانية ادارة دولة حديثة ، منطلقا من النقطة التي ترك عندها الامام على بن ابي طالب المسلمين ، وبالتالي فنجاح المحاولة أو فشلها امر سوف يترك آثارا عميقة في دنيا العرب وفي مستقبل التيارات الدينية فيها

سلاح البترول

لقد كان العرب هم أول من استخدم سلاح البترول . ومنذ رفع الاسعار سنة ١٩٧٣ تغيرت صورة الدنيا كلها الى غير رجعة . ومنذ ذلك الوقت صار البترول سياسيا ، بعد محاولات لابعاده عن السياسة دامت منذ اكتشافه تقريبا .

الان استخدمت ايران ، بطريقة اخرى سلاحين من اسلحة العرب !

ـ سلاح البترول ، بقرار من نوع آخر هو قطعه تماما عن احدى الدول الكبرى المستهلكة ، وهي أمريكا ...

ـ وسلاح سحب الودائع والأرصدة . وهو سلاح موجود في ترسانة العرب ولكنه لم يجرب بعد . وقد ردت عليه امريكا بتجميد هذه الودائع والأرصدة كلها . ولم نعرف حتى ساعة كتابة هذه السطور ، من الفائز ومن الخاسر في هذه الساحة .

وسيكون لهذا أثره على التفكير العربي فاما أن يعتبره سلاحا ما زالت له فعاليته ، واما أن يعتبره العرب سلاحا قد فقد فعاليته ، فيطرحوه من قائمة ما في ترساناتهم . وفي كلا الحالين سوف يكون للحدث تأثير على توجيه المال العربي واستثماراته ، الأمر الذى يطرح أسئلة حيوية خطيرة ، تهم العرب وتهم العالم .



الحروب كلها من أجل الذهب والثراء !

لوحة رسمها بيتر بروجل سنة ١٥٦٤ معروضة حاليا في المتحف البريطاني

● اقتراب الوجود العسكرى السوفيتي من اطراف الكتلة العربية عند باب المندب ، واقتراب الوجود العسكرى الامريكي المباشر من اطراف الكتلة العربية عند بوابات الخليج ... هل يترك العرب ـ وهم متفرقون ـ الدول الكبرى تواصل لعبتها أم يتمكنوا ـ مجتمعين ـ من ابعاد هذه اللعبة الجهنمية عن حياضهم ، وان يحتفظوا لانفسهم باليد العليا في تصريف مقدراتهم ؟ ...

هل يتقهقرون كما حدث للعثمانيين شرقا والاندلسيين غربا أمام مد خارجي جديد ؟

ام يثبتون ويصمدون ، كما فعلوا عندما دمروا امبراطوريات كسرى وبيزنطة وروما ، بثباتهم الداخلي ومثلهم العليا الجديدة ، اكثر مما فعلوا بقوة السلاح ، الذى كان اكثر وفرة في ايدى خصومهم واقل كمية في ايديهم ؟

● واخيرا ، وهو في الواقع أولا في سياق هذه الامثلة ، هل يعثر العرب على انفسهم ، ويكتشفون هويتهم ، وبالتالي يسهل تكاملهم لا تناحرهم ... ام تتهاوى صفوفهم ازاء الغزو المعنوى الاجنبي ؟

في عشر سنوات اشهر ملوك ورؤساء فقدوا مقاعدهم بطرق غير طبيعية بين اغتيال وعزل وانقلاب

١ ـ نيكسون	محاكمة
٢ ـ الدو مورو	اغتيال
٣ ـ شاه ايران	ثــورة
٤ ـ هيلاسيلاسي	ثــورة
٥ ـ سوموزا (نيكاراجوا)	ثــورة
٦ ـ الملك فيصل	اغتيال
٧ ـ الليندي (تشيلي)	انقلاب
٨ ـ فان ثيو (فيتنام)	هزيمة عسكرية
٩ ـ اليمن الشمالية : ابراهيم الحمدي	اغتيال
١٠ ـ احمد حسن الغشمي	اغتيال
١١ ـ اليمن الجنوبية . سالم ربيع علي	ثــورة
١٢ ـ ذو الفقار بوتو (باكستان)	اعدام
١٣ ـ مجيب الرحمن (بنجلاديش)	اغتيال
١٤ ـ اليونان (بابا دوبولوس)	انقلاب
١٥ ـ عايدي امين (اوغندا)	غــزو
١٦ ـ بوكاسا (افريقيا الوسطى)	غــزو
١٧ ـ بارك (كوريا الجنوبية)	اغتيال

ان نسبة الأمية في بلادنا كاسحة ...

وللخرافات من القدرة ما تنافس به العقل ...

والعالم الخارجي ، في عصر الكتب والصحف والاذاعة والتلفزيون ، وشتى وسائل الاعلام ، أقوى منا في نشر آرائه ومعتقداته وأمراضه ، وكمالياته وتقاليده وأنماط أخلاقياته ؟

ان الثمانينيات سوف تكون حاسمة !

اقدم الباقين في السلطة



اقدم حاكم باق في منصبه في العالم كله مع اول الثمانينات هو امبراطور اليابان ، هيرو هيتو ، الجالس على عرشه منذ الثلاثينات ، وهو الوحيد الذي حكم ويحكم قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها .

ويليه في الاقدمية الماريشال تيتو ، الذي يحكم يوغسلافيا منذ سنة ١٩٤٣ ، اي منذ حوالي خمسة وثلاثين عاما .

اما الثالث في الترتيب فهو الحبيب بورقيبة الذي تولى السلطة في تونس منذ استقلالها سنة ١٩٥٠ ، اي منذ حوالي الخمسة والعشرين عاما .





لان تشابكنا مع سائر العالم سياسيا واقتصاديا وبشريا واجتماعيا سيصل الى أقصاه .. كالمتصارعين حين يحتضنان بعضهما من شدة الصراع ، وحتى يجد احدهما في غريمه مقتلا ...

وأول ضمان لنا أن نفكر في هذه الأمور بجدية وأن نسمح بمناقشتها علنا ..
دون تعصب .
ودون قيد على الحرية !

احمد بهاء الدين

«العربي» تسأل وقادة الرأي العام

دولة فلسطينية ؟ وحدة عربية ؟

وجهت مجلة « العربي » عدة اسئلة الى عدد من الشخصيات العامة في الحياة العربية الاسئلة التالية عن توقعات الثمانينات :

■ هل تقوم الدولة الفلسطينية في الثمانينات ؟

■ هل تقوم وحدة او وحدات عربية ما ؟

■ هل تقوم حرب عربية اسرائيلية جديدة ؟

■ هل تنشب حرب عالمية ثالثة ؟

يجيبون عن توقعات الثمانينات :

حرب اسرائيلية ؟ حرب عالمية ؟



الدكتور مراد غالب

وزير خارجية مصر السابق

● **الدولة فلسطينية :**

تتعاظم الفرص أمام الشعب العربي الفلسطيني لتحقيق أماله في قيام دولته يوما بعد يوم ، ويكتسب أرضا جديدة بكفاحه ومثابرته ووعيه التام بحجم المعركة التي يخوضها وتعقيداتها وعلاقات القوى العربية والمحلية والدولية .ولقد استطاع في السنة الاخيرة ان يحرز انتصارات واسعة بين الرأى العام الاوربى دعمت من قضيته وقربته الى تحقيق آماله وأهدافه .

بل ان الشعب الفلسطيني نجح اخيرا في فرض قضيته على الرأى العام الامريكى . ووجد في قطاعات هامة من المجتمع الامريكى من يعطف على هذه القضية ويتبنى حلا عادلا لها ، ويقف امام مراكز الضغط اليهودية ، التى انفردت بالتواجد حتى هذه المرحلة ويكفى انها وصلت الى ان تأخذ مكانا بارزا في معركة الرئاسة الامريكية .

ولكن ذلك لايزال يتطلب الحشد العسكرى والاقتصادى والسياسى للجبهة العربية. ومهارة التمييز بين التكتيك والاستراتيجية . والتحليل الواقعى الصحيح لعلاقات القوى وتكثيف الجهود في المجتمع الأوربى والامريكى .

واعتقد أن الثمانينيات ستشهد قيام دولة فلسطينية حديثة .

● **الحرب المحلية في الشرق الاوسط ؟؟**

يحتاج الامر الى استعراض عدة ملابسات : ذلك ان منطقة الشرق الاوسط تعتبر من أكثرالمناطق اهمية استراتيجية في العالم لموقعها في الجغرافيا السياسية ، وما تحويه في باطن أرضها من مصادر الطاقة والبترول ، في زمن تعد فيه الحضارة الحديثة حضارة بترولية .

● لكننا نحن العرب مازلنا غير قادرين على ان نكون في مستوى الموقع سياسيا ، ولا أن نكون في مستوى ثروات هذا الموقع علميا وتكنولوجيا .

● واذا أضفنا الى ذلك ان من يسيطر على هذه المنطقة قد يخل بالتوازن بين القوى العظمى استراتيجيا ،

وان اسرائيل مازالت تسير في سياستها ومعتقداتها ، وفي مقدمتها :

محاولة عزل مصر عن العالم العربي ، وهي بذلك تحاول عزل اقوى قوة ضاربة في المنطقة . وانها لازالت تحتفظ بتسليح خطط له لكي يكون متفوقا تفوقا تاما على جميع التسليح العربي ، بل واحتمالات تدخل قوى اجنبية بجانب العرب .

رغم معاهدة الصلح بينها وبين مصر فلازالت تحتفظ بكل امكانياتها العسكرية المتفوقة وهذا يطرح تساؤلا عن الهدف وراء هذا التسلح .

العلاقة الخاصة بينها وبين النظام العنصري في جنوب افريقيا وما نشر عند قيام هذا النظام بتفجير ذري . وهذا معناه ان اسرائيل هي التي قامت بهذا التفجير ، ومن العجيب ان يسدل ستار كثيف على هذا الخبر من اجهزة الاعلام العالمية .

اصرارها على املاء السلام الذي تراه هي وحدها ويتفق مع مصالحها .

استمرارها في دورها التاريخي « كسوط » يؤدب كل من تسول له نفسه بمقاومة سيطرتها وتحدى سطوتها وتنصيب نفسها حامية للمصالح البترولية والحضارة الغربية في المنطقة .

استمرارها واصرارها على ان تكون القاعدة الام للحركة الصهيونية واعتمادها على حركة دولية لاتمت بصلة الى منطقة الشرق الاوسط .

ثم ينبغي أن نضع في الاعتبار بعد ذلك : الصراع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بين العرب انفسهم وفي داخل كل بلد عربي ـ مصير الثورة الايرانية ومسارها ـ مصير الثورة الافغانية ومسارها ـ القوى العظمى والقوتين الاعظم وعلاقاتهم بالمنطقة ـ المشاكل القومية ومستقبلها .

كل هذه العناصر او بعضها تجعل الانسان اكثر ميلا الى ترجيح استمرار الصراعات في المنطقة والتي قد تتخذ شكل حرب محدودة .

● الحرب العالمية الثالثة :

ان قيام حرب عالمية ثالثة ـ وهي بالطبع ستكون حربا نووية ـ تعني في واقع الامر فناء عالمنا هذا وتحطيم حضارة الانسان ودفع عجلة التاريخ الى ما قبل التاريخ .. وهذا يجعل احتمالات وقوعها مرفوضة من مشاعر البشر ووجداناتهم ، ومنبوذة من تفكير الانسان وخياله .

ولاول مرة في تاريخ البشرية ـ وبفضل الاكتشافات العلمية الهائلة اذا كان في هذا فضل ـ تتحول الحرب العالمية من حرب تجمعات ضخمة من البشر الى حرب فناء للبشرية كلها والكوكب الذى نعيش فيه .

ولكن هل نستطيع ان نقول بأن الحرب العالمية الثالثة مستبعدة تماما وهل يضمن احد عدم وقوعها ؟ ؟

هناك ظواهر صحية في العلاقات الدولية والانسانية ، ومن أبرزها ادراك البشرية جمعاء ووعيها التام لمخاطر هذه الحرب وما تعنيه من انتحار جماعي للبشر .

كذلك يستمر الحوار بين القوتين الاعظم للوصول الى اتفاقيات الحد من الاسلحة الاستراتيجية وما تعكسه من ادراك ورغبة في تجنيب العالم ويلات حرب عالمية ثالثة . ثم الاتجاه الى حل المشاكل بالطرق السلمية والسياسية : الخ ..

ولكن هل توقفت اسباب الصراع بين القوتين الاعظم وبين المعسكرات المتنازعة في عالمنا المعاصر ، أم انها تتخذ اشكالا جديدة يحتمها التطور في اسلحة الدمار الحديثة والعلاقات الاقتصادية الجديدة وازمات

الطاقة والبطالة والتغيير الذى طرأ فى تراكم رؤوس الاموال العالمية والتخلف ومشكلة الغذاء والانفجار السكانى الخ .... هذه المشاكل ؟

وهل اوقف العلماء خيالهم عن اكتشافات علمية تبهر البشرية وتضع فى ايديهم اسلحة جديدة اشد فتكا وتدميرا ؟ ؟

وهل تلاشى حلم العلماء الابدى فى الوصول الى السلاح المطلق ال absolute وال break through وسلاح السيطرة التامة والاخضاع الذى لا قياسة من بعده ؟ ؟

ثم ان العلاقات الانسانية حركة حية والتغيير المستمر ظاهرة وواقع انسانى وتاريخى . فمن الذى يمنع من أن يقع تغيير فى منطقة ما تعتبرها احدى القوتين انقلابا فى موازين القوى وتهديدا استراتيجيا لكيانها بل وبقائها ؟

ثم ما هى احتمالات حرب ذرية تكتيكية محدودة وما ضمان احتجازها فى هذا الحيز المحدود وعدم تحولها الى حرب عالمية .

من الصعب تغطية احتمالات الحرب العالمية الثالثة والدوافع التى تستند فيها الى استبعاد وقوعها او تأكيده فى هذه المساحة الضيقة .

ولكنى مع ذلك ارجح عدم وقوعها . فما زلت أومن بحكمة القادة والعلماء والرأى العام العالمى ورغبتهم جميعا فى عدم الانتحار الجماعى ونجاحهم حتى الآن فى استبعادها والسيطرة على احتمالاتها ولا اتصورهم اقل حكمة وتعقلا فى الثمانينيات عنهم فى السبعينيات .

● لكنى أشدد على أن أخطر ما يواجه العلاقات الدولية من أزمات سيظل كامنا فى شعور احدى القوتين والمعسكرين بان ميزان القوى قد اختل نتيجة لتغير موازين القوى فى منطقة حيوية لا تحتمل هذا التغيير . وعلينا مراقبة علاقات الثالوث الاكبر الولايات المتحدة . الاتحاد السوفيتى والصين . ■■



ميشيل جوبير

وزير خارجية فرنسا السابق

لست من الذين يرجمون بالغيب عندما أتناول احتمال قيام الدولة الفلسطينية . ولكن هناك مجموعة من الحقائق تلقى الضوء على المستقبل . وأول هذه الحقائق أنه منذ سنوات والشرق الاوسط يخضع للعبة المنافسة « المحكومة » بين كل من الامبراطورية الروسية والامبراطورية الامريكية . واستغلت هذه المنافسة القضية الفلسطينية فى جانبها الظاهر . من جانب هذا الطرف أو ذاك . واستفاد منها الواحد تلو الآخر . وبقيت احتمالات تدخلها قائمة بشكل دائم ..

وخلف هذه الصورة بقيت عدة عوامل فاعلة فى الموقف . القوى الكبرى والحقائق الجغرافية والحقائق التاريخية . والجانب الانسانى فى الصراع . وجميعها تفرض على المجتمع الدولى ثلاثة أمور : الوضوح . والاختيار . واتخاذ القرار . والكل يعرف أنه فى حالة عدم تسوية القضية الفلسطينية . لن يوجد الاستقرار لا فى الشرق الاوسط ككل . ولا فى أى من دولة على حدة ..

وهذا الموقف يمكن معالجته باحدى وسيلتين . اما على أساس العدل والمساواة . أو عن طريق القوة . وواضح أن الاحداث أثبتت حتى الآن . أن طريق القوة كان هو الاختيار دائما ..

نتيجة لذلك أصبح الصراع العربي الاسرائيلي ـ الذي لم يتوقف عن الحركة ـ يمثل حالة من الصراع الدائم الذي يرتدي لكل ظرف ووقت ثوبه الخاص ..

وهكذا فاما أن يعالج الصراع بتركه على اعتبار أنه حالة من الصراع الدائم . وأنا أعارض ذلك ، أو أن تفرض تسوية دولية تكرس واقعا أفضل يقوم على أساس حق الوجود الاسرائيلي الممثل في دولة ، والواقع الفلسطيني وأمانيه المشروعة التي تقود الى الدولة الفلسطينية ..

اما بالنسبة لاحتمال نشوب حرب عربية اسرائيلية جديدة ، فهو تساؤل يدهشني في الواقع ، لانه يتعلق بمواجهة لم تنته منذ عام ١٩٥٦ . وقد اخذت عام ١٩٥٦ لكي لا أذهب بعيدا ، فالمواجهة لم تتوقف سواء اتخذت شكلا ظاهرا عنيفا او مرت بحالة من الهدوء . وفي عام ١٩٧٣ انفجرت اعمال العنف واشتعل القتال بين مصر مؤيدة من جانب دول عربية وأخرى أجنبية ، واسرائيل المؤيدة من جانب الولايات المتحدة الامريكية ، وفي النهاية أقول ببساطة انني أرى ان شيئا لم يسو ..

ولكن حدث بعض التغير في عام ١٩٧٤ ، فمنذ هذا التاريخ ، التزمت الولايات المتحدة بدور الحكم فيما بين المصالح المختلفة لدولتين تربطها بها علاقات ود ، وهما مصر واسرائيل ، مما حول المسألة العربية الاسرائيلية بحكم الامر الواقع الى مسألة امريكية ـ وبدت الولايات المتحدة منذ تلك اللحظة وبشكل ملموس توازن بين المصالح المختلفة لكل من مصر واسرائيل ..

اما احتمالات قيام الوحدة العربية فهي قضية تتعلق بأمر تتشابك اطرافه بصورة متعاكسة ، سواء على أساس شخصي أو بالنسبة للممارسات التي تتعلق بالمصالح الشرعية ، ومن جانب آخر .. توجد اماني جماعية ومشاعر عامة منها اللغة والدين والتي تعود الى قرون بعيدة ، ولهذا ظهرت الى الوجود فكرة الأمة العربية الواحدة ، وقد تحققت الوحدة العربية في التاريخ القديم ، وستستمر الفكرة مع استمرار هذه العوامل ..

وفيما يتعلق باحتمالات نشوب حرب عالمية جديدة ، فانه منذ عام ١٩٤٥ لم تتوقف الصراعات على هامش كل من الامبراطوريتين الروسية والامريكية . وبقيت المشكلة الراهنة تدور حول ما اذا كانت القوتان الكبيرتان ستستمران في العمل معا من اجل الوصول الى تسوية النزاعات التي لا تؤثر بشكل جوهري على علاقاتهما الثنائية المتبادلة .. ؟ !

كما أن هناك قضية أخرى تهدد السلام العالمي ، فمن الواضح أن الولايات المتحدة الامريكية تقع على عاتقها مسئولية الفوضى النقدية العالمية الحالية ، وهي المستفيد الأساسي منها ، وهذه الفوضى بطبيعتها تخل بتوازن رئيسي يمكن أن يمس ان آجلا أو عاجلا العلاقات السوفييتية الامريكية القائمة ، رغم الرغبة الواضحة لكل منهما على تجميد الوضع الراهن خدمة لمصالحها . ولكن العالم بطبيعته متحرك وليس ساكنا ، وهناك أمور كثيرة ستتحرك وتتفاعل تحت سطح النظام الحالي وتغلي لكي تطفو على سطح هذا النظام الذي ينطوي على الاستغلال والذي يمس الدول المنتجة والمستهلكة على السواء . فحتى اذا لم نتحدث عن بسط نفوذ الدولتين الكبيرتين روسيا وامريكا على كوكبنا ، الذي تحقق لهما وخدم مصالحهما من خلال الاتفاقيات التي عقدت بينهما ابتداء من اتفاقية يالتا في فبراير عام ١٩٤٥ وقبل ان تصمت مدافع الحرب العالمية الثانية ..

يبقى السؤال الجوهري وهو : هل يسمح هذا الوضع بالتعجيل بتسوية الخلافات في العلاقات السوفييتية الامريكية أو في تعطيل هذه التسوية .. ؟ ! ■■



الدكتور جورج طعمة

مندوب سوريا السابق في الامم المتحدة

لا اتوقع قيام دولة فلسطينية حددت من قبل منظمة التحرير الفلسطينية والدول المساندة لها بقيام هذه الدولة في اصغر صورها على الضفة الغربية وغزة . وذلك للاسباب التالية :

١ ـ كشفت المنظمة اوراقها فيما تريد ، وهو الحد الادنى التي طالبت به ، ورفضته اسرائيل وامريكا ، وصرح الرئيس الامريكي بان ما يهمه بالدرجة الاولى في هذه المرحلة المقبلة المباشرة انما هو « امن اسرائيل » ، وانه غير مستعد باي شكل ان يضغط على اسرائيل في اتجاه يعاكس مطالبها .

٢ ـ تزايد الحديث عن « فتوحات » فلسطينية في عواصم الغرب ومع زنوج امريكا ، واثيرت ضجة حول لقاء عرفات ـ كرايسكي ، فما الذي طرحه كرايسكي على عرفات ... ؟ قال : اوافق على الحكم الذاتي الذي تقترحه اسرائيل ، يتم بعده الوصول الى صيغة « كنفدرالية » بين اسرائيل والدولة الفلسطينية العتيدة ...

وهذا دون المطلب العربي في حدوده الدنيا .

اما موقف زنوج امريكا ، فتكشف في جولة اندرو يونغ في سبع دول افريقية طالب خلالها باعادة العلاقات بين هذه الدول واسرائيل . ومن ناحية اخرى طالب القس جاكسون الدول العربية النفطية بتمويل المشروعات الزنجية في امريكا ثمنا لتأييد الأمريكان السود للقضية الفلسطينية .

ومن هذا نتبين ان المكاسب التي تحققت كانت مجرد تمنيات او رغبات .. !

٣ ـ اذا اعتبرنا « اللعبة الدولية » هي لعبة قوى تتصارع بعضها مع بعض في حساب دقيق . وانتقلنا الى تقييم قوانا مقارنة بالقوى الاخرى ، فسنجد اننا تخلينا عن ما لدينا من قوى سياسية او استراتيجية او نفطية او اقتصادية ، الذي كان يمكن المطالبة بتحقيق مطالبنا مقابلها .

هذا رغم قبولنا بالحد الادنى ، الا ان هذا الحد الادنى لا تقبل به اسرائيل ، ومع الاسف نحن نعيش بدون ذاكرة تاريخية . فاسرائيل رفضت خلال الثلاثين عاما الماضية كافة المشروعات التي تقدمت بها المنظمة الدولية او الوسطاء ..

ولا اعتقد ان العقيدة الصهيونية ، التي انتقد تعنتها احد كبار قادة الصهيونية ومؤسس اسرائيل ناحوم جولدمان ، والتي لم تتحول او تتغير باي شكل ...

لكل هذا لا اعتقد ان اسرائيل تقبل قيام دولة فلسطينية ... !

اما احتمالات قيام الوحدة العربية خلال الثمانينات ، فمعذرة اذا بدأت حديثي بتجربة شخصية وعاطفية ، فقد عايشت تجربة قيام الجمهورية العربية المتحدة عندما كان لي شرف ان اكون بين اول الممثلين الذين مثلو دولة الوحدة في نيويورك في المنظمة الدولية خلال فترة الوحدة بكاملها واختبرت كقومي عربي مرارة الفشل ، وما رافق تلك التجربة التي كانت حلم الاجيال العربية من احباط واسي ..

وماذا عن المستقبل .. ؟

ان الوحدة وليدة تفاعلين ، احدهما داخلي والثاني خارجي ، اما الداخلي ، فهناك آمال الامة ورغبتها وطموحها في الوحدة ، وتطلعات الشعب العربي الى تحقيقها ، وهذه الآمال في أيدي الحكومات العربية ..

وتقول تجارب الماضي ، ان الحكومات لا تتحرك نحو

تحقيقها ، سواء لعجز ذاتي ، او لانها تقول مالا تفعل وتفعل مالا تقول ، وربما لانها سجينة الاقليمية التي ورثتها عن الاستعمار ..

وهذه الاسباب الذاتية ولدت عجزا عربيا داخليا جعل تحقيق الوحدة مطلبا شبه مستحيل ..

وبما اننا نعيش في مجتمع دولي يلعب العامل الخارجي دورا فيه فالقوى العظمى لا تريد للعملاق العربي ان يقف على قدميه ..

وللاسف لا توجد انظمة حكم تتيح للمواطن العربي ان يتمكن بواسطة مؤسساته من تحقيق الحد الادنى من مطالبه الوحدوية ..

وبالتالي لن تقوم وحدة عربية ضمن هذه الظروف ..

ولا ارى امكانية وقوع حرب عالمية ثالثة . فـ « ميزان الرعب » الذي قامت عليه موازين القوى في العالم بعد الحرب العالمية الثانية وقيام الامم المتحدة لا يسمح بقيام هذه الحرب التي تعني فناء البشرية جميعها .

والدولتان « الاعظم » تعرفان وتسلكان في علاقاتها الدولية على اساس ادراك عميق لهذه الحقيقة ، فالوفاق الدولي الذي تحقق ، ليس صدفة ، بل وليد حسابات دقيقة . وتتفاهم الدولتان الكبيرتان في جميع المناطق الحساسة ، في اوروبا الغربية والشرق الاوسط والخليج العربي وجنوب غرب آسيا ، وقد يصلان الى حافة الهاوية ، ولكنهما سريعا ما يتراجعان ..

اما العنصر الجديد والخاص بتدهور الاقتصاد العالمي ، فهو بالدرجة الاولى مشكلة امريكية غربية فلا ترغب امريكا وغرب اوروبا واليابان في تغيير نمط حياتهم ومعدل استهلاكهم ، فاستهلاك الطاقة يزيد ولا ينقص ، مما يعني المزيد من التضخم والكساد والبطالة .

والمطلوب ان يقدم العربي من موارده النفطية القابلة للنضوب وقودا لهذه الحضارة الصناعية الجشعة .. !

اما موقف الاتحاد السوفيتي ، فانه يشتري غاز ايران ، والارقام تقول انه سوف يصبح مستوردا للنفط ، وأمامه النفط العربي ، مما يعني ـ في تقديري ـ مزيدا من التفاهم والتوافق بين الدولتين « الاعظم » في منطقتنا العربية ذلك التوافق الذي يكون استمرارا للوفاق القائم بالفعل ، ودلائله تواجد الاتحاد السوفيتي في اليمن الجنوبية وسكوت امريكا ، واتخاذ الاتحاد السوفيتي موقفا مؤيدا لموقف امريكا في ازمة ايران ورفض السوفيت طلب ايران عقد جلسة لمجلس الامن ، فالوفاق قائم في مناطق الازمات القائمة بالفعل او المحتملة الوقوع ...

ويلاحظ ايضا إقتسام الدولتين الاعظم لمناطق النفوذ في الشرق الاوسط ، اما بصورة واضحة ، اي لا تتدخل احدى الدولتين الاعظم بمنطقة الدولة الاخرى ، او بالسماح بامتداد هذا النفوذ الى الحد الذي لا يمكن ان يضر بمصالح الدولة الاخرى .

ولكن هذا الانقسام ينبغي ان ينبه الشعوب الصغيرة امثالنا الى قواعد هذه اللعبة ، او بالاصح الى ذلك الارهاب الدولي الذي يمارس علينا ، ونرفض ان نكون فرس رهان بين الدولتين الاعظم ، نسعى ان نجعله وفاقا لنا وليس علينا ، لا ان نقف الى جانب احد الدولتين التي هي امريكا ، ونترك في بنوكها الودائع العربية التي تدفع عليها فائدة تصل الى ٤ او ٥٪ في الوقت التي تصل الفوائد فيه الى معدل من ١٤ الى ١٦٪ ، ويصل مقدار التضخم الثابت في امريكا الى ١٢٪ ، فيقوم العرب بسد قسم من العجز المالي في امريكا والغرب ، في الوقت الذي توجد فيه بعض الاقطار العربية في امس الحاجة الى سد عجزها ...

ومع كل هذا نتحدث عن الحياد ..

فاين هو هذا الحياد في تلك المجابهات التاريخية الكبرى .. ؟

واين هذا الدور الذي يجب ان نؤديه خدمة لقضايانا القومية ، وان نعرف مصلحتنا البعيدة عن صراع الجبارين ...

واين هذا الذي يقع من النظرة المستقبلية التي تطرحها مجلة العربي ... ؟ !



ميشيل ابو جودة

رئيس تحرير جريدة النهار

١ ـ الدولة الفلسطينية

ليس هناك من امكانية للتكهن بموعد محدد لتحقيق الدولة الفلسطينية . لكن المتتبع للاحداث يمكن ان يقرأ فيها ، ويستنتج ان الدولة الفلسطينية تبدو الحل الذي لا بد منه للوصول الى انهاء الصراع العربي الاسرائيلي عبر التصدي لأصعب حلقات النزاع ، اى الموضوع الفلسطيني ، طبعا هناك احتمال في مثل هذا النوع من المتوقعات ان تحدث مفاجآت ، او تغييرات سياسية او احداث عسكرية تتأثر بتغيرات دولية معينة ، فتؤدي الى حرف مسار الاحداث ، او تأجيل حدوث ما كان متوقعا ، لكن هناك جملة مؤشرات تدفعنا الى الاعتقاد بان الثمانينات ستشهد قيام دولة فلسطينية ..

على رغم المخاوف التي يمكن ان يسببها قيام مثل هذه الدولة لكثيرين ..

طبعا قيام مثل هذه الدولة سيسبقه مخاض طويل ، لكن قيامها يبدو المخرج الوحيد الممكن .

٢ ـ وحدة او وحدات عربية

بالنسبة لقيام وحدة او وحدات عربية وعلى الرغم من انتكاس معظم التجارب التي قامت ، او على رغم ما عاشته المحاولات التي تمت في هذا الاتجاه ، فان الدول العربية تجد نفسها مضطرة الى اشكال من التنسيق اقوى من مجرد الانتماء الى الجامعة العربية .

كل الارقام تشير الى ان المنطقة العربية بثرواتها وبمراتها ، وباهميتها الجغرافية والسياسية ، ستكون محط انظار واطماع الكبار ، يجب ان لا ننسى ان هذه المنطقة تنام على النفط وهو مفتاح الاستقرار في العالم الصناعي ، واذا كان من مصلحة الكبار ان تظل الدول العربية مفككة فان حكام المنطقة وشعوبها يشعرون باستحالة مواجهة التحديات دون ارساء اشكال من اللقاء والتنسيق قد لا تكون على غرار تجارب الدمج السابقة ، ولعل التجربة التي قيل انها ستبدأ في الخليج ، مهمة ، فهي تشير الى توجهات وحدوية ، تحترم ظروف وخصوصيات كل بلد ، وتهتم بأمن المنطقة والسياسة الخارجية ، والمسائل القومية ...

٣ ـ حرب عربية أسرائيلية ..

بعد المعاهدة المصرية من حق المرء ان لا يتوقع قيام حرب عربية اسرائيلية لاسباب منها : ان مثل هذه الحرب صعبة القيام من الجانب العربي نظرا للخلل الاستراتيجي الذي احدثه خروج مصر ، ثم ان اعادة التوازن تستدعي لقاء سوريا عراقيا فلسطينيا يدعمه النفط العربي ، من جانب اسرائيل فان حربا تقوم بها ستهدد السلام المصري الاسرائيلي فضلا عن انها ستعقد اوضاع المنطقة ـ ولكن اكثر من ذي قبل ـ وسياسة ومصالح الولايات المتحدة في المنطقة .

هذا مع الاخذ في الاعتبار ان حرية الفرقاء المحليين في الذهاب الى الحرب مشروطة بالعلاقات السائدة بين الدولتين الكبيرتين ، وما اذا كان الشرق الاوسط ، صالحا لتجرى فيه اختبارات قوة محدودة ..

٤ ـ حرب عالمية ثالثة ..

بعد ازمة النفط ، وجنون الذهب ، وتصاعد موجة التضخم والبطالة ، واستمرار سياسة التسلح ، واستمرار

الصراع العربي الاسرائيلي ، والاختراقات السوفيتية الكوبية في افريقيا وما عاشته جنوب شرق آسيا ، والتحذيرات السوفيتية لاوروبا من تركيز صواريخ معينة فيها ، وخروج الصين في حملها على الهيمنة ، كل هذا دفع البعض الى توقع قيام حرب عالمية ثالثة ، الا ان الاعتقاد الاقوى ، يظل يدور حول استمرار تصارع العملاقين تحت مظلة الوفاق ، طبقا مع استمرار الحروب المحدودة والتفجيرات المحلية ..

فخيار الحرب العالمية اليوم مختلف عنه سابقا ....

مايكل آدمز

رئيس تحرير مجلة الشرق الاوسط الانجليزية

الدولة الفلسطينية ...

ازدادت المساندة لحق تقرير المصير بالنسبة للفلسطينيين وتأثير دولة فلسطين مستقلة عام ١٩٧٩ ، فبتأييد كرايسكي مستشار النمسا ، وزيارة ياسر عرفات لاسبانيا ، ومساندة اغلبية اعضاء الامم المتحدة ، كل هذا قد زاد من الضغط على الدول الغربية للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ولمساندة حق الفلسطينين في تأسيس دولة لهم .

ان صدور بيانات متتالية من الدول التسع اعضاء المجموعة الاوروبية ، والتي كان آخرها واقواها ذلك الذي اصدره وزير الخارجية الايرلندية والذي تحدث باسم المجموعة كلها في الجمعية العامة في ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٧٩ ، قد أكد حق الفلسطينيين في اقامة وطن لهم ، « وحقهم في تحديد مستقبلهم كشعب » .

ويستمر الموقف الامريكي متأثرا بشكله التقليدي بمساندة الولايات المتحدة لاسرائيل ولكن هذا الموقف تغير بشكل ملحوظ عندما أدى عناد « بيجن » الى تغير الرأي العام الامريكي .

ففي هذه الظروف لا مفر من ان ينجز الفلسطينيون اقامة دولة مستقلة في العقد القادم .

حرب عربية اسرائيلية جديدة ...

يمكن توقع ان تحاول اسرائيل افشال التحرك نحو الاستقلال الفلسطيني بكل الطرق ويشكل الاضطراب المستمر في لبنان نقطة خطرة ، قد تستغلها اسرائيل كمبرر لشن حرب تلقي بالشرق الاوسط الى الفوضى .

ان مثل هذا التحرك قد يبدو غير محتمل الوقوع ، لان من المتوقع انه حتى الولايات المتحدة ستدين اي عمل قد يزيد من تعريض مصالح امريكا في الشرق الاوسط للخطر .

ان الشيء الوحيد الذي قد يزود الاسرائيليين بمبرر لشن حرب ، لن يكون الا باستفزاز خطير من جانب العرب مثل عودة « الارهاب » الفلسطيني على مستوى دولي والا فانه اذا كان من المستحيل التحكم في خطر تجدد الحرب ، في منطقة بها الان مثل هذه الكميات من الاسلحة الحديثة فهناك عاملان يجعلان من انفجارها شيئا غير محتمل .

ان قلق العالم على الامدادات البترولية من الشرق الاوسط ، يعني ان القوى الخارجية ستحاول حقيقة فرض القيود في لحظات الازمة . وقد فوضت « مبادرة السلام » الحجة القائلة بانه ليس لدى اسرائيل اي خيار سوى ان تحارب ضد العداء العربي الذي لا يلين ، هذا رغم كل التأثيرات الاخرى للمبادرة .

اذن .. لن تلقى حرب جديدة القبول ، وستنقسم اسرائيل حولها .

وحدة او وحدات عربية ...

ان فشل العرب في تكوين جبهة متحدة يسبب خيبة أمل دائمة لاصدقائها ، فعلى ضوء قوتهم الحالية ، وهي قوة لا يمكن الا ان تزداد في السنوات القليلة القادمة بسبب نقص الطاقة ، فمن المؤلم ان نرى هذه القوة تتبدد في وقت يمكن ان تنجز مثل هذه النتائج الهائلة « الوحدة » ، اذا ما اقامتها الانظمة العربية القائمة بالتنسيق فيما بينها ...

ولكن ليس هناك مانع للاندفاع للتفكير المنطلق وراء الآمال . فالمنطق قد يقول ان الوحدة العربية يجب ان تكون قريبة المنال لكن كل السوابق تؤكد انها ليست هكذا .

والقراء العرب ليسوا في حاجة الى كاتب بريطاني ليحدثهم عن ضرورة الوحدة ، ويبقى علي أن اقول انه يمكنني رؤية الوحدة العربية ـ وحدة حقيقية ـ وعلى نطاق واسع وقد تحققت ان هذا يمكن ان يحدث ، اذا ما اظهرت الانظمة الحالية درجة اكبر من الامن الذاتي ، وافضل دليل على ان نظاما قد حقق هذه الدرجة من أمنه الذاتي ، هو استعداده لمنح الصحافة حريتها كاملة ، ونحن لا نرى مثل هذه الحرية كثيرا في العالم العربي اليوم .

وانني لا اقول مسبقا اننا سنشاهد وحدات اقليمية بين دولتين عربيتين أو عدة دول عربية كما شاهدنا في الماضي ، لكنني اعتقد ايضا انها ستكون على الاغلب كما كانت عليه في الماضي .

وحدة سريعة الزوال ، تتقوض بسهولة بسبب الظروف التي لا يسيطر عليها العرب الا قليلا

حرب عالمية ثالثة

اذا كانت الشئون البشرية يحكمها المنطق لقلنا ان حربا عالمية جديدة مستحيلة استحالة واضحة ، فنتائج مثل هذه الحرب ستكون كارثة لا يستطيع احد ان يدرك مداها .

ولسوء الحظ فان تأثر السياسيين بالمنطق يكون بدرجة اقل من تأثرهم برغبات وأهواء مكوناتهم الداخلية .

لذا فلا يمكن ان تستبعد امكانية قيام حرب عالمية اخرى رغم كل الجهود التي تبذلها كل الاطراف لتجنب وقوعها .

وانا اعتقد انه اذا ما وقعت فستكون نتيجة حادث ، او خطأ بشري في الحسابات ، ولسوء الحظ فان هذا ممكن في عصر يصل فيه زعماء الدول الى السلطة ، لأنهم غالبا ما يكونون شطارا في التلاعب بالرأي العام اكثر مما لو كانوا حادي الذكاء بشكل خاص أو لأنهم مستقيمين اخلاقيا .

فاذا ما وقع مثل هذا الخطأ او سوء التقدير في الحسابات فانه لن يكون على الغالب الاعم الا في الشرق ، حيث المصالح المحلية القومية والخارجية تتشابك وبشكل مباشر اكثر من اي مكان آخر في العالم .

ان تشابك الصراع العربي الاسرائيلي ، مع السباق بين القوى العظمى مع النضال من اجل المساواة بين الدول المتقدمة والدول النامية ا يجعل من الشرق الاوسط نقطة الاشتعال في العالم .

وهذا هو السبب ، لماذا اصبح انجاز تسوية في الشرق الاوسط أمرا حيويا من وجهة نظر الجميع .■■

منح الصلح

الكاتب والمفكر اللبناني



الدولة الفلسطينية ...

كما تكمن السنبلة في حبة القمح الواحدة تكمن الدولة الفلسطينية ـ المؤلفة من الضفة الغربية وغزة ـ في العصبية والارادة العامة التي خلقتها منظمة التحرير ، وفي مؤسساتها واطاراتها ، فهي صورة عن دولة المستقبل ، والدولة هي مجرد حالة عن الوضع القائم وليست مولودا يخرج من العدم ، والذي يقف في وجه هذه النقلة ويجعل صعبه بل مستعصيه ان اسرائيل تفهمها ـ ربما على حقيقتها التاريخية ـ خطوة منها في اتجاه القبر بعكس مسار التقدم المستمر الذي سلكته الحركة الصهيونية منذ مائة عام وحتى اليوم ، وقد يؤازر المجتمع الدولي مبدأ وجود دولة فلسطينية ولكن سيرفق الموافقة على هذا المبدأ باصراره على تحقيق ضمانات فلسطينية وعربية ودولية لاسرائيل مما سيعمل على تأجيل قيام الدولة الى اواخر الثمانينات ، لان الضمانات ستكون من النوع الثقيل على العرب ، ولن تكون ضمانا بقدر ما تكون قيودا على التطور الفلسطيني والعربي » .

الحرب العربية الاسرائيلية

انفق الصليبيون مائة وخمسين عاما حتى اقاموا دولة القدس الفرنجية وانفق العرب والمسلمون مائة وخمسين عاما حتى ازالوا العدوان الصليبي ، وتخلل ذلك حروب وهدنات كثيرة وامكانية الحرب قائمة الآن بين العرب والصهاينة . والحرب هي السياسة نفسها ـ كما قيل ـ بوسائل اخرى ومجالها عقدة واحدة ، هي الجبهة السورية ولتذليل هذه العقدة ستقوم حرب محدودة ، يأتي بعدها فرض السلام على اسرائيل والعرب ، وقد لا تبلغ هذه (الحرب) حجم الحرب بالمعنى الدقيق .

الوحدة العربية

قد تقوم في السنوات العشر القادمة وحدة او وحدات بين قطرين عربيين او اكثر ولكن الوحدة العربية شيء آخر ، ثمة فارق بين الوحدة التي اذا قامت شعر كل عربي انه موجود فيها وانها من اجله قامت . وبين وحدة ما ، هذا او ذاك من الاقطار ، (وفي تقديري ان اي وحدة ، لا تكون الوحدة الا اذا ضمت مصر وبلدا شرقيا ، واعتقد ان هذه الوحدة موضوع مقارنة عالمية ولن تقوم في السنوات العشر القادمة .

وان نشأت وحدات ستشكل تقدما على الوضع القائم ، فالخليج في رأيي سيصبح وحدة ، وستقوم وحدة في المغرب ، ووحدة سورية عراقية ، وربما غيرها ايضا .

ولكن يبقى ان العرب قد عجزوا عن ان يقفزوا من الجامعة العربية الى الوحدة العربية كما نجحوا مرة عام ١٩٥٨ في الوحدة المصرية السورية .

الحرب العالمية الجديدة ! !

الحرب العالمية ظاهرة من الماضي ولن تتكرر ، فالمصالح الدولية التي كانت في الماضي سبب الحروب ، هي اليوم سبب الخوف من الحرب ، ولقد اصبح للدولة الكبيرة الواحدة ـ ايا كانت ـ ما تفقده في كل مكان في العالم ، للولايات المتحدة مصالح لا تريد ان تفرط فيها في الاتحاد السوفيتي نفسه . وللاتحاد السوفييتي مصالح يراهن عليها في الحاضر والمستقبل داخل الولايات المتحدة . وهذا ما ينطبق على الجميع ، لذلك فالحرب مستبعدة ، بل مستحيلة ، الا اذا اخذت صورا غير شاملة وغير عسكرية .

فالعالم اليوم تاريخ واحد بينما كان له في الماضي تواريخ بعدد امه ومناطقه ، وما يحدث في مكان يؤثر في كل مكان ، فقد أصبح من المتعذر ان تقوم حرب عامة لانه لم يعد للدول تواريخ مستقلة بعضها عن بعض .

هذا المدّ الإسلامي .. إلى أين ؟



بقلم :الدكتور أحمد كمال ابو المجد

بين فلاسفة التاريخ فريق يرى أن الحضارات ـ كالشعوب ـ تعيش دورات عضوية تبدأ بالنشوء والميلاد ، وتأخذ في النمو التدريجي الذى تبلغ قمته في لحظة من لحظات العمر ، ثم تنتهي شيئا فشيئا الى الشيخوخة والذبول ، لتبدأ بعد ذلك في كيانها الكلي المستمر ، دورة عضوية جديدة .

وأيا كان مبلغ الصحة أو الدقة في هذه النظرية فان من الثابت أن حضارات الشعوب تتعرض في مسيرتها التاريخية لموجات متعاقبة من المد والجزر ، والارتفاع والهبوط ، وأن حضارة المسلمين ليست مستثناة من هذه الظاهرة التاريخية العامة ... ويطول بنا الحديث لو مضينا نستعرض ما طرأ على الحضارة الاسلامية من هذه الموجات ، التي ارتفع مدها أحيانا فجعل من الاسلام دين العصر وفلسفته ، وجعل من ثقافته ثقافة النخبة الممتازة والكثر المتطلعة الى الامتياز على السواء ... كما جعل من المسلمين قوة سياسية كبرى ترتفع أعلامها على أمصار متعددة اللغات والثقافات ..... ثم دار الزمن دورته ، فانحسر هذا المد ، وانكفأ المسلمون على ذواتهم في صراعات داخلية مذهبية وسياسية وأزمات معيشية واجتماعية ... وتضاءلت بسبب ذلك كله وبالاضافة اليه أكثر الابداعات الفكرية والاجتماعية ... وساد نوع من الرتابة الحضارية التي يكرر الوجود الثقافي فيها نفسه أو يكتفي بتقليد غيره ، وكأنما استلت روح الحضارة من جسمها ، وغابت عنها نضارة الحياة ، ورقة الشباب .

والذى نريد أن نصل اليه دون أن نضرب في أعماق التاريخ أن سقوط الدول العربية ـ وهي قلب الأمة الاسلامية ، تحت النفوذ العثماني ثم سقوطها بين يدى الغزو الاوروبي قد مثل حلقة من حلقات الجزر والانكماش في أكثر مظاهر الحضارة الاسلامية ... ولكن الثلاثين سنة الاخيرة قد اخذت تشهد مدا اسلاميا جديدا ، بدأت خطواته بطيئة متثاقلة أول الامر ، ثم تسارعت وازدادت مظاهرها وضوحا خلال السنوات العشر

الاخيرة . وتمثل هذا المد في ظهور حركات ثقافية وسياسية ترفع « شعارات الاسلام » وتنادى بالعودة اليه وتطالب بتطبيق شرائعه بعضها فردي تتعالى به صيحات كتاب أونداءات مصلحين ، وبعضها جماعي تنتظمه « حركات » ذات قيادات وبرامج واتباع وتحركات .....

كما تمثل هذا المد في تجاوب العديد من قلوب المسلمين مع هذه النداءات ايمانا بها ، أو سعيا لاحتوائها أو تأثرا بضغوطها ، فعدلت بعض الدساتير والقوانين تعديلا يجعل من الشريعة الاسلامية مصدرا رئيسيا للتشريع . وشكلت لجان عديدة لمراجعة القوانين العامة ، وتعديلها بما يضمن اتفاقها مع « الشريعة الاسلامية » . وتم في عدد غير قليل من الدول العربية والاسلامية وضع تشريعات مفصلة تعالج العديد من أمور المعاملات والعقوبات معالجة مستمدة من « الفقه الاسلامي » .

ـ وعلى قمة هذه الموجة المتعاظمة وعلى غير توقع من أحد ـ استطاع رجال الدين في ايران أن يزلزلوا عرش واحد من أعتى الحكام المعاصرين ، رغم أنه أحاط نفسه بجيش من أقوى ما عرفته المنطقة في تاريخها الحديث ، وملأ خزائنه باحدث الاسلحة واشدها فتكا ، كما بث في مملكته جهازا للأمن لا تزال اساليبه وفنونه في التنكيل بالمعارضين والخصوم موضع أحاديث تشبه الاساطير ... واستطاع رجل واحد من رجال الدين ودعاته ، أعزل من السلاح طاعن في السن ، مبعد من أرضه وشعبه ، أن يسقط نظام الشاه بكلمات يرسلها الى الناس من بعيد ، وتعليمات يصدرها لأتباعه وأعوانه وراء البحار .. وكان بعد ذلك ما كان واختلف الناس ـ ولا يزالون مختلفين ـ في تقييم ما وقع وما يقع في ايران . ولكنه على اى حال قد تم ونفذ باسم الاسلام ، ولذلك رأى فيه المعلقون جميعا ، مظهرا جديدا من مظاهر المد الاسلامي أخذت اصداؤه تمتد وتتردد في العالم الاسلامي كله ... وفتحت أعين الباحثين ورجال السياسة على السواء على أمر هذا المد الاسلامي ، وزادت من اهتمامهم جميعا بدراسة الاسلام وحضارته ومستقبل أهله ...

بحث عن الاسباب

والسؤال الذى يشغلنا هنا سؤال ذو شعبتين أولا .. البحث عن أسباب هذا المد ، ومحركاته ، والثاني ، البحث عن جوهره ومحتواه واحتمالات نموه واستمراره .

١ ـ ان هذا المد الاسلامي المعاصر ـ في جانب منه على الاقل ـ جزء من ظاهرة عالمية نعيشها هي ظاهرة المد الديني بوجه عام . ولقد كان المؤرخون في الخمسينات وأوائل الستينات من هذا القرن يتحدثون عما اطلقوا عليه « أزمة الدين في عصر علماني » . وكانوا يشيرون بذلك الى ما ولدته قفزات العلوم الطبيعية والتجريبية التي حققت الثورة الصناعية الثانية من عبادة جديدة للعقل وثقة مفرطة به ، واعراض عن كل ما عداه ، واستشراف لمستقبل تكون فيه للعلماء التجريبيين سيادة على عقول الناس ومعتقداتهم لا يشاركهم فيها أحد .. ويفقد الدين معها سلطانه التقليدى على النفوس والعقول ، ويصيبه الشك في جوانبه الاعتقادية والعلمية على السواء .

وبرغم أن هذه الظاهرة قد وقعت أساسا خارج حدود العالم الاسلامي . فان انهيار الحواجز بين الشعوب والحضارات نتيجة الثورة في وسائل النقل والاتصال ، قد نقل الى المجتمعات الاسلامية بعض آثار تيار المادية التي لا تكاد تترك في عقول الناس موضعا للايمان بالغيب . ولكن لله حكمة هو بالغها ... فكما حملت الثورة الصناعية مع بشائرها الأولى بذور الثقة المطلقة في العقل ، فانها حملت بعد ذلك ـ ومع استيعاب آثارها العملية على حياة الفرد والأسرة والمجتمع ـ بذور قلق لا حدود له أصاب العقول والنفوس ... لذلك بدأت تلوح في الأفق بشائر حنين جديد الى السكينة الضائعة ، والرضا المفقود ، والسلام الذى زلزلته عبادة الدرهم والدينار .

واذا كان التمرد على القلق والعنف والقهر والمادية الجامحة قد اتخذ ـ في جانبه السلبي ـ صورة الرفض لكل رموز هذه الحياة المادية وللمؤسسات التي تمثلها .. فان بركان هذا الرفض الذى بلغ ذروته عند الشباب في منتصف الستينات ـ لم يلبث أن هدأ .. وبدأ يتخذ البحث عن الفردوس المفقود ، حنينا عميقا الى المطلق ، والتماسا للسكينة في رحابه ، وطلبا للامن حيث لا ظل الا ظله ... وامتلأ الغرب بموجات الشباب اللاهث بحثا عن

اليقين . اللائذ بكل ما يصادفه من ألوان العقائد والمذاهب والاديان .. السماوى فيها وغير السماوى . وبقيت السنوات العشر الاخيرة سنوات عودة الى الدين ... وجدت بذورها سبيلها الى المسلمين ، كما وجدت بذور الشك من قبلها السبيل نفسه .

على أن للمد الاسلامي المعاصر اسبابا اخرى خاصة بالمسلمين ، ذلك أن تعاظم القوة الاقتصادية ، للدول العربية وغالبيتها العظمى من المسلمين ، قد فجر احساسا بامكان الاستغناء عن الغرب ، الذى احتلت حضارته وثقافته مكانا عاليا في نفوس العرب والمسلمين . ولذلك أصبحت عملية البحث النشيط عن الهوية الحضارية تكون أساسا نفسيا وعقليا للاستقلال السياسي والاقتصادى ، الذى بدأت تنعم به اكثر الدول العربية الاسلامية ... وكان طبيعيا ومنطقيا ان يتخذ هذا البحث صورة « العودة الى الاصول » وأن يدخل الاسلام وحضارته موجة مد جديد ...

أول التحفظات

٢ ـ اما السؤال الثاني الذى يتعلق بجوهر هذا المد ومحتواه وتصور مستقبله ، فلعله أصعب السؤالين وأخشى ألا أكون في هذه القضية بالذات من المتفائلين . وذلك أن مشكلة المسلمين لم تكن أبدا في قلة عددهم ، وأزمة الحضارة الاسلامية ليست انحسارها عن اقاليم وشعوب . وأن المشكلة كانت ولا تزال مشكلة « صياغة » نموذج واسلوب للحياة تتأكد به قيم الاسلام العليا ومبادئه المميزة ، وينطلق المسلمون ـ في ظله ـ الى ممارسة حياتهم العصرية بلا عقد ولا أزمات ولا فصام في الشخصية كالذى يكابده ويشقى به اليوم كثير من المسلمين ...

وسر التحفظ الذى يحول بيني وبين التفاؤل السريع بمظاهر المد الاسلامي الجديد .. أن الحركات العديدة التي تجمعها موجة هذا المد الجديد لا يزال اكثرها يعاني آفات أربع ، لا بد من الاشارة اليها ، وان كان كل منها يحتاج الى حديث طويل :

(١) وأول هذه الآفات العجز عن إقامة علاقات من المودة والحوار مع سائر عناصر المجتمع وتياراته ... ان منهج « من ليس منا فهو من أعدائنا » يحصر دعاة الاسلام في دائرة ضيقة مغلقة . وقد يتطور عند اصحابه من مجرد تقصير في الاتصال بالآخرين الى نوع من الخصومة العامة مع المجتمع ، وهذا مدخل من أخطر مداخل الانحراف في فهم الاسلام والدعوة اليه ... ومن أخطر ثمراتها ان يتصور اصحابها انهم وحدهم « جماعة المسلمين » وأن الخارج عليهم خارج على المسلمين .. إننا لا نريد أن نفتح باب الحديث الطويل في هذه الآفة وانما نقول في كلمات موجزة أنه لم يعد من حق أحد أن ينصب نفسه مسيطرا على الناس باسم الاسلام يقضي فيهم بالطرد من رحمة الله . ولهذا لا نشجع أبدا وصف مجتمع معاصر بأنه « مجتمع جاهلي » . اذ الناس من حولنا بشر يصيبون ويخطئون وحسابهم على الله . والجاهلية وصف يتجزأ في الافراد والمجتمعات ، كما ورد في قول النبي (ص) لابي ذر « انك امرؤ فيك جاهلية » . والمؤمن المطلق والكافر المطلق ، وصفان لا يجوز اطلاقهما على مقر بالشهادتين . وانما الناس من حولنا يخلطون عملا صالحا وآخر سيئا ... وليذكر المسارعون الى تكفير الناس والمغالون في ذلك ، أن حسن نيتهم وحماسهم لدينهم لم يعد عذرا مقبولا ولا حجة مسموعة ، وانه تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا » .

(٢) والآفة الثانية ، أن أكثر القضايا الفكرية والاجتماعية التي كانت معلقة في سائر الفكر الاسلامي والحياة الاسلامية لا تزال على حالها لم يتقدم البحث فيها كثيرا ... فالعلماء مترددون في الاجتهاد .. واكثر المفتين يؤثرون السلامة بالوقوف عند السوابق العديدة ويدورون في كتب الفقه لا يريدون ان يتجاوزوها .. والمسافة بين العالم الذى تصوره وتعالج مشاكله اكثر هذه الكتب ، وبين الواقع الحي الذى يعيشه الناس بكل ما فيه من تطلعات ومشاكل وهموم ـ تتسع يوما بعد يوم .. والقضايا المعلقة هي .. هي .. المرأة ومكانها في المجتمع ... وحدود حقها في العمل والاختلاط بالرجال ... المؤسسات الاقتصادية والمصرفية .. التأمين .. حدود الاستمتاع المشروع بالموسيقي والغناء ... واكبر من ذلك واخطر معالم التنظيم الاقتصادى والسياسي للجميع ... وما يتطلبه في شأنها الاسلام ...

ان المظهر الحقيقي للتقدم في هذا الميدان ، أن يقدم علماء الاسلام البدائل لكل ما ينهون عنه أو يدعون الناس الى تركه ... فعلى هذا المنهج قام الاسلام ، وبه ارتفع الحرج عن الناس ... اما ان توسع دائرة الحرام .. وتظل دائرة الحلال على ضيقها ، باسم : « ترك الشبهات » او « رفض البدع » ، « التزام مسلك السلف » ـ فهو ظلم للاسلام ، نتيجة عجز علمائه ودعاته عن الاجتهاد بما ينفع الناس ...

ولهذا فاننا نلمح وسط هذه الشكوى من الجمود بشائر منهج جديد ، يتمثل في العديد من المؤسسات الاقتصادية والمصرفية التي أحلت المشاركة في المخاطر محل الربا والغرر ... واقامة أنظمة للادخار والاستثمار لا يدخلها الربا باثمه وشروره .. ولسنا غافلين عما يحيط بها من عقبات وصعوبات في تخريج البدائل أحيانا وفي ممارستها أحيانا اخرى ... ولكنها ـ في يقيننا ـ احدى الومضات القليلة التي تبعث على التفاؤل ، وتجيز لنا ان نسمي « المد الاسلامي » من حولنا « بداية صحوة حقيقية » للمسلمين .

والخلل في ترتيب الأولويات

٣ ـ الآفة الثالثة ، تتمثل في الخلل في ترتيب الأولويات عند عرض الاسلام والدعوة اليه . ونحن هنا لا نشكك بحال في تكامل بناء الاسلام ولا نتجاهل هذا التكامل ... فالعقيدة أساس الاسلام والاخلاق ضمانه ، والشريعة ترجمته العملية .. والواجبات فيه كلها مطلوبة والمحرمات كلها واجب تركها .. ولكن دعوة الناس والتوصل الى اقناعهم وكسب ولائهم ، تقتضي مراعاة تدرج خاص وترتيب معين فيما يبدأ به ، وما يمكن ان يتراخى طلبه والتشديد في امره . وكثير من الناس يقفزون قفزا من كتب الفقه الى منابر الدعوة دون أن يتوقفوا قليلا ليعرفوا واقع الناس وما هم فيه .

ان الامر هنا ليس أمر فتوى ولا امر تشريع ، وانما هو أمر ترتيب في البيان ، وتدرج في معاملة النفوس واقتراب من واقع الناس طلبا لهدايتهم ... إن الدعاة الى الاسلام يقعمون في خطأ فادح اذا هم خرجوا على الناس في جميع المجتمعات بقائمة موحدة من الأوامر والنواهي ومطالب الاصلاح والتغيير ، متجاهلين خصائص تلك المجتمعات ومشاكلها التي تتفاوت في أهميتها والحاحها من زمن الى زمن ومن بلد الى بلد ...

اليس غريبا على سبيل المثال أن يطيل كثير من الدعاة الحديث في النهي عن شرب الدخان وعن سماع الموسيقى والغناء أو الدعوة الى ارسال اللحية ، وفرض الحجاب على النساء ، والا ترى منهم نفس الاهتمام والحماس حين يتصل الامر بقضايا الحرية والشورى والعدل في توزيع الثروات ...

ومن هذه الامثلة كذلك المبالغة في الاهتمام بقضية الحدود عند المناداة بتطبيق الشريعة وتقنينها ... ان أحدا لا يملك أن يهون من قيمة الحدود أو يجادل في ضرورة اقامتها ، ولكن وضعها على رأس القائمة هو محل النظر والاختلاف . فالحدود تتصل أساسا بظاهرة الجريمة وعقاب « المجرمين » ، والشريعة إنما وضعت أساسا للأسوياء الحافظين لحدود الله ... فلماذا لا تذكر الشريعة الاسلامية الا مقترنة بالحدود من قتل وقطع وتغريب .. ان باب الجنايات كان ولا يزال بابا واحدا من ابواب كتب الفقه ، كما ان الجريمة بانواعها ليست الا وجها واحدا سلبيا من وجوه حياة الناس في الجماعات تحت لواء الاسلام او غيره من الشرائع ...

ان هذا الخلل في ترتيب الأولويات يزداد خطورة حين يتحول الدعاة الى أولى أمر وحكام ، وحين يشرع المتحدثون باسم الاسلام في اخذ الناس به واقامة أحكامه بينهم .

ان اخطر ما يفعله أولئك الحكام أن يتصوروا أنهم ملزمون ـ باسم تكامل الاسلام وشموله بتطبيق احكامه في شئون الناس جملة واحدة .. ان ذلك على التحقيق غير متيسر ، وهو التزام بما لا يلزم ، وتوريط لاسم الاسلام ودعوته بما لا ضرورة له ... وحسب أولئك الدعاة الذين صاروا حكاما ان يبدأوا بكبريات المسائل وأساسيات الحكم العادل . حسبهم أن يوفروا للناس قدرا من الحرية وقدرا من كرامة الفرد وقدرا من العدل ، وأن يعلنوا عزمهم على تنفيذ برنامج اصلاحي تتعاقب مراحله في اناة

وروية ـ لتوجه الجماعة كلها الى اقامة احكام الاسلام مرحلة بعد مرحلة وحكما بعد حكم .

٤ ـ أما الآفة الرابعة فهي التشتت الغريب الذي يحيط بالجماعات والزعامات الداعية الى الاسلام .. فهم في شقاق وخصومة وتبادل للاتهام ، وتباين غير قليل في أساليب العمل وتصور الأولويات . والأخطر من ذلك أن كثيرا من هذه الجماعات لا ترضى بالقاعدة الحكيمة قاعدة ان « نتعاون فيما اتفقنا فيه ، وأن يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه » ... وفي غيبة منهج للاختلاف يتحول التعدد الى تشتيت للجهود ، وحرمان للمد الاسلامي من الثراء الذي يوفره اختلاف الآراء وتعدد الاجتهادات ...

شرط استمرار الحياة

ان مستقبل المد الاسلامي الذي نعيش موجة عالية من موجاته رهن بتدارك هذه الآفات . وهو تدارك لا يحتمل الانتظار . فان العمل الحضاري لا يتم في فراغ وكثيرون هم الحريصون على افراغ هذا المد من محتواه ، وتوجيهه الى حيث يتبدد ويضيع .

وانما يفتح ابواب الامل عندنا في مستقبل هذا المد الاسلامي ، ما نراه من بعض مظاهر القدرة على « النقد الذاتي » ، ونمو القدرة على التصويب والتصحيح الداخلي .... وهذه القدرة هي شرط استمرار الحياة في الكائنات العضوية والمؤسسات الاجتماعية على السواء . وما أحوج هذا المد الاسلامي الى قيادات وزعامات تلح في اصرار على ضرورة تدارك هذه الآفات وتعين ـ بذلك ـ هذا المد على أن يصير صحوة حقيقية تأخذ بيد الناس على هدى وبصيرة الى حيث المزيد من العدل ، ومن الحرية ومن الاستمتاع بالطيبات ، ومن حرارة علاقات المودة بين الناس .. وهل الاسلام الا ذلك كله « ولكن اكثر الناس لايعلمون » . ■■

د . احمد كمال ابو المجد

اللمسة الرقيقة

● بعد ان انفض الاجتماع في دار المجلس البلدي باحدى مدن امريكا الوسطى ، رات سيدة الكاتب الكسندر ولكوت واقفا وحده في الردهة ، فاندفعت نحوه لتعرب له عن اغتباطها بمحاضرته . ثم قالت ، وهي جدة في السبعين : « وقد شجعني ان اتقدم اليك فاحادثك انك قلت انك تحب العجائز » .

فقال ولكوت : « احبهن ... احبهن ايضا وهن في مثل عمرك » .

فائدة مزدوجة

● سئلت الفتاة عن سبب عدم وضع عويناتها على عينيها عندما تخرج مع صديقها الشاب .. فاجابت :

ـ انني ابدو اجمل في عينيه بدونها . كما انه يبدو اجمل في عيني !

خطر استمرار الضغط على النفط العربي

الدكتور علي عتيقة

الامين العام للمنظمة العربية المصدرة للنفط

مع التسليم بصعوبة التنبؤ حول مستقبل بدائل واحتياطيات واسعار النفط ، الا ان التكهنات العامة تؤكد ان الشح النفطي سيستمر حتى انتهاء النفط مالم تحدث اكتشافات ضخمة مثل تلك التي وقعت في الخمسينات والستينات ، واذا كان هذا احتالا واردا الا انه غير متوقع ، فنضوب النفط مسألة مؤكدة مثل « الموت » آت لا ريب فيه ، ولكن لا احد يستطيع ان يحدد زمانه ..

يتردد الحديث بين وقت وآخر عن امكانية ظهور بدائل للنفط ، وحتى الآن لم تتوفر هذه البدائل لذا يفضل البعض أن يطلقوا وصف « مكملات » الطاقة بدلا من بدائل النفط ، فالطاقة النووية والطاقة الشمسية والطاقة الكهربائية ، يمكن ان تكون بدائل للنفط كوقود ، ولكنها لا يمكن أن تكون بدائل في مجالات النقل البري والجوي والبحري ، ولا يمكن أن تكون بدائل في مجالات الصناعات البتروكياتية التي تعتمد على المشتقات النفطية والغازية .

وسواء اطلقنا عليها بدائل او مكملات فلا شك انها ستشهد تطورا محسوسا خلال الثمانينات ولكنها لن تتطور بالمعدل المطلوب ، نتيجة حاجتها الماسة للابحاث والاستثمارات الكبيرة التي لم تتوفر بالقدر اللازم ، وبالتالي سيستمر النفط كمصدر رئيسي للطاقة ..

وتواجه الدول العربية المصدرة للبترول خطر استمرار الضغط على النفط العربي اكثر من سواه ، فسياسة الدول الصناعية الراهنة ، وخاصة المنتجة للنفط مثل الولايات المتحدة الامريكية والنرويج وبريطانيا وكندا ، تقوم على السعي للتقليل من انتاج النفط والغاز وتعويض هذا الانتاج بالاعتماد على النفط العربي ، طالما بقيت السياسات الحالية ، وتستفيد الدول الصناعية من النفط وتحتفظ بعائده ، اما في مقابل صادراتها ، أو في شكل ودائع ترقد في مصارفها أو في صور بيع بالاجل او في شكل سندات ، وجميعها تحصل الدول الصناعية بمقتضاها على النفط وتحتفظ بالثمن ، وبالتالي لا يؤثر عليها ارتفاع الاسعار في كل من المدى المتوسط والطويل .. !

وبالطبع يقتصر الحديث هنا على الدول الصناعية ، ولا ينطبق على الدول النامية التي تستورد النفط وتدفع ثمنه وليس لديها سوى القليل الذي يمكن ان تصدره في مقابل النفط ..

والمؤكد ان الاحتياطي الحالي اقل بكثير من احتياجات العالم ، ومن احتياجات الدول النفطية المصدرة ، والحل هو تكثيف التنقيب في الثمانينات من جانب وترشيد عمليات الانتاج من جانب آخر ، حتى لا يكون النفط العربي هو الذي ينضب اولا .. ! فاذا كانت نهاية النفط تعني مصاعب كبيرة للدول الصناعية ، فهي تعني اجهاض امكانيات النمو والتطور للدول العربية المصدرة للنفط ، ولا يمكن أن يسرع « انسان » نحو نهايته ، والمتوقع أن تستمر

الضغوط على العالم العربي لكي ينفق اكثر ويضطر بالتالي الى زيادة انتاج النفط ..

فمثلا تلك النزاعات والاشتباكات التي تشهدها بعض دوله علاوة على اهدار الارواح والاموال ، فهي تؤدي الى زيادة انتاج النفط واهدار الثروة القومية ...

وفيما يتعلق بانتاج النفط فان اجماع الخبراء الى الآن متجه الى أن كل ما يمكن ان يكتشف منه في العقد القادم وما بعده سيكون في الدول المصدرة للنفط . وكما أن ثلثي الاحتياطي في العالم العربي فثلثا المتوقع اكتشافه ايضا في العالم العربي .. ولا يخفى ما يترتب على ذلك من مسئولية وما يتيحه من فرصة للعالم العربي ..

اما بالنسبة للاسعار والمرتبطة عضويا بكل من البدائل والاحتياطيات فيتوقع ان تستمر في التصاعد خلال الثمانينات ، كما يتنظر أن يشهد سوق النفط بعض التذبذبات في مطلع العام الحالي .

وقد يحدث تغيرات في اسعار النفط نتيجة سياسات الدول النفطية اذا استمرت ذات السياسة التي تتبعها وتزيد من بيع نفطها عندما ترتفع الاسعار ، وتقلل انتاجها عندما تنخفض الاسعار ، وعندما يزيد الانتاج تقوم الدول المستوردة بشراء النفط وتخزينه ، والمخزون الحالي من النفط لدى هذه الدول كبير جدا ، واذا بقي الانتاج على مستواه فقد تجد الدول المشترية للنفط نفسها في مركز قوي ، وتصبح قادرة على تخفيض مشترياتها بينما لا يزال المنتجون مستمرين في معدلات الانتاج الحالي مما يصيب السوق بالركود كما حدث في عام ١٩٧٥ . عندما كانت الاسعار الفعلية في السوق الآني **spotmarket** أقل من الاسعار المعلنة ، وحاليا المسألة عكس ما كانت ... !

كما يجب أن ترتفع الاسعار ليست فقط من الناحية النقدية ولكن ايضا من ناحية قوتها الشرائية الحقيقية وهناك مطلب عادل بارتفاع الاسعار الفعلية سنويا ، أي بعد خصم عامل التضخم بنسبة ٥٪ . فهذا وحده الكفيل بتطوير البدائل وزيادة الاستثمار في عمليات التنقيب الجديدة خاصة في دول العالم الثالث التي هي في أمس الحاجة الى مصادر محلية ، وارتفاع اسعار النفط يشجعها على المزيد من التنقيب ..

وهناك دراسة قدمها الخبير الجزائري آية الله حسني الى اجتماع الأوبك الاخير في فينا ، ولم يجد ممثلو الدول الصناعية ما يردون به على الأرقام التي جاءت في هذه الدراسة والتي بينت ان المعدل التضخمي وانخفاض القيمة التبادلية للدولار يرفع الاسعار ارتفاعا غير حقيقي ...

فاذا اخذنا السعر الحالي للنفط والذي يبلغ ٢٠ دولارا للبرميل ، فسنجد أنه هو ذاته السعر الذي كان عليه برميل النفط عام ١٩٧٤ ، بعد استبعاد عامل التضخم وانخفاض سعر الدولار ، وسنجد أيضا أن السعر الحقيقي للبرميل قبل الارتفاع الاخير وعندما بلغ ١٤ دولارا ، تجد أن هذا السعر يعادل ٧ دولارات مقارنا بالقيمة الشرائية لسنة الاساس عام ١٩٧٣ .. !!

وهذا يؤثر في الوقت ذاته على القيم الشرائية للودائع - والتي تسمى خطأ بالفائض المالي - والتي تآكلت بسبب عامل التضخم وانخفاض قيمة الدولار ، حتى وصل ما خسرته الدول النفطية بين عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٩ الى ٧٠ بليون دولار ، أي ما يعادل عدة ملايين من براميل النفط التي ضاعت هباء منثورا .. !

ويلاحظ القارىء ان الدول النفطية التي تنتج اكثر من احتياجاتها تتآكل ودائعها وهي مضطرة لمسايرة السوق ..

واتوقع اخيرا ان ترى النور خلال الثمانينات مشروعات هامة تنتظر القرار السياسي ، تسعى لاستخدام وسيلة جديدة لتسعير النفط ، غير تلك المعمول بها . وأمام الدول المنتجة للنفط عدة بدائل أهمها : استخدام وحدة حسابية غير الدولار - اتفاق الاقطار المصدرة للنفط او بعضها لقبول عملتها كوسيلة للدفع وتتحول عملتها في الخارج . وامام هذا البديل صعوبات سياسية وفنية ، والبعض لا يريد ان يتحمل الاعباء السياسية والفنية الناتجة عنه .

وتبقى من اهم الافكار المطروحة والقابلة للتحقيق ذات الآثار الاقتصادية الهامة .

مستقبل النظام النقدي العالمي

بقلم : الدكتور ابراهيم سعد الدين
مدير معهد التخطيط

تميزت السبعينات بعدد من الازمات الاقتصادية التي واجهها العالم الرأسمالي المتقدم انهت مرحلة من الاستقرار والتقدم استمرت اكثر من ربع قرن تضاعف خلالها انتاج العالم المتقدم اكثر من ثلاث مرات مستفيدا بشكل خاص من توفر مواد خام وطاقة رخيصة وفرتها بلاد العالم الثالث . التي كانت مضطرة لان تبيع منتجاتها بالاسعار التي حددتها لها الاسواق الدولية التي تعمل لصالح الدول الصناعية المستوردة .

ان رخص المواد الخام التي مكنت من تحقيق النمو السريع للعالم الصناعي شجعت في نفس الوقت الاسراف والتبديد في الموارد . بحيث بدأ العالم مع بداية السبعينات يواجه أزمات متعددة كان من أهمها ما بدا من احتمال النفاذ السريع لبعض الموارد الطبيعية غير القابلة للتجديد ، وما ترتب على ذلك من ارتفاعات في عديد من اسعار المواد الاولية . وقد تم ذلك في فترة انهار فيها نظام النقد الدولي الذي اقيم على أساس من اتفاقية بريتون وودز في عام ١٩٤٦ وبدأت مرحلة من التضخم المتسارع شملت دول العالم الصناعي وانتقلت منها الى العديد من دول العالم الثالث . واشتدت ازمات موازين المدفوعات التي واجهتها عدة دول نتيجة لاضطراب التجارة الدولية . وقد سارع من التضخم الزيادات في الاجور التي تحققت في الدول الصناعية والتي فاقت في العديد من الاحوال الزيادات في انتاجية العاملين . واذا كانت الفترة حتى السبعينات هي فترة النمو السريع للدول الصناعية . فقد كانت هي فترة التحرر السياسي لاغلب دول العالم الثالث التي وجدت نفسها بعد تحررها تعاني من استمرار السيطرة الاقتصادية للدول المتقدمة والتبعية الاقتصادية والمالية والتكنيكية لها . وهي تبعية تمتد جذورها وتدعمها مؤسسات النظام الاقتصادي الدولي الذي أنشأته الدول الصناعية ليعالج مشاكلها بصفة اساسية والتي لا يوجد لدول العالم الثالث فيه صوت مسموع وقد أدى هذا الوضع الى فشل جهود التنمية والى شعور بالاحباط ساد دول العالم الثالث .

وقد استطاعت مجموعة من الدول الاخيرة التي انتظمت في الاوبك ان تنتهز عددا من الظروف المواتية في عام ١٩٧٣ لتتخذ قرارا تاريخيا بتحديد اسعار النفط تحديدا مستقلا . واستطاعت بذلك ان تحول لصالحها ٢٪ من دخل البلاد الصناعية المتقدمة . وبينما عمق هذا القرار من الازمة التي كانت قد بدأت في العالم الصناعي المتقدم فقد ادى الى تعاظم ضغوط دول العالم الثالث لتحقيق تحرر اقتصادي كامل وتام واستعادة السيطرة على مواردها الطبيعية وثرواتها وعلى وسائل التنمية الاقتصادية .

لقد حاولت الدول الصناعية الرأسمالية التكتل لمواجهة الأوبك والدخول في مفاضات مباشرة مع دوله للوصول الى اسعار متفاوض عليها بالنسبة للنفط . الا ان دول الاوبك ودول العالم الثالث الاخرى ضغطت من اجل مفاوضات شاملة بين الدول المتقدمة والنامية تطرح فيها كل القضايا ويحاول عن طريقها اجراء تغييرات اساسية في نظام تقسيم العمل الدولي القائم واعادة تشكيل النظام الاقتصادي العالمي عن طريق المساومة الجماعية والمشاركة . وكنتيجة لتعاون الدول النامية عقدت عدة مؤتمرات ، وصدرت عدة قرارات من الجمعية العامة للامم المتحدة تضمنت اعلانا بشأن اقامة نظام اقتصادي دولي جديد وبرنامج عمل من اجل وضعه موضع التنفيذ ، وميثاقا لحقوق الدول وواجباتها الاقتصادية . وطبقا لهذه الاعلانات فان تحقيق مطالب دول العالم الثالث يتم خلال مفاوضات بين الشمال والجنوب تستهدف بصورة أساسية رفعا دائما وجوهريا لاسعار الموارد الاولية والحد من تقلباتها ، وخفضا للديون القائمة على الدول الافقر وتحسين شروطها ، وايجاد وسائل افضل لتحويل مرحلة جديدة من التصنيع في العالم الثالث ، وتحقيق شروط افضل لنقل التكنولوجيا وشروط افضل لتسويق المنتجات الصناعية للبلاد النامية في اسواق البلاد الصناعية المتقدمة .

وقد بدأ الحوار بشكل رسمي عندما عقد مؤتمر الشمال والجنوب في باريس في ديسمبر ١٩٧٥ ورغم المفاوضات المطولة التي عقدها المؤتمر فقد عجز الحوار ان يؤدي الى اي نتائج عملية ملموسة يقبلها الطرفان المتفاوضان .

ان تغييرا اساسيا في النظام الاقتصادي الدولي على اسس متفاوض عليها يعني قبول الدول المتقدمة الاختياري لبعض التضحيات . وهي تضحيات يصعب قبولها دون قوة ضغط او اغراءات في يد الطرف الآخر للمفاوضات . وبينما يبدو ان دول العالم الثالث تملك بالفعل قدرا من عناصر القوة يمكنهم من تحقيق كل ما يريدون من حوار الشمال والجنوب اذا عبأوا لذلك كل قواهم .

فان السلوك الفعلي لهذه الدول يبرز ان العديد منها يتخذ في العلاقات الثنائية مع الدول المتقدمة مواقف تختلف مع تلك التي تعلنها وتدافع عنها في المؤتمرات الدولية .

لقد كان مؤتمر قمة عدم الانحياز في هافانا هو آخر المؤتمرات للجزء الاكبر من دول العالم الثالث وقد اقر المؤتمر دليلا للسياسات التي يمكن ان تؤدي الى زيادة الاعتماد الجماعي على النفس والمؤدية لحل المشاكل القائمة بين دول العالم الثالث ولدعم التضامن لبعض دول الجنوب من اجل مفاوضات جديدة مع الشمال .

وقد تضمنت توجيهاته ان تعطي دول عدم الانحياز لبعضها البعض الاولوية في الامداد باحتياجاتها من المواد الاولية المصدرة وان يتم ذلك باتصالات مباشرة بين الحكومات وتجاوز الشركات دولية النشاط ، كما أوصى بقيام دول عدم الانحياز ودول العالم الثالث بمشروعات مشتركة في مجالات البتروكيماويات والاسمدة والانتاج الزراعي والمواصلات والاتصالات والنقل والتأمين دون مشاركة الشركات الدولية ، والقيام بنشاط مشترك في مجال البحوث والتطوير ، واستخدام الموارد المالية المتوفرة لدول العالم الثالث في تمويل مشروعات نفس المجموعة مع اعطاء اولوية للدول الاقل نموا وتوجيه الموارد القابلة للاستثمار في دول العالم الثالث للاستثمار في اطار نفس المجموعة مع اعطاء هذه الاموال ضمانات ومعاملة تفاضلية . كما أقر العمل على بدء دورة اخرى من المفاوضات مع الدول المتقدمة في اطار الامم المتحدة بشرط ان تتجه المفاوضات الى طرح حلول محددة وان تكون شاملة ومتكاملة تشمل مجالات المواد الخام والطاقة والتجارة والتنمية والنقد والتحويل .

ان الجديد في قرارات هافانا هو تركيزها على العمل المشترك بين دول العالم الثالث كنقطة بدء اساسية لاية مفاوضات جديدة . وهو اتجاه سليم . على أن النجاح في اقامة نظام اقتصادي دولي جديد يتوقف في النهاية على التنفيذ الفعلي لهذه المقررات والتزام دول العالم الثالث بنفس المواقف والسلوك في المؤتمرات الدولية وفي العلاقات الثنائية بين الدول . وبدون ذلك يبقى النظام الاقتصادي الجديد مطلبا تكرره الاجتماعات الدولية دون فرصة للتحقيق الفعلي سواء خلال الثمانينات او بعد ذلك . ■■

الخليج في الثمانينات :

تحولات كبيرة



ينظر الى الخليج العربي في الدراسات السياسية الحديثة اليوم على أنه نظام اقليمي جانبي (Reginal Subsystem) . فهذا الممر المائي الحيوي بما تقع عليه من أرض غنية بالمادة التي اصبحت عنصرا حيويا لا غنى عنه للعالم الصناعي (النفط) ، أصبح محط أنظار هذا العالم ومجالا لدراساته وبحوثه . ولقد تعاظم هذا الاهتمام في السبعينات حتى غدا اسم « الخليج » لا تكاد تخلو منه صحيفة او مجلة تصدر في أي من أركان العالم الاربعة .

بقلم : الدكتور ـ محمد الرميحي

لذا فإن القاء نظرة ولو سريعة على صورة هذا الخليج في الثمانينات قد تعيننا في فهم ماذا يمكن أن يكون عليه مستقبل هذه المنطقة .

وكي نتعرف على صورة المستقبل لابد من القاء نظرة على الماضي . والماضي بالنسبة للخليج ليس هو التاريخ الطويل خلال القرن التاسع عشر او العشرين على أهميته بل هو الماضي القريب والقريب جدا .

فدراسة أهم التطورات في السنوات العشر الماضية تتيح لنا رسم صورة للمستقبل ، فقد ظهر الخليج الى العالم في السبعينات نتيجة حدثين هامين ـ الأول هو خروج بقية أقطاره الصغيرة من الهيمنة الاستعمارية البريطانية والتي أمتدت في شكلها الرسمي لمدة قرن ونصف قرن تقريبا (أي منذ توقيع المعاهدة العامة بين السلطات البريطانية وشيوخ الخليج في ١٨٢٠) . وكان هذا الخروج من هذه السيطرة قد تلازم ـ ثانيا ـ مع الارتفاع الكبير في أسعار النفط ، الذي يحتفظ الخليج تحت أرضه بكميات ضخمة منه .

مشكلة القوى الكبرى

هذان الحدثان في الحقبة الماضية كانا اكثر ما ميز الخليج العربي في طوره التاريخي الجديد . وهذه الحقبة رغم قصرها الزمني شهدت تحولات كبيرة سواء في البنية

الاقتصادية أو الأجتماعية الداخلية في أقطار الخليج . وكذلك تحولا « ضخما » في علاقة الخليج كأقطار منفردة ، او كمجموعة اقطار مع العالم بدوله المتقدمة أو النامية .

ذلك أنه لفترة طويلة ، امتدت حتى السبعينات كان الخليج مسيطرا عليه ـ بشكل أو بآخر نظام « استعماري » مباشر أو غير مباشر ، وكان حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية عبارة عن بحيرة بريطانية . ـ هذه الفترة الطويلة ـ لا تقارن بالفترة القصيرة التي انقضت فيا بين السبعينات وبداية الثمانينات من هذا القرن . لأن التغييرات الناتجة عن الانسحاب البريطاني على وضع الخليج الاقليمي بقيت في طور التفاعل خلال العقد الأخير . فالخليج في أقطاره الصغيرة (إمارات الخليج الاربع ـ وهي الكويت ، البحرين ، قطر ، دولة الامارات) أو أقطاره الاكبر كعمان ـ السعودية والعراق ، ايران ـ شهد خلال فترة السبعينات تفاعلات ضخمة بدءا من ظهور دولة الامارات العربية المتحدة ـ والثورة الايرانية ، مرورا بالتحولات الاجتماعية الجارية في العراق نتيجة السياسات الاقتصادية والاجتماعية المتخذة ـ وكذلك التحولات الاقتصادية الضخمة التي شهدتها السعودية خلال ذلك العقد الاخير .

لقد أجبرت فترة السيطرة البريطانية الطويلة معظم اقطار الخليج على التعامل مع طرف عالمي واحد هو بريطانيا . الا أنه بعيد الاستقلال وجدت هذه الاقطار ، وخاصة الصغيرة منها ، نفسها أمام مشكلة التعامل مع العالم أجمع . وهنا تكمن خطورة التعددية في الاجتهادات السياسية بالنسبة لاقطار الخليج وعلاقتها بالقوى الكبرى لان تعدد هذه الاجتهادات وغياب التنسيق بينها يعرض المنطقة للوقوع في اطار الصراع العالمي . وقد كانت الفترة السابقة ـ الفترة القصيرة التي تمتد فيا بين السبعينات والثمانينات لا تمكننا من الحكم على الاتجاهات المستقبلية لهذه العلاقات .

ومع ذلك ، فمن الواضح حتى الآن أن هناك تيارين رئيسين في المنطقة : الأول يدعو بوضوح للالتصاق بالغرب بشكل أو بآخر والابتعاد عن اقامة أية علاقات مع الدول الاشتراكية . أما التيار الثاني فيدعو الى الاعتدال واتخاذ موقف وسط بين القوى العالمية ـ لكن الى أي حد يمكن لهذا التيار الاخير أن ينتصر ؟ ذلك يتوقف بالطبع على نجاح التعاون في أطار اقطار الخليج نفسها .

لقد كان الخليج حتى الثورة الايرانية في مرحلة توازن نسبي الا أنه بعد هذه الثورة دخل في مرحلة اللاتوازن الشديدة التذبذب وبالتالي أصبح الوصول الى تعاون ناجح بين الاطراف المطلة عليه اكثر الحاحا منه في أي وقت مضى .

لذا فأن المشكلة الاولى التي تواجه الخليج كأقليم في الثمانينات هي تحديد علاقاته بالقوى الكبرى . أبالتعاون مع تلك القوة أم هذه . أم تقوم أقطاره منفردة او بمجموعات أصغر للتعاون مع أطراف متعددة من القوى الكبرى ؟

ولا شك أن جلب الصراع العالمي للساحة الخليجية بشكل من الأشكال يؤجج من الصراع الاقليمي ، ويجعل المنطقة ساحة تنافس شديدة لكونها ممرا مائيا حيويا ـ ولكون أرضها تحتفظ بثروة هائلة . واذا حدث هذا الصراع فأنه لا شك متسحب الى الساحات الداخلية . والاجتهادات المتعددة في هذه الساحة تتجه بعد ذلك الى تفتيت الكيانات السياسية أو تغيير أشكالها الحالية . ومن الواضح أن حالة الاستقطاب هي التي تظهر لنا من سير الاحداث كما نراها اليوم . وبالتالي فأن عوامل الاتجاه الى الصراع في الاقليم أكثر من عوامل الاتجاه الى التعاون . لذا فأن الخليج في الثمانينات من هذا المنظور سوف يقع في فترة عدم توازن شديدة بين أستقطابات عالمية وأقليمية متنافسة في بداية الفترة . الا أنه لن تلبث هذه الاقطار الى أن تصل الى قناعة بالتعاون نتيجة الحاح الظروف الاقتصادية والموضوعية .

الثورة الصامتة

والصراع لن يميز الساحة الخليجية الخارجية فقط أي سوف ينسحب على الساحات الداخلية وذلك لأسباب موضوعية . فتتميز اليوم أقطار الخليج العربي الصغرى (امارات الخليج) بأنها تمر في العشرين سنة الماضية بما

يمكن تسميته بالثورة الصامتة ، ونعني به هنا بالتحديد العدد الهائل من المتدفقين على التعليم العام والعالي ، فالمدارس تفتح بالعشرات والجامعات تفتح ابوابها في أقطار الخليج الصغيرة ، ويقبل السكان على التعليم حيث تتوفر لهم الكثير من التسهيلات الاقتصادية والفنية . ولقد قفز عدد الخريجين من بضع عشرات فقط في الخمسينات الى الالاف في نهاية السبعينات ، ومن المتوقع أن تزداد هذه الاعداد في العقد القادم . هذا التدفق البشري من معاهد التعليم المختلفة في أقطار الخليج الصغرى تواكبه ايضا خطط تعليمية ضخمة في كل من السعودية والعراق وايران . ان هذا العدد الكبير والآخذ في التزايد من المتعلمين بتخصصاتهم الكثيرة والمتعددة سوف تشكل في الثمانينات القوى الضاغطة للتغير الاقتصادي والاجتماعي والسياسي . وسوف تظهر فاعليتها اكثر في الاقطار الصغيرة من الخليج - حيث سوف تجرى مقارنة وضعهم بأوضاع أمثالهم في الاقطار الخليجية الاكبر ، والتي لا شك سوف تتقدم لاعطاء التنازلات والامتيازات الاقتصادية والسياسية لهذه الفئة المتعلمة .

لذا فأن الصراع الصامت سوف يدور في الخليج على الساحة الداخلية بين الفئات الاجتماعية الجديدة . الطبقة الوسطى التي تكبر والمتعلمة - وبين الفئات الاجتماعية القديمة - الفئة التي كانت تسيطر تقليديا على الحكم - هذا الصراع الصامت سوف يحل لمصلحة الفئات الجديدة في الثمانينات حيث ستحصل على الكثير من التنازلات الاقتصادية والسياسية . قد يجري هذا التنازل من خلال حلول سلمية وسياسية في تلك الاقطار التي تتميز نخبتها السياسية بالانفتاح ومعرفة قوانين العصر ، اما تلك الاقطار التي تحاول نخبتها السياسية تجاوز الواقع او التأخير القسري في تقديم التنازلات فقد تجد نفسها في أطار صراع ساخن تحصل فيه الفئات الجديدة على ما تعتبر أنه من حقوقها .

لذلك فأنه من خلال الساحة الداخلية - نجد أن الخليج سوف يشهد تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية لصالح الفئات الاوسع من مجتمعه . وهذه بالطبع مرتبطة بالصراع الاكبر حول الخليج . وسوف يشهد الخليج في هذه الفترة - الثمانينات - تحولات ثقافية بالمعنى الواسع وجذرية في نفس الوقت . حيث أن جيل الثمانينات سوف لن يكون مرتبطا بالشكل العام - خاصة في أقطار الخليج الصغرى بجيل ما قبل النفط - حيث يكاد يكون هذا الجيل قد أنتهى تقريبا في تلك الفترة .

لذا فأننا سنشهد تحولا في البنية والمعايير الاجتماعية - قد تكون في معظمها حادة لن يرضى عنها حتى الجيل المخضرم ممن شهد بداية النفط .

استيراد التقنية والخبرة

من استقراء المعطيات الاقتصادية التي حدثت في السبعينات وكذلك من دراسة خطط التصنيع والتنمية الاقتصادية المتوفرة حاليا يمكن لنا أن نقول ان الخليج بمفهومه الاوسع - سوف يشهد خططا تنموية صناعية طموحة في أكثر من قطر من اقطاره في الثمانينات .

هذه الخطط الاقتصادية الطموحة سوف تجبر أقطار الخليج على استيراد الكثير من عناصر الانتاج من الخارج سواء كانت تكنولوجية ام بشرية . وهذا سوف يشكل عبئا اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا خاصة على اقطاره الصغيرة . لذلك فأنه من الممكن أن يحدث شكل من اشكال التكتل الاقتصادي وتنسيق الخطط الصناعية بشكل اوضح وأرشد في الثمانينات خاصة في اقطار الخليج الصغرى ، من حيث استيراد التكنولوجيا او استيراد اليد العاملة او التوسع في الاسواق المختلفة .

وبالتالي سوف يكون هناك تعاون اقتصادي اوثق بصرف النظر حتى عن الاجتهادات السياسية والاجتماعية في بعض الاحيان - هذا التعاون سوف ينسحب على التعاون من اجل الوصول الى نظام متكامل في الخليج ككل ، مثل التعاون الصحي والثقافي كذلك وفي اطار المواصلات والاتصالات وفي الشئون المالية وكلما توحدت الاجتهادات السياسية على الاقل كلما أصبح هذا التعاون الاقتصادي مثمرا أكثر .

وفيما يتعلق بالنفط الذي يعد عصب الحياة الاقتصادية لمنطقة اقطار الخليج ، فانه سيكون عامل

ربط اقتصادي أكبر ـ ونعتقد أنه سوف يلعب في الثمانينات دور المنسق الاكبر بين اقطار الخليج من جهة وبينها وبين اقطار العالم الاخرى من جهة أخرى .

فالقضية الاساسية في موضوع النفط في الثمانينات لن تصبح ثمن النفط انما سوف تصبح كمية انتاجه ـ وبدون تعاون اقطار الخليج أساسا وكذلك تعاونها ككتلة مع بقية الاقطار المنتجة للنفط ، لا يمكن الوصول الى سياسات مشتركة في هذا الاطار لذا فأن الاتجاه في الثمانينات سيكون تقييد كمية الانتاج النفطي وهذا سيدفع اقطار الخليج الى التعاون في هذا المجال .

المشكلات الحياتية

ستكون مشكلة الخليج الحياتية الاولى في الثمانينات خاصة في أقطاره الصغرى هي مشكلة المياه ومشكلة الغذاء في الدرجة الاولى . فالتضخم العمراني والحضري في هذه الاقطار سيركز اعدادا كبيرة في « دول مدنية » على الساحل العربي . وستحتاج هذه المدن الى خدمات كثيرة يمكن أن تحل تكنولوجيا ، الا أن مشكلة المياه ومشكلة الغذاء هي التي سوف تصبح المشكلة الرئيسة .

فالمياه التي يحتاج لها للشرب والزراعة والنظافة وشؤون الحياة الاخرى تحتاج لانتاجها بكميات وفيرة الى استثمار رأس مال ضخم لم يعد له في الكثير من اقطار الخليج الصغرى حتى الآن . كما أن الغذاء سوف يكون الحصول عليه من اقطار العالم المختلفة اكثر مشقة مما هو في السابق .

ففي الثمانينات ـ ونتيجة للتراكم الحضري في المدن ـ وهجرة الريفيين الى المدينة وانخفاض انتاجية المزارعين ـ حتى في البلدان التي تتميز بأن بها أرضا زراعية سوف ينخفض الانتاج الغذائي المحلي ، وتعتمد أقطار الخليج في غذائها على الاستيراد في هذا المجال ، والذي سوف تتحكم فيه (احتكارات) تشبه احتكار (الاوبك) في النفط ، خاصة في المواد الرئيسية مثل القمح والسكر والارز واللحوم . لذلك فأن أقطار الخليج سوف تكون مجبرة على التعامل بمقايضة منتجاتها النفطية بالمنتجات الزراعية والحيوانية في الثمانينات . وفي غياب خطط جماعية وعلمية لانتاج الغذاء بشكل منظم في البلاد التي تتوفر فيها الارض الزراعية ، ستعتمد أقطار الخليج على الاستيراد الغذائي في مجمله من الخارج ، مما سيعرضها لأزمات نقص في الغذاء دورية في الثمانينات .

ولا شك أن مجمل التغييرات التي حدثت في السبعينات وخاصة في النظام الاقتصادي والثقافي ، سوف تؤثر على الاوضاع الاجتماعية في الخليج في الثمانينات . وسوف تلعب المرأة دورا ابرز في الشؤون العامة والتعليم والخدمات الصحية ـ كما ستتراكم المشكلات الاجتماعية نتيجة لهذا التطور ، فيتأخر سن الزواج بين البنين والبنات في العقد القادم ، وربما تنتشر البطالة في قطاعات معينة من المتعلمين . ونتيجة للتراكم الحضري سوف تبرز وتنتشر امراض مدنية لم تكن معروفة في الوقت السابق كارتفاع نسبة الطلاق والادمان ونسبة الاطفال غير الشرعيين او المشوهين ... الخ من هذه المشكلات الاجتماعية المصاحبة للتحضير والتصنيع ونمو المدن .

وكلما ابتعد الناس عن المشاركة في شؤون حياتهم العامة في مدينة خليجية أو أخرى سوف يكون تفاقم هذه المشكلات بشكل أوسع . ■■

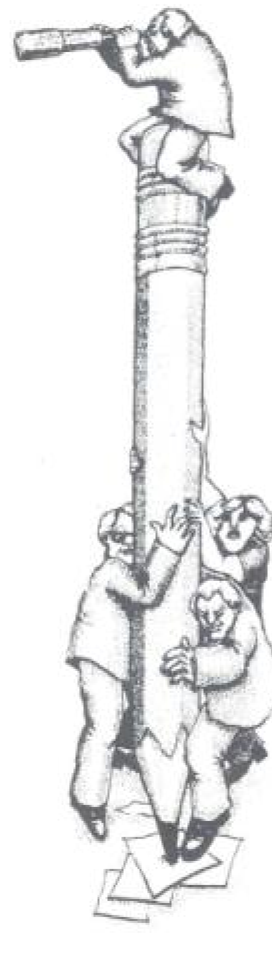
عالمه الخاص

● شوهد جندي في مطار سيداليا بولاية ميسوري يثبت على منامته اشرطة شاويش ، فسئل عن ذلك فقال : « الا يحق لي ان احلم ؟ » .

مـاذا يتوقع العلـم

١ آفاق مخيفة للتلاعب بالهندسة البشرية

الدكتور حسان حتحوت



لن تبدأ الثمانينات من فراغ .. ولكن كشوف السبعينات ستشيع وتذيع وتخرج من دائرة التجارب المحدودة الى دائرة التطبيق العام .

وما زال الرعب من الانفجار السكاني حافزا قويا على التفنن في وسائل منع الحمل . وهنا ستشهد اوائل الثمانينات شيوع طريقتين جديدتين : الاولى منع الحمل بابرة تأخذها السيدة كل عام هي لقاح مضاد للحمل ، والثانية حبوب منع الحمل للرجال ، يأخذها الرجل ، فتمنع تكوين الحيوانات المنوية وبذلك تمنع خصوبته دون ان تؤثر على فحولته ، ورغم أن اختصار عدد ابناء الاسرة سيصبح اتجاها عاما في معظم المجتمعات الا أن دعواه لن تلقى صدى لدى مجتمعات خاصة وستكون لذلك آثار سياسية .. ومن الامثلة على ذلك الشعب العربي الفلسطيني في الارض المحتلة ، فان الارتفاع الكبير في معدل التكاثر فيه يعتبره اليهود الخطر الاكبر على دولتهم ، لانه سيفضي بعد أجيال قليلة الى أن يكون الاسرائيليون أقلية في دولتهم التي ارادها من البداية دولة يهودية نقية ...

اما على صعيد علاج العقم فمن المنتظر ان تنتشر طريقة الدكتور « ستبتو » باستخلاص بويضة الزوجة وتلقيحها بمني الزوج خارج الجسم ثم زرع الجنين الباكر داخل رحم الزوجة . على أننا لا نتوقع ان تكون هذه

ـاء في الثمانينات؟

الطريقة هي خاتمة المطاف لعلاج الزوجة ذات العطب المستعصي للقناتين الرحميتين مما يمنع لقاء البويضة بالمني . فان التقدم في زراعة الاعضاء كالقلب والكلوة يبشر بالتغلب على مشكلة رفض الجسم للعضو المزروع ... وسيكون ذلك اما بعقاقير جديدة واما باختبارات تفصيلية دقيقة تضمن التماثل الحيوي التام بين المعطي والمتلقي . فلا تثير الزرعة رفضا من الجسم المتلقي .

ومتى تم ذلك كان من السهل زرع الأنابيب والارحام وليس القلوب والكلى فحسب .. وانما ارتادت تلك الاخيرة الطريق لانها عمليات انقاذ حياة ، فكان لا بد فيها من قبول المخاطرة ، أما الارحام والأنابيب فلجلب الذرية ، لا لانقاذ الحياة ، فكان عليها أن تنتظر امان الطريق من المخاطر والمضاعفات . على ان هناك نوعا من العقم سببه أن خصيتي الزوج لا تفرزان منويات أو تفرزانها ميتة .. وقد احتالوا عليه في كثير من دول اوروبا وامريكا بالتلقيح الصناعي لا بمني الزوج ولكن بمني متطوعين او بائعين يحصلونه ثم يخزنونه فيما يدعي بنوك المني ، ثم يودعونه ارحام الزوجات برضاء ازواجهن العقماء .

ولكن هذه الطريقة ما زالت حراما لدى الكثير من أهل الغرب المسيحيين ، فضلا عن حرمتها لدى المسلمين . ويبدو أن العلم لن يعجز في أواخر الثمانينات أن يجد وسيلة تحمل بها هاته السيدات . فان اية خلية من جسم السيدة أو من جسم زوجها اذا اخذت نواتها ، فان الخلية الجديدة تنقسم لا لتعطي خلايا مشابهة متكررة ، ولكنها تنقسم لتعطي جنينا لو كفلنا له النماء لصار نسخة حيوية مماثلة تماما لصاحب النواة . ومن الممكن كفالة هذا النماء بزرع الجنين الباكر في رحم الزوجة بعد تحضيرها هرمونيا ، ليولد في نهاية الحمل ويكون نسخة طبق الاصل منها أو من زوجها حسب مصدر النواة الاولى منها او منه . وهذه هي الطريقة التي تندرج في نطاق العلم الجديد « الهندسة البشرية » ... والتي يتنادون بانها تمكن من استنساخ مئات من عباقرة الناس واذكيائهم والموهوبين منهم بشتى المواهب الذهنية او الجسمية .. وهي طريقة نفذت فعلا بنجاح في التجارب الحيوانية .. فهل يمتد التطبيق ليشمل الانسان ؟

وما دمنا نذكر « الزراعة والهندسة لا في الارض والبنيان ولكن في صميم الانسان ، فلا بد ان نذكر بالرضا نجاح زراعة الخلايا (زراعة الاعضاء) .. التي تودع الجسم فتفرز فيه هرمونا ناقصا مثلا كالانسولين في مرضى السكر ... ولا يرفضها الجسم كما يرفض عضوا بكامله .. وفي الامكان تعويضها بوجبة اخرى كلما اوشكت على نفاد ....

ولكننا نرقب بحذر الاحتمالات البعيدة قبل القريبة لعمليات التدخل بالتغيير في عوامل الوراثة ... فهي مشرقة الصورة في محاولة استئصال الامراض التي تحكمها عوامل وراثية كالسكر والسرطان وغيرها .. ولكنها تفتح آفاقا مخيفة من امكان تغيير طبيعة الانسان نفسه كما نعرفها الآن وكما عرفناها على التاريخ ... وربما يدرك العلم الطبي بعد فوات الاوان انه وقع فيما يندم عليه ، ولكن لات حين مناص .. تماما كما حدث عندما امر السياسيون بالقاء القنابل الذرية على اليابان ، فادرك علماء الطبيعة انهم عن غير قصد قد وقعوا في الخطيئة !

ولهذا فان العقد القادم حاسم في تاريخ الانسان .. وربما حصل فيه من العلم قدر ما حصل في تاريخه كله ... وسيتضح لنا : « أشرّ أريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا » ■■

٢ دراسات البيئة تكشف أسرار السرطان

الدكتور يوسف عمر

في السبعينات ، توقع كثيرون أن تحدث طفرة في عالم السرطان ، لكن سنواتها مرت دون أن يتحقق هذا الأمل . وبشكل عام ، فأن ابحاث السرطان تمضي في ثلاثة اتجاهات : الوقاية من المرض ـ واكتشافه في مرحلة مبكرة ـ وتطوير علاجه ليصبح اكثر فاعلية .

● فيا يتعلق بالوقاية من السرطان : لقد ثبت أن ٨٠٪ من السرطان التي تصيب الانسان يمكن تجنبها عن طريق تغييرات في الظروف البيئية التي تحيط به . وعلى ذلك فان اهتمام العلماء منصب الى حد كبير على امكانية تفادي أسباب الاصابة بالسرطان ـ لقد بدأت هذه الابحاث في السبعينات ، وقد تتبلور نتائجها في الثمانينات ، عن طريق مقارنة وبائيات الاصابة بالسرطان في المجتمعات المختلفة .

لقد ثبت مثلا أن نمط حياة الانسان الغربي ، نمط غذائه على وجه أدق من أهم أسباب اصابته بسرطان القولون . ذلك ان الغذاء الذي يتعاطونه في الغرب من تلك الانواع التي تتحلل في المعدة وتمتص كلها ، ولا تبقي منه أية فضلات أو نفايات ، الأمر الذي يصيب الأمعاء بكسل يرتب مجموعة من النتائج تؤدي في النهاية الى الاصابة بسرطان القولون .

كذلك فان عناصر أخرى مثل التدخين ، والمواد الكيماوية التي تدخل جسم الانسان ، وعاداته الصحية ، والاجتماعية ، هذه كلها لها علاقة بالاصابة بالسرطان .

والمهم الآن هو حصر هذه الاسباب ، أو أهمها على الاقل ، لتجنيب الانسان الاصابة بالمرض قدر الامكان .

● فيا يتعلق باكتشاف المرض في مرحلة مبكرة ، يرتبط نجاح العلاج بمرحلة اكتشاف السرطان ، فاذا كان الأمل في الشفاء يصل الى ٨٠٪ في حالات الاكتشاف المبكر ، فان هذه النسبة تتضاءل الى النصف اذا ما وصل المرض الى الغدد الليمفاوية ، وتتضاءل اكثر اذا وصل الى الأوعية الدموية وانتشر في الجسم .

ومن أهم المجالات التي يعول الكثير على التقدم فيها خلال الثمانينات ، هو امكانية اكتشاف المواد الكيماوية التي تتواجد في الجسم بمجرد الاصابة بالسرطان . لأن السرطان يعد شيئا غريبا على الجسم ، وبمجرد حدوثه لا بد ان يفرز الجسم مضادات حيوية لهذه الخلايا السرطانية الوافدة . والسؤال الذي يشغل علماء كثيرين الآن هو : كيف يمكن اكتشاف هذه المضادات في جسم المريض ؟ ثم في حالة الكشف عنها ، هل يمكن أن يؤدي ذلك الى تحديد نوع السرطان ؟ .

● اما فيا يتعلق بتطوير العلاج ، فالمتوقع أن تشهد مجالات العلاج تطورات كبيرة في الثمانينات . ذلك أن علاج المرض الآن أصبح يتقرر من خلال عمل فريق خصوصا في معاهد ومراكز السرطان . وهو فريق يسهم فيه الجراحي والاشعاعي والكيماوي ، وانضم الى الطاولة مؤخرا العلاج المناعي .

فبالنسبة للجراحة ، سيؤدي تطوير نجاح زراعة الاعضاء الى افساح المجال أمامنا لكي نستفيد اكثر من هذه النجاحات في استبدال الاجزاء التي تبتر من الجسم نتيجة الاصابة بالمرض . ثم ان التطور المنتظر في الجراحات الدقيقة سيسمح لنا بربط الأعصاب والأوعية بعد استئصال أجزائها المصابة بالورم ، وذلك سيمكننا من اعادة الوظيفة للعضو الذي كان مهددا بالتعطيل

نتيجة قطع هذه الاورام .

اما بالنسبة لمجال الاشعاع ، فلا أظن أننا سنشهد تطورات كبيرة فيه ، لأن ما تحقق خلال السبعينات في هذا المجال حقق إنجازات ضخمة .

ولكن التطورات الأبعد اثرا كانت وستظل في مجال العلاج الكيماوي ، اذ أن هذا العلاج غير الصورة بالكامل ، حتى في الاصابات المتقدمة ، واصبح الشفاء الكامل ممكنا في بعض الحالات السرطانية ، ومرجحا في حالات أخرى ، بفضل هذا العلاج الكيماوي . يكفي أن المريض بسرطان الدم الذي كان يموت خلال شهرين أو ثلاثة ، أصبحت أمكانية شفائه الآن قائمة بفضل تقدم العلاج الكيماوي والأبحاث الآن تتواصل بشكل مستمر من أجل زيادة فاعلية هذا النوع من العلاج .

اما في ميدان العلاج المناعي وهو ميدان جديد نسبيا ، فالا رجح أن يشهد أيضا تطورا كبيرا . خصوصا أنه ثبت علميا أن مناعة الجسم يمكن أن تقضي على عدد محدود من الخلايا السرطانية التي لا يقضي عليها الاشعاع او الكيماوي .

والاتجاه الآن الى زيادة قدرة الجسم على المناعة ، سواء بواسطه تطعيم السل العادي ، الذي يزيد المناعة العامة للجسم ، أو العلاج المناعي الخاص بالسرطان ، حيث تؤخذ خلايا مصابة من المريض يتم اضعافها ثم تعاد زراعتها في جسم المريض لتزيد من حصانته . وهذا العلاج المناعي له دور كبير في معالجة سرطان الدم ، ومعترف به في سرطانات القولون والثدي . ■■

٣ انتظروا المذنَّب العظيم "هالى" !

الدكتور امري جوك
استاذ الفيزياء بجامعة الكويت

لقد شهد العقدان الأخيران بداية قصة الانسان كمستكشف للكون . فها هو نحن قد زرنا القمر مرات وصورنا جانبه المظلم ، وبحثت صواريخنا عن الحياة فوق المريخ القاحل المجدب ، وتوغلت الصواريخ وسط الضباب المحمل بالأبخرة في كوكب الزهرة . ونقلت الينا عدسات الكاميرا صورا قريبة لفوهات البراكين في عطارد ، والبقعة الحمراء في كوكب المشترى الهائل . ولكن العقد القادم سوف يحمل لنا استكشافا للفضاء على أسس روتينية ، ففي أوائل الثمانينات سوف يعمل « المكوك الفضائي » بصورة منتظمة وهو يتكون أساسا من صاروخ مزود بقوة دافعة يحمل فوق ظهره جسما مداريا . اما الصاروخ ، وهو أقوى ما صنع من الصواريخ حتى الآن ، فسوف يحمل القمر الصناعى الى مداره ، ثم لا يلبث أن يهبط بالباراشوت الى الأرض ، حيث يتم استعادته واستخدامه من جديد . وأما الجسم المدارى الذى حمله وهو يماثل في الشكل والحجم تقريبا ، الطائرة النفاثة ، فسوف يصبح قمرا صناعيا لفترة تتراوح بين اسبوع وثلاثة اسابيع ، وعندما ينجز مهمته سوف يعود الى الارض ، بنفس الطريقة التي تهبط بها الطائرة العادية .

وبعد مضي أسبوعين من اعادة تجهيزه ، سوف يصبح معدا للقيام بالرحلة القادمة ، وهذا من شأنه ان يجعل عملية اطلاق الاقمار الصناعية أقل تكلفة . وقد تم الاعداد لحوالي اربعمائة رحلة من هذا النوع خلال العقد القادم ، وفي نصف عدد هذه الرحلات سوف يحمل « المكوك الفضائي معملا مزودا بكامل المعدات ، قابل للاستعمال مرات عديدة ، يديره أربعة من العلماء الذين سوف يتمكنون من التحرك داخله دون الحاجة الى ارتداء « بدلات » الفضاء ، أثناء قيامهم بتجاربهم العلمية . وسيكون في مقدور هذا المكوك ايضا بناء مركبات معقدة مثل محطات توليد الكهرباء الدائرة في الفضاء . وفي امكانه ايضا اصلاح وصيانة الاقمار الصناعية الفضائية ، او اطلاق اقمار صناعية الى مدار بواسطة صواريخ اضافية .

ومن هذا « المكوك الفضائي » سوف تنطلق الصواريخ ، لاستكشاف الكواكب الاخرى . ومن المتوقع ان يجد العلماء الحلول للمشاكل العديدة التي تصادفهم ، كما ستظهر في الوقت ذاته مشاكل أخرى كثيرة محيرة .

فنحن نجد على سبيل المثال ان « جيراننا » المريخ والزهرة يثيران اهتمامنا ، لأن في كل منهما هواء مثل هواء الارض وسيوفر ذلك لعلماء الارصاد الجوية ، ثلاث بيئات كوكبية مختلفة للدراسة . وستتيح لنا هذه الدراسة بصفة خاصة التوصل الى معرفة التغيرات الجوية على المدى البعيد . ترى هل الارض في تحول مستمر الى صحراء بحيث تصبح في النهاية كالمريخ ؟ أم أن ثاني اوكسيد الكربون الذي يطلق في الجو سيحولنا الى « بيت ساخن » مثل الزهرة ؟

خارج المجموعة الشمسية ، سوف تتفتح لنا آفاق جديدة عندما يوضع « التلسكوب » الفضائي في مداره في عام ١٩٨٤ أو نحو ذلك . هذه الآلة التي لن يعوق استخدامها اى طبقة من الهواء ، سوف تتيح لنا النظر الى مساحة من الفضاء يبلغ حجمها خمسين ضعفا لما كنا نراه ، ومن أول المشاكل التي سيحلها هذا التلسكوب الجديد ، التحديد الدقيق للمسافات الهائلة التي تفصل بيننا وبين المجرات الاخرى . وسوف يتمكن من التطلع الى النجوم التي تنبض بضعف ، ونعرف العلاقة بين فترة ظهورها ولمعانها . فاذا حصلنا على المسافات التي تفصل بيننا وبينها ، فاننا بذلك سنتمكن من قياس حجم الكون كله من حولنا ، واذا توصلنا الى معرفة حجم الكون فسوف نتمكن من معرفة عمر هذا الكون منذ أن خلقه الله .

وستوفر لنا هذه المعلومات معرفة الاطار الاساسي ، ولكن تبقى بعد ذلك أجسام غريبة كثيرة موجودة في السماء فهناك أجرام غاية في اللمعان ، وأخرى تضيء ثم تنطفيء بسرعة ، ثم هناك مصادر « لاشعة اكس » تعطي دفعات من الطاقة لا تدوم لاكثر من ثوان أو دقائق معدودة ، ولكنها مع ذلك توازي ما تعطيه لنا الشمس من طاقة خلال شهر كامل . ثم هناك ذلك الغموض الذي يحيط بالثقوب السوداء ، بقايا النجوم التي بلغت من الكثافة حدا جعل الزمن والفضاء نفسه ينحني من حولها . وخلال هذا العقد الجديد سوف تتاح للعلماء دراسة هذه الظواهر ، وفهمها بصورة أفضل في النهاية .

ان العلماء سوف يستكشفون النجوم بواسطة الصواريخ والتلسكوبات ، ولكن ربما يكون اكثر هذه الاحداث اثارة للدهشة والعجب هو ما سوف يراه كل انسان على الارض ، وذلك عندما يقوم المذنب العظيم « هالي » بزيارة لهذا القسم من المجموعة الشمسية ، كما هو متوقع في عام ١٩٨٦ . وسوف تحمله رحلته الطويلة

الى ما وراء مدار « نبتون » ، السيار الثامن من حيث البعد عن الشمس . ثم يظهر بعد ذلك ، بانتظام في سماء الأرض بمعدل مرة كل ٧٦ عاما . وهو على النقيض من بقية المذنبين ، يكون مرئيا في ضوء النهار ايضا . ومنذ عام ٢٤٠ قبل الميلاد ظل الانسان يرى ويسجل كل زيارة يقوم بها هذا المذنب . وكانت هذه الزيارات في العادة تثير المخاوف الخرافية فعندما زار المذنب « هالي » سماء الارض اخر مرة عام ١٩١٠ تصور الكثيرون ان نهاية العالم قد جاءت !

٤ الطريق مفتوح للتحكم في سلوك الإنسان

الدكتور عادل دمرداش
اخصائي الطب النفسي

كان التفاؤل يسود الأوساط الطبية النفسية خلال أواخر الخمسينات وأوائل الستينات عندما اكتشفت الأدوية النفسية التي تعالج الاكتئاب الداخلي ومرض الفصام . وكان في رأي الكثير من العلماء أن التوصل الى أسباب الأمراض العقلية بات وشيكا ، وأن نقص أو اختلال الموصلات الكيميائية في المخ ، هو الاجابة العلمية على أسئلة ظلت لمدة قرون دون جواب . الا أن هذه النتائج لم تتحقق بالشكل المطلوب ، بالرغم من النجاح الذي حققته هذه الأدوية في تهدئة المرضى ، ومساعدتهم على أن يعيشوا حياة قريبة من الحياة العادية في المجتمع .

ونتوقع في خلال الثمانينات أن تتطور أساليب البحث وأن يتوصل الطب النفسي الى تفسير جزئي لهذه الأمراض .

لقد ظهر خلال الستينات والسبعينات اتجاه الطب النفسي المضاد الذي يرفض تصنيف الأمراض التقليدي ويرى في الأمراض عادات أو لغة خاصة بالشخص .

كما لعبت وسائل دراسة وظائف الجهاز العصبي دورا هاما في توضيح وتصحيح مفاهيم خاطئة سابقة . فتبين مثلا أن النوم مكون من شقين وتبين أيضا أن الأدوية الفعالة تؤثر بشكل خاص على نوع معين من أنواع النوم . بالاضافة لذلك توصل العلماء الى تحديد مراكز في المخ تختص بالانفعال والسلوك العدواني والذاكرة . ومن هنا نجد أن الاتجاه نحو التأثير النوعي على هذه المراكز لتغيير سلوك الانسان المريض هو المتوقع في العقد القادم .

ومن ناحية أخرى ، أثبتت الدراسات الفسيولوجية العامة ، ان الانسان يستطيع تعلم التحكم في الوظائف اللاارادية مثل سرعة نبضات القلب ، وموجات المخ الكهربائية ودرجة حرارة الجسم . وقام العلماء باقتباس اصطلاح التغذية المرتدة من علم السيطرة والتحكم (Cybernetics) لتدريب الاشخاص بواسطة اجهزة خاصة على تخفيض ضغط الدم او التحكم في عصارة المعدة . وسنشهد في خلال السنوات القادمة تطورا في هذه الأساليب ، بحيث يتمكن المصابون ببعض الأمراض النفسية الجسمية من التحسن عن طريق السيطرة على استجابات جهازهم العصبي الذاتي وبدون استخدام الأدوية .

ومن المتوقع أيضا خلال الثمانينات مع تطور جراحة المخ النفسية الدقيقة أن يتم التوصل الى وسيلة مفيدة وذات آثار جانبية ضئيلة لعلاج حالات مرضية لا تستجيب للوسائل الحالية . وقد يأتي اليوم الذي يستطيع فيه الأطباء عن طريق أقطاب دقيقة مغروسة في اجزاء من المخ ، علاج المريض ومتابعة التغيرات الدقيقة التي تطرأ عليهم من بعيد ، وعلى شاشة خاصة في غرفة تشبه برج المراقبة الموجود في المطارات الحالية .

وسيؤدي ذلك التطور بطبيعة الحال الى تضاؤل دور مستشفيات الطب النفسي وعلاج المرضى بشكل متزايد في بيئتهم ، وبواسطة أصحاب اختصاصات مختلفة بالاضافة الى الطبيب . غير ان العلاج النفسي لم يتغير بشكل كبير في خلال السنوات العشر السابقة ، وان كانت بعض البلدان تتجه نحو ممارسة بعض انواع غريبة

من العلاج النفسي بواسطة العوام .

أما الامر الحادث الآن والمتوقع تزايده ، فهو مساهمة افراد الهيئة التمريضية في العلاج النفسي بالاضافة الى الأطباء والاخصائيين النفسيين . ولقد نجحت هذه التجربة في بريطانيا فيا يتعلق بالعلاج النفسي المسلكي ، الذي يسعى الى تصحيح السلوك العصابي للمرضى في بعض الحالات بدون التطرق الى الأسباب والتعمق فيها . وقد لقي هذا الاتجاه استحسانا كبيرا في العالم ، الامر الذي شجع بلدانا أخرى للمضي على الطريق ذاته .

نخلص من ذلك ان تطور الطب النفسي في الثمانينات سيتبع نمطا شبيها بنمط العقد الحالي ، بمعنى أننا لن نتوصل الى فتح جديد في هذا التخصص ، مثل اكتشاف الأدوية النفسية في أواخر الخمسينات وما صاحبه من تفاؤل شديد ، أثبتت الايام بطلانه . ■■

٥ التلوث يجتاح الدول النامية

الدكتور كمال القيسي
الاستاذ بكلية العلوم ـ جامعة الكويت

ليست هناك فرصة للتفاؤل في معالجة موضوع التلوث واحتمالاته في الثمانينات ، ما لم تحدث تغيرات أساسية في السياسات البيئية القائمة في العالم ونظرة الانسان للحياة ومقومات الحضارة . فهناك مؤشرات خطيرة شهدتها السنوات الأخيرة وبالذات السبعينات تدل دلالة واضحة على تفاقم مشكلة التلوث وتعقدها يوما بعد يوم ، على الرغم من الجهود الكبيرة التي تبذلها الحكومات والمنظمات والهيئات العالمية والمراكز العلمية ،

وذلك يرجع الى أسباب عديدة يصعب تفصيلها في هذا المقام ، ولكن يمكن حصرها في ذلك التسارع الشديد الحاصل في طرز المعيشة للانسان وأنماط الحياة الحضرية المحيطة به ومستحدثاته في مجال العلم والتكنولوجيا ، والتي يضمها ما يصطلح عليه اليوم « بالتكنوسفير » . وطبيعي أن هذه الانشطة وأمثالها والتطلع الدائم الى التغيير المستمر في صور الحياة وميادينها قد أدى وسيؤدي الى الاستنزاف المتزايد لمصادر الطاقة والاستخدام الشرس للموارد الطبيعية مما عرّض ويعرض أنظمة التوازن البيئي وعناصر ومقومات المحيط الحيوي « البيوسفير » الى الاهتزاز والتخلخل .

وعلى الرغم من ادراك الاقطار المتقدمة وحتى النامية منها لهذه الحقيقة الا اننا نجد المنافسة آخذة بالظهور بين الاقطار المتقدمة النامية في مجال استنزاف الموارد الطبيعية والتنكر للبيئة الطبيعية ، حتى صرنا نجد على سبيل المثال عدم التورع في مواصلة انشاء المزيد من المفاعلات النووية على الرغم من مخاطرها المعروفة والمحاذير التي تحيط باستخداماتها ، وذلك من أجل الحصول على مصادر جديدة للطاقة لدفع عجلة التصنيع والتقدم التكنولوجي والاستجابة لمتطلبات برامج الفضاء وسياسات السلم والحرب . هذا بالاضافة الى ملايين الملايين من الاطنان من الوقود النفطي وغيره .

ولعل في ظهور بوادر انعدام الثقة فيما بين الاقطار النامية والمتقدمة ما يزيد من خطورة مشكلة التلوث . وأرى أن الثمانينات ستزيد من هذا المعنى الى ما شهدناه في السبعينات من ملامح الريبة وعدم الاطمئنان الذي ساد الطرفين في اللقاءات والمؤتمرات العالمية التي عقدت خلال هذه الفترة ، وتخص منها المؤتمر العالمي الاول للبيئة الانسانية والذي عقد في صيف عام ١٩٧٢ بمدينة استكهولم في السويد . حيث أظهرت المناقشات التي جرت في ذلك المؤتمر البون الشاسع في وجهات النظر بين كل من الاقطار المتقدمة والاقطار النامية فيما يتعلق بقضية التصنيع ومكافحة التلوث والعمل المشترك من أجل سلامة البيئة الانسانية . هذا اذا أضفنا أيضا بأن الأعوام الاخيرة من السبعينات قد أعطتنا بعض المؤشرات الواضحة الى أن مشكلة التلوث في الاقطار المتقدمة قد أخذت بعدا سياسيا جديدا ، وذلك بانتقالها الى الشارع . وهو ما تمثل بقيام المظاهرات الجماهيرية الصاخبة والاضطرابات وأعمال العنف ، خصوصا بعد وقوع بعض الحوادث الخطيرة من التسربات الاشعاعية من مراكز بعض المفاعلات النووية . كالذي حصل في مدينة هاريسبرغ (محطة ثري مايل ايزلاند) في ولاية بنسلفانيا الامريكية وحالات التسمم العنيفة التي وقعت في بعض المدن اليابانية والتي راح ضحيتها عدد من المواطنين ، وذلك بسبب حالات التلوث التي أصابت الاسماك بمواد ملوثة تؤثر على الجهاز العصبي للانسان .

ومن هنا نستطيع القول بأن انتقال مشكلة التلوث الى هذا النوع من التصور سيضطر حكومات الاقطار المتقدمة وسيعطيها فرصة أكبر لايجاد الحلول الايجابية للحد من التلوث وتخفيف آثاره في هذه الاقطار .

وسيؤدي هذا بطبيعة الحال الى تفاقم مشكلة التلوث في الاقطار النامية وتعاظمها ، اللهم الا اذا أدركت هذه الاقطار فداحة الخطر الذي يتهددها بتبني هذه السياسة وانتفعت من الاخطاء التي وقعت بها الاقطار التي سبقتها في هذا المضمار .

وعلى العموم لابد من الاشارة الى أن الاتجاه في سياسات التخطيط والتنمية التي تتبناها الاقطار النامية حاليا يدل دلالة واضحة على أن التصنيع ونقل التكنولوجيا هما من أبرز المعالم التي تتجه نحوها هذه الاقطار خلال نهضتها . وما لم تضع لمشكلة التلوث التي تتعرض لها الاحياء وعناصر البيئة الطبيعية حلا معقولا ، وذلك بتقصي الاسباب الحقيقة التي أدت الى الخلل والتصدع الذي أصاب البيئة الطبيعة والانسانية في الاقطار المتقدمة . ثم القيام بحملات التوعية الواسعة لشعوبها وتعريفها بأخطار التلوث وايجاد التشريعات الخاصة بحماية البيئة ومكافحة التلوث وتشجيع البحث العلمي وخطط الدراسة القريبة والبعيدة المدى على مشكلات البيئة الانسانية والطبيعية ، ما لم يحدث ذلك ، فان خطر التلوث الذي يتهدد الاقطار النامية سيكون أعنف بكثير من ذاك الذي حلّ في الاقطار المتقدمة . ولعل بوادر هذا التلوث تبدو بصورة واضحة حاليا في البيئة البحرية وأجواء الاقطار الخليجية . وذلك بسبب الملوثات المتدفقة من المصانع ووسائط النقل والمجاري وناقلات النفط .

والذي أتمناه وأرجوه أن تدرك حكومات وشعوب الاقطار المتقدمة والنامية على السواء بأن قضية التلوث مسألة حضارية قد تعرض الجنس البشري الى الانهيار والفناء ، ولا بد من اعطائها مقام الصدارة في كل الخطط والسياسات الانمائية خلال الثمانينات . ولعل من المفيد أن نذكر قوره مادوكس فورد في قوله : « اذا أردنا الانقاذ لحضارتنا فهناك طريق واحد لذلك هو تغيير جذري في قلوب جميع البشر الذي يعيشون فوق سطح الكرة الارضية وليس بتصحيح يجري في المكائن التي اخترعها الانسان أو بالشعوذات أو الخدع التي يقدمها لنا الاقتصاديون . لابد أن نمتلك القلوب المتحضرة أولا إن أردنا أن نمتلك الحضارة الحية النامة » . ولذلك أرى أن الثمانينات وما بعدها ستعاني الكثير والكثير من مشكلة التلوث والاستنزاف اللامسئول للطاقة والمصادر الطبيعية ما لم يعمل الانسان من أجل تحكم القيم والمثل الانسانية ومعاني الالتزام في كل السياسات الاقتصادية والانمائية وبذل كل الجهود لازالة الهوة السحيقة الحاصلة بين التكنوسفير والبيوسفير . ■■

استاذنا الجليل الدكتور زكي نجيب محمود يكتب للعربي ابتداء من هذا العدد ، هذا الباب الثابت فيه كل عصارة فكره وتجربته ، في كلمات قليلة

الدكتور زكى نجيب محمود  يكتب

ديمقراطية الثقافة

الغموض في حياتنا الثقافية ضارب بسحبه الدكناء ، فالرؤية مبهمة وشعاب الطريق أمامنا يختلط بعضها ببعض ، ولا غرابة أن تتعثر الخطى ويتلكأ السير ، وحتى الافكار الرئيسية الكبرى ، التى على هداها ترسم مخططات التنفيذ ، قلما نظفر منها ولو بقليل من تحديد معانيها وتمييز معالمها ، ونسوق في هذه الكلمة مثلا مما تجرى به الالسنة بين قادة الحركة الثقافية في الوطن العربي عن « ديمقراطية الثقافة » ووجوبها .

فالغموض هنا غموض مركب ، فلا « الديمقراطية » موحدة المعنى بين من يستعملون هذه الكلمة في مجالات الحياة المختلفة ، ولا « الثقافة » محدودة التعريف في جميع استعمالاتها ، فينتج عن ذلك أن تجيء عبارة « ديمقراطية الثقافة » في درجة غموضها حاصلا لضرب الغموضين ، ومع هذا الغموض كله ـ لم نجد احدا ممن يعنون فينا بالتخطيط للثقافة العربية ، يتردد ولو للحظة قصيرة ، حتى تتبين له معالم المعنى .

ولهذا نقع في مفارقات كثيرة ، اقل ما يقال فيها ، انها تحد من سرعة السير ، فنحن نخلط هنا خلطا خطيرا بين معنيين : احدهما هو الديمقراطية بمعنى المساواة الكاملة بين الافراد ، والثاني هو الديمقراطية بمعنى المساواة في « الفرص » المتاحة للجميع ، فاذا أخذنا بالمعنى الاول فى دنيا الثقافة ، نتج لنا الرأى العجيب الذى يأخذ به كثيرون مضللون مع الأسف العميق ، وهو أن يراعى في الانتاج الثقافي أن يكون « للشعب » ، ومؤدى ذلك ألا يبدع المبدعون شيئا في الأدب أو في الفن ، الا إذا كان في متناول أفهام الجماهير ، أو ـ على الاقل ـ في مقدور العدد الاكبر ممن نسميهم بالمثقفين ، والخلط هنا واضح وفاضح ، لكنه برغم ذلك خلط شائع .

وأما اذا أخذنا بالمعنى الثاني ، الذى هو أن تكون المساواة المطلوبة مساواة في الفرص المتاحة ، نتج عن ذلك ـ في نهاية الامر ـ أن تكون لكل درجة من درجات السلم الثقافي في أبناء الشعب ثقافتها ؛ تلائمها . فلابد أن تقدم للشريحة العليا طعامها الفكرى والفني ، بنفس الضرورة التى نقدم بها للقاعدة العريضة من أبناء الشعب طعامها . لا ، بل إني لأجازف فأقول انه لو كان لاحدى المجموعتين أولوية

منطقية على الاخرى ، لكانت الاولوية لأفراد الذروة العليا في الحياة الثقافية ، لأنهم هم الذين يعودون فينقلون تحصيلهم الى من هم دونهم درجة أو درجات ، والا فمن الذى يكتب الكتب ، أو يذيع في الراديو والتلفزيون ، موجها كتابته أو اذاعته لعامة الشعب ، أو للاطفال أو لربات البيوت ، ولغير هؤلاء وأولئك ، إلا من هم أقدر على العطاء الفكرى ؟

لقد كان من الاحكام النقدية التي اشاعها « تولستوى » فانتشرت بعد ذلك انتشارا واسعا ، قوله بأن مقياس الأدب أو الفن هو أن يستطيع تذوقه أقل الناس تحصيلا واكثرهم تحصيلا على حد سواء ، وهو رأى ، حتى إن أصاب ، فصوابه مرهون بقيود تحدده ، والا فقد يستطيع الانسان من عامة الناس والانسان من صفوة المثقفين على السواء أن يتذوقوا قطعة موسيقية أو لوحة ، أو نغمة قصيدة من الشعر أو قصة أو مسرحية ، لكن الرجل من الصفوة وحده هو الذى يعرف بعد ذلك كيف يحلل الناتج الادبي والفنى ليقع على أسباب الارتفاع وذلك أمر له أهميته ، لأنه اذا عرف العلة ، كان موفقا الى الصواب في احكامه النقدية ، وعلى هذا التوفيق يتوقف التمييز بين الجيد والردىء .

انني كثيرا ما لحظت عند المناقشة في اهداف الحركة الثقافية (وخصوصا في اللجان التى تعقد لمثل هذا) خلطا بين نوعين من الانتاج : انتاج يراد به التسرية عن أنفس القارئين والمشاهدين ، وانتاج آخر يبدعه مبدعوه ليدوم على الزمن ، وواضح أن ما يتطلبه النوع الأول من موهبة وقدرة يختلف اختلافا بعيدا عما يتطلبه النوع الثاني وواجب الدولة (متمثلة في اللجان الثقافية التي اشرت اليها) هو أن تعنى بالنوعين معا لأن كليهما مطلوب .

ونقول واجب « الدولة » ، لأنه قد أصبح أمرا محتوما على الدولة أن تعين الموهوبين على انتاج المستوى الرفيع من الادب والفن ، وذلك بعد أن ذهب عهد رعاة هذا المستوى من خلفاء وامراء ووزراء ، وبعد أن أدت ظروف عصرنا الى التبسيط والتسطيح (وبخاصة في وسائل الاعلام الثقافي) فلم يعد أمام اصحاب الموهبة الرفيعة إلا أن يعانوا بأموال الشعب عن طريق الدولة ولجانها . ■■

لم يجد عيبا

● شوهد تورفولدسون المثال الدانمركي وهو ينتحب أمام آخر تمثال له ، فسئل لم ينتحب ؟ ألم يرضه التمثال ؟ فأجاب انه لم يجد عيبا فيه فأدرك أن الضعف أخذ يتطرق الى مخيلته .

بين الإشراق والتحدى

• استمرار الجدل • فظائع الطليان

• عزام فارس العروبة • وفاة شوقي

لم تكد خطابات مكرم عبيد ومحمد علي علوبة في بلاد الشام تذاع في مصر حتى جاء تأثيرها بالغا ، وحدث ـ حين عاد علوبة من رحلته تلك ـ ان استقبل في محطة سكة حديد القاهرة استقبالا حارا اشترك فيه حملة الفكرة العربية ودعاتها ، وقد ادلى فور وصوله الى المحطة بتصريح أكد فيه دعوته العربية واعلن انه نذر نفسه لها ، وهذا اثار حنق الذين يناوئون الفكرة لأسباب لا تخلو من جهل بها ، او تتصل بمفهومهم الخاص لمعنى

الوطنية التي تحتم تمجيد « الفرعونية » وحدها ، واذكر من أضراب هذا النفر كاتبا اسمه « ناشد سيفين » من اسيوط كتب في جريدة « المقطم » في اغسطس ١٩٣٠ مقالا عنوانه : « مصر فرعونية لحما ودما » عرض فيه بدعوة علوبة باشا وخلاصة معزوفته : « مصر التي كان لها من الحيوية ما مكنها من هضم الغرباء الذين استوطنوها ستهزأ بكل محاولة من هذا القبيل وستظل الى الابد فرعونية لحما ودما » وضرب على هذا الوتر كتاب

آخرون اختلفت لهجتهم حدة او ليانا ، فثم كاتب جعل توقيعه احمد محمود حسن (خريج ادب من الصوربون) قال : لا يمكن ان تكون مصر الا فرعونية .. نحن مصريون كرمسيس وتوت عنخ آمون .. » .

ونزع الى هذا المذهب كاتب تكنى بتوقيع « احمس » الفرعوني وقد علم فيما بعد انه « احمد حسين » الذي غدا بعد سنوات من أقوى دعاة الفكرة العربية ، كما رأينا ونرى فيما بعد ، ومثل هذا قد يقال عن زميله في الجامعة ، ثم رصيفه بعد ذلك في « مصر الفتاة » وهو السيد « فتحي رضوان » الذي كتب قبل تسع واربعين سنة : « ان مصر ارض انسانية ، لانها لم تكن مصرية ولا اغريقية ولا رومانية ولا عثمانية ولا عربية لانها ارض انسانية ولعله يصح عليها لفظ كوزموبوليتان » . وما كنت لاستشهد بقول قديم للصديق الاستاذ فتحي رضوان يوم كان طالبا ، وانا اعلم دوره القومي فيما بعد ، الا لنتبين مدى التطور في النظرة الى القضية .



العرب امام المستقبل

الظهير البربري • واستشهاد عمر المختار

بقلم : اكرم زعيتر

وهناك كاتب آخر كتب بتوقيع « حسن محمود » منكرا على علوبة باشا قوله بضرورة الوحدة العربية « لان المصريين ليسوا عربا ، والعمل في ساحة اوسع من وادى النيل والاندماج مع الامم العربية يثير نفس العقبات التي قامت بين الترك والعرب ، ولان المدنية الاسلامية شاخت وتعبت ونحن نقتبس في مبدأ نهضتنا عن غيرنا » .

هذه الاصداء السلبية لصرختي علوبة ومكرم حفزت انصار الفكرة من المصريين الى اقتحام الميدان دفاعا عنها واذكر منهم الاساتذة : فهمي نجيب ، ومحمد فريد (الخبير لدى المحاكم الاهلية) ، واحمد الحفني ، واحمد سعيد ديب الذي تولى الرد على احمد محمود حسن من ناحية بيولوجية . ثم اذكر ممن دافعوا عنها ، ولنا بهم معرفة ولهم شهرة : الاستاذ محمد الغنيمي التفتازاني الذي قال : « اما ان مصر الحاضرة هي مصر الفرعونية لحما ونسبا وثقافة فهو ما لا يقول به عاقل ، فان ثلاثة عشر قرنا تعاقبت على العرب في مصر لا اظن انها خافية الأسارير ، او مستورة الكيان ، اذن فلنترك الفرعونية جانبا فليس لدينا عنها الا الصوامت من الحجر او النوادر من الطرف » . وافاض في هذا ثم قال : « لو حدث استفتاء عام في انحاء القطر المصرى ما تجرأ على المجاهرة بالفكرة الفرعونية حتى الذين يعتقدونها ويقولون بها ... اذ ان مصر عربية منذ الفتح الاسلامي بكل معنى العروبة » .

وقد كنا ونحن في الحداثة نتتبع أنباء الحركة الوطنية المصرية في اعقاب ثورة ١٩١٩ وكان من اعلامها خطيب ومحام قبطي اسمه : رياض الجمل وقد حكم عليه بالموت ، وتبدل الحكم الى السجن المؤبد ، وكم سرنا ان يدعو رياض الجمل الى خطوات وحدوية عربية كانشاء دائرة معارف عربية على غرار دائرة المعارف البريطانية (لم تكن كلمة « موسوعة » دارجة يومئذ) يضعها مجمع علمي ، كما دعا الى عقد مؤتمر عربي عام رشح لرئاسته

الامير عمر طوسون الذى كانت له في مصر والبلاد العربية مكانة مرموقة .

وراح الاديب السورى تيسير ظبيان ـ اللاجيء الى القاهرة من العسف الفرنسي ـ يستنطق بعض الاعلام رايهم في الفكرة العربية ونشرها على الملأ ، ومن هؤلاء الاستاذ المحامي « صالح جودت بك » [١] الذى هتف بالرابطة العربية ، ودعا الى مؤتمر يبحث في الوسائل العلمية لتحقيقها . واما الدكتور « منصور فهمي » فقد انكر على الكتاب ان يتحدثوا عن الفوارق دون ان يذكروا مواضع التشابه والتواصل » . فالمصرى يعلم انه مصرى والسورى لا يجهل انه سورى ، والعراقي لا ينكر عراقيته وليس كل منهم في حاجة الى من يذكره بنسبه الضيق ، ولكنه في حاجة الى من يذكرهم فيما بينهم من روابط ليتعاونوا فيما هو مشترك بينهم » وتحدث عن ضرورة خدمة اللغة والثقافة العربية والتعاون الاقتصادى داعيا الى عقد مؤتمر عربي لهذه الغايات ، وقد ظل الدكتور منصور فهمي داعية وحدة عربية ، واذكر انه زار فلسطين وحاضر في مدنها وقرر مجلس بلدية نابلس اعتباره مواطن شرف لمدينة نابلس وكنت من شهود الاحتفال بذلك .

وممن تحمس تلك السنة في الدعوة الى الفكرة العربية الحقوقي المصرى « حسن عارف » ومن اقواله « اذا كانت الوحدة غير ممكنة اليوم فهي ممكنة غدا ، ولنودع اليأس فهاهم أولاء غيرنا ينادون بوحدات أغرب من هذه ، وما عهدنا بمشروع الولايات المتحدة الاوروبية ببعيد ، فلنوجه انظارنا شطر هذا الامل » ودعا الى ولايات عربية من مصر والسودان وفلسطين والشام والعراق والحجاز ونجد مع احتفاظ كل قطر باستقلاله الداخلي . وقد انتهى الجدل تلك السنة اى ١٩٣٠ برجحان الفكرة العربية .

ولم يستمر النقاش في السنة التالية ١٩٣١ ، وقد تلاشى الصدى السلبي لدعوة علوبة ومكرم ، ولكنها في النشاط العربي القومي قد عرفت غضبة مصرية ونقمة عارمة من الطليان يوم صلبوا المجاهد الثائر البطل « عمر المختار » وامتلأت الصحف باستنكار طغيان الطليان وجلى الامير شكيب ارسلان في اثارة حملة شعواء لا هوادة فيها على ايطاليا في عدة جرائد « الجهاد » و « الفتح » و « كوكب الشرق » ، وصدرت الاهرام مقالا لعبد الرحمن عزام عنوانه : « كيف قتل عمر المختار وبأى ذنب قتل ؟ » ووقف محمد علي الطاهر جريدة الشورى على التنديد بايطاليا ، وتألفت لجنة للاحتفال بتمجيد الثائر الشهيد ، وأعد امير الشعراء احمد شوقي رائعته لتتلى في الحفلة ، ولكن وزارة اسماعيل صدقي منعت اقامة الحفلة ابتغاء رضوان ايطاليا التي ثارت ثائرتها سخطا على الحملة ضد فظائعها ، على ان الحفلة اقيمت على رغم هوى السلطة في بيت آل الباسل الذين اشتهر منهم حينئذ : حمد الباسل باشا وكيل الوفد المصرى وعبد الستار الباسل بك عضو الشيوخ ، وتليت فيها قصيدة شوقي ورنح العالم العربي بقوله

ركزوا رفاتك في الرمال لواء ... يستنهض الوادى صباح مساء
يا ويحهم ! نصبوا منارا من دم ... توحي الى جيل الغد البغضاء

وفيها يصف البطل مقبلا على المشنقة :

وأتى الاسير يجر ثقل حديده ... أسد يجرر حية رقطاء
عضت بساقيه القيود فلم ينؤ ... ومشت بهيكله السنون فناء
تسعون لو ركبت مناكب شاهق ... لترجلت هضباته ، إعياء

وينهي قصيدته ذات الاربعين بيتا مخاطبا ، الشعب الطرابلسي :

يا ايها الشعب القريب أسامع ... فأصوغ في عمر الشهيد رثاء

---

[١] هو غير الاديب الشاعر الصحفي « صالح جودت » (العربي) .

أم ألجمت فاك الخطوب ، وحرمت
اذنيك حين تخاطب الاصغاء
ذهب الزعيم وانت باق خالد
فانقد رجالك ، واختر الزعماء
وأرح شيوخك من تكاليف الوغي
واحمل على فتيانك الأعباء

واثيرت في العام ذاته قضية الظهير البربري « اى المرسوم » الذى ارادت به فرنسا تنصير البربر في الجزائر عن طريق احياء تقاليد بربرية على حساب الشعائر الاسلامية ، فكانت لصحافة مصر في مقاومته جولات وكانت « الفتح » و « الجهاد » و الهداية » و الشورى » و « كوكب الشرق » منابر لحملات الامير شكيب ارسلان يمتد صداها من مصر الى سائر انحاء العالم العربي ، ولم تأل جمعيات الشبان المسلمين جهدا في استفظاع الظهير . واذكر انني كنت في الثانية والعشرين من عمرى حين كتبت للامير شكيب ـ وكنت اتابع مقالاته في الصحف المصرية التي يرسلها من لوزان ـ احذره غدر الطليان والفرنسيين ، وارجوه اتقاء محاولة اغتيالهم اياه باحتراسه لنفسه ، فاجابني بكتاب فياض ، ومما قاله : « ياولدى ان الذى نحن فيه هو جهاد ، والجهاد هو الحرب فهل رأيت جنديا يذهب الى الحرب لاجل القتال ويقول : لعلها جاءتني رصاصة ، ان الذاهب الى الحرب وطن نفسه من قبل على الرصاصة وغيرها » . وفيها « ثم اعلم ياولدى ان من خاف من شيء سلطه الله عليه ، فانا لا اخاف ولا احب ان اخاف « وموسوليني » و « مصطفى كمال » وامثالها ـ عندما يقرأون ترجمة كلامي او ما اكتبه بالافرنسية ـ يعلمون انه ليس بكلام من يحسب لهم حسابا والله خير حافظا . » « واما الحركة البربرية فيقول الامير في رسالته عنها « الحركة البربرية كانت اول نتائجها نشاط المغاربة واندفاع شبابهم للعمل ، وهذه بذاتها نتيجة كافية .. والحركة الآن عمت عندهم جميع الطبقات وجريدة « الطان » اضطرت ان تعترف ان المغرب بدأ يسير على خطة مصر وسورية » .

أردت بما أسلفت القول ان مصر اصبحت منطلق الحركات التحررية ، وحق للقاضي الشيخ « محمد سليمان » ، الذى كان يكتب في « رسائل سائر » والتي يبعث بها من البلاد التي ساح فيها ، ان ينذر في احداها بخطر تخلف مصر عن تقمص الروح العربي مؤكدا : « ان مجد مصر في ان تظل قلب العرب ، وروح الشرق ما دامت رافعة يدها بمصباح العربية » .

وفي السنة التالية ١٩٣٢ تتالت في مصر اشراقات عربية ، ومن حق « عبد الرحمن عزام » ـ فارس القضية العربية يومئذ ـ ان تذكر ان هذه السنة كانت سنة عبد الرحمن عزام الوحدوية ودونك بعض الآيات على ذلك : « وقعت في مطلع هذا العام في سورية اصطدامات بين الوطنيين والفرنسيين ، فبادرت الصحف المصرية الى مظاهرة سورية ، وكان مكرم عبيد في زيارته دمشق قبل سنتين قد عقد صلات بين الكتلة الوطنية والوفد المصرى ، واعلن هذا الموثق في مهرجان اقيم لتكريمه في بيت القطب الكتلوى « فخرى البارودى » ، فلا عجب اذا رفع الوفد المصرى عقيرته انتصارا لسورية ، وفي صدر « الجهاد » الجريدة الوفدية الكبرى ارسل عبد الرحمن عزام صرخته : « هنا وهناك امة واحدة .. شاركونا من اول نهضتنا في بأسائنا وضرائنا ، فما يقع هنا تسمع صداه هنالك ، وما من سوء اصاب القاهرة الاوسرى الى جيراننا فغمرهم . نحن نعيش في بيئة واحدة تحت تأثير عوامل واحدة ، وما الشام ومصر وبقية البلاد العربية الا أمة واحدة في هذا الشرق الادنى غلبت على امرها وتسلط الاجنبي عليها فهي تكافح مستبسلة في سبيل الحرية والكرامة . نحن بيننا صلة الالم المشترك في سبيل غاية تدين بها جميعا ، ولكن ما بيننا وبين الشام هو اعظم من هذه المشاركة في الالم والغاية ، بيننا القربى . بيننا الصلة العنصرية . واذا ظن احد ان اهل العنصر الواحد قد يتخاذلون فان بيننا فوق صلات النسب والدماء صلة العقيدة التي تصدر عن تفكير سليم صادر عن مزاج متحد . اذن فنحن بيننا وبين الشام قربى تزيد المصائب في اواصرها حتى نكاد نكون روحا واحدة في ابدان متفرقة » وندد بالفرنسيين الذين « لايسيئون الى الشام وحده وانما يسيئون الى اهل العربية ، أينما كانوا ، ويسيئون الى قلب الامة العربية مصر . لان هذه البلاد تعتبر نفسها في مقام القلب من الامة العظيمة التي تحتل هذا الشرق العربي » وحمل على الامم اللاتينية التي تحيط بالجانب الاخر من البحر الابيض المتوسط » ففي طرابلس الغرب ضربت امثال

من منكر الاعمال لا تزال الامة العربية تتململ من ذكرها ، وفي الريف لا يزال بطل من ابطال العرب (محمد بن عبد الكريم) في ذل الاسر بعد ان قُضي على من حوله من انصار الحرية . وقبل سنتين ضربت دمشق بالمدافع ولم ترع لقدسيتها حرمة .. واليوم ها هي ذي الحوادث تتتابع بالاسى والاذى في اهل سورية » ودعا العرب الى الكفاح عن الحرية :) وليعلموا ان الايام والسنين التي سيقضونها في هذا الكفاح هي الفترة اللازمة لتهيىء أمة عربية لحمل الرسالة البشرية التي نهضت في الماضي وستنهض بهامرة اخرى في المستقبل القريب . » .

كان عزام عضوا في المؤتمر الاسلامي العالمي الذى انعقد في القدس اواخر السنة المنصرمة (١٩٣١) ممثلا للوفد المصري وقد شن حملة شعواء على الاستعمار الايطالي لطرابلس الغرب وندد باعدام الزعيم الشهيد عمر المختار مما اثار السلطات الايطالية وجعل السلطة البريطانية في فلسطين تخرجه من فلسطين بالقوة فأضفى ذلك التصرف على عزام مزيدا من تقدير حملة الفكرة العربية في بلاد العرب . ثم نشر في هذه السنة مقالين شرقا وغربا تقلتها صحف عربية عديدة ، واذكر انني جعلتها مما يدرج في كتب المطالعة العراقية حين كنت اعمل في التوجيه القومي في معارفها . أما اولها فعنوانه : « العرب امة المستقبل » نشره في العدد الاول لمجلة « العرب » المقدسية التي اصدرها الاستاذ « عجاج نويهض » منبرا قوميا استقلاليا . وكانت المقالة هدية عزام الى دعاة العربية في كل قطر . هذه المقالة النفيسة التي تناقلتها الصحف العربية قبل سبع وأربعين سنة ارى من تمام واجبي القومي ومن بوادر الاحتفال بذكرى عبد الرحمن عزام ان أرفقها بمقالي هذا ، وتزكية أمير البيان شكيب ارسلان لها في رسالة قال فيها : « طالعت ما كتبه تحت عنوان « العرب أمة المستقبل » ، الاخ عبد الرحمن عزام ، أحد مفاخر مصر بلا نزاع فأول خاطر خطر لي بعد مطالعة هذه المقالة هو أن ينتدب احد ذوى الحمية العربية فيطبع منها مائة الف نسخة ويوزعها على جميع اقطار العالم العربي ويقترح تعليمها وتحفيظها غيبا لطلبة المدارس ، فاني لم اجد مقالة ألزم لهذا الوقت من هذه المقالة ، كما اني لم اعهد مقالة قصيرة يتفتق منها (انسيكلوبيديا) برمتها مثل هذه المقالة . وما وجدت الكيفية تغلبت على الكمية مثل هذه المرة ، لن أقدر أن أشرح كل ما شرح صدرى من كلمة عبد الرحمن عزام هذه ، وقصاراى ان أقول : أحياك الله حياة طويلة مديدة ياعبد الرحمن اذ بحياة مثلك حياة لمصر وحياة العرب ! »

ومن الذكريات الجانبية هنا انني كنت أزور عزاما في السنوات الاخيرة قبل وفاته حين اعتكف في بيروت لدواع صحية وكنت آتيه بصور من مقالات له قديمة بارعة لم تكن لديه نظائرها . ومنها ما نسي هو مناسبتها ولما جئته بصورة رسالة الامير شكيب ولم يكن يذكرها كثيرا ، واستدفع بجلد ملحوظ عبرات كادت تنبجس من عينيه وهتف : « رضي الله عن الأمير شكيب واحسن عني جزاءه .. الأمير شكيب لا يجود الزمان بمثله » .

وارسل في خريف السنة ذاتها مقالا آخر لا يقل روعة ونفاسة عن الاول وجعل عنوانه : « الوحدة العربية ضرورة للعرب وسعادة للبشر » ، تصح ان تكون دستور العرب القومي . وقد اثبتت هاتان المقالتان لعزام مقاما كريما لدى حملة الفكرة العربية . ولم يكن اختياره الامين العام لجامعة الدول العربية يوم تأسيسها الدليل الوحيد على منزلته لديهم ، ففي سنة ١٩٣٩ حين تقرر عقد المائدة المستديرة في لندن لاجل قضية فلسطين انتدبت الحكومة المصرية لتمثيلها فيه : الامير عبد المنعم ، وعلي ماهر رئيس الديوان الملكي ، وحسن نشأت سفير مصر في لندن ، واستدعى رئيس الوزراء محمد محمود باشا عبد الرحمن عزام الوزير المفوض لدى العراق ليكون مستشارا للوفد ، لا عضوا ، فامتنع عن الاشتراك في الوفد ، ولكن الوفود العربية اجمعت على ان يكون المستشار العام لها واتصلت برئيس الوزراء الذى استجاب لرغبة الوفود وابرق بتعيين عزام عضوا في الوفد المصري وظل في الحين ذاته المستشار الاثير لدى وفود العرب . ومما يذكر انه حين رشحت الحكومة المصرية عبد الرحمن عزام سنة ١٩٣٦ ليكون وزيرا مفوضا في بغداد ارسلت حسب الاصول « تستمزج » الحكومة العراقية في الترشيح فكان جواب ياسين الهاشمي ، رئيس الوزارة العراقية ، والمرجى لقيادة الحركة الوحدوية : « لا

لقد سبقتنا مصر .. لاننا نود لو رشحنا نحن العراقيين عبد الرحمن عزام سفيرا للعراق في مصر . »

اما المقال الثاني فقد كان مفاضا برهن فيه على انه ليس ثمة تناقض بين المساعي المحلية (القطرية) والسعي العام للوحدة ، وانه مهما اصاب اى قطر عربي من قوة فانه لن يستطيع ان يتنحى عن نسبته للعنصر العربي ... وكلما تحررت ناحية في الوطن العربي دنا يوم التحرير للوطن كله .. « وتحدث عن الالم المشترك .. ولكن الامل اقوى من الالم وفي سبيل الامال يلقي الناس الآلام بصبر وبشر » ... « والوحدة العربية اسمى المطالب وأليق بالمهمة العالية وأجدر بمعنى العزة من مطالب الحرية المحلية » وتحدث عن ضرورة الوحدة « فبغير الوحدة تبقى الاقطار المنعزلة ضعيفة لا تستطيع ضمان استقلالها بغير حلفاء او حماة خارج الجنس العربي ، يتقاضون منها ثمن التحالف والحماية غاليا ، وذلك خضوعا لسياسة قد تكون موجهة ضد بعض العرب او المسلمين او تكون موجهة ضد امم اخرى لا مصلحة للعرب في منازعتها » واسترسل في هذا المعنى وقال : « وقد تضطر بعض الاقطار العربية وهي في حالة العزلة او الحاجة الى سند من غير العرب الى التزام انظمة داخلية لا تطمئن حلفاؤها بغير وجودها من حيث تكون هذه الانظمة عائقا للقطر عن نشوئه وتطوره الطبيعي » ويصل عزام الى البرهنة على ان الوحدة العربية ستبقى غاية ضرورية لاستكمال الدفاع عن النفس وعن الحرية نفسها ، وضرورة اقتصادية ثم برهن على انه في مصلحة العالم ان يبعث العرب متحدين لان ذلك معناه وحدة بشرية متحضرة منتجة ، ويسهب عزام في الحديث عن حاجة العالم الشديدة لبعث العرب مرة اخرى لا لتغذية الحضارة القائمة وزيادة الانتاج العالمي ولكن لانقاذ الحضارة وبالتالي البشرية : « وسبب اتجاه آمالي على هذا النحو لم يأت من عربيتي وانما من تجربتي » واشار الى ظهور النهضة الاولى بزعامة محمد (ﷺ) : « في ذلك الوقت كان في ركن مجهول من الارض قوم لم يصابوا بسموم الحضارة البائدة ، جاءتهم رسالة محمد فانقذوا العالم ووهبوه الروح مكان المادة ، والنظام محل الفوضى ، والمساواة بين الطبقات وبين العناصر » وقد انهى مقاله الماتع بالروعة التالية : « فنحن اذن ندعو للوحدة العربية لابدافع من بغض الاجانب ولا لرغبة الانتقام منهم ، ولاّ تتملكنا الانانية في هذا ، لايماننا بان بعث امتنا فيه نجاتنا واسعاد البشرية كافة ، نحن ندعو للوحدة العربية مؤمنين بحسب استعداد العرب اليوم لحمل الرسالة والذين لا يؤمنون ايماننا ويظنوننا نحلم غير مقدرين للحقائق الراهنة هم اولئك الذين لا ينظرون الى اكثر مما بين ايديهم ، اما ما تلده الحقائق الراهنة فهو مالم يدركه كسرى ولا قيصر وقت ان عمر الحفاة العراة نصف الكرة الارضية » .

ومن اشراقة الفكرة هذه السنة ان تنشر « السياسة » رسالة من رئيس تحريرها الدكتور « محمد حسين هيكل » بعث بها من لبنان الى صديقه الكاتب الكبير ابراهيم عبد القادر المازني انهاها قائلا : « ان مصر وفلسطين وسورية ولبنان والعراق وبلاد العرب وبلاد المغرب كلها وطن واحد لابنائها جميعا وان دول الغرب المستعمرة الباغية قد قسمتنا وجزأتنا وجعلت النضال بيننا في مختلف الميادين » .

ولا يجوز لي ـ قبل الانتقال الى الاشراقات والتحديات سنة ١٩٣٣ ان اغفل عن موجة الاسى العارمة التي اجتاحت العالم العربي بوفاة امير الشعراء احمد شوقي في تشرين الاول (اكتوبر) من هذه السنة فاقيمت له مآتم في البلاد العربية ورثاه جميع شعراء العربية وكبار ادبائها ولم يشمل الحزن بلاد العرب منذ وفاة الزعيم المصرى العظيم سعد زغلول شموله يوم نعي احمد شوقي ، واذا كان قد لبى الدعوة الى التأبين في القاهرة شعراء كبار فقد آثر آخرون ان يؤبنوه في اقطارهم ، اجتنابا لشبهة رضاتهم عن اسماعيل صدقي باشا الذى كان يترأس الوزارة المصرية يومئذ ، وسمعنا اديب العربية وصديق شوقي الحميم اسعاف النشاشيبي يقول في شرح تأبينه الرائع الذى القى في نابلس وحيفا والقدس : « وليعلم جميع العقلاء في الاقاليم العربية كافة ان روح شوقي هربت من القاهرة في اليوم الرابع واليوم الخامس من شهر ديسمبر سنة ١٩٣٢ مضطربة متألمة لافراط القوم في الاساءة اليها » . ■■

اكرم زعيتر

من أنت ؟

بقلم : الدكتور شكري محمد عياد

فلتتجاهلني .

لتأمر خدمها ان يقذفوا بي الى الشارع .

لتهمس الى زوجها فيلقي بي في السجن ، وهو قادر على ذلك .

انا لا يمكنني ابدا ان انسى رقتها .

لعله الفرح العام الذى فاض على الوجوه في تلك الليلة . كانت الدارة كلها مرقص احلام . تلألأ النور ، سال الهواء ، تمرمرت الثياب وشفت الاجساد ، امتزجت العناصر كلها واصبح المستحيل ممكنا ، ونسي الحاضرون - في اشراق وجهها الملائكي زوجها الذى ينصب المشانق ويضع الابرياء في السجون .

في تلك الليلة اقتربت منها ، اقتربت منها جدا حتى احسست انفاسها اللطيفة على وجهي وعندما اراد طفلها ان يسر اليها شيئا ، رفعته بيدى هاتين حتى اصبح فمه ملاصقا لأذنها ، فمست اطراف انامل ظهرها العاري . حركت اناملي قليلا قليلا ، بخفة ، بنعومة ، بلطف ، بنشوة اين منها نشوة العناق . ابدا لن تنسى اطراف انامل ملمس بشرتها ، ستظل تعشقها حتى حين ينزع الجلادون اظافرى ، وسيظل في فمي طعم القبلة الاولى كفاكهة من ثمار الجنة .

عندما اتم الصغير سراره ، بين القبل الطفلية الناعمة ، والتفت الى ايذانا بانتهاء مهمتي ، وقد اشرق وجهه بابتسامة الرضى لاجابة ما طلب ، كان قلبي يذوب شوقا وحنينا ، فلم اتمالك - وانا انزله - ان قربت شفتي من ظهرها ، وقبلته ، هناك عند سن رقم ٧ الذى يكون فتحة الثوب .

لم يتغير لون الابتسامة على وجهها ، الذى كنت اراه من زاوية مائة وعشرين درجة . لم تلتفت الى . خيل الى انها لم تشعر بقبلتي : كانت خفيفة جدا ! ولكن الموضع من الجلد حساس جدا تمنيت ان اكرر القبلة . لاادرى كيف وجدتني واياها بين اشجار الحديقة . القت نفسها بين ذراعي امتزجت دموعها ودموعي .

قلت لها : سيدتي انا لست الا صعلوكا ،

همست وخدها يتمسح بخدى : لايهمني ، قل لي فقط انك تحبني .

قلت : بل اعبدك . روحي ملك يمينك ، مريني اهبك عمرى قبلتني بلطف . ظلت ممسكة بيدى همست مرة ثانية :

- اردت فقط ان اعرف إن كنت تحبني .

خفت ان تتركني ، هتفت جزعا :

- كيف اراك ؟

انفلتت عائدة الى الدارة . بقيت وحدى بين الاشجار اذهلتني المعجزة . روعني الفقد . افزعني المستقبل . كيف يمكنني ان اعيش بدونها ؟

***

فلتتجاهلني .



انا لا زلت املك اشياء منها :

عندما اتحسس وجهي ، اشعر ان ثمة ـ تحت طبقة الجلد الظاهرة ـ نداوة تسربت من دموعها عندما المس شفتي باصابعي ، اشعر ان ثمة شيئا بين اصابعي وشفتي ، هو قبلتها .

وفي اطراف انامل ذكرى لا تمحي ، صورة ارتسمت على تلك الاعصاب الدقيقة ، صورة بشرتها الرقيقة الناعمة .

اذن فلتتجاهلني .

لو امرت خدمها ان يقذفوا بي الى الشارع لتلوث جمالها الملائكي باوحاله .

لو اوحت الى زوجها ان يرميني في السجن ، لدخل السجن معي شيء منها .

لم يبق الا ان تأمر باعدامي ، لتعدم جزءا من ماضيها .

سألت نفسي وانا واقف بين الاشجار : كيف السبيل اليها ؟ دهمني خاطر شل حواسي كلها ما حدث لايمكن ان يتكرر . في اهنأ احلامك لم تنل مثل هذه السعادة ، المعجزة لا تحدث مرتين من يرى ليلة القدر ينعقد لسانه ، ويبقى عمره مذهولا ينتظر بلا جدوى . انطلقت نحو الدار كالمجنون ظلام وسكون كسكون الموت .

* * *

بين الفجر والشروق ، لحظة تكون السماء فيها بلون الورد لون بشرتها .

حين مست شفتاى تلك البشرة الرقيقة الناعمة ، هل قبلت السماء ؟

ومن ذا الذى يطير الى الملأ الاعلى ولا يحترق ؟

اما انا فقد عدت سالما الى الارض ولكن جناحي احترقا .

كيف نراها ثانية ؟ يقول لي جناحاى المحترقان . ماعدنا نطمع في عناق ولا قبل . ما عاد في مآقينا دموع . ولكننا ربما استطعنا ان نراها ولو لمحة من بعيد .

* * *

بيتها ، بالنهار ، بيت كسائر البيوت .

لابد ان تقترب من الباب لكي ترى اشباح الحراس وهم يتجولون بين اشجار الحديقة . ولكنني كنت يائسا . لم اخش الموت . شيء واحد كنت اخشاه : الا اراها ثانية .

عندما احاطت بي عيون الحرس ، اندفع نحوى طفلها صائحا في فرح ، طأطأوا رؤوسهم وانا احمله بين احضاني وذراعاه الصغيرتان متعلقتان بعنقي . وما لبثوا ان اختفوا واصبحت الحديقة لنا وحدنا .

* * *

كان يحب لعبة المطاردة ، وكنت اطارده حتى الهث واسقط من الاعياء . كنت اضحك بقلب ميت واقول له : لا استطيع ابدا ان أمسكك انت اسرع مني . كان ذلك حقا لم يكن طفلا كسائر الاطفال كنت كلما اقتربت منه شعرت ان ساقي تثقلان ، اني اقتلعهما اقتلاعا .

وكان هو يجرى ويضحك ضحكته الشفافة الصافية ، وعندما اسقط من الاعياء يركع بجانبي ويقبل على بوجهه فأنظر اليه من خلال أهدابي وأرى وجه محبوبتي . ويعتصرني الشوق والحنين ، ويلمس يدى الملقاة على صدرى ويقول مبتسما ـ عروقك بارزة .

وقبل ان استريح ، يأمرني ان انهض ثانية لنعاود اللعب فاقول له :

ـ سأحكي لك حكاية .

اجهدت خيالي في اختراع حكايات سخيفة عن اوزة صغيرة تعاركت مع اخوتها ، وعنزة ضلت طريقها في الجبل ، وسرعان ما كان يسأم ويهز ذراعي ويأمرني بحنق ان انهض لنبدأ المطاردة من جديد .

ولما نضب خيالي وعجزت عن اختراع حكايات الاوز والمعيز والقطط والارانب تذكرت حكاية الامير الذى استيقظ ذات صباح بعد ان بات ليلة مع اميرة لم ير مثلها في الحسن ، وكان واثقا انه لم يكن يحلم . ولكن عندما حكي قصته لابيه وامه خافا ان يكون قد جن ، وحاولا ان يزوجاه فابى وعندما أشرف على الهلاك جاءه

جني ظريف واعترف له انه هو الذي حمله في تلك الليلة الى قصر الاميرة الجميلة واعتذر له بانه لم يرد الا خيرا . فقد طاف بارجاء الارض فلم يجد من يصلح للاميرة الجميلة سواه . ثم حمله فطار به فوق جبل قاف (سألني الصغير عن جبل قاف فقلت له انه جبل عال يأخذ عرض الافق ، لا يعرف من دونه شيئا عمن وراءه) ، وهناك اجتمع بمحبوبته مرة ثانية ، وكانت قد وجدت من العذاب لبعده مثل ما وجد لبعدها ، وحسبها ابواها مجنونة كما حسبه ابواه مجنونا فلم تكد تراه حتى اقتادته من يده الى ابيها الملك فلما سمع قصته العجيبة حمد الله ، واقيمت الافراح اربعين ليلة لزفاف الاميرين الجميلين .

كان الصغير يصغي وعيناه لاتطرفان ، واصبح يستعيدني الحكاية كلما جلست لاستريح . ثم عزفت نفسه عن لعبة المطاردة ، واصبح يجلس معي في ظل شجرة ، ويسألني بصوت خافت ، اسئلة كثيرة عن الاميرة والامير والجني ، وطلب مني مرة ان احضر له ذلك الجني ليحمله كما حمل الامير الجميل . فقلت له ان الجني لا يتلقى اوامر من احد ، ولا يحضر الا اذا رغب هو في ذلك .

قال : لعله لا يعرف اني اريده . هل يمكنك ان تخبره ؟ فكرت مليا ثم قلت له : عندى فكرة : انا وانت نصنع طيارة ملونة لها ذيل طويل ، نطلقها في السماء ، ربما رآها الجني وهو يتجول بين السماء والارض ، فيعرف اننا نريده . قال : وهل يفهم الرسالة ؟ قلت : بكل تأكيد ، اذا رآها .

كانت حماستي لصناعة الطائرة الورقية مثل حماسة الصغير او اشد ، كانني صدقت حكاية الجني ، كأنني توهمت انه سيحملني انا الى قصر محبوبتي . كأنني توهمت ان الرسالة ستبلغه . وطوال ذلك الوقت لم افكر قط ان أسأل الصغير عن ابيه وامه . لعلي كنت اخاف ان اسأله ولكن ماذا يعرف هو عن امه وابيه ؟ انه لايعرف عنهما بعض ما اعرف . ولو سألني هو لروعني سؤاله . خير له ان يبقى جاهلا ، كيف يكون حال الصغير لو عرف ان اباه شيطان وامه ملاك ؟ ولكني كنت اداعب املا حلوا اخفيه عن نفسي : ان تظهر حبيبتي يوما ، ولو في تلك الشرفة البعيدة ، ان اسمع صوتها الملائكي مرة اخرى وهي تنادى الصغير .

« لا يهمني . قل لي فقط انك تحبني . اردت فقط ان اعرف انك تحبني » . احقا قالت هذه الكلمات عددتها كلمة كلمة . قلبتها طويلا طويلا . حفظت انغامها . انغامها تبهظني ! ما اقساها ! كأني احمل كنوز العالم على ظهرى . لماذا لا اموت الآن ؟ نعم ، اود ان اموت ، ولكني اتمنى على الله ان انظر اليها نظرة واحدة قبل ان اموت .

سألني الصغير : وكيف يعرف الجني مكاننا ؟

قلت له : لا تخش شيئا ، حين تبلغه الرسالة يمسك بطرف الخيط وينحدر عليه فيكون عندنا .

لا ادرى لماذا كنت مطمئنا .

صاح الصغير فجأة :

انظر ! الخيط شبك في اعلى الشجرة ، لابد ان الجني يهبط الان .

ارتعش قلبي . ولكني تماسكت . قلت له .

لا ، الجني كبير الجسم ولكنه اخف من الريشة . سأتسلق الشجرة وافك الخيط .

***

رباه ! ماذا حدث ؟ عندما هبطت لم اجد الصغير . اين ذهب ؟ لم اسمع احدا يناديه جريت حول الحديقة كالمجنون ، لم ار احدا ، اقتحمت الدار نسيت الحراس . نسيت السجون والمشانق وقفت امامها ، نظرت الى نظرة باردة قاسية . تمتمت بكلمة واحدة :

ـ الصغير ...

نظرت الى بشبه غضب . سألت وكأنها لم تفهم عمن الحدث :

ـ من ؟

ثم باحتقار :

ـ من انت ؟

د . شكرى محمد عياد

الإسلام والعروبة .. أو الطوفان !

بقلم : فهمي هويـــدي

لو أجرينا استفتاء بين أطفال العرب ، أيهما يختارون : « الكاوبوي » أم طارق بن زياد ، فسوف تكون النتيجة لصالح « الكاوبوي » بكل تأكيد . ولو سألنا شابا عربيا عن شعر حسان بن ثابت ، وأغاني جون ترافولتا ، فاغلب الظن أنه سوف يتلعثم في ذكر اسم حسان بن ثابت ، وينطلق كما السيل مرددا أغاني ترافولتا !

ولو سألنا اي جامعي عربي ، عما يعرفه عن ابن سينا وأبو قراط في الطب ، عن الغزالي وديكارت في الفلسفة ، عن هيرودوت والطرطوشي بين الرحالة ... اذا مضينا في هذه المقابلة حتى آخر الشوط ، بين الحضور العربي والحضور الغربي في اذهاننا ، فسوف نكتشف ان ثمة تفوقا ساحقا لصالح الحضور الغربي عند الجميع .. من طفل الروضة الى استاذ الجامعة !

وهكذا ، في كل اختبار في اي اتجاه تتأكد تلك الحقيقة المرة : أننا أسرى النموذج الغربي فكرا وقيا وعادات وتقاليد وذوقا وزيا ... الى آخر القائمة التي تعكس أزمة زمن الرق الثاني من ناحية ، والهوية الضائعة من ناحية أخرى . وهما الموضوعان اللذان كانا موضع مناقشتنا في العددين السابقين .

وفي مواجهة تحد من هذا النوع يهدد الذات ويضرب في الجذور ، يصبح التسليم كارثة ، ولا يجدي الرفض ، ويتعذر الصمود ، ولا بد من التصدي ـ بلغة المرحلة ـ بنموذج بديل يستلهم تلك الجذور ويعبر عن الذات المهدورة .

ذلك أنه لكل مجتمع نموذج خاص ، مشروعه الخاص ، الذي يبلور تراثه ومعتقداته وتطلعاته وأحلامه ، ويفرض قيمه المتميزة ويؤثر في سلوك افراده وعاداتهم .

العالم الغربي له نموذجه ومشروعه بل في داخل الغرب ذاته تتعدد النماذج بقدر : الامريكي والانجليزي والفرنسي والايطالي والالماني .. الى آخره . والسوفييت لهم مشروعهم المختلف والمتميز . والآخرون ، الاسرائيليون مثلا . لهم مشروعهم الصهيوني الذي تربى عليه الاجيال ... وهكذا .

ويبقى السؤال : ما هو مشروعنا نحن ؟

ذلك سؤال متأخر في الحقيقة ، لأن الذين أجابوا عليه لم يبلغوا هذه المرحلة الا بعدما قطعوا شوطا بعيدا عن طريق تأكيد الذات ، بينما نحن ما زلنا في مرحلة البحث عن الذات . واذا كان أي مشروع يعبر عن هوية محددة ، فلا بد أن تعرف هذه الهوية أولا . ومشكلتنا ، وموضوع مناقشتنا من البداية ، هو هذه الهوية الضائعة او الممسوخة ، وليس المشروع المعبر عنها .

اذا كان مسخ هذه الهوية قد بدأ مع الشعور العميق بالهزيمة الذي تمكن من اعماقنا ، كما سبق وقلت ، الا أننا نتعرض في المرحلة الراهنة لعملية تمزيق متعمدة للهوية ، ليس على مستوى ثقافي أو اجتماعي فقط ، ولكن على مستوى سياسي واقليمي أيضا . فبعد أن تمت تجزئة الأمة الواحدة وقسمت تركة الرجل المريض ـ الامبراطورية العثمانية ـ بعد الحرب العالمية الاولى في العشرينات ، ثم احتلت بلادنا جحافل الاستعمار الغربي ، تجمعت الاسباب في السبعينات لتحول التجزئة الى تفتيت ، لعب النفط دورا فيه ، ولعبت الضغوط والمؤامرات الخارجية الدور الاكبر ، حتى شهدت المنطقة في السنوات الاخيرة رياحا غريبة ومريبة حملت في طياتها بذور الفرقة الطائفية والمذهبية والعشائرية ، وسمعنا عن دعوات تردد ما اندثر من شعارات ومسميات ، وتحيي عصبيات عصور الجاهلية والانحطاط .

ولا أريد أن أزيد ، فالجميع يعيشون هذه المأساة ، فضلا عن أنه لم يعد في الامر سر ، فدعاة التفتيت الذين كانوا يتوارون في الماضي ويعملون تحت الارض ، أصبحوا الآن زعماء ونجوما سياسيين ، لهم صحف واذاعات وربما جيوش !

وصارت قضية الهوية مسألة خلافية ، تتعدد فيها الاجتهادات ، حتى بات مقبولا في هذا الزمن الرديء ان تخضع الذات لوجهات النظر من ناحية ، او تمنح وتمنع بقرارات من ناحية اخرى .

واقترنت مرحلة ـ أو مؤامرة ـ التفتيت بظاهرة أخرى ، تمثلت في دعوات المثقفين الى ضرورة مراجعة التيارات الفكرية المتداولة في الساحة العربية ، على اعتبار انها عجزت عن أن تقدم الحل أو النموذج أو المشروع الذي يلهم الواقع العربي ويحفزه .

وقد تابعت ندوة أقامتها مجلة « الاحياء العربي » (العدد ٣) التي تصدر في باريس ـ واشترك فيها ثمانية من المثقفين العرب البارزين ـ وكانت دعوة « المراجعة » هذه هي جوهر ما جرى فيها من مناقشات . وهو ما عبر عنه الاستاذ صلاح الدين البيطار في الندوة بقوله : ان العرب لم يبدعوا شيئا منذ قرنين من الزمان ، وقد حبسنا أنفسنا في عملية النقل ، الليبراليون نقلوا ليبرالية أوروبا الغربية ، والماركسيون نقلوا ماركسية أوروبا الشرقية ، والاشتراكيون، والقوميون نقلوا من هنا ومن هناك ، وكانوا « انتقائيين » . وعلى هذا ـ يضيف الاستاذ البيطار ـ فكل التجارب كانت مستنسخة . ولا يعني ذلك أنه كان علينا الا نواجه هذ التيارات ، على العكس كان يجب أن تنفتح على كل التجارب الموجودة في العالم ، لكن انطلاقا من وضعنا نحن ، وبمنهج يسمح لنا بأن نضعها في مكانها وهذه نقطة لم يصل اليها العرب بعد .

ورغم ظروف الاحباط التي تطبق علينا من كل اتجاه ، الا أن ما هو ايجابي وجدير بالرصد في مثل هذه الاصوات الداعية الى المراجعة ، أنها تنطلق من مبدأ رفض المسلمات والنماذج المستوردة من الخارج . وأيضا رفض أسلوب الزرع والترقيع ، مؤكدة أن المخرج والحل هو الانطلاق من الجذور . هو العودة الى الذات .

ان عدم النجاح الذي أصاب محاولات النقل والاستنساخ ، لم يكن سببه فقط أن النقل كان بمثابة

« استيراد » لافكار غريبة علينا ، ولكن أيضا لأن أكثر هذه المحاولات سعت الى الالتفاف من حول الاسلام ، وبعضها حاول أن يقفز من فوق العروبة .

لقد قتلت في المهد دعوات بعض المثقفين المستغربين في مصر ، الى جر البلاد خارج العروبة فيا سمي في الثلاثينات باسم مجموعة دول البحر المتوسط ، وهي امتداد لدعوة الخديوي اسماعيل في أواخر القرن الماضي لجعل مصر قطعة من اوروبا . ولم تلق دعوة القوميين السوريين استجابة تذكر منذ الأربعينات الى الآن ، ولولا الدعم الخارجي ـ الاسرائيلي الامريكي. ـ لما قدر لأصوات الانسلاخ من العروبة أن تقوى وتخوض حربا لمدة خمس سنوات في لبنان .

على أن محاولات الالتفاف من حول الاسلام لم تتوقف في العالم العربي منذ الحرب العالمية الاولى ، منذ حل الاسلام بمساوىء الخلافة العثمانية في سنوات احتضارها الاخيرة ، واقترن رفض الهيمنة العثمانية ، برفض مبطن للاسلام أيضا . الامر الذي دفع البعض في ذلك الوقت الى رفع لواء القومية العربية باعتباره سلاحا لمقاومة العثمانيين عند فريق ، وسلاحا لمقاومة الاسلام عند آخرين .

●

والآن وبعد ممارسات أكثر من ستين عاما في الساحة العربية تتأكد هذه الحقيقة الناصعة : أن ذاتنا ليس لها سوى دعامتين اثنتين فقط هما الاسلام والعروبة . وأي « مشروع » لا يقوم على هاتين الدعامتين محكوم عليه مقدما بالعجز والفشل .

ان الالتصاق بين الاسلام والعروبة على مدى ١٤ قرنا ليس بالأمر الهين ، اذ بلغ مدى صار الاثنان يشكلان جسدا واحدا ، وحقيقة واحدة لا تقبل الانفصام ، ولا بد أن يتعامل معها كل الطامحين الى التحرر الحقيقي والتقدم ، رضوا أم كرهوا !

ان الاسلام دين عالمي ، والرسول ﷺ بعث للناس كافة . لكن ذلك لا يتناقض مع حقيقة (لتكن تاريخية) مؤداها أن الاسلام دين عربي في الأساس ، وقرآنه نزل « بلسان عربي مبين » ، ونبيه عربي من بني هاشم .

وبسبب من هذا التلازم بين الاسلام والعروبة ، فانه عندما دخل الاسلام « بلاد العجم » جاء محملا بالعروبة ، وفرضت اللغة العربية نفسها على تلك المجتمعات ، حتى أصبحت تشكل الآن نسبة ما بين ٣٠ و ٥٠٪ في اللغات الفارسية والتركية والأردية في شبه القارة الهندية وقتذاك ، ولغة الباشتو في بلاد الافغان . فضلا عن أن المسلم في الصين لا يعد مسلما ـ حتى الآن ـ إلا اذا حمل اسما عربيا أولا ، يأتي بعده الاسم الصيني .

ولنفس السبب فان الاغلبية الساحقة من علماء المسلمين من غير العرب ، كتبوا مؤلفاتهم باللغة العربية ، من ابن سينا الى البيروني والفارابي والفرغاني الى الجاحظ وابن المقفع وغيرهم ، حتى تفوق بعضهم في العربية على أبنائها ، وصاروا في صدارة فقهاء اللغة ومراجعها مثل سيبويه وابن جني وابن خالويه .

بل ان هذا الالتصاق بلغ حدا اصبحت معه كلمة الاسلام تعني العروبة ، والعروبة تعني الاسلام .

ليس عندنا فقط ، بل عند كبار الباحثين والمستشرقين في الغرب ، فعندما كتب جوستاف لوبون عن « حضارة العرب » ، والألماني يوسف هل عن « ثقافة العرب » ، وعندما أصدر فريق من الباحثين الانجليز والامريكان مؤخرا كتاب « عبقرية الحضارة العربية » ، فانهم عالجوا نفس الموضوع الذي تناوله كل من برنارد لويس في « عالم الاسلام » ، وتوماس ارنولد في « تراث الاسلام » ، وسافوري في « مقدمة الحضارة الاسلامية » .

هم يخاطبوننا باعتبارنا مسلمين وعربا ، ونحن مازلنا نناقش ونحاور ونسأل : من نحن ؟ !

لقد كانت الذات الاسلامية العربية ، هى التي هبت في الجزائر لمقاومة الاحتلال الفرنسي . كان القتال جهادا في سبيل الله ، والمقاتلون مجاهدين ، والصحيفة الناطقة باسم الثورة هي « المجاهد » .

ولم يدرك المستعمرون هذه الحقيقة ، الا عندما فوجئوا بأن الجزائريين يرفضون الجنسية الفرنسية ، التي ظنها البعض في فرنسا « شرفا » يتمناه أي جزائري . لكن الجزائري بذاته الاسلامية العربية ، كان على قناعة بأنه أكثر تفوقا وأرفع من كل ما تمثله فرنسا !

وكانت الذات الاسلامية العربية ممثلة في السنوسية هي السلاح الذي حارب به « المجاهدون » الليبيون الاستعمار الايطالي ، وكانت الذات الاسلامية العربية ممثلة في المهدية . هي السلاح الذي حارب به المجاهدون السودانيون الاحتلال البريطاني ...

●

وتظل أزمة دعاة القومية ـ الذين خلصت نواياهم على الأقل ـ أنهم أهملوا دور الاسلام ، وبنفس القدر فان جانبا من أزمة الاسلاميين أنهم أعلنوها حربا على القومية . وكانت النتيجة أن طالبنا كل فريق بأن نركض على طريق التقدم بساق واحدة ، ثم ـ وهذا هو الأهم ـ بقي كل منهما عاجزا عن أن يعبر عن « الذات » الحقيقية لهذه الامة .

واذا كان الضياع والتشتت قد أصابا مجتمعات اسلامية غير عربية مثل تركيا وايران لأن كلا منهما دفع الى التخلي عن الاسلام ، بزعم أنه في حكم « الوافد » على هذه المجتمعات ، فكيف يمكن ان نتخيل مصير أي مجتمع عربي ، يسقط من حسابه الاسلام ؟ بل كيف يكون مقبولا ، حتى من الناحية المنطقية البحتة أن تطرح صيغة كهذه ، لا يمكن أن تتحقق الا باقتلاع الاثنين معا ، اذ يتعذر عضويا فصل أحدهما عن الآخر ؟!

ثم إنه من وجهة نظر عملية ـ وأكاد أقول مصلحية ـ كيف يكون مقبولا أن يفرط دعاة القومية في قيمة الاسلام فيلحقوا بنا خسائر فادحة على جبهتين : جبهة تمتد في عمق التاريخ ، تسفر عن اسقاط علماء فطاحل من غير العرب صنعوا حضارة الاسلام ، وأثروا حضارة الانسان . وجبهة تمتد في عرض العالم الراهن ، اذ نفقد بهذا الطرح عمقا اسلاميا لا حدود له ـ بشريا واقتصاديا ـ يمتد من أندونيسيا الى قلب افريقيا أو من « غانة الى فرغانة » في وسط آسيا ، بتعبير الرحالة العرب .

وعلى الجانب المتعلق بالاسلاميين ، فان رفضهم تيار القومية العربية متأثر في الحقيقة برصيد من الخلفيات التاريخية والممارسات العملية التي يصعب تجاهلها .

وأول هذه الشكوك ترسب نتيجة مواقف بعض دعاة القومية العربية ، التي خلطت بين الخلافة العثمانية

والاسلام ، ورفضت الاثنين معا منذ العشرينات ، ثم الدور البارز الذي لعبه غير المسلمين في قيادة الحركة القومية . وآخر هذه الشكوك ترسب في أعقاب « المحنة » التي تعرضت لها الحركة الاسلامية على أيدي الأنظمة التي تبنت الدعوة القومية في الخمسينات والستينات .

وعلى الرغم من أن مثل هذه الشكوك والممارسات تبرر موقف الاسلاميين الرافضين لفكرة القومية . الا أن القضية المبدئية هنا تتمثل في السؤال التالي : منذ متى يمكن أن تعد التطبيقات حكما مطلقا وليس نسبيا ، على مدى سلامة المبادىء والقيم ؟ وكما ينبغي ألا ندين الاسلام بتصرفات الناطقين باسمه او المحتمين به ، ينبغي أن تطبق المعيار ذاته على غيره من الدعوات ، وبينها القومية .

واذا انكرنا على دعاة القومية تحميلهم مساوىء الخلافة العثمانية على الاسلام ، فاننا ننكر بنفس القدر على الدعاة الاسلاميين تحميلهم مواقف بعض الكارهين للاسلام ، أو ممارسات بعض الانظمة على فكرة القومية .

ان الاسلام الذي حارب العصبية العرقية ، مؤكدا أن كل المؤمنين اخوة ، وأنه لافضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى ، هو ذاته الاسلام الذي اعترف بالانتماءات القومية ، والنص القرآني « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » هو بمثابة تقرير لهذه الحقيقة ، والصحابة الأول لم يجدوا حرجا في التعامل مع ذلك الواقع ، حتى ظل صهيب « الرومي » ، و« سلمان » الفارسي » ، وبلال « الحبشي » ، في طليعة هذا الجيل . ولم يخل ذلك على أي نحو لا بمكانتهم ولا بصدق ايمانهم . بل ان كلا منهم بقي رمزا لامكانية التفاعل بين الدين والقومية .

●

إن الهوية الاسلامية العربية ، لا يعبر عنها سوى « مشروع » اسلامي عربي . وكما قلت فان أي مشروع لا يقوم على هاتين الدعامتين محكوم عليه مقدما بالعجز والفشل . وستظل حيرتنا قائمة وسيظل تمزقنا مستمرا ، طالما ظللنا نتسوق ـ ولا أقول نتسول ـ هوية ومشروعا من عند الآخرين ، خارج الاطار الاسلامي والعربي .

حقا ، إن « المشروع » الاسلامي العربي الذي ندعو اليه ليس جاهزا ، ولكن « خاماته » فقط المتوفرة بين أيدينا ، وسوف يحتاج اعداد هذا المشروع وصياغته الى سنوات من العمل الجاد والدؤوب ، والى مشاركة العديد من العقول الخبيرة والمؤمنة ، والى نضال لا يكل ، من أجل أن يعبر هذا المشروع عن طموحات هذه الامة ، وحلمها في التقدم والانتصار .

أعلم أن تلك معركة شاقة ومضنية ، وجبهتها عريضة تتوزع بين الأعداء والادعياء ، ولكن الهدف العظيم لا يمكن بلوغه الا بثمن عظيم . وهل هناك أثمن وأعظم من أن يتحرر الانسان من العتق ، ويسترد ذاته السليبة لينطلق بغير أصفاد نحو بناء يومه وغده .

ويوم يكون لنا مشروعنا الاسلامي والعربي ، لن تخجلنا إجابة طفل عربي حول ماهية مثله الاعلى . سيكون طارق بن زياد هو البطل بغير منازع ، وسيوضع « الكاوبوي » في مكانه الطبيعي .. « كومبارس » بالكاد ، هذا اذا بقي له دور ! ■■

مقتل كليب

شعر : أمل دنقل

أقوال اليمامة ...

« .. فعند ذلك قصدتْ الى اليمامة أمُّها الجليلة ، ومن حضر معها من نساء سادات القبيلة ، فدخلن جميعا اليها ، وسلمن عليها ، وقبّلت الجليلة بنتها وقالت : أما كفى ؟ فقد هلكت رجالنا ، وقتلت فرساننا وأبطالنا ، وساءت أحوالنا . فأجابتها اليمامة : أنا لا أصالح ، حتى لا يبقى منا أحد يقدر أن يكافح ! »

قصة الزير سالم الكبير

(١)

أبي .. لا مزيد !

أريد أبي ، عند بوابة القصر ،

فوق حصان الحقيقة ،

منتصبا .. من جديد .

... ...

ولا أطلب المستحيل ، ولكنه العدل !

هل يرث الارض الا بنوها ؟

وهل تتناسى البساتين من سكنوها ؟

وهل تتنكر أغصانها للجذور ...

(لأن الجذور تهاجر في الاتجاه المعاكس)

هل تترنم قيثارة الصمت

الا اذا مست القوس أوتارها العصبية ؟

والصدر ؟ حتى متى يتحمل أن يحبس القلب

قلبي .. الذي يشبه الطائر الدموي الشريد ؟!

٥ ٥ ٥

هي الشمس .. تلك التي تطلع الآن ؟

أم أنها العين ـ عين القتيل ـ التي تتأمل شاخصة

دمه يترسب شيئا فشيئا

ويخضر شيئا فشيئا

فتطلع من كل بقعة دم : فم قرمزي

وزهرة شر

وكفان قابضتان على منجل من حديد ؟!

٥ ٥ ٥

هي الشمس ؟ أم أنها التاج ..

هذا الذي يتنقل فوق الرؤوس الى ان يعود ..

الى مفرق الفارس العربي الشهيد ؟!

٥ ٥ ٥

اقول لكم : أيها الناس .. كونوا أناسا .

هي النار ، وهي اللسان الذي يتكلم بالحق ،
ان الجروح يطهرها الكي ،
والسيف يصقله الكير ،
والخبز ينضجه الوهج ،
لا تدخلوا معمدانية الماء ،
بل .. معمدانية النار
كونوا لها الحطب المشتهي
والقلوب : الحجارة
كونوا ..
الى أن تعود السماوات زرقاء
والصحراء بتولا
تسير عليها النجوم محملة بسلال الورد .

٥ ٥ ٥

اقول لكم : لا نهاية للدم !
هل في المدينة من يضرب بالبوق ..
ثم يظل الجنود على سرر النوم ؟
هل يرفع الفخ من ساحة الحقل ..
كي تطمئن العصافير ؟
ان الحمام المطوق ليس يقدم بيضته للثعابين ..
حتى يسود السلام
فكيف أقدم رأس أبي ثمنا ؟
من يطالبني ان أقدم رأس أبي ثمنا
لتمر القوافل آمنة ،
وتبيع بسوق « دمشق » حريرا من الهند
أسلحة من « بخارى »
وتبتاع من « بيت جالا » العبيد !؟

(مراثي اليمامة)

صار ميراثنا في يد الغرباء ❋ وصارت سيوف العدو : سقوف منازلنا ❋ نحن عباد شمس يشير بأوراقه نحو أروقة الظل ❋ ان التويج الذى يتطاول : يخرق هامته السقف ،

يخرط قامته السيف ،

ان التويج الذى يتطاول : يسقط في دمه المتسكب !

... ...

نستقي ـ بعد خيل الاجانب ـ من ماء آبارنا ❋ صوف حملاننا ليس يلتف الا على مغزل الجزية ❋ النار لا تتوهج من مضاربنا ❋ بالعيون الخفيضة تستقبل الضيف ❋ أبكارنا ثيبات .. واولادنا للفراش ❋ دراهمنا فوقها صورة الملك المغتصب .

... ...

أيادى الصبايا الحنائن
تضم على صدره نصف ثوب
وتبقى عيون « كليب »
مسمرة في شواشي الجنائن .

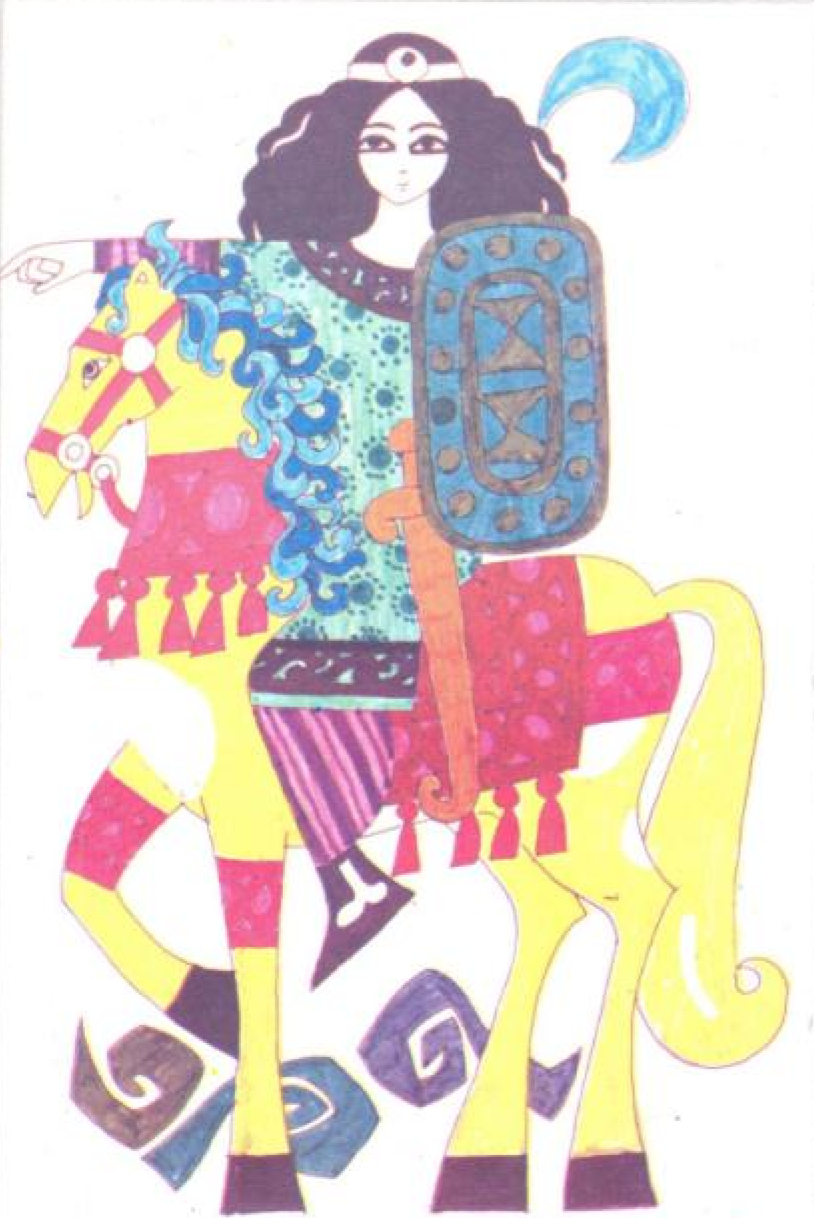
... ...

أسائل :

من للصغار الذين يطيرون كالنحل فوق التلال ؟
ومن للصبايا اللواتي جعلن القلوب : قوارير
تحفظ رائحة البرتقال ؟
ومن سيروض مهر الخيال ؟
ومن سيضمد ـ في آخر الصيد ـ جرح الغزال ؟
ومن للرجال ..
اذا قيل « ماتسب القوم »
فانحدرت في خدود الرمال دموع السؤال . ! !
... ...
بنات ابي ـ الزهرات الصغيرات ـ يسألنني لم أبكي أبي !
ويبكين مثلي ، ويخلدن للنوم حين اقص لهن الحكايا
عن الرجل النسر والرجل الثعلب .
فان نمن ، جاء ابي .. ليهز الاراجيح .. يلمس وجناتهن ..
ويعطى لهن اللعب ..
ويمضي .. وعيناه مسبلتان ،
وساقاه تشتكيان التعب
... ...
أبي ظامىء يارجال
أريقوا له الدم كي يرتوى
وصبوا له جرعة .. جرعة .. في الفؤاد الذى يكتوى
عسى دمه المتسرب بين عروق النباتات .. بين الرمال
يعود له .. قطرة .. قطرة ..
فيعود له الزمن المنطوى !
٥ ٥ ٥
(٢)
خصومة قلبي مع الله ، ليس سواه
... ...
أبي اخذ الملك سيفا لسيف ، فهل يؤخذ الملك منه اغتيالا ؟
وقد كللته يدا الله بالتاج ، هل تنزع التاج الا اليدان المباركتان ،
وهل هان ناموسه في البرية حتى تتوج لص ..
بما سرقته يداه ؟

❊

خصومة قلبي مع الله : اني أنزه سهم منيته أن يجىء من الخلف ،
ان الذى يطلق السهم ليس هو القوس .. بل قلب صاحبه ،
والذي يجعل النفس تستقبل الموت راضية .. نبل واهبه ،
انني ارفض الموت غدرا ، فهل نزل الله عن سهمه الذهبي



لن يستهين به ؟
هل تكون مكان أصابعه .. بصمات الخطاة ؟

❊

خصومة قلبي مع الله ـ ليس سواه .
كليب يموت .. ككلب تصادفه في الفلاة
اذن : فلماذا كسا وجهه الصورة الآدمية ؟
هل كرم الله انسانه ؟
مات من مات .. كلبا ..
فأين اذن ذهب الآدمي الذي قد براه ؟

❊

خصومة قلبي مع الله ـ قلبي صغير كفستقة الحزن ، لكنه في الموازين
أثقل من كفة الموت !
هل عرف الموت فقد أبيه ؟
هل اغترف الماء من جدول الدمع ؟
هل لبس الموت ثوب الحداد الذي حاكه .. ورماه ؟

❊

خصومة قلبي مع الله ـ أين ورث أبي ؟
ذهب الملك ، لكن لاسم أبي الحق أن يتناقله الابن عنه ،
لماذا يموت أبي مرتين ؟
فأيتها الأنجم المتلونة الوجه قولي له : قد أخذت حياتين
أبق .. حياة
ورد .. حياة !

❊

خصومة قلبي مع الله ـ هذا الكمال الذي خلق الله هيأته ،
فكسا العظم باللحم ، ها هو : جسما ـ يعود له ـ دون رأس !
فهل تتقبل بوابة الغيب ماشيب بالعيب ؟
أم أن وجه العدالة : ان يرجع الشلو للاصل
ان يرجع البعد للقبل
ان ينهض الجسد المتمزق مكتمل الظل
حتى يعود الى الله .. متحدا في بهاء ! ؟

(٣)

يجيء أخي !
هل عباءته الريح ؟
هل سيفه البرق ؟
هل يتمنطق فوق جواد السحاب ؟
يجيء اخي ، غافلا عن كتاب المواريث ،
عن دمه الملكي ،

عن الصولجان الذي صار مقبضه العاج : رأس غراب .

يجيء اخي !

(كان يعرفه القلب)

اقذف تفاحة .. يتصدى لها وهو يشطرها بالركاب

(هي الخطأ البشرى

الذى حرم النفس

فردوسها الاول المستطاب)

اثني ، فأقذف تفاحة .. تستقر على رأس حربته !

(ايها الوطن المستدير

الذى تثقب الحرب عذرته

بالخراب)

.. وتفاحة .. تتلقفها يده !

(هي جوهرة الملك ..

جوهرة العدل ..

جوهرة الحب ..

فالحب آب)

❋ ❋ ❋

قلوب ثلاثية شارة الزمن القادم المستجاب

قفوا يا شباب !

لمن جاء من رحم الغيب

خاض بساقيه في بركة الدم

لم يتطاير عليه الرشاش

ولم تبد شائبة في الثياب

قفوا للهلال الذى يستدير

ليصبح هالات نور على كل وجه وباب

قفوا يا شباب !

كليب يعود .. كعنقاء قد أحرقت ريشها

لتظل الحقيقة أبهى

وترجع حلتها . ـ في سنا الشمس ـ أزهى

وتفرش أجنحة الغد

فوق مدائن

تنهض

من ذكريات الخراب

قفوا ياشباب !

أمل دنقل

الشريط الوراثي
سيد جزيئات هذا الكوكب

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

ما من شيء في الخلق الا وله بداية وهدف ونهاية ، وما من نظام ظهر ، صغر شأنه أو كبر ، الا وله رسالة محددة ، من خلال سنن مقدرة ، وشرائع مقننة . وكل هذا أو غيره مدون تدوينا أمينا في كتاب الكون المفتوح ، لكن أسراره ومعلوماته لا تتجلى الا لكل من سعي الى المعرفة سعيها ، وسار منقبا وباحثا ومدققا في بدايات خلق الأشياء ، وعندئذ سيتفتح عقله على الوحدات أو الحروف أو الكلمات التي « كتب » بها الله كتاب الحياة المجسد ، فكانت ملايين فوق ملايين من أنواع النبات والحيوان - بما في ذلك الانسان !

وطبيعي أن نظرة العلماء الى بداية الخلق أو أصوله تختلف الآن اختلافا جذريا عن نظرة الناس له قديما وحديثا .. فلقد شاب الفكر القديم الكثير من الأساطير عن بدء الخلق .. فمن قائل أن حواء قد جاءت من ضلع آدم ، ومن قائل أن الخالق قد أمسك بقطعة من أديم الارض ، وسواها على هيئة الانسان ، ثم نفخ فيه من روحه ، فقام لتوه انسانا يسعى بكل أجهزته وخلاياه وشرايينه وأعصابه وغدده وهرموناته وبروتيناته .. الخ .. الخ ، أي كأنما الله سبحانه وتعالى قد « طبخه » ، ليحيل ترابه الى عظام وشحم ولحم ودم ومخ وأعصاب !

ولا أحد يستطيع ان ينكر أننا وكل المخلوقات قد نشأنا من أديم هذا الكوكب ومائه .. او بمعنى أدق : من عناصر هذه الأرض ومركباتها .. فمنها نخرج ، واليها نعود لنتحلل الى أصولها أو عناصرها ، وهذه سنة الله في خلقه « ولن تجد لسنة الله تبديلا » !

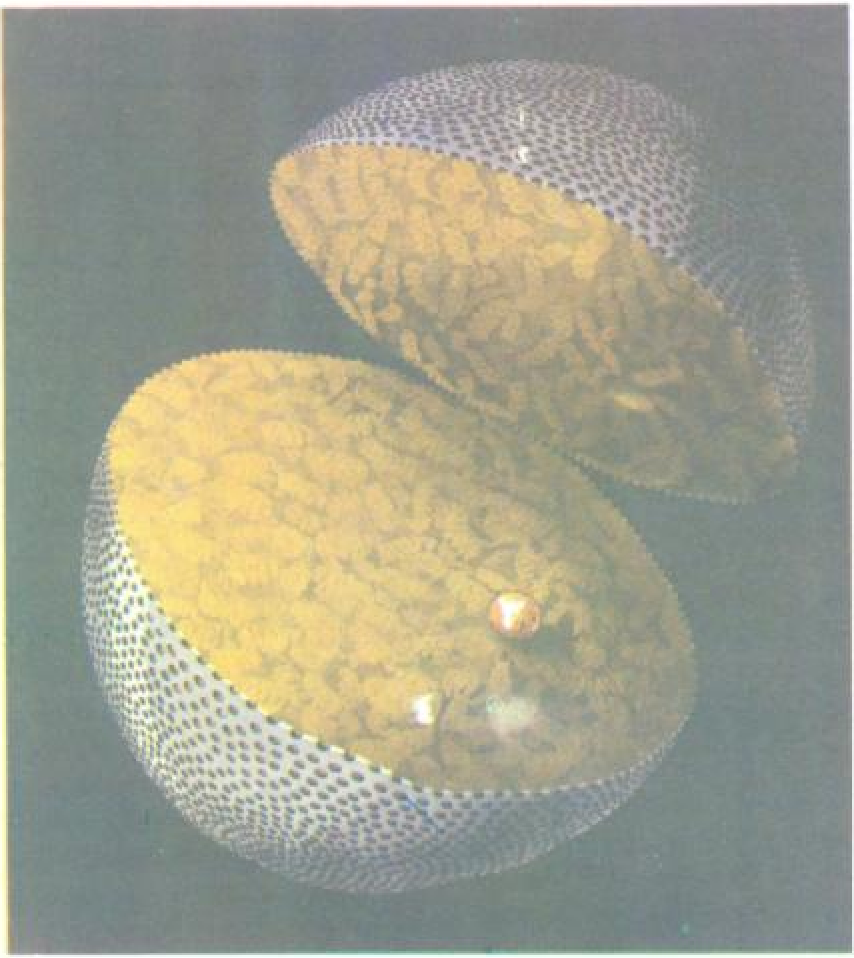
وطبيعي ان لكل عصر فكره الذي يتلاءم مع مستوى ادراكه ، كما أن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يحمل العقول ما هو فوق طاقتها .. صحيح أنه أشار الى قصة الخلق اشارة تناسب مستوى الناس في زمانهم ، لكنه - مع ذلك - قد ترك الباب مفتوحا » « قل سيروا في الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق » .

فالخلق العظيم لا بد له من فكرة عظيمة يقوم عليها ويتأسس ، ثم يشق بعد ذلك طريقه في ميكروب ودودة وحشرة ونبات وحيوان وانسان ، فتموت أجيال ، وتجيء أخرى على نفس المنوال !

والخلق العظيم بفكرته البديعة لا يتجلى الا لرجال



لكل خلية في الكائنات الحية مرافق عديدة تشهد آلاف العمليات الكيميائية الحيوية التي تجرى فيها ... ولها ايضا « ادارة تخطيط » توجه بها حياتها ، وتتمثل في نواتها الحافظة لبروجرامها .. والصورة توضح المرافق الاساسية التي تحتويها اية خلية ، وتتوسطها نواة ذات « سور » رقيق به « ابواب كثيرة تخرج منها الاوامر او تصب فيها المركبات الكيميائية (الصورة منقولة عن مجلة نيوزويك الامريكية) .



شكل توضيحي لنواة الخلية وقد شققناها الى نصفين ، وفيها تتكدس أشرطة وراثية مسجل عليها كل صغيرة وكبيرة من صفات الكائن الحي .. لكن ماذا يحوى كل شريط من هذه الشرائط؟ ... انظر الصورة التالية لمزيد من التفاصيل .
(١) غشاء النواة (٢) ثقوب في غشاء النواه (٣) النوية (نصفير نواة) (٤) اشرطة وراثية ملفوفة .

وهبوا أنفسهم للبحث العميق في طبائع الأشياء ، وما انطوت عليه من نظم دقيقة أعظم اتقان . وربما كان هؤلاء هم المقصودون بقوله تعالى « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » .. وعندما نقبوا ونظروا تجلى لهم الجوهر البديع الذي لم يتجل لكل الأجيال السابقة ، وبه عرفوا الباطن ، وتركوا للناس الظاهر ، ليتخيلوا ما شاء لهم خيالهم من أساطير لا تستقيم مع عقل راجح ، وفكر صائب .

الجوهر في جزيء مخطوط !

ماذا وجد العلماء اذن ؟

لقد وقعت أيديهم على صيد ثمين .. على جزيء كيميائي وحيد وموحد بين جميع المخلوقات .. وفي الجزيء تكمن فكرة الخلق كله ، من أوله الى آخره ، وبكل صوره واشكاله وأنماطه .

وجزيئنا هذا بمثابة « آدم » الجزيئات الحية التي لا تخلو منها أية خلية في نبات وميكروب وحيوان وانسان ، وعندما ظهر هذا الجزيء العظيم أول ما ظهر منذ أكثر من ٢٥٠٠ مليون عام ، جاءت كل الجزيئات الأخرى من « صلبه » ، وعلى شاكلته ، تماما على نفس الوتيرة التي جئنا بها جميعا من صلب الانسان الأول الذي تطلق عليه « آدم » البشر .. هذا رغم أن آدم ايضا قد جاء ونشأ من « آدم » الجزيئات الذي ظهر قبله بزمن في عمر الكون سحيق .

« آدم » الجزيئات الذي نحن بصدده ليس الا شريطا كيميائيا مسجلا أدق تسجيل بجزيئات كيميائية ، او قل انه الكتاب المكتوب ، أو « اللوح المحفوظ » الذي يطوى كل صغيرة وكبيرة من صفات الكائنات الحية ، وتحتفظ به كل الخلايا في قرار مكين ، أو هو مطوى وملفوف داخل صندوق دقيق غاية الدقة ، ولهذا لا يظهر الا من خلال الميكروسكوبات !

هذا الصندوق العجيب والدقيق نعرفه جميعا باسم النواة ، والنواة بدورها هي « مخ » الخلية المفكر ، أو عقلها المدبر ، أو الذاكرة الحافظة المهيمنة على توريث المخلوقات صفاتها التي تجيء بها عليها ، لأن هذه الصفات مسجلة على أشرطة وراثية يتوه العلماء في أسرارها أعظم تيه .

ورغم المتاهات الضخمة التي ما زالت الحياة تدثر بها أسرارها ، رغم ذلك فلقد اكتشفنا قليلا من كثير ، وفي هذا القليل المكتشف وضحت امامنا روعة الفكرة ، وجمال التنسيق ، وعظمة الابداع الذي أرسى الله به القواعد أو الشرائع في خلقه ، ليسري الطوفان الحي الى مداه العظيم ، وطبيعي أننا كلما اكتشفنا من أسرار هذه الجزيئات اكثر ، ورأينا أعمق ، تجلت لنا كنوز من المعرفة التي قد تضن على عقول الرجال .

لكن .. ما هي مواصفات هذا الجزيء الوراثي الوحيد الذي يورثنا بدوره صفاتنا وصفات كل كائن حي آخر ؟ .. وما هي طبيعته ؟ .. وكيف سجلت عليه كل كبيرة وصغيرة لتترجم في النهاية الى مخلوق قد يعجبك شكله أولا يعجبك ؟ !

لغة معقدة جديدة

سبق أن ذكرنا في مقالتين سابقتين أن الكون ذاته بمثابة كتاب ضخم غاية الضخامة ، والعلماء وحدهم هم الذين يستطيعون قراءة مفرداته .. فالذرة مثلا قد نشأت من مفردات ثلاثة ، هي البروتون والنيوترون والاليكترون ، ومن الذرات المختلفة نشأت كل مادة الكون ممثلة في جزيئاتها الكيميائية لتصبح بدورها مفردات لغة جزيئية اكبر حجما ، وأعظم تعقيدا .. وعندما تنتظم هذه الجزيئات في شريط بطريقة فذة ، يصبح الشريط بدوره لغة خاصة محددة ، أو هو بمثابة شفرة محددة يترجمها الخالق على هيئة مخلوقات حية لا نحصيها عدا .

خذ ـ بعد ذلك ـ أية خلية تشاء ، من أي مخلوق تريد ، تجد في داخل الخلية شريطها أو أشرطتها الكيميائية التي تراصت عليها الشفرات الوراثية ، وهذا ينبئك أن الخلق جميعه قد قام على أساس فكرة واحدة ، تدلك على وحدانية الخالق الذي « خلق فسوى والذي قدر فهدى » .. خلقها جينات ، سواها في ذرات ، قدرها في جزيئات ، هداها في مخلوقات ، وكأنما كل نظام من هذه النظم قد أوحى الله فيها أمره ، كما أوحى في كل سماء أمرها .. وكأنما الأمر هنا أمر نظام بديع في المقام الأول .

خذ على سبيل المثال أية خلية من خلايا الانسان ، وافحصها بالوسائل العلمية فحصا دقيقا ، تجد للخلية نواة ، وفي داخل النواة كروموسومات أو صبغيات ، وفي داخل الصبغيات أشرطة مجدولة ، وفي داخل الأشرطة جزيئات تنتظم وتتبادل على حسب فكرة مقدرة ، وخطة

محكمة .. وهذا التبادل المنظم على الشريط أو الأشرطة هو قدرك المكتوب « بمداد » كيميائي ، فاذا اشتغلت الأشرطة ، وترجمت معلوماتها السرية ، أعطتك كل صفاتك الآدمية التي لا تتشابه بين مخلوق ومخلوق .

ولا أحد يستطيع أن ينكر أن الانسان أو الحيوان أو النبات قد نشأ في البداية من خلية واحدة ملقحة .. والتلقيح او الاخصاب يعني خلط الأشرطة الوراثية بين خليتين جنسيتين للذكر والأنثى ، ومن هذا الخلط والتبادل بين المعلومات الضخمة المسجلة على الاشرطة لا يمكن أن تتشابه المخلوقات تشابها مطلقا ، حتى على مستوى النوع نفسه ، اذ لا يمكن مثلا ان يتشابه اثنان من البشر في تقاطيع الوجه والبصمات والصوت والبروتينات ... الخ ، وهذا ينبئك بعظمة الفكرة التي اودعها الله تلك الأشرطة !

مقاييس تضن على التصور

ولكي يكون لهذا الكلام مغزي في العقول ، دعنا نلقي نظرة فاحصة على هذه الأشرطة وما حوت ، فلو أننا أخذنا الأشرطة الوراثية في نواة البويضة الملقحة لانسان ووزناها ، لما زاد وزنها عن ٦ بيكوجرام ، والبيكوجرام وحدة من وحدات الوزن التي يستخدمها العلماء في تقدير أوزان تلك العوالم الدقيقة ، هذا والبيكوجرام يساوي جزءا واحدا من مليون مليون جزء من الجرام (٠٠٦ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠ جرام) وهذا يعني أن كمية المادة الوراثية التي سجلت بها كل صفات الانسان لا تكفي لاظهار نقطة واحدة من تلك النقط التي نضعها فوق الحروف او تحتها !

ومع هذه الضآلة الخيالية في الوزن ، فان هذه الأشرطة تنطوي على ضخامة هائلة في المعلومات المسجلة ، ففي البويضة الملقحة للانسان توجد ما بين ستة وثمانية آلاف مليون معلومة او شفرة وراثية مسجلة على اشرطتها الدقيقة غاية الدقة ، ثم اننا لو اردنا أن نترجم هذه الشفرات الوراثية بلغة مكتوبة ومقروءة ، فان ذلك يحتاج الى مجلدات ضخمة تنوء بحملها ظهور البعير او الخيل اذا تاق لك ذلك .. هذا ويقدر العلماء ان تسجيل هذه اللغة السرية بحروف لغتنا ، قد لا تكفيه عشرون مجموعة من دائرة المعارف البريطانية مثلا (هذا والمجموعة الواحدة تحتوى على ٢٤ مجلدا كبيرا ، وكل مجلد يحتوى على حوالي ألف صفحة ، في كل صفحة حوالي ٥٠٠ كلمة ، كل كلمة في المتوسط خمسة حروف .. قدرها بالحساب تجدها ملايين فوق ملايين !)

ثم اننا لو تصورنا أننا جمعنا هذه الأشرطة الموجودة في خلية واحدة من خلايا الانسان ، ثم اوصلناها في شريط واحد متصل ، فان طول هذا الشريط لا يتجاوز المترين الا ربعا ، ومع ذلك ، فعليه مخطوطات وراثية تساوي بحرا من المعلومات كما سبق أن المحنا !

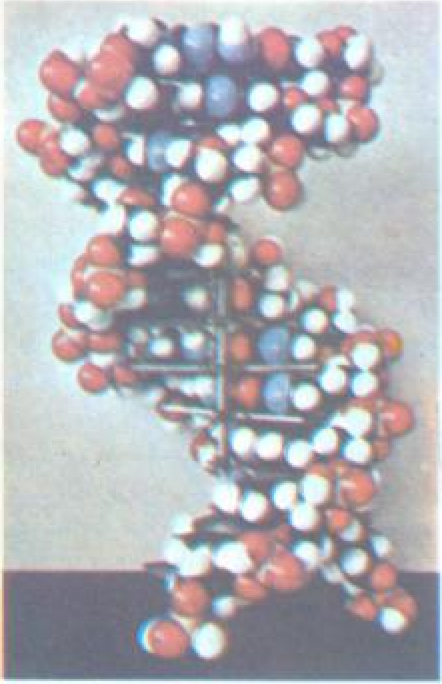
لكن سمك هذا الشريط دقيق غاية الدقة ، ونحن لا نستطيع ان نراه الا اذا كبرناه بالميكروسكوبات الاليكترونية عشرات الالوف من المرات ، وعندئذ نراه كخيط او كشعرة رفيعة ، والى هنا لا تستطيع الميكروسكوبات الاليكترونية ان توضح لنا ما يمكن تحويه هذه الشعرة الضئيلة ـ رغم هذا التكبير الفائق ـ من نظم ادق فأدق !

وعند هذا الحد يتدخل العلماء بوسائلهم الكيميائية والفيزيائية المعقدة علهم يعرفون السر العظيم الذي يورث المخلوقات صفاتها ، وينكشف السر البديع في بداية النصف الثاني من القرن العشرين على يدي عالمين هما : كريك وواطسون (أحدهما بيولوجي والآخر فيزيائي) ، فلقد قدما لنا النموذج الذي يمكن أن يكون عليه الشريط الوراثي ، واستحقا على ذلك جائزة نوبل .

سلالم حلزونية كيميائية !

وقبل اكتشاف كريك وواطسون ، كان العلماء يعرفون ان المادة الوراثية التي تحتويها اشرطتنا الكيميائية تتكون من اربع قواعد اساسية .. وكل قاعدة منها بمثابة مركب كيميائي محدد ، عرفناها باسم الأدينين adenine والثايمين thymine ، والجوانين guanine ، والسيتوزين cytosine .. لكن دعنا نبسط الأمر ، ونأخذ الحرف الأول من كل مركب كيميائي ، عندئذ ستصبح لغة الشريط الوراثي هي : أ ، ث ، ج ،





ليست هذه حبالا مجدولة بل سجلات الحياة الوراثية مسجلة على اشرطة كيميائية كما يعتقد العلماء في وجودها داخل نوى الخلايا الحية .. لاحظ ان كل شريط مجدول كسلم حلزوني .. والنموذج مكبر هنا ملايين المرات ، ومع ذلك لا تستطيع ان ترى الشفرة الوراثية على حقيقتها .. ولكي تراها ، فعليك ان تتمعن في الصورة التالية .

لفة وبضع لفة من سلمنا الحلزوني الوراثي ، وكأنما هو شريط مجدول .. هذا والكور الصغيرة الملونة بمثابة ذرات ايدروجين واكسجين وكربون ونيتروجين وفوسفور .

س ، وهذه هي الشفرة الاساسية التي « كتب » بها الخالق كل صفات الكائنات الحية ، ولا يختلف في ذلك الانسان عن الباذنجان عن الثعبان والدودة والحصان والميكروب وسائر انواع المخلوقات !

لكن السؤال الذي كان يحير العلماء دائما : ماذا تعني هذه الشفرة حقا ؟ .. وكيف تنتظم في اشرطتها الوراثية ؟ .. وبأية وسيلة تترجم معلوماتها الى خلايا مخ يفكر ، وقلب ينبض ، وأمعاء تتلوى ، وأعصاب تحس ، وعين ترى .. الى آخر هذه الصفات التي نراها رؤية العين في الكائنات الحية .. نراها ظاهرا ، ولا نعرفها باطنا ؟ !

ولا شك ان هذه اسئلة عويصة تدخل مباشرة الى جوهر الخلق ، وتطرق الفكرة الجليلة التي اودعها الله في كل مخلوقاته ، ولكي تبوح الحياة باسرارها ، فان ذلك يستلزم عقولا على درجة كبيرة من الذكاء والالهام والمعرفة العميقة .

وانكشف السر العظيم .. اول سر في قائمة من الاسرار البديعة ، فاتضح أن الشريط الوراثي ليس شريطا عاديا كما كانت توضحه لنا الميكروسكوبات الاليكترونية ، بل هو في الحقيقة شريط مجدول ، أو قل انه بمثابة سلم حلزوني طويل ودقيق ، وللسلم درجات ، ولكي تتماسك هذه الدرجات في سلمها ، كان لابد من « درابزين » او هيكل يمسكها من اطرافها !

هذه هي الصورة الظاهرية للأشرطة الوراثية ، لكنها في الحقيقة مشيدة على نظم كيميائية دقيقة غاية الدقة .. فدرجات سلمنا الكيميائي الحلزوني تتكون من الحروف او الشفرات الأربعة أ ، ث ، ج ، س ، والدرابزين الكيميائي يتكون بدوره من سكر اسمه ريبوز ، ومن ملح اسمه فوسفات .. وسكر مرتبط بفوسفات مرتبط بسكر مرتبط بفوسفات .. الخ .. الخ ، يعطيك « درابزينا » الى اليمين ، والى اليسار مثيل ، لكن هذا أو ذاك لا يدخلان في تحديد الشفرة ، بل جاءا

ليكونا هيكلا حلزونيا ترتبط بها شفرات الوراثة الأربعة في درجات متتابعة .. كل درجة يفصلها عن الأخرى مسافة تقدر بـ ٣ر٤ أنجستروم ، هذا والانجستروم وحدة قياس طولية دقيقة تناسب هذه البنايات الكيميائية التي تقع فيما وراء حدود عالمنا أو عالم الميكروسكوبات الاليكترونية ، وهو يساوي جزءا من عشرة ملايين جزء من الملليمتر (١ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠ ملليمتر) .. او لو تصورنا بطريقة اخرى أننا أخذنا ملليمترا واحدا من هذا الشريط الدقيق ، لوجدناه ينطوي على حوالي ثلاثة ملايين درجة متراصة فوق بعضها البعض .. اضف الى ذلك ان سمك هذا الشريط لا يتجاوز جزئين اثنين من مليون جزء من الملليمتر ، ومن اجل هذا لو تصورنا اننا قد طوينا الأشرطة الموجودة في بويضة ملقحة لانسان ، وكدسناها على هيئة كرة دقيقة ، ووضعناها على راس دبوس قطره ملليمتر واحد لاغير ، فانك لا تستطيع ان تراها ، لأنها تحتل من رأس الدبوس جزءا واحدا من مائتي جزء من مساحة رأسه ، ومع ذلك فهي تحتوي على معلومات او شفرات او درجات كيميائية تكفي لتكوين مكتبة قائمة بذاتها ، وهذا ينبئك بعظمة من قدر فسوى فأبدع .

السر العظيم يتكشف !

لكن ذلك كله لا يوضح لنا كيف تتحول هذه الشفرات الوراثية التي خطها الخالق في جزيئنا او شريطنا الدقيق الى انسان سوى بعينين سوداوين ، وشعر مجعد او ناعم ، وأنف محدد ولسان ناطق ، وصوت مميز الى آخر هذه الصفات التي لا نحصيها عدا !

الواقع ان السر كله يكمن في تنظيم الشفرة الرباعية أ ، ث ، ج ، س في درجاتها على سلمنا الحلزوني الطويل .. فكل درجة كيميائية تتكون من حرفين او مركبين اثنين ، فنرى « أ » مرتبطة دائما مع « ث » لتصبح درجة ، وكذلك « ج » مع « س » لتكون درجة اخرى ، ثم تتكرر الدرجات ملايين وبلايين المرات في سلالها الدقيقة ، وترتبط بروابط اليكترونية بسكر الريبوز الذي يكون مع الفوسفات الهيكل او درابزين السلم على الجانبين .. وتلك ببساطة هي شفرة الحياة التي نشأت منها جميع المخلوقات دون تفرقة بين انسان ونبات وحيوان وميكروب ، ثم هي في الوقت ذاته تعطيك من الصور البشرية المختلفة مالا يتكرر مطلقا منذ ان ظهر الانسان على هذا الكوكب ، حتى يومنا هذا ، او بعده بملايين الأعوام .

الفكرة لا شك بسيطة ، لكن من بساطتها ينبع كل ما هو عظيم وبديع ومبتكر ، وما عليك الا أن تتأمل في طوفان المخلوقات التي يزخر بها هذا الكوكب ، لتعرف ان من وراء ذلك كله حروف لغة جديدة خط بها الله « قاموس » المخلوقات لتصبح فصلا قائما بذاته ـ في كتاب الكون المفتوح !

ولكي نبسط سر هذه اللغة المجيدة ، كان علينا ان نشير الى الفكرة القديمة نسبيا التي اخترعها الانسان في ارسال البرقية مستخدما في ذلك نقطة وشرطة لاغير (أي . ، ـ) .. وبتبادل النقط مع الشرط في نظم معروفة يمكن ان تكتب ما تشاء من معلومات يقرأها مرسل التلغراف او مستقبله ، كما تقرأ انت مثلا صفحات هذه المجلة .. لكن شتان طبعا بين فكرة وفكرة ، لأن شفرة الحياة قد تمخضت عن أعظم تجسيد ، لأعظم خلق تشهده الأرض والسماوات !

لكن .. كيف يترجم « أدم » الجزيئات » وسيدها « لغته الكيميائية تلك الى مخلوق أيا كان نوعه وشكله ؟

الواقع أن المكتوب في الجزيئات الوراثية هو الخطة او الخريطة الكيميائية الكاملة للمخلوق ، ولا بد من ترجمة خطة العمل هذه الى لغة اخرى ، ثم ترسل بها رسلا حاملة لتعليمات جديدة ، وتدخل التعليمات الى مطابع ، فتحولها المطابع الى أوامر ، والأوامر تدبر شئون الخلية ، وتوجهها الوجهة التي فطرها الله عليها ، ولهذا وغيره دراسة قادمة ، لتعلم ما لم نكن نعلم من كتاب الكون المفتوح ، ويحق القول الفصل « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . ■■

الاسكندرية ـ دكتور عبد المحسن صالح

لأول مرة « العربي » يذهب الى :

عالم المسلمين السوفييت

٤٠ مليوناً يتكاثرون بمعدل ٥ أضعاف تزايد الروس

٣ طرق صوفية عادت للعمل : نقشبندية وشاذلية وقادرية

فى الإحصاء اكتشفوا عرباً لا يزالون فى قرية "عربخانة"!

يحتفلون بميلاد الطفل وتسميته وختانه .. وبلوغه ٦٣ عاماً!

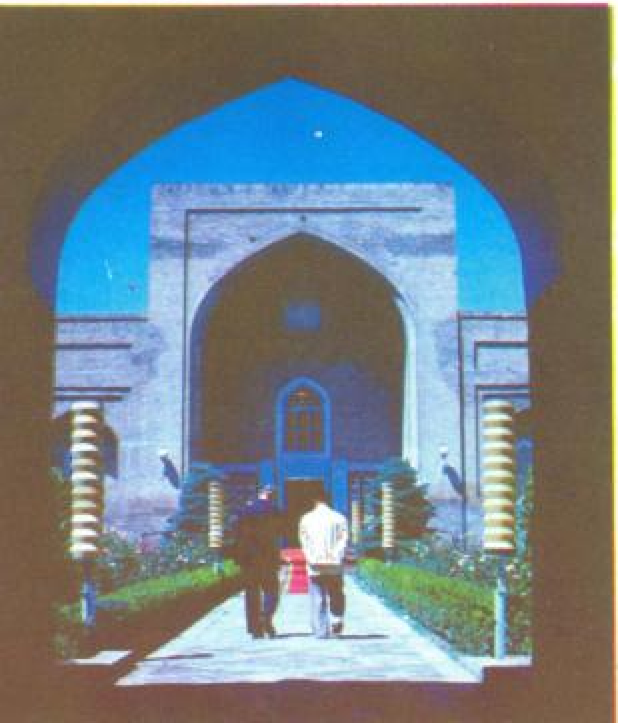
ماهى الحقيقة فى مسألة الحريات الدينية ؟

طشقند من : فهمي هويدي
تصوير : اوسكار متري





الاوزبكيون في صلاة الجمعة (يمين) ، والمفتي ضياء الدين بابا خان بالعباءة ذات الالوان المقلمة بالازرق والاصفر وخلفه نائبه عبد الله عبد الغني بعباءته ذات الخطوط الحمراء (فوق) .. ثم مدخل الادارة الدينية في طشقند (تحت) .





من حقي أن أسجل باسمي « اكتشافين » عثرت عليهما أثناء عملية « تنقيب » قمت بها بين المسلمين السوفيت . الاكتشاف الأول يتمثل في ثلاث طرق صوفية دبت فيها الحياة وعادت لتقيم حلقات الذكر ـ نقشبندية وشاذلية وقادرية ـ فيما يمكن أن نسميه « الاسلام الانسحابي » . والاكتشاف الثاني يتمثل في جيل نبت وسط الصخر ، يتداول كتاب الاستاذ سيد قطب « معالم على الطريق » فيما يمكن أن نسميه « الاسلام الانقلابي » !!

ولم أتردد في استخدام كلمة « اكتشاف » ، لأن عالم المسلمين السوفيت لا يزال محاطا بكثير من الغموض . وثمة مساحات ليست قليلة من هذا العالم لا تزال في حكم المجاهل ، التي تتضارب في شأنها الاقوال ، وتروى عنها حكايات كالاساطير . وفيما هو مرئي ، فقليلون هم الذين استطاعوا أن يطلوا على هذا العالم البعيد ، غير متأثرين بدعايات القائلين بأن المسلمين السوفيت يعيشون في الجحيم ، أو أولئك الذين يصرون على أنهم يعيشون في جنة النعيم ، حتى صار متعذرا في كثير من الاحيان ان يرى وجه مسلمي الاتحاد السوفيتي على طبيعته ، بغير تزويق أو تشويه ، أو مغالطة .. رؤية أمينة لوجه الله والحقيقة ، وليست لحساب أحد !

حقا ، هناك اهتمام ظاهر بالمسلمين السوفيت من جانب الاوروبيين والامريكان بوجه خاص ـ لا نذكر العرب وبقية المسلمين ـ خلال السنوات العشر الاخيرة ، خصوصا منذ بدأت تلوح في الافق مؤشرات الزيادة الملحوظة في اعدادهم (خمسة أضعاف معدلات زيادة الروس) ، حتى اصبحوا يمثلون ثقلا سكانيا مؤثرا في الحاضر ، وخطرا سكانيا محتملا في المستقبل ، ومنذ اضيفت كلمة « المنشقين » الى قاموس الحياة السوفيتية الحديثة . كما تأثر هذا الاهتمام الظاهر بالمسلمين السوفيت ، باتجاهات المرحلة التي نعيشها ، والتي انطفأ فيها بريق أفكار كثيرة ، وحدث تحول في اتجاه العودة الى الدين بشكل عام .

لكن هذا الاهتمام تضاعف قدره منذ قيام الثورة الاسلامية في ايران ، وراء ظهر الاتحاد السوفيتي مباشرة ، ثم ـ وهذا هو الاهم ـ خلف جدران الجمهوريات الاسلامية في الجنوب السوفيتي . وتحديدا ، على مشارف تركمانستان التي تتحدث لغة نصف فارسية ، واذربيجان التي لا يتكلم اهلها سوى الفارسية !

منذ أحداث ايران ، سلطت الاعين من كل صوب على المسلمين السوفيت ، وتنبه من كان غافلا ـ باستثناء العرب والمسلمين ايضا ـ الى ملف مسلمي بلاد « ما وراء النهر » ، الذين ظلوا حتى بداية القرن التاسع عشر جزءا لا يتجزأ من « دار الاسلام » ، له بصمات لا تزال باقية في الضمير الاسلامي ، بل له اضافاته التي لا تنكر الى التراث الانساني بوجه عام . الى أن انتزعها الروس . واصبحت مستعمرات تابعة للقيصرية ، ثم صارت بعد ثورة اكتوبر جمهوريات داخلة في الاسرة السوفيتية .

هكذا ، دفعت بهم الاحداث الى دائرة الضوء الكاشف ، ملاحقين بأسئلة لا حصر لها من هم ؟ .. كم هم ؟ .. هل يذكرون الله ؟ .. كيف واين ؟ .. هل هم مضطهدون حقا ؟ .. هل دمرت مساجدهم ؟ .. وهل وهل ..

وتلك أسئلة ليست جديدة في الواقع ، فهي مثارة منذ اكثر من ستين عاما ، عندما وصل الشيوعيون الى الحكم في اعقاب ثورة اكتوبر ، لكنها تطفو على السطح وتختفي في الاعماق حسب ملابسات كل مرحلة ، والمشكلة في الاجابة عليها . تلك الاجابات التي غالبا ما تكون ناقصة او غائبة .

ورغم أن هذه هي زيارتي الثانية لمسلمي الاتحاد السوفيتي ، ورغم ما حققته من « اكتشافات » ، فقد عدت بشعور الخارج من امتحان دون أن يستوفي اجابته ، حتى تواضعت احلامه فلم يعد يطمح في اكثر من اجتياز الامتحان .. قانعا بدرجة مقبول !

عقد على الطريق

سلفا ، كنت اعلم ان الطريق ليس سهلا ، بل تعترضه الكثير من الاشواك والعقد ، اذ لم يكن الامر مقصورا على حقائق تائهة ة أو ناقصة أو شائهة ، بل هناك ما هو اكثر . هناك شك السوفيت وحذرهم من كل أجنبي ، خصوصا اذا كان فضوليا ولحوحا بطبعه او بحكم مهنته ـ صحفي مثلا ـ وهناك أيضا عقدة المسلمين من السوفيت وكل ما هو سوفيتي . وهذه نتائج رتبتها الى حد كبير تلك الحملات الضارية التي شنتها الدعايات المضادة منذ سنوات الحرب الباردة ، والتي استهدفت تشويه السوفيت نظاما وشعبا ، وتسميم علاقتهم بالمسلمين ، مستغلين في ذلك مسألة الشيوعية والالحاد ومعاناة المسلمين السوفيت بعد ثورة اكتوبر .

وما جرى في اثيوبيا خلال العام الاخير ، يجسد المدى الذي بلغته الدعايات المضادة في خلق مزاج عام موال للامريكان ، ومعاد تماما للسوفيت . بصرف النظر عن أية حقائق موضوعية . ذلك انه طوال سنوات حكم الامبراطور هيلا سلاسي ، المدعوم بالقواعد والسلاح الامريكي ، لم يرتفع في بلادنا صوت واحد يدافع عن المسلمين الاحباش ، بينما كانت ملايينهم الستة عشر تعاني من اضطهاد يعادل تماما اضطهاد القياصرة لمسلمي تركستان . فلا حق لهم في الامتلاك ، ولا حق لهم في شغل اية وظائف لها قيمة ، ولا حق لهم في بناء المساجد او ممارسة اية شعائر علنية . وكما اعتبر القياصرة الأرثوذكسية « ديانة سائدة » ، والاسلام مجرد ديانة « مسموح بها » فقط . كذلك كان الحال في اثيوبيا ، مع اختلاف بسيط هو ان الديانة السائدة كانت الارثوذكسية وليست الكاثوليكية ...

وهكذا عاش المسلمون مواطنين من الدرجة الثانية طوال ثلاثين عاما ، ولكن لان النظام الحاكم موال للامريكان ، فقد سكتت الاصوات واعتبر الاسلام في امان !

وعندما نجحت الثورة ضد نظام هيلا سلاسي ، واعلنت في الاسبوع الاول ان المسلمين سيعاملون معاملة أي مواطن عادي ، ولهم الحق في التملك والتوظف ، ورغم أن مظاهرة ضمت ٣٠٠ الف مسلم خرجت في اديس ابابا مؤيدة للقرار محتفلة به قبل ان يشن النظام حربه ضد مسلمي ارتيريا اقول رغم هذا كله ، فان خطباء الجمعة وما يسمى بالصحافة الاسلامية تخرج علينا كل اسبوع داعين الى استنفارنا لانقاذ مسلمي اثيوبيا من محنتهم ! ، فقط لان النظام موال للسوفييت !

ولا أريد أن استرسل في سرد نجاحات الدعاية الساحقة ضد السوفيت التي كنا مسرحا لها . لكن فقط أشير الى واحدة فقط من المغالطات التي ترسبت في أذهاننا ، وهي هذا الخلط بين ما هو شيوعي وكل ما هو سوفيتي . فرغم أن الاتحاد السوفيتي يضم ٢٦٢ مليون نسمة ، وأعضاء الحزب الشيوعي لا يتجاوزون ١٦ مليونا ، (ارقام احصاء ٧٩) ، فان كثيرين منا يعتبرون كل سوفيتي شيوعيا بصورة تلقائية ، ويحددون آراءهم ومواقفهم في ضوء هذه « المسلمة » المغلوطة !

هكذا ، فان مثل هذه الاشواك والعقد والمغالطات لا بد تعترض طريق المسافر الى موسكو أو طشقند من أي بلد عربي او اسلامي . البعض يتعثر فيها ، والبعض يقع في حبائلها ، وربما يفلح البعض في تجنبها .

على أنك إذا تجاوزت هذا كله ووصلت الى موسكو متخففا من تلك الرواسب والخلفيات ، فانك تواجه بظلال الشك والحذر تلاحقك حيثما ذهبت ، وتلك مهمة يتكفل بها المرافقون ، الذين لا يغفرون لك ان تغيب عن أعينهم لحظة ، وبعضهم يتقبل على مضض فكرة دخولك دورة المياه وحدك !

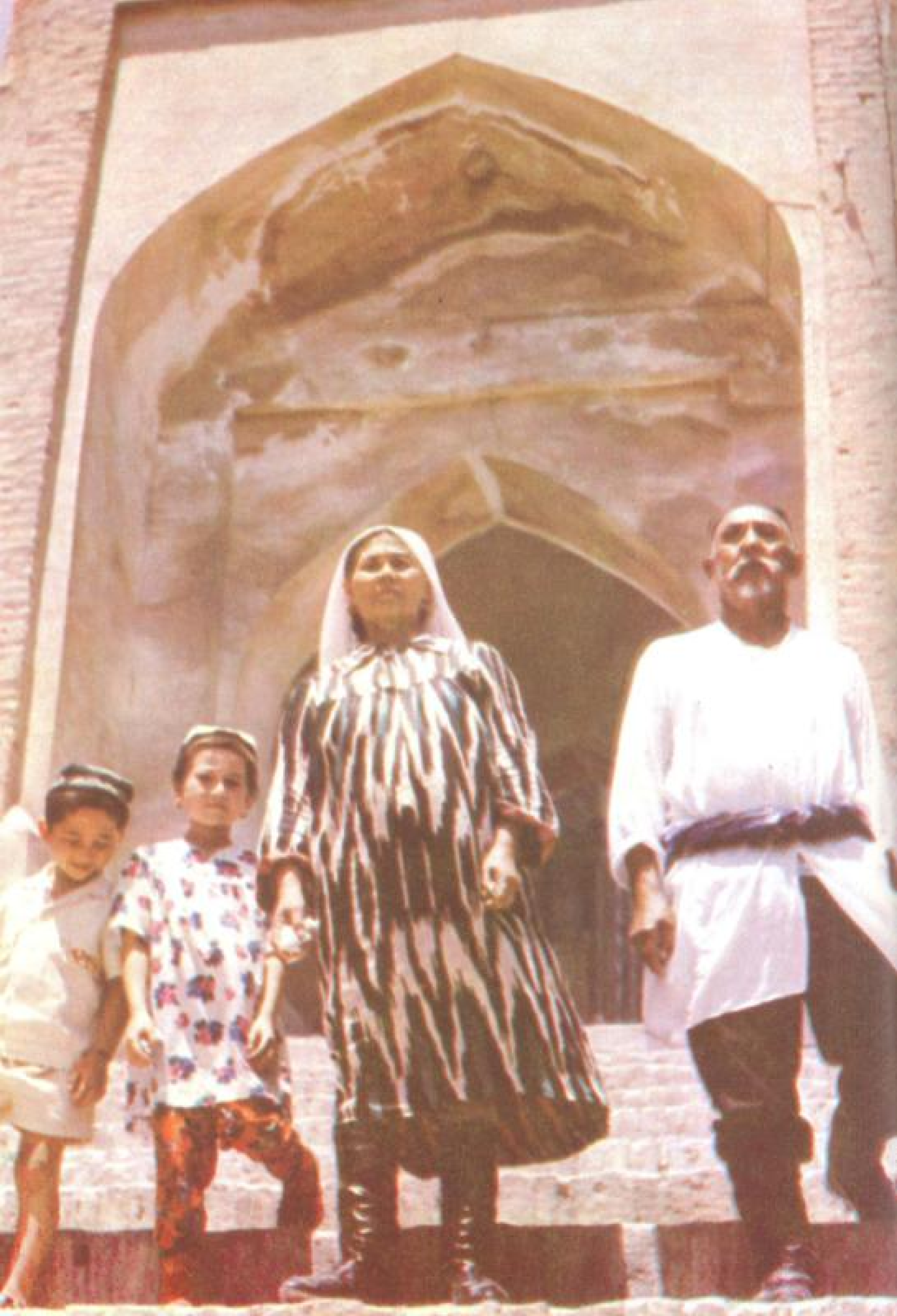
سوفيت وعرب !

نزلنا في فندق « بكين » بالعاصمة السوفيتية ، المخصص فيما يبدو لضيوف الادارة الدينية ، وهو ذاته





دعاء الى الله اثناء الصلاة (فوق) وممثلو الادارات الدينية في اجتماع لهم ، وقد ظهر بينهم القاضي عبد الله جان نائب المفتي في طاجيكستان بعباءته المخططة بالاصفر (تحت) ، وأسرة اوزبكية بعد زيارة احد الاضرحة (شمال) .



الذي مررت به قبل عشر سنوات . قبل أن نطير الى طشقند بوابة آسيا الوسطى ، والمعبر الطبيعي الى عالم المسلمين السوفيت . وخلال بضع ساعات قصيرة كنت قد تعاملت مع اربعة شعوب ، تتكلم لغات مختلفة ، ولا شيء مشترك بينها سوى أنهم مسلمون ، وأنهم يتكلمون الروسية بجانب لغاتهم . مندوب الادارة الدينية الذي استقبلنا كان اوزبكيا من أصل مغولي ، والمرافق الذي عين حارسا علينا كان داغستانيا من اصل تركي ، وسائق السيارة كان مسلما من طاجكستان ، أصوله هندو افغانية ، والرجل الذي تولى شئون حقائبنا كان اذربيجانيا من أصول فارسية . حتى اذا دخلنا مطعم الفندق عند الظهيرة ، كانت اللوحة البشرية قد اتسعت دائرتها ، وكاد المطعم يتحول الى قاعة اجتماعات . مثلت فيها كل شعوب وقبائل آسيا الكبرى والصغرى ، بل أقرب الى قاعة اجتماعات الامم المتحدة ، اذا اضفنا بعض الضيوف !

لقد كانت مشاهد اليوم الأول استعراضا مصغرا لاحدى الحقائق الهامة في تركيبة المجتمع السوفيتي ، ومجتمع المسلمين ـ الذي يعنينا ـ بالتالي ..

والكتابات السوفيتية تذكر هذه الظاهرة بوضوح ، والكتابات غير السوفيتية تهتم بها بقدر اكبر ، وتعلق على نموها واحتمالاتها « آمالا » أوسع .

ولا يتردد السوفيت في أن يضعوا الحقائق الأساسية الظاهرة أمام زائريهم اذا ما طلبوا ذلك . رسميا يقولون مثلا انه رغم ان الجمهوريات السوفيتية الاتحادية عددها ١٥ ، الا ان الشعوب والقوميات في داخل الاتحاد السوفيتي عددها مائة على الاقل ، وهؤلاء يتكلمون مائة لغة مختلفة .

رسميا يقولون أيضا أن في الاتحاد السوفيتي ٤٠ عقيدة ومذهبا وملة ، وأن الاسلام يحتل الترتيب الثاني بين الاديان ، بعد المسيحية الارثوذكسية .

ورغم أنه لا يوجد احصاء رسمي بعدد المسلمين ، لانه منذ ثورة اكتوبر الغى بند الدين من بيانات الاحصاء وبقيت خانة « القومية » ، الا أن الرقم الذي تلتقي عنده الكتابات السوفيتية وتقديرات مجلس شئون الاديان ، هو ٤٠ مليونا .

وقد افادت عملية حصر القوميات هذه في حالة واحدة ، اذ اكتشف السوفييت من بيانات الاحصاء أنه في جمهورية أوزبكستان جماعة من السكان سجلوا انفسهم في خانة القومية باعتبارهم « عربا » ! ولا تزال قريتهم القريبة من بخاري تحمل اسم « عربخانة » ، ولا يزال شيوخهم يذكرون أن قبائلهم التي اندثرت كانت تحمل أسماء عربية مثل القريشيين والشيبانيين والبعليين . غير أن سكان القرية البالغ عددهم ٢٨ الفا نسوا اللغة العربية تماما ، باستثناء كلمات قليلة جدا ، وصاروا يتكلمون الاوزبكية والروسية . ومن مفارقات القدر ان القرية في التصنيف الاقتصادي للمنطقة تحمل اسم « مزرعة موسكو » !

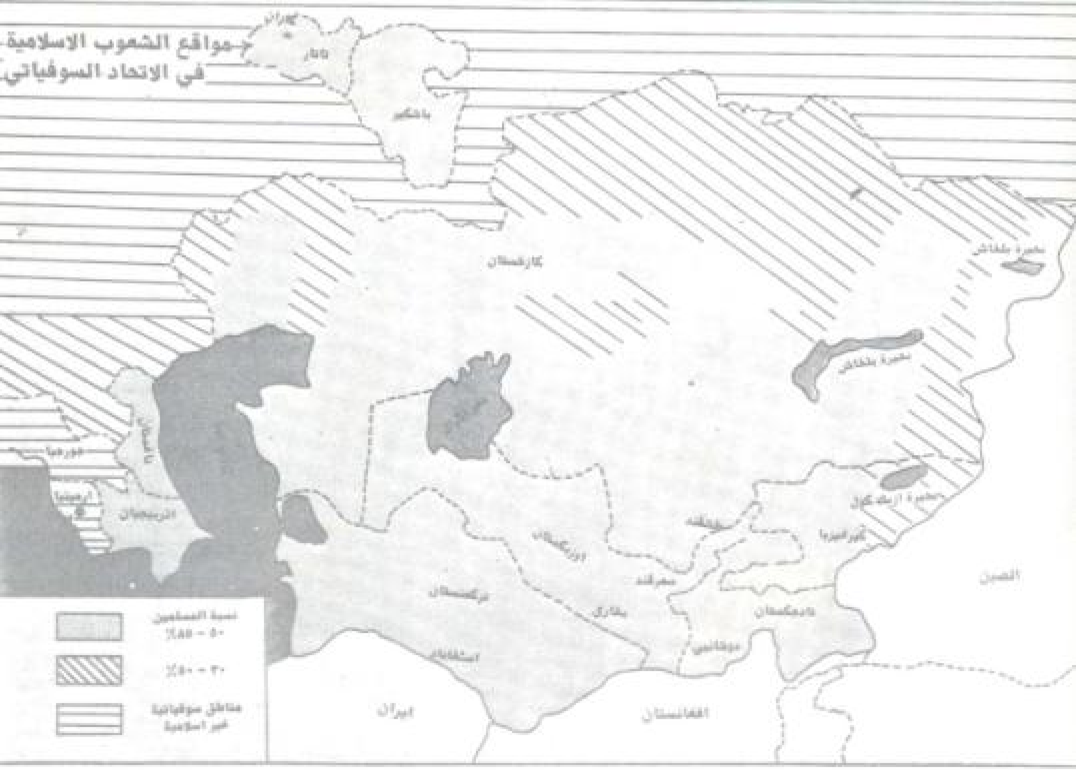
تتخلل هذا الاطار العام تفاصيل كثيرة ، ترسم في مجموعها صورة « الموزاييك » البشري المتداخل في مناطق المسلمين بوجه أخص ، التي هي منذ الزمن القديم موطن قبائل تركية في الاساس ، اضيفت اليها عناصر مغولية ، واخرى هندو ـ افغانية وايرانية .

واكثر هذه التفاصيل تذكره ايضا الكتابات السوفيتية ، وليس فيه سر ..

فالجمهوريات ذات الاغلبية الاسلامية اكثر من ٨٠٪ من السكان ، ست هي : اوزبكستان ، كازاخستان ، اذربيجان ، طاجستان ، تركمانيا ، قرقيزيا . وهذه جمهوريات اتحادية ، يفترض أن لها سلطة مستقلة ـ رئيس ومجلس وزراء وبرلمان ـ وداخلة ضمن الاتحاد الفيدرالي الذي يضم بقية الجمهوريات السوفيتية .

يضاف الى ذلك ٤ جمهوريات غير اتحادية ، تابعة مباشرة للسلطة المركزية في موسكو ، وسكانها المسلمون بين ٥٠ ، ٧٠٪ ، هي : بشكيريا وتتاريا وداغستان واجاريا ، وهناك عشرات الالوف من المسلمين منتشرون في بقية الجمهوريات السوفيتية .

الاوزبك هم الاكثر عددا (١١ مليون) يليهم التتاريون (حوالي سبعة ملايين) ثم الكازاك ـ الفرسان ـ (حوالي ستة ملايين) ، ثم الأزيريين في جمهورية اذربيجان (خمسة ملايين) .. .. الى آخر القائمة التي يضاف اليها التركمان والقرغيز



خريطة لتوزيع المسلمين في جمهوريات ومناطق الاتحاد السوفيتي (الخريطة منقولة عن مجلة النهار العربي والدولي) .

والباشكيريون والقوقاز والداغستانيون . وتضم كل من هذه الشعوب ما بين مليون وثلاثة ملايين نسمة .

لكن تفاصيل الاعراق والاجناس لا تنتهي ، فداخل كل جمهورية « موزاييك » بشري آخر متداخل بصورة مصغرة ودقيقة . جمهورية داغستان ، مثلا ، تضم اكثر من عشرة شعوب ، لها عشر لغات مختلفة ، الافاريون ، والدارغينيون ، واللزغينيون ، والكرميكيون ، واللاكيون .. وغيرهم !

وهؤلاء المسلمون جميعا موزعون على اربع ادارات دينية ، تابعة لمكتب شئون الاديان الملحق بمجلس الوزراء السوفيتي في موسكو . ولكل ادارة رئيس يفترض انه منتخب من رجال الدين ، او « القادة الروحيين » بالتعبير المفضل سوفيتيا . وهذه الادارات الدينية هي : واحدة في طشقند لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان ـ وهي اكبر الادارات وعلى رأسها اشهر « القادة الروحيين » المفتي ضياء الدين بابا خان ، الذي يشغل منصبه منذ ٣٥ عاما ، أي منذ عهد ستالين وإلى الآن ـ والثانية في مدينة أوفا عاصمة بشكيريا لمسلمي القسم الأوروبي من الاتحاد السوفيتي وسيبيريا ـ والثالثة مقرها مدينة بويناسك بجمهورية داغستان لمسلمي شمال القفقاس او القوقاز ـ والرابعة مقرها مدينة باكو الصناعية ، وعاصمة اذربيجان ، لمسلمي ما وراء القفقاس .

المقاومة بالانجاب !

لكن البناء السكاني للمسلمين السوفيت له وجه آخر لا تخفى دلالته ، رغم أن الكتابات والتصريحات السوفيتية الرسمية تبدي عدم الاكتراث به ، وأعني به معدلات النمو في مجتمعات هؤلاء المسلمين .

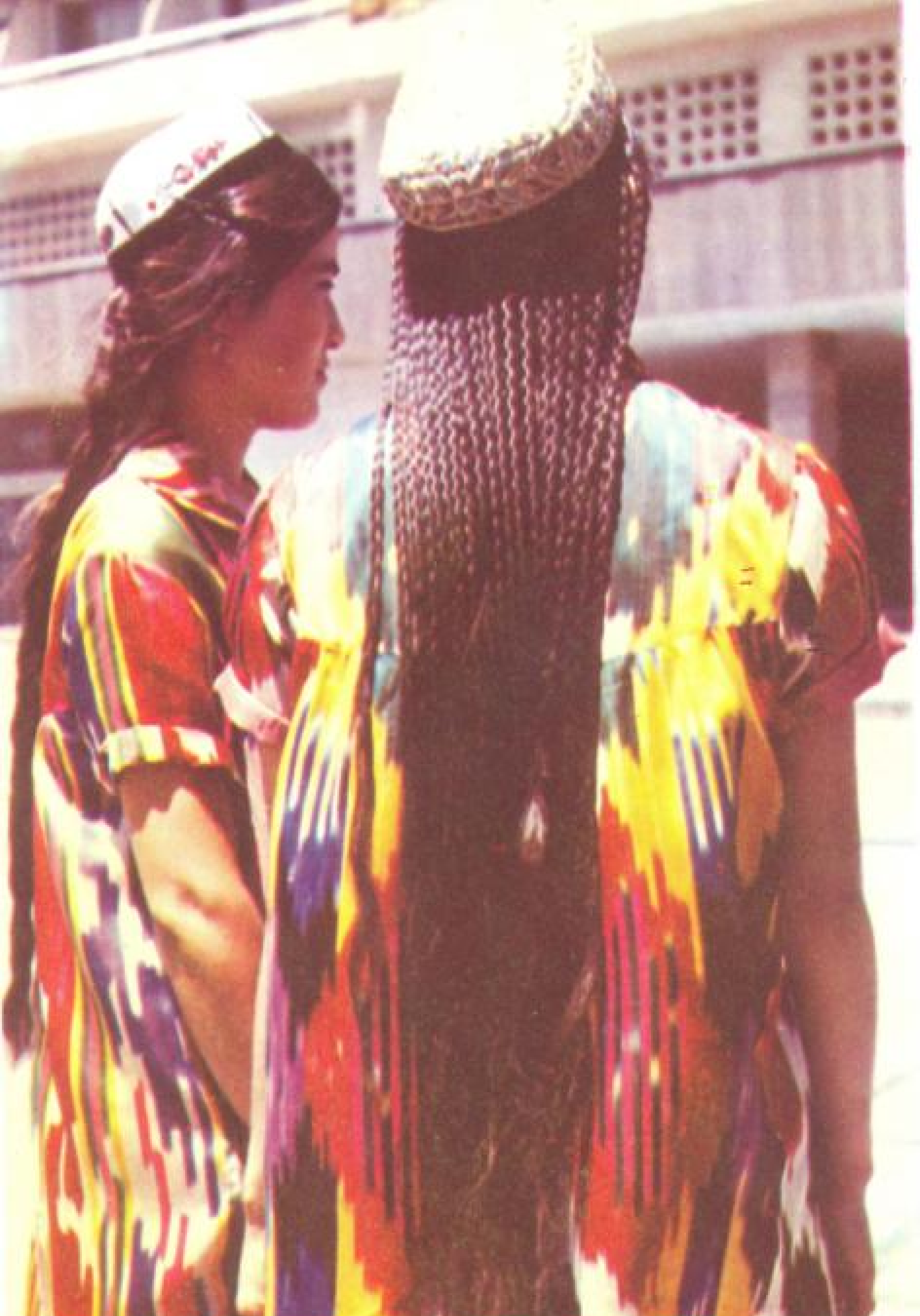
واحدث الشهادات السوفيتية في هذا الموضوع هو تصريح نشرته مجلة « ابناء موسكو » في يونيو الماضي ـ العدد ٢٤ ـ لمدير دائرة احصاء السكان يسوبوف ، الذي



حيث ذهبنا كان المسلمون
يحرصون لاستقبالنا ،
اكثرهم طاعنون في السن ..
وهؤلاء هم المتواجدون في
كل مناسبة اسلامية .



الصغار يقضون فترة لهو في
حديقة عامة بطشقند ،
يلقنون تعاليم الحزب من
البداية ويحيونك دائما :
السلام عليكم !





مسلمو وسط آسيا يتميزون ـ رجالا ونساء ـ باغطية رؤوسهم ، والوان ثيابهم الزاهية اما النساء فينفردن بجمال الشعر والضفائر التي تصل الى ٤٠ ضفيرة تتدلى على اكتاف الفتاة .

ذكر فيه أن إحصاء ٧٩ يشير الى أن سكان الاتحاد السوفتي أصبحوا ٢٦٢ مليون و ٤٤٢ الفا ، بزيادة ٢١ مليونا عن إحصاء عام ٧٠ ، ثم اوضح أن آثار الحرب العالمية الثانية على النمو السكاني لا زالت قائمة ، اذ أن عدد الاناث في المجتمع السوفيتي يتجاوز عدد الذكور بـ ١٧٫٦ مليون نسمة (السوفييت فقدوا ٢٠ مليونا في الحرب) .

ثم انتقل مدير الاحصاء الى موضوع النمو السكاني فقال : إن عدد سكان روسيا الاتحادية زادوا بنسبة ٦٪ في الفترة ما بين عامي ٧٠ و ٧٩ ، بينما زادت نسبة السكان (المسلمين) في جمهورية طاجيكستان ـ في الفترة ذاتها ـ بنسبة ٣١٪ ، وكانت الزيادة في اوزبكستان بنسبة ٣٠٪ ، وتركمانيا بنسبة ٢٨٪ (اي ان نسبة زيادة السكان المسلمين كانت خمسة اضعاف الزيادة بين الروس) .

واضاف يوسوبوف قائلا : إن الدعاية البورجوازية الغربية تقول أن هذه الزيادة تقلق موسكو ، وتشغل بال القادة السوفييت . وهذا افتراء متعمد ، ورد عليه الرفيق ليونيد بريجينيف في حديث نشرته صحيفة « لوموند » الفرنسية عام ١٩٧٧ بقوله : .. هذه الظاهرة لا تقلقنا بأي حال ، بل على العكس فهي تسرنا . إذ أنها تعكس النهوض في المستوى الاقتصادي لجمهورياتنا ، بما في ذلك النمو الهائل في مستوى معيشة سكان ما كان يسمى بأطراف روسيا القيصرية ، والتقدم الكبير الذي أحرزوه في ظل النظام الجديد .

أي ان النمو غير الطبيعي لمجتمعات المسلمين ظاهرة مسلم بها سوفيتيا ورسميا ..

وهي ظاهرة يؤكدها الواقع بشدة . فأسرة الخمسة عشر فردا والعشرين ولدا وبنتا لا زالت موجودة وملحوظة ، وقد قال لي نائب رئيس الادارة الدينية في طشقند ـ عبد الله عبد الغني ـ ان هناك أسرا تضم ٢٥ فردا ، الزوج والزوجة (التعدد محظور) والباقون اولاد وبنات . وحدثني عن صديق له اسمه ميرزات عطا حباروف (٧٣ سنة) بمنطقة سرداريا بأوزبكستان ، أنجب من زوجة واحدة ١٣ ولدا و ٧ بنات . وقال لي « كريم » بستاني الادارة الدينية انه محمد الله ـ أنه انجب ١٧ ولدا وبنتا ..

وتشجيعا للروس على الانجاب ، فان القانون السوفيتي يمنح مكافأة مالية للاسرة بعد الطفل الرابع ، ويقرر مجموعة من الامتيازات للاسرة التي تنجب ١٠ أطفال فاكثر ، مثل استخدام المواصلات العامة مجانا ، لكن المسلمين هم اكثر الناس استفادة من هذا القانون . حتى قال لي القاضي عبد الله جان جالانوف ، ممثل الادارة الدينية في طاجيكستان (٣ ملايين نسمة) ان ١٥ الف امرأة في جمهوريتهم يستفدن من تلك الامتيازات ، اذ أنجبت كل واحدة اكثر من عشرة اطفال . وانهم يزيدون نصف مليون نسمة كل عام ، الامر الذي يؤدي الى زيادة سكان طاجيكستان بنسبة ٥٠٪ كل ١٠ سنوات .

وليس الأمر مقصورا على زيادة ملحوظة في جانب المسلمين ، ونمو بطيء في جانب الروس . لأن عنصرا آخر مؤثرا أضيف الى الموقف ، هو اضطراب الاسرة الروسية ، الذي يتحدث عنه علماء الاجتماع السوفييت ، ولا تكف وسائل الاعلام عن الاشارة اليه والدعوة الى معالجته بتركيز خاص على محاربة الادمان على السكر ، الذي اعتبر واحدا من أسباب تفكك الأسرة . فنسبة الطلاق بين الروسيات في حدود ٣٠٪ ، أي أنه بين كل ثلاث روسيات متزوجات واحدة مطلقة . وهي نفس المعدلات الشائعة في اوروبا وامريكا . وقد أدى ذلك الى أن أصبح متوسط الانجاب في الاسرة الروسية ٣ افراد فقط ، في مقابل ١٢ او ١٥ وهو المتوسط العام في مجتمعات المسلمين .

لكن الآراء تختلف في تفسير هذه الظاهرة ..

فالخط الرسمي لموسكو يعتبرها نقطة ايجابية لصالح النظام ، وهذا مضمون تصريح بريجنيف . ولكن غير السوفيت يرون لها دلالات اخرى . فالكتابات الغربية تفسرها باعتبارها تعبيرا عن « المقاومة » في مواجهة العنصر الروسي الحاكم ، والمد السكاني الروسي الزاحف الى مناطق المسلمين . وتشبهها بالنمو الزائد في أعداد الفلسطينيين ، الذين يرون أن الرد العملي ـ وربما اللاشعوري ـ على محاولات إبادتهم هو استمرارهم في الانجاب . وأن الأمل في « العودة » سيظل باقيا ما بقي الفلسطينيون يتناسلون ويتكاثرون .

ولم تسقط الكتابات غير السوفيتية عنصر حب المسلمين للانجاب ، وحرصهم على الاستجابة الى دعوة الرسول عليه السلام « تناسلوا تكاثروا ، فإني مفاخر بكم الأمم يوم القيامة » .

تضيف تلك الكتابات أيضا أن تقاليد المجتمع الرعوي الذي هو أصل سكان آسيا الوسطى ، تعتبر الانجاب « قيمة » اقتصادية واجتماعية . فرعاية آلاف رؤوس الماشية والأغنام ، وسقيها وحلبها ، تحتاج الى أيد كثيرة . وكلما كانت الاسرة أكبر ، أي كلما زاد عدد الأبناء ، زادت ثروة الاسرة من القطعان . وارتفعت مكانة الاسرة بين جيرانها .

سألت شابا يدرس في المعهد الديني ببخاري ، وهو رقم ١٤ بين ١٣ شقيقا وشقيقة : بماذا تفسر هذا التضخم في أسر المسلمين في بلادكم ؟

سكت صاحبنا لحظة حتى « يجمع » مفردات جملة عربية مفيدة ، ثم قال : حتى نحارب أعداء الاسلام ، ولم تسعفه لغته بالمزيد !

إسماعيليون .. وصوفيون ؟

في الشكل أيضا ، تتخلل لوحة الموزاييك في مجتمع المسلمين السوفيت قسمات اخرى ، لها طابع مذهبي هذه المرة ..

فالغالبية العظمى من المسلمين السوفيت من أهل السنة ، أحناف اولا ، وهؤلاء يتركزون في أوزبكستان ، منطقة الثقل السكاني الاكبر بين المسلمين ، وفي سيبيريا . وتاريخيا ، فان الامام أبو حنيفة النعمان ، ينحدر من أصول تنتمي الى آسيا الوسطى ، وأكثر أركان المذهب الحنفي من هذه المنطقة .

ويأتي الشافعية بعد الأحناف في الترتيب المذهبي السني ، واكثر هؤلاء في مناطق القفقاس في جمهوريتي داغستان وشاشانيا .

بعد ذلك هناك الشيعة الجعفرية ، الذين يتركزون في جمهورية اذربيجان . ولأن مسلمي هذه الجمهورية بغالبيتهم مقسمون مناصفة بين السنة والشيعة ، فقد اتفق على أن يكون رئيس الادارة الدينية شيعـ « لقب شيخ الاسلام » ، ونائبه سنيا ، يحمـ « مفتي الاسلام » .

وللمذهب الاسماعيلي (من فرق الشيعة المحدود في جبال البامير البعيدة ، في اطراف طاجيكستان . وهؤلاء الاسماعيليون لا يتجاوز نصف مليون شخص .

وكما تتعدد المذاهب ، تتعدد « الطرق » ا

وقد كانت مفاجأة ـ لي على الأقل ـ أن أ الطرق الصوفية ما زالت على قيد الحياة في دا السوفيتي ، وان كانت نشاطاتها اصبحت إقامة حلقات الذكر ، وحفظ الأدعية والمأثور

وقد قادني الى هذا الاكتشاف المفتي ضـ بابا خان ، عندما كنا نستعرض اسماء أعلام الذين برزوا من أواسط آسيا ، اذ كانت ملا الكتابات السوفيتية لا تذكر في الاغلب المسلمين ، وتكتفي بذكر الذين برزوا فقط في العلوم ، مثل الطب والفلك والرياضة والكيـ امثال الفارابي وابن سينا والخوارزمي والفر كان من بين هؤلاء من له باع في الفقه ، فانه كان « فيلسوفا » « مفكرا » أو « مؤرخا » .

عندئذ قال المفتي ضياء الدين ان الادار احتفلت بذكرى مرور ١٢٠٠ عام على ميلا البخاري قبل عامين ، ثم مضى يعـدد الفقهاء ، الترمذي ويعقوب الشرجي وقفال ا اضاف : والنقشبندي .

سألت ، هل هو النقشبندي صاحب الصوفية التي نسمع بها ؟

اجاب بالعربية وبحماس ظاهر : نعم ، المكرم « محمد خواجه بهاء الدين النقشبندي قرية قصر عرفان التي كانت قريبة من مدينـ عصرها الذهبي ، عندما كانت تعج بالعلما وقد كان الرجل عليه رحمة الله فقيها جلـ ولذلك سمي طريقته « نقشي ـ بندي » ، تـ تطريز الأطلس (الحرير)



مجموعة من النساء المسلمات في فرغانة ، لا يختلفن في مظهرهن عن نساء العالم العربي . أغطية الرؤوس واحدة ، والعيون الطيبة الودودة واحدة ايضا .





اثناء صلاة الجمعة في سمرقند وكانت مفاجأة لنا ان نجد اعدادا من النساء خرجن للصلاة ايضا في حديقة محيطة بالمسجد (فوق) .. وفي الصورة السفلى لقطة تجمع أنماطا من الأجيال القديمة ، والجديدة ، والوليدة .



وعدت أسأله : هل ترك الشيخ النقشبندي أتباعا لطريقته هنا ؟

وبحماس أكبر قال : نعم . نعم .. الطريقة النقشبندية موجودة ، وأتباعها بمئات الألوف في بخاري وخوارزم وتمنجن بوادي فرغانة (أوزبكستان) . وهي اكبر الطرق الصوفية في آسيا الوسطى .

قلت وقد فاجأتني الاجابة : هل تعني أن في هذه المناطق « طرقا » اخرى ؟

قال : نعم ، عندنا اتباع الطريقة الشاذلية المنتشرة مع النقشبندية في داغستان ، والطريقة القادرية المنتشرة في جمهورية شاشانيا ، شمالي القفقاس .

ثم اضاف المفتي ضياء الدين بابا خان : لقد اختفت البدع من ممارسات أتباع هذه الطرق ، وبقيت تؤدي دورها في توثيق الصلة بالله وتطهير نفوس المؤمنين . سألته ، بالمناسبة ، وما المقصود بهذه البدع ؟

قال : التعلق بالاضرحة الكثيرة المنتشرة في بلادنا ، والتوسل بالاولياء ، وغير ذلك من العادات اليومية الصغيرة ، التي يحاربها رجال الدين بكل وسيلة ..

ثم أضاف قائلا ، والنقشبندية لها دورها البارز في محاربة تلك البدع .

وعندئذ لاحظ أحد الجالسين حيرتي في فهم الملاحظة ، فمال على أذني وقال : يبدو أنك لا تعرف أن المفتي ايشان بابا خان ، أبا المفتي ضياء الدين كان من شيوخ النقشبندية . وان المفتي ذاته « نقشبندي » أيضا ، ولكنه غير متفرغ للطريقة ، بسبب شواغله الاخرى !

الوجه الذي تغير

والغالبية العظمى من هؤلاء المسلمين يتركزون في مناطق آسيا الوسطى . يتحركون على « مسرح » مترامي الاطراف ، او كما يقول الجغرافيون ، حوض هائل قطره يزيد على ١٤٠٠ كم ، ومساحته تتجاوز المليون كيلو متر مربع . قاعدته تتكون من كتلة قديمة صلبة ، وتطوقه حلقة دائرية من المرتفعات والجبال الشاهقة ، حدوده فيما عدا بحر قزوين ، ترسمها سلسلة الجبال العملاقة والشهيرة في آسيا الوسطى : الهندكوش ، والبامير ، والاورال ، والكازاك . تتخلل هذا الحوض الصلب انهار بلا حصر حفرتها المياه المندفعة على مدار العام من القمم الثلجية لسلسلة الجبال العتيدة ، وتوزعت نهاياتها على بحيرة بلكاش ، ومجرى الأورال وقزوين .

وهذا المسرح الهائل ذو الطبيعة الجغرافية الفريدة ، تجتمع فيه أغنى الموارد الطبيعية في الاتحاد السوفيتي . أي أن مجتمع المسلمين ليس « كما » كبيرا ومتزايدا فقط ، ولكنه ثروة عظيمة ايضا .

وطبقا للبيانات السوفيتية ، فان الجمهوريات الاسلامية تنتج ٧٠٪ من قطن الاتحاد السوفيتي و ٧٠٪ من الفاكهة ، واربعة اخماس فراء الاستراكان .

ومناجم الفحم في كازاكستان تنتج ٨ أضعاف ما تنتجه انجلترا وايطاليا واليونان . ومناجم الحديد بالجمهورية ذاتها تنتج اكثر من مجموع ما تنتجه المانيا الغربية وايطاليا واليابان .

ولا يزال الاتحاد السوفيتي يعتمد أساسا على النفط المستخرج من جمهوريتي أذربيجان وتتاريا الاسلاميتين . وحسب الاحصاءات المتاحة ، فقد كان انتاج تتاريا من النفط ١٠٠ مليون طن عام ١٩٧٠ .

هذا بالنسبة للثروات الطبيعية الاساسية . اما الصناعات العديدة التي اقامتها « السلطة السوفيتية » ، فقد غيرت وجه المناطق الاسلامية تماما ، ونقلتها من عصر الى عصر بل من قرن الى قرن .

وتلك كلمة حق يجب أن تقال . كما أنها حقيقة يسلم بها المسلمون ، حتى أن أحدهم قال لي : رغم ان هناك الكثير مما يمكن أن يقال محسوبا على السوفيت في المناطق الاسلامية ، الا أن اهم ما يجب أن يحسب للسوفيت هو أنهم احدثوا هذه النقلة الاقتصادية الهائلة لمجتمعات المسلمين . ونحن ندرك أهمية هذه النقلة كلما نظرنا الى جيراننا في أفغانستان وايران ، وبغير العون السوفيتي كنا سنظل صورة من هذه المجتمعات التي لا تزال تعاني من بقايا عصور التخلف ، ولا تزال تخوض المعارك ضد الامية والفقر والجوع !

الى الشغيلة المسلمين

على أنه إذا كان شكل مجتمع المسلمين السوفيت له أهميته بناسه وأرضه ، فان المضمون ـ أعني الممارسات ـ يظل هو الأكثر اهمية ، وهو منطقة الغموض والمجاهل التي لم تستكشف بعد . وهو المجال الحقيقي لكافة صور وأساليب الدعاية والدعاية المضادة ، الأمر الذي يتطلب قدرا كبيرا من الحذر والانتباه .

وقد حاولت أن أقترب من هذه المنطقة الملغومة خطوة خطوة ..

سألت في البداية : ما هي طبيعة علاقة الدولة بالمسلمين .. وموقفها من قضية الحريات الدينية ؟

سمعت اجابة واحدة من الجميع . من المفتي ضياء الدين ، الى أئمة المساجد الذين لقيتهم ، الى المرافق الذي ظل يردد الاجابة ذاتها أمامي في كل مناسبة . لا شأن للدولة بالدين او المتدينين . ونحن نمارس حقوقنا ونشاطاتنا وشعائرنا بحرية مطلقة ، وتلك ضمانات كفلها الدستور والقانون .

وهذا المعنى ذاته كررته كل الكتابات السوفيتية التي أتيح لي الاطلاع عليها . بل إن كتاب « المسلمون في الاتحاد السوفتي » ، الذي يوزع على كل الضيوف العرب والمسلمين ، لا تكاد تخلو صفحة فيه من اشارة الى ذلك .

وفضلا عن رائحة الدعاية التي كانت تفوح من الاجابات ، فقد شككني في صدقها أن ممارسة النشاطات الاسلامية بالصورة التي عبروا عنها ، ليست مكفولة حتى في اكثر البلاد « الاسلامية » ذاتها !!

وعندما يئست من العثور على إجابة موضوعية لسؤالي ، ممن لقيتهم ، حاولت ان اطرق بابا آخر ، هو : الوثائق والمراجع السوفيتية ، التي تلقي اضواء على موقف الدولة من المسلمين منذ ثورة اكتوبر .

وجدت كتابة مبكرة للينين ـ القائد والمؤسس ـ انتقد فيها قوانين التمييز الديني في روسيا القيصرية ـ قبل الثورة ـ قال فيها ما نصه : « هذه القوانين تمنع صراحة هذا الدين او ذاك ، او تمنع نشره ، أو أنها تحرم من بعض الحقوق أولئك الذين ينتمون الى هذا الدين او ذاك . ان هذه القوانين هي أشد القوانين ظلما وتعنتا وخزيا » . . ثم يضيف : « ينبغي أن تكون لكل امرىء الحرية التامة لاعتناق الدين الذي يريد ، كما ينبغي ان تكون له الحرية التامة لنشره او اعتناق دين آخر ❊ » .

وكان هذا موقفا مثاليا يرضي عنه كل المتدينين العقلاء .

وقبل أقل من شهر على قيام ثورة اكتوبر ـ في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٧ ـ نشرت الحكومة السوفيتية التي ترأسها لينين نداءها الشهير الى « جميع الشغيلة المسلمين في روسيا والشرق » ، الذي قالت فيه : ان الحكومة السوفيتية تقف الى جانب الكادحين المسلمين ، الذين كانت تهدم مساجدهم واماكن عبادتهم (في عهد القيصرية) والذين كانت تستباح عقائدهم وعاداتهم ، قد اعلنت بصورة رسمية ما يلي : تعتبر من الان فصاعدا ، عقائدكم وعاداتكم ، ومؤسساتكم القومية والثقافية ، حرة وذات حرمة وحصانة . نظموا حياتكم القومية بصورة حرة ، ودون عوائق أو موانع . انكم تملكون الحق في ذلك ❊ .

وسواء كان ذلك إجراء فرضته اعتبارات تأمين الثورة وقتئذ ، أو موقفا حقيقيا عبر عن مثاليات واحلام الثوار في البداية ، فانه ـ في النهاية ـ كان موقفا مرضيا ومشجعا للمسلمين .

وفي العام الأول للثورة ، حاول لينين ان يعبر عن وده وتقديره لمشاعر المسلمين ، فأصدر أمرا بأن يرد اليهم مصحف سيدنا عثمان ، ذو القيمة التاريخية العظيمة ، والذي يقال أن بعض صفحاته لا زالت تحمل آثار دم الخليفة الثالث ، منذ قتل وهو يتلو فيه . وكان احد

❊ لينين ـ الى الفلاحين الفقراء (الطبعة العربية) .

❊ مراسيم السلطة السوفيتية ـ الجزء الأول .

دفعهن الحياء الى محاولة الاختباء من المصور (اليمين) .. ثم عروسان توجها الى المسجد بعد تسجيل الزواج في مكتب السجل المدني ، وهناك اجرى المفتي ضياء الدين بابا خان المراسم الشرعية لاتمام الزواج .. إنهم لا يزالون ينكرون ان يتم الزواج مدنيا (تحت) .







وجه اوزبكي ينطق بكل ما في المنطقة من جمال وجاذبية .. والزهور البديعة لا ينافسها في الكثرة إلا الفاكهة بمختلف الاشكال والالوان .

ـ القيصر قد استولى على المصحف من احد سمرقند (دفع ١٠٠ روبل ثمنا له !) . بعد . الروس لمنطقة تركستان الاسلامية ، ونقله في ١٨ الى مقر القيصر في بطرسبورج * .

سواء كانت هذه مبادرة من لينين ، او استجابة ـ احمد بك صاليحوف ، احد كبار التجار ـ كما ذكرت الصحف وقتئذ ـ فان موقف لينين أيضا ـ مشجعا ومرضيا .

لينين يتراجع

لكن هذه المبادرات والمشاعر التي صدرت عن رة » لم تنعكس تماما في موقف الحزب والدولة بعد سنوات محدودة . فعندما صدر الدستور السوفيتي ١٩٠ ، نص في المادة ٥٢منـه على ما يلي : ـ الدولة ـ لمواطن الاتحاد السوفيتي حرية اد ، اي الحق في اتباع اي دين ، او عدم اتباع اي ثم ـ وهذا هو الأهم ـ « حق أداء الشعائر الدينية رل . وكذلك حق القيام بالدعاية الالحادية » . ـ استخدام الدين في التحريض على العداء اهية » .

وتنص المادة ذاتها في النهاية على ان الدين في د السوفيتي منفصل عن الدولة ، والمدرسة منفصلة الدين » .

كان الجديد في هذه المادة التي مازالت باقية الى الآن ن الدستور يكفل للمتدينين حق الاعتقاد وأداء ائر الدينية فقط . بينا يكفل لغير المتدينين حق م بالدعاية الالحادية . أي أن الدستور لا يكفل ينين حق الدعوة الى دينهم ، اذ أنه اعطى هذا الحق حة لطرف ، وسكت عنه بالنسبة للطرف الآخر .

بتفصيل اكثر ، فان الطرف المستفيد من حق اية الالحادية هو الحزب الحاكم ، الذي يسيطر على الدولة بكافة وسائلها الاعلامية ومؤسساتها الثقافية ومعاهدها العلمية وجيوشها وأساطيلها وأجهزتها الأمنية ، ومواردها المالية .

اما الطرف الآخر ـ المسلمون في حالتنا هذه ـ فلا حيلة لهم امام هذه الامكانيات الهائلة التي تتبنى موقف الدعاية الالحادية . لهم فقط ان يتعبدوا كما يشاؤون ، وان يحصروا « نشاطهم » في هذا الاطار المتواضع !

والصورة بهذا الشكل تعني في الواقع أنه ليس هناك تكافؤ على الاطلاق بين الحريات الممنوحة لغير المتدينين ، وتلك المسموحة للمتدينين . فطرف يملك كل شيء ، وآخر لا يملك الا عقيدته ودينه ، الامر الذي يكاد يحسم الموقف تماما لصالح الطرف الاول . ثم إن هذا الربط بين الدين والتحريض على العداء والكراهية ، يشكل موقفا غير ودي من المتدينين ، ويوحي ضمنا بأن الدعاية الدينية هي بمثابة تحريض على العداء والكراهية .

أي أن الاتجاه الذي برز في نص الدستور ، كان مناقضا لما وعد به لينين ، عندما كان ينتقد قوانين التمييز القيصرية ، داعيا الى حرية اعتناق اي دين ، « والحرية التامة لنشره » .

واذا قرأنا المادة ٥٢ من الدستور في ضوء المادة ٢٥ التي تسبقها فقد تتضح الصورة اكثر . ذلك ان المادة ٢٥ تنص على ما يلي : « التعليم العام والتدريب او التأهيل المهني يخدم المبادىء الشيوعية ، والتنمية الثقافية والجسمانية للشباب » .

أي اننا اذا ما وصلنا بين الجمل في المادتين ، سنحصل على معادلة بالشكل التالي : الدين منفصل عن الدولة ـ والمدرسة منفصلة عن الدين ـ والمدرسة تابعة للدولة ـ والدولة تقرر الشيوعية هدفا للتعليم في المدارس !

وقد ترتب على هذا الموقف الجديد أن ألغي القضاء الشرعي ، والغيت مدارس المسلمين ، وصودرت

ـ لمزيد من التفاصيل راجع « تاريخ المصحف العثماني في طشقند » . للشيخ اسماعيل مخدوم .



حرفيان من مسلمي الاوزبك . والصناعات الحرفية تعطي قطاعات عريضة من انتاج عامة الناس بأيديهم ومطارقهم ينتجون أجمل القطع . في النسيج والاخشاب والنحاس .

الاوقاف . وهي خطوات تنفيذية تنسجم مع الخط العقائدي الذي تبنته الدولة . والنتيجة المنطقية لسياسة فصل الدين عن الدولة . وقد فعل كمال اتاتورك بعد الغاء الخلافة الاسلامية شيئا شبيها بذلك في تركيا .

شهادة من اهلهم

وبمضي الوقت ظلت علاقة الدولة بالمسلمين تتردى أكثر وأكثر . خصوصا في عهد ستالين والكتابات غير السوفيتية تفيض بالمعلومات التي تتناول هذه المرحلة ، والتي قد لا يخلو بعضها من مبالغات .

من هذا القبيل مثلا ، ما نشرته مجلة يو . اس . نيوز من أن دراسة قدمت الى الكونجرس الامريكي في عام ٥٨ حول اوضاع المسلمين السوفيت في الثلاثينات ، أشارت الى أن واحدا من كل ثلاثة مزارعين مسلمين في مناطق الكازاك ، مات في تلك الفترة ، أثناء تطبيق نظام المزارع الجماعية . وأن أكثر من نصف مليون من المثقفين المسلمين ـ بينهم فقهاء وعلماء ـ إما اعدموا او هاجروا خارج البلاد .

ومن الارقام المتداولة في الكتابات غير السوفيتية أن ٢٤ الف مسجد كانت مقامة في مناطق المسلمين حتى قيام ثورة اكتوبر، وأن اعداد هذه المساجد ظلت تتقلص حتى وصلت الى ١٢٠٠ مسجد سنة ١٩٦٠، ثم ٣٠٠ فقط الآن.

ولا تذكر المصادر السوفيتية اي تفصيلات عما جرى للمسلمين في تلك الفترة. ولكن كتاب «المسلمون في الاتحاد السوفيتي» * يسجل اشارات محدودة في هذا الصدد. ففي فصل بعنوان «القانون السوفيتي حول الدين» ـ ص ٦٠ ـ وردت الفقرة التالية: في تصنيف البناء الاشتراكي، لا سيما في السنوات الأولى من السلطة السوفيتية، وقعت حوادث، ولو كانت متفرقة ارتكب فيها بعض القادة المحليين للمنظمات الاجتماعية، أو هيئات السلطة، أخطاء بشأن بعض المؤمنين او الطوائف الاسلامية. وقد صححت مثل هذه الاخطاء بسرعة، وتعرض منتهكو القانون للمسئولية الجنائية.

وفي فصل آخر بعنوان «حقائق فقط» ـ ص ٧٠ ـ اشارة مماثلة تقول: في بداية العشرينات حاولت السلطات المحلية في بعض المناطق، تحت شعارات «اليسارية» أن تقوم بالدعاية الالحادية «بفظاظة» و «بطريقة مهينة». وقد أدانت الحكومة السوفيتية هذه الاعمال الفظة بحزم. ووقع خارقو القانون السوفتي تحت طائلة المسئولية الصارمة».

واذا وضعنا في الاعتبار أن هذه الاشارات لابد وان تكون مخففة الى حد كبير لاسباب مفهومة، وحتى اذا ما قبلناها كما هي، فانها تعني في الواقع ان المسلمين عاشوا مرحلة صعبة ـ والوصف مخفف أيضا ـ في العشرينات والثلاثينات على الاقل، وان احلام «شغيلة مسلمي الشرق» تبددت واحدا تلو الآخر!

الضارة النافعة

غير ان الاربعينات جاءت بانفراج محدود، كانت فيه الحرب العالمية الثانية هي «الضارة النافعة»، نسبيا!

يذكر كتاب «الامبراطورية المتفجرة» للكاتبة الفرنسية هيلين كاريز دانكوس، خبيرة الشئون السوفيتية، أنه بينما كان ستالين يواصل قمعه للمسلمين حتى ألغى استخدام الحروف العربية في جمهورياتهم، خصوصا بعدما تصاعد الحس القومي بينهم، وشكلوا فرقا للمقاومة في أواسط آسيا، في هذه الظروف نشبت الحرب الثانية، واجتاحت القوات الالمانية الاراضي السوفيتية. واتجه الالمان الى اللعب بورقة القوميات، واضعين خطة لاعادة الاستقلال الى الجمهوريات غير الروسية. وبدأوا تنفيذ الخطة بانشاء دولة مستقلة في القفقاس سلمت السلطة فيها للزعماء المسلمين، ودولة اخرى في كاراتشاي تولى قيادتها زعيم مسلم اسمه القاضي ابارهيموف ربما «ابراهيموف».

ولكن الألمان لم يتمكنوا من مواصلة خطتهم، بعدما تغير ميزان الحرب لصالح السوفيت. من ناحية اخرى، فخلال سنوات الحرب، نقلت كل مصانع الذخيرة والانتاج من أنحاء الاتحاد السوفييتي الى مناطق المسلمين في الجنوب. وادرك ستالين ان استمرار سياسة القمع قد تؤدي الى نتائج عكسية في المدى البعيد، الامر الذي دفعه الى تخفيف حدة هذه السياسة، ففتحت بعض المساجد، ورفعت بعض القيود التي كانت مفروضة على المسلمين، وخفت نسبيا الدعاية المضادة للاسلام.

ولم يكن مصادفة أن تنشأ في اعقاب الحرب العالمية الثانية (سنة ٤٦) الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى، وان تفتح من جديد في العام ذاته مدرسة «مير عرب» في مدينة بخاري، لتقوم بمهمة التعليم الديني لابناء المسلمين.

وتقول الكتابات غير السوفيتية أن معاناة المسلمين تجددت في عهد خروشوف ـ في الستينات ـ ثم خفت بعد ذهابه، وانتهى الوضع الى ما هو عليه الآن.

---

* اصدار قسم العلاقات الدولية للمنظمات الاسلامية في الاتحاد السوفيتي ـ موسكو.

حرية مطلقة في « الختان » !

ما هي انعكاسات هذه الخلفية القاسية على ممارسات المسلمين ؟

كان من الطبيعي أن تنحصر الممارسات في المساجد والبيوت ، وأن ينحصر فهم الاسلام على اداء ما يسمى بالشعائر الدينية . أو على الاقل ، فهذا هو الاطار المحدد طبقا لنص الدستور .

وقد عبر عن هذا الفهم القاضي شاكر خيال الدينوف ، مفتي القسم الاوروبي من روسيا وسيبيريا ، اذ كتب في مجلة « الاسلام في الاتحاد السوفيتي » يقول : نحن نقيم شعائرنا الدينية العامة دون عراقيل . فكثيرا ما يدعى أئمة المساجد الى بيوت المؤمنين لتأدية الدعاء الخاص بمولد طفل ، وابرام عقود القران . ثم إن المسلمين يقومون بالختان بحرية . وفي عدد من المدن ، بما في ذلك موسكو ، توجد مقبرة خاصة للمسلمين ، يدفن فيها المسلمون فقط » !

وفي هذا المعنى ذاته اشار كتاب « المسلمون في الشرق السوفيتي » ، في تلخيصه لنشاطات المسلمين ، الى أنهم يحلون بأنفسهم مسائل اعداد كوادر رجال الدين ، وطبع الكتب الدينية وصنع المواد اللازمة للعبادة وهلمجرا (!) وتستخدم « الاتحادات » الاسلامية الجوامع والمساجد مجانا . حيث تؤدي فيها فريضة الصلاة يوميا ، وتقام الاحتفالات الدينية بمناسبة عيد الاضحى وعيد رمضان ، والمولد النبوي ※ .

وكان طبيعيا أن تلتصق الممارسات العامة ـ خارج هذا الاطار ـ وتوظف ، بحيث تخدم الخط العام للدولة . ويسجل كتاب عبد الله وهابوف الذي يحمل نفس عنوان « المسلمون في الاتحاد السوفيتي » ـ عن غير قصد طبعا ـ الكثير مما يؤكد هذه الحقيقة . اذ يذكر أن المسلمين اشتركوا في مناقشة الدستور السوفيتي الجديد ، وأن الحاج أتاجان عبد اللايف ، إمام مسجد « تلحطان بابا » في تركمانيا ، وقف مؤيدا للدستور في اجتماع جماهيري للمسلمين ، وقال « إن المشروع يحقق حماية وتثبيت حرية جميع شعوب بلادنا وحقوقها المتكافئة .. وثمة بنود كثيرة فيه تنسجم مع آيات القرآن الكريم واحاديث نبينا محمد . ونحن جميعا نؤيد ، وبصورة كاملة هذا المشروع » .

وفي الكتاب ذاته ، ينقل عبد اللايف ، نموذجا من خطبة لعيد الاضحى ألقاها الشيخ احمد قدري عزيز حجايف ، في مسجد مخدوم ايشان ، ببلدة نمانجن الأوزبكية ، وقال فيها :

« اننا نحتفل بهذا العيد الاسلامي الكبير اليوم ، ونحن في وضع ملائم وجيد . فقد نفذت جمهوريتنا (اوزبكستان) خطتها الخمسية للتطور الاقتصادي والثقافي قبل الأوان . فارتفع الانتاج الصناعي عندنا بنسبة ٥١٪ ، واستصلح اكثر من ٥٠٠ الف هكتار من الاراضي الجديدة . واعطى مزارعونا للوطن في العام الحالي وحده أكثر من خمسة ملايين طن من « الذهب الابيض » . وارتفع الى حد كبير الرفاه المادي لجميع الناس السوفييت . (هكذا هي في الترجمة) واننا نشكر الله على هذا كله ، ونصلي له ونتعبده .

واننا نشارك الفرحة بصدد اتفاق ٣٥ دولة في هلسنكي على تأمين السلام والامن المشترك في أوروبا . ونرجوا الله ان تنتصر في قارتنا الآسيوية روح السلام والصداقة والتعاون .

بهذه الخطبة استفتح المسلمون احتفالهم بعيد الاضحى المبارك !

وبهذا الاتجاه أيضا تأثرت « الفتاوي » التي تصدر عن رجال الدين ، وأن كان ذلك قد ساهم أحيانا وبغير قصد في تخليص الاسلام من بعض الشوائب التي علقت به . أي لم تخل هذه الفتاوي من ايجابيات على أي حال .

فيذكر كتاب « المسلمون في الشرق السوفيتي » ، ان المفتي ضياء الدين بابا خان اصدر فتوى بشأن ارتداء النساء « للبراقع » ـ وتحدثت الفتوى بالتفصيل عن أن

※ من مطبوعات الجمعية الاوزبكية للصداقة والتعاون مع البلدان الاجنبية .

هذه العادة لم يرد حولها اي توجيه مباشر في القرآن ولم تذكر في الكتب الدينية الاخرى . ودعت الفتوى المسلمات الى عدم ارتداء البراقع التي تحد من حركة المرأة » . وجاء في فتوى اخرى « أنه ليس من الواجب نحر الحيوانات في عيد الاضحى » .

وكتب المفتي محمد حاج قربانوف ، رئيس الادارة الدينية لمسلمي شمال القفقاس ، في « المسلمون في الاتحاد السوفيتي » ، بعد أن أشار الى « عادات المولود الجديد وإعطاء الاسم والختان والزفاف ، والأعياد الاسلامية المختلفة ، هذه العادات الدينية مقدسة ومصونة » ..

بعد هذه الاشارة ، قال المفتي أن عادة الأخذ بالثأر التي تمكنت من الناس في مناطق القفقاس الجبلية اعتبرت تقليدا دينيا . وأن التفاوت الاقتصادي بين الاغنياء والفقراء هو الذي تسبب فيها . « وعندما نقلت كل الأراضي في بلادنا الى الذين يعملون فيها ، وعندما منع القانون السوفيتي استثمار أي إنسان لآخر ، اختفت هذه العادة والحمد لله » .

ويضيف المفتي قربانوف في فتوى أخرى أن « المهر » ، كان مبررا في الزمن الأول للاسلام بالرغبة في خلق عائلة فتية ، قادرة على أن تبدأ حياتها المستقرة باطمئنان » ، ولكنه أصبح بعد ذلك وسيلة ضغط على الفقراء ، وقسرا للارادة ، وهو ما يخالف الاسلام .. وهذه العادة التي صورت بشكل مشوه حرص النبي على إسعاد الناس ، اختفت عندنا تقريبا ، ويعيش الناس في غنى .. وحلت محل هذه العادة المشوهة عادة جديدة ، هي أن والدي الخطيب والخطيبة والاقارب يقدمون الهدايا للشابين .. وكثيرا ما تسهم في هذه الهدايا المؤسسات التي يعمل فيها هذان الشابان ، والكولخوزات والمنظمات الاجتماعية .

وفي المجلد ذاته ، كتب « شيخ الاسلام » علي أغا سليمان زادة ، رئيس الادارة الدينية لمسلمي ما وراء القفقاس (الذي يمثل الشيعة) انه « طرأت في العقود الاخيرة بعض التغييرات على الشعائر المخصصة لاحياء ذكرى عاشوراء خلال أيام الحداد الثلاثة في شهر محرم « وأن رجال الدين الشيعة في أذربيجان ، توجهوا بنداء الى المؤمنين بالكف عن تعذيب النفس . وقد اعتبروا ، مستشهدين بالشريعة ، أن القيام بشعائر محرم على هذا النحو لا يتفق مع العقيدة ، واثم كبير للمسلمين » ..

ثم اضاف المفتي علي أغا « ان تغيير شعائر عاشوراء لم يقلل من أهمية هذا التاريخ العظيم المشهود عند المسلمين ، بل بالعكس ، إن المؤمنين الآن في وضع مطمئن ، تفعمهم وهم يستمعون الى الأدعية مشاعر دينية أكثر عمقا » .

احتفالات لا تتوقف

أي أنه في اطار العبادات والشعائر والتقاليد ، التي لا تتصادم مع الخط العام للدولة ، فباب الممارسة مفتوح على مصراعيه ، وبغير قيود أساسية .

على أن الملاحظة الجديرة بالانتباه ، هي أن مجتمعات المسلمين أصبحت تحول كل ما هو مرتبط بالدين من شعائر وتقاليد ، أيا كانت ، الى مناسبات يحتفل بها . ويتم الاحتفال عن طريق تلاوة القرآن ، واستقدام رجال الدين للحديث واعطاء الموعظة ، وإقامة المآدب التي يلتقي حولها أفراد الأسرة والعائلات القريبة ..

ويمكن أن يفسر ذلك بأنه نوع من التشبث بالعقيدة والحفاظ على الشخصية ـ نوع من المقاومة اللاشعورية لاحتمالات الذوبان وسط التيارات الفكرية والعرقية المحدقة .

وربما بهذا التفسير يفهم سر احتفال الاسرة المسلمة بوصول المولود مرة ، ثم بتسميته مرة ثانية وفي المرتين يدعى إمام المسجد ، ليقرأ القرآن ويعظ الحاضرين ثم يتم بعد ذلك ـ في المرة الثالثة ـ ختان الطفل وسط احتفال أكبر . اذ يفتح بيت الأسرة لامام المسجد وغيره على مدى يومين يتم خلالها ختم القرآن ، اي يقرأ القرآن الكريم كله خلال هذين اليومين ، وفي اليوم الثالث يتم ختان الولد وسط التهليل والتكبير ، وبعد الوعظ ومأدبة العشاء الممتدة .. حتى يكاد ختان الطفل يصنف ضمن « الاعياد الاسلامية » !

وأيضا بدافع التعلق بما تبقى لهم من الاسلام ، تقام احتفالات على نطاق واسع بذكرى المولد النبوي . احتفالات تبدأ في المساجد ، ثم تنتقل بعد ذلك الى البيوت . حيث يتلى القرآن مرة أخرى وتلقى المواعظ وتقام المآدب . بل إن المسلمين في داغستان وتتاريا وبشكيريا وادمورتيا ، يحتفلون بذكرى المولد على مدى شهر كامل .

وفي الزواج لا يكتفون بالقيد في السجل المدني طبقا للقانون ، ولكن العريس والعروس وأسرتيهما يخرجون من كتب السجل المدني الى المسجد ، يتلقون الموعظة من الامام . وبعد ثلاثة ايام يقام حفل الزفاف ، الذي يتلى فيه القرآن ، وتلقى خطبة النكاح ، وتقام الوليمة التي يدعى اليها الجميع ، ويسهم الجميع في نفقاتها .

وعندما يبلغ الرجل سن الثالثة بعد الستين ، يقيم احتفالا مشهودا في بيته ، تتخلله تلاوة القرآن والاذكار ـ ولابد من الوليمة ـ والمناسبة فريدة في نوعها . إذ أنها هذه هي السن التي بلغها النبي عليه الصلاة والسلام .

والحج له قصة أخرى . تعلن في المساجد ، بعد صلاة الجمعة . أسماء الذين فازوا بهذه الجائزة ، وسط التهاني والتكبير (عددهم يتراوح بين ٢٥ و ٥٠ كل عام) ويسافر الحجاج من بلادهم النائية الى موسكو في مواكب يشارك فيها الاقارب والاصدقاء ، ويودعهم رجال الدين بملابسهم الزاهية . وما ان يعودوا حتى تقام لهم المآدب والاحتفالات ، والمسابح وسجاجيد الصلاة القادمة من مكة والمدينة (السجاجيد الجيدة مصنعة في المانيا الغربية !!) . هدايا ثمينة تذكر طول العمر . ومياه زمزم يتقاتل عليها الناس .

أما في العيدين ، فاحتفالات المسلمين بها تأخذ طابعا أكبر وأعظم . اذ يخرج الجميع ، رجالا ونساء ، الى صلاة العيد . وكثيرا ما تنحر الذبائح ـ في عيد الأضحى ـ قرب المساجد . وتقام في البيوت الحفلات التي يقرأ فيها القرآن وتردد الاذكار ، وتقدم فيها الاطعمة والفواكه .

وفي المآتم يتلى القرآن على عادة المسلمين جميعا . الا ان ما يثير الانتباه حقا ـ كما قال لي رؤساء الادارات الدينية ـ أن ٩٠٪ على الأقل من الشيوعيين الذين ينتمون الى أسر مسلمة ، يطلبون في وصاياهم أن يقرأ القرآن على ارواحهم ! .. وهم يذكرون أن من بين الذين أوصوا بذلك احد وزراء جمهورية اوزبكستان ـ وكان عضوا بارزا في الحزب ـ وعضوا آخر في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي .

وأثار انتباهي ايضا ـ عندما زرت منطقة للمقابر كانت قرب مسجد صلينا فيه بمدينة دوشنبة عاصمة طاجيكستان ـ أن القبور وضعت عليها علامات مميزة . قبور المسلمين رسمت عليها صورة الهلال ، وقبور المسيحيين نقش عليها الصليب ، وقبور أعضاء الحزب الشيوعي وضعت عليها « نجمة » حمراء !

عقيدة أم تقاليد ؟

على أن هذا التعلق بالشعائر والتقاليد المرتبطة بالاسلام ، حول الدين لدى قطاعات من المسلمين الى تقاليد فقط . أي نوع من العادات التي توارثها الناس ، المرتبطة بالسلوك ، والمنفصلة عن الاعتقاد . حتى صارت كلمة « مسلم » لدى هؤلاء ، لا تعني اكثر من « صفة » ، مثل أوزبكي او طاجيكي او قرغيزي . ولانها كذلك ، فلم يعد مستغربا ان يحدثك احدهم قائلا انه ملحد ، ثم يضيف انه مسلم ولا يرى في ذلك اي تناقض ، فهذه نقرة وتلك نقرة !

وبمنطق تحول الدين الى عادات وتقاليد . أصبح من الممكن أن يجلس الرجل في مقهى أو حانة ، يتعاطى الفودكا الروسية ـ مثلا ـ وبعد أن تفرغ الزجاجة يمسح وجهه بكفيه ويقول : آمين !

وهذه الصورة أكثر وضوحا في مجتمعات الشباب ، الذين يلقنون منذ دخولهم روضة الأطفال مناهج تعليمية مبنية على إنكار الله ، تطبيقا لنص الدستور ، حتى إذا ماوصلوا الى المرحلة الجامعية فإنهم يدرسون تاريخ الحزب الشيوعي بعمق وتفصيل ، ويختمون تعليمهم في السنة الرابعة بدراسة علم الالحاد « أتيزم » ، المبني أساسا على نقض الاديان وإنكار فكرة وجود الله .

ولابد أن يؤدي استمرار هذا المنهج ، على مدى ستين عاما ، مدعوما بكافة وسائل الاعلام والتثقيف ، إلى إحداث تغيير شامل في البناء الفكري والنفسي لدى أجيال الشباب في مجتمعات المسلمين .

وقد تحقق ذلك بقدر لا ينكر ، بتأثير هذه المناهج أولا ، ثم نتيجة للاغراءات والامتيازات التي يحصل عليها الطلاب إذا ما انخرطوا في سلك الحزب . فأعضاء « الكومسومول » ـ منظمة الشبيبة الشيوعية ـ لهم الأولوية في الالتحاق بالجامعات والمعاهد والوظائف الرفيعة فيما بعد . وغير الاعضاء الذين يدخلون الجامعات والمعاهد ، ليس لهم الحق في الاشتراك في النشاطات الطلابية المختلفة . ولا مجال أمامهم بعد التخرج الا في نطاق الوظائف العادية .

ولذلك كان طبيعيا أن يكون اكثر رواد المساجد من الشيوخ وكبار السن من الموظفين والعمال الذين أحيلوا الى المعاش ، ومن هؤلاء المسنين من حارب في صفوف جيش الدولة العثمانية !

والى جانب الذين تحول الدين عندهم الى عادات وتقاليد ، والذين تركوا دينهم ـ ولو مؤقتا ـ فثمة قطاع آخر من المسلمين لا يزال أشد حرصا على دينه ، معتصم به في مواجهة كافة العواصف والانواء ، وهؤلاء هم الذين يصدق فيهم الوصف الذي ورد في الحديث الشريف : القابضون على الجمر !

هؤلاء هم الذين يرسلون أبناءهم الى بلدة نمانجن الأوزبكية ، ليقيموا عند حفظة القرآن هناك ، يحفظون عنهم ويتلقون منهم القدر الممكن من الثقافة الدينية . وأمثالهم هم الذين نذروا أنفسهم لهذه الرسالة ، أن يظل القرآن الكريم ، على الاقل ، محفوظا في قلوب المسلمين وعلى ألسنتهم . وليس فقط في المصاحف المخطوطة التي تحتفظ بها الاسر القديمة ، تقديسا وتبركا .

وهؤلاء هم الذين يوفدون أبناءهم الى معهد بخاري الديني بعد مرحلة التعليم الابتدائي ، ليقضوا هناك ٧ سنوات ، ينتقلون بعده الى معهد طشقند العالي في دراسة ٤ سنوات اخرى . وليتخرجوا بعد ذلك خطباء ووعاظا وقراء . وهم صابرون على ذلك ، رغم أنه من غير المعقول أن يكون عدد المسلمين ٤٠ مليونا ، وأن تخصص لتعليم الدين لأبنائهم مدرستان فقط ، لا تستوعبان اكثر من ١٠٠ طالب في كل صفوف الدراسة !

وهؤلاء هم الذين يمولون كافة صور النشاط الديني ، التي لا تقدم لها الحكومة اي عون مالي ، رغم أنها وضعت يدها على الأوقاف التي كانت تؤدي هذه المهمة ، هؤلاء يقدمون تبرعاتهم ـ يعتبرونها زكاة ـ الى المساجد وتجمع حصيلة التبرعات ثم توزع على خمسة مصارف : نفقات المسجد ، الصيانة وراتب الامام ـ نفقات الادارة الدينية بموظفيها ونشاطاتها المحلية ، مثل ادارة المعهدين الدينيين ودفع رواتب شهرية لطلابها ـ العلاقات الخارجية للمسلمين السوفيت ، المؤتمرات والوفود وغيرها ـ ثم يقتطع من هذه التبرعات ايضا « سهم » يرسل الى الحكومة يضم الى ميزانية صيانة الآثار القديمة ، وسهم خامس وأخير تحصل عليه الحكومة يوضع تحت بند : أمن وسلام العالم !

وهؤلاء هم الذين افرزوا هذا الجيل المدهش ، الذي أفلت من كل الشباك ، وصم أذنيه عن كل ما يتردد حوله ، وتحصن ضد كل المغريات ، ومضى يبحث عن حقيقة دينه ، ويلملم أشتاته المبعثرة . هؤلاء ، على قلتهم ، تمردوا على أسلوب توظيف الاسلام واستخدام شيوخ الاسلام ، وكرسوا انفسهم من أجل فهم الاسلام الحق . وهم أيضا الذين يتخاطفون النسخة الوحيدة لكتاب « معالم على الطريق » الذي اعتبر دستورا لدعاة الاسلام الحركي والانقلابي ، حتى كان تداوله « تهمة » في بعض بلادنا العربية في الستينات ، ولا يعرف أحد كيف وصل الى مكتبة الادارة الدينية في طشقند . وقد فوجئت بهؤلاء الشبان يتحاورون فيما تضمنه كتاب« شبهات حول الاسلام » ويسألون عن مؤلفه محمد قطب ، هل هو ابن سيد قطب ام شقيقه ؟!

حكاية « الثالوج »

وكان قد قيل لي همسا ، اثناء الحديث عن الشبان الذين يتجهون الى دراسة الدين في معهدي بخاري وطشقند ، أنهم مصرون على مواصلة الدراسة ، رغم

انهم يدفعون من رواتبهم « ضرائب » للدولة ، يسمونها « تالوج » أي عقوبة أو جريمة بالروسية . وبواقع راتب شهرين في السنة . وقال محدثي الذي استحلفتني بالله العظيم ألا أذكر اسمه ، أن المنطق الذي فرضت به هذه الضريبة هو أن كل فرد في المجتمع السوفيتي لابد وأن يؤدي عملا منتجا ، لانه في مقابل ذلك يتلقى خدمات مجانية في التعليم والعلاج ، ويدفع أجرا رمزيا للسكن . والذين يتعاطون مهنة الدين ، طلاما كانوا ام خطباء وعاظا ، هؤلاء يصنفون باعتبارهم أعضاء غير منتجين في المجتمع ، وعليهم أن يدفعوا للدولة ما يشبه التعويض ، لأنهم باختيارهم هذا أصبحوا يستفيدون ولا يفيدون .

وبنفس المقياس تحاسب المساجد على استهلاك المياه والكهرباء ، فالمصانع باعتبارها وحدات انتاجية لها سعر مخفض جدا ، والادارات الحكومية والمنازل لها سعر آخر . اما المساجد ، فلانها مؤسسات غير انتاجية ، فهي تدفع خمسة اضعاف القيمة التي تدفعها المصانع عن استهلاك المياه والكهرباء ، وضعفين ونصف ضعف اجهزة الحكومة والمنازل .

وقد حاولت ان اتثبت من المعلومة الأولى . فقال لي المفتي ضياء الدين بابا خان ان نظام « التالوج » كان معمولا به حتى سنتين مضتا ، ولكن خطباء المساجد هددوا بالاضراب اذا لم يلغ ، وتدخل هو لدى السلطات لوقف العمل به ، على اعتبار انه يشكل اهانة وتعسفا مع رجال الدين ، وقد تم الالغاء فعلا منذ ذلك التاريخ .

وقال لي نائبه الشيخ عبد الله عبد الغني أن التالوج ليس غرامة ولا عقوبة ، ولكنها نسبة من الدخل يدفعها رجال الدين كغيرهم ، كتأمينات تحسب في معاشاتهم بعد التقاعد .

وقال لي القاضي عبد الله جان ممثل الادارة الدينية في طاجيكستان أن التالوج نظام مطبق فعلا الى الآن ، وروى تفصيلا السبب الذي من اجله فرضت الدولة تحصيل هذه الغرامة ، وفي تقديره انه سبب منطقي ومعقول !

وفي حين نفى الثلاثة مسألة تخصيص المساجد بسعر خاص في استهلاك الكهرباء والمياه ، فان أحد خطباء المساجد قال لي أنه يدفع بالفعل ، لقاء عملية الاستهلاك هذه سعرا اعلا من اي قيمة تدفع عن مؤسسة اخرى ، كما أنه يسدد التالوج للحكومة باستمرار .

ولأنني لم أتمكن من معرفة الحقيقة في هاتين المسألتين ، فقد آثرت أن أسجل وجهات النظر التي سمعتها من أطراف عديدة ، باعتبارها نموذجا « للمساحات » المجهولة والغامضة في حياة المسلمين السوفيت ، والتي يتعذر التعرف على حقيقتها بسهولة .

ثمة سؤال أخير بعد هذه الرحلة الطويلة هو : ما هو الموقف من المسلمين الآن ؟

مذكرا بأنني لم أر الصورة كاملة ، وأنني لم أتجاوز الحدود التي رسمت لي الا في مرات محدودة للغاية ، سببت لي مشاكل جمة ، ومستأذنا مرافقي الذي لازمني الى حد أشعرني انه التصق بي الى الابد في اليقظة والمنام ـ بل وربما لاحق ذريتي ايضا ـ فان ردي على السؤال هو : أن هناك خطا أساسيا للدولة حدده الدستور بوضوح . لا يزال الالتزام به قائما . فالاسلام التعبدي مرحب به ، ولا حرج في استمرار « التقاليد الاسلامية » ، من الاحتفال بتسمية المولود وختانه ورسم الهلال على مقابر المسلمين . حتى القيد على الدعوة الدينية يمكن غض البصر عنه ، طالما انه في حدود الموعظة وخطبة العيد او خطبة النكاح .

وللانفراج النسبي وجه آخر ، تمثل في السماح ببناء عدد من المساجد الجديدة ، وصلت الى عشرة مساجد في عام ٧٩ كما قيل لي . وقد رأيت واحدا من هذه المساجد في مدينة باكو عاصمة أذربيجان .

باختصار شديد ، فلا اعتراض أساسي على ما يمكن ان نسميه « الاسلام الطيع والمستأنس » .

والأمر كذلك ، فباستثناء مسألة الدعوة الى الالحاد ، أليس هذا الاسلام الطيع والمستأنس هو وحده المسموح به في أكثر بلدان العالم الاسلامي ؟

الا يحتاج هذا السؤال الى قدر من التأمل والمصارحة ؟ ؟ ■■

صفوة الملك زمرد خاتون

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

في التاريخ الاسلامي نسوة كثيرات مشهورات . كتب كثيرة كتبت عنهن . معاجم صنفت . احاديث من الاحاديث صيغت . فهل سمعت بينهن باسم صفوة الملك زمرد خاتون ؟ أغلب الظن انك لم تسمع . ولقد تعجب أن عرفت بعد هذا انها ملكة وابنة ملك . وأخت ملك وزوجة ملكين وأم ملكين وجدة ملك !! . وأين هؤلاء جميعا ؟ وأين عرشها وعروشهم ؟ في دمشق ! بلى ! في دمشق ! ومنذ حوالي تسعة قرون ... ومع ذلك فقد لفها النسيان . داسها حتى قبل أن تموت .. هل أحدثك الخبر القديم ؟

نحن في غمرة الحروب الصليبية ... وعلى التحديد في الفترة الأولى منها ، حوالي الثلاثينات من القرن الثاني عشر الميلادى (حوالى سنة ٥٣٠ هـ)

كان قد مضى على احتلال الفرنجة للقدس قرابة الاربعين سنة . وكانوا قد انشأوا الامارات الغربية على طول الساحل الشامي ، يحسبون أنهم قد تملكوه الى الابد . فملك منهم في القدس وأمير في طرابلس وآخر في انطاكية وثالث في الرها ... بأقصى الشمال . وجاء وقت كان السلام فيه في أيديهم وكانت الحرب ايضا ، وفرض الهدنات والاتاوات والتحكم بالتجارة والقوافل ، وفرض الغزوات المدمرة على القرى والناس .. كل ما بقي من الشام خارج أيديهم هو ذلك الخطر الداخلي من المدن مابين حلب وحمص ودمشق . كل حركات المقاومة الاسلامية كانت تفشل أمام فرسانهم ذوى السيوف الحديدية الثقيلة ، ومدد الرجال والمال الذى كان يأتيهم عبر البحر من الغرب .

أما أمراء الشام فكانوا نثيرا من القوى « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى . » كل متسلط فرح بالمدينة التي تحت يديه . أقصى أمانيه أن يزول ملك أخيه ليتخلص منه .. ولقد يتفق مع الفرنجة ضده ويهادن الفرنجة ليتفرغ له ...

فلذا رضى الله عليهم واتفقت كلمة اثنين منهم على الجهاد معا ، لم يلبثا بعد المعركة الأولى أن يتفرقا ، ويعود أحدهم الى هدنة الكفار والآخر الى الحرد والانتظار .



ماض في الملكية

وظهر في أفق المقاومة ، بعد خمس وثلاثين سنة من الاحتلال الصـ[illegible] جديد اجتذب الانظار . انه عماد الدين زنكي ، صاحب [illegible]وصل وحلب . وضع الرجل في همه أمرا واحدا هو : توحيد القوى الاسلامية بأي ثمن . ونجح في الخطوة الاولى حين وحد الموصل مع حلب تحت قيادته وبأمره . ثم أضاف الى ذلك حماه ثم حمص . وبقيت أمامه دمشق .. ولكن دمشق كانت يومذاك في شغل آخر عن هذا الهدف البعيد ...

كان يحكمها منذ مطلع الحروب الصليبية وحتى يوم ظهور زنكي قائد تركي من مماليك السلاجقة الأشداء اسمه ظهر الدين طغتكين واسمه يعني الباز المحارب . ولقد حارب طغتكين الفرنجة . ولكن على طريقته في المبادرة الفردية وفي الحرب تارة والهدنة اخرى . لكنه انطفأ انطفاءة الموت بعد شهرين فقط من بروز اسم زنكي في الشمال ، في حلب . تاركا الحكم لابنه بوري (اى الذئب) الذي لم يكن ذئبا بالفعل . ولابقي في الدست سوى سنوات اربع ... وجاء من بعده اولاده ...

اين مكان صفوة الملك زمرد من هذا الحديث التاريخي الطويل ؟ صفوة الملك كانت زوجة بوري هذا ... وقبل الزواج منه كان لها ماض في الملكية طويل . فأبوها هو الامير جاولي صاحب القدس ❊ وعمها اتسز كان ملك دمشق كما كان الملك تتش بن الب ارسلان زوج امها وصاحب دمشق من بعد . وكان أخوها لأمها دقاق ملك هذا البلد يوم وصل الصليبيون (سنة ١٠٩٩/٤٩٣) بلاد الشام ثم تزوجت من بوري ابن طغتكين وملكت معه مملكة دمشق سنوات ، فلما مات تسلم الحكم ابنها الاول : اسماعيل ...

يوم نصب زنكي شباكه لاخذ دمشق (قبيل سنة ٥٣٠ هـ/١١٣٥م) يحاصرها تارة ويهادنها أخرى ويغير على اطرافها الشمالية تارات . يومذاك كان اسماعيل فيها هو الملك ... شبابه كان جرأة تبلغ حد التهور وغروره كان يصل حد الحمق !! ومع أنه صار من التعسف والوسواس وسوء الظن والسيرة بحيث كان الحاكم البغيض الكريه ، الا أن القواد والحاشية وكبار اهل البلد كانوا من قصر النظر ومن الخوف على ما بأيديهم من المصالح ومن انتهاب الناس بحيث فضلوه على زنكي وظلوا وقوفا وراءه ...

الابن القتيل

المؤرخ الدمشقي ابن القلانسي كان أحد كتاب هذا الملك وقد كتب عنه يقول : « يتناهيه في ارتكاب القبائح والمنكرات وابغاله في اكتساب المآثر المحظورات الدالة على فساد التصور والعقل وظهور الجهل وحب الظلم وعدوله عن ما عرف عنه (من قبل) من مضاء العزيمة في مصالح الدين والمسارعة الى الجهاد في الاعداء . وشرع في مصادرات المتصرفه والعمال والمستخدمين في الاعمال ... واستخدم بين يديه (رجلا) يعرف ببدرا الكافر ... لا يرقب في مؤمن ولاء ولاذمة ونصبه لاستخراج مال المصادرين من المتصرفين والاخيار المستورين بفنون قبيحة اخترعها في العقوبات وأنواع مستبشعة في التهديد لهم والمخاطبات ... » مع كل ذلك فان قواد الملك اسماعيل واعوانه كانوا مشغولين بالتناهب وبالدسائس الداخلية عن الوحدة وعن الجهاد وخطر الكفار .. ولم يستطع زنكي ان يجد معينا له في دمشق من اجل الوحدة !.. الى ان تطورت الامور في دمشق التطور المفاجيء !..

وجاء الى الملكة ـ الام صفوة الملك ساع يسعى ، همس في اذنها ان ابنها اسماعيل يستريب في سيرتها ويتهمها ببعض القواد !!

❊ جاولي صاحب القدس هذا كان شقيق اتسز الخوارزمي الذى اسس لنفسه مملكة في الشام الجنوبي كله تقريبا وعاصمتها دمشق سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥ ثم اختطفها منه الملك السلجوقي تتش ابن الب ارسلان سنة ١٠٧٨/٤٧١ وقتله غدرا وتزوج من امرأة جاولي والدة زمرد خاتون فولدت له ابنه دقاق الذى كان ملك دمشق ايام الحملة الصليبية الاولى على الشام .

وحين جنون العجوز التي كانت تقارب الستين ... كانت السعاية مقصودة وانما حاكها علية القوم من الامراء والمقدمين ووجوه العسكر ومقدمي الضياع ، حين علموا ان اسماعيل نفسه قد كاتب زنكي ليسلمه البلد .. واذا تسلمها ضاعوا وضاعت مصالحهم واموالهم !

وبعد ايام شهدت قلعة دمشق مشهدا فريدا لم تعرفه من قبل ولا من بعد : الملكة ـ الام صفوة الملك واقفة في صدر قاعة العرش ومماليكها يزقون ابنها الملك بالسيوف وهو يستغيث .

ـ زنهاز ! زنهار ! (أمان ! امان)

وهي : وجه كالصخرة قد جمدت عليه كل العواطف !

وحين همدت الاشلاء استدعت الناس ليروا الجثة ثم نصبت للملك ابنها الآخر : شهاب الدين محمود ! ولكنها منذ تلك اللحظة صارت معه صاحبة الامر والنهي ... ووقفت تنافح زنكي وتدافعه عن البلد !

اغلقوا باب دمشق

وخطرت للأتابك زنكي خاطرة سياسية شيطانية : لماذا لا يتزوجها و يكسب دمشق ؟ كان الزواج السياسي بعض اباليسه ! وارسل يخطبها بالفعل وترددت المراسلات سرا اول الامر ثم ضج البلد بالخبر وبان العجوز .. لا تمانع ، حتى كبار قواد المملكة وجدوا في ذلك الخلاص من يدها القوية فباركوا قبولها ... وندب من دمشق وفد قصد مخيم الاتابك زنكي عند حمص ليتولى العقد . ولكنهم ما أن جهزوا الملكة وأخرجوها لعريسها المنتظر هناك حتى اغلقوا ابواب دمشق دونه ...ودونها !

ورأى زنكي انه لم يظفر من هذه الصفقة ـ المناورة بغير العجوز فارسلها الى حلب .. تنتظر .. وهناك بدأت الغرق في هوة النسيان .

بعد سنة من ذلك قتل ابنها محمود في فراشه بقلعة دمشق ، في مؤامرة من اخيه غير الشقيق محمد فتقطعت آخر اسبابها مع دمشق . ومع انها حرضت زوجها زنكي على أخذ البلد ومع أنه اراد انتهاز هذه الفرصة ، الا ان نتيجة المحاولة لم تكن اكثر من احتلال بعلبك من أعمال دمشق ...

خير من الانساب

ولم يعد احد بعد ذلك يهتم بصفوة الملك التي قضت بعد ذلك ثماني سنوات من الوحدة والاهمال في حلب ، لا يهتم بها احد حتى ولا الزوج زنكي . فلما قتل في حصاره لبعض قلاع الفرات لم يبق لها مقام حتى في حلب . فانطلقت الى دمشق ولكن الدنيا كانت قد تغيرت .. والناس . فقررت الحج عن طريق بغداد .. لعل ولعل . ولكنها لم تلق في العاصمة العباسية الترحاب الذي كانت ترجو . فلما انقضى الحج بقيت في المدينة المنورة لعلها تجد في جوار القبر النبوي بعض العزاء والسلوان ....

ومضت الايام . مضت السنون . وعفا النسيان على كل خبر لهذه المرأة . واولئك الرجال المعدودن الذين شيعوا الى مقبرة البقيع ذات يوم من سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م جثمان العجوز الفقيرة التي عرفوها تغربل القمح للناس كي تعيش ، وتخدم الناس كي تأكل مع أنها في جوار الستين . نسوها بسرعة . قلائل من اولئك المشيعين المعدودين كانوا يعرفون انها هي نفسها الملكة زمرد خاتون صفوة الملك ، ملكة دمشق !

يبقى أن تعلم بعد هذا كله أمرا آخر هو الذي ابقى على ذكر هذه المرأة في التاريخ وخلق كل الاعذار لجريمتها البنوية . بل اتى لها بالثناء والدعاء عدة قرون بعد أن غمرها النسيان المطلق . لم يكن ذاك علمها ولو أنها سمعت الحديث واستنسخت الكتب وقرأت القرآن وبنت مسجدا كبيرا غربي دمشق عرف بمسجد الاصحاب ، ولكنه كان عملا آخر اجل وابقى . لقد بنت في دمشق مدرسة للفقه كانت اكبر مدارس الحنفية واكثرها اوقافا واجودها رزقا . اجيال بعد اجيال من العلماء والطلاب ظلوا ينعمون بآلاء هذه المرأة عدة قرون ويدعون لها بالخير ...

وكان هذا خيرا لها من كل انسابها الملكية ! ■■

د . شاكر مصطفى

هذه الإفتراءات
على التاريخ الإسلامي

بقلم : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

كنا ولا نزال ، نقول : ليس حتما ان يكون اي تطور في شيء من مجالات الفكر او الحياة ، صعودا نحو الافضل . ذلك لان عملية التطور وسيلة الى غاية ، وليست بحد ذاتها . درب غاية تكمن في اسفل منحدر ، وأخرى تستقر في اعلى القمم . وخليق بالطريق الى الغاية ان يتكون بلونها وان يأخذ لنفسه من قيمتها .

ولو لم يصح ان التطور انما يتكون بلون نتائجه وغاياته ، لما صح لنا القول بان الحضارات تشيخ وتهرم ، ثم تذبل وتموت .

هذا ، عندما نفرض ان تكون بواعث التطوير تطلعا مخلصا نحو الافضل والاكمل ، اذ رب خطأ يدخل في التخطيط او الاجتهاد ، فيرتد المجتهد او الباحث ، بسبب ذلك الى الانحدار والنقصان .. فكيف عندما ننظر ، فنجد ان بواعث التطور كثيرا ما تتمثل في نزوة من نزوات النفس او مصلحة شخصية لفرد او لفئة قليلة من الناس ، او ضرر مما قد يدعو اليه حقد دفين ، او استجابة لرغبة الاندماج والتقليد ، او عبث يستنفد الطاقة

والجهد ؟ !

ولقد تحدث الناس ذات يوم عن التطور العلمي الذي حظيت به الدراسات التاريخية وتكلموا طويلا عن الفرق بين ماض ، كان المؤرخ فيه مجرد راو أو « وصاف » يصف للناس الحادثة والخبر ثم يتنصل بعيدا ليعود اليهم بمثله ، في وضع حيادى ، لا يسمح له ان يكون اكثر من مرآة حاكية . وحاضر ، غدا المؤرخ فيه محللا لبواعث الاحداث ، مستنطقا لنفوس اصحابها ، مترجما لاهدافها الصامتة ، شارحا لالغاز الوقائع الغامضة ، كاشفا عن اخلافها التي يمضي عليها الزمن ! ......

وحسب اكثر الناس ان الدراسات التاريخية ، قد دخلت ، بفضل هذا التطور ، في وضع اكمل وتهيأت لتقديم ثمار افضل ... وما عرفوا الا اخيرا ، ان هذا التطور انما كان بمثابة سكين تمكن من يشاء ، من تمزيق كل ما يحتفظ به الماضي ، من وثائق الاحداث ، وصحائف الوقائع والاخبار ، ليعود فيحول التاريخ بعد ذلك الى مجرد مسرح ، يملؤه من يشاء ، بما يشاء من الصور والفصول .

اجل .. فمنذ ان جاءنا فرويد واشياعه ، بالمذهب الذاتي في كتابة التاريخ ، وجد الناس انفسهم من هذا المذهب ، امام ما يشبه قدرا كبيرة على نار حامية ، تتبخر فيها احداث الزمن الغابر لتتصاعد اطيافا قابلة للتلون باى لون يشاؤه خيال الكاتب ، او قل : المخرج او الممثل .

في ظل هذا المذهب العجيب ، اصبح المؤرخ في حل من التقيد بقواعد الرواية والسند ليصبح متهيئا لان يدخل ، بخياله وافكاره ووجدانه ، في معترك الاحداث الخالية التي انقطعت عنها معظم الدوافع والبواعث النفسية والبيئية التي جاءت على اعقابها .. فلو كان هذا الكاتب او المؤرخ ، ملكا من ملائكة الله تعالى ، في صفاء قصده ، وسمو نفسه ، لما استطاع الا ان يصطبغ بلون البيئة التي هو فيها ، وان يخضع لمقتضيات الثقافة التي غذي بها ، وان ينجرف في تيار التربية التي نشيء عليها ، ثم لما وجد مناصا من ان ينظر الى تلك الاحداث الغابرة ، بمنظار هذه الموازين الجديدة !

فكيف ونحن نرى ان اكثر من يدرسون التاريخ بهذه الطريقة اليوم ، يحرصون الحرص كله على أن يجعلوا من التاريخ مرآة صافية تجلو عليها مذاهبهم الفكرية ، او آراؤهم السياسية ، او أغراضهم النفسية ! ... يحاول كل منهم ، ان يجعل من عبر الماضي ، الشاهد الامين الوقور على صدق ما يحلو له من مذهب ورأى !

هل هو هدف اقتصادى ؟

وها أنذا اضع امام القارىء نماذج من التفسيرات الحديثة لبعض صفحات التاريخ ، فلسوف يجد كيف انها تفسيرات منفصلة عن احداثها ، بل مناقضة لها !

وعلى الرغم من انني لا استطيع في هذا المقال الموجز ان اضع بين يدى القارىء اكثر من نماذج ابدأ بها من صدر التاريخ الاسلامي فما بعد ـ الا انني اعتقد انه لا يعفي المؤرخ الانساني المنصف شيء عن وجوب النهوض باعادة النظر في سائر الكتابات الحديثة عن تاريخنا العربي والاسلامي ، لتصفيته من العبث الذى دخل عليه ، ولتطهيره من الافتراءات التي التصقت به ثم لتنشيطه من عقال الاثقال المتناقضة التي حملها ، ابتغاء ان ينطق للناس بافواه متعددة ، فيؤيدهم جميعا في آرائهم ومذاهبهم المتخالفة ، بقطع النظر عن وجود او فقد ، اى مؤيدات لذلك .

من ابرز هذه التفسيرات ، تحليل عجيب يلصقه اصحاب اتجاه معين بصور التاريخ الاسلامي ، يتلخص في القول بان الفتح الاسلامي الذى قاده النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده ، انما كان ثمرة معركة قامت بين يسار اقتصادى تمثل في الطبقة الفقيرة الكادحة وبين رأسمالي تمثل في اثرياء مكة واصحاب رؤوس الاموال فيها .. وعلى هذا فان بواعث ذلك الفتح لم تكن سوى مطامع اقتصادية ، او كانت

هذه المطامع ، على الاقل ، هي الباعث الرئيسي فيها [١] .

ترى اين تقف احداث السيرة النبوية والفتح الاسلامي من هذا التفسير ؟

سؤال طبيعي لا بد ان يطمح لمعرفة الجواب عليه ، كل متطلع الى معرفة الحقائق ، لا يقود عقله سلفا نحو قرارات سابقة او احكام ذراتية معينة .

وننظر فنجد ان احداث الفتح الاسلامي والسيرة النبوية ، تناقض هذا التفسير مناقضة حادة وتقف منه موقف الند من الند ، فضلا عن انك لا تجد ـ مهما تلمست ـ اى صلة ايجابية بينهما .

لقد عرضت قريش ، مما هو ثابت ومعروف من احداث السيرة ، على محمد صلى الله عليه وسلم الزعامة والملك ، والثروة الطائلة ، على ان يتخلى عن الدعوة الى الدين الذي جاءهم به ، وقدموا له (وهم العرب الاوفياء) بين يدى عروضهم المواثيق ، حملها اليه شيخ وقور فيهم هو عتبة بن ربيعة ، فاعرض عن ذلك كله .

فلما استيأسوا منه ، وايقنوا انه لا يبغي عن الدعوة التي جاءهم بها بديلا ، ضربوا عليه ، وعلى جميع المسلمين من اصحابه ، حصارا اقتصاديا مهلكا دام ثلاث سنوات تقريبا ، لم يسمع التاريخ بمثله ، قوطع المسلمون خلالها عن سائر انواع التواصل والتعامل ، فلم يكن ينفذ اليهم من السوق درهم ، ولم يكونوا قادرين على ان يستجلبوا بدرهم مما معهم كسرة خبز او قوت يوم ، حتى اصبحوا يأكلون من ورق الشجر وبشيع الطعام ، وتعرضوا مع اهليهم واولادهم لاقسى مظاهر البؤس والضنك ، وهم مع ذلك كله صابرون محتسبون ، يقينا منهم بان هذه الدنيا عرض زائل وانهم مقبلون على الله ، وان ما عنده خير وابقى ! .. افتلك هي حال من يثور بدافع اقتصادى ويغامر في سبيل ابتزاز الاموال والثروات ؟

وعندما هاجر النبي صلى الله علية وسلم الى المدينة ، وهاجر اليها من قبله ومن بعده اصحابه تركوا المال والارض والممتلكات المختلفة ، واستقبلوا بوجوهم شطر يثرب ، وقد تجرد اكثرهم عن كل ما يتعلق به الطامعون في المال ، لا يبتغون عن ايمانهم بالله بديلا ، ولا يقيمون وزنا لدنيا فاتتهم او لملك ادبر عنهم ، افهذا هو الدليل على انها ثورة يسارية قامت من اجل لقمة طعام ؟!

عن العرب والعجم

ولنترك الان صدر التاريخ الاسلامي ، لنقف قليلا عند الخلافة الراشدة ، ثم عند العصر الاموى ، ولنصغ الى خلاصة التحليل الذي انتهت اليه طائفة من المؤرخين ، وفي مقدمتهم بعض المستشرقين من امثال كريمر وفان فلوتين ..

لقد تحول الفتح الاسلامي في هذا العهد ـ في نظر هولاء الكاتبين ـ الى تسلط عربي ضد الشعوب الاعجمية ! .. فان الفتح الاسلامي ماكاد يستقر ويمد جذوره الى المناطق الشاسعة التي بلغها ، حتى استحال الى عمل سياسي ، انشق بسببه المجتمع الاسلامي الى طبقتين : السادة والولاة وقسم كبير من الرعية العربية ، ثم طبقة الموالي ، وهم ذلك الخليط من الشعوب الاعجمية المغلوبة . فاما العرب فانما خلقوا ليسودوا ، واما غيرهم فانما خلقوا لكسح الطرق وخرز الخفاف رخوط الثياب ! .. كما زعموا بان المولى كان محتقرا في المجتمع فلا يخاطبه العربي بالكنية ، ولا يتبوأ اى منصب في الدولة ، وان الناس كانوا يتساءلون فيما بينهم عن امر غريب ، هو هل يستطيع الصالحون من غير العرب الزواج من العربيات في الجنة ؟ .. [٢]

---

(١) من احدث الكتابات التي تتبنى هذا التحليل ، كتاب : النزعة المادية في الفلسفة العربية والاسلامية لحسين مروه .

(٢) من ابرز من رسم هذه الصورة للعهد الاموى ، بل لعصر الخلافة الراشدة ايضا فان فلوتين في كتابه : السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية . ولقد حذا حذوه وبالاسف اولئك الذين يطيب لهم ان يتقبلوا الامور من امثال هؤلاء المستشرقين على عواهنها دون اى بحث او تمحيص .

تلك هي اذن الصورة التي آل اليها الفتح الاسلامي .. لقد غدا مجرد تعبير ثوري عن العنصرية العربية ، بل العنجهية العربية ، استهدف العمل على نقل السيادة من الاعاجم الى العرب . ولئن لم تظهر هذه الاهداف في سعي قادته بادىء الامر ، فانه ـ في تصور هؤلاء الكاتبين ـ كان قصدا مستكنا ، وهدفا ينتظر الفرص السانحة .

تلك هي الصورة فاين اصلها ؟ .. اين هي الاحداث المؤيدة لها ، بل تقول : اين تقف الاحداث التاريخية منها ؟ .

اننا مضطرون ان نؤكد مرة اخرى ، بان هذه الصورة لا اصل لها .. فان اعوزك الدليل على ذلك ، فحسبك دليلا الاحداث التاريخية ذاتها .

على اننا نذكر بما هو معروف ، من ان اسناد اى طبيعة او باعث الى امة من الامم ، لا يصدق بالاعتماد على بينات من الاحداث او الوثائق المتعلقة بتلك الامة عامة ، او بالغالبية العظمى منها فلا جرم ان تصيد الاحداث الشاذة او النادرة ، لاتفسر الا ضمن دائرتها الشاذة او النادرة وحدها واليك الان بيانا موجزا لمدى التناقض القائم بين هذا التفسير الذي اوضحنا خلاصته ، والاحداث التاريخية التي يفرض ان تكون غطاء له :

اولا ـ لم يثبت ان كلمة « المولى في هذا العهد كانت خاصة بالاعاجم من دون العرب ، بل كانت تطلق على كثير من العرب كما تطلق على الاعاجم ، بناء على اسباب لا شأن لها بالعجمة او العروبة ... فلقد كان عبد الله ابن اسحاق ، مثلا مولى للحضرميين ، وكان الحضرميون انفسهم موالي لبني عبد شمس بن عبد المناف . والى ذلك يشير الفرزدق بقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته
ولكن عبد الله مولى أمواليا

ثانيا ـ لم نجد في شيء من الوقائع التاريخية ، العائدة الى عصر الخلافة الراشدة او العصر الاموى ، ما يدل على ان العرب عموما ، او ان غالبيتهم العظمى ، او اى فئة كبيرة منهم ، كانت تحتقر العنصر الاعجمي ، او تسعى لابعاد الاعاجم عن الوظائف النبيلة التي يجب ان لايتبوأها الا العرب . بل الذى رأيناه في هذا الصدد يقرر العكس تماما :

ـ لقى عمر بن الخطاب نافعا ، وقد قدم للحج ، وكان قد استعمله على مكة فقال من استعملت على اهل الوادي ؟ فقال : عبد الرحمن بن ابزى ، مولى من موالينا . فسأله عن حاله . فقال : انه قارىء لكتاب الله ، عالم بالفقه والفرائض . فسر عمر ، وقال : اما ان نبيكم قال : ان الله يرفع بهذا الكتاب قوما ويضع اخرين .

ـ كان عطاء بن ابي رباح مولى لبني فهر ، تولى افتاء مكة ، وكان ينادى منادى الخليفة الاموى في موسم الحج : لا يفتي الناس الا عطاء بن ابي رباح ! .....

وكان على دمامته وسواد شكله يتصدر ارفع مركز شعبي بين العرب .

ـ كان طاووس بن كيسان ـ وهو فارسي ـ لا يبالي ان يوبخ الخلفاء في مجال التذكير والارشاد . وكانوا يتسببون الى رضاه ، وكانت قلوبهم تفيض هيبة له واجلالا . وسارت جنازته يوم مات فوق رؤوس عربية مطأطئة تفوق العد والحصر .

ـ وكان واصل بن عطاء المعتزلي ، مولى لبني ضبة ، وكان صدرا في الادب واللغة والعلوم ، لم ينازعه الصدارة فيها منازع ، ولم ينكر فضله وسموه اى انسان .

اصل الحكاية

هؤلاء نماذج ، من عشرات ، بل من مئات الموالي ، كلهم كانوا يتمتعون بين العرب بالجاه والمكانة في العصر الاموى ، ولم يثبت ان العرب تأففوا قائلين : ان الموالي انما خلقوا لخرز الخفاف وكسح الطرق ! ...

ومن الحقائق التي لا تقبل الريب ، انهم جميعا كانوا يقفون من هذا التآزر والتقدير المتبادل ، تحت مظلة من الوصية النبوية القائلة : « كلكم لآدم ، وآدم من تراب ،

لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على اسود ، الا بالتقوى والعمل الصالح »[٣]

ثالثا ـ ترى من هم الناس الذين بحثوا في ذلك الحكم « الفقهي » الخطير ! ..... الا وهو : هل يجوز للصالحين من الاعاجم ان ينكحوا نساء العرب في الجنة ؟

ان الذي يقرأ مثل هذا الكلام ، في كتاب مثل كتاب السيادة العربية لفان فلوتن او في اي مصدر منقول عنه ، على سبيل الثقة والتسليم (وما اكثر هذه المصادر مع الاسف) ـ لا بد ان يتصور ان هؤلاء الناس هم جمهرة العرب ، بل لا بد ان يتصور انهم من الفقهاء الذين لا يتكلمون الا باسم الدين وشرائعه

ولكننا اذا مضينا نغوص ، في بطون الاحداث التاريخية في العهد الاموي ، بحثا عن جذور هذه المسألة ، لن نعود الا بالخبر التالي :

روى الاصمعي انه سمع اعرابيا في البادية يسأل صاحبه : اترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة ؟ .. فاجابه قائلا : ارى ذلك والله بالاعمال الصالحة .

هكذا نقل المبرد في كتابه الكامل ، هذه القصة ، مضعفا ثبوتها ، عن رجل من اعراب البادية ... وقد رأيت كيف ان الجواب جاء من صاحبه في القصة ذاتها ، دليلا على نقيض هذا التحليل المزعوم .

فانظر كيف ساغ ان يفسر الاعرابي الواحد من جفاة البادية بالناس كلهم ! .. ثم انظر كيف بتر الخبر عن مصدره وقطع عن تتمته ، ليأخذ مظهر البحث الفقهي الذي من شأنه ان يحظى باهتمام الفقهاء ، وهم صفوة الناس في ذلك الوقت ! ....

كل ذلك ، من اجل ان يتيسر القول بان الفتح الاسلامي ، سرعان ما تحول الى سياسة عنصرية ، استهدفت بسط السيادة العربية على سائر الشعوب الاخرى . لعل ذلك يساهم في تفتيت الوحدة الاسلامية ، ويبعث من جديد تلك الفوارق العنصرية التي حطمها الوازع الاسلامي في صدور المسلمين ! ....

ثم انظر كيف يسخر التاريخ للاغراض النفسية والبواعث العصبية في نفوس هؤلاء الباحثين .

الرشيد المفترى عليه

اما الآن ، فلنتجاوز العصر الاموي ، الى الخلافة العباسية ، ولنصغ الى شيء من الكلام الكثير الذي يقال حياة الرشيد وأخلاقه الشخصية ... ان احدنا ليتصور وهو يسمع هذا الكلام ، ان هارون الرشيد لم يكن اكثر من انسان كان يتطوح بين دنان الخمر ، وان معظم لياليه كانت وقفا على اللهو والمجون .

تلك هي الصورة التي رسمت له في كثير من كتبنا المدرسية ، وهي التي رسمت من قبل في كتب أكثر المستشرقين ، ثم في كتب كثير ممن يسيرون وراءهم تجملا وتقليدا .

ولعلي لا انسى تلك الكلمة التي ظلت مثبتة ، الى عهد قريب ، في بعض الكتب المدرسية لاحدى سنوات المرحلة الاعدادية ، عن ترجمة هارون الرشيد ، وما انتهى اليه حاله من البذخ والترف ... وخلاصتها : انه قد بلغ من بذخ هارون الرشيد انه كان ينفق على اعداد طبق جانبي صغير على مائدته ما يزيد على الف درهم ! ...

تلك هي الصورة التي كانت ولا تزال تحشى بها اخيلة اطفالنا الصغار ، عن تاريخنا العربي والاسلامي ، وعن كثير من قادة هذا التاريخ واساطينه ! ... ولا ريب ان هذا هو اقرب السبل الى اثارة اهم اسباب التقزز في نفوس هؤلاء الصغار تجاه تاريخهم الذي هو مصدر فخارهم وأرومة عزهم .

ومع ذلك ، فليس المهم ان يتقزز هؤلاء الفتية او لا يتقززوا .. انما المهم ان تكون الصورة صحيحة ، وان نجد في احداث التاريخ ما يؤيدها ويبعث الحياة فيها .

ولنطلق فنغوص مرة اخرى في اغوار التاريخ العباسي ، وفيما اثبتته امهات كتب التاريخ عن ترجمة

(٣) من خطبته ﷺ في حجة الوداع .

هارون الرشيد ، بحثا عن اي جذور لهذه الصورة فلا نعود الا بما يلي :

روي الطبري في ترجمة هارون الرشيد انه كان يحج عاما ويغزو عاما ، وانه كان يصلي في اليوم والليلة مائة ركعة ، مالم يعتل بعلة او يكن مشغولا بغزو .. وانه لم يكن يقطع في امر من امور المسلمين الا بعد الرجوع الى الصالحين من اهل العلم .

وهذه الترجمة ، لا تعني ان الرجل كان معصوما عن الاخطاء والآثام .. بل لا ريب انه كان على الرغم من هذه الصفات التي نعته بها الطبري وغيره ، واحدا من البشر ، يجوز عليه الزلل والعصيان ، قد يجتهد فيخطيء .. وقد يغضب فيزل .. وقد تجمح به نفسه فيقع في عصيان ... ولكن تلك هي ترجمته في الجملة على كل حال ، والمهم اننا لم نجد في شيء من امهات الكتب التاريخية ان الرجل كان كما يقول هؤلاء : يعيش حياته متطوحا بين دنان الخمر ، يقضي لياليه غارقا في اللهو والمجون .. بل الحق اننا لم نجد له هذه الصورة الا عند فيليب حتى وجرجي زيدان وامثالها .

اما قصة الطبق الذي كلف الف درهم ، فمرد ذلك الى ما رواه المسعودي في كتابه « مروج الذهب » . وهو خبر يزيدنا اعجابا بسيرة هارون الرشيد ومدى خوفه من الله عز وجل .

وها انا لك انقل خلاصة ما رواه المسعودي في ذلك :

حدث ابراهيم بن المهدي ، قال زارني الرشيد بالرقة ، فوجد مرة بين ما قرب اليه من الطعام جاما فيه ما يشبه سمكا مقطعا . فاستصغر القطع ، وقال : لم صغر طباخك تقطيع السمك ؟ فقلت يا امير المؤمنين هذه ألسنة اسماك ، قال : فيشبه ان يكون في هذا الجام مائة لسان ! ... فقال خادمه : يا امير المؤمنين فيها اكثر من مائة وخمسين فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك ، فاخبره انه قام باكثر من الف درهم ! .. فرفع الرشيد يده وحلف ان لا يطعم شيئا حتى يحضره الف درهم . فلما حضر المال امر ان يتصدق به . وقال : ارجو ان يكون كفارة تسرفك في انفاقك على جام سمك الف درهم . ثم تناول الجام بعض خدمه وقال : اخرج من دار اخي ، ثم انظر اول سائل تراه فادفعه اليه ، قال ابراهيم : وكان الجام يساوي مائتين وسبعين دينارا ، فغمزت بعض خدمي للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير اليه ، ففطن الرشيد فقال له : يا غلام اذا دفعته الى سائل فقل له : يقول لك امير المؤمنين احذر ان تبيعه باقل من مائتي دينار ، فانه خير منها .[٤]

تلك هي الصورة السيئة المشينة ، وهذا هو اصلها الرائع العظيم ! ...

فيا للعجب من كاتبين ومؤرخين ، ينكسون الوقائع تنكيسا ، ويكرهونها بعملية (مونتاج) مخجلة ، ليجعلوا منها شاهد زور ضد ابطالها ، مما يقدمون هذه الافتراءات مادة تربية وعلم الى الاطفال البراء ! ...

أأزيدك يا اخي القاريء امثلة ونماذج ؟ ، ان في الجعبة امثلة كثيرة اخرى . ولكن مساحة هذا البحث لا تتسع لكل ذلك ، وان في بعض القول لغناء عن الاسترسال ؟[٥]

والمهم ان اعود فاقول : ان المذهب الذاتي في كتابة التاريخ ، لم يكن في حقيقته سوى اجازة مرور شرعية الى العبث بالتاريخ وابطاله ، ليتحول التاريخ بعد ذلك الى مجرد خادم صغير صغير ، يهيىء لكل فرقة مسرحها الذي تهواه والمناظر المنسجمة معه . وما دامت الفرق المسرحية شتى ، ومصالح الناس متفرقة ، فمرحبا بالاختلاقات والاخيلة المتناقضة يرزح تحتها جميعا منكب التاريخ ! ... ■■

دمشق ـ د . محمد سعيد رمضان البوطي

(٤) مروج الذهب للمسعودي : ٣٦٣/٣

(٥) على انني آمل ان يلهم الله بعض الاخوة المتخصصين في هذا المجال للقيام بجهد يشكرهم عليه الله والعباد ، يزيحون به اللثام عن حقيقة تاريخنا العربي والاسلامي الاصيل ويطهرونه من الافتراءات الملصقة به .

البحث العلمي في الكويت

استثمار على المدى الطويل !

استطلاع : منير نصيف

تصوير : عبد الناصر شقرة



مجمع شمسي لتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية .. ويقول الدكتور صفوت مصطفى رئيس قسم الطاقة انه الاول من نوعه في العالم ، وقد تم اختباره بنجاح تحت ظروف الكويت تمهيدا لانشاء محطة تضم ٥٦ وحدة من هذه المجمعات لتوليد الكهرباء في منطقة الصليبية .



داخل البيت الزجاجي في مزرعة التجارب الزراعية حيث تجرى التجارب على استنباط شتلات من النباتات الرعوية والنباتات المحلية ، والسيدة سميرة احمد سيد عمر ماجستير في ادارة المراعي من جامعة بركلي بولاية كليفورنيا .. تعمل بالمعهد منذ سبع سنوات ...

■ بلد منتج للطاقة يبحث عن بديل لهذه الطاقة ! كيف ؟ ولماذا البحث عن الطاقة ، والكويت دولة مصدرة للطاقة ، تسبح فوق بحيرة هائلة من النفط ؟

« لأن الكويت لا تستطيع ان تعتمد على النفط كمصدر اساسي للدخل القومي في البلاد .. الى ما لا نهاية .. لابد لنا ان نحاول من الآن ان نرسم صورة جديدة للحياة في « كويت ما بعد النفط » ، فالارض الطيبة لن تجود علينا بهذا الخير الذي نقلنا من مجتمع بسيط فقير الى دولة غنية .. من أغنى دول العالم ، الى مالا نهاية مرة اخرى .. لابد لنا من اليوم ان نعمل على تنويع مصادر الدخل القومي في بلدنا ، اذا اردنا ان نضمن مستقبلا أفضل واكثر اشراقا للاجيال القادمة من بعدنا . »

هكذا أجاب المسئولون على تساؤلنا بعد ان التقينا بالقائمين على العمل الكبير الذي يجري منذ بضع سنوات في معهد الكويت للأبحاث العلمية .. هنا على شاطىء الخليج العربي في منطقة الشويخ ، قام المعهد في شكله الجديد ، ومضت الابحاث الجادة منذ بضع سنوات لتطوير وتنويع استخدامات الطاقة الشمسية .. طاقة طبيعية موجودة بوفرة في الكويت ، ثم هي ، باقية ما بقيت الشمس تشرق على هذا الكون الواسع .

ومع أبحاث الطاقة ، كانت هناك أبحاث أخرى في مجالات الحياة الاساسية .. ابحاث في الغذاء ، صيحة هذا النصف الثاني من القرن العشرين في عالم تزداد الافواه الجائعة فوق ارضه جنوبا وشرقا ، بصورة مخيفة ، بلغت طبقا لآخر احصاء أجرته منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة اكثر من نصف بليون جائع .

ثم ابحاث في البيئة .. وكيف نحافظ على نقائها .. وكيف نجملها ونحسنها ، ونحميها من التلوث الذي أصبح يهدد اليوم البر والبحر والجو في مناطق كثيرة من العالم مع التقدم الهائل مع الآلة ودخان المصانع . وابحاث اخرى في مجالات اخرى ..

الهوة تضيق !

ولكن قبل ان نمضي في جولتنا مع هذه الابحاث في المعهد ، نتوقف قليلا عند الهوة السحيقة التي تفصل بين الدول المتقدمة والدول النامية .. فهذه هي ظاهرة النظام الاقتصادي العالمي . انقسام بين مجموعتين .. المجموعة الاولى تضم الدول المتقدمة التي تملك معظم الامكانات التي تمكنها من تطوير وتنمية قدراتها وتضمن لشعوبها استمرارية تحسين احوالها المعيشية ، والمجموعة الثانية من الدول النامية التي تفتقد الى اهم متطلبات عملية التنمية .. وهو انقسام نجم اساسا نتيجة للتباين في القدرات العلمية والتكنولوجية لدول العالم المختلفة .

وقد أدى هذا الوضع الى مطالبة الدول النامية في منظمة الامم المتحدة بضرورة تغيير النظام الاقتصادي العالمي الحالي الى نظام جديد يكفل ازالة هذه الهوة الاقتصادية القائمة ، بين الدول المتقدمة والدول النامية ويضمن تعاون شعوب العالم كلها في المساهمة بصورة فعالة في النشاط الاقتصادي العالمي على اسس عادلة .

علماء عرب خارج بلادهم

ولكننا ، للحقيقة نجد لزاما علينا ان نسجل هنا ان الدول النامية ومن بينها الكويت وبعض الدول العربية الشقيقة الأخرى وهي التي تعنينا اكثر في هذا المجال ، كانت قد بدأت تدرك مدى الخطر الناجم عن الاعتماد على الابحاث التي تجري في الدول التي سبقتها في الميادين العلمية والصناعية والاقتصادية.

لماذا لا يكون لديها هي معاهد خاصة بها للبحث العلمي ؟ ان الامكانات لا تنقصها .. فلديها العقول ، وهي في هجرة مستمرة الى حيث تجد لها منطلقا ومجالا في هذه الدول ذاتها التي نستورد منها العلم والتكنولوجيا .. وفي احصاء قريب اتضح ان اكثر من عشرة في المائة من العلماء في معاهد او مراكز البحوث في الدول المتقدمة ، من أصل عربي ! ثم هي لا تنقصها بعد ذلك الامكانات المادية فالدول الغنية المنتجة للبترول بصفة خاصة قادرة على ان تنفق بسخاء على اي بحث علمي جاد يسهم في حل مشكلات العصر ، من خلال الاحتياجات والمتطلبات الاقليمية ثم الاقطار العربية كلها .

في عام ٦٧ كانت البداية

وبدأت الخطوة الاولى في اكبر « عملية استثمار طويل المدى في الكويت » في عام ١٩٦٧ ، عندما قام معهد الكويت للابحاث العلمية وراح الباحثون وكانوا لا يزيدون على اصابع اليد الواحدة يعملون في صمت الى ان كان عام ١٩٧٣ ، عندما صدر المرسوم الاميري الذي حدد اغراض المعهد في خمس نقاط اساسية .

- القيام بالبحوث العلمية والدراسات التي تتصل بتقدم الصناعة الوطنية ، والامور التي يحيلها اليه الوزير المختص .

- متابعة التطورات الحديثة للتقدم العلمي والتكنولوجي وامداد الادارات الحكومية واجهزة الصناعة والعاملين فيها بالوثائق والمعلومات العلمية والصناعية .

- دراسة موارد الثروة الطبيعية والكشف عنها ، بما في ذلك مصادر المياه والطاقة ، وتوفير افضل السبل لاستغلالها ، وتحسين وسائل الزراعة وتنمية الثروة المائية ومقاومة الآفات والحشرات . وكذلك اجراء الدراسات التي من شأنها ان تيسر الحفاظ على البيئة .

- تشجيع ابناء الكويت على ممارسة البحث العلمي وتنمية روح البحث لدى الجيل الصاعد .

- واخيرا ، انشاء وتوطيد العلاقات مع معاهد ومراكز البحوث العلمية والتكنولوجية في الكويت ومختلف دول العلم ، وتبادل المعلومات والخبرة معها ، لتحقيق تعاون اوسع على الصعيد العالمي ..

وفي خلال تلك السنوات القليلة من عمر هذا المولود الجديد استطاع المعهد ان يحقق الكثير من الانجازات ، وهو في سبيله الى تحقيق اكبر انجاز في مجال الطاقة عندما تنتهي بعض المراحل الاولى في مشروع استخدام الطاقة الشمسية في ادارة التوربينات المولدة للكهرباء .

اقسام المعهد

وذهبنا الى حيث يعمل العلماء الباحثون العرب في مقر المعهد ، ورحنا نجول بين اقسامه المختلفة .. قسم



الاستاذ عبد العزيز حسين رئيس مجلس امناء معهد الابحاث .. « المعهد يحمل رسالة والابحاث التى تجرى فيه نابعة من احتياجات الكويت ودول الخليج والعالم العربي كله . »



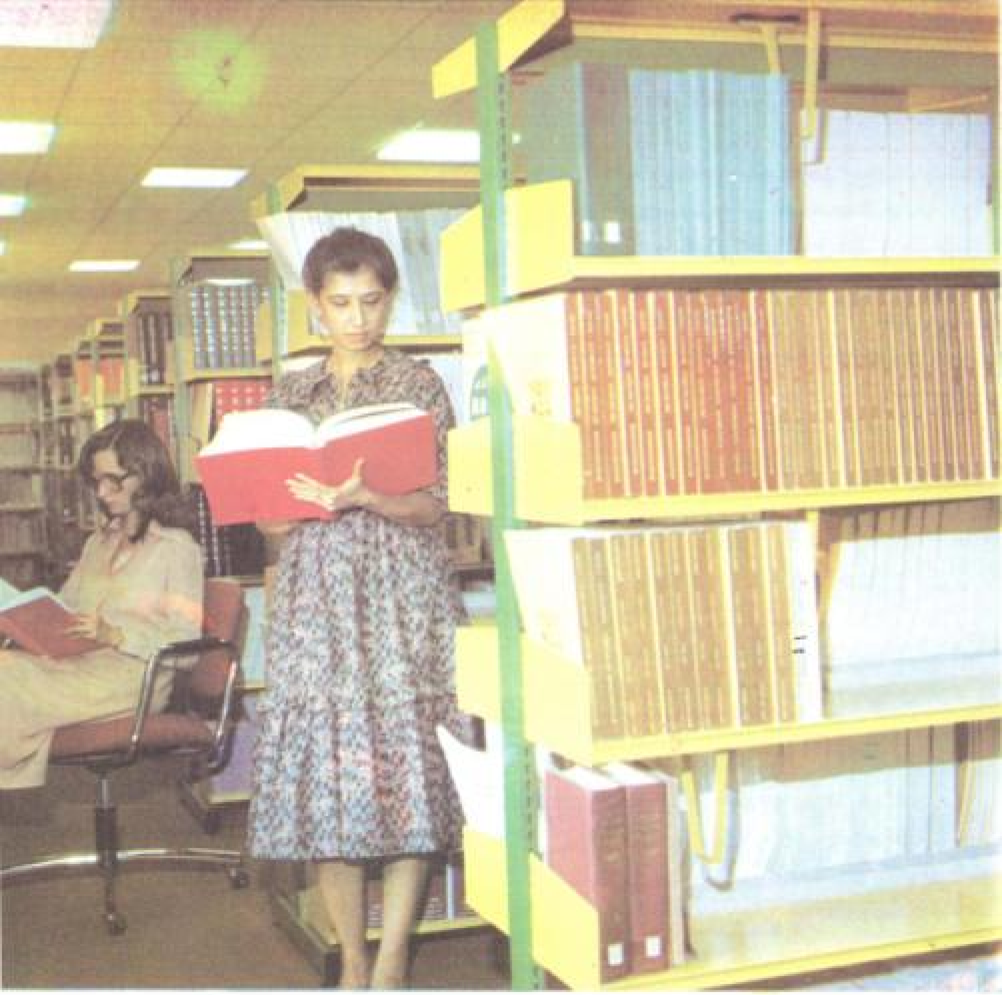
مختبر الرسوبيات حيث تجرى دراسة التركيب المعدني والتوزيع الحجمي لرواسب العواصف الترابية وباحثات في المختبر اثناء قيامهن بفصل الرواسب حسب احجامها .. وعلى مائدة المختبر عينات من الرمال الصحراوية السطحية .

بيوت تربية الدواجن . والبحوث والدراسات الآن تتركز في المعهد على تصميم انسب نموذج لبيوت تربية الدواجن ... وفي الصورة ثلاث بيوت على ارتفاعات مختلفة عن سطح الارض .

مختبر دراسة « الكمأة » او « الفقع » والهدف من هذه الدراسة هو ايجاد طريقة للتحكم في زراعة هذا النوع من القطريات الغنية بالبروتين في البيوت الزجاجية اولا ثم في الحقول بعد ذلك .







يهتم معهد الابحاث بالمراجع العلمية الحديثة التي يحتاج اليها العلماء الباحثون في دراساتهم وابحاثهم . وقد انشأ المعهد المركز الوطني للمعلومات العلمية ويحتوى على ٢٤ الف مرجع باللغة الانجليزية . كما يحوى ايضا مجموعة من المراجع العلمية العربية .



دائرة استزراع الاحياء البحرية والثروة السمكية في منطقة الرأس بالسالمية ... وباحث كويتي شاب مع مجموعة من الربيان المستزرعة في الاحواض المعدة لدراسة معدل نموه وغذائه ومضاعفة انتاجه .



الدكتورة سبيكة العبد الرزاق الاستاذة بجامعة الكويت والباحثة بالمعهد في علوم حماية البيئة .

الغذاء والموارد الزراعية والثروة السمكية ، وقسم البيئة وعلوم الارض ، قسم الهندسة ويشمل الطاقة الشمسية .. وقسم البترول والبتروكيماويات وعلوم المواد واخيرا قسم الاقتصاد التقني ..

وقدم لنا الباحثون صورة لحجم العمل الذي يقومون به في هذه الاقسام الرئيسية وفي الاقسام الاخرى المساندة لها .. ووجدنا انفسنا في بحر واسع لاسبيل الى الوصول الى قاعه في محاولة واحدة ، لذا فقد رأينا ان نعود الى المعهد مستقبلا لتنقل في كل مرة صورة متكاملة لما يحدث في كل قسم من أقسامه ، ونكتفي الآن بلمحة سريعة عن البحوث التي يقوم بها العلماء في معهد الكويت للابحاث العلمية ، كما رأيناها .

مع رئيس مجلس الامناء

وما دمنا نتحدث عن المعهد وانجازاته ، فلا بد لنا من ان ننقل في بداية حديثنا كلمة لرئيس مجلس أمناء المعهد الاستاذ عبد العزيز حسين وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء الرجل الذي يرجع اليه الفضل الاول في إرساء قاعدة هذه المؤسسة العلمية وتشجيعها وتطويرها . قال لنا وهو يستقبلنا في مكتبه : « انني افضل دائما ان يتحدث العمل عن نفسه ، وقد زرتم المعهد فماذا وجدتم ؟ قلنا : « لا شك انه مفخرة للكويت والعرب . »

قال الوزير : « ان المعهد يحمل رسالة ، والابحاث التي تجرى فيه نابعة من احتياجات الكويت ودول الخليج والعالم العربي ككل . ونحن نهتم في هذه المرحلة بالذات بتكوين الاطارات البشرية في مجال البحث العلمي ، وهناك بحوث ودراسات تجرى لتحديد نوعية الصناعات الملائمة والتي يمكن ان تسهم في تطوير الاقتصاد الكويتي بصورة تتوافق مع النهضة الحديثة في البلاد والتقدم الحضاري الشامل فيها .

« صحيح ان الكويت بلد تجاري ، ولكننا نعتقد ان الوقت قد حان لكي تواكب الصناعة التجارة ، فليس هناك صناعة بلا تجارة .

ثم يحدثنا الوزير عن اسلوب العمل في المعهد ، والبحوث التي يوليها اهتماماته ، فيحدثنا عن مشروع تخزين الطاقة الشمسية وعن الميرقة العربية وغير ذلك من الموضوعات الخاصة في مجالات التنمية في البلاد .. واخيرا عن المدينة التي سوف يبدأ العمل قريبا في انشائها على شاطيء الخليج العربي .. مدينة البحث العلمي .. مدينة المستقبل ..

الغذاء والموارد الزراعية

ولم تكن الصدفة وحدها هي التي ساقتنا الى اللقاء بالمسؤولين عن قسم الغذاء في اليوم الاول لزيارتنا للمعهد ، فالغذاء حياة ، ويقول الدكتور إبراهيم حمدان رئيس قسم الزراعة ان هناك ستة مشاريع تجرى عليها الابحاث حاليا ، اولها تطوير البتروبروتين ، او البروتينات المستخرجة من البترول لاستخدامها كعلف للحيوانات ، ثم العوامل المؤثرة على إنتاج الدواجن في ظل البيئة في الكويت ، وقد راى المعهد ان يسهم في صناعة انتاج الدواجن وتنميتها على أسس علمية حتى يمكن تحقيق الاكتفاء الذاتي في هذا المجال في اطار نظرية الأمن الغذائي ، ثم مشروع المراعي ، الذي يهدف الى توفير المراعي اللازمة لمضاعفة الانتاج الحيواني باقل تكلفة ، بالاضافة الى حماية التربة من الانجراف ، ويقوم المعهد بابحاثه في هذا المشروع بالتعاون مع ادارة الزراعة بوزارة الاشغال العامة . ثم هناك بعد ذلك الدراسات المختبرية والحقلية التي تجرى

على الكمأة او « الفقع » ، وهو نبات فطري يحتوى على نسبة كبيرة من البروتينات لا توجد في اي نبات غذائي أخر ، فقيمته الغذائية إذن عالية وممتازة . والهدف من البحوث التي تجرى الآن على دورة تكوين الفقع ، وعلاقة نموه مع النباتات البرية المرافقة ، تستهدف في النهاية إمكانية زراعته والتحكم فيه ، ثم يأتي بعد هذا مشروع استخدام المياه الملوثة في الري والزراعة ، فقد ثبت أن كميات كبيرة من المياه الحلوة الملوثة التي تحتوي على الأمونيا او النشادر وبعض الزيوت والغازات الصالحة لتغذية الارض المنزرعة ، تخرج من الصناعات المختلفة في الكويت وخاصة من مصافي النفط ، وهذه المياه تلقي في البحر فتؤدي الى تلوثه كيماويا وحراريا وحيويا ، فلماذا لا تستغل في الزراعة والري بعد معالجتها والتأكد من صلاحيتها ؟

الثروة السمكية

وفي منطقة الرأس بالسالمية ، على شاطىء الخليج العربي ، وعلى بعد حوالي ثلاثين كيلو مترا من مقر المعهد في الشويخ ، تقع دائرة استزراع الأحياء البحرية والثروة السمكية ، وهي تابعة ايضا لقسم الغذاء والموارد الزراعية ، ومن اول فروع البحث التي قامت بالمعهد عند انشائه في عام ١٩٦٧ ، ويستهدف المشروع مضاعفة الانتاج من الاسماك والربيان وتطويرها وتحسين نوعيتها ، وتقوم الدائرة بالتعاون مع منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة بدراسة علمية دقيقة لمصايد الربيان المستغلة في الكويت ، ووضع تقديرات للمصادر المتوفرة والأسلوب الامثل للاستغلال . كما تجرى دراسات حيوية للحصول على اكبر فائدة من المصايد الكويتية بحيث لا يستهلك اي نوع من أنواع الاسماك الموجودة في مياهها .

حماية البيئة

ثم حماية البيئة وتجميلها وتحسينها ، وتقول الدكتورة سبيكة العبد الرزاق المدرسة بجامعة الكويت والباحثة في قسم البيئة وحمايتها : « ان المحافظة على البيئة هدف تعمل الهيئات والمؤسسات العلمية في مختلف أنحاء العالم على تحقيقه .. فهي الهواء وهي الماء وهي الطبيعة ، وهناك اسباب من صنع الانسان نفسه تسهم في تدهور النوعية البيئية التي يعيش فيها ، كما ان هناك أسبابا طبيعية لادخل للانسان فيها .. وهنا في الكويت وفي شبه الجزيرة العربية كلها نجد ان من اهم المشاكل البيئية الطبيعية ، العواصف الترابية ، او ما يعرف « بالطوز » او « الهبوب » في السودان ، ويقول الدكتور فكري خلف رئيس مشروع دراسة رواسب العواصف الترابية بالمعهد : « ان البحوث التي تجرى الآن تستهدف في النهاية الاقلال من حدة هذه المشكلة الطبيعية ، عن طريق دراسة التركيب المعدني والتوزيع الحجمي لرواسب العواصف الترابية بالكويت في محاولة للتعرف على مصادرها وطريقة انتشارها ، وقد قام المعهد ممثلا في قسم العلوم البيئية والارضية بالتعاون مع وزارة الصحة العامة بدولة الكويت ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي بتنفيذ هذا المشروع .

« والخلاصة المتوقعة خلال المرحلة الاولى من الدراسة تتلخص في توفير البيانات والمعلومات الخاصة بانواع وطبيعة الرواسب السطحية ورسم الخرائط المختلفة لها ، والتعرف على طبيعة حجم وتركيب حبيبات رواسب العواصف الترابية وذلك عن طريق جمع عينات من هذه الرواسب في « جامعات » collectors صممت خصيصا في المعهد ، ووزعت في احدى عشرة منطقة على سواحل الكويت ، واجراء دراسات معملية على هذه العينات بواسطة الميكروسكوب المستقطب والميكروسكوب الالكتروني ، وأشعة اكس ، والتحليل الجيوكيماوي » .

وهناك مشروعات أخرى بطبيعة الحال تهدف الى حماية المياه والهواء من التلوث ، وتشرف على هذه المشروعات الحيوية الدكتورة سبيكة العبد الرزاق .

الطاقة من الشمس

وننتقل الى القسم الذي اخترنا ان ندخل من بابه الى معهد الابحاث العلمية .. الى الطاقة الشمسية ، حديث العلماء والباحثين في كل مكان تشرق عليه الشمس !



باحثة كويتية تخرجت من كل
بجامعة الكويت ، في مختبر
الاحياء الدقيقة لتحديد
العوامل الفسيولوجية لنمو
تابع لقسم الاغذية
بالمعهد .



قسم التخطيط بمعهد الابحاث
الاقسام الرئيسية المكملة
مسؤول عن تخطيط وبنا
المباني اللازمة للابحاث ، بما
المدينة الجديدة التي يجرى
لها الآن مدينة المستقبل التي
المعهد بكافة اقسامه ومساكن
الباحثين فيه .....
المهندسة ربا الجنابي ، امام
لمبنى جديد .



مركز الحراسة امام مدخل منطقة الصليبية للتجارب الزراعية والطاقة الشمسية حيث تجرى التجارب في منطقة مسوره تبلغ مساحتها حوالى ٢٠ كيلومترا مربعا (حوالى ٤٥٠٠ فدانا) . وخصص منها حوالى الثلث لأبحاث المراعي ، وباقي المساحة للابحاث التي تجرى على تربية الدواجن والطاقة الشمسية والثروة السمكية ، وعلوم مواد البناء كالطوب الرملي مثلا .

يقول الدكتور صفوت مصطفى رئيس القسم : « ان الفكرة كانت موجودة .. فكرة استخدام الطاقة الشمسية في التدفئة والتبريد واستخدامات اخرى ، الا أنها بدأت تتطور من مجرد فكرة الى مرحلة التنفيذ الفعلي منذ عام واحد فقط .. وفي اربعة اتجاهات اساسية ، استخدام الطاقة الشمسية في مجال الانتاج الزراعي ، ثم في تحلية مياه البحر ، وفي التحكم البيئي في المنازل والمباني والتبريد بصفة خاصة في صيف الكويت الحار ، واخيرا استخدام الطاقة الشمسية في توليد الكهرباء . وفي كل اتجاه من هذه الاتجاهات يوجد مشروع او اكثر . مثلا في الانتاج الزراعي يجري تصميم وانشاء مستنبتات زراعية ملائمة لمناخ الكويت الحار ، وهذه الأبحاث تعتبر فريدة من نوعها في العالم ، لان ابحاث المستنبتات الزراعية في اوروبا وامريكا الشمالية تتجه في طريق مضاد تماما ، فهم يبحثون عن الدفء .. حتى يمكن انتاج الخضراوات وسط الثلوج في فصل الشتاء البارد !

« وفي الوقت نفسه ، تعمل على استغلال الطاقة الحرارية الزائدة في فصل الصيف الحار في اغراض اخرى مثل تحلية مياه البحر ، وبذلك يتم تبريد المستنبت الزراعي وتوفير الاحتياجات المائية له خلال ما يسمى « بالمجمع المتكامل للطاقة والغذاء والماء »

« ولهذا التطبيق اهمية خاصة في المناطق الصحراوية النائية ، كما هو الحال في مناطق عديدة في شبه الجزيرة العربية وبقية انحاء العالم العربي . »

التبريد .. والتدفئة

ماذا حققت الابحاث التي اجريت حتى الان ؟

« لقد تم تصميم واختبار سبعة نماذج من المستنبتات الزراعية وتوصل المعهد الى نتائج هامة في مجال تقليل الحمل الحراري لهذه المستنبتات عن طريق التحكم السلبي للطاقة الشمسية وتقليل أثر الاشعة غير المرئية المتسببة في رفع درجة الحرارة .

« اما في مجال تحلية المياه ، فيقوم المعهد الآن بانشاء محطة تحلية ، تعمل بطريق التبخير المتعدد المراحل ، مستمدة الطاقة الحرارية من المجمعات الشمسية ، وهذه التجارب مازالت في مراحل التنفيذ الأولية .

« وفي مجال التحكم البيئي ، فقد انشأ المعهد بيتا يتم تبريده وتدفئته بالطاقة الشمسية ، وكذلك منزلا تجريبيا آخر في منطقة الصليبية . وهما في مراحل التنفيذ النهائية ، كما ان هناك مشروعا لتبريد روضة أطفال تابعة لوزارة التربية في منطقة الروضة ، وتشترك في هذا المشروع الأخير وزارة الكهرباء والماء .

« بقي في النهاية ، مجال توليد الكهرباء بالطاقة الشمسية ويقوم المعهد بانشاء محطة تعمل عن طريق التحويل الحراري ، ويتم ذلك بطريق تركيز الطاقة الشمسية للحصول على درجات حرارة مرتفعة لتشغيل التوربينات المولدة للكهرباء . وقد تم بالفعل اختبار المجمعات المصممة خصيصا لهذا الغرض ، وهي الأولى من نوعها في العالم . »

وللقريب نصيب !

ونأتي الى نهاية جولتنا مع اقسام المعهد .. ولكن اين ؟ في قسم البترول والبتروكيماويات ، « وللقريب نصيب » كما يقولون ! والبترول في أرض العرب ! قال لنا الدكتور احمد بشاره : « في هذا القسم اربعة مشاريع يشرف عليها مجموعة من الاساتذة الباحثين المتخصصين . الاول مشروع تآكل المواد المعدنية corrossion ، والهدف من البحوث التي تجرى هو اكتشاف العوامل التي تساعد على عملية التاكل وكيفية التحكم فيها ومعالجتها بالطرق العلمية الحديثة ، ويتم ذلك بالتعاون مع شركات البترول الوطنية . اما المشروع الثاني فهو خاص بالبحث في تجويد البنزين الذي يستخدم كوقود للمحركات والمشروع الثالث يبحث في ايجاد خلطات جديدة من الاسفلت والكبريت الفائض من مصافي البترول بالتعاون مع وزارة الاشغال ، لاستخدامها في تعبيد الطرق في الكويت ودول الخليج ، بحيث يمكن ان تصمد هذه الخلطات الجديدة لدرجات الحرارة العالية في فصل الصيف الحار ، وكذلك اجراء بحوث على انتاج انواع جديدة من الطابوق الرملي الذي



مدير المعهد د . عدنان شهاب الدين .. « في عام ١٩٨١ سنولد الكهرباء بالطاقة الشمسية ود . كاظم بهبهاني « البحث العلمي حساب توفير » ، وليلى كامل رئيسة قسم البرامج الدولية .. « التعاون التقني بين الدول أساس التقدم العلمي » .

يدخل الكبريت في تركيبه ويكون ملائما للبناء في منطقتنا الحاره .

« اما المشروع الرابع فهو تحليل البترول الخام المستخرج مباشرة من حقول النفط المختلفة في الكويت ، بالاشتراك مع وزارة النفط والشركات الوطنية للبترول ، لمعرفة نسب المواد المركبة له والفعالة . والهدف من ذلك هو التحكم في البترول الخام المباع طبقا للمواصفات الدولية . »

اقسام مساندة

مع هذه الاقسام وحولها ، وقبلها وبعدها ، اقسام مساندة لها دورها الفعال في دفع عجلة البحث وتقييمها .. فهناك قسم الاقتصاد التقني الذي يبحث في جدوى كل هذه المشروعات من الناحية الاقتصادية ، ثم قسم الخدمات الفنية الذي يقوم بدور مساند عن طريق المختبر التحليل المركزي ومركز الحاسب الالكتروني « الكومبيوتر » ، والورشة الميكانيكية والورشة الالكترونية .. ان نشاطات هذه الاقسام والمراكز ليست مقصورة على المعهد وحده ، وانما هي في خدمة اية مؤسسة كويتية تطلب خدماتها ، سواء كانت تابعة للقطاع العام او القطاع الخاص .

واخيرا المركز الوطني للمعلومات العلمية والتكنولوجية الذي يعد اكبر مركز من نوعه في منطقة الشرق الاوسط ، وهو يحتوي على ٢٤ الف مرجع باللغة الانجليزية ، كما يضم ايضا عدة مراجع عربية في العلم والتكنولوجيا .

ترى هل استطعنا ان نقدم صورة سريعة للعمل الذي يجرى في معهد الكويت للابحاث العلمية ؟ لا اظن ، ولكنها محاولة على اية حال . وقد وعدنا بأن تكون لنا عودة الى أقسامه ، تنقل مايدور فيها من بحوث بدقة وتفصيل .

بدأ حساب التوفير

لم ننس في ختام جولتنا ان نلتقي بالرجل القائم على هذا المعهد الدكتور عدنان شهاب الدين . المدير العام .. ووجدنا عنده خبرا يستحق التسجيل : « سوف ننتهي من مشروع ادارة التوربينات المولدة للكهرباء في عام ١٩٨١ .. اى في اقل من عامين من الآن ! سيكون هذا هو اول طبق شهي يقدمه المعهد للكويت والعالم » .

ويقول الدكتور كاظم بهبهاني نائب المدير العام : انني أود أن أضيف انجازا جديدا توصلنا اليه وهو تنفيذ برنامج تدريب الشباب الكويتي في مجالات البحث العلمي والتقني .

لقد بدأت هذه المؤسسة العلمية او هي توشك ان تبدأ في وضع اولى ثمار بحوثها في « حساب التوفير » كما وصفه فون براون عالم الصواريخ الذي أسهم في كشف أسرار الكون الواسع من حولنا : قال الدكتور بهبهاني : « ان البحث العلمي حقيقة حساب توفير اذا تأخرت في فتحه الى يوم اعوزتك فيه الحاجة ، فسوف تجد ان القطار فاتك ولا سبيل للحاق به ! »

منير نصيف

انطوني كوين يتحدث الى « العربي »

عمر المختار

كان عمر المختار (انطوني كوين في الصورة الاولى) يقول دائما ان مبروكة (ايرين باباس في الصورة الثانية) « هي مثال
في الصورة الثالثة) فقد كان صديقا أمينا





يبعث حياً!

بقلم
الفاروق عبد العزيز

لكافة الامهات الليبيات . لم ترفع البندقية ولكنها حاربت بجبهة داخلية وبجيل جديد قوي » . أما الغرياني (السيد جبلجود
المختار وقد نعته بأقوى الصفات وأجلها .





شيخ في الثالثة والسبعين متسربل بعباءة بيضاء . تغير لونها بفعل السفر . يعرج قليلا وفي صوته ذبحة . اشتعل الرأس منه شيبا والقلب حرارة . مغلل بالاصفاد من الرأس الى القدم . الصمت يخيم على المكان كله في دار الجنرال الفاشي جراتسياني . الشيخ المهيب يتقدم في بطء ويقول بنظر ثابت في وجه الجنرال : لا يحق لامة ان تحتل ارض امة اخرى ...

ليبيا ليست بلادكم وليس لكم أدنى حق فيها (ويستجمع الشيخ قوته ليسترسل كمن استضاء بنور الايمان) ليس لكم ادنى حق في مرعى صغير لبقرة واحدة ... ويجيب الجنرال : لايطاليا الحق كالآخرين ، لانجلترا حق في مصر .. لفرنسا حق في تونس والجزائر ، فالى أين تريدنا ان نذهب ؟ الخريطة ملآنة كما ترى . واسبانيا تمتلك المغرب ولكن ليس لاي منهم مع ذلك حق مثلنا ... ان لدينا قرونا من « الحق » هنا ...

... ورد عمر المختار في هدوء شديد : لا تتوقع مني انا الذي ستسلبه كل شيء الآن ـ أن أعطيك مبررا للسرقة والسطو ، كيف تستعبد اناسا ولدتهم امهاتهم احرارا ... ليس لامة حق في ان تستعبد امة اخرى ـ في ان تستغل وتنهب أراضي امة اخرى .. ان تسلب حرية امة اخرى . قطع ممتاز !

انتهى تصوير المشهد بالعبارة التقليدية للمخرج . وعلى الفور نقص من عمر الممثل العالمي انطوني كوين عشر سنوات دفعة واحدة ، عاد يتحدث بصوته الأجش اللصيق بشخصيته كما عرفناها على الشاشة قبل ربع قرن . بمكياجه وتعابير وجهه ـ بدا كوين صورة تكاد تطابق البطل الليبي العربي عمر المختار الذي انتهى مؤخرا من تمثيل دوره في ثاني أفلام المخرج والمنتج السوري الأصل ، الأمريكي الجنسية « مصطفى العقاد » . هذا هو الفيلم الثاني لكوين مع العقاد بعد أن قام بدور حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم في فيلم (الرسالة) قبل خمس سنوات .

يتحدثون الآن عن « كوين العربي » . وهو يتذكر افلامه « العربية » الأولى قبل ثلاثين عاما . ويتذكر أشياء أخرى عديدة .

تحدثنا معه طويلا . وكوين لا يمكن أن يكون الا كوين . فهو لا يجيب على أسئلة . إنه في معظم الاوقات يتحدث مع نفسه يجسد كل شيء بيديه ويعبر عن نفسه بأية وسيلة ممكنة . يقفز في قلق من نقطة لاخرى . تكفي كلمة لكي ينتقل الى موضوع آخر مختلف تماما .

وحديث انطوني كوين الى « العربي » سيكون حديثا بلا ضفاف ... سنتركه يتحدث كما يشاء ولنحاول نحن أن نرتب افكاره كما نشاء .

احببت عمر المختار

« أعتقد أن قصة فيلم « عمر المختار » قصة معاصرة تماما .. يمكن مثلا تناولها على مستوى الصراع بين القديم والجديد ، أو الصراع بين وجهة نظر مستعمر توسعي كالجنرال جراتسياني وبين وجهة نظر تحررية بالغة البساطة عند عمر المختار . جراتسياني ليس بالضرورة هو الشاب والمختار هو العجوز بل العكس هو الصحيح تماما . فجراتسياني يحتج بحق الامبراطورية الرومانية القديم فيما اسماه « الشاطيء الرابع » أو ليبيا .

وهذا تخلف مريع ....

« ان اختيار شكل الدراما التسجيلية كان هو الأنسب في اعتقادي لتقديم سيرة رجل عظيم ... لقد أردت أن أقوم بهذا الدور منذ سنوات طويلة . لقد أحببت هذه الشخصية وعلاقاتها المتشعبة مع الاجيال الجديدة من الليبيين . كنت أبحث منذ ثماني سنوات عن قصة تتناول العلاقة بين أب وابن ... ربما لانني كنت أعاني من هوة مفتعلة بين الاجيال ، بيني وبين ابني ، حاولت ان اعثر على قصة تلغي هذه الهوة ، الى أن وجدت « عمر المختار » ... ان علاقته مع جراتسياني يمكن رؤيتها في هذا الضوء أيضا . انها علاقة صراع . العقاد يختلف معي فهو لا يرى انهما قريبان الى هذا الحد . هذا مستوى أخر للرؤية . ولكن ما يؤكد وجهة نظري هو انني لا زلت احترم ان لم اكن معجبا ـ بشخصية جراتسياني ... يعلم الله وحده ماذا دار بينهما في هذه الحجرة المغلقة لقد التقيا مرتين ولا احد يعلم ماذا دار بينهما .

« هل تعلم كيف خطر هذا الدور على بالي مؤخرا ؟ كنا نصور « الرسالة » في ليبيا ، وأخرجت بالصدفة عملة ليبية من فئة العشرة دنانير وجدت عليها صورة المختار التي لم أكن قد تأملتها من قبل . صرخت « يا لله انني اشبه هذا الرجل حقا ؟ »

هل تعلم ؟ انني ارى المختار ايضا غاندي أخر ، اراه زاباتا او بانشو فيللا من ثوار المكسيك التاريخيين . كانت هناك مشكلة صغيرة اثناء التصوير في الصحراء . لقد احضروا لي ربما اجمل جواد عربي . كان ابيض وخلابا ... واحسست ان استخدام هذا النوع من الجياد هنا خطأ جسيم ... اذا كنا نصور فيلما عن غاندي فلن نحضر له سيارة « رولز رويس » !

ان دراما الرجل ، الانسان ، هو انه يفعل ما يتعين عليه فعله ، وليس ما يريده . الصراع يكمن في الاختيار في حدود الممكن . ولم يكن عمر المختار معدا ولا تلقى تعليما خاصا ليكون قائدا ... انه انسان وجد نفسه وسط خيارات . كان الرجل معلما دينيا استمد من كتاب الله طاقة جبارة أعانته وهو الشيخ ذو الثلاثة والخمسين عاما على ان يقود الجهاد طيلة العشرين عاما التالية . انه لم يرتفع في نظر الناس لانه يجيد ركوب الخيل او استخدام البندقية . لقد قادهم بعقله وقلبه وايمانه ، ولهذا اتبعوه .

معلم يجد نفسه فجأة في موضع واختيار آخر . الخيله في الثالثة والسبعين يتأمل ما انسلخ من حياته من اعوام . يشعر انه لم يحقق ما كان يريده . لا اعتقد انه كان يطيق نفسه محاربا عظيما . كان يعرج وكان مصابا بذبحة صوتية ، ولا بد ان ركوب جواد كان بالنسبة له شيئا مرهقا ... كان عليه أن يتأمل ويعلم ويقود شعبا كاملا . انا واثق من كونه لاعبا ماهرا للشطرنج ، كما توفرت لديه معرفة الصحراء . لم يقهر الفاشيين بالسلاح ، بل بمعرفته وضيائه الداخلي العميق .

الصحراء واحة المعرفة

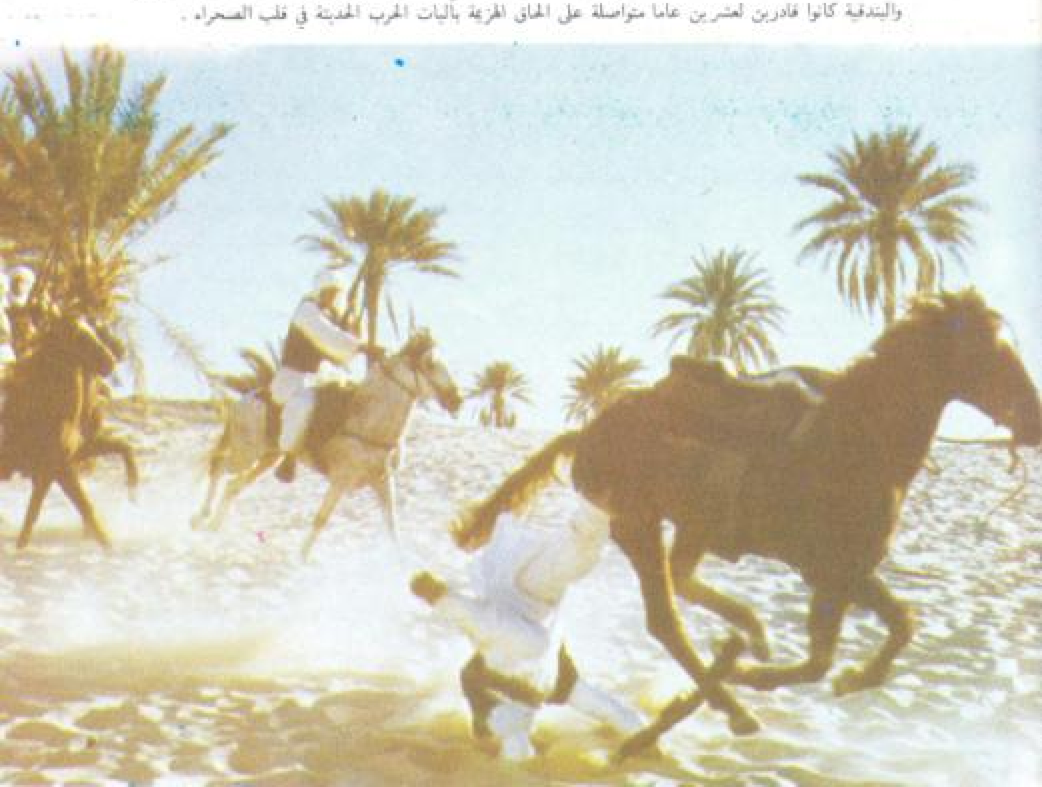
اكتب كثيرا . تعلم انني ألفت كتابا بعنوان « الخطيئة الاساسية » تناولت فيه ذاتي .. تأملتها واكتشفت انه ما زال لدي الكثير الذي لم اكتشفه . كيف كنت اجهل هذه المعرفة الاساسية عن الصحراء . لقد صورت الكثير من افلامي في الصحراء ، ولكن تجربتي في « الرسالة » وفي « عمر المختار » كانت مختلفة حقا ... اكتب الآن كتابا طويلا عن الصحراء ، عن صحراء العقل وصحراء الواقع . الصحراء بالنسبة لي تعني امتدادا في الزمن . اتحدث في هذا الكتاب عن صحرائكم التي خرج منها رجل من اهم رجالات التاريخ « محمد » . والصحراء التي دربت والهمت وعلمت رجلا كعمر المختار . أية صحراء تلك ؟ وأية قوة تزود رجالها بها . أتحدث في الكتاب ايضا عن همنغواي وعن أخرين ...

« لم اكن يوما فيلسوفا او متفلسفا . ولكن ان تعيش في الصحراء لمدة ثمانية اشهر متصلة تقريبا ، تجربة مختلفة تماما عما ألفته .. حاولت كممثل شخصيات ـ فأنا أرفض أن أسمى نجما ـ أن أتخيل شخصيات الرجال الكبار الذين عاشوا في الصحراء .. الصمت .. حكمة الذات سياحة العقل .. التأمل ... ان هذه اوليات المعرفة





عمر المختار : الرجل والبندقية والجواد . « هذا لا يكفي لا بد من ايمان عميق بالاسلام وحب لا يبيد للوطن » . شيخ في الثالثة والسبعين « بالله كيف كان بمقدوره ان يمتطي جوادا ويحارب من فوقه في دروب جبلية وعرة » . ولكن الجواد والرجل والبندقية كانوا قادرين لعشرين عاما متواصلة على الحاق الهزيمة بآليات الحرب الحديثة في قلب الصحراء .



البشرية .. لقد ربينا على معرفة الكتب وهذه وحدها لا تكفي .. ربينا في احضان ثقافة المدن .. وهذه وحدها ايضا لا تكفي .. الصحراء هي احد اسرار قوة محمد ورجاله ، وآخرين منهم قادة العرب العظام ...

لم نفهم الاسلام مطلقا !!

« لم نفهم الاسلام مطلقا ولم نفهم محمدا مطلقا . انني اتحدث عن الغرب وعلاقته بهذا الدين العظيم . ان العالم يجب أن يمارس قدرا اكبر من التسامح والمعرفة والتفهم لهذا الدين . علينا أن نعرف الشيء الكثير عن التجربة الاسلامية ، لكي ندرك الى اي مدى ظلمناها . ثمة شيء آخر : ان ادراكنا القليل للديانات الاخرى يكشف لنا عن ضحالة معرفتنا بالاسلام . من خلال هذين الفيلمين « الرسالة » و « عمر المختار » ادركت والعاملين معنا وبالذات الممثلين الكبار ضرورة التعاطف مع هذا الدين والاقتراب منه بروح خالية من التعصب . هل تعلم أنني صرت اكثر وعيا بحقيقة أنني كنت أمارس احيانا ممارسات قريبة من تعاليم الاسلام دون أن أدري ؟

هذا بذاته كفيل باقناعي باهمية معايشتي لتجربة الصحراء علاقة قوية مع الفطرة . في عام ١٩٦٢ كنت اصور « لورانس العرب » في ثلاث صحراوات ، في المغرب واسبانيا والصحراء الكبرى . آنذاك بدأت افهم لماذا يأتي الانبياء من الصحراء ـ المكان وعلاقتك به . لقد جاءت الديانات الثلاث الكبرى من الصحراء . ليس ذلك مصادفة . في الصحراء قدرة هائلة على النفاذ داخلك واحتواء احاسيسك وتطهيرها ، وتحديد مدى قوة صفائك العقلي .

ان الاديان جميعها تلتقي عند المنبع . طرق متعددة لغاية واحدة : الايمان بالله .

« لقد كان عمر المختار يحارب الفاشية طوال عشرين عاما باسم الجهاد الاسلامي . ولكن المشاهد الغربي الذي لا يعلم شيئا عن الاسلام وقوته سيتعاطف مع المختار في رفضه الاجبار على الانتماء الى نظام يسلبنا حرياتنا . ليست المسألة مجرد فاشيين ضد لا فاشيين . من الممكن ان نتعرف في شخصية المختار المجاهد المسلم على « بانشو فيلا » آخر محارب الجيش الامريكي ، أو زعيم هندي يقاتل ضد استلاب ارضه . أما لو بدأ البعض يربط ذلك كله بالنفط والشرق الاوسط ، فلسوف يكون ذلك ظلما فادحا للعرب وللاسلام . ليس الامر دعاية لعالم عربي بدا ينتج افلاما عن فلسفاته لسبب بسيط ، هو أنه عالميا لا يوجد الآن سوى فيلمين . من جهتي ، استطيع أن أقر بوضوح انني لم اتعرض لاي نوع من انواع الضغط لكي اشارك في هذه الافلام . ان المشكلة الكبرى اليوم هي اساءة فهم الاسلام والشخصية العربية في التاريخ القديم والمعاصر .

« ماذا كانت عليه صورة العربي في السينما الامريكية ؟ شبه انسان ، جاهل ، غبي ومتخلف يضع عمامة على رأسه يثير الضحك والتقزز . في عام ١٩٤٤ اشتركت ـ للاسف في فيلم اسمه « الطريق الى مراكش » وكنت ألعب دور العربي ، والكل يكيل لي الاهانات ويصب السخرية على رأسي . « بوب هوب » وبنج كروسبي » كانا ينتهزان كل فرصة للحط من كرامتي ـ كعربي طبعا ـ بعدها بسنوات قمت ايضا بدور مشابه في « سندباد » . العربي يتحدث العربية التي تعني « لوغاريتمات » . ورموزاً وطلاسم غامضة مثيرة للضحك . هل تعلم انني بدأت اتعلم العربية الى جانب اللغات الخمس التي اتحدثها .. الانجليزية والفرنسية والاسبانية واليونانية والايطالية ...

« حاولت ان اصحح صورة الهندي في السينما الامريكية . حاولت في حدودي ، لماذا ؟ لان في عروقي دماء هندية ، ورأيت الهنود وعشت معهم . لعبت ايضا ادوار الاقليات ... اليوناني والمكسيكي ، والآن العب « العربي » . لابد للعالم أن يتفهم ، والا فإن المظالم ستستمر تجاه العرب ...

« لقد لعبت ادوارا دينية كثيرة . لعبت دور البابا في « حذاء الصياد » ولعل دوري كان تنبؤيا . فمن كان يتصور ان يأتينا بابا من دولة شيوعية . العالم يتغير وأود أن يفهم الغربيون من خلال ادواري العربية ان نظرتهم تجاه الاسلام والعرب يجب أن تتغير . عليهم ان ينظروا لعملي من زاوية تعليمية وحينئذ سيفهمون » .

هموم سياسية

« انا ضد الفاشية بعنف . أنني أعيش في ايطاليا وسط أناس لا يمكنهم ان ينتظروا بعث نموذج موسوليني مرة اخرى . البعض يقول ان غلطة موسوليني البسيطة كانت في التحاقه بهتلر غلطة بسيطة ! بالنسبة لي المسألة مسألة موقف سياسي . اهتماماتي السياسية تعني أن تتبنى موقفا سياسيا والاعلان عنه ....

« ان رجلا كالمختار في السبعين يحارب قوى امبراطورية هائلة من موقف سياسي بسيط . هذا هو الموقف السياسي . ماذا صنع السياسيون المحترفون لنا ؟ لا احد يهتم بهم الآن . لا احد يريدهم . المنصات السياسية لم تعد تفيد الآن . العالم بحاجة الى النقاء السياسي . المطلوب دبلوماسية حقيقة تماما . انا لست اشتراكيا لكن لي قلبا اشتراكيا وعقلا ديمقراطيا .

« أؤمن بالحقوق الانسانية ، ولهذا امثل دائما ادوار الاقليات التي ظلت السينما الامريكية ومن خلفها السياسة طبعا ـ تعاملها بازدراء . ربما لأنني أنتمي الى هذه الاقليات . أحدث افلامي هو « ابناء سانشيز » وهو يتناول قصة اب مكسيكي يعول عائلة ضخمة تضيع في مطحنة الفقر في دروب مكسيكو . انا قريب جدا من « سانشيز » هذا . بل انا « سانشيز » نفسه مثلما أنت عربي .

انا نتبادل نفس المشاعر لاننا ننتمي الى اهل الدماء الحارة ... لن ينجح « سانشيز » في الولايات المتحدة ، لان امريكا وصلت ـ تجاه الاقليات ـ الى درجة الاحساس بارهاق الضمير . لقد تربى لديها احساس بالذنب تجاه الأقليات ولا تريد أن يؤرقها أحد بهذه المشكلة . لقد قمت بالدور لأنه جزء من حياتي » .

همنجواي وبيكاسو في انتظاري

« في كتابي عن الصحراء اذكر همنجواي . اعتقد ان همنجواي قد ترك اثرا في كثير منا . سلوكنا كبشر معاصرين من مفهومه للحياة . أعتقد أنه وضع الخطوط الاساسية للكثير من سلوكياتنا . حتى اننا اصبحنا نقيس ونقيم اخطاءنا قياسا لما حدده همنجواي . مبالغة ! ولكنني اعتقد انه جزء كبير جدا من ثقافة الاعوام السبعين الاخيرة . لقد ترك تأثيرا هائلا من حياتي منذ الثلاثينات . لقد فكرت يوما بان اقدم حياته على الشاشة نقلا عن كتاب « هوكز » عنه ، ولكن زوجته رفضت . سأكرر المحاولة .

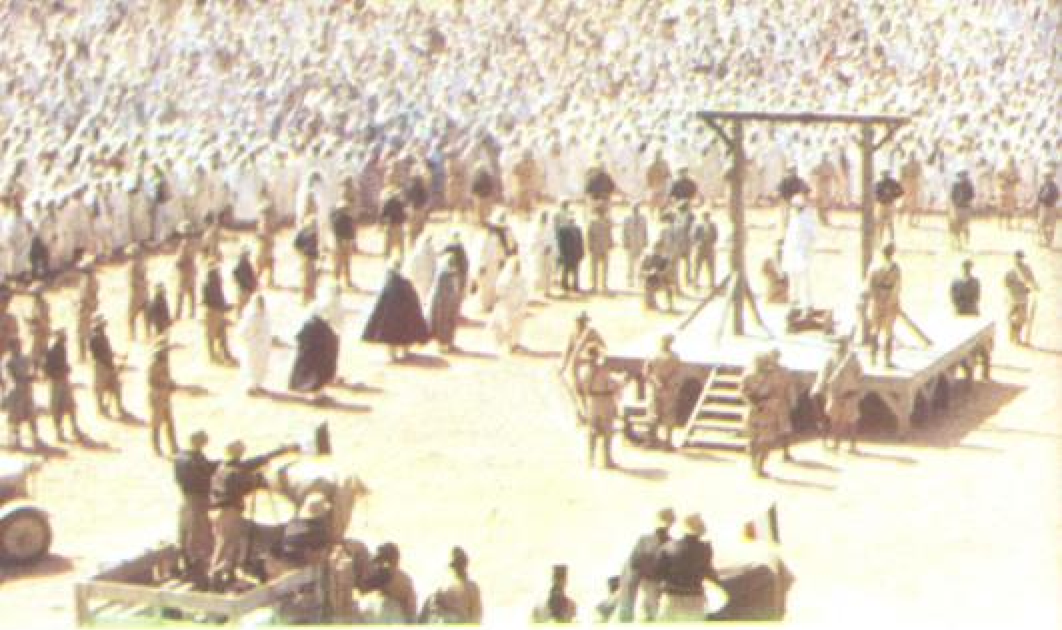
« هو وبيكاسو قد تركا أكبر أثر على ثقافتنا المعاصرة . هل تعلم انه اراد ان يلتقي بي ولكني كنت من الغباء بحيث لم اذهب للقائه . وكان احد الاسباب الرئيسية هو انني كنت افكر في تقديمه على الشاشة . وخطر ببالي أنني اذا التقيت به فسوف اكون مهذبا للغاية ، ووددتُ ان اظل حرا في تعاملي مع صورته ومثاله . لقد تواعدنا على اللقاء ولكن عبادة الابطال التي استولت علي في علاقتي بهذا الرجل نهتني عن لقائه . لم أرد رؤيته وهو يتحشأ . كان هذا محض غباء مني . لقد فعلت هذا مرارا . كنت مرة على وشك ان العب دور « نهرو » وذهبت للقائه وفكرت مرات بعد المقابلة كيف سيتيسر لي أن ألعب دوره . انه صغير الجسم . وظهرت عراقيل كثيرة اهمها تدمير عبارة البطل عندي . ولهذا صرفت فكرة القيام بدوره تماما . اما بيكاسو فاني انتظر الفرصة لتقديمه على الشاشة . انه تجربة زاخرة وقد حان الوقت . غير اني لست في عجلة من امري . انني في الرابعة والستين وقد عاش بيكاسو حتى التسعين ... استطيع دائما ان اقوم بدوره .... هناك تولستوي والبرت شفايتزر وآخرون غيرهم » .

هوليوود والآخرون

ما هي السينما الهوليوودية ؟ هي شكل وايقاع . السينمات الاخرى في العالم تحاول ان تكون عالمية حسنا السينما الهوليوودية سينما عالمية . لان لها ايقاعا مميزا استطاعت نتيجة لعوامل مختلفة ان تفرضه على دور العرض عبر العالم . السينما العربية مثلا تسعى الى ان تكون عالمية لكنها تستعير الشكل والايقاع الهوليوودي فتخفق عالميا . لا بد ان تكتشفوا ايقاعكم الخاص بكم وبهذا تتحقق العالمية . هذا جانب من حيوية السينما الامريكية . الايقاع الامريكي الخالص . جانب آخر لا يقل أهمية ، هو الديمقراطية . فبامكانك أن تنتج في









في تمام الساعة الحادية عشرة وفي اليوم الخامس عشر من شهر سبتمبر من عام ١٩٣١ تم تنفيذ حكم الاعدام شنقا بحق عمر المختار امام عشرين الفا من مواطنيه بقرية « سلوق » الليبية وكان الاهالي قد اقتيدوا من كافة انحاء البادية ليشهدوا تنفيذ الحكم على زعيمهم . على منصة الاعدام لم يطرف للمختار جفن وفي صوت هادىء اعلن : « لم اتنازل قط من قبل في حياتي ولن اتنازل في مماتي وسوف يلحق بكم أيها المستعمرون ابنائي واحفادي من بعدي . سيطاردونكم يوما » . تشهد المختار أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال ان الله غالب على امره وشهد بانا لله وانا اليه راجعون .

من خلف الاسوار الشائكة كانت مبروكة ترقب كل شيء وتلقى بوعد صامت للمختار بان تهب فداء لما حارب من اجله المختار .

امريكا افلاما ضد فيتنام او معها ، ومع الزنوج أو ضدهم ، وهكذا مع الهنود او المكسيكيين او غيرهم دون ان تتعرض لمصادرة ما تراه . هذا عامل اساسي لا يمكن تجاهله .

« هل تعلم انني لم اعش ابدا في هوليوود المدينة بعد عام ١٩٥٠ . عشت في كونكيتكت وفي نيويورك حتى عام ١٩٦٠ حين جئت للحياة في اوروبا . في عام ١٩٥٢ ذهبت لتسلم جائزة الاوساكار عن دوري في « فيفا زاباتا » لا يليا كازان ، وبعدها تعاقد معي دينو دي لاورانتيس للقيام ببطولة افلام في اوروبا ، وها أنذا أعيش في أوروبا منذ سبعة وعشرين عاما . ايطاليا هي طريقة للحياة وليست مجرد مكان أعيش فيه . أستطيع أن أمشي هنا من ٨ الى ١٠ اميال يوميا اسير على ضفاف البحيرات وفي الغابات بحرية كاملة وهم في هوليوود ينافقون وتغلب المظاهر على كل شيء .

« لا يمكنني التنافس مع الاخرين . أقصد مع النجوم . لست نجما أنا ممثل شخصيات . أنا لا اتنافس مع روبرت ردفورد أو دي نيرو . إني واحد من القلائل مع لورانس اوليفيه ـ الذين يحصلون على مرتب نجم ولا نحصل على الفتاة في نهاية الفيلم !! يقولون ان مرتبك يتناقص بانكماش قدرتك على الفوز بالفتاة في نهاية الفيلم !! هذه احدى علامات نجاحي . لقد كففت عن الفوز بالفتاة لافوز بالاوطان . واليوم هذا هو ما أفعله . اني امقت أداء النجوم لانهم يكيفون الادوار لهم ، بينما من المفروض ـ وهذا ما أفعله ـ أن أكيف نفسي للدور . لقد لعبت دور « عمر المختار » ولم اقدم انطوني كوين في دور المختار . اعتقد ان نظام النجوم في طريقه الى التحلل . انه نتاج طبيعي لمجتمع « البل أير » في هوليوود . ولقد مضى ذلك العصر كما اعتقد . ان هناك ازمة في السينما الامريكية نتيجة الاهتمام المبالغ فيه بافلام من نوع « حرب الكواكب » و « سوبرمان » ... انها اعمال اقل مما توصف به انها مراوغة ... »

مخرج عربي لاول مرة

« هذه هي المرة الأولى التي اعمل فيها مع مخرج عربي هو مصطفى العقاد . انه عربي القلب امريكي الاسلوب . لقد تربى في هوليوود ، ولذا افاد كثيرا من ايجابيات الاسلوب الامريكي في الانتاج . « في الرسالة » كان متوترا بسبب الضغوط الهائلة التي كان يعمل في ظلها .... كل خطوة لا بد من التصديق عليها من دوائر عدة . هذه المرة « في عمر المختار » استطعت ان اصدر حكما عليه . انه هادىء ويؤمن بما يفعل ، ويصر عليه وهو انسان مؤمن ، وهذه ميزة كبرى حقا . بالنسبة لي فان هذه الصفات اهم من كونه « سيسيل ب . دي ميل » آخر . لديه تصميم لتحقيق ما يريد . ومنذ خمس سنوات كنا نتحدث عن عمر المختار ، واليوم انتهينا منه وصرنا نتحدث عن صلاح الدين . وربما عملنا سويا معا وربما لا ولكنه سيفعل . هذه ميزة كبرى . فكثير من المخرجين يحلمون ولا يستطيعون التحقيق . انه انسان معاصر ايضا ، ولديه الكثير مما يريد قوله عن الكبرياء والكرامة العربية . لعلك تعلم انني صعب الاعتياد وليس من السهل التعامل معي ربما لانني خلال أربعين عاما من العمل قد تعودت عادات معينة لا يمكن الاقلاع عنها . ولكني استطعت العمل بنجاح مع مصطفى العقاد .

بحثا عن كوين

« ما زلت ابحث عن اجابات لاسئلة حول انطوني كوين الانسان . انطوني كوين الممثل وصل الى درجة من الاجابات المعقولة . ولكنه الانسان لقد اكتشفت ـ وهذا شيء رائع انني اهملت انطوني كوين الانسان طوال هذه السنين ... انني اريد ان احدد طريق حياتي ولم يعد يعنيني كلية صورة كوين الممثل .

لقد بدأت التخلص من الاحساس بالخطيئة الذي ورثته عن خلفيتي الكاثلينية في امريكا تجاه الشعور بالسعادة . انا سعيد . هل تعلم لماذا ؟ لانني استغنيت عن اشياء كثيرة . لقد اكتشفت انه يمكنني ان اعيش دون هذه الاشياء الكثيرة . لم اعد أحتاج الرولز رويس ، لم أعد أحتاج الدراجة النارية ذات السرعات العشر . لم اعد أحتاج كماليات كثيرة . استطيع ان العب « التنس » لمدة ساعتين في اليوم . وأؤدي

شخصيات ملتحاة اجد فيها جزءا من الاجابات على الاسئلة التي تشغل بالي حول انطوني كوين الانسان .

لدي عائلة كبيرة وأطعم ٢٩ شخصا . وارسل ثمانية اولاد الى المدرسة . ولا أشجع أيا منهم لكي يكون ممثلا . اعيش صراع الاجيال ، وهذا يشعرني بالعزلة احيانا ، وهنا قد تكثر الاسئلة ولكن هذا طبيعي تماما . »

المصارع

« هذا هو عنوان عمل افكر في اخراجه للسينما . وهو مأخوذ عن رواية امريكية عن صبي في السابعة عشرة من عمره يريد أن يحقق ذاته ويجد أن المجتمع يفرض نوعا من السلوك عليه . وعليه ان يختار . انه صبي أسود من حي « هارلم » وهو لا يريد ان يحمل اوزار الآخرين ولكنه يريد أن يحيا حياته . ويقرر الصبي أن يتعلم الفن الرجولي للدفاع عن النفس ، ويصير ملاكما ويستمر صراعه داخل المستويات الاجتماعية المختلفة . قصة بسيطة حول مشاكل النمو الاجتماعي اليوم . وهي لا تختلف كثيرا عن طفولتي وصباي ، ولكنها اكثر تعقيدا لأن الحياة نفسها قد صارت اكثر تعقيدا . انها القصة الوحيدة التي أود إخراجها ، وهي تلائم اوروبا كذلك . ولا بد ان يشعر الجيل الجديد بعلاقة حميمة معها .. انها لا تختلف كثيرا عن قصة طفولتي وصباي اليس كذلك ؟ » .

أسئلة وإجابات

لم يكن كوين في نهاية حديثة تقريبا يسأل عن المصارع ومدى اتفاق قصته مع قصة حياة كوين ذاتها . كان في الواقع يؤكد وقد شرد ببصره بعيدا .

فحياة كوين ـ منذ ولد في مدينة تشيواوا المكسيكية لاب ايرلندي وام مكسيكية في عام ١٩١٥ ، هي صورة طبق الاصل من حياة هذا الصبي المصارع الذي يتحدث عنه .

فابوه قد قاتل وجرح في صفوف الثائر المكسيكي الكبير « بانشو فيللا » في نهاية القرن الماضي خلال الثورة المكسيكية . وعاش الصبي كوين مع والديه في ظروف معيشية بالغة الصعوبة الى أن التحق الوالد كمساعد مصور باستوديو « سيلنج » القديم في « لوس انجلوس » .

من حسن طالع كوين انه استطاع ان يتلقى تعليما منتظما . ذهب الى مدرسة الرهبان ثم الى مدرسة الموسيقى حيث تعلم العزف على الساكسفون . درس العمارة وشجعه المعماري الكبير « فرانك لويد رايت » على الاستمرار في الدراسة ولكن .....

كان على الصبي ذي الاعوام الثلاثة عشر ان يهجر المدرسة ليعول اسرته الكبيرة العدد بعد وفاة والده . تقلب في اعمال عديدة .. نجار ، ملاكم ، منظف للسيارات . وما لبث الصبي ان ولع بدراسة الدراما . فالتحق باحدى مدارس التمثيل المسائية . وبعد اعوام من الكفاح والمصارعة من ادنى سفح ، لاحت للصبي فرصة امام نجم هوليوود اللامع انذاك « جون باريمور » في احدى المسرحيات . ولمع كوين . وفي عام ١٩٣٦ تعاقد كوين على المشاركة في تمثيل اربعة افلام دفعة واحدة ، اولها دور الهندي في « رجل السهول » من اخراج سيسيل ب . دي ميل ، وفيه كان الشاب يلقن المخرج الكبير كيفية القيام بدور الهندي في السينما .

رصيد يضم حوالي ١٥٠ فيلما لاكثر من أربعين عاما . كوين (اوساتشيز) يغزو هوليوود ، ويستحق عن جدارة اوسكارات عديدة وتقديرا عالميا في « فيفا زاباتا » (١٩٥٢) « وشهوة الحياة » (١٩٥٦) حين قام بدور الرسام الانطباعي الكبير « بول جوجان » و « زوربا اليوناني » (١٩٦٤) لمايكل كوكايانيس ، حين جسد روح الانسان البسيط الفيلسوف ، عاشق الحياة الابيقوري ، الذي يعيش يومه بيومه ...

الصبي المصارع يكسب الجولة ويستحق ان يعيش في مجتمع « البل اير » الهوليوودي يؤلف الكتب ولا يزال قادرا في سن الرابعة والستين على اكتشاف آفاق وقارات جديدة . وقارة العرب هي آخر اكتشافاته . ■■

الفاروق عبد العزيز





سيدتان بالزي القديم تساهمان في احدى الجمعيات النسائية

وجه من دولة الامارات على شاطىء مياه الخليج .

الشارقة

الرمز والحقيقة ..

استطلاع : مصطفى نبيل

تصوير : عبد الناصر شقرة



العمارات الحديثة ، والطرق الواسعة التي يتوسطها اللون الأخضر ، « لقطة » تنقل التغير والعمران .

على شاطىء الخليج مع خيوط الصباح الاولى . اللوحة جميلة هادئة . لا وجود لنسمة هواء . ولا تمايل لاوراق الشجر . مياه الخليج الزرقاء ساكنة بلا موج . كأنها لوحة رسمها فنان مبدع . وليست جزءا من الحياة ...

وصلت « ابو ظبي » قبل الفجر . واذهلني في الطريق الى الفندق حركة التشييد الواسعة . عمارات من كل طراز . احداها كل واجهتها من الزجاج . واخرى على نسق عمارة « ووتر جيت » الامريكية . وتتزرع هنا البنايات الضخمة ذات الطراز الخاص من كل مكان . الطرق التي امر بها تكاد تكون معبدة لتوها . اهتمام خاص باللون الاخضر . جزر خضراء على طول الطريق . اشجار على الجانبين . يرعاها عمال البلدية بسيارات المياه والرشاشات الدوارة حتى في هذه الساعة من الليل .

اين هذه المدينة المتلألئة بالانوار التي أمامي . من تلك التي وصفها احد زوارها منذ عشر سنوات فقط فقال ... « ليس في « ابو ظبي » طريق مرصوف سوى طريق واحد هو طريق المطار . والمدينة عبارة عن خلاء صحراوي . رمال ملحية . ترى فيها مجموعات العشش متناثرة مع قليل جدا من المباني ذات الطابق الواحد . وليس بها سوى فندق واحد وبيت للضيافة مخصص لضيوف الامارة .. »

ان الفرق بين الأمس واليوم يكشف التغييرات السريعة التي تكاد تكون اسرع تغييرات مرت على جزء من الوطن العربي . فبعد عزلة طويلة عن العالم . وعزلة نسبية عن العرب . وبعد « ان كانت على هامش الدنيا في ارض لا ينبت فيها شيء » . وجدت نفسها تملك اكبر ثروة يملكها مجتمع ...!

ولعل هذا قد خلق صعوبة في الكتابة عنها . تلك الكتابات التي تراوحت بين الاسطورة والواقع . بين الخيال والحقيقة . فسقط الكثير منها بين نقيضين أحلاهما مر . كتابات تقوم على السخرية من هؤلاء الذين هبطت عليهم الثروة فجأة . وكأنهم عالم من الاساطير والمعجزات . او تلك التي تبالغ في المجاملة والمديح . فتندر تلك الكتابات التي تساهم في الحوار الدائر على ارض الواقع ملتزمة بجدل الوقائع ....

وتغفل تلك الكتابات حقائق تختفي في غمرة الاحداث . اهمها ان دولة الامارات العربية حصلت على استقلالها واتحادها في مشارف السبعينات . وهي اطراف محصورة بين البحر والصحراء . وانها الجدار الشرقي للوطن العربي . واحد الثغور التي تعرضت طوال التاريخ لمواجهة القوى الغازية . وأنها من التخوم التي تمثل اقصى نقطة الى الشرق في الوطن العربي . فكانت على مر التاريخ تدفع ثمن « الموقع » في نقطة فاصلة بين الانقسامات والمنافسات السياسية والدينية واللغوية !..

ولكي تمسك بداية الخيط . وتحدد مسارنا . سيكون حديثنا من الشارقة . كنقطة رصد تشرف منها على ما يدور في دولة الامارات العربية وكرمز ونموذج لما تشهده دولة الامارات . فالشارقة لها حدود مع كافة الامارات وذات ارتباطين احدهما بالخليج العربي والآخر بخليج عمان الممتد الى المحيط الهندي . واذا كانت « ابو ظبي » العاصمة السياسية للاتحاد « ودبي » هي مركزه المالي فالشارقة هي عاصمته الثقافية . شهدت اول مدرسة يمتد تاريخها الى عام ١٩٣٥ . عندما استخدم المعلم عظم كتف الجمل للكتابة بدلا من « اللوح ».

جذبني اليها ... خطواتها الوحدوية التي تدفع إليها بقية الامارات وتقوم بدور الريادة على طريقها .

وفي البداية تواجه دولة الامارات عدة قضايا تحكم مسارها وتحدد آفاق المستقبل :

● ان دولة الامارات تعيش متاخمة لمنطقة من اكثف المناطق سكانا في العالم . بينما عدد سكانها اقل من الحد الانسب للسكان . وفرص العمالة بها كبيرة فهي تجذب العمالة من حولها . وتلك قضية لها بعدها الاجتماعي والامني « والعروبي » ....

وتكاد تكون اولى المسائل التي تبحث عن حل .

● كيف يمكن ان يتم التغير السريع الذي تشهده المنطقة . والتدفق الهائل للثروة عليها مع الحفاظ على التوازن النفسي والحضاري للمواطنين ...؟ وكيف يمكن الالتزام بجدول صحيح للاولويات ...؟ حتى لا يكسب المواطن الثروة والمسكن والسيارة ويخسر نفسه ....!

● دولة الاتحاد هي الصيغة الوحدوية الباقية في الوطن العربي . فما الذي ينبغي عمله لدعم الاتحاد والانتقال به الى آفاق ارحب ؟

ومن رأى ليس كمن سمع ....

اطلال التجزئة ....!

كان لابد من اغلاق نافذة السيارة اتقاء لهواء الصحراء الحارق . خلال الطريق الذي قطعته من « ابو ظبي » الى الشارقة .. وصادفت على الطريق أطلال بلدة كانت « نقطة » للحدود بين امارتين . هذه البلدة تقلصت ثم زالت مع قيام الاتحاد ولاول مرة اشعر بالفرحة امام « اطلال » صارت مجرد رمز التجزئة والتمزق ... وبعد ساعة ونصف وصلت الى مدينة « الشارقة » . مدينة تكاد تكون اقيمت لتوها . آثار ورائحة لبناء اكمل حديثا . فكل ما حولك جديد . واول ما يجذب انتباهك الطابع العربي الذي يميز عمارة مبانيها . ولعل اهل الشارقة قد ورثوا عن اجدادهم القواسم الاصالة العربية ....

والشارقة التي اتجول في شوارعها وبين احيائها ذات سمات خاصة أهمها غناها بالتنوع . ففي الامارة الواحات والجزر . وفيها الزراعة والبترول . وتطل على الخليج العربي وخليج عمان ويمتهن اهلها اعمالا مختلفة . ففي الداخل ما زال اهلها يعيشون حياة البادية والرعي والزراعة . وعلى الساحل الصيد وعمال السفن . وتزدهر الأعمال التجارية في العاصمة . وبدأت تشهد بدايات الصناعات الحديثة . حفظ الاسماك . وصناعة الاسمنت . وهي نموذج متكامل من الواحات . الى الجزر . الى الصحاري . وبها الجبال الشاهقة والسهول الممتدة ....

والشارقة ذات الطعم الخاص تتوسط بقية الامارات وتتصل بها جميعا . يطل جزؤها الرئيسي على الخليج بطول امتداد يزيد عن عشرة اميال وتتوغل في الداخل لما يزيد عن ٨٥ كيلو مترا . وتتناثر بقية اجزائها وتتوزع على خمسة أجزاء . ويتبعها على خليج عمان : كلبا . وخورفكان . ودبا . وفي منطقة كلبا وخور فكان تتداخل حدود الفجيرة والشارقة . و « دبا » الصغيرة تتوزع على كل من الشارقة والفجيرة وعمان . كما تتبعثر اراضي الشارقة بين غربي جبال عمان وبين شرقي هذه الجبال ...

ويشق مدينة الشارقة طريق يطلق عليه طريق العروبة يصل بك الى كافة الامارات ......

وكانت وقفتي الاولى في الشارقة الجديدة التي تقوم على اطلال المدينة القديمة . والتي روعي في تخطيطها الوفاء باحتياجات السكان عندما يبلغ عددهم ربع مليون . وتم تقسيمها الى احياء سكنية واخرى تجارية . ومناطق صناعية وبذل اهتمام خاص بالمناطق الخضراء لتكون متنفسا للمدينة .

عندما توفرت الاموال والرغبة الملحة في اقامة مدينة تنافس ما عداها من مدن الخليج قامت الشارقة على هذه الصورة .

وكانت التعليمات التي اعطيت لبيت الخبرة الذي صمم مخطط المدينة واضحة وتقول : « لابد ان يعكس تخطيط المدينة حقيقة اننا شرقيون عرب حتى نجد لنا بين البلاد الاخرى طابعا خاصا مميزا . فلدينا ذخيرة هائلة من القيم . وهدفنا اظهارها فيما نقيم من بنايات ....»

وبدت الشارقة بعماراتها واسواقها ومبانيها الحكومية ذات طراز عربي . به شيء من الطابع الاسيوي . ولان كل شيء في المدينة جديد اصبحت كافة مخافر الشرطة من طراز ولون واحد . وكل مقرات الاطفاء الموزعة في



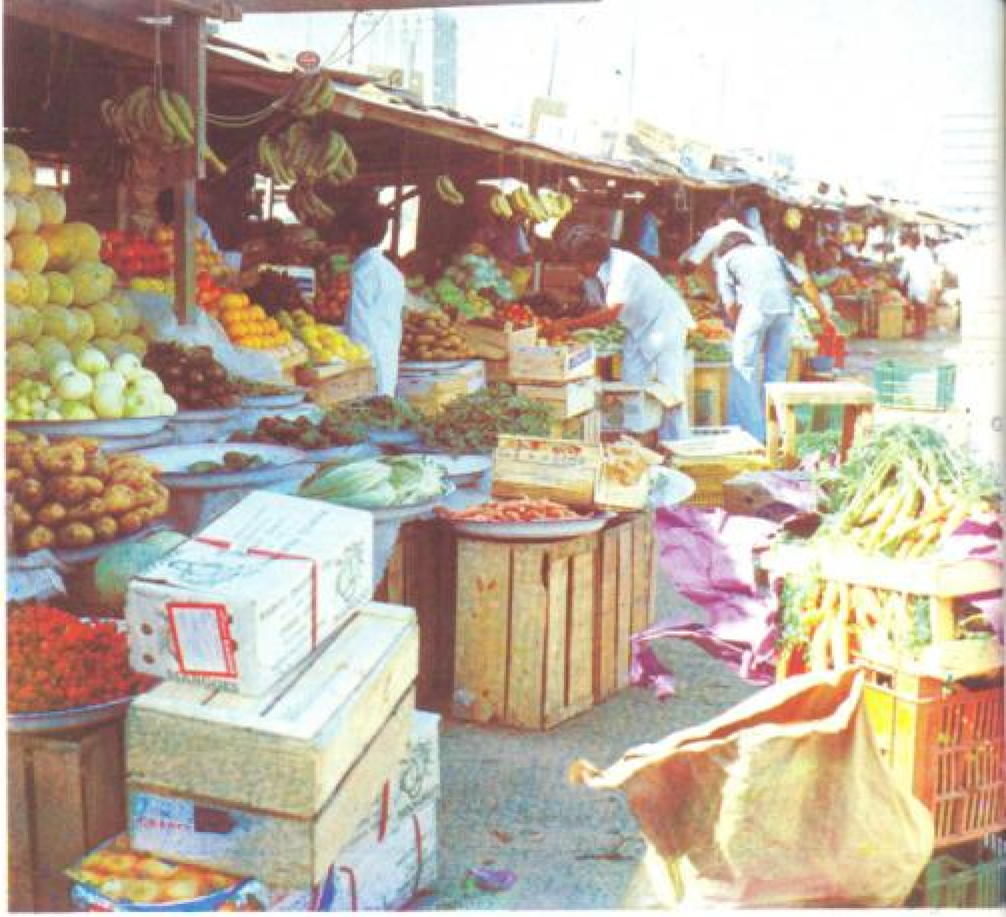
صورة من الداخل لمبنى السوق الجديد بطابعه العربي المميز.

مطار الشارقة الدولي على شكل منارة وثلاث قباب ، والذي يمكن أن تميزه من الجو بطابعه الخاص



لقطة من الخارج للسوق الحديث .







السوق التقليدي ، وسوق آخر على شاطىء الخليج ، يتعامل مع الواردات من ايران والهند وباكستان .



خور فكان والميناء الجديد على خليج عمان الذي يوفر بديلا لمضيق هرمز.

الشارقة من طراز واحد ، وهكذا المدارس والمستشفيات ومقار البلدية . اما العلامات الرئيسية للمدينة والتي ابطأت سيري امامها وانا اطوف شوارع المدينة فكان أولها امام مبنى السوق الجديدة ، فهو بحق أهم هذه المشروعات واجملها واكثرها ذوقا ، وقد بذل فيه عناية كبيرة ، ويغلب عليه اللونان الابيض والازرق خطوطه عربية رشيقة ، « ويتكون من عدد من القاعات على جانبها المحلات ، وتتصل هذه القاعات بعضها ببعض مع استخدام الاقواس والفسيفساء (كما في الصورة) ...

والى جانبه ميناء خالد بمبانيه الحديثة ، الذي يقع على الساحل الغربي ويشمل محطة لخدمة ناقلات البترول ويستقبل السفن بغاطس ١٢ الف طن ...

وفي هذا المكان اخذت مدينة الشارقة تنمو حول خليج صغير ، وظلت خلال قرون طويلة منفذا على البحر ...

انهم يردمون الخليج ..!

ويقع بين السوق والميناء بحيرة صناعية تمارس على مياهها كافة انواع الرياضة ، ودهشت لوجودها الى جانب مياه الخليج ، وأوضح مرافقي ان المنطقة التي اقيمت مكانها البحيرة كانت منطقة لزجة ـ تنز بها المياه ـ فاشار الخبراء بردم جزء منها برمال الجزء الآخر ، وكانت هذه البحيرة الزرقاء ..!!

وكان للثقافة والفن نصيب في تخطيط المدينة ، فاقيم مركز ثقافي يضم مسرحا هو الاول من نوعه في دولة الامارات وقاعات للاجتماع وصالة للمعارض .

كما اقيمت جسور علوية على كل التقاطعات ...

وقامت سلطات الشارقة بكل ما تستطيع لاغراء السكان على البناء ، وضمن هذه الاجراءات ، سمحت بتملك الارض للعرب ، وكانت الامارة الوحيدة التي اعلنت عن حق العرب جميعا في شراء الاراضي ، بل قدمت الاراضي للعرب المقيمين مجانا لاقامة عمارات تجارية او سكنية او مشروع صناعي وجذبت الشارقة العديد من الفنادق العالمية التي شيدت فروعا لها هناك .

على ان هناك صورا اخرى تتراكب فوق هذه الصورة ، وهذا ما رواه مرافقي حول صعوبة انتقال الجماعات التي تعيش في الاحياء القديمة الى المناطق والبيوت الجديدة ، والسبب هو الخوف من تمزق العلاقات الاجتماعية ، والحرص على بقاء دفء اللقاء اليومي بالصحاب والجيران .

ويتم الانتقال امام الاغراءات ، والمخصصات التي يتقاضاها البدو وساكنو الاحياء الحديثة .

اطوف شوارع المدينة ، واحمل معي ذكرى دور القواسم التاريخي ، اقف امام القديم والجديد وثمة خلاف داخل مدينة الشارقة يأتي نتيجة هجرات كبيرة من مناطق متباينة ، مناطق يتزوج سكانها وينجبون ثم يموتون دون اوراق رسمية ، باكستانيون وهنود وبنغال وايرانيون ، حتى انه تكونت مدينة في دبي المتاخمة يطلقون عليها « فريج الكرتون » (أي حي الكرتون) يبلغ عدد سكانها اكثر من ٢٠ الفاً .

والمجتمع هنا يعاني من نقص السكان وتدفق الهجرة غير العربية ، وحسب التعداد الاخير لدولة الامارات وصلت جملة سكان الدولة الى نسبة لا تحقق القوة البشرية المناسبة ، ويوجد تقرير لمؤسسة استشارية سويسرية يقول ... « ان تقييد الهجرة الى البلاد سيضيق السوق .. » ومن جانب آخر يهمس مرافقي .. « ان ارتفاع نسبة الاجانب في هذه الرقعة الاستراتيجية يمثل خطرا بالغا .. » ويضيف .. « إن الحل الذي نادى به

الكثيرون هو المزيد من تشجيع هجرة العرب ويقدر العدد الامثل للسكان بين مليون ومليونين ، وهو العدد الذي يحقق التوازن بين الثروة الطبيعية والقوة البشرية ...

مطار ام جامع ..!

انتقل الى احد المعالم الجديدة للنهضة المعمارية في الشارقة ، فعلى بعد ١٥ كيلو متر شرقي المدينة ، اقيم مطار الشارقة الدولي ، وهو من احدث مطارات الشرق الاوسط ، جهز لاستقبال طائرات الجامبو العملاقة ، ومستوحي طرازه من الفن والحضارة العربية ، وخطوط تصميمه على شكل قباب ثلاث وبرج في تشكيل يشبه احد جوامع اسطنبول ، وشيء مثير ان تستطيع ان تتبين اي مطار في اية دولة هذا الذي تهبط إليه ...

وقد اعد هذا المطار ليستقبل ركاب الترانزيت بين العواصم الاوروبية والدول الافريقية ، وبلاد الشرق الاقصى ، وهذا هو الدور الذي كانت تقوم به القاعدة الجوية البريطانية منذ عام ١٩٣٢ والتي قامت بدور هام خلال الحرب العالمية الثانية في حماية خطوط المواصلات للشرق الاقصى .

واذا اقيمت مسابقة في سرعة انجاز المدن ، فستفوز الشارقة عن جدارة ، فقد تمكنت من اقامة مدينة كاملة باحيائها ومرافقها وشوارعها ومنازلها واسواقها وشركاتها ، ومطار ومرفأ خلال ثلاثة أعوام ...

فقد قامت في بقية أراضي الشارقة حركة تشييد واسعة وان كانت اقل حجما . ولكي أرى الأجزاء المبعثرة لامارة الشارقة انتقلت من الساحل الى الداخل ، ومن السهل الى الجبل في رحلة ممتعة ، واول ما شاهدته على الطريق بقايا حياة البدو ، فعلى الرغم من مشاريع التوطين ، والمخصصات والتعليم والعلاج المجاني ، ـ ما زال بعضهم يفضل الحياة القديمة منطلقين في بيئتهم الطبيعية ..

وكانت اول محطة توقفت عندها واحة الذيد الخضراء التي تقع على بعد حوالي ٦٠ كيلو متر جنوب العاصمة ، رقعة خضراء ، وسط الصحراء ، بها اخصب المناطق الزراعية ، وهي واحدة من اربع مناطق صالحة للزراعة ، والتي تشمل كلبا جنوب خور فكان ، ووادي ما دام ومليهة .

وقطعت الطريق بين الشارقة والفجيرة عبر جبال عمان ...

ووقفت فوق ربوة عالية اشاهد خور فكان على خليج عمان ، الرياح تدوّي ، والمنظر خلاب امامي ، والبلدة تطل على خليج طبيعي تحتضنه الجبال ، ازدهرت بها حرفة صيد الاسماك وتحولت الى ميناء رئيسي للمنطقة الشرقية ، ومركز سياحي هام ، بفضل المشاريع الضخمة التي اقيمت ، ارى في مدخل الخور المرفأ الجديد المزود باحدث التجهيزات ، والتي تشمل الحاويات والروافع الحديثة ، وهو بوابة ترتبط بشبكة طرق معبدة بكل الاسواق في دولة الامارات العربية والسعودية .

وشمال خور فكان زرت « دبا » التي وصفها الرحالة بالجريف في القرن التاسع عشر انها مصغر نادر في الجمال لمدينة نابلي الايطالية ، فهي تطل على خليج رائع تحيط به الجبال ... « وقد لخص كل ما شعرت به » ......

ومن دبا الى الخان ، المدينة القديمة التي مازال اهلها يعيشون على صيد الاسماك واقيم بها حديثا مصنع لتعليب الاسماك .

الجزر ..!

ومرة اخرى في مدينة الشارقة ، نستكمل جولتنا ، ونضع الحقائق والملاحظات جنبا الى جنب ، فبعد ان ارتدت موجة الرخاء مندفعة في الاتجاه الآخر ، شهدت دولة الامارات اولى ازماتها ، ووجدت فنادق بلا نزلاء ومساكن لا تجد من يسكنها ، صاحب ذلك ازمة سيولة نشأت عن انهيار عدد من المصارف ، تلك الازمة التي كان وراءها المستشار البريطاني « سكوت » الرئيس السابق لمجلس النقد المركزي .... والتي انعكست على حركة بناء العقارات ، ودخول المضاربين هذا الميدان ، فبعد فتح أبواب الاستثمار العقاري ، ورصد المليارات للرمل والاسمنت ومواد البناء ، وزيادة عدد البنوك التي فاقت عدد المطاعم ، زاد عدد الملاك على عدد

المستأجرين ، ووصلت الايجارات الى حدود خيالية واصبح صاحب العقار يسترد ما انفقه في أقل من عامين ... ادت المضاربات الى انهيار شركات ، وافلاس مؤسسات ، وهبطت الايجارات الى حوالي النصف واصبح من المألوف ان ترى في المساء اغلب الشقق الجديدة مضاءة مما يعني انها تبحث عن مستأجر ...!

بين مدينتين ....

وهناك بعد آخر للازمة هو المنافسة الحادة بين الامارات على التشييد والبناء ، واذا كانت المنافسة في بعض الأحيان خلاقة فهي ايضا مدمرة ، ونموذج هذه المنافسة المدمرة تلك القائمة بين مدينتي الشارقة ودبي ، الامارتان متلاحقتان ، والمسافة بين المدينتين تسعة اميال ورغم قربهما :

هناك مطار دبي ومطار الشارقة ...!

وميناء خالد ، وميناء دبي ، وميناء ثالث جديد على « جبل علي » في دبي يجري العمل فيه على قدم وساق .. عمارات سكنية هائلة في الشارقة واخرى في دبي ...!

وتدور المنافسة المدمرة في بلدين هما جزء من دولة واحدة ، فعندما اتسعت مدينة الشارقة وانخفضت فيها الايجارات ، وبدأ بعض سكان دبي ينتقلون الى الشارقة ، هددت دبي بانهاء عقود كل من يسكن في الشارقة ، بل منعت سيارات الاجرة التي في الشارقة من العمل في دبي وبقيت المنطقة المتنازع عليها بين دبي والشارقة معبرة عن تلك المنافسة المدمرة عندما توقفت فيها حركة البناء وبقيت ارض فضاء قاحلة ...!!

كل ذلك يصرخ مطالبا بالتنسيق ، فالقرارات الاقتصادية في اي من الامارتين المتجاورتين لها تأثير حاسم على الاخرى ....

الاندماج في دولة واحدة ..!

والشارقة تمثل محطة رصد ممتازة لتجربة بناء الاتحاد التي بدأت خطواتها الاولى عام ١٩٧١ وهذا البناء من اهم ما تمر به الدولة الجديدة واكاد اقول انه يستحق متابعة يومية في تقرير مثل نشرة الاحوال الجوية ، فمنها تعرف الكثير من التغيرات وتكتشف اتجاه الريح ، فهي تقف الى جانب بناء الاتحاد ، لانها من اكثر الامارات معاناة من التمزق ويكفي ان تعرف .. أن الشارقة تتبعثر على خمسة اجزاء ، وتئن تحت هذا الوضع ـ وتصور عزيزي القارىء ـ ان هناك نزاعا على الحدود بين الشارقة ودبي ، وآخر بين الشارقة والفجيرة وجميعهم جزء من دولة واحدة . والمناطق « المتنازع عليها » تدفع الثمن غاليا ، فتتوقف فيها المشروعات ، فادعاء احد الاطراف ملكيته لها يعطيه الحق في وقف اية مشروعات داخلها ، مما يذكرني بقصة المرأتين اللتين تنازعتا طفلا وادعت كل منهما انها امه ، وعندما اقترح القاضي قسمة الطفل رفضت الام الحقيقية وقبلت التنازل عنه ..!

ولا يمكن استبعاد دور القوى الاجنبية التى تعمل على زيادة حدة الصراع باعتبار المنطقة مجالا حيويا للمصالح الاجنبية ، وتعمل هذه القوى على استغلال نقاط الضعف القائمة ، فمشاكل الحدود قديمة وحلها في نجاح تجربة الاندماج في الدولة مما يؤدى الى الغائها ، وجذورها تمتد الى الماضي البعيد ، عندما كان الرعاة والقبائل يتحركون بلا قيود بحثا عن الماء والامن والكلأ ، لا يوقفهم سوى حاجز طبيعي ، الصحراء امامهم مثل البحار ، بلا معالم ولا علامات لم يشغل احد نفسه في عصر ما قبل النفط ، اين تبدأ ...؟ ومتى تنتهي « ديرة » كل قبيلة ، ولكن بعد ان أصبح كسب شريط من الارض اوخسارته يعني الفرق بين « الثراء » و « العوز » ، بدأت مشاكل الحدود في الظهور ...

ولا يمكن ان نغفل ان التبعية السياسية كانت تعتمد على علاقة رؤساء القبائل بالحكام ، على اساس موقع « ديرة » كل منهم ، وتعقدت الصورة بالتدخل الاجنبي الذى هدف الى ضبط طرق الاتصال لتخدم مواصلات الامبراطورية ، متجاوزا « الديرة » و « القبيلة » ، ثم بدأت لعبة البترول وما تقتضيه من ضرب القيادات بعضها ببعض ...

وذهب الاستعمار وبقيت مشاكل الحدود قادرة على اثارة مشاعر اقليمية وخلق وطنيات مفتعلة ليست اكثر من ردود فعل مشكلات خاصة ....

علمان لا علم واحد .....

ورغم مضي تسع سنوات على قيام الاتحاد فما زال علم دولة الاتحاد يرفع جنبا الى جنب مع علم الامارة الخاص ، وكل امارة تملك حق اعطاء التأشيرة ، وان يدخل اليها او يخرج منها من تريد ، بدون العودة الى السلطات الاتحادية طالما لديها مطار او ميناء خاص بها ، وظلت كل امارة داخل الدولة الواحدة تملك اجهزة اعلام وتملك محطة اذاعة خاصة بها ، وحتى اليوم هناك محطتان للتلفزيون بسياستين مختلفتين ، احداهما لدولة الاتحاد في ابوظبي والاخرى في دبي ، وتملك كل امارة جيوشا ومحاكم .

وما زالت الدولة الجديدة تعاني من « فوضى » الصناعة ، فبعض الصناعات الكبيرة مثل صناعة الحديد او ما يتعلق بصناعة التشييد تتكرر في وقت واحد في اكثر من امارة ، رغم ان كل صناعة على حدة تحتاج الى سوق استهلاكية اوسع من دولة الاتحاد ...

وحتى انتاج النفط ليس له ادارة مركزية ، ومثلا النفط في دبي لا تعلم عنه وزارة النفط الاتحادية اية معلومات ، وشئون النفط شئون خاصة بالامارة وعندما سئل وزير النفط الاتحادي عن شئون النفط في احدى الامارات اجاب : بانه لايعرف عنها سوى ما ينشر في الصحف ... وايضا التوزيع الداخلي للبترول فهو يختلف داخل الدولة ، فهو في الشارقة ودبي في قبضة الشركات الاجنبية وهو اعلى سعرا ، وتكررت ازمات التوزيع فيها ، اما في « ابوظبي » فهو في ايدى الشركة الوطنية واسعاره ارخص ....!!

وكل هذه الظواهر المتنافرة تقودنا الى تجربة الاندماج في الدولة الواحدة ، والتي تنشط حينا ، وتتعثر حينا ، وما زالت قضية « الوحدة » قضية ساخنة ، ومازال يتجاذبها طرفان ، احدهما يدفع الي مزيد من الخطوات الوحدوية والآخر يعمل على الحفاظ على التكوينات القديمة ، والجديد ظهور قوى شابة منتشرة في دولة الاتحاد تدعمها



عمارات شاهقة في الشارقة والى جوارها احد الابراج القديمة .

قوى شعبية واسعة تطالب بالحاح بسرعة اتمام الاتحاد ...

فلم يكن مقبولا بعد الاستقلال في نهاية عام ١٩٧١ قيام تلك الكيانات السياسية بالغة الصغر ، ولم يكن مألوفا تلك الظاهرة التي لا مثيل لها في الجغرافيا والسياسية ، الا وهي تناثر اجزاء كل مشيخه او امارة كالشظايا ، فتتألف كل من ابوظبي ودبي ورأس الخيمة من قسمين منفصلين وتتألف عجمان من ثلاثة اجزاء ، والشارقة من خمسة ـ كما سبق ان ذكرت ـ ولم يكن لمشكلات التشرذم والتبعثر هذه ان تزول الا بقيام الاتحاد وانجازه ...

وترى القوى الشعبية العريضة في المطالبة بسرعة بناء الاتحاد ، آفاقا رحبه ، فالدولة الجديدة تملك بوحدتها اسباب التقدم والانطلاق ، فمساحتها تبلغ نحو ٣٢ الف ميل مربع ، وهي تزيد عن بلاد مثل سويسرا وبلجيكا وهولندا ، ولا تقل عن مساحة النمسا او المجر واراضيها حبلى باحتياطي للنفط يبلغ ٣٠ بليون برميل .

ويقوم منطق هؤلاء على ان دولة الامارات ليست غنية فالدخل السنوى الكبير الذى تحصل عليه ، ليس دخلا متجددا ، بل هو تحول للثروة القومية الموجودة في باطن الارض لا يتم الحصول عليها سوى مرة واحدة ...

الامارات بين الغنى والفقر ...!!

واذا كان التفاوت في الثروة الموجود داخل الدولة المتمثل في وجود امارة غنية واخرى فقيرة ، امارة ذات

غنى اسطورى مثل ابوظبي واخرى فقيرة جدا مثل الفجيرة ، وعجز الامارات الصغيرة على تحمل اعباء الادارة اذا كانت هذه اسباب التفكك فيقابلها وجود ثروة النفط القادرة على سد هذه الفجوة والانفاق على تلك الامارات التي لا تتمتع بالنفط ، حتى تساعد ثروة النفط على تقصير المسافة بين مختلف الامارات ...

واذا جربنا الاجابة على سؤال يتردد كثيرا .. هو : ما دور النفط واثره على الوحدة ؟، تجده هنا يساعد تجاوز الفجوة بين الامارات الغنية والفقيرة ، ولكنه أيضا وراء محافظة بعض هذه الامارات على استقلالها ورغبتها في الاستئثار بدخلها ....

وبالفعل ظلت ابو ظبي الواهب السخي في الاتحاد ، وقامت بدور رئيسي في بناء الاتحاد ، فهي الممولة الرئيسية للميزانية ، وقد اجادت في صناعة الوحدة مع التعدد ورغم التنوع ...

اما الصعوبات فتبقى متمثلة في الاوضاع التقليدية القديمة ، والقائمة على النزعة الفردية التي تصل الى حد الانفصالية ، وبقيت قضية بناء الاتحاد خاضعة للعبة « شد حبل » حادة بين الامتيازات التي خلقتها الاوضاع التقليدية وبين الهيئات الاتحادية التي تكون الدولة الجديدة ...

وبقيت عبارات مثل « على جميع الاعضاء احترام استقلال الامارات وسيادة كل منها » ...وبقاء مبدأ الاجماع الذى يشترط لصدور القرارات ، ليضعف التطور الاتحادى ...

ومن المعلومات ايضا ، أن معظم اراضى الامارات بادية فقيرة تعزز النمط البدوى مما يدعم نظام القبيلة ، ذلك النظام الذى سبق أن وصفه احد الكتاب الغربيين بقوله .. « أنه صورة متحفية من ماضي البشرية السحيق قبل ان يعرف العالم معنى الدولة ..!! »

وهذا العامل في طريقه الى الزوال او بدقة يزول بمدى التطور الذى تشهده الدولة ، ليس في المدن الساحلية التي تطورت بالفعل ، بل في المناطق الداخلية النائية . كما يعوق تجربة الاندماج في الدولة مجموعة من التصورات الخاطئة لدى البعض ، مثل تصور ان الاتحاد تطور للمجلس المتصالح الذى اقامته بريطانيا عام ١٩٥٢ ، لكي يلتقي فيه الحكام المحليون لتبادل الرأي ...

او تصور ان الاتحاد لايزيد عن « اتفاق » شبيه لما وقع في مايو عام ١٨٣٥ ، والذى كان يقضي بعدم الاعتداء خلال « فترة مصالحة » في شهور الصيف عندما يبدأ صيد اللؤلؤ .. اما الحركة الوحدوية فهي تتخطى الصيغ الدستورية القائمة ، وتندفع لبناء الاتحاد ، واذا كان وضع التجزئة قادرا على تلاقي المعوقات الداخلية لاستمرار الاوضاع القديمة ، فان تزايد الشعور القومي ونمومطلب الوحدة الاقليمية للخليج كخطوة نحو الوحدة العربية الشاملة ، ليس لدى هؤلاء ترفا ولا كلاما بل ضرورة حتمية ...

ويتزايد تيار الدعوة لانجاز الاتحاد مع كل مدرسة تقوم ، ومع كل مصنع يشيد ، وحدة تدريجية اقتصادية وثقافية واجتماعية وسياسية ، فيدفع ذلك الى استكمال البناء الاتحادى ، وصدور الدستور الدائم ، الذى ينهي الولاء المزدوج ، ويحل جذريا مشاكل الحدود القائمة بين الامارات ، كما يدفع الى تحقيق الوحدة الاقتصادية والجمركية ، وقيام ادارة تخطيط مركزية .....

بل ذهبت الى مدى ابعد فانحازت الى القوى الشابة الجديدة في معركة بناء الاتحاد .

هموم المستقبل ...

وبقي صوت الشباب ، صوت المستقبل ، ففي جلسة ضمت عددا من الشباب المثقف بعضهم حصل على درجات علمية من الخارج ، وبعضهم يعمل بالتجارة ومنهم السفير والطبيب والكاتب ، بينهم المسئول والمواطن العادى ، وقد رتب الجلسة احد الاصدقاء ، لتكون خاتمة جولتي ، وعكست الاراء التي سمعتها هموم المستقبل .

وكان على رأس الموضوعات التي اثيرت مستقبل الاتحاد ، الذى اتفق الجميع ان المواطن ، هو الحاسم في بناء دولة الاتحاد وسيخلق الظروف الافضل على الدوام لصالحه ولصالح الاتحاد ، ثم انتقل بنا الحديث بلا ترتيب



لمسات الفن في اقدام مواطنة من الشارقة .

الى قضية فلسفية تدور حول معنى التقدم ...؟ وما هي معايره ..؟ وهل هو البنايات الضخمة هو ارتفاع مستوى دخل الفرد ؟ او متوسط ما يستهلكه من سلع ضرورية او كمالية ..؟

وقال احد الشباب العائد من الخارج : ان قياس مدى التقدم في دولة ما ، بمتوسط دخل الفرد او بعدد التليفزيونات ، او ارتفاع المباني المشيدة لا يكفي ، فهذه جميعا مؤشرات على ما يتمتع به المواطن ، بل ان الشرط الرئيسي ان يكون حصول المجتمع على السلع والخدمات ناتجا عن ارتفاع قدرته الانتاجية ...

وقاطعه آخر : .. واضيف للتقدم بعدا جديدا هو ما يتمتع به المواطن من الحرية والمساواة . واكمل الشاب الاول : اذا اعتمدنا على مستوى دخل الفرد فان دولة الامارات تكون قد وصلت الى أعلى درجات التقدم ، اما انتاجية الفرد فمازالت تحتاج الى مزيد من الجهد والتغلب على المزيد من الصعوبات .

وتساءل الكاتب : ان السؤال الهام ، هو كيف تساعد الثروة على حدوث التقدم ....؟ واجاب .. اذا أدى وجود الثروة الى انعدام الحافز على النشاط الانتاجي والابداعي او اذا ما عطل وجود الثروة الممارسة الانسانية في العمل الخلاق فالثروة حائل أمام التقدم ...!

واكمل آخر : « بالنسبة للخبرة الاجنبية نلاحظ انه في كل يوم يأتي احد الاجانب يحمل حقيبة ويعرض انشاء مشروع ما ..! فلماذا يأتي الاجنبي من آخر الدنيا للقيام بهذا العمل ولا نقوم به بانفسنا ، اذا كان يمثل حاجة اساسية . وابرع الخبراء الاجانب هم الذين يأتون حاملين نماذج مشاريع ، وليس من الضروري ان تكون في حاجة لها ، اما لانها سابقة لأوانها أو تلائم بلدا آخر اوروبيا او امريكيا ، ومع ذلك يقبل المشروع بدافع الرغبة الملحة للحاق بموكب العصر .

فيجب تحديد نوع الخبرة وتخطيط الاستفادة منها ، وبدلا من استيراد العمال اصحاب المهارة الخاصة ، نستورد من يقوم بتدريب ابناء البلاد على هذه المهارات ، والواقع ان المشروع لايتم الا اذا جاء ذلك الاجنبي يجمعنا ثم يحصل هو على النتيجة والفائدة ..!!

واستدرك قائلا : لست ضد الاستفادة من الخبرة الاجنبية ، ولكن بعد استنفاد الخبرة العربية ، وبالطريقة الصحيحة والتي تضعهم في خدمة اهدافنا لا من اجل خدمة اهدافهم ! واضاف احد الذين ينصتون باهتمام قائلا : إني اتساءل كم بنكا فتح فرعا له ..؟ وكم شركة استشار اقيمت ..؟ واجاب : ينبغي ان ينشأ مجلس قومي للاستشار ، يخطط للدولة ، ويجمع في عضويته ممثلي شركات الاستشار في المجال الواحد .. »

هذه نماذج للحديث الذى دار في مكان ما على شاطىء الخليج ، وهذا الحديث والقضايا التي اثيرت تعكس نظرة ناضجة نحو المستقبل ، وادراكا كاملا للمشاكل ، واذا اتسع هذا التفكير وساد فستكون نقطة تحول اساسية في دولة الامارات العربية . ■■

مصطفى نبيل

جاسبار مونج



التلميذ الذى تحوّل فجأة إلى أستاذ !

بقلم : الدكتور عبد العظيم انيس

جاسبار مونج عبقرية رياضية فرنسية من نوع خاص ، عاش حياة حافلة علميا وسياسيا وهندسيا ، وشاءت الاقدار أن يولد في أسرة معدمة كبيرة العدد (كان أبوه بائعا متجولا يقوم بشحذ السكاكين للمنازل) وأن يعاصر انفجار الثورة الفرنسية فكان أحد رجالاتها المرموقين ثم ارتبط ارتباطا وثيقا بنابليون حتى أصبح صديقه الصدوق في السراء والضراء ، صاحب نابليون في حملته العسكرية على مصر ، وكان مونج أبرز أعلام البعثة العلمية التي أخذها نابليون معه الى القاهرة حيث أسس « المجمع المصرى » ، وكان هو الرجل الوحيد الذى أخذه معه نابليون عند عودته سرا الى فرنسا .

ولقد ظل مونج (١٧٤٦ ـ ١٨١٨) على وفائه لنابليون حتى هزيمته في معركة واترلو ، وعندما أصبح واضحا أن أوربا قد هزمت نابليون نهائيا وأن الملكية الفرنسية قد استقرت ، كان على مونج أن يختفي من بيت الى بيت خوفا على رقبته من المقصلة ، وفصل من الاكاديمية العلمية الفرنسية بناء على ضغط الملك ، ومات وهو مطارد ، ووصلت الخسة بعائلة « البوربون » الى حد رفض طلب تقدم به طلاب المدرسة العليا للبوليتكنيك للاشتراك في الجنازة !

ان العالم المتحضر كله مدين لمونج باكتشافه علما كاملا وهو الهندسة الوصفية . ومع أن هذا العلم قد تطور كثيرا منذ مونج الا أن كل التطورات التالية تعود الى مونج في جذورها . ولقد ظلت الهندسة الوصفية فرعا من فروع الرياضيات التطبيقية زمنا طويلا ، لكنها لم تعد تثير اهتمام علماء الرياضيات اليوم ، لانها أصبحت علما مغلقا يصعب فيه أى اجتهاد ، ولانها انتقلت الى كليات الهندسة في جامعات العالم فأصبحت الأساس في بعض فروعها .

ولكن مونج لم يكتف بهذا الاكتشاف مع أنه كان كافيا لتخليد اسم أى عالم كبير ، وانما أثار انتباه علماء

عصره باقحامه علم التفاضل والتكامل في دراسة انحناء السطوح ، ووصل في هذا المجال الى درجة أن لاجرانج ـ أبرز علماء الرياضيات الفرنسيين آنذاك ـ قال بعد سماع محاضرة لمونج في المدرسة العليا للبولتكنيك :

« لقد فسر لي مونج اشياء هامة جدا كنت أود أن أفسرها بنفسي . وان هذا الشيطان سوف يخلد اسمه بتطبيقه للتحليل الرياضي على علم الهندسة » .

أضف الى هذا اكتشافاته الهامة في ميدان المعادلات التفاضلية ، وأنه وصل الى كل ذلك وهو مشغول بأعماله السياسية والمناصب الكبرى التى تولاها وطلبات نابليون التى لا تنتهي ... حتى نرى أي عبقرية هذه التى تقمصت روح مونج وخلدت شخصيته .

طريقان للنجاح

كان مونج فقيرا في مولده ، فقد كان ابوه بائعا متجولا في فرنسا قبل الثورة ، ولكنه كان شديد الاحترام للتعليم ... كافح من أجل ارسال أولاده الثلاثة الذكور الى المدارس ، وتفوق الثلاثة ولكن جاسبار كان نابغة العائلة ! .

في المدرسة كان جاسبار يحصل على جوائز التفوق في كل المواد ، وتفوق على التلاميذ المتفوقين باهتمام خاص في الميكانيكا والهندسة ، وكانت هذه أول اشارة الى اتجاه مونج في المستقبل . وعندما كان مونج في الرابعة عشرة أذهل أهل قريته بتصميمه لماكينة لاطفاء الحرائق ، وإذ سئل كيف استطاع ذلك دون نموذج أمامه كانت اجابته :

« ان لدى طريقتين لا يخطئان للنجاح ... عناد لا يقهر ، وأصابع قادرة على أن تترجم أفكاري باخلاص هندسي » .

لقد كان مونج بالفعل « مولودا هندسيا » اذا جاز هذا التعبير ، اذ كانت لديه قدرة خارقة على تصور أعقد علاقات الفضاء في لحظات .

ثم أذهل أهل بلده ـ وهو في السادسة عشرة ـ بابتكار جديد آخر .. فقد استطاع أن يرسم خريطة مساحية للبلدة دون مساعدة من أحد ، مستخدما في ذلك آلات مساحية من ابتكاره هو . وكانت هذه الخريطة المذهلة في دقتها هي فاتحة المستقبل لكل حياة مونج التالية .

فقد اقترح أساتذته تعيينه مدرسا للفيزياء بمدرسة في مدينة ليون وهو لا يزال في السادسة عشرة ـ وتم تعيينه بالفعل ، وكان مدرسا ممتازا الى درجة أن ادارة المدرسة ألحت عليه بقبول عقد دائم للتدريس بها . وذهب جاسبار يسأل أباه النصيحة ، ولكن الاب الأريب أشار بالتريث ، فقد كان مؤمنا أن مستقبلا أرفع من هذا ينتظر ابنه .

ثم شاءت الاقدار بعد هذه الواقعة بأيام أن يزور بلدة مونج ضابط مهندس من خريجي المدرسة الفنية العسكرية في « ميزيريز » ، وأن يطلع على خريطة مونج ، فأعجب بها اعجابا شديدا حتى انه ألح على مونج الاب أن يرسل ابنه فورا الى المدرسة الفنية العسكرية . ولكن هذا الضابط نسي أن يذكر أن أبناء الاستقراطية الفرنسية فقط هم الذين يسمح لهم بالتخرج من هذه المدرسة كضباط . أما أبناء « الرعاع » فيقومون بالاعمال الفنية المساعدة فقط عند تخرجهم من المدرسة !

والتحق مونج بالمدرسة العسكرية ، ولم يثنه هذا التمييز الاجتماعي عن العمل الجاد في المدرسة ، وعن التمتع بحياته الجديدة . لقد كانت واجباته الروتينية في المساحة الارضية والرسم الهندسي تترك له وقتا كافيا للاهتمام بالرياضيات ، وبفروع الهندسة على وجه الخصوص .

سر الهندسة الوصفية

وفي أحد الايام الهادئة العادية في حياة مونج بالمدرسة الفنية العسكرية ، وقعت الواقعة التى أحدثت دويا شديدا ، وكانت في الحقيقة بداية علم الهندسة الوصفية . وكان من نتائجها أن طلبت المدرسة من مونج أن يقسم على الاحتفاظ بالسر ، وظل محافظا عليه طيلة خمسة عشر عاما الى أن سمح له أن يلقى أول محاضرة عن الهندسة الوصفية ... كان المقرر الاساسي من مقررات هذه المدرسة هو ما سمى « نظرية تحصين

المواقع » . وكانت القضية الرئيسية في هذه النظرية تتمثل في كيفية تصميم الاعمال الهندسية الخاصة بالتحصين العسكري بحيث لا ينكشف أي جزء من الموقع لنيران العدو . وكانت الطريقة المعروفة آنذاك في هذا التصميم تتطلب عمليات حسابية معقدة تستغرق أسابيع لانجازها . ولكن مونج سلم الضباط الاساتذة حلا لمسألة من هذا النوع دون بذل أي مجهود كالذي يبذله زملاؤه في اسابيع . ورفض الضابط العظيم أن يراجع حل مونج قائلا :

« لماذا أضيع وقتي في مراجعة هذا الحل المزعوم الذي لم يكلف صاحبه نفسه عناء مراجعة أرقامه » .

ولكن مونج أصر في عناد قائلا أنه لم يستخدم في طريقته الجديدة أي حسابات في الوصول الى الحل . وروجع حل مونج بعد الحاح فاذا به هو الحل الصحيح !

في اليوم التالي تحول مونج من تلميذ الى مدرس ، فقد عينته المدرسة مدرسا وظيفته الجديدة هي تعليم الطلاب هذه الطريقة الجديدة التي حولت كثيرا من قضايا الهندسة العسكرية من فزع مخيف الى مسألة بسيطة ، وأقسم مونج في اليوم ذاته ـ أمام كبار المسئولين في المدرسة ـ ألا يذيع هذا « السر العسكري » لاحد خارج المدرسة ، وظل هذا السر مطويا الى أن سمح له ـ بعد الثورة بخمس سنوات ـ أن يحاضر علنا في الهندسة الوصفية . في المدرسة العليا بباريس .. كان لاجرانج أيضا من حضور هذه المحاضرة ، وكان تعليقه بعد المحاضرة شبيها بتعليق جوردان في مسرحية موليير الذي اكتشف أنه يتكلم نثرا طوال حياته ، فقد قال لاجرانج .

« قبل سماع مونج لم أكن أدري أنني أعرف الهندسة الوصفية » !

أستاذان في واحد !

ما هي الهندسة الوصفية اذن ؟

هي طريقة لتمثيل المجسمات العادية على مستوى واحد . وهي ببساطة تقوم على رسم مساقط عمودية لاي مجسم على المستوى الافقي وعلى المستوى الرأسي ، ثم ادارة المستوى الرأسي بحيث يكون في مستوى المستوى الافقي ، أي أنه في الحقيقة يكون لدينا لاي مجسم مسقطان متجاوران في مستوى واحد (وهو لوحة الرسم) ويمكن لاي رسام ـ بعد تدريب قصير ـ ان يكون قادرا على قراءة هذه المساقط بالسهولة التي يقرأ بها الانسان العادي صورة فوتغرافية . وهذا الاكتشاف الذي تبدو فكرته اليوم بسيطة بشكل مذهل هو أساس علم الهندسة الميكانيكية ، وعلوم هندسية كثيرة .

وفي عام ١٧٦٨ كان مونج في الحادية والعشرين من عمره ، ولكنه عين في هذا العام أستاذا للرياضيات بالمدرسة الفنية العسكرية ، وبعد ثلاث سنوات عين أيضا بنفس المدرسة أستاذا للفيزياء عقب وفاة أستاذ الفيزياء بها . وان الانسان ليدهش كيف استطاع هذا الشاب أن يقوم بعمل أستاذين في نفس الوقت وبهذه الدرجة من الجدارة ؟ .

ليس ثمة تفسير لهذا الا أن يكون مونج صاحب جسد غير عادي كما كان صاحب عقل غير عادي أيضا .

ثم استدعى مونج عام ١٧٨٠ الى باريس لمهمة عاجلة ... فقد اقتنعت الحكومة الفرنسية ـ بناء على الحاح بعض علمائها ـ بضرورة انشاء معهد جديد لدراسة علم الهيدروليكا ، وأخذت بالتالي تبحث عن مدير له وكان مونج هو المرشح الاول . وبالفعل قبل مونج ادارة المعهد الجديد على أن يقضي نصف الاسبوع في المعهد الجديد ونصفه الآخر في المدرسة الفنية العسكرية .

وبعد ثلاث سنوات من هذا التعيين ، عندما بدأت حكومة فرنسا تدرك الاهمية القصوى للاسطول الحربي في مواجهة بريطانيا ، وافقت على اعفاء مونج من كل مهامه حتى يتفرغ لامتحان واختيار المرشحين لدخول البحرية من الضباط ، وظل مونج في هذا المنصب حتى انفجار الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

آنذاك كان حلم كل العائلات الارستقراطية في فرنسا هو ارسال أبنائها ليصبحوا ضباطا في البحرية ، وكانت وسيلتهم في الوصول الى هذا هي الوساطة والضغوط وممارسة النفوذ ، وكان مونج ابن « الرعاع » هو وحده المسئول عن اتخاذ القرار في المرشحين ... وفي هذا العمل

كان حازما وعادلا ملتزما بمعايير موضوعية في الاختيار الى درجة أغضبت منه الاستقراطية الفرنسية ، ورغم تهديده مرارا وتكرارا صمم على مواقفه قائلا :

« ابحثوا عن شخص آخر غيري اذا كان ما أفعله لا يعجبكم » !

ولكن المؤرخين اليوم يشهدون أن مواقف مونج الحازمة كانت أحد الاسباب في توفر قوة بحرية قادرة لفرنسا عندما وقعت الثورة وما بعد ذلك .

ثم وقعت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

ولم يكن مونج غريبا على الثورة ، فهو ابن « الرعاع » بالمنشأ ، وتجاربه الاجتماعية المريرة أولا في المدرسة الفنية العسكرية ثم مسئولا عن اختيار ضباط البحرية كانت تؤهله ليكون ابنا للثورة . لقد كان مونج ثوريا بلا ادعاء ودون اصطناع ، وليس اذن غريبا أن تعينه الثورة عام ١٧٩٢ مسئولا عن البحرية والمستعمرات . ومع أنه لم يكن مرضيا عنه في عهد الارهاب باعتباره ليس راديكاليا بدرجة كافية ، الا أن استقالته رفضت اكثر من مرة لانه كان من النوع الذي يستحيل الاستغناء عنه !

وفي ابريل سنة ١٧٩٣ وافقت السلطات على استقالة مونج من جميع مناصبه حتى يتفرغ لاعمال اكثر خطورة ، فقد كان واضحا أن الهجوم على فرنسا على وشك أن يبدأ ، وكانت فرنسا خالية من السلاح والذخيرة . وكان مونج ـ بالاضافة الى الكيميائي برتولى ـ هو روح عملية اعداد جيش فرنسي جديد مسلح تسليحا جيدا قوامه ٩٠٠ الف رجل .

خطاب من نابليون

في عام ١٧٩٦ بدأت المرحلة الثالثة والاخيرة في حياة مونج بخطاب من نابليون اليه يذكره فيه بلقاء تم بينهما عام ١٧٩٢ . يقول نابليون في خطابه :

« اسمح لى أن أشكرك على هذا اللقاء الحار الذى لقيه ضابط صغير في المدفعية من وزير البحرية ... لقد أصبح هذا الضابط الصغير ، قائدا لجيش ايطاليا ، وهو سعيد أن يمد اليك يده كصديق معترفا بفضلك » .

وهكذا بدأت الصلة الحميمة بين مونج ونابليون وظلت حتى الممات . كتب أرجو يصف هذه العلاقة في مذكراته :

« كان نابليون يقول ان مونج يحبنى كما يحب الرجل عشيقته ، ومن الواضح أن مونج كان هو الرجل الوحيد الذى يحمل له نابليون صداقة بلا دوافع أنانية » .

وتطورت هذه الصداقة الى درجة أن مونج عاش مع نابليون في قصره بأودين ، وأصبح الاثنان صديقين لا يفترقان ... نابليون سعيد بمناقشات مونج ومعلوماته التى لا تنضب في كل شئون المعرفة ، ومونج سعيد بلمحات نابليون الذكية وأحلامه لمجد فرنسا ونكاته اللاذعة .

وبلغت ثقة نابليون بمونج الى درجة أنه أرسله الى ايطاليا رئيسا للجنة التحقيقات التى ذهبت الى هناك للتحقيق في حادث مقتل الجنرال الفرنسي ديفو الذى اغتيل بالرصاص في وسط روما ، وهو واقف الى جوار لوسيان بونابرت . ثم ان مونج كان واحدا من القلائل الذين أسر اليهم نابليون مبكرا باستعداداته لغزو مصر عام ١٧٩٨ .

كان نابليون يحلم بفتح مصر لتهديد خطوط مواصلات بريطانيا الى الهند ، ولكنه كان يغلف هذا المشروع بادعاء رغبته في « مساعدة شعب مصر البائس وتحريره من القيود الوحشية التي يرسف فيها منذ قرون ، ثم لمنحه أخيرا ودون تأخير كل فوائد الحضارية الاوروبية » .

واصطحب معه في هذه الحملة بعثة من كبار علماء فرنسا ، على رأسهم الفرسان الثلاثة ... مونج المهندس والرياضي ، فوربيه الرياضى النابغة وصاحب النظرية الحديثة في الاتصال الحرارى ، وبرتولى الكيميائى الذى لعب دورا أساسيا في توفير ملح البارود بفرنسا .

انتقام بعد الموت

كان مونج مع نابليون في سفينة القيادة « الشرق » عندما وصل الاسطول الفرنسي الى الاسكندرية في اول

يوليو ١٧٩٨ ، وقد رغب مونج في المشاركة بالمعارك ولكن نابليون رده بحزم ، وأمر أن ترسل البعثة العلمية في قوارب في النيل الى القاهرة . ويذكر التاريخ أنه بينما كان نابليون يمضي بقواته برا بمحاذاة النيل ، وكان قارب العلماء يمضي في النهر بالقرب من قوات نابليون تعرض القارب لهجوم مفاجيء من المصريين ، وكان مونج على وشك أن يدفع حياته في المعركة التي نشبت لولا أن تدخل نابليون لانقاذه .

وفي ٢٠ يوليو عام ١٧٩٨ دارت معركة الاهرام التي انتهت بانتصار قوات نابليون ودخولها القاهرة ، وفي ٢٧ أغسطس أسس « المجمع المصري » ، وسيق رجالات مصر من العلماء لحضور حفل الافتتاح حيث عرض برتولي تجاربه السحرية في الكيمياء ، وتكلم فوربيه عن عظمة حضارة مصر الفرعونية ، وعرض مونج بعض المقطوعات الموسيقية .

ومع ذلك لم يرحب المصريون بالفرنسيين ، فلم يمض على حفل الافتتاح أيام حتى كان المصريون قد قتلوا ثلاثمائة من جنود فرنسا في كمين ، وكان لهذا الحادث من المقاومة الشعبية دلالته وأثره السيء على نابليون

ثم بدأت الانباء المزعجة تصل نابليون من باريس ، وعندئذ قرر العودة سرا ، ولم يصحب معه في رحلة العودة غير مونج الذي أعطاه تعليمات صريحة بأن يدمر السفينة بالبارود بمن فيها اذا تعرض البريطانيون لها .

وفي باريس ظل مونج الى جانب نابليون ... صديقا حميا وشجاعا قادرا على مصارحة نابليون والخلاف معه دون أن يخشى أذاه . وعندما توج نابليون نفسه امبراطورا كان طلاب المدرسة العليا للبولتكتيك من أوائل المتمردين على هذا التتويج ... تلك كانت مدرسة مونج وفخر جهاده . وفي لحظة من لحظات الاسى قال نابليون لمونج :

« ان تلاميذك قد تمردوا ضدي لقد أعلنوا أنفسهم أعداء لي »

ورد مونج في هدوء : « سيدي ، لقد شقينا حتى نجعلهم جمهوريين ، امنحهم الوقت ليكونوا امبراطوريين . وفوق ذلك اسمح لي أن أقول إنك تحولت بشكل مفاجيء » !

رغم هذه الصراحة كان نابليون يقدر مونج ويحبه الى درجة أنه منحه لقب « كونت » ونسي مونج السعيد عندئذ أنه صوت بحماس قبل ذلك لالغاء الالقاب !

وبسبب سنه لم يستطع مونج ان يصحب نابليون في حملاته العسكرية التالية ، فلم يذهب معه الى روسيا ، ولكنه كان يتابع النشرات العسكرية بحماس حتى أصيب بنوبة صرع عندما قرأ النشرة التاسعة والعشرين التي أعلنت تراجع جيش فرنسا أمام شتاء روسيا القارس وجيشها .

وعندما هرب نابليون من جزيرة « البا » لم يكن مونج ـ على عكس فوربيه وآخرين ـ واحدا من مثقفي الثورة الذين خانوا نابليون وانحازوا الى أعدائه ـ لقد ثبت مونج الى جانب نابليون حتى معركة واترلو ... الى درجة أنه عندما فكر نابليون في الهجرة الى الولايات المتحدة عرض مونج عليه أن يصاحبه في هذه الرحلة ، ولكن نابليون رفض قائلا :

« أنك رجل عجوز الآن ، وأنا في حاجة الى رجل أصغر »

في اكتوبر عام ١٨١٥ كان نابليون قد وضع في قفص « سانت هيلانه » نهائيا ، وبدأت رحلة المهانة للعالم العجوز مونج ، فقد كان أعداؤه يريدون اعدامه ، وأخذ يهرب من مكان لآخر انقاذا لرقبته ، وفي عام ١٨١٦ أصدرت الاكاديمية الفرنسية ـ وياللخزي ـ قرارا بطرده من عضويتها بناء على الحاح الملك !

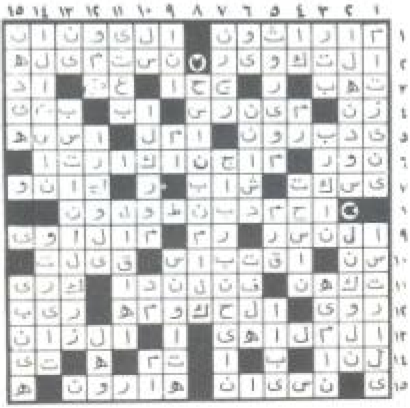
وفي يوم ٢٨ يوليو ١٨١٨ مات مونج ، وطلب تلاميذ المدرسة العليا للبولتكتيك موافقة الملك على اشتراكهم في جنازة مونج . ولكن الملك رفض ..

وبالفعل احترم التلاميذ قرار الملك بعدم الاشتراك في الجنازة ، ولكنهم في اليوم التالي للجنازة ساروا في مظاهرة كبيرة الى المقبرة التي دفن فيها ، ووضعوا على قبره اكليلا من الزهور كتب عليه بالخط العريض :

« تحية لذكرى المعلم والصديق .. جسبار مونج » ■■

د . عبد العظيم انيس

● حل مسابقة العدد ٢٥١ ●



افقياً:

أحمد بن طولون

رأسياً:

حسان بن ثابت

(٨) أفقيا : أحمد بن طولون . خدم في طرسوس فنال ثقة الخليفة المستعين والي مصر عام ٨٦٨م استقلّ بالحكم وأنشأ القطائع عاصمة جديدة له بالقرب من الفسطاط . مدّ سلطانه على مصر وسوريا والموصل وبنى الجامع المعروف باسمه بمصر .

(٨) رأسيا : حسان بن مالك . أمير بادية الشام . من قوّاد معاوية يوم صفين . نسيب الخليفة يزيد الاول . حكم فلسطين وبلاد الاردن في عهد معاوية ويزيد ، وتوفى عام ٦٥ هجرية .

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : ياسين خضير علي الدوري بغداد ـ العراق

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : محمد سعيد الدعيبيي بيروت / لبنان

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : محمد نافع حمد العطاري مكة المكرمة / السعودية

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ محمد الطاهري وجدة / المغرب

٢ ـ صباح حسن علي خابور عمان / الاردن

٣ ـ جلال امين حمد توفيق الاسكندرية / مصر

٤ ـ محمد هاشم الخطيب دمشق / سوريا

٥ ـ نجلاء رأفت اليورنتو الخالدية / الكويت

٦ ـ خليل عبد الحميد عبد الفتاح ابو ظبي / الامارات العربية

٧ ـ سلطان محمد حربان البحرين

٨ ـ محمد عبد اللطيف الدوحة / قطر

المهدئات والشعور بعدم

بقلم : الدكتورة صبيحة الدباغ *

شاع استعمال المهدئات بمختلف أنواعها مع تقدم الحضارة المعاصرة وتزايد ما يلاقيه الانسان من إرهاق ومنغصات في عمله ، وعلى رأسها الليبريوم والفاليوم ، ويعد الأول أسلم في الاستعمال . لأن الثاني قد يؤدي إلى ارتخاء عضلات الأطراف إذا ما استعمل بكميات كبيرة وباستمرار ، في حين أن الأول أسلم من هذه الناحية ومن ناحية إمكان استعمال مقادير أكبر مما في حالة الفاليوم إذا اقتضى الأمر فقد يمكن عند الحاجة استعمال مائة ملليجرام منه في اليوم الواحد بارشاد الطبيب دون ضرر وذلك بخلاف الحال مع الفاليوم ، ولكن ينبغي أن نتذكر أنه كلما ارتفعت نسبة تناول المهدئات قل الشعور بالمسؤولية عند متعاطيها ، رغم أنها لا تحمل الانسان على الادمان عليها ، وان كان مفعولها أشبه بمفعول الكحول ، فتناول كميات كبيرة منه تجعل المرء منطلقا في تصرفاته إلى حد الخروج عن الشعور بالمسؤولية .

وما دام الليبريوم والفاليوم والموكادون mogadon أكثر شيوعا بين المهدئات المستعملة اليوم ، فمن المستحسن اعطاء فكرة عامة عن خصائص كل واحدة منها ليكون المرء على بينة من أمرها .

الليبريوم والوراثة

فالليبريوم له خصائص التهدئة ، ولاسيما ازالة الشعور بالقلق ، وراحة العضلات ، والعمل ضد التشنج ، لذلك يستعمل في حالات الاضطراب والقلق الحادة والمزمنة والعصاب والتهيج ، وكذلك في الحالات التي يقترن فيها المرض الجسمي بالنفسي كالذبحة الصدرية ، والقرحة المعدية والاثنا عشرية والأمراض الجلدية الناجمة عن اضطرابات نفسية ، والعقد المتسببة عن الادمان الكحولي بما في ذلك حالات الهذيان ، وكذلك في الصداع المتأتي عن التوتر النفسي ، كما انه يعالج الأرق أيضا (ولو أن الموكادون أفضل منه في هذا الشأن على نحو ما سنذكر فيما بعد) والبول الليلي في الفراش ، والصرع ، وفي الحالة الأخيرة يستعمل كعلاج مساعد لعلاج آخر ، ويستعمل كمقدمة لمعالجات أخرى كارتفاع ضغط الدم للتأكد من أنه ناجم عن اضطرابات نفسية وعصبية وليس بسبب الكليتين وما أشبه . لأنه في الحالة الاخيرة يعالج بأدوية خاصة ، ويشمل مفعوله اضطرابات السلوك والعضلات المرتبطة بالعظام والاصابة بالشلل النصفي أو التشنجي ؛ ومع انه لم تظهر تأثيرات ضارة كازدياد فعاليته أثناء تناول الكحول فانه من الأفضل عدم تناول المشروبات الروحية أثناء استعماله أو استعمال الموكادون والفاليوم ؛ ولاسيما هذا الأخير فان الشعور بعدم المسؤولية اذ ذاك يزداد ويتضاعف ، وعلى الأخص عند قيادة السيارة . ذلك وما ينطبق في هذا الصدد على الليبريوم ينطبق على جميع العقاقير المؤثرة في المراكز الرئيسية للجملة العصبية ؛ ومن المفيد أن نذكر هنا أن اقتران تناول الكحول والمهدئات والنتائج الناجمة عن ذلك تختلف من شخص لآخر ، فالأفضل عدم المجازفة في الجمع بينهما .

ومن التجارب التي أجريت بالليبريوم على أجيال من الفئران والأرانب والكلاب أمكن التأكد من أن استعماله العلاجي لا يخلف تأثيرات وراثية سيئة ، مع

* طبيبة باحثة بمستشفيات جامعة اوكسفورد البريطانية .

المسئولية

ذلك فانه من الضروري اتباع قاعدة عدم إعطاء الحامل أي دواء بما في ذلك المهدئات إلا بارشاد الطبيب وفي الضرورة القصوى ، ولا سيما في أشهر الحمل الأولى .

وليس لليبريوم تأثيرات جانبية اللهم إلا الشعور بالنعاس والترنح أو عدم انتظام الخطوات في السير أحيانا ، وذلك في المراحل الأولى للمعالجة ، ويلاحظ على الأكثر في المتقدمين بالسن والمرضى العاجزين ، ويمكن تلافي ذلك بخفض الكمية المستعملة ؛ ومع أن هناك تقارير تشير إلى أن الليبريوم قد يسبب ارتباكات أو اختلالات في كريات الدم وقريصاته وكذلك اليرقان ، إلا ان النتائج لا تدل على أن ذلك كان مرتبطا باستعمال الليبريوم بشكل حاسم لا يدع مجالا للشك والشبهة ؛ ولا يمكن الانتحار بالليبريوم فلو تناول أحدهم جرعة كبيرة من نحو جرامين ونصف « جرام » لأدى ذلك إلى التلعثم والصعوبة في النطق واضطراب الخطوات والنعاس الشديد والغيبوبة في الحالات الشديدة ، ويعالج المصاب حسب الأعراض التي تظهر عليه ؛ وغسل المعدة أفضل علاج .

ومن الممكن اعطاء الليبريوم مع العقاقير الخاصة بأمراض القلب وضغط الدم والتشنج من دون تردد ؛ وتقول بعض التقارير أن الليبريوم قد يسبب في المدى البعيد وبكميات كبيرة الاصابة بداء السكر .

للنوم فقط

أما الفاليوم فله الكثير من خصائص الليبريوم إلا انه أكثر حملا للمريض على النعاس ، لذلك من الأفضل استعمال أكبر قسط منه كمنوم واستعمال وجبات صغيرة منه اثناء النهار ، ويستعمل الفاليوم في معالجة مرض الكزاز او التيتانوس titanus والصرع فضلا عن تشنج العضلات الحاد والقلق الشديد والهذيان في الكلام ، وكتوطئة لمعالجة أسنان مريض عصبي أو في العمليات الصغرى والتشنجات المتأتية عن التسمم ؛ وقد تحور الكميات المعطاة من شخص إلى شخص وحسب تطورات أوضاعه العصبية وحالات قلبه وجهازه التنفسي وخاصة عند اصابته بتصلب الشرايين ، ويؤثر الفاليوم على قابلية الشخص في قيادة السيارة وسلوكه في السير بصور متفاوتة ؛ وفي حالة تخدير المريض أو اعطائه مهدئات أخرى ، علينا أن نتذكر أن الفاليوم يضاعف التأثيرات الناجمة عنها ، وهذا موضع الخطر في الجمع بين مهدئين في آن واحد .

وثالث هذه المجموعة هو الموكادون mogadon ومن خصائصه ، فضلا عن كونه مهدئا ، أنه يحمل الانسان على النوم بسرعة لمدة تتراوح بين ست وثماني ساعات ، ويختلف عن المنومات الأخرى في أنه يبعث على النوم بشكل طبيعي ويمكن إيقاظ من يتناوله بسهولة ليعود إلى النوم ثانية دون صعوبة ، ولا يشعر متعاطيه بما يشعر به في اليوم التالي عند تناوله المنومات الأخرى من حيث احساسه بما يشبه خمار السكر ، فهو بهذا أفضل المنومات المكتشفة حتى الآن ؛ ولم يلاحظ الى الآن أي تأثير ذي بال على الدم أو فعالية الكبد عند من يستعملونه ، ولكنه قد يحدث شعورا بالنعاس والتعب أحيانا .

ويحذر الأطباء من تجاوز القدر المعين من هذه المهدئات ، فقد لوحظ في بعض الحالات انعدام المسؤولية عند بعض الأمهات إزاء أطفالهن والانهيال عليهم بالضرب المبرح ، وقد تجعل المهدئات الانسان عدوانيا صلفا في كلامه وتصرفاته مع الآخرين ، فهي كما قلنا كالخمر تكشف الطبيعة الحقيقية للشخص ، لذلك من الضروري للانسان أن يختبر نفسه مع المقادير التي يتعاطاها بحيث لا يتجاوز القدر الذي يتناوله الحدود الطبيعية فيفقد السيطرة على إرادته في القول والفعل ، نتيجة تأثير المهدئات ـ على نحو ما تفعل المشروبات الروحية في هذا الصدد سواء بسواء . ■■

اكسفورد ـ د . صبيحة الدباغ

١ ـ شاد وشيد

يقال « شيد الامير قصرا » اي بناه ورفعه .

فهل يجوز ان يقال بالمعنى نفسه « شاد الامير قصرا » .

هذا ما يأباه بعض اللغويين معتمدين في ذلك على بعض المعاجم ، التي تفسر « شاده » هنا بمعنى طلاه ، لانه عندهم مأخوذ من « الشيد » (بالكسر) وهو كل ما يطلى به الحائط من جص او طين ونحوه ، فكلمة « شاده » ـ في نظرهم ـ جصصه او طينه ، وليس بناه ، فاذا اريد البناء قيل « شيده » واذا اريد الطلاء قيل « شاده » وللغويين في هذا كلام كثير لا يعنينا هنا استقصاؤه ، ولكننا نرى ان نعرض ما جاء في كلام الفصحاء وهو اولى بالقبول من كل المعاجم لانه اصلها ، وعنه تأخذ .

يقول امرؤ القيس في وصف مطر غزير هطل على واحة « تيماء » فجرف كل ما صادفه من نخل ولم يبق الا ما كان من الحصون مشيدا بالصخر

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة
ولا اطما الا مشيدا بجندل

فهل يريد بقوله هنا « مشيدا » (من شاد) ما كان مطليا بالصخر او ما كان مبنيا بها ؟

ويقول عدي بن زيد العبادي (وهو جاهلي مسيحي) في وصف قصر بناه احد ملوك « الحيرة » وكان القصر عاليا حتى ان الطير اتخذت بيوتها عند قمته .

شاده مرمرا وجلله كلـ
ـسا فللطير في ذراه وكور

فهل معنى « شاده » هنا طلاه بالمرمر او غطاه ؟ وكيف يتفق هذا مع قوله « جلله كلسا » اي طلاه كلسا اليس الاولى ان نقول هنا انه بناه مرمرا ثم طلاه كلسا ؟

ومثل ذلك قول شاعرنا العباسي بكر بن النطاح (توفي ١٩٣ هـ) في مدح ابي دلف القاسم العجلي ـ وكان القاسم من كبار القواد والولاة والفرسان في عهد العباسين) وكان الشاعر بكر قد اشترى ضيعة بما اعطاه أبو دلف ، واراد منه ان يعطيه ما يشتري به ضيعة اخرى إلى جوارها معروضة للبيع : .

بك ابتعت في نهر الأبلة ضيعة
عليها قصير بالرخام مشيد
الى جنبها اخت لها يعرضونها
وعندك مال للهبات عتيد

ويقول شاعرنا ابو العتاهية في مدح المهدى العباسي .

انت المقابل والمدا
بر في المناسب والعديد
بين العمومة والخئو
لة والأبوة والجدود
فاذا نسبت الى أبيـ
ك فانت في المجد المشيد
واذا انتمى خال فما
خال بأكرم من يزيد

اليس معنى « المجد المشيد » هنا هو المجد المبني ، وان كان مجازا .

(يزيد الحميري هنا خال المهدى)

ومثل ذلك ايضا ما جاء من قصيدة في هجاء خديوي مصر عباس حلمي الثاني على اثر عودته من رحلة خارج مصر سنة ١٨٩٧م مطلعها :

قدوم ولكن لا اقول : سعيد
وملك ـ وان طال المدى ـ سيبيد

وبعد تعديد مساويء حكمه واسرته وما جروه على مصر من شرور ، قال الشاعر :

وكم صار شمل للبلاد مشتتا
وخرب قصر في البلاد مشيد

ونخرج من كل ذلك بان « شاد » تأتي بمعنى (بنى) ايضا .

بقلم : محمد خليفة التونسي

٢ ـ فرد وفردة

نستعمل كثيرا في الفصيحة كلمة « الفرد » بمعنى « الواحد » فنقول : « انشدته بيتنا فردا » او « انشدته فرد بيت » اى بيتا واحدا . ونجمع « الفرد » كثيرا على « افراد » وهو جمع قياسي وقد نجمعه على « فرادى » وهو جمع غير قياسي ، ولكنه فصيح وان كان اقل استعمالا من « افراد » وقد ورد في القرآن الكريم في وصف يوم القيامة « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة »

وهناك جمع غير قياسي ايضا نادر الاستعمال ، وهو « فراد » على وزن مثله في الاعداد « ثلاث » ، ورباع وخماس ، وسداس .. عشار »

ومن جموعه القياسية « فرود » مثل نجم ونجوم ، فهد وفهود ، عين وعيون ... وهذا الجمع ـ مع قياسيته ـ نادر الاستعمال الا في كتب الفلك ولا سيما كتبه المؤلفة في عصور نهضتنا الفكرية الاولى فقدماؤنا كانوا يطلقونها على الدرارى او النجوم المتعزلة عن غيرها في السماء ، فسموها « النجوم الفرود » .

ومن طرائف الأخطاء العلمية في محاولة الأوربيين خلال العصر الوسيط وبداية نهضتهم الحديثة ، الانتفاع بكتب التراث الاسلامي العربي ـ انهم وجدوا في كتبنا الفلكية كلمة « النجوم الفرود » فقرأوا الفاء قافا على سبيل التصحيف ، فصارت الكلمة النجوم « القرود » وترجموها كذلك monkeys اي « القرود » وقد التبست عليهم امثال هذه الكلمات عند تصحيفها ، فأخطأوا فهمها ولذلك ترجموها خطأ .

ويستعمل العرب « الفرد » بمعنى الوحيد لا نظير له ، ومن هنا وصفهم الله بأنه « الفرد » وهو استعمال شائع قديما وحديثا في وصفه تعالى ، وان لم يرد كذلك في القرآن والسنة .

وهناك « الفرد » بمعنى نصف الزوج اي نصف الاثنين . واستعمل العرب « الفرد » وصفا للمؤنث ومن ذلك ما جاء في الحديث أن انصاريا جاء النبي يشكو شجة أصابته ، ويبدأ شكواه بمدحه فيها ، فيقول مرتجزا :

يا خير من يمشي بنعل فرد
اوهبه لنهدة أو نهد

يريد النعل من طبقة واحدة وهي من ملابس الملوك والسادات ، وهم يمدحون برقة النعال ، كما في قول النابغة الذبياني في مدح الغساسنة :

رقاق النعال طيب حجزاتهم
يحيون بالريحان يوم السباسب

وكما وصفت العرب المؤنث بكلمة « واحدة » وصفوه بالكلمات « فارد وفاردة ، ومفردة » وقالوا ايضا « مفراد » كمثل قولهم « امرأة معطار » تبالغ في عطرها « ومئناث » لا تلد الا اناثا « ومذكار » لا تلد إلا ذكورا ، « ومتئام » لا تلد الا توائم ، ومعنى « مفراد » التي تنفرد وحدها ، او التي لا تلد الا افرادا

ونحن اليوم نكثر من استعمال كلمة « فردة » للمؤنث فهل هي فصيحة .

والجواب « نعم » ، ولا نبالي قلة ورودها في الفصيحة او كثرته ما دامت اكثر استعمالا عندنا اليوم في الدارجة وحسبنا انها وردت في فصيح الكلام ، ومن ذلك ما جاء في خبر عن النبي ﷺ حين كان يعرض نفسه على القبائل يدعوهم إلى الاسلام في مواسم الحج ، وكان يصحبه في جولاته صاحبه الاكبر ابو بكر الصديق وكان من اعلم العرب بأنسابها ـ فجرى حوار بينه وبين رجل من قبيلة ، ليعرف من اي القبائل هو ، وكان من اسئلته له : « فمنكم صاحب العمامة الفردة ؟ » وكان الرؤساء هم الذين يتعممون ، ومنهم عمر بن ربيعة الشيباني الذي كان يوصف بانه « صاحب العمامة الفردة » لانه كان اذا ركب واعتم لم يلبس غيره عمامة مثاله ، اكراما له ، وكانت العرب تقول للذكر من الحمام « فرد » وللانثى « فردة » ويقول بشار بن برد في قصيدة غزلية بصاحبته صفراء :

« رأت لها صورة تروق لها
فأقبلت فردة لمنفرد »

« لا غني ابدوم ، ولا فقر ابدوم ! »

الأمثال الشعبية في الأردن

بقلم : الدكتور توفيق ابو الرُّب

الامثال الاردنية لها مذاقها الخاص ، رغم ان منابعها هي ذاتها منابع اكثر امثال الامة العربية .

... في اواخر عام ١٩٧٨ ، صدرت عن وزارة الثقافة والشباب الاردنية مجموعة ضخمة من الامثال الشعبية الاردنية ، من جمع وتصنيف الباحث الشعبي الدكتور هاني العمد . وقد التقطت معظم هذه الامثال المجموعة التي تزيد على اربعة آلاف مثل من افواه الجماهير التي تقطن في الضفة الشرقية لنهر الاردن ، وجمعت خلال سنوات عشر ، من عام ١٩٦٨ الى عام ١٩٧٧ ، ولكن الباحث قد اعتمد ايضا في بعض الامثال التي حوتها مجموعته الكبيرة على كتب اردنية سابقة أوردت كثيرا من الامثال الشعبية الاردنية ، مثل كتاب « جواهر الحكم » جمع الدكتور بطرس الباز ، وكتاب « مادبا وضواحيها » تأليف جورج سابا وروكس العزيزي وكتاب « تراث البدو القضائي » تأليف محمد ابي حسان وكتاب « قاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية » تأليف روكس بن زائد العزيزي .

والمتأمل في نصوص هذه الامثال الشعبية الكثيرة التي اوردها الدكتور العمد في كتابه دونما إشارة الى علاقتها بتراثنا العربي القديم ، يستطيع أن يلحظ في يسر أن قسما منها له مساس مباشر بتراثنا الفصيح التليد ، من حيث المعنى ، ومن حيث اللفظ ايضا ، مع شيء من التحريف اللغوي الطفيف ، حيث تظهر فيه اللهجة الاردنية الدارجة !

والحق اننا نستطيع ان نرد هذه الامثال الشعبية التراثية التي لا تزال تتردد يوميا على السنة ابناء الشعب الاردني في قرى وبوادي الضفة الشرقية الى مصادر

عديدة اهمها :

اولا : القرآن الكريم

اذ يلاحظ ان الشعب الاردني يردد احيانا في امثاله آيات قرآنية بنصها الحرفي ولكن ليعبر بها عن معان اخرى مختلفة عما تعنيه في الاصل نحو قوله تعالى « والسماء والطارق » . فمع ان هذه الآية تعني في الاصل القسم بالسماء وبكوكب الصبح ، الا ان الشعب الاردني يرددها للتعبير عن حالة الفقر والافلاس ! كما انه يردد في احيان اخرى بعض الآيات الكريمة ، ولكن ليدلل بها هذه المرة على معناها الأصلي مع تحريف لغوي طفيف نحو قوله « أبضاعتنا رجعت النا » فالمثل مأخوذ دون ريب من قوله تعالى في سورة يوسف ، الآية ٦٥ ، « هذه بضاعتنا ردت الينا » . كما يحدث في بعض الاحيان ان يتكيء المثل الشعبي الاردني على آية من الآيات دون مراعاة الترتيب اللفظي مثل قول العامة الاردنيين « اللي كاتبه الله بده ايصير » ، اذ يشير المثل في وضوح الى قوله تعالى « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » .

ثانيا : الحديث النبوي الشريف

ويلاحظ أن الشعب الأردني يقتبس مباشرة كثيرا من امثاله من الاحاديث النبوية الشريفة اقتباسا شبه حرفي نحو قوله « الخيل مناص الخير » فهو مأخوذ من قول الرسول الكريم « الخيل معقود بنواصيها الخير » ومثل قوله « أعقل ذلولك قبل ما تنام » ففي المثل اشارة واضحة الى قول الرسول (ﷺ) في نصيحة أعرابي أناخ ناقته دون أن يعقلها متكلا على الله ـ « اعقلها وتوكل » ومثل قول الشعب الاردني « المره مخلوقة من ضلع اعوج » فهو بعض حديث شهير رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، ونصه الكامل « استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وان اعوج ما في الضلع اعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل اعوج ، فاستوصوا بالنساء » ومثل قوله : « الله خلق الاذى والطب والدواء » فهو شبيه بقول الرسول الكريم : تداووا معشر المسلمين ، فإن الله الذي خلق الداء قد خلق الدواء .

ثالثا : الامثال والاقوال الفصيحة

ويلاحظ أيضا على كتاب الامثال الشعبية الاردنية أن كثيرا من الأمثال والاقوال القديمة لا تزال حية على لسان الشعب الاردني في البوادي والقرى ، يردد بعضها بنصها الاصلي ودون أي تحريف لغوي مثل قوله : « صدرك اوسع لسرك » و« المنية ولا الدنية » و« اذا زاد الشيء عن حده انقلب الى ضده » وقوله : « احذر عدوك مرة ، واحذر صاحبك الف مرة » وتمامه في الفصحى لانه ان عاداك ان كان أقدر على المضرة [1] . ومثل قوله « الدراهم مراهم » و « الاقارب عقارب » وهذان المثلان الاخيران مأخوذان من وصية الفيلسوف الكندي المشهورة لابنه .

كما يردد بعضها الآخر مع تحريف عامي طفيف مثل قوله : « عيش رجب بتشوف عجب » و « اللي يصبر ينول » و « اللي يدق الباب يسمع الجواب » و « اللي بيته من قزاز ما يرمي الناس بلديا » (الحجر باللهجة الاردنية) . ومن الجدير بالذكر ان الدكتور هاني العمد قد لاحظ في الجزء الثاني من اطروحته للدكتوراه الذي لم ينشر بعد والموجود نسخة منه في مكتبة الجامعة الاردنية ـ قد لاحظ ان هناك تشابها تاما بين أمثال المولدين الاعاجم التي اثبتها الميداني في كتابه الشهير « مجمع الامثال » ، وبين بعض الامثال الشعبية الاردنية ، مثل قول المولدين « الخيل نواصي الخير » ، فبعض فئات الشعب الاردني تردد هذا المثل دون اي

(١) العربي : هما بيتان من الشعر ، هذا نصهما :

احـــذر عـــدوك مـــرة واحـذر صـديقك ألـف مـرة .
فلربما إنقلب الصديـــق ، فكان أعلم بالمضرة .

تغيير ، ومثل قول المولدين « لكل داء دواء » فالاردنيون يقولون في امثالهم « كل داع والودوا » [٢] ومثل قول المولدين « نهرب من المطر تقع تحت الميزاب » [٣] فالاردنيون يقولون « متقل من تحت الدلف متقعد تحت المزراب » .

.. والحق أننا لو أردنا هنا أن نذكر كل الأمثال الشعبية الاردنية المأخوذة من الأمثال والاقوال الفصيحة القديمة لطال بنا الكلام .

رابعا : الشخصيات والحكايات التاريخية والادبية القديمة

ويلاحظ ايضا ان الشعب الاردني كثيرا ما يشير في امثاله الى شخصيات عربية قديمة ، وأسماء بعض الرسل ، مثل اشارة المثل : « على فين تقرا مزاميرك يا داهود » أي النبي داود ، واصل المثل من قولنا بالفصحى : « على من تقرأ مزاميرك يا داود » ، ونحو المثل « بري براية الذيب من دم يوسف » فهو يشير الى قصة النبي يوسف كما وردت في القرآن الكريم ، واصل المثل من قولنا بالفصحى « بريء من الامر براءة الذئب من دم يوسف » ، وكالمثل « الحسن اخو الحسين » يشير الى ولدي فاطمة الزهراء من الامام علي ، ونحو المثل « حكم قراقوش » يشير الى هذا الرجل المشهور الذي ظهر في زمن صلاح الدين الايوبي ، ومع انه كان في الحقيقة رجلا فطنا عادلا ، الا ان احد خصومه ومنافسيه قد شوه شخصيته بين العامة ، الى درجة نسبت اليه فيها احكام قضائية هي غاية في الحماقة والسخف ومثل المثلين « حكم الزير بالزرازير » و « اللي يوكل خير العرب يزازي في القرب » يشيران الى المهلهل بن ربيعة بطل معركة البسوس المشهورة في العصر الجاهلي والتي دارت رحاها بين قبيلتي بني بكر وبني تغلب مدة تزيد على اربعين عاما او ما يقاربها ! ومع ان نقاد الادب العربي القديم ومؤرخيه يخبروننا انه سمي المهلهل لانه هلهل الشعر وانضجه اذ يعتبرون أن اول قصيدة عربية قد تكاملت فنيا من حيث العروض والقافية هي قصيدته التي قالها في هجاء بني بكر والتي مطلعها

« جارت بنو بكر ولم يعدلوا
والمرء قد يعرف قصد الطريق

الا انه في اواخر عصور الحضارة الاسلامية وابان ظهور كثير من الملاحم الشعرية النثرية الأسطورية مثل ملحمة « عنترة بن شداد » و « تغريبة بني هلال » ، قد نسج أيضا حول شخصية المهلهل كثير من البطولات الخارقة والاحداث الفائقة تحت اسم « الزير سالم » بحيث غدت تشكل ملحمة نثرية شعرية شعبية ذائعة ، اثرت في الاجيال العربية في مختلف البيئات طوال قرون عصر الانحطاط !

وحتى مطلع عصر النهضة الحديث ، والمثل الشعبي الاردني السابق « اللي يوكل خير العرب يزازي بالقرب » يشير الى احد الاحداث البطولية الخارقة التي قام بها المهلهل كما ورد في الملحمة فقد خاطب الزير اسدا بهذه العبارة حينما حمل على ظهره قرب الماء وساقه امامه

(٢) يبدل الاردنيون في لهجتهم الدارجة الهمزة فينطقونها عينا ، كقولهم عن مسؤول « مسعول » وعن « داء » « داع » كما هو واضح في المثل ، وهذه لهجة تميمية قديمة مشهورة وشاهدها قول ذي الرمة :

« أعن ترسمت من خرقاء منزلة
ماء الصبابة من عينيك مسجوم »

اراد « ان ترسمت » وشاهدها ايضا ما انشده يعقوب :

« فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل
لآخرة لابد عن ستصيرها »

اراد « لابد ان » انظر كتاب الدكتور صبحي الصالح ـ دراسات في فقه اللغة ص ٩٢ .

(٣) متقل في اللهجة الاردنية تعني تهرب ، والدلف : نزول المطر من خلال سطح البيت .

مرغما ، بعد ان كان الليث قد تجرأ على حماره فأكله !

وهناك في الامثال الشعبية الاردنية ما يشير الى بعض الحكايات التاريخية والادبية مثل قول الشعب الاردني « الشاة المذبوحة ما يهمها الصلخ » . فالمثل يشير الى قصة عبد الله بن الزبير حينا ثار [٤] على الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان في منطقة الحجاز فأرسل اليه الحجاج بن يوسف الثقفي على رأس جيش لاخماد ثورته ، فحاصره الحجاج في مكة المكرمة . ولما شعر ابن الزبير انه سيقع في قبضة الحجاج لا محالة ، ذهب الى امه اسماء بنت ابي بكر الملقبة بذات النطاقين طالبا رأيها ، شاكيا تخاذل أنصاره ، فاشارت عليه ان يواصل المقاومة ، فاجابها انه لا يخشى الموت ، ولكنه يخشى ان يمثل الحجاج بجثته ان ظفر به ، حين ذاك قالت له قولتها المشهورة « يا بني لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها » .

وكالمثل الشعبي الاردني « بيعة الغراب اللي اجا يتعلم مشية الصقور ، لا اتعلمها اوتاه عن مشيته » يشير الى الحكاية المشهورة في الادب العربي والحكاية تقول ان الغراب رأى يوما القطاة ـ لا الصقر ـ تمشي فاعجبته مشيتها فحاول ان يقلدها لكنه لم يستطع ، ثم اراد بعد ذلك ان يعود الى مشيته الاولى . فاذا هو قد نسيها ، عند ذاك اخذ يحجل حجلا !

خامسا : الشعر الفصيح

ويلاحظ ايضا على الامثال الشعبية الاردنية ان الشعب الاردني كثيرا ما يقتبس امثاله اقتباسا شبه حرفي من ابيات شعرية قديمة مثل قوله :

« جادوا علينا الخيرين بمالهم
واحنا بلحانا انجود »

فهو مأخوذ من قول الشاعر :

يجود علينا الخيرون بمالهم
ونحن بمال الخيرين نجود

ومثل قوله :

أكم رجل يتعد بالف رجل
وكم الف رجل يسيروا بلا عداد

فهو من قول الشاعر :

وكم رجل يعد بالف رجل
وكم الف تمر بلا عداد

ونظرا لان الامثال الشعبية بعامة تميل الى الايجاز والقصر ، فيلاحظ ان الشعب الاردني يقتبس في الغالب فقط صدر بيت مشهور أو عجزه ، مثل قوله « سحابة صيف واتمر » فهو من قول الشاعر القديم « سحابة صيف عما قريب تقشع » ومثل قوله « العصا العوجا ، لها ظل اعوج » فهو شبيه بقول الشاعر « لا يستقيم الظل والعود اعوج » ومثل قوله « راح تا يكملها عور عينها » فهو شبيه بقول جندل بن المثنى الطهوى « وكحل العينين بالعواور » ومثل قول الشعب الاردني « فسر الميه بالميه والظل بالفيه » فهو من قول الشاعر « وفسر الماء بعد الجهد بالماء » ومثل قوله « اشهر من نار بعرقوب » والعرقوب في اللهجة الاردنية سفح الجبل ، فهو مأخوذ من قولنا بالفصحى اشهر من نار على علم » والاصل في المثل قول الخنساء في رثاء اخيها صخر :

« وان صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار »

وهناك طائفة اخرى من الامثال الشعبية الاردنية فيها اشارات قوية الى تراثنا الشعري القديم مثل قول الشعب الاردني « الاخ جناح » فلا ريب انه مستوحى من قول مسكين الدارمي :

---

(٤) كان عبد الله بن الزبير هو الذي بويع بالخلافة في معظم البلاد الاسلامية قبل مروان بن الحكم الأموي وابنه عبد الملك في الشام . فهما اللذان ثارا عليه (العربي) .

أخـاك أخـاك ان من لا أخـا له
كسـاع الى الهيجـا بغـير سلاح
أخـاك أخـاك انـت فاعلـم جناحه
وهـل ينهض البـازي بدون جناح

ومثل قوله « اللي ما يريدك يكثر عذاريبك » فهو شبيه بقول المتنبي [٥] .

وعـين الرضـا عن كل عيب كليلة
ولـكن عـين السخـط تبـدي المساويا

ومثل قوله « اطول من سنة الجوع » والمفاضلة هنا في الطول وهو شيء مادي محسوس ، وبين زمن محدود مميز عن مساويه في الوقت بالم الجوع والانتظار ، وهو هنا شيء معنوي ، وهذا شبيه الى حد كبير بقول الشاعر لهذا البيت الطريف :

« نبئـت ان فتـاة رحـت اخطبهـا
عرقوبهـا مثـل شهـر الصـوم في الطول »

ومثل قوله « دارهم ما دمت بدارهم » فهو من قول الشاعر لهذا البيت الشهير الذي تذكره لنا كتب البلاغة في باب الجناس :

« ودارهـم ما دمـت في دارهم
وارضهـم ما دمـت في ارضهم »

ومثل قوله « لا غني ابدوم ، ولا فقر ابدوم » فهو مأخوذ من ذلك البيت المشهور الذي تجده في كتب التصوف ، والذي اضطر فيه الشاعر الى « الاسم المقصور شذوذا من أجل العروض والقافية :

« سيغنينـي الـذي أغنـاك عني
فـلا فقـر يدوم ولا غنـاء »

ومثل قول الشعب الاردني « جمل الصيعيري » في الاشارة الى من يتحمـل من المسـؤولية ما هو فوق طاقته ، ولعل هذا المثل يذكرنا بنقد الشاعر طرفة بن العبد للمسيب بن علس عندما سمعه يقول :

وقـد اتناسى الهـم عنـد احتضاره
بنـاج عليـه الصيعـرية مكدم »

فقد قال : استنوق الجمل ، » اي أنه كان في وصف جمـل فلما قال : الصيعـرية ، عاد الى ما توصف به النوق ، لان الصيعرية سمة حمراء تعلق في عنق الناقة خاصة .

ومثل قول الشعب الاردني « لا ترافق ابو عيون زرق ، وسنان فرق » ، وفي المثل الاردني تحذير من صداقة اللئيم الموصوف بتينك الصفتين ، وفي هذا التقاء مع ما كانت العرب تعتقده ان زرقة العينين مع سمرة الوجه هما من الصفات الدالة على اللؤم في الناس ؛ حتى ان بشار بن برد قد اشار الى ذلك في هجائه الشهير لوزير المهدي يعقوب بن داود فقال : « زرق العيون عليها اوجه سود » .

اربد ـ توفيق ابو الرُّب

---

(٥) العربي) البيت منسب للامام الشافعي .

ابرياء في المحكمة

● كان السجين يحاكم بتهمة سرقة الجياد . فقرأ وكيل النيابة الرافعة بلهجة شديدة ثم سأله : « أمذنب انت ام لا ؟ » فتلوى المتهم حيرة واضطرابا وقال : « ألم يؤت بنا الى هذه المحكمة لنعرف ؟ » .



هكذا يبدأ القلق

بقلم : الدكتور دحام الكيال ❊

يعتبر القلق ذا أهمية عظيمة في تقرير سلوك الانسان ، وغالبا ما يظهر في السلوك ، الذي يتعارض مع اشباع الدوافع الاخرى . مثال ذلك أن يتمنى طفل القفز على لوحة الغوص مثل الأطفال الآخرين ولكنه يخاف . أو أنه يود أن يخبر أبويه بغضبه من مطالبهما غير المعقولة ولكنه يخشى العقوبة . ولـذا فان الحياة تكون أيسر اذا ما استطاع أن يكيف نفسه للطريقة التي يشعر بها بصورة خفية نحو أمه أو أبيه أو اخيه ، ولكن مجرد التفكير بذلك سوف ينتج المزيد من القلق أيضا فيتعلم تجنب هذه الافعال والافكار . لأن في التجنب تعزيزا له ، يخفض القلق الناجم من تلك الافكار والسلوك .

كيف يبدأ القلق ؟

ما الذي يكون الشعور بعدم الراحة ، مثل خفقان القلب وسرعة النبض ، والشعور بالهبوط في المعدة ، والعرق ، والرجفة ، والجفلة ، وجفاف الحنجرة والحلق ، والمظاهر الأخرى المشتملة على القلق ؟

من الناحية الموضوعية فالتوضيحات الآتية سوف ترينا المكونات النفسية للقلق والتي تكون غير مكتسبة ، ولكنها جزء من البناء التركيبي للطفل ، فما الذي يتعلمه الطفل نتيجة المصاحبة بين الفرد والموضوع ، او الموقف من ناحية والشعور والخيالات ، وردود الفعل النفسية التي تحدد القلق من ناحية اخرى ؟

ان اثارة القلق هي الشيء الذي يتعلمه الانسان . والطفل الذي عمره سنتان يجب أن يتعلم الخوف من الكلاب الضخمة ، لان أمه تصيبها الهستيريا حالما ترى واحدا منها ، وما دام الارتباط بين رؤية الكلب والقلق قد تم اكتسابه ، فان الطفل يحاول أن يتجنب الكلاب ، وبهذه الطريقة يتم تعلم الدافع لتجنب الكلاب .

في هذا التوضيح سوف استخدم اصطلاحي الخوف والقلق كمترادفين ، علما بأن بعض علماء النفس يرى أن الخوف استجابة فطرية لمنبهات معينة مثل الألم والتبديل الفجائي في المنبه ، وأن القلق يقوم على أساس الاستجابة للخوف . والحقيقة أن القابلية للخوف موروثة كما أن القابلية للقلق موروثة . أما مم نخاف ؟ ومتى نخاف ؟ ولم نخاف ؟ فهذا ما نكتسبه . ومم نقلق ؟ وكيف نقلق ؟ ومتى نقلق ؟ ولم نقلق فهذا ما نكتسبه . واذا ما عرف موضوع الخوف فهو خوف واذا جهل الموضوع فهو قلق !

على كل ، فان الخوف يمكن تعلمه لأنه يكتسب كاستجابة لمثيرات محايدة ويدعى بالدافع ، لانه تمكن من أن يدفع للتعلم ، ولاجراءات ذات استجابات

❊ استاذ علم النفس بكلية التربية ـ جامعة بغداد .

جديدة ، وبنفس الطريقة للجوع والعطش والدوافع الأخرى .

بل أبعد من ذلك ، فيا دام القلق استجابة مكتسبة فانه يتبع نفس الأسس للتعلم ، والتي تطبق على نماذج اخرى من السلوك . مثال ذلك إذا ما كان الطفل قد تعلم في الأصل الخوف من أنواع خاصة من الكلاب ، فانه سوف يعمم رد الفعل هذا حتما باصطلاحات لكل الأشياء التي تبدو على أنها كلاب أو حيوانات ، وهذا يشمل القطط ، والخيل ، والأبقار والاغنام حتى الدجاج !

الالم كمقرر للقلق

اذا ما حصل التعلم لوجود ارتباط بين المثير والاستجابة ، فلا بد من ايجاد طريقة للكشف عن الاستجابة في المقام الأول ، وبرأي عدد من علماء النفس أن الألم من المنبهات التي تنتج الخوف أو القلق فطريا . ولذا فليس من الصعب أن نرى حصول القلق حتى في الرضاعة ، وغالبا ما يعاني الرضيع القلق بغض النظر عن لطافة أمه وكيف تكون معه ! وقد ينغز الرضيع بدبوس ، أو يعاني من التهاب القولون ، أو يكون جائعا بشدة . والتجارب العلمية أثبتت دعم الملاحظة العامة في أن وخز الجوع يصل الى درجة أعلى لدى الرضيع مما هي لدى الكبير .

هذا وحيث أن الطفل يواصل تجريب المصاحبة بين الشعور البسيط في وقت مبكر والالم الأكثر مؤخرا ، فسوف يتعلم توقع الشعور بالالم خلال المراحل المبكرة من الجوع ، وأن هذا التوقع للألم افتراضا سوف يقود الى القلق . وأن مجرد السماح للرضيع بمعاناة الجوع الشديد قبل الاطعام ، تكون الأم قد كونت الحالة التي تقود الى الشعور بالقلق المصاحب لمعاناة الجوع . وبالمقابل والمماثل فان الأم التي نغزت طفلها بالدبوس صدفة ، نتيجة لاهمالها ، وذلك حينما غيرت ملابسه ، قد كونت الحالة التي تسمح للطفل بتوقع القلق . ولذا فان القلق سيجابه مرة أخرى بمنبه من قبل الألم حينما تهيء الحضينة .

مقررات أخرى للقلق

وربما أدت المنبهات الاخرى غير الالم الى أن تنتج القلق فطريا ، علما بأننا نعرف القليل جدا حول هذه الناحية وحول طبيعة تلك المنبهات . ويقترح بعض علماء النفس ان الزيارة المفاجئة او مجرد التغيير في المنبه يمكن ان ينتج القلق .

لقد وجد (هب) [١] أن قردة الشمبانزي ترى ردود فعل الخوف ، حينما وضعت مع رأس شمبانزي مشدود « بالبلاستر » . وان الرأس يعتبر منبها أوليا معروفا ، ولكن غياب الجسد جعل المنبه غير لائق ، والحيوان تصرف على أنه خائف . ولذا يعتقد « هب » أن القلق أو الخوف ينشأ حينما يحتوي المنبه المعروف وغير المعروف أساسا معروفا كالرأس مثلا ، واذا ما كانت نظرية « هب » هذه صحيحة ، فان المنبه الغريب سوف ينتج خوفا أقل مما ينتجه المنبه المعروف ، ولكنه تدعم مع محتويات عامة غير معروفة .

وعندما ينضج الاطفال فانهم يتعلمون قواعد محددة عن العالم ، ويكونون توقعات أو تصورات محددة حول المحيط ، فيتوقعون أن الحيوانات لها أربعة اقدام ، وأن الطيور لها أجنحة وأن الناس لهم ذراعان وعينان ، والثلج يكون أبيض ...... الخ واذا ما كانت توقعات الطفل لما سوف يرى أو يسمع أو يشم أو يحس ـ غير ثابتة ، فانه يصبح قلقا !

مثال ذلك اذا كانت الام مع طفلها البالغ من العمر ثمانية اشهر ، وكانت في تلك اللحظة تمسك بحية تتلوى بدلا من زجاجة الرضاعة ، فان الطفل يمكن أن يبدأ بالصراخ ، وان رد فعل القلق هذا من المحتمل ان يعزى الى احضار منبه غير متوقع مكان منبه مشهور متوقع ، والى درجة الدهشة نفسيا وليس الى احتمال الايذاء بواسطة الافعى !

ومن الجدير أن نلاحظ بأن هذا النوع من القلق لا يحدث ما لم يكن الانسان قد بنى توقعات حول المحيط . وأكثر من ذلك هو أن هذا النوع من القلق لا يحتمل

(١) Hebb, D.o. Drives and The G.N.S. Psychological Rev - 1955 .

حصوله خلال الايام المبكرة من الحياة .

اخيرا ، يعتقد بعض علماء النفس أن أصنافا محددة من المنبهات ليست ذات صلة لا بالالم ولا بالاعجاب أو الدهشة ، ولكنها قادرة على انتاج القلق ، فان نوعا من الفطرية أي الموروثة وغير المكتسبة يوجد بين المنبه والاستجابة مما يكون الارتباط بينهما . وهذه الامكانية قد عززتها دراسات على الحيوانات مثل دراسة (تنبرجن) [٢] التي فحصت ردود فعل البط والأوز والتي ربيت في عزلة عن شكل محدد ، وحينما حركت الصورة المظللة في الشكل على سلك فوق منقار الطير في اتجاه واحد (تشابه الصقر الى حد ما) سببت الذعر (تجنب الاستجابة) . وحينما حركت في الاتجاه المعاكس (بحيث تشبه رقبة طويلة للأوزة) فانها لم تثر سلوكا متجنبا ، وبما أن الطيور هذه ليست لها أية تجارب مع الصقور او كبار الأوز ، فان الاستجابة المتجنبة (التي افترض انها اعتمدت على الخوف) لنموذج خاص من التحرك في اتجاه خاص يبدو أنه فطري (أي موروث) .

ولكن بعض الاختبارات الحديثة قد فشلت في تثبيت ذلك . ولذا فان القارىء يجب ان ينظر الى تقرير (تنبرجن) بشيء من الحذر .

كما ان (لورنز) [٣] قد أثبت أمثلة اخرى ، وهي استجابات الفرار للحيوانات (تفترض الخوف) لنماذج خاصة من المنبهات ، وما دام ان هذه الاستجابات يمكن ان تستخرج بواسطة منبهات (او بواسطة العزل المصطنع ولكن لاقسام لا نهائية من المجموع الكلي لنماذج المنبه) .

وينظر لورنز الى هذه المنبهات على أنها موروثة وقادرة على استنباط تجنب السلوك ، ويمكن محاولة الاطفال ذلك لتأكيد هذه النتائج ، على أن تكون المنبهات بشكل مماثل فان بعض المخاوف التلقائية للرضع كما هي مع الحيوانات تتطلب القليل من التعلم او بغير تعلم وأما الى أي حد هذا صحيح فامر غير معروف حقا .

والخلاصة انه توجد على الاقل اربعة انواع من المنبهات لها طاقة لتكوين الخوف او استجابات التجنب وهي :

ـ الالم ، والتبديل المفاجيء للمنبه ، والمنبه المتوقع ، والمنبهات الخاصة .

علما بأن الاخير لم يثبت على الانسان ، وأن النموذج الثالث (المنبه غير المتوقع) يتطلب درجة ما من الادراك الحسي المكتسب قبل ان يكون سببا مؤثرا في انتاج الخوف . وعلى كل ، من الواضح ان هذه المنبهات جميعها متعلمة ، بغض النظر عن اصل المنبهات التي يمكن ان تنتج القلق وعن المصادر الرئيسية لقلق الكبار والتي تفوق تكيف الفرد مع محيطه .

القلق المكتسب

دعنا نفترض أن أخا الرضيع الاكبر يغار بشكل واضح من توجه انتباه العائلة الى هذا المخلوق الصغير ، فيمشي الى مهد الطفل الذي يلعب فيه ، وينغزه بدبوس . فاذا ما كان الادراك الحسي للطفل ناضجا بما فيه الكفاية ، فان المنبه (المثير) المتطور الذي جلبه أخوه سوف يكون متميزا ومختلفا عن ذلك المنبه نفسه والذي حصل من أمه او أبيه ، او بقية الاقارب ، واذا ما حصل ذلك ، فان مجرد ظهور وجه الأخ بجانب المهد ، سوف يثير الالم له ، ولذا يتكون الشعور بالقلق .

كيف نحلل التعلم في هذه الحالة ؟

ان المنبه (الالم) الذي يكون فطريا ، يقدر على اثارة الاستجابة (الخوف) قد اقترن بمنبه محايد (ظهور وجه اخيه الاكبر) ، وان النتيجة لهذا الاقتران هي ان ظهور وجه الاخ الاكبر وحده يكون قادرا على انتاج القلق في المستقبل .

والاثبات التجريبي لهذا النوع يأتي من عدد من التجارب الكلاسيكية على التكيف الشرطي ، منها

---

(٢) Tinbergen's Study Psychol - Record - 1960 - 10,256,265 .

(٣) Lorenz, K.Z. King Soloman Ring's London Methuen, 1952 .

تجربة تبين فيها ان الرضيع يمكن ان يعلم ليخاف الفارة البيضاء التي لم يكن يخافها من قبل ، وذلك بمجرد الضرب على عقله (حديد كلما وصل الطفل الى الفارة ، وبعد عدة تجارب أظهر الرضيع خوفه حينما احضرت الفارة وحدها ! علما بان بعض علماء النفس يشعر بان تعلم رد فعل الخوف ليس بالضرورة ان يشتمل على مكافأة متميزة . وعلى كل فمن الواضح ان القلق كاستجابة يكن موضوعا للانطفاء ، والتمييز ، والتعميم ، وبنفس النمط لنماذج السلوك الاخرى .

بعض مصادر للقلق

بينما تتكون القابلية للقلق من خلال فسيولوجية الفرد ، فان نماذج المواقف التي يصبح القلق ذا صلة بها تكون عملا وظيفيا للتجارب المتعلمة للطفل . ولذا من المهم أن ندرك المواقف المختلفة للتعلم وان استعمال اصطلاح القلق وحده دونما اشتراط أبعد ـ هي واسطة القلق ـ لا يساعد على تميز السلوك او فهمه .

ان القلق في الاصل ، استجابة داخلية متوقعة ـ وهو توقع لحادث غير مريح ، وان المثيرات التي تصبح قادرة على استنباط القلق هي التي كانت مصاحبة لحادث سابق قاد الى الشعور بالخوف وان التشوه الاخير للحالة ـ ويكون في التفكير عادة ـ يقود الى التوقع لشعور غير مفرح ، والى القلق .

هذا وان استجابة القلق تستخرج حينما يتوقع الطفل ما لا يسر لحادث ما في المستقبل ، كأن يؤذي جسميا ، أو يهجر ، أو يعاقب او يرفض اجتماعيا . وها هي المصادر المهمة للقلق وليست المصادر الشاملة الكاملة :

● قابلية الالم الجسمي : هذا الصنف من القلق ينتج من مصاحبة الطفل لمنبهات معينة مع ألم محتمل ، وخطر محدق بحالته الجسمية الجيدة مثل الاماكن العالية ، المياة العميقة ، والحيوانات المفترسة او الخطرة ، والنار . فاما ان الطفل قد جرب خاصية الالم لهذه الحوادث فعلا ، او انه اخبر بان هذه المواطن تقود الى الالم الجسمي والاذى الجسمي .

● فقدان الحب : بسبب الشعور بفقدان الحب ينشأ القلق من توقع الاذى من الاسباب التي ذكرناها قبلا . فالتطبع لحب زميل او صداقته قد تم عزله ، أو تم فقدانه ، ويجوز ان تكون معرفة هذا الصنف من القلق سببا في توقع ألم بعد أن فقد الحب والأمل في المساعدة ، وهذا المصدر معروف عند الطفل ولكن لا يمكن توضيح تفصيلاته أو توضيح نموه .

● الاثم : ان الشعور بالاثم حالة خاصة من القلق ولكنها لا تظهر عادة الا في حوالي السنة الرابعة من العمر ، ويحصل بسبب التوقع لانتهاك قاعدة او معيار ، او دين او عرف ، او حرمة ، او يلي الانتهاك لمعيار داخلي خاص أو قيمة . هذا بالنسبة للطفل الصغير ، اما بالنسبة لطفل أكبر ، فقد تم تشخيص الاثم بسبب الشعور بعدم الاهمية او انتقاص النفس .

● عدم السيطرة على المحيط : يحدث هذا النوع من القلق حينما يشعر الفرد بأنه غير قادر على مواجهة المشكلات والضغوط التي يطرحها المحيط ، وانه ذو صلة بالاصطلاح المعروف (الشعوربالنقص) ولكنه ليس مطابقا له ولا متطابقا معه .

● الانحراف عن مفهوم الذات والانحراف عن توقعات الحضارة : ذلك أن لكل حضارة قائمة خصائص غير مدونة ، وهي تتوقع من الاعضاء ان يتملكوا هذه الخصائص التي تختلف بحسب الجنس والخلفية الاجتماعية . ومعرفة هذه الخصائص تفيد المشرف على تربية الطفل ليوجهه تبعا لها . ان مفهوم الفرد لذاته يعتبر عملا وظيفيا ، ولكن الى اي درجة ؟ والى اي مدى تقارب صفاته هذه الخصائص ؟

وحين يعرف الفرد التعارض الكبير بين مهاراته او صفاته او نوع مزاجه وبين ما يجب ان يملكه من خصائص الحضارة في قومه ـ فانه يشعر بالقق ، ويزداد قلقه شدة بمقدار ما يحس في نفسه من انحراف عن المقاييس المثالية لحضارة قومه . وهذا المصدر من مصادر القلق يحرج الطفل في نموه وتقديره لنفسه . ■■

د . دحام الكيال

رواية حنا مينه :

الياطر

بقلم : الدكتور علي الراعي

اقسم زكريا المرسنلي لا يعودن الى مدينته الخائنة ، بعد ان تنكرت له ، ودفعت به الى الغابات ، يعيش فيها كما تعيش الوحوش ـ هو الذى حقق لها نصرا لم يسبق اليه احد . تركته المدينة يهيم على وجهه ، جائعا ، وسخا ، عاريا تماما عن كل رداء .



وزكريا ـ لهذا يسمي مدينته : « العاهرة » ـ وهو وصف يستمده من رؤيته للاشياء . فكل شيء لدى زكريا ينبع من الجنس ويعود اليه . الارض انثى ، والبحر ذكر . وهو ذكر وامرأته انثى . وهو صياد ، وأسماكه التي يصيد اما ذكور او اناث . فان تصادف وعلقت بسنارته سمكة أنثى تحولت في الحال الى امرأة تهارشه ، واصبح صيدها مساويا تماما للفعل الجنسي .

ولا يرى زكريا في هذا غرابة ما . بل لا يرى شيئا اخر يمكن ان يقوم بديلا لهذا التقسيم الجنسي للناس والاحياء والاشياء . وهو يعترف صراحة بان ما تبتغي معرفته في الكون انما هو أن هناك عضوا مذكرا وعضوا مؤنثا للاحياء . وان بين الاحياء تواصل مصدره الوحيد جذب بين القطبين .

لهذا لم يعرف زكريا الحب وانما عرف الجنس ، والجنس عنده احساس قاهر لا دافع له . يتراءى له ، اثناء تخيلاته الكثيرة عبر الرواية ، انه وقف امام قاض متهما بقتل الخمار اليوناني ذخر يادس . وكان زكريا قد بعج كرشه بالفعل بسكين البسطرمة وترك له الحان وولي هاربا الى الغابات يقول للقاضي : انا مذنب وأعترف ، وهو ايضا مذنب لانه صاحب كرش . لماذا كان له كرش ؟ اذا رأيت ، يا سيدي القاضي ، يوما ردف امرة جميلة عارية فماذا تفعل ؟ انا اعضه . اشنقني ولكني اعضه ، ثم اشنقها معي لانها صاحبة الردف ، هي السبب » .

فالفعل في حياة زكريا هو فعل تلقائي لا ارادي . مصدره هذا النهم الشديد الذي يحسه نحو الحياة . هو يعبها عبا كما يعب اقداح الخمر ، الرخيص منها والغالي ، وكما يتنشق التبغ وكما يأكل الطعام وكما ينفق قوته البدنية الهائلة .

البحر هو الصديق

ذات يوم ألم بالميناء حوت هدد الناس في اعمارهم وفي ارزاقهم وفي بيوتهم وفي اموالهم . دخل الحوت الميناء واخذ يفتك بكل ما يصادفه ، فتجمدت الحياة في المدينة ولم تجد من ابنائها من يتصدى للحوت فيطاطاه ويجره الى الشاطيء ، ويخلص الناس من أذاه .

زكريا وحده هو الذي تقدم ، اصطاد الحوت وربطه بعد ان كاد الحوت يفتك به وأسكره فصعد فوق ظهره ثم جره الى الشاطيء بسلك وزورق وبضع شاحنات هنا تحلق الناس حوله وطلب اليه التجار ان يبقر بطنه ويستخرج ما فيه ، فانهم مفقدوه من بعد ومرسلوه الى فرنسا ليجرى هناك تصنيع لحمه ووضعه في معلبات باهظة الثمن ، وتحويل عظامه الى تماثيل .

وقام زكريا بالمهمة الصعبة افرغ الحوت من احشائه . وقال له الخمار زخريادس : أعطيك ما شئت من نبيذ مقابل بطرح الحوت . ووافق زكريا مع الفرح سقى نفسه وسقى البحارة فتحلق هؤلاء حوله وقالوا : انت مجنون يا زكريا . لقد غشك اليوناني اخذ ما في جوف الحوت من ذهب وماس ، واعطاك ثمنا بخسا هو النبيذ . ان الحيتان تبلع ذهب الغرقى وما سهم وتحفظه في جوفها وهذا الذي سرقة اليوناني .

وصدق زكريا الهمس وأثر فيه الفحيح فذهب وجنون الغضب يعصف برأسه ـ ذهب يطلب كنزه المسروق . ولما انكر الخمار ان الاحشاء كانت تحوي ذهبا وماسا بعج زكريا كرشه كما بعج بطن الحوت ، وفر هاربا بعد ان نهب البحارة الحان وافرغوا ما فيه من خمر ثم تركوا زكريا وضحيته ولاذوا بالفرار .

لم يعد امام زكريا الا ان يضع البحر بينه وبين مدينته العاهرة ليس له من صديق الا البحر ولكم تمنى انذاك لو تحول الى كلب بحر شكله وطبعه يلائمان هذا الحيوان . وهو بعد لا يرى فارقا بينه وبين كلب البحر الا في طريقة التنفس .

ان زكريا كتلة هائلة من الحياة غير المشكلة ـ او غير نهائية التشكيل . لهذا يرى نفسه جديرا بان يتحول الى سمكة او الى بحر او الى شجرة ، بل تراه يعقد بينه وبين الشمندورة علاقة تماثل . يراها ، وقد اضطرته احداث الرواية الى ان ينزل الماء عريانا ويعوم رأسيا كما تعوم . يراها تشبهه ، بل هي تفضله ، فهي خالية من الثقوب ، وهو شمندورة مثقوبة من أعلى ومن اسفل !

هذه الكتلة الهائلة من الحياة البدائية تصطدم بما حولها من قوانين ومن ناس ومن اعراف فلا تجد وسيلة

للتفاهم مع هذه الاشياء المبهمة سوى استخدام القوة او القاء الاسئلة البليدة . ان لم يضحك عبعوب ، صديق زكريا الاذكى والاضعف ، لنكتة حفظها زكريا وجاء يلقيها على مسامعه ، فليس من سبيل الا تهديده بالقائه في البحر او سحق عظامه . وان راح زكريا يصطاد جعل يغني ويشتم ويسكر واحيانا يتساءل : من حفر البحر ؟ ولماذا آلاف وآلاف من الناس ، وكلهم بعينين وأنف وشفتين واذنين ، يختلف واحدهم عن الاخر ؟ ومن اين جاء جد جد جد جده ادم ؟ حواء من ضلعه وهو من ضلع من ؟

لوجه الحب

ويضيع زكريا في الغابة فيجد الطبيعة قد اغتالته . اغتالت الشيطان داخله لقد حره الخمر والقهوة والتبغ فصار فاضلا بالاكراه . فماذا يفعل بفضيلته هذه ؟ يراقب النجوم ؟ يحصيها ؟ ان الثوب الفاضل كبير عليه وغير لائق . هذا ما يقوله هو . وان كان يعني في حقيقة الامر ان طريقه في الحياة قد شق على نحو خارج عن مواضعات الاخلاق . هو لا يعرف الأخلاق ، ولا يعترف بها ليس لانه شرير ، بل لأن جهاز الاخلاق ليس مركبا في داخله اصلا .

نام ليلته الاولى في خيمة على الصخر وقال لنفسه : لو قال لي انسان انني جبان لضربته على يافوخه ما هو الخوف ؟ ما هي الشجاعة ؟ ما هي الفضيلة ؟ ما هي الرذيلة ؟ عمري لم اعن بهذا . اعيش كما اعيش .

وحين يصطدم زكريا بشيء خارج تماما عن عالمه يفغر فاه في دهشة حقيقية . كان في الغابة فسمع اصواتا جفل لها . قد يكون رجال الدرك جاءوا للقبض عليه . ولكن الامر لا يعدو فتى وفتاة : عاشقين جاءا يتساقيان كئوس الغرام . يراهما زكريا فيلتهم ويقول له منطقه . ان الغرام لا بد مؤد الى الفعل . ولكن شيئا من هذا لايحدث .

قال لها احبك ورشق زهرة برية في شعرها وتعاهدا على الحب حتى نهاية العمر . ثم مضيا . هذا هو غرام اولاد المدارس حبهم كحب الاخ لأخته سمع منها زكريا كلمات حره منها طوال حياته ، فتحسر شيئا ما ، ولكنه عزى نفسه قائلا : ليظلا محبين . لسوف تخونه يوما ما .

ذلك انه ليس من المعقول ، في دغل الحياة الذي غاص فيه زكريا حتى الان ، ان يقوم حب خالص ، لوجه الحب . حتى ولو كانت المرأة فاضلة كزوجه صالحة : القابلة الطيبة التي أنفقت حياتها تحاول ان ترد زكريا الى شيء من الحياة المعقولة المعتادة . فرفض هذا باصرار الا ان يعيش كما يعيش . قال لنفسه وهو يهرب من شر مطاردة قاسية توقع ان تجرى وراءه بعد ان بعج كرش الخمار ـ الحياة حلوة هكذا ، بدون ذهب ولا ماس ، بدون بيت ولا زوجة ولا ولد انه في حقيقة الأمر فرد استعصى على القيد .

عود الى المدينة

في الغابة يتعرف زكريا الى راعية تركمانية فقيرة ، هجرها زوجها وراح يبحث عن عمل في الاناضول ، وترك لها فقرها وشظف العيش واولادا ثلاثة . وتعرف الديناصور زكريا الى شكيبة الجميلة ، القوية الشكيمة ، فردته الى حياة لم يألفها من قبل اعترف لها بجرمه . وبانه مطارد ، وقبلته هي وبسطت عليه حمايتها ، واخذا طوال ثلاثة شهور متوالية يهيئان لحياتها المقبلة معا بعد ان قررت شكيبة ان تعيش معه . عاد زوجها من الاناضول ام لم يعد ..

ولكن الحياة المرتبة لم تخلق لزكريا ونداء البحر وجذبه اقوى عليه واشد عتوا من غرامه بالراعية الجميلة ـ هذا الذى ألم به على كبر .

مر ذات يوم جماعة من الصيادين وهم في حال من الفزع شديد . فقد ألم بالميناء حوت اخر ولم تجد المدينة من ينقذها منه . كلهم خاف على نفسه وماله . ومرة اخرى تجمدت الحياة في المدينة والميناء . ويسأل زكريا الصيادين : الم تذهبوا لتناضلوا الحوت ؟ ولكن الهزيمة كانت في عيونهم والخوف أخرسهم .

وقال لهم زكريا : الحوت مخيف يا اخواني والخوف منه مخيف اكثر . عودوا الى المدينة واشتركوا في حصاره وفي قتله . فصاح واحد منهم وانت ؟

أم من « أنت » ، هذه ! قلبت كيان زكريا . غفر لمدينته ورأى نفسه غير قادر على التخلي عنها . تخلى عن الراعية ، وعن البيت الذى هيأ ، وعن الحياة القادمة ، ولا يتخلى عن مدينته وعن صراعها الدائم مع الحيتان والتجار واصحاب الزوارق وترك زكريا البحارة وراءه وهو يبصق على الارض ويلعن الجبن والخسة .

سار على الشاطىء ببطء ثم اسرعت خطاه ثم ركض ، وزاد ركضه فسمع بعض البحارة يناودنه ، وتبعه واحدمنهم ، وآخر ، وآخر ، وركضوا جميعا صوب الميناء .

شخصية لا تنسى

هذا هو الخط الرئيسي في الرواية التي كتبها الروائي السدري المرموق : حنا مينه ، وجعل عنوانها : « الياطر » ، اى المرساة .

ان اهم ما تحققه الرواية من انجاز هو خلقها تلك الشخصية الخرافة المذاق ، الفوارة الحيوية ، التي تقبل على الحياة والاحياء ـ كل الاحياء ـ بشهوة لا يخبو لها أوار . يراقب زكريا وهو في الغاب كل ما يحيط به من شجر وماء وحيوان ولون وشمس ونجوم مراقبة من لا يرى هذه الكنوز وحسب بل ويتمثلها داخل جسمه . كل شيء حي يحويه جسد زكريا وتجتره ذاكرته ويسجله احساسه . هو يحكي لنا مثلا ـ كيف تهاجم البراغيث الحيوان فلا يتخلص منها الا اذا غمر جسمه بكامله في الماء حتى تغرق البراغيث ، ثم يعقد فورا مقارنة بينه وبين الحيوان والبراغيث ويضيف : أنا براغيثي داخل رأسي ولن تغرق حتى اغرق ـ يريد همومه التي تحاصره منذ ان قتل اليوناني وولى هاربا .

ولو طبقت معايير الاخلاق على زكريا لكان شيئا رديئا حقا ـ هو قاتل ولص وسكير ، وزير نساء وعابد لرغبات جسده جميعا ، مستجيب لها دائما . ولكنه ا ى هذا وحسب انه ايضا عراك مستعر بينه وبين نفسه ، يحاول ان يكون خلاله شيئا اخر غير هذا الشيء الرديء .

وهو عراك يشرفه كثيرا ويعلي قدره ، لانه يدخله ولا عدة له تعينه على النصر ، هو انسان بدائي يسعى الى ان يتخطى الحواجز الرهيبة التي صنعتها من حوله ظروف فقره ، وقلة ذكائه ، ورغبته العارمة في ان يتخفف من كل شيء ، ولا يذكر الا انه كتلة من الحياة تعيش في الزمان والمكان حياة اللحم وكل ما يعنيه .

والرواية تسجل لزكريا اكثر من نصر واحد في هذا العراك غير المتكافىء القوى . ينتصر يوم يندم لقتله الخمار ، ويوم يحن الى العودة الى مدينته والى زوجته الطيبة صالحة . وينتصر كذلك يوم يقهر رغبات جسده ـ آخر الامر ـ في علاقة مع الراعية ، ويعترف لنفسه انه يريدها لشخصها وليس لجسدها ، وأنه غير قادر على ان يحيا بدونها ، وانه لا يملك الا الانتحار اذا ما هي مضت في هجرها اياه .

وينتصر اخيرا يوم يترك وراءه الراعية وبيتها وهواها ، ويمضي ، لا يستطيع المقاومة ليدفع عن مدينته شر الحوت ، ويرفع عن اهنها مهانة الاتهام بالجبن ، ويثبت لنفسه ـ مرة اخرى ـ ان ثمة خيرا كبيرا يكمن وراء الشر الظاهر في هذه الشخصية الفاتنة .

لقد خلق حنامينه في زكريا المرسلي شخصية شامخة لا تنسى ـ وضع فيها حبه الدافق لبسطاء الناس ، وقدرته الفذة على ان يعيش حياتهم ويفتح قلبه الكبير لخيرهم واثمهم معا ، مقدرا ان الخير فيهم شيء يبعث على الدهشة ، اذ ينبت من أرض بور ، وأن الاثم منهم هو نتاج طبيعي لكل ما يحيط بهم من عوامل السقوط . ■■

د . علي الراعي

لباقة

● قال الزوج لزوجته :

ـ وكيف تتوقعين ان اذكر عيد ميلادك ، مع انك تصغرين كل يوم ؟

الشعر المنشور

طالعت بالعدد رقم ٢٥١ لشهر تشرين الاول وبالصفحة ٣٣ من العدد المذكور وخاصة بالفهرس (عندما اوغل السندباد .. وعاد (قصيدة) للشاعر صلاح عبد الصبور وقلبت صفحات المجلة حتي وصلت الى الصفحة ٣٣ لم اجد امامي قصيدة بالمعنى الصحيح بل وجدت جملا متمقة ومبعثرة وليس بها اى رابط بالفكرة ولا بالمعني ولا حتي بالاسلوب ... شأنها شأن ما يقال (الشعر المنشور او الشعر الحديث وو .. الخ) .

ولا اريد ان اطيل في الكتابة حول هذا الموضوع بل اريد ان الفت نظركم الى رأى الشاعر الكبير عمر ابو ريشة :

يقول الاستاذ الشاعر الكبير عمر ابو ريشة على صفحات جريدة النهار البيروتيه ما معناه (ان الذين يسمون انفسهم شعراء العصر الحديث ما هم الا عداء اللغة العربية ويعملون على تهديم اللغة العربية من الداخل وبدوافع من اعداء الامة العربية) .

عبد الله السقاف
بيروت

الادب الاسلامي

● رائعة تلك مقالة الدكتور الموسومة « ادب اسلامي .. كيف ؟ » المنشورة في العدد ٢٤٩ لشهر رمضان المبارك « ١٣٩٩ اذ انه ازال الشبهة التي يوردها اعداء الايدولوجية الاسلامية والتي تتلخص في ان الاسلام يكبح جماح النفس البشرية في تمتعها بالآداب والفنون .. متجاهلين بان الشارع المقدس يدعو لما يحيي تلك النفس ولكن لا على حساب اهدار الكرامة البشرية في انصياعها للادب الفاحش من غزل لا شريف ومن دعوة للانسلاخ من الهدى الالهي بطريق ماكرة لا يعلمها الا الراسخون في تمييز الغث من السمين من المقولات والمقالات !!

لقد وصل الدكتور مطلوب عين الصواب حين قال « وينبغي ان يبرز هذا الادب حقيقة الدعوة الاسلامية باسلوب فني رفيع ليكون له تأثير نفسي عظيم الى جانب ما يقدم من صور حية ناطقة » . الادب هنا يجب ان يعبر عن فطرة البشر النظيفة كما خلقت محبة للحق والفضيلة والخير ومشتاقة للتكافل الاجتماعي بجميع صوره .. لا أن يخضع للاهواء المتردية لما يسمى بـ « الادباء » الذين غرقوا في مستنقع الانسلاخ من جبلتهم البشرية !!

عباس التميمي
بغداد

مجلس الامن الدولي

امر هذا المجلس عجيب غريب ،

بالامس قامت قيامته بسبب احتجاز الامريكيين في طهران .

ولم يقتصر الامر على مجلس الامن الدولي بل تعداه ليشمل الكرسي البابوي وبعض رؤساء الدول والامين العام للامم المتحدة .....

باختصار الدنيا قامت قيامتها اشفاقا على الامريكيين الستين

ولكن هذه الدنيا القبيحة لم تحرك ساكنا عندما قام الصهاينة بقتل وطرد وتشريد شعب فلسطين كله ... مصداقا لقول احد الشعراء ......

قتل امرىء في غابة
جريمة لا تغتفر!
وقتل شعب كامل
مسألة فيها نظر!

محمد محسن الظاهر
الاردن

تصويب

في ثنايا مقالي « المستشرقون المعاصرون في تجربة للنقد الذاتي » المنشور بمجلة « العربي » في عددها رقم ٢٥٢ الصادر في ذي القعدة ١٣٩٩هـ / نوفمبر ١٩٧٩م انبثت أخطاء مطبعية مرجعها أولا وقبل كل شيء سوء خطي أو سوء طريقتي في الكتابة أو الأمران معا . وهي كلها مما تدركه فطنة القارىء ، بما في ذلك ما أنوه عنه هنا .....

ان كلمة « المستعمرين » التي وردت معطوفة على المستشرقين « اكثر من مرة ، صحتها » المستعربين .... واسم الاستاذ « الباقي هرماسي » التونسي الاصل هو في كتابته الصحيحة بالصورة التي تظهر في هذا التصويب ، وهو استاذ بجامعة كاليفورنيا في بركلي ، ولعله خلال العام الجامعي الحالي فقط يعمل بجامعة الكويت كما

آراء حول الدعـوة الاسلامية

لا يخفى على احد ان حركة التبشير ونشاطاتها البارزة اصبحت ظاهرة قوية تمثلت في انتشار ـ الكنائس والمدارس في المناطق البعيدة وفي كل قرية يكثر فيها اللادينيون ، فتخطفهم ايدي الاحسان ومعاول الظلام وفي الجانب الاخر نجد الاستعمار وحركات التبشير يتخذون . مسلمين منافقين ليوهنوا قوى الاسلام واضعاف دعائمه بالتأويلات الفاسدة والمظهر الاسلامي الكاذب فيغتر الجاهل بهم ويجعلونه شبه مسلم والاسلام منه بريء . ان اعداء الاسلام ينشطون ـ هذه الايام ـ في حملة مسعورة لتشويه حقيقة هذا الدين الحنيف ، فيشنون حربا لا هوادة فيها .. وواجبنا ـ نحن المسلمين ـ ان نعمل باخلاص من اجل رفع راية الاسلام ولتكون كلمة الله هي العليا .

احمد محمد عمر العمودي
لامور/كينيا

استطلعوا طنجة

مدينة طنجة او مدينة البوغاز الواقعة في اعلى نقطة من القارة الافريقية تناديكم لزيارتها واستطلاع معالمها الحضارية والتاريخية والسياحية .....

محمد البقالي الحسني
طنجة/المغرب

كان يعتزم . اما الاستاذة عفاف لطفي السيد فمقر عملها جامعة كاليفورنيا في لوس أنجليس لا في بيركلي . والباحث المعروف بدراساته عن ابن خلدون وتاريخ الفكر الاسلامي هو الاستاذ محسن مهدي لا مهدي الحسيني كما ورد في المقال ، كذلك فان ترجمة عنوان كتاب الاستاذ البرت حوراني هو « الفكر العربي في عصر التحرر » .

وبطبيعة الحال كان ما استغربه شيخ الازهر الاسبق المراغي رحمه الله ان « حديثا قصيرا مع سيدة اوربية » قد اغرى ابنته بالقراءة في سيرة الخليفة عمر بن الخطاب ، وليس مجرد الحديث القصير مع سيدة باطلاق !! ـ وكان الله في عون الاخوة بمطبعة « العربي » والاخوة القراء .

د . محمد فتحي عثمان

جامعة الرياض ـ السعودية

ندرة الجامعات العربية

● ولدت لابوين فقيرين في مدينة الخليل .. ووضعت نصب عيني هدفا هو تحصيل العلم من اجل حياة افضل لاسرتي .. وصلت مرحلة الدراسة الثانوية متشبثا باظافري رغم وعورة الطريق فجاء مجموعي في امتحان التوجيهية ـ قسم علمي ٧٥٪ ... واخذت اطرق ابواب الجامعات من اجل التعليم العالي .. ولكن الابواب كلها بقيت مغلقة .. انتحر الامل الذي عشت من اجله على ابواب مقهى فتح لي بابه بعد طول عناء لأعمل فيه بأجر زهيد .

هذه ليست مشكلتي وحدي ولكنها مشكلة آلاف الطلبة الذين يصلون الليل بالنهار من اجل الحصول على مجموع ثم تضيع خطاهم بسبب قلة الجامعات في عالمنا العربي . او ليست هذه مشكلة تستحق من « العربي » تسليط بعض الضوء على جوانبها المتعددة ؟

ارجو ان تفعل « العربي » ذلك .

عبد الحميد ابو عواد

الاردن

موسوعة عربية شاملة

قرأت افتتاحية العدد ٢٥٠ ، ووجدتكم تدعون الى اقامة موسوعة عربية شاملة وبالمصادفة فقد اشتريت منذ اسبوعين موسوعة عربية تحمل اسم « الموسوعة العربية الميسرة » برئاسة الاستاذ محمد شفيق غربال ، وعضوية واحد وعشرين كاتبا اخر وقد وعد الجميع في مقدمتها بان يخرجوا لنا في المستقبل القريب الموسوعة العربية الشاملة (الطبعة الموجودة لدى هي صورة طبق الاصل لطبعة ١٩٦٥ من الموسوعة) وحتى الآن ونحن ننتظر هذا « المستقبل القريب » .

فضل فياض سكرية

لبنان

●

الفائـزون في مسابقة العدد ٢٤٨

تدعو مجلة العربي القراء الذين فازوا في مسابقة العدد ٢٤٨ المبادرة بارسال عناوينهم الصحيحة الى ادارة المجلة حتى تتمكن من ارسال جوائزهم اليهم .

ادارة العربي



كتب الشهر

"يوم انفجرت الفقاعة"

العالم يعيش أجواء سنوات الكساد العظيم

تأليف : جوردون توماس وماكس موررجان

عرض وتقديم : فيليب جلاب

١٧٨

اكثر ما يثير الخوف لدى خبراء الاقتصاد ورجال المال والاعمال من مظاهر الازمة الاقتصادية العالمية ، التي تصعد بالذهب وتنزل بالدولار ، هو ان ما يحدث الآن في وول ستريت (شارع المال والاعمال في نيويورك) أقرب الأشياء الى ما حدث منذ نصف قرن ، في اكتوبر عام ١٩٢٩ .

في ذلك الشهر بالتحديد بدأت الازمة الطاحنة التي عصفت بالعالم ، وحولت العملات الورقية الى اكوام من المهملات ، وذهبت في لحظات بسمعة وثروة كثيرين ممن كانوا من بين اغنى اغنياء العالم .

ولم يكن « الكساد العظيم » الذي حل بالاقتصاد العالمي في ذلك الوقت مقصورا على أولئك الذين يحكمون امبراطورية المال والاعمال في الغرب ، لكن آثاره كانت اشد تدميرا لدى الفقراء من « رعايا » تلك الامبراطورية . وهي آثار لا تنسى على السنة الآباء والاجداد الذين عاشوا وعانوا مرحلة الكساد « الرأسمالي » ، ممتدة الى هذه المنطقة من العالم ، قبل ان تسمى المستعمرات واشباه المستعمرات ، والمحميات ، وغيرها ، بعد الاستقلال ، بالعالم الثالث .

وبينما تضطر مثل هذه الازمات أصحابها وصانعيها من الاغنياء الى شد الاحزمة على البطون ، لا يجد فقراء العالم حتى « الاحزمة » التي يشدونها .

الولايات المتحدة ، مثلا ، تعيش خلال الازمة الحالية بتضخم وصل الى ١٢٪ سنويا ، وبعجز يقرب من ٢٠٠٠ مليون دولار شهريا ، وبطالة تتجاوز ١٠٪ من قوة العمل الامريكية . لكنها ـ وهي اغنى دول العالم ـ تملك من الوسائل حتى الآن ما قد يخفف بعض الشيء من هذه الآثار المدمرة للازمة ، ولو على حساب معدل النمو الاقتصادي السنوي ، وتضاؤل الارباح الخرافية القادمة من وراء البحار ، وغيرها من الاسلحة المعروفة وغير المعروفة .

لكن خبراء صندوق النقد الدولي يرون ابعاد الكارثة الحقيقية على فقراء العالم الثالث بالتحديد . ان عدوي التضخم تنتقل الى الدول النامية بشكل مضاعف . وخبراء صندوق النقد الدولي يقدرون نسبة التضخم في العالم الثالث للعام الذي انقضى وحده باكثر من ٣٠٪ . فما بالك لو اخذت ازمة عام ١٩٧٩ بقية ابعاد الازمة العالمية منذ نصف قرن ؟

قياسا على هذا التضخم ستصبح دول العالم الثالث (غير المنتجة للبترول) في حاجة ملحة في هذا العام الجديد (١٩٨٠) لاقتراض ٥٣ الف مليون دولار ، اكثر مما كانت تقترضه من قبل ، لمجرد سد العجز في ميزانياتها . لكن اين هي هذه الجهة التي تستطيع خلال ازمة طاحنة ان تقرض الآخرين هذه المبالغ الخيالية ؟

المشكلة اكثر تعقيدا

ان قضية الارتفاع الجنوني في سعر الذهب ، التي الهبت خيال المضاربين ، وفتحت شهية سماسرة السوق ، ليست هي محور الازمة العالمية للاقتصاد الحر . انها مجرد تعبير عن القلق المتزايد وعدم الثقة في العملات الورقية . والمشكلة الحقيقية هي ان الازمة الحالية ذات ابعاد خطيرة ، لم تعد تصلح لها كل الحلول التقليدية التي يعرفها ويجيدها تلاميذ آدم سميث او اللورد كينز . فقد كانت العادة ان يواجه الخبراء الاقتصاديون ازمات الانكماش بمحاولة زيادة الانفاق الحكومي والتشغيل شبه الكامل للقوى العاملة والعاطلة . ويواجهون أزمات

التضخم باجراءات الحد من الانفاق ورفع سعر الفائدة على القروض المصرفية ، الى ان تتوازن الامور (في الحالين) وتمر الازمات بسلام . لكن المشكلة هذه المرة اكثر تعقيدا ، اذ أن الاجراءات التي تحد من التضخم كادت أن تحول الازمة الى انكماش أو كساد كامل ، ومثل هذا الكساد سيدفع دول الاقتصاد الرأسمالي « الحر » الى وضع « قيود » صارمة ضد الواردات الاجنبية لحماية صناعاتها ومنتجاتها المحلية . ثم تسري العدوى الى الجميع داخل نطاق دول الاقتصاد الحر ، وتبدأ سلسلة من الاجراءات الانتقامية ، مما يؤدي في رأي الخبراء الى الانهيار العالمي الذي خشى منه الجميع .

اما على مستوى المستهلكين في الغرب عامة وفي الولايات المتحدة الامريكية بنوع خاص ، فقد فوجيء خبراء الاقتصاد ايضا بظواهر وانماط سلوكية غير مألوفة كرد فعل للتضخم . فعندما واجه المستهلكون الارتفاع المتواصل في اسعار السلع ، لم يتوقفوا كالعادة عن الشراء او يكتفوا بشراء السلع الضرورية فقط ، لكنهم غيروا من عاداتهم وخططهم الشرائية وانكبوا على الشراء حتى آخر دولار في جيوبهم ، على اساس ان السلعة افضل من الاحتفاظ بارصدة ورقية تتناقص قيمتها باطراد . ولم يكتف المستهلكون بذلك ، لكنهم تحصنوا ضد المستقبل ايضا بالاقتراض من أجل شراء سلع قد لا تلزمهم بالضرورة . اي انهم يحاولون تحصين انفسهم ضد الانهيار المتوقع في المستقبل لاسعار العملة .

ويقدر الخبراء الامريكيون ان ٨٠٪ من البيوت الامريكية مدينة للبنوك بحيث يدفع رب الاسرة في المتوسط ٣٥٪ من صافي دخله لخدمة ديونه .

وسلك رجال المال والاعمال والمستثمرون طريقا مشابها . اذ اتبعوا اسلوب الكسب السريع عن طريق المشروعات قصيرة المدى . ويمثل هذه المشروعات ذات الانتاجية القليلة ساهم المستثمرون مرة اخرى في رفع الاسعار ، حيث أن الانتاجية الكبيرة هي الاسلوب الوحيد لتخفيض تكاليف الانتاج ، والحد من التضخم وارتفاع الاسعار .

وازاء الحلقة المفرغة التي اختلطت فيها اعراض المرض الاقتصادي باساليب العلاج ، لجأ المضاربون الى شراء الذهب والتخلص من عملاتهم الورقية . لكن ماذا يفعل الذهب ، الذي ينتج منه العالم اقل من ١٤٠٠ طن سنويا ، اغلبها من مناجم الاتحاد السوفيتي وجنوب افريقيا ؟

وكيف يساهم المعدن الثمين داخل الخزائن الحديدية في زيادة الانتاج واشباع الحاجات الضرورية واعادة الحياة الى الدورة الاقتصادية الراكدة ؟

ربما استطاع بعض صغار او كبار الاغنياء انقاذ جزء من ثرواتهم بتحويلها الى سبائك من ذلك المعدن الأصفر ، لكن العالم كله يظل مهددا بشبح ازمة او كساد عام يتجاوز ما حدث في اكتوبر عام ١٩٢٩ .

واذ لم يكن هناك من يملك الخيال او القدرة على التنبؤ ليحدد صورة العالم اقتصاديا اذا توقفت الدورة الاقتصادية المألوفة وانشبت الازمة الجديدة أظفارها ، فهناك على الاقل صورة واقعية قديمة من قلب وول ستريت في اكتوبر عام ١٩٢٩ ، عندما وقعت الازمة الكبرى .

وهذه الصورة يقدمها كاتبان بريطانيان من المؤرخين الاجتماعيين هما : « جوردون توماس وماكس مورجان ـ وتيز » في كتاب لهما بعنوان : « يوم انفجرت الفقاعة » . وصدر الكتاب بمناسبة مرور خمسين عاما على تلك الازمة . وبعض الاقتصاديين يتنبأون بازمة دورية كل حوالي عشر سنوات ، لكن بعض الاقتصاديين المحدثين يقولون ان ازمات الرأسمالية العاصفة تقع كل حوالي نصف قرن .

حذار من اكتوبر

في اكتوبر عام ١٩٢٩ اكتشف الامريكيون في « وول ستريت » ان الدولار توقف عن الحركة ، وان الرخاء الامريكي ليس احد قوانين الطبيعة .

كان « وول ستريت » يجسد قبل ازمة عام ١٩٢٩ الطاحنة اعتقادا ساذجا ، لدى الجميع تقريبا ، بان الرخاء الامريكي دائم .

وكان من المتفق عليه لدى الجميع ايضا ، ان الدول التي تربط اقتصادياتها بأذيال « وول ستريت » ستزدهر بنفس الدرجة .

وبالنسبة للرجل العادي يبدو المستقبل مقبلا اليه على طبق من ذهب بشرط ان يدخل الى السوق ، واذا لم يكن يملك نقودا ، فليست هناك مشكلة ، لان من الممكن ان يقترض ويشتري « اسهما » ويربح .

كان الموقف اشبه بواجب قومي ، ان تلعب لعبة السوق ، وتستثمر للمستقبل وتغتني بسرعة ، او على الاقل ان تحاول .

وصدق الجميع الاسطورة ، بما فيهم الرئيس الامريكي هوفر نفسه ، الذي أكد ابان الكساد أن كل شيء ما زال في موضعه . ان « وول ستريت » قلعة مالية تشع منها لبقية العالم رسالة دائمة تتحدث عن ثروة بلا نهاية ولم يسبق لها مثيل .

وكان للصحافة دور كالعادة . اذ ساهمت الصحافة الامريكية بشكل مكثف في رسم صورة زاهية « للشارع » . وتعاونت الصحافة او تحالفت مع « حي ماديسون » ورجال المصارف لاعلاء شأن صرح وول ستريت ، الذي كان يلهب الخيال بالفعل . واصبح عدد من الصحفيين الاساسيين (ومن بينهم بعض العاملين في نيويورك تايمز) يحصلون على رواتب منتظمة من رجال المال وسماسرة وول ستريت لرسم صورة متفائلة دائما عن احوال السوق .

واتخذ رعايا « وول ستريت » في الاغلب صورة اشبه بالآلهة . أما كبير الآلهة فلم يكن سوى « جاك مورجان » عميد بيت مورجان ، اكبر مصرف خاص في العالم يقدم القروض على نطاق واسع في انحاء الكرة الارضية . وقروض بنك مورجان ـ كما هو معروف ـ هي التي دعمت حكومة موسوليني في ايطاليا عن بدء قيامها .

وفي « وول ستريت » تخرج اشهر واذكى الانتهازيين مثل جو كينيدي (والد الرئيس الامريكي الراحل جون كينيدي) الذي كون بيراعته المالية الاسرة المعروفة في الولايات المتحدة .

وبهرت حيوية « الشارع » رجالا كثيرين حتى من امثال ونستون تشرشل . ولم يستطع تشرشل اثناء زيارة مبكرة للولايات المتحدة ان يقاوم الاغراء في بورصة وول ستريت وكسب في لحظات ما يساوي بالاسعار الحالية خمسة عشر الف دولار .

لكن الحلم انتهى في اكتوبر ١٩٢٩ معجلا بالكساد العظيم في العالم كله . وانهارت اقتصاديات دول كثيرة ، وحل الخراب بأكبر الماليين ، الذين عجزوا ، رغم دهائهم الاقتصادي عن التمييز بين الارباح الحقيقية والارباح الورقية .

ولم ينج من التدمير ، سجل الرئيس هوفر السياسي ، واحترقت اصابع ونستون تشرشل ، ولم تمنع الصدمة الهائلة من بعض السخريات المناسبة للموقف .

وعلى لسان احدى شخصيات مارك توين الكاتب الامريكي الساخر في ذلك الوقت يأتي التحذير التالي لرجال المال : « ان اكتوبر هو شهر في غاية الخطورة بالنسبة للمضاربة على الاسهم . اما الشهور الاخرى الخطرة فهي : يوليو ، ويناير ، وسبتمبر ، وابريل ، ونوفمبر ، ومايو ، ومارس ، ويونيو ، وديسمبر ، واغسطس ، وفبراير » !

نموذجان في وول ستريت

يقول المؤلفان أن الأزمة العالمية لم تكن مجرد انهيار مالي ، لكنها مأساة للاسرة الانسانية . فقد كانت في بعض جوانبها اسوأ من الحرب ذاتها . ويقول احد الذين التقى بهم المؤلفان من ابناء ضحايا الازمة : « كان ابي يعد من الابطال اثناء الحرب . لكنه لم يستطع ان يغادر المنزل بعد الازمة الاقتصادية وسرعان ما احاطت به الشكوك والتساؤلات المؤلمة : الا يصلح لتولي اي وظيفة ؟ ثم ظلت الشكوك حوله تتزايد وبقيت عالقة بشخصه حتى يومنا هذا » .

ولا يتوقف الكتاب عند ملايين الآباء الذين دمرتهم الازمة ، لكنه يكمل بقية الصورة بنماذج من بين اولئك الذين استطاعوا ان يكسبوا ويضاعفوا ثرواتهم حتى من

خلال الازمة والكساد على حساب ثروات الآخرين وابرز امثلة هذا الفريق جو كيندي وجيسي ليفرمور.

ويصف الكاتب كنيدى بأنه من الشخصيات التي فصلت بدقة لتلائم تماما الحياة في غابة «وول ستريت». فهو يتمتع بنوع غريب من السحر يمكن وصفه «بالسحر الخبيث»، ولديه الكفاءة النموذجية للافلات من النصابين والنهابين المنتشرين في وول ستريت. وكان الدافع الاساسي لدى كيندى لكي يقتحم عالم المال والاعمال هو الافلات من فقره المدقع «الايرلندى»، وبناء صورة امريكية جديدة محترمة لاسرته. ولم يكن كينيدى واهيا ازاء «مايجرى في الشارع». كان يعرف ان «وول ستريت» «وكر للكراهية ينضح بالاحقاد». وفي مدينة مثل نيويورك غالبيتها العظمى من الكاثوليك، كانت موجات الكراهية العنصرية تتصاعد من وول ستريت ضد البروتستانت واليهود والزنزج كلما انكمشت احوال السوق.

لكن جو كينيدى لم يلق ترحيبا في وول ستريت، لانه رغم تمتعه بالمؤهل الوحيد المطلوب وهو الثراء، الا ان ثراءه من النوع الذى لا يلقى احتراما من الاغنياء القدماء، لانه غنى محدث.

وفي اول تجربة للتعامل بين كينيدى و«وول ستريت عام ١٩٢٢، في صدر شبابه، تفوق على اقرانه، واستطاع بذكاء شديد ان يفشل محاولات منافسيه، ويمنع هبوط اسهم شركته، ثم تدرجت اعماله الى ان اصبح صاحب امبراطورية مستقلة تشرف على الانتاج السينمائي في عصر يسميه البعض «عصر جنون السينما»، وقدرت استثماراته في اعماله السينمائية فقط بخمسة ملايين دولار او ٢٥ مليون دولار بالقيمة الحالية.

اما النموذج الآخر فهو جيسي ليفرمور احد كبار الاثرياء والمضاربين المعروفين في ذلك الوقت بانهم لا يجيدون شيئا سوى كسب الاموال.

وكان ليفرمور هو المثال التقليدى لمحترفي النهب في وول ستريت. فهو يعرف كيف يتلاعب بالسوق للحصول على ما يريد. ولم يكن يعرف اى فائدة للمال سوى انفاقه عن آخره. ولم يكن لديه طموح كيندى في بناء عائلة غنية و«عريقة». لكن حساسيته المالية لا يمكن ان تخيب، مما ساعده على تكوين ثروة خلال فترة الحرب العالمية الاولى فقط بلغت في ذلك الوقت خمسة ملايين دولار (حوالي ٢٥ مليون دولار بالقيمة الحالية). وقبل ان يعرف العالم شبكة الاتصالات السريعة الحديثة، استطاع ليفرمور اقامة شبكة مخابرات خاصة به، تربطه بأهم العواصم المالية في العالم مثل لندن وباريس وبرلين وميلانو. ولم يكن اتجاه ليفرمور كالاعمى وراء النقود، اينما تكون، سوى احدى المكونات الاساسية لرجال وول ستريت جميعا. وهو مالاحظه مراقب داهية مثل تشرشل في رحلته الامريكية.

ويعكس اسلوب ليفرمور، الذى اتسم بالبرود والحسابات الدقيقة عند التعامل مع الاسهم والسندات والمضاربات، كانت عملية تشرشل في البورصة مجرد نزوة طارئة لم يحاول تكرارها. وفي رسائل تشرشل لزوجته في ذلك الوقت، لم يلاحظ رغم ذكائه الحاد، الجوانب الخفية من الجشع القاتل الذى يولده التعامل المستمر في وول ستريت.

بداية الانهيار

وابرز هذه الامثلة ما حدث في مدينة ديترويت من جانب كل اعضاء مجلس ادارة بنك الاتحاد الصناعي، حيث انخرط الجميع برئاسة نائب رئيس مجلس الادارة فرانك مونتاج في عملية تدليس منظمة. فقد اكتشفت مديرو البنك ان رواتبهم وحدها لا تكفي للاستثمار في وول ستريت وجني فوائد ضخمة من ورائها. ومن ثم اتبعوا اسلوبا مخيفا في النهب، اذ سحبوا اموال عملاء البنك المودعة لديهم واستثمروها في وول ستريت لحسابهم. وكانوا يعيدون رصيد العملاء، ويحتفظون لانفسهم بالارباح. ومع اقتراب شهر اكتوبر وبداية الازمة العالمية سارت الامور في اتجاه معاكس.

وفجأة اصبح علي موظفي البنك المحتالين ان يغطوا

الخسائر الضخمة التي لحقت بهم من جراء الانهيار الاقتصادي . ولما كانوا لا يملكون في الأصل شيئا سوى ودائع العملاء ، اصبح لزاما عليهم قضاءفترة من السجن كعقوبة بعد أن بددوا اموال العملاء وصفوا البنك

في نفس الوقت الذي لم يدرك فيه كثيرون من المتعاملين في الاسهم وبورصة وول ستريت مغزى « الاضطراب » الذي بدأ يشيع في اسواق المال والاعمال ، ادرك جو كيندي بفطنة نفاذة ضرورة الانسحاب المبكر بامواله وارباحه . اما ليفرمور وغيره من ذوي الخبرة الاكبر فقد خانتهم الحاسه المالية ، والقوا بمزيد من الاموال على أساس أن السوق سينشط ، وسرعان ما سيسترد وضعه السابق من جديد . لكن في الرابع والعشرين من اكتوبر بدأ الانهيار النهائي . وهبطت قيمة الاسهم فقط في بورصة نيويورك بحوالي ثلاثة آلاف مليون دولار (اى خمسة عشر الف مليون بالقيمة الحالية) .

ورغم ذلك لم يرد كبار رجال المال أن يتصوروا نهاية الاسطورة . وتحركت خمس وثلاثون من البيوت المالية الكبرى بسرعة في وول ستريت لتبدد « الشكوك » . واعلنوا في بيان مشترك ان « السوق بخير في الاساس ، وأنه « من الناحية الفنية يعد في حال افضل مما كان عليه في الشهور الماضية » ثم اختتموا بيانهم بعبارة مطمئنة :« لقد مرت وانتهت اسوأ الظروف » .

يوم انفجرت الفقاعة

وكان يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من اكتوبر هو اليوم النهائي والحاسم ، الذي انفجرت فيه الفقاعة . كان على الجميع ، حتى أكثرهم تفاؤلا أن يواجهوا الواقع المرير . وعندما وقف المنادى التقليدي يعلن بداية العمل في البورصة في ذلك اليوم ، لاحظ جنرال بريد جمان المسئول عن أسهم الصلب الامريكية ان ثمن الاسهم بدأ يصل الى الحضيض .

ويصف المؤلفان ذلك المنظر نقلا عن شهود العيان ، وصحف تلك الايام . « ادى انهيار اسهم الصلب الامريكية الى فزع قبيح . فقد تعالت اصوات اسباب واندفع الناس يدوسون بعضهم البعض ، وينشبون اظافرهم في بريد جمان ويرغمونه على الهرب الى مكتب جانبي . ووجد احد العاملين الشبان نفسه محشورا بين الجموع ومشدودا من شعره بقوة ، بينا يصرخ الرجل الذي يشده من شعره بشكل هستيرى : لقد افلست . ولم يسمح الرجل لضحيته بالابتعاد ، حتى اضطر الشاب الذى اصيب بالرعب ان يستجمع قواه وينتزع نفسه بالقوة تاركا بعض شعره في يد الرجل الذى افلس ، وهاربا من البورصة كلها الى الخارج » .

« وشيئا فشيئا بدت البورصة في وول ستريت بيت تسكنه الارواح الشريرة . وعندما واصلت اسهم جميع الشركات هبوطهـا الى الحضيض ادرك ١٠٠٠ سمسار و ٢٠٠٠ من موظفي البورصة ان هذا اليوم هو مذبحة اصحاب الملايين » .

ومثل كل الكوارث لم يخل الامر من بعض الفكاهات او السخريات السوداء . اذ فجأة ارتمى احد السماسرة على الارض وبدأ يتمرغ ويزحف بشكل جنوني . وقبل ان تدوسه اقدام الحشد ، استطاع البعض ان يسحبوه الى احد الاركان . واسرعت اليه احدى الممرضات ، وهو يغمغم بكلمات غير مترابطه . فارسلت في استدعاء طبيب البورصة المقيم . ورأى الطبيب بدوره ضرورة نقل الرجل الى اقرب مستشفى للامراض العقلية . وهناك قرب مدير المستشفى اذنه من فم الرجل ليحاول فهم ما يقوله . ثم مالبث ان ابتسم في مرارة معلنا ان الرجل ليس مجنونا ، لكنه فقد بعض اسنانه الصناعية بينا كان يصرخ بقوة ليعلن بيع بعض الاسهم . ثم ارتمى وسط الحشد الكبير في محاولة يائسة للعثور على اسنانه الضائعة . » !

عقدة بلا حل

واستمر الفزع في ارجاء البورصة مع صرخات اصحاب الاسهم وهم يعلنون رغبتهم في البيع الى مابعد ظهر اليوم . وكانت إسوأ آثار ذلك اليوم واضحة على اولئك الفقراء الذين قتروا على انفسهم وادخروا بعض

الاموال لاستثمارها في أسهم الشركات . فقد انهارت تماما كل شركات الاستثمار البالغ عددها ٧٥١ شركة . وقال احد النقاد الغاضبين ان هذه الاحتكارات قد تأسست على نفس القاعدة الاقتصادية التي اتبعها في العصور الوسطى ممولو ادعياء الكيمياء ، الذين أرادوا تحويل بعض المعادن الى ذهب . فقد كان الهدف الرئيسي هو اجتذاب الدولارات التي ادخرها الفقراء !!

بينا سيطر الاندفاع نحو البيع على الجميع لجأ الذين افلسوا الى الصلاة . وركع كثيرون على أرض البورصة ، داعين الله ، دون جدوى ، ان يعيد اليهم ثرواتهم . وخر آخرون ساجدين في كنيسة قريبة من مبنى البورصة ، دون ان يلاحظوا اي فارق بين البروتستانت والكاثوليك واليهود .

اما جيسى ليفرمور الذى استطاع بعض الالعاب البهلوانية المالية ان يصمد خلال بدايات الازمة ، فلم يستطع ان يواصل الصمود بعدئذ .

وفي عام ١٩٣١ فقد مايساوي الآن مائة وخمسين مليونا من الدولارات ، وسرعان ماهبط الى الصفر ، ثم تجاوزه بالاقتراض من الآخرين .

وفي امسية احد ايام الخريف من نفس العام اتجه الى « بار » في احد فنادق نيويورك ، وابتلع بضع كئوس في دقائق قليلة ، ثم اخرج قلما ذهبيا وكتب على ورقة بخط واضح عدة مرات : « كانت حياتي فاشلة » . ثم اتجه الى دورة المياه وانهى حياته بطلقة من مسدسه !

لكن جو كيندي الذى كان قد ادار ظهره لوول ستريت قبل الازمة ، ضاعف ثروته بعد ذلك من استثمارها في العقارات ، حيث استغل فرصة الانهيار واشترى الكثير من المخازن والمحلات بأثمان زهيدة .

●

وفي النهاية يلتقى المؤلفان بفرانك مونتاج نائب رئيس بنك الاتحاد الصناعي الذى ضارب بودائع عملائه ، بعد ان قضى عقوبته في السجن . كان مونتاج مريضا وفقيرا ومحطما .

وروى القصة الكاملة لتلك الفترة الكئيبة . ولم يجد مبررا لجريمته سوى ان « كل الناس في ذلك الوقت كانوا يحاولون الحصول على ثروة باقصر واسرع الطرق » .

وامام المباني الجديدة في وول ستريت ، لاحظ المؤلفان ان كل شيء قد تغير ظاهريا . لكن « الشارع » مازال يحتفظ بخاصية عضوية ذات دلالة .

وسيظل يحتفظ بها دائما وهي « عقدة لاحل لها ، في داخله » . ■■

القاهرة ـ فيليب جلاب

منتهى السخرية

● في القنصلية الامريكية بلشبونة عاصمة البرتغال كان موظف الجوازات منهمكا بعمله اذ دخل عليه رجل خجول المحيا وقال « هل لك ان تنبئني ان كنت استطيع الفوز بجواز لدخول بلادكم العجيبة » وكان الموظف قد قضى اياما بلياليها يعالج مئات او الوفا من مثل هذا الطلب فقال : « مستحيل الآن . عد بعد عشر سنوات » . فمشى الرجل الى الباب ثم توقف والتفت وقال وهو يبتسم ابتسامة صفراء « أجيء حينئذ في الصباح او بعد الظهر ! »

نزهة العقل الذكي جوائز العدد

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٥٤ وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول مارس (١٩٨٠)

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حلّ مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم شاعر عربي كبير ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم شاعر تركي معروف .

الكلمات الأفقية :

١ ـ من العناصر الكيميائية ـ سكّان العراق القدماء .

٢ ـ جمهورية سوفيتية ـ متشابهان ـ من الاقارب .

٣ ـ تخفي ـ من أوجه القمر ـ نصف كلمة (منهك) .

٤ ـ حرف استفهام ـ أعمّ ـ قاطعة .

٥ ـ من الغازات ـ أغوار ـ غذاء طبيعي كامل .

٦ ـ أعاجم استخدمتهم الدولة العبّاسية الثانية ـ ضمير ـ من النهار .

٧ ـ تقوى ـ اكتمل ـ سقط ـ من الفاكهة .

٨ ـ شاعر عربي كبير .

٩ ـ من الحبوب ـ فريدة ـ في الفم .

١٠ ـ لاذ ـ ساهمت ـ يحميني .

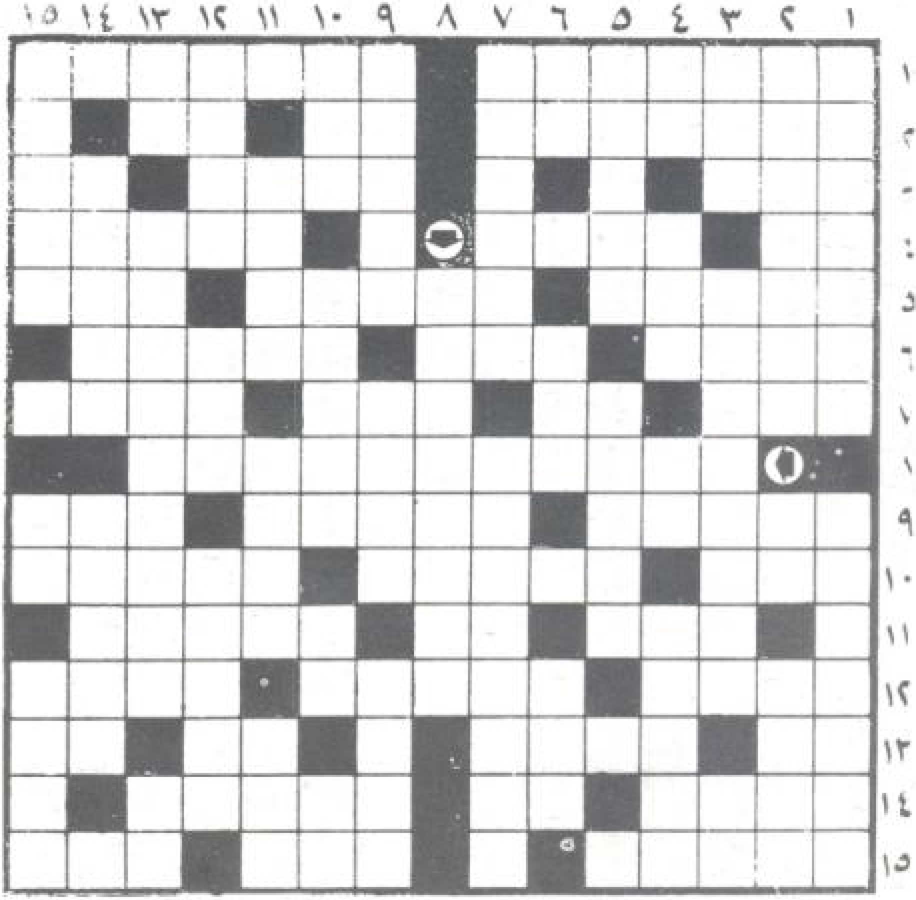
١١ ـ عمر ـ من الاقارب ـ من الأشجار .

١٢ ـ لا باردة ولا ساخن ـ عملة أوربية ـ خراب .

١٣ ـ نصف كلمة (مريح) ـ في الجيش ـ ضلال ـ رمز هندسي .

١٤ ـ نشيد ـ نصف كلمة (يوسف) ـ وهمي .

كوبون مسابقة العدد ٢٥٤



١٥ ـ يستعيد ـ شهر هجري ـ حيوانات .

الكلمات الرأسية :

١ ـ عاصمة نيبال ـ عالم اكتشف الكهرباء الحيوانية .

٢ ـ ملك فارسي قديم ـ متشابهان ـ أسجن .

٣ ـ من الحواس ـ من سور القرآن الكريم ـ نصف كلمة (بانت) .

٤ ـ مقام موسيقي ـ أوّل البشر ـ حرف نفي ـ من الخضروات .

٥ ـ يشيع ـ لقب رئيس وزراء بريطاني شهير .

٦ ـ لفظ تعجّب ـ فعل واجب التنفيذ ـ بلا جدوى .

٧ ـ قام بأول رحلة بحرية حول العالم ـ من العناصر الكيميائية .

٨ ـ شاعر تركي معروف .

٩ ـ في الكف ـ كلمة (تأسى) مبعثرة ـ يتيه .

١٠ ـ قيّد ـ المصر ـ من الاقارب ـ نصف كلمة (أريج) .

١١ ـ أظل ـ مخيف ـ أفل .

١٢ ـ انقضت ـ علّة ـ من وسائل الاضاءة .

١٣ ـ بحر ـ من العناصر الكيميائية ـ عملة يابانية .

١٤ ـ قرننا ـ في العين .

١٥ ـ نتنيا ـ نصف كلمة (بيوت) ـ عبيد .

بحّار وجندي ومؤرخ انجليزي

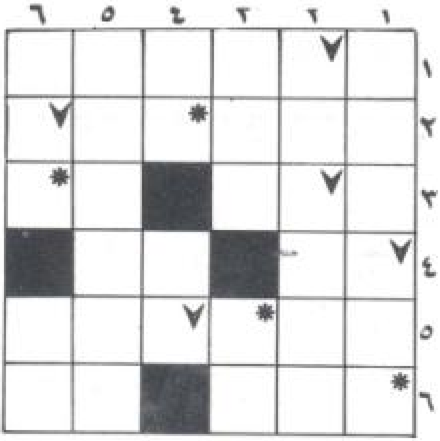
ابدأ بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربّعات التي بها الاسهم ، ورتّبها لتصنع الاسم الاول لبحّار ومؤرخ من العصر الاليزابيثي . ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتّبها لتصنع لقبه .

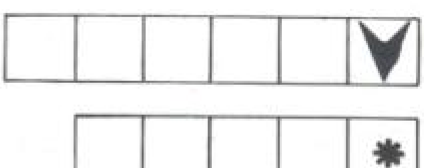
الكلمات الافقية :

١ ـ من الحوامض .
٢ ـ ولاية أمريكية .
٣ ـ عمّ ـ نصف كلمة (قيود) .
٤ ـ نصف كلمة (فاتن) ـ من الحبوب .
٥ ـ يثبتون .
٦ ـ أبصر ـ للتفسير .

الكلمات الرأسية :

١ ـ أوّل من اكتشف أهميّة الجراثيم .
٢ ـ دولة أفريقية .
٣ ـ تدكّ ـ يخصّني .
٤ ـ نصف كلمة (قاطع) ـ حرف عطف .
٥ ـ تأكدوا .
٦ ـ ثنى ـ نصف كلمة (نبني) .





● اختبار معلومات ●

أين الصواب .. وأين الخطأ ؟..

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خطأ ، هل تستطيع التمييز بينها ؟..

١ ـ بيرانا : أسماك متوحشة .

٢ ـ أوياشيو : تيار مائي بارد في اليابان .

٣ ـ أوفر لود : من أنواع البنادق الرشاشة .

٤ ـ أمبيدوكل : صقليّ من أقدم علماء النبات .

٥ ـ الياك : حيوان يعيش في منطقة الاستبس .

٦ ـ فان دايك : رسّام فلمنكي شهير .

٧ ـ الفرافرة : واحة مصرية .

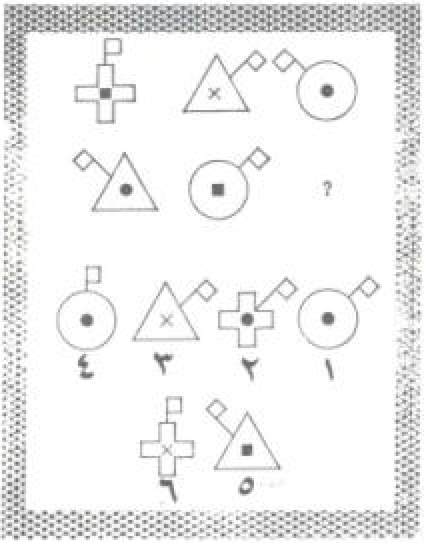
٨ ـ العلجوم : من أجزاء الجهاز الهضمي .

٩ ـ الدياتومات : نباتات دقيقة توجد طافية على سطح الماء .

١٠ ـ أسد البحر : حيوان من البرمائيات .

الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفّين العلويين ، حاول أن تعرف أيّ الاشكال ذات الارقام ، يحلّ محلّ علامة الاستفهام .



الحلول

النجمة والسهم :

والتر رالي .

أين الصواب .. وأين الخطأ :

كلها صحيحة فيما عدا :

٣ ـ أوفر لود : الاسم الرمزي للغزو البريطاني لاوروبا في الحرب العالمية الثانية .

٨ ـ العلجوم : حيوان من أكلة الحشرات .

١٠ ـ أسد البحر : الاسم الرمزي لخطة الغزو النازي لبريطانيا .

الشكل المطلوب :

رقم ٦

طريقكم إلى الجامعات أو إلى المهن يبدأ من كلية سانت أولديتس اكسفورد ، إنجلترا المتخصصة في الدراسات المتقدمة المتعلقة بشهادة الدراسة العامة جي سي ئي

سانت اولديتس هي أكبر كلية خاصة في اكسفورد للدراسات العالية وهي مركز امتحانات معترف به لأربع من لجان امتحانات شهادة الدراسة العامة (جي . سي . ئي) بالمملكة المتحدة .

تضع الكلية أمامكم فرصة الاختيار الواسع من بين المجموعات التي تضم كل منها عددا من المواضيع . وقد تم اختيار كافة هذه المجموعات بعناية ، مع أخذ احتياجات الطلبة بعين الاعتبار جنباً إلى جنب مع شروط الدخول إلى الجامعات البريطانية ومتطلبات الانخراط في المهن ببريطانيا .

تولي الكلية عناية فائقة بمصلحة طلبتها الأجانب وتقدمهم ، بحيث يستفيد جميعهم إلى حد بعيد من الخدمات الاجتماعية والتعليمية التي تتمتع بها مدينة جامعات اعتادت على رعاية ساكنيها من الطلبة الشباب الموهوبين البالغ عددهم ١٢,٠٠٠ .

التعليم في الكلية مختلط وهي توفر وسائل الراحة لما يقرب من ٣٠٠ طالب . وتضم مباني الكلية مختبرات علمية حديثة مجهزة تجهيزاً وافياً فضلاً عن مرافق هادئة ومريحة للدراسة الخاصة .

يقوم بالتدريس مدرسون جامعيون مؤهلون تأهيلاً عالياً ويوضع الطلبة في مجموعات صغيرة ونادراً ما يزيد عدد الطلبة في مجموعة ما عن عشرة ؛ لذا فانه يمكنكم أن تطمئنوا إلى أنكم ستحظون بأفضل فرصة لاجتياز الامتحانات بنجاح . وهذا النجاح سيمكنكم من تزويد أنفسكم بالمؤهلات اللازمة إما لدخول الجامعات وإما للانخراط في مهنة .

معظم الطلبة الذين يفدون إلى سانت اولديتس ينوون متابعة الدراسات العليا في المملكة المتحدة وهم يدرسون ثلاثة موضوعات بمستوى « رفيع » تستغرق منهم مدة عامين . أما الطلبة الذين يرغبون في الالتحاق بهذه الدورات فيجب ألا تقل سنهم عن ١٧ عاماً وأن يكونوا ناجحين بمستوى « عادي » على الأقل (أي أن يكون الحد الأدنى هو المرتبة « ٦ ») في المواضيع ذات الشأن .

ومن أجل الدراسة للحصول على مستويات « رفيعة » ، من الضروري أن تكون لدى الطالب مقدرة عالية في اللغة الانجليزية ، ولن ينظر في أمر قبول الطلبة مباشرة إلا إذا أثبتوا أنهم يتمتعون بهذه الكفاءة .

تعقد الكلية دورات بمستوى « عادي » للطلبة الذين يتمون عاما بمستوى « عادي » ، أو ما يعادله ، دون أن يكونوا حاصلين على درجات عالية بما يكفي لقبولهم مباشرة للمستوى « الرفيع » .

نتوجه بالدعوة الحارة إلى الطلبة كي يكتبوا إلينا فوراً للحصول على معلومات وافية عن الدورات التي نعقدها لشهادة الدراسة العامة بالمستوى « الرفيع » والمستوى « العادي » .

St. Aldates College, Oxford

The Principal, B. Mendes, B.Sc., Econ., F.C.A., Dept. 88
Rose Place, Oxford OX1 1SB, England.

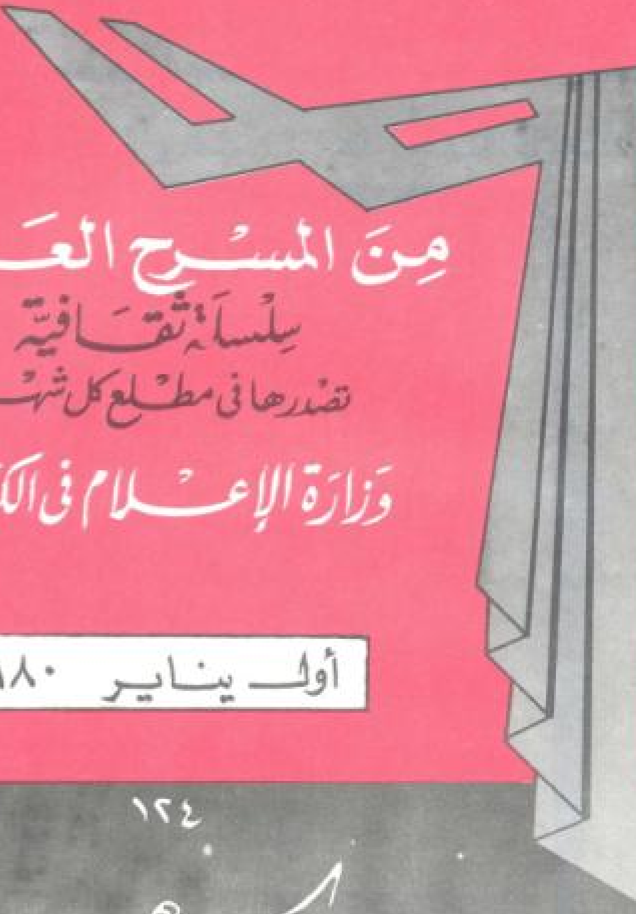


WEST END WATCH CO
SWISS
وست إند
تحافظ على وقتك بدقة متناهية
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة ـ دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ ـ تلفون ٤٣٣٥٨٥

من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول يناير ١٩٨٠

١٢٤



مكبث

تأليف : وليم شكسبير
ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا
تحقيق وتقديم : كينيث ميوار

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

يناير ـ كانون الثاني ١٩٨٠م

المسرح

في الوطن العربي

تأليف :
الدكتور علي الراعي

٢٥٠ فلساً

الكتاب الخامس والعشرون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس

مع

لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطها ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني .

١٥٪

في السنة

ايداع محدد لمدة سنة.

تدفع كل الفوائد بدون خصم أي ضريبة.

أسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة .

لومبارد نورث سنترال عضو في أحد مجموعات البنوك المصرفية العالمية ولدينا تاريخ يرجع إلى أكثر من ١٠٠ سنة . نمدكم بتسهيلات ايداعية تعود عليكم باقصى فائدة مع مرونة الاختيار وضمان لأموالكم . لدينا ودائع لأفراد ومؤسسات من جميع انحاء العالم .

اختاروا المنهج الملائم لاحتياجاتكم :
نقدم لكم ثلاث تسهيلات ايداعية لكل منها شروط متعددة ملائمة لاحتياجاتكم الخاصة .

ايداع ذو الأخطار :
بحد ادنى ٥٠٠ جنيه استرليني ويمكن الاضافة اليه أي مبلغ وفي أي وقت كما ويمكن السحب بعد الاخطار في اخر المدة المتفق عليها . تستحق الفائدة اعتبار من تاريخ الايداع وتدفع نصف سنويا أو تضاف إلى الحساب .

ايداع ذو مدة محددة :
بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني بمدة محددة من سنة إلى خمس سنوات بسعر فائدة محدد في هذه المدة . تدفع الفائدة نصف سنوية أو سنويا .

ايداع ذو دخل منتظم :
بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني . هذا المشروع باهلكم باستلام شيك بالفائدة كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل نصف سنة . ونسبة الفائدة تزداد تدريجيا حسب المدة التي تختارونها . تودع الأموال لمدة محددة تتراوح بين السنة والخمس سنوات بسعر فائدة محدد لهذه المدة .

لتفاصيل أكثر من برامج حسابات الايداع وأسعار الفوائد نرجو ان تملؤا الكوبون وارساله لنا اليوم .

Lombard North Central
Bankers

إلى :
LOMBARD NORTH CENTRAL LTD., DEPT. W182,
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND.
Telephone: 491 7050.

الاسم : ____________________

العنوان بالكامل : ____________________

____

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

مدير التحرير
عبدالعزيز السيد احمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ٠٠٠ر١٠٠ قاريء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير ـ وثائق ـ يوميات ـ بيبليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا امريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت ـ كلية الاداب والتربية ـ الشويخ ـ دولة الكويت

ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)

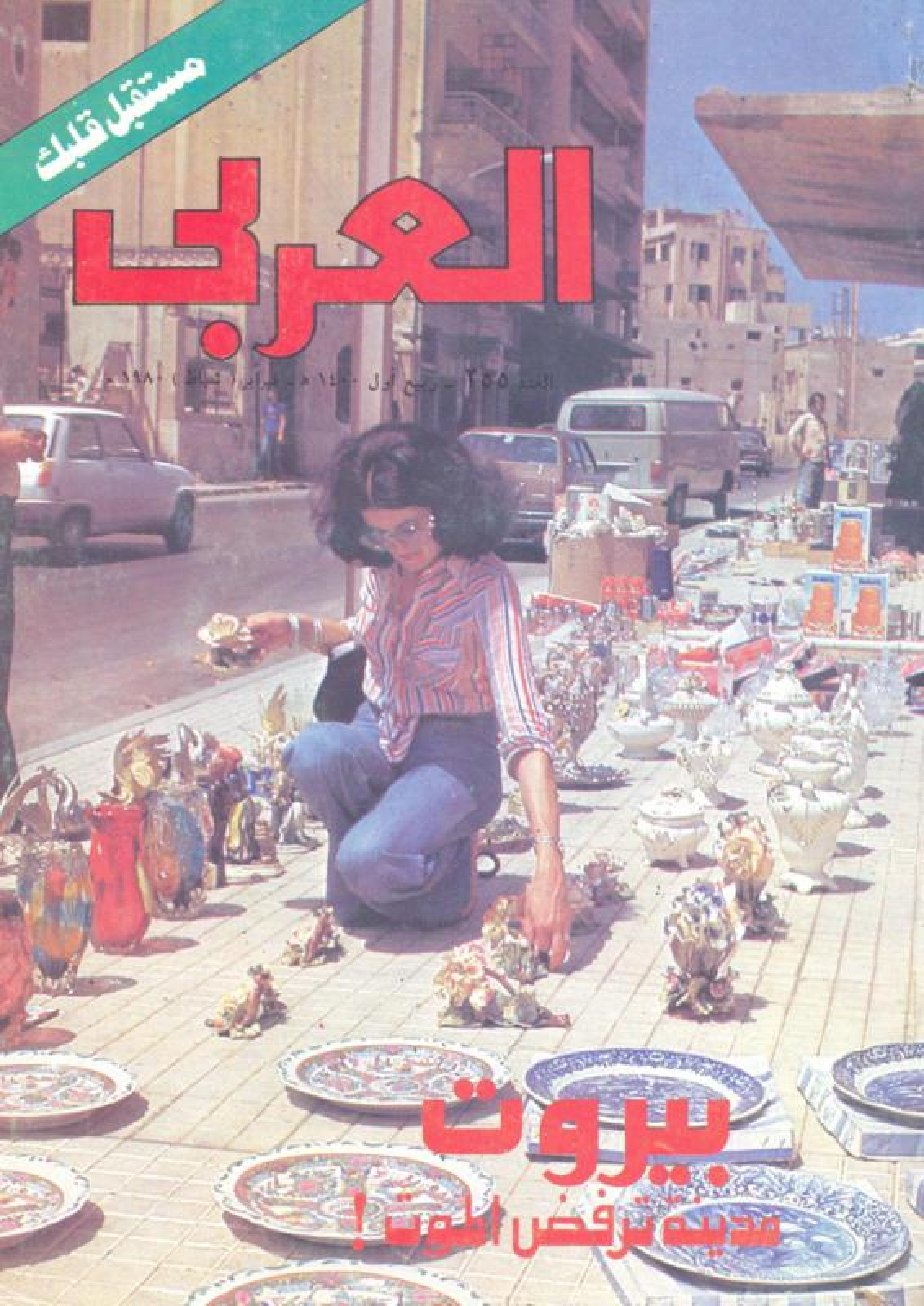
هاتف : ٨١٦٨٠٧ـ٨١٦٧٩٩ـ٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير



سوني
SONY
KV-2020ME
في البداية ترينيترون، والآن بيتاماكس
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر
SL-8080E
SONY
Sony Betamax
سوني بيتا ماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته


CTP 6457
PAL SECAM
SANYO
βCORD VTC 9350
شاهدوا الإستعراضات العالمية الكبرى مرارًا
وتكرارًا دون الإهتمام بأنظمة التسجيل
إنتهت مشاكل أنظمة التسجيل بفضل جهاز سانيو بيتاكورد بال/سيكام بلوحته الأمامية المذهبة. وأصبح بإمكانكم إقتناء، شراء، إستعارة، أو بالطبع تسجيل الأشرطة على نظامي بال وسيكام وبالتالي مشاهدة الإستعراضات العالمية الكبرى في أي وقت تريدون وإعادة مشاهدتها مرارًا وتكرارًا دون الإهتمام بأنظمة التسجيل.
مميزات سانيو بيتاكورد المثيرة:
• توقيت الى ٧٢ ساعة بأسلوب التشغيل اليومي.
• جهاز تحكم عن بعد للتوقيت المؤقت أو وقف التشغيل.
• التسجيل على أشرطة الفيديو كاسيت المدمجة لغاية ٣٫٧٥ ساعة متواصلة
CTP 6457
مجموعة ذهبية لأجهزة التلفزيون الملون بنظامي بال/سيكام مع أجهزة التحكم واللوحات الأمامية المذهبة
أشرطة بيتا الفيديو كاسيت
٦٥ دقيقة، ١٣٠ دقيقة
١٩٥ دقيقة
SANYO
سانيو


مستقبل قلبك
العربي
العدد ٢٥٥ — ربيع أول ١٤٠٠ هـ — فبراير (شباط) ١٩٨٠ م
بيروت
مدينة ترفض الموت!


المفتاح المثالي لأعمالك في
الكويت والخليج
بنك الكويت الوطني ش م ك

عزيزي القارئ

تبدأ الكويت في هذا الشهر عاما جديدا في مسيرة استقلالها الوطني ، مضيفة به خطى جديدة على طريق البناء والتقدم ، ذلك انها عاما بعد عام ، تؤكد الكويت منذ الاستقلال اصرارها على ان تمضي بخطى وئيدة على هذا الطريق ، من منطلق ان سلامة البناء العربي الكبير لا تتحقق الا برسوخ وقوة كل لبنة فيه .

وفي هذا الاطار ، فان ما تحقق خلال العام الذي انقضى يؤكد اكثر من اي شيء آخر انه رغم كل الملابسات الضاغطة ، فإنه لا شيء يثني عزم اي بلد مهما كان صغيرا ، عن ان يبني نفسه بجد واقتدار ، ويحث الخطى على طريق التقدم .

وهكذا ، فانه داخليا وعربيا ودوليا ، قد كان للكويت وجودها الفعال طوال العام الذي مضى ، من خطط للتعمير وتوفير الرخاء في الداخل ، الى جهد لا يكل في المساندة والدعم الاقتصادي للدول العربية والافريقية والشعوب الاسلامية ، الى سعي دائم للوقوف الى جانب قضايا الحق والعدل في المجتمع الدولي .

ان عاما جديدا من الاستقلال هو في حقيقته صفحة جديدة من تاريخ هذا الوطن ، وليس لنا الا ان نتمنى ان تسجل هذه الصفحة المزيد من الانجازات والعلامات المضيئة ، وسط ذلك الضباب الكثيف الذي يغلف الحاضر العربي .

« المحـــرر »



صورة الغلاف

● رغم القتل والقصف والقنص ، تتشبث بيروت بغريزة البقاء والحياة .. تعيش وتبنى وتضحك . واستطلاع هذا الشهر في تلك المدينة التي تواجه الموت بتحد وشجاعة نادرين ، وهذه صورة في أحد شوارع بيروت .. سيدة تشترى تحفه لتزين بها البيت . فما زال للفن والجمال مكان في بيروت .
(انظر الصفحات ٦٨ ـ ٩١) .

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

آداب وفنون

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: احمد بهاء الدين
مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قاريء للعربية في العالم
الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٣٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج . م . ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليا ، الجزائر ٢,٥ دينار ، المغرب ٢,٥ درهم ، اليمن ٢,٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

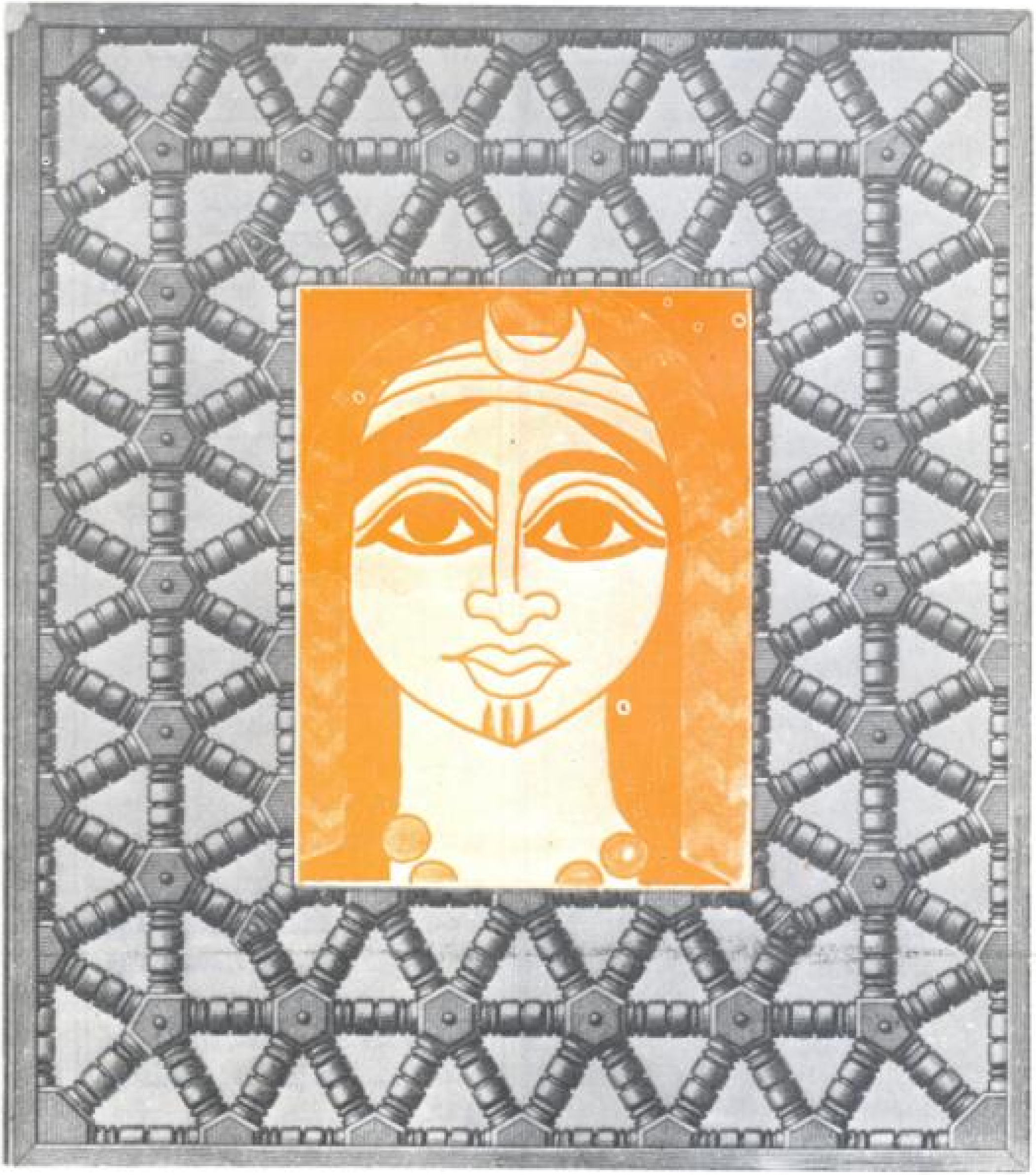
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير
عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٣٧١٤١
تلغرافيا « العربي »

ALARABI -- No. 255 -- February 1980
P.O. Box 748 -- KUWAIT

كيف نفكر فى



أزمة الثقافة ؟

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

في وطننا العربي احساس حاد بأن الثقافة في ازمة ومع ذلك فان كثيرا من المتحاورين في هذا الموضوع لا يتفاهمون ، ولا يصلون الى تحديد واضح لطبيعة الازمة ومظاهرها ووسائل حلها ، لاسباب من أهمها انهم لم يتفقوا على معان محددة للكلمات التي يستخدمونها في بحث هذا الموضوع الحيوي . وأنا لا أزعم أن الاتفاق على هذه المعاني سيحل المشكلة ، لأن لأزمة الثقافة أبعادا أساسية متعلقة بطرق تفكيرنا التقليدية ، ووضع المثقف في المجتمع ، ومدى احترام العقل والخيال الحر في أنظمة يفضل معظمها أن يتحكم مباشرة في اتجاهات تفكير الناس . ولكني اعتقد ، مع ذلك ، ان القاء الضوء على بعض الالفاظ الأساسية التي نستخدمها في مناقشاتنا حول الثقافة ، يمكن ان تكون تمهيدا مفيدا لارساء هذه المناقشات على أسس أوضح ، ولايجاد أرض مشتركة بين المتحاورين حول هذه المشكلة التي هي ، بلا جدال ، اكبر هموم العقل العربي في وقتنا الحاضر .

أولا : ما هي الثقافة ؟

كلمة الثقافة من أكبر الكلمات تداولا ، وهي في الوقت ذاته من أشدها غموضا ، بحيث أن هناك احتمالا كبيرا في أن يكون أي جدل حول الثقافة ، هو في حقيقته جدل بين اشخاص لا يتحدثون جميعا عن شيء واحد ، ومع ذلك ففي استطاعتنا ان نهتدي ، ضمن المعاني المتعددة التي يستخدم لها هذا اللفظ ، الى معنيين رئيسيين ، هما :

١ ـ الثقافة كما يستخدمها علماء الاجتماع ، ويمكن تعريفها بانها : « ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة ، والاعتقاد والفن ، والقانون ، والاخلاق والعرف ، وأية قدرات وعادات أخرى يكتسبها الانسان بوصفه فردا في المجتمع » . ويقترب من ذلك التعريف الوارد في قاموس اكسفورد ، من انها « الاتجاهات والقيم السائدة في مجتمع معين ، كما تعبر عنها الرموز اللغوية والاساطير والطقوس وأساليب الحياة ومؤسسات المجتمع التعليمية والدينية والسياسية » .

٢ ـ الثقافة بالمعنى الانساني الرفيع ويمكن تعريفها بأنها صقل الذهن والذوق والسلوك وتنميته وتهذيبه ، أو بأنها هي ما ينتجه العقل أو الخيال البشري لتحقيق هذا الهدف . ويلاحظ أن هذا المعنى يرتبط بالاصل اللغوي لكلمة Culture ، في اللغات الاجنبية ، وهي كلمة تعني تعهد النبات وحرثه ورعايته حتى يثمر (منها جاءت كلمة زراعة Agriculture ، بل انه يرتبط بهذا المعنى ذاته في اللغة العربية ، لان الاصل « ثقف » يحمل معنى التهذيب والصقل والاعداد . وهنا تكون الثقافة عملية رعاية واعداد مستمر للعقل والروح البشرية ، أما معناه بوصفها منتجا يؤدي هذه الوظيفة ، فلم تكتسبه الا فيما بعد .

ان تختفي الثقافة !

والمثل الاعلى لثقافة بهذا المعنى هو العلو الى اقصى حد بالتكوين العقلي الروحي والاخلاقي للانسان ، وبطريقته في التفكير وتأمل العالم وتذوقه ، أي أن تصبح الثقافة تكوينا باطنا ، داخليا ، تلقائيا في الانسان ، لا يعود محتاجا الى عون خارجي ، وقد ذهب « هربرت ريد » الى حد القول ان المثل الاعلى للثقافة هو ان تختفي الثقافة ، بمعنى ان تصبح مندمجة في شخصية الانسان حتى دون ان تعرض على مسرح او تقدم في كتاب ، ولا تعود الثقافة واعية ، بل « صامتة » تكون جزءا من كيان الانسان ، ولكن هذا بطبيعة الحال شيء بعيد المنال ، وقد عرضناه هنا لكي نوضح عن طريقه اكثر المعاني تطرفا في فهم الثقافة ، من حيث هي صقل وتهذيب للنفس البشرية .

وعلى أية حال ، فلدينا الآن معنيان محددان للثقافة ، وعن طريق المقارنة بينهما يمكننا ان نلقي مزيدا من الضوء على كل منهما ، وادراك العلاقات واوجه الاختلاف بينهما .

ان المعنى الاول اجتماعي أوجمعي بطبيعته ، لان الثقافة هنا توصف بأنها سمة للمجتمع نفسه ، او صفة لا يكتسبها الفرد بحكم انتمائه لمجتمع معين ، ويكاد علماء الاجتماع يقولون ان الثقافة هي ما يميز الجماعة البشرية عن أي تجمع حيواني . لان الانسان وحده هو الذي يضع رموزا وانظمة تنعكس عليها قيمه واتجاهاته اما المعنى الثاني فهو فردي بطبيعته ، لان عملية الصقل والتهذيب تتعلق بفرد معين ، او بمجموعة من الافراد الذين يتسم كل منهم بشخصية مستقلة ، كما ان الناتج الثقافي ، في معناه الرفيع ، مرتبط ارتباطا عضويا بالفرد الذي ابدعه ، على عكس الناتج العلمي الذي يفقد ارتباطه بشخصية مكتشفه بمجرد أن يشيع ويعترف به على نطاق واسع .

احمد بهاء الدين

لم يتمكن لسبب طارىء من كتابة مقاله ، ويستانف « حديث الشهر » في العدد القادم ، باذن الله .

ومن ناحية أخرى فان الثقافة بالمعنى الذي يستخدمه الاجتماعيون تمثل الحد الادنى الذي يكتسبه الفرد بحكم انتمائه الى المجتمع ، فهي تمثل نقطة البداية في حياة الانسان الواعية لأن كل فرد يبدأ بقبول ثقافة مجتمعه ، اي بقبول القيم والاتجاهات التي تسود في ذلك المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية ذاتها ، اما الثقافة بالمعنى الثاني فتمثل الحد الاقصى الذي لا يصل اليه الا القليلون ، ومن هنا كانت نقطة نهاية ، او هدفا يسعى الفرد طوال حياته الى تحقيقه .

ومن ناحية ثالثة فان الثقافة بالمعنى الأول بطيئة الحركة ، تعتمد على التوارث الآلي ، بل انها تكاد تكون ساكنة راكدة ، وخاصة في المجتمعات التقليدية اما الثقافة الرفيعة ، او النواتج العليا للثقافة ، فهي سريعة الحركة ، لأن قوامها هو صقل الذات وسعيها الدائم الى التنقل الى مستويات اعلى .

ويترتب على هذا كله فارق أخير هام ، هو أن الثقافة بالمعنى الاول شاملة ، توجد حيثما يوجد أي مجتمع انساني ، أي أن أشد المجتمعات بدائية له « ثقافة » بهذا المعنى ، اما في معناها الثاني فهي محدودة النطاق ، انتقائية ، لا يتسنى بلوغها الا لنخبة مختارة .

هل هناك معنى ثالث ؟

يمكن القول ان المعنيين السابقين هما اللذان يستخدمان على أوسع نطاق ، وتكشف المقارنة بينهما عن التباين الاساسي بين مفهومين مختلفين للثقافة ، ومع ذلك ففي استطاعتنا أن نتصور معنى ثالثا وسطا بينهما ، يمكننا ان نطلق عليه اسم « الثقافة الشعبية » . ففي بلد كمصر ، على سبيل المثال ، يمكننا ان نقول بثقافة شعبية منتشرة على نطاق واسع ، هي تلك التي يعجب فيها الانسان المصري العادي بمسرحيات عادل امام ، وينصت بخشوع الى احاديث الشيخ شعراوي او خطب الجمعة للشيخ كشك ، ويتابع كتابات مصطفى محمود ، ويستمتع بغناء احمد عدوية ورقص سهير زكي ، هذه الثقافة الشعبية لها معنى مختلف عن الثقافة بالمعنى الاجتماعي لانها تتعلق بنواتج او اعمال ثقافية يقوم بها متخصصون ، مهما كان مستواهم ، وليست مقتصرة على القيم والعادات وأساليب التفكير التي يتلقاها المرء تلقائيا من المجتمع ، ولكنها ايضا مختلفة ـ كما يدل اسمها ذاته ـ عن الثقافة الرفيعة ، لانها ترضي ذوقا شعبيا واسع النطاق ، وتتعلق بنواتج ثقافية تحتاج في ابداعها وتذوقها الى جهد يقل بكثير عن الذي تحتاج اليه الثقافة الرفيعة .

وبطبيعة الحال فان المثال الاعلى للثقافة ، في اي مجتمع ، هو ازالة او تخفيف الحد الفاصل بين الثقافة الرفيعة ، والثقافة الشعبية ، بمعنى ان تكون هناك ثقافة عالية تقدم ـ على اوسع نطاق ممكن ـ لجماهير قادرة على تذوقها ، ولكن هذا يفترض مجتمعا أزيلت منه الفوارق تماما . اما في ظل الظروف الراهنة ، فلا مفر من استمرار هذه الازدواجية ، بحيث تكون الثقافة الرفيعة مقتصرة على القلة ، وتوجد الى جانبها ثقافة شعبية اوسع منها نطاقا بكثير .

المثقف في كل مجتمع

يلاحظ ان كلمة « المثقف » في اللغة العربية تحمل معاني تتجاوز ما يمكن ان يقابلها في اللغات الاجنبية . فليست هناك كلمة واحدة مباشرة في تلك اللغات الاجنبية ، تؤدي بالضبط معنى « المثقف » اذ نجد في الانجليزية مثل كلمة Intellectual (أو Intellectuel في الفرنسية) تحمل معنى عقليا في المحل الاول وفي الروسية تحمل كلمة « انتلجنسيا » ، الى جانب المعنى العقلي معنى سياسيا ثوريا اما في العربية فان كلمة « المثقف » لا تعني من يستخدم ملكاته العقلية وحدها بل تعني ايضا من يستخدم خياله او قدرته على الابداع ، فكلمة المثقف في العربية تعني من يحب المعرفة ، وتعني ايضا من يتذوق الفن والادب وغيرهما من نواتج الخيال .

والمثقف يمكن ان يكون هو المبدع او المبتكر ، ويمكن ان يكون هو المتذوق والمتلقي الواعي لذلك الابداع . ويفترض في المثقف ، اذا كان متلقيا ، ان يكون قادرا على التمييز بين الانتاج الرفيع والانتاج الهابط ، ولا يكون مثقفا بالمعنى الصحيح الا اذا اقتصر في تذوقه واستمتاعه على النوع الاول فحسب .

ثانيا : ما هي الازمة ؟

اولا ـ للازمة معنى واسع . وفي هذا المعنى يمكن القول ان كل عصر من عصور التاريخ كانت له ازمته الثقافية الخاصة . فمفهوم الازمة يبدو ملازما لمفهوم الثقافة ، لان الوعي الذي يتميز به المثقف يجعل تفكيره خارجا عن اطار ما هو متحقق بالفعل ، بل ان المثقف كان في معظم العصور خارجا عن اطار القيم الشائعة ، تطلعا منه الى عالم افضل ، ومن هنا كان يبشر دائما بوجود أزمة .

هذه الأزمة مزدوجة بطبيعتها ، فهي من جهة تعبر عن عجز الواقع عن مواكبة الفكر ، وذلك لان الفكر بطبيعته اكثر مرونة واقدر على التحرك في اتجاه المستقبل وتخطي الموجود بالفعل ، وهكذا رأينا المفكرين والفنانين والادباء في عصر النهضة الاوروبية مثلا يتطلعون بانتاجهم الثقافي الى عصر جديد لم يكتمل تحققه الا بعد قرنين على الاقل ، ورأينا ادباء عصر التنوير وفلاسفته يسبقون الثورة الفرنسية قبل قيامها بعشرات السنين ، ويمهدون العقول لتغيير حاسم يتجاوز بكثير اطار الواقع الذي يعيشون فيه .

ولكن الازمة يمكن ان تعبر ايضا عن معنى مضاد للمعنى السابق : اذ ان الواقع قد يكون هو الاسرع تطورا من الفكر ، بحيث يعجز هذا الاخير عن مواكبته وتتمثل هذه السمة الاخيرة في العصر الحديث بوجه خاص ، وفي المجتمعات سريعة التطور . ففي هذه الحالة نجد التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية التي تطرأ على الواقع اسرع من التغيرات التي تطرأ على الفكر ، ويكون تغيير البنية الاجتماعية اسرع وربما اسهل من تغيير عقول الناس وقيمهم وأساليب تفكيرهم وسلوكهم . ونتيجة لهذا التعارض تتلاحق الازمات الثقافية ، وتتخذ في كل جيل شكلا جديدا ، او تطرح من خلال مفاهيم جديدة ، ولكنها تظل معبرة عن عجز الفكر عن ملاحقة واقع التطور .

المهم في الامر ان مفهوم الازمة ينتج عن التصادم بين الفكر والواقع ، ويبدو انه مفهوم ملازم للتطور الحضاري للانسان ، بل ربما كان علامة صحية تدل على يقظة الوعي الانساني ورهافة احساسه بالظروف المحيطة به .

ثانيا ـ ولكن للازمة ايضا معنى أضيق ، فاذا كانت الازمة بالمعنى السابق ملازمة لكل المجتمعات البشرية ، ولكل مراحل التطور التي مر بها العقل الانساني ، فان هناك مفهوما آخر أضيق نطاقا ، تكون فيه الازمة تعبيرا عن مرض او اختلال .

ذلك لان هناك حدا ادني للشروط التي يمكن ان تزدهر فيها الثقافة ، فاذا لم يتوافر هذا الحد الادني كانت هناك ازمة ثقافية من نوع غير صحي ، ومثال ذلك ان تفرض قيود شديدة على حرية التعبير بوجه عام ، أو على حرية أصحاب اتجاهات فكرية معينة في التعبير عن أنفسهم ، أو أن توكل أمور الثقافة الى اشخاص جهلاء يتعمدون تخريبها او نشر التفاهة او ارجاع عقارب الساعة الى الوراء . ومن الواضح ان جزءا كبيرا من ازمة الثقافة في وطننا العربي وفي معظم بلاد العالم الثالث ، ينتمي الى هذا النوع الاخير ، ومن هنا كان هذا هو معنى « الأزمة » الذي نود التركيز عليه .

محور القضية : الثقافة والسلطة

في ضوء هذه الفكرة الاخيرة يتبين لنا ان العلاقة بين الثقافة والسلطة هي التي تتحكم الى حد بعيد في تحوير معالم الازمة الثقافية في مناطق العالم التي تنتمي اليها ، ذلك لان السلطة هي المسئولة عن توفير ، او تعكير الجو الذي تعيش فيه الثقافة ، وعن تحقيق

الشروط اللازمة لنموها او وضع المعوقات في طريقها .

والواقع ان التأمل الدقيق لأزمة الثقافة في بلاد العالم الثالث ، ولأزمتها في البلاد المتقدمة صناعيا يكشف عن اختلاف اساسي في طبيعة الازمة في كلتا الحالتين .

فالمشكلة الكبرى التي تواجهها الثقافة في المجتمعات المتقدمة صناعيا ، هي تحديد موقف الثقافة ازاء التقدم العلمي والتكنولوجي ، أو موقف العقل والروح الانسانية ازاء الآلة . ولو تصفحنا ما يكتب عن الثقافة وازمتها في تلك المجتمعات ، لوجدنا هذه الكتابات تدور ، وفي اغلب الاحيان ، حول موقف المثقف من طغيان التكنولوجيا الحديثة السريعة التغير ، واغتراب الانسان في عصر الالة التي تحول البشر الى اشياء ، وتمسخ نواتج الروح البشرية على شكل سلع ومنذ القرن التاسع عشر كانت المشكلة الكبرى التي تواجه مثقفي أوروبا هي كيفية مواجهة الثقافة الانسانية للعلم ، والطرق التي يمكن بها التغلب على الازدواجية الاساسية التي يتسم بها عقل الانسان الاوروبي الحديث . واعني بها الازدواجية بين العلم في تخصصه وماديته وطابعه الجزئي ، وبين الثقافة الانسانية في شمولها وسعيها الى تحقيق نمو متكامل لملكات الانسان وقدراته . ولا يمكن القول ان هذا الحوار حول الثقافة والعلم او التكنولوجيا قد بدا منذ اواسط القرن العشرين فقط ، حين القى « سنو Snow محاضرته الشهيرة عن « الثقافتين » ، لان اوروبا عرفت هذه المشكلة بوضوح كامل منذ القرن التاسع عشر على الاقل ، ودار الحوار بين « ماثيو ارنولد » « وتوماس هكسلي » . ثم في اوائل القرن الحالي بين « اليوت » ونقاده . وفي كل الحالات كان الاحساس السائد في المجتمعات الاوروبية هو ان الازمة الحقيقية للثقافة تكمن في التحدي الذي يواجه به العلم المتخصص روح الانسان وخياله وملكاته الابداعية . وفي اضطرار العقل الانساني الى ان يعيش منقسما على نفسه بين تكنولوجيا أصبحت اساسية بالنسبة اليه ، وملكات ابداعية تطالب لنفسها بالحق في التعبير الكامل عن نفسها

اما في العالم الثالث فان المشكلة الحقيقية التي تواجهها الثقافة هي تحدى السلطة . لا تحدى العلم ، وان كان لابد من الاعتراف بان بعض المشكلات الفرعية المترتبة على مواجهة الثقافة للعلم والتكنولوجيا الحديثة . ولكي نفهم طبيعة هذه المواجهة بين الثقافة والسلطة ينبغي علينا ان نحدد معاني « السلطة » . فالسلطة قد تكون سلطة العرف الشائع ، او سلطة الدين ، او سلطة الحكومة ، وهذه الانواع الثلاثة من السلطة تؤثر في الثقافة تأثيرا سلبيا اذا استخدمت بطريقة تعسفية غاشمة .

فسلطة العرف والتقاليد الشائعة يمكن ان تقمع الثقافة ، لان من طبيعة الابداع الثقافي ان يكون في صراع مع القيم السائدة ، لا عنادا منه تجاهها او مخالفة متعمدة لها ، ولكن لانه يتطلع الى التغيير نحو الافضل ، بينما العرف يتسم بالثبات والمحافظة على الاوضاع الراهنة ، بل والتعلق بالماضي ومحاولة تثبيته .

ولكن الصراع الاكبر للثقافة ، في بلاد العالم الثالث ، وفي البلاد العربية بصورة واضحة هو صراعها مع السلطة الدينية ، وسلطة الحكومة .

اما سلطة الحكومة فتظهر في بلاد العالم الثالث بوضوح لان معظم الانظمة في هذه البلاد تسلطية تتدخل فيها الدولة لفرض رأيها على مختلف اشكال التعبير الثقافي ، وتضع العراقيل امام الاعمال الثقافية التي تتعارض مع اتجاهات الدولة . وفي الحالات التي تخضع فيها الثقافة لسلطة الحكومة مباشرة ، عن طريق وجود مجالس او هيئات مسيطرة عليها ، او تأميم مرافق انتاج الثقافة ونشرها واداتها ، تثار مشكلة الثقافة والسلطة بأكثر صورها حدة .

ويمكن القول ان مشكلة الثقافة والسلطة الدينية قد اثيرت في الوطن العربي منذ فجر النهضة الحديثة ، اى منذ ظهور رواد الفكر الحديث وعلى رأسهم جمال الدين الافغاني وعبدالله النديم ومحمد عبده ، ثم الجيل التالي

الذي يمثله طه حسين وعلي عبد الرزاق . وقد اثار هؤلاء جميعا مشكلة التغيير الذي ينبغي ان يطرأ على فهمنا للدين من اجل مواجهة مطالب الحياة الحديثة . وتصدى لهم انصار الاتجاهات التقليدية . ومنذ ذلك الحين استمرت المشكلة ، متخذة في كل جيل او في ظل كل نظام للحكم ، شكلا مختلفا ، تبعا لطبيعة الظروف السائدة وما زالت المشكلة قائمة حتى اليوم ، بل انها اتخذت في السنوات الاخيرة شكلا حادا ، واصبحت تمثل مظهرا اساسيا من مظاهر الصراع الثقافي في بلادنا .

مشكلة النسبية في الحكم والتقييم

تؤدي بنا النقطة الاخيرة الى اثارة مشكلة النسبية في الحكم والتقييم الثقافي ذلك لاننا اذا كنا قد تحدثنا عن ازمة المواجهة بين الثقافة والسلطة ، وقلنا ان من اكبر مظاهر هذه الازمة ترك مقاليد الثقافة لعقول مختلفة عاجزة تماما عن مخاطبة الاجيال الجديدة من الشباب المتطلع الى التغيير والتقدم ، فمن الممكن ان يوجه الينا اعتراض اساسي يقول ان هذه أزمة من وجهة نظر نسبية فحسب ، لان انصار هذه الاتجاهات المحافظة لا يعترفون بوجود اية ازمة ، بل يرون ان العهد الذي يسيطرون فيه على الثقافة هو العهد الذي تزدهر فيه الثقافة بحق ، وهكذا تثار هنا مشكلة النسبية بحث ينبغي علينا ان نتساءل هل صحيح ان الثقافة تخضع لمعايير النسبية هذه ، بحيث تكون الثقافة ، الواحدة مزدهرة في نظر البعض وهابطة في نظر البعض الاخرون ان يكون لدينا وسيلة للمفاضلة بين الرأيين بحيث تظل هذه مسألة « وجهة نظر » فحسب ؟

في استطاعتنا ان نقدم ردين على هذا الاعتراض :

الاول هو ان القائلين بهذا النوع من النسبية الثقافية منكرون وجود معايير موضوعية للمفاضلة بين الاعمال الثقافية ، فهذا الرأي يؤدي الى وضع روايات اجاثا كريستي على نفس مستوى دراما شيكسبير ، وموسيقى الروك ان رول على مستوى سيمفونيات بيتهوفن ، على أساس أن الأولى تؤدي بالفعل الى امتاع اناس كثيرين يفضلونها على كل ما عداها ، ولكن من الواضح ان هناك معايير موضوعية للمفاضلة بين الاعمال الثقافية التي قد تكون صعبة ومعقدة ، ولكنها موجودة ولولاها لما جاز ان يقال عن شيكسبير انه كاتب اعظم من أجاثا كريستي ، ولما استطاعت موسيقي بيتهوفن ان تخلد بينما تتبدل موسيقى الحانات سنة بعد اخرى .

اما الرد الثاني فهو أن وجهة نظر القوى التي تسعى الى تغيير المجتمع وتقدمه اقرب الى التعبير عن حقيقة الثقافة من وجهة نظر القوى التي تدعو الى تجميد عقله وفكره ، لسبب بسيط هو ان من طبيعة المثقف ، كما قلنا ، ان يكون متطلعا الى الامام ، وان يستخدم فكره وفنه في سبيل تحقيق صورة مستقبلية للمجتمع الانساني . وقد اثبت تاريخ التطور الانساني ان اعظم المثقفين على مر العصور ، كانوا هم الذين سبقوا أزمنتهم بانتاجهم ومهدوا الطريق لتطورات حاسمة في تاريخ البشرية .

وعلى اية حال فان الصراع بين الجانبين هو صراع حول نوع العقل المطلوب تكوينه فانصار الثقافة التقليدية يريدون عقلا مطيعا ، خاضعا ، لا يتساءل ولا ينقد ، ويخلط بين المشكلات الحقيقية والمشكلات الفرعية او الشكلية لمجتمعه . بل انهم يعطوننا احيانا الانطباع بان العقل شيء غير مرغوب فيه ، وليس مطلوبا اصلا ، ومن هنا كان هناك اساس موضوعي للقول ان الثقافة التي تدافعون عنها ثقافة هابطة ينبغي كشفها ووضعها في حجمها الحقيقي .

والخلاصة ان البحث في اوضاع الثقافة العربية يقتضي ابداء اهتمام كبير بنوع العقل الذي يراد تكوينه للانسان العربي ، وهل هو عقل مشدود الى الخلف ؟ او جامد في مكانه ؟ ام عقل قادر على التطلع بامل الى مستقبل افضل . ■■

د . فؤاد زكريا

العرب وعبرة التاريخ



بقلم : الدكتور عون الشريف قاسم

لم يكن يهود أوربا الذين احتلوا قطعة من وطننا العربي وأقاموا دويلة أجنبية في جنب العالم العربي عام ١٩٤٨ هم أول موجة من موجات الغزو الأوربي المنظم على شعوب الشرق عامة والعالم العربي خاصة . واذا كان حوض البحر الأبيض قد اعتبر وسط العالم القديم بحق ، فان شرقيه يقوم مقام القلب النابض من هذا العالم ، ومن هنا كان الصراع من أجل السيطرة على هذه المنطقة الخطيرة هو شغل العالم القديم الشاغل ، وحلم شعوبه ودوله المتعاقبة من فينيقيين وكنعانيين وعبرانيين وأشوريين ومصريين واغريق ورومان .

وظلت المنطقة عبر التاريخ مباءة للغزاة والفاتحين وبوابة كبيرة تنفذ منها جحافلهم نحو شرق وغرب . وهذا التوسط جعل منها مركزا للثقل في ميزان القوى بين الشرق والغرب . فمنذ عهد الاسكندر الأكبر والمنطقة محط أنظار الغرب الصاعد تتعاورها شعوبه بالغزو تارة وبالتدخل عن طريق الدين تارات ، خاصة بعد ظهور المسيحية . وقد كان أكبر غزو منظم تعرضت له المنطقة قبل الموجة الأخيرة في مطلع هذا القرن هو الغزو الصليبي الذي تم في اواخر القرن الحادي عشر الميلادي .

كانت الخلافة العباسية حينذاك قد انفرط عقد نظامها وتفرقت امشاجا في ايدي الطامعين من القواد ورؤساء الجند من فرس وترك وعرب وغيرهم ، وكانت الحالة في الشام خير شاهد على ما آلت إليه الأمور . فقد كان الصراع على أشده بين الأسر العربية الحاكمة وبين

الطامعين من جيرانهم . كانت الشام موزعة بين عدد من المشايخ العرب وتحيط بها المشاكل من جميع الأقطار . ففي شمالها كان السلاجقة الأتراك قوة يحسب حسابها خاصة بعد أن سيطروا على الخلافة العباسية وأقاموا سلطنة ببغداد عام ١٠٥٥م . في عاصمة الخلافة . وقد ظهر السلاجقة في شمال سوريا حوالي عام ١٠٧٠م وانتزعوها من الفاطميين ، الذين كانوا يشكلون قوة حربية الى الجنوب ، ويرتكزون في دفاعهم على موارد مصر . وكان مما يزيد الأمور تعقيدا الثورات المتكررة التي يقوم بها الدروز في جنوب لبنان ، والنصيرية في الشمال السوري ، بالاضافة الى تخريب اولئك الفوضويين الذين عرفهم التاريخ باسم الحشاشين .

اوروبا لم تنس

وما كانت اوربا غافلة عما يجري في البلاد ، فقد كانت لها مراكز قوى في الارض المقدسة ، وكانت لها بعثاتها الدينية والتجارية . واحست في نفسها القدرة على التصدي للتحدي الكبير الذي واجهها مدى خمسة قرون . ان أوربا لا تنسى أن الشام بأسرها كانت جزءا من العالم المسيحي ، وان مركز المسيحية الروحي وقبلتها في الارض المقدسة ، وقد احتل العرب المسلمون كل ذلك ، بالاضافة الى مصر وشمال افريقيا والاندلس . لقد كان انهيار الحكم البيزنطي في هذه الاصقاع ، وسيطرة العرب على مشارف البحر الابيض المتوسط في الشرق والغرب والجنوب ، ضربة للكرامة الدينية ، وصدمة عنيفة للطموح التجاري لا تقوى عليه مدن ايطاليا وأوربا التي بدأت تبرز للوجود بأساطيلها وجيوشها . وكان هذا القرن الحادي عشر نقطة حاسمة في تاريخ الصراع بين الهلال والصليب اللذين يرمزان لقوى الشرق والغرب في نضالها المتصل على مر الزمن . لقد وصل الاسلام مداه ونشر جناحيه على الشرق والغرب ، وكانت في هذا الانتشار البعيد المدى ثغرات ينفذ منها العدو المتربص .

ودبت الفرقة في هذا الجسم الكبير الذي ناء بثقله بين شرق وغرب ، فتفرق القوم شيعا وأحزابا ، وانتقلت العدوى الى الغرب ، فانقسمت الاندلس على نفسها منذ عام ١٠٣٠م وتوزعها ملوك الطوائف . وفي نهاية القرن كانت الفوضى في العالم الاسلامي قد بلغت مداها . وكان الفرنجة (سكان فرنسا وان أطلقت الكلمة مؤخرا على جميع سكان اوربا) اول من احس بالوهن يسري في الجسم المريض الى جوارهم . لقد شعر هؤلاء بما يجري في الاندلس من فرقة ، وأحست بقية أوربا بما يعيش فيه الشرق من فوضى واضطراب ، فكانت الظروف مواتية للقضاء على العدو التقليدي (الاسلام) ، واسترداد الاراضي السليبة ، ثم حل القضايا الكبيرة التي كانت تؤرق الحاكمين في مقاطعات أوربا ودولها ، التي كانت مسرحا للصراع بين طبقة التجار وطبقة الاقطاعيين . لقد انتشرت البطالة وأصبحت تهدد كيان المجتمع الاقطاعي ، خاصة وقد هدأت حدة الصراع بين جيوش الأمراء المتحاربة ، وكان توجيه هذه الطاقات نحو التوسع الخارجي هو الحل الذي فرضته طبيعة المرحلة التاريخية آنذاك . وكان الفرنجة بحكم مجاورتهم للمسلمين في الاندلس أكثر شعوب اوربا ضغطا على المسلمين الذين كانوا يحتلون اراضيهم ، وهم الآن على مرمى البصر منهم ، ولذلك لا عجب ان رأينا الدعوة الى الحرب المقدسة على العرب والمسلمين تنبع منهم . ففي عام ١٠٩٥ م ألقى البابا ايربان خطبة قوية في جنوب شرق فرنسا دعا فيها المؤمنين الى التوجه نحو الارض المقدسة ونزع الضريح الحرام من يد الشعب الآثم كما قال ووضعه تحت سيطرتهم . وفي مدى عامين احتشد في القسطنطينية اكثر من ١٥٠ ألف رجل معظمهم من الفرنجة والنورمانيين والرجرجة تلبية لدعوة البابا . ومنذ ذلك الزمن وعلى مدى قرنين كاملين من عام ١٠٩٧ م حيث الحملة الصليبية الاولى الى ١٢٩٣م حين مات الملك الأشرف آخر الأمراء الذين قضوا على نفوذ الفرنجة في المنطقة ، انتشر الاخطبوط الصليبي في الأرض الحرام ، كلما قلموا منه ذراعا في مكان مد ذراعا آخر في مكان .

وأقام الصليبيون دويلات في المنطقة عرفت بالدويلات اللاتينية . ففي عام ١٠٩٨ م سقطت الرها في يد بلدوين وانشئت الامارة اللاتينية الاولى . وفي

نفس العام اصبحت انطاكية العاصمة للامارة اللاتينية التي استمرت قرنا وثلاثة ارباع القرن في أيدي الصليبيين .

الجسم الغريب

وفي العام التالي ١٠٩٩م سقطت بيت المقدس في أيديهم ، وقامت الامارة اللاتينية الثالثة . وقد وضحت النوايا الاستعمارية لهذه العصابات الوافدة بمجرد تمكنها من السيطرة على الأرض العربية . ففتحت المجال للمصالح التجارية الأوربية على اوسع نطاق . فحصلت المدن الايطالية على امتيازات تجارية احتكارية في الموانيء العربية ، وسيطرت على الاسواق التجارية . ففي عام ١١٠٠ م حصل تجار بيزا على امتيازات خاصة في مدينة يافا . وبعد قليل دفعت قيسارية وأرسوف وعكا الجزية مقابل هدنة . ثم استولى اسطول البندقية على ميناء عكا . وبين عامي ١١٠٠ و ١١١٨ م امتدت المملكة اللاتينية من العقبة على البحر الاحمر الى بيروت ، وأضاف بلدوين الثاني (١١١٨ ـ ١١٣١) م اليها بعض المدن على البحر الابيض ، ولكن المملكة لم تمتد في عرضها الى ما وراء الاردن . وهكذا توزعت منطقة شرق البحر الابيض على القوى الاوروبية ، فكانت الرها وبيت المقدس امارتين برغنديتين ، وكانت أنطاكية من نصيب النورمانديين ، بينما سيطر البروفنساليون على امارة طرابلس . وبذلك قامت أربع امارات لاتينية على ارض العرب يحيط بها بحر من المسلمين .

لقد غرست الدويلات اللاتينية غرسا في جسم العالم العربي ، وكان ذلك بمثابة الجسم الغريب او الجرثومة تنفذ الى جسم الانسان الغافل ، فتنتبه الخلايا ، وتتوفز الاعصاب ، وتتحشد اسلحة الدفاع . وكان أن دبت الحركة في بقية الجسم المصاب ، واندفعت الدماء تحاصر موضع الداء . وتلك سنة الله في خلقه ، فان التحدي يثير التحدى ، ولا ينجم عن الظلم والعدوان إلا المزيد من الظلم والعدوان . وشعر المسلمون بالضياع وتأسفوا على الفرقة والعدو في اوطانهم يمشي على الارض مرحا . ولكن الاماني وحسن النيات لا يغيران التاريخ .

ان الذي يسيطر على فلسطين وشرق البحر الابيض يكون قد دق اسفينا بعيد الغور في جسم العالم العربي ، فاصلا بذلك سوريا ، والى حد ما العراق ، عن مصر وبقية القسم الجنوبي والغربي من ارض العرب . وبالتالي فان الذي يأمل في القضاء على العدو الذي يحتل هذه المنطقة فلا بد له من أن يجمع شمال الشام والعراق ومصر ، وبذلك يقبض على كماشة رهيبة تضغط العدو من اقطاره جميعا ، وتدفع به الى البحر قسرا .

وقد هيأ الله للمسلمين طريق الخلاص على أيدي الايوبيين الذين استطاعوا ضم شمال العراق الى مصر ، وبذلك حصروا العدو وهصروه من شمال وجنوب وشرق . وكان ظهور عماد الدين زنكي أتا بك الموصل (١١٢٧ ـ ١١٤٦ م) بداية انحسار مد اللاتين لصالح المسلمين والذي بلغ نهايته بصلاح الدين الذي انتزع بيت المقدس من الصليبيين عام ١١٨٧ م بعد موقعة حطين الضارية .

ولكن الأوربيين كانوا قد تمكنوا من الارض وتوطدت اقدامهم فأعادوا الكرة ، وسقطت بيت المقدس في ايديهم من جراء الامدادات القوية التي دفعت بها اوربا لمناصرة دويلاتها العميلة في الشرق . ثم حدثت المصالحة بين صلاح الدين ورتشارد قلب الاسد ، فرجعت بيت المقدس الى ايدي المسلمين عام ١١٩٢ م . وبعد موت صلاح الدين واستشراء الخلاف بين ابناء ايوب رجعت معظم المدن التي استردها المسلمون الى الفرنجة ، واستمرت الحرب سجالا بين الجانبين . وببروز الظاهر بيبرس (١٢٦٠ ـ ١٢٧٧ م) الى الميدان تتابعت مجموعة صامدة من الامراء ابلت بلاء حسنا في تقويض نفوذ الافرنج ، كان آخرهم الملك الاشرف خليل (١٢٩٠ ـ ١٢٩٣ م) الذي حطم آخر معاقل العدو في عكا ، ودمر استحكاماته على المدن الساحلية ، وبذلك وضع حدا للنفوذ الاوربي المباشر على الشرق العربي لمدى اكثر من ستة قرون .

الصليبيون والتتر

لقد كانت هذه الفترة من اكثف المراحل ظلاما في

حياة العرب والمسلمين . اذ تحكم فيهم العدو الخارجي وفتح أبوابهم على مصاريعها للتغول الاجنبي ، واستغل كل اساليب الغدر والخيانة والتآمر لتحطيم ارادتهم وبث بذور الشقاق والخلاف بينهم لتثبيت اقدامه . وكان اخطر ما قام به العدو الصليبي في هذه الفترة هو تعاونه المكشوف مع قوات التتر التي اجهزت على الحضارة الاسلامية ، واغرقت العالم الاسلامي في بحر من الدم والنار ، ودمرت العراق تدميرا ما يزال يعاني منه حتى الآن فيما يذكر توينبي . فقد ذكرت المصادر الاوروبية ان الصليبيين كانوا ساعدا قويا لهؤلاء التتر في هجومهم الشامل على الخلافة العباسية وتدميرهم للعاصمة بغداد عام ١٢٥٨ م . وكان المبشرون الاوروبيون يقومون بدور الوسيط بين ملوك اوروبا وبين خانات التتر واستغلوا العواطف الانسانية لتدمير الانسان . فقد كانت زوجة هولاكو قائد التتر مسيحية فأمرت بتعذيب المسلمين في مشارق الشام ونهب ممتلكاتهم . وتروى المصادر أن الصليبيين كانوا يرقصون طربا وهم يشاهدون مناظر التعذيب والتشفي من المسلمين ، وكان انتقام هؤلاء بالتالي رهيبا حين اندحر التتر .

لقد دفع العرب من انفسهم ومن تاريخهم الكثير قبل أن يقضوا على تلك الموجة الطاغية من المد الاستعماري الاوروبي . وتصرفت بهم الاقدار ردحا من الزمان فترت خلالها الجذوة الصليبية في اوروبا ، لتشتعل مكانها نار عارمة اذكتها الثورة التجارية ثم الصناعية في القرون الثلاثة الاخيرة . وعاد أمل اوروبا القديم في السيطرة على الشرق الى الحياة من جديد . وكان الخطر هذه المرة ذا شعبتين ان افلتت الضحية من احداهما فلن تفلت من الأخرى : الاستعمار الاوروبي الصليبي ، والاستعمار الأوروبي الصهيوني .

ودخلت المنطقة من جديد في دائرة النفوذ القديمة ، وتقسمها أحفاد الفرنجة ورتشارد قلب الأسد . اذ ان المنطقة قسمت بعد الحرب العالمية الاولى الى منطقتين فرنسية وانجليزية ، وبذلك استعاد الغرب ما فقده منذ ستة قرون . وكان الجنرال اللنبي ممثلا لروح اوروبا حين قال بعد ان دخل بيت المقدس : (الآن انتهت الحرب الصليبية) .

وكانت دولة اللنبي فاتحة لعهد جديد من التغول الغربي تمثل في الشعبة الثانية للخطر الغربي الذي اتخذ من الصهيونية رداء ودرعا لحماية مصالحه وضمان استمرار بقائه في منطقة الشرق الغنية . اذ الصهيونية حركة قومية اوروبية مثلها في ذلك مثل كل الحركات القومية الضيقة التي انتجتها ظروف اوروبا الصناعية الرأسمالية المتطلعة الى الاسواق ومناطق النفوذ . وكان حلم اليهود في السيطرة على فلسطين امتدادا للرغبة القديمة في السيطرة على مفتاح العالم القديم هذا . وشعر الغربيون بامكانية الاستفادة من السرطان الصهيوني من ناحيتين ، للتخلص اولا من مضايقات اليهود للمجتمعات الاوروبية ، ثم تسليطه على عدوهم التقليدي في الشرق ، وبذلك يضمنون استمرار سيطرتهم على منطقة الشرق الاوسط .

وهكذا خلقت دولة اسرائيل من عدم ، كما قامت الدويلات اللاتينية (اسرائيل الأخرى) من قبل . لقد كان عدد اليهود المقيمين في فلسطين ايام وعد بلفور حوالي ٨٨ ألفا تدخل فيهم أمواج الهجرة التي دخلت فلسطين خلسة في اواخر القرن الماضي من روسيا وغيرها . وكان عدد العرب اصحاب الارض يربو على المليون ، وكما حدث في الماضي ، سارت الأمور في العصر الحاضر . وكما توالت الجيوش الصليبية الغازية من قبل ، توالت جيوش الصهاينة تحتل الارض العربية شبرا شبرا بمساعدة المستعمرين الانجليز ثم الامريكان من بعد .

وقامت دولة مستوردة جذورها خارج الارض العربية ، وتستمد الوحي والعون من خارج حدودها . ويعيد التاريخ نفسه ، وتسقط القدس بعد سبعمائة وثمانين عاما بالتمام من خلاصها على يد صلاح الدين (١١٨٧ ـ ١٩٦٧ م) ـ في يد العدو الدخيل . وتقوم اسرائيل الجديدة بما قامت به اسرائيل الصليبية القديمة من دق للاسفين بين شرق العالم العربي وشماله وجنوبه وغربه ، ومن تمكين للعدو الغربي للسيطرة على اقتصاديات العالم العربي وشل حركة التقدم في اوصاله ، ومن تفتيت لوحدة العرب وتشجيع للحركات المضادة في جسم العالم العربي .

في مواجهة التحدي

ترى هل ينجح الغرب ـ عن طريق ابنته وربيبته اسرائيل الجديدة ـ في مسعاه الذي فشل فيه على مدى التاريخ ؟ هل تستطيع دولة مصطنعة البقاء ، وقد زرعت زرعا بسكانها المليونين والنصف وأموالها وكل مرافق الحياة فيها في ارض غريبة ؟ هل تبقي الجزيرة الصغيرة التي تستمد كل عناصر بقائها من وراء البحار في هذا المحيط العارم من البشر الذين يجاوزون المائة والاربعين مليونا ؟ .

لقد برهنت تجربة الماضي على اشياء محددة اهمها : ان بقاء الجسم السرطاني في جسم الكائن الحي رهين بأمرين : قوة السرطان على الهجوم ، وضعف الجسم المصاب عن الدفاع . لقد استمر النفوذ الغربي عن طريق اسرائيل الصليبية مدى قرنين من الزمان كانت اوروبا ـ الوطن الأم ـ في مركز يسمح لها برعاية عملائها في الشرق ومدهم بالأموال والعتاد لدفع طغيان المحيط العارم من المسلمين العرب ، وكان هؤلاء عونا للعدو على انفسهم بالفرقة والتناحر والطمع والبغضاء ، ولم يتم القضاء على السرطان الدخيل الا بتكاتف العرب والمسلمين وفتور الحماس الاوروبي عن مجابهة العدو الذي التأمت صفوفه بعد صدع .

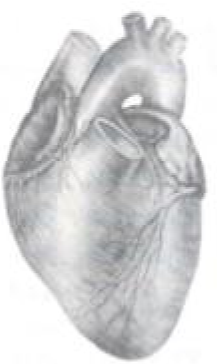
أن هذا الأمر لا يصلح الا بما صلح به اوله . وليس هنالك من حل وسط والتاريخ لايرحم ولا يجامل . والصراع بين اسرائيل الجديدة ـ رأس الرمح لمطامع الغرب ـ لن ينتهي الا بأحد أمرين : تغلب السرطان على الجسم الحي فيموت ، او تغلب الجسم على السرطان فينتهي العذاب . ليس هنالك مهادنة مع السرطان او مداراة لأن ذلك هو الموت البطيء . ان اسرائيل ومن يقف وراءها لن ترضي بغير الاستسلام التام وتجريد العرب من كل وسائل الدفاع والنضال حتى تتم لها الغلبة في السيطرة على اسواق العالم العربي المتخلف ، وبذلك تفتح المجال لمصانع اوروبا وأمريكا كما فعلت اسرائيل الاخرى من قبل . واليهود يعلمون قبل غيرهم منطق التاريخ وقسوته لو فرطوا في أمر أنفسهم ، واعطوا للمائة واربعين مليون عربي الفرصة لارجاع عقارب الساعة لصالحهم .

أن منطقة الشرق العربي أضيق من أن تتسع لقوميتين عربية ويهودية . والصراع بينهما لابد أن ينتهي بانتصار إحداهما على الأخرى . وليس الزمن مهما في هذه الحالة فقد تستمر اسرائيل القرن والقرنين كما فعلت سالفتها الصليبية . وقد يتنازل بعض العرب تحت وطأة الضغوط فيستجيب لشروط الأعداء ، ولكن كل ذلك لن يغير من الصورة الأساسية لطبيعة المعركة بين الكائن الحي وجرثومة السرطان .

أن التحدي الكبير الذي يمثله الغزو الصهيوني قد بدأ يحدث ردود فعل قوية في اعماق الجماهير العربية صاحبة الحق ومالكة الارادة ودرع الشعور القومي الواقي من غوائل الزمن . قد تكسب اسرائيل ومن معها الجولة لفترة من الزمن . قد تكسب اسرائيل بعض الزمن ما دامت اوروبا وأمريكا قوية متحمسة . والويل للدويلة المصطنعة ان اصاب هذا السند الخارجي الوهن كما حدث من قبل . وها نحن نشهد تصدعا في الجدار الواقي في حالة الاتحاد السوفياتي وفرنسا وكثير من دول اوربا والعالم الثالث وكانت مع اسرائيل من قبل . وقد تنعم اسرائيل بالراحة ما دام العالم العربي منقسما على نفسه تستشري فيه الاطماع وتتحكم في القائمين عليه النزوات الدنيا والمصالح الفانية . والويل للجزيرة العائمة في محيط حين تهب الرياح القوية ، وتهدر امواج الوعي من كل جانب . أن الحكام قد يساومون بالقضية ، ولكن ارادة البقاء المتفجرة في ضمير الشعب ، والعزيمة النابعة من ماضيه المجيد في الدفاع عن مقدساته وكرامته ، لن تسمح للمساومة ان تستمر طويلا في التمكين للعدو في قطعة مقدسة من ارض الوطن . وكيف يستطيع الانسان ان يخلد الى الراحة وذراعه في قبضة رجل آخر ؟

لقد قامت اسرائيل من قبل ثم وهنت ودالت لأنها ظالمة والظلم لايدوم . وليس هناك أدنى سبب يجعل من اسرائيل الجديدة ـ والتي قامت على نفس الاساليب القديمة ـ مثالا لا يخضع لمنطق التاريخ ومنطق الحق الذي يدوم حكمه الى قيام الساعة . ■■

الخرطوم د . عون الشريف قاسم



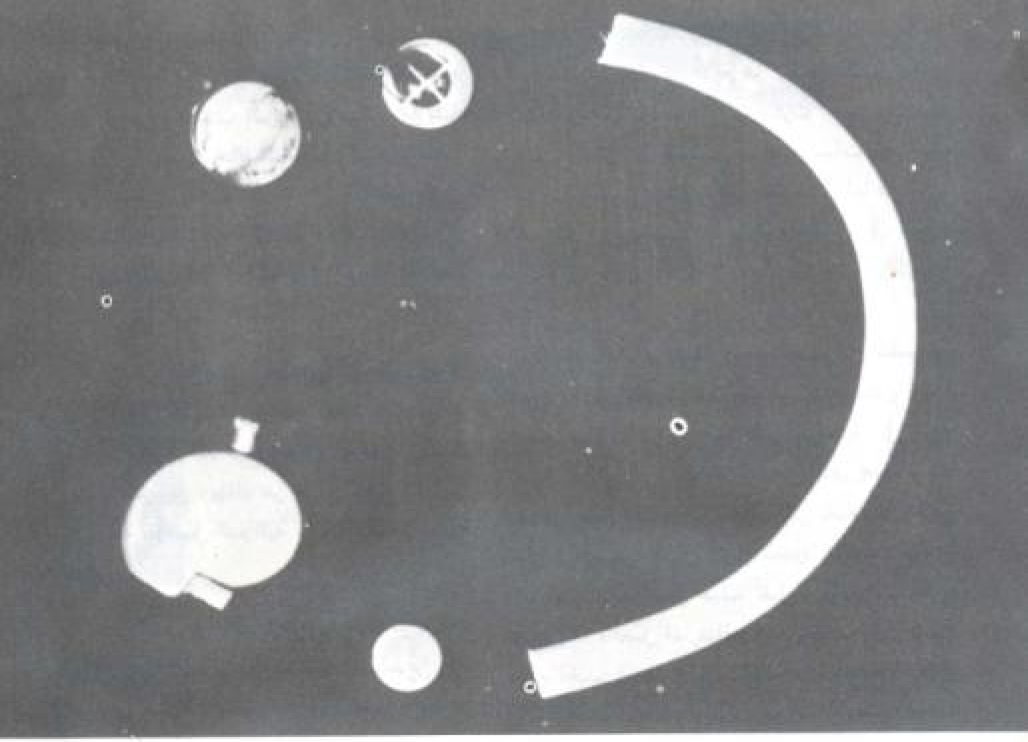
مستقبل قلبك في الثمانينات

بقلم : الدكتور اسماعيل سلام●

لو رجعنا بذاكرتنا ربع قرن من الزمان لوجدنا ان معرفة امراض القلب لم تكن ضرورية للمريض او الطبيب فالتشخيص والعلاج خلا من الفهم الكامل لمشاكل القلب . ولذا امتلأت الكتب الطبية وقتئذ بخليط من الافكار والصياغات العاجزة ، المليئة بالتساؤلات . وتطورت المعرفة في امراض القلب في السنين الاخيرة ، نتيجة لتطور علوم وظائف الاعضاء والاشعة وادخال فحوصات جديدة تعتمد على التكنولوجيا الدقيقة التي صاحبت عصرنا هذا . وتطور علاج امراض القلب، حتى حققت عملياته نجاحات في حالات كان محكوما عليها في الماضي بالموت البطيء . واصبحت قطع غيار القلب حقيقة واقعة . ولو سألت اى عالم او طبيب منذ ربع قرن مضى عن تنبؤاته للمستقبل لما امتد خياله الى ما وصلنا اليه في الوقت الحالي !! هل كان يعقل ان يتمكن الجراح من ان يستبدل الصمامات التالفة او الشرايين التي بلاها المرض او القلب الذى اخفق في ان يحتفظ بسرعة دقاته

لقد أدى تفهم مشاكل القلب وامراضه الى طموح العلماء وامتداد خيالهم في كل مجال . وهناك طريقان للنظر في حل مشاكل امراض القلب : الاول هو كيف يمكن من الاساس منع حدوث هذه الامراض ؟ وذلك طريق الوقاية . اما البديل الآخر فهو كيف تقضي عليها بعد حدوثها .. وهذا طريق العلاج . وبالرغم من أن الطريق

● استاذ ورئيس قسم جراحة القلب جامعة الكويت



نماذج من قطع غيار القلب : وريد وبطارية كهربائية تنظم الحركة ، وصمام للقلب .

الأول هو الأفضل الا أنه ليس بهذه السهولة في معظم الاحيان ، بل يمكن وصفه بانه من المستحيل في بعض الامراض في وقتنا هذا .ولكن ذلك الطريق قد يكون مشرقا مع بعض امراض القلب مثل امراض روماتزم القلب ، ذلك ان الوقاية من امراض الروماتزم اصبحت حقيقة واقعية ، بعدما عرف أن هذا المرض الشرير يهاجم جسد اطفالنا ، فاذا وصل الى القلب هاجم صماماته فغير معالمها الرقيقة على مدى السنين . وعرف العلماء ان الاصابة بميكروب معين يصيب الحلق او اللوز يهيىء الجسم للاصابة بالحمى الروماتزمية .. وعرف ان الطريق الى الوقاية يبدأ بمحاولة القضاء على هذا الميكروب ، وتوجيه العناية الى الطفل عند الاصابة باللوز او التهاب الحلق . ومن حسن الحظ ان ذلك الميكروب يسحق بالبنسلين . وبذلك تاكدت امكانية الوقاية من هذا المرض ، وهو في طريقه الى الانقراض من الدول الغربية .. ان السؤال الذى يطرح نفسه في هذا المضمار الآن هو : هل ستحمل الثمانينات آمالا لدولنا في القضاء على هذا النوع من المرض .. حقيقة ان البنسلين يقضي على الميكروب ، ولكن العوامل الاجتماعية التي تصاحب ذلك المرض تحتاج ايضا الى العلاج .. فسوء الحالة الاجتماعية والازدحام وعدم الوعي الصحي وعدم رعاية اطفالنا ليست بالامور السهلة في مجتمعاتنا .

اذا توقف الشريان

والآن نصل الى ذلك الشبح المخيف الذى يخشاه الجميع . فكل منا يعرف عزيزا او قريبا او صديقا اصابته النوبة القلبية . هذا المرض قد يفاجأ فريسته بأشكال مختلفة كلها ترجع الى اصابة شرايين القلب .. الشرايين التاجية التي تزين القلب كالتاج ، ولكنها قد تقصر عن تغذية القلب لقلة الدم المار بها فينشأ ما يسمى بقصور الدورة التاجية .. ذلك القصور ينشأ من التغييرات التي تصيب السطح الداخلي للشرايين فتنفخ بمواد دهنية قد تسد الشريان او قد تنمو عليه جلطة من الدم .

لماذا تذهب هذه الدهون وتترسب في تلك الشرايين ـ هناك نظريات عديدة لكن السبب المباشر لها غير معروف .. لو عرف السبب الرئيسي لأمكن محاربته وايقافه . ولكن عرف ان هناك أشخاصا اكثر عرضة لهذا المرض من المدخنين واصحاب الاوزان الزائدة وقليل الحركة والمصابين بارتفاع ضغط الدم او السكر . وقد ركز الطب في السبعينات على معالجة هذه العوامل المساعدة دون الوصول الى السبب الرئيسي .

قد تحمل الينا الثمانينات حلا لهذه المشكلة ، بحيث يستطيع المريض ان يتعاطى حبوبا فتمنع الترسيب او تذيب تلك الدهون . لقد نجح العلاج الجراحي في بعث الأمل لدى الكثيرين ، وذلك عن طريق ترقيع الشريان التاجي بوصلة لتوصيل الدم اليه . ولكن ذلك لا يصلح لكل المرضى .

ان الخطر الداهم في ذلك المرض يأتي عندما يصاب شريان كبير بالانسداد وتعجز عضلة القلب عن اداء وظائفها . وفي السنوات الاخيرة أجريت تجارب كثيرة في محاولة مساعدة القلب بمضخة حتى يستعيد قدرته ، ونجحت هذه التجارب في بعض الحالات . ولكن الثمانينات تحمل آمالا كبيرة في القلب الصناعي الذي سيوصل بالمريض ويضخ الدم اياما او اسابيع حتى يشفى القلب وذلك يدعونا الى الحديث عن فشل عضلة القلب .

ان فشل عضلة القلب في تأدية وظيفتها يعد عقدة العقد في العلاج وخاصة في حالتها المتأخرة . فوظيفة القلب هي ضخ الدم من خلال تلك العضلة التي تنقبض سبعين مرة في الدقيقة . فاذا خارت قوى تلك العضلة توقف أو تباطأ اندفاع الدم ، وبالتالي قل الغذاء للجسد وتوقف عن وظائفه الحيوية . ومن هنا فكر العلماء عن حل لتلك المشكلة . والطريق المعروف لنا جميعا هو زرع القلب ، والطريق الآخر هو زرع ماكينة مكان القلب .. والقلب الصناعي كما ذكرت اصبح حقيقة واقعة ، ولكن هل سنرى في الثمانينات مضخة الكترونية يمكن زرعها في مكان القلب !! .. اما عن الحل الآخر وهو زرع القلب فلا زالت المحاولات في صدده جارية ، في مكان القلب !! .. وبحذر شديد وبنتائج محدودة .

والعقبة الكبرى تتمثل في طرد الجسم لاى عضو من الخارج ، الامر الذى قد يدفع البعض الى التساؤل : لماذا نجحت عمليات زرع الكلى بقدر اكبر منها . في زرع القلب .. والاجابة ان القلب النابض الذى يحفظ الحياة يجب ان يعمل بكفاءة ليل نهار .. كل ثانية وكل دقيقة ـ واذا توقف عن العمل دقائق معدودة توقفت الحياة .. ذلك السر الاليم يجعل عملية نقل القلب امرا بالغ الصعوبة . فالعمل قد يتوقف في اى عضو مزروع من خارج الجسم عندما يحاول الجسم طرده وتنجح العقاقير في اسكات ذلك الطرد ولكن عندما تتوقف الكلية المزروعة فلن يحدث شيء لساعات أو أيام في بعض الاحيان ، بينما اذا توقف القلب دقائق انتهت الحياة . وقد تحمل الثمانينات املا كبيرا في كيفية التغلب على عملية طرد الجسم للاعضاء المزروعة ، وعندئذ تصبح قطع غيار الجسم الحية حقيقة واقعية .

وبالرغم من كل الآمال العريضة فنحن لا ندرى ماذا ستحمل لنا الثمانينات من امراض .. امراض المدنية .. والتوتر والقلق .. ولكن دعنا نستقبل ذلك بالتفاؤل لان ثقتنا في الله سلاح يجب ان نحتمي به في مواجهة كل الظروف . ■■

د . اسماعيل سلام

■ اذا كنت تبحث عن السعادة ، فاعلم انها ليست اخذا وانما هي عطاء .. ولكن ماذا تعطي ؟ ابتسامة رقيقة ، نظرة عطف ، مالا قليلا في يد معوزة ، ثم الشعور بعد هذا بأنك تنتمي الى العالم كله من حولك !

« صاموئيل تايلور »

أقوال معاصره

■ اذا حدث للمغرب شيء فان الاسطول الامريكي السادس قد لا يعمل ، ويعود ادراجه الى الحوض الجاف .

الملك الحسن الثاني ـ ملك المغرب

■ « العرب قوميون دون دولة قومية ، ونحن أمة واحدة دون دولة واحدة ... » .

صلاح البيطار ـ رئيس وزراء سوريا الاسبق

■ لا تفزعني علوم الغرب وتطوره التقني ، ولكن تفزعني افكاره وعاداته .

الامام آية الله الخميني

■ « قد لا تكون من المافيا ، ولكن لديك عقلية المافيا ، عندما تتقدم دون اعتبار لحقوق الآخرين ، وتصل الى الثروة بأي ثمن وحتى لو سحقت الضعيف ، وعندما تتحول الى القسوة ومحالفة الأقوياء وحب السلطة » .

البرتو مورافيا

■ ماذا يجدي الشرف في وطن فقد عذريته ؟!

نزار قباني

■ نساعدهم في العالم الثالث ، ولكنهم لا يكفون عن اتهام كندا بالامبريالية . لقد سئمنا القيام بدور الصديق الطيب .

فلورا ماكدونالد ـ وزيرة خارجية كندا

■ الاحكام العرفية ستبقى مطبقة طالما ان الشعب هو الذي يتمسك بها !

الرئيس الفلبيني فرديناند ماركوس

■ « إن ما قامت به اسرائيل من التدخل في الشؤون الداخلية للولايات المتحدة كان بعيدا عن الحكمة ... » .

برونو كرايسكي ـ مستشار النمسا



الملك الحسن



الخميني



نزار قباني



كرايسكي

الصناديق العربية

وتحدى التنمية المتكاملة فى الوطن العربى

للدكتور عبد الكريم علي الايرياني

لقد أصبحت التعددية في وطننا العربي من أبرز المؤثرات في حياتنا اليوميةوهي تأخذ مظاهر عدة فمنها ما نضيق به ونتألم له ، كأن يطرق أحدنا باب قنصلية عربية طالبا سمة للدخول الى بلد عربي آخر أو أن يزور دائرة الجوازات بوزارة الداخلية للحصول على تصريح بالاقامة .

ومنها ما نتعامل معه تلقائيا أو بشيء من الارتياح ، كأن يدير أحدنا مفتاح تلفازه لمشاهدة برنامج آخر في بلد عربي مجاور ، عندما لا يروق له البرنامج المقدم في بلده أو محل اقامته ، ولكن لامراء بان أهم وأخطر مظهر من مظاهر التجزئة في الوطن العربي في الوقت الحاضر وعلى المدى الطويل ايضا ، هو ذلك التفاوت الشديد في معدلات النمو الاقتصادى والاجتماعي بين سكان اقطار دول المجموعة العربية وهو تفاوت يقاس اليوم بمعدلات النمو الاقتصادى وحجم الانفاق على خطط التنمية والموارد المتاحة لبلد عربي ، مثل موريتانيا والمملكة العربية السعودية مثلا . الا انه يجب أن لا يعزب عن بالنا أن هذه الفوارق ستقاس مع مرور الزمن بمعايير اكثر خطورة وتلك هي الفوارق الشاسعة التي ستحدث لا محالة في مستوى الثقافة وانماط الحياة تماما . كما نقارن انفسنا اليوم كمجموعة عربية تنتمي الى الدول النامية باحدى الدول المتقدمة . فمن منا من لم تبهره الصناعات اليابانية او تدهشه الخدمات الاجتماعية في السويد مثلا ومن ثم فان هذا التمايز لا يمكن تفاديه مالم تتخطْ المعوقات السياسية التي تحول دون الوصول الى حد ادنى من التكامل الاقتصادى العربي .

والحديث عن التكامل الاقتصادى العربي هو ذلك القديم الجديد الذى يسهل تبريره على الورق ويصعب تطبيقه على الواقع لاسباب جلها حتى الآن سياسي كما تشهد بذلك ملفات مجلس الوحدة الاقتصادية العربية والسوق العربية المشتركة . ولكن الذرائع في المستقبل ستصبح اشبه بتلك التي تطرحها الدول المتقدمة في حوار الشمال والجنوب .

ولعل المتفائلين بمستقبل التكامل الاقتصادى العربي سيستشهدون بالمجموعة الاوروبية التي لم يمنع تاريخها الطويل من التناقضات الحادة والحرب الطاحنة فيما بينها من قيام وحدة اقتصادية اصبحت تشمل معظم دول اوروبا الغربية حيث افرز هذا التكامل الاقتصادى الاوروبي ما يمكن تسميته بنواة الولايات الاوروبية المتحدة ، حين جرت خلال عام ١٩٧٩ اول انتخابات مباشرة لعضوية البرلمان الاوروبي . ولكن على المتفائلين أن لا ينسوا أن مستوى النمو الاجتماعي والتكوين الثقافي والانظمة السياسية في هذه الدول متقارب نسبيا . فبينما تكاد تنعدم الأمية بين سكان دول المجموعة الاوروبية نجد أن هناك - على سبيل المثال - دولة عربية تزيد نسبة الامية فيها على ٨٠٪ ولا تتجاوز نسبة الاطفال ممن هم في سن التعليم الملتحقين بالمدارس ٢٥٪ ودولة اخرى لا تزيد نسبة الامية فيها على ١٠٪ وتستوعب مدارسها جميع الاطفال الذين هم في سن التعليم « اليمن الشمالي ولبنان مثلا » .

ولهذا نود ان نؤكد ابتداء على ان التجزئة الاقتصادية والاجتماعية ستؤدى في النهاية الى تكريس التجزئة السياسية .

وهو محذور لا يمكن تفاديه الا اذا وجهت الاموال المتاحة للتنمية في الوطن العربي الى مشاريع انمائية متكاملة تشمل التنمية البشرية بشقيها الاقتصادي والاجتماعي . وهو هدف يتحتم على الصناديق العربية أن تلعب دور الرائد في تحقيقه .

نشأة الصناديق العربية

كانت الكويت أول دولة عربية نفطية تعمل على تخصيص جزء من وارداتها النفطية ، لتمويل مشاريع انمائية عربية خارج حدودها على شكل قروض ميسرة او معونات تقدم الى البلدان العربية . فبعد عام واحد من استقلالها ، أى في ديسمبر ١٩٦١ ، انشىء الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية وحدد رأسماله عند تأسيسه بخمسين مليون دينار كويتي « تعادل حوالي ١٨٠ مليون دولار امريكي »[١] رفع بعد ذلك الى مائتي مليون دينار كويتي . ثم اصبح رأس مال الصندوق في عام ١٩٧٤ الف مليون دينار كويتي « تعادل حوالي ٣٦٠٠ مليون دولار امريكي » باسعار التبادل الجارية حاليا . كذلك تم في عام ١٩٦٢ انشاء ما اصبح يعرف اليوم باسم الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي من اجل تدعيم المعونة في مجالي التعليم والصحة لأمارات الساحل المتصالح « دولة الامارات العربية المتحدة » ودولة البحرين واليمن بشطريه الشمالي والجنوبي وسلطنة مسقط وعمان . وليس للهيئة رأس مال محدد بل تعد ميزانيتها السنوية مع ميزانية الدولة حيث بلغت عام ١٩٧٨ اثنى عشر مليون دينار كويتي« حوالي ٤٣ مليون دولار امريكي » وقد تركز نشاط الهيئة خلال السنوات الخمس الماضية في اليمن والبحرين وسلطنة عمان كما كان لها نشاط محدود في جنوب السودان .

لقد كان النجاح الذى حققه الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية حافزا اساسيا لانشاء مؤسسة عربية مماثلة هي الصندوق العربي للانماء الاقتصادى والاجتماعي ، الذى تأسس في عام ١٩٦٨ ، بمساهمة الدول الاعضاء في الجامعة العربية آنذاك وكان عددها ١٧ دولة عربية . اما الآن فقد أصبح عدد الاعضاء واحدا وعشرين دولة . وقد حدد رأس مال الصندوق عند تأسيسه بمائة مليون دينار كويتي تعادل حوالي ٣٦٠ مليون دولار امريكي حيث قسم رأس المال الى عشرة

---

(١) اسعار تبادل العملات المثبتة في هذا المقال تقريبية .

آلاف سهم وتفاوتت مساهمة الدول حينئذ بين حد ادناه سهم واحد لجمهورية اليمن الديمقراطية واقصاه (٣٠٠٠) سهم لدولة الكويت وقد رفع رأس مال الصندوق في عام ١٩٧٥ الى اربعمائة مليون دينار كويتي « تعادل حوالي ١٤٥٠ مليون دولار » .

وخلال فترة زمنية وجيزة اى بين عام ١٩٧١ وعام ١٩٧٤ أنشئت أربع مؤسسات انمائية عربية وبنك اسلامي للتنمية ومصرف عربي للتنمية في افريقيا ، اتسمت كلها بأنها تعني بشئون التنمية داخل وخارج حدود الوطن العربي باستثناء المصرف العربي للتنمية في افريقيا الذى اقتصر نشاطه على الدول غير العربية في القارة الافريقية ، وقد كان صندوق (ابوظبي) للتنمية العربية أول هذه المؤسسات حيث نص قرار انشائه الصادر عام ١٩٧١ ، على أن الغرض منه هو التنمية الاقتصادية في الاقطار العربية والافريقية والاسيوية وحدد رأس ماله بالفي مليون درهم « تعادل حوالي ٥٢٥ مليون دولار امريكي » .

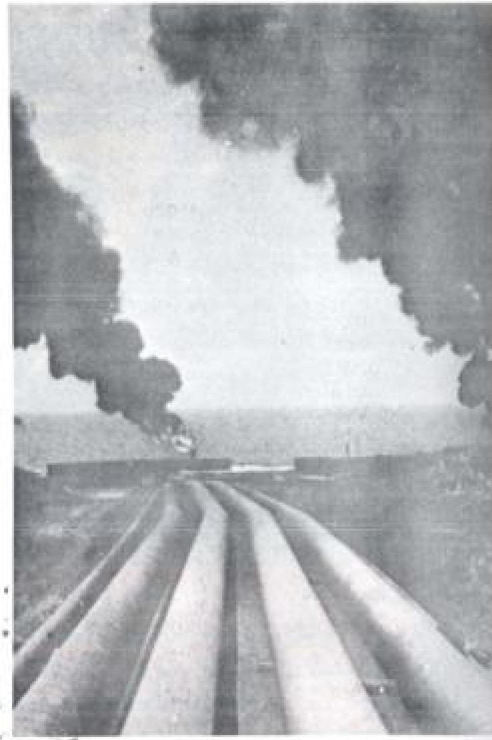
اما المصرف العربي الليبي الخارجي الذى تأسس عام ١٩٧٢ فان نشاطه يشمل بالاضافة الى تقديم القروض الميسرة للدول النامية معظم العمليات الاستثمارية الخارجية التي تتم لصالح الحكومة الليبية . وعلى الرغم من أن هذه العمليات قد استحوذت على معظم أوجه نشاط هذا المصرف ، الا أنه هو الاداة الرسمية الذى تقدم من خلاله الجماهيرية العربية الاشتراكية الليبية معوناتها للدول النامية .

وفي عام ١٩٧٤ تأسس الصندوق السعودي لمساعدة جميع الدول النامية في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وحدد رأس ماله بعشرة آلاف مليون ريال سعودى « تعادل حوالي ٣٠٠٠ مليون دولار امريكي » . وفي نفس العام تأسس الصندوق العراقي للتنمية الخارجية وهدفه مساعدة الاقطار العربية والبلدان النامية . وحدد رأس ماله بخمسين مليون دينار عراقي « تعادل حوالي ١٦٠ مليون دولار امريكي » .

والبنك الاسلامي

اما البنك الاسلامي للتنمية الذى قرر انشاءه وزراء مالية الدول الاسلامية في شهر ديسمبر من عام ١٩٧٣ ، وتم اختيار مدينة جدة مقرا له ، فهو يهدف الى دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي لشعوب الدول الاعضاء والمجتمعات الاسلامية مجتمعة ومنفردة وفقا لمبادىء الشريعة الاسلامية . وقد اشترط لعضويته أن تكون الدولة عضوا في منظمة المؤتمر الاسلامي وكان عدد الاعضاء في نهاية عام ١٩٧٨ ٣٤ دولة . وقد حدد رأس مال البنك بالفي مليون دينار اسلامي « تعادل ٢٢٠٠ مليون دولار امريكي » ، مقسمة الى مائتي الف سهم بقيمة اسمية لكل سهم قدرها عشرة آلاف دينار اسلامي . والدينار الاسلامي وحدة حسابية للبنك تعادل وحدة من وحدات حقوق السحب الخاصة لصندوق النقد الدولي « الوحدة الخاصة تعادل حاليا ١,١ دولار امريكي . » وقد بلغ رأس المال المكتتب حتى نهاية عام ١٩٧٨ ٧٦٧,٥ مليون دينار اسلامي دفعته الدول الاعضاء ، وكانت نسبة مساهمة الدول العربية حوالي ٨٦٪ من المبلغ المدفوع حيث دفعت أربع دول عربية نفطية هي المملكة العربية السعودية وليبيا ودولة الامارات العربية المتحدة والكويت حوالي ٥٦٪ من رأس المال المكتتب .

واخيرا كان الموقف المؤيد للحق العربي الذى اتخذته دول القارة الافريقية الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية بعد حرب اكتوبر عندما قطعت هذه الدول علاقتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، عاملا اساسيا في القرار الذى اتخذه مؤتمر القمة العربي المنعقد في الجزائر في شهر نوفمبر ١٩٧٣ باحداث مؤسسة انمائية عربية تعني بشئون التنمية في الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية على أن لا تكون تلك الدولة عضوا في الجامعة العربية . وسميت هذه المؤسسة التي اختيرت مدينة الخرطوم مقرا لها ، بالمصرف العربي للتنمية في افريقيا . وحدد قرار انشاء المصرف رأسماله بمائتين وثلاثين مليون دولار امريكي تم الاكتتاب به كاملا من قبل الدول الاعضاء في الجامعة العربية عدا اليمنين . كما لم تساهم كل من الصومال وجيبوتي في رأسمال المصرف ، بعد انضمامها الى جامعة الدول العربية .



بدأت عربية واصبحت دولية

يتضح مما سبق ان جذور الفكرة وراء انشاء الصناديق العربية كانت من اجل التنمية في الوطن العربي . ولكن الاحداث السياسية والمتغيرات الاقتصادية التي تبلورت في اوائل السبعينات خصوصا بعد ان تمكنت الدول المصدرة للنفط من ازالة الغبن في الاسعار الذي كانت تمارسه شركات البترول العالمية وما تبع ذلك من مقايضة الدول الصناعية برفعها اسعار السلع المصنعة بحجة ارتفاع اسعار الطاقة ، كانت كلها عوامل أدت ولا شك الى تفاقم مشاكل الدول النامية ، وقد تبنت اجهزة الاعلام الغربية منذ مطلع عام ١٩٧٤ حملة اعلامية مركزة حول تعاظم الثروات العربية من جراء ارتفاع اسعار النفط ، مدعية ان ذلك السبب الرئيسي وراء موجة الغلاء الفاحش التي شهدها العالم منذ مطلع ذلك العام الأمر الذي حدا بالدول العربية النفطية والدول الاعضاء في منظمة الاقطار المصدرة للنفط الى تأكيد اهتمامها بمصالح الدول النامية وذلك عبر قنوات عديدة كانت صناديق التنمية واحدة منها .

ولا شك ان تلك الاحداث والمتغيرات هي التي ادت الى تعديل قانون الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية في يولية ١٩٧٤ ، لكي يشمل نشاطه جميع الدول النامية . ورفع رأس ماله الى الف مليون دينار كويتي (٣٦٠٠ مليون دولار) وذلك بعد مضي اثني عشر عاما على تعامله مع الدول العربية فقط قدم خلالها قروضا ميسرة بلغت قيمتها حوالي ٤٦٨ مليون دولار امريكي . اما بعد هذا التعديل فقد توسع نشاط الصندوق ليشمل اكثر من اربعين دولة نامية في اسيا وافريقيا .

محصلة التجربة

تصدر الصندوقان السعودي والكويتي منذ عام ١٩٧٥ الصناديق العربية في اجمالي القروض المقدمة للدول النامية فخلال الفترة الواقعة بين ١٩٧٥ و ١٩٧٨ قدم الصندوق الكويتي حوالي ١٣٠٠ مليون دولار امريكي حصلت الدول العربية منه على ما يقرب من ٦٨٠ مليون دولار . اما الصندوق السعودي للتنمية فقد كان نصيب الدول العربية حوالي ٦٧٠ مليون دولار امريكي من جملة القروض التي وقعت خلال السنتين الماليتين ١٩٧٦/٧٧ و ٧٧/٧٨ والتي زادت قيمتها الاجمالية على ١٢٠٠ مليون دولار . كما قدم صندوق أبو ظبي للتنمية الاقتصادية العربية للدول النامية منذ تأسيسه في عام ١٩٧١ وحتى نهاية عام ١٩٧٧ مبلغا يزيد قليلا على ٤٥٠ مليون دولار ، حصلت الدول العربية على ٧٥٪ من جملته . كما حصلت الدول العربية على ما يقرب من مائة وعشرة ملايين دولار امريكي من البنك الاسلامي للتنمية منذ تأسيسه وحتى عام ١٩٧٨ . وذلك يعادل حوالي ٥١٪ من اجمالي عمليات البنك في مجالي القروض الميسرة لتمويل مشاريع الانمائية والمساهمة في رأس المال . وجدير بالذكر ان البنك يساعد أيضا في تمويل التجارة الخارجية ، واخيرا فانه على الرغم من ان

المعلومات ليست متوفرة عن نشاط المصرف العربي الخارجي الليبي في هذا المجال ولا عن الصندوق العراقي للتنمية الخارجية الا أنه يمكن الافتراض ان الاتجاه العام لنشاطهما لا يختلف جذريا عما تقوم به المؤسسات العربية الانمائية السابق ذكرها .

الى طاولة الرسم

نخلص مما سبق الى ان نصيب الدول العربية غير النفطية من مجمل انشطة الصناديق العربية قد اصبح جزءا من كل . وانه فيما عدا ما يتاح من موارد للصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي فان قوانين الصناديق العربية لا تميز بين الدول العربية والدول النامية في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية . ولكن احدا لا ينكر أن هناك قنوات اخرى متاحة للتعاون العربي في مجالات التنمية كما ان هناك موارد اضافية تقدمها الدول العربية النفطية الى دول عربية اخرى لا تمر عبر الصناديق العربية ، الا ان نسبة عالية من هذه المبالغ تذهب للنفقات العسكرية او لسد عجز في ميزان المدفوعات او النفقات الجارية .

لذلك كله نعود في النهاية الى تأكيد ما قلناه في البداية وهو ان التفاوت الواضح اليوم في معدلات النمو الاقتصادى والاجتماعي بين سكان الاقطار العربية سيؤدى مع مرور الزمن الى تباين في نمط الحياة ومستوى الثقافة وحتى نوع وطبيعة العلاقات الاجتماعية وهذا سيؤدى بالضرورة الى تكريس التجزئة السياسية . وسنكتفي في هذا المقال باثارة المشكلة او على الاصح اعادة التذكير بها لان الغبار الذى ثار من اجلها منذ تأسيس الجامعة العربية لم يستقر بعد على كثبان الآمال المتحركة للسياسات العربية . ولأن أحدا لا يستطيع بمفرده وضع الحلول الناجعة وطرح البدائل العملية لتحقيق تنمية شاملة ومتكاملة فمثل هذا التصوير يجب ان يصدر عن مجموعة متخصصة تعمل بمنحى عن القوالب الجاهزة التي يسهل الرجوع اليها مثل السوق العربية المشتركة والشركات العربية المشتركة والمؤسسات العربية المشتركة فكلنا نعرف أن هذه المخارج لم تأت الا كبديل للتكامل الاقتصادى العربي . ويخشى أن تصبح بحد ذاتها غاية لا وسيلة . فهل نطمع ان تتبنى مؤسسات الانماء العربية مبدأ العودة الى طاولة الرسم للتنمية العربية الشاملة المتكاملة ؟ ■■

د . عبد الكريم علي الايرياني

رجل كل عام !

● عندما سألت الصحف النرويجية قراءها عن الرجل الذي يرشحونه للفوز بلقب « رجل العام » منذ بضع سنوات مضت ، فاز الملك اولاف الخامس ، ملك النرويج منذ عام ١٩٥٧ باغلبية ٦٠ في المئة من الاصوات ! وعادت الصحف تسأل : لماذا الملك ؟ « وقال القراء : » لاننا نشعر انه واحد منا ، فهو يخرج للتزلج عن الجليد في الشتاء رغم انه بلغ الخامسة والسبعين ، ويرفع قبعته محييا في ساعات الصباح المبكر كل من يلتقي به حتى لو كان من ابسط الناس . إن كان في الشارع مع كلبه الامين في نزهة قصيرة ، أو وهو في قاربه في رحلة بحرية حول اوسلو العاصمة . انه بعد هذا يعشق المنافسة ويقول : « الربح دائما تعامل كل الناس سواء بسواء ! »

كل اكتشاف يثبت اننا لسنا محور كل شيء - عالم الفضاء نويل هينرز

بيونير ١١ تكتشف
أسرار الكوكب العملاق

زحل

إنجازات مثيرة حققتها بعد خمس سنوات
رحلة البليون ونصف بليون ميل

بقلم : مجدي نصيف

قبل ان ينتهي العام الماضي اقتربت مركبة الفضاء بيونير ـ ١١ من الغلاف الجوي للكوكب زحل ، وأرسلت صورا ومعلومات ، لتكون بذلك اول عين لبني البشر تشاهد الكوكب عن ذلك القرب .

الرحلة كانت طويلة وبدأت في احدى امسيات ابريل عام ١٩٧٣ ، عندما ارتفعت المركبة وطولها تسعة اقدام من فوق قمة صاروخ طراز اطلس ـ سانتور ، من قاعدة كيب كينيدي ، ثم انطلقت لتقطع مسافة قدرها بليونا ميل في سبعة اشهر اخترقت فيها حزام النجيمات ، واندفعت الى حدود كوكب المشتري العملاق ، وتفادت قوة جاذبيته الهائلة ، واتجهت بعد ذلك في الاتجاه العكسي نحو هدفها الاساسي : الكوكب زحل ذي الحلقات . المسافة الجديدة طولها بليون ونصف البليون ميل ، قطعتها المركبة في خمس سنوات بسرعة ٧١ الف ميل في الساعة .

لقد انطلق اول قمر صناعي من صنع بني البشر ليدور حول الارض في اكتوبر عام ١٩٥٧ ، وبذلك بدأ عصر الفضاء ، وفي يوليو ١٩٦٩ انطلق الانسان ليضع قدمه لاول مرة على سطح القمر ، وتتوالى رحلات الفضاء حتى اصبحت امرا روتينيا شائعا ، لكن رحلة بيونير ـ ١١ ، هي رحلة من نوع جديد في سلسلة رحلات الفضاء ، انها انطلاقة الى الكواكب العملاقة للمجموعة الشمسية .

كان جاليليو هو اول من لاحظ ذلك الكوكب ، « المنارة الفضية الغامضة » كما اسماه عام ١٦١٠ ، وجذبت حلقاته اهتمام الدارسين والعلماء منذ ذلك التاريخ . وعرف العلماء الان ان الحلقات الاربع مصنوعة من الثلج او الصخور .

كوكب عملاق

وزحل هو ثاني اكبر الكواكب ، بعد المشتري ، في المجموعة الشمسية ، وهو اكبر من الارض حوالي تسع مرات ونصف مرة ، لكنه يتكون من غازات ، لذلك فهو خفيف حتى انه يمكن ان يطفو على سطح احد المحيطات الارضية كما تطفو الكرة فوق سطح الماء !

والمشكلة التي كانت تواجه العلماء دائما عند دراسة هذا الكوكب بالمناظير الفلكية انه بعيد الى الدرجة التي لا يمكن بها الاجابة على العديد من التساؤلات التي اثارتها الدراسات بهذه المناظير ذاتها . لذا كانت مهمة بيونير ١١ هي ارسال تقارير الى الارض تجيب على الاسئلة التي لم تستطع المناظير الاجابة عليها . وتشكل الاسئلة معلومات اولية عن هذا الكوكب رغم الدراسات التي تجمعت طوال ثلاثة قرون ونصف منذ صوب جاليليو منظاره اليه . هل لزحل مجال مغناطيسي ؟ هل له مصدر حراري داخلي ؟ مم تصنع اقماره العشرة ؟ ثم اسئلة اخرى كثيرة عن القمر تيتان اكبر اقمار زحل وربما اكبر اقمار المجموعة الشمسية كلها ، حتى ان بعض العلماء افترض انه كان احد كواكب المجموعة الشمسية ثم شدته جاذبية زحل الهائلة ليدور حوله ويصبح احد اقماره . واهمية تيتان تكمن في أن علماء الفلك يعتقدون أن له غلافا جويا يماثل الغلاف الجوي الذي كان يحيط بالارض منذ ٤ بلايين عام ، ومن ثم ربما كان به مادة عضوية ، وبالتالي أثر من آثار الحياة .

ان سفينة الفضاء بيونير ١١ وما تنجزه هي « أوديسا » بمفردها ، وتلك « الأوديسا » هي بدورها جزء من « مغامرة علمية » كبرى ، الهدف منها اعادة فهم الكائن البشري للنظام الشمسي باجمعه . فقد اطلق العلماء ٣٩ مركبة فضائية ـ بدون رواد ـ حتى الآن منذ اطلق الاتحاد السوفيتي فينيرا ـ ١ عام ١٩٦١ ، وخلال ثمانية عشر عاما انقضت منذ ذلك الحين ، عرف العلماء

الكثير عن علم الكون ، وهو العلم الذي يبحث في نشأة النظام الشمسي . لقد عرفوا خلال هذه الاعوام الثمانية عشر وحدها اكثر مما عرفوا في الالفين وخمسمائة سنة الاخيرة .

لقد اطلق العلماء الى كوكب الزهرة وحده ، وهو اقرب كواكب المجموعة الشمسية الى الارض ، تسع عشرة مركبة ، فاكتشفوا ان الكوكب الذي اقترن اسمه بالجمال ليس في حقيقة الامر سوى كوكب ميت ، يحجز غلافه الجوى المكون من ثاني اكسيد الكربون ، الحرارة ، « فيطبخ » سطحه لتصل درجة حرارته الى ٩٠٠ درجة فهرنهيت .

واطلق العلماء أربع مركبات فضاء الى كوكب المريخ ، اكتشفت بركانا اعلى ثلاث مرات من قمة جبل افرست ، وقامت في نفس الوقت بتحليل عينات من تربته اثبتت امكانية وجود حياة .

لكن كل هذه الرحلات في العقد الاول من عصر الفضاء ، ركزت على « الكواكب الداخلية » او « الكواكب الارضية » الشبيهة بالارض (وهي عطارد والزهرة والمريخ) وكلها ـ مثلها مثل الارض ـ قريبة نسبيا من الشمس . ثم انطلق العلماء بعد ذلك الى آفاق ارحب فارسلوا مؤخرا مركبة الى كوكب المشتري الذي يبعد ٨٤٠ مليون ميل عن الشمس ، والى كوكب زحل الذي يبعد ٨٩٣ مليون ميل عنها ايضا .

وفي هذا العام وحده ـ عام ١٩٧٩ ـ اكتشف العلماء اكثر الاجسام بركانية في النظام الشمسي كله (« ايو » احد اقمار المشتري) ، واقدم سطح فيها (« كاليستو » أحد اقمار المشتري ايضا) واسخن منطقة (« جزيرة » من الحرارة في الفضاء تبعد بمقدار ثلاثة ملايين ميل عن كوكب المشتري وتصل حرارتها الى ٥٤٠ مليون درجة) .
وكما قال نوبل هينرز مدير علوم الفضاء السابق بوكالة « الناسا » nasa الذي يراس متحف مؤسسة سيمتونيان للطيران والفضاء : « ان كل اكتشاف كبير يتلوه اكتشاف كبير آخر ، يثبت اننا لسنا محور كل شيء » .

التكنولوجيا .. والروتين

لقد تقدمت التكنولوجيا بدرجة مذهلة جعلت من استكشاف الفضاء وريادته امرين روتينين . لكن هذه الرحلات ليست سهلة بالدرجة التي تتصورها ، حتى في رحلة ناجحة مثل رحلة مركبة الفضاء بيونير ١١ . فلقد تخطت بيونير ١١ النجيات السريعة والاشعاع المكثف وبقايا الصخور الفضائية المتناثرة التى تنطلق مثل طلقات الرصاص . وكان من الممكن في اي لحظة من لحظات مسار الرحلة في الاسبوع الاول من سبتمبر ، والمركبة تمر بالقرب من حلقات زحل جيئة وذهابا ، ان ترتطم بها قطعة صخر صغيرة لا يزيد حجمها على حجم كرة « البنج ـ بنج » ، فتتحطم وتنتهي الرحلة . في تلك اللحظات بالذات كان الفنيون الذين يتتبعون الرحلة بغرفة التحكم بمركز ايمس للبحوث التابع للناسا ، « بماونتين فيو » بكاليفورنيا ، يحبسون أنفاسهم وهم يراقبون اجهزتهم منتظرين كل ٨٦ دقيقة ، هي الوقت الذي تقطعه رسالة المركبة بيونير وهي تسير بسرعة الضوء ، اكبر سرعة عرفها الانسان ، لتصل الى الارض ، عندهم في المركز . وعندما استمرت رسائل المركبة .. تنفسوا الصعداء . لقد نجت المركبة من اهوال الفضاء ، ونجحت الرحلة . وحتى خلال مسار الرحلة الطويل قابلت بيونير ١١ عقبات وحوادث ، كان اي منها يمكن ان ينهي الرحلة : وعلى سبيل المثال ، في بداية الرحلة لم تنزلق مولدات النظائر المشعة التي تحتضن خلية وقود البلوتونيوم كما كان مقررا في البرنامج ، لكن الفنيين استطاعوا من خلال مركز التتبع الارضي ، بالاشارات اللاسلكية ان يعالجوا الموضوع حتى انزلقت تشبان المولد في مكانها . وكان هذا الحادث في البدايات الاولى للرحلة الطويلة منذ ست سنوات ونصف . بعدها بشهر واحد توقف احد جهازي الارسال لكن الآخر استمر في العمل على مدى السنوات الست التي استغرقتها الرحلة . ثم فقدت المركبة الجهاز الذي ينذرها بوجود النجيات والشهب ، والجهاز الذي يجعلها تدور حول نفسها بشكل اسرع ومع ذلك استمرت وانجزت الرحلة بنجاح ، لكن بعد ان اصبحت ، كما قال دين تشابمان

مدير قسم العلوم الفضائية بايميس ، « مثل الجندي العجوز الذي اثخنته جراح المعارك التي خاضها وهو يخوض الآن معركته الاخيرة » !

الرحلة

وحتى نتصور رحلة المركبة بيونير ١١ ، علينا ان نتصور مكانها في المجموعة الشمسية . فكواكب المجموعة تسعة تدور كلها في مدارات حول الشمس في المنتصف . والكواكب الاربعة القريبة الى الشمس هي عطارد والزهرة والارض والمريخ ، وهي كواكب صغيرة ويطلق عليها الكواكب الارضية اي الشبيهة بالارض وهي صغيرة بالقياس الى باقي الكواكب ، وان كانت كثافتها اكبر . اما الكواكب الأربع الأخرى فيطلق عليها اسم الكواكب العملاقة ومنها ـ المشتري وزحل ، فهي ذات كتل وحجوم اكبر بكثير من الكواكب الارضية . ثم هنالك كوكب صغير آخر ابعد من الكواكب العملاقة ، هو بلوتو ، وهو صغير الحجم مثل الكواكب الارضية ومعلوماتنا عنه ضئيلة . وكوكبنا ـ زحل ـ هو ثاني اكبر الكواكب العملاقة ، ويأتي بعد المشتري .

اشهر مايميز الكوكب زحل هو حلقاته الاربع الشهيرة التي حيرت العلماء منذ اكتشافها . وهي تتكون من جسيمات صغيرة ثلجية او صخرية ، وتدور الحلقات حول الكوكب ابتداء من قمة سحبه حتى امتداد ٤٨ الف ميل من سطحه . وكان العلماء يشكون في وجود حلقة رفيعة خامسة (الحلقة هـ) تمتد بعد الحلقة الاخيرة ، لكن اجهزة المركبة بيونير لم تستطع تحديد مكانها ، وان كانت قد سجلت وجود حلقة جديدة تماما لم يرها علماء الفلك من قبل (الحلقة و) قدروا انها تبعد مسافة ٢٢٠٠ ميل من الحلقة الخارجية .

اكتشفت المركبة بيونير ١١ ايضا ان هذه الحلقات ليست للديكور ، اذ انه عندما اخترقت الحلقات بسرعة ٧٢ الف ميل في الساعة لم تسجل اجهزتها وجود اشعاع ، وهكذا توصل العلماء الى ان الحلقات ليست الا « مظلات كونية » تمتص الجسيمات المشحونة على بعد ٨٦ الف ميل من زحل .

اكتشافات باهرة

وصلت بيونير ١١ الى قرب الكوكب ، وارسلت الى الارض افضل صور التقطت له حتى الآن ، وهي افضل من الصور التي التقطت للكوكب من خلال المناظير الفلكية الارضية . كانت في الصور تفاصيل عن حلقات الكوكب ، ولاول مرة ترى بوضوح كذلك الخطوط التي تكونها السحب الصفراء والبرتقالية التي تغلفه .

لكن اكثر الاكتشافات التي قدمتها المركبة اثارة ، كان ذلك الاكتشاف الذي توصلوا اليه بعد تجميع وتحليل المعلومات التي ارسلتها . فعندما كانت المركبة قريبة من حلقات الكوكب صمت جهاز تسجيل الجسيمات المشحونه لمدة اثنتي عشرة ثانية ، ثم بدأ في تسجيل وجود الجسيمات مرة اخرى . ومن خلال معلومات اخرى توصل العلماء الى ان المركبة كانت تمر في تلك اللحظات على بعد ٢٥٠٠ كيلو متر مما يبدو أنه القمر الحادي عشر لزحل . اي ان هنالك قمرا جديدا لزحل لم يكن العلماء يعرفون عنه شيئا من قبل ، طول قطره ٦٠٠ كيلو متر ، ويدور في مدار يبعد بمقدار ٥٤ الف ميل من الكوكب ، خارج الحلقة الخارجية مباشرة . وربما كانت الحلقات والاقمار الستة الداخلية مكونة كلها من مادة ثلجية ، اما الاقمار الاربعة الخارجية فربما تتكون بنسبة اقل من هذه المادة الثلجية .

وعندما ينتهي العلماء من تحليل المعلومات التي اوصلتها المركبة الى الارض ، فمن المتوقع ان يصلوا الى فهم اشمل حول كيفية تكوين الحلقات والاقمار ، وربما كيفية تكوين النظام الشمسي باكمله .

وخلال خمس عشرة دقيقة ثمينة اقتربت المركبة من القمر تيتان ، اكبر كواكب زحل والمجموعة الشمسية ، فارسلت معلومات لم تكن معروفة عنه قبلا . لكن هذه المعلومات رغم انها ثمينة الا انها اصابت العلماء بخيبة أمل مريرة ، اذ عندما قاموا بتحليلها تأكدوا من عدم وجود جزيئات عضوية بمعنى انه ليس على سطحه اي شكل من اشكال الحياة العضوية . ذلك ان اجهزة

المركبة قامت بقياس درجة حرارة غلافه الجوى العلوي فوجدت انها ٢٠٠ درجة مئوية ... تحت الصفر وهذه الحرارة تمنع الاحماض الامينية ، وحدات الحياة الاساسية ، من التكوين الان ، وفي المستقبل !

واكدت بيونير ١١ كذلك ان للكوكب مجالا مغناطيسيا ، وان كان شاذا عن المجالات المغناطيسية المعروفة على ارضنا . فقطبه الشمالي والجنوبي ينطبقان تماما على الشمال والجنوب الجغرافيين ، الى جانب حقيقة ان المجال الذي حددته بيونير لا تزيد قوته عن خمس القوة التي كان يتوقعها العلماء (وان كانت اقوى ٧٠٠ مرة من المجال المغناطيسي للارض) وقد تغير هذه الحقائق من مفاهيمهم حول كيفية تكوين المجالات .

وبينما يقوم العلماء بتحليل المعلومات التي ارسلتها المركبة بيونير ١١ ، تستمر هي في الاندفاع الى طرف النظام الشمسي ، حتى منتصف عقد الثمانينات القادمة ، حينذاك يضعف مارسله من اشارات الى الارض بفعل اجهزتها المنهكة . لكن المعرفة البشرية تستمر اذ تصل فويجر الاولى ثم تتلوها فويجر الثانية الى نفس الكوكب خلال السنتين القادمتين ، فيلتقط العلماء المزيد من اسراره .. واسرار الكون الواسع .

بعثة بيونير ١١

كيف تعمل « بيونير ١١ » ؟ وما هي الاجهزة والمعدات العلمية الموجودة فيها ؟ ؟

المركبة على شكل طبق هائل الحجم له ارجل متعددة ، ووزنها ٥٦٨ رطلا ، وتحمل احدث معدات تكنولوجية اطلقت الى الفضاء حتى الآن . وتعتبر رحلتها اكبر واطول رحلة الى اعماق المجموعة الشمسية اطلقت حتى الآن . وبسبب بعدها الكبير عن الشمس لم يكن من الممكن ان تعتمد على الطاقة الشمسية ، لذلك فهي تعتمد في تسييرها على الطاقة النووية ، ويحمل مولدان صغيران البلوتونيوم المشع الذي يتحلل فيشع ما يكفي من حرارة لتوليد ١٠٨ واط من الكهرباء التي تحتاج اليها اجهزة الراديو والاجهزة العلمية الاخرى .

وهناك اجهزة اتصال معقدة ودقيقة تحافظ على اتصال بيونير بالارض ، وحتى نتخيل دقتها يكفي ان نذكر ان العلماء الامريكيين يرسلون الى المركبة تسعمائة أمر كل ثانية . وعندما يستقبلها هوائي المركبة (على شكل طبق) ، يوزعها على الاجهزة المطلوبة التي تنفذ المطلوب منها ، وعلى سبيل المثال يمكن ان يعدل العلماء من اتجاه وسرعة المركبة في اية لحظة . وفي نفس الوقت ترسل المركبة بكل ما تحصل عليه من معلومات الى مركز المتابعة الارضي بكاليفورنيا حيث تلتقط هوائيات عملاقة الاشارات الاتية من المركبة مهما كانت ضئيلة .

ومن الاجهزة المتقدمة تكنولوجيا الموجودة في المركبة عداد لاسلكي يعمل بالاشعة تحت الحمراء لقياس درجة الحرارة التي يشعها الكوكب الذي تستكشفه المركبة (زحل) ويحدد كذلك تركيب غلافه الجوي ودرجة حرارته . وهناك فوتومتر يعمل بالاشعة فوق البنفسجية ويبحث عن ادلة لوجود احزمة اشعاعية حول زحل وسحب حول اكبر اقماره تيتان . اما اجهزة التصوير فهي « تجمع » الصور خطا بخط وهي بذلك قريبة الشبه بكاميرات التليفزيون .

والمعلومات التي قامت بيونير ١١ بتجميعها عن زحل ثم ارسالها الى الارض غنية الى درجة ان العلماء سينشغلون بتحليل معلوماتها لعدة سنوات قادمة . ■■

لندن ـ مجدي نصيف

■ عندما تكون على حق ، تستطيع ان تتحكم في اعصابك ، اما اذا كنت تعرف انك مخطيء ، فلن تجد غير الكلام الجارح لتفرض به رايك !

« غاندي »



الدكتور زكى نجيب محمود يكتب

وللحياة أسلوبها

أنني أحب ألفاظ اللغة ـ واللغة العربية بصفة خاصة ـ حبا كثيرا ما يحملني على ترك ما أكون بصدد الكتابة فيه ، حتى أتعقب لفظة بعينها : كيف جاءت ، وماذا يحتوى جوفها من لباب ، ولم يحدث أن تناولت لفظة بمثل هذا التشريح ، الا وقد وجدت في حناياها رحلة عجيبة في اطوار التاريخ وتطوراته ، فارى عقل الجماعة التي صنعت تلك اللفظة صنعا ، أقول أني أرى عقلها وهو يعمل ، وأحس شعورها وهو ينبض ، كلما لمحت لفتة جديدة في مسار اللفظة خلال الزمن وتغيراته .

واذكر اني منذ اعوام طويلة ـ ربما بلغت الثلاثين عاما ـ اردت الكتابة في الخصائص المميزة « لاسلوب » العقاد ، لكنني ما كدت استوى في جلستي ، وانشر الورقة ، وارفع القلم ، حتى تحرك في رأسي شيطان اللفظة ، فأثار في نفسي السؤال : من أين جاءت كلمة « أسلوب » هذه ؟ اذا كان أصلها الثلاثي هو « سلب » بمعنى « سرق » أو مرادف من مرادفاتها ، فماذا ياترى تكون العلاقة بين « الأسلوب » بمعناها الذى نعرفه لها ، وهو السرقة ؟

تركت مكاني وقصدت الى حيث القواميس العربية المطولة ، التي تعطيك الكلمة وأصولها وفروعها ، وكأنها تقدم لك شجرة أنساب لاسرة عريقة الآباء والجدود ، وظللت أتعقب معنى « سلب » الى أن بلغت غايتي ، وهي أن « اسلوب » الكاتب او الفنان ـ انما سمي كذلك ، لأن صاحب هذا الاسلوب قد استطاع أن يستلب من نفسه كوامن سرها . لقد كانت النفس منطوية على خبيء من جوهرها ،كأنها تحرص على أن يظل خافيا عن أبصار الناس ، فجاء صاحب تلك النفس ـ اذا كان أيضا صاحب « اسلوب » ـ فانتزع من نفسه سرها ، ونشره أمام الناس ، على الورق او غير الورق من وسائط .

وإذن فمن لا يكشف عن حقيقة نفسه فيا يبدعه من أدب أو من فن ، كان غير ذى أسلوب ، ولقد عادت الى ذاكرتي الآن هذه القصة كلها ، فتأملتها ، ثم لم البث أن اتسعت أمامي رقعة المعاني المتلاحقة المترابطة ، فقلت :

أننا في هذه المرحلة التاريخية التي تجتازها الامة العربية ، لفي أشد الحاجة الى من يحلل لنا اصولنا الفكرية والادبية والفنية ، ليكشف لنا عن « اسلوبها » ، اى ليكشف لنا عن جوهرها الكامن وراء ستائر التبصير المختلفة . فليس الاسلوب بمعناه الحقيقي الذى ذكرناه ، بمقصور على أسلوب الكاتب الفرد أو الفنان الفرد ، لا ، بل ليست هذه الأساليب الفردية بذات خطر كبير ، وانما الأهم هو أن تعثر على الأسلوب العربي في عمومه ، أسلوب الحياة ، وأسلوب الثقافة ، وأسلوب الحضارة ، بالاضافة الى الأسلوب الفني العام ، بغض النظر عن خصائص الافراد المبدعين ، أو خصائص المجالات المختلفة في دنيا الفكر والفن .

وما ذلك الأسلوب العام الشامل الا لعناصر ثبتت على الايام ، فلكل امة جوانب تتغير مع موجات الزمن المتلاحقة ، لكن لكل أمة كذلك من الركائز ما يثبت كأنه الطود الراسخ ، فاذا وجدنا تلك الشوائب في الرؤية العربية ، وجدنا بالتالي أسلوب العربي في وقفته من الكون ومن الانسان .

فلقد يتعدد ويتنوع النتاج الحضارى والثقافي عند أمة عريقة كالأمة العربية ، لكن الناقد البصير ، يستطيع ان يلتمس خلال ذلك التعدد والتنوع ، خيطا رابطا ، فاذا ما وقع عليه ، كان هو أسلوب الأمة في فاعليتها العقلية والوجدانية ، وأننا نختصر زمن النهوض اذا نحن قدمنا للجيل الراهن من شبابنا حقيقة الأسلوب العربي في كل مناحي حياته وعندئذ فقط لنا أن نتوقع من الموهوبين أن يقيموا بناءاتهم الفكرية والفنية على ذلك « الأسلوب » دون تكرار للموضوعات والمضمونات التى جاءت على ألسنة الاقدمين وأقلامهم وسائر مبدعاتهم في دنيا الثقافة والحضارة .

الاسلوب هو صاحبه ـ كما يقول الانجليز ـ أى أنك اذا عرفت لأحد من الناس ، أو لأمة من الامم ، اسلوبها في العيش وفي الصناعة وفي الابتكار .. الخ ، عرفت حقيقته ، لأنه لا فرق بين الجانبين فقد قال سقراط ذات مرة لرجل جلس مع سائر من احاطوا بالفيلسوف ، لكنه جلس صامتا ، فقال له سقراط : كلمني ياهذا لكي أراك !.. وهاهم أسلافنا قد تكلموا وتكلموا ، وكلامهم مثبت في الصحائف ، فلم يبق علينا نحن الاخلاف المعاصرين الا أن نراهم من خلال ما قالوا وما صنعوا .

من مآثر نابليون

للدكتور شاكر مصطفى

حين نعلم أولادنا اسم هذا الكورسيكي القزم نابليون بونابرت نحكي لهم في الغالب حكاية حملته المشهورة على مصر قبل ١٨٠ سنة . الرجل دوخ أوروبا كلها . أراق فيها الدماء . قلب العروش . نشر الفكر السياسي الحديث .. جعل الدنيا تدور حوله وحول اعلامه ومع أحذية جنوده خمس عشرة سنة . ولكنه بالنسبة الينا ، أحد الغزاة . تحرك ما بين القاهرة وعكا سنتين ثم انصرف . ويزعم الغربيون لنا ، ونصدق الزعم . أن حملة نابليون كانت أول العصر العربي الحديث ومطلع النهضة ...

ألم يقف جيش نابليون المعبأ على الطرق الحديثة ، عند أهرام الجيزة أمام جيش المماليك المنظم صفوفا وفرسانا على مذاهب العصور الوسطى ؟ ألم يقف السيف أمام المدفع ؟ والفروسية الفردية أمام عبقري الاستراتيجية الحربية الحديثة ؟ ألم تلتق في المعركة مفاهيم الحرية والعدالة والمساواة التي حملها جنود نابليون ، أبناء الثورة الفرنسية ، مع مفاهيم الاستبداد والقهر ونهب الرعايا ؟ عالمان التقيا وانهزم العالم المهترىء المتداعي الذي يمثله المماليك وانتصر العصر الحديث !

هذه النظرة الغربية للموضوع ليس من همي الآن أن أناقش الخطأ والانانية فيها . لذلك قصة أخرى من ملامحها أنها تنكر اليقظة العربية الاسلامية الذاتية والسابقة لنابليون بكثير فيما بين نجد والشام وليبيا ....



هزموه في ذاته

ولكن اسم نابليون انما ركض على هذه الاسطر لأمر آخر، هو صلة هذا الرجل بالمماليك. بل! كان لنابليون بدوره مماليكه. ان نابليون الذى هزم المماليك انهزم بدوره أمامهم. صحيح أنه أنهى سلطانهم في مصر ولكنهم بالمقابل غزوه. هزموه في ذاته. لم يلبس فقط عماماتهم والسراويل الفضفاضة ويتقلد السيف ذا الحمائل والطراز، ولم يدع الاسلام ويتقرب من العلماء فحسب، ولكنه اخذ ايضا وايضا بالاسلوب المملوكي في الجندية. اصطنع المماليك مثله كمثل اى قائد مملوكي عريق!

والخبر على مافيه من المفارقة صحيح وتزداد المفارقة اذا علمنا ان نابليون يدين في جانب من انتصاراته الكبرى التي حققها في أوروبا الى الجماعة المملوكية. يدين لها بالكثير. وان بقي هذا الكثير في غياهب الصمت والمجهول!

كيف ذلك؟

نابليون وهو في مصر ، اشترى واستخدم جماعة واسعة من المماليك . جعلهم أولا أدلاء للجيش في هذه الارضين التي يجهل ، وفرسانا من الفرسان بعد أن انقطع عنه المدد من وراء البحار وحاصرته القوى الانجليزية على سواحل مصر والشام . وحين عاد نابليون ثم عادت الحملة الى فرنسا عاد منها حوالي المائة مملوك ، يصطحبون معهم عائلاتهم وذوي القربى والنساء والاطفال والشيوخ وحتى الاقرباء الابعدين . رابطة الولاء المملوكة ساقتهم وراء نابليون مولاهم الجديد يفدونه حتى الموت . كانوا عبيدا من مختلف الاسواق بل كان احدهم فرنسي الاصل من سان دنيس ويدعى علي . الرابطة الوحيدة التي كانت تجمعهم انهم اجهزة قتال ، وقد وجدوا في نابليون السيد المقاتل ، ادخلهم نابليون أول الامر في صحبته أدلاء الجيش وحين اصبح سيد فرنسا غير منازع سنة ١٨٠٤ ألف من هؤلاء المماليك كتيبة ألحقها بفرقة فرسان الحرس . جعلهم من حرسه الخاص . كان يزهو بملابسهم الشرقية المزركشة في السراويل الفضفاضة والاردية المطرزة بالذهب والسيوف المحنية البراقة والعمائم من الحرير . استكمل بذلك اطاره الامبراطوري المزخرف وجعل حارسه الشخصي مملوكا من هؤلاء اصله من جورجيا ، يدعى رستم كان يقضي الليل على بابه أني كان في القصر او في خيمة المعركة .

جاؤوا له بالنصر

كانت النساء من المماليك يقبضن المرتبات للمعيشة من الامبراطور . اما الرجال فكانوا للحرب ... ودخلت فرقة المماليك في حروب نابليون كلها وبكل مكان . واية حروب تلك ؟كانوا مع قائده (مورا) ومع (لاسال) ومع لو فيفر ـ دي نويت ... وهم الذين انتزعوا لنابليون اعلام الحرس الروسي المهزوم في اوسترليتز ، اروع معارك نابليون ، وهم جاؤوه باعلام الارشيدوق شارل النمسوي في معركة واغرام ... ودمرت الفرقة بالقتال ولكنها خرجت مكللة بالغار !

الامبراطور المغامر أسكن المماليك أول الامر في بلدة ميلون . اقام لهم هناك مستعمرة اشبه بالمستودع . لكنهم تحولوا بعد ذلك الى مرسيليا في جوار المرفأ القديم . شمس البحر الابيض المتوسط هناك راقتهم . كانت تذكرهم على الاقل بشمس الاسكندرية والدفء . كونوا في جانب المدينة مستوطنة اسلامية صغيرة . لكن اهل مرسيليا لم يتقبلوا هذه الجماعة الغريبة . ابغضوها وانكروا جوارها لا لانها تمثل الاسلام والامبراطورية العثمانية فقط ولكن لانهم اضحوا يبغضون الامبراطور نفسه ايضا ... المرسيليون هؤلاء الذين زحفوا سنة ١٧٩٢ حتى باريس واستولوا ايام الثورة على التويلري ، حتى اضحى النشيد الذي كانوا ينشدونه في تلك الآونة النشيد الرسمي الفرنسي الى اليوم : (المارسيليز) ، هؤلاء انفسهم أضحوا في أواخر العهد الامبراطوري شعلة حقد ضد الامبراطور الطاغية انقلبوا ملكيين والقى نابليون عليهم الحصار الذي دمر المدينة وأوصلها الى حافة الجوع . فسال حقدها والغضب في الدروب ورفضت دفع الضرائب ، ورفضت التجنيد للحروب وأعادها العناد الى الهوى الملكي : هوى « الزنبقة » شعار آل بوربون والعلم الأبيض الملكي لا العلم المثلث الالوان ... بالرغم من انهم كانوا احد اعمدة الثورة الفرنسية التي طردت آل بوربون ورفعت العلم المثلث وأتت ... بنابليون في النهاية . وجرح الامبراطور مشاعرهم الكاثوليكية حين القى القبض على البابا وسجنه . اوصلهم ذلك الى ذروة النقمة ..

في زمن الفوضى

وحين هزم نابليون سنة ١٨١٤ امام التحالف الاوروبي ودخل الحلفاء باريس واعادوا اليها الملكية صاحت الجموع في مرسيليا ، عاش الملك » وحطمت تماثيل نابليون كلها في الشوارع بينما كان الامبراطور ينطلق الى منفاه في جزيرة إلبا ... وحين عاد مرة اخرى فدخل فرنسا ليحكمها فترة « المائة يوم » المعروفة . خرج المارسيليون أنفسهم في الجنوب لقتاله ومنعه ... واذ لم يفلحوا في قطع الطريق عليه فانهم لم يعطوه الجنود بعد ذلك للحرب بل احتاج بالعكس الى ابقاء حامية عسكرية من الجيش في المدينة خوف التمرد ...

وحين اعلنت هزيمة الامبراطور الاخيرة في واترلو سنة ١٨١٥ افلت زمام الجموع في شوارع مارسيليا . وهرب قائد الحامية خارج البلد . مامن قوة كان في امكانها كبح الحقد الدفين ... تحت كل حجر في المدينة ـ كما قال هذا القائد ـ نبتت زهرة زنبق . ومن كل نافـذة خرج علم ابيض !!! الجندى الذى لم يكن يدوس شارتـه المثلثة الالوان كان مصيره السحـل . تسلحـت مارسيليا بكل سلاح من البندقية والحربة الى سكين المطبخ والزجاجة الفارغة ... بينما منع الجنود ان يخرجوا من الثكنـات ... فالمدينة فوضى !...

هنا يأتي دور المماليك ومستوطنـة المماليك في هذه القصة التاريخية التي طالت : كانت المستوطنة بازقتها السكنية هي السـوق الرمـزية للامبراطـور وللحـكم الامبراطـورى البغيض وكان عليهـا ان تدفـع الثمـن الدموى الرهيب ! .. في الشـوارع كانت المذابح تسحق الجنود القدامـى واليعقـوبيين وانصـار الامبراطـورية . ويوم توجهت الجموع الى مستوطنة المماليك المصريين لم يسأل احد ما ذنـب هؤلاء، لم يتـذكر ما صنعـوا لمجـد فرنسـا ... كانـوا يمثلـون شخص الامبراطـور وانهالت الجموع المسعورة على بيوت المماليك السكنية ، رصاصا وتمزيقا وطعنا وسحقا بالاحذية ... تقرير للشرطة ذكر أن الغوغاء أحاطوا بخادمة سوداء كانت تعيش هناك وطلبوا اليها أن تصيح « عاش الملك » . رفضت ...

ـ لا ! ان نابليون هو الذى يعطيني العيش !

ومزقتها الحراب والقتهـا الاقـدام في الماء . المذبحـة الوحشية ملأت مياه المرفأ القديم في مرسيليا بالجثث . بضحايا الارهاب الابيض المستوطنة المملـوكية ابيدت كلها ... القلائل الذين تمكنوا من الهرب او نجـوا من السكاكين والعيون الهستيرية اخذوا فحبسـوا في قلعـة ايفا » .. حيث ماتوا .

وانتهـت حكاية المماليك « المغربـين » في مستنقـع الدم . اما أمجادهم فابتلعهـا التـراث الفـرنسي ، مثلهـم كمثـل الكثير من أهلنا المغاربة ومن مسلمي السنغال ... وسقطت القصة كلها في بئر النسيان ! ■■

د . شاكر مصطفى

زوجة العالم !

● نجح الكسندر جراهام بيل مخترع التليفون ، الذي شغل حياته كلها بالبحث عن تقنية الصوت ، في العيش مع المرأة التي اختارها لتشاركه حياته سنوات طويلة سعيدة استمرت لنصف قرن من الزمان او يزيد !

سألوه يوما : « ما سر سعادتك ؟ »

وقال جراهام بيل : « لقد كانت « ميبل هوبارد » ـ هذا اسمها ـ سعيدة دائما مبتسمة دائما ممتلئة حيوية ومرحا .. كانت ميبل امرأة غير عادية ، فقد كانت صماء لا تسمع .. من اجل هذا احببتها ، فلا أتصور ان اى امرأة في الدنيا كان يمكن أن تحتمل صوت الميكروفون وهو ينقل صوتي من خلال هذه الآلة الصغيرة ١٤ ساعة متصلة كل يوم ! »

هذا الشباب المفترى عليه !

بقلم : فهمي هويدي

ما يجرى بين الشباب المسلم جد خطير ، والأخطر منه أن نسكت عليه ، أو نهون من شأنه .. وما هو أخطر من السكوت والتهوين ، أن نتعامل مع هذا الشباب بمنطق العضلات ، وليس بمنطق العقل .

والشباب الذى أعنيه هم تلك الشرائح التي ظهرت خلال السنوات الأخيرة على سطح الحياة في مجتمعاتنا العربية المختلفة ، يرون حدود الاسلام ـ شكلا ـ في اللحية والحجاب ، وموضوعا في رفض المجتمع بمؤسساته وقوانينه ونظمه بدعوى أن الكل باطل ، واحيانا ، فالكل ـ عداهم ـ كافر والعياذ بالله !

هم أولئك الشباب الذين يختلط فيهم الاخلاص بالحيرة والتعصب والتحدى ، وتمتلىء عيونهم بالذكاء والحيوية ، وقلوبهم بالايمان والتصميم .. رافضون الى حد هجرة الدنيا بأكملها ، متفانون الى حد الترحيب بالموت والتهلكة .

الصحف والوكالات الأجنبية كلها نشرت أن البيت الابيض الامريكى طلب بعد نجاح ثورة ايران اجراء دراسة حول الحركات الاسلامية النشيطة في العالم الاسلامي اليوم ، وبين يدي تقرير أولى حول اتجاهات التفكير الاسلامي في القرن العشرين أعده لجامعة ميتشجان الامريكية الدكتور ريتشارد ميتشيل الاستاذ بالجامعة ، الذى قدم رسالته للدكتوراه عن حركة الاخوان المسلمين في مصر . وعلى أساس هذا التقرير بدأ الدكتور ميتشيل مسحا ميدانيا للحركات الاسلامية في المنطقة الممتدة من اندونيسيا للمغرب . وما يثير الانتباه أن هذا المسح الميداني بدأ في عالمنا الاسلامي في يناير ٧٨ !

المهم أن غيرنا يدرس ويتابع ليؤمن مصالحه في بلادنا . ونحن ـ فيما هو ظاهر على الأقل ـ نختار الطريق الأسهل في مواجهة المشكلة . وهو دور الاطفائي الذي يسرع في كل مرة الى اطفاء الحريق ، دون ان يسأل لماذا تشب الحرائق من الاساس ؟!

●

ولست هنا في مقام تبرير أي مغامرة أو حماقة من أي طرف . فالمخطيء يجب أن يحاسب في كل الأحوال . كما أني لن أخوض في مناقشة أفكار هؤلاء الشبان . فهناك من هو أقدر مني على التصدى لعمليات تأويل النصوص وتخريج مختلف الاحكام الفقهية منها . فضلا عن أن أكثر كتابات هذه الجماعات لا تزال مخطوطات تتداولها أياد محدودة . ويتعذر على الآخرين الاطلاع عليها . انما ما أرجوه هو أن أناقش الموقف من الأساس .. دوافع هذا الرفض للمجتمع الذى يتخذ صورا متعددة تتراوح بين تقرير الهجرة والسعي للانتحار .

●

ان هذا الجيل من الشبان هو أخطر افرازات الهزيمة والاحباط . هم أبناء شرعيون لمحنة الأمة العربية الحقيقية . التي تلاحقت في مسيرتها الهزائم على مدى القرن الأخير . حتى بلغ بها الحال الآن ما نرى .. أمة مجروحة الكبرياء . يخبو أملها في الحاضر . ويضيع منها الحلم في المستقبل ..

لقد خرجت أمتنا من الهيمنة العثمانية . الى الهيمنة الانجليزية والفرنسية والايطالية . الى هيمنة القوى المحلية .. وهكذا . من قبضة الى قبضة وأحيانا كانت كل قبضة أسوأ من الاخرى !

في ظل العثمانيين كانت راية الاسلام هي التي ترفرف على المنطقة . وكانت الجامعة الاسلامية هي الحلم . والخلافة هي الرمز . وبعد سلسلة هزائم العثمانيين . وبتراكم عوامل التحلل . طويت راية الاسلام والغيت الخلافة . وتبدد حلم الجامعة الاسلامية وانهار الرمز .

ومنذ العشرينات رفعت راية العروبة التي التفت حولها القوى الوطنية . وخاضت في ظلها معاركها ضد سيطرة قوى الاحتلال الغربي . حتى رحل آخر جندى أجنبي عن عالمنا العربي في الستينات . وفي اللحظة التي بدا فيها الحلم العربي وشيك التحقيق . بدءا بالوحدة بين مصر وسوريا . حدثت هزيمة عام ٦٧ . التي قوضت هذا الحلم . وكسرت صوارى رايات العروبة . ولما يمض على زرعها نصف قرن من الزمان .

ومنذ ذلك الحين . وأمتنا تعاني من التخبط . بحثا عن راية وعن رمز !

وهذا الجيل من الشبان . الرافض والمهاجر والمنتحر . هو ذاته الذى كانت هزيمة ٦٧ هي أول ما وقعت عليه أعينه عندما بدأ يدخل دائرة الوعي . واذا تبين لنا أن هؤلاء في العشرينات الآن . وأن زعاماتهم فيما بين الخامسة والثامنة والعشرين ـ كما ثبت ـ فسوف يقودنا ذلك الى اكتشاف حقيقة لها دلالتها . هي أن الاغلبية الساحقة من هؤلاء الشباب كانوا فيما بين السابعة والعاشرة من العمر عندما وقعت هزيمة ٦٧ . وأن زعاماتهم الحالية كانت أكثر وعيا بالصدمة . اذ كانوا في سن الخامسة عشرة تقريبا وقتئذ !

لقد أفرزت الهزيمة عديدا من الآثار ، يلتقى أكثرها على أرضية ما يمكن أن نسميه « العودة الى الله » . اذ كان طبيعيا أن يلجأ الناس الى الله سبحانه في تلك الحقبة السوداء ، والانسان بطبيعة تكوينه يشتد اقباله على الله عندما تضيق أمامه السبل ويسقط في حبائل اليأس والقنوط » .

وتسجل الاحصاءات التي جرت في مصر ـ مثلا ـ بعد هزيمة ٦٧ أن عدد المساجد زاد بنسبة ٣٠٪ ، فيما بين سنتي ٦٧ و ٦٩ . وقال لي شيخ مشايخ الطرق الصوفية في ذلك الوقت ـ الشيخ محمد سطوحى ـ ان الاقبال على الطرق الصوفية وحلقات الذكر تزايد بشكل ملفت للنظر بعد الهزيمة ، وأن شرائح جديدة من المجتمع المصرى انخرطت في هذه الطرق لأول مرة في تلك الفترة ، مثل الضباط وكبار الموظفين الرسميين وطلاب الجامعات !

وشاعت فكرة أن الهزيمة هي تعبير عن غضب الله ، على الذين نسوه فأنساهم أنفسهم .

كان هذا هو الأثر العاجل . وتمثل الأثر الآجل في ذلك الجيل الذى انغرست الهزيمة في أعماقه ، حتى شبت معه بكل مضاعفاتها ، من تنامى الاحساس بالانكسار ، الى تأكيد الشعور بالعجز ، الى اليأس من كل ما هو قائم . الى الاندفاع في اتجاه التطرف الدينى ، في لهفة البحث عن حلم وحل .

وفي تلك المرحلة كان التيار الاسلامي « مضروبا » في أكثر من بلد عربي ، والمنتمون اليه موزعين على السجون والمعتقلات . وهذا الموقف رتب نتيجتين هامتين هما : أن المعاناة الشديدة التي عاناها الاسلاميون داخل السجون هيأت المناخ لظهور بدايات دعوة تكفير الآخرين والاحتجاج ببطلان كل ما هو قائم .

والنتيجة الثانية التي ترتبت على ضرب التيار الاسلامي ، هي أنه مع حلول الهزيمة مقترنة بمرحلة « العودة الى الله » ، كانت ساحة العمل الاسلامي فارغة تماما ، وخالية من أي قيادة قادرة على ترشيد هذا التيار واستثماره ايجابيا . الامر الذي أوقع الكثيرين في محاذير فكرية مميتة ، قذفت بقطاعات عريضة من هؤلاء الشبان بعيدا عن فهم جوهر الاسلام ، ولم تستطع أن تحملهم على استيعاب ما هو اكثر من قشور محدودة ، ومغلوطة في بعض الأحيان .

وفي غيبة الحوار ، أي في ظل الازمة الفكرية التي يعاني منها العالم العربي ، كان من الطبيعي أن تتنامى أفكار هؤلاء الشبان ، وتتحول من هواجس وشكوك الى مواقف لها منظرون ومحللون ، تحركوا في حدود رؤيتهم ، وتحت الارض في الأغلب . ومضت سنوات ، وهم يتزايدون ، في تربة خصبة من الشباب الحائر والمهزوم ، حتى كانت أولى مغامراتهم في القاهرة ، عاصمة البلد الذي زلزلته الهزيمة بأكثر من غيره ، وكانت حادثة الهجوم على الكلية الفنية العسكرية عام ٧٢ ، التي قتل فيها ١٣ من شباب الكلية ، ثم حادث خطف وقتل وزير الاوقاف المصري ، الشيخ محمد الذهبي ، في عام ٧٥ .. ثم تتابعت مغامراتهم في مواقع مختلفة من العالم العربي .

ومنذ ذلك الحين ، ونحن لا نسمع عن جماعات الشباب المسلم هذه الا ما تصرح به أجهزة الأمن ، وفي المناسبات المفجعة لا غير !

تأتي بعد ذلك الممارسات ، التي عمقت الشعور بالاحباط ، فوق الشعور بالعجز والهزيمة .

ذلك أن أي شاب ، لو مد بصره عبر ربع القرن الأخير ، في محاولة لرصد ما أنجزته أمة العرب ، على المستوى العام ، وانعكاسات تلك الاوضاع العامة عليه هو شخصيا ، أعني احلامه وطموحاته اذا أجرى هذه المحاولة ، فسوف تروعه النتيجة بغير شك .

لا بد أن تروعه نتيجة الممارسات ، بعدما انتهكت تلك الممارسات الكثير من أحلامنا في العدل والحرية والديمقراطية والوحدة ، حتى تحول الحلم العظيم الى ما يشبه الحمل الكاذب أحيانا ، او المخاض الذي أسفر عن مولود شائه بعد طول معاناة وانتظار ، في احيان اخرى !

لا بد أن تذهله حصيلة ما تحقق في الساحة العربية في مرحلة ما بعد الاستقلال ، واحيانا في ظل مرحلة ما بعد الثورة !

وربما كان منطقيا مع هذا السياق أن يفقد بعض الشباب ثقتهم في الحاضر ، ويحنوا الى الماضي ، على الأقل ، حيث كانت مساحة الاحلام والطموحات التي لم تزل بكرا ، عريضة وبغير نهاية .

وفي غيبة قنوات مشروعة وآمنة للتعبير عن هذا الموقف ، فربما كان منطقيا أن يتخذ هذا التعبير صورا غير مشروعة ، بعضها عرفنا به ، والله اعلم بما لم نتعرف عليه بعد .

وازاء هذا كله كان الاحباط في قطاعات الشباب عظيما ، وكان القلق على المستقبل ـ وهم جزء منه ـ عظيما ايضا .

●

ما أريد أن أقوله ، باختصار ، ان ثمة خطأ ما فينا نحن أفرز هؤلاء الشبان ، بكل ما يمثلونه من فكر أو صيغة في الحركة ، ثمة خطأ ما في المعادلة القائمة ، والممارسات القائمة ، رتب اخطاء فتحت الباب لمسلسل المغامرات والحماقات .

ان مجرد وجود هؤلاء الشبان ، على هذه الصورة ، هو شاهد علينا جميعا ، هو قرينة ضدنا ، بل وثيقة اتهام حية تدين الجميع ، فوقيين وتحتيين .

ولا بديل عن محاولة تصحيح الخطأ في المعادلة من الأساس ، فضلا عن ضرورة تصحيح عملية التشخيص ذاتها ، اذ ليس صحيحا أنها أزمة للشباب المسلم ، ولكنها أزمة جيل بأسره ، عبرت عن نفسها بأشكال مختلفة في قطاعات الشباب المسلم وغير المسلم ، بل انها ليست أزمة شباب في الحقيقة بقدر ما هي أزمة واقع عربي محزن ، ازمة امة تبددت احلامها واحدا بعد الآخر ، حتى صارت بلا حلم !

اننا احوج ما نكون الآن الى أن نتذكر ونتمثل هذه الآية الكريمة : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

واذا لم نتغير نحن ، اذا لم نغرس الأمل بأيدينا ، فليس غريبا ولا عجيبا أن يبحث الشباب عن التغيير والأمل خارج المنطق المألوف ، وخارج الشرعية ، وربما خارج العقل ايضا ! ■■



« كيان ساباتاى القديم صعد للسماء ، وبأمر من يهوه ، ترك ملكا يستمر في كونه المسيح



يهود الدونمة

الى الآن يحجون ويصومون ويدخلون المساجد

بقلم : محمد حرب عبد الحميد

لم يعترف اليهود بعيسى عليه السلام مسيحا . لذلك ظلوا ينتظرون المسيح ليأتي ليعيد اليهم ـ كما يعتقدون ـ دولتهم ، ثم ليفرض سيطرتهم على العالم . وكانوا يعتقدون بأن المسيح المنتظر نبيا وملكا ، سيقيم دولة كبيرة ويجبر العالم كله على التدين باليهودية .

وكلمة مسيح ومسيحا في العبرية تعني الرجل الذي طهره يهوه . والكلمة تأخذ في التوراه معاني عامة ، فتطلق على الملوك والانبياء وكل الرجال الذين يقومون بعمل ديني ومقدس . أما المعني الخاص لهذه الكلمة فهو : النبي او المخلص الذي يرسله يهوه لانقاذ بني اسرائيل .



... ولكن تحت جبة وعمامة ! ! »

وقد تسبب هذا الاعتقاد في ظهور كثير ممن ادعي انه المسيح المنتظر مثل : تيوداس الروماني عام ٤٤ ميلادية ، وموسى التكريتي ، وابو عيسى الاصفهاني ، ثم ساباتاى زفي الازميرى (نسبة الى مدينة ازمير التركية) وهو مؤسس طائفة الساباتائية او طائفة يهود الدونمه .

فكرة المسيح المنتظر

ظهر ساباتاى زفي والدولة العثمانية في أحرج أوقاتها : الجنود يعيشون في الارض فسادا ويقتلون سلطانهم ابراهيم (١٦٤٨ م) ، ويسحقون بشدة السخط الشعبي الذى ظهر نتيجة لمقتل السلطان ، وأساطيل البندقية تهدد سواحل الدولة ، والجيوش عاجزة ـ للمرة الثانية ـ عن فتح قلعة فيينا (عاصمة النمسا الآن) .

كانت أوربا تعيش في هذا العهد فترة محاكم التفتيش والحريات الدينية مكبوتة ، أما اليهود الاوروبيون ، فقد كانوا يتعرضون للاضطهاد ، وخاصة في اسبانيا . ولم يجد هؤلاء اليهود حاميا لهم الا الدولة العثمانية وما عرف عنها من تسامح ديني فهاجر الكثير منهم اليها .

في هذه الظروف التاريخية ، وبالذات في عام ١٦٢٦ م ، ولد في أزمير يهودى يدعي ساباتاى ، لأب يدعي موردخاى زفي ، كان يعمل بالتجارة في أزمير منتقلا اليها من المورة في اليونان ، وكان من أصل يهودى أسباني .

في تلك الفترة أيضا قال بعض اليهود بأن حساب الجمل لبعض كلمات واردة في التوراة تقول بأن المسيح سيظهر عام ١٦٤٨ م ، لكي يقود اليهود وأنه سيظهر في صورة نبي مخلص سيحكم العالم من فلسطين ويجعل القدس مركزا وعاصمة للدولة اليهودية .

كان ساباتاى في هذه الظروف قد بلغ الثانية والعشرين من عمره ، فأخذ يعد نفسه ليصبح هو ذلك المسيح المنتظر . ويقول ابراهيم علاء الدين صاحب كتاب ساباتاى زفي : أن هذا اليهودي ـ ساباتاى ـ كان مصابا بحالة صرع ، وكان معتل الصحة والمزاج وكان حاخامات أزمير ينفرون منه .

وفي العام المحدد (١٦٤٨م) فاتح ساباتاى أقرب الاقربين اليه بأنه هو المسيح المنتظر ، الذي تشير اليه اشارات الكتب المقدسة .

وكان الجو الاعلامي الذى اشاعه حاخامات اليهود عن قرب ظهور المسيح المنتظر بالاضافة الى تقري ساباتاى الظاهرة ، وانكبابه على دراسة النصوص الدينية والكتب ذات الصبغة الصوفية اليهودية مع اشتهاره بتفسيرها ، وحالة الصرع التي تنتابه بين الحين والحين ، أقول كل هذا هيأ الجو أمام ساباتاى لاعلان نفسه مسيحا .

وفي عام ١٦٦٣ م ، ذهب ساباتاى الى مصر حيث استضافه يهودي يدعي رافاييل جوزيف ، يعرفه المصريون باسم يوسف جلبي ، وكان هذا يعمل رئيسا للصيارفة بالقاهرة . واستطاع ساباتاى أن يكسب رافاييل الى جانبه ويفيد من دعمه المالي لحركته .

ثم قام ساباتاى بزيارة فلسطين ، وتعرف بيهود القدس عن قرب ، ثم عاد الى أزمير عام ١٦٦٦ م حيث كانت شهرته قد طبقت الآفاق .

وفي أزمير انهالت عليه وفود اليهود من : رودوس ، وأدرنة ، وصوفيا ، واليونان ، والمانيا حيث قلدته هذه الوفود تاج « ملك الملوك » ثم قام ساباتاى بتقسيم العالم الى ٣٨ جزءا ، وعين لكل جزء منها ملكا ، لانه كان يتصور أنه سيحكم العالم كله من فلسطين ، وكان في كل ذلك يوقع بلقب « الابن الوحيد الأول ليهوه » !

عندما أشهر اسلامه

ثم ظهر مسيح آخر يدعي كوهين ، منافسا لساباتاى . تقدم كوهين بشكوى الى القصر السلطاني العثماني مدعيا ان : ساباتاى ، يعد العدة للقيام بتمرد بهدف اقامة دولة يهودية في فلسطين . اصدر القصر العثماني أمرا بالقبض على ساباتاى واحضر الى القصر ، حيث واجه هيئة علمية ادارية برئاسة نائب الصدر

الاعظم وعضوية كل من شيخ الاسلام وواحد من كبار العلماء . وعن طريق مترجم للأسبانية تم استجواب ساباتاى . أنكر هذا كل ادعاءاته . وبين خوفه من العقاب موتا وبين نصيحة العلماء له ، اشهر ساباتاى اسلامه ، وصار يدعى محمد البواب ، لأن السلطان خصص له ريع وظيفة رئيس البوابين في القصر السلطاني . وعلى الفور أرسل ساباتاى نشرة الى أتباعه قال فيها : « جعلني يهوه مسلما ، أنا اخوكم محمد البواب . هكذا أمرني فأطعت، والمعروف أن الكتب اليهودية تقول بان المسيح سيتبعه المسلمون ، ثم قدم اخوه التوضيح الآتي : « كيان ساباتاى القديم صعد الى السماء ، وبأمر من يهوه ، ترك ملكا يستمر في كونه المسيح ولكن تحت جبة وعمامة » .

وعلى هذا ، اطلق الاتراك لقب الدونمه على اتباع ساباتاى . والدونمة صفة تعني العائد) أي الذي أسلم بعد ان كان يدين باليهودية ، متبعا ساباتاى زفي ثم اصبحت الكلمة اصطلاحا يعني المسلم ظاهرا ، اليهودى فعلا وباطنا .

طلب ساباتاى من السلطات العثمانية ، ان تسمح له بدعوة اليهود الى الاسلام فأذنت له ، وانتهزها فرصة فانطلق بين اليهود يواصل دعوته الى الايمان به ويحثهم على ضرورة تجمعهم معلنين في ظاهرهم الاسلام مبطنين الساباتائية .

ثم قدم قائمة ضمت أسس دعوته ، وجهها الى « كل المؤمنين به » صدرها بالآتي : « هذه هي الأوامر الثمانية عشرة التي أمرها سيدنا وملكنا ومسيحنا ساباتاى زفي ، فليزدد شرفه ! » .

من هذه الأوامر : « الايمان بأن مسيح يهوه هو المسيح الحق ولا مخلص غيره ، هو سيدنا وملكنا ساباتاى زفي ، وأنه من نسل داود » و « قراءة مزامير داود سرا كل يوم » و « يجب مراعاة الاتراك المسلمين ذرا للرماد في أعينهم ويجب عدم اظهار الضيق بصوم رمضان أو عند تقديم أضحية العيد ، بل يجب المحافظة على جميع المظاهر الدينية الاسلامية و « ممنوع الزواج من المسلمين » « ومن بين هذه الاوامر ايضا ما ينص على اعتبار اليوم الذى اسلم فيه ساباتاى عيدا يجب الاحتفال به احتفالا بالغا » .

وبناء على تقارير ادارة الامن العثمانية حول اقامة ساباتاى الطقوس اليهودية مع أتباعه ، تم نقله الى البانيا . وهناك وفي ١٦٧٥/٩/٣٠م مات المسيح المزيف والمسلم المزيف، زعيم طائفة الساباتائيين : ساباتاى زفي وهو يبلغ من العمر ٤٩ عاما . ولا يزال اتباعه الى اليوم يقفون على ضفاف الأنهار ـ ساباتاى دفن على ضفة أحد الانهار ـ ويدعون قائلين : ياساباتاى زفي اننا ننتظرك » .

هم والمسلمون

عاش هؤلاء اليهود مختلفين عن المسلمين ، لكنهم يؤيدون الشعائر الدينية الاسلامية الظاهرة فيصومون أحيانا ، ويحجون أحيانا ، ويدخلون المساجد والجوامع للصلاة احيانا ، وكانت لهم عاداتهم الخاصة منها لبس الاحذية بدون كعوب وحلق شعورهم بالموسي . كما يحتفلون بعيد الخروف (اعيادهم عشرون) وهذا العيد يحدث في ٢٢ مارس دائما حيث يشترط تساوى العدد بين النساء والرجال المتزوجين . يذبحون خروفا ويلهون ، ثم تطفأ الشموع ويسود الظلام . والاولاد الذين يولدون في هذه الليلة يكتسبون قداسة . وان قال أحد حاخامات سلانيك في معرض احتجاجه على هذا العيد ان : « من المحتمل أن يكون نسل المحتفلين بهذا العيد هذه الليلة ، نسل غير مشروع » (انظر ابراهيم علاء الدين في كتابه ساباتاى زفي ومقالة رشدى قرقاش زاده ـ وهو من يهود الدونمة في هذا الخصوص بجريدة وقت التركية ، استانبول ١٩٢٤) .

ويهود الدونمه ثلاث فرق : اليعاقبة والقراقاشية والقاباتجية ، ولهم لغتان تركية للتعامل مع الاتراك ، واسبانية للتعامل فيما بينهم ولكل منهم اسمان اسم يهودى خاص واسم اسلامي رسمي عام !

وقد توصل حكمت طانيو ، عند محاولته دراسة يهود الدونمة من خلال شواهد مقابرهم في أزمير الى حقيقة هامة ، وهي أن التجار من يهود الدونمة أخذوا يتزاوجون

من العائلات التركية المسلمة العريقة والغنية والمعروفة في عالم التجارة ، وكان المعروف ان حالة أو حالتين كانتا تعد في حكم الندرة التي حدث فيها زواج بين الدونمه والمسلمين ، أبرزها زواج زكريا سرتل الكاتب التركي المعروف بصياغة سرتل وهي يهودية من الدونمه .

ويجب ملا حظة أن ليهود الدونمه في تركيا مدارس خاصة بهم صباحية وداخلية ، كما ان لهم مقابرهم الخاصة .

وقد تركزت جهود يهود الدونمه منذ الحرب العالمية الاولى في دفع عجلة التغريب في الحياة الاجتماعية التركية ، بدأوا بالحرب على الحجاب وشجعوا سفور المرأة في المجتمع العثماني المحافظ (عام ١٩١٤) وكانت حجة اعلامهم وقتها « ان الحجاب ليس من الاسلام وانما انتقل من الروم الى المسلمين » انظر مجلة سبيل الرشاد العدد ٤٠٦ عام ١٩١٩ م .

وفي فترة الهدنة التي أعقبت الحرب العالمية الاولى ، قام اعلام يهود الدونمة بالدعوة الى طرح قضية اختلاط الشباب بالفتيات في جامعة استانبول كمظهر أوربي غربي ، ثم بذلوا جهدا كبيرا في اقناع الرأى العام العثماني بذلك (المصدر السابق) .

صحيح ان مصطفى كمال اتاتورك هو اول من اوجد في تركيا مسابقة الجمال كمظهر اوربي لاثبات ان « جمال المرأة التركية الذى تخفيه تحت الحجاب يضارع جمال اجمل نساء العالم » الا ان يهود الدونمه هم الذين تبنوا فكرة مسابقة ملكة جمال تركيا الى اليوم .

ومسابقات « ملكة الجمال » المحلية (في تركيا) واشتراك تركيا في المسابقات العالمية من هذا النوع وهي مسابقات خرجت عن النطاق المحلى تقيمها جريدتا « مليت » وكون أيدين « التركيتين اللتين يملكها يهود الدونمة .

في الحياة السياسية

يبلغ عدد يهود الدونمه في تركيا الان حوالي (٣٠،٠٠٠) نسمة لهم تأثيرهم في كل مجالات الحياة في البلاد (حكمت طانيو ، الاتراك اليهود عبر التاريخ ج٢ص١١٥٦/٥٧ استانبول ١٩٧٦) .

ومنذ اسلام ساباتاى الظاهرى ويهود الدونمه يحتلون مراكز هامة في الدولة مثل : منصب أمين الترسانة البحرية وأمين الصرة وكتخدا القصر وكتخدا المدينة .

وفي حركة حزب الاتحاد والترقي في أواخر عهد الدولة العثمانية ، اندس فرع القاباناجية من يهود الدونمه في خلايا الحزب ، وأداروا الجزء الاكبر من انقلاب تركيا الفتاة الذى اطاح بحكم السلطان عبد الحميد الثاني ، وافسح المجال لحكم جمعية الاتحاد والترقي والحكم العلماني (انظر مجلة محراب التركية عدد (٥) عام ١٩٢٤) .

ومن أبرز أسماء الدونمه في الحياة السياسية التركية في بدايات هذا القرن : قراصو عضو اللجنة التي قابلت عبد الحميد لخلعه . وقراصو كان مسئول جمعية الاتحاد والترقي عن اثارة الشغب ضد عبد الحميد لتهيئة الفرصة لعمل الجمعية الثورى ؛ وهو ذاته الذى باع ليبيا لايطاليا بعد أن خان دولته العثمانية نظير رشوة من الايطاليين » انظر مقدمة كتابي مذكرات السلطان عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٧٩ » .

هناك أسماء أخرى كثيرة من يهود الدونمه برزت في شتى فروع الحياة في تركيا منها : محمد جاويد : وزير المالية في عهد الاتحاد والترقي ونزهت فائق وهو ايضا احد وزراء مالية العهد ذاته ، ومصطفى عارف أحد وزراء داخلية الاتحاد والترقي ، ومصلح الدين عادل وكان مستشارا لوزارة التعليم التركية واحد اساتذة الحقوق .

يهود في اجهزة الاعلام

وأبرز عائلات الدونمه في تركيا الآن عائلات : قبانجي » و « كبار » و « إبيكجي » . وهذه الاخيرة لها مكانتها الضخمة في الحياة الاعلامية في تركيا .

أن تأثير الدونمه على هيئة الاذاعة والتلفزيون التركية ضخم بدرجة ملحوظة ولا يمكن انكارها . ومن الثابت أن أكبر دور النشر وأضخم دور الصحف التركية يمتلكها ويديرها الدونمه .



Alitalia

Milliyet
Halk Gazetesi

Evine giderken silahlı saldırıya uğrayan

ABDİ İPEKÇİ ÖLDÜRÜLDÜ

SALDIRI HER YERDE KINANDI

KURŞUNUN KIRDIĞI KALEM

لقد كان أول اسم صحفي من يهود الدونمه ، يخرج من نطاق المحلية الى العالمية هو : احمد امين يالمان (سلانيك ١٨٨٨ ـ استانبول ١٩٧٣) ، الذي أسس عدة صحف ومجلات هامة ، واشترك في بعض المؤتمرات الصهيونية بالولايات المتحدة الامريكية . وتبنى اثناء الحرب الاولى الدفاع عن قيام دولة أرمنية ودولة كردية تقتطعان من الاراضي التركية . كما نادى بعد الحرب العالمية الاولى بضرورة قبول تركيا الحماية الامريكية . وناصر أيضا قضايا الماسون الاتراك ودافع عن قضايا الشيوعيين الاتراك ، وعن أمن اسرائيل ، ونشط في الدعاية للصهيونية . كما كان معاديا للاسلام وللمسلمين حتى أن الشاعر التركي يزن توفيق هجاه بقصيدة مطلعها : « أحمد أمين ، دونمه خبيث يقذف بالطين اهل الشرف (راجع حكمت طانيو ، المرجع السابق ص ٢٤٥ - ٣٤٩) .

وآخر اسم كبير منهم في الصحافة هو عبدي ايبكجي ، أشهر اسم صحفي في تركيا في الفترة الاخيرة ، وهو من عائلة ايبكجي ، اشهر عائلات يهود الدونمه . تولى عبدي ايبكجي عام ١٩٦٤ ادارة تحرير جريدة « مليت » الصباحية اليومية كما ترأس نقابة الصحفيين الأتراك . وكان عضوا في اللجنة التحضيرية لقانون أخلاق الصحافة وكان الامين العام لديوان الشرف الصحفي . وكان لعبدي ايبكجي شهرة عالمية اذ أنه كان عضوا بمجلس ادارة معهد الصحافة بزيورخ (اي . بي . اي) المعروف بسيطرة اليهود عليه . وفي عام ١٩٦٨ م عين عبدي ايبكجي عضوا في هيئة التدريس بمعهد الصحافة بجامعة استانبول .

اغتيل عبدي ايبكجي في ١٩٧٩/٢/٢ فاهتزت تركيا جميعا لمقتله ، وبعد مضي حوالي خمسة اشهر على حادث الاغتيال ، قبض على قاتله ، وكانت اول مرة في تركيا ـ منذ ان عرفت الصحافة ـ يتم القبض على قاتل احد اساطين الصحافة .

ويمتلك يهود الدونمه مؤسسة جريدة (حريت) ، وهي توزع يوميا ما بين ٨٠٠٫٠٠٠ نسخة ومليون نسخة ، وهي تأخذ مكانتها بين اكثر (٢٠) صحيفة في العالم توزيعا . وصدر العدد الاول منها في اول مايو ١٩٤٨ وشعارها : تركيا للاتراك (انظر موسوعة لاروس ، الطبعة التركية مادة حريت) . وهذه المؤسسة تملك دار نشر معروفة كما تملك أيضا عدة مجلات دورية ، أسبوعية وشهرية وسنوية مثل هفته صونو (نهاية الاسبوع وهي فنية) وبيللربويو (مجلة التاريخ وهي شهرية) . ومؤسس « دار حريت » للصحافة والنشر هو « سداد سيماوي » من يهود الدونمه ، ولما مات اخذت اسرته تدير هذه المؤسسة الى اليوم .

جريدة (كون آيدين) ترجمة اسمها حرفيا هو : صباح الخير) وهي صباحية يومية تطبع (٥٧٠) الف نسخة يوميا وهي ثاني صحف تركيا ـ بعد حريت ـ توزيعا ويملكها الدونمه .

وجريدة مليت رابع صحف تركيا توزيعا ، وأكثر صحف اليسار التركي اعتدالا ، يملكها يهود الدونمه وتتبع الجريدة مجلة صنعت (الفن) الاسبوعية ، ودار نشر مليت بسلاسلها المشهورة .

وجريدة (جمهوريت) الصباحية اليومية ايضا ، يطلق عليها ايضا « برافدا تركيا » لغلبة الصبغة الماركسية عليها ، أسسها يونس نادي اليهودي وكان يديرها نوري تورن ، ثم سيطر على ادارتها بعد عام ١٩٧٢ : رشاد اتابك وكلاهما يهودي دونمه .

وفي جريدة (ترجمان) ثالث الصحف التركية الصباحية اليومية توزيعا يبرز اسم عثمان كبار ، وهو من عائلة (كبار) اليهودية الدونمه ، وكان هذا الصحفي والكاتب البارز رئيسا لبلدية أزمير قبل امتهانه الصحافة .

يهود الدونمه والماركسية

في عام ١٩٤٥م أسست الصحفية اليهودية الدونمه صابحة سرتل جريدة (طنين) الشيوعية . كان لصابحة قلمها المعروف وكان لها اسهام كبير في نشر الفكر الماركسي في تركيا واضطرت صابحة سرتل عام ١٩٥٢ للهروب الى الاتحاد السوفيتي ، وظلت هناك حتى ماتت في مدينة باكو عام ١٩٦٨م .

ثم قام اسماعيل جم إيبكجي بتأسيس جريدة (بوليتيكا) اليومية الصباحية وتصدر من استانبول (يلاحظ ان الصحف التي وردت اسماؤها من قبل تصدر كلها في استانبول) واسماعيل جم يهودي دونمه ، وهو من أبرز الكتاب الماركسيين الاتراك إن لم يكن ابرزهم . وكان يعمل في جريدة « مليت » كما كان مديرا لهيئة الاذاعة والتلفزيون التركية حتى قامت حكومة الائتلاف الوطني عام ١٩٧٥ ، فطردت اسماعيل جم من منصبه رغم تأييد رئيس الجمهورية ـ فخري كوروتورك ـ له . (انظر كتابي يهود الدونمه ص٥٤) وقد لخص فاروق تيمور طاش الاستاذ الجامعي والكاتب ذو الاسم اللامع دور اسماعيل جم بقوله : « المفروض رسميا ان تكون هيئة الاذاعة والتلفزيون التركية جهازا محايدا لكن اسماعيل جم ، وجه الجهاز فكريا الى الدعوة لفكر اليسار المتطرف ، وحزبيا الى تأييد حزب الشعب الجمهوري والدعاية له (هو اكبر الاحزاب اليسارية في تركيا) . (انظر نصرت ك . احزابنا وقادتها ص ٨٢ ، استانبول ١٩٧٥) .

يهود الدونمه واسرائيل

وكان من الطبيعي ان تدافع اجهزة الاعلام الخاضعة للدونمه عن اسرائيل وتشتد في تبني وجهات نظرها في كل مواجهة لها ضد العرب ، وتبرر اعتداءاتها على البلاد العربية خاصة مثلما حدث في اعتداءاتها على جنوب لبنان (انظر حكمت طانيو المرجع السابق ج ، فصل الدونمه) .

وقد نجحت اجهزة اعلام الدونمه في ايجاد رأى عام تركي مؤيد لاسرائيل وغير متعاطف مع العرب . ويستثنى من هذا التعميم حزب السلامة الوطني . اذ ان هذا الحزب ينادي بسحب اعتراف تركيا باسرائيل وضرورة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وتدعيمها واقامة علاقات قوية مع العالم العربي ، والاسهام في التكاتف العربي والاسلامي من اجل تحرير فلسطين .

وهنا ايضا يجب القول بان اجهزة اعلام الدونمه تعمل على خدمة اليهودية العالمية فمن مقالات سامي كوهين (يهودي ومدير الشئون الخارجية بجريدة مليت) الى عرض افلام التنديد بمعاداة اليهود في التلفزيون التركي ، خاصة في عهد ادارة اسماعيل جم . تلحظ دفع هذا الاعلام الى العطف على اسرائيل واليهود .

يقول حكمت طانيو : « ليس من الصعب على صاحب الحس السليم احصاء هؤلاء العملاء من يهود الدونمه الذين يعملون ضد تركيا تحت اسماء متعددة منها : جمعية الاتحاد اليهودي العالمي والمنظمة الصهيونية ، ومنظمة رأس المال العالمي واسرائيل » . (المرجع السابق ص ١١٥٦) .

ان ابرز شخصية نسائية في الادب التركي الحديث والمعاصر ، يهودية من الدونمه هي خالدة أديب كان أبوها يهوديا دونمه يعمل في القصر السلطاني ، وكانت خالدة ذات شخصية نافـذة وعلى قدر كبـير من الجمال . واستطاعت عن طريق صلتها الشخصية بجمال باشا حاكم سوريا العسكرى في الحرب العالمية الاولى وأحد القادة البارزين في الاتحاد والترقي ان تفرض وهي مديرة مدرسة البنات في بيروت ، تمثيل اوبرا ((رعاة كنعان)) وهي من تأليفها (يلاحظ أنها أول اوبرا غنائية في الادب التركي) . كانت خالدة اديب المديح فيها لليهود وسجلت فيها تمنياتها بقيام دولة يهودية في فلسطين .

وكان هذا التمثيل بحضـــور قادة جمعية الاتحـــاد والترقي وفي منطقة عربية هي بيروت اثناء الحرب العالمية الاولى ، وكان كل هذا كفيلا بايذاء الشعور العربي والاسلامي .

وقد وصفت أوبرا رعاة كنعان لخالدة أديب بأنها نوع من (البشرى ! تعلن قرب قيام اسرائيل) (عن خالدة اديب ويهوديتها انظـر منـور عياشلي ايشتكلـرم .. استانبول ١٩٧٣) .

وكانت خالدة اديب قد بدأت اظهار عدائها للحركة الاسلامية ولعلماء الدين الاسلامي الذين عارضوا الحركة الكمالية ، واتاتورك ، برواياتها اضربوا الغانية . (انظر منور عياشلي ، المرجع السابق)

اشتركت خالدة اديب ، في حرب الاستقلال التركية برتبة (اومباشي) ثم (جاووش) ثم كانت لها اسهامات بين الجنود خطيبة ومواسية لهم ومرفهة عنهم ، كما كانت صديقة شخصية لمصطفى كمال اتاتورك . وعبرت عن حرب الاستقـلال بمفاهيمها في روايتها (قميص من نار) .

لكن خالدة اديب اختلفت مع اتاتورك « ولم يكن اختلافها في طريقة التفكير ، بل انه لم يتجاوز كونه خلافا بين رجل وامرأة (عن فالح رفقي وهو صديق اتاتورك ـ انظر السيدة منور عياشلي المرجع السابق وكتابي يهود الدونمه ص ٥٤ ـ ٥٦) .

ماتت خالـدة اديب عام ١٩٦٤م ، بعد ان تركت مدرسة ادبية واجتماعية تحـذو حذوهـا ، واقـام لهـا الجمهوريون تمثالا نصفيا يقوم الآن بجانب جامع اياصـوفيا (حـول الى متحف) وفي مواجهة جامع السلطان احمد .

أمن هدف آخر بعد قيام اسرائيل

يقول عبد الرحمن كوجوك في رسالته للدكتوراه عن الدونمه من الناحية العقائدية : « ان هرتزل تعقب خطى ساباتاي زفي . نجح هرتزل في السيطرة على فلسطين وحقق لليهـود هدفهـم القـريب وهـو تجميع اليهـود في فلسطين باقامة دولة يهودية فيهـا ، وامتـلاك « المعبد المقدس » عام ١٩٤٨ . ومن ثم فقد اتجه يهود الدونمه الى العمل نحو هدفهم التالي لهذا وهو تحقيق فكرة « السيطرة على العالم » وفي هذا يتفق كل اليهود . (عبد الرحمن كوجـوك دونمـه لك ، ص ١٩٣ ، استانبـول ١٩٧٩) . ■■

استانبول ـ محمد حرب عبد الحميد

الوحدة افضل

● تضايقت الفتاة من صحبة الشاب الذي يمضي الليلة معها .. فقالت له :

ـ هيا نذهب الى مكان ، يستطيع كل منا ان ينفرد بنفسه فيه !

رواية جبرا ابراهيم جبرا



صراخ في ليل طويل

بقلم : الدكتور علي الراعي

نحيا مع امين ، بطل رواية جبرا ابراهيم حياته الصاخبة ، القلقة ، المفاجئة . في كل لحظة له فكرة ، خاطرة ، حادثة ملاحظة صائبة او خاطئة تقلب الموقف رأسا على عقب ، او في القليل تغيره .

يستعرض امين رواد مقهى ذهب اليه ليستريح فيجيء ذكر رجل وزوجته . الرجل ، رشيد بطرس ، اصبح في الأونة الاخيرة يزعج « امين » بحذلقته وصوته المرتفع . وزوجته دانية ليست اقل ازعاجا ، بسبب علاقة غرامية بينها وبين امين ، لم تستسلم له فيها الا بعد ان سئم رؤية وجهها !

ملاحظة عابرة عن دانية ، ولكنها تباغتنا اشد المباغتة ، وتقول في طريقتها العابرة : ان المرأة ان لم تستسلم تصبح مزعجة . تقول هذا على السطح ، ولكنها في العمق تمهد لما نعرفه من بعد عن دانية : انها لا تضيع شيئا من فرص الهوى ، وان طبيعتها الزانية طوحت بها في كثير من العلاقات البشعة .

صورة صغيرة ترسمها ريشة جبرا في سرعة فائقة وتضع فيها صورة الزوج المخدوع ، اذ يحيط زوجته بذراعيه ، ويداعب عنقها ويمد اصابعه الى خدها وشفتيها وشعرها ثم يعقب في وثوق على كلام امين : « مسكين يا امين تتكلم كالملدوغ » .

وكان امين قد عرض على اصدقائه رواد المقهى رأيه في المرأة : انها كتلة من اللحم الحساس . في لمسها لذة ، وفي رسمها لذة . فجسمها كثير العطفات . وملابسها متعددة الالوان وجسدها شغلها الشاغل ، تحميه وتعطره ،



وتحمله معها اينما ذهبت كحمل ثمين لكي تنزله في النهاية في فراش احد الرجال . فاذا تغضن الجسد وترهل ، فالعاطفة المتأصلة فيه تظل نهمة لايخبو لها اوار .

اما الرجل فعاطفته انفجارية غير منتظمة ، ولا يشغل جسده الا جزءا من وقته . هنالك اصدر بطرس رشيد حكمه الآنف الذكر على امين : مسكين يا امين تتكلم كالملدوغ .

حياة الذهن والحس

كان امين قد لدغ حقا ، لدغ من سمية ، زوجته ، امرأة شابة عبقرية الروح والجسد . ضاقت بغنى والديها وهي بعد على عتبة الثامنة عشرة ، فتمردت عليه وعليها وتركت القصر الكبير وحديقته الفاخرة الواسعة . واحبت من الاشجار ما كان ملتف الفتن . يتفجر من الارض بما فيه من قوة كامنة . فكانت تتردد على الحرش ، وتتمنى لو تستطيع الرسم فترسم تلك الجذوع الملتوية الجبارة . ثم اعتبرت جسمها شجرة تشعر بالعصارة تتوثب في اعضائه ، وازهر جسمها فاعتزت بنوره وهي صامتة . ولما اكتمل عودها كانت هيفاء فارعة كما تشتهي . وحالما التقت بامين حل الحب الى جسدها وذهنها دفئا كدفء الشمس ، فانضج فيه حسنا جديدا وصفته لامين بقولها : « ها قد أثمر الآن » ثم ارتمت بين ذراعيه .

كان امين يسعى من وراء علاقته بسمية الى توافق لو تم لانسان لطالت يداه النجوم ، كان يريد ان يجدل حياة الذهن مع حياة الحس . كان هو الذهن وكانت سمية

الحس ، ولأنه كان يحبها اشد الحب ، يشتهيها كل الاشتهاء ، فقد رأى فيها ماليس فيها . حينا قص عليها ايامه الباكرة الفقيرة ، حين كانت أقصى أمانيه وأماني أمه أن لا تموت خراف ثلاثة ربيأها وأملا من ورائها ربحا قليلا يسد الرمق ، ويتيح للولد ان يمضي في دراسته في المدرسة . قالت له سمية في براءة انها لم تلمس خروفا بيدها قط ! ثم اخذت تقص عليه طرفا من انباء حياتها المحمية المدللة . علمها أبواها كبرياء لا مبرر لها ، ولقناها العزف على البيانو دون ان يكون لها موهبة العزف . ثم اصبحت حياتها من بعد حفلات اجتماعية وفساتين سهرة ، واقراطا وعطورا واحذية وبعض المعجبين . لم تقرأ في حياتها كتابا ذا بال ، ولم تعرف الكتب الا ماحدثها الناس به .

ولكن « أمين » يلقي ستارا كثيفا على هذا كله ، ويمضه غياب الشعر والعمق في حياة سمية ، فيبتدع من اجلها صورة يرسمها خياله ، الوثاب . صورة لها ، وهي في السادسة عشرة والسابعة عشرة كفتاة تغذي في خفايا صدرها رؤى شعرية تستمد منها هوى ومتعة .

ويعيش الاثنان حياة هانئة ، حافلة بالمتع . لقد اخذ امين يرى في الدنيا جمالا جديدا ويتذوق لذة ما كان له عهد بها في المدينة . وما اسرع ما وجد نفسه جزءا من طبقة اجتماعية جديدة . نسي الفقر ، وغاب عنه تماما انه لم يعرف عن سمية الا ما كان هو نفسه قد اضفاه عليها من اوهامه اللذيذة .

لا تقلق !

ويعود امين ذات ليلة ـ ذات صباح في الواقع ، بعدما انفق الليل بطوله في حيه القديم يكافح فيضانا من ماء المطر وطفح المجارى اجتاح الحي الفقير الذى كان يعيش فيه يوما ما واودى بحياة بعض اطفاله ـ عاد من هذه المغامرة التي ردته ساعات الى حياة الجماعة المتماسكة المتراصة ، داخل منزله في هدوء حتى لا يزعج سمية ، فوجد ان سمية قد تكفلت هي نفسها بازعاجه ، فراشها لم يمس . وورائها تركت اكثر ثيابها . لم تحمل معها الا حقيبة واحدة كانت قد اشترتها من اسابيع وادعت انها قد يحتاجان اليها في عطلة الى الجبل .

لم تترك سمية وراءها اثرا يستدل منه على شيء . لم تترك سوى ورقة زرقاء كتبت فيها ثلاثة اسطر : لا يقلق ، فانها قد غادرت من تلقاء نفسها .

لا يقلق ! لقد انفجرت حياة امين انفجارا ، وبدت السعادة في حطامها كشظايا الزجاج ، وانتشرت من حوله اشلاء الناس . ربط امين ـ لسبب لا يدريه ـ بين بلواه الشخصية وبين بلاوى الناس المطحونين ، يحملون باجسامهم الضامرة هيكل المدينة ويقذفونها بدمهم ولحمهم ويملأون الارض بافراخ صغيرة ودموع غزيرة ، بينا هو يتأمل جثة الحب المهشمة ، يدب اليها الفساد ويصيب حياته بلوثة لا يجد لنفسه خلاصا منها .

وعجز أمين عن تحمل الصدمة ، وليلة بعد ليلة كانت سمية تأتيه في الخيال عارية عارية ، فلا يستطيع النوم . قتلها الف مرة ومرة في احلامه وقطعها تقبيلا الف مرة ومرة ، ثم احتج من بعد على نفسه اذ تربط بين بؤس الآلاف من سكان المدينة ، وبين هزيمته في الحب ، اولى به ان يبحث عن سبب لخيانة سمية ، أهو مالها ؟ فراغها ؟ حماقته في عجز عن رؤية حقيقتها ؟

انفجار آخر

والى جوار هذا الانفجار في حياة امين ، يضع جبرا ابراهيم جبرا انفجارا آخر في حياتي شخصيتين رئيسيتين من شخصيات روايته الفاتنة هذه ، شخصية العجوز المثرية عنايات هانم واختها الاصغر سنا ركزان .

كلاهما من اسرة غنية ، اصلها ضارب في القدم ، كانت الاسرة ذات سلطان ما لبث ان فقدته وان بقي لها المال . ومات افراد الاسرة واحدا وراء الآخر ، ولم يبق من اعقاب الاسلاف غير هاتين المرأتين ، عنايات وركزان . الاولى اغتالها الاسلاف اغتيالا ، فتعلقت بتاريخهم ومنجزاتهم وفضائحهم ، وافراحهم وتفاهاتهم ، وانفقت عمرها كله سعيا وراء كتابة تاريخهم . أضاعت شبابها ونور عينيها في تفحص الاوراق الصفراء والمخلفات العفنة التي تحويها سراديب قصرها الكبير .

واوقت علي الخامسة والخمسين ولما تبلغ بعد ما أرادت من تخليد ذكرى اسرتها المبجلة . ورغم انها استعانت بامين في كتابه تاريخ الاسلاف الاشراف الانذال ، فان الهدف كان منها بعيدا ، ما يزال .

اما ركزان ، وهي تصغر اختها بخمس عشرة سنة ، فقد قررت ان تخلد تاريخ الاسرة بطريقتها الخاصة : سعت الى المتعة من كل سبيل ، واتخذت لنفسها العشاق بعد العشاق . واقسمت لا تضيعن من أيام حياتها اياما لا تذوق فيها المتعة . فهذا نوع من متابعة بعض افراد الاسرة في سلوكهم ، واحدهم اثبتت الوثائق انه اغتصب احدى قريباته العذارى ، بينما كان بين نساء الاسرة غانية رائعة الشخصية سببت عددا من الفضائح ، اضطرت بعدها الى السفر الى اوروبا . وتموت عنايات هانم فجأة ، وتستدعي اختها ركزان « امين » ليلقاها امين في القصر ، وهناك تفاجئه بانها قررت احراق مخلفات اسرتها جميعا وانقاذ ما بقي من ايام حياتها من حكم الموتى وظلمهم فليست هي عنايات . ولا لها حقها وانجذابها المريض الى الماضي ، انما هي تريد ان تحيا « الآن ، هنا ، وفي اللحم » ، كما كان د . هـ لورنس يقول . ولذا فهي تعرض عليه ان يتزوجها وان تبيع القصر وتبتني لنفسها سكنا احسن واكثر عصرية ، فماذا يقول امين ؟ انها تدع له مهلة يفكر فيها حتى الغد .

وعاد امين الى بيته خلال الرعد والبرق والمطر. ولكنه كان يحس ان سحب نفسه قد اخذت تنجاب ، وان في اعضائه خفة وفي رئته نقاوة ، كان كمن ابل من مرض طويل واخذ يمر بمرحلة النقاهة فادرك البيت منتعشا . ولكنه لما دلف الى فراشه ، جافاه النوم ، واخذت رؤى الحب تخايل عينيه . رأى العشاق ينتظرون الزورق لينقلهم الى جزيرة الفرودبتي ، ورأى زهرة صفراء تعوم حول الزورق ، ثم تفتحت اوراقها وصعدت بينها سمية وشعرها مزين بالاقاحي ، لتقود سفينة العشاق . ولكن وريقات الزهرة ما لبثت ان تساقطت ، وغرق العشاق في النهر ، واختفت سمية .

غضب على الحياة

غير ان « امين » يمد يده في الفراش فيحس بجسم سمية يلامسه ، ويحلم انه يتلمس بيده شفتيها ونهديها ، وتعبث اصابعه بشعرها ، ويسمع سمية تقول : سنتين سنتين كاملتين فيقول امين عشر سنوات . عشرين . خمسين . لماذا . لماذا هربت مني ؟ لماذا ؟ فتقول سمية لن اهرب ثانية . لن اهرب يا امين . ومرة ثانية يتحسس امين الجسم النائم الى جواره ويعجب كيف يجسد الوهم الحلم ويجعله حقيقة ثم يفتح عينيه فجأة وقد اصابه الرعب ، ويصيح باعلى صوته : سمية لقد كانت سمية الى جواره بالفعل جسدا حيا لاوهما ولا خيالا .

جاءت سمية ثانية ، نائمة ، توسلت ، واعتذرت ، واملت ان تتصل الاسباب من جديد بينها وبين زوجها ، ولكن الجرح اعمق من ان يلتئم . كان الحب قد لفه الكره وغدا غضبا على الحياة ذاتها .

وبينما ترجو سمية وتتدفع فيدفعها امين ويقصيها ، تنشق السماء باصوات انفجارات متوالية . كانت ركزان تحطم قصر اسلافها ، وتحرق ثيابهم الموبوءة ، أملة في حياة جديدة .

ويسمع امين الانفجارات تحطم الاسلاف وماضيهم المجيد المشين ، فيجد هو الآخر ان ماضيه قد تفجر ، ان سمية قد تحطمت . انه بدوره يستعيد حريته من اسار الماضي .

واذ تأتي ركزان لتعرف رأى امين في فكرة الزواج يصدها عن نفسه ، بحزم ويأبي ان يرتبط بها بزواج . وتخرج المرأتان من حياته ، ويمد بصره ليجد الطريق خاليا ولكنه لا يظل خاليا طويل وقت ، ما تلبث جموع الناس ان تملأه ، كلهم هائم على وجهه يبحث عن نهاية لليل طويل ، وبداية لحياة جديدة .

تسير احداث الرواية سيرا هينا ، رخيا ، بفضل شاعرية النظرة التي تلهم جبرا ابراهيم جبرا ، وبفضل حبه العميق للحياة والاحياء ، وهو حب يخطط له الرواية ، ويجعل لها شكلا .

فـال حوار مترق الماضي من امثال عنايات وركزان ـ اللتين تعيشان في عفن الامس أوعفن اليوم ، هناك فراغ مترق الحاضر ، من امثال رواد المقهي ، وهم اخلاط من الناس ، تجمع كل غريب وصل وشاذ من

الناس . الرسام فارس الذي رسم صورة تجمع بين الجمال القديم المكتنز، وجمال ممثلات السينما، واسماها: « امرأة في امرأة » ـ جسم نحيل ونهدان صغيران وعجيزة ضخمة كعجيزة البقرة، ولكنها مع هذا تغرى على اللمس ـ هكذا وصفها للحضور. عمر: شاب عجيب ـ كما تصفه الرواية نبغ في الدراسة فتخرج في الجامعة قبل العشرين، وجال في البلاد العربية وجزء من اوروبا سنتين، ثم عاد الى المدينة رمزا جميلا للتهكم والسأم. يعجب به الرجال والنساء، ولكنه هو لا يعجب الا بما يسميه جحيم الزقاق، فقد كان مفتونا بمنظر الفقر وشقاء الناس في الاحياء التي رانت عليها الفاقة والقذارة ...

هذا الضجر

وبطرس وزوجته الزانية ـ بطرس هذا يعبد التقدم الآلي، ويجده مصدر كل خير، ولكنه يفاجيء الحاضرين بقوله: ان من الواجب تلقين الناس كيف يصفعون ارداف نساء جيرانهم دون ان يسمع الصفع. يجد الكثيرون في ذلك لذة، فضلا عن العلم.

في احاديث هؤلاء الفارغين، ووراء ارائهم الصاخبة والداعرة والمقززة احيانا، يكمن شيء قاس ورهيب اسمه: الضجر.

ويعود امين الى ماضي اسرته فيجد ان اباه لم يعرف الضجر يوما ما. بل لم تجر كلمة ضجر ابدا على لسانه كان جزءا من الفصول: الربيع بازهاره واغانيه والصيف بحصاده وشهواته، والخريف بزيتونه واعراسه والشتاء بزمهريره وتوقعاته فاى حذر هذا الذي يتحدث به اهل المدينة حين يذكرون ملذات الجسد وهم لا يعرفون منها عشرها!

بين الطائفتين الفارغتين يضع جبرا ابراهيم جبرا جموع الناس. أولئك المجاهدين الصامتين الذين يتشاجرون لاتفه الاسباب، ويعودون الى الود وكأن لم يكن بينهم عداء. أولئك الذين تعاونوا على درء خطر فيضان المطر وطفح المجاري ـ اولئك يشقون كثيرا ويسعدون في لحظات نادرة، ومع ذلك فالحياة لهم، واللذة باوسع معانيها.

ان « صراخ في ليل طويل » قصيدة حب لهؤلاء، وقصيدة هجاء يتحول احيانا الى رثاء لفارغي العقل والقلب من مترفي الماضي والحاضر، والقصيدتان تشكلان خلفية مؤثرة لقصة الرواية الرئيسية: غرام الذهن بالحس وخداع العقل للقلب، المتمثلان في: حب امين لسمية، الجسد العبقرى الفارغ من العقل. وهي قصة وصفها امين ـ بحق ـ بأنها مسرحية ميلودرامية، والواقع ان تعرف امين الى سمية في دغل لجأ اليه الاثنان ذات يوم ماطر، وذهابهما من بعد الي منزل الابوين كي يخطبها امين رسميا من والديها، والمشهد العاصف الذي جرى بين الام والخطيب والذي دفقت عليه الام فيه سيلا من الاهانات والشتائم، ثم انتهي المشهد بان جمعت سمية حاجياتها ومضت مع حبيبها لا تلوى على شيء. كل هذا هو بعض ما لدى الميلودراما من صنعة تبلغ قمة الأثر في ذلك الجزء من الرواية الذي يحلم فيه امين بسمية ويتحسسها بالخيال فاذا به يكتشف مذعورا انه يتحسس الحقيقة!

والى جوار هذا تستعين « صراخ في ليل طويل » بتكتيك الرواية الحديثة: تداخل الازمنة وتداخل الاماكن. تواجد الماضي مع الحاضر، وتجاور الوعي واللاوعي، والاهتمام بالتفاصيل التي تبدو عابرة ولكنها ذات دلالة مثل الرجل الذي يهجم على امين مصافحا ومرحبا وقد ظنه صديقا له قديما، ثم ينكسر الرجل من بعد ويشعر بالخزي لبرود امين وقلة ترحيبه ـ فهذا تفصيل يبدو زائدا ولكنه يشير الى نغمة اساسية في الرواية تلك هي: تفسخ العلاقات بين الناس، وقلة حبهم لبعضهم البعض. وهي نغمة يردفها ويعمقها تفصيل آخر عابر يتمثل في القوادة المتعبة التي عرضت على امين وهو في قمة شجنه على فراق سمية، فتاة جميلة تؤنس ليلته! فهذا التفصيل العابر يشير الى ان الحب في مجتمع اليوم لا ينبثق تلقائيا وانما يشترى ويباع.

وبفضل هذا التكتيك الحديث يصغر حجم الرواية ويتضاعف اثرها، ويتكثف اسلوب التعبير فيها حتى يبلغ الشعر. انها حقا رواية حلوة وراء طعمها المرير. ■■

علي الراعي



أمين نخلة :

اناقة الشعر وعذوبة النثر

بقلم : عبد الله الشيتي

■ اذا كان الشاعر حالة ، كما عرفوه ، فان امين نخلة ، شاعر لبنان الراحل ، كان ذا حالة متميزة ، بين شعراء عصره ، يصدر عن مزاجية فريدة البيئة ، يكسوها طبع الفنان المرهف ، ويحدوها الاحساس الدائم بالجمال ، يغنيه ، ويشربه وينشره من حوله وامامه ، حتى في اشد الحالات الما ومعاناة وصدق شعور .

لكننا ـ على مدار عقده السابع ، اراد ان يؤكد على ان الشعر الحقيقي ، لا يكون كذلك ، مالم يكن طاقة زهر ، وقارورة عطر ، واشراقة فجر ، فاذا هو ـ اي الشاعر ـ اراد ان يقص شكاته ، او ينفث المه ، تحامل في ذلك على نفسه بكبرياء ، وتجلد وصمد ، وكان ضنينا بحزنه والمه ، على قارئه وسامعه ، يطوي ذلك بين جوانحه دون بوح ، ويمسك عما اعتادته الكثرة الكاثرة من الشعراء ، من شكوى وانين ، فما يأسى او يستكين ، همه كله ، ان يملأ الكون شدوا واغاريد ، يتجاوز الالم الصغير الى الامل الكبير ، ومسائل الذات ، الى مشارف الحياة ، وحتى في « الخصوصيات » انما يعبر عن العموميات ، ويحرص كل الحرص على ان يعالج العبوس في صفاء النفوس ، ويبدد التجهم بالتفاؤل ، ويكون مجسدا لمقولة (ابي ماضي في فلسفته ، كن جميلا تر الوجود جميلا !) وكذلك ، كان شاعرنا الراحل امين نخلة تعبيرا عن اناقة الشعر ، وترفه ، وتجسيدا لنثره العذب في كل ما كتب ، وبخاصة في (مفكرته الريفية) وفيها يغزل الكلام غزلا لطيفا ، مستعيرا صورة يومية يزخر بها الريف ، فكان ان وضع ما يشبه « الموسوعة الريفية » في منتهى البساطة والعفوية ونقاوة الحياة من شوائب الارض وادران المادة :

(الف رغيف يدخل فرن الضيعة ، والف رغيف يخرج منه ، يا حبيبة ، فلا والله ما رأت عيني رغيفا قد

احمر كخدك . ولا رأت عيني رغيفا قد احترق كقلبي) . !

وصورة اخرى مترفة ، كما لو ان حياة الشاعر قد خلت من كل هم وغم :

(لهفي على تلك التفاحة في وطن التفاح . انها عند الفاكهاني في المدينة ، تختلس النظر ، وتمد بصرها مذعورة حيرى ، تبحث ههنا وههناك وقد اطلت برأسها من قفة القفص ، مخافة ان يراها صاحب الدكان ، تود لو ترى رفيقا لها من موطنها الذي اتوا بها منه ، تستجير من اهل المدينة : ارحموني من نهش وعض) . وصورة ثالثة من (المفكرة الريفية) للامين (تسأل الزهرة الشمس ، كيف استطيع ان اعبدك ؟ فتجيبها . بتفاوتك وصمتك) . وفي كل ما ترك الامين من اثر ادبي غزير ، من شعر ونثر ، ومؤلفات شتى ، في البحث والتاريخ وادب الذات وفقه اللغة وخاطرات الوجدان . كانت تتبدى اناقته في اعماله وآثاره ، شكلا ومحتوى ، بل انه لفي ذلك نرجسي . وكان ظريفا لبقا ، يميل الى المرح وروح المداعبة ولطف المعشر ، يحب الناس ويحبونه ويغشى مجالس كبار الساسة وعلية القوم ومجالس الادب والطرب ، وفي المواقف الحاسمة ، قومية ووطنية كان ذلك الشاعر الهادر قلبه وضميره على شفتيه وفي سنان قلمه ، وحينما كان يفتقد بعض صحبه ومعاصريه من قادة او رجال فكر وادب ممن تربطه بهم صداقة حميمة ، يرثيهم اصدق الرثاء ، ويبكيهم مر البكاء ، خلل شعر جميل معبر ، يحبب اليك الحزن فيجعله من ذلك النوع المعروف بالحزن الجميل .. وينحو في ذلك منحى الالم الكبير ، صانع النفس الكبيرة .

وكان الامين يتعشق القرآن الكريم وهو المسيحي . ويعتز بنسبه القديم وكان كثيرا ما يردد على مسامع جلسائه انه هاشمي المحتد قد تحدر من شجرة يعربية في الجزيرة تدين بالولاء للعروبة ارضا وسماء وهو الماروني المذهب ولكن مذهبه في الحياة شعرا وفكرا واستشفاف حياة يفوق عنده كل مذهب طائفي ويتجاوز ذلك الى اعماق الحياة واعماق الانسان ، وكثيرا ما سمعته كلما التقينا يتغنى بهذا البيت من الشعر ، لسواه :

لست تستطيع ان تكون الها
فاذا استطعت فلتكن انسانا !

واذكر في ما اذكر ، انني كنت ازوره في فندقه سميرا ميس في دمشق ابان عهد الوحدة بين مصر وسورية لمناسبة اشتراكه في مهرجان الشعر في العام ٥٩ حين وفد عليه في مجلسه احد الشعراء الشبان انذاك ، واهداه ديوانه الذي كان اصدره لتوه مغتبطا نشوان . وحين قلب الامين الديوان الوليد بين يديه وامعن نظره في بعض صفحاته وقصائده الاقرب الى النثر منها الى الشعر ، هاله ما عثرت به عيناه من اخطاء فاحشة في اللغة والتركيب ، وفي الاملاء والانشاء فقال له رحمه الله ـ يا فتى ، ماذا كان يضيرك قبل ان تخرج على الناس بنتاجك الانيق هذا الذي كلفك قوتك وقوت عيالك ، ان تحسن اللغة التي تكتب بها . لان اللغة هي رأسمال الشاعر او الكاتب ، فكيف تتعامل مع قرائك بلا رأسمال ، كالتاجر يتعامل مع تجارته بلا مال ؟ والادب يا بني . اسمى وابقى وما عليك ان كنت تسعى لرضائي ومباركتي شعرك الا ان تعكف منذ اليوم على الالمام بابسط قواعد اللغة بمعونة استاذ ، حتى ولو قلت انك تحمل شهادتك العالية !

وبرغم ان الشاعر الشاب يومها فوجيء بالامين قاسيا على ذلك النحو ، الا انه تقبل ذلك منه راضيا مقتنعا وشاكرا على رغمه . وهو اليوم واحد من اكبر الادباء والشعراء ويؤكد انه لولا قسوة الامين عليه وسط الجالسين لبقي حتى يوم الناس هذا صغيرا مغمورا بلا رأسمال ...

وبرغم اعمال الامين الادبية والشعرية الوفيرة التي اغنى بها المكتبة العربية ، من مثل (مفكرته الريفية) و(في الهواء الطلق) و(دفتر الغزل) و(أوراق مسافر ـ من ادب الرحلات) وديوانه الكبير الذي صدر في سنواته الاخيرة قبل ان يفقد ذاكرته ويضعف بصره ويموت قبل ان تحترق بيروت بفترة قصيرة ، فانه كان يقول (لا يمسح القلم من شيء ، فلو رد شكسبير الى الحياة لاستأنف النظر في هملت نفسها ..)

وبرغم المسحة الغنائية الغزيرة في شعره الا انه كان ضنينا في السماح للمطربين والمطربات ان ينشدوا اشعاره

مخافة ان تختلط نكهتها الحقيقية بترنيات زائفة او انغام شاذة . ومن القصائد القليلة التي سمح للبعض بغنائها تلك التي ادتها نور الهدى ذات يوم :

قـرة عيني منعم اسمر
امـير حسن سبحان من أمر
تحبني الف مـرة وانـا
احبـه الف مـرة اكثر

بل ان الامين كان مدرسة في الغزل متفردة تخرج منها شعراء كثيرون ومعروفون الى يومنا في ضروب الغزل والتشبيب .

انا لا اصدق ان هذا الاحمر المشقوق فم
بـل وردة مبللـة حمـراء من لحـم ودم
اكلاهما شفتان خذ روحي وعللني بشم
ان الشفاه احبهـا كم مرة قالـت ... نعم

ولم ينتظر المغنون موافقة الامين على تلحين وغناء هذه القصيدة الجميلة فرفعوا عقيرتهم بها على رغمه في حياته وبعد مماته ومثلها كثير من مثل قوله في قصيدة (العقد والحسناء) .

سالـت له الله ان يهدأ
فقـد تعب العقـد مما رأى
على ربوتـي صبـوة واشتهاء
اطـال الاقامـة واستمرأ ..
فيا ست عفـوا فان الذي
تعلـق بالصـدر ما اخطأ
وعـب من الارج العنبري
مخافـة في العمـر ان يظمأ

اما قصيدته في (الاشرفية) يوم كانت الاشرفية ساحة جمال ، لا ساحة قتال ، فانه يبلغ مبلغا في شعر الوصف والغزل المصفى مبلغا متميزا بالطرافة والاناقة والحذاقة و (الحرفية) او الاستاذية في هذا اللون من شعر الجمال .

.. في الاشرفية يوم جئـت وجئتها
روحـي على شفتيك قد جمعتها
ذقـت الثمار ونكهـة ان لم تكن
هـي نكهـة العنب الشهـي فأختها

الـكرم اورق يوم جئـت عريشه
اروى عن الشفـة التـي قبلتها
وترنـح العنقـود يقطـر لذة
لما انثنيت فقلـت انـي ذقتها
ياقوتـة حمـراء غاصـت في دمي
وشقيقـة النعمان قد تولتها
لـولا نعومـة ما بهـا وحنـو ما
بـي في الهـوى للقمتهـا وللكتها » !
ملسـاء مر بهـا اللسـان فما درى
لـولا تتبع طعمهـا لأضعتها !

انه في هذه القصيدة الاشرفية ، فنان خارق الوصف دقيق التعبير حاذق الصياغة كأنه بجوهر الكلام ، ويعطره ويرشه بالبخور ليكون لائقا بمن ادارت منه الرأس فتنة وصبا وحلاوة مذاق ... - في احد مهرجانات الشعر وقف امين نخلة بقامته المديدة المشهودة وزر وردته التقليدية في عروة سترته الزاهية ، يدافع عن الشعر الاصيل ويرفض موجة الشعر المنثور على حسابه ويرفض الى ذلك دعاوى (فرسان) القصيدة النثرية من ان الشعر العربـي ذاك في تقليده ورويه ، قديم مستهجن لا يتفق وروح العصر فكان مما قاله ومما علق في ذاكرتي :

افسحـوا للشعـر فالشعـر لنا
نحـن من لبنـان من عليا الدنى
مـد للشعـر بسـاط حافـل
لـو مشى ذو التـاج فيـه لانحنى
أيقـولـون قـديم ؟ ويحهـم ..
مـن قال ان الشمـس هانـت معدنا ؟

وكان يرد النقد الادبي في جملته الى الذوق . انها عنده مذاق شخصي وقياس نسبي . و (اما المصطلحات النقدية فانها من افكه ما يكون) . وقد ذكر في بعض مؤلفاته التي كان يخط عناوينها بريشته ويرسم لوحاتها بنفسه ان احمد شوقي بايعه بامارة الشعر في حياته ، من بعده ،

هـذا ولي لعهـدي
وقيـم الشعـر بعـدي

والعصر عصر امين
خير ومطلع سعد
وكل من قال شعرا
في الناس عبد لعبدي .. !

على ان كثيرا من معاصريه من شعراء وادباء لم يستطيعوا تأييد ما اذا كان شوقي قد خص امين نخلة بهذه البيعة وعلى مستوى .. العبودية ، في حين ان امين نخلة كان الى ما قبل وفاته قد بايع الاخطل الصغير الراحل في حفل تكريمه في (اليونيسكو) بقوله من قصيدة تكريمية طويلة :

ايقولون اخطل وصغير ؟
انت في دولة القوافي .. الأمير !

. وروي لي المرحوم امين نخلة طرفة بريدية في هذا الشأن . قال ان البريد حمل اليه ذات يوم رسالة معنونة الى (امير الشعر) فاحالها بدوره الى عمرابو ريشة الذي احالها الى الاخطل الصغير وقد احالها هذا بدوره الى بدوي الجبل وهكذا ظلت الرسالة تروح وتجيء دون ان (يجرؤ) واحد من هؤلاء الاساطين ان يتسلمها على انه امير الشعر . فما احرى بشعراء اليوم ان يجربوا نعمة التواضع ومتعته و .. فضيلته .

. ومارس امين نخلة في حياته المحاماة والنيابة في مجلس النواب الذي عرف ابة لغة شعرية نثرية آسرة جاء بها نائب (الباروك ـ منطقته في لبنان) يدفيء بها محاضر الجلسات ويؤكد ان دولة الشعر ابقى من دولة السياسة . كما اعلن ترشيحه نفسه ذات مرة لرئاسة الجمهورية وطاف ارجاء الوطن العربي يطلب دعم محبيه ومريديه من ساسة وامراء وحكام ثم انه احجم عن ذلك في آخر لحظة مخافة ان يفشل . وقد استوطن ذكرياته واوجاعه مع رفيقة حياته في اخريات ايامه فاقدا الذاكرة والاصحاب الى ان مات بصمت ومن غير وداع او تابين لان حرب لبنان كانت قد اكلت الاخضر واليابس يومئذ ، فالغيت الحفلة المقررة لتخليد الشاعر الذي غنى الجمال والاناقة طول عمره ، وسط ازيز الرصاص ودوي القنابل وقتل الانسان في لبنان لاخيه الانسان ...

وذلك كان عزاء امين نخلة الوحيد ، انه مضى في رحلة الموت قبل ان يعرف ماذا حل بلبنانه الاخضر من بعده وقد غناه ذات يوم :

جاء الربيع وحرك الغصنا
اين الربيع واين ما كنا
يا غصن يا مضنى بلا سبب
سل حولنا يا غصن يا مضنى
يا نرجسا نعسان من وله
قم من فراش الغنج غازلنا
يا ورد يا ابن الرقة اختبأت
في ظلك العشاق خبئنا
يا درب نفح الطيب وجهتنا
في دارك الخضراء أنزلنا ...

.. وسلام على امين نخلة شاعر الاناقة والجمال ، في الخالدين ...

الكويت ـ عبد الله الشيتي

تكاليف الزواج !

● سأل الصبي والده : « كم يتكلف الزواج يا ابي ؟ »
وقال الاب : « بالتحديد لا اعرف يابني ، ولكن الذي استطيع ان اقوله لك ، انني ما زلت ادفع تكاليف زواجي حتى اليوم ! »

قصة



الذي لا يتوقف ...

بقلم : فاطمة حسين

■ ارتجفت ، تماما كالطير المذبوح . سرت الرعشة في جسدها بدأت باطرافها حتي عمت الجسد كل الجسد وذاك الرنين الصلف للهاتف اللعين لا يتوقف ، انه يلح بندائه يلح ويلح . تتأرجح صاحبتي بين الاستسلام والمقاومة والرنين يلح . لسانها يقذف باللعنة تلو الاخرى والرنين يلح .. وتعود تتراجع وتتأرجح ، تتلمس طريقها نحو النور . تصل ، بعد جهد تصل ، فتساعد يدها الأخرى في رفع السماعة بينما تساعد عينها الاخرى في البحث عن الوقت ، ترفع السماعة والساعة تواجهها تنظر لها ببعض من التحدي وتقول : بالتو وصلت الى النصف بعد الرابعة صباحا . وهتفت : رحماك يارب اى سوء يحمله لي هذا الفجر ؟؟

وعبر الاسلاك لم تأتها الا همهمات وغمغمات ثم صمت ينبيء بانقطاع الخط فهدوء ... فموت . ومزيد من ذاك الهدوء تعيد السماعة الى مكانها وتلقي بجسدها الذى زاده الصحو القسرى ارهاقا ، تلقى به على الفراش مرة اخرى وبرأسها المتعب ... المتعب . تحاول صاحبتنا ، تحاول ان تغفو لكن عجلة التفكير تدور على الرغم منها . انها تملك الآن ساعة واحدة ساعة مسروقة ، مقتطعة من حيز لا يجوز أن تقتطع منه هو ليلها البارد مضافة الى حيز لا يحتاجها هو نهارها الملتهب . وهكذا ضاعت الساعة بين الصحو والغفو ، وما لبثت الا ان استقرت في بؤرة القلق .

القلق .. هذا الشيطان الذى يتسرب دائما حيثما تعجز المشاعر الأخرى أن تتسرب . جلست لتضييء النور ، وفعلت ، ثم استلقت مرة أخرى على ظهرها مسندة رأسها على راحتي يديها ، جفونها ملت طول اللقاء فتباعدت . انها لا تملك الساعة الا ان تحدق وبم ؟؟ بالسقف طبعا ، هذا الجدار الطلق الذى صب هناك لألف غرض وغرض . لكنها لا ترى من اغراضه الساعة الا انه العائق الوحيد لصعود الاحلام الى السماء .

السماء . السماء . اين منها تلك السماء الحبيبة . تغرق رأسها في ذكريات الطفولة الوردية اللون .. ايام كانت تفترش المرتبة القطنية والسرير الحديدى وتلتحف السماء . يوم كان عائق النوم عبث النسيم بشعرها يهرب فتظل تلاحقه باساليب مختلفة .. تتذكر ... تتذكر منها يوم كانت تعد النجوم العشرات ثم المئات .. فالآلاف بل ربما مئات الآلاف حتى يطوقها السبات بذراعيه الرحيمة .

وتتذكر .. تتذكر ايضا بهجتها عندما تكتشف تجمع الغيوم في قوس كانوا يسمونه « مسحب الكبش » وكيف كانت تحدق به تتصور ملائكة السماء يجرون الكبش ليدركوا سيدنا ابراهيم عليه السلام قبل ان يضحي بابنه ، تتذكر .. كيف كانت تميل مع القوس وتميل حتى يدركها النوم يلفها بعباءته الدافئة .

اين منها الآن تلك السماء التي تمتص كل المشاعر لتترك الاعصاب في راحة اجبارية . وهذا الجدار المعلق حائل ثقيل .

ويطلع النهار ليفرض نفسه على ليلها المنقوص . ويزعمون ان الرقص يبدأ بالخطوة السليمة .. تهز كتفيها فيلبق .. مجرد زعم ، تستجمع قوى الاصرار والعناد والاعتداد بالنفس لتخترق الوجود وتصحو على حقيقة اخرى في هذا اليوم بالذات انها تحتاج لاكثر من ذلك لاستعادة توازنها والاحتفاظ به عبر يومها الذى لا يعلم بلونه الا الله .

وتصرخ .. الاثنين .. انه يوم الاثنين اليوم الذى لا تخطيء فيه الامور .. وابتسامة سخرية تعبر احشاءها طفلة . مجرد طفلة سذاجتها تصور لها ان التفاؤل حافظ جيد لتوازنها .

كان لا بد ان تنهض ، فعلت ، ببعض من التحدى فعلت واتجهت نحو المرآة . تشهد فيها ماذا ؟؟

ماذا غير شحوب الوجه وذبول العينين ، ومالبثت ان اغرقت وجهها بحمام ماء .

اى حمام واى ماء ؟؟

نقطة من صقيع ملحقة باختها قبس من نار جهنم .. ثم نقطة صقيع ثم بخار ، يتصاعد ينبيء بغليان ، ثم صقيع ... ثم ..... ثم انقطاع تام .

وتصرخ ماذا حدث ؟؟؟

ويأتيها الجواب وجلا مترددا

سيدتي .. الكهرباء .. لا تيار في البيت .

فجأة استعادت صورة المهندس الشاب الوسيم الذى ظل اسبوعين في عملية اقناع مرهقة ان تسير مياه البيت بالكهرباء .. يأسا رضخت وها هي ذي اليوم تدفع الثمن .. متطلع الى المستقبل ، ناظر الى الامام ـ يسمى نفسه حريصا على المظهر العام لمدينة الكويت اما راحتها فالحرص عليها من شأنها وحدها ... ودفعها غيظها الى الهاتف لتزعجه ببعض الكلام السمج يبدأ به يومه لكنها تذكرت ان حبل الود بينها وبين هذا الجهاز قد انقطع منذ الصباح الباكر او قبله بقليل ، فتراجعت لتسأل من جديد .

كوب الشاى هل اطمع بكوب من الشاى ؟؟

وجاءها الجواب بالايجاب .

جاء الشاى وجلست ترتشفه .. سبحان الله .. كان يحمل طعما غريبا انكرت احساسها به اول الامر . هذا المزاج الرمادى الذى تحمل اصبح يؤثر حتى في طعم الشاى .. لكنه طعم غريب بالفعل .

سيدتي .. آسفة انها غلطتي .. اعرف أنك لا تشربين الشاى المعطر لكنني لم اقرأ غلاف العلبة جيدا .

وتسربت منها ارادة بالبكاء لكنها ادركتها .. حتى كوب الشاي الحميم يحولون دون استمتاعها به .

وحاولت الهرب ، الى الراديو هربت .. ولكن لا روح فيه .. البطاريات اين البطاريات كانت هنا نعم كانت هناك لكنها ميتة هي الاخرى بلا روح .

اذن لا مفر من الهرب الى صحف الصباح .

ببعض من عنف تفتح الباب الخارجي ، تفاجأ بالمواسم الاربعة تجتمع في لحظة اسمها عاصفة .. طبيعي ان لا يصل الموزع المسكين وطبيعي ان تجد الصناديق خاوية . ومع اليأس تعود ادراجها فيستقبلها وميض امل بعودة التيار الكهربائي ويظل يعود ثم يتراجع ثم يعود ، فقط ليعبث بأعصابها . هكذا تصورت ، لكنها تملك من الأعصاب ما لا يمكن أن تحرقه توافه اليوم .

جمعت أعصابها في حزمة واحدة لتواجه بها حماما باردا ما اعتادت اخذه في القيظ . اليوم وفي منتصف الشتاء تضغط على جميع مواقع الاستسلام لديها وتاخذه ثم

تدعي . نعم تدعي انها تقوى عليه وتعرف جيدا انه مجرد ادعاء . لكن يحمل لها بعضا من طاقة وتحمل لها المكابرة بعضا آخر . وبحركات تكاد تفجر وتفتت الاعصاب تعبث في « دولابها » تبحث عن المناسب من ملابسها تجد . او لا تجد ، ترتدي اي شيء فقط للخروج من هذه البقعة المليئة بالاتجاهات المعاكسة .

بكل ما تملك من قسوة تدير مفتاح السيارة . تستجيب لها المكينة وتنطلق بها . تدخل الاثنتان هي والسيارة دائرة بلا حدود تنطلق كل منها بالأخرى وتقود كل منها الأخرى ، والاثنتان بلا هدف .

نظرة جانبية لابد ان تلقيها على المقعد المجاور حيث بعض الاوراق التي تحكي قصة مهمات يومها .. بطرف عينها وأناملها تبحث بينها عن ضوء .. لا تجد .. روتين .. مجرد روتين

وشعرت بالسأم ، والسقم ، والضياع لا يصاحبها فيه الا صوت رطب ثقيل صادر من الراديو في ثرثرة غريبة عن الزمان والمكان ، ثرثرة ينام فيها الحرف قبل الكلمة والجملة . وتسحب نفسا عميقا علّه يخفف من وطأة هذا الهم الرابض على صدرها بدون انذار ولا مناسبة ، وبقية باقية من التفاؤل بيوم الاثنين تدفعها للبحث عن مخرج . تقع عينها على صندوقها الاسود القابع في قاع السيارة ، وتطلق نصف ضحكة وهي تتذكر كيف كانت تقول لاصدقائها وهم يتكلمون يوما عن حوادث المرور : « اما انا فان اصبت يوما باحدى هذه الحوادث ، ليس امامكم الا فتح الصندوق الاسود ستعرفون منه فقط اسباب الحادث » . ترنو الى الصندوق وتعطيه النصف الثاني من ضحكتها .. انه الصديق الصدوق الذي يحمل ويحمي أسرار قلبها .. والانسان قلب مزخرف بحواشي وهي قلب بلا زخرف ولا حواشي .

ويلوح لها في الافق مخرج ، أن تقرأ سطرا من قصة حياتها أن تحسب دقات قلبها في هذا السطر وهل في الحياة غير دقات القلب . انحنت لتنتقي شريطا من الصندوق . أي شريط دون النظر الى نوعه فكل شريط في هذا الصندوق يقول جملة من قصة هذا القلب . وادارت زر الصوت حتى ينطلق بقوة تستطيع حمل رأسها بهمومه الى البعيد البعيد .

وانطلقت الروعة ذاتها تقول ..

يا حبيبي .. كل شيء بقضاء
ما بأيدينا خلقنا تعساء

وهربت منها صرخة صامتة من الاعماق الى الاعماق .. شعرت باختناق ينبيء بقرب انفجار بركان . حريصة صديقتي على أن لا تؤذي الآخرين . فما كان منها الا أن عادت الى البيت بانتظار دمعة متحجرة معلقة تأبى ان تستجيب .

وتضيق دائرة حاجبها وتتحدد لم يعد للهرب معنى ولا مغزى .

اين منها عيون تنظر في اعماق اعماقها فتنقلها الى عالم آخر بلا اسلاك شائكة .

اين منها صدر تدفن راسها به لتستكين كالقطة في حضن دافيء .

وتنظر الى الهاتف ، ما كانت تحتاج لكبير مجهود حتى تتذكر ان مأساتها بدأت به ترى لماذا لا تنتهي به ربما .. ربما تنتهي به وبريق التفاؤل بيوم الاثنين يلوح لها بامل بل بعض امل .

وتدير القرص ..

يرد صوت من مليون صوت نعم .

.... من فضلك

ـ هذا الاسم لا تعرفه

ـ انا ......

ـ وهذا الاسم ايضا لا نعرفه .

وحدث الانفجار

ورغم الدمار الذي أحدثه الا أن فترة انتظاره كانت اكثر قسوة .

وجرت الدموع لتغسل المأساة . ■■

الكويت ـ فاطمة حسين العيسى

أبو حامد الغزالي

شاغلَ الناسِ لن تزالَ المُعنّى ... لم يَعُدْ فيهمو الذي تتمنّى
فسجاياكَ ما لها من وجودٍ ... ولياليكَ ما لها من مُثنّى
وحروفُ الضياءِ ما كُنّ يوماً ... طيعاتٍ لمن يَشاءُ تَدَنّى
يا نديمَ النجومِ والليلُ ساجٍ ... وَشَذا المُنتدى إذا الطيرُ غنّى
وحليفَ الخُطا إلى كلّ وادٍ ... عَرّجَ المصطفى عليهِ وسنّا
كم على الدهرِ مِنْ جراحِكَ عطرٌ ... مُفْصِحٌ عن خَبيءِ غيبٍ مُكنّى
وعلى الليلِ من سراجِكَ وَهَجٌ ... شَرِبَ النجمُ من سَناهُ وثنّى
رُبَّ دربٍ صعبِ المراسِ قصيٍّ ... لم تَزَلْ تَقتَفيهِ حتى اطمأنّا
وقريبِ المنالِ قد زادَ قدراً ... حينما صارَ في مجانيكَ مَجنى
تتبارى شُمسُ المعاني انقياداً ... لمراميكَ حين ترتاد مغنى
شامخاتٍ والحرفُ يسمو شموخاً ... كلما كانَ للحقيقةِ مَبْنى
يا سليلَ المجدِ المضيعِ إنّا ... معشرٌ خابَ من يُؤمّلُ مِنّا
هِمَمٌ بالخَنا مَلأنَ جِراراً ... آهِ لو تسألُ (المكبّر) عنّا
ضيعَ الآخرونَ أوّلَ بيتٍ ... قِبْلةً يذرفُ المدامعَ مُزْنا
كم علىْ أرضِهِ أُبيحَ مَصونٌ ... وقضى عاشقٌ وآخرُ أنّا
ومشى فوقَهُ المُدنّسُ عِرضاً ... واستباحَ الحِمى لئيمٌ مُزنّى
فالمغاراتُ غابَ عنها شذاها ... والمناراتُ ما تُرَدّدُ لحنا
هلْ على شاعرٍ بكى مِنْ مَلامٍ ... يا أبا حامدٍ وبثّكَ حزنا
إن تكنْ (طوسُ) قد حوتكَ رُفاتاً ... فمِنَ القُدسِ كمْ نفياتَ رُكْنا
وروى عنكَ مُفْصِحاً كلُّ راوٍ ... ورأتْ فيكَ قبْلَها كلُّ لُبنى
فهو أحنى عليكَ من كلِّ وادٍ ... وهي كانتْ لقلبِكَ الصبِّ سُكنى
شاغلَ الناسِ والحديثُ شجونٌ ... إنْ أدنى المُنى حديثٌ يُغنّى
فإذا شِئتَ فالحياةُ لسانٌ ... وحنايا صريعةٍ تتثنّى
وعلى صدرِها المُمزّقِ طفلٌ ... حدثتني ضُلوعُهُ ما أحنّا



فعلى مُقلتيه وجهُ بشيرٍ ... بنذيرٍ من الحديثِ المُكنّى

ربّ يومٍ وأيُّ موعدِ صدقٍ ... أشهدتني الرُّؤى به ما استكنّا

تتنادى الجموعُ من كلِّ وادٍ ... زُمَراً ليس فيهمُ مَنْ تأنّى

تتلاقى سيوفُهم مُشْرَعاتٍ ... ليس ما قد رأيتُ شكاً وظنّا

وحديثُ القلوبِ ما كانَ وهماً ... أنتَ أدرى بهِ وأصدقُ معنى

يا أبا حامدٍ وهذي جراحٌ ... ملأتْ خافقي ودهري تجنّى

بأبي أنتَ لو شهدتَ قلوباً ... واجفاتٍ تُطاعنُ الليلَ طعنا

ودموعاً جَرَيْنَ وجداً وَوَجْداً ... وجُفُوناً تُغالبُ النومَ وهْنا

وعقولاً لم تستقِدْ لُبناها ... عَضّها نابُ الشعوبِ وأضنى

حسبُها اللهُ إنْ تطاولَ بَغْيٌ ... وتمادتْ يدٌ مِنَ البغيِ أخنى

فعلى الأفقِ مِنْ نسيجِكَ خيطٌ ... لَمْ يزلْ عودُهُ صليباً مَرِنا

راعفٌ الفجرِ ناهدٌ بضلوعٍ ... لعطاشٍ لم تُغضِ للظلمِ جَفْنا

لا ترى كاذباً يغُرُّ الأماني ... في حِماها ولا دعيّاً وأُذْنا

حدثتنا عنكَ المعالي حديثاً ... لم يزلْ في مجامعِ القومِ يُجنى

طابَ إحياؤهُ وربَّ معادٍ ... من حديثٍ ـ كما تحدثتَ ـ أسنى

إن يوماً على الطغاةِ عصيباً ... قادماً تُحْضِنُ المواكبَ حضْنا

يتجافى عنِ المضاجعِ بأساً ... ويدكُّ القلاعَ حِصْناً فحصنا

لن ترى فوقَ أرضِهِ همجياً ... تشري الشعارَ يقتلُ مُضْنى

وعلى الغاصبِ المُذلِّ جبانٌ ... هانَ حتى تراه يقطُرُ جُبْنا

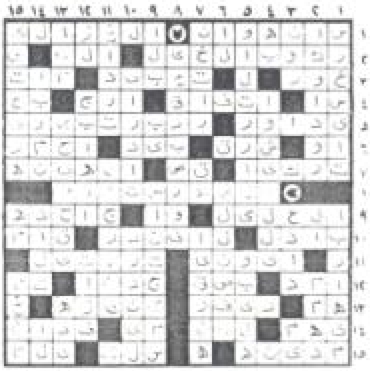
يا أبا حامدٍ فديتُكَ هذي ... بعضُ رؤيايَ من رياضِكَ تُجنى

منكَ أنهلتُها وعنكَ رواها ... شاعرٌ لم يزلْ بذِرْيِكَ يُغنى

شفّهُ الوجدُ فاستفاضَ حنيناً ... ومِنَ الوجدِ ما يُذاعُ ويُكنى

خالد سعود الزيد

الكويت



محمد أبو الفتح الشهرستاني

●

يعقوب صروف

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا : الشهرستاني . هو محمد أبو الفتح الشهرستاني ، من أشهر مؤرخي الاديان في القرون الوسطى . له « الملل والنحل » ، استعرض فيه المذاهب الدينية والفلسفية التي عرفها .

(٨) رأسيا : يعقوب صروف . ولد في الحدث بلبنان وتوفي في مصر . أصدر مجلة المقتطف مع فارس نمر . ساهم في اصدار جريدة المقطم عام ١٨٨٩ . أغنى المكتبة العربية بترجمة المؤلفات الرياضية والفلسفية والعلمية .

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : رقية صالح طه دمشق / سوريا

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : عامر حامدين بشير الخرطوم / السودان

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : الهادي الذهيبي تونس

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ مجدي محمد امين اسلامي جدة / السعودية

٢ ـ جواد عبد الجبار علي البصرة / العراق

٣ ـ صفوان عبد الغني محمود عمان / الاردن

٤ ـ نعمة حسن عباس بعلبك / لبنان

٥ ـ عبد المنعم محمود محمد ابو شبكة كفر الشيخ / مصر

٦ ـ المرابط محمد تطوان / المغرب

٧ ـ احمد محفوظ محمد الشارقة / الامارات

٨ ـ لمياء مصطفى صالح الزور / الكويت

دفاع عن
اللغة العربية

بقلم : الدكتور عبد الله العمراني

طالما سمعنا من أفـــواه محدثينا ، أو صادفنا فــي مطالعاتنا مثل هذه العبارات: « الكلمة معربة » : « الكلمة من أصل عبرى أو سرياني أو فارسي او نبـطي أو حبشي » ... أو ما الى ذلك .

فما مدى صحة هذا التعبير او ذاك ؟ هل كان القائلون به أو الكاتبون له يعنون حقـــا وصدقا ما يقولون ؟ أم هـل كانوا فقـط مقلدين لغيرهم ممن اعتاد أن يطلق الكـلام على عواهنـه أو يـرمى من وراء قوله الى تحقيق هـدف مغـرض لا صلـة له بالبحث العلمى النزيه ، أو الحقيقة العلمية الناصعة ؟

هذا ما سأحاول في هذه العجالة القاء بصيص من النور عليه ، املا أن يكون كافيا لانارة السبيل امام بعض الاذهان ، وللحيلولة دون افراط بعض الاقلام في اصـدار مثل هذه الاحكـام التى تتسم بشيء غير يسير من الاندفاع وعدم الحذر والتبصر .

ان مسألة التعريب مسألة معقدة شائكة ،فليس كل كلمة عربية وجدنا لها شبيها ــ مهما كان وجه الشبه ضعيفا ــ ننفيها عن قاموس لغة الضـــاد ونزعم انها دخيلة أو معربة عن احدى اللغات المشار اليها آنفا .

القرآن والتعريب

وقد ورد للعلماء حول هذا الموضوع ثلاثــــة آراء لا نرى بأسا في ايرادها :

ا ــ رأى قوم أن القرآن خلو من غير لغة العرب، فهو بمفرداته وبأساليبه عربي لا أثر للعجمة فيه . وما يظن أنه غير عربي ، انما تواردت عليه اللغات المتعـددة فتكلم به العـرب وغير العـرب . وممن يعتنق هذا الرأى العلامة ابن جرير الطبرى وغيره.

ب ــ ورأى قـوم أن بعـض الالفـاظ الاعجمية موجودة في القرآن ، وبخاصة أسماء الاعلام ولكن وجودها قليل . ولقلتها اعتبر القرآن كتابا عربيا مبينا . ويذكر العلامة عبد الحق بن غالـب بـن عطية في تفسيره (١) أن أبا عبيدة يعتنق هذا الرأى ويقول : ان في كتاب الله من كل لغة . ولكن رأيا آخر لهذه الرواية يخالف هذا القول تمام المخالفة. فلنستمع اليـه ــ وهو المعروف بأصلـه الفارسي

(١) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز . طبعة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالرباط . جزء اول ص ٣٦ .

وبشعوبيته ـ يقول (٢) : « نزل القرآن بلسان عربي مبين • فمن زعم أن فيه غير العربية ، فقد أعظم القول ، ومن زعم أن كلمة بالنبطية فقد أكبر •• وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ، وأحدهما بالعربية ، والآخر بالفارسية ، أو غيرها، فمن ذلك الاستبرق بالعربية ، وهو الغليظ من الديباج ، وبالفارسية استبره ••• وأشباه هذا كثير » •

جـ ـ ورأى قوم آخرون أن أصل الألفاظ الأعجمية الواردة في القرآن ، انتقلت فعلا الى العرب العاربة ، نتيجة الجوار والخلطة والمعاملات التجارية ، عن طريق رحلتي الشتاء والصيف المعروفتين ، فجرت على ألسنتهم مجرى الكلام العربي الأصيل ، فاستعملها شعراؤهم ، ونزل بها القرآن الكريم •

ويميل الى هذا الرأي الأخير المرحوم الاستاذ الشيخ محمود شلتوت الشيخ الأسبق للجامع الأزهر وذلك في كتابه (٣) : الاسلام عقيدة وشريعة • وقد مال الى هذا الرأي قبله العلامة ابن عطية في تفسيره المذكور •

محاولة تقنين التعريب

ولا يغرب عن البال في هذا المجال أن بعض العلماء ، حاولوا تقنين التعريب • فدلونا على العلامات التي يمكننا بواسطتها التعرف على الأسماء ذات الأصل الأعجمي • وهي :

١ ـ نقل الأئمة الثقات المعتمدين •

٢ ـ مخالفة الاسم لأوزان الأسماء المتعارفة في اللسان العربي ، وذلك مثل : ابراهيم ـ ابريسم للحرير (في الفارسية : ابريشم) ـ آمين •

٣ ـ أن تتبع الراء النون التي في أول الكلمة، مثل : نرجس ـ نرد •

٤ ـ أن تتبع الزاي التي في آخر الكلمة حرف الدال ، كما في كلمة مهندز التي عربها العرب فقالوا : مهندس •

٥ ـ أن يجتمع في الاسم من الحروف ما لا يجتمع في كلام العرب عادة :

أ ـ كاجتماع الجيم والقاف في : منجنيق ـ جوقة ـ جوالق •

ب ـ واجتماع الجيم والصاد في : صولجان ـ صنج •

جـ ـ واجتماع الجيم والكاف في : سكرجة •

٦ ـ أن يكون الاسم رباعيا أو خماسيا خاليا من حروف الذلاقة المجموعة في قولهم : (مر بنفل) وذلك مثل : جوسق • على أن الرباعي قد يخلو من هذه الحروف ويكون مع ذلك عربيا مثل :عسجد الا أن هذا قليل •

حقيقتــــان

لكن بالرغم من هذا ، لن نندفع ولن ننساق في التيار الذي انساق فيه كل من حاول ـ بحسن نية طبعا ـ تقنين هذا النوع الجديد من « الاسرائيليات » أو « الشعوبيات » والذي يرمي في الدرجة الأولى الى فرض رأي معين ، وجعله نظرية سائدة • أو حقيقة واقعة • وفي ذلك ما فيه من غمط لحق العربية ، وحط من شأنها ، ورفع من قيمة غيرها وخاصة العبرية ، وبهذا الصدد نشير الى حقيقتين ناصعتين تدعواننا الى عدم الانسياق في هذا التيار الجارف •

أولاهما :

ان كثيرا من الكلمات التي خيل للبعض انها ذات أصل غير عربي ، انما هي في الحقيقة وواقع الأمر عربية أصيلة • بيد أن مثيلها وجد في غيرها من اللغات ، أو أن هذه اللغات اقترضتها من العربية، فجاء أحبار اليهود في القرون الوسطى ، واعتبروا لغتنا آخذة مقترضة ، بينما هي في الواقع معطية مقرضة •

وجاء بعد الأحبار ، بعض علماء الغرب ، وحتى بعض علماء العرب وأدبائهم ، فنسجوا على منوال من سبقهم من الأحبار ، وضربوا على ذات الوتر ، وما دروا ـ أو دروا وتجاهلوا ـ أن الأمر لا يعدو أن تكون بضاعتهم قد ردت اليهم في صورة أو أخرى •

والأمثلة على ذلك كثيرة تجل عن الحصر في هذا المقال ، ولكن يمكن ابراز بعضها فيما يلي :

١ ـ كلمة (موسلين) التي تعني نسيجا رقيعا• وتسري على ألسنة تجار العرب سريان النار في الهشيم • كما تجري على ألسنة تجار الانكليز

(٢) الدكتور مصطفى الصاوي الجويني : « مناهج في التفسير » نقلا عن « مجاز القرآن » لأبي عبيدة الورقة ٨ •

(٣) الطبعة الثالثة ـ دار القلم ـ ص ٤٨٣ •

Muslin والفرنسيين Mousseline والاسبان Muselina جريان الجداول وسط الخمائل ، انه هي كلمة (موصلي) محرفة ، منسوبة الى مدينة « الموصل » العراقية التي اشتهرت في بعض عهودها الزاهرة بانتاج هذا النوع من الثياب ، وبتصديره الى الخارج ، حتى اشتهر بها ، وازدادت هي به شهرة على شهرة •

٢ ــ كلمة Gala التي تطلقها بعض اللغات الاوروبية ــ فيما تطلقه عليه ــ على الكسوة الرسمية أو « لباس الاكثرين رفاهة وترفا » ، هي هي نفسها كلمة (خلعة) العربية ، آتية معا كان يخلعه خلفاء المسلمين على علية القوم من كسى وصلات كانت تعتبر آنذاك بمثابة توشيح لصدورهم ، واعتراف بخدماتهم • وان أبسط مراجعة للتاريخ السياسي أو الادبي للعرب لتبرز لنا مثل هذه العبارة : « ••• فوصله وخلع عليه» اى منحه خلعة او كسوة ملوكية ممتازة •

٣ ــ كلمة « شفرة » (في الانكليزية : Ciphra وفي الاسبانية Cifra) تطلق في العرف الديبلوماسي على كتابة سرية تستعمل فيها علامات وارقام وحروف متفق عليها ، لا يفهمها الا من سبق أن اطلع على « تشفير » ــ اى تفسير ــ خاص بتلك الرموز • هذه الكلمة «شفرة» أصلها عربي قح « جفر » ، وهو علم يدعي أصحابه انهم بوساطته يستطيعون معرفة حوادث العالم المقبلة •

٤ ــ كلمة Syrup الانكليزية و Sirop الفرنسية و Jarabe الاسبانية ، كلها تدور على السنة الاطباء والمرضى في البلدان الناطقة بهذه اللغات • وكلها أخذ صريح لكلمة « شراب » العربية • ولكن اكثرنا ينطق هذه الكلمة او تلك دون أن يكلف نفسه عناء البحث او السؤال عن أصلها وفصلها !

فهل يسوغ أو يصح أن تهمل كلمات : موصلي ــ خلعة ــ جفر ــ شراب ، العربيات • ونعمد الى كلمات : موسلين ــ غالة ــ شفرة ــ سيروب أو خرابي وأمثالها ، ونقول : ان العربية فقيرة في حد ذاتها ، وانها استعارت هذه الكلمات من لغات اجنبية ؟؟

ان هذا لا يصح بتاتا ، وان العكس هو الذي يصح لا محالة •

والحقيقة الناصعة الثانية : هي ان اخذ اللغة العربية لكلمة اجنبية ، لا يعني مطلقا خلوها من مثيلتها او مقابلها العربي الاصيل • فاللغة الاسبانية مثلا ، قد اخذت من الانكليزية كلمة Football (كرة القدم) • وتصرفت في تهجيتها تصرفا جديدا يتفق مع اسلوبها الصوتي ال Phonetic فجعلتها : Futbol وتغافلت او كادت عن كلمتها الاصلية : Balonpie او مجرد Balon

ان هذا الاخذ او الاقتباس لا يعني أن اللغة الاسبانية الحديثة عاجزة ، أو انها لا تحتوي على مقابل للكلمة المقتبسة •

ومثل ذلك يقال في كلمة Stop التي نقراها في محطات ومواقف معينة من طرق الحافلات والشاحنات والسيارات • ان الكلمة انجليزية صميمة ، استعارتها بعض اللغات ــ كالعربية والاسبانية أو بالاحرى استعارها الناطقون بها ، وأسبغوا عليها معاني : كف عن السرعة ! او انتبه ! او قف !

وغير خاف أن هذه المعاني مدلول عليها في تلك اللغات بالفاظ اخرى مماثلة • ان هذا لا يجعلنا نجازف بالقول بان تلك اللغات لا تحتوى على مرادف أو مقابل لتلك الكلمة ، وانما يوحي الينا بان هناك عوامل لغوية خاصة ــ لا مجال للاطالة بذكرها ــ قد جعلت هذا الاقتباس اللغوي ياخذ مجراه •

بعد هذا كله اجدني شخصيا اميل الى اعتناق راى ذي شعبتين :

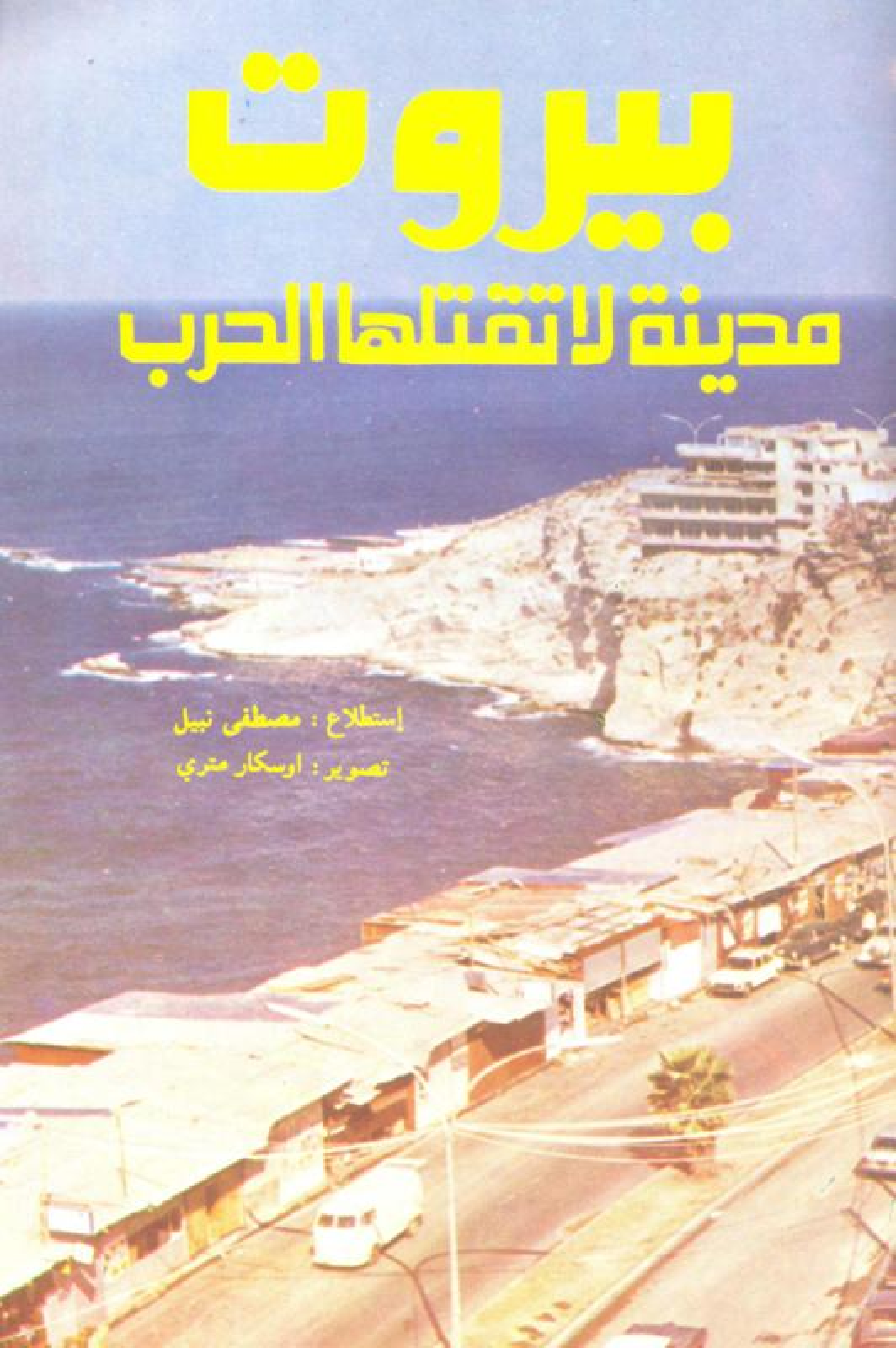
الاولى : اصالة اللغة العربية وجنوحها في مجال التعبير عن ادق المعاني واجلها ثم حسن تمثيلها لاهم الخصائص السامية التي تؤهلها لان تكون اقرب الساميات من اللغة الام ، ان لم تكن ــ في شكل من اشكالها التاريخية ــ هي تلك الام ذاتها :

الثانية : أصالة لغة القرآن الكريم ، وعربيته التي لا يسوغ الجدال فيها ، ولا ينبغي ان يحوم الشك حولها ، ثم كفاءته في التعبير بالفاظه العربية الخاصة ، دون اضطرار او التجاء الى التعريب الا في حالات بلاغية خاصة ونادرة ، يتعرض فيها للتلفظ باعلام اعجمية لا غبار على عجميتها ، او باسماء اشتهرت بها لغة القوم الذين يحكى عنهم للعظة والاعتبار •

■■

عبد الله العمراني
تطوان / المغرب





بيروت

مدينة لاتقتلها الحرب

إستطلاع : مصطفى نبيل

تصوير : اوسكار متري

لا تزال بيروت تنبض حياة !

رغم القتال والقتل ، رغم القصف والقنص ، رغم الدموع الغزيرة والجراح العميقة ، رغم هذا كله ، فان بيروت التي نعرف ترفض الموت !

ربما بغريزة البقاء ، وربما بحب للحياة لا يوصف ، وربما بسر لم نعرف كنهه بعد ، فان انفاس بيروت التي أطبق على عنقها الاقتتال منذ اكثر من خمس سنوات ، لا تزال تتردد .. لم تخمد ولم تسكت .

نعم ، لقد تحولت بيروت من الحب الى الحرب ، وصار وطن الجميع مذبح الجميع . وامتلأ وجه بيروت الجميلة بالندوب والتشوهات ، وربما العاهات . نعم ، لقد ضاعت ابتسامتها العريضة لتفسح المجال لغلالات حزن كثيفة وسوداء ، هذا كله صحيح ، لكنه لم يطفيء فيها جذوة الحياة وشعاع الامل ..

الحياة في بيروت تبدو من النظرة الاولى عادية ، فلا تلحظ سوى حواجز المسلحين التي تتوقف عندها السيارة ، ونظرة سريعة فاحصة ، وقراءة لعيون ركابها ، والاطلاع على الهوية احيانا ، ثم يسمح للسيارة بالمرور .

لكن ، التوتر والترقب يسودان شوارع العاصمة ، الاهالي الذين اعتادوا على الحديث بصوت مرتفع يتهامسون ، وسرعان ما اكتشفت انه لكي تتجول وتلتقط الصور في احياء بيروت ، فان الامر يحتاج الى مجموعة من التصاريح تصل الى عدد الجماعات المسلحة التي تسيطر كل منها على احد الاحياء واحيانا على احد الشوارع ، ولا يفيد كثيرا ذلك التصريح الذي حصلت عليه من وزارة الاعلام ...!

واول ما يصدمك حركة السير في شوارع بيروت ، واذا كان المرور في اي مدينة يعكس « حالة » سكانها ، ويعكس مجموعة المفاهيم السائدة ، فستعرف « حالة » بيروت من حركة السير ، التزاحم شديد وكأن سائق السيارة يقود مصفحة ، ولا قواعد للمرور ، ولا مانع من ان تفاجأ بسيارة مسرعة في عكس السير ، وعندما يستحيل ذلك ، يخرج سائقها رشاشه ويطلق طلقات سريعة في الهواء فتفسح له كافة السيارات الطريق ..

وتشاهد معنى غياب السلطة مجسدا ....

وتتوالى صور الازمة واشكالها والتي تظهر في اغلب البيوت التي تعيش وراء القضبان ، فبعد ان تكرر اقتحام عدد من العمارت وسرقتها ، وأحيانا احتلت بالقوة ، أحيطت أغلب البنايات بقضبان حديدية وأبواب من الحديد الخالص وكأنها خزائن ، لا تفتح الا بواسطة الحارس ، وآخر الحكايات التي تسمعها في بيروت عملية السطو الذي تعرضت له احدى البنايات الضخمة ، ففي وضح النهار اتصل صوت مرتعش من الهاتف القائم في مدخل العمارة ، ينذر السكان ويتحدث عن « وجود قنبلة موقوته » ستنفجر بعد عشر دقائق ، ويحذرهم من اضاعة الوقت ، فالحياة أغلى من أي مقتنيات مهما كان ثمنها ، وتجمع كل اسرة ما خف حمله وغلا ثمنه وتهرول تاركة مسكنها ، ويستقبلهم المسلحون عند الباب وينتزعون كل ما حملوه تحت تهديد السلاح ....!

وتكتشف بعد عدة ايام ما ادت اليه الحرب التي خسرها الجميع من تغيير في حياة جيل باكمله . انغمس البعض في تعاطي المخدرات ، وانغمس البعض الآخر في لعب القمار . فالطلاب خلال الحرب انتقلوا الى الصفوف العليا بدون امتحان وتوزع بعضهم على الجماعات المسلحة . والجميع نمى لديهم الشعور باللاجدوى ...



لقطة للمنطقة التجارية التي كانت نموذجا للتعايش ثم تفجرت بالحقد والقصف .

ويوجه اليهم في كل ساعة عدد هائل من الاذاعات ، اذاعة الحكومة ، واخرى لدويلة سعد حداد ، وثالثة للكتائب ، ورابعة من زغرتا لانصار الرئيس السابق سليمان فرنجية ، وخاصة للمرابطين .. وهكذا وبينها جميعا تضيع الحقيقة ..!

وترى الازمة متجسدة في اعلانات الصحف ، صور اطفال وفتيات غائبات ، لعل هناك بارقة امل في العثور عليهم ، والى جوار الصور اعلان آخر عن نوع جديد من الزجاج لا يخترقه الرصاص ، وحيثما تولّ وجهك تطالعك عوارض الازمة . المعاناة من الجماعات المسلحة ، التي بلغ عددها داخل بيروت ما يزيد عن ٣٩ تنظيما ، فمثلا في بيروت الشرقية لافتات للكتائب ، ونمور الاحرار ، وحراس الارز ، والطاشناق ، والمردة .. هكذا ..

وفي بيروت الغربية ، الحزب التقدمي الاشتراكي ، والمرابطون ، والحزب القومي السوري ، والاتحاد الاشتراكي ونسور الثورة ، وحركة صلاح الدين ، وحركة التحرير المسلح .. وهكذا .. هذا غير تنظيمات « القبضايات » المنتشرة ، ودكاكين فارضي « الخوه » التي فتحت ابوابها في كل مكان لحماية المباني والمتاجر ، وقد علق على ذلك السيد وليد جنبلاط بقوله ... ان الحركة الوطنية تبحث هذه الظاهرة السلبية تمهيدا لايجاد طريقة لمواجهتها والقضاء عليها ..

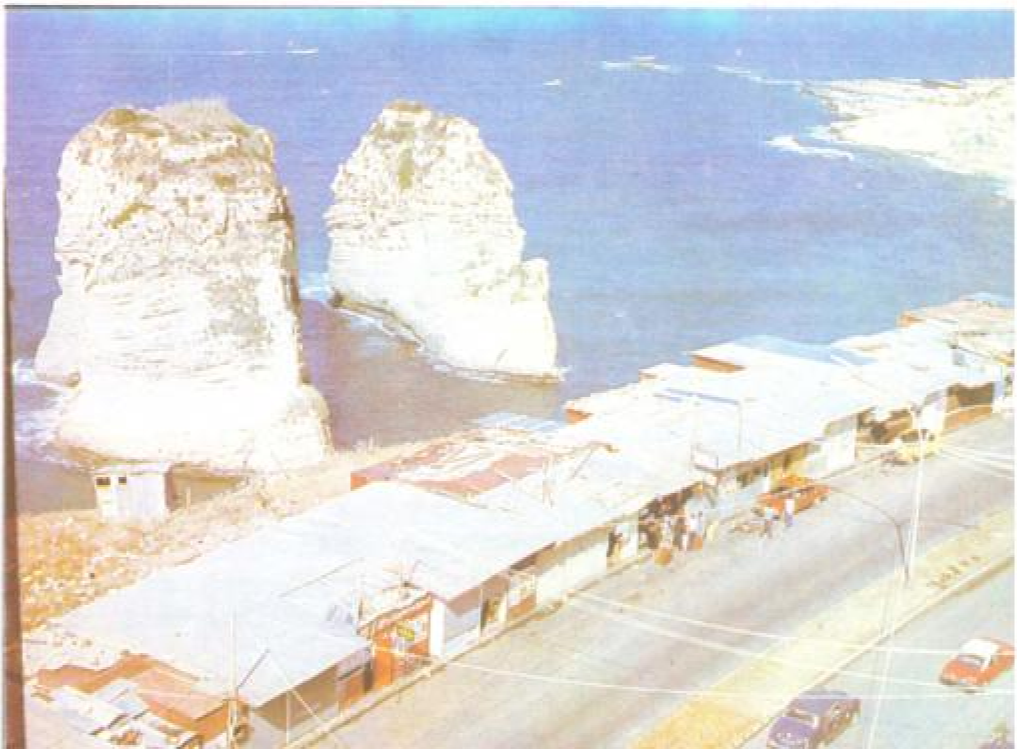
هذه لمحات سريعة لما تشهده بيروت ، والسؤال الذي يتردد على لسان المواطن العادي ، متى ....؟ وكيف تنتهي الفتنة ، وهذه الحرب التي توقفت دون أن تتوقف ، فتوقف القتال ولم تعد الحياة الى طبيعتها ..؟!

هكذا تحولت

كل هذا يقع في بيروت ، النموذج القديم للتعايش بين العناصر والاديان ، وهو اخطر ما يهدد الامة العربية بكارثة لا تقل عن كارثة فلسطين ، بعد أن ظهر أن التعايش الطائفي لم يكن سوى نزاع مستمر وتراكم خفي للاحقاد ، انفجر بشكل مذهل ، وصفه الزعيم الراحل كمال جنبلاط بقوله .. « كان يجري التسابق على



الروشة اجمل مناطق بيروت ، انتقلت اليها اسواق سرسق والطويلة ، بعد ان دمرتها الحرب ، وحجزت المحلات الجديدة ، المنظر الذي يتصدر جميع الصور السياحية . (الى أعلا) محلات الروشة (البسطات) من الداخل ، تتعامل في جميع المنتجات ، من الكاسنات الى مبتكرات كريستيان ديور وحتى الملابس والتحف (الى أسفل) . انتقل سوق الخضار الى كورنيش المزرعة ، الى جانب العمارات السكنية ، في نقطة متوسطة بين بيروت الشرقية والغربية (الى اليسار) .




مطاحن لبنان

النفوذ بين الطوائف من اجل السيطرة السياسية للعائلات الروحية القائمة ، واستمر الخلط بين السياسة والدين في ذهنية الفرد والجماعة ، ويظل المحور الرئيسي للوضع السياسي ، والاجتماعي ، يلعب فيه مركب الاقلية ومركب الدفاع عن النفس الدور الرئيسي ، لتتخلى عن مفهوم الوطنية ، وتكرس مفهوم اللجوء والحماية ولم تعد الطائفية شعارا فوقيا في المجتمع بل دخلت في جذور هذا المجتمع ... »

وانتقل هذا الصراع الى التاريخ ، وتحولت لبنان لتصبح مارونية عند الموارنة ، وشيعية عند الشيعة ، وسنية عند السنة ، ودرزية عند الدروز وحتى اخر طائفة صغيرة في لبنان ، واصبح لكل طائفة رؤيتها الخاصة للتاريخ ....

ويشرح المفكر اللبناني منح الصلح مخاطر استمرار الازمة بقوله .. لقد امتلأت سماء الشرق بالتلوث الفكري والحضاري ، وهذا التلوث هو « التعصب » ، فالملاحظ ان التحريض بدا على اساس ديني ضد الدين الاخر ، وسرعان ما انتقل من الخصم الى ما بين أبناء الدين الواحد وأن المتعصب ضد البعيد ، يتعصب مع مرور الوقت ضد القريب ...

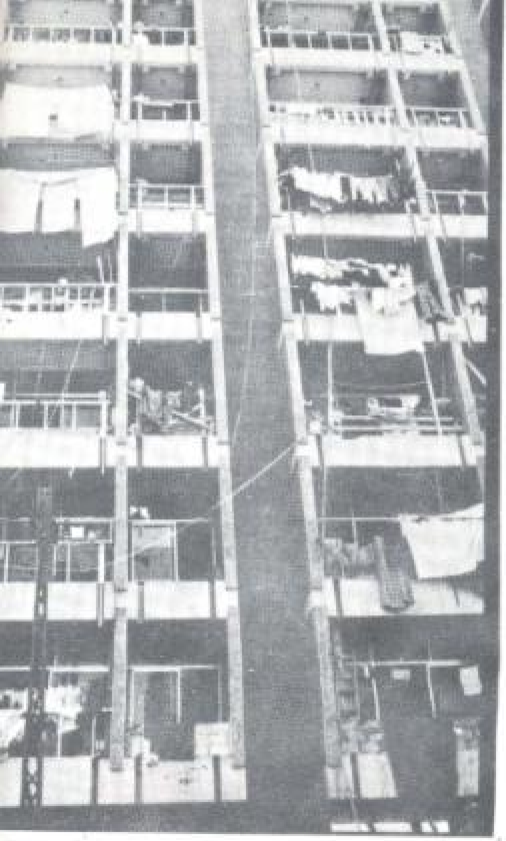
« في البداية كانوا جميعا مسلمين ، فاصبحوا سنة وشيعة ودروزا ، وكانوا كلهم مسيحيين ، فأصبحوا موارنة وارثوذكسا ، وكاثوليكا ، وانجيلية ، والتلوث الذي شاع في أجواء لبنان انتقل الى كل مكان ..

« لقد اقتطعت اسرائيل اجزاء من الدول العربية ، اما الحرب اللبنانية ، فلا تقطع اجزاء من هذه الدول ، بل تناولت الخريطة كلها ، وبهذا فعلت من الضرر ما لم تفعله اسرائيل .... »

فمن يتقدم ويسد الثغرة ...؟ ! وأين القيادة الخلاقة ذات الخيال القادر على خلق البدائل والاختيارات للخروج من المأزق ...!! ؟

اقتصاديات بيروت ...

تكفي جولة في شوارع العاصمة ، لكي تلاحظ مدى طاقة سكان بيروت على المقاومة ومدى حيوية ونشاط



احد بنايات الروشة الجديدة والتي احتلها « المهجرون » ، وكل غرفة ، وتظهر اسلاك الكهرباء من العمود الرئيسي الى الطوابق

الشعب اللبناني ، وطاقة التحدي الضخمة التي يملكها ، وتجعله يسخر من الازمات ويواجهها باستمرار العمل ، وتظهر قدرة اللبناني الخارقة على الاستمرار وتخطي الازمات فكم من الازمات عصفت وبقيت بيروت ، وتحمي الحياة وتعمل على استمرارها تلك الصفات التي صاحبت الشخصية اللبنانية ، الفردية ، المبادرة ، الجرأة ، الاقتحام ، الاستهانة بالصعاب والعقبات ...

عمارات جديدة تقام ، محلات تجارية تفتح ، واذا ضمك مجلس مع عدد من رجال الاعمال ، يثير دهشتك حديثهم عن المشروعات الجديدة ، والتوسعات التي تشهدها مشاريعهم ، بل ويخططون لما بعد الازمة الطاحنة ، ويستخدمون الوقت للدراسة والاعداد ...

هذا بعد ان بلغ التقدير الرسمي للخسائر الناجمة عن الحرب ما يزيد عن ٧ مليارات دولار وتهدمت واحترقت



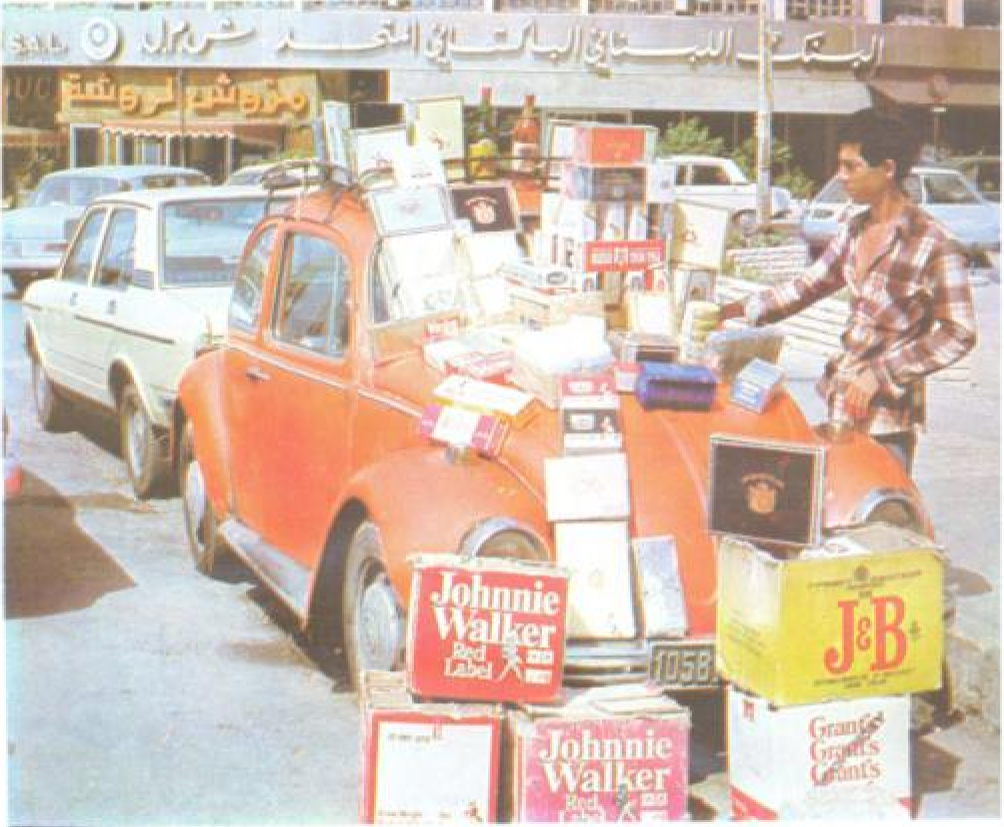
لقطة لسوق الاروام في شارع ارواد بين سوق
الطويلة والجميل ، التقطت خلال الاقتتال الاهلي .

ستة آلاف مؤسسة تجارية في بيروت تبلغ قيمتها أربعة مليارات ونصف مليار ليرة ، وبعد ان صب اللبنانيون غضبهم على المؤسسات السياحية وتم تدمير نصف الفنادق ، وبقي ٥٢ فندقا من اصل ١٠٠ فندق عام ١٩٧٤ ، وانعدمت السياحة تقريبا .. وبالطبع كانت الخسائر البشرية افدح وتشهد اكثر الاحصاءات تحفظا ان عدد القتلى بلغ ٢٥ الف قتيل ....!!

ورغم فداحة هذه الخسائر يستمر الرواج الاقتصادي في ظل الازمة ، وتوسع مصرف لبنان في اصدار التراخيص لاقامة مصارف جديدة ، مما اقلق جمعية مصارف لبنان التي تضم ٧٤ مصرفا وبلغ عدد الرخص الجديدة منذ مايو ٧٧ ثمانية مصارف . فاذا كانت قطاعات الدولة قد عانت جميعا من الحرب ، فان قطاع البنوك قاوم يعتاد كل الهجمات بل وحقق ارباحا ملموسة ..

وعاد قول الخبير الاقتصادي الهولندي فان زميلاند يتردد من جديد ، بان ما يجري في لبنان محض « معجزة اقتصادية » وفي بيروت ، لا يصعب ان تلاحظ وفرة المال الذي يضخ في اسواقها ، وحياة سكانها كأنها لم تتعرض لأزمة طويلة . فرغم كل ما جرى ظلت الودائع البنكية ترتفع دون انقطاع ، وازدادت بنسبة ٤٣٪ عام ١٩٧٧ و ١٣,٣٪ خلال الشهور التسعة الاولى من عام ١٩٧٨ ، كما جاء في تقرير البنك المركزي ، وبلغ مجموع الودائع ١٣ مليون ليرة .

ورغم الحرب المتقطعة ما زالت المطاعم والفنادق تستقبل روادها ، اما الدخل القومي فقد هبط من ٩ مليارات الى ٨,٥ مليار ليرة فقط بين أعوام ١٩٧٤ و ١٩٧٧ ، ولكن خلال هذه الفترة خسرت الليرة حوالي نصف قيمتها ، وارتفعت الاجور بنسبة ٩١٪ ، وارتفعت الاسعار بنسبة ١٢٪ ...



« سوبر ماركت » في الهواء الطلق ، تحولت السيارات الى متاجر متنقلة ، تتاجر في كل البضائع واغلبها مهرب (الى اعلا) .. كما هبط شارع الحمراء من عليائه ، انتعشت بعض الاحياء وشهدت مشروعات ومحال جديدة ، مثل كورنيش المزرعة وشارع مار الياس . (الى اسفل) .. رغم الحرب يقام في شارع الحمراء احد البنايات الحديثة ، برج ومركز تجاري اطلق عليه مركز برودواي (الى اليسار) .




BROADWAY CENTER
ACA

وجاءت هذه النتيجة بسبب عاملين رئيسيين ، تدفق الاموال من المهاجرين الذين غادروا لبنان خلال الحرب ، والذي يصل منهم الى بيروت حوالي ١٠٠ مليون دولار شهريا ، مع استمرار تدفق الاموال لتمويل الحرب الاهلية من الاطراف المتعددة ، والذي لا يستطيع احد تقدير حجم هذا المال ، ولكنه بالقطع ضخم وكبير ...

اما العامل الحاسم فهو نشاط اللبنانيين أنفسهم ، وعندما يقصف مبنى سريعا ما يرممه صاحبه ويعيده الى العمل ، وقد اشار ميشيل خوري مدير البنك المركزي ، « ان الاعمال التجارية تزداد ، ولكن قيمة الليرة تنخفض بسبب المضاربات وغياب الاستثمار المحلي ... » .

ويعلق رئيس جمعية التجار اللبنانيين .. « ان اقتصادنا مصاب بفقر الدم ، بعد ان فقدت بيروت في الوقت الراهن دورها التجاري والمالي ، فاقتصادنا القائم على تقديم الخدمات ، وبيعها للخارج اصبح في حالة شلل ، فالقروض لا يتم تقديمها سوى للمشروعات التجارية ذات الطابع السريع ، ولا يمكن دفع الحياة في الاستثمار المطلوب ، الا بعد عودة الثقة بين الاطراف المتخاصمة .... » .

والمؤكد ان هذا البلد لن يظل طويلا بلد حاملي السلاح ، ولا يمكن ان يظل المال الذي يضخ في بيروت سواء من الهجرة او المال السياسي المصدر لاقتصاد معافى ..

حول الهوية ..

لم استطع ان اوقف سيل الافكار التي تدافعت الى رأسي عندما كنت اتجول في شوارع بيروت ، والسؤال الذي يقفز كالمطرقة ؟ لماذا كل هذا الخراب .. ؟ فبيروت التي طالما تباهت على العالم بأنها صنعت له الحرف ، ونشرت المعرفة وجاءت هذه الحرب لتكشف انه ربما انتفع العالم كله بالمعرفة ، وبقي لبنان بعيدا عنها ...

فأولئك الذين يقاتلون من أجل أن يعطي لبنان ظهره للعرب ، ويتوجه الى الغرب ، يحاربون في الواقع حقائق الجغرافيا ووقائع التاريخ ، فاحد اهداف الحرب ، يدور ، حول الهوية واذا قرأت بيانات الجبهة الوطنية ولم تكتف بكلماتها ، بل ذهبت الى ما وراء الكلمات ، تكتشف ان اهم اهدافهم ان يكون لبنان بلدا اوربيا يتجه الى البحر والى حضارة الغرب ، ويعطي ظهره للعرب وللصحراء ، علاوة على أهداف أخرى مثل الحفاظ على الامتيازات الطائفية ، ومنع صعود الطبقات والقوى الجديدة ...

فماذا تقول حقائق الجغرافيا ووقائع التاريخ ، البعيد والقريب .. ؟

كانت لبنان مسرحا للعديد من المواجهات التاريخية التى شهدتها المنطقة ، والتى يمكن ان تكون قد خلفت عصبيات واحقادا اختلط التعرف عليها وعلاجها بشبهة الاعتراف بها ، وبقيت تتراكم تحت السطح ، وكانت مشاكل لبنان وامراضه انعكاسا لصراعات وتناقضات احتدمت في العالم العربي . فتقع في نقطة اتصال بين عرب افريقيا وعرب اسيا ، ولعب الاقتصاد اللبناني دائما دور الوسيط بين الداخل العربي ـ الجزيرة العربية ودول الخليج وحتى ايران ـ وبين الغرب ..

بيروت عام ١٨٦٣ ، كانت مرفأ دمشق بل كل سوريا الداخلية ، وزاد من اهميتها طريق دمشق بيروت الذى اقيم في ذلك العام ، ثم خط السكة الحديد الذى اقيم بين دمشق وبيروت ، فكانت بحق بوابة دمشق التي تقع على اطراف الصحراء ...

بيروت عام ١٨٧٤ ، يصفها قنصل فرنسا هنرى جيز بقوله .. « من المؤكد ان عدد سكانها لا يتجاوز خمسة عشر الفا وخمسمائة نسمة ، منهم سبعة آلاف مسلم واربعة الاف من الروم الارثوذكس ، والف وخمسمائة ماروني ، والف ومائتان من الروم الكاثوليك ، وثمانمائة درزى ، واربعمائة ارمني وسرياني وكاثوليكي .. »

بيروت عام ١٨٨٨ ، كانت جزءا من ولاية سوريا ، وتحولت لتكون ولاية مستقلة مرتبطة بالدولة العثمانية ، وكان يتبعها سنجق بيروت ، وسنجق عكا ، وسنجق طرابلس ، وسنجق اللاذقية ، وسنجق نابلس ..

ويقدر سوينت cuint ان عدد سكان بيروت ارتفع في اواخر القرن التاسع عشر الى ١٢٠ الف نسمة ، « وان التجارة الاسلامية البيروتية ظلت بشكل اساسي جزءا

منطقة المعرض ويرى في طرقاتها المسلحون .







مع الغروب يخرج سكان بيروت الى البحر ، يمارسون هواية صيد الاسماك ، الهواية المتبقية مع ظروف التوتر الذي تعيشه بيروت ، بعد ان اغلق امام العديد من سكانها طريق الجبل (الى اليمين) . عمارات خلف القضبان ، الظاهرة التي عمت العديد من بنايات بيروت ، وراجت من ورائها صناعة الحدادة (الى اعلا)



خلال الاقتتال الاهلي ، اقيم على شاطىء البحر ، احد افخم الاسواق في الشرق الأوسط والذي يشتمل على صالات للمؤتمرات ومطاعم ومسابح ، ويقوم بحراسته خمسون مسلحا . وهو يلاصق شاطىء سان ميشيل الذي يقطنه النازحون والمهجرون (الى اعلا) مقهى « الهورس شو » في شارع الحمراء ، بعد ان حولته الاحداث الى محل لبيع شطائر « الشويرمة » ، وقد كان في الماضي منتدى للمثقفين . (الى أسفل)





من نشاط سوق داخل عثماني بينما برزت البرجوازية المسيحية البيروتية ذات الطابع غير الماروني على رأس المؤسسات التجارية التي تمسك تجارة الترانزيت بين سوريا واوروبا ... »

ونشأ في بيروت تيار فكري يستوعب الثقافتين الغربية والعربية وكان احد روافد الفكر القومي العربي ، وشهدت تيارا سياسيا علمانيا وليبراليا ، والذي حمل لواءه صحف مثل المقطم والمقتطف في القاهرة ، وقام هذا التيار في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ـ بصياغة مشاريع الدولة القومية في اطار يتخطى بيروت وجبل لبنان ..

واستمرت بيروت تقوم بدورها الذي أهلها له موقعها وارتبطت بما حولها ، وتفاعلت بما يجري في منطقتها وكان ازدهار الاقتصاد اللبناني نتاج هذا التفاعل ، بل كان هذا الازدهار احيانا نتاج ما يقع حولها ....

واخذ الاقتصاد اللبناني في النمو ، محققا نموذجا غريبا للتعايش ، فبعد قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ازدادت اهمية بيروت ، وورثت موانيء فلسطين جميعا ، وتحولت تجارة العبور العربية اليها ثم انتقل الى بيروت اموال وتحف اثرياء بلاد عربية كثيرة مع التغييرات السياسية التي شهدتها ، ثم تدفقت عليها اموال النفط ، التي وجدت في بيروت ملجأ آمنا وجهازا ماليا ومصارف وشبكة اتصالات على صلة بمراكز العالم ...

واصبح من المفارقات الملحوظة في السياسات العربية ، ان لبنان كان المستفيد الاول من قيام اسرائيل ، ثم صارت منذ الحرب الاهلية اكثر بلد يقاسي من وجود اسرائيل ، فليست البدايات مثل النهايات ..

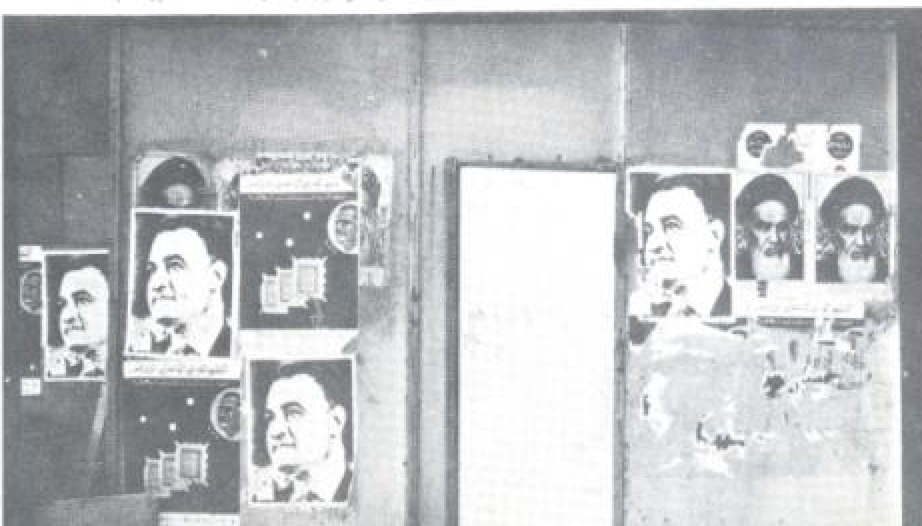
ويقدم احد الاقتصاديين اللبنانيين بالارقام مدى اعتماد الاقتصاد اللبناني على العالم العربي واسباب تحول بيروت الى احد اهم المراكز المالية في العالم ، وتتناول الارقام ما كان يضخ في بيروت من اموال عام ١٩٧٥ اي قبل اشتعال الحرب الاهلية :

- التحويلات المالية للبنانيين العاملين في الاقطار العربية .
- التحويلات المالية العربية مقابل الخدمات التي بلغت قيمتها حتى عام ١٩٧٥ ما قيمته ١٠٠٠ مليون ليرة لتسديد اجور النقل والترانزيت والخدمات التسويقية وخدمات الطباعة والنشر والعلاج الطبي والسياحي .
- التحويلات المالية العربية للاستثمار في لبنان ، والودائع العربية في المصارف والتي تتراوح بين ٣٠٠٠ مليون ليرة لبنانية ٩٠٪ منها ودائع عربية .

فهل يمكن ان يستمر هذا التفاعل الاقتصادي ويقابله عزلة سياسية ، اوبعد ان تدير بيروت ظهرها لتاريخها وموقعها ومستقبل المنطقة التي تنتمي اليها ... ؟ !

وهل يبقى لهذه الحرب هدف سوى الانتحار .. ؟ !

تحولت جدران بنايات بيروت الى صحف حائط ، ملصقات من كل لون وشعارات تلاحقك اينما ذهبت .





من ارشيف يوميات الحرب الاهلية في بيروت عندما كانت الشوارع خالية الا من المسلحين .

بيروتان وليست واحدة ..

لخص ميشيل ابو جودة رئيس تحرير النهار أسباب استمرار الازمة بقوله .. « لقد اصبح للبنان رأسان لا رأس واحد .. »

وايضا تحولت بيروت الى مدينتين احداهما « الغربية » والثانية « الشرقية » ، واصبح لها رؤيتان متباعدتان للاحداث ، وحتى للتاريخ ، والنظرة الى المستقبل ، وبينهما فجوة كبيرة ، ورسمت سكين الحرب جذورا جزأت بيروت وشوهت وجهها ومست قلبها ، وعمقت الطائفية والعصبية الجرح في القلب ، من المرفأ حتى ساحة الشهداء فطريق الشام وطريق صيدا القديم وانتهاء بخط الحدث وكفر شيما والشويفات .

وتدهش اذا علمت انه يمكنك ان تستعمل الطائرة من بيروت الى اى عاصمة في العالم وتقطع أطول المسافات ، ولا يمكنك ان تتخطى الشارع من الشياح الى عين الرمانة ، او من ساحة البرج الى باب ادريس او بين البسطة والاشرفية ، فبينهما ما هو أبعد من بيروت وأى عاصمة في العالم ..

وقد ادى انقسام العاصمة الى قسمين والنزوح المتبادل بين القسمين ، ونزوح السكان من بيروت برمتها لخارج بيروت الى ظهور قوى اجتماعية جديدة والى اعادة توزيع الثروة والنفوذ معا وتفتتت سلطة الدولة ، واصبحت ملك الجماعات المقاتلة ، ووصل التفتت الى اصغر الاحياء ، مما يساعد على ابراز قوى سياسية وعسكرية جديدة ..

فما اصل هذا التقسيم .. ؟ وعلى اى اساس تحدد . يقول منح الصلح : « خط الشام هو ذاته خط الترام الذى يمر على فرن الشباك ، الناصرة ، ساحة البرج ، باب ادريس ، حتى يصل رأس بيروت ، عرف تقليديا ، ان كل من يسكن على يمين هذا الخط من المسيحيين ، وكل من يسكن على شماله من المسلمين ، ومن هنا جاءت تسمية بيروت الشرقية والغربية » ..

« وخلال حكم الرئيس فؤاد شهاب ، تحول العرف الى قانون ، وقسمت بيروت الى منطقتين انتخابيتين ، بعد ان كانت لها لائحة انتخابية واحدة يشترك فيها المسلم والمسيحي ، واصبحت كل من المنطقتين مستقلة عن الاخرى ، دائرة بيروت الاولى الاشرفية ، والدائرة الثانية بيروت الغربية ودائرة ثالثة صغيرة مشتركة تضم




STOP
قف



● مرفأ بيروت الذي تتوقف الحركة فيه على بندقية قناص ويكفي طلقة واحدة ليتوقف العمل في المرفأ ، وكاد يتوقف أكثر من مرة ، وحل محله عشرون ميناء على طول الساحل اللبناني . (الى اعلا)

● منطقة الاسواق ويظهر اثار الدمار الهائل الذي لحق ببعض احياء بيروت ومبانيها . (الى اليمين اعلا)

● من معالم التوتر المتبقية في بيروت استمرار الحواجز ، ويرى احد الحواجز في مدخل سوق باب ادريس !(الى اليمين)



منطقة المرفأ وحي الزيتونة ...

ويسكن المنطقة الغربية تقليديا السنة ، والارثوذكس ثم انضم اليهم الشيعة .

وبيروت الشرقية : يسكنها الموارنة ، والارثوذكس والارمن والسنة ايضا ، وحي السراسقة مثلا اجمل احياء بيروت يضم مجموعة من قصور الارثوذكس ، وحي الدكوانة يسكنه الارمن الذي كان بينهم وبين الموارنة تقاسم وتنافس على زعامة المنطقة الشرقية ، والقوائم الانتخابية يشكلها حزبا الكتائب والطاشناق » .

وكان لهذا التقسيم آثاره الاقتصادية ، فالجبل يصدر منتجاته الى المنطقة الشرقية ، والساحل يرسل منتجاته الى بيروت الغربية ، اما المنتجات التي تمر عبر المنطقة الشرقية فكانت تتعرض للمصادرة ، وبقي النفط ، فالنفط القادم من محطة منطقة « الذوق » والواقعة تحت السيطرة الكتائبية ، والذي يستخدم من اجل الضغط السياسي وكثيرا ما يقطع الطريق وتنشب ازمة ، ومن ناحية اخرى يصل النفط بواسطة انابيب « التابلاين » التي تصب في الزهراني ، وتتصارع الاطراف من اجل منع وصوله للطرف الاخر ...

وكثيرا ما يتعرض امداد بيروت بالنفط للتوقف عندما يتعرض الطريق القادم من طرابلس للاضطراب نتيجة الصراع الكتائبي الزغرتاوي ، كما يتعرض سائقو الشاحنات الى الاعتداء ، ويتعدد اضراب سائقي الشاحنات ، ويمتنعون عن السير على هذا الطريق ...

عودة القرصنة ! !

وحكاية المرافىء في لبنان طويلة وتعكس عمق الازمة ونتائج غياب الدولة ، فقد قامت مرافىء على طول الساحل اللبناني من الناقورة وحتى النهر الكبير ، يتم خلالها كل انواع التهريب والذي يبدأ من الويسكي حتى الاسلحة والمخدرات ، فالشاطىء اللبناني المتعرج والذي يمتد ٢٠٠ كيلو متر ، تحولت كل انحناءة فيه او خليج عليه الى « مرفأ طبيعي » ووصل عددهم الى ما يزيد على عشرين ميناء وشكلت هذه الموانىء اطلالة على الخارج بعد أن حاصرت الاهالي المدافع وطوقتهم الحواجز ....

واستفادت الجماعات المسلحة من هذه الظاهرة ، فمن خلالها يحصلون من الخارج على احتياجاتهم ، كما يحصلون على الضرائب من المنتجات التي تدخل من الموانىء الواقعة تحت سيطرتهم العسكرية ...

ويروي سكان بيروت حكايات حول اقامة مصانع باكملها في قبرص لتزوير المنتجات وتزييف الماركات التي ترسل عبر لبنان ، وليست قصة سفينة الشحن « بيتي » بعيدة والتي كانت محملة بما قيمته ٩ ملايين دولار من البضائع ، والتي ابحرت من يوغسلافيا في طريقها الى الأردن والسعودية ، وبعد اربعة ايام من رحيلها وجه قائدها رسالة لاسلكية الى شركة الملاحة التابع لها ، يبلغها وجود عطب في محرك السفينة ، وقطع الاتصال ، وبعد ثلاثة شهور ظهرت سفينة شحن غامضة تدعي « فايف ستار » في المياه اللبنانية ، سرعان ما اختفت وظهرت مرة اخرى وهي ترفع العلم الاسباني ، ولم تكن هذه الباخرة الغامضة سوى « بيتي » ذاتها ... !

وهذا الذي عرف في بيروت جزء من قصص يلفها الغموض حول عصابات التهريب التي تعمل في لبنان ، ففي العامين الماضيين اختفت حوالي ٥٠ باخرة بالقرب من المياه اللبنانية حتى اصبحت هذه المياه توصف من شركات الملاحة بانها « مثلث برمودا الجديد .. !! »

والحكايات التي تلتقطها في بيروت ، ان عمليات التهريب مرتبطة بعدد من اصحاب السفن اليونانية وبعض القوى داخل لبنان الذين يشترون سفنا قديمة ، ويبرمون العقود من اجل ان تقوم بنقل الشحنات المؤمن عليها ، ثم يبيعون هذه السفن بارباح كبيرة بعد تغيير أسمائها وسجلاتها ، وتتوجه هذه البواخر الى لبنان ويبيع اصحابها حمولتها بعيدا عن اي رقابة باسعار رخيصة .

خطوط التماس

كانت زيارة خطوط التماس بين بيروت الشرقية والغربية ، اخطر مراحل جولتنا ...

فما زالت هذه الخطوط مشحونة بالتوتر ، وساحات



مرفأ بيروت وقوات الجيش اللبناني في محاولة لضبط العمل به كبوابة رئيسية للبنان !.

مفتوحة يمكن ان تشتعل في اي لحظة . ويعرف كل سكان بيروت ذلك ، ويكفي أن تظهر في الافق بوادر أزمة ، حتى تمتنع سيارات « السرفيس » عن نقل الركاب الى ساحة البرج ، ويعرفون ان احتمالات بداية القنص بين ساحة البرج والدباس قد زادت ، ولا يقتربون من منطقة الشياح ـ عين الرمانة !

بدأنا الجولة عند جسر فؤاد شهاب . الحياة من حولنا تبدو عادية . صعدنا الى احدى شرفات عمارة كبيرة وقديمة تواجه الجسر ، وبدأ شعورنا بالتوتر والخطر . لقد ترك سكان العمارة مساكنهم تجنبا للخطر المتربص فمع كل أزمة تنفجر المنطقة بسيل منهمر من الطلقات ، ويستطيع قناص واحد أن يشل حركة السير فوق الجسر . وعندما غادرها سكانها جاء « المهجرون » الذين يبحثون عن مأوى ، وسكنوا في البناية جنبا الى جنب مع الخطر ... !!

وانهالت علينا التحذيرات بان ظهور الكاميرا يمكن ان يكون اغراء لاحد القناصة باطلاق النار ..

واسرعنا الى موقع آخر ، والذي كان مسرحا لعربدة المسلحين ، الى نقطة التماس بين الشياح وعين الرمانة ، حولنا البنايات مازالت مهدمة ، آثار مئات الطلقات على الجدران الباقية . السواتر في كل مكان . السيارات المحروقة ، كأن المكان كان ساحة معركة وقعت لتوها ، لم يقم السكان باصلاح ما خربته الحرب ، فهم يدركون بتجربتهم ، وبالشك الذي ما زال يملأ نفوسهم ان الخطر ما زال قائما ، ويصبح الحديث عن بيروت « جديدة » املا بعيد المنال ، والشعور عميق بان الرصاص يمكن ان ينهمر في أي لحظة ، وان حواجز الموت جاهزة للعمل في الحال ، هنا تشم رائحة البارود ، ومن حولك الانقاض ، والمعركة على الجدران في آثار الطلقات أو في الملصقات التي تحمل كل الشعارات ، وتكاد لا تصدق انه كانت هنا يوما حياة دافقة ...

لماذا ... ؟ وكيف ... ؟ ومتى ... ؟

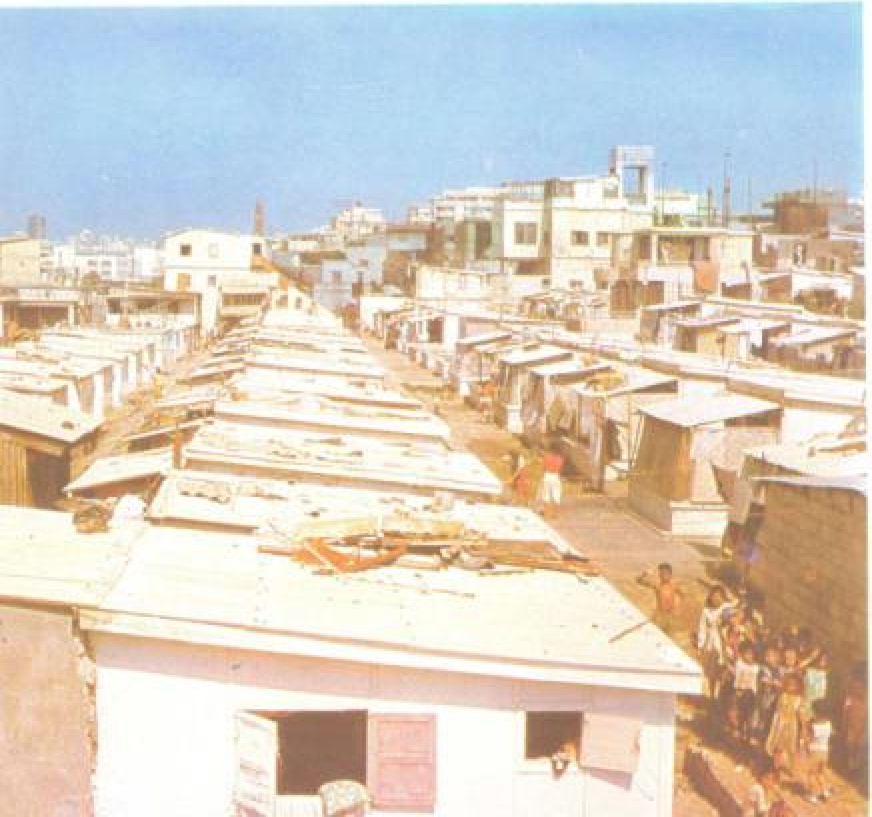
سمعنا ورأينا مئات المآسي على السنة من تبقى من السكان ، والذي منعهم الفقر من الرحيل ،





● اطفال الكارنتينا والمسلخ ، بعد طردهم من حزام الفقر الذي يحيط بيروت الشرقية ، في شاطيء « سان ميشيل » ، بعد احتلال المهجرين للشاليهات التي اعدت لقضاء الاجازة . (الى اليمين)

● بعض الاطفال الذين فقدوا ، اسرهم خلال الاقتتال ، بعد ان اتيحت لهم فرصة الرعاية . (الى اليسار)



● منظر عام لشاليهات سان ميشيل بعد ان تغيرت معالمه ، والذي يقطنه المهجرون (الى اليسار)

ان كلا منهم يروي قصته الملينة بالدموع ، مأساة راح ضحيتها طفل او عجوز ، كان يبحث عن رشفة ماء او كسرة خبز ، فضحايا هذه الحرب هم السكان الآمنون ، ومع كل الدموع التي اريقت فمخزون الحزن لم ينفد ..

ووسط هذه المواقف المأساوية يروي لنا الصبية ضاحكين ، كيف كانوا يسخرون من القناصة ، عندما يلبسون العصي الملابس ، ويرفعونها ، فينهمر الرصاص ، ويساعدون على كشف أماكنهم ونوعية أسلحتهم ، وتحولت الحرب لدى هؤلاء الصبية الذين في عمر الزهور الى « لعبة » .

ما هي الافكار والقيم التي سينشأ عليها الجيل الجديد ، هؤلاء الذين كانت اعمارهم تتراوح مع بداية الحرب بين الخامسة والعاشرة ، والذين شبوا خلال سنوات الازمة الخمس ، لا يلتقي خلالها المسلم بالمسيحي لا في الشارع ولا في المدرسة ولا في الحي ، ولا حتى في النادي ، وبعد ان عممت وسائل الاتصال الحديثة ما يجري في لبنان على نحو شامل ويوميا يلاحق باخبار تروي له قصة « القتل على الهوية » بما يرسخ في نفسه شعورا بعداء تلقائي لهذا الفريق او ذاك ، وكم من الزمن سيستغرقه من اجل نزع الحقد الاسود .. !!

ويلفنا شعور عميق بالكآبة ، وتنتهي من التصوير بسرعة ، ويستغرقنا التفكير ، فيمن سيضع المعجزة ويزيل جوار الحقد الاصم الاسود ، الذي يرتفع كلما استمرت الازمة ...

احياء تزحف بكاملها الى الداخل

اذا تصورت سفينة في بحر هائج اختفت قيادتها ، وتقدم الى قيادة السفينة المغامرون والمقامرون ، هذا ما تشعر به عندما ترى سكين التقسيم الذي سعى الى ازالة جيوب الفقر والنتوءات داخل بيروت الشرقية ، فاحدى الصور التي تدعو الى الاسى وتلاحقك في كل شوارع بيروت واحيائها ، هؤلاء الذين افقدتهم الحرب الاهلية بيوتهم ، فهاموا على وجوههم يبحثون عن مأوى . الذين فرض عليهم ان يدفعوا ثمن « لعبة الامم » ، وفساد الطائفية ، واحدثوا تغيرا ديموجرافيا داخل احياء بيروت المختلفة ..

أقف أمام إحدى البنايات الجديدة في الروشة ، احتلها اولئك الذين هدمت منازلهم في الكارنتينا والمسلخ ، البناية تدلت من طوابقها خراطيم المياه الملونة ، فبعد قطع المياه عن البناية لم يكن أمامهم سوى هذه الطريقة البدائية للحصول على المياه . أحشاء الكهرباء خرجت من عمود الكهرباء المركزي واتجهت مباشرة الى الشقق ، وفي الشرفات كميات كبيرة من الغسيل المنشور الذي يشي بالعدد الهائل من سكان العمارة ...

وكلما تجولت في شوارع بيروت يمكنك ان تميز تلك العمارات التي استولى عليها « المهجرون » والتي اصبحت مثل بقع البؤس المنتشرة في اغلب شوارع بيروت الغربية واحيائها ...

وثمة صورة أفدح في المسابح والشواطىء التي اعدت من قبل شركات سياحية ليقضي فيها اغنياء بيروت عطلاتهم ، وتجولنا في كل من شاطىء سان سيمون وسان ميشيل ، وشاهدنا كيف يعيش داخلها المهجرون وترى علامات البؤس والفقر تملأ المكان الذي كان ساحة للمتعة ، وحتى المخبز انتقل اليهم في بيئتهم الجديدة ...

ووراء هذه الصور المتتابعة يختفي احد فصول مأساة الحرب الاهلية . ففي اواخر جولات حرب السنتين الأوليين شهدت بيروت اكثر الجولات قسوة ودموية ، عندما هوجمت الاحياء التي تشكل جزءا من حزام الفقر الذي كان يحيط ببيروت الشرقية ، المسلخ والشياح والنبعة ، ودارت المعارك في تلك الاحياء المليئة بالاكواخ وبيوت الصفيح ... وتشرد الالوف من البشر ، المكتظون في الغرف الضيقة ..

وداعا .. للروشة ..

قصدت مقهى « الدولتشي فيتا » على الروشة ، المقهى الواقع في اجمل مناطق بيروت ، حيث ترى الشاطىء المتعرج برماله البيضاء التي يتقاذفها البحر على ضفاف اليابسة وهو المشهد الذي وصفه الشاعر الفرنسي لامرتين بقوله :

« انها قطعة من صحراء مصر مرمية على اقدام لبنان ... »

« كثيرا ما تخيلت في طفولتي هذه الجنة الارضية في صورة حلم جميل »

« ان الطبيعة هنا ، بل كل شيء حولي اسمى من الخيال ..

« ان الله لم يمن على المرء ان يحلم بكل ما خلق من جمال ..

« لقد حلمت بعدن ، لا بل لقد رأيتها .. »

في هذا المكان كان يجتمع المثقفون والمراسلون والسياح من كافة الجنسيات ، وكان امامهم البحر اللانهائي ، وبقعتان من الصخور القاسية ـ هما صخور الروشة الشهيرة ـ التي تكسر تلك اللوحة الناعمة وتزيدها جمالاً ...

لقد غيرت الحرب الاهلية هذه الصورة التي كنت اتمنى ان احتفظ بها في خيالي ، فبعد ان تعرضت الاسواق التقليدية القديمة ذات الطابع المميز الى القصف المدمر ، تشرد سوق سرسق واياس والطويلة ، واختار اجمل بقعة لينتقل اليها ، وتحولت ارصفة الشاطيء الهادي الجميل الى صفوف من المتاجر ، وسدت البسطات البحر ، وحجبت الشاحنات مداخل الشاطيء ، وازدحمت المنطقة بالسيارات التي أصبحت متاجر متحركة ، تعرض كل شيء ، من الويسكي الى الروائح والملابس والتحف .. »

ولقد كانت الاسواق مشتركة بين جميع اللبنانيين مهما اختلفت مذاهبهم ، ولم ترض الايدي الشريرة التي تحرك الاحداث في الخفاء ، ان يستمر التعاون ، فعربد القصف لكي لا تعود دورة الحياة ، ووحدة الشعب ، وانهارت اغلب مباني الاسواق التجارية وشمل التدمير ٦ الاف محل تجاري ، وجاء الرد من الذين هدمت متاجرهم باختيار الروشة ملاذا لهم وشارع الحمراء ، احد معالم بيروت الرئيسية ، وشارع الاناقة الذي كانت تظهر في واجهاته آخر صيحات الموضة « في وقت ظهورها في باريس ولندن ، وواجهات متاجره المتلألئة مع المساء ، لقد تحول الى سوق شعبية ، وتباع على ارصفته البضائع من كل صنف ، وتحولت مقاهيه واصبح « الهورس شو » المكان الذي كان مفضلا لعدد من الفنانين والصحفيين ، اصبح احد محلات بيع شطائر « الشويرمة » وتكشف التغيرات التي وقعت صعود قوي اجتماعية جديدة زاد ثراؤها مع الحرب وهبطت بشارع الحمراء من عليائه ، واصبحت الحركة تنتهي في هذا الشارع قبل الساعة التاسعة مساء بعد ان كان يسهر حتى مطلع الفجر ، يزدحم فجأة في موعد خروج دور السينما ، التي زاد عددها بعد ان اصبحت التسلية الوحيدة الباقية ، والتي يلاحظ ان اغلب روادها من الشباب ..

وحتى هذه التسلية تحيطها المخاطر ، ويروي رواد شارع الحمراء ، كيف جاء المسلحون لاحدى دور السينما خلال العرض واضيئت الانوار واختاروا عددا من الشباب الاقوياء واقتادوهم الى الشاحنات ، لكي يساهموا في اقامة السواتر في احد الاحياء ، وتنفس كل شاب الصعداء وهو في طريقه الى مسكنه بعد ان انجز ما كلف به .. !!

وعلى العكس من شارع الحمراء شهدت بعض الاسواق الشعبية مثل كورنيش المزرعة وشارع مار الياس تحولا ، واقيمت بها المحلات الانيقة ، وانتقلت اليها بعض المتاجر التي كانت في المنطقة الشرقية ، وهكذا يزحف التغيير على احياء بيروت المختلفة .

كما ادت الحرب الى ظاهرة الهجرة المعاكسة التي صاحبتها اللامركزية ، فاقيمت فروع للبنوك كبديل لشارع المصارف الذي يقع في أحد نقاط التماس ، وفروع لدور السينما والمطاعم وذهبت الى من لا يستطيع ان يأتي اليها واخذت معها حركة عمران لم يشهدها الريف من قبل ...

وبعد ..

رغم ان زائر بيروت هذه الايام يشعر بالغبطة عندما يغادرها بعد نجاته من الخطر ، الا أني شعرت بغصة عندما غادرتها ، وثقتي ان بيروت لديها طاقة غير محدودة على ان تتعافى وان تهزم اعداء الحياة ، فستتجاوز الازمة ، وتقهر الطائفية ، وتطهر اجواءها من التعصب ، وانها ستعود ارض الحب والفن والحياة ...

وسيعود للعقل صوت .. في أرض الحرف والكلمة .. ■■

مصطفى نبيل



كان طموحه ان يكون ممثلا ثم تحول الى الاخراج

يوسف شاهين هذا الفنان المقلق

بقلم : مجيد طوبيا

كان عرضة للموت بعد يومين .. لهذا قرر ـ ان هو عاش ـ ان ينتج ويخرج فيلما يترجم فيه لحياته في هذه الدنيا وللاسكندرية مسقط رأسه الحبيب ....

العالم عام ١٩٤٢

الحرب العالمية الثانية على أشدها ، تطحن الشباب ، تدك البيوت وتهدم الآمال .. والتضخم الاقتصادى وغلاء الاسعار الفاحش ، وغواصات النازى والفاشيست والحلفاء تزاحم الاسماك في مياه البحار .... وعلى شاطىء البحر المتوسط الذهبي عند العلمين وصلت جيوش المحور بقيادة « روميل » تتطلع الى دخول الاسكندرية فالقاهرة ، فالسويس كي تغلق القناة ، الشريان الملاحي الحيوى في وجه اساطيل الانجليز ...

والاسكندرية ـ مسقط رأس يوسف شاهين ـ ترقب كل هذا .. حيث كانت وقتئذ مرتعا لقوات جيوش الحلفاء



.. لكنه مثل في فيلمين « باب الحديد » في شخصية بائع الصحف ثم « فجر يوم جديد » .

ولاعداد كبيرة من الاجانب فاقت عدد المصريين انفسهم .

في تلك الآونة كان عمر يوسف شاهين ١٨ عاما فقط .. فتى ضئيل الجسد بوجه متنافر الملامح كبير الانف والاذنين ، من اسرة محدودة الدخل جدا ، يدرس في كلية « فيكتوريا » مدرسة أبناء الاثرياء .. وقد بدأ يتحسس طريقه ، ويكتشف ان مكانه الذى تمناه بعد التخرج ، ليس العمل في احد البنوك الاجنبية ، وانما احتراف التمثيل . حيث قدر له فيما بعد ان يصبح واحدا من اعظم مخرجي السينما في العالم العربي ، تؤلف عن اعماله كتب كاملة وبالعديد من لغات العالم .

بعد حوالى ثلاثين عاما ، وعندما بلغ الخمسين من

عمره تقريبا ، وكان في زيارة الى لندن ، شعر ببعض الاجهاد ، فتوجه الى اخصائي القلب المصري الدكتور « مجدي يعقوب » على اساس ان مابه ليس الا وعكة طارئة ، فاذا به يفاجأ بان عليه ان يجري عملية جراحية في القلب وبأسرع وقت ، وبالتحديد بعد يومين .. والعملية خطرة جدا ! !

وفي انتظار مرور هذين اليومين ، مر بأقسى انواع الوساوس .. ها هو عرضة للموت تحت ايدي الجراح ، وقد تنتهي حياته وقد تمتد .. عانده النوم .. وهاجمته الذكريات ، حياته تمر على ذهنه كشرائط الافلام التي اخرجها من قبل ، منذ ان احترف الاخراج لاول مرة وعمره ٢٢ عاما فقط ، ليكون اصغر مخرج سينمائي مصري ، والى ان قادته قدماه الى الطبيب المصري المقيم في لندن .. رحلة شاقة وبديعة في نفس الوقت .. غير ان عام ١٩٤٢ كان اكثر المراحل الحاحا على وجدانه ، ربما لانه في هذه السنة كان في مفترق الطرق ، اما حياة روتينية عادية كموظف في البنك ، واما الفن بجنونه وجموحه ومصاعبه وهمومه .. لهذا قرر ـ ان هو عاش ـ ان ينتج ويخرج فيلما يترجم فيه لحياته في هذه الدنيا ، وللاسكندرية مسقط رأسه الحبيب ..

بالفعل عاد الى وطنه بعد نجاح العملية ، لينهمك في اعداده ولينتهي منه وقد بلغ من العمر ٥٢ عاما .. وأسماه « اسكندرية ليه ؟ » أي : « اسكندرية .. لماذا ؟ » ..

ورغم ان معظم افلام يوسف شاهين افلام هامة في تاريخ السينما المصرية العربية ، الا ان « اسكندرية .. ليه ؟ » هو اعظم افلامه بغير جدال ، وهو واحد من اروع افلام السينما العربية ان لم يكن افضلها ...

دوائر المعادلة الصعبة

في افلامه الاخيرة مثل « الاختيار » و « العصفور » و « عودة الابن الضال » ، حاول يوسف شاهين ان يقدم معادلة من أصعب معادلات الفن ، وهي ان يقدم المشاكل العامة الشاملة من خلال الهموم الخاصة لأبطاله وبشكل جماهيري .... ومحاولة بعد الأخرى كان يقترب من حل هذه المعادلة الفنية العسيرة ، وكان يقترب من النجاح بشكل أو آخر ، لكنه لم يوفق تماما بشكل رائع الا في تحفته الرائعة « اسكندرية ليه » .. ربما لان الموضوع بحكم التصاقه الزمه بان يكون اكثر صدقا من الناحية الفنية ، ربما لانه كان قد اكتسب نضوج الخبرة ربما بسبب مواجهته للموت عند البدء في كتابة هذا الفيلم ......

المادة الاساسية كموضوع تتركب من عدة دوائر معقدة ومتشابكة . فهناك الدائرة الاشمل وهي دائرة المجتمع الانساني في تلك السنة ، حيث العالم كله يتقاتل والكبار يزجون بالصغار في رحى حرب لا دخل لهم بها ... الكبار هم دول اوروبا القومية المتقدمة ماديا ، المحور في جانب : المانيا وايطاليا واليابان ، والحلفاء . في الجانب الاخر : امريكا وانجلترا وفرنسا وروسيا .... والصغار هم الدول الفقيرة ، المسلوبة خيراتها بايدي الاقوياء ، والذين يطلقون عليهم الان اسم الدول النامية ، او دول العالم الثالث .....

ثم هناك الدائرة الثانية وهي مصر ممثلة في الاسكندرية ، مدينة مغلوبة على امرها ، واقعة تحت الاحتلال الانجليزي ، كثير من الأسر المصرية البائسة وقليل من الأسر الاحسن حالا ومن الأسر الحاكمة اسما . وجميعهم واقعون تحت هيمنة مجموعة من الأثرياء المصريين . معظمهم ممن كان يطلق عليهم « اثرياء الحرب » الذين جمعوا ثرواتهم مستغلين اختناقات التموين الناتجة عن عدم انتظام النقل البحري المدني ، بالاضافة الى مجموعات الاجانب من كل صوب ومعظمهم من الافاقين النصابين ، يضاف اليهم جحافل جيوش الاحتلال ، من بريطانيا العظمى ومن مستعمراتها التي كانت الشمس لا تغرب عنها !!

الدائرة الاصغر في هذا الخضم البشري تضم الفتى يوسف شاهين واسرته قليلة الدخل ، والمكونة من امه وابيه الشيخ ، والمنحدرين عن جدين لبنانيين ، واخته وهو الابن ، الذكر الوحيد الذي بقي للأسرة الصغيرة بعد ان مات اخوه الاكبر .... وهذا ما جعل الاسرة تهتم بتعليمه وتكرس جل دخلها من اجله ، وتدخله مدرسة غالية النفقات ، حيث وجد نفسه لاقران ميسوري الحال هو الوحيد الفقير بينهم ، كل واحد منهم يرتدي ، افخر



المخرج يوسف شاهين .

الشباب ، وهو ببذلة متواضعة يكاد لا يغيرها . كانوا متفوقين عليه ماديا ، ولهذا حاول ان يتفوق عليهم في الدراسة وفي القاء اشعار « هاملت ـ شكسبير » امامهم وبطريقة تثير اعجاب استاذه الانجليزى الجنسية ... ولعل الفن تما عنده بعد ذلك كنوع من انواع التعويض .....

ثلاث دوائر معقدة ومركبة ومتداخلة نجح يوسف شاهين في نسجها معا في ضفيرة فنية شائقة رائعة ، في تحفة اسماها « اسكندرية .... ليه » !.... حيث النماذج الانسانية الآسرة تلمع بشكل اخاذ .

الدائرة الاولى قدمها عن طريق مجموعة من الافلام الوثائقية الحقيقية لاقطاب الحرب : هتلر وموسوليني وايزنهاور وتشرشل ، وروميل مع جيشه عند العلمين والزاحف الى حدود الدولة المصرية .. مرمي مطروح ... يدخلها في خضم مشاهد الفيلم في براعة مقبولة ومؤثرة ...

والدائرة الثانية : « مصر ـ الاسكندرية » يقدمها في عدة مجموعات تمثل السكندرى في ذلك العام ... ثلاثة من شباب الجيش المصرى ، الكارهين للاحتلال الانجليزى ، والباحثين عن وسيلة ما تساهم في القضاء عليه ، وان كانوا في حيرة من امر هذه الوسيلة فمرة يعتقدون انها في اغتيال الملك فاروق ملك مصر وصنيعة الاحتلال ، ومرة يظنون ان الخلاص قادم على ايدى الالمان ، غافلين عن ان النازى قد يكون استعمارا العن من الانجليز ، ومرة في التعاون مع عمال الميناء وفي اثارتهم ضد من يستغلونهم .... شباب صغار اطلق عليهم المخرج في مقدمة الفيلم اسم « الجدعان » ، يضاف اليهم عامل شاب من عمرهم له افكار متطورة يتزعم العمال في المطالبة بحقوقهم ثم يلقى القبض وعليه ويسجن ١٥ عاما ... فاذا باصدقائه الضباط الصغار يتهمونه ربما ارضاء لضمائرهم بالتسرع والتهور ، ثم يواصلون احلامهم الباحثة عن وسيلة لانقاذ البلاد من المستعمرين !!

عن طريق هذا العامل يقدم لنا ملمحا آخر من ملامح الاسكندرية ١٩٤٢ .. وهم المصريون اليهود .. حيث كان ـ قبل سجنه ـ على علاقة حب كاملة مع فتاة يهودية ، لها اب ثرى مثقف له ميول يسارية واضحة ، كان يمده بالكتب التي تتحدث عن الاشتراكية .... وتكون الفتاة حاملا من العامل المصرى السجين عندما يقرر والدها الهجرة من الاسكندرية الى جنوب افريقيا ، خوفا من توقع وصول الالمان الى الاسكندرية ... وبعد سنوات والحرب قد انتهت ، تعود الفتاة لزيارة حبيبها ، ونكتشف ان اسرتها قد انتقلت من جنوب افريقيا الى اسرائيل الوليدة ، ظنا من والدها انه سوف يجد هناك حلمه في المجتمع الاشتراكي المثالي فاذا به في مجتمع عسكرى عنصرى يريد ان يجعل من الديانة اليهودية قومية .... كذلك نكتشف ان اخاها المصرى الاصل قد اصبح مجندا في الجيش الاسرائيلي الذى سوف يشهر السلاح فيما بعد في وجه ابناء مصر والعرب ..... بل ايضا ربما صار طفلها الصغير فيما بعد مجندا اسرائيليا !!

ويكون نفس هذا العامل احدى همزات الوصل الى الدائرة الخاصة ، اسرة يوسف حيث والده المحامي يتولى امر الدفاع عنه ـ وذلك بعد وساطة احد اصدقائه من الضباط الشبان ـ لكن المحامي يقبل القضية وهو مدرك مقدما بخسارتها ... : « فكيف يكسبها وهناك من يربح الآلاف في ثوان بينما الحكومة تزيد من سعر تذكرة الترام على المحتاجين ؟ .. فكيف يربحها والمصرى غريب في بلاده بينما الاجنبي يستولي على احسن خيراتها ؟ .. كيف يكسبها والعالم قد جن يقضي قويه على ضعيفه ؟ ! » ....

الخيوط كثيرة .. لكن هناك دائما خط الفتى المراهق يحيى (اى يوسف شاهين نفسه) .. فهو موفق في الدراسة عاشق للتمثيل ، دائم التردد على مشاهدة الافلام الامريكية يجيد الرقص ولهذا تحبه البنات ، لكنه



لا يجرؤ على مصادقتهن ، فرغم تفوقه يشعر في قرارة نفسه بافتقاره الشديد الى المال والى حسن المنظر .. ومع ذلك فهو يثق في موهبته الفنية الى حد الغرور ، والى حد تكوين فرقة تمثيلية ليقدم بها حفلا غنائيا راقصا يدعو اليه احدى الاميرات حيث يكون الفشل الذريع من نصيبه !!

ولهذا يقبل العمل في البنك بعد تخرجه من المدرسة ، لكنه يظل يلح على ضرورة دراسة فن التمثيل ، مبررا فشله بعدم الدراسة .. الى ان ترضخ الاسرة ازاء اصراره وبدافع الحب العميق ، فيرحل الى معهد مدينة « باسادينا بامريكا » حلمه الكبير والتي عشقها من قبل ان يراها عن طريق ادمانه على مشاهدة افلام هوليود الوردية .....

ينتهي الفيلم بنهاية ساخرة ، فالفتي على ظهر

لقطتان من فيلم « اسكندرية ليه » ؟.. الى اليمين ليلى حماده ومحمود المليجي ومحسنة توفيق .. ومحسن محي الدين الذي يلعب شخصيته يوسف شاهين . والى اسفل نجلاء فتحي واحمد زكي .





السفينة الكبيرة التي تقله الى نيويورك ، حيث تمثال الحرية الشهير .. لكن اللقطة الاخيرة تكون لهذا التمثال الذى يتحول الى امرأة رقيقة تفتح فمها عن اسنان مشوهة في ضحكة هازئة ، كرمز الى بداية تحطم الحلم الامريكي في وعي الشاب الفنان الصغير ...

لكن بنهاية هذه المرحلة لا تنتهى رحلة يوسف شاهين .. فهو بعد اسابيع قليلة في امريكا يهجر فكرة التمثيل ، ويتحول الى دراسة الاخراج السينمائى .. فينكب على الدراسة بشكل كامل ، ليعود بعد عامين فقط بشهادته ، وليكون اول مصرى يحصل عليها ..

يعود ومعه سيناريو كامل لفيلم اسمه « بابا أمين » وآخر اسمه « ابن النيل » .. وكلا السيناريوهين جاهز للتصوير ، وقد رسم لقطاتها على الورق لقطة لقطة وكما ستظهر على الشاشة ..

وكان من حظه ان وجد منتجا مغامرا اسمه « الحوشت » قبل أن يعطيه الفرصة ، ليصبح اصغر مخرج مصري ، اذ كان عمره ٢٢ عاما فقط ..

بنجاح « بابا امين » اخرج « ابن النيل » من انتاج السيدة « ماري كويني » وبطولة : فاتن حمامة وشكري سرحان ، ثم « المهرج الكبير » بطولة يوسف وهبي وفاتن حمامة .. ثم « صراع في الوادي » الذي قدم فيه عمر الشريف لاول مرة في السينما الى جانب فاتن حمامة ايضا .. وفي هذه الافلام المبكرة نلمس نوعا من التميز والاحساس بالعدالة الاجتماعية ، ولكنها عدالة رومانسية نابعة من فطرة الشاب ومن نشأته مع اسرته ، ومعاناة الحرب والتضخم الاقتصادي وانتشار السوق السوداء ، وتعرض عائلته للحجز على اثاثهم من قبل صاحب البيت لتأخرهم في سداد الايجار .. وايضا عن طريق المقارنة بزملائه لتلاميذ مدرسته ، ومعظمهم ـ كما اسلفت ـ من الموسرين ، لواحد او اكثر سيارة خاصة بينما هو يركب الترام او يعود سيرا على الاقدام ، رغم انه يفوقهم دراسيا ، ورغم انه من دونهم جميعا يتميز بحسن الاداء لاشعار شكسبير ، حيث كل الملابسات من حوله كانت تجعله يردد مع هاملت : « اكون أولا أكون » .. يكون العالم بالسلام او لا يكون بالحرب والدمار ، تكون مصر بالاستقلال وحرية الرأي والعدالة الاجتماعية او لا تكون بضياع شخصيتها تحت وطأة الاحتلال ، يكون هو بالفن الذي استولى عليه او لا يكون بالعمل موظفا روتينيا في بنك اجنبي ..

أمدته نشأته بنزوعه الاول نحو حب العدالة او المساواة ، وشيئا فشيئا سوف نجده وقد بدا يتفهم هذا النزوع عن وعي وعن دراسة ... وكانت بداية وضوح الرؤية في فيلم « باب الحديد » حيث نجد الدعوة الى انشاء النقابات العمالية التي تحمي مصالح اعضائها .. لكن في نفس الفيلم نجد خطا رئيسيا هاما ، هو مشكلة الكبت لدى الشباب وخطرها المدمر عليهم ... وكل المشاكل عنده متداخلة ومتشابكة .. فرغم تفوقه الدراسي والثقافي البنات من حوله وهو تلميذ لبراعته في الرقص ، الا ان كل هذا لم يعطه الثقة الكاملة في نفسه وهو المراهق الفض غير الوسيم . كان اقرانه يتوددون الى البنات بينما هو يجفل ، ربما لان الجنس الاخر ارتسم في خياله بصورة وردية استمدها من ادمانه على مشاهدة افلام هوليود لجين كيلي واستر ويليامز .. وحتى عندما سافر الى امريكا لمدة عامين استغرقته الدراسة تماما ولم يسمح له وقته لاية علاقة اخرى ، خاصة وان الراتب الذي كانت ترسله له اسرته ضئيل يكفيه بالكاد ثمن الكتب والاكل .. كل هذا فجر فيه الفكرة الاساسية لفيلمه البديع « باب الحديد » ... مشكلة الشباب المحروم جنسيا المحتاج الى حنان الجنس الاخر ، المفتقر الى المال والمأوى .. ولكي يدرس هذه المشكلة جمع بغايا ميدان باب الحديد في غرفة واخذ يحادثهن ويسجل اقوالهن ، فعرف أن معظم زبائنهن من الرجال المجهدين والمحبطين في حياتهم ، يعالجون احباطا باحباط .. ومن دراسته الميدانية هذه ومن ذكرياته قدم للسينما المصرية فيلما من اهم علاماتها وهو « باب الحديد » الذي قام فيه بتمثيل شخصية بائع الصحف المعقد نفسيا بكفاءة فائقة ، والذي ما زال يثير اعجاب مشاهديه حتى اليوم ، وهذا ما يدهش يوسف شاهين نفسه !!



يوسف شاهين مع هند رستم وفريد شوقي
نال جائزة الاخراج والتمثيل في مهرج

« ابن النيل » الفيلم الثاني ليوسف شاهين ووراء القضبان شكري سرحان (١٩٥١) .





ي فيلم باب الحديد الذي
ـان بوسطـن (١٩٥٨) .



اكتشف عمر الشريف وكان زميله بالدراسة واللقطة من
فيلم صراع الوادي مع فاتن حمامه (١٩٥٤)

تصدع الاحلام

الى ذلك الحين كانت امريكا تمثل له الحلم الوردي الجميل ، لهذا كان يدخر كل امواله حتى يسافر اليها حاملا معه افلامه الاولى « صراع في الوادي وباب الحديد » .... اكثر من مرة رحل اليها يعرض انتاجه على ملوك السينما ، وكانوا يعجبون به ، لكنه عندما حاول ممارسة العمل معهم ووجه باحذية المسئولين في وجهه .. او على حد قوله : « كان المسئول منهم يقابلني بكلمات رقيقة ثم يجلس ملقيا ساقيه فوق المكتب ، فتأتي نعالهم في وجهي ، انا المبهور بهم المنفق لكل مدخراتي في السعي اليهم !! ....

« ثم وجهت لي الدعوة لزيارة موسكو ، القطب الاخر ، دعوة شاملة لنفقات السفر والاقامة الكاملة دون ان اتكلف مليما واحدا .. وهناك فوجئت بنقيض الاستقبال الامريكي ، حفاوة كاملة واحتراما ، وكانوا قد شاهدوا لي « صراع في الوادي » ثم « باب الحديد » .. فوجئت بان الحفاوة تأتيني ايضا من الناس العاديين ... وهنا حدثت نفسي : الذين حلمت بهم استقبلوني بالنعال في وجهي بينما هؤلاء يستقبلوني بالورود في كل مكان ... مفارقة مدهشة اثرت في واصابت حلمي الامريكي بالتصدع ... وجعلتني ارفع اجري عند عودتي الى القاهرة ، قلت للمنتجين ان افلامي تباع للاتحاد السوفيتي بواقع الفيلم ثمانية آلاف جنيه او عشرة وعليكم ان تزيدوني » .

وبالفعل بعد صراع في الوادي زاد اجره ٢٠٠ جنيه ، وبعد « جميلة الجزائرية » زاد اجره ٥٠٠ جنيه ...

وفيلم « جميلة الجزائرية » يحكي قصة المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد ... وهو بلا شك ـ ومن بعده فيلم « الناصر صلاح الدين » ـ قد جاءا انعكاسا لنمو الوعي في مصر بالقومية العربية نتيجة لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. وفي تلك الاثناء ـ يقول يوسف شاهين ـ « وجدت ان هذه الثورة قد حققت لي امورا كنت احلم بها ، اممت القناة .. شرعت في بناء السد العالي ، كنت ارى مياه النيل وهي تذهب الى البحر المتوسط ، وكان بعض الناس يستنكرون هذا على اساس ان الطمي يلوث مياه البحر !! .. لكنني كنت أتساءل : لماذا لا نستفيد من هذه المياه في ري المزيد من الاراضي الزراعية ؟؟ .. وجاء السد ليحقق هذا » .....

« حققت لي ثورة ٢٣ يوليو حلما آخر وهو انشاء الصناعات الثقيلة في مصر وبناء مصانع الحديد والصلب » ... ومن هنا جاءت فكرة فيلم « فجر يوم جديد » .... امرأة من الطبقة العليا تمارس حياة الملل والضياع تتعرف على شاب بسيط يسكن في غرفة فوق سطح احد المنازل له قريب يعمل في مصنع الحديد والصلب ، تزوره فتهتز من اعماقها بعد ان تكشفت لها انماط حية من الواقع ، فكان هذا بالنسبة لها فجرا ليوم

جديد بوعي جديد ......

العصفور المهاجر

يوسف شاهين فنان دائم البحث عن الأفضل لفنه ولأمته . لهذا اصطبغت معظم افلامه بالصبغة الاجتماعية ثم السياسية . وهذا ما يجعله يواجه المتاعب عند انتاج وعرض كل فيلم جديد له . خاصة من المرحلة الاخيرة ... فهو على حد قول جريدة « لوموند » الفرنسية « فنان مقلق » ......

كان يريد تصوير فيلم عن تحويل مجرى النيل اثناء بناء السد العالي . ثم تصادم بالبيروقراطية وبغباء الموظفين المتشغلين بفخامة ولائهم . الجاهلين بطبيعة العمل السينمائي وباسلوب التعامل مع اهل الفن !! ... واستفحل الخلاف الى درجة اغضبت الفنان السكندري . ودفعته الى شد الرحال الى لبنان الشقيق مسقط رأس اجداده . حيث التقى مع « الرحبانية » واخرج لهم فيلما غنائيا ناجحا هو « بياع الخواتم » . ثم اخرج فيلما بطولة فاتن حمامة اسمه « رمال من ذهب » لم يرض عنه .. ظل هناك فيما بين عامي ١٩٦٤ ـ ١٩٦٦ .

يقول عن هذه الفترة : « ربحت نقودا كثيرة .. كنت اسكن في بناية مكيفة الهواء من الباب ! الى المطبخ ... ولاول مرة في حياتي باستطاعتي ان ادخل محلا لبيع السيارات واختار العربة التي تعجبني وفي جيبي ثمنها كاملا...... لكني لم اكن سعيدا .... وكنت دائم التساؤل بيني وبين نفسي : الى من انا انتمي ؟؟ وكان جوابي القاطع : انا ابن مصر وهمومها ولا حياة لي ولا ابداع الا هناك » .....

وهكذا عاد ليواجه بعد شهور باقسى صدمة في حياته وفي حياة امتنا العربية . هزيمة عام ١٩٦٧ . وهي الصدمة التي ايقظت فيه التساؤلات المريرة والتي افضت به الى وعي اوضح تفجر في سؤال محمد « من هؤلاء .. ومن انا ؟؟ .. هم بيروقراطيون يرفعون شعارات الاشتراكية وانا اشتراكي حقيقي » ...

وكانت الثمرة متمثلة في افلامه الاخيرة « الارض » ثم « الاختيار » . حيث حاول أن يقدم رؤيته الخاصة وتحليلاته لما جرى .. ثم « العصفور » الذى تنبأ فيه « بحسه الفني » بان الشعب سيرفض الهزيمة : « لان الذى هزم في الواقع ليس الشعب وانما السلطة المتهرئة » .....

وبعد العصفور جاء « عودة الابن الضال » ... وكان وعيه قد اكتمل . وكانت ارهاصاته الفكرية الاولى قد تبلورت له جلية من واقع خبرته الشخصية ومن واقع مشاكل البلد ومن واقع احتكاكاته مع العالم الخارجي خلال رحلاته العديدة ... ثم جاءت تحفته الفنية الرائعة : « اسكندرية ... ليه » ليتوج بها رحلته الفنية الصادقة مع نفسه ومع وطنه ومع امته العربية .....

الاعمال والجوائز

لهذا كله حظي يوسف شاهين بين المخرجين العرب بالنصيب الاكبر من الاهتمام في المقالات والدراسات بشتى لغات العالم ..... حيث كتبت عنه عشرات المقالات في معظم مجلات السينما العربية وفي امريكا اللاتينية والصين . والولايات المتحدة واوروبا . مثل « نيويورك هيرالدتريبيون » الامريكية . « وبرافدا » . الجريدة الاولى في الاتحاد السوفيتي . « ولوموند » الجريدة الفرنسية التي كتبت مقالة مطولة في صدر صفحتها الاولى وهو شيء من النادر ان تفعله لاى مخرج آخر ...

كما اقيمت اسابيع خاصة بافلامه وحده في فرنسا (باريس . ليون . مارسيليا . اميان) ـ وفي لندن ـ وايطاليا « ميلانو . روما » ـ وفي امريكا (لوس انجلوس . سان فرنسيسكو . نيويورك) ـ وفي تونس والجزائر ومعظم البلاد العربية ..... كما تقام له في اكتوبر القادم اسابيع اخرى في سبع مدن امريكية . وكذلك ضمن اسبوع الفيلم السياسي العربي في برلين الغربية ....

اما الجوائز العالمية والمحلية التي نالها فهي عديدة . تتجاوز العشرين جائزة . ■■

مجيد طوبيا



الذين يموتون في كمبوديا

اعداد : رجاء ابو غزالة

شعب كمبوديا.. مسلسل الأحزان الأبدى !

جميعنا نقرأ الآن عن بؤس وتشتت شعب كمبوديا الذي ينتحر جوعا ، لكن اكثرنا لا يعرف شيئا عن تاريخ هذا الشعب المكابر واسباب هجراته المتواصلة لمدنه القديمة التي شملها الغموض لمئات السنين .

سنأتي على ذكر أنجور العظيمة ، التي لم تكن لتبرز الى حيز الوجود لولا الصدفة . فلقد عودنا علماء الآثار على ركوب المخاطر من أجل فض الغاز مدن سادت قبل مئات السنين ثم بادت بصمت وجلال .

وهذا هو « هنري موهو » عالم الطبيعيات ، الذي كان همه الوحيد دراسة انواع الفراشات وسط الغابات في مملكة كمبوديا ، يضرب الهواء بشبكته عندما كشفت له النباتات المتسلقة عن ممر مفتوح في الغابة ، واذا به امام حصون وقلاع هائلة تعلوها النقوش الدقيقة وكأنها « الدانتيل » وقد احاطت بها المتعرشات الخضراء من كل جانب .

لم يكن يعلم موهو بأنه اكتشف « انجور » عاصمة الخمير ، كذلك لم يكن يعلم اي شيء عن شعب الخمير لكنه لم يتراجع امام المفاجأة المذهلة ، بل شق طريقه بين الاشجار الكثيفة المليئة بهمهمة ملايين القرود ، وزقزقة آلاف الطيور .

لقد هزته روعة الزخارف وسحر المعابد الهائلة المنتشرة في أعماق الغابة ، ثم تلك القنوات المدهشة الممتدة عبر مئات الاميال والدالة على وجود لمسات شعب عريق بارع الذكاء .

عاد من جولته ليتوقف عند أول قرية صادفها في الطريق ، ثم اخذ يتحرى ويسأل عن سر المدينة التي ابتلعتها الغابات لكنه لم يحظ بجواب شاف .

قال احدهم : لقد بناها المردة . وأكد آخر بأن ملك الملائكة هو الذي صممها . وقرر رأي ثالث بان لا احد بناها كانت دوما هناك ، وقد بنت نفسها من اشجار الغابات ؟!

اجابات غريبة لم ترو فضول موهو ولكنها فتحت الطريق امام علماء الآثار للبحث عن جذورها والكشف عن اسرارها .

من هو شعب الخمير ؟

انه شعب مزارع منذ فجر التاريخ وحتى الآن ، طعامه الارز بالدرجة الاولى ، يميل الى النظام والجدية ، وقد دلت انشاءاته العمرانية وخاصة نظام شق القنوات على طول باع في هذا المجال .

كانت الاراضي الشاسعة التي تدعى كمبوديا الآن عرضة لهجمات الجيران من الاعداء وقد ساعد ذلك على تكوين ما يسمى بالمزارع المحارب لذلك كانوا محاربين اشداء يحسنون استعمال القوس والركوب على الفيلة المزركشة بالحلي .

وكانوا كذلك رجال اعمال يتاجرون مع الصين ، فيصدرون لها التوابل والريش ، ويستوردون منها البورسلين والمظلات ، وقد دون الخمير تاريخهم على الاوراق والجلود ، لكن سرعان ما اتلفها الزمن فبقيت منحوتاتهم الرائعة كشاهد على دقة فنهم الباعث على الاعجاب وكتاريخ بحد ذاته ، يروي لنا تفاصيل حياتهم اليومية من معتقدات وقنص ورقص وحرب واعياد .

وتعود حضارة الخمير الى ألفي سنة خلت . كتب عنها كثير من التجار الهنود والصينيين على السواء . وقد كتب احد الرحالة يقول :

« الرجال سود وقبيحو المنظر ، شعرهم أجعد ويتجولون عراة حفاة . »

وقد وصفهم رحالة آخر بأن الاغنياء منهم يلبسون الساري المزركش بالحلي .

تاريخ كمبوديا القديم

في القرن السادس الميلادي اتحدت مقاطعتا « فونان وشيلا » لتكونان ما يدعى بكامبوديا جيسا او كمبوديا ، ثم جاء الحاكم جايا فرمن القوي ليسيطر على مقاطعات مجاورة ضاما اياها الى مملكته الجديدة .

وقد روى احد الرحالة العرب قصة ملك شاب تملكته الغيرة من حاكم مملكة اخرى تدعى سيلندرا فجهز اسطولا من الف سفينة ثم اقلع الى مملكة الخمير ليحاصرها ويجهز عليها .

وعندما احرز النصر قبض على الملك وقال له قبل ان يأمر بقطع رأسه :

« كانت أمنيتك ان تقطع رأسي ، ولم تقل شيئا عن غزو مملكتي . لذلك فسأفعل بك ما كنت ستفعله بي وأعود الى بلادي » ثم نصح الوزير بعد موت الملك بان يختار ملكا آخر اكثر حكمة فجاء الوزير « بجايا فرمن الثاني » ، والذي اهتم بدوره كثيرا بتحويل كمبوديا الى بلد حر وقوي . وقد اضطر من اجل ذلك الى نقل عاصمته قرابة الخمس مرات خوف الاحتلال . كان موضع اثنتين منها حول مدينة انجور والثالثة في جبل « كولن » ، حيث استعملت حجارته فيما بعد لبناء انجور العظيمة التي شهد لها التاريخ بالروعة والجمال .

وقد اعتني الملك ومن جاء بعده ببناء القنوات وخزانات المياه والمعابد ، ففي القسم الاول من القرن الثاني عشر بني الملك « سريفرمن الثاني » المعبد الاكبر « انجوروات » واحاطه بخندق عرضه ٢٠٠ يارده ، ثم بحائط قرابة الميل عن جانبي المعبد ، وقد اعتلت بواباته الثلاث ابراج محصنة .

وقد اعتبرت « انجوروات » حصنا من الحجارة لقوتها ومتانتها ، ففي الداخل ترتفع ثلاث ساحات تتوسطها خمس قلاع يرتفع اطولها الى ٢٥٠ قدما ثم تتبعها القاعات والمحاكم على امتداد نصف ميل في كل اتجاه . وقد بني سريفرمن الثاني لـ « فشنو » اله الهندوس حرما مقدسا عند قاعدة القبة الوسطى .

وتشهد قاعات المعابد وجدرانها على عظمة ما انجزه فنانو ذلك العصر من لوحات تصويرية تبرز النواحي الدينية والاجتماعية لشعب الخمير .

ومن المشاهد الرائعة التي تلفت النظر تلك المنحوتة القائمة على امتداد نصف ميل في القاعة السفلى للمعبد الاكبر وهي تصور الحرب الازلية بين الالهة والشياطين ، وقد شارك فيها الجنود والسعادين المردة والبشر . أما في القاعة الشرقية فقد برزت لوحة أخرى تجسد المردة والشياطين في صراع مرير مع حية الكوبرا ، وحوت القاعة الجنوبية مشهدين للملك : الاول يصوره وقد جلس على العرش وفوقه مظلة والثاني في طريقه الى المعركة وقد حف به الجند والكهنة والامراء وحاملو المشاعل ونافخو الابواق وقارعو الطبول .

ومما يلفت النظر تلك اللمسة الناعمة الزجاجية التي تعلو معظم المنحوتات ، واغلب الظن انها نتاج مرور الزمن وكثرة لمس أيدي الحجاج الكمبوديين لها .

حياة لم تتغير

وبعد موت سريفرمن بزمن شاء القدر ان تتحطم احدى السفن الصينية على شاطيء « شامبا » فتغير بذلك ميزان القوى في المنطقة ، اذ قام المحاربون الصينيون الذين نجوا من السفينة المحطمة بتعليم الشامبيين فنون استعمال القوس على صهوة الجواد .

وعندما تجدد القتال بين الخمير والشامبيين بعد ثلاثين سنة من الاقتتال ، ارسل اهل شامبا قوة لمحاربة اعدائهم ، مبحرين عبر نهر الميكونج الى انجور ، فحاصروها واستعملوا في حربهم هذه فنون القتال الصيني حتى تمكنوا منها واجبروها على الاستسلام ، ثم عمدوا الى احراقها وقتل الملك .

وفي الاسر تمكن احد الامراء بالتعاون مع ثلة من جيشه من استعادة قوته لتحرير انجور . وعندما تحقق له ذلك سنة ١١٨٠ نصب من نفسه ملكا على الكمبوديين تحت اسم جيافرمن السابع .

وقد قام هذا الملك القوي الحكيم باجراء تعديلات جذرية في مملكته ، فاعاد بناء ما هدمه التشاميون اثناء الحرب ومنها استبداله بالاسوار الخشبية جدرانا من الاحجار الصلدة التي لا تقوى عليها الحراب او غائلات الزمن ، ثم غير دين الدولة من الهندوسية الى البوذية ، وأمر ببناء المعابد لبوذا في انجور وحولها ، ولم ينس الخدمات الصحية ، فبني قرابة ١٠٢ من المستشفيات وقد حفر على أحدها هذا القول : « يعاني الملك من آلام شعبه اكثر مما يعاني من آلامه ، لان آلام الشعوب هي المسبب الاول لآلام الملوك » .

وقد عاش حتى التسعين كي يشهد ما حققه من انجازات شملت مرافق المدينة وما حولها . ولم يهدأ له بال حتى استولى على شامبا واضافها الى ملكه .

ومن اروع ما بني « انجور ثوم » او المدينة الجديدة ، وهي تبعد قرابة ميل عن انجور وات ، شيد قصره في وسطها وقد احاطه بالحدائق الغناء الشاسعة ، ثم اقام معبد « البايون » وهو اكبر معبد بعد « انجور وات » وقد احاطه بسور عظيم تتخلله خمس بوابات كبيرة تعتلي كل واحدة منها اربعة رؤوس تبتسم ابتسامة غريبة غيبية لا تمت الى الارض بصلة . وهي ما تدعى « بابتسامة انجور » ، وقد شبهها الكثيرون بابتسامة الموناليزا الغامضة .

ويتالف البايون من قاعات وممرات متشابكة وكأنها متاهات قصر « مينوس في كنوسوس » وتعتلي جدرانه صور حية لمعارك الالهة والشياطين بالاضافة الى معارك بحرية لجيشي شامبا وانجور ، وقد التحيا في مشاهد رائعة ، منها منظر التماسيح وهي تفتح افواهها لالتهام القتلى على صفحة المياه . وتطالعنا مشاهد اخرى تصور الملوك والكهنة بسيمائهم النبيلة واثوابهم المزركشة تتبعها مشاهد من السيرك وقد حوى السعادين والاقزام ومتسلقي الحبال . ثم منظر النساء وهن يثرثرن في الاسواق والصيادين وهم بشباكهم في اليم ، والرجال وهم يشوون خنزيرا في الغابة الخ ..

وتثبت لنا المشاهد بان حياة المزارعين لم تتغير خلال الخمسة قرون الماضية ، فالعربات التي تجرها الثيران ما زالت هي العربات في الحقيقة ، وهكذا بالنسبة لطريقة استعمال شبكة الصيد .

فن العمارة

لم ينتبه الخمير لبناء الاقواس فبدلا من ذلك قاموا ببناء معابدهم بطريقة اكثر صعوبة وتشبه الى حد ما طريقة شعب « المايا » في البناء ، حجر مسطح يعلو حجرا آخر . جلبت الحجارة اللازمة من جبل قريب يبعد خمسة وعشرين ميلا عن انجور ، وقد قام العمال بسحبها الى المدينة بواسطة الفيلة ثم عمدوا الى احداث فجوات في الاحجار ووضعوا فيها الاوتاد ليسهل عليهم جرها بالحبال ورفعها الى اماكنها وزحزحتها الى الامام والخلف حتى تستقر في مكانها .

ومن المنجزات الضخمة التي بناها جايا فرمن حول المدينة دير « تابروم » الذي شيده تخليدا لذكرى امه وقد حفرت عليه هذه الكلمات : شيد هذا الدير لايواء ١٨ كاهنا ، و ٢٧٤٠ راهبا و ٢٢٣٢ مساعدا و ٦١٥ راقصة » !

وقد قيل بان مجموع سكان الدير يربون على ١٢٦٤٠ شخصا الى جانب ٦٦٦٢٥ مواطن جلبوا خصيصا لتسهيل الخدمات وتيسير الطعام لسكان الدير .

ماركو بولو كان هناك

عرج ماركو بولو على كمبوديا اواخر القرن الثالث . زار شامبا وتوغل في داخل البلاد ولكنه لم يدخل انجور ، اما الرحالة الصيني « تشوتاكوان » فقد امضى فيها احد عشر شهرا ، وذلك ما بين ١٢٩٦ ـ ١٢٩٧ وكتب بالتفصيل عن زيارته واصفا البايون بانه يشع بالذهب فعن يساره يمتد جسر من الذهب يحرسه أسدان من الذهب وتمثالان لبوذا ، ثم اورد قصر « فمياناكس » الذي تسكن قبته العالية روح حية لها تسعة رؤوس حية تسيطر على ارض المملكة كلها ، وروح الحية هذه تظهر في كل ليلة على شكل امرأة يزورها الملك يوميا . فاذا حدث ولم تظهر روح الحية لليلة واحدة تصبح حياة الملك في خطر

اما اذا حدث العكس وتأخر الملك عن الحضور فيصيبه مكروه .

ولم يتمكن تشو من زيارة القصور لصعوبة ذلك ، لكنه سمع من مصدر موثوق بان القصور رائعة وتحيط بها السرية ، الا ان الملك يظهر مرتين في اليوم على شرفة قصره ، كي ينشر العدل بين الرعية . وقد قدر عدد زوجاته وجواريه ما بين الثلاثة والخمسة آلاف ، اما بخصوص الاحتفالات السنوية التي تقام في المملكة فهو لم يشهد اروع منها بالبهجة والبذخ وهي تستمر لاسبوعين على التوالي .

لقد شهد القرنان الثالث والرابع عشر عصر تدهور مملكة الخمير . فقد تكالبت عوامل الرخاء وسهولة الحياة على تفتيت همتهم وكسر شوكتهم ، بينما قويت همة الشعوب المحيطة لهم كالتاي ولاو واناميز .

ويحدو احد الكتاب سبب ضعفهم الى كثرة مشاريع البناء المنوطة بهم ثم شدة انغماسهم في اللهو والملذات هذا عدا تحولهم عن دين اجدادهم الى دين آخر لا يقيم وزنا للتباهي بالقوة والباس والشجاعة في الحروب .

وقد قويت شوكة التاي عام ١٤٣١ وهي مملكة تقع شمال كمبوديا ، فاغاروا على انجور وحاصروها سبعة اشهر حتى استسلمت ، ثم نهبوها واعملوا فيها الحرق .

وقد كانت حصيلة غنائمهم كنوز انجور الفاخرة ، ومجموعة لا بأس بها من خيرة الكهنة والفنانين وراقصات المعابد ، وبذلك انتقلت مدينة كمبوديا الى التايلنديين .

وفي عام ١٤٣٢ ثار الخمير على حكومة الظل وطردوا بقايا التايلنديين خارج البلاد . وقر رأي الحاكم الجديد « بونايات » على ان عاصمته قريبة جدا من اعدائها وامر بنقلها الى جنوب بحيرة « تنلي ساب » وهكذا أسست عاصمة فنم بنه التي لا تجاري بروعتها انجور العظيمة ولكنها آمن بالنسبة للخمير .

وهكذا تركت انجور لتواجه مصيرها الاسود وسط الادغال الكثيفة حتى لفها الاهمال والنسيان معا قرابة خمسة قرون ، وقد عاشت كمبوديا بالرغم من هجمات الاعداء المتوالية . وفي سنة ١٨٦٠ حولها الفرنسيون الى محمية ودعوها بالهند الصينية .

مصير الخمير

لم يكن ماضي الخمير مشرقا لزمن طويل حتى نتمنى له مستقبلا اكثر امنا ، فقد اثبت لنا التاريخ والحاضر بان كمبوديا مهما حاولت الهروب من مصيرها فهي تعاني الامرين بسبب المناوشات بينها وبين جيرانها . فبالرغم من انهم حاربوا الفرنسيين ونالوا استقلالهم عام ١٩٥٤ الا ان البلاد قسمت الى اربعة اقسام : كمبوديا ، لاوس ، شمال وجنوب فيتنام .

وهكذا بدلا من أن تهدأ وتستقر بعد استقلالها بدأت تواجه مرارة الانقسام وقد اثرت حرب فيتنام على كمبوديا كل التأثير ، وفي عام ١٩٦٩ اعلن الجنرال « لون نول » الموالي للغرب قيام جمهوريته الكمبودية ، طاردا الامير سيهانوك عن العرش . وبذلك بدأت سلسلة الحروب الدموية من جديد وعلى مستوى عالمي في كمبوديا ، ونتيجة لذلك قتل الكثير من الخمير .

وفي عام ١٩٧٥ سقط حكم « لون نول » امام ضربات الخمير روج ، القوميون الكمبوديون الذين يؤمنون بانتمائهم للخمير الاصليين الذين سرعان ما استولوا على الحكم متبعين مبدأ تصفية الاعداء ، وبالتدريج تحولت حرب التصفية الى صدام مع الفيتناميين . فقامت الحرب بينهما عام ١٩٧٨ وانتهت بهجوم عام على الكمبوديين محتلين بذلك عاصمتهم فنم بنه ، لكن الصين لم تصمت فشنت هجوما على الفيتناميين عام ١٩٧٩ لاجبار هانوي على الانسحاب من كمبوديا ولا تزال الحرب دائرة حتى الآن حرب الجوع والتشرد والهجرة والاطماع المحلية والعالمية .

اخيرا ،

يقول « كنت بريجز » في كتابه « امبراطورية الخمير القديمة » : حقا لم يترك الخمير اساليب متفوقة في الادب والدين والفلسفة كما فعل الهنود . لكن فن زخرفة البناء الشرقي عند الخمير قد وصل الى اوج عظمته في الاداء وروعة التنفيذ . » ■■

جدة ـ رجاء ابو غزالة

حكم من الصين

جمعها وترجمها : خان لي

الاستاذ في معهد اللغات ببكين

● قطرة فوق قطرة ، بحر .. وحكمة فوق حكمة ، علم .

● لا تخجل مما لا تعرف بل اخجل مما لم تدرس .

● الرجل الذي لا يتعلم شأنه شأن الارض الجرداء التي لا تنبت شيئا .

● جمال الطير في ريشه وجمال الرجل في علمه .

● العمل منبع العلم والعلم منارة الحياة .

● اثمن الاشياء في الدنيا ثلاثة : العلم والغذاء والصداقة .

● قال كونفوشيوس : لابد لي في درب الحياة ان اجد بين كل اثنين معلما .

● الكتاب نافذة نتطلع من خلالها الى العالم .

● العلم منجم غزير مقفل ، ومفتاحه الدأب .

● سلح عقلك بالعلم خير من ان تزين جسدك بالجواهر .

● ليست عبقرية الا تبلور العرق والدم .

● من استهان بالوقت نبذه الزمن .

● كلما كبرت السنبلة انحنت ، وكلما تعمق العالم تواضع .

● النقد في الوجه ، والمدح في الظهر .

● لا تتخذ تمساحا صديقا ، وان سالت منه الدموع .

● ليس من اغراك بالعسل حبيبا ، بل من نصحك بالصدق عزيزا .

● الصديق من ابكاك لا اضحكك .

● من كان لي معلما يوما ، غدا لي صديقا دوما .



من نجوم المسرح السياسي الفرنسي

أرمان جاتي

حتى لا يصبح الانسان سلعة

بقلم : الدكتورة سامية أحمد أسعد

يزداد التوتر في عالمنا يوما بعد يوم . لذا ، كان من الطبيعي أن يهتم بعض الكتاب بالمسرح السياسي الذي يخاطب جمهوراً شعبيا في أغلب الاحيان . وعادة ما يختار القضايا الكبرى التي تفرضها أحداث الساعة ، ومن أهم الكتاب الذين قدموا اعمالا في اطاره - من الفرنسيين والناطقين بالفرنسية - الكونغولي اميه سيزير ، والجزائري كاتب ياسين ، والفرنسيان ارمان جاتي وميشيل فينافير .

ولا شك ان ارمان جاتي من اهم كتاب هذا المسرح في فرنسا . ولقد اخترنا الحديث عنه لان مسرحياته ترتبط ارتباطا عميقا بالفترة التي نمر بها والاحداث التي نعيشها . فهذه المسرحيات لم تكتب لكي يتذوقها المتخصصون مستقبلا ، وانما لكي تعبر عنا ، نحن أبناء اليوم وعن المعارك التي نخوضها في كافة مجالات الحياة .

ولد ارمان جاتي في موناكو عام ١٩٢٤ م في اسرة من المهاجرين ، نصفها طليان ونصفها روس . كان ابوه كناسا مات قبل ان يبلغ الابن الخامسة عشرة . ونقل جاتي فيما بعد ظروف تلك الوفاة في « حياة الكناس أوجست جيه » .

خاض جاتي في حياته عدة تجارب تركت فيه اثرا عميقا وساعدت على اتجاهه الى الخلق المسرحي . فلقد بدأ حياته صحفيا تخصص في باب القضايا ، كان صحفيا بالنهار ، لكنه كان يتحول الى شاعر بالليل . وفي عام ١٩٥٤ ، فاز بجائزة صحفية عن ريبورتاج حول حياة السيرك وترويض الوحوش . علمته هذه

التجربة معنى الخوف ، واوحت اليه أيضا بالجو « الحيواني » الذي يشيع في كثير من مسرحياته . واتاحت له مهنة الصحفي فرصة الدخول في مجتمعات مختلفة ، مما ساعد على تشكيل شخصيته واثرائها . ولقد قال في هذا الصدد : « اكسبتني الصحافة مفهوما للعالم على مستوى العالم » وفي ديسمبر ١٩٥٩ م كتب جاتي آخر ريبورتاج صحفي له ، وكان عن الممثل الراحل الفرنسي جيرار فيليب .

تأثر جاتي أيضا بحياة السفر والرحلات . ففي رحلته الى الصين مثلا ، اكتشف بلدا وثورة . وقرأ عددا كبيرا من المسرحيات الصينية يرجع بعضها الى القرن الرابع عشر . ولاحظ ان الديكور والاكسسوار لا يحتلان الا مكانا ضئيلا فيها . يقول جاتي : « خشبة المسرح (في المسرح الصيني) ليست سوى اشارة الى مكان وهمي لا حد له . يخلق الممثلون المكان الذي تدور فيه الاحداث في كل لحظة . والايماء والاشارة الى الاكسسوار يعطيان المسرح أشكالا مختلفة من الوجود لا حد لها في الزمان أو المكان » .

بدأ مع المقاومة

ومما لا شك فيه أن الحرب العالمية الثانية هي التي تركت أعمق الاثر في مؤلفات جاتي عامة واتجاهه الى المسرح خاصة . قال : « تأكدت اليوم ان كل شيء بالنسبة لحياتي كانسان وكاتب مسرحي ، قد بدأ مع المقاومة . لم تنبع تجربتي من معرفتي لكتاب المسرح ، وانما من معرفتي لفلاحي الكوريز الذين قاوموا الاحتلال » .

تدور مسرحيات جاتي في أماكن متعددة في جواتيمالا ، والصين ، والمانيا الهتلرية وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية واسبانيا وفيتنام واليابان ـ الخ ... وتستمد موضوعاتها من التاريخ ، القديم والحديث . لكنها تربط دائما بين الابعاد الزمنية الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل . فشخصيات جاتي تعيش التاريخ ، في مواقف متباينة ، ومهما فعلت أو رأت ، فهي معنية بما يجري حولها . بعضها يخضع للاحداث ، فيسحقها التاريخ الذي يصنع بمنأى عنها ، والبعض الآخر يخاطر ويحاول تخطي العقبات دفاعا عن أغلى ما يتحلى به الانسان من قيم . وأولئك الذين يقاومون يظهرون في ظروف معينة ، ويقدمون صورة للانسان الذي يمكن أن يكون انسانا آخر أفضل واكثر ثورية ممن سبقه . واذا كان المصير الجماعي يشكل المصير الفردي ، من خلال بعض المواقف التي يلعب فيها التاريخ دورا رئيسيا ، فان ذلك المصير الجماعي في حاجة الى أفراد .

كتب جاتي حتى الآن عددا كبيرا من المسرحيات ، من بينها : « الضفدع ـ الجاموس » (١٩٥٩ م) ، و « السمكة السوداء » (١٩٥٨ م) ، و « الطفل ـ الفأر » (١٩٦٠ م) ، « وحياة الكتاس اوجست جيه الخيالية » (١٩٦٢ م) ، و « أغنية عامة أمام كرسيين كهربائيين » (١٩٦٤ م) و « آلام الجنرال فرانكو » (١٩٦٨) ، و « في مثل فيتنام » (١٩٦٧ م) و « القلق » (١٩٦٨) . وهذه بعض الموضوعات التي عالجها في هذه المسرحيات .

تدور أحداث « حياة الكتاس أوجست جيه » قبل الحرب العالمية الثانية ، في مكان ما في فرنسا . يجرح أوجست جيه جرحا مميتا أثناء اضراب عمال احد المصانع . واثناء احتضاره يستعيد أهم أحداث حياته يتذكر البارون الاسود ، السكير الذي اعتاد رؤيته في طفولته ، والبارون الابيض مدير الشركة التي يعمل فيها الآن وبولين ، الفتاة التي أحبها في شبابه ، وابنه كريستيان الذي يتخيله مخرجا سينمائيا . ويتراءى له الفيلم الذي سيصوره كريستيان ذات يوم عن ثورة العمال . ويصبح الفيلم المنشود تبريرا لحياة رجل متواضع لا يرضى أن يموت مقهورا .

« أغنية عامة أمام كرسيين كهربائيين » تنطلق من بعض الاحداث التاريخية التي كانت الولايات المتحدة الاميركية مسرحا لها عام ١٩٢٠ م . في ذلك العام ، قام البعض بالهجوم على مصنع احذية وسرقوا خزائنه وجرح بعض الناس ومات آخرون . كان القتلة من المحترفين . لكن رجال البوليس ، استنادا الى بعض المعلومات الموجزة ، وجهوا تحقيقهم الى أوساط العمال المهاجرين ،

وقبضوا على اثنين من الطليان الفوضويين : ساكو الاسكافي ، وفنزيتي تاجر السمك . وكان الهدف الحقيقي من القبض عليهما هو اشاعة الخوف في الاوساط العمالية الامريكية . لم يتورع القضاة ورجال البوليس عن تلفيق ابشع التهم لهما . وصدر الحكم عليهما ، بالرغم من عدم وجود ادلة جادة ، وشهادة ماديروس الذي اعترف ببراءتهما ، وجهود الدفاع والحملة العالمية التي ساندتهما .... وبعد معركة دامت سبع سنوات ، أعدما بالتيار الكهربائي واضعين حداً لقضية كبرى جعلت اصحاب العمل يواجهون العمال . وفي « ف مثل فيتنام » ، تحتل وسط المسرح أضخم آلة حاسبة في العالم « الكستناء » ، وتعتبر الديكور الرئيسي للمسرحية . وحولها ينتظم تفكير اصحاب العقول الخارقة في البنتاجون . لكن الفيتناميين ذوي الوسائل الدفاعية البسيطة ، يقاومون العدوان ، ويضيفون الى دائرة معارفهم الشعبية كلمة جديدة تبدأ بحرف ف : « ف مثل فيتنام » . والمعروف ان كلمة انتصار بالفرنسية تبدأ بحرف ف V وقنبلة هيروشيما التي هزت ضمير العالم أوحت الى جاتي بمسرحية « اللقلق » ؛ تقول اسطورة يابانية قديمة ان المريض المحكوم عليه بالموت ينجو منه اذا توصل الى صنع ألف لقلق من الورق .

وصنعت فتاة صغيرة من ضحايا القنبلة الذرية ٧٠٣ لقلق قبل ان تموت . ويستعيد سبعة من الاشخاص الذين عاشوا معها هذا الامل ذكرى موتها .

ويتخيل الكاتب ان كلا منهم يعيش حياتين . من ناحية يتحد مع الشيء المطابق للوظيفة الاجتماعية التي يقوم بها قبل الانفجار ومن ناحية اخرى يخرج عن جمود الاشياء ليعبر عن نفسه كإنسان . لكن الجندي اينيمون الذي كان في ماليزيا أثناء الانفجار يعود ويشعل الصراع من جديد ، لانه لا يريد أن يرى في المستقبل حائطا مسدودا ، كما يفعل ضحايا القنبلة ، فيعمل على مركب مسافرة ، ويختفي كاللقلق الالف ، تاركا وراءه بذرة أمل متمثلة في المرأة التي أحبها التي تقول : « لا تطير اللقالق في السماء فقط . هناك أيضا لقالق تطير على الارض ، والارض سماء بطريقة ما . واذا ألقيت على الارض سبع مرات ، نهضت ثماني مرات » .

السمكة السوداء

عاش جاتي بنفسه بعض الاحداث التي يصورها في مسرحياته . فمسرحية « السمكة السوداء » نشأت عن العلاقة المباشرة بينه وبين الصين . لكنه يصور أيضا أحداثا هامة لم تخضع للتجربة المباشرة . وفي هذه الحالة ، يصبح جمع الوثائق اللازمة أمرا لا بد منه .

وعادة ما يوجد اكثر من نص واحد للمسرحية الواحدة . فجاتي لا يتوقف الا عندما يشعر أنه لم يعد لديه شيء يقوله . واثناء مراحل الكتابه المتتالية تقرأ المسرحية عدة مرات وتناقش ، مما يساعد الكاتب على تعديل نصه وتنقيحه . واثناء سلسلة القراءات هذه ، يبدي المستمعون آراءهم ، ويطلبون اعادة النظر في هذه النقطة او تلك .. وعندما عرضت « ف مثل فيتنام » في تولوز ، لفت المخرج نظر المتفرجين الى انهم يشاهدون النص العشرين للمسرحية لان مؤلفها يعتبر المسرح مادة حية قابلة للتغيير والتطور .

هكذا يتضح ان جاتي يأخذ دائما موقف المتفرج بعين الاعتبار . فهو يكتب ليثير اهتمام ذلك المتفرج ، ويلقي به في خضم احداث الساعة التي لا بد من أكتساب بعض المعلومات التاريخية والسياسية لاستيعابها . لذا اوصى بان تسبق العرض قراءات ومناقشات تمهيدية تجري في اماكن العمل او السكنى لكن دور المتفرج لا يقف عند هذا الحد اذ عليه ان يتخذ موقفا معينا مما يعرض امامه . في الظروف الاستثنائية ، يولد المسرح السياسي في المتفرجين احاسيس وانفعالات متشابهة . لكن ، في عدم وجود ازمة حادة ، يتوقف سلوك كل متفرج على عاداته ، واهتماماته ، وحياته اليومية ..... وعندما كتب « أغنية عامة » ... قطع شوطا بعيدا في سبيل تطبيق افكاره تلك . فوضع على البلاتوه متفرجين يؤدي ادوارهم بعض الممثلين ، وجعلهم يشاهدون عرضا حول قضية ساكو وفنزيتي ، هذا في الوقت الذي يشاهد فيه نفس العرض متفرجون حقيقيون جالسون في الصالة . لاشك أن الممثل المتفرج ، يختلف عن المتفرج الحقيقي . لكنه يشبهه من حيث الطباع والاهتمامات والوظيفة الاجتماعية .

هل يعني هذا أن المتفرجين جميعا يتقبلون العرض تقبلا كاملا ، وأنهم يجمعون على رأي واحد ؟ يقول جاتي : لا ، لان هذا هو المفهوم البورجوازي للمسرح السياسي . على عكس بيسكاتور الذي يجعل للمسرح رسالة تزيد من حدة الخلاف الاجتماعي . ويشاركه جاتي هذا الرأي عندما يقول : « اوافق على المسرح الذي يفرق لا المسرح الذي يوحد » ...

في عالم الاستغلال

يعتبر مسرح جاتي نقلا حقيقيا للحياة اليومية ، .. فهو لا يقدم صورة مثالية للانسان لان ذلك قد يشوه وجهه الحقيقي ، يبحث جاتي عن وجه انسان لا يدعى الى المسرح ليشاهد عرضا فقط وانما لكي يساهم في صنع مصيره كأنسان .

يرى جاتي أن من يعمل ، أينا كان ، يتحول الى قيمة تجارية بحته . والسيطرة من أجل الاستغلال تظل حقيقة أساسية في عالمنا هذا . وينتج هذا الوضع عن تقسيم اقتصادي واجتماعي وسياسي وثقافي عميق : هناك من لهم الحق في كل شيء وهناك من لا يستحقون شيئا . وطالما ان هذا الوضع باق فان السلام في العالم يظل شعارا بلا مضمون .

في نص سابق لمسرحية « أغنية عامة ... » ، كنا نرى القاضي تايبر جالسا في وقار في مكانه التقليدي ، لكنه ظهر في النص التالي للمسرحية في شكل ملاكم ، هكذا جرده جاتي من ثوبه الطويل وحياده الزائف ، واظهره للمتفرج كما هو في الواقع : جسم جعل للضرب . وهنا ، يتضح ان له نفس وظيفة رجل البوليس . فهو لايخدم العدالة ، وانما يبرر القمع الذي يمارس ضد الذين يحاولون ان يحولوا حاجتهم الى العدالة الاجتماعية الى واقع .

والسلطة في بعض البلاد لا تدعو المواطن الحر الى بيع قدرته على العمل فحسب ، بل تحوله الى مستهلك دائم ايضا . لذا ، يحاول خبراء التسويق ان يقنعوه بان بوسعه اقتناء كل شيء اذا فرض على نفسه بعض التضحيات اللازمة . ويلجأون الى بعض الحيل المغرية الذكية .ولكي يشترى المرء ، يجب ان يعمل . وكلما عمل ، زادت قدرته على الشراء . هكذا يتحول الانسان نفسه الى سلعة .

واذا لم يكن للانسان قضية يدافع عنها ، اقترحت عليه السلطة قضيتها هي : في « ف مثل فيتنام » ، يرى كدراتور ان الاشتراك في حرب فيتنام فرصة متاحة للمقهورين لكي يندمجوا في المجتمع ، ويرتقوا الى مرتبة « مواطن امريكي » بمعنى الكلمة ، ويكسبوا احترام الاخرين . « من ذا الذي نرسله الى فيتنام ؟ الطلبة الاكفاء ؟ ام الذين تستفيد منهم البلاد الى حد ما ؟ نحن لا نرسل هناك الا الضعفاء اقتصاديا ، ومعتادي الاجرام ، والعاجزين مؤقتا ، والمتطوعين ، والفاشلين ، والزنوج . وتهتم بهم ، ونلبي اقل احتياجاتهم ، تحميهم ... وعندما يعودون بيننا ، لا يعودون بسيارة فحسب ، بل بسبب يبرر وجودهم في الولايات المتحدة : لقد خاضوا الحرب ! »

ولان المرء لا يساوي شيئا اذا كان في الدرجات السفلى من السلم الاجتماعي ، يرغب في الارتقاء الذي تغذيه السلطة « بالتنافس الصحيح » . لكن هذا التحول المنشود لايتم ، لان الذي يتقاضى الاجر خادم يذل مرتين : فهو يقبل فلسفة الاقوى ، ولا يستطيع الا تلقينها للاذلاء الاخرين . ان الذين يعدون اعدام ساكو وفنزيتي اناس يكسبون قوت يومهم ، لا اكثر ، ابتداء من الطبيب الذي « يأتي ليتأكد من ان صحة المحكوم عليهم جيدة » ، حتى عامل الكهرباء الذي يقطع في ملابسها الاماكن التي ستمر منها الاسلاك » .

ومن بين وسائل الارتقاء الاجتماعي ان يقول المرء « نعم » للمبادىء التي يقوم عليها المجتمع .

الانسان فأر تجربة !

ويأمل الذين يضعون سياسة البنتاجون واستراتيجيته ان تساعد القنابل الخارقة على ميلاد انسان جديد يعترف بمآثر المعونة التي يقدمونها للشعوب المتخلفة كما يقولون : « سيأتي اليوم الذي يستيقظ فيه

الفيتكونج الشاب وهو يقول : اليوم ، لن انصاع للاوامر ، لانه سينظر حوله ويفهم فجأة الفرص المتاحة لبلده الجميل ، فلسوف يرى المعونة الامريكية تأتي الى القرويين بسقف من الصفيح وارضية من الاسمنت ، ومدرب زراعي ، ومعلم ، وممرض معه امصال ولقاح ... » وفي انتظار هذا اليوم ، يعمد البنتاجون الى الوقاية بقمع التمرد وسحقه ، حتى ولو كان يعبر عن حركة الواقع .

وتساعد « الكمبيوتر » على رسم استراتيجية امريكية جديدة في العالم اسمها « الاستراتيجية الشاملة » ، لان الامريكان يرون انهم مكلفون بمهام على مستوى العالم . هكذا تصبح الحرب نوعا من التصرف من وجهة نظرهم ، ويستخدمون فيها احدث الاجهزة التي اخترعها الانسان .

واستخدم الانسان كفأر تجربة في اليابان . فشاهد « انفجار الشمس » . واصيب بالذهول عندما رأى العالم يتحول الى « عالم عاجز داخل بحر من الانقاض » ، وراقبه الاطباء ودونوا ملحوظاتهم عنه . وتولت لجان خاصة فحص من بقي على قيد الحياة ، فالمعتدي انسان ، مهما قيل ، او هكذا يريد أن يبدو .

تطرح الامبريالية اذن على الشعوب والطبقات المستغلة الخيار بين امرين : الخضوع او الموت ، متناسية ان التهديد والقمع ، حتى لو كان ذريا ، لا يمكن ان يحل اى تناقضات .

وايتيمون ، بطل مسرحية « اللقلق » ، لا يقبل الخضوع ولا يقبل الموت ، ويتخذ موقفا ايجابيا آخر . فهو يثير من بقوا على قيد الحياة لان جسده ظل سليما . يثيرهم لانه لا يرثى لحال ضحايا الانفجار . يثيرهم لانه لا يفقد الامل ويعود الى العمل .

وعندما يبعث الامل ، يحرك الزمان من جديد . عندئذ ، يتخذ التاريخ معناه الحقيقي .

وتخطىء احدى الشخصيات عندما تؤكد ان « الانسان يتواضع دائما عندما يخسر الحرب » . فالقضية ليست قضية كسب الحرب او خسارتها . انما هي مقاومة القهر . يقول جاتي : « ارفض هذا النوع من البشر الذي يظل ملتصقا بالارض ، ويقبل الموت الذي يفرضه عليه الاخرون . يجب ان يعرف الانسان كيف يظل واقفا دائما .

هذا الانسان الواقف هو الذي يرفض ان يفضي به وضعه الاجتماعي الى العدم . يقول الكناس أ . جيه « لاينبغي ان تعتقد ان الكناس وما يكنسه شيء واحد » . والانسان « الواقف » لايعرف بقدرته على استعمال آلة او أداة فحسب ، بل يعرف ايضا بوعيه الاجتماعي والمهني ، ونضاله من اجل البشر اجمعين ، وادراكه لامكانياته في عالم تخلص من استغلال الانسان للانسان .

موقف من الرفض

ونجد في كل مسرحيات جاتي موقف اينيمون المثالي الذي يرفض اسطورة الضحية . فالكاتب يرفض ان يصور طبقات ، او اجناساً ، او جاليات ، او اقليات مقهورة ، لانه لا يوجد في رأيه انسان مقهور في حد ذاته . لكن ، يوجد داخل الطبقة الواحدة ، او الجنس الواحد ، او الاقليمية الواحدة ، الذين يستسلمون لمصيرهم ، والذين يتعاونون مع قاهريهم ، والذين ينهضون ويثورون . ففي « اغنية عامة .. » ، نرى الزنجي « مان » ينحاز للجلادين لانه اسود ، لكي يجد مخرجا ، بينما ينحاز زنجي آخر للضحايا ، تضامنا معهم ، لانه اسود ايضا .

الاختيار الحقيقي المطروح على الانسان المقهور هو : ان يكون او لايكون ، اى ان يقبل مصيره او يتمرد . وتلعب مناورات الاغراء في هذا الصدد دورا رئيسيا . وتتضح الرغبة في مقاومتها في الرؤى التى تبدو لأوجست جيه اثناء احتضاره . فهو يتخيل ان ابنه كريستيان مكلف من احد اصحاب الاموال باخراج فيلم عن الثورة . ويحاول صاحب المال ان يفرض سلطانه على المخرج الذي استأجره تماما كما يفرضه على العمال الذين يشتغلون عنده . لذلك ، يخيره بين امرين : اما الانحياز للفقراء والتعرض لعدم انجاز الفيلم ، واما تلبية مطالبه كصاحب عمل . هكذا يحاول البورجوازي ان يقنع

المثقف بان العالم يجب ان يكون واحدا كالماء : « الماء يجري بطبيعته نحو نفس النقطة ، ويتجمع » .

والصراع يخلق مواقف لا يتحملها اولئك الذين يقبلون ان يكونوا اداة للسلطة لكي يوجدوا مكانا صغيرا لهم تحت الشمس . ويخلق ايضا مواقف لا يتحملها اولئك الذين لا يهتمون الا بالانسانية المعذبة ، ويرفضون العنف ، ايا كان مصدره . من بين هؤلاء الامريكي موريسون الذي يحرق نفسه امام البنتاجون ، متهما رؤساءه العسكريين والمدنيين بمسئوليتهم عن العنف الذي يمارس في فيتنام .

ويتخذ العنف اشكالا متعددة ، منها ذلك العنف الكامن في ماراثون الرقص في « حياة الكناس أ . جيه » . هذا الجزء من اكثر اجزاء المسرحية تأثيرا . فنحن نرى راقصين يحيط بهم بعض المقاولين والمفتشين الذين ارتدوا الملابس المدنية . والاوركسترا الذي يعزف الموسيقى مكون من رجال الامن المركزي . جو المسابقة عامة يشبه جو العمل في المصنع . فالملاحظ ان المسابقة تقتصر على بعض العاملين والعاملات . فلا البارون صاحب العمل ، ولا رجال البوليس يرقصون . الاول يكتفي بالتنظيم ، والآخرون يشرفون على حسن سير المجموعة ويشجعون المجهود الجسماني . وابعاد الذين يسقطون من فرط التعب في حلبة الرقص يتولاه رجال البارون الذين يستخدمون في ذلك اكسوارا يشبه الخطاف .

مسرح منفجر

كان لابد من الحديث عن عصر استغلال الانسان للانسان بلغة مسرحية جديدة ، داخل ابنية مسرحية جديدة ايضا . لذا ، رفض جاتي الابنية التقليدية . ففي « حياة الكناس أ . جيبه » يمثل دور الكناس عدة ممثلين مختلف اعمارهم . بذلك عبر المؤلف افضل تعبير عن استمرار قهر العامل عبر مراحل حياته المختلفة .

واستبدل جاتي الزمان المسرحي التقليدي بمفهوم آخر للزمان : فهو يستعيد الحدث بماضيه ، وحاضره ، ومستقبله . واطلق على هذا الزمان الجديد اسم « الزمان ـ الامكانية » ، وربط بينه وبين امكانيات الانسان : « يختلف الزمان المسرحي عن زمن الساعات ، ويصبح تلك الامكانيات التي نجدها في الانسان » . وخضع المكان المسرحي لتغيير من نفس النوع . فهناك مكان معين يخلق كل الاماكن الممكنة .

و « اغنية عامة .. » مثال كلاسيكي للربط بين الزمان ـ الامكانية والمكان ـ الامكانية . ففي هذه المسرحية ، يتحول البلاتوه الى خمسة اماكن يصور كل منها قاعة عرض في ليون ، وهمبورج ، وتورينو ، ولوس انجلوس ، وبوسطن . من ثم ، لاتدور الاحداث في الولايات المتحدة فقط ، بل على مستوى العالم مباشرة . اما عن زمان المسرحية ، فهو لايقتصر على ذكر القضية في تاريخ معين ، فهو يواكب تاريخ الحركة العمالية الامريكية منذ عام ١٨٨٦ حتى ايامنا هذه .

وكثيرا ما وصف مسرح جاتي بانه « مسرح منفجر » . ويجب ان نفهم هذا الوصف بمعنيين ، فهو يدل في آن واحد على مأساة الانسان المعاصر وعودة التاريخ والعالم الى خشبة المسرح ، ويعني ان الزمان ـ الامكانية والمكان ـ الامكانية يصبحان تعبيرا ملحميا عن امتلاك الانسان المناضل للتاريخ وللعالم . وبالتالي ، لا يمكن فصل الاستمرارية التاريخية والتضامن الجغرافي عن تفجير الابنية التقليدية ، في حركة جدلية صرفة .

بنفس الحركة الجدلية ، تحذف المسرحية التقسيم الى فصول ومشاهد ولوحات لانه تقسيم آلي لا يمكن ان يعبر عن زمان ومكان غني . ويستبدل جاتي هذه الاسماء التقليدية باخرى مبتكرة تدل على مختلف الاجزاء المكونة للمسرحية . هناك مثلا « العودة الى الوراء » ، و « العودة الى الامام » ، و « التقديم للتذكرة » ، الخ ... واسماء اخرى متباينة ترسم جميعا محاولة موجهة الى الذاكرة . ومثل هذا التقسيم ليس فواصل فحسب : فهو يدل في الوقت نفسه على الرغبة في مطابقة الشكل للمضمون .

... هذه ملامح من مسرح جاتي السياسي ، ذلك المسرح الذي يشعر الانسان بانه معني به ، اينما كان ، لان كاتبه التزم بالدفاع عنه وحثه على مناهضة كل ما يعترض سبيل حريته ، وكرامته ، وسعادته .. ■■

بغداد ـ د . سامية أحمد أسعد



هكذا يغنون في صنعاء

بقلم : الدكتور محمد عبده غانم

تختلف الاغاني اليمنية باختلاف الجزء الذي تصدر عنه من اجزاء اليمن ، فهناك على سبيل المثال الاغنية اللحجية الصادرة عن منطقة لحج التي تبعد مسافة عشرين ميلا عن عدن تقريبا . وهناك الاغنية العدنية ، وهي تختلف عن الاغنية اللحجية بالرغم من قصر المسافة بين البلدتين . وهناك الاغنية الصنعانية التي تعتبر جزءا من التراث الفني ، لانها تمتاز عن بقية الاغاني بأن لها تاريخا يعود بها الى القرن الثامن للهجرة . عندما بدأ الشعراء اليمنيون ينظمون الشعر المعروف في اليمن بالشعر الحميني في قوالب أشبه ما تكون بقوالب الشعر المسمط والموشحات الاندلسية ، وبأسلوب اشبه ما يكون بشعر الزجل في تحرره من قيود الاعراب والفصاحة والعروض .

الحميني والفصيح

بيد ان الشعر الحميني المستعمل في الاغنية الصنعانية يكاد يكون قريبا في الفاظه من الشعر الفصيح كما يبدو من كلمات الاغنية التالية :

الشوق اعياني (١)
يا قرة الاعيان
واليمن اوطاني (٢)
مواطني الاشجان
فدمع اجفاني
من فرقتك الوان
اضحى باوجاني
كالدر والمرجان

والكلمات للشاعر اليمني ابراهيم جحاف المتوفي عام ١١١٧ هـ ، وهي كما ترى فصيحة في كلماتها . وقد سلك الشاعر بها الوزن المعروف بالقوما وعروضه مستفعلن فعلان الذي يقول لنا صفي الدين الحلي في كتابه العاطل الحالي (ص ١٣٢ ، ١٧١) انه اخترع في العراق مع وزن المواليا في العصر العباسي الاول . وهو يقع هنا كما ترى في قالب الشعر المسمط ـ اما القالب الموشح في شعر الاغاني الصنعانية فمن احسن الامثلة عليه قول عبد الرحمن بن يحيى الأنسي المتوفي عام ١٢٥٠ هـ .

يا ساري (٣) البرق من تهامه
رويدك اللمع والخفوق
حليت (٤) قلب الشجن ظلامة (٥)
في ذمتك قلبه المشوق
مسكين متصحب السلامة
قام يسألك علم لا يحوق (٦)



فكان جوابك عليه حمامة [٧]
ما هكذا تفعل البروت
ابراك [٨] ربي وسامحك
فيما فعلته بلاعك [٩]
ان جيت [١٠] فيا يفاتحك

(توشيح)

هل في تهامة بكت غمامه
ضحكت من دمعها الدفوق
فاخضر من رملها ثامه [١١]
واصفر من نخلها العذوق [١٢]

(تقفيل)

بيت

ومن سمر بالثيب الاعفر
يحدي على ساري القمر
وابيض الفل ذاك الازهر
شبيه ثغر الرشا الاغر
من شك زهره [١٣] ومن تشقر [١٤]
ورصفه ساعة السمر
وهل خطب قمري الحمامة
في منبر النخلة السحوق
لله ما اشجاه من خطيب
يشجي الخلي يبكي الكئيب
يذكي جوى فرقة الحبيب

(توشيح)

فايه هل قام في مقامه
لازلته عنه [١٥] ما يعوق

(تقفيل)

والليل قد رقعته ظلامه
نسيمة الفجر بالخفوق
بيت

... الخ

وزن هذا الموشح هو كما ترى من مخلع البسيط (مستفعلن فاعلن فعولن) . ويختلف الموشح اليمني عن الموشح الاندلسي من حيث القالب في أن الجزء من فقرة الموشح المعروف بالمطلع في الموشح الاندلسي يتكرر في الموشح اليمني مع كل فقرة . ويقال « توشيح » لما يعرف « بالدور » في الموشح الاندلسي ، و« تقفيل » لما يعرف « بالقفل » وتكتب في آخر كل فقرة ما عدا الاخيرة في الموشح اليمني كلمة بيت لتدل على نهاية الفقرة .

قالب ثابت

وهناك قالب ثابت للاغنية الصنعانية يتكون من قصيدة تنظم الاشعار الاولى فيها قافية واحدة والاشكال الثانية قافية اخرى . ومن أحسن الامثلة على ذلك ما جاء في قول احمد المفتي المتوفي عام ١٣٩٤ هـ .

جل من نفسي الصباح
وبسط ظله المديد
الهم القمري النياح
فتغنى على الجريد [١٦]
اح لو كان لي جناح
كنت مثله وعاد [١٧] ازيد
وامضرْد [١٨] لك الفلاح
استمع قصة العميد
ربة القرط والوشاح
واللمى الحالي [١٩] البديد [٢٠]
قتلتني بلا سلاح
وقتيل الهوى شهيد
هكذا سنة الملاح
تفعل الغيد ما تريد

وهو من مجزوء الخفيف (فاعلاتن مستفعلن) وقد دخله « التذييل » فصار « فاعلاتن مستفعلان » . ويلاحظ خفة الوزن وتوخي الشاعر الرقة والسلاسة والفصاحة في اختيار الكلمات وصياغة التراكيب ، بل التزامه الفصاحة في كل الكلمات ما عدا الكلمات « اح » و« عاد » و« حالي » بل (*) ان استعماله

(*) الكلمتان « عاد » و« حالي » فصيحتان ، والكلمة « أح » مجرد صوت للتوجع ، بدلا من « آه » والحاء والهاء صوتان حلقيان (العربي) .



لكلمة « عميد » بمعنى العاشق ، لتدل على ان المقصود بهذا الشعر هو الطبقة المثقفة ويؤكد ذلك اسلوب القصائد الاخرى فلذا رجعنا الى القصيدة المسمطة التي اوردنا بعضها لابراهيم حجاف نجده يقول في فقرة تالية :

محبتك دعوى
ما ان لها برهان
وان من يهوى
يقول يا فتان
يا جنة المأوى
للعاشق الولهان
انظر الى شأني
فيا رقا [21] لي شان [22]

فاي رجل غير مثقف في اللغة العربية يستطيع ان يدرك أنه في الشطر الثاني من البيت الاول استعمل الشاعر « ان » الزائدة ويفهم ان عبارة « رقا لي شان » (في الشطر الاخير) معناها جف لي دمع .

اما الاغاني اليمنية الاخرى فهي اكثر لصوقا باللغة الدارجة ، بل ان الاغنية الصنعانية لتمتاز بانها تستعمل الشعر الفصيح احيانا وعندئذ يغلب على كلماتها اسلوب القصيدة ذات القافية الواحدة . ومن الامثلة على ذلك القصيدة التي تغنى للشاعر بن هتيبل الذي عاش في اوائل عصر بني رسول وامتدح في شعره « الملك المظفر يوسف بن عمر » في النصف الاول من القرن السابق اما القصيدة التي تُغنّى فقد قالها في مدح احد الامراء الزيبريين وقد جاء في مقدمتها الغزلية :

انا من ناظري عليك اغار
وراعني ما زال عنه الخمار
يا قضيبا من فضة يقطف النر
جس من وجنتيه والجُلنار
صن محياك بالنقاب والا
نهبتهُ العقول والابصار
من سعيري قلبا صميا ولو طر
فة عين ان كان قلب يُعار
ورأت مفرقي فافزعها لي
ل تمشي في جانبيه نهار
وغرام الشباب اشهى الى النف
س وان كان في المشيب الوقار
ما يصد الملاح عن صلة العش
اق الا القتير والاقتار [23]

وللمزيد من كلمات الاغنية الصنعانية تحيل القاريء الى كتاب « شعر الغناء الصنعاني » لكاتب هذا المقال . ■■

صنعاء ـ محمد عبده غانم

(١) اتعبني (٢) مخففة من اوطأني بمعنى ازلني (٣) خافق باللمعان (٤) حللت (٥) ظلما (٦) لا يؤخر (٧) هلاكه (٨) سامحك (٩) بيريقك (١٠) اجبت (١١) الثمام من نباتات البادية (١٢) جمع عذق بكسر السين وهو في النخلة بمثابة العنقود في الكرمة (١٣) شك الزهر بمعنى نظمه عقودا (١٤) تشقر : اتخذ من الزهر اغصانا يزين بها رأسه (١٥) ازاله (١٦) فروع النخل (١٧) بمعنى « برضه » في اللغة المصرية « وايضا » في الفصيح (١٨) وامفرد بمعنى يا مفرد فكثيرا ما نستعمل « وا » بمعنى « يا » النداء في الشعر الحميني (١٩) بمعنى الحلو (٢٠) يقصد به الاسنان المفلجة (٢١) مخففة من رقأ (٢٢) مخففة من شأن بمعنى الدمع (٢٣) القتير : الشيب ، والاقتار : ضيق النفقة .



بقلم : الدكتور زغلول راغب النجار *

منذ متى كانت الارض ... ؟

سؤال محير شغل بـــال الانسان منذ القدم تعرض لـه الدين باجابات كلية شاملة تاركا التفاصيل للجهد البشرى . وحاول المفكرون والفلاسفة في كل عصر ان يجدوا له جوابـــا مقنعا فساروا بالناس في متاهات من الظنون ، ثم حاول العلم التجريبى أن يعالج تلك القضية فصادفه في ذلك شيء من التوفيق .

وقبل ان اخوض فى تفصيل المحاولات العلمية لتقدير عمر الارض . اود ان أؤكد على ان الدعوى بازلية العالم كانت احدى دعاوى المعارضين لقضية الايمان بالله . فجاء العلم التجريبى باجابـــة قاطعة فى ذلك بان الارض التى نحيا عليهـــا مستحدثة بالية ، كانت لها فى الاصل بداية حاول العلماء تقديرها . وانها لا بد وان سيكون لها فى يوم من الايام نهاية ، يحاول العلماء استقـــراء كيفية حدوثها من مجريات الامور فى الكون المحيط بنا وان كان احد لا يستطيع الجزم بشيء فى ذلك ... فهو استقراء لغيب لا يعلمه الا الله .

ويبدو ان فطرية الايمان فى النفس البشرية

* استاذ الجيولوجيا بجامعة البترول والمعادن ـ الظهران ـ المملكة العربية السعودية .

قد نفت فكرة ازلية العالم التى نادى بها بعض الملحدين ٠ فهؤلاء هم قدماء المصريين ـ وهم على ماهو ماثور ـ اول من سجلوا افكارهم عن نشأة الارض . يؤمنون بفكرة الخلق ويمثلونها برسم تقليدى يبدو فيه ملك الهواء « شو » ابن ملك الشمس «أمون رع» يفصل أخته تت اى «السماء»عن اخيه كوكب الارض ، أى بينما اعتقدوا بأن « أمون رع » نفسه كان قد ولد من زهرة اللوتس النامية على المحيط الاول ٠

ثم تلاهم فلاسفة الاغريق وفى مقدمتهم اناكسيماندر Anaximander الذى ولد فى حوالى عام ٦١١ قبل الميلاد وقد تخيل الكون فى مبدئه على هيئة مادة اولية لها قدرات حركية كبيرة ومنتشرة انتشارا هائلا فى الفضاء الكونى،كما تخيل ان الحر والبرد المستمدين من حركة المادة الاولية قد أديا الى تكون كل من الارض والهواء بالاضافة الى حلقة محيطة من نار ٠ وان النجوم قد نشأت من النار والهوا،بينما نشأت الحيوانات والنباتات من مادة الارض تحت تاثير الشمس ، وقد شمل ذلك ايضا فىظنه الجنس البشرى الذى تخيله فى مبدأ الامر على هيئة الاسماك ٠

وقد تلى اناكسيمندر فى ذلك الخيال الخصب كثير من فلاسفة الاغريق نذكر منهم اكسينوفنيز Xenophanes وهيرودوت ، وارسطو وافلاطون، الذين انقسموا بين مؤيد لفكرة ازلية العالم ومدافع عن فكرة الخلق ٠٠ . وان كان الذين دافعوا منهم عن فكرة خلق الارض لم يذكروا لنا متى كان ذلك ٠٠٠٠

اول اشارة

فاول اشارة مدونة عنتاريخ خلقالارض ـ ترجع الى الكتابات الهندية القديمة ، ففى احد الكتب المقدسة عند الهندوس ويعرف باسم مانوسمترى Manusmitri ـ ويقال ان جمعه على هيئته الحالية قد تم فى حوالى ١٥٠ ـ١٢٠ قبل الميلاد ـ يقدر ماضى العالم وحاضره ومستقبله بنهار واحد فى حياة براهما ، نهار مقداره ٤٣٢٠ مليون سنة من سنينا ٠ وفى خلال ذلك النهار البراهمى تخلق اشيا محدودة من اللانهائية ٠

وقد قسم نهار براهما الى اربعة عشرة دورة كبرى تدوم كل منها ٣٠٨ر٤٤٨ر٠٠٠ سنة بالاضافة الى ومضة نهائية مدتها ١ر٧٢٨ر٠٠٠ سنة . من بعدها يبدأ ليل براهما حينما يقدر للمحدود ان يندمج فى اللانهائى ٠٠ وتنتهى الحياة فى عالمنا ٠

ومدة ليل براهما كمدة نهاره ٤٣٢٠ مليون سنة من سنينا . وحسب ذلك التقويم الهندى القديم فان العالم لايزال فى دورته السابقة من نهار براهما ـ اى فى منتصف عمره تقريبا ـ وقد انقضى الان ـ اى فى١٩٧٩م ـ ١ر٩٧٢ر٩٤٩ر٠٨٠ سنة على خلق الارض ٠

وتعليقا على يوم براهما هذا يذكر العالم الاسلامى الكبير ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى ـ المولود فى الثانى من ذى الحجة ٣٦٢هـ الموافق ٤ من سبتمبر سنة ٩٧٣ م فى قرية من ضواحى مدينة كات عاصمة دولة خوارزم ، والمتوفى سنة ٤٤٠هـ الموافق ١٠٤٨م بمدينة غزنة بدولة خوارزم ـ فى مولفه كتاب البيرونى فى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل او مرذولة الشيء الكثير الذى لخصته فى ص ٣٠٤ بقوله : كل ماكان عديم النظام او مناقضا يسابق الكلام نفر عنهالطبع ومله السمع،وهؤلاء قومبذكرون أسماء كثيرة تتجه بزعمهم على الواحد الاول أو على واحد دونه مشار اليه . فاذا جاءوا الى مثلهذا الباب اعادوا تلكالاسماء لكثيرين وقدروا لها الاعمار وطولوا الاعداد فهذا غرضهم ، والميدان خالوالعدد غيرواقف الا بالفعلوالايقاف، ثم لايتفقون فيها ايضا على شيء واحد لنتعرف معهم فيه كيف تصرفوا ، ولكنهم يختلفون فيها كاختلافهم فى ابعاض اليوم المنحطة عن الانفاس٠

ولسنا ندرى على وجه التحديد الاساس الذى بنى عليه يوم براهما ومضاعفاته ، الا ان هذه تبدو اول اشارة مدونة عن قدم الارض طالما

سخر منها الناس حتى اثبتت الدراسات الحديثة ان نهار براهما الخيالي ومداه ٤٣٢٠ مليون سنة هو اقرب رقم معروف الى عمر الارض كما اثبتته الدراسات الحديثة ٤٦٠٠ مليون سنة ـ على الرغم مما يكتنف ذلك من غموض ...

رأى البيروني

ويذكر البيروني في كتاب اخر له عنوانه « تحديد الاماكن لتصحيح مسافات المساكن » تحت موضوع « تاريخ خلق العالم » ص١٧ ـ ص١٩ ، ما نصه : .. ولقد يمكن ان يتقدم مبدأ الزمان وخلق العالم كل آن من آناء الزمان نفرضه بلحظة، كما يمكن ان يتقدمه بالاف الوف سنة بعد ان تكون معدودة محدودة لتتعلق بالوجود ،والمرجع في هذا الى السمع من الصادق ، فاما كتاب الله عز وجل والآثار الصحيحة فلم تنطق بذلك البتة ، واما اهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم من الصابئين والمجوس فمتفقون على التاريخ بالانسان الاول ، ثم مختلفون في كميته اختلافا كثيرا ..

ثم يضيف .. ولا نعلم من احوالها اى الارض الا ماتشاهد من الاثار التى تحتاج فى حصولها الى مدد طويلة ، وان تناهت فى الطرفين كالجبال الشامخة المتركبة من الرضراض الملس المختلفة الالوان المؤتلفة بالطين والرمل المتحجرين عليها فان من تأمل الامر من وجهه واتاه من بابه علم ان الرضراض والحصى هى حجارة تنكسر من الجبال بالانصداع والانصدام ، ثم يكثر عليها جرى الماء وهبوب الرياح.ويدوم احتكاكها فتبلى وياخذ البلى فيها من جهة زواياها وحروفها حتى يذهب بها فيدملكها ، وان الفتات التى تتميز عنها هى الرمال ثم التراب وان ذلك الرضراض اجتمع فى مسايل الاودية حتى انكبست به . وتخللها الرمال والتراب فانعجنت بها واندفنت فيها وعلتها السيول ، فصارت فى القرار والعمق بعد ان كانت من وجه الارض فوق .. ، واذا وجدنا جبلا متجبلا من هذه الحجارات الملس ،وما اكثره فيما بينها ، علمنا ان تكونه على ما وصفناه وانه تردد سافلا مرة وعاليا مرة اخرى وكل تلك الاحوال بالضرورة ذوات ازمان مديدة غير مضبوطة الكمية وتحت تفاير غير معلومة الكيفية ....

هذا المنهج الفكرى الرائع فى مناقشة العمليات الجيولوجية وادراك حاجتها الى مدد زمنية طويلة ، وفهم ذلك كمعيار لتقدير عمر الارض هو احد الاسس الرئيسية في محاولات الانسان لتقدير عمر الارض اليوم ، هذا بالاضافة الى العديدمن الملاحظات الجيولوجية التى سجلها البيرونى فى كتابه وناقشها باصالة علمية واضحة ، ووصل منها الى استنتاجات عديدة تنسب اليوم خطأ الى عالم بريطانى يدعى جيمس هتون اتى بعد البيرونى باكثر من ثمانمائة سنة (١٧٨٥ م) ولكن . مما يؤسف له ان هذا المنهج العلمى الاصيل لم يحمله من بعد البيرونى كثير من المسلمين على حد علمى ، ولذلك نجد كتب التاريخ الشهيرة من مثل كتاب « الكامل لابن الاثير » وكتاب تاريخ الرسل والملوك للطبرى ، وكتاب مروج الذهب للمسعودى ، وكذلك بعض كتب التفسير مثل جامع البيان عن تاويل اى القران للطبرى ، و التفسير الكبير للفخر الرازى وغيرها ترجع فى قضية تاريخ العالم الى الاسرائيليات المدسوسة التى لا اساس لها على الاطلاق فى الاسلام ، ولا سند لها من استنتاجات العلم الحديث .

فمثلا يذكر ابن الاثير فى موضوع « القول فى جميع الزمان من أوله الى اخره ما نصه : « اختلفت الناس فى ذلك فقال ابن عباس من رواية سعيد ابن جبير عنه سبعة الاف سنة ، وقال ذهب بعضهم الى ستة الاف ، وقد زعم اليهود أن جميع ما ثبت عندهم على ما فى التوراة من لدن خلق ادم الى الهجرة أربعة الاف وستمئة واثنتان وأربعون سنة. « وقالت اليونانية من النصارى أن من خلق ادم الى الهجرة خمسة الاف سنة وتسعمائة واثنتين وتسعين سنة وشهرا ، وزعم قائل أن اليهود انما نقصوا من السنين دفعا منهم لنبوة عيسى اذ كانت صفته ومبعثه فى التوراة ، وقالوا لم يات الوقت الذى فى التوراة الذى عيسى يكون فيه ، وهم ينتظرون بزعمهم خروجه » .

« وقالت المجوس أن قدر مدة الزمان من لدن ملك جيومرت الى وقت الهجرة ثلاثة الاف ومائة

وتسع وثلاثون سنة ، وهم لا يذكرون مع ذلك شيئا يعرف فوق جيومرت ويزعمون انه ادم عليه السلام .

هل حدث في التاسعة صباحا ؟

ويذكر الطبري في مطلع كتابه « تاريخ الرسل والملوك » شيئا من ذلك تحت عنوان « القول في كم قدرجميع الزمان،من ابتدائه الى انتهائه وأوله الى اخره» وواضح ان الله تعالى لم يحدد لنا ذلك بنص صريح في كتابه ، ولا قول ثابت عن نبيه ورسوله (صلى الله عليه وسلم) تاركا ذلك لمجال نشاط العقل البشري واجتهاده ، ولكن اليهود والنصارى والمجوس كانوا قد اثاروا هذه القضية وحددوا لانفسهم اجابات عليها ثم دسوها على المسلمين في احاديث غير متصلة السند،ومن ذلك ما ما اورده ابن الاثير نفسه في كتابه « الكامل (١ : ١٤ ـ ١٥) » في تعليق على مثل هذه الاحاديث ما نصه : « اعرضت عنها لمنافاتها العقول ولو صح اسنادها لذكرناها وقلنا بها ، ولكن الحديث غير صحيح ومثل هذا الامر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا الاسناد الضعيف » .

وقد ان الاوان لنا أن نطهر كتبنا من مثل هذه الاسرائيليات المدسوسة ، فلم يكن المسلمون وحدهم الذين دست عليهم هذه الافكار اليهودية فهذا هو رئيس اساقفة ايرلندا جيمس اشر يعلق في سنة ١٦٥٤م وبناء على دراسته لسفر التكوين واخبار من ورد فيه من السالفين الى ادم عليه السلام ـ ان الارض قد خلقت في تمام الساعة التاسعة من صباح الثاني عشر من اكتوبر ٤٠٠٤ قبل الميلاد.بينما اعلن جون لايتفوت نائب رئيس جامعة كمبردج انذاك ان خلق الارض كان في تمام الساعة التاسعة من صباح التاسع عشر من سبتمبر من نفس العام ، وقد ضمن ذلك في طبعة الملك جيمس من الانجيل،ولم يكن يسمح باكثر من الفي سنة قبل ذلك كعمر اقصى للارض .

هذا القصور المخل في تحديد عمر الارض قابله من جانب اخر خيال مسرف في مد عمر الارض الى مايشبه اللانهاية ، فهذا هو المؤرخ المعاصر الامريكي الجنسية الهولندي الاصل هندريك وليم فان لوون المتوفي سنة ١٩٤٤ يسجل في كتابه قصة الانسانية اسطورة خيالية مضمونها انه في اقصى الشمال،عند ارض تعرف باسم سفيثيود Svitrjod توجد صخرة مكعبة الشكل،يبلغ طول ضلعها مائة ميل، يزورها مرة كل الف سنة طائر صغير ليسن منقاره عليها ، وعندما تفنى تلك الصخرة ، فان يوما واحدا من ايام الخلود يكون قد انقضى . ومن العجيب ان هذا الكتاب طبع ثلاثين مرة وترجم الى اثنتي عشرة لغة وحاز ميدالية ادبية في سنة ١٩٢٣ ، والشبه بين ذلك وبين الاساطير الهندية القديمة كبير ، وكلها ارهاصات دحضها العلم التجريبي بمنهجيته ونتائجه كما سنفصل ذلك في مقال قادم ان شاء الله .

■■

الظهران د . زغلول راغب محمد النجار

الحيــاة مستشفى !

● قال الشاعر الفرنسي شارل بودلير الذى مات فقيرا تعسا يصف الحياة مع المرض «« الحيـاة مستشفى ، كل مريض فيه يبحث عن سرير جديد في غرفة اخرى لانه يعتقد بانه اذا انتقل الى فراش غير الفراش الذى ينام عليه ، فسوف تفارقه علته حتى اذا أحس بأن موعد تركه للمستشفى قد اقترب ، تمنى لو أنه بقى فيه! »

• قصة •

المسافر

بقلم : الدكتور شكري محمد عياد

ـ لا أحد .

بينما كان يجيل بصره في الصحراء الشاسعة ، وهو يدور على محوره في كل اتجاه ، كانت هذه الفكرة البسيطة ، القاطعة ، في عقله ، أشبه بكائنات هلامية ، مرعبة مع ذلك ، تعيش في الأعماق السوداء . كانت هذه الأحرف الخمسة لا تكاد تتماسك حتى تذوب من جديد في تدفق تيارين من الرغبة والرهبة ، فيشعر بالم غير مفهوم .

ـ لا لست خائفا .

ـ معي في هذه السيارة طعام وشراب يكفيان اسبوعا .

ـ بالتأكيد ، دوريات المرور لا تكف عن قطع هذه الصحراء ذهابا وإيابا ، بالليل والنهار .

لعلي أبقى في هذه الورطة أكثر من ساعتين .

ـ اللصوص ؟ أين يكمن اللصوص ؟ هذه الصحراء المكشوفة الشاسعة أكثر أمنا من أي مدينة مزدحمة .

ـ ثمة حيوان واحد يكثر في هذه الصحراء ....

ـ انت تحفظ بيت المتنبي :

لا تحسبوا من قتلتم كان ذا رمق
فليس يقتل الا الميتة الضبع

لم ير ضبعا في حياته . لا يذكر انه رآه حتى في حديقة الحيوان ولكن الكلمة نفسها ترعبه . أهي فكرة الموت ؟ أم أن الانسان يؤكل بعد الموت ؟

الخلية الحية هي المخلوق الوحيد الخالد .

أسرع نحو باب السيارة ولكنه تذكر شيئا . فاخرج من جيبه الأيمن منديلا ابيض ، وربطه في « الشبكة » من خلف . فكر لحظة ثم اخرج المنديل الثاني من جيبه الايسر ، وربطه في الشبكة من الأمام .

هذه المرة بتمتمة خافتة ، مدغومة ولكنها تكفي لان



يسمعها ويفهمها المستمع الوحيد الذي كان موجودا هناك :

ـ يجب الا نترك شيئا للظروف . بعض الاغبياء ، حين لا يرون نور سيارة في الاتجاه المقابل لا يبالون ان اخذوا اليمين او الشمال .

هه ؟ في المقعد الخلفي علبتا « كلينكس » ، غير تلك التي امامي .

اغلق باب السيارة ، ضغط زر الامان ، ادار مقبض الزجاج ، حرك رافعة المسند . نظر وهو مضطجع ، عيناه نصف مغلقتين الى المسافة القصيرة التي تركها في أعلى الزجاج تكفي للتنفس بلا شك تنهد مستريحا .

ـ يقولون أن هواء الصحراء في المساء شيء رائع .

أغمض عينيه . تنفس بعمق . هواء الصحراء خفيف ، له رائحة نفاذة ، نشيط ، بل أرعن يريد أن يكتسح العالم . ملأ رئتيه منه . سار مبتعدا عن السيارة يحس نفسه عملاقا ، عاليا مثل الجبل خطوته تطوي البلاد ، نظرته تخترق السموات ، بسمته واثقة كاله .

لم يعد يحس بالارض من تحته لم يعد يحس باعضائه . كان يسبح في عنصر عجيب كانه سحاب متوهج ، كانه نار غضة . لم تدم سعادته غير لحظة فقد خطر له انه يتحول الى اشعة ومن يضمن له ان يجتمع بعد ذلك ولا يذوب في هذا الكون الهائل ؟....

ـ استغفر الله العظيم ! استغفر الله العظيم !

كانت الشمس معلقة على حافة الافق ، أشعتها الأفقية تنفذ بخبث من خلال رموشه وجفونه ، وجرتها الذهبية الساطعة تنسكب على الصحراء في فرح أحمق ، فتحيل الارض كلها سبيكة واحدة هائلة . خفق قلبه . تذكر انه قرأ في مجلة سيانس فكشن « موضوعا عن السفر بين الكواكب ، تنبأ فيه الكاتب بان الطريقة الاخيرة التي سيلجأ اليها الانسان للتغلب على المسافات الشاسعة بين الاجرام السماوية ، هي انه سيقيم محطات اشعاعية على تلك الاجرام ، وسيكون على الراكب الذي يريد ان يسافر الى كوكب الزهرة مثلا ، بدلا من اضاعة بضعة اشهر في هذه الرحلة ، ان يذهب الى المحطة الاشعاعية ويدخل في جهاز خاص ، يشبه كبسولة رواد الفضاء الآن ، فيتحول الى اشعة ، وبعد بضعة ايام فقط يكون قد وصل الى كوكب الزهرة فتعيده محطته الاشعاعية مرة اخرى الى حالته الجسدية .

لابد أن هذه القصة هي التي أيقظته من اغفاءته القصيرة . سيكون الانتظار ممضا ومخيفا حين يكون الانسان في حالته الاشعاعية واذا طال السفر بضع سنوات ضوئية فلابد ان يصاب بفقد الذاكرة ، هذا بديهي . سيكون الانتظار ممضا ومخيفا في هذه الصحراء حين يهبط الليل لا خالد الا الخلية الحية . كم الليلة في الشهر القمري ، ليس لديه أدنى فكرة . حاول أن يتذكر صورة النجوم (كما تبدو من الارض) . هناك ما يسمى الدب الاكبر . اربعة نجوم تكون شبه منحرف وتتصل بها ثلاثة أخرى تشبه ذيلا غير مستقيم . طالما ذكرته بطائرات الورق التي يلعب بها الاطفال . لقد كان لهم منزل في القرية ، وكان يبيت على السطح في ليالي الصيف ، كسائر أهل بيته . وهو بالتأكيد قد راقب النجوم في الليالي المظلمة . وهو بالتأكيد قد لعب بتلك الطائرات الورقية . نعم لقد كان طفلا . حقا كان طفلا . ليته يتذكر أيضا كيف كان بويضة في رحم أمه . لا خالد الا الخلية الحية .

على مرمى البصر عينان تثقبان الظلام ، وتقتربان بسرعة . ارتجف . تعلقت عيناه ، هو بالضوءين الساطعين . أهكذا ينظر العصفور الى عيني الثعبان ، عرف من النور المنفرش على جانبي السيارة انها حافلة . هل ينزل ويلوح لهم بالمنديل ؟ عندما قرر ذلك كانت الحافلة قد مرقت بجانبه . خطفت عينيه لمحة من باطنها المضيء ولكن الصورة اكتملت من تلقاء نفسها : الجو الدافىء الحميم . الاحاديث الجانبية التي لا تنتهي . المضغ القرقرة . ربما قبلة مختلسة في المقعد الخلفي . تنهد بحسرة . لا أمل في حل اثناء الليل . لا يمكن أن يثق بأحد . لا يمكن النزول من السيارة . خطرت له فكرة سخيفة : ماذا لو اراد قضاء حاجة ؟ قرر الا يأكل ولا يشرب حتى لا يجد نفسه في هذا المأزق . إنه من الأصل لا يحب أن يتناول شيئا وهو مسافر . أفضل ما يعمله ان ينام حتى الصباح . يقدر انه توقف ليستريح ولكن النوم لا يطاوعه دائما . الآن اكثر من اي وقت . لينام يجب ان

يدير الراديو ، او يبدأ قصة طويلة في « السيانس فكشن » ولكنه بهذا يفرغ البطارية . ربما نصف ساعة فقط الى ان يشعر بالنعاس ، النور ايضا يطرد الذئاب والحيات . ارتعد ـ لا يمكن ان ينام بعد ان خطرت له هذه الفكرة لينسى . اعتمد على ركبته ، واستخرج من كومة على المقعد الخلفي عددا من اعداد السيانس فكشن . اضاء نور السيارة وقرب المجلة من عينيه . اخذ يقلب صفحاتها حتى عثر على احدى القصص الفضائية . تلذ له فكرة ان الارض شيء صغير جدا ، مجرد هباءة في ذلك الكون الذي يضل العقل في تصور ابعاده . لا شك ان في هذا الكون كائنات أرقى من الانسان . لا يعنيه أنهم قساة ، لا يملكون أي حس اخلاقي . حسبه أنهم أقوياء . لا شك انهم ايضا أجمل من سكان هذا الكوكب . لا شك أن ولز كان متحيزا جدا عندما صورهم بتلك الصورة البشعة . ولكن النهاية رائعة حقا : لا يهزمهم الا مكروب صغير . لا خالد الا الخلية الحية . كل المؤلفين بعده تأثروا به . طبعا لم يعودوا يصورون سكان الكواكب في تلك الصورة البشعة . صورة الزواحف التي تشبه آلات عنكبوتية ضخمة . أصبحوا رجالا ونساء مثلنا ، ربما لهم عين واحدة او ثلاثة عيون بدلا من عينين ، ولكنهم مولعون بالتدمير كأولئك الذين صورهم ولز . انا عبد السلام الدشلوطي (ولو اني لا أحب هذا اللقب) اخالف اولئك المؤلفين ، وسأكتب روايتي الخاصة التي أنصف فيها سكان الكواكب الاخرى .

لو لم يكن هؤلاء القوم اكثر تحضرا منا لما استطاعوا ان يأتو الينا قبل ان نذهب اليهم . اذن فهم اكثر ذكاء وافضل من كل وجه ، واذا اساءوا معاملتنا احيانا فلأننا نستحق ذلك . هذه الحادثة مثلا غير معقولة : لماذا يحرقون المنزل على أصحابه ؟ كان يجب على المؤلف ان يقدم لنا سببا مقنعا . والمصور ايضا خياله سقيم ، فليس في الرواية نفسها ما يحتم ان تكون لهم عين ثالثة في اعلى الجبهة . لقد شوهت جمال هذه المرأة . انظر اليها بدون هذه العين الثالثة : اليست باهرة الحسن ؟

تنبه عبد السلام الدشلوطي الى ان ضوءا ساطعا يغمر السيارة . حرك مفتاح النور بيد مرتجفة لا يزال الضوء ساطعا ، سمع صوتا فيه غنة وبحة ورعشة . كان الصوت يأتي من ركن مظلم خارج السيارة بعد لحظات كان في محاذاته تماما ، لا يفصله عنه الا زجاج النافذة ، وجه اشقر يعلوه شعر كتاني له خصل مستديرة كشعور الاطفال .

عندما اطال النظر قليلا بدا له الوجه شديد الشحوب ، كأنه لا لون له . وكانت خضرة العينين مائلة الى الصفرة وكأنها حجران كريمان شفافان . ولا حظ ان السترة التي كانت مصنوعة من مادة تشبه الجلد ، منتفخة قليلا على الصدر ، فاستطاع ان يجزم بان محدثه امرأة .

وسمع الصوت الاغن الابح المرتعش مرة اخرى . وفي هذه المرة لاحظ النغمات تشبه تلك التي سمعها اول مرة . ولكن حار في تفسيرها وقبل ان يهتدي الى حل كانت محدثته تنطقها مرة اخرى بشيء من الغضب .

تهلل وجهه فجأة :

ـ نعم انا هو ... عبد السلام الدشلوطي

لم يكن يتخيل ان هذا الاسم القبيح يمكن ان يكتسي كل هذه الرقة والنعومة . ولكنها نطقت باسمه ما في ذلك شك !

كان نطقها للحروف شبيها ، الى حد ما ، بالنطق الانجليزي ، ولكن كانت له لكنة خاصة ذات هارمونية غنية ، جعلت من الصعب ان يكتشف السامع النغمة الاساسية للحرف .

لم يبد على الوجه الاشقر الشاحب انفعال ما ، ولكنها واصلت الحديث بالانجليزية :

ـ هل تحب ان تأتي معنا ؟

لم يكن العرض مفاجئا له تماما ، من زمان وهو يحلم بالسفر الى كوكب اخر . كان يعتقد مثل كثير من الناس أن الحياة على هذا الكوكب الارضي مستحيلة ، ولكنه لم يكن يتصور ان الحل سيجيئه سهلا ، في صورة هذه الفتاة الجميلة .

كانت الفتاة تشير الى مصدر الضوء : جسم معدني كبير مستدير ، لم يستطع عبد السلام ان يتبين معالمه جيدا لانه كان مختفيا في شبه ظلام .

ـ اتريدونني حقا ؟

ـ نعم .

ـ انا بالذات ؟

ـ نعم !

بدا ان الفتاة لم تكن متعودة على هذا الحوار المتردد ، فقد كانت في « نعم » الاخيرة نبرة حنق اخافت عبد السلام فتمتم معتذرا :

ـ لم اكن اظن اني معروف خارج الكرة الارضية .

جاءه الصوت بمزيد من الرقة :

ـ بل اننا نعلق على مجيئك اهمية كبيرة .

ـ هل لي ان اسأل لماذا ؟

ـ لا اظنك ستفهم .

ـ ارجو الا تسيئي فهمي . لست خائفا ولا مترددا . هذه اعظم لحظة في حياتي ولهذا اتمنى ان اعرف : ماذا تنتظرون مني ؟

ـ ستعرف بعد قليل .

بل انه خائف ؟ لماذا يخفون عنه الغرض من الرحلة ؟ خطرت له فكرة ان يدير المحرك وينطلق باقصى سرعة ، ولكنه تذكر ان السيارة معطلة ، الآن وضح له على الاقل شيء واحد : لماذا تعطلت به السيارة في هذه الصحراء المنقطعة ، قال بصوت متهافت وعيناه معلقتان بالخضرة الذهبية في عيني محدثته :

ـ أليس من حقي ان عرف الان ؟ لماذا اخترتموني انا بالذات ؟

ـ ثبت من ابحاثنا أنك عينة ممتازة .

لم يدر هل يسر لكونه ممتازا أم يغضب لكونه عينة .

اعترض بلطف :

ـ اعتقد انكم مخطئون . فأنا أشعر أني مختلف عن الآخرين جدا . بل انا متأكد من ذلك .

ـ كل ابناء جنسك يظنون هذا . انظر الي انا . انا لا اشعر اني مختلفة في شيء عن زميليّ اللذين يجلسان في تلك المركبة .

سري عنه قليلا . ها هي ذي تحدثه عن نفسها ! لا يهم ماذا تقول ولكنها تحدثه عن نفسها . ازعجه فقط انه لم يعد يستطيع ان يجزم ان كانت رجلا او امرأة ، والانجليزية التي تتحدث بها لا تفرق في الوصف بين المذكر والمؤنث . فيمكن ان تكون قد ارادت انها غير مختلفة او « انه » غير مختلف . لا يبعد ان يكون سكان ذلك الكوكب جنسا واحدا . لا يبعد انهم اكتشفوا طريقة للمحافظة على النوع بدون اللجوء الى طريقتنا الغبية المعروفة . هل يمكن ان يتصور هذه الحسناء حاملا في الشهر التاسع مثلا ؟ ومع ذلك فلا بد انهم يمارسون الجنس بطريقة ما . اشتاق ان يعرف هذا ايضا .

قال لها بأدب :

ـ بالنسبة لكم هذا معقول جدا . لقد وصلتم الى اعلى درجات الحضارة . ولكن انظري الى سكان هذا الكوكب ! لا شك ان ابحاثكم التمهيدية كشفت كثيرا من الحقائق .....

ثم بشموخ واعتداد :

ـ إني جاهدت طول عمري لافلت من معاييرهم ان كانت لهم حقا معايير ، في عالمنا الثالث بالذات لا توجد أي معايير ، ومع ذلك فالفرد شخصيته مسحوقة . اقصى ما يطمع فيه ان يهرب بجلده ، اعني بفرديته . أصارحك القول أنا يائس تماما من مستقبل هذا العالم كله ، بجميع درجاته الاول والثاني والثالث والرابع ان كان هناك رابع . لذلك اعد نفسي مختلفا ، ابتسمت ، لاول مرة . ولكن ابتسامتها لم تكن مطمئنة :

ـ اذن انت ترفض ان تكون عينة ؟! حتى ولو هربت من هذا العالم الكريه ؟

ـ صراحة هذه الكلمة تخيفني .

ـ انت تؤمن بالتصنيف العلمي ، اليس كذلك ، عبد السلام الدشلوطي ، مدرس العلوم في مدرسة قاف الثانوية ، أعزب ، في الخامسة والاربعين ، يدمن قراءة « السيانس فكشن » . اننا نجمع معلومات عن كوكبكم منذ اكثر من قرن . وقد لاحظنا أن الصنف الذي انت

منه يتزايد باطراد ـ اذا حذفنا بعض المتغيرات التي لا قيمة لها .

ـ لا ادري على اي اساس حددتم الثوابت والمتغيرات في هذا البحث . في نظري ان البيانات التي ذكرتها سطحية وتافهة . وان كنت اعترف بانها دقيقة تماما ، واخمن ان في استطاعتك ايضا ان تسردي على جميع البيانات التي وردت في ملفي الوظيفي .

ادهشه انها يمكن ان تضحك ايضا . وكانت ضحكتها اشبه بانطلاق كامل لكل الانغام التي تؤلف صوتها ، وكأنما اوركسترا كاملة تعزف . ولكن ضحكتها لم تدفىء قلبه وجاءه صوتها الغني المنغم يحمل نبرة ازدراء :

ـ يظهر انك تعتز جدا بحقائق معينة ؟ مثلا هذه المرأة التي تزورك كل اسبوع لترتب لك شقتك وتساعدك على قضاء بعض حاجاتك ؟ او هذه الجلسة المسائية التي تجمعك مع بعض الافراد مرة اخرى كل اسبوع لامتصاص مركبات الهيدروكسيل ودخان الكنابيس انديكا ؟ هل يمكن ان تجهل ان هذه الحقائق هي الاخرى من خصائص الصنف الذي نتحدث عنه ؟

صنف وعينة ! هل نسيت انه هو نفسه العينة ؟ مهما تكن عقلية علمية فهو لا يمكن ان يصنف ويصبح عينة . هناك في اعماقه شيء صغير هش ، لعله ذلك الطفل الذي كان يبيت على السطح في قريته ، ويسرح ببصره الى نجوم الدب الاكبر ، هذا الشيء الصغير الهش الذي لا يعرفه احد ، ولعله هو نفسه لا يعرفه ، كيف يمكن تصنيفه ؟ هذا هو الشيء الذي يعتز به حقا . يعتز به الى درجة البكاء . ماذا تراهم صانعين بهذا الشيء ـ هناك ؟

ـ يجب أن أعترف بأني فوجئت بهذا العرض ـ الى حد ما .

ثم ، بنفاق :

ـ الا تسمحون لي بمهلة للتفكير ؟

تطاير الشرر من العينين الذهبيتين ، واصبحت نبرات الصوت كطعنات السكاكين :

ـ هل تظن اننا خاضعون لمزاجك ، هذا ليس كنابيس انديكا . اتعلم كم كلفتنا هذه الرحلة ؟

ـ كم ؟

ـ لن تفهم على كل حال . لعلك تفهم فيما بعد .

ـ فيما بعد .. ماذا تريدون ان تصنعوا بي ؟

ـ لا شيء .

ـ هذا غير معقول . لا يعقل انكم جمعتم هذه المعلومات كلها من اجل لا شيء . لا يعقل انكم قمتم بهذه الرحلة من اجل لا شيء . لا يعقل . لا يعقل .

قالت بهدوء من يستنفد آخر ذخيرة الصبر :

ـ أؤكد لك اننا سنتركك على راحتك تماما . . تفعل كل ما يحلو لك . حتى الكنابيس انديكا اخذنا منه كمية تكفيك مدى الحياة . وبالطبع لن تقوم بالتدريس . لسنا بحاجة الى تدريسك اصبح كل شيء واضحا ، باهر الوضوح كالضوء الذي ينبعث من تلك المركبة الفضائية :

ـ فهمت . ستتركونني اتصرف على طبيعتي ، وتدرسون سلوكي كما تدرس سلوك الحشرات .

لم تجب . هذا هو المصير اذن . مصير محزن لعبد السلام الدشلوطي ، للطفل الراقد في اعماقه ، الذي يجهل كل شيء عن سكان الكواكب الاخرى .

ـ لن يكون الامر مؤلما على كل حال ... هيا ، انهم ينتظروننا .

تشبث بمقود السيارة وهو ينظر اليها بذعر . ومرت لحظة صمت . ثم لمع الضوء الاصفر في عينيها

ـ حسنا لن استعمل معك ما تسمونه العنف . هذه السيارة ايضا يمكن ان تلقي بعض الضوء على معرفتنا بمدى تقدمكم في علم الميكانيكا .

في اللحظة التالية كان عبد السلام الدشلوطي بسيارته ينفصلان عن الطريق الاسفلتي الصلب ، ويطيران ليستقرا في احشاء الجسم المعدني المستدير . ■■

شكري محمد عياد

الطب الشعبي ومنع الحمل

● تقوم منظمة الصحة العالمية بدراسة واسعة النطاق للطب الشعبي والتداوي بالاعشاب في ١٥ دولة مختلفة .. « ذلك ان حوالي ٣/٤ سكان العالم ما زالوا يعتمدون على الطب الشعبي في المحافظة على صحتهم » كما قال الدكتور جوليان جولد Dr.J.Gold أحد العلماء القائمين بتلك الدراسة والعاملين في مركز رقابة الامراض في اطلانطا بولاية جورجيا الامريكية .

وتشمل دراسات المنظمة العالمية فيما تشمل البحث في مدى فاعلية العقاقير الشعبية الشائعة ونذكر من هذه العقاقير ، على سبيل المثال ، نباتا صينيا يعرف باللاتينية Portulacca Oiraca ويستعمل اهل الصين محلول هذا النبات ، بل قل الشاي الذي يصنعونه منه ، في معالجة حالات الاسهال ....

وتشمل ايضا ما يعرف باسم Motherwort وقد درج اهل الصين على استعمال هذا النبات ، منذ آلاف السنين ، من اجل منع الحمل او المساعدة على الاجهاض .. ان كان ثمة حمل .... اذ تبين ان هذا النبات يحدث انقباضا في الرحم فيحول بذلك دون انزراع البويضة الملقحة في جداره ... او يؤدي الى طرحها فتجهض الحامل وتسقط حملها ...

وتشمل الدراسة كذلك فاصوليا التبت الخضراء ... احدى المأكولات الشعبية في بلاد التبت . فقد اكتشف العلماء في هذه الفاصوليا سر الظاهرة المدهشة التي طالما اشتهرت بها نساء التبت ... ظاهرة قلة الانجاب ، او عدمه ، فهن لا يتعاطين حبوب منع الحمل ... ومع ذلك تراهن لا يحملن وكأنهن يتعاطينها بانتظام ... وتعزى فاعلية فاصوليا التبت هذه الى مادة كيماوية تحتوي عليها هي M - Xylohydrquinone .

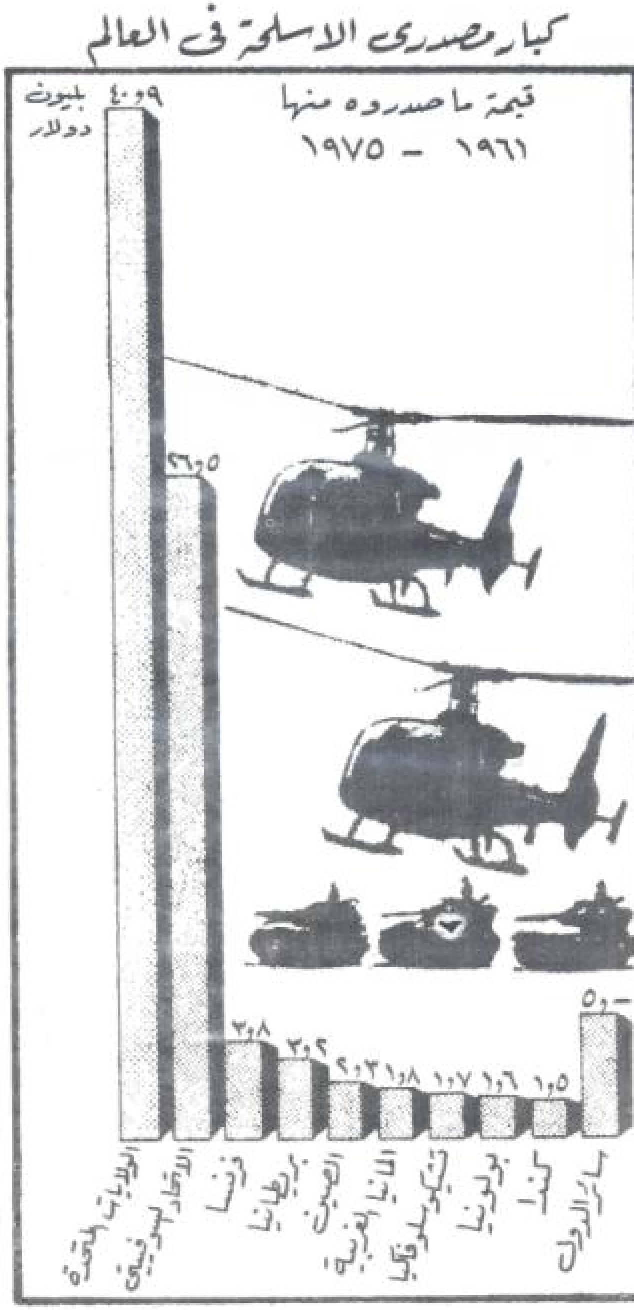
مصدروا الاسلحة الرئيسيون في العالم ومقدار ما صدروه منها ببلايين الدولارات فيما بين سنة ١٩٦١ ـ ١٩٧٥

● عقدت هيئة الامم المتحدة في ٢٣ مايو في السنة الماضية ١٩٧٨ جلسة خاصة بالتسلح ..... تلك الظاهرة الخطيرة التي حرمت دول العالم الثالث الكثير من فرص النمو والتقدم والتي باتت تهدد دول العالم وسكانه بلا استثناء بدمار شامل على اوسع نطاق .

ويبين الرسم البياني المرافق بوضوح مقدار ما صدرته من الاسلحة الدول الاولى في صناعة الاسلحة في العالم وعددها تسع دول ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ، وذلك خلال فترة الخمس عشرة سنة (١٩٦١ ـ ١٩٧٥) . ولئن كان هذا الرسم في غير حاجة الى ايضاح فهو يسمح ببعض التعقيب والتعليق .....

يلاحظ ان حصة الولايات المتحدة من مقادير الاسلحة التي تم تصديرها في الفترة المذكورة لا تنقص الا قليلا عن مجموع ما صدرته سائر الدول من الاسلحة في الفترة نفسها ... بما في ذلك الاتحاد السوفياتي . فقد بلغت حصة أمريكا ٤٠,٩ بليون دولار ولم تزد حصة سائر الدول مجتمعة على ٤٧,٤ بليون ..... بما فيها حصة الاتحاد السوفياتي البالغة ٢٦,٥ بليون .....

تزيد حصة الولايات المتحدة على حصة الاتحاد السوفياتي بنسبة ٥٠٪ ... وليس في هذا انتقاص لحصة روسيا ..... فهي



تزيد بدورها على مجموع حصص سائر الدول الاخرى مجتمعة وذلك بنسبة تقل قليلا عن ٣٠٪ ...

يلاحظ ان حصة فرنسا تزيد قليلا على حصة بريطانيا ، وأن هاتين الحصتين لا تكادان تبلغان ٩٪ و ٨٪ على التوالي من حصة امريكا . ولا يخفى ان فرنسا وبريطانيا كانتا تتزعمان المجموعة الى عهد قريب ...

لو جمعت المقادير كلها وقسمتها على عدد السنين اى ١٥ ، لحصلت على قيمة الاسلحة التي تم تصديرها سنويا بالمتوسط .. اى ٥,٨٥ بليون دولار .. وقد ازداد هذا المبلغ وهو يجاوز ٦ بلايين دولار سنويا في الوقت الحاضر ...

بلغ مجموع ما تنفقة الدول على تسلحها في ما تجنيه دول العالم الثالث من دخول - وغني عن البيان ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لا يتصدران قائمة مصدري الاسلحة فحسب ولكنهما يفوقان سائر الدول من حيث ما ينفقان على تسليح قواتهما ...

ومع ذلك فالدولتان العظميان لم تزيدا من نفقاتها العسكرية بمقدار الزيادة التي سجلتها دول العالم الثالث في نفقاتها ... وقد بلغت هذه الزيادة خلال فترة العشرين عاما (١٩٥٧ - ١٩٧٦) نسبة ١٠٪ بالمتوسط سنويا ...

كلهم بحاجة الى



كل مجهود يبذل لرعاية الطفل يستحق كل تقدير واهتمام، فرعاية الطفل هى خطوة فى سبيل رعاية الانسان . ولن تستقيم الحياة لاى مجتمع اذا لم يهيىء لافراده ، للانسان فيه ، امكانيات الاشباع والنمو . لكن لا يجب أن تقتصر رعاية المجتمع للانسان على مرحلة واحدة من مراحل نموه ، فالانسان حياة نامية متجددة ، يحتاج في كل لحظة من لحظات حياته الى تهيئة المناخ الامثل للعمل والابتكار لكي ينمى هذه الحياة ويطورها، ويستمتع بها .

لقد خصصت الامم المتحدة سنة ١٩٧٩ عاما دوليا للطفل . وبدأت المجتمعات والدول في الاستعداد للاحتفال بهذا العيد الانساني باجراء الدراسات واقامة المؤتمرات وحلقات البحث ، والاهتمام بتكثيف برامج رعاية الاطفال . وقياسا على الاحتفال باعوام دولية سابقة ، يخشى الذين يهتمون بالانسان ان تكون استجابة المجتمعات والدول هي من قبيل تعليق الزينات واقامة الموائد وارتداء أجمل الحلل واصدار أجمل المطبوعات في المؤتمرات والاحتفالات العلمية ، حتى اذا ما انفض «الفرح» أصبح الاهتمام بالطفل مناسبة من المناسبات، وعيدا من الاعياد .

الرعاية الطفل و الوالدان

بقلم : الدكتور

عبدالله محمود سليمان

رعاية في كل المراحل

وانا لا ادعو الى تقليل الاهتمام بالطفل ، بل انا اعتقد أننا نستطيع الاهتمام بالطفل بشكل أفضل اذا أخذنا في الاعتبار حقيقتين ٠

الحقيقة الاولى هي أن الانسان يحتاج الى الرعاية في جميع مراحل حياته ، والحق أن مرحلة الطفولة تعتبر مرحلة هامة في حياة الانسان لكن مرحلة الشباب ومرحلة الرشد ومرحلة الشيخوخة هي ايضا مراحل هامة في حياة الانسان ٠ وربما كان اهتمام العلماء بمرحلة الطفولة يرجع الى نظرية سيجموند فرويد الذى يعتبر السنوات الخمس الاولى من أهم مراحل حياة الانسان، اذ فيها تتحدد المعالم الاساسية لشخصيته ٠ غير أن بعض علماء النفس من أمثال هارى ستاك سليفان لا ينساق مع فرويد في حماسه المفرط للسنوات الخمس الاولى ، ويرى مع آخرين أن أهم ما تمتاز به شخصية الانسان المرونة والقابلية للتغير ، ومن ثم فان معالم شخصية الانسان يمكن ان تتغير في اى مرحلة تالية لمرحلة الطفولة ٠ لذلك فان الانسان يحتاج دائما وفي كل مرحلة من مراحل حياته الى اشباع حاجاته والى تهيئة امثل الظروف لكى تنمو قدراته وامكانياته ٠ وبالتالى فان رعاية الانسان لا يجب أن تقتصر على مرحلة الطفولة ، كما لايجب أن يقتصر الاهتمام الاكبر على هذه المرحلة ، بل يجب ان تكون المراحل التالية لمرحلة الطفولة موضع الاهتمام وبنفس القدر ٠ ويجب على الامم المتحدة أن تخصص أعواما دولية للشباب والراشدين والكهول ٠

والحقيقة الثانية هي أنه برغم ان الكتاب يتبارون في اظهار الحماس للطفل والمناداة باشباع حاجاته والعمل على تهيئة أفضل الظروف لنموه ، الا أنه يغيب عن البعض اننا لن ننجح في رعاية الطفل اذا لم نوجه نفس القدر من الاهتمام الى من يقوم برعاية الطفل ٠ فرعاية الطفل لن تتحقق من خلال برامج تضعها الدول على الورق ، أو مبادىء ينادى بها المختصون من مكاتبهم ، وانما تتحقق رعاية الطفل اذا توفر لمن يقوم بهذه الرعاية الفهم والامكانيات ٠ واذا كانت دراسات علم النفس تكشف عن أن من يفتقر الى الحب لا يستطيع أن يمنح الحب ، وأن من لا يجد الاشباع لايستطيع أن يوفر الاشباع ، وجب علينا حين نخطط لرعاية الطفل أن نهتم ايضا برعاية من يقوم بهذه الرعاية ٠ فلكى يقوم الوالدان والمعلمون وغيرهم برعاية الطفل يجب أن يكونوا هم موضع الرعاية من مجتمعهم ، كما يجب أن يتوفر لهم الفهم والمهارات التى تمكنهم من تحقيق هذه الرعاية ٠

هل نستخدم العلم

والان ، ما هى الاسس التى تقوم عليها رعاية الطفل ؟

أولا : لا يمكن أن تتحقق رعاية الطفل ، الا اذا تحقق لنا فهم الطفل : ما هو ؟ ما هى خصائصه؟ وما هى العوامل التى تؤثر فى نموه ؟ والمجتمعات

المتقدمة لا تترك عملية فهم الطفل للحدس والتخمين او الملاحظة العابرة ، أو الاجتهاد الشخصي • المجتمعات المتقدمة تعرف أن هناك طريق واحد هو افضل الطرق وادقها لفهم اية ظاهرة طبيعية ، وسلوك الانسان هو أحد الظواهر الطبيعية • هذا الطريق هو : العلم • واذا نظرت الى الغرب او الى الشرق فستجد ملايين من الدراسات العلمية ذات النظرة العميقة والمنهج الدقيق لفهم سلوك الاطفال من شتى جوانبه •

اما في بلادنا ، فيجب أن نتساءل : هل تستخدم في بلادنا العلم لفهم الطفل والانسان ؟

نلاحظ هنا أن العلم في بلادنا استطاع أن يقطع شوطا لا بأس به في فهم جانب محدد من جوانب شخصية الانسان هو الجانب الجسمي • بينما تخلف عن فهم الجانب النفسي أو السلوكي ولا يجب أن يدعو هذا الى الدهشة ، فعلم النفس الذي يهتم بدراسة سلوك الانسان قد تاخر نموه كثيرا عن العلوم الطبيعية ، لكن علم النفس قطع شوطا كبيرا في النمو والتطور ، كما انه يستخدم استخداما جادا في شتى مجالات الحياة في المجتمعات المتقدمة •

وانا لا أود أن اقلل من جهود علماء النفس في بلادنا • لقد قام بعضهم بجهود رائدة في فهم سلوك الانسان العربي • ولكن هذه الجهود الفردية والمتناثرة لا تكفي لدراسة ظاهرة ما ، خاصة اذا كانت الظاهرة قضية قومية كقضية تنمية الانسان • ولننظر الى المجتمعات المتقدمة لنرى ماذا يفعلون هناك • انهم يوفرون للعلماء كافة ما يتطلبه البحث من امكانيات مادية وبشرية ، من أدوات ومساعدين، كما يوفرون لهم المناخ الملائم للبحث ويغدقون عليهم من التقدير ما يدفعهم الى مواصلة البحث والابداع فيه • ومن اجل ذلك نجد في تلك البلاد العديد من البحوث التي القت والتي ما زالت تلقي الضوء على الظاهرة الانسانية في شتى جوانبها • لكن اين ـ في بلادنا ـ البحوث التي تصف لنا نمو الانسان في جميع مراحل عمره وفي شتى مظاهره الجسمية والانفعالية والعقلية والاجتماعية • بل أين الدراسات التي تكشف لنا عن العوامل التي تؤثر في سلوك الانسان ، فتزيد من قدرته على الابتكار ، وتخفف من شعوره بالقلق والعجز على سبيل المثال •

ولتحقيق الدراسة العلمية لسلوك الطفل يجب ان تهتم الدول بانشاء مراكز لدراسات الطفولة • لقد بدات الولايات المتحدة الامريكية في انشاء هذه المراكز منذ عام ١٩١٧ حين انشئت محطة بحوث رعاية الطفل والحقت بجامعة أيوا ، ثم توالى انشاء مثل هذه المراكز والحاق الكثير منها بالجامعات • وقد بدات بعض البلاد العربية بانشاء مثل هذه المراكز فعلا ، ولا بد أن نحيي مثل هذه الجهود •

ثانيا : ياتي بعد فهم استخدام العلم لفهم سلوك الطفل ، استخدام هذا الفهم لتشجيع امكانيات النمو عند الطفل ، أي مرحلة التطبيق • ويستطيع العلماء الوصول الى فهم دقيق لنمو الطفل والعوامل التي تؤثر فيه وتساعد على التحكم فيه • لكن هذه الجهود تذهب أدراج الرياح اذا لم نهتم بكيفية استخدام هذه المعلومات للتحكم في نمو الطفل • هنا تبرز حقيقة هامة : فالذي يتفاعل مع الطفل ويؤثر في نموه ليس عالم نفس الطفل ، بل الوالد والمعلم والاقارب والاصدقاء • واذا لم يكن لدى هؤلاء فكرة واضحة ومبسطة عن نمو الاطفال والعوامل التي تؤثر في هذا النمو وتساعد على التحكم فيه ، فستصير جهود العلماء مثل الزهور الصناعية تكشف عن مظهر براق ، لكنها لا تنشر الروائح الزكية التي تنعش نفوس الناس وتملأهم بالبهجة والسعادة • ولا يكفي أن تكون المعرفة في الكتب وعقول العلماء جاهزة حين تلجأ الام الى الطبيب أو عالم النفس اذا ما انحرف سلوك الطفل• فانسان المستقبل لن يكفيه أن يتجنب المرض والانحراف ويعيش في حالة من « السواء المتوسط »• انسان المستقبل يحتاج الى ان توفر له كافة الظروف لكي تنمو جميع قدراته الى اقصى حد ممكن ، ليستخدم هذه القدرات في مواجهة تحدي الحياة الحديثة ، وليحقق أقصى انتاج واستمتاع بهذه الحياة ، ولقد نبه واحد من أبرز علماء النفس هو كارل روجرز الى أن قضية الانسان أصبحت قضية بقائه واستمراره في الحياة • فالتحديات التي تواجه الانسان كبيرة ، والتغيرات التي تحدث في البيئة المادية وتواجه الانسان كبيرة والتغيرات التي تحدث في البيئة المادية والاجتماعية كثيرة ، ولن يستطيع الانسان أن يتغلب على ما تخلقه الحضارة الحديثة من مشكلات ما لم يكن انسانا مبتكرا • وكيف يكون الانسان مبتكرا اذا لم نتعهده منذ ان يقبل على

الحياة ، بل قبل ان يقبل عليها ، بتهيئة الظروف المثلى لنموه وتنميته •

دور الاسرة

لقد فطنت المجتمعات المتقدمة الى أن الطفل ينمو من خلال تفاعله مع الاخرين ، مع والديه وافراد أسرته ومدرسيه وغيرهم ، وان هؤلاء هم الذين يحتاجون الى المعارف والمهارات التى تمكنهم من اتاحة الظروف الملائمة لنمو الطفل • وتعتبر هذه المجتمعات تنشئة الطفل قضية قومية ، فتحرص على ان تقدم لافرادها معلومات دقيقة عن طبيعة نمو الاطفال واساليب معاملتهم في المواقف المختلفة•

ومنذ عام ١٩١٤ يصدر مكتب الاطفال في الولايات المتحدة نشرة « رعاية الطفل » Infant Care، وقد صدرت من هذه النشرة عدة طبعات وزعت ملايين النسخ • وتصدر المطابع فى امريكا كل يوم عشرات الكتب المبسطة التى تحدث الوالدين عن كيفية معاملتهم لابنائهم فى مختلف مراحل حياتهم •

ولم تقف جهود المربين ورجال الاصلاح فى الولايات المتحدة عند حدود الكلمة المطبوعة ، بل اخذوا ينادون بتدريب الوالدين تدريبا عمليا على رعاية أبنائهم ، ومن ثم ظهرت الدعوة الى تعليم الوالدين وتربية الوالدين Parent Education

وعلى سبيل المثال بدأ أستاذ سابق لعلم النفس فى جامعة شيكاغو هو الدكتور توماس جوردون فى سادينيا بولاية كاليفورنيا فى عام ١٩٧٠ برنامجا لتدريب الوالدين أسماه «التدريب الفعال للوالدين»• وكانت اول مجموعة بدأ الدكتور جوردون فى تدريبها تتكون من ١٧ والدا ووالدة ، لكن سرعان ما انتشر هذا البرنامج ووصل عدد الذين يحضرون فصوله الى ربع مليون شخص ، كما قام الدكتور جوردون وزملاؤه بتدريب معلمين للبرنامج وصل عددهم الى ٧٠٠٠ معلم بعد اثنتى عشرة سنة من بداية البرنامج، وما زالوا يتابعون التدريب بمعدل ١٥٠٠ معلم كل عام • وقد انتشرت فصول هذا البرنامج حتى غطت كل الولايات المتحدة تقريبا ، واصبحت تقدم فى بعض البلاد الاجنبية • وكان يقبل على هذا البرنامج فى بدايته الاباء الذين اضطربت علاقتهم بابنائهم ، اما الان فان الاباء يقبلون عليه لكى يكتسبوا المهارات التى تمكنهم من منع ابنائهم من الوقوع فى المشكلات•وكان يحضر هذا البرنامج فى بداية الاسر الوالدان من الطبقة الوسطى المتعلمة ، اما الان فيقبل عليه الوالدان من مختلف الطبقات • وتقوم كثير من المؤسسات الاجتماعية والمدارس بالانفاق على فصول هذا البرنامج خاصة لكى يقدم للاباء والامهات الذين لا يستطيعون تحمل نفقاته • وقد وصفت جريدة النيويورك تايمز فى عددها الصادر في ١٤ مارس ١٩٧٥ هذا البرنامج بانه « حركة قومية » •

ويصف يورى برنوفنبرنر فى كتابه « عالمان للطفولة • الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى » ، الاساليب المتبعة لتنشئة الاطفال فى هذين البلدين• ويلاحظ من قراءة هذا الكتاب أن الاتحاد السوفيتى يعطى اهمية كبيرة لتنشئة الاطفال ويعتبرها مسئولية اجتماعية • وبما أن الوالدين ينجبان طفلا يصير ان فيما بعد عضوا فى المجتمع ، فان عليهما اعداده بحيث يستطيع القيام بدوره الاجتماعى على خير وجه • ولتحقيق ذلك يعمل أساتذة علم النفس ورجال اكاديمية العلوم التربوية فى روسيا على تحديد أهداف التنشئة الاجتماعية اى الصفات وأساليب السلوك التى يجب أن يسعى الوالدان الى غرسها وتنميتها فى أطفالهم ، ثم تحديد الوسائل التى يستطيع الوالدان بواسطتها تحقيق هذه الاهداف • ويقوم العلماء بكتابة كتب مبسطة بلغة سهلة واضحة لكى يقراها الوالدان ويستفيدان مما جاء فيها من توجيهات • وقد لاحظ برنوفنبرنر ان هذه الكتب واسعة الانتشار ، وان احاديث الاباء والامهات ومناقشاتهم ومعاملتهم لابنائهم تكشف عن اطلاعهم على هذه الكتب والاهتمام بما جاء فيها والعمل على الاستفادة منه • وتوحى ملاحظات برنوفنبرنر بان الامهات والاباء والمدرسات والمواطن العادى فى الشارع يتبعون أساليب متجانسة فى تنشئة الاطفال تكشف عن الفهم والاهتمام بالانسان وبتنشئته ورعايته •

ان تطور مجتمعاتنا العربية وتقدمها رهن بتنمية الانسان • ولا سبيل الى تنمية الانسان الا باستخدام العلم لفهم الانسان ثم تدريب الناس جميعا على رعاية الانسان فى جميع مراحل نموه ، فى طفولته وشبابه ورشده وكهولته • ■■

د • عبدالله محمود سليمان



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

اسباب الاغماء

● ما الاسباب التي تؤدى الى حالات الاغماء ؟ وكيف يتم اسعافها ؟

ـ يصاب الانسان بالاغماء عندما تقل كمية الدم الذاهبة الى المخ والمغذية لخلاياه ويشعر المصاب بدوار الرأس وغثيان ، وارتخاء عام في جميع اعضاء جسمه ، وينتابه شعور بأن معدته تشد الى اسفل ، وقد تظهر سحابة سوداء تحجب بصره ، ويصفر لونه ، وينتشر العرق البارد على جسمه ، فيرطب جلده ، ويهبط ضغط دمه ، وعادة ما تقل نبضات قلبه وحركة تنفسه ، فيفقد وعيه .

والاغماء غير الصرع والغيبوبة وللاغماء اسباب كثيرة نذكر منها .

اولا : ـ الاغماء الانعكاسي ويمكن تقسيمه الى :

أ ـ الاغماء الانفعالي : وهو اكثرها انتشارا ، ويحدث عادة اثناء الوقوف ، وينجم من تأثير العصب الحائر على القلب فيبطىء ضرباته ، مما يؤدى الى هبوط الضغط وقلة كمية الدم الذاهبة للمخ .

ومن الاسباب التي تؤدى الى الاغماء الانفعالي الخوف ـ المباغتة ـ المفاجأة والالم . فمنظر مرعب او مشاهدة حادث ما سواء كان في الطريق العام اوحتى على شاشة التلفزيون يؤدى بالكثيرين الى الاغماء .

وهناك من يصاب به عند اخذ الحقن ، سواء كانت بالعضل او بالوريد اوحتى تحت الجلد او عند سماعه خبرا سارا غير مرتقب .

ب ـ الاغماء الناتج من الوقوف

ويحدث عادة عند الوقوف المفاجىء او الوقوف لفترة طويلة ، وهو اشيع في الكبار منه في الصغار ، ويكثر حدوثه لمن يقتضي عمله الوقوف لفترات طويلة كالشرطي والجندي والمدرس الخ ...

ج ـ الاغماء الناتج من السعال الشديد .

وهو اكثر حدوثا في الاطفال وخاصة من هم مصابون بالسعال الديكي .

د ـ الاغماء الناتج بسبب الضغط على الشريان السباتي في الرقبة .

وقد يحدث الاغماء في هذه الحالة عند الالتفاف المفاجىء لجهة ما وخاصة اذا كان الانسان لابسا لقميص او رباط عنق ضاغط على عنقه .

هـ ـ هناك من يصاب بالاغماء الانعكاسي عند ابتلاعه لقمة كبيرة ، أو عند أخذه نفسا عميقا وقد يحدث الاغماء عند التبول ، وهذه الحالة تصيب الشباب عادة ، وهي تحدث عندما يصحو الشاب من نومه ليلا ، ويذهب ليفرغ ما تجمع في مثانته ، وفي طريق عودته للسرير يصاب بالاغماء .



ثانيا : ـ الاغماء الناتج من الشلل

كاصابات الدماغ الاوسط والمستطيل والنخاع الشوكي ، او اصابة الاعصاب المحيطية ، او تلك التي تخرج من جمجمة الرأس .

ثالثا : ـ الاغماء الناتج من اصابة القلب والاوعية الدموية وهو يحدث غالبا نتيجة للامراض التي تسبب سرعة خفقان القلب ، او من تلك التي تسبب عدم انتظام نبضاته ، او اصابة الشرايين التاجية ، او تلك التي تقلل من كمية الدم المتدفع منه الى الاجهزة .

رابعا : ـ الاغماء الناتج عن اختلاف حرارة الجسم سواء كان ذلك نتيجة ارتفاع الحرارة او انخفاضها .

خامسا : ـ الاغماء الناتج عن الاستعمال الخاطيء لبعض العقاقير كتلك التي تؤخذ لتخفيض ارتفاع ضغط الدم .

اما اسعاف حالات الاغماء فيكون بوضع المصاب افقيا اما على سرير او حتى على الارض ، مع رفع الارجل قليلا حتى تساعد في تزويد المخ باكبر كمية من الدم ، وباعطاء المنشطات ، ثم علاج السبب ان وجد .

شلل الاطفال

● ما هو علاج شلل الاطفال؟

ـ شلل الاطفال من الامراض العديدة التي لم يتمكن الطب بعد من ايجاد علاج خاص لها ، ولكن المريض المصاب بشلل الاطفال يستفيد في المراحل الاولية من الراحة التامة بالسرير مع الابتعاد عن اى مجهود جسماني وعن اخذ اية زرقات عضلية ، وقد يحتاج المرض لمسكنات خفيفة للالام والصداع والكمادات للاطراف المصابة .

اما بالنسبة لعلاج الشلل التنفسي فهذا يحتاج لمساعدة ميكانيكية كما ان العلاج الطبيعي الفيزياتي له اثر في تحسين وضع وظائف العضو المصاب بالشلل . ومما يساعد ايضا على تشجيع الحركة في الاطراف المصابة استخدام العلاج الطبيعي المائي .

لذا نلاحظ ان علاج شلل الاطفال يحتاج الى خبرات عديدة في مجالات مختلفة في امراض الاعصاب والعظام وجراحتها ثم الحاجة الى اجهزة اطراف اصطناعية مساعدة لتسهيل الحركة وقضاء الحاجات اليومية للشخص المصاب .

ولا يجب ان ننسى أن مرض شلل الاطفال من الامراض التي يمكن تجنبها عن طريق اتباع برامج التطعيم المنظمة الشاملة كما ان التوعية الصحية تلعب دورا رئيسيا في الوقاية من انتشار المرض خاصة اثناء الاوبئة عن طريق عدم الاختلاط بالمصابين والاقلال من النشاطات الرياضية المرهقة والتاكد من غسل الخضار والفواكه جيدا والحد من انتشار الذباب والتخلص من الفضلات بطرق صحية منظمة كما ينصح اثناء حدوث الاوبئة بالابتعاد عن اجراء عمليات استئصال اللوزتين وعن اعطاء اللقاحات والابر العضلية . ■■

رستم و عنترة

بين الحقيقة والأسطورة

بقلم : الدكتور محمد التونجي



هذان بطلان يعيشان في خيال اهل المشرق جميعا : رستم بطل إيران في العصر البطولي الأسطوري ، وعنترة بطل العرب في العصر الجاهلي .

والذي دعاني إلى الاهتمام بهما ذلك التشابه العميق بينهما ، في واقعهما وفي أسطورتيهما ، وذلك الخلاف الذي سببته ظروفهما وبيئتهما وعصرهما . فالاثنان عاشا في زمان كان للبطولة الجسدية والسواعد الحديدية قيمة كبيرة ، ووجودهما منتصرين يعني انتصار الأمة التي ينتميان إليها . فاذا أردنا دراسة عصر رستم توجب علينا دراسة الشاهنامة وعصر تأليفها ، وإن توقفنا قليلا عند عنترة اضطررنا إلى معرفة تاريخ العرب في الجاهلية ، ولكن المجال لا يسمح لنا بالاطالة ، لذا سنذكر ما لا بد منه ، ونشير الى ما هو ضروري .

في العصر البطولي

فمما لا شك فيه أن الشاهنامة وما حوت من تاريخ صحيح وأسطوري هي مفخرة الفرس ، قد سجلت تاريخ إيران البطولي منذ أقدم العصور حتى زمان دخول العرب أرض فارس . ولهذا قسم الأدباء عصر الشاهنامة إلى أدوار ثلاثة : الدور الأسطوري ، والدور البطولي ، والدور التاريخي . وقد ضم الدور البطولي ـ وهو الدور الذي برز فيه رستم وإخوانه من الأبطال ـ كثيرا من الوقائع الصحيحة الممزوجة بالأسطورة . هذه الأسطورة كانت واقعية في عصرها ، ثم ما لبثت أن توشحت بوشاحي الأسطورة والخيال .

ورستم عاصر الدور البطولي ، يعني كان هناك بطل معروف بهذا الاسم ، ثم ازدادت قوته وبطولته بسبب الحب الذي أولاه سكان إيران هذا البطل على مدى الأيام .

والصورة الواضحة التي رسمها التاريخ لعصر عنترة بن شداد شبيهة جدا بصورة عصر رستم . فنحن نعلم أن العصر الجاهلي ينقسم كذلك إلى ثلاثة أقسام : قسم قديم جدا ضاعت آثاره ومعالمه ، وهم العرب البائدة ، وقسم عمته الأساطير والخرافات لانعدام سبل التدوين ، وهو العصر الذي مضى قبل ٢٠٠ سنة قبل هجرة الرسول (ص) ، وقسم جرى قبيل البعثة المحمدية وهو صحيح ومعروف . وكلما دنونا من عصر الرسول (ص) ازدادت معالم التاريخ وضوحا حتى غدا حقيقة واقعة بدءا من الهجرة .

وعنترة عاش في الجاهلية ، وتوفي قبيل بعثة الرسول (ص) وهذا يعني أن شخصية عنترة كانت موجودة بشعرها وبطولتها . وبالنظر إلى حب الناس لهذا البطل أضافوا إلى شجاعته شجاعة خارقة ازدادت وتضخمت مع مرور الزمان حتى ثبتت يوم تدوين سيرته في القرن الخامس الهجري . ولئن كان هدف الفردوسي من شخصية رستم إبراز البطولة الايرانية وسعي أبطالها ـ وعلى رأسهم رستم ـ إلى توحيد بلادها ، لقد كان عنترة صورة للبطولة العربية ، ولانتصار القبيلة التي ينتمي إليها .

كان رستم بن دستان ابن سام بطل الشاهنامة الأول ، ابنا لأمير تابع لسلطان الامبراطورية ، يحكم باسمه ممالك السند والهند في أثناء غيبة جده سام . وهذا يعني أن رستم نشأ في طبقة نبيلة أميرة ، في حين أن عنترة عبد أسود ، وابن أمة حبشية سوداء اسمها زبيبة . سباها أبوه شداد العبسي في إحدى حروبه ، وأنجبت منه ولدا يشبهها فأسموه بعنترة أي الذبابة السوداء نظرا للونه . فهو أيضا ابن أمير القبيلة ، ولكن أباه لم يعترف

به ، وهذا عرف عند العرب ، إذ أنهم لا يعترفون بابن الأمة إلا إذا أثبت بطولة وذكاء .. وإن لم يعترف به بقي عبدا .

ولقد أحب أبوه دستان ابنة مهراب ملك كابل ، ذي الأصل العربي كما يقولون واسمها روذابة وهي أيضا وقعت في حبه . ولم يتم الزواج إلا بعد مرور عقبات كثيرة ـ . من هنا نستدل على أن التشابه كبير في نشأة هذين البطلين . أما نقطة الخلاف فهي أن عنترة ولد أسود مهملا مكروها لدى أهله الأدنين . في حين أن رستم ولد كبير الجثة ، عانت أمه كثيرا حتى ولدته وهي صحة حسنة ، ولد جميلا كفلقة القمر ، قويا كشبل الأسد . ويقولون إن أمه عندما صحت من عذابها ورأته إلى جانبها قالت : برستم أي خلصت . من المصدر « رستن : الخلاص » ، ولهذا سموه رستم . غير أننا نخالف هذا الرأي لأن اسم البطل رستم بضم الراء ، ورستن بفتحها ، ولهذا نرى غير هذا الرأي ، ولعله مشتق من المصدر روئيدن بمعنى النمو . وكما اختلفوا في أصل اسم رستم اختلفوا أيضا في أصل اسم عنترة .

وتزداد وجوه التشابه اقترابا أكثر عندما شبا وبرزت قوتهما . فعنترة ظل انسانا مهملا يرعى الأغنام والجمال ، ويكتم في قلبه الحقد نحو إخوته ونحو أبيه لأنه لم يعترف به ، ويكتم غيظه من عمه ، لأنه يحب عبلة ابنته ولكن لا يجرؤ على البوح به . ورأى أن القوة الخارقة هي التي ستدفعه الى مرتبة عظيمة بين بني جلدته . فعمد إلى ادخار المال ، فاشترى به سيفا ورمحا وترسا ودرعا ، ثم طمرها في بطن الرمال . وكان كلما خرج للرعي أخرجها من مخبئها ، وتدرب بها على فنون القتال .

وفوجئت قبيلة عبس بالهجوم عليها من بعض القبائل الأخرى المعادية . ولما رأى شداد ابنه عنترة لا يحارب قال له آمرا : كر (أي اهجم) . فقال عنترة : العبد لا يحسن الكر ، إنما يحسن الحلاب والصر (أي الحلب وربط الضرع بعده) . فقال أبوه وقد فهم مرامه : كر وأنت حر . فامتطى عنترة جواده الذي غدا مشهورا فيما بعد شهرة جواد رستم ، وأخرج سيفه من بطن الرمال ، وأخذ يحارب في سبيل الحرية وفي سبيل كسب قلب عبلة . ولقد أعطته جبلة أبيه القوة الخارقة الواقعية والأسطورية . وراح يضرب الأعداء ، ويخترق الصفوف حتى انتصر على اعدائه . وكأنه رستم في الميدان . فوعده عمه بعبلة . وهكذا وصل إلى المرتبة التي نشأ عليها رستم .. بطل محبوب مرهوب .

فحياة البطلين سجل لتاريخ الأمتين ، سجل تفتخر به إيران والعرب على السواء .

وتشابه البطلان بأخلاقهما كذلك . فأخلاق الفرسان الشرفاء الشجعان تمتاز بالكرم والاقدام والصدق وشدة البطش والعفة والشرف والبعد عن فكرة الغدر والخيانة والأذى . وقد قال رسول الله (ص) : ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة .

ومن أخلاقهما المتشابهة : الذكاء ، والتفكير قبل الهجوم . سئل عنترة يوما : أأنت أشجع العرب وأشدها ؟ قال : لا . قالوا : فبماذا شاع لك هذا في الناس ؟ قال :كنت أقدم إذا رأيت الاقدام عزما ، وأحجم (أمتنع) إذا رأيت الاحجام حزما . وكنت أعتمد الضعيف فأضربه الضربة الهائلة ، يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله .

هذه الأوصاف السامية جعلت الأدباء ينسجون الخيال على حياة البطلين ، ويضيفون على بطولاتهما بطولات لا يصدقها العقل . ولهذا اعتقد بعض الأدباء الشرقيين والغربيين أن هاتين الشخصيتين أسطوريتان ، وما هما أسطوريتان ، إنما هما مزيج بين الحقيقة والخيال .

ومن الصفات المتشابهة البطولة الخارقة التي تجمعهما . فعنترة تنتصر قبيلته إذا أقدم في الحرب ، وتقوى عزائم جنوده بوجوده ، وتنهار شجاعة الأعداء حين يرونه يصول ويجول . لقد علموا أن قوته تفوق قوة الأبطال ، فهي خارقة . وكذلك الأمر بالنسبة إلى رستم بل أكثر . فقد نشأ بطلا غير هياب . يفل الحديد ، ويصارع الجن وينتصر عليها . وهو إذا ضغط بكفه على كف الجني « كلاهور » تسقط أظافره ، كما تسقط أوراق الشجر بفعل الرياح .

وهنا تلعب الأساطير لعبتها الكبيرة فتجعل قوته تفوق قوة ملك الجان (سپيد ديو) في حربه مع أهل مازندران . بل إنه كثيرا ما انتصر وحده على جيش

توراني بأكمله . وفي رأينا أن الأسطورة في حياة رستم تفوق ما هي عليه في حياة عنترة . ولعل سبب ذلك الفارق الزمني بين البطلين ، وميل الشعب الايراني في ذلك العصر إلى الأساطير والخرافات أكثر من ميل العرب في الجاهلية الذين يعيشون بشكل سطحي واضح .. تماما كصحرائهم المنبسطة .

المرأة عند البطلين

ونتساءل : لماذا اختير هذان البطلان ليكونا بطلين نادرين ؟ لماذا توجهت الأنظار نحوهما وقد عاصرهما أبطال آخرون ؟ إن أسبابا مقنعة تجعلنا نؤمن بصحتها ونعتقد بها . لقد ذخرت الشاهنامة بالأبطال العظام أمثال ابنه سهراب ، واسفنديار ساعد زال الأيمن ، وأفراسياب التوراني . لقد وجدت ظروف وضعت رستم في موضعه المناسب ، وهو بطل أبطال إيران . فهو ابن زال الأمير الذي حكم المشرق ، وهو ابن أقرب المقربين إلى الملك ، وهو الذي كان يسعى إلى توحيد الصف الايراني ، وذو صفات لم تكن عند الآخرين . فهو لم يعرف الحسد ولا الكيد .. وكل همه كان في خدمة وطنه الغالي ، وصاحب الاسم الرقيق الجذاب .

وعنترة أيضا لم يكن البطل الوحيد في الجزيرة العربية فقد عاصره أبطال آخرون كعامر بن الطفيل وعمرو بن معد يكرب وثقاف الشريدي . هؤلاء عرفوا أبطالا في قبائلهم ، ولكن الظروف والبيئة لم ترفعهم إلى مرتبة بطل الأبطال . فعنترة عبد ارتفع مقامه الى الحر ، راعي الغنم تحول إلى فارس مقدام ، أسود عشق ابنة عمه ، شاعر فاق الفرسان الآخرين بشعرهم ، ثم هو أيضا صاحب الاسم الجذاب .. عنترة .

ولقد حارب هذان البطلان كلاهما دفاعا عن وطنيهما . رستم دافع عن وطنه ، وطرد الأعداء المغيرين . وعنترة حمى قبيلته وهاجم أعداءها . والقبيلة عند عنترة كانت رمزا للوطن الذي كان عند رستم . وكانا يصلان في الوقت المناسب دائما ، وينتصران الانتصار الذي ينتظره القارىء منهما دائما . وكان هناك وقائع فردية يقوم بها البطل دفاعا عن النفس وهي من صفاتهما المتشابهة أيضا .

ولابد للبطولة من امرأة . وقد وجدت المرأة في حياة البطلين ، غير أنها في حياة عنترة أكثر بروزا وتأثيرا من المرأة في حياة رستم . فكلنا يعلم عبلة ابنة عم عنترة ، ونعلم أيضا أن حبه لها سبب كبير في نبوغه الشعري وشجاعته وإقدامه . لقد حاول أن يغطي سواد جلده بشعره وفروسيته ، ووفق في هدفه إلى حد بعيد . غير أن عمه كان شديدا عليه قاسيا على حبهما . ولهذا اختلف الرواة في نهاية هذا الحب فمنهم ـ وهم المحبون لعنترة ـ يرون أنه تزوج بها ، ومنهم نظروا إلى القصة نظرة درامية فقالوا : مات عزبا ، وتزوجت عبلة غيره .

أما رستم فقد فقد جواده « الرخش » أثناء الصيد ، فجد بالبحث عنه ، مما اضطره للدخول إلى بلاد بعيدة تدعى سمنجان . وهناك رحب به ملكها ، وأكرمه وأضافه عنده ريثما يجد له الجواد . وفي هذه الأثناء تشاء الأقدار أن تقع ابنة الملك بحبه ، فتزوجها وأهداها خرزة ثمينة أوصاها أن تشدها على عضد ابنه . وفي هذه الاثناء يلقى رستم جواده الرخش ، فيعود به إلى ايران على أمل العودة إلى زوجته . ويتأخر رستم عن العودة ، فيشب ابنه سهراب ويغدو بطلا تواقا لمعرفة أبيه ورؤيته .

وتشاء الأسطورة أن يشتد الصراع بين الايرانيين والتورانيين ، وأن يجهز الجيشان للحرب ، ويكون رستم في جيش إيران ، ويكون سهراب في جيش التورانيين . ويلتقي البطلان ويتصارعان .. ويتعقد الموقف حين يقتل الأب ابنه بيده .

ونلاحظ أن المرأة لها أساس كبير في بروز البطولة عندهما . ونلاحظ كذلك أن المرأة التي وقعت في هوى رستم أميرة بنت أمير ، وأن عبلة ابنة عم عنترة أبوها سيد من سادات قبيلته .

أوجه الخلاف

لم تكن تلك النقاط السابقة المتشابهة في حياة البطلين محض صدفة ، ولم ينقل الناس أوصاف هذا الى ذاك . إنما البطل ذو صفات يجب بشكل طبيعي أن تتشابه ، وكذلك يتشابه كل أمر بلغ الغاية من السمو والنبل . ولكن التشابه ليس كاملا ، فهناك نقاط تختلف

فيها الاثنان تبعا لظروفها ولبيئتها . من ذلك :

١ ـ أن عنترة شاعر ، رقيق الشعر أحيانا ، وأغلب شعره مقسوم بين الغزل والحماسة . وحماسته نفسها مطعمة بصور حبه الصادق . وقد امتلأ شعره الغزلي بالألم والحزن ، لأن حياته مع عبلة لم تكن على وفاق كما رأينا . في حين أن رستم لم يكن شاعرا . وما الشعر الذي نقرؤه في الشاهنامة إلا من نظم الفردوسي ومن فنه .

٢ ـ كان رستم جزءا مهما منفصلا في الشاهنامة ، شاركه بالبطولة عدد من الفرسان ، أما عنترة فقد كان الفارس الوحيد في ميدانه .

٣ ـ مؤلف أسطورة البطل الايراني شاعر إيراني مشهور هو الفردوسي ، في حين أن مؤلف أسطورة عنترة راو عربي مصري مغمور ، هو يوسف المصري . ولهذا كان حديث رستم في القصة أقوى بكثير من حديث عنترة في قصته .

٤ ـ أسطورة رستم وغيره من أبطال الشاهنامة كلها مكتوبة شعرا ، في حين أن أسطورة عنترة فيها نثر وفيها شعر . والشعر بعضه له وبعضه نظمه مؤلف الاسطورة يوسف المصري وغيره من رواة سيرته .

٥ ـ عنترة بطل أبطال العرب ، في حين أن رستم بطل أبطال العالم المعروف في ذلك الزمان .

٦ ـ لهذا كان الخيال أقوى عند رستم ، والواقع أكثر عند عنترة .

٧ ـ اختلاف العصرين زمنيا وبيئيا غير كثيرا من معالم حياة البطلين .

وبما أن خيال الفردوسي كان أقوى من خيال يوسف المصري ومن ثقافته فإن وفاة رستم كانت أكثر وقعا من الناحية الدرامية من وفاة عنترة . فقد مات الاثنان قتلا . الأول وهو رستم اغتاظ منه أخوه شغاد فاتفق مع والد زوجته ملك كابل على التخلص منه بالحيلة ، لأنهما لا يستطيعان التغلب عليه في الحرب . فدعواه لزيارتهما ، وفي الطريق حفرا عددا من الحفر العميقة ، وزرعا في قعرها نصال سيوف حادة . وفي طريقه إليهما سقط في إحداها فمات .

وعنترة ظل كزميله رستم يحارب حتى آخر أيام حياته . فيحكى أنه بلغ سن التسعين وما زال فارس بني عبس . وفي إحدى معاركه مع قومه ضد قبيلة طيىء سقط عن جواده ، فلم يستطع أن يركبه ثانية لكبر سنه ، فلجأ الى روضة فيها أشجار ، فلحقه أحد فرسان طيىء ، ويلقب بالأسد الجريء ، فقتله .

تدوين الأسطورتين

ذكرنا أن حكايات الأبطال يتداولها الناس ، ويضيفون عليها ما لم تسجل في كتاب وتحفظ . فاذا دونت ثبتت على ما هي عليه . فإن أمنا بشيء من الواقع في حياة رستم وعنترة ، فاننا يجب أن نقبل بدور الخيال الذي نسج قسما كبيرا من حياتهما . هذا الخيال كان جزءا من صنع الرواة ، وجزءا من نسج المؤلفين .

فالفردوسي شاعر الشاهنامة ومؤلفها ، كان يجب أن يدون تاريخ أمته ، ويجب كذلك أن يحظى بالشهرة لدى سلطان زمانه الأمير محمود الغزنوي . فسعى إلى تدوين الشاهنامة شعرا ، وقصده أن يبين قوة إيران أيام امجادها . وبما أن الفردوسي أمير شعراء عصره وشاعر شعراء الشاهنامات فقد أدى عمله خير أداء ، بعد أن اعتزل الناس ربع قرن تقريبا ، لينظم أفضل ملحمة حماسية في العالم .

أما سيرة عنترة فقد كانت معروفة ومتداولة منذ أيام الجاهلية ، وظل الناس بعد وفاته ينسجون الخيال ويضيفون البطولات على بطولاته حتى زمان الخليفة الفاطمي العزيز بالله ، حيث طلب من أحد الذين يشتغلون بالرواية والتاريخ أن يؤلف رواية كبيرة حماسية مشوقة ينشغل بها الناس عن أوضاع البلاد المتردية فاستجاب يوسف المصري لأمر الخليفة ، وألف سيرة عنترة بعدة شهور ، بينما ألفت الشاهنامة بأكثر من ربع قرن . وسبب السرعة هو تلبية أوامر الخليفة نفسه . أي إن الدافع عند يوسف المصري لم يكن كالدافع عند الفردوسي . ولهذا جاءت سيرة عنترة ركيكة الأسلوب ، تافهة الشعر الذي نظمه لها . ولكن الجميل عند يوسف المصري أنه ألف سيرته على ٧٢ فصلا ختم كل فصل



بموقف يضطر القارىء إلى متابعة الفصل القادم ، وهكذا .

والطريف في الأمر أن سنوات تأليف الشاهنامة وسيرة عنترة متقاربة جدا . فالفردوسي توفي سنة ١٠٣٠ م وانتهى من شاهنامته قبل أكثر من عشر سنين . ويوسف المصري ألف سيرة عنترة عام ٩٢٥ م .

ويزداد إيماننا بالشاهنامة حينما نعلم أن الفردوسي كان يعتمد على أفضل ما ألف قبله حول تاريخ إيران ، ولهذا تأخر في نظمه وفي تأليفه . في حين أن يوسف المصري لم يتعمق كثيرا في دراسة سيرة عنترة ، ولهذا ألفها بشهور عدة . ولا ضرورة لذكر المصادر التي اعتمدها كل من المؤلفين .

لغز أم رستم ؟

الشخصية الفذة مرآة صادقة للأمة بأسرها ، وصفحات خالدة من تاريخها . فقد ازدادت ثقافتنا عمقا نحو الأمة الايرانية والأمة العربية حين تعرفنا إلى رستم وإلى عنترة .

١ ـ فقد استفدنا من سيرة رستم رغبته في توحيد بلاده ، والدفاع عنها ، ولو كان المعتدون الجن والعفاريت . وعرفنا أنواع الأسلحة ، وطريقة تنظيم الجيوش ، والألبسة ، والتاريخ ، والدين ، والمعتقدات .

ومن شخصية عنترة عرفنا عادات العرب في قبائلهم ، وكيفية تبنيهم أبناء الاماء ، ومتى ، وكيفية إغارتهم على أعدائهم ، وما هي عاداتهم في الزواج . ولكننا لم نلحظ من الناحية الحربية ترتيبا في الجيوش ، ولا نظاما معينا في القتال . وهذا هو الفارق بين الجيش الملكي والجيش القبلي .

٢ ـ كان أفق أسطورة عنترة لا يتعدى الجزيرة العربية ، بل يكاد لا يتخطى منطقة نجد إلا قليلا . في حين أن أسطورة رستم كان أغلبها خارج الحدود وفي مناطق بعيدة عن بلادهم .

٣ ـ عرفنا الحالات النفسية التي تعتري البطلين حين يبارزان أعداءهما ، وكيف يهاجم الخصم وكيف يصاوله .. ولا يختلف الأمر هنا بين رستم وعنترة ، إلا في نوعية الأسلحة . ويمتاز رستم هنا بحيازته أنواعا من الأسلحة لم تكن موجودة عند عنترة .

٤ ـ نلاحظ من سيرة رستم تقديس الملك والطاعة العمياء له . في حين أن عنترة يهتم بإرضاء أبيه لضمان حريته ، وإرضاء عمه ليزوجه بعبلة . وقد تحول هذا الارضاء فيا بعد إلى الغيرة على أرض القبيلة نفسها .

٥ ـ كان الحب سببا في إبراز قوة البطلين ، والزيادة فيها . فهذا عنترة ضاعف قوته كثيرا ، وخاض المعارك العديدة كي يرضي محبوبته . والحب عندهما كذلك وفاء وتضحية واخلاص . فعنترة أخلص في حب عبلة ، وزال أخلص في حبه لروذابة ، ورستم صدق في حبه مع ابنة ملك سمنجان .

٦ ـ عرفنا أن أسلحة رستم وغيره من الأبطال مرصعة بالجواهر ومصنوعة من الذهب . في حين أن أسلحة عنترة مجرد أسلحة حديدية عادية . وسبب هذا الاختلاف البلاط الذي نشأ فيه البطل الأول ، والصحراء التي ربت البطل الثاني .

بهذا أكون قد أحطت بايجاز جدا بقيمة الشخصية البطلة في ايران ، وبقيمة الشخصية البطلة في الجزيرة العربية ، وأشرت إلى نقاط الالتقاء بين هاتين القمتين وأسباب ذلك ، وإلى نقاط الاختلاف وأسبابها . وما زال البحث متعطشا للدراسة والتعمق . بقيت نقطة تحتاج إلى معالجة ، هذه النقطة هي : لماذا أراد المؤرخون أن يجعلوا أم رستم من أصل عربي ؟ ■■

محمد التونجي
جامعة حلب ـ كلية الآداب

الفتوحات الاسلامية

● قرأت في العدد (٢٤٤) من مجلة العربي الغراء ، مقالا قيا للدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى بعنوان « الرائد الذي رحل : فيليب حتى ومدرسته في قراءة التاريخ العربي » جاء فيه ما يلي : ـ

« ولا نزاع في ان الاسلام الف بين المسلمين ووحد اهدافهم وخلق لهم شعارا جديدا فكان نبراسا لأمانيهم القومية الا ان هذه الروح الاسلامية العجيبة لا تكفي لتعليل الفتوحات فليست الأثرة الدينية والتعصب ما حدا بالعرب الى تدويخ الدول وفتح الامصار انما هي الحاجة المادية التي دفعت بعاشر البدو واكثر جيوش الفتح منهم ... الى ما وراء تخوم البادية القفراء الى مواطن الخصب في بلدان الشمال .

وبما ان المجلة هي راية لرفع الحقائق الثابتة ومنبر للأراء الحرة الموضوعية ، وأيضا للحق والواقع وانصافا للتاريخ ابين ما يلي :

لو تصفحنا بطون تاريخ الانسانية عامة وتاريخ الامة الاسلامية خاصة يظهر لنا بصورة جلية ان الفتوحات الاسلامية لم تخطط يوما للاستيلاء على كنوز الاكاسرة او الاباطرة وانما لتنوير النفوس المظلمة بسواد الالحاد والكفر . فما هي كانت حاجة الخليفة عمر بن الخطاب وهو الذي يحتل المرتبة الثانية في قائمة عظماء التاريخ العربي على حد قول كاتب المقال) . من فتح العراق والشام ، والبلاد الاخرى هل كانت حاجة مادية للاستيلاء على مواطن الخصب في بلدان الشمال ؟ ! أم كانت حاجة روحية لنشر النور الاسلامي ورسالة الرسول العظيم محمد عليه الصلاة والسلام في تلك البلدان الغارقة بظلام المجوس والكفر والتي سبقها تطهير الجزيرة العربية من المرتدين فكيف يخرج المؤمنون (او معاشر البدو وكما ذكر الدكتور حتى) من تخوم البادية القفراء للفتوحات ومهد الرسالة المحمدية نبتت فيها اشواك الردة . واحب أن اذكر هنا انه جرى نقاش بيني وبين احد الاساتذة من الذين درسوا في الغرب مثل الدكتور حتي بالمعهد الامريكي للغات في بغداد حيث كنت ادرس اللغة الانجليزية في الستينات وذكر فيه ان الحاجة المادية هي التي دفعت المسلمين الى الفتوحات تحت تهديد السيف ، وشرحت له مفصلا انه هناك عدة فتوحات اسلامية لم ترق فيها قطرة دم ولم تنهب اموال كما يحدث دائما في الفتوحات وفتح القدس هو خير مثال على ذلك وسيبقى دائما مثالا رائعا في سجل التاريخ الاسلامي . واخيرا اترك للتاريخ ان يحكم على ادعاء الدكتور فيليب حتى والله من وراء القصد .

عبد الله عبد العزيز
اسلام اباد/الباكستان

اين تقع الدرعية

● لقد مر اسم « الدرعية » في بطون كتب التاريخ والجغرافيا اكثر من مرة ، وهذه المدينة لا توضع عادة على المصورات الجغرافية والتاريخ المؤشرة لدينا . وكنا نتوق دائما الى معرفة موقعها الجغرافي ، الى ان جاء الاستطلاع المتعلق بالمواقع التاريخية في شبه جزيرة العرب في العدد ٢٣٤ لشهر ايار (مايو) ١٩٧٨ .

ولكن الى جانب الصورة

معركة القادسية

● في عدد العربي لشهر اغسطس ١٩٧٩ م ضمن مقال « القادسية معركة الايام الثلاثة » بقلم احمد عادل كمال ، ورد خطأ تاريخي عارض ولكنه يستوجب التصويب لأهميته التاريخية ، ففي سياق حديثه عن الخلفيات السابقة للمعركة منذ وصول دعاة النبي (ﷺ) الى كسرى يدعونه الى الاسلام ، قال الكاتب : « وفي فارس مزق كسرى برويز كتاب النبي ﷺ اليه وارسل الى واليه على اليمن ليقبض على النبي ويحضره اليه .. الخ » والخطأ هنا انه لم يكن لفارس اي ولاة ولا نفوذ في اليمن في تلك الفترة بالتحديد إذ ان اليمن تخلصت من النفوذ الفارسي قبل ظهور الدعوة الاسلامية بزمن طويل ، وكانت اليمن اولى البلاد التي استجابت لدعوة الاسلام بعد نجد والحجاز ولم يبدأ النبي (ﷺ) في بعث دعاته الى فارس والروم الا بعد وصول الاسلام الى اليمن واعتناقها للدين الحنيف طواعية بقدوم الصحابي الجليل (معاذ بن جبل) وفي ذلك الحديث الشريف « الايمان يمان والحكمة يمانية » .

لهذا وجب التصويب

سالم محمد مخنف

تعز

المأخوذة للدرعية أو الجزء منها والموجودة في الصفحة ٨٠ من المجلة ورد بانها تقع الى الشمال الشرقي من الرياض ، وبالمقابل ففي الصفحة ٨٥ ورد بان الدرعية تقع على بعد ٢٠ كيلو مترا الى الشمال الغربي من الرياض . ارجو التوضيح في عدد مقبل عن الموقع الصحيح لهذه المدينة .

الياس بطحيش

دمشق / سوريا

المشكلة الفلسطينية

● ان التعتيم على المشكلة الفلسطينية في العالم العربي يترك الجيل الجديد جاهلا حقيقة المأساة كي يضعف تعلقه بالقضية الفلسطينية واهتمامه بها وهو ما يسعى اليه الصهاينة وحلفاؤهم .

هل عرض الافلام البوليسية وافلام العنف والجريمة والجنس اهم من عرض الافلام الفلسطينية ؟.

وينطبق اقتراحي ايضا على ندرة ما يعرض من الافلام التي تنتج في الجزائر بصورة خاصة التي تصور نضال الشعب الجزائري المسلم العربي في معركة التحرر ، معركة المليون شهيد .

ومجلة العربي هي المجلة التي وضعها قدرها لتحمل راية معركة عرض الافلام الفلسطينية الجزائرية في مختلف الاقطار العربية وخاصة في الكويت لتوعية الجيل العربي الجديد .

الدكتور محمد مأمون المهايني

وزارة الصحة

مدينة هجر

● الاساطير التي تحيط بواقع مدينة هجر التاريخية ، بعدت بها عن عالم الحقيقة والممكن ، فرأينا ان نطلب الى مجلة العربي باستقصاءاتها في حقلي الجغرافيا والتاريخ وسعة الاطلاع بشؤون عالمنا العربي ان تفيدنا عن كل ما يتعلق بهذه المدينة وكيف السبيل لزيارتها ؟ وهل هي في البحرين ام في جمهورية اليمن الديموقراطية ؟ ام هناك مدينتان بهذا الاسم وفي كلا البلدين .

يحيى عمار

لبنان / البقاع

الاصالة في اصوات اللغة

● قرأت كلمة الدكتور احسان حقي في العدد (٢٣١) من مجلة العربي القراء ، وهي تحت عنوان (دعوة لاعادة النظر في الحروف العربية) ومضمون الدعوة هي ان تدخل بعض الحروف الجديدة في اللغة العربية لتؤدي اصواتا جديدة موجودة في كلمات اجنبية ، وخاصة في الاعلام .

وانا لا ارى ما يراه الكاتب لان العرب ابان عزهم ومجدهم في ظلال الاسلام لم يخطر ببالهم ان يغيروا اصوات لغتهم او يطرئوا حروفا جديدة لتؤدي اصواتا معروفة في اليونانية مثلا وليست معروفة في العربية بل رأوا ـ وهم اهل الحضارة الغالبة ـ ان يغيروا بهذه الاصوات الغريبة حتى لا تنطق نطقا عربية فقالوا ـ مثلا ـ (افلاطون) بدة من (Plato) وقالوا (ارسطو) او (ارسطوطاليس) بدل « Aristotal » ولو كانوا مثلنا اليوم ، لا نحس بقيمة « الاصالة » والتمييز لقالوا « بلاتين » او « بليتو » على رأي الكاتب ، وقالوا « ارستوتل » .

ان الاصالة تقتضي ـ كما تبينت ـ الا نغير بقيمنا ومنها حروف لغتنا تبعا لقيم الاخرين لان الاصالة تقتضي « التميز » ومن حقنا ان نقول « شيرشل » عند لفظ Chirchle » كما ان من حقهم (كما هو واقع فعلا) ان يقولوا « مهمد » (عند لفظهم « محمد » انهم ـ يا صاحبي ـ لا يكلفون انفسهم ان يقوموا السنتهم عند نطقهم باسم اشهر رجل في التاريخ البشري ـ لا لانهم لا يستطيعون ـ فتلك خرافة ـ بل لانهم يترفعون ، ويرون ذلك تميزا واصالة .

عودة الله القيسي

وزارة التربية / دولة الامارات العربية

ضخام الاسد

● في عدد شوال / سبتمبر الماضي من العربي وفي مقال « تكلموا تعرفوا » ، اورد الكاتب بيتا من الشعر هكذا :

ترى الرجل الطرير فتبتليه
ويخلف ظنك الرجل الطرير

وصحة البيت كما روى مسبوقا ببيت آخر على النحو التالي :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثوابه أسد مزير
ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير

ان دقة الرواية في الحديث مفخرة من مفاخر الفكر الاسلامي فلنحافظ عليها لا سيما والمقال رائع ويعتبر من السهل الممتنع .

دكتور عبد الغني الراجحي

استاذ بجامعة الازهر



كتاب جديد

العودة الى الطبيعة

تقديم :
محمد صالح القمودي

هذا كتاب (1) صدر مؤخرا في باريس فأثار اهتمام الناس اذ كشف آثار انتفاضة من أخطر الانتفاضات التي هزت فرنسا في تاريخها المعاصر .

والانتفاضة المذكورة .. تطورت على مراحل .

1 - Daniel Léger / Bertrand Hervieu - Leretourà la nature " Au fond de Laforêt ... L'etat "

ابحث عن الصهيونية

المكان فرنسا ،
والزمان ٢٢ مارس ١٩٦٨ م ،
والموقع كلية الآداب بجامعة (نانتير) في باريس .

١٤٢ طالبا ـ من بينهم (دانييل كوهين باندت) ـ يحتلون مكاتب مجلس ادارة الجامعة بعد اعتقال زميل لهم على اثر مظاهرة مؤيدة لتحرير فيتنام .

وهكذا نشأت (حركة ٢٢ مارس) التي قامت بأعمال أدت الى اغلاق الجامعة يوم ٢ مايو . في اليوم التالي .. صدرت صحيفة (الأومانيتي) بهجوم عنيف على الغوغائي اليهودي الألماني (كوهين باندت) كتبه (جورج مارشي) زعيم الحزب الشيوعي الفرنسي وأدان فيه الفيلسوف (هيربيرت ماركوز) الذي أوحى (بالتطرف اليساري) .

المتاريس في العاصمة

٣ مايو ..
اعتقال القيادات الطلابية خلال اجتماع في (السربون) .
مظاهرات في (الحي اللاتيني) احتجاجا على ذلك .
اتحاد طلبة فرنسا يعلن الاضراب .
نقابة التعليم العالي تعلن الاضراب أيضا .
المظاهرات تضم عشرات الآلاف من الطلبة .

بعض المدرسين والعمال ينضمون الى المظاهرات .
ليلة العاشر من مايو .. يقيم المتظاهرون المتاريس في الحي اللاتيني .
الشرطة تزيل المتاريس بعد هجومات عنيفة على المتحصنين خلفها .

الاضراب العام

العنف يثير روح العناد ، ويولد التعاطف في نفوس المترددين .
١٣ مايو ..
الاتحادات العمالية الفرنسية (٢) تعلن اضرابا عاما .
مسيرة ضخمة تجمع العمال والطلبة في شوارع باريس .
الطلبة يحتلون جامعة (السربون) من جديد ويحولونها الى منبر للرأي الحر يزدحم فيه الباريسيون .

١٤ و ١٥ مايو ..
العمال يحتلون بعض المصانع ويضربون عن العمل .
هذا الاحتلال يسري في أرجاء البلاد ويشل اقتصادها .
٢٠ مايو ..
عدد المضربين عن العمل يبلغ سبعة ملايين ، غير أن مطالبهم لا تتعدى رفع الأجور وتحسين ظروف العمل .

الحزب الشيوعي الفرنسي والاتحاد العام للشغل يعترضان على تلاحم الطلبة والعمال داخل المصانع .

الاتجاهات الثلاثة

الحركة الجماعية تتخذ اتجاهات ثلاثة .
١ ـ اليسار البرلماني يطالب باقالة الحكومة .
٢ ـ الحزب الشيوعي والاتحاد العام للشغل يطالبان بتشكيل حكومة شعبية .. ثم يقبل الاتحاد الدخول في مفاوضات مع حكومة (بومبيدو) .

٣ ـ الطلبة يستأنفون مظاهراتهم بعنف متزايد ويقيمون المتاريس من جديد غير أنهم لا يجدون منفذا سياسيا لتطلعاتهم الثورية .

ديجول في الأزمة

٢٩ مايو ..
الرئيس (ديجول) يغادر قصر (الايليزيه) سرا ،

---
2 - CGT / CFDT .

تبدو سلطة الدولة وكأنها تترنح .

لم يكن سفر (ديجول) فرارا :

لقد ذهب الى ألمانيا الغربية لاعداد القوات الفرنسية المرابطة هناك للتدخل في حالة قيام حرب أهلية في فرنسا .

٣٠ مايو ..

ديجول يعود من ألمانيا .

يخاطب الشعب الفرنسي عبر الاذاعة .

يؤكد أنه لن ينسحب من الميدان .

يصدر قرارا بحل الجمعية الوطنية .

في ذات اليوم ..

يجند (الديجوليون) أنفسهم في مظاهرة ضخمة (مليون نسمة)تطوف شوارع باريس تأييدا الرئيس الجمهورية .

وهكذا خدت انتفاضة مايو ١٩٦٨ م .

الهجرة

هوى شباب فرنسا من حالق .

تحطمت الاحلام ،

تبددت الأوهام ،

زاغت التطلعات وكأنها سراب في صحراء .

هجر الآلاف منهم عاصمة كانت تنبض بهتافاتهم وتهتز بشعاراتهم ، وصارت هامدة بين أحضان الأمر الواقع وتحت رعاية النظام السائد .

الى أين يذهبون ياترى ؟ !

الى أعماق فرنسا السحيقة ،

الى المناطق الجبلية النائية التي هجرها أصحابها هربا من قسوة الحياة ، وانجذابا الى المدن حيث الأضواء والترفيه ومجتمع الاستهلاك .

شاهد من أهلها

كتاب (العودة الى الطبيعة) ..

صدر منه الجزء الأول وعنوانه (في أعماق الغابة .. توجد الدولة) .

المؤلفان :

زوجان في الثلاثين ،

دانييل ليجيه وبير تراند هيرفيو من جيل انتفاضة مايو .

متخصصان في العلوم الاجتماعية .

باحثان في (المركز الوطني للبحث العلمي) . (٣)

الزوجة دانييل تعمل ضمن مجموعة (علم اجتماع الأديان) .

الزوج (برتراند) يعمل ضمن مجموعة (علم اجتماع الأرياف) .

المؤلفان ...

متعاطفان مع شباب مايو ١٩٦٨ .

تعاطف المتخصصين في علم الاجتماع يعني الدراسة والتحليل ولا يعني التأييد والادانة .

وهكذا ..

غاص المؤلفان في أعماق فرنسا السحيقة ، وأجريا دراسة ميدانية استمرت من سنة ١٩٧٥م الى سنة ١٩٧٨م .. ثم عكفا على تحليل نتائج الدراسة وترتيب أجزائها الى أن ظهرت النتائج في كتابها خلال سنة ١٩٧٩ م .

حدثني الزوجان طويلا عن كتابهما ، واليكم ما قالاه بالخصوص ...

نفور

السيدة (دانييل) نحيفة ، مقصوصة الشعر ، ترتدي السروال الأمريكي الأزرق وسترة الطلبة . تتحدث في سرعة وحماس قاذفة بالأسماء ، والتواريخ والأرقام دون النظر الى أوراقها ..

وكأنها قد حفظت نتائج دراستها عن ظهر قلب .

تقول :

ـ العقبة الأولى التي اعترضت طريقنا خلال الدراسة هي التسمية التي ينبغي اطلاقها على

3 - Cente national de La rectierctie scientifique .

لحضريين الذين هاجروا الى المناطق الفرنسية النائية بأعداد متزايدة منذ سنة ١٩٦٩ م للعمل بهل كفلاحين أو كحرفيين .

بحثنا عن التسمية التي أطلقها عليهم السكان الأصليون .

وجدنا ألفاظها متعددة . انها في الجانب الشعبي كالآتي :

« أصحاب الشعور الطويلة » ،

« الملتحون » ،

« الهيبيز» ،

وغيرها من ألفاظ النفور .

أما في الجانب الاداري ، فالتسمية كالآتي :

« الهامشيون » ،

« المستقرون » .

المهاجرون يقبلون التسمية الادارية . لقد وضعوا أنفسهم على هامش الحياة الحضرية ، واستقروا في المناطق النائية لتعميرها . انهم يحبون كلمة (الاستقرار) لأنها تشير الى تغلب الواقعية على الأوهام الطيبوية في حياتهم .

المنبوذون

اختلاف التسميات .. يبين صعوبة تصنيف الأوهام الطيبوية للمهاجرين من الناحية الاجتماعية . الصعوبة تبرز من خلال حديث السكان الاصليين .

انهم يقولون :

.. هجرة الحضريين فضيحة .

كلهم من علية القوم ،

من الذين فازوا بدراسات عليا وحصلوا على مراكز طيبة .. فيم يطمعون هنا بشهاداتهم ؟

انهم من أبناء الذوات .. من المدللين الكسالى .. لو بقيت لفرنسا مستعمرات لذهبوا اليها .. لم يجدوا غير منطقة (السيفين) ليستعمروها .

ما معنى هذا التصرف ؟!

اذا كان سكان (السيفين) الأصليون يهجرون فرارا من قسوة الحياة فيها .. فما معنى أن يأتي المرفهون لفلاحة الأرض ؟!

ويضيف شيوخ المنطقة :

.. نحن شجعنا أبناءنا على الهجرة الى المدن طلبا للرزق ، لأن الحياة باتت مستحيلة هنا . نحن الشيوخ نضحي بالكثير لتدفن عظامنا في مراتع الصبى .

.. ثم ان هؤلاء المدللون لا يعرفون من الفلاحة شيئا ، ولا يتقنون العمل بأيديهم .. فكيف سيكسبون رزقا هنا وكيف سيربون أطفالا ؟!

ذلك أمر مستحيل .

مشاعر متناقضة

السيد (برتراند) نحيف ، غزير الشعر ، متواضع الثياب ، طلابي الهيئة . يتحدث في هدوء وكأنه يزن الكلمة قبل أن ينطق بها .

يقـول :

ـ .. السكان الأصليون للمنطقة يرون في نجاح المهاجرين تأكيدا لفشلهم في تعمير المنطقة .. وهي منطقة كانت غنية ، ثرية ، عامرة خلال القرون الثلاثة الماضية .

عميد بلدية .. في قرية صغيرة أفقدتها الهجرة الى المدن ثلاثة أرباع سكانها .. قال لنا : « ان هؤلاء الذين يتقاطرون على منطقتنا من العاصمة .. يطاردون حلما ، بل سرابا . ومع ذلك .. فلولاهم ، لما أعدنا فتح المدرسة ، ولما تبددت وحشة الموت التي خيمت علينا » .

مشاعر الناس حيالهم متناقضة .

والدراسات التي أجريت عنهم قليلة ، على الرغم من أن عددهم قد بلغ العشرة آلاف خلال عشر سنوات .

تفسير الظاهرة

ـ السؤال الذى ألحّ علينا هو :

هل من نظرية متجانسة تفسر ظاهرة الهجرة الحضرية ؟

لاحظنا أن فكرة (العودة الى الطبيعة) لم تكن الدافع الرئيسي للهجرة في المرحلة الأولى والتي تمتد من

سنة ١٩٦٨م الى سنة ١٩٧٤ م .

خلال هذه المرحلة الأولى ..

خاب أمل الشباب المتقد حماسة وثورة في تغيير النظام السائد . رفض الشباب النظام وهجروه بحثا عن خلاء يعيدون فيه بناء مجتمع جديد خال من العيوب التي دفعتهم الى الثورة .. بعيد عن تأثير النظام الاقتصادى والاجتماعى القائم .

هجرة المرحلة الأولى ،

فشلت بنسبة ٩٥٪ .

لأنها بنيت على أوهام سرعان ما تبددت تحت شمس الواقع . وهكذا عاد الشباب الضال الى القطيع المستسلم ، واستعاد مركزه داخل النظام القائم متناسيا ماحدث وكأنه مرّ بكابوس .

وهذا يؤكد أن الهجرة لا تنجح ولا تثمر الا اذا كان دافعها دينيا .. ولم يكن دافع هجرة مايو ١٩٦٨ م دينيا .

المرحلة الثانية من الهجرة والتى بدأت سنة ١٩٧٤م .. لها دوافع اقتصادية مرتبطة بأزمة أوروبا الاقتصادية ، ودوافع اجتماعية نابعة من حركات المحافظة على البيئة والدفاع عن الطبيعة .

الخلاصة

خلاصة كتاب (العودة الى الطبيعة) الذى أشادت به الصحف الفرنسية فور صدوره ، وخاصة (لوموند) .. خلاصة الكتاب .. في السطور التالية :

. الرافضون للمدينة ونظام الدولة القائم .. وجدوا الدولة تنتظرهم في أعماق فرنسا السحيقة .

الاستقرار يحتاج الى تصريح تمنحه الدولة ، والى قرض يمنحه المصرف ، والى سوق يصرف فيه الانتاج ، والى تنافس يضمن الربح ، والى واقعية تلين الطبع وتخمد الفوران .

. وهكذا .. عاد شباب باريس الى الطبيعة ، فوجدوا في أعماق الغابة مؤسسات الدولة التى فروا منها .. في انتظارهم .

العبرة

لماذا حدثتكم عن هذا الكتاب ياترى ، ولماذا قابلت صاحبيه ؟ ! لأنه دراسة علمية جادة تثبت فشل الهجرة المادية مهما بلغت الحضارة المادية من تقدم تقني .

قبل ١٤ قرنا من الزمان .

هاجر محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة حاملا ايمانه العميق ورسالته الخالدة . ولحق به أصحابه يث أسس معهم وبهم مجتمعا عادلا مالبث أن أطاح بالنظام الجائر القائم في مكة ، وأشرف على الدنيا بنور الحق .. ثم بقي ، وسيبقى هو النور والنار .. النار التي تحرق الظلم والنور الذى ينشر العدل . ■■

محمد صالح القمودى

المكافأة !

● كانت ميرل اوبيرون ممثلة السينما المشهورة تزور الجرحى في مستشفى بلندن فسألت احدهم « اقتلت نازيا » فأجاب بالايجاب فقالت « بأى يديك ؟ » فرفع يمناه فانحنت عليها ميرل وقبلتها . ثم انتقلت الى الجريح الثاني وسألت : « وانت اقتلت نازيا » فقال على الفور « حيا ، وقد عضضته حتى مات » !

التحليل النفسي للذات العربية
انماطها السلوكية والاسطورية

الدكتور علي زيعور

دار الطليعة ـ بيروت

● هذا كتاب شديد الطموح وبعيد الجرأة . ابتداء من موضوعه الشائك الشامل الذي يتناول الذات العربية عبر ما يحمله هذا التعبير من تعميم تاريخي وسوسيولوجي . ومرورا بموضوعات الكتاب . التي لا توفر حقلا الا وتعاطت معه من الدين الى الجنس الى الطبقات الى الثقافة الى العائلة الى السلطة ، وانتهاء بالنتائج التي يخلص اليها ، وهي ليست من ذلك الضرب من المقولات السائدة في مجتمعنا العربي . سواء كانت محافظة تقليدية ، او نقيض ذلك ، او وسطا بينهما :

ولا شك ان هذا الكتاب سيجد من يختلف معه بشدة ، ولكن قارىء هذا الكتاب ، مهما كان موقعه وتوجهه . لابد ان يغبط المؤلف على جرأته ، بعد ان يثق باخلاصه لقضية البحث .

يقدم الكتاب ، كما في تذييل الناشر ، دراسة في الذات العربية ، من وجهة تكون انماطها في السلوك وذهنيتها الاسطورية ، قائمة على طرائق التحليل النفسي والمقاربات والانتروبولوجية . ويتم التحليل النفسي ليس فقط على اريكة تمددت عليها الشخصية (النموذجية العربية) بل وداخل الانتروبولوجيا الثقافية واللاوعي الجماعي ايضا . وانطلاقا من تمييز عدة انماط اجتماعية واكثر من قطاع حضاري داخل الشخصية ، يجري المؤلف عبر جلسات تعرفية تسع ، تحليلا لعدة اساطير ، وكثرة من المعتقدات الشعبية والاحلام والرواسب الميثولوجية اللاواعية في السلوكات الفردية والعائلية ـ وتعيينا لبعض المشكلات والامراض النفسية عند المرأة والرجل ، مختتما برسيمة خطوط عامة للعلاج النفسي القائم على تغيير الحقل بالعمل العقلاني والديمقراطية .

بقي ان نظرة المؤلف ، تكشف عن نزعة ليبرالية عربية ، لا تتنكر للتاريخ ، ولا تتجاوز شمولية القيم الروحية والدينية ، ولكنها تصدر عن هذا المفهوم ، لتبني عمارة جديدة للانسان العربي ، بصحته العقلية وسلامته النفسية ، وقدرته المتجددة على الحضور في العصر ، والعقل في التاريخ .

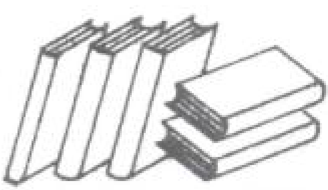
ديوان الحب

شعر عبد الرحمن الخميسي

دار ابن خلدون ـ بيروت

● ليس هذا الديوان الصغير ، ديوانا للوجد والوصال والاحتفال بتدفق العاطفة ، كما قد يوحي عنوانه . بل انه في الحقيقة مرثاة اسبانية كتبها الشاعر في النصف الثاني من عام ١٩٦٩ ، بعد فقد زوجته .

لا تحتل المرأة هنا دور شريكة الحياة والمصير والحبيبة فحسب ، ولكن دورها يتسع لكي يشي بكل ما هو طيب ونبيل وشريف . وبكل ما يحرر الانسان ، ويجدد رغبته وعزيمته في الحياة . انها ازيس حسب



الاسطورة المصرية القديمة ، وهي الطهارة في عالم موبوء ، وهي الدعوة الى الحرية وسط حشد من القيود .

يتضمن الديوان ست قصائد هي الليل الثاني ، الغربة ، الالوان ، حبيبتي ، الاحلام ، أمام الفراق . تشد كلها للفجيعة التي تعتمل في وجدان الشاعر ، وتغني عالما موعودا يشبه صورة المرأة الغائبة : أشهد هذا الليل ـ يشب وينمو ـ يحضن ملء ذراعيه الاشياء ـ ثم اراه يشب فتبيض ضفائره بالاضواء ـ ويظل النيل كأشواقي ـ بدر صبح مساء ، ويظل النيل كحبي ـ اقوى من سيطرة الموت (الاحلام) .

مع ملاحظة ان عاطفة الشاعر العميقة والمريرة ، حالت بينه ، كما يبدو ، وبين الاحتفال الكافي بالصنعة والاداء الشعري الموحي ، حيث تطفو احيانا نزعة تقريرية ذهنية لا يجدها القارىء الا في النثر : ما اجمل قلب الانسان ـ في حجم القبضة ـ لكن قدرته اكبر ـ من جبل يشمخ عبر الازمان .

وفي مقطع آخر : كان الحب قبيل رحيلك ـ جنة رضوان ـ كان ربيع حنان ـ كان السيمفونية ـ كان الرقصة درنا فيها ـ ايقاعات .. ايقاعات ـ تنتفض الدنيا بخطانا ـ كالنغمات .

ورغم هذه الملاحظة ، فان قارىء « ديوان الحب » يفرغ من قراءة الكتاب ، دون أن تغادر وجدانه ، تلك الصورة البهية الملفعة بالاسى ، لامرأة غائبة . لكنها تنطوي رغم غيابها ، على وعد غامض بالحياة والتجدد .

القرار الاسرائيلي ـ دراسة للقرار الاسرائيلي في حربي ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣

ابراهام وغنر

دار القدس ـ بيروت



● يوصف مؤلف هذا الكتاب ، وهو يهودي اميركي ، بأنه من « الصهاينة المعتدلين » . يعمل استاذا بجامعة برنستون الاميركية ، كما عمل أستاذا زائرا في الجامعة العبرية في القدس المحتلة .

ترجم الكتاب ووضع مقدمته ، ميخائيل الخوري ، الذي يشير الى انه « اذا كانت عملية اتخاذ المقررات تستند الى معطيات موضوعية وطبيعية وبشرية مقدرة ، فان الجديد في ذلك اعتبار دراسة هذه المعطيات علما دقيقا كالرياضيات له دقائقه وآلاته وحساباته ، كما انه جديد ايضا في تصور كل مشكلة كانها قضية بقاء او زوال » .

كتب جديدة

يتخذ هذا العلم مساره عند المؤلف ، في دراسته للبيئة وصنع المقررات ، وهذه تنقسم الى قسمين : البيئة الميدانية وتشمل الاعتبارات العسكرية والاقتصادية والسياسية ، ثم البيئة النفسية او الطريقة التي يظهر بها الواقع الموضوعي لكل فرد من صانعي المقررات الاسرائيليين المعنيين ، وتندرج ضمن هذه البيئة النفسية دراسة مفاهيم الواقع أو كيفية رواية الاخبار المتنوعة وتفسيرها من قبل الافراد المتصلين بعملية صنع المقررات .

هذا المسار ، طبقه المؤلف ، من وجهة نظره الصهيونية ، وبطريقته الخاصة ، في دراسته لحرب ١٩٦٧ ، التي خصص لها ١٥٠ صفحة من الكتاب ، فيما خصص لحرب ١٩٧٣ اقل من ٤٠ صفحة ، بدعوى عدم توفر بعض المعطيات الضرورية . الا أن المؤلف لا ينفك يؤكد أن المقررات المتخذة عام ١٩٧٣ كانت كمقررات ١٩٦٧ نتيجة لعملية تقرير عقلانية من قبل حكومة اسرائيل . وفي الحالتين (الحربين) تم الوصول الى المقررات التي اتخذت من قبل أناس عقلانيين . انتقوا الاختيارات التي رأوا انها الفضل نتيجة للعملية القياسية في الاختيار العقلاني .

الى ذلك ، يكشف الكتاب ، اضواء كافية على فضح اهداف الصهيونية وايضاح الاسلوب الدقيق لاتخاذ المقررات ، ووعي الصهيونية لدورها المعادي لاهداف منظمة الامم المتحدة ، واعتماد الحرب وسيلة دبلوماسية ، كما كان الامر النسبة للدول الاستعمارية والفاشية والنازية قبل هيئة الامم .

واذ يفرغ القاريء العربي من قراءة هذا الكتاب الموجه للجمهور الاسرائيلي والعالم معا فان قناعته تزداد بالجوهر العنصري والعدواني للصهيونية .. ولا ينقص القاريء العربي والحال هذا الا تحقيق طموحه بمعرفة كيفية اتخاذ القرار العربي الذي يتعلق بمصيره ، ولعل الزمن لا يمتد اكثر مما امتد ، قبل تحقيق هذا الطموح الشرعي .

التحديث في المجمع القطري المعاصر

تأليف الدكتورة جهينة سلطان سيف العيسى

شركة كاظمة للنشر ـ الكويت

● هذا الكتاب هو في الاصل اطروحة نالت عليها المؤلفة درجة الدكتوراة . ومن هنا يلاحظ القاريء ، الطابع الاكاديمي « الشديد » للكتاب . واحتشاده بالجداول والاحصائيات فضلا عن لغة الكتاب التي جاءت « قلقة » في مواضع عديدة ، نظرا للحرص على الدقة وتنظيم الافكار .

يعتبر هذا الكتاب رائدا في مجاله ، كما ينوه الى ذلك د . محمد الرميحي في توطئة الكتاب ، خاصة وان مؤلفته تنتمي للمجتمع موضوع البحث . يتناول الكتاب بالبحث ثلاثة موضوعات تحددها المؤلفة كالتالي :

الموضوع الاول : تحليل التحديث باعتباره عملية وهدفا معا ومن خلال التغير في المجتمع .

الموضوع الثاني : دراسة التفاعل بين التقليد

والتحديث . باعتبار ان التحديث يتم على حساب التقليد ، مع مراعاة التفاعل والتداخل بينهما ، والدمج بين الاصالة والمعاصرة التي تشكل اهم خصائص الشخصية الخليجية .

اما الموضوع الثالث : فهو البحث في مدى صدق عملية التحديث باعتبارها ظاهرة في المجتمع القطري على قطاع صناعة النفط ، وذلك على اعتبار ان العمل في مؤسسة صناعية يؤدي الى تحديث الفرد متمثلا في تغيير القيم والاتجاهات .

وقد خصصت المؤلفة قسمين احدهما نظري والاخر تطبيقي في معالجة هذه الموضوعات . الجانب النظري يتضمن اربعة فصول في مفهوم التحديث واشكاله وديناميانه ، واتجاه تحديث البناء الاجتماعي وتحديث الفرد مع دراسات عن التحديثين .

اما الجانب التطبيقي فيتضمن دراسة « على » عمال صناعة النفط في قطر ، بالاضافة الى فصلين عن اهمية البحث الميداني وخطة البحث وفروضه وتصميمه .. الخ ، ثم نتائج الدراسة التي خرجت بها الباحثة ، وفي مقدمة هذه النتائج : عدم تحقيق الفرض الاساسي للبحث وهو ان المصنع والعمل في بيئة صناعية يؤدي الى تحديث الفرد بدرجة عالية . وانما التحديث ظاهرة عامة تميز افراد المجتمع القطري وهي العامل الذي يؤدي الى التغير والدينامية » .

بير الشوم

فيصل حوراني

دار الكلمة للنشر ـ بيروت

● هذه الرواية هي العمل الثاني لمؤلفها الفلسطيني فيصل حوراني ، بعد « المحاصرون » تدور احداثها ، في فترة من أشد الفترات مأساوية في تاريخ فلسطين المعاصر ، وهي فترة ايار ١٩٤٨ التي انتهت بتشريد الشعب عن ارضه الوطنية . تتحدث الرواية عن الناس العاديين الذين دهمتهم احداث طاغية ، فبدلت مصائرهم ، ووضعتهم على طريق كان ما يزال انذاك مجهولا .

تقدم « بير الشوم » ، من وجهة نظر الوعي الذي بلغه جيل ١٩٤٨ في ما تلا من سنوات صورة تلك المعاناة ازاء المأساة التي كانت مواجهتها أكبر من قدرات الناس في تلك الفترة .

وقائع التاريخ ترسم اطار هذه الرواية ، وذلك بمقدار ما أثرت هذه الوقائع وتأثرت بحياة الناس الذين تسرد الرواية قصتهم في الصفحة الاولى من استهلالها ، يطالع القارىء راوية يتبرى لاداء دور من يتناول الاحداث ويتداول الوقائع وقد احتفظ بمسافة ما ، تمكنه من الادلاء بشهادته باوضح ما يمكن . وبعد الاستهلال ينفتح عالم رحب ، هو عالم الاشخاص والاشياء الحياة ، والعراك مع المصير .

ولد المؤلف في احدى قرى غزة عام ١٩٣٩ ، واضطر الى الهجرة منها مع اسرته الى دمشق في عام ١٩٤٨ . وفي كلمة الناشر على الغلاف الاخير اشارة الى ان الكاتب ليس مبهورا بفنون الادب وما فيها من جديد لانه لا يفصل بين الحياة والتعبير عنها فيرى الادب حياة هضمها الكاتب فصارت وعيا ورؤية تعبر عنها وترسمها الكلمات بابسط الاساليب واكثرها قدرة على الايصال .

* *

نزهة العقل الذكي بجوائز العربي

* *

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٥٥ وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول ابريل (١٩٨٠) .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حلّ مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم واحد من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم امام شيعي معروف .

الكلمات الأفقية :

١ ـ من العناصر الكيميائية ـ فلكي عربي اخترع البندول ووضع « الزيج الحاكمي » .

٢ ـ أوبرا لفيردي ـ زمن قصير ـ من الزهور .

٣ ـ يخصنا ـ غازي تتري شهير .

٤ ـ رمز جبري ـ من الأدوات الهندسية ـ قعدت .

٥ ـ صوت الذباب ـ أحصى ـ من الأشجار .

٦ ـ ابن يوليوس قيصر بالتبني ـ في احدى مراحل العمر .

٧ ـ من الخضروات ـ لا يذاع ـ تفوّق .

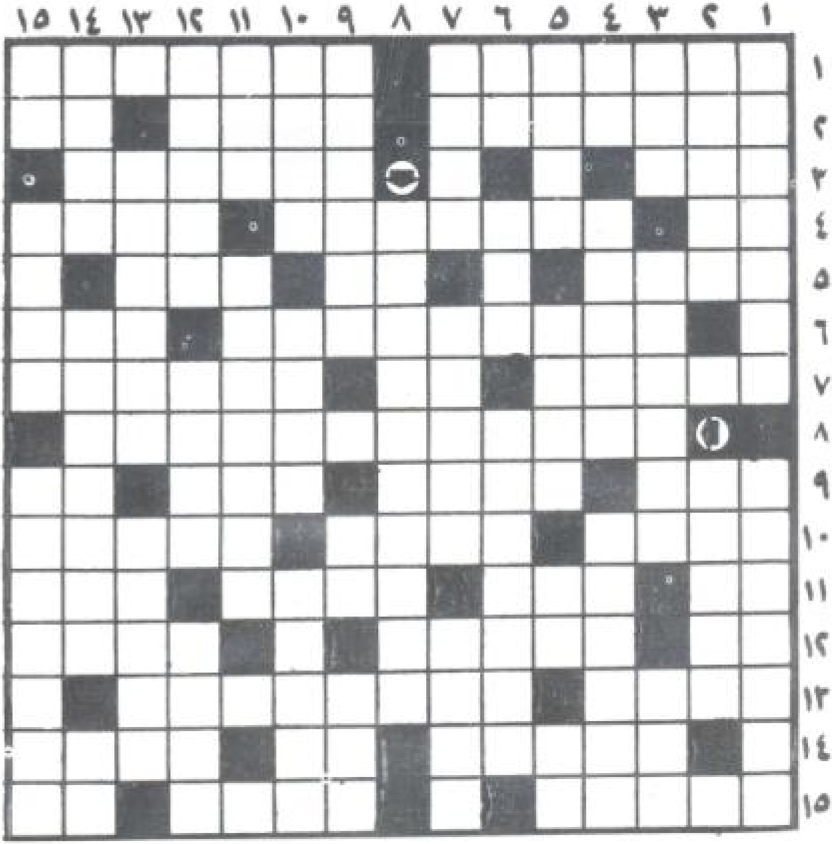
٨ ـ من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام .

٩ ـ من الاخشاب ـ من أوجه القمر ـ مساندة ـ حرف نفي .

١٠ ـ تغضب ـ في الكف ـ يشتمان .

١١ ـ للتعريف ـ شاق ـ أغيرّ ـ نبات عطري .

١٢ ـ نصف كلمة (توفق) ـ من أعضاء الجسم ـ بدني .



١٣ ـ كثير ـ مؤسس اسرة حاكمة ليبية .

١٤ ـ عاصمة أوربية ـ للتفسير ـ يقرض .

١٥ ـ جنة ـ مشروب ـ حسم .

الكلمات الرأسية :

١ ـ تلميذ سقراط ـ أول رئيس جمهورية تركي .

٢ ـ دبلوماسي ومكتشف جغرافي نرويجي شهير ـ سافروا .

٣ ـ قرأ ـ يألفون ـ تجدها في كلمة (فياق) .

٤ ـ من سور القرآن الكريم ـ للتسبيح ـ زجاجات .

٥ ـ لا ينقطع ـ شدّ فمه لئلا يعضّ أو يأكل ـ عسى ـ نصف كلمة (عليه) .

٦ ـ حرف ندبة ـ مرّ ـ من الظواهر الجغرافية .

٧ ـ آلة نفخ موسيقية ـ في الفم ـ مؤذن الرسول عليه الصلاة والسلام .

٨ ـ امام شيعي معروف .

٩ ـ من المحيطات ـ صاحب ـ أعجب .

١٠ ـ في فن الشعر ـ قادم ـ جارح .

١١ ـ نبقى ـ من الانبياء .

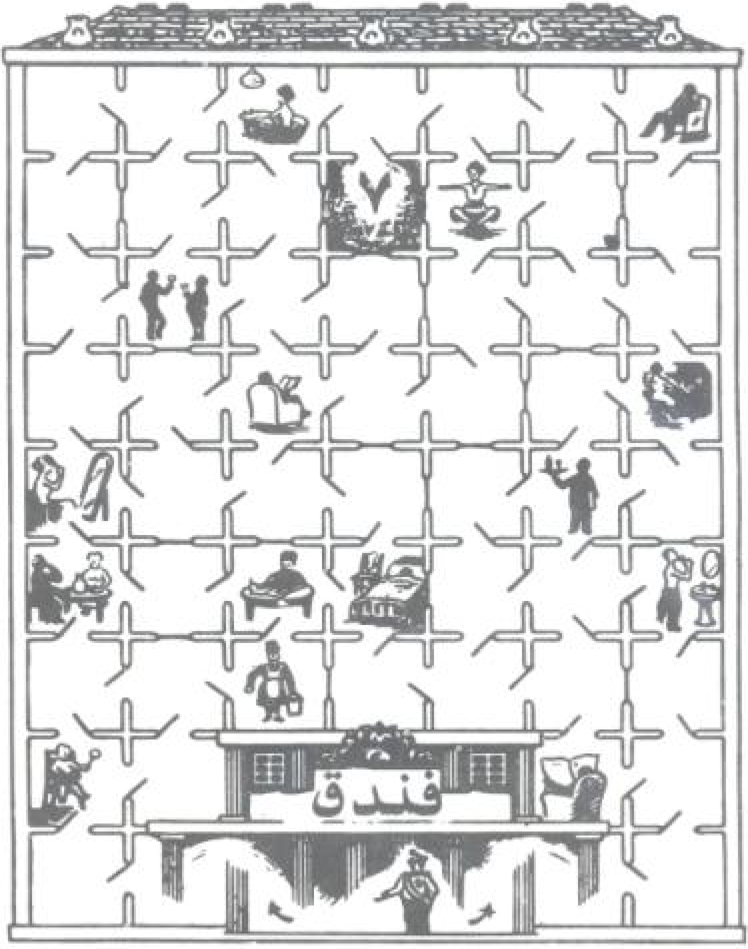
١٢ ـ يبدّل المقام ـ من الحبوب ـ واضحة .

١٣ ـ أول من اتخذ باريس عاصمة لملكه ـ من المحاصيل الزراعية .

١٤ ـ مهج ـ الاسم الجديد لسيام ـ جوهر .

١٥ ـ من الامراض ـ الانحياز الى جانب ـ من الصخور النارية .

كوبون مسابقة العدد ٢٥٥



الفندق العجيب

في هذا الفندق العجيب ، تعطّل المصعد ، بينما كانت تدور أعمال الصيانة في الدرج . فشعر النزلاء أنهم وقعوا في مأزق . قال لهم مدير الفندق ، أن الفندق العجيب مصمّم بحيث توجد في كلّ حجرة أبواب تسمح للشخص أن يمر من المدخل الى غرفته عبر باقي حجرات الفندق . هل تستطيع أن تعرف الطريق الذي سلكه نزيل الحجرة رقم ٧ ، من باب الفندق حتى وصل الى حجرته ، مارا بأقل عدد من الحجرات التي يشغلها النزلاء ؟.

مكتشف الدورة الدمويّة

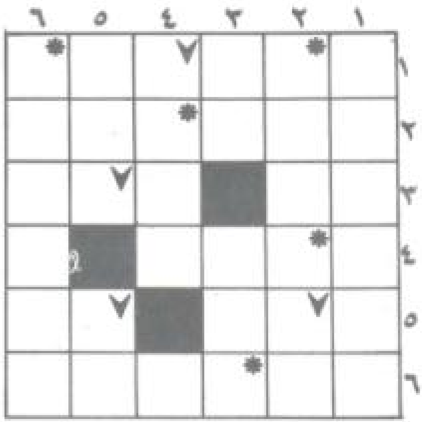
ابدأ بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربّعات التي بها الاسهم ، ورتّبها بحيث تصنع الاسم الأول للعالم الذي اكتشف الدورة الدموية في الجسم . ثم انقل الحروف التي في المربّعات التي بها النجوم ورتّبها لتصنع لقبه .

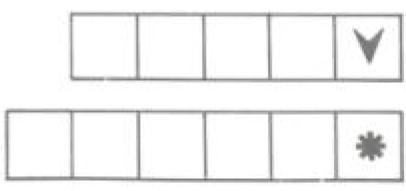
الكلمات الأفقية :

١ ـ ثمرة من الحوامض .
٢ ـ أستعيد .
٣ ـ نصف كلمة (يبكت) ـ أرشدا .
٤ ـ كثرة .
٥ ـ حرف أبجدي ـ سئم .
٦ ـ تقاربا .

الكلمات الرأسية :

١ ـ مبتكر صناعة السينا الناطقة .
٢ ـ ينتفع .
٣ ـ نصف كلمة (متين) ـ أطال النظر .
٤ ـ من الزهور .
٥ ـ من الاقارب ـ مقام موسيقي .
٦ ـ وحدة قياس زمن (معكوسة) .



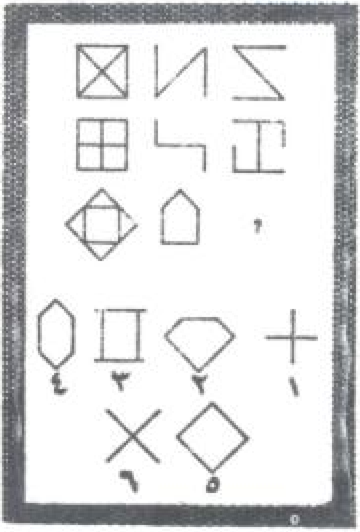


● اختبار معلومات ●

أين الصواب .. وأين الخطأ ؟..

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خطأ ، هل تستطيع أن تميّز بينها ؟..

١ ـ خلد الماء : حيوان ثديي .
٢ ـ جون كاي : نجم أغاني البوب الامريكي .
٣ ـ جورج فوكس : مؤسس جماعة الكويكرز .
٤ ـ جلينكا : حيوان قطبي .
٥ ـ جامكسان : مبيد حشري .
٦ ـ جتلاند : معركة بين الاسطول البريطاني والالماني في بداية القرن العشرين .
٧ ـ جريتادا : فصيلة من الاغاني الاسبانية القديمة .
٨ ـ ترومبون : آلة نفخ موسيقية .
٩ ـ بادوليو : مارشال ايطالي معروف من الحرب العالمية الثانية .
١٠ ـ بوتسدام : اجتماع علمي شهير في اعقاب الحرب العالمية الثانية .

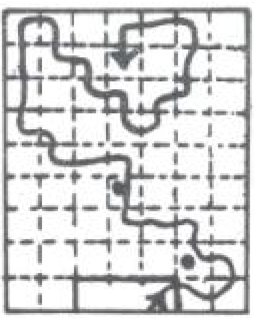


الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أيّ الاشكال ذات الارقام ، يحلّ محلّ علامة الاستفهام .

الحلول

النجمة والسهم :



وليم هارفي .

أين الصواب .. وأين الخطأ ؟ :

كلّها صحيحة فيما عدا :

(٢) جون كاي : مخترع المكوك الطائر في صناعة النسيج .
(٤) جلينكا : مؤسس فن الاوبرا الروسية .
(٧) جريتادا : من جزر الهند الغربية .

الشكل المطلوب :

رقم ٢ .

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

فصلية أكاديمية علمية مختصة بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف حقول العلوم الإجتماعية وتنشر مادتها بالعربية والانجليزية

رئيس التحرير : الدكتور أسعد عبد الرحمن

يحوي العدد حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- أبحاث بالعربية تعالج مختلف حقول العلوم الإجتماعية .
- مراجعات بالعربية والانجليزية لكتب حديثة تبحث الموضوعات التي تعالجها المجلة .
- أبحاث باللغة الانجليزية .
- أبواب ثابتة : تقارير علمية . قاموس الترجمة والتعريب . دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا . ندوة العدد .
- ملخصات بالعربية للأبحاث الانجليزية

ثمن العدد : ٢٥٠ فلساً أو ما يعادلها في الخارج

الاشتراكات : للافراد سنوياً دينار في الكويت ديناران أو ما يعادلهما في الوطن العربي (بريد جوي) ثلاثة دنانير أو ما يعادلهما في سائر أنحاء العالم (بريد جوي) للطلبة أسعار خاصة . أما الأسعار للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية في الكويت وخارجها فمفتوحة بحدها الأقصى ولا تقل عن عشرة دنانير كويتية في حدها الأدنى .

توجه جميع المراسلات والأبحاث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :

مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت - الكويت

مِنَ المسرحِ العَالَمِيّ

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول فبراير ١٩٨٠

١٢٥

من المسرح الايرلندي - ٢

القيثارة الحديدية

تأليف : جوزيف اوكونر
ترجمة وتقديم : د. أحمد السيد النادي
مراجعة : د. علي الراعي

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس

مع

لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطها ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني .

١٥٪

في السنة

ايداع محدد لمدة سنة.

تدفع كل الفوائد بدون خصم أي ضريبة.

أسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة .

لومبارد نورث سنترال عضو في أحد مجموعات البنوك المصرفية العالمية ولدينا تاريخ يرجع إلى أكثر من ١٠٠ سنة . نمدكم بتسهيلات ايداعية تعود عليكم بأقصى فائدة مع مرونة الاختيار وضمان لأموالكم . لدينا ودائع لأفراد ومؤسسات من جميع انحاء العالم .

اختاروا المنهج الملائم لاحتياجاتكم :

نقدم لكم ثلاث تسهيلات ايداعية لكل منها شروط متعددة ملائمة لاحتياجاتكم الخاصة .

ايداع ذو الأخطار :

بحد ادنى ٥٠٠ جنيه استرليني ويمكن الاضافة اليه أي مبلغ وفي أي وقت كما ويمكن السحب بعد الاخطار في اخر المدة المتفق عليها . تستحق الفائدة اعتبار من تاريخ الايداع وتدفع نصف سنويا أو تضاف إلى الحساب .

ايداع ذو مدة محددة :

بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني بمدة محددة من سنة إلى خمس سنوات بسعر فائدة محدد في هذه المدة . تدفع الفائدة نصف سنوية أو سنويا .

ايداع ذو دخل منتظم :

بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني . هذا المشروع يؤهلكم باستلام شيك بالفائدة كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل نصف سنة . ونسبة الفائدة تزداد تدريجيا حسب المدة التي تختارونها . تودع الأموال لمدة محددة تتراوح بين السنة والخمس سنوات بسعر فائدة محدد لهذه المدة .

لتفاصيل أكثر من برامج حسابات الايداع وأسعار الفوائد نرجو ان تملؤا الكوبون وارساله لنا اليوم .

Lombard North Central
Bankers

إلى :

LOMBARD NORTH CENTRAL LTD., DEPT. W182,
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND.
Telephone: 491 7050.

الاسم : ____________________

العنوان بالكامل : ____________________

____

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

فبراير - شباط

١٩٨٠م

مصر وفلسطين

تأليف :

الدكتورة عواطف عبدالرحمن

الكتاب السادس والعشرون

٢٥٠ فلساً

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

اكتسب المؤهلات في لندن لمستقبل مهني

أو للدخول الى إحدى الجامعات البريطانية .

تتخصص كل من كلية لوكسلي والكليات المنتسبة اليها في التعليم المكثف لطلبة دول ما وراء البحار الراغبين في الحصول على مؤهلات بريطانية معترف بها عالميا . اذ يمتاز مدرسوها بجمعهم خبرة عملية مع أعلى الشهادات الاكاديمية . بالاضافة الى ما وضع تحت تصرفهم من وسائل تعليمية واسعة النطاق . وتقوم الكلية ببذل عناية خاصة لتعريف الطلبة بوفرة الآفاق الثقافية والترفيهية التي تمنحها لندن والمملكة المتحدة .

شهادة الثقافة العامة (جي. سي. إي) ـ مفتاح لمستقبلك المهني او للقبول في إحدى الجامعات البريطانية .

لا يمكنك الشروع بالتدريب لأجل مستقبل مهني او الدخول الى جامعة بريطانية ما لم تحصل على شهادة الثقافة العامة (جي. سي. إي) في عدد من الدروس بالمستوى العادي (O' LEVEL) او المستوى المتقدم (A' LEVEL) او ما يعادلهما . ولهذا السبب بالذات . قمنا بتنظيم صفوف خاصة كي تمكن طلبتنا من اجتياز امتحانات شهادة الثقافة العامة في المواضيع التي تلزمهم لمواصلة تقدمهم نحو مستقبل مهني او القبول في إحدى الجامعات البريطانية التي يقع اختيارهم عليها .

الأجور : ٨٧٥ جنيه استرليني بالاضافة لاجرة التسجيل البالغة ١٥ جنيه استرليني .

المحاسبة

جمعية المحاسبين القانونيين (أ سي أ)

معهد الموظفين الحسابيين (اي أ اس)

معهد حسابات الكلفة والمحاسبين الاداريين (اي سي ام أ)

يعتبر المحاسب المؤهل شخصا ذا شأن فعلي في الاعمال التجارية والصناعة الحديثة . حيث يعتمد عليه نجاح المشروع . إن اقل المتطلبات الدراسية اللازمة للقبول في الدورة الدراسية للحصول على شهادة (اي أ اس) هي أربعة دروس بالمستوى العادي (O' LEVEL) من شهادة الثقافة العامة (جي. سي. إي) او ما يعادلها . يضمنها اللغة الانجليزية والرياضيات . أما دراسة شهادة (أ سي أ) و (اي سي ام أ) فهي تتطلب النجاح في ثلاثة دروس (جي. سي. إي) بالمستوى العادي (O' LEVEL) واثنان بالمستوى المتقدم (A' LEVEL) او ما يعادلها .

الأجور : ٩٥٠ جنيه استرليني في السنة زائدة اجرة التسجيل البالغة ١٥ جنيه استرليني .

التسويق : يعتبر وجود خبير مهني مسؤول عن التسويق امرا جوهريا للشركات التي تتبع نظم العمل الحديثة . وحصولك على شهادة او دبلوم من معهد التسويق يؤهلك لاشغال هذا المنصب المهم . ويتطلب قبولك في المعهد ان تكون قد بلغت الثامنة عشرة من العمر وحزت على خمسة دروس بالمستوى العادي (O' LEVEL) ودرسين بالمستوى المتقدم (A' LEVEL) من شهادة (جي. سي. إي) أو ما يعادلها . او على خمسة دروس بالمستوى العادي من الشهادة زائدا خبرة سنة واحدة .

الأجور : ٩٥٠ جنيه استرليني في السنة زائدا اجرة التسجيل البالغة ١٥ جنية استرليني .

التصدير والشحن : اذا حصلت على ثلاثة دروس بالمستوى العادي (O' LEVEL) او ما يعادلها . فان ذلك سيؤهلك للدراسة من اجل شهادة قيمة في موضوع **مهنة مكتب التصدير** التي يقوم بمنحها معهد التصدير . ونحن نقوم ايضا باعداد الطلبة للمؤهلات المهنية لمعهد التصدير . حيث يسمح لمن له خبرة ملائمة من ناجحي الامتحان ان يلحق اسمه بالحروف (M.I.E.X) ـ اي عضو معهد التصدير ـ (يتطلب القبول لهذا المقرر الدراسي اجتياز اربعة دروس (جي. سي. إي) بالمستوى العادي (O' LEVEL) او ما يعادلها) .

الأجور : ٩٥٠ جنيه استرليني في السنة زائدا اجرة التسجيل البالغة ١٥ جنيه استرليني .

برمجة وتشغيل العقول الالكترونية الحاسبة (الكومبيوترات)

تمنحك كلية لوكسلي في لندن الفرصة لدخول تلك الحرفة التي يزداد اعتماد جميع الصناعات الاخرى عليها يوما بعد يوم . الا وهي حرفة الكومبيوتر . فالدورة المقدمة تهيؤك للحصول على شهادة . سيتي اند جيلد ٧٤٦ في برمجة الكومبيوتر . المعترف بها عالميا وكذلك للحصول على شهادات جمعية الآداب والفنون (ار اس أ) . ولا يشترط في القبول نجاحك في اي من دروس شهادة (جي. سي. إي) . ولكن يشترط ان تكون قد تلقيت دراسة ثانوية جيدة .

الأجور : ١٠٥٠ جنيه استرليني زائدا اجرة التسجيل البالغة ١٥ جنيه استرليني .

التدريب على اعمال السكرتارية

تعمل دورتنا على اعدادك للحصول على شهادة جمعية الفنون والآداب الملكية (ار اس أ) . وشهادة . بثمان . في السكرتارية والاختزال والطبع على الآلة الكاتبة المعترف بها عالميا . ويتطلب القبول في هذه الدورة حيازتك على دراسة ثانوية جيدة ومقدرة على فهم اللغة الانجليزية .

الأجور : ٨١٥ جنيه استرليني في السنة زائدا اجرة التسجيل البالغة ١٥ جنيه استرليني .

مواضيع عديدة اخرى : بما في ذلك معهد الشراء والتجهيز . وجمعية الاداريين التنفيذيين للاعمال التجارية . ومعهد الادارة . ومعهد التجارة . واللغة الانجليزية كلغة اجنبية (إي اف ال) .

نحثكم بعدم التراجع او التردد ان لم يكن في حوزتكم عدد مناسب من دروس الـ (جي. سي. إي) فبامكان كلية لوكسلي ان تمنحكم خطة كاملة لمستقبلكم . بما في ذلك اعدادكم في مواضيع شهادة (جي. سي. إي) التي تلزمكم للوصول الى الاشغال التي تمنح اعلى المرتبات .

اكتبوا الينا طالبين نشرتنا المطبوعة . على ان تكونوا قد حزتم على المؤهلات الدراسية الضرورية . او إن كنتم على استعداد لتوكيلنا بمهمة اعدادكم لهذا الغرض . فاننا ليسرنا كثيرا ان نرسل لكم نشرتنا المطبوعة بما فيها من تفاصيل كاملة عن الاعداد المهني للمستقبل والفرص المتوفرة والامتحانات . تلقى كافة المحاضرات الدراسية باللغة الانجليزية . لذلك ينبغي الاجابة على هذا الاعلان باللغة الانجليزية ايضا .

WEST LONDON COLLEGE WLC

859, Century House, 100 Oxford Street, London W1, England.

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

مدير التحرير
عبدالعزيز السيد احمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ١٠٠٫٠٠٠ قاريء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- ابواب ثابتة : تقارير ــ وثائق ــ يوميات ــ بيبليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا او ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا امريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت ــ كلية الاداب والتربية ــ الشويخ ــ دولة الكويت
ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)
هاتف : ٨١٦٨٠٧ــ٨١٦٧٩٩ــ٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير


سوني
SONY
KV-2020ME
في البداية ترينيترون، والآن بيتاماكس
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر
12:00
بال/سيكام
للتسجيل واعادة المشاهدة
انطلقت سوني في تكنولوجيا الفن التلفزيوني الى مرتبة جديدة عالية حين بتلفزيون ترينيترون الملون . والآن أوصلت تكنولوجيا سوني متعة المشاهدة التلفزيونية إلى مستويات عالية جديدة ، بواسطة مسجل التلفزيوني الرائع بيتاماكس . اربط بيتاماكس بجهازك التلفزيوني لتسجيل أي شيء تريده ، فيلتقط لك أروع المشاهد ، ثم يعيد عرضها أمامك من جديد لتشاهدها ، كلما خطر ببالك ، وحينما تضع لك جدول أوقاتك اليومي . على أن هذه هي البداية فقط لما يمكن أن يفعله بيتاماكس من أجلك . اذا كان لديك برنامجان في نفس الوقت ، مشوق ، وعلى قنالين مختلفتين متعارضتين فلا تفكر طويلاً ، ولا تتعب نفسك لاختيار أي منهما تراقب ، بل يمكنك مشاهدة أحد العرضين في الوقت الذي يبدأ بيتاماكس بتسجيل الآخر لك ، لتعود فتشاهده فيما بعد .
واذا رغبت بمغادرة البيت في المساء؟
- اضبط مسجل الوقت الأوتوماتيكي ، الذي يخدم ثلاثة أيام ، قبل مغادرة المنزل ، فيسجل بيتاماكس لك أوتوماتيكيا ، وبأمانة ودقة ، كل المشاهد ، وأنت خارج بيتك . لقد صرفت سوني عشرين عاماً متواصلة في اجراء التجارب والابتكارات التكنولوجية ، لصنع مسجل التلفزيوني (فيديو ريكوردر) القادر على تحقيق كل هذا لك . ومع ذلك يبقى صغيراً كفاية ، ومندمجاً بالمنزل واجوائه ، كقطعة أنيقة صغيرة . بالاضافة الى ذلك ، تتميز تجربة سوني بصنع شريط لتسجيل التلفزيوني الشهير ، فيديو كاسيت ، والسهل الترضيب ، مرن اللمس ، سريع التعامل معه ، لأنه أصغر كاسيت في السوق حتى اليوم ، ويدوم أكثر من ثلاث ساعات في اذاعة البرامج المسجلة وبدون انقطاع . اضف الى كل ذلك ، جهاز بيتاماكس بموالف المضاعف للتسجيل والمكتشف لمراحل الاذاعية ، وقد أثبت الاختبار جدارته ، والاعتماد عليه ، والثقة به ، إنه الأقوى والأشد استراعاً بين اجهزة لتسجيل التلفزيوني ، ويوزع الصور الكاملة النقية الوضوح .
في البداية الترينيترون ... الآن بيتاماكس الساحر .
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر .
Sony Betamax
سوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته

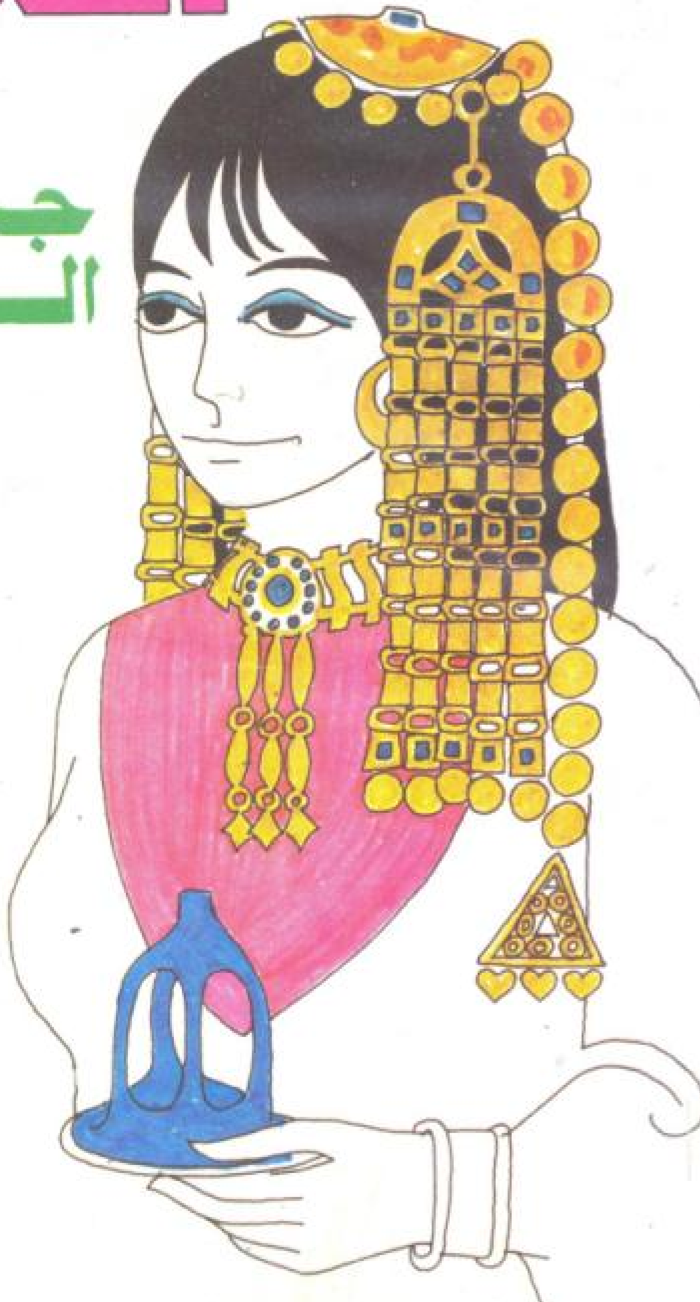


PAL SECAM
CTP 6457
SANYO
B CORD VTC 9350
شاهدوا الإستعراضات العالمية الكبرى مرارًا
وتكرارًا دون الإهتمام بأنظمة التسجيل
إنتهت مشاكل أنظمة التسجيل بفضل جهاز سانيو بيتاكورد بال/سيكام بلوحته الأمامية المذهبة. وأصبح بإمكانكم إقتناء، شراء، إستعارة، أو بالطبع تسجيل الأشرطة على نظامي بال وسيكام وبالتالي مشاهدة الإستعراضات العالمية الكبرى في أي وقت تريدون وإعادة مشاهدتها مرارًا وتكرارًا دون الإهتمام بأنظمة التسجيل.
مميزات سانيو بيتاكورد المثيرة:
• مؤقت آلي ٧٢ ساعة بأسلوب التشغيل اليومي.
• جهاز تحكم عن بعد للتوقيت المؤقت / أو وقف التشغيل.
• التسجيل على أشرطة الفيديو كاسيت الدمجة لغاية ٣¼ ساعة متواصلة
CTP 8457
مجموعة ذهبية لأجهزة التلفزيون الملون بنظامي بال/سيكام مع أجهزة التحكم واللوحات الأمامية المذهبة
أشرطة بيتا الفيديو كاسيت
٦٥ دقيقة، ١٣٠ دقيقة
١٩٥ دقيقة
SANYO
سانيو

العربي

العدد ٢٥٦ - ربيع ٢ مارس
(آذار) ١٩٨٠

جنون الذهب



الاصالة في الفن الشعبي الكويتي

مضيق هرمز



بوابة الحرب الثالثة

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج



بنك الكويت الوطني ش م ك

عزيزي القارئ

كانت بعثة العربي هي اول بعثة صحفية تطير فوق مضيق هرمز بطائرة هليكوبتر خاصة ، لتقدم استطلاع هذا الشهر ، بينما عيون العالم مشدودة الى ذلك المضيق المائي ، والكل يسأل : هل يصبح المضيق بوابة الحرب العالمية الثالثة ؟

لم تكتف بعثة العربي برصد وتسجيل المضيق من الجو ، بل حطت طائرة البعثة في ابرز مواقعها ، لتدقق على الطبيعة في هذا المسرح المثير ، وتنقله الى القارىء كما هو ، ومن واقع مشاهدات ومعاينات بعثة العربي ، وليس من خلال اعين الآخرين او رواياتهم ، واغلبهم ان لم يكن كلهم غربيون او غرباء .

حطت طائرة بعثة العربي على الاخص في جزيرة سلامه وبناتها ، على مدخل الخليج.وعادت فحطت في جزيرة الغنم التي تبني فيها عمان قاعدتها العسكرية للدفاع عن الخليج . ومن هناك ، التقطت اول صور في العالم تنشر للجزيرة والقاعدة .

وهذا الجهد الذي تقدمه العربي على صفحاتها لا يستهدف فقط تسجيل سبق صحفي ، او الاقتراب من مواقع الاحداث الساخنة ، ولكنه بالدرجة الاولى محاولة من العربي لكي تنقل قارئها الى المراكز الاستراتيجية والاعصاب الحساسة ، حول العالم العربي وحتى في داخله .

ومن هذا المنطلق قدمت العربي « نهر الليطاني » ، في شهر ابريل (نيسان) الماضي ، ومنه ايضا ذهبت ـ في استطلاع الشهر المقبل ـ الى مضيق جبل طارق ، مفتاح البحر الابيض القابع وراء ظهر العالم العربي .. ومن هذا المنطلق ايضا تواصل العربي خطوات اخرى سنعلن عنها في حينها .

وسيظل هدفنا في مثل هذه الاستطلاعات وغيرها من مواد العربي ، هو ان يعيش القارىء العربي عصره ليكون مؤهلا لصنع مستقبله .

« المحــرر »

صورة الغلاف



● في مناسبة احتفال الكويت بعيدها الوطني ، سجل الفنان بهجت عثمان بعض المعالم الاصيلة في المجتمع الكويتي ، ومنها هذه اللوحة على الغلاف ، التي تصور « الزينة » عند المرأة الكويتية (ص ٦٧) .. ومع اللوحة صورة من الجو لمضيق هرمز .. قضية الساعة واستطلاع الشهر (ص ٧٨) .

حديث الشهر

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

اداب وفنون

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة



ملك اراوكانيا

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين
مدير التحرير : فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج . م . ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليما ، الجزائر ٢,٥ دينار ، المغرب ٢,٥ درهم ، اليمن ٢,٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير
عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١
تلغرافيا « العربي »

ALARABI -- No. 256 -- March 1980
P.O. Box 748 -- KUWAIT

حول اعادة كتابة التاريخ متى؟.. ومن؟.. ولماذا؟

بقلم : أحمد بهاء الدين

هل يجب علينا أن نعيد كتابة تاريخنا ؟...

لم اكن أتصور في الحقيقة أن هذا سؤال يمكن أن يطرح ، دعك من أن أحاول جعله موضوعا للكتابة ، وشغل القاريء به ...

الغريب أن اكثر من جريدة أو مجلة ، في اكثر من بلد عربي ، طرحت هذا السؤال . وأن الكثيرين من الكتاب والمفكرين في بلادنا استجابوا للدعوة وخاضوا في ردود مختلفة عليه .

وكنت من بين الذين وجهت اليهم السؤال اكثر من جريدة ومجلة . واكثر من برنامج اذاعي ، واعتذرت لها كلها عن الرد ، على اساس ان هذا موضوع لا يحتاج الى مناقشة . وأن فيه من تضييع لوقت القاريء أكثر مما فيه من جوانب حقيقية تحتاج للمناقشة

وكان في ذهني أمران بديهيان :

الامر البديهي الأول . هو أن التاريخ ليس شيئا يكتب مرة واحدة . ولكنه مادة تكتب مئات المرات ، وتعاد كتابتها باستمرار . سواء بسبب ظهور معلومات مستجدة عن أي صفحة من



جون كيندي

من قتله ؟



محمد تراقي

من قتله ؟

صفحات التاريخ ، أو بسبب تطور في مذاهب التاريخ وفلسفاته ، وظهور ادوات فكرية جديدة تستخدم في فهم التاريخ . أو بسبب أبسط وهو ظهور أي كاتب أو مؤرخ يجد في نفسه القدرة والرغبة على ان يدلي بدلوه في التعرض لموضوع ما من موضوعات التاريخ ...

أليس من المألوف أننا اذا اردنا الرجوع الى موضوع من موضوعات التاريخ أن نعود الى الفهارس فنجد عشرات الكتب أو مئاتها ، حسب أهمية الموضوع ، المكتوبة عنه ؟

كتابة التاريخ اذن .. تاريخ فرد أو أمة او عالم .. عملية بطبيعتها متجددة ، لا يصدر قرار بدئها ولا يصدر قرار بايقافها . وليس في هذا جديد ، كل ما في الامر أن الشعوب في مراحل يقظتها الفكرية تزداد اهتماما بتاريخها ، تماما كما تزداد اهتماما بحاضرها ومستقبلها ، فاليقظة لا تكون الا شاملة . وبالتالي تشتد حركة التأليف عن التاريخ ، ويزداد الناس اقبالا على قراءته . وفي حالات الخمول تنام الأمم عن ماضيها ومستقبلها معها . تستسلم لما وجدته مكتوبا عنها من قبل ، ولما ترى أنه « مكتوب لها » في المستقبل .

الامر البديهي الثاني . هو انه كما ان التاريخ ليس شيئا يكتب مرة واحدة ، كذلك فانه ليس شيئا تكتبه جهة واحدة .

ولعل هذا الامر الثاني أكثر بديهية من الأمر الأول . فليس هناك فرد ولا جهة ولا دولة ولا مجموعة دول تحتكر كتابة التاريخ حتى ولو كان تاريخها ، فلو أراد أحد أن يكتب عن تاريخ العرب

او الصين او بلاد واق الواق . فلا يوجد أحد يملك منعه من ذلك . ولا يملك فرد ولا مجتمع أن يمنع الغير من الكتابة عنه ، وكلما كانت الحضارة غنية تعدد جنسيات الذين يكتبون عنها . بل ان جامعة امريكية مثلا قد تنفق الملايين لترسل علماءها الى ابعد بلاد الدنيا لعمل حفريات ودراسات تاريخية عن موضوع لا صلة لها به . ذلك ان التاريخ والحضارات ملك مشترك للمعرفة الانسانية كلها . ومرة اخرى ، نجد أن الشعوب كلما زادت تقدما ، صاحب ذلك اهتمامها بحضارات العالم كلها ...

في مصر .. نجد ان الذين اكتشفوا حجر رشيد وفكوا اسرار اللغة الهيروغليفية ، فرنسيون . والذين كشفوا آثار وكنوز توت عنخ آمون أنجليز . والذين ينقبون عن آثار مدينة الفسطاط القديمة من جامعات امريكية . وحضارة العرب أشبعها « المستشرقون » كتابة وتحليلا .. ونحن ترجمنا عنهم واستفدنا بهم . وهم روس والمان وانجليز وفرنسيون وهولنديون .. الى آخره .

واصحاب أي تاريخ يفرحون باهتمام الآخرين بهم . فما كان كل هؤلاء المستشرقين مثلا ليهتموا بالحضارة العربية ، ويقيموا لها مراكز الابحاث في جامعاتهم واقساما خاصة في متاحفهم لولا أنها حضارة غنية وتاريخها مهم وأنها حلقة جوهرية في التاريخ الانساني كله .

هاتان البديهيتان ، الواضحتان للعيان لا تحتملان اي مناقشة او جدل او خلاف .. كانتا السبب في « رد فعلي » هذا ازاء الموضوع كله واعتذاري عن مجرد مناقشته ..

على أنني بعد أن استنفدت المناقشات نفسها وطويت صفحاتها ، وجدت نفسي أتأمل الموضوع من زوايا اخرى طرأت على البال . بعضها ظاهر للعيان ولكنه قد يحتاج الى تفسير ، وبعضها اثارته التأملات في خاطري ، مما وجدت انه قد لا يكون من ضياع الوقت أن أشغل القاريء بها ، ووجدتها تفرض نفسها على فرضا ساعة جلست الى الورق أكتب هذا الحديث ...

عدم ثقة الناس في الحكومات

ينسب المؤرخون الى بعض فراعنة مصر القدامى ، قبل آلاف السنين ، وحين كان التاريخ يسجل عن طريق حفر نقوشه حفرا على الحجر الصلد .. انهم كانوا يمحون ما سبق أن حفره اسلافهم ، ويعيدون كتابة بعض الاحداث ناسبين الى أنفسهم معارك لم يخوضوها ، وانتصارات لم يحرزوها ، وأعمالا لم يقوموا بها .. سواء كان طمعا لحكام سابقين عليهم ، او انتحالا لفضل لاحق لهم فيه ...

وفي الثلث الاول من القرن العشرين .. وبعد أن مات لينين قائد الثورة الروسية ، ودار صراع عنيف على السلطة من بعده بين أبرز رفيقين له وهما ستالين وتروتسكي ، انتهى بانتصار ستالين

وبطرد تروتسكي من البلاد .. عرفنا أن ستالين عاد الى وثائق الثورة ، بسلطة الدولة يمحو منها كل عمل هام قام به تروتسكي للثورة .. وظهرت من الكتب ودوائر المعارف طبعات جديدة تعيد شرح احداث الثورة بطريقة أخرى تمحو اثر تروتسكي أو تشوه دوره ، حتى اللوحات الزيتية التي رسمها الرسامون لاحداث الثورة ومواقفها الحاسمة وعلقت في المتاحف العامة ، اعيدت الريشة اليها لتمحو وجه تروتسكي حيثما ظهر في أي موقف منها .. بل ان عددا من الصور الفوتوغرافية الهامة في الارشيف أجريت عليها تعديلات في الاتجاه ذاته .

اذن فمن بعض فراعنة الاسرة الأولى قبل أربعة آلاف سنة ... الى قيادة اوروبية حديثة قبل أربعين سنة .. وقع نفس الشيء ، وتحت محاولة « اعادة كتابة التاريخ » بصورة واحدة !

ولا شك ان العادة لم تنقطع تماما بين هذين النموذجين اللذين تفصل بينهما أربعة آلاف سنة .. بصورة أو بأخرى ...

وبالتالي فان النفس الانسانية ، أو نفسية « السلطة » والشعور بسطوتها حين تمتلك البشر ، فيها ملامح متشابهة ، مستمرة ، عرضة للتكرار ..

ولذلك ، فمن الطبيعي ان يشك الناس في كل ما هو « تاريخ رسمي » . وبالتالي ، فحين يذكر موضوع إعادة كتابة التاريخ .. وتشتم منه رائحة ان الدعوة موجهة الى « الدولة » لتعيد هي كتابة التاريخ .. فالمناقشة تصبح واردة . ومن السهل أن نلمح في المناقشات تيارا يحرض الدولة على أن تقوم بذلك . وتيارا آخر يعارض هذه الدعوة ، لاشتباهه في انطوائها على هذا التحريض للدولة .. خاصة وقد انتشرت بالفعل « موضة » تكوين اللجان الرسمية المكلفة باعادة التاريخ في اكثر من بلد عربي ...

ونحن نعرف في قاموسنا الحديث عبارات « الرقابة على الصحف والكتب » و « الحظر على الأنباء » و « مصادرة المطبوعات » ، وأحيانا حتى التشويش على موجات الاذاعة ، ولكن هذه وسائل حديثة ، ظهرت لمواجهة وسائل حديثة لنشر المعلومات ، ولكن قبل ظهور الطباعة والصحافة والاذاعة .. ربما لم تكن تلك الوسائل المضادة غير موجودة لعدم وجود مبرر لها . ولكن مبدأ اخفاء المعلومات بوجه أو بآخر ، لا شك أنه كان موجودا في نظم المجتمعات الانسانية عبر التاريخ كله ...

بل ان الكتمان في الأزمنة الماضية كان أسهل . فالتاريخ كان يدور في قليل من الدور والقصور . والاحداث كانت تتم داخل جدران قلاع بعيدة واماكن محرمة إلا على القلة الموثوقة ، وكانت معرفة الأخبار لا تتم الا بالنقل الشفوي وتتواتر الروايات من شخص لآخر ، مع كل ما تمر به خلال ذلك من تحريف مقصود او غير مقصود .. لذلك كانت معرفة الناس بسيطة ، دعك عن

المؤرخين الذين يأتون بعد ذلك بمئات السنين . يحاولون تجميع ملامح الحدث او العصر بصعوبة بالغة ، ومن شواهد نادرة . وحتى الآن يعثر الناس على وثيقة أو على مخطوط أو على قطعة حجر ، فتقلب تاريخ عصر كما نعرفه رأسا على عقب . وتلعب المصادفات في ذلك دورا كبيرا ....

فهي علاقة بين السلطة حين تكتب وبين الناس حين تتلقى ، قديمة .. والشكوك في شأنها منذ أقدم صفحات التاريخ .

وحتى حين جاء العصر الحديث ، غير الكثير جدا ، ولكنه لم يقض على الظاهرة أو لم يقتل بذرة الشك الموجودة دائما لدى الناس ...

لقد صارت الصحف والاذاعة تعلن الانباء يوما بيوم . والكاميرا أو التليفزيون ينقلها حية الى عيون المشاهدين . وبعض الدول صارت ترفع السرية عن أوراقها الرسمية بعد خمسين أو ثلاثين سنة ، لمن شاء أن يقرأ ويدرسْ وينشر . وانتشرت ظاهرة نشر المذكرات . فكل من عاش قصة هامة سرعان ما ينشر مذكراته عنها بمجرد تركه لوظيفته . بل صار مسئول ـ مثلا ـ في أخطر موضع مثل كيسنجر ، يتعاقد على نشر مذكراته حتى قبل أن يترك وظيفته . وذلك تحت اغراء المبالغ الكبيرة التي صارت تدفعها دور النشر وتصل الى ملايين الدولارات ، وهو أمر لا نعرف هل هو مفيد أو ضار . فكل رسمي ، في ادق مباحثات مثلا ، صار يعرف ان حديثه السري سينشر بعد سنوات ، وهو ما زال على قيد الحياة .

واذا كانت « الندرة » هي مشكلة العصر القديم ، فالكثرة هي مشكلة عصرنا الراهن . ومرة أخرى صار كل رسمي يحب أن يشرح رأيه ويرسم صورته للتاريخ قبل أن يرسمها غيره . وبالتالي فهو يلون ما يكتبه بالالوان التي تناسبه . وان لم يكذب صراحة ، فهو على الاقل يحذف ما لا يريد له أن يذيع .

وخلال كتابتي هذا الحديث على سبيل المثال ، كنت اقرأ ـ كعادتي ـ عدة كتب في وقت واحد : مذكرات هنري كيسنجر ـ مذكرات ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل الاسبق ـ مذكرات موشي ديان وزير خارجية اسرائيل السابق ـ مذكرات اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل السابق ..

وكنت اقرأ عن مواقف شهدها الاربعة ، وكانت بين الروايات الاربع خلافات أحيانا ، وتناقضات تامة احيانا اخرى . والاربعة احياء ، وما يروونه لم يمر عليه سوى سبع سنوات .

فهل يا ترى مُهمة المؤرخ ، امام الندرة القديمة كانت اصعب .. ام انها امام هذه الكثرة الحديثة هي الاصعب ؟!

وايهما اكثر بعدا عن الحقيقة .. الرواية او المشاهدة ، ام « الطرف » وصاحب الدور في الحدث ، الذي يهمه اكثر تلوين صورته باللون الذي يريد ...



رابين



ايبان



كيسنجر

من الصادق ومن الكاذب ؟

التاريخ لا يكتب بقرار

وسواء في المجتمعات التي يشتهر عنها الوضوح الشديد ، او الغموض الشديد ، فما زال ممكنا ان تبقى الحقيقة مستترة ولو فترة من الزمن . بفعل السلطة الرسمية او بفعل جهات ذات قوة ونفوذ في مجتمع ما ..

كنت في امريكا مرة ، وكعادتي في زيارة لبعض الجامعات ، حضرت محاضرة في جامعة « كارنيجي ـ ميلون » في بتسبرج . وكانت المحاضرة عن المسرح !

وكان الاستاذ يقول : ان من اسباب ازمة المسرح في العالم ان الدراما التي يراها الناس حية على شاشة التليفزيون تلغى أي دراما أخرى . في المسرح يدخل الرسول ويروى ماحدث لملك بلاد كذا مثلا . ولكن الآن ـ يقول الاستاذ ـ رأي الناس على شاشة التليفزيون ، على الهواء ، حادث اغتيال الرئيس جون كيندي كاملا . وزادوا بعد ذلك حادث اغتيال القاتل « لي هارفي ازوالد » على الشاشة ساعة وقوعه .

ودون استطراد حول هذه القضية الفنية ، نعود الى سياق حديثنا عن التاريخ ونسأل : ان الناس رأوا الاغتيال يتم على شاشة التليفزيون وهم في منازلهم . ورأوا القاتل وهو يغتال بدوره .

ولكن ، وبعد مضي ثمانية عشر عاما على مقتل جون كيندي ما زال المواطن الامريكي يسأل : من الذي قتل جون كنيدي ؟

وكلما مر الزمن زادت الشكوك . وكل سنة تتكون لجنة جديدة لأنها عثرت على دليل جديد . والانقسام مستمر حتى بين الخبراء حول ما اذا كانت رصاصة ازوالد هي التي قتلته ، وما اذا كانت هناك رصاصة ثانية من جهة ثانية هي التي قتلته ...

رغم ان القضية بحثها أكبر القضاة في امريكا ، ولكن المواطن ظل يعتقد ان « السلطة » تخفي عنه شيئا ! وان جهات ما لا مصلحة لها في القطع بالحقيقة !

وسيضاف هذا الى سؤال مشابه ، معلق منذ حوالي مائة سنة ، هو : من الذي قتل ابراهام لنكولن عشية انتصاره في حرب تحرير العبيد في امريكا ؟

وفي نظام آخر وحدث آخر يسأل العالم : من الذي قتل محمد تراقي الذي قاد الانقلاب الماركسي الأول في افغانستان قبل أقل من سنتين ؟

لقد قالت السلطة في عهد خلفه انه مات بمرض مفاجيء ، فلما وقع انقلاب آخر على خلفه ـ حفيظ الله امين ـ وجاء برباك كارمل ، قالت السلطة : ان حفيظ الله امين امر بقتله .. وانه مات قتلا ، وليس مرضا .

ما هي الحقيقة ؟...

الشك لدى الناس فيما يصدر عن السلطة اذن قديم . وهو مستمر .

وبالتالي كان لابد ان يمتد الشك الى كل مشروع تتولى فيه السلطة كتابة التاريخ .. او اعادة كتابة التاريخ .. او « اعادة اعادة » كتابة التاريخ ...

ولذلك فانه من الحق ان يعجب المرء من كتاب ومؤلفين يطالبون الدولة بكتابة التاريخ !

لماذا لا يكتبون هم ما يرون وما يريدون من تاريخ .. ويلقون بما يكتبون في خضم سائر الكتابات التاريخية ؟..

ولا اعتراض طبعا على ان تقوم الدولة بكتابة ما تشاء من تاريخ ، ولكن لا لكي يكون ـ كما يريد البعض ـ القول الفصل والحكم القاطع . ولكن لكي يكون مرجعا من المراجع لا أكثر ولا أقل .

ان الدولة ـ أي دولة ـ تساهم في كتابة التاريخ بقسط وفير .

فالدولة هي التي تكتب التاريخ الذي يدرس في المدارس . اي تكتب المقرر الذي يقرؤه ويدرسه كل طفل منذ سن الطفولة حتى الشهادة الثانوية ، وعلى الاغلب الجامعية .

والدولة هي التي ترعى المشروعات الكبرى كالموسوعات ودوائر المعارف وطبع كتب التراث وهو نوع من كتابة التاريخ بحكم الانتقاء ، وبحكم النشر .

وهذا يكفي ...



اليزابيث تايلور
كليوباترا ؟



كيرك دوجلاس
سبارتاكوس ؟

وما يمكن أن يطلب من الدول هو أن « تسهل » كتابة التاريخ . ان تمكن المؤرخ من ممارسة عمله . ان تمول الحفريات والتنقيب والبحث . ان تنظم الوثائق الممكن نشرها وتضعها حيث الاطلاع عليها والاستعانة بها .

وفي امريكا صار تقليدا ان كل رئيس دولة ، بمجرد تركه الحكم ، يضع كل اوراق عهده في مكتبة مستقلة ، وقد يسمح للباحثين بالاطلاع فورا على جزء منها ، ويوصي صاحب الاوراق بابقاء بعضها سرا عشر سنوات او عشرين سنة ، ولكنها تصير الى ملكية الامة على اي حال .

ولكن كتابة التاريخ بعد ذلك قضية شخصية ...

فحتى اذا كانت « الوقائع » ثابتة ومتفقا عليها ، فان التاريخ ليس سرد وقائع . ولكن هو وضع الوقائع في اطار معين ، وتحليلها في ضوء منطق معين . فالتاريخ في أرقى صوره وجهة نظر ، الحقيقة فيه ملك القارىء ؟ ووجهة النظر ملك الكاتب المؤرخ . وهناك وقائع تاريخية كبرى ثابتة ، يتخاصم المؤرخون على تحليلها طيلة الف سنة !....

السينما لم تعد كتابة التاريخ !

ومن الخواطر المتصلة بهذا الموضوع ، اننا لو دققنا النظر فيما حولنا ، وفي خضم الادوات التكنولوجية المتاحة في العصر الحديث ، وفي عصر ديمقراطية المعرفة بمعنى وصولها الى الجميع حتى الأميين .. ان لم يكن بالقراءة فبالسماع او بالمشاهدة .. نجد ان امامنا مشكلة اخرى تحتاج الى تدبر ، وهي ما يجري كل يوم من اعادة لكتابة التاريخ !

نترك الآن جانبا الكتب والمؤلفات العلمية والوثائق والمذكرات ، وكل ما يخطر على البال حين نتحدث عن كتابة التاريخ ، او لكي نستعمل عبارة اوسع « اعادة صياغة التاريخ » ...

ما القول في افلام السينما التاريخية ، بالوانها ، والشاشة « السينما سكوب » ، وجاذبيتها الهائلة على مئات ملايين المشاهدين في العالم من كل المستويات في الاعمار والمدارك والثقافة ؟

ما القول في الحلقات التليفزيونية المسلسلة التي تتحدث عن التاريخ وتدخل كل بيت ؟

ما القول في المسلسلات الاذاعية التاريخية ؟

ما القول في الروايات المكتوبة ؟

ما القول في مجلات الاطفال وكتب الاطفال ورواج ذى الطابع التاريخي منها ؟...

القليل من هذا الفيض الهائل ، هو الذي تتوفر له الدقة التاريخية . وعدم التضحية بالنزاهة في سبيل التشويق ، او الربح ، او الدعاية لوجهة نظر معينة ..

والكثير غير ذلك ...

كل الافلام التي تنتجها السينما اليهودية عن قصص الانجيل ...

كل المخرجين الذين يغريهم الربح بافلام عن كليو باترا او سبارتاكوس او غيرهما ...

الى آخره .. الى آخره ...

ان فيلما واحدا ، بنجومه واسماره والوانه وموسيقاه ، عن حقبة تاريخية .. هو الذي يلصق بالذهن . ويمحو من الذاكرة أثر مائة كتاب . فما بالنا وهو يتجه لملايين لا تقرأ الكتب ، وليس لديها مناعة المعلومات السابقة ، او قدرة ادراك الخطأ او التحريف ؟

وجه الممثل الذي يقوم بالدور يصبح في الذهن العام وجه البطل . كيرك دوجلاس هو سبارتاكوس . واليزابيث تايلور هي كليو باترا . واحمد مظهر هو صلاح الدين الايوبي ! الثياب ، والقصور ، والجدران ، وصور المعارك ، او الحفلات ... كلها تلصق صورة في ذهن الجمهور . ما هي دقتها يا ترى . هل كانت حقا ثياب العصر ، والوانه ، وحركات الناس وسكناتهم .. كما نراها على الشاشة ؟

انها نظرة المخرج ، وتصوراته ، والله اعلم بمدى قربها او بعدها عن الحقيقة . ولكن هذا هو ما يستقر في الذهن ويمحو سواه .

واعظم كتاب تاريخ يقرؤه آلاف ، في حين ان اي فيلم يراه ملايين . واي مسلسل تليفزيوني يراه مئات الملايين . واي كتاب اطفال يقرؤه عشرات الملايين . واي كتاب تاريخ مدرسي ، وضعته الدولة يقرؤه شعب باكمله ، سنة وراء سنة وراء سنة !

ان ديمقراطية المعرفة ، وان التكنولوجيا الحديثة ، كلاهما تحول عظيم في حياة العالم . وقد رحبت بها الانسانية مفتوحة الذراعين . ولكن الانسانية لم تجد بعد ما تعالج به مخاطرها ومحاذيرها . لم نكتشف بعد « المضادات الحيوية » لما يحمله الجديد من جراثيم !

اعادة كتابة التاريخ الاسلامي ..

ولقد تذكرت ، وانا ادير هذا الحديث في نفسي ، انني دعوت ، وعلى نفس هذه الصفحات الى اعادة كتابة التاريخ الاسلامي !

وما زال هذا المنبر الذي اخاطب القارىء منه ، مؤمنا بهذه الدعوة ، وملتزما بها . وما زلنا نحاول ممارسة ذلك في حدود الطاقة ..

فهل هناك تناقض ، بين اول الحديث وآخره ..؟

كلا . فالدعوة كما قصدتها ، دعوة الى الانفتاح على الحقيقة ، وليست دعوة الى الانغلاق دونها ، كما توحي كتابات بعض المطالبين باعادة كتابة التاريخ ...

فالتاريخ الاسلامي ، قد كتب جانب كبير منه في ظل ظروف من تحكم السلطة .. وفي عصور مظلمة فكريا وثقافيا ، واجتماعيا .. وبالتالي فلابد من اعادة النظر في كل هذا ...

والبعض ينظر الى التاريخ الاسلامي نظرة يخلط فيها بين التاريخ الذي صنعه البشر ، وبين الاسلام ذاته . فاسبغوا على البشر عصمة الدين . وبالتالي جعلوا التاريخ وكأنه كتلة مقدسة تتساوى في قيمتها . وكأن الخليفة عمر في مكة في مقام الخليفة العثماني في اسطنبول !

ثم ان امهات الكتب التاريخية الاسلامية ذات القيمة ، صارت بعيدة عن متناول القارىء ، وصعبة على فهم حتى المتعلم ، الأمر الذي يبرز الحاجة الى طرحها على الناس باعادة نشرها ، مع حسن الانتقاء ، وتبسيط بعضها ، لتصل لجمهور اكبر ...

ثم ان هذه الدعوة تنطلق مما نراه من ادخال اشياء على حياة المسلمين ليست من الاسلام . واخطرها المذاهب المتعددة التي تنتمي الى احداث خاضها البشر . وصنعها البشر . ومزقت المسلمين تمزيقا . واخذها الناس عبر آلاف السنين على انها الدين وهي اجتهادات على احسن الاحوال . فالنبي الكريم ترك اسلاما واحدا ومذهبا واحدا ، ولم يترك عشرين مذهبا تفرق المسلمين حتى اليوم .

ولكن لن يكون هذا الا باعادة طرح التاريخ . واعادة تحليل احداثه . وفرز الغث من السمين فيه . فتبقى للقداسة حرمتها . ويبقى ما هو من صنع البشر للبشر .

فهي في المواقع دعوة عكسية ، وان اشتركت في اللفظ فحسب .

هنا .. نريد ان نتخطى كتابات السلطة عبر القرون لا ان نستدعيها .

نريد النزاهة لا التعصب . نريد النور لا الظلام .. ■■

احمد بهاء الدين

الواقع العربي و الجامعة العربية

بقلم : جميل مطر

بالرغم من كل نواحي القصور في الجامعة العربية ـ وهي كثيرة ، الا انها بقيت رمزا للوجود العربي المتميز في منطقة الشرق الأوسط . ففى ظل أعتى النزاعات العربية صمدت الجامعة لأنها استطاعت أن تتوارى وتنتظر لتهدأ العاصفة ، ولأن النزاعات كانت تقوم حول محاور ثانوية لاتمس من قريب أو بعيد الأساس القومى لهذا التنظيم العربى .

ولكن لأول مرة منذ انشائها ـ أى منذ ٣٥ عاما ـ تتعرض الجامعة حاليا لأزمة تمس سبب وجودها ، ولا أقصد هنا الأزمة الناتجة عن قرار مصر المضى بمفردها في مسعاها لعقد صلح مع اسرائيل ، ولكن أقصد التهديد المباشر الذى تتعرض له الفكرة القومية ذاتها نتيجة تحول هذا الحدث الى ما هو اخطر كثيرا من أزمة طارئة أو نزاع عادى بين الدول الاعضاء في الجامعة . اذ بدأت الأزمة الراهنة تهدم مسلمات وقواعد قامت على أساسها الجامعة العربية ، بل تهدم أصول فكر وفلسفة قرن كامل من النضال العربي من أجل الاستقلال والوحدة . كما بدأت الأزمة تطرح بدايات قواعد جديدة للعمل السياسى في المنطقة العربية تختلف جذريا عن القواعد التى نشأت عليها وشيدت فوقها هذه الأمة طموحاتها وآمالها المشروعة .

المعالم والخواص ، المحدد الحدود ، مهدد اليوم في « عروبته » ، وفي حدوده ، وفي مقوماته الأساسية . مطلوب منه الآن ـ أو مفروض عليه ـ أن يترهل ليسع قوميات أخرى ، أو أن يبدل هويته الى هوية شمولية تجعله مجموعة جزئيات داخل حلف كبير تحركه أياد خارجية . المهم ان تنكمش الفكرة العربية عقيدة وطموحا لكي تصبح قادرة على التعايش مع نقيضاتها من القوميات الدخيلة على المنطقة .

لقد نشأت الفكرة العربية تستند ـ بين ما تستند ـ الى تميز الوطن « العربي » بصفة خاصة وهي « العروبة » وبالامتداد الجغرافي المتصل وبحدود خارجية محددة وواضحة (من المحيط الى الخليج) ، ومارست الفكرة العربية تفاعلاتها العملية بالاصرار على « هامشية » الدول الهامشية ، أي الدول غير العربية التي تعيش على أطراف الوطن العربي ، أو التي تحتل أرضا عربية كاسرائيل . هذا الوطن الواحد المحدد .

تحولات أساسية

اننا نواجه الآن عديدا من التحولات العربية والاقليمية والدولية تشترك جميعها في أنها تثير الشك في أهم أسس الفكرة العربية . ولست أعنى بذلك المناقشات الدائرة حاليا حول عروبة هذا البلد العربي أو ذاك ، وانما أعنى الاتجاه الى العودة الى اثارة الصراع بين مفهومين : مفهوم نظام الشرق الأوسط ومفهوم النظام العربي أو الوجود العربي . وهو صراع ليس جديدا علينا ، اذ عمدت الدول الاستعمارية منذ الحرب العالمية الثانية على التركيز على مفهوم الشرق الاوسط باعتباره منطقة فسيفسائية تضم خليطا من العناصر العرقية والدينية ، وبالتالى فلا يكون العرب فيها سوى جزء من اجزائها .

هذا الجزء نفسه ـ في رأيها ـ غير متميز لأن المصريين والمغاربة والسودانيين والجزائريين يختلفون عن عرب الجزيرة وهؤلاء وأولئك يختلفون عن سكان شمال الجزيرة وشرقى البحر المتوسط حيث تختلط عشرات الاقليات وتتشابك . وفي مواجهة هذا التركيز صمدت الفكرة العربية وأكدت نفسها بانشاء الجامعة العربية وبمرحلة من النضال القومى انهت به عهد الاستعمار ، واقامت الوحدة المصرية السورية .

ولاشك أن بعضنا يذكر أنه حين أنشئت الجامعة العربية ـ ورغم تأييد بريطانيا لنشأتها في ظروف معروفة ـ اعترضت الولايات المتحدة بشدة عليها ورفضت الاعتراف بها وشنت في محادثات انشاء هيئة الامم المتحدة حملة ضد اعتراف المنظمة الدولية بهذه المنظمة الاقليمية الجديدة . فالجامعة ـ رغم كل العقبات التى وضعت في طريق اصدار ميثاق قومى يدعو الى الوحدة العربية كهدف من اهداف قيامها ـ كانت ولا تزال المنظمة الاقليمية الوحيدة في العالم التى تلتصق بها صفة القومية ، وكانت امريكا تخشى ان تصبح هذه المنظمة مثلا تحتذيه دول امريكا اللاتينية لتخرج به عن الهيمنة الامريكية .

امريكا والانسان العربى

ومنذ ذلك الحين لم تتوقف جهود الولايات المتحدة الساعية الى محاربة هذا التكتل العربي ، واتخذت هذه الجهود مسالك ثلاثة معروفة : احدها يؤدى الى ربط دولة او دول عربية بدولة أو دول هامشية اى غير عربية ـ كتركيا وايران . وتجسد هذا المسلك في محاولة انشاء الحلف المركزى في عام ١٩٥٠ ثم في حلف بغداد عام ١٩٥٤ وفي محاولات متعددة اخرى . وثانيها يؤدى الى ادماج الجزء العربي داخل اطار غير قومى يسمح بانضمام دول اخرى غير عربية تحت لواء غير لواء العربية ، وتبلور هذا المسلك في خطوة جريئة باءت بالفشل فور قيامها حين برزت الدعوة في عام ١٩٦٤ الى انشاء حلف اسلامى يضم كل الدول الاسلامية ومن بينها الدول العربية وهي الدعوة التي يعاد بعثها هذه الايام . وثالث المسالك يؤدى الى التفتيت الداخلى للدول والدويلات العربية عن طريق اثارة النعرات الطائفية والعرقية فتتأكد النظرية المضادة للوحدة العربية والتى ولدت في احضان الفكر الصهيونى .

وتظهر اهمية هذه الجهود من التناقض الجذرى القائم بين فكرة الوجود العربي المتميز وفكرة الوجود الصهيونى على ارض عربية . فالوجود العربي سواء جسده تكتل

سياسي عربي او تعمق في الوجدان والضمير العربي يعني استمرار الرفض للوجود الصهيوني . ان الشرعية التي قاتل الاسرائيليون من اجل اجبار النظم العربية على منحهم اياها . وحصلوا عليها ، لاتساوي شيئا اذا استمر الوجود العربي داخل الوجدان العربي صامدا متماسكا . ولكي يهتز هذا الوجدان فانه لابد وان تتحطم مقومات ومظاهر الوجود على أرض الواقع واحدة بعد الاخرى . واذا لاحظنا تطورات اساليب الاعلام الصهيوني ، وبعض الاعلام العربي والغربي ، لوجدنا ان الانسان العربي اصبح هو المستهدف . اذ لابد لتحطيم وجدانه القوى من تسريب اليأس اليه في ان تنصلح الانظمة الحاكمة او تصطلح فيما بينها او تتنبه للاخطار التي تتعرض لها الامة العربية . كما انه لابد من تغيير مناهج تفكيره . فيحجب عنه الفكر القومي والرموز القومية ويزيف له التاريخ القومي ، حتى تبدو هذه الامة وكأنها لم تنجب الا الشر والخيبة ، ولابد ايضا ان يجفف هذا الوجدان وتنزع عنه نزوات الامل والحلم ويتحول الى آلة حاسبة تعد الفرص التي ضاعت بسبب هذه الامال والاحلام .

ضد الوجود العربي

واذ نتوقع ان تزداد حملة التجزئة والتفتيت نتوقع ايضا ان تزداد الاخطاء التي قد نرتكبها بوعي او بدون وعي ونخدم بها اغراض الغير في تحطيم الوجود العربي . لقد كنا نخشى من تدعيم الروابط بين ايران الامبراطورية وبعض النظم الحاكمة في الوطن العربي ، وكنا نرى ان هذه الانظمة وقد سادت العلاقات بينها صارت تسعى الى الشاه لتستمد منه ومن امواله واساطيله قوة في مواجهة الانظمة العربية المنافسة . بذلك كانت ايران تتدرج نحو مزيد من الفعالية في الوطن العربي ، لان التفاعل بقوة بين نظام عربي ونظام هامشي لابد وان يكون على حساب تفاعلات اخرى بين هذا النظام العربي والانظمة العربية الاخرى ، وربما على حساب النظام العربي ككل .

وبعد سقوط الشاه ، لم يتبدل في الموقف العربي من ايران سوى تغيير الاطراف العربية ، ولكن ظلت الاهداف واحدة ، وهي كسب مساندة ايران ضد الاطراف العربية المنافسة او التي يخشى منها خطر . وربما كان اخطر تطور في هذا الاتجاه هو ماحدث اثناء انعقاد مؤتمر القمة العربي والحاح طرف او اطراف عربية على دعوة ممثل الثورة الايرانية الى حضور المؤتمر .

ان نجاح اي ثورة ضد مراكز القوى الامبريالية في دولة من دول العالم النامي هو مكسب لحركة التحرر العربي ، ولكن نجاح هذه الثورة لا يعني بالضرورة انها جعلت هذه الدولة جزءا من الوطن العربي . من حقها الاكيد على حركة التحرير العربي التأييد والمساندة طالما كانت معترفة بحق الامة العربية في مواصلة نضال التحرر والوحدة ، ولكن ليس من حقها علينا او من حقنا على انفسنا ان ندعوها طرفا اصيلا في تفاعلاتنا العربية المتشابكة والمعقدة والتي تشكل بكل هذا التشابك والتعقيد مفهوم الوطن العربي الواحد .

في نفس الوقت يتحطم جدار العزل الاسرائيلي ، وستتدفق عبر حطامه عشرات الخطط والسياسات التي تهدف الى ان تكون اسرائيل فعلا محسوسا في المنطقة . ومن حق الصهاينة ان يظل ماثلا امام اعينهم خطر الاستيعاب داخل التفاعلات العربية بل ومن حقهم كدولة ان تتأكد على الدوام ان هذه التفاعلات العربية لن تؤدي الى قيام جدار جديد . ولذلك يصبح اول اهدافها مراقبة جميع التفاعلات العربية واحكام السيطرة على اكثرها او على اهمها . ولما كان جزء هام من هذه التفاعلات العربية لا يزال يتم داخل اطار الجامعة العربية فانه يصبح من الضروري لمصلحة اسرائيل وحلفائها أن تتغير مفاهيم كثيرة في هذه الجامعة وفي مناهجها الفكري وتراثها القومي واهدافها في التكامل والتعبئة القومية .

احتمالات المستقبل

أولا : ان « تتطور » افكار القائمين على شئون الامانة العامة لتصبح اكثر انسجاما مع « التطورات » السياسية في المنطقة . ولكي تصبح هذه الافكار متسجمة ، يتعين ان تصدر عن اقتناع بان مهمة الجامعة

العربية لا يجب ان تتجاوز عملية التنسيق بين توافه العمل الاقتصادي المشترك ، وتستبعد كلية وضع استراتيجيات اقتصادية او تنفيذ المهام السياسية او المهام الاعلامية التي تثير « حساسيات » في المنطقة او تدعم العصبية العربية او تذكر بتشنجات الماضي ، وهو التعبير المفضل لدمغ الحركة القومية ومفكريها وزعاماتها .

ثانيا : ان يتدعم انقسام الجامعة جامعتين ، فاستمرار الانقسام في حد ذاته سيفرز الشكوك لدى الدول الاعضاء في شرعية وجدوى وجدية الجامعتين .ومع انخفاض الاهتمام التدريجي بالجامعة ، تفتر همتها وتهجرها العناصر القومية العاملة فيها . او ما تبقى منها وهو قليل جدا .

ثالثا : ان تجتمع بعض الدول الاعضاء في اطار منظمة اقليمية للشرق الاوسط على نمط السوق الاوروبية المشتركة ، ويكون ميثاقها من الطموح بحيث لا يترك فرصة امام اكثرية لتشكل منظمة منافسة او لتدعم ما تبقى من الجامعة العربية .

رابعا : ان تعود الجامعة العربية الى سابق عهدها ، وهو ابعد الاحتمالات ، اذ يتطلب تحقيقه عملا عربيا يفوق طاقة الحشد العربي باوضاعه الراهنة والمحتملة في الاجل القريب .

وقد يبدو ان الجامعة العربية مغلوبة على امرها في وجه التطورات السياسية التي تزحم الوطن العربي . وهنا يتعين علينا ان نميز بين الجامعة العربية كمنظمة تضم عددا من الدول يخضع كل منها لشتى صنوف الضغط الدولي والداخلي ، وتحركه مصالح ضيقة اكتسبها من تدعيم فكرة سيادة الدولة او الدويلة في مواجهة فكرة الامة والقومية ، وبين الجامعة العربية كأمانة عامة أي كجهاز مكلف بتسيير وادارة الجامعة والاعداد لاجتماعات الدول . وفي هذا التمييز تنفرد الجامعة العربية بين غيرها من المنظمات الاقليمية ، لانه لا توجد المنظمة الدولية او الاقليمية التي يتحمل امينها العام وجهاز اماناتها مسؤولية قومية تتجاوز الصلاحيات المخولة لها من الدول الاعضاء . ومن تجارب الجامعة يوجد ما يؤكد هذا الدور . فالامين العام يستطيع ان يلتزم بالمبادىء القومية التي هي سابقة على انشاء الجامعة ـ بل وعلى قيام واستقلال جميع الدول العربية ـ ، ومن واجبه ان يسخر جهازه كاملا للتوعية بها وترشيد العمل على هداها .

وفي ادائه لهذه المهمة لا يعمل الأمين العام كموظف دولي يتلقى تعليماته من الدول الأعضاء ، وانما يعمل بوحي من ايمانه بالأمة العربية ومن احساسه القومي بالاخطار التي تهدد أساس وجودها ومستقبلها . واذا فعل ذلك فلن يجد الحكومة العربية التي تجرؤ على انتقاده وإلا فكان سهلا عليها ان تخرج من الجامعة وتعلن عدم انتمائها لكل ما هو عربي فكرة أو عقيدة أو تنظيما .

أما اذا شاء الامين العام أن يعمل « بالسياسة » فيفسر المبادىء القومية حسب سياسة الدولة المتجنس بجنسيتها ، أو حسب « رؤيته » الواقعية لتقلبات وتطورات السياسة الدولية ، فانه يكون قد خرج عن واجباته القومية لأنه بذلك يخضع الأصول الثابتة للأمة العربية لاعتبارات ومفاهيم يروج لها أعداء العرب . قد أفهم أن تسعى الانظمة العربية الى تقديم تنازلات لتكسب التأييد الخارجي من هنا أو هناك ، ولكني أجد من العسير قبول فكرة طرح اهدافنا ومبادئنا القومية في سوق المساومات الدولية لنكسب « للقضية » الرأي العام الأوروبي أو الأمريكي .

لاجدال ان الوطن العربي يمر بأزمة حادة ، ولا جدال أيضا أن قوى كثيرة خارجية تسعى لتسوية حساباتها معه واعادته الى وضع الجزئيات التابعة ... ولن يفيد في تفادي ذلك التمادي في تجميل الوجه العربي باستخدام مستحضرات مستوردة ارضاء للذوق الأجنبي ، انما قد يفيد ان تستعيد هذه الأمة تعصبها القومي . وأمام الجامعة العربية فرصة ـ لعلها الأخيرة ـ لممارسة مسؤوليتها القومية في هذا الصدد ، والمجال الوحيد لممارسة هذه المسؤولية هي الساحة العربية نفسها وليس أوروبا أو الولايات المتحدة . ■■

القاهرة ـ جميل مطر

الدكتور زكي نجيب محمود  يكتب

علموهم تذوق الفن

كان أفلاطون في تصوره للدولة المثلى ، قد حذف الفن من مقومات الدولة كما تصورها ، واظنه قد قصر مفهوم « الفن » في سياق حديثه ، على الشعر والتصوير ، وكان مبرر الحذف عنده ، هو أن الشاعر أو المصور ، انما يقدم لنا تصويرا لشيء ما ، واذا كان ذلك كذلك ، فان الشيء نفسه اقرب الى الصدق من صورته المرسومة له في كلمات الشاعر او في خطوط المصور والوانه ، فما حاجتنا ـ اذن ـ الى ذلك التصوير مادام الشيء المصور قائما بين ايدينا وامام ابصارنا ؟ ايهما اولى بالنظر : شجرة الورد في بستانها ، ام تصوير لتلك الشجرة بقلم الشاعر او بريشة الرسام ؟

على أن أفلاطون لم يكن ليرضى للانسان أن يلتمس المعرفة الصحيحة في الأشياء نفسها ، بل أراد له ـ اذا اراد معرفة صحيحة بشيء ما ـ أن يجاوز ذلك الشيء المحسوس الى فكرته المجردة ، كان يجاوز شجرة الورد المحسوسة ، الى تعريفها العقلي ، وانه لتعريف يجاوز بدوره عقول افراد الناس ، لانه اذا فنى هؤلاء الناس جميعا ، بقي التعريف العقلي لشجرة الورد ، او قل بقيت فكرتها ، او بقي نموذجها في عالم المعقولات ، بحيث يخلقها الخالق مرة أخرى اذا شاء ، كما خلقها أول مرة .

ومعنى هذا الذى قلناه ، هو أن تصوير الشيء المعين في دنيا الفن ، يبعد بنا عن الحق خطوتين ، فهو ـ أولا ـ أقل صدقا من الشيء نفسه ، ثم هذا الشيء نفسه ـ ثانيا ـ أقل صدقا من النموذج العقلي الذى قد خلق على غراره ، وعلى هذا الاساس أوصى أفلاطون بالا يكون في الدولة المثلى التى تنشد العلم الصحيح بالكائنات ، شاعر أو مصور .

لكنه برغم موقفه هذا الرافض للفن ، أصر على أن تكون الموسيقى جزءا أساسيا ضروريا من التعليم ، منذ الطفولة الباكرة ، لماذا ؟ لان دوام الاستماع الى الموسيقى من شأنه أن يترك في نفس المستمع خصائص الموسيقى ، التي من أهمها ذلك التناسب المحكم بين الاصوات ، الذي لولاه لتحولت انغامها الى خليط صوتي تنفر منه الاذان .

وهنا نستطيع اليوم أن ندرك الخطأ الجسيم الذي وقع فيه الفيلسوف عندما حذف الشعر والتصوير من دولته المثلى ، لظنه بأن هذين الفنين انما يصوران الاشياء كما هي ، فالطائر طائر ، والشجرة شجرة ، وهلم جرا ، لكن ماذا كان افلاطون ليقول ، لو انه عاش بيننا اليوم ، حيث الشعر ايحاء والتصوير تجريد ؟ ألم يكن ليرى أن ما يبقى منهما في نفس المتلقي ، هو نفسه الذي يبقى من الموسيقى ؟ أعنى : ادراك مابين الاجزاء من تناسب محكم ، ومن وحدة تضم تلك الاجزاء في كيان موحد ، لولاه لأصبحت الأجزاء أشتاتا بغير معنى ؟

واخلص من هذا الى النتيجة التي اريد عرضها ، وهي ضرورة ان ندخل في تعليمنا لابنائنا مقررات اساسية تفي بالتذوق الفني ، على تعدد انواع الفن واختلافها ، انني ارى العلاقة وثيقة بين « المرجلة » التي تشيع في حياتنا ـ وأقصد حياة العربي في أى قطر من اقطار الوطن الكبير ـ اقول اني ارى العلاقة وثيقة بين الفوضى التي تفتت قوانا وتفكك أوصالنا ، وبين حرماننا من نشأة يكون التذوق الفنى مقوما من أهم مقوماتها ، اذ يكاد يستحيل ـ في ظنى ـ أن ينشأ ناشيء على ادراك ما في القطعة الفنية ـ كائنا ما كان منها ـ من تعاون بين أجزائها يوحدها ويحفظ النسب الصحيحة بينها ، ثم يجنح بعد ذلك الى الفوضى ، فما الفوضى الا امتناع الكيان الموحد ، واضطراب النسب بين الاجزاء .

ثم أضيف ثمرة أخرى ، نجنيها من أبنائنا اذا ما اكسبوا القدرة على تذوق الفنون ، وهي ثمرة أشرت اليها والحت عليها في مناسبات كثيرة سابقة ، واعنى بها الرابطة التي تربط العرب المعاصرين بالعرب الأسبقين ، وهي رابطة في صميم الصميم من إحياء المجد العربي باحياء تراثه ، فليس احياء التراث هو ان نقيم له هيكلا ثم نجلس في ظله لنستريح ، بل هو ان تشرب روح ذلك التراث تشربا يسري به في الشرايين ، كيف ؟ بان « يتذوق » الابناء فنون الاباء ، فقاريء البحتري ـ مثلا ـ اذا قرأه قراءة المتذوق ، بمعنى أن يدخل في جلد الشاعر ، ليرى بعينيه ويسمع بأذنيه ، كان وكأنه البحتري في رؤيته للعالم وللناس وللاحداث من حوله ، ومثل هذا الدمج الذي تحققه لنا لحظات التذوق الفنى لتراث أسلافنا ، هو في مقدمة العوامل الكفيلة للمعاصرين ان يجيئوا استمرارا للاقدمين في الروح والجوهر ، وان اختلفت بينهما بالضرورة تفصيلات العيش .

علموا أبناءنا كيف يتذوقون الفن بمختلف اشكاله ، تعلموهم حب النظام ، وجدية العمل ، وتنسيق الوسائل مع الاهداف ، وتنشئوهم تنشئة التهذيب والاحساس بالكرامة ، ثم تعلموهم فوق هذا وذاك أى الطرق يسلكون ليستلهموا ماضيهم المجيد من أجل حاضر أمجد . ■■



« والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم »
قرآن كريم

جنون الذهب .. إلى أين ؟

بقلم : الدكتور حازم الببلاوي

لقد خلب الذهب مخيلة الانسان منذ ما قبل التاريخ .. وها هو ذا الآن يكاد يذهب بعقله . فقد كان الذهب من اوائل المعادن التي اخضعها الانسان لسيطرته . والتاريخ يعيد دورته الآن . لينتقم الذهب لنفسه ويخضع الانسان من جديد لنزواته . فهل يتغلب عقل الانسان ام يضيع تماما امام صنم بناه لنفسه .. هذا ما ستثبته الايام !

لقد ثبت سعر الذهب عند ٣٥ دولارا للاوقية (الأونصة) في عام ١٩٣٤ واستمر على ذلك دون تغيير حتى ١٩٦٧ ، حين بدأ السعر يهتز جزئيا في الأسواق الحرة ، رغم استمراره بهذا السعر في التعامل الرسمي بين السلطات النقدية . وفي عام ١٩٧١ خرج الذهب من عقاله وبدأ يتحرر ـ على حياء ـ من اسعاره القديمة ليبدأ في الارتفاع النسبي في ٧٦/٧٥ . وفي ديسمبر ١٩٧٨ قيل بان الذهب قد بلغ فعلا حدوده القصوى عندما جاوز المائتي دولار للاونصة (حوالى ٢٢٥ دولارا في نهاية ديسمبر ١٩٧٨) . وها هو ذا بعد سنة بالتمام يجاوز الخمسمائة دولار (حوالي ٥٢٥ دولارا في نهاية ديسمبر ١٩٧٩) . وفي خلال الاسابيع ، او لعلنا نقول الايام التالية ، بدأ سلسلة من الارتفاعات المذهلة حيث بلغ « ساعة كتابة هذا المقال ٨٣٠ دولارا للاوقية ، ولا احد يدرى ماذا سيكون عليه السعر بعد يوم او يومين .

وقديما قالوا انه ما من طائر طار وارتفع .. الا وكما طار وقع . فهل الامر كذلك مع الذهب ، ام انه طائر من نوع خاص ... يرتفع اكثر كلما طار وارتفع ؟

لا أحد يجرؤ الآن على التوقع عما ستكون عليه

الاحداث القادمة . واذا كنا عاجزين عن تكشف مستقبل الذهب ، فلا اقل من أن نتعرف على ماضيه .

اكتشف الذهب ـ ذلك المعدن الاصفر اللامع ـ في وقت سحيق خلال العصر الحجري . وقد ساعدت خصائص الذهب المنجمية وصفاته على سهولة استخراجه ثم سهولة تشكيله .

وقد استخدم الذهب ـ كما هو معروف ـ في الحلية والزينة ، على ان ما اعطاه رونقا وسحرا خاصا كان استخدامه كنقود . وتوجد آثار لعملات ذهبية متداولة منذ ممالك ليديا في غرب آسيا . وقد ادى هذا الدور النقدي للذهب الى احتلاله مكان الصدارة في اهتمامات الافراد وخاصة في فترات القلق والاضطراب .

وقد كان اكتشاف الانسان لفكرة النقود ، احد اهم معالم تطور تاريخ الانسان والذي يكاد يقترب في نتائجه مع اكتشاف النار والكتابة . ففكرة النقود قدمت للانسان اهم وسيلة لترشيد الحساب الاقتصادي وحسن استخدام الموارد الاقتصادية .

وقد كان الذهب من اهم العوامل التي ساعدت على تقدم وتطور فكرة النقود ذاتها حتى انه اختلط في الاذهان معنى النقود الحقيقية مع الذهب .

قاعدة الذهب

الحديث عن علاقة النقود بالذهب تثير في الاذهان ما يعرف باسم قاعدة الذهب . فما هي اهم خصائص هذه القاعدة ؟

تعرف قاعدة الذهب مجموعة من الشروط الواجب توافرها . واهمها :

ـ تعرف الوحدة النقدية بوزن معين من الذهب . وليس هذا مجرد تعريف شكلي للنقود كما هو الحال في معظم القوانين الحالية ، وانما يقتضي الامر ايجاد علاقة بين كمية النقود المتداولة وبين حجم الذهب المتاح لدى السلطات النقدية . وبذلك توضع قيود على حرية الدولة في اصدار النقود .

ـ ان تتحقق المساواة بين سعر الذهب كنقود وسعره كسلعة .

ـ حرية انتقال الذهب فيما بين الدول ، وهو ما يضمن ربط الدولة بنظام دولي قائم على الذهب .

وقد طبق هذا النظام بشكل ما منذ اواخر القرن التاسع عشر ، واستمر حتى قيام الحرب العالمية الاولى . واذا كان النظام لم يساير في التطبيق نفس الشكل المثالي الذى وصفته مؤلفات الاقتصاد ، فانه لم يكن بعيدا جدا عن تلك الصورة . وفي العمل كان بنك انجلترا يتمتع بدور هام في ادارة التجارة العالمية وفي تحقيق استقرار التوازن العالمي ، بحيث كانت لندن مركزا للتجارة والتحويل العالمي لايحدها أى من الحواجز السياسية .

ومع قيام الحرب العالمية في ١٩١٤ لم تستطع الدول ان تستمر في اخضاع اقتصادها الداخلي لاعتبارات التوازن الخارجي ، وكان لابد من وضع القيود على التجارة الخارجية والاخذ بسياسة نقديه داخلية مستقلة والتوسع في الانفاق النقدى دون مراعاة لحجم الذهب المتوافر . وهذا كله كان يعني التخلي عن قاعدة الذهب . وهو ما حدث بالفعل ، وبدأ فرض ما يعرف بالسعر الالزامي على اوراق البنكنوت ، بمعنى عدم قابلية تحويلها الى ذهب باى شكل من الاشكال . واتجهت الحكومات والبنوك المركزية الى اصدار هذه النقود الورقية في ضوء احتيجات الانفاق الحربي والمدني بصرف النظر عن وجود الذهب .

ويلاحظ ان هذه ليست اول مرة تفرض فيها مثل هذه القيود . فكل الدول عرفت ـ بلا استثناء ـ أوضاعا خاصة جعلتها تتخلى مؤقتا عن الاخذ بقاعدة الذهب . وهو ما حدث في اوربا عدة مرات خلال حروب نابليون . ولكن في كل مرة كانت الدولة تعود الى قاعدة الذهب في شكل من الاشكال بعد زوال هذه الظروف الخاصة .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وما صاحبها من آلام واضطراب ، اعتقد الكثير من البسطاء امكان استئناف السير وكأن الحرب مجرد عارض مؤقت ، يمكن مجاوزته بالعودة الى النظام السابق . ولم يغير من الامر شيئا ان يكون من بين هؤلاء البسطاء ونستون تشرشل ، والذى اثبت فيما بعد قدرات كبيرة في مجال السياسة

الدولية ، ولكنه في قضايا معالجة الاقتصاد ، لم يكن اكثر حظا من العديد من ذوي النوايا الطيبه .

بريتون وودز ومحاولة الاحياء

مازالت ذكريات الانسان اوسع من خياله . وقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية وآثار الفوضى المالية والاقتصادية عالقة بالاذهان ، كانت قاعدة الذهب لما قبل الحرب العالمية الاولى تمثل فترة الاستقرار والازدهار الاقتصادي ، بل والسلام ايضا . ولذلك فقد حاول العالم إعادة قاعدة الذهب بشكل من الاشكال ولكن عالم ما بعد الاربعينات ليس عالم ما قبل ١٩١٤ .

وفي اتفاقية بريتون وودز (١٩٤٤) اخذ العالم بنظام يجمع بين مظاهر قاعدة الذهب القديمة في جانب وبين طبيعة الأوضاع الجديدة من جانب آخر ، رغم ما بين الأمرين من تناقض . فربطت العملات بالذهب شكليا ، وبالدولار فعليا ، والتزمت الدول بحماية ثبات أسعار الصرف ، وفي هذا تتفق مع قاعدة الذهب التقليدية . ولكنها تعترف في نفس الوقت بحق الدول في الاخذ بسياسات اقتصادية وطنية مستقلة ، وانها لاتخضع توازنها الداخلي لاعتبارات التوازن الخارجي ، وهو ما يتعارض مع مقتضيات قاعدة الذهب .

ومع تعهد الولايات المتحدة الامريكية بتحويل الدولار الى ذهب لغير المقيمين بسعر ثابت ٣٥ دولار اللاونصه ، فقد احتفظ النظام الدولى بعلاقة ما مع الذهب . ومازال الذهب يدخل في احتياطي الدول ، وتتعهد الدول بإيداع جزء من احتياطيها الذهبي لدى صندوق النقد الدولي .

ولكن مع قوة الاقتصاد الامريكي وحاجة اوربا واليابان الى اعادة التعمير ، استمر النظام الجديد في العمل بيسر معقول طوال الخمسينات والستينات تحت اسم قاعدة الذهب شكلا ، وقاعدة الدولار فعلا . وفي خلال هذه الفترة تحول معظم الاحتياطي الذهبي للخزينة الامريكية ، واصبح يمثل نوعا من الغطاء للدولار اساس النظام النقدى الدولي . وبهذا تحولت الولايات المتحدة الامريكية الى نوع من البنك المركزى العالمي ، يدير اصدار النقود العالمية ويحتفظ بالاحتياطي الذهبي .

بعد عشرين سنة من تطبيق نظام بريتون وودز تغير العديد من الظروف المحيطة بالاقتصاد العالمي . فلم يعد الاقتصاد الامريكي الاقتصاد الوحيد القادر . فظهرت اوربا واليابان كقوتين اقتصاديتين يعتد بهما . كذلك بدأت السياسة الامريكية الخارجية تشكل اعباء على قيمة الدولار . واضطرت الولايات المتحدة الامريكية الى تخفيض قيمة الدولار . ومع تزايد عجز ميزان المدفوعات الامريكية ، ومن ثم ديون العالم الخارجي للولايات المتحدة الامريكية ، تضاءلت نسبة الغطاء الذهبي للدولار الامريكي . وبدأت الثقة تتزعزع في الدولار . وفي مارس ١٩٦٨ اتفق لتخفيف المضاربات على الذهب على فتح سوقين للتعامل في الذهب . فالى جانب التعامل الرسمي من جانب السلطات النقدية وفقا للسعر الرسمي للذهب (٣٥ دولارا للاوقية) ابيح التعامل الحر في الذهب وفقا لظروف الطلب والعرض . وبذلك نشأت سوقان للذهب لكل منهما اسعاره ، سوق رسمية وسوق حرة . وبدأ نظام النقد يتهاوى كما بدأت المضاربات حول الذهب .

استمر الضغط على الدولار الامريكي ، واضطرت حكومة الرئيس نيكسون ان تعلن في اغسطس ١٩٧١ وقف تحويل الدولار الى ذهب . وبذلك سقط نظام النقد الدولي القائم على الذهب شكلا ، واصبح النظام قائما على الدولار شكلا وموضوعا .

ولم تنجح المحاولات لاصلاح نظام النقد ، وفي غمرة البحث عن تدعيم النظام القائم وتأكيد مبدأ ثبات اسعار الصرف بالرغم من موجة التعويمات التي اخذت بها الدول ، جاءت صدمة اسعار النفط في ٧٤/٧٣ ، وقضت على كل أمل في العودة الى نظام ثبات اسعار الصرف .

ولم تستطع الدول الاتفاق على نظام جديد يحل محل نظام النقد السائد ، ووصلوا اخيرا الى الاتفاق على الاعتراف بسقوط النظام السابق ، وترك الامر لكل دولة في اختيار نظام الصرف المناسب لها . وجاء التعديل الثاني لاتفاقية بريتون وودز في جامايكا ١٩٧٦ والذي اصبح نافذ المفعول في ابريل ١٩٧٨ مقننا وضع

اللانظام . فاصبحت كل دولة حرة في اختيار مايناسبها من نظام للصرف . وهو ما يعني عملا الاخذ بنظام تقلبات اسعار الصرف (نظام التعويم) . على أن أهم ما حققه هذا التعديل هو استبعاد الذهب من كل دور في النظام النقدي الجديد فحقوق السحب الخاصة وليس الذهب ، اصبحت تمثل الاحتياطي الاساسي ، ولم يعد الذهب مستخدما كأساس لتعريف كل دولة لعملاتها . وبناء عليه اتفق على أن يقوم الصندوق بالتخلص تدريجيا من احتياطي الذهب المتاح له ببيعه في السوق ، ويجمع المتحصل زيادة على السعر الرسمي في حساب خاص لمساعدة الدول النامية . وحرص الاتفاق على توفير الاجراءات المناسبة لبيع هذا الذهب دون تهديد للاستقرار .

ملاذ من الفوضى

من المبالغة ان نطلق على كل عصر او فترة زمنيه اسما معينا يعبر عن خصائصها . ومع ذلك فلا بأس من محاولة ذلك ، مع الاعتراف بنسبية وحدود أي تعميم .

عرف العالم منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الأن عدة فترات تميز كل منها بصفات خاصة فعقد الخمسينات كان اعادة البناء والتعمير ، وعقد الستينات كان عقد النمو والازدهار . اما عقد السبعينات فقد كان عقد الازمات : ازمة الغذاء ، ازمة الطاقة ، ازمة التنمية ، ازمة القيادات السياسية .. وماذا عن عقد الثمانينات ؟ لا احد يدري ماذا يخبئه القدر لنا . أياما كان الامر ، فقد كانت السبعينات فترة قلق واضطراب انعكست على الاوضاع النقدية بحيث اصبح العالم يعيش حاله اشبه بالفوضى النقدية المالية . فبعد ارتفاع اسعار الحاصلات الزراعية والمواد الاولية في ١٩٧٢ جاءت ازمة الطاقة وارتفاع اسعار النفط . وقد ارتبط كل ذلك بسياسات اقتصادية متناقضة ومترددة ولم تفلح الا في تأكيد استمرار التضخم ـ وبمعدلات غير معروفة من قبل ، على الاقل في العصر الحديث . فبعد الاستقرار الكبير في الاسعار والذي ساد طوال الستينات بدأت موجات التضخم العالمي تصل في تأكل القوة الشرائية للنقود . ومع الاخذ بنظام تقلبات اسعار الصرف للعملات أضيف سبب أخر للاضطراب .

وقد ادت هذه الاوضاع الى زعزعة اركان فكرة النقود ذاتها . فالنقود ليست فقط وسيطا للتبادل ، ولكنها مقياس ومخزن للقيم . وهي كمقياس للقيم لابد وان تحتفظ باستقرار في قيمتها حتى تصلح اساسا ترد اليه كافة القيم الاخرى وتستخدم اداة للحساب الاقتصادي . وهي كمخزن للقيم لا بد ايضا وان تحتفظ بقيمتها من فترة لاخرى حتى يقبل الافراد اختزان ثرواتهم فيها . وعندما تفقد النقود استقرارها تفقد اهم وظائفها ويبدأ البحث عن اشكال جديدة تقوم بنفس الوظائف .

ولذلك وفي غياب استقرار قيمة النقود ، اتجه الأفراد للبحث عن أشياء أخرى يمكن أن يتوافر لها الاستقرار في القيمة بعيدا عن تصرفات ونزوات السلطات النقدية والتي اثبتت عجزها الكامل . واتجه الافراد الى البحث عن الاصول العينية من سلع معمرة وعناصر الثروة لحماية مدخراتهم وثرواتهم . وكان الذهب بما يمثله من تاريخ طويل وثقة كبرى مغروسة في النفوس ، اختيارا طبيعيا وملاذا من الفوضى النقدية السائدة . وبدأ الذهب يعود من جديد كنقود طبيعية تقوم اساسا بوظيفة مخزن



القيم في نفس الوقت . وياللغرابة ، حيث حاول المجتمع الدولي ممثلا في اتفاقية صندوق النقد الدولي ، في استبعاده كليا من القيام باي دور نقدي .

ومع ذلك فإن عودة الذهب الى المسرح النقدي تحمل في طياتها عناصر أخرى لا تقل خطورة . فعودة الذهب الاخيرة لم تأت نتيجة تخطيط وتدبير ، كما لم تأت نتيجة تطور طبيعي وتعبير عن الحاجات العميقة للاقتصاد العالمي . لقد جاءت عودة الذهب الى المسرح النقدي كرد فعل طبيعي غير منظم لفشل النظام النقدي الدولي . ولذلك فقد شاب عودة الذهب مرض لا يقل خطورة عن التضخم وهو المضاربة . فلم يعد الامر مجرد محاولة للاحتفاظ بالقيم في عالم فقدت فيه النقود استقرارها ، وانما فتح التطور الجديد الباب لمحاولات للاثراء السريع وغير المعقول . وهو خطر آخر لا ينبغي التهوين من شأنه .

الوجه الآخر للمضاربة

يثير تعبير المضاربة في الذهن فكرة الانتهازية والكسب غير المبرر . والحقيقة ان المضاربة هي أمر طبيعي ولازم للاقتصاد طالما ظلت في حدودها الطبيعية . أما اذا جاوزت هذه الحدود فانها تنقلب شرا ووبيلا . ويمكن تعريف المضاربة بانها السعي الى تحقيق الربح بتحمل المخاطر . والنشاط الاقتصادي نشاط يتجه الى المستقبل ، ولذلك فانه أبعد ما يكون عن اليقين . والاحتمال والمخاطر ، هما من طبائع الحياة الاقتصادية ، والمضاربة المعقولة تتحقق عندما يتخصص بعض الافراد او المؤسسات في تحمل المخاطر نيابة عن البعض الآخر . اما تحويل الاقتصاد الى مضاربة واصطناع القلق وعدم اليقين فانه قد يدمر الاقتصاد .

وفي الظروف العادية يكون هناك نوع من التعارض بين مصلحة المشتري والبائع . المشتري يريد ان يشتري بأقل الاثمان . والبائع يريد ان يبيع بأعلى الاثمان . اما في حالة المضاربة فالجميع يريد ارتفاع الاسعار . المشتري يريد استمرار ارتفاع الاسعار لان ذلك يضمن له أرباحه عندما يقوم بالبيع ، والبائع يريد ايضا ارتفاع الاسعار لزيادة دخله ، فهنا نجد انفسنا في ظروف يقوم فيها شبه تواطؤ بين البائع والمشتري على رفع الاسعار بغية استغلال السوق ، أي الآخرين .

وايا ما كان الامر فانه في ظل الفوضى النقدية العالمية المتقدمة ، اتجه الافراد الى البحث عن ملاذ جديد ، وكان الذهب افضل المرشحين حظا في كسب الدور الجديد ، على ان قدرة الذهب على الاحتفاظ بقيمته بعيدا عن تقلبات قيمة النقود قد جذبت انتباه المضاربين ، فلم يعد الامر وسيلة جديدة لحماية الثروة ، وانما اصبحت طريقة اخرى لكسب ثروات جديدة ، وبدأ ارتفاع ثمن الذهب وعندما بلغ ثمن الاوقية مائتي دولار قيل بانه بلغ سقفه الاعلى . والحديث يدور الآن حول الالف دولار ، فماذا سيكون عليه الحال بعد ذلك ؟

وكأنما لم تكف المتناقضات السابقة حتى تزيدها الدول تعقيدا ، فاتفاقية صندوق النقد الدولي تستبعد الذهب تماما من المسرح النقدي العالمي ، وتتخذ الاجراءات حتى يكون انسحاب الذهب كريما وباقل قدر من الخسائر .

ولكن ها هي ذي دول السوق الاوربية وهي من أهم اعضاء الصندوق تتفق على انشاء وحدة نقدية اوربية جديدة تعيد للذهب مكانته ـ على الاقل جزئيا . فحلم اوربا القديم في الاستقلال عن الولايات المتحدة لا يزال يخالجها ، ويجتمع رئيسا المانيا الغربية وفرنسا ، ويتفقان على انشاء الوحدة النقدية الاوربية ، ثم يضع الخبراء والفنيون قواعد الوحدة الجديدة . ونجد انهم يلزمون الدول الاعضاء بايداع حصة من رصيدهم الذهبي في جمع مشترك ، اعترافا بان للذهب دورا نقديا دوليا ، في اوروبا على الاقل . ويزداد الاضطراب بزيادة الغموض حول اتجاهات السلطات النقدية في العالم .

وفي وقت اثبتت فيه السلطات النقدية عجزها الكامل عن تصور ـ فضلا عن تطبيق ـ سياسات نقدية ناجحة اوضحت الحكومات عجزها المقابل في الحياة السياسية الدولية . فقامت احداث ايران ثم أفغانستان ، ولا احد يدري ماذا بعد ؟ ولكن الشيء الاكيد هو ان السلطات السياسية قد اثبتت فشلها ولا يمكن الارتكان

اليها

الذهب والسلع الاخرى

لا شك في ان ارتفاع اسعار الذهب خلال الاشهر بل الاسابيع الاخيرة قد اثار دهشة المراقبين ، فالى اي حد تعتبر هذه الظاهرة غير عادية ؟

فمنذ اكثر من اربعين عاما حدد ثمن الذهب بواقع ٣٥ دولارا للأوقية في سنة ١٩٣٤ ، وثبت السعر عند هذا الحد حتى افرج عنه جزئيا في ١٩٦٨ ثم في ١٩٧١ ، ثم اطلق له العنان بعد ذلك وخاصة منذ ١٩٧٩ ، وخلال تلك الفترة من التقييد الاجباري لسعر الذهب كانت كافة الاسعار الأخرى حرة طليقة . وعند مقارنة سعر الذهب بغيره طوال هذه المدة لا نجد مدعاة للدهشة وان الذهب ليس فريدا في توعه . ويكفي ان تقارن اسعار الذهب مع اسعار المعادن الاخرى ، فمنذ ١٩٣٤ ارتفع سعر النحاس ٣٠ مرة والصفيح ٣٠ مرة والزنك ٢٣ مرة والرصاص ٤٠ مرة ، وخلال نفس الفترة ارتفع سعر الذهب (حتى كتابة هذه السطور) حوالي ٢٥ مرة ، وهو ما لا يعتبر انحرافا شديدا عن الاتجاه العام لغيره من المعادن .

ومع ذلك فانه لا ينبغي اهمال الخصائص الخاصة لارتفاع ثمن الذهب ، فارتفاع اسعار الذهب لم تتم تدريجيا ، كما في اسعار السلع الاخرى ، وانما تركز هذا الارتفاع خلال السنتين الاخيرتين وبصفة خاصة خلال الشهور الاخيرة . وهذا امر غير طبيعي .

ومن ناحية اخرى فان هناك فارقا بين الذهب وبين السلع الاخرى . تدخل السلع الاخرى السوق عادة لكي تخرج منه فهي تطلب للاستهلاك او الانتاج ، وفي كلتا الحالتين تمر السلعة في السوق مرة واحدة . اما الذهب فانه شأن النقود يدخل السوق لكي يعود اليه من جديد . فمن يشتري الذهب لغير اغراض الزينة ، انما يريد أن يحتفظ بقيمة معينة لكي يستخدمها من جديد في المستقبل . فالطلب الكبير على الذهب الآن يمثل عرضا كبيرا للذهب في المستقبل . وما يمثله هذا الطلب المتزايد من ضغط لارتفاع اسعاره الآن ، يعني ايضا عرضا متزايدا وضغطا آخر لانخفاض الاسعار في المستقبل .

من المهم ان نعرف من اين يأتي طلب وعرض الذهب لفهم طبيعة السوق ومستقبلها . وليس من السهل تحديد شخصية المتعاملين في هذه السوق . فسوق الذهب سوق واسعة يتم التعامل فيها غالبا عن طريق مؤسسات مالية وبنوك لحساب افراد وهيئات لا تظهر عادة بشكل واضح .

ومع ذلك فانه من السهل الاتفاق حول عدة نقاط . وقد يكون تحديد شخصية العارضين الاساسيين أيسر في التحديد ، فالى جانب المضاربين الذين يبيعون ويشترون يوميا في نفس الوقت ، فان العرض الاساسي للذهب يأتي من جانب المنتجين الاساسيين ومن الحائزين الرئيسيين . وتعتبر جنوب افريقيا المنتج الأساسي للذهب في العالم بما يقرب من ٦٠٪ من الانتاج العالمي ، ويليه الاتحاد السوفيتي . اما الحائز الرئيسي على احتياطيات الذهب فهي الولايات المتحدة الامريكية وتحتفظ بحوالي ٢١٠ بلايين دولار . تليها المانيا الغربية باحتياطي حوالي ١٠٦ بلايين دولار ، ثم فرنسا باحتياطي يبلغ حوالي ٩٠ بليون دولار ، وسويسرا باحتياطيات حوالي ٦٦ بليون دولار معدلا على اساس سعر الاونصة ٨٠٠ دولار (عن صحيفة فاينانشيال تايمز اللندنية عدد ٤ يناير ١٩٨٠)

واما الطلب فانه يأتي بالضرورة من هيئات وافراد تحتفظ باصول مالية متنوعة ، ثم تفضل الاحتفاظ بالذهب بدلا من هذه الأصول المالية ، نظرا لما يحيط بهذه الاصول من احتمالات ومخاطر . فالطلب يأتي اساسا من وحدات اقتصادية ذات فائض في شكل ثروة ومدخرات ونتيجة للفوضى النقدية السائدة تتجه لتفضيل الذهب على غيره من صور مخازن القيم .

الذهب الاسود والاصفر ؟

اذا كان الطلب على الذهب يأتي بالضرورة من اصحاب الفوائض المالية ، فان الذهن يتجه عادة الى اصحاب الفوائض النفطية باعتبارهم الاكثر قدرة على الدخول في سوق الذهب وشراء كميات كبيرة منه بدلا من الأصول المالية الاخرى .

وبالفعل فان العديد من المصادر المالية تشير الى ان هناك مشتريات كبيرة للذهب من مواطنين لدول الفائض النفطية ، فهؤلاء يتمتعون بفوائض مالية كبيرة تستثمرها عادة في اصول مالية مختلفة في الدول الأخرى . ومع استمرار التضخم من ناحية وتقلبات اسعار الصرف وتدهور الدولار من ناحية اخرى ، فقد بدأ الشك يثور في نفوس هؤلاء المستثمرين حول جدوى الاستمرار في هذه الصور المختلفة للاستثمار المالي المستمر التآكل . ثم جاءت احداث ايران وما عمدت اليه حكومة الولايات المتحدة الامريكية من تجميد لأرصدة الحكومة الايرانية مما اثار بالضرورة مخاوف كثيرة حول امكان الالتجاء الى مثل هذا الاسلوب في المستقبل من جانب الولايات المتحدة الامريكية او من غيرها . ولذلك فانه يبدو للوهلة الاولى ان هناك بعض الاعتبارات التي تدعو اصحاب هذه الفوائض الى التفكير في اصل مالي قابل لحماية قيمة ثرواتهم دون أن يخضع لاهواء السلطات السياسية . وليس هناك افضل من الذهب للقيام بهذا الدور .

وقد اشار بعض المحللين الى نوع من التقابل بين اسعار النفط واسعار الذهب بحيث يمكن القول بان ثمة علاقة بين الامرين كما يبين الجدول المرفق .

وليس من السهل تأكيد او نفي اتجاه جزء من الفوائض المالية لشراء الذهب . ولكن من الممكن تصور عدة احتمالات للمستقبل وهي تتوقف على سلوك المنتجين والحائزين على الذهب .

بطبيعة الاحوال ، تتجه مصالح منتجي وحائزي الذهب الى الاستمرار في زيادة اسعار الذهب ، فهم المستفيدون من كل زيادة في هذه الاسعار . ومن الملاحظ ان الاتحاد السوفيتي لم يعرض مؤخرا كميات كبيرة من الذهب ، كما هي عادته في سنوات سابقة ، (فيناشيال تايمز ٤ يناير ١٩٨٠) . كذلك فان الحكومة الامريكية والتي سارت مؤخرا على عقد مزاد شهري لبيع الذهب ، قد توقفت عن البيع منذ نوفمبر ١٩٧٩ ، بل واعلن وزير الخزانة الامريكية ميلر في منتصف يناير ان حكومته لا تفكر في البيع الان طالما ان ظروف السوق غير طبيعية . وقد كان لهذا الاعلان اثره المباشر في رفع اسعار الذهب في نفس الليلة بما يقارب المائة دولار للأوقية .

وهذه السياسة في تقييد الانتاج لا تساعد فقط على استمرار رفع اسعار الذهب بل انها يمكن ان تدعم الثقة في العديد من العملات فالدولار مثلا بدأ يسترد الكثير من قوته ازاء العملات الاخرى بعد ارتفاع اسعار الذهب فهذه الزيادة في اسعار الذهب تعني في نهاية الامر زيادة قيمة الغطاء الذهبي للدولار الامريكي مما يمكن ان يعيد بعث الثقة فيه .

ومما يساعد على نجاح هذه السياسة هي ان مصلحة المشترين للذهب لا تتعارض مع استمرار ارتفاع اسعار الذهب ، بل انهم يرحبون في الواقع بذلك لضمان استمرار قيمة ثرواتهم .

وقد يؤكد مثل هذا الاتجاه ويدعمه انه قد يحصر اثر الفوائض النفطية في سلعة واحدة هي الذهب فاذا اثر ارتفاع اسعار النفط في ذاته ليس كبير الاهمية في رفع المستوى العام للاسعار ، فان زيادة المديونية العالمية المترتبة على فوائض النفط قد تكون شديدة الاثر ، والذهب كفيل بامتصاص جزء كبير من الفوائض المالية وتخفيف حدة المديونية العالية .

ولكن الى اي مدى يمكن ان يذهب اليه منتجو وحائزو الذهب في تقييد عرض الذهب حماية لاسعاره من الانخفاض ؟ هذا امر لا يمكن معرفته مقدما . ولكنها ستكون كارثة على الدول النفطية اذا انتهى الامر بانتقال الذهب اليها ، فتكون قد تخلت عن ذهبها الاسود في مقابل الاصفر وعلى حين ان الذهب الاسود يحرك الحياة بما يبعثه من طاقة ، فان الذهب الاصفر ليس اكثر من معدن براق .

الذهب يعيش على قلق الناس وهمومهم ، ولكنه لا يملك نفعا او ضررا ، من يشتري الذهب لابد وان يبيعه ، ومن اشتراه غاليا لابد وان يبيعه غاليا والا خسر خسارة كبيرة . والمتعاملون في الذهب الان اشبه بلاعبي الكراسي الموسيقية ... الجميع يلهو طالما استمر العزف .. وحين يتوقف العزف فسيبقى من بيده الذهب يحمل اطنانا من المعدن الاصفر ... ولو مشتريا .. وعندها تكون الطامة الكبرى .

د . حازم الببلاوي

مغامرة تحولت الى حقيقة !

ملك أراوكانيا

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى



هل أتاك حديث أراوكانيا ؟ وملك الآراوكانيين ؟

انه مما اسقطه التاريخ من الحديث فلا علم ولا خبر ! حتى أراوكانيا هذه قطعة من المجهول عندي وعندك . وجزر واق الواق الاسطورية اكثر حقيقة منهـا .. فما اراوكانيا هذه ؟ واين اين ؟ ومن هم الآراوكانيون ؟ هذا الشعب الذي لم تسجله التوراة في شعوب الارض القديمة ولا تحدث عنه المؤرخون ، على ما اكثروا من الثرثرة والحديث ؟!

ان شئت ان تعرف فاقرأ اولا بعض اشعار بابلو نيرودا شاعر شيلي العالمي . انه ابن تلك الارض ، كل براكينها الكئيبة ، كل قممها الثلجية المسننة ، كل غاباتها تغوص الاقدام في ورقها الميت وتموت الاطياف ، كل صخورها البنفسجية زمر الوحش ، النباتات الكل ارقى بعضها فوق بعض ، زهر الثلج ، عصائب العصافير ، السحن النحاسية المغلقة ، المطر ، المطر ، المطر كالابر الطويلة من البلور يتكسر شهورا طويلة على اسطحة المنازل او يستحيل امواجا شفافة تلطم النوافذ او وحولا لزجة على الطرق ... كل اراوكانيا تجدها في اشعار نيرودا . بل ! انها في اقصى الارض ، على سفوح جبال الاندس المطلة على المحيط الهادى في جنوب شيلي ، ولكن نيرودا نقلها حية دافئة الى كل قلب ! في مذكراته قال :

« من لايعرف الغابة الشيلية فهو لم يطأ هذا الكوكب الارضي .. من

« تلك الاراضي ، من ذلك الطين ، من ذاك السكون خرجت

« انا الاسير ، لاغنى عير الكون . ولدت للحياة ، للارض ، للشعر ، للمطر .. »

على ان القصة المنسية كانت قبل ولادة نيرودا بقرابة نصف قرن [١] ولا علاقة للقصة به ، ولكن بارضه وباهله . انها تبدأ في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٦٠ .. المطر كان يرهق اربعة فرسان يهبطون الدروب الموحلة من جبال الاندس هناك ويبلل لحية كبيرهم ويقطر من اذناب الخيول ... حين توقف الفرسان ، بعد اسابيع من السفر والجهد ، كانت قد انبسطت امامهم هضبة مد البصر ، من الخضرة الندية والشجر الغابي والاسرار المكفنة بالضباب .. ومسح كبير الفرسان شاربه ولحيته السابغة علامة الرضى . وسار ساعة على ضفاف النهر الجارى بعرض مائة متر من الماء المتدفق المزبد يلتمس مما عبره ..

ـ اذن فهذا هو نهر (بيوبيو) الذى يفصل شيلي عن اراضي اراوكانيا !!

في حرب الافقار !

لقد جاء هذا الفارس : انطوان دوتونين A. De Tounens من فرنسا خاصة لاجتياز هذا النهر وتجربة حظه فيا وراءه . ولا يغرنك شبح النبالة القديمة في لقبه فهو ليس اكثر من ابن لاسرة كانت تعد تسعة اطفال ، تعيش في الفقر والمسغبة . ويعلم الله كم قاسى (انطوان) ليدرس ثم ليهاجر ثم ليكون هذا الموكب المتواضع الذى يسير فيه ... يطمع في تحقيق حلم أعرض من الافق .. يطمع ان يقيم لنفسه ملكا ، في اراوكانيا ،

(١) ولد الشاعر بابلو نيرودا سنة ١٩٠٤ وتوفي ١٩٧٣ . وفيا بين المولد والوفاة كان قيثارة امريكا اللاتينية كلها في الشعر . نال جائزة نوبل سنة ١٩٧١ بوصفه « شاعر الكرامة البشرية المنتهكة »

حيث لا ملك لاحد بعد . المغامرون الآخرون الذين عاصروه اختاروا افريقيا خاصة ميدانا لمالكهم « الاستعمارية » ، اما انطوان فاختار المسير الى اقصى بقعة في الارض ، الى اراوكانيا . ولست تدري من اين هبط عليه هذا الحلم ؟ ولا كيف عرف بوجود تلك البلاد ومتى قرر المسير اليها ...

مائة سنة ظل الفاتحون الاسبان الذين اسسوا شيلي يحاربون قبائل الآراوكانيين ، السكان الاصليين لتلك الارضين . دون اي نجاح .. دفعوا هناك من الضحايا اكثر مما دفعوا في فتح امريكا كلها وظل الآراوكانيون يدفعون بالمقابل .. دون كلل .. كل ما نجح به الاسبان هو اجبار ذلك الشعب على التقهقر جنوبا جنوبا جنوبا الى ان حوصر في تلك الشقة الساحلية الضيقة الباردة في الجنوب ... كانوا يسمون ذلك « تهدئة اراوكانيا » اي مواصلة الحرب بالدم والنار لافناء ذلك الشعب القديم وانتزاع اراضيه بنيران البنادق ، باحراق الاكواخ . بالافقار المتمادي ، باستخدام القانون والقضاة والمحاكم لاجلائهم ، بالكهان يهددونهم بنيران جهنم .. واخيرا بتوزيع الخمور ايضا !! .. صحيح ان الحرب الدموية توقفت سنة ١٦٥٥ ثم اعترفت اسبانيا باستقلال اراوكانيا سنة ١٧٧٣ ولكنها الحرب الاخرى ، حرب الافقار والخمر والحصار ظلت على اشدها والشعب العريق يتآكل .. يتآكل كبعض الهضاب الصخرية الصلدة .

ولم يكن اسم الشعب بالاراوكان . ولكن الكلمة اتت من اوكايس وتعني « الثائر » في لغة ذلك الشعب القديم . انهم اذن شعب « الثوار » .. ولكن دون امل ! أرضهم التي بقيت لهم في اواسط القرن الماضي كانت حوالي ٦٠ الف كم٢ واما عددهم فكان قد تضاءل الى حوالي ٢٠٠ او ٢٥٠ الفا فقط . وكانوا ضعف ذلك مرتين ! وكان لهم من قبل الملوك ولهم الحضارة والنظام التنظيم . ولكن الخمر والقتل والفقر والحصار كل اولئك قد احالهم الى شعب في طريق الاندثار ..

وحين وصل الفارس انطوان دوتونين الى نهر بيوبيو Piopio كانت شيلي تعتبر هذا الشعب وأرضه من رعاياها ومن أرضها ولكن دون أن تمس الشعب أو تدخل الارض .. أما الاراوكانيون ، بالمقابل فكانوا يعتبرون انفسهم مستقلين . اسبانيا الحاكمة قبل قرنين كانت قد اعترفت لهم بالاستقلال ... وقد عادوا الى زعاماتهم العشائرية (الكاسيكه) ولم يأتهم من وراء نهر بيوبيو في الشمال اي سلطة ...

القادم لاجل الخير

كان الفارس دوتونين وحاشيته من الفرسان الثلاثة يخترقون الاعشاب الطويلة بعد ان عبروا النهر حين فوجئوا بكوكبة من فرسان الاراوكانيين ، على السرج ، بسحنتهم النحاسية العريضة واغطيتهم السميكة من الصوف التي يتوقون بها المطر ينبعون لهم من قلب الادغال ويقطعون عليهم الطريق ! وحين قادوهم الى زعيم القبيلة الكاسيكه ماغنيل Magnil في القرية استطاعوا بسهولة ان يقنعوه انهم ليسوا من شيلي ، وليسوا من الاعداء . وانهم انما يرافقون هذا « السيد العظيم انطوان دي تونين » الذي جاء لا يريد لهم الا الخير .

وما الخير ؟

الفارس انطوان كان قد قضى سنة ونصف السنة من قبل في شيلي ، وفي مرفأ « كوكيمبو » يحضر لهذا اللقاء ، يتعلم الاسبانية لانه لم يجد من يعلمه لغة الاراوكان . يحضر الخرائط والمعلومات والوثائق يجمع الدراسات القليلة لنبات الارض ومعادنها ... ولعواصف الاهواء فيها ! ولذلك سرعان ما عرض الامر على الكاسيكه ذي الشعر الرمادي من الزاوية التي تهمه وتستأثر به !

قال له في جمل قصيرة حاسمة كأنها القدر : ان لم يتحرك الشعب الاراوكاني وينظم نفسه ضاع . شيلي سوف تجتاز ذات يوم قريب نهر بيوبيو وتأخذ البلاد نهائيا . وانتم لا تستطيعون المقاومة كما انه ليس لديكم الخبرات اللازمة لاستغلال هذه الارض واقامة استقلالكم الاقتصادي . وانتم متفرقون ، فيجب ان تتحدوا في دولة ذات نظام وان يكون لديكم الخبير القوي الذي يعرف البيض جيدا ويقودكم .. ويستخرج لكم ايضا ما تحتوي ارضكم من ذهب !

وبالرغم من ان الكاسيكه العجوز ظل طويلا يرمق انطوان ولحيته السابغة بالحذر ، الا انه في اعماقه اقتنع بالامر لانه كان مستعدا من قبل لمثل هذا الاقتناع .. الذي يدغدغ احلام الآراوكانيين ، وقال وهو يعب من « الماته » الحارة في اوعيتها الخشبية التقليدية ويحلم بـ « الذهب » المنتظر الذي استدارت له عيناه وجوانحه :

ـ ان ذلك يحتاج الى معجزة !

واجاب انطوان بسرعة ، كلا انكم تحتاجون فقط الى ملك يجمعكم ويصبح الاب للجميع . وانا مستعد ان اكون ذلك الملك ...

ولم تدم مفاجأة الكاسيكه طويلا . لقد سأله :

ـ ولكن لماذا انت ؟ من انت ؟ ومن يساندك ؟ وما هي قواك ؟ واين ذلك .. الذهب ؟

ولكن انطوان اسرع الى الكذب الذي كان تهيأ له من قبل .

بنى للكاسيكه العجوز قصورا من الاوهام ، وزوق الابواب والمداخل والمخارج :

بشهادة المحفل الماسوني ؟

حمى الاستعمار كانت آخذة بألباب اوروبا في ذلك الوقت . وكانت انكلترا وفرنسا خاصة ، في السباق للسيطرة الاستعمارية قد ابتلعتا معظم « القطيرة » السوداء الافريقية وجنوب آسيا وتراودان الشرق الاقصى وبلاد العرب ، وارث « الرجل المريض » العثماني . وروسيا تبدأ الزحف ، لاحتلال تركستان الاسلامية وتعبر سيبريا للوصول الى المحيط الهادي ... والمغامرون ينطلقون كالاسهم النارية في كل اتجاه ، وفي الجباه احلام يقظة عرضها السموات والارض ... ولم يكن صعبا على الفارس المغامر ان يصوغ اسطورته :

ـ انا الامير انطوان دوتونين . ولدى كذا من الخبرات . عندي الاموال . سوف تلحق بي القوى .. الموجودة في اوروبا . اعرف الوسائل الحديثة في الحرب . وانا حيادي وانما جئت خصيصا لانقاذ اراوكانيا وتقديم العون لها .

وسأله الكاسيكه :

ـ ولكنك وحيد هنا . واوروبا بعيدة . هل لديك كتب توصية واموال ؟

الفارس المزيف لم يكن يملك سوى مبلغ محدود جدا من المال ولا شهادة معه سوى شهادة التحاقه بالمحفل الماسوني في بلده .. واخرجها ! اما المال فالذهب الاراوكاني موجود ينتظر فقط من يعرف استخراجه .. وهذا « المنقذ » على استعداد لاستقدام اعوانه الخبراء من اجل ذلك ...

كان المطر يهطل كالمزاريب .. وغرق « الكاسيكه » في فترة من الصمت تحت دثاره السميك . ثم استمهل الى اليوم التالي ليقول كلمته ...

لاتهم المفاوضات التي تمت بعد ذلك ، ولا الاحاديث التي رددها انطوان بلحيته الطويلة المؤثرة على مجمع الزعماء المحليين لاقناعهم . المهم ان نعرف ان الفارس المغامر قد استطاع في النهاية ان يصوغ لهم الاحلام وان يضع نفسه على رأس هذه الاحلام وما كاد يفوز بموافقتهم حتى اصدر في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٧٠ اول مرسوم من مراسيم الدولة بدأ كما يلي :

« نحن الامير اوربي انطوان دي تونين ،

آخذين بعين الاعتبار أن آراوكانيا لا ترتبط باى دولة .

وانها مقسمة الى قبائل وان حكومة موحدة قد اعلنت فيها للمصلحة العامة

نرسم بما يلي :

مادة اولى : تؤسس ملكية دستورية وراثية في اراوكانيا ويسمى الامير انطوان دي تونين ملكا باسم اوربي انطوان الاول ... »

المغامرة صارت حقيقة

ولما كان الملك مستعجلا فقد اتبع هذا المرسوم بست

وستين مادة تشكل دستور المملكة الجديدة « مملكة اراوكانيا » وبعد فترة قصيرة تلقى رئيس جمهورية شيلي ، ووزير خارجيتها ، رسميا ، نص هذا الدستور وبلاغ استلام الملك الجديد عرش اراوكانيا ... ونشرت ذلك الجرائد الشيلية .. بعد ايام اخرى تلقت حكومة شيلي من هذا الملك « مرسوما مؤرخا بـ ٣٠ تشرين الثاني نوفمبر ١٨٦٠ يبلغها فيه انه ضم الى تاج اراوكانيا بلاد باتاغونيا في اقصى الجنوب الشيلي !

ولان لاهل باتاغونيا ما للمواطنين الاراوكانيين من الحقوق .. »

ومهما بدا الامر مزاحا غريبا فيجب ان نعرف ان الفارس المغامر قد اقام ، بهذا الشكل المفاجيء ، مملكة تبلغ في المساحة ضعفي مساحة فرنسا وفي منطقة ذات شأن اقتصادي واستراتيجي فريد ... وبلغ الامر من الجدية بحيث قبلت انكلترا وايطاليا وفارس قناصل اراوكانيا ، بالفعل وظهر اسم امير اراوكانيا في تقويم (غوطا) للملوك [٢] .. واخذت المغامرة التي لا معنى لها تتحول حقيقة ... وحقيقة واقعة ! لولا ان صاحبها ارتكب الخطيئة المميتة !

كانت موارد البلاد المالية تنضب بسرعة شديدة وليس لديه من مورد فاجتاز نهر بيوبيو شمالا الى بلدة (فالبارايسو) (بجانب سانتياغو عاصمة شيلي) ومن هناك في (٣ حزيران ١٨٦١) اطلق الى فرنسا والفرنسيين نداء قال فيه : « ليأت اولئك الذين لا يخيفهم السفر البعيد ، لمعونتي في بناء فرنسا الجديدة ... لا اطلب منهم الا الفعالية والخلق الكريم لاننا حين نرغب في تمدين الاخرين فيجب ان نقدم لهم المثل الطيب .. »

وطلب من الفرنسيين الاكتتاب الوطني لذلك ...

كانت حكومة شيلي تحسب ان فرنسا تقف وراءه وانها سيأخذها الحماس لندائه ولم تكن تريد الاصطدام بها فاضطرت للسكوت . ولكم نداء المغامر الملكي سقط في الفراغ . لم يجب عليه احد ولا دفع له احد فلسا .. ما أخذه أحد على محمل الجد . كانت التعليقات الفرنسية بالعكس تعليقات قاتلة . كانت تتكلم عنه كلامها عن مهرج وتتحدث عنه على انه ملك من ملوك الورق او بعض الاوبيرات ! اماامبراطور فرنسا في ذلك الوقت نابليون الثالث فكانت لديه غزلان اخرى يطاردها ...

وهكذا قررت شيلي التحرك !

وبينما عاد انطوان الى اراوكانيا فجمع القبائل في مسطح من الارض ودار زعماؤها الفرسان حوله خببا اربع مرات ، وناول الكاسيكه علما مثلث الالوان (ازرق ابيض اخضر) معلنا انهم يجب ان يموتوا فداءه وصاح الاراوكانيون : عاش الملك ...

بينما كان ذلك كانت حكومة شيلي تقدر وتدبر ...

كيف انتهى الامر ؟

بأبسط وسيلة ! اشترت شيلي الدليل الذي يستخدمه « الملك » انطوان فوقع في كمين على الحدود وسيق الى زنزانة لا يرى فيها اي نور ... وبالرغم من انه استطاع الفرار بعد ستة عشر شهرا الا انه وقع في قبضة السلطات الشيلية مرة اخرى وفي سجن أمر وأدهى ...

وفي المحاكمة كانوا يدعونه « بالملك انطوان الاول » . الم يكن قد كسب هذا اللقب بجهوده وبتأييد الشعب ؟ وكان له بلاد وعلم وجيش ودولة ودستور ؟ ولكنه في النهاية اعلن انه .. مجنون ! ووضع على ظهر مركب فرنسي مطرودا من البلاد !

بل ! حاول عدة مرات وخلال خمس عشرة سنة ان يصل الى مملكته عبر جبال الأندس الثلجية فاخفق .. وحين عاد في النهاية الى بلده الاصلي مجرد أفاق فقير لم يطل عمره سوى عدة اشهر . وحين اعلنت الصحف موته اعلنته وسط اسطر من السخر المفترس .. اليس ذلك دوما نصيب المخفقين ؟ ■■

د . شاكر مصطفى

---

(٢) غوطا هو اسم تقويم سنوي ودليل للانساب والدبلوماسية والاحصاءات كان يصدر في المدينة الالمانية التي تحمل هذا الاسم منذ سنة ١٧٦٣ باللغتين الالمانية والفرنسية ولم ينقطع عن الصدور الا سنة ١٩٤٤ .

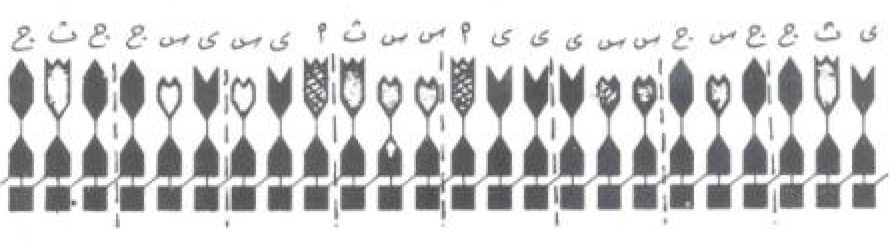
« نواة الخلية بمثابة « ارشيف » غاية في الدقة ، فيه تكمن خطط انشاء « الخلق »

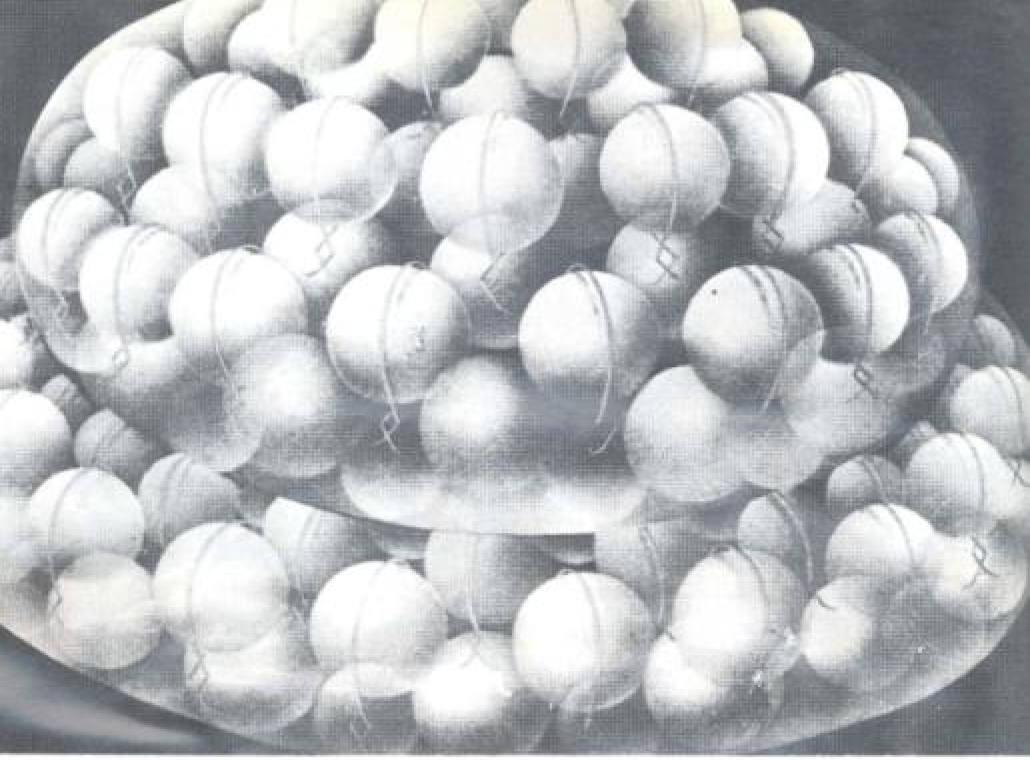
نحن كتب مكتوبة

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

في مكان خاص بمعملي ، توجد زجاجة أنيقة وصغيرة ، وفي داخل الزجاجة ملح بلوري لا يلفت النظر ، أو يثير الانتباه ، لكنه يجذب فكر كل من عرف أسراره وخباياه .. ذلك أن ملحنا هذا بمثابة كتب مكتوبة ، او خطط محفوظة ، او هي لغة الله في خلقه ـ لغة سجلت بجسيمات في ذرات في جزيئات تحمل شفرات ، وبها يحدد الخالق صفات المخلوقات .. بداية من الميكروب الضئيل ، الى الانسان السيد الحكيم .. فهذا الملح الكامن في الزجاجة حامض خاص يعرف باسم الحامض النووي ، لأنه معزول بحالة نقية من نوى الخلايا الحية ، وهو يتضمن فكرة الخلق التي كشف العلماء عنها الحجاب ، وفتحوا بها صفحة هامة في كتاب الكون المفتوح لكل من سعي سعيه الى معرفة تقربه من الخالق الذي « خلق كل شيء فقدره تقديرا » .

شفرة الجزيء المبعوث ثلاثية الحروف ، ولكل منها معنى في لغة تجميع البروتينات .. وهي تقرأ هكذا : ى ث ج ، ج س ج ، س س ى ، ى ى أ .... الخ .





نموذج مكبر ملايين المرات لريبوسومة واحدة ، وعليها يتم تكوين البروتينات حسب الخطة التي يحملها الجزيء الرسول من مبعوثه .. اذ يدخل المبعوث بين نصفي الريبوسومة التي تتكون من حوالي ٨٠ نوعا من البروتينات المختلفة (على هيئة كور للتبسيط) وتلتف حول البروتينات جزيئات تسمى الجزيئات الريبوسومية (نسبة للريبوسومية او المطبعة الحية) .. وعلى هذه الجزيئات توجد شفرات تناسب الجزيء المبعوث .

بادىء ذي بدء دعنا نتساءل : ماذا تعني حقا بقولنا : نحن كتب مكتوبة ، ونحن من لحم وشحم ودم وعظام ؟

صحيح أننا فعلا كذلك ، لكن كل هذا التناسق قد جاء على أساس مخطوطات دقيقة تكمن في نواة كل خلية حية .. وكل مخطوطة او معلومة مسجلة في مورثة أو جينة ، ثم إن هذه الجينات منتظمة واحدة بجوار الاخرى في « ملف » خاص نطلق عليه اسم الكروموسوم ، والملف الواحد يحتوي على ألوف فوق الوف من هذه الجينات ، وفي كل نواة جسدية من خلايا الانسان يكمن ٢٢ زوجا من الملفات (أي ٤٤ كروموسوما) ، هذا زيادة على ملفين او كروموسومين احدهما يحمل جينات متخصصة في تحديد الذكورة ، والآخر للأنوثة (اي ٤٦ كروموسوما) .

يعني هذا ـ بطريقة أوضح ـ أن نواة الخلية بمثابة « أرشيف » دقيق غاية الدقة ، وفي هذا الأرشيف تكمن الخطة الكاملة لتجعل الانسان انسانا ، والحمار حمارا ، والنبات نباتا .. الخ !

كيف ؟ !

دعنا أولا نوضح خطة العمل بمثال واقعي من حياتنا .. فهذه الكلمات والجمل والفقرات التي تقرأها الآن كانت فكرة في مخ انسان ، ولكي تخرج الفكرة الى الوجود ، فلا بد من تسجيلها خطيا على الورق بحروف لغة معروفة ، ثم تبعث الفكرة المكتوبة الى جامع الحروف في المطبعة ، فيطبع منها ما تريده هيئة الاشراف على المجلة من نسخ ، ثم توزع النسخ ، لتكون هذه النسخة بين يديك ، وبها وبغيرها تنتشر الأفكار بين الجماعات .

الحياة فكرة لها أيضا لغة ؟

والشيء نفسه ينطبق على نواة الخلية وما يحيط بها من « جماهير » جزيئية غفيرة ، وأجهزة خلوية دقيقة غاية الدقة .. فكأنما النواة بمثابة مخ الخلية أو ذاكرتها التي تحتفظ فيها بلغة سرية أودعها الله فيها على هيئة أشرطة أو جزيئات وراثية ، والجزيئات « مكتوبة » بحروف أو مركبات كيميائية اربعة اطلقنا عليها حروفا من واقع لغتنا هي أ ، ث ، ج ، س (وهي الحروف الاولى لمركبات أدينين وثايمين وجوانين وسيتوزين ـ راجع مقالنا في هذا الصدد بالعدد السابق من هذه المجلة) .. ثم ان هذه الحروف الأربعة تتراص وتتبادل فيما بينها ملايين وبلايين المرات ، لتكون مثلا هكذا : ج ث اا س ج ث س ج ا ج ... الخ .. الخ ، وطبيعي ان هذه الشفرة ليس لها مغزي في عقولنا ، لكنها بمثابة « كلمات » الله المجسدة ، او بمثابة لغته في خلقه .. صحيح انها لغة كيميائية شفرية او (كودية) ، الا ان الخالق قد منحنا عقولا لتدلنا على بديع صنعه فيما خلق فأتقن ، علنا نقدره ، فليس من يعرف كمن لا يعرف !

ولقد استطاع العلماء فك لغز هذه الشفرة في الأشرطة أو الجزيئات الوراثية .. وعرفوا أنها شفرة ثلاثية الحروف أو المركبات ، فليست الجيم أو الثاء أو السين أو الألف بذات معنى لو جاءت كل منها مفردة ، بل يتضح مغزاها حقا لو جاءت الشفرة ثلاثية ، أي على هيئة ا س ج ، أو ث ج أ ، أو ا ا ث ، أو أ أ أ ، او ج ج ث .. الخ ، ومن التباديل والتوافيق بين هذه المركبات الأربعة ، في شفرات ثلاثية مرتبطة ، تستطيع أن تحصل على ٦٤ شفرة مختلفة .. كل شفرة منها لها معنى في لغة الخلايا الحية .

ولكي نوضح نقول : اننا نكتب لغتنا بثمانية وعشرين حرفا ، وبهذه الحروف نستطيع ان نكتب ما نشاء من كلمات وجمل وفقرات ندونها في صفحات ، لتكون بها مجلدات من فوق مجلدات ، وقد تكون الكلمة من حرفين أو ثلاثة او أربعة .. الخ ، وقد يكون لها معنى ، أو قد لا يكون .. خذ لذلك مثلا حروف ع ، ب ، د .. بادل حروفها تخرج لك كلمات مثل عبد ، بعد ، دعب ، بدع ، عدب ، دبع ، ولا شك انك ستجد لبعض هذه الكلمات معنى ، وبعضها لا معنى له على الاطلاق .

كذلك تكون الشفرة الثلاثية في لغة الحياة ، لكنها جميعا ذات مغزي خاص ، وهي ـ كما ذكرنا ـ ٦٤ شفرة ثلاثية ، هي للحياة بمثابة « ألف باء » لغتها ، أي أن هذه اللغة اغزر وأعم واشمل من مفردات وكلمات لغاتنا ، لأنها تستطيع ان تستخدم ٦٤ شفرة ، في حين اننا نستخدم في لغتنا ٢٨ حرفا ، وفي لغة الرسائل التلغرافية مثلا شفرة من نقطة وشرطة ، او نقطتين وشرطة ، او نقطة ونقطة .. الخ .

ماذا تعني الشفرة الثلاثية ؟

تعني الكثير حقا .. لأن هذه الشفرات الثلاثية تدير دفة الأمور في الخلايا الحية ، لكنها لا تخرج الى ساحة الخلية ، وتختلط بالجماهير الجزيئية الأقل شأنا ، لتنظم لها شئونها ، او تدير آلاف العمليات الكامنة فيها ، بل تبقى هي في « رئاستها » أو نواتها ، وتبعث نيابة عنها عددا كبيرا من المبعوثين أو الرسل بخطط عمل محددة .. ولكل مبعوث خطة لا يشاركه فيها سواه .

والرسول أو المبعوث ليس في الحقيقة الا شريطا وراثيا يحمل شفرات باعثة ، وقد يكمن على هذا الشريط مئات او آلاف الشفرات الوراثية ، وهي في جملتها تشكل خطة وحيدة مقدرة ، او ربما اكثر .

لكن الشيء الذي يدعو الى العجب حقا ان المبعوث لا يرقى الى مستوى الباعث ، حتى ولو كان ذلك على مستوى جزيئات وراثية .. فكأنما المبعوث اقل درجة من باعثه ، ولهذا حور الباعث في رسالة مبعوثه قليلا ، حتى لا يستأثر بسلطاته عندما ينتشر بين الجماهير الجزيئية في ساحة الخلية ، وقد تنشأ من ذلك فوضى ، والحياة لا يمكن ان تقوم على فوضى « لو كنتم تعلمون » !

اذن .. كيف تتم هذه « السياسة » الكيميائية الحكيمة ؟

إن الشريط السيد او الباعث يشتغل بشفرته أ ، ث ، ج ، س .. لكن المبعوث يشتغل بشفرة أخرى محورة



صورة مكبرة بالميكروسكوب الاليكتروني ١٥٠ الف مرة . وفيها تظهر الريبوسومات (مطابع الخلية الدقيقة) كحبات صغيرة رغم هذا التكبير الفائق .

قليلا . فلقد حذف الباعث الشفرة « ا » من مبعوثه ، وعوضها بالشفرة « ي » .. والياء هي اسم مركب كيمائي آخر تطلق عليه « يوراسيل » .. أخذنا الحرف الأول من الكلمة من باب الاختصار ليس الا .. ومن اجل هذا اطلقنا على الجزيء الوراثي الباعث اسم الحامض النووي ، وعلى مبعوثه اسم الحامض النووي الرسول Messenger ribonucleic acid (الواقع ان تشكيل هذه الجزيئات معقد ، ولا نستطيع أن ندخل في تفاصيلها هنا ، فذلك يستلزم الماما لا بأس به بعلوم الكيمياء ، ونعتذر للمتخصصين في هذا المجال) .

وكيف يخرج المبعوث من الباعث ؟

الواقع ان المبعوث طبعة محورة من الباعث ، ولكي يطبع الباعث مبعوثه ، كان لا بد ان ينشق الشريط الوراثي الى نصفين ، وهو ـ كما سبق ان ذكرنا ـ يشبه السلم الحلزوني الذي يتكون من مئات أو آلاف الدرجات .. كل درجة منها تتكون من شفرتين ، فدائما ترتبط أ . ث لتصبح درجة ، وكذلك ج . س لتصبح درجة تالية ، ولا يمكن ان ترتبط أ . ج أو ث . س . أو ث ث . الخ ، لأن هندسة الجزيئات الفراغية تمنع ذلك ، وكأنما كل شق مع شقه ، بمثابة القالب مع قالبه او أن احدهما متمم للآخر Complementary .

وبأية وسيلة ينشق هذا السلم طوليا ؟

بواسطة نوع خاص من الخمائر او الانزيمات تتكفل بهذا العمل ، وطبيعي أن هناك معمعة كيميائية تحدث في هذا المجال ، ولا نستطيع ان نتعرض لها هنا ، حتى لا يخرج الموضوع من ايدينا ، او نتوه في تفاصيله .. اضف الى ذلك ان هذا « المنشار » الكيميائي جاء ايضا على اساس خطة مقدرة بين الباعث ومبعوثه .. الأول يعطي الأمر ، والثاني ينفذه في مطابع الخلية الدقيقة ، فتتجسد الخطة على هيئة انزيم له رسالة في ساحة العمليات الكيميائية ، وسوف نتعرض لذلك تفصيلا في مقالة قادمة ، لأن اسرار الحياة اكبر واعمق مما نتصور .

الطابع والمطبوع

السلم الحلزوني الوراثي مشقوق الآن جزئيا الى شقين ، وعندئذ ستظهر لنا أنصاف الدرجات معلقة ، ولنتصور أنها هكذا : ا ج ث س س ا ث ج س ث .....

الى آخره ، ولا بد ان تكون أنصاف الدرجات المقابلة هكذا :ث س ا ج ج ث ا س ج ا ......

مع ملاحظة ان كل ا تقابلها ث (اي تحتها في السطر) ، وكل ج تقابلها س ، او العكس ، لأن هذا

بمثابة قالب لذاك ، كما سبق ان اوضحنا .

وطبيعي ان هذه الشفرات ليست مفككة بالطريقة التي نكتبها بها ، بل هناك روابط اليكترونية تربطها الى هياكل كيميائية تشبه الدرابزين ، فتنتظم عليها في طابور طويل ، ليتم طبع الجزيء الوراثي الرسول على هذا الشق او ذاك ، وكأنما نحن نطبع من الاصل (البوزيتيف) صورة نيجاتيف ، لكننا في الحقيقة لا نتعامل مع صور ، بل هناك جزيئات كيميائية كثيرة جدا جاهزة للدخول في المعمعة ، مع أخذنا في الاعتبار ان كل شفرة تعرف قالبها الذي يجب عليها ان تدخل فيه ، أو تتحد به .

ان الخامات التي ستدخل في طبع الجزيء او الشريط الرسول موجودة في ساحة العمليات بالملايين وبحالة مفككة ، وكأنما هي بمثابة حروف لغة مفردة في مطبعة ، وكما يتناول جامع الحروف حروفه ليرصها ، ثم يطبع منها نسخا ، كذلك تدخل الشفرات الوراثية المفككة على قالبها الذي يتمثل لنا الآن في انصاف الدرجات المعلقة على سلمها الكيميائي المشقوق ، وطبيعي أن هذا الطبع لا يتم جزافا ، بل من ورائه موجهون يوجهونه ويدفعونه الى الهدف ، وهؤلاء يتمثلون لنا في جزيئات حاملة للطاقة ، وانزيمات بناءة وتشكيلية .. الخ ، المهم أن كل أ يقابلها ث ، وكل ج يقابلها س على الجزيء الوراثي الباعث ، لكن الأمر يختلف قليلا في الجزيء او المبعوث ، فبدلا من مقابلة الشفرة أ بالشفرة ث (لانها قالبها الذي تلبس فيه) ، نجد أن أ يقابلها ي .. اما الشفرات الثلاثة فتقابلها قوالبها هكذا .

الباعث : ث ا ج س ث س ج ا ا ج ث ا .. الخ

المبعوث : ا ي س ج ا ج س ي ي س ا ي .. الخ

وبعد ان يتم الطبع المطلوب ، يترك المبعوث باعثه بعد ان يكون قد حصل على عشرات او مئات الالوف من النسخ المطبوعة ، وكل هذا يتوقف على حجم العملية التي سيشارك فيها المبعوث من اجل الصالح العام للخلية ، وبعدها تعود انصاف الدرجات الى التلاحم ، وكأنما الجزيء الباعث قد اغلق مطابعه ، انتظارا لأوامر جديدة ، فينشق ليطبع ويغلق .. وهكذا .

رسالة المبعوث

نحن نعرف ان البروتينات هي حجر الاساس في الكائنات الحية .. فكثير من الهرمونات بروتينات ، والخمائر او الانزيمات من بروتينات ، وكل اجهزة الخلية الدقيقة من هذه المادة الحيوية التي لا يمكن أن يخلو منها ميكروب او دودة او طحلب أو أي كائن حي آخر !

والحياة في خطوطها العريضة تسير على مبدأ : آكل ومأكول ، وهاضم ومهضوم ، وصيد وصياد ... الخ ، فنحن نربي الزرع والضرع لكي نأكل خاماته البروتينية والنشوية والسكرية والدهنية .. الخ ، لكن دعنا نقصر حديثنا هنا على البروتين ، لأنه هو المقصود بكل ما قدمنا فأوجزنا ، ذلك ان الباعث والمبعوث قد جاءا بشفراتهما من اجل هذا البروتين ، لا ليشتغلا على جزيئاته العملاقة ، بل على « حروف » لغته المكتوبة في جزيئاتها على هيئة بروتينية .

أي كأنما نحن نخرج من لغة ، لندخل لغة اخرى جديدة هي لغة البروتينات ، لكن هذه هي اسرار الحياة يا صاح .. انها نظم من وراء نظم .. وهكذا ، ليتبين لنا في النهاية ان كل شيء قد جاء بحساب ، وسري بمقدار !

نحن مثلا نتناول شريحة من لحم بها نسبة معتبرة من البروتين .. لكنه ليس نوعا واحدا ، بل أنواع كثيرة من البروتينات كانت لها رسالات هامة في الحيوان الذي كان يحتويها .. وطبيعي اننا نمضغ الشريحة لنقطعها إربا إربا ، ثم نلقي بها الى جوفنا لتنساب عليها خمائر أو أنزيمات أو عصارات هاضمة .. تعددت الأسماء ، والمعنى واحد ..

وعملية الهضم ليست ـ في الحقيقة ـ الا عملية تفكيك للجزيئات البروتينية العملاقة ، فكما يفكك جامع الحروف حروفه في مطبعته ، ليكون لديه عدد لا بأس به من الالفات والباءات والثاءات والجيمات .. الخ ، كذلك يتفكك البروتين الكبير الى جزيئات صغيرة نعرفها باسم الاحماض الامينية Amino Acids (وهي غير الأحماض النووية التي تسكن نواة الخلية وتشكل الشفرة الوراثية) .

المهم ان أحماضنا الأمينية تنفذ من جدار الأمعاء ، وتدخل الى الدماء ، لتنساب بين الخلايا ، فتأخذ كل خلية نصيبها من طرز الاحماض الأمينية التي يبلغ عدد أنواعها عشرين نوعا مختلفا .. منها ما تعرفه باسم آلانين ، وجلايسين ، وليوسين ، ولايسين ، وسيرين ، وفالين .. الى آخر هذه القائمة ، ثم ان كل نوع من هذه الأنواع يوجد داخل الخلية الحية بالملايين او عشرات الملايين ـ يوجد بحالة مشتتة مختلطة ، كما تختلط الملايين من حروف لغتنا في صندوق ، وطبيعي ان هذه الحروف لا معنى لها ولا مغزى الا اذا تجمعت في كلمات وجمل وفقرات لتؤدي غرضها في صفحة او كتاب نقرأه ونعرف مغزاه ، ولكننا ـ على اية حال ـ نستخدم في ذلك عقولنا .

وطبيعي ان الخلية الحية لا تمتلك عقلا ، بل ترتكز في حياتها على خطة عظيمة تكمن في نواتها على هيئة اشرطة وراثية لها شفرات محددة ، وتطبع بها رسلا وترسلها الى ساحة الخلية على هيئة اشرطة تنتظم عليها الشفرة الخاصة بكل حامض اميني من العشرين نوعا التي ذكرنا بعضها ، فترص هذا الحامض بجوار ثان وثالث ورابع .. الخ ، وكأنما هي تكتب كلمة طويلة قد تصل حروفها المتشابكة الى العشرات او المئات ، كل هذا يتوقف على نوع البروتين الذي تحتاجه الخلية لادارة شئون حياتها ، او لتصنعه وتوزعه على غيرها ، كما يحدث مثلا في حالة الهرمونات التي تفرزها الغدد الصماء ، لتدور في الدماء ، وتؤدي رسالاتها التي جاءت من اجلها في مواقع اخرى من الجسم .

أسرار جديدة

لكن المبعوث بالشفرة الوراثية الى ساحة الخلية لا يستطيع ان يتم مهمته الا اذا دخل الى « مطابع » الخلية الدقيقة غاية الدقة ، وهذه تنتشر في ارجائها بالملايين ، وتطلق عليها اسم الريبوسومات Ribosomes ، وفيها تتم « ترجمة » الشفرة ، وكأنما نحن ـ في الواقع ـ امام حاسبات أليكترونية تقع فيما وراء حدود الميكروسكوبات العادية ، لكنها تظهر بالميكروسكوبات الاليكترونية ، على هيئة حبات صغيرة كحبات العدس مثلا (عند تكبير يصل الى ١٥٠ الف مرة ـ انظر الصورة الدالة على ذلك) ، او هي في عالمها بمثابة اشكال كروية لا يزيد قطر الواحدة منها عن جزئين اثنين من مائة الف جزء من المليمتر ! .

ورغم هذه الدقة المتناهية ، الا أن مطابعنا الاليكترونية الحية تنطوي على تعقيدات لا يزال العلماء فيها حائرين ، ومع ذلك فقد توصلوا الى بعض أسرارها ، ذلك أن مطابعنا الخلوية تتكون بدورها من بنايات بروتينية تنطوي على أشرطة وراثية من ذلك النوع تخرج به الاشرطة المبعوثة ، لكنها تمتلك شفرة اخرى تستطيع بها حل شفرة المبعوثين الى ساحتها ، ولهذا سميت الاشرطة الوراثية الطابعة او الريبوسومية (R - RNA) وهي اختصار لمصطلح Ribosomal Ribonucleic Acid ـ أي الحامض الريبونيوكليك الريبوسومي) .

وطبيعي ان تشييد هذه المطابع الحية لا يتم الا من خلال خطة مرسومة في « مخ » الخلية المدبر ـ نعني في اشرطتها الوراثية .. فهذه المطابع تحتوي على حوالي ٨٠ نوعا مختلفا من البروتينات ، وهذه تتراص وتنتظم بطريقة محيرة ، ثم ان كل بروتين منها قد شيد من الأحماض الامينية على حسب الشفرات الوراثية الخارجة من « الهيئة العليا » للتخطيط في الخلية ـ اي النواة !

بقي أن نذكر أن جسم الانسان يحتوي على أكثر من مائة ألف نوع من البروتين ، علما بان الخطط الموجودة على الاشرطة الوراثية تكفي لانتاج مليون نوع من البروتين أو قد تزيد ، وهي تعرف من اين تبدأ « كتابة » الجزيء البروتيني العملاق ، واين تنتهي منه ، كما انها ترسل اسطولا ضخما من جزيئات أخرى وراثية ، وكل جزيء يتعرف على حامضه الاميني ، وينقله الى المطابع ، ليدخل به الى الشفرة المقدرة له ويرصه عليها ، ليتجمع في جزيئه البروتيني الماثل للطبع .

لكن .. كيف يحدث كل ذلك ؟

لهذا دراسة أخرى قادمة ، لنتعلم من كتاب الكون المكتوب مالم نكن نعلم ، وما اكثر مالا نعلم من أسرار الكون والحياة . ■■

الاسكندرية ـ دكتور عبد المحسن صالح

المعقول واللامعقول
في الحزن الإسلامي على أفغانستان

بقلم : فهمي هويـــدي

اذا ما صممنا آذاننا عن أصداء شحنة الانفعالات التي انفجرت في العالم الاسلامي وغير الاسلامي ، بعد الغزو السوفيتي لافغانستان ، واذا ما حاولنا ان نحتكم الى صوت العقل لنتفهم ونستفيد ، فقد نتفق على ان ما جرى يثير امامنا مجموعة من الاسئلة الهامة ، في مقدمتها أربعة هي :

لماذا هرولت الامة الاسلامية ممثلة في زعمائها ، وسارعت الى عقد اول مؤتمر قمة اسلامي في الرباط عام ١٩٦٩ ، لمجرد ان ركنا احترق من المسجد الاقصى - منبر صلاح الدين - بينما تثاقل كثيرون ، وبالكاد عقد اجتماع على مستوى وزراء الخارجية ، عندما سقط بلد مسلم باكمله ضحية احتلال صريح.

وازاء هذا السكوت النسبي الذي ران على العالم الاسلامي ، لماذا جاء التحرك الحقيقي والملموس ، ردا على احتلال ذلك البلد المسلم ، من جانب الولايات المتحدة الامريكية ، ورئيسها جيمي كارتر ؟

ثم ، ماذا فعل العالم الاسلامي لاجل افغانستان ، قبل انقلاب ٦٨ وبعده ، حتى يصدم لسقوطه على هذا النحو الذي نراه الآن ؟

واخيرا ، هل هناك شيء اسمه العالم الاسلامي يمكن حسابه والاعتداد به ، وان وجد ، فما الذي صار ينصرف اليه التعبير في لغة هذا الزمان ؟

●

حقا ، لماذا ثار المسلمون للعدوان على منبر في المسجد الاقصى ، ثم اكتفوا بالحزن والاسى والدموع ، ازاء ذلك العدوان الذي وقع على بلد مسلم باكمله .

بمقاييس الفكرة فانه : من لم يهتم بأمر المسلمين (حيث وجدوا) فليس منهم - و .. مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، على حد قول الرسول عليه السلام . وهو ما عبر عنه عمر بن الخطاب الذي قال بينما هو مشغول باقامة دولة الاسلام الكبرى ، والله لو سقط جذع ابل من جسر من جسور دجلة لخشيت أن يحاسبني الله عليه .

وبمقاييس الفكرة فان ما يصيب المسلمين من ضرر أشد خطرا عند الله ، مما قد يصيب أي بناء مهما كانت قداسته ، حتى المسجد الحرام ذاته . وليس هذا اجتهادا شخصيا ، ولكنه نص صريح في القرآن الكريم « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله ، وكفر به والمسجد الحرام ، واخراج أهله منه اكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل » ـ البقرة ٢١٧ . أي أن اخراج اهل مكة المؤمنين من ديارهم ، أكبر اثما عند الله من الكفر بالمسجد الحرام ، بكل قيمته وجلاله .

اذا كانت هذه هي مقاييس الفكرة ، فلماذا اختلف رد الفعل في الحالتين ، حالة العدوان على المسجد والحرم ، والعدوان على شعب مسلم ؟

لايحتاج الامر الى جهد لكي ندرك ان مقاييس الفكرة غائبة عن اذهان المسلمين . ان ميزان القيم ـ في غيبة الرؤية الصحيحة ـ اختل في اعماقنا ، حتى أصبح ما يصيب ١٧ مليونا من المسلمين ، اخف وطأة واقل تأثيرا مما يمكن أن يصيب منبرا في المسجد الاقصى .

اختل الميزان فاختلفت النتائج ، ورجحت كفة الحجر ، على كفة البشر !

وللمفكر الجزائري مالك بن نبي تعبير دقيق يفسر به ظاهرة انتشار الأضرحة والتوسل بها ، فيقول انه من سنن الله في خلقه انه عندما تغرب الفكرة ، يبزغ الصنم .

وهذه حقيقة تؤكدها شواهد التاريخ . فعندما بعث أبو الانبياء ابراهيم برسالة التوحيد ، وبنى الكعبة ليطوف بها المؤمنون ، ويعبدوا الله بين جدرانها ، ثم توالت الدهور ، حتى طغت موجة الشرك بالله سبحانه ، وابتعد الناس عن جوهر الايمان الحق ، ماذا حدث ؟ ... تحول العرب في الجاهلية من عبادة في البيت العتيق الى عبادة للبيت ذاته . تقلصت بل مسخت « ملة ابراهيم حنيفا » ـ الفكرة ـ وانفسح الطريق تلقائيا لعبادة الصنم !

ولا أريد بأي حال أن اقلل من شأن المسجد الاقصى أو غيره من المقدسات التي ينبغي ان تظل محاطة بكل الاجلال والتوقير . لكني فقط أردت أن أشير الى أمرين : الامر الاول ان الله سبحانه يعلي قدر الانسان المؤمن على اى شيء آخر (أليس هو خليفة الله في الارض ومخلوقه المكرم المختار ؟) ـ والامر الثاني ان كل اختبار نواجهه يؤكد حقيقة افتقادنا الى الفهم الصحيح للفكرة ، وحاجتنا الملحة الى ضبط جديد لموازين الاعتقاد .

واذا كان مطلوبا ان نهب بكل قوة لكي نقاوم عملية تآكل بلاد المسلمين ، والانحسار الجغرافي للاسلام عن مناطق مختلفة من العالم ، فان المطلب الاكثر الحاحا ان تحشد كل ما نستطيع من طاقة لكي نقاوم عملية انحسار الاسلام في اعماقنا ، حتى لايتحول من فكرة وعقيدة وينتهي الى ان يصبح مجموعة من الرموز والطقوس لا اكثر .

●

هذا عن رد الفعل على الجانب الاسلامي ، اما الفعل من الجانب الامريكي ، ففضلا عن أنه ليس لغزا يستعصى على التفسير ، فانه قد اوقع البعض في حيرة . ذلك أن الرافضين للغزو السوفيتي لافغانستان ، وجدوا أنفسهم دون ان يشعروا يقفون في صف واحد مع الامريكان . واحتاج الامر ـ ولايزال ـ الى جهد ملح للخروج من المربع الامريكي ، والتأكيد على ان رفض الغزو لاينطلق من كونه

سوفيتيا ، بل لأنه ادانة لمبدأ الغزو والاحتلال في الاساس ، ولوقوعه على بلد مسلم بالاخص . بمعنى ان الغزو سيظل مرفوضا ومدانا ايضا ، حتى ولو كان امريكيا .

بل انني اذهب الى مدى أبعد ، يعارض مبدأ استخدام منظار الحروب الصليبية في القرن الحادى عشر ، لتقييم احداث القرن العشرين . وأعنى المنطق القائل بالتفسير الصليبي لكل المواجهات القائمة بين الغرب والشرق . فيرجع كل شيء الى انه كيد للاسلام وايقاع بالمسلمين .

لقد انتهى عصر صراع الاديان والمعتقدات ، وبزغ عصر اخر ، يقوم الصراع فيه على المصالح والقوميات ، لاحت بوادره منذ بدايات القرن الماضى ، عندما كانت بعثات التبشير هى طلائع الزحف الاستعماري في افريقيا وآسيا .

وبالمعايير الجديدة للصراع ، يصبح مفهوما أن يقف الغرب والامريكان الى جانب الاسلام والمسلمين في بلد ، وضد الاسلام والمسلمين في بلد آخر . وبهذه المعايير ايضا يقف الغرب والامريكان ضد هندوكية انديرا غاندى في الهند ، وضد مسيحية الاب كوتيرز في بيرو بامريكا اللاتينية ، الداعية الى « لاهوت التحرر » ، ومع شيوعية هواكوفينج ورفاقه من خلفاء ماوتسي تونج في الصين ، وضد شيوعية بريجينيف وسوسلوف في الاتحاد السوفيتي !

ان الامريكان ليسوا ضد الاسلام بشكل مطلق . ولكنهم مؤيدون ومرحبون « بالاسلام الامريكاني » كما يقول الاستاذ سيد قطب ، وكل الشواهد حولنا تؤكد ذلك . الغريب في الامر أن الامريكان انفسهم يقولون ذلك بوضوح . هم دائما يتحدثون عن اهمية الدفاع عن « مصالحهم الحيوية » ـ ديار الامريكان وليس ديار الاسلام ـ بينما البعض عندنا يحرص على ان يلتقط الرسالة بتغيير بسيط في حرفين اثنين فقط ، بحيث يصبح التعبير « مصالحنا الحيوية » ، الأمر الذى يعنى أن الامريكان عندما حشدوا الاساطيل وحركوا القوات واقاموا القواعد العسكرية ، فانهم في الواقع قد اعلنوا ـ لاجل سواد عيوننا ـ الجهاد في سبيل الله !

●

نعود الى ماجرى في افغانستان ، وحزن العالم الاسلامي لاجل سقوطها . ذلك ان مايثير الدهشة حقا ليس سقوط افغانستان او احتلالها ، ولكن الاكثر مدعاة للدهشة هو هذا الحزن الاسلامي ذاته . لاننا لو سألنا : ماذا فعل العالم الاسلامي ليكسب افغانستان ، حتى يصدم بخسارتها ؟ عندئذ سنكتشف اننا لم نفعل شيئا على الاطلاق ، لاسياسيا ولاماديا ، لتبقى افغانستان كما نتمنى .

ان الذى لايترافع في قضية ينبغي الا يصدم اذا خسرها ، والذى لايدافع عن حق لابد ان يتوقع ضياعه . والذى لايستعد لامتحان سيبقى متهما بالبلاهة اذا لم يتوقع السقوط والرسوب .

ونحن ـ العالم الاسلامي ـ لم نترافع ولم ندافع ولم نستعد .. ومع ذلك نندهش للخسارة والرسوب.

وعندما زرت افغانستان غداة الثورة فيها بقيادة الرئيس تراقي عام ٦٨ ، ونشرت العربي في العدد ٢٣٦ الحوار الذى اجريته مع الرئيس الاسبق ، تساءلت في التعقيب على الحوار بما نصه : هل يتحمل العالم العربي والاسلامي مسئوليته تجاه مسلمى افغانستان ، فيمد جسورا قوية معهم . ام ينطوى ويبتعد ، ويلجأ الى القطيعة ، متأثرا بالمخاوف والخلفيات ؟

لقد حدثت القطيعة ، وعوقب المسلمون في افغانستان ، فلم يقدم أحد لهم عونا ، والقادرون بيننا كثيرون ولله الحمد . وساهم ذلك الى حد ما في النتائج التي حدثت فيما بعد . لم يحاول احد ان يختبر اعلان النظام الجديد انهم مسلمون موحدون بالله ، وانهم مع السلام الحق والعدل « اسلام لصالح الجماهير العريضة » ، كما قال الرئيس تراقي في حديثه للعربي وقتئذ .

وبنفس القدر ، لم يحاول احد من القادرين في العالم الاسلامي ان يقدم يد العون لشعب افغانستان المسلم ، حتى قبل ثورة ٦٨ ، وترك لسنوات طويلة نهبا للفقر والتخلف . ومعتمدا في اعاناته ومشروعاته على الامريكان والروس دون غيرهم .

ان السؤال يظل مثارا بالنسبة للعديد من مجتمعات المسلمين في انحاء العالم ، التي تتعرض لدرجات متفاوتة من التجاهل ، والسقوط والاندثار . الابادة في الفلبين وتايلاند . (لا بد ان تسجل ان ايران ما بعد الثورة هي الوحيدة التي قطعت النفط عن الفلبين بسبب موقف الحكومة من المسلمين) . التبشير النشط في اندونيسيا والنيجر والكاميرون . الالغاء والحذف في زنزبار . المسخ والطمس في البانيا . النسيان والتجاهل في الصين .. وهكذا !

ولا اريد ان استرسل . لكني فقط اقف بسرعة عند تقرير هام اعده المجلس الاسلامي الاوروبي مؤخرا ، واشار فيه بوضوح الى ان هناك انحسارا للاسلام في افريقيا ، وهي التي تعدها الكتابات التقليدية « قارة الاسلام » . واشار التقرير الى ان الاغلبية المسلمة في القارة الافريقية ـ التي حققت تفوقا بحوالي ٤٩ مليون نسمة حتى عام ١٩٨٠ ، ستفقد موقعها المتقدم في سنة ٢٠٠٠ لتتحول الى اقلية يحقق عليها التبشير تفوقا في حدود ٣٧ مليون نسمة !

وهي حقيقة اضعها ـ بالمناسبة ـ امام من يهمه الامر ، اذا كان هناك من يهمه الامر !

●

وهذه الفقرات تحمل في طياتها ضمنا اجابة على السؤال الاخير : هل هناك عالم اسلامي ؟ ومع ذلك فاننا قد نحتاج الى تعريف لمعنى هذا التعبير : العالم الاسلامي . فاذا كان مقصودا به حدود جغرافية ومسلمون ، فعندئذ يصبح الرد على السؤال بالايجاب . واذا كان المقصود به « ارادة اسلامية » ، فلا أظن أن أحدا يستطيع أن يثبت وجود هذه الارادة .

وظاهر الأمر أن العالم الاسلامي الذي نتحدث عنه هو جسم بلا رأس . اعضاء واطراف مبعثرة هنا وهناك . تستيقظ في المناسبات لتلتقط راية الاسلام ، وتلوح بها في المواكب والسرادقات ، وعلى عتبات المزارات . بينما أمور المسلمين وهموم المسلمين غائبة عن البال ، لاتشغل أحدا ، ولايتحمل مسئوليتها أحد . والباب في شأنها مفتوح لمختلف صور الاجتهاد والانتفاع والمزايدة .

لكني أقول انه على صحة ما هو ظاهر ، فان المشكلة ليست في غياب الرأس عن الجسد الاسلامي . انما المشكلة الحقيقية هي في خلية الجسم ذاتها ، التي تحتاج الى إحياء وتنشيط . ولا سبيل إلى إحياء هذه الخلية الا بغرس فكر اسلامي صحيح ، وتوفير المناخ الصحي لنمو هذا الفكر .

وعندما تتواجد الخلية السليمة ، عندئذ لن ننتظر طويلا حتى يتكون الجسم السليم ، والعقل السليم ايضا !

■■

العرب و الغرب

بقلم : ابراهيم محمد الفحام

الاسئلة المثارة في بدايات زحف الحضارة الغربية :

- هل يجوز ارتداء البنطلون والنعل ذي اللون الاسود ؟
- ما قولكم في تعلم الهندسة والكيمياء والطبيعيات لأبناء المسلمين ؟
- هل يعتد شرعا بالخبر المنقول عن طريق البرق ؟
- هل يجوز بيع الراديو والفوتوغراف .. وشراؤها ، واقتناؤها ؟

عبد الله النديم : الزي الغربي يسبب السل وأمراض الكلى وسوء الهضم ؟ !

أمر لمحمد علي باشا : تداول المصاحف المطبوعة من الامور غير الجائزة شرعا !



منذ أوائل القرن الماضي ، بدأ يتسع على خريطة العالم العربي ، نطاق المجتمعات التي تأخذ بأقدار متفاوتة ، من مظاهر الحياة الغربية .

وكان طبيعيا ان يستفز ذلك الاصطباغ الغربي المتزايد ، بعض المشاعر المتحفظة ، التي ظلت تراقب اطواره ، بشيء من الحذر ، وتراه استسلاما ساذجا لأسلوب من الغزو المقنع والخبيث ، الذي يستهدف تقويض كياننا القومي .

والى جانب ذلك الاتجاه المغالي في معارضته وتشاؤمه ، كان هنالك اتجاه معارض آخر ، يكتفي بالتحذير من العادات والأساليب التي تناقض قيمنا الدينية ، وظروفنا الجغرافية والاقتصادية ، ويدعو إلى نبذها ، أو تطويعها لهذه القيم والظروف .

الاعتراض على الزي الغربي

كان الاقبال على ارتداء الملابس الغربية المحكمة ، بديلا عن الملابس الشرقية الفضفاضة ، موضع انتقاد الكثير من أولي الرأي ، سواء اولئك الذين احجموا عن ارتدائها ، ام الذين اضطروا لذلك اضطرارا ، بحكم وظائفهم الرسمية .

وقد عبر العلامة أحمد زكي عن تلك المشاعر ، في كتابه (السفر الى المؤتمر) الذي ضمنه ملاحظاته وانطباعاته خلال سياحته باوربا ، في طريقه الى لندن ،

ليمثل الحكومة المصرية ـ وهو يرتدي ذلك الزي ـ في مؤتمر المستشرقين الدولي التاسع ، الذي عقد فيها سنة ١٨٩٢ فقال في معرض الحديث عن زيارته لاحدى الكنائس في جنوة تحت عنوان (الضرر من اتخاذ الملابس الافرنجية) « ثم خرجت من الكنيسة وفي نفسي غصة من ملبوسي هذا ، الذي ترتب على اتخاذه في بلادنا إماتة كثير من صنائعنا وصناعنا ، واحياء صناعات الافرنج السريعة العطب ، ومساعدة التجارة الأجنبية على انتزاف ما بقي لنا من قليل الثروة ، فضلا عن أن الحذاء الافرنجي يوجد في الارجل سقاما قد تكون سببا في تكد العيش ، ومرارة الحياة ، اما البنطلون المحزق ، والصديري المضيق ، والسترة او الجكتة او الساك او الردنجوت او السموكن او الفراك ، والقميص المكوي ، ورباط الرقبة الملوي ، وغير ذلك من الازياء والانواع ، فانها ليست موافقة لطبيعة الاقليم في بلادنا بالمرة » .

ثم ابدى اسفه لانه لم يستطع الاقتداء برفيق له في الرحلة ، احتفظ بزيه الشرقي ، فقال « كنت اود ان اكون مشاكلا لرفيقي بعمامة وقفطان ، وجبة مرخية الاردان ، ولا ابقي على هذه الحالة التي اختارها اهل بلادنا فكانوا اشبه بالغراب ، اراد ان يتشبه بمشية طائر جميل ، فلم يتمكن من التقليد ، ونسي سيره القديم » .

وقد ردد السيد عبد الله النديم ذلك النقد في مقال لاذع له ، نشر على هيئة حوار باللهجة العامية في عدد ٣ اغسطس سنة ١٨٩٢ من مجلته (الاستاذ) فأحصى فيه المضار العديدة التي يسببها ارتداء الزي الغربي في البلاد الشرقية ، وفي مقدمتها (امراض السل ، وسوء الهضم ، وامراض الكلى) .

وقد استأثر (البنطلون) اكثر من غيره من مفردات الزي الغربي ، بانتقاد المعارضين لذلك الزي ، فقد عابوا عليه ، تعذر التمسك بآداب الصلاة ، عند ارتدائه ، واظهاره ، ما ينبغي ان يستر من معالم الجسد ، فعمد الكثيرون الى توسيعه ، حتى يقترب في هيئته من السراويلات الشرقية القديمة التي ألفوها .

وكان ذلك العيب من أهم العيوب التي اهتم


قاسم أمين


طلعت حرب

بابرازها المفتى الألباني الاسبق ابراهيم الحقي قادوقو الذي حاول جاهدا أن يتصدى لتيار التفرنج بين مواطنيه ، وألف في ذلك رسالة عنوانها (معيار آثار الأخيار ، فيمن تشبه بالأجانب والأغيار) وقد هاجم فيها أيضا محاكاة الاجانب في اتخاذ القبعات والاحذية الأوربية الطابع ـ وخاصة السوداء منها ـ التي تخالف هيئاتها والوانها ما جرى السلف على اتخاذه من النعال .

وكان رأي الشرع فيما يجوز اتخاذه من الوان النعال مثار مناقشة حادة وخلاف شديد بين العلامة محمد محمود من تلاميذ الشنقيطي ، وبعض علماء الأزهر يتصدرهم الشيخ سليم البشري ، عندما اجتمع بهم بمجلس نقيب الأشراف السيد عبد الباقي البكري بالقاهرة سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ ـ ١٨٩٠) ـ فعابوا عليه اتخاذه الحذاء الاسود ، مخالفا بذلك السنة ، التي لم تجز للمسلم ان يتخذ من النعال سوى الحمراء والصفراء .

فانطلق يسفه آراءهم ، ونظم في ذلك قصيدة طويلة (من ١٣١ بيتا) ضمنها اسانيده الشرعية ، وقد اوردها بعد ذلك في كتابه (الحماسة السنية) الذي طبع في مصر سنة ١٣١٩ هـ .

حملات على المرأة :

وكانت الاصداء الصاخبة التي اثارتها دعوة قاسم امين الى التوسع في تعليم المرأة ، والأذن لها بقدر أوفى من المشاركة في الأنشطة العامة تعاود الانطلاق من وقت الى آخر ، كلما استفزت مظاهر الاستجابة لتلك الدعوة مشاعر المعارضين لها .



طه حسين



عبد الله النديم

وقد حدث عندما أنشيء قسم ليلي بالجامعة المصرية الأهلية لالقاء المحاضرات العلمية فيه ، ان ارسل عبد العزيز فهمي سكرتير تلك الجامعة في سنة ١٩١١ ـ وهو الذي اصبح من اقطاب السياسة المصرية فيا بعد ـ خطابات بالبريد الى بعض السيدات يدعوهن لحضور تلك المحاضرات ، فأثار ذلك خواطر الكثيرين ، الذين رأوا ان من العار نشر اسماء النساء بتلك الوسيلة ، التي تبيح للرجال الغرباء ـ ومنهم موزعو البريد ـ الاطلاع عليها ، وأرسلت خطابات السب والتهديد الى ذلك السكرتير ، كما اندلعت من جراء ذلك معركة صحفية ساخنة ، استمرت شهورا طويلة .

وكانت قد سبقت تلك الغضبة التي تفجرت بالقاهرة ، احتجاجا على نشر اسماء النساء ، غضبة اخرى اكثر حدة وانفعالا ، عندما صدر الامر بتسجيل الاسماء بدائرة النفوس في بغداد وبعض مدن العراق الاخرى ، في اوائل هذا القرن فساء الجماهير ان يشمل ذلك أسماء النساء ، التي تقضي التقاليد بإخفائها ، واندلعت ثورة جائحة لم يطفئها سوى تعديل ذلك الامر ، وقصر تنفيذه على الرجال .

وتكررت تلك الغضبة في العراق ، عندما ارتفع صوت جميل صدقي الزهاوي ، إثر اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ مرددا دعوة قاسم امين ، فاجتاحت الاضطرابات مدينة بغداد ، وكاد الثائرون ان يفتكوا به ، لولا ان بادر الى التنصل من تلك الدعوة ، وانكر تأييده لها ، وعندما تصاعدت الدعوة الى رفع الحجاب في سوريا بتصاعد الحركة الوطنية في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، تصاعدت إزاءها ـ في الوقت نفسه ـ غضبة العناصر المحافظة ، واعلنت التهديدات بالقاء السوائل الكاوية على وجه كل من تستجيب لتلك الدعوة من النساء .

ويروي محمد جميل بيهم ، أنه دعي لألقاء محاضرات في بغداد عن تحرير المرأة في سنة ١٩٢٧ فحاول المسئولون إقناعه بالعدول عن عزمه ، خوفا عليه من معارضي ذلك الاتجاه ، ولكنه أصر على رأيه وكان تيار المعارضة قد اخذ يدركه الفتور .

والواقع ان كثيرا من أشد المعارضين لتحرير المرأة تطرفا ، قد تراجعوا تباعا عن موقفهم هذا ، عندما بدت النتائج التي حققتها تلك الدعوة مخاوفهم .

ومثال ذلك ان محمد طلعت حرب الاقتصادي المصري الكبير ومنشيء بنك مصر وشركاته فيا بعد الذي وضع كتابيه (تربية المرأة والحجاب) و (فصل الخطاب في المرأة والحجاب) في اوائل هذا القرن ، ردا على كتابي قاسم امين (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) .

وكان من أشد معارضي دعوته ، بلغ من تأييده ـ بعد ذلك ـ لتلك الدعوة ، ان اصبحت جهوده من أهم دعائم النهضة المسرحية والسينمائية ، التي افسحت مجال المشاركة بين المرأة والرجل في الانشطة الفنية ، كما أفصح في حديث له مع الأديبة مي عن ترحيبه باشتغال العنصر النسائي في البنوك ، وغيرها من مجالات العمل .

وبعد تحول الجامعة المصرية إلى مؤسسة حكومية في سنة ١٩٢٣ ترددت الفتيات في الالتحاق بها ، تخوفا من غضبة الرأي العام ، ثم أقدم على ذلك عدد محدود منهن في سنة ١٩٢٩ ، فحرص مدير الجامعة أحمد لطفي السيد على إخفاء ذلك النبأ ، حتى عن المسئولين في وزارة المعارف ، تجنبا لما قد يثيره ذلك من الاعتراضات والأزمات .

ثم حدث ان نشرت بعض الصحف في سنة ١٩٣٢ صورة للدكتور طه حسين وقد احاط به بعض الطلبة والطالبات ، اثناء تناولهم الشاي في نادي الجامعة ، فتصاعدت اصوات الاعتراض والاحتجاج ، على مبدأ

الاختلاط بالجامعة ، ولكنها عجزت عن وقف ذلك التيار الدافق وشجع ذلك المزيد من الفتيات على الالتحاق بالجامعة ، بعد تخرج الدفعة الرائدة من طالباته في العام التالي .

ورجحت كفة التحرر مرة اخرى عندما رغبت احدى خريجات كلية الحقوق في تلك الدفعة ـ وهي نعيمة الأيوبي ـ في العمل بالمحاماة ، فترددت لجنة قبول المحامين في الموافقة على قيد اسمها ضمنهم ، وتباين موقف اعضائها من ذلك الطلب ، حتى انتهى الخلاف بينهم أخيرا ، بانتصار المؤيدين .

ومن امثلة الأسلوب اللاذع الذي كان يتبع في معارضة ذلك التيار ، الأبيات التالية التي نشرت في عدد ٩ يوليو سنة ١٩٣٢ من مجلة « كل شيء » بتوقيع فضولي والتي تستنهض همم الرجال لرفض تشغيل النساء :

حلقت رجالكم اللحى
لما علا امر النساء
خوفا عليها ان تهان
وقد خرجن عن الحياء
والآن ترتزق النساء
وتأكلون بلا عناء
فلتحلق الموس الشوارب
إنها منكم براء

محاربة العلوم الحديثة

وقد قوبل ايفاد البعوث من الطلاب الى الدول الأوربية في القرن الماضي لتلقي العلوم الحديثة ، بمعارضة شديدة من بعض العلماء ، الذين رأوا في ذلك إفسادا لعقائد الطلاب ، مع افتقاد الفائدة التي تعود عليهم من دراسة تلك العلوم .

وقد عبر الشيخ محمد عليش (مفتي المالكية في مصر) عن ذلك الرأي المعارض ، في رسالة رد بها على عالم جزائري كان يؤيد إيفاد الطلاب المسلمين الى فرنسا ، بل وارتدائهم القبعات فيها ، فكتب يقول :

« تقرر في شريعة الاسلام ، ان السفر لأرض العدو للتجارة جرحة في الشهادة ، ومخل بالعدالة ، فضلا عن توطنها ، وطلب العلم بها ، والمقرر في شريعة المسلمين ، ان المطلوب تعلمه من اقسام العلم : العلوم الشرعية وآلاتها ، وهي علوم العربية .. وما زاد على ذلك لا يتطلب تعلمه ، بل وتنهى عنه ، ومن المعلوم ان النصارى لا يعلمون شيئا من العلوم الشرعية ، ولا من آلاتها بالكلية ، وان غالب علومهم راجع الى الحياكة والقبانة والحجامة ، وهي من أخسّ الحرف بين المسلمين » .

وكان ذلك الرأي المتصلب يتصدى دائما ـ تحت راية الغيرة الدينية ، والحفاظ على تراث السلف الصالح ـ للدعوات المتلاحقة الى اصلاح نظام التعليم بالازهر ، وتطوير برامجه ، حتى إنه عندما تولى الشيخ مصطفى العروسي مشيخة الأزهر سنة ١٨٦٤ ، وابدى كثيرا من الحزم في ادارته وتشديد الرقابة على الطلاب ، وضرب على ايدي المشعوذين ومدعي الوصاية الدينية والمرتزقين بآيات الله ، ثم قدم لائحته لتنظيم الأزهر في العام التالي ، عارضتها العناصر المستفيدة من تلك الاوضاع ، واثارت عليه الرأي العام داخل الازهر وخارجه ، وانتهى الامر بعزله بعد صراع طويل .

وتجنبا للازمات المماثلة اصبح يراعي ـ قبل البدء في اية خطوات اصلاحية تالية ـ ان يمهد لها باستصدار فتاوي بصحتها ، والتزامها باحكام الشرع ، مع تأييد ذلك بالأسانيد الفقهية .

فعندما اقتنع أولو الأمر بوجوب إضافة علوم جديدة كالحساب والطبيعة والكيمياء الى البرامج التعليمية بالأزهر في سنة ١٨٨٧ كلفوا الاستاذ محمد بيرم أشهر علماء الزيتونة بتونس ـ بتوجيه استفتاء الى الشيخ محمد الانبابي شيخ الأزهر جاء فيه بعد التمهيد .

« ما قولكم ـ رضي الله عنكم ـ هل يجوز تعلم المسلمين للعلوم الرياضية ، مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات ، وتركيب الاجزاء المعبر عنها بالكيمياء ، وغيرها من سائر المعارف ، لا سيما ما ينبني عليه منها ، من زيادة القوة في الامة بما تجاري به الامم المعاصرة لها في كل ما يشمله الامر بالاستعداد » .



الشيخ محمد عبده



محمد علي باشا

« فافتى شيخ الأزهر بجواز تدريس هذه العلوم بوجه عام ، الا ان فتواه لم تكن صريحة بالنسبة لبعضها ، اذ قيدها بتعديلات يسهل التعلل بها عند الحاجة ، وقد أيد المفتى تلك الفتوى بعد اصدارها بايام قلائل .

وقد لقي دعاة الاصلاح الأمرين من خصومهم ، حتى ان الشيخ محمد عبده اضطر للاستقالة من عضوية مجلس الازهر في سنة ١٩٠٥ وتمادى بعض العلماء في معاداته ، حتى اتهموه بالكفر وانكاره التوحيد ، لا لشيء الا انه تحداهم ان يبرهنوا على وحدانية الله ، بطريقة تماثل الاسلوب الذي اتبعه هو في ذلك .

وشبيه بتلك المواقف ، ما رواه لنا الشيخ حافظ وهبه في كتابه « جزيرة العرب في القرن العشرين » عن اجتماع بعض العلماء في مكة سنة ١٩٢٧ لابداء احتجاجهم الشديد على ما اعلن عن اتجاه ادارة المعارف نحو تعليم بعض المواد الجديدة مثل اللغات الأجنبية والرسم والجغرافيا فاجتمع بهم الشيخ حافظ لمناقشتهم في الامر ـ وكان له شيء من الاشراف على ادارة المعارف في ذلك الوقت ـ فكان مما ذكر ، احدهم ، إثباتا لحجتهم في الاعتراض .

« اما الرسم فهو التصوير وهو محرم قطعا ، واما اللغات فانها ذريعة للوقوف على عقائد الكفار ، وعلومهم الفاسدة ، وفي ذلك ما فيه من الخطر على عقائدنا ، وعلى اخلاق ابنائنا ، واما الجغرافيا ففيها كروية الأرض ودورانها ، والكلام على النجوم والكواكب مما اخذ به علماء اليونان ، وانكره علماء السلف » .

وقد استطاع الشيخ وهبه ـ من خلال مناقشته لهم ـ ان يهدىء من غضبهم ، ويبدد مزاعمهم واوهامهم ، وانتهى الامر بالموافقة على تدريس تلك المواد ، ثم تدريس مواد اخرى غيرها فيما بعد .

ومن الطرائف التي ذكرها الشيخ حافظ ، ان اول ساعة دقاقة وردت إلى نجد في أواخر القرن الماضي ، تم كسرها لاعتبارها من عمل الشيطان ، وثارت الدعوة الى انكار استخدام مثل تلك الساعة ، حتى تصدى احد المشايخ لتلك الدعوة ، ورد عليها برسالة صغيرة نشرت سنة ١٩١٦ وأعيد طبعها بعد ذلك بسبع سنين .

كما حدثنا عن شائعة أثيرت سنة ١٩٢٨ حول حقيقة الآلات المبرقة (التلغراف اللاسلكي) واعتبارها من الاشياء الناشئة عن استخدام الجن ، والادعاء بانها لا تعمل الا بعد ان تذبح عندها ذبيحة ، ويذكر عليها اسم الشيطان ، ولم تبدد تلك الشائعة الا عندما سمح لأحد المشايخ ان يفاجيء المحطة اللاسلكية بالمدينة المنورة ، عدة مرات ، للتأكد من عدم وجود اثر لنظام الذبائح وقرونها ، في ذلك الموقع .

فتوى حول استخدام المبرقات

وكان قد اثير التساؤل قبل ذلك حول الاعتماد على الانباء التي ترد عن طريق الآلات المبرقة ، في اداء بعض الشعائر الدينية .

وقد وجه سؤال عن ذلك من احد قراء مجلة (المنار) الى صاحبها السيد محمد رشيد رضا في سنة ١٩٠٩ جاء فيه :

« نسألكم ـ لا برحتم ملجأ لحل المعضلات ـ في الخبر المبلغ بواسطة البرق ، هل يعتد به عندنا في الشرع ، كالصلاة على الغائب ، المبلغ خبره بواسطة البرق ، وما يترتب على ذلك من الامور الشرعية ، كالهلال في الصوم او الافطار ، وهل يجوز الاخذ بذلك ؟ »

فرد عليه في عدد ١٩ مايو قائلا :

« هذه الاخبار التي تبلغ بالآلات الكهربائية التي يعبر عنها بما ذكر وبالتلغراف ، هي قطعية الاداء ، فكل

من تثق بخبره إذا كلمك بلسانه تثق بخبره الذى يبلغه بالبرق ، لا يتردد فى هذا احد فى العالم المستعمل فيه التلغراف ، ومتى صدق الناس الخبر ، تبعه العمل بما يترتب عليه من الاحكام الشرعية ، لا سيما اذا كان من جهة رسمية ، يطرد صدق برقياتها ، وكيف تطيب نفس المسلم أن يفطر ، فى نهار بلغه فى ليله خبر برقى برؤية هلال رمضان فصدقه تصديقا تاما ، لا شبهة فيه ولا احتمال »

وعندما بدا ينتشر استخدام المذياع فى بعض البلاد الاسلامية ، استفتى بعض علماء الهند الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية الأسبق ، عن حكم الشرع فى وضع هذا الجهاز ببعض المساجد لسماع الخطبة منه لقلة الخطباء الذين يحسنون اللغة العربية فى بلادهم ، على أن يقوم أحدهم بعد ذلك ليصلى الجمعة بالناس ، فافتى بعدم جواز ذلك .

غير أن العالم المغربى ابا الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغمارى ، اصدر بعد ذلك فتوى مناقضة ،

وقد ظل جواز شراء المذياع ـ لعدة سنين ـ موضع تساؤل الكثيرين ، الذين احجموا عن اقتنائه ، حتى وجه بشأنه استفتاء الى الشيخ حسين مخلوف احد المفتين الأسبقين للديار المصرية يقول « هل يجوز شرعا بيع الراديو وشراؤه واقتناؤه ؟ » فأجاب المفتى بجواز ذلك ، ثم اضاف (التليفزيون) فى فتوى تالية ضمنها كتابة (فتاوى شرعية) .

وكان الشيخ محمد بخيت قد أصدر فتوى فى اواخر القرن الماضى باباحة استخدام الحاكى (الفوتغراف) فى تسجيل القرآن الكريم ، وسماعه منه ، فقوبلت تلك الفتوى باعتراض شديد من بعض العلماء ، رددت أصداءه بعض المجلات مما اضطر الشيخ الى اعداد رسالة مفصلة عن ذلك ، رد فيها على ذلك الاعتراض وعلى بعض الاستفسارات الاخرى المتصلة بذلك الموضوع ، واضاف اليها رسالة اخرى ضمنها فتواه عن اباحة التأمين على الحياة ، واصدرهما فى كتيب واحد نشر سنة ١٨٩٧ بعنوان (ازاحة الوهم ، وازالة الاشتباه ، عن رسالتى الفوتوغراف والسيكورتاه) .

فتوى بجواز طبع المصاحف

وقد إتخذ الرأى العام الاسلامى ـ فى بادىء الامر ـ موقفا متشددا من استخدام المطابع الحديثة فى طبع المصاحف ، للاعتقاد بافتقار مواد الطباعة الى الطهارة ، وعدم جواز ضغط آيات الله بالآلات الحديدية ، واحتمال وقوع خطأ فى طبع الآيات القرآنية .

وفى سنة ١٨٢٣ وفق محمد علي باشا الى اقناع الشيخ التميمى مفتى الديار المصرية ، بالموافقة على طبع المصاحف ، غير انه لم تلبث ان ظهرت بعض الاخطاء المطبعية ، التى أيدت الظنون والمخاوف ، فصدر امر عال فى ٢٥ مايو سنة ١٨٥٣ يمنع بيع المصاحف المطبوعة ، جاء فيه :

« من حيث ان بيع وشرى (أى شراء) المصاحف المطبوعة من الامور الغير جائزة شرعا ، ومن الوجوب منع ذلك منعا كليا ، فقد تحرر عموما بالتأكيد على من يلزم بمنع ذلك ، واذا حصل تجاسر من احد فى بيع المصاحف المطبوعة ، يصير ضبطه ، ويجرى معه ما تقتضية الاحوال » .

ثم اعدمت النسخ المطبوعة .

وظل طبع المصاحف ممنوعا بضع سنين ، حتى امكن اتقان طباعتها ، فووفق مرة اخرى على طبعها ، على الا توزع الا بعد مراجعتها والتأكد من صحتها .

ومن طريف ما يذكر ، ان الاقدام على طبع الانجيل فى اوربا قبل ذلك بنحو قرنين ، قوبل بحملة استنكار شديدة ، فقد حكم بتكفير حنا فوست الذى ساعد جوتنبرج فى صنع حروف الطباعة ، ثم انفصلا وذلك عندما توجه الى باريس سنة ١٤٦٦ لبيع نسخ مطبوعة من الانجيل ، فألقى به فى السجن ، حتى اطلق لويس الحادى عشر سراحة .

كما حوربت الطباعة ـ عند بدء ظهورها ـ فى عدد اخر من الدول الأوربية .

وقد أسفرت بعض المناقشات الحادة التى اثيرت حول موقف الدين من استخدام بعض المخترعات



علي باشا مبارك

والاساليب المستحدثة ، عن اصدار العديد من الفتاوى التى نشر معظمها فى رسائل مطبوعة ، كتلك التى اصدرها السيد محمد بيرم التونسى فى نحو سنة ١٨٨٦ بعنوان (تحفة الخواص ، فى حل صيد بندق الرصاص) وقد اجاز فيها أكل كل ما يتم صيده من الحيوان برصاص البنادق .

وكان السيد بيرم قد اشترك فى مناقشة من ذلك القبيل مع السيد محمد المناعى الاستاذ بجامعة الزيتونة ، حول إباحة الحجر الصحي (الكورنتينة) او حظره ، فقال المناعي بتحريمه ، لانه يعد من قبيل الفرار من قضاء الله ، وألف رسالة فى ذلك بينما قال بيرم باباحته - بل وبوجوبه - وألف بدوره رسالة فى ذلك .

وقد اصدر الشيخ محمد بخيت فتوى مماثلة بعد ذلك بسنوات عديدة ، نشرتها له بعض الصحف والمجلات المصرية (ومنها المقتطف) فى شهر يوليو سنة ١٩١٩ وقد اوضح فيها « حكم الدين ، وما يلزم شرعا ازاء الوقاية من كل مرض يعدى » وذلك عندما تفشى مرض الحمى التيفوسية فى مصر ، حتى تجاوز عدد المصابين به مائة الف نسمة .

والسكة الحديد ايضا

وكان اتباع بعض الاساليب الغربية فى تعمير المدن وتنسيقها ، وتزويدها باحتياجاتها من المرافق الحيوية ، وربطها بشبكات الطرق المهدة ، ووسائل الانتقال الحديثة ، من الامور التى كان يتردد فى تقبلها البعض ، ويختلقون من المبررات ما يثير النفور منها والتخوف من عواقبها ، حتى اضطر أولو الامر فى بعض الاحيان الى استصدار الفتاوى من علماء الدين اولا ، قبل البدء فى تنفيذ المشروعات العمرانية .

ويذكر علي باشا مبارك فى كتابه (الخطط التوفيقية) فى معرض حديثه عن انشاء الطريق المسمى بالسكة الجديدة فى قلب القاهرة ، انه عندما اتسع نطاق التجارة ، وكثر الافرنج فى تلك المنطقة ، وتكاثرت المركبات تبعا لذلك ، حتى تعسر السير داخل الازقة الملتوية القديمة ، فكر محمد علي باشا فى انشاء طريق جديد يتسم بالاتساع والاستقامة ، ويحده افريزان للمشاة ، على نمط الطرق المعروفة بالدول الاوربية ، غير انه قبل ان يشرع فى انشائه ، على ذلك النحو ، غير المألوف فى البلدان الشرقية ، اضطر لاستفتاء العلماء فى ذلك ، فأفتوه بان يجعله من السعة بحيث يسمح بمرور جملين محملين ، من غير مشقة ، فقدر ذلك بثمانية امتار ، فروعى الالتزام بذلك الاتساع فى انشاء ذلك الطريق ، والطرق الاخرى التى أنشئت فى ذلك العصر من بعده .

وكان الاعتراض على تلك المشروعات ، يستند - فى بعض الاحيان - الى اسباب اجتماعية واقتصادية .

وقد قوبل مشروع انشاء السكة الحديد فى البلاد السورية ، بمعارضة شديدة من ذلك القبيل رددت اصداءها الصحف العربية ، فلم يكد يتم انشاء الخط الذي يصل يافا بالقدس ، حتى نشرت فى عدد اول سبتمبر سنة ١٨٩٣ من مجلة (الهلال) كلمة لمواطن من بيروت ، ناشد فيه أولى الأمر ، العدول عن ذلك المشروع ، الذي وصفه بانه (يعود بالضرر على رجال فقراء ، لا يقوم معاشهم سوى بالكد ليلا ونهارا وراء حيواناتهم التى يستخدمونها لسد عوزهم ... فان ما يشتغله أرباب نقل الحوائج كالمكارية وغيرهم فى عدة أسابيع ، تنقله السكة الحديد فى بضع ساعات) .

غير ان بعض القراء بادر الى تفنيد ذلك الاعتراض ، واوضحوا اهمية المشروع ، فى ضوء اعتبارات المصلحة العامة ، والتقدم الحضارى .

وقد حدث مثل ذلك الاعتراض عندما بدىء في تسيير مركبات الترام الكهربائية في شوارع القاهرة سنة ١٨٩٦ ، فقد كتبت جريدة جريدة الاهرام في عدد ٢٦ اغسطس تقول : « بما أن مصر بلاد زراعية قبل كل شيء ، كان الأفضل أن يسير فيها تراموای تجره الخيول بدل الكهربائية التي وضعت في القاهرة ، بل ان استخدام البغال والخيول لا يقتضي نفقة جسيمة ، وكان يفيد المزارعين والمربين » .

ومن طريف ما يذكر ان البرلمان الانجليزي رفض قبل ذلك ، اقتراحا بانشاء خط حديدي في انجلترا بعد نجاح تسيير المركبات البخارية سنة ١٨٢٥ وكتب احد اعضائه عن تلك الواقعة يقول :

« لقد إتضح لي في ختام الامر ان صاحب الاقتراح ذاهب العقل لامشاحة ، فقد كان زبد الغيظ يفوز من فمه ، كما تفور القدور ، وهو يقترح إدخال تلك الآلة الجهنمية ، وذلك الوحش الضاري الذي يحمل ثمانين طنا من السلع ، ويزعج عباد الله بدخانه الكثيف بين منشستر وليفربول ، والحمد لله فقد خُنق ذلك الشيطان الملعون في مهده ، إذ جاءت اصوات الأغلبية الساحقة ضده ، وانسحب اصحاب الاقتراح غير مأسوف عليهم » .

ومع ذلك لم تمض سنوات قليلة حتى تصدع ذلك التيار المعارض ، وبدأ ينتشر استخدام تلك المركبات في انجلترا ، وغيرها من بلدان العالم .

فتوى جامعة

والى جانب الفتاوى الفردية ، التي كان يصدرها بعض العلماء عن موقف الدين ، من محاكاة الاجانب في امور معينة ، كانت تصدر بعض الفتاوى الجامعة التي تحاول وضع معايير ثابتة ، لما يجوز اقتباسه او نبذه ـ بوجه عام ـ من العادات والاساليب الدخيلة .

ومن اشهر تلك الفتاوى ، فتوى الشيخ محمد الخضر حسين التي نشرت بمجلة (نور الاسلام) عندما كان يحررها في جمادى الآخرة سنة « ١٣٥١ هـ سنة ١٩٣٢م » (وهو الذي تولى مشيخة الأزهر بعد ذلك في سنة ١٩٥٢) وكان موضوع تلك الفتوى (محاكاة المسلمين للأجانب) وقد قصر فيها النهي القاطع عن محاكاتهم على امرين :

أولا : محاكاتهم في شيء من شعائر دينهم .

ثانيا : محاكاتهم في شيء ليس من شعائر دينهم ، ولكنه مما ينهى الاسلام عنه ، على وجه الحرمة او الكراهة . . ثم قسم اوجه المحاكاة الاخرى على النحو الاخرى على النحو التالي :

١ ـ محاكاتهم فيما يشتمل على مصلحة دنيوية ، ولا يخالف حكما شرعيا ، او أدبا دينيا ، وهذا مما تأذن الشريعة بالأخذ به ، ويتأكد العمل به بقدر مافيه من مصلحة ، كمجاراتهم في العلوم والصنائع ، ووسائل الدفاع ، والمنافع التي يخف بها جانب عظيم من عناء هذه الحياة .

٢ ـ محاكاتهم فيما لا يتعرض له الدين بنهي خاص ، ولكن رعاية جلب المصالح ، ودرء المفاسد تقضي بترك هذه المحاكاة ، كاتباع بعض العادات التي توقع في اعتقاد الناظرين شبهة ، التنصل من الاسلام ، والانتماء الى ملة تخالفه .

٣ ـ محاكاتهم في امور لم يرد فيها من الشارع نهي خاص ، ولا ينطوي الأخذ بها على مصلحة او مفسدة ، ولا تلقى على صاحبها شبهة الانتماء الى ملة اخرى ، ولا حرج في هذه المحاكاة ، الا من جهة الاحتفاظ بالتقاليد القومية .

ولعلى قد وفقت اخيرا ، في ابراز حقيقة حيوية ، تتمثل في مدى التغير الذي يطرأ على مفهومي (العيب) و (الحرام) في اذهان الذين يتسرعون بوهم الناس بها ، كلما فوجئوا بتصرف أو رأى جديد لم يألفوه .

اذ لاشك انه ما من امر من الأمور التي اثارت الرأى العام المتحفظ فيما مضى الا وقد اصبح ـ مع مضى الزمن ـ من الأمور العادية ، التي يتقبلها طواعية ، اشد الناس تحفظا في عصرنا الحاضر . ■■

القاهرة ـ ابراهيم محمد الفحام

لماذا الإنكار؟

اللغة السريانية هى الأم



بقلم : اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكيه وسائر المشرق للسريان الارثوذكس وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق

نشرت مجلة العربي في العدد ٢٤٩ آب ١٩٧٩ مقالا بعنوان « العربية بين العبرية والسريانية » بقلم الدكتور ابراهيم السامرائي . وفيه تجن سافر على بعض الذين كتبوا عن تأصيل بعض الالفاظ العربية ، ومنهم سلفنا الطيّب الذكر مار اغناطيوس افرام الاول برصوم ، بطريرك انطاكية وسائر المشرق في كتابه « الالفاظ السريانية في المعاجم العربية » ، كقوله : « ولقد وجدت صاحب الكتاب المشار اليه قد جار عن السنن الواضح فتخبّط خبط عشواء فكان كحاطب ليل » مع ان الدكتور السامرائي لم يستطع ان ينقض لفظة واحدة مما ورد فيه .

ولم نستغرب هذا المقال اذ كنا قد استمعنا الى صاحبه يلقيه سنة ١٩٧٣ في مهرجان افرام ـ حنين الذي اعدّه مجمع اللغة السريانية في بغداد . ومع اننا كنا قد انتقدناه في حينه ، فقد عاد الان ينشره في « مجلة العربي » الوّضاءة . غير انه حذف منه العبارة التالية : « أن الكوفة والحيرة لفظتان عربيتان لانهما تنتهيان بالتاء المربوطة » !

اننا بعد ان استمعنا الى خطابه ذاك سألناه : وكيف تكون العبرية أقدم من السريانية الآرامية ، في حين ان التوراة أكدت ان الجد الاعلى لاصحابها العبرانيين كان آراميا ، كقوله تعالى لموسى الكليم : قل لشعبي ليقول « كان ابي آراميا تائها فهبط مصر ... » (تثنية ٢٦ : ٥) ؟ فاذا كان ابوهم آراميا ألم تكن لغته ايضا السريانية الارامية ؟ أجل . وقد احتفظت التوراة نفسها بنص سرياني من زمن يعقوب ابي العبرانيين ، اطلقه خاله لابان الآرامي على حجر اقاماه نصبا مع كومة من الحجارة ليكون شاهدا بينهما . والنص هو « يجر

سهدوثا » أي نصب الشهادة (تكوين ٣١ : ٤٥ ـ ٤٧) وهو اقدم جميع الكتابات التي اكتشفت حتى الان . أما العبرية فهي في الاصل آرامية احتكت بالمصرية مدة اقامة اولاد يعقوب في مصر كما أيد الباحثون ، فنسبت من ثم الى اولاد يعقوب الذين تمردوا على المصريين بقيادة موسى النبي ، فسمّوهم عبريين من فعل (EBAR) أي متعدّين ، عصاة ، مذنبين ومخالفين . فأجاب الدكتور السامرائي : هكذا يقول بروكلمان . فقلنا له : ولكن التوراة التي شهد لصحتها الانجيل الشريف والقرآن الكريم هي اصدق من بروكلمان . والانكى اننا حين سألناه عن معنى « الكوفة والحيرة » اللتين قال أنهما لفظتان عربيتان لانهما تنتهيان بالتاء المربوطة ، اجاب :

انه لا يعرف معناهما . فسألناه وهل كان للكوفة اسم آخر ؟ فأجاب ، لا يدري . فقلنا له ألم تسمع باسم « عاقولا » ؟ فقال : بلى . فسألناه عن معناه فقال « شوكة » . فقلنا انه اسم مرادف للفظة « الكوفة » التي تعني هي الاخرى في السريانية « شوكة » . على ان فاءها في العربية ليست فاء في الاصل ، لكنها (V) أي (KOUVA) . وقد استعملت كذلك كما استعملت لكتابة « فيينّا وجنيف » لعدم وجود حرف ال (V) في العربية كما في السريانية . فلفظة « الكوفة » اذا سريانية بحتة . ثمّ بيّنا له ان لفظة « الحيرة » ايضا سريانية معناها « القصر » أي قصر النعمان . واخبرناه بأنه كان في بصري (اسكي شام) عاصمة الغساسنة ايضا « حيرة » اخرى تعرف ب « حيرة ابن جبلة » كما أكدت الوثائق السريانية في النصف الاول من القرن

السادس للميلاد . تشهد على ذلك لوحة معلقة في طريق دمشق ـ بيروت مكتوب عليها « قصر الحير » أي انها تذكر الاسم السرياني الاصلي والى جانبه معناه العربي . ثم قلنا له : أما قولكم ان اللفظتين المشار اليهما عربيتان لانهما تنتهيان بالتاء المربوطة ، فليس من العلم والمنطق في شيء . فما قولكم في لفظة « سورية » مثلا التي نكتبها اليوم بالتاء المربوطة ، فهل هي عربية لاننا نكتبها كذلك ؟ على ان الكوفة والحيرة كانتا تكتبان سابقا بالف الاطلاق « كوفا » و « حيرتا » كما كانت سورية ايضا تكتب « سوريا » .

قال الدكتور السامرائي : « عنيت منذ زمان بعيد بمسألة العربية وما اخذته من غير اللغات وما اعارته هي الى اللغات الاخرى .

قلنا : انه لن يتسنى له بلوغ هدفه المنشود ما لم يتقن السريانية الفصحى والعامية بلهجتيها الشرقية والغربية . لانه كيف يمكنه ان يجزم في عربية لفظتي « بقعة » ، و« فاروق » مثلا وهما سريانيتان بالتأكيد ؟ ذلك ان لفظ حرف الفاء في السريانية قد ازدوج ، فيلفظ احدهما كالفاء العربية وهو المستعمل في اللهجة السريانية الغربية في سورية ، والآخر كحرف (P) وهو المستعمل في اللهجة السريانية الشرقية في العراق . فلفظة « بقعة » تسرّبت الى العربية عن طريق اللهجة الشرقية (PQAATA) . وقد استُبدل فيها حرف ال « P » بحرف الباء ، كما استبدل في لفظة « باريس » مثلا وذلك لعدم وجود هذا الحرف في العربية كما في السريانية . أما لفظة « فاروق » فقد تسربت الى العربية عن طريق اللهجة الغربية . ولذلك ظلت الفاء فاء في العربية ايضا . فلو تسربت عن طريق اللهجة الشرقية لكانت « باروق » (PAROUQ) . وفاروق هو اللقب الذي اطلقه السريان الارثوذكس في سورية على امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ومعناه « المخلص » لانه خلصهم من البيزنطيين . ووزنه بالذات يبرهن على ان اللفظة ليست عربية لانه ليس من الاوزان العربية لكنه سرياني بحت (راجع عن هذا اللقب تاريخ الطبري) . فكان والحالة هذه ضروريا لمن يُعنى بمسألة العربية وما اخذته من غير اللغات وما اعارته هي اللغات الاخرى ان يتقن السريانية كما سلفنا . وهذا ما انتبه اليه الرسول العربي الكريم ، فقال لزيد بن ثابت :

اتحسن السريانية ؟ قال لا . قال تعلمها . فتعلمها في سبعة عشر يوما (صبح الاعشى للقلقشندي ج ١ ص ١٦٥ و ج ٣ ص ١ » .

من أصل سرياني

حقا ان من يُقدم على خوض غمار بحث كهذا ، يجب ان يكون قد اتقن اللغتين السريانية والعربية معا

ليتمكّن من استيفاء البحث حقه ، كما كان مثلا سلفنا الطّيب الذكر . أمّا الدكتور السامرائي ففضلا عن انه لا يعرف حرفا واحدا من السريانية ، فهو قد لا يتوصّل حتى الى معرفة دقائق العربية كما يؤكد قوله هنا : « وما اعارته هي (العربية) الى اللغات الاخرى ، بدلا من القول الصحيح « وما اعارته هي اللغات الاخرى . فلو اتقن اللغتين المذكورتين لعلم اذن ان الالفاظ التي ذكرها سلفنا وغيره ليست عربية اصلا كما اشار الى بعضها حتى الاقدمون من لغويي العرب . اجل ، ان من اتقن السريانية ادرك سبب استعمال القرآن الكريم للالفاظ : حيوة صلوة ، زكوة بالواو لا بالالف ، وللالفاظ سبرّط ، الله ، ثلثة ، ثلثمئة بسم والرحمن بدون ألف وذلك كما هي في السريانية . ولا غضاضة في الامر ، فان السريانية والعربية شقيقتان قد تعير احداهما الاخرى ما تراه مناسبا للظرف والمكان .

ومن العجيب الغريب انه لم يشر الى كتابنا الموسوم بـ « البراهين الحسّية على تقارض السريانية والعربية » . مع اننا كنا قد اهدينا اليه نسخة منه فور انتهائه من القاء كلمته . ألم نعلّل في هذا الكتاب ما يفي بالمرام ، كيفية تسرّب كثير من الالفاظ السريانية الى العربية ؟ وعلى سبيل المثال نثبت هنا ثلاثة ألفاظ لم ترد في هذا الكتاب وهي : زار ، مخيّل ونحف . ان هذه الالفاظ ليست عربية في الاصل لكنها سريانية دخلت العربية محرّفة ، اصلها : سْعَر ، الحيّل ونحف (NHEV) (هزل) . فاللفظتان الاوليان تحرّفتا بلسان الناطقين بالسريانية العامية الشرقية . اما الثالثة فبلسان الناطقين باللهجة الغربية . ذلك ان حرف الحاء في السريانية العامية الشرقية الدارجة في العراق ، يكون غالبا « خاء » ، وحرف العين يذوب فيها غالبا . والحروف « الاسلية » وهي في السريانية : الزاي ، السين ، الصاد ، والشين ، اختلف لفظ كثير منها في اللغتين السريانية والعربية اختلاف لهجات الشعوب الناطقة بها ، بحيث اضحت الزاي في اللغة الواحدة سينا او شينا أو صادا في اللغة الاخرى وبالعكس . ولذلك انقلبت السين في لفظة « سْعَر » الى زاي وذابت العين حتى أضحت اللفظة « زار » . كما انقلبت في لفظة « الحيّل » الى خاء حتى اضحت اللفظة « مخيّل » . أما الفاء في « نحف » فهي في الاصل السرياني (V) الفرنجية (NHEV) فانقلبت الى فاء لعدم وجود هذا الحرف في العربية كما اسلفنا .

لا ندري لماذا كل هذا التجني على الذين قالوا بان اصل بعض الالفاظ العربية هو سرياني . تُرى ماذا كان للعرب من العلوم ابان الفتح العربي ، سوى القرآن الكريم ؟ ألم يكن الكندي في القرن التاسع أول فلاسفة العرب ؟ فمن اين يا ترى استقى علومه الفلسفية ؟ أليس من العلماء السريان ومن الترجمات السريانية للعلوم اليونانية ؟ أجل ، ان الامر هو كذلك ، بدليل ان رسائله العربية الفلسفية تتضمّن الفاظا كثيرة لا تمتّ الى العربية بصلة ما . بل لا يستطيع فهمها الا من اتقن السريانية . منها : أيس (موجود) ، ليس (غير موجو) ، هويّة (وجود) ، قنية (ملكة في النفس) ، كثيات (اوساخ) وهلم جرا كما بيّنا في محاضرتنا « الكندي والسريانية » في مهرجان الكندي في بغداد سنة ١٩٦٢ .

ألفاظ تسربت

مما لا شك فيه ، ان الفاتحين العرب التقوا في العراق وسورية عدا القبائل العربية النصرانية التي كانت على مذهب السريان ، الناطقين باللغة السريانية ايضا من حفدة البابليين والآشوريين والآراميين الذين كانوا السواد الاعظم في هذه البلاد . ومع ان معظمهم دخل في الاسلام ، فقد ظلّت اللغة السريانية لغتهم المحكيّة دهرا طويلا ، كما هي الحال اليوم في قرى معلولا وبخعا وجبعدين في سورية . فلا غرو والحالة هذه ان تتسرب عن طريقهم الفاظ كثيرة من هذه اللغة العريقة ، وخاصة اللهجة الشرقية في العراق ، الى المعاجم العربية والعامية العربية . وما زالت بعض المصطلحات السريانية دارجة حتى اليوم لدى كثير من أدباء العرب البلغاء . منها قولهم « التقيت به » ورضي به » « ووصلني الخبر » بدلا من « التقيته » « ورضي عنه » « ووصل اليّ » . بل ما زالت هنالك الفاظ سريانية كثيرة في المصنفات العربية ، منها « زقفونا » اي صلبونا الواردة في رسالة الغفران لابي العلاء المعري ،

و « اللصوت » أي اللصوص الواردة في عهد عمر بن الخطاب لأهل الياء ، و « الشيران » اي الشموع أو المصابيح الواردة في كتاب اهل دمشق لابي عبيدة ، و « يقلسون » و « المقلسون » أي يمدحون والمادحون الواردتان في تاريخ البلاذري ، و « شياف » أي دواء وطلاء ، و « كيا » أي شجرة المستكي الواردتان في كتاب التيسير في المداواة والتدبير لابي مروان عبد الملك بن زهر الاشبيلي المتوفي سنة ٥٥٧ هـ . وقد صدق المغفور له الدكتور داود الجلبي (لا الحلبي) الموصلي في ما اورده في كتابه الموسوم بـ « الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية » ، كما صدق من كتب من اللبنانيين ايضا عن العربية العامية في سورية ولبنان ، بأن عليها مسحة من السريانية . وعلى سبيل المثال نقول : اذا كان شخص ماشيا في الطريق مع زوجته ، والتقيتهما ، فاما تسأله انت « هذي الست مَرْتك » أو هو نفسه يعرف ذلك قائلا : « هذي الست مَرتي » . وقد يظن كلاكما انكما تكلّمتما العربية . والحقيقة انكما تكلّمتما السريانية الشرقية لا غير . فلفظة « هذي » ولئن اضحت اليوم من العربية الفصحى مثل « هذه » الا انها في الاصل سريانية (HATHE) . وبما ان حركة « E » غير موجودة في العربية كما هي في السريانية ، انقلبت الى كسرة . ولفظة « الست » هي (SOTA) أي شيخة أو جدّة أو سيّدة أم الاب أو الام . اما لفظة « مرتي » أو « مرتك » فتعني سيدتي أو سيدتك . فلو كانت عربية للفظت « امرأتي » أو امرأتك » أي بالهمزتين وبضم التاء في امرأتــك . ومــن هذا القبيل قولنــا : « عمّتــي » و « خالتي » و « كتاب » باسكان الميم في الاولى واللام في الثانية والكاف في الثالثة . وكذلك قولنا للمؤنث « كتابك » (KTABEK) بدلا من كتابك .

وبعد هذه الجولة اللغوية ، ليحكم القارىء الكريم ، من الذي جار عن السنن الواضح فتخبّط خبط عشواء فكان كحاطب ليل ؟ أهو البطريرك أفرام الاول برصوم أم الدكتور ابراهيم السامرائي ؟. ■■

بيروت ـ اغناطيوس يعقوب الثالث

رسالة روما :

مؤتمر الذكاء العالمى

بقلم : سعد كامل



ولكن الذى يدعوني الى تسميته مؤتمر « الذكـاء » بدلا من الغذاء هو الحقيقة التي توصل اليها علماء الطب والتغذية في العالم وبوجود علاقة وثيقة بين تغذية الام الحامل والطفل حتى سن الخامسة وبين ذكائه وفي المستقبل ، لان هذه التغذية ـ خاصة نسبة البروتينات ـ تؤثر في تكوين خلايا المخ وقدرتها على العمل . وانه بعد هذا السن لا يمكن علاج النقص ، حتى اذا تحسنت التغذية .

اليست هذه حقيقة مؤلمة ؟ ان يصاب الاطفال بعاهة مستديمة في خلايا منهم لا يمكن علاجها .

احصائيات مثيرة للاشمئزاز

سنترك مسألة الذكاء جانبا لنرى ما توصل اليه مؤتمر « الغذاء العالمي » من تشخيص لحالة الجوع في العالم . وكيف انها تتفاقم بشكل يدعو الى الذعر ....

ولكن الذين سيقرأون هذا المقال لن يصابوا بالذعر لانهم لا يشعرون بالجوع الآن . اما الذين لا يقرأون فلن ينتابهم اى خوف لانهم لا يعلمون ! .

يقول المؤتمر أن ٥٠٠ مليون انسان يعانون من « الجوع » ولا اعتقد ان واحدا منا يمكن ان يستوعب معنى هذه الكلمة ، فكلنا نأكل كثيرا او قليلا نأكل احيانا كل ما نشتهي أو بعض ما نشتهي ، وقد نحرم من اطايب الطعام ، ولكننا قليلا ما نشعر بالجوع ، ونعاني منه فسرعان ما نجد ما نسد به رمقنا ، ولكن ـ تصور ـ ان تعيش طوال حياتك وانت تشكو وتتألم لانك « جوعان » الى ان يصل الانسان الى حالة فقدان حتى الشعور بالالم ... فهذا ما يعانيه ٥٠٠ مليون من اخواتنا في البشرية .

يصفهم تقرير المؤتمر « انهم يعانون من سوء التغذية ، الى الحد الذى اصبحوا كالهياكل العظمية « جلد على عظم » . فقدوا اوزانهم وهم يقضون معظم اوقاتهم فاقدى القدرة على النشاط او الحركة وانعدمت في نفوسهم الهمة او الرغبة في اداء اى شيء منتج . »

ان من يقرأ هذا التقرير ، سيحمد الله كثيرا ، ان الاقدار لم تلق به في عداد هؤلاء الخمسمائة مليون من اخوته في البشرية .. غير القادرين حتى على التأوه او الجأر بالشكوى !

يقول السيد ادوارد سوبوما مدير مكتب منظمة الاغذية والزراعة الدولية : « ان واجبي الحزين ان انهي اليكم طبقا لادق المقاييس بان الموقف يتدهور باكثر من السنين الماضية ... انها في الواقع حالة مثيرة للاشمئزاز .... »

والذى دعى السيد ادوارد الى كل هذا التشاؤم هو ان عدد الجوعى كان يبلغ ٣٦٠ مليونا فيما بين سنة ١٩٦١ ـ ١٩٧١ . وقفز هذا العدد فجأة الى ٤١٠ ملايين فيما بين ٧٢ ـ ٧٤ ثم هو اليوم في بداية الثمانينات يصل الى ال ٥٠٠ مليون ، وان القارة الافريقية وحدها تستحوذ على النصيب الاكبر ٨٠ مليون اى ما يعادل ٣٠٪ من نسبة الجوعى .

ان مشكلة هؤلاء « الاخوة » .. انهم يحتاجون الى ٢٥٠٠ وحدة حرارية لكي يصلوا الى مستوى الكائنات الحية ، بينما هم لا يحصلون عن طريق الوجبة الوحيدة المتاحة (ارزا أو قمحا) الا على ١٧٠٠ وحدة ... اما في البلاد المتقدمة فالحد الادنى الذى يحصل عليه الفرد ٣٠٠٠ وحدة حرارية .

والذى يدعو الى تشاؤم المؤتمر ، الاحصائيات التي تتوقع ان يرتفع عدد سكان العالم من ٤ بلايين (الآن) الى (٦) بلايين في نهاية القرن اى بعد عشرين عاما . سيكون النصيب الادنى ان لم يكن الأوحد في هذا الانفجار السكاني (لصالح !) الدول النامية والتي يتركز فيها الجوع ... ولا يبدو في الافق ـ امام المؤتمر ـ ما يشير الى احتمالات كبيرة في زيادة الانتاج الغذائي .

عودة الى « الذكاء »

سأعاود الكلام عن (الذكاء) العلمي ... وارتباطه (بالغذاء العلمي) .

هاقد ودعنا عام الطفل العالمي ، الذى دعت اليه الامم المتحدة . ولابد انه قد تجمع لديها اطنان من

التقارير من كافة انحاء العالم .

المشكلة الاخطر في تقديري ليست في ٥٠٠ مليون جائع (الآن) وانما في الذين سيجوعون في المستقبل . ويفقدون مع الجوع (الذكاء) وهم الاطفال ! لست ادعو الى اهمال ما هو خطير في حد ذاته الان ... باطعام الجوعى ، واعلان حالة طوارىء عالمية لكي يتمكنوا من الحركة والنشاط المطلوبين من اى كائن حي . لا ، ولكن الاخطر هو أن تتدبر أمرنا من الآن لمواجهة الحقيقة العلمية التي اعلنها الاطباء والتي تحدد السنوات الخمس الاولى من حياة الطفل كفيصل لنمو خلايا مخه ... والا فانه لا يمكن علاجه . وستصبح الحالة (عاهة) مستديمة .

لقد انتصر علماء العالم في القضاء نهائيا على مرض الجدرى القتال ، وهم بسبيلهم الى القضاء على شلل الاطفال ... وهذا انتصار للانسانية وللعلم . ولكن هذه الامراض ، وان كانت تترك عاهات مستديمة ، في جسم الانسان او قدرته ، الا ان مرض (سوء التغذية) في فترة الطفولة يترك اثرا لا يمحى في عقل الانسان (الطفل) . في قدرته على الادراك والفهم والتفاعل مع مجتمعه ولهذا فهي اخطر الامراض واجدرها بالعناية والاهتمام .

ان الحقيقة المؤلمة حول موضوع « الذكاء » العالمي انها ستؤدى مع مرور الزمن الى اتساع الفجوة ـ بسبب نقص التغذية في المراحل الاولى من عمر الطفل ـ بين شعوب بلاد العالم الثالث وشعوب البلاد المتقدمة . ستصبح المعادلة الصعبة ، هو ازدياد تراكم الذكاء عند شعوب البلاد المتقدمة ، ونقص الذكاء عند شعوب العالم الاخر ...

وفي بحث قدمته الصحة العالمية عن الفلبين ، ان ٢٪ من الشعب مصابون بالتخلف العقلي ، ٣ بالمائة مصابون بامراض نفسية وعصبية ، ٢ بالمائة مصابون بامراض عقلية ...

لست اريد أن ألقى على سوء التغذية كل الاعباء والتهم ، ففي بلاد العالم المتقدم تنتشر الامراض النفسية والعقلية ، ولكن بسبب آخر ... هو اخطاء النظام الاجتماعي وتعقيداته وليست بسبب عضوى ، هو نقص في تكوين خلايا المخ .

ولا أريد أيضا أن ألقى بكل همومنا ـ كشعوب نامية ـ مرة واحدة ، امام القارىء ليصاب باليأس ، وعدم المبالاة ، ان لدينا هموما اخرى ... ولكننا يمكن ان نتداركها ...

لست متشائما ، عندما اناقش تقرير مؤتمر الغذاء العالمي ... بالعكس ان عناصر التفاؤل اكبر مما جاء بالتقرير وهذه هي الاسباب او بعضها :

❊ تنظيم النسل ، لم يأخذ العناية الكافية او الجادة ، فمن الثابت انه كلما تقدمت وتطلعت الشعوب الى الاستمتاع « بطيبات » الحياة حاولت الاسرة ان تقلل من عدد افرادها ... اما شعوب العالم الثالث ، فهي ترى في النسل ، وازدياده وسيلة اقتصادية لمجرد الحياة .

❊ ان شعوبنا تملك من الثروات ، مالم يستغل بعد ... الارض (السودان مثلا ٩٠ مليون فدان لم تزرع بعد) ... والمياه : نحن نسرف في استخدام المياه بمقدار ٩٠ بالمائة من حاجة الارض (في مصر بلايين من الامتار المكعبة تضيع هباء) وهناك طرق أخرى للرى اقل تبذيرا كالرى بالرش والرى بالتقطير ، وهذا يفسح مجالات لزراعة آلاف من الافدنة ....

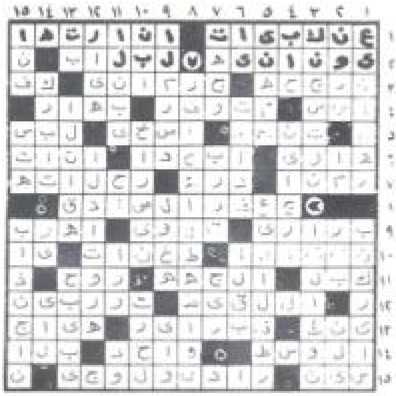
❊ الثروة الحيوانية والسمكية ... التي لم تستغل بل تهدر اهدارا .

❊ عاداتنا الغذائية ووجوب ترشيدها ، فنحن نأكل بطريقة الاجداد . لا بد ان تمتلىء بطوننا ونشعر بالتخمة لنتأكد اننا قد اكلنا ... ومن الثابت علميا اننا نسرف في الغذاء اكثر مما تطلبه اجسامنا للنشاط المادى والذهني ، بل انه كثيرا ما يصيبنا باضرار صحية .

❊ ان هناك بدائل للبروتينات غير اللحوم يمكن ان نعوض بها الاطفال الفقراء .

كل هذه النقاط وغيرها يستطيع المتخصصون ان يتقدموا بها ... هي نقاط مضيئة تمنحنا الامل الحقيقي في المستقبل لا لكي تقضي على مشكل ٥٠٠ مليون جائع ... بل اكثر من ذلك لكي تقضي على مشكلة الذكاء ... ذكاء شعوب العالم الثالث كله . ■■

روما ـ سعد كامل



افقيـًا :

جعفر الصادق

رأسيًا :

رفاعة الطهطاوي

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا : جعفر الصادق . الامام السادس للشيعة ، ولد وتوفي بالمدينة . بلغ عدد المنتسبين لمدرسته في المدينة أربعة آلاف من كلّ الاقطار الاسلامية . من أعظم انجازاته دعوته الى التأليف والتدوين ، وكان قبله قليل الحدوث .

(٨) رأسيا : رفاعة الطهطاوي . من اركان النهضة العلمية الحديثة في مصر . ولد في طهطا وتوفي بالقاهرة . تعلّم في الازهر ، وأتمّ ثقافته في فرنسا على كبار المستشرقين . حرّر جريدة الوقائع المصرية .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازبها : علي محمود عبد السلام ابو الهيجاء ـ الزرقاء / الاردن

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازبها : صباح اسماعيل علي ـ جامعة بغداد / العراق

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازبها : هند ابراهيم زاهر ـ الدقهلية / مصر

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فازبها كل من : ـ

١ ـ ابركان عبد القادر الناخور/المغرب

٢ ـ عدنان حقي القامشلي/سوريا

٣ ـ حسن عاطي الناصري الطائف/السعودية

٤ ـ جميل حسين خنافر بنت جبيل/لبنان

٥ ـ كمال عثمان عبد الرحيم الخرطوم/السودان

٦ ـ سميرة الجويني صفاقس/تونس

٧ ـ سعد عبد الله الشبعان المحرق/البحرين

٨ ـ محمد عبد الوهاب الامام السالمية/الكويت

هل تعرفون هندا؟

بقلم : فاطمة حسين العيسى

تمر امامي كل يوم وجوه ووجوه قلما يستدعي احدها مني التفاتة ، ونادرا ما تتطور الالتفاتة الى اهتمام .

مغرور أنا .. اعترف ..
وانتم فضوليون .

لا .. لست راهبا ، مثلكم انا اجد صعوبة بالغة في السيطرة على نفسي ومنعها من ممارسة حق او باطل ، عندما يجد هواه طريقه الى قلبي لكنني مرتاح .. مستقر .. ثابت على ارض صلبة لي من العمر والتجربة ما يجعلني اعيش جاذبية الحياة اليوم واستمتع بها .

حياتي العائلية هندسية ، رائعة الموازين . زوجة تصغرني بعامين اثنين ، رحم الله ذاك العم وتلك الخالة الصائغين الرائعين لأحلى وأبهى حلية زوجية . لي من الذكور اثنان من أجود الاصناف . ولي من الاناث اثنان من اجمل النماذج . كل شيء معهم وبهم يسير بنمو صحي طبيعي .

اظنني اشبعت فضولكم .. الى حد التخمة ، والتخمة تصيب الجسم بالخمول ، والخمول يحول الجسد الى كتلة من رصاص ، وهل يقتلع الرصاص من الارض الا بعاصفة ؟ ؟ واي عاصفة . لا شك انكم تعرفون ان جل عواصف الزمان وكوارثه تحمل اسماء اناث ، وعاصفتي كانت انثى وكان اسمها هندا !



مالت برأسها باتجاه المذياع ذي الصوت المنخفض بينما انشغلت يدها بصب فنجان من الشاى اختتم به افطار ذلك الصباح وقالت :

إنا لله وانا اليه راجعون ..

أمرك لله ، ستبدأ نهارك بالعزاء في مقبرة الصليبخات . الدفن الساعة الثامنة والنصف .

ثم علقت زوجتي على هذا التقليد الذى اصبح شبه فرض على الانسان ، وكم هو سيىء ان يبدأ به يومه ، فاوضحت لها وأنا أضع فنجان الشاى في طبقه بعد ان أفرغته في جوفي بسرعة . أوضحت انها يجب ان لا تتشاءم من امر اصبح بالنسبة لنا ـ نحن الرجال ـ عاديا جدا بل اكثرنا صار يرحب به لانه الحل العملي السريع للقيام بهذا الواجب الاجتماعي الثقيل ، بدلا من محاولات البحث عن ديوان فلان او فلان ، والوقت في المجتمعات التجارية كمجتمعنا عملة صعبة .

●

كان يوما من تلك الايام ، وكان طبيعيا ان اصل الى مكتبي بعد ساعة ونصف ساعة من الموعد الذى اعتدت الوصول اليه فيه . ومثلي ـ عادة ـ لا يحاسب على تأخيره لأنني أحمل رتبة مدير لشون الموظفين ، وخبرة خمس عشرة سنة في هذا الحقل وفي هذه الوزارة بالذات . ورغم قصر المدة ـ كما تبدو للبعض ـ الا انني اشعر ويشعر اغلب العاملين معي من الكبار والصغار ، ان كل لبنة في هذا المبنى قد امتزجت ببعض قطرات من عرق يدى وجبيني ، اشعر وهذا المبنى وهذه الممرات وهذه الابواب بأبوة متبادلة .

كثيرا ما نتشاجر وكثيرا ايضا ما يقع احدنا في احضان الاخر .

ما توقعت ان يحاسبني احد على الاطلاق . لكنني ايقنت بعد بضع دقائق من دخولي المكتب وحتى قبل وصولي الى البقعة التي يحتلها كرسي جلوسي . أيقنت أن الحساب الصامت اقسى وامر ، خاصة ما يصدر عن اناس لا تعرفهم ولا يعرفونك . تجد نفسك راغبا في الشرح ، مستطردا في سرد تاريخ حياتك المهنية وامانتك الوظيفية التي يتوجها دائما حرصك على مواعيدك واحترامك لاوقات الناس . ولا تلبث ان تضيع بين هذا وذاك وكأنك امام لجنة اختبار لقدراتك في تبرير ما لا حاجة لتبريره . وفجأة تصحو على حقيقة لا تخلو من مرارة . أنت هنا في هذه البقعة سيد نفسك وسيد هذا المكتب وربما سيد من يدخل هذا المكتب .

سيدى ! كيف ضاع منك كيانك بهذه الصورة المفاجئة ؟ ؟ لم تكن اكثر من نظرة ... مجرد نظرة الى ساعتها مصحوبة بنصف ابتسامة .

لا لا ، لم يكن ذاك هو السبب ، بل هذا الثبات الغريب والغوص في المقعد مطوية الساقين وكأنها مخلوق برجل واحدة . والاستغراق العجيب بملاحقة المقال الافتتاحي لاحدى الصحف ، اى تنازل كبير مارسته برفع عينها من المقال الى ساعتها ، ثم الى المقال مرة اخرى ، لتتم السطرين المتبقيين .

.. ايضا .. ما كان هذا هو السبب الحقيقي . السبب ابسط من ذلك بكثير .

لاول مرة منذ تبوأت هذا المركز لم ادخل مكتبي ومنتظرى لا يهب واقفا لاستقبالي ، رجلا كان او امرأة .. تضحكون ؟ . ربما تضحكون على سخف السبب ولكن كم في الحقائق من مضحكات ؟ لعنة الله على النساء ، كل النساء ، وعلى تقاليدهن التي لا تفرض عليهن الوقوف لرجل ذى اهمية مثلي . ولعنة اخرى على هذا الارتباك الذى يفلت مني رغما عني ورغم محاولاتي لتقييده بسنواتي الاربعين وكسورها ، وبخبرتي وبمركزى الاجتماعي والوظيفي ، وبكل ما يحيط به وما يختزن ايضا من هيبة ـ وعليكم السلام ، قالت .

وبدأت مرحلة القفز من : الاعمار بيد الله ، الى لا بد انك سمعت المذياع هذا الصباح ، كم اكره ان ابدأ يومي بوداع عزيز ، لكنها سنة الحياة . الواجبات الاجتماعية ، متطلبات المنصب والظروف العائلية . وكلام كثير كثير قلته لا اذكر منه الآن شيئا لكنني أتمنى أن لا اكون قد خرجت عن الموضوع اكثر من مائة مرة وان تضيق دائرة فشلي في ربط اذيال الحكايات باعناق الاخريات ،

بعينيها اريد ان تضيق دائرة فشلي . هذه العيون الدعجاء الشديدة العمق التي تواجهني ، تضيق وتتسع وفقا لنبرات صوتي والرأس يتأرجح ببطء بين الكتف الايمن والايسر ، يوزع عبء كلامي بين اذنين مزدانتين بقرط صغير صغير ... والذراعان معقودتان والساقان ملتحمتان والتقوقع ذاته ، والهدوء ذاته ، والصمت يزداد عمقا ، وأنا اهذي واهذي .

لكنها قاطعتني :

ـ سيدي ! لست هنا لمحاسبتك ، لا أحب ان اتدخل فيا لا دخل لي به .. جئتك في الموعد الذي اتفقنا عليه هاتفيا . تأخيرك لم يزعجني . (تبتسم) بل اعطاني فرصة الاطلاع على صحف الصباح .

اشطر اهتمامي بنفسي شطرين بسهولة غريبة ، اهديتها احدهما ـ على غير عادتي ـ وقلت :

ـ هل من جديد ؟

ـ تضحك : جديد !! في صحافتنا !! لقد اختلط القديم بالجديد ليخلق جوا من الرقابة غريبا ... اتعرف ؟؟ انني اتصور انه قد آن الأوان لتتغير رسالة الصحافة ـ بدلا من محاولات على طول تلك السنين ـ لجذب القارىء يجب ان تعطيه الآن حريته ليعود الى صديقه الصدوق القديم : المذياع .

ـ وهل تكذب الصحافة ؟ هل حقا انت تعتقدين ذلك ؟

ـ هناك فرق بين الكذب واخفاء الحقيقة ، لكن ليس هذا هو اعتراضي على الصحافة ، وانما صبها جميعا في جدول واحد .. ودون استئذان استطردت ، وكأن سماعي لها فرض علي . اعترف لكم مرة اخرى هكذا شعرت فعلا .

ـ قالت : لا اظنك تختلف معي ان المقال الافتتاحي في الصحيفة اى صحيفة هو مركز الثقل . هو الذى يفترض ان يحمل وجهة النظر في اكثر القضايا حيوية قومية كانت ام انسانية . لكن عندما تستقبل ثلاث أو اربع او خمس صحف يومية وتقرأ المقال الافتتاحي وتشعر ان الجميع يعزف نفس النغم الا تفتقد اختلاف اللون والطعم ؟ ؟

الا يؤدى بك ذلك الى فقدان احترامك للصحافة ؟ ؟

ـ لا ، قلت لها : عندما تكون المحنة واحدة لا استغرب ان يكون رد الفعل واحدا .

ـ لكن قطعا هناك اكثر من زاوية للنظر ، ثم يأتي الاحساس باكثر من سبب واحد . وعليه فطرق الخلاص متعددة . عندما تعلن عنها . عن اختلافها . ساعتها نلتقي لتضييق المسافة والسير في طريق واحد للحل او نحو الحل . لكن ان نتفق قبل ان نختلف . او ان نتفق حتى لا نختلف ، وهذا اسلوب صحافتنا اليوم ، هو بالنسبة لي اسلوب فريد .

ـ ولهذا تبشرين بالعودة للمذياع .

ـ انا لا ابشر . أنا مجبرة للعودة الى المذياع لانه يعطيني المادة الخام ، بلا تصفية ولا تكرير ولا زينة ، واحيانا بكل ما تحمله من اشواك .

بحدة ردت : تربيتي ، علمي ، ثقافتي تحميني

وفجأة هبت واقفة وقالت :

« كم ارجو يا سيدى ان لا اكون احدى هذه الاشواك » وألقت بابتهامها في وجهي وقالت :

ـ « لقد اخذتني بالكلام ونسيت انا ، او ربما تناسيت انت ما جئت هنا من اجله .

ولدهشتي البالغة دنت مني ومدت يدها تصافحني قائلة :

ـ اسمي هند ... اوراقي تحت ذارعك اليسرى ، التقينا هاتفيا بالامس في حوالى العاشرة والنصف .. قلنا الكثير . قليل من كلامك اذكر ، لكنني اذكر طلبك مني ان ازورك حتى تتعرف عليّ اكثر . واظن ان مادار بيننا من كلام يكفي للتعارف ، ثم تركت يدى .

تركتني كمن هبطت على رأسه صاعقة ، مأخوذا بغرابة الموقف ، بغرابة الحديث ، ثم بالتعليق الذى انطلق من فمها انطلاق رصاص من رشاش ضغط على زناده اصبع انسان منتقم لم يتركه حتى افرغ ما فيه ،

واخترق رصاصها مني العين والعقل والقلب . وعمل بي تجريحا ، وانا اصرخ ، وهي تبتسم . أصابني ذهول غريب وشعرت بكل شيء حولي الا الألم .

جلست على مقعدى امام مكتبي جلست ، وضغطت على زر اطلب « استكانة » شاي . كان هذا جل ما استطيع عمله في تلك الاثناء ، لم يكن اكثر من تحرك عصبي .

واستجمعت ذاتي لاقول لها : « اعذري سوء ضيافتي . لم تعطني الفرصة حتى لكى أتم جلتي » وقالت : « كان يمكنك أن تضيف ذلك الى نشرة الاحوال الشخصية التي القيتها حال دخولك المكتب » .

بعض من غضب قلت « اسمحي لي ...

قالت نعم ....

وفقدت لساني فجأة ، تماما فقدت لساني .

رحم الله اباك يا عبد السميع ، جئت بالشاي في الوقت المناسب ، ولاول مرة اشعر بسيل من الادب الجم يغلف غضبي وحرجي وكل المشاعر العجيبة التي انتابتني تلك اللحظة . ووجدت نفسي اعتذر لها عن طلبي للشاي دون سؤالها ، فردت بانها تكتفي بكوب من الماء ... لو أسمح الآن فقط .. لو أسمح .. من اجل كوب من الماء .. لو اسمح ، وضحكت في أعماقي فقط . المرأة تظل هي المرأة تطعنك بالخنجر ، وتقبل عينيك فتختلط في نفسك اللذة بالألم .

تركتها تتم كوب الماء وتشاغلت بالنظر عبر اوراقها .. سبع سنوات في التعليم .. عمرها ؟ ؟ في الثلاثين وما حولها ، لماذا تترك التدريس ؟ ؟ وارتفعت حرارة الرجولة الغاضبة في رأسي كم هي حاجتنا للمرأة في مجال التعليم .. انها حاجة عظيمة ، لكن امرأة اليوم لها نفس قصير جدا . لا تريد من التعليم الا العلاوة والاجازة ، اما ماعدا ذلك من جهد في تربية النشء فتتركه دائما للهواة . وكلما وصلت الهاوية الى درجة الاحتراف ، بدأت رحلة الهرب . وهذا نموذج انيق امامي .

وتعتمل نار الثورة في تجويف رأسي ، لكنها ترفض أن تخترق غلافه ، وبانتظار كوب الماء ان يفرغ ، كنت ابحث عبر اوراقها عن متنفس لحرجي وارتباكي .

وسقطت آخر قطرة من ماء الكوب في فمها فتصاعد عندى احساس مفاجيء بطفولته ، وتحولت الى تلميذ يقف امام مدرسة لها من الخبرة سبع سنوات ، تمثلت امامي سبعين سنة .

وبدأنا التجول خلال الروتين السمج ، عبر مسئوليات الوظيفة الجديدة ، واستعرضنا في رحلة قصيرة جدا الاوراق والمكاتب والبشر .

لا اكاد انسى ذلك الطوفان من الاسئلة الذى اجتاح رأسي ومحاولتى القاسية للضغط والسيطرة عليه :

لماذا تترك التعليم ؟؟ هل هو الملل ؟ ؟ هل هو خلاف ؟

البحث عن رجل (وابتسم الرجل في اعماقي) ؟

من دلها على هذه الوظيفة بالذات في وزارتنا ؟ هل هو الوكيل ام الوزير او آخر اكثر نفوذا ؟ وما علاقتها باى منهم ؟ ما مدى طموحها ؟

وخيم الرضى على الوجود رغم قلقي وارتياحها . خيم الرضي على الوضع . ستأتي اول الشهر القادم لتحتل البقعة الشاغرة الواقعة على بعد سبعة امتار ونصف من مكتبي ، الباب الثاني من المنعطف الايمن .

●

وانتظرت ، وانتظرت . وانتظرت : هل تعرفون كم هو مرٌ هذا الانتظار ؟ ؟ دهورا انتظرت ، كنت فيها انسانا آخر غير الذى تعرفونه ، غريب على زوجتي واولادى ، جديد على زملائي واصحابي . كان لهذا الانسان صورتي فقط دون المحتوى .. المحتوى كان شيئا آخر ، بركان على حافة الانفجار تعتمل في داخله كتل ملتهبة من المشاعر والاحاسيس مر منها وحلو قاس وحنون سطحي وعميق ، هكذا كنت اطوى الدهور بانتظارها . انظر في المفكرة كل يوم لا اكاد اصدق ان الايام تستنفد كل ما في البطء من ثقل حتى تمر .

وجاء يوم استلامها للعمل ، بعد دهر جاء . كان بالنسبة لي يوما خاصا وصلت به الى نهاية مشوار

الانتظار الطويل الذي بدا لي مستحيلا ، ورغم سعادتي وارتياحي لهذا الانجاز العظيم الا انني كنت اشعر بتعاسة بالغة العمق وقلق دفين . احسست بثقل هذه التعاسة وذاك القلق على احشائي الى حد الالم الجسدي المحسوس .

عالم جديد أدخله اليوم وأنامل خفية تشد جميع الاوتار من احساسي ، تشدها الى اقصى حد ، صرت اخاف عليها فيه ان تتقطع ، وكم بلغ بي اليأس الحد الذي تمنيت فيه فعلا ان تتقطع وتنتهي المأساة . لكنه قدري ان اعيش هذه المأساة . ما تمنيت رؤية انسان في الوجود كما تمنيت رؤيتها في تلك الساعة ، لامن أجل الرؤية ذاتها ، ولا من اجلها هي ، بل من اجل كيان رزين عاقل ثابت هزته عاصفة مفاجئة . هذا الكيان لصيق بي واخاف عليه ان يتداعى .

نعم .. تمنيت رؤيتها الى حد البكاء الداخلي الصامت تمنيت رؤيتها ، لعلني بهذه الرؤية انفث بعض السموم التي اصبحت تنهشني من الداخل من اعماق اعماقي .

مرت الساعة ، وبعدها ساعة ، وبعدها اخرى ، ولم تأت .

طلبني الوكيل لامر هام ولاول مرة ـ وما اكثر الاولويات في تجربتي هذه ـ لأول مرة في تاريخي الوظيفي اترك لشخص ما رسالة بانني عائد بعد دقائق .. تركت هذه الرسالة مع النائب ، مع السكرتير ، ومع المستخدم ، واصدقكم القول انني تركت هذه الرسالة مع حائط الممر وكل باب مررت به .

ـ اطلبوا ممن يمكن ان يسأل عني ان ينتظر . سأعود حالا .

كان لقائي بالوكيل اقصر لقاء في تاريخ المهنة ، عدت بعده أحمل وجدي المشتعل الكامن بين اضلعي ، لاواجه به برود وصمت الجدران والابواب وقد انتقل الى النائب والسكرتير والمستخدم .

الله وحده يعلم كيف مر ذلك اليوم الذي نقلني من دائرة الفضول الى دائرة الحيرة .

ماذا اصنع ؟؟؟

هل اسأل عنها ؟؟ لا يجوز ذلك .

هل ازور مكتبها ؟؟ لا علاقة لي بعملها على الاطلاق .. كيف ابرر زيارتي .

لو حدث ، اقول فقط لو حدث وقابلتها ـ ما اصعب الافتراض !!

ماذا يمكنني ان اقول ؟؟ وطفت الثقة بالغة بالنفس على الوجه . قطعا بامكاني ان اقول ألف جملة وجملة .. قبلا ..

كيف وجدت العمل ؟؟ لكنه يومها الاول ، السؤال يبدو سخيفا ، ولأمثالها سيبدو ، سيبدو مضحكا ..

اذن يجب ان انتظر حتى يصبح لسؤالي معنى .

وشعرت بفراغ كبير حولي صحراء قاحلة . وخلا ذهني تماما من أي سؤال يمكن أن أسألها اياه .. لو .. هذا .. لو صح الافتراض والتقيت بها .

كم هو هم كبير ان تبحث في الفراغ عن موضوع . عن سؤال ، عن جملة ، عن كلمة ، عن اي شيء تقوله لها ... فقط من اجل ان تبقى معي دقائق لتقول هي شيئا .. كنت اريد فقط أن أسمعها ، اسمعها تقول شيئا اي شيء .

ـ لله ما اضخم هذه المغالطة !! سماعها فقط .. لا .. كنت اريد ان اراها .. انني اصرخ اعترافا . كنت اريدها ان تراني ، وان تسمعني وان تحس بي احساسي بها .

انقضت ساعات الدوام الرسمي ، وها انذا اضيف بتركي للمكتب في تلك الدقيقة اولوية اخرى . هذا النهار لم اعط نفسي فرصة للتفكير بمسئوليتي ولا حتى بازدحام الشوارع ، ولا بالعادة التي قطعتها على نفسي بترك المكتب بعد ساعة كاملة من انتهاء ساعات العمل اقضيها عادة في مراجعة ما يجب مراجعته بهدوء . كل ذلك تهشم اليوم امام رغبتي في رؤيتها .. ربما اقول لكم .. ربما كنت اول شخص يطوي عتبات الوزارة خارجا ذاك اليوم . لكنها نصف ساعة وتزيد ، المدة التي قضيتها بين الخطوة الاولى والخطوة الاخيرة .

لقد سيطر على حس اجتماعي غريب ، كنت اتحدث مع كل وجه مألوف وابلغه ايضا عتبي لغيابه عني ، وكل وجه قابلني ـ بقدرة قادر ـ كان مألوفا . ونسيت شيئا ، نسيت ان اقدم جزيل شكري لكل من رضي بالحديث معي في تلك اللحظات العاجلة في حياة الموظف اشكره على تعطيلي لعلي اراها خارجة ... عندها سوف استوقفها ، سأقول لها شيئا .. اي شيء ولكن ...

●

ووجدت نفسي ابحث عنها في كل مكان .. في رأسي كنت ابحث عنها . في كل حركة من زوجتي كنت ابحث عنها . في كل تعليق من اولادي كنت ابحث عنها . كنت ابحث عن ابتسامة وبريق عيون . لا اذكر عنها اكثر من ذلك ، ولا اعرف عنها اكثر من حدة لسانها .

لكنني عاشق هذه رحلة البحث عن معشوقته ، وتحولت الى انسان مسالم غريب في استسلامه ، الامر الذي جعلني في دائرة الغمز واللمز من اسرتي الصغيرة الهادئة المستقرة . حتى « اللا » اصبحت تزعجني فلبست ثوب الموافقة على كل طلباتهم ورغباتهم وحركاتهم ، وعاش اولادي متعة الضوء الاخضر .. ولكن الضوء الاحمر اشتعل في احشاء زوجتي . لم تقل كلمة واحدة ولم اقل انا كلمة واحدة لكن كثيرا جدا دار بيننا مما يقال ومما لا يقال ، حتى ارتفع بيننا جدار اسمه هند .

●

وهكذا احتوتني هند ، عصارة نساء الارض ، وتمثلت امالي امرأة تلتحم بي ، اعشقها لدرجة الذوبان ، اعيش من اجلها ، لا اصنع الا ما يرضيها ، ارى الدنيا بعينيها ، بوجودها . اتوه حتى عن ذاتي .

لكن .. اين ذاك الوجود ؟؟ والى متى يظل عبيرا يحوم حولي ؟؟

وانتظرتها ... انتظرتها طويلا فلم تأت وانتظرت الصدفة ان تأتيني بها فلم تأت . وحاولت ان اخلق الف صدفة ولم انجح . كل هذا وانا احترق .

ورحمة بالاضلع الموشكة على التكسر قررت الذهاب اليها الى مكتبها . لم اعد قادرا على الاحتمال ، انني انتحر كل يوم . سأذهب اليها ، سأقول لها كل شيء بصراحة ووضوح واترك الامر لها .

وجمعت احلى ما في عمري ـ وهو قليل ـ حملته بين ذراعي وذهبت اليها . ولدهشتي ، وصلت . لم يكن بابها مغلقا .. لكنني طرقته . برفق شديد .. طرقته . وجاء صوتها ليصعد بالدماء كل دماء جسدي الى اعلى رأسي .

ـ نعم .. تفضل .

واخذت نفسا عميقا لعله يساعدني على الاستجابة لطلبها ودخلت .. لا لا .. اعذروني .. لم ادخل ، فقط اخذت خطوة اخرى الى الداخل وانتظرتها حتى ترفع رأسها

ـ هل اغلق الباب خلفي ، ولو نصف اغلاق . لكنه قدر يصدر صوتا يقلقها . ودار رأسي ودارت بي الدنيا وانا اراها تقف تبرق عيناها للمفاجأة .

تبتسم ـ هذه المرة ـ ابتسامة خاصة . تقف . تفتح لي ذراعيها . تحتضنني .. وتأسف عن عذاب سببته لي . وتتركني ابكي على صدرها كطفل صغير .

●

ورفعت رأسها واعادت جملتها الاولى ـ معكوسة .

تفضل ... نعم

ونظرت في عينيها أستنجد . بها ان يرفعا عني الحرج المخيف الذي احتواني فلم تستجيبا لي .

وتركتني استجيب لدوار شديد جعلني اسقط على اول مقعد واجهني ، ببرود شديد امرتني ان استريح ضغطت على زر .. ما استجاب احد .

رفعت سماعة الهاتف ادارت القرص ثلاث دورات سمعتها تقول : علي : في مكتبي احد المراجعين . اظنه يشعر بدوار ، ارجو حضورك للتفاهم معه حتى الحق بموعد الاجتماع .

وغبت عن الوجود كل الوجود . ■■

الكويت ـ فاطمة حسين

في العيد الوطني التاسع عشر

أصالة الابداع

في الفن الشعبي الكويتي

بقلم : صفوت كمال
لوحات بهجت عثمان



الفنون الشعبية ، هي ترنيمة الحياة التي رددتها الأجيال في كل مكان ، تعلن في تواصل ثقافي حي ، عن قدرة الانسان على اضفاء الجمال في كل ما يحوطه . وتعطي بإبداعاتها الفنية طابعا متميزا لحياة الانسان نفسه داخل مجتمعه ...

فمنذ لحظة الميلاد تحيط مختلف أشكال الابداع الفني الشعبي بحياة الانسان . فيما يقيمه الأهل والأصدقاء من احتفالات احتفاء بالمولود الجديد .. وحينما تحتضن الام وليدها وتهدهده وترقصه ، وتدلله وتعبر بأهازيجها عن حنانها وحبها ، بعبارات توارثتها من جداتها مثل ـ

« لولواه لولوه ... يه لولواه لولوه
يا ملا عيني لولو
يا بعد كبدي وقلبي لولو »

كما ترجو له نوما هانئا بعيدا عن أي ازعاج فتغني له أغنيات تثير في إحساساته ومشاعره ، الأمن والهدوء :

« نام نومة الهنية .. نومة الغزلان في البرية »

كما تبشره بأنه إذا نام مبكرا سوف يأتي اليه الغزال ويسقيه حليبا .

« لما تنام بدري يجيك الغزال يسقيك حليب »

وكلما تخطى الانسان مرحلة من مراحل النمو في الحياة .. أو اكتسب خبرة جديدة تقام له الاحتفالات العائلية والشعبية داخل البيت او خارجه .

وفي الكويت قديما ، قبل أن تنتشر المدارس ويؤخذ بأساليب التعليم الحديثة ، كان يقام احتفال ـ للصبي ـ أو الفتاة ـ اذا أتم الصبي قراءة القرآن قراءة كاملة صحيحة وحفظ معظم سوره . فيقام للولد « خاتم القرآن » أو للفتاة « خاتمة القرآن » احتفال كبير تتلى فيه التحميدة . وهي قصيدة دينية تعبر عن حمد الله وشكره .

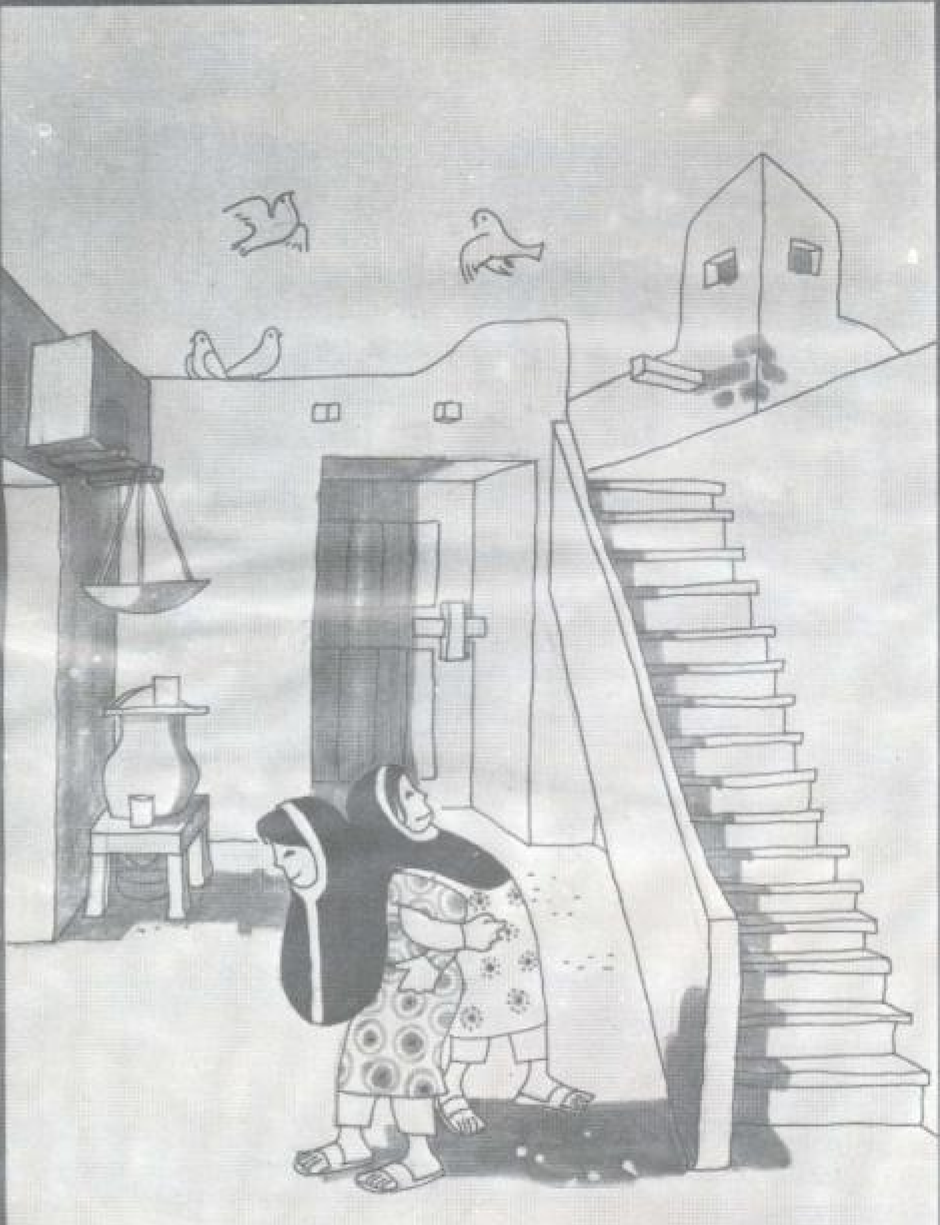
يوم الختمة

وفي هذا الاحتفال « يوم الختمة » يرتدي الصبي العباءة الموشاة بالزري الذهبي ويضع الغترة والعقال على رأسه ويحمل سيفا ذهبيا في يده ومسباحا ، وينتعل النعال النجدية المطرزة فيبدو وكأنه عروس في ليلة زفافه .. وقد يزف على حصان مغطى بقماش ملون ، وتتدلى منه « كراكيش » جيلة من الصوف الملون تتدلى من « الرشمة » ويزين أيضا بالودع .

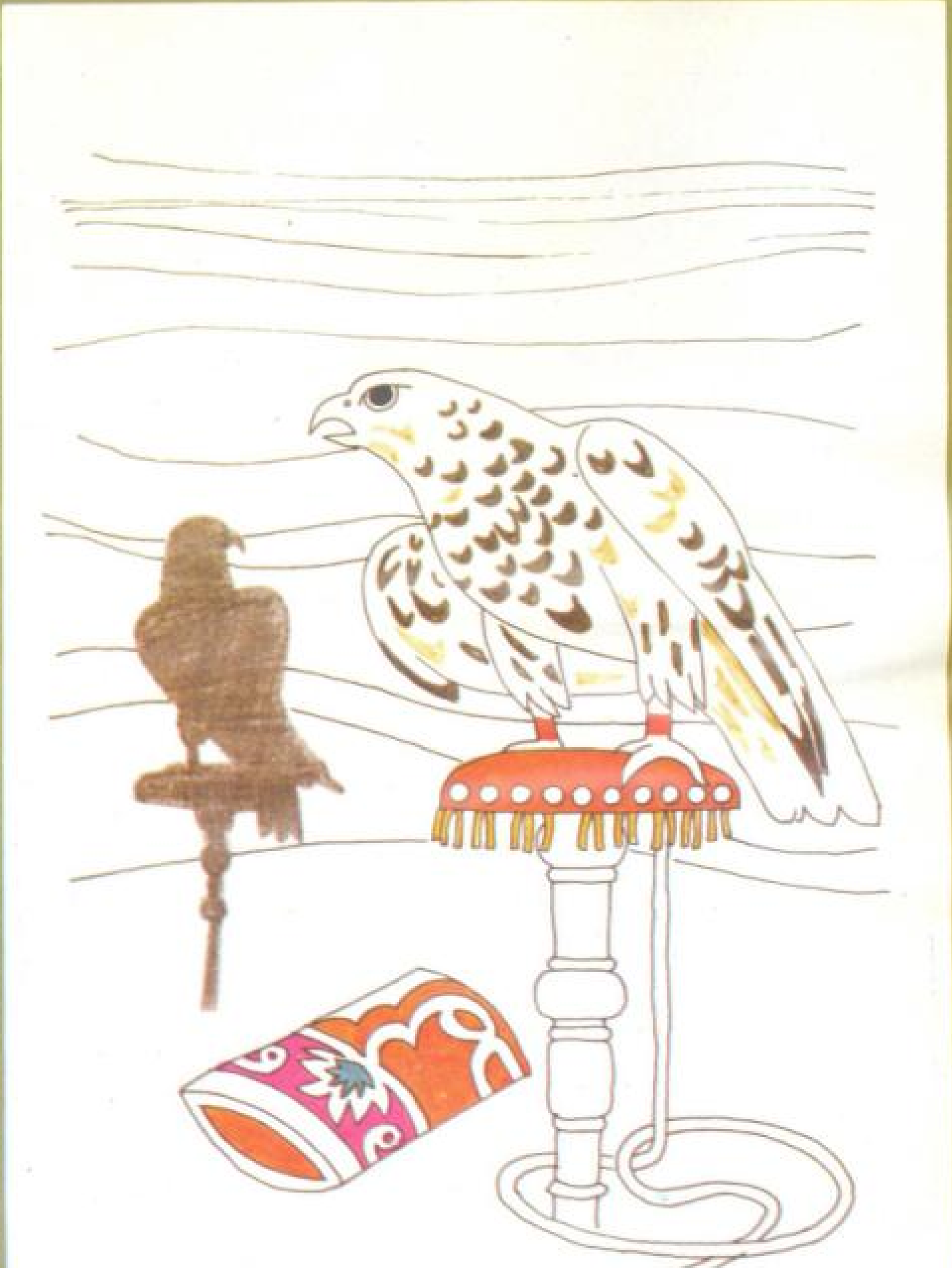
أما الفتاة فقد كانت تزف أيضا كعروس ولكن في نطاق محدود ـ فترتدي ملابس مطرزة بالزري الذهبي ، تماثل تلك التي ترتديها العروس في ليلة زفافها ـ فترتدي الدراعة المطرزة بالزري وعليها الثوب الحريري الشفاف المطرز أيضا بالزري الذهبي .. وتزين بالحلي الذهبية من هامة أو « قبقب » على الرأس . ومن الرأس الى الكتفين تتدلى « الجتبات » والتلول « والسروح » وتزين الاذنان بالأقراط « التراجي » وعلى الصدر العقود من « مرتهس » أو سلول « وبقمة » من الذهب الخالص أو مطعمة باللؤلؤ وتسمى « بقمة مقشة » وعلى الرقبة « المرتط » ومنه ما يطعم بالاحجار الكريمة ومنقوش بالحفر البارز والغائر وفي الأذرع المعاضد ، من أساور وخويصات » ، كما تخضب الكفوف بالحناء والكفوف الذهبية ، وتحلى الأصابع بالخواتم من مرامي « وخناصر » ... وفي الرجل الحجول الذهبية ... وكلها من قطع الحلي التي تتزين بها العروس ...

واذا كان أهل الفتاة لا يملكون تلك الحلي فانهم يستعيرونها من الأهل والأقارب . بل كان الاصدقاء والجيران يعيرون أهل الفتاة هذه الحلي دون انتظار طلبها منهم .

وفي هذا الاحتفال توزع الحلوى والشراب » ... وتقدم الهدايا للفتى أو الفتاة « وللملا » أو « المطوع » أو « المطوعة » ، ممن قاموا على تعليم الولد أو الفتاة القرآن ، وقواعد اللغة العربية وتحسين الخط وبعض قواعد الحساب من جمع وطرح وضرب وقسمة وحساب



● من العاب الفتيات .. لعبة : « طبق حناء وطبق ماش » .



● القنص بالصقور المدربة .. هواية شائعة بين ابناء الكويت في موسم الربيع



الغوص ... فللغوص قواعده الحسابية الخاصة .

وفي أثناء الزفة والاحتفال بخاتم القرآن ينشد رفاق الصبي « قصيدة التحمدة »

ومن أبيات هذه القصيدة :

« الحمد لله الذي محمدا
حمدا كثيرا ليس يحصي عددا
سبحانه من خالق سبحانا
بفضله علمنا القرآنا »

وتستمر القصيدة تتغنى بحمد الله والثناء على المعلم والوالدين ...

« علمني معلمي ما قصرا ...
ردني في درسه وكررا ...
اني تعلمت كتابا أكبرا ...
حتى قرأت مثله كما قرا ...

ومنها أيضا :ـ

« جزاك الله يا والدي الجنانا
وشيد الله لك البنيانا
الجد والجدة لا تنساهما
فعند ربي جزاهما ...

خبرة ثقافية :

ـ هذا الاحتفال له اهميته الفولكلورية باعتبار أن المجتمع كان ينظر الى التعليم كمرحلة ثقافية ضمن مراحل دورة الحياة التي يحتفي بها ...

مرحلة من مراحل الحياة ، مثلها في ذلك ، مثل مرحلة بدء المشاركة في الحياة العملية ، حينما يركب الصبي السفينة أول مرة ، ويذهب للغوص مع والده أو أحد أقاربه ليعمل (تُبابا) على السفينة . فيتعلم فنون العمل البحري والغوص ويساعد في أداء بعض الاعمال الخفيفة على السفينة ...

فالاطفال منذ نشأتهم يتطلعون إلى البحر ورحلات السفر والغوص ... وينصتون في شغف واهتمام الى حكايات الأجداد والآباء عن مغامراتهم وقصصهم عن عالم البحر وغرائبه وعجائبه .

كما يتسلى الاطفال بل الشبان أيضا بعمل نماذج من السفن الصغيرة تسمى العداديل يطلقونها في البحر بالقرب من الشاطيء ..

ويتخيلون أنفسهم في السفن الكبيرة وسط البحر الكبير مع الموج العالي ...

ولقد لعب البحر دورا كبيرا في حياة المجتمع الكويتي ، قبل أن يتفجر النفط على أرضه وتبدأ حركة النهضة العمرانية الحديثة . وتتغير أشكال الحياة الاجتماعية .

فلقد كان البحر مصدرا اساسيا من مصادر الدخل القومي .. سواء في رحلات الغوص بحثا عن محار اللؤلؤ الكامن في أعماق الخليج ... أم في رحلات السفر للتجارة بين بلدان الخليج وسواحل افريقيا الى الهند .. رحلتان : رحلة الصيف للغوص ، ورحلة في الشتاء للسفر والتجارة ...

وعبر رحلات الغوص والسفر .. صاحبت الأغاني والايقاعات الموسيقية كل مرحلة من مراحل العمل على السفينة .. بل منذ لحظة البدء في صناعة السفينة نفسها . ثم انزال السفينة الى البحر على ايقاعات « السنجني » ، كما تتردد الأغاني خلال عمليات سحب السفينة الى الماء .. أو التجديف ورفع الشراع الى العودة في « القفال » عند انتهاء موسم الغوص . حينما تعود سفن الغوص كلها معا الى الكويت تعلو إيقاعات أغاني « العرضة البحرية » احتفالا بالعودة ، وتعبيرا عن فرحة لقاء الاهل والاصدقاء . ومن الأغاني التي تصاحب العمل على السفينة وما زال يرددها للآن النهامون والبحارة الموال الزهيري الذي يقول : ـ

« ودعتكم بالسلامة ياضُوى عيني
وخلافكم ما غمض جفني على عيني
واعدتني بالوعد لمن جفت عيني
ظليت يا سيدي جسم بليا روح
جد فر مني العقل وظل الجسم مطروح
كل العرب هودت وأنا شقي الروح
يا نور عيني مثل ما أراعيك راعيني »

والنهام هو مطرب السفينة الذي يحفظ الاغاني القديمة ويرددها ، وهو أحد المشاركين في العمل على السفينة أيضا في الغوص أو في غير ذلك من اعمال البحارة ...

وأغاني النهام تبدد عناء العمل كما تثير حماس العاملين للعمل وتخفف عنهم احاسيس الشوق للأهل والأصدقاء .

حكايات وأمثال :

فحياة البحر حياة عمل ومثابرة .. والحكايات الشعبية التي تروى عن حياة البحر تتضمن كثيرا من صور ومغامرات البحارة وما يتخيلونه أحيانا من كائنات غريبة وعرائس بحر نصفها نصف فتاة حسناء والنصف الآخر نصف سمكة .

كما تتضمن قصص البحر « حزاوى البحر » مواقف درامية تؤكد قدرة الانسان على مواجهة المشاق وتمجد ارادة الانسان في الانتصار على قوى الطبيعة .

فحياة البحر حياة تموج بالعمل والصبر وتعطي للفكر الانساني مجالات فسيحة من التأمل وتعلم الانسان قيم الحياة من تكامل اجتماعي وإخاء .. فالسفينة لا تسير الا بجهد الجماعة المتآلفة .. الموج نفسه لا وجود فيه لموجة واحدة دون غيرها من موجات .. والتكامل الواعي في العمل هو أساس مسيرة الحَيَاة . أما التنافر فلا يحقق شيئا .. مثل ما يقول المثل الكويتي : « واحد يهَلّس وحد يدّور » أي أن أحدهما يجدف لتسير المركب الى الخلف والآخر يدور أن يجدف لتسير المركب الى الامام .



وكذلك « من طمع طبع » « فمن يطمع في اكثر من رزقه يغرق ... » .

أما من طلب العلا سهر الليالي .. مثل : « اللي يطلب العالي يصبر على الراش » أي ان من يتجه نحو الموج العالي ، عليه ان يصبر على رذاذ الماء ...

وعلى الانسان ان يتدبر امره قبل أن يقدم عليه .. حتى لا يكون مثل « من لاَ يقيس قبل يغيص ، لا ينفع القيس عقب الغرق »

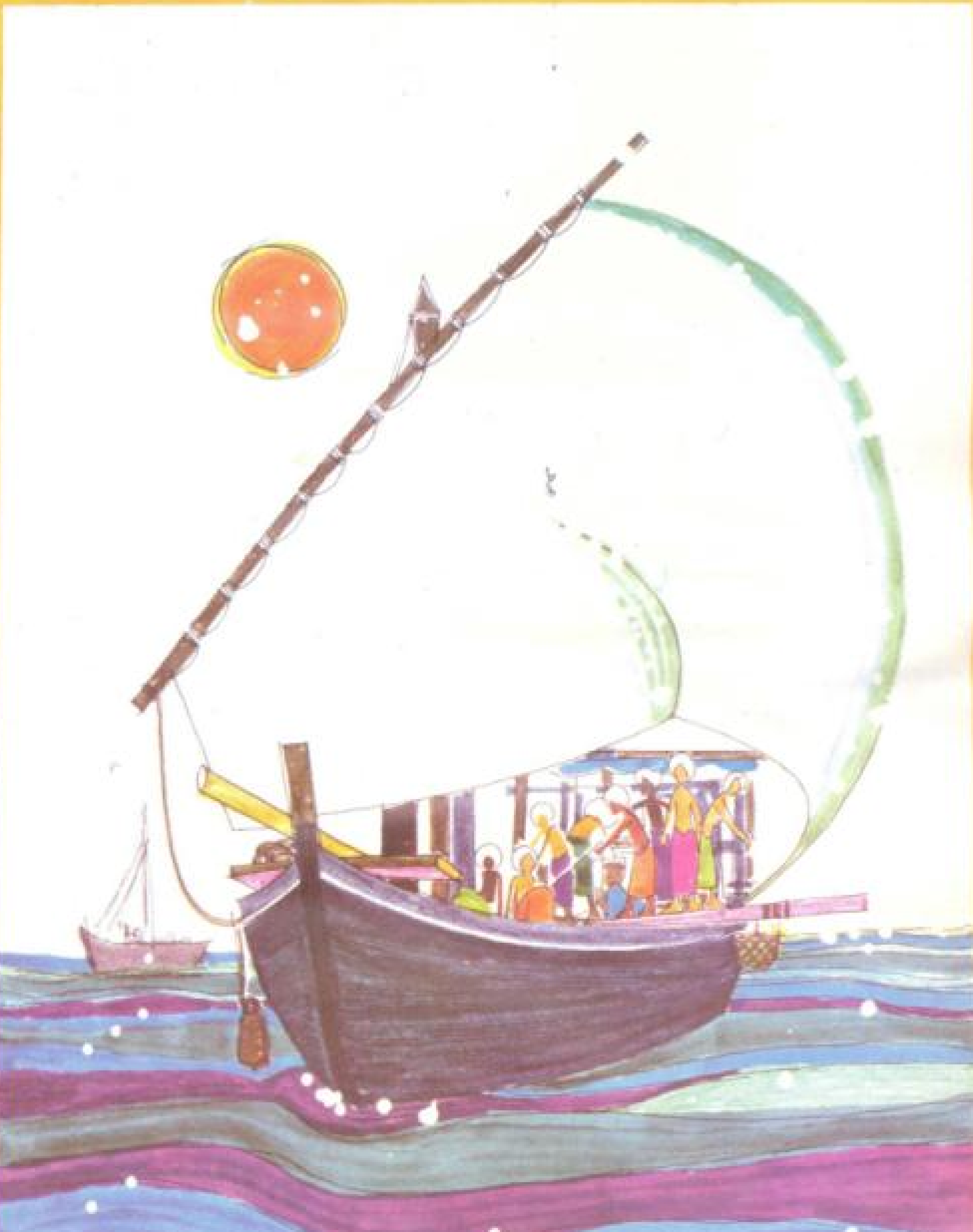
وكما تضرب الامثال من واقع خبرة الانسان في حياة البحر نجد الالغاز تصاغ أيضا مستخدمة رموزها من واقع البيئة ، ومعايشة الانسان للبحر . فيقال : ـ « سمكة في الماء والماء حاويها ، سبحان رب خلاها ، اسم العظم ما فيها » .. واجابة هذا اللغز ، هي اللسان ....

أما اللغز الذى يسأل عن شيء يكون : « ظهره اسود وبطنه أبيض » أو « الظهر أملح والبطن أبيض » فهو يسأل عن المحارة .

وتتعدد وتتنوع الألغاز التي تتناول مسميات من واقع البيئة أو من الظاهرات الكونية ، تعبر بايجازها وبلاغتها اللغوية عن قدرة الملاحظة لمكونات البيئة الطبيعية . وكذلك عن المهارة اللغوية للملغز ، في استخدام الجناس والتورية والطباق .. مثل اللغز الذى يسأل عن الشمس فيقول الملغز : ـ « طاسة على طاسة في البحر ركّاسه » اما اللغز الذى يشابهه في الصياغة ويقول : ـ « طاسة على طاسة من جوا لولي ومن بره نحاسه » . فهو عن الرمان .. فقشرة الرمان بدورها من الداخل مثل حبات اللؤلؤ الزهرى ، الذى لونه أبيض مشرب بحمرة ، وهو من أجود انواع اللؤلؤ .. أما قشرتها من الخارج فلونها مثل لون النحاس الاحمر ...

والالغاز بصفة عامة ـ تشكل جانبا هاما من جوانب الادب الشعبي . وهى أيضا لطيفة أدبية كما يقول الحريرى : ـ

« اعلموا ياذوى الشمائل الادبية ، والشمول الذهبية ، ان وضع الاحجية لامتحان الالمعية ،



● رحلة صيد

● ثوب كويتي تقليدي مطرز بالزري



واستخراج الخبية الخفية ، وشرطها ان تكون مماثلة حقيقية ، وألفاظا معنوية ، ولطيفة أدبية ، فمتى نافت هذا النمط ، ضاهت السقط ، ولم تدخل السفط » . (المقامة ٣٦) .

ومن الالغاز الكويتية التي تتوافق مع شرط الحريري ، اللغز الذي يسأل عن بعض ظواهر الكون ـ وهو من الالغاز التي أثارت انتباهي ، من بين عشرات الالغاز الكويتية التي قمت بجمعها ـ ... نظرا لما يحمل من رموز أسطورية عن الشمس والقمر .. يقول اللغز ... : ـ

ابغلتنا الكبيرة ... يا زواها الكثيرة

نوخذها المكركش ... وبنتها الصغيرة

فالابغلة هي نوع من انواع السفن الكويتية القديمة الكبيرة ، التي تتميز بزخارفها من الحفر البارز والغائر ، مثل تلك النقوش الزخرفية التي نراها على واجهات البيوت والأبواب الخشبية القديمة ... « واليزوة » .. هم بحارة السفينة . وعادة يكون بحارة الابغلة اكثر عددا من غيرهم ... « والنوخذا » .. هو قبطان السفينة وربانها ...

واللغز يسأل .. عن السماء ، (الابغلة الكبيرة) ، والشمس « نوخذها » والقمر بنتها الصغيرة » .

أنغام وإيقاعات :

وكما عبر الانسان عن تناغمه مع الحياة بالكلمة داخل أغنية او حكاية ، أو مثل سائر أو لغز محير ، عبر أيضا عن مشاعره وإحساساته وصور إدراكه الفكرى ، بلحن يعزفه على الصرناي او الرباب ، أومن خلال الايقاعات البسيطة والمركبة ، التي يعزفها على الدف والطار ذى « البراشيم » ، وعلى الطبل الكبير والطبل النصيفي ، في إيقاعات ثرية متميزة تظهر في فنون الرقص الشعبي ، من عرضة برية أو بحرية او من رقصة القريسني ، وفنون الزفن والرقص التي تصاحب غناء فنون الصوت التقليدى ، والمواويل الزهيرى ، وغير ذلك من فنون السامرى « والخمارى » وغيرها من فنون الغناء ، التي تؤدى في المناسبات العائلية أو القومية وكذلك مما يؤدى في المناسبات الدينية مثل الاحتفاء بقدوم شهر رمضان المبارك ، أو في الاعياد . وكلها أشكال من الابداع الفني يضفي بها الانسان على حياته طابعا فنيا خاصا يزيد من بهجة الحياة .

كما تتداخل الالعاب واللعبات الشعبية مع المهارات الفنية للشباب والفتيات في ازجاء أوقات الفراغ . كما تمضي النساء في شغل أوقات فراغهن ، في عمل قطع السجاد الملون ، أو غير ذلك من أدوات نفعية يحتاجها البيت ، أو تطريز الثياب بالزرى الذهبي التى تقتبس اشكال وحداتها الزخرفية من مظاهر الطبيعة . فيطرز « الثوب المنثور » ، بوحدات زخرفية منثورة على الثوب كما تنتثر النجوم في السماء .. أو على الصدر والجانبين ليكون ثوبا مسرحا بالزرى .. وغير ذلك من اشكال ومسميات تضفي على الثوب جمالا فنيا خاصا . وكما يقول الشاعر الشعبي عبد الله الفرج .... : ـ

« عليهن من الوشى المطرز ملابس
من الريش بوصافه تحير البصاير »

وتظهر مختلف اشكال الاثواب المطرزه بالزرى ، مع قطع الحلى وأدوات الزينة في اكمل شكل فني ، خلال حفلات الزواج بصفة خاصة . بل تتجمع ـ في مناسبة الزواج والاحتفاء بالعروسين ـ بمختلف أنماط الابداع الشعبي : من عادات وتقاليد ، وممارسات طقوسية ، وفنون الادب الشعبي ، والغناء والرقص والموسيقى ، وغير ذلك من أنماط الابداع الفني التشكيلي ، وتزيين غرفة العروس « بالرمامين » و « اللياعيات » ، والمباخر ومراش العطور ، لتعبر كلها معا عن احساس الانسان بالجمال والتعبير عنه . فيتحول كل ما هو نفعي الى شيء له قيمة جمالية خاصة .

فالفنون الشعبية ، ببساطتها وتلقائيتها .. وتنوعها وتعددها هي تعبير مباشر عن خبرة الانسان الثقافية في صنع الحياة على أرضه .. بما تتضمنه هذه الخبرة الثقافية من موروث حضارى ومأثور شائع بين الناس جميعا ....

والفنون الشعبية بأصالتها وجمالها التلقائي ستظل دائما مصدر الهام فني لكل فنان يبحث عن الأصالة في ابداعه المعاصر . .... ■■

الكويت ـ صفوت كمال

مقالات في كلمات

■ حتى الجياد الجامحة لا تستطيع ان تنتزع سرا من قلب المرأة اذا أحبت .. ولكن اين هي المرأة التي تقبل تناول طعام الغداء مع جواد جامح !

« ايفرن بويت »

■ كوكب الشمس الهائل بكل ما يدور حوله من كواكب اخرى ، لا ينسى ان هناك ثمارا فوق الشجر لم تنضج بعد ، وكأن هذا الكوكب العظيم ليس لديه شيء آخر يفعله في هذا الكون الفسيح !

« جاليليو »

■ الايام التي تجعلنا سعداء ، تجعلنا ايضا اكثر حكمة !

« جون ماسنيلد »

■ القمر .. ما القمر ؟ يقول الشعراء : ليتهم تركوه حيث كان ! « ويقول العلماء : » انه لم يعد اكثر من مجرد مطار جديد ! »

« ؟ »

■ رجل بلا صبر ، مصباح نفد زيته !

« أندريه سيجوفيا »

■ لكي يصبح الرجل شاعرا ، فلا بد ان يكون قد وقع في حب امرأة جميلة او ان يكون بائسا تعسا !

« لورد بايرون »

■ سوف اتمسك بالقانون ، بروحه ونصه ، حتى لو لم يكن هناك من سبب يدفعني الى ذلك سوى حماية نفسي !

« سير توماس مور »

■ شيء مؤسف ولكنها الحقيقة ، فنحن ندعو الى التمسك بالمثل العليا امام الناس ، ولكننا نجد صعوبة كبيرة في ان نطبق ما ندعو اليه في حياتنا الخاصة !

« توماس كارليل »

« العربي » بطائرة هيلوكبتر فوق المضيق

مضيق



هل يصبح بوابة الحرب العالمية الثالثة ؟

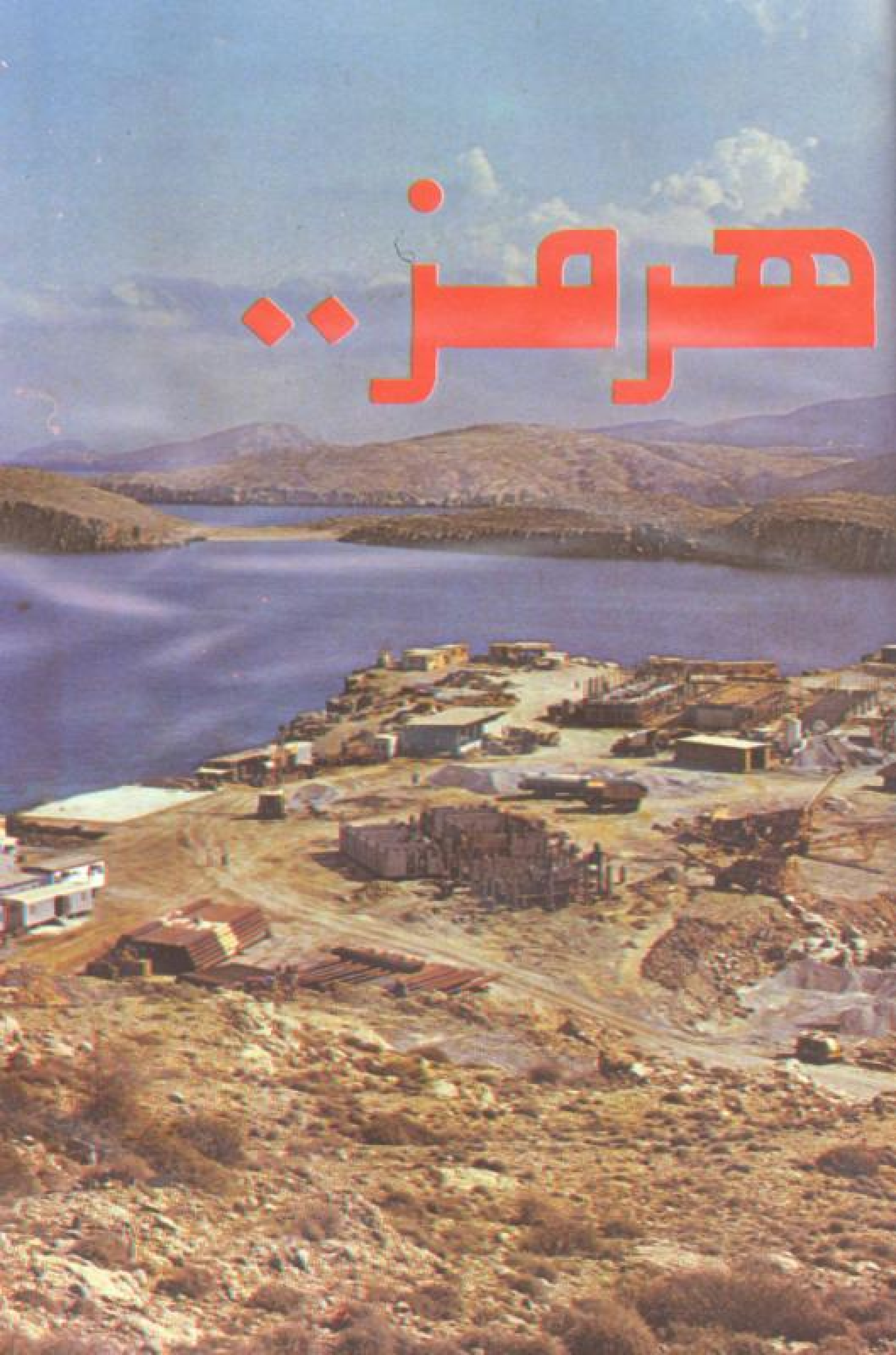
تصوير : اوسكار متري

استطلاع : مصطفى نبيل

جزيرة الغنايم الواقعة وسط مضيق هرمز ، والقاعدة العسكرية التي يجري العمل بها لتحمي الممر الاستراتيجي ، وستضم القاعدة اعقد واحدث الرادارات واجهزة الاتصال (الى اليسار)

وشريط خصب أمام القلعة التي تطل على المضيق ، وتظهر الجبال والمياه وشجر البخور . (الى اسفل)




هرمز

هذا هو « مضيق هرمز » بوابة الخليج العربي ، بل بوابة الحرب العالمية الثالثة ، اذا قدر لهذه الحرب ان تقوم . هذا هو منفذ النفط الى العالم الخارجي ، وشريان الحياة للعالم الصناعي بوجه خاص . اذ تعبره كل ثماني دقائق ناقلة او باخرة ، ويقدر مجموع ما تحمله هذه الناقلات بـ ١٩ مليون برميل يوميا ، ويمر منه ما يزيد على نصف احتياجات اوروبا الغربية من النفط الخام ، وتشحن دول الخليج منه ثلثي انتاجها من النفط .. اخيرا ، هذا هو الممر الذي ترصده استراتيجيات الدول الكبرى ، وتشير اليه بضوء أحمر على الدوام .

حلقت بعثة « العربي » بطائرة هليوكوبتر فوق المضيق وعلى شواطئه ثم الساحل الممتد من المضيق حتى ميناء « جبل علي » في دولة الامارات .

وتنقلنا بين عدة محطات كان لنا في كل منها وقفة . « خصب » عاصمة « مسندم » البلدة المتقدمة على المضيق ، وجزيرة « سلامه » التي يقوم عليه الفنار ، وتنظم حركة الملاحة في المضيق ، ثم القاعدة الحربية في جزيرة « الغنم » التي تجهز لتحمي بوابة الخليج ، وانتهت جولتنا بزيارة قرية « كمزار » التي تطل على المضيق ، ثم انتقلنا الى دولة الامارات لنقدم هذا التحقيق ..

الى مسندم

في صباح يوم صحو توجهنا الى مطار السيب الحربي ، قاصدين « مضيق هرمز » ، يصحبنا احد الضباط في القوات البرية وآخر عن القوات البحرية العمانية ، ومن المطار أخذنا طائرة حربية من طراز سكاي فان Skyvan البريطانية لتنقلنا الى مطار « خصب » ، اقرب مطار للمضيق وخصب هي عاصمة راس مسندم . الطائرة صغيرة وتحمل ١٦ مقعدا ، ولها ميزة انها لا تحتاج الى مهبط طويل خلال هبوطها واقلاعها وتصلح للمناطق الجبلية مثل راس مسندم ..

لا تكاد الطائرة ترتفع متثاقلة حتى تتجه الى الشمال الغربي على طول صحراء « البطنية » . لقد بدأت رحلة مشحونة بالاثارة وغنية بالمشاهد ، اول ما تلحظه الصراع الحاد بين اللونين الاصفر والاخضر ، بين الصحراء والواحة ، يتوزع اللون الاخضر من بقع النخيل التي تقطع بين وقت وآخر اللون الاصفر اللانهائي . الرحلة درس نافع في الطبوغرافيا . وهي تلقي الضوء على العلاقات الاستراتيجية في المنطقة ، ومن الطائرة أدرك مغزى قول الدكتور جمال حمدان .. « ان الجزيرة العربية مثل قطعة قماش حواشيها من الذهب ، يتوزع العمران على الهوامش والسواحل تاركا القلب الجغرافي ، وكل من المحاور تغلفه شرنقة سميكة من الصحاري .. »

اتخذت الطائرة مسارها على ساحل خليج عمان ، اشاهد خطا متقطعا من الواحات الساحلية تصل الصحراء فيما بينها الى سيف البحر ، وهي اقرب الى قرى الصيد منها الى موانيء المدن ..

ولا تلبث ان ترى امارة الفجيرة التابعة لدولة الامارات العربية ، بعلاماتها المميزة ، تحرسها القلعة القديمة ، وبعد الفجيرة تظهر علامات خور فكان ، ويظهر قصر حاكم الشارقة فوق ربوة عالية ، والميناء الجديد الذي يستقبل الحاويات وتخرج البواخر منه محملة الى البحار المفتوحة .

وارى كيف تفصل دولة الامارات العربية عمان وتقطعها الى قسمين منفصلين تزيد من عزلة شبه جزيرة مسندم .. والتي تظهر في الافق بجبالها القاسية الموحشة ، وتتكون من ساحل صخري يصل ارتفاع بعض جباله الى ما يزيد عن خمسة الاف قدم ، ويغلب على المنطقة بجبالها وصخورها وسحابها اللون الداكن ، ويتحول الطيران الى رحلة مخيفة ، عندما تطير الطائرة في محاذاة الجبال التي تبدو وكأنها حائط اصم تعلوه الرماح المدببة ..

عاشت شبه جزيرة مسندم طويلا معزولة عن



خريطة لموقع عمان ومضيق هرمز ، والجزر المتناثرة فيه ، والمسارات والمسالك التي تخترق المضيق

العالم ، وخارج العصر الذي نعيش فيه ، فلا يمكن الوصول اليها إلا عن طريق الجو او البحر ، هذا مع انها مركز الحراسة الأمامي لمضيق هرمز ..

وبعد حوالي ساعة ونصف الساعة في الطائرة تتوالى خلالها المشاهد المثيرة والمتغيرة التي نمر فوقها ، وصلنا الى مطار « خصب » ، الذي يقع بين جبلين ، ويمر في اتجاه البحر ليكون على هيئة راس مثلث قاعدته الساحل ، وهو موضع حصين تغلفه ـ دون ان تغلقه ـ الجبال .

تهبط الطائرة الى ارض المطار الذي لا يميز مهبطه سوى بعض براميل النفط المرصوصة ، وقد تحول فجأة الى مطار استراتيجي هام ، بعد عاصفة التوتر التي احاطت بمضيق هرمز ، فهو لا يبعد اكثر من خمسة كيلو مترات ، واقل من عشر دقائق بالطائرة الهليوكوبتر ، عن جزيرة « سلامة » داخل المضيق ، واصبحت « خصب » بمنزلة « جبل طارق » الخليج العربي ، « وعدن » باب المندب ، وهي بحق الوريثة الشرعية لامبراطورية بحرية تقلصت ، وهذا يفسر استماتة بريطانيا من أجلها ..

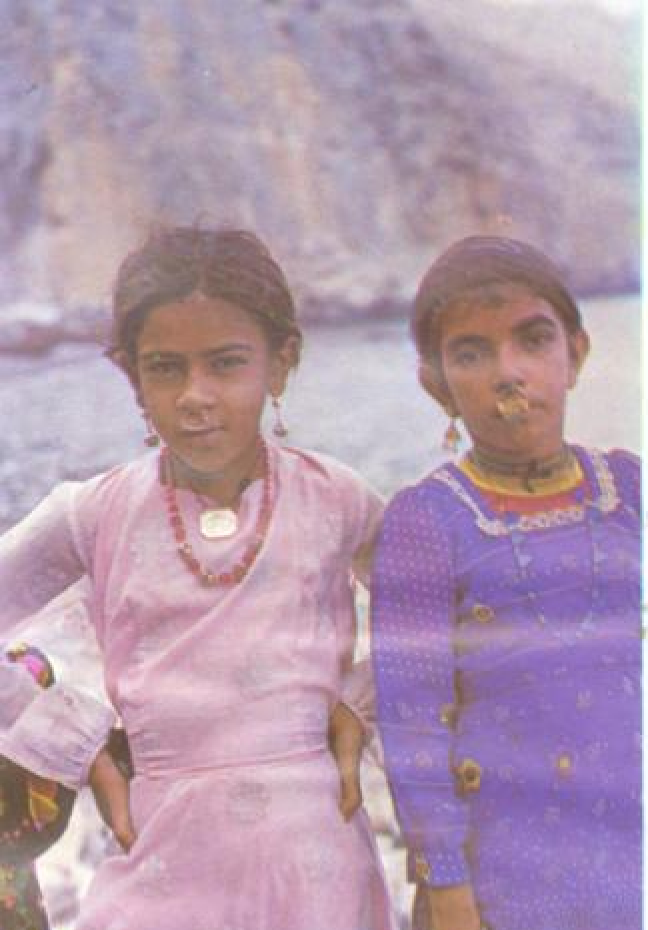
استقبلنا بحفاوة الضباط في مقر قيادة القوات المنوط بها حفظ امن مضيق هرمز ، عسى ان يخرج الزوار الضباط والجنود عن الرتابة التي يعيشونها ، ويصادفون يوما مغايرا ، وعادة يمضون اليوم في صيد سمك القرش ولعب الورق والشطرنج ، فالايام تمر بطيئة متثاقلة ، وتتشكل هذه القوة المقاتلة من كتيبة مؤلفة من ١٣٠ شخصا ، ومن طائرة هليوكوبتر وطائرة نقل صغيرة ، واضاف الضابط البحري الذي رافقنا .. « ان عمان تمتلك سبعة زوارق دورية لمراقبة ساحلها الذي يبلغ طوله ألف ميل ، وقد انتقلت هذه الزوارق الى شبه جزيرة مسندم ، وليس لديها قاعدة امدادات بحرية قريبة ، وهذه القاعدة في دور الاعداد .. »

هذا ويشرف على حركة « مطار خصب » الميجر « هولداي » وهو ضابط بريطاني متقاعد يعمل في عمان ..

مدفع برتغالي قديم لا يزال بين ايدي شرطة عمان . (الى اسفل) .. ولقطة من الجو لجزيرة سلامة مفتاح المضيق ، ويظهر فوقها الفنار الذي ينظم حركة الملاحة . (الى اليسار اسفل)



فتاتان من قرية كمزار في كامل
زينتها ، ويضعن الاقراط في أنفهن .







خصب الجديدة

وخصب التي قمت بجولة سريعة فيها وكانت تتكون من بضعة اكواخ ، ويعيش اهلها على السمك والتمر ، وتحولت الى بلدة يتركز حولها اهتمام العالم ، بدأت بزيارة الوالي في مقره في قلعة قديمة تطل على البحر ، وامام القلعة مدفع برتغالي قديم ، قيل انه احضر من جزيرة هرمز على الشاطىء الايراني ، وحوله بعض الجنود العمانيين بملابسهم التقليدية ، والخناجر العمانية في خصورهم ، وحولهم شجر البخور الذي ينمو تلقائيا .. « ليس لدينا احصاء رسمي بعدد السكان في مسندم ، والذي يعرف طبيعة المنطقة يدرك طبيعة الصعوبة التي تواجهها ، فالانتقال بين قريتين قريبتين تقطعها الجبال والوديان لا يتم الا عن طريق البحر ، كما ان بعض السكان يعيشون في رؤوس الجبال ، وعدد آخر يعمل في راس الخيمة ودبا ، وتشق الطرق الان لتربط بين قرى مسندم ، ويقوم الجيش بشق طريق بين خصب والبيعة ، وعلى اية حال فالتقديرات التي لدينا تصل بعدد السكان الى ما بين ١٥ الفا و ١٧ الفا . هذا ما قاله لمجلة العربي « الوالي » سلطان بن حمد السحار ..

وها هي اخيرا حكومة مسقط تبدأ الاهتمام بتلك المنطقة وبلدة « خصب » التي لا تظهر الا في الاطالس الجغرافية الدقيقة !

وزرت مدرسة « خولة بنت الازور » الاعدادية للبنات ، وانه شيء يدعو للتقدير ان تجد في هذا المكان مدرسة للبنات ومدرسات عربيات من مصر جئن لنشر المعرفة في ظروف بالغة الصعوبة ، بعد ان بدأت خصب تشهد معالم التغيير ، واقامة الجسور مع بقية الوطن .

ومن ابرز المؤشرات الواعدة اقامة لجنة بصلاحيات كاملة ، اطلق عليها اسم « لجنة تطوير مسندم » ، وتقوم هذه اللجنة بالتخطيط والاشراف على تطوير المنطقة ، وأنشاء محافظة مسندم التي مركزها خصب ، والتي يتبعها البيعة وبخا وكمزار وليمة ، وامام هذه اللجنة مشروعات عديدة ، اهمها ، مشروع بناء ميناء جديد في « خصب » ، لربط مسندم بكافة موانىء الخليج ، ومشروع آخر يربط خصب ببقية اراضي عمان بريا ، واكمال الطريق الممتد من مسقط حتى خصب ، وإكمال الطريق الذي يشق دولة الامارات ليصل حتى اقصى نقطة في مسندم ، وهو مشروع تواجهه صعوبات كبيرة اذ يقطع منطقة جبال ويمر عبر وديان ويتكلف مبالغ طائلة . ومشروع ثالث يربط تلك القرى القريبة بعضها من بعض ، وفي نفس الوقت زيادة عدد الناقلات البحرية Landing craft من ثلاث الى ست قطع ، تنقل المواد الغذائية والوقود والمياه الى هذه القرى ، كما تنقل السكان من قرية الى اخرى ، ومشروع آخر لاقامة محطة ترتبط بالقمر الصناعي لدعم الاتصالات السلكية واللاسلكية ، ويساعد على وصول البث التلفزيوني الى مسندم ..

واخيرا .. تطوير المطارات الصغيرة القائمة مثل مطار خصب والبيعة وبخا ، والتي تصلها حاليا طائرات السكاي فان والتي ستصبح قادرة على استقبال طائرات الفوكر ..

ويكمل الشيخ حمود الحارثي وزير الكهرباء ورئيس هذه اللجنة حديثه قائلا : « لم يوجد في الماضي اي خدمات للبواخر والناقلات التي تمر بالمضيق ، وبعد اقامة الميناء الجديد ، ستبدأ حركة تعامل بين البواخر والناقلات التي تعبر الممر المائي ومنطقة مسندم ، عندما يقدم الميناء خدمات مثل اعادة تموين البواخر بالوقود ، كما سينشأ مركز لوقاية البيئة البحرية من التلوث ، ويتطور هذا الميناء ليصبح نقطة انطلاق مناسبة تتوجه بعدها الناقلات من المضيق الى البحر المفتوح ، بحر العرب والمحيط الهندي وبالفعل هذه المشاريع لها قيمة كبيرة اقتصادية واجتماعية وترتبط ايضا بأمن الخليج ، الا يجدر بدول الخليج ان تدعم هذه المشاريع لكي تستكمل في اسرع وقت ممكن ؟؟

فوق المضيق

وجاءت اللحظة الحاسمة في الجولة عندما كنت على موعد مع الطائرة الهليوكوبتر التي ستحلق في جولة فوق مسندم وتشرف على المضيق ، والجزر المتناثرة والقرى على سفوح الجبال ..



جزيرة داس من الجو . تلاحظ ابار البترول واضحة في الصورة .

الطائرة : هليوكوبتر ايطالية الصنع من طراز جوستابل .

والطيار اسمه الكابتن بيتر هيتشكوك ، وليس له علاقة بافلام هيتشكوك المشهورة . وهو الذي يقوم باعمال الدورية فوق الساحل ، ويقوم بتزويد مراكز المراقبة المعزولة على قمم التلال بما تحتاج اليه من امدادات .

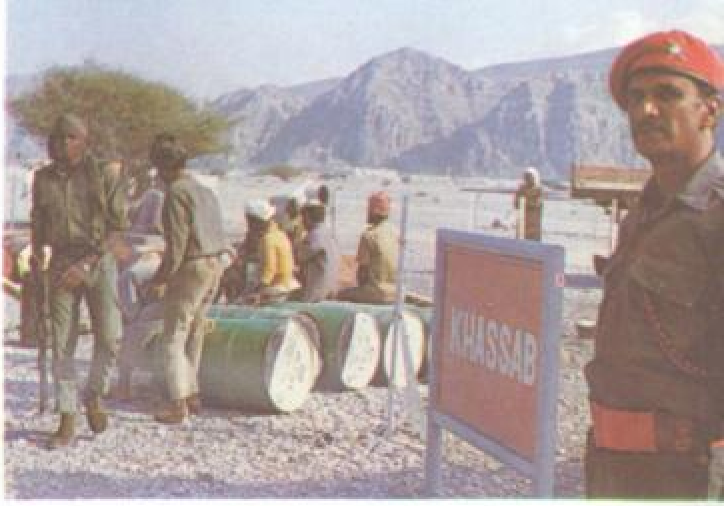
ارتفعت الطائرة عموديا واتجهت الى المضيق ، المنظر خلاب ، طبيعة قاسية ، سلسلة جبال عالية زرقاء جوانبها شديدة الانحدار ، للحظة اتخيل انني فوق القمر ، فالمنظر الذي امامي رأيته على شاشات التلفزيون منقولا من القمر ، يظهر في الافق في نهاية مسندم جرف مرتفع هو « راس مسندم » ، وتظهر فيه الازقة البحرية التي تكتنفها الصخور والمداخل الملتوية ، واشاهد سلسلة « حجر » التي تمتد من راس مسندم الى راس الحد في شكل قوس كبير يتجه من الشمال الى الجنوب ، ولقد اطلق عليها اسم مسندم ، من « السندان » لكثرة ما تتعرض له صخوره من طرقات الامواج الضخمة وتلاطمها فيها ..

تصورت للوهلة الاولى ان جبال عمان ، امتداد لجبال زاجروس الايرانية على الشاطىء الاخر ، ولكن علماء الجغرافيا يؤكدون ان السلسلتين غير متصلتين ، فجبال عمان تمتد باتجاه الجنوب الشرقي نحو البحر ، زميلي المصور لا يكف عن تصوير المناظر الطبيعية الغريبة والخلابة ..

ووجدت الوصف الذي كتبه بلجريف عن راس مسندم معبرا يقول .. « ان البوغاز عند راس مسندم له منظر اخاذ ، يبدو جانباه على شكل جروف وعرة شديدة الانحدار ، ويبدو الماء بينهما ذا لون داكن ، والجروف عارية من اي نبات ، وهي رهيبة لأي سفينة يسوقها الحظ العاثر للارتطام بها .. »

سلامة وبناتها ..

اقلت الطائرة من فوق مسندم واتجهت الى مجموعة من الجزر الصخرية التي تقع شمال راس مسندم ، والتي اطلق العرب عليها تسمية ذات مغزى خاص ولها تعبير له معنى الرجاء وهو « سلامة » ، واطلقوا على جزيرتين اصغر منها « بنات سلامة » ، اما تسميتها الاوروبية



براميل النفط هي علامات مطار خصب (الى اعلا) .. يقضي الضباط
وقت فراغهم في احدى صالات مقر قيادة خصب . (الى اسفل)



مطار وطائرة نقل صغيرة فوق قاعدة الغنايم الجديدة . (الى اسفل)

ولقطة من الجو لجزيرة الغنايم ، حصن المضيق ، وكأنها سيف يمتد الى قلب
مياهه الداكنة ، ويظهر العمل والمباني الجديدة للقاعدة . (الى اليسار)







وعلى الاطالس الدولية ، فهو « كوين ايلاند » أي « ملكة الجزر » ، اكبارا لها واعترافا باهميتها ، وعندما حلقنا شاهدنا ناقلات النفط العملاقة تمتد حتى الافق في الاتجاهين وتبدو كل ناقلة على حدة وكأنها طابع بريد او صورة الصقت فوق الماء ..

ودارت الطائرة دورة حلزونية هابطة في جزيرة سلامة ، وترك قائد الطائرة محركاتها تعمل تحسبا للطوارىء ، وكانت وقفة تأمل طويلة وسط المضيق ..

الجزيرة كتلة صخرية وسط المياه ، كأنها مستطيل قطع بجبل عرضي ليصبح منشورا صخريا وسط المضيق ، وفوق اعلى نقطة عليه اقيم الفنار وتقف الى جانبه بنايتان يقطنهما عدد من الجنود الذين يديرون الفنار ويشرفون على تنظيم السير في عنق الزجاجة ..

وهنا امامي يمر شريان الحياة للصناعة الغربية عبر المياه الاقليمية العمانية ، ويغذي العالم الجائع للنفط ، ويعرف خبراء الطاقة وشركات الملاحة مضيق هرمز بانه « العنق » الرئيسية للعالم . ففي كل ٨ دقائق تبحر ناقلة من الخليج وإليه ، ويمر منه ما يقرب من ٩٠٪ من احتياجات اليابان النفطية وما يزيد عن نصف احتياجات اوروبا الغربية من النفط الخام ، ويشحن منه أكثر من ثلثي الانتاج النفطي في منطقة الخليج ، لذا تدرك دول الخليج اهمية بقاء مضيق هرمز آمنا ، فهو بوابتها الى المحيط الهندي وسائر اقطار العالم ، فالناقلات تمر من هذا المضيق وهي تحمل يوميا ١٩ مليون برميل من نفط الخليج ، منها مليونان تذهب الى الولايات المتحدة ، اي ما يعادل ربع مجموع واردات امريكا من النفط ، وتعتمد البلدان الواقعة عليه على استيراد اغلب حاجاتها عن طريق البحر ..

ويصور اهمية الخليج مقولة يابانية : اذا صورنا الكرة الارضية من الجو بواسطة الاقمار الصناعية فستشاهد خطا طويلا متصلا بين اليابان والخليج العربي ، تكون هذا الخط من ناقلات النفط ، بين كل ناقلة والأخرى حوالي مائة كيلو متر طوال الاربع والعشرين ساعة وخلال ٣٦٥ يوما في العام ، وهذا هو حجم اعتماد اليابان على عنق الزجاجة في المضيق ..

كل هذا يجعل لهذا المراهمية وحساسية استراتيجية خاصة ، ويقود الممر الى ثماني دول هي السعودية والكويت والعراق ودولة الامارات العربية وقطر والبحرين وايران وعمان ، وهو المنفذ الوحيد للدول المطلة عليه باستثناء السعودية التي لديها موانىء على البحر الاحمر ، وعمان التي تقع موانيها الرئيسية على خليج عمان ، ودولة الامارات التي اقامت مؤخرا ميناء خور فكان كمخرج بديل ، واخذ الضابط البحري يستعرض المعلومات الرئيسية حول الخليج ، ذلك الذراع البحري للمحيط الهندي ، والذي لا يوجد بحر داخلي يضاهيه في الاهمية ، « يبلغ طول الخليج ٦٠٠ ميل وعرضه ٢٣٠ ميل ، بينما اقصى عمق له ٣٠٠ قدم .. »

الجو من حولي دافىء رغم اننا في ذروة الشتاء ، اتذكر حول ما قيل من ان هذه المنطقة اكثر مناطق العالم حرارة ، كتب عنها احد الزوار في القرن الخامس عشر يقول .. « كانت الحرارة مرتفعة الى درجة انها تغلي النخاع داخل العظام ، وتذيب السيف في جرابه كالشمع وتحول قبضة الخنجر الى فحم ، وفي السهول يبلغ الصيد حدا من السهولة لا يوصف ، لان الصحراء امتلأت بالغزلان المشوية على الطبيعة ! »

اقتربت من عمال الفنار الذين يعيشون في عزلة شبه كاملة ، وتحدثت اليهم ، إنهم لا يدركون اهمية الممر تحت اقدامهم ، وكل ما يعرفونه انهم يعملون في شركة دولية بريطانية اسمها « ميناس MENAS » وهي التي تشرف على محطة ارشاد السفن فوق الجزيرة ، ومقر هذه الشركة في البحرين ، ويبقون في « سلامة » مدة عشرة ايام ثم يأتي غيرهم ، وشركة ميناس تدير هذه المناطق بناء على اتفاق مع عمان ، وتتقاضى رسوما من شركات الملاحة العالمية ..

ويضيف احد الجنود العاملين في الفنار .. « اننا لم نعد نرى من الايرانيين سوى اولئك المطاردين من قبل حراس الثورة الايرانية .. »

اغراق ناقلة ..

المضيق امامي عرضه ٣٠ ميلا بحريا عند اضيق



لجنة تطوير مسندم برأسها الشيخ حمود الحارثي وفي عضويتها
كل من وكيل وزارة الخارجية ووكيل وزارة الدفاع

نقطة فيه ، وعلمت ان عمق المياه فيه يصل الى ٢٥٠ قدم ، وما يثير دهشتي هو تلك المبالغات التي تعودنا على قراءتها بين حين وآخر في الصحافة الغربية ، فهو اوسع من ان تسده ناقلة ، فعمق اكبر ناقلة نفط لا يتجاوز ٢٠ قدما .. فما هي الحكاية ..!

هنا وجدت الاجابة على العديد من الاسئلة التي كنت احملها قاصدا المضيق ، فبعد ان اصبح ما يقرب من ٣٠٠ ناقلة وسفينة تمر او تنتظر المرور في المضيق كل يوم ، لم تعد مسارات السفن تحقق السلامة الكافية لحجم هذه الحركة البحرية الضخمة ، فتم تغيير مسار الناقلات القديمة الى مسار جديد يحقق المزيد من السلامة لحركة الملاحة عبر المضيق ، وبدأت هذه المسارات الجديدة في مطلع نوفمبر الماضي ، وتقع المسارات الجديدة على مسافة ابعد من الشاطيء العماني ، واصبحت المعابر الجديدة تتكون من خطوط ثلاثة احدها للناقلات الداخلة الى الخليج والاخر لتلك الخارجة منه وبينها شريط امني في الوسط ، ويبلغ اتساع هذه المسارات ميلين بحريين (الميل البحري اطول من البري) ، اما عمق المياه فيصل الى حوالي مائة متر ، وعلاوة على ان المسارات الجديدة اكثر سلامة ، فانها ايضا تحمي مياه الساحل من التلوث ، ويضيف النظام الجديد اجهزة راديو ورادار لتحقيق نظام اتصال اكثر كفاءة ويتمشى مع حركة السير الحالية .

وكان مسار الناقلات القديم يبلغ عرضه ميلا واحدا ، وكان به خطان ملاحيان ، والناقلات الداخلة تسير جنوب جزيرة سلامة ، اما الداخلة فكانت تتبع واحدا ، وكان ضيق منطقة الفصل واحجام النا

الضخمة العابرة وعجزها عن المناورة يشكل خطرا على سلامة الملاحة في المضيق ، ويضاعف احتمالات الخطر ضعف الرؤيا في اوقات الفجر والغسق ، أما المسارات الجديدة فقد زودت بمنائر للارشاد ، كما وضعت عوامات في المنطقة وزودت بمشعات ريكون Raycon Beams لتساعد على تخفيف اي صدام .

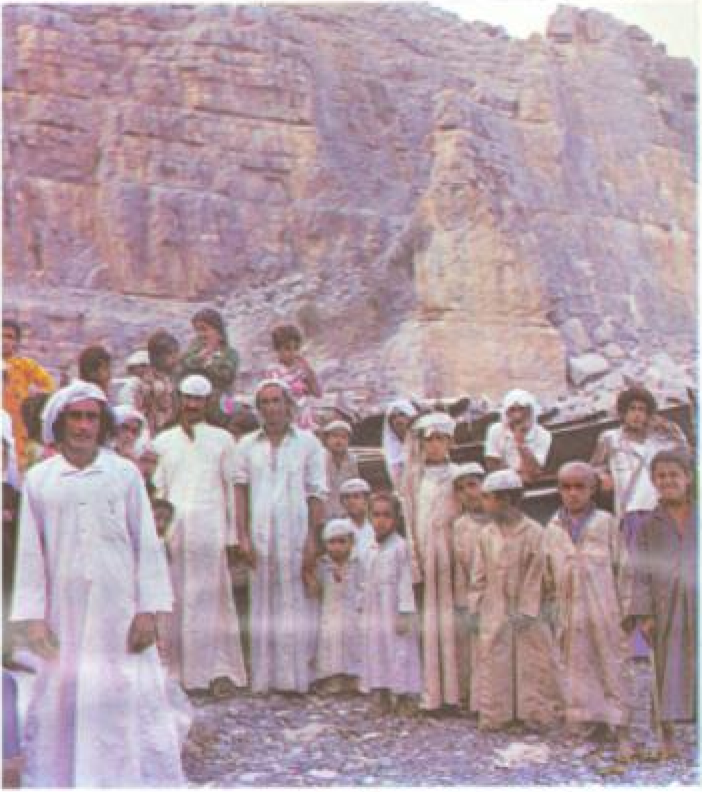
وتم تنظيم الملاحة الجديدة بعد دراسات بحرية طويلة ، بدأتها ايران واكملتها عمان ، وقدم هذه الدراسة خبراء من مؤسسة وودس هول لدراسة اعماق البحار في ماساشوستش ، بعد ان طافت باخرة الابحاث البحرية التابعة لهذه المؤسسة في الخليج وداخل المضيق ، وساهمت في هذه الدراسة ايضا الهيئة البحرية الاستشارية امكو IMCO ، واستغرقت حوالي ٢٠ شهرا .

وسبق هذا الجهد توصل عمان وإيران إلى إتفاق حول المضيق والجرف القاري ، والذي وقع في طهران في يوليو عام ١٩٧٤ ، وقسم هذا الاتفاق الممر المائي على اساس خط التصف للمياه من نقط ارتكاز بين سواحل الجزر العمانية والجزر الايرانية ، وكانت جزر سلامة وبناتها نقط الارتكاز العمانية ، وجزيرة قشم نقط الارتكاز الايرانية ، وهكذا اصبحت المياه الضحلة غير الصالحة للملاحة ـ تابعة لايران ، والممر المائي في المنطقة التابعة لعمان .

وعندما التقيت بالسيد يوسف العلوي مسئول وزارة الخارجية العمانية وتناول الحديث الممر المائي ، قال ..

« الآن تطبق مسارات الملاحة الجديدة بصورة مرضية ، واذا كان هناك بعض المخالفات احيانا فقد نتجت عن عدم معرفة الناقلات بخطوط ومسارات





لقطة لابناء الشحوح في قرية كمزار
وتظهر البيئة الساحلية بين البحر والجبل .



طائرة الهيلوكوبتر فوق جزيرة سلامة .



الملاحة الجديدة ..»

وسألته هل هناك تنسيق او تنظيم بين عمان وايران حول الملاحة والسلامة في مضيق هرمز ..؟

أجاب : « ان تنظيم الملاحة يتم من خلال منظمة امكو IMCO ، وكل دول المنطقة اعضاء في هذه الهيئة البحرية الاستشارية ، وفي كثير من الاحيان تتصل مباشرة مع دول الخليج الاخرى بما فيها ايران ويتم التنسيق لنتشاور او نتفق على بعض الامور ، او عندما نحتاج الى دعم مطالبنا في المنظمة الدولية ، ولا يوجد اي جهاز آخر للاتصال فيما يختص بالملاحة في الخليج ، فكلا الدولتين تمارس حقوق السيادة على الجزء الواقع في مياهها الاقليمية ..»

● لماذا لا تتقاضى عمان رسوما من البواخر والناقلات التي تعبر المضيق لتنفق منها على تطوير الممر المائي والمنطقة المطلة عليه ..؟

ـ « لا نتقاضى اي رسوم بناء على العرف الدولي من جانب ، واثر هذه الرسم من جانب اخر على أسعار النفط والتأمين وما يحدثه من اضرار ..!!

● هل عمان للمضيق ام المضيق لعمان ..؟

لو تصفحنا تاريخ عمان لوجدنا ان العمانيين دفعوا ثمنا غاليا للموقع ، الذي كان نقطة ارتكاز للمد والجزر التاريخي للقوى الاجنبية الغازية للخليج ، ولتلك المعارك التي تحسم في الخليج ، وكلما تصدت البحرية العمانية للغزاة انحسر الوجود الاجنبي من الخليج ، وكلما ضعفت المقاومة حول شواطىء خليج عمان استفحل الوجود الاجنبي ، ولعل اكبر شاهد على ما اقول سلسلة القلاع على طول الجبال والتي كانت عسكرية دفاعية ضد الغزاة ..»

● سؤال اخير .. ما هي الاثار السياسية لعدم الاتصال الجغرافي لاراضي عمان ، عندما تقطع دولة الامارات العربية اراضيها ، وتنفصل مسندم عن بقية اراضي عمان ..؟ ..؟

ـ قال السيد العلوي .. « ان هذا القطع يخلق لنا بعض الصعوبات كما ان منطقة رؤوس الجبال (الاسم المحلي لمسندم) لا يربطها طريق بري ببقية الوطن ، ونسعى للتغلب على هذه الصعوبة ، وليست هذه هي الحالة الوحيدة في العالم ، كما نتعاون مع سلطات دولة الامارات ، واهالي عمان يعبرون دولة الامارات بلا عائق ، والارتباط العضوي بين البلدين لا يمكن فصله ، والبعض من سكان الامارات له اقارب ومزارع ومصالح في ساحل الباطنة (بين السيب والحجر) واهالي عمان لهم اقارب ومزارع ومصالح في دولة الامارات ..» »

ولكي لا نذهب بعيدا خارج السياق ، نعود الى الطائرة الهليكوبتر التي ما زال محركها يعمل ، لكي تستقلها الى محطتنا الثانية على المضيق ، الى جزيرة الغنم .

جزيرة الغنايم .

هبطت الطائرة بنا بعد طيران قصير في جزيرة « الغنايم » او « أم الغنم » ، وهي قاعدة عسكرية يجري العمل فيها على قدم وساق لتصبح القاعدة الرئيسية لحماية المضيق . طول الجزيرة من الشمال الى الجنوب ميلان ، وعرضها ثلاثة ارباع الميل ، وتبدو كانها لسان داخل المضيق او كأنه سيف يمتد الى قلب مياهه الداكنة . على يسار الجزيرة مطار به طائرة صغيرة بيضاء تنقل المهندسين والعاملين في اقامة القاعدة ، وباخرة ترسو على رصيف الجزيرة تمدها بالمواد التموينية والمعدات المطلوبة ، وستضم القاعدة اعقد واحدث الرادارات واحدث أجهزة الاتصال .

والجزيرة تقع امام رؤوس الجبال في مسندم ، وترتفع في الجنوب لتصل الى حوالي ٦٠٠ قدم وتتجه الى الانخفاض شمالا ، وهي خالية من الحياة ، كان يرسل اليها في الماضي الاغنام للرعي بعد سقوط الامطار ، ومن ذلك جاء اسمها .

وكانت على الدوام تتمتع بقيمة استراتيجية خاصة كحصن لحماية الممر المائي ، وسبق أن استخدمت من قبل القوات البريطانية خلال الحربين الاولى والثانية ، وسبق ايضا أن حصل « الشاه » على حق تمركز قواته في هذه الجزيرة الهامة .

وجذب البحر والجبال والمنظر الموحش عدسة زميلي المصور ، وقادنا المكان وما حوله الى التأمل العميق ، فنحن امام نقطة رصد تشرف على اخر زاوية عربية ، الزاوية الجنوبية الشرقية لشبه الجزيرة العربية وعند اخر طرف الجدار العربي ، هنا يمكن ان نتأمل المعنى الحقيقي لأمن الخليج ...

تبدو مياه الخليج للزائر العابر وكأنها مياه معزولة ، ولكن كثيرا ما تكون المظاهر خادعة فهذه المياه لعبت لعدة قرون دورا هاما في تاريخ العالم ، فعلى شواطئه ترددت اصداء مواطيء اقدام الاسكندر ، وشهدت بزوغ وافول العديد من الامبراطوريات ، وقد اغرى موقعها كل القوى التي ظهرت على المسرح سواء وجدت في بحر العرب او المحيط الهندي ، وما اكثر الايدي التي تداولتها ، او تنافست عليها ، وتختفي خلف الافق فوق مياهه منافسة ضارية بين الدول الكبرى ، وهنا يظهر كيف ان الصراع على نقطة جغرافية في اقصى آسيا يمكن ان يكون له آثار خطيرة تتردد أصداؤها في كل انحاء العالم ، وها هوذا « مضيق هرمز » يقدم المثال النموذجي لذلك التشابك الذي يشهده عالمنا المعاصر ...

هنا تصارعت بريطانيا وفرنسا وهولندا من اجل السيطرة على الخليج ، والح بطرس الاكبر على خلفائه باحتلاله ، وبقي المضيق حلقة وصل بين موانيء الخيج النفطية والمحيط الهندي وطرق الملاحة الى اوروبا وامريكا الشمالية واليابان وموانيء العالم الثالث .

عاصفة على الخليج

لقد هبت هنا عاصفة من التصريحات ساهمت في تصعيد التوتر حول المضيق ، ومست قضية امنه ، ففي منتصف العام الماضي خرجت علينا الصحف بتصريحات تزعم ان اليأس الفلسطيني سيدفع منظمات المقاومة إلى اغراق ناقلة نفط في مضيق هرمز ، فعلاوة على أن اغراق ناقلة غير مطروح اصلا ، فان عمق المضيق وعرضه لا يعطله اغراق ناقلة ، وقد احترقت ناقلة ليبيرية في نهاية العام الماضي خلال عبورها المضيق ، وعلى بعد ثمانية اميال من جزيرة سلامه في طريقها الى جزيرة داس ، ولم تتعطل الملاحة في المضيق لحظة واحدة ..

وخرجت علينا « شركة لويدز للتأمين » لتعلن ارتفاع رسوم التأمين على السفن والناقلات المارة بالمضيق باعتبار الخليج « منطقة حرب » ، واصبحت الحكاية مثل قصص المغامرات والمفاجآت التي تقدمها السينما الامريكية ، عندما شاهدنا اخر طلقة في حرب الاعصاب المحتدمة حول الممر المائي ، إذ خرج علينا متحدث رسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية ـ ولاول مرة فيما اعلم ـ اعلن تحذيرا رسميا لدول وشركات النفط والملاحة ، بان لديها معلومات من مخابراتها بان محاولة سوف تقع لاغراق ناقلة في المضيق لسد الممر المائي أو اختطاف ناقلة خلال مرورها فيه ، وقالت الخارجية في تحذيرها ان المعلومات التي لديها تحدد يوم الاثنين ٢٣ يوليو موعدا لتنفيذ هذه العملية ، وطلبت من جميع الاطراف ، حكومات وشركات وناقلات ، اخذ الاحتياطات ، ووقف العالم كله يترقب ، ومضى اليوم الموعود ولم يقع شيء ، ويلاحظ ان التحذير لم يشر الى مصدر هذا الخطر ..

فما معنى هذه الوقائع ..؟ وما دلالتها عندما توضع بعناية كل منها الى جوار الاخرى ، وهل يمكن ان تكون سوى حملة منظمة تمهد لدور عسكري غربي في الخليج بعد ان تقلص الدور الايراني « كشرطي الخليج » بعد قيام الثورة ..!!

امن المضيق

مؤكد ان هناك قضية بالغة الاهمية تتعلق بامن المضيق وامن الخيج ، وامن الدول المطلة عليه ، وليس لهذه القضية علاقة بصيحات التحذير الامريكية ، او بموقف شركات التأمين التي وجدت فرصة مواتية لاستنزاف المزيد من اموال البترول ..

ولنبدأ بتحديد مدلول الكلمات بعد ان تاه تحديد العديد منها ، فان معنى الامن العربي ، هو تأمين كيان دولة عربية او مجموعة دول عربية من الاخطار التي تتهددها داخليا وخارجيا ، وتأمين مصالحها ، وتهيئة الظروف المناسبة لتحقيق اهدافها وغاياتها الوطنية ،



احدى الجزر الطولية التي تمتد على طول الساحل من الشارقة حتى رأس الخيمة ، وهذه الجزيرة السينية ، غير مأهولة بالسكان ، اصبحت ذات استراتيجية لقربها من مضيق هرمز . (الى اليسار)

ميناء مسقط ، مرفأ عمان الرئيسي على خليج عمان ، وتظهر على يمين الصورة تلك الباخرة القديمة التي حملت سفير عمان منذ قرنين الى عمله في امريكا . (الى اسفل)



لقطة من جزيرة ابو موسى
التي يقتسم السيادة فيها كل
من ايران ودولة الامارات ،
وقسمت لقيمتها الاستراتيجية
عندما كانت ايران شرطي
الخليج . (الى اليسار)



ميناء جبل علي من الجو ، وهو أكبر ميناء على الخليج
ويحتوي على ٧٧ رصيفا ، تعاقدت دبي على ادارته مع
شركة بريطانية ، وأجرت الشركة البريطانية خمس
ارصفة لشركة اخرى امريكية (الى اليسار) ..





والامن بهذا المعنى ليس مجرد قضية عسكرية فحسب ولكنه مسألة سياسية واقتصادية تختلط فيها الجغرافيا بالعسكرية ، والوضع الاجتماعي بقوة الدولة ، والنظام السياسي بالاستراتيجية .

وبهذا المعنى فان نقاط قوة العرب في وجود ممرات مائية ومضايق استراتيجية ضمن اراضيهم مثل ، مضيق هرمز ، وباب المندب ، وقناة السويس ، وجبل طارق وكما يقولون فان الجغرافيا محايدة تطيع من يستخدمها ، اذا لم تكن في مستوى الموقع ولدينا القدرة على حمايته يتحول الى وبال على اصحابه ، ويصبح نقطة في لعبة التوازن بين الدولتين الكبيرتين ، تسعى كل منهما الى حرمان الاخرى من ميزة تحصل عليها ..

واي نظرة الى الخريطة العربية لابد ان تتوقف امام مضيق هرمز كاحد مناطق الامن الرئيسية وكأحد بؤر الصراع الاستراتيجي العالمي ، واذا جرب احد ووضع احد طرفي « البرجل » في جزيرة الغنايم التي اقف عليها ، وخط ثلاث دوائر متتابعة ، فسيلاحظ ان الاولى تضم عمان وايران ودولة الامارات العربية ، والدائرة الثانية الاوسع تضم العراق والسعودية والكويت وقطر والبحرين وباكستان وافغانستان ، اما الدائرة الثالثة الاوسع فتضم بعض الدول العربية وتركيا ودولة الاغتصاب والعدوان اسرائيل ، والاتحاد السوفيتي والصين والهند ، وتكشف هذه الدوائر الخطورة الاستراتيجية لموقع المضيق .

ولو نظرنا الى امتداد الموقع في الماضي لوجدنا مدى تأثير موقع عمان على تاريخها ، القلاع فوق الجبال ، والاسلحة بين ايدي السكان تعكس الاهمية القصوى الموقع ، وكأن طبيعة الصخور في عمان قد تسللت الى الشخصية العمانية ، وعكست عليها صلابتها .

ويشرح احد العسكريين المرافقين منظور الامن في عمان بقوله : ان القوات المسلحة العمانية تسعى لتصبح قادرة على مواجهة المخاطر التي تعترض امن الحركة البحرية في المضيق وقد قامت عمان بدراسة شاملة ومسح كامل ، وبينت هذه الدراسة ، ان الخطر على المضيق يكمن اما بزرعه بالالغام ، وهو عمل لا يتطلب اي قدر من المهارة الفنية ، فالمجال المغناطيسي حول الناقلة ، وموجات الضغط الناتجة عنها تكفي لتشغيل آلية الانفجار في اللغم المرمي في القاع ، وربما يضعه قارب صغير ، ويمكن لهذه الالغام ان تشل حركة النقل في الممر الحيوي اما الاحتمال الثاني فهو ان تحتل الممر قوة بحرية معادية ...

وتقترح هذه الدراسة الحصول على كاسحات الالغام لمواجهة خطر التلغيم المعادي ، كما تقترح تجهيز دوريات بحرية وتدريب اطقمها ، وحثت الدراسة الدول المستفيدة من المضيق الى المساهمة في حمايته ، وتدعو لاعادة بناء الاسطول الذي كان احد القوى البحرية الرئيسية في المحيط الهندي في يوم ليس ببعيد ، كما تشمل الخطة العمانية استكمال الرادار القائم في قرية « كساح » الساحلية في جزيرة الغنايم ..

وقد اعلنت ثلاث دول غربية هي الولايات المتحدة وألمانيا الغربية وبريطانيا استعدادها للمساهمة في المشروع ..!

ويختم العسكري العماني كلامه .. « عمان ليست بحاجة لساحل الخليج او لمضيق هرمز فلديها مرافئها الرئيسية التي تقع على خليج عمان .. »

فاذا كان هناك مشروع امني لحماية المضيق فينبغي ان تقوم به الدول التي تطل على الخليج ، وتواجد العرب على المضيق ليس جغرافيا فحسب بل وامنيا وحضاريا ..

اما المضيق بالنسبة لهؤلاء الذين يمارسون لعبة الخرائط الملونة ، ويقسمون العالم فهو مطمع لاشك فيه ...

خطوط الانابيب

وقضية الامن ليست مجرد موضوع نظري ، او تظهر عندما يشتعل القتال ، بل ان لها آثارا في العديد من المجالات ، وان نظرة الى مسارات خطوط النفط في الدول العربية الخليجية لها اكثر من مغزى ، وترتبط ارتباطا وثيقا باحتمالات المخاطر في المضيق ، وربما كانت هذه الخطوط محاولة لانفكاك من الاعتماد على طريق واحد

للنفط . فالسعودية اقامت خط التابلاين الذي يصل حقول نفطها بالزهراني على البحر المتوسط ليكون بديلا لاستخدام المضيق . والخط الذي اقيم حديثا ليربط بين حقول النفط في المنطقة الشرقية ويمتد حتى ينبع على البحر الاحمر لينقل ۸۰۰ الف برميل يوميا بعيدا عن المضيق ...

وكانت علاقة الزراعين المتدتين من المحيط الهندي ، اعني الخليج العربي والبحر الاحمر دائما حيمة تتفاوت بين التنافس والتكامل ، فكلتاهما جزء من خطوط الملاحة الواحدة التي تصل الشرق بالغرب وتحضنان شبه جزيرة العرب ، وهما معا نقطتا الوصل بين موانيء البحر المتوسط والمحيط الهندي .

اما العراق فقد بذلت جهدا مضاعفا لضمان البدائل الاستراتيجية واقامت ثلاثة خطوط انابيب وربطت بينها :

❋ خط انابيب كركوك ـ طرابلس ـ بانياس .

❋ الخط العراقي الاستراتيجي الذي يربط بين حقول البترول في جنوب العراق وشرقي البحر المتوسط بطاقة قدرها ۹۰۰ الف برميل ، ويتصل بخط كركوك المتوسط ، وهو ذاته الذي ينقل النفط من كركوك في الشمال الى « الفاو » على الخليج .

❋ خط انابيب يمر عبر تركيا ويبلغ طوله ٦٥٠ ميلا ليصل كركوك بالبحر المتوسط .

كمزار

وبقي من جولتي فوق مضيق هرمز وحوله زيارة احدى القرى على المضيق واخترت قرية تطل على المضيق وتقع على سيف البحر هي « كمزار » التي هبطنا اليها من الجو بالطائرة التي يقودها هيتشكوك ، وكانت هذه المرة مزدحمة بالمفاجآت والاثارة .

الجبال الشاهقة خلف القرية والبحر أمامهـا ، والصورة التي امامي يصعب خلالها أن تحدد اين تبدأ البيوت واين تنتهي الجبال ، وما اذا كانت الفتحات العالية التي اراها هي نوافذ لغرف الادوار العليا ، ام هي كهوف على قمم الجبال ...

وهي مثل العديد من قرى مسندم لا يمكن الوصول اليها إلا بالجو او البحر ...

وكانت المفاجأة الاولى ان سكان هذه القرية يتحدثون لغة خاصة بهم ليست العربية وليست الفارسية وتسمى اللهجة « الكمزارية » وهي تنطق ولا تكتب ..

وتقع قرية كمزار في خور ويقطنها قبائل الشحوح وبها حوالي ۳۰۰ بيت بطراز مميز ، ويظهر مسجد القرية في مدخلها .

وصلنا اليها في منتصف النهار ، رجال القرية جميعا خرجوا الى العمل في عرض البحر بزوارقهم البخارية الصغيرة ، ولم يبق في القرية سوى عدد قليل من الرجال والعجائز والاطفال ، جميع احتياجاتهم تأتي بالبحر من « خصب » و « رأس الخيمة » ، وعندما سألت عن الاكياس المكدسة على الساحل عرفت انها تحتوي على رمل للبناء ، فحتى الرمل يأتي بالبحر من الخارج ، يصنعون بانفسهم زوارقهم ، وفي كمزار لا يعرفون المدارس ولا الطبيب ، وتتزين المرأة بالحلي والمصوغات ، والفتيات يضعن الاقراط في انوفهن ، وكانت القرية تعاني من نقص المياه العذبة حتى اقامت لهم الحكومة اول مشروع لتحلية المياه ..

وعندما ينهمر المطر ويتحول الى سيول يصعدون الى رؤوس الجبال ويعيشون في الكهوف حتى ينتهي موسم المطر ..

ولقبائل الشحوح قصة طويلة تستحق استطلاعا خاصا ، وهي القبائل التي تقطن رؤوس الجبال وقرى الصيد المعزولة على الساحل ، ويمتدون الى رأس الخيمة في دولة الامارات ، وقرية « كمزار » مركز قبيلة بني شطير ، ويميل لون بشرتهم الى السمرة ، ويطلق الرجال شعورهم ، ويعملون بين موانـيء الخليج وفي صيد السمك في قوارب يملكونها ، وهمس في اذني من يقول .. « ان لديهم معرفة كاملة بمسالك الخليج ، ويستهينون بالتهريب الى الباكستان والهند وايران اذا واتتهم الفرصة على الرغم من الرقابة الشديدة .. »



على الساحل الممتد بين الشارقة وراس الخيمة عدد هائل من الجزر المستطيلة .. هذه واحدة من الجزر



اسراب الطيور افزعتها الطائرة التي حملت بعثة العربي

وهناك نظرية تتردد حول اصولهم في الكتابات الغربية ، تقول « انهم من بقايا البرتغاليين » ونظرية اخرى تعود بلغتهم الى تلك اللغات التي كانت سائدة في المنطقة قبل اللغة العربية ..

واضافت رحلة « كمزار » بعدا جديدا وهاما لأمن المضيق ، وهو الذي يرتبط بسكان مسندم فقد حرصت السلطات البريطانية على عزلها وعاشت اوضاعا اجتماعية وحضارية شديدة التخلف ، والملاحظ انه عندما وقعت عمان تحت السيطرة البريطانية منذ منتصف القرن التاسع عشر ، كانت عمان طوال قرنين من الزمان امبراطورية تجارية مزدهرة ، بعد ان كان الغزو البرتغالي بداية مرحلة تاريخية مجيدة ، فقد وحد التهديد البرتغالي القبائل العمانية ، وطرد البرتغاليون عام ١٦٤٩ ، ، ولاحقتهم البحرية العمانية حتى شرق افريقيا وجردوهم من ممتلكاتهم ، واصبحت عمان اول دولة غير اوربية تصل حدودها الى افريقيا ، واصبحت البحرية العمانية إحدى القوى الرئيسية في المحيط الهندي تمتد من بلوشستان حتى شرق افريقيا ، ثم بدأ اقتصادها يضعف امام المد الاستعماري وبعد خسارة زنجبار ، وانخفض عدد سكانها خلال ٢٠ عاما ، ما بين الخمسينات والسبعينات خلال القرن التاسع عشر من ٥٥ الف الى ٨ الاف نسمة ، وخلت مدن الساحل من السكان ، فلم تكن عمان سجينة العصور الوسطى ، وانما اعيدت اليها ، واجبرت على التراجع لتتحول الى « تبت » الشرق العربي ، وان حالة الضعف هذه هي التي استهدفتها بريطانيا ، وهذه القرية المعزولة ما زالت تدفع غاليا ثمن وطأة الاوضاع الاستعمارية القديمة ..

الى مسقط

وعدت مرة اخرى الى العاصمة « مسقط » ، عدت لكي اقف قليلا امام نقطة البداية في رحلتي ، فقد كنت دائما اتوق لزيارة عمان ..

ولعل الذي الهب خيالي تلك الصور المنشورة لقلاعها وجبالها وعمارتها ، وكأنها متحف بشري من العصور الوسطى ، وربما جذبني لزيارتها زيارة سبق أن قمت بها



فوق الجزر .. وهي هنا تستأثر وحدها باحدى هذه الجزر .



سلاح العماني جزء من هيأته وحياته اليومية . هو معه حيثما ذهب ، حتى في لحظات الاسترخاء والراحة .

الى جزيرة « زنجبار » وشاهدت صورا لمجد عربي غابر ، كما كان يجذبني اليها دائما الدور العماني في نقل التراث العربي الى اقصى الارض ، الى شواطىء وجزر آسيا وافريقيا ، وقد جاء هذا مع ثنائية البيئة بين البر والبحر وبعد ان عجز البر عن ان يمد أهالي عمان بمطالب الحياة ، فاقاموا اقوى اسطول في المحيط الهندي وجابوا به البحار ..

رغم اني وصلت « مسقط » عابرا ، في طريقي في المرة الاولى الى خصب ، وفي المرة الثانية الى دولة الامارات ، الا انه استوقفني شذرات من الفن العربي ، وعلامات من التاريخ لا تبعدني كثيرا عن مقصدي ، فاني أتناول هنا البشر الذي تقع عليهم مسئولية حراسة امن مضيق هرمز ، وبايديهم نحتوا كل شيء ، الجبل وواجهات البيوت ، حتى الابواب والنوافذ ، وحتى الخناجر والاساور والمكاحل .

وأينا تجولت في « مسقط » ترى النقوش الاخاذة التي تصنع مع الجبل ومياه البحر صورة بديعة ، تشعر انك في بلد له جذور ضاربة في اعماق التاريخ ، وتفوح منه رائحة الأصالة والعراقة ، وليس مصادفة ذلك الجهد الهائل لطبع المخطوطات القديمة التي تحكي المجد القديم ..

وعمان كانت مؤهلة للقيام بدور بارز في منطقة الخليج ، وربما كان هذا الذي جعلها آخر القلاع التي يتشبث بها الاستعمار ، فعاشت عزلة كاملة بعد ضرب قوتها البحرية ، حدودها المفتوحة هي البحر ، من الغرب اعظم صحراء رملية في العالم هي « الربع الخالي » ومن الشرق خليج عمان ، وفي الشمال الخليج العربي وفي الجنوب بحر العرب والمحيط الهندي ، فهي تحتل المساحة الواقعة ما بين اليمن الجنوبية والخليج العربي .

واكتسب موقع « مسقط » على خليج عمان اهمية خاصة ، وهي مدينة تاريخية قديمة ، جعلها ميناؤها مفتاح خليج عمان والخيج العربي ، وهي مدينة محصنة تحميها الجبال والقلاع ..

مصطفى نبيل

وظيفة الجنس في قصص يوسف ادريس

بقلم : الدكتور سامي بدراوي

يلعب الجنس دورا حيويا في قصص يوسف أدريس القصيرة . وهو دور يبدأ مع أولى مجموعاته القصصية « أرخص ليالي ١٩٥٤ [١] . ويستمر في التزايد حتى يبلغ مداه في مجموعاته الأخيرة : « لغة الآي .. آي » ١٩٦٦ ، و « النداهة » ١٩٦٩ ، وأخيرا بيت من لحم » ١٩٧١ (وهذه تواريخ صدور الطبعات الأولى لهذه القصص) .

ولقد تضاربت أراء النقاد في تشخيص وتحليل ظاهرة الجنس في قصص أدريس القصيرة فمن قائل بأن الجنس فيها هو موضوع ، أو هدف ، أو هما معا .

ان حسم القـول في توصيف الجنس في قصص ادريس القصيرة هو الهدف النهائي لهذه الدراسة . بيد أنني أبادر فأسجل أن الجنس لم يكن ـ في أية مرحلة من مراحل تطور قصص أدريس القصيرة ـ موضوعا أو هدفا . كذلك ينبغي ألا نتجاهل دلالة وجوده المكثف . بل أستطيع أن أؤكد أن وجود الجنس في قصص أدريس القصيرة ليس عرضيا عشوائيا ، كما قد يزعم ادريس نفسه احيانا . ذلك ان اطراد تطور الجنس في جميع المراحل من ناحية ، وتغطية القصص الجنسي كل بيئات الحياة المصرية وآفاقها ، بل واعماقها ، ينفي صفة العرضية عن دور الجنس في قصص إدريس القصيرة . إنه وجود متكامل ، يعكس موقفا متكاملا مما يدور حوله .

مفهومان للجنس

فما هو هذا الموقف ؟ وكيف تطور من مرحلة إلى مرحلة ؟ ولماذا اختار (ادريس) الجنس اطارا لتجسيد

---

(١) بدأ يوسف أدريس ينشر قصصا سنة ١٩٥٠ وأول قصة نشرت له كانت بعنوان « أنشودة الغرباء » ، وقد نشرت بمجلة القصة القاهرية ـ العدد ١١ بتاريخ ٥ مارس سنة ١٩٥٠ .



موقفه أو رؤياه ، ثم ما طبيعه أو مفهوم الجنس عنده ؟ لنبدأ بآخر هذه التساؤلات ، إذ هو أيسرها اجابة ، وهو بعد ، مفتاح للاجابة على التساؤلات الأخر . فما مفهوم الجنس في قصص ادريس القصيرة ؟

ان استقراء هذا القصص الجنسي يخلص بنا الى شيوع مستويين أو مفهومين للجنس . أما أولهما ، فهو المستوى الواقعي الشائع . وهذا يرادف ـ عنده ـ العلاقة بين الجنسين بكافة مستوياتها . فالعلاقة بين سامح وفاتن طفلي « لعبة البيت » تندرج تحت هذا المستوى ، وكذلك العلاقات العاطفية بين الشباب من الجنسين كما في قصة « محطة » مثلا . كما يتسع ذلك المستوى للعلاقات الجسدية . وهذا المفهوم أو المستوى الواقعي يغلب على قصص ما قبل « لغة الآي .. آي » . هذا عن طبيعة الجنس أو مفهومه في قصص المرحلة الاولى . أما عن وظيفة الجنس في هذه المرحلة ، فيمكن أن نصفها بأنها واقعية اجتماعية ، مع تنوع هذا الاستعمال الاجتماعي ، كما سيتضح من استعراض قصص هذه المرحلة .

أما المستوى الآخر من استعمال الجنس ، أو إن شئت المفهوم الآخر للجنس في قصص ادريس القصيرة ، فيغلب عليه الطابع الفلسفي الوجودي . إذ يكون الجنس مرادفا للوجود أو الحياة في مقابل الموت ، وهو بذلك يوازي مفهوم فرويد . كما يرادف « إرادة الحياة » في مقابل « ارادة الموت » عند يونج . وهذا المفهوم الفلسفي الوجودي للجنس يغلب على القصص الأخيرة ابتداء من مجموعة « لغة الآي .. آي » . ووظيفة هذا النوع من الجنس فلسفية رمزية ، تدور أساسا حول الانتصار لتحرير الانسان وشجب كل أنواع القهر والمعاناة . وهنا تحفظ يفرضه السياق . وهو أن شيوع المفهوم الفلسفي للجنس في القصص هذه المرحلة الأخيرة لا ينفي استمرار وجود الجنس بالمستوى الواقعي في بعض قصص المرحلة الأخيرة . فالواقع أن المستويين أو المفهومين يتلاحمان أحيانا ، كما نجد في « النداهة » و « بيت من لحم » على سبيل المثال . على أن المفهوم الفلسفي للجنس له بداياته في قصص ادريس المبكرة . ومن أمثلة ذلك تلك العلاقة الحميمة بين الأسطى محمد وماكينته في قصة « المكنة » من مجموعة أرخص ليالي » ، وكذلك علاقة طفل قصة « آخر الدنيا » ـ وقد تعمد المؤلف ألا يعطيه اسما ـ بقطعة العملة الفضية التي أعطاه والده إياها . غير أن الجنس في قصص المرحلة الأخيرة تغلب عليه الرمزية ، وان امتزجت بأرضية واقعية أحيانا .

وبقليل من امعان النظر ، يتضح أن القاسم المشترك بين كل قصص ادريس الجنسي هو استهداف تحرير الانسان . أما تحريره من عبوديته وبؤسه بالنسبة لانسان الطبقات الدنيا ، وهو مدار الحلقة الأولى من هذا النوع القصصي كما سنرى وشيكا . أو تحرير العلاقات الانسانية بين الأفراد بفهمها على وجهها ، وبيان جوانب القوة والضعف فيها ، وهذا محور قصص الحلقة الثانية . وأخيرا نجد القصص الأخيرة . تلتقط كل ما يبهظ ضمير الانسان المستنير من قهر وضياع . تفعل ذلك تطهيرا لهذا

الانسان من أحابيل أزمته . وفي كل حلقة من هذه الحلقات أو مرحلة ، تدور قصص ادريس في اطار ارضية محلية ، وموقف انساني مستنير . فليس صحيحا ما يذهب اليه باحث أجنبي هو ثيودور بروخزكا Prochazka ، في رسالة نال عليها درجة الدكتوراه من جامعة لندن من أن قصص ادريس تدور في إطار نفسي ، يخلو من أبعاد اجتماعية باستثناء قصة « حادثة شرف ».

ذلك أن القول بخلو أي من أعمال يوسف ادريس الادبية من البعد الاجتماعي فيه مجافاة للواقع . ولطبيعة دور الكاتب كما يراه ادريس نفسه . إذ أنه يتمثل عالمه الفني في أنه جماع أو حصيلة اختيار « الواقع الخارجي كما يحسه ، بالفلسفة الداخلية كما تبلورت من خلال تجاربه ، بالرغبة في الخروج للناس بحلول جديدة لمشكلات قديمة » وفضلا عن ذلك فلادريس إشارات عديدة حول ظاهرة الجنس في قصصه ، تقطع بأنه لم يتناوله في فراغ . فهو يشير إلى أن دافعه الى التصدي للجنس في قصصه هو أنه « أكبر الامور تعقيدا في حياتنا العربية . بل إن تصدي ادريس لقضية الجنس ، هي في بعد من ابعادها انتصار لتحرير المرأة ، بل ولتحرير الانسان المصري عامة من قيود العرف ومفاهيمه الخاطئة مما يشكل قيدا على حرية الانسان وحياته ، ويسهم في خلق أزمته .

وإزاء ذلك ـ وإنطلاقا من مسلماته التقدمية يتخذ إدريس موقفا متحررا من قضية الجنس . فهو ينظر إليه ـ فلسفيا ـ كنشاط إنساني حيوي . ولذلك فهو دائم الالحاح على الجنس ـ إما أساسا ، أو في ثنايا موضوعاته الأخرى . وهو في كل ذلك يريد أن يجعل موضوع العلاقة بين الجنسين مادة للتحليل والتشريح والبحث الدائم بهدف فهم جوانب القصور وتجاوزها . إنه يريد أن يحطم التابو taboo العالق بموضوع الجنس في النفس العربية تمهيدا لانطلاقة حضارية تناسب روح العصر ، وتخدم حركة التقدم .

ويمكن أن تتلمس في تطور دور الجنس في قصص ادريس القصيرة ثلاث حلقات أو مراحل اعتمادا على تاريخ نشر القصص ، وأسلوب المعالجة ، وأخيرا موقف الشخصيات النسائية .

الحلقة الأولى

تضم هذه الحلقة مجموعتي « أرخص ليالي » سنة ١٩٥٤ ، « وأليس كذلك » سنة ١٩٥٧ . وقصصها الجنسي واقعية اجتماعية ، تركز على هموم الانسان المصري الصغير سواء في الريف أو المدينة . تعالج ذلك بأسلوب يتراوح بين اللمحة الساخرة ، والادانة المتشددة ، كما يجمع بين التفاؤل والتشاؤم . ويتسم موقف المرأة في هذه الحلقة بالسلبية ؛ فهي ضحية للرجل وللتقاليد ، ولكنها متسامحة غالبا . إلا أن نزعة تمرد طائش تبدو عند بعض شخصيات تلك الحلقة النسائية ، كما في قصتي « الحالة الرابعة » ، « وقاع المدينة » . فلنبدأ بتحليل بعض تلك القصص المبكرة لنتبين كيف يوظف الجنس فيها .

تصور قصة « أرخص ليالي » كيف كان ضيق ذات يد الفلاح (عبد الكريم) وخلو بيته من الزاد ، وراء حرمانه من سهرة الخميس ، خارج البيت مع أصدقائه ، أو في البيت مع أسرته . وعندما هدّه التعب وقلة الحيلة لم يبق له إلا أن يعود الى بيته محطما كسيرا فيضاجع زوجته ـ عزاء أو هروبا ـ خاصة بعد أن جفاه النوم بسبب كوب الشاي المركز الذي تعطف به عليه الخفير طنطاوي . وتكون النتيجة أن يضاف الى قائمة الجوعى في أسرة عبد الكريم ابنا سابعا « لن يملأ طوب الأرض بطنه هو الآخر » . فكأن عبد الكريم كان كالمستجير من الرمضاء بالنار . ولم يكن هذا شأنه وحده فما يزال الموقف يتكرر معه أو مع غيره من أهل القرية مضيفا إلى جيش النمل من الصغار الذين يزحمون طريقه في ذهابه وأوبته .

فالجنس في هذه القصة يستخدم كعزاء أو مهرب وكسلوك آلي ، وكلها مستويات مريضة من مزاولة الحب (الجنس) . فيها فضح لظروف الرجل وبؤس حياته وفيها المرأة لا يقام لها وزن وإنما هي مجرد أداة . ويكاد دور الجنس في بقية قصص المجموعة لا يخرج على هذا الاطار .

فاذا تجاوزنا مجموعة أرخص ليالي إلى مجموعة

« أليس كذلك » . فلن نجد المؤلف يخرج عن العالم التي ألممنا بها في المجموعة الأولى . فهو لا يتناول الجنس لذاته وإنما كوسيلة لكشف بعض جوانب الضعف في مجتمعه في اطار استفزازي فاقع . ففي قصة « الحالة الرابعة » يبين المؤلف كيف أن الفقر أهدر كل شيء في تلك المرأة المريضة . فمنذ مات عنها والدها وهي طفلة تساعده في بيع أكواب الشاي في « الموقف » تداولتها الأيدي وامتهنتها الحياة ـ حتى انتهت بها الى مسخ بشري شائه . فقد بالاضافة الى صحته الحياة والكرامة والانوثة بل فقدت الانسان . غير أن شيئا واحدا بقي لها وهي تعض عليه بالنواجذ وذلك هو أملها في أن تهيىء لابنتها مستقبلا أكرم مثل الأفندية والدكاترة .

وفي « ليلة صيف » يتخذ الجنس وسيلة لفضح رتابة الحياة الريفية وبؤسها وجهل الفتى بما وراء قريته بل وراء حياته . وفي قصة « أليس كذلك » لا يجد النائب الهندي حرجا في أن يعد فتاة الكبارية (باهيا) ضمن صداقاته في مصر . فهي تحب بلدها وتتابع أحداثه وتتحمس للدول الصديقة . وموقفها بذلك أكثر تسامحا من موقف المجتمع منها . ثم إنها عندما وضعت يدها في يد الهندي تضاعفت قوتاهما . فهو يقول : حين فقط تصافحنا بأيدينا صار لنا عشرون إصبعا » .

وادريس يشير بذلك إلى حاجة البلاد النامية إلى كل طاقاتها البشرية في اندفاعها نحو التقدم وتحقيق الاستقلال الحقيقي .

ولن نجد قصة « قاع المدينة » أو غيرها من بقية قصص المجموعة تخرج في توظيفها للجنس عن هذا الاطار . وادريس في هذه القصص المبكرة يركز أساسا على ظواهر البؤس في القرية وامتدادها في ريف المدينة ، بين أفراد الطبقة الدنيا . وهو ما سيتجاوزه بشكل واضح في قصص الحلقة التالية .

الحلقة الثانية

يمكن أن نحدد هذه الحلقة في نطاق قصص مجموعات « حادثة شرف » سنة ١٩٥٨ و « آخر الدنيا » سنة ١٩٦١ ، ثم « العسكري الأسود » سنة ١٩٦٢ . وتهتم هذه القصص الجنسية الوسيطة بتحليل العلاقة بين الجنسين في الريف المصري والمدينة أكثر من اهتمامها بالجوانب الاقتصادية المعاشية . والخط البارز في هذه القصص أنها تتبع ازدواجية الحياة أو النفاق الاجتماعي النابع من سلوكين أو حياتين : إحداهما في السر والأخرى في العلن : انطلاقا مع طبيعة الانسان وصالحه في السر ، ومجاراة للتقاليد في العلن . وتسجل هذه القصص أن ازدواجية الحياة تزداد حيث تشتد قبضة التقاليد ويقل تفرد الانسان في الريف وامتداده . وتقل هذه الازدواجية في الحضر حيث تختار الشخصيات حدود التزامهم بمقتضيات العرف والعادة ، دون الفناء فيها أو التضحية بسعاداتهم الشخصية في سبيلها . ونرى هذا واضحا بين أبناء المدينة حتى الأطفال منهم كما في قصة « لعبة البيت » . يرفض الطفلان سامح وفاتن العودة إلى بيتيهما فرارا من سيطرة الكبار ، وتضحية بمجاراة عالمهم (الكبار) من أجل استمرار علاقتهما ، التي هددتها التجربة إلى مدى حيويتها بالنسبة لكليهما .

ويغلب على أسلوب المعالجة في هذه القصص الوسيطة تجاوز السطح إلى الأعماق لتتناول النوازع



الداخلية في نفس الفرد والجماعة . ويوالي إدريس في قصصه هذه ، الانتصار للمرأة كما يلاحظ أن بطلاته هنا أقوى شخصية ، وأكثر ايجابية . بيد أنها ايجابية بناءة في المدينة . أما في القرية فهي ايجابية سلبية ـ اذا جاز هذا التعبير ـ انتحارية تقوم على تحطيم النفس . وتعتبر قصتا « محطة » و « حادثة شرف » نموذجين معبرين عن دور الجنس في قصص الحلقة الوسطى .

ففتاة « المحطة » الحضرية تصعد إلى الاتوبيس برفقة مندوب العائلة « شقيقها الاصغر » . وفي هذا من السخرية ما فيه . ثم هي تتعرض لقسوة الزحام ونهم العيون الدنسة والأجساد المتلصصة حتى تجد منقذها في شخصية فتى المحطة التالية . وفي جرأة وثقة وايجابية يفلح الشاب في أن يجذب انتباهها ، ثم التحدث اليها ، واخيرا مواعدتها على الاتصال التليفوني . كل ذلك يتم تحت وطأة أعين الناس وخاصة الجار الفضولي مما يلف التقاء الشاب والفتاة بغلاف من الاحساس بالذنب والخروج على المألوف والمقبول . ولكن العزاء أن شخصية الفتى بل والفتاة قد تسلحتا بايجابية تعلو على تدخل الناس فيما لا يعنيهم . ثم أن هذا الجار بكل ما يمثل من اتهام مريك يقابله الراوي الشاب ، الذي كان يراقب ـ بفرحة المنبهر ـ ايجابية أبناء هذا الجيل الصاعد بالقياس إلى جيله هو .

إن موقف المجتمع من علاقة الرجل بالمرأة لم يتغير في هذه القصة . إلا أن اندفاع الحياة وصوتها كانت له الغلبة على التقاليد . وهذا ما نفتقده في القصص التي تدور في الريف كما يتجلى في « حادثة شرف » على سبيل المثال .

فقصة « حادثة شرف » هي قصة فتى وفتاة من القرية ومآلتهما إليه من ضياع . لغير ما سبب سوى انهما كانا كفتين لعلاقة حب واعدة ما كادت تبدأ ، حتى وأدتها وطأة العرف والتقاليد التي تعتبر الحب عيبا ، مما أهدر مستقبليهما جميعا .

هنا تشير كل أصابع الاتهام إلى مجتمع العزبة في جموده ، وقسوته وتنكره للطبيعة واهداره علاقة واعدة كعلاقة فاطمة بغريب ، وتجريده فاطمة من براءتها . حتى صارت تتردد الآن على بيت صاحبة الماشطة وتتحدى من يسألها . ومع ذلك فهذا المجتمع الذي تؤرقه فكرة العيب هو المجتمع الذي لا يزال غريبا يجد صيده في نسائه (ص ١٠٤ ـ ١٠٥) ولا تزال فيه صاحبة الماشطة تصنع من نفسها وبيتها ستارا قد يلتقي وراءه الرجل بالمرأة . (ص ١١٣) .

فادريس يلح في قصصه الوسطى على فضح ازدواجية الحياة ، أو حياة الرياء ، التي هي امتداد طبيعي لمجافاة العرف والتقاليد لطبائع الأمور ، ولعدم تناول الأمور العاطفية (الجنسية) في النور ، وبطبيعية . ولعل قصة « الشخشيخة » تجسد ذلك في أجلى صوره . اذ كان أهل القرية يستأمنون ذلك المسخ البشري على أسرارهم اعتقادا على أنه لا يسمع ولا يعي ، فلما أهدر هذا الاحتمال ، لم يهدأ لهم بال حتى اغتالوه بليل . ولعل ما يجدر ذكره أن موضوع النفاق الاجتماعي في قصص الحلقة الوسطى ، موضوع غالب حتى في القصص الغير جنسي كقصة « طبلية من السماء » مثلا .

الحلقة الثالثة

تعتبر هذه أخطر المراحل من حيث الرؤى التي تطرحها وطرائق الأداء جميعا وتنتظم مجموعات لغة « الآى .. آي » سنة ١٩٦٦ والنداهة (سنة ١٩٦٩) وأخيرا بيت من لحم (سنة ١٩٧١) وإنما يجمع بين قصصها الجنسي ما يسم دور المرأة فيها من ، إيجابية واضحة قد تصل إلى حد الثورية . وكذلك تغلب الرمزية على قصصها . فهذه القصص وإن يكن مدارها علاقة الجنسين فهي تتجاوز ذلك الى أبعاد انسانية أعمق وأشمل . وفضلا عن ذلك ، فان يكن المألوف في قصص إدريس أنها ذات بعدين أحدهما اجتماعي واقعي والآخر انساني حضاري ، فان هذه القصص الأخيرة تضيف الى هذين البعدين بعدا سياسيا ، بحيث تستقيم (هذه القصص) للقراءة على ثلاثة مستويات . ولعل من فضول القول أن كل مجموعة من هذه المجموعات ، بل كل قصة جديرة بدراسة تحليلية مستقلة . ولذا فحسبي في هذه العجالة أن أكتفي بتلمس المعالم العامة لهذه

المرحلة بمجتزئا بقصة من كل من هذه المجموعات . بادئا بأول مجموعات المرحلة وهي مجموعة « لغة الآي .. آي » .

تلتحم مجموعة لغة الآي .. آي » بمجال هذه الدراسة في ثلاث قصص هي « حالة تلبس » و« هذه المرة » ، ثم « لأن القيامة لا تقوم » وهي جميعا من قصص المنولوج الداخلي ، ومدارها الازمة الداخلية للانسان فيا يذهب اليه الدكتور شكري عياد ودور المرأة في هذه القصص يشكل تحولا هاما إذ تتسلم المبادءة بالنسبة للتحديين اللذين يجابهنها ، وهما الرجل (كتحد خارجي) والقيم السائدة أو الثقافة (كتحد داخلي) وسوف أتخذ قصة حالة تلبس نموذجا للتحليل هنا لما تعكس من خصائص المجموعة والمرحلة على السواء .

« حالة تلبس » هي قصة عميد إحدى الكليات الجامعية الذي نظر من نافذة مكتبه فوقع بصره على طالبة صغيرة تدخن في إدمان ، وبتلذذ واضح . مما أثار العميد وفجر فيه اصطراعا بين عقلانيته وخلفيته الصعيدية ، ثم الوالد الذي فيه . وسرعان ما شغله استغراقه في متابعة طريقة الفتاة في التدخين عن ثورته ، بل وعن همومه ازاء قيود المجتمع والوظيفة . ولم يعد منه الا انسانا يتابع ـ في حنو ـ سعادة إنسان آخر . فينطلق العميد مع خياله وأحلامه ليعيد تشكيل حياته ويعيد النظر في علاقاته وحتى موقفه العدواني من تدخين الفتاة . فإذا به يتبين أن صراعاته لا مبرر لها . ويسيطر عليه سلام شامل يتمنى لو يستمر ولكن هيهات ! فقد رأته الفتاة ورأها هو وهي تنظر إليه . فأسرع كل منهما يتقمص دوره ، الاجتماعي . وعندما راح العميد يستدعي الفتاة ليعاتبها كان يفعل ذلك بتردد وبلا حيوية . اذ كانت الفترة القصيرة التي تحلل فيها من أسر تقاليد الدور الاجتماعي ، كافيه ليتبين خلالها أن الانسان الذي فيه كان أسير المكانة الاجتماعية . وعندما تحلل العميد من هذه القيود للحظة صار قادرا على التعاطف مع الآخرين رغم فارق السن ، والجنس ، والمكانة الاجتماعية . فكأن إدريس يوحي أن ما يعوق التفاهم والتعاطف بين البشر ليس شيئا في طبيعتهم . وإنما هي عوائق من صنع الظروف الاجتماعية . وهذه الفكرة هي عصب قصة ـ لغة « الآي .. آي » . إلا أن إطار قصتنا (حالة تلبس) جنسي ، لذلك فان الاغراء بتفسيرها جنسيا قائم قيامة في قصتي « هذه المرأة » و« لأن القيامة لا تقوم » . مع أن موضوع الأولى القيود التي تنفس على الانسان سعادته في الحياة حتى لو تعمد التفلت منها . بينما قصة « لأن القيامة لا تقوم » تتناول في أبعد أبعادها ـ قضية سياسية . فالتفسيرات الجنسية في القصص الثلاث غير حيوية ولا جوهرية . وهذا يثبت فكرة هذه الدراسة في أن إدريس إنما يوظف الجنس لتشريح علاقات الحياة الاجتماعية والنفسية وتعقب ما يبهظ نفس الانسان . فإذا تجاوزنا هذه المجموعة الى مجموعة « النداهة » فلن نجدها الا امتدادا على نفس الاطار .

تتسع قاعدة الجنس كما وكيفا في مجموعة النداهة . فمن بين قصصها الثمانية يستأثر الجنس بست . وفضلا عن ذلك فان دور الجنس يمر بتحول جوهري ابتداء من تلك المجموعة . ذلك أن موقف المرأة لم يعد أكثر جرأة وثورية إزاء الرجل والتقاليد فحسب ، بل أصبح أكثر استقرارا واتزانا وأقل توترا . إذ هو يستند إلى موقف حضاري واع يقل فيه صراع الأعماق ، ويطرد الاندفاع في مسار تقدمي لا رجعة فيه ولا تدم ، بل له سطوة القدر وحتميته . لا فرق في ذلك بين شخصيات القرية وشخصيات المدينة ، أو طبقة وطبقة ، أو جيل وجيل

الوجه الآخر للمدينة

« النداهة » هي قصة فتحية الريفية البيضاء الطموح ، التي كانت تريد أن ترى مصر « أم الدنيا » وتحيا فيها حياة أفضل من حياة القرية . لقد بهرتها المدينة لأول وهلة . ولكنها في منكمشها « خلف باب حجرتها الموارب » ، لم تلبث أن تعرفت على الوجه الآخر للمدينة ، الوجه الشائه بكل ما يحفل به من جوع ، وتسول ، وفشل ، وكذب ، وخداع ، « وقلة أدب » ونساء قبيحات « دميات » لولا الأحمر والأبيض . والغريب أن كل ذلك لم يفسد الحلم في نظر فتحية تماما . بقيت مصر العظيمة هي مصر العظيمة في نظرها « والشر في كل مكان » . وكانت فتحية في انبهارها بالمدينة وفرقها من

وحلها ترى النجاة في الحذر والأناة . إلا أن المدينة لم تتخذ منها نفس الموقف المستأني . بل راحت تلاحقها على مستويين ، مستوى خارجي ، يتمثل في آلاف الأيدي والابتسامات التداهة الخداعة . وكان سلاحها ازاء ذلك الحذر والتجاهل . وانما الذي الذي كان ينغص حياتها ، هو الهاتف الداخلي اللعين مهددا أن يجذبها إلى القاع مباشرة « حيث الوحل والقيح ، والطين » . مما كان يفجر فيها صراع الأعماق ويثير أقصى حنقها وتصميمها القاطع الملح « أن أبدا لن يكون ، وبيننا الأيام يا مصر » .

ثم سرعان ما تجسد الهاتف في شخص ذلك الشاب « الأبيض الحليوة قاطن الشقة الوحيدة بالدور الأرضي » . وكان قد لمح فتحية وقرر التهامها عساها تكف عن الانكماش وتأنس بالمدينة . فبالغت فتحية في حذرها ، حتى أعياه أمرها . وانتهى الى التعلق بها . بل صار « مستعدا أن يبوح لها بحبه ، وأن يعرض عليها الزواج ، وأن يتزوجها في الحال ، وأن يقتلها إذا رفضت ولم يعد أمامه إلا أن يقتحم عليها الحجرة وليكن ما يكون « ولقد فعل » .

بعد ذلك تأتي عملية الاغتصاب وهي بمثابة « المعادل الموضوعي » لتصارع المدينة والقرية في أعماق فتحية . وتنتظم عملية الاغتصاب حلقات تجسد هذا الصراع الدرامي بين القرية والمدينة حتى ينتهي الأمر بانتصار المدينة ، ليس الانتصار المادي فحسب ، وإنما كذلك بتحول موقف القرية (فتحية) من الرفض المطلق إلى استسلام مغلوب ، إلى استسلام مستمتع ، بل وإلى اعتناق تام للمدينة ، ورفض مطلق للقرية.

في مجموعة « بيت من لحم » يتابع ادريس استغلاله لاطار الجنس في عرضه لقضايا الاحباط ، والضياع ، والانسحاق أمام مفارقات الحياة ، وتحدياتها كما تكشفت على أثر هزيمة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ . والجنس في قصص المجموعة والغ في قضايا السياسة ، ومن هنا كانت قسوته وفظاظته . فمن بين قصص المجموعة ست يستأثر اطار الجنس بها ، وثلاث سياسية . كما ان الثلاث الباقية لا تخلو من اسقاطات سياسية . كما لا تخلو من هذه الأبعاد السياسة القصص الجنسي في المجموعة . فالمجموعة تتابع الأزمة الداخلية للمثقف المصري مع طابع خاص هو نتاج سياقها الزمني . ويمكن ان تتلمس في قصة العنوان نموذجا لروح المجموعة ، وطريقة استخدام ادريس لاطار الجنس .

والخلاصة أن ادريس في استخدامه للجنس إنما يستخدمه اطارا وخلفية لتحليل الحياة من حوله ؛ مركزا على جوانبها الاقتصادية المعاشية في قصص الحلقة الاولى . ثم يتحول ، في قصص المرحلة الوسطى ، إلى امتحان العلاقات البشرية في صلتها بالقيم والثقافة . وأخيرا يغوص مع الانسان التائه في بحر الضياع والانسحاق ، وقد تم له الانسلاخ عن حياة القرية وهدوئها الراكد المميت .

وإنما يلجأ ادريس الى استعمال الجنس اطارا ، لتحقيق عدة أمور . فهو يضمن لفت قارئه ، بل ودخوله عالم قصصه متحفزا ، وربما متحديا حتى يفرغ من القراءة . وهو ما يحقق لادريس هدفه . ثم إنه بإلحاحه على الجنس كأنما يطره قارئه ضمنا من حساسيته من هذا الموضوع ، ويجبره على أن ينعكس عليه بالفهم ويراجع صلاته وعلاقاته في ضوء ذلك الفهم الجديد . وادريس بعد ، إنما يستعمل الجنس بدلالتين . أولاهما ، دلالة حسية واقعية يعكس من خلالها تصوره لمظاهر القلق والمعاناة في حياة الطبقة الدنيا في أعماله الاولى ، وعلاقات الناس في صلتهم بالقيم والثقافة في المرحلة الثانية . مركزا على ازدواجية الحياة أو شيوع حياة النفاق ، مما يدل على قلق الثقافة الشائعة ، واحتيال الناس على ذلك إما بتحكيم العقل والاختيار بالنسبة لناس المدينة ، أو بالانسحاق تماما في القرية والاضطرار إلى أن يكون لهم حياتان كما حدث لفاطمة في « حادثة شرف » . أما في المرحلة الأخيرة ، فادريس يتابع انسانه وقد انسلخ عن حياته القروية الهادئة الراكدة ـ في صراعاته في خضم الحياة الحديثة بتعقيداتها ، وتحدياتها ـ في إطار من استخدام الجنس بالمعنى الوجودي ، الحياتي ، أي ارادة الحياة ، في مقابل العدم أو ارادة الموت . ■■

د . سامي بدراوي
المدرس بالجامعة الأمريكية بالقاهرة

أسرار الهرمونات

بقلم : الدكتورة صبيحه الدباغ

الهورمون مادة يفرزها عضو ويطلقها في مجرى الدم لتنظيم فعالية أعضاء أخرى ، ولم يمكن معرفة فعالية الهورمونات ودراستها إلى أن تقدم علم الكيمياء تقدماً ملحوظاً في أواخر القرن التاسع عشر ، ولو أن الغدد الصم التي تفرزها كانت معروفة منذ أمد بعيد ، بل إن قدامى السومريين والمصريين كانوا عارفين بوجود الهورمونات التناسلية في ادرار الحامل ، فقد كانت المرأة السومرية قبل أربعة آلاف سنة تخلط حبات من الشعير بقليل من التراب تسقيه يوميا بشيء من إدرارها ، فاذا نما الشعير واخضوضر دل ذلك على أنها حامل ، ولم يكتشف الا في العصر الحاضر أن هورمون الاسترين المتوفر في إدرار الحامل محفز بل ومفيد لنمو النباتات ، وتلعب الهورمونات دورها الخطير في الحفاظ على توازن الجسم ، ونلمس مفعولها السحري العجيب في التغذية والنمو والتكاثر ، وقد يؤدي نقصها أو زيادتها الى أمراض خطيرة .

وتطلق الغدد افرازاتها رأسا في الدم ، وقد أمكن استخلاص عدد من هذه الهورمونات ، كما أمكن تحضير بعضها في المختبر ، وتعتمد فعاليات جميع الغدد الصماء على بعضها البعض بصورة وثيقة ، وهي جميعها ذات علاقة بالجهاز العصبي ، فالغدة النخامية التي تكون في منتصف الرأس متدلية من السطح السفلي للمخ ومرتكزة داخل جيب صغير في إحدى عظام الجمجمة تكاد تكون أهم غدة في الجسم إذ أنها بقسميها الأمامي والخلفي تسيطر على الغدة الصماء فوق الكلية والمعروفة بالكظرية وعلى الغدة الدرقية والبنكرياس والمبيض وافراز الحليب من الثديين عند الرضاعة وما الى ذلك ، وتساعد على تقليص الرحم وتسهيل عملية الولادة وخروج المشيمة فيما بعد ، وتحول دون النزف بعد الولادة وتفرز الهورمونات المساعدة لنمو الاطفال . أما إذا أفرطت الغدة النخامية في افراز هورمون النمو فان ذلك يؤدي إلى مرض تضخم الأطراف المعروف بالاكرومكاليا .

معنى زيادة الافراز

وبالاضافة إلى مرض تضخم الأطراف فان هناك أمراضا هورمونية أخرى . أهمها الأوذيما أو الوذمة المخاطية وتضخم الغدة الدرقية ومرض السكر ومرض أديسون ومرض كرافز والبلاهة . وقد وجد بعض العلماء أن زيادة إفراز الفص الأمامي للغدة النخامية قد يؤدي إلى تضخم القلب والطحال والكلية ويتضاعف طول الأمعاء الدقيقة والغليظة معا . ويتضخم الفك السفلي ويكبر حجم الجمجمة . ويتضخم الوجه بحيث يصبح بشوى الشكل . وتضطرب العادة الشهرية عند المرأة أو تنقطع . كما أن الرجال يصابون بالضعف الجنسي أو العنة . وقد تعالج أعراض الغدة النخامية بالأشعة أحيانا وبالعمليات الجراحية الدقيقة أحيانا أخرى .

أما الأوذيما المخاطية التي ألمحنا إليها فمتأتية عن نقص هورمون الغدة الدرقية . والمرض في النساء أكثر منه في الرجال . وفي البلاد المعتدلة أكثر منه في الحارة . ولا نكاد نجد له أثرا في الزنوج . وتبدو أعراضه عادة عندما يبلغ الانسان الأربعينات من عمره إذ ينتفخ الجلد ولاسيا بشرة الوجه والجفون . وتتورم الأطراف بسبب تزايد المواد المخاطية في الأنسجة . ويتساقط الشعر وتتشقق الأظافر ويعتريها الجفاف . ويصحب ذلك اضطرابات في القلب مع جمود العواطف والبلاهة ولا يستطيع بعض المصابين السير أو الوقوف . وتضعف الرغبة الجنسية عند الرجال والنساء معا . وعلاوة على ذلك فان الاخيرات يصبن بانقطاع الحيض أو ندرته مشفوعا بالعقم وانقطاع النسل والاضطراب العصبي .

بعد هذه الصورة المحزنة القاتمة التي قدمتها فانه مما يبعث على الارتياح أن هذا المرض الهورموني وأعني به الأوذيما المخاطية مما ينجح معه العلاج بصورة باهرة وذلك بمستحضرات الغدة الدرقية بتناول أقراص الثيرويدين أو المعالجة بالهورمون المعروف بالثيروكسين .

اليود والبلاهة ؟

وقد تتضخم الغدة الدرقية ويصاب المريض بالغباء والبلادة . نتيجة قلة افرازاتها ونقصها . واصابة النساء به ثمانية أضعاف اصابة الرجال به . وقد ثبت بالبرهان التجريبي والدراسات الاحصائية التي لا تقبل الشك أن نقص عنصر اليود في الطعام والشراب هو السبب الأساسي في ذلك : وقد حاول بعض العلماء نقض هذه النظرية بالاستشهاد ببلاد يكثر عنصر اليود في اغذيتها ، مع ذلك فقد وجد بين أفرادها اصابات بتضخم الغدة الدرقية : غير ان هؤلاء العلماء تجاهلوا حقيقة ارتفاع نسبة الكالسيوم والدهنيات وانعدام الفيتامينات في الغذاء هو الذي حال دون الافادة من اليود وأفضى إلى تضخم الغدة الدرقية . ويعالج هذا المرض أيضا بمستحضرات الغدة الدرقية بمقادير معقولة لئلا تؤدي إلى عكس العمل فقد يكون الافراط كالتفريط أو أسوأ منه . فاذا أخفقت المستحضرات فالعملية الجراحية لابد منها . لأن تضخم الدرقية يفضي الى اضطرابات في القلب وازدياد خفقانه مصحوبا بصداع وصعوبة في التنفس .

أما البلاهة فتجدها مستشرية في بعض المناطق دون البعض الآخر وتكون مشفوعة بفقر الدم واضطراب الجهاز الدموي والتناسل ويبين الأطلس الجغرافي الطبي أن مناطق البلادة المتوطنة . كما يسميها الباحثون . هي على الأكثر جبلية كالهمالايا والألب والبيرنة . ولعل نقص عنصر اليود في هذه المناطق يدا في ذلك . فدور التغذية الصحيحة لا يقل أهمية في ذكاء الشعوب عن الوراثة . فقد تجعل التغذية الخاطئة من الذكي الألمعي أبله بليدا كما نلاحظ ذلك في نقص عنصر اليود مثلا .

ومن أمراض الغدة الدرقية مرض كرافز . وأبرز أعراضه اصطباغ الوجه بحمرة الخجل من دون سبب أو داع بين الحين والحين . مع اختلال الدورة وجحوظ العينين .

وقد سمي اختلال الغدة الكظرية وهي الغدة التي نجدها فوق الكلية بمرض أديسون باسم مكتشفه في أواسط القرن التاسع عشر إذ لاحظ تلون بشرة المصابين به بلون بني غامق وأدرك انه نتيجة لهذا المرض بصغر حجم القلب وتخفت ضرباته وتضعف الكليتان ويصاب المريض باضطراب الجهاز الهضمي والاسهال : وعلاجه

حقن المريض بالهورمون القشري لغدة الكظر .

والسكر هرموني

ومرض السكر هو الآخر مرض هورموني ولعله أشهر الأمراض الهورمونية على اختلاف الأزمنة والبقاع وأشهر من مات به في تاريخنا الاسلامي هو البطل صلاح الدين الايوبي : ويعتقد بعض الباحثين أنه من الأمراض التي تلعب فيها الوراثة دورا . وأيا كان وجه الصواب فان هناك علاقة بين غدة البنكرياس ومرض السكر . وعلاجه هورمون الانسولين الذي استخلص سنة ١٩٢٢ على يد ماكليود وبانتنج فخففا الكثير من الام المرضى المعذبين ؛ وفائدة الانسولين أنه يحول دون ارتفاع نسبة السكر في الدم بالمساعدة على اختزانه في الكبد بصورة النشا الحيواني لحين الحاجة .

وقد بذل العلماء وكبار الأطباء جهودا جبارة في استخلاص مختلف خلاصات الغدد لمرض العلاج كالانسولين لمرض السكر (كما ذكرنا) . وخلاصة الغدة النخامية وهورمون البرولاكتين لزيادة الحليب عند الأمهات المرضعات . ثم جاءت الخطوة التالية وهي تحضير هذه الهورمونات كيماويا في المختبرات فأفلحوا في الحصول على بعضها بهذه الطريقة . وعلى رأسها هورمون الأدرينالين .

ومن الطريف أن نقارن بين الهورمونات والفيتامينات فكلاهما رغم اختلاف الطبيعة والمصدر يؤثر في صحة الجسم وسلامته . وانخفاض نسبتها وارتفاعها مدعاة للمرض : ولايحتاج الجسم الا الى كميات قليلة معقولة من كليهما : وكلاهما يلعب دورا ملحوظا في تمثيل الغذاء ونمو الجسم والحيوية الجنسية .

وهناك وجه مقارنة بين المجموعة الهورمونية والجهاز العصبي فمع أن الأولى متباعدة ولا وسيلة اتصال تشريحي بينها فانها تحت امرة الغدة النخامية التي تسيطر على كل حركاتها وسكناتها على نحو ما يفعل المخ في سيطرته على الجملة العصبية ولو أن الاتصال التشريحي والفيسيولوجي أكثر وضوحا وجلاء في الحالة الأخيرة مما هي في الأولى .

وأخيرا فان للهورمونات فضلها في التمثيل الغذائي فهناك هورمون التمثيل الدهني الذي يفرزه الفص الأمامي للغدة النخامية وهورمونات التمثيل النشوي من المصدر ذاته وهورمون اعادة النشا الحيواني المختزن في الكبد الى سكر في حالة نقص كميته في الدم أي أنه يعمل عكس الانسولين متعاونا معه تعاونا متوازنا . فاية قصة عجيبة هي قصة الهورمونات هذه ! ■■

اكسفورد ـ د . صبيحة الدباغ
الطبيبة الباحثة في مستشفيات جامعة اكسفورد

■ أنا اعرف ما اريد لأنني رجل فقير !

« ادجار الان بو »

■ اسوأ انواع الظلم هو الادعاء بأن هناك عدلا !

« افلاطون »

■ لن نفهم انفسنا ، الا عندما نجد انفسنا في ضياع !

« هنري دافيد تورو »

■ العمل اللا اخلاقي لا يمكن ان يكون عملا سياسيا صائبا !

« وليام جلادستون »

مسرح الحكواتي

وأزمة المسرح العربي

بقلم : سعد أردش

عرضت فرقة « مسرح الحكواتي » اللبنانية مسرحيتها « من حكايات ١٩٣٦ » ، في الكويت خلال شهر يناير (كانون الثاني) الماضي . وقبل ذلك نشرت مجلة « البيان » التي تصدرها رابطة الادباء بالكويت في عدد اكتوبر ١٩٧٩ بيانين احدهما أصدره اعضاء فرقة مسرح الحكواتي اللبنانية في مايو ١٩٧٩ ، والثاني اصدره اعضاء المسرح الاحتفالي بالمغرب ، ثم دعت نفس المجلة الى ندوة لدراسة البيانين برابطة الادباء ، ونشرت محاورات الندوة فيما بعد .

وهناك هدف رئيسي واحد يجمع بين الفرقتين ، ويفرض نفسه على البيانين ، بالرغم من ان احدى الفرقتين تتحرك في ارض المشرق العربي والثانية في ارض المغرب العربي . هذا الهدف هو محاولة كسر السكون الذي يسيطر على المسرح العربي منذ أوائل السبعينات ، باستنباط اشكال ومحتويات جديدة تغير نوعية العلاقة مع الانتاج المسرحي ومع الجمهور . ولا شك ان وحدة الهدف وان اختلف البيانان في بعض التفاصيل ـ تؤكد وحدة الهموم في المسرح العربي ، وفي الثقافة العربية . ولن يتسع المجال هنا لعرض البيانين او لمناقشتهما وتحليلهما ، ولكننا سنعرض للخطوط الرئيسية في بيان مسرح الحكواتي من خلال التعليق على عرض « حكايات ١٩٣٦ » . تقول الفرقة في كتيب العرض ، ان هذا العمل « انطلق من قصة واقعية شعبية ، جرت احداثها في منطقة بنت جبيل (لبنان) سنة ١٩٣٦ عندما هاجت الجماهير سراي بنت جبيل للافراج عن زعمائها الوطنيين الذين اعتقلتهم سلطات الانتداب الفرنسي ، في الوقت الذي كانت تجري فيه اضخم واعنف الانتفاضات الشعبية المسلحة التي شملت انحاء سوريا وفلسطين ولبنان ، ضد واقع التجزئة وسياسة الاستعمار الفرنسي



علم المستعمر مرفوع وهم حوله

والبريطاني ، والصهيونية ، وقد تم تجميع وتنسيق واختيار مواد المسرحية من وثائق ومراجع ، واحاديث محكية من اشخاص عايشوا احداث ٣٦ ، او انتقلت معرفتها اليهم . ومعالجتنا للموضوع لم تكن من وجهة نظر تحليلية او تاريخية حديثة ، بل من زاوية معاناة الفئات الشعبية واشكال مقاومتها . اذن لم يكن الهدف من التعاطي مع احداث ٣٦ هو سرد الاحداث بحد ذاتها ، بل تقديم صور عن تفاعل الجماهير معها . » .

مادة العرض اذن هي الحكايات التي جمعها اعضاء الفرقة ـ أو استمعوا الى رواياتها ـ عن مواقف الفئات الشعبية (الفلاحين والعمال والرعاة ..) في مواجهة الاستعمار والصهيونية ، وفي مواجهة مخططاتها لتمزيق الوطن العربي ـ على الاقل في الاطار الجغرافي للشام ، التي كانت تضم سوريا ولبنان وفلسطين ـ وتجزئته الى دويلات متنازعة ، بهدف تحقيق حلم صهيوني من ناحية واستمرار سيطرة الاستعمار بكل اشكاله على الامة العربية من ناحية اخرى . وهذه المادة تطرح سؤالين : لماذا حكايات ١٩٣٦ ؟ـ و لماذا الفئات الشعبية بالذات ؟!

بين الناس و « الأفندية »

بالنسبة للسؤال الاول ، فان الواضح من العرض أن الفرقة لجأت الى احداث ١٩٣٦ ، لا لمجرد التسجيل التاريخي ، بل لتضع المتفرج ، وضمير المتفرج ، امام تناقض رئيسي بين الممارسات السياسية في مواجهة الاستعمار والصهيونية في ١٩٣٦ وفي نهاية العقد الثامن من القرن العشرين ، وبوجه خاص فيما بعد اشتعال الحرب الاهلية في لبنان : شتان ما بين الموقفين ، ففي ١٩٣٦ كانت المبادرة بيد الجماهير الشعبية ، بينما المبادرة في السبعينات بيد الساسة المحترفين والعسكريين في ١٩٣٦ كان هناك تناقض ميدني بين الفئات الشعبية من ناحية ، « والافندية » المتعلمين ـ او المثقفين ـ من ناحية اخرى ، وقد حسم التناقض لحساب « الافندية » : وفي السبعينات تم ابعاد الفئات الشعبية عن ميدان المعركة ،

وتحولت المعركة الى مساومة بين « الافندية » محترفي السياسة والعسكرية من ناحية ، والاستعمار والصهيونية من ناحية اخرى .

وبالنسبة للسؤال الثاني فان القضية المطروحة هي : لماذا انتقلت المبادرة في السبعينات ـ وهي مرحلة من أشق المراحل وأخطرها في تاريخ الامة العربية ـ من الفئات الشعبية الى محترفي السلطة ؟ هل المعركة القائمة في الارض العربية هي معركة « السلطة » ام معركة الشعب العربي ولا شك ان في طرح القضية ـ وهي واضحة المعالم من حسن الحظ ـ بهذا المنطق الموضوعي ، استفزازا للفئات الشعبية لكي تنتزع المبادرة مرة اخرى من السلطة التي تنتظم المنتفعين والمتسلقين على حساب الشعب وعلى حساب القضية الوطنية . ولكن كيف تستعيد السلطة الشعبية قدراتها على الوقوف في وجه الاستعمار ، وفي وجه الصهيونية ، وفي وجه السلطة المتسلقة التي اثبتت استعدادها للتضحية بكل القيم والاقتناعات الوطنية والقومية في سبيل المكاسب الشخصية ؟!!

لقد فقدت الفئات الشعبية مؤقتا ـ امام التطورات السريعة المتلاحقة ، لغة التفاهم بينها حول القضايا المصيرية ، سواء في هذا اللغة بمعنى الكلمة المنطوقة ، او بمعنى السلوك والتصدي في مواجهة التحديات ، وفي مواجهة هذا الموقف السلبي من الجماهير العربية فلقد تولت الفئة الحاكمة والمنتفعون المحيطون بها سلطة الكلمة والحركة بالنيابة عن الجماهير . فالقضية التي تواجه الفرقة اذن هي : كيف تستعيد الجماهير العربية قدرتها على الحوار في مواجهة الظروف الشاذة التي تواجهها سياسيا واقتصاديا ، داخليا وخارجيا ـ توصلا الى استعادة المبادرة من ايدي السلطة وحوارييها في الداخل والخارج ؟!

ولا شك ان في حكايات ١٩٣٦ تذكرة للجماهير ، مؤيدة بالمستندات التاريخية الدقيقة ، بانها كانت صاحبة الكلمة الفعلية في غمار تلك الاحداث التي قررت مصير الامة العربية وان كان « الافندية » قد تآمروا ضد الجماهير ـ ومع الاستعمار والصهيونية ، من اجل تحقيق مصالح ذاتية زائلة . اما وقد افلس منطق « الافندية » ، فقد آن للجماهير أن تسترد سلطتها ... وكلمتها ... وقدرتها على التصرف المباشر في مواجهة الاحداث الجسام ، مستعملة كل الاسلحة المتاحة ، ومن بينها « المسرح » .

« لا نرفع ستاراً »

« مسرح الحكواتي » اذن ليس مسرحا بالمعنى الذي يجري العمل به في الارض العربية والذي يقوم على الاسس المستوردة من اوروبا : ليس هناك نص كتبه مؤلف ، وليس هناك مخرج تسلم النص من المؤلف او من المنتج الخاص او العام وتدارسه مع الممثلين والتشكيليين وغيرهم قبل أن يقدم للجمهور عرضا مسرحيا متكاملا . والعرض المسرحي لم يعد ليعرض في دار مسرحية محددة ذات معمار خاص وليس سلعة تجارية يحصل عليها المتفرج مقابل ثمن التذكرة ليستهلكها كيفما شاء . انه مسرح « مفترض فيه » انه نابع من الجماهير ، وانه يطرح حوارا بين الجماهير والممثلين الذين « يفترض فيهم » أنهم افراد من الجماهير ، ولذلك فانه ليس لعرض الحكواتي بداية محددة ، او موعد محدد يرفع فيه الستار . ولهذا السبب فان الفرقة قد استغربت عبارة « يرفع الستار الساعة الثامنة والنصف مساء » التي طبعت على رقاع الدعوة بالكويت .

قال لي روجيه عساف المخرج اللبناني المعروف وأحد اعضاء الفرقة : اننا لا نرفع ستارا ، وليس لنا موعد محدد

المخرج روجيه عساف يتولى ادارة الموسيقى والمؤثرات الصوتية من الصالة





الممثلون في القاعة مع الجمهور

تبدأ فيه العرض ان لقاءنا بالجمهور قد بدأ بالفعل منذ ساعة تقريبا . وكانت الساعة قد جاوزت الثامنة بقليل .. نظرت في صالة المسرح فاذا بمجموعة من الفتيان والفتيات يدورون بالصالة ويختلطون بالجماهير ، يثرثرون ويغنون ويرقصون ويعزفون على الالات الشعبية . وفهمت أن هؤلاء الفتيات والفتيان ليسو الا ممثلي الفرقة ، وانهم انما يستقبلون الجمهور ـ الضيوف ويعقدون معهم اواصر صداقة تكون اساسا للسهرة المشتركة التي سيتجاذبون فيها الحديث حول « حكايات ١٩٣٦ » . وهذه الحكايات هي حكايات بطولة ابناء الشعب العزل إلا من وطنيتهم وقوميتهم وبغضهم الدائم للاستعمار والصهيونية وأذنابها ، وهي حكايات تكررت في انحاء الارض العربية منذ مهبط القرن الماضي وحتى ما بعد منتصف القرن العشرين . وكانت النتيجة الحتمية للصراع خروج الاستعمار الاجنبي واستقلال الارض العربية تحت حكام وطنيين ، وان كان الاستعمار العسكري قد حل محله استعمار سياسي وثقافي وتبعية حضارية ، بسبب التجزئة التي حلت بالوطن العربي ، وان كان حلم صهيون قد تحقق بقيام اسرائيل على الارض الفلسطينية بشكل تآمري تورطت فيه بعض الانظمة العربية .

حكايات ٣٦ اذن لا يحكيها مسرح الحكواتي لمجرد التسجيل ، ولكن لانها ستجبر الجماهير يقينا على عقد المقارنة العقلانية بين واقع ذلك الصراع الطويل الذي اصبح تاريخا ، والواقع الذي تطرحه العقود الثلاثة الاخيرة من القرن العشرين ، وبوجه خاص منذ ١٩٧٧ .

والعرض يطرح من خلال اهداف الفرقة الموضحة في بيانها توعية العلاقة مع الجمهور ، ونوعية العلاقة مع الانتاج المسرحي بقصد واضح وثابت هو « احداث تغيير جذري في بنية المسرح السائد (في الارض العربية) كمسرح غربي وقمعي في جوهره : تغيير نوعية العلاقة مع الانتاج المسرحي .

المسرح الفقير

فتشكيل الفرقة يقوم على هدف اساسي هو رفض « المسرح السائد » واستنباط « المسرح البديل » ـ وهو في عرف الفرقة « مسرح الحكواتي » . والفرقة تتكون من عناصر وافدة من مناطق مختلفة ومن طوائف مختلفة من لبنان . والفرضية الأساسية في أعضاء الفرقة انهم ينتمون جميعا الى أصول شعبية ، مما يعتبر اساسا قويا وعضويا في العلاقة مع الجماهير . ورأس المال قضية غيرمطروحة ، ويبدو ان الفرقة تعتمد على التمويل الجماعي لافرادها مما يذكرنا بتجربة « المسرح الحر » في التاريخ القريب المصري .

ولا شك ان هذا الاتجاه الاقتصادي يفرض بالضرورة منهج « المسرح الفقير » في الانتاج ، حيث المسرح عار ـ بلا ديكور ولا اعدادات شكلية ـ وحيث تستخدم ادوات بسيطة وغير مكلفة ، وملابس موحية ورخيصة ، ان الوحدة الاساسية في المسرح الفقير هي الممثل دون أية اضافات .

اما العرض المسرحي ـ ابتداء من النص ، الى صياغة أداء الممثل صوتا وحركة ، الى اختيار وتقرير المهمات المسرحية وصياغة الجو العام ، اضاءة

وموسيقي .. الخ ، فكل هذا يتم تقريره من خلال « العمل الجمعي او الجماعي » فالفرقة هي الباحث ، وهي المؤلف ، وهي المخرج ومنهج « العمل الجمعي » ، لا يستبعد بالضرورة التدخل الفردي ، وبوجه خاص في مراحل تقرير العناصر المختلفة .

ففي التأليف مثلا يمكن أن تكون الفكرة للمجموعة ـ كما يمكن ان تكون مستمدة من حكايات وحواديت الناس ـ سواء كان هؤلاء الرواة شهود عيان للأحداث او ناقلين لها ثم يعهد بها بعد المناقشة . وبعد اسهام المجموعة في اثرائها وفي جلاء تفاصيلها الى واحد من اعضاء الفرقة واصدقائها لكتابتها في شكل نص قد يكون ثابتا ، وقد تتناوله التغيرات والتعديلات خلال العمل .

وفي الاخراج كذلك فان المجموعة تطرح تصوراتها نظريا وتطبيقيا ثم يتدخل واحد من الأعضاء ، وهو هنا روجية عساف المخرج اللبناني الذى تخرج في فرنسا وخاض تجارب مثرية في المسرح اللبناني المعاصر من اهمها تأسيس « فرقة محترف بيروت للمسرح » في ١٩٦٨ ، فيضع اللمسات الاخيرة للخطة المسرحية ، ويختار لها الموسيقي والاضاءة ، وبوجه عام يحقق للعرض المسرحي وحدة الاسلوب .

ونوعية العلاقة مع الجمهور

ويحاول مسرح الحكواتي في هذا السبيل ان يجد نمطا جديدا للعلاقة تكون رؤية المشاهدين للوطن فيه رؤية « فاعلة »تتيح لهم امكانية المشاركة المجدية في الممارسة المسرحية : وتشكل هذه الرؤية الفاعلة (بالتناقض مع الرؤية السكونية) موقعا تمارس فيه حاجات ورغبات الجمهور ، بحيث يفرز تدريجيا لغته المسرحية الخاصة ، عبر تحديد عناصر تكوين هذه اللغة وكيفية استخدامها وتفترض الفرقة كما تسجل في بيانها ان هذه العلاقة المباشرة ـ الفاعلة ـ مع الجمهور « تبدأ منذ المراحل الاولى لاعداد العرض : اختيار الموضوع ، الكتابة ، الاعداد ، العروض ، وعلى جميع المستويات الفطرية والفنية والاقتصادية » .

ويتضمن هذا النمط من العلاقة « التوجه القصدى الى الجمهور ، اى الى الفئات الشعبية في اماكن توجداها ، بالتعاون مع الهيئات المتواجدة في الاوساط الشعبية : » الاندية الفروع الحزبية ، الجمعيات المحلية .. » .

كما يتضمن ايضا كسر الايهام المسرحي عن طريق استخدام وتطوير اسلوب « الحكواتي » حيث يتقدم الممثل للجمهور كواحد منه ، يحكي ويمثل ، ويغني ويرقص ، ويعزف ، ويعرض اكثر من شخصية في العرض الواحد بل في الحدث الواحد ما يسميه برتولد بخت عنصر التغريب او التبعيد ، ولقد يترتب على كل هذا ان يستجيب الجمهور الى هذه الدعوة النظرية للمشاركة فيشارك بالفعل ـ خلال العرض بالتداخلات في الحوار ، وبعد العرض بالرقص الاحتفالي على خشبة المسرح ـ او في الفراغ المسرحي ايا كان ، كما حدث في الليلة الاخيرة لعرض الحكواتي بمسرح عبد العزيز المسعود في الكويت ، حيث صعد الى خشبة المسرح عشرات من المواطنين السوريين واللبنانيين والفلسطينيين ، رجالا ونساء ، رجالا ونساء ، ورقصوا دبكة استغرقت حوالي ثلاثة ارباع الساعة ، كانت خير نهاية للعرض ، هذه الدبكة تعتبر نوعا من المشاركة ، استجابة لعملية الاستفزاز والتحريض الناتجة من العرض المسرحي بكل مكوناته ، وهي تعني في النهاية نوعا من انواع الاتفاق الفكرى والحركى مع الكلمة التي تطرحها الفرقة .

المسرح الشعبي .. عربيا

وليست هذه النوعية من المسرح جديدة على تاريخ المسرح العربي في النهاية ، ذلك ان « المسرح الشعبي » في انحاء الارض العربية كان دائما يقوم على العناصر الاساسية التي يقوم عليها « مسرح الحكواتي » والتي يدعو اليها بيان « المسرح الاحتفالي » المغربي . فمسرح السامر في مصر (وقد دعا اليه يوسف ادريس في ١٩٦٣ وأبدع « الفرافير » على نسقه في ١٩٦٤ ، ثم ابدع محمود دياب على نسقه « الزوبعة » « وليالي الحصاد » ، في اواخر الستينات ، ومسرح الحكواتي في سوريا (وقد دعا



الافندي الديماجوجي المتطلع للسلطة

اليه سعد الله ونوس في سوريا وابدع على نسقه « حفلة سمر ليلة ٥ حزيران » في ١٩٦٧) ، ومسرح البساط في المغرب ، ومسرح القراقوز في الجزائر (وقد احيا كلا منها الطيب الصديقي وعبد الرحمن ولد كاكي في اكثر من عمل) ، وكذلك التجارب الحديثة في اطار التأليف الجمعي التي قادها في الجزائر مؤخرا كاتب يسن وعبد القادر علولة ، وفي تونس المنصف السويسي ، ومسرح القهوة الذى صاغه ناجي جورج ومحمد فاضل في مصر .. كل هذه وغيرها محاولات جادة ومخلصة استهدفت بالدرجة الاولى استبدال مسرح شعبي نابع من وجدان الجماهير العربية ، بمسرح غربي وقمعي اصبح هو الأخر مصادرا رغم محدودية جدواه .

ولكن يبقي مع ذلك لفرقة مسرح الحكواتي فضلان اولها واهمها الاصرار على مواصلة الانتاج المسرحي ، بمعزل عن السلطة ايا كانت ـ بوجه خاص عن سلطة رأس المال بقصد التغيير ومصادرة الواقع المر الذى يعيشه لبنان ، من خلال التواصل مع الجماهير وتعبئتها وذلك بالرغم من كل الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية التي يعيشها لبنان منذ ١٩٧٧ .

وثاني الفضلين ان الفرقة تجمع في كلمة واحدة عدة طوائف ، وان كانت موحدة الفكر سياسيا .

مجهود مسرح الحكواتي من هذه الناحية يستحق كل تقدير وكل ثناء ، ويجعلنا نتمنى لشباب المسرح العربي في كل وطن عربي ان يجد لنفسه طريقا لمواصلة الكفاح ، وان يحقق من النجاح ما حققه مسرح الحكواتي . ولقد استمتع جمهور المسرح في الكويت بالعرض ، واصابته الدهشة ، احيانا لجدة ما يرى ، وان كان اختلاف اللهجة قد سبب احيانا شيئا من الغموض .

عن الواقع المطروح

ويبقي بعد هذا العرض للتجربة ان تناقش بعض جوانبها على المستويين الفكرى والفنى ، وربما كان المستوى الفكرى أولى بالرعاية ، على أساس أن

مشروعيه وجود الفرقة وكفاحها انما هو في الواقع ، وكما ذكر البيان ، السعي الى ايجاد مسرح يحل محل « المسرح الغربي القمعي » . منطلق الفرقة اذن فكري بالدرجة الاولى ، وليس شكل الحكواتي الا وسيلة لتحقيق الهدف الفكري . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ، وقد طرح نفسه في كثير من اللقاءات مع الفرقة : هل حكايات ١٩٣٦ كافية بحد ذاتها لمواجهة الاوضاع الشاذة التي يواجهها لبنان ، والتي تواجهها الارض العربية والامة العربية ، وواقعها ومستقبلها الحضاري ؟ قد نتقبل هذا من مسرح سلطوي ـ او غربي قمعي كما تقول الفرقة ولكننا لا نكتفي بهذا القدر من الحكايات ، ايا ما كان قياس الحاضر على هذه الحكايات ، من فرقة شابة تؤسس وجودها على رفض المسرح القائم .

لقد كنا نترقب كلمة الحكواتي في الواقع المطروح ، وبخاصة في موقف الفئات الشعبية التي فقدت القدرة على الحركة وعلى التصدي ، بعد ان استأثرت السلطات بمختلف اشكالها بالموقف كله ايجابا وسلبا . ماذا على هذه الفئات الشعبية ان تفعل في مواجهة الاحداث الجارية ، ومع تقدير المعطيات المطروحة للموقف ؟ هل تتشبه بالسلف فتحارب الاستعمار والصهيونية بالحجارة ؟ ! هل تقتحم السجون للافراج عن الزعماء من الافندية ؟ ...

ثم ما هي الاسباب الحقيقية التي أدت الى عجز الفئات الشعبية عن التصدي الكامل للاحداث ، كما كان يفعل السلف منذ العشرينيات وحتى الخمسينيات ؟ لو ان الفرقة طرحت هذه الاسباب وهي دون شك اسباب جوهرية يمكن لرجل الشارع ان يكشف عنها ، لكانت كلمتها اكثر اكتمالا ، وادعى الى استفزاز الجماهير الى مزيد من الوعي والى مشاركة ايجابية في البحث عن موقف اكثر ايجابية في توجيه حياتها ومستقبلها ، ولا شك ان المشاركة في هذه الحالة ستكون اكثر جدوى« وفعالية » من مجرد المشاركة بالرقص في نهاية العرض .

واذا سلمنا بأن الجرعة الفكرية التي يقدمها العرض ضئيلة ومحدودة الفعالية ، بالنسبة للطموحات الفكرية التي يطرحها بيان مسرح الحكواتي ،[١] فاننا . قد نصل في النهاية الى ان الفرقة قد قصرت جهدها في الحقيقة على ادخال بعض التعديلات في شكل العرض المسرحي ، وبوجه خاص فيما يتصل بالعلاقة العضوية بين الممثلين والجمهور ، وهي في النهاية موضع مناقشة لأنها لم تصل الى مستوى العلاقة الفكرية ولانها تبقى دائما علاقة شكلية لايؤثر حذفها على العرض المسرحي بخير او بشر ، اما فيما يتصل باتجاه المسرح العادي او المسرح الفقير فانه لا يضيف اي بعد جديد للتجربة لانه الاصل في المسرح .

ويبقى بعد ذلك ما لوحظ في العرض من تناقض بين الرغبة في التنوير ومخاطبة العقل من خلال شكل الحكواتي ومن خلال البعد القائم دائما بين الممثل والشخصية ، وبين اتباع اساليب التخدير والابهام ، وبوجه خاص في استعمال الاضاءة والموسيقى والشرائح المضيئة والافلام السينمائية وكثير غير ذلك من الوسائل بقصد المواقف الدرامية وتوصلا الى ابهار الجماهير ، كذلك الضجيج الناتج من اللجوء الى كثير من وسائل التعبير في وقت واحد ، ومن كثرة الصوت الزاعق والحركة الزاعقة الامر الذي حرمنا كثيرا من التركيز الذهني ، ومن استقبال الكلمة بعقولنا .

مرحبا بمسرح الحكواتي ، وبالمسرح الاحتفالي الذي لم يقدم لنا تطبيقاته بعد ، ومرحبا بالارتجال ، وبالتأليف الجمعي ، شريطة ان يهجر عيوب المسرح السائد ، وان يدفع الجماهير او يندفع معها خطوة الى الامام . وعلى اية حال فمرحبا بكل التجارب الشابة في المسرح العربي بقصد كسر السكونية والتغلب على ازمة المسرح والثقافة .و.. على أن أسعى وليس على ادراك المنال .

■■

سعد أردش

---

(١) تفتتح الفرقة بيانها بالعبارات الآتية : « تشكلت فرقة مسرح الحكواتي ، واجتمعت عناصرها وغير الثابتة بالضرورة) يحدوها دافع مشترك : الحاجة الى التعبير عبر المسرح . رافق هذه الحاجة وعي لعدم امكانية تحقيقها عن طريق المسرح لسائد ، ومرد ذلك بالدرجة الاولى الى التناقض المتأصل بين تركيبة المسرح السائد ، وبين ما تتطلبه تلبية تلك الحاجة » .

اعداد : يوسف زعبلاوي



المعمرون في تزايد

● اصدرت احدى اللجان المتفرعة عن المنظمة الدولية .... لجنة انشطة السكان ؛ على وجه التحديد .. اصدرت تقريرا هاما ولا يخلو من طرافة .. ويؤكد هذا التقرير ، كما تبين الرسوم الايضاحية المرافقة ان عدد المسنين من فئة الستين عاما او يزيد سيتضاعف في غضون العشرين سنة القادمة حتى يبلغ ضعفي عددهم في سنة ١٩٧٠ ... وستكون نسبة زيادتهم هذه ٥٠٪ في الدول الغنية و ١٥٠٪ في الدول الفقيرة ..

وقل مثل ذلك في المسنين في فئة الثمانين عاما او يزيد فيتضاعف عددهم ضعفين هم الآخرون . أما الأسباب فمردها الى التقدم الذي احرزه الانسان في شؤون الصحة العامة والوقاية من الامراض اولا والى الزيادة في الرخاء والحياة المرفهة ثانيا . اضف الى ذلك ما ترتب على تلك الاسباب من تحديد للنسل وتناقص في عدد المواليد .. ووقوف النمو السكاني عند حد ومما يذكر هنا ان هذا النمو توقف تماما او كاد في احدى عشرة دولة من الدول الغنية المتقدمة ...

اما النتائج التي ستترتب على زيادة عدد المسنين فخطيرة وعديدة .. أبرزها النتائج الاقتصادية المتصلة بالاجور والمرتبات ... ذلك ان النسبة بين العمال والموظفين العاملين الذين لم يبلغوا سن التقاعد وبين أقرانهم المتقاعدين ستمثل لصالح هؤلاء الذين أحيلوا على المعاش ..... فبينما كانت هذه النسبة في امريكا وفي شركة جنرال فولارز بالتحديد ١ : ١٠ اى واحد من العمال العاملين مقابل عشرة من المتقاعدين سنة ١٩٦٧ اصبحت ١ : ٤ في سنة ١٩٧٩ الحالية وستصبح في ١ : ١ في سنة ١٩٩٠ .

الشفـاء من السرطـان بات قريب المنال

● نشرت مجلة لانست lancet المعروفة مقالا عن الانترفرون Interferon والتجارب التي تجرى له حاليا في بلاد السويد .. وقد لا يمضي زمن طويل حتى تثبت تلك التجارب فاعلية الانترفرون ، لا في شفاء الاورام الخبيثة فحسب ، ولكن في معالجة الامراض الفيروسية ايضا ...

واول ما يذكر عن الانترفرون انه يوجد في انسجة الاجسام الحية بمقادير ضئيلة للغاية وقد امكن عزله واكتشاف آثاره العلاجية في لندن قبل اكثر من ٢٠ عاما ... سنة ١٩٥٧ على وجه التحديد .

وتناولـه العلماء بالبحث والتجارب المخبرية في الستينات وما كادت تلك التجارب تثبت لهم فاعلياته التي ذكرنا حتى بات من الضروري الحاقها بتجارب عملية وتطبيقية واسعة النطاق . ولكن ندرة الانترفرون وعدم توفره بالمقادير التي تتطلبها مثل هذه التجارب ادى بالعلماء الى صرف النظر عنه وعن تجاربه ، ولو مؤقتا ....

وانبعث الامل من جديد في اعقاب التقدم الذي احرزه العلماء في ابحاث الهندسة الوراثية في المدة الاخيرة . اذ اصبح في الامكان انتاج الانترفرون بأكلاف قليلة وبكميات كبيرة نسبيا .... وذلك عن طريق عزل الخلايا التي تنتج الانترفرون بصورة طبيعية والعمل على تنشيط انتاجها .. وقد اصبحت هذه الامكانيات قريبة المنال بحيث ان مصانع الادوية في الغرب اخذت تمول بسخاء الابحاث والتجارب المتصلة بها ..... وقد لا تمضي سنة او سنتان حتى يصبح في الامكان انتاج الانترفرون بكميات كبيرة جدا .. قد تبلغ بضع غرامات في السنة ..

وتجدر الاشارة الى ان كميات الانترفرون التي يمكن توفيرها حاليا لا تزيد على $\frac{1}{2}$ غرام سنويا .. ويتم انتاجها او تكريرها في جامعة هلسنكي بفنلندة ... اما المقادير التي تقتضيها الاغراض العلاجية فلا تزيد على جزء واحد من مائة من الغرام الواحد في حالة الاورام الخبيثة وتبلغ $\frac{1}{1000}$ من الغرام الواحد في حالة الالتهابات الفيروسية .....

وتجدر الاشارة ايضا الى ان التجارب التي تجرى في السويد حاليا انما تجرى على اساس ما تنتجه جارتها فنلندة من الانترفرون ، بل قل نصيب السويد منه ... وتشمل هذه التجارب فيما تشمل معالجة بعض حالات اللوكيميا بالانترفرون ، وقد كانت النتائج مشجعة للغاية ، وتبشر بمستقبل زاهر للعقار الجديد .

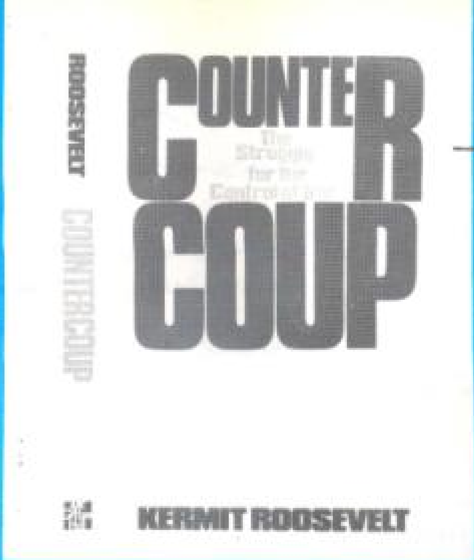
الضجة سبب من اسباب الموت

● الضجة تسبب الطرش ، كما يعلم الكثيرون .. وقد تسبب ايضا الانهيارات العصبية وحالات التوتر وقرحة المعدة وكذلك بعض العاهات الوراثية .. ولكن الضجة قد تؤدي ، فوق ذلك كله ، الى الموت .. وهذا ما لايعرفه الكثيرون وما اثبتت حقيقته دراسة جديدة اجراها العالم المتخصص وليم ميتشام W. Meecham

وقد شملت هذه الدراسة جماعتين ، يبلغ مجموعها ٨٠٫٠٠٠ نسمة ، تعيش احداها على بعد ٣ اميال في مطار لوس انجلس وتعيش الاخرى بعد ٦ اميال من ذلك المطار .. الا ان الفئتين متماثلتان من حيث السن والدخل والتوازن العرقي .. فضلا عن العدد .

وكشفت الدراسة عن ان الوفيات التي سببها ضجيج المطار في الجماعة الاولى زادت ١٩٪ عن الوفيات التي سببها في الجماعة الثانية .. وكشفت ايضا عن زيادة في حوادث النوبات القلبية في الجماعة الاولى بلغت ٤٠٪ ، وزيادة اخرى في حالات تشمّع الكبد بلغت ١٤٠٪ ..

وهذه الآفات الأخيرة لاتسببها الضجة على نحو مباشر .. انما الذي يسببها هو التوتر العصبي ..



كتاب الشهر

اول كتاب يسحب
من التداول في اميركا

انقلاب مضاد!

أخطر وثيقة تدين المخابرات الامريكية في ايران
مدبر عودة الشاه بعد ثورة مصدق يروي القصة

تأليف : كرميت روزفلت
تقديم : فؤاد دواره



من المصادفات الغريبة ان يصدر هذا الكتاب الهاء قبل حادث احتلال السفارة الامريكية في طهران ، الأمر الذي ادى الى سحب الكتاب من السوق في امريكا ، لاول مرة ، ذلك انه يروى بدقة الدور الذي قامت به المخابرات المركزية الامريكية في قلب حكومة « مصدق » الوطنية واعادة الشاه الى الحكم سنة ١٩٥٣ .

وترجع أهمية الكتاب الى ان مؤلفه هو نفسه قائد هذا « الانقلاب المضاد » فكل ما يرويه اما فعله او رآه أو سمعه بنفسه ، ومن ثم يعتبر في نظر المؤرخين « وثيقة » اصلية من الدرجة الاولى .

لنقرأ ما يرويه كيرميت روزفلت ...



كيرميت روزفلت

والمؤلف كيرميت روزفلت هو حفيد الرئيس الامريكي الخامس والعشرين تيودور روزفلت (١٨٥٨ ـ ١٩١٩) ، وهو غير الرئيس فرانكلين روزفلت الذي عاصر الحرب العالمية الثانية .

٢٥ يونيو ١٩٥٣ .. في ذلك اليوم كان سيتقرر مصير عملنا في ايران . كنت احمل معي مشروعا من ٢٢ ورقة تشرح تفصيلات الخطة التي وضع البريطانيون مسودتها ، وقمت أنا بتنقيحها . وكان « جاكس » هو الاسم السري للعملية التي سيتحالف على تنفيذها كل من : شاه ايران ، ونستون تشرشل وانتوني ايدن ، وغيرهما من ممثلي بريطانيا مع الرئيس ايزنهاور ، وجون فوستر دالاس والمخابرات المركزية الامريكية .

لقد حاول الدكتور مصدق عزل الشاه وشغل مكانه ، وتحالف مع الاتحاد السوفييتي لتحقيق هذا الهدف ، كان عمر ذلك الرجل القوي سنة ١٩٥٣ يتراوح بين الثالثة والسبعين والثمانين . وكان يُعتقد انه هو صاحب تلك الخطة ، في حين كان الكثيرون يعتقدون ان السوفييت وراءها ، خصوصا مع ازدياد نفوذ حزب « تودة » الشيوعي خلال الأشهر الاخيرة .

وادراك هذه الحقيقة الاخيرة هو الذي وحد بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وعناصر رئيسية في ايران ، كنت واثقا انها تشمل الشاه والجانب الاكبر من القوات المسلحة والشعب .

وكانت شركة البترول البريطانية ـ الايرانية هي اول من اقترح خطة « جاكس » بعد طردها من ايران منذ تسعة اشهر بعد أن فشلت كل المحاولات لاقناع مصدق بالعدول عن تأميمها وكان دافعها ببساطة هو الرغبة في استعادة احتكارها للبترول الايراني ، اما نحن فكان مصدر اهتمامنا هو خطر السيطرة الروسية .

اتجهت أولا الى مقر رئاسة وكالة المخابرات المركزية ، وهناك قابلت مديرها الن ولش دالاس . ومن هناك اتجهنا معا الى مكتب شقيقه جون فوستر دالاس بوزارة الخارجية .

كان وزير الخارجية جالسا خلف مكتبه الضخم مشغولا بالحديث في تليفونين في وقت واحد ، وامامه مائدة طويلة تجلس اليها مجموعة من كبار المسئولين في وزارة الخارجية ، وتشارلز ويلسون وزير الدفاع ، وأحد معاونيه العسكريين .

وكنت قد اعددت المشروع بقدر كبير من العناية فلم اكتف بمحادثاتي مع البريطانيين ، بل عقدت عدة اجتماعات مع أربعة من اهم رجالنا في الشرق الاوسط لم يكن لهم دور في تنفيذ العملية ، ولكن في حالة الموافقة عليها فيسهمون في نجاحها ، لانهم سبق لهم العمل فترات طويلة في ايران ، وكان احدهم هو رجلي الاول في المنطقة ، وان كان عليه ان يبتعد عنها قبل بدء العملية .

اسرائيل .. « والسافاك »

واخيرا انتهى فوستر دالاس من محادثاته التليفونية ، وانتقل الى رأس مائدة الاجتماع وامسك بالاوراق الموضوعة امامه ، ونظر الى الحاضرين بلا مبالاة وهو يقول :

« هذه اذن هي الطريقة التي سنتخلص بها من ذلك المجنون مصدق » .

وبدأ يقرأ الاوراق بسرعة ، وبين الحين والآخر كان يوجه سؤالا لشقيقه الن ، وكان في معظم الاحوال نسخة باهتة منه ، فيحول السؤال الى في الاغلب ، وأجيب عليه بأقل كلمات ممكنة ، اذ كان كل هدفي هو اقرار المشروع باسرع ما يمكن ، لاغادر المكتب على الفور ..

وكان الجزء الخاص بالقوات المسلحة الايرانية من الخطة قد روجع بعناية فائقة في البنتاجون (وزارة الدفاع الامريكية) وقوبل بحماس وترحيب كبيرين ، كانا واضحين في تأييد وزير الدفاع للعملية في الاجتماع .

وكنت أنا وألن ندرك بطبيعة الحال أن معظم المجتمعين يؤيدون اسرائيل بقوة ، لذلك فقد كان من النقاط التي حرصنا على تأكيدها مرارا ان ايران ليست دولة عربية ، وان علاقتها باسرائيل وثيقة وان لم تكن رسمية ، وقد قويت تلك العلاقات خلال السنوات الاخيرة حينما اسهم بعض الاصدقاء الاسرائيليين المنضمين الى وكالة المخابرات المركزية في تنظيم جهاز المخابرات الايراني ، وقد قرر وليام كولبي ، مدير وكالة المخابرات المركزية السابق في محاضرة القاها في نوفمبر ١٩٧٨ على طلبة جامعة ولاية « اوتاه » ان « وكالة المخابرات المركزية هي التي صنعت « السافاك » ، وهي قوة البوليس الايراني ، وعلمتها انجح اساليب المخابرات » .

هذا العمل الاسرائيلي ، وان تم بصفة غير رسمية ، وبسرية تامة ، فقد كان كبير النفع للايرانيين .

وبعد ان انتهى فوستر دالاس من قراءة الورقة الاخيرة رفع منظاره الى جبهته ونظر الى مباشرة هذه المرة قائلا :

كيم ، ربما لم يتح لبعض الحاضرين قراء تقريرك جيدا لذلك احب ان اعطيهم فكرة عن اهمية ايران ، وبعد ذلك تقدم لهم خلاصة للكيفية التي سيتم بها العمل » .

ثم تحدث بصوته المسطح الذي يشي بملله وحرصه على دفع الحاضرين لتأييد رأيه ، وكأنه مدرس يتكلم أمام جمع من التلاميذ ، ومضى يشرح لهم استراتيجية ايران ، واهميتها في منع وصول الروس الى موانيء البحار الدافئة .

ثم اعطاني فوستر دالاس الكلمة ، فاخذت نفسا عميقا ثم بدأت اقول :

« لقد قمنا بدراسة الموضوع بعناية شديدة ، وبناء على تعليمات مستر الن دالاس ذهبت الى ايران عدة مرات لتقدير الموقف ، وأستطيع الآن أن أقول اننا مطمئنون تماما الى المسائل التي تهمنا اولا : الخطر السوفييتي



حقيقي فعلا ، وخطير ووشيك ، وفي هذه المرحلة يبدو الوقت في مصلحة الروس وصنيعتهم الاحمق دكتور مصدق .

ونقطتي الثانية قد تبدو متناقضة مع الاولى ، ولكني واثق من صحتها ، وهي انه في ساعة الحسم الواضحة ، فان الجيش الايراني والشعب الايراني سيناصران الشاه ضد مصدق والروس ، وليس لدي اي شك في ذلك .

« لذلك نطلب موافقتكم على العمل ، فقد حصلنا على موافقة البريطانيين ، وبمجرد ان نحصل على موافقتكم سنتصل بالشاه ، فقد شعرنا اننا لا نملك القيام بهذه الخطوة قبل الموافقة الامريكية النهائية ..

« والهدف الأول من العملية بطبيعة الحال هو مساندة الشاه في تنظيم الدعم العسكري ولذلك نقترح الاتصال الحذر ببعض قادة الجيش المختارين بعناية ..

« وبالنسبة لاستبدال مصدق لدينا دلائل تشير الى ان الرجل الذي وقع عليه اختيار الشاه هو الجنرال فضل الله زاهدي ، والبريطانيون لديهم تحفظات عليه ، وهذا تعبير مخفف فقد سبق أن سجنوه في فلسطين اثناء الحرب العالمية الثانية ، ولكننا نعرفه جيدا ونثق به ، وهو الآن مختبيء في مكان أمين بعد ان حاول مصدق القبض عليه ، وابنه أردشير شاب معروف جيدا لموظفي سفارتنا ، وثقتهم فيه كاملة ، وولاؤه مطلق لابيه وللشاه ، وستكون قيمته كبيرة كوسيلة اتصال مأمونة مع ابيه .

« وهناك ضباط ومدنيون آخرون يستطيعون القيام بادوار هامة ، وهم رجال يثق بهم ثقة مطلقة الشاه واصدقاؤنا البريطانيون الذين سيرقبون ويساعدون من بعيد . فاذا حصلنا الآن على موافقتكم فستكون الخطوة التالية هي الاتصال بالشاه والعمل معه لتدبير قوة كافية تمكنه من التصرف . فاذا عزل مصدقا وعين زاهدي مكانه فلا بد من تأييد عاجل لقراره ، وسندبر معه التأييد العسكري والشعبي اللازم لاحباط اي مقاومة من جانب مصدق ونصيره الجنرال رياحي قائد الجيش الحالي ، متى تم ذلك فلن يجد الروس فرصة للتدخل ، بل سيكون ذلك مستحيلا .

العناصر المشتركة في العملية

وقبل ان يتكلم فوستر دالاس تدخل الن باقتراح سريع بأن أقوم بتغطية نقطتين :

الاولى تقدير التكاليف ، والثانية تصوري للاحتمال الآخر ، اذا فشلت العملية .

وشعرت بالخجل لاني لم اتناول في حديثي هاتين النقطتين الهامتين ، فسارعت اقول :

« بالنسبة للتكاليف نشعر حقا انها ستكون ضئيلة للغاية ، بالقياس الى أي عملية حيوية من هذا النوع . مائة الف دولار ، او ربما مائتين على الاكثر .. اما النقطة الثانية فمن اشق الامور الاجابة عليها . فلو اننا حصلنا على التأييد الذي ذكرته فلا يمكنني أن اتصور احتمال الفشل . اما اذا كنا قد اخطأنا في تقدير الموقف فمن الصعب التكهن بالنتائج اقل ما يمكن قوله انها ستكون بالغة السوء . ستسقط ايران في ايدي الروس ، وسيكون لذلك تأثير فظيع على بقية الشرق الاوسط .. ولكنني يجب ان اضيف اننا اذا لم نفعل شيئا فسنواجه نفس النتائج .. »

جلس فوستر دالاس صامتا بعض الوقت ، ثم نظر الى وقذف في وجهي هذا السؤال وهو يبتسم للدهشة التي بدت علي :

ـ « ماذا عن الجنرال جولينشاه ؟

ـ « من الواضح انك تعرف انه قائد السلاح الجوي ، وليس هناك شك في ولائه للشاه ، ولكننا لا نرى دورا للسلاح الجوي في هذه العملية . ونريد ان نقصر معرفة خططنا على اقل عدد ممكن ، لذلك لن نتصل بالجنرال جولينشاه في هذه المرحلة .

« هناك عناصر اخرى ستشترك معنا . اولا البريطانيون ، وبصفة خاصة شركة البترول البريطانية ، الايرانية فمنذ طردهم مصدق في العام الماضي ، كونوا لنا علاقات باهم اصدقائهم الايرانيين . ومن هؤلاء رجلان يعتقدون انهما قادران على تقديم



ألن دالاس

خدمات جليلة لنا ، وتعرفها باسمين مستعارين هما « تومي » و « وكافرون » ، وقد التقيت سيادتك مؤخرا ببعض رجال الشركة ، ومنهم مستر كالاهان الذي يشغل فيها منصبا رئيسيا ، ومساعداه جوردون سومرست وكان اهم رجالهم في ايران ، وقد عرفنا بعدد من اصدقائه المخلصين ، وهنري مونتاجيو الذي سيستقر في قبرص ليتولى مسئولية الاتصال اللاسلكي بنا وابلاغكم رسائلنا وابلاغنا رسائلكم .

« ومن الجانب الامريكي هناك رجلنا الرئيسي جورج كوفييه مدير المنطقة ، وسيغادر ايران بعد وصولي لانه اصبح من الوجوه المعروفة هناك ، وخليفته هو بيل هرمان الذي قضى عاما في الشرق الاوسط . ومعنا عدد آخر من الاشخاص الممتازين وهم موجودون الآن بالسفارة ، وسأصحب معي احد العسكريين السابقين من ذوي الخبرة في الشرق الاقصى ، وهو بيتر ستوغمان ، ليكون حلقة الاتصال الرئيسية بيننا وبين العسكريين الايرانيين .

« وهناك ايضا ايرانيان اثبتا نفعهما الكبير خلال العمليات التمهيدية ، ولا شك ان اسهامهما سيكون عظيما خلال الاسابيع القادمة ، وهما شقيقان اصطلحنا على الاشارة اليهما باسم « الاخوان بوسكو » وهما تجاربهما السابقة في العمل السري ، وهما واثقان من قدرتهما على اثارة السوق لتأييد الشاه ، وستكون تلك هي الاشارة التي يحتاجها الشعب والجيش » .

الاتصال بالاميرة « اشرف »

واخيرا خرج فوستر دالاس عن صمته ليسأل الحاضرين عن آرائهم وتعليقاتهم ، فلم يزيدوا على كلمات قليلة ، كلها تأييد وموافقة ، فنهض فوستر دالاس ، وهو يقول :

ـ « ما دام الامر كذلك فلنبدأ اذن » .

واتجه الى مكتبه ورفع سماعة التليفون وهو يشير الينا بالخروج من الحجرة . كان من الواضح انه سيتصل بالبيت الابيض .

وتأخر سفري الى طهران بعض الوقت بسبب حصوة اكتشفها طبيبي في كليتي ، واصر على اجراء عملية لاستخراجها ، وبعدها سافرت الى بيروت عن طريق باريس وروما ، ثم الى دمشق .

وفي دمشق التقيت بفرانسيس جرانجر ، الذي صحبني في رحلتي الى طهران عبر العراق . فقد كنا حريصين على ان نحيط دخولي ايران باكبر قدر ممكن من السرية ، ولما كانت سجلات المطارات اكثر انضباطا وتنظيما ومن السهل الرجوع اليها فقد فضلنا طريق السيارات المار بخانقين عند الحدود العراقية الايرانية ، لان سجلات نقاط الحدود لا تبلغ للجهات المركزية الا كل عدة أشهر ، ان لم تقل كل عدة سنوات .

وقد ثبتت صحة ذلك حين مررنا يوم ١٩ يوليو ١٩٥٣ بنقطة خانقين فوجدناها بغير سجلات للمارين ، والتقينا بموظف شديد الغباء ، قرأ في خانة معالم الوجه البارزة عبارة « ندبة على يمين الجبهة » باللغة الانجليزية ، ونقلها بتشجيع مني على انها اسمي !

وصلنا طهران بسلام قبيل موعد اغلاق سفارتنا ، ولم يكن هناك ، داع للتلكؤ عندها ، بل اني لم ادخلها ، وانما مررنا عليها لتصحب رئيس عملياتنا في المنطقة بيل هرمان ليقودنا الى بيته في الجبال .

قضيت الايام الاولى في دراسة تقارير واشنطن

التي كان يقوم بتلخيصها جورج كوفييه وبيل وغيرهما من اعضاء مجموعتنا المحلية

كان كل شيء يسير في طريقه المرسوم . فقد بدأت نغمة الصحف المعادية لمصدق تعلو شيئا فشيئا في حين ازداد اندفاع الصحف المعادية للشاه ، وتصاعد التوتر . وبدأ تليفون بيل وغيره من الرعايا الامريكيين يتلقى تهديدات وسبابا من مجهولين .. وصدرت الاوامر باعتقال الجنرال زاهدي ، ولكنه كان في مخبأ امين بالجبال على بعد لا يزيد عن خمسة اميال من موقع اقامتنا . كنت افكر في الاتصال به عن طريق ابنه اردشير ، وهو صديقي ولكن كوفييه كان له رأي آخر ، فرتب لي لقاء مع ايراني آخر يدعي مصطفى فيظي اكد انه يستطيع توصيلنا لزاهدي ، واختار ديك مانفيل ليكون حلقة الاتصال بهذا الايراني .

كانت طهران مكتظة بعملاء السوفييت وجواسيسهم ، اما مجموعتنا فكانت قاصرة على ثلاثة : ديك مانفيل ، وبيل هرمان بالاضافة إلى ، وموظفين صغيرين للاعمال الكتابية . اما الايرانيون الذي يعملون معنا مباشرة فكانوا خمسة : نوسي ، وكافرون ، والشقيقان بوسكو ، ومصطفى فيظي . وفي المرحلة الاخيرة اضيف اليهم محسن التحيوي الذي ادى لنا خدمات هامة . وقبل أن أصل الى طهران كنا قد دبرنا اتصالا بالأميرة أشرف شقيقة الشاه وكانت صحف مصدق قد غالت في مهاجمتها حتى اضطرت الى مغادرة البلاد والاقامة في سويسرا .

واستجابة لاقتراح البريطاني جوردون سومرست وقع اختيارنا على ضابط الطيران تشارلز ميسون ليصحبه في لقاء الاميرة لاخبارها باصرار بريطانيا وامريكا على تأييد شقيقها واقناعها بالعودة الى طهران لاحاطة شقيقها بهذا القرار . ولما كان ميسون يعتبر نفسه ساحر النساء في القرن العشرين ، فقد رحب بالقيام بهذه المهمة مع الاميرة الفاتنة التي طلبت طائرة خاصة باسرع ما يمكن . وحضرت الى طهران حيث استقبلتها صحافة الحكومة بأعنف هجوم ولم تقابل شقيقها الا في ظروف غير مطمئنة ، احسا خلالها انها موضوعان تحت الرقابة ، فلم تستطع ان تصرح له بما تريد وعادت الى سويسرا .



الجنرال نصيري

وبعد ان فشلت عدة محاولات للاتصال بالشاه قررت أن أقوم بهذه المهمة بنفسي مهما كانت النتائج .

الشاه يفكر في القرار

في اواخر يوليو ١٩٥٣ كانت كثير من العناصر قد بدأت تنسحب من حول مصدق ، كحزب العمال ورجال الدين ، على رأسهم آية الله كاشاني ، وكبار التجار ، وانعكست آثار ذلك في سوء الاحوال الاقتصادية وهبوط سعر الريال الايراني . وحاول مصدق اقناع الرأي العام بان الولايات المتحدة تؤيده في الوقت الذي كان يحذر فيه واشنطن بانها اذا لم تغدق عليه مساعداتها المالية فان ايران ستتحول الى الشيوعية .

وبعد ان حل مجلس الشيوخ اجرى استفتاء عاما ايدت خلاله الاغلبية الساحقة حل مجلس النواب . وقبل اجراء الانتخابات الجديدة كانت استعداداتنا قد اكتملت فقد تم الاتصال بنوسي وكافرون رجلي شركة البترول البريطانية ، وتم لقائي بهما في منزل مهجور في حارة متفرعة من احد الشوارع الرئيسية . وهناك بحثت معهما موضوع الاتصال بالشاه ، فرشحا للمهمة عميلا مشتركا للمخابرات المركزية وشركة البترول البريطانية ، واتصلا به وكلفاه باخطار الشاه ان مسئولا امريكيا يمكنه ان يتحدث باسم ايزنهاور وتشرشل يرغب في مقابلته سرا لابلاغه رسالة هامة .

وسرعان ما جاء الرد بان الشاه بلغته رغبتي وان سيارة صغيرة ستلتقطني عند منتصف الليل من خارج حديقة البيت المهجور الذى نجتمع فيه . وجلسنا ننتظر الموعد . كان ذلك يوم السبت اول اغسطس ، وقبل ان ينتصف الليل بقليل خرجت من البيت وحدى فوجدت سيارة صغيرة سوداء تنتظر ، فركبتها ، ولم يقل السائق كلمة واحدة . وحين اقتربنا من بوابة القصر تمت في ارضيه السيارة وتغطيت بملاءة .

توقفت السيارة في منتصف المسافة بين بوابة القصر ودرجات سلمه . وهبط الدرجات شخص نحيل تقدم نحونا ، وفتح باب السيارة ، فسارع السائق بمغادرتها ولم اجد صعوبة في التعرف على جلالته ، ولم ادهش حين تعرف علي بدوره وقال :

ـ « مساء الخير يا مستر روزفلت . لا استطيع ان ازعم اني كنت اتوقع رؤيتك . وان كانت رؤيتك تسرني بالطبع .

ـ « مضت مدة طويلة منذ التقينا يا صاحب الجلالة . وانا سعيد لانك تذكرتني ، فهذا يسهل مهمتي بعض الشيء في اقناع جلالتكم باعتبارى موضع ثقتكم .

ـ ان اسمك ووجودك كافيان لذلك .

واكدت لجلالته اني موجود في ايران ممثلا للرئيس



الأميرة أشرف

ايزنهاور ورئيس الوزراء البريطاني مستر تشرشل ، ولضمان ثقته بي فان الرئيس ايزنهاور سيقول عبارة معينة ـ ذكرتها له ـ في خطابه الليلة بسان فرانسيسكو ، اما مستر تشرشل فقد رتب ادخال تعديل على اعلان الوقت من الاذاعة البريطانية فبدلا من ان يقول المذيع : « نحن الآن في منتصف الليل » سيقول : « نحن الان ـ ويصمت ـ في منتصف الليل تماما . »

كان الشاه هادئا حاضر البديهة ، ولم ألحظ عليه اى توتر او اضطراب ، وبعد استعراض سريع للموقف اتفقنا على اللقاء في الليلة التالية بنفس الطريقة .

وفي اللقاء التالي اقر الشاه اختيار الجنرال زاهدى ليخلف مصدقا ، على ان تترك له حرية اختيار وزرائه . وكنت اتعجل التنفيذ فأقنعني جلالته بالتريث قليلا . كما بحثنا كنوع من الاحتياط الطريق الذى يسلكه جلالته في حالة قيام بعض الصعوبات او الخيانات او شيء من هذا القبيل في طهران . فمادمنا قد قررنا التريث ، فان كل يوم يمر يمثل المزيد من المخاطر ، والمزيد من الاستعدادت ، يزيد في الوقت نفسه من احتمالات الانكشاف .

لذلك فقد استقر رأينا ان يذهب جلالته في مثل هذه الظروف الى تبريز في اقصى الشمال لانها اعلنت معارضتها لمصدق .

خزينة تضم مليون دولار

وفي لقائي التالي بالشاه شرحت لجلالته الخطوط الاربعة التي نتحرك من خلالها ، وأولها التحالف مع بعض رجال الدين ، رغم ان حلفاءنا الرئيسين وهما الشقيقان « بوسكو » يعارضان في الاعتماد عليهم ، فقد طلبوا منا مبالغ كبيرة من المال .

اما الخط الثاني فهو التأييد العسكرى ، ونحن متفقان على انه باستثناء الجنرال رياحي وعدد قليل من كبار الضباط القريبين منه فان القوات المسلحة شديدة الاخلاص لجلالتك ، وقد صحبت معي زميلا يتولى تنظيم الاتصال بعدد محدود من الضباط الايرانيين اختيروا بعناية . (كنت اعني بيتر ستوفان وان لم

اسمه) وكلانا حريص على الابتعاد عن السفارة الامريكية .

وقد سبق ان ذكرت حليفينا الايرانيين الشقيقين « بوسكو » وهما « منظهان » محترفان اثبتا كفاءتهما بالفعل ، ولذلك نعتمد عليهما بثقة كبيرة فلديهما فريق كبير يأتمر بأوامرهما ، وباستطاعتهما توزيع المنشورات وقيادة المظاهرات لرفع صوت المعارضة .

ومن حسن الحظ انهما لم يطالبا باموال كثيرة . وبالمناسبة لدينا خزينة ضخمة الى جوار مكتب مساعدي تكاد تحتل الحجرة باسرها وهي مليئة بالاوراق المالية الايرانية من فئة الخمسمائة ريال وقد استطاع رئيس وزرائكم « بكفاءته » ان يخفض قيمة النقد الايراني بحيث لم تعد هذه الورقة تساوي اكثر من خمسة دولارات امريكية ، ولدينا منها ما يعادل حوالى مليون دولار امريكي . (لم ننفق منها خلال العملية اكثر من ١٠ الف دولار) .

وانتقلت بعد ذلك الى النقطة الرابعة وهي دور الجنرال زاهدي وابنه اردشير ، فاخبرت جلالته ان الجنرال لا يزال مختبئا في الجبال ، واني ذهبت لمقابلته ، حيث اخبرني ان له اصدقاء تعرفهم جلالتك ويمكن الاعتماد عليهم وذكرت له قائمة باسمائهم ، فهز رأسه موافقا .

وتعددت لقاءاتي مع الشاه خلال الاسبوع التالي وكذلك مع نوسي وكافرون .

واخيرا وصلت الامور الى غايتها ، فقابلت الشاه في منتصف ليلة ٨ اغسطس لآخر مرة حيث اتفقنا على كل الخطوات التالية ، واتفقت معه على ان تصله الفرمانات .

عزل مصدق وفرار الشاه

استيقظت في الخامسة من صباح ٩ اغسطس على صوت بيل هيرمان وهو يسب بألفاظ مقذعه لم اسمعه يتفوه بمثلها من قبل ، وهو الهادىء المهذب دائما ، وعلمت ان سبب ثورته هو أن الوسيط الذى كلفه نوسي وكافرون



الشاه محمد رضا بهلوي

بتوصيل الفرمانات للشاه قد وصل الى القصر متأخرا بعد رحيل الشاه .

لم يعد امامنا الا ان نلجأ الى الجنرال نصيري قائد حرس الشاه ليستقل طائرة خاصة ويلحق بالشاه اينما كان ويوقع الفرمانات منه ، وتم هذا الاتصال عن طريق نوسي كافرون ووسيطهما ـ ولكن سوء الاحوال الجوية وحظر التجول الذى فرضه مصدق حالا دون عودة الفرمانات الينا موقعة قبل منتصف ليلة الاربعاء ١٢ اغسطس ، حملها الينا مجموعة من الايرانيين المتحمسين عبروا بها الجبال ولم يكن باستطاعتنا عمل شيء قبل صباح السبت بعد انتهاء العطلة الايرانية الاسبوعية . نصف نهار الخميس وطوال الجمعة .

مضت الايام الثلاثة بطيئة متثاقلة حافلة بالملل والتوتر . ومضي نهار السبت هادئا دون تحركات غير عادية ، وفي المساء جلسنا ننتظر مكالمة تليفونية من الجنرال ناصري تفيد بنجاحه في تسليم الفرمانات لمصدق وزاهدى ، وبدأنا نسمع اصوات تحرك الدبابات بعض الوقت ، ثم ما لبثت ان توقفت ، وتجاوزنا منتصف الليل دون أن تأتي المكالمة المنتظرة ، فازداد توترنا وقلقنا .

ومع الفجر ادرنا المذياع في السادسة صباحا ، فاذا به صامت ، وفي السابعة بدأ الارسال واذاع مصدق بيانا بنفسه ، عرفنا مترجمنا انه يعلن فيه محاولة عزله التي قام بها الشاه بتشجيع من عناصر اجنبية ، ولذلك اضطر الى تولي جميع السلطات بنفسه .

وعرفنا فيما بعد ان ما حدث هو ما كنا نخشاه بالضبط ، وهو الخيانة فاحد الضباط الشبان ممن اساء بيتر ستوغان اختيارهم وتحدث اليهم عن العملية ، ذهب الى بيت الجنرال رياحي مساء السبت وحدثه بالامر فاسرع رياحي بالطواف بالمدينة لجمع كل القوات التي عثر عليها دون ان يخبرها بحقيقة ما يجرى ، بل قال لها ان احد اللواءات يحاول الاطاحة برئيس الوزراء وينبغي القبض عليه واحضاره الى مكتبه فورا .

وخرج الجنرال نصيرى بمجموعة دباباته قليلة العدد من قصر سعد اباد حوالي العاشرة والنصف مساء ، فوصل الى بيت رياحي بضواحي طهران في الحادية عشرة فلم يجد احدا بالبيت ولا حتى خادما واحدا ، فمضى في تنفيذ بقية الخطة المتفق عليها ، وكان المفروض ان يقبض على رياحي قبل تسليم الفرمانات .

وصل نصيرى الى بيت مصدق فوجد جميع القوات التي جمعها رياحي بانتظاره ، ولو ان تلك القوات نفذت تعليمات رياحي حرفيا لما استطاع نصيرى التقدم من ذلك ، ولكنه اعلنهم انه يحمل فرمانات موقعة من الشاه لتسليمها لمصدق ، فتردد مواجهوه ، ثم قرروا ان يسمحوا له بتسليمها ثم يقبضوا عليه ، ولم يكن يريد اكثر من ذلك .

ورفض خادم مصدق ايقاظ سيده النائم ، فأصر نصيرى على تسليم الفرمانات وحصل على توقيع الخادم على ايصال يفيد تسليم الفرمانات الى مصدق ، ثم طلب من قائد القوة المرابطة امام بيت رئيس الوزراء ان يصحبه الى مقر الجنرال رياحي الذى اتهم نصيرى بالخيانة وتدبير انقلاب وامر بالقبض عليه ، وهو يعتقد انه ما زال مسيطرا على الموقف .

والواقع انه ظل مسيطرا بالفعل حتى الساعة السابعة صباحا حين اذاع مصدق بيانه ، وقد علمنا فيما بعد ان الشاه غادر البلاد بمجرد اذاعة هذا البيان .

الشيوعيون يسيطرون على الشارع

كنا بعد ان سمعنا بيان مصدق قد بدأنا نرتب ما ينبغي عمله ، فاذا بنا نتلقى مكالمة من ديك ما تفيل يعلن ان مصطفى فيظى وصل الى بيته ، فطلبت منه ان يبقيه لديه حتى يصل اليه بيل مع الصحفيين الامريكيين الوحيدين اللذين كنا على علم بوجودهما في طهران ليجريا معه حديثا قصيرا يعلن فيه ان الشاه قد عزل مصدقا وعين زاهدى مكانه . ثم يحضر مصطفى بعد ذلك الى مقر السفارة . واضاف ديك ان مصطفى اخبره ان زاهدي موجود الآن بشقة قريبة منا واعطاني العنوان ، وطلب ان يذهب أحدنا لاحضاره ، كما قال انه تلقى مكالمة من صديق ايراني يثق به يدعى محسن التحيوى ، ورغم انه لم يصارحه بشيء فقد احس اننا نقوم بعمل ما فتطوع للمعاونة . وقام بالفعل . بدور كبير خلال المرحلة الباقية من العملية ، فقد نقل الى شقته وحدة اللاسلكي وعاملها الامريكي ، وكانت هي وسيلتنا الوحيدة للاتصال بالعالم الخارجي .

وذهبت الى فريد زيمرمان احد معاوني الذى لم يقوموا بأى عمل بسبب التبلد ، وعرضت عليه استخدام قبو منزله وكان قريبا من مقرنا ، لاخفاء الجنرال زاهدى فرحب ، ووعد بان يقدم بنفسه الطعام ويوفر له كافة احتياجاته ، فقمت بنفسي بنقل زاهدى من الشقة التي كان فيها الى قبو فريد زيمرمان وتركتهما معا .

وحين عدت الى مركز قيادتنا وجدت بيل ومصطفى وديك ومحسن التحيوى ، وتلقينا مكالمة من توسى وكافرون مفادها انهما يشعران انهما معرضان للخطر . ويطلبان بان نرسل اليهما من يحضرهما الى مقرهما ، فذهب بيل اليهما وسرعان ما جلسنا جميعا نضع برنامج العمل . كان من الواضح اننا بحاجة الى كمية كبيرة من نسخ الفرمانين ، وبخاصة ذلك الذى يعهد برئاسة الوزراء الى زاهدى فجلس محسن ليكتبه على الآلة الكاتبة الفارسية ليطبع بعد ذلك على آلة الاستنسل » واستغرقت العملية بعض الوقت ، فلم تنته قبل المساء .

ارسلنا معظم نسخ الفرمانين الى الشقيقين « بوسكو » ، واحتفظنا بالباقي لغيرهما من الاعوان .

واخذ كل من مصطفي ومحسن نسختين ، وطلبنا من الاول الذهاب الى اصفهان للحصول على تأييد قائد قواتها المسلحة ، ومن الآخر الاتجاه الى كرمنشاه لتأمين تأييد قواتها التي تضم عددا كبيرا من الدبابات والمصفحات ، وكانت تربطه صلة وثيقة بقائدها .

في ذلك الوقت كان حزب توده قد استولى على الشارع ، فملأ انصاره الشوارع الرئيسية والسوق يهتفون بسقوط الشاه ويحطمون تماثيله وتماثيل ابيه ، ويستولون على كل ما تقع ايديهم عليه ، ويحطمون المتاجر والمخازن ، مما ملأ نفسي يأسا ، واسعد الروس بلا شك . ولكنني سرعان ما ادركت ان ذلك هو افضل ماتمناه ، اذ كلما ارتفع صياحهم ضد الشاه وضح للجيش والشعب انهم أعداؤهم ، وكلما خربوا في المدينة ، ازداد سخط غالبية السكان عليهم ، ولا شيء اكثر من ذلك يمكن ان يزكي نار الصراع ويسرع بحسمه .

وشهد يوم الاحد بعض المظاهرات والنهب ، ثم هدأت الاحوال يوم الاثنين . وكان الاخوان « بوسكو » يستعدان لتحريك مظاهراتهم ، فارسلنا اليهما من يخبرهما بان يكون تحركهما هو الاربعاء ١٩ اغسطس ، وان يكون هدفها الرئيسي بيت مصدق ومحطة الاذاعة .

رئيس الوزراء بملابسه الداخلية

وصل مصطفي فيظي شاحبا مغبرا ليعلن فشل مهمته في اصفهان ، اذ فضل قائدها الا ينحاز للشاه او مصدق حتى ينجلي الموقف اما محسن التحيوى فعاد متهلل الوجه ليعلن نجاحه في مهمته في كرمنشاه وتحرك قواتها نحو العاصمة ، واذا كانت ستستغرق عدة ايام لانها تبعد اربعمائة ميل ، فباستطاعة الاخوان « بوسكو » ان ينشروا خبر تحركها في المدينة .

ويوم الاربعاء بدأ الاخوان بوسكو تحركهم في السوق ، وكان من بين من جندوهم عمالقة « الزير كانا » ، وهم حاملو أثقال يقدمون عروضا قريبة من الطقوس الدينية ، فتجمعوا باجسادهم الضخمة عند مدخل السوق الشمالي ، وبدأوا مسيرتهم تجاه الغرب وهم يهتفون ويتطوحون كالدراويش .

وبدأت اذاعة تبريز منذ الصباح الباكر تؤكد تأييد المحافظة باجمعها للشاه . وانتشر في المدينة ان « بختيار » وقواته في طريقهم الى طهران . ووصل ديك ليعلن ان سائقي سيارات الاجرة يطوفون المدينة بسياراتهم يستخدمون ابواقهم ويهتفون وقد علقوا صور الشاه ، ويطالبون كل سيارة بتعليق صورة للشاه ، فاذا لم يكن لدى صاحبها صورة طلبوا منه تعليق ورقة من ذات العشرة ريالات لانها تحمل صورته .

وبدأت الانباء تتوالى عن قيام مظاهرات تأييد للشاه في كل ارجاء المدينة في الوقت الذى وصل فيه عامل اللاسلكي ببرقية من ولتر بيدل سميث وكيل الخارجية الامريكية نصها :

« تخل عن الامر » وعد فلم يكن قد تلقى منا أية اخبار ، فتشاءم وأراد ان يجنب الولايات المتحدة الظهور بمظهر الضالعة في عملية سرية فاشلة .

كانت البرقية مؤرخة ١٨ يوليو ، ولو انها وصلت في موعدها لأوقعتني في حرج شديد ، اما الآن فكان باستطاعتي ان ارد عليه قائلا :

« تلقينا برقيتك ويسعدني ان انهي اليكم ان زيجلر (الاسم السرى لزاهدى) قد تولى الحكم بسلام وان كجساقوى (الاسم السرى للشاه) في طريقه الى طهران منتصرا » .

كانت جموع المتظاهرين تتدفق امام مكتبنا في طريقها الى بيت مصدق وكان بينهم الكثير من الجنود ورجال الشرطة بملابسهم الرسمية وبين الحين والآخر نسمع اصوات طلقات رصاص .

وفجأة توقف ارسال الاذاعة ، وسمعنا من يعلن ـ كذبا ـ ان اوامر الشاه بتنحية مصدق قد نفذت وتولى الجنرال زاهدى رئيس الوزراء الجديد مسئولياته وان الشاه في طريق العودة الى البلاد .

وكان على الآن أن أقوم بنقل زاهدى من مخبئه الى



اردشير زاهدي

المكان المناسب لتولي القيادة . وبينما كنت اسرع الى قبو منزل زيرمان وجدتني محاصرا بالمتظاهرين . ولمحت وسطهم الجنرال جيلنشاه قائد السلاح الجوى بملابسه الرسمية . وتذكرت على الفور سؤال جون فوستر دالاس عن دوره في العملية . وقد عرفني الجنرال على الفور وشق طريقه نحوي وهو يقول :

ـ « لا شك ان هناك ما يمكن أن أعاون به .

ـ بالطبع احصل على دبابه اذا استطعت والحق بي في هذا البيت المجاور حيث سأعهد اليك بحماية الجنرال زاهدى . »

وسبقته الى القبو حيث رئيس وزراء ايران الشرعي جالسا في ملابسه الداخلية الشتوية والى جواره زيه الرسمي ممدد على مقعد . فسارع بارتدائه . وقبل ان ينتهي . ارتفع ضجيج في الفناء الذى يعلونا . واقتربت الاصوات والهتافات . وانفتح الباب بعنف . فسارعت بالاختفاء خلف فرن القبو في نفس الوقت الذى اندفعت فيه الجموع بقيادة جيلنشاه لتحمل زاهدى الى احدى الدبابات التي كانت تزأر في الفناء .

واتجهت المظاهرة الى بيت مصدق . فاذا به قد فر . فاتجهت الى نادى الضباط حيث شرع زاهدى في تشكيل وزارته الجديدة . وكان من بين اعضائها مصطفي فيظي ومحسن التحيوى . اما ابنه اردشير فلم يضمه الى الوزارة بسبب صلة القربي بينهما . وان كان من الواضح ان الشاه حين يعود سيجد له المنصب المناسب .

وحضر اردشير ليصحبني لمقابلة اعضاء الوزارة الجديدة في نادى الضباط فاشبعوني ضما وتقبيلا . والقى زاهدى كلمة شكر وترحيب فرددت عليه بكلمة مناسبة أوضحت فيها انهم ليسوا مدينين لي ولا للولايات المتحدة او بريطانيا باى دين او التزام .

اعدام حسين فاطمي

يوم السبت ٢٢ اغسطس عاد صاحب الجلالة الامبراطور شاهنشاه منتصرا الى عاصمة ملكة واستقبل استقبالا حماسيا حافلا . وفي منتصف ليلة الاحد ٢٣ اغسطس توجهت الى القصر الملكي . في احدى سيارات السفارة هذه المرة .

كان الشاه ينتظرني في مكتبه وقدم وصيف كأسين صغيرين من الفودكا والكفيار الى جوارها . وكانت اول كلمات قالها بجد ووقار :

ـ « أنا مدين بعرشي لله . ولشعبي . وجيشي .. ولك »

وامسك بكأسه ورفعها وكأنه يشرب نخبا فرفعت كأسي أنا الآخر وشربنا . ثم ابتسم ابتسامة عريضة وقال :

ـ « لا شك أن رؤيتك هنا افضل بكثير من مقابلتك في سيارة مجهولة بممشي الحديقة . صديقك الحميم رئيس الوزراء سيصل بعد قليل . فهل ٩ ماك ما تحب ان تناقشه قبل وصوله ؟

ـ « حسنا يا سيدى اني اتساءل عما اذا كان رأيكم قد استقر بشأن مصدق ورياحي وبقية من تآمروا ضدكم ؟

ـ « لقد فكرت كثيرا في هذا الموضوع .. مصدق سلم نفسه كما تعلم قبل عودتي .. سيحكم عليه ـ اذا

اخذت المحكمة باقتراحي بسجن ثلاث سنوات ببيته في قريته . بعد ذلك سيسمح له بحرية الحركة على الا يغادر تلك القرية .. رياحي سيقضي ثلاث سنوات في السجن ثم يطلق سراحه ليفعل ما يشاء طالما كان ذلك في حدود القانون .. وهناك عدد اخر سينال عقوبات مماثلة مع استثناء واحد وهو حسين فاطمي (وكان وزير خارجية مصدق وذراعه الايمن) ، الذى لم يعثر عليه ولكنه سيعثر عليه حتما . لقد كان اكثرهم وقاحة ، وحرض عصابات توده التي حطمت تماثيلي وتماثيل ابي ، حين تعثر عليه سيعدم » .

ووصل رئيس الوزراء فاستأذنت جلالته في ان اعيد على مسامعهما ما سبق ان قلته لمجلس الوزراء من ان جلالته وايران ليسا مدينين لي ولنا ، اى الامريكيين والبريطانيين الذين ارسلوني باي شيء . سنتقبل الشكر الموجز بامتنان ، ولكن ليس هناك دين ولا التزام من اى نوع . لقد قمنا بما قمنا به لتحقيق مصلحتنا المشتركة والنتيجة نفسها تمثل خير جزاء .

واخذنا نتبادل الابتسامات والمجاملات الدافئة ، وبعد ان انصرف الجنرال زاهدى فاجأني الشاه بان اخرج من جيبه علبة سجائر ذهبية ثمينة قائلا :

ـ ارجو ان تقبلها تذكارا لمغامرتك الاخيرة ...

تقدير مستر تشرشل

في طريق العودة الى الولايات المتحدة توقفت في لندن حيث استقبلني رجال المخابرات البريطانية وشركة البترول البريطانية ـ الايرانية بحفاوة كبيرة ، وكانوا حريصين على ان يسمعوا مني ادق تفصيلات العملية ثم اخبروني ان رئيس الوزراء مستر تشرشل حريص على لقائي بالرغم من مرضه .

وفي ١٠ داونتج ستريت « استقبلني موظف انيق وقادني الى حجرة بالدور الارضي حولت الى غرفة نوم ، وكان مستر تشرشل جالسا وسط السرير وحوله عدد من الوسائد . اجلسني الموظف بالقرب منه ثم انصرف فاذا بتشرشل يزمجر :

ـ « الغبي الاحمق ، انه يعلم أني لا أسمع باذني اليسرى . تعال الى الناحية الاخرى اذا سمحت .. »

ورويت له القصة كاملة بادق تفصيلاتها فكان كثيرا مايقاطعني مستفسرا . وبين الحين والاخر كانت تغلبه سنة من النوم ، فكنت انتظر حتى يستعيد انتباهه فأعيد ما قلت .

وحين ختمت حديثي بوصف لقائي الاخير بالشاه ونص كلمات التقدير التي أسبغها علي اعتدل مستر تشرشل في جلسته وقال :

ـ « ايها الشاب لو اني كنت أصغر قليلا لما تمنيت شيئا قدر ان اعمل تحت قيادتك في هذه المهمة . »

وكان ذلك اروع تقدير سمعته .

القاهرة ـ فؤاد دواره

الظلام .... والنـور

● « لا تمش في الظلام وحـدك ، اذا أحسست بـأن الاضواء من حولك بدأت تخفت ، فقف مكانك وانتظر ... لا تخط بعد ذلك خطوة واحدة الا اذا جاءك صديق يعرف الطريق خيرا منك ، فاذا لم يأت فخير لك ان تمضى الليل واقفا بلا حراك حتى تطلع الشمس ! »

«كيركجارد»

في اوربا ثورة على الاجهاض . الامهات يقلن : « مجيء الطفل ليس صدفة ! انه يجب ان يأتي عندما تريد الأم ، ومتى تريد ! » والدين يمنع الاجهاض .. والدنيا تقول انه جريمة .. والناس في خوف من المستقبل .. وفي الدول المتقدمة يزداد الادراك لمسئوليات الحياة واعبائها .. والاسرة فيها اكثر تنظيما لحياتها .. من اجل هذا يتناقصون .. وهي ظاهرة خطيرة .. والجدل دائر بين الامهات .. البعض يؤيدن التخلص من الجنين ما دامت الاسرة غير مستعدة لاستقباله . والبعض يعترضن .. ترى ماذا كان رأى أمهات زمان في الاجهاض ؟ . منذ قرن ونصف قرن او يزيد ، وقفت امرأة عظيمة تقول : « انه جريمة قتل مدبرة .. حتى لو كان الطفل ثمرة لخطيئة ! هل نصلح الجريمة بجريمة اكبر ؟ » .



العمة جين !

بقلم : منير نصيف

لم يكن لها ولد ولا بنت ، فقد قضت حياتها القصيرة وحدها بلا شريك يقاسمها حياتها . فهي لم تتزوج ، لا لأنها لم تجد الرجل الذى تحبه ، ولكن لانها وجدته ، واحبته واعطته قلبها ، ولكن القدر قسا عليها ، فحرمها من السعادة التي كانت تنتظرها ! لقد مات حبيبها ، والتقت برجال كثيرين بعده ، حاولوا ان يتقربوا اليها .. ان يعطوها الحب الذى افتقدته .. ولكنها اعرضت عنهم .. وعندما استبدت بها الحيرة ، وهي ترى شبابها يذوى ، قبلت الزواج من رجل ثرى ! واذاعت الاسرة الكبيرة عندنا الخبر السعيد .. ولكن سرعان ما عاد الرجل يجر اذيال الخيبة وكانت اقصر خطوبة في التاريخ .. فقد نامت الفتاة لتصحو في ساعة مبكرة من الصباح ، وتهمس في اذن إحدى بنات اشقائها : « كل شيء يمكن أن يحدث .. اى شيء يمكن ان يحتمله الانسان ، الا ان يتزوج بغير حب ! »

وكانت أما عظيمة .. من اعظم امهات العصر الذى ولدت وعاشت فيه منذ اكثر من مائتي عام .. فقد كانت عمة ، وكانت خالة لعدد كبير من البنات والأولاد الذين

انجبهم اشقاؤها وشقيقاتها وكانوا ثمانية ، وكانت هي الطفلة رقم ٧ في هذه الاسرة الكبيرة .. كلهم تزوجوا وأنجبوا اطفالا ..

وكانت هي دائما هناك مع كل حدث سعيد .. مع كل مشكلة .. مع الحياة التي عاشها اشقاؤها بكل ما حملته معها من لحظات سعيدة .. واخرى قاسية .. مع الخطوبات والزيجات والحفلات والاستقبالات ، وصرخات الاطفال منذ ولادتهن .. وكانت تجد في كل هذا الذي يجري حولها بكل ما تحمله لهم الأيام من ابتسامات ودموع . مادة غنية لما كان يجري في رأسها الصغير من افكار وهي فتاة لم تتجاوز عامها السادس عشر ..

في عالم الرجل !

كانت تفكر في هذا العصر البعيد القريب بينما كان عقل المرأة وفكرها .. كل امرأة ، حبيسا وراء جدران وقفت أمامها عاجزة ، فلاهي قادرة على هدمها او حتى تسلقها لترى ما يجري على الجانب الاخر منها .. فقد كان عالمها .. العالم الذي ولدت وعاشت فيه ، هو عالم الرجل وحده !

جاءتها زوجة احد اشقائها يوما تقول لها : « إنني لا اريد هذا الطفل الذي بدأ يتحرك في احشائي .. لابد أن اتخلص منه ، فطفلي الأول مازال طفلا ، وهو في حاجة الى رعايتي . إنني لاأستطيع ان اعطيه كل وقتي ، لانني اشعر ان بطني يكبر ، وان طفل الآخر الذي لم ير النور بعد في حاجة الى رعاية اكبر ! »

ونهرتها .. وقالت في ثورة : « تريدين ان ترتكبي جريمة قتل ؟! عودي فورا الى بيتك .. واستلقي على فراشك .. وسوف اساعدك بقدر ما استطيع ، واعلمي ان اجمل شيء في الدنيا هو هذا الجنين الذي يكبر ويتحرك بين احشائك .. حتى لو كان غير شرعي .. روح جديدة ، ومن حقها ان تعيش .. هل نصلح الجريمة ، بجريمة اكبر منها ؟!

انها جين اوستن الكاتبة الانجليزية التي كانت تسجل خواطرها وافكارها على الورق وهي بعد لم تبلغ ربيعها السادس عشر .. وكانت تكتب في الخفاء .. في ركن صغير من قاعة للبيت الذي ولدت فيه باحدى قرى مقاطعة هامبشاير الانجليزية ، في السادس عشر من شهر ديسمبر عام ١٧٧٥ ، وكان ابوها ناظر مدرسة ، وأمها من بنات الريف !

تكتب في الخفاء

لم تكن جين عندما بدأت تمسك بالقلم ، تريد ان يعرف أحد ، ماذا تصنع بنفسها .. ولم يكن أحد من اهل البيت او الجيران يعرف بدوره شيئا غير عادي عن هذه الفتاة الريفية الصغيرة .. أما هي فقد كانت تجلس الى مكتبها الصغير وتمضي في الكتابة التي عشقتها وهي تحبو مع كتبها في المدرسة الابتدائية في القرية ، حتى اذا سمعت صوت الباب يفتح ، سارعت تخفي اوراقها وقلمها ، وتقفز من مقعدها لتمد ذراعيها تحتضن بهما أبناء إخوتها الذين جاءوا لزيارة العمة الطيبة « جين » !

كانت قصيرة القامة ، نحيفة رقيقة يشع من عينيها العسليتين الجميلتين بريق يمتلىء بالذكاء والعبقرية ، وقد تدلت خصيلات شعرها الكستنائي على جبينها وكانت تحمل بعد هذا قلبا من ذهب .. كانت تحب الناس وتحب الحياة ، وترحب بكل ما تقدمه لها ، وهي تتوقع معها السعادة التي كانت تجدها في معظم الاحيان ، وان كانت قد اخطأت الطريق اليها في أحلى ما تتمناه كل امرأة !

ومضت جين تكتب وتكتب .. وانقضت خمسة عشر عاما قبل ان ترى كتاباتها النور .. لم تنشر الصحف اسمها مرة واحدة .. طوال السنوات القصيرة التي عاشتها .. لم يشعر بها احد وهي تمشي في الشارع في خطوات خجلة ، وكأنها تريد ان تختبىء عن عيون الناس ، وكان اكبر دخل حققته بعد ان بدأت دور النشر في طباعة بعض كتبها لا يتجاوز سبعمائة جنيه في السنة !

قصتها مع العالم

ولكن العالم كله عرف هذه الكاتبة الصغيرة الموهوبة بعد ان رحلت ، تقي خلال السنوات التي

اعقبت سقوط ريشتها من يدها لآخر مرة ، وهي تزيد على قرن ونصف قرن من الزمان ، نجحت مؤلفاتها الستة الرائعة التى قدمتها للناس ، في كسب حبهم وتقديرهم وإعجابهم في كل مكان من العالم الواسع من حولها ، بعيدا عن حدود قريتها الصغيرة .. من الصين الى امريكا .. ومن اوروبا الى قلب افريقيا والشرق العربي .

وفي « رغبة وكبرياء » ✽ Pride & Pregudice ، أروع ما قدمت من كتب ، رسمت جين صورة في ضوء النهار . للعلاقة الوثيقة التى تربط بين شقيقتين تعرفها وتعرف كل شيء عن حياتها ، وعن العاطفة التي جمعت بين قلبيها ، ولم تكن هاتان الشقيقتان سوى جين اوستن نفسها وشقيقتها الكبرى كاسندرا !

لقد سحرت جين بقصة حياتها البسيطة ملايين القراء في خمس قارات ، وترجم كتابها الذى وصفت لنا فيه مشاعرها واحاسيسها الى خمس وعشرين لغة ، وشاهد القصة الملايين من الرجال والنساء الذين قرأوا الكتاب ، والذين لم يقرأوه .. شاهدوها على المسرح ، وفي السينما واخيرا على شاشة التلفزيون بعد أن دخلت الشاشة الصغيرة الى البيوت ، وراح المتنجون يتسابقون على نقل روائع الادب العالمي .

وبعد رغبة وكبرياء ، قدم التلفزيون ثلاثة كتب اخرى لجين اوستن « إيما » Emma ، واقناع Persuasion و « احساس وحساسية » Seuse & Sensibility . ونجحت القصص الثلاث في شد الملايين الى الشاشة الصغيرة ، بعد ان عاشت في قلوبهم سنوات يتناقلونها من جيل الى جيل . في بريطانيا قدر عدد النسخ التي تباع من مؤلفات « جين اوستن » سنويا بأكثر من نصف مليون نسخة !

بعد مرور مائتي عام

وفي شهر ديسمبر من عام ١٩٧٥ ، وفي ذكرى مرور مائتي عام على مولد جين اوستن ، اقامت المكتبة البريطانية معرضا استمر اثنى عشر اسبوعا ، شاهد فيه الانجليز وضيوفهم الخطابات التي كتبتها جين بريشتها ، واصول المقالات والكتب التي عاشت سنوات في الظلام ، والطبعات الاولى من كتبها عندما بدأت دور النشر تحس بالكاتبة الموهوبة بعد تردد طويل !

وقبل ان يغلق المعرض ابوابه ، كان التلفزيون البريطاني ومع ليالي الشتاء الباردة يقدم مسلسلا في خمس حلقات بعنوان « عالم جين اوستن » .

كيف كان عالم هذه الكاتبة الكبيرة ؟ ثلاث او اربع اسر في احدى قرى الريف الصغيرة . هي كل ما يحتاج اليه الكاتب .. حياة افرادها ، احلامهم ، تطلعاتهم للغد ، علاقتهم ببعضهم ، وعلاقتهم بالمجتمع الصغير الذى يعيشون فيه .. إن الامر لايحتاج لاكثر من عين ترى واذن تسمع ، واحساس بما يعرف .. هكذا كانت تجيب على الذين كانوا يلحون عليها بالخروج من عالمها الضيق ! انها لم تبرح قريتها ، ولم تعبر حدود المقاطعة التي أحبتها ، ولم تحاول مرة واحدة ان تحمل إحدى شخصيات رواياتها الى مكان آخر لاتعرفه .. فهي لم تكتب عن شيء لا تعرفه .. لم تنقل حديثا بين الرجال في غيبة المرأة .. كانت امينة مع نفسها ، ومع بنات جنسها ومع قرائها !

رغبة وكبرياء !

عندما انتهت من الفصل الاخير من كتابها « رغبة وكبرياء » كانت قد بلغت الثالثة والعشرين من عمرها .. وحمل والدها كتابها وذهب به الى احدى دور النشر في مقاطعة هامبشاير ، وطالت غيبته ، فقد انقضى النهار او كاد ، واستبد القلق بزوجته وابنائه !

وعاد اخيرا .. والتف حوله ابناؤه يسألون في قلق .. ماذا حدث ؟ هل انت بخير ! وكانت جين اكثرهم قلقا عليه فراحت تشعل له نار المدفأة ، وتقدم له قدح الحساء الساخن ، فقد كانت ليلة باردة ممطرة ! وعندما بدأ الاب

✽ كانت هذه هي الترجمة العربية ، اما الترجمة الحرفية فهي تحيز وكبرياء .

يحس بالدفء ويستعيد قواه ، نظر الى ابنته في دهشة وقال : « ولكنك لم تسأليني عن كتابك يا جين ! »

قالت : « ولم السؤال وقد كنت اعرف النتيجة مقدما يا ابي .. انه لم يثر اهتمام احد ! لاتيأس ، فسوف يبحثون هم عنك ! »

وابتسم في ارتياح ، فقد كان الاب يشفق على ابنته من الصدمة .. انه لم يمض كل هذا الوقت في دار النشر محاولا اقناع صاحبها بقبوله ، فهو لم يكلف نفسه حتى مجرد قراءة بعض صفحاته ! لقد قضى الاب ثماني ساعات كاملة جالسا على مقعد في حديقة القرية محاولا ان يفكر في شيء يقوله لابنته عند عودته الى البيت !

البحث عن زوج

كان الاب دائم القلق ، وكانت قد تقدمت به السن ، وهو يرى بناته قد كبرن وبلغن سن الزواج فأسر الى زوجته بما اعتزم ان يفعله : « لابد ان تنتقل الى العيش في إحدى المدن الكبيرة التي تطل على البحر .. فقد كان البحر مقصدا في تلك الايام من حروب نابليون ، لكل فتاة تبحث عن عريس بين رجال البحرية من مختلف الرتب التي تمنح لهم طبقا لتعليمهم وعراقة الأسر التي يتحدرون منها ! »

ولم تكتم الأم السر طويلا : « فقد وقفت ذات صباح وقالت لابنائها .. لقد رتب والدكم كل شيء .. لابد لنا ان نترك قريتنا « ستيفتون » ، ونرحل الى مدينة « باث » .. انها مدينة كبيرة وجميلة ، وسيطيب لكم العيش فيها ! »

وسقطت جين على الارض مغشيا عليها .. كيف تفترق عن الوجوه التي أحبتها ، والناس الذين عرفتهم ، والاشجار التي كبرت معها في حديقة البيت .. كيف تترك هذا كله وتذهب الى مدينة لاتعرفها ولاتعرف فيها أحدا !

وكانت سنوات حياتها الجديدة في مدينة « باث » هي اتعس فترة مرت بها الكاتبة بالمنزل رقم ٤ بميدان سيدني .. في باث التقت بالرجل الذى احبته ، ولم يعش ليحقق لها حلمها في الحياة الحلوة التي كانت تنتظرها معه .. وانقضت عشر سنوات او اكثر على حياة الاسرة في المدينة الكبيرة .. الى ان حمل اليهم البريد نبأ وفاة زوجة احد اشقائها ، بعد انجبت أن له احد عشر طفلا ..

عودة الى الحياة

وعادت جين الى هامبشاير مع اختها كاساندرا ، لتقيم هي في بيت شقيقها ، ولتصبح اما للاطفال الصغار اليتامى ، حقيقة انها لم تعد الى قريتها التي ولدت فيها واحتضنتها طفلة وصبية وكاتبة ، ولكنها ستكون قريبة اليها .. وفي قرية « شوتون » في عام ١٨٠٩ ، وفي بيت شقيقها ادوارد الذى ماتت زوجته ، عرف اهل القرية « العمة جين » التي وهبت نفسها لتربية الاطفال الصغار الذين فقدوا امهم .. وكانت العمة جين في ذلك الوقت لم تتجاوز عامها الرابع والثلاثين !

وفي « شوتون » قضت جين اوستن اكثر سنى حياتها القصيرة انتاجا .. كانت تكتب في الليل على ضوء الشموع عندما تطمئن الى ان اصغر اطفالها قد اغمض عينيه ونام وهي تحكي له قصة من قصصها الصغيرة



الكثيرة ، ثماني سنوات انقضت وهي ترعى ابناء شقيقها ، قبل ان يداهمها المرض .. لقد اصيبت بداء اديسون ، واستبد بها الارهاق والوهن .. وكانت تضحك من نفسها وهي تتطلع الى مرآتها وترى شبح المرأة التي كانت !

.. ماتت العمة جين

وعندما اشتد بها المرض ، جاءت اختها كاسندرا لترعاها .. وكانت تتوكأ على ذراع شقيقتها لتخرج الى النور وترى الطبيعة من حولها ، فقد كانت تهرب دائما من ظلام البيت والسكون الذي يحتويه بعد ان كبر الاطفال وذهبوا الى المدرسة .. الى ان سقطت أخيرا بين ذراعي اختها ، في الثامن عشر من شهر يوليو عام ١٨١٧ عن ٤٠ عاما وانتهت حياة « جين اوستن » الكاتبة العبقرية التي قال عنها « سومرست موم »لقد وجدت المرأة نفسها عندما ولدت جين الكاتبة .. وقال عنها المؤرخ الكبير مالاي : « انها اعظم ادباء انجلترا بعد شكسبير عملاق الادب الانجليزي » وقال عنها والتر الن : « لقد اصبحت جين مقياسا ومرجعا نعود اليها كلما اردنا ان نقيم اعمال المؤلفين المحدثين !! »

وامام قبرها في كاتدرائية ونشستر .. حيث يأتي الالوف كل عام لزيارة جين .. قامت قطعة من الرخام الاسود تحمل اسمها ويوم مولدها ويوم رحيلها .. مع كلمات التقدير والاعجاب بصاحبة هذا القلب الكبير الذي امتلأ بالحب لكل الناس .. هكذا كان افراد اسرتها ينظرون اليها .. « العمة الطيبة جين » ! ■■

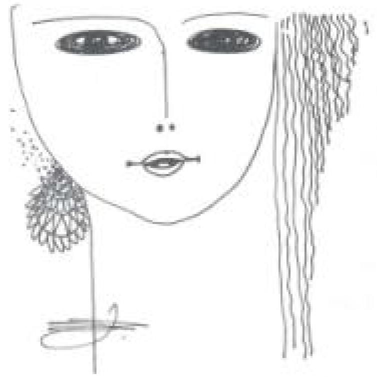
منير نصيف

اللطف يجزي صاحبه

● كنا نتعشى في مطعم انيق من مطاعم نيويورك ، فلاحظت ان عيون رئيس الخدم والخدم وصبيانهم جميعا ، تحتفى بفتاة جميلة تتعشى مع ضابط . وحين خرجنا سألت رئيس الخدم ما سبب هذه العناية بخدمتها خدمة خاصة فقال : « انها افضل سيدة عرفتها » ثم روى الرواية التالية :

« منذ اسابيع كانت هذه الفتاة تخطف عشاء معجلا قبيل ذهابها الى الاوبرا ، وكان احد الخدم يحمل طبقا كبيرا حافلا باصناف الطعام يدنو من مائدتها ، فنهض احد الضيوف على حين فجأة لكي يحيي سيدة ، فانقلب الطبق واندلق الحساء والصلصة والمحار على ثوب الفتاة الابيض الذي ارتدته للسهرة . فهرول موظفو المطعم ليمسحوا ثوبها ، وغض زوار المطعم طرفهم عنها ، ولكن صوت الفتاة الصافي الساكن الفكه رن في المطعم فسمعه كل من فيه « قالت للخادم المحنق : » كان ثوبا قبيحا ، وكانت طياته تتجمع لان الخياطة لم تحسن قصه . وقد كنت امقته . ان بيتي قريب ، فاحتفظوا بطعامي ساخنا ، وسأعود حالا » .

« ثم ، اتعلم ياسيدي ما فعلت حين عادت في ثوبها الجديد وهي اجمل وانظر ما تكون ، انها ذهبت الى مدير المطعم وقالت له : ان عاقبتم الخادم ، فاني سأمتنع عن المجيء الى هذا المطعم وسيمتنع اصدقائي كذلك » .



سلمت للحب

للشاعر فاضل خلف

سلمتِ للأحباب والحب
سلمتِ يا زنبقة المُنحنى
سلمتِ من حادثةٍ روّعت
قلبي المعنّى حين ولّى الصبا
فجئتني اليوم ، لتقضي علي
لكنني مهما براني الهوى
فذوّبي قلبك في خافقي
وأشعلي في الروح ما شئت من
عهدُ شبابي قد توارى ، فلا
فجددي بالحب آفاقه
وفجّري الابداعَ في شاعر
بما حباك الله من نعمةٍ
فأنت للإلهام مستودَع
يا نفحةً عامرةً بالشذا
لا اوحش الحب من المُنتدى

سلمتِ يا أغرودةَ الصبِّ
ونبتةَ العطرِ على الدرب
حبيبي ، ويا وَيحي من الحب
كفَّ عن التشبيب والوثب
ما أبقت الأيامُ من قلبي
لا انثني عن وِرده العذب
إذا تخلفتُ عن الركب
شبابك المستعِر الخِصب
يجودُ من بُعدٍ ، ولا قرب
ونضري من عودك الرطب
كفت سواقيه عن السكب
وما أفاء الله من كسب
هيا أدخلي قلبي على الرُحب
هُبي على الأحباب والصحب
مكانك المُشرق في السُرب



عن الاضراب والمضربين

بقلم : عبد الوهاب شكري

كم من الاشياء التي نحتاج اليها في حياتنا اليومية ونعجز عن اقتنائها او الوصول اليها ، فنضرب عنها حتما قائلين : ((كم حاجة قضيناها بتركها)) وهو تبرير نتعامل به مع انفسنا يمدها ببعض التوازن ويكسبها بعض الرضا .

في حياة الانسان مجموعة من « الاضرابات » لاتنتهي ، تمارس على الطبيعة ولا يسترعى انتباهنا منها الا ما يصدر فقط عن القوى العاملة ، وتظل تلك الجوانب الاخرى لباقي اصناف الانسان بمعزل عن اهتمامنا دون ان تحظى باية اشارة على ضوء « الصيغة الاضرابية » .

من هنا نبدأ

فاذا كان الانسان يفقد شهيته للطعام ، في حالة المرض ، فكذلك الحيوان يضرب عن الاكل ويصوم الى ان يستعيد صحته ، وهو تدبير حصيف يصدر عن حيوان اعجم بدون ايعاز من طبيب . واحيانا يضرب الحيوان عن العمل مثلما يفعل الانسان احيانا اخرى . فتأبى الدابة ان تسلس قيادها احتجاجا على سوء المعاملة التي تلقاها من راكبها الذى يقسو عليها بجذب طرفي العنان لتحدث حديدته بين اسنانها قرعا شديدا يزعجها ويدمي فمها ، علاوة عما يحصل لها من ارهاق شديد عندما تحمل عبئا ثقيلا ولا تحظى بادنى رفق او رعاية .

ويبلغ الاضراب ذروته حينما تستاء الدابة من غلظة صاحبها فتطوح به ارضا دون هوادة ، وتلقي ما عليها من حمولة لتعود الى مربضها او تهيم على وجهها .

كذلك عندما يقع طائر في قبضة انسان تزايله

شهيته فورا ويضرب عن الاكل لمجرد شعوره بفقدان حريته ، ويظل مطرقا واجما في صيام طويل داخل مسكنه الى ان يلفظ انفاسه الاخيرة .

والحشرات والهوام تضرب هي الاخرى عن الطعام والقوت طيلة فصل الشتاء وتخلد الى النوم العميق داخل الثقوب وتحت الاحجار . وهو اضراب تفرضه الظروف المحيطة بها وكذا الطبيعة البنيوية لهذه المخلوقات التي لا تقوى على صقيع الشتاء ..

بداية الظاهرة عند الانسان .

ثم الجنين في بطن امه قد يضرب صفحا عن الخروج بقدرة قادر ، ويفضل البقاء حيث هو مؤجلا رحلة الهبوط بعض الوقت لاسباب نفسانية ، وقد يعدل عنها نهائيا لاسباب صحية فيتابع نومه الازلي بعد ان يتحول الى سقط هو في معنى شهيد اضراب ذهب ضحية انتقام .

والعقم في صميمه اضراب عن الانجاب ، لعجز الجسم من الناحية الفسيولوجية عن الوفاء باحتياجات الوظيفة التناسلية عن هورمونات منوية أو بويضات مخصبة او اية شروط من هذا القبيل سواء بالنسبة للرجل او المرأة .

وما تمرد الطفل عن الدراسة الا اضراب يتحدى به سوء ما يلقاه من معاملة صليمة ترجع في الاساس الى اخطاء في التدريس او جهل بطبيعته النفسية او امكاناته العقلية وعدم احترام شخصيته في البيت او المدرسة ، كما ان اضرابه عن الطعام احيانا الحافز عليه عدم تلبية الاسرة لمطالبه في اقتناء اشياء معينة تفرضها طبيعة المرحلة ، او كبت ميوله الفطرية من لعب وحركة او اية نشاطات ذاتية اخرى تتطلب مجاراته فيها او تشجيعه عليها .

وما يقال عن الطفل في المرحلة الاولى ، يقال عن الطالب الثانوي والجامعي مع فارق في المشكلات الخاصة بكل مرحلة . وفي معرض العلاقات العاطفية نجد في هجر الحبيب لحبيبته سلوكا اضرابيا تجم عن اختلال خطير في التوازن العاطفي وعدم التكافؤ في الطبيعة والمزاج . والتواصل الاول للحبيبين كان ولا شك سطحيا ، فلما قارب درجة العمق او الارتباط الحقيقي بالالفة والانصهار ارتد خلفه بسبب اصطدامه بعناصر الاختلاف والتناقض فيما يستحيل معه الدمج الكلي لروحيهما في عناق وثيق . وقد جاء في الاثار : (الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف) .

وتفس الشيء ينسحب على العلاقة الزوجية الفاشلة التي تنتهي عادة الى فصال وفي هذا المضمار يقول الشاعر :

ان الـــزواج اذا لم يكن غراما
امسى ابـــد الدهـــر خائبا

وثمة حالات نضرب فيها ـ نحن ـ عن الطعام تماما مثلما يحدث اذا غالبنا الحزن العميق او الفرح المفرط . وزوال هذا الاضراب معلق بزوال الحالة الوجدانية العارضة .

الاهداف العامة

واضراب الانسان عن العمل حركة استجابية لظروف استثنائية حافزة . وتلك الحركة في حد ذاتها وسيلة لا غاية تهدف الى انصاف العاملين ، ولا يلجأ اليها الا بعد استنفار جميع المحاولات التفاوضية مع ارباب العمل .

والذى لاشك فيه ان كل تقصير في حق العاملين لا بد وان تنعكس آثاره السلبية على حجم الانتاج . وبقدر ما يسعى العامل الى تحسين احواله المادية والاجتماعية يسعى من جهة ثانية الى دعم روحه المعنوية بممارسة شعائره الدينية . فيقع عادة ان يضرب الصائم المسلم عن شهوتي الفرج والبطن طيلة شهر رمضان من كل عام ما بين بزوغ الفجر الى غروب الشمس ، يحدوه الطمع في مرضاة الله سبحانه ، وهى اقصى ما يطمع اليه مؤمن ، ولكن هذا النوع من الاضراب الذى يسمو بصاحبه الى مستوى قيادة النفس وتربيتها على الطاعة

والعبادة الخالصة بلا رقيب منهاج روحي محض لا يتمسك به الا من أوتي ايمانا غامرا وقلبا خاشعا منيبا .

ولما كان الصوم قوة للارادة وشحذا للعزائم وتساميا بالنفس واخلاصا لله وعزوفا عن الشهوات ، فان الاضراب كوسيلة لتحقيق المطالب المشروعة عند الكادحين هو ايضا مناهضة للاستغلال ورفع للحيف وتكريس لديمقراطية الشغل . ولا يمكن الفصل بين هذا الاضراب او ذاك فكلاهما سبيل واحد نحو غاية واحدة ، وهي الطمأنينة الروحية والمادية . وان اي عامل يفتقد نصيبه الروحي او المادي او هما معا ، شأنه شأن من يمشي

على قدم واحدة او كطائر مهيض الجناحين ، لا سير للاول ولا طير للثاني .

وانه لما كان الافطار في رمضان لغير عذر كبيرة يعاقب عليها ، وبالتالي اهدارا لحق الله باعتبار الصوم له وحده ، فكذلك الاستغلال الذي لامبرر له اهانة للكرامة الانسانية واغتصاب لحقوق العامل ، تلك الحقوق التي يجب ان تصان بنفس القوة التي يحرص بها المشغل على ضمان الانتاج وتوفير الارباح ، او بالاحرى تراعى تلك الحقوق بما يعادل اخلاص العامل في عمله . وفي هذه المعادلة اقوى ضمانة لاستمرار الخدمات بالانتاجية ونمو حجمها بشكل تصاعدي ، لان الانصاف بغض النظر عن التشجيعات الاخرى كيفما كانت ، يزيد من فعالية العامل ومن مردودية العمل . يؤكد هذه النظرية علم النفس الصناعي .

وكما يحدث الاضراب في صفوف الطلقاء يحدث ايضا وراء القضبان بين السجناء السياسيين او من في حكمهم عندما يتعرضون لاساءة او عسف ، فان الاضراب عن الطعام في هذه الحالة امر محتمل ، وقد لا يقتصر على سجين او سجينين بل اكثر من ذلك ، ولو تناءت مراكز اعتقالهم وتباعدت المسافات بينها . وهذا من غريب التضامن . ولا يفض هذا الاضراب الا بعد تغيير اسلوب المعاملة بما يليق . وما اكثر ما اطال سجناء سياسيون اضرابهم عن الطعام الى حد التدهور الصحي والتدخل الطبي لا نقاذ حياتهم التي توشك على الردى ! وهي حالة تهون على الاباة واصحاب المبادىء من ان

يذلوا نفوسهم المتعالية او يحنوا هاماتهم الى ما من اجله ضربت عليهم الاسوار وقضبان الحديد .

ونجد التصوف كمنهاج وسلوك اضرابا تلقائيا يقوم به المتصوفة زهادة في الدنيا وتجردا من متعها وانصرافا كليا الى رحاب الواحد المعبود بالمرابطة والاعتكاف والمناجاة .

وهذا اللون من الاضراب قد يطول او يقصر ، وقد يكون عنيفا جدا او خفيفا نوعا ما . وقد ولع المتصوفة الاقدمون كما ولع المتأخرون منهم بالاضراب عن الدنيا والتنكب عن شهواتها لكي يفلسفوا حياتهم ويعطوها بعدا يتسم بعمق النظرة المتفتحة الماورائية والتطلع نحو آفاق رحبة في محاولة دائبة للوصول الى كنه الحقيقة او وحدة الوجود .

ومن هؤلاء المتصوفة بوذا الذي أمعن في حرمان نفسه بشكل أوشك ان يضربها ، ولكن ما لبث ان ادرك بعد هذه التجربة ان الجوع يؤثر على قواه الذهنية . فعدل عن هذا الاضراب الصارم ليعود الى انتهاج سلوك الاعتدال . اما متصوفة الاسلام كالغزالي وغيره من الاقطاب فلم يكونوا متطرفين كبوذا في اضرابهم الصوفي الذي تميز باعتدال نسبي ضمن لهم صفاء الذهن واستمرارية التفكير المنطقي والجدل الفلسفي .

ومما لا شك فيه ان هؤلاء المتصوفة يجزمون في اعتقادهم ان الدنيا عرض زائل والزهد فيها حكمة وان جهنم حفت بالشهوات ، لذلك عدوا الاضراب عنها انتصارا على النفس الامارة بالسوءواخذوا بزمامها وحملا لها على ما يزينها بالقناعة والرضا في محيط التخلي عن زينتها ومباهجها . واضرابهم هذا يضعونه في مرتبة الصوم المفروض ويقطعون بتعويض النفس في الاخرة عن نصيبها في الدنيا ابتغاء السعادة الابدية في الدارين .

اضراب المتصوفة

ثم ان اضراب المتصوفة في جوهره عبادة مطلقة تكتسب خاصية الانقاذ من الضلال وليس لها حدود

زمانية او مكانية . وتضاف الى المناسك الاخرى مثلها في مقاصدها مثل قارب النجاة الذي يقل راكبه الى شاطىء الامان ليريح المضرب الصوفي نفسه من اهوال الدنيا ومتاعبها المادية الفانتة ثم ليقبع في ركن قاص . ولكنه فسيح يسمح لروحه المتجردة بالتحليق في الاجواء العليا بلا رغبات دنيوية تثقل كاهل النفس وتحملها على الانغاس فيا هو زائل منعدم او على طلب الربح مما فيه خسران .

وعندما يعتنق المرء دينا جديدا يكون قد اضرب عن ملته الاصلية . ولا نحكم له او عليه بالردة في البدء الا اذا عرفنا ضد اي دين قام بهذا الاضراب لنقول انه مرتد او غير مرتد حسب موقفنا او انتائنا لهذا الدين او ذاك . وعلى اي حال لا يخلو اما ان يكون اضرابا ايجابيا او سلبيا والحكم النهائي معلق اما بالاقبال او الادبار .

وفي الشريعة الاسلامية الحكيمة يأتي هجر المرأة في المضجع كاضراب يقصد به تأديبها وحملها على مفارقة النشوز والعصيان لتكتسب من جديد سلوكا يرتفع الى مستوى المرونة والكياسة وحسن التفاهم والمعاملة . ثم لتصبح بموجب هذه الصفات مثالية العشرة نبيلة الاخلاق والعواطف صبورة لينة الجانب وقد دلت تجربة الكثيرين من الازواج على ان هجر المراة في المضجع ولو انه تدبير مرحلي يفيد في انتعاش الحياة الزوجية ويعطيها نفسا جديدا يعيد الامور الى نصابها ويصحح مسارها بعد تصدع وانحراف .

وانه لما كانت اية زوجة لا ترغب في الطلاق الا نادرا . فان شعورها بالقطيعة على الفراش وحرمان ميولها الغريزية والعاطفية من الاشباع . كلاهما كافيان لا قناعها بضرورة الكف عن غوايتها والرجوع الى الصواب لانتهاج سلوك افضل ازاء زوجها .

ولولا جدوى هذا الاضراب لما اقره القرآن أو أمريه ومن ثم ليطبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر مشهور عن امهات المؤمنين بعد ان تآمرن عليه كما تذكر كتب السيرة حيث اعتزلهن جميعا مدة شهر كامل حتى شاع عنه انه طلقهن . وفي شأن ذلك قال تعالى « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع .. » .

وفي المجالات الدبلوماسية يفرض الاضراب نفسه على دولة ضد اخرى عندما تتدهور العلاقة بينهما لاسباب سياسية وغيرها . اذ تجد احدى الدولتين ان لا مناص من مقاطعة نظيرتها اقتصاديا وسياسيا كرد فعل او انتقام . وقد يطول هذا الاضراب او يقصر حسب طبيعة المشكل القائم . ولا ينتهي الا بعد ان تشفي الدولة المضربة غليلها او تأخذ بثأرها . او بعد ان تبرز هناك عناصر جديدة في الموقف لسبب او لاخر مما يسمح باعادة ربط العلاقة بينها ولا يهم الجهة التي تبنت المبادرة لرفع الاضراب .

ومن طريف ما تجدر الاشارة اليه . ان يشكل الاضراب بطابع الاجماع الدولي ليدخل في اطار من التحدي السياسي التأديبي على اعلى مستوى له حيث قررت هيئة الامم المتحدة منذ سنوات مقاطعة المنظمة العنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا ومعها نظام سلزار الذي ساد ثم باد في كافة المجالات السياسية والاقتصادية مع التأكيد على الاستمرار في تطبيق عقوبة الاضراب عن التعامل مع هذه الانظمة في اية مجالات اخرى مالم تتجاوب سياستها مع رغبات الاغلبية من الافارقة السود بمنحهم حق الحرية في تقرير مصيرهم بانفسهم . ولم يجرؤ على خرق هذا الاضراب العالمي بطريقة شبه سرية الا دول قليلة جدا .

وهناك قرارات تدعو الامم المتحدة الى فرض اضراب مماثل ضد اسرائيل . (باعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية البغيضة) .

ونلمح مثل هذه المقاطعة الاضرابية في تاريخ الاسلام الديني عندما اضربت قريش كجبهة معارضة عن التعامل مع بني هاشم وبني عبد المطلب مناوئة بذلك الدعوة الاسلامية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم بوحي من السماء .

نهاية المطاف

مفهوم الاضراب اذن . عام شامل للكثير من تصرفاتنا . فلا غرابة ان اقرته القوانين والاعراف والدساتير الوضعية بعد ان دخل وسط حشد هائل من

الممارسات السلوكية المتشبعة لدى الانسان والكائنات الاخرى منذ النشأة الاولى . ولكنه في خصوصيته وسيلة دفاعية فقط تشكل في حد ذاتها قمة التحدي والمقاومة لا شكال من الاضداد والسلبيات التي تواجه الطبقة العاملة وسائر الكائنات في مختلف الظروف . وهو لهذا يجب ان تنظر اليه بعين الانشراح وسعة الصدر لا بعين التبرم والقلق كما لو انه شبح مرعب وخطير . ثم لا ينبغي ان نقابله بالقمع والادانة . لاننا حينئذ تنكر صراحة او ضمنا جزءا من الحركات التعبيرية الحرة للكائنات عموما كحق ثابت بقوة القانون لا جدال فيه .

ولو فتحنا ابصارنا بتمعن نرقب ما حولنا بدءا بانفسنا لما اصابنا الذهول او الاندهاش وبالتالي الاستغراب والانزعاج من اضرابات العمال التي توالت في السنين الاخيرة للمطالبة بمعادلة الاجور مع الاسعار او الحد من تفاحش الغلاء الذي اضر كثيرا بالقوة الشرائية لدى الفرد وقلصها الى ابعد الحدود وخاصة عند الفئات الاجتماعية الضعيفة والمتوسطة . ولفت النظر اليوم الى الاضرابات في صورة يمليها الاهتمام بقضايا الانسان الحيوية . وعادة ما يأتي الاضراب في بعض الحالات على انه حكمة اذا كان سيترتب عن عدمه ضرر ما . وما صراع الحياة ضد الموت الا اضراب دائم عن الرضوخ للفناء ولولاه ما عاش كائن حي .

ولكن ايجابيات الاضراب من هذه الوجهة . يجب الا تنسينا جوانب سلبية تصدر عن الذين يرفضون العمل بصورة مسترسلة ويركنون للراحة يعيشون عالة على غيرهم او يطلقون سيقانهم للريح يضربون في الافاق دون اهداف في الحياة محددة كالبهيمة السائبة . غير ان اسوأ حالة للاضراب هي تلك التي تصدر عن الذين (يقبضون ولا يعملون) بمقتضى (قانون التأمينات ضد البطالة) وهم كثرة كاثرة بلغت الملايين ولا سيا في اوربا الغربية حيث يضربون عن العمل ويتقاضون اجورهم كاملة . وهم خليط من الشباب والكهول والشيوخ والعجائز . واخطر ما في المشكلة ان اضرابهم غير محدود ولا مقيد بشروط او مطالب كما هو الشأن في اضرابات العاملين . وانما (يختار هؤلاء بمزاجهم عملا صوريا) لمدة قصيرة جدا لضمان حق الاستفادة من التأمين الكامل الذي قد يسحب منهم متى طال تعطلهم . ثم لا يلبثون ان يستأنفوا اضرابهم قتلا للوقت في الشوارع والحانات والملاهي . فلا هم من فئة العاملين ولا هم من فئة العاطلين . وما احسب الشاعر الا الى هؤلاء يشير بقوله :

اذا رام كيدا بالصلاة مقيمها
فتاركها عمدا الى الله اقرب

ثم هناك اقنعة اخرى للاضراب السلبي تتستر وراءها الاقطاعية « التي تكتفي بملكية الارض وتهيمن على الفلاحين المنتجين بهدف استغلال الفائض من انتاجهم لسد احتياجاتها » . وقد ضربت الاقطاعية بجذورها في اعماق المجتمعات المتخلفة منذ اقدم العصور . وهي في الصين اقدم منها في اي بلد آخر . ثم برزت كقوى متحكمة في اوربا قرونا طوالا وكذا في اغلب المجتمعات الرأسمالية اليوم . ■■

ورزازات (المغرب) ـ عبد الوهاب شكري

الرد الوحيد

● الفت مجلة « رد بوك » لجنة لبحث خير الوسائل التي يتوسل بها الرجل للاحتفاظ بود زوجته . ووضعت كشفا باسماء ازواج اختيروا ليسألوا عن ذلك . فلم تتلق الا ردا واحدا من سجين في احد سجون الولايات الغربية . وقد جاء في رده المقتضب : « وجدت خير وسيلة هي الاطباق على عنقها ولكن ينبغي ان لا تبالغ . وارجو ان تلاحظوا تغيير عنواني » .

● قصة ●

رحلة الأسطى أحمد واخته بهيه

بقلم : يوسف القعيد

ـ هل تبدأ الحياة بعد سن الخامسة والستين ؟

سؤال طرحه الاسطى احمد على نفسه ، في ذلك الصباح ، الذى لم يكن جميلا ، والذى بلغ فيه سن الخامسة والستين . وتقرر ان يحال الى المعاش . لم تكن لديه اجابة ، وسبب طرح السؤال ان الاسطى احمد قرر ان يقوم باغرب فعل يقوم به الانسان في مثل هذا اليوم ، قرر ان يتزوج ، وان يتم الزواج في نفس هذا اليوم بالذات . وعندما وصل الى قرار الزواج ، قال لنفسه في خوف ربما كانت صحوة الموت ، فالانسان تصيبه حالة من اليقظة الغريبة قبل النهاية بلحظات قصيرة . قال لنفسه انه ربما كان حساب السنين معه بالمقلوب ، النهاية مكان البداية والبداية بدلا من النهاية . هكذا فكر ، في الامس فقط وصل خطاب صغير الى المحطة التي يعمل في دائرتها من ادارة شئون العاملين ، الخطاب قصير وحاسم ومدبب ، اسطر محدودة تقول انه وصل الى السن القانوني ابتداء من ذلك الصباح ، سويت حالته ، وحصل على خطاب جديد موجه لادارة المعاشات ، يخطرها بالبدء في صرف معاشه . وهكذا وجد نفسه وحيدا ، ومعه الخطاب ، وامامه عدد لا نهاية له من الايام والليالي ، لا يعرف كيف سيقضيه ، حيث الطريق الى القبر يبدو نقطة بدء ، وليست له محطة وصول ، واتى الصباح الذى لن يخرج فيه الاسطى احمد الى عمله ، لانه لم يعد لديه عمل يذهب اليه . بدا النهار كالجبل ، وفقد الصباح طقوسه الجميلة ، فضلا عن ان هناك مشكلة لم تحل ، مشكلة البيت الذى يعيش فيه ، الحديث عن البيت والمعاش والمشاكل يتطلب البدء بالحديث عن عمله ، والاسطى احمد كان من عمال « الدريسة » ، لا احد يعرف اصل كلمة « الدريسة » هذه ، ولكنه يعمل في اصلاح قضبان قطارات السكة الحديد ، وصيانتها والتأكد من تثبيت الفلنكات الخشبية



بالأرض ، وثبات قضيبي السكة الحديد في الفلنكات ، المسافة التي يعمل فيها تمتد الى اربعين كيلو مترا ، على طريق السكة الحديد بين القاهرة والاسكندرية ، كان عامل دريسة اذن ، وهذا معناه انه كان في قاع العمل ، فوقه رؤساء لا يحصيهم العد : الملاحظ ، المراقب ، المهندس ، اى الباشمندس ، المدير والمدير العام ، صف طويل من الافندية لا عمل لهم سوى رئاسة الاسطى



احد ، وهو الوحيد فيهم الذي يتعامل مع قضبان السكة الحديد . يمر على القضبان والفلنكات في المسافة التي يعمل بها ، ويبلغ الرؤساء بما يجده وهم يتصرفون ، لم يكن يعمل بمفرده ، معه اربعة عمال كان المفروض ان يكون هو الاسطى عليهم ، ظروف الايام المقلوبة جعلت غيره رئيسا عليه ، اما كلمة الاسطى التي تسبق اسمه فسببها الوحيد ، تقدمه في السن واقدميته في العمل . طول عمره وهو وحيد ، لا يعرف الان كيف مضى هذا العمر ، ولا كيف تسربت لحظاته وايامه ببطء قاتل . هو من احدى القرى القريبة ، وكانت له قطعة صغيرة من الارض . من يوم حصوله على العمل في المصلحة ترك الدار . قال اخوته ان من يترك داره ينهد شرفه ويقل مقداره . بدأ النزاع على قطعة الارض التي تخصه ، ولكنه منحها لأخته بهية ، اصغر اخوته ، والاقرب الى ابنته منها الى اخته ، وعندما بدأ الحديث عن المعاش ، حاول بكل الوسائل ان يبقى في العمل ، كتب الالتماسات وأرسل الشكاوى وقال انه قادر على العمل ، وليس في حياته ما يعمله ، المعاش يعني بالنسبة له الموت . هكذا تصور وحاول ان يقنع رؤساءه ، الشكاوى التي ارسلها عادت اليه ، المعنى واحد من كل الردود وان اختلفت الكلمات من رد لآخر ، العمل بعد سن الخامسة والستين بالنسبة لعمال الدريسة ممنوع . ولا أحد يملك الحق في اصدار مثل هذا القرار ، وان صدر فلا بد من القول في مذكرات واوراق رسمية كثيرة ، انه لايوجد شخص آخر للقيام بعمله . احنى رأسه ، ولم يجرؤ على اثارة حكاية البيت الذى يعيش فيه وهو ملك للمصلحة ، بيت مبنى من الحجر الابيض ، غرفة واحدة منعزلة عن مساكن باقي العاملين في السكة الحديد لانه اعزب . بالقرب من بابه يمتد شريط السكة الحديد ، خلفه طلمبة ترفع المياه الى فنطاس فوق البيت ، كان يديرها بنفسه في الزمان القديم ، وبجوار الطلمبة شجرة عنب زرعها بنفسه في الزمان القديم . وفي المسافة التي تفصل بين البيت والسور والذى يحدد مساحة الارض التابعة للسكة الحديد ، توجد تكعيبة من الخشب ، تنام فوقها شجرة العنب ، ومن وراء السور ترعة ، وخلف الترعة طريق للسيارات ، عالم متحرك من خلفه ومن امامه وهو وحده الثابت في الارض كأنه دق اليها بالمسامير ، لم يكن يعرف : هل ستأخذ الهيئة البيت منه ؟ هذا مفروض ، فالمساكن تعطى لمن بالخدمة فقط ، ويوجد طابور طويل من العاملين الذين لم يحصلوا على سكن وينتظرون دورهم للحصول على سكن . وعندما اقترب موعد احالته للمعاش ، حدثت خلافات حول من يستحق البيت وتقرر عمل اولويات واجراء قرعة علنية منعا للمشاكل ، ورغم هذه الاجراءات لم يكن لدى الاسطى احمد اى احساس بأنه سيترك البيت في يوم ما . لقد خدم المصلحة ، كل سنوات عمره . ولا يمكن اخذ البيت منه ابدا ، مهما حصل ، الهم الثاني الذى كان يعذبه في ذلك الصباح هو البطاقة التى يركب بها قطارات السكة الحديد مجانا . ان سفرياته قليلة . وحركته نادرة ، وارتباطه في المكان مسألة قديمة ، وربما لم يستخدم هذه البطاقة من قبل كثيرا ، ولكنه بمجرد ان شعر انه سيؤخذ منه ، ادركه القلق . واخذه من جيبه حيث وضعه في مكان بعيد . تحت قطعة حجر في الجدار الخلفي للبيت ، ولم يدرك ساعتها ـ لانه لا يعرف القراءة او الكتابة ـ ان مدة البطاقة تنتهي مع اليوم الاخير له في الخدمة . وهكذا استراح في صباحه بقراره ان لا يترك البيت ابدا . واخفاء البطاقة في مكان لا يعرفه احد ، ثم تفرغ لاهم ما في ذهنه ، حكاية الزواج .

وحكاية الزواج تعود للامس . اليوم الاخير له في الوظيفة ، ففي هذا اليوم رأى الاسطى احمد الاشياء بعين جديدة ، واستقرت المرئيات في قاع العين وتسللت الى القلب المتعب والعقل الذى اصابه صدأ الايام . اكتشف انه كان هناك الكثير من الاشياء لم يكن يراها جيدا ، بسبب الالفة اليومية . وقد وجد نفسه ينفض تراب الالفة عما يراه . وهكذا قرر ان يمر بالمنطقة التي قضى العمر كله وهو يعمل بها . حتى لو استغرق ذلك اليوم كله . في آخر المنطقة التي يعمل فيها من الناحية القبلية يوجد بيت مهجور لم يكتشف وجوده الا في هذا اليوم ، عندما اقترب من البيت الغريب المهجور ، شعر بعطش جارف ، الزمزمية التي رافقته في رحلة العمر لم تكن معه ، اقترب اكثر من البيت ، وجد حوله علامات ودلائل حياة فيه دق الباب ، صفق بيديه ، صاح قائلا :

ـ يا أهل الله .

كانت دهشته بالغه عندما فتح الباب واطلت منه فتاة وجهها كالبدر المنور . تساءل لحظة رؤيته لها ، ان كانت ابنته او حفيدته وهو لا يدرى . نظر اليها وشهق ، شعر بجفاف في حلقه وبحبات عرق تنبت في اكثر من مكان بجسمه واسرعت دقات القلب وغامت الرؤية امامه ، فلم يتكلم ، تعطلت بداخله الكلمات ، وماتت على الشفتين همسات نسجتها اللحظة ، قالت الفتاة بصوت كخرير المياه :

- نعم يا والدي .

بدا له الصوت كوسادة ناعمة يستريح القلب عليها . لم يستطع الرد . تاهت منه الكلمات . مدت الفتاة يدها ، احس بطراوة اليد ونعومة الجلد ، سحبته من يده ودخلت . كانت بمفردها في البيت ، احضرت له الماء والطعام والشاي ، هبت على البيت من الناحية البحرية نسمة هواء ، فيها رائحة الارض والماء والزرع الاخضر ، فاحس ان روحه تستيقظ بداخله . نظر الى الفتاة . نخرت الاسئلة رأسه ودقت عظامه ، من هذه الفتاة ؟ واين اهلها ، وما تفعل هنا ؟ قال لنفسه : ربما من بنات الجان . وتذكر حكايات الغواية والحب وعلاقات الانسان بالجن التي توصله الى الجنون . همس لنفسه ربما كان الجنون لذيذا وكان مخرجا من حالته .

استجمع قواه ، وقرر ان يسألها عن ظروفها طلبت منه ان لا يفسد جمال اللحظة باسئلة لا مبرر لها . قالت له : انه ما دام سيحضر اليها كثيرا يمكنها الكلام في كل أمور العالم . تساءل في فرح طفولي : وهل يمكنه الحضور كثيرا ، قالت مؤكدة : في كل لحظة يمكنك الحضور الى هنا . في الصمت الذي يحيط بالبيت لم يكن يسمع سوى تردد انفاسه ودقات قلبه المتعب . لقمة هنية في اطباق نظيفة وبيت فيه رائحة انثى ، هذا ما كان يفتقده كل ايام العمر التي مضت بدون معنى ، خالية حتى من العواطف . ان الاسطى احمد يكتشف في جلسته هذه ، ان العمر كله لايساوي هذه اللحظة العابرة . اكل حتى وقف على اظافره ، وشرب مياها باردة حتى شعر بطراوة سريانها في كل جسمه ، وتاه من خدر اللحظة ، وهبت نسمة طرية فاسكرت حواسه ، ومن جلسة ما بعد الطعام أغفى . وتمنى في احلامه ان لا يفارق هذا المكان ابدا . صحا من نومه . رأسه فوق فخذ الفتاة . ويدها تعبث بشعره وفي عينيها تترقرق دمعة تأبى النزول ، فتمنح العين بريقا لامعا نادرا لم يره من قبل . ومن اعماقه الجرداء سحت . الدموع الدافئة .

كوب الشاي الذي اعدته له كان يطل منه عود نعناع اخضر قطعته في هذه اللحظة فقط من حقل صغير وراء البيت . لم يذق اشهى منه في حياته ، قال لنفسه : هذا البيت بجوار السكة الحديد صاحبه اذن واحد من العاملين في المصلحة ، وتلك الفتاة وحيدته والرجل في سن المعاش مثله . ربما كان موظفا كبيرا . ما اسعده بمثل هذه الفتاة ، آه لو كان له فتاة مثلها ، اذن لتغير العمر كله ، قام سوى ملابسه ، استأذنها في الانصراف وهو يتمنى من كل قلبه ان يبقى بجوارها حتى آخر عمره ، نظرت الفتاة في ساعة يدها ، ولم تلح عليه في البقاء . كل ما فعلته انها اقتربت منه ، وشبت على اطراف اصابعها حتى اصبح وجهها في موازاة وجهه تماما ، وطبعت على شفتيه قبلة لاهثة وسريعة وخجولة ، شعر بدقات قلبها واضحة ، تركها وخرج ، سار استدار الى البيت ، رآها تطل من بين حديد نافذة صغيرة ، ومن بين قضبان الحديد مدت يدها بمنديل ازرق مغموس في دموع العينين ، حاول المشي ولكنه وجد نفسه مشدودا للمنطقة المحيطة بالبيت لف ودار ، سأل الناس عن البيت ، كل الذين سألهم كانوا يردون على الفور :

- تقصد بيت الحريم .

وكان يتساءل

- اي حريم ؟

كانوا يتكلمون والابتسامة تعلو وجوههم ، في البيت ارملة وثلاث فتيات . بناتها ، رجل الاسرة الذي توفي منذ سنوات ، كان يعمل مفتشا للري ، وهذا البيت مملوك لمديرية الري ، وهم يعيشون فيه من بعده لانهم لا مكان لهم في الدنيا كلها ، المعاش صغير ، والارملة ليست متقدمة في العمر وهي تذهب مع احدى الفتيات في بعض الاحيان للبندر القريب ، ثم يعودان وقت المساء ، بعض الرجال الغرباء يحضرون الى بيت احيانا ، ويخرجون بعد وقت طويل ، لا يحضر الى بيت الحريم

سوى الشبان الخضر ، او الرجال الذين تنام فوق قلوبهم اكياس غليظة مليئة بالاموال فلماذا يسأل هو .. ؟

عاد الاسطى احمد الى حجرته ، في الليل ، زحفت صورة الفتاة على جدران غرفته ، واضاءت ابتسامتها عتمة غرفته ، اتاه طيفها واستيقظت رجولته كلها دفعة واحدة ، وعجب من امره ، عندما كان معها ، لم يفكر فيها الا كابنة له ، او حفيدة ، ولكنه في احلام الليل اشتهاها افاق من احلام الليل ، وجلس يفكر .ها هو يعثر مؤخرا على ما يكمل له حياته . تأخر اللقاء كل هذا العمر الطويل ، ولكنهما خلقا لبعضهما الاخر ، مشكلتها وامها وشقيقتها انه لا يوجد رجل في حياتهن ، وحياته لا تطاق وتبدو خالية من المعنى لعدم تردد انفاس امرأة في بيته ، المسافة بينهما ليست بعيدة ، وانتقاله إليهن يعوضه كل ما فقده بحكايه المعاش ، سيزرع الارض الموجودة خلف البيت وسيستأجر ارضا اخرى . سيكون ظلا للحريم المسكينات اللاتي لا ظل لهن ـ قام من مكانه ، النهار ما يزال بعيدا ، والليل يخرعن آخره ، ومع هذا فتح صندوق ملابسه القديم . انبعث منه صوت عال ، لانه لم يفتح منذ سنوات مضت ، نفض تراب السنين من فوق الملابس ، اخرج جلبابا من الصوف ، لم يضعه على جسمه منذ سنوات الشباب الاولى ، قرر ان يرتدي منذ الصباح البدلة الكاكي ، بدلة مصلحة السكة الحديد ، اخرج صديريا شاهيا ابيض والحذاء ذا اللونين ، البني الغامض والابيض ، حذاء من الزمان القديم لا وجود له الآن ، والشراب الصوف والطاقية غزلها بيديه ايام ان كان شابا ، من صوف خروف كانوا يربونه ليذبح للفقراء واولياء الله الصالحين في مولد النبي ، اخرج المحفظة الجلدية والسلسلة البيضاء الفضية التي تربط المحفظة بالصديري ، شعر بدفق الشباب في روحه وهو يخرج اشياءه كلها ، وراح ينتظر الصباح ، الذي بدا له بعيدا .

أنها فتاة بكر ، لم تتعد السابعة عشرة من عمرها ، يتيمة الاب ، تعيش مع امها واختيها في منزل على شمال السما ، وانه لم يفاتح احدا من اهلها ، وان كان يشعر انهم يحتاجونه اضعاف احتياجه هو لهن ، مشكلتهن الاساسية وجود رجل في بيت تعيش فيه ارملة مكسورة الجناح وثلاث بنات ، الرجل هو البند الوحيد لهن مسألة رفضه غير واردة ابدا ، وهذا ما تحدثه به نفسه بعد زيارة الامس .

في الصباح ، ذهب الى اخته بهية ، وبدلا من ان يحدثها عن المعاش والفراغ والايام القادمة قال لها ببساطة انه سيتزوج . ومطلوب منها ان تستعد للذهاب معه الى بيت العروس . قالت بهية لنفسها : ان خيالات الفراغ اصابت اخاها بمس ، سألته عن العروس ، اسمها ، واهلها ورسمها ، وعمرها ، والدها ، هل هي مطلقة ام ارملة ، وهل معها اولاد من زوجها السابق ، افهمته ان كانت مطلقة لا بد من السؤال عنها ، ربما كانت هي السبب في الطلاق وقد تكون من النوع الذي لا يعمر في البيوت ، فتخلق له مشكلة في وقت هو غير مستعد فيه للدخول في المشاكل ، شعرت بحزن عندما قال لها انه لا يعرف حتى اسمها ، كل ما يعرفه عنها

ـ عليه العوض ومنه العوض ، جن احمد .

قالت بهية لنفسها . وان كانت قد تظاهرت بالصمت التام امامه ، في كلماته تصميم جعلها تخشى التفكير في رفض طلبه ، قالت لنفسها : لتذهب معه حتى أخر المطاف ، وعندما يكتشف بنفسه الاوهام التي يجري وراءها ، فان هذا افضل من النقاش والجدل ، تركها على ان يعود اليها وقت العصاري ، حيث انه أنسب الاوقات لاهل العروس ، كان كل ما معه ثمانية جنيهات وستون قرشا . مبلغ جمعه له زملاؤه في العمل . قدره خمسة جنيهات . وثلاثة جنيهات وستون قرشا ، هي كل ما يملك . كان زملاؤه يفكرون في شراء هدية له . الفكرة نبتت من المشرف وهو افندي من البنادر . وقد تمكن من جمع الجنيهات الخمس بصعوبة ، فالايام خشنة والزمن بخيل . وصعوبة الحصول على القرش تجعل انفاقه مشكلة . علم الاسطى احمد بحكاية الهدية ، فقال للمشرف عندما سأله عن نوع الهدية التي يفضلها ، ان احسن الحلول هو اخذ المبلغ ناشفا لانه في امس الاحتياج اليه ، سيوصله المبلغ الى بر الامان ، من الآن وحتى اللحظة التي سيصرف فيها المعاش لا يعرف كيف يصرف اموره ، والكل يعلم كم من الليالي والايام ستمر قبل صرف المعاش ، امتعض المشرف من الفكرة ولكنه بعد ان قلب الامر في ذهنه اعطاه المبلغ ، وبمجرد ان

طرقت فكرة الزواج ذهن الاسطى احمد حتى كان المبلغ هو المخرج الوحيد ، لولاه ما نفذ المشروع ، كان سينتظر على الاقل لحين صرف معاشه وهو يعرف ان يوم الحكومة بسنة ، ذهب الى البندر ، اشترى علبة سجائر كبيرة من النوع المستورد ، مع انه لم يدخن في حياته ، اشتري دستتين من الجاتوه وزجاجة كلونيا لها رائحة نفاذة ، ومنديل يد حريمي ومنديل يد رجالي ، فتح زجاجة الكولونيا ونثر منها على المنديلين حتى يذكراه بمناديل الافراح في بلدته البعيدة ، يوم الصباحية ، حيث كان يخرج المنديل ويشمه من وقت لاخر ، ولكي يدخل طعم الفرحة الى بيت اخته بهية .

اشترى بطيخة كبيرة ، ليكسرها في منزل اخته قبل الذهاب الى بيت العروس او بعد العودة منه . وتتحول وليمة اكلها الى مناسبة سعيدة .

كان قطار العصارى خاليا ، ركب الاسطى احمد واخته بهية التي كانت حاملا في منتصف اشهر الحمل تماما ، جلس على كرسي من الخشب المتآكل وجلست بهية قبالته ، اتت جلستها بجوار نافذة بحرية ، تحرك القطار ببطء وتحركت المرئيات مكونة دائرة مركزها القطار ، ارضية القطار كانت مغطاة بفضلات اليوم كله ، والظلال طويلة بلا نهايات محددة ، انتظمت سرعة القطار اخيرا ، وعلى صرصرة صوت عجلاته استراحت اعصاب الاسطى احمد لاول مرة في هذا اليوم ، واخذت التقلصات التي كان يعاني منها ، تهدأ ببطء ، هاهي لحظات الهدوء المفقود تتسلل الى نفسه .

وصلا الى البيت بصعوبة ، مشيا مسافة طويلة من المحطة وحتى البيت ، قالت بهية ، والتي كانت متعبة من المشي ان البيت فعلا على شمال السما . تساءلت هل يمكن ان يعيش هنا احد من خلق الله ، وهل يتصور احد ان الذين يعيشون هنا ، ارملة وبناتها الثلاث ، عموما ، لقد اقتربت اللحظة التي ستتأكد فيها من هذا الكلام كله .

طرقا الباب كثيرا ، مرت فترة طويلة قبل ان تفتح شراعة صغيرة فوق الباب ، واطلت منها وجوه فزعة ، تنظر بدهشة بالغة ثم تختفي ، الى ان رأي وجه الفتاة الصغيرة يطل اخيرا ، بصعوبة بالغة عرفته ، وحاول هو ان يذكرها بنفسه بالاشارة ، لان نفسه كان مقطوعا من المشوار الطويل والخبط على الباب الضخم ، امسك بقلة وهمية في الهواء وافهمها انه هو الذي شرب بالأمس ماء الحياة الذي اعاده الى دنيا البشر من جديد ، مر وقت آخر بعد ان اختفى وجه الفتاة من الشراعة دون ان تقول شيئا ، بدا الوقت للاسطى احمد واخته بهية انه بطول العمر كله ، اضطر للجلوس فوق حجرين بالقرب من الباب ، اخيرا هاهي المزالج تفتح ويسمع لها صوت مزعج قبل ان يفتح الباب بحذر . اطل وجه الفتاة من فتحة الباب ، نظرت في كل الاتجاهات جيدا ، تصور الاسطى احمد انها لم تره ، فوقف واشار لها ، ولكنها استمرت في نظراتها ، وبعد ان تأكدت انه لا يوجد معها اي شخص آخر ، سارت على اطراف اصابعها واخذتها بيدها ، ودخلت الى البيت ، هذه المرة عوملا كضيفين وقبل ان يجلس الاسطى احمد ، اعطى فتاته ما معه ، الجاتوه والكولونيا والمنديل ، واخرج علبة السجائر . امسكها في يده التي اصبحت فارغة ، عزم على الحاضرين بالسجائر الغالية . آخر رجل اخذ منه سيجارة اشار اليه ان يقدم للسيدات ، تردد برهة ولكن الرجل اخذ منه العلبة وقدم سيجارة للام ثم للفتاتين ، الرجل لم يقدم لفتاته الصغيرة سيجارة ، فحمد الله .

في داخل البيت كانوا اربعة رجال والام وبناتها ، والملابس ليست مسواه ، وشكل الرجال والنساء وقتها يؤكد انهم كانوا نياما ، النظرات تائهة وشعر الام وبناتها منكوش وقمصان النوم ليست مستقرة فوق الاجساد ، التي تعاني من حالة اضطراب مفاجيء . نظر اكبر الرجال الاربعة الى الام بغضب قالت له بصوت حاولت ان لا يسمعه الرجل الغريب :

ـ انه ليس من زبائننا .

تساءل الرجل :

ـ اول مرة يحضر ...

ـ اؤكد لك ..

ـ كيف وقد اتى ومعه المرأة التي يريدها .

رجل آخر قال للفتاة التي كانت تجلس بجانبه :

ـ يبدو انه مصاب بمرض الرغبة في النوم فوق الاجنة في بطون الحوامل .

ضحك الرجل الثالث :

ـ انه يبحث عن شهود اثبات للحظة الجنس الرهيبة .

الدهشة والتعب والفرحة لم تعط الاسطى احمد فرصة سماع الكلمات التي قيلت بصورة اقرب للهمس ، وكان الرجل مشغولا بحبيبة القلب ، اما اخته بهية فقد فهمت بعض الكلام وان كانت لم تفهم الباقي .

بدا الموقف ثقيلا لا يطاق ، فالكل في حالة من الدهشة والاستغراب ، الاسطى احمد هو الذي بدأ الحديث ، ذكر فتاته بنفسه وقدم لها اخته بهية .

هتف الكل في صوت واحد :

ـ اخته .

قالت الام لنفسها ، كنت اتصورهما من العشاق ، يبحثان عن مكان ما . وأن أحد احبائنا اعطاهما العنوان ، اما حكاية اخته فهي مسألة تعقد الامر كثيرا ، بعد الكلام اتى الصمت المتوتر المشحون ، لم يجد الاسطى احمد ما يقوله ، نظر الى اخته بهية لكي تسعفه وتتكلم ولكنها صمتت ، تخلت عنه ، وبدت له وكأنها غرقت في صمتها .

اضطرت الام لبدء الحديث ، قالت :

ـ خير يا جماعة .

هذه المرة ايضا تكلم الاسطى احمد ، طلب من الفتاة احضار الجاتوه ليعزم على الضيوف ، فسارت الفتاة الى المطبخ وعندما عادت اخرج الاسطى احمد مطواه قديمة وفتحها ببطء ، صرخت الام من الرعب بمجرد ان شاهدت المطواة ولكنها رأته يستخدم المطواة في فتح علبة الجاتوه فهدأت ـ قدم العلبة للضيوف فهجموا على الجاتوه بجوع حقيقي ، امتدت الايدى وتزاحمت ، ولم تأكل بهية ولم يأكل هو ، رغم انهما لا يذكران آخر مرة اكلا فيها الجاتوه ، خاصة الذى يباع في البنادر . لم يأكلا لانه ليس من اللائق ان يأكلا هدية احضراها بنفسيهما ، اصبحت علبة الجاتوه فارغة تماما ، اخذها ووضعها بجواره فهي تنفع في منزله . عاد الموقف الى ثقله الاول ، استعجل الرجال الانتهاء من الامر . وهجموا من جديد على علبة سجائره ، اضطرت الام الى سؤاله . تلعثم ولم يجب اخيرا تكلمت بهية ، قالت ببساطة ان اخاها الباشمهندس احمد ، جاء في طلب يد المحروسة الصغيرة واشارت للفتاة ، ضحك الرجال الاربعة ، والام ضحكت ولكن على نفسها ، الاختان الكبيرتان حسدتا الصغرى ، والصغرى جرت الى حجرتها ، ارتمت على السرير وبكت ، الام استوعبت الموقف بسرعة ، ودخلت وراء ابنتها الصغرى وطلبت منها ان تختلى بهذا العجوز المجنون بها وان تأخذ كل ما معه . قالت لامها من خلال الدموع ، ان هذا الرجل حضر بالامس لاول مرة ، كان عطشانا يطلب ماء ، رأت التعب وهد الحيل يطلان من وجهه وهو يشرب رأت فيه اباها الذى لم تشاهده ابدا . اتت الى الدنيا بعد وفاته ، والام لم تحتفظ بصورة له ، فبقي مخفيا بعيدا عن الذهن ، عندما شاهدت حنجرته تصعد وتنزل وسمعت صوت شربه قالت هذا ابي فعلا لهذا عاملته بكل الحب الذى تكنه لوالدها في قلبها وطلبت منه ان يعود مرة اخرى ، ولم تتصور ان تصل المسألة للحب وطلب الزواج ابدا ، كل هذا الكلام لم يصل الى قلب الام ، كررت طلبها رفضت الفتاة واصرت الام ، ولان الفتاة تعرف ان الضرب والتجويع هو نهاية المطاف ، قبلت اتجهت الى الاسطى احمد ، وبقايا الدموع عالقة برموش العين الطويلة التي تغطي قدانا من الارض البكر امسكته من يده ، سحبته وراءها في صمت الى حجرتها ، في الحجرة اجلسته على كنبة مواجهة لسريرها ، ارتمت على صدره واجهشت بالبكاء ، فرح وقال انها دموع الحب الذى فاحت به نفسها طلبت منه ان يعطيها النقود والمحفظة والمطواة ، اما هي فلم تكن سعيدة ابدا ، احتضنته وقبلته ونزل خيطان من الدموع من عينيها ، دخل احدهما فمها ، وهي تتذوق دموعها قالت له :

ـ لا تحضر الى هنا مرة اخرى ابدا .

كررت قولها اكثر من مرة ، ووعدته ان تمكنت هي من الافلات ستحضر اليه وستجده ، من دهشته وعدم فهمه لم يعطها عنوانه . وشعر بالحزن يصل حتى نخاع عظامه .

اثناء وجود الاسطى احمد مع الفتاة في الحجرة قام

رجل واخذ الابنة الكبرى ودخلا احدى الحجرات وان كانا قد تركا الباب مواربا . ورجل آخر اخذ الابنة الوسطى ودخل حجرة مقابلة . واحد كان يتعجل الام والآخر فهمت بهية انه كان ينتظر المحروسة التي حضرا الى هنا من اجل خطبتها . ولكي تنهى الام الموضوع قامت من مكانها . وجلست بجوار بهية . وقالت لها بصوت انسانى لاول مرة منذ حضورها ، انها امرأتان وتفهمان بعضهما جيدا ، الرجل في عمر جد البنت وليس أبيها فقط ، وهي لن تزوج الفتاة الا بعد اختيها ، وهناك قريب لها ، من نفس عمرها تكلم بشأنها ثم ان العائلة لا تتعجل الزواج ، والام تعتقد ان بهية تفهم جيدا ما تقوله ، انها ولية والله امر بالستر ، ولهذا فهي تطلب من بهية ان تكون هذه الزيارة هي الاولى وهي ايضا الاخيرة ، وان تقنع اخاها بذلك دون ان تؤذى مشاعره او تجرح احاسيسه .

في طريق العودة ، احتارت بهية كيف تخبر أخاها بالامر دون ان تسبب له مزيدا من الالم ولكن الحزن كان ينسال داخل الرجل والدموع الدافئة كانت تسح في اعماقه .

قالت له :

ـ مر وقت طويل قبل ان يفتحوا .

زادت الكلمات من احساسه بالمرارة .

ـ اربعة رجال وأربع نساء وكل اثنان في حجرة .

فتح فمه ولكن لم يرد ،

ـ كانوا عرايا تماما .

كاد ان يضربها ، توقفت ، استدارت ، نظرت الى البيت الغارق في الصمت ، والذى بدأت ملامحه تذوب وسط غبشة المساء ، كانت النوافذ قد اغلقت ، والباب فصل داخل البيت عن عالمنا قالت بصوت اقرب لهديل الحمام في البناني :

ـ انهم يكملون المسألة الان .

اشار لها بيده ، قال ان ما سمعه يكفيه واكثر ، بعد ان ركبا قطار المساء ، وتحرك بهما عائدا الى البلد ، وكانت مصابيحه تهمس بضوء لا يكفي لكي يرى الانسان الجالس امامه . فتبدو المرئيات كالاشباح اقترب الاسطى احمد من اخته بهية وقال لها :

ـ هل لي من طلب اخير .. ؟

قالت :

ـ تحت امرك .

اشار لبطنها بيد مرتعشة ، وطلب منها ان تسمي من في بطنها احمد .

همست .

ـ ان كان ولدا .

قال بصوت عال :

ـ انا متأكد ، سيكون ولدا .

نظرت اليه ، بدا لها انه كبر مائة سنة مرة واحدة في هذه اللحظات القليلة ، وضعت يدها على يده ، حاولت ان ترخيه ولكنها قبل ان تفتح فمها سمعته يقول للظلام الذى يطل عليها من خارج القطار :

ـ انا قليل البخت .....

نظرت اليه ، لمحت خطين يلمعان على خده . يتوهان بين التجاعيد . هابطين الى اسفل لقد كان يبكي . ■■

يوسف القعيد

● كان أحد دعاة السلام يحادث كليمنصو (النمر) مرة ، فسأله : هل بغضه للالمان قائم على معرفتهم ؟ قال : أذهبت الى ألمانيا ؟ فرد كليمنصو : كلا ، ياسيدي ، لم اذهب الى المانيا ، ولكن الالمان أتوا الى فرنسا مرتين خلال حياتي !

حوار القراء

« اسس التقدم عند مفكرى الاسلام »

● مقالة فهمى هويدى المنشورة فى العدد ٢٤٨ من « العربى » بعنوان : (حكومة اسلامية نعم ·· حكومة دينية لا) تشير الى كتاب لى صدر حديثا عن « المؤسسة العربية للدراسات والنشر » (بيروت ، ١٩٧٩) هو ··· «اسس التقدم عند مفكرى الاسلام فى العالم العربى الحديث» وارجو ان اقر فى ذهن القارىء ما يلى : ـ

ان نظرية الماوردى اقرها موقف الاسلام من قضية « الدين والدنيا » او « الدين والدولة » ، قد جاءت فى سياق خاص محدد من مجمل الاشكالية الاساسية التى يعرض لها كتابى بالتحليل·وينبغى الا يفهم القارىء اننى بالضرورة اخذ بالتصور الذى ركبه الماوردى ·

يهمنىّ ان ابين خلافا لما ذكر صاحب المقالة ان موضوع رسالتى « الاساسية » التى قدمتها الى السوربون فى مارس / اذار ١٩٦٨ للحصول على شهادة دكتوراه الدولة فى الاداب هو : (الاثر الرواقى فى الفكر الاسلامى) : وان موضوع رسالتى «المتممة للشهادة نفسها» هو (دراسة فى خلق الكلام الالهى عند القاضى المعتزلى الجبار بن احمد) ·

ومعنى ذلك انه لا علاقة بين اى من هذين العملين اللذين يدوران على قضايا فلسفية وكلامية قديمة او كلاسيكية وبين كتابى «اسس التقدم عند مفكرى الاسلامفى العالم الحديث » فان موضوع هذا الكتاب مباين كل المباينةلموضوعى الرسالتين المذكورتين كلتيهما ، اذ هو يدور على قضيةحديثة تماما ويعالج اعمال مفكرين محدثين ومعاصرين لم يسبق لى ان عرضت لهم فى اى من اعمالى السابقة ، الفرنسية او العربية كما لم يسبق لباحثين آخرين انخصوهم بالدرس الذى خصصتهم به ·

الدكتور فهمى جدعان
رئيس قسم الفلسفة فى الجامعة الاردنية

ما اشبه الليلة بالبارحة

● ما اشبهالليلة بالبارحة فبالامس جاءت الجيوش الاوروبية الى المشرق الاسلامى المتسامح تحت ستار الصليب وتحرير قبر السيد المسيح من ايدى المسلمين ، واليوم يعيدون الكرة من جديد ولكن تحت ستار العودة الى « أرض الميعاد» وبوجه اخر غير الصليب وهو نجمة داوود ·

لقد اغرى الوضع العربى فى العصور الوسطى أعداء العروبة فانشاوا امارات الرها وانطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقدس واليوم أوجدوا ما يسمى « بدولة اسرائيل » ·

على سعيد محمد فارس
الاردن/الحصن

السلام الاسرائيلى

● السلام الذى يريدهقادة الصهاينة سلام عجيب غريبلم تعرف البشرية من قبل له مثيلا ··· فهو فى مفهوم هؤلاء يعنى السيطرة على أرض ليست لهم واستغلالكل ثرواتها الطبيعية وطرد أهلها منها ···

ترى أى سلام هذا الذى به يبشرون ؟

انطانيوس ابراهيم
طرطوس ـ سوريا

عن العدد الممتاز

● نحن مدينون للقراء وموزعي « العربي » في انحاء وطننا الكبير باعتذار عن عدم استطاعتنا تلبية طلباتهم من العدد الممتاز . لقد كانت البرقيات التي تلقيناها طلبا لهذا العدد تدعونا الى طباعة ٣٢٥ الف نسخة ، الامر الذي سعدنا به ، وحاولنا جاهدين ان نلبيه .

ولكن مطبعة وزارة الاعلام ، المثقلة بمطبوعات اخرى ، لم تستطع ان تستجيب الا في حدود طاقتها القصوى خلال تلك الفترة ، وهي في حدود ٢٥٠ الف نسخة ، اي اقل من العدد المطلوب ب ٧٥ الف نسخة .

وازاء ذلك ، لم نستطع الا ان نسجل اعتذارنا واعتزازنا ، واملنا في ان نتمكن من تلبية القراء والموزعين في المستقبل القريب .

(المحرر)

ادب شكسبير

● تمتاز مجلتكم العربي الغراء بنشر قصص جديدة في باب « الادب واللغة » ولا سيما القصص المترجمة . بيد اني كنت اود لو تفضلتم بنشر ترجمات لسونيتات وليم شكسبير او تلخيص لبعض مسرحياته الخالده . وهذه فكرة لا بأس بها . فقراء « أدب الطليعة » كثيرون في لغة الضاد ملتقى ابحر البيان وملتقى كل حس أدبي واحسان .

يوسف محمد الكتاني

بيلا ـ كفر الشيخ

تعليب لحم الاضاحي

● لقد سرني المقال الذي نشر في مجلتكم العربي في العدد ٢٥١ تحت عنوان « الساكت عن الحج والساكت عن الحق » بقلم فهمي هويدي وسرني أن يطرح هذا الموضوع .

بخصوص الهدى الذي يذبحه الحجاج في منى ، فانني اقترح على المؤتمر الاسلامي ان يقيم مصنعا بالقرب من منى يتولى تصنيع تلك اللحوم بشكل جيد ويقوم المؤتمر الاسلامي بالاشراف على توزيعها على الفقراء والمساكين في الدول العربية والاسلامية وذلك اما ببيعها باسعار رمزية تغطي تكاليف تصنيعها ، او تقديمها كهبات لهؤلاء الفقراء .

ان ذلك كفيل بتعميم الفائدة التي افترضت من هذا المنسك من مناسك الحج بدلا من بقاء تلك اللحوم بدون استغلال .

خلود محادين

الكرك ـ الاردن

العربي في سوريا

● مجلة العربي غذاء رئيسي احرص على اقتنائه ومن اجل ذلك ذهبت يوم ٧٩/١١/١٤ الى السوق لاشتري العدد (٢٥٢) فواجهت المصاعب قبل الحصول عليه وبثمن باهظ وهو (٢٥) ليرة سورية ، علما بان الثمن الرسمي للمجلة في سوريا هو ليرة سورية واحدة .. والذي ارجوه منكم هو زيادة الكمية المخصصة لقطرنا السوري .. كي تبقى العربي متوفرة في الاسواق فلا نشتريها من السوق السوداء .

ماهر فارس حديفة

السويداء / سوريا

ـ نطمئنك بانه قد طرأت زيادة على كمية سوريا من العربي اعتبارا من عدد ديسمبر / ٧٩ .

المقام والنغمة

● ورد في مسابقة الكلمات المتقاطعة للعدد (٢٥٢) في الكلمات الافقية رقم (١٤) مقام موسيقي من حرفين ، وفي الكلمات الرأسية رقم (٢) ، (٣) مقام موسيقي كل منها يتكون من حرفين ايضا ، في حين انه لا يوجد مقام من مقامات الموسيقى العربية من حرفين (سيكا ـ دوكا ـ نهاوند ـ حجازكار ـ بياتي ـ صبا ـ جهار ..)

والمقصود نغمات السلم الموسيقي السبعة (دو ـ سي ـ لا ـ صول ـ فا ـ مي ـ ري) وفرق بين المقام والنغمة .

الصديق / عاطف محمد الشلبشيري

المنصورة ـ مصر

لتكن هدية العربي

● انظار العالم تتجه اليوم الى ما يدور على أرض سيناء من انسحاب اسرائيلي وتسليم ابار البترول الى مصر، بالمماطلة والتسويف، والذي يهمنا كعرب ان نتعرف بالضبط على جغرافية سيناء من قناة السويس حتى شرم الشيخ وذلك بان تكون هدية المجلة للعام القادم خريطة موضح عليها المواقع الهامة.

حسين الظاهر

دمشق ـ سوريا

زرياب

● طالعت باهتمام الكلمة « ايهما اصح » التي بعث بها احد القراء ردا على مقالتي . واحب ان افصل للاخوة والادباء جلية مادة « زرياب » مؤكدا على صحة ما ذكرت في مقالتي :

فقد جاء في لسان العرب مادة « زرب » : « زرياب » : الذهب ، والاصفر من كل شيء . وفي القاموس المحيط : « الذهب وماؤه » . وفي تاج العروس : « الزرياب » : (بالكسر) الذهب وماؤه . والزرياب معرب (زرآب) ـ بفتح الزاي ـ ابدلت الهمزة ياء للتعريب .

وذكر محشي تاج العروس ان زرياب (بفتح الزاى) معناه ماء الذهب ، وعربوه بكسر الزاي .

وقاموس انندراج (الفارسي) يذكر ان المعنى ماء الذهب . وعلى هذا فيما ذكرناه يوافق المعاجم العربية والفارسية على السواء . ولم تذكر أيٌ منها انه طائر .. فيرجى الرجوع اليها .

اما قول مؤرخ تاريخ الاندلس من ان (زرياب طائر اسود اللون حسن التغريد ، فلا ينفي ما ذكرنا . اذ ليس ما يمنع من أن تطلق اللفظة الواحدة على اكثر من معنى ، مثل « هزار » فمعناها العصفور الاخضر اللون والعدد ألف . ومع ذلك فقد انفرد « المقتبس » بقوله بعد ان شرح اللفظة بالذهب ومائه : « ... ولقب غلب عليه ببلده لسواد لونه مع فصاحة لسانه . شبه بطائر اسود غراد » . ورأينا ـ بعد هذا ـ ان الطائر لقب بماء الذهب .

اما قول السائل ان (ماء) تلفظ (آف) وليس (آب) فهذا خطأ محض ، لان الكلمة بالباء لا بالفاء ـ ويمكنه ان يعود الى معجمنا « المعجم الذهبي » ليرى فيه بغيته . وليس كذلك كما قال (آف زر) او (آب زر) . لان التركيب اضافة بتقديم المضاف اليه على المضاف وهذا من قواعد الفرس ، ولا يمكن مقارنته بقواعد العربية .

الدكتور محمد التونجي

نزهة العقل الذكي بالكلمات المتقاطعة

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٥٦ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول مايو (١٩٨٠) .

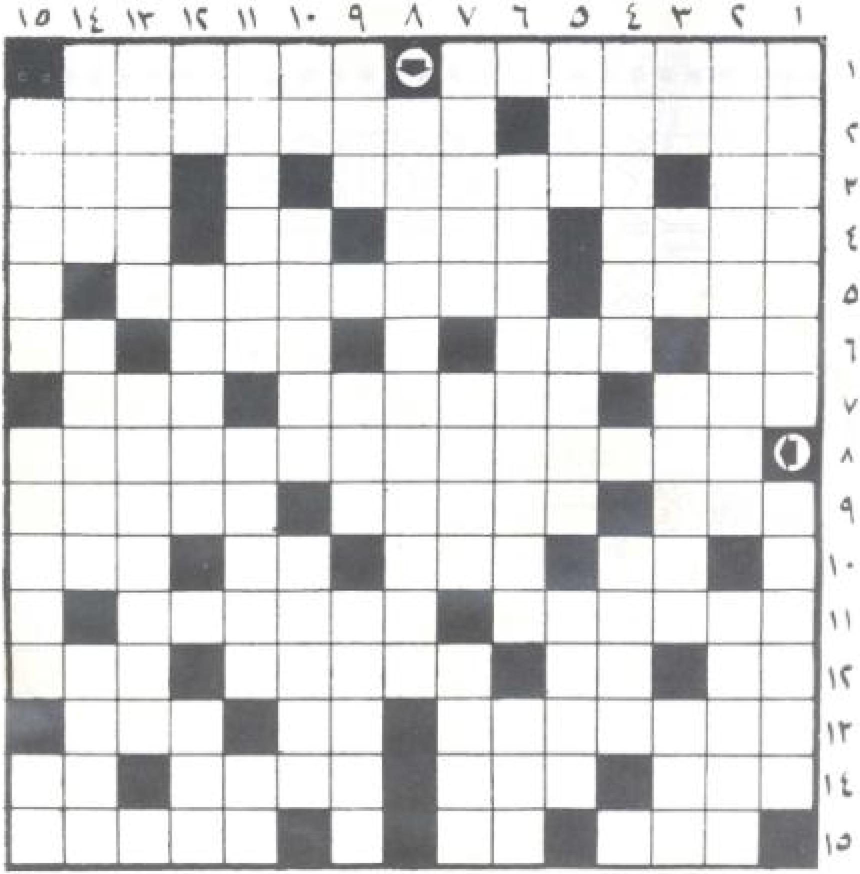
اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم مؤرخ اسلامي ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم واحد من أئمة الاسلام .

الكلمات الأفقية :

١ ـ مؤتمر وضع فيه الحلفاء سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ـ صخر بلّوري .
٢ ـ من الاشجار ـ شاعر فارسي اشتهر برباعيّاته .
٣ ـ متشابهان ـ أكاشفه ـ في الصحراء .
٤ ـ من أنواع المدافع ـ ورقة مالية ـ حرف استفهام ـ حرف أبجدي .
٥ ـ رضيع ـ من الالعاب الرياضية .
٦ ـ نصف كلمة (أرغب) ـ ضمير ـ سهاد ـ متشابهان .
٧ ـ ضياء ـ بني في عصره البارثينون ـ أطال النظر .
٨ ـ مؤرخ اسلامي .
٩ ـ حيوان ـ وحدات قياس زمن ـ تتوعّده .
١٠ ـ من الاقارب ـ حرف أبجدي ـ متشابهان ـ يتبع .

كوبون مسابقة العدد ٢٥٦



١١ ـ في الساعة ـ حشرة .

١٢ ـ نصف كلمة (غسلت) ـ سحب ـ شهر شمسي ـ حرف يفيد التشبيه والتقريب .

١٣ ـ قائد عسكري شهير في التاريخ ـ متشابهان ـ اباء .

١٤ ـ ظرف مكان ـ من امارات الخيج ـ طائر ـ عقل .

١٥ ـ يشفى ـ دقّ ـ نكاتب .

الكلمات الرأسية :

١ ـ عاصمة بورتريكو ـ منّ الأعاجم الذين استخدمتهم الدولة العبّاسية الثانية .

٢ ـ شاعر عبّاسي ـ لغتي .

٣ ـ متشابهان ـ لفظ تعجّب ـ أسفار ـ مدخل .

٤ ـ دولة أفريقية ـ غلاّية .

٥ ـ يهبط عن المستوى اللائق ـ تشرع ـ في الجهاز الدوري .

٦ ـ نبات من نوع الزنابق ـ على جلود بعض الحيوانات

٧ ـ أدركتها ـ متعب ـ توجّع .

٨ ـ من أئمة الاسلام .

٩ ـ أبغض ـ يبدو ـ تقابل .

١٠ ـ حرف ندبة ـ مناقير الطيور الجارحة ـ تستخدم في الشرب .

١١ ـ القاطع ـ نأخذ منها القمح ـ دقّ ـ ي

١٢ ـ طائر خرافي ـ بجلته ـ وحدة قياس زمن .

١٣ ـ تابع شيشرون الذي اخترع الاختزال ـ استدعيتكم .

١٤ ـ موقعة انهزم فيها هانيبال ـ موسيقي عالمي شهير ـ ناعم .

١٥ ـ كثيرة السأم ـ يسيطر ـ حرف عطف .

العالم الذي عزل الالكترونات

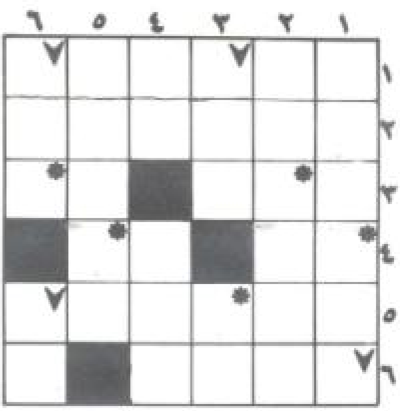
ابدأ بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربّعات التي بها الاسهم ، ورتّبها بحيث تصنع الاسم الاول لعالم طبيعي كان أول من استطاع عزل الالكترونات في الذرة . ثم انقل الحروف التي في المربّعات التي بها النجوم ، ورتّبها لتصنع لقبه .

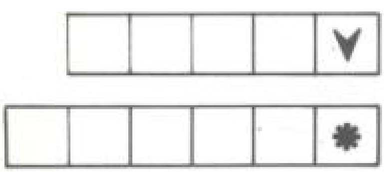
الكلمات الافقية :

١ ـ عاصمة مالي .
٢ ـ نوع من الصخور .
٣ ـ يضمر ـ هرب .
٤ ـ نصف كلمة (كوثر) ـ لقب أديب عالمي ساخر .
٥ ـ رداء هندي .
٦ ـ نصف يوم .

الكلمات الرأسية :

١ ـ أكبر بحيرات الماء العذب في العالم وأعمقها .
٢ ـ معركة انتصر فيها نابليون على ايطاليا .
٣ ـ تجمّعات سكّانية ـ من الامراض .
٤ ـ حرف عطف ـ حيوان .
٥ ـ من الاشجار .
٦ ـ ذنب ـ بحر .





أين الصواب .. وأين الخطأ ؟..

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خطأ ، هل تستطيع التمييز بينها ؟..

١ ـ فان هلمونت : رائد الكيمياء العلمية وأول من ابتكر كلمة غاز .

ـ فالنتينا : أول رائدة فضاء .

٣ ـ شار جونو : نحّات من عصر النهضة .

٤ ـ شارل لندبرج : أول من قام بطيران منفرد عبر الاطلنطي .

٥ ـ سانت برنارد : كنيسة شهيرة في باريس .

٦ ـ سميتانا : أطول انهار الارجنتين .

٧ ـ زينيا : من انواع الزهور .

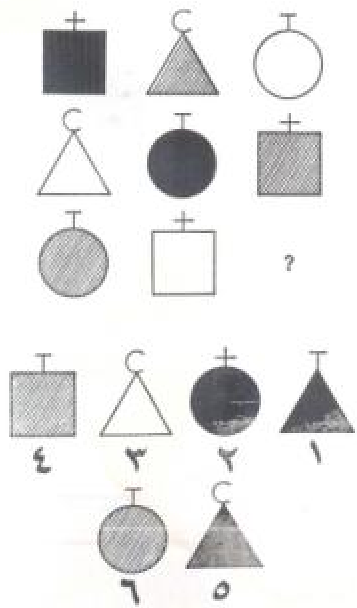
٨ ـ ريوجراند : نهر مكسيكي .

٩ ـ دي هافيلاند : شركة صنعت أوّل طائرة بمحركات نفّاثة .

١٠ ـ داشهندس : من كلاب الصيد .

الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفّين العلويين ، حاول أن تعرف أي الاشكال ذات الارقام ، يحل محل علامة الاستفهام .



الحلول

النجمة والسهم :

وليم كروكس .

أين الصواب ، وأين الخطأ ؟! :

كلّها صحيحة فيا عدا :

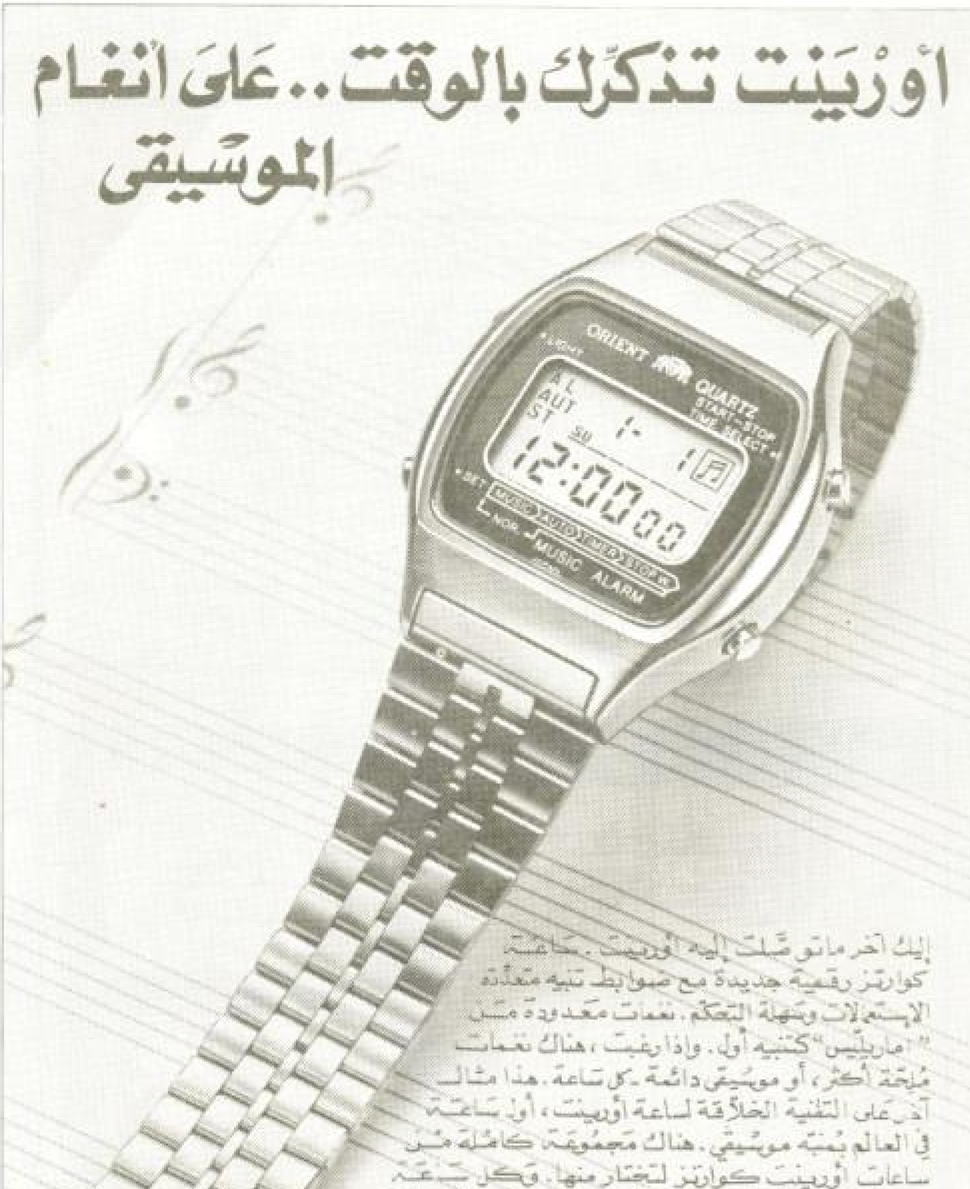
٣ ـ شارل جونو : موسيقار فرنسي .

٥ ـ سانت برنارد : من كلاب الحراسة .

٦ ـ سميتانا : موسيقي تشيكي معروف .

الشكل المطلوب :

رقم ٥ .



أورينت تذكرك بالوقت .. على أنغام الموسيقى
ORIENT
QUARTZ
START-STOP
MUSIC ALARM
إليك آخر ما توصلت إليه أورينت . ساعة
كوارتز رقمية جديدة مع ضوابط تنبيه متعددة
الاستعمالات وسهلة التحكم . نغمات معدودة من
"ماربليس" كتنبيه أول . وإذا رغبت ، هناك نغمات
ملحة أكثر ، أو موسيقى دائمة - كل ساعة . هذا مثال
آخر على التقنية الخلاقة لساعة أورينت ، أول ساعة
في العالم بمنبه موسيقي . هناك مجموعة كاملة من
ساعات أورينت كوارتز لتختار منها . وكل ساعة
منها تعطيك أكثر بكثير من مجرد الوقت - بنعومة ورقة .
ORIENT اوريينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL:407-5901, TLX:J26896 ,TIMETEST


WEST END WATCH CO
SWISS
وست إند
تحافظ على وقتك بدقة متناهية
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا ـ دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ ـ تلفون ٤٣٣٥٨٥

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس

مع

لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطها ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني.

٪١٥

في السنة

ايداع محدد لمدة سنة.

تدفع كل الفوائد بدون خصم أي ضريبة.

أسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة.

لومبارد نورث سنترال عضو في أحد مجموعات البنوك المصرفية العالمية ولدينا تاريخ يرجع إلى أكثر من ١٠٠ سنة. نمدكم بتسهيلات ايداعية تعود عليكم باقصى فائدة مع مرونة الاختيار وضمان لأموالكم. لدينا ودائع لأفراد ومؤسسات من جميع انحاء العالم.

اختاروا المنهج الملائم لاحتياجاتكم:

تقدم لكم ثلاث تسهيلات ايداعية لكل منها شروط متعددة ملائمة لاحتياجاتكم الخاصة.

ايداع ذو الأخطار:

بحد ادنى ٥٠٠ جنيه استرليني ويمكن الاضافة اليه أي مبلغ وفي أي وقت كما ويمكن السحب بعد الاخطار في اخر المدة المتفق عليها. تستحق الفائدة اعتبار من تاريخ الايداع وتدفع نصف سنويا أو تضاف إلى الحساب.

ايداع ذو مدة محددة:

بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني بمدة محددة من سنة إلى خمس سنوات بسعر فائدة محدد في هذه المدة. تدفع الفائدة نصف سنوية أو سنويا.

ايداع ذو دخل منتظم:

بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني. هذا المشروع يؤهلكم باستلام شيك بالفائدة كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل نصف سنة. ونسبة الفائدة تزداد تدريجيا حسب المدة التي تختارونها. تودع الأموال لمدة محددة تتراوح بين السنة والخمس سنوات بسعر فائدة محدد لهذه المدة.

لتفاصيل أكثر من برامج حسابات الايداع وأسعار الفوائد نرجو ان تملؤا الكوبون وارساله لنا اليوم.

Lombard North Central
Bankers

إلى:

LOMBARD NORTH CENTRAL LTD., DEPT. W182,
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND.
Telephone: 491 7050.

الاسم: ______________________

العنوان بالكامل: ______________________

____

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مارس - آذار
١٩٨٠

العلاج النفسي السلوكي الحديث

تأليف :
الدكتور عبد الستار ابراهيم

٢٥٠ فلساً

الكتاب السابع والعشرون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

تغلّب «رد أدير» وسَاعته رولكس عَلى كافّة العَقبَات لدَى إخمَاده «ولاّعة الشيطان»



يعمَل " رد أديْر" في إخماد حَرائق البترول. وأشهرَها الحَريق المعْروف بإسْم " ولاّعة الشيطان" في الصحْراء الكبْرى.

كانتْ نيرَان هَذه البئر الرهيبَة تندلع صَاخبَة مدوّية في عنَان السّماء الى علوّ يبلغ ٢٠٠ متر، وتأتي عَلىَ ما يَزيد عن ١٥ مليُون مْتر مكعّب من البترول كل يوم.

وبَعد مجهُود دائب، تحت انهمَار أطنَان من الميَاه لمكافحَة الحَرارة، إستطاع "رد أديْر" وفريقه وضع ٢٥٠ كيلوغرامًا من مَادّة متفجّرة خاصّة عَلىَ بعْد نصف متر من قاعدة النيرَان الملتهبة، ثمّ قام بتفجير هَذه المَادّة،

فتمّ إخمَاد الحَريق في جزء من الثانيَة.

وداخِل مصَانع رولكس في جنيف حيث تقلّ الحَرارة نسبيًا، يقوم الحرفيّون بإستحداث سَاعَة مصَمّمة لاحتمال أقسى وأصعَب الأحوال والأوضاع.

فكل سَاعَة رولكس كرُونومتر تخرج من مصَانعنَا، تخضع رسْميًا لاختبارات دقيقة لليل نهار وطوَال أسبوعين، فضلاً عَن حتميّة استمرار حَركتهَا مدّة خمسة عشرَ يومًا تتعرّض خلالهَا سَاعَة رولكس الى نهَايات قصْوى من درجَات الحَرارة وهيَ مُدلاّة في معْزل عَن علبتهَا المتينَة أويستر.

ولكن، مَن بإمكانه معْرفة الطريقة التي تعَامَل بهَا رولكس وهيَ حَول معصَم رجُل مثل "رد أدير"؟

في عَام ١٩٧٧، عَاد " رد أديْر" وفريقه من بَحرْ الشمَال رافعين رايَة النصْر، وقد أفلحوا في إخمَاد ثوران بئر "برافو" يوم راحت تقذف من فوهتهَا، كمَا الصَاعقة، نافورة من الغاز والبترول في درجَة الغليَان، ممّا زنته مئات الكيلوهَات كل سَاعَة.

وتعليقًا عَلى هَذا الحَدث، كتب مرَاسل "الديلي ميل": "كانت سَاعَات رولكس الذهبيَة، مثبّتة حَول معَاصِمهم وكأنّهَا رمز شركة".

شَركةٌ ما، هيَ.

وَرمزٌ ما، هوَ.

ROLEX

رولكس



في الصورة: ساعة رولكس كرونومتر "داي ديت" من الذهب عيار ١٨ [illegible]

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول مارس ١٩٨٠

١٢٦

١ - عائلتي
٢ - الأشباح

تأليف : ادوارد دودي فيليبتو

ترجمة وتقديم : د. سلامة محمد سليمان

مراجعة : د. محمد سعيد سالم الباجوري

سوني
SONY



KV-2020ME

في البداية ترينيترون، والآن بيتاماكس
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر



SL-8080E
بال / سيكام
للتسجيل واعادة المشاهدة

انطلقت سوني في تكنولوجيا الفن التلفزيوني الى مرتبة جديدة عالية، بتلفزيون ترينيترون الملون. والآن أوصلت تكنولوجيا سوني متعة المشاهدة التلفزيونية الى مستويات عالية جديدة، بواسطة المسجل التلفزيوني الرائع بيتاماكس. اربط بيتاماكس بجهازك التلفزيوني لتسجيل أي شيء تريده، فيلتقط لك أروع المشاهد، ثم يعيد عرضها أمامك من جديد لتشاهدها، كلما خطر ببالك، وحينما سمح لك جدول أوقاتك اليومي. على أن هذه هي البداية فقط لما يمكن أن يفعله بيتاماكس من أجلك. اذا كان لديك برنامجان في نفس الوقت، مثلاً، وعلى قنالين مختلفتين متعارضين فلا تفكر طويلاً، ولا تتعب نفسك لاختيار أي منهما تراقب، بل يمكنك مشاهدة أحد العرضين في الوقت الذي يبدأ بيتاماكس بتسجيل الآخر لك، لتعود فتشاهده فيما بعد.

واذا رغبت بمغادرة البيت في المساء؟

اضبط مسجل الوقت الأوتوماتيكي، الذي يخدم ثلاثة أيام، قبل مغادرة المنزل، فيسجل بيتاماكس لك أوتوماتيكياً، وبأمانة ودقة، كل المشاهد، وأنت خارج بيتك. لقد صرفت سوني عشرين عاماً متواصلة في اجراء التجارب والاختبارات التكنولوجية، لصنع المسجل التلفزيوني (فيديو ريكوردر) القادر على تحقيق كل هذا لك. ومع ذلك يبقى سعره كفاية، ومندمجاً بالمنزل واجوائه، كقطعة انيقة صغيرة. بالاضافة الى ذلك، تتميز تجربة سوني بصنع شريط التسجيل التلفزيوني الشهير، فيديو كاسيت، ولهو سهل الترضيب، مرن الملمس، مريح التعامل معه، لأنه أصغر كاسيت في السوق حتى اليوم، ويدوم أكثر من ثلاث ساعات في اذاعة البرامج المسجلة وبدون انقطاع. اضف الى كل ذلك، جهاز بيتاماكس بولونغ المضاعف للتسجيل والكشف لمراحل الاذاعة، وقد اثبت الاختبار جدارته، والاعتماد عليه، والثقة به، انه الأرقى والأكثر انتشاراً بين اجهزة التسجيل التلفزيوني، ويوزع الصور الكاملة النقية الوضوح.

في البداية الترينيترون ... الآن بيتاماكس الساحر.
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر.

Sony Betamax سوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته


PAL SECAM
CTP 6457
B CORD VTC 9350
شاهدوا الإستعراضات العالمية الكبرى مراراً
وتكراراً دون الإهتمام بأنظمة التسجيل
إنتهت مشاكل أنظمة التسجيل بفضل جهاز سانيو بيتاكورد
بال/سيكام بلوحته الأمامية المذهبة. وأصبح بإمكانكم
إقتناء (شراء، إستعارة، أو بالطبع تسجيل) الأشرطة
على نظامي بال وسيكام وبالتالي مشاهدة الإستعراضات
العالمية الكبرى في أي وقت تريدون وإعادة مشاهدتها
مراراً وتكراراً دون الإهتمام بأنظمة التسجيل.
مميزات سانيو بيتاكورد المثيرة:
• مؤقت آلي ٧٢ ساعة بأسلوب التسجيل اليومي
• جهاز تحكم عن بعد للتوقيف المؤقت / ووقف التشغيل
• التسجيل على أشرطة الفيديو كاسيت المدمجة لمدة ٣ ¼ ساعة متواصلة
مجموعة ذهبية لأجهزة التلفزيون الملون بنظامي بال/سيكام
مع أجهزة التحكم واللوحات الأمامية المذهبة
CTP 6457
SANYO
سانيو

العربي

جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ - ابريل ١٩٨٠ م

الديمقراطية والشورى



مفاتيح جبل طارق

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج



بنك الكويت الوطني أول بنك وطني في الكويت منذ ٢٥ سنة.

بنك الكويت الوطني البنك الذي ساهم في تنمية الكويت التجارية والاقتصادية والمالية.

بنك الكويت الوطني يقوم بجميع الخدمات الاستشارية والتجارية والاستثمارات المصرفية.

القسم المصرفي الاستثماري والتجاري

بنك الكويت الوطني ش م ك

عزيزي القارئ

نخشى أن تأخذ نشاطات الدعوة الاسلامية في أوروبا وأمريكا اهتماما أكثر مما ينبغي ! ذلك انه منذ اضطر بعض الدعاة الاسلاميين للنزوح الى اوروبا في ظروف استثنائية يدركها الكثيرون ، فقد اصبح هناك من يتصور ان مستقبل الاسلام في اوروبا والولايات المتحدة ، بحجة الضمانات والتيسيرات المتاحة . وانساق أخرون في هذا الاتجاه ، حتى اصبحت اوروبا مقرا للعديد من المؤتمرات والندوات التي تعقدها مؤسسات علمية وثقافية ودينية في العالم العربي بوجه أخص .

ولما كان العالم الاسلامي مقبلا على احتفالات واسعة النطاق بمناسبة حلول القرن الهجري الجديد ، فان اكثر ما نخشاه ان ينعكس هذا التصور على خطط هذه الاحتفالات ، ويصبح نصيب أوروبا والولايات المتحدة الامريكية منها اكبر من نصيب العالم العربي والاسلامي .

والذي نحب ان ننبه اليه هنا : ثلاثة أمور :

الامر الاول يتعلق بحقيقة ان المرتكز الاساسي لهذه النشاطات ينبغي أن يكون العالم العربي والاسلامي قبل اي مكان اخر ، وأنه بالمقارنة ، فان لاهور وكوالالمبور وكوناكري مثلا هي بكل المقاييس الموضوعية اهم من لندن وباريس وكاليفورنيا ، فيما يتعلق بتوجيه النشاط الاسلامي ، او حتى التعريف بالاسلام على وجهه الصحيح .

الامر الثاني اننا سوف نحقق انجازا لا بأس به ، اذا ما حرصنا على ان تغطي احتفالات القرن الهجري مساحات من مجتمعات المسلمين ظلت بعيدة ومنسية لسنوات طويلة ، حتى كادت تمحى من ذاكرة المسلمين . وعلى سبيل المثال فان بخارى في اوزبكستان ، ومراوى في الفلبين ولكهنو في الهند وزنزبار في شرق افريقيا ، هذه كلها مساحات تتعطش شوقا لمشاركة العالم الاسلامي احتفالاته ، خصوصا وان السلطات المحلية في بعض هذه المناطق يمكن أن تفتح الباب لاقامة بعض الاحتفالات المحلية بهذه المناسبة تقديرا لمشاعر المسلمين .

الامر الثالث ، اننا لا نستطيع ان نلغي من حسابنا جاليات اسلامية ضخمة في اوروبا والولايات المتحدة ، كما اننا لا نستطيع ان نلغي من حسابنا فكرة تقديم الاسلام الى العالم الغربي في صورة مشرفة ، لكن ما نحرص عليه هو ان يعطي هذا التوجه اهتماما معقولا وترتيبا مناسبا في الاولوية ، ولغة مناسبة في التعبير تناسب ، كل مقام .

هذا اذا اردنا ان نأخذ الامور مأخذ الجد ، وأقمنا جدارا عازلا بين الدعوة الى الاسلام ، والسياحة باسمه !

« المحـــرر »



صورة الغلاف

● بنات « طارق » .. كل شيء فوق الجبل وتحته وحوله يحمل اسم القائد العربي المسلم البطل طارق بن زياد ان اهل البلدة ليسوا اسبانا وليسوا انجليزا وليسوا عربا .. انهم من كل هؤلاء .. وتسألهم : « اذن من انتم ؟ » ويقولون : « نحن طارقيون !! » (ص ٧٢)

حديث الشهر

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

اداب وفنون

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة



العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: أحمد بهاء الدين
مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . الخليج العربي ريالان قطريان . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج . م . ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليا . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسـلات : باسم رئيس التحرير
عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١
تلغرافيا « العـربي »

ALARABI -- No. 257 -- April 1980
P.O. Box 748 -- KUWAIT

عقل جبّار .. وضمير قلق ..

بقلم : أحمد بهاء الدين

سعيد هو المفكر ، او الكاتب ، الذي يحظى « باليقين » !....

ذلك الذي يستقر عقله بسرعة ، عند نظرية او عقيدة ما ، وتسكن نفسه في تفسير محدد للحياة : التاريخ والمجتمع والانسان ، ومنطق متكامل للماضي والحاضر والمستقبل ، سعيد هذا الرجل .. فيلسوفا كان أو مفكرا او كاتبا او زعيما او فردا عاديا ...

انه كالسفينة التي تجد المرفأ الهادىء .

قد ينال المجد او يصل الى اقصى درجات النفوذ ، او يقضي عمره في السجن ، او مشردا في العراء ، ولكنه ، أيا كان موضعه ، يكون في سلام كامل مع نفسه . فاعتقاده بأنه يمتلك « الحقيقة » لايتزعزع . وهذا يعطيه قوة من نوع خاص . وراحة من نوع خاص .

ومن هذه « الخامات » نجد نوعا خاصا من الرجال . زعيا لا يعدل عن طريقه قط ولو دمر قارة بأكملها مثل هتلر . او مفكرا ولو تصارع الناس حول فكره أكثر من مائة سنة مثل كارل ماركس او حاكما حديدي الارادة ازاء اكبر الاهوال ، قادرا على اتخاذ قرارات فيها حياة الملايين وموت الملايين مثل ستالين .

على ان هناك نسيجا آخر ، يصنع منه فرع آخر من الرجال . قد يتمتع احدهم بعبقرية طاغية وقدرة عقلية فائضة . ولكنهم يولدون بأرواح قلقة ، وعقول هائمة على وجهها لانهم متقلبون ، مترددون ، متغيرون . يشقيهم البحث عن الحقيقة وتؤرقهم امواج وشلالات من المعارف والتأملات ، بل انهم كلما ازدادوا في الذكاء والمعرفة والعقل الناقد ازدادوا قلقا واضطرابا وارهاقا لانفسهم ولمن يقرأونهم .

هذا النوع من المفكرين ، ربما يتركون في حياة العالم آثارا أقل ، لانهم لا يتركون وراءهم للناس طرقا محددة مستقيمة ، ممهدة ، مثل طرق الاسفلت ، وهي الطرق التي يفضلها معظم الناس عادة بل يتركون طرقا متعرجة متشعبة وعرة ، ولأنهم يطرحون علينا من الاسئلة اكثر مما يتركون لنا من اجوبة حاسمة قاطعة .



ولكنني اعترف بان هذا النوع من المفكرين والكتاب أقرب الى قلبي . وأحب الى نفسي لانني ـ ربما ـ اشعر بمعاناتهم في البحث عن الحقيقة . واشفق على جحيمهم الداخلي او ربما لانني اراهم اكثر انسانية . او ربما لأن أجوبتهم ان كانت ناقصة ، الا ان اسئلتهم منعشة للعقل ، مثيرة للضمير ، منشطة القلب .

من هذا النوع الثاني ، برتراند رسل ، الذى عادت الدنيا تنشغل به ـ مدحا وقدحا ـ بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاته .

ذلك العقل الجبار الذى عاش ما يقرب من قرن كامل (٩٨ سنة بالضبط) . فكان شاهد قرن كامل . وناقد قرن كامل . وثائر قرن كامل . واى قرن ؟ .... قرن ولا كل القرون . قرن حفل بأحداث تفوق كثافتها وسرعتها وتحولاتها عشرة قرون مما سبقها .

والغريب انه ـ بعقله الجبار ـ صنع مجده ، ووصل الى القمة الصعبة التي ادخلته التاريخ في سن مبكرة جدا . وفي مجالات بالغة الخصوصية والصعوبة . في ساحة الفلسفة والحساب

والرياضيات صعد الى القمة الوعرة بسرعة هائلة ، ونال اعتراف العالم كله ، وتم تتويجه ما بين سن الخامسة والعشرين وقبل ان يبلغ الأربعين من العمر (اهم كتبه الراسخة الى اليوم « أسس المنطق الرياضي » سنة ١٨٩٧ ، « مبادىء الرياضة » سنة ١٩٠٣ ، « مبادىء الرياضيات » سنة ١٩١٠ و « مشاكل الفلسفة » سنة ١٩١١) .

وقد كان يمكنه ـ بل والمفترض بداهة ـ ان يعتصم بقمته الشامخة ، وبعالمية مكانته ، ولا يقبل بعد ذلك اكثر من تلقي الاوسمة والجوائز واكاليل الغار وصلوات التلاميذ .

من ناحية « الامن » ولد من سلالة اللوردات لا ينقصه مال ولا لقب ولا مكانة اجتماعية .. ومن ناحية الفكر ، صكت صورته على الميداليات التذكارية .

ولكنه عاش بعد ذلك اكثر من خمسين سنة ، ولم يتردد في النزول عن قمته ليخوض غمار كل شيء يفكر فيه الناس ويشغل الدنيا ، فهو يهدر بعشرات الكتب ومئات الدراسات في السياسة والفن والادب والاجتماع والحب والزواج ، رائحا غاديا بين اعلى قضايا الفكر المجرد وبين ادق خصوصيات الحياة الانسانية .

ولم يقف عند الفكر والتأليف ، بل انه قاد المظاهرات ، ودخل السجون ، وناقش الشباب بعد ان جاوز التسعين ، وخاطب اقوى رجال الدنيا ، كما خاطب الجماهير عند نواصي الشوارع وفي الميادين ، وتلقي جوائز نوبل وغيرها كما تلقى ضربات رجال البوليس ، وكان يوما اعظم الرجال واحبهم ، وكان يوما طريد العدالة ومرفوضا من وطنه (انجلترا) .

وقد كانت وراء هذا كله ، صفتان :

الاولى تلك الروح القلقة ، والعقل النافذ الى اعماق ابعد مما يجب ، والنظرة التي لا ترى شجرة واحدة وتعتبرها شجرة الحقيقة الاولى والاخيرة بل ترى الغابة كلها ..... بأجمل زهورها ولا نهائية احراشها ... بأرق طيورها الملونة واكثر وحوشها وحشية ، والحقيقة ليست شجرة واحدة .

والثانية ، احساس حقيقي بانتماء الى العصر ، والناس ، والمصير ، تلك الكلمة التي اشتهرت بعد الحرب العالمية الثانية في دنيا الفكر والادب ، وروج لها جان بول سارتر واقرانه ، كلمة « الالتزام » . لم تكن كلمة « الالتزام » بالنسبة له وجهة نظر ، ولا مدرسة ادبية ، او فكرية ولا ترجمتها عنده مقصورة على مايكتب ، ولو كان في برج مشيد ، بل كان الالتزام حقيقة يعيشها ويتنفسها ، ويمارسها ، ملقيا وراء ظهره لقب العائلة الموروث ، وماله الوفير ، ووقارها المرسوم ، وملقيا وراء ظهره ايضا بتيجان المجد العلمي ، والشموخ العقلي ، سائرا في طرق وعرة ، يتعثر فيها ، وينكفيء وينهض ، وينفضح ويشهر به ، وتدمر حياته اكثر من مرة .

عقل جبار وضمير مؤرق ، عاش قرنا ، وكان شاهد قرن كامل ، وثائر قرن كامل .

... ومرآة قرن كامل ... !

لقد ولد برتراند رسل سنة ١٨٧٢ ومات ١٩٧٠ .

ولد واجداده من الأب والأم لوردات انجليز ، وولد قبل ان تموت الملكة فيكتوريا بثلاثين سنة ، واذا كان العصر الفيكتوري أحد قمم مراحل الاستقرار والثبات في العالم ، وانجلترا سيدة الدنيا والتي لا تغرب عن ممتلكاتها الشمس ، واذا كان ابن لوردات ذلك البلد في ذلك العصر في تلك الدنيا ، فقد ولد اذن في امنع قلاع العالم واكثرها شموخا وثباتا واستقرارا ، من العلاقات الدولية ، الى العلاقات الاجتماعية ، الى طراز الملابس والاثاث ، عصر التقاليد الراسخة بسطوتها المطلقة ، وقيمها غير القابلة للتحدي .

ولكنه لم يبق في هذه القلعة ، حتى بعد ان صعد الى اعلى ابراجها على سلم المجد الفكري .

فقد عاش طويلا ، عاش ٩٨ سنة كاملة ، رأى فيها حربين عالميتين ، ورأى فيها انهيار امبراطوريات ، وتغير خريطة العالم عدة مرات ، وعشرات الثورات وبزوغ قوى اخرى تماما .. سواء امريكا او روسيا ، او صيحات ملايين العالم الثالث ، وعاش اكتشاف اينشتين لنظرية النسبية ، وصعود النازية ودمارها في حريق عالمي هائل ، وقيام الشيوعية وتعاظم الرأسمالية ، عاش

الثورة الصناعية والثورة ما بعد الصناعية والثورة الألكترونية . وعاش ظهور القنبلة الذرية ونزول الانسان على القمر . وكان جزءا من هذا كله . منفعلا بهذا كله ، فاعلا في هذا كله ، ضائعا في هذا كله !

ومن المستحيل طبعا ، الالمام بمشاغل برتراند رسل ـ كتبه وحدها حوالي ستون كتابا ـ من الرياضيات والفلسفة الى قضايا الحب والزواج . ولكن يكفي ان نعرض في ايجاز الى حياته بصدد قضيتين ، هما اللتان اخرجتاه من برجه العاجي ، الارستقراطي ، حسبا ونسبا وعلما وفكرا ، الى قارعة الطريق .

❋ قضية الحرب والسلام .

❋ قضية الجنس ، والحب والزواج ...

بالنسبة لقضية الحرب والسلام ـ مثلا ـ يجمع من كتبوا عن برتراند رسل ان الحرب العالمية الاولى كانت هي نقطة التحول في حياته . هي التي نزعته من قمته . وكأنه رأى فيها قبل غيره نهاية العالم القديم وبداية عالم جديد ومخاضا رهيبا حافلا بالتدمير والبناء .. من المهالك الى القيم والاخلاق ....

فقد فوجيء الناس بهذا العالم المفكر الجليل ، والاستاذ العالمي السمعة في جامعة كامبريدج ، والذي يكتب مؤلفات لا يفهمها الا مئات ... فوجئوا به يصدر كتيبا صغيرا يعارض فيه الحرب العالمية الاولى . ويعارض الاشتراك فيها . ويدعو الشباب الى التمرد ! ....

وكان هذا حدثا لا سابق له .

وثابر على الشغب حتى لم يعد هناك مفر من محاكمته . فقدم للمحاكمة بتهمة شائنة تشبه الخيانة الوطنية . وحكم عليه بالغرامة لمكانته ، ولكن كليته في جامعة كامبريدج جردته من القابه ومنصبه وطردته .. فلم يعد اليها الا بعد حرب عالمية اخرى وما يقرب من نصف قرن ! ...

ولم يؤثر هذا في موقفه ولا رفض المجتمع له . وخصوصا بيئته واهله . فاضطرت الدولة لمحاكمته من جديد . وهذه المرة صدر عليه الحكم بالسجن ستة شهور . ودخل اكبر مفكري عصره السجن ، ولم يخرج منه الا قبل نهاية الحرب بشهرين .

كانوا يرونه المجنون في عالم عاقل . ولكنه يرى نفسه العاقل في عالم مجنون ، يحارب حربا عالمية عقيمة يحدث فيها زهرة شباب اوروبا ـ مركز الكون ـ بالملايين دون نتيجة تذكر ...

ووجد نفسه بلا عمل . متمردا على الفكر والتعليم والذي يقود الدنيا الى هذه المهالك ، فأنشأ مع زوجته مدرسة خاصة كان دستورها « حرية الفكر ، حرية التعبير ، حرية الحب ! » . لم تلبث ان صارت في نظر المجتمع الانجليزي مدرسة للخطيئة ، ولطخت الصحف سمعته هو وزوجته وكل من التحق بمدرسته ، وكظمت الارستقراطية المترفة غيظها حين مات اخوه ، فورث هو لقب « الايرل » وصارت زوجته « كونتيس »

ولم يكن ما يدرس في المدرسة فسقا بالطبع ، ولكن لانه كان قد اكتشف ، مع قضية الحرب قضية الحب ، وبنفس شهيته الهائلة للتمرد العام ، كان تمرده على نمط العلاقات الخاصة .. فقد اندفع في علاقات غرامية عديدة ، وأنجبت زوجته له طفلين ، وأنجبت من غيره طفلين غير شرعيين ، ثم أنجب هو من مربية الاطفال طفلا خامسا ... فكان لا بد ان ينعكس هذا الانحلال على سمعة مدرسته .

على ان المدرسة بقيت ، فلم تغلق الا بعد الحرب العالمية الثانية!

وكانت زوجته تلك ـ دورا ـ مشغولة بالمدرسة ، اما هو فان شهرته الفكرية عبرت المحيطات ، دون شهرته الاخلاقية ، الشخصية ، فقضي معظم فترة ما بين الحربين ، وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، يدعى لتدريس فترات دراسية في جامعات مختلفة في الولايات المتحدة الامريكية ، مترددا بين انجلترا وامريكا عبر المحيط ....

تكررت الحرب العالمية اذن ، ولم يحضر الحرب الثانية في انجلترا اذ كان في امريكا . ولكن

الحرب ختمت بوضع غير متوقع ، يختلف نوعيا عن نهاية الحرب العالمية الاولى :
لقد اكتشفت القنبلة الذرية والقيت اول قنبلة على هيروشيما . وانتهت الحرب بدفن النازية ولكن بظهور صراع اكبر واضخم بين روسيا وامريكا . فالعالم اذن على ابواب حرب ثالثة ابشع بما لا يقاس مما سبقها .
وعاد صوت برتراند رسل مرتفعا بمغامراته الجديدة ...
دعا الى حكومة عالمية ، فوق الامم المتحدة ، كحل وحيد لعدم الحرب . واقام الدنيا واقعدها وكان هذا حلا مثاليا جدا ...
ولكن كان كل همه منع الحرب . وكانت وقتها القنبلة الذرية ما زالت ملكا لامريكا فقط ، ولم تتوصل روسيا الى صنعها بعد ...
فدعا الى أن أحسن حل للعالم ـ وأقل ضررا ـ هو ان تلقي امريكا فورا قنابلها الذرية على موسكو وتدمر النظام السوفيتي . بمنطق ان الانتظار حتى تملك روسيا القنبلة الذرية معناه حرب ذرية اما تدميرها قبل ذلك فمعناه منع احتمال قيام حرب ذرية ، ولو بعملية فاحشة ثم يعود العالم للتفكير في حكومة عالمية ! !
.. مازلت اذكر انني كنت ما ازال طالبا اتلمس طريقي الى القراءات المختلفة ، والاسماء الكبيرة ، عندما نشر برتراند رسل هذا الرأي ، مبرهنا عليه ـ كالعادة ـ بكل حججه العقلية الجبارة . وقلت لنفسي وقتها : هذا الرجل مجنون ! . وبدأت أهتم به ، لاحاول معرفة الصلة بين شهرته ، وبين مثل هذا القول المندفع من خلال البحث عن كتاباته الاخرى ...
ولكن السنين لم تمهل برتراند رسل كثيرا ، رغم الضجة الهائلة التي احدثها هذا القول من رجل في قيمته ووزنه . فقد اعلنت روسيا بعد سنوات انها صارت تملك القنبلة الذرية بدورها .
وبدأ السباق الذري المعروف ...
وعلى الفور ، كان لبرتراند رسل موقف آخر ...
لقد سقط موقفه الأول بتملك الطرف الآخر للسلاح الجهنمي . وصار المهم الآن هو محاولة منع وقوع حرب بين القوتين الجبارتين ، باي ثمن ...
وصار برتراند رسل فورا على رأس حركات السلام ، وحركات نزع السلاح ...
والى جانب نشاطات الكتابة ، والخطابة ، واللجان والمؤتمرات .. احدث برتراند رسل ضجة واسعة ، مرتين .
مرة في سنة ١٩٥٧ ، في احدى لحظات التوتر الدولي حين وجه خطابا مفتوحا الى كل من خروشوف رئيس الاتحاد السوفيتي وايزنهاور رئيس الولايات المتحدة ، هاويا بمطرقته القوية على سياساتها التي تجر العالم الى حافة الهاوية ...
وبحكم قيمته المعنوية الكبيرة ، كان غير متوقع وغير مألوف . ان يرد عليه خروشوف لاول مرة في موقف من هذا النوع ، برسالة طويلة للنشر ...
وتردد ايزنهاور . ثم وجد انه سيخسر معركة الرأي العام ، فكلف وزير خارجيته جون فوستر دلاس بكتابة رسالة يرد بها على برتراند رسل ...
ولعله المقال الوحيد لكاتب في جريدة ، الذي جعل رئيس اكبر دولتين يشعران بالحاجة الى الرد عليه علنا ...
ثم كرر برتراند رسل ذلك سنة ١٩٦٢ ... موجها رسالته هذه المرة الى بريجنيف في موسكو ، وجون كيندي في واشنطن ، وهارولد ماكميلان رئيس وزراء انجلترا في لندن ...
وفي خلال ذلك كله كان انهاكه في قضايا الحب والزواج والعلاقات الجنسية ، يلاحقه ويطارده . ويضعه في أحرج المواقف ، التي كانت كفيلة بالقضاء على غيره ...
كان ما يزال يعيش رائحا غاديا بين انجلترا ، وامريكا ، يلقي دروسه في شتى جامعات امريكا كاستاذ الفلسفة الاول ...

وكان ينشر الكتب في شتى القضايا . وكان من بينها كتاب احدث ضجة كبرى عن « الزواج والاخلاق » لما فيه من تصادم عنيف مع الاخلاقيات المتعارف عليها ...

فلما ذهب مرة لينفذ عقدا مع جامعة ولاية نيويورك لالقاء دروس .. رفعت امرأة لها بنت في الجامعة قضية تطلب منعه من التدريس فيها لان له كتابات وآراء اجتماعية تدمر الاخلاق .

وواجه برتراند رسل في نيويورك محاكمة اخلاقية . وكما طرد من جامعة كامبريدج في انجلترا ، طرد من جامعة نيويورك . وتظاهر ضده الكاثوليك المتدينون .

ووجد برتراند نفسه ـ ابن العصر الفكتوري ، واستاذ المنطق الاول ، وسليل اللوردات ـ وقد بلغ السبعين من العمر ، مسئولا عن اعالة زوجتين سابقتين ، وثلاثة اطفال ، وهو مفلس وبلا عمل ! وان كان في قمة الشهرة !

والغريب انه في هذه المرحلة اصدر كتابا بعنوان « تاريخ الفلسفة الاوروبية » صار فورا هو اهم مرجع في موضوعه ، وقراءته ضرورية لكل طالب فلسفة في جامعات اوروبا وامريكا على السواء وما يزال حتى الآن ! ....

وكأن هذه العواصف كانت لا تؤثر فيه ...

فقد رأس في انجلترا لجنة نزع السلاح وعمل على نشر الحركة في العالم ، ولم يكفه نشاط اللجان ، فابتكر « مسيرات » طويلة بين مدن انجلترا يتجمع حولها الآلاف ، واتخذ من ميدان « الطرف الاغر » اكبر ميادين لندن ، منبرا له يخطب من فوقه ، ورأس اول محكمة دولية من نوعها ـ محكمة من اشهر رجال العالم ـ لمحاكمة امريكا على حرب فيتنام . وقاد المظاهرات . وتزوج مرة ثالثة . ونشر كتبا عن حياته في صراحة مذهلة . واضطرت لجنة جوائز نوبل لاعطائه جائزة نوبل ... ومزق بطاقة حزب العمال بعد خمسين سنة من عضويته احتجاجا على موقف الحكومة من حرب فيتنام » واجتمع حزب العمال خصيصا ليصدر قرارا بفصله ...

كل هذا وهو يقود حركات الجلوس في الشارع احتجاجا على الحرب والتسلح . وكان فوق التسعين من عمره حين داسته ارجل الخيل التي يمتطيها البوليس الانجليزي في لندن ، وألقي القبض عليه ، ووضع مع شباب المدارس في لوريات الشرطة .

هل اجري بسرعة على احداث يحتاج كل منها الى مقال ؟

نعم ...

ولكن كيف يمكن سرد مائة سنة تقريبا من حياة هذا العقل الجبار والضمير المرهق المعذب والقلب الحائر في اكثر عصور التاريخ اضطرابا ، واهتزازا ، حتى في علاقات الزوج بزوجته ؟

ولا اجد ما اختم به هذا المقال الذي لابد ان يختم ، خيرا من كلمات ختم بها برتراند رسل الجزء الثالث من كتابه عن حياته اذ يقول :

« ان الشعور الداخلي بالفشل » قد يكون امرا تافها بالنسبة للعالم الخارجي ، ولكنه جعل حياتي النفسية حربا مستمرة ، لقد بدأت حياتي بايمان شبه ديني في عالم افلاطوني خالد ، يقترن فيه علم المنطق الرياضي بفن الجمال ، ولكنني اختم حياتي باكتشاف ان العالم تافه ، وان المنطق الرياضي هو مجرد فن قول نفس الاشياء بطريقة ابهى ، بدات حياتي معتقدا ان الحب الحر الشجاع يمكنه ان يغزو العالم دون حرب ، وانتهيت الى خوض حرب لا نهاية لها .

« ولكن تحت وطأة كل هذا الشعور بالفشل ، فانني اشعر بشيء آخر أجد فيه مذاق الانتصار ، لعلني استوعبت الحقيقة النظرية خطأ ، ولكنني لم اكن مخطئا في الاعتقاد بان ثمة شيئا اسمه الحقيقة ، وانها تستحق الانتماء لها . ربما اخطأت في تصوري ان هناك طريقا الى عالم حر وانسان سعيد اقصر مما وجدت ، ولكنني لم اكن مخطئا في اعتقادي ان اقامة مثل هذا العالم امر ممكن ، وان العمل من اجل تحقيقه يستحق كل هذا العناء ، وهذا هو اليقين الوحيد الذي لم يهتز عندي قط .

■■

احمد بهاء الدين

الدكتور زكي نجيب محمود يكتب



هل هما اثنان ؟

يعظم العظيم ما استطاع ان يعظم ، فما دام بشرا من البشر ، فهو يصيب ويخطيء ، وكلما اتسعت مع العظيم آفاق المعرفة ، زادت الافكار التي يصيب فيها ، وكذلك زادت الافكار التي يخطيء فيها ، ولست انسى في هذا المجال من الحديث ، المقدمة التي لم تزد على بضعة سطور ، والتي قدم بها « اولفر جولد سمث » قصته « راعي ويكفيلد » ، وهي المقدمة التي يوجه فيها الكاتب العظيم رجاءه الضارع الى قاريء قصته والتي هي رائعة من روائع الادب الانجليزي ، بان يحاسبه القاريء على اساس ما قد اصاب فيه ، قبل ان يحاسبه على ما اخطأ فيه .

اقول ذلك لامهد به لما سوف اعرضه عن عظيم الادب العربي الجبار ، أبي العلاء المعري . فلئن لم يكن في الادب العربي شاعر سواه ، لحق لنا ـ نحن العرب ـ أن نفاخر به وحده اداب العالمين ، ولقد سمعت العقاد ذات يوم يقول ـ والعقاد هو من هو في نقد الشعر ـ سمعته يقول عن قصيدة ابي العلاء : « غير مجد في ملتي واعتقادي .. انها اعظم ما عرفه شعر الدنيا قديمها وحديثها معا ، وقد يكون في هذا الرأي شيء من الاسراف ، لكنه برغم ذلك رأي لا يخلو من صواب .

واقول بعد هذا التمهيد ، ان لابي العلاء المعري من التصورات ، ما اقف ازاءها متسائلا : احقا قال المعري ذلك ؟ ومصدر تساؤلي هو الخطأ الواضح الذي اراه ، مما يبعد به عن ان يكون من اقوال المعري صاحب البصيرة النافذة ، ومن امثلة ذلك بيت الشعر المشهور الذي ينسب اليه والذي يضاد فيه بين « العقل » و « الدين » الى الحد الذي يفصل عنده بين رجل يحتكم الى عقله ، واخر يحتكم الى دينه ، كأنما هما رجلان لا يلتقيان ؟ وعلى ذلك فالناس في رأيه مجموعتان : احداها يغلب عليها « العقل » واذن فهي بغير دين ، والاخرى يغلب عليها الدين واذن فهي بغير عقل :

« اثنان اهل الارض ، ذو عقل بلا دين ، وآخر دين لا عقل له » .

وسؤالي الان هو : هل هما اثنان اهل الارض حقا ، كما قال المعري ؟

الخطأ في رأيي واضح ، ولو كان هذا الخطأ مقصورا على المعري ، لقلنا انه شاعر اراد ان يجعل التضاد بين الجانبين حادا ليبرز الفرق امام الابصار ، وقد لا يكون في حقيقة امره مقتصرا في هذا الانقسام الفاصل بين الطرفين .

لكنه خطأ عميق الجذور واسع الانتشار ، ودليل ذلك تلك الكراهية الشديدة التي ما ينفك جمهور الناس يبذرونها ، إذا ما ذكر أمامهم تمجيد للعقل او تعظيم للعلم الذي هو وليد العقل لا فرق في هذه الكراهية العجيبة بين عامة الناس وبين من يسمون بجماعة المثقفين .

اقول ان الخطأ في رأيي واضح من عدة وجوه اولها واهمها (من وجهة نظري) ان حقيقة الامر الواقع ليست قسمة الطرفين ـ اعني العقل والدين ـ بين اهل الارض ، بحيث اذا ظفر احدهم بنصيبه من العقل ، ضاع عليه نصيبه من الدين او العكس ، اذا جاء نصيب احدهم دينا ، فقد ضاع منه نصيبه من العقل ، بل الصواب هو أن هذين الطرفين ، مهما يكن بينهما من تباين في الجوهر وفي المنهج ، فهما يلتقيان معا في كل فرد من الناس . فكل انسان عقل ودين معا ، ثم يجيء الاختلاف بين الناس في الدرجة وحدها ، فهناك من يقوى عنده جانب العقل ويضعف جانب الدين ، وهناك من يقوى عنده جانب الدين ويضعف جانب العقل ، وهنالك من يقوى عنده الجانبان معا ، وهنالك من يضعف عنده الجانبان معا .

تلك واحدة ، والاخرى هي انه برغم اعترافنا بان الدين قوامه « الايمان » لا براهين المنطق العقلي ، الا ان ذلك لا ينفي امكان اقامة تلك البراهين العقلية على صحة عقيدة دينية ، من ناحية المنطق ، بالاضافة الى صحتها من زاوية الايمان ؟ وقصة « حي بن يقظان » لابن طفيل ، هي من آيات الفكر العربي ، وخلاصتها ان ما يصل اليه العقل الصرف بالنسبة للعالم المحيط بنا انما هو نفسه الذي نزل به الوحي فقبلناه ايمانا .

وثالثا ، ان جانب الدين عند الانسان ـ عقيدة وشريعة معا ، هو دائما ميدان يعمل فيه الانسان عقله ليستخرج منه النتائج التي تنظم له حياته العملية ، ولو كان العقل والدين عنصرين متنافرين ، يأبيان أن يجتمعا معا في صدر انسان واحد ، لما امكن لاحدهما ان يقام على الآخر ، كالذي نراه حين يقام فقه الدين على منطق العقل .

انني لو كنت لاصحح القول المنسوب لابي العلاء : « اثنان اهل الارض ... » لقلت : جانبان قوام كل انسان ، عقل ودين معا .

الرجل لا يصير اماما الا بموافقة اهل الشوكة ـ ابن تيمية

الشورى والديمقراطية ورؤية الاسلام السياسية

بقلم : الدكتور احمد كمال ابو المجد

لن يكون المد الاسلامي الذي نشهده الآن صحوة حقيقية ثابتة الجذور ممتدة الآثار في المستقبل ، الا بقدر ما ينجح أصحابه وقادته وحاملو ألويته في وصل حركتهم « بالعصر » الذي يعايشونه ويعايشهم ، والا اذا ـ مثلوا ـ في ارهاف ودقة وعمق ـ الهموم الحقيقية للمسلم المعاصر .. والا اذا ظلت احدى ذراعي العملاق الاسلامي الناهض قابضة في اعتصام واستمساك على جوهر الاسلام وقيمه وأصوله الثابتة في مصدريه الخالدين ـ كتاب الله وسنة رسوله ، بينما تمتد الذراع الاخرى مستشرفة آفاق المستقبل مستشعرة ـ على بعد الزمن ـ ما ينتظر المسلمين فيه من دور مع أنفسهم ومع سائر الأمم والشعوب ..

وفي تقديرنا أن هذه النقلة من حالة الانكفاء النفسي والعقلي على الماضي الى التوجه المبصر نحو المستقبل لا يمكن أن تتحقق الا اذا تمت تصفية عدد من القضايا التي ظلت ولا تزال معلقة في الفكر والسلوك الاسلاميين مئات من السنين دون أن تحسم أو تصفى على نحو يسمح للمسلمين بالانتقال الى غيرها .. ومن هذه القضايا ـ ومن أهمها ـ قضية الحكم في الاسلام ..

ولست من الغفلة بحيث أطمع الى حسم شيء من تلك القضايا في هذه الصفحات القليلة وانما حسبي أن أطرح هنا ما أتصوره مداخل أساسية من شأنها أن تعين على ذلك الحسم ..

متغيرات في العالم

ان كثيرا من الأبحاث في هذا الميدان لا تزال للاسف ـ محملة ـ بآفات نتمنى على علمائنا وباحثينا أن يتجاوزوها ..

الآفة الاولى : الانحصار الى حد بعيد في قضية واحدة من قضايا الحكم والسياسة ، وهي قضية « الخلافة » أو « الامامة » .. وهو انحصار يفسره تاريخيا أن المباحث الرئيسية المتصلة بنظام الحكم الاسلامي قد ابتدأها وحدد نطاقها علماء الشيعة ، وكان اهتمامهم الأكبر بالامامة وحقيقتها واقامة الأدلة على ما يرونه من ثبوتها بالنص في آل بيت النبي (ص) .. وأكثر من كتب من أهل السنة في هذا الباب قد كتب رادا عليهم أو مناقشا لآرائهم فالتزم ـ من حيث لا يريد ـ بالحدود التي وضعوها لهذا العلم .[1]

الآفة الثانية : ان النظريات وقوالب التفكير التي

تمت واستقرت في الفقهين السياسي والدستوري في الغرب لا تزال جاثمة بظلالها الثقيلة على الكثير مما يكتبه علماؤنا . ولا يزال جانب كبير من ابحاثنا أسير تلك النظريات .. التي تعكس واقعا تاريخيا محدودا نشأ أكثره في فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة .. وقد لا يكون صالحا ـ من الناحية النظرية ـ لتفسير واقعنا العربي والاسلامي .. كما قد لا تكون بعض الحلول العملية التي انتهى اليها صالحة لعلاج مشاكلنا السياسية والدستورية ..

ان المهمة العاجلة للعالم السياسي الاسلامي تتمثل ـ كما قدمنا ـ في تصفية القضايا والمسائل المعلقة وصرف الجهود عن أن تستغرقها تلك القضايا ..

اننا نذكر أنفسنا وعلماءنا أن تطورا هائلا قد طرأ ـ في الغرب نفسه ـ على نوع المشاكل اليومية التي تواجهها المجتمعات الحديثة في سعيها لضمان « ديمقراطية القرارات السياسية والاجتماعية » وفي محاولتها « حماية الحقوق والحريات » في مواجهة قوى ضغط وتأثير يعمل أكثرها خارج القنوات الدستورية التي لا يعرف الفقه التقليدي غيرها .. وهي قنوات لم تكن تخطر على بال الأقدمين .. ثم في سعيها لتثبيت مبدأ سيادة القانون وقواعده فوق ارادة الرجال ومصالحهم وأهوائهم ..

ان المقولات النظرية التقليدية التي ورثناها عن الفكر السياسي الغربي القديم لم تعد تكفي مطلقا لمواجهة المشاكل السياسية لانسان اليوم والغد .. وان استمرار الدوران في الحلقة المفرغة الجوفاء التي تتحرك في مسارها الضيق كثير من جهود الباحثين خطيئة لا تغتفر ، وقتل لوقت يحتاج فيه العمل الاسلامي الى كل لحظة من لحظاته ..

فلنبدأ اذاً . رحلتنا في تصفية القضايا المعلقة بتقديم موقف محدد وبسيط في سبعة من هذه القضايا .. حتى اذا كانت ـ في جملتها ـ محل اتفاق .. كان من الضروري أن تتوجه أقلامنا الى اقتحام المجالات الجديدة من مجالات السياسة والحكم ، وأن تزداد اقترابا من الهموم الحقيقية والعملية للمسلمين المعاصرين .. وسنحاول ايجاز هذه الآراء في صورة مقولات خمس يترتب بعضها على البعض ..

نبي ومؤسس دولة

القضية الاولى : « السياسة الشرعية » جزء من شريعة الاسلام ، واقامة الحكم الصالح جزء من رسالته : .. وبهذه المقولة ينبغي أن ينتهي الجدل الطويل حول الاسلام والسياسة . ان ما استدل به بعض الناس قديما وحديثا من أن النبي (ص) كان نبيا ورسولا ولم يكن ملكا ولا رئيس دولة ، قد فنده العلماء ولا تقوم له ـ عند التحقيق العلمي ـ قائمة .. ثم ان فهم طبيعة الاسلام هو المدخل لحسم قضية الدين والسياسة . فالاسلام ـ كما يكشف استقراء نصوص القرآن والسنة نظام شامل ، واهتماماته لا تتخلى أبدا عن جانب هام من حياة الانسان .. ولذا قال الغزالي رحمه الله « الدين أس والسلطان حارس ، وما لا أس له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع » .

أما ما احتج به البعض من أن نظام المجتمع في عهد النبي (ص) قد خلا من مظاهر الحكم وتنظيم الدولة ، فغير صحيح أولا ، وغير منتج ثانيا .. (أ) فهو غير صحيح لأن النبي (ص) سارع فور هجرته الى المدينة الى تنظيم المجتمع الجديد للمؤمنين فكتب الوثيقة المعروفة بدستور المدينة وأقام على أساس مبادئها المدونة « دولة » بالمعنى الكامل لهذا المصطلح عند أهل الاختصاص ومارس فيها فعلا امور الحكم والرئاسة .. أما أن هذا التدليل غير منتج فمعناه أن بساطة تكوين الدولة في عهد النبي (ص) ليست دليلا على أن الحكم والرئاسة خارجان عن مهمة الاسلام في الجماعة .. ذلك أن طبيعة الزمان والبيئة ما كانت لتسمح بمزيد من التركيب والتعقيد في بناء جهاز الحكم وضبطه .. ولكن الشورى كانت أصلا ، والعدل كان أساسا ، ومسئولية الرعاة والرعية كانت مبدأ ، واقامة ذلك كله كانت ولا تزال واجبا وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .. والأبنية التنظيمية ـ على ما هو مقرر ومعروف ـ تزداد مع الزمن والتطور دقة واحكاما وتركيبا . وهذا هو الفارق بين وجود « المبدأ » وبين صياغته وتركيبه ..

وأغرب من ذلك المماراة في أن النبي (ص) كان يجمع الى صفة الرسالة أنه كان حاكما سياسيا ومؤسسا لدولة سياسية [2] فهي مماراة تسقط من حسابها البعد

---

(١) في هذا المعنى : الدكتور محمد ضياء الدين الريس « النظريات السياسية الاسلامية » ، الطبعة الرابعة ١٩٦٦ ص ٨٥ . وقد أتيح لنا ـ خلال عامين متتاليين ـ ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ أن نشترك في مناقشة رسائل ثلاث للدكتوراه لجامعات القاهرة والاسكندرية والازهر ، تدور كلها حول الخلافة ، أو رئاسة الدولة في النظام الاسلامي .

(٢) هو قول المرحوم الشيخ علي عبد الرازق في كتابه الاسلام وأصول الحكم .

التاريخي المتمثل فيا قدمناه من أن النبي (ص) قد أقام أكثر من عشر سنين في المدينة وسط أتباعه من المهاجرين والانصار ، وفي نطاق مجتمع جديد ليست فيه سلطة سياسية أخرى حتى نقول ان مهمته كانت تقتصر على الدعوة وتبليغ الرسالة وأنه ترك المجتمع السياسي القائم يسير في طريقه ويأخذ مداه تحت لواء سلطة سياسية منفصلة عنه وعن أتباعه .. ولقد كان النبي (ص) فعلا رئيسا لهذا المجتمع ، وحاكما فيه بأمر الله .

قبل الخلافة والامامة

القضية الثانية : الاسلام لم يفرض نظاما سياسيا مفصلا ، و « الخلافة » ليست نظاما محدد المعالم :

ان القضية الحقيقية التي ينبغي أن تشغلنا اليوم ليست هي قضية البت فيا اذا كانت زعامة النبي (ص) في قومه زعامة رسالة أم زعامة ملك ، وما اذا كانت مظاهر الولاية التي نراها أحيانا في سيرته مظاهر دولة سياسية أم مظاهر رياسة دينية . وانما القضية الحقيقية هي البحث فيا اذا كان ما جاء به (ص) من رسالة دينية قد اشتمل على أصول ومبادىء من أصول الحكم ومبادئه أم أنه ترك ذلك تركا عاما شاملا وأن غاية ما أوجبه الاسلام على أهله أن يقيموا حكومة تضبط الأمر فيهم وأن اشكالها يمكن أن تختلف « بين دستورية واستبدادية ، وبين جمهورية وبلشفية » كما يقول مؤلف « الاسلام واصول الحكم » .

الذي نراه صحيحا في ذلك وسط بين هذا الرأي الذي رفضناه وبين رأي آخر نرفضه كذلك يتصور أن للاسلام « نظاما في الحكم » مفصل المعالم متميز القسمات ، أقامه النبي (ص) وألزم المسلمين من بعده باقامته وأنهم أقاموه فعلا أيام الخلافة الراشدة وقبل أن تتحول الى ملك عضوض .. وان على هؤلاء المسلمين ـ كذلك ـ أن يرفضوا كل ما حولهم من أنظمة الحكم والسياسة وأن ينحوها عن مقاعد السلطة والرئاسة ليضعوا نظامهم « الاسلامي » على رأس دولتهم الجديدة .. والقائلون بهذا الرأي لا يكلفون أنفسهم عناء البت في معالم هذا « النظام الاسلامي » في عهد النبي (ص) ومعالمه التي تطورت وتغيرت تباعا طوال فترة « الخلافة الراشدة » ..

ان اسلوب الاسلام في التشريع وبناء الانظمة يقوم ـ كما قيل بحق ـ على اجمال ما يتغير وتفصيل ما لا يتغير .. ولهذا لا يسعنا أن نوافق العلامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله حيث يقول عن « الدستور الاسلامي انه لا يقبل شيئا من التبديل والتغيير ، فلن شئت خرجت عليه وأعلنت عليه الحرب كما خرجت عليه (تركيا ، وايران) ولكن ليس لك أن تحدث فيه أدنى تغيير فانه دستور الهي سرمدي لا تغيير فيه ولا تبديل » .

ان « الحكم » شأنه في الاسلام شأن سائر أنشطة الناس متفردين ومجتمعين مقيد بحدود الله ، محكوم بشريعته ، دائر في نطاق « قيمه العليا » .. ومهمة الاسلام في الكون أن يرشد حركته .. ومع الناس أن يدلهم على طريق الهداية .. وطريق الهداية في الأمور التعبدية يكون بالنص المفصل عليها .. اذ أمور العبادة ليست مما تتغير المصلحة فيه بتغير الزمان والمكان .. ومن هنا كان النقل مصدرها وكان الدخول في الطاعة جوهرها ومظهرها أما الامور المعاشية فتبقى على الاصل في الحل والاباحة الاصلية وحرية الحركة في طلب « الاصلح » ، تحدها في ذلك كله حدود النصوص القطعية وما اشتملت عليه من أحكام تكليفية أمرا ونهيا ..

وان استقراء نصوص الكتاب أو السنة ، قولية كانت أو فعلية ، وعمل الصحابة رضوان الله عليهم يكشف عن حقيقة ينبغي حسم الخلاف حولها .. وهي ان الاسلام قد وضع للحكم مبادىء أساسية وقيما عليا اعتبرها من « نظامه العام » المعروف عنه بالضرورة .. وترك للناس بعد ذلك أن يضعوها موضع التطبيق بما يحقق مصالحهم ، ويناسب ظروفهم ، ويلائم تجدد حاجاتهم .. وعلى رأس هذه المبادىء والقيم ، مبدأ الشورى ، ومبدأ العدل ، ومسئولية الحكام ، والتزام الدولة بالقانون المستمد من مصادر التشريع الاسلامية .. واحترام حريات الناس وحقوقهم .. تلك وحدها هي المبادىء .. أما ما عداها فحلول [3] وسوابق أثمرتها اجتهادات المسلمين حكاما ومحكومين ، علماء وعامة .. وتجمع منها تراث للمسلمين في قضايا السياسة والحكم .. تراث يستأنس به دون الزام .. ويرجع اليه رجوع البحث والتمحيص والنقد .. لا رجوع النقل والتقيد والانحصار ..

ومن هنا فان الدعوة الى اقامة الخلافة الاسلامية تفقد معناها تماما ما لم تحدد معالم تلك « الخلافة » ..

---

(٣) أنظر الدكتور محمد سليم العوا ـ النظام السياسي للدولة الاسلامية ـ ١٥٠ حيث يميز بوضوح بين ما يعتبر من التراث السياسي الاسلامي « حكما » ملزما للمسلمين في هذا العصر وكل عصر . وما يعتبر « حلا » روعيت فيه المصلحة الاجتماعية عند تقريره ومن ثم تنتفي صفة الالزام عنه .

فان المعنى اللغوي والاصطلاحي للخلافة لا يجدينا اليوم شيئا ، فاذا انتقلنا الى البعد التاريخي وجدنا الخلافة في بعض صورها مجسدة لمبادىء الاسلام في الحكم .. ووجدناها في بعضها الآخر خارجة عليها متنكرة لها .. حتى لقد ارتبطت في كثير من الاذهان بهذا الخروج وذلك التنكر .. والا فهل يقول قائل ان خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما تستوي في ميزان النظر الاسلامي مع « حكم يزيد بن معاوية » .. أو تشتبه بنظام الحكم الذي بسطه على العالم الاسلامي والعربي سلاطين آل عثمان ..

ان للاسلام معالم لا يجوز أن تحجبها الأسماء واللافتات والحكم ـ فيما نؤمن ـ لا يكون اسلاميا ، ولا يجوز أن يحسب على الاسلام .. الا اذا قام على الشورى ، وبني على العدل .. وأخذ الرعاة والحكام بمسئولياتهم .. واحترم حقوق الناس وحرياتهم .. ثم قيد نفسه ـ قبل ذلك كله ـ بشرائع الاسلام .. نعم .. ان هذه المبادىء مثل وغايات .. وستظل أنصبة الحكم منها تتفاوت من عهد الى عهد ولكن النظام الذي يسقطها من حسابه ، ويعتمد نقائضها أساسا له .. لا يمكن أن يكون نظاما اسلاميا وان حمل أسماء الخلافة والامامة وامارة المؤمنين ..

سلطة الحاكم من الشعب

القضية الثالثة : الحكم الاسلامي نظام مدني .. وسلطة الحاكم المسلم مرجعها الى الشعب :

وهنا لابد من ضبط المصطلحات .. فالباحث في هذه القضية ينبغي أن يفرق بين أمرين :

أولهما : أساس السلطة السياسية في الجماعة .. ومرجع ما يملكه أولو الامر من حق الطاعة على رعاياهم ..

والثاني : غاية الحكم وأهدافه .. والنظام القانوني الذي يخضع له الناس في ظله ، حكاما ومحكومين ..

ولقد وقع الخلط وطال الجدل بين العلماء بسبب تداخل هذين الامرين ، والتهاون في التمييز بينهما ..

وساعد على هذا الخلط أن بعض الباحثين لم يدققوا كثيرا في التمييز بين حكم النبي (ص) وحكم خلفائه والامراء من بعده .. فالنبي (ص) كان حاكما سياسيا ولكنه كان رسولا نبيا ، لا ينطق عن الهوى .. وانما يوحى اليه .. « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي » ـ و « أن احكم بينهم بما أنزل الله » ، ومهما كان من أمر بشريته (ص) التي حرص القرآن على توكيدها كما حرص هو عليه الصلاة والسلام على تذكير الناس بها : « فان نبوته واتصاله بالملأ الاعلى ، وتلقيه الوحي عن الله تبارك وتعالى ، وعصمته صلى الله عليه وسلم .. حقائق لا يجادل فيها ولا يستطيع أن يسقطها من حسابه مسلم مؤمن ..

أما خلفاؤه فهم في الجانب السياسي نظراء له صلى الله عليه وسلم .. لهم الطاعة وعليهم الاجتهاد لمصالح المسلمين والسعي في أمورهم .. أما في الجانب الديني فهم متبعون له وليس لأحد منهم عصمة ولا مرتبة خاصة الا شرف صحبته صلى الله عليه وسلم والتلقي عنه ..

ولقد حسم الامام محمد عبده هذا الامر بعبارات واضحة حيث يقول : « ليس في الاسلام ما يسمى عند القوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه » « ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الافرنج (تيوكراتيك) فان ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقي الشريعة عن الله وله حق الاثرة التشريع ، وله في رقاب الناس حق الطاعة لا بالبيعة وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة ، بل بمقتضى حق الايمان »[٤] ويترتب على هذا الاصل نتيجته اللازمة وهو أن « سلطة الحكم » تستند الى الشعب وتستمد من عقد البيعة وحده ..

هذا هو الرأي الواضح الجلي الذي عليه اجماع أهل السنة والجماعة . ومع ذلك فقد عاد شيء من الخلط والغموض الى هذه القضية مع ما رفعه بعض الباحثين من المحدثين من أن السيادة في الدولة الاسلامية ليست للشعب ولا لمجموع المسلمين ، وانما هي لله وحده .. وان اختاروا لقولهم هذا عبارة الحاكمية[٥] . والحق أننا لا نستريح البتة لهذا التعبير ، فان حاكمية الله أريد بها أن ارادته ومشيئته غالبة على مشيئة البشر فان ذلك حاصل ايمانا ومشاهدة ، في أمر الحكم السياسي وفي غيره .. وتقريره في هذا المقام لا تدعو اليه الحاجة .. والضرورة لنفي المشيئة عن الجماعة ليست بأقوى من الضرورة لنفيها عن الفرد في سائر تصرفاته ومعاملاته ..

---

(٤) الامام محمد عبده « الاسلام والنصرانية » . الطبعة الثانية ـ ٧٦ .

(٥) أشهر القائلين بهذه العبارة العلامة المودودي في رسائله وكتاباته العديدة . وتابعه فيها كثير من المحدثين .

والحديث عن الحاكمية بمعنى الحق في تقرير الاوامر والنواهي الملزمة للجماعة ابتداء ، أي أن حق التشريع شيء .. والحديث عن أساس السلطة ومصدرها شيء آخر .. والحق أن شعار « لا حكم الا لله » منذ رفعه الخوارج في وجه علي كرم الله وجهه الى يومنا هذا كان مبعث فتنة وباب فوضى ومدخل تشرذم وتفرقة بين المسلمين « اذ ترى كل فئة نفسها قيمة على حكم الله في الصغيرة والكبيرة ، فتسعى الى تنفيذه ، فتفرق الجماعة ، ويقتل بعضنا بعضا » [٦] .

ولعل أحسن ما نختتم به ردنا على هذه المقولة جواب الامام علي رضي الله عنه حيث يقول : نعم . لا حكم الا لله . ولكن هؤلاء يقولون لا امرة الا لله . ولابد للناس من أمير .

في حدود النصوص القاطعة

القضية الرابعة : جوهر « الديمقراطية » المعروفة مقبول في الاسلام ، ولكن « سلطة الاغلبية » ليست مطلقة :

لا نريد أن نستدرج الى كلام طويل ـ لا ينتهي ـ حول تعريف الديمقراطية ، وانما نستطيع ـ من قبيل التبسيط الذي لا يخل بالحقيقة ـ أن نقرر أن إصدار القرارات العامة في جماعة من البشر لا يمكن الا أن يتخذ واحدا من أشكال ثلاثة : فنظام الحكم اما أن يضع سلطة اصدار القرارات قانونا أو اقعا بين يدي فرد واحد ، واما أن يضعها بين يدي أقلية ، واما أن يضعها بين يدي الكثرة أو الاغلبية التي تسمى حينئذ تجوزا وتغليبا « بالجماعة » .

واذا كانت الشورى واجبة في الاسلام باجماع أهل العلم لقوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » (الشورى ٣٨) وقوله تعالى لنبيه (ص) : « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر » (آل عمران ١٥٩) فان وضع السلطة كلها في يد حاكم فرد لا يمكن أن يكون داخلا في نطاق ما يقبله الاسلام ، ولهذا وجدنا الامام محمد عبده يقول صراحة أن « تصرف الواحد في المجموع ممنوع شرعا »..

كذلك لا يتصور عقلا أن يتشاور الناس ثم تنزل الاكثرية على رأي القلة .. ولا حجة لأحد أبدا في النصوص التي لا تجعل الكثرة وحدها دليلا على الحق كقوله تعالى : « لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » وقوله : « ما وجدنا لأكثرهم من عهد » وقوله : « بل أكثرهم للحق كارهون » لا حجة في شيء من ذلك لما هو مقرر ومعلوم من أن نطاق الشورى محدود بما ليس فيه دليل شرعي يلزم القلة والكثرة جميعا .. واذا انعدم هذا الدليل وكان الناس في حق الشورى سواسية ، فأين فضل القلة وبأي حجة يكون لقولها النفاذ .. ان الغالب الأكثر معتمد في العقل والنقل اعتماد العام الكلي .. والكثرة توصف لغة وشرعا بأنها الجماعة .. ويستدل علماء الاسلام على هذا بحديث حذيفة المشهور الذي أخبر فيه الرسول (ص) بما يكون من الفتنة فقال له النبي (ص) : تلزم جماعة المسلمين وامامهم ..... وهذا ما سنه الرسول (ص) بفعله حين التزم رأي الاكثرية في خروجه لغزوة أحد وكان رأيه ورأي قلة من أصحابه ألا يخرجوا من المدينة وأن يعتصموا بها .. ولكن كثرة أصحابه أشاروا عليه بالخروج وألح عليه في ذلك الشباب منهم فتجهز للخروج واتبع رأي الأكثرية ..

ويلفت النظر في المقارنة بين الديمقراطية بمعناها المستقر في الغرب ، والشورى التي أمر بها الاسلام في الحكم أمران .. يتصل أولها بالاساس النظري لكل منهما ويتصل الآخر بمجال ممارستها :

(أ) فاما الاساس النظري فان علماء السياسة في الغرب يردون الديمقراطية الى فكرة العقد الاجتماعي التي قال بها كل من لوك وهوبز وروسو ، وان كانت أقوال هؤلاء الثلاثة من قبيل الفروض التاريخية التي تتحدث عن مرحلة ما قبل قيام الجماعة المنظمة . وهي أدخل في باب التحليل النظري بالفروض منه في باب التحديد التاريخي الموثق بالوقائع والنصوص ..

ومما يستأهل الذكر أن الفكر السياسي الاسلامي قد اعتمد بدوره على فكرة العقد كأساس لنشأة الدولة ، وذلك بما تراه جمهرة أهل السنة من أن « الامامة عقد » وأن البيعة هي اسلوب عقده ويصف العلامة السنهوري البيعة بأنها عقد حقيقي « مستوف لاركان العقد . فمبناه الرضا ، وأطرافه الامام والامة ، وموضوعه توكيل الامام ونيابته عن الامة في تصريف أمورها .. » بل ان شكله لم يختلف عن الشكل الذي جرى عليه الناس في ابرام العقود : « يقول ابن خلدون : وكانوا اذا بايعوا الامير

---

(٦) من مقال للمرحوم الاستاذ حسن العشماوي بعنوان « الفرد العربي ومشكلة الحكم » . بيروت ١٩٧٠ ص ١٣٥ أورده الدكتور محمد سليم العوا في مؤلفه السابق ذكره ص ١٦٠ .

وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده ، تأكيدا للعهد فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري » ..

ولا أظن أننا نتعسف في تفسير التاريخ اذا قررنا صراحة أن دستور المدينة الذي أنشأ الدولة الاسلامية الاولى في يثرب كان ـ بالتعبير الحديث ـ أول دستور تعاقدي في التاريخ فقد جاء وصفه في ديباجته ونصها : « بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش ، وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس .. وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة » [٧] ..

(ب) يلاحظ ـ مع ذلك ـ أن الفقه الغربي يشترط الاغلبية كأساس لاتخاذ القرارات داخل الجماعة .. ولكنه لا يشترطها ـ بالضرورة ـ لاختيار رئيس الدولة .. بينما ظهرت فكرة الشورى في الفكر السياسي الاسلامي في الميدانين معا ، ميدان بيعة الامام التي اعتبرت عقدا كما قدمنا .. وميدان اتخاذ القرارات داخل الجماعة ..

الى هنا يمكن القول بالتقاء نظرية الاسلام في الشورى مع المفهوم السائد للديمقراطية في الفكر الغربي ..

ولكن الفارق يظهر بين النظريتين في نطاق الشورى وحدودها فان الفكر السياسي الغربي بما يقوم عليه من علمانية الدولة قد وضع الامر كله بين يدي أغلبية الجماعة ترى فيه رأيها وتبرم من أمورها ما تبرم وتنقض ما تنقض .. حتى ذاع في انجلترا القول المأثور من أن البرلمان الانجليزي يملك أن يقرر أي شيء الا أن يحول المرأة الى رجل والرجل الى امرأة .. وليس الحال كذلك في التصور الاسلامي .. فان الشورى في الجماعة الاسلامية لا تمتد الى ما ورد فيه نص قطعي لا محل فيه للاجتهاد ..

والواقع أن الدولة الاسلامية قد تميزت منذ نشأتها بسيادة مبدأين متجاورين متكاملين لا يطغى أحدهما على الآخر ، الاول مبدأ الشورى الذي بيناه ، والآخر مبدأ « سيادة القانون » أو « شرع الله » وهو مبدأ تأخر ظهور نظيره في الفكر السياسي الغربي واعتبر اكتماله تتويجا لتطور متعدد المراحل خروجا من السلطة الشخصية للحكام الى سيادة المؤسسات وقواعد القانون ..

على أن وجود النص التشريعي لا يؤدي مع ذلك من الناحية العملية الى اختفاء دور الجماعة وانحسار فكرة الشورى انحسارا كاملا .. اذ أن كثيرا من النصوص يحتاج تطبيقها على الوقائع المتجددة الى اجتهاد .. والى وضع أصول وضوابط عامة لهذا التطبيق تكون بمثابة تشريع فرعي لتطبيق حكم القاعدة على الوقائع الجزئية .. وهو ما يسميه بعض الفقهاء التشريع « ابتناء » في مواجهة التشريع الاصلي الذي يسمونه حينئذ التشريع « ابتداء » . وهكذا تعود الشورى الى الظهور في هذا الميدان ، ولكن بشروط وضوابط مختلفة عن تلك التي تحكم اختيار الحاكم أو تقرير السياسات التي تعتمد على طلب الاصلح للجماعة في أمور ليست من قبيل التشريع الذي تحكمه نصوص قطعية الدلالة والورود .

وقد نستطيع أن نلخص الفارق بين الديمقراطية الغربية وبين الشورى التي تقوم عليها النظرية السياسية الاسلامية بقولنا ان سلطة الامة في الديمقراطية الغربية سلطة مطلقة ، بينما هي في التصور الاسلامي مطلقة في نطاق ومقيدة في نطاق آخر .. فحيثما وجد النص التشريعي القطعي فلا موضع لاجتهاد فردي أو جماعي الا أن يكون اجتهادا في التطبيق والتفسير وفي كيفية انزال حكم القاعدة الملزمة على الوقائع المتجددة والظروف المتغيرة [٨] ، وهو مجال لا يستهان به .

انتخاب على درجتين

القضية الخامسة : النظرية السياسية الاسلامية

(٧) وهذه الوثيقة ـ عند التحليل العلمي ـ دستور بالمعنى الصحيح وبها تأسست دولة مكتملة الاركان .. الشعب ، والاقليم ، والسلطة السياسية .. فالشعب قد فصلته الوثيقة قبيلة قبيلة .. والاقليم حددته بيثرب .. ويذكر الدكتور محمد حميد الله في كتابه القيم « الوثائق السياسية في عهد النبي » ص ٢٤٦ نقلها عن المطري في تاريخ المدينة أن النبي (ص) أرسل بعض أصحابه ليبنوا أعلاما على حدود حرم المدينة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وأما السلطة السياسية فيحددها قول الوثيقة « وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو أمر يخاف فساده فان مرده الى الله والى محمد رسول الله » .

(٨) وهو مجال لا يستهان به عمليا .

لا تعتمد حق الاقتراع العام وانما تعتمد نظرية « الكفاءة في النيابة » ..

في الفكر السياسي الغربي تداع أكيد بين المبدأ الديمقراطي وحق الاقتراع العام ، حتى لقد اعتبر وضع شروط مالية أو شروط كفاءة على حق الانتخاب قيدا ينتقص من المبدأ الديمقراطي ويحرم فريقا من المواطنين من حقهم في المشاركة السياسية .. وليس الامر كذلك في الاسلام .. حيث الحقوق كلها تنطوي على معنى الوظيفة المرتبطة بأهداف الجماعة .. ومن هنا فاذا كان الناس ـ بحسب الاصل ـ متساوين في تعلق حق المشاركة في اختيار الحاكم وممارسة الشورى بهم ، فان هذين الواجبين يعتبران في رأي الفقهاء المسلمين من قبيل الواجبات الكفائية أي الواجبة على عموم الامة ، بحيث يتولاها فريق من الناس فتسقط عن الباقين ، وبحيث لا يتصور توجه الامة كلها لممارستها .. وفي اطار القاعدة الاصولية التي قررتها الاية الكريمة « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » ، كان من المنطقي في تنظيم هذا الواجب الكفائي أن يتولاه أهل الذكر في خصوص المهمة الموكولة الى ذلك الفريق ..

ولما كانت الشورى على ما بينا تمارس في مجالين متميزين ، أحدهما مجال اختيار الحكام ، والآخر مجال المشاركة في اتخاذ القرارات ، فقد عرف الاسلام طائفتين تتوليان ممارسة الشورى في المجالين ..

الاولى : أهل الحل والعقد .

والاخرى : أهل الاجتهاد .

أولا : أهل الحل والعقد :

ويسميهم البعض كذلك أهل الاختيار ، وهم جماعة بين الناس يتولون نيابة عن سائر الجماعة أداء الواجب الكفائي المتمثل في اختيار الامام وذلك بعد أن يبذلوا جهدهم في البحث والتحري واستطلاع آراء سائر الناس ... وبهذه المهمة التي لم يعن بالوقوف عندها كثير من الباحثين نجد أنفسنا ، في الواقع أمام صورة من صور الانتخاب على درجتين ، فالامة صاحبة السلطة في اختيار الامام تنيب عنها فريقا أقل عددا وأكثر كفاية يتولى ـ باسمها ولحسابها ـ اختيار الامام .. وتصوير الماوردي لهذه الهيئة يجعلها في الواقع عظيمة الشبه بهيئة الناخبين الرئاسيين أو المندوبين Electoral College المعروفة في انتخابات الرئاسة الامريكية . ونص عبارته : « فاذا اجتمع أهل الحل والعقد للاختيار تصفحوا أحوال أهل الامامة الموجودة فيهم شروطها فقدموا للبيعة منهم أكثرهم فضلا واكملهم شروطا ومن يسرع الناس الى طاعته ولا يتوقفون عن بيعته » (٩) ولا نريد أن نتوقف طويلا عند الشروط التي اشترطها الفقهاء وعلماء السياسة المسلمون في أهل الحل والعقد ، فقد تعددت آراؤهم ولا نرى الا أنها تمثل اجتهادا فرديا يعكس تصوراتهم لمهمة تلك الهيئة ... وكلها ـ على أي حال ـ شروط تدور حول فكرتي العلم والعدل المؤديتين الى اختيار الاصلح للامامة ..

كذلك لا نتوقف عند كلام العلماء في أقل عدد تنعقد به البيعة وانما نقرر أن أقرب الاقوال الى ملاءمة مهمة الاختيار ما ذكره الماوردي من أنها « تنعقد بموافقة جمهور أهل الحل والعقد من كل بلد » . ومثله قول ابن تيمية « الرجل لا يصير اماما الا بموافقة أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الامامة فان المقصود من الامامة انما يحصل بالقدرة والسلطان : أما الذين حددوا أعدادا بعينها كخمسة أو أربعة أو أربعين فقد تعلقوا بسوابق وتطبيقات لا يمكن عزلها عن ملابساتها وتحويلها الى قاعدة عامة .. »

ومرة أخرى ننبه الى ضرورة وضع هذه الآراء كلها في مكانتها الحقيقية فهي اجتهادات فردية تسعى الى وضع فكرة الشورى في الاختيار موضعها من التطبيق العملي ، لا تنقص عن ذلك ولا تزيد . فهي اذن حلول رآها أصحابها مناسبة لأوقاتهم وظروفهم ولنا في تغيير الظروف سعة ومندوحة في البحث عن صيغ وأساليب غيرها .

ثانيا : أهل الاجتهاد :

وهؤلاء هم الذين يمثلون الجماعة في ممارسة الوظيفة التشريعية في حدودها المقررة في الدولة الاسلامية .. ولابد ـ بطبيعة الحال ـ أن يكونوا مؤهلين لتلك الممارسة بأن يكونوا حائزين على درجة من درجات الاجتهاد في استخراج الاحكام واستخلاصها من أدلتها . وفي معرفة الواقع الذي تطبق عليه تلك الاحكام. ■■

د . أحمد كمال أبو المجد

---

(٩) الاحكام السلطانية ـ ٦ .

عروبة واسلام

خيوط من النور وسط ظلمات ثقيلة

بقلم : الدكتور . جورج طعمة

تشكل الحرب الاهلية في لبنان التي دخلت الآن عامها السادس مأساة كبرى اذا قيست باي مقياس من مقاييس الانسانية والتاريخ ، فجرتها التناقضات العربية في لبنان وخارجه ، وشهوات الدول المتربصة بنا ، وطموحات زعماء يبحثون عن دور بطولي ظاهر او خفي

فهذا البلد العربي الذي يقل كامل سكانه عن ربع سكان مدينة نيويورك قد خسر حتى الآن اكثر مما خسرته اميركا القارة ، بملايينها التي تزيد عن المائتين سواء في الحرب العالمية الثانية او في حرب فيتنام . فسيل القتلى الذين ما زالوا يتساقطون تجاوز الثمانين الفا . وعدد المشوهين بعاهات دائمة والجحافل البائسة الفارة من جحيم الجنوب اللبناني قد تجاوزت مئات الالوف ، الى جانب آلاف الايتام يجوبون الشوارع في المدن وقد اصبح الاجرام زادهم اليومي . ناهيك عن الخراب الذي تحولت اليه اقسام كبيرة من بيروت التي تبدو وكأنها خارجة من حرب عالمية تذكرك بهمجية الانسان عندما يتعرى من كل روابط القانون وزواجره .

وبيروت عبر التاريخ القريب الذي ورثناه مدينة اسلامية مسيحية ، تعايش المذهبان فيها في تعاطف وتفاعل روحيين مثمرين كاكثر ما يكون التفاعل المعطاء . فالمسجد يقف الى جانب الكنيسة حيث يجد المؤمن مهما كانت عقيدته ملجأ لتأملاته . ويتطلع اليها « القوميون العرب » حيثما كانوا كاحد المراكز الفكرية التي انطلقت منها الدعوة العربية الحديثة . وحيث احتضنت اديرة لبنان في عهود التخلف الحضاري العثماني اللغة العربية وتراثها كما احتضنتها مناسك النجف واردهة الازهر واروقة جامعة الزيتونة في تونس . ويتذكرون ايضا باسى وفخر قوافل شهداء القومية العربية ، من مسلمين ومسيحيين على السواء ، الذين

علقت اعناقهم على اعواد المشانق فيها في الحرب العالمية الاولى كما علقت في دمشق وطرابلس وحمص . انها صور وذكريات مجيدة ومريرة معا بحيث ان العربي المؤمن بعروبته لا يستطيع التحدث عنها بمنطق العقل فحسب ولكن بقلب دام ونفس حزينة ومشاعر الاحباط والكآبة السحيقة .

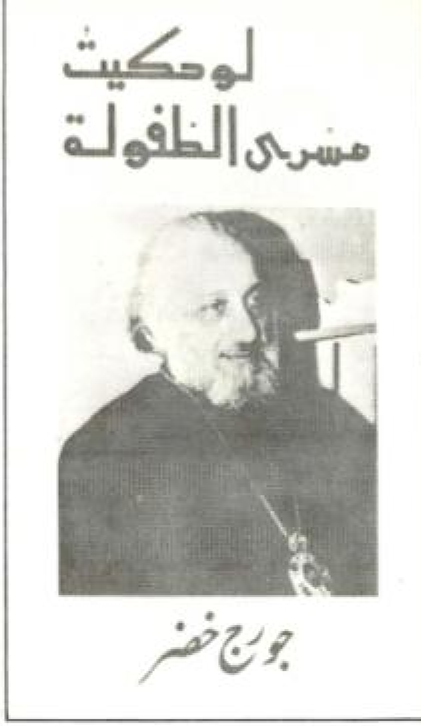
المعجزة في بيروت

وسط هذه الظلمات يحاول المرء ان يجد مصادر لتجدد الامل ، خيوطا من النور مهما كانت ضئيلة ، وبعض التطلعات التي تعيد ثقة الانسان بالانسان . ولقد جرت عادتي ان اتلمسها في المكتبات في أية مدينة وفي بيروت عندما ازورها . فالكلمة تظل الملجأ الاخير للفكر في حيرته . وفي هذه المدينة المفتحة تحت الكثير من خرائبها وجراحها الظاهرة تستمر دور النشر فيها بتغذية المكتبة العربية بالوافر والقيم مما ينشر بالعربية . والمعجزة او ما يشبه المعجزة ان يستمر النشر في بيروت بمثل هذه الحيوية الى جانب مظاهر الحياة الاخرى بالرغم مما اشرت اليه من الخراب وانهيار الزواجر القانونية . وبين الكتب العديدة التي حملتها معي ، كان اول ما قرأت الكتابين التاليين اللذين اقدمهما للقارىء العربي اليوم :

١ ـ منطلق تاريخ لبنان للدكتور كمال سليمان الصليبي . منشورات « كارافان » . بيروت ١٩٧٩ (٢٠٦ صفحة) . يعتبر الدكتور صليبي الآن في طليعة المؤرخين اللبنانيين واساتذة التاريخ في جامعات لبنان ، بعد ان نشر العديد من المؤلفات التاريخية باللغات الثلاث الانجليزية والفرنسية والعربية في عدد من اهم دور النشر الجامعي في اوروبا وامريكا . وتقع اهمية هذا الكتاب في ان المؤلف اخضعه لادق قواعد التاريخ العلمي . فقد شدد في مقدمته على هذا المنهج العلمي الذي اتبعه قال : « اما التاريخ كعلم يتحرى المعرفة المجردة عن الرأي فله اصول لا يجوز الخروج عليها على الاطلاق من شروطها بالاضافة الى معرفة المصادر التاريخية التجرد الكامل عن الاغراض والاهواء » واذا اكتشف المؤرخ خطأ في ما توصل اليه او اعلن عنه فعلى صاحب الخطأ في اي علم ان يعود عن خطئه . اما صاحب الصواب الثابت عليه فعليه ان يتمسك بصوابه بما تيسر له من الجرأة ، دون اي مساومة او مصانعة لان المعرفة امانة لدى صاحبها ، ولا يجوز له التصرف بها الا بوعي تام لما تقتضيه المسؤولية العلمية » لكن التمسك بالصواب التاريخي في بعض الاحيان هو اصعب من الاعتراف بالخطأ والعودة عنه لاسيما عندما يكون الخطأ التاريخي جزءا من اسطورة موروثة . وقد يجبر المؤرخ امام تمسك المجتمع بالاسطورة في احيان كثيرة اما على السكوت او على ما هو اشد المشاركة في تحوير الحقائق التاريخية او طمسها كليا » .

كل له اسطورته

ماذا عن لبنان والاسطورة فيه ؟ يجيب المؤلف انه منذ قيام دولة لبنان الكبير (١٩٢٠) التي اصبحت في ما بعد « الجمهورية اللبنانية » (١٩٢٦) « لم يلتف الشعب اللبناني بعد على اسطورة تاريخية واحدة مقبولة من جميع فئاته . بل على العكس انبرى كل فريق من اللبنانيين على اختلاق اساطير خاصة به . فهناك اليوم اساطير تقول بازلية « الكيان اللبناني » بل وبازلية « الامة اللبنانية » ، فتجعل للبنانيا تاريخا مفترضا يعود في قدم عهده ـ على الاقل حسب ادعاء بعض الغلاة ـ



الى اول ظهور البشر على وجه البسيطة .

وهناك اساطير تتمسك بصورة لبنان الملجأ فتعتبر ان لبنانها كان منذ البدء ـ وعلى الاخص في العصور الاسلامية ـ حصنا طبيعيا منيعا لجأت اليه العناصر الدينية والطائفية الهاربة من الضغط والاضطهاد في الاقطار المجاورة » .

... « وهناك الاساطير التي تتحدث عن انتفاضات « الشعب اللبناني » او « الشعب العربي في لبنان » « ضد جور المماليك وبني عثمان في العصور الاسلامية المتأخرة » .. « وهناك الاساطير التي لا تعترف للبنان باي تاريخ صحيح خاص به قبل قيام « متصرفية جبل لبنان » عام ١٨٦١ او « دولة لبنان الكبير » عام ١٩٢٠ فلا ترى في الوجود اللبناني الحالي الا كيانا مصطنعا اكمل الاستعمار الغربي خلقه لخدمة مصالحه واغراضه . وهناك بالاضافة الى هذه الاساطير الكبرى اساطير أخرى صغرى تعنى بالتفاصيل ، منها ما يختص باصول بعض الطوائف اللبنانية « كالموارنة » و « الدروز » او ببعض المؤسسات التاريخية « كالامارة » و « الاقطاع » او بحوادث معينة ومنها ما يتعلق بتاريخ بعض الاسر والشخصيات » .

وجميع هذه الاساطير الكبيرة منها والصغيرة « تعكس اغراضا خاصة في البلاد تقابلها اغراض اخرى مناقضة لها . ولذلك يبقى المجال مفتوحا امام المؤرخ المجرد عن الغرض لتحرى ما تيسر من واقع الماضي بالطرق العلمية . فوعي الحقيقة التاريخية المجردة هو في نهاية المطاف خير اساس يبني عليه المجتمع السليم » . ويجد المؤلف ان « الامعان في تزويد التاريخ اللبناني من قبل المتمسكين بالاساطير على انواعها ـ وجميعها اساطير تفرق اللبنانيين ولا تجمعهم ـ هو من اهم الاسباب التي ما زالت تعمل على تمزيق المجتمع اللبناني وتفتيته . ويؤكد الدكتور صليبي ان القصد الاساسي من دراسته هو « الاسهام في نقل صورة لبنان التاريخية من نطاق الاسطورة الى نطاق الحقيقة » .

في هذا الاطار الدقيق واستنادا الى منهج علمي في التاريخ ، وضع الدكتور صليبي فصول كتابه الاربعة التي تتناول ما اسماه « منطق تاريخ لبنان » من ٦٣٤ ـ ١٥١٦م . وقد عالج المؤلف في الفصل الاول « لبنان » و « الشام » و « العرب » الجذور العربية للبنان وبلاد الشام التي كانت تجذب النزوح اليها بسبب مناخها ووفرة المياه فيها مما شكل على الدوام عاملا اساسيا للهجرة اليها . الا اسماء الاماكن في هذه الاطراف ومنها اسم « لبنان » بالذات واسماء القرى اللبنانية والمدن « الفنيقية » هي باكثريتها الساحقة اسماء سامية كنعانية ارامية او عربية . وعندما جاء القرن الميلادي الرابع او الخامس كان العنصر العربي قد طغى على اجزاء كبيرة من البلاد الشامية ومنها اجزاء من المنطقة اللبنانية . ومع هذه الهجرة اصبحت اللغة العربية هي اللغة المحلية الى جانب السريانية ـ فصحى الارامية ـ ثم اصبحت على التدريج اللغة السائدة .

عروبة لبنان

وترجع لفظة « الموارنة » او « المورانية » الى ان فريقا كبيرا من نصارى بلاد الشام والمناطق الشمالية من لبنان كان ينتمي الى طائفة خاصة عرفت ب « المارونية » نسبة الى « مارون » الناسك وهو قديس

نشط في شمالي الشام في اواخر القرن الميلادي الرابع واوائل القرن الخامس . فانشأ اتباعه من الرهبان ديرا يحمل اسمه في وادي العاصي الى الشرق من حماة « وسرعان ما تعاظم شأن رهبان « دير مارون » عن طريق انتصارهم لمذهب الملكية ضد اليعاقبة . فانتظم الملكيون (نسبة الى المذهب الملكي) من نصارى وادي العاصي والمناطق المجاورة ـ ومنها مناطق شمال لبنان ـ تحت قيادتهم وصاروا يعرفون « بالمارونية » او « الموارنة » ومعظمهم من ناحية العرق من « نبط » الشام . وكان بينهم قسم من ابناء العشائر المارونية في العاقورة من جبل لبنان الى « قيسي » و « يمني » حتى القرن السادس عشر على الاقل . « ولعل في ذلك ما يشير كما يقول المؤلف ـ (صفحة ٣٧ حاشية ٤) الى عراقة هذه العشائر وربما غيرهم من الموارنة في العروبة » . اما نزوح الموارنة باكثريتهم الغالبة الى جبل لبنان من شمالي بلاد الشام فيرجع الى العام ٦٨٥م (هربا من الغارة التي شنها عسكر الروم في ذلك العام على دير مارون في وادي العاصي . وتضيف هذه الاخبار ان الروم تمكنوا في هذه الغارة من تخريب دير مارون وقتل خمسمائة نفر من رهبانه) .

ويصعب في هذا العرض الموجز ان نرافق المؤلف حتى في التوقف على « المنطلقات » الاساسية التي تثبت عروبة لبنان او في التطورات التاريخية التي تناولها . وآخر ما اود التشديد عليه هو ان المؤلف ينطلق من زاوية علمية خالصة متجردا عن اي تعصب الا التعصب للحقيقة العلمية التاريخية . فاذا نسي القارىء هذا الميزة الاساسية في الكتاب ومؤلفه فقد ضيع على نفسه اهم ما فيه ، وهو انه كتاب علمي تاريخي نموذجي وليس كتابا سياسيا ينطلق فيه صاحبه عن هوى او تحيز . ويضيف الى قيمة الكتاب اربع عشرة خريطة تمثل لبنان بشكل واضح في كل مرحلة من المراحل التي تناولها . هذا بالاضافة الى وضع جدول « مراحل تاريخية » (صفحة ١٧٧ ـ ١٨٤) ثبت فيه اهم المراحل الحاسمة في تاريخ لبنان بالاضافة الى فهرس علمي دقيق . وبايجاز يشكل هذا الكتاب مساهمة علمية تاريخية في فترة مضطربة في حياة لبنان والوطن العربي اضافها المؤلف الى مساهماته الجليلة والكثيرة .

مسرى الطفولة

ثانيا : المطران جورج خضر (لو حكيت مسرى الطفولة) . دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٧٩ (١٤٠ صفحة) .

اذا كان كتاب الدكتور صليبي يضعك في قلب المشكلة اللبنانية عن طريق المنهج العلمي التاريخي الصارم فكتاب المطران جورج خضر ، مطران ابرشية جبيل والبطرون في جبل لبنان ، ومن ابرز آباء الكنيسة الارثوذكسية الشرقية ومفكريها ، ينقلك الى عالم آخر تطل منه على دنيا العروبة فاتت هنا في اجواء رفيعة من الصوفية والروحانية العميقة ، في صحبة « اوغسطين » والحواري « بولس » و « ديونيزيوس الاريوباجي » احد كبار الذين اثروا في التيار الصوفي دون ان تعرف هويته الحقيقية ، و « ذو النون المصري » و « محيي الدين ابن العربي » و « جلال الدين الرومي » ، هؤلاء الذين تمزقوا في حمأة التناقضات الانسانية ، واضعة الانسان في قلب مأساة الوجود وتناقضاته ، كهذه التناقضات التي ضج بها لبنان ففجرت مأساته . والذين يجدون في « المحبة » مبدأ وهدفا طريقة تعامل واسلوب حياة . وفي التمسك بها « منطلقا » ومخرجا من كل ازمة . هذه المحبة التي اذا وجدت كما يقول جلال الدين الرومي سقط عن وجهك قناع العظمة » . فجورج خضر عندما يجول في « مشكلة المسيحي العربي » فهو يجول في اعماق الروح والفكر وبلغة وتعابير غير عادية لانها تحمل طابع التأثر العميق بالرسالات الالهية السامية . واذا ذكرناه فحق علينا ان نذكر في هذا الاطار بالذات اثنين من آباء الكنيسة المعاصرة ومن لبنان ايضا هما الاب « يواكيم مبارك » صاحب الحماسية في التراث العربي الاسلامي وهي بالفرنسية و « القدس ـ القضية » بالعربية و « ميشال الحايك » . وكليهما ايضا في « المشكلة العربية » و « العربي المسيحي » جولات وجدانية عقلانية لا اتردد ان اضعها بين اعمق ما انتجه الفكر الوجودي العربي المعاصر .

« لو حكيت مسرى الطفولة » ليس كتابا ككل كتاب وليس مقصورا على مشكلة المسيحي العربي ، بل يحكي قصة التطور الروحي للمؤلف التي يحتل الحوار

الرفيع عن الاسلام والعروبة مركزا اساسيا فيه ويتخذ شكل قصة يرويها الكاتب عن صاحبه . هذا الصاحب الذي « على وجهه معاناة عربية مشرقية مسيحية ، سجلت حروفها لغة العرب وأحيت هذه الحروف روح المسيحية الشرقية . لذا يأتي هذا الوجه موقفا حضاريا » . والمطران جوج خضر الذي درس مادة « الحضارة العربية » في الجامعة اللبنانية ينطلق من ان المسيحية العربية تمثل استقلالا فكريا وروحيا وحضاريا عن الغرب ، وقد ارتبط مصيرها بالمصير العربي العائش في مجتمع اسلامي طبعه الاسلام بطابع نهائي ومصيري . فدفاعه عن قضية فلسطين ـ وما اكثر ما فعل ذلك في المراكز الروحية الغربية المسؤولة ـ هو بالنسبة اليه قضية عقيدة دفينة وايمان بالحق الواحد الذي لا ينفصم او يتجزأ وقضية مصير وشهادة . « فدولة اسرائيل في ما يذهب اليه ليست مشروعا استيطانيا استعماريا فحسب ، وانما كذلك لانها تعيدنا الى وجود حضاري ثقافي من شأنه ان يخيف الرسالة المسيحية » (من محاضرة له عن علاقة المسيحية بالمصير العربي » (النهار ١٩٧٥/٢/٨) والوقوف الى جانب اللاجئين الفلسطينين العرب والدفاع عن حقوقهم هو شركة في الالم والشهادة »

« لان لهم (اللاجئين) هوية واحدة دانوا بدين المسيح او بدعوة محمد ولكنهم جميعا تاقوا الى انسانية تأتيهم من دم الشهادة . وفي ارث الشهادة ، وهي وحدها ناطقة ـ تتسلم من الذين زرعوا الكرامة ان الكيان الذي يباركه هؤلاء الابرار في خلودهم هو لبنان الكبير وهو الرفض الاساسي للتفريق بين صميمي وملحق » (النهار ١٩٧٥/٥/٦) .

مسيحية بلسان عربي

ولئن كان ممكنا تلخيص كتاب علمي فمن الصعب تلخيص كتاب كل فقرة وكل عبارة فيه هي بمثابة قفزة روحية تلقيك طويلا شارد الذهن في احضان التأمل .

اسمعه مثلا يقول في فصل من كتابه الذي نعرضه عنوانه « آن للمسيحية ان تتكلم بلسان عربي » يقول :

« المهم في الاوطان من جهة ماضيها ، مضمونها الروحي ، قربانها الانساني . هنا احس صديقي دائما ان بلده يستمد دعوته كلها من هذا الحوار المشرقي الممتد من الاسكندرية الى انطاكية وكروش وما اليها عبر اورشليم » « كذلك راى ان المسيحية التي صمتت كثيرا بسبب الروح آن لها ان تتكلم الآن عن نهضة بلسان عربي فصيح تشرح نفسها وقد رفض هذا الرجل قول القائلين ان ابت العروبة ان تتنصر »

« كل ذلك جعله يتعاطى القرآن تعاطي ود . كان يفتش فيه عن الجمال كل الجمال كل جمال . فانكب عليه فترة من زمانه ، لمس فيه القربي والبعد واضطر في حقبة قصيرة عن طريق ابحاثه ان يلم بالادب القرآني .. ولقد احب من المسلمين نخبة حلوة عرف لصوقها بالله وكيف انها تخلقت باخلاقه » .

« وقد زين له ان هذه الطائفة من المسلمين قادرة يوما ان تحمل رسالة مودة بين المسلمين والنصارى قائمة ليس على اساس المجاملة ولا على اسس الفقه الحامي لاهل الذمة ، بل على اساس عروبة بيضاء لا تتنكر للتراث الشرقي القديم ولا الى الانسان المعاصر المبادر وذلك في رقعة عربية تضيق او تتسع . بالاهم من بحث الكيانات العربية وتوحيدها ان نعرف مضمونها الروحي ولون الثقافة فيها . كان المهم ان نسعى الى التواد وكان الوطن الصغير الذي ينتمي اليه صاحبي مسرحا ممكنا لهذا الحوار الطيب » .

« الوطن المسيحي كان في احساس صاحبي بدعة لا سياسية وحسب بل روحية في الدرجة الاولى . الوجود المسيحي الشرقي انما هو وجود مع المسلمين وفي اطارهم التاريخي والحضاري » .

لعلي اطلت الاستشهاد من الكتاب الاخير ـ والسبب هو اعطاء القاريء نماذج من هذا الفكر الذي يصعب تلخيصه . وكتابا خضر وصليبي يكمل واحدهما الاخر وان كان كل واحد يثير المشكلة المطروحة من زاوية وعيه للقضية التي يعيشها كمواطن ويعالجها بفكر الازمة وروح ايجابية وادراك كامل لمسؤولية « الكلمة » وتأثيرها في المصير المشترك . ■■

د . جورج طعمه



طه حسين

كلمة طه حسين عن العرب أثارت معركة تصدرتها الأقلام المصرية

بقلم : اكرم زعيتر



الحاج امين الحسيني



عبد الرحمن عزام



فتحي رضوان



لا يستطيع مؤرخ الحركة العربية الا ان يولي اهمية خاصة لاحداث جرت سنة ١٩٣٣ ، كانت مصر فيها مؤثرة ومتأثرة . ذلك ان كلمة واحدة في عبارة واحدة وردت في مقال للدكتور طه حسين اثارت معركة كانت فيها للعروبة جولات باسلات .

كان الدكتور طه حسين يكتب في جريدة « كوكب الشرق » الوفدية التي يصدرها الاستاذ حافظ عوض ، ذو النزعة العربية ، وكان يجعل لكل مقال عنوانا : كلمة واحدة . وحدث ان كتب مقالا عنوانه (دائرة) جاءت في سياقه العبارة التالية : « وهم (يريد المصريين) قد خضعوا لضروب من البغي ، والوان من العدوان ، جاءتهم من الفرس واليونان ، وجاءتهم من العرب والترك والفرنسيين ، وجاءتهم الآن من الانجليز وهم قد صبروا لهذا كله ، وانتصروا على هذا كله ، فردوا من ردوا من المعتدين وأفنوا في انفسهم من افنوا من هؤلاء المعتدين » .

ان ورود كلمة « العرب » في عداد الذين بغوا على المصريين اثارت نقمة البلاد العربية ولا سيا بلاد الشام ، من الدكتور طه ، ومع ان كبارا من كتاب مصر بادروا الى الرد عليه ، فان مما يقتضيه هذا البحث ان اتحدث عن بعض تأثيرها في دمشق ، وقد لمست هذا بنفسي حين كنت ازورها لمهمة قومية تتصل بتأسيس عصبة العمل القومي ، فقد عقد شباب متحمسون لعروبتهم في دمشق التي كانت تجيش وطنية ، وتغلي عروبة ـ اجتماعات ، واصدروا بيانات ساخطة على الدكتور طه ، ثم اقبل بعضهم في موكب على ساحة الشهداء يحملون بعض كتب طه حسين ، حيث احرقوها ، ودعوا الى مقاطعة مؤلفاته (ولعلي اسبق احداث الرواية حين اقول : ان دمشق ما لبثت حتى احتفلت بطه حسين بعد عشر سنوات في مناسبة ذكرى ابي العلاء ثم بعد سنوات في مؤتمر الادباء ، ذلك لان الدكتور اخذ في ما يكتب ينزع نزعة يرضى عنها دعاة العربية) .

مصر والعرب

لم اكن وبعض اخواني ممن حبذوا احراق كتب الدكتور طه ، والدعوة الى مقاطعتها ، ولكن عملية الاحراق قد جرت ، وشاع وذاع امرها في الصحف العربية والمصرية ، مما حدا لفيفا من الشبان المصريين على الاجتماع ، وقد عهدوا الى الصديق الاستاذ سيد فتحي رضوان توضيح وجهة نظرهم في بيان ، وكان الاستاذ رضوان قد زار البلاد الشامية قبل سنة ، واتصل بشبابها في سبيل الدعوة الى مؤتمر الطلبة الشرقيين .. وآثر الاستاذ رضوان ان يوجه بيانه الى كبير ادباء الصحفيين السوريين ، الاستاذ معروف الارناؤوط صاحب جريدة « فتى العرب » ومؤلف كتاب « سيد قريش » ويقول سيد فتحي في بيانه : « كنت ارى سعادتي في بذل كل ما يستطيع شاب مثلي بذله في سبيل تمكين علاقات الامم العربية التي تتكلم لغة واحدة ، ويجمعها تاريخ مجيد كله مفاخر ، وكنت احس بالسرور اذ أحاول ابراز هذه الحقيقة لاذهان الشباب المصري وقلوبه ، لذلك رأيت ان اوجه باسم لفيف من الشباب المصري بهذه المناسبة الى الشباب السوري ، والى عصبة العمل القومي في سورية ـ كلمة صغيرة صريحة ليس فيها شيء من الغموض » .

وقد ظن سيد فتحي ان الحملة تخصيب مصر ، فابدى تعجبه إذ قال : « لانني رأيت بنفسي كيف ان حبكم لهذه البلاد عظيم ، حتى ان الايام الحلوة السعيدة التي قضيتها في دمشق وحلب وغيرهما من مدن سورية ـ لا تزال ذكرياتها تعاودني ، وتبعث في نفسي الحماسة والايمان ، كلما جدت في سبيل مؤتمر الطلبة الشرقيين صعاب »

وبعد ان اشار الى خدمات طه حسين الجليلة لمصر وللعرب قال : « ولم يغظني ان يحنق الشباب السوري على طه ، لان حياة طه مليئة بمقاومة الناس لأفكاره الشخصية ، ولقد حنقت عليه ـ قبل شباب سورية ـ جماعة كبيرة من المصريين ، كانت هي الغالبية في حين من الاحيان ، ولم يكن الحانقون على طه حسين من المصريين كارهين لمصر .. فليس الحنق على طه تجديفا في حق مصر ولا استهانة بمقامها ، والا كانت دعواتكم التي تكررونها في مقالاتكم وتبدونها في احاديثكم من ان مصر هي الزعيمة وهي القائدة ـ دعوى باطلة ، لان الامة التي تقلدت الزعامة سنين وشهورا لا تسقط عنها الزعامة في لحظة حماسة وفترة غليان »

وقد اعتبر الاستاذ فتحي ان حرق الكتب انما يرمز الى النقمة من الدعوة الى « المصرية » اكثر مما هو استنكار لتسمية العرب في صف الذين ساموا مصر الخسف ، لذلك حرص على شرح مرامي الدعوة الى « المصرية » ، محاولا التوفيق بينها وبين الدعوة العربية ، فقال : « انني اؤمن بان طريق الخلاص للبلاد

العربية هو ان نتعاون ، وان نجعل لها خطة مشتركة ما امكن ، في جهادها الاجتماعي وغير الاجتماعي ، حتى لأذكر انني قلت في حفل بقاعة الجامعة السورية : ان لي اسمين هما « سيد » و « فتحي » وهما يطلقان على شخصي الضعيف ، وكذلك ارى ان لسورية اسمين هما : « سورية ومصر » ثم قال : انه من انصار المصرية المتطرفة « لانها لا تتنافى ولن تتنافى مع العمل للرابطة العربية ، والسعي في سبيلها ، لان الامم العربية هي جزئيات من كل او هي لبنات في بناء ، ولا بد ان تقوى الاجزاء ليقوى الكل ، ولابد ان تكون اللبنات متينة في صنعها وفي مادتها ، ليكون البناء متينا وباقيا على الزمن »

« وقال : « وطه يدعو الى المصرية ، ويعطف على الفكرة العربية والشرقية ، واذكر تشجيعه لي وانا ماض في رحلتي وتشجيعه لفكرة المؤتمر ثم قال : « ان الداعين الى المصرية يعرفون ان لمصر قوة وذخيرة وعتادا في حب البلاد العربية لها ولانهم يعرفون ان اليد التي تقطع هذه العلاقات التي باركها الله وقواها الزمن ووثقتها المحن هي يد اثيمة ... ويجب الا يقول لنا السوريون : لا تسيروا في هذا الطريق او دعوا هذا الاسلوب في الجهاد فاننا أعرف بما يناسب حالنا ويطابق ظروفنا .. حسبهم انهم منا في مركز الاشقاء ، وان بلادهم تشغلنا كما تشغلنا مصر » وختم بيانه باسم الشباب المصري :« ان مصر اذا عاقتها اليوم ظروف عن ان تقود شقيقاتها اللواتي يحببنها الى سبيل الحرية المنشودة فانها ستفعل ذلك غدا . »

ماذا يبقي غير الحجارة

وانهالت الردود على طه حسين في الاقطار العربية ، ولكن ما يهمني ـ والحديث عن التيار العربي في مصر ـ هو ما كتبه أعلام مصريون اذكر منهم خمسة : عبد الرحمن عزام ، ومحمد علي علوبة ، واحمد حسن الزيات ، وعبد القادر حمزة ، وعلي الجندي .

اما عزام فقد سأل طه حسين ان يتفضل فيذكر الحوادث التي تدخل العرب والمسلمين في زمرة البغاة المعتدين ، فقد قيل لنا عن دخول العرب الى مصر : إنه استخلاصا لاهلها من البغي والعدوان ، وانقاذا لها من الضلال ، وقد جاء العرب اليها دعاة الى دين جديد اصبح دين الكثرة العظمى من اهلها ، وهذا الدين سوى بين الراعي والرعية ، وقرر أن لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى ، فهل يتفضل الاستاذ الدكتور طه حسين بتصحيح معلوماتنا التاريخية عن الفتح العربي ؟ .. »

وقال عزام : « والواقع ان كل الامم التي بغت على مصر قد فنيت فيها ، وانتصر المصريون عليها ، ولا يستثنى من اهل البغي الذين يشير اليهم الدكتور طه حسين الا العرب .. اليس ذلك لانهم لم يكونوا بغاة ولا معتدين ؟ لقد قبل المصريون دين العرب ، وعادات العرب ، ولسان العرب ، وحضارة العرب ، واصبحوا عربا في طليعة العرب ، والذي نعلمه ان البحث في انساب اقاليم مصرية باكملها ان اكثرية دماء اهلها ترجع الى العرق العربي ، وان فردا واحدا من تسعين في المئة من سكان مصر لا يستطيع ان ينكر ان عروقه تجري فيها الدماء العربية ، والواقع الملموس ان مصر الآن من جسم الامة العربية في مكان القلب ، فهل يتفضل الدكتور طه حسين ببيان المعنى الذي يريده حينما يقرر ان العرب فنوا في مصر وانهزموا ؟ نعم قد فني في مصر جميع الفاتحين من اهل البغي والعدوان ، وكسبت مصر ابديا الامة الوحيدة التي جاءتها تحمل راية الاسلام ، ولا تقصد بغيا ولا عدوانا ، تلك هي الامة العربية وتلك هي امتنا التي ننتسب اليها ونفخر بتاريخها »

ومما قاله عبد الرحمن عزام : ثم اي شيء في العالم لا يتحول ؟ والسنون والحوادث تفعل فعلها في كل بقعة من الارض وفي كل شعب من الشعوب ، وما الامة المصرية الحالية الا بقية من الامة القديمة من الفراعنة ، وبعض من مر بمصر في العصور المختلفة ، قد غمرها جميعا سيل الهجرة العربية ، واصبح واديها مزدهرا بالسلالة التي صبغت البلاد بصبغتها ، فاذا استطاع الدكتور طه ان يقنع نفسه بانه ليس من هذه السلالة التي صبغتها الدماء ، وسادت فيها الديانة العربية ، والعرف العربي ، واللغة والثقافة العربيتان فانه لا يستطيع ان يقنع اي مصري آخر بان العرب كانوا من البغاة المعتدين الذين افناهم المصريون .. »

وختم عزام بحثه قائلا : « فاذا انكرنا مصر

العربية ، وتجاهلنا وجودها ، وانكرنا كذلك العربية في العراق والشام وافريقية وتجاهلنا وجودها في تلكم الاقطار فماذا يبقى فيها غير حجارة صامتة وامم بائدة وارض لا اهل لها ؟ وماذا بقي من اشور وفينيقية وفرعون وقرطاجنة غير ما ابقاه العرب في انفسهم ، وغير الامة الحية التي تمتد الان من المحيط الى المحيط ، ونحن انما ننتسب بصفة عامة الى تلك الامة الحية الوارثة للارض المبعوثة فيها ، وننتسب بصفة خاصة الى مصر العربية التي هي مصر الحديثة ومصر الآتية . »

مصر ولسان مصر

وفي هذه المعمعة الجدلية كان لجريدة « البلاغ » رأيها ، وصاحب البلاغ الاستاذ عبد القادر حمزة كاتب مرموق اشتهر بسداد منطقه . فقالت « نعم ان المصري مصري . ولكن ـ مع أنه مصري هو عربي ، فمصر وطنه ، والعربية جنسيته المشتقة من لغته ، بل من ١٤ قرنا على الاقل من تاريخه القومي ، كما ان العراقي عراقي ، وهو مع ذلك عربي ، وكما أن السوري سوري ، فهو مع ذلك عربي ، وكما ان المغربي مغربي ، وهو مع ذلك عربي » وتساءلت البلاغ في ختام المقال : « من ذا الذي يهبه الله امة عددها ثمانون مليونا ، بل مائة مليون ، فيزهد في هذه القوة ، ويقول لهذه الملايين من الاخوان اني بريء منكم وانا غيركم ؟ الم يقل شاعرنا قديما : « وانما العزة للكاثر » ، واي عاقل يترك العزة الصحيحة الى ضدها ومعه الباطل ؟ » .

ولما انصرف بعض الكتاب عن مناقشة كلمة الدكتور طه حسين في عبارته المذكورة الى الحديث عن عربية مصر وفرعونيتها ارسل الكاتب الابلغ الاستاذ احمد حسن الزيات ، صاحب « الرسالة » مقالا عنوانه : « فرعونيون وعرب » ، اذكر اننا تلقفناه باهتمام ، وجعل في كتاب المطالعة العربية الحديثة « للمدارس الثانوية العراقية ، وللاستاذ الزيات ـ منذ كان استاذا للادب العربي في دار المعلمين العليا ببغداد صلة مودة بادباء العراق وساسته .. وقد هون في مقاله من شأن دعاة الفكرة الفرعونية ومقالاتهم : « حتى خال بنو الاعمام في العراق والشام ان الامر جد ، وأن الفكرة عقيدة وأن ثلاثة من الكتاب أمة ، وأن مصر رأس البلاد العربية قد جعلت المآذن مسلات ، والمساجد معابد ، والكنائس هياكل ، والعلماء كهنة ! »

وبعد ان تحدث عن كون الاصول والانساب عرضة للزمن والطبيعة قال : « فبأي شيء من هذا يماري اخواننا الجدليون ، وهم لو كشفوا في انفسهم عن مصادر الفكر ، ومنابع الشعور ، ومواقع الالهام ـ لرأوا الروح العربية تشرق في قلوبهم دينا ، وتسري في دمائهم ادبا ، وتجرى على السنتهم لغة ، وتفيض في عواطفهم كرامة » وقال : « لا نريد ان نحاججهم بما قرره المحدثون من العلماء من ان المصرية الجاهلية تنزع بعرق الى العربية الجاهلية ، فان هذا الحجاج تنقطع فيه النفس ، ولا ينقطع به الجدل ، وكفى بالواقع المشهود دليلا وحجة . هذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرنا وثلثا من التاريخ العربي ، نسخت ما قبلها كما تنسخ الشمس الضاحية سوابغ الظلال ، وذلك هو ماضي مصر الحي الذي يصبح في الدم ، ويثور في الاعصاب ، ويدفع بالحاضر الى مستقبل شامخ الذرى ، عزيز الدعائم » .

وبعد حديث عن الماضي الأبعد تساءل : « فهل كشفتم بجانب الهياكل الموحشة والقبور الصم مكتبة واحدة تحدثكم عن فلسفة كفلسفة اليونان وتشريع كتشريع الرومان ، وشعر كشعر العرب » ثم انتهى الى انه « لا تستطيع مصر الاسلامية الا ان تكون فصلا من كتاب المجد العربي ، لانها لا تجد مددا لحيويتها ، ولا سندا لقوتها ولا اساسا لثقافتها ، الا في رسالة العرب ، اما ان يكون لادبها طابعه ، ولفنها لونه ـ فذلك قانون الطبيعة ، ولا شأن لمينا ولا ليعرب فيه ، لان الآداب والفنون ملاكها الخيال ، والخيال غذاؤه الحس ، والحس موضوعه البيئة ، والبيئة عمل من اعمال الطبيعة يختلف باختلافها في كل قطر » .

واراد الزيات بهذا ان يجعل « اللون المحلي » شرطا لصدق الاسلوب ، وسلامة الصورة فقال « وقديما كان لون الادب في الحجاز غيره في نجد ، وفي العراق غيره في الشام ، وفي مصر غيره في الاندلس ، دون ان يسبق هذا التغاير دعوة ، ولا ان يلحق به اثر » .

ثم صاح بالمتفرعنين « انشروا ما ضمنت القبور من رفات الفراعين ، واستقطروا من الصخور الصلاب اخبار

الهالكين ، وغالبوا البلى على ما بقي في يديه من اكفان الماضي الرميم ، ثم تحدثوا واطيلوا الحديث عن ضخامة الاثار وعظمة النيل وجمال الوادي وحال الشعب ، ولكن اذكروا دائما ان الروح التي تنفخونها في مومياء فرعون هي روح عمرو ، وان اللسان الذي تنشرون به مجد مصر هو لسان مضر ، وان القيثار الذي توقعون عليه الحان النيل هو قيثار امرىء القيس ، وان اثار العرب المعنوية التي لا تزال تغمر الصدور وتملأ السطور وتغذي العالم ـ هي ادعى الى الفخر وابقى على الدهر واجدى على الناس من صفائح الذهب وجنادل الحجارة » .

لن تكون غير ذلك

اما الاستاذ علي الجندي فقد كان عنوان مقاله : « مصر عربية ولن تكون غير ذلك » ، وفيه : « ان من الخير لنا ان نوحد جهودنا لترقية ثقافتنا العربية التي عرفنا بها وعرفت بنا كرهنا ام رضينا بدل ان تسلك شعابا متباينة تستنفد قوتنا ، ولا تفضي بنا الا الى الفرقة والدمار » .

وفيها : « يقول ان العاقل يصون افعاله من العبث ، ومن العقل الا يطلب ما يستحيل ، فما بالنا نوجه جهودنا شطر ثقافة بادت ولم يبق منها الا الذكريات ، كأنه لا يكفينا ما نرمى به من خمود وتأخر عن مسايرة الحضارة العالمية حتى نلتفت وراءنا الى ما قبل اربعة آلاف سنة لنفتش في تضاعيف القدم عن اكفان بالية نرتديها بين امم القرن العشرين » .

وبعد حديث طلي وسخرية من الثقافة الفرعونية في النواويس المهجورة قال : « ومصر وهي تحل الصدر بين شقيقاتها العربيات ، اذا غضبت يغضب لها مائة مليون لا يسألونها لم غضبت . رأينا ذلك رأي العين في كل أمر حزبنا ، وكل مصيبة نزلت بنا فلا ينكره الا من ينكر الشمس في النهار المبصر ، فما بالكم لأمر لا تعلمه او تعلم انه شر كله ؟ تدعون بدعاية الفراعنة ، فتوقظون فتنا نائمة وتقطعون ما امر الله به ان يوصل وتحلون الشقاق بين الاخوة محل الوفاق » وصرخ في وجه الذين يجورون على العروبة « لقد اسرفتم في التجني على الجيران الادنين وغلوتم في الادلال على الاخوان الكرام حتى صار ذلك غطرسة او مخيلة ، انفوا منها وبرموا بها ، هم يقولون لنا : « انتم قادتنا وزعماؤنا ، نستصبح بنوركم ، ونترسم خطاكم ، وندفع به وراءكم » ، فنقول لهم بملء أشداقنا : « اليكم عنا لا رابطة بيننا ، لكم ثقافتكم ولنا ثقافتنا كأن الاربعة عشر مليونا التي يحتضنها هذا الوادي الضيق عصارة الانسانية وزبدة البشرية ! ان اشقاءنا لا يسوموننا شططا ، ولا يجبون لنا ان تنكر اجدادنا الاول ، وان نبرأ من مدنيتنا القديمة ، لا يريدون منا اكثر من ان نكون عضوا عاملا في الجسم العربي القوي لا ، بل راسا لذلك الجسم او قلبا له ، ولنا بعد ذلك حياتنا الخاصة ، ونظامنا الخاص ، وطابعنا الخاص المستمد من طبيعة اقليمنا الخاص ، فيا علينا لو اخذنا المجد من اطرافه وجمعنا بين الطارف والتليد ، .. ايها الاخوان : ان الجن والانس ـ ولو تظاهروا لأعجز من ان يجردوا مصر من هذه الغلالة العربية المشرقة فمن ساءه ذلك فليمدد بسبب الى السماء ، ثم ليقطع فلينظر : هل يذهبن كيده ما يغيظ ؟ »

ضد الفرعونية

وكان محمد علي علوبة باشا مع السيد محمد أمين الحسيني في جولة الى العراق والهند ، للدعوة الى انشاء جامعة المسجد الاقصى وجمع التبرعات لها ، تنفيذا لقرار المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في القدس اواخر سنة ١٩٣١ ، وكان السيد الحسيني مفتي القدس رئيس المؤتمر وعلوبة باشاه وكيله ، ولمس علوبة باشا سوء اثر النغمة الفرعونية ، وهو في بغداد ، فبادر الى الادلاء ببيان نشرته الصحف العراقية ولا سيما جريدة « الاخاء » لسان حزب الاخاء الوطني الذي يتزعمه ياسين الهاشمي ، ونقلت ـ بيانه صحف عربية في بلاد الشام (سورية ولبنان وفلسطين) وهو ـ بعد ان اعلن اغتباطه باجماع الاقطار العربية التي زارها ـ أعلن أن مصر هي الاخت الكبرى لهذه الاقطار ، وعلى زعامتها للامة العربية ، « مما يجعل واجب مصر عظيما ومسؤوليتها خطيرة امام التاريخ وامام اخواتها ، » ثم قال : « اعلم ان حركة في مصر قامت اخيرا ترمي الى رواج الفكرة الفرعونية ، واني لا انكر ان لمصر ان تفخر بعصور قديمة كانت عصور مجد وثقافة ، ولكنها لا تعدو ان تكون ذكرى تاريخية مجيدة ، اما الفكرة الحديثة لمصر فانها فكرة عربية لا محالة ، من يوم

ان دخل عمرو بن العاص مصر وصارت اللغة المصرية لغة عربية والدين دينا اسلاميا ، وصارت التقاليد تقاليد عربية والعادات عادات عربية ، ولم يبق من الفرعونية في عقول المصريين ولا في اذواقهم شيء ، الا من التاريخ والذكريات ، وان الفكرة العربية تغلغلت في نفوس المصريين وصارت جزءا من كيانهم هي أجدى لهم وانفع ، فانها تجعلها زعيمة الاقطار العربية في الفكر والثقافة والعلم والذوق ، ولا ادرى ما هي الفائدة في الرجوع القهقري باحياء ثقافة مضت عليها آلاف السنين ، وما نعرف من امرها الا ما نجده في القبور ، بينا نرى عاداتنا وتخاطبنا ومسامراتنا ومنازلنا وقبورنا ومعابدنا هي طراز عربي تغلغل في اعماق قلوبنا ، واستقر في نفوسنا ، في حين لا ترى لغة فرعونية موجودة على وجه الارض ، وهي لغة ماتت كما ماتت اللغة السنسكريتية الهندية !

وانهي حديثه ـ قائلا : « ولهذا افاخر بانني كنت اول من قاموا بمحاربة الفكرة الفرعونية التي لا ارى فائدة منها ، بل ارى فيها كل الضرر ... ويمكنني ان اطمئنكم ان هذه الفكرة قد ماتت في مهدها ، وانها لن تجد من المصريين اية مساعدة » .

وفي حشد كبير في مدينة البصرة جاء يحتفي بالوفد الاسلامي ـ وقف علوبة باشا يقول : « لقد تركت مصالحي وعائلتي وحضرت الى فلسطين ، ومن ثم الى بغداد ومرضت ، فقلت لنفسي : ما الداعي لتجشم هذه المصاعب ؟ وما الذى جمع بين آسيا وافريقيا على حد قول بعضهم مع ان التقسيمات الجغرافية لا قيمة لها ؟ فالداعي الى ذلك هو ما يربط فلسطين بمصر ، ومصر بفلسطين من الصلات »

وبعد ان تحدث عن واجب الاخ العربي نحو اخيه قال : « وان فلسطين منا ونحن منها .. وان مرض فلسطين هو مرض مصر ، واذا تقهقرت فلسطين تقهقرت مصر والعراق .. ولما تركت مصر كنت اشعر بانني ذاهب لادافع عن شرفي وكياني وعن مصر » .

لقاء مع الكشافة

وحدث ان زارت فرقة كشافة عراقية بلاد الشام ومصر ، وقد قال لها ملك العراق فيصل الاول قبل انطلاقها من بغداد حين جاءت تودعه : « ان مهمتكم ان تدعوا الى الوحدة العربية ، كونوا رسل الوحدة العربية .. » وكانت الحفاوات بها ولا سيا في مصر مظاهرات وحدوية عربية ، وحين زارت فرقة الكشافة الدكتور طه حسين في منزله بمصر الجديدة لتحيته ـ كان استقباله اياها فاترا ، ولعله كان متأثرا بالحملات التي شنت عليه ، وبلغ ذلك مسمع محمد علي علوبة باشا فكتب وهو في « سملا » في طريقه الى « لاهور » ، رسالة الى الدكتور طه حسين نشرتها جريدة « كوكب الشرق » وصف فيها رحلته من القاهرة الى العراق فالهند ومتاعبها ثم قال : « وربما تسائلني : علام هذا التعب وتلك المشاق ؟ فاجيبك : ان الدافع هو العقيدة ، وللعقيدة سلطان على النفوس ، أنتم من يقدره حق قدره » .

ثم قال : « ورأيت الناس في العراق (في بغداد وكربلاء) يبثون لي شكواهم من الاستاذ طه حسين ويظهرون لي شديد ألمهم من المقابلة العنيفة التي قابل بها الكشافة العراقيين عندما ذهبوا اليه في منزله بمصر الجديدة لتحيته واظهار ما تكنه قلوبهم من الحب والاحترام ، ولقد سعيت في مقابلة هؤلاء الشبان وعلمت منهم التهمة الآتية : وهي ان الدكتور قابلهم بشيء غير قليل من الجفاء واظهر اسفه ان العراق سبقت مصر في الحرية والاستقلال وانهم لم يحسوا عند زيارتهم له ذلك الحنو الابوى والتشجيع المرجو من زعيم كبير في الادب واللغة ، واشهد الله انني دافعت عنكم في هذه القضية الجديدة بمثل ما ارجو ان أدافع به في قضيتكم المعلومة ، لكن دفاعي في العراق كان سنده ، المعقول فقط ، لا المعقول والمنقول معا ، فهل لصديقي ان يكتب لمن يشاء في العراق بما اعتقد انه الحق الذى يزيل ما علق باذهان امة فتية صديقة تحب مصر حبا جما وتقدر علماءها أحسن تقدير ؟ » .

احسب ان الحديث عن العربية في مصر بين الاشراق والتحدى سنة ١٩٣٣ لا يمكن ان يستوفى في مقال واحد فالى المقال التالي باذن الله . ■■

بيروت ـ اكرم زعيتر

الحلم الذى مات فى مدين

بقلم : الدكتور شاكر مصطفي

قبل مائة سنة ، وبالضبط سنة ١٨٧٨ نزل الى السوق في لندن كتاب بعنوان « مناجم الذهب في مدين وخرائب المدن المدينية » . بعد سنة أخرى لحقه كتاب اخر بعنوان « ارض مدين » صاحب الكتابين واسمه ريتشارد بورتون ، كان أحد قناصل انكلترا في دمشق وفي بعض مدن الشرق العربي ـ العثماني سنين طويلة ...

لم يتنبه للكتابين ـ فيا عدا المهووسين بالشرق ـ احد . ومن ذا الذى يهمه ان يقرأ عن امواج الصخور الموحشة وعن موت السراب على الرمال في بعض الزوايا المنسية من الشرق ؟ صحيح ان كلمة « مدين » التوراتية تحمل شيئا من وقع اقدام الانبياء ، من نواح القوافل القديمة على الونى ، من سحر الشرق العجائبي ... ولكنها في تلك الايام لم تكن اكثر من ابعاد ترتجف الوحشة عليها وتضل الاصداء فيها ، في وديان تركض وراء وديان . بل قد يكون بعض المتدينين او بعض الاستعماريين عرف الكتابين مجرد معرفة ولعل بعضهم قرأ منها عددا من الصفحات ، ولكن رجلا واحدا فقط هو الذى التقط الكتابين . وشط اسطرهما في لهفة من سحقه العطش سنوات . قرأ . حفظ . درس ثم درس . و « فكر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر .. » وبنى على اساس الكتابين مشروع دولة !

هل هو هوس ؟

اهو نوع من الهوس ؟ قد يكون ! ولكن الرجل خطط المشروع بالفعل ثم قضى في التحضير له وفي الاتصالات سنوات ، ثم قضى في التنفيذ والمعاناة سنوات أخرى من مثلها . وانفق فيا بين هذا وذاك مائة وسبعين الف مارك ذهبي ، كانت في ذلك الوقت ثروة ضخمة وهي تعدل اليوم الملايين عددا . ولكن ما قصة كل ذلك ؟

اما ارض مدين فمعروفة . انها أرضنا التي تصل ما بين ارضينا المقدستين في فلسطين والحرمين ، والممتدة بين العقبة ومرفأ الوجه على البحر الاحمر . واما صاحب المشروع فهو بول فريدمان .. يهودي الماني عتيق من مدينة كونيكسبورغ ، زعم انه اعتنق المسيحية



البروتستانية وتعمد في الكنيسة ، ولكن يهوديته بقيت تحت جلده ووراء الصدر والروح ... واما المشروع فكان احد الاحلام الصهيونية وقلما يذكره الا الباحثون في الجذور والنابشون في الحضائر عن المشاريع الاولى ...

كان فريدمان عزبا وعلى شيء من الثراء سمح له بالرحلة والاسفار والاحسان ، وبالقيام ببعض ما سماه بالابحاث التاريخية في فينا وفي باريس ولندن . وبمساعدة اليهود الروس في محاولة لحل مشاكلهم وبدراسة الحفريات الاثرية بفلسطين لعل فيها نسيم التراث اليهودي ... ومنذ وقع الرجل على كتابي بورتوك حسب انه وقع على هدف لحياته .. هدف يمنحه تلك الحياة . كانت المغامرات الاستعمارية من امثال (رودوس) وكتشنر وغيرهما هي « موضة » العصر في تلك الايام . وغرق فريدمان الى الاذقان في نسج المغامرة المستحيلة ، يبلور ويخطط ويقتنع ويقنع !

وارض مدين يومذاك قبل قرن ، كانت شقة من الصحراء ينتشر فيها ألاف هنا والاف هناك من البدو ، يزيدون على ٢٣ الفا . وتنام في خباياها بعض القرى المسكينة ولكن الرحالة كانوا يسطرون ما يسطرون عن ثرائها المعدني .. اما ارتباطها الاداري فكان مع الحاكم المصري في السويس ... فلما احتل الانكليز مصر سنة ١٨٨٢ كانت في اطراف نفوذهم السياسي . لهذا زين فريدمان مشروعه اولا للجمعيات اليهودية في اوروبا ، زعماء الاليانس الاسرائيلية العالمية في باريس . جمعية الانكليز في لندن جمعية كاديا (قديمة) في فينا .. ثم جاء

مصر وزار منطقة مدين وعاد منها بثمانية صناديق من الحجارة ، يدلل بها على الثروة المعدنية للبلاد ، وكتب كراسا من ١٨ صفحة بعنوان ارض مدين يريد أن يقنع اليهود والسياسيين في انكلترا والنمسا والمانيا ويبيعهم المشروع ...

ولم تتحول الحجارة البازلتية السوداء في هذا الكراس الى احجار كريمة فحسب ولكن تحول السكان ايضا الى اصول يهودية وتحولت العادات فهي من تقاليد اليهود الاولى ... حتى سكان العقبة ، فيما كتب فريدمان ، ليسوا الا احفاد بني العشيرة اليهودية القديمة ! والمنطقة كلها جزء من املاك سليمان !

يهود لارض مدين !

وذهب الرجل بكراسه الى كرومر في لندن .. وكان كرومر المندوب السامي الانكليزي بمصر وملكها غير المتوج قرابة ربع قرن (ما بين سنتي ١٨٨٣ و١٩٠٧) وقابل بناء على نصيحته رياض باشا رئيس الوزارة المصرية في القاهرة وسالزبوري رئيس الوزراء في لندن ..... والكراس في يده واعطاه الثلاثة الضوء الاخضر . واذا تحفظ رياض باشا بعض التحفظ فان الآخرين رأيا في المشروع المزيد من الضمان لحماية الممر البحري النشيط الذي فتحته قناة السويس عبر البحر الاحمر قبل ذلك بعقد من السنين فقط ، ومع هذين الاثنين فتح فريدمان صفحة اخرى من مشروعه ومن مكنونات صدره : عرض مخططا لنقل بعض اليهود من روسيا ورومانيا وهنغاريا لاقامة مستعمرة يهودية في مدين ذات استقلال ذاتي . وأتي على ذكر شيء آخر هو تأسيس قوة مسلحة من ٣٠٠ رجل يفرضون الاحترام على البدو ثم تحدث عن حلم مستقبلي ثالث ، هو بناء خط حديدي عبر اراضي مدين يختصر المسافة الى الهند عدة ايام .. كل « نواة » الدولة اليهودية العملية كانت تطوف في خاطره ...

واكتفي فريدمان بابتسامات الرضى والتشجيع التي سمعها من هؤلاء، لينتقل مشروعه الى التنفيذ العملي . الحلم لم يكن يحتمل التأجيل .. الرؤى الدينية ـ الاستعمارية تحولت سياطا من نار تلاحقه فهو على الركض الى كل باب ، وعلى الركوب الى كل وسيلة .. اقرب الوسائل الى عقلية هذا الالماني كانت القوة فلم يتردد في تدبيرها . استأجر ضابطا بروسيا وذهب الى كراكوف في روسيا ليجند بعض اليهود هناك ويكون نواة لجيش الغزو . واختار هذه المدينة لانه يعرف انها وكر الجماعة التي كانت تعرف باسم « محبي صهيون » ومن هؤلاء جند عددا من العمال المهرة الاشداء فتعاقد معهم على العمل معه عامين شرطه الاول عليهم الطاعة العسكرية . تدبر الاسلحة اللازمة ودرب الجماعة في المانيا ، ولم ينس اصطحاب عدد من اليهود الذين يتكلمون العربية ولا بعض الحاجات التي يضحك بها على البدو ...

وفي اواخر سنة ١٨٩١ كان يخت قديم اعطى اسم « اسرائيل » يبحر من ميناء ساوث هامبتون وهو يرفع العلم النمسوي ، وعليه مع فريد مان خمسون مجندا يرافقهم طبيب ويهودي يعرف الذبح على الطريقة التلمودية .. فلابد لفريق تسحقه الرؤى التوراتية من ان يكون لحم طعامه « كاشير » ...

تحت الشمس الحجازية

عبر اليخت قناة السويس . ونزل فريدمان مع « فرقته » النازية على بعض شواطىء مدين واقام هناك المعسكر الذي يأمل يكون اول مدينة .. ولكن ما ان انتهت النزهة البحرية للمجندين وبدأ دور الاقامة « الصحراوية » مع الرمال حتى بدأت مشاكل فريدمان .. وبدأت معها كل الالوان الزاهية التي كان يزوق بها حلمه لنفسه وللناس ، اخذت تبهت بسرعة تحت وقد الشمس الحجازية . كل قصور الورق التي بنى اخذت تطير مع السافيات الذاريات ...

النظام البروسي العسكري الذي فرضه فريدمان ، لم يكن يتلاءم مع متطوعين لا يحملون للمغامرة الغربية ، الحماسة المهووسة التي يحملها صاحبها . والمنطقة نفسها صخور جرداء سوداء تأكل الارجل والعيون ، وغذاء محدود ، ورطوبة تخنق الانفاس ، ورفض بعض المتطوعين الطعام السيء ، فطردهم فريدمان من

المعسكر بعد حفلة جلد وسجن . ووجدوا انفسهم يضلون في الدروب الصحراوية ، يموتون من الونى والانهاك وقد تورمت الشفاه من العطش .. ولكن التمرد استمر وتزايد حتى شمل الجميع وعند ذلك ...

عند ذلك ارتدى فريدمان البزة العسكرية ووضع على رأسه تاجا مذهبا كان احضره معه تتمة للاحلام ، وزين بالاوسمة ، وخرج لجماعته وقد قبض بيمناه على مسدس وارخى اليسرى على سيف يجره بجانبه واعلن بوصفه « ملك اليهود في مدين » تسريح جميع المتطوعين ! ...

فشلت اذن المغامرة التي لم يبق منها مع فريدمان الا تسعة افراد ، ولكن هل انتهت عند هذا الحد ؟

ما اهتم الرجل بحملات الصحف عليه حين تسربت اليها الأنباء ، ولا بوصفه انه تاجر « رقيق » جديد ، ولا باقامة الدعوى عليه في روسيا غيابيا بتهمة قتل احد المتطوعين .. ما اهتم لكل ذلك ، حسب ان الفشل جاء من عدم اعتياد للمجندين المتطوعين اجواء الحجاز فذهب يغري بعض يهود مصر ويستأجر بعض المقاتلين من السودان .. ولكن المشاكل السياسية في هذه المرة هي التي اضافت الى مشاكله ...

ما كان للمغامرة ان تصل هذا الحد دون ان تثير قلق الدولة العثمانية ، قدر العثمانيون حين عرفوا بالمشروع والجنود والاسلحة على السفينة والمعسكر الاحتلالي ان الامر ، لابد مغامرة انجليزية جديدة ، وبدأوا يفكرون في الاهداف والنتائج : في الجماعة اليهودية التي قد تكون طليعة احتلال وقد تقطع طريق الحج بين الشام وبين الحرمين وما وراءهما .. وقد ... وقد .. وبينما أخذوا يضغطون على البعثات الدبلوماسية لديهم من روسية والمانية ونمسوية وفرنسية ، ارسلوا الى ولاتهم والى حامياتهم على طريق الشام ـ المدينة بالامدادات العسكرية والتعليمات لتطويق الجماعة المحتلة عن بعد ، وقتال كل تحرك ، وحين فشل (فريدمان) في حمل السلطات المصرية الانكليزية على حمايته ثم في حمل البدو والمرتزقة على محاربة الاتراك العثمانية الذين يضربون النطاق حوله ايقن ان حلمه مات على الرمال فقوض المعسكر وركب البحر .. بعد ان دفن مع الحلم مائة الف غولدن ذهبي ...

انقاذا للشرف اليهودي

هل هذا كل شيء ؟ كان فريدمان من العناد بحيث بقي مصرا على انقاذ « الشرف اليهودي » كما قام بمعاودة جمع المال لمشروع الاستعمار ، وكان من الصفاقة بحيث اقام الدعوى على الحكومة المصرية يطالبها بالتعويض عليه ، وعلى الصحف الاوروبية لانها شوهت سمعته . وعلى اليهود الآخرين الذين سخروا من مغامرته او استحمقوه او وصفوه بانه سيىء التخطيط والتنفيذ او وصفوا المغامرة بانها مشروع « دون كيشوتي » حبلت به مخيلة يهودي اندماجي (اى يرضي الاندماج بغير اليهود) ، يهودي قبل ان يتلقى « المعمودية » واعتبر نفسه ملكا وباشا ، ويريد ان يتزعم اليهود ...

بقي ان نعلم ان هذه المغامرة المنسية كانت على صلة مباشرة بهرتزل ، صاحب الصهيونية وكانت التمهيد السابق لحركته .. الصهيونيون يقولون ان مغامرة فريدمان هي التي اشاعت ، عن طريق الصحافة واخبارها ، فكرة الدولة اليهودية التي التقطها هرتزل وجعلها عنوانا لكتابه الذي اصبح انجيل الصهيونية . وربما كان اهم من هذا ان هرتزل حين تباحث مع وزير المستعمرات البريطاني تشمبرلن سنة ١٩٠٢ حول مشروعه الصهيوني اقترح انشاء مستعمرة يهودية في العريش واتي على ذكر قصة فريدمان كمثال لهذه المستعمرة .. وقبل اللورد كرومر في مصر هذه الفكرة وسافرت بعثة صهيونية لاستكشاف اوضاع العريش ثم عادت تتفاوض في هذا الشأن مع سلطات القاهرة ، كان يمثل الجانب الصهيوني ليوبولد غرنبرغ . اما الجانب المصري فيمثله اللورد كرومر وبطرس غالي باشا .. (الجد) .

....

اليس في هذا كله من بلاغ ؟ ■■

د . شاكر مصطفى



ولد أم بنت ؟

رحلة البحث عن اللغز الذي يشغل البشر

بقلم : الدكتور محمد مروان السبع *

مسألة نشوء الذكر والانثى في الانسان هي من اكثر المعضلات البيولوجية حساسية واثارة للجدل والتخمين ، واشدها لصوقا بحياة الناس وواقعهم اليومي ، واهمها خطرا في بنية المجتمعات وتركيبها البشري .

ولقد شغلت هذه المعضلة اذهان العلماء في كل العصور المتتالية للانسانية . وستبقى هذه المسألة متمتعة بتأثيرها ووجودها على كافة المستويات والدرجات في المجتمع البشري وخاصة العربي والشرقي منه . واضافة الى ذلك تتصف هذه المعضلة في الوقت الحاضر بانها اكثر المسائل مدعاة الى البحث والتمحيص ، وتخضع للكثير من التجارب لعل العلم يكشف شيئا من غموضها وابهامها .

ولا بد لنا قبل ان نلم بجوانب مسألة الذكورة والانوثة ونستجمع خيوطها واطرافها ان نستشرف الآثار والندوب التي تطبعها في جبين المجتمع العربي وتصمه بوصمات واضحة المعالم عميقة التأثير لا تزول مع مر السنين .

فكل فرد في المجتمع العربي يحب ويتمنى أن يخلف نسلا كله أو معظمه ذكور لاعتبارات كثيرة لسنا بصدد بحثها ونقدها الآن ، وانما سنذكر بعضها ذكرا .

- فمثلا يريد الرجل منا في عقبه ولدا ذكرا كي يحمل اسم العائلة ويتابع صيتها ووجودها في المجتمع دون بتر او انقطاع .

- وكذلك يرغب في الذكور لانهم اشد مراسا وتحملا لاعباء الحياة وهمومها ومشاكلها .

- ولا يعلق بالذكر ايضا من همسات المجتمع وتشنيعاته واقاويله ، مثل ما يصيب الانثى من بلايا ومحن ومصائب لدى اقل شاردة واوهى هفوة او ما شابه ذلك .

* استاذ الوراثة والتحسين الوراثي في جامعة حلب .

ومن المفارقات ان الانثى في مجتمعنا العربي عندما تحمل يتمنى لها بنات جنسها ان تلد ولدا ذكرا (! !) مهما كان شكله او لونه او درجة جماله . وكذا الام الحامل ذاتها تدعو الله في سرها وعلنها ان يرزقها الله ابنا تملأ به عين والده ، وتفقأ به عيون الحساد والضرات والقريبات والجارات .

ومن البديهي ان احتمالات ولادة الذكر تساوي تماما احتمالات ولادة الانثى ، طالما انه لا يوجد سوى جنسين اما ذكر واما انثى (ماعدا بعض الحالات النادرة الشاذة) ، وطالما ان الام الوالدة ليس لها خيار في جنس جنينها . وولادة انثى اول مرة لا تمنع ابدا ولادة انثى اخرى في المرة الثانية . وكذلك ولادة انثى في المرة التاسعة ليس من المحتم قطعيا ان ياتي بعدها ذكر في المرة العاشرة .

ولذلك نجد ان بعض العائلات فيها نسبة الاناث اعلى ، وعائلات ثانية فيها نسبة الذكور اكبر ، وعائلات اخرى فيها نسبة الذكور والاناث متساوية او متقاربة . ولا مراء في ان قانون الاحتمالات مهما اصاب في وقوعه ، ومهما امكن تطبيقه في مجتمع ما فانه يبقي اولا واخيرا فرضية محتملة تعتمد على الحدس والتخمين وتتعرض للزلل والشك وتبتعد عن الثبات واليقين . وتجيبنا الآيتان الكريمتان من سورة الشورى جوابا شافيا فيه البلسم للقلوب والطمأنينة للنفوس وتوحي بالرضى والقبول :

« لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء . يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور . او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير » ٤٩ ، ٥٠ الشورى .

٢٦٢ فرضية !

لقد جانب كثير من العلماء الصواب عند تعرضهم لمسألة الذكورة والانوثة ، واشتط بعضهم في الزلل والاعتقاد حتى باتت آراؤهم موضع هزء وسخرية ، وامست اقوالهم ضربا من التخبط والزيغ . فمنذ عهد الاغريق واليونان ومسألة الذكورة والانوثة تشغل اذهان العلماء والفلاسفة والمفكرين . فوضعوا لتفسيرها كثيرا من الفرضيات والنظريات التي لا تستند الى اي دليل علمي او حجة منطقية ، وقد وصل عددها تقريبا الى ٢٦٢ فرضية كلها تخبط خبط عشواء وتغرق في الجهالة والزيغ وتزيد الابهام غموضا . ولبيان خرافة هذه الفرضيات وسخافتها سنستعرض بعضا منها :

فقد زعم بقراط انه اذا قوي زرع المراة والرجل جميعا (ويقصد بالزرع نطاف الرجل وبويضات المرأة) كان الولد ذكرا . وان رق زرعهما وضعف كان انثى . واذا غلبت على الزرع الحرارة كان الولد ذكرا . وان غلبت عليه البرودة كان الولد انثى .

اما ارسطو طاليس فيدعي ان من علل الذكر والانثى هبوب الرياح . لان الجنوب ترخي الابدان وتذيب الزرع فيخرج رقيقا نيئا غير نضيج . والشمال تصلب البدن وتمنع الحرارة من الانتشار فيخرج الزرع وقد انضجته الحرارة . وذكر ان الرعاة يعرفون ذلك من فعل الرياح في نتاج غنمهم . ولذلك صار المشائخ والغلمان اكثر ولدهم الاناث . واكثر ولد الشباب الذكورة لقوة حرارة الشباب وضعف حرارة اولئك . فالحرارة الشديدة تحرق الزرع والضعيفة تعجز عن انضاجه . قال « والسمان من الناس وسائر الحيوان يقل زرعهم فيقل لذلك ولدهم . وكذلك فان الزرع اذا جرى عن يمين الرجل الى يمين المرأة كان الولد ذكرا . وان جرى الزرع من يسار الرجل الى يسار المرأة كان الولد انثى وان جرى من يسار الرجل الى يمين الرحم كان الولد انثى مذكرا . وان جرى من يمين الرجل الى يسار الرحم كان الولد ذكرا مؤنثا .

ويتابع عالم الاغريق فرضياته فيقول : وكذلك ان حسن لون المرأة الحامل دل على ان الجنين ذكر . وان قبح لونها دل على أن الجنين انثى (كذا !!)

وقال بقراط « ان كان في الجانب الايمن من الرحم قرحة ثم حبلت المرأة كان ولدها ذكرا . وان كانت القرحة في الجانب الايسر من الرحم ثم حبلت المرأة كان ولدها انثى . وان وجدت المرأة ثقلا في الجانب الايمن من الرحم وكانت حركتها وحركة عينها اليمنى اثقل دل على ان الولد ذكر . وان وجدت الثقل في الجانب الايسر من الرحم

وثقلت حركة عينها اليسرى دل على ان الولد انثى . وانك اذا دعوت امرأة حبلى وهي قائمة فرفعت قدمها اليمنى اولا دل ذلك على ان الولد ذكر . وان رفعت اليسرى اولا فالولد انثى ! !

موقف العلماء العرب

أما العلماء العرب المسلمون فقد تناولوا هذه المسألة بالشرح والتحليل ، ولم يقبلوا بمزاعم العلماء الاغريق اعتباطا . وكذلك كانوا حذرين من قبول المعتقدات والاقوال السائدة في مجتمعاتهم . فالطبري مثلا في كتابه « فردوس الحكمة » لم يسلم بكل ما يقوله بقراط وارسطو طاليس . واما ابن قيم الجوزية فقد استعرض مسألة الذكورة والانوثة في كتابه « تحفة المودود باحكام المولود » وحللها تحليلا علميا وشرعيا ، وفند الافكار والاراء المختلفة في هذا الصدد ، وبين ان ما تناولته الرواة والكتب والاساطير لا ينطبق مع النظر العلمي الثاقب ، ولم يقبل كل الذرائع والحجج التي وضعت لتعليل هذه المسألة . وكذلك يذكر ابن قيم الجوزية ان الذكورة والانوثة لا تستند الى سبب من الرجل ، وان كان يحصل باسباب غير ذلك . وهي امور خارجة عن الزوجين .

وهنا يسند العلماء المسلمون موضوع الاذكار والايناث الى مشيئة الله تعالى وارادته في اقتضاء السبب لمسببه .

واما الحديث الشريف الخاص بهذا الموضوع فقد اورده ابن قيم الجوزية . ونحن هنا نجتزيء من الحديث القسم الخاص بالذكورة والانوثة قال « : جاء يهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جئت اسألك عن الولد . قال : ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اجتمعا وعلا مني الرجل مني المرأة اذكر باذن الله . واذا علا مني المرأة مني الرجل آنث باذن الله تعالى . فقال اليهودي ـ لقد صدقت وانك لنبي » .

ويعقب ابن قيم الجوزية على هذا الحديث فقال ليس من الشرط ان يكون مفهوم الحديث الشريف محققا لموضوع الذكورة والانوثة ويبقي الامر لله تعالى بان يعلو احد المنيين على الآخر (وطبعا ليس بمقدور احد مهما كانت قدرته ان يزعم امكانيته في التحكم بعلو مني الرجل على مني المرأة او بالعكس) .

وهكذا نجد ان فكر هذا العالم النير لم يسمح له بقبول كافة الآراء والافكار حول هذا الموضوع الدقيق ذي الالغاز المحيرة والتي لم تحل اشكالاته المعقدة حتى الآن .

التخمين مستمر

رغم التقدم العلمي وتفتح اذهان الناس واتساع عقول العلماء ووفرة الوسائل العلمية الحديثة فان مسألة الذكورة والانوثة تبقي لغزا محيرا يأخذ بمجامع الالباب ويأسر القلوب لغموضها وابهامها . فحتى العلماء المتأخرون ايضا ـ كما هو الحال بالنسبة للعلماء الاقدمين ـ قد وضعوا فرضيات تفسر نشوء الذكر والانثى ولكنها تبقي كلها ضربا من الحدس والتخمين . وعلى الرغم من تغير التصورات الحديثة لهذا الموضوع وتطور وسائل الفهم فان مآل هذه الفرضيات قد اوصلها الى التنسيق والذكرى شأنها في ذلك شأن فرضيات العلماء الاقدمين .

فقد ادعى بعضهم ان الجنس نتيجة صراع بين نطفة الذكر ونطفة الانثى . فالاقوى يفوز في تعيين الجنس . وقال غيرهم ان الزوج الاقوى يولد عكس جنسه . وهناك اعتقاد مفاده ان الزواج المبكر يساعد على ولادة الذكور . اما الزواج المتأخر في عصرنا فيجعل نسبة الاناث اعظم .

وقال آخرون ان الحرمان وقلة التغذية تساعد على ولادة الذكور اكثر . وقد استنتجوا ذلك من ولادات الصبيان بعد الحرب . فعلى اعتبار ان سني الحرب حرمان وشظف وجوع ظن ان لهذه الحالة الاجتماعية صلة بالاذكار والاتئام (ولادة التوائم) . فقد لوحظ ان عدد التوائم قد كثر اثناء الحرب ولا سيما في فرنسا .

ولقد ارتفعت نسبة الذكور في كل من المانيا وروسيا بعد ربع قرن من الحرب العالمية الثانية لتقترب من نسبة

الاناث . فقد كانت النسبة في كلا البلدين عام ١٩٤٥ ٤٤ ذكرا مقابل ٥٦ انثى لكل ١٠٠ فرد . اما في عام ١٩٧٠ فقد اقتربت من النسبة المتماثلة تقريبا ٤٨ ذكرا مقابل ٥٢ انثى في كل ١٠٠ فرد .

غير ان هذه الفرضية لم تعد مقبولة اليوم لانها لا تستند الى اي اساس علمي . وقد بينت الاحصائيات اثناء الحرب العالمية الثانية ان مواليد الاناث تزداد بنسبة طفيفة قدرت ما بين ١ ـ ٦٪ . وليس سببها تعويض الطبيعة او قلة عدد الذكور . لان مثل هذه النسبة لم تحصل عند الامم المحايدة التي لم تدخل غمار الحروب ، رغما عن الحصار الشديد الذي كان ماسكا بخناقها . وقد اعطي تعليل لذلك ان اكثر الرجال يكونون بعيدين عن زوجاتهم فيقل حملهن . والذكور كما ثبت فعلا اكثر تعرضا للموت قبل الولادة . والظروف المهيأة للانثى اكثر ملاءمة للعيش من الذكر .

واما دور سنتغ فقد درس كل ما قيل في الاذكار والايناث وخرج من دراسته برأي يقول فيه : اذا حدث نقص في احد الجنسين فالطبيعة تعوض هذا النقص بزيادة الجنس الآخر ! !

ومن اغرب ما ذاع في الولايات المتحدة الامريكية في اوائل الستينات ان الام الحامل التي ترغب في انجاب الذكور عليها ان تضيف الى غذائها فحمات الصودا (Na 2 Go 3) وقد عني الاستاذ دامور في جامعة دنفر باختبار هذا القول في الجرذان فوجد ان المادة المذكورة لا اثر لها على الاطلاق في جنس المولود .

ومن الجدير بالتنويه ان العلم الحديث في الوقت الحاضر لم يستطع حتى الآن ان يصل الى نتيجة حاسمة ورأي فاصل فيما يتعلق بالتحكم بالاذكار والايناث في الانسان والكائنات الحية العليا ، رغم التقدم المذهل في الوسائل المخبرية والالات المجهرية والالكترونية ، والتطور الكبير في العلوم الفيزيولوجية والحيوية .

وهكذا فان كل ما ذكرناه لا يعلل حقيقة الجنس . وانما سنعرض آخر الانجازات العلمية في تفسير الذكر والانثى في الانسان .

فلقد اصبح في حكم الامور البديهية المعروفة لكل الناس المثقفين ان الذكر في الانسان والثدييات ينشأ من اجتماع النطفة الحاملة للصبغي Y مع بويضة الانثى الحاملة للصبغي X . وان الانثى في الانسان والثدييات يتحدد جنسها من التقاء النطفة الحاملة للصبغي X مع البويضة ذات الصبغي X . ولقد امكن في بعض التجارب العلمية تحديد جنس الجنين بعد مرور اكثر من اربعة اشهر على حياته الجنينية بالتعرف الى كمية الهرمونات الجنسية السابحة في ماء المشيمة (السائل الامنيوني) فاذا كانت تسيطر الهرمونات الذكرية فمعنى هذا ان الجنين ذكر . واذا كانت الهرمونات الانثوية هي الغالبة فهو دليل على ان الجنين انثى . ومع ذلك فقد لا تصح التوقعات والتخمينات عن جنس المولود ولا ترتفع الى نسبة ١٠٠٪ بشكل مؤكد وحتمي .

التحكم بالجنس

لا شك في ان النقطة الهامة في موضوع الذكورة والانوثة هي كيف يمكننا ان نتحكم في لقاء النطفة المختارة مع البويضة لينتج الجنس المرغوب ، ونستبعد في نفس الوقت النطفة غير المرغوبة حسب الحاجة والضرورة . وهذا بعيد المنال في الوقت الحاضر على الاقل .

ولقد اجريت ابحاث مستفيضة حول هذا الموضوع لم تصل جميعها الى نتيجة حاسمة ورأي فاصل . وقد اعتمدت هذه الابحاث على الاسس والمبادىء التجريبية التالية :

١ ـ فقد افترض مورجان ان الصبغي X اكبر في الحجم من الصبغي Y بما يعادل الضعف . ولذلك فهو ابطأ سرعة في السائل المنوي من الصبغي Y . وبالتالي يتقاعس في الوصول الى البويضة لتلقيحها . (وواجب ان اذكر بان الصبغيات هي العرى او الخيوط الملونة الرفيعة التي تحمل المورثات المسؤولة عن كل ما يتعلق بالفرد من صفات وطبائع وسلوك وذكاء وسحنة وتناسل وغير ذلك . وعدد هذه الصبغيات في الانسان ٤٦ صبغيا توجد في كل خلية من خلايا الجسم الحي مهما كان

حجمها وموقعها ووظيفتها) .

وبناء على ذلك وضع سائل منوى لثور في جهاز الطرد المركزي (المثقلة) كي يسبب الدوران الشديد فصل النطفة ذات الصبغي X عن قرينتها ذي الصبغي y تبعا للثقل والحجم . وحسب قانون الطرد المركزي يفترض ان تكون النطفة الاكبر في الحجم اي ذات الصبغي X خارج الدائرة ، واما النطفة الصبغي y فداخلها لانها اخف في الوزن . وبعد ذلك اخذ غلسائل النوي المطرود خارج دائرة الطرد المركزي ولقحت به ابقار على امل ان تنتج مواليد كلها اناث ، ولكن الناتج الواقع فعلا كان ذكورا واناثا . ثم اخذ السائل المنوي المتبقي داخل دائرة الطرد المركزي ولقحت به ابقار على فرض انها ستنتج مواليد كلها ذكور ولكن الناتج حقا كان ذكورا واناثا .

٢ ـ واعتمدت تجارب الباحثة الروسية شرويدر واستاذها على خاصية النقل الكهربائي التي تتصف بها اغلبية المركبات العضوية ومنها السائل المنوي . وقد افترضت هذه الباحثة ان النطفة ذات الصبغي X سالب الشحنة الكهربائية ولذا من المفروض ان يتجمع عند المصعد (اي القطب الموجب) في جهاز الناقلة الكهربائية Electrophoresis واما النطفة ذات الصبغي y فقد خمنت انه موجب الشحنة ، ولذا من البديهي ان يتكوم عند المهبط (اي القطب السالب) فاخذت سائلا منويا لذكور الارانب ووضعته في الجهاز المذكور ، وبعد تشغيل التيار الكهربائي وانفصال السائل المنوي الى قسمين ، واخذت القسم المتجمع على المهبط ولقحت الارانب على امل ان تنتج كلها ذكورا ، فأنتجت ذكورا واناثا ايضا . الا ان الغلبة هنا في الاعداد للذكور . ثم اخذت القسم المتجمع على المصعد ولقحت به اناث الارانب على فرض انها ستنتج كلها اناثا فأنتجت ذكورا واناثا ولكن الغلبة هنا في الاعداد كانت للاناث .

٣ ـ وارتكزت الفرضية الثالثة التي وضعها الدكتور انتربرجر الى ان لتفاعل المهبل شأنا في الجنس فالنطفة التي تحمل الصبغي X تتميز عن تلك التي تمتلك الصبغي y بانها تقاوم الحموضة . فان كانت القلوية الغالبة ساعد ذلك على انتاج الذكور والاكان الايناث ، لان الصبغي y لا يقوي على حموضة المهبل وتموت النطفة بسببها . ولذا من الممكن في هذه الحالة ان يغسل مهبل الانثى قبل عملية الجماع بالمحلول المناسب حسب الجنس المرغوب في النسل القادم . وقد اجريت الابحاث والتجارب لتأكيد هذه الفرضية واثباتها في ثلاث محطات تجريبية ، الا انه ـ مع الاسف ـ لم تتحقق اية نجاحات في اي منها بهذا الصدد .

٤ ـ وكذلك استندت فرضية اخرى الى درجة انصباغ الصبغيات الجنسية بالصبغات الملونة بحيث تكون درجة الانصباغ في النطفة ذات الصبغي X اعلى منها في النطفة ذات الصبغي y . الا ان التلقيحات المجربة بهذا الخصوص لم تسفر عن نتيجة مرضية ايضا .

وبعد فان خلاصة القول في موضوع الاذكار والايناث ما يزال غامضا ومعقدا ، وليس من الممكن تفسير تشوه الذكر والانثى بسهولة ويسر او التحكم فيه بهذه البساطة . ويبقى عالمنا المبجل ابن قيم الجوزية مصيبا في حذره من قبول التفسيرات التي وضعت لشرح هذه المعضلة وثاقب النظر في تحليلاته العلمية لها . وتسطع الآية الكريمة بالبرهان الوهاج والدليل الدامغ على عجزنا في العلم الاكيد بمسألة الذكورة والانوثة « ويعلم ما في الارحام » . ■■

د . محمد مروان السبع

بعد شهر العسل

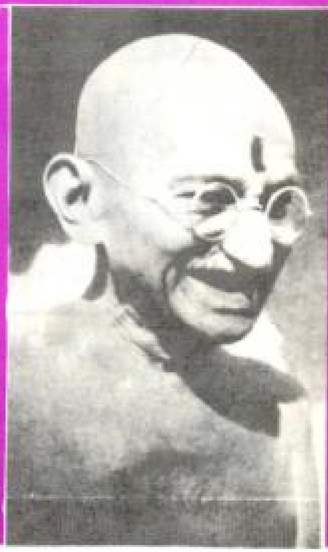
● كتب جدى رسالة الى زوجته بعد مشاجرتها التي وقعت عقب احتفالها بالعيد الخمسيني لزواجهما قال فيها : عروسى العزيزة ، فلنؤجل مشاجراتنا الى ما بعد انتهاء شهر العسل . زوجك المحب : جون .



بوذا

انهم لا يقدسون البقر ، لكنهم يقدسون الحياة

حكمة الهند بين براهم وبوذا



غاندي

بقلم : الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة

لكل أمة من الامم الكبرى تصورها للوجود والحياة او فلسفتها ، ولهذه الفلسفة مميزاتها التي ترجع الى روح الامة وجملة ظروفها ومكانها في تاريخ الفكر الانساني وشعورها برسالتها .

وللهند حضارة قديمة وحياة روحية ـ دينية وفكرية ـ فلسفية ترجع الى ما قبل الميلاد بأكثر من خمسة عشر قرنا ، وهي حضارة متعددة الجوانب كثيرة العناصر ، لان بلاد الهند واسعة الأرجاء كثيرة البيئات واللغات والنحل .

والكتاب الاوروبيون سموا تلك الحضارة باسم اشتقوه من اسم « الهند » ، وجعلوه دالا على الحياة الهندية من جميع جوانبها ، وهو Hinduism ، وقد تبعهم الكتاب العرب المحدثون ، فقالوا : هندوسية ، واحيانا : هندوكية .

ويبدو ان الفكر الهندي نشأ مستقلا الى حد كبير وراء وفيا بين تلك الجبال الشاهقة . وقد ظهرت بين الهنود ديانات مميزة لهم وفلسفة خاصة بهم . وهم كانوا ، ولا يزالون ، شديدي الاعتداد بأنفسهم في هدوء ، ويعتقدون ، كما حكى عنهم ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة » ، انه لا توجد بلاد مثل بلادهم ولا ملوك كملوكهم ولا علوم كعلومهم . وقد كان اعتدادهم بانفسهم واعتزازهم بتراثهم من اكبر العوامل التي ساعدتهم على الاحتفاظ بروحهم المميزة وشخصيتهم الخاصة وعلى مقاومة المؤثرات الاجنبية عنهم ، على الرغم

من سيطرة خارجية قد تمتد مع القرون .

ملك الحكمة

وللفكر الهندي مكانه الكبير في تاريخ الفكر البشري ، وكان له تقديره عند المؤرخين القدماء . وقد لقي الكثير من عناية علماء الاسلام الذين اهتموا بمذاهب الهند ومللهم وعلومهم منذ اول اهتمامهم بعلوم الامم ، واشتغل بدراسة مذاهبهم اول فلاسفة الاسلام ، وهو الكندي ، كما حكى عنه ابن النديم (كتاب الفهرست ص ٣٤٥ ، ٣٤٧ طبعة ليبتزج) ، ويقول القاضي صاعد بن احمد الاندلسي (ت ٤٦٣ هـ) وهو من مؤرخي علوم الامم بين المسلمين : ان الهند امة كثيرة العدد ... فخمة الملك اعترف لها القدماء بالتبريز في فنون المعرفة ، « وكانوا يسمون ملك الهند ملك الحكمة ، لفرط عنايتهم بالعلوم وتقدمهم في جميع المعارف » . ويذكر هذا المؤرخ للعلوم ان أهل الهند كانوا على مر الدهور ، « معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة واهل الاحلام الراجحة والآراء الفاضلة والامثال السائرة » ، ويضيف الى ذلك طرفا من مذاهبهم .

على ان البيروني (ت ٤٤٠ هـ) هو الذي سجل للأجيال آراء الهند ، وذلك انه صحب السلطان محمود الغزنوي في غزواته لارض الهند ، فأقام هناك عشرات السنين وداخل اهل البلاد وتعلم لغتهم ، ودرس علومهم وثقافتهم العقلية والروحية ونظام حياتهم ، ودون دراسته في كتابه الفريد الذي قدمنا ذكره .

وقد كان فتح الاسلام لبلاد الهند واتصال المسلمين بثقافة الهند سببا في دخول التراث الهندي الى جانب غيره في جمل الثروة الفكرية عند المسلمين . من ذلك الرياضيات وكثير من الحكمة (كتاب كليلة ودمنه) .

واذا كان الفكر الهندي قد حظي بالتقدير عند القدماء فان له ، على ما فيه من غرابة ، جاذبيته عند المحدثين ، خصوصا من الاوروبيين الذي يتلمسون ، وهم في ازمة حضارتهم المادية ، فكرا روحانيا جديدا . والكتب الحديثة باللغات الاوروبية حول الفلسفة الهندية كثيرة لا تحصى .

والفكر الهندي ، في مراحله الاولى ، له صبغة دينية غالبة ، وقد اشتملت عليه اناشيد ال « فيدا » Veda بما جمعت من كلام عن الألوهية وأصل العالم ومن أفكار حول قوى خفية تصوروها سارية في الأشياء ومدبرة لقوى الطبيعة .

موحدون بالله

ومذاهب الهند كثيرة جدا ، ومن اهمها البرهمانية



شوبنهاور

بفروعها الكثيرة ونظرياتها المتعددة ، والبوذية وما فيها من تصور للعالم وتشاؤم بالحياة الانسانية ، وهناك ايضا مظاهر للتفكير الميتافيزيقي نجدها في « الاوبانيشادات » Upanishads التي هي رسائل تشرح ال « فيدا » وتبرز لنا فكرة وحدة الوجود على صورة روحانية .

واتجاهات الفلسفة الهندية متنوعة ، وقد يختلط بعضها ببعض او يشتمل على عناصر متضاربة او على الغث والسمين ، كما لاحظ البيروني ، بسبب قلة وجود المنهج . وفي بعض مذاهبهم مفهوم الالوهية أو تعدد الآلهة ، وليس في بعضها مكان لهذا المفهوم . وقد يتكلم بعضها عن عالم الظاهرات الذي نشاهده ، او يرى انه لاوجود الا لما هو مادي محسوس ، على حين يرى البعض ان هذا العالم وهم Maya . وفي بعض تلك المذاهب اهتمام بالمعرفة النظرية والمفهومات التي تنظمها ، وغيرها يعرض عن البحث في المفهومات ويهتم بان يرسم للانسان طريق الخلاص من هذا العالم وهذه الحياة ، ومع ذلك فان العلماء قد اجتهدوا في الاحاطة بمعالم رئيسية تميز الفكر الهندي في جملته ويؤمن بها الهندوس :

= فمن ذلك انهم يقولون بحقيقة كلية او مبدأ Principle ازلي ابدي يشمل الاشياء كلها وهو مصدرها الذي تفيض منه واليه تنتهي ، وهو الذات Self (آتمان) في كل شيء ، وقد يتصورونه الها هو ذات حقيقية موصوفة بصفات الكمال ـ هذا ما يقوله الكتاب الاوروبيون المحدثون .

والبيروني قبل ذلك بنحو من الف عام ، في كلامه عن اعتقاد الهند في الالوهية ، يشرح آراءهم بحسب الاصطلاح الذي جرى عليه علماء الاسلام ، فيقول انهم ـ ولابد ان هذا بوجه عام ـ قوم موحدون يصفون

الله بكل صفات الكمال وينزهونه عن كل صفات النقص ، وان اعتقادهم في الله تعالى انه « الواحد الازلي من غير ابتداء ولا انتهاء ، المختار في فعله ، القادر الحكيم ، الحي المحيي ، المدبر المبقي ، الفرد في ملكوته (المنزه) عن الاضداد والانداد ، لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ... العالم بذاته سرمدا » .. منزه عن المكان ، لا تدركه الحواس لكن تدركه النفس وتحيط بصفاته الفكرة ، من تشبه به انحل عنه الوثاق وسهل خلاصه من قيود العالم المحسوس . ويذكر ابو الريحان من آرائهم « ان الموجود شيء واحد » وان جميع الاشياء الهية ، والاله جعل نفسه ارضا يستقر عليها الحيوان وماء يغذوه وريحا ونارا ، ومع ذلك فهو « قلب » لكل واحد من الناس . والطريق الى المعرفة بوجود الله وبالخير والمحبوب من الاعمال هو طريق العقل .

ولا شك عند المؤرخ ان الفكر الهندي قد تأثر بالفكر الاسلامي في كثير من جوانب تصور الالوهية ، وذلك في اثناء القرون التي اتصل بها الهنود بالاسلام منذ دخوله بلادهم في اواخر القرن الاول للهجرة واستمرار تأثيره فيهم دون انقطاع . وكثير من علماء الهنود كانوا يذهبون الى بغداد وحواضر الثقافة في شرق الدولة الاسلامية ، وقد سجل التاريخ مناظرات بين بعض مفكري الهنود وبين المسلمين منذ اوائل القرن الثاني للهجرة ، وكان ذلك في مدينة البصرة التي كانت نقطة اتصال بين مختلف الثقافات .

احترام الحياة .. والحيوان

= والهنود بوجه عام يؤمنون بما في ال « فيدا » ، ويرى المؤمن بها انها تشتمل على الحقيقة المطلقة ، واذا كان هذا ما يقوله الكتاب الاوربيون ، فان البيروني قد سبقهم الى ذكره واضاف أنهم يرون ان ال « فيدا » وحي انزله الله على براهم وان الله يتكلم في الازل وانه كلم براهم كما كلم غيره ، وال « فيدا » في نظرهم كتاب معجز لا يقدر احد منهم على ان ينظم مثله . وان كان « المحصلون » منهم وهم اهل العلم والمعرفة ، يرون ان نظم مثله في مقدورهم ، « لكنهم ممنوعون عنه احتراما له » .

ومن الواضح ان كل هذه الاراء ترديد علماء الهنود لما عرفوه من آراء المسلمين في القرآن الكريم . لانه لم يكن في ظروف حياة الفكر والدين عند الهنود تلك العوامل التي ادت الى ظهور هذه الآراء بين المسلمين .

= وعند الهندوس نظام الطبقات ، وفي قمته طبقة البراهمة الذين يتميزون بالتفوق في الطهر والروحانية الموروثة ، وهم الذين يحملون الفيدا ويعلمون ما فيه .

= ومن المعروف ان الهندوس يحترمون الحياة في كل الكائنات الحية ، وهم يتعاطفون مع الحيوان على أساس أن فكرة الحياة واحدة على الرغم من تعدد مظاهرها ، ومن هنا جاء اكتفاء بعضهم بالطعام النباتي ويمكن القول ان احترام الحياة من مفاتيح الاخلاق عند الهنود .

= ومن اكبر مميزات الفكر الهندي القول بالتناسخ بمعنى « العودة بعد الموت الى الولادة من جديد في كائن حي آخر » . يقول البيروني : « كما ان الشهادة بكلمة الاخلاص شعار ايمان المسلمين ، والتثليث علامة النصرانية ، والاسبات علامة اليهود ، كذلك التناسخ علامة النحلة الهندية ، فمن لم ينتحله لم يكن منها ولم يعد من جملتها » .

والصورة التي يكون عليها الميلاد الجديد تكون بحسب الاعمال في الحياة السابقة له ، فاذا كانت حسنة ولد من جديد في صورة احسن ، والا في صورة اخس وهذا ما يسمى قانون « الكرمان » Karman اي قانون الاعمال وعواقبها .

ولا خلاص من سلسلة الولادات الا اذا سار الانسان السيرة الفاضلة وراض نفسه حتى يفنى في ال « براهمان » اي في الحقيقة الكلية الشاملة .

= والخلاص يكون من طريق العبادة واداء الشعائر والواجبات الاجتماعية ، ومن طريق معرفة النفس بذاتها

= والهندي الذي يمثل التراث الهندي الاصيل انسان يؤدي واجباته الاجتماعية والدينية ، ويتبع قواعد السلوك الخاصة باسرته وطبقته ، وهو يعمل بحسب مفهوم « الدهارما » Dharma اي نظام القانون والواجبات ويجتهد في ذلك لكي تتحقق في شخصه جملة صفات الاستقرار والاتزان التي تتمثل في الكون والطبيعة ، ويجب ان تتحقق في المجتمع .

والفكر الاوروبي

وقد كان اتصال الهند بالفكر الاوروبي سببا في ظهور وعي جديد وقيام حركات تزعمها هنود تثقفوا بالثقافة الغربية ، فمنها حركات تريد الرجوع الى التوحيد القديم بعد تنقيته ، ومنها ما يريد العودة الى ما جاء في « الفيدا » ويحارب الديانات الاخرى ، وبعضها حركات دينية ذات اهداف اجتماعية وسياسية .

ومن اكبر ممثلي النزعات الهندوسية الدينية والخلقية المهاتما غاندي (ت ١٩٤٨ م) الذي جمع بين روحانية الهند وثقافة اوروبا وظهر زعيما دينيا سياسيا . وكان رمز التمسك بالمثل العليا الهندية القديمة ، من احترام الحياة واداء الشعائر ، مع العفة والزهد وانكار الذات والصدق في التمسك بمبادىء السلام والمصالحة والفضائل . وكان

يرى ان مراعاة آداب الدين في العبادة والاخلاق تمد الانسان بالطاقة اللازمة لتحقيق مثله العليا ، ويؤمن بان الانسان اذا راض نفسه على الحياة الروحانية اكتسب قوة يغلب بها ميول الشر عند اعدائه .

وقد وقفت الهندوسية دائما أمام الديانات الاخرى ، لكنها لم تستطع ان تغلبها ، فهي لم تستطع ان تغلب الاسلام الذي دخلها بعقيدته وجملة تصوره للوجود والحياة واستقر فيها . ولا هي استطاعت ان تتفادى انتشار المسيحية بعد الاستعمار الاوروبي . وفي موقفها من الديانات الأخرى يدخل العامل القومي الى جانب العامل الديني .

وللفكر الهندي جاذبيته ، خصوصا نواحيه الروحانية ـ الخلقية ، واحيانا الخيالية ، التي تناسب ازمة الحياة الاوروبية ، ورغم ظهور كتابات حديثة حول الفكر الهندي ورغم جهود كبيرة للدعوة الى هذا الفكر وظهور شخصيات هندية تروج لجوانب من الهندوسية ، الا ان ذلك لم يستهو الا اصحاب الميول العاطفية الخيالية الذين يحتاجون الى استجمام روحي وسط صخب الحياة المادية الحديثة .

ولقد اصبح الايمان في العصر الحديث وهو عصر العلم ، يحتاج الى اصول في المعرفة ومناهج في التفكير تناسب روح العصر وتصوره للكون .

البوذية والعقل

ومن نماذج الفكر الهندي الفلسفة البوذية ، وهي فلسفة دينية اخلاقية ، كان لها شأنها في الحياة الروحية والفكرية والاجتماعية لامم الشرق الاقصى ، وقد اثرت في الفكر عند بعض المفكرين في أمم أخرى .

وكان ظهور البوذية في القرن الخامس قبل الميلاد (تقع حياة بوذا بين حوالي ٥٦٣ و ٤٨٠ ق م) في عصر ازدهر فيه البحث في الحياة الدينية والفكرية ، مع اجتهاد في شرح النصوص ونظر في امور الوجود وفي حياة الانسان .

وتتميز البوذية بالايمان بما جاء في النصوص وبقوانين عامة تحكم حياة الانسان ، وكل ذلك على اساس استعمال العقل ، لكن دون اهتمام بالتحليل العقلي لمشكلات تتعارض فيها الآراء ، من قبيل البحث في هل هذا العالم محدود ام غير محدود ، وهل النفس والبدن شيء واحد ام هما متمايزان ونحو ذلك .

وليس المهم في البوذية تصور الاشياء بالمعنى النظري ، بل المهم هو السلوك العملي ، بحيث يمكن القول ، كما يرى البعض ، ان البوذية ليست مذهبا فلسفيا بقدر ما هي سلوك طريق عملي يتفق مع العقل ويؤدي الى تخليص الانسان من عالم الشهوات والآلام . وهذا على اساس الثقة في ان « البوذا » او الانسان الكامل المستنير السعيد كامن في كل انسان ويمكنه ان يتجلى اذا سلك الطريق .

يحكي ان بوذا قرر ان يسلك طريق الزهد بعد ان لقي رجلا مريضا وآخر شيخا هرما وثالثا ميتا ، وأخيرا زاهدا شحاذا لكنه بدا هادىء النفس تظلله السكينة .. فلاحت امام عقل بوذا فكرة تفاهة الحياة وظلال الموت والفناء التي تزحف عليها فترك بيته واهله وولده ولحق بالزهاد الروحانيين ، وعكف على طريقتهم الى ان انكشفت له الحقيقة ووصل كما يقول الى حالة الاستنارة في القلب .

ثم اشارت عليه آلهة الهند بان ينشر فلسفته .

في البوذية افكار اساسية مثل القول بانه لا توجد في العالم حقيقة ثابتة لا في الاشياء ولا في ذات نفس الانسان ، وانما توجد سلسلة من الظاهرات يعقب بعضها بعضا . اما فكرة (الانا) الفردي ، اذا نحن تصورناه جوهرا ميتافيزيقيا ، وكذلك كل ما نضيفه اليه ، فهو عبارة عن وهم . والمهم عند بوذا هو ان الذات الانسانية مركز شعور خلقي ومصدر فعل وسلوك عملي .

ولا بد بطبيعة الحال من صرف النظر عما في هذا التصور من نزعة سطحية مادية ، لها نظائر في الفكر الاوروبي في العصور الحديثة ولا تصمد امام النقد ، لانه وبكل بساطة لابد لسلسلة الظاهرات الكونية او النفسية التي تتحدث عنها البوذية ، كما لا بد للمركب الانساني ولوظائفه الكثيرة ، من قوة ثابتة تمسك نظام الاشياء او المركب الانساني ، فتمسك الاول في الوجود وتمد الثاني بالفكر والحياة وما لهما من مظاهر ووظائف .

مهما يكن من شيء فان المهم في البوذية هو تصورها للحياة الانسانية : هي تتلخص في حقائق اربع تسمى « الحقائق الشريفة » ، وهي : حياة الانسان شقاء وألم ، وهما ينشأن عن اشتهاء اللذات ، والاشتهاء يمكن التغلب عليه ، والتغلب عليه يكون بسلوك الطريق ...

وأساس كل آلام الانسان جهله بالحقيقة وتشبثه بالمحسوسات والشهوات . والخلاص لا يتسنى الا بالمعرفة الصحيحة والعمل الصحيح والتأمل الصحيح .

وهذا التأمل يبتدىء بالتخلص من انطباعات الحواس ، بالتركيز الفكري حتى يسكن كل نشاط في العقل ، وهنا يظهر شعور بالسعادة . ثم يزول وتأتي حالة النقاء والفناء عن الاشياء ، وهذه هي حالة النرفانا Nirvana التي كثيرا ما نسمع عنها ، وهي عندهم حال كمال وسعادة صافية .

ولا شك ان بوذا لما رأى ما رأى فتشاءم بالحياة وقرر سلوك طريق الزهد ، قد وقف نظره في الحقيقة عند المظهر الخارجي . ولم يدرك ان المرض والشيخوخة من طبيعة تركيب هذا النوع الذي نعيشه من الحياة ، وهو لم يتأن وينعم النظر لكي يدرك الحكمة من الحياة على الارض بالنسبة للانسان وضرورة انتهائها بالموت ، وان الموت دخول في حياة اخرى ، هي حياة الحساب والجزاء .

والحق ان الانسان اذا تأمل نظام العالم ودلالته على وجود صانع حكيم ، ثم نظر في الانسان وما له من ملكات معرفة بالخير والشر ومن قدرة واختيار ، وتحير في معنى هذه الحياة ، وجد الجواب الكافي اذا تأمل قول الله تعالى في القرآن الكريم : « الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وهو العزيز الغفور » (س الملك /٢)

واذا كان يصعب على الانسان ان يتصور الظروف والاسباب التي ادت الى كثير من اراء الهنود ، فانه ليصعب عليه ان يتصور اي قيمة او فائدة تتحقق للانسان السليم الفطرة ، اذا هو انصرف عن هذا العالم الرائع واجتهد في أن يمحو كل خاطر او تصور او انفعال في الوعي . وأي قيمة لوعي ليس فيه موضوع من اي نوع ؟

هل هي هروب ؟

ان الامر كله يبدو كأنه محاولة للتخلص من الحياة الطبيعية بطريقة مصطنعة ، بغية الوصول الى حالة ربما تكون وهما اشد خداعا من كل ما توهمه البشر . وهي حالة اشبه بالموت وسط حياة حافلة بالفاعلية والحيوية والمتعة المتنوعة .

ان الانسان في هذه الحياة يطلب السعادة بالمعنى المناسب له ، وهو شعور النفس بالرضا والبهجة . والانسان يصل اليه من طريق قبول الحياة والاجتهاد في تشكيلها بحسب معايير فكره ومطالب شعوره وواقع حياته ، وهو يحاول ان يفهم الآلام ويتغلب عليها بالفهم والصبر والمعالجة الحكيمة ، مع الايمان بمعنى هذه الحياة والحكمة من كل ما فيها .

اما الفيلسوف البوذي فهو يريد ان يقتلع من طبيعة ابن آدم كل جذور الشهوات ، مع ان فيها تأكيدا للحياة ومجالا لامكانها والسمو بها . وهو يريد أيضا من الانسان ان يمرن قلبه على احتمال الالم حتى يصل الى شعور ليس فيه لذة ولا الم . لكن هذا كله سلوك سلبي وتجاهل للواقع الانساني الحي الغني بالامكانيات ، وهو هروب من رسالة الحياة واعبائها العظيمة ، فضلا عن مضادته للطبيعة البشرية بحرمانها من التفتح والازدهار في عالم ملائم لها ، على نحو يدعو الى الاعجاب ويفتح المجال امام العاقل الرزين لتفكير فلسفي علمي يؤدي الى معرفة عليا بهذا العالم الرائع وبمكان الانسان فيه ، ويرشد الى معرفة الصانع المبدع الحكيم .

وعلى الرغم من غرابة هذا التصور البوذي وعدم الحاجة اليه ، بل استحالته من الناحية العملية ، فان التشاؤم المتصل به سري الى بعض المفكرين في الاسلام مثل محمد بن زكريا الرازي الطبيب (ت بين ٣٢١ و ٣٣١ هـ) ، الذي كان يرى أن الآلام والاحزان والشرور في حياة ابن آدم اكثر من الراحة والسعادة وان لذات الحياة ليست أشياء ايجابية ، وانما هي زوال آلام طرأت على الحال الطبيعية ، التي لا هي لذة ولا الم . ويرى هذا الطبيب انه عند الموازنة بين لذات حياة الانسان وآلامها يتبين ان وجوده « نقمة وشر عظيم » !

وشيء من التشاؤم البوذي موجود عند ابي العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) ، الذي كان مولعا بنقد الانسان وذكر نقائصه ونقائص الحياة . وقد مال الى التشاؤم والزهد في الحياة ، وهو الذي يقول :

وارحت ابنائي فهم في نعمة الـ
ـعدم التي فضلت نعيم العاجل

تكلف لا مبرر له

وظهر التشاؤم البوذي ايضا عند الفيلسوف الالماني شوبنهور Arthur Schopenhauer (ت ١٨٦٠ م) الذي دعا الى مقاومة ارادة الحياة ، على اساس ان ارادة الحياة تتحقق من طريق الاشتهاء ، وان الاشتهاء مؤلم ، ولا بد من ارضائه ، فيسكن حينا ثم لا يلبث أن يعود بآلامه . وهكذا فان حياة الانسان الم متقطع وليست اللذة الا شعورا سلبيا بزوال الالم .

ومن الواضح ان هذا كله تكلف فلسفي زائف وادعاء لا اساس له ولا اخلاص فيه ولا صدق ، لانه مضاد لطبيعة الاشياء واسلوب الحياة الطبيعي عند الغالبية الساحقة من بني آدم .. فكلهم يؤمنون بوجود هذا العالم الذي تدركه الحواس ويتمثل في الوعي على نحو مباشر . وكلهم يشعرون بنعيم الحياة ويقبلون على مباهجها ولذاتها بل ويتهالكون عليها ، رغم ما قد يظهره بعضهم .

ان نظرة الانسان لهذا الكون ولحياة الانسان فيه يجب ان تكون نظرة تأمل هادئ متزن يزاول فيه العقل وظيفته ليساعد الانسان على اخذ مكانه في الحياة ، في ثقة تامة ، وفي أمان ناشئ عن العلم الصحيح . ■■

د . محمد عبد الهادي أبو ريدة

أقوال معاصره



■ السوفييت لا يهددون الخليج ، ولسنا بحاجة لحماية الامريكان

الشيخ صباح الاحمد الجابر

نائب رئيس الوزراء ووزير خارجية الكويت

■ اذا اردنا مقارنة الشاه بمعظم حكام العالم الثالث فسنجد انه ليس اسوأ منهم بل هناك كثيرون اسوأ منه .



كارتر

■ ما حدث في افغانستان مثال سيء جدا لكيفية ابتلاع القوى للضعيف .

الامير فهد بن عبد العزيز

■ الثورة لا تصبح جديرة بان تحمل هذا الاسم اذا ظلت الاوضاع الاجتماعية للجماهير كما هي .



الرئيس الايراني ابو الحسن بني صدر

■ كنت متأكدا دائما حتى قبل الاستقلال ان تونس قد تحتاج لفرنسا لاسباب جغرافية .

الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه



■ اذا نشبت حرب نوويه اليوم بين موسكو وواشنطن فان الاتحاد السوفيتي سيكون هو الرابح فيها بغير شك .

د . وليام تيلر

ابو القنبله الهيدروجينيه الامريكية

■ عندما يحل عام الفين ستسيطر ٢٠٠ من الشركات متعددة الجنسية على ٧٠٪ من الاقتصاد العالمي .

المحامي الامريكي العربي الاصل

رالف نادر



■ فقدت الصناعة البريطانية ٢٩ مليون يوم عمل بسبب الاضرابات عام ٧٩

صحيفة الديلي ميل البريطانية

■ الناس يتحدثون عن سنة ٢٠٠٠ ولكن لا أحد يعرف بالضبط ما اذا كان العالم سيبقى حتى سنة ٢٠٠٠ ام لا !

الرئيس الكوبي فيدل كاستر

قراءة في فكر رافض..

بقلم : فهمي هويـدي

هذه قراءة في أوراق بعض الرافضين من الشباب المسلم ، تستحق أن نتدارسها بصبر ورفق ، لكي نعرف كيف يفكرون ، ثم لكي نتصور المستقبل ونتحسب له . فغرس اليوم هو حصاد الغد ، كما أن شباب اليوم هم رجال الغد ، إن لم يصبحوا قادته وأولي الأمر فيه .

ومنذ كتبت في شهر فبراير الماضي عن أسباب ازمة الشباب المسلم ، بمناسبة الاحداث الأخيرة ، والبريد يحمل الي « العربي » بين الحين والآخر خطابات ومطبوعات تسهم في المناقشة ، بعضها من مجهولين ، والبعض الاخر يحمل توقيعات رمزية ومبتسرة . وكان مما أثار انتباهي في بريد « العربي » مطبوعتان احداهما تنتقد المجتمع ، والثانية تطرح منهجا لتغييره ، ولا علاقة بين الاثنتين في حقيقة الامر ، فاحداهما قادمة من عاصمة اوروبية ، مكتوبة بخط اليد ومصورة ، والثانية من عاصمة عربية مطبوعة طباعة حديثة ، ومجهولة المصدر .

ومن التعسف ان تعامل الرسالتان باعتبارهما تمثلان تفكير الشباب المسلم الرافض ، ولكنه قد يقبل منطقيا أن ننظر الى الرسالتين على أنهما تعبير عن فكر بعض هؤلاء الرافضين على الاقل . خصوصا وأنني تحققت من أنهما تنطقان باسم تيارات حقيقية وليست وهمية فضلا عن أن بقية الرسائل التي تلقيتها من مختلف أنحاء العالم العربي تلتقي مع هاتين الرسالتين في الكثير من الافكار ، وتضيف اليها تفصيلا في قضية الشرك والايمان .

الرسالة المطبوعة ـ التي تنتقد المجتمع ـ تحمل عنوان : المفاسد والتلبيسات في المدارس والمعاهد والجامعات . وقد قدمت بهذا النص : « هذه موعظة كتبها احد الاخوان ، حينما كان طالبا في كلية الشريعة ، ورأى ما يخالف الاسلام في هذه الكليات ، التي تتزعم دراسة الاسلام فكتب هذه الاسطر ليرجع المصلحة من عدمها واقتنع بعدم سلامة سير هذه الكليات على النهج الصحيح . وفي هذه الموعظة كفاية لمن اراد سبيل الهداية ، وبالله التوفيق » .

بعد هذا التقديم ، تجيء « الموعظة » ، المتضمنة ملاحظات طالب كلية الشريعة ، ومآخذه على الدراسة والمدرسين والدارسين . وهذه بعض نصوص منها ، انشرها كما هي ، حتى بأخطائها اللغوية .

● اكثر المدرسين فسقة ، فهم ما بين مدخن وتارك للصلاة ، وحليق ومسبل إزاره معجب بنفسه وصاحب عقيدة فاسدة ، وقليل من نجا والناجي على خطر عظيم ، وانا اعلم مدرسا في كلية الشريعة ، مدخنا مخنفسا مسبلا ثوبه . ومع هذا يريد ان يعمل مسرحية لشيخ الاسلام ابن تيمية باتفاق عميد الكلية ، فيا لها من مصيبة .

● أن نصحتهم ـ هؤلاء المدرسون المدخنون حالقو اللحي مسبلو الثياب ـ قال المتواضع منهم الله يعف عنا ، الحقيقة انت صادق ، ولكن فيه ما هو اهم من ذلك ، الشيوعية التي تأكل الاخضر واليابس فهؤلاء اشغلتهم الشيوعية حتى عن معرفة دينهم وسنة نبيهم ، والعمل بذلك . وهم يظنون انهم يحاربون الشيوعية ، فقل لي بربك ايها العاقل ، هل يجوز لمسلم ان يترك سنة رسول الله ويقول فيه ما هو أهم من ذلك ، الشيوعية .

● هذا بعض شيء من كلام المتواضعين ، اما المجاهرون الذين انسلخوا من فطرة الاسلام فيقولون بجواز حلق اللحية واسبال الثياب ، لان هذا فيه مشاكلة لحال الفساق المنحرفين ، فيدخل الداعية بهذا المظهر عليهم ، فيقبلون منه وكأنهم يقولون أن من تمسك بسنة رسول الله فانه غير مقبول منه النصح ، لأنه بمظهره ينفر الناس المنحرفين منه .

● هب أن الطالب بعد التخرج امتنع من الوظيفة ، وقال انا لم اطلب العلم الا للاستفسار لا للوظيفة ، فهل يسمح له بذلك ، ام اخذ عليه (عهدا) بان يعمل بمدة لا تقل عن السنوات الدراسية بالكلية والا عوقب بعدم تسليمه الشهادة والاستفادة منها في مجال آخر ، وهذا يفسر لنا معنى الدراسة وانها ليست لله ، وانما ليشغلوا بها الوظائف ، ويستخدمون بها الناس .

● انا اجزم ان الدارسين والمدرسين والمدراء آثمون ، فان قيل فالمكره ، قلنا لا حجة في الاكراه لان الشخص يستلم راتبا مع الرغبة في المزيد من المعاش ، ولانه وازر الظلمة وشد على أعضادهم بجلوسه معهم وفي وظائفهم ، وسد شاغرا لهم في الوظيفة .

● لا يمكن ان يلتحق (طالبا) باي مدرسة او جامعة وكذلك لا يمكن ان يتعين (مدرسا) الا بعد أن يرتكب المحرم . فانتهاك الحرمة عندهم شيء معلوم من العلم المزعوم بالضرورة ، وهي الصورة في المقدمة . فان ذلك لا يتم الا باحضار ست صور شمسية ، والا فطلب العلم عندهم حرام عليك . وانا اعلم طالبا في كلية الشريعة ، امتنع عن اعطائهم الصور ، فمنعوا من اعطائه البحث الذي قدمه لهم حتى يأتي بالصور .

● قد تقرر ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة او كلب ، كما في حديث جبريل عليه السلام (!) فاذا كانت الملائكة تفارق مكانا فيه صورة ، والله يغضب منها ويكرهها ، فكيف تقول لمن يطلب العلم ، ويعلم في هذه الامكنة انه مأجور تحف به الملائكة ، كما في الاحاديث في فضل طلب العلم وتعلمه .

● ولم يقف الحد بدعاة التصوير الى الضرورات على زعمهم ، بل وصل اي تصور الفنان والفنانة والملك والملكة ، وامتلأت الدنيا بالصور ، حتى اوراق العملة تحمل فيها الصور التي تغرس في القلوب

تعظيم الاشخاص وربما عبادتهم فيا بعد ، فان قلتم الحكومة فعلت ذلك ، قلنا الحكومة تعمل لفتواكم ولا محيص لكم من تحمل اعبائها ، فان قلتم لم نفت بذلك ولا رضينا به قلنا لابد من ان تبرهنوا على موقفكم ، ولا برهان الا المفارقة ، فهل تستطيعون ؟

● لوصدر مرسوم يقضي بعدم صرف الراتب والشهادة ، فهل نجد هذا التزاحم على المدارس لاجل طلب العلم ، سواء من الطلاب او المدرسين ؟ .... الجواب نتركه للعاقل المتأمل المنصف .

● ليعلم كل شخص انه ما دامت سلطة الحل والعقد بيد من هو (ملتزما) نظم الغرب وقوانينه ، وله معهم علاقات وثيقة مادية ونظامية وتعليمية ، وتبادل اعياد الميلاد ، والثورات وتبادل العزاء والزيارات ، فهو لا يزداد الا بعدا عن الحق ، ولا يمكن ان ينصر الحق ، لان دعوة الحق مبنية على مصادمة دعوة الباطل ... وهل سكن اعلان الجهاد على دول الكفر ، ولنا عندهم سفراء ولهم عندنا سفراء وخبراء واساتذة ، فلا تنخدع بزخارف المزخرفين .

● المعلوم ان قضاة المحاكم تخرجوا من كليات الشريعة ، فلماذا يسكتون عن المحامي الحكومي الذي في محاكمهم ، الذي يطبق القانون . هل المحامي من الاسلام في شيء حينا اقريناه في المحاكم ؟ عندما يحكم القاضي بسجن شهر على شخص فيحكم المدعو الحكومي بسجن شهرين ، والجلد نفس الشيء ، والقاضي ينفذ ذلك ، فهل هذا الشرع نزل من الروح الامين ؟ ام استدرك القوم على المشرع فالحقوا المدعو ؟

● وما معنى وجود هيئة الامر بالمعروف ، والافتاء والدعوة والارشاد والشريعة واصول الدين والدعوة . وما معنى وجود الاذاعة والتليفزيون ، والسينما ودور اللهو ورعاية الشباب وادارة الفنون وغيرها ، وما معنى الاتفاق على هذه وتلك . أليس هذا مهزلة وارضاء لاصحاب الشهوات ، واسكات للدعاة وضحك على المشائخ ؟

●

هذه هي نصوص ابرز انتقادات الرسالة المطبوعة التي تعمم على قطاعات الشباب المسلم ضمن كتيب من ٣٥ صفحة ، ويدعي الجميع الى استيعابها ، باعتبار ان في الموعظة « كفاية لمن اراد الهداية »

اما الرسالة الثانية المصورة بخط اليد والقادمة من اوروبا فبين محتوياتها ، صفحة كاملة سجلت فيها خطة او برنامج عمل هذه المجموعة (حزب القرآن والسنة) وهي في عشر نقاط نصها على الوجه التالي :

١ ـ المحافظة على الصلوات وعلى أداء الفرائض والسنن النبوية دون تفريط او تهاون في سنة من السنن ، بما في ذلك التهجد والسواك وقص الشوارب واعفاء اللحي واستعمال الاذكار النبوية . والسعي المستمر لبناء المجتمع الفاضل الاسلامي العلمي الصالح الذي يمكن ان يكون مثالا للبشرية حقيق بالاقتداء به لما فيه من نظام وطمأنينة وعدل وامن .

٢ ـ التخلق بالاخلاق الاسلامية الفاضلة بأقصى قدر يمكن . والالتزام بالآداب الاسلامية العامة

كآداب الجلوس والحديث والبيت والشارع والمسجد والعلم وآداب المعاملات العامة مع المسلمين وغيرهم ، بعدم المجادلة الا بالتي هي احسن ما كان ذلك ممكنا ، والمسامحة والعفو من الاساءات . والصبر وضبط النفس والعمل على تأمين كل فرد مسلم من الاخطار والالحاح على بذل الجهود الحكومية والشعبية لبناء المخابيء من خطر الفناء الذري الاشعاعي في حالة مغامرة الكافرين والقوى المفسدة في الارض باشعال حرب ذرية .

٣ ـ تعميق المعرفة بالدين من خلال الاكثار من قراءة القرآن والمطالعة المنتظمة في كتب الفقه .

٤ ـ الابتعاد عن اللهو واللغو الفارغ وترك مواطن الغفلة والضياع كالمقاهي والمجالس البعيدة عن ذكر الله او عن طلب العلم النافع اسلاميا ، والاقبال على المسجد او على الاقل على مداومة الذكر والتسبيح بحمد الله في اوقات الفراغ الذهني .

٥ ـ ان خير انيس هو كتاب الله وخير حديث هو حديث محمد وخير عمل هو عمل خير أو بر لوجه الله وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

٦ ـ عدم التعلق قلبا وفكرا وضميرا وهدفا بأي امر او مصلحة او شخص . وصرف كل التعلق والولاء لله ولرسوله ولما انزله من قواعد الحق والعدل ولما سنه عبده ورسوله محمد (ص) وللمؤمنين المطيعين وعدم التعلق باي نظام غير النظام الرباني القائم على تطبيق الشريعة الاسلامية كاملة غير منقوصة لما فيه خير مجتمع المسلم وخير الناس عموما .

٧ ـ اعتبار ان كل نظام على مبدأ تحريم ما حرمه الله وتحليل ما حلله الله وعلى الطاعة لله ولرسوله هو نظام فاسد وباطل ومفسد في الارض حتى يتراجع القائمون عليه بالتي هي احسن الى الالتزام قولا وعملا بهذا المبدأ الاسلامي الاصيل ، او يتمكن المسلمون من اجبارهم على هذا الالتزام.

٨ ـ اعتبار كل قاعدة او قانون تشريعي او تنظيمي او عسكري او حربي مخالفا لما شرع الله باطلا ، ورفض الالتزام به والعمل بمقتضاه حتى يتم الرجوع الى حكم الله ويحق الحق ويبطل الباطل.

٩ ـ تسليم دفة الحكم الى اكثر المسلمين تقوى وصلاحا وعقلا وحكمة وحرصا على امتهم.

١٠ ـ توحيد جميع الشعوب الاسلامية في دولة واحدة تقوم على الكتاب والسنة والعلم والبناء والسلام.

متجنبا الخوض في مناقشة التفاصيل ، فانني اسجل على هذه الرسالة الاخيرة أنها أقرب الى المنهج التربوي منها الى برنامج الحزب . الأمر الذي لم يفسح مجالا للرؤية السياسية ، وفتح الباب واسعا أمام العموميات التي تتسع لمختلف درجات الفهم والاجتهاد ، وربما التناقض .

اما المطبوعة الاولى ، التي تعنينا بقدر أكبر لانها تمثل منهجا لتفكير نسبة لا يستهان بها من تيارات الشباب المسلم الراهنة ، فانني أسجل عليها « بسرعة هذه الملاحظات الموجزة :

ـ أن كثرها ينطلق من موقف محاكمة المجتمع لا هدايته ،

ـ أنها تركز على الاعتقاد في جانب ، والعبادات في جانب آخر ، والاخلاق والمظاهر جانب ثالث .

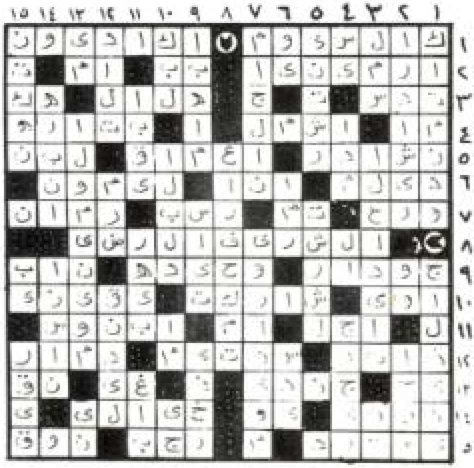
ـ أنها تدعو الى المفاصلة واعتزال المجتمع ، باعتباره « غير رباني » .

ـ أنها تتعامل مع مستحدثات العصر بمنطق الرفض ، وليس الاستثمار والتطويع .

ـ أنها تخلو من اي رؤية اجتماعية او اقتصادية ، في معالجة أوضاع المسلمين .

.. وانها تحتاج الى حلقة ثانية « للمناقشة » !

حل مسابقة العدد ٢٥٤



افقيـًا :

الشريف الرضي

رأسـيًا :

عارف حكمت

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا : الشريف الرضي . شاعر عربي كبير . ولد وتوفي في بغداد . عاش في عهد الطائع وبهاء الدولة البويهي . له ديوان تغلب فيه القوة والعذوبة والاحساس البدوي والجزالة . أشهر شعره « الحجازيات » ، و « الاخوانيات » .

(٨) رأسيا : عارف حكمت . من أشهر الشعراء الاتراك . أصبح شيخا للاسلام في زمن السلطان عبد المجيد . فأنشأ في استنبول مكتبة جمعت ٥٥٤٠ مجلدا ، بينها مؤلفات ثمينة . له ديوان بالعربية والتركية والفارسية .

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : كامل مصطفى برهوم ـ مكة المكرمة/السعودية
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : الطويل محمد ـ طنجة/المغرب
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : عبد الرحمن احمد عبد الخالق ـ الحديدة/اليمن الشمالي

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ خولة علي عبد القادر ـ عمان/الاردن
٢ ـ فيصل عبد الغني عبد الوهاب ـ بغداد/العراق
٣ ـ محمود محمد بكر هلال ـ الشويخ/الكويت
٤ ـ جمال عدلي الزعيم المنجد ـ طرابلس/لبنان
٥ ـ فتحي مصطفى ابو عبيد ـ دمشق/سوريا
٦ ـ محمد فتح الله رمضان عبده ـ دقهلية/مصر
٧ ـ مبارك سلمان محمد احمد ـ واد مدني/السودان
٨ ـ نزار امين ملاعب ـ الدوحة/قطر

نبوءات اندلسية قبل الزوال

بقلم : محمد عبد الله عنان

لم تستطع أمة اسلامية أن تتنبأ بمصيرها سوى الأندلس ، فهي قد شعرت به منذ أيام الطوائف في أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، وأخذت تترقبه من حين الى آخر في صبر وفزع ، مستسلمة الى قدرها ، مجاهدة ما استطاعت في الدفاع عن نفسها ، ملتجئة منذ أوائل القرن السابع الهجري ، الى معاونة شقيقتها المسلمة عبر البحر ـ المغرب .

وهي لم تنس مطلقا ، أن اخوانها ، هؤلاء البواسل ، فيا وراء البحر ، قد أنقذوها من الفناء المحقق ، وذلك حينا اشتدت وطأة الجيوش النصرانية عقب سقوط طليطلة (٤٧٨ هـ ـ ١٠٨٥ م) على ملوك الطوائف ، وشعروا بأن الكارثة قد أضحت على وشك الوقوع ، واستنجدوا يومئذ باخوانهم فيا وراء البحر ، بالمرابطين ، سادة المغرب ، واستجاب المرابطون الى غوث اخوانهم أهل الأندلس ، وعبروا البحر الى اسبانيا ، والتقوا بالجيوش النصرانية الى جانب الطوائف الضئيلة ، في موقعة الزلاقة الكبرى ، وأحرزوا فيها نصرهم الباهر بسحق الجيوش النصرانية (٤٧٩ هـ ـ ١٠٨٦ م) . وأنقذت الأندلس بذلك من الفناء المحقق . ثم استولى المرابطون على الأندلس ، وحكموها زهاء نصف قرن . وخلفهم في حكمها الموحدون الذين خلفوهم في سيادة المغرب ، وحكموها زهاء قرن آخر . ثم جاشت الأندلس بالثورة ضد حكامها المغاربة ، واجتمعت فلول الثورة آخر الأمر في الجنوب ، حيث قامت مملكة غرناطة آخر الممالك الأندلسية ، وقدر لها ان تعيش مائتين وخمسين عاما اخرى .

بل لقد ورد هذا النذير بالخطر على الأندلس ، قبل سقوط طليطلة ، في أقوال ابن حيان مؤرخ الأندلس الكبير في تعليقه على موقعة بربشتر من أعمال الثغر الأعلى (أراجون) وسقوطها في يد النصارى في سنة ٤٥٦ هـ ـ ١٠٦٣ م) ، في وابل من القتل والسبي وشنيع الاعتداء ، حيث يقول : « وقد أشفينا بشرح هذه الحالة الفادحة مصائب جليلة ، مؤذنة بوشك القلعة ،

طالما حذر أسلافنا لحاقها ، بما احتملوه عمن قبلهم من آثاره . ولا شك عند ذوي الألباب ان ذلك مما دهانا من داء التقاطع ، وقد أمرنا بالتواصل والألفة ، فأصبحنا من استشعار ذلك والتجاري عليه ، على شفا جرف يؤدي الى الهلكة لا محالة » .

ولما سقطت طليطلة ، وارتجت الأندلس فرقا ورعبا ، قال شاعرهم :

يأ أهل أندلس شدوا رحالكم
فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى
سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن بوائقه
كيف الحياة مع الحيات في سفط

مخاوف غرناطة

وبعد سقوط طليطلة ، ونصر الزلاقة الساحق ، أحرز الموحدون بقيادة عاهلهم الخليفة يعقوب المنصور ، نصرهم الحاسم على اسبانيا النصرانية وذلك في موقعة الأرك المشهورة (٥٩٣ هـ ـ ١١٩٥ م) ، فكانت زلاقة أخرى ، ولكن الأندلس ما لبثت أن لقيت هزيمتها الحاسمة بعد ذلك بقليل ، على يد اسبانيا النصرانية في موقعة العقاب المشئومة (٦٠٩ هـ ـ ١٢٠٢ م) . وكانت هزيمة العقاب ضربة شديدة لسلطان الموحدين ولاسبانيا المسلمة ، فعاد شبح الفناء يلوح للأندلس قويا منذرا . وسرى هذا التوجس الى كتاب العصر وشعرائه ، وظهر واضحا في رسائلهم وقصائدهم . ومن ذلك ما قاله أبو اسحق ابراهيم بن الدباغ الاشبيلي ، معلقا على موقعة العقاب :

وقائلة أراك تطيل تفكرا
كأنك قد وقفت لدى الحساب
فقلت لها أفكر في عقاب
غدا سببا لمعركة العقاب
فما في أرض أندلس مقام
وقد وصل البلا من كل باب

هذا ، وقد كانت مملكة غرناطة ، آخر الممالك الأندلسية ، بالرغم من العمر الطويل الذي قدر لها ، تستشعر الخطر الداهم دائما ، وترقب نمو جارتها ، المملكة النصرانية الاسبانية في جزع وخوف . أجل انها لقيت في اخوانها وراء البحر ، وهم بنو مرين سادة المغرب ، العون والانجاد باستمرار ، عقد التحالف المستمر بين المملكتين ، وترك ملوك غرناطة لبني مرين ثلاث قواعد أندلسية ، لتكون مراكز للدفاع وتدفق القوى المنجدة ، هي جبل طارق (جبل الفتح) ورندة والجزيرة الخضراء . وأبدى بنو مرين في هذه المهمة الدفاعية ، اهتماما واخلاصا ومقدرة ، واستعادوا جبل طارق من يد النصارى ، وكانوا قد استولوا عليها مدى حين . غير أن مملكة بني مرين ما لبثت منذ أواخر القرن الثامن الهجري ، أن أصابها الضعف ، وكثرت بها الانقلابات ، ولم يبق في وسعها أن تهرع الى انجاد شقيقتها فيما وراء البحر . وشعرت مملكة غرناطة ، أنه لم يبق في وسعها أن تعتمد على هذا الجانب الذي كان ينجدها ، وأيقنت أنها لا بد أن تعتمد على نفسها في الدفاع عن مصيرها ، ان كان ثمة دفاع يجدي .

ومنذ أواسط القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) نرى حساسية الشعور بخطر المصير ، يشتد لدى غرناطة ، وتصدر النبوءات بالخطر من أكابر رجالها ، فنرى الوزير لسان الدين ابن الخطيب مثلا يقول على لسان مليكه السلطان يوسف أبي الحجاج في رسالة كتبها الى السلطان أبي سالم المريني ملك المغرب بأنه « اذا انحلت عروة تأميلكم عن هذا الوطن (أي الأندلس) استولت عليه يد عدوه » . ونرى نفس الوزير ابن الخطيب يكتب في وصيته لأولاده ما يأتي ، وقد كتبها حوالي سنة (٧٧٠ هـ ـ ١٣٦٨ م) : « ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد ، الذي لا يصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه أجمع في العقار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعيا لنفسه أن تغلب العدو على بلده في الافتضاح والافتقار ، ومعوقا عن الانتقال أمام النوب الثقال . واذا كان رزق العبد على المولى ، فالاجمال في الطلب أولى » . وقد كان ذلك قبل سقوط غرناطة بنحو مائة وعشرين عاما .

اعتذار للرسول

وكان من دلائل الشعور بهذا الخطر الداهم على مصاير الأندلس ، ان ملوك غرناطة لم يقم أحد منهم بالسفر الى المشرق لقضاء فريضة الحج ، لأنهم كانوا يخشون أن يقع المكروه في غيابهم الطويل عن المملكة ، وان ينتهز النصارى الفرصة للقيام بالهجوم على غرناطة والاستيلاء عليها . ومن ثم فقد ابتدعوا فكرة الاستنابة بتوجيه الرسائل الملوكية الى الضريح النبوي الشريف . وقد كتب الوزير ابن الخطيب الى التربة النبوية من ذلك رسالتين ، الأولى عن السلطان يوسف أبي الحجاج الذي حكم الأندلس من سنة ٧٣٣ الى سنة ٧٥٣ ، والثانية عن ولده السلطان محمد الغني بالله الذي حكم من سنة ٧٥٣ الى سنة ٧٩٣ هـ ، ومع كل رسالة قصيدة مديح نبوي . والرسالتان آية في البلاغة ، ورقة التوسل النبوي ، الذي يذيب دموع العين تأثرا وخشوعا .

ويعتذر السلطان يوسف أبو الحجاج في القصيدة التي نظمها عنه ابن الخطيب الى ضجيع التربة المقدسة الرسول صلى الله عليه وسلم ، في الابيات الآتية :

عدتني بأقصى الغرب عن تربك العدا
جلالقة الثغر الغريب ورومه
أجاهد منهم في سبيلك أمة
هي البحر يعيي أمرها من يرومه
فلولا اعتناء منك يا ملجأ الورى
لريع حماه واستبيح حريمه
ولما نأت داري وأعذر مطمعي
وأقلقني شوق يشب جحيمه
بعثت بها جهد المقل معولا
على مجدك الأعلى الذي جل خيمه

وجاء في الرسالة المنثورة التي كتبت باسم السلطان المذكور ما يلي :

« استنبت رقعتي هذه اليك ، لتطير بجناح خافق ، وتشعر نيتي التي تصحبها برفق مرافق ، ليؤدي عن عبدك ويبلغ ، ويعفر الخد في تربك ويمرغ ، ويطيب بريا معاهدك الطاهرة وبيوتك ، ويقف وقوف الخشوع والخضوع تجاه تابوتك ، ويقول بلسان التملق ، ارحم غربتي وانقطاعي ، وتغمد بطولك قصر باعي ، وقابل بالقبول نيابتي ، وعجل بالرضا اجابتي .

« هذه يا رسول الله وسيلة من بعدت داره ، وشط مزاره ، ولم يجعل بيده اختياره . فان لم تكن هذه للقبول أهلا ، فأنت للاغضاء والسمح أهل ، وان كانت ألفاظها وعرة ، فجنابك للقاصدين سهل . واذا كان الحب يتوارث ، كما أخبرت ، والعروق تدس حسبما اليه أشرت ، فلي بانتسابي الى سعد عميد أنصارك مزية ، ووسيلة أثيرة حفية ، فلا تنسني ومن بهذه الجزيرة التي افتتحت بسيف كلمتك على أيدي خير أمتك» .

بديلا عن الحج

وتفتتح الرسالة الثانية ، في المديح والاستعطاف النبوي ، وهي التي وجهها ابن الخطيب الى التربة المقدسة ، عن مليكه السلطان الغني بالله ، بقصيدة نبوية عصماء تستهل بما يلي :

دعا بأقصى المغربين غريب
وأنت على بعد المزار قريب
مدل بأسباب الرجاء وطرفه
غضيض على حكم الحيا ويهيب
يكلف قرص البدر حمل تحية
اذا ما هوى والشمس حين تغيب

ومما جاء في الرسالة المذكورة قوله : « فقد سارت الركاب اليك ، ولم يقض مسير ، وحومت الأسراب عليك والجناح كسير ، ووعدت الأملاك فأخلفت ، وحلفت العزائم فلم تف بما حلفت ، ولم تحصل النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الأمثل ، الا على التمثيل ، ولا من المعالم الملتمسة التنوير ، الا على التصوير ، مهبط وحي الله ، ومتنزل أسمائه ، ومتردد ملائكة سمائه ، ومرافق أوليائه ، وملاحد أصحاب خيرة أنبيائه ، رزقني الله الرضا بقضايه على جاحم البعد ورمضايه . ثم يقول بلسان سلطانه : « واستنبت هذه الرسالة مانحة بحر

الندى الممنوع ، ومفاتحته بابداء الهدى بفتح الفتوح ، وقارعة المظاهر والصروح ، وباقية الرحل بمتنزل المليكة والروح ، لتمد الى قلبك يد استمناح ، وتطير اليك من الشوق الحثيث بجناح ، ثم تقف موقف الانكسار ، فان كان تجرها أمنا من الخسار ، وتقدم بأنس ، وبحجم بوحشة الغربة ، ويجيس لطول الغيبة ، وتقول ارحم بعد داري ، وضعف اقتداري ، وانتزاح أوطاني ، وعلق أعطاني ، وقلة زادي ، وفراغ مزادي ، وتقبل وسيلة اعتراقي ، وتغمد صفوة اقتراقي ، وعجل بالرضا انصراف تحملي لا انصراقي » .

وهذه الرسالة طويلة ضمنها ابن الخطيب قصة الغزوات الناجحة التي قام بها سلطانه ضد مدن جيان وأبده وقرطبة واطريرة وحصن أشر ، وما فتح الله به على المسلمين من تخريب وانتهاب هذه المدن التي انتزعها الكفر من الأندلس المسلمة . وبعث السلطان رفق رسالته بعض أجزاء النواقيس التي انتزعت من كنائسها المخربة .

ونحن نعرف ، أنه الى جانب الرسائل السلطانية التي كانت ترسل الى التربة النبوية الشريفة ، كانت ترسل كذلك مصاحف مذهبة فاخرة يكتبها السلطان ، أو الأمير بنفسه ، وتوضع في أطار مذهب فاخر . وكان من ذلك المصحف الشريف ، الذي كتبه السلطان الكبير أبو الحسن المريني ملك المغرب ، وأرسله الى حرم التربة النبوية عن طريق مصر في سنة (٧٣٩ هـ ـ ١٣٣٨ م) .

غير ان الرسائل النبوية الغرناطية ، كانت ترمي الى غرض أهم وأبعد ، وهو قيامها بالنسبة لمرسليها مقام أداء الزيارة ، وقضاء فريضة الحج ذاتها ، وذلك لعجزهم وتوجسهم ، حسبما أشرنا عن القيام بالرحلة الشخصية الى المشرق [١] .

وهذا الشعور بالقصور عن أداء الرحلة المشرقية ، حسبما بينا من قبل ، انما هو الشعور بالخوف من وقوع المصير المحزن ، الذي لبثت الامة الأندلسية ترقبه وتخشاه دائما ، خلال مراحل حياتها الطويلة . ■■

الرباط ـ محمد عبد الله عنان

---

(١) اعتمدنا على نصوص هذه الرسائل النبوية الواردة في مخطوط الاسكوريال لكتاب « ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » للوزير ابن الخطيب . ويجري طبعه الآن بمدينة القاهرة .

تفضل مقعدي

● اشتد الحاح المعجبين الهواة في لندن على عازف البيانو رونشتاين كي يعطيهم تذاكر من المقاعد المخصصة له لان جميع المقاعد في القاعة نفدت ، واضطر ان يرضخ لطلبهم وهو متضجر . واخيرا بقي أحدهم يلح ، ولم يثنه عن الحاحه تأكيد العازف الكبير ان المقاعد كلها نفدت .. فقال له : ـ لم يعد تحت تصرفي الا مقعد واحد ... يسرني ان اتنازل لك عنه ...

ـ اين هو ؟

امام البيانو ...

وعندئذ فقط انصرف الهاوي اللحوح !

لغز الطاحونة

بقلم: محمد صالح القمودي

حكى لي عجوز من سكان الريف حكاية غريبة ساقصها عليكم.

قال العجوز ...

.. كان ريفنا زاخرا بالخير ياسيدي ، ،

روابيه الخضر تعلوها طواحين الهواء فاردة اجنحتها تعانق السماء .. بينما طوابير الدواب تصلها محملة باكياس الحبوب لتغادرها مثقلة بالدقيق الفواح .

كان شباب القرى يلتقون أيام العطلات فوق تلك الروابي .. حيث يوزع عليهم اصحاب الطواحين المشروبات بالمجان ، فيدب النشاط في اوصالهم ، وترتفع اناشيدهم ، وتتلاحق رقصاتهم .

كانت الطواحين الهوائية يا سيدي .. عنوان الثراء والبهجة في ريفنا الاخضر السعيد .

وذات يوم ..

هبط علينا من العاصمة ثرى يبحث عن ثروات جديدة ، وأنشأ طاحونة بخارية ، فانصرف الناس عن طواحين الهواء وحملوا حبوبهم الى الطاحونة الجديدة .

حاول اصحاب طواحين الهواء ان يقاوموا ، لكن البخار غلبهم بسرعة انجازه وانخفاض اسعاره . وهكذا اختفت طواحين الهواء الواحدة تلو الاخرى ، واختفت معها الافراح والرقصات .

طاحونة هوائية واحدة فقط قاومت التيار الجارف . صاحبها ولد بها وترعرع ثم هرم وشاخ ..

ولكنه لم يغادرها .

عندما أنشئت الطاحونة البخارية .. استشاط غيظا .

ظل يطوف بالقرى اياما عديدة وهو يصيح باهلها :

ـ الثرى جاء ليدس لكم السم في الدقيق !!

انه يستعمل البخار ،

وهو من صنع الشيطان ..

اما انا ،

فأستعمل الهواء ، وهو من صنع الرحمن .

ولم يستمع اليه احد ، فالناس مولعون بكل ما هو جديد ..



وهكذا ..

عاد الشيخ الى طاحونته فانزوى بها لايكلم أحدا .

حتى حفيدته .. طردها .

كانت في الخامسة عشرة . لا اهل لها ولا معارف . طردها جدها . فاخذت تطوف بالقرى بحثا عن العمل في البيوت والمزارع .

ومع ذلك .

فقد كان الشيخ يحب حفيدته .

كان يقطع احيانا مسافة تزيد عن الفرسخين تحت الشمس اللافحة او المطر الغزير ليراها .. وكان يجلس بالساعتين الى جوارها وهو يذرف الدمع في صمت .

كان الناس يعتقدون ان الشيخ طرد حفيدته بخلا حتى لا يتحمل مصاريف زواجها .

كان في نظرهم يرتدي الاسمال البالية تظاهرا بالفقر ، وهو يكتنز الذهب والفضة .

الغموض كان يلف الشيخ ..

ما عاد احد يحمل اليه حفنة من الحبوب .. ومع ذلك .. فان مروحة طاحونتـه تدور كالعهـد بهـا . وفي الاماسي .. كان الناس يلتقون بالشيخ وهو يسوق دابته محملة باكياس الدقيق واذا ما سألوه :

ـ اوما زالت طاحونة الهواء تعمل ؟ !

اجابهم :

ـ بالطبع يا هؤلاء ! العمل لا ينقصني والحمد لله .

واذا ما استغربوا قائلين :

ـ ولكن .. من اين يأتيك العمل ولا احد منا يحمل اليك قمحا لتطحنه ! ؟

اجابهم وهو يرفع سبابته الى شفتيه :

ـ صمتايا هؤلاء ! انا اطحن الحبوب للتصدير .

ولم يستطع احد ان يعرف منه اكثر من ذلك .

اما دخول طاحونته ، فامر مستحيل .. لقد حرم دخولها حتى على حفيدته .

اصبحت حياة الشيخ لغزا يحير الجميع ، وراحت شائعات تقول بانه يكنز في طاحونته من الذهب والفضة اكثر مما يكدس من الدقيق والحبوب .

وذات يوم ..

انكشف اللغز المحير .

واليك كيف حدث ذلك .

لاحظت ان اكبر ابنائي يحب حفيدة الشيخ .

استوضحت الأمر من ولدي ، فاعرب لي عن رغبته الصادقة في الاقتران بها .

صعدت الى الربوة لاخطب الفتاة من جدها .

لم يفتح لي الشيخ باب طاحونته .

كلمني بجفوة من وراء حجاب ، وارخى الحبل لكلبه فكاد ان يعضني لولا ان اطلقت ساقي للريح .

اخبرت ولـدي وفتاتـه بماحدث فطلبا مني الاذن بالصعود الى الربوة ، لعـل توسـل الحفيدة يلـين قلب الشيخ .

وصلا الى الطاحونة ، فلم يجدا بها الشيخ .

تعرف الكلب على الحفيدة فاستكان .

وتفحص الحبيبـان المكان ، فعثرا على سلم نسيه الشيخ خارج المبنى فصعدا به الى نافذة مفتوحة ، وهبطا داخل الطاحونة ليكشفا اللغز الذي حير الناس .

ياللغرابة !

كانت غرفة الطحن فارغة .

لا يوجد بها كيس ، ولا حفنة من حبوب او دقيق .

اعشاش العنكبوت في كل مكان .

لا زاد ولا مال .

اكياس مليئة في زاوية ؟ !

اندفع الحبيبان اليها .

تحسسا ما بها .

فتحا كيسا منها ..

.. به تراب ابيض ؟ !

ذلك هو لغز الطاحونة وسر الشيخ الدفين .

لم يكن في الاماسي يحمل دقيقا للتصدير .. بل كان يحمل على دابته ترابا ابيض لينقذ شرف طاحونته ، وليحفظ ماء وجهه .

عاد الحبيبان من الربوة واخبراني بالامر والدمع ينهمر على خديها .

انفطر قلبي حزنا وانا اطلع على سر الشيخ .

هرعت الى الجيران .

اخبرتهم بالموضوع في كلمات قليلة .

اتفقنا على حمل كل ما لدينا من حبوب على الفور الى طاحونة الشيخ .

وهكذا ..

سقنا الدواب المحملة وصعدنا الى الربوة .

كان باب الطاحونة مفتوحا على مصراعيه .. وكان الشيخ جالسا فوق كيس من التراب الابيض وهو ينتحب قائلا .

ـ ضاع سري وافتضح امري .. ما عاد لي غير الموت .

كان يذرف الدمع سخيا وهو يخاطب طاحونته وكانه يخاطب شخصا يحبه .

في تلك الاثناء ..

وصلت الدواب الى الربوة ، وارتفعت اصواتنا هاتفة :

ـ اين انت يا صاحب الطاحونة ؟ ها قد جاءك الفرج !

ولم يصدق الشيخ عينيه .

كان يفركها ويجفف دمعها صائحا :

ـ رباه انها حبوب .. حبوب حقيقية !
دعوني اتاملها !

ثم كان يضيف وهو يغمرنا بنظرة ندية :

ـ كنت اعلم انكم ستعودون لي .. ان صاحب الطاحونة البخارية يسرقكم .

كنا نريد حمله الى القرية لاستضافته ، لكنه كان يصيح فينا :

ـ كلا يا هؤلاء دعوني اطعم طاحونتي اولا ، لقد مضى عليها دهر لم تذق طعم الحبوب .

ثم انشغل عنا بالحبوب يطحنها ، ونحن نتابع حركاته النشطة حابسين الدمع ان يسيل على وجوهنا .

ومنذ ذلك اليوم يا سيدى ..

لم نترك طاحونة الشيخ بلا عمل يوما واحدا ..

الى ان توفي الشيخ .. فتوقفت مروحة الطاحونة عن الدوران .. واختفت الحياة البهيجة من فوق روابينا .

باريس ـ محمد صالح القمودى
عن قصة للكاتب الفرنسي الكبير
ألفونس دو ديه

صراحة

● قال المريض لطبيب الاسنان بعد ان خلع ضرسه :

ـ قد يؤلمك هذا قليلا .. ولكني اقول لك انني ليس معي اية نقود !

خيرالدين بربروسا

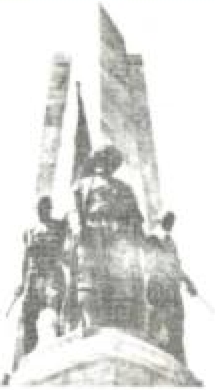
مجاهد أم قرصان ؟

بقلم : الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى

فالعصر هو عصر الكشوف الجغرافية التي كانت المبادرة فيها في ايدي القوى الكاثوليكية : اسبانيا والبرتغال ومن ورائها البابوية والروح الصليبية التي كانت تهدف الى حصار الاسلام ان لم يمكن القضاء عليه . وبرزت الدولة العثمانية باعتبارها القوة الاسلامية الرئيسية التي تتصدى للزحف الاوروبي . كما طمح الانجليز - الذين كانوا قد اخذوا وشيكا بالمذهب البروتستانتي - الى مشاركة الاسبان في الاستئثار بخيرات امريكا . وفي ثنايا هذا كله زخر تاريخ القرن السادس عشر بالبطولات التي انبثقت عن كل هذه التيارات المتلاطمة : ففي انجلترا نجد هنري الثامن وابنته اليزابيث ومن ورائها ابطال الانسلاخ الانجليزي عن كنيسة روما والبحارة المغامرون الذين تصدوا لمناجزة اسبانيا زعيمة الكاثوليكية ، ثم أوقعوا بها في نهاية المطاف الهزيمة الكبرى المعروفة باسم « الارمادا » . وهناك ايضا شارل الاول ملك اسبانيا الذي اصبح شارل الخامس حين اعتلى العرش الامبراطوري المقدس الذي كانت له الهيمنة النظرية على اوروبا الغربية ، الى جانب سيطرة هابسبورج على املاك اسبانيا فيما وراء البحار وعلى ايطاليا والاراضي المنخفضة . وهناك مارتن لوثر وكلفن وزونجلي وغيرهم من الزعماء الدينيين الذين تحدوا سيطرة البابوية على شئون العقيدة والفكر . واخيرا - وليس آخرا - هناك في الجانب الاسلامي الشاه اسماعيل الصفوي وابنه طهماسب اللذان تزعما الاتجاهات الشيعية المناضلة التي ارغمت آل عثمان على التحول صوب الشرق الاوسط ، بعد ان كانت دولتهم قد اتجهت منذ نشأتها الى توسيع رقعة دار الاسلام في اوروبا . فالعصر اذن هو الذي افرز مثل هذه البطولات التي لمعت هنا وهناك وملأت هذا الفراغ او ذاك وتركت سجلات تاريخية باقية .

في مواجهة التوسع الاوروبي

ففي عام ١٤٩٢ سقطت مملكة غرناطة في ايدي الاسبان الذين ما لبثوا ان كشفوا العالم الجديد ، وان ظلوا فترة يعتقدون انهم قد وصلوا الى الهند بالسير غربا (وكان حينئذ قد استقر الاعتقاد بان الارض كروية) . وبعد قليل امكن للبرتغاليين ان يلتفوا حول افريقيا وان



خير الدين بربروس

ان النظرة العلمية لا تأخذ بنظرية البطل الفرد الذي يقود قطاعات من المجتمع ـ بل المجتمع كله احيانا ـ وراءه في الاتجاه الذي يريد . ولكنها تعتبر الفرد المبرز انعكاسا لرغبات مجتمع ما في وقت ما . والشخصية التي تقدمها في هذا المقال انما برزت لسد فراغ معين في حاجات المجتمع الاسلامي في وقت اشتعلت فيه الصراعات الدينية ليس فقط بين الاسلام والمسيحية بل ايضا بين المذاهب التي تنتمي الى نفس الدين : بين الدولة العثمانية زعيمة المذهب السني وفارس التي اتخذت رسميا بالمذهب الشيعي ... وبين شتى المذاهب البروتستانتية في اوروبا وبين البابوية زعيمة المذهب الكاثوليكي ومن سار على دربها من الحكام الاوروبيين . والى جانب كل ذلك بل وربما من وراء كل ذلك ، كانت تكمن المصالح الاقتصادية التي لعبت دورها في اشعال هذه الصراعات المذهبية

يهددوا الملاحة العربية عند مداخل البحر الاحمر والخليج . واخيرا استطاع البرتغاليون ان يطوروا ويحتكروا الطريق الجديد وان يقيموا القواعد التجارية في الهند مضيقين الخناق على التجار العرب ـ من مصر والشام . الذين كانوا قد وطدوا اقدامهم في كلكتا ذاتها . وعلى حين ان الضغط البرتغالي كان تجاريا في اساسه الى حد كبير ، قد امتزج به هدف ديني خاصة وان بابا روما كان يود توجيهه لتطويق العالم الاسلامي وتوطيد اقدام المسيحية في الشرق الاوسط والهند ، في الوقت الذي تلعب فيه اسبانيا دورا مماثلا في العالم الجديد .

وهناك من المؤشرات ما يدل على أن السلطان العثماني سليمان الاول قد اهتم بوقف التوسع البرتغالي في المحيط الهندي وانه كان يعد العدة للقيام بهجوم كبير بهدف وقف التوسع البرتغالي في الشرق ، خاصة وان الخطر البرتغالي قد شل موانيء السويس والاسكندرية والبصرة وطرابلس الشام ، وكلها كانت مراكز للاتجار مع الهند ومنطقة الخليج . ولا يستبعد ان التوسع العثماني في المشرق العربي كان جزءا من هذه الخطة ، بل ان الدولة العثمانية ، قبل قضائها على دولة المماليك ، كانت قد حاولت مساعدتهم في جهدهم الخاص بالتصدي البحري للبرتغاليين في المياه الشرقية . وكانت الاستانة وغيرها من مدن المشرق تعج بالمسلمين وغيرهم ممن هاجروا اليها بعد سقوط غرناطة . ومن المهاجرين ـ وبخاصة من وفد منهم من جزر البليار والاندلس ـ من كانوا على علم وثيق بكل تفاصيل المشروعات الاطلسية والمشروعات القديمة الخاصة بارتياد افريقيا . ومما يجدر ذكره ان القبطان بيري رئيس قد قدم للسلطان سليم بعد فتح مصر خريطته الجديدة للعالم التي اشتملت على شواطيء جنوبي المحيط الاطلنطي والاكتشافات التي قام بها كولمبس في امريكا .

وقد وصلت الدولة العثمانية اوج اتساعها وقوتها في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) الذي تولى عبء مواجهة التوسع الاوروبي وبخاصة في البحر المتوسط وشمالي افريقيا والمياة الشرقية . وفي عهده سيطرت البحرية العثمانية على البحر المتوسط برمته وحولته الى بحيرة عثمانية . ففي اثناء انشغال والده سليم الاول بحروبه ضد فارس ومماليك مصر والشام ، نجده يتجنب الزج بنفسه في ميادين اخرى ، ومن ثم كانت التعليمات التي اصدرها الى قباطنته الى بعدم التعرض لسفن الدول المسيحية او مهاجمة سواحلها . ولكنه عمل في

نفس الوقت على تحويل المراكز البحرية الرئيسية من قاعدتها الاصلية (غاليبولي) الى العاصمة حيث انشأ دارا لصناعة السفن سرعان ما اخذت في بناء سفن اكبر من اي سفن جرى استعمالها حتى ذلك الوقت . وقد قيض لخير الدين ان يقود هذه الاساطيل العثمانية الجديدة وان يلقي بها الرعب في قلوب الاوروبيين من اعداء الدولة العثمانية .

هل هو قرصان ؟

ولد خير الدين في جزيرة متلين (ميديللي) ، وهي احدى جزر بحر ايجه التي كان العثمانيون قد احتلوها قبل مولده بوقت قصير . وحوالي عام ١٥١٦ استقر هو واخوته في الجزائر التي اتخذها قاعدة للصراع المستمر مع قوة اسبانيا البحرية . وكان المسلمون الذين ارغموا على الفرار من الاندلس قد جعلوا من الشمال الافريقي قاعدة لتحديهم للسفن والسواحل الاوروبية ، مما جعل الاوروبيين يطلقون على هذه المنطقةاسم ساحل « القرصان » . وقد ظل هذا التحدي قائما الى ان استطاعت اوروبا مهاجمة اوكار هؤلاء البحارة ـ بل ان الحجة التي قدمتها فرنسا لاوربا حين احتلت الجزائر في عام ١٨٣٠ هي انها بعملها هذا انما تنقذ العالم الاوروبي من براثن هؤلاء « القراصنة » المسلمين . وقد يحلو لنا ان نطلق على نشاطات هؤلاء البحارة المسلمين صفة « الجهاد » ، وقد نأخذ بصفة « القرصنة » التي اطلقها عليهم الاوروبيون . ففي العصر الذي ظهر فيه خير الدين لم تكن القرصنة شيئا مشينا ـ اذ ان كثيرا من قراصنة العصر قد اصبحوا ابطالا قوميين بالنسبة الى التاريخ البحري لبلادهم ـ ومن هؤلاء هوكنز ودريك وفروبشر ، الذين يعتبرون المؤسسين الحقيقيين لعظمة بريطانيا البحرية ـ بل ان الملكة اليزابيث قد نصبت دريك ـ بعد ان قام باعمال جسورة ضد الاسبان ـ « اميرا لقراصنة البحار » !

وقد استطاع الاخوان اوروج رئيس (المعروف في المصادر العربية باسم عروج) وخضر رئيس (المعروف في المصادر العربية باسم خير الدين وفي الاوروبية باسم بربأروسا اي ذي اللحية الحمراء) ـ قبل استقرارهما في الجزائر ـ ان يؤسسا في جوليتا (حلق الواد) ميناء تونس دولة قراصنة وان يكسبا ولاء معظم الملاحين المسلمين في المنطقة وذلك على اثر قيامهما بهجمات ناجحة على الملاحة والسواحل المسيحية . الا ان الاسبان قاموا ردا على هذه الاعمال بالاستيلاء على عدد من النقاط الحصينة على طول سواحل مراكش والجزائر وارغام الحفصيين حكام مدينة الجزائر على الخضوع لسلطتهم والسماح لهم بانشاء قاعدة بحرية محصنة في جزيرة بنيون دارجيل المجاورة . وادى ذلك بدوره الى تحويل القراصنة المسلمين في شرقي البحر المتوسط نشاطهم الى غربيه ، واشتراكهم مع اخوتهم بحارة الشمال الافريقي في التصدي للمشروعات الاسبانية .

وفي خلال المعارك البحرية التي نشبت في هذه المناطق برزت زعامة خير الدين وأوروج . وبعد استشهاد هذا الاخير طلب خير الدين مساعدة العثمانيين بعد استيلاء السلطان سليم على مصر . وقد اذن له السلطان بالحصول على البحارة من سواحل الاناضول [1] ، ووعده بتزويده بالمدافع والبارود في مقابل سيطرة الدولة العثمانية على الجزائر على ان يقوم خير الدين بحكمها نيابة عن السلطان . ولم ينفذ هذا الاتفاق في اوائل عهد السلطان سليمان (القانوني) بسبب انشغاله باحتلال جزيرة رودس التي كان قراصنتها يأسرون أعدادا كبيرة من السفن التي كانت تجلب الغلال والذهب من الولايات العربية وتنقل الحجاج الى الاماكن الاسلامية المقدسة ، وبغزو المجر ومواجهة الصفويين حكام فارس وبناء اسطول جديد يمكنه من مواجهة البرتغاليين في المياه الشرقية وسفن اسرة الهابسبورج في مياه البحر المتوسط . لهذا أثر البحارة المسلمون في الشمال الافريقي الاعتماد على انفسهم ريثما تتمكن الدولة العثمانية من مد يد المساعدة لهم .

ولقد قام خير الدين بسلسلة جديدة من الغارات مكنته من استرجاع الجزائر والاستيلاء على جزيرة بنيون

(١) بعد تفكك دولة السلاجقة في الاناضول ، وعلى حين كانت الدولة العثمانية في المهد ، كان البحارة المسلمون من ابناء سواحل الاناضول يقومون بالاغارة على شبه جزيرة البلقان .



السلطان العثماني
سليمان الاول « القانوني »

دارجيل (١٥٢٩) وقيض لخلفائه من بعده ان ينتزعوا من الاسبان كل فتوحاتهم باستثناء وهران التي بقيت بايديهم حتى القرن الثامن عشر) . وفي نفس الوقت قام خير الدين بسبع رحلات من الجزائر الى ساحل الاندلس امكنه خلالها نقل ٧٠٫٠٠٠ مسلم كانوا يتعرضون لاضطهاد محاكم التفتيش وبذلك عزز قوة دولته .

حلف فرنسا وتركيا

وفي تلك الاثناء حصل شارل الخامس على خدمات القبطان الجنوي اندريه دوريا الذي شرع في بناء أسطول ضخم ووطن فرسان القديس يوحنا ـ الذين كانوا يجعلون من جزيرة رودس قاعدة للغارات على الملاحة الاسلامية في شرقي البحر المتوسط ثم رحلوا عنها بعد ان استولى عليها العثمانيون ـ في جزيرة مالطة وطرابلس الغرب [1] بقصد توفير قاعدة للعمل ضد الملاحة الاسلامية في شرقي البحر المتوسط . وحين هاجم دوريا سواحل اليونان استدعى سليمان القانوني خير الدين ونصبه قائدا عاما (قبطان باشا) للبحرية العثمانية وذلك في عام ١٥٣٣ وشرع في بناء اسطول جديد يمكنه من التصدي لقوة اسرة الهابسبورج . وعلى حين الحقت الجزائر رسميا بالدولة العثمانية واصبح القبطان العظيم حاكما عليها ، اخذ خير الدين يجمع قباطنته وبحارته لانشاء نواة الاسطول الجديد الذي خرج به لملاقاة العدو . ولم يلبث ان استرجع كورون وليبانتو (في بلاد اليونان) وتونس واغار على سواحل ايطاليا الجنوبية . ومن قاعدة في تونس اغار على جزيرة صقلية وفرض النفوذ العثماني على غربي البحر المتوسط . وخرب جزيرة مينورقا ، ونهب سواحل ابوليا وكالابريا في اقصى جنوبي ايطاليا .

وردا على نشاط دوريا عمل خير الدين على تسخير نفوذه في دوائر الباب العالي لعقد حلف مع فرنسا التي كان ملكها فرنسوا الاول في حرب مع الامبراطور شارل الخامس . وحينئذ تم التوصل الى المعاهدة المعروفة باسم الامتيازات الاجنبية (Les Capitulations) وذلك في عام ١٥٣٦ التي اعفت رعايا فرنسا في املاك السلطان من تطبيق احكام القانون العثماني عليهم ، وجعلهم بدلا من ذلك خاضعين لاحكام ممثلي فرنسا المستقاة من القانون الفرنسي . كما تمتع التجار الفرنسيون ـ طبقا للمعاهدة ـ برسوم على الصادر والوارد اقل مما كان يدفعه رعايا الدول الاخرى ، على ان يتمتع التجار العثمانيون بالمثل في فرنسا . ومنحوا كل الحرية التجارية وحرية الملاحة في كل الموانى العثمانية . وتقرر فوق كل ذلك الا تبحر اي سفينة اجنبية في المياه العثمانية الا وهي تحمل العلم الفرنسي . كما تمتع الفرنسيون ليس فقط بالحرية الدينية داخل املاك السلطان بل سمح لهم كذلك بحراسة الاماكن المقدسة في فلسطين .

الامتيازات الاجنبية

ولما كان هذا الحلف العثماني ـ الفرنسي هو الذي ادى الى ارساء قواعد الامتيازات الاجنبية ، فيمكن القول بان خير الدين مسئول بطريقة ما عن ظهور هذه الامتيازات الشهيرة التي حصلت عليها فرنسا ثم بعد ذلك سائر الدول الاوربية الاخرى . وقيض لها ان تنظم العلاقات بين الدولة العثمانية ودول اوروبا تلك العصور الطويلة . على ان امر هذا الحلف بقي سرا مكنونا حتى لا يتعرض كل من سليمان وفرنسوا (الذي

(١) ظل الاسبان والعثمانيون يتبادلون طرابلس الغرب الى ان اصبحت نهائيا تابعة للدولة العثمانية في عام ١٥٨٧

كان يلقب بلقب الملك المسيحي جدا (tres chretien Leroi) لسخط شعبه.

وسرعان ما اخذ الطرفان يستعرضان حلفهما بهجومهما المشترك على ايطاليا ، التي تقرر ان يغزوها الفرنسيون برا من جهة الشمال على ان يهاجمها العثمانيون بحرا من جهة الجنوب . وعلى حين زحفت القوات الفرنسية على شمالي ايطاليا للاستيلاء على ميلانو وجنوه ، قام خير الدين بسلسلة من الغارات على املاك آل هابسبورج في غربي واواسط البحر المتوسط . واعد سليمان جيشا قوامه ٣٠٠,٠٠٠ جندي حركه صوب البانيا تمهيدا لقيام خير الدين بنقله الى السواحل الايطالية . الا ان البابا توسط للتوصل الى مصالحة بين فرنسا وشارل تمهيدا لاتحاد اوروبا ضد المسلمين ـ فما لبث الفرنسيون ان اجلوا عن شمالي ايطاليا ، واشتد غضب خير الدين لنكوص فرنسا ، فاستولى على معظم جزر بحر ايجه التي انتزعها من البندقية . وردا على ذلك تشكل حلف بحري صليبي يقوده دوريا الذي قام بقصف بريفيزا القاعدة العثمانية البحرية الرئيسية في البانيا ، الا ان خير الدين هزم الحلفاء بالقرب من هذا الميناء . وفي عام ١٥٤٠ عقدت الدولة العثمانية صلحا مع البندقية التي تخلت عما تبقى لها من املاك في شبه جزيرة المورة ، واعترفت بكل فتوحات خير الدين في بحر ايجه ووافقت على دفع غرامة ضخمة في مقابل موافقة العثمانيين على استمرار حكمها في جزيرتي كريت وقبرص . وبذلك توقف رخاء البندقية على قيامها بالاتجار مع الاملاك العثمانية .

وفي عام ١٥٤٣ عادت فرنسا فطلبت مساعدة السلطان العثماني من جديد ضد اسرة الهابسبورج . وبعد ان اغار خير الدين على سواحل ايطاليا ابحر الى جنوبي فرنسا حيث استقبل هو ورجاله استقبالا حماسيا . الا ان استياء اوروبا المسيحية لتعاون فرنسوا مع العثمانيين جعله يتخلى من جديد عن الوعود التي بذلها فيما يتعلق بالاشتراك في محاربة قوات اسرة الهابسبورج المتمركزة في ايطاليا . وانفجر خير الدين غضبا فاحتل ميناء طولون دون اخطار السلطات الفرنسية التي ارغمها على تزويده ببعض المساعدة اللازمة لجهده الخاص بالاستيلاء على نيس قبل ان يعود الى شرقي البحر المتوسط . وعلى انه بالرغم من فشله في احتلال نيس فقد قام بتخريب سواحل اسبانيا وفرنسا وايطاليا خلال عودته . وقد ادى تقاعس فرنسوا الاول الى توقيع هدنة بين سليمان وشارل (١٥٤٥) نصت على اعتراف الامبراطور بالفتوح العثمانية في البلقان . وبعد ان توفي خير الدين (١٥٤٦) تحولت الهدنة الى صلح دائم .

●

مما سبق تتضح لنا اهمية الدور الذي قام به خير الدين في ابان صراعات القرن السادس عشر ، التي شكلت التاريخ العالمي بوجه عام وتاريخ البحر المتوسط بوجه خاص . فبفضله امكن انقاذ الجزائر وتونس من الاستعمار الاسباني .. وبفضله ايضا اصبحت البحرية العثمانية مرهوبة الجانب في البحر المتوسط الذي تحول الى بحيرة عثمانية ، في الوقت الذي رفع فيه راية الاسلام والقى الرعب في قلوب الاسبان وغيرهم من الصليبيين الاوروبيين . على أن سيطرة البحرية الاسلامية على الملاحة في البحر المتوسط لم تستمر طويلا ـ ففي معركة ليبانتو (١٥٧١) استطاع حلف بحري صليبي ان يدمر ما يقرب من نصف الاسطول العثماني . ورغم تعويض هذه الخسارة في مدة وجيزة فلم يعد الاسطول العثماني خطرا يتهدد اوروبا بالصورة التي كان عليها تحت قيادة خير الدين . حقيقة ا الدول الاوروبية اخذت تسيطر بالتدريج على الملاحة في البحر المتوسط بفضل ما تأتي لها من تطوير لاسلحتها ، الا ان الملاحين المسلمين ـ من قواعدهم في مراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب ـ ظلوا محافظين على التقاليد التي ارساها خير الدين : فكانوا يعترضون الملاحة ويرغمون مختلف الدول الاوروبية على ان تدفع لهم اتاوات في مقابل عدم اعتراض سفنها . ويعتبرون السفن التي تقع في ايديهم غنائم حرب يحق لهم التصرف فيها وفيما عليها كما يشاءون . وكان البابا يتزعم عملية جمع الاموال لافتداء الاسرى ... الى ان كان التوسع الاستعماري الاوروبي الذي قضى على هذه الممارسات التي تخلفت عن صراعات العصور الوسطى بين الشرق والغرب بين الاسلام والمسيحية . ■■

د . احمد عبد الرحيم مصطفى

من كتاب الكون المفتوح

مطابع الحياة

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

ما أكثر ما يخفي على السمع والبصر والحس والفؤاد ، اذ لو اطلعنا على ما يجري في داخل أية خلية من خلايا الكائنات الحية ، لعبدنا الله عبادة خاشعة ، لا سجود فيها ولا ركوع ، ولأسعدتنا فيها قراءة كتاب دقيق مخطوط ، كما يسعد المسلم الورع بقراءة القرآن الكريم .. ذلك أن اروع تجليات الله وآياته ، تكمن في خلقه ، فلقد جاءت كل صور الحياة المنظورة وغير المنظورة ، على اساس فكرة ضخمة موحدة ، ولقد بدأنا نقرأ سطورها المرقومة من خلال نظم متقنة ، تتمخض عن قدرة فذة ، وحكمة بالغة ، وكأنما نرى فيها وحي الله يتجلى بأعظم صوره ومعانيه .. ولهذا ، فعلينا الآن أن نتعرض لفقرات جديدة من كتاب الكون المفتوح على العقول المتعطشة الى معرفة تقربها اكثر من خالق هذه الأكوان التي تنطوي فينا ، او تمتد حولنا بغير حدود !

بادىء ذي بدء نقول : ان جسم كل انسان أو حيوان أو نبات بمثابة « امبراطورية » بروتينية قائمة بذاتها .. فبروتينات جسمي غير بروتينات جسمك ، غير بروتينات أي مخلوق آخر ظهر أو يظهر او سيظهر على هذا الكوكب ، الى ان يرث الله الأرض بمن عليها .. أضف الى ذلك أن لجسم كل مخلوق « ذاكرة » بروتينية مثيرة ، وبها تتعرف على كل بروتيناتها التي تحتويها ، فجسم الانسان مثلا يحتوي على اكثر من مائة الف نوع من البروتين ، وهو يحفظ مواصفات بروتيناته عن « ظهر قلب » ، فاذا دخل الى ملكوته اي بروتين غريب فانه يرصده على انه ليس من « ملته » ، ولا بد ان يعلن عليه الحرب ، حتى يبيده من ساحته !

يكفي أن نذكر هنا على سبيل المثال أن هناك آلاف الأنواع من الميكروبات التي تحوم حولنا ليل نهار ، ولو نجح واحد منها في غزو أجسامنا ، فان الجسم يعرف ان هذه الخلايا الميكروبية الدقيقة غريبة عليه .. يعرفها عن طريق هوية بروتيناتها ، او جزيئاتها المعقدة ، ولا بد من استخدام « تاكتيك » مضاد ، والا كانت الكارثة ..

اذن .. كيف يعرف الجسم الغرباء من الأصدقاء ؟

لذلك قصة طويلة تتناول المناعة والخطوط الدفاعية التي امتلكها ، وبها يحافظ على امبراطوريته من أي « دس » قد يندس فيها ، لكننا نرانا الآن في حل من التعرض لهذا الموضوع المثير والطويل ، والا لخرجنا من موضوع الى موضوع .

ان اختلاف صورنا وتقاطيعنا وأصواتنا وبصماتنا وألواننا .. الخ ، لا يوضح الا جزءا صغيرا من الظاهر ، لكن الاختلاف الاعظم يكمن في الباطن .. في اختلاف بروتيناتنا ، ونعود لنذكر ان هناك مائة الف نوع منها ، وكل نوع مكتوب او مسطر بطريقة تختلف عن النوع الآخر في عدد مفرداته ، وطريقة تنظيمها ، ثم التصميم النهائي الذي يأتي به شكل البروتين ، حتى يتناسب مع رسالته التي نشأ من اجلها .

البروتين لغة مكتوبة !

نعود مرة اخرى لنقول اننا نستخدم في كتابة لغتنا ٢٨ حرفا ، نجمعها في كلمات .. في جمل .. في فقرات .. في صفحات .. في مجلدات ، ومن تبادل حروف اللغة ، نستطيع ان نخط بها بلايين الكلمات التي قد يكون لها معنى ، او قد لا يكون .. بداية من كلمة ذات حرفين أو ثلاثة .. او حتى عشرة !

والخلايا الحية في جميع المخلوقات ، وبدون استثناء ، تستخدم في « لغتها » البروتينية ٢٠ حرفا أو حامضا أمينيا ، ومن التباديل والتوافيق بين هذه الاحماض يمكن للحياة ان تخط بلايين فوق بلايين من أنواع البروتينات .. منها الصغير والمتوسط والعملاق .

ولنأخذ الانسولين هنا كمثال ، فهو جزيء بروتيني متوسط الحجم أو الطول ، وله في الجسم رسالة هامة ، ولقد جاء من ٥١ حرفا أو حامضا امينيا من فقرتين : احداهما تتكون من ٢١ حامضا ، والثانية من ٣٠ حامضا ، ويرتبط كل حامض منها بصاحبه بواسطة روابط اليكترونية لها مغزاها ، ولكي نوضح أكثر ، دعنا نأخذ جزءا من احدى الفقرتين ، ليتبين لنا روعة الفكرة التي قامت عليها الحياة ، ثم سجلتها في جزيئات نقرؤها هكذا : فين . فال . أسب . جلو . هست . ليو . سيس . جلا . سير . هست . ليو . فال ... الخ ... الخ (انظر الشكل الدال على ذلك ، ففيه الكفاية) .

وقد يبدو أننا نكتب هنا ألغازا كالتي يخطها السحرة والمشعوذون ، لكنها ليست كذلك فما خططناه ليس الا اختصارا لنظام الاحماض الأمينية في جزيئها .. واذا اردنا قراءتها ، كانت هكذا : فينيل الانين . فالين . اسباراجين . جلوتاميك . هستيدين . ليوسين . سيستاين . جلايسين . سيرين ... الخ ... الخ .

او خذ جزيئا عملاقا مثل الهيموجلوبين الموجود في الدم ، عندئذ قد تشغل صفحة او اكثر فيما لو أردنا أن نكتب أحماضه الامينية بالكامل ، ذلك ان جزيء الهيموجلوبين يتكون من حوالي ٦٠٠ حامض أميني متشابك ومتراص بهندسة جزيئية نعجز الآن عن تقليدها .

من كتبها ونظمها ؟ !

قد يقفز فصيح هنا ويقول : الله كتبها ونظمها ! .. وهذا صحيح ، لكن كيف ؟

من خلال فكرة ونظام في المقام الأول .. فكأنما هو أوحى في الخلية أمرها من خلال سنن وشرائع متقنة ، أي أنه لا يمسك « بيديه » الحامض الأميني ليشبكه بالحامض الذي يليه ، ليخرج البروتين المعقد جزيئا سويا صالحا لاداء رسالته ، وحاشا لله « عما يصفون » ، بل انه يسر لكل ذرة وجزيء وخلية ومخلوق الوسائل الكفيلة والمناسبة ليتعامل مع مجتمعه الذي يعيش فيه ، ايضا من خلال قوانين يدرسها العلماء في معاملهم ، فيكتشفون ما ينطوي عليه الخلق من ابداع .

اذن .. فانتظام الأحماض الأمينية في جزيئاتها البروتينية المعقدة لا يتم هكذا جزافا .. بل من ورائه سلسلة من الاحداث والنظم تتوه فيها العقول .. فهناك شفرات وشفرات مضادة ، وشفرات مضادة للمضادة .. وهذه حقا هي لغة الخلية المكتوبة بجزيئات كيميائية .

وفكرة تنظيم الأحماض الأمينية في كل جزيء بروتيني ـ صغر شأنه أو كبر ـ موجودة في نواة الخلية .. إذ هي المرجع الحقيقي لكل جزيء يتكون .. لك مثلا في جسك مائة الف نوع من البروتين ، لهذا كان من المحتم أن تكون هناك مائة الف خطة مسجلة .. ولكل بروتين خطته الخاصة به ، او سجله المسجل في النواة ، فاذا اريد انتاج نوع خاص من البروتين ، كان لابد من فتح « الملف » المخصص له ، ثم « ترجمة » هذه الخطة ، ليحملها رسول ، وبها يخرج من النواة الى ساحة الخلية ، لينفذ العملية بحذافيرها على مطابع خاصة نعرفها باسم الريبوسومات Ribosomes . لكن دعنا من هذه الآن ، لنعرف كيف يخرج الرسول برسالته ، كيف يستوحي نظامها .

إن رسولنا الكيميائي ليس ـ في الحقيقة ـ إلاشريطا وراثيا دقيقا غاية الدقة ، وقد لا يتجاوز طوله ـ في أحسن الحالات ـ جزءا من عشرة آلاف جزء من المليمتر ، أو ربما جزء من مائة الف جزء من المليمتر ، ومع ذلك فمسجل عليه مئات أو آلاف الشفرات الخاصة بجمع احماض هذا البروتين أو ذاك .

ومن أين حصل على شفراته ؟

من « طبعة » حدثت على الشريط الوراثي الباعث والكامن دائما في نواة الخلية ، فعندما يأتيه الأمر بتصنيع احد البروتينات (وهو يعرف هذا الامر عن طريق احداث كيميائية موزونة بدقة متناهية ، وقد نتعرض لها فيا بعد) ، فانه ينشق طوليا الى نصفين ، هذا وقد سبق أن ذكرنا في المقالة السابقة ان هذا الشريط الوراثي الكيميائي يشبه سلما حلزونيا ، وان درجاته الكثيرة جدا تتكون من أربع مركبات كيميائية أساسية هي : ا ، ث ، ج ، س .. الاولى دائما مرتبطة بالثانية ، والثالثة دائما مرتبطة بالرابعة ، ولهذا فعندما ينشق سلمنا طوليا ، فان هذه الشفرات تظهر معلقة ومكشوفة على هيئة انصاف الدرجات ، وعلى كل رمز أو شفرة يتم طبع الجزيء الوراثي الرسول بما يقابله من الشفرات في الجزيء الباعث ، أي أن ث في الباعث يقابلها أ في المبعوث ، وج في الباعث يقابلها س في المبعوث أو العكس ، مع استثناء واحد هي الشفرة أ ، اذ يحل محلها في الجزيء المبعوث الشفرة « ي » (مركب اسمه يوراسيل) .. ومن هذه « السياسة » الكيميائية يصبح المبعوث أقل درجة من باعثه ، فلا يحق له ان يرقى الى اختصاصاته !

وبعد الطبع ، وتكوين آلاف النسخ من الجزيء أو الشريط المبعوث (يتوقف العدد على حسب حجم العملية او احتياجاتها الخلية من البروتين المطلوب) ، فان الجزيئات المبعوثة تترك النواة الى ساحة الخلية ، في حين تلتحم أنصاف الدرجات وتعود الى سياق وضعها ، في انتظار اشارة جديدة لبدء طبع مزيد من الجزيئات المبعوثة .. وهكذا تسري الامور مع أية عملية اخرى من آلاف العمليات التي تدير بها النواة شئون خليتها !

فرقة من المرشدين أو المترجمين !

الجزيئات الوراثية المبعوثة تعرف الآن طريقها الى مطابع الخلية ، وترتبط بها عن طريق شفرة محددة .. ذلك أن لكل مطبعة شفراتها ، كما ان لكل مبعوث شفراته .. ولكل شفرة على المبعوث ما يقابلها على المطبعة .. أي أن هناك شفرة وشفرة مضادة .. ايضا عن طريق انتظام الرموز الاربعة التي سبق أن ذكرناها .

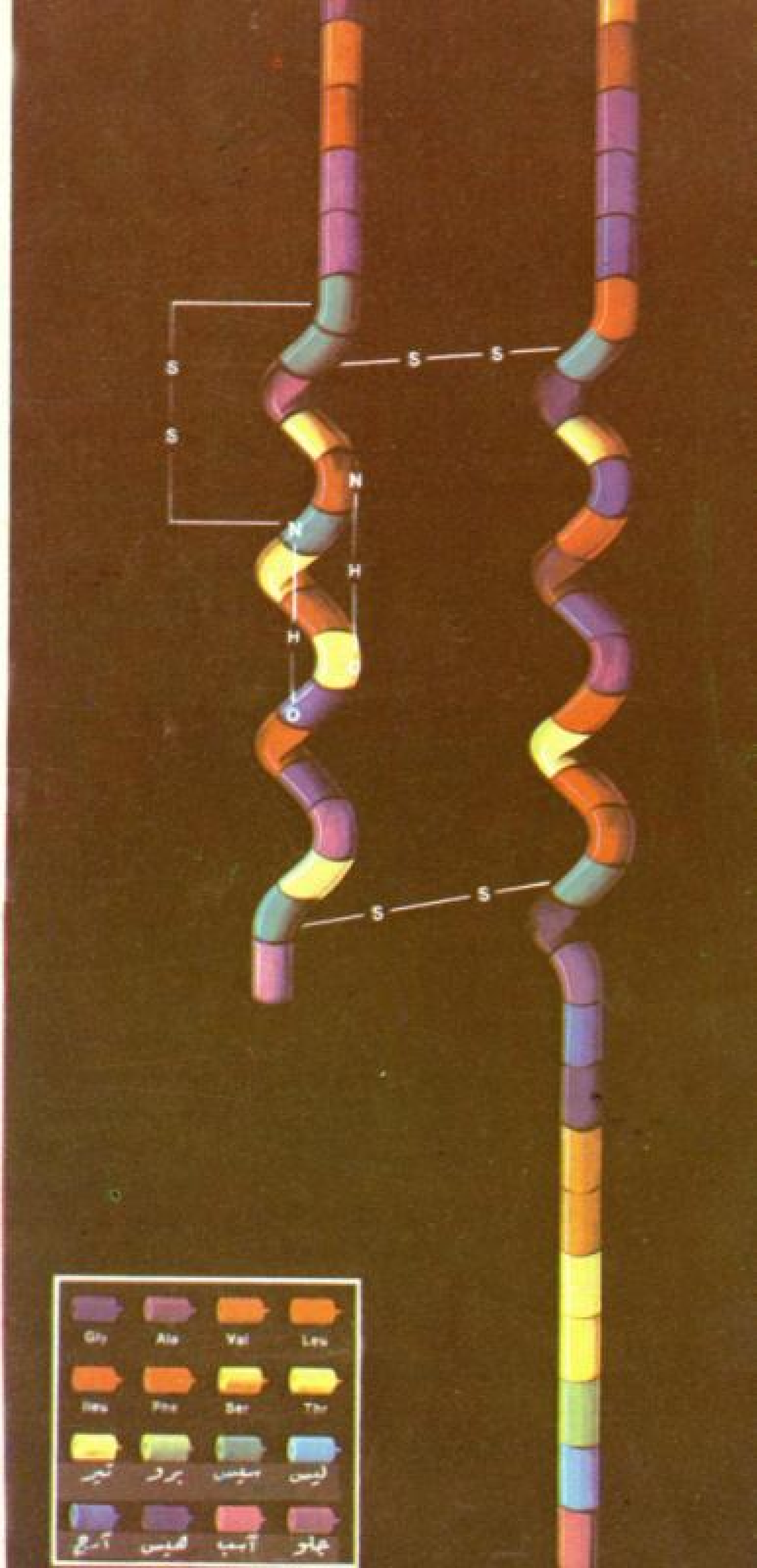
لكن عملية طبع أو تجميع البروتين المطلوب لا يمكن ان تتم ، رغم أن « حروف » الطبع (أي الاحماض الامينية) منتشرة حول المطابع بالملايين ، ورغم ان الشريط المبعوث جاهز أيضا على مطابعه ، ومع ذلك فلا يستطيع أي حامض أميني ان يتعرف على موقعه المناسب اثناء تجميع البروتين ، ولا بد من نظام آخر يهيىء لأنواع الاحماض الأمينية العشرين من أمرها رشدا .

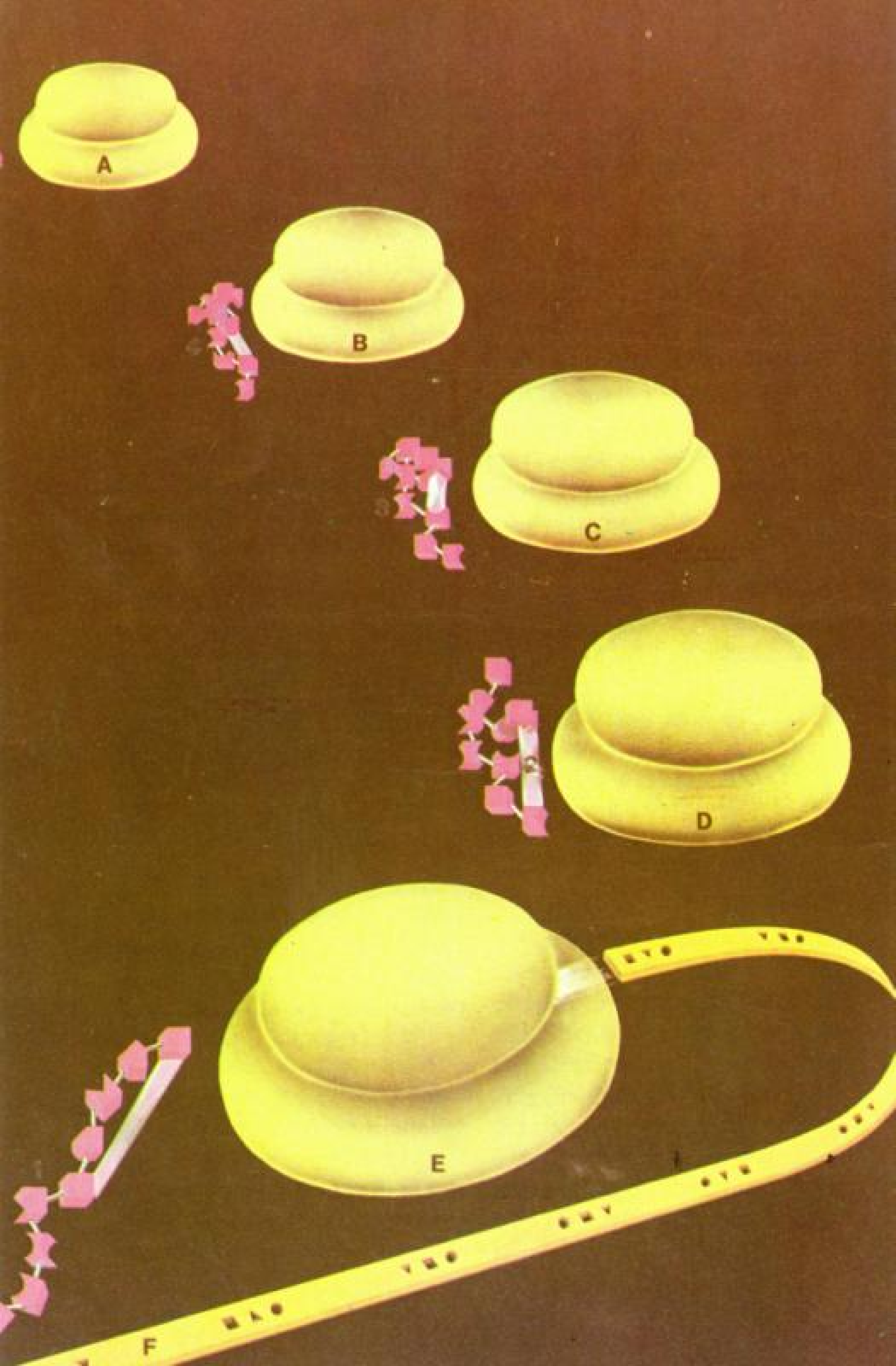
وقد كان ـ فهناك عشرون نوعا من الأحماض ، ولا بد ان يكون لكل نوع مرشده الذي « يترجم » له اللغة الكامنة على المبعوث في المطبعة .. وبدون هذه الترجمة ، لا يحدث التفاهم !

ومن نواة الخلية أو إدارتها الحاكمة تخرج مرة اخرى شفرة جديدة ، ولكل حامض شفرة او اكثر .. صحيح ان لغة الادارة تتكون من اربعة حروف لاغير .. اي ا ،

الصورة توضح فكرة مبسطة لجزيء الانسولين .. فهذا البروتين يتكون من تباديل بين ١٦ حامضا امينيا مختلفا (الموجودة على هيئة مفككة في المربع الى اليسار) .. ويخرج الجزيء المجمع من حروفه او احماضه وكأنما هو معلومة محددة ومكونة من فقرتين ، صغراهما من ٢١ حامضا وكبراهما من ٣٠ حامضا ، وترتبط هذه بتلك بذرات كبريت (S) .. كيف اذن تجمعت الاحماض بهذا النظام الذي لا يتغير ؟.. راجع المقال . (الى اليمين)

- خطوات توضيحية لخمسة ريبوسومات (مطابع بروتينية) وقد مر عليها الشريط المبعوث ، ليجمع الاحماض الامينية في جزيء بروتيني تراه يكبر ويتعقد كلما مر في ريبوسومة ، واخيرا يخرج المبعوث (الى اسفل) من آخر مطبعة بعد ان يكون قد ادى رسالته ، وقد يعاود الكرة ليطبع آلاف « النسخ » من البروتين (الى اليسار)




A
B
C
D
E
F

ث ، ج ، س .. فكيف اذن تتوزع هذه الأربعة على الانواع العشرين ، ليكون لكل منها شفرته التي لا يشاركه فيها سواه ؟

لا تحمل لذلك هما فلقد تغلبت الادارة في النواة على هذه المشكلة باستخدام شفرة ثلاثية الرموز أو المركبات .. ومن التباديل بين أ ، ث ، ج ، س يمكن انتاج ٦٤ شفرة كاملة .. قد تكون « أ أ أ » على الشريط الباعث ، فتتحول على الجزيء المترجم الى « ي ي ي » .. وعندما يخرج المترجم بهذه الشفرة الثلاثية ، وينتشر بين الاحماض الأمينية العشرين ، فلن يتعرف بها الا على حامض اميني اسمه فينايل آلانين ، فيلتقطه من الطوفان الجزئي ، وينقله الى المطبعة (لهذا يسمى العلماء هذا الجزيء أيضا باسم الجزيء الناقل ، والبعض يفضلها المترجم) .

وقد تكون الشفرة الثلاثية على الشريط الباعث ا ا ث ، فتطبعها على المترجم الى ي ي أ ، ويخرج هذا بدوره ليتعرف على حامض آخر اسمه ليوسين ، فينقله الى المطبعة .. او قد تكون ي أ أ ، فتتحول الى ج ي ي ، وتتعرف على ثالث اسمه فالين .. وهكذا الحال مع باقي الأحماض الامينية .. أي ان لكل منها « سيارتها » التي تستقلها الى المطابع ، ولكل سيارة او ناقلة « النمرة » الخاصة بها ، ليكون لديها أسطول من الناقلات قوامه ٦٤ « موديلا » مختلفا ، وكل « موديل » يخرج من النواة بالآلاف .

لكن عفوا .. فلقد ذكرنا ان عدد انواع الأحماض الامينية عشرون نوعا ، وان عدد الطرز الناقلة او المترجمة يمكن ان تصل الى ٠٠٦٤ فهل تبعث السجلات النووية او القيادة الخلوية بطرازات زائدة عن الحاجة ، لتكون هناك رفاهية في وسائل النقل ؟

نعم .. فللأحماض الامينية اكثر من ناقل او مترجم .. الحامض الاميني ليوسين مثلا له نصيب الأسد في عدد الناقلات .. اذ يمتلك ستة طرازات لها نمر مختلفة : ي ي أ ، ي ي ج ، س ي ي ، س ي أ ، س ي ج ، وللحامض الاميني « فالين » اربعة ، وآلانين اربعة ، وسيرين اثنان ... الخ ، وسبحان مقسم الأرزاق ، حتى ولو كان ذلك على مستوى أحماض أمينية !

لكن الغريب أن العلماء قد اكتشفوا طرازين آخرين من هذه الشفرة الثلاثية هما « ي أ أ » ، « ي ج أ » .. وهذان الطرازان لا يعرفان شيئا عن أي حمض من الأحماض العشرين ، ولا يتم بهما ترجمة ولا نقل ، فلم جاءا اذن ؟

الواقع أن اي شيء لم يخلق عبثا ، فهذان الطرازان قد جاءا ليكونا علامة « قف » كالتي تستخدمها في حركة المرور ، لكن « قف » هذه لا تنظم حركة الناقلات في ساحة الخلية ، بل مكانها في المطبعة ، لأنها هي التي تعطي إشارة الايقاف عند الانتهاء من كتابة البروتين أو طبعه .. أو كأنما هي بمثابة النقطة التي نضعها في نهاية الفقرة ، لنبدأ فقرة جديدة !

وما يدرينا أن كل ذلك صحيح ؟

عن طريق التجارب العلمية العميقة والدقيقة ، والتي منحت اصحابها جوائز نوبل ، فلقد عزلت هذه الناقلات ـ كل على حدة ، أو قام العلماء بتخليقها في معاملهم ، وعند وضع الناقلة ي ي ي ، فانها لا تجمع إلا حامض فينايل آلانين في سلاسل طويلة ، ولا شيء غيره .. لكن تفاصيل هذه التجارب كثيرة ومثيرة ، ولا نستطيع ان نتعرض لها هنا ، وفيما قدمنا الكفاية .

الى مطابع الحياة .. اذن !

كل شيء الآن جاهز ـ الأشرطة المرسلة بتعليماتها أو شفراتها تدخل المطابع ، والناقلات أو المترجمات جاهزة بأحماضها الأمينية المختلفة ، وهي منتشرة حول المطابع بالملايين ، وتبدأ الطباعة ، وتدور الشرائط في مطابعها ، وتندفع الناقلات الى المطابع لتضع احمالها ، ثم تعود فارغة ، لتلتقط مزيدا من الأحماض حسب الشفرة الثلاثية المتفق عليها ، وتعود لتفرغ ، وبعد ثوان قليلة يخرج « المكتوب » على هيئة سلسلة من الاحماض الامينية المتشابكة هي البروتين ، مع ملاحظة ان كل حامض يعرف موقعه من السلسلة .. فأي تغيير في وضع حامض مكان آخر قد يؤدي الى كارثة .. الى مرض وراثي !

ولكي نوضح كيف تطبع الخلية هذه المعلومات أو الحروف على مطابعها التي تنتشر فيها بالملايين ، وترتكز على أغشية رقيقة غاية الرقة (سمك الغشاء لا يتجاوز ثمانية اجزاء من مائة الف جزء من المليمتر - انظر الصورة الدالة على ذلك شكل ٦) .. لكي نوضح اصول هذه الطباعة البروتينية ، فان ذلك يحتاج الى صفحات ، لكن دعنا نختصر الأمر ونبسطه ، ولنأخذ مثالا واحدا ، وليكن المطبوع هو جزيء الانسولين الذي يتكون من ٥١ حامضا أمينيا مرتبطة بروابط اليكترونية في سطرين - كما سبق ان ذكرنا .

إن أمر الطبع أو التوضيب » يخرج من النواة على هيئة شريط مبعوث - والشريط لا يزيد طوله عن ستة اجزاء من مائة الف جزء من المليمتر ، ومع ذلك فعليه ١٥٣ رمزا او شفرة متراصة واحدة بجوار الاخرى .. ولو قرأنا جزءا منها لكانت هكذا : ي ي ي . ج ي س ١١ ي . ج ١١ . س ا ي ... الى آخره ، أي أن الشفرة هنا أيضا ثلاثية ، وهي تعني بلغتنا : اجمع فينايل ألانين ، بجوار فالين ، بجوار اسباراجين ، بجوار جلوتاميك ، بجوار هستيدين ... الخ .. والى المطابع يتوجه هذا الشريط أو آلاف النسخ منه ، ليتآلف معها عن طريق شفرة ثلاثية مضادة .. فللشفرة « ي ي ي » .. شفرة مقابلة هي « ١١١ » ، وللشفرة « ج ي س » على الشريط المبعوث ما يقابلها ايضا على المطابع ، أي : « س ا ج » (لاحظ ان لكل رمز ما يقابله ، وكأنما نحن نحيل الصورة النيجاتيف الى صورة بوزيتيف !)

الشريط المبعوث الآن يتآلف مع المطبعة حسب نظام كودي مضبوط ، وتأتي الناقلات بما حملت ، ولكل حاملة مقدمة ومؤخرة .. على المقدمة شفرة ثلاثية تتعرف بها على الحامض الاميني - كما اسلفنا ، وعلى المؤخرة شفرة ثلاثية اخرى لتتعرف بها على مكانها في الشريط المبعوث الكامن على مطابعه .. فعليه معلومات لتجميع ٥١ حامضا بترتيب خاص ، ولكل حامض شفرة ثلاثية (أي حصيلتها ١٥٣ شفرة) .. ويأتي كل مترجم أو ناقل بما حمل ، وبشفرته الكامنة في مؤخرته يعرف شفرته المضادة على الشريط المبعوث ، وكأنما نحن امام ترجمة فورية ..

المهم ان الشفرة الثلاثية لهذا تتوافق مع ذاك .

وآلة الطباعة الحية هنا تتآلف من جزئين بينهما أخدود ضئيل للغاية ، وكأنما هما صدفتا محارة ، ويعتقد بعض العلماء ان الشريط الوراثي المبعوث يمر في هذا الاخدود ، فتفتح عليه المطبعة وتغلق .. كلما فتحت ، كان ذلك ايذانا بدخول ناقلة لتضع ما حملت .. ايضا على حسب ترجمة بين شفرتها ، وشفرة الشريط المضادة ، وعندما تغلق المطبعة شقيها ، يكون ذلك ايذانا بتفريغ الحامض الاميني من ناقلة ، فينطلق الجزيء الناقل الى الساحة ليشحن نفسه بحامض آخر .. ايضا على حسب الشفرة المتفق عليها !

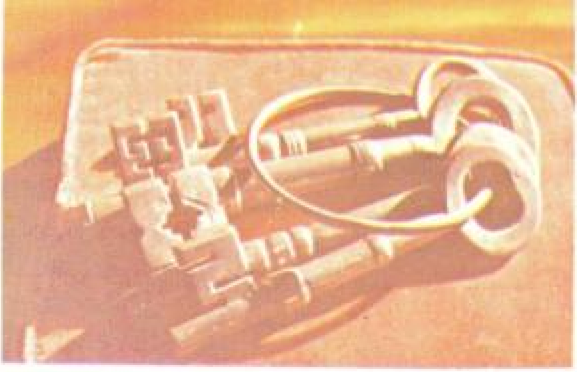
وتفتح المطبعة من جديد شقيها ، فيتحرك الشريط المبعوث حركة لا تزيد عن جزء من مليون جزء من المليمتر ، ليضع الشفرة التالية موضع التنفيذ ، وتصبح جاهزة للناقلة التي تليها فتفرغ وتنطلق ، وتغلق المطبعة شقيها ، لتصل هذا الحامض بذاك .. وفتح وقراءة وتفريغ وضغط ووصل .. الخ ، وبعدها ينتهي الشريط من طباعة الرسالة التي حملها من القيادة ، وينتج من ذلك جزيء البروتين .. أي الانسولين ، ثم يعود الشريط ذاته من البداية ليطبع مئات او ربما آلاف النسخ من ذات الانسولين (تتم هذه الطابعة في خلايا البنكرياس) .

الطباعة - لاشك - دقيقة ومنظمة ومتقنة وسريعة ، وتنتج في الثانية الواحدة آلاف النسخ من هذا البروتين او ذاك .. كل ذلك يتوقف على « النسخة » او الشريط المسجل عليه صفات البروتين الذي تحتاجه الخلية .. وهي كثيرة .. كثيرة جدا .. مائة الف نوع من البروتين ، تحتاج لمائة ألف نوع من الاشرطة التي تتم ترجمتها وطبعها في جميع خلايا الجسم ليل نهار !

أليس هذا بكون ساحر تتوه فيه العقول ، وتجعلنا نقدر الله حق قدره ، ونعرف من خلال هذه الآيات التي كشف العلماء عنها الحجاب انه « صنع الله الذي اتقن كل شيء » . ■■

الاسكندرية - دكتور عبد المحسن صالح





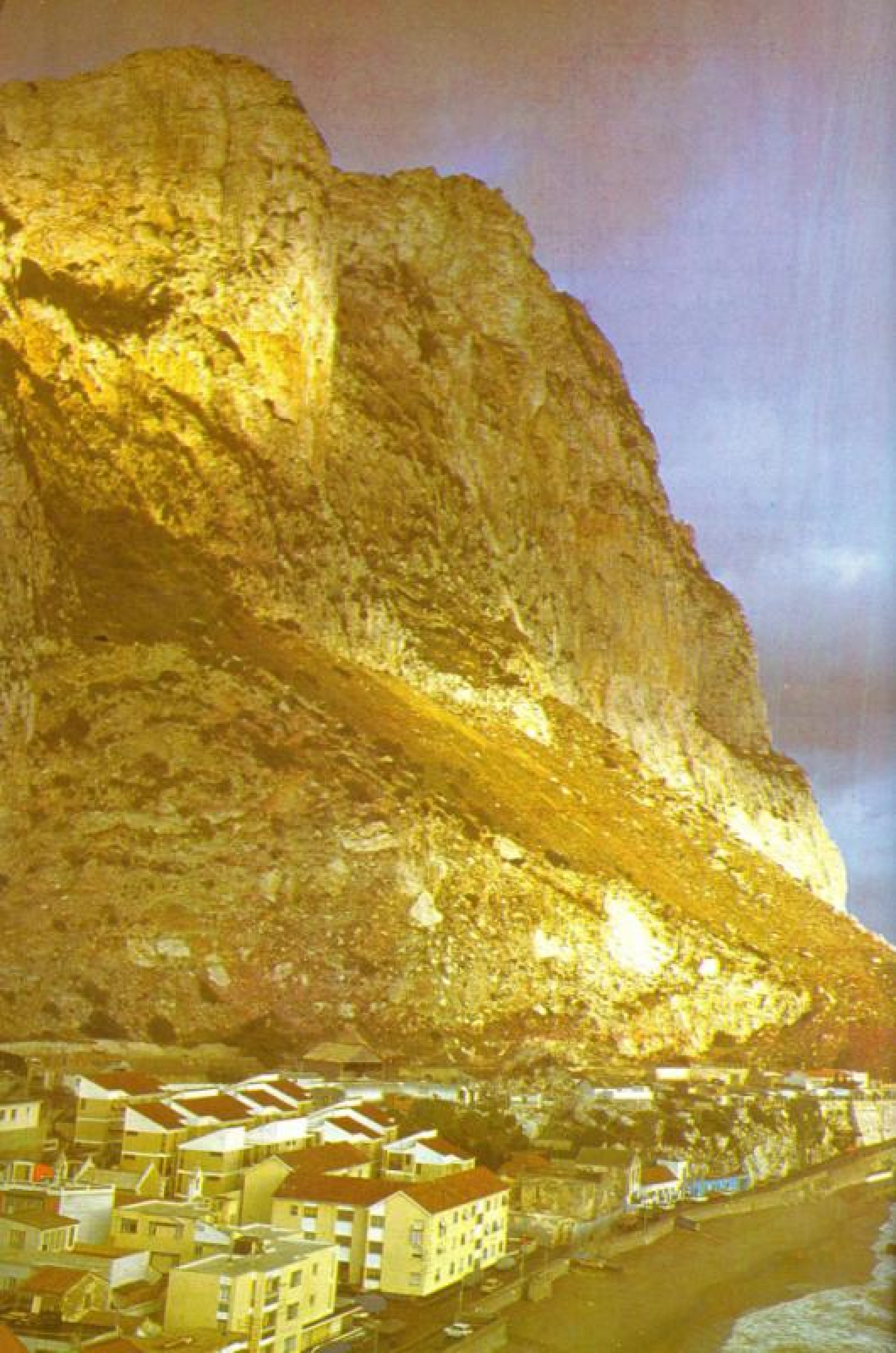
مفاتيح القلعة .. يضعها الحاكم الانجليزي في خزانته !

"مفاتيح" جبل طارق

استطلاع : منير نصيف تصوير : صلاح آدم

من هنا على الشاطىء الما ي عند مدينة طنجه عبر طارق بن زياد ، بحر الزقاق حتى بلغ الجبل .. انه يقف شامخا شاهدا على صفحة رائعة من تاريخ العرب .





..وطرنا نكمل الرحلة التي بدأت شرقا الى مضيق هرمز في الشهر الماضي .. وكانت وجهتنا الطرف الغربي من القارة الافريقية عند البوابة التي تتحكم في الطريق البحري بين المحيط الاطلسي ، والبحر المتوسط ، وتطل على بحر الزقاق او مضيق جبل طارق .

نتوء صخري هائل في شبه جزيرة ايبريا .. او كما سميت في الازمنة القديمة احد اعمدة هرقل .. وهي « البوابة » التي يضع الانجليز امامها مدافعهم ، ويحملون « مفاتيحها » في خزائنهم ! فهي المنفذ الوحيد من البحر المتوسط الى المحيط الاطلسي وبالعكس او هكذا كانت قبل قناة السويس .. فكانت السفن تدخل البحر وتدور حول نفسها ثم تعود من حيث اتت ! فقد كان البحر المتوسط ، أشبه ما يكون ببحيرة كبيرة ذات منفذ واحد يطل عليه الجبل من جانب .. ومدينة طنجة المغربية من الجانب الاخر ..

بالامس كانت الصخرة ، وكان المضيق جزءا من التاريخ الذي امتلأ بالبطولات والامجاد التي حققها اجدادنا العرب بعد الاسلام .. واليوم اصبحت مجرد ذكريات نعود الى صفحاتها ونتوقف عندها لنتذكر ونعيش احداثها الرائعة ، كلما نظرنا الى واقعنا الممزق .. كل قطعة حجر من هذه الصخرة العاتية .. كل شيء من فوقها وحولها وعند سفحها يحكي لنا صفحة من هذا السجل الرائع الذي دخل التاريخ ودخلنا معه من اوسع ابوابه ، منذ قرون بعيدة مضت ، قبل ان يصيبنا ما اصابنا !

حضارة عظيمة

لقد عبر القائد العربي المسلم البطل ، طارق بن زياد بحر الزقاق عام ٩٢ هـ ، ٧١١ م واحتل الصخرة التي ما زالت تحمل اسمه حتى اليوم ، ثم مضى المسلمون بعد ذلك في طريقهم الى الاندلس ناشرين فيها حضارة عظيمة ، امتدت لاكثر من سبعة قرون ، وخرجوا منها ، وضاعت الاندلس العربية ، ولكن الحضارة التي حملوها اليها ما زالت تعيش فوق ارضها وتحت سمائها حتى يومنا هذا .. لقد خرج العرب حقيقة ، ولكن الآثار الاسلامية بقيت مرفوعة الرأس منصوبة الهامة ، تشد الملايين من الناس اليها .. فهم يجيئون الى اسبانيا اليوم واندلس الامس ، ليغوصوا في بحور التاريخ .. ملايين السائحين يأتون الى الاندلس كل عام ليروا ويتعلموا ويكتبوا عن العرب والاندلس .. عشرات بل مئات الكتب التي صدرت عن الاندلس العربية والفتح الاسلامي وغروب شمس العرب التي ظلت تشرق على هذه الارض ، وما جاورها حتى حدود فرنسا قرونا من الزمان !

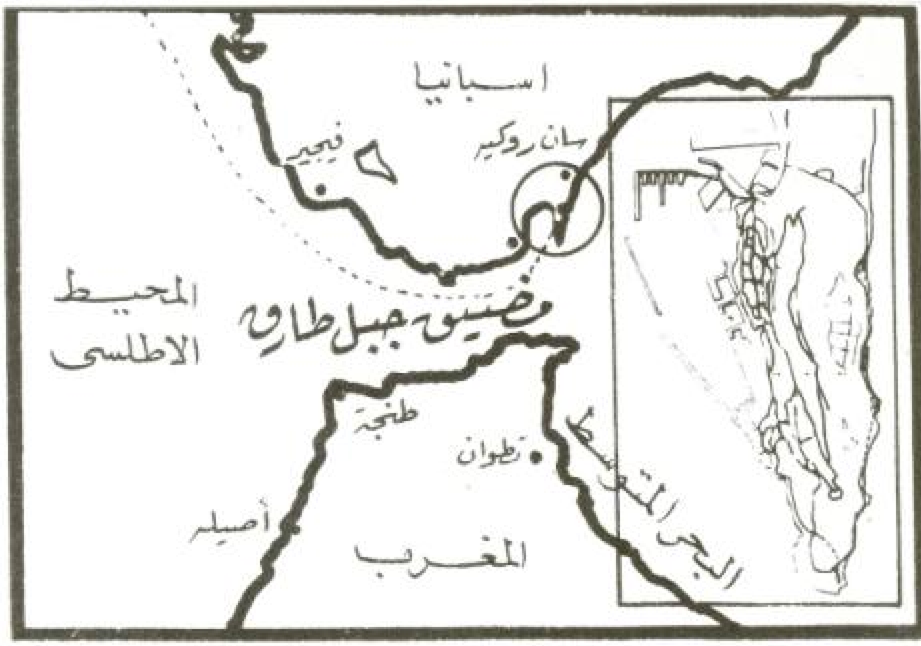
ولم يكن غريبا ان نجد في جبل طارق ، بعض الصفحات المشرقة لتلك الحقبة من التاريخ .. كيف جاء طارق بن زياد الى الجبل .. وكيف دخل المسلمون الاندلس .. وهي قصص منقولة عن المستشرقين وعن ابناء الشرق انفسهم جمعوها في كتب بالانجليزية والفرنسية والاسبانية ..

لقد وصف موسى بن نصير الذي خطط لهذا الفتح الكبير وراح يعد العدة للقيام به ، بعد ان تم له فتح المغرب .. وصف دخول العرب الى الاندلس في رسالة بعث بها الى الخليفة الوليد بن عبد الملك في دمشق بقوله : « لم يكن فتحا كغيره من الفتوح يا امير المؤمنين فان الواقعة كانت اشبه باجتماع الحشر يوم القيامة » .

وكان الوليد قلقا على حياة جنوده ورجاله المسلمين في هذه الحرب قبل ان تبدأ . فكتب الى ابن نصير عندما بعث اليه يستأذنه لخوض غمارها قائلا : « اوافق .. ولكن اياك ان تلقي المسلمين في بحر شديد الاهوال » .

وانتصر المسلمون

وكانت الاهوال تنتظرهم فعلا .. ولكن ايمانهم بالله ،



خريطة جبل طارق وشبه الجزيرة عند شاطىء اسبانيا المطل على البحر المتوسط .

وبقيادتهم ، حقق للعرب المسلمين النجاح رغم ضراوة المعارك التي خاضوها .. ففي يوم الاحد ٢٨ من شهر رمضان المبارك سنة ٩٢ هجرية ، ١٩ يوليو من عام ٧١١ م ، تحركت قوات المسلمين بقيادة طارق بن زياد من شواطيء مدينة طنجة ، التي اختارها موسى بن نصير مركزا لعملياته لقربها من الشواطيء الاسبانية واطلالها على بحر الزقاق او المضيق الذي يفصل بين القارتين ، وكان ابن نصير قد عقد تحالفا مع يوليان حاكم سبته الاسباني الذي كان ناقما ساخطا على ملك اسبانيا رودريك نتيجة لغرقه في ملذاته وشهواته !

وبمقتضى هذا التحالف ، قدم يوليان اربع سفن ، راحت تنقل جنود المسلمين من الشاطيء الافريقي الى الشاطيء الاسباني عند سفح الجبل .. وكانت كل جماعة تختفي في جهة محددة بمجرد وصولها الى الشاطيء حول الصخرة ، حتى تحقق عبور المضيق لكل القوات التي حشدها طارق بن زياد لحملته .

وعلم الاسبان بامر الحملة التي نزلت الى شواطئهم ، فخرجوا بقيادة ملكهم رودريك اولوذريق في جيش هائل يضم اكثر من مائة الف جندي ، وعددا كبيرا من الفرسان .. ودارت رحى معركة من اشرس المعارك في التاريخ ، ووقف طارق بن زياد وسط جنده وقال قولته الشهيرة :

« ايها الرجال .. اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم وليس لكم والله ، الا الصبر والصدق » .

وتحقق النصر للمسلمين « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » . وكان يوليان صادقا في تحالفه ، فقد راح ينشر بين الجنود الاسبان ان المسلمين لم يأتوا الى الاندلس للفتح والاستعمار ، وانما جاءوا للقضاء على ملكهم الطاغية .. واسهمت هذه الرواية في بث الفرقة بين صفوف جنود لوذريق ، وتخلى عنه بعض جماعات الفرسان ، الى جانب الاعداد الكبيرة من العبيد الذين كانوا يحاربون في صفوف الاسبان ، وكانوا بطبيعة الحال ساخطين ناقمين على هؤلاء الذين اذلوهم واستعبدوهم .. وحانت الفرصة التي طالما انتظروها وسط القتال ، فهربوا واستعادوا حريتهم .
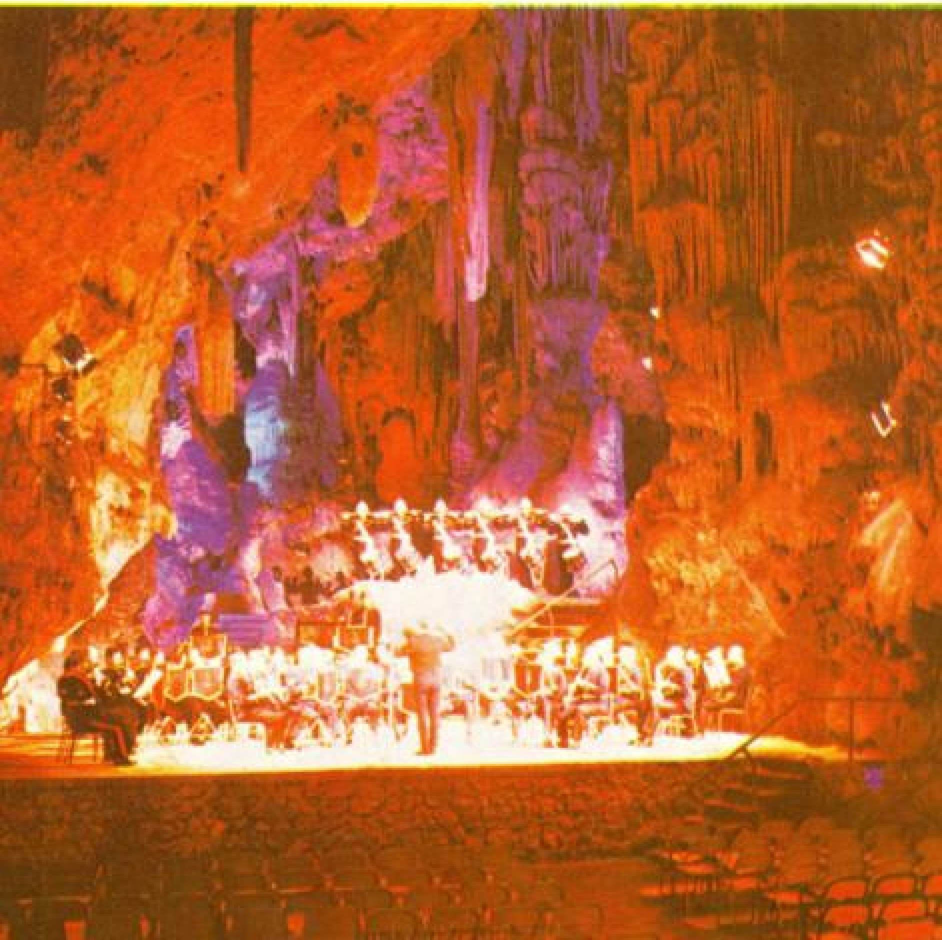
ودخل العرب الاندلس ، حاملين اليها دينا حنيفا وعلما وحضارة .. وانقضت سبعة قرون او اكثر قبل ان تتحالف القوى الغربية على اخراجهم بالقوة من البلاد التي عاشوا فيها وتزاوجوا وبنوا ورفعوا فوق جبالها راية الاسلام .. ولكن الصراع استمر بين المسلمين والاسبان



صورة من الماضي القريب عندما شق الانجليز بايديهم نفقا في الجبل اثناء الحصار الكبير الذى فرضه الاسبان واستمر لاكثر من اربع سنوات .. وتمثال لجندى « الامبراطورية » ومدفع قديم .... وفي (اليسار) المغارة التي صنعتها الطبيعة في بطن الجبل منذ مئات الألوف من السنين .. لقد تحولت اليوم الى مسرح عالمي !



صورة من الجو لشبه الجزيرة التي يقع جبل طارق في طرفها المطل على البحر والمحيط .. تستطيع أن تراها بوضوح وأنت تعبر المضيق من المغرب .



بعد ذلك حول جبل طارق .. الى ان سقط اخيرا في يد غريبة على هؤلاء وهؤلاء وكان ذلك في عام ١٧٠٤ .

عودة الى الجبل

هي صفحات مضيئة مشرقة ، لا يملك المرء ، كما ذكرنا ، الا ان يتوقف عندها ويتأمل .. ثم لا يلبث ان يمضي في طريقه الى شيء آخر لا يمكن ان يكون امتدادا لهذا الماضي بحال !

ونعـود الى الجبـل ، والمضيق .. الى البوابـة الاستراتيجية الهامة التي اثارت اطماع اكبر دولـة استعمارية في ذلك الوقت ونعني بها بريطانيا .. فلم يكد ينتهي الصراع بين العرب والاسبان على الجبل ، بخروج العرب نهائيا من اول وآخر قلاعهم في الاندلس ، في عام ١٤٦٢ ، اي بعد اكثر من سبعـة قرون ونصف قرن ، حتى بدأ الانجليز بعد مرور قرنين تقريبا ، يعدون العدة للاستيلاء على هذا المضيق الحيوي .. وجاء الاسطـول الانجليزي ، يعاونه الاسطول الهولندي بقيادة الاميرال الانجليزي سير جورج روك واستولوا على جبل طارق في عام ١٧٠٤ م .

ثم ما لبثت القلعة بعد ذلك ان آلـت الى الانجليز وحدهم ، ولما يمض على تحالفهم مع الهولنديين ، اكثر من تسع سنوات من اجل الفوز بها ، فقد نجحت بريطانيا في عام ١٧١٣ في ابرام معاهـدة بينهـا وبـين الاسبـان في اوترخت ، اطلقوا عليها زيفـا اسم معاهـدة « السـلام والصداقة » وجاء ضمن نصوصهـا « ان ملك اسبـانيا يعلن بالنيابة عن نفسـه وعن ورثته ، تنازله عن جبـل طارق بما في ذلك المدينة والميناء والقلاع والحصون ، وان لبريطانيا الحق في التمتع بملكية هذه الارض الى الابد ، بشرط الا تبيعها للغير ، او تتصرف فيها ، قبل التشاور مع اسبـانيا صاحبـة الارض ، التي لهـا الاولـوية في استعادتها اذا شاءت !! »

باسم الصداقة

ولم تنقض بضـع سنوات على هذه المعاهدة ، حتى اخذت فكرة استعادة جبل طارق تلح على الاسبان .. اي صداقة تلك التي تتنازل بمقتضاها دولة عن جزء عزيز من ارضها ، لدولـة اخـرى ؟ وراح الاسبـان يجمعـون رجالهم ويبدأون محاولاتهم لاستعادة الارض التي احتلها الانجليز باسم الصداقة .. وجمعوا رجالهم وضربوا حصارا حول جبل طارق .. وفشل الحصار الاول في عام ١٧٢٠ ثم مرت بضع سنوات .. والانجليز يتشبثـون بالارض التي انتزعوها وشيدوا فيها القلاع والحصون والأسبـان من الناحية الاخرى يعدون العدة لتحرير ارضهم ، وكان الحصار الثاني في عام ١٧٢٧ .. ولكنه لم يكن اكثر حظا من الحصـار الاول .. واخـيرا رضيت اسبانيا بالامـر الواقع ، واقرت انفصال جبل طارق عنها طبقا لنصوص معاهدة اشبيلية المبرمة في عام ١٧٢٩ !

وظن الانجليز ان اقدامهم قد رسخت في الجبـل ، وكانت قد بدأت ترسخ في الهند البعيدة قبل ذلك بقرن او اكثر ، إلا أن الاسبان ما لبثوا بعد فترة هدوء نسبية دامت حوالي خمسين عاما ، ان بدأوا يستعدون من جديد .. كان الهدوء الظاهر يخفي وراءه طوال هذه الاعوام استعدادا لهجوم من اكبر الهجمات التي عرفت في التاريخ .. فالزمن لا ينسي الشعـوب حقوقهـا مهما طال .. كانـوا فقـط يتحينـون الفـرص .. واذا بهـا تجـيء بعـد كل هذا الانتظار .. وكانت فرصتهم الـذهبية ، انشغـال جيوش واساطيل « سيدة البحار » في ذلك الوقت بحرب التحرير الامريكية ، التي انتهت بطـرد الانجليز من امـريكا بقيادة الجنرال جورج واشنطون .

الحصار الكبير

وبدأ هجوم الاسبان ، ثم ما لبث الهجـوم ، عندمـا فشل في الوصول الى الصخـرة المحصنة ، ان تحـول الى حصار بحري وبري دام لاكثر من اربع سنوات كاملة ، من عام ١٧٧٩ حتى عام ١٩٨٣ .. ومرة اخـرى فشـل الحصار الكبير فقد نجح الانجليز ، ولاول مرة في اقتحام الصخرة الهائلة .. شقوا الانفاق في بطن الجبل واحتموا داخلها وراحوا يصوبون مدافعهم الى مراكز الحصار من حولهم ، حتى وصلت السفن الانجليزية تحمل لهم الغذاء والعتاد .. لقد انقذتهم الصخـرة الصامتـة من الغـرق والموت !



النفق الطويل الذي حفره الانجليز في الحرب الثانية العالمية في بطن الجبل ، واحتموا داخله طوال سني الحرب .

وفي قصر الحاكم الانجليزي لجبل طارق ، تستطيع ان ترى القصة كاملة للنفق الذي حفروه بايديهم في قلب الجبل الجيري ، من خلال الصورة المرسومة ، كما تخيلها الفنانون ، والكلمة المطبوعة في كتيبات تروي لك ما حدث عندما احست جيوش الامبراطورية انها هالكة لا محالة ! ومن الفتحات التي تخللت النفق راح الانجليز يطلقون قذائف مدافعهم على قوات الحصار الاسبانية تعاونها القوات الفرنسية التي كانت في الوقت نفسه قد اعلنت الحرب على الانجليز في امريكا ، وانضمت الى الثوار بقيادة واشنطون .. الا انهم نجحوا هناك على الجانب الاخر من الاطلسي .. وفشلوا هنا .

مفاتيح الجبل

وبقيت « مفاتيح » الجبل في ايديهم .. حتى اصبحت قاعدة جبل طارق مستعمرة تابعة للتاج البريطاني رسميا في عام ١٨٣٠ .. ويصف المؤرخ الانجليزي الكبير ارنولد توينبي « يوم الطريق المختصر » ، بانه من اعظم الاحداث في تاريخ الامبراطورية البريطانية « هذا الطريق الذي احتفل به الانجليز من الهند شرقا الى الجزر البريطانية غربا ، هو طريق قناة السويس .. وكان ذلك عندما بدأت عملية حفر القناة في اليوم الخامس والعشرين من شهر ابريل عام ١٨٥٩ ، في عهد الخديوي اسماعيل .. وتم حفر القناة وافتتحت رسميا للملاحة بعد ذلك بعشر سنوات تقريبا .. في ١٧ نوفمبر عام ١٨٦٩ ، وكانت اول سفينة تمر عبر الطريق الجديد الى الشرق ، ترفع العلم الانجليزي ، وتطلق المدافع ايذانا بمولد القناة .. لقد انتهت رحلة الموت والعذاب حول شواطيء افريقيا عن طريق رأس الرجاء الصالح ..

وتضاعف تشبث الانجليز بالمضيق الاستراتيجي البحري مع تزايد مصالحهم في الهند ومصر ، ولعب جبل طارق دورا حيويا في الحربين العالميتين ، الاولى والثانية عندما اقام الحلفاء ، عند طرفيه المطلين على البحر والمحيط ، احدث قاعدة بحرية لتأمين عملياتهم العسكرية ...

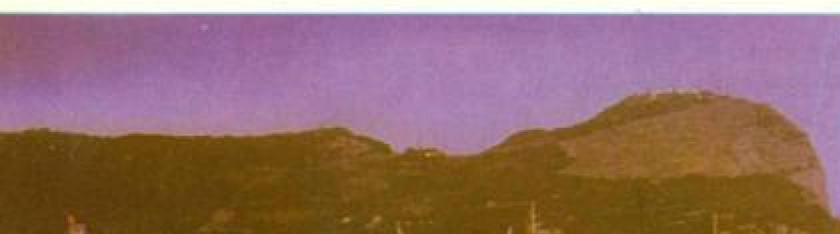
اكتشاف الطاقة

ثم كان الاكتشاف الكبير لمصادر الطاقة الجديدة ..





(الى اليمين) السوق العربية التي اقامها ابناء المغرب في قلب المدينة السياحية .. مدينة طارق بن زياد .. (فوق) البلاج عند سفح الجبل يعج بالسائحين الذين يجيئون اليه هربا من برد اوربا .. وبحثا عن الدفء تحت شمسه المشرقه !



احدى السفن التجارية اثناء خروجها من حوض اصلاح وصيانة السفن في المضيق والشمس توشك على الغروب .



البترول في منطقة الخليج .. وقد اكتشف النفط قبل الحرب العالمية الثانية ، ثم اندلعت نيران القتال المدمر الذي استمر سبع سنوات ، فاعاد الانجليز اغلاق الآبار في هدوء .. حتى اذا ما انتهت الحرب اسرعوا الى الكنوز التي اخفوها عن العيون ، وبدأ اسطول الناقلات يرابط في موانيء شحن الطاقة لينقل « الذهب الأسود » ويعود به .. من الخليج .. الى مضيق هرمز الى البحر الاحمر .. الى قناة السويس .. الى البحر المتوسط ثم الى الاسواق العالمية في البحر او خارجه عبر مضيق جبل طارق .. وبقيت الثروة التي خرجت من بطن الارض العربية في ايدي الأنجليز ، الى ان كانت الصحرة التي قلبت كل الموازين عندما وقفت شعوب هذه المنطقة تطالب بحقها في ثروات ترابها وتستعيده بعد اكبر عملية استغلال في التاريخ !

وتزايدت اهمية هذا الطريق الحيوي .. من الخليج الى المحيط ، وخاصة بعد أن اصبحوا يدفعون ثمن ما كانوا ينهبونه في الماضي .. واصبح النفط شريانا للحياة من المصنع الى البيت .. الى كل وسيلة من وسائل النقل .. بدءا بالناقلات نفسها التى تحمله عبر البحار والمحيطات !

ويقولون في جبل طارق : « ان مفاتيح المضيق ، اصبحت اليوم في حراسة هرقل ! » ولكن هرقل لم يكن ابدا انجليزيا !

والاسبان لا يكفون عن المطالبة باستعادة هذا الجزء من ارضهم ، والمشاكل مستمرة بينهم وبين الانجليز وقد انتهت باغلاق الحدود بين الجبل واسبانيا !

والانجليز يرفضون الخروج منها .. ولكنهم يقولون : « اننا انما نحتفظ بهذا المضيق من اجل دول حلف الاطلسي ! ! حقيقة نحن ننتمي الى هذا الحلف ، ولكن لا مانع عندنا من ان نتركه لغيرنا ، اذا شاء هذا الغير ان ينوب عنا في حراسته ! ! » ولكن جبل طارق يمثل بالنسبة للانجليز آخر موضع لقدم في اية بقعة من العالم . انه آخر القلاع البريطانية !

والعرب في المغرب ، اصحاب الجبل الاوائل ، الذين حطوا فيه مع انحلال الامبراطورية الرومانية ، ماذا



احدى البوابات على الحدود بين بلدة جبل طارق واسبانيا .. الاسبان اغلقوا البوابة عندهم ، بينما فتح الانجليز بوابتهم مرحبين بهم .. ولكنهم لايأتون ، لانهم يريدون المدينة كلها والجبل !



سير وليام جاكسون حاكم جبل طارق .. جاء اليه منذ عامين ، شارك في وضع خطة العدوان الثلاثي على مصر

يقولون ؟ « اذا كان الاسبان حريصين على استعادة ارضهم ، فلماذا ينكرون علينا حقنا في استعادة السيادة على ارضنا نحن ؟ .. لماذا يرفضون الخروج من سبته ومليله ؟ »

في الصخرة وحولها !

كيف تبدو صخرة طارق بن زياد اليوم ؟

وعندما اقتربت بنا الطائرة الصغيرة التي نقلتنا من مدينة طنجه والتي تقوم برحلتين يوميا من الجبل واليه ، بعد رحلة طويلة من الكويت الى باريس ، ومن باريس الى طنجه ، ثم منها الى الجبل في النهاية .. عندما اقتربت الطائرة من الجبل والمدينة الصغيرة القابعة عند سفحه .. استطعنا ان نرى بوضوح من وراء زجاج نافذتها الصغيرة ، نقطة هذا اللقاء الابدى بين مياه



قاعة الطعام في قصر الحاكم الذي كان ديرا للرهبان .. انها اقرب الى « المتحف » .. صورة ملكة بريطانيا تتوسط القاعة ، ثم ملوك الانجليز وحكام الجبل تزين جدرانها

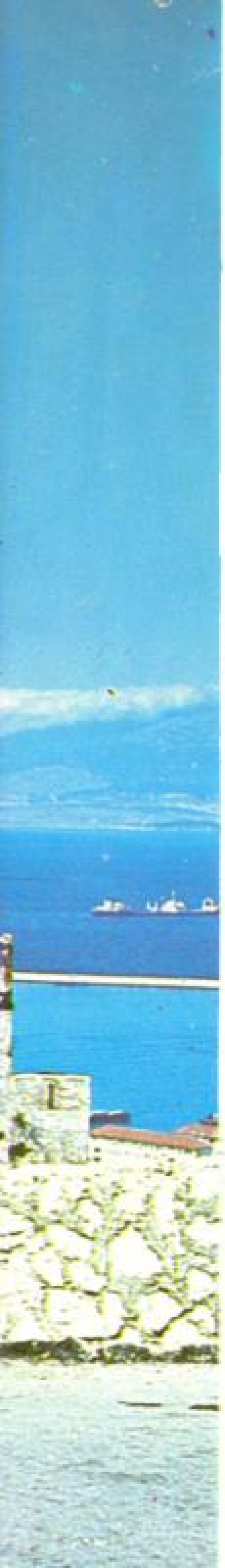
البحر والمحيط ، ثم المضيق الصغير الذي يفصل بين قارتي افريقيا واوربا .. كانت جبال المغرب تملأ الافق بهامتها العالية من جانب .. ومن الجانب الآخر مرتفعات الاندلس ، واخيرا ، وامامنا مباشرة ، وقبل هبوط الطائرة بدقائق رأينا صخرة طارق بن زياد .. وكانت الطائرة تقترب منها كلما هبطت اكثر فاكثر ، حتى اذا ما لامست عجلاتها الارض وتوقفت تماما ، وبدأنا تنزل منها ، وجدناها هناك وجها لوجه امامنا ، لاول مرة .. صخرة ملساء ترتفع عن سطح البحر بحوالي ١٤٠٠ قدم وقطرها لا يقل عن عشرة كيلو مترات تقطعها بالسيارة في حوالي نصف ساعة !

اما هذا الجزء الاخير من رحلتنا ، اي من طنجة في المغرب الى جبل طارق ، فلم يستغرق اكثر من ربع ساعة بالطائرة ، بما في ذلك وقت الاقلاع والهبوط .. فالمسافة بين الشاطئين تتراوح بين ثلاثين وستين كيلو مترا .. تستطيع ان تقطعها بالبحر او بالجو في هذه الطائرة الصغيرة التي تقوم برحلات مكوكية يوميا .

مصيف ومشتى

ودخلنا قلعة جبل طارق بلا تأشيرة دخول .. وهم يرحبون بكل زائر يأتي اليهم ما دام يحمل جواز سفر صالحا ، فهي مدينة مفتوحة لانها لم تعد قلعة فحسب ، بل هي ايضا مصيف ومشتى في آن واحد .. درجة الحرارة صيفا لا تزيد على ٢٨ درجة مئوية وفي الشتاء لا تهبط بحال عن ١٦ درجة مئوية .. كل هذا قالوه لنا في المطار وهم يرحبون بنا ويرشدوننا الى اقرب فندق .. فقد كان الوقت ليلا ، ولم نر من هذا المصيف او المشتى شيئا غير اضواء تنبعث من بعيد !

وفي الصباح .. ومن نافذة الفندق الذي نزلنا به رأينا جانبا من وجه المدينة ونحن نستعد للنزول الى





(فوق) القردة التي تسكن الجبل .. كادت تنقرض وانقذها تشرشل ، وانقذ معها آخر قلاع الانجليز !! (تحت) بعض الاثار العربية وبينها آنية فخارية كبيرة ، يجمعها كلها اليوم متحف يروى قصة الجبل منذ وصول العرب المسلمين اليه حتى اليوم . ثم القلعة ، او ما تبقى منها ، التي شيدها المسلمون على الشاطىء عند سفح الجبل ، يرفرف فوقها علم الانجليز !! (الى اليسار)





الشارع .. شيء لم نكن نتوقعه في هذه القاعدة او الجبل .. مدينة صغيرة جميلة نظيفة .. امتلأ جوها برائحة البحر ، لا اثر يبدو امامنا لمدافع او قلاع .. انما اناس يمشون في هدوء يتأملون الطبيعة الجميلة من حولهم .. لا ضجيج ولازحام .. سكان المدينة كلها ، بما فيهم السائحون الذين يأتون اليها في رحلات قصيرة ، ثم يمضون لتأتي افواج غيرهم طوال اشهر السنة ، لا يزيدون على الثلاثين الف نسمة ! ينتشرون في بقعة من الارض لا تزيد على خمسة كيلو مترات مربعة هي كل مساحة المدينة !

هنا ليس عندهم زراعة ، وباستثناء بعض الصناعات الصغيرة يعتمد اهل المدينة في رزقهم على العمل في ميناء اصلاح السفن المارة عبر المضيق وصيانتها ، ثم في الفنادق التي تعج بالسائحين ، وهم يستوردون كل شيء من الخارج .. ومن انجلترا والغرب بصفة خاصة ، وتصلهم المواد الغذائية في ثلاجات ضخمة عائمة .

ونزلنا .. كل شيء في البلدة الصغيرة اصبح انجليزيا مائة في المائة .. اسواقها .. مطاعمها .. فنادقها .. كل شيء فيها ، ما عدا الناس .. « نحن لسنا انجليز » هكذا قال لنا مرافقنا الذي كان في انتظارنا ليأخذنا في اول جولة في المدينة الواقعة عند السفح قبل ان نصعد الى الجبل !

ابناء طارق

وقلنا نسأله : « ماذا انتم اذن ؟ ماهي الجنسية التي يحملها ابناء هذه البلدة الصغيرة ؟

قال : « نحن ابناء الجبل . احفاد طارق ! » وهي ترجمة بتصرف للكلمة التي ذكرها بالانجليزية اما الترجمة الحرفية فهي « طارقيون !

وكان موعدنا مع الحاكم البريطاني لجبل طارق سير وليام جاكسون ، قد اقترب . فذهبنا اليه في قصره الذي كان ديرا للرهبان الاسبان ، ثم هجروه عائدين الى اسبانيا ، واستولى عليه الانجليز ، وجعلوا منه مقرا لحكامهم الذين تعاقبوا على مر السنين .

واستقبلنا الرجل مرحبا ثم جلس يحدثنا عن الجبل الذي يحكمه ، وعن الناس الذين يعيشون في مدينة الجبل ، قال : « انني اعيش هنا في « الجنة » ! » وصدقناه .. فقد كان هذا هو انطباعنا بعد رحلتنا القصيرة التي استغرقت حوالي ثلاث ساعات .. ونحن نجول بسيارتنا الصغيرة في الشوارع الضيقة النظيفة حتى بلغنا الشاطيء الجميل الذي يقسو بصخوره ويحنو برماله الناعمة .

وقد ازدحم بالناس الذين جاءوا اليه ليتعموا بالشمس والدفء ، في عز الشتاء !

وسكت سير وليام ، بعد ان سألنا : « هل صعدتم الجبل ؟ »

قلنا : « لا ، ولكننا سنفعل ! ولكن هناك سؤال يلح علينا ، هل تستطيع ان تشرح لنا معنى كلمة « طارقيون » ؟

قال : « انتم تعرفون بلا شك ان اهل هذه المنطقة ، خليط من العرب والاسبان والانجليز .. ولعل هذا العنصر الاخير « الانجليزي » ، هو الذي يميزهم عن بقية اهل اسبانيا ، فنحن لم ندخل الاندلس . ومن هنا ترون ان اكثر من نصف الدماء التي تجري في عروق ابناء الجبل ، دماء عربية ، والباقي خليط من الدماء الاسبانية والانجليزية .. وهم يفخرون بماضيهم وتاريخهم وانتمائهم الى جبل طارق بن زياد ! »

بلا مجاملة

هل كان يجاملنا ، بعد ان قدمونا له بوصفنا صحفيين عربا قادمين من دولة الكويت ، لا اظن ! لسبب بسيط وهو ان العرب لم يعرفوا المصيف او المشتى في جبل طارق بعد ، باستثناء ابناء المغرب بطبيعة الحال ، فعندما أغلق الاسبان حدودهم مع المستعمرة الانجليزية ، وابناء المغرب ، ومن مدينة طنجة بالذات ، باعتبارها اقرب نقطة لهم ، يأتون الى المدينة للعمل وفي الفنادق والمطاعم بصفة خاصة .. كما اقاموا سوقا تجارية صغيرة في قلب المدينة يعرضون فيها كل المنتجات اليدوية التي اشتهر

بها اهل المغرب ، وهي تلقى رواجا بين السائحين .

ويؤكد ماذهبنا اليه الاحصائيات التي حصلنا عليها من مكتب السياحة ، فقد اتضح ان ٩٥٪ من السائحين الذين يزورون جبل طارق صيفا او شتاء من الانجليز وتشكل السياحة المصدر الاساسي للدخل القومي في هذه البلدة الصغيرة .. ففي عام ١٩٧٨ مثلا بلغ عدد السائحين الذين زاروا جبل طارق المصيف والمشتى ١٤٠ الف سائح ، انفقوا سبعة ملايين من الجنيهات الاسترلينية .

ثم كلمة عن حاكم جبل طارق نفسه ، لقد درس هذا القائد العسكري الذى شارك في الحرب الثانية العالمية ، التاريخ وتاريخ الشعوب بصفة خاصة ، وكان قائدا لكلية ساند هيرست العسكر ية في بريطانيا ويقول انه فخور بابنائه العرب الذين كانوا تلاميذ له في هذه الكلية ، ثم عادوا الى بلادهم وشغلوا مناصب عسكرية مرموقة ، ويذكر من بين تلاميذه الشيخ مبارك العبد الله رئيس هيئة اركان حرب الجيش الكويتي .

ثم هو صاحب كتاب « حملة السويس » ، فقد كان سيروليام جاكسون ، هو الرجل الذى وضع بالاشتراك مع الفرنسيين خطة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، وكان وهو يخطط للحملة الفاشلة يقول لكل من حوله : « لن يكتب لهذا العمل العسكرى ان يعيش طويلا ! » .

متحف انجليزى !

« انا اعيش في هذا الجناح الصغير من القصر ! » واشار سيروليام الى غرفتين متجاورتين وهو يقودنا في زيارة للقصر الكبير الذي شيده الرهبان ! اما باقي القصر ، فهو اشبه بالمتاحف التي يحرص السائحون على زيارتها في كل مكان يذهبون اليه .

في كل قاعة من قاعاته الفسيحة نستطيع ان تقرأ جزءا من التاريخ .. تاريخ بريطانيا منذ جاءت الى هذه البقعة من الارض .. صور الحكام الذين احتفظوا « بمفاتيح » المضيق في خزائنهم تزين جدران قاعة الطعام الفخمة .. ثم المفاتيح نفسها داخل دولاب زجاجي ، فتحوه خصيصا لنا لكي نراها عن قرب ونصورها ! ثم صورة حديثة لملكة بريطانيا بالحجم الطبيعي . وصورا اخرى للملوك الانجليز الذين تعاقبوا على عرش الامبراطورية قبل ان تغرب عنها الشمس .

واخيرا الحديقة الرائعة التي تحيط به وقد امتلأت باشجار النخيل ، وشجرة التنين ويقال ان هذه الاخيرة عمرها اكثر من الف عام .. وفوق كل هذا تطل الصخرة .. صخرة طارق فقد شيد القصر عند « اقدام » الجبل !

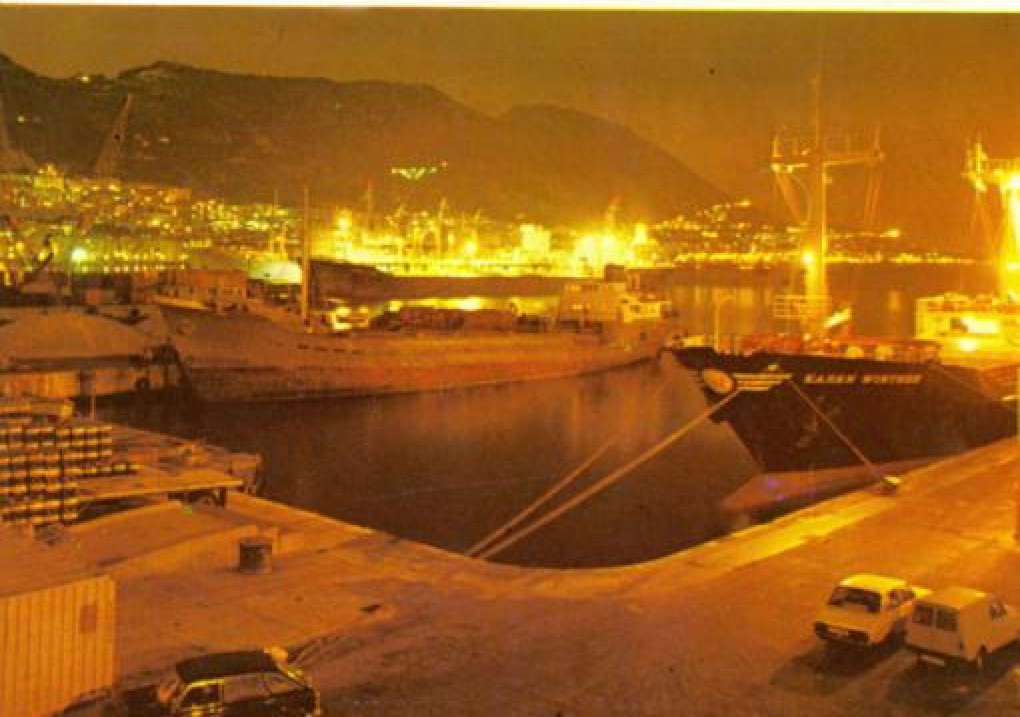
قلت اسأل الحاكم : « ان كتب التاريخ تقول ان العرب اول من جاء الى هذه المنطقة وان احدا لم يسبقهم اليها .. حتى الاسبان انفسهم ، انهم لم يدخلوها الا عندما احسوا بان العرب قد نزلوا فيها ، فجاءوا ليقاتلوهم ! »



شجر التنين في حديقة قصر الحاكم ومن ورائها أشجار النخيل الوحيدة في الجبل .. عمر شجرة التنين العجوز (الى اليمين) اكثر من الف سنة



(فوق) سائحة انجليزية مع زوجها ، واصبعها يشير الى فوهة المدفع الذى بقي مكانه منذ الحرب العالمية الاولى . (تحت)
حوض إصلاح للسفن وصيانتها ، تدخله كل سفينة ترفع اى علم ، اذا اصيبت بعطب خلال رحلتها عبر المضيق .. من البحر
الى المحيط او العكس !



وقال سيرولیام : « هذا صحيح ، فلم يأت ذكر شيء عن اى اجناس عاشت في هذه المنطقة قبل مجيء العرب .. الثابت انها كانت منطقة غير مأهولة . ثم قال مبتسما يسألنا : « ما رأيكم فيها الآن ؟ »

قلنا : « لم نر اثرا حتى الان للقاعدة الحربية .. حتى المطار العسكرى تسمحون للطائرات المدنية بالهبوط فيه . وحتى المدينة نفسها مفتوحة لكل زائر يأتي اليها ؟ هل مازالت قاعدة للغواصات تحت البحر ، كما كانت في الحرب الثانية العالمية ؟

قال وهو يضحك : « ولن تروا شيئا منها ، انتم هنا في زيارة لمدينة سياحية من الطراز الاول . ونحن نشجع السياحة اليها .. ان المواطن الانجليزى يستطيع ان يأتي الى هذه المدينة الصغيرة ويمضي اسبوعا في فنادقها الفخمة المطلة على البحر ، باقل من مائة جنيه استرليني بما في ذلك ثمن تذكرة السفر بالطائرة والعودة »

داخل صخرة طارق

وقلنا ، ونحن نودعه : « ربما وجدناها في الجبل ! »

وفي صباح اليوم التالي كنا نصعد الصخرة بالسيارة في طرق ممهدة تدور حولها في ارتفاع حتى القمة .. اذن فهذه هي صخرة طارق اخيرا .. ولم نكن وحدنا على الطريق .. كانت هناك عشرات السيارات الاخرى التي تتقدمنا .. ولكن كان هناك ايضا المئات من السائحين الذين صعدوا الى الجبل مشيا على الاقدام ..

ونزلنا نمشى معهم .. ان المشي ابطأ طريقة للوصول الى قمة الجبل ، فهناك العربة المعلقة التي تنقلك من السفح الى القمة في عشر دقائق .. ولكنك لاترى معها شيئا ثم هناك السيارة كما ذكرنا .. ونحن نريد أن نقف عند كل شيء ونسأل عن كل شيء ونسجل اى شيء له قصة وحكاية .. وكان اول لقاء لنا مع الانفاق التي شقها الانجليز في بطن الجبل .. النفق الاول ، ايام الحصار الكبير ، والنفق الثاني في الحرب العالمية الثانية .. فقد انقذتهم الصخرة مرتين .. وداخل الانفاق رابطت المدافع القديمة ومن ورائها تماثيل لجنود الامبراطورية بملابسهم العسكرية مدججين بالسلاح ..

ثم المغارة .. مغارة « سانت مايكل » ، كما يسمونها ، وهي اقدم اثر في الجبل ، صنعته الطبيعة ، ولم تمتد اليها يد انسان قبل مجيء العرب بمئات الالوف من السنين .. وهي تشبه الى حد كبير مغارة جعيتا في لبنان ، ولكن بلا ماء .. وتقول الكتب ان تاريخ هذه المغارة بدأ في العصر الجليدى منذ اكثر من ربع مليون سنة ، وهى اليوم مسرح طبيعي تقام فيه الحفلات الموسيقية والمسرحيات التاريخية والمباريات الرياضية ويزورها سنويا اكثر من مليون سائح !

وفي الجبل خزان المياه الكبير الذى يمد سكان المدينة بمياه الشرب العذبة . فالمياه مشكلتهم وهم يجمعون مياه الامطار في فصل الشتاء .. وهي تكفيهم طوال اشهر السنة !

ليتها تتكلم

وفي منتصف الطريق التقينا بسكان الجبل الذين استطابوا الاقامة هناك منذ اكثر من الف عام . وهم ليسوا بشرا .. انها القردة التي حملها معهم العرب من افريقيا عندما جاءوا الى الصخرة .. كادت تنقرض في يوم من الايام ، وانقذها سير ونستون تشرشل عندما كان رئيسا للوزارة البريطانية في الحرب العالمية الثانية ، فقد زار الجبل ، ولم تخرج « لتحيته » كما تعود منها اثناء مروره لتفقد خطوط الدفاع .. وسأل عنها ، فابلغوه انها اوشكت على الانقراض ! وازعجه الخبر ، لانه كان يقول دائما ان اختفاء القردة من جبل طارق معناه « انهيار الامبراطورية » البريطانية ... وانهارت الامبراطورية فعلا ، ولم يبق منها غير هذا المكان الذى عادت القردة تعيش فيه وتتوالد وتتكاثر .. ولكن الى متى ؟

قال لنا حارس القردة التي تحمل اناثها اسماء ملكات بريطانيا وتحمل ذكورها اسماء ملوكها .. فهناك وليام الفاتح ، وادوارد وهنرى الثامن الخ .. قال الحارس ، وهو رجل عسكرى : « ليتها تتكلم .. لانها لو فعلت لكانت اعظم من يستطيع ان يروى لنا التاريخ ! ! » ■■

منير نصيف

صبية

صبية شبابها   حوى جميع الفتن
جميلة (١) مليحة (٢)   تكملت بالفطن
كأنها اغنية   تمثلت للاعين
طويلة كأهتي   مسكوبة كالفنن
لو اشرقت بجنة   لجن احلى غصن
محاسن لا تنتهي   في روض ذاك البدن
فيها سناء وسنا   لالف وجه حسن
حديثها قصائد   من ثغر صفو الزمن
تعلقت بي فجأة   وصرحت في العلن
ومال قلبي فغوى   وقال : (هذي سكني)
وصاح : (خذها انها)   فقلت لا .. لا تهن

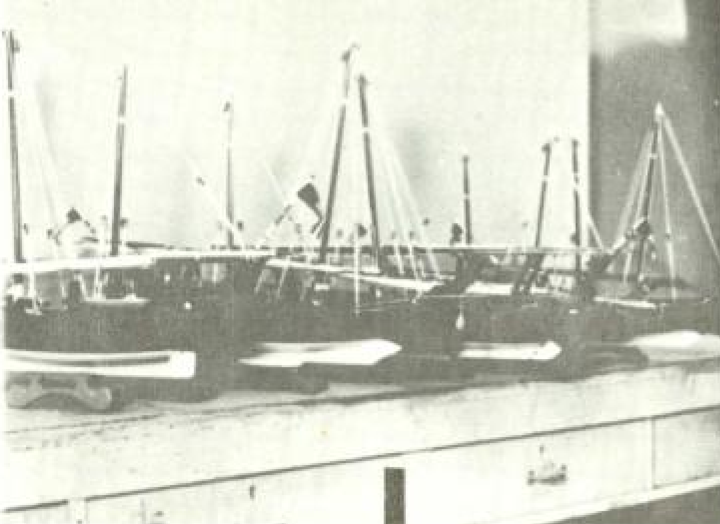
.. .. ..

أيأستها فارتحلت   على جناح الحزن
ودعتها واستودعت   جنان قلب الاذن
حكاية اكتمها   تبكي فؤاد الوثن
ففي دمي نوازع   من جرح سمع شجن
وفي فمي مواجع   من ملح دمع هتن
تركتها وعينها   تقول : هل من ثمن ؟
آخر ما سمعته   (يا ليتني لم اكن)
ابعدها عن خلدي   فنلتقي في الوسن
ولم يكن ينقصها   شيء ولكن صدني
ان لم تكن من امتي   ولم تكن من وطني

دمشق **وهيب دياب**



(١) الجميلة هي التي تأخذ ببصرك على البعد .
(٢) المليحة هي التي تأخذ بقلبك على القرب .



نماذج مصغرة لبعض السفن الكويتية الشهيرة .

استطلاع الكويت

صناعة السفن

وداعاً للعصر الذهبي !

استطلاع : صادق يلي

تصوير : حسن الصفار

« يالها سفينة على الأموال أمينة ، ذات دسر والواح ، تجرى مع الرياح ، وتطير بغير جناح ، وتعتاض عن الحادى بالملاح ، تخوض وتلعب ، وترد ولا تشرب . لها قلاع كالقلاع ، وشراع يحجب الشعاع ، وسكينة وسكان ، ومكانة وامكان ، وجؤجؤ وفقار ، واضلاع محكمة بالقار ...... معقود بنواصيها الخير كالخيل ، لا تمل من سير النهار ولا من سرى الليل » .

احتلت صناعة السفن في الكويت الصدارة طوال فترة كبيرة من الزمن وقد تفوق القلاف الكويتي في هذه الحرفة وابدع حتى بهر بدقته الكثير من اصحاب مصانع السفن في العالم .





لاشخاص وبيوت تمرست في المهنة وتوارثتها أبا عن جد





بهذه الكلمات المسجوعة يصف لنا ابن حبيب الحلبي ـ وهو أحد أدباء العصر المملوكي ـ السفينة بأجزائها المختلفة من شراع وقلاع وسكان وقفار واضلاع محكمة بالقار .

والسفينة عرفها العرب منذ آماد موغلة في التاريخ صنعوها وسافروا بها الى بلاد الله المحيطة بهم وتغنوا بها في أشعارهم وأدبهم لأن البحار تحيط ببلادهم من ثلاث جهات غربا وشرقا وجنوبا .

هذه السفينة ما قصتها ؟ ومن هم الرجال الذين قاموا بصناعتها هنا في الكويت .

منذ أن وطئت قدم الانسان هذه الارض واستقر به المقام فيها راح يتوجه الى البحر ليبحث فيه عن طعام ورزق ويستكشف المجهول البعيد .

لقد بلغت صناعة السفن في الكويت أوج ازدهارها في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، وبقي الأمر كذلك حتى العشرينات واوائل الثلاثينات من هذا القرن حين بدأ عصر التراجع عن هذه الصناعة مع ظهور النفط ، والتخلي تدريجيا عن حياة الغوص والسفر بحرا للتجارة .

وعبر الرحلة الطويلة هذه استمرت صناعة السفن محافظة على قيمتها نظرا للحاجة الملحة اليها ، طلبا للبقاء ودفاعا عن الشرف وان بقيت صناعة يدوية ، وبدأ الضمور والتجمد يظهر على هذه الصناعة ومضت تفقد أهميتها وبريقها ، لكنها لم تمت ، ولا تزال تجسد نفسها بفضل اصحابها الذين لم يرموا أدواتها الازميل والمطرقة والقدوم ، ورفضوا بعناد ان يمسحوا من الوجود صورة (السنبوك) و (الشوعي) و (البتيل) و (الجالبوت) وغيرها ، من انواع السفن ، فانتقلوا الى منطقة الدوحة في الكويت ، ليتابعوا المسيرة ، وليسدوا احتياجات السوق من سفن خشبية تستخدم لاغراض النقل وصيد الاسماك في مياه الخليج .

وصناعة السفن كأي صناعة تطورت بفضل أصحاب هذه الصناعة انفسهم وظهر منهم عدة اسماء لاشخاص وبيوت تمرست في المهنة وتوارثتها أبا عن جد فاقترنت أسماؤهم بتاريخ تلك الصناعة بل بتاريخ الكويت نفسها . ويطلق على هؤلاء اسم (القلافين) حتى الان .

« وقلف السفينة » كما وردت في المعاجم العربية بمعنى خرز الواحها بالليف وجعل خلالها القار » واسم الفاعل مع المبالغة « قلاف » وصناعته « القلافة » .

ومن اشهر الأسر والبيوتات التي أسست وساهمت في هذا النوع من الصناعة والتي كان سيف الكويت وشاطئه هو المكان المعتمد لها : أسرة الحاج حمود البدر ، واسرة الحاج صالح بن راشد ، واسرة الحاج احمد بن سلمان الشهير بالاستاذ ، واسرة الحاج علي عبد الله عبد الرسول .

حديث ذو شجون

الحاج علي عبد الله عبد الرسول من أقدم الرجال الذين زاولوا هذه الصناعة ، ورغم السبعين سنة التي قطعها من رحلة عمره المبارك مع البحر والسفن العملاقة ـ لايزال يتمتع بحس مرهف ، وانامل ذكية تحفر في الخشب بأمانة التاريخ ، لايزال يحمل ازميله ومطرقته في عمارته على ساحل الدوحة ، لتخرج من بين يديه تلك الأشكال البديعة من السفن الخشبية المتعددة الاشكال .

حدثنا يا حاج عبد الرسول عن صناعة تلك المراكب التي تنطلق من شاطيء الكويت في كل اتجاه ؟

تنهد الرجل وقال : انظر يابني ، ان هذا الشاطيء الذي يمتد امام ناظريك كان ـ قبل عشرات السنين ـ يحفل بورش البناء ، كانت هذه المنطقة من اكثر مناطق الكويت ازدحاما بالناس من كل لون وجنس ... سفن شراعية كانت تأتي من موانيء الخليج : من عمان ، ومن مسقط ، ومن البحرين . تأتي لاتمام عمليات الصيانة ، ودهانها بالقار والزيت لتثبيت عوارض ضربتها امواج البحر الموجاء فاهتزت من مكانها ولم تعد قادرة على الصمود ... لقد كانت صناعة السفن المورد الحياتي الثاني للكويت بعد الغوص والصيد وتليها التجارة مع الخارج .



يقوم (القلافون) في منجرة وزارة الاعلام بصنع نماذج لأشهر انواع السفن في الكويت

« لقد تعلمت هذه الحرفة عن والدي فمنذ ان كنت صبيا لا اتجاوز العاشرة كنت اخرج معه واعمل في صناعة السفن : تعلمتها واتقنتها بالممارسة الطويلة والدربة . فالقلاف ـ هو صانع السفن ـ هو الذي يشير على الصناع بدرجة التواء الخشب ، ووضع حدود المسافات ، بالنظر والخبرة ، وليس استنادا لاية آلة هندسية »

ويضيف الحاج علي عبد الله عبد الرسول : « ان السفن تصنع من خشب الساج ، وموطنه الهند ونيبار ، وخشب الساج يتحمل الماء بدرجة كبيرة لمدة قد تصل الى ٦٠ سنة دون أن يصيبه تلف ، ويعدد الحاج علي عبد الرسول مجموعة من انواع السفن التي يصنعها وهي « الشوعي » « السمبوك » و « الجالبوت » و « البتيل » وتستخدم جميعها للغوص على اللؤلؤ ، ولكن احجامها تختلف من واحدة لاخرى . اما « البوم » و « البغلة » و « والكوتية » فتستخدم لاغراض التجارة والشحن ونقل الناس . »

والبوم هو الذي اتخذت الدولة صورته شعارا لها ورسمته على ورقة النقد الكويتية فئة العشرة دنانير والبوم سفينة شراعية يتراوح طولها ما بين ١٢٠ و ١٥٠ قدما وارتفاعها ما بين ٣٠ و ٤٠ قدما والعرض ما بين ١٨ و ٣٠ قدما وهي تستخدم للغوص والأسفار وتبلغ حمولتها ما بين ٣٠٠ طن و ٧٥٠ طن ـ « البوم » نوعان : « بوم سفار » يستخدم في الرحلات البعيدة ، « وبوم قطاع » ويستخدم في الاسفار القريبة الى موانيء الخليج العربي واخيرا بوم لنقل المياه العذبة من شط العرب الى الكويت . ويسترسل الحاج علي عبد الرسول في حديثه فيقول : كان الصناع يجلبون الخشب من الهند وسواحل افريقيا ، اما المسامير فكانت تصنع محليا ، ولا اكون مبالغا اذا قلت ان السفن المصنوعة في الكويت اشتهرت بمتانة الصنع ، وقوة الاحتمال ، وقد مهر الصناع الكويتيون في هذا المضمار وتفهموا اسرار الصنعة .



هذه اللقطات تمثل جانبا من التراث العريق الذي اوشك على الاندثار فلم يعد هناك من يمارس تلك الحرفة غير هؤلاء الاشخاص الذين رفضوا التخلي عنها .





« الداو » اكبر سفينة

ويعتز الحاج علي عبد الله عبد الرسول بثلاث سفن صنعها لتجار من الكويت أولها سفينة صنعها للسيد ثنيان الغانم تحمل اربعة الاف (سن) وقد سماها (فتح) والثانية صنعها للسيد عبد المحسن الخرافي وكانت حمولتها ثلاثة الاف (من) تدار بواسطة المكائن وسماها (ممتاز) اما الثالثة فكانت للسيد داود المرزوق وكانت حمولتها ٢٧٠٠ (مـن) « والمن » يزن ١٦٨ رطل .

« والداو » أشهر واكبر سفينة خشبية صنعت في الكويت وكانت حمولتها خمسة الاف (من) وقد اشرف على بنائها عبد الله بن راشد ، وهو من أشهر صناع السفن « وكذلك السفينة (غالب) وكانت حمولتها خمسة الاف (من) وهي من صنع الحاج سلمان الاستاذ وهو من خيرة من انجبتهم الكويت في هذه الصناعة .

يقول المؤرخ الكويتي سيف مرزوق الشملان : انه في سنة ١٢٢٨ هـ بلغت السفن التي ابحرت من ميناء الكويت ١٨٠٠ سفينة ، وكانت مهمة هذه السفن الشراعية حمل التمور من ميناء البصرة الى شواطىء الهند وافريقيا حيث تعود بالاخشاب والتوابل من الهند وافريقيا وكان « النواخذة » (أي الربانية) الكويتيون مشهورين بمهارتهم الفائقة ومعارفهم الواسعة بالطرق البحرية كما كانت مراكبهم الشراعية معروفة بمزاياها البحرية . »

ومع وجود النفط وموارده الكبيرة بقيت هذه الصناعة قائمة ومستمرة لاستخدامها في استثمار الثروة البحرية في مياه الخليج العربي . وهذه الثروة السمكية من أهم مصادر الثروة ، بالاضافة الى استخدام السفن الشراعية في نقل الاشخاص والبضائع بين موانىء الخليج جنبا الى جنب مع السفن والبواخر التجارية الكبيرة العملاقة ، ولا سيما ان بعض الموانىء غير مؤهلة لاستقبال البواخر الضخمة فيتم الاستعانة بتلك السفن الصغيرة .

وقد كانت فترة الحرب العالمية الثانية فترة مزدهرة لصناعة السفن في الكويت ، فقد كان الانجليز في حاجة ماسة الى نوع معين من السفن اطلق عليها اسم « دوبة » كانت تستخدم لتوصيل البضائع من المراكب الكبيرة الى الميناء . وكانت تكلفتها لا تتعدى ٥٠٠ روبية في حين كانوا يبيعونها بمبلغ ١٨٠٠ روبية [١] . وكان الكثير من الانجليز والامريكان يأتون الى ورش بناء السفن ، ليشاهدوا عشرات العمال وهم يصنعون السفن بأدوات كانوا يعدونها بدائية ، وكانوا في دهشة لتلك السرعة التي تصنع بها تلك السفن مع الدقة والمهارة الفائقتين .

خيط وبلد وهندازة

ونترك الحاج علي عبد الله عبد الرسول لنذهب الى موقع أخر لصناعة السفن هو عمارة الحاج حسن عبد الله عبد الرسول : وقد سألناه عن القواعد التي يتبعها في صناعة السفينة ؟ فابتسم الرجل الذي قضى ما يقرب من أربعين سنة في هذه الصناعة قائلا : « الحقيقة انه ليست هناك قواعد ثابتة ، فنحن نصنع السفينة بالنظر » ، واخرج لي خيطا ابيض وقطعة من الرصاص مبرومة اطلق عليها اسم (البلد) ثم قطعة من النحاس مثلثة الشكل اطلق عليها اسم (هندازة) واسترسل قائلا : هذه كل الادوات (الهندسية) التي استعملها في صناعة السفينة اضعها في جيبي دائما ، اقيس بالخيط واعلم بالطباشير والعمال يشتغلون على هذه الخطوط .

والحقيقة ان صناعة السفينة تتم بطريقة هندسية دقيقة وفنية ينفذها (القلاف) الذي لم يدرس الهندسة ولا نظريات ، او علوم البحار ، وهو يصنعها بدقة لا تضاهى وبأدوات لاتتعدى القدوم والمنشار والمطرقة والمقدح ، واول ما يبدأ به (القلافّ) بصناعة في السفينة هو صنع (البيص) وهو اساس السفينة بل هو العمود الفقرى لها ، ثم يصنع بعد ذلك المنحنيين الميلين (ميل صدر) اى المقدمة (وميل تفر) اى المؤخرة ، ويثبتها على البص) ويذكر لنا الحاج حسن عبد

(١) عملة هندية كانت مستعملة في الكويت وغيرها من دول الخليج العربي وتساوى نحو ٧٥ فلسا .



نماذج لبعض السفن الكويتية تقدم هدايا لبعض السواح والزوار المهمين للبلاد .

الرسول مجموعة من الاسماء والاخشاب التي تدخل في صناعة السفينة بلغت نحو ٣٥ اسما .

قسم لصناعة السفن

سألت الحاج حسن عبد الرسول لماذا لا تدخل الآلات الحديثة لتساعدك في هذه الصناعة كالمنشار الآلي وآلات الحفر وغيرها ؟

فأجابني « تعرف ـ اطال الله عمرك ـ ان هذه الآلات تحتاج الى استعدادت خاصة كدخول الكهرباء وتجهيز الورشة ووضع قواعد خرسانية لهذه الالات الثقيلة ولكنه عاد يقول : « ان صناعة اليد احسن بكثير » .

وسألته : ما هي الطريقة التي تراها مناسبة للحفاظ على هذه الصناعة من الانقراض ؟

فقال في نبرات حزينة : أنني حزين جدا لان صناعة اجدادي في سبيلها الى الانقراض ولا احد متحمس لها ، حتى ان اولادي لم يقبلوا العمل معي ، وكلهم الان يعملون في وزارات الدولة » .

ثم قال : « انني اعرف ان هناك كلية صناعية تابعة لوزارة التربية وان بها قسما للتجارة ، فلواهتم المسؤولون وفتحوا لها فرعا لصناعة السفن بالقرب من عمارتنا ـ فانني على اتم الاستعداد كي اعلم الشباب هذه الصناعة لمن يرغب في تعلمها ، وأحب ان اهمس في اذن شبابنا ان هذه الحرفة بفضل الله مكسبة جزيلة العطاء لمن يعطيها من روحه وعقله ، ولا يفوتني أن اذكرهنا ان سمو الشيخ جابر الاحمد ـ اميرنا الغالي ـ يشجعنا دوما على الاستمرار في صناعتنا وقد قال لنا : « لا تهملوها فهي صناعة الاباء والاجداد وانتم فخر لنا » . وهو يعرض علينا الفلوس وكل شيء ......

نماذج

لقد بدأت الحكومة منذ نحو ٢٠ عاما بالاهتمام ولوجزئيا بتلك الصناعة لا من اجل تطويرها بل لجمع تلك المجموعة الماهرة المتبقية من (القلاليف) في متجرة وزارة الاعلام لصنع نماذج مصغرة لهذه السفن ، ايمانا منها بان السفينة الكويتية هي تاريخ الكويت ، وهي التراث الخالد للآباء والاجداد ، فأخذ هؤلاء يصنعون نماذج لهذه السفن ، تخليدا للبحر الذي يحتضن الكويت ، والذي ارتبط تاريخها به . كما يقوم هؤلاء بصنع جميع الاشكال التي تراها متناثرة فوق مياه الخليج بنفس اشكالها الحقيقية ، لكن باحجام مختلفة من حيث الحجم والغرض الذي تصنع من اجله .

وهذه النماذج تقدم كهدايا رمزية لكبار الزوار ، وتوضع في الاماكن التي يزورها السواح عادة تخليدا لماضي الكويت وذكرياته الغالية .

صادق يلي



النقود العربية
كل أسمائها أجنبية !

تستعمل الدول العربية اليوم أنواعا مختلفة من النقود صارت تنسب الى العالم العربي ، بينما اسماء جميع هذه العملات ترجع الى اصول اجنبية ، وان كان بعضها قد جرى تعريبه قبل الاسلام ، وورد ذكرها في القرآن الكريم .

ويكاد يكون مشهورا ان اول عملة جرى سكها في التاريخ كانت النقود الذهبية والفضية التي اصدرتها مملكة ليديا في القرن الثامن قبل الميلاد . وحتى تأخذ النقود طابعا رسميا كانت تختم بختم الدولة ، وتسمى النقود المختومة « نومزماتا » من الكلمة اليونانية « نوموز » بمعنى القانون ، ومن هنا جاءت الكلمة المعربة « نميات » حيث تطلق على علم النقود والاختام والاوزان .

اما القوالب المعدنية التي جرى صهر النقود فيها فقد سميت « السكة » ، ومنها انتقلت الى الفرنسية Seguin والانجليزية Chick والايطالية Zecchino وغيرها .

واذا استعرضنا اصول العملات المتداولة في العالم العربي ، فسوف تتأكد لدينا حقيقة الاصل الاجنبي لكل عملة ، على النحو التالي :

● الدينار : هو وحدة العملة في العراق والاردن والكويت والبحرين واليمن الجنوبية والجزائر وتونس وليبيا . واصله من اللاتينية Denarius - Aureuss وهي مأخوذة من كلمة Deni اللاتينية بمعنى عشرة ، وكان أول دينار روماني قد صدر سنة ٢٦٨ ق . م . وكان على احد وجهيه صورة الالهة منيرفا ، وعلى الوجه الاخر علامة « × » اى عشر آيسات .

تعرف العرب الى الدينار الروماني والبيزنطي قبل الاسلام وتعاملوا بها ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم فجاء في سورة آل عمران « ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك » . وقد ظل العرب بعد الاسلام يتعاملون بالدينار الرومي ، حتى قام الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان بضرب اول دينار عربي سنة ٦٩٦ ميلادية ، وبعد ذلك انتشرت الدنانير العربية المختلفة .

● الدرهم : استعمل العرب الدرهم الفارسي قبل الاسلام ، وكان من الفضة ، واصله بالفارسية درم (بكسر الدال وفتح الراء) وعربها العرب باضافة هاء قبل الميم للتخفيف ، وان كان البعض يرجع اصل كلمة

درهم الى دراخما Drachma اليونانية .

اول دراهم عربية ضربت في عهد عبد الملك بن مروان ، رغم انه منذ زمن عمر بن الخطاب جرى ضرب بعض العبارات العربية على الدراهم الفارسية والبيزنطية ، وقد ورد ذكر الدرهم في القرآن الكريم في سورة يوسف « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة » .

وذكرت الدراهم في الاشعار العربية كقول احدهم :

ان الدراهم في المواطن كلها
تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن اراد فصاحة
وهي السلاح لمن اراد قتالا

يروج الدرهم اليوم في المغرب ودولة الامارات العربية وموريتانيا ، وفي العصور العربية الغابرة استخدم العرب الدراهم البغلية والسميرية والطبرية ، اما الاولى فنسبة لكبر حجمها واما الثانية فدعيت كذلك نسبة الى الذي سكها للحجاج بن يوسف الثقفي وهو يهودي يدعى سمير . اما تسميتها بالطبرية فنسبة الى ضربها في طبرستان (شمال ايران وتدعى اليوم مازندران) .

● الجنيه : هو العملة الرسمية اليوم لمصر والسودان ، وكانت بريطانيا قد استخرجت من غينيا Guinea ذهبا بكميات كبيرة ، منذ القرن التاسع عشر ، وسكت منه عملة ذهبية عرفت بالذهب الغيني ، ومنها تحرفت في العربية الى جنيه ، وكانت بريطانيا قد جعلت قيمته ٢٠ شلنا ، لكن لنقاء ذهبه نسبة للانواع الاخرى فقد ارتفع ثمنه في السوق السوداء الى ما يقرب من ٣٥ شلنا .

● الريال : تتداوله السعودية واليمن الشمالية وقطر وعمان ، واصله نقد فضي اسباني اشتهر بالريال اى الملكي وان كان اسمه الرسمي بيزو . بدأ العرب يتداولونه في القرن السابع عشر وما بعده ، وظل في الاستعمال في جنوب الجزيرة العربية الى سنوات قليلة ، الى جانب ريال ماريا تريز النمساوي ، ووحدة الريال اليمني البقشة ووحدة الريال السعودي البيسة وكلتاهما اجنبيتان ايضا .

● الليرة : هي العملة الرسمية في سوريا ولبنان ، وهي مشتقة من الايطالية ، واصلها وحدة عملة اصدرتها جمهورية البندقية الايطالية في مطلع عصر النهضة باسم ليرا وجمعها لير ، وكانت سوريا ولبنان تستعمل الليرة الذهبية التركية التي صدرت سنة ١٨٥٤ وكانت تساوي مئة قرش ، وظلت هي السائدة حتى سنة ١٩٢١ عندما صدرت الليرة السورية اللبنانية التي تساوي مئة قرش ايضا ، وعندما خرج الفرنسيون من البلدين اصدر كل منهما عملته الخاصة به .

● القرش : وهو وحدة عملة صغيرة تستعمل في بلاد عربية كثيرة واصله من الالمانية Grocher او من غروسيرو الايطالية ، وقد اصدر الاتراك اول قرش عثماني وكان من الفضة في عهد السلطان سليمان الثاني (١٦٨٧ ـ ١٦٩٠) ، كما ان اول قرش صدر في مصر كان سنة ١٧٦٩ في زمن علي بك الكبير .

كان القرش العثماني الصاغ يتألف من اربعين بارة اما القرش الرائج او الشرك فكان اقل من ذلك بكثير . اما القرش المصري الحالي فقد صدر قانونه سنة ١٩١٦ وحددت قيمته بعشرة مليمات .

● الفلس : اصلها من اليونانية Follis ومعناها كيس صغير ، وهو الكيس الذي كانت توضع فيه قطع النقود الصغيرة ، كما ان هذا اللفظ اطلق على عملة يونانية نحاسية صغيرة .

ضربت الفلوس في زمن مبكر جدا في الدولة العربية الاسلامية ، وكانت الفلوس غالبا من النحاس ، ولشيوعها اصبحت تطلق على النقود بشكل عام .

وهناك عملات عديدة استخدمت في البلاد العربية في الماضي ، وانقطع استعمالها اليوم لاسباب عديدة ، مثل الاقجة والبرغوث والمجيدي والبشليك والمتليك والبارة وهي تركية وزالت من التداول بزوال الدولة العثمانية . كما ان الروبية الهندية كانت متداولة في منطقة الخليج الى ما قبل سنوات قليلة . وكذلك المل والمليم ليستا عربيتين ايضا . ■■

صيدا ـ طلال مجذوب

تعقيب على مقال :

نعم .. حواء من ضلع آدم

بقلم : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

قرأت للدكتور عبد المحسن صالح مقالا ممتعا ، في العدد ٢٤٥ من « العربي » ، عنوانه : الشريط الوراثي سيد جزئيات هذا الكون . فأما المضمون العلمي له ، (وهو جوهر المقال ومبناه) فليست لي من وقفة عنده ، اللهم الا أن تكون وقفة استفادة واعجاب . ولقد كنت ، ولا ازال ، اتتبع المزيد من المعلومات المثيرة حقا عن الصبغيات ، او هذا الذى يسمونه بالكروموزومات ، تلك المعلومات التي لن تبلغ ، مهما اتسعت وتكاملت ، الا ما يشبه غرفة ماء في اوقيانوس متلاطم !.. ولكنها على قلتها هامة وخطيرة ..

غير ان الدكتور عبد المحسن مر - وهو يتجاوز مقدمة مقاله - بعبارات اطلقها ، دون ان يعيرها اهتماما ، حتى لقد كدت (متأثرا بعفويته هذه) اتجاوزها أنا الآخر دون أي انتباه الى ما يكمن في تضاعيفها ، لولا اني صحوت منها الى صدام عنيف ظهر لي بينها وبين اليقين الاسلامي الذي لا اختيار لنا في تجاوزها ، مادمنا مسلمين حقا .

تلك العبارات ، هي قوله : « .. فمن قائل ان حواء قد جاءت من ضلع آدم ، ومن قائل ان الخالق امسك بقطعة من اديم الارض ، وسواها على هيئة الانسان ، ثم نفخ فيه من روحه فقام لتوه انسانا يسعى بكل اجهزته وخلاياه وشرايينه واعضائه .. الخ »

ومن حسن حظي في الحوار ، انني اقف مع الاستاذ الكاتب على قاعدة متينة من الايمان بالله عز وجل . وهو ما قد امتعني بل اطربني من مقاله العلمي الايماني الهادى . فلولا هذه القاعدة الجامعة ، لما اندفعت الى كتابة هذا التعقيب او الحوار ، ولرأيتني اسعى ، في ذلك ، الى شيء لا طائل منه .

أما وأن كلا منا يقف مع الآخر على هذه القاعدة الصلبة الجامعة ، فان بوسعي ان اتخذ منها منطلقا الى كلمات اقولها لاخي الدكتور عبد المحسن ، لا اقيمها على شيء من العاطفة او الاشراق ، او اى من المشاعر النفسانية ، مهما جاءت مكسوة بكسوة الدين ، معتمدة على قدسيته ، وهيمنته . ولكني اقيمها على قواعد العلم ومستلزماته . ومن غير الذين يكتبون في القضايا العلمية ، والذين يستمتعون بالافادة منها والاصغاء اليها ، اجدر بان يحتكموا الى قواعد العلم والمنطق السليم ، كلما غم عليهم امر ، او كلما اختلفوا في رأى ؟!..



هو قول الله سبحانه

ان الذى قرر ـ ياسيدى ـ بان حواء خلقت من بعض اجزاء آدم ، هو الله عز وجل !.. قال ذلك في اول آية من سورة النساء ، وهي قوله عز وجل : (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ..)

صحيح ان الآية لم تنص على انها قد خلقت من ضلعه ، ولكن الامر في ذلك سواء . اذ لا اظن ان لنوع الجزء أى مدخل أو أثر في الاستنكار . على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عين هذا الجزء بصريح النص ، وبما لا يدع مجالا لتأويل ، في حديث ، بل في احاديث ثابتة كثيرة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم فيما اتفق عليه الشيخان : « .. فان المرأة خلقت من ضلع » .

وان الذى قرر هذا الذى تستنكره ، ياسيدى ، من الكيفية التي تم بها خلق آدم عليه السلام ، انما هو الخالق ذاته ايضا . نص على ذلك بعبارات صريحة واضحة في آيات متفرقات كثيرة في القرآن . منها قوله عز وجل :

(ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) ٢٦ الحجر

(واذ قال ربك للملائكه اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ٢٨ الحجر

(خلق الانسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار) ١٤و١٥ الرحمن (واذ قال ربك للملائكه اني خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ٧١و٧٢ (١)

وانك لترى ان هذه الالفاظ ليست اشارات .. بل هي نصوص صريحة قاطعة تتضمن الاخبار بوقوع ما استنكرته . ولا تدع مجالا لادخال اى تأويل عليها ، ان اردنا الا نخرج على قواعد اللغة العربية التي تنزل القرآن منضبطا بها كأى نص عربي آخر . والا فما ايسر ان نتصور في كل آية تعبيرا عن كل ما نريد اوما لا نريد .

ولكن ما هو محط انكارك لما تضمنته هذه النصوص ياترى ؟

ان كان محط الانكار ، ما قد يتصور من طفرة او من سرعة الانتقال من الهيكل الترابي او الطيني لادم عليه السلام ، الى بشر سوى ينطق ويعقل . فان الامر في ذلك محتمل .. والنصوص القرآنية ساكتة عن امد الفجوات الزمنية بين كل مرحلة واخرى في خلق آدم عليه السلام ، اذن فالخطب في ذلك يسير .

موقف عويص

اما ان كان محل الانكار جوهر هذا التكوين بالشكل الذى يخبر به القرآن (وهذا هو الغالب ، اذ هو المفهوم من كلامكم : فالخلق العظيم لا بد له من فكرة عظيمة يقوم

(١) الصلصال هو الطين المشوى او اليابس ، والحمأ الطين الاسود المتغير ، والمسنون المصور صورة انسان اجوف . المارج : اللهب المتناهي في صفائه عن الدخان .

عليها ويتأنسن ، ثم يشق طريقه بعد ذلك في مكروب ودودة وحشرة ونبات وحيوان وانسان .. الخ) اقول : اما ان كان هذا هو محل الانكار ، فالموقف عويص اذن ، والخطب ياسيدى ليس بالسهل .

وابدأ قبل كل شيء ، فاذكركم بالقاعدة العربية التي لا مناص من اتباعها ، بصدد تفسير النصوص القرآنية والنصوص العربية الاخرى ايا كانت . وخلاصة هذه القاعدة ان الاصل في الكلام اذا اطلق ان يحمل على معناه الحقيقي ، فلا يجوز صرفه الى المجاز الا بعد تعذر الحقيقة . ثم ان المجاز ايضا لا يعتد به ولا يسمى مجازا الا اذا كانت بينه وبين المعنى جسور واصلة طبق ضوابط وقواعد معروفة . فلا جرم ان لتفسير النصوص قواعد عربية لا يجوز الاخلال بها في حال من الاحوال . وهي تعد من الاوليات التي استخرجت من نحو هذه اللغة وصرفها ، ولا يتدانى اليها اى ريب او خلاف بين العلماء .

فهل ترى ـ والحالة هذه ـ من سبيل الى تذويب الكلمات والنصوص القرآنية التي لا مفر منها ، للوصول من وراء ذلك الى انكار وجود اب لهذه الخليقة اسمه آدم ، وللوصول الى انكار الكيفية التي صور بها القرآن النشأة الاولى للانسان ، كل ذلك من اجل ان تنفرج امامنا الساحة لما نحبه او نتخيله ، من ان القصة بدأت بسلم من التطورات ، مخرت الى صدر التاريخ الانساني عبابا من الدهور والازمنة المتراكمة ؟!

هل ترى يا اخي من سبيل مقبولة ، في ظل القواعد العربية ، الى هذا الصنيع ، مع العلم بانك ان فعلت ذلك ، لن تبقي على حقيقة في التعبير القرآني عن هذه القصة ، ولا على مجاز ؟!

وكأنك قد علمت هذا الذى اقوله ، ويعرفه جميع علماء العربية وقواعد تفسير النصوص ، فالتزمت بان القرآن لم يضبط نفسه بشيء من هذه القواعد ، واعتذرت له عن ذلك بانه لم يشأ ان يحمل العقول ما هو فوق طاقتها ! .. وانا اقول لك : فلو ذكر القرآن للعرب آنذاك ، هذا الذى تقوله انت اليوم ، من ان هذه الخليقة انطلقت من مكروب ، فدودة ، فحشرة ، فنبات ، فحيوان ، فانسان .. افكانت عقول الناس اكثر استغرابا له واعراضا عنه مما استغربت قوله لهم : ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ؟! ومتى كانت عقول الناس تنفر عن قبول فكرة التدرج البطيء في التطور والخلق ، وتسرع الى قبول الطفرة المتمثلة في شعار كن فيكون ؟!

وهل واجه الناس الى الان شيئا اغرب في ميزان العقل ، وابعد عن التطور والخيال ، من القول بالنشأة الثانية للانسان بعد الموت ؟.. فما للقرآن ، اذن ، قد ملأ سوره وصفحاته بالاخبار عن هذه النشأة والتأكيد عليها ، مادام انه لايريد ان يواجه العقول بما هو فوق مألوفاتها ؟

لااعتقد ياسيدى ان القرآن قد الزم نفسه بهذا الذى تقولون .. كل ما اعلمه ان هذا القرآن كتاب تربية لكل من العقل والسلوك ، وما اكثر ما تستدعي اصول التربية تصعيد الانسان من مستوى المعروف والمألوف الى سدة المجهول وغير المألوف .

امام الحقيقة العلمية

وبعد ، فاني اعد هذا الذى قلته الى الان ، مقدمة بين يدى الغاية التي اريد ان انتهي اليها .. ذلك لانني لم ادعم حديثي الذى قلته الى الآن الا بنصوص .. ثم لم ادعم النصوص الا بقواعد التفسير والاستنباط . وليس هذا وحده محور تعقيبي على العبارات التي وردت في مقال الدكتور عبد المحسن صالح .

ان دعامتنا الاولى والاخيرة ، في اليقين بمقتضى اى نص ، وفي التمسك باى معتقد او دين ، انما هي الحقيقة العلمية الراسخة الصافية عن شوائب الفرضيات والنظريات وما دار ويدور في مستواها .

لذا فاني ابدأ فاسأل الاخ الدكتور عبد المحسن ، وكل عالم مختص في علوم الاحياء وما يتعلق بها من كيميائيات :

هل يوجد اى تلازم علمي بين المعلومات الشائقة التي قرأناها عن الصبغيات وبعض من اسرارها ، في

مقال الدكتور عبد المحسن صالح ، وبين نقيض ما اخبرنا به الله تعالى في قرآنه ، من حديث النشأة الاولى للانسان ، من خلال الآيات التي استعرضنا آنفا طائفة منها ؟ ..

وهل يتنافى شيء من تلك المعلومات الهامة حقا مع قرار الله تعالى في القرآن بان الله تعالى قد خلق حواء من جزء مما قد مما خلق منه آدم ، ايا كان هذا الجزء ضلعا او غيره ؟ ..

وانني لاقول : اذا ثبت بالبرهان العلمي ان شيئا من هذه المعلومات تتناق مع قرار القرآن بان الناس انحدروا من اب اعلى لهم اسمه آدم ، وبان الله شكله باديء ذي بدء من طين سوي ، ثم نفخ فيه من روحه (والله اعلم بكيفية كل ذلك ودقائق تفصيله) ـ : فانني على استعداد للتخلي عن هذه النصوص . ولسوف انفض منها كلا من يدي وعقلي ، دون ان اخادع نفسي بمجاملتها عن طريق التغيير والتأويل .

فانا لم استيقن شيئا مما انطوى عليه صريح كتاب الله تعالى وسنة رسوله الصحيحة الثابتة ، الا بعد ان استوثقت من بصمات الحقائق العلمية الثابتة على كل ذلك [٢] وانني لعلى يقين بان كل ماقد يتصف به الدين من القدسية والسمو ، انما ينبثق من البراهين العلمية التي ينهض عليها . فاذا انكشف الواقع اليقيني عن خلاف ذلك ، فان كل ما يقال عندئذ عن سموه وقد سيته ، لا يعدو ان يكون زيفا وتمويها .

العم والجهل بالحقائق

والى ان يتفضل اى باحث علمي مختص ، بالحجج العلمية الموضوعية على وجود شيء من التلازم الذى طرحت السؤال عنه ، لا ارى مناصا من عرض يقيني العلمي الثابت في هذا البحث من خلال ايضاح النقاط التالية :

اولا : وبقطع النظر عن وجود الخالق والايمان به ، نقول : ان الوصول الى معلوم يقيني عن الكيفية التي نشأ او وجد بها شيء ما ، يأتي قمة المعلومات التامة المتعلقة بجوهره ودخائله .. فمن فاتته المعرفة التامة بجوهر الشيء وكوامنه ، فاحرى ان تفوته المعرفة الصحيحة بكيفية انبثاق ذلك الشيء من العدم الى الوجود . ذلك لان العلم بكيفية نشوء الشيء يتوقف على معرفة (جوهره) بينما قد لا تصل المعرفة به ، كما هو في واقعه الحالي ، الى اكثر من الاطلاع عن ظاهراته ، او حتى بعض ظاهراته فقط .

واننا جميعا لنعلم بان كل الذى تنبه اليه العلماء من دخائل الخلية الحيوانية ونواتها ، لم يزد على ان دلهم على مبلغ جهلهم بالحقائق والاسرار العظيمة الكامنة في اعماقها . وهذا ما قرره الاستاذ الكاتب نفسه في المقال الذى نتحدث عنه . فكيف يتأتى لنا ـ مع هذا الجهل ـ ان ندلي باى قرار غيبي عن كيفية نشأة هذه الجزيئات ، لا في ذاتها ، بل ضمن نشأة جنسها الحيواني الشامل البعيد ؟ ! ..

نعم ، انا لا انكر ان الانسان طموح بطبعه الى معرفة وقائع الماضي ، كما هو طموح الى التنبوءات باحداث المستقبل . ولكن كما ان تنبؤاتنا عن الاحداث المقبلة لا تسمى بوجه من الوجوه علما ، كذلك تخيلاتنا لتطورات الماضي وكيفياتها لاتسمى علما . اللهم الا بعد ان تلقى هذه الاخيلة او التنبوءات دعما من البراهين والبينات العلمية الصحيحة ، فلاجرم انها تصبح بذلك حقائق ثابتة .

ثانيا : ما هي العلاقة العلمية الماثلة بين الحصيلة العلمية التي وصل اليها العلما، عن الخلية الحيوانية وما تنطوى عليه ، وما يمكن ان نفترضه علميا عن كيفية نشأة جنس الحياة على الارض وتطورها من حال الى حال ، حتى استقرت عند بدء الوجود التاريخي للفصائل الحيوانية التي نراها من حولنا اليوم ؟

---

(٢) ارجو التنبه هنا الى مدى الخلط الذى ينجرف فيه كثير من الباحثين بصدد الفرق بين ما يسمى حقيقة علمية ، وفرضيات ونظريات تطوف حول التطلعات العلمية المختلفة .

اعتقد ان من العسير جدا العثور على هذه العلاقة او الجسور الواصلة ..

فحتى عندما يتاح للباحث ان يصل الى معرفة تامة بكنه الشيء وجوهره ، لايتمكن ان يبني على هذه المعرفة وحدها قرارا علميا صحيحا عن الكيفية التي انبثق بها الوجود الاصلي لذلك الشيء . بل لابد ان يضيف الى معرفته تلك سلسلة من المعلومات اليقينية الاخرى (يطول الحديث عن طبيعتها ومتعلقاتها) حتى يتمكن من الوصول الى مثل هذا القرار .

الخطيئة الكبرى

ثالثا : لعلنا كثيرا ما نقع في تلك الخطيئة الكبرى التي يسميها العلماء : قياس الغائب على الشاهد . عندما نحاول ان نغوص بافكارنا وتخيلاتنا في ظلمات الماضي البعيد ، لنعود منها ببوارق الحقائق العلمية ، الضاربة جذورها في اصل التكوين ، ونشأة الحياة ونحو ذلك .. فنحن في حياتنا الراهنة متأثرون بما نراه حولنا من عادة كونية قلما تشذ ، الا وهي عادة التدرج في كل شيء .. التدرج في السير نحو القوة وتكامل الوجود والتدرج في السير نحو الضعف والزوال ، والتدرج في تحول الطاقات وتبدد العناصر ، والتدرج في سير الزمن وتبدل معالمه .. الخ . ونظرا الى ان هذه العادة استقرت في اخيلتنا ، لكثرة ما يتكرر واقعها على نفوسنا منعكسا عن كل ما حولنا ، فقد اصطبغت اعيننا وافكارنا منها بنظارات ، جعلتنا لا نستطيع التأمل في اي امر غائب عنا الا وهو موضوع تحت هذا المنظار .

وتحت هذا المنظار يبدو كل شيء محكوما بسلطان التدرج البطيء ، مهما كان غائصا في لجة الماضي او غائبا وراء حجب المستقبل . مع انه سلطان وهمي لا يستند الى اي برهان علمي متحرر من تأثرات النفس ووقوعها تحت سلطان العادة والالف . والانسان ـ كما يقول الامام الغزالي ـ شديد التأثر بما يفعله الوهم في كيانه ، حتى ان كثيرا من افكاره وتصرفاته لاتنهض الا على منطلقات من ردود الفعل الشرطية ، او ما يسميه الغزالي : سبق التصور الى العكس ، وهو يحسبها احكاما علمية نزيهة .

رابعا : بالاضافة الى هذه النقاط الثلاث التي عرضناها ، بعيدا عن النظر الى وجود الخالق والايمان به نقول : فاما اذا انطلقنا بعد ذلك من اليقين بان الله خالق كل شيء وانه قادر على كل شيء (وهو يقيننا العلمي الثابت ، وهو القاسم المشترك الذي يجمعنا مع الدكتور عبد المحسن صالح على صعيد واحد) فاي مسوغ علمي يبقى لاتخاذ قرار يقضي بحتمية ان تكون نشأة الحياة او الكون على شكل وباسلوب معين ؟ ان تصور اي قيد من شأنه ان يحتم وجود الحياة بطريقة ما ، فرع عن تصور عدم قدرة الخالق على كل شيء ، او هو فرع عن تصور ان هذه القيود المحتمة اقوى فاعلية من ارادة الله عز وجل . وكل ذلك يتناقض مع اليقين بوجود الله سبحانه وتعالى وقدرته المطلقة على كل شيء .

نعم ، لنا ان نجتهد في تصور اسلوب ما من اساليب الخلق الالهي للكون ، او لبعض مخلوقاته ، ويبقى الاجتهاد عندئذ ضمن دائرة الاحتمال العقلي لايتجاوزها ، ولكن هذا الاجتهاد على كل حال مشروط بعدم وجود اخبار صريح متعلق ببيان الامر . وهذا معنى قولهم : لا اجتهاد في معرض النص .

×× ×× ××

أما ان كلا من الخلق العظيم والفكرة العظيمة انما يتحقق يا سيدي ضمن سلطان الارادة الالهية المطلقة ، التي لا يوجد لنا اي دخل في اصطفاء متعلقاتها . وانما لنا دور ، شاء الله ان يشرفنا به ، هو دور الافادة واستخراج المعارف منها لحياتنا . فلنتلق نصوص القرآن الصريحة كما وردت ، لانقتحم اليها باي تأويل ، ولنقف منها وقفة تسليم وخشوع ، كما نقف الوقفة ذاتها امام غوامض الاسرار العظيمة التي تكتنف الشريط الوراثي الذي حدثتمونا عنه . ولنردد معا بخشوع العبد الضارع لمولاه قوله عز وجل :

(ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) ■■

دمشق د . محمد سعيد رمضان البوطي

أنباء العلم والعلماء

اعداد : يوسف زعبلاوي

الهيدروجين هل يحل محل البنزين في وقت قريب

● نجحت احدى الشركات الامريكية في صنع سيارة تسير بالهيدروجين ... بدلا من البنزين او ان شئت .. بالبنزين بدلا من الهيدروجين .. حسب رغبة السائق . ومعنى هذا ان السيارة مزدوجة الاجهزة ... اجهزة البنزين التقليدية ، واجهزة الهيدروجين الجديدة .

والهيدروجين هو بيت القصيد بالنسبة الى هذه الاجهزة الجديدة ، كما لا يخفى . الا انه هنا ليس في حالته الغازية ... وانما في حالة امتصاص ضمن قطع صغيرة من معدن ، لا تكاد تسخنها حتى تفرز الهيدروجين الكامن فيها . ولما كانت هذه القطع غير موجودة في الاسواق ، وكانت الآلة التي تصنع الهيدروجين على هذا النحو هي الاخرى غير موجودة كان لابد من بيع هذه الالة مع سيارة الهيدروجين .

على ان الآلة صغيرة نسبيا ، ولا يزيد حجمها على حجم الغسالة المنزلية .. والخامة الوحيدة التي تحتاجها انما هي الماء العادي الذي تجده في كل المنازل ... وهي تحتاج ايضا الى طاقة تستمدها من تيار كهربائي بقوة ٢٢٠ فولت .. كالذي تجده في المنازل ايضا .... وما عليك الا ان تدير الازرار فلا يلبث مستودع السيارة ان يمتلىء بقطع المعدن المتشبعة بالهيدروجين بالمقادير المطلوبة .

ويسع هذا المستودع كمية ٢,٥ كيلوغرام من الهيدروجين .. بما يكفي لقطع مسافة (١٧٠) كيلو مترا . أما السرعة التي تستطيع السيارة الجديدة الانطلاق بها بوقود الهيدروجين فتبلغ في حدها الاقصى (١٢٨) كيلومترا في الساعة . واما الاستهلاك فلا يقل عن ٦٤ كيلومترا للجالون الواحد .

وتجدر الاشارة الى ان شركة (بلنجز انرجي كوربوريش Billings Energy Curp) الامريكية هي التي تصنع الة الهيدروجين التي ذكرنا وتعدل السيارات العادية المعروفة بحيث تصبح مزدوجة الاجهزة وهي التي تتولى بيع هذه السيارات في الاسواق .

تحويل الصحراء الجرداء الى مروج خضراء هل اصبح قريب المنال ...؟

● الظاهر ان القضاء على العلة الاساسية في التربة الصحراوية بات في متناول اليد .. ذلك ان احدى الشركات السويسرية نجحت في تخليق مستحضر جديد كفيل بتحويل التربة الصحراوية الى تربة زراعية ....

فهو يضمن مضاعفة قدرة تلك التربة على امتصاص الماء بما قد يصل الى مائتي ضعف .. ولا عجب ، فمستحضر الاجروهيد نفسه ، Agrohyd ، وقوامه حبيبات صغيرة تضاف الى التربة المراد معالجتها كما تضاف

الاسمدة ... يستطيع امتصاص الماء بمقادير كبيرة تبلغ اضعاف وزنه .. (١٢) ضعفا في بعض الاحيان ... اضف الى ذلك ان الاجروهيد يفكك التربة المتماسكة القاسية بحيث تصبح اكثر قابلية للحرث وسائر الاعمال الزراعية ، وتسمح بنفاذ الهواء الى جذور النبات . هذا والمستحضر الجديد لا ينحل ولا يفقد خصائصه ويحافظ على فاعليته سنوات وسنوات .

بقي ان نذكر ان الأجروهيد هذا كان موضع تجارب واسعة النطاق في المملكة العربية السعودية وقد دلت تلك التجارب التي طال امدها اكثر من سنتين ... ان البذور التي زرعت في التربة الصحراوية التي عولجت بالأجروهيد بقيت حية بنسبة ٩٥٪ ... وانها ظلت تنمو بصورة طبيعة طوال سنتين ... وكشفت تلك التجارب ايضا عن ميزة اخرى للمستحضر الجديد ... قابليته للاستعمال في تربة زارعية غير صحراوية أصلا ، وقدرته في تلك الحال على توفير ماء الري بنسبة تتراوح بين ٥٠ ـ ٨٠٪ .

حبوب للاجهاض جديدة تتناولها الحامل فتسقط حملها بسرعة وبسهولة

● يبدو اننا مقبلون على ثورة تفوق الثورة التي احدثتها حبوب منع الحمل ... وتلك التي قامت وما زالت قائمة بسبب اباحة عمليات الاجهاض ... ويبدو ايضا ان الثورة المرتقبة من شأنها ان تهز هزا عنيفا معتقداتنا الخلقية والاجتماعية والدينية ، وتحدث انقلابا جذريا في مفاهيمنا وفي صلب مجتمعنا ... مجتمع الانسان في كل زمان ومكان ... ذلك ان حبوب الاجهاض باتت قاب قوسين او ادنى ... الحبوب التي تغني عن عمليات الاجهاض والتي تتناولها المرأة الحامل دون حاجة الى طبيب او جراح ودون رجوع الى اب او زوج او شقيق ... فتسقط حملها بسرعة وسهولة ... بحبة او تحميلة واحدة ... هذه الحبوب ، اصبحت في طريقها الى الاسواق .

فقد تخطت حبوب الاجهاض هذه مرحلة التجارب المخبرية وكذلك التجارب البشرية ولم يبق امامها سوى بضع شهور لتباع في الصيدليات كما يباع الاسبرين . ثم ان العمل يجري بصددها على قدم وساق لا في امريكا فحسب ولكن في بريطانيا والسويد ايضا ... حتى بدت مصانع الادوية المعنية وكأنها في سباق تحرص فيه اشد الحرص على ان تكون الفائزة الاولى ..... التي تسبق منافساتها في تسويق حبوب الاجهاض .....

على ان هذه الحبوب تكاد تكون واحدة من حيث التركيب والفاعلية ، وان تعددت مصادرها . فهي مركبات اصطناعية للبروستاجلاندين Prostaglandin ... تضاهي مركباته الطبيعية ، وتمتاز عليها انها تحامل صنعت بحيث تقضي على الحمل في مراحله المبكرة ... وبفاعلية لا تقل عن ٩٠٪ ، دون ان يكون لها آثار جانبية تذكر ...

ويسهل على الحامل تناولها .. دون الحاجة لاشراف طبيب او عناية ممرضة ..... ويسهل على المرأة شراؤها ، سواء كانت متزوجة ام لا ، وبوصفة طبيب او بدونها ..... وقد لا تشترط هذه الوصفة اطلاقا ما دامت التحامل المرتقبة لا تعود على احد بضرر ، ولا يترتب عليها اي خطر .

فهي لا تعبث بالبويضة الملقحة من قريب ولا من بعيد ، وانما تحول دون انزراعها في جدار الرحم فحسب .....

فاذا اشتبهت المرأة بأنها حامل وغالبا ما يكون هذا في الاسابيع الاولى ... التي تكون فيها البويضة ملقحة وقريبة من جدار الرحم ولكنها غير ملتصقة به ، وتناولت تلك المرأة تحميلة الاجهاض ، عملت هذه التحميلة على الحيلولة بين البويضة وبين الجدار .. وتقضت على البويضة قبل ان تصبح جنينا بالمعنى الدقيق ... فتنزف المرأة الحامل نزفا طمثيا مضاعفا ، ثم لا تلبث دورتها الشهرية ان تعود الى سابق عهدها ...

وليس معنى هذا ان البروستاجلاندين لا يؤثر الا في مراحل الحمل الاولى ... فلطالما لجأ الاطباء في الماضي الى استعمال مركباته الطبيعية بقصد اجهاض الحامل واسقاط حملها في مراحل الحمل المتأخرة ... التي تزداد خطورة عمليات الاجهاض فيها .. ان لم يتعذر اجراؤها ....

والغريب ان مركبات البروستاجلاندين الاصطناعية آمنة من مركباته الطبيعية ... وقد تعمدوا في صنعها ان تكون فعالة في اشهر الحمل الثلاثة الاولى .... فلا يكون لها مثل الاثار الجانبية التي كانت للمركبات الطبيعية .

بشرى جديدة لمرضى السكري

● الجراثيم ليست كلها نقمة ... ويصدق هذا على جراثيم السعال الديكي .. التي قد تكون ذات نعمة كبيرة ، كما اكتشف العلماء في اليابان مؤخرا ...

فقد ثبت لهم ان في استطاعة هذه الجراثيم ان تنشط البنكرياس وتدفعه الى العمل وافراز الانسولين بصورة طبيعية .

والاهم من ذلك ان اولئك العلماء نجحوا في تحديد البروتين الذي يقوم بمهمة التنشيط هذه ، ونجحوا ايضا في عزل هذا البروتين عن جسم الجرثومة ، جرثومة السعال الديكي ... وهكذا اصبح في مقدورهم اجراء التجارب على ذلك البروتين وعلى فاعليته بالنسبة لمرض السكر على نحو من التركيز .

وقد اثبتت تلك التجارب ، فيما اثبتت ، ان حقن جزء يسير من الغرام الواحد من ذلك البروتين في العضل كفيل بالمحافظة على محتويات السكر في الدم بالنسبة السوية المطلوبة ، طيلة شهر كامل . واثبتت كذلك ان تكرار الحقن بهذا العقار ليس له اثار جانبية ... غير ان التجارب حتى الآن انما أجريت اكثرها على الحيوان ... وقد بدأوا في المدة الاخيرة اجراء تجاربهم على المتطوعين من بني الانسان ... وقد لا يمضي وقت طويل حتى تعمم هذه التجارب الاخيرة لتشمل المستشفيات والمستوصفات المتخصصة ... عندها يصبح العقار الجديد جاهزا للانتاج على نطاق واسع والبيع في الاسواق ثم التصدير .

ويعتقد البروفسور ميشيوري (Michio ui) من جامعة هوكايدو ان العقار الجديد الذي عمل على تطويره في تلك الجامعة في السنوات الاخيرة .. سيجعل طرق معالجة مرض السكري بحقن الانسولين او حبوب الدايابينز او الداؤنيل او الديامكرون او ما الى ذلك .. التي يتعاطاها المرضى يوميا ... طرقا بالية ... فحسبك ان العقار الجديد قوامه البروتين لا المواد الكيماوية ويتناوله المريض مرة في الشهر وبمقادير ضئيلة للغاية ... ثم انه يمتاز في فاعليته التي تتوقف متى هبطت نسبة السكري في الدم الى مستواها السوي ... فيحافظ عليها عند ذلك المستوى ولا يخفضها ...

نداء الغاب

مغامرة في دنيا الكلاب !

بقلم : الدكتور عبد الواحد لؤلؤة

ولد الروائي الامريكي (جاك لندن) في كاليفورنيا عام ١٨٧٦ في احضان الفقر وتكسب في العمل على متون البواخر ... وفي عام ١٨٩٧ ساهم في (حملة الذهب) التي هاجت في (اقليم كلوندايك) في الطرف الشمالي الغربي من كندا على الحدود الشرقية من (الاسكا) . هناك عثر على الذهب في جدول ماء يدعي (كلوندايك) فتسابق اليه الوف من الباحثين عن الثروة . حتى زاد عددهم على ثمانية عشر الفا من المغامرين عام ١٨٩٨ . وبعد تلك الهجمة تناقص الذهب في ذلك الاقليم ، ولكن (حملة الذهب) ما تزال ماثلة في اذهان الاجيال الامريكية اللاحقة ، يزيد في ترسيخ ذكراها عدد من افلام هوليوود التي تمجد المغامرات الفردية والتكالب والطمع الذى تهون دونه كثير من القيم الانسانية في سبيل ذلك الأصفر الرنان .

وقد كان من شأن الخبرة التي كسبها (جاك لندن) في نشأته الفقيرة وفي عمله على السفن ، وفي مصاحبة المغامرين على الذهب في المتجمدات الشمالية وفي رحلاته البحرية الى بحار الجنوب الدافئة ، اكبر الاثر في ميله نحو الافكار الاشتراكية في السياسة .

وقد ضمن افكاره وخبراته في الكثير من حكاياته واقاصيصه التي كان يغزلها حول مسائل عاشها ولم يقرأ عنها في الكتب . لذلك جاءت طرية في واقعيتها ملموسة في تفصيلاتها ، تكاد تكون صورا مما يصوره الفنان بالريشة والقلم .

وهي الى ذلك صور قاسية ، ولكنها صور صادقة . نجد هذه الصفات جميعا في مجموعته القصصية الاولى « ابن الذئب » التي نشرها عام ١٩٠٠ ، وهي تدور حول ظروف الحياة في اقاصي الشمال الاميركي المتجمد . ومثل ذلك نجده في رواية « نداء الغاب » التي نشرها عام ١٩٠٣ ، وفي (ذئب البحر) التي نشرها عام ١٩٠٤ ، وكذلك في « الناب الابيض » التي نشرها عام ١٩٠٦ . أما خبراته ورحلاته في بحار الجنوب الدافئة فقد ضمنها في « حكايات بحار الجنوب » التي نشرها عام ١٩١١ كما تجدها في « مارتن ايدن ـ ١٩٠٩ وجون بارليكورن » ١٩١٣ . والروايتان الاخيرتان في ادب السيرة الذاتية بالدرجة اللاولى . وفي عام ١٩٠٧ نشر جاك لندن رواية « العقب الحديد » وهي تدور حول موضوعات اشتراكية الطابع وتتنبأ بحدوث ثورة فاشستية ، ومثل ذلك رواية « وادى القمر » التي نشرها عام ١٩١٣



رواية نداء الغاب لجاك لندن ، ليست في حقيقتها رحلة في عالم الكلاب ، ولكنها صرخة في وجه البشر !

رهط الكلاب

ورواية « نداء الغاب » تقع في باب المغامرات التي كانت تجري في الاسكا عام ١٨٩٧ ، في (حملة الذهب) ، وربما كانت هذه الرواية من امتع واشهر ما كتب (جاك لندن) وقد ترجمت الى العربية اول مرة ونشرت ببغداد عام ١٩٦٢ .

هنا نجد رواية ابطالها كلاب لا بشر ، ولكنها كلاب تتصرف تصرف الآدميين وتفوقهم في احيان كثيرة في « حفاظها للود » ، « كما قال الشاعر العباسي علي بن الجهم . والرواية تدور حول التكالب على الذهب من آدميين يريدون لنا ان نصفهم بصفات ترتفع عن مستوى الحيوان . ولكن الكاتب يقدم اولئك الادميين في ابشع صورة لمخلوق . هنا الطمع والهجوم الشرس على الفريسة والتضحية بالقيم « الانسانية » في سبيل الكسب ، والتضحية بالراحة الشخصية والصحة وكل الصفات « الآدمية » في سبيل الربح . ولا ينجو من هذه العيوب الخلقية الا نفر قليل في رهط المغامرين ، لايتساهم الكاتب يقدمهم في ضوء كاشف ، لكنه يدوم حينا او بعض حين .

في مقابل هذه الصورة المتجهمة عن « رهط البشر » نجد صورة اخرى من « رهط الكلاب » يتصرفون بشكل يوازي تصرف البشر من « تكالب » وتنافس على السلطة والربح والقيادة ، وعدم الاكتراث لواحد منهم يسقط جريحا في عراك او قتيلا في تعب في سحب الزلاقات على جليد الاسكا ، اذ لايلبث « صحبه » من الكلاب ان يتعاوروه فلا يبقي في جثته غير العظام . هذه الصورة الشرسة القاسية في « عالم الكلاب » هي صورة ما يجري في « عالم البشر » ، حيث تكون الثروة ام الكبائر .

بهذا المعنى يمكن ان نقول ان جاك لندن كان يحمل افكارا اشتراكية وهي ما يدعوه فلاسفة السياسة « اشتراكية طوباوية » اشارة الى يوتيبيا اي المدينة الفاضلة باللغة الاغريقية ، وهي الاشتراكية المثالية التي دعا اليها بعض الكتاب والمفكرين في اواخر القرن التاسع عشر في اوربا ، ومنهم الشاعر الاديب (وليم موريس) الاستاذ في جامعة اكسفورد الذي ضمن اراءه الاشتراكية المثالية في كتابه الموسوم (اخبار من لا

مكان) . وكلمة « لا مكان » هي الترجمة الحرفية للكلمة الاغريقية « يوتوبيا » اى المدينة الفاضلة التي لا توجد الا في (اللامكان) في ذهن الفلاسفة من رهط افلاطون في جمهوريته .

في ظل قانون العنف

وحديث (جاك لندن) عن الكلاب في رواية « نداء الغاب » حديث عارف بالكلاب محب للحيوان وللاقاليم والاصقاع التي اشتغل فيها وراقب الاخرين من بني جلدته . والبطل في هذه الرواية كلب ضخم اسمه (بك) ، ولكن الكاتب يتحدث عنه كأنه يتحدث عن انسان له عواطف حب وكره ومشاعر الفة وعطف وذكاء مدبر مخطط لدفاع او هجوم ، وصبر عارف بالامور بالعامة في مجتمع ينتظر لها ان تتغير فيغتنم فرصته لتحقيق شخصيته او اثبات قدرته على العمل والتصرف ، وحديثه عن عدو (بك) وهو كلب من سلالة المانية من نوع « سبتز » حديث عارف بعقارب الحقد والكراهية تنتظر فترة للانقضاض .

كان (بك) زعيم الكلاب جميعا في مزرعة القاضي (ميلر) في كاليفورنيا وهو كلب مولد من سلالة (سانت برنارد) وهي كلاب تتميز بالضخامة والقوة وسرعة العدو وتستخدم في عمليات الانقاذ في الجبال ، ومن سلالة كلب الرعاة الاسكتلندي الذي يتميز بالذكاء والصبر واليقظة . لذلك كان بك جمع من السلالتين احسن مافيها من صفات اكسبته محبة القاضي وزوجته حيث كان يعيش معهما في قصر المزرعة في رغد العيش ، يتمتع باحترام الكلاب جميعا ويخشاه جميع الفلاحين والعمال في مزرعة القاضي (ميلر) . لكن (بك) لم يكن يدرك ان حمى البحث عن الذهب قد انحدرت من جماد الاسكا الى دفء كاليفورنيا ، وان الناس هناك ايضا راحوا يسارعون الى اقاصي الشمال بحثا عن الثروة العاجلة . من اجل ذلك كانت الكلاب التي تضارعه في القوة والصفات موضع طلب شديد من المغامرين الذين راحوا يشترون تلك الكلاب لتسحب لهم الزلاقات على جليد الاسكا . ولم يكن (بك) على علم بما يخفيه له القدر حينما اخذه احد عمال المزرعة في نزهة صوب محطة القطار حيث سمع الكلب حديث النقود يدسها في يد العامل شخص غريب . وفي الحال التف حبل حول عنق (بك) ولما حاول ان يتخلص منه ضاق عليه الخناق وكاد ان يحبس انفاسه فسقط مغشيا عليه ولما افاق وجد نفسه في عربة الامتعة في القطار الصاعد الى (سياتل) مركز ولاية (واشنطن) في اقصى الشمال الغربي من اميركا . وعندما افرغت عربة الأمتعة حاول (بك) الفرار من محبسه ولكن رجلا بقميص احمر انهال عليه بهراوة غليظة افقدته وعيه . ولم يكن لهذا الكلب المدلل معرفة بالضرب بالهراوة في رخي العيش في كاليفورنيا ، لكن ذكاءه الموروث جعله يتعلم الدرس بسرعة ويحاذر الهراوة في يد رجل غليظ حيثما ابصر بها . ثم وضع (بك) مع اضرابه من الكلاب في حظيرة محكمة الاغلاق ، وكان بعض الرجال الغرباء يأتون الى الحظيرة في كل يوم يحملون النقود ويعودون ببعض رفاقه من الحظيرة . وجاء يوم حمله معهما اثنان من الكنديين الفرنسيين الذين اشتروا (بك) مع كلاب اخرى وضعوها على متن سفينة ابحرت نحو الاسكا . كان الرجلان يتميزان بالانصاف رغم خشونة في طبعهما ، فكسبا بذلك احترام (بك) . لم تكن الحياة على ظهر السفينة حياة ممتعة لكنها كانت فردوسا بالقياس الى ما كان ينتظر (بك) في الاسكا هناك وجد رجالا وكلابا لا يختلفون عن الوحوش ولا يعرفون غير قانون العنف .

هناك كانت الكلاب تتصارع كانها الذئاب فاذا سقط أحدها انهال عليه الاخرون يفترسون حتى العظام . كان (بك) يراقب احد رفاقه على ظهر السفينة وقد سقط في الصراع ، وكان الى جواره كلب ضخم من نوع « سبتز » الالماني يراقب مشهد المغلوب ولا يبدى حراكا منذ تلك اللحظة اصبح الكلب الالماني عدو (بك) المقيت .

ولت أيام العز

اسرج (بك) مع كلاب اخرى الى زلاقة الرجلين الفرنسيين الكنديين اللذين كانا ينقلان البريد الى الباحثين عن الذهب في الاصقاع الشمالية النائية في الاسكا . كان ذلك نوعا جديدا من الحياة لم يألفه

(بك) ولكنه لم يعترض عليه كان الرجلان منصفين في معاملة الكلاب وكان (بك) من الذكاء بحيث تعلم بسرعة ما جعل منه كلب زلاقة بارعا في عمله . فقد تعلم كيف يحفر في الجليد بحثا عن مكان دافىء ينام فيه ، وتعلم كيف ينظف المسالك في الثلج ليسهل حركة الزلاقة واذا عضه الجوع بنابه تعلم كيف يسرق طعامه بعد ان ولت ايام العز في قصر القاضي في كاليفورنيا . وكلما ابتعدت الزلاقة في أقاصي الشمال ، كانت غرائز اجداده تتحرك فيه فيعود الى طبيعة الكلاب ويبدأ يحس احساسا غامضا بدهاء الذئاب وحيلتها . وقد كانت الذئاب اجداد الكلاب القدامى في حياة الفيافي والقفار ومجاهل الادغال والغابات . وبدأت عضلات (بك) تشتد وتقوى من جراء الرياضة العنيفة ، لكن اقدامه عادت بحاجة الى ما يحميها من قرص الجليد . كانت الكلاب تتساقط من ارهاق ، او تموت في صراع وكانت بعض الاناث تصاب بالجنون . ولم يعد رهط الكلاب على زلاقة (بك) يعمل بصورة جماعية فكان على متعهدي نقل البريد التزام الحذر الشديد . وذات يوم لاحت الفرصة مؤاتية امام (بك) . كان الكلب الالماني قائد الزلاقة فتحين (بك) لحظة وانقض على عدوه القديم وارداه قتيلا . وبعد ذلك خلا الجو امام الكلب الشجاع ليتسلم قيادة الرهط واثبت قدرة عظيمة في ذلك . كان يرغم الكلاب المتمردة على الرجوع الى النظام في سحب الزلاقة فصار افضل كلب رأته عينان . وسجلت زلاقة (بك) ارقاما قياسية في السرعة واصبح (بك) اشهر الكلاب في تلك الاصقاع . وجاء يوم تسلم فيه الرجلان أوامر تقضي بتسليم القيادة الى كلب اسكتلندي هجين ، واشتدت وطأة الشتاء فجلس (بك) الى جوار النار يحلم باجداده في مجاهل الغاب . وبدا عليه انه سمع نداء من بعيد يأتي في العمق يشبه عواء الذئاب .

بدأت الزلاقة طريق العودة وقد نال التعب من الكلاب فما عادت تطيق حراكا . وفي مرحلة توقف في طريق العودة ، بيعت الكلاب الى رجل وامرأة لاعلم لهما بشؤون الكلاب وجبر الزلاقات . وكان لا بد من الاستمرار في طريق العودة ولكن الاجهاد لم يفد معه حتى ضربات السوط ، فقد بلغ الارهاق مبلغه حتى ان (بك) نفسه رفض ان يتحرك . توقف الرهط عند كوخ على الطريق اسمه (ثورنتن) فانهال احد الرجال يضرب (بك) نفسه في محاولة لحمله على مواصلة المسير . وهنا تدخل (ثورنتن) فطرح الضارب ارضا وانقذ (بك) من المعتدي . فاضطر المالك الجديد ان يترك (بك) في رعاية ثورنتن الذي ضمد جراحه وعاد به الى سابق عافيته . وهنا تنشأ نوع من المودة والاحترام بين الكلب وصديقه الجديد وفي مرتين انقذ (بك) حياة صديقه الودود وفاء ما ابداه في حمايته ضد مالكيه . وذات مرة كسب (بك) رهانا قام به (ثورنتن) اذ اخفق اضخم الكلاب في زحزحة زلاقة صكها الجليد تحمل اكثر من خمسمئة كيلو من المتاع . ولما زحزحها (بك) وانطلق بها كسب ثورنتن اكثر من الف دولار من الرهان ، استخدمها في رحلة بحث عن الذهب مصطحبا (بك) الى شرق الاسكا . هناك ابصر (بك) رجلا يغطيه الشعر يصطاد بهراوة ، وسمع عواء الذئاب وكان احيانا يغيب في المجاهيل ثلاثة او اربعة أيام يعود بعدها الى صاحبه (ثورنتن) . وذات مرة صاحب ذئبا كان يسير معه وكأنه يردد قول الحطيئة : تعش فان عاهدتني لا تخونني/نكون كمن با ذئب يصطحبان . وذات مرة طارد جاموسا وحشيا فقتله . وعندما عاد الى المخيم احس ان شيئا غريبا قد وقع خلال غيابه فقد وجد على الطريق عددا من الكلاب قتلى ، ثم وجد جماعة من الهنود الحمر ترقص حول جثث الكلاب بينها صاحبه (ثورنتن) تغطي جثتهم السهام . انطلق (بك) في اثر صاحبه (ثورنتن) فوجد جثته ملأى بسهام الهنود الحمر عند ضفة النهر ، وثارت ثائرة الكلب الوفي فهاجم رهط الهنود فشتتهم بين قتيل وجريح .

وبعد ان انفصمت اخر عرى علاقة (بك) بالبشر انقلب الى رهط من اصحابه الذئاب في مجاهل الغاب . وصار الهنود الحمر يخشونه اذ حسبوه روحا شريرة دخل في جسد كلب وكانوا يتطيرون اذا سمعوه يخطف ازاءهم فيهربون من وجوده . ولكن (بك) كان يعود مرة كل عام الى ضفة النهر الذي ضم جثة صديقه (ثورنتن) ، هناك كان يقف بخشوع ويطلق عواء طويلا يخترق اجواء الفضاء ، وكان بذلك يقدم برهان الولاء من وحش الى صديقه الوفي من بني البشر . ■■

بغداد ـ عبد الواحد لؤلؤة

عن الأمثال الشعبية في سوريا

بقلم : احمد ابراهيم السيد

غالبا ما تعتمد الامثال في سوريا على فكاهة السجع والتضاد ، مما يسهل حفظها ويوسع انتشارها فتراهم يقولون مقارنين بين الغني والفقير في الشتاء ، (الزنكين ـ الغني بالتركية ـ يقول : اجا الشتا ولبس الفروات وحكى الحكايات واكل الكنافات . والدرويش يقول : اجا الشتا ولبس الشراطيط وشرق المخاطيط ـ الحساء ـ واكل القرنبيط .)

وفي الحقيقة ان المثل مرآة تعكس افكار الشعب ومطامحه ومادة خصبة يستفيد منها المؤرخون والباحثون الاجتماعيون ، فالمثل (تركيا جنونة وبريطانيا مجنونة وفرنسا طاحونة) ، يلخص فترة طويلة من تاريخ سوريا الحديث ، فبعد ان زينت بريطانيا للعرب الاستقلال ، فيما اذا ثاروا على الدولة العثمانية ، فلما فعلوا ، تنصلت بريطانيا من وعودها المعسولة ، واعطت الشام للفرنسيين بموجب اتفاق سايكس بيكو ، ودخل الجنرال الفرنسي غورو دمشق بعد ان سار على اشلاء شهداء ميسلون ، وفيهم وزير الحربية البطل يوسف العظمة ... ازاء هذه الاحداث ، حن السوريون الى رحمة العثمانيين ونعتوا الانجليز بالجنون ، والفرنسيين بالتخريب والوحشية ، وترجموا شعورهم هذا مثلا ...

وحدة النفس البشرية

لا فرق بين المثل الشعبي في سوريا وغيره في أي مصر عربي آخر . هذا اذا استثنينا تغييرا بسيطا مما تقتضيه اللهجات المحلية الدارجة . ففي حين يقول السوريون (قالوا للقاق (الغراب في اللغة السريانية) ليش بتنشل الصابونة ؟ قال لهن : الاذى طبع) ، يقول المصريون ـ مثلا ـ (قالوا للغراب : بتسرق ليه الصابونة ؟ قال : الاذية في طبعي) ، بل ان كثيرا من الامثال واحدة في غير لغة من اللغات ، واكثر من ذلك المتشابهة ، لان الاسرة الانسانية واحدة في فطرتها . فالمثل (البطالة أم الرذالة) ، نجده بالفرنسية : loisiveté est la mére de tous les vices

ونجده بالانكليزية : adleness is mother of evils

كما نجده في تراثنا الشعري ، قال ابو العتاهية :

ان الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء اي مفسدة

وقال آخر : « واسباب البلاء من الفراغ » .

ونحن نستطيع ان نجد كثيرا من امثالنا في مجمع امثال الميداني ، اي انها ترجع الى نحو سبعمائة سنة ، ومن ذلك قولنا (اذكر الديب وحضر القضيب) كذلك « ان ضربت اوجع واذا اطعمت اشبع » ولا شك انها بعبارة افصح .

ويقول الاب يوسف قوشا قجي انه وجد هذه الامثال الثلاثة (لورحنا للقبور يطلع لنا داقور . هذه ما هي ومانة هذي قلوب مليانه . مطر نيسان يحيى قلب الانسان) . [1] وجدها في كتاب الخط المحفوظ في خزانة المطرانية المارونية بحلب ، الذي نسخ في العام ١٦٦٦ ميلادية . ويقول ايضا انه وجد هذا المثل (ان ردت تربي ابنك نجر لو قضبان) في الكتاب المقدس . في سفر الامثال « ١٣/٢٤ و ١٣/٢٣ » . [2]

الامثال ذات الصبغة الدينية

يدعو السوري قائلا (فرجك يا رب قريب وقاصدك ما يخيب) ويقول (المال فدا الابدان والابدان فدا الايمان) و (لا تتكبر .. الله اكبر) و (العمدة ع الاخرة) ويخاطبك بثقة (كون مع الله ولا تبالي) و (ان كنت مع الرحمان لا تخاف من تقلبات الزمان) و (ابو الوليدات لا تبات مهموم ، رزق الوليدات عند رب السما مقسوم) ويؤكد (الشكوى لغير الله مذلة) وان (الصلاة والصوم اخير من النوم) ويقول (لا ترهب الا ربك ولا تخاف الا ذنبك) . بل اننا نستطيع ان نسمع امثالا تحمل طابع الغيرة الصحيحة : (متل ما الدين لله كيان الوطن لله) . (قال : لو بتعرف مين الشيطان ؟ قال لو : اي ، اللي ما يلقش كلمة الحق) [3]

روافد المثل الشعبي

نستطيع ان نقول ان اهم ما يرفد الامثال الشعبية لدينا هو : القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والتاريخ . فقولهم (ما بدوم غير وجهو الكريم) ، مأخوذ من قوله تعالى « ويبقي وجه ربك ذو الجلال والاكرام » [4]

والمثل (اللي بدل ع الخير مثل اللي يفعلو) عن الحديث الشريف « الدال على الخير كفاعله » والمثل (ان غاب عنك اصلو دلك عليه فعلو) ، يحاكي بيتا من لامية الشيخ عمر بن الوردي :

لاتقل اصلي وفصلي ابدا
انما اصل الفتى ما قد حصل

والمثل (الكريم كل ما تفخنو ملكتو) مأخوذ من صدر بيت للمتنبي « اذا انت اكرمت الكريم ملكته »

---

(١) داقور : منازع . والمثل الثاني يضرب حين خصام شخصين بسبب تافه يتخذانه ذريعة ويكون النزاع لحقد متبادل قديم .

(٢) الامثال الشعبية الحلبية . جـ ١ ص ١٧

(٣) يلقش : ارامية معناها يتكلم . وغير خاف ان المثل مستوحى من الحديث الشريف « الساكت عن الحق شيطان اخرس » .

(٤) هذه الآية الكريمة ممسوخة اللفظ باقية المعنى . فنحن لا نجدها مكتوبة في القرآن مع ان معناها صحيح .

اما المثل القائل (جادلت الغشيم غلبني ، جادلت الفهيم غلبتو) فلا ريب انه مأخوذ عن الامام الشافعي ـ رحمه الله ـ اذ يقول « ما ناقشت عالما الا غلبته وماناقشت جاهلا الا غلبني » وحين نسمع السوريين يقولون في احدهم (انذل من حجحي) ، يتبادر الى ذهننا قول اجدادهم العرب « اعيا من باقل » [٥]

قالوا عن المرأة

يتكلمون عن عمر المرأة فيقولون (بنت عشرة لوزة مقشرة ، بنت عشرين نزهة للناظرين ، بنت ثلاثين ام البنات والبنين ، بنت اربعين ابرد من الاربعين ـ اي اربعينية الشتاء ـ ، بنت خمسين عجوز في الغابرين ، بنت ستين حضروا لها السكين ، بنت سبعين الله يلعنها والملائكة والناس اجمعين) ـ استغفر الله ، فللمرأة المسنة وقارها وهيبتها ، وهذا وان كان على سبيل المزاح ، فانه غير مستحسن ، ومع انهم يقولون (البنت بسبع حسنات) فانهم يتشاءمون منها حين الولادة (صوت حية ولا صوت بنية) والغريب ايضا قولهم (الله ينجينا من شر الحكام والظلام والنسوان والشيطان) والمفروض ان تنتهي هذه النظرة منذ ان قال الرسول عليه الصلاة والسلام « النساء شقائق الرجال » وعلى كل فهذه الاقوال لا تعيش الا في الاوساط الجاهلية ، ومن ذلك قولهم (البنت ان سلمت من العار بتجيب العدو للدار) وقولهم (الشيطان قال انا اللي بعلم الرجال وبتعلم عند المرا) .

ازاء هذه النظرة المظلمة نجد نظرة منصفة ، كقولهم (بنت مليحة ولا صبي فضيحة) وقولهم (قالت لو : يا اخوى تصير امير القلعة ، قال لها : يا اختي تصيري حفيانة وبالقرعة) ، فهم يؤكدون ان الفتاة اصفى طبع واسلم نية . وكما ان الولد ينشأ على سيرة ابيه فان الفتاة تكتسب خصال امها : (طب اللقن على قفاه بطلع الولد لاباه ، طب الجرة على تمها بتطلع البنت لامها) [٦] (ان ردت تبهدل رجال سلط عليه مرا ، وان ردت تبهدل مرا سلط عليها ولد) . ويقولون عن الجميلة (زندها بصير لها مرايا) ويظهرون اهميتها (الرجال بلا مرا متل خاتم بلا جوهرة) وعملها (الرجال يجبني والمرا تبني) . وحين نزاعها مع زوجها يحزن اهلها ، فقد يؤدي هذا الى طلاقها وهو خطب عظيم (ايش اثقل من الرصاص غير رجوع البنت الى الاساس) ويقولون للزوج (اللي بدو ياخد بنات الناس بدو يرضيهن) ، وسرعان ما ترضي فتقول (جهنم جوزي ولا جنة اهلي)

امثال العمل

اذا لم يخلقك الله جميلا فعلام هذا الخمول ؟ نعم : (اكوس متي من الله اشطر مني ليش ؟) ويحبذون التعاون فيقولون (ايد فوق ايد من هون للسما) ذلك لان (ايدو وحدها ما بتصفق) ويحضون على العمل (الشغل صابونة القلب) واذا عملت باكرا لان (المال الكتير من الشغل بكير واصنع (فالصنيعة اذا ما غنت بتستر) وتاجر لان (التجارة امارة ولو كانت بحجارة) فاعمل فالتأوه لا يجدي (لو كانت كلمة آه تشفي قلب قايلها لاضل ـ لأظل ـ اقول كلمة آه لا اغيرها) ومثله التمني (زرعنا « لو » حصدنا « لا شيء ») واذا صنعت الخير فان ذلك لا يضيع عند الله ان ضاع عند العباد (اعمل الخير وارميه في البحر ، اذا ما بين مع البالق ، يبين مع الخالق) [٧] .

---

(٥) باقل رجل من ربيعة ، بلغ من عيه ان اشتري ظبيا باحد عشر درهما ، فمر بقوم فقالوا له : بكم اشتريت الظبي ؟ فمد يديه وطلع لسانه يريد « احد عشر » فشرد الظبي وكان تحت ابطه .

(٦) اي ارم « اللقن على عقبه ، واللقن كلمة فارسية تعني طست النحاس .

(٧) البالق : تركية معناها السمك وقد اتت لتوافق الخالق قافية ، فالمقصود جميع الخلق .

نظرة في الذوق

لابد ان يكون مظهرك حسنا في عيون الآخرين (كول ما يعجبك والبس على ذوق الناس ، لان الاكل لمعدتي واللبس لعين الناس) ، وحين الاكل (كول عند بتجوع وقوم قبل ما تشبع) ومن ارائهم في المأكولات العز للرز والبرغل شنق حالو) و (الرز بحليب كلها برد بطيب) وربما كان من اسباب تعلقهم بمدينة ما هو اكلها الشهي (قالوا بتحب حلب ؟ قلت لو : بحب حلب تاج المعالي والرتب ، ام المحاشي والكبب) والمسألة مسألة ذوق ، ولذلك (اللي مالو ذوق يقع عليه شيء من فوق) ، وعليك بالاعتدال (اذا كان صاحبك عسل لا تلحسو كلو) ومن اصول الذوق السليم (لا جدايل تسعة ولا طاول ع القرعة) وذوقك يجب ان يميز لانه (موكل شيء لمع صار ذهب) والمتعة الروحية اهم من المادية (ان جاعت البطن بأيش ما كان قوتها وساعة البسط عمرك ما تفوتها) ، وفي النهاية (اللي ما يراعي ذوق الاهالي تربيه الايام والليالي) .

طباع وسجايا

لا ريب أن (الخط الاعوج من التور الكبير) ذلك لأن (الحكم ملح الارض) فان كان فاسدا فسدت ، والا صلحت ، ولأن (كل ديك على مزبلتو صياح ، وكل كلب على بابو نباح) وحيث يسود القانون الوحشي ، فان الناس (مثل السمك ، كبيره بياكل صغيره) ويؤكدون على أن النفس مجبولة على العزة (العين ما بتحب اعلى منها) وعلى الحرية (خبز وبصل وحرية ولا جيج وعسل وجيرية) و (الجيجة ـ الدجاجة ـ بتقول افلتيني ولا تطعميني) وعلى الاجتماع (جنة بلا ناس ماتنداس) وعلى شكر من أحسن اليها (الجيجة بتشرب وبتطلع لربها) ومن المعروف ان (صدور الاحرار قبور الاسرار) وان (الله يستر على اللي بستر) و (اللي يحفر لأخوه جبا يقع فيه منكبا) ولا جدل فـ (اللي نفسو شريفة أطباعوا لطيفة) و (الصديق وقت الضيق) و (بيت الضيق يتسع لألف صديق) .

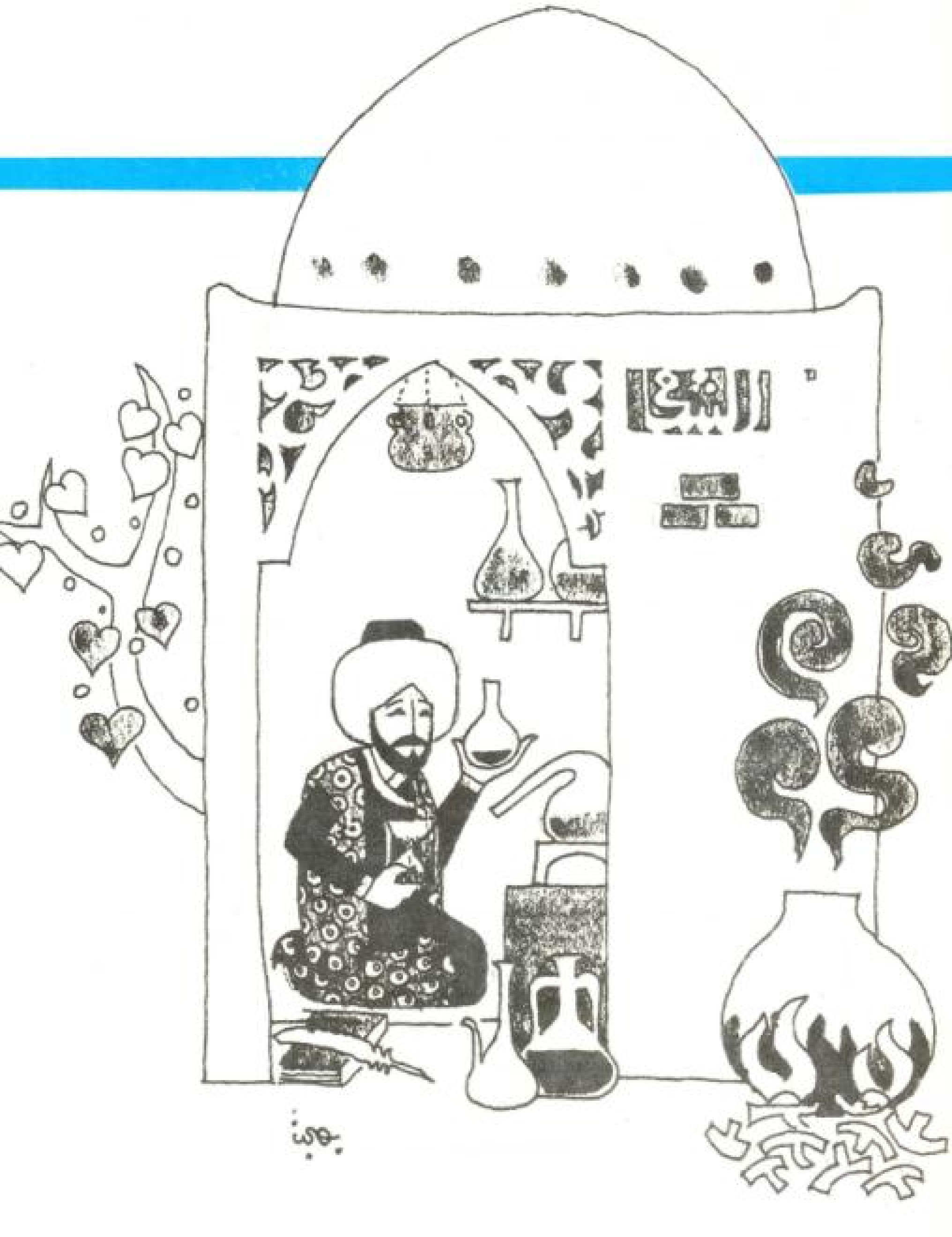
وتجنب الاشرار (الخطأ والعار من القهار والاشرار) ولأن النهاية وخيمة (رافق البوم بدلك ع الخراب) ولكي لا تصبح منهم (تينة جنب تينة بتستوى) ويقولون في التعالي عن الدنايا (ابعد عن الشر وغني له) و (الجواب على السفيه السكوت عنو) وأيضا (السفيه داريه واعمل كعك وطعميه) وفي مجال التربية (ابنك وهو صغير ربيه وان كبر خاويه) واللي ما بتأثر بالكلام ما بتأثر فيه عصا السنديان) وفي الاحسان (دين الجوعان بغنيك الرحمان) و (اعط الفقير والعوض على الرب القدير) وعليك وبالتواضع فان (الارض الواطية تشرب ماءها وماء غيرها) وفي الجوار يؤكدون (جارك مثل أخاك) و (ريد الخير لجارك بتلاقية في دارك) و (دكان جنب دكان والرزق على الله) واذا كنت عندهم (فالأكل على قد المحبة) و (أكل الرجال على قد فعالها) وفي الادب (يا غريب كون أديب ، البلد اللي ما هو بلدك احفظ فيه شرفك) ، ثم أختم بمثل في الذروة من التسامح والسمو ، اذ يقولون (أشو مسلم أشو نصراني .. وكلهن خلقة الرحمان) .

حلب ـ أحمد ابراهيم السيد

هكذا زوجتي !

● المليونير الامريكي لصديقه : كنت انوى ان اقوم باجازة اطوف فيها بالكرة الارضية ولكني اضطررت للعدول عن هذه الفكرة ، لان زوجتي كعادتها تقترح دائما مكانا غير الذى اقترحه .

ماسويه المارديني



عالم الطب الذى نسيناه وتذكره الغرب !

هذا العالم الكبير ـ ماسويه المارديني ـ أهمله العرب فحجب عن بصيرة التاريخ وبصره .

بقلم : الدكتور فيصل دبدوب

الحياة حظوظ في معظم الاحيان ، او انها هكذا في بعض الاحيان ، او ان الحظ له دوره في نباهة الذكر وخموله فحسب ، او اننا هكذا نحاول ان نعلل ونحلل بعض الامور ان اعوزنا التعليل العلمي فنقول بالحظ ، فان قلنا به على سبيل الفرضية وليس على سبيل اليقين ، قلنا على هذا القياس بان من الناس من يكون الحظ قرينهم فينبه ذكرهم فيظهرون ، وآخرون يعرض عنهم الحظ فلا يظهرون . والحظ الذي يلعب دوره في خمول الذكر ونباهته لا يستثني العلماء من الاطباء بل يلعب باقدارهم و يلهو بها ، فيرفع اقواما ويذر آخرين .

ومن بين هؤلاء الذين نسيهم الحظ او تناساهم فلم يرفعهم بل تركهم في زاوية النسيان ، ماسويه الماريدني الذي اهملته مصادرنا فعرفناه من الغرب ، وهو ما حفزني أن ابحث عنه حتى اجده ، فان وجدته نفضت عنه غبار الاهمال كما ينفض الغبار عن تمثال عظيم نسيه التاريخ ثم تذكره ثم رفعه الى مكانه اللائق به بين الاعلام .

ضآلة مؤسفة

ان معلوماتنا عن ماسويه ضئيلة ضآلة مؤسفة فهي لا تغني ولا تروي ولا تشبع نهم الباحث ، او المؤرخ ، او الكاتب ، او غيرهم ممن تستهويهم السير بدافع من حب الاستقصاء او التاريخ او العلم او بدافع منها جميعا . فكل ما نعرفه عنه أنه ولد في مدينة ماردين ، وهي مدينة عربية في منطقة الجزيرة زمن الخلافة العباسية ومن مدن الجمهورية التركية في الوقت الحاضر ، وكانت ولادته في الثلث الثاني من القرن العاشر الميلادي ، في بيت من تلك البيوتات العربية التي لها حظ من علم ، والتي كانت تقيم في هذه البلدة . وكانت أسرته على المذهب اليعقوبي (الارثوذكسي) فنشأ على دين آبائه ومذهبهم ، وبعد أن نال ما استطاع نيله في بلدته من معرفة لم تشبع نهمه غادرها الى بغداد عاصمة الخلافة ومركز الاشعاع الحضاري آنذاك ، فنهل فيها من علوم الطب والصيدلة والنباتات الطبية وما الى ذلك ما استطاع اليه سبيلا . ولما ارتوى مما نهل او كاد ، وربت ثروته العلمية او قاربت ، غادر الى القاهرة صنو بغداد ومنافستها ، فاقام فيها يزاول مهنة الطب زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله وذلك في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي ، الى أن وافاه الاجل عام (١٠١٥ م) فدفن فيها عن عمر يناهز التسعين عاما .

قلنا ان ماسويه يكاد ان يكون اسمه مجهولا عند مؤرخي الطب العربي ، بينما هو مشهور وذو مقام مرموق في أوربة في القرن الحادي عشر ، وربما كان كذلك ، لان مصنفاته ترجمت باكرا الى اللاتينية حينما كانت أوربة في أشد الحاجة الى المؤلفات الطبية ، أو لأن اسمه كان يدغم احيانا مع اسم ماسويه الاكبر (٧٧٧م ـ ٨٥٧ م) .

والآن بعد ان ذكرت هذا الموجز او رسمت هذه الخطوط والظلال عن حياة ماسويه ، اود ان اعود الى المؤرخين الذين تحدثوا عنه وكلهم من الغرب ، اما ما

ورد عنه في المصادر العربية المعاصرة فانها لا تخرج عن كونها مقتبسات من المصادر الافرنجية .

ماكتب عنه

حدثنا السيد حكمت نجيب عبد الرحمن في كتابه « دراسات في تاريخ العلوم عند العرب » (جامعة الموصل ١٩٧٧/ص ٣٤١) قال : ان ماسويه المارديني (ت ٤٠٦ هـ = ١٠١٥م) اشتهر في بغداد وعاش في القاهرة ويسمى في اوربة ماسويه الصغير ، ومن أهم مؤلفاته كتاب في العقاقير يقع في اثنى عشر جزءا ، اشتهر في اوربة وبقي قرونا عديدة الكتاب المدرسي الاول .

وحدثنا كذلك الدوميلي عن ماسويه في كتابه « العلم عند العرب » في ص ٢٤٠ ـ الكتاب مترجم قال : وتلتقي في مصر بما سويه الماريديني المسمي عند الغربيين Mesue Gunior الذي عمل في بلاط الخليفة الحاكم بامر الله ... وصار حجة في الصيدلة وقد عرف في الغرب بعد ذلك من كتابه Pharmacopoeia Evangelista .

وقال جورج سارتون في كتابه « المدخل الى تاريخ العلوم » Introduction to the History Of Science في (ص ٧٢٨/الجزء الاول) : ان الغرب اطلق على ماسويه الماريديني اسم Mesue the Younger اي ماسويه الاصغر .

وورد في كتاب « تراث الاسلام » ترجمة جرجيس فتح المحامي (طبعة بيروت عام ١٩٧٢ م ص ٤٧٥) ما يلي : الف ابو منصور موفق الهراتي (من هرات في فارس) حوالي سنة (٩٧٥ م) مجموعة بالفارسية اسمها « اسس الخواص الحقيقية للعلاجات » وصف فيها خمسمائة وخمسة وثمانين عقارا . وقد احتوت ايضا على معارف يونانية وسريانية وعربية وفارسية وهندية ، وثم رسائل عربية من هذا النوع نفسه نذكر منها رسائل ماسويه الماريديني البغدادي والقاهري (ت ١٠١٥ م) .

وقد علق « المعرب » على ما جاء عن ماسويه في نفس الصفحة فقال : وماسويه يدعى بالأصغر تفريقا له عن (يوحنا بن ماسويه) . درس الطب ببغداد ومارسه زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله ، وتوفي في القاهرة . واشهر تآليفه مجموعة مختصرة للوصفات الطبية ترجمت الى اللاتينية . ويكاد اسمه ان يكون مجهولا من العرب بينما سطع في اوربة في القرن الحادي عشر وكان في مقدمة من ترجم لهم الى اللاتينية .

ورَوي لنا (ادوارد ثيودور وثنكتون) في كتابه (تاريخ الطب منذ العصور القديمة) Medical History From the Earliest Times (طبعة لندن / ١٩٦٤ م) (ص١٧٤ ـ ص ١٧٥) ان اخبار ماسويه الاصغر مستقاة من مصادر لاتينية كتبت في القرنين العاشر والحادي عشر ومصدرها الحقيقي ليو الافريقي Leo Africanus الذي قال : ان ماسويه الماريديني كان طبيب الحاكم بامر الله وانه توفي عام (١٠١٥ م) ، فاذا كان ذلك كذلك فانه من الراجح قد القى بعض المحاضرات في بيت الحكمة في القاهرة في موضوع له صلة بثقافته الطبية او الصيدلانية او ما يتعلق بهما من علوم . الا ان المصادر العربية قد سكتت ولم تفصح في هذا المجال .

أساس أدوية الغرب

قال الدكتور ادوارد ثيودور ولنكتون في كتابه « تاريخ الطب منذ العصور القديمة » (ص ١٧٤ ـ ص ١٧٥) : ان اقدم دستور ادوية Pharmacopoeia صدر في جنديسابور (في فارس) ولكن أكثر اهمية من هذا الكتاب هو كتاب « المادة الطبية » Meteria Medica المنسوب الى ماسويه الاصغر (الذي معلوماتنا عنه قليلة) ، وقد كان هذا الكتاب العامل الاساسي في ظهور الادوية في الغرب ، وكان العمدة في الصيدلة في اوربة ، وقد احتوى على ثلاثين جزءا ، وبقي على مكانته العلمية واثره الكبير في الطب والصيدلة الى امد بعيد يصل الى نهاية القرن الماضي . وقد عرفنا من هذا الكتاب معظم الادوية التي حضرها العرب بانفسهم او جلبوها اليهم من اقطار اخرى لاستعمالها في فن المداواة ، منها : السنامكي Senna ، والراوند Rhubarb والكافور Camphor والقرنفل Cloves والخيارشنبر Cassia Fistula والمن Manna والمسك Musk وجوز الطيب Nut meg وتمر الهند Tamarin والكبابة Cubebs والبرتقال Orange

والليمون Lemon والذهب واللؤلؤ ، والعنبر Ambergris ، وحجر البادزهر Bezor Stone والشراب Syrup والجلاب Juleps والمواد المستحضرة بالتقطير .

وقال الدكتور جورج سارتون ان ماسويه الف كتابا في الاسهالات والحقن الشرجية ، ولكن الكتاب الذي اكسبه الشهرة هو : ـ Compositorum Antidotarum Siva Grabadin Medica Montorum ـ اي كتاب « الترياق والاقرباذين المركب » . ويتألف الكتاب من اثني عشر مجلدا ، وهو يبحث في علم الادوية الطبية ومضادات السموم . وقال عنه سارتون ان معلوماته مستقاة من علوم المسلمين في هذا الباب ، وانه كان الكتاب المدرسي المعول عليه في علم الصيدلة في الغرب لعدة عصور « انظر المدخل لتاريخ العلوم لسارتون / الجزء الاول / ص ٧٠١ ، ٦٩٩ ، ٦٩٨ »

وقال الدوميبلي في كتابه « العلم عند العرب ص / ٢٤٧ » ان هذا الكتاب طبع في البندقية عام (١٤٧١م) .

كما نشر كتابه المسمى في الغرب Practica Medicinarum Practicularum

ويسمى هذا الكتاب كذلك Liberde Appropriates وتوجد له طبعة نشرها Pietro dAlbono ، والطبعة التالية لذلك كانت في البندقية عام (١٤٧٩) وتحتوي على تكملة عنوانها Francisci de Pedimotium Comlementum كما تحتوي على كتب اخرى لمؤلفين اخرين . وطبع بعد ذلك طبعات اخرى في البندقية في السنوات ١٤٨٤ م ، ١٤٨٥ م ، ١٤٨٩ م ، ١٤٩٠ م ، ١٤٩١ م ، ١٤٩٥ م ، ١٤٩٧ م ، ١٤٩٨ م . وطبع الكتاب كذلك في ليون عام ١٥٣١ م و ١٥٣٣ م ، كما نجد طبعة له في باريس عام ١٥٤٢ م) لترجمة جديدة بقلم سلفيوس Jac Sylvius ، ولكن طبعات كتاب ماسويه لا تزال تتكرر كثيرا ومن احسنها طبعة Guinta في البندقية عام (١٥٤٩ م) ومعها ترجمتان ، الترجمة القديمة ، وترجمة سلفيوس ، ومعها ايضا كتب اخرى عديدة عربية ومسيحية (وتوجد طبعات اخرى مشابهة عند جيونتا ، وفالجريزي في السنوات ١٥٦١ ، ١٥٦٢ ، ومع حذف جزء من الترجمة القديمة سنة ١٥٨٩ م ، و ١٠٦٢ م . (انظر العلم عند العرب لا لدوميبلي / ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى / الناشر دار العلم ص ٢٤٨) .

اكثر الكتب قراءة

اقول : وزيادة على هذه الطبعات الكاملة توجد طبعات جزئية كثيرة باللاتينية ، وست طبعات بالايطالية (مودينا ١٤٧٥ م ، البندقية ١٤٨٧ م ، فلورنسة نحو سنة ١٤٩٠ م ، البندقية ١٤٩٤ م ، ١٥٥٩ م ، ١٥٨٩ م) . ومن هذه اللمحة عن كتب ماسويه يمكننا ان نرى انها كانت اكثر الكتب المقروءة من بين الكتب التي نقلت عن المكتبة العربية (انظر : العلم عند العرب لالدوميبلي / ص ٢٤٨) .

وقال الدوميبلي كذلك في حديثه عن ماسويه انه جراح عربي له ترجمة اخرى لاتينية من عمل فراريوس Ferrarius ترجع تقريبا الى نفس الزمن المذكور ، وعنوانها جراحة ماسويه Cyrurgia Joannis mesue

لقد اطلع العلماء من اطباء الغرب ومن اولئك الذين يمتون بصلة الى العلوم الطبية على مصنفات ماسويه الطبية وعلى التي لها صلة بالطب من بعيد او قريب ، فدرسوها ودرسوها تلامذتهم في بعض الاحيان ، فكانت اكثر الكتب المقروءة من بين كتب المكتبة العربية المترجمة الى اللغات الافرنجية . وقد دفعهم شغفهم بهذه المصنفات الى شرح بعضها او اضافة ما استجد لديهم الى بعضها الاخر ، او الى الاقتباس من ما فيها من علوم تعوزهم معرفتها فأضافوها الى مصنفاتهم .

وبعد : فهذه حصيلة ما جادت به على المصادر فيما يتعلق بسيرة ماسويه الماردني وان جمع هذه الاشتات المؤتلفات لا يخلو من فائدة بل فوائد نرفعها الى سجل تاريخنا الحضاري الذي هو حلقات تربط بين اجزاء سلسلة التاريخ الحضاري العالمي ، ولا يخلو هذا البحث المقتضب عن هذه الشخصية العربية الرفيعة من اعتراف منا لماسويه بما اسداه للعلم والحضارة العربية والعالمية من جميل . ■■

د . فيصل دبدوب

بين الأدبين

الأندلسي والمهجري

بقلم : الياس قنصل

الادب العربي عامة ـ والشعر بخاصة ـ في المهاجر الامريكية فصل فريد في تاريخ الفكر ليس له غرار سابق في أمة على وجه الارض . وارجح الظن الا يكون له نظير في المستقبل . ولا يصح تشبيهه بالمجلى الادبي في الاندلس العربية . والذين يضعون هذا وذاك في ميزان تتساوى كفتاه يبعدون عن الواقع .

وعندما نذكر الشعر ـ الاندلسي او المهجري ـ لا نطبق التعميم المطلق فيهما ـ ككل حقبة من ادب وكل مجموعة من مدرسة ـ ما هو نفيس وماهو تافه . ولا نحدد مراتب التفضيل باحكام لا تخرم كأنها تعديل هندسي ، ولكننا نعتمد الانتاج في اجماعه وهو القسطاس الذي يحوطه أوفر حظ من الانصاف .

دخل العرب اسبانيا تحدوهم حماسة نزيهة موصولة برغبة شريفة في نشر دينهم مجهزين بطاقات روحية فيها عقيدة لا يعتنو النصر الا لمن كان قلبه عامرا بها . وبسطوا ظلهم على تلك البقعة العصية وضموها الى ملكهم فاصبحت ـ وهي تؤتي ثمارها يانعات ـ جزءا منه لا يميزها عن غيرها من امصاره الا بعدها عن بلاط الامر والنهي . واذا كانت العادات الاسبانية قد تكيفت تلقائيا كما أراد السلوك العربي فان اللغة التي فرضت جبروتها على البلاد هي لغة الضاد ـ لا نزاع ولا جدال ـ بمعنى أن مسيلها المتتابع لم يتوقف ولم تحدث ثغرة من جمود او ركود فيها منذ وطئت قدم « طارق بن زياد » تلك الارض الى أن غادرتها فلول الملك الاخير .

وكان لابد ان يرافق الازدهار المدني العمراني الذي لم يعرفه أهل البلاد قبل ذلك ازدهار آخر لا يقل لمعانا في الادب والفن ارتسم الروائع الفكرية التي رافقت العهد العربي تصف تقدمه وتغنى مكاسبه ثم تبكي ضياعه واستوت شعاره في التحف المعمارية التي لا تفتأ الى يومنا هذا تستثير الاعجاب في زائريها .

ان الادباء الذين اتجهوا الى الاندلس ـ من شعراء وكتاب ومؤرخين ونحاة ـ وصلوا اليها وقد استتب للعروبة سلطان مديد تحدده نظم معروفة وتكتنفه معالم

لا تختلف في مؤداها عما الفوه . تسهل أمورهم ارادة حاكمة امارة يهتبلون منها مايريدون من نفوذ ، ويرقون بمودتها الى الدرجة التي يطمحون .

والادباء الذين نشأوا فيها تربوا على عز منشور وبسطة في العيش وبرئوا من التكاليف فلا يصطدمون بعثار ولا تبطؤ خطواتهم بعقبة ولا يحزب خواطرهم ضيق .

اين هم من المهاجرين ؟

واين هؤلاء ـ مع الاعتراف بجميلهم لما استحدثوه في الشعر ـ من المهاجرين العرب الى الاقطار الأميركية تسيرهم حاجة ملجئة ويندفعون الى دنيا غريبة عنهم يجهلون لغتها وعاداتها ولا تشدهم الى اوطان غادروها غير رسائل يستلزم وصولها الى حيث ارسلت اجوبتها عشرات الاسابيع ؟

اين الذين برزوا في الاندلس في حلبة الادب ، والبنود العربية في كل رابية من روابيها ـ اين هؤلاء من الذين قدموا الى العالم الجديد ليسترزقوا فلم يتوسموا في نواحيه همسة للضاد يتزودون منها الالفة واعوزهم أن يكون فيها نصبة للعروبة يستندون اليها عندما تهد قواهم متاعب الكد المستعر ؟

واين الترف الاجتماعي الذي كان نعيا لقرائح الذين نظموا الشعر في اسبانيا من بيئة مهجرية ـ طابعها الخشونة ـ لا تجرى فيها الا مساومات متصارعة من الاخذ والعطاء ، وتقتصر في مداها على بضع مربعات من مدن تطحن الوافدين عليها طحنا هاضيا تضيع بين فكيه العبارات الوجدانية ؟

المقابلة بين الادبين ـ الاندلسي والمهجري مجال شائك طويل . كل ملف فيه يتطلب دراسة تقص وكل تأييد يفتقر الى استشهادات تنسل من بطون مؤلفات توشك ان تنفد نسخها . ولكننا نشير اليها على نسق اقرب الى نصوص البرقيات منه الى بحوث العرفان .

نحن من المعجبين بالادب الاندلسي وحسبنا منه انه بقي بشباب رقة مئات السنوات فكون عاملا جريئا حول بعض الشيء في الطراز الشعرى الذي كان متبعا ، واسبغ على عديله الاسباني سمة من التناسق لم تمح فخامتها العصور التالية .

غير أن الحقيقة التي لا تنكرهي أن البون شاسع بين الادب الذي رافق الفتح الاندلسي وخادن الحكم العربي حينا استقرت الاحكام في نصابها العادى ، وبين الادب الذي دبجته اقلام الذين اموا الاقطار التي اكتشفها « كولومبس » طلبا للكسب او فرارا من الاضطهاد .

تجديد الشعراء في الاندلس لم يمس الجوهر واكتفى بالوشي والاصباغ . هو تجديد امسك اللبوس الظاهر فبرقشه وترك ما يستره لم يصلح فيه سوى ما اتسق مع الزخرف في مبناه .

ان الموشحات ـ وفيها رغبة الانطلاق والتحرر ـ وفيها موسيقى ناعمة تستطيبها الخواطر تفتقدها في بعض قصائد العالم العربي اذ ذاك ـ يرتد ما فيها من عذوبة الى سببين في رأينا :

اولها : ان اللغة كانت ـ بحكم التطور المدني التدرجي ـ قد بدأت تهجر الكلمات الحوشية التي تجتمع فيها احرف يتنافر بعضها مع بعض في اللفظ .

وثانيها : ان الوسط حكم بهذا التنويع . ففي الاندلس كانت المشاهد متعددة الاشكال متباينة الالوان في اطار جبل واحد . والموشحات التي هي مقاطع منفصلة في مجموعة يلملمها نظام تقليدي ـ وان اختلفت قوافيها ـ تكاد تكون نسخة طبق الاصل عن المرئيات الطبيعية في المقاطعات التي سيطر عليها العرب .

أما القصيدة التي تتكرر فيها القافية في حرفها الاخير ـ وان انتقلت من موضوع الى موضوع ـ فانها في هيكلها صورة من الرتابة في البادية يسبح فيها البصر الى الافق البعيد على نمط نسيق .

التجديد الاندلسي هو تبديل صناعة ومحاكاة ـ ولا نجد اصح من هذه العبارة لننعت هذا الانتقال من قالب الى قالب .

أصيل لا محاكاة

أما التجديد في شعر المهاجرين فهو اصيل لانه

تناول الفكرة قبل من اساسها فخرج فيها عن التقليد خروجا بحتا ، وقبس من النفس ـ من اطباق سمائها الى اغوار ارضها لا من جانب منظور او مسموع منها ـ قوة حولته الى ثورة بمعناها الاسمى .

وما بدت طلائعه المبتكرة في الاقطار العربية حتى رأى الشباب فيه ـ والشباب هو الذى يقبل أولا على الانقلابات الفكرية ـ الضالة التي ينشدونها ولا يعرفون كيف يعثرون عليها ولا اين . وجدوه تعبيرا فيه صدق عن خوالج الانسان « الانسان » وتفسيرا فيه حماسة عن هواجس الانسان « المواطن » ومرآة ينعكس على صفحتها جمال عن مشاعر الانسان « الفنان » .

في شعر المهاجرين احساس جديد للحياة غمر العالم بحنينه يندمج فيها كل شيء ويتساوى فيها الوجيه والحقير ، العالم والجاهل ، الشهير والنكرة ، لقد درسوا الناس بواقعية فتحولت خبرتهم الى فهم صحيح لمختلف العواطف فكشفوا اسرارها يشيدون بفضائلها ويشهدون في مآخذها لا بواعث انتقاد ، بل محاولات تواثب للتقرب من الكمال . وانك لتقرأ لهم صفحة بسيطة العبارات فاذا بين سطورها أسفار من روايات القلوب تقف امامها موقف التأمل وترافقك مجاليها لتجود لك كل خطرة بجديد مما في دخيلتها .

ادرك الشعراء المغتربون أن حولهم وجودا آخر غير وجودهم فأولوه ما في قلوبهم من حنان ولمسوا دبيب الحياة في جميع الملامح والاشياء وغاصوا الى اعمق الشعور البشرى فنال من قوافيهم ما هو خليق به من اهتمام .

وحتى هؤلاء الذين تعالت النقمة على الانسانية في قصائدهم لا نستطيع ان ندمجهم الا في عداد المشفقين عليها لان نقمتهم صادرة عن تمنيهم أن يكون المرء أقرب الى العدل وادنى من الرشاد فهي اذن اعتصام من الشر الذي تقبع فيه النقائص والعيوب .

شعر مهدد

وشعرهم الوطني ذاته الذي رافق الاحداث العربية وكان بوقها الصارخ مع ما فيه من الحملة على الذين اغتصبوا استقلال اوطانهم ـ اليست قد تأصلت فيه المطالبة بان يعاد الحق الى اصحابه وبان تمارس الشعوب سيادتها لا تبعية ولا انقيادا ، وبأن تتكامل شخصية المواطن العربي في بلاد حرة مستقلة . وهل تهتدي البشرية الى السعادة الا اذا كانت الكرامة القومية محترمة لا يعبث بها عابث ؟

ما هو الظلم الذي حاربوه بقصائدهم ، فأصم دويها اسماع الجائرين ؟ اليس هو تحقير للقيمة الانسانية وهم لا يريدونها الا في اعلى ما تسمح به الهيبة ؟

ان الشعراء العرب في الاميركتين لم يتترسوا في بروج عاجية كزملائهم في الاندلس الذين لم يغادروها الا ليعيشوا في اقفاص مذهبة من انقباضهم على انفسهم .

ان الشعراء المهاجرين تقدموا الى ساحة الحياة فعاركوها وذاقوا من وثباتها الحلو والمر وجنوا منها مرة الحبور ولم يظفروا منها مرة بطائل . وكانوا الصادقين في وجومهم وقد اطبقت عليهم الدياجي وغير الكاذبين في ابتساماتهم وقد انقاد لهم عنان الدهر .

كان الشعر الاندلسي انوارا اصطناعية تختلب العيون في انفجارها الطاغي وترج الافهام ببريقها الخاطف ثم تخمد . في حين ان قصائد المغتربين كانت أنوارا تألقها متواصلة تشرق في ميعادها وتتابع منح ما فيها من قوة احياء وانعاش غير آبهة بالغيوم تحجب اشعتها بعض الوقت وتعجز عن حجب وجودها .

وكانت لشعر المغتربين هذه « السيرورة » التي جرت في شرايين الادب العربي العام دما حارا تأثر به حتى هؤلاء الذين شدت على اذواقهم قبضة المحافظة فتمسكوا بحبال التزمت المغلق تمسكا ضرب على بصائرهم ستورا من الاستهتار به فانكروه جهرة وعبوا في السر من مناهله الثرة جرعات بردت اوارهم هذا الادب الذي لمحنا اليه باقتضاب وقد سطع عشرات الاعوام مال الى الغروب الان ، واستبد الضياع باجزاء منه كما استبد بمؤلفات عربية قديمة نأسف على ضياعها فلو بقيت لاضافت الى المكتبة العالمية ذخرا لا يقدر بثمن . ■■

الياس قنصل ـ عاصمة الارجنتين



منارات مسرحية جديدة

في الكويت والامارات واليمن

أحد مشاهد مسرحية « الفأر » اليمنية : لماذا انهار سد مأرب ؟

بقلم : سعد اردش

المسرح العربي حقيقة بالرغم من كل الاعاصير : يخبو بعض الشيء ، ولبعض الوقت في ارض عربية ، ليظهر نبتا جديدا طازجا في ارض عربية اخرى ، وكأنما هو قبس من روح ذلك الشعب العظيم يأبى الا ان يتلظى ويستعر على الدوام . ولقد يكون المسرح في اقطار الخليج والجزيرة العربية احدث المسارح العربية عمرا ، ولكنه لا يبدأ من فراغ . انه يبني على خبرة المسارح العربية الاقدم ، ويسترشد بتجاربها ، ويتغذى على تراثها ، وهو مع ذلك يتطلع احيانا الى التجربة الجديدة التي تكسر الجمود وترنو الى التغلب على الصعوبات المعترضة .

وهذه رحلة مع تجربة مسرحية جديدة في الكويت ، وجولة مسرحية في الامارات العربية المتحدة ، ثم مع ميلاد جديد لمسرح عربي جديد في اليمن الشمالية .

« الدار » في الكويت

« الدار » عنوان العرض المسرحي الذي قدمه المسرح العربي على مسرح عبد العزيز المسعود بالكويت في النصف الثاني من يناير واوائل فبراير ١٩٨٠ ، بمجموعة من شباب المسرح ، معظمهم من الهواة ، والقلة القليلة بينهم من المحترفين ، ولعل اقدمهم وارسخهم هو فنان الكوميديا الخفيف الظل جوهر سالم ، والفنانة المثقفة سعاد حسين .

والجديد في « الدار » انها ليست نصا مسرحيا كتبه مؤلف وتسلمه المخرج ليبعث فيه الحياة ، ولكنه بدأ فكرة في رأس فؤاد الشطي ، المخرج الذي يبذل في هذه الايام كل ما وسعه من جهد ومن عناء ليعيد الى المسرح في الكويت شيئا من بريقه . وتحولت الفكرة بعد ذلك الى شكل من اشكال التأليف الجمعي ، شاركت فيه المجموعة تحت اشراف فؤاد .

وتبدأ الدار اسرة كويتية تضم الام وكثيرا من الابناء والاحفاد : واحد عرف طريق التجارة ، ودرس جيدا لعبة العرض والطلب ، وهو يتاجر في كل شيء ، ويحقق الملايين ، وآخر حصل على الدكتوراه في الفلسفة ووجد طريقه في هيئة التدريس بالجامعة ، وهو يتعالى على الواقع ويتهمه بالتخلف ولا يفعل شيئا ، وواحد بدون جنسية ، او كما يقال بالكويت « بدون » ، وهو يبحث عن هويته ولا يجدها ، وابنتان ، احداهما مدرسة مطلقة ، تشغل نفسها بتحضير درس عن واجب الأبناء والامهات نحو الاطفال ـ بمناسبة عام الطفل ـ ولكنها تنهر طفلتها عندما تلجأ اليها طالبة المعاونة في مذاكرة دروسها ، والاخرى طالبة تتفتح على الحب ، ولكنها لا تجد بالدار من يوجهها في هذه المرحلة الدقيقة من حياتها ، ولكن الجميع يهاجمونها كالوحوش عندما يراها احد اخوتها مع شاب على شاطىء الخليج ، فتحميها الام من هجمتهم متسائلة عما قدموا لها من توجيهات ونصائح .. انهم لم يفعلوا من ذلك شيئا بالطبع لان كل واحد بالدار غارق لقمة رأسه في مشاكله الخاصة .

وبين مجموعة الأبناء اثنان من الموظفين بالدولة : احدهما يعمل « ساعيا » ، يذهب الى عمله في الصباح فيؤدي لبيت المدير بعض المهام ـ كشراء الاطعمة ـ ثم يعود الى بيته لينام ، واما الثاني فهو موظف اداري صدر قرار بفصله لانه كشف كثيرا من الاختلاسات وفضحها ، اما الاخ الاصغر ، فقد عرف طريق الخمر ونسي طريق المدرسة . وواضح من سرد هذه الانماط من سكان الدار ـ او افراد الاسرة ـ انها رسمت بعناية شديدة لتعبر عن كثير من السلبيات الاجتماعية والاقتصادية التي يشكو منها المجتمع الكويتي .

عناصر ايجابية

وتعيش هذه الانماط كل مشاكلها في الفصل الاول ، لتقدم لنا صورة تفصيلية واضحة عن الآفات التي تدفع بالاسرة الى التآكل في مجتمع العالم النامي ـ النائم ـ الذي يفتقر الى عقيدة توحده ، والى اهداف انسانية تخفف حدة استهلاكيته ، وتلطف من تفرد الفرد وانانيته ، والى نوع من الانتماء يعطي لوجوده على ارضه معنى ما . اما في الفصل الثاني فان حدثا جديدا يعطي للاسرة في هذه الدار معنى اوسع ، وان كان هذا الحدث الجديد يعبر عن النتيجة الحتمية للواقع المتردي لهذه الاسرة : ان شخصا اجنبيا دخيلا يفرض نفسه على الدار ويدعي ملكيتها ، ويطرد افراد الاسرة من الدار . وبطبيعة الحال فانهم جميعا لا يستطيعون مقاومته ، فهو مزود بطاقة سحرية تجعله قادرا على صرع الواحد منهم بمجرد نفخة او لمسة أصبع . وتكون نصيحة الام ـ عندما يطلبها الابناء ـ ان يتحدوا في وجه الغاصب لانهم لن يستطيعوا ان يتخلصوا منه وهم على هذا التفكك واللامبالاة والغفلة .

لقد تحولت الاسرة الكويتية بفعل هذا الحدث الى ما يمكن ان نعتبره الاسرة الخليجية ، او الاسرة العربية ، في مواجهة الاخطار التي تواجهها بين ركام الاحداث المتلاحقة التي تجتاح العالم في مرحلة جعلت كثيرين من اهل الرأي في السياسة يتحدثون عن « يالتا » جديدة او عن مناخ حرب ثالثة .

كان فؤاد الشطي جريئا دون شك ، ولكن جرأته لم تلق ترحيبا من النقد . ولست اريد هنا ان اناقش العمل ،



المخرج الكويتي
فؤاد الشطي

ولا ان اناقش فكرة التأليف الجمعي في المسرح ، فانا من رافضي هذا الاسلوب ايا ما كانت مبرراته ، لسبب مبدئي وبديهي هو ايماني بالتخصص الدقيق في عصر التخصص الدقيق ، وهو ايمان ينبع في المسرح من طبيعة المسرح . غير ان حدة رفضي للاسلوب قد خفت على اثر مشاهدتي لعرض مسرح الحكواتي الذي تحدثت عنه في العدد السابق من « العربي » ، ثم على اثر مشاهدتي لعرض « الدار » ، ذلك اني تبينت في العرضين عناصر ايجابية قد لا يتاح لها الظهور امام الجماهير العربية اذا ارتبطت هذه المجموعات الشبابية بانتظار الكاتب .

ومن هذه العناصر الايجابية على سبيل المثال ذلك الكم الهائل من الصدق والترابط بين مجموعة الممثلين ، وما تتمسك به من المبادىء التي تحكم مهنة الممثل ، وما تسعى اليه من تجويد في تقنياتها . ويبدو لي واضحا ان هذا الصدق ، وهذا الترابط ، وهذه التقنية العالية في الاداء تمثيلا كان او غناء او رقصا ، هو شكل من اشكال الايمان بالكلمة النابعة منهم ، ووسيلة من وسائل حمايتها والدفاع عنها .

هذه الايجابية وحدها كفيلة بان تؤازر هذا الاتجاه في المسرح العربي ، وبان تدعو اصحابه من الشباب الى بذل مزيد من الجهد لتعميقه واستكمال بعض نواحي النقص فيه ، وبوجه خاص الى الاستعانة بكاتب متخصص في الدراما تسند اليه الصياغة النهائية للنص ، على ان يبقى التأليف دائما جمعيا

ان اللجوء الى منهج التأليف الجمعي في الظروف التي يعيشها المسرح العربي الآن ، خير على اية حال من حالة الجمود والانتظار . فللمسرح العربي بقيادة فؤاد الشطي اذن نقول : الى مزيد من الاجتهاد والابداع .

في دولة الامارات

ذهبت الى دولة الامارات مدعوا من وزارة الاعلام لالقاء محاضرات وعقد ندوات بها ، ولم يتسع وقتي للاسف الا لالقاء محاضرة في ابي ظبي عن « الاصالة ومنهج العمل الجمعي في المسرح العربي الحديث » ، ولعقد ندوة مع شباب المسرح الوطني بالشارقة حول « المسرح في الخليج » . والمسرح في الامارات العربية المتحدة مولود جديد يرجع الى بضع سنوات فقط ، وبالتحديد قد لا يتخطى عمره عقدا واحدا من الزمان . ولقد بدا بدعوة استاذنا زكي طليمات لدراسة تخطيط لتنشئة المناخ المسرحي على اساس تواجد بضع عشرات من هواة المسرح في بعض العواصم : ابو ظبي والشارقة وراس الخيمة ، ثم قام صقر الرشود الفنان الكويتي الراحل بتأسيس الفرق الثلاثة للمسرح الوطني بالامارات الثلاثة ، وخلفه كل من ابراهيم جلال في الشارقة ـ وهو من اهم رجال المسرح في العراق ـ وخليفة العريفي في راس الخيمة ، وهو من مؤسسي مسرح اوال في البحرين .

وقد قدمت هذه الفرق بالفعل بعض العروض ، وتميزت فرقة الشارقة بعروضها كما وكيفا ، الامر الذي جعل الدولة تعجل بمشروع بناء دار مسرحية ممتازة بالشارقة ، كل ما ارجوه لها الا تخرج بنفس العيوب المعمارية والصوتية التي خرجت بها كثير من دور المسرح في الارض العربية ، لاسباب يمكن تداركها دائما في المشروعات التخطيطية .

كانت الندوة التي عقدتها مع شباب المسرح الوطني بالشارقة ، يزاملني صديقي ابراهيم جلال فرصة من امتع فرص النقاش مع جيل جديد من فناني المسرح ما يزال يبني باظافره ، وكانت من الثراء الى درجة انها امتدت الى ما يزيد عن الساعات الثلاث .

من اهم القضايا التي اثيرت في هذه الندوة قضية الحاجة الى النص المسرحي حيث لا يمكن في هذه المرحلة التأسيسية الحديث عن كاتب المسرح المحلي ، وحيث يتطلع الفنانون بالدرجة الاولى الى عرض القضايا المحلية .

قلت لاصدقائي من الشباب اننا بحاجة الى التواضع ، والى الصبر ، حتى نرسي أسس المناخ المسرحي المنشود ، وان ارساء المناخ المسرحي يحتاج بالضرورة الى زرع المسرح في المجتمع ، ابتداء من الطفل في مراحل التعليم الاولى ، ثم الى زرعه في التجمعات المهنية ، وفي سهرات السمر . وقلت لهم ان مهمة زرع المسرح يجب الا تنتظر ميلاد النص المحلي ، او الكاتب المحلي ، وان التراث المسرحي العربي والعالمي يمكن دائما ان يعبر عن القضايا المحلية ، لانها في النهاية قضايا الانسان في كل زمان ومكان .

والذي احب ان اهمس به هنا في اذن اصدقائي من شباب المسارح العربية الناشئة هو ان عليهم ان يتجنبوا الآفات التي زامنت المسارح العربية الاقدم ، ومن أهم هذه الآفات :

١ ـ ان المسرح العربي نشأ بمعزل عن الجماهير الحقيقية ، فعاش مخلوقا ناقصا شائها ، يتعرض للجمود وللتوقف ، واحيانا للضرب وللموت ، لانه لا مسرح بلا جمهور ، ولان الجمهور لن يلتف حول المسرح الا اذا احس جذوة المسرح في قلبه ، والا اذا آمن بان ضرورة المسرح لحياته كضرورة رغيف الخبز . وهذا لن يتم الا اذا درسنا جيدا كيف نزرع المسرح منذ البداية في قلب الانسان ، وفي قلب الاسرة ، وفي قلب المجتمع . لا يكفي اذن ان يكون هناك مجموعة من الممثلين والكتاب والمخرجين ، وان تكون لدينا دور للمسرح ، بل انه من الاساسي ان تكتسب الجماهير اولا وقبل كل شيء .

٢ ـ ان المسرح العربي قد حظي منذ البدايات بعطف الدولة ، ولكن الدولة قد تناقضت معه بعد زمان طال او قصر ، لان المسرح كما يقول الدكتور علي الراعي « فن طويل اللسان » ، وهو بالاضافة الى هذا فن جماهيري وعلني . لهذا فان هذه المسارح الناشئة في الارض العربية مطالبة بالتأسيس قبل التناقض ، والتأسيس يعني بالدرجة الاولى زرع المسرح في نفوس الجماهير وفي قلوبهم ، حتى تكون للمسرح حماية من الجماهير .

٣ ـ ان المسرح العربي القديم قضى حقبة طويلة من عمره معتمدا على الهواية وحدها ـ حتى تم تأسيس المعاهد العلمية المسرحية على المستوى الجامعي ـ وان الهواية وحدها الان لم تعد تكفي ، ولابد ان تستند الى العلم ، وان العلم في المسرح الان لم يعد قاصرا على القواعد العلمية الحرفية للمهنة ، ولكنه يتجاوز ذلك الى كثير من العلوم الانسانية ، ذلك اننا نعيش الان عصرا تتشابك فيه السياسة والاقتصاد والفلسفة مع الفن ، وفنان اليوم لابد ان يكون بالضرورة واعيا ـ علميا ـ بواقع عصره وقضاياه ، حتى يستطيع ان يتحاور مع جمهوره من ناحية ، وحتى يتغلب بذكائه وعلميته على الحواجز والعقبات من ناحية اخرى .

هذه بعض الخواطر التي اردت ان اهمس بها في آذان اصدقائي من الشباب بناة المسارح الجديدة في الارض العربية ، على امل ان يبنوا مسرحا عربيا قوي الجذور ، شديد المراس ، محصنا ضد الآفات التي اخذت تنخر في المسارح العربية التي ارست قواعدها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

في اليمن الشمالية

في المدة من ٢ الى ٩ فبراير ١٩٨٠ اقيم بالكويت الاسبوع الثقافي الاول للجمهورية العربية اليمنية ، بالتعاون مع المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب بالكويت . وقد تضمنت نشاط الاسبوع المعارض التشكيلية والامسيات الادبية والشعرية ، والندوات حول الحضارة اليمنية القديمة ، بالاضافة الى العروض المسرحية . وقد عرضت « فرقة المسرح الوطني » على مسرح جامعة الكويت مسرحية « الفأر في قفص الاتهام » من تأليف محمد سعيد عبد الكافي ، الحان وموسيقى احمد فتحي ، واخراج اميل جرجس ، وقد اختيرت للعرض بمنتهى الحذق اشعار للدكتور عبد العزيز



الملكة بلقيس تدلي بشهادتها في المحكمة

المقالح وحسن اللوزي وعبد الصمد القليسي واسماعيل الوريث ومن اهم هذه الاشعار القصيدة الافتتاحية للعرض ـ وهي ختام العرض ايضا ـ للدكتور المقالح ، وهي تعبير عن تطلع الانسان اليمني الى يمن واحد قوي ناهض ونابض في مواجهة التحديات التي تحيط به . يقول الشاعر :

في لساني يمن
في ضميري يمن
تحت جلدي تعيش يمن
خلف جفني تنام وتصحو اليمن
صرت لا اعرف الفرق ما بيننا
اينا يا بلادي يكون اليمن ؟!

ويقدم المسرح الوطني اليمني لنفسه ولعرض « الفأر في قفص الاتهام » بالكلمات الآتية في الكتيب المرافق للعرض : « المسرح في بلادنا ما يزال يحبو ، او انه يخطو خطواته الاولى في طريق النضوج والامتلاك الجاد لهذا الفن العريق .

ومسرحية « الفأر في قفص الاتهام » تحدثكم عن قصة تاريخية لا تجهلونها ، الا وهي قصة انهيار سد مأرب ، ويحمل الفأر مسئولية ذلك الانهيار الرهيب . والفأر كما تعلمون « يرمز » الى الاهمال والتسيب الذي يؤدي في النهاية الى الانهيار . ان مسرحية الفأر ، وهي تعالج قضية تاريخية ، تعالج في نفس الوقت قضايا عربية معاصرة ، فالفأر كما تعرفون ما يزال يعيش بيننا » .

الكاتب اذن لجأ الى الرمز ليعبر عن كثير من معوقات التطور الحضاري ، والفأر عنده رمز لكل السلبيات التي تواكب شعب اليمن وتنخر في جسمه وتشرب دماءه وتحول بينه وبين التوحد في سبيل تحقيق مستقبل افضل . والكاتب يستدعي سلسلة من ملوك اليمن وأئمتها المشاهير من امثال بلقيس ، وابرهة الاشرم ، وسيف بن ذي يزن ، ليناقشهم في الحساب حول مسئوليتهم قبل صور الخراب المتتالية ، والتي تتجسد في حوادث انهيار سد مأرب ، ويحاول الملوك رفع المسئولية عن انفسهم والصاقها بالفأر ، ولكنك تحس من طرف

خفي ان بعضهم ـ وان لم يكن كلهم ـ يوظفون الفأر ، او يوظف لهم الفأر ، ليحمل عنهم مسئولية التخريب ، ولبيقى الحال على ما هي عليه حتى يتمكن لهم في الارض ، وحتى يبعد شبح التغيير والتبديل . والمسرحية تطرح في النهاية سؤالها الحاسم حول مسئولية الشعب ، مسئولية الجماهير . غير انها تكتفي بمجرد الطرح ، فلا تتجاوزه الى تلقين الشعب كيفية مواجهة هذه المسئولية ولا تتجاوز ذلك الى الكشف عن الحقوق التي سلبت من هذا الشعب على مدى آلاف السنين ، وعن الوسائل الفعالة لاستردادها .

الفأر والذباب

« الفأر » في مسرحية المسرح الوطني اليمني يوازي « الذباب » في مسرحية سارتر ، الذباب او الندم » ، من ناحية القيمة الرمزية ، ولكن شتان ما بين المسرحيتين من ناحية وضوح الفكر ، والالتزام ، والتعليمة ، وانضباط البناء الدرامي ، واتقان قطع الشخصيات الفنية ..... الخ ولست اسعى هنا الى عقد دراسة نقدية مقارنة بين المسرحيتين ، على ما بين الكاتبين وظروفهما من فوارق زمنية ، ولكني اطرح بهذه الموازنة سؤالا طالما طرحته : اذا كان التراث الانساني المسرحي يلبي حاجتي ، ويستجيب للقضايا الانسانية التي اتطلع للتعبير عنها كفنان ، فما هو الداعي للاصرار على التأليف المحلي قبل ان أتملك الوسائل العلمية ومناهج التطبيق التي تتيح لي ان احقق الحد الادنى من حسن الصياغة ؟ وليست القضية عندي قضية الحكم على النص فحسب ، ولكن الامر يتعدى هذا الى ما يجب ان اقدم للشباب من فناني المسرح الوطني من مادة ثرية تفجر طاقاتهم وتصهرهم في بوتقة من البناء الدرامي الاصيل ، حتى يتمكنوا من قياس قدراتهم وتطويرها وانضاجها وحتى يتاح لهم ان يكتشفوا عن مناطق القصور في ادواتهم العقلانية والتعبيرية ، فيسعوا عن اقتناع الى استكمالها بالعلم والتدريب .

لقد احببت هذه المجموعة من الشباب التي تدوس خشبة المسرح للمرة الاولى ، وهي لا تحمل بين يديها الا موجة شابة فنية تتفجر ، وارادة واعية باجتياز الطريق نحو النضج ـ وهو يعرفون الطريق تمام المعرفة ، وقد كشفوا في لقاء علمي عن تطلعاتهم نحو العلم والخبرة ـ ولقد صفقت لهم طويلا مع الجماهير الغفيرة التي غصت بها صالة مسرح الجامعة : صفقنا لهم طويلا اعجابا بثراء مواهبهم الصوتية ، غناء وتمثيلا وبصدق تعبيراتهم الحركية وبما يتحلون به من نظام دقيق ، ومن تقدير لمسئوليات خشبة المسرح ولمسئوليات الجماهير التي يتبادلون معها الحوار ، ولمسئوليات دورهم في تطوير مجتمعهم اليمني والعربي ، وبقدر حبنا لهذا التجمع الشاب ، الذي تحوطه وزارة الاعلام بالجمهورية العربية اليمنية باهتمام ورعاية واضحين ، فاننا ندعو الى تنظيم هذا الاهتمام ، وهذه الرعاية ، ضمن تخطيط علمي يضع في اعتباره الحاضر والمستقبل ، توصلا الى زرع المسرح كما يجب ان يزرع في الارض الجديدة ، من خلال هذه البشائر الشابة الموهوبة ، الصادقة الاندفاع .

نريد ان نرحب وان نسعد ، وان نصفق لهذه المنارات الجديدة في ارض المسرح العربي ، ونريد لها ان تتجاوز السلبيات التي احاطت بسابقاتها في التاريخ القريب للمسرح العربي وأن تنتبه اولا وقبل كل شيء الى انها لا تبدأ من فراغ ، وانها تمتلك ملكية كاملة كل تراث المسرح العربي والمسرح العالمي ، وانها يجب ان تتمرس بكل ذلك التراث وتهضم التجربة الانسانية والادبية والفنية فيه . فاذا اضافت اليه بعد ذلك كانت اضافاتها على نفس المستوى من الاصالة ومن الانضباط ، ان لم تتجاوز هذا المستوى الى ما هو انضج واكثر تعبيرا عن الواقع .

ونريد لهذه المنارات الجديدة ايضا ان تنتبه الى ان القضية ليست مجرد انشاء فرقة او عدة فرق مسرحية ، بقدر ما هي خلق المناخ المسرحي في الارض العربية ، وزرع المسرح في التربة العربية ، توصلا الى مؤسسة مسرحية ثقافية عربية تسندها جماهير الشعب العربي ، تكون لها القدرة على استبدال مسرح عربي جديد بناء بالمسرح السائد ، وهو بالفعل مسرح « اوروبي وقمعي » كما يقول بيان مسرح الحكواتي . ■■

سعد أردش

آفاق جديدة فى

الجمال و التجميل

الجمال في اللغة هو الحسن .. ويقال جمل الرجل جمالا فهو جميل والمرأة جميلة . والجمال في الفلسفة : هو صفة تسر العين وتسعد القلب ، وهو غاية ينشدها الانسان منذ بدء الخليقة .

بقلم : الدكتور شفيق نظام

والجمال في سنة التطور « الانتروبولوجيا » هو نهاية التطور في الثدييات أي هو الانسان آدمه وحواه . وفي العهد القديم « خلق الرب الانسان على صورته » . وفي القرآن الكريم « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » وجاء في القول المأثور « الله جميل يحب الجمال » .

والجمال اطلاقا نوعان : « جمال الخلق » ـ اى الجمال المادى ، « وجمال الخلق » ـ اى الجمال المعنوى .

وجاء في الحديث النبوي ـ اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي . وهذا التقسيم نلحظه في القرآن الكريم . فهو ينص على الجمال المعنوى في آيات متعددة : (فصبر جميل) ـ (فاصبر صبرا جميلا) ـ (فاصفح الصفح الجميل) .

اما الجمال المادى ـ فيشير اليه في الآية الكريمة : « الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين » . ويذكره نصا على التعميم في الآية الكريمة : ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وسنركز في هذه المقالة على الجمال المادى .

عن الجمال المادى

والجراحة التي تركز على الناحية الجمالية تسمى علميا الجراحة التجميلية . وتقسم الجراحة التجميلية تصنيفا الى ٣ اقسام : ـ جراحة تزيينية ـ جراحة ترميمية ـ جراحة اورام .

والجراحة التجميلية عامة لها ارض مشتركة مع الجراحات الاخرى :

فتشترك مثلا في جراحة الانف والاذن التجميلية ، مع جراحة الاذن والانف والحنجرة ـ وفي جراحة اليد والاوتار ، مع جراحة العظام ـ وفي تصنيع عقابيل الشلول المحيطية ، مع الجراحة العصبية ـ وفي تصنيع

الاجفان والحجاج [١] ، مع جراحة العين ـ وفي تصنيع الفكين ، مع جراحة الاسنان ـ وفي تصنيع الأحليل ، مع جراحة المسالك البولية ـ وفي جراحة زرع الاعضاء والاطراف ، مع الجراحات السابقة متكاتفة ومن جهة ثانية ـ يجب ان تشير الى ان الجمال المادى شيء نسبي وتختلف معطياته بين الشعوب المتحضرة والشعوب البدائية ففي المنطقة العربية مثلا فالخزام [٢] والوشم [٣] كانا من صفات الجمال المتطلبة كما فاصبحا عيبا يسعى لاخفائه .

كما ان الجمال يختلف حسب السن والجنس والازمنة . ولنضرب مثلا توضيحيا يتعلق بالقوام العام للمرأة . ففي مطلع القرن العشرين كان القوام الممتلىء فوق المتوسط ، هو الغاية المثلى للمرأة ، ويتجلي ذلك في جميع الصور التاريخية لتلك الحقبة الزمنية . وفي اواخر العشرينات .. اصبح القوام المدنف النحيل جدا هو المطلوب ، بل اصبح الجنس اللطيف يستعمل المشدات المؤذية للحفاظ على الخصر النحيل . وهذا الخصر النحيل هو ما كانت العرب تتغنى به :

ولولا الردف يمسكه
لطار مع الهوا الخصر

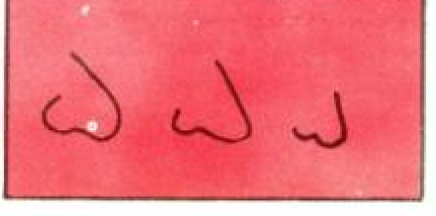
والموجة الجديدة في جمال القوام في السبعينات : هي الاعتدال مع تغلب اللياقة الرياضية .

اما الجمال الموضوعي المتجلي باستدارة الوجه وتركيبة العين ولفة العنق فيختلف تقييمه حسب الزمان والمكان فالعرب تشبه حسن الوجه بالغزال :

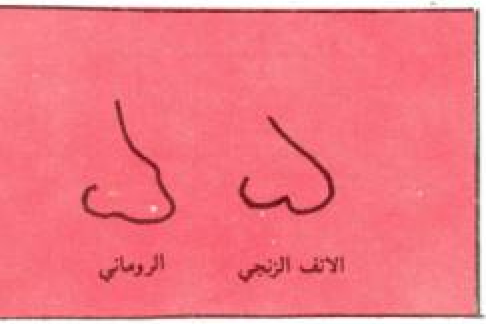
فعيناك عيناها وجيدك جيدها
سوى ان عظم الساق منك دقيق

بينما لا يشاهد الاوروبيون هذا المخلوق ـ اى الغزال ـ الا في حديقة الحيوان ! اما بالنسبة لا ختلاف الجمال حسب السن فيظهر لنا ذلك في الصور المتتالية المأخوذة لنفس الانسان في مراحل حياته الثلاث الكبرى :

الطفولة ـ الكهولة ـ الشيخوخة ، ولنأخذ الانف مثلا :



ولو اخذنا شكل الانف في طور الكهولة فقط لوجدناه يختلف حسب الاجناس ويمكن تصنيفه الى عشرات الانواع ولكن المهم منها خمسة انواع :



وبصورة عامة فالاوروبيون يعتبرون الانف المفرط في الضخامة متجافيا مع الاصول الجمالية . ويمكن اجراء العمليات التجميلية للتخفيف من هذه الضخامة سواء كانت الضخامة عظمية ام غضروفية والعرب كانوا يشاركون في هذا الرأى فشاعرهم يقول :

لك انف يا ابن حرب
انفت منه الانوف
انت في القدس تصلي
وهو في البيت يطوف

هكذا تطورت

ومن المهم ان نذكر ان الجراحة التجميلية قد تطورت في السنين الاخيرة لاسباب عديدة اهمها :

١ ـ الدراسة الجنينية التطورية : التي ساعدت في الحصول على نتائج مشجعة عند ترميم التشوهات الجنينية الولادية ـ كتشوهات شراع الحنك المضاعفة .

٢ ـ الدراسة الطوبوغرافية للجسم : وخاصة الدراسات الحديثة للخطوط الطبيعية الموجودة في الجلد

---

(١) الجوف العظمي الذى تسكنه العين
(٢) ثقب الانف
(٣) زرع الملونات ضمن الجلد .

الانساني او ما تسمى بخطوط لانغرهانس ، أو خطوط الشد الاقل وخاصة تطبيقاتها في اخفاء او تمويه آثار العمليات المنتخبة او الترميات الاسعافية .



٣ ـ استخدام المجاهر الجراحية : التي تتيح للجراح رؤية مكبرة جدا وامكانية اجراء عمليات دقيقة جدا . فمثلا الخيط ذو القياس ١٢٪ مع ابرته المندغمة فيه يمكن إمرارها من خلال شعرة صغيرة في رأس طفل كما يمر الخيط من خلال حبات المسبحة (وذلك تحت المجهر)

٤ ـ استخدام اللدائن الصناعية : من البلاستيك والسيلاستيك واشباهها التي لا تثير الجملة الشبكية البطانية (جبهة الدفاع المحلية) وبالتالي لا يطرحها الجسم وخاصة في العمليات التزيينية للانف والثديين وسواها : فالاثداء المتهدلة المعلقة تسترجع ايام صباها ـ والوجه المتجعد : ـ يشتد ازره وتختفي منه آثار السنين ويستعيد اشراقه ـ والانف المتموج الفائر كسرج الفرس ـ يصبح انفا اقنى جميلا . ـ والفك المتراجع المهدوم يصبح فكا متجانسا ومتلائما .

يضاف الى ذلك الاضافات التشكيلية التزيينية من اهداب للجفون ولون جديد للعيون واصلاح لما افسدته السنون .

٥ ـ زرع الاعضاء كاملة او جزئيا : زرع الاطراف والاصابع المبتورة .

ولم يكن ليتم ذلك لولا تعاون مختلف الاختصاصات في هذا المضمار ، بالاضافة لتشكيل فريق جراحي متعدد الاختصاصات دائم التأهب للقيام بهذه العمليات مع توظيف جميع الدراسات المخبرية الحديثة الخاصة بتصنيف الانسجة محليا وعالميا ، مع الاستعانة بالعقول الالكترونية لاعطاء العضو المناسب (مثلا الكلية) للشخص المناسب في اي مكان .

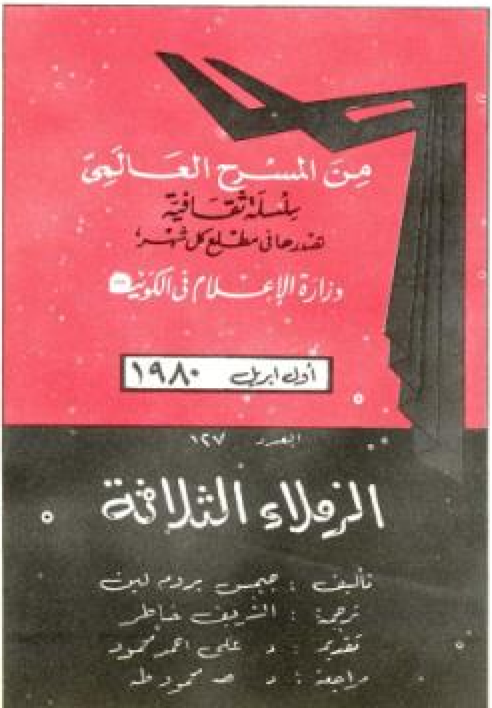
٦ ـ الجراحة الوعائية المجهرية ـ وذلك بنقل مساحات واسعة في الجلد او الانسجة المركبة من الجلد والعضلات والعظام من مكان من الجسم الى مكان آخر مع شرايينها واوردتها على ان توصل الشرايين والاوردة الخاصة بهذه الانسجة مع الشرايين والأوردة في المكان الجديد .

وأخيرا :

فان التقدم المستمر في آفاق العلم وتطبيقاته على الجسم الانساني سواء من الناحية العلمية او الجمالية اتاح للجنس البشري ان يحقق مالم يكن يحلم به من قبل .

ولا يزال الانسان يستشرف ببصره آفاق المجهول ويسعى دوما نحو الامثل والافضل وتلك سنة الحياة . ■■

دمشق ـ الدكتور شفيق نظام



«سكن تسلم» بل لا تسلم

من اظهر سمات الفصاحة العربية اعراب الكلمات ، اى ضبط أواخرها ـ خلال الكلام ـ بما تستحقه من حركة او سكون على حسب موقعها في الجملة . والحركات ثلاث : الضمة والفتحة والكسرة واما تسكين الكلمة فلايكون الا عند الوقف ، اذ من قواعد الفصاحة ايضا عدم الوقف على متحرك ، وكذلك عدم البدء بحرف ساكن .

و« سكن تسلم » من النصائح الشائعة ، وهي تعنى ان يقف المتكلم ـ محاضرا او خطيبا او محدثا او قارئا ـ بالسكون على آخر كل كلمة خلال كلامه ، ليأمن الخطأ في ضبطها بما تستحقه من الحركات ، عجزا منه عن ضبطها الصحيح .

ومن هنا تتكشف الحيلة في هذه النصيحة المجردة من الحكمة ، لانها ـ ان سترت عيبا فهي تكشف عيبا أسوأ ، اذ هي تخرج بالكلام كله عن نظامه الفصيح ، وتجعله عاميا ، وان كانت كلماته فصيحة ، ومعلوم ان لكل لغة ـ مهما تبلغ من التقدم او التخلف ـ انظمتها الصوتية والنحوية ، والصرفية ، والاعراب اصيل في الفصيحة لا مفر منه . بل ان الكلام يخرج عن حد الفصاحة اذا لم يلتزم في نطق اصواته او حروفه إخراجها من مخارجها الصحيحة في الجهاز الصوتي : فكيف بمخالفة نظامها النحوى ، ومن ابرز سماته الاعراب ، فالتسكين خطأ في الاعراب او اسوأ ، وهو ادل على العجز وفساد الذوق الفصيح .

والحيلة اخيب في الشعر ، وفي القرآن

واخيب ما تكون هذه الحيلة عند انشاد الشعر او قراءته ، لتوقيت حركاته وسكناته بحسب اوزانه وقوافيه ، وما علينا لمعرفة ذلك الا استماع بيت واحد ـ على طريقة « سكن تسلم » ـ لنعرف ان البيت قد فسد نظامه كله ، وصار ركاما من الالفاظ ، يصدم السمع والعقل لما يراه من فوضى فيه . والنتيجة كذلك أو هي اشنع اذا سمعنا آيات من القرآن الكريم على هذه الطريقة المضللة ، ، فاننا نجد اننا لانسمع شيئا يمكن ان يسمى « قرآنا » على اى وجه ، بل لفظا يصدم السمع والعقل والضمير ، وليس هذا مجرد خطأ ، بل خطيئة ايضا ، ولهذا كان انشاد الشعر او قراءته ، وترتيل القرآن ، في حاجة اشد وأكبر من الحاجة الى مجرد معرفة الحركات والسكنات ، ولهذا ايضا نشأ للقرآن علم خاص هو « علم التجويد » لخدمة تلاوة القرآن بخاصة ونطق العربية بعامة . وليس معنى هذا ان قواعد علم التجويد كلها خاصة بالقرآن وحده دون سائر الكلام العربي ، بل ان بعضها خاص به كالتعوذ « أعوذ بالله » .. « والبسملة » ، وسائرها عام ينطبق على كل كلام عربي ، والاصل في ذلك كله ضبط تلاوة القرآن وفقا لكلام العرب ،فقد نسب الى النبي عليه الصلاة والسلام انه قال « اقرءوا القرآن بلحون العرب » اى كما يتكلمون .

للوقوف مواضعها

والوقوف قد تكون اضطرارية لاحيلة فيها اذا كانت من عجز او نسيان والا فهي اختيارية ، والمرء ـ ولو حاول جهده ـ لا يستطيع النطق بعبارة أبعد من مدى تنفسه ، والتنفس محدود ، فله ان يتنفس خلال الكلام ، وافضل ذلك في نهايات الجمل الجزئية ، لان معانيها جزئية ، وهكذا حتى يتم الكلام .

ولهذا طلب منا القرآن ان نرتله « ورتل القرآن

بقلم . محمد خليفة التونسي

ترتيلا » وقد فسره الامام علي ـ كرم الله وجهه ـ فقال : « الترتيل ، تجويد الحروف ومعرفة الوقوف » اى اخراج الحروف من مخارجها الصحيحة (وهذا هو النظام الصوتي) ومعرفة مواضع الوقوف للانتهاء عندها بما يناسبها صوتيا ومعنويا ، والوقف قد يكون حسنا او سائغا ، او يكون قبيحا ، على حسب أداء المعاني ، وتعلق الالفاظ بعضها ببعض نحويا ، فالافضل في العبارات المسجوعة الوقف على الفواصل ، واجمل ما يظهر ذلك في الجمل القصيرة كما في قوله تعالى « انا اعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو الابتر » وكذلك يظهر في الجمل المزدوجة كقوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم » ويسوغ ان نقف الى جانب ذلك على لفظ الجلالة « الله » « والرحمن » ولكن يقبح ان نقف على كلمة « رب » فنفصل بينها وبين ما أضيفت اليه ، لان المضاف والمضاف اليه معا يدلان على شيء واحد ، وكذلك لايجوز الفصل بين الجار والمجرور ، وهكذا كل ما يتعلق به شيء بعده ، كما في قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » فلا يوقف على الموصول « الذين » لتعلق صلته به ، ولا على « المغضوب » لان « عليهم » متعلقة به ، واشد ما يقبح الوقف اذا اوهم خلاف المعنى المراد ، كما في الاية « ان الله لايستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » فالوقوف على « لايستحيي » يوقع في الخطأ والخطيئة . وكذلك قوله تعالى « لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء » فالوقف على « قالوا » واستئناف ما بعده يوهم وصفا غير لائق بالله ، وهذا يوقع في الخطأ والخطيئة ايضا .

ولهذا نجد ـ عند نظرنا في المصحف ـ ان كتابه يحرصون على تعيين مواضع الوقف ، ارقاما لرءوس الآيات ، والرمز (ج) لبيان جواز الوقوف ، و (صلى) لبيان ان الوصل اولى ، و (قلى) لبيان ان الوقف اولى .

فكيف ينجو القارىء اذا وقف على مثل « قالوا » مضطرا او مختارا ؟ والجواب هو اعادة جزء مما سبق ليصله بما بعده ، فيقول مثلا « قالوا ان الله فقير ، ونحن اغنياء » ، وبهذا يستقيم المعنى .

ومن الخطأ الفاحش قطع الكلام نهائيا لاى سبب اذا كان قطعه يخل بالمعنى او يفسده مثال ذلك قوله تعالى « لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى » فلا يجوز الاتيان بجملة « لاتقربوا الصلاة » مستقلة عن جملة الحال بعدها ، لان هذه الجملة الحالية قيد لما قبلها ، وبها يتحدد النهى ، ولابد من ذكر الجملتين الاصلية والفرعية معا متعاقبتين ولو كان السبب ايراد مثل في مجال التعليم على ان الفعل (تقربوا) ـ وهو من الافعال الخمسة ـ يجزم بحذف النون « لاتقربوا .... » او ايراد مثل على ان المفعول به « الصلاة » منصوب .

ثم ماذا تفيد قاعدة « سكن تسلم » اذا كانت الكلمات معربة بالحروف : كالمثنى ، وجمع المذكر السالم ، والأسماء الخمسة أو الستة ، والأفعال الخمسة ؟

لافائدة منها ، فلا بد من معرفة الاعراب الصحيح للكلمات ، والتزامه في نطقها ، فيكون الكلام حينئذ فصيحا ، والحق أحق أن يتبع ، بل يلتزم . . ■■

مجلة
الحقوق والشريعة
تصدرها كلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت

مجلة دورية
تعنى بالمجالات القانونية والشرعية

رئيسة التحرير
الدكتورة بدرية العوضي
مدير التحرير
الدكتور عادل الطبطبائي

الاشتراكات
داخل الكويت للافراد
٣ دنانير
للمؤسسات الرسمية
وشبه الرسمية والشركات
١٥ دينارا
في الخارج
١٥ دولارا امريكيا ، أو ما يعادلها

العنوان
جامعة الكويت ـ كلية الحقوق والشريعة
ص . ب ٥٤٧٦

تحتوي كل عدد على الموضوعات التالية : ـ
● ابحاث في القانون والشريعة الاسلامية
● تعليقات على الاحكام القضائية والتشريعات
● مراجعات للكتب الجديدة
● تقارير عن المؤتمرات الدولية

جميع المراسلات توجه باسم
سكرتير التحرير

الدرّاجة

بقلم : فاضل السباعي

كنت ، ذلك المساء ، وحيدا في بيتي ، أستجمع شتات نفسي قبل أن أركن إلى غرفتي لأبدأ الكتابة ، حين أقبل عليّ ولدي « فراس » يستأذنني في الذهاب إلى « حديقة الجاحظ » ، التي تبعد عن بيتنا مسيرة اثنتي عشرة دقيقة ، حيث كان قد افتتح ، قبل يومين ، معرض الزهور الدولي .

أعترف بأني أحسست فرحا غامضا لدى سماعي ابني وهو يفصح لي عن رغبته في زيارة هذا المعرض النادر ، الذي يقام للمرة السابعة في عاصمة بلادي دمشق ، فـ « الميول الجمالية » بدأت تثمر عند طفلي ، الذي لم يتم العاشرة من عمره ! ولكن فرحتي تلك كانت مقترنة بفرحة صغيرة أخرى ، هي أني ، في مغادرة طفلي البيت ، سيتاح لي أن أخلو إلى نفسي ساعة من الزمن ، مفكرًا متأملا ، وربما كاتبا أيضا ، دون أن أضطر إلى أن أقوم ، كل لحظة ، فأطل عليه من نافذة مكتبي ، أتفقده في الحديقة : أهو يعتلي عريشة الدالية العالية ؟ أم يتسلق شجرة الكباد ذات الأشواك ؟ أم أنه يلعب ، مع بعض رفاقه ، لعبة « الطميمة » ؟ أم يتقاذف وإياهم الكرة ، فيدعسون لي الزرع والأزهار ، ويطلقون صراخا ينتزعني من عالم تأملاتي ويعود بي إلى الأرض ، فلا أملك إلا أن أناشد ابني : « فراس ! قل لأصحابك أن يخفضوا من أصواتهم ، يا ولدي ، فإن أباك لا يستطيع العمل إلا بعيدا عن الضوضاء !! » .

ولكني لم ألبث أن تذكرت أن شقيقته الكبرى ، قد استأذنتني ، قبل قليل ، لزيارة المعرض ذاته ، فقلت لابني :

« ليتك أبديت رغبتك هذه قبل ذهاب أختك مع صويحباتها إلى المعرض ، لكنت كسبت الاستمتاع بتأمل الأزاهير وأنت في رفقتهن ! » .

ففاجأني ابني :

« عرضت أختي علي ذلك ، ورفضت ! » .

ـ عرضت عليك ! ولماذا رفضت ؟

ـ لم تكن عندي رغبة . والآن أريد الذهاب مع بعض رفاق الحارة .

ـ حسن . لك أن تغيب ، في هذه الجولة ، ساعة كاملة . ودونك رسم الدخول إلى المعرض . تناول المبلغ الذي نقدته إياه :

ـ لن تستغرب ، يا أبت ، إذا بينت لك أني سأشتري به كيس « شيبس » (شرائح البطاطا المقلية) ، لأنني لن أدخل المعرض !

ـ أنت تدهشني ، الليلة ، يا فراس !

ـ سنتجول ، أنا ورفاقي ، بدراجاتنا ، حول حديقة الجاحظ ، دون أن ندخلها . هذا ما اعتزمنا القيام به



الآن ، بالاذن منك ، يا أبي !

الدراجة ! آه ، شد ما أثارت الدراجة من خلاف بيني وبين زوجتي : هي تراها مجلبة أذى لطفلنا الوحيد ، بل ترى فيها الخطر الكامن الداهم ، وأنا أؤيدها في بعض مخاوفها ، دون أن أبالغ أو أغالي .

ـ ومن هم رفاقك في هذه الجولة ؟

ـ نضال وعامر ولؤي ...

ـ طيب ، إنها الآن السادسة إلا خمس دقائق ، هل تكفيك ساعة واحدة ؟

ـ تكفي ، شكرا .

لسوف تكون في البيت ، يا فراس ، في تمام السابعة . لن تتأخر ، حتى لا يشغل بالي . أنت تذكر جيدا « توصية » أمك ، التي أصرت قبل سفرها على ألا تمتطي الدراجة ... خارج حدود الحديقة !

ـ حاضر ، حاضر !

لدى وداع زوجتي ، قبل يومين ، في سفرها إلى حلب ، أعربت لنا عن أنها لن تهنأ بالا ، وهي في زيارتها لأهلها ، ما لم نقطع نحن الثلاثة ـ الأب ، وابنتنا الشابة ، وطفلنا الوافر الحركة الجم النشاط ـ على أنفسنا عهدا بأن الولد لن يجتاز بدراجته باب الحديقة بالجباه

الشارع ! وقد نزلت عند رغبتها ووعدت ، مستثنيا أحوالا نادرة للسماح يعود تقديرها إلى « رب الأسرة » ، الذي قلما يغادر البيت متى لجأ إليه ساعة الظهيرة !

حذرت ابني ، وهو يعبر بدراجته مسالك الحديقة :

« انتبه جيدا ، انت ورفاقك ، عند تقاطع الطرق خاصة » .

بثقة مفرطة ، أجابني طفلي الصغير :

« لا توص حريصا ، يا أبي ! » .

●

يوم عزمت ، قبل عامين ، على شراء دراجة لولدي ، قمت أنا وإياه بالتجوال على عدد من المحال التجارية ، قبل أن يقع اختياري ، اختيارنا ، على هذه الدراجة الفاخرة ! وأذكر أن ابني كان كلما دخلنا محلا ، أبدى إعجابه بالدراجة التي يعرضها علينا البائع ، فهي في رأيه الأفضل . وكان لا يخفي امتعاضه من طلبي إليه أن يتريث حتى نرى ما عند المحل الذي يجاوره من دراجات ، قد يكون منها ما هو أفضل من هذه شكلا وصنعا !

وساعة عدنا إلى البيت بالدراجة المشتراة ، استحسنتها أمه ، بمقدار ما عبرت عن مخاوفها على صبي الأسرة الوحيد : خوف مما سيعتريه ولا شك من نوبات طيش لدى انطلاقه بالدراجة في الطرقات ، وخوف آخر من رعونة سائقي السيارات في هذه الأيام ! وحتى أخفف من وطأة مخاوفها ، المبررة ، أخذت أملي على ولدنا ـ الذي كان يجيد ركوب الدراجة بطبيعة الحال ـ نصائحي وتوجيهاتي : كيف أن عليه أن يلتزم « يمينه » دائما ، وأن يهدىء من سرعته عند كل مفترق أو منعطف ، وأن يصعد بدراجته إلى الرصيف إذا ما أبصر سيارة ما ، تندفع بسرعة غير اعتيادية ، يقودها أرعن أو مخمور !

وحرصا مني على أن أبث في نفس زوجتي مزيدا من الطمأنينة ، فقد خرجت من فوري بابني إلى الشارع ، في أول جولة له على دراجته الجديدة ، ومضيت به إلى مغاني « أبو رمانة » و « المالكي » ، هو على دراجته ، يسير الهوينا تارة ويدعس أخرى ، وأنا أمشي وراءه ناصحا موجها :

« انتبه ! » .

« الآن تستطيع أن تدعس ! » .

« هل لاحظت السيارة التي برزت مقدمتها في المنعطف ؟ » .

« حذار أن تستعمل مكابح الدولاب الأمامي وحدها دون مكابح الخلفي ! » .

ـ ولماذا ، يا أبي ؟

ـ إن ذلك يشل حركة الدولاب الأمامي فجأة ، بينما يظل الدولاب الخلفي ، يتابع دورانه ، فينتج عن ذلك ، إذا كانت الدراجة مسرعة ، أن تنقلب براكبها رأسا على عقب !

ولم يفتني أن أدربه كيف يصعد ، وهو فوق دراجته ، إلى الرصيف ، بأن ينتر المقود إلى أعلى نترة خاطفة يصبح معها الدولاب فوق الرصيف ، ثم يرتفع عن السرج قليلا ، متابعا الضغط على الدواستين ، فتغدو الدراجة كلها على الرصيف !

●

قرأت ، تأملت ، كتبت ...

وأشارت عقارب الساعة إلى السابعة . فالولد ، الآن ، أمام باب البيت يتهيأ للدخول . إن من عادته أن يرفع من صوت الزمور وهو يحوم أمامام الباب . لم يرضه ما في دراجته من جرس ، فركب لها زمورا ببطارية ، ومرآتين ، وغطاء مخمليا للسرج ، وزينتها بشناشيل ملونة وأضواء إضافية ...

لم يعد ولدي في الموعد الذي اتفقنا عليه ، رغم كل تأكيد . صابرت النفس دقائق ، قبل أن أغادر غرفتي ، والحديقة ، منطلقا إلى رصيف الشارع . لولا أني أكدت عليه ضرورة أن يعود في تمام السابعة ، لما ساورني هذا القلق كله .

وقفت أرصد مقدمه . ثمة عدد من أولاد الحارة يلعبون « الطميمة » ، بينهم عادل وإيهاب ومحمود وجمال

وسامر ووليد ... وهو ذا داني ، الولد ذو الأرومة الجركسية ، وقد نضا عن جسمه قميصه ، فهو يعدو هنا وهناك ، عاري الجذع حافي القدمين ، مثل نمر صغير شارد .

ـ هل رأى أحد منكم ابني فراس ؟

أجابوني :

« لقد ذهبوا بدراجاتهم ... إلى حديقة الجاحظ ! » .

ألم يعودوا ؟

ـ لم نر أحدا منهم بعد .

ولا أنا رأيت ولدي ... والساعة تشير إلى السابعة والنصف !

تلك اللحظة ، كفرت بكل ما تبنيته من مبررات اقتناء الدراجات ليارس بها الأولاد نشاطهم الفائض ! تواردت على خاطري الصور والمشاهد القاتمة ، التي حدثنا بها بعض أصدقاء الأسرة ، كيف أنهم رأوا ، رأي العين ، ولدنا فراس وهو يمرق بدراجته بين رتل سيارات عند مفترق « الجسر الأبيض » ! ورب صديقة ، هي أم لعديد من الأولاد ، أسهبت في حديثها إلى زوجتي كيف أنها لمحت ابننا وسيارة تكاد تدهسه في شارع « أبي رمانة » ، مختتمة قصتها بهذا السؤال المثير : « أريد أن أعرف يا ست أم فراس : هل أنتم مستغنون عن ابنكم الوحيد ؟! » ... كنت أفند هذه « الاقاويل » ، زاعما لزوجتي أن هؤلاء الطيبين باسم المحبة يبالغون ! فلست بمستطيع أن أصدق أن ابني يعرض نفسه لمثل هذه المخاطر المجانية ، وأنا الذي أبذل جهدي في تعليمه وتدريبه وتوعيته ! « ثم لا تنسي ، يا زوجتي العزيزة ، أن للطفل ، أن للولد الذكر ، طاقة ، فيضا من الحيوية ، يتحتم البحث عن مجال مناسب لتفريغها ! وإذا سلمت معك بضرورة إبعاد الدراجة عن بيتنا ، فترة قصيرة أو طويلة أو إلى الأبد ، فهل لك أن تضمني أن ولدنا لن يستعير من زملائه دراجاتهم ، أو يستأجرها ، وينطلق بها ، في غفلة منا ، برعونة أشد ؟... » . فهنا لا تتمالك زوجتي نفسها من أن تصعد ، من قلب مفعم بالخوف ، هذه الدعوة الحارة : « إلهي ! ليت هذه الدراجة اللعينة تضيع ، تسرق ، قبل أن يصاب فلذة كبدي ، بمكروه ... يا الله ، يا رب !! » .

أربعون دقيقة ، وقلبي يفور !

كم كنت ساذجا حين رفضت ، بعناد غريب ، أن أدع قصة واحدة ، من قصص الأصدقاء الغيورين ، تنفذ إلى قناعتي !

●

كنت قد عزمت على أن أتوجه إلى حديقة الجاحظ ، لحظة أقبل علي نضال ، أحد رفاق ابني في جولة اليوم ، مبهور الأنفاس ، ليقول :

ـ أين هو ؟

ـ سرقت دراجته !

لحظة بدأ نضال الصغير حديثه ، كنت أحس ساقي تتخاذلان . وأما بعد أن انجلى الموقف ، فقد أحسستني بحاجة إلى ... راحة طويلة المدى !

رفيق الجولة الآخر ، عامر ، زاد الأمر إيضاحا :

ـ دخل دكان بياع العصير ليشتري-كيس شيبس ، وخرج ... فلم يجدها !

وأضاف لؤي :

« مضى علينا ساعة ونحن نبحث له عنها ، في كل مكان ... » .

أراح قلبي أن مكروها ـ سوى سرقة الدراجة ـ لم يحل بابني . خبر السرقة هذا ، سرى بين لاعبي الطميمة ، فكفوا عن اللعب دفعة واحدة ، وتجمعوا حولي ، وقد ارتسم وجوم عريض على وجوههم ، التي يسيل منها العرق حتى الأعناق !

أخذوا يغمغمون :

« مسكين فراس ! سرقت دراجته ... » ،

« فراس ولد لطيف ! » ،

« كانت دراجته أجمل دراجة في الحارة ! » ،

« لم يكن يتردد في إعارتنا إياها ! » ،

« غدا يشترون له بديلا عنها ، فهو وحيد أبويه ! » ...

سألت :

« وأين فراس ؟ » .

ـ قرب الحديقة يبكي ، خائفا من العودة إلى البيت !

ـ إذهب إليه ، يا نضال ، وقل له أن يعود فورا .

الجركسي دانش ، ابن الاثني عشر ربيعا ، العاري الجذع الحافي القدمين ، أهاب برفاقه :

« هيا نبحث عن دراجة فراس ، يا أولاد » .

مدخلا رأسه في فتحة قميصه ، متلمسا بقدميه فردتي حذائه .

بمرارة ابتسمت : يا له من بحث يستهدف العثور على دراجة سرقت في يوم معرض ! فكرت : إن كان سارقها يسكن في الجادة السابعة أو الثامنة ، من « حي المهاجرين » المتسلق صدر جبل قاسيون ، فهو قد ارتفع بها الآن نحو مئة متر عن سطح حديقة الجاحظ ! ولسوف يغمض جفنيه ـ وهو الذي لم يكن يملك دراجة قبل ليلته هذه ـ قرير العين ، حالما بامتطائها ، في باكر الصباح التالي ، تلك الدراجة الظريفة ، المتينة ، التي يزينها زوجان من الشناشيل !

●

على رصيف الشارع ، حمدت الله مرتين : الأولى لأن المكروه انحصر في فقدان الدراجة ليس إلا ، والثانية لأننا تخلصنا من الدراجة إلى الأبد !

ولكن أحزنني ، وأنا في مكتبي ، أن يفقد ولدي دراجته الأثيرة ! وضاعف من حزني أنه يعاني ، الساعة ، خوفا من أبيه ، قدر ما يعني من ألم الفقدان !

وفكرت : عند الحديقة ، المنسوبة إلى « الجاحظ » ، العالم الأديب خفيف الظل ، سرقت دراجة ابني ! ما نعرفه أن كاتبنا العربي العظيم ، قد ألف ، قبل نحو ألف عام ، سفرا ضخما عن « البخلاء » ولم يؤلفه عن « السارقين » !

أخذت أهتف ، بيني وبين نفسي : تعال إلي ، يا ولدي الحبيب ! خفف عنك أحزانك . بالشجاعة ، التي نميتها في صدرك ، أريدك أن تتحمل تبعة خطأ أنت ارتكبته بمحض اختيارك : إيداعك دراجتك ، على رصيف ، في يوم ازدحمت فيه الخلائق ! ثم تساءلت عما إذا كنت لن أضطر ، حقا ، تحت إلحاحه واستعطافه ، إلى أن أشتري له دراجة أخرى ؟ !

بهذا كنت أناجي نفسي ، وأنا أعد فنجان قهوة على نار الغاز . رن الجرس . تواصل رنينه ، وكأنما مسه جنون . إذن ، فقد عاد ابني ، أعاده إلى أصحابه !

ولكني لم أجده أمام الباب . رأيت حشدا من أهل الحارة ، ليس بينهم ابني ، الذي ما يزال يكابد أحزانه !

كانوا يتحلقون حول دانش . والولد الجركسي يعتلي ، مشرق الوجه ، سرق دراجة ... لم تكن ـ يا للعجب ! ـ سوى دراجة ولدي فراس !!!

من خلال تصايحهم ولغطهم ، استطعت أن أتبين :

ـ وجدناها ... وجدنا الدراجة ... هي ذي دراجة فراس !

كدت أفرك عيني ، غير مصدق ، وأنا أسألهم :

« من ؟ كيف » .

أجاب دانش ، مزهوا ، مثل خيال على صهوة جواد عربي :

« عمي ! ما إن بلغت رأس الحارة ، حتى رأيت ولدا يركبها . تشبثت بالدراجة . سألته ، وأنا أعاينها بنظري : « من أين لك بهذه الدراجة ؟ » . قال : « وأنت ما لك ؟ إنها لي ! » . تأكدت أنها دراجتنا . وفورا وثبت عليه و « قدحته كفين » : « تقول دراجتك ! إنها دراجتي ، وأنت سرقتها من أمام بياع العصير جانب حديقة الجاحظ ! » : فتركها لي ، وولى الأدبار » .

شكرت « الرجل الصغير الشجاع » دانش ، الذي ربي نفسه في الحارة ـ وهو الأخ الأوسط بين سبعة أولاد ـ أكثر مما اعتنى أبوه بتربيته . ثم ناشدته أن يمضي ليبحث عن ابني بجوار الحديقة ، ويزف اليه خبر عثوره على دراجته الضائعة .

●

كان صعبا على ابني ، الذي ما يزال يلاحق الدراجات الغادية الرائحة بعينين دامعتين أن يصدق

الحقيقة كما صرح له بها دانش .

لقد اندفع نحوه ، ممسكا بتلابيبه ، قائلا في عتاب مر :

« دانش ! كيف سمحت لنفسك أن تأخذ دراجتي من أمام بياع العصير ؟ ! لماذا مزحت معي هذه المزحة الغليظة ؟ ! إني ، منذ أخذتها ، وأنا ألوب بحثا عنها ! ماذا أقول لأبي في تبرير تأخري ؟ ! لن أعيرك إياها دقيقة واحدة ، بعد اليوم يا دانش ! » .

ولقد حاول دانش عبثا ، وهو مقتعد كرسي الدراجة الخلفي ، أن يقنع « سائقها » ، صديقه الملتاع ، بأنه لم يحصل عليها إلا من ... سارقها !

ولكني ، أنا ، لم أبذل جهدا كبيرا في سبيل إقناعه ما دمت رأيت الولد وهو منهمك في لعب الطميمة ، ثم وهو يدس رأسه في فتحة القميص ، مهيبا برفاقه : « هيا نبحث عن دراجة فراس ، يا أولاد » .

ـ ولكن ... لم لم تقفلها ، لدى دخولك الدكان لشراء كيس الشيبس ، يا ولدي ؟

ـ ظننت أني ... مشتريه في لحظة !

ـ حتى بعد أن لاحظت الزحمة على البياع ؟

ـ كانت عين لي عليه ، وعين على الرصيف !

ـ قبـل مغادرتـك البيت قلـت لي : « لا توص حريصا ، يا أبي » ! ومع حرصـك ، الـذي تظنـه في نفسـك ، فقد أضعت الدراجة ! أليس هذا من سوء التصرف يجب أن تقلع عنه ، يا ولدي ؟

ـ إنه ... « سوء حظ » ، فقط !!!

●

في عودتها ، ابنتي ، من معرض الزهور ، أبدت عظيم إشفاقها على أخيها الصغير :

ـ لو كنـت ، يا فراس ، رضيت بأن ترافقنـا ، أنـا وصديقاتي ، إلى المعرض ، لوفرت على نفسك عناء ذلك الغم كله !

وفي عودة أم الأولاد من حلـب ، كان أول ما استفسرتنا عنه هو الدراجة : ما إذا كنت سمحت للولد بأن يخرج بها إلى الحارة ؟

وبروح روائي متمرس ، ما كان لي أن أتخلى عنها ، رحت أحدثها ، جادا كل الجد :

« أعترف بأني مكنته ، ذات مساء ، من أن يمضي بها في جولة إلى حديقة الجاحظ . وهناك تركهـا ابنـك ، سامحه الله ، على طرف رصيف ، دون أن يكلف نفسه عناء قفلها ، مع أن القفل معلق بها والمفتاح معلق في « حاملة مفاتيحه » ، ودخل إلى دكان ليشتري ... » .

قاطعتني ، وكفها على صدرها :

« هل سرقت ، دراجة ابني ؟ ! »

ـ فلما التفت ناحيتها ، لم يجدها : كانت دراجة ابنك قد سرقت حقا !

قالت الأم في لوعة لم تعد خافية :

« مسـكين ابـني فراس ! كم يعـز علي أن يفقـد دراجته ! » .

ـ تقولين ذلك اليوم ، وأنت التي طالما دعوت الله أن تضيع ! ولكنه تعالى استجـاب لدعوتـك خلال ساعـة واحدة ، ساعة واحدة فقط ... ذلك أن رفاق ابنك انتشروا في كل مكان بحثا عنها ، فعثر ابن جيراننا دانش عليها في رأس الحارة ، وعاد بها إلينا سليمة ! وهي ، منذ تلك الساعة ، في ركنها لم تمس !

●

وأصبح ابنـي ، منـذ ذلك اليوم ، يطـل علي ، في بعض الامسيات ، وأنا وراء طاولتي ، ليسألني :

« بابا ! ألم تكتب ، بعد ، قصة ضياع دراجتي ؟ (ويضيـف متبـاهيا) أرأيت كم أهمـك من القصص والحكايات ؟ !! » .

وأما أمه ، فقد عادت ، كلما استبدت بها مخاوفهـا على فلذة كبدها ، تتضرع إلى ربها ، قائلة :

« فـراس ، ولـدي ! إلهي ، تفتقدهـا ثانية ، هذه الدراجـة ، ولا يعيدهـا إليك ذلك الجـركسي العفريت ! » . ■■

دمشق ـ فاضل السباعي

حوار القراء

مسلموا الصين ايضا

● سررت كثيرا لدى مطالعتي استطلاعكم المصور المنشور في العدد الممتاز ٢٥٤ ، والذي يصور حياة الاسلام والمسلمين في الاتحاد السوفياتي ، واعتقد ان مجلتنا الغراء قد حققت ليس رغبتي المدفونة في ذاتي بل رغبة الوف من العرب والمسلمين والمتشوقين لمعرفة احوال اخوانهم في هذا البلد البعيد ؟

فشكرا للكويت ، وللعربي ، ورئيس تحريره ، ومحرريه وكل القيمين عليه ، واملي كبير ان يحقق العربي بجهوده الجبارة استطلاعات اخرى في الصين لنعرف عن اوضاع المسلمين هناك .

خليل حسن فخر الدين
بيروت / لبنان

خطأ مطبعي

● لاحظت وجود خطأ مطبعي في مسابقة العدد ٢٥١ من مجلة العربي ، حيث ورد في العمود الافقي ، انه حسان بن ثابت .. وفي التعريف عنه كتبتم حسان بن مالك .

هدى بيطار
دمشق ـ سوريا

دفاعا عن شوقي

● في ركن « حوار القراء » بالعدد ٢٥٣ من مجلة « العربي » الغراء عقب قاريء من الاسكندرية بجمهورية مصر العربية ، على بيت امير الشعراء احمد شوقي بك القائل :

أنا من بدل بالكتب الصحابا
لم اجد لي وافيا الا الكتابا

وغير خاف ان البيت مطلع قصيدة طويلة مؤلفة من ٧٣ بيتا قالها الشاعر بمناسبة تأليف حافظ بك عوض كتابه : فتح مصر الحديث . (الشوقيات جزء ٢ صفحات ١٨ ـ ٢٢)

قال السيد / ابراهيم عبد الله حسن في تعقيبه على البيت ما يلي :

« ونرجو ان نوضح ان الباء في الاستبدال تسبق المتروك ، فلذا طبقنا هذا على قول شوقي ، فانه يكون قد ترك الكتب ، وانصرف عنها الى الصحاب ، بينما العكس الصحيح . ويقول تعالى في محكم آياته مخاطبا بني اسرائيل : « قال : اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير ؟ » صدق الله العظيم .

« وعليه ، كان يتعين على شوقي ان يقول : انا من بدل بالصحاب الكتب ، او الكتب بالصحاب ، غير ان الوزن يستعبد الشاعر احيانا فينسف قاعدة لغوية هامة ، لا يصح مجافاتها بحال »

ونقول للقاريء الكريم : الحق كل الحق في ان باء الاستبدال تدخل على المتروك ، ولكن هل كانت هذه الحقيقة ـ او هل كان يجوز أن ـ تخفى على شاعر مثل شوقي ، شاعر العروبة في عصرها الحديث ، شاعرها الذي اتته زعامة الشعر منقادة مختارة ، وقدم له شعراء الاقطار العربية المعاصرون ، تاج امارة الشعر العربي عن طواعية وطيب خاطر ؟؟ ان الشاعر الذي يستعبده الوزن ليس في الحقيقة الا « شعرورا » ، وهذه مكانة تنزه عنها هذا العبقري الذي تسنم ـ عن جدارة واستحقاق ـ قمة الشعر العربي الغنائي ، ولم يكتف بهذا ، بل اضاف اليه نوعين آخرين بل ثلاثة انواع كانت

تعوزه هي : الشعر الملحمي والشعر التمثيلي والشعر الطفلي ... فعل كل هذا ـ رحمه الله ـ وهو الرجل المثقف ثقافة « حقوقية » لا ادبية .

ان شوقي لم يكن ليستعبده وزن ، اذ كان في امكانه ان يقول مثلا :

انا من بدل بالصحب الكتابا

فيستقيم الوزن ، ويصح المعنى ، وتدخل الباء على المتروك .

وما كان شوقي ـ ايضا ـ « لينسف قاعدة لغوية هامة لا يصح مجافاتها بحال » وهو ديدبان العربية ، وحارسها الامين ، ولسانها المعبر الصادق التعبير ، وما كان ـ اخيرا ومن باب اولي ـ ليخالف اي نص قرآني محكم .

صحيح ان علماء الادب اصطلحوا على : « ان يجوز في الشعر مالا يجوز في النثر » ، ولكنهم ـ كعادتهم في البحث العلمي والدأب عليه ـ استقصوا هذه التجاوزات الشعرية فوجدوها لا تتعدى عشرة ، جمعها العلامة الزمخشري في قوله :

ضرورة الشعر عشر ، عد جملتها :
مد ، وقصر ، وتخفيف ، وتشديد
وصل ، وقطع ، وتحريك ، وتسكين
ومنع صرف ، وصرف ، ثم تعديد

وصحيح كذلك ان صنيع امير الشعراء في بيته ـ بيت القصيد ـ لا يدخل ضمن هذه الضرورات العشر ، اذن ، كيف يمكن توجيه « البيت » وهو المطلع الذي يفترض فيه الا يكون محل مؤاخذة ، او محط عيب ، او مظنة خلل من اي صنف ، لانه مطلع القصيدة وبراعة استهلالها وعنوانها ، ومن ثم وجب ان يفرغ فيه الشاعر كل ما يعبر عن نفسيته ، وينم عن شخصيته ، ويبرز قدرته الفائقة في التعبير ؟

لتوجيه هذا البيت وجهته الصحيحة ، نلاحظ اولا وقبل اي شيء ان الشاعر لم يستخدم فعل « استبدل » الوارد في الاية المشار اليها (البقرة : ٦١) ، وانما استعمل كلمة « بدل » التي تعني في

القوتان العظميان

● من خلال اجابات قادة الرأي العام عن اسئلة العربي عن توقعات الثمانينات والتي طرحت عليهم في العدد (٢٥٤) ، وردت في حديث الدكتور مراد غالب وزير خارجية مصر السابق عبارة (القوتان الاعظم) ، ووردت عبارة (الدولتان الاعظم) في حديث الدكتور جورج طعمه مندوب سوريا السابق في الامم المتحدة .

والصحيح ان تقول : (القوتان العظميان) و (الدولتان العظميان) ، لان اسم التفضيل اقترن بأل ، ووقع صفة لما قبله ، لذا وجبت مطابقته لما قبله افرادا وتثنية وجمعا ، وتذكيرا وتأنيثا .

ارجو الاشارة الى ذلك حرصا على استمرار الفائدة المرجوة من مجلة (العربي) مضمونا ولغة .

عبد اللطيف السعيد
تلبيسة حمص ـ سوريا

استطلعوا مدينة القصر الكبير

● أمل ان تخصصوا لأول مرة في حياة مجلة « العربي » استطلاعا مصورا عن مدينة « القصر الكبير » التي لعبت دورا

حوار القراء

هاما في تاريخ المغرب بصفة خاصة وتاريخ العالم العربي والاسلامي بصفة عامة . ذلك انها اقترنت بمعركة من اعظم معارك العالم الاسلامي والعربي ضد الاستعمار والصليبية انها معركة « وادي المخازن » وتسمى ايضا معركة « القصر الكبير » او معركة « الملوك الثلاثة » . فبفضل هذه المعركة حافظ المغرب على عروبته واسلامه ولكن مع الاسف الشديد هذه المعركة يجهلها اخواننا العرب واخواننا في الخليج بصفة خاصة ..

اجويد المختار

القصر الكبير ـ المغرب

دعوة للحب

دعوتكُمْ للحب . والصدقِ
دعوتكم للعدلِ والحقِ
دعوتكم يا اخوتي فاسمعوا
نصيحةً تُزَفُّ في رفقِ
لِمَ التجني بينكم سائدٌ
لِمَ التجافي بانَ في الافقِ
أنتُمْ فوق الثرى اخوةٌ
صوَرُكم . مصورُ الخلقِ ؟
لا فرقَ بين الناسِ في خلقهمْ
فخبروا هل ثَمَّ من فرقِ ؟

الكويت ـ غادة وهبي

دفاعا عن شوقي « بقية »

اللغة « غير » . فالتبديل والتغيير بمعنى ، وان كانت الكلمة الاولى في هذا المقام ، ادق من الثانية تعبيرا ، واحلى جرسا ، وادل على الحس الرقيق والذوق السليم . ان شوقي في اختياره للكلمة لم يبعد عن اختيارات كتاب الله العزيز :

« فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه (البقرة : ١٨١) » « وقال الذين لا يرجون لقاءنا : ائت بقرآن غير هذا او بدله . قل : ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي . » (يونس : ١٥) « الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا .. »

ونختم دفاعنا عن شوقي بان تنشد ـ بدلا منه ـ بيته هكذا :

انا من « غير » بالكتب الصحابا
لم اجد لي وافيا الا الكتابا

فنجده رحمه الله لم يخرق عادة ، ولم يخرم قاعدة لغوية ، ولم يصادم نصا قرآنيا ؛ ونجده اخيرا ترك صحبة الصحاب ، واقبل على معاشرة الكتاب ، ولنعم العشير !

د . عبد الله العمراني

تطوان / المغرب

حول المدينة المنورة

● اني سعيد بكلية الشريعة بمكة المكرمة ـ قسم الحضارة والنظم الاسلامية .. اخترت موضوع رسالة الماجستير حول « عمارة المسجد النبوي الشريف .. » ووجدت في الاستطلاع المنشور بالعدد ٢٥٢ لكاتبه مصطفى نبيل وعنوانه « المدينة المنورة .. طيبة الحجاز » ، ولفت انتباهي ما تضمنه الاستطلاع من معلومات جيدة وجديدة ، ولوحات مفيدة للرسالة التي اعدها ..

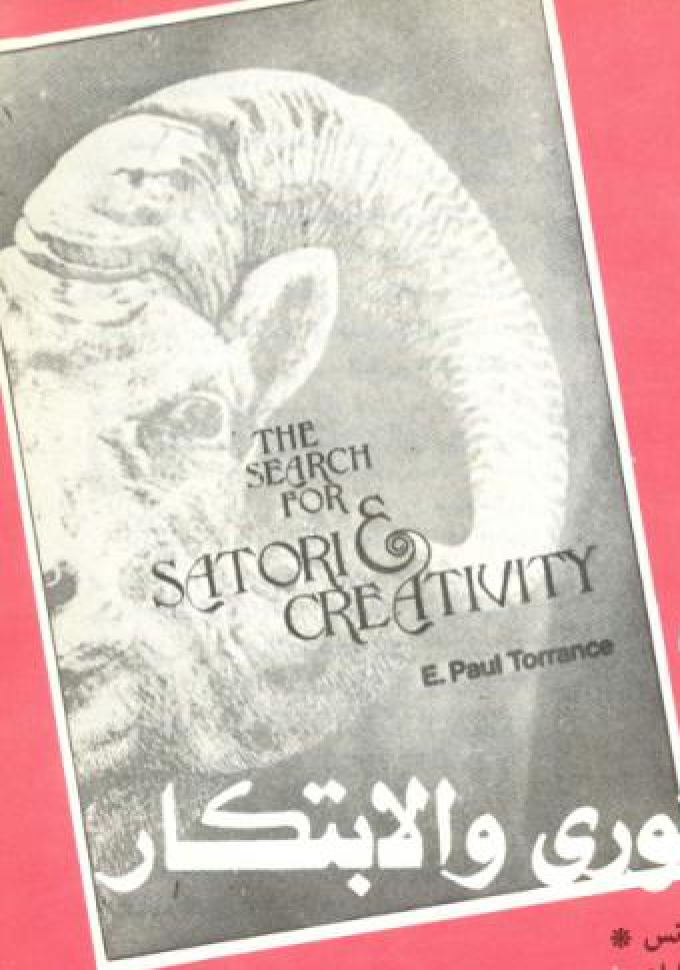
فاين اجد كتاب الرحالة البريطاني بيرتون ، وكتاب الرحالة الايطالي المتضمن اللوحة المنشورة ص ٧٩ ، ولكم الشكر ..

محمد هزاع الشهري

كلية الشريعة ـ مكة

العربي : بالنسبة لكتابات بيرتون يمكن الرجوع الى كتاب : Travellers in Arabia للكابتن البريطاني روبين بدويل Robin Bidwell اما صورة المدينة المنورة ، والمسجد النبوي الشريف الذي يتوسطها فهي منشورة في كتاب The life and times of MOHAMMED لمؤلفه بول هاملن Paul Hamlyn

عبقري المستقبل
هو العقل المبتكر



البحث عن الساتوري والابتكار

تأليف : أ بول تورانس *
عرض د : عبد الله محمود سليمان *

هل سألت نفسك يوما :كيف استطاع الانسان ان يستمر في حياته عبر العصور ؟ كيف وصل الانسان الى ما وصل اليه من علم وفن وفلسفة ؟ كيف أثرى الانسان حياته وسخر الطبيعة لخدمته ؟ ما هو ذلك السر الذى جعل الانسان يتميز عن غيره من الكائنات ؟ ان الاجابة على هذه الاسئلة ليست صعبة على الاطلاق .

فلو فكرت رويا لعرفت ان الانسان استطاع ان يتفوق على نفسه وعلى الطبيعة حين فكر في الجديد ، وعمل على أن يجعل المستحيل ممكنا .. حين استطاع ان يبتكر .

* قسم علم النفس التربوى ، جامعة جورجيا ـ الولايات المتحدة الامريكية
* قسم علم النفس ، جامعة الكويت

وهذا هو دون مارتنديل ، احد علماء الاجتماع البارزين ، يبرهن لنا في كتابه « الحياة الاجتماعية والتغير الثقافي »على ان العصور الابتكارية في تاريخ الانسانية هي التي تكونت فيها مجتمعات جديدة . فلقد ادى ابتكار الانسان في هذه العصور الى خلق مجتمعات جديدة .ولقد سعى الانسان الى خلق هذه المجتمعات الجديدة ، حين انهارت نظمه التقليدية ، وتفككت مجتمعاته القديمة . حين حدث ذلك كان لا بد للانسان أن يكون مبتكرا ، والا انهارت حضارته وغرب وجوده عن الحياة .

هل تملك يا صديقي الا أن تكون مبتكرا ؟ ! العالم من حولك يتغير بسرعة هائلة ، وهذا التغير يخلق لك مشكلات جديدة . هل تملك الا أن تفكر باسلوب جديد لكي تتغلب على ما يجلبه لك التغير الهائل في المعلومات والمعرفة من مشكلات ؟ ! انك لاتملك الا ان تستجيب لتحذير كارل روجرز ـ احد علماء النفس البارزين في عصرنا ـ وتكون مبتكرا لكي تتمكن من البقاء وتتمكن حضارتك من الاستمرار والنمو .

في الولايات المتحدة الامريكية نبه جيلفورد رئيس رابطة علم النفس الامريكية في خطابه الرئاسي عام ١٩٥٠ الى ان البحوث في مجال الابتكار لاتكاد تصل الى ٢ر٠٪ من مجموع البحوث السيكولوجية .. منذ ذلك الوقت بدأ العلماء يهتمون بدراسة الابتكار . لكن اهتمامهم زاد ، وحماسهم تضاعف حين اطلقت روسيا أول قمر صناعي . في ذلك الوقت أصيب الامريكيون بالذعر : ما الذى جعل روسيا تسبقنا في هذا المجال الحيوى ؟ لذلك عقدت الندوات ، واقيمت حلقات البحث ، وفكر المفكرون ، فانتهوا الى نتيجة هامة . لقد تخلفنا عن روسيا لان نظامنا التعليمي يهتم بما هو مألوف ، ويعلم ما هو معروف ، دون الجديد والممكن .. انه لا يهتم بالابتكار .

ومنذ ذلك الوقت ودراسات الابتكار تستمر . ولقد استطاع العلماء ان يكتشفوا سر التفكير الابتكارى ، ويتوصلوا الى اساليب يستطيعون بواسطتها تربية الابتكار في الانسان .



البروفيسور بول تورانس

ما هو الساتورى ؟

وكتاب « البحث عن الساتورى والابتكار » هو نتاج لجهد كبير في هذا الميدان ، وخلاصة لدراسات واحد من اشهر المبرزين فيه . هو أ . بول تورانس .

شغل تورانس عدة مناصب علمية ، فقد كان مديرا لمكتب البحوث التربوية بجامعة مينسوتا الامريكية ، كما عمل رئيسا لقسم علم النفس التربوى والقياسي النفسى واستاذا لعلم النفس في جامعة جورجيا . ولقد منحته جامعة جورجيا لقب : الاستاذ المتميز .

كما حصلت كتبه ودراساته على جوائز علمية ومهنية عديدة . ولقد كتب تورانس مقالات وكتبا تعد بالمئات . ومن كتبه : الموهبة والتربية (١٩٦٠) توجيه الموهبة الابتكارية (١٩٦٢) السلوك البناء (١٩٦٥) تدعيم السلوك الابتكارى (١٩٦٥) التعلم والتدريس الابتكارى (١٩٧٠) .

ولقد كتب توراتس « البحث عن الساتورى والابتكار » في مطلع هذا العام حين كان يعمل زميلا للجمعية اليابانية لتقدم العلوم ، واستاذا زائرا بجامعة مدينة اوساكا .

والساتورى هو اقصى درجة من الكفاءة والامتياز في الفكر والعمل يمكن اكتسابها ، بل هو ومضة من الاستنارة المفاجئة . لكن الوصول اليه يتطلب سنين عديدة من التدريب المتعمق . وقد كان علماء الغرب واعين بانه يجب ان يتدرب الفرد على التفكير الابتكارى مثلما يتدرب على رياضة التنس او السباحة او اللعب على البيانو او التزلج على الجليد . لكن فكرة التدريب الشاق والطويل لم تكن تعبر عن جوهر الساتورى فاليابانيون يرون ان الوصول الى اكتساب الساتورى يتضمن عدة اشياء ، فهو يتطلب اخلاصا عميقا ، اذ يجب على الفرد أن يحب شيئا ما كما يتطلب تدريبا متصلا حتى على العمليات الصغيرة على مدى فترة طويلة من الزمن ، ويتطلب التركز والاندماج واستبعاد كثير من الامور الأخرى . وعموما فهو يتطلب علاقة خاصة وثيقة وطويلة المدى بـ « معلم » . وهو يتطلب - قبل كل شيء - عملا شاقا ومثابرة وتحكما في الذات وطاقة وجهدا وكفاءة وخبرة .

لذلك قرر توراتس ان يركز في هذا الكتاب على بعض المهارات التي يعتبرها مهمة للوصول الى الساتورى والابتكار .

عبقرى المستقبل

في الفصل الاول يعرض توراتس تصوره لمشكلة الابتكار ، فيبدأ بمعارضة ما يسود في الثقافة العصرية من الطرق القصيرة والحلول السريعة للمشكلات ويركز على اهمية التدريب الشاق . ويذكر توراتس ان هذه الومضة من الالهام حدثت له في اليابان اثناء وجبة تامبورا رائعة اعدها طباخ عظيم في احد مطاعم طوكيو . كان عمر هذا الطباخ ٦٩ عاما ، وكانت له خبرة ٦٠ عاما في اعداد التامبورا ، فقد احب عمله وبدأه في التاسعة من عمره ، ولا زال يستمتع به الى حد كبير . وقد اخبر رواد مطعمه انه يذهب الى السوق كل يوم في التاسعة صباحا ليختار افضل الاسماك والخضروات لكي يعد طعامه ، اما الطباخ الآخر فقد كانت له خبرة اربعين عاما ، وهو ماهر كذلك وقد انتشرت شهرة هذا المطعم واصبح من الضرورى الحجز فيه قبل عدة اسابيع او عدة اشهر . هذه الخبرة ذكرت توراتس بما قاله ابراهام ماسلو من ان اعداد حساء جيد يمكن ان يكون عملا ابتكاريا مثل رسم لوحة او كتابة سيمفونية .

حينما نواجه بمشكلات مثل استنفاد المصادر الطبيعية وزيادة معدل التغير وغير ذلك من مشكلات ستتحقق من اهمية الحاجة الى « ومضات من الاستبصار » والى الابتكار .

وبالرغم من اننا لا نستطيع ان نتنبأ بماهية المستقبل ، الا ان هناك بعض الحقائق التي تزداد وضوحا ، واحدى هذه الحقائق هي اننا يجب ان نصل الى صورة غنية وممتدة واكثر دقة عن المستقبل ويجب ان تهتم المدرسة والمصنع والمؤسسات ودور الحكومة ورجال الدين بالوصول الى هذه الصورة وتوضح جوانبها . بل يجب ان تهتم التربية كثيرا بهذا العمل وتوفر من الامكانيات في المنهج الدراسي ، لكي تساعد التلاميذ على ان يكونوا صورا دقيقة وغنية وكبيرة عن المستقبل.

وحقيقة اخرى من حقائق المستقبل هي ان معدل التغير الاجتماعي والتكنولوجي سوف يزداد . والواقع ان بعض التغيرات يحدث بسرعة لدرجة لا نستطيع معها ان نعتمد على الماضي باعتباره موجها للمستقبل ويحلل توراتس مغزى هذا التغير السريع بالنسبة للمنزل والمدرسة والصناعة ونظام الحكم ويوضح على سبيل المثال - ان مقدار المعلومات ونوع التعليم المطلوب لتنمية مهارات استخدام المعلومات سوف يزداد بسرعة ، وبالتالي فان الامر سوف يحتاج الى مراجعة مستمرة واعادة تنظيم للمعلومات والمهارات . وسيؤدى هذا الى الحاجة الى تغيير وظيفة المعلم من اعادة شرح الكتب الدراسية وتصحيح الاخطاء الى ادارة التعلم وتنمية المهارات ، مثل حل المشكلات والتفكير الابتكارى والعمل في الفريق ، وغير ذلك .

وسيكون على الوالدين ورجال الادارة والصناعة

والمشرفين على الاعمال ان يقوموا بتنمية هذه المهارات، كذلك فان مهارات التكيف والتلاؤم يجب أن تصبح جزءا رئيسيا من المنهج الدراسي والحياة الاسرية والعمل والصناعة . ان عبقرى المستقبل سيكون هو العقل المبتكر الذى يتكيف مع مايأتي به المستقبل من جديد .

ويشير تورانس الى ان خبرته في اليابان قد اعطت معنى جديدا لدراساته الحديثة عن الدور الذى يلعبه تصور المستقبل والتفكير الابتكارى . فحين تكون صورة المستقبل غنية وممتدة ودقيقة ، ربما تؤدى الى الدافعية التي تعتبر ضرورية للمثابرة التي تؤدى الى « الساتورى » وهو اقصى شيء يمكن ان يصل اليه اليابانيون .

ويشير تورانس الى مقال كتبه هلموت مورسباخ وحصل على جائزة صحيفة التايمز اليابانية . يصف هذا المقال الجوانب الاجتماعية والسيكولوجية للمثابرة والساتورى في اليابان . ويوضح ان تحمل اليابانيين ومثابرتهم يتحققان عن طريق القدرة على تأجيل الاشباع وتحمل المشقة لدرجة لا يوجد لها نظير في اى مكان في العالم .

وقد اثار اهتمام تورانس قيام المصانع والمؤسسات بتدريب العاملين فيها على تأجيل الاشباع . وقد كان هذا مثار دهشته ، لانه لم ينجح من قبل في اقناع الطلاب والمعلمين بان خصائص مثل المثابرة والتفكير الابتكارى وحل المشكلات يمكن ان تعلم ، اذ انه في الولايات المتحدة يعتبرون هذه المهارات شيئا اما يمتلكه الفرد اولا يمتلكه . ولم يكن يخطر لاحد ان هذه المهارات يمكن اكتسابها بالتدريب ، لذلك يقوم كثير من الشركات اليابانية بتدريب العاملين فيها بانتظام على المثابرة والابتكار . فبعد ان يلتحق الموظف بالشركة يعطي تصورا لمستقبل هذه الشركة ويتوقع منه ان يلتزم بمستقبله المهني في هذه الشركة .

٢٥ ميلا مشيا

ويصف مورسباخ احد اساليب التدريب على المثابرة والابتكار . فبعد ان يلتحق الموظف بالعمل ، يعطي تصورا لمستقبل هذه الشركة ويتوقع منه ان يلتزم بمستقبله المهني فيها . ويصف مورسباخ احد اساليب التدريب على المثابرة التي يقدمها احد البنوك في اليابان لموظفيه . في هذا التدريب يشترك الموظف الجديد في مسيرة خمسة وعشرين ميلا تنقسم الى ثلاث مراحل . في المرحلة الاولى يقوم ١٢٠ موظفا بالسير معا لمسافة تسعة اميال . وفي المرحلة الثانية يقسمون الى فرق ، ويسير كل فريق مسافة تسعة اميال . اما في المرحلة الثالثة فيسير كل موظف وحده مسافة سبعة اميال ، وقد منع المتدربون من تناول المرطبات بالرغم من ان زملاءهم كان يغرونهم بتناولها على جانبي الطريق . ولم يكن هناك وقت محدد لاكمال هذه المسيرة ، اذ لم يكن ذلك سباقا ، وانما كان اكمال المسيرة هو الغاية الوحيدة .

وقد وصف احد المشاركين في المسيرة هذه الخبرة ، فقال ان مجموعته سارت الاميال التسعة وهي تتجاذب اطراف الحديث وتضحك . وحين تكونت الفرق بدأت المشاكل تظهر ، فبالرغم من انه لم يكن هناك حاجة الى المنافسة الا ان المنافسة بين الفرق بدأت تتكون . وقد سبب ذلك مشكلات كبيرة للافراد البطيئين في كل فريق ، لكن المجموعة التي كان هذا الموظف عضوا فيها ، حلت هذه المشكلة بان جعلت الافراد البطيئين يسيرون امام الاخرين ، غير ان ذلك ادى الى ضغط كبير على كل فرد لكي يسير بسرعة ، وفي الظهر بدأت الفرق تتفكك حين وصل الافراد الى الميل الثامن عشر ، وبدون توقف كان على كل فرد ان يسير بمفرده في سكون ، فقد اختفى بريق المنافسة ، وحينما كان الافراد يسيرون بمفردهم كان عليهم ان يتحملوا الالم الجسمي بل والاحساس بالهذيان . وقد ذكر الشخص الذى وصف هذه الخبرة نضاله من اجل الاحتفاظ بارادته ورغبته في الاستمرار ، وتصميمه على الا يصل الى هذه الحال من الألم ثانية ، ومع ذلك فقد بقي له شعوره بالابتهاج لانه قد انجز هذا العمل وتحقق من انه يستطيع ان يعمل اى شيء يصمم عليه .

التفكير الابتكارى

ويشير تورانس الى ان هناك عدة وسائل يمكن استخدامها في تدريب الافراد على المثابرة واحد متطلبات

مقرر « التفكير الابتكاري » الذي يدرسه في جامعة جورجيا هو ان يطلب من تلاميذه ان يحاولوا في خلال اسبوعين ان يحسنوا بطرق متعددة ومنظمة احدى مهارات التفكير الابتكاري . وقد وجد ان تلاميذه يمرون بخبرة مماثلة تقريبا ، وهي انهم يصلون الى نقطة لا يرون بعدها كيف يمكن ان يصلوا الى غاياتهم او يحصلوا اكثر مما حصلوا ومع ذلك ، فانهم تقريبا يصلون الى مستويات من التحصيل ابعد مما وصلوا اليه من قبل ، ومثل موظفي البنك الياباني الذين شاركوا في التدريب على المثابرة ، فانهم يتحدثون عن البهجة التي خبروها خلال هذه العملية الابتكارية بل اكثر من ذلك فانهم يستمرون في تلقي « ومضات من التنوير » اياما عدة بعد الخبرة .

ومن الممكن ان يقوم الوالدان والمدرسون والمشرفون بتقديم اعمال ذات اهداف يمكن الوصول اليها فقط عن طريق المثابرة والخبرة الساتورى . فلهذه الاعمال في المدى البعيد تأثير دافعي قوى على التحصيل اكثر من الاعمال التي لها اهداف يمكن الوصول اليها بسرعة .

الاعتراف بالمشكلة أولا

يقدم تورانس في هذا الفصل نموذجا للابتكار ، يرى انه يمكن ان يكون مفيدا في فهم السلوك الابتكاري والتنبؤ وتنميته . ويقوم هذا النموذج على اسس ثلاثة هي : ـ القدرات الابتكارية ـ المهارات الابتكارية ـ الدوافع الابتكارية

ويمكن ان نتوقع انجازا عاليا من الفرد الذي تكون دوافعه مرتفعة ، كما تكون لديه المهارات التي يتطلبها الانجاز الابتكاري . كما يمكن للفرد الذي يكون لديه مستوى عال من القدرات والمهارات الابتكارية ان ينجز ابتكاريا ، اذا امكن استثارة دوافعه الابتكارية . وكذلك يمكن للفرد الذي تكون لديه قدرات ودوافع ابتكارية ان ينجز ابتكاريا حينما يكتسب المهارات الابتكارية .

ويؤكد تورانس انه لابد من الوعي بالمشكلة وتحديدها لكي يحدث اي ابتكار او ساتوري . اي انه لا يمكن حدوث اى ابتكار او ساتورى الا اذا كان هناك اعتراف بالمشكلة وتعريف لها والتزام بالتعامل معها . وهناك مهارات يتطلبها تحديد المشكلات ، فحينما يواجه الشخص موقفا مشكلا ، يجب ان يكون في قدرته التعرف على المشكلة ، كما يجب ان يكون في استطاعته ان يوسع المشكلة ، وان « يفتحها » ويعيد تعريفها ، ويحدد المشكلات الفرعية ذات الصلة بها ، والتي يمكن التعامل معها وايجاد الحلول لها .

وقد حرص المؤلف على ان يؤكد ان المهارات الابتكارية يمكن اكتسابها بالتدريب والممارسة . فهي ليست كالذكاء ، اذ اكدت الدراسات عدم وجود علاقة بين الذكاء والمثابرة وحدوث الساتورى وهو اعلى مستوى في التفكير ، ويؤكد تورانس اننا يجب ان ننمي هذه المهارات والتعلم والتدريب المباشر ، ويقدم عددا من الاساليب التي تستخدم في تعريف المشكلات والوصول الى حلول ابتكارية لها .

لابد من البدائل

وفي كل فصل من الفصول التالية يهتم تورانس باحدى مهارات التفكير الابتكارى فيشرح المهارة ويبين اهميتها ، ويحدد مؤشراتها في الحياة الواقعية ، وما يجمع عنها من حقائق ، وكيفية قياسها ومدى توافرها في كل مرحلة من مراحل العمر ، وصلتها بالانجاز الابتكارى ، ويقدم مقترحات للتدريب على هذه المهارة وتنميتها في المنزل والمدرسة ومجالات العمل والحياة . وفي تقديمه لهذا كله يقدم الكثير من الامثلة ويحيل القارىء الى اجاباته على اختبارات التفكير الابتكارى التي قدمها في الفصل الاول ويساعده على تفهم مغزى ذلك كله .

في الفصل الثاني : « انتج بدائل متعددة ودرسها » ، يناقش تورانس مشكلة الطلاقة في التفكير والوصول الى عدة حلول للمشكلات ويبين اهمية الحلول البديلة فيقرر ان هناك ادلة على انه بقدر ما يكون لدى الفرد من حلول بديلة لمشكلاته ، بقدر ما ينجح في حل هذه المشكلات ويعرض تورانس مجموعة من الاساليب التي تساعد على انتاج البدائل مثل

اسلوب اوزبورن الذي قدمه في كتابه « التطبيقي » ـ ومن المهم لانتاج الافكار البديلة ان يتعرف الفرد على المشكلة . فقد اثبتت دراسات تورانس ان المدرسين الذي تعرفوا على مشكلات في اساليب تدريسهم كمفهوم ما ، قدموا اساليب بديلة لتدريس هذا المفهوم ضعف ما قدم زملاؤهم الذين لم يتعرفوا على مشكلات تدريسهم بهذا المفهوم .

ويخاطب تورانس قارئه في الفصل الثالث فيقول له : قدم افكارا اصيلة ، ويناقش مشكلة الاصالة التي تشتمل على الابتعاد عن الواضح والمألوف او الاقلاع عن التفكير الذي تحدده العادة ، والمفكر الاصيل هو الذي حين تواجهه مشكلة ما ، يقوم بالتفكير في الحلول المألوفة ، ويقيم فاعليتها ثم يفكر في بدائل ممكنة .

ويعرض المؤلف لبعض خصائص الخبرات التي تيسر التفكير الاصيل ، فيذكر :

١ ـ ان يكون هناك وقت كاف لانتاج البدائل ، وقد وجد الباحثون انه حينما يعطى اختبار في الابتكار ، فان الافكار الأصيلة التي تأتي في الخمس دقائق الاولى تكون قليلة ، لكنها تكثر بعد ذلك .

٢ ـ ان « يلعب » المرء بالافكار الغامضة وغير اليقينية ، بمعنى ان يحاول تجريب حلول اخرى ويفكر فيها ويربط بين بعض جوانبها والبعض الاخر .

٣ ـ ان يزداد الاهتمام بجدية واهمية المشكلة .

٤ ـ ان نجعل التفكير الاصيل مشروعا ، اي ان ندعمه ونكافئه . وقد اثبتت التجارب انه حينما يكافأ التلاميذ لتقديم افكار أصيلة فانهم يكثرون من تقديم مثل هذه الافكار .

التدريب على تحديد الجوهر

ويناقش المؤلف في الفصل الرابع « تحديد الجوهر » ، فيشير الى ان كثيرا من الافراد لا ينتهون الى ما هو هام وأساسي ، وبذلك لا يحددون جوهر المشكلات ويحدث هذا حينما يكون هناك عدد كبير من المشكلات او عدد كبير من الحلول ، فيأخذهم الاضطراب الذي يكتشفون ، فيتجمدون او يختارون حلا غير جيد ويشتمل تحديد الجوهر على عملية تفكير مجرد من الصعب وصفها ، هي قريبة من التفكير السحرى وتشتمل في نفس الوقت على التأليف واهمال الحلول الخاطئة أو بالمعلومات التي لاصلة لها بالموقف ، وترك الحقائق والمعلومات التي لا تبشر بخير ، وتحديد اولويات ، وجعل مشكلة واحدة او فكرة واحدة تسود الموقف .

وهناك عدة اساليب للتدريب على تحديد الجوهر منها : ١ ـ النضال من اجل « وحدة الامتداد » ، ٢ ـ البحث عن الحلول الانيقة ، ٣ ـ التوصل الى الفكرة المتسلطة ، ٤ ـ تبسيط الامور بدون فقدان الجوهر .

ويتطلب نجاح الحل الابتكارى للمشكلات ان توضع تفاصيل الحلول البديلة ، وتحدد الخطط لتنفيذها ، لكن تحديد تفاصيل حل ما قد يشغل المرء لدرجة كبيرة ، لذلك يجعل تورانس عنوان الفصل الخامس : « حدد التفاصيل ، لكن دون اسراف » ، فالذى يهتم بالتفاصيل قد يضحي بالطلاقة (تقديم عدد كبير من البدائل) والمرونة (تقديم بدائل متنوعة) والاصالة (تقديم بدائل جديدة غير مألوفة) . ولكن تورانس يوكد أهمية التفاصيل ، فهناك امثلة كثيرة لافراد اخترعوا شيئا ، او فكروا في فكرة عظيمة ، لكنهم لم يهتموا بتحديد التفاصيل التي تنفذ بواسطتها الفكرة او الاختراع ، بينما أتى افراد آخرون وفكروا في نفس الفكرة لكنهم اجتهدوا في تحديد تفاصيل تنفيذها ، فنسبت اليهم . فالعمل الابتكارى كالقصة او الاختراع العلمي قد يصل اليه الفرد في ومضة تنوير لكن تنفيذه يتطلب ساعات طويلة من العمل الشاق .

كذلك يتطلب العمل الابتكارى ان يكون الفرد متفتحا من الناحية السيكولوجية . وهذه هي الخاصية التي يناقشها الفصل السادس : « كن متفتحا » ، ذلك انه حينما يواجه الافراد موقفا غير مكتمل او مشكلة غير محلولة ، فان معظمهم يميل الى ان يقفز الى نتيجة ما ، وعادة ما تكون هذه القفزة غير مكتملة ، لان الفرد لم يأخذ وقتا كافيا ليفهم المشكلة ، ويدرس العوامل الهامة فيها ويفكر في حلول بديلة ، وعادة ما يؤدى هذا السلوك الاندفاعي الى حل يفتقر الى الاصالة ، بل يؤدى الى حل

افضل قليلا من الحل المألوف الذى فشل في ان يؤدى الى نتائج مرضية .

ويتطلب العمل الابتكارى ان يكون الفرد واعيا بدور الوجدانات والعواطف (الفصل السابع) فقد كان الرأى السائد من قبل ان الوجدانات تتدخل في العملية الابتكارية وتعطلها . اما الآن فهناك أدلة كثيرة على أن العوامل غير العقلية وفوق العقلية والوجدانية اكثر اهمية للتفكير الابتكارى من العوامل المعرفية العقلية ، وهناك عدة اساليب لاستخدام الوجدانات في تيسير التفكير الابتكارى .

ويستمر تورانس في الحديث عن انواع اخرى من مهارات التفكير الابتكارى فيتحدث في الفصل العاشر عن اهمية التصور البصرى الثرى ذى الالوان المتعددة للتفكير الابتكارى . اما في الفصل الحادى عشر فيتحدث عن دور الخيال في العملية الابتكارية ، ويشير الى ان كثيرا من المبتكرين قد تحدثوا عن الدور الذى لعبته القصص الخيالية التى كانت تحكى لهم ، وخبرات الطفولة الخيالية والقراءات الادبية في انتاجهم الابتكارى ، ويؤكد ان كثيرا من المخترعين حتى الذين يقومون بالتخطيط العملي مثل المهندسين ، يستعملون الخيال في تخطيطهم وتنفيذهم لخططهم .

وفي الفصل السادس عشر يقول تورانس : دع الفكاهة تنساب واستخدمها . ويوضح لنا ان الفكاهة و « روح الفكاهة » هي اساسا عمل ابتكارى كما انها تيسر الابتكار وتنميه . فالفكاهة تعتمد على الارتباطات غير الشائعة ، والمفاجأة وعدم الاتساق التصورى والادراكي . وقد لاحظ الكثيرون ان في حل المشكلات تكون الحلول التي تكسب هي الحلول التي تطلقها روح الفكاهة ـ ومع ذلك لم تعط اساليب حل المشكلات الفكاهة اهتماما خاصا .

« الابتكار لا نهائي . هو مصافحة المستقبل . والعبقرى هو ذلك العقل المبتكر الذى يكيف نفسه مع ما يأتي به المستقبل من الاشياء . وهكذا يبدأ تورانس الفصل السابع عشر والاخير من كتابه ، تحت عنوان : « لتحصل على لمحات لا نهائية » . ويقول ان عصر الفضاء وعصر ما بعد الصناعة يمتاز بالتحدي ، فقد كنا نظن اننا نعرف حدود الفضاء ، وقدرات الانسان والمعرفة ، لكننا نفاجأ كل يوم بالجديد . لذلك يجب ان يعمل البيت والمدرسة وكافة المؤسسات على أن توفر للاطفال لمحات من اللانهاية في تصور الحياة ، وان تكبر وتثرى تصوراتهم للمستقبل ، وان تجعلها اكثر دقة ، ولكي يتحقق هذا يجب ان تكون بيئة الطفل ذات عقل متفتح ، وباختصار ، فان على المجتمع ان يدرس احتمالات المستقبل وان يعد افراده لها .

ترى هل نهتم في حضارتنا العربية الراهنة بالابتكار ، لكي نعيد امجادا سابقة ، ونعود من جديد قادة في العالم ؟! ■■

د . عبد الله سليمان

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت
ابريل ـ نيسان
١٩٨٠م
افريقيا
في عصر
التحول الاجتماعي
تأليف :
ترجمة : شوقي جلال
الكتاب الثامن والعشرون
٢٥٠ فلسا
المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

اذكر انني احببت

حسن عبد الله (شعر)

دار العودة ـ بيروت

هذا الديوان هو العمل الشعري الاول للشاعر اللبناني الشاب حسن عبد الله . ويضعه النقاد الى جانب الشاعر محمد علي شمس الدين ، في طليعة الشعراء الشبان ، الذين شكلوا فيما بعد ، ما تم التواضع على تسميته بـ « شعر الجنوب » .. اللبناني طبعا !

الهم الجنوبي ، بما هو تكثيف لمأساة لبنان ، وبما هو الشاهد الباقي على فظاعة الحرب الاهلية ، يرتسم في هذا الديوان . ويشيع في كل مقطع . ولكن بعيدا عن اية مباشرة ، او غناء فردي احادي . ومن يتوسلون الشعر « السياسي » لن يجدوا ضالتهم في هذا الديوان . فالوضع السياسي ، يدخل في نسيج لوحة مركبة ، فلا يبدو نافرا صارخا .

يصور الشاعر ويتكيء على معاناة مزدوجة : الاتحاد بهموم الوطن ، ثم محاولة بناء قنطرة يجتمع منها التوق الشخصي والوجودي بالحضور الحي والفعال في قضايا الوطن . هذه المعاناة تظل تنزف دون ان تستشرف افقا جليا للعبور .

وكأي شاعر حقيقي فان حسن عبد الله ، يجهد في استنهاض التساؤلات . وفي الايماء الى فضاء آخر ، دون ان « يعطي » قارئه خلاصة او قناعة او « حقيقة » ما . باستثناء بعض القناعات الصغيرة : صيدا ، الفقراء ، فاطمة ، ليل المستحيلة ..

بقيت الاشارة الى ان معظم قصائد الديوان مطولة . وتجنح الى ما يشبه السرد الشعري . والتقطيع ، والحواريات . في جهد واضح الى اضفاء قيمة درامية (تعدد الاصوات وصراع الحالات) بما يعبر عن طموح الشعراء العرب الشبان ، الى كسر دائرة الغنائية الذاتية .

واذ يلمس قاريء الديوان . شجنا كثيفا يكتنف قراءة القصائد ، فانه يلمس في الآن ذاته ، دبيب فرح سري . فرح العودة الى الاصول ، واحتضان بداهة الاشياء وغموضها الآسر .

وخصص المؤلف ملحقا خاصا بعنوان المكتبة ، يشتمل على ثبت ، بالكتب الاساسية والمراجع التي يعتد بها في دراسة النقد الادبي وذلك في حقول الفن ، الادب ، الشعر ، القصة (الرواية والقصة القصيرة) ، المسرحية ، النقد الادبي ، تاريخ الادب ، اعلام (سير الادباء) السيرة الذاتية .

والحق المؤلف « استدراكا » بالمكتبة ، يتضمن اشارة الى عدد من الكتب الاهم والاعم ، الصادرة حديثا ، خلال عامي ٧٨ ، ١٩٧٩ .

يتضح من هذا التعريف ان الكتاب ، يندرج في قائمة الكتب التأسيسية ، التي تقدم احاطة تمهيدية ومعرفية وتاريخية بموضوعها ، وهو من هذا المنظار يبدو مرادفا لكتاب مثل النقد الادبي الحديث ، لمؤلفه الدكتور محمد غنيمي هلال ، الذي يقدم بدوره عرضا تفصيليا وتاريخيا لتطور ادوات النقد ، عبر تطور المفاهيم الفنية لالوان القصة والشعر المسرحية .. الخ .

الا ان الانطباع الذي يرد على ذهن القاريء في هذا المقام ، هو انه اذا كان الهدف هو تعريف القاريء ، والقاء الضوء والاخذ بيد الدارس .. الخ . فهل التفصيل المسهب ، والافاضة في الشرح التاريخي ، تفي بالغرض الاساسي .. ام ان القاريء يحتاج بالفعل ، الى كتاب ميسر في حجمه ، وكمية مادته ، بالاضافة الى تيسير اسلوب العرض ، وبسط المعلومات والمفاهيم ؟

على ان ذلك لا ينفي قيمة الكتاب وفائدته . ولا سيما انه حصيلة عمر ، لاستاذ عرف بمكانته الاكاديمية المرموقة .

حكايات من الوطن العربي الكبير
(الجزء الاول)

احمد السقاف

الكويت ١٩٨٠

● تتضمن حكايات هذا الكتاب لمؤلفه الشاعر احمد السقاف ، سردا وعرضا لرحلاته باعتباره مسؤولا في وزارة خارجية دولة الكويت عن الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي بالاضافة الى رحلاته « الادبية » بحكم موقعه في رابطة الادباء ، وتمتزج في هذا السرد الذكريات الشخصية ، بالمواقف الفكرية والقومية ، ويمتزج الشعر بالنثر ، والادب بالسياسة ، ويجمع هذه جميعا شعور قومي فياض ، وانتماء قومي ثابت ومكين ، ينهل من القيم الروحية لهذه الامة .

يتجول قاريء هذا الكتاب في بقاع الارض العربية من الجزيرة والخليج واليمن الى المغرب والجزائر ، ودمشق ، حيث يتلمس الملامح والقسمات العربية الواحدة ، والهموم والصبوات المشتركة . واذا كانت العفوية والارتجال هي ميزة للكتاب ، اذ تعطيه طبع الشهادة الوجدانية . فانها قد تكون في ذات الوقت مأخذا على الكتاب ، الذي افتقد التبويب والتصنيف في موضوعاته ، وافقده التسلسل المطلوب خدمة للفكرة المتوخاة . وهو مأخذ شكلي على اي حال . لا يمس الكتاب كقيمة .

استمع ايها الصغير ـ حديث عن الحرية الى رجل الشارع

ويلهلم رايش

دار ابن رشد ـ بيروت

من هو رجل الشارع الصغير ، الذي يوجه اليه الكاتب ؟ انه الرجل الذي وصل بؤسه الى درجة من الشمولية والوضوح لم يعد بامكان اعمدة النظام القديم نفسه انكارها ، رجل الشارع الذي قامت باسمه وعلى اكتافه كل النظم الاستبدادية .

الا ان هذا الرجل ينتمي تحديدا ، الى العالم الاوروبي والاميركي الذي تم سحقه على يد هتلر وستالين . والذي ينوء الآن ، تحت هيمنة انسان الغرب ، لدى المفكر وعالم النفس ويلهلم رايش .

والكتاب عبارة عن خطاب مفتوح ، يوجهه طبيب الى مريضه ، بعد علاقة طويلة بينهما كما يوجهه كاتب الى جمهوره . في ما يلي بعض الاقوال الموضحة برسوم في الكتاب .

ـ تلعب دور ناظر العبيد والعبد الذي تراقبه هو انت ـ في اعماقك هناك احتقار لذاتك حتى عندما ـ او بالذات عندما ـ تستعرض امامنا مقامك ومركزك ـ تخاف من التحليق ، وتخاف من الارتفاع والانخفاض ـ تطلب السعادة ولكن الأمن اهم بالنسبة لك من السعادة . ـ تريد زعيما يرتدي الزي الرسمي لتسمره على عربة وتقوم دون حياء باستعراضه في شوارع المدينة . ـ تختلس سعادتك اختلاسا تماما كما يفعل اللص في الليل ـ انت خائف ولهذا تعمد الى الصراخ ـ لا تتقبل اي تعبير حي ، ولا اية حركة صحية عفوية من فترة لاخرى تخرج راسك من المستنقع لتهتف : يعيش ـ خلف قناعك الاجتماعي ووداعتك تختفي وحشية كبيرة .

تلك طائفة من الاراء التي يبثها المؤلف في كتابه . باسلوب شديد التهكم ، مع تعمد « الايذاء » النفسي لاحداث الصدمة .

ولا شك ان الكتاب من وجهة نظر مؤلفه ، يقدم للقاريء العربي ملامح جديدة لصورة انسان العصر ، انسان الغرب ، فضلا عن طرافته وعذوبته كمذكرات شخصية .

ترجم الكتاب اسامة حامد

نزهة العقل الذكي بجوائز العربي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٣٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

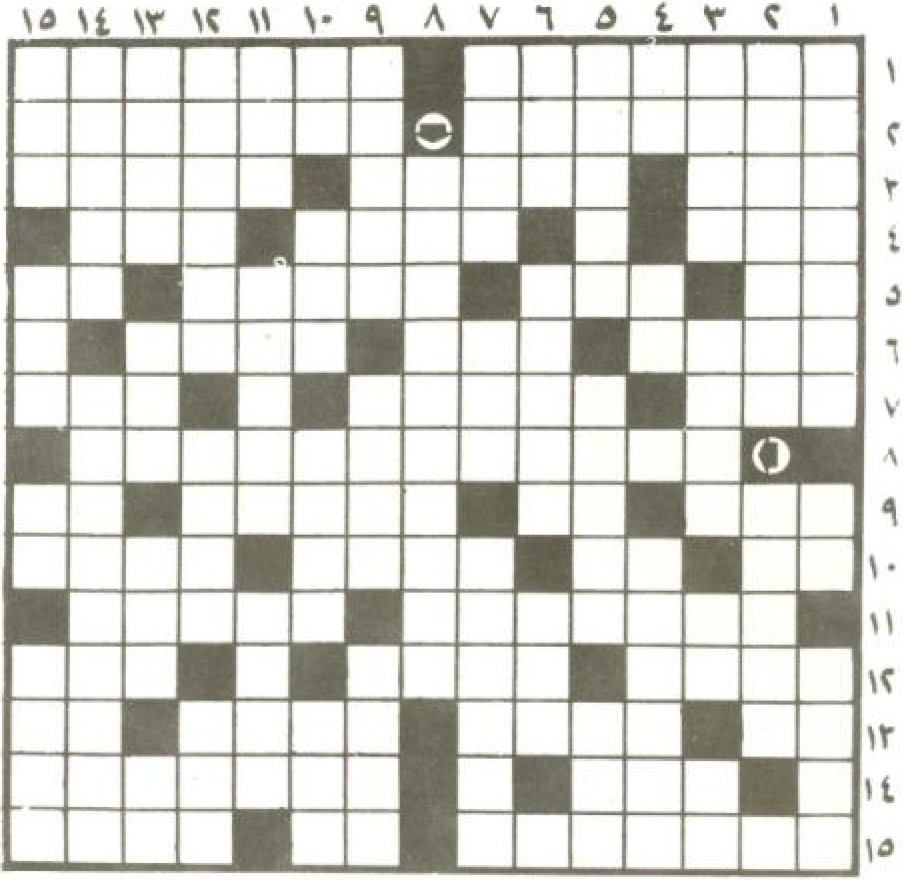
ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٥٧ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول يونيو (١٩٨٠) .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حلّ مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم مؤسس الدولة الطاهرية ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم قائد اسلامي .

الكلمات الأفقية :

١ ـ من أصحاب المعلّقات ـ رائد النسيبة .
٢ ـ آلة نفخ موسيقية ـ من أشهر علماء الرياضيات .
٣ ـ أقطع ـ أسوّف ـ أسرة حاكمة فارسية .
٤ ـ تضع ـ نبغي ـ يبزّ .
٥ ـ متشابهان ـ حرف ـ يقابل ـ صاحب .
٦ ـ صوت الجرس ـ يابس ـ يتكوّن منها البناء .
٧ ـ في مرحلة من مراحل العمر ـ رابحة ـ بيت .
٨ ـ مؤسس الدولة الطاهرية .
٩ ـ سبات ـ للتفسير ـ منافق ـ حيوان .
١٠ ـ رمز هندسي ـ وفاء ـ علم ـ يرجع .
١١ ـ من أنواع الزهور ـ هولندي كان أوّل من اخترع التلسكوب .
١٢ ـ من الخضروات ـ أهدمه ـ للتمني .
١٣ ـ لفظة ألم ـ نجرح ـ حول مجرى النهر ـ متشابهان
١٤ ـ وحدة قياس أطوال ـ الدكتاتور الوحيد في تاريخ انجلترا .
١٥ ـ المشاركة ـ متشابهان ـ نقاش .



الكلمات الرأسية :

١ ـ أول رئيس جمهورية تركي ـ متشابهان ـ خشيا .

٢ ـ ميناء أسباني معروف ـ صيانة .

٣ ـ تشعل ـ يضرب بالكف المفتوحة ـ مقام موسيقي ـ حرف استفهام .

٤ ـ في الجهاز الدوري ـ حرف جر ـ من البحار .

٥ ـ آلة موسيقية شعبية ـ في الذرة ـ جوهرة .

٦ ـ وحدة قياس زمن ـ تماثي ـ امتنع عن الأكل .

٧ ـ أوعية كبيرة لحفظ السوائل ـ أشتم ـ من العناصر .

٨ ـ قائد اسلامي .

٩ ـ نصف اليوم ـ من المحيطات ـ من الألعاب الرياضية .

١٠ ـ للنداء ـ حرف أبجدي ـ لاعب ـ أبصر .

١١ ـ غير طاهر ـ دميمة ـ أجري .

١٢ ـ في الجهاز الدوري ـ وحدات قياس زمن ـ يلفظ .

١٣ ـ تندم ـ رشاد ـ شهد ـ رغب .

١٤ ـ شهر ميلادي ـ دولة أسيوية .

١٥ ـ تفقد العقل ـ من أوجه القمر ـ مناص ـ دخل خفية .

كوبون مسابقة العدد ٢٥٧

قصّاص عربي معاصر

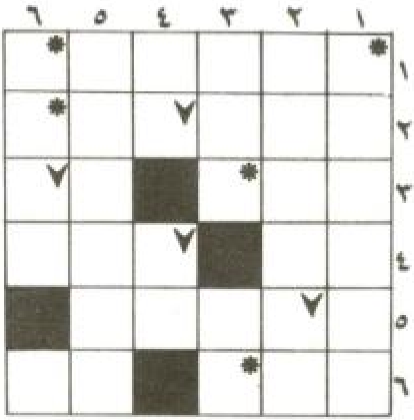
ابدأ بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربّعات التي بها الاسهم ، ورتّبها بحيث تصنع الاسم الاول لقصّاص عربي معاصر . ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتّبها بحيث تصنع لقبه .

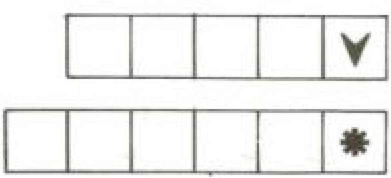
الكلمات الأفقية :

١ ـ فاكهة .
٢ ـ ينتفع .
٣ ـ أبصر ـ مقام موسيقي .
٤ ـ من الحبوب ـ عمّ .
٥ ـ عودته .
٦ ـ طائر من الجوارح ـ رغب .

الكلمات الرأسية :

١ ـ البابا الذي أعلن الحرب الصليبية .
٢ ـ حيوانات .
٣ ـ أقبل ـ نصف كلمة (مضمار) .
٤ ـ نصف كلمة (نفوس) ـ شتم .
٥ ـ ولاية أمريكية .
٦ ـ تقام على الانهار .





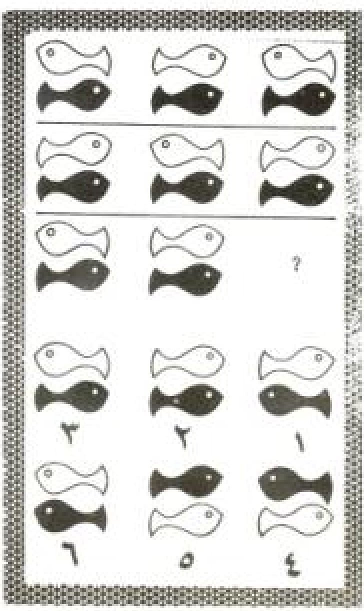
اين الصواب .. واين الخطأ ؟..

هذه المعلومات بعضها صحيح ، وبعضها خطأ ، هل تستطيع التمييز بينها ؟..

١ ـ هالي : فلكي شهير اطلق اسمه على اشهر المذنبات .
٢ ـ هنري دونان : مؤسس هيئة الصليب الاحمر .
٣ ـ وايندوت : نجم برلماني انجليزي من العصر الفكتوري .
٤ ـ ماتادور : مصارع الثيران الرئيسي .
٥ ـ ليمور : غازي مغولي معروف .
٦ ـ كريزانتيم : من انواع الزهور .
٧ ـ كارترايت : مخترع النول الميكانيكي .
٨ ـ كاراكورم : سلسلة جبال آسيوية .
٩ ـ كيلوج بريان : ميناء فرنسي معروف .
١٠ ـ فيراكروز : أهم ميناء مكسيكي .

الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أيّ الاشكال ذات الارقام ، يحلّ محلّ علامة الاستفهام .



الحلول

النجمة والسهم :

يوسف ادريس .

أين الصواب ، وأين الخطأ ؟ :

كلّها صحيحة فيا عدا :

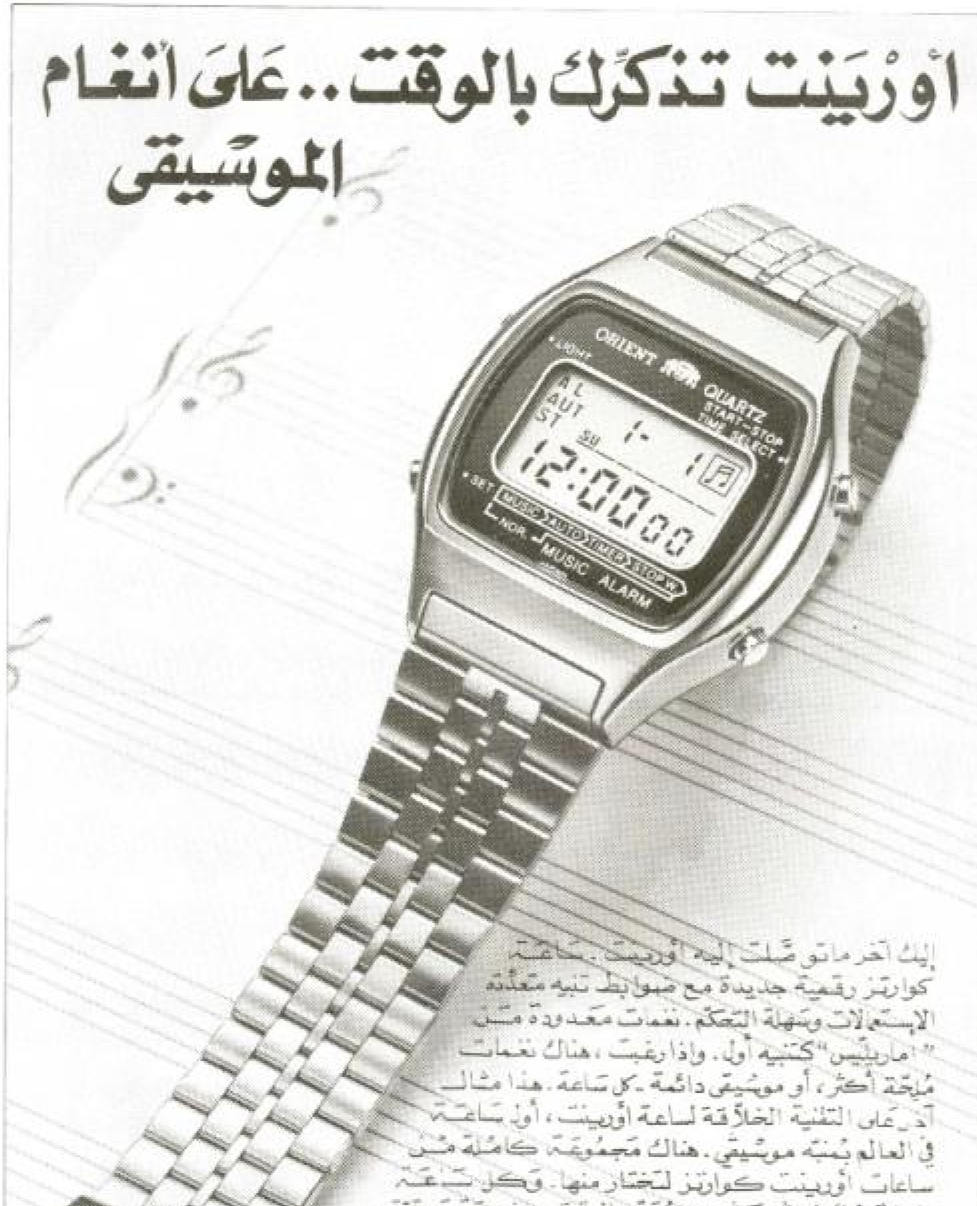
(٣) وايندوت : من سلالات الدجاج .

(٥) ليمور : نوع من القردة .

(٩) كيلوج بريان : ميثاق سلام في بداية القرن العشرين .

الشكل المطلوب :

رقم ٣ .


أورينت تذكّرك بالوقت.. على أنغام الموسيقى
ORIENT
QUARTZ
START-STOP
TIME SELECT
LIGHT
SET
MUSIC ALARM
إليك آخر ما توصّلت إليه أورينت. ساعة
كوارتز رقمية جديدة مع ضوابط تنبيه متعددة
الإستعمالات وسهلة التحكم. نغمات معدودة مثل
"ماريليس" كتنبيه أول. وإذا رغبت، هناك نغمات
مُلحّنة أكثر، أو موسيقى دائمة ـ كل ساعة. هذا مثال
آخر على التقنية الخلاّقة لساعة أورينت، أول ساعة
في العالم بمنبّه موسيقي. هناك مجموعة كاملة من
ساعات أورينت كوارتز لتختار منها. وكل ساعة
منها تعطيك أكثر بكثير من مجرّد الوقت ـ بنعومة ورقّة.
ORIENT اورينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL:407-5901, TLX:J26896 TIMETEST

لمــاذا ترسلي طلبك لملابس طفلك كل الطريــق إلى إنكلترا ؟

هذا سؤال بديهي لابد وقد تساءله احياناً الآلاف من زبائننا في جميع أنحاء العالم .

طبعاً هناك الكثير من مختلف الأسباب . ولكن السبب الجوهري يجب أن يكون كثرة الأصناف التي نقدمها ومداها . وبلا شك فان Mothercare هي أكبر الجهات في العالم اختصاصاً فيما قد تتطلبه السيدة التي ستصبح أماً وما يحتاج اليه طفلها وأولادها حتى سن العاشرة .

وأن خدماتنا البريدية معتمدة بأكثر من ٣٦٠ عنواناً في أنحاء بريطانيا وأوروبا والولايات المتحدة . وكل ما نبيعه قد صمم وصنع خصيصاً لنا ونرسله مباشرة اليكم . مما يعني أن أسعارنا شديدة المنافسة حتى بعد اضافة رسوم الارسال بالبريد .

ومن باب الأهمية الزائدة . تمكنا من وضع معايير الأمان الشديدة وكونها عملية مع الجودة .

ومع ذلك . فاذا لم نكن ـ تمكنا من اقناعك حتى الآن . ربما حان الوقت كي تطلعي على كاتالوجنا الذي يقدم اليك مجاناً وسيدهشنا حقاً اذا لم يحز على اعجابك بمحتوياته . فهناك ٢٤٤ صفحة مليئة بكل ما قد تتطلبه الأم . ونظام الفهرس البسيط الذي نتبعه سيجعل ملء استمارة الطلب المزود معه على غاية السهولة . فجميع الأحجام مذكورة بكل توضيح . ولأن الكاتالوج مطبوع بالألوان فلن يكون من الصعب مزج وملاءمة تشكيلتنا الواسعة من الأصناف .

وحال استلامنا لطلبك سنرسل لك البضائع فوراً . وقد يزيد في اطمئنانك أن تعلمي أنه لسبب مستبعد ما أن لم تحوز بضاعتنا على رضائك التام . سنرد اليك ما دفعتيه بدون أي سؤال .

والآن وقد أصبحتي على علم بالأسباب التي تدعو العديد من الامهات لارسال طلباتهن « كل الطريق الى انكلترا » ابدئي أنت بملء الكوبون أدناه Mothercare-by-Post ـ أمر سهل مثل ١ ـ ٢ ـ ٣ .

١ ـ الرجاء ملأ الكوبون وارساله بالبريد الجوي .

٢ ـ عند استلام الكاتالوج . املأي ما تختارينه من البضاعة على استمارة الطلب المزودة وارسليها الينا .

٣ ـ سنقوم بارسال ما تطلبينه فوراً .



VISA

Mothercare-by-Post

كل ما تحتاج اليه الأم وطفلها .... وأولادها حتى سن العاشرة .

واخر لصديقتك

رجاءً اطلبي الآن كتالوج الربيع / الصيف ١٩٨٠ الجديد المطبوع بالالوان الكاملة والمحتوي على ٢٤٤ صفحة .

To: Mothercare-by-Post (Dept. CA) P.O. Box 145, Watford, England.

الاسم : ____________________

العنوان : ____________________

____

البلد : ____________________ GC

Mothercare-by-Post

كل ما تحتاج اليه الأم وطفلها .... وأولادها حتى سن العاشرة .

واحد لك

رجاءً اطلبي الآن كتالوج الربيع / الصيف ١٩٨٠ الجديد المطبوع بالالوان الكاملة والمحتوي على ٢٤٤ صفحة

To: Mothercare-by-Post (Dept. CA) P.O. Box 145, Watford, England.

الاسم : ____________________

العنوان : ____________________

____

البلد : ____________________ GD

Mothercare-by-Post

كل ما تحتاج اليه الأم وطفلها .... وأولادها حتى سن العاشرة .

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس

مع

لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطها ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني.

٪١٥

في السنة

ايداع محدد لمدة سنة.

تدفع كل الفوائد بدون خصم أي ضريبة.

أسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة.

لومبارد نورث سنترال عضو في أحد مجموعات البنوك المصرفية العالمية ولدينا تاريخ يرجع إلى أكثر من ١٠٠ سنة. نمدكم بتسهيلات ايداعية تعود عليكم باقصى فائدة مع مرونة الاختيار وضمان لأموالكم. لدينا ودائع لأفراد ومؤسسات من جميع انحاء العالم.

اختاروا المنهج الملائم لاحتياجاتكم:
تقدم لكم ثلاث تسهيلات ايداعية لكل منها شروط متعددة ملائمة لاحتياجاتكم الخاصة.

ايداع ذو الأخطار:
بحد ادنى ٥٠٠ جنيه استرليني ويمكن الاضافة اليه أي مبلغ وفي أي وقت كما ويمكن السحب بعد الاخطار في اخر المدة المتفق عليها. تستحق الفائدة اعتبار من تاريخ الايداع وتدفع نصف سنويا أو تضاف إلى الحساب.

ايداع ذو مدة محددة:
بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني بمدة محددة من سنة إلى خمس سنوات بسعر فائدة محدد في هذه المدة. تدفع الفائدة نصف سنوية أو سنويا.

ايداع ذو دخل منتظم:
بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني. هذا المشروع يؤهلكم باستلام شيك بالفائدة كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل نصف سنة. ونسبة الفائدة تزداد تدريجيا حسب المدة التي تختارونها. تودع الأموال لمدة محددة تتراوح بين السنة والخمس سنوات بسعر فائدة محدد لهذه المدة.

لتفاصيل أكثر من برامج حسابات الايداع وأسعار الفوائد نرجو ان تملؤا الكوبون وارساله لنا اليوم.

Lombard North Central
Bankers

إلى:
LOMBARD NORTH CENTRAL LTD., DEPT. W182,
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND.
Telephone: 491 7050.

الاسم: ____________________

العنوان بالكامل: ____________________

____

طريقكم إلى الجامعات أو إلى المهن يبدأ من كلية سانت أولديتس اكسفورد ، إنجلترا المتخصصة في الدراسات المتقدمة المتعلقة بشهادة الدراسة العامة جي سي ئي

سانت اولديتس هي أكبر كلية خاصة في اكسفورد للدراسات العالية وهي مركز امتحانات معترف به لأربع من لجان امتحانات شهادة الدراسة العامة (جي . سي . ئي) بالمملكة المتحدة .

تضع الكلية أمامكم فرصة الاختيار الواسع من بين المجموعات التي تضم كل منها عددا من المواضيع ، وقد تم اختيار كافة هذه المجموعات بعناية ، مع أخذ احتياجات الطلبة بعين الاعتبار جنباً إلى جنب مع شروط الدخول إلى الجامعات البريطانية ومتطلبات الانخراط في المهن ببريطانيا .

تولي الكلية عناية فائقة بمصلحة طلبتها الأجانب وتقدمهم ، بحيث يستفيد جميعهم إلى حد بعيد من الخدمات الاجتماعية والتعليمية التي تتمتع بها مدينة جامعات اعتادت على رعاية ساكنيها من الطلبة الشباب الموهوبين البالغ عددهم ١٢,٠٠٠ .

التعليم في الكلية مختلط وهي توفر وسائل الراحة لما يقرب من ٣٠٠ طالب . وتضم مباني الكلية مختبرات علمية حديثة مجهزة تجهيزاً وافياً فضلاً عن مرافق هادئة ومريحة للدراسة الخاصة .

يقوم بالتدريس مدرسون جامعيون مؤهلون تأهيلاً عالياً و يوضع الطلبة في مجموعات صغيرة ونادراً ما يزيد عدد الطلبة في مجموعة ما عن عشرة ؛ لذا فانه يمكنكم أن تطمئنوا إلى أنكم ستحظون بأفضل فرصة لاجتياز الامتحانات بنجاح . وهذا النجاح سيمكنكم من تزويد أنفسكم بالمؤهلات اللازمة إما لدخول الجامعات وإما للانخراط في مهنة .

معظم الطلبة الذين يفدون إلى سانت اولديتس ينتوون متابعة الدراسات العليا في المملكة المتحدة وهم يدرسون ثلاثة موضوعات بمستوىٰ « رفيع » تستغرق منهم مدة عامين . أما الطلبة الذين يرغبون في الالتحاق بهذه الدورات فيجب ألا تقل سنهم عن ١٧ عاما وأن يكونوا ناجحين بمستوى « عادي » على الأقل (أي أن يكون الحد الأدنى هو المرتبة « ٦ ») في المواضيع ذات الشأن .

ومن أجل الدراسة للحصول على مستويات « رفيعة » ، من الضروري أن تكون لدى الطالب مقدرة عالية في اللغة الانجليزية ، ولن ينظر في أمر قبول الطلبة مباشرة إلا إذا أثبتوا أنهم يتمتعون بهذه الكفاءة .

تعقد الكلية دورات بمستوىٰ « عادي » للطلبة الذين يتمون عاماً بمستوى « عادي » ، أو ما يعادله ، دون أن يكونوا حاصلين على درجات عالية بما يكفي لقبولهم مباشرة للمستوى « الرفيع » .

نتوجه بالدعوة الحارة إلى الطلبة كي يكتبوا إلينا فوراً للحصول على معلومات وافية عن الدورات التي نعقدها لشهادة الدراسة العامة بالمستوى « الرفيع » والمستوى « العادي » .

St. Aldates College, Oxford

The Principal, B. Mendes, B.Sc., Econ., F.C.A., Dept. 88
Rose Place, Oxford OX1 1SB, England.

تغلّب «رد أدير» وساعته رولكس على كافّة العقبات لدى إخماده «ولاّعة الشيطان»



يعمل "رد أدير" في إخماد حرائق البترول. وأشهرها الحريق المعروف باسم "ولاّعة الشيطان" في الصحراء الكبرى.

كانت نيران هذه البئر الرهيبة تندلع صاخبة مدوّية في عنان السماء الى علوّ يبلغ ٢٠٠ متر، وتأتي على ما يزيد عن ١٥ مليون متر مكعّب من البترول كل يوم.

وبعد مجهود دائب، تحت انهمار أطنان من المياه لمكافحة الحرارة، إستطاع "رد أدير" وفريقه وضع ٢٥٠ كيلوغراما من مادّة متفجّرة خاصّة على بعد نصف متر من قاعدة النيران الملتهبة، ثمّ قام بتفجير هذه المادّة. فتمّ إخماد الحريق في جزء من الثانية.

وداخل مصانع رولكس في جنيف حيث تقلّ الحرارة نسبيًا، يقوم الحرفيّون باستحداث ساعة مصمّمة لاحتمال أقسى وأصعب الأحوال والأوضاع.

فكل ساعة رولكس كرونومتر تخرج من مصانعنا، تخضع رسميًا لاختبارات دقيقة ليل نهار وطوال أسبوعين، فضلاً عن حتميّة استمرار حركتها مدّة خمسة عشر يومًا تتعرّض خلالها ساعة رولكس الى نهايات قصوى من درجات الحرارة وهي مدلاّة في معزل عن علبتها المتينة أو بسترة. ولكن، من بإمكانه معرفة الطريقة التي تعامل بها رولكس وهي حول معصم رجل مثل "رد أدير"؟

في عام ١٩٧٧، عاد "رد أدير" وفريقه من بحر الشمال رافعين راية النصر، وقد أفلحوا في إخماد ثوران بئر "برافو" يوم راحت تقذف من فوهتها، كما الصاعقة، نافورة من الغاز والبترول في درجة الغليان، ممّا زنته مئات الكيلوهات كل ساعة.

وتعليقا على هذا الحدث، كتب مراسل "الدايلي ميل": "كانت ساعات رولكس الذهبية، مثبّتة حول معاصمهم وكأنها رمز شركة". شركة ما، هي. ورمز ما، هو.

ROLEX

رولكس



في الصورة، ساعة رولكس كرونومتر "داي ديت" من الذهب عيار ١٨ قيراطاً مع سوار جسيم معها.

سوني
SONY


KV-2020ME

في البداية ترينيترون، والآن بيتاماكس
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر


SL-8080E
بال / سيكام
للتسجيل واعادة المشاهدة

انطلقت سوني في تكنولوجيا الفن التلفزيوني الى مرتبة جديدة عالية بتلفزيون ترينيترون الملون . والآن أوصلت تكنولوجيا سوني متعة المشاهدة التلفزيونية إلى مستويات عالية جديدة ، بواسطة المسجل التلفزيوني الرائع بيتاماكس . أربط بيتاماكس بجهازك التلفزيوني لتسجيل أي شيء تريده ، فيلتقط لك أروع المشاهد ، ثم يعيد عرضها أمامك من جديد لمشاهدتها ، كلما خطر ببالك ، وحيثما سمح لك جدول أوقاتك اليومي . على أن هذه هي البداية فقط لما يمكن أن يفعله بيتاماكس من أجلك . اذا كان لديك برنامجان في نفس الوقت ، مثلاً ، وعلى قنالين مختلفتين متعارضين فلا تفكر طويلاً ، ولا تتعب نفسك لاختيار أي منهما تراقب ، بل بإمكانك مشاهدة أحد العرضين في الوقت الذي يبدأ بيتاماكس بتسجيل الآخر لك ، لتعود فتشاهده فيما بعد .
واذا رغبت بمغادرة البيت في المساء؟
. اضبط مسجل الوقت الأوتوماتيكي ، الذي يخدم ثلاثة أيام ، قبل مغادرة المنزل ، فيسجل بيتاماكس لك أوتوماتيكيا ، وبأمانة ودقة ، كل المشاهد ، وأنت خارج بيتك . لقد صرفت سوني عشرين عاماً متواصلة في اجراء التجارب والاختبارات التكنولوجية ، لتصنع المسجل التلفزيوني (فيديو ريكوردر) القادر على تحقيق كل هذا لك . ومع ذلك يبقى نسبياً كفاية ، ومندمجاً بالمنزل واجوائه ، كقطعة انيقة صغيرة . بالإضافة الى ذلك ، تتميز تجربة سوني بصنع شريط التسجيل التلفزيوني الشهير ، فيديو كاسيت ، ولهو سهل الترضيب ، مرن الملمس ، مريح التعامل معه ، لأنه أصغر كاسيت في السوق حتى اليوم ، ويدوم أكثر من ثلاث ساعات في إذاعة البرامج المسجلة وبدون انقطاع . اضف الى كل ذلك ، جهاز بيتاماكس بولرنغ المضاعف للتسجيل والكشف لمراحل الاذاعية ، وقد اثبتت الاختبارات جدارته ، والاعتماد عليه ، والثقة به ، إنه الأرقى والأوسع انتشاراً بين اجهزة التسجيل التلفزيوني ، ويوزع الصور الكاملة النقية الوضوح .
في البداية الترينيترون ... الآن بيتاماكس الساحر .
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر .

Sony Betamax سوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته



B CORD VTC 9350

شاهدوا الإستعراضات العالمية الكبرى مرارًا وتكرارًا دون الإهتمام بأنظمة التسجيل

إنتهت مشاكل أنظمة التسجيل بفضل جهاز سانيو بيتاكورد بال/سيكام بلوحته الأمامية المذهبة. وأصبح بإمكانكم إقتناء، شراء، إستعارة، أو بالطبع تسجيل الأشرطة على نظامي بال وسيكام وبالتالي مشاهدة الإستعراضات العالمية الكبرى في أي وقت تريدون وإعادة مشاهدتها مرارًا وتكرارًا دون الإهتمام بأنظمة التسجيل.

مميزات سانيو بيتاكورد المثيرة:

- مؤقت آلي ٧٢ ساعة بأسلوب التسجيل اليومي
- جهاز تحكم عن بعد للتوقيف المؤقت / أو وقف التشغيل
- التسجيل على أشرطة الفيديو كاسيت المدمجة لغاية ٣ ¼ ساعة متواصلة

مجموعة ذهبية لأجهزة التلفزيون الملون بنظامي بال / سيكام مع أجهزة التحكم واللوحات الأمامية المذهبة CTP 6457



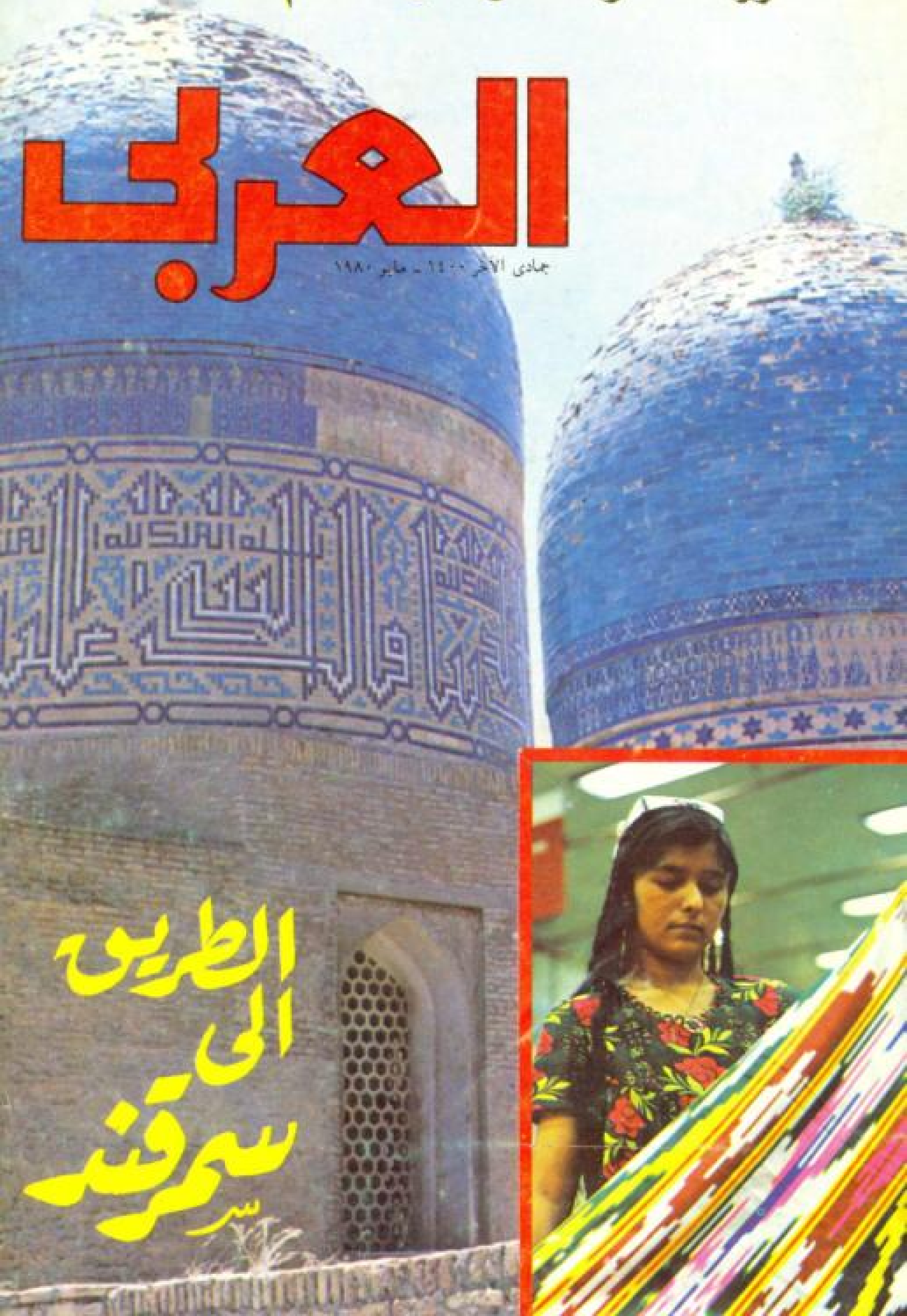
أشرطة بيتا فيديو كاسيت
٦٥ دقيقة - ١٣٠ دقيقة
١٩٥ دقيقة

SANYO سانيو

ثورة المعلومات وآمال العالم الثالث

العربي

جمادى الآخر ١٤٠٠ - مايو ١٩٨٠



الطريق الى سمرقند

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج



بنك الكويت الوطني ش م ك

عزيزي القارئ

ليس جديدا موضوع هجرة العقول العربية الى العالم الغربي والولايات المتحدة الامريكية . لكن الجديد الذى شد انتباهنا هو هذا التفاقم في حجم الظاهرة ، خلال السنوات الاخيرة ، حتي ان بلدا عربيا واحدا اعلن رسميا منذ اسابيع انه خلال السنوات العشر الاخيرة هاجر من هذا البلد الشقيق ١٥ الف شخص من خيرة المثقفين والخبراء .

ولسنا هنا في صدد تعديد الاسباب التي تدفع تلك العقول الى الهجرة الى الخارج ، فقد باتت هذه الاسباب معروفة ، وصار مستقرا انها خليط من العناصر الاقتصادية والبيروقراطية والسياسية . لكن الذى يعنينا هنا هو محاولة الاجابة على سؤال محدد هو : كيف يمكن حل هذه المشكلة ، ووقف ذلك الاستنزاف الذى يهدد بشكل أو بآخر آمال شعوبنا في مستقبل افضل .

واجابتنا تتلخص في نقطتين : الاولى ان هذا النزوح للعقول ليس مشكلة عربية ، كما انه ليس مشكلة العالم النامي وحده ، وانما هو مشكلة عالمية ، وان كانت آثارها اشد ضررا على العالم النامي . ذلك ان هجرة العقول والخبرات من اوروبا الشرقية الى الغربية ، ومن اوروبا الغربية الى امريكا وكندا واستراليا ، هذه القوافل مستمرة ، ولم تتوقف بعد .

النقطة الثانية هي ان وقف هجرة العقول لا يتم بقرار ، ولا يمكن حصاره باجراءات تنفيذية ايا كانت فعاليتها ، انما هذا الهدف يتحقق اذا توفر مناخ ايجابي يشكل عنصر جذب لهذه الخبرات المهاجرة ، بدلا من مناخ الطرد السائد الان .

القضية شائكة وحلها صعب ويحتاج الى حكمة وصبر . لكن « مناخ الجذب » هو الحل الوحيد ، وعلى الذين يجهدون انفسهم في صياغة القوانين واللوائح ومحاولة احكام الحصار على العقول والخبرات ان يوفروا هذا العناء على انفسهم وعلى اوطانهم ، ويستثمروا قدراتهم في اعلان الحرب على « مناخ الطرد » ، فذلك اجدى وانفع .

« المحـــرر »



صورة الغلاف

● الاثار الاسلامية في آسيا الوسطى عالم مليء بعناصر الجمال والاثارة والفن الرفيع . وغلاف هذا العدد يسجل جانبا من هذا العالم . لقطة من آثار مجموعة شاه زندة الشهيرة في سمرقند . ثم فتاة اوزبكية في مصنع للحرير تعرض ثوبا من القماش ذي الالوان التقليدية الزاهية .. انظر استطلاع الشهر .

حديث الشهر

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

آداب وفنون

تاريخ وتاريخ اشخاص

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة



العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: أحمد بهاء الدين
مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج . م . ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليا ، الجزائر ٢٫٥ دينار ، المغرب ٢٫٥ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١

تلغرافيا « العربي »

ALARABI -- No. 258 -- May 1980

P.O. Box 748 -- KUWAIT

تيتو..

بقلم: أحمد بهاء الدين

عندما تصل هذه السطور الى يد القارىء .. قد يكون الماريشال تيتو على قيد الحياة ، وقد لا يكون ...

ولكن الامر لا يختلف في ضرورة الحديث عنه ، وهذا الشهر بالذات ...

لا يختلف الامر ، لانه حتى لو كان مازال « على قيد الحياة » ، فان « وجوده » قد توقف في الحالتين . ودوره قد انتهى . اما البقاء « الطبي » على قيد الحياة فهو لا يعني شيئا لرجل مثل تيتو . اذا توقف فيه الذهن ، والارادة ، والشجاعة ، والخيال ، والاحساس بالمسئولية .. فقد توقف وجوده الحي النابض ..

وفي الشهر الذي انقضى ـ ابريل ١٩٨٠ ـ انتهى وجود تيتو كما نعرفه . وفيه مضت خمس وعشرون سنة على مولد حركة عدم الانحياز .

وقد كان صراع الماريشال تيتو مع الحياة طويلا . وكان صراعه الوطني ثم الدولي طويلا . وكأنه شاء إلا أن يكون صراعه مع الموت نفسه طويلا . فالطب يعترف علميا بان « ارادة الحياة » في مثل هذه الظروف لها اثر كبير في مدى صمود المريض . وقد أبدى تيتو ، وهو في الثامنة والثمانين ، رفضا مذهلا للموت . وقبل بقطع ساقه على ضآلة الامل . وكان الى ماقبل دخوله المستشفى بأيام آتيا من احدى جولاته العالمية المضنية ، مصمما على ايصال صوته الى كل مكان ، وطرح رأيه على كل دولة مهما كبر او صغر شأنها . غير مستكبر على مهمة ولا مستنكف عن مؤتمر حرج . وقد كان يمكنه ان يخلد للراحة ملكا غير متوج في بلده ، او بالاحرى زعيما مكللا بكل اكاليل الغار في بلده .

ولكنه كان في الساحة دائما . وكانت رحلته مع الحياة كما كان صراعه مع الموت طويلا عنيفا مستبسلا .

ومرور ربع قرن
على "عدم الإنحياز"





ولا عجب . فقد عرف العالم اسم تيتو لاول مرة وهو فوق الخمسين من العمر . اى في سن ينتهي فيها سواه . ولكن القدر كان محتفظا له بدور بعد الخمسين اكبر واشمل واهم .

.. الى العالم الثالث المظلوم

ان الرجل ، اى رجل ، هو « موقف » .

يختلف الرجال في الذكاء والشجاعة والآراء . ولكننا قد نجد الذكي المتردد . او الشجاع المتهور . او صاحب الرأي السلبي . ولكن مزيج هذا كله يقود الرجل الى اتخاذ « موقف » . هذا هو الامتحان الاكبر ، والمعيار الاهم . في « الموقف » خلاصة عقل الانسان وضميره وصلابته ، فبالموقف الذي يختاره تتبدى ألوانه الحقيقية . وتتجلى كل جوانب ضعفه وقوته على حقيقتها .

وقد اختار تيتو منذ تفتحه على الدنيا موقف الدفاع عن الفقير او المظلوم ، ايا كان المذهب الذي اعتنقه . ومن الفرد الفقير اختار جانب الوطن الممزق المظلوم . ومن الوطن الممزق المظلوم الى العالم الثالث المظلوم . كان هذا موقفه الذي لم يتغير . والذي دعا اليه ودافع عنه ببسالة لا مثيل لها ، و « استمرارية » واصرار لا ملل فيهما ولا كلل .

وقد دارت الدنيا والاحداث حول تيتو دورات هائلة . وانقلب العالم راسا على عقب عدة مرات . فقد ولد في القرن الماضي . وولد في البلقان ، الذي كان دائما بؤرة القلق والاضطراب وتصارع القوى ، في العالم كله . لكثرة ما فيه من قوميات . واديان . وسلالات . ولغات . وحدود رسمت واعيد رسمها اكثر من عشر مرات خلال قرن واحد .

ولعله ليس مصادفة ، ان يأتي من هذا البلقان بالذات ، اول من ادرك ان آمال الشعوب الصغيرة في تضامنها معا ، لدفع الوحوش الكبيرة في الغابة عنها . اليس هذا هو جوهر عدم الانحياز .

ولد تيتو وما يسمى اليوم يوغسلافيا مقسم بين الامبراطورية العثمانية والامبراطورية النمسوية . وانفجر اول حادث كبير في حياته وحياة الدنيا التي عاشها برصاصة اطلقت في « سراجيفو » من شاب صربي على امير نمساوي ، فاشتعلت الحرب العالمية الاولى .

ووجد جوزيف بروز ، صبي الحداد ، نفسه ـ كأحد ابناء كرواتيا ـ مجندا في جيش الامبراطورية النمسوية ، يحارب في الجبهة الروسية ضد جيوش روسيا القيصرية . ثم لا يلبث الا يقع في أسر قوات روسيا القيصرية . حتى يقع ثاني الاحداث الكبرى في العالم بقيام



الثورة البلشفية في روسيا ، وقيام دولة الاتحاد السوفيتي ، التي قلبت كل موازين اوروبا ، وكانت آخر شيء توقعه الاباطرة الذين بدأوا الحرب . ولكنه كان اخطر ما اسفرت عنه تلك الحرب .

وقد خرج تيتو من ذلك بمعرفة تامة باللغة الالمانية التي تعلمها في الجندية واللغة الروسية التي تعلمها في الأسر ...

ولكنه عاد الى بلاده وقد أعيد رسم خريطتها من جديد . حيث تم ضم سبع قوميات في اطار دولة واحدة هي يوغسلافيا . عاد وقد تعلم شيئا اهم من اللغات . تعلم انه لا بد من النضال الوطني لايقاظ وتوحيد شعوب الدولة الجديدة . وتعلم ان الامبراطوريات همها الاساسي الحفاظ على مصالحها ، اما الدول الصغيرة فلا مانع من ان تداس تحت الاقدام .

ممثل القوى الوطنية كلها

وقضى تيتو فترة ما بين الحربين يعمل حدادا ليكسب عيشه ، ويعمل في الحركات السياسية السرية ضد النظام القائم .

مشوار آخر طويل ، ممل ، صعب . وكان قد قارب الخمسين عندما انفجرت الحرب العالمية الثانية . وكان موقفه اتوماتيكيا ضد الفاشية والنازية . وبدأ هتلر يجتاح اوروبا دولة بعد اخرى . ويهزم أعتى الجيوش في اسابيع . ويسحق اى مقاومة داخلية سحقا كاسحا رهيبا .

ما عدا يوغوسلافيا . فمع ان جيوش هتلر اجتاحت البلقان كله ، الا ان تيتو جمع رفاقه من كل مكان وصعد بهم الى الجبال . وبوسائله وامكانياته الخاصة ، قاد هذا الرجل في الخمسين من عمره حرب عصابات ، بدأت بالاستيلاء على الاسلحة من الالمان انفسهم . ثم تحولت حرب العصابات الى ما يشبه الحرب النظامية . واتخذ لنفسه اسما مستعارا هو « تيتو » وهو اسم شاعر كرواتي فلكلوري قديم . وعرفت يوغسلافيا كلها اسم تيتو وعرفت انه قائد هذا النضال . وعرف الالمان اسم تيتو وتأثيره ، فحاولوا حصاره مرارا ، واصيب مرة بجراح خطرة في احدى المعارك . ولكنه كان دائما يفلت ويواصل القتال ، وينظم فرقا جديدة من المناضلين . وبالتالي تسلل اسمه الى العالم الخارجي مقرونا بالدهشة البالغة سواء في موسكو ـ قيادة الشرق ـ او لندن ـ قيادة الغرب . فمن هو هذا الرجل ، الذي يمثل ورجاله المقاومة المنظمة الوحيدة داخل اوروبا التي تحتلها جيوش هتلر ؟



وبحثت الطائرات الانجليزية عن مواقعه ، حتى عرفتها بالتقريب . وفي ذات ليلة ألقت عليه بالباراشوتات بعثة عسكرية يقودها جنرال ، ليقابلوا الرجل ويعرفوا الموقف بالضبط .

وقد روى هذا الجنرال الانجليزي ـ اخيرا ـ قصته . وكيف اخذوه الى تيتو . ورد فعله الاول أنه امام رجل غير عادي . وان سلطته على رجاله لانزاع فيها . وروي انه تعرض مع تيتو لحصار المدرعات الالمانية اكثر من مرة ، وانه اضطر للانتقال معه من كهف الى كهف في الجبال الوعرة ، والمقاومة لا تتوقف .

ومن يومها صار هناك اتصال بين تيتو والعالم الخارجي . وامكن تزويده بالسلاح والعتاد عن طريق القائها ليلا بالطائرات . وسقط دور الملك اليوغوسلافي الذي كان في لندن ، واعترف الحلفاء بان يوغوسلافيا اذا تحررت فسوف يحكمها تيتو قطعا .

وبالفعل ، صار جيش تيتو قبيل نهاية الحرب اكثر من نصف مليون وكانت قواته هي الوحيدة التي شاركت في تحرير بلادها قبل وصول قوات الحلفاء . ودخلت بلجراد قبل غيرها .

كان حلفاء الغرب يعرفون ان تيتو هو رئيس الحزب الشيوعي اليوغسلافي . وبالتالي سوف يكون اقرب الى ستالين بعد الحرب . ولكنهم قبلوا بذلك لانه لم يكن هناك مفر . لانه هو ممثل القوة الوطنية الشاملة ، اكثر من الحزب الشيوعي فقط .

ولم يتصور احد وقتها ان تيتو هذا نفسه ، سيكون اول الخارجين على ستالين بعد سنوات قليلة . وان ستالين بجبروته سيخوض أول وآخر معركة خاسرة في حياته .. ضد تيتو ، وهو على حدود معسكره ؛ ويرأس دولة لا يزيد عدد سكانها على سبعة عشر مليون نسمة ، لهم سبع قوميات ويتكلمون سبع لغات .

عدم الانحياز والصراع مع الموت

ان تاريخ الميلاد الرسمي لعدم الانحياز ، هو ١٨ ابريل سنة ١٩٥٥ ، تاريخ مؤتمر باندونج . وبالتالي فقد مر عليه ربع قرن في الشهر الماضي ، وتيتو يصارع الموت . فهل صار « عدم الانحياز » بدوره ، في صراع مع الموت ؟ ام انه ما زال قادرا على الحياة .

الواقع ان المولد الحقيقي لحركة عدم الانحياز ، كان قبل ذلك بسنوات ، عندما قام تيتو باول حركة انفصال عن كلا المعسكرين الشرقي والغربي .

جاء انفصاله عن المعسكر الشرقي لانه كان فيه ، ولكنه رغم انه كان محاطا به ، الا انه لم يلجأ الى المعسكر الغربي . رغم ان منطق ذلك الوقت ـ جبروت روسيا وامريكا واستحالة العيش خارجها معا ـ لم يكن يسمح بذلك ...

صحيح ان الغرب خف الى محاولة مساعدته . وصحيح انه اخذ مساعدات من الغرب . ولكنه لم يدفع اى ثمن سياسي او عسكري . ثم انها كانت مساعدات بسيطة . فقد نقل عن ستالين قوله « سوف اهز اصبعي الاصغر فيسقط تيتو » . وكان اعتقاد الغرب ان هذا هو ما سوف يحدث ، فلا داعي للاسراف في مساعدة قضية خاسرة . خصوصا ان اتفاقية (يالتا) بين تشرشل وروزفلت وستالين تركت وضع يوغوسلافيا مطاطا .

وعاش تيتو سنوات صعبة للغاية ، في وحدته في هذا الموقف ، منصرفا الى بث روح التصميم والوحدة في شعبه . حتى التقي موقفه بموقف زعيمين آخرين : جواهر لال نهرو في الهند وجمال عبد الناصر في مصر .

وقاد الثلاثة حركة عدم الانحياز ، كل في نطاق تأثيره . ووضعوا لها قواعدها واركانها ...

وكان اهم ما فعلوه أنهم ترجموا عدم الانحياز ترجمة ايجابية غير سلبية . وقتها قال جون فوستر دلاس انه موقف غير اخلاقي لانه لا يختار . وقال المعسكر الشرقي ان من يقف في وسط الشارع سوف تدوسه السيارات !

ولكن القادة الثلاثة ترجموا عدم الانحياز ليس بمعنى الوقوف في الوسط وعدم الانتماء الى شيء ولكن بمعنى الاستقلال الوطني ، وتحرر الارادة الوطنية ، والانتماء مع الحق حيثما كان انتماء ايجابيا نضاليا . وبالتالي مساعدة كل حركات التحرر والاستقلال الوطني ايا كان موقعها من العالم .

ورحلة عدم الانحياز عبر ربع قرن من اصعب سنوات التاريخ ، معروفة ...

فمجرد رفض الاحلاف العسكرية ومنعها من الانتشار خدم القضية ، وخدم العالم ، والا لتصورنا امكانية وقوع صدام ذري منذ زمن بعيد ...

دور مستمر لعدم الانحياز

وقد استقلت منذ ذلك الوقت ما يقرب من مائة دولة ، ان سلما وان حربا . وكان لدول عدم



الانحياز مع اتساع رقعتها تدريجيا ، دور في كل استقلال . وفي عنق كل حركة تحرر وطني دين لحركة عدم الانحياز ...

وحيث كان متوقعا ان تعمد حركة عدم الانحياز بالدم في يوغوسلافيا ، عمدت بالدم في مصر ، بحرب السويس سنة ١٩٥٦ التي اسفرت عن تضعضع آخر امبراطوريتين : الانجليزية والفرنسية . اذ كانت فعلا اول معركة دامية شاركت فيها دول عدم الانحياز بأدوار مختلفة ، شعر الكبار خلالها لاول مرة بقوة ضغط رأي عام جديد لم يكن له وجود من قبل ...

والمجموعة الافريقية الآسيوية ...

ودول العالم الثالث ...

ودول الجنوب ازاء دول الشمال ...

وسياسة الوفاق بين الشرق والغرب ...

كلها حقائق ومواقف ، تنتمي بنسبها الاول الى حركة عدم الانحياز ...

وقد جاءت ذكرى مرور ربع قرن عليها ، ونهاية رحلة آخر مؤسسيها الاحياء ، تيتو ، في وقت يعاني العالم فيه من مواجهة عنيفة جديدة بين روسيا وامريكا . مواجهة يعمل كل طرف فيها لا على تقوية نفسه بالسلاح فقط ، ولكن بالحلفاء ايضا . الامر الذي احدث بلبلة في بعض دول عدم الانحياز ، واجتذب بعضها خارج الصف عن رغبة او عن رهبة . وتعرض الوفاق لنكسة .

ولكن هذا لا يعني نهاية دور عدم الانحياز ...

فهو لا يزال المظلة الواقية ، التي يعود اليها حتى الذين خرجوا عنها لضرورة او لاختيار .

انه حزب الاغلبية في العالم . اغلبية الدول ، واغلبية السكان .

وما يربطه صار اكثر من السياسة . صار يربطه اوضاع اقتصادية واجتماعية ازاء العالم الصناعي .

وقد يتغير اسمه . ولكن سيظل اسمه القديم واسماء رافعي لوائه الاوائل . محفورة في سطور التاريخ الحديث . ■■

احمد بهاء الدين

الاعتماد المتبادل

شعار جديد لاستمرار السيطرة على العالم الثالث

بقلم : الدكتور جورج طعمه

عندما استعرض الكتاب والمفكرون في مطلع العام الجديد الاحداث التي تركت بصماتها على عقد السبعينات ، فقد احتلت الحروب والانقلابات والوقائع العنيفة مركز الصدارة بين هذه الاحداث ، ولم يترك للافكار والمفاهيم غير مكان هزيل ، هذا اذا اعيرت اي انتباه على الاطلاق . في حين شهد عقد السبعينات منذ مطلعه بروز مفهوم « الاعتماد المتبادل Interdependence » كإطار ومبدأ وهدف للعلاقات الدولية وتفسيرها وترشيدها ، بحيث أن أي وثيقة او اعلان دوليين من اطراف اكثر ما تكون بعدا وتناقضا بعضها عن بعض ، كما ان أية خطبة لرجل دولة او مسؤول دولي كبير ، لم تخل من تشديد على هذا « المفهوم » او « الهدف » او « الاطار » . حتى ان فكرة « النظام الاقتصادي الدولي الجديد » التي طرحت منذ السبعينات ، ترتكز بين أمور اخرى الى « الاعتماد المتبادل » كاحد المبادىء الاساسية الموجهة لهذا النظام .

وطوال عقود « السنوات العشر » ، التي اعقبت قيام الامم المتحدة والتي بينت بدورها وجسمت فكرة نظام جديد جاء في اعقاب الحرب العالمية الثانية : جديد بسياسته واقتصاده وعلاقاته البشرية ، وتعامل الشعوب بعضها مع بعض والحكومات مع شعوبها تعاملا افترض فيه أن يكون أخلاقيا قائما على احترام « حقوق الانسان » بل وتقديسها ، على اعتبار ان انكار هذه الحقوق قد « جلب على الانسانية مرتين خلال جيل واحد احزانا يعجز عنها الوصف » . اقول انه طوال هذه العقود نجد انه قد تم التشديد على « مفهوم » او « مبدأ » او « هدف » اما ليصف بعض ظواهر العلاقات الدولية او مجموع هذه العلاقات .

مرحلة انتقالية

ففي وقت او آخر من تاريخنا الحديث المعاصر صار

التشديد على : « الاستقلال » ـ « عدم الانحياز » ـ « التعايش السلمي » ـ « الامن الجماعي ـ « التحرر من الاستعمار » ـ « السيادة » ـ « السيادة على الموارد الطبيعية » ـ « الامن الجماعي » ـ « حقوق الانسان » ، هذا اذا اقتصرنا على اهمها . ويتوقف التشديد في كل حالة على من ينادي بالمبدأ والاتجاه الذي يريد تأكيده .

وهكذا برزت في عقد السبعينات وما زالت لفظة « الانتردبندنس » او « الاعتماد المتبادل » على انها مركز الوسط او « البؤرة » او الهدف والاطار لدراسة العلاقات الدولية الجديدة . فعلى النظام الدولي المعاصر ان يفسر للاطراف المتعددة المتفاعلة ضمنه والمتفاوضة على اساس ما فيه من اتفاقيات وتقاليد القضايا التالية التي تهم البشرية جمعاء : البيئة والمحيط ، الغذاء والجوع ، الموارد الطبيعية ، التنمية . الطاقة . السكان . التمويل والتجارة الدوليين . التكنولوجيا . الشركات عبر القارات . قانون البحار الجديد . وما يتفرع عن كل مشكلة من هذه المشاكل في نظام دولي أخذ بالتعقيد . ومن المفروض انه تقوم قاعدة « الاعتماد المتبادل » « الانتردبندنس » مثل هذا التوجيه . فماذا تعني هذه اللفظة بالضبط التي صارت ركنا اساسيا في لغة التخاطب الدولي اليوم ؟

وتزداد اهمية توضيح هذا المفهوم في جو دولي مشحون وعلاقات دولية سائرة نحو الشدة والعنف ، وخلفية من الازمات المتلاحقة في العقد الذي انقضى . وكنتيجة لهذه العوامل حدثت وتحدث تغيرات وظيفية عميقة في التنظيم الدولي ، تبعها قيام منظمات جديدة ، واخرى يخطط لها وبحث ذاتي عميق مستمر في العالمين الصناعي والنامي . فكلاهما يعيد النظر في علاقاتها الدولية والتبادل القائم بينهما ، اما على اساس ثنائي او متعدد الاطراف او اقليمي . ويستمر البحث عن نظام دولي جديد اكثر ترشيدا وعقلانية مما هو قائم حتى الآن . وهنالك شعور بل شبه اجماع أن التنظيم الدولي يجتاز مرحلة انتقالية تستتبع الدورة الحضارية الآخذة بالتغير ، والتي تلف العالم كله . ويتم ذلك تحت سيطرة الشعار الجديد الشامل « الانتردبندنس » او « الاعتماد المتبادل » . وهو شعار او مفهوم أقل ما يقال فيه أنه غامض مبهم ، مزدوج المعنى ، مضلل ، مفروض فرضا على العالم الثالث .

ومن هنا كان واجب المفكرين في الوطن العربي ازاء أمتنا وازاء العالم الثالث ـ ونحن جزء لا يتجزأ منه ـ ضرورة السعي لتوضيحه وتبديد الضبابية التي تغلفه . ذلك ان مثل هذه التعبيرات تفهم على اكثر من وجه . يقصد به في الاساس معنى ، ويتداوله الآخرون بمعنى آخر . ويحدث ذلك خاصة عندما يطلق هذا المفهوم قادة اميركا والغرب للعالم الثالث ، فيتلقاه ويردده قادتنا ومتحدثونا وهم لا يجدون فيه اكثر من جاذبية واغراء اعلاميين .. بينما يجد فيه ساسة دول الغرب ومفكروه وكتابه مضمونا خاصا يتصل بخبرتهم المشتركة ، وتعاونهم الوثيق ومؤسساتهم المشتركة ، الاقتصادية المالية والثقافية الآخذة في الدمج والتوحيد اكثر فاكثر . في حين ان الافكار في العالم الثالث عند سماع لفظة « الانتردبندنس » لا يمكن ان تتداعى الا لمآسي الماضي القريب والبعيد وبقايا الاستعمار ومخلفاته ، كما تبرز مثلا في الاستعمار الاستيطاني كجنوبي افريقيا واسرائيل .

ثمة صعوبة مزدوجة تقف في وجه مثل هذا التوضيح : الاولى تعود الى النوع والجوهر . ذلك ان مئات الكتب والابحاث المتخصصة والخطب ، والتصريحات وعدد كبير من الاعلانات والمواثيق الدولية تضمنت هذا المفهوم « الانتردبندنس » ، دون ان تأتي باي تعريف له او تحديد دقيق لمضمونه . واذا استعمل اي مفهوم كهذا بدون تحديد جامع مانع رافقه فورا بالضرورة غموض في المعنى وازدواجية في المضمون والتفسير ، وخاصة كما اشرت عندما يكون التخاطب بين قادة دول الشمال وقادة العالم الثالث .

اذكر على سبيل المثال لا الحصر مؤتمرا حضرته في جامعة اوروبية تناول التعامل الدولي حول الموارد الطبيعية والتنمية . وتجب الاشارة هنا الى الشعور الدولي المتزايد بتناقص هذه الموارد وازدياد ندرتها ، وان اهمها ، وخاصة النفط ، آيل للنضوب لا محالة مما جعل ما تبقى من هذا القرن ان يكون ـ تاريخيا ـ دور العهد النفطي . هذا بالاضافة الى مشكلة الجوع وارتفاع اسعار المواد الغذائية التي تصدرها اميركا ارتفاعا فاحشا قبل ارتفاع اسعار النفط بسنوات ، وتخفيض قيمة الدولار ، وتزعزع النظام النقدي الدولي ، ثم في آخرها ازمة الطاقة وقد كانت هذه هي العوامل في السبعينات التي ادت الى التشديد على « الانتردبندنس » . وجاء استاذ صهيوني اميركي الى المؤتمر يتحدث كالعادة بلغة العلم ووقار العالم عن « أزمة الطاقة » ولكن لم تبق شتيمة في القاموس الصهيوني يمكن الحاقها بدول النفط العربية لم يستعملها ، مركزا على العرب دون غيرهم من الدول المصدرة للنفط . حتى حمل العرب تبعة اهم المآسي الدولية ، كل ذلك بالفاظ فظة يفوح الحقد منها . ومع

ذلك كانت محاضرته تعج بلفظة « الانتردبندنس » مع تلميحات الى فتنتها وجمالها ومثاليتها .

وجاء دور المتحدث العربي فرد بما تيسر وتضمنت خطبته بدوره عددا اكبر من المرات التي استعمل فيها اللفظة ذاتها . اي ان كل واحد استعملها بمعنى مختلف فحسب بل مناقض تمام التناقض للاول .

وجاء محاضرون آخرون من بلاد مختلفة واتجاهات مختلفة واستعملوا بدورهم اللفظة ذاتها ، ولكن في أطر ومضامين تختلف تمام الاختلاف . وأمام هذه « الضبابية » وتعدد المضامين ، لم يكن بوسعي الا ان اشير بسبب هذه التناقضات الى ان هذا المؤتمر ـ « شبه العلمي » هو نموذج واضح على برج بابل دولي . فكل متحدث يبحث في « الانتردبندنس » كما يريد ، وكل واجد فيه ما يريد . ورحم الله احترام الفكر والذات وحرمة الكلمة وقدسيتها .

والصعوبة الثانية تعود الى الكم . فلو اخذنا عدد الاطراف ذات المصالح الخاصة من مستشرية ومتناقضة ومتشابكة ، المدعوة في النظام الدولي القائم للتفاوض والاتفاق لوجدنا احصاء كالآتي : يوجد مائة وستون دولة قومية . ومائة شركة رئيسية متعددة الجنسية (دون الثانوية منها) وعشرون مؤسسة دولية غير حكومية ولا تسعى وراء الكسب كالصليب الاحمر الدولي . وما يقرب من عشرين منظمة دولية متخصصة ـ الامم المتحدة والوكالات التابعة لها ـ . وعشرون منظمة اقليمية ، تجتمع في ثمانمائة مؤتمر حكومي متعدد الاطراف ، وتعقد اكثر من ثلاثة آلاف مؤتمر دولي في السنة . ومتحدثوها كلهم الآن يستعملون بشكل او بآخر لفظة « الاعتماد المتبادل » عند بحث المشاكل العالمية . فكيف يمكن للنظام الاقتصادي الجديد ، ان يتقدم في اطار واسع معقد مبهم كهذا الذي وصفناه ، حيث تعطل المصالح المستشرية فكرة النظام ذاته وحيث ما زالت السيطرة للقوى على الضعيف في عالم قائم على اللامساواة . فلو افترضنا بداهة ان « الاعتماد المتبادل » لا يمكن ان يفي باي شكل ذات المضمون لدول العالم النامي والعالم الاخذ في النمو ، مثلا اميركا او المانيا الغربية او الاتحاد السوفيتي من جهة ، وكوستاريكا وغانا وجزر المالديف من جهة اخرى .

السيطرة هي الهدف

وهل الاعتماد المتبادل الذي اشار اليه كل من اعلان هافانا الاخير لدول عدم الانحياز ، او اعلان النظام الاقتصادي الجديد للامم المتحدة الصادر في ايار / مايو ١٩٧٤ ، او ميثاق حقوق وواجبات الدول الصادر عن الامم المتحدة في ديسمبر / كانون الاول ١٩٧٤ ، او اعلان الجزائر لرؤساء دول الاوبيك في مارس / آذار ١٩٧٥ .. هل هذا كله مثلا يعني ذات الشيء بالنسبة لدول الشمال والجنوب الذي انتهى حوارهما الى فشل فاضح كل هذا يجعل الصورة اقرب الى « بازار » دولي يبيع فيه البائعون ويزايد المزايدون ويستغل المستغلون ، منها الى نظام فيه الحد الادنى من احترام حكم القانون .

بديهي انني لا استطيع في مقال سريع كهذا ان افعل اكثر من طرح المشكلة وضرورة الوعي بها ، وما انطوت عليه من تناقضات خطيرة بالنسبة لوطننا العربي وللعالم الثالث . ففكرة « الانتردبندنس » في أساسها أميركية غربية . ولو احصينا مائة كاتب وكتاب وبحث متخصص في هذا الموضوع ـ وقد فعلت ذلك ـ لوجدنا انهم يتناولون فقط العلاقات الاقتصادية والمالية والتجارية والثقافية والمؤسسات الغربية التي تجمعها كالسوق الاوروبية المشتركة وال أو . أي . سي . دي . (OECD) والتي ضمت شعوبا ذات ثقافة وحضارة واحدة ، والتي تهدف الى تقوية هذه المؤسسات وهي ـ اعني الكتب والابحاث . تخرج من اطار تخطيطها او تفكيرها دول العالم الثالث ، وشعوبه بل يشير بعض كتابها ومفكريها الى هذه الدول بعبارات مهينة .

اما التفكير في العالم الثالث ففي اتجاه اساسي : كيف يمكن لاميركا والغرب اللذين تضمهما حضارة واحدة مشتركة ان يستمرا في السيطرة على استغلال الموارد الطبيعية الغزيرة عندنا ، استمرارا للسيطرة الاستعمارية القديمة ولكن باشكال جديدة . هذا بصورة عامة . وكيف يمكن تحت شعار « الاعتماد المتبادل » « الانتردبندنس » المزعوم استمرار تدفق النفط العربي ، هذا مع المحافظة على بقاء اسرائيل قوية متوسعة ؟

والموضوع من الاتساع بحيث انه قد تكون لي عودة لمعالجة النواحي الأخرى فيه . ■■

د . جورج طعمه

الدكتور زكي نجيب محمود  يكتب

أفكار مغرضة

لست ممن يكيلون التهم جزافا على رؤوس المفكرين الغربيين فيما يكتبونه عن الثقافة العربية في شتى عصورها ، لا نني أعلم علم اليقين كم افادنا اولئك المفكرون حتى في فهم أنفسنا ، مضمونا ومنهجا . ومن أضخم الافكار التي عرف بها نفر من قادة الفكر العربي في عصره الحديث ، والتي كانت من أسباب سيرورة ذكرهم بين الناس ، وسطوع اسمائهم على اقلام الكتاب ، افكار استعيرت في أساسها من هؤلاء المفكرين الغربيين . فهو إجحاف في الحكم أن نوجه تهمة التعصب العرقي أو الديني أو الثقافي اليهم جميعا ، وفي جميع ماكتبوا . وواجب الانصاف العلمي يقتضينا ان نأخذ كل فكرة من افكارهم على حدة ، لنميز على مهل بين الحق والباطل .

وبرغم هذه الحيطة كلها ، وهذا الحذر العلمي كله ، فقد رأيتني في حالات كثيرة اقف امام ما أقرأه عنا مما يكتبه رجال الفكر في الغرب أحيانا ، وقفة الذاهل المتعجب من العمي الذي يصيب به التعصب أولئك الناس حينا بعد حين ، حتى ليقولوا من الرأي مالا يجوز قوله من صغار الصبيان الذين لم يستقر لعقولهم منطق بعد ، انه « الغرض » يعمي ويصم ، وحقا ان الغرض مرض كما يقول عامتنا في احاديثهم الجارية .

وخذ امثلة قليلة من كثير صادفته على تراكم الأيام .

ان من الحقائق المعترف بها ، والتي يتعذر انكارها حتى على الجاحدين ، ان الفكر العربي قد اضطلع بدور نادر الحدوث في تاريخ الفكر البشرى كله ، ألا وهو تحطيم الحاجز العنيد الذى لبث قرونا طوالا يفصل بين حضارتين وثقافتين وطريقتين من الحياة ومن النظر ، واعني بهما بلاد الفرس وما وراءها تجاه الشرق ، وبلاد اليونان وما وراءها تجاه الغرب ، مما أجرى على الالسنة ـ بحق ـ تفرقة بين ما أسموه « شرقا » من جهة وما أسموه « غربا » من جهة اخرى . ومن الاولى قامت امبراطورية الساسانيين ، ومن الثانية قامت امبراطورية البيزنطيين ، واننا لكثيرا ما نقرأ عن حروب الاسكندر الاكبر ، التى اكتسح بها الرقعة كلها ، انه كان بتلك الحروب رائدا في الثقافة الانسانية ، الى جانب عبقريته العسكرية والمراد بتلك الريادة الثقافية هو انه ازال شيئا من الحاجز الحضارى الذى اشرنا الى قيامه بين « شرق » و « غرب » .

لكن ما صنعه الاسكندر الاكبر في هذا السبيل لا يكاد يذكر بالقياس الى ما ادته في ذلك الفتوح الاسلامية وما صحبها بعد ذلك من فكر عربي ، لان الدمج لم يكتمل منه شيء على يدى الاسكندر الاكبر ، بينما اكتمل على ايدى المسلمين ، واصبح في حدود الممكن ، بل في حدود ما قد وقع بالفعل ، ان نقلت الثقافتان اليونانية والفارسية ، الى العربية فالتقى الضدان المزعومان في تركيبة فكرية واحدة ، هي التي صارت بعد ذلك تعرف بالثقافة العربية .

كل ذلك معروف ومعترف به ، فمن ذا يلومني اذا قلت انني وقفت والدهشة تملأني ، حين وجدت مفكرا غربيا ـ بعد اعترافه بالدمج الفكرى الذى صنعه العرب ـ عاد ليقول ان العرب برغم ذلك ظلوا « شرقا » لم يتأثروا بالصيغة الثقافية التي صنعوها بعقولهم ، كيف كان ذلك يا مولانا ؟ وهل صنع العربي تلك الصيغة الجديدة لتكون مجالا للهوهم ، أو هم صنعوها ليصدروها لك وليحرموا انفسهم مما صنعوه ؟ وما كنا لنتهم بوصفنا « شرقا » لولا انهم هناك ، وفي مثل هذا السياق من الحديث ، يقرنون صفة « الشرق » بصفات ذميمة ، أقلها الطغيان .

وخذ مثلا اخر : قال قائل منهم ان الرقعة العربية صنعت للعالم طريقة الكتابة بالحروف الابجدية (عظيم) ونقلت الكتابة من فينيقيا الى اليونان حيث تطورت هناك (عظيم !) فنتجت عن ذلك نتيجة تلفت النظر (ماذا يا ترى ؟) وهي ان العرب قدسوا ما هو مكتوب ، كأنما عبدوا الاحرف التي صنعوها ، على حين استطاع اليونان ان ينظروا اليها نظرتهم الى اداة للفكر ، لانظرتهم الى مقدس معبود !!. (الله اكبر !) فبدل ان يجعل ابتكار طريقة الكتابة بالابجدية لمعة ذكاء نادر ، ودليل ابداع حضارى ممتاز ، راح صاحبنا يلتمس لنفسه طريقا يصل به الى حرية الفكر عند اليونان وعبودية الفكر عند العرب ، مستندا في ذلك الى عبقرية العرب ـ أفرأيت أعجب من ذلك منطقا ؟ مرة اخرى نقولها : حقا إن الغرض مرض ، كما يجرى على ألسنة الناس في حياتهم الجارية . ■■

هي لعبة استعمارية بغير شك ، القول بأننا أمم شتى

مسائل قوميّة

بقلم : الدكتور محمد احمد خلف الله

عندما انتهى الفكر السياسي الى تقدير القاعدة السياسية المشهورة : الامة مصدر السلطات كان يعني في الواقع امرين هامين جدا . الاول منهما ، سقوط هذا الحق الالهي الذي كان يدعيه الملوك والاباطرة لأنفسهم ، والذي كانوا يستندون اليه في تصريف امور الناس ، وتدبير شئون الرعية حيث كانوا يذهبون الى انهم إنما يفعلون ذلك بتفويض من الله . وقد ترتب على هذا الحق انهم لا يسألون من قبل الرعية عما يفعلون ، فقد كان امرهم في ذلك الى الله الذي فوضهم هذا الحق كما كانوا يدعون . كما ترتب عليه ايضا وجوب طاعة الناس لهم وتنفيذ ما يأمرونهم به ، والا وجبت العقوبة باعتبارهم عصاة الله بعصيانهم للملك او الامبراطور .

اما الامر الثاني فقد كان احلال الامة محل الله في تفويض الامور الى الملوك والاباطرة او الى رؤساء الدول الذين تختارهم الامة لذلك .

واحلال الامة محل الله في تفويض هذا الحق السياسي لرؤساء الدول يعني ايضا حق الأمة في حسابهم على اعمالهم في هذه الحياة الدنيا ، وحقها أيضا في كل ما يترتب على هذا الحساب من تزكية لهم ، او من عزلهم والثورة عليهم .

وهذا الحق هو الذي مكن الامم من تحقيق الدول القومية ـ الدول التي تنطبق فيها الحدود السياسية للامة على الحدود القومية لتلك الامة .

الأمم ودولها القومية

وترتب على ذلك ان اخذت الامم في المطالبة بالاستقلال لتكوين هذه الدولة القومية حين تكون الامة داخلة في تكوين دولة اخرى ، وبالمطالبة بالاتحاد والقضاء على التجزئة حين تكون هذه الامة موزعة بين دول عديدة ـ قومية كانت هذه الدول او غير قومية .

وهذا الامر لم يتحقق في سهولة ويسر ، وما كان له ان يتحقق الا بعد نضال عنيف في مواجهة الاوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت قائمة يوم ان تطور الفكر السياسي وقرر هذه القاعدة ، وهذه الحقوق .

لقد كانت هناك امبراطوريات عظيمة تحكم امما عديدة ـ وما كان لها ان تترك هذه الامم تستقل وتحقق ذواتها ، وتكون دولها القومية في سهولة ويسر ، ومن غير نضال . كانت هناك الامبراطورية النمساوية ، والامبراطورية العثمانية ، ووقفت كل واحدة منهما في وجه الامم التابعة لها لتحول بين استقلالها وتكوين دولها القومية . ومن هنا كان النضال في سبيل الاستقلال وتحقيق الذات ، وتكوين الدولة القومية .

وكان هناك الى جانب هذه الامم التابعة التي ناضلت ، امم مستقلة ، ولكنها مجزأة ، وتقوم فيها دول عديدة يحكمها ملوك او امراء من ابناء هذه الامة ـ كما كان الحال في كل من المانيا وايطاليا .

وكان على أبناء هاتين الأمتين النضال في سبيل القضاء على التجزئة ، وتكوين الدولة القومية ، وكان النضال هنا في مواجهة الملوك والامراء الذين يريد كل واحد منهم ان يحتفظ بمملكته او امارته ، ولا يريد ابدا تحقيق الدولة القومية ، من حيث أن ذلك سوف يكون على حساب مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية .

وناضلت الامم في مواجهة كل هذه الاوضاع السياسية والاجتماعية ، وانتهى النضال في كل هذه الميادين التي ذكرنا الى تكوين الدول القومية . ومن الغريب ان الامم التي كانت تكوّن ـ مع الامة العربية ـ الدولة العثمانية قد استقلت عن هذه الدولة ، وحققت ذاتها وكونت دولها القومية ، فعلت ذلك اليونان ، وفعله البلغار ، والالبان ، ومن اليهم من شعوب شبه جزيرة البلقان ـ ولم تفعله الشعوب العربية ، او لم يفعله ابناء الامة العربية .

ولذلك اسباب من غير شك ـ ولكن لا يمكن ان يكون من بينها هذا الذي يذهب اليه دعاة الاقليمية الذين يذهبون مذهب الاستعماريين الذين يجنحون حفاظا على مصالحهم ، الى ان هذا المجتمع المعروف بالمجتمع العربي انما يتكون من امم عديدة ، وليس من امة واحدة .

المستعمرون ودعاة الاقليمية

والخطر كل الخطر فيما يذهب اليه الاستعماريون في انهم يسوقون من يلوذ بهم من ابناء الامة العربية الى « علمنة » هذا المذهب الاستعماري . ومن خططهم في « العلمنة » امران جديران بالاهتمام حتى لا تنزلق في هذا المزلق الذي يجروننا اليه .

واول الامرين ، الاتجاه الى مراكز الدراسات في الوطن العربي بالقيام بنوع معين من الدراسات ينتهي حتما الى الغاية المرغوب فيها . والوصول الى الغايات المبتغاة عن طريق الاساليب غير العلمية التي يحافظ فيها على الشكل فقط امر نعرفه في الدراسات الاجتماعية التي ينهج فيها اصحابها النهج الامريكي .

تقوم بعض المراكز للدراسات في الوطن العربي بلون من الدراسات عن القومية العربية ، وتنهج فيها النهج الاستعماري الذي تحدد فيه الغاية اولا ثم يأتي الشكل العلمي ليثبت « علمنة » هذه الغاية .

تقوم بعض هذه المراكز بتصميم استبيان يجيب عنه ابناء الامة العربية لتقرير ما اذا كانوا ابناء امة واحدة او ابناء امم عديدة ومختلفة . والذين يوحون الى أوليائهم بهذا الاستبيان انما يستهدفون الوصول الى غاية استعمارية بعينها هي أننا أبناء أمم عديدة ومختلفة . والنتيجة المترتبة على ذلك ان تبقى التجزئة ، وتبقى الدول الاقليمية ، ويتعامل الاستعمار والصهيونية مع كل دولة على حدة . ليظل الاستعمار في مركز القوة ، وتظل الدول الاقليمية في مركز الضعف . في مركز الدول التابعة .

والسؤال : هل هذه القضية من القضايا التي يصلح فيها الاستبيان ، ويكون فيها حقا اسلوبا علميا ؟

اما أنا فاذهب الى ان ذلك لا يصح بحال من الاحوال . ان المواطن العربي الذي يعلن في الاستبيان انه غير عربي لا يقبل قوله وترفض ارادته . ان كون هذا المواطن عربيا لم يكن بارادته وانما كان من ظروف تاريخية واجتماعية تفعل فعلها على الرغم من ارادته هذه .

وعندي ان الذي يجيب مثل هذا الجواب يكون واحدا من اثنين ، جاهل او خائن .

هو جاهل حين يكون غير مدرك لهذه التغيرات الجذرية التي لحقت بالمجتمعات التي كانت تعيش في المنطقة من الخليج الى المحيط قبل التعريب ، والتي تعربت لهذه التغيرات الجذرية .

لقد تغير من هذه المجتمعات كل شيء . تغيرت اللغة ، وتغير الدين ، وتغيرت العادات والتقاليد ، وتغيرت القيم الاخلاقية والمعايير السلوكية . واصبحت هذه المجتمعات كلها تمارس الحياة اليومية والحياة العامة بقيم ثقافية جديدة وحدت بينها ، واحالتها الى مجتمع واحد هو المجتمع العربي .

ووضع القيم الثقافية القديمة التي كانت تميز هذه المجتمعات بعضها من بعض ، وتجعل منها أمما عديدة ومختلفة اصبح كالتالي:

قيم قدر لها البقاء بدخولها في المركب الثقافي الجديد ـ كجزء من مكوناته ـ وقيم قدر عليها الفناء من حيث تناقضها مع الآراء والمعتقدات ، والتقاليد والعادات ، والقيم الاخلاقية والمعايير السلوكية التي دخلت هذه المجتمعات ، واستقرت فيها ، واحدثت من التغيرات الجذرية في هذه المجتمعات ما أحالها الى مجتمع جديد يمارس الحياة على اسس حضارية جديدة .

وهنا نلفت الذهن الى ان ذلك لا يعني ابدا نسيان هذه المجتمعات لتاريخها القديم وحضارتها المجيدة ، وانما يعني أن هذا القديم انما يظل تاريخا ما دامت الحياة لا تمارس على اساس منه .

ان كل هذه الشعوب التي تعربت انما تمارس حياتها اليومية وحياتها العامة على اساس من الحضارة الاسلامية العربية ، وليس على اساس من الفرعونية او البابلية او الاشورية ، او الفينيقية ، او البربرية او ما اشبه .

ان كل هذه الحضارات قد انتهت الى ذاكرة التاريخ ولم تبق لها صلة بالحياة اليوم ـ الا ذلك الجزء الذي قبلته الحضارة العربية الاسلامية واصبح جزءا من مركبها الثقافي .

قد يجهل مواطن هذه الحقائق ، ويجيب على اساس مما يستمده من ذاكرة التاريخ ، وليس مما يستمده من واقع الحياة .

وهذا نرفض قوله لأنه جاهل .

اما الخائن فهو ذلك الذي يعرف كل هذه الحقائق ولكنه يتجاهلها ، او يتعامى عنها ، لان المرغوب فيه والمطلوب منه ان يقرر انه ليس من ابناء الامة العربية ، او ان هذه الامة العربية امم عديدة ومختلفة وليست امة واحدة .

ذلك هو المطلوب من هذا الخائن .

مفهوما الأمة والدولة

اما الامر الثاني المخطط له عند الاستعماريين ومن نحا نحوهم ، ولاذ بهم ، فذلك هو الخلط المقصود ، او اللبس المقصود بين مفهوم الامة ومفهوم الدولة .

يذهب هؤلاء الى أن الدولة هي الامة ، وأن الامة هي الدولة ـ يفعلون ذلك لان نظرتهم العلمية قاصرة عن ان تدرك كل الابعاد التي تحيط بهذه القضية ، فليس في كل الحالات يمكن ان ينطبق مفهوم الدولة على مفهوم الامة وانما يحدث ذلك في حالة واحدة فقط .

وقصر النظر عند هؤلاء الذاهبين هذا المذهب يمكن ان نرده الى عاملين ليس من شأنهما ابدا ان يثبتا أن مفهوم الامة هو مفهوم الدولة في كل الحالات .

العامل الاول من هذه العوامل ان دوائر المعارف القديمة جدا والتي وضعت من التعريفات ما يلائم الاوضاع السياسية يومذاك ، كانت قد وضعت للامة مفهوما يماثل ذلك المفهوم الذي وضعته للدولة فعلت ذلك دائرة المعارف الفرنسية ، وفعلته دائرة المعارف البريطانية .

لقد كانت الدولة هي المملكة او الامبراطورية ـ اي هي كل ما يدخل في حوزة وسلطة الملك او الامبراطور ، وكانا يستمدان سلطانهما من الله ، وليس من الامة .

وهذا المفهوم التاريخي قد قضي عليه ، واخذت دوائر معارف الدولتين المشار اليهما ، فرنسا وانجلترا ، تفرق بين مفهوم الدولة ومفهوم الامة من حيث ان الاوضاع السياسية والاجتماعية الحديثة قد دفعت بهما الى ذلك .

واذن فالتمسك بالمفاهيم المعدول عنها لا يكون ابدا الا لهدف جديد ، هدف يفهمه الاقليميون وسادتهم الاستعماريون الذين يقلبون الحقائق العلمية في سبيل الاهداف الاقتصادية والسياسية .

والعامل الثاني الذي يستند اليه هؤلاء في اللبس القوي الذي يقيمونه بين مفهوم الامة ومفهوم الدولة هو ذلك الاصطلاح الدولي العالمي ، هيئة الامم المتحدة .

ان الهيئة ليست في الحقيقة هيئة للأمم وانما هي هيئة للدول ، من حيث ان عضويتها مقصورة على الدول ـ الدول التي نالت حريتها واستقلت وكونت لها ذاتا مستقلة عن غيرها ، اما الشعوب التي تدخل في اطار الاستعمار فليس لها حق الانضمام الى هذه الهيئة .

وهنا يمكن ان نقف معا عند الاوضاع السياسية والاجتماعية التي تكشف عن الحقيقة ، وتظهر لنا في وضوح وجلاء ، ان كل الاوضاع السياسية والاجتماعية تثبت ان الامة شيء والدولة شيء آخر ، وانهما لا يتماثلان الا في حالة واحدة ، ووضع بعينه .

يتماثل مفهوم الدولة مع مفهوم الامة في حالة واحدة وفي وضع سياسي بعينه ، هو الذي تكون فيه الامة قد حققت ذاتها بالحرية والاستقلال وكونت دولتها التي تكون فيها الحدود القومية للامة .

اما في غير هذا الوضع فليس هناك تماثل او تطابق ، وانما تكون الدولة غير الامة .

الالمان والعثمانيون

والامثلة في ذلك عديدة تشير الى بعضها .

لم تكن المانيا وايطاليا قبل الوحدة الالمانية والايطالية دولة واحدة وانما كانت كل واحدة منها مجزأة الى دول عديدة .

وحين تمت الوحدة الالمانية والوحدة الايطالية اصبحت المانيا دولة واحدة وايطاليا دولة واحدة ، اي دولة تنطبق فيها الحدود السياسية على الحدود القومية ودولة هي الامة أو امة هي الدولة .

اما قبل الوحدة فلم يكن يصح ابدا ان يقال ان الدولة هي الامة وانما الذي كان يصح هو ان الامة الالمانية مجزأة الى دول عديدة .

ويؤكد هذا القول الوضع السياسي والاجتماعي في الامة الالمانية اليوم .

بعد الحرب العالمية الثانية اتفق حلفاء الحرب على تقسيم الوطن الالماني والامة الالمانية ، وقامت تبعا لذلك دولتان المانيتان نعرفهما جميعا : المانيا الشرقية التي تمارس حياتها على اساس من النظام الاشتراكي ، والمانيا الاتحادية التي تمارس حياتها على اساس من النظام الرأسمالي ، فهما دولتان في وطن واحد وفي امة واحدة .

وواضح تماما أنه ليس يصح علميا على حال من الاحوال ، ان يقال هنا ان الدولة هي الامة وان الأمة هي الدولة .

وهناك مثل آخر نسوقه هو مثل الدولة العثمانية التي انتهت بانتهاء الخلافة الاسلامية .

من المسلم به ان هذه الدولة كانت تتكون من اوطان عديدة وامم عديدة كانت تتكون من العرب والترك واليونان ، والالبان ، والبلغار ، وغير ذلك من شعوب شبه جزيرة البلقان ، ولم يكن يصح ابدا ان يقال ـ مع هذا التكوين الذي تختلف فيه الامم جنسا ، ولغة ودينا ـ ان الدولة هي الامة ، وان الامة هي الدولة .

ان هذه النغمة الاستعمارية انما تستهدف امرا واحدا من وراء هذا الخلط والتلبيس بين مفهوم الامة ومفهوم الدولة .

وهذا الهدف هو ان يعتقد ابناء الامة العربية ان كل دولة من هذه الدول العربية انما هي امة بذاتها .

وهذا انما يعني ان يقف المواطن العربي الى جانب دولته ، على انه ابن هذه الدولة ـ اي هذه الامة .

ان المستهدف من هذا الخلط هو بعينه المستهدف من ذاك الاستبيان . انه يثبت الاقليمية في الوطن العربي وبين ابناء الامة العربية .

وليس من قبيل الصدفة ان يبرز الامران بين ابناء الامة العربية في وقت معا ، انه الامر المخطط والذين خططوا له هم من غير شك اعداء الامة العربية .

انهم الذين يخشون الوحدة ، وان تصبح الامة العربية قوة يحسبون هم حسابها منذ الآن . ■■

د . محمد أحمد خلف الله

هل أنت مريض

● لاحظ احد اعضاء مجلس الكونجرس الامريكي ان احد زملائه يحاول السخرية منه في كل مناسبة . فأحفظه ذلك وراح ينتهز فرصة للاخذ بالثأر ، وسنحت الفرصة أخيرا حين قال له غريمه : سمعت انك طبيب بيطرى فهل هذا صحيح ؟

فقال مجيبا بسرعة ـ نعم .. فهل أنت مريض ؟

ربيع جديد

شعر : فاروق شوشه

وانتظرناك ، فلما جئت ... ماذا في يديك ؟
الدم المسفوح ما زال ،
غبار الموت ،
انات الثكالى والسبايا
والصدى المذعور ما زال ،
هتاف الرعب ،
صوت الباعة الحمقى ،
ومنذورون ذابوا في مواويل الصبايا
عبثا صاروا ضحايا
ويد تقذف بالافعى ، فتلتف ،
وفتيان يخوضون المنايا
املا في شاطئيك !
تعب الجسر المدمى
تعبت كل انتظارات الايامي والعيايا
عندما صارت كهوف العمر للناس مرايا
سقطت عنها التجاعيد ،
وشاخ الوهم ،
وانزاح القناع الصلد ،
وارتد شظايا ..
وانتظرناك ،
وها انت هنا
ماذا لديك ؟

❋ ❋ ❋

حين فتشنا عن الراية ، لم نلق الذي كنا رفعناه ، وغنيناه
عاما ثم عاما
النداءات التي بحت بها اصواتنا ذات صباح
في شقوق الارض غابت ،
ـ ارضنا العطشى ـ
وذابت في تلافيف الجراح
وأفقنا
فالثرى المخضوب حناء وافراح ، وساح
والندامى سكروا من غير راح



والذي يبرق في الايدي : سلام ام سلاح !
نحن اغمدناه في احشائنا
ورقصنا رقصة الموت على اشلائنا
وغرزناه وتيدا في الحنايا .. فاستراح
حين فتشنا عن الراية ......
لم نخرج على القول المباح !

❊ ❊ ❊

ايها القادم ، في عنف قطار الموت ،
رفقا بالوجوه المتعبة
نحن جربنا وجربنا كثيرا
وابتلعنا خيبة الوهم حسيرا ، وكسيرا
وتعلقنا طويلا بذيول العربة
في الغبار الاسود الملعون ترتد ،
وفي وجه الليالي الجوف ،
في دوامة الصمت الحزين
ودهاليز الرؤى المضطربة
لم تفارق وتدا شدت اليه كل اعناق القبيلة
لا ، ولم نسأم اقانين هتاف الكذبة
لا ، ولم نبرح مكانا نحن فيه من سنين
همل من غير حيلة
هذه الاعناق ديست ، داسها عام وعام
لا تكن اقسى ،
فما في منزع الصبر بقية
لا ، ولا بعض إباء في عروق الرقبة
أيها القادم ، في عنف قطار الموت ،
تطوي كل شيء
المدى ، والعمر ، والاحقاد ، والصمت المهين
دامغا وجه الليالي بالجنون
خفف الوطء ، فهم موتي ..
وهذي ارضهم مغتصبة !

■ ■

القاهرة ـ فاروق شوشه

أقوال معاصرة

■ كلما تعالى الصراخ حول الخطر العسكرى السوفيتي ، يزداد عمقا واتساعا توغل الجندى الامريكي والدولار الامريكي في انحاء مختلفة من العالم .

صحيفة برافدا السوفيتية

■ لا يهمنا ما اذا كان الدعم الاوروبي لحقوق شعب فلسطين ناجما عن انتهازية او احساس بالعدالة ، فكل ما يعنينا هو ان تقوم دولة ديمقراطية حرة للفلسطينيين .



ياسر عرفات رئيس منظمة تحرير فلسطين

■ كلمة السر في سباق الرئاسة الامريكية هي المال ، او الحاجة الى المال .

الكاتب الامريكي الساخر ارت بوكوالد

■ احتياطات النفط في العالم تتناقص بشكل خطير ، ولا تستطيع السعودية وحدها ان تسد النقص في الطاقة الى ما لا نهاية .



الشيخ احمد زكي يماني ـ وزير البترول السعودى

■ ما من زعيم يدفع بنفسه الى المقدمة ، ويحاول الانفراد بالحكم ، الا ويضع قدميه على بداية طريق ملء بالاخطاء المميتة .

جريدة الشعب الصينية

■ اننا نشقى كثيرا ونحن نبحث عن السعادة ، بينما هي قريبة منا باكثر مما نتصور .



كريستينا اوناسيس ـ ابنة المليونير اليوناني الراحل

■ عدم اتفاق الاوبيك على سعر موحد للنفط ليس نهاية العالم .

الشيخ علي الخليفة ـ وزير النفط الكويتي

■ اذا حكمنا على رجل الدولة من نتائج اعماله وليس من خلال نياته ، فيمكننا القول ان هنرى كيسنجر الوزير السابق لخارجية امريكا رجل فاشل تماما !

ويليام شوكروس ـ في كتابه حرب الظل



■ المستوطنات شرعية ، وهي ليست عائقا ضد السلام ، لأنها تعززه !

مناحيم بيجين ـ رئيس وزراء اسرائيل

■ لسنا بحاجة لان نؤكد مشاعرنا الرافضة للسوفييت ، لكننا مع ذلك ندرك ان حل مشكلة الشرق الاوسط لا يمكن ان يتحقق الا باتفاق السوفييت مع الامريكان .

فيلي برانت مستشار المانيا الغربية السابق



من يذكر الذين صنعوا للاسكندر او نابليون مجدهما ؟ ؟

السياسي الكبير

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

هذه صفحة مثيرة من سجل سياسي كبير في البرازيل .

نحن في اواسط سنة ١٩٦٢ ....

المعركة الانتخابية لحاكمية سان باولو كانت على اشدها في تلك المدينة الديناميكية العجيبة التي يسمونها « قاطرة البرازيل » ! الاشاعات . الخطب . الملصقات . الاعلام ! الابواق . الجموع . الاذاعات المترثرة ، كل اولئك كان يلقي المدينة فيما يشبه الحمى . المرشح الاقوى كان يومذاك هو ديماردي باروس ، السياسي العتيق . وقد نجح بالفعل . كان قد فاز قبل ذلك اكثر من مرة بهذا المنصب . لكن هذه المعركة كانت معركته الاخيرة ، فقد مات بعد ذلك ، وهم الآن قلما يذكرونه في مدينته . واقل من ذلك ذكره في البرازيل ... انطفأ تماما . دخل كهوف النسيان مع أنه كان في الخمسينات من الاسماء التي تصقل وتلمع لدخول القصر الجمهوري البرازيلي .

خلال المعركة الانتخابية سنة ١٩٦٢ كنت هناك وكنت اسمع من اخباره الكثير على الافواه . كان طبيبا وعضوا في الاكاديمية الوطنية للطب لم يمارس الطب ابدا . وكان صاحب مصانع للاحذية وللمحفوظات ويشترك في تهريب البن والاعيب المقاولات والبنوك ولكنه لا يهتم لا بالصناعة ولا البن ... كان للسياسة فقط . والسياسة عنده ليست مغامرة مما يغامرون ولكنها عمل . مهنة . مصدر للارباح والمال . شركته الكبرى كانت الحزب السياسي الذي اسسه وحده باسم حزب البرازيل الديموقراطي !

ومن اجل هذه الشركة وتلك المهنة اتقن اللعبة الانتخابية وما قبلها وما بعدها واتقن فن جمع الانصار ، ولملمة المؤيدين واتقن عملية تجنيدهم حتى الهوس الاعمى .

احد انصاره القدامى ، وهو مغترب عربي ، روى لي في دكانه الذي يبيع به التبغ المفتول ـ وهناك يفتلون التبغ كالحبال ـ روى لي حكايته مع السياسي الكبير :

ـ انا احدثك عن دي باروس ! .. قال ، هذه الهياكل السياسية الضخمة نحن صنعناها بأيدينا لتسحقنا . بنيناها حجرا حجرا فوق اكتافنا والرؤوس لتخنق انفاسنا حتى النفس الأخير . نعرف كل فراغها . كل انانيتها . نعرف انها تنين دون قلب . انها « دراكولا » مصاص الدماء . ومع ذلك نعجز عن تحطيمها . بمجرد ان تكبر تصبح اعظم من ان تحيط بها ايدينا . هل تعرف البالونات الضخمة التي اذا طارت لا تطال ؟ ..

ماذا تريد ؟ ...

لست الا واحدا من المنسيين على طريق دي باروس السياسي . هناك المئات والالوف مثلي تساقطوا على طريقه وطريق غيره كورق الشجر الخريفي ... هل يذكر

احد اولئك الذين صنعوا للاسكندر مجد الاسكندر، او اولئك الذين ذبحوا تحت السنابك ليكون نابليون هو نابليون ؟ التاريخ كله مزروع بالديماغوجيين الذين يقال انهم كتبوا التاريخ، وانما كتبه بالفعل مئات الالوف بل الملايين الذين ماتوا تحت اقدامهم، الذين صاغوا أساطيرهم.

مهمة خاصة !

قطع محدثي الحديث ليقطع بعض التبغ ويلفه في ورقة من اوراق الذرة الرقيقة المجففة وليبدأ التدخين وينفخ الدخان بعيدا بعيدا .. كأنه يغرق عيونه في بحر الذكريات الضبابي. عاود الحديث كأنه يتحدث من قعر بئر:

ـ انا احبه ولا اكرهه هذا الـ (دي باروس) لقد تجاوزت ذلك بعد ان وصلت في خدمته حافة الموت الاخضر ! سأروي لك القصة في منتهى الحياد كما لو كانت قصة شخص آخر. ولم لا أقول اني الآن شخص آخر ولد بعد قصة الموت في الغابة الامازونية سنة ١٩٥٠ ؟.

عاد الرجل مرة اخرى الى الصمت كأنه يستعيد الذكرى على عينيه. قال:

ـ انت تعرف ان السنيور دي باروس متزوج من واحدة منا. زوجته عربية. وقد اخذت به في أوائل الاربعينات. كنت مفتونا باطلالته الوسيمة. بوداعته مع هذا وذاك. مفتونا بخاصة، بتدفقه الخطابي المتلىء بالكلمات الضخمة والمثاليات ! ودخلت من أجله اكثر من معركة بالكلام، وبالايدي واحيانا بالرصاص... وكنت امتلىء زهوا حين تمتد يده فتخرجني من السجن الذي انما دخلته من اجله !!

وذات يوم من اوائل مايو سنة ١٩٥٠ استدعاني مع بعض المقربين المقربين... استدعانا. جميعا في مهمة خاصة ! ما ازال اذكر تلك التواريخ بوضوح مؤلم...

كانت محطات الاذاعة الثلاثون في البرازيل قد اذاعت بعد ظهر ٢٩ ابريل (نيسان) سنة ١٩٥٠ ان طائرة البوينغ « بريزيدانت » التي تعمل على خط ريودي جانيرو ـ نيويورك تركت الريو عند منتصف الليل الماضي وفقد الاتصال معها... وعلى الطائرة واحد وأربعون مسافرا وتسعة ملاحين. كان هذا الخط يعتبر اهم واغلى وآنق خطوط الطيران الدولي يومذاك. نصف المسافرين على الطائرة كانوا من اصحاب الملايين... والسيجار الكوبي في اطراف الشفاه ! وآخر اتصال مع الطائرة كان قبل طيرانها فوق الغابة الأمازونية قرب مدينة (بيليم) (على اسم بيت لحم بالبرتغالية) الموجودة في اقصى شمال البلاد على احد فروع مصب الامازون، النهر الاعظم !

الحكومة. دنيا رجال الاعمال. الصحافة. الاذاعات... الناس كلهم اهتزوا للخبر. فالذين كانوا في الطائرة هم شيء كبير في البرازيل. ارقام في البنوك واسماء في السياسة وجسور في التجمعات الاحتكارية...

في المساء اذاعت الانباء ان القائد العام للطيران كلف العقيد الطيار خوزيه كارلوس دي سوزا ان يطير الى مدينة بيليم يبحث عن الطائرة حتى اذا وجدت نظم عمليات الانقاذ... اربعون طائرة طارت بعد ذلك فوق المنطقة الامازونية تبحث. ولكن الطيارين يعرفون انهم انما يبحثون عن ابرة في اكوام من القش ! يعرفون انها « جهنم الخضراء » هذه المجاهل الغابية. هم يسمونها كذلك ! انها محيط لا نهائي من الخضرة، من رؤوس الاشجار المتراصة المتشابهة، بساط من الجلد المتجعد يملأ الارض وما بعد الافق ! لا يلتمع هناك الا الامازون وروافده الثلاثة آلاف في ادغال كأنها عرفت الخلق الاول تزيد على نصف مساحة اوروبا...

ولا بد من العمل السريع جدا لاكتشاف مكان الطائرة ان كانت قد سقطت في ذلك البحر الغابي... والا فان الركاب ان كانوا قد نجوا من الموت فانهم ليسوا بناجين من الف خطر وخطر هناك. اقل الاخطار ان تغطي النباتات والاشجار السريعة النمو والسريعة الالتفاف كنبت الشياطين، كل اثر للطائرة !...

لا أحياء .. لا أمل

فالاشجار الامازونية ترتفع أربعين وخمسين مترا، ولا تترك اي منفذ للشمس الى الارض المغطاة بدورها بالادغال المتلبدة وبآلاف الزواحف الضخمة والنمل المفترس والحشرات الوحشية وعمالقة الخفافيش وقرود الليل، ودبيب الفهود والعقاربت... وسهام الهنود كل نفس منها ذائقة الموت !

بعد ثلاثة أيام من طواف الطائرات كالنحل في اجواء المنطقة، جاءت من احد الطيارين اشارة تلقاها فريق الانقاذ المتجمع في مطار بيليم التافه باللهفة:

كاني وجدت بقايا الطائرة . بل هذه هي البقايا ، بعض الحطام . البقايا مبعثرة على الاشجار في نطاق مساحة تبلغ الكيلومتر المربع . هذا يعني انها لم تهبط بالغابة ولكنها انفجرت في الجو . لا امل في العثور على ركاب احياء لا استطيع ان ارى ما تحت الاشجار ابدا لكني اعتقد انه ليس ثمة احياء ... لا يمكن ان يكون !

كانت البقايا على بعد ١٢٠٠ كم من بيليم في منطقة من اعسر المناطق في الغابة العذراء واكثرها كثافة وخطرا ودغلا رهيبا !

الصحفيون المتجمعون في مطار البلدة الشمالية بيليم والذين اسرعت بهم صحفهم لتغطية الاخبار نسجوا حول بقايا الطائرة الاقاصيص ... اليس ذلك دأب الصحفيين ؟ كتب المراسلون ما يحلو لهم وخرجت كل جريدة برواية : بعضها يؤكد ان الطائرة كانت تحمل شحنة كبيرة من الذهب . اخرى تجزم انه كان عليها حقيبة من الماس ثمنها اكثر من ثلاثة ملايين كروزيرو (٣٠ مليون دولار في ذلك الوقت) ثالثة تعلن ان الطائرة كانت تحمل شحنة من اليورانيوم . وبعض الصحف ذكرت انها ضحية قنبلة شيوعية موقوتة ...

وبالرغم من ان بعثة من المظليين الامريكيين جاءت على عجل للمعونة ثم امتنعت عن الهبوط في الموقع واعلنت انه ليس ثمة من احياء لانقاذهم ولا حاجة للمغامرة من اجل دفن الموتى ... ثم من الذي يستطيع اخراج المظليين من الغابة بعد النزول ؟ ... بالرغم من ذلك فان الصحف ظلت تردد ان الركاب احياء وانهم لا بد تائهون في الغابة وانهم ينتظرون الانقاذ وعلى الحكومة ان تنقذهم ، وصدق الشعب ذلك . « ديموس » الملك هو اكبر الحمقى والاسطورة هي خبزه المفضل فلماذا لا يصدق الاساطير ؟

قافلة التضامن

كان قائد حملة الانقاذ خوزيه كارلوس هو الذي اتخذ قرار عدم هبوط المظليين . لهذا اضطر ان يقرر ارضاء للضجيج ارسال طائرة مائية الى اقرب موضع من المكان ثم اختراق الغابة الى حطام الطائرة ولم يرض ذلك الناس . اعتبروه هربا من الانقاذ . تباطؤا . ضحكا على المنكوبين . اسر المفقودين . وهم من هم في المجتمع البرازيلي ، اعتبروا هذا القرار اهانة . قالت صحيفة (الكوريو) « من هو ذلك العاقل الذي يستطيع بمثل هذه الاعصاب الباردة ان يجزم بعدم وجود احياء ، معرضا الناجين بذلك الى الموت من الجوع او من الاخطار ؟ ...

وكانت العديد من الاهواء والدسائس وراء مثل هذه الكلمات .

وسائر الكثيرون الى بيليم يحلمون بان يظفروا بالذهب او الماس واليورانيوم المهجور ! .. هنا جاء دور الاستغلال السياسي ، ودخل في القضية صاحبنا دي باروس . كانت معركة رئاسة الجمهورية البرازيلية على الابواب . وكانت احلامها تملأ عينيه فدخلها وكان الشعار الذي طرحه ان البلاد بحاجة الى مدير يدير امورها . وهذا هو المدير !

وبينما كانت جموع من الناخبين والطامعين تهاجم مطار بيليم في الشمال صائحة اعطونا طائرات ، متهمة خوزي كارلوس بانه « قاتل » ، كان السياسي الكبير دي باروس يعقد مؤتمرا صحفيا في منزله الباذخ في سان باولو ويؤكد ضرورة انقاذ الاحياء الشاردين في الغابة ، ويوقع امام الصحفيين عقد شراء طائرة هليكوبتر واستئجار طائرتين صغيرتين وارسال حملة انقاذ من الرجال على حسابه الخاص سماها « قافلة التضامن » لانقاذ اولئك الاحياء ، ولم ينس تزويدها برشاش ، وقنابل يدوية « خوفا من الهنود » !

كان المشروع مشروعا احمق دبر في ليل ، لان التحضير له كان تحضيرا بدائيا يهدد باضاعة مجموعة من الناس في مجاهل الادغال دون اي امل بالعودة ، ولكن البرازيل كلها صفقت لدى باروس . انها صفقة دعاية ضخمة !

وحاول خوزيه كارلوس ان يثني السياسي الكبير عن هذا الغرم قال له على الهاتف : ان حملتنا للانقاذ جاهزة للمسير .

فاجاب : ولكنها حين تصل يكون قد قضي الامر ... واستغرب ان لا يستطيع جيش البرازيل كله ان يعمل اكثر من هذه المساعدة التافهة لاولئك التعسين الشاردين في الغابة وقال العقيد : ولكن ليس هناك من احياء ... واجاب السياسي الكبير اثبت لي ذلك !

واتماما للعملية الدعائية اعطى هذا الحديث للصحف !!

واضاف محدثي وهو يرى انتظار النهاية في عيوني : كنت واحدا من الرجال الخمسة عشر الذين ذهبوا في تلك القافلة يقودنا احد رجال دي باروس الموثوقين . الطائرة كانت مهترئة . اشتريت من بقايا الحرب . وقائد « قافلة التضامن » كان واعيا كل الوعي انه انما يقود عملية دعائية ضخمة ، دبرت لها كل وسائل الدعاية . اما الامور اللازمة لعملية الانقاذ فعلى الله !

وسط الادغال

خرجنا من الريودى جانيرو في احتفال من احتفالات النصر والاعلام والخطب والاغاني المزغردة . واخذنا ننتقل من مطار الى مطار باتجاه الشمال وفي كل بلد احتفال واعلام وخطب وزغاريد .. وشرب انخاب ! لكن ما ان غادرنا المطار الاخر الى الغابة حتى بدأ الرعب . الطائرة المهترئة نفسها كانت تهدد بالانفجار واخبار الحملة الحكومية كانت تشير الى انها سوف تسبقنا الى الموقع .. واللعبة الدعائية كلها كانت مهددة بان ينقلب السحر على الساحر !

وامرنا دي باروس ، باللاسلكي الذي كان يحمل اليه اخبارنا ، ان نهبط ... ولكن لا منبسط للهبوط . وجاءت التعليمات بان نقفز بالمظلات وقفزنا على بعد كيلومترات طويلة من الحطام . مات واحد منا وجرح ثلاثة بسبب الارتطام بالشجر فترك قائد القافلة خمسة منا لرعايتهم ولتمهيد منبسط من الارض لهبوط الهليكوبتر ... وسيلتنا الوحيدة للعودة الى عالم البشر ! وانطلق مع السبعة الباقين في الارض المظلمة ذات الدغل المستنقعي . كان تقدمنا في الغابة مرعبا مرعبا . كان علينا ان نشق بسكاكين « الماشيت » ما يشبه الانفاق للمرور في قلب هذه الجدران المتماسكة من النبت الوحشي الكثيف بينما نغوص حتى اوساطنا احيانا في الوحول ، وفي الليل كان الوهم يصورلنا عيونا من الاف الهنود ترمقنا . كنا بدون طعام كاف ولا ماء سوى وحل المطر ، وعلى حافة الانفجار من التوتر والرعب ... لأقل صوت نسمعه كنا نلقي قنبلة يدوية ... تؤنسنا وتشعرنا بالقوة ! حين وصلنا الحطام بعد خمسة ايام لم نجد سوى الجثث معظمها متفحم وبعض قد التهمه النمل المفترس ! ولكن كيف نعود ، الهليكوبتر التي جئنا بها تعطلت تماما عند الهبوط . وحاولنا الاتصال بصاحبنا دي باروس ولكن عبثا ...

لا رد من اي مكان ! لا رد من اي مكان . الصمت الكوني كله كان يخنق اجسادنا بينما كانت الصدور ملأى بالعويل ... العويل !

ومضت ايام احلى منها الموت ...

عندما فشلت الحملة

وفي ١٤ مايو ، عند العصر .. ما ازال اذكر الوقت والمنظر ..

حين وصل خوزيه كارلوس الى الموقع مع المدير الامريكي ! وجدونا اشباحا ممزقة الروح والاجسام والملابس ... الحشرات والجروح والجوع حولتنا بشرا آخرين ... معهم رشاش وقنابل ولكن ليس فيهم شيء آخر من البشر . بل كنا نحمل ايضا ما وجدناه من الاوراق النقدية والاشياء الثمينة على الجثث . وسأل خوزيه كارلوس قائد حملتنا بتهكم :

ـ ماذا وجدت ؟ هل تأكدت انه ليس ثمة احياء ؟ واضطر قائدنا للاعتراف انهم موتى .

ـ ماذا وجدت ايضا ؟ هات المنهوبات .

واضطر لاعطائه ٢٠٠ الف دولار من النقود وستة عقود من اللؤلؤ والماس وبعض الاحجار الثمينة الاخرى ...

قضينا يومين آخرين في الدفن ونصب الصلبان ... وانتهى عمل البعثة الرسمية . واخذت تتأهب للمسير على الهيلوكوبتر الضخمة التي جاءت عليها كان واضحا انها لا تستطيع حملنا جميعا وقال قائدنا للطيار :

ـ ونحن ؟ هل يمكن ان تأخذونا ؟ هل تعودون لاخذنا ؟

ـ لست ادري ...

وعوى القائد بالامر ، فطوقنا الطائرة واختطفنا خوزيه كارلوس والمدير الامريكي : وقدناها تحت الاشجار : حياة هؤلاء مقابل اعادتنا ... نحن قبلكم في السفر ! وفي المعركة تعطلت الهيلوكوبتر برصاص الرشاش . ايام الرعب والجوع عادت اذن ... والصمت القاتل . جهاز الاتصال نفسه تعطل ودامت هذه المسرحية يومين ، ريثما تم الاتصال بالحكومة ووصلت جماعة اخرى وفرجت بعد ان تركنا هناك قتيلين ، وثالثا اخذته الحمى .. ! اما ديمار دي باروس فانقطع عنا خبره كله .. اختفى تماما ... بدون اي احتفال عدنا الى (سان باولو) وحين رحنا نسأل عنه عرفنا انه منذ وصلنا الغابة كان قد يئس من معركة الرئاسة ، وتبين فشل محاولته الدعائية حول الاحياء في الغابة فسافر ... بكل بساطة سافر الى اوروبا للاستجمام !

لم يضف صاحب الحديث الى حديثه سوى كلمة :

ـ قافلة التضامن بقيت من الضربات اللامعة في تاريخ دي باروس السياسي . اما الذين ماتوا واما نحن ؟ ..

يا حسرتا على المنسيين ! !

الدكتور شاكر مصطفى



افقيـًا :

سلمان الفارسي

رأسـيًا :

جعفر الصادق

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا : سلمان الفـارسي . من صحابـة الرسول . كان رقيقا ، وأسلم بعد الهجرة . قال عنه الرسول (سلمان منا آل البيت » . أشار على الرسول بحفر الخندق في غزوة الاحزاب . ولاّه عمر عاملا على المدائـن . كان يأكل من كدّ يمينـه ، ويتصـدّق بالفائض .

(٨) رأسيا : جعفر الصادق . الامام السـادس للشيعة ، واليه ينسب المذهب الجعفري الشيعي . ولد وتوفي بالمدينة . بلغ عدد المنتمين الى مدرسته في المدينة أربعة آلاف من كلّ الاقطـار الاسـلامية . شجّع التأليف فبلغ ما ألفه تلاميذه أربعمائة كتاب .

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : جمال محمد فرغلي ـ اسيوط/مصر .
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : حسن يوسف محمد ـ العين/الامارات العربية المتحدة .
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : سكينة محمد ـ المحرق/البحرين .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فازبها كل من :

١ ـ عبد الحفيظ عثمان عبد الواحد ـ شندى/السودان
٢ ـ السيدة سعد الدين صالحة ـ القنيطرة/المغرب
٣ ـ حسن خليل اشتيوي ـ الرياض/السعودية
٤ ـ منى وحيد مناع ـ خيطان/الكويت
٥ ـ حيدر حميد حسن ـ بغداد/العراق
٦ ـ وليد علي غالب الحريبي ـ عدن/اليمن الديمقراطي
٧ ـ علاء الدين ابو ريشة ـ حلب/سوريا
٨ ـ خالد عوض باشراحيل ـ هنغاريا

قراءة في فكر رافض

لماذا التبشير بالتأثيم والتخويف؟

بقلم : فهمي هويدي

الذين لا يرون في الاسلام الا قائمة محرمات وممنوعات في جانب ، ثم لائحة عقوبات وزواجر في جانب آخر ، يفعلون بالاسلام تماما كما فعل الدب الذي أراد أن يحمي صاحبه فقتله،وان كانت النتيجة أفدح . ذلك ان المجني عليه في القصة الشهيرة هو مجرد فرد واحد ، ولكن المجني عليه فيما نحن بصدده هو عقيدة بأسرها !

ان هؤلاء يصغرون من شأن الاسلام من حيث لا يشعرون . يحولونه من رسالة هداية للبشر ورحمة للعالمين الى "فرمانات" إلهية ، تأمر وتنهي ، وتوزع طوابير الناس على درجات جهنم ، حتى أسفل سافلين !

ولا نعرف دعاة لأية قضية ، مهما كان شأنها ، يستخدمون مثل هذا الاسلوب الفريد في التبشير،الذي يعتمد على التأثيم والتخويف سبيلا الى الهداية والاقناع . فما بالكم اذا كانت الدعوة الى دين كالاسلام ، واذا كان الداعون اليه مأمورين ـ صراحة وبنص القرآن ـ بأن يخاطبوا الناس « بالحكمة والموعظة الحسنة » !!

أقول ذلك بعد قراءة أوراق اصحاب « الفكر الرافض » ، الذين نشرنا في العدد السابق من العربي نموذجين من وثائقهم ، أحدهما ينتقد المجتمع ، ولا يجد فيه عيبا سوى ان الناس فيه لا يطلقون لحاهم ، ويرتدون ثيابا طويلة ، ويستخدمون الصور والتماثيل ، ويدخنون السجائر ، وتلك كلها « محرمات » سقطت فيها جموع العصاة . والنموذج الثاني لوثيقة تطرح برنامجا لحزب اسلامي ، هو في الحقيقة لا يزيد على مجموعة من القواعد التربوية التي لا يختلف عليها ، من حفاظ على الصلوات الى تلاوة القرآن الى التخلق باخلاق الاسلام والبعد عن اللهو الفارغ ، واخلاص النية لله .

ولست هنا في مجال مناقشة التفاصيل ، ولكني فقط سأحاول طرق الموضوع مما أتصوره منطلقات كلية ، تشكل ـ في حدود ما توفر لدي من بيانات ـ سمة غالبة على فكر الكثير من التيارات التي ترفع راية الاسلام في هذه المرحلة ، مؤكدا ـ ومكررا ـ أن الاستثناء وارد ، وان البيانات التي بين يدي لا تعني بالضرورة انها تشكل صورة متكاملة لواقع هذه التيارات المنسوبة الى الاسلام .

وليس من هدفي ـ ولا بمقدوري ـ أن أناقش ما هو حلال وما هو حرام فيما نواجهه من مواقف وسلوكيات ، انما القضية التي تعنيني هنا هي رؤية الاسلام لما هو حلال وما هو حرام من حيث المبدأ ومن

الذي يحدد الحل والحرمة ، وكيف يتعامل الله سبحانه وتعالى مع الناس ، من حيث انهم بشر ، وليسوا ملائكة .

وسوف يقتضي منا ذلك ان نتوقف امام العديد من النصوص والوقائع التاريخية ، لنستدل ونسترشد .

ذلك انه منذ نزلت آيات القرآن الكريم التي تعلن « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الارض » و .. « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا » ، وغيرها من الآيات المشابهة ، منذ ذلك الحين استقر رأي الفقهاء على قاعدة تشكل منطلقا اساسيا في التفكير الاسلامي ، هي « ان الاصل في الاشياء الاباحة » على اعتبار أنه ليس معقولا أن يسخر الله سبحانه هذا الكون للانسان ، ويعتبره من نعم الله عليه ، ثم يحرمه عليه .

ومن هنا ضاقت دائرة المحرمات في شريعة الاسلام ضيقا شديدا ، واتسعت دائرة الحلال اتساعا بالغا . وبقيت النصوص الصحيحة الصريحة التي جاءت بالتحريم قليلة جدا ، وما لم يرد نص بحله او حرمته ، فهو باق على اصل الاباحة ، وفي دائرة العفو الالهي ❋ .

والاباحة المقصودة هنا لا تقف عند حدود دائرة الاشياء والاعيان ، بل تمتد لتشمل الافعال والتصرفات التي ليست من امور العبادة ، وهي التي نسميها « العادات او المعاملات » . فالاصل فيها عدم التحريم وعدم التقيد الا بما حرمه الله سبحانه ، وقوله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم » ، عام في الاشياء والافعال .

وفي الحديث الشريف : ما احل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو . فاقبلوا من الله عافيته ، فان الله لم يكن لينسى شيئا .

وعندما سئل النبي (ص) عن السمن والجبن والفراء ، لم يشأ ان يجيب ، مكتفيا بقوله : الحلال ما احل الله في كتابه ، والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا عنكم . اي ان الرسول احال السائلين الى القاعدة التي تحكم الحل والحرمة ، اذ يكفي أن يعرفوا ما حرم الله ، فيكون كل ما عداه حلالا طيبا ! .

وفي هذا المعنى قال عبد الله بن عباس : ما لم يذكر في القرآن فهو مما عفا الله عنه .

اي ان الاسلام حدد السلطة التي تملك التحليل والتحريم ، فانتزعها من ايدي الخلق ، ايا كانت درجتهم في دين الله او دنيا الناس . وجعل هذه السلطة من حق الله سبحانه وتعالى . فلا فقهاء او مفتين ، ولا ملوك ولا سلاطين ، يملكون ان يحرموا شيئا تحريما دينيا على عباد الله .

وفي القرآن اكثر من تحذير واستنكار للذين يحاولون تجاوز هذه الحدود بالتوسع في التحريم : قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ؟ (الاعراف ـ ٣٢) ـ يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين (المائدة ـ ٨٧) .

ان الله في هذه الآية الاخيرة لا ينهى فقط عن تحريم ما احله في كتابه ، ولكنه ينبه الى ان الوقوع في مثل هذا الخطأ بمثابة عدوان على حقه سبحانه في التشريع الديني .

❋ الحلال والحرام في الاسلام ـ الدكتور يوسف القرضاوي .

ان التضييق على الناس وتوسيع دائرة الحرام ، هو في الوقت ذاته عدوان على الله ايضا .

●

وبعد ان فتح طريق الحلال على مصراعيه امام البشر ، وحذر الله من محاولات اعتراض الهواة والمحترفين لهذا الطريق ، جاء التحذير الثاني موجها الى المؤمنين . وهم هنا لا ينهون عن منكر او اثم ، ولكنهم يطالبون بالاعتدال في التدين .. ينهاهم الله ورسوله عن الغلو في الدين ، « وابطال جعله تعذيبا للناس » ، كما يقول الشيخ رشيد رضا .

ومن النصوص التي استدل بها الفقهاء على ذلك الآيات : يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم (النساء ـ ١٧١) ـ ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (الانعام ـ ١٤١) ـ تلك حدود الله فلا تعتدوها (البقرة ـ ٢٢٩) .

ومنها قول الرسول عليه الصلاة والسلام : إياكم والغلو في الدين ـ ثم ، لا تشددوا على انفسكم فيشدد الله عليكم ، فان قوما شددوا على انفسهم ، فشدد الله عليهم .

وهؤلاء المتشددون هم الذين وصفهم النبي (ص) « بالمتنطعين » . ونهى بشدة عن مثل هذا التنطع في قوله ثلاثا : ألا هلك المتنطعون . ألا هلك المتنطعون . ألا هلك المتنطعون !

وحينما علم الرسول (ص) ان بعض الصحابة قد اخذ على نفسه ان يصوم النهار ويقوم الليل ، وقرر بعضهم ان يعتزل النساء ، عندئذ وقف بينهم وقال : ما بال قوم قالوا كذا وكذا ، اما والله اني اخشاكم لله واتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني .

وعندما قرر بعض الصائمين ان يقضوا يومهم في العراء ليكسبوا ثواب احتمال مشقة الحر والعطش الى جوار ثواب الصيام ، نهاهم الرسول عن ذلك ، وامرهم بالصوم في الظل ، لان الصوم في الشمس لغير مقصد شرعي الا المشقة ، فيه عصيان لاوامر الله ورسوله .

أليس الدين يسرا ؟!

نعم ، هناك تعميم ينبه الجميع الى ان الدين ليس أوامر ونواهيَ مطلقة وجامدة ، ليس عقوبة نافذة على البشر ، ولكنه « رحمة مهداة » .

والتعميم وارد في نصوص عديدة : يريد الله ان يخفف عنكم ، وخلق الانسان ضعيفا (النساء ـ ٢٨) ـ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر (البقرة ـ ١٨٥) ـ لا يكلف الله نفسا الا وسعها (البقرة ـ ٢٨٦) ـ وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم في الدين من حرج (الحج ـ ٧٨) ـ وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم (الاحزاب ٥) .

وفي ذلك تقول عائشة عن النبي (ص) : ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ، ما لم يكن اثما .

وهو المعنى الذي اكده عليه الصلاة والسلام في اكثر من حديث ، بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا ـ عليكم من الاعمال ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا ـ لن يشاد الدين احد الا غلبه ، ولكن سددوا وقاربوا (ابذلوا جهدكم) .

ازاء هذه المنطلقات ، اباحة الاشياء في الاساس ، وتحديد المحرم بوضوح ، والنهي عن الغلو ، والتأكيد على اليسر في الدين ، كانت مهمة الفقهاء في الافتاء شائكة وصعبة للغاية . اذ كيف يتجنب الواحد منهم هذه المحاذير ، ليقول رأيا يرضي الله فيما يعترض حياة الناس من معاملات وأقضية

كان احمد بن حنبل يقول عن نفسه : ربما مكثت في المسألة سنتين قبل ان اعتقد فيها شيئا (اي استقر على رأي) .

وابن حنبل هذا ، صاحب المسند الذي صنفه من بين ثلاثة ارباع مليون حديث منسوب الى النبي ، هو الذي كان يجيب على اكثر سائليه برد العالم الذي يخشى الله حق خشيته ، ويقول بتواضع جم : لا ادري !

وفي مرض موت مالك ، غلبه البكاء ، وعندما سئل عن سبب بكائه ، كان رده : ومالي لا ابكي ؟ ومن احق بالبكاء مني ؟ .. والله لوددت اني ضربت بكل مسألة افتيت فيها سوطا ، وقد كان لي السعي في كل ما سبقت اليه . وليتني لم أفت بالرأي .

ويروي عن مجلس ابي حنيفة انهم ظلوا ثلاثة ايام بلياليها يتناقشون في مسألة الحيض . كما يروي عنه انه خرج ليلة من صلاة العشاء ونعله في يده فلقيه زفر ، احد فقهاء الكوفة ، فكلمه في مسألة ، وظلا يتحاوران حتى نودي على صلاة الفجر وهما قائمان ، فرجعا الى المسجد ، ثم عادا الى مناقشة المسألة ، ولم يفترقا الا وقد انتهيا الى رأي .

هكذا كانوا يفتون ، يدققون ويتحرزون ويزنون الامور بميزان الذهب ، قبل ان يتفوه الواحد منهم بكلمة في امور الحلال والحرام والمكروه والمستحب .

وهو امر لا يقارن بسيل الفتاوى الذي ينهمر علينا عبر وسائل الاعلام وفي الكتب والنشرات كل يوم . ما اسهل ان تقال كلمة حرام ، وما اسهل ان تطلق كلمة الشرك والكفر . « وان احدهم ليفتي بالمسألة ، لو وردت على عمر بن الخطاب ، لجمع لها أهل بدر » ، كما يقول ابو حصين !

●

واخطر ما نتلقاه هو هذا التسرع في الحكم بتكفير المسلمين ـ « موضة » بعض الدعاة في هذا الزمان ، من ناقلي اقوال الخوارج ومقلديهم ـ وهو ما لم يجزه الفقهاء الاربعة ، حتى قال ابو حنيفة : اهل القبلة كلهم مؤمنون ، ولا يخرجهم من الايمان ترك شيء من الفرائض . ولعلي اذكر اولئك الذين يروعهم ما يجرى الآن من مظاهر سلوكية تنافي تعاليم الاسلام (اكثر خطابات القراء تركز على هذه الناحية) ببعض ما تسجله صفحات التاريخ الاسلامي في هذا الصدد .

فها هو ذا ابو ذر الغفاري يسمع من رسول الله (ص) قوله : ما من عبد قال لا اله الا الله ، ثم مات على ذلك الا دخل الجنة . وقتئذ سأله ابو ذر : وان زنى ، وان سرق . قال النبي : وان زنى وان سرق .

فأعاد ابو ذر السؤال مرتين وثلاثا ، لم يكفه حتى قال رسول الله في المرة الرابعة : وان زنى وان سرق ، على رغم انف ابي ذر !

وها هو ذا الامام الاعظم ابو حنيفة ، وقد جلس بالمسجد يوما ، فدخل عليه بعض الخوارج شاهري سيوفهم ، فقالوا : يا ابا حنيفة ، نسألك عن مسألتين ، فان اجبت نجوت والا قتلناك . قال : اغمدوا سيوفكم فان برؤيتها ينشغل قلبي . قالوا وكيف نغمدها ، ونحن نحتسب الاجر الجزيل باغمادها في رقبتك !

قال سلوا اذن . قالوا جنازتان بالباب ، احداهما رجل شرب الخمر فمات سكران . والاخرى امرأة ـ لمت من الزنا فماتت في ولادتها قبل التوبة ، اهما مؤمنان ام كافران ؟

فسألهم : من اي فرقة كانا ؟ : من اليهود ؟ قالوا لا . قال : من النصارى ؟ .. قالوا لا . قال من

المجوس ؟ قالوا لا . قال ممن كانا ؟ قالوا من المسلمين . قال : قد اجبتكم .

قالوا هما في الجنة ام في النار ؟

قال : اقول فيهما ما قال الخليل عليه السلام فيمن هو شر منهما (فمن تبعني فانه مني ، ومن عصاني فانك غفور رحيم) . واقول كما قال عيسى عليه السلام : ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم .

فنكسوا الرؤوس .. وانصرفوا [1] .

لقد كانت موجات التشدد في التاريخ الاسلامي بمثابة ردود افعال لانتشار موجات اخرى مضادة ، محملة بالبدع وصور الانحلال .

فالترف الذي بدا على حياة الامراء والاغنياء ، وشيوع الملاهي والحانات في العصر العباسي الاول ، ساهم في تطور حركة الزهد الى تصوف يقوم على الرياضة الروحية ومجاهدة اغراءات الدنيا . ثم لما اشتد الترف ، وضربت النقمة وفحشت الطبقية ، احتاجت الحياة الى النمط الفريد لابي العلاء المعري ، الذي فرض على نفسه اقسى ضروب الحرمان ، وقاوم المغريات المادية بمجاهدة تقرب من الاستشهاد . فاحتمل ان يصوم الدهر كله ، وكان انسحابه من دنيا الناس احتجاجا عمليا على فكر العصر ، ورفضا معلنا لفساد المجتمع [2] .

والمجون الذي ساد عصر الرشيد ومن بعده ، هو الذي افرز فقيها في تدقيق وتشدد احمد بن حنبل في الاعتماد على النصوص . والتحلل الذي استشرى في اواخر عهد الدولة العثمانية ، والبدع التي انتشرت في الجزيرة العربية ، هي التي افرزت ذلك الموقف الحاد الذي اتخذه الامام محمد بن عبد الوهاب ، في اوائل القرن الثامن عشر الميلادي .

واذا كنت قد قلت من قبل ان شبابنا الرافض الآن هو اخطر افرازات الهزيمة والاحباط (عدد مارس الماضي) ، فانني اضيف ان الهزيمة التي اعنيها لها وجهان : وجه عسكري ، وآخر حضاري . فعندما فشلت الدعوة الى القومية في تحقيق أماني الشعوب العربية ، وانكسرت بهزيمة يونيو ٦٧ برزت تيارات الدعوة للعودة الى الله ، التي تمثلت في الحركات الاسلامية التي نشطت وتنامت منذ ذلك الحين والى الآن .

ولكن فشل الدعاة الاسلاميين في الوصول الى صيغة ملائمة للتوفيق بين احكام الاسلام ومقتضيات العصر ، افرز رد فعل مضادا ، ترك بصمات واضحة على الموقف الفكري لهذه التيارات ، حتى اتسم اغلبها بالغلو في الدين ، وبالاغراق فيما يمكن ان نسميه الفكر السلفي ، الذي جعل قضيته هي اعلان الحرب على ما هو عصري ، والربط بين المعاصرة واعتبارها نوعا من الانحلال والتهتك .. والشرك في احيان اخرى .

وايا كانت الاسباب ، فان المجني عليه في هذا كله يظل ـ كما قلت ـ هو العقيدة ، ومعتنقوها الذين تتقاذفهم هذه التيارات ، وتوقعهم في حيرة شديدة ، وشعور دائم بالاثم .

وتظل القضية هي : كيف يعود « للحنيفية السمحاء » وجهها الحقيقي ، بغير عدوان ولا افتئات ؟ وبغير تأثيم او تخويف .

(١) ابو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الاسلام ـ عبد الحليم الجندي .

(٢) الشخصية الاسلامية ـ للدكتوره عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) .

نهاية الاستشراق

بقلم : روز ماري صايغ

ان تعرض احد معاقل الاستعمار الثقافي ، واعني به الدراسة التي عرفت تقليديا باسم الاستشراق ، لهجوم متزايد يعتبر علامة من علامات الفترة الحرجة التي تمر بها فقد ظهر عدد من الدراسات الممتازة باللغة الانجليزية ، ولا ريب أن دراسات اخرى قد صدرت بالعربية والفرنسية ، ولكن أحدثها ، واكثرها تدميرا بلا شك ، كتاب [١] « الاستشراق » ، لادوار سعيد ، الذي يلقي فيه نظرة فاحصة شاملة على هذه الظاهرة الثقافية الغربية منذ ان بدأت مع حماس البعثات التبشيرية في القرن الرابع عشر الميلادي حتى وقت تحولها الأخير الى « دراسات منطقة الشرق الاوسط » في الولايات المتحدة الامريكية . ان المرء يشعر بالسرور وهو يسجل للدكتور سعيد أنه عربي فلسطيني . ربما لم يكن اول كاتب عربي يحمل بالنقد على الاستشراق . ولكنه كان بكل تأكيد أحسن من كتب في هذا الموضوع حتى ان كتابه أصبح الان بغلاف ورقي ـ طبعة رخيصة الثمن ـ وأصبح يصل الى جمهور من القراء ، اكبر بكثير مما يأمل غالبية الاكاديميين .

ويستهل الدكتور سعيد دراسته استهلالا مناسبا بفقرتين يستشهد بهما ، الأولى رجل ينتمي الى اليمين والى الاستعماريين الأولين ، وهو دزرائيلي ، والثانية « لأبو » اليسار كارل ماركس . إن كليهما يضع مسافة ، ويؤكد نقطة ، وهي أن اليسار الاوروبي كان بطيئا في تحرير نفسه من أبعاد الاستشراق [٢] . ولكن كلا منهما يقدم لنا ايضا إحدى النقاط الاربع او الخمس الهامة التي تعرض لها الدكتور سعيد في كتابه . ومن مؤلف دزرائيلي « تانكريد » ، الذي ذكر فيه عبارة « الشرق مستقبل » ، يلخص لنا الكاتب كيف كان الشرق يمثل دائما بالنسبة لاطماع اوربا التوسعية ، مجالا فارغا يمكن ان يحقق منه مشروعاته (العسكرية والاقتصادية والثقافية والخيالية) . ولم يكن هذا الفراغ اكثر من مجرد غياب قوة مضادة . كذلك قول ماركس : « إنهم لا يستطيعون ان يمثلوا انفسهم ، لابد لغيرهم ان يمثلهم ! » يوضح لنا عقيدة اساسية رسخت عند

---

(١) الاستشراق لادوار سعيد بانثيون برس ، نيويورك ١٩٧٨ .

(٢) هذه الحجة يطرحها بريان ترنر بوضوح وقوة في كتابه « الماركسية ونهاية الاستشراق . لندن » اكون واوين ١٩٧٨ » .

المستشرقين ، بأن « الشرق » « صامت » ، ميت ، غير قادر على فهم نفسه ، ولذلك فهو يعتمد على العلوم الغربية من اجل ان يصل الى تفهم ذاته !

تركة موروثة

انها صفة مميزة للمؤسسات الثقافية ، وخاصة اذا كانت ، كما هو الحال في الاستشراق جزءا من تراث قبلي حتى أنها تبدو شيئا طبيعيا لا يرقى اليه الشك كما لو كانت ملامح منظر طبيعي ! كل جيل يأتي يضيف اليها شيئا ، او يغير من شكلها قليلا ، ثم يسلمها بوقار الى الجيل الذي يأتي من بعده وبهذه الصورة كبر الاستشراق وانتعش في الجامعات الاوروبية ، التي اصبح لديها السلطة للتحدث عن الشرق وللشرق ، دون تساؤل تماما كما ادعت هذه الجامعات أن الاستشراق علم ، وقبلت دعواها .

ومع هذا فلم يكن هدف هذه الجامعات من دراسة « الشرق » ، اكثر من مجرد صندوق تلقى فيه بكل ما لديها من مخلفات لا تمت الى اوربا بصلة ، كما لو كان صندوقا مليئا بالقمامة !

وكان هذا موضوعا آخر من الموضوعات الهامة التي اثارها الدكتور سعيد في كتابه ، فالفكرة العامة أن « الشرق » ليس له وضع علمي ، وليس هناك تطابق ضمني للنظرية القائلة بالاتجاه الى الاستشراق ، وبناء عليه يجب النظر الى هذه النقطة على اساس الواقع ، وهو أن الاستشراق مفهوم ينحصر الهدف الاساسي له في تقسيم العالم الى قسمين مختلفين تماما : « نحن » (الغرب) وهم ، (الشرق) .

وداخل اطار هذا التقسيم كانت هناك قوة أوربا المتزايدة تدريجيا .. قوتها للتغلغل .. للاستكشاف ، للتنظيم ، للوصف ، للاستغلال ، وقوتها في التغيير بأساليب جذرية ، للحضارات القديمة والثقافات البدائية السائدة خارج حدودها .

الاستشراق ... والاستعمار

وحتى القرن الخامس عشر لم يكن هناك اختلاف كبير بين أوربا وآسيا في الاقتصاد او في التكنولوجيا او القوة العسكرية ، ولكن منذ ذلك التاريخ بدأت تحدث تغييرات حاسمة ومترابطة فقد اخذت التجارة الاوروبية مع العالم الثالث ، شكل التحدي والسيطرة ، وبدأ انتقال اوربا الغربية الى الرأسمالية الصناعية يتبلور .

ومهما كانت درجة احتفاظه بالغموض الذي احاط به كمجرد ميدان من ميادين الدراسة فلم يكن ممكنا إلا ان يكون الاستشراق متورطا في هذه التطورات ، فهو الذي بسط لهم اسباب السيطرة ، ونظم المعلومات التي عاد بها المستكشفون ، ووفر الخطوط الاساسية لارشاد الغزاة والفاتحين ، واخيرا تقدم للشعوب المقهورة « بنظريات » لخضوعهم ، وتخلفهم وافتقارهم الى التنمية ، وعدم قدرتهم على استيعاب العلوم ، وتعصبهم للاسلام .. الخ .

وبناء عليه ، وقد كانت هذه النقطة اهم ما جاء في الحجج التي ساقها الدكتور سعيد نجد ان لا مفر من النظر الى الاستشراق على اساس انه شيء ملازم للاستعمار ، حتى لو كانت الروابط بينهما معقدة وغير مباشرة .

واذا اخذنا اواخر القرن الثامن عشر كنقطة بداية تقريبية محددة ، فاننا نجد انه من الممكن التحدث عن الاستشراق وتحليله على انه المؤسسة المشاركة للاستعمار في التعامل مع الشرق .. التعامل معه عن طريق إصدار البيانات عنه ، واعتماد وجهات النظر الخاصة به ، وشرح صفاته وتدريسه وتهدئته ، وحكمه ، وباختصار ، فقد كان الاستشراق هو اسلوب الغرب للسيطرة واعادة البناء ، ثم فرض سلطانه على الشرق

من اشيل الى كيسنجر

ان الصور التي قدمها الدكتور سعيد لتورط الاستشراق في سيطرة الغرب على الشرق تشمل مجالا واسعا للنصوص من أيام « أشيل حتى هنري كيسنجر » حتى ليصعب ان نتصور ان احدا يمكن ان يتهمه بالتخاذل في إقامة الدليل على صدق دعواه

فهو قد رفض عامدا متعمدا ان يقصر حديثه عن هؤلاء المستشرقين الذين كانوا يرتبطون ارتباطا وثيقا بالاستعمار السياسي ، لذلك فقد تناول في الوقت نفسه الكتاب الذين افسحوا المجال لخيالاتهم مثل فولبير و لامارتن ، والكتاب الشواذ مثل داوتي ، والكتاب الذين يسعون للدراسة المجردة ، امثال لين ودي ساسي . وهذا الادماج يضيف إلى اتهامه في النهاية أهمية خاصة : فهو يقول : « انني اعتقد ان الاستشراق قد فشل في ان يكون دراسة إنسانية بنفس القدر الذي فشل فيه بان يقدم لنا دراسة ثقافية ، فهو بمواقفه التي اتسمت بمعارضة لا تلين تجاه منطقة معينة من العالم

يعتبرها غريبة عليه ، اظهر تقاعسا في التعاطف مع الخبرات الانسانية » فبين هذا الحشد الكبير من الكتاب الذين تعرض لهم ، [3] لم يجد الدكتور ادوار سعيد ، كاتبا واحدا تحدى المغامرة التي كانوا جميعا مشتركين فيها ، أو واحدا كان ارتباطه بالشرق الحقيقي ، او اي جزء منه اقوى من ارتباطه « بالاستشراق » !

حتى هؤلاء الكتاب الانجليز الشواذ ، امثال داوتي ولورانس وفيلبي ، الذين زاروا الشرق الرسمي ، وكانوا ينظرون اليهم في الغرب على أنهم « عرب اكثر من العرب انفسهم » ، او كما يصفهم سعيد « بالمستشرقين البيض » .. حتى هؤلاء بقوا سجناء داخل أبعاد الاستشراق معبرين عن مقدماته الاساسية ، بطرق اكثر فردية وابعد ما تكون عن المفهوم السليم .

رأسمال مغلق

ان الدكتور سعيد لا يرى ان الاستشراق قد خدم السيطرة العربية « كنظام للتمثيل البيروقراطي » فحسب بل اكثر من هذا فقد كان يمثل رأسمال مغلق من النصوص والكتاب الذي كانوا يستمدون رأيهم في موضوع كتاباتهم عن « الشرق » من اسلافهم لا من الشعوب الحقيقية والمجتمعات الحقيقية التي تمثل الشرق وتعيش فيه » فقد كان المستشرقون في عزلة دائما عن هذا الوجه الحقيقي للشرق بعيدين عنه ، والعداء موقفهم الاساسي تجاهه . وهؤلاء المستشرقون الذين عاشوا معظم حياتهم في الشرق ، كانوا يشكلون اقلية ، اما الاغلبية فقد كانوا من هؤلاء الذين يزورون الشرق من حين لآخر للتعبير دائما عن خيبة املهم فيه ، وفي حالات معينة كانت الكراهية للشرق من القوة بحيث بقي السؤال الغامض يطرح نفسه : « لماذا اذن كان يتحتم على البعض أن يقضي كل حياته يدرس الشرق ؟ ! »

وبناء عليه ، فان قوة الاستشراق ، وقدرتها على النمو على مر الزمن ، لا يمكن ان يكون مبعثها عوامل نظرية وتحليلية ، وانما نتيجة لوجود تلاحم داخلي ، ورؤيا متماثلة . هذه الاسباب اعطت الاستشراق ، وما زالت تعطيه ، سلطانا يشير الى ما هو ابعد من الجامعات « الى المشتغلين بالسياسة والى الرأي العام كله » . وقد بقي الاستشراق بمنأى من اي نقد يوجه اليه حتى الآن بفضل مصدرين كامنين ، الاول الدارسون ، نتيجة للحدود الفاصلة بين الميادين « الاكاديمية والثاني ، موضوعات الدراسة ، ابناء الشرق ، بنفس الاسلوب السياسي الثقافي اللامتوازن الذي اسهم الاستشراق في بلورته في عالم الافكار .

مواقف الاستشراق من الاسلام والعرب

واهتمام الدكتور سعيد بهذا القسم من كتابه « الاستشراق » الذي يبحث في الاسلام والعرب شيء طبيعي يصدر عن دارس عربي ولكن هناك ما يبرر هذا الاهتمام اكثر واكثر ، نتيجة للدراسات الاسلامية الاثرية القائمة في اوربا ، والتي تدور بصفة عامة حول الاستشراق والى جانب ذلك نجد ان الكتابات الاوروبية عن الاسلام تقدم لنا نموذجا لقوة التصور التي وضعت لابطال الحقيقة وتحويل نظر البحوث عنها ، وينقل الدكتور سعيد نبذة من كتاب نورمان دانيل [4] في هذا الصدد وهي توضح هذه النقطة توضيحا تاما :

« ان الميل الثابت الى تجاهل ما معنى القرآن او ماذا يظن المسلمون انه يعني او كيف يفكر المسلمون او يتصرفون في مواقف معينة يدل على ان تعاليم القرآن وتعاليم الاسلام قد عرضت بصورة ترضي المسيحيين » .

الخوف ، العداء ، الجهل ، عوامل يسهل تسجيلها في الكتابات الاوروبية عن الاسلام ويشير الدكتور سعيد الى دانتي كشاهد في زمن مبكر ، على ما ذهب اليه ، فقد وضع هذا الشاعر الايطالي محمدا عليه الصلاة والسلام ، في أدنى مقاعد الجحيم .. في المكان المخصص للملحدين والمنشقين الذين خرجوا عن صفوف المؤمنين ! (كذا) .

وهناك ديربيلو ، العالم الفرنسي الذي عاش في القرن السابع عشر ووضع أحد المراجع المبكرة عن « الشرق » واسماه « المكتبة الشرقية » ، وقد وصف فيه الرسول عليه الصلاة والسلام بانه « دجال » ونبي مزيف

---

(٣) يستثني الدكتور سعيد من هؤلاء ولفريد سكاوين بلانت ، ولكن ربما غاب عن ذهنه بعض الشخصيات المغمورة امثال مارمبدوك بيكتال ، الذي اعتنق الاسلام وترجم القرآن الكريم .

(٤) الاسلام واوربا والامبراطورية ، لنورمان دانيل ، جامعة إدنبرة ١٩٦٦ .

(كذا) !! ومن الصفات المميزة للدراسات الاسلامية انها بدلا من ان تعمل على تصحيح هذه الصور البدائية عن طريق المعلومات التي تجمعت لديهم ، راحت تعمل على دعمها وتعزيزها » وفي النهاية نجد ان الجهل الغربي هو الذي اصبح اكثر نقاوة وتركيبا وليس شخصا معينا يتمتع بمعرفة غربية إيجابية ، تتزايد حجما ودقة » .

خطر الاسلام على اوربا

فمنذ البداية ، كان الاسلام يشكل تهديدا حقيقيا لأوروبا بصورة لم تظهر من قبل في اي جزء من اجزاء « الشرق » .

واكثر من هذا فان الرأي القائل بان المسلمين هم بشكل او بأخر مسيحيون ملحدون ، يمكن تحويلهم عن طريق بذل جهد ملائم الى عقيدتهم « الحقيقية » ، هذا الرأي كان قويا في المسيحية ابان القرون الوسطى ، وقد ساد الحديث عن اساليب التحول وباصرار في اعمال معظم الكتاب المسيحيين الذي تعرضوا للاسلام في كتاباتهم امثال ماسينيون ، ومنذ البداية في عام ١٣١٢ م كان تدريس اللغة العربية في أوربا مرتبطا بالامل في تحويل العرب عن الاسلام ، ولعلنا نجد في بعض اعمال جيب او فون جرنبوم ما يثبت أن الشوفينية الدينية ليست اقل قوة في الدراسات الاسلامية الحديثة .

انه شيء بديهي بكل تأكيد فرع الدراسات الاسلامية للاستشراق ، أن نجد بعض احسن ما كتب عن الاسلام (اي باقل قدر ممكن من التميز والايدبولوجية) قد سجل باقلام كتاب بعيدين عن الاستشراق ، امثال جيرتز وجيليز ، وهما من علماء الانثروبولوجيا او تاريخ الشعوب ، والياد وكامبل ومارجريت سميث من المتخصصين في الدراسات الدينية .

ان الكثير من العداء المكثف في نظرة الاستشراق الأيدبولوجية للاسلام يختلف باختلاف النظرة الى العرب انفسهم ، فمن الملاحظ على سبيل المثال ، انه كلما ابتعد اي شعب مسلم عن اوروبا تضاءل تحيز الكاتب المستشرق ضد هذا الشعب . (ويمكن المقارنة هنا بين موقف اوربا تجاه العرب والاتراك ، ثم موقفها تجاه الايرانيين والمسلمين في الهند !) وفي بعض الاحيان نجد ان هناك ما يغري على الظن بان الازمة السياسية والبترولية المعاصرة قد ضاعفت من حدة التحيز ضد العرب بين المستشرقين ، ولا شك ان من بين الفوائد التي نجدها في دراسة الدكتور سعيد هو هذا الجهد المرهق الذي بذله في سبيل تسجيل مصدر هذا التحيز واستمراريته .

رقع ورقية !

ومما ينير لنا الطريق ، ان نكتشف مثلا كيف كانت الدراسة العلمية للغات او « الفيلولوجيا » ممتلئة بالعنصرية في القرن التاسع عشر ، ولو أن هذا التطور الجديد هو الذي اسهم في واقع الامر في تقوية دعوى الاستشراق باعتباره علما من العلوم ، فقد حدد رينان ، على سبيل المثال ، مكانا للسامية ، اقل شأنا من غيره ، في تسلسل اللغات ، وبذلك ارتفعت مكانة السنسكريتية ، لغة الهند الادبية القديمة ، التي تعتبر من أسلاف أسرة اللغات الهندية ـ الاوروبية .

ويشير الدكتور سعيد الى صفة اخرى مميزة للدراسات الاسلامية والسامية ، وهي صفة يمكن ان تطبق بنفس القدر على الاستشراق عامة وهي « ذلك المركز المتردي الذي تميزت به بالقياس الى غيرها من العلوم الانسانية ، والتخلف الايديولوجي والميثودولوجي والعزلة النسبية عن التطورات التي حدثت في غيرها من الدراسات الانسانية ، وعن واقع العالم التاريخي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي » . هذا التخلف الثقافي الذي يؤكده ايضا بريان تيرنر . قد ربط الدكتور سعيد بينه وبين انتاج المتجردات مثل « الساميين » و« العرب » و« الأريين » ، وكلها رقع ورقية لا تمت الى الانسانية او العلوم بصلة ، ومن شأنها ان تضفي فيما بعد صفة الشرعية للمشاعر المعادية لليهود والمعادية للعرب والمعادية للسامية .

انتشار الاستشراق في الشرق

ان دعوة الدكتور سعيد « الى الشرق الحديث بالاشتراك في استشراق ذاته ، قد فتحت الباب امام دراسة جديدة شاملة وفي كل ما يقول نجد حديثه متضمنا تأثير تقاليد المستشرق ونفوذها ودورها في تثقيف السيطرة الغربية ، حتى ان دعوته قد نجحت الى حد كبير في نقل الهدف منها الى الشرقيين كوسيلة لرؤية انفسهم والتعرف على ذاتهم .

ومن بين الذين كتبوا عن الامبريالية امثال (فانون وكيرنان وبانيكار) ، ضمنوا كتاباتهم إشارة الى مدى ما حققته النظم التعليمية الحديثة (او بمعنى آخر الغربية)

في العالم الثالث وكيف انها اقامت قاعدة لاستمرار نشر الثقافة الغربية والسيطرة السياسية . ويذكر الدكتور سعيد امثلة لهذه العملية ، كما يراها في العالم العربي .

دليل ذلك

(أ) صفحات الكتب والجرائد التي تصدر بالعربية مليئة بتحليلات من الدرجة الثانية عن « الفكر العربي » وعن « الاساطير » نقلا عن الاستشراق !

(ب) الاموال العربية تنفق على التوسع في الدراسات الشرقية الموجودة في الولايات المتحدة !

(ج) غالبية الطلبة العرب يذهبون الى الولايات المتحدة لاجراء الدراسات المتقدمة ويحفظون « كليشيهات » المستشرقين من المستشرقين الأمريكيين !

(د) العرب اصبحوا مستهلكين متنوعين لصنوف شتى من المنتجات الامريكية ، المادية والايديولوجية » !

والمزيد من الدراسة سوف يكشف بلا شك مدى نفاذ ايديولوجية المستشرقين الى بطون كتب التاريخ العربي وحديث الناس اليومي .

ان نظرية النهضة العربية ، او دور لبنان كقناة لهذه النهضة ، في حاجة الى اعادة النظر بصورة اكثر جدية ، وكذلك النظرية السائدة عن « التقليدي » او المتعارف عليه ، وتعارضه مع الحديث أو « المودرن » وقد كانوا يأخذون بها وكأنها حقيقة علمية في كثير من المناقشات التي كانت تجري في المجتمع العربي فيما قبل القرن العشرين .

يختتم الدكتور سعيد مؤكدا الدور الرئيسي للصفوة العربية المثقفة في نقل السيطرة الثقافية الغربية بغير اعتراض يذكر :

« ان اقتصاد سوق الغرب وتوجيهه نحو الشرق المستهلك قد انتج طبقة من الأفراد المتعلمين الذين اصبحوا يتجهون بفضل تكوينهم الثقافي ، الى اشباع متطلبات هذا السوق . هناك حاجة ملحة الى الهندسة والاعمال التجارية والاقتصادية ، وهو شيء واضح ولكن أهل الفكر انفسهم اصبحوا مجرد عامل مساعد لما يعتبرونه اتجاها رئيسيا تقضي عليه في الغرب ، وقد وصفوا لهم دورهم ومهدوا لهم الطريق اليه وهو دور التحديث او التعصير ، ومعنى هذا إضفاء الشرعية والقوة المقنعة للأفكار الخاصة بالتحديث والتقدم والثقافة التي تصل من الولايات المتحدة في اكثر الحالات .

الحجر والرماد

ومن بين الكتب الحديثة التي صدرت اخيرا كتاب « الحجر والرماد » ، للدكتور هشام شارابي ، وهو يقدم لنا لمحة مثيرة للصراع الداخلي بين المثقفين العرب في مواجهة قوة الثقافة الغربية .. يقول المؤلف : « وكان قادتنا ومعلمونا يكرهون الغرب ويعشقونه في الوقت نفسه ، كان الغرب بالنسبة لهم مصدر كل ما تشتهيه انفسهم ، وفي الوقت ذاته مصدر ذلهم وتعاستهم هكذا غرسوا فينا مركب النقص من الغرب وعقدة تقديسه معا وغدت معلوماتنا القومية تعصبية بعيدة البعد كله عن المفهومات الاجتماعية والتاريخية الصحيحة ! ! »

من هذه الفقرة يتضح لنا ان الصراع ضد تأثير الثقافة الغربية وبصفة خاصة في حولة ما يعرف باسم الاستشراق ، نوع خطير من انواع الصراع ضد السيطرة السياسية . هناك تقريبا اربعون عاما تفصل بين الدراسة بالنسبة للدكتور شارابي وصدور كتاب « الاستشراق » ، ولا شك انه شيء مشجع ان نرى انه ليس هناك من الاسباب التي تدفع اي طالب عربي الى الشعور بالضغط عليه من اجل « تقديس الغرب » ، او النظر الى مجتمعه العربي من خلال عيون المستشرقين ، إن تحدي الدكتور سعيد لنفوذ المستشرقين هو عمل بطولي من الناحيتين الثقافية والاخلاقية .

دعونا نأمل ان يكون لهذا التحدي في العالم العربي ، نفس الاثر الكبير الذي تركه بوضوح في الغرب (٥) . ■■

روز ماري صايغ

(٥) تقوم دار المثلث في بيروت باعداد ترجمة عربية لكتاب « الاستشراق » .

« الديمقراطية الصحيحة لا تقوم بلا معلومات كافية ، كما ان اجهزة المعلومات في غيبة الديمقراطية قد تصبح كارثة على الحرية »

ثورة المعلومات
وأحلام عالم الفقراء

بقلم : الدكتور حازم الببلاوى

منذ سنوات بدأ الحديث عن انشاء نظام اقتصادي عالمي جديد . وها نحن أولاء نعاصر الان دعوة اخرى لانشاء نظام عالمي جديد للمعلومات ، يعكس مدى شعور دول العالم الفقيرة بالظلم الواقع عليها ، فالعلاقات الاقتصادية السائدة لا تجعلها فقط اكثر فقرا ، ولكن نظم تبادل المعلومات والاتصالات الدولية الحالية تساعد على تثبيت هذه الاوضاع وتأبيدها . ومن هنا جاءت الدعوة لنظام عالمي جديد للمعلومات كحلقة اخرى في مطالبة الفقراء لتعديل اوضاع العالم وانشاء نظام اقتصادى جديد .

وقد تعددت التوصيات والقرارات الصادرة من منظمات الامم المتحدة والمؤسسات الدولية حول الحاجة الى نظام جديد يعيد التوازن بين دول العالم فيما يتعلق بحجم نوع المعلومات المتاحة ولا يترك العالم الثالث كمجرد ملحق يضاف الى نظام قائم ومكتمل فمنذ ١٩٦٢ اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة توصية لليونسكو باستمرار البحث والتطوير لنظم المعلومات (قرار ٢٣/١٧٧٨) وفي خلال السنوات الخمس الاخيرة تعددت هذه القرارات والتوصيات بكثرة ، فقد اوصى الاجتماع التاسع لليونسكو في ١٩٧٦ المدير العام بدراسة موضوع المعلومات والاتصالات في المجتمع الحديث ، وادى ذلك الى انشاء لجنة دراسة الاتصالات برئاسة « ماكبريد » التي اقترحت تعزيزها النهائي في اوائل ١٩٨٠ . وفي الوقت نفسه تقريبا (ديسمبر ١٩٧٦) اتخذ قرار مشابه من الجمعية العامة للامم المتحدة ، واعيد بحث الموضوع من جديد في الاجتماع العشرين لليونسكو في ١٩٧٨ . وفي ١٩٧٩ اصدر المؤتمر الحكومي للاتصالات ، المنعقد في « كوالا لمبور » قرارات وتوصيات للاهتمام بموضوع الاتصالات والمعلومات والبحث في انشاء هيئة او جهاز دولي لتطوير ذلك لمصلحة الدول النامية ، وتأكد هذا الاتجاه من جديد في اجتماعات مؤتمر التنسيق الاعلامي للدول غير المنحازه حتي ١٩٧٩ المنعقد في لا هاى ثم في اجتماع وكالات الانباء للدول غير المنحازة في بلجراد في نوفمبر ١٩٧٩ .

من صور التخلف

ومجرد نظرة على الاحصاءات المتاحة حول وسائل المعلومات والاتصالات تكفي لبيان مدى ما يعاني العالم الثالث من تخلف في هذا الميدان ، لا تجعله فقط غير قادر على اسماع صوته للعالم ، بل ـ وهو الاخطر ـ غير مستطيع ان يعرف نفسه ومشاكله . فمن حيث توزيع الصحف نجد أنه ـ في حين ان معظم الدول المتقدمة توزع صحفا يومية فيما بين ٢٠٠ ـ ٥٠٠ لكل



الف نسمة ـ يكون الوضع في الدول النامية . مختلفا جدا . ففي افريقيا لا تعرف تسع دول صحفا يومية بتاتا . ويبلغ توزيع الصحف اليومية في غيرها نحو ٢٠ لكل الف نسمة . ولا تختلف الصورة كثيرا فيا يتعلق بالاذاعة والتلفزيون . فالتلفزيون قد وصل بجهد الى افريقيا رغم التوسع الكبير الذي طرأ عليها خلال السنوات العشر الاخيرة . وفي معظم دول افريقيا تقل نسبة التلفزيون عن ١٠ لكل الف نسمة . والوضع في آسيا أفضل قليلا حيث تبلغ هذه النسبة ٥٠ لكل الف نسمة .

وفيا يتعلق بشبكات الهاتف لوحظ ان توزيعها بين الافراد يرتبط بشكل أوثق مع مستوى الدخل الفردي . ففي الدول المتقدمة والصناعية يبلغ متوسط عدد الهواتف المتاحة اكثر من خمسين لكل مائة نسمة وتنخفض هذه النسبة في الدول النامية . فهي نحو ٨ لكل مائة نسمة في الشريحة العليا من هذه الدول . واقل من ٣٪ لكل مائة نسمة في الشريحة السفلى . وقل مثل ذلك في خدمات البريد وفي لحظات الارسال الفضائية والارضية .

العالم الثالث لا ينتج . ثم هو يستهلك اقل . ولكنه ايضا لا يعرف . ولا يعرف عنه الا اقل القليل وهو ما يحتاج الى تصحيح . لكن غلبة مستويات الانتاج والاستهلاك المادي للسلع على تفكير رجال السياسة والاقتصاد ـ قد القى بقضية المعلومات والاتصالات بعيدا في قائمة الاولويات . وهو ما قد يحتاج الى مزيد التأمل واعادة النظر .

المادة والمعلومات :

التاريخ هو الى حد بعيد تاريخ التزاوج بين امرين اساسيين المادة والمعلومات . فالانسان في تاريخه الطويل قد حاول اخضاع المادة لسيطرته . وتطويرها لحسابه . على ان هذا ما كان يمكن ان يتم دون تطور مماثل في معلومات الانسان عن الوسط المحيط به وعن نفسه . ويمكن أن نقول من زاوية معينة ان مشكلة الاقتصاد المعاصر هي التوازن اللازم بين المادة والمعلومات . ففي خلال العصر الحديث شاهدنا نوعا من ثورة الانسان في سيطرته على المادة . مع ما صاحبها من ثورة في المعلومات . ولكن التوازن في هذا التطور قد انقلب لمصلحة المادة وعلى حساب المعلومات . فتطوير المادة قد اصبح السيد والهدف . واستخدام المعلومات لم يعد اكثر من الخادم والتابع . وهو امر قد لا يكون فيه تقدم الانسان . وها نحن أولاء الان نعاصر ثورة في المعلومات وهي ثورة في اساليب المعلومات . ولعل تطورا مقابلا يتم في اهداف المجتمعات . بحيث تصبح المعلومات سيدة لا خادمة . وينظر اليها على الاقل . على قدم المساواة مع المادة . بدلا من هذه التبعية الكاملة .

وينبغي ان نفهم المعلومات هنا بمعنى واسع يشمل العلوم والفنون والآداب والتاريخ وكافة صور المعرفة حتى الاساطير ايضا . فهي أمور تتجه الى عقل الانسان وذوقه في الدرجة الاولى .

لا احد يستطيع ان يعارض تحسين مستوى المعيشة وتوفير السلع والخدمات اللازمة لتحقيق حياة متكاملة : من غذاء ومسكن . وملبس . وعناية صحية . وترويح ... الخ . بل الوجود الانساني كله يتعرض للزوال ما لم تتوفر هذه السلع والخدمات . وهي امور ترتبط الى حد كبير بالانتاج المادي وتطوير المادة . ولكن الخطر كل الخطر هو ان ينظر إلى سعادة الانسان والى الهدف من الحياة باعتباره تجميعا لكمية اكبر من « الاشياء » . دون الاهتمام بامور اخرى قد لا تقل اهمية . وكثيرا ما نسمع عن ضرورة تحقيق التوازن بين المادة والروح . بين الاشياء المادية والعناصر المعنوية . وفي هذا عدم دقة او تحديد . اما فكرة المعلومات فانها يمكن ان تضيف الى هذه المطالبة مزيدا من الوضوح .

ولعله من المفيد ان نبدأ بالاشارة الى انه ـ حتى في

انتاج الاشياء يكون دور المعلومات دورا اساسيا . فانتاج السلع ليس مسألة مادة وحسب بل مسألة « معلومات » ايضا ، فلا بد من معرفة بخصائص الطبيعة وقوانينها ، وهذه معلومات . ولا بد من تصميم لاجهزة الانتاج وهو ما يستند الى تصور مسبق مصدره معلومات . ولا بد من عملية الانتاج ، وهي بالدرجة الاولى تنظيم لجهود كثيرة بما « تقتضيه سلسلة من القرارات والاوامر ، اى لابد من نقل للمعلومات ، ولابد اخيرا من اسواق تتبادل فيها المعلومات بين المنتج الذى يعرض سلعة والمشترى الذى ينفق دخله ، وهذا نوع من تبادل المعلومات حول خصائص السلعة واحتياجات المشترى . وهكذا نجد ان الانتاج للاشياء يعتمد على فكرتي المادة والمعلومات .

وقد ازداد في العصر الحديث الاقتناع باهمية المعلومات في الانتاج . فالانتاج الصناعي لم يعد يعتمد على التجربة ، وانما على « النظرية » وهي معلومات مقننة . والتنظيم الصناعي والاداري لم يعد يتوقف على مهارة المدير وفطنته ، وانما اصبح يستند الى نظريات في الادارة والتنظيم والتسويق . والقرارات لم تعد تصدر بناء على « انطباعات » بل استنادا الى بيانات . وهكذا اصبحت بنوك المعلومات وادارات الاحصاء والبيانات احدى خصائص الانتاج الحديث .

على ان المشكلة تكمن واقعيا في علاقة المادة بالمعلومات . فالى حد كبير وبنوع من التبسيط ، يمكن القول بان المجتمعات الحديثة تنظر الى تعظيم الاشياء باعتبارها الهدف ، والى المعلومات اللازمة لتحقيق ذلك باعتبارها وسيلة لهدف . فأهداف اى مجتمع حديث هى زيادة النمو الاقتصادى ، وهذا يحسب بحجم ما يتاح من سلع وخدمات ، اما ما ينفق في سبيل ذلك من اعداد للمعلومات واستخدامها فهو من قبيل التكلفة ، اكثر منه من قبيل الاشباع المطلوب لذاته . ومن هنا لم يكن غريبا ان نتحدث عن علم غير نافع ، وعن جهل غير ضار ، فالعلم وسيلة ، والمنفعة هي الهدف ، والمنفعة تتحقق بمزيد من الاشياء نضعها تحت تصرف الافراد .

حدود النمو

وليت هذا التصور لاهداف المجتمعات قد اعطى نتائج طيبة ، وزاد في رفاهية الافراد وسيادتهم ، ولكن الحاصل هو اننا اصبحنا نجد ان مزيدا من الاشياء للافراد يزيدهم تبعية لاتحررا .

فالصناعة الحديثة تتفنن في انتاج المزيد والغريب من الاشياء ، واغلبها لا يشبع حاجة اساسية لدى الانسان وانما يقوم بخلق ضغط اجتماعي ونفسي على الناس يدفعهم دفعا للحصول عليها مسايرة للعصر ، لا استجابة لحاجة . وبذلك فقد الفرد حريته وسط هذا الضغط الاجتماعي المتزايد بدلا من ان يجد حريته مع مزيد من الانتاج والوفرة .

على ان الامر قد اصبح اكثر خطورة الان ، وقد بدأ العالم يدخل مرحلة جديدة تتميز باقتراب الحدود والقيود على امكانياته ، ففي كل وقت من الاوقات تتنازع فكر الانسان المستقبلي نزعة تفاؤل لعالم ذى امكانيات بلا حدود ، ونزعة تشاؤمية تركز عكسيا على هذه الحدود . وقد بدأنا في السنوات الاخيرة نستيقظ من جديد على اجراس التنبيه بحدود النمو .

وقد صدر في ١٩٧٢ كتاب « حدود النمو » لنادى روما ليؤكد من جديد اننا نعيش في عالم محدود ، وان حدوده اقرب كثيرا مما نتوقع . ورغم ما أثاره هذا الكتاب من ردود افعال مختلفة فان أزمة النفط ـ بعد ظهوره بحوالي سنة ـ اكدت للعالم اننا نعيش على مورد ناضب ، وان البحث عن بديل له ليس بالامر اليسير ولا الهين ، وظهرت في الوقت نفسه مخاطر الانفجار السكاني وازمة الغذاء ، وبدأنا نعرف أن نموا مستمرا بلا حدود هو امر غير ممكن ، فضلا عن انه غير مستساغ ، وفي هذا الجو بدأت نظريات النمو في الدول المتقدمة ترشح للعديد من الانتقادات ، وبدأ الحديث عن فكرة النمو من درجة الصفر ، والبحث عن صور اخرى للمجتمعات .

فاذا ما انتقلنا الى دول العالم الثالث فاننا نرى ان الامر اكثر صعوبة ومرارة . فرغم ما حققته الدول من تقدم خلال ربع القرن الاخير فان شعور الاحباط لا يفارق هذه الدول بالنظر الى اتساع الفجوة بينهم وبين العالم المتقدم . واصبح الحديث عن اللحاق بالدول المتقدمة امرا بالغ الصعوبة ان لم يكن مستحيلا .

وفي هذه الظروف نجد ان خصائص المعلومات يمكن ان تقدم للدول النامية ، بل للعالم اجمع ، بديلا معقولا لعالم لا يفكر الا في المادة ، فاذا كانت المادة بطبيعتها محدودة وان الاقتراب من حدود نفادها امر لا مجال لنكرانه ، فان المعلومات بطبيعتها غير محدودة ، فمجتمع يسعى لتعظيم المعلومات لدى افراده لن يصاب ابدا بالاحباط والعجز على عتبة الندرة ، والمعلومات تفتح املا للنمو بلا حدود .

ويرتبط بهذا امر آخر لا يقل خطورة . فعلى حين ان المادة لا تقبل الاضافة بمعنى ان مزيدا من الاشياء لمزيد من الناس تعني بالضرورة نقصا في الاشياء لشخص

أخر . فالسلعة اما لي او لك ، ولكنها لا تكون لنا معا في نفس الوقت ، اما المعلومات فانها تتمتع بخاصية فريدة ، وهي القابلية للاضافة ، فنقل المعرفة من المعلم يزيد التلاميذ علما ولاينقص علم الاستاذ ويرتبط بذلك ان عالم الاشياء بطبيعته يخلق سوءا في توزيع الثروات ، لأن استئثار البعض بقدر من الثروة يحرم الآخرين من الاستمتاع بها . اما المعلومات فهي تخلق عالما يميل بطبعه الى المساواة في التوزيع بين الافراد ، فمزيد من المعرفة لافراد آخرين لا ينقص استمتاع احد ، بل لعله يزيد هذا الاستمتاع ، فكم تزيد متعة من يحب الموسيقي او الفنون بازدياد عدد من يشاركونه هذا الحب .

مجتمع جديد

ويرتبط انتقال المعلومات بين الافراد بقيمة اخرى وهي الاستحقاق ، فالمعلومات لا تنتقل ولا تسلم بين الافراد او فيما بين الاجيال ، وانما لابد من اكتسابها وتعلمها . فعلى حين ان الثروة تورث وتنتقل بين الافراد دون جهد فان المعلومات لابد وان تكتسب باستحقاق .

واذا نظرنا الى اوضاع الدول الفقيرة ومقارنتها بالدول الغنية نجد ان قصور الاولى في اللحاق بالثانية يرجع الى حد كبير الى الوضع النسبي الذي بدأت به هذه الدول . فالدول الصناعية ـ وقد بدأت التراكم الرأسمالي منذ قرنين ـ قد تركت لابنائها تركة هائلة من القواعد الاساسية ومن الطاقة الانتاجية في شكل طرق ومصانع وغير ذلك ، مما يجعل تقدمها أمرا ميسورا أما الدول الفقيرة فانها تبدأ من الصفر تقريبا ولا يخفى أن لهذا الأمر تأثيرا بالغ السوء للشعور بالاحباط المستمر واليأس من ملاحقة الأغنياء .

ولكن اذ لاحظنا أن توفير الحاجات الأساسية ليس مشكلة ضخمة لتلك الدول ، فان امكانية السبق في عالم المعلومات تفتح آفاقا للامل والنجاح لهذه الدول وبذلك يكون في امكان هذه الدول ان تحقق نتائج تستطيع ان تفخر بها ، بدلا من هذا الشعور المستمر بالعجز والاحباط . فضلا عن ان النجاح في عالم المعلومات لا يمكن الا أن يتم بناء على الاعتماد على النفس ولا تصلح فيه هبات او قروض .

ان البحث عن مجتمع يحقق مزيدا من التوازن بين المعلومات والمادة يتطلب تحرير المعلومات من عبودية المادة ، بحيث تصبح هدفا ايضا من اهداف المجتمع ، وليس مجرد وسيلة .

على انه ينبغي ان نتذكر ان نمو اقتصاد المعلومات لا يمكن ان يتم دون اساس من المادة . فالمعلومات تتطلب ـ وخصوصا الان ـ بنية اساسية لنقلها وحفظها وتطويرها . فالامر لا يحتاج فقط الى مدارس ومكتبات ، ولكنه يتطلب بنية اساسية هامة من اساليب الاتصال والمواصلات . فاجهزة الحاسبات الالكترونية اصبحت امرا ضروريا لعالم يقوم على تنظيم المعلومات وشبكات المواصلات السلكية واللاسلكية والاذاعة والتلفزيون .... كل ذلك اصبح جزءا من عالم المعلومات لامناص من توافره اذا أريد لمجتمع أن يعطي للمعلومات ما تستحقه من عناية واهمية ، وهذه امور تتعلق بالانتاج المادي للاشياء . مما يميز مجتمع المعلومات ـ ليس في انفصام العلاقة بين المعلومات والمادة ، فهي علاقة دائمة في ترتيب اولويات واهداف المجتمع .

المطلوب خلق مجتمع جديد يستند الى قيم تضع المعاني الذهنية والفنية في مرتبة عليا من اهتمام الانسان ، ولا تجعل السعي وراء حيازة الاشياء الامر الوحيد الجدير بالاهتمام . ومتى توافرت القيم الجديدة فان الانطلاق في عالم المعلومات قد يفتح للانسان مجالا للنمو بلا حدود ، وللنجاح بلا حدود ، وللنجاح بلا ظلم .

ضبط المعلومات لازم

على ان الامر لا يخلو من محاذير اذا لم توضع الضوابط والقيود . فالمعلومات حقا وسيلة لتحرير الاذهان ، ولكنها اذا لم يتحقق لها الضوابط الحقيقية قد تنقلب الى وسيلة للسيطرة على الافراد والقضاء على حرياتهم .

المعلومات اداة للتحرر ما دامت متاحة للجميع يساهمون فيها اسهاما خلاقا ، ولكنها قد تنقلب الى وبال شديد فيما اذا قامت دكتاتورية واستخدمت ماكينة المعلومات لتشكيل اذهان الافراد واخضاعهم بدلا من تحريرها . ولذلك فان قضية المعلومات لا بد وان تستمر جنبا الى جنب مع قضية المشاركة والديمقراطية بل ان الديمقراطية الصحيحة لا يمكن ان تقوم بلا معلومات كافية . كما ان اجهزة المعلومات في غيبة الديمقراطية قد تصبح كارثة على الحرية .

العالم الثالث يحتاج الى نظام جديد للمعلومات ولكنه يحتاج بنفس القوة الى اعادة النظر في اهدافه من النمو وفي مزيد من المشاركة . ■■

د . حازم الببلاوي

محاكم التفتيش

أسوأ استخدام لاسم الله !

بقلم : الدكتور عبد العظيم رمضان

محاكم التفتيش اسم رهيب في التاريخ الوسيط والحديث ، يقترن باضطهاد الفكر والرأي المخالف ، لا يذكره الناس الا ارتسمت في أذهانهم على الفور صور القسوة البالغة ، والتعذيب الوحشي ، والتصفية الجسدية ، والموت حرقا لكل من يحمل عقيدة مخالفة أو مذهبا معارضا أو رأيا مناهضا للرأي الموجود في السلطة ، سواء أكانت هذه السلطة دينية أم دنيوية .

وهذا الاسم يثير تلك المفارقة الغريبة بين الدين ورجال الدين . فقد بعث الله بالدين لسعادة البشر بدعوتهم الى المحبة والتسامح والتكافل ، وتحول هذا الدين على أيدي رجال الدين في كثير من حقب التاريخ الى أداة قمع رهيبة جبارة تفتقر كل الافتقار الى المحبة والتسامح والتكافل ، وترتكب كل الجرائم تحت اسم حماية هذه المبادىء ! . وهذه المفارقة لا تقتصر على الدين ورجال الدين ، بل تمتد الى أي مبدأ ، ورجال هذا المبدأ . فقد أثبت التاريخ أن أشنع الجرائم ترتكب باسم أنبل المبادىء ، وعلى يد رجال هذه المبادىء أنفسهم والداعين لها ! . فقد ارتكبت « جرائم عهد الارهاب » في فرنسا على أيدي أصحاب مبادىء الحرية والاخاء والمساواة ، وارتكب « بول بوت » جرائمه في كمبوديا باسم نفس المبادىء التي تدعو الى حرية الانسان الاقتصادية والسياسية ، ويرتكب الحكام السياسيون جرائم اضطهاد الرأى المعارض تحت أسمى المبادىء الانسانية وشعارات حماية مصالح البلاد وحريتها وكرامتها ، بل باسم حماية الديمقراطية .

لاضطهاد المسيحين اولا

محاكم التفتيش Inquisition ، اصطلاح مشتق من كلمة لاتينية هي Inquirere ، ومعناها : يبحث ، يتقصى ، يفتش . وقد أسسها البابا لوسيوس الثالث ثم انوسنت الثالث ، وخاصة في المجمع اللاتيراني الرابع سنة ١٢١٥ ، واستمرت في قمع الفكر المخالف بالحديد والنار والارهاب عدة قرون .

ويرتبط اسم محاكم التفتيش في أذهان الشرق الاسلامي باضطهاد المسلمين على يد الكنيسة في اسبانيا ، وهذا غير صحيح ، فقد نشأت محاكم التفتيش أصلا لاضطهاد المسيحيين المخالفين لرأي الكنيسة ، ثم انتقل الاضطهاد الى المسلمين .

ويرجع اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لرأى المخالفين لها الى أوائل العصور الوسطى . ففي سنة ٣٨٥ قبض على المفكر الاسباني بريسليان ، وأدين بسبب

آرائه . ثم أحرق بأمر الامبراطور ماكسيموس في بلدة تريف . وقد اتسمت سياسة الامبراطور فالنتيان الأول (٣٦٤ ـ ٣٧٥) وثيودوسيوس الاول (٣٧٨ ـ ٣٩٥) باضطهاد المخالفين لرأي الكنيسة ، ودمغتهم السلطة الكنسية بلفظة « الهرطقة » ، وهي كلمة يونانية الأصل معناها : الرأي المستقل أو الاجتهاد الفردي ، وقد استخدمتها الكنيسة لدمغ من لاتتفق آراؤه مع قانون الايمان الكنسي ، وما اتفق عليه في المجامع الكنسية المبكرة .

وفي بداية القرن العاشر ، بدأت موجات الاضطهاد ضد الهراطقة ، وتصاعدت هذه الموجات حتى القرن الثاني عشر ، حين أكد فقهاء القانون الكنسي ما ورد في مجموعة جستنيان من ادانة للهراطقة والحكم عليهم بالموت . على أن أول قرار بعقاب الهراطقة بالموت حرقا كان في سنة ١١٩٧ على يد بطرس الثاني ملك اراغون باسبانيا .

ويهمنا هنا أن نبرز أن تصاعد العنف ضد أصحاب الرأي المخالف قد تواكب مع تصاعد الفساد وتزايده داخل الكنيسة . فالعنف هنا ليس ظاهرة دينية لحماية الدين بقدر ما هو ظاهرة فساد ترتكب باسم الدين . وهذا شأن العنف في كل زمان ومكان . ان النظم الصالحة لا ترتكب العنف أبدا .

وسوف نستقي نماذجا عن فساد الكنيسة من الكتاب العلمي الجريء الذي كتبه الدكتور اسحق عبيد ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة عين شمس ، وهو أستاذ مسيحي ـ عن : « محاكم التفتيش ، نشأتها ونشاطها » . فهو يرجع الفساد في الكنيسة إلى القرن الحادي عشر عندما اشتبكت مع السلطة الزمنية في صراع دموي حوّل صعيد أوروبا الى ساحة من التوتر الدائم ، وفي أثناء هذا الصراع بين الأمير والكاهن خرجت البابوية عن حدود صلاحياتها ، فدخلت المعارك ولطخت يدها بالدسائس ، وذهل الناس عندما رأوا كاهن الله في زي قيصر ، ممسكا بالسيف وبيارق الحرب ، فراحوا يترحمون على السلام العالمي وعلى « مدينة الله » .

وينقل الدكتور اسحق عبيد عن المؤرخ « لي » بعض الأمثلة ، فيذكر كيف كان الأسقف ليبولد من ورمز رجلا عسكريا ظالما حتى ان أخاه خاطبه في احدى المرات قائلا : « يا أخانا الأسقف ، ان فرسان العالم الاقطاعي أقل ضراوة منك في مسلكك . لقد كنت تخاف الله قليلا قبل دخولك سلك الدين ، ولكني أراك اليوم لا تخشى السماء » ! . فرد عليه الأسقف قائلا : « عندما نلتقي يا أخي أنا وأنت في جهنم ، قد ابادلك مقعدك » ! .

كما يذكر كيف فاحت في سنة ١١٩٨ رائحة فضائح كبير أساقفة بيزانسون ، المدعو جيرارد دي روجيمونت ، وكذلك مخازي « ماهي دي لورين » أسقف تول ، الذي كان غارقا حتى أذنيه في الرشوة ورحلات الصيد ، بل انه قام في سنة ١٢١٧ باغتيال خصمه « رينوه دي سنليس » . وقد عرف عن مندوبي البابا (القاصد الرسولي) أن جيوبهم باتت تحشى بالفضة والذهب في رحلاتهم التفتيشية ، حتى شكا رهبان الداوية الى البابا اسكندر الثالث بأن القاصدين الرسوليين باتوا يعبدون صنم المال . وقد صاح روبرت جروستيست في احدى المرات في وجه البابا انوسنت الرابع قائلا : « الويل لكم من صنم المال ، ها هوذا يشتري كل شهوة مادية ، حتى في بيت الفاتيكان » .

ويذكر عن مخازي البابا اسكندر السادس (بورجيا) أنه كان مغرما بالنساء ، وكان يحيط نفسه بالراقصات ، حتى انه لم يكن ينام في فراشه بمفرده . وكان للبابا اسكندر السادس أبناء كثيرون من سفاح ، خاصة من السيدة فانوتزا التي رزق منها بكل من : قيصر ، وجان ، ولوكريس ، وجوفري . كما رزق من أخرى بكل من : جرومين ، وازابيل ، وبيارلويس ، ولورا . وكان من خليلاته السيدة جوليا فرانيزي . وكان البابا اسكندر السادس لا يتورع عن مسلك الفجور في وجود بناته وأفراد حاشيته الفاسدة ، حتى لقد أشارت بعض الأصابع اليه بالاعتداء على المحارم . كما اشتهر عن بورجيا ، مثلما قيل عن سلفه سكستوس ، بالولع الغلمان . وكان هذا البابا يبيع منصب الكرادلة بالمال ، وقد بلغت الرشوة في هذا المنصب مبلغ مليون ومائتي ألف مارك من الذهب . ولم يكن بورجيا يتورع عن دس السم لمن يريد التخلص منه من معارفه ليرث أملاكه . ولم يسلم من هذا الجرم علماني أو رجل دين في روما . وقد ذاع عن « سم » بورجيا اسم خاص هو « كانتا ريللا » ، وكان يعده صيادلة مرموقون في روما .

مواجهة دعوات التغيير

على هذا النحو « ـ كما يقول الدكتور اسحق عبيد ـ » تردى الفاتيكان وسيده وكرادلته . ولذلك فان صيحة الاصلاح أخذت تعلو في عنان السماء تطالب بالتغيير وتبشر بفجر جديد . ولم تفلح أساليب الارهاب

والقمع في تعطيل مسار التاريخ والانعتاق من أغلال الكنيسة الرومانية ».

وقد بدأت حركة الغضب العامة ضد الكنيسة في القرن الثاني عشر. وامتدت هذه الحركة الى ربوع البلقان وشمال ووسط ايطاليا، وجنوب فرنسا، واسبانيا، وبلاد الراين، والاراضي المنخفضة، وأواسط ألمانيا. وعرفت غالبية المتمردين الساخطين باسم « الأطهار » أو « الأنقياء ».

وسرعان ما هبت الكنيسة لاضطهاد خصومها والتنكيل بهم. فقد عقد مجمع اللاتيران سنة ١١٧٩ برئاسة البابا اسكندر الثالث، وأصدر ضد هذه الجماعات قرارا « باللعنة »، وحرض السلطات العلمانية على حمل السلاح ضد هؤلاء الخصوم وشن حربا « صليبية » ضدهم. وفي مجمع فيرونا المنعقد سنة ١١٨٤ برئاسة لوسيوس الثالث وحضور الامبراطور الروماني المقدس فردريك بربروسة، اتخذ قرار بمطاردة « الأطهار »، وتسليم المهرطقين الى السلطات المدنية للقصاص، وكلف كبار رجال الدين بالتفتيش عن أفراد هذه الجماعات بمساعدة الجواسيس للقبض عليهم، وهدد من يقصر منهم في أداء هذا العمل بقرار الحرمان لذاته وقطع املاكه. وفي سنة ١٢٣١ قرر البابا جريجوري التاسع تعيين الرهبان الدومينيكان لمحاربة الهرطقة، مع عدم حرمان الأساقفة من حق التفتيش عنهم. ومعنى ذلك ان البابوية قد وضعت محاكم التفتيش كلية تحت سيطرتها المباشرة مستعينة في هذا بأداتها الطيعة من رهبان الفرنسيسكان والدومنيكان.

وفي عهد الملك الفرنسي لويس التاسع، تقرر أن تقبض السلطات الكنسية للتفتيش على المتهم وتحاكمه، واذا تمت ادانته تسلمه الى السلطات الزمنية « لاحراقه بالنار ». وقد عين لويس التاسع « روبرت لي بوجر » مفتشا كنسيا عاما على الشمال الفرنسي، فأخذ هذا يمارس أساليب القمع الوحشية باسم الملكية الفرنسية والبابوية معا.

وسرعان ما انتقلت محاكم التفتيش الى كل أنحاء اوروبا. ففي سنة ١٢٣٨ أصدر الامبراطور فردريك الثاني قرارا ملكيا بتعميم تحريم الهرطقة على أرجاء امبراطوريته الرومانية المقدسة، وعقاب المراطقة بالموت. وفي صقلية سيطر فردريك الثاني بنفسه على محاكم التفتيش، وكان يضم أملاك وأموال من تتم ادانتهم الى خزانته الملكية. وانتقل النشاط من ألمانيا الى بوهيميا والمجر والبلاد السلافونية، ثم الى اسكندناوة وانجلترا، بل وصل ايضا الى بيت المقدس. وفي اسبانيا قرر الملك جيمس في مايو ١٢٣٢ استدعاء المفتشين الكنسيين الى بلاده لتطهيرها من الهراطقة.

ومن الغريب أن أهم سمة تميز جمعات المخالفين في أوروبا الذين كانوا يعاقبون بالموت باسم الهرطقة، كانت تتفق مع جوهر الدين الصحيح، وهي سمة « الزهد والدعوة الى البساطة الاولى ». وقد ورد على لسان واحد منهم أثناء محاكمته في بلدة دوفيني سنة ١٤٨٨: « نحن قوم مؤمنون، وخدام للملك ومسيحيون حقيقيون. لسنا نريد أبدا أن تقلد هؤلاء الذين وطئوا بأقدامهم الانجيل أو أولئك الذين نبذوا تراث الرسوليين. انما نحن ننشد حياة تقوم على الزهد والطهر كما كانت في الايام الاولى للايمان الصحيح ».

على أن خطورة هذا الفكر هو أنه ظهر في وقت كانت قد تردت فيه الكنيسة في بيع المناصب الدينية وزواج رجال الدين، وافتضحت البابوية وكبار الأساقفة والأساقفة، وطرحت قضية الاكليروس على بساط الشك من أساسها. وبالتالي أصبح هذا الفكر يهدد مصالح استقرت للكنيسة ونظاما يوفر لرجال الكنيسة كل ألوان الترف والاقبال على الدنيا تحت ستار الدين. وبات من الضروري مقاومته وتصفيته بحجة حماية الدين.

فقهاء كل زمان

وكما هي العادة ـ التي استقرت على مدى التاريخ الى عصرنا الحاضر! ـ فقد أخذت الكنيسة تستعين بالمنظرين لضرب الخصوم على أساس نظري يخدع الناس. فقد أقر فقهاء القانون الكنسي عقوبة الموت للهراطقة، وسار على هدى فتواهم كبار الاساقفة وبعض الملوك، قبل أن يقر الاعدام رسميا في مجمع اللاتيران سنة ١٢١٥. وكانت الحجة النظريةالتي أعلنها البابا انوسنت الثالث أنه « اذا كان العيب في الذات الملكية يتوجب القصاص بالموت، فكم بالأحرى يكون ذلك على من يتطاولون على الله من الهراطقة »! . وقد برر « توما الاكويني » هذه العقوبة بقوله: اذا كان القانون يعرض مزيف المال للموت، فكم هو حرى اعدام الهراطقة. ان افساد العقيدة التي تتصل بالروح أخطر من جريمة تزييف النقود! ». ويستند توما الاكويني في نظريته على ما ورد في الكتب المقدسة، كما هي العادة في أمثال هذه الحالات حتى الآن ـ ومنها: إن كان أحد لا يثبت في، يطرح خارجا كالغصن، فيجفف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق »!

وكانت اجراءات محاكم التفتيش تسير وفق قواعد نظمها البابا جر يجوري التاسع على النحو الآتي :

(١) التوجه الى البقعة المعينة (٢) الاتصال بأهل الثقة في البلدة للاستنارة بفكرة عامة عن الأحوال (٣) القبض على المشكوك في أمرهم (٤) الاستعانة بالشهود (٥) التثبت من الادانة (٦) الدفاع (٧) السجن (٨) التعذيب (٩) الحكم العلني ، مقرونا بالوعظ والارشاد لاهل البلدة .

وكانت محكمة التفتيش عندما تحل ببلدة ما ، يقوم مفتشها الكنسي (القاضي) بالقاء موعظة عامة على مسامع أهل البلدة ، يدعو فيها من تساوره افكار مهرطقة الى المبادرة بالاعتراف والندم طواعية أمام المحكمة ، ويمهل هؤلاء شهرا على أكثر تقدير . وقد عرفت هذه المهلة باسم « مهلة الرحمة والغفران » .

وقد نجحت أساليب محاكم التفتيش في جر الأب لأن يشهد على ابنه ، والابن على أبويه ، والزوج ضد زوجته ، والزوجة على رجلها . وقد هنأ البابا جريجوري التاسع في احدى المرات المفتش الكنسي العام في شمال فرنسا على « نجاحه المقطع النظير في ارهاب الناس حتى شهد الكثيرون ضد ذويهم من لحمهم ودمهم ! » .

وكانت وظيفة الدفاع تنحصر في التثبت من صحة الاتهامات ، وليس الدفاع عن موكليه . ومعنى ذلك أن مهمته لم تكن تفترق كثيرا عن مهمة المحكمة نفسها .

المؤبد او الموت

ووفقا لدراسة الدكتور اسحق عبيد العلمية التي استند في معظمها على المراجع اللاتينية بكفاءة ومقدرة ، فان تكوين محكمة التفتيش كان على الوجه الاتي : المفتش العام ، ونائب المفتش ، والمسجل القانوني ، والمستشار القانوني ، والحليف ، والمحلفون .

وكان المفتش العام يمثل سلطة القاضي ، وهو مفوض البابوية ويستمد منها صلاحياته . وهذا المفتش الكنسي هو الذي يوجه الاتهام ، ويحكم في القضايا ، ويصدر أحكام الادانة . وجميع الاراضي التي يقوم فيها المفتش الكنسي بالعمل تصبح طيعة لأوامره دون تدخل من أساقفتها أو أمرائها الاقطاعيين أو قضاتها المدنيين ، بحكم تمثيله للبابا . وقد هددت هذه السلطة الجسيمة الأساقفة المحليين بضياع هيبتهم أمام رعاياهم ، فلم يجدوا سوى أن يهرعوا لمعاونة محاكم التفتيش حفظا لهذه الهيبة . وقد نظم مجمع فينا المنعقد في سنة ١٣١٢ العلاقة بين الأساقفة ومحاكم التفتيش ، فأذن للأساقفة كل في ابروشيته باقامة سجون خاصة لايداع من تثبت ادانتهم من الهراطقة .

أما « الحليف » ، فقد كان عادة من رجال الدومنكان أو الفرنسكان ، يختاره المفتش الكنسي لمعاونته في حيثيات التفتيش جميعا ، وهو يسكن معه ويقوم على شئون حياته الخاصة ويصحبه الى روما لانجاز الأعمال في البلاط البابوي . أما « المحلفون » فهم نفر مختار من رجال الدين والعلمانيين ، للاستفادة بآرائهم ولاستكمال ما قد ينقص المحكمة من معلومات .

وكانت المحكمة تستعين بعدد من المخبرين السريين ، يسافرون متنكرين الى خارج البلاد لتعقب الهراطقة الهاربين .وقد ابتدع هؤلاء المخبرون ذلك التقليد الذي سار عليه رجال المخابرات المعاصرون الحاليون من الانضمام الى الفئات المهرطقة للتحقق من تعاليمهم وأسماء الأعضاء ، ثم العودة الى المحكمة للادلاء بآرائهم ضد المتهمين . وكان هؤلاء على علم بخفايا جماعات الاطهار وبممارساتهم الخفية قبل العلنية ، وكانوا أكثر قسوة ووطأة عليهم .

وكان لمحكمة التفتيش الحق كل الحق في استخدام أساليب الارهاب والتعذيب لكي تحصل من المتهم على الاعتراف بذنبه . وكانت الذريعة التي تتذرع بها المحكمة في استخدام هذا الأسلوب هو ان « البلاء يفتح الافواه المغلقة للاعتراف » ! .

وقد جرت العادة احتجاز المتهم في سجن ضيق خشن يقيد فيه بالاغلال ويحرم من الطعام والشراب والنوم . وكانت هذه الزنزانات لا تسمح لمن فيها بمجرد الوقوف على القدمين ! . واذا فشلت هذه السبل ، تلجأ المحكمة الى درجات أشد وأقصى من صنوف التعذيب ، منها تعليق المتهم من يديه ورجليه على الحائط ، ومنها دفع المتهم الى مكان عال والقائه ليهوي الى الأرض ، ومنها أيضا الكي بشعلة ملتهبة ، وأيضا طرح المتهم على منصة في وضع مثلث مع ربطه بحبل يلتف على شكل عقد حول جميع أعضاء جسمه ، وينتهي برافعة لتمزيق جسده . وعرف من وسائل التعذيب تعريض قدمي المتهم ، بعد أن تطليا بالشحم ، الى نار ملتهبة ، ثم يظهر المفتش لانتزاع الاعتراف . وفي كثير من الحالات كان الكثير يموتون قبل الادلاء بأي اعتراف .

وكانت العقوبات التي تقررها محكمة التفتيش تنحصر في حكمين : اما السجن المؤبد ، أو الموت .

في دار الآمنين

وكان السجن لمن يعترف بإثمه واستعداده للتوبة، وكان أقسى من الموت نفسه. فكان المحكوم عليه يلقي في زنزانة قذرة موثق القدمين لا ينال من الطعام سوى كسرة من الخبز وقدح من الماء، كان يطلق عليه: «خبز الأحزان وماء التعاسة»! ويلقي من خلال طاقة صغيرة. ومع ذلك كان يكتب على بوابة الزنزانة: «دار الآمنين»!.

وقد عمدت محاكم التفتيش الى مصادرة أموال المحكوم عليهم وأملاكهم! وهذا الموقف المتعنت يجافي ما ورد في القانون الروماني الذي يعطي الحق لابناء المحكوم عليهم في الميراث، طالما أن هؤلاء الأبناء ابرياء. كما لجأت البابوية الى هدم منازل الهراطقة ونواديهم من أساسها. بل لقد ذهب البابا انوسنت الرابع في ١٥ مايو ١٢٥٢ الى الأمر بهدم المنازل المجاورة لمنزل المحكوم عليهم، خشية أن تكون قد تلوثت بوباء الهرطقة!. ولما هدد هذا الامر بازالة المدن والقرى، ألغي بعد سبع سنوات.

وفي تلك الأثناء كانت أسبانيا تخرج من أيدي المسلمين الى أيد المسيحيين، ولكن الاسلام كان صامدا في نفوس الناس، فاحتاج الامر الى محاكم التفتيش في الوقت الذي كانت تكاد تختفي من الوجود. فقد طلبت اسبانيا من البابا سكستوس الرابع ادخالها في البلاد لمكافحة المسلمين واليهود في شبه جزيرة ايبريا، وأجاب البابا هذه الرغبة في نوفمبر ١٤٧٧. وفي السنوات التالية نالت محاكم التفتيش الاسبانية شهرة كبيرة في التنكيل بالمسلمين، كما خرجت منذ عام ١٤٧٧ من رقابة البابا، وأصبحت تحت سلطة التاج الاسباني مباشرة الذي أخذ يوجه نشاطها حتى تمكنت من اجتثاث كل عقيدة مخالفة وكل رأي مخالف، وأصبحت الكنيسة الكاثوليكية بمأمن من الاخطار.

وقد انتهت محاكم التفتيش في أوروبا بعد أن أفلحت في تحقيق أغراضها والقضاء على خصومها بطريق التعذيب والاضطهاد، ولكن نفس الفكرة التي قامت عليها، وهي فكرة تعذيب واضطهاد خصوم الفكر والرأي لم تنته بل انتقلت الى أيدي السلطات العلمانية، فأصبحت تقليدا من تقاليد النظم الأوتوقراطية والدكتاتورية يعاني منه المفكرون والكتاب وأصحاب الرأي في كل زمان ومكان. ■■

القاهرة . د. عبد العظيم رمضان

خجلان

دعى «جون» لكي يحضر جنازة الزوجة الثالثة لجاره فلم يذهب فسألته زوجته: ولكن لماذا لا تذهب لجنازة هذه الزوجة وقد اشتركت في جنازة الزوجتين السابقتين؟

ـ حسنا يا عزيزتي ماري، انني اشعر بشيء من الخجل اذ البي دعوات جارنا العزيز دون أن ادعوه انا مرة واحدة لمثل ما يدعونا اليه.

سكر ... وضرب ... وقتل

تقول اسطورة عربية ان الشيطان قال ذات مرة لاحد الاشخاص «انك على وشك الموت ولا بد لانقاذ حياتك من ان تختار بين ثلاث: اما ان تقتل خادمك او تضرب زوجتك او تشرب هذه الكأس من الخمر».

اجاب الرجل «دعني افكر»: ان قتل خادمي الامين خطيئة كبرى، وضرب زوجتي بدون ذنب عمل لا استطيع الاقدام عليه. دعني اشرب هذه الكأس. ولما شربها .. سكر فضرب زوجته وقتل خادمه حينما حاول تخليصها ..!

كتاب الاغاني في كلمات

لكتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني قيمة فنية كبرى وقد حفل بالنوادر والفكاهات والاقاصيص التاريخية المليئة بالحياة، في اسلوب شديد الروعة، يتوثب انطلاقا ويتقلب مع نبضات الحياة خفيفا سريعا، شديد التلون، شديد الواقعية، شديد المراعاة لمقتضى الحال، ينطلق بلسان كل انسان في نزعاته المختلفة، وعقليته الخاصة ولهجته الخاصة ...

مفاتيح الحياة وأقفالها

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

من كتاب الكون العظيم نوالي تقليب الصفحات ، لنطلع على آيات في الخلق من وراء آيات .. وفي كل آية منه علامة على عظمة الأفكار ، ودقة الاخراج ، وجمال التنسيق ، وروعة البناء .. حتى لكأنما نحن نشهد تجليات الخالق ـ « الذى خلق فسوّى ، والذى قدّر فهدى » ـ وهى تعلن عن وحدانيته التي تنعكس على وحدة الوجود ، ووحدة الفكرة التي يراها العلماء باطنا ، رغم اختلافها ـ أمام أعين الناس ـ ظاهرا .. والباطن هو الأساس ، وهو الجوهر الذى يرينا « مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت » .. ولن يتحقق لنا معنى ذلك ، الا اذا رأينا بدورنا ما تنطوى عليه صفحات هذا السجل من أفكار تجسدت في نظم أصغر ، لتتآلف في نظم أكبر وأكبر .

ما هى ـ اذن ـ مفاتيح الحياة وأقفالها التي اتخذناها عنوانا للمقال ؟

الواقع أن هذه المفاتيح والأقفال تتمثل لنا في عالم يخفي عن عيوننا وعيون الميكروسكوبات ـ الضوئية منها والاليكترونية .. انه عالم البروتينات الذى تبنيه كل خلية حسب « بروجرام » دقيق مسجل في نواتها .. فالبروتين هو حجر الاساس الذى تقوم عليه أعمدة الحياة ، بداية من الميكروب الضئيل ، ونهاية بالانسان العظيم ، أو ما بين هذا وذاك من سائر أنواع النبات والحيوان !

فالبروتينات جزيئات كيميائية عضوية ، منها الصغير والمتوسط والكبير والعملاق ، وكل يأتي حسب خطة محدودة ، وتوليفة مقدرة ، ليؤدي عملية معينة ، فلا يشاركه فيها بروتين سواه .. اذ يكفي أن نذكر هنا أن جسم الانسان يحوى أكثر من مائة ألف نوع من البروتين ، وكل بروتين يعرف رسالته وتخصصه الدقيق ، ولابد ـ والحال كذلك ـ من سياسة وقيادة محكمة ، حتى لا تسرى العمليات هكذا جزافا ، أو بدون ضابط أو رابط ، والا كانت الفوضى ، والحياة لا يمكن أن تقوم على فوضى .. « لو كنتم تعلمون » !

لكن .. ما دخل كل هذا بالمفاتيح والأقفال ؟

لأن البروتين يقوم أساسا على هذه الفكرة التي أردنا

تبسيطها من واقع عالمنا بالقفل والمفتاح ، فكما أن لكل قفل مفتاحه الخاص الذي يغلقه ويفتحه ، كذلك كان لكل مادة أو تفاعل في الخلية الحية ، أقفالها ومفاتيحها .. لكنها ـ والحق يقال ـ من أبدع وأروع ما تمخضت عنه فكرة الخلق من « هندسة » فراغية وتشكيلية وتصميمية .. الخ .

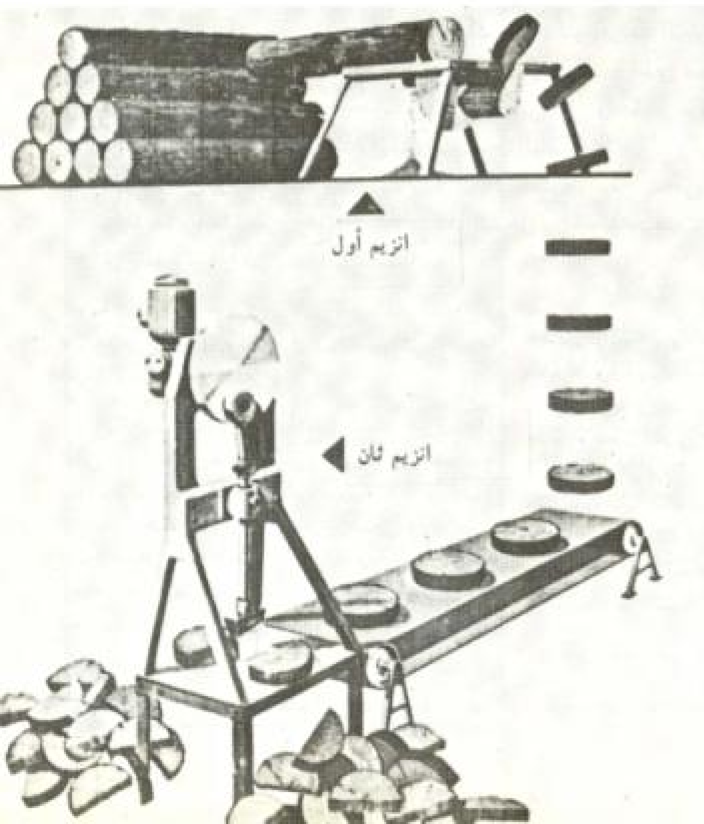
الموضوع طويل جدا ، وعويص جدا ، وكتبت فيه عشرات فوق عشرات من المجلدات ، ولا يزال العلماء يكتشفون ويسجلون ويكتبون ، وكأنما هم يغوصون في بحر ليس له من قرار ، ومنه يحصلون على كم ضخم من الأسرار ، ولهذا فان أية محاولة هنا لعرض الموضوع عرضا أمينا ، لا شك محاولة جد متواضعة ، وعلينا ـ اذن ـ أن نتناول العموميات ، علنا نحصل على قطرة من بحر الألغاز التي يتضمنها كتاب الكون المجيد !

بنايات بروتينية بخطط ومواصفات !

لكي نستوعب ما ينطوي عليه هذا العالم الدقيق ـ عالم الجزيئات البروتينية ـ فلا أقل من أن نتمعن قليلا في المباني التي يصممها البشر .. المبنى يتكون من وحدات .. طوب أو حجارة أو خرسانة مسلحة أو ما شابه ذلك . لكن المهم في النماذج المختلفة التي جاءت بها تلك المباني .. صغيرها وكبيرها ، رغم أنها بنيت جميعا من الوحدات الصغيرة التي أشرنا اليها .

وطبيعي أن الانسان من وراء هذه الانشاءات .. أي أن هناك خططا وتصميمات قد نخطها على الورق أولا ، ثم تنفذ بعد ذلك على الطبيعة ، لنراها على هيئة بيوت أو عمارات أو مرافق شتى .. فتكون الأحياء الكثيرة التي تتكون منها مدينة كبيرة !

والخلية الحية أيضا تضع الخطط والتصميمات اللازمة لبناء مرافقها الداخلية ، وأسوارها التي تحدد بها معالمها .. ولكي تبنى « مدينتها » الدقيقة ، كان لابد من وجود خامات للبناء ، لكن هذه الخامات لا تبني نفسها ، بل لابد من وجود بنائين متخصصين لكل عملية ، والبناؤون بدورهم لهم مؤهلات ومواصفات دقيقة غاية الدقة ، حتى تأتي البنايات نموذجية .. وبناؤو الخلية الحية يتمثلون لنا في رتبة خاصة من البروتينات ..



يمكن تشبيه عمل الانزيمات على الجزيئات المعقدة بآلة نشر او تقطيع الكتل الخشبية الى أقراص ثم تقطيع الأقراص الى أنصاف وهكذا .. فجزىء النشا مثلا يتكون من سلاسل سكرية معقدة ، فيأتي انزيم ويحولها الى سكر ثنائي ، ثم يتبعه انزيم اخر ويحول الثنائي الى أحادى بفصله الى نصفين .

هي الخمائر أو الانزيمات ، وهذه بدورها تقوم بدور العمال المجهولين الذين يبنون الجديد ، أو قد يهدمون القديم ، وكل شيء يسري بحساب ومقدار !

ولا شك أن المقارنة بين ما يجري في داخل هذه « المدينة » الحية الدقيقة ، وبين ما يجري في مدننا العظيمة ، لا شك انها مقارنة مجحفة ، اذ لو تخيلنا أننا كبرنا الخلية الحية بلايين فوق بلايين من المرات ، علنا نشهد الحركة الدائبة التي تدبر بها مرافق ملكوتها الصغير ، لتوارى البشر خجلا ، حتى ولو أعجبتهم مدنهم بما فيها من ادارات وخطط وتنظيمات ومؤهلات ومرافق تخدم بعضها بعضا .. لكن هذا قد يبدو شيئا بدائيا بالنسبة لما يجري داخل خلية حية ، ولا وجه للمقارنة ـ اذن ـ بين ما شيد الانسان ، وما شيد الله ، ليسري به طوفان الحياة !

ولكي يتضح لنا المعنى فيما قدمنا فأوجزنا ، كان لزاما علينا أن نمر مرا سريعا على ما تحتويه الخلية الحية ، من نظم دقيقة مازلنا نتوه في تفاصيلها أعظم تيه .. فللخلية سور أو غشاء دقيق ، ولكي يبنى هذا السور بمواصفات تؤهله لرسالته ، كان لابد من خطة وتنفيذ .. الخطة موجودة على جينة أو جينات (مورثة أو مورثات) .. الجينات في كروموسومات .. الكروموسومات في نواة .. النواة ـ بدورها ـ هي عقل الخلية المدبر ، أو ادارة التخطيط العليا التي تحتفظ بعشرات الالوف من الملفات .. ولكل عملية ملف أو « دوسيه » خاص .. فعند بناء « السور » الخلوي ، أو ترميمه وصيانته ، « تفتح » الادارة الملف الكيميائي الوراثي الخاص به ، وتطبع منه آلاف الصور ، وبها يخرج مبعوثون الى ساحة الخلية ، وعلى « مطابعها » الكامنة فيها ، « تطبع » الأمر مستخدمة في ذلك أحماضا أمينية مختلفة ، فيتراص الحامض الأميني بجوار الآخر ، ويتشابك معه ، كما تتراص حروفنا في كلمات وفقرات ، وبعد انتهاء طبع الأمر ، يخرج المطبوع على هيئة انزيم (خميرة) أو انزيمات بالمواصفات المضبوطة والمتخصصة تماما في بناء السور أو ترميمه ، وليصبح مطابقا لكل سور أتى قبله ، أو سيأتي من بعده لهذه الخلية أو تلك .. فأسوار خلايا الكبد مثلا ، غير أسوار خلايا المخ ، غير أسوار خلايا العضلات أو الأمعاء أو الكلية أو الرئة ... الخ ... الخ ، ذلك أن كل خلية تصمم سورها بما يتناسب مع نوعها ووظيفتها (راجع مقالنا) « لغز أسوار الحياة » على صفحات هذه المجلة ـ العدد ٢٤٦ ـ مايو ١٩٧٩ ، وكذلك « نحن كتب مكتوبة » .. « ومطابع الحياة » .. في العددين السابقين) .

ومن داخل هذا السور الخلوي أسوار وأسوار ، فللنواة سورها ، وللمطابع أسوارها ، ولمحطات القوى أسوارها ، وللقنوات الدقيقة التي تتخلل مادة الحياة أسوارها ـ الى آخر هذه المرافق الحيوية التي جاءت بدورها وكأنما هي بنايات من داخل بنايات ، ولكل بناء سور خاص مناسب تماما للمهمة المكلف بها ، لكي تسري الحياة بنظام موزون في هذا الكون الدقيق .

والواقع أن الخلية الحية تحتوي على آلاف الأنواع من الانزيمات ، وكل نوع ينتشر في ساحتها بالآلاف .. اى أن هناك ملايين فوق ملايين من « عمال » مهرة ، تراهم دائبي الحركة ، لينظموا جماهير جزيئية أقل شأنا ، وأكثر عددا ، فاذا بالفوضى الظاهرية ، تتحول الى نظام .. النظام الى مجتمعات .. المجتمعات الى حياة متألقة في الخلية ، ثم النسيج والعضو والمخلوق ككل !

البروتين .. رتب وفصائل !

وأنواع البروتينات لا تكاد تعد أو تحصى .. وهي تختلف باختلاف المضمون والوظيفة ونوع التفاعل الحيوي المطلوب أداؤه .. فأحيانا نراها تفك وتربط ، أو تهدم وتبني ، أو تنظم عملية في داخل الخلية ، او تسرع بتفاعل ، أو تغلق ملفا (جينة أو مورثة) بعد أداء المهمة ، أو تمتص جزءا من الطاقة ، أو تطلق أخرى ، أو تؤكسد تفاعلا ، أو تختزل آخر ، أو تدافع عن الجسم اذا غزاه ميكروب ... الخ ... الخ !

ولكي نوضح أكثر .. خذ لذلك مثلا ومثلا !

فهناك البروتين البنائي أو الانشائي .. فالظفر أو المخلب أو الشعر أو الصوف ... الخ ، تتكون من بروتينات مختلفة ، انتظمت بطريقة محددة ، على حسب خطة مقدرة ، لينشأ هذا البناء أو ذاك ، فرب شعرة تدل على صاحبها ، لأنها بمثابة « بصمة » بروتينية تختلف من انسان لانسان أو من حيوان لحيوان .. وخبراء الجريمة يعرفون تفاصيل ذلك تمام المعرفة .

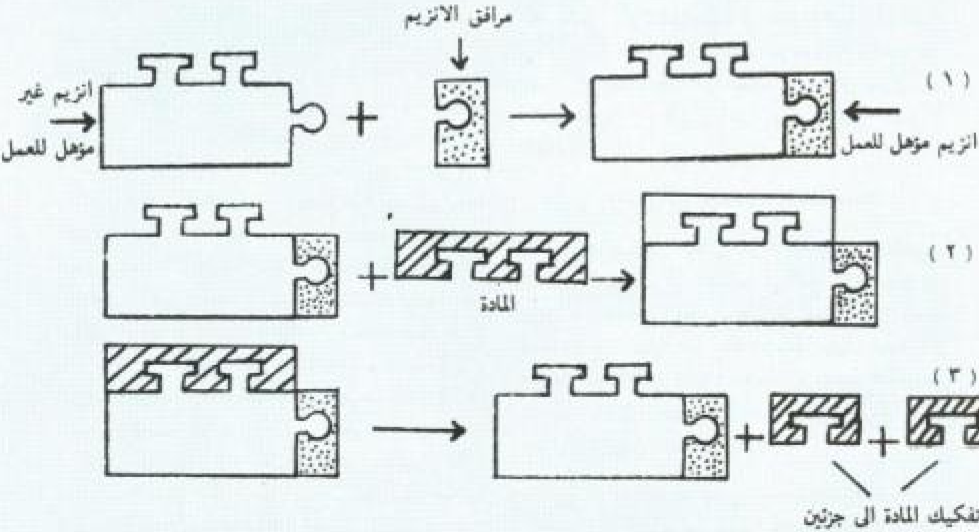
وهناك البروتين « الحربي » .. ومهمته الدفاع عن الجسم ، ويعرف أحيانا باسم الأجسام المضادة ، وهي متخصصة جدا .. فلكل نوع من الفيروسات بروتيناته « الحربية » المضادة ، وكذلك الحال مع كل انواع الميكروبات .. فاذا دخل ميكروب التيفود الى الجسم مثلا ، وتحرك هنا أو هناك بأهدابه الدقيقة المنتشرة على جسمه ، فان أجسامنا تجهز للأهداب البروتينات المضادة

التي تشلها عن الحركة ، وكذلك يوجد على جسم ميكروب التيفود اكثر من موقع استراتيجي ، ولكل موقع بروتينه المضاد الذي لا يصيب موقعا سواه .. أي كأنما أجسامنا بمثابة « ترسانة » بروتينية ، لانتاج أعداد هائلة من أنواع الاسلحة الحربية المتخصصة ـ أي البروتينات أو الاجسام المضادة .

وهناك البروتين الحاث أو الموجه أو الميسر لعمليات الحياة .. فمعظم الهرمونات بروتينات .. فالانسولين الذي ينظم عملية امتصاص السكر وحرقه ، انما هو هرمون بروتيني ، وكلنا يعلم ماذا يحدث للجسم لو غاب عنه الانسولين .. وهرمون النمو بروتين تفرزه الغدة النخامية ليشرف على عمليات النمو ، فان زاد عن حدوده ، أصبحنا عمالقة ، وان نقص ، كنا أقزاما ، والذي يتحكم في مقاديره نوع آخر من البروتينات يوجد في القيادة الخلوية (أي النواة) ، ويعرف باسم الهستونات ، فينظم لها « ادارتها » ، ليسري كل شيء بحساب ومقدار !

وهناك البروتين البناء والبروتين الهادم .. والذي يبني البروتين بروتين آخر .. فمرافق الخلية مبنية من بروتينات متراصة بنظام خاص ، كما تتراص مثلا وحدات البناء في منشآتنا ، والذي يشرف على هذه العملية الانشائية الدقيقة هي الانزيمات أو الخمائر ، وهي ـ كما سبق أن ذكرنا ـ أنواع كثيرة جدا من البروتينات .. كذلك لايهدم البروتين الا بروتين .. اللحوم التي نتناولها من بروتينات ، ولكي تهدم ، فلا بد أن يفرز الجهاز الهضمي بخلاياه المتخصصة ، الانزيمات أو الخمائر المناسبة ، ولا تزال هذه تهدم فيها وتهدم ، حتى تحولها الى وحدات أو جزيئات كيميائية بسيطة نعرفها باسم الأحماض الأمينية ، وهذه تمتص وتسري في الدماء ، فتأخذ كل خلية منها ما تشاء ، وتبنيها ـ على حسب خطة مقدرة من لدن القيادة الوراثية في النواة ـ على هيئة بروتينات وأنزيمات تناسبها دون غيرها .. ثم ان كل مادة عضوية معقدة نتناولها في طعامنا (نشويات ودهون وبروتينات ... الخ) ، لابد أن يكون لها انزيمات وخمائر متخصصة .. فالنشا مثلا يتحول الى سكريات بسيطة ، فيمتص بدوره ، ويتوجه الى الخلايا ، ليسري الى محطات « القوى » (الميتوكوندريا) .. وفيها يدخل في سلسلة طويلة من الأحداث الكيميائية المعقدة .. ربما أكثر من ١٢ خطوة ، ولكل خطوة انزيمها الذي يتكفل بها دون سواه .

وهناك البروتين المشكِّل .. وهو هنا بمثابة « الخياط »



رسم تبسيطي لفكرة عمل الانزيم

(١) لكل انزيم مرافق يتحد به ويؤهله للعمل

(٢) الانزيم مرتبطا بمرافقه + مادة يراد فكها

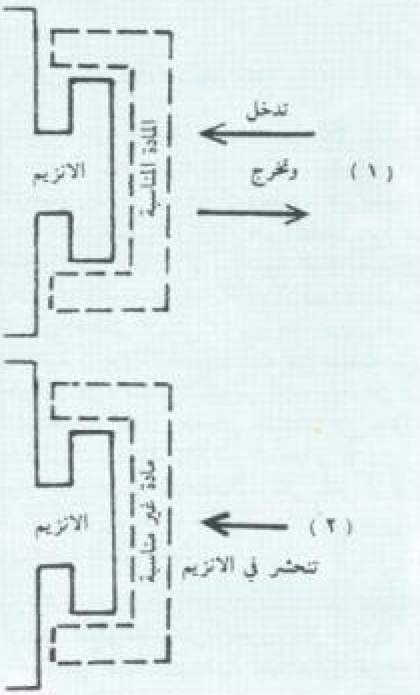
(٣) عندما تتآلف المادة مع انزيمها المناسب ، فانه يفكها او يحللها الى جزيء اصغر ، وبعدها يتحرر ليعيد الكرة على اترابها .

او الفنان التجسيدي او الكيميائي الضليع في تخصصه ، وينطوي ذلك البروتين على أنواع كثيرة جدا ، ولكل نوع حدوده التي لا يتخطاها .. فتشكيل الصبغة السمراء أو السوداء (صبغة الميلانين) على جلود البشر او الحيوانات ، تلزمها خامات او جزيئات بسيطة ، ولكي تبني هذه مع تلك من خلال حذف واضافات ، كان لا بد ان يقف انزيم متخصص لكل حذف ، وآخر لكل اضافة ، اي كأنما هذه الانزيمات بمثابة المقص او الابرة في يد الترزي او الخياط ـ هذا يطرز حللا ، وتلك تطرز جزيئات ! .. كذلك تدخل انواع اخرى من هذه الانزيمات في جمع وتوضيب وتشكيل شفرات المادة الوراثية ذاتها ، ثم تأتي مجموعة اخرى ، لتجمع الشفرات في شريط وأشرطة وراثية .. ومثل هذه العمليات تعد بالآلاف ، ولكل عملية انزيمها المتخصص فيها تخصصا دقيقا .

حتى النشاط الفكري في داخل أمخاخنا تحكمه انزيمات تغلق وتفتح وتوجه وتشحن ... الخ . الموضوع ـ كما سبق أن ذكرنا ـ طويل جدا ، وكتبت فيه عشرات من المجلدات .. وحسبنا هنا تلك « القشور » العلمية التي قدمناها ، والا خرج الموضوع من أيدينا .

تعقيدات ونظم مذهلة

وطبيعي أن العلماء لا يتعاملون مع هذه المعمعة الكيميائية الهائلة ، الا من خلال اختيار جزء ضئيل جدا مما يجرى في أنحاء الخلية ، فلا أحد ـ في الواقع ـ يستطيع أن يلم بكل تفاصيلها ، أو أن يستوعبها في عقله ، لأنها معقدة أشد التعقيد .. ففي كل لحظة قد تتم آلاف العمليات ، وهذا يعني أننا نقف أمام ملكوت دقيق انتظمت فيه أسرار ضخمة غاية الضخامة .. وفي هذا المجال يذكر لنا دكتور ستيفن وولف من جامعة كاليفورنيا في دراسة عن الخلية الحية يقول فيها « ان كل اكتشاف جديد في الكيفية التي تعمل بها هذه النظم ، يفتح لنا فيها آفاقا غير متوقعة من التعقيد والتنظيم الذي تتم به التفاعلات الجزيئية داخل الخلايا ، ولربما كانت درجة التنظيم هي أعظم المفاجآت المذهلة التي تبدو لنا من خلال نظرتنا الحديثة الى الخلية الحية . ولقد جاء زمن كانت فيه النظرية التقليدية للخلايا على أنها « أكياس » دقيقة من الانزيمات التي تعمل بدون ضابط أو رابط على المكونات الذائبة التي تحتويها ، وكأنما هذه التفاعلات تتم في الخلية كما تتم مثلا في انبوبة الاختبار .. لكن البحوث الحديثة قد أوضحت أن النظم الجزيئية قد جاءت على درجة هائلة من التنظيم ، وأن معظمها يترتب في صفوف وطوابير على أغشية رقيقة داخل الخلية ، وبحيث يبدو أن كل انزيم يتخذ موقعا محددا ، ليتفاعل بكفاءة مع جيرانه ، ولهذا فان الخلية تنظم كل مسائلها وأحوالها في المكان المناسب ، وللزمن المناسب ، أي أنها ليست « كيسا » فوضويا كما كانوا يعتقدون في الماضي .. ان حدود معرفتنا الحالية بهذه النظم تجعل العلماء يعتقدون أنهم لا يزالون على مشارف المعرفة بالتفاعلات الجزيئية والكيميائية التي تتم داخل الخلايا .. فعلماء بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الذين اكتشفوا أن الخلية هي الوحدة الاساسية للحياة ، سوف تنتابهم دهشة بالغة لو أنهم اطلعوا على ما حققناه من اكتشافات مذهلة في وقتنا الحاضر ، ولا شك أن الدهشة ذاتها سوف تصيبنا لو أننا اطلعنا على الانجازات التي سوف يحققها العلماء بعد مائة عام من الآن » !



يمكن تشبيه عمل الانزيم بفكرة القفل والمفتاح .. فاذا تآلفت المادة مع الانزيم (١) فانها تبنى او تتفكك ، ثم تخرج ليدخل غيرها بسهولة ، لكن احيانا ما تنحشر مادة شبيهة في الانزيم ، فتوقفه عن العمل (انظر الشكل الذى يليه)

ولكي نوضح ذلك أكثر ، حتى يتبين لنا معنى التحديات الهائلة التي تجابهنا في أسرار الحياة ، كان لا بد أن نشير الى أن جزيء الانسولين (وهو بروتين) يتكون من ٥١ حامضا أمينيا مختلفا ، وكل منها يتراص

بجوار صاحبه ويتشابك معه من خلال روابط اليكترونية ، ولقد قضى فريق من العلماء ـ تحت اشراف البروفيسور سانجر بجامعة كمبريدج ـ عشر سنوات كاملة ، وهم يعملون ليل نهار ، حتى اكتشفوا وضع كل حامض اميني بجوار الآخر .. العملية لاشك مضنية ، وتحتاج الى ذكاء وصبر ودقة بالغة ، لأن أحدا لا يستطيع ان يرى الحامض الأميني كما نرى مثلا حروف لغتنا ، ولا أن يرى جزيء الانسولين نفسه على حقيقته . أي حتى ولو كبرناه مئات الالوف من المرات ، وطبيعي أننا لا نستطيع أن نتعرض هنا للطريقة المعقدة التي « قرأ » بها فريق العلماء نظام الأحماض المختلفة في الانسولين ، فهذه تحتاج لصفحات وصفحات ، لكن يكفي أن نذكر أن البروفيسور سانجر قد حصل على جائزة نوبل تقديرا له على مجهوده الذكي والجبار .

والواقع أن جزيء الانسولين ليس كبيرا ، فهناك جزيئات أضخم منه وأعتى ، فجزيء مثل الهيموجلوبين الذي يعطي كرات الدم الحمراء لونها يتكون من ٢٨٧ حامضا أمينيا موصولة « بوصلات » اليكترونية .. ثم ان أي خطأ في وضع حامض أميني مكان آخر ، سوف يؤدي الى نوع من الأنيميا أو فقر الدم ، ولقد قدر العلماء أن عدد البروتينات التي يمكن ان تنتج من هذه الأحماض ال ٢٨٧ في عمليات تباديل وتوافيق سوف تصل الى الرقم اربعة مسبوقا ب ٦١٩ صفرا ، وهذا في الواقع عدد كوني لا تستوعبه العقول ، وهو على أية حال أكبر من عدد الذرات الموجودة في الكون ببلايين بلايين بلايين المرات الخ (عدد ذرات الكون تصل الى حوالي واحد مسبوقا ب ٨٧ صفرا لاغير) .. قارن هذا بذاك لتعرف أن الله يخلق ما يشاء بغير حساب .

ان التباديل والتوافيق التي يمكن أن تتم في الأحماض الامينية التي تكون مثل هذه الجزيئات البروتينية الكبيرة لا شك ستتمخض عن أنواع من البروتينات المختلفة التي لو قدر لنا وعرفنا نظم أحماضها الأمينية ، ثم اردنا كتابتها ، فان ذلك يستلزم بلايين المجلدات الضخمة ، وهذا ينبئك بضخامة ما يمكن أن يحويه كتاب الكون العظيم ، او قد يجعلنا نستلهم عن علم معنى قوله تعالى « ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » !

ان هذا الكم الكوني الهائل من البروتينات المختلفة التي توجد في الكائنات الحية سوف تأخذ من العلماء كل أعمارهم ولأجيال أخرى كثيرة قادمة ، حتى يعرفوا مفرداتها التي تراصت في نظام دقيق ، لتؤدي مهامها كما قدر لها من قديم الأزل (الواقع أنهم حتى الآن قد حلوا ألغاز عشرات فقط) .

القفل والمفتاح .. مرة أخرى

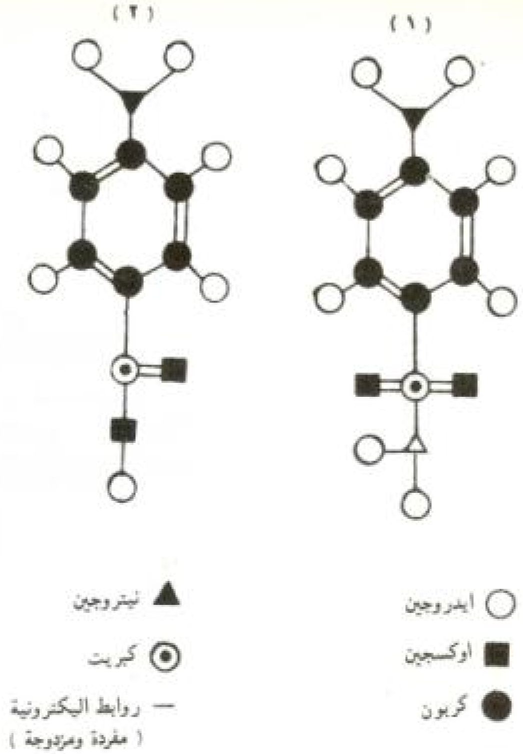
والواقع أن أحدا لا يستطيع أن يرى رؤية العين ما يجري داخل الخلية الحية من أحداث ، حتى ولو استعان على ذلك بأقوى الميكروسكوبات الاليكترونية .. اننا نرى فقط الأثر أو المحصلة النهائية بطرق التحليل الكيميائي الدقيق .

فالانزيمات مثلا قد عزلت واحدا بعد الآخر ، وتم التعرف عليها وعلى رسالتها التي تؤديها نحو خليتها ، والى هنا يطرأ على البال سؤال : كيف يقوم الانزيم حقا بعمله الذي تخصص فيه ؟

ان أقرب تصور معقول لذلك هي فكرة القفل والمفتاح .. فالمادة التي يراد بناؤها أو تفكيكها هي بمثابة القفل ، والانزيم بمثابة المفتاح .. صحيح أن الانزيم عبارة عن عشرات أو مئات من الأحماض الأمينية المتشابكة في جزيء عملاق ، الا أن هذا التشابك يتخذ هندسة فراغية دقيقة ورائعة ، وبحيث تعطي الانزيم شكلا معينا ، وعلى جزء أو أجزاء منه تكمن مواقع استراتيجية محددة لتلبس فيها المادة الكيميائية المراد فكها أو ربطها مع غيرها .. أي كأنما هذه المواقع تشبه اسنان المفتاح التي تتناسب تماما مع قفله ، وطبيعي ان الانسان يستطيع أن يصنع عددا هائلا من المفاتيح المختلفة للاقفال المختلفة ، وبحيث لا يفتح كل مفتاح الا قفله ، وكذلك جاءت أنواع الانزيمات ايضا بالآلاف ، لتناسب آلاف الانواع من المواد التي تتناولها الكائنات الحية في تفاعلاتها الحيوية !

وما يدرينا ان عمل الانزيم في المادة يسير على نفس الوتيرة التي جاءت في القفل والمفتاح ؟

الواقع أن الأمثلة على ذلك كثيرة ، ولها تطبيقات عديدة .. لكن دعنا توضح هذا الأمر بمثال واحد .. فأحيانا ما تدخل مفتاحا في غير قفله ، وقد ينحشر فيه ، فلا يفتح ولا يغلق .. صحيح أن المفتاح الذي دخل كان قريب الشبه جدا بالمفتاح الأصلي ، لكن هناك اختلافا ضئيلا في واحدة من أسنانه .. والعلماء أيضا يعرفون كيف تنتظم الذرات في جزيئاتها ، لتعطيها شكلا محددا ، وقد يأتي جزيء كيميائي يشبه الى حد بعيد جزيئا آخر ، لكن فيه اختلافا طفيفا (انظر الشكل الدال



جزيئان من مادتين ، جزيء السلفانيلاميد (١) وجزيء حامض البنزين الاميني (٢) .. لاحظ أنها متشابهان في التركيب الذري ، عدا الذيل ففيه بعض الاختلاف .. لكن اذا انحشر الاول على انزيم ، فانه يوقف عمله ، ويمنعه من التفاعل مع المركب الثاني ، فتتوقف عملية حيوية تبعا لذلك (راجع المقال)

على ذلك) .. عندئذ لو وضعنا الانزيم مع مادته التي جاء مناسبا لها تماما ، فانه يؤدى عمله فيها بسرعة كبيرة ، لكن ما أن نضع معه المادة الأخرى الشبيهة ، حتى نراه وقد تكاسل في عمله ، وقد يتوقف نهائيا اذا كان تركيز الشبيه كبيرا !

وتعليل هذا الأمر لا يخفى على لبيب ، فلقد احتلت جزيئات المادة الشبيهة المواقع الحساسة على الانزيم ، أو كأنما هي انحشرت فيها ، كما ينحشر المفتاح في قفله غير المناسب ، وبهذا لا تستطيع المادة الأصلية أن تأخذ موقعها على الانزيم ، وهنا يتوقف التفاعل !

اننا نحارب بعض الميكروبات التي تغزو أجسامنا بمركبات السلفا عن طريق هذا المبدأ الهام .. فالميكروب مثلا يحتاج في حياته الى مادة كيميائية اسمها حامض البنزين الأميني (اسمها بالتحديد بارا أمينو بنزويك أسيد) ، ولهذه المادة انزيم متخصص ، ولو توقف عن العمل ، لتوقفت حياة الميكروب تبعا لذلك ، ويجيء مركب السلفا (بالتحديد السلفانيلاميد) الذي يشبه الى حد بعيد المركب السابق ، فيحتل المراكز الحساسة على الانزيم ، او ينحشر فيها ، وبهذا يوقفه عن أداء رسالته ، فيموت الميكروب

ومعظم السموم أيضا تسير على هذا المبدأ ، اذ يكفي ان « ينحشر » السم في انزيم واحد مناسب ، وقد يؤدي ذلك الى حلول الموت ، هذا مالم نسارع باعطائه جرعة من مادة مناسبة تتكفل أحيانا بتخليص الانزيم مما انحشر فيه ، فيعود الى وظيفته ، وتعود الحياة الى المخلوق !

الموضوع بعد ذلك طويل جدا ، وفيه من الأسرار ما تنوء بحمله عقول الرجال ، لكن قد يبقى السؤال الحائر دائما : كيف تسري هذه الآلاف من العمليات المعقدة دون أن تطغى أحداث عملية على أحداث عملية أخرى ، وحتى لا تكون الفوضى ؟ .. وما الذي يحكمها ويكبح جماحها حتى لا تجري الأمور هكذا على علاتها ؟

الواقع أن الخلية تمتلك نظاما مذهلا .. أدق وأروع من نظمنا البشرية ، حتى ولو استعنا عليها « بالعقول » الاليكترونية ، اذ يبدو أن هناك تفاهما دقيقا وحساسا بين « القيادات » في الخلية ، وبين « الجماهير » الجزيئية ، وكأنما الأمر شورى بينهم .. لكن لهذا دراسة أخرى قادمة ليتضح لنا فصل جديد من محتويات كتاب الكون المفتوح لكل متدبر متأمل في عظمة الخالق هنا وهناك . ■■

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح

من حكمة الصين

بقلم : الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة

الصين أمة كبرى عريقة في التاريخ غنية في مظاهر الرقي الانساني ، حضارتها موغلة في القدم باقية على الزمان ، شهدت ميلاد حضارات كبرى ظهرت بعدها وشهدت انحلالها ايضا . وبداياتها الاولى ترجع الى ما قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام ، وهي في صميمها ذات روح ومثل عليا انسانية بالمعنى العام ، واخلاقية اجتماعية بوجه خاص ، مع عناية فائقة بالفنون والصناعات التي تحتاج الى دقة وذوق .

وقد عرفت بلاد الصين منذ قديم اصول الحكم وقواعد السياسة وتدبير امور البشر ، كما عرفت تقلب الاحوال ، من تعاقب الاسر الحاكمة وتتابع مختلف الملوك ، وتغير النظم ، ولكنها احتفظت بروحها وآدابها واخلاقها القومية التي كانت أكبر عامل في احتفاظها بشخصيتها ، رغم ما كان يعرض من ظروف التعسف او الفوضى او انقلاب نظم الحياة ، وقد بقي في ضمير اجيالها ومفكريها من أخبار الملوك الفضلاء ، ذوي الحكمة والسيرة الطيبة ما يجعلهم علامة على عصور سعيدة وقدوة حسنة ومثلا عليا يقاس عليها .

ونالت أمة الصين تقدير مؤرخي الحضارة والعلماء باحوال الامم ، قديما وحديثا ، فيصفهم صاعد الاندلسي ، على بعد بلاده من بلادهم ، بأنهم « اكثر الأمم عددا ، وأفخمها ملكا ، واوسعها دارا » وهو يذكرهم بين الامم التي لم يكن لها عناية بالعلوم ـ ومقصوده ما كان عند اليونان او العرب مثلا ـ ولكنه يقول : « وحظهم من المعرفة التي بذوا فيها سائر الأمم اتقان الصنائع العملية واحكام المهن التصويرية ، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الاعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع » ـ وهذا حكم صائب تدل عليه الشواهد من كلام العلماء ، بعد صاعد ، ومن العناصر الباقية للحضارة .

وعني الباحثون الغربيون بتاريخ الصين وحضارتها وخصوصا منذ القرن الثامن عشر ، ووجدوا في ذلك ما جعلهم يعبرون عن تقديرهم العظيم لامة الصين ورقيها في روح الفكر والسياسة والفنون ، حتى قال المفكر

الفرنسي فولتير Voltaire عن نظام الامبراطورية الصينية انه « خير ما شهده العالم من نظم » ، وحتى اشاد الكونت كيسرلينج Keyserling بالصين القديمة وانها « اخرجت اكمل صورة من صور الانسانية » ، وأن عظماءها « طراز سام من البشر » وان الرجل الصيني « أعمق رجل في العالم » على الاطلاق .

صراع النور والظلمة

وأصول الفكر الصيني ، شأن اصول أمة الصين ذاتها ، متوارية في غابر الزمان والمكان ، ولكن لفكرها ملامح الاستقلال ، وهو فكر متعدد الجوانب والاتجاهات وله ملامح دينية .

وفي ذلك الفكر منذ مراحله الاولى ، تصورات للكون وكلام عن قوتين تتصارعان فيه هما يانج yang وين yin او النور والظلمة . وفيه آراء حول الحاكم والفضائل التي يتحلى بها ونصوص خاصة بالطقوس والشعائر .

واهم من ذلك في حياة الصين فلسفتها العملية ذات الصبغة الاخلاقية ، وما اشتملت عليه من نظرة للانسان والفضائل الانسانية ، ومن أصول لسياسة المجتمع وتنظيم العلاقات الاجتماعية . وليس هناك ما يدل على أن أصول هذه الفلسفة العملية جاءت نتيجة تحليل عقلي للمشكلات او نتيجة نظر علمي فلسفي كما عند اليونان مثلا ، وانما جاءت ثمرة حدس سليم واحاسيس انسانية طبيعية وتراث طويل من التجربة العملية والاجتهاد في الفضائل الانسانية ، في ظل قدوة حسنة كاملة كان الراعي اكبر من يمثلها امام رعيته .

واكبر من يمثل الفكر الصيني المأثور هو كونج فوتسو Kung - fu - tzu او كما يسميه الغربيون كونفوشيوس Confucius الذي عاش بين ٥٥٦ و ٤٧٩ ق . م .

ونحن لا نجد عند هذا الحكيم الصيني بحثا ميتافيزيقيا حول الدين ولا بحثا عن حقائق الاشياء ، وهو لم يشتغل بالتفكير في الكون وتفسيره ، كما فعل فلاسفة اليونان مثلا ، وانما اهتم بالانسان وفضائله وتنظيم أمور حياته ، من غير تشاؤم كما عند البوذيين ، ومن غير تكلف في البحث عن أدلة عقلية في مسائل نظرية ، فوضع فلسفة عملية : اخلاقية ـ اجتماعية تقوم على أسس دينية بسيطة وعلى أسس في الطبيعة الانسانية ، واذا كان كونفوشيوس من جهة يؤمن بوجه عام بوجود كائن اعلى يسميه « السماء » ـ وهذه هي تسمية الاله عند اهل الصين ـ ويتصور انه مدبر عادل حكيم ، ويؤدي الشعائر ويؤمن بقدر عادل ، فانه من جهة أخرى يؤمن بما في الانسان من استعدادات طيبة ، بحيث يستطيع اذا هو تعهدها ان يشكل حياته وان يتصرف في العالم المحيط به .

وكان حكيم الصين يؤمن بأن الفضائل والخيرات أمور بينة بنفسها ، وبأن في قلب الانسان بفطرته احساسات نبيلة واستعدادات للخير ، كما كان مؤمنا بقيمة المعرفة ، وبأن الانسان يستطيع بفضل الثقافة أن يهذب نفسه ويقهر نوازع الشهوات ، فيصل الى الفضيلة والسعادة ، وبذلك ينال رضا السماء .

وقد اهتم كونفوشيوس بالاخلاق الفردية والاجتماعية وبارساء العلاقات الاجتماعية على اسس من المحبة والاحترام ، وهي عنده علاقات خمس : بين الحاكم والرعية ، بين الآباء والابناء ، الاخ الاكبر والاخ الأصغر ، الزوج والزوجة ، الصديق وصديقه . ويسود هذه العلاقات مبدأ عام هو : « تسي شو بو يوي وشي يوي زين » أي : لا تعامل غيرك بما لا تحب لنفسك .

ورمز الخلق الكريم ، عند فيلسوف الصين ، شعور انساني يسميه جين (jen) ، وهو اشبه بمفهوم لفضيلة كلية ، تشمل ، فيما تشمل من خصال ، كبر القلب والمحبة الصادقة لجميع الناس ، محبة تفيض بسرور من صميم القلب ، ولا يبتغي الانسان من ورائها جزاء ماديا . والفضائل تنبت من تعهد هذا الشعور على نحو طبيعي .

الانسان الرفيع

وعند حكيم الصين مفهوم « الانسان الرفيع » وهو الانسان الممتاز الذي يعظم اوامر « السماء » ويجل عظماء الرجال ويعي كلمات الحكماء ، ويعمل بها ، وهو يسيطر على شهواته ويطمح الى معالي الامور ، ويعتز بنفسه . ومع انه متواضع فانه لا يرضى ان يكون اداة لأحد ، وهو يجتهد في ان يتحلى بفضائل الوفاء والشجاعة والحكمة وايثار الحق ومحبة العدل ، ويعمل على استحقاق ثقة الناس ويعاملهم بما يحب ان يعاملوه به ، وهو يتعهد شعور « الجين » في نفسه ، ويضحي بنفسه في سبيل المحافظة على هذا الاحساس الكريم ، وكل انسان يستطيع ان يصبح انسانا رفيعا اذا هو اجتهد .

ومحبة الابناء لآبائهم وطاعتهم لهم في اجلال ، والاستماع الى نصائحهم ، كل ذلك بداية طبيعية لمظاهر ذلك الشعور ، وهو ايضا فضيلة قومية عند اهل

الصين . ويسميه الكتاب الاوروبيون التقوى البنوية (filial piety) .

والى جانب العناية ببيان امهات الفضائل عني كونفوشيوس بآداب الاحتشام والذوق في الحياة اليومية وفي ضروب المعاملات . وكل ذلك يندرج في مفهوم الـ « لي » (li) الذي اكسب اهل الصين ادبا ولطفا ملحوظا في معاملاتهم .

ونحن لو بحثنا في تراث القيم الاخلاقية العربية عن مقابل لمثل هذه المشاعر الانسانية عند فيلسوف الصين لوجدنا مفهوم « المروءة » القديم عند العرب . وهو المفهوم الذي بقي على الزمان رمزا لفضائل الشجاعة والكرم والوفاء والحياء وعفة النفس . ومن مظاهر ذلك مفهوم « العرض » . بمعنى شعور الانسان بما لاجله يمدح او يذم . ومفهوم « الحسب » وهو ما قد صار معدودا للانسان وآبائه من كريم الخصال والمآثر وجلائل الاعمال . والعربي يرى في « المروءة » رمزا لمجموع الفضائل ومعيارا لها وهو يحافظ على مروءته وعرضه وحسبه ويضحي بنفسه في سبيلها .

وايضا لو اردنا مقابلا عربيا قديما لمفهوم « الانسان الرفيع » فهو مفهوم « الفتى » او « الفتي السيد » الذي كان مفهوما واضحا في اذهان الناس ومثلا حيا يشاهدونه امامهم . و « الفتي » يتحلى بصفات الشهامة والنبل ويهب لاداء الواجب ويحمل اعباء الحياة واعباء قومه ويضحي بنفسه في سبيل حياتهم وشرفهم .

وكان حكيم الصين مؤمنا بقيمة المعرفة . ولا يريدها مقصورة على أبناء الأشراف والكبراء . ففتح لأبناء الشعب ابواب الثقافة ليشق أمامهم طريق الرقي الذاتي بفضل الاجتهاد وليمكنهم من النهوض بخدمة المجتمع .

والحاكم هو المثل الخلقي الكامل في نفسه . وفي الحكمة . وفي العناية برفاهية شعبه . وهو يسمى « ابن السماء » . ولما كان منتدبا من قبل السماء . فانه في سياسته يحذو طريقة « السماء » . فان خالفها صار غير اهل لولاية امور الناس . لذلك يجب أن يكون حاكما فاضلا عادلا . تتحقق في شخصه وافعاله صفات الحاكم الحق . فيكون قدوة لكل من يلي أمرا من أمور الشعب بحسب وظيفته ومسئوليته . وعلى هذا فان روح الحاكم او طريقته الصحيحة تسري في حياة الشعب في كل مظهر من مظاهرها . وعلى جميع المستويات . فالحاكم الصالح يصلح نفسه . وبذلك يحترمها وهو يخشى السماء . وهذه هي عظمته .

هكذا حل السلام

ويتحدث كونفوشيوس في كتاب « تاهسويه Ta Hsueh = التعليم الكبير . عن الملوك القدماء . ويذكر ان عهدهم السعيد كان عصر « الطريقة العظيمة » او عصر الانسجام الرائع . فيقول : « ان الملوك القدماء الذين كانوا اول من رتب امور دنيانا بدءوا بتنظيم امور ممالكهم . وهم لما ارادوا تنظيم امور ممالكهم بدءوا بتنظيم أمور أسرهم . ولما ارادوا تنظيم أمور أسرهم سموا بحياتهم . وهم في سموهم بحياتهم نقوا أفكارهم . وفي تنقيتهم لافكارهم ثقفوا عقولهم . وفي تثقيفهم لعقولهم وسعوا دائرة معارفهم الى اقصى ما يمكن . وفي توسيعهم لمعارفهم ادركوا طبيعة الاشياء . وهم لما ادركوا طبيعة الاشياء كملت معارفهم . ولما كملت معارفهم تثقفت عقولهم . فلما تثقفت عقولهم صفت افكارهم . وبفضل صفاء افكارهم سمت حياتهم . فلما سمت حياتهم انتظمت امور اسرهم . فلما انتظمت امور اسرهم ساد النظام في دولهم . وهكذا حل السلام على الارض » .

هذه الكلمات على بساطتها تتضمن الدمج بين القيم العقلية والخلقية على نحو عملي يتمثل فيمن يتصدى لتدبير أمور البشر .

ونظرا لما يتميز به الملك من حكمة وفضيلة وانه منتدب من قبل « السماء » . فان على افراد الشعب ان يمتثلوا لأمره . ومن هنا كان كونفوشيوس ميالا الى الحكم الاستبدادي المستنير .

وقبل أن يشتغل حكيم الصين بارشاد غيره كان قد تولى تثقيف نفسه ورياضتها على مكارم الاخلاق وروى عند قوله : « لست حكيما بالفطرة وانما صرت حكيما بجهد شاق » . وهو يحدثنا عن تطور حياته باخلاص قائلا : « لما كنت صغيرا كنا فقراء جدا ... ولما بلغت الخامسة عشرة أقبلت بقلبي على تحصيل المعرفة .... وفي سن الثلاثين رسخت قدماي . حتى اذا بلغت الاربعين صرت اعرف أموري تماما . وعند سن الخمسين عرفت ما تريده السماء . وفي الستين اصبحت مستعدا لان اصغي اليها وامتثل للحق الثابت . ولما بلغت السبعين استطعت أن أطيع رغبات قلبي دون ان اتعدى حدود ما هو حق وعدل » .

وكان فيلسوفنا يعظم شأن الانسان ويقول : « الانسان هو أعظم شيء بين كل ما ابدعته السماء وغذته الارض » . وهو لذلك اهتم بالانسان وتربية الفضائل



فولتير

الانسانية . كما اهتم بحياة الانسان في مجتمعه من حيث الرفاهية والسيادة لمبادىء العدل . وقد بين اداب الحاكم والمحكوم ومبادىء تدبير أمور الحياة الانسانية . واذا اردنا ان نصف مذهبه من هذا الوجه فهو مذهب له صيغة انسانية اخلاقية ويجمع بين ما يسمى مذهب السعادة ومذهب المنفعة .

ولم يكن حكيم الصين ضيق الروح بل كان ذا نزعة انسانية واسعة . وهو القائل : « كل الناس الذين بين البحار الاربعة اخوة » .

كان لهذا الحكيم الذي ثقف نفسه وهذبها واراد ان يرى الثقافة والتهذيب حوله تأثير عظيم في الناس حتى قال احد المعجبين به من قومه : « ان من ينكر ما لكونفوشيوس من شخصية آسرة فهو كمن ينكر ضوء الشمس او نور القمر » .

مدٌ وجزر

وبعد كونفوشيوس بنحو قرنين جاء مينج تسو Meng Zu او منشيوس Mencius كما يسميه الكتاب الاوروبيون . وهو قد عاش بين ٣٧١ و ٢٨٩ ق . م فشرح فلسفة الحكيم الاول واستخلص منها المفهومات ووضع المبادىء النظرية . فبين أن الطبيعة البشرية خيرة بفطرتها لانها عطية « السماء » . والفضائل تنبع من القلب الانساني وما فيه من عواطف المحبة والرحمة والحياء ومن حس خلقي يميز بين الخير والشر .

وامهات الفضائل عند فيلسوفنا اربع : المحبة الانسانية (jen) والصلاح والاستقامة (yi) ومراعاة اداب الاحتشام واللياقة (li) والحكمة (chih) . وقد

اضاف اليها بعض الحكماء بعده فضيلة خامسة (hsin) . وهي اجتهاد الانسان في أن يكون أهلاً للثقة بفضل صدقه ووفائه وامانته .

ويشدد فيلسوفنا على أهمية الثقافة والتهذيب بحيث يحتفظ الانسان بتلك الطيبة الفطرية التي يتميز بها قلب الطفل .

اما من حيث سياسة الشعب فانّ منشيوس كان اميل الى الديمقراطية . وهو يرى ان سلطة الشعب فوق سلطة الحاكم . وكان يردد الحكمة القديمة القائلة : « السماء ترى كما يرى الناس . السماء تسمع كما يسمع الناس » .

ولم تخل فلسفة منشيوس من روح التصوف . فاذا تعهد الانسان نفسه بالثقافة والتهذيب واتبع طريقة السماء فانه يتحد بها . وتصبح ارادته متفقة مع ارادتها .

وكان يقول : « من غاص الى أعماق قلبه عرف حقيقته . ومن عرف حقيقته عرف السماء » .

لكن الايمان بالمثل العليا لا يستمر دائماً . وحضارة الدنيا لا تسير دائماً في طريق الخير . فجاءت بعد عصر هؤلاء الفلاسفة ظروف وتغيرات جعلت البعض يشك في عناية السماء وفي خيرية الطبيعة البشرية ويقول انها شريرة معوجة . ولا يستقيم اعوجاجها الا بالتهذيب القاسي . ثم ظهر من يشك في قيمة التثقيف بل ومن يعادي الثقافة .

وفي تطورات لاحقة جاء من يهتم بالعناية بآداب اللياقة والاحتشام وبمظاهر الرسوم والاحتفالات والطقوس والشعائر باعتبار انها من أهم وسائل التربية للشعب من جهة . ومن وسائل الدولة في الحكم من جهة اخرى . كما جاء من يربط بين افعال الطبيعة وسياسة الدولة : فاذا اساء الحاكم فان سوء فعله يجر كوارث طبيعية من فيضانات وزلازل او جفاف وجدب . وهي نذر من السماء للحاكم كي يصحح سياسته .

ولم تخل حياة الفكر الصيني من مفكرين ذوي فكر ناقد حر . يهدف الى محاربة الاوهام والخيالات . ثم انشئت اول جامعة في الصين عام ١٢٤ ق . م وكان اساتذتها وطلبتها يناقشون امور السياسة الوطنية . ونظم التعليم في المدارس مشتملاً على النصوص . وكان في كل غرفة من غرف الدراسة لوحة خشبية نقشت عليها الكلمات : السماء . الارض . الحاكم . الوالدن . المعلم . وكان على كل تلميذ ان يبدأ يومه الدراسي وان يختمه بالانحناء امام هذه اللوحة .

العربي ـ العدد ٢٥٨ ـ مايو ١٩٨٠

التاوية صوفية صينية

الى جانب الفلسفة العملية ـ الخلقية التي مثلها كونفوشيوس ومن اخذ بفلسفته ، كانت هناك فلسفة ميتافيزيقية صوفية تقوم على اساس حدسي لا على اساس تفكير استدلالي ، وهي الفلسفة التاوية التي يعتبر « لاوتسي » Lao - tse (ولد حوالي ٦٠٤ ق . م) من اقدم واكبر ممثليها ، وتحيط بشخصه وحياته الاساطير .

والتاوية Taoism تسمية اوروبية تدل على ديانة صينية قديمة ذات صبغة صوفية ، ولكنها ميتافيزيقية عقلية خالصة ، وليس لها تعاليم ، كما في الكونفوشية مثلا ، وليس فيها عقيدة محددة ولا مجموعة قواعد يمكن اتباعها . هي قبل كل شيء ديانة كونية Cosmic Religion او دراسة للكون ومكان الانسان ووظيفته فيه ، هو وكل المخلوقات والظاهرات .

ولفظ Tao يمكن ترجمته بلفظ طريق ، وهو يتألف من جذرين الاول يدل على الرأس او الدليل ، والثاني يدل على الطريق او التقدم على درجات ، وهذا يشير الى ان على الانسان ان يسير بكليته سيرا بفكر ، فيتبع كل ما هو حق وصواب وخير ومتفق مع قوانين الطبيعة في الوجود والعمل .

اما عند لاوتسي فان « التاو » ليس مجرد طريق ، بل هو ايضا مصدر الاشياء كلها ، والمبدأ الاول الذي لم يصدر عن شيء ، وهو فوق الزمان ، ليس كالأشياء ، وهو الذي يجعل لها طبيعتها ويسري فيها ولا يمكن تعريفه ولا وصفه الا سلبا .

ولا يدل كلام لاوتسي على ان « التاو » اله ذات كما يدل عليه هذا اللفظ في الديانات المنزلة ، وانما هو كائن غير شخصي impersonal being .

والفضيلة Te عند لاوتسي هي الاستقامة ، ويرمز اليها بخط مستقيم ، اشارة الى وجوب سلوك الطريق . ومفهومها هو ان يصل الانسان بفضل ظهور « التاو » فيه الى الانسجام العام في داخل ذاته . وهنا يكون سلوك طريق الخير على نحو تلقائي بسيط ، وهو ثمرة الاستنارة وتجلي « التاو » ، دون شعور بما يجب وما لا يجوز . لان الحكيم التاوي الكامل يكون قد تجاوز ذلك وصارت الفضيلة في طبيعته صفة باطنة وحالة عليا للتاو .

وليس في الفكر التاوي مفهوم المعصية او الشعور بالذنب ، لأن ذلك في رأيهم من سمات المجتمعات



كنفوشيوس

الساقطة ، وبدلا من ذلك نجد مفهوم الجهل والغباء والخرق ، « لانه ليس من احد سليم العقل يفعل عن وعي ما يجر عليه العقاب على نحو آلي ، وبذلك يضر نفسه . ومخالفة قوانين الطبيعة تجلب على صاحبها عقابا لا مفر منه ، فالشخص المؤذي يصل الى نهاية مؤذية له ، ومن يسترسل في هواه يفسد شهوات نفسه ، ثم يقضي عليها . ومن يثري على افقار ابناء جنسه او يؤذيهم يثير المجتمع على نفسه ، والمعصية في نظر التاوي احرى بان تكون خرقا للانسجام في الكون من أن تكون اعتداء على امر الهي ، وبذلك تسبب الاضطراب ، ولذلك فانها تحدث الضرر في الفرد خاصة ثم في المجتمع بوجه عام » .

تكلم كونفوشيوس وشارح فلسفته عن « السماء » وعن حكمتها ، وكان يوصي باتباع هذه الحكمة ، لكن كلامه لا يدل في وضوح على أنه يقصد من السماء « الاله » كما تتحدث عنه الديانات المنزلة . وتكلمت التاوية عن سلوك الطريق ، لكننا لا نجد في هذا كله شيئا واضحا حول مصير الانسان بعد هذه الحياة . فعند كونفوشيوس مثلا ان جزاء من يتبع طريقة السماء هو أن يشعر بالرضا وبأنه سعيد لأنه أحسن العمل في حياته .

ولكن ان لم يكن هناك خالق عادل خلق كل شيء « بالحق » ، وهو يجازي كل انسان بحسب عمله ، وايضا ان لم يكن هناك حياة بعد هذه الحياة يكون فيها الحساب والجزاء ، لهذا الكائن العاقل القادر المختار الذي يفعل الخير والشر ، اعني الانسان ، فكيف يمكن ان يقوم نظام الخير وتستند الاخلاق والفضائل الى سند حق ؟ .

واذا كان العدل من قوانين الوجود والحياة ، فاين

العدل اذا لم يكن للانسان مصير حقيقي معروف يرى فيه كل انسان ما قدمت يداه ويجازى عليه .

كم تحتاج حكمة البشر الى حكمة خالقهم احكم الحاكمين : « نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء » .

العالم هو عقلي

وفي غضون قرون كثيرة امتدت حتى العصور الحديثة ظهرت تصورات شتى حول الكون والانسان بعضها كان بتأثير الفلسفة التاوية ومنها :

ما ذهب اليه تشوهسي Chu Hsi (١١٣٠ ـ ١٢٠٠ م) من القول بمبدأ اعلى غير مادي فوق الاشياء كلها ، وهو الذي يعطيها طبيعتها ، وبشيء مادي تتكون منه الاشياء فيتخذ كل منها صورته الخاصة به .

وفي الانسان هذان العنصران : الاول هو العنصر الانساني المشترك ، والثاني هو الشخصية الخاصة بكل فرد على حدة ، وهو يكون في بعض الافراد نقيا صافيا ، وهم الحكماء ، وفي بعضهم الاخر يكون كدرا ، وهم الحمقى والسفلة . وهكذا يتوفر اساس ما لتفسير وجود الشر والنقص في البشر ، لكن الانسان يستطيع بفضل المعرفة والمران ان يحارب الضعف ويصل الى الاستنارة ويصير حكيما .

ثم جاء لوتشيويوان Lu Chiu yuan فذهب الى القول بالوحدة بين العقل والكون حتى قال « العالم هو عقلي وعقلي هو العالم » ، وهذا من قبيل تصورات القائلين بالمثالية الذاتية Subjective Idealism .

وهناك من انكر كل حقيقة وراء هذه الاشياء التي نراها ، وهذا رأي Yen Yuan (١٦٣٥ ـ ١٧٠٤ م) ومن عارض التأملات الصوفية وضم الى ذلك القول بأن مبادىء الاشياء موجودة فيها ويجب ان ندرسها فيها ، وهذا ما ذهب اليه Tai Chen (١٧٢٤ ـ ١٧٧٧ م)

وبعد اتصال الصين بالفكر الاوروبي منذ القرن التاسع عشر ، حدث تجديد في حياة الفكر والثقافة ونظام التعليم ، ولكن مع المحافظة على الاسس المعنوية ، خصوصا الانسانية والخلقية .

وعلى الرغم من تغير الكثير من مظاهر الحياة في الصين بعد تطبيق النظام الشيوعي فان جملة القيم والفضائل الانسانية ستظل عناصر باقية في حياة تلك الامة العظيمة ، لانه لا يمكن ان تنسى اي امة تلك المفهومات والمعايير والاحاسيس والقيم التي كونت روحها واستقرت في عقلها ووعيها .

وكما كان لتراث الفكر الهندي جاذبيته وتقديره في اوروبا ، كان لتراث الفكر الصيني ايضا تقديره عند من ذكرنا في صدر هذه المقالة وعند كثيرين غيرهم من الادباء والشعراء والفلاسفة .

وكما نقل الفكر الهندي الى لغات الغرب نقل الفكر الصيني ايضا ، والمصنفات حوله تظهر بكل اللغات

وجدير بالباحثين والمؤرخين ان يهتموا بدراسة الفكر الانساني في كل من هاتين الامتين ، وكل منها قد تلعب دورا كبيرا في تاريخ هذه الدنيا [1] ■■

د . محمد عبد الهادي أبو ريدة

(١) اذا أراد قارىء بعض المعرفة بالفكر الصيني فليرجع الى :

1 - Encyclop, Brit . - Knowledge in Depth : Confucianism, Taoism .

2 - Betty Kelen : Confucius, Sheldon Press, London, 1974 .

3 - J . C . Cooper : Taoism, The Way of the Mystic, the Aquarian Press,Great Britain, 1976 .

مات صديقـــى

● مات صديقى عندماجاء الى يقول : لم أعد أحب الناس . لم أعد أحتمل الحياة .. كل شيء من حولي يصرخ جريمتك أنك تعيش وحدك فيعالم آخر كيف أعود الى الارض مرة أخرى ؟ »

« صاموئيل جونسون »

قصـة :

لعل الفلاحين يمرون



بقلم : عباس أحمد

لما افقت ، وجدت نفسى ملقى خارج السور . كنت موثوق اليدين والقدمين والفم . فى أول الامر كانت الاشياء غامضة ، ثم هجمت على دفعة واحدة . شعرت بجسدى يؤلمنى . ابتسمت مع ذلك لاننى تذكرت كوثر . كانت تقول لى دائما ، لو انهم امسكوك وضربوك ، فلن تستحمل .. وتشى باصبعها على جسدى الصغير ، وتلتقى عيوننا ونحن نضحك .

كان المساء يهجم أيضا على الافق الملبد بالسحب طمس السور ، وطمس قصر علوانى من ورائه . غمرتنى موجة برد لاسعة . قلت فى نفسى أننى ساموت . حركت أعضائى قليلا ، تصورت جسدى على خريطة الدلتا . الخريطة ملونة، وتبرز برارى الشمال باللون الاخضر الداكن . كانت كوثر تضحك أيضا وتقول :

ــ الخاشعة دى أصلها ايه يا محمود .

وكنت أخجل معها ، من أننى لا أعرف أصل اسم بلدى . ولكن هل كان لهذا أية أهمية على الاطلاق ــ حينما دهموا « محمد على » بالسيارة . فى لمح البصر صرنا اثنين بعد أن كنا ثلاثة . لما وضعنا جسده ، وكان يزال ساخنا ، فى حجرة العميد ، هرع بعضنا وجاؤوا باوراق الجرائد ، وغطوه بها . وساعتها نظرت الى الطلبة والطالبات فى حجرة العميد ، وافتقدت كوثر . كان يجب أن تكون حاضرة . لماذا لم تات الى الجامعة بالامس . حاولت أن أقول شيئا . لاحظت أن صوتى يتسرب رغم الاربطة التى تكمم فمى . تكلمت مرة أخرى . قلت لنفسى يا محمود ان كوثر تحب عادل . انه أيضا لم يكن موجودا . كيف يمكن لفتاة متفقة مثلها أن تحب هذا التافه . رأيت العميد يهرع الى حجرة الاجتماعات ثم يختفى . لقد هرب . ليس شىء بمستبعد . لم استطع أن أفهم كيف يمكن لشخص أن يقرأ افلاطون وارسطو قراءة حقيقية ، ثم يهرب . فى النيل ونحن ننقل جثة محمد على الى كلية الطب قال نصار :

ــ كنا نتمشى على الرصيف . كنا ثلاثة ، وفجاة أصبحنا اثنين . كانوا ثلاثة فى السيارة . والسيارة رقمها ١٠٠١ ، لا بد أن نطالب بالتحقيق ، وتكشف رجال الملك .



لم يعلق أحد• نصار نفسه تكلم دون أن يريد• لما أوشكنا على العلية تطاير الينا هتافها الموحد الطليق • اقشعرت أبداننا • نظرنا الى جسد محمد على الملفوف بالبطانية • كلما اقتربنا انصهرت أرواحنا • نشج نصار بالبكاء •• ثم صاح :

ـ الكلاب •• الكلاب •

كان الليل ، قد أطبق تماما • انني أعرف ليل الغاشمة فى الشتاء• من حسن الحظ أن الارض منحدرة• تدحرجت •• حتى صرت على حافة الطريق• قد يعثر على أحد الفلاحين • حاولت أن أتدحرج أكثر •• ولكن جسدى سقط فى تجويف • شعرت بدفء غريب • تصور لى وجه سائق اللورى وهو ينزلنى فى الغاشمة •• كأنه وجه قناع • لما جمعت له ما معى من النقود ، رفع يده معترضا •• لعله قال : لا يا بنى انت أحوج اليها • لعله قال: هل هذا يكفى لكى انقلك من القاهرة الى الغاشمة•

على مرمى منى كانت قناة صغيرة ، وبعدهـا ينتشر البوص والحسك • العشب ينمو حولى • أحاول أن اتدحرج من الحفرة • أبذل مجهودا فوق الطاقة • سال دمى من جبهتى ومن ذراعى الايسر • خرجت من الحفرة أخيرا •• رأيت سور القصر كأنه خط داكن فى الظلام • علوانى أيضا مات • القصر كأنه مجـرد صخرة • لماذا مات دون أن يقـول لى شيئا • رجال الملك • رجـال الملك • الظـلام • التقاطع • النظارات السوداء تتراقص بين الاستدارة والتربيـع • بـدت الشرفات والشبابيك فى قصر علوانى لامعة صماء كعيون العميان • أدرت رأسى نحو القصر • هتفت علوانى •• علوانى • ولكنى كنت أذهب فى الظلام ، وأغيب عن الوعى •

انا أطرق باب القصر بشدة •

ـ افتح يا علوانى • افتح يا علوانى •

دفعت البـاب بكتفى دون جـدوى • نزلت من الشرفة • جريت الى الباب الخلفى للقصر • حديقة القصر بدأت تهجم علىّ بأشجارها الطويلة المتوحشة• الباب من خشب الزان الغليظ • جريت الى تكعيبة العنب • هجموا علينا بالدبابات •طلقات الرصاص انهمرت كالمطر فى ساحة كلية الطب • ترام نمرة ٣٠ من شبرا الى مصر القديمة توقف • أسلاكه تقطعت تحت وهج النيران • تعلقت بالتكعيبة ، وثنيت جسدى فوقها فى حركة رياضية متعود عليها• كوثر لم تكن تعلم أن جسدى يستطيع أن يقوم بهذه الحركه • علوانى قال : الفـلاحون هم الاصـل •

لكنه غير موجود • وبينما انا مختبىء وسط غصون العنب ـ خطر لى : لعله خرج ، وسوف يعود •

كان القصر من الداخل هادئا هدوء الموت • أزحت الباب قليلا • نظرت • لم استطع أن أميز شيئا• تذكرت الآن متى عرفت علواني • فبينما انا احتضنه واخذه الى السرير ، لانه كان متعبا •• قبلت يده ، ودعكت خدودى فى كفيه • ولكنه لم يقل شيئا ••

ومع اننى كنت اصيح •• الا أن علوانى ظل صامتا • تنقل بى بين أرجاء القصر • من قوة احضانه الى ، راح يخرج الى الشرفات ويصيح •• الفلاحون هم الاصل •• الفلاحون هم الاصل • كنت اظن حينما قفزت من اللورى هنا ، انني اصبحت فى مأمن • ها هم يقبلون علينا• صرخت• يا علوانى حاسب • يا علوانى حاسب • ولا بد أن يكونوا قد ضربوه بشىء سرى • لقد كنت احتضنه واذهب به الى السرير ، فسقط بين يدى • مددته على السرير • تمليت فى وجهه • جست بيدى فى اعضائه• لم اجد اثرا لاى جرح• عيونهم ضغطتنى• لما تأكدت من موت علوانى ، رجعت الى الوراء قليلا ، لأراه بشمول • وكان وجهه وجه طفل • رجال الملك يفتشون القصر • نظاراتهم السوداء تطوق كل شىء • اندسست بجانب علوانى، وتمثلت الموت • كان الملك فى عربة حمراء ، يمرق فى الشوارع • الذى يراه أو يلمحه يصبح مفضلا • جاء رجاله واقاموني من الفراش •

ـ من انت ؟

ـ انا محمود •• اذن خذ •• خذ •

وتقاذفتنى الضربات • تركت نفسى أطير • لا أشعر بالم •

كيف لكوثر أن تحب هذا الولد التافه عادل • نصار يصرخ : أهرب •• أهرب • قفزنا من سور كلية الطب ، قرب الفجر • (وكان السور فى تلك الايام مباشرا على النيل) • قرب المياه نسقط • قرب المياه نزحف • اجسامنا الضئيلة تقاوم • اصوات كثيرة تنتشر •• يسقط النقراشى •• يسقط النقراشى •• ومن اعماق كل شىء انطلق الرصاص ، وتبدد الباشا فى الفضاء •

ـ الملك سقط وانتهى الامر •

ـ لا •لم يسقط • ولم ينته الامر •

لما القوا بى خارج السور ـ جاءنى علوانى وهو فى كفن الموت ••• وانثنى بوجهه فوق وجهى •
قال :

ـ افتح •

قلت :

ـ سنفتح أيها السيد •

قال :

ـ قولوا دائما ، افتح يا علوانى ••• افتح لم

قلت :

ـ سمعا وطاعة ، أيها السيد •

وطار علوانى فى الفضاء ، وبدد السحب ، وجعل الشمس تشرق على جسدى الصغير الملقى خارج السور •

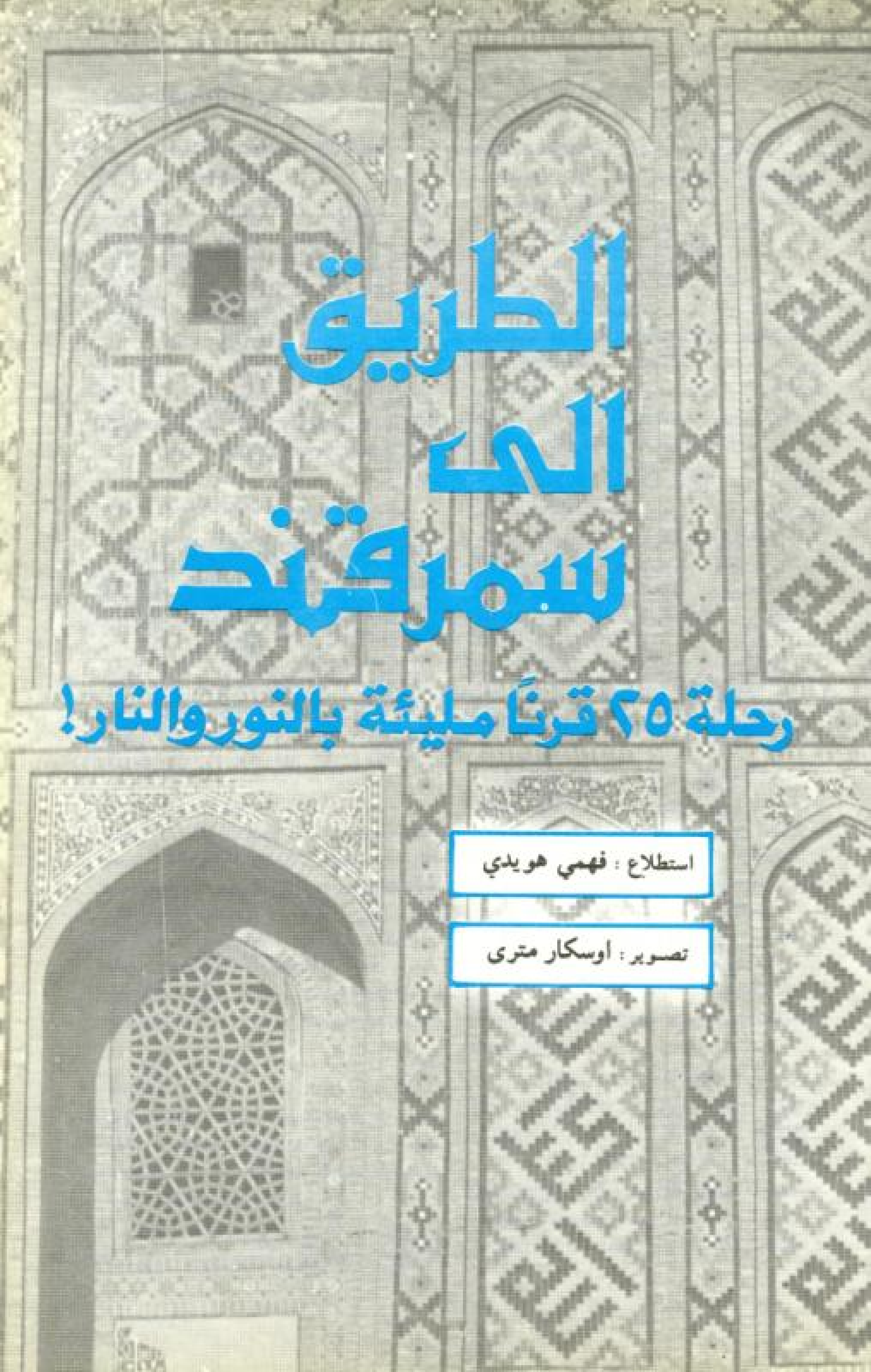
فى هذا الوقت على التحديد ، اينعت فى نباتات كثيرة • انا ملقى وسط البرارى • ثمة أحد يعرف الغاشمة فى شمال الدلتا • هذه بلدى • الماء العذب هنا قليل • جسدى ملقى قرب البحار • لما تدحرجت مرة أخرى ، احدثت هذه اللفة ثلاث لفات • سقطت ساقى فى القناة • أدركت بفرح أن مياه القناة تجرى • ثمة شخص الذن قريب • الماء العذب يتدفق فى قدمى • يملأ روحى بالامل • الماء نفسه • الماء نفسه أيا كان •

ان البدء بدأ وانتهى •

ثمة أحد رآنا ونحن نهدم تمثال الملك • صاحبى نصار قال انظر •• وقذف وجه التمثال بحصوة • وانهالت عليه الحصوات حتى غمرته • فى الظلمة والنور توهج صوت •• نبنى قبر « محمد على » فى ساحة الكلية ـ ما داموا لا يريدون أن نخرج به فى جنازة • ثمة أحد صاح تسقط الاصنام • تسقط الاصنام ثم ساد الصمت •

لو أسقط نفسى فى هذه القناة ••• وهى ليست أعرض من كتفى الا قليلا ، سيتوقف تدفق المياه • سيعرف الفلاح على الساقية ـ أن لمتعيبا طرا على القناة • ولففت لفة جديدة سقطت بها فى القناة • المياه تغمرنى الا راسى • اننى انتعش• لما ابتلت قيودى لانت • فتحت كتفى على القناة وغطيتها • فاضت المياه • فاضت •• ولم يعد ثمة شىء يستطيع أن يحول دون فيضانها الدائم • ■■

عباس أحمد



الطريق الى سمرقند

رحلة ٢٥ قرناً مليئة بالنور والنار!

استطلاع : فهمي هويدي

تصوير : اوسكار متري

في سمرقند تخرج رغما عنك من خريطة العصر، لتدخل في خزائن التاريخ!

تمشي وسط غابة البنايات الحديثة والضخمة في اهم شوارع المدينة، بوليفار، مكسيم جوركي، وتعبر شارعي جاجارين وتيتوف الى مطعم بولدوز أو سينها فوستوك، او تطوف بمصانع «كيناب» للالات الدقيقة، ولكنك لا ترى في هذا العالم سوى أقنعة هشة، أو أعضاء غريبة زرعت في جسم المدينة. وتلمح على البعد آثار شاه زنده ومآذن مدرسة شيردار وضريح كور امير، فتملأ عينيك على الفور عاصمة تيمورلنك، فاتح العالم وسيد آسيا، وينقلك المشهد الى لوحة عريضة ومثيرة، تتزاحم فيها جحافل الفاتحين وغارات البرابرة، وقوافل التجار والبنائين، وطوابير الرقيق والسبايا، وحلقات الفقهاء والمتصوفة والدراويش.

يخترق المرافق اللوحة، ليقول ان سمرقند المقاطعة تضم ١٣٥ كولخوزا و ٥٧ سوفخوزا، وان انتاجها الزراعي المدهش حقق معدلات عالية في كل مجال، فتسمع في صوته على الفور كلمات الاصطخري قبل ألف عام في «المسالك والممالك»: الموصوف من متنزهات الارض سغد سمرقند ونهر الأبلة وغوطة دمشق.. وسغد سمرقند أنزه الاماكن الثلاثة.. وهي أزكى بلاد الله واحسنها اشجارا وثمارا، وفي عامة مساكنهم البساتين والحياض الجارية، قل ما يخلو سكن او دار، من نهر جار».

وهكذا يلاحقك التاريخ حيثما ذهبت، وتتقافز صوره واحداثه مع كل خطوة ... وتنتصر سمرقند بلاد ما وراء النهر، على سمرقند ثاني مدن جمهورية اوزبكستان الاشتراكية السوفيتية. تلقائيا وبغير وعي، يحدث ذلك، ربما لأن سمرقند ما وراء النهر لها مكانة عزيزة غالية في اعماق كل مسلم منذ كانت دعامة اساسية في الجناح الشرقي لديار الاسلام. أما سمرقند الثانية فهي مركز اداري في جمهورية غريبة علينا، وديار أشد غربة.

سمرقند التي نعرفها لها أربعة أبواب: باب الصين الذي يقود الى الشرق، وباب بخارى المدينة التوأم بل المدينة الأم الى الشمال. وباب النوبهار الى الغرب، حيث كان يوجد معبد بوذي في الزمن القديم. والباب الكبير، او باب كش الى الجنوب الذي يرتبط باسم بلدة كش، موطن تيمور الاصلي.

وعلى طول التاريخ الاسلامي، كان طريق المسلمين الى سمرقند يمر بمدينة بلخ (الافغانية الآن)، التي ظلت بوابة بلاد ما وراء النهر، بينما الطريق الى سمرقند هذا الزمان، لا بد ان يمر بطشقند، بوابة الشرق السوفيتي.

طشقند: ود مفقود

وشخصيا، فان بيني وبين طشقند ود مفقود، رغم أن المدينة مقر النشاط الحكومي لمسلمي آسيا الوسطى الآن، فضلا عن انها مركز صناعي وزراعي وعلمي وثقافي كبير. ذلك أني لم استسغ فكرة ان تكون طشقند هي المدينة الاولى في آسيا الوسطى، وأكاد اشكك في حسن نية الذين اختاروها لتتبوأ هذه المكانة.

فعلى مدار التاريخ كانت بخارى وسمرقند هما أعظم مدن آسيا الوسطى. بخارى هي «مثابة العلوم كلها» على عهد الزرداشت، ثم «بخارى الشريفة» طوال التاريخ الاسلامي، على غرار مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهي عاصمة بلاد ما وراء النهر لمدة خمسة قرون منذ عهد السامانيين الى التيموريين. وسمرقند هي الياقوتة العظيمة الراقدة على ضفاف نهر زارافشان، عند كل الرحالة العرب. وهي المنافسة الدائمة لبخارى والعاصمة الرائعة التي أعدها تيمورلنك لتحتل صدارة العالم.

اما طشقند فقد كانت تقف في المرتبة الرابعة، او الخامسة، طوال التاريخ الاسلامي، تسبقها خيوه وفرغانة وخوقند، وكانت تستمد أهميتها من كونها مركزا على طريق التجارة الى الصين، الذي كان يعبر عليه الحرير السمرقندي الشهير. وكان اسمها «الشاش» في البدء، ثم بينكينت، ولم يعرف اسمها الاخير الا منذ ثلاثة قرون فقط. وذكرها ياقوت الحموي عرضا في «معجم البلدان»، بقوله.. الشاش خرج منها العلماء، ونسب اليها خلق من الرواة والفصحاء، وكان ذلك امرا شائعا في بلاد ما وراء النهر، القريبة من بخارى، منارة المعرفة الكبرى.

ومنذ اجتاحت قوات الجنرال الروسي كاوفمان، الامارات والخانات الاسلامية فيما وراء النهر عام ١٨٦٨ ـ في ظل حكم القيصر الكسندر الثالث ـ وثمة تركيز شديد على بخارى أولا، وسمرقند ثانيا، هدفه تقليص الدور التاريخي لهاتين المدينتين الاسلاميتين العظيمتين، وهدم ما تبقي من صورة بخارى الشريفة، وسمرقند ياقوتة آسيا الوسطي. وكان البديل للاثنين هو طشقند.

ومنذ ذلك الحين لم تقم قائمة لبخارى ، ولم تعد سمرقند اكثر من متحف للفن والعمارة وتقدمت طشقند الصفوف . صارت هي المدينة الأولى ، واحتلت سمرقند المركز الثاني ، وادار الزمن ظهره لبخارى الشريفة ، التي اصبحت قرية متقدمة نسبيا ، تعيش على الذكريات القديمة ، وتنتصب فيها بعض شواهد المجد الذي ولى . وهي التي خاطب مندوب القيصر أميرها نصر الله ، قبل سنوات قليلة من سقوطها بقوله : « الى مرجع الحكمة والشرع ، المبجل الكامل ، الامير العظيم الخطير ، ابن الخامات الكريم ، مصدر العرفان والمجد ، مشيع السعادة والرخاء ، نقدم اخلص احترامنا واجلالنا ، ثبتك الله على عرش المملكة والعز ، وحفظك الله من كل سوء وشر ، ومد في عمرك .. » الى آخر الخطاب

كانما اريد بابعاد بخارى وسمرقند عن مسرح الاحداث طي صفحة التاريخ الاسلامي في بلاد ما وراء النهر ، وبدء صفحة جديدة من عاصمة جديدة وبديلة هي طشقند .

أي انه بقدر ما ترتبط بخارى وسمرقند بديار الاسلام فيما وراء نهر جيحون ، فان طشقند تبقى مرتبطة في الاذهان بالسيطرة الروسية على هذه الديار ، وعزلها عن العالم الاسلامي بعد اكثر من ١٢ قرنا من الاتصال عبر أواصر العقيدة والدم .

وذلك سر الود المفقود بيني وبين طشقند ، وهو أيضا سبب الحاحي في أن تستقل أول طائرة تغادرها متجهة الى سمرقند .

دوق موسكو يدفع الجزية !

لماذا سمرقند وليست بخارى ؟

لان ما تبقى في الواقع من آثار المرحلة الاسلامية في سمرقند اكثر منه ، في بخارى ، بعد التشويه والمسخ والاهمال الذي اختصت به تلك المدينة الشريفة عبر القرن الاخير ، منذ عهد القياصرة . ولأنني من زيارة سابقة قبل عشر سنوات خرجت بانطباع أن بخارى التي تعرفها قد آثرت الانطواء والعزلة ، وأنها رضيت بقدرها الذي ألقى بها في بحر النسيان والاحزان !

ثم ان بخارى الوقورة قد بلغت سن الشيخوخة ، واستسلمت له ، بينما سمرقند الفاتنة منذ الازل لا تزال تحتفظ ببقية من حيوية وشباب ، رغم انهم احتفلوا قبل سنوات بمرور ٢٥ قرنا على ميلادها !

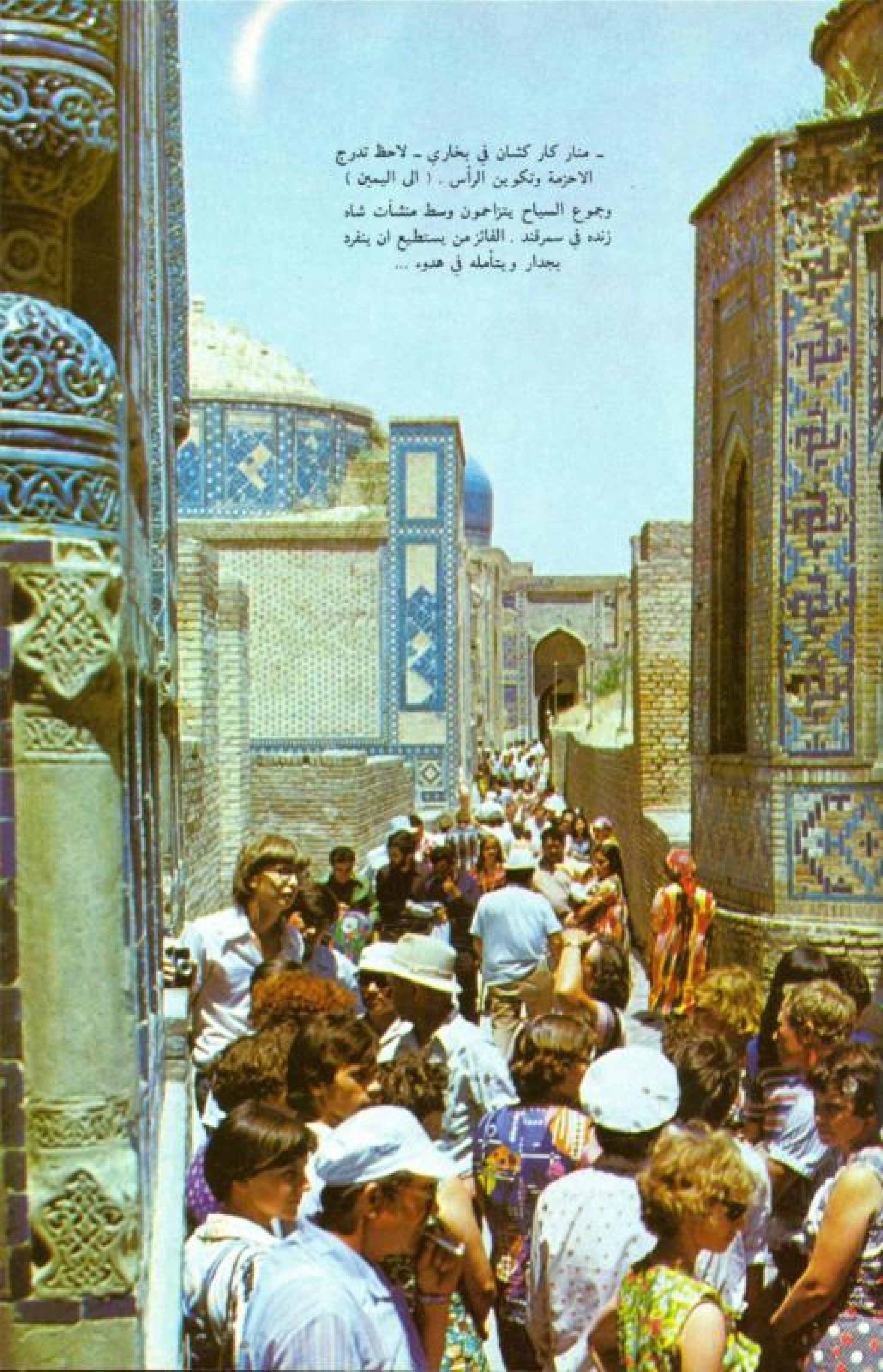
كانت الطائرة الروسية التابعة لشركة « ايروفلوت » والمتجهة من طشقند الى سمرقند ، مزدحمة بالسياح الذين تملأ خيالاتهم تلك الاساطير والقصص التي روجتها السينما العالمية حول مملكة تيمور الاعرج العظيمة . جميعا يحملون آلات التصوير انتظارا للحظة يقفون فيها على عتبات عاصمة فاتح العالم . ووسط السياح اندست جماعات من الأوزبك المسلمين ، تميزهم وجوههم المغولية وأغطية رؤوسهم السوداء المطرزة بخيوط بيضاء حريرية . وهؤلاء يحملون حقائب يد منتفخة ، مكدسة بالفواكه والقدور . تماما كما يفعل أهل الريف عندنا ، الطعام هو هديتهم المفضلة ومخاطبة البطون اسلوب تقليدي في كسب الود والتعبير عنه .

من الطائرة تظهر بلاد ما وراء النهر المترامية الاطراف ، يظهر نهر جيحون بروافده التي تفوق الحصر ، ومجاري المياه الاخرى الهابطة من قمم الجبال العالية ، بمياه وصفها الاصطخري بانها اعذب المياه وأبردها واخفها ، ثم زراعات القطن الشاسعة وحدائق الفاكهة التي ذكرها كل الرحالة العرب في كتاباتهم ، حتى قال الاصطخري انه رأى « من كثرتها ما يزيد على سائر الآفاق ، حتى ترعاها لكثرتها دوابهم » .

طوال ١٢ قرنا على الأقل ، كانت هذه البقعة الممتدة وراء نهر جيحون مسرحا لاحداث جسام كان يمكن أن تغير وجه آسيا كلها ، لو مضت في مسارها الصحيح ، منذ فتحها باسم الاسلام قتيبة بن مسلم في عام ٦٨ هجرية (كانت غزوات المسلمين للمنطقة قد بدأت منذ عام ٤٦هـ) ، وتقدم الاسلام منها الى الصين والهند ، وانتشر في روسيا ذاتها ، حتى ظلت الاراضي الروسية خاضعة للسيطرة التترية الاسلامية على مدى ثلاثة قرون ، بل كان دوق موسكو ذاتها يدفع الجزية سنويا لامير بخارى ، وكانت روسيا مع اسبانيا وشعوب البلقان هي البلاد الاوروبية الوحيدة التي رفعت عليها راية الاسلام .

لكن المسلمين اساءوا ، وتحول اكثرهم في هذه المناطق ، من مبشرين وفاتحين الى غزاة واصحاب ملك وسلطان . وهزموا انفسهم ، فهزمهم غيرهم .. وتكررت القصة بحذافيرها في الاندلس وصقلية والبلقان وروسيا .... وكانت النهاية واحدة ، لان الله ـ بنص القرآن الكريم ـ يدافع ـ فقط ـ عن الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات بداهة .



- منار كار كشان في بخاري - لاحظ تدرج
الاحزمة وتكوين الرأس . (الى اليمين)

وجموع السياح يتزاحمون وسط منشأت شاه
زنده في سمرقند . الفائز من يستطيع ان ينفرد
بجدار ويتأمله في هدوء ...

السلام عليكم

حلقت الطائرة فوق سمرقند وهي قابعة وسط الخضرة . بدت ـ واضحة ـ معالم سمرقند الجديدة بعماراتها العالية ذات النمط الواحد ، والمتراصة على مساحات شاسعة ، ثم المدينة القديمة بشوارعها الضيقة وبيوتها الواطئة ، ومآذنها وآثارها البديعة تلمع بفسيفسائها تحت ضوء الشمس الساطع ، ثم مجرى نهر زارافشان او ناثر الذهب ، الذى تتمدد سمرقند على ضفافه في دلال على مدار التاريخ .. تماما كما سجل ياقوت الحموى وصفا لها في « معجم البلدان » : كأنها السماء للخضرة وقصورها الكواكب للاشراق ، ونهرها المجرة للاعتراض ، وسورها الشمس للاطباق .

فقط كانت سمرقند بغير سور . تداعي سورها القديم والشهير ، الذى ذكر الحموى ان احد ظرفاء العراق كتب بخط يده عليه :

وليس اختياري سمرقند محلة
ودار مقام لاختيار ولا رضا
ولكن قلبي حل فيها فعاقني
واقعدني بالصغر عن فسحة الفضا
واني لممن يرقب الدهر راجيا
ليوم سرور غير مُغرىً بما مضى

وهي احدى مفارقات القدر ، أن يقام مطار سمرقند في نفس موضع الباب الشمالي الذى كان يتخلل سور المدينة القديم ، وهو الباب المؤدى الى بخارى الشريفة وهو ايضا الباب الذى قال الاصمعي ان كتابة بالحميرية (اليمنية القديمة) وجدت عليه هذا نصها : بين هذه المدينة وبين صنعاء الف فرسخ وبين بغداد وبين أفريقية الف فرسخ ، وبين سجستان وبين البحر مائتا فرسخ ومن سمرقند الى زامين سبعة عشر فرسخا .

ألقى موظف المطار الاوزبكي نظرة ملية على جواز السفر ، ثم رفع رأسه وابتسم في ود شديد ، وقالها بحرارة ظاهرة : السلام عليكم !

خصني الرجل بالتحية من دون الواقفين ، ومنحني ذلك احساسا مرضيا ، قلل من شعورى بالغربة في هذه المنطقة النائية التي استخدمها حكم القياصرة كمنفي للمشاغبين والمرفوضين (كان هؤلاء ، هم نواة الاحزاب الشيوعية في تلك المناطق فيما بعد) .

وايا كانت دوافعه ، فقد بلغتني الرسالة ، وشعرت بالألفة والأمان .

اقتادني المرافق الى فندق سمرقند ذى الطوابق الاثني عشر ، والمطل على شارع مكسيم جوركي . وافهمته من البداية أنني قادم لأجل سمرقند القديمة ، أما المدينة الجديدة فانني أستطيع أن اتصورها من خلال النشرات والكتب ، ومن خلال المرور اليومي بين شوارعها .

قلت لمرافقي أيضا انه قد يكون بيني وبين سمرقند الجديدة اعجاب هي جديرة به ، ولكن ما بيني وبين سمرقند القديمة هو علاقة حب نشأت من « اول نظرة » ، قبل عشر سنوات خلت ، تحولت الى عشق من النظرة الثانية على سمرقند في كتب الرحالة والمؤرخين .

ولم أقل لمرافقي أنني لست قادما الى القديمة باعتباري سائحا ولا حتى صحفيا ، ولكني قادم اليها باعتبارها جزءا من وطني الذى اغترب ، وفي ضيافة اقاربي الذين القى على احدهم سلام الله في المطار !

ابن الاثير : ليتني مت !

على مسرح الحقيقة يصبح لكل شيء لون مختلف ومذاق مختلف ، فما بالكم اذا كان المسرح يمتد بطول ٢٥ قرنا ، يقف فيه قرب نقطة البداية اسكندر الاغريق فاتحا لسمرقند ، وعند النهاية يقف اسكندر الروس قابضا عليها . وبين « الاسكندرين » تتابعت عروض ، وتقوضت عروش ، وتقلبت سمرقند بين السعد والنحس ، وبين النعيم والجحيم ، والمجد والذل .

عبر الكتب تتابع العروض من مقعد المشاهد . لكنك عندما تصل الى سمرقند وتطأ ترابها بقدميك فانت تلقائيا تصعد الى خشبة المسرح ، وتقف وسط عناصره الحية . تكاد تسمع صوت قعقعة السيوف وصهيل الخيول وزئير المحاربين ، وأنات الجرحى . بل تكاد تغمض عينيك لتحميها من غبار المعارك الطاحنة التي دارت فوق أرض سمرقند ، وأسفرت عن تدميرها ثلاث مرات : مرة عندما هاجتها قوات الاسكندر المقدوني في عام ٣٢٩ قبل الميلاد (كانت تعرف وقتئذ باسم مرقندا) ، ومرة عندما اجتاحتها وهي في اوج مجدها الفكرى العمراني جحافل جنكيز خان ، او تنكيز اللعين ، كما يصفه ابن بطوطة ، في عام ١٢٢٠ ميلادية (٦١٧ هجرية) وسويت مدينة سمرقند وحصنها بالارض وحدث الهول الذى أتي على الحرث والنسل مما تحفل به كتب التاريخ .

وهو ما وصفه ابن الاثير (الجزء ال ١١ من مؤلفه



بنات سمرقند وسط حدائق عاصمة تيمورلنك

الكامل) بقوله : لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة ، استعظاما لها كارها لذكرها ، أقدم اليه رجلا وأؤخر اخرى . فمن الذى يسهل عليه ان يكتب بنعي الاسلام والمسلمين ، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ، فياليت امي لم تلدني ، وياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ! ... ثم مضى يسرد ما فعلته جيوش جنكيزخان ممهدا لذلك بقوله : ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة ، الى ان ينقرض العالم وتفنى الدنيا !

وكان التدمير الثالث على أيدى الأوزبك حوالي منتصف القرن التاسع الهجرى والخامس عشر الميلادى ، وقد كانوا قبل اسلامهم مثلا للبرابرة الاجلاف الذين اثاروا الفزع في قلب أسيا . ويصفه الشيخ كمال الدين عبد الرازق ، والذى شهد الحادث في مؤلفه « مطلع السعدين » هجومهم على سمرقند بقوله : ان صور الفسيفساء الجميلة التي كانت قد جلبت خصيصا من الصين قد حطمها هؤلاء الاوزبك بهراواتهم . وكانت تزين جدران بهو الصور « جين خانه » ، كما نزعت زخارف الذهب ، وهكذا حطمت تحطيما تاما في مدى ساعات قليلة ، الاشغال الفنية التي أستغرق انجازها سنوات باكملها .

تدهش كيف جرى هذا كله لسمرقند ، وكيف انها بعد كل غزوة كانت تقيم العمائر والمدائن فوق الخرائب ، وتعود تخطر من جديد على ضفاف نهر زارافشان !

الاضرحة وجميلات سمرقند

على مسرح الحقيقة في سمرقند ، تثير الانتباه ظاهرة انتشار الاضرحة ، والاقبال الشديد للناس عليها خاصة في أيام الجمع والمناسبات الدينية . وتستغرب ما يفعله الناس امام هذه الاضرحة ، من صور التقديس ، حتى كادت تصبح اصناما جديدة تلتف حولها طوابير المؤمنين والمؤمنات من ذوى النوايا الطيبة . وتلتقي هذه الصورة الى حد ما مع ما سجله المؤرخون عما اصاب الحياة العقلية والفكرية في سمرقند وبقية أسيا الوسطى بعد غزوة « تنكيز اللعين » ، وكيف ان الدمار لم يكن مقصورا على جسم سمرقند وبخارى مثلا ، ولكنه اصاب في الصميم « عقل » المدينتين ، الأمر الذى فتح الباب واسعا لانتشار التصوف والبدع ، واشتغال الناس بشئون العبادات دون غيرها .

وقد كانت جولة ابن بطوطة في بلاد ما وراء النهر في أعقاب هبوب اعصار « تنكيز اللعين » على تلك المنطقة ، فكتب يقول : فمساجدها الآن ومدارسها وأسواقها خربة



● من بقايا مسجد بي بي خانم في سمرقند - رغم الزلازل بقيت قاعدة القبة كما هي .



● فلاحات الاوزبك ، في البيوت يقمن باعداد الخبز .. تفاصيل الحياة اليومية لم تتغير كثيرا .

● جدران مسجد بي بي خانم ، شامخة وضخمة رغم عوادي الزمن .

امام الاطلال وقف الرجل يدعو الله ، مأخوذا بهيبة المكان وجلاله



الا القليل واهلها أذلاء ، وشهادتهم لا تقبل بخوارزم وغيرها ، لاشتهارهم بالتعصب ودعوى الباطل وانكار الحق . وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئا من العلم ، ولا من له عناية به .

وهو يصف مشهدا رأيته للناس وهم يتعاملون مع ضريح قثم بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي عليه السلام ، الذي يقال انه استشهد في فتح سمرقند ، واقيم له ضريح آية في الجمال والروعة . يقول ابن بطوطة : ويخرج اهل سمرقند كل ليلة اثنين وجمعة لزيارته . والتتر يأتون لزيارته وينذرون له النذور العظيمة ، ويأتون اليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير ، فيصرف ذلك في النفقة والوارد والصادر ولخدام الزاوية والقبر المبارك ، وعليه قبة قائمة على أربع أرجل ، ومع كل رجل ساريتان من الرخام ، منها الخضر والسود والبيض والحمر . وحيطان القبة بالرخام المجزع المنقوش بالذهب ، وسقفها مصنوع بالرصاص ، وعلى القبر خشب آبنوس المرصع مكسو بالفضة ، وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة ، وفرش القبة بالصوف والقطن . وخارجها نهر كبير يشق الزاوية التي هناك ، وعلى حافتيه الاشجار ودوالي العنب والياسمين .

ترى في عيون جميلات سمرقند اصلا لقصة « الرقيق » التي حاول كثير من المستشرقين ان ينفخوا فيها ، حتى اعتبروها السبب الاساسي الذي دفع المسلمين الى فتح بلاد ما وراء النهر . ومن الثابت فعلا ان مناطق آسيا الوسطى كانت احد المصادر التي كان يستجلب منها الرقيق الى الشرق ، نساء ورجالا :، وما من واحد من الرحالة العرب مر بتلك المناطق الا واشار بشكل او بآخر الى موضوع الرقيق . وهو امر كان طبيعيا في الزمن القديم ، بل كان الارقاء لهم وضع مقنن عند اليونان والرومان ، وايده المشرعون والفلاسفة مثل أفلاطون وارسطو .

ومع التسليم بهذه الحقيقة ، الا ان الاعتراض الوحيد هو ان يكون السعي وراء الرقيق والجواري هو « سبب فتح المسلمين لهذه المناطق » ، لقد كان استجلاب الرقيق من آثار ما بعد الفتح ، وفي عصور الانحطاط الفكري ، وليس سببا للفتح بأي حال .

وليس أدل على ذلك من انه عندما توجه جيش المسلمين بقيادة قتيبة بن مسلم ليفتح بلاد ما وراء النهر ، بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي ، والي العراق عام ٨٦ هجرية (٨٠٤م) ودخل قتيبة بجيشه مدينة سمرقند . عند ئذ توجه وفد من أهلها الى خليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز ، وشكوا اليه من ان قتيبة دخل ديارهم من غير ان يخيرهم بين الاسلام او العهد او القتال . وانه قاتلهم من غير تخيير ، فكلف عمر بن عبد العزيز قاضيا بان يستمع الى الشكوى ، ويتحقق من وقائع الحديث ، فان تبين له ان دعوى اهل سمرقند صحيحة ، فللقاضي ان يأمر قتيبة بان يعود بجنوده الى ثكناتهم ، ويخرج من الارض التي فتحوها ، ثم يخيرهم بين الأمور الثلاثة .

وقد درس القاضي الموضوع ، وتحقق من صدق شكوى اهل سمرقند ، فامر قتيبة وجنوده بان يخرجوا من ديار سمرقند ، وان يخيرهم وجند المسلمين في ثكناتهم بعيدا عن المدينة ، بين عهد عادل ودخول الاسلام ، او القتال ، ونفذ قتيبة بن مسلم الامر !

وكانت هذه هي المرة الاولى في التاريخ ـ وربما الاخيرة ـ التي يخرج فيها جيش من بلاد فتحها ، بناء على حكم قضائي صادر من الدولة الغازية !

ومع ذلك ، يتجاهل بعض المستشرقين هذا الحدث الفريد من نوعه ، ويصر على ان المسلمين ذهبوا الى بلاد ما وراء النهر جريا وراء جميلات سمرقند ، ذوات الاعين الكحيلة الواسعة ، والضفائر التي لا تحصى ، والثياب الفضفاضة الزاهية الالوان !

وجبة طوال اليوم

حتى على مائدة الطعام ، تستحضر أوصاف الرحالة والمؤرخين ، وتكتشف صحة رواياتهم عن خيرات سمرقند ، ووفرة فاكهتها « حتى يرعاها لكثرتها الدواب » ، كما قال الاصطخري .

مجلس الطعام على الارض او فوق اريكة خشبية مربعة على احسن الفروش . وهم يبدأون أي وجبة بالفواكه التي هي في الاغلب خليط من البرقوق والتفاح والخوخ والعنب قد يضاف البطيخ والشمام في موسم الصيف ، والى جانب سلال الفواكه ترى صحون مليئة بالزبيب واللوز المقشور ، وتتناثر في الاركان ارغفة الخبز السمرقندي الشهير (نون) .

بعد هذه المشهيات « البسيطة » ، توضع امامك شطائر محشوة باللحم الضاني ، كملحق اضافي لفتح الشهية ويحين اوان تقديم « الوجبة » ، فيقدم الحساء وقد دست فيه قطع اللحم والبطاطس ، يعقبه الكباب . وفي الختام يقبل الأرز البخاري (يسمونه جزريـة) الذي تضرب به الامثال ، والمكون من أرز وجزر مخروط وزبيب وسمن .. وفي هذا كله تظل تتعاطى الشاي

الاخضر الخالي من السكر في اكواب صغيرة لا تفرغ ابدا !

وحتى تقدم هذه القائمة الطويلة من الاطعمة ، وترفع صحون وتوضع صحون ، لا بد ان تستغرق العملية وقتا طويلا ، وتكاد تصل المدة التي تستغرقها الوجبة ما بين ساعة وساعة ونصف ، حتى يقولون هناك ان وجباتهم تكاد تكون متصلة طوال اليوم .

والنكتة التي يتداولونها امام الضيوف تقول ان اوزبكيا سأل عربيا : كم وجبة تتناولون كل يوم ، فرد العربي : ثلاثا . عندئذ قال الاوزبكي بدهشة : ثلاث وجبات على مدار اليوم ؟... اننا نأكل وجبة واحدة في النهار ، تبدأ في الصباح وتنتهي في المساء !!

نقوش على المرمر

لكن ذلك كله في جانب ، وأثار سمرقند القديمة في جانب آخر .....

وليس معروفا على وجه الدقة لماذا اطلق على الشارع الموصل بين سمرقند القديمة والجديدة اسم اديب روسيا الكبير مكسيم جوركي . وقد يكون من بين هذه الاسباب ان جوركي استلهم عصر تيمور ، في بعض رواياته ، مثل « نشيد الام » ، وقصص من ايطاليا » ....

لقد كانت العمارة فنا رفيعا في مدن آسيا الوسطى حتى قبل الاسلام ،كما تؤكد اكثر المراجع . وعندما قال الاسكندر المقدوني عن سمرقند في القرن الرابع قبل الميلاد : كل ما سمعت عن محاسنها صحيح ، باستثناء انها اجمل مما تصورت ، عندما قال الاسكندر ذلك فانه كان يعرب عن تقديره للمسات الجمال النسبية التي تمتعت بها سمرقند منذ ذلك الوقت . وعندما صعد نجم هذه المدن بعد الاسلام ، وصارت تموج بحياة جديدة ، حافلة بمختلف صور التقدم العلمي والرواج التجاري ، كان لابد ان ينعكس ذلك على فنون العمارة والتشييد ، التي مضت على الطريق ذاته ، حتى أفرزت هذه الاعمال المعمارية البالغة الروعة والجمال والمنتشرة في اكثر مدن بلاد ما وراء النهر ، وفي مقدمتها سمرقند .

كانت المساجد اول ما ابدعت فيها يد فنان هذه المنطقة ، وحينا انتشرت الاضرحة في مرحلة لاحقة اصبح تجميلها الذي يرتكز على فكرة التقديس ، مجالا آخر للابداع ، ومع كل خطوة تقدم تالية كانت تتسع قاعدة النهضة المعمارية ، حتى امتدت الى القلاع والمدارس وقصور الحكام ومنشآت الدولة وأسوار المدن .

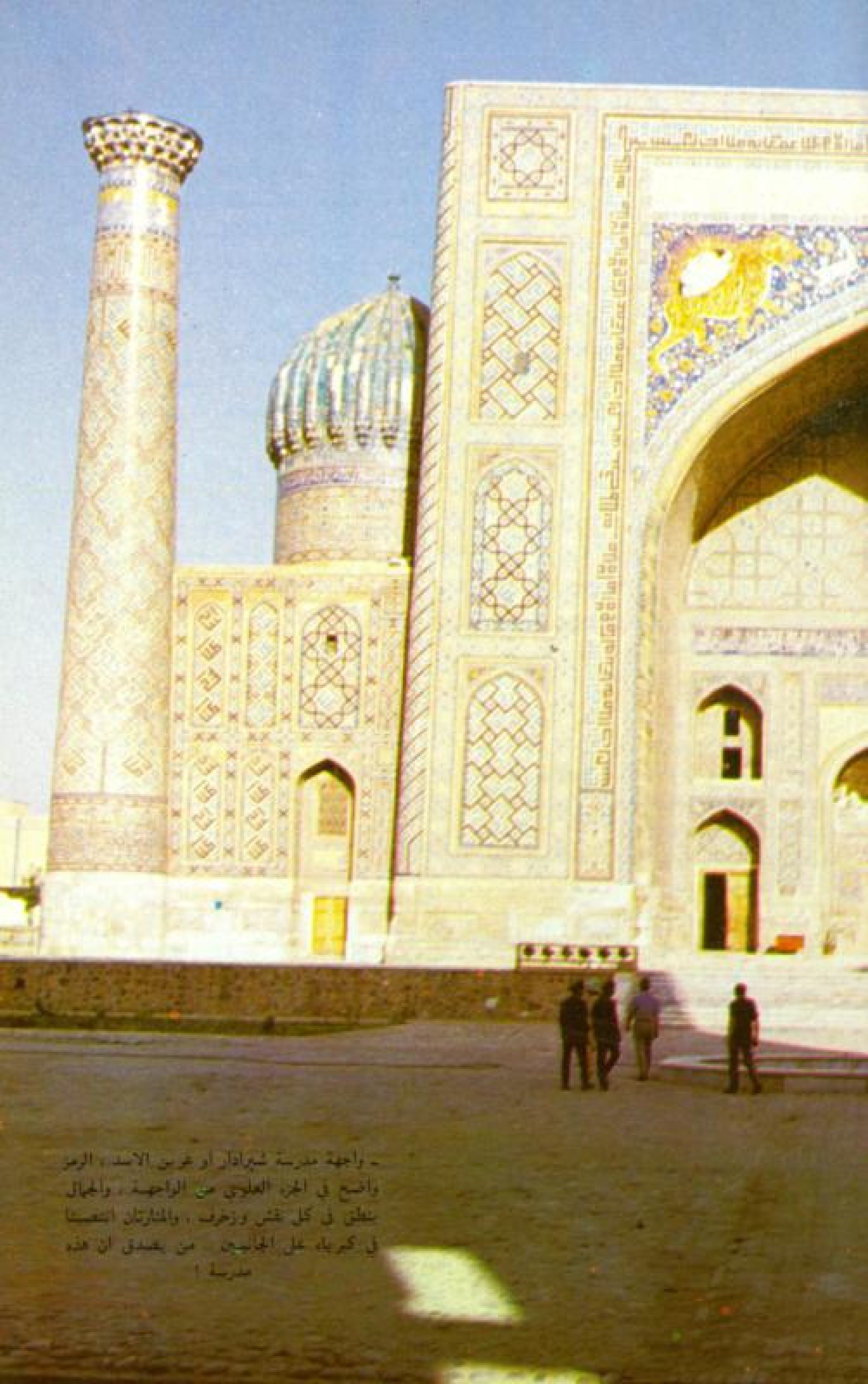
وقد كان منطقيا ان تبني بعض هذه المنشآت حتى القرن التاسع الميلادي ، من اللبن والطين . وان يعوض المعماريون بساطة الخامات بجهد كبير بذلوه في زخرفة واجهات تلك المنشآت وتزيينها ، حتى استخدمت الزخارف والنقوش على الجص المرمري منذ عصور الميلاد الاولى . (اقول ان ذلك منطقي وطبيعي ، انما الغريب في الأمر أن يطول عمر هذه المنشآت ففي ظل ظروف المناخ القاري التي تسود آسيا الوسطى حتى يعيش بعضها الى وقتنا الراهن ، وزخرفة محراب مسجد شير كبير في مدينة داهستان ، مثال رائع لذلك . اذ لا يزال قائما محراب المسجد الذى بنى خلال القرنين التاسع والعاشر . ولا يزال محتفظا بنقوشه الجميلة على مسطحات المرمر اللامعة .

ومع تقدم عمليات الانشاء ، استخدم الطوب الاحمر استخداما واسعا ، مما سمح بزيادة احجام القباب والأطواق ، وكافة المنشآت بوجه عام ، كما أدى استخدام هذا الطوب الى تحسينات في واجهات المنشآت ، التي استخدم فيها طوب احمر ، مزخرف . وكان هذا التطور بمثابة مرحلة تحول في مسيرة ابداع فنان آسيا الوسطى ، بلغت ذروتها في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين . وهي المرحلة التي بلغت فيها مدن ما وراء النهر ذروة مجدها .

والدراسات المعمارية تعتبر بوابة مسجد « مغطاك عطاري » ، المقام في بخاري خلال تلك الفترة ، نموذجا بديعا تمثلت فيه جميع انواع الزخرفة المعروفة في ذلك العصر ، من الطوب الصغير المصقول ، الى صفائح الفخار المنقوشة ، ثم النقش على المرمر الذى كان أرضية لرسوم الطوب . مضافا الى ذلك كله مختلف اشكال الزخارف النباتية ، والهندسية والكتابية .

ونستطيع ان نعثر في كل مدينة من مدن بلاد ما وراء النهر على نموذج او اكثر ، لا يزال ينطق بالتقدم الباهر الذى بلغته فنون المعمار ، مئذنة مسجد كلان في بخارى التي يبلغ ارتفاعها الحالي ٤٦ مترا ، ولا يزال جزؤها السفلي مغروسا في الارض ، ومئذنة جرقورغان القريبة من ترمذ ، التي يتكون برجها من ١٦ عمودا مربوطة في اعلاها بنطاق كتبت عليه آيات من القرآن الكريم ، وضريح سنجر في مرو (عاصمة السلجوقيين) ، يعد واحدا من اعاجيب فن المعمار العالمي . اذ غطيت قبته بقبة اخرى خارجية مكسوة بالطوب الازرق ، حتى كتب ياقوت الحموي ان قبة الضريح الزرقاء يمكن رؤيتها من مسيرة يومين ، اذ يبلغ





ـ واجهة مدرسة شيرادار أو عرين الأسد، الرمز واضح في الجزء العلوي من الواجهة، والجمال ينطق في كل نقش وزخرف، والمنارتان انتصبتا في كبرياء على الجانبين. من يصدق أن هذه مدرسة!

ارتفاع القبة الداخلية عن الارض ٣٦ مترا ، وقطرها ١٧ مترا ، أي أنها أكبر قبة في آسيا الوسطى .

غزوة « تنكيز اللعين »

لكن هذه النهضة المعمارية العريضة ، لقيت أسوأ مصير تحت سنابك خيل « تنكيز اللعين » في القرن الثالث عشر .

ولعل أبلغ ما وصفت به الحال في آسيا الوسطى بعد غزوة جنكيز ، هو ما كتبه المستشرق المجري ارمنيوس فامبري في تاريخ بخارى اذ قال : لقد سويت مدينة سمرقند العامرة ، وحصنهـا أيضا بالارض ، كما جرد الناس من كل ما يملكون ... وسير مهرة البساتين من اهلهـا الى الشرق الاقصى ليزينوا عاصمة المغـول الصينيين بمتنزهات على نمط مغاني سمرقند . اما مهرة الصناع ، لا سيما ناسجي الحرير والقطن منهم ، فقد الحقوا بخدمة زوجات جنكيز واقربائه ، بوصفهم أرقاء نافعين ، او سيروا مع الخان المغولي نفسه الى خراسان .. ثم يستطرد قائلا : فلا عجب اذن أن ترى في مدى خمس سنوات من هذه الحروب ، طرق آسيا العظيمة ، التي كانت بواسطتها تنقل حاصلات الصين والهند الى آسيا الغربية واوروبا ، وقد هجرت . وان الواحات التي اشتهرت بخصبها قد باتت جرداء مهملة ، او ترى آخر الامر أن تجارة الاسلحة والجواهر والحرير ونقوش الميناء ، التي ذاع صيتها في العالم الاسلامي قد انهارت الى الأبد .

وسط هذا المناخ المقبض الكئيب ، ظهر تيمورلنك ، واختار سمرقند عاصمة له ، وحدثت القفزة المعمارية الضخمة في المدينة التي استعادت ليس فقط جمالها المعماري ، ولكنها استعادت لقبها باعتبارها « ياقوتة » بلاد ما وراء النهر ، وتحولت الكلمة من وصف يتغنى به الشعراء الى حقيقة يلمسها الجميع .

امام الآثار في سمرقند يتسمر السياح ، ويكاد ينتزعهم ممثلو مؤسسة السياحة السوفيتية بالقوة من أماكنهم ، ليواصلوا الطواف على بقية المعالم المدرجة في البرامج . وبسبب هذه الآثار الشامخة والباهرة ، خسرت مرافقي الذي بدأ يشك في دوافعي وأهدافي ، بعدما غبت عن بصره وسط الزحام مرات عديدة . كان هو يدير ظهره للآثار ليتابع السائحين والسائحات ، واذا التفت الى النقوش والقباب والمآذن ، فانه يلقي عليها نظرات غير مبالية ، ويتعامل معها بملل ظاهر . ربما لانه مر امامها عشرات المرات ، وحفظ ما يقال عنها الف مرة . وهو ما يذكرني بسلوك بعض المطوفين اثناء زيارة الاماكن المقدسة في موسم الحج .

وبالنسبة لي فقد كانت الوقفة أمام كل اثر تنقلني الى عوالم بعيدة في رحلة لا تعني المرافق بأي حال . وقد كان شغله الشاغل ان يسلمنا الى مسئولي العلاقات الخارجية في طشقند في الموعد المضروب في برنامج الزيارة ، ومن دون أية خسائر في العتاد والارواح .

في دنيا « الملك الحي »

مجموعة « شاه زنده » عالم كبير بحد ذاته .

وشاه زندة معناها الملك الحي . والمقصود به هو قثم ابن العباس ، ابن عم الرسول (ص) الذي يقال انه استشهد عام ٥٧ هـ في احدى الغزوات التي سبقت فتح بلاد ما وراء النهر . وتقول الأسطورة المتداولة هناك ان قثم عندما سقط قتيلا ، أخذ بين يديه رأسه المقطوع ، ونزل الى بئر عميقة تؤدي الى حديقة تحت الارض ، ولا يزال حيا هناك حتى الآن !

وهم يستشهدون على صدق القصة ، بالآية الكريمة المحفورة على قبره البديع : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون » .

فوق اطلال مدينة افراسياب التاريخية ، والتي يقول الاثريون أن سمرقند القديمة بنيت في مكانها ، هناك أقيم قبر قثم بن العباس . ولانه ابن عم النبي (ص) ، ففضلا عن هالة التقديس والاحترام التي تحيط به ، فقد اعتبر المكان بقعة مباركة ، كان يدفن فيها الامراء والشخصيات الهامة . في عهد تيمور اختار هذا المكان ليصبح مدفنا لآل تيمور ، بوجه أخص .

وهذه الملابسات كلها كانت كفيلة بان توفر للاضرحة المقامة ، والمساجد التي انشئت حولها أسبابا قوية للعناية والانفاق البالغ ، جعلت منها في النهاية قطعا فنية رائعة ، اجتمعت لاجلها قدرات امهر الفنانين والبنائين في عهد تيمور وبعده حتى أصبحت مجموعة شاه زندة على رأس المجموعات المعمارية الفريدة في آسيا .

في البداية يجتاز الزائر مدخلا ظليلا ، واول ما يصادفه مدرسة حديثة العهد نسبيا حاول بناتها ان ينقلوا على واجهتها الزخارف والنقوش التي تحفل بها الأبنية الاخرى الداخلية ، ثم مسجد يقولون عنه أنه كان معدا للصلاة في الشتاء فقط ، ولكنه الان صار فرعا لمتحف تاريخ الفن والحضارة في اوزبكستان (١) .. والى يساره مسجد آخر ـ صيفي ! ـ يرتفع ايوانه على

اعمدة خشبية ، بينا ركب سقفه من الخشب ، وزين بالوان بهيجة ورقيقة ، فوزعت على نقوش ذات اشكال متباينة .

وبينا الدرج يتجه ، عريضا وعاليا ، نحو مجموعة الأضرحة الداخلية ، يجذب الانتباه الى اليسار ضريح جميل من طابقين ، يتميز ليس فقط بفخامة زينته ، ولكن أيضا بتركيبه الفريد وتناسق نسبه . والضريح مبني فوق قبر عالم الفلك قاضي زاده الرومي ، معلم أولوغ بك حفيد تيمورلنك وامير سمرقند فيا بعد ، وعالم الفلك البارز .

واذا مضينا مع الدرج حتى نهايته ، فسوف نجد مجموعة من الاضرحة ، التي ترجع الى القرن الرابع عشر الميلادي ، عندما اختار تيمورلنك سمرقند عاصمة له .

على الجانب الشرقي للممر يواجه الزائر بضريح لاحدى الاميرات ـ طوغلو تكين ـ وقد استخدمت في تكسيته الفخارات المنقوشة المطلية بدقة متناهية ، والى جواره ضريح على نفس النسق اصطلح على تسميته « أمير زاده » وان لم يعرف صاحبه بعد . وفي ركن جانبي من الحجرة فتحة تؤدى الى مصلى صغير (زيارة خانه) غطيت جدرانه بنقوش كثيفة تلمع رغم الظلام النسبي الذى يسود المكان ..

بعد خطوات خمس ، يجتاز الزائر باب حجرة تالية غطيت جدرانها بالفسيفساء المنقوشة ، بينا تمت تكسية الضريح الذى يتوسط الحجرةبلون أزرق مذهب . والحجرة مع الضريح تحفة معمارية ناطقة ، واضح فيها الاهتام الزائد الذى يليق بصاحبة المكان ، الاميرة (شيوين بيكه اقا) ، شقيقة تيمورلنك .

وفي مواجهة هذا المتحف الصغير حجرة اخرى تخطف واجهتها البصر اذ ان طوابير السياح تقف مشدوهة امام تكسية البوابة ، وتصميم الواجهة ، اذ لا يصبح الامر مقصورا على نقوش وزخارف وفسيفساء غاية في الرقة والابداع ، ولكن تضاف الى هذا كله أعمدة ركنية مقامة في تجويفات داخل الجدار ، والاعمدة مغطاة بنقوش دقيقة بلون الفيروز ، وتقف على قواعد معقدة ومشكلة ، وتغطي حيطان التجويف الجانبية برسوم من المايوليكا ، يزين الضريح من الداخل بالواح مايوليكية ذات حواش بكتابات ، اغلبها أيات من القرآن الكريم .

هنا ايضا في هذا المتحف الثاني ترقد شقيقة اخرى لتيمور هي : الاميرة (تركان آقا) في الجانب الآخر بنيت مجموعة كاملة من المباني بأمر من (نزمان آقا) ، زوجة تيمور ، وتضم حجرة متوسطة للخدمة ، ومسجدا (خانقاه) وضريح نزمان اقا ، الذى لا يقل روعة وجمالا عن اى ضريح آخر في شاه زندة ، بل ويتميز عليها جميعا ببوابة مكسوة بالفسيفساء ليس كمثلها بوابة اخرى .

وتتكرر القاعات والاضرحة ، وتتكرر معها اللوحات الفنية التي تكسو الجدران ، وتطوق بالأعمدة وتلمع في السقوف .. حتى يمكن القول بحق انها بمثابة متحف اصيل للطلاء الزخرفي ، حيث تلتقي في كل لوحة نماذج باهرة للفخارات المنقوشة المطلية ، والمايوليكا المزخرفة والترابيع البارزة ، والفسيفسات التي لا نظير لدقة وجمال الوانها .

يجتاز الزائر ممرا مظلما ورطبا ، ليصل الى مقر « الامير الحي » قثم بن عباس والمقر او الضريح مكون من ثلاث قاعات : واحدة فسيحة يتوسطها قبر مع ابن عم النبي (ص) ـ (كورخانه) ـ ثم مسجد صغير في القاعة الثانية (زيارة خانة) والقاعة الثالثة ، وهي حجرة صغيرة مخفية تحت المسجد ، يقال انها كانت مخصصة للعبادة والصوم لمدة ٤٠ يوما ، ويطلق عليها اسم (تشيلا خانة) .

بنى قبر قثم بن عباس اكثر من مرة كما تؤكد شواهد المكان ، فاذا صح ان قثم استشهد في سنة ٥٧ هجرية ، فان تاريخ البناء الحالي لضريحه هو ٧٥٣ هجرية ، الامر الذى يعني أن هذا التاريخ لآخر بناء اقيم في المكان .

ويعجز المرء عن وصف الجمال الذى يتمتع به غطاء القبر ، الذي لا بد أن يكون الجهد الذى بذل في تصميمه وتجميله أضعاف أضعاف ما بذل في التحف المعمارية الاخرى المماثلة .

وهذا الغطاء الحالي للقبر أقيم في عهد تيمور ، وهو يتكون من أربع دوائر تصغر على التوالي ويزين بألوان تربيعية تسود فيها الألوان الزاهية : الأزرق والسماوى ، والأصفر والابيض فضلا عن لون أخضر آخر ، ويتخلل هذه المجموعات من الألوان عروق من الذهب ، به كتبت ايضا بعض آيات القرآن على الاسطح الجانبية للدائرتين الثالثة ، والرابعة من الغطاء ، اكثرها وضوحا الآية التي تقول : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ... الى آخر الآية .

ريكستان : عالم متميز

ومجموعة ريكستان تنقل الزائر الى عالم آخر متميز ....



ـ قبر قثم ابن العباس (او الملك الحي) ابن عم الرسول (ص) ، وهو احدى التحف الفريدة في مجموعة شاه زنده . (فوق) ثم وليمة نسائية في عيد الربيع ، تناثرت الارغفة السمرقندية الشهيرة في أرجائها (تحت) ـ والى اليسار مقطع من رسم على الجدار تم العثور عليه في انقاض افراسياب ، المدينة القديمة التي قامت في مكانها سمرقند ، والصورة اساسا لموكب في حفل عرس .





وقد كان ميدان ريكستان هذا هو قلب سمرقند على عهد تيمور (ريكستان تعني المكان الرملي) . اذ كانت مقرا للسوق الرئيسي ، يمكن تصور أهميته في بلد تموج بالرواج التجاري وتتوقف فيها القوافل المتجهة بين الشرق والغرب ، ومع النهضة العلمية التي رافقت حكم (أولوغ بك) اوائل القرن الخامس عشر الميلادي ، اختلفت وظيفة الميدان ، وظهرت فيه على التوالي ثلاث مدارس ضخمة توزعت على أركانه : مدرسة أولوغ بك ، ومدرسة شيردار (عرين الأسد) ومدرسة طلا كاري (المطلية بالذهب) ويقال ان الميدان الذي يتوسط هذه المدارس كان فيه حتى عهود متأخرة بقية من المحال التجارية ، تتوسطها ساحة واسعة ، كانت بمثابة مسرح يقدم فيه الحكاءون والداحون اعمالهم ، من اناشيد وتمثيليات تروي مآثر الاولياء وبطولة المحاربين الامجاد في الايام الغابرة .

وكل من هذه المدارس بمثابة عمل معماري ضخم ، التقت فيه عناصر الجمال والفن والابداع التي تجسدت في التحف التي اقيمت على عهد تيمور ، وهو أمر له دلالته التي تشرف تلك المرحلة . ان تلقى المدارس هذه العناية التي تضعها في صف واحد مع اعظم القصور .

ومدرسة أولوغ بك ـ التي تولى بنفسه التدريس فيها ، ذات واجهة مهيبة وعالية ، يتخللها قوس حاد ، اقيمت في داخله البوابة الرئيسية ، وتنتصب حول البوابة مئذنتان عاليتان بينما تبدو من على البعد قبة خلفية في ركن جانبي ، والكل حافل بالنقوش البديعة التي تظهر فوق البلاط المطلي ، وتضم المدرسة ٥٠ غرفة للدراسة والاعاشة كان يدرس بها مائة طالب في البداية وكان المبنى يشتمل على طابقين واربع قباب عالية فوق قاعات الدراسة الركنية (درس خانه) ، مع اربع منارات في الاركان ، وقد لحق التلف والدمار ببعض هذه المعالم فلم يعد للقباب وجود ، وبقيت مئذنتان فقط من الأربع .

ومدرسة شيرا دار او عرين الاسد ، كانت في الاساس زاوية للصوفيين ، او مسجدا لهم طبقا لما قاله الدليل الذي يرشد السياح ثم اقام حاكم سمرقند في المكان ذاته هذه المدرسة العظيمة ، المواجهة لمدرسة أولوغ بك على مدى ١٧ عاما . وزين واجهتها الضخمة بنقوش جميلة ودقيقة ، لأسود وقطط وحيوانات خيالية ، احاطت بقوس البوابة ، بينما غطيت بقية البوابة والمئذنتان اللتان تحيطان بها بنقوش مماثلة لزخارف مدرسة أولوغ بك . لكن الجمال المذهل يطل من قبة داخلية كبيرة كسيت كلها بزخارف تتميز بقدر هائل من الدقة وبراعة تفوق الوصف لاستخدام اللون في اشاعة جو من البهجة والوقار . وتخللت هذه النقوش والتكوينات آيات قرآنية ، كتبت باستدارة القبة جميعها .

اما مدرسة طلا كاري ، الضلع الثالث في المنشآت المعمارية الشامخة التي تنتصب في رشاقة وكبرياء حول ميدان ريكستان ، فان دلالة اسمها فيها الكفاية . ذلك ان اطلاق وصف « المدينة الذهبية » على المدرسة ، والمسجد الملاصق لها ، يوحي على الفور بالطبيعة الجمالية التي يتميز بها البناء . فضلا عن ثروة الألوان والزخارف التي تنطق بكل عبارات الروعة والجمال ، فان هذه الألوان والزخارف قد حظيت بميزة اضافية هي استخدام الميناء المذهبة ، التي لا يستطيع المرء ان يتخيل المدى الحقيقي للابداع فيها ، الا عندما تتكسر عليها اشعة الشمس عند الظهيرة .

ولان المدرسة بنيت حوالي منتصف القرن السابع عشر (١٦٤٦) ، فقد قال دليلنا انها كانت آخر اثر معماري كبير ذي كساء غني بالالوان . قالها صاحبنا بلهجة عادية ، وبغير اكتراث ، ولم يكن يعلم انه في الواقع كان ينعي الينا خبرا محزنا واليما ، خلاصته ان مسيرة الجمال وسط آسيا قد توقفت الى الابد بعد هذا البناء البديع .

هل هي مدارس أم واجهات ؟

سؤال قد يتبادر الى الذهن ، ذلك انني اذا كنت وقفت وسط الميدان مأخوذا بالواجهات الثلاثة ، فلا يعني هذا انه ليس في الصورة سوى واجهات فحسب ، لان العكس هو الصحيح . اذ انه خلف كل واجهة هناك صفوف من الحجرات على مساحات مربعة شاسعة ، وهناك زخارف واقواس وشرفات ، مما يحتاج الى كتب لتسجيل معالمها ، ونقل هذه المعالم بدقة وتفصيل عميقين .

تقول الكتابات السوفيتية ، انه في عام ١٩١٨ بعد اقامة السلطة السوفيتية في سمرقند توقفت رسالة مدارس ريكستان كمدارس دينية ، وتحولت بعد ذلك الى مبان أثرية تستثمر لاغراض السياحة وتجميل المدينة .

على ان ميدان ريكستان ذاته ، الذي تحول الى منتزه عام ، يذكر في الكتابات السوفيتية ايضا باعتباره الميدان الذي رفع فيه العلم الاحمر لاول مرة في سمرقند ، بعد ثورة ١٩١٧ ، وعقدت فيه الاجتماعات الثورية التي اسفرت عن الاستيلاء على السلطة ، ويذكر ان فيه « احرقت النساء والبنات الاوزبكيات والتارجيكيات

البراقع والحجب الكريهة (« رمز العبودية والظلم - » - ووقفن عام ١٩٢٧ - في صفوف البنات النشيطات للحياة الجديدة .

مسجد بي بي خانم

وفي جهة الشرق من ميدان ريكستان ، في شارع طشقند ، ترتفع اطلال مبنى المسجد الضخم الذى بني في أخر القرن الرابع عشر ، ويطلق عليه اسم زوجة تيمورلنك الكبرى الحسناء بي بي خانم ، وان كان الاثريون يقولون انه لا توجد زوجة لتيمور بهذا الاسم ، وأن زوجته الكبرى كانت تحمل اسم سراى ملك خانم . ويضيف الأثريون ان تيمور ذاته هو الذى وضع اساس المسجد في اعقاب حملته المظفرة الى الهند .

ومسجد بي بي خانم الذى ظللت طريقي بين اطلاله عبارة عن مجموعة منشآت معمارية تحيط بها الأسوار على شكل مستطيل ، طوله ١٦٧ مترا ، وعرضه ١٠٩ امتار ، وتقع وسط الاسوار باحة داخلية (٧٦ × ٦٣ مترا) في جهتها الشرقية بناية ضخمة للمسجد الرئيسي ، وفي جهتها الشرقية بوابة المدخل الرئيسي ، وعلى جانبيها مئذنتان ، وكان يتوسط الجهتين الشمالية والجنوبية مسجدان صغيران ، وقد اتصلت هذه المنشآت جميعها ، بعضها ببعض برواق ارتكزت سقوفه ذات القباب على ٤٠٠ عمود من الرخام ، بينما ارتفعت المآذن في اركان الاسوار التي تحيط بالمجموعة .

وكانت جدران المسجد الرئيسي مزخرفة بالتوشية الهندسية الكبيرة ، على شكل شبكة من الطوب الازرق ، المطلي بالميناء التي نقشت عليها آيات من القرآن الكريم كتبت بخط كوفي . وعلى عكس ذلك تتميز بوابة المسجد والمئذنتان ذواتا الاضلاع الثمانية والمجاورتان لها بكثافة عناصر الزينة ، التي يشترك فيها الرخام والاحجار المنقوشة وفسيفساء الترابيع . وترتفع قبالة البوابة قبة فيروزية ضخمة ، وصفتها مخطوطة من القرن الخامس عشر بأنها « .. كانت قبة وحيدة لو لم تكن السماء تكرارا لها » .

وفي الجانبين الشمالي والجنوبي يقوم مسجدان صغيران ، لكل منهما قبة تواجه الاخرى ، وكان الفناء مصمما في الماضي بشكل مدهش ، اذ كان مرصوفا بألواح مرمرية وفسيفساء خزفية ، وقد وضع أولوغ بك داخل المبنى الرئيسي دعامة مرمرية ضخمة للقرآن الكريم ، نقلت عام ١٨٧٥ الى وسط الميناء .

غير أن المسجد الهائل ، كان قد شيد على عجل ، مما ادى الى حدوث انهيارات فيه منذ السنوات الاولى لانشائه ، كما ساهمت الزلازل في تشويه وانهيار القباب ، وزادت من التصدعات في الاقواس ، حتى دمر زلزال عام ١٨٩٧ جزءا كبيرا من بوابة المدخل الرئيسي الملبسة بالمرمر (الالواح لا زالت محفوظة في فناء المسجد) ، مما حول الساحة التي كان مقدرا لها ان تشهد نموذجا أخر لروعة الفن المعماري ، الى بقايا وانقاض غير مكتملة متناثرة هنا هناك .

ومع ذلك ، تظل هذه البقايا شاهدا ابديا على عظمة الاشكال وبهاء الزينة الزخرفية .

الامير والفقيه واللغز

وعلى اتساع هذه الآفاق وثرائها وتميزها فان زيارة سمرقند تظل ناقصة بغير مرور على ثلاثة مواقع ، ترتبط بأسماء ثلاثة اشخاص : مرصد اولوغ بك ، الامير العالم ، وقبر الامام البخارى أمير الفقهاء ورواة الحديث وقبر تيمورلنك الامير اللغز !

لكن انبه الى ان هذه المعالم ليست هي كل ما في سمرقند ، فالقائمة طويلة ، والرحلة بين آثارها تستغرق في حالة الهرولة والاستعجال والاستنفار التي اصابت مرافقنا - ثلاثة ايام على الاقل ، ويعلم الله كم تستغرق من الصفحات ، ولم يكم هناك مفر - في النشر - من الوقوف امام اهم المعالم المتميزة في سمرقند الجميلة والعزيزة او القديمة كما يقولون هناك !

مرصد اولوغ بك المقام عند سفح هضبة تشوبان اتا ، قيمة علمية وتاريخية هامة ، أكثر منه قيمة معمارية او جمالية . فقد بناه هذا الامير العالم ما بين عامي ١٤٢٨ و ١٤٢٩ ، واقل ما يمكن ان يقال في حقه انه كان من اكبر المراصد العلمية في الشرق ، وان أولوغ ذاته يوصف بانه من رجال الفلك البارزين في العالم ، وانه كان صاحب الكلمة الاخيرة في علم الفلك بالشرق ، خلال العصور الوسطى ، وله مؤلف ضخم باسم « الجداول الفلكية الجديدة » ، من بين ما يضمه « كتالوج » لـ ١٠١٩ نجمة مرتبة وفقا للابراج . ولكل نجمة رقم ووصف مختصر لوضعها في البرج . وقد حدد أولوغ بك السنة النجمية بـ ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و ١٠ دقائق و ٨ ثوان . والمقدار الفعلي للسنة يساوى ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و ٩ دقائق و ٩,٦ من الثواني

وتشير الدراسات الاثرية الى ان مرصد أولوغ بك كان مقاما من ثلاثة طوابق ، وانه كان اسطواني






ـ ثلاث مآذن مختلفة الطراز ، الاولى الى اليمين لمسجد بي بي خانم في سمرقند ، والثانية لمسجد كلان في بخارى ، والثالثة واحدة من مآذن مدرسة أولوغ بك في سمرقند ـ ثم شرطي مرور يثير شاربه الفخم انتباه الجميع في شارع مكسيم جوركي بسمرقند (فوق) ـ والصورة السفلى لفنان اوزبكي يحاول رسم صورة لاحدى منشآت مجموعة شاه زنده .





الشكل . وفوق سقف المبنى وضعت بعض الأدوات الفلكية التي كان يستخدمها . وكان تخطيط المبنى معقدا ، حتى وجدت فيه صالات واسعة وممرات ومعابر تربطها فيما بينها . وشغلت وسط المرصد الاداة الرئيسية لعمله ، وهي السدسية المرمرية التي كان يطل منها على السماء ، وكان طول الجزء المتبقي الذي تم اكتشافه من هذه السدسية ، ١١ مترا !

ويلقى أولوغ بك من الكتابات السوفيتية اهتماما ملحوظا ، ليس فقط كعالم بارز ، ولكن ايضا بسبب موقف رجال الدين منه . اذ ليس مستغربا في ظروف تدهور الفكر الديني في هذه المناطق التي سادت فيها البدع وتعاليم المتصوفة ان يعلن رجال الدين الثورة عليه ، ويتهمونه بالكفر والردة وتستغل بعض الكتابات السوفيتية هذا الموقف وتصوره باعتباره دليلا على تخلف الدين ذاته ، الذي انكر على عالم عظيم مثل أولوغ بك جهده ، وليس باعتباره تدهورا مني به رجال الدين الذين حطموا المرصد بعد وفاته .

غير ان زيارة قبر امير الفقهاء الامام البخاري ، اقتضت منا خروجا من سمرقند المدينة ، الى سمرقند الضواحي ، لان قبر الامام يقع على مشارف قرية باي اريق ، التي تبعد ٢٥ كيلو مترا عن سمرقند .

ايضا ، فليس للقبر قيمة معمارية ، ولكن قيمته تتعاظم بقدر الراقد فيه ، الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري شيخ المحدثين ومصنف الجامع الصحيح الذي قضى ١٦ عاما في تصنيف احاديثه ، من بين ٦٠٠ الف حديث وقعت بين يديه ، كما قال هو .

تقول الرواية ان الامام البخاري عاد الى مسقط رأسه بخاري بعد غيبة طويلة بين الشام ومصر والحجاز والعراق ، فطلب منه امير بخاري ان يأتيه بكتابه « الصحيح » ، ويحدثهم في قصره فكان رد الامام : انا لا اذل العلم ، ولا احمله الى أبواب السلاطين ، فان كانت لك حاجة الى شيء منه ، فلتحضر الى مسجدي او داري ، فان لم يعجبك فانت سلطان فامنعني من المجلس .

وكانت النتيجة ان أبعد البخاري من بلدته ، فخرج الى سمرقند ، وعلم انهم اختلفوا في شأن قدومه الى سمرقند ، بين مرحب وكاره ، فاختار ان يبقى في هذه القرية التي كانت تعرف في ذلك الوقت (منتصف القرن الثالث الهجري) باسم بخرتنك ، وهي على بعد فرسخين من سمرقند كما تقول كتب سيرته ـ وهناك مات شيخ المحدثين عن اثنين وستين سنة ، الا ثلاثة عشر يوما .. وجاءت ميتته ليلة عيد الفطر .

وقد زاره ابن بطوطة بعد وفاته بخمسمائة سنة ، ويبدو مما كتبه انه كان مدفونا الى جواره عدد من علماء بخاري ، سجل ابن بطوطة اسماءهم ، ومؤلفاتهم ، اذ كتب على كل قبر اسم صاحبه ونتاجه الفقهي والعلمي ، لكنه لم يذكر تفصيلات الزيارة لانه كلما ذكر « كنت قد قيدت من ذلك كثيرا ، وضاع مني في جملة ما ضاع لي ، لما سلبني كفار الهند في البحر » !

الآن يرقد الامام البخاري وحيدا في ضريح متواضع يتناسب مع زهد الرجل في حياته العامرة ، والى جوار الضريح أقيم مسجد حديث جدا ، لم يكن موجودا في زيارتي الاولى قبل عشر سنوات ، ولعله اقيم بمناسبة الاحتفال بمرور ١٢ قرنا على مولده مؤخرا . والضريح والمسجد تحيط بهما حديقة واسعة تتناثر فيها أشجار الفاكهة الشهيرة في المنطقة ، وعلى رأسها الخوخ والبرقوق والتفاح ، وبالقرب من المسجد بنيت حجرات معدودة للاستراحة ، تطل على بركة مياه ، تستخدم للوضوء عادة .

ولا ينقطع زوار الضريح ، فالناس يعرفون مقامه الرفيع ، وان جهل اكثرهم من هو ، وقد لقينا هناك عروسين اوزبكيين قدما بعد عقد القران ليقرأ الفاتحة أمام ضريحه ، وليبارك الله في زواجهما وذريتهما .

لكن المفاجأة التي اذهلتنا ان الحديقة التي اقيم فيها قبر الامام البخاري تدخل في نطاق « كلخوز » ـ مزرعة تعاونية ـ يحمل اسم الزعيم السوفييتي لينين !

لم استسغ فكرة أن يقترن مرقد الامام البخاري باسم « كلخوز لينين » ، وقلت ان السوفيت لهم الحق في ان يقيموا ما يشاءون من انظمة زراعية ، ولكن أليس من باب اللياقة ان يفك هذا الارتباط بين اسم امام المحدثين ، وامام الشيوعيين ؟ !

وجهت السؤال الذي ظل كغصة مرة في حلقي ، الى احد نواب رئيس الادارة الدينية في آسيا الوسطى ، فقال بصوت هادىء ، أنت تعلم أن ثمة انفصالا بين الدين والسياسة في هذه البلاد ، وما تقوله أنت فيه خلط بين الاثنين ! وبقيت الغصة في حلقي الى الآن !

عدت منقبضا الى ضريح تيمور لنك ، في شارع اخونبا بايف ، واذا كان هناك مشهد يستطيع ان ينتزعك مما انت غارق فيه ، ويستطيع ان ينسيك بعض همومك الثقيلة فان التطلع الى تلك القبة الباهرة التي تعلو الضريح هو احد هذه المشاهد .

كما تستمع الى لحن عظيم ، فينتشلك من واقعك ،

ويسمو بك شيئا فشيئا ، وتظل ترتفع معه الى آفاق رحبة وواسعة ، حتى لا ترى في الحياة الا كل ما هو عذب وجميل .. هذا بالضبط هو شعور الواقف امام القبة الفيروزية المضلعة والمكسوة بكم هائل من زخارف الفسيفساء الدقيقة والبديعة في لمعة أخاذة ورصينة وقد ركبت هذه القبة فوق تصميم اسطواني ، يذكر المشاهد على الفور بالتصميمات المدهشة لضريح بي بي خانم ، وتستند هذه الاسطوانة على بناء من ثمانية اضلاع ، فيه يرقد تيمورلنك مع افراد اسرته . وقد تساعد الأرقام على تصور حجم هذه القبة ، فقطر قاعدتها ١٥ مترا ، وعلوها ١٢,٥ مترا وعدد اضلاعها البارزة ٦٤ ضلعا .. اما الجمال فيها فهو من ذلك النمط الذي لا يقاس ، ولا تعبر عنه الكلمات .

يسمونه « كور امير » ، او مدفن خلفاء الامير تيمور ، الذين سبقوه ولحق بهم في دورة الزمن التي لا تخطيء احدا .

وكور امير ايضا اسم يطلق على مجموعة من المباني ، مرتبطة باسم حفيد تيمور الحبيب الى قلبه محمد سلطان ، وتضم هذه المجموعة مدرسة خانقاه (مقر اقامة وضيافة لوجهاء الدولة) ثم هذا الضريح الذي الحق بمسجد ، وحول هذه المباني حيطان عالية ، تطل مئذنة من كل ركن فيها ، ويمر الزائر عبر بوابة مغطاة بكساء من الفسيفساء ذي جمال نادر ، لكي يصل الى هذه المنشآت التي يتصدرها المسجد والضريح . ويلمح الزائر في الفناء حجرا من المرمر الرمادي سداسي الشكل ومزينا بزخرفة منقوشة ودقيقة ، وقد كان هذا الحجر الملقى في ركن جانبي ذا شأن خطير عند التيموريين . اذ كانوا يعتقدون في تأثيره السحري ، وكيف أن السحرة استخدموه ليشيع الفوضى في صفوف اعدائهم الفرس . ومنذ ذلك الحين حظي هذا الحجر الخطير بتقديس بالغ ، حتى كان يغطى بلباد أبيض ، ليجلس عليه الامير لحظة مبايعته ، ليستمد منه القوة والجسارة في تحدي كل خصومه .

ولا يزال يطلق على هذا الحجر « العرش » اسمه التقليدي القديم : كوك طاش .

كان تيمور هو الذي امر ببناء الضريح ، وانعكست على تصميماته ونقوشه كل سمات عهده ، القوة والجبروت ، والترف والجمال ، وفي عام ١٤٠٣ مات حفيده الذي كان يؤهله لتولي الحكم بعده ، ثم لحق به تيمور ذاته بعد عامين ، ودفن الاثنان في قبرين متجاورين لكن المدهش في الامر ان تيمورلنك أوصى قبل وفاته بان يدفن عند قدمي استاذه ومعلمه مير سيد بركة فجيء بجثمان الرجل من بلده (اند خوي) في افغانستان ، ودفن في الضريح ، ووضع قبر تيمور بمحاذاة قدميه ، ويقال انه بني هذا الضريح اصلا لمعلمه الشيخ سيد بركة .

الآن يشهد الزائر هذه الصورة المهيبة في الداخل : الحفيد والامير والمعلم في قبور مرمرية وحولهم قبور اخرى لبعض افراد اسرة تيمور من النساء والاطفال .

على ان قبر تيمور اضيفت اليه بلاطة من صخرة اليشم الاخضر الداكن ، فريدة في حجمها ، استجلبها اولوغ بك بعد عشرين عاما من موت تيمور ، خصيصا لتوضع فوق قبر « فاتح العالم » . وعلى البلاطة كتبت باللغة العربية سيرة تيمور ونسله الذي يشير الى أنه من سلالة واحدة مع جنكيز خان ، كما تشير الكتابة الى ان أحد اجداد جنكيز خان ، ولدته امرأة تدعى « الانكوفا » « من النور الذي نفذ اليها خلال الباب الجبلي ، ومثل امامها في صورة انسان كامل ، وهو احد ابناء الامام علي بن ابي طالب » .

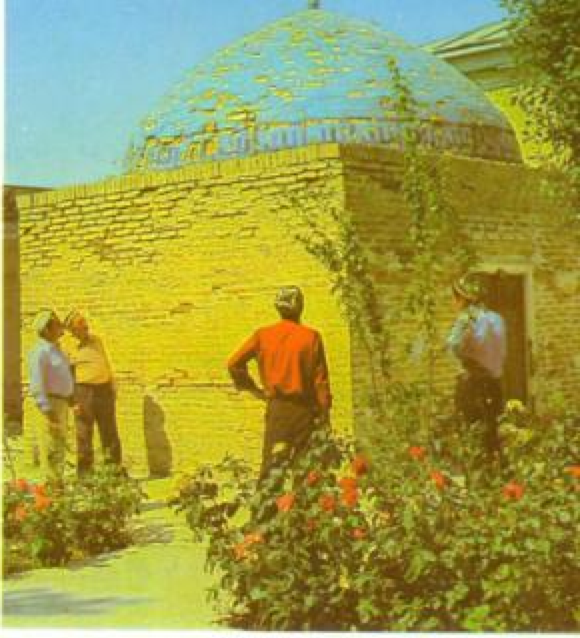
والقصة مختلقة بغير شك ، ولكنها نموذج للطريقة التي يمكن ان يكتب بها الحكام التاريخ والتي تصل الى حد « اختراع » علاقة نسب بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وبين امير الظلام في آسيا القرن الثالث عشر ، جنكيز خان !

الوجه الآخر لتيمور

ومع ذلك تظل شخصية الامير تيمور ، الذي ارتبط مجد سمرقند باسمه ، حافلة بالغموض والاثارة فالشائع في اذهاننا ان الرجل كان امتدادا لجنكيز خان ، في الغلظة والقسوة وشهوة التدمير والخراب ، وهي صورة ناقصة للرجل الذي لم يتح لوجهه الآخر ان يقدم بصورة معقولة ، ذلك انه دخل التاريخ بسيفه قبل كل شيء ، ما في ذلك شك ، لكن شخصيته لم تكن تخلو من اشراق .

صحيح انه أراق دما كثيرا ، وان نصف آسيا كان يرتعد فرقا منه ، بعدما وصلت جيوشه ما بين ازمير وبغداد ودلهي وموسكو ، ومات عن واحد وسبعين عاما وهو في طريقه الى الصين لكن هذا الرجل ذاته هو الذي طلب ان يدفن عند اقدام معلمه ، وهو الذي كتب في مذكراته مراسيم تيمور او توزوكات تيمور - يقول : « في سن الثانية عشرة بدأت استوعب كتب الحكمة العالية والقوة الخارقة . وفي سن الثامنة عشرة تعلمت





ضريح الامام البخاري قرب
سمرقند .. في كلخوز لينين !

حيدروف ـ اشهر الحفارين على
الخشب . مع نماذج من اعماله .

ـ فوق الاريكة المربعة ـ الشهيرة في اوزبكستان ـ يتناولون طعامهم احيانا ، ودائما يقضون فترة الظهيرة مع الشاي الاخضر . (الى اسفل) ـ قبة كور أمير ذات الـ ٦٤ ضلعا ، وواحدة من اجمل قباب آسيا ، واكثرها غنى بالفسيفساء والنقوش وجمال التصميم المعماري . (الى اليسار)





مهارة الصيد والفروسية ، وكنت أمضي وقتي في قراءة القرآن الكريم ولعب الشطرنج وهوايات اخرى » . وهو الذي أمر جنده وهم ينهبون اصفهان الا يتعرضوا بسوء للحي الذي كان يسكنه العلماء ، وكان يشارك فلاسفة وفقهاء هراه وحلب محاوراتهم الشرعية ، ويروى عنه انه امر بنقل مكتبة بأكملها على متون البغال من بروصة في تركيا الى سمرقند . ثم انه كان يعتبر ان اعظم كسب خرج به من البلاد التي فتحها هو استقدامه لطوابير الصناع واهل الفنون من اهل تلك الاصقاع ، والحاقهم بخدمته . ❊

ومن الثابت ان تيمور كان ذواقة للفنون والجمال ، الامر الذي دفعه الى ان يخلد كل انتصار حققه بانشاءات معمارية يقيمها . حتى جلب لذلك مئات البنائين من الهند وأمهر رجال المعمار من شيراز واصفهان ودمشق ، وعبر الجميع نهر جيحون ليسهموا في تجميل عاصمته سمرقند فضلا عن اسهاماتهم في الآثار العظيمة التي امر تيمور باقامتها في تبريز وشيراز وتركستان ، وبغداد .

كما ان هذا « البربري المتوحش » هو الذي أرغم على الهجرة الى سمرقند ، امهر النساجين من دمشق ، وغزالي القطن من المتازين في حلب ، وصانعي الاقمشة من انقرة ، والصياغ في تركيا وبلاد الكرج (في القوقاز) ، مما لعب دورا في ازدهار ورواج سمرقند ومدن مملكته الكبرى .

ويشير المستشرق المجري ارمنيوس فابري في كتابه عن تاريخ بخاري الى ان بلاط تيمور ـ على بذخه وترفه ـ كان يذخر بالعلماء والفنانين ، وانه شخصيا كان يكتب بلغة تركية رصينة ، ولم يكن يحب العبارات الضخمة والمتكلفة ، حتى انه وهو في اوج عظمته كان يبدأ رسائله بهذه العبارة : من تفكري قولي تيمور ... اي يقول عبد الله تيمور ان ...

وكان طبيعيا ان يفرز هذا المناخ نماذج مرموقة من الفقهاء والمتصوفة والمؤرخين والشعراء ونهضة علمية نسبية بلغت ذروتها في عصر أولوغ بك ، الذي حاول ان يتمثل جده تيمور في مجالات الانشاء والعمارة ، وان يضيف اليه الاهتمام بعلوم زمانه الدنيوية والدينية .

ولكن المجد الذي صنعه تيمور كان سلاحا بحدين ، فبقدر ما استثمره تيمور ليبني دولة عظيمة ، فان اكثر خلفائه افسدتهم هذه التركة ، وسرعان ما انهارت دولة التيموريين بعد قرن واحد من الزمان ...

مات أمير سمرقند مساء السابع من شعبان عام ١٤٠٥/٨٠٧ وكان من بين وصاياه ان يقوم على غسله الملا هيبة الله ، وان يقرأ القرآن على فراشه .

ولم يكد تيمور يوارى الثرى في سمرقند وتنتهي مراسم العزاء ، حتى انطلق ورثته يتحاربون في سبيل التاج .

ولم يكن احد يعلم ان موت تيمور يعني ان على سمرقند ان تنازع لكي تبقى متربعة على القمة التي بلغتها ، ولقب ياقوتة بلاد ما وراء النهر الذي اكتسبته عن جدارة .

وبينما كانت الجيوش العثمانية تهدد في منتصف القرن السادس عشر وسط اوروبا ، وتزحف متقدمة في افريقيا وآسيا ، كانت روسيا القيصرية تنطلق في مهاجمة المناطق الاسلامية حتى سقطت . قازان في منطقة الفولجا اولا ، وبعدها دولة خانات ستراخان ، ثم مملكة سيبير المسلمة في سيبيريا ، ثم اتجهت الجيوش الروسية الى الجنوب .. الى تركستان في القرن التاسع عشر .

وتساقطت الخانات فيما وراء النهر واحدة تلو الاخرى ، حتى زحف ٨ آلاف من جيوش الروس بقيادة الماجور جولوفاتشف نحو سمرقند وعبروا نهر زارافشان يوم ١٣ مايو عام ١٨٦٨ ، ليستولوا على سمرقند في اليوم التالي : ١٤ مايو .

وكان هذا فصلا جديدا ومحزنا ، في القصة التي بدأت عام ١٨٥٢ عندما سقط بيد الروس اول حصن في بلاد ما وراء النهر ، هو حصن آق مسجد .

ووقتئذ كتب الجنرال الروسي بروفسكي ، الى قائد حصن آق مسجد المسلم الذي ابدى بعض المقاومة ضد القوات الغازية ، وكان مما قاله الجنرال الروسي في رسالته : « لم يأت الروس الى هنا ليقضوا يوما او عاما ، وانما ليقيموا الى الابد ، ولن ينسحبوا من هنا » . وقد كان !

لكن احدا لم يعرف على وجه اليقين ، هل ما جرى لبلاد ما وراء النهر منذ ذلك الحين هو فصل جديد في قصته الطويلة أم انها قصة جديدة ؟ !

ظاهر الامر حتى الآن ، أنها قصة جديدة ، والمستقبل يعلمه الله ■■

فهمي هويدي

❊ تاريخ بخاري منذ اقدم العصور ارمنيوس فابري ، ترجمه د . احمد محمود الساداتي

بأمر من نابليون

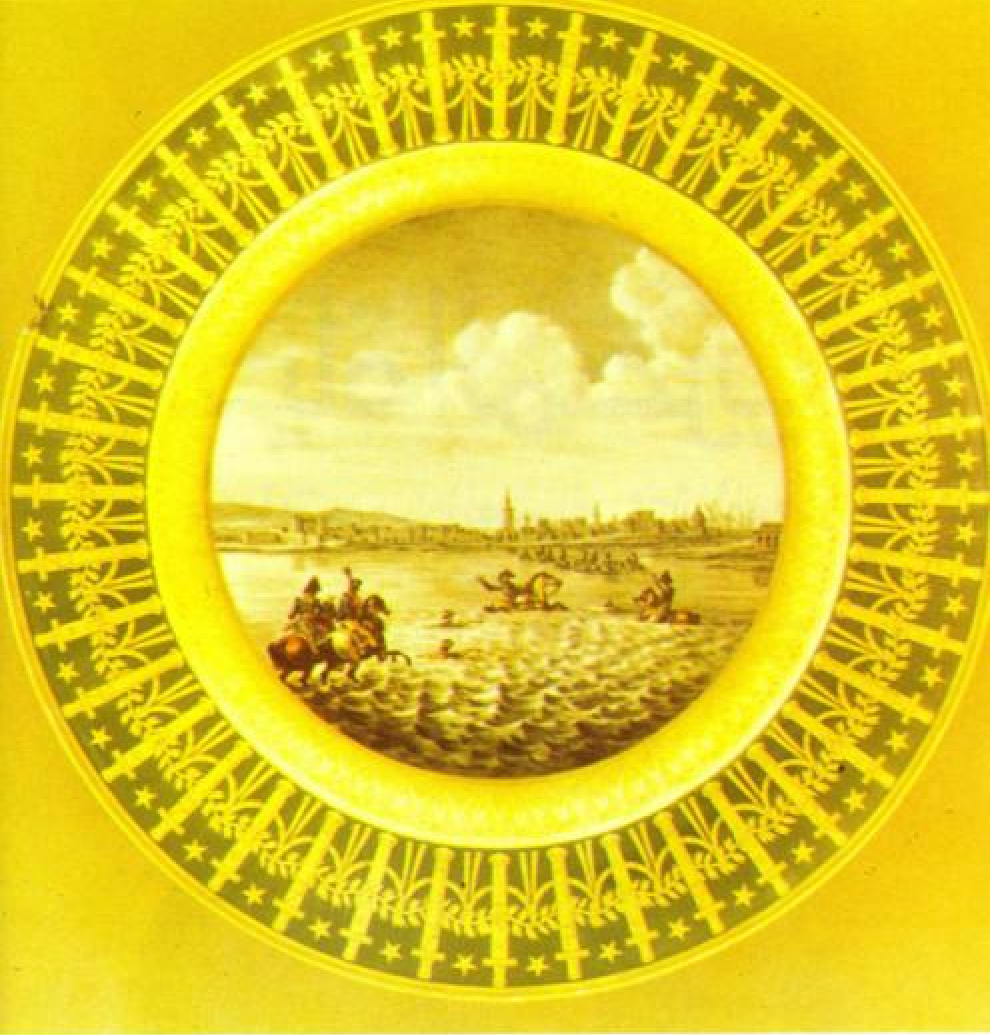
الحياة المصرية

على طقم من الصينى فى "اللوفر"

اعداد : ليلى خليل



طبق من الصين عليه وجه مولاي سلام ، احد امراء المغرب ، وقد احاطت بصورته نقوش فرعونية



القاهرة عبر النيل في القرن الثامن عشر ، وجنود نابليون يعبرون المنطقة الضحلة في مياهه

قطع الطاقم البديع الذي امر نابليون بصنعه كل قطعة لوحة فنية بذاتها .

مثلما نقلت حملة نابليون عام ١٧٩٨ بعضا من ريح الحضارة الغربية الى مصر ، فان حضارة وادي النيل والحضارة المصرية القديمة والحضارة الاسلامية تركت آثارها على قائد الحملة الفرنسية .

وفي متحف اللوفر بباريس أحد هذه الآثار ، ممثلة في عمل فني استوحى نابليون فكرته من وجوده في مصر ، ونفذته مجموعة من الفنانين العاملين في مصانع « سافر » الشهيرة بصناعة الخزف في فرنسا .

وهذا الاثر ، عبارة عن طقم مائدة وطقم للقهوة ، تمثل نقوشه وزخارفه الحياة المصرية ومظاهر الحضارة القديمة والمعمار الاسلامي والطبيعة . كما تمثل ايضا بعض الشخصيات المصرية التي تأثرت بها ، او تعامل معها بونابرت اثناء وجوده في مصر .

ويعتبر مؤرخو الفن الفرنسي ان هذا الطقم قد شارك بشكل مباشر في انقاذ صناعة الخزف الشهيرة التي كانت تتميز بها مصانع سافر الملكية ، والتي حاولت الثورة ان



تحطمها مع باقي ما حطمته من آثار للملكية .

ولكن نابليون باحساسه الفني المرهف استطاع ان يميز بين المحافظة على هذه القيم الفنية وبين المظاهر الاخرى لفساد الملكية التي حطمتها الثورة ، وتولى بنفسه الاشراف على احياء وانقاذ هذه الصناعة . ويضيف مؤرخو هذه الفترة انه بفضل هذا الاهتمام الذي اولاه نابليون لتلك الصناعة ، تألقت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . فلقد حرص نابليون على ان يزور تلك المصانع بصحبة رجال البلاط مرة في كل عام على الاقل .

بين الزواج والمنفى

وكأسلافه من ملوك فرنسا السابقين ، اراد نابليون ان تنتج له مصانع السافر ، طقم مائدة خاصا به ، وحرص على ان يسجل على هذا الطقم جانبا من تاريخه ، فاختار نابليون من وجوده في مصر مادة لنقوش هذا الطقم وحدد لمدير المصنع رغبته في ان تتجنب النقوش كل ماله علاقة بالحرب والمعارك ، وتقتصر على الجوانب الجمالية التي تبعث في النفس ذكريات محببة .

وقد استغرق العمل في هذا الطقم ثلاث سنوات كاملة (من ١٨٠٧ الى ١٨١٠) ، ويتكون من ١٧٨ قطعة ، خاصة بالمشهيات والحلويات وصينية كبيرة ، وطقم للقهوة مكون من ٢٩ قطعة ، وقد بلغت تكاليف هذا الطقم في ذلك الزمان ٧٠ الف فرنك فرنسي . واختارت مصانع سافر مناسبة سعيدة لتقدم فيها هذا الطقم ، وهي احتفال الامبراطور بزواجه من سليلة القياصرة ، ماري لويز ، ابنة امبراطور النمسا ، بقصر التويليري في ٢٧ مارس من عام ١٩١٠ .

ويقول مؤرخو هذه الفترة ايضا ، ان انتاج هذا الطقم البديع يمثل انطلاقة كبرى لمصانع السافر وقد ارتبط مصير هذا الطقم بمصير من صمم من اجله .

فبعد هزيمة نابليون في معركة واترلو ، وتنحيه عن السلطة لصالح ابنه ملك روما . اختفى بعض الوقت متنقلا بين عدد من القصور ، اهمها مالميزون ، وقصر الاليزيه . وفي هذه الاثناء بدأت الاستعدادات لرحلة المنفى لجزيرة سانت هيلين . وقد تولى الجنرال كونت برتراند الذي اصبح فيما بعد رفيق نابليون في منفاه بسانت هيلين ، مسؤلية جمع الحاجيات الاساسية الخاصة بنابوليون ، وكان من اهمها هذا الطقم الذي نتحدث عنه .

وهكذا غادر هذا الطقم ، مقره الرسمي متوجها الى جزيرة سانت هيلين النائية ، وقد ترك لنا خادم نابليون الامين مارشو في مذكراته ، بعض التفاصيل عن الحياة الخاصة لنابوليون في منفاه ، مشيرا الى العلاقة الحميمة التي كانت تربط نابوليون بهذا الطقم وحبه العظيم له . فقد كان يحفظ كل مجموعة منه في علبة من الجلد ، وان نابوليون الذي كان يتحدى قسوة المنفى باستقبال الزوار ، كثيرا ما كان يتحدث معهم عن بعض ذكرياته الخاصة ، وحملاته ، مدللا على ما يقول بطقم القهوة . كما قدم طبقين كهدية منه الى السيدة بارتراند والسيدة مونتالون .. اللتين كانتا ضمن الجالية الفرنسية في لونجوود بسانت هيلين . وكان ذلك تعبيرا منه عن اعتزازه بهاتين السيدتين . وقد سجل ايضا مارشو في مذكراته انه عقب وفاة نابوليون في مايو ١٨٢١ كان لا يزال في حوزته ٥٤ طبقا ـ و ٢١ فنجان قهوة و ٢١ طبقا للفناجين مع اشياء اخرى .

وان نابوليون قد سجل في وصيته ان يتعهد الكونت مونت بالون الطقم ويترك في حوزته حتى يبلغ ابنه « نابوليون ملك روما » السادسة عشرة فيسلمه له .

كيف ضاع ؟ وكيف عثروا عليه ؟

ومنذ ٢٧ مايو عام ١٨٢٤ ، وهو تاريخ عودة الفرنسيين الذين شاركوا نابوليون منفاه تفرقت اجزاء هذا الطقم ، وسارت بعضها في طريق مظلم .. وقد يعود ذلك الضياع لرحيل ابن نابوليون المبكر .

ويشير احد الملفات المسجلة في متحف اللوفر الى ان الكونت مونت بالون باع ٢٤ طبقا من اطباق الحلوى الى الجنرال « وولف » . وقد اشترى هذه المجموعة نفسها نابوليون الثالث عندما رغب في جمع مخلفات عمه .

وفي عام ١٩٢٤ ظهر اثنا عشر طبقا ، بشكل غير متوقع ، وذلك عند الاحتفال بمرور مئة عام على وفاة نابوليون .

ومهما اختلفت الآراء حول البيع بالمزاد العلني فانه كثيرا ما يحمل مفاجآت ذات حجم هام . وهذا ما حدث في ديسمبر من عام ١٩٤٩ . في صالة دروو ، الشهيرة بباريس ، حيث تضمن الكتيب الخاص بالمعروضات ، طقما للقهوة يرجع الى اوائل القرن التاسع عشر ويتكون من ١٥ فنجانا و ١٤ طبقا للفناجين وثلاث سكريات واناءين للحليب والمجموعة غير كاملة كما ترى وهي تحمل صورا مرسومة بدقة من الحياة المصرية ، واطباق الفناجين عليها وجوه عربية معممة .. وهذه الصور محاطة

باطار من الكتابة الهيروغليفية المذهبة .

وعند مشاهدة هذا الكتيب بدا للمهتمين بالامر انهم يضعون ايديهم على شيء هام . ولذلك اتجهوا على الفور الى ارشيف مصنع السافر ، ومن خلال هذا الارشيف عرفوا ، ان مصنع السافر قد انتج سبعة اطقم تحمل رسومات مصرية وذلك في الفترة من ١٨٠٨ ـ ١٨١٤ .

الاول كان موجها الى الكسندر قيصر روسيا ولم يكن ملونا ، وعند الوصول الى الطقم الثالث تبين انه مماثل تماما للطقم المعروض للبيع في صالة درو و . وهكذا اشترى متحف اللوفر هذا الطقم ، ليخصص له مكانا هاما في الصالة التي تعرض حاجيات نابوليون الاول .

ما هي قيمته الفنية ؟

والخصائص الفنية لهذا الطقم ترجع الى : اولا اللون الاخضر الرائع الذي يكسو الخلفية والذي ابدعه حديثا الكيمائي فانكولان ، وبدا استخدامه في سافر ابتداء من عام ١٨٠٢ فقط .

ثانيا : الخلط او المزج بين الحديث والقديم بين اختيار الاشكال ومزجها مع الفنون النابوليونية الاخرى .

ثالثا : ملحمة نابوليون كلها مسجلة بالالوان على خزف صلب ، وهي الخامة الحديثة التي استخدمها مصنع السافر مع بادية عام ١٨٠٠ .

والى جانب ما تقدم ، يجب الاشارة الى الاسلوب الذي اتبع في انتقاء الصور التي زينت هذا الطقم البديع ، ٧٢ طبقا تحمل صورا للقصور والمدن ، تتلاءم بقوة مع مناظر طبيعية مختلفة ، ومع الخيول التي ركبها نابوليون في مصر ومختلف الدواب التي شاهدها ، والاحداث المختلفة مثل غرق الجنرال كفاريللي في قناة السويس .

الاصول الايقونوجرافية

وتستحق الاصول الايقونوجرافية لهذا الفن ان توقف عندها قليلا ، لانها توضح العناية الفائقة التي بذلت لانتاج هذا العمل . فقد قام شواباخ وديفونتنان ، وهما المختصان برسم المناظر العسكرية بمصنع السافر ، برسم الخيول التي كان يستخدمها نابوليون في مصر ، وذلك بالرجوع الى رسومات « دنون » الذي افق نابوليون في حلته وتنقلاته بين الوجه البحري والوجه القبلي . كما قام الفنان كريستو والفنان فردناند برسم بعض الحيوانات التي تعيش على ضفاف النيل .

وكان يقوم بالعمل في مصنع سافر ، الى جانب متخصصين في صنع القوالب ، عدد من النحاتين والرسامين ، والمتخصصين في التذهيب ، الى جانب اربعة عشر سيدة لتلميع الخطوط الذهبية .

وهكذا بفضل الروح الجماعية لهذا الفريق تحقق هذا العمل الفني النادر ، الذي ما زالت قطعه متفرقة في انحاء كثيرة من العالم حتى الآن . ويدين هذا الطقم بوجوده في المقام الاول الى حب نابوليون للادب والفن ورعايته لها ، فهو من يعتبر راعيا لصناعة الخزف في فرنسا .

وفي ارشيف مصنع السافر يجد الزائر الاصول الخطية لهذا العمل .. وهي وحدها الدليل الكامل الذي نعرف من خلاله ان العدد الصحيح لهذا الطقم هو ٢٤ فنجانا للقهوة مع اطباقها وصينية مربعة عليها رسومات مصرية رسمها ليبال ـ واطباق رسمت عليها وجوه لكبار المشايخ المصريين رسمها بيروتجار ، وآنيه للسكر رسمها ليبال . وثلاث أوان للحليب رسمها روبيه وليبال .. وقام برسم الخطوط الفرعونية ميكو ، وترجمها الى الفرنسية لوجران . وعن هذا الطقم الذي رافق نابوليون منذ زواجه بماري لويز وخلال منفاه بسانت هيلين ، كتب السير جورج بنجهام في خطاب موجه الى زوجته « لقد دعاني نابوليون الى العشاء .. في بيته بلوذجوود بسانت هيلين ، وبعد العشاء ، قدمت الينا القهوة في طقم لم تر عيناي اروع منه . على كل فنجان رسوم مصرية جميلة وعلى طبق الفنجان وجه مصري يرتدي العمامة .. ■■

باريس ـ ليلى خليل

العاقل الوحيد

● « الرجل الوحيد الذى يتصرف بعقل هو الترزى فهو يأخذ مقاسى فى كل مرة أذهب فيها اليه لتفصيل بدلة جديدة ! اما بقية الاشياء التى استخدمها فهى تناسب المقاسات القديمة فى كل الاحوال ! »

برنارد شو

النرجيلة

بقلم : جمال الغيطاني

.. عرفت النرجيلة منذ خمسة عشر عاما ، عرفتها كصديق صامت ، يأنس اليه الفؤاد عندما ينوء تحت وطأة الاحزان واكدار الواقع الصعب . صديق يساعد العقل على التركيز واقتناص شوارد الفكر من هنا هناك بدون ان يفرض مطالب خاصة ، او ازعاجات ، او يمر بمراحل التقلب من حب وكره وبغض ، اذا ما تضاعفت الوحدة تبعث قرقرة الماء ونسة ، وتوحي الجمرات المتوهجة بحدود عالم سحرى مبهم ، عرفت النرجيلة وزمانها يولي ، ومجدها يندثر ، فلا شك انها تذوى ، ويدهسها ايقاع العصر السريع ، في كل بلد ذهبت اليه كنت ابحث عنها ، وعرفتها في مقهى هافانا بدمشق وفوق جبل قاسيون ، أرقب الافق الاخضر البعيد من خلال صحبتها ، نرجيلة دمشقية أنيقة بزخارفها ودقة صناعتها ، وفي اللاذقية يحيطها اطار تاريخي ، ووقار المدخنين من ابناء المدينة الرقيقة وهم في ازيائهم الشعبية ، تلك السراويل السوداء الفضفاضة . وفي رحلة فوق جبل لبنان ، وفي مقاهي بيروت ، اما النرجيلة البغدادية في مقهى الاورفلي بشارع السعدون ، فهي غنية بالتمباك الجيد خشنة المظهر ، يشرف على تقديمها رجل عجوز يحيط خصره بفوطة حمراء ، صامت دائما وكأنه يؤدى طقوسا خاصة لا يجوز الاطلاع على مكنونها .

اما النرجيلة القاهرية ، او السكندرية ، او البور سعيدية فهي انسانية ، يحيطها مجتمع خاص ، يتجمع حوله الاصحاب ، اصحاب تجمعهم هواية التدخين ، وحولها تنمو علاقات وتحل مشكلات وتتبادل خدمات ، وبعد ان كانت تقدم في اماكن خاصة ، وفي ازهي الاشكال ، انزوت الآن في مقاه قليلة ، وفي القاهرة كلها لا يعتني بها الا مقهى في وسط المدينة ، وآخر في ضاحية مصر الجديدة .

اما النرجيلة التركية فقد كادت تختفي ، ولا تقدم الا في عدد قليل من المقاهي ، بائسة المظهر ذلت بعد عز كبقايا الامبراطورية العثمانية . يقبل عليها شباب الهبيز الاوربيون وكأنها اعجوبة ، ينفثون دخانها ويحملقون الى مياه القرن الذهبي من موقع ذلك المقهي تحت كوبرى جلطة ، قد تختلف النرجيلة من هنا الى هناك ، ولكنها بشكل عام آخذة في الافول ، والزوال ، مع زحف ايقاع العصر السريع ، على روح الشرق التأملية ، ولن يمضى زمن طويل حتى يولي عصر النرجيلة تماما ..

التبغ

كانت البداية من أمريكا ، عندما رأى البحارة الاوربيون هنود القارة الجديدة يدخنون هذه المادة (التبغ) التي تبعث خدرا خفيفا ، ومنها انتقل الى اوروبا ، ثم الى الشرق ، وظهر الدخان في مصر سنة ١٠١٢ هـ ، واثار ظهوره خلافات حادة بين علماء المسلمين ، وتمسك معظمهم بتحريمه ولا يزال الوهابيون يحرمونه حتى الآن . وكانت الاوامر تصدر بمنعه احيانا . في حوادث سنة ١١٥٦ هـ يذكر الجبرتي ان الوالي العثماني اصدر امرا بمنع التدخين ونزل ومعه الأغا ، وتابع بنفسه تنفيذ المنع ، حتى انه كان يعاقب المدخن باطعامه الحجر الذى يوضع به الدخان بما فيه من النار . لكن المتصوفة تعصبوا للدخان ، كما تعصبوا للقهوة وبعضهم للحشيش من قبل ، ونظم ابو المواهب البكرى قصيدة في الدخان :



هات اسقني التبغ ان تبغ الصفا سحرا
حتى اخدر منه وهو اغشاء
واستجل انوار شمع من يدى رشأ
قد زانه قامة بالحسن هيفاء
لعل نارا بالبعد قد وقدت
يوما يكون لها بالقرب اطفاء

ولم تكن لفائف التبغ معروفة وقتئذ ، انما كان التدخين يتم بواسطة الشبك ، او النرجيلة . وكان المدخنون يحملون الشبك اما بين ايديهم ، او مع الخادم خلفهم اذا كانوا اثرياء ، ويبلغ طول قصبة التدخين ، كما يصفها ادوارد لين ، اربعة اقدام او خمسة ، ويغطي بالحرير الذى تحد طرفيه سلوك ذهبية محبوكة بالحرير

الملون او تحدها ما سورتان من الفضة المذهبة ، ويتدلى من الغطاء الحريري في الحد الاسفل شرابة حريريـة ، وكان هذا الغطاء مخصصا بادىء الامر ليبلل بالماء فيبرد بالتبخر الشبك وبالتالي الدخان . اما الحجر الذي يوضع فيه التبغ فهو من الآجر ولايزال يصنع من نفس المادة حتى يومنـا هذا ، كانت توضع تحت الحجر صينية نحاسية صغيرة لصيانة السجاد او الحصير من النار . اما « الفم » فيتكون من قطعتين او اكثر من الكهرمان الفاتح اللون ، يصل ما بينهما زخارف من الذهب المرصع بالميناء والحجر اليماني واليشب والعقيق ، وخلاف ذلك من الاحجار الكريمة . والفم أثمن جزء في الشبك وقد يرصع بالماس . وكان الشبك يحتاج الى تنظيف متواصل شأنه في ذلك شأن الغليون الآن ، لهذا كان كثير من الفقراء يعيشون على تنظيف الشبك ، ويبدو أن العائلات المسماة بالشبكشي كانت اصلا تتاجر في الشبك ، او تقوم بتصنيعه . وهناك سمة مشتركة بين الشبك والنرجيلة وهي طول قصبة التدخين وبعد الحجر عن المدخن ويبدو ان ذلك ناتج عن الطبيعة الحارة للبلاد الشرقية ، بعكس الپايب الغربي ، الذي يحيطه المدخن بيديه فيسري اليها الدفء من الحرارة المثبتة في الخشب . لقد انقرض الشبك الآن تماما ، واصبح معلقا في المتاحف على الجدران ، او في مراكز بيع الانتاج الفولكلوري القديم ، خاصة في بغداد حيث يضم المركز الفولكلوري انواعا متعددة من الشبك ، ولا شك ان النرجيلة ماضيـة في الطريق ذاته . فبعض النرجيلات الثمينة المصنوعة من الزجاج الملون ، والمرسوم عليهـا صور بعض سلاطين الاتراك او الحكام العثمانيين او بعض المناظر الطبيعية ، امـا تراهـا الآن في المتاحف ، او معروضة في بيوت الاثرياء .

الاصل

النرجيلة مشتقة من لفظ « النارجيل » الفارسي الذي يطلق على ثمر جوز الهند ، يمكن القول ان ترجمته الحرفية تعني « الجوزة » وهي الاسم الذي تعرف به النرجيلة الشعبية في مصر ، لانها كانت مكونة فعلا من ثمرة جوز هند مفرغة ، تثقب مرتين ، ثقب يكـون فوق الحجر ، وثقب جانبي تنفذ من خلاله انبوبة خشبية يتم من خلالها استنشاق الدخان الذي يمر خلال الماء الموضوع في الجوزة نفسها . وصف الرحالة والعالم الدانمركي « الجوزة » المصرية التي لم تتغير ملامحها حتى أوائل هذا القرن ، عندما ارتفعت اسعار ثمار الجوز فاستبدل به كوز صفيح فارغ ، او زجاجي . وهـذا ابسط الاشكـال الشعبية للنرجيلة ويدخن بواسطته المعسل وهو الدخان الممزوج بالعسل ويعرف في المقاهي المصرية باسم « البورى » او « المصرى » ، وهـو نوع مصرى خالص من التدخين ولكنه يشبه الى حد ما ، « الجداك » الذى يدخـن في السعودية واليمن ، والجداك عبارة عن فواكـه معطنـة مخلوطة ببعض الزيوت ويأتي من الهند ، وعند وضعه في الحجر يجب تغطيته بقطعة رقيقة من الفخار يوضع فوقها الفحم المشتعل ، بعكس العسل او التمباك الذى يلتصق به الجمر مباشرة . يقول كارستين نيبور : ان العامة يدخنون الجوزة للتدفئة ايضا ، ولكن النرجيلة الانيقة التي تستبدل بالجوزة فيها « برطمان » زجاجي فان كارستين نيبور يطلق عليها « النرجيلة الفارسية » ويقول ان اثرياء فارس يتخذون هذه النرجيلة وكثيرا ما تكون كلها مصنوعة من الفضة ، او النحاس . وتوجد في خان الخليلي الآن نرجيلات من النحاس المنقوش ، يمكن ان يدخن منها عدة اشخاص في وقت واحد عن طريق عدة ليات تخرج منها ، ومثل هذه النرجيلات تستخدم في بعض بلدان الجزيرة العربية خاصة اليمن والسعودية ، ويقـول نيبـور ان شيراز كانت مشهـورة بصناعـة النرجيلات الزجاجية الانيقة واحيانا كانت توضع فيهـا زهور مختلفة مثبتة من الداخل ، والنرجيلات الفارسيـة كانت منتشرة في الهند ايضا حتى القرن الماضي ، غير ان ادوارد لين يقدم الينا وصفا ادق للنرجيلة في مصر .

الشيشة

الشيشة كلمة فارسية تعني زجاجا ، وهو الاسم الذى تعرف به النرجيلة الآن في مصر . وهـذا الاسم نتيجة للوعاء الزجاجي الذى يملأ بالماء الى قدر معين ليمر الدخان من خلاله . ويقول ادواردلين ان التدخين يتم من خلال انبوبة طويلة لينة (تسمى لي) ويغسل التنباك عدة مرات بالماء . ثم يقطع ويوضع في حجر الشبـك وهـو رطب ، وتوضع عليه جمرتان او ثلاثة ، ويقول لين ان للتنباك عطر لطيف مقبول ، لكن شدة استنشاق الدخان في هذا النوع من التدخين يضر الرئة الضعيفة .

ان الوصف الذى كتبه ادواردلين منذ حوالي مائـة وخمسين عاما لم يتغير كثيرا حتى الآن ، ولكن الذى تغير هو شكل النرجيلة ونوعية الدخان . حتى الخمسينيات كانت هنـاك انـواع متعـددة من التمبـاك ، عجمي ، ولا ذقاني (نسبـة الى اللاذقيـة) وازميرلى ، وهنـدى ويمنى ، وعدني . ولكن الآن تنقسم الشيشة في مصر الى نوعين رئيسيين ، عجمي ، وهو نوع خاص من الدخان

مصدره ايران او تركيا ، ويوضع بكمية اكبر فوق الحجر ويلف بورقة تمباك صحيحة لم تقطع ، بعد ان تبل بالماء وتشبه الشيشة العجمي مثيلاتها في دمشق وبغداد واستنبول ، لكن نوعية التمباك الذى يصل الى مقاهي القاهرة اردأ ، ولهذا فان الترجيلة العجمي يعتبر دخانها قاسيا ويحتاج الى صدر قوي لتحمله اما النوع الثاني فهو الشيشة (الحمي) ، وكمية الدخان هنا اقل ، ونوعية الدخان اهدأ ، وهذا هو النوع الاكثر انتشارا الآن .

المقاهي والترجيلة

اشهر مقهى في القاهرة لتدخين الترجيلة الآن مقهى الندوة الثقافية في ميدان باب اللوق . وكان صاحبه محمد حسنين يمتلك مقهى بناه في سنة ١٩٢٠ بشارع منصور ، بالقرب من مكان الغرفة التجارية الآن . ثم هدم المقهى عام ١٩٥٩ . وانتقل ابناؤه رشاد وجلال وعلي الى هذا المقهى القائم حتى الآن . والذى يؤمه عدد كبير من الكتاب والفنانين من هواة تدخين الترجيلة . لكن حتى منتصف القرن كانت هناك اماكن متعددة ، ومشهورة لتدخين الترجيلة اهمها مقهى الاوبرا او كما كان يعرف في الثلاثينيات والاربعينيات باسم «كازينو بديعة» نسبة لصاحبته بديعة مصابني . كانت تقدم فيه الترجيلات للزبائن . كل زبون له « لي » خاص مكتوب فوقه اسمه لا يدخن به شخص آخر . وكان الحجر يقدم محفوظا بالزهور ، وفي الماء توضع ثمرات من الكرز . وكان يجلس بالمقهى عدد من كبار رجال السياسة والاقتصاد ، والادباء واهمهم نجيب محفوظ المدخن العريق للترجيلة ، وكان منظرا مألوفا ان ترى السيدات المحجبات يجلسن بهذا المقهى ينفثن دخان الترجيلات بوقار ، بينما تمر بديعة مصابني بنفسها تتأكد من وفرة الحجر وراحة الزبائن . كانت هناك مقاه اخرى مشهورة بالترجيلة مثل مقهى عرابي في ميدان الجيش ، ومقهى الفيشاوي في الحسين ، والذى كان يجلس امامه المرحوم فهمي الفيشاوي لا يفارق الفم فمه ليلا ولا نهارا . كان ذلك بعد ان فارق الشباب وهجر الفتونة والشقاوة . وكان هناك مقهى نوبار الذى كان يغني فيه عبده الحامولي ويرتاده خليل مطران ، وسليم سركيس الصحفي ، ومقهى الكتبخانة امام دار الكتب . وكان يقدم الشيشة لحافظ ابراهيم الشاعر والشيخ عبد العزيز البشري ، وغيرهما . وكان هناك مقهى الشيشة في شارع الجمهورية ، ومكانه الآن دكان للتجارة ، وكان يجتمع فيه هواة التدخين ، وهواة المصارعة بالكلاب . اما مدينة الاسكندرية فتزدحم حتى الآن بعدد من المقاهي المشهورة بتقديم الترجيلة مثل مقهى التجارة ومقهى جابر بالمنشية ومقهى فاروق بحي بحري ومقهى وادي النيل بالرمل .

وتصنع الترجيلات في منطقة القاهرة القديمة ، وتوجد عدة متاجر متجاورة بشارع بين القصرين تبيع الترجيلات ، وادوات التدخين ، من حجارة وليات وغيرها . ويبلغ ثمن الترجيلة المصنوع قلبها من النحاس وهو الجزء الذى يصل بين البرطمان الزجاجي والحجر حوالي خمسة عشر جنيها . اما الترجيلة المصنوعة من النحاس الخالص المنقوش والتي تباع في متاجر التحف بخان الخليلي فيبلغ ثمنها عدة مئات من الجنيهات . واذكر قسما خاصا بالترجيلات يحتل احد فروع سوق الحميدية بدمشق بالقرب من المسجد الاموي . وفي الثلاثينيات كان متوسط سعر الترجيلة من التبغ عشر مليات في مقاهي القاهرة ، وفي الاربعينيات كان ثلاثة قروش اى ثلاثين مليما . وخضع سعر الترجيلة للتطور ككل شيء الآن . في القاهرة يبلغ سعر الترجيلة الحمي عشرة قروش . والعجمي تصل الى اربعين قرشا ، اما الكيلو من التبغ الخاص بالترجيلة فثمنه ثلاثون جنيها . وكان في اوائل الخمسينات بثلاثة جنيهات . في دمشق تستطيع أن تدفع نصف ليرة سورية مقابل تدخين رجيلة فاخرة وكذلك في بيروت . في بغداد ثلاثون فلسا وفي استنبول تبلغ قيمة الترجيلة لحجر واحد ما يوازي نصف جنيه مصري .

على اية حال فالترجيلة ماضية في طريق الانقراض . ولن تمر سنوات طويلة قبل ان توضع في المتاحف . وانني لأرثي لهؤلاء الذين سيأتون في الازمان المقبلة ، فلن يجدوا صديقا صامتا مستجيبا يلجأون اليه اذا ما ازداد الكرب واعتم الواقع وادلهمت الظروف ، وبدت الايام رمادية متقلة بكل باعث للضيق والكتمة . نحن نلجأ الى الترجيلة ، ولكن هم ... الى من سيلجأون ؟؟ ■■

جمال الغيطاني

المرء بأصغريه

رأى سقراط مرة رجلا وسيما بدينا شديد القوى ، فقال له : يا هذا كلمني حتى اراك !!



الأم

شعر :
القاضي محمد شمس الدين

مستشار محكمة استئناف ـ طرابلس ـ لبنان

ياعيدَها .. في الموسمِ الاخضر
عانق شذى الليمون والعنبر
واحمل لها الاشواق
من أعمق الأعماق
أنشودة أشواقها اكثر

....

ياما احيلاها ! .. على المهد
والريح تعصف ليلةَ البرد
تحنو ، ولا اجمل
ترعى ، ولا اكمل
للمرتجى .. ما هم ان تسهر !

....

كم تعبت في رحلة العمر
كم رُوِّعَتْ في النبأ الشر
احلامها .. الدنيا
والنجمةُ العليا
تهدى الى محبوبها الأصغر

....

في عيدها .. تحلو حكايانا
هل تنتهي ؟ .. والحب نجوانا
يانفحةَ الذكرى
انشدتك الشعرا
لملمته .. من عيدك الاخضر !

رحلة الأدب العربي في المهاجر الأمريكية

للدكتور عيسى الناعوري

الطفرات القويّة المؤثرة في حياة الأدب والفكر والشعر، هي لحظات خالدة في تاريخ الانسانيّة تستحقّ أن يعاود المرء دراستها، وتذكُّر خطاها، على الرغم من أنها قد تكون قصيرة، وقد تمر سريعة، ولكن مرورها السريع يجعل منها أشياء عزيزة، ويجعل دراستها شيئا يجدّد النشاط ويجدّد العافية في حياة الفكر الانساني.

من هذه الطفرات القصار الأعمار، والبالغات التأثير في حياة الأدب العربي المعاصر، كانت مدرسة الأدب المهجري: التي يمكن أن نحدد عمرها ما بين عام ١٩٢٠ ـ عام ظهور (الرابطة القلمية) في أميركا الشمالية ـ وعام ١٩٤٥ ـ عام وفاة (العصبة الأندلسية في البرازيل ـ فتلك كانت زهوة هذه المدرسة، ثم تأخذ الزهوة بعد ذلك في التضاؤل والانطفاء شيئا فشيئا بعد رحيل الكبار من أعلام المدرسة التجديدية المهجرية، واختفاء المجلات الكبرى التي كانت تنقل أفكارها وأعمالها الرائعة.

ولقد كانت مدرسة المهجر مدرستين مختلفتين، في الواقع: مدرسة الشمال ـ وهي تتمثل في الرابطة القلمية، وعميدها جبران خليل جبران ـ ومدرسة الجنوب ـ وتتمثل أكثر ما تتمثل في العصبة الأندلسية التي تعاقب على رئاستها ثلاثة شعراء، هم: ميشال معلوف، ثم الشاعر القروي رشيد سليم الخوري، ثم شفيق معلوف.

وسأتحدث في ما يلي عن هاتين المدرستين، وعن سواهما في غير الولايات المتحدة والبرازيل مما ظهر من أسماء، ومن رابطات أدبية في الأدب المهجري.

في الشمال

بدأت هجرة العرب، السوريين واللبنانيين خاصة، الى البلاد الأميركية في بواكير القرن التاسع عشر،

وانتشروا في الشمال الأميركي وفي الجنوب . ومع بواكير الهجرة أخذوا ينشرون الصحف بالعربية . ولكن الصحافة العربية المهاجرة ظلت محدودة الرقعة والانتشار بين الجوالي العربية ، فيا نكاد نعرف عنها غير القليل .

وفي الربع الأول من القرن العشرين بدأ أدب المهاجرين يصل الى المشرق العربي شيئا فشيئا . وكان بين أولئك المهاجرين عدد من نوابغ الشبان في الشعر والنثر . وقد استفاد هؤلاء الأدباء من أجواء الحرية التي أتاحتها لهم البيئة الجديدة ، والتي كان الشرق العربي كله محروما منها ، بسيطرة الاستعمار الأجنبي ، والاقطاعيين العرب الذين كانوا يدعمونه ويمدونه بالحياة وبالقدرة على البقاء ، وسيطرة رجال الدين المتعاونين مع هؤلاء وأولئك ، لأجل حماية نفوذهم ومصالحهم .

ومنذ عام ١٩١٦ ظهرت في أميركا الشمالية مجلة (الفنون) للشاعر نسيب عريضة ، وحولها تكتلت مجموعة من الأدباء الشبان المهاجرين ، كان أبرزهم : جبران خليل جبران ، وأمين الريحاني ، ونسيب عريضة نفسه : ثم انضم اليهم ميخائيل نعيمة ، فايليا أبو ماضي . وتلت (الفنون) جريدة (السائح) لعبد المسيح حداد . ومن هؤلاء ، وبعض رفاقهم الآخرين تألفت (الرابطة القلمية) عام ١٩٢٠ . واستبعد عنها أمين الريحاني بسبب خصومة كانت بينه وبين عميد الرابطة ، جبران . وكان عدد أعضاء الرابطة عشرة فقط ، لم يكونوا كلهم على مستوى واحد من النبوغ والاستعداد الفكري ، وبعضهم لم يكتب شيئا ، وانما كان (نصيرا) للرابطة ومؤازرا لمبادئها وأهدافها . وكان الهدف الأكبر للرابطة تجديد الأدب العربي ، وادخال حياة مشرقة في أوصاله التي أنهكتها عصور التخلف والركاكة ، وعصور الحكم الأجنبي وأنواعه المختلفة : من الحكم العثماني الطويل الذي عمل جاهدا على عثمنة العرب ولغتهم حتى كاد ينجح في سلخهم عن أصلهم وقوميتهم ، الى الحكم البريطاني والحكم الفرنسي اللذين شادا نقل العرب الى مظاهر الحياة الغربية والفكر الغربي ، دون أن ينقلاهم الى حقيقة المدنية الحاضرة ، فألهيا العرب بالقشور ، وصرفاهم عن اللباب والروح ، كما سلخاهم عن عناصر قوميتهم وأصالتهم .

وعاشت الرابطة بمجموعة أعضائها احدى عشرة سنة ، حتى وفاة جبران عام ١٩٣١ ، ثم أخذت حياتها تنفرط ، ولكن بعد أن عاشت حياتها القصيرة بالعرض والطول معا ، وأدت رسالتها كاملة ، وتركت بصماتها واضحة في الأدب العربي المعاصر : المشرقي منه والمهاجر على السواء .

كان زعيم مدرسة الرابطة ، جبران خليل جبران ، يمدها بروحه الفنية وأفكاره وأخيلته الجديدة ؛ وكان ناقدها ومشرعها الأدبي ميخائيل نعيمة ؛ وكان شاعرها الأكبر ايليا أبو ماضي . يليهم الشاعر نسيب عريضه ـ شاعر الحيرة والتأمل ـ والشاعر رشيد أيوب ـ شاعر الحنين والحب ـ والشاعر ندره حداد ، شقيق عبد المسيح حداد . وكان عبد المسيح ناثرا ، ولكنه لم ينشر من الكتب في عهد الرابطة القلمية غير مجموعة من القصص دعاها (حكايات المهجر) ، الى جانب كتاباته في جريدته (السائح) التي كانت حديقة الرابطة ، ومسرح أفكارها ، وميدان عملها التجديدي في اعادة تكوين الأدب العربي بروح جديدة وأسلوب جديد . ثم يليه وليم كاتسفليس ، وهو ناثر مقلّ .

جبران ناثرا وشاعرا

جبران كتب الشعر والنثر ، وكتب القصة القصيرة والطويلة ، وكتب بالعربية والانكليزية ؛ وكان النثر هو الجانب الأكثر من انتاجه الأدبي . وكانت فيه ثورة على ركود الأدب العربي ، وثورة على الحكم والاقطاعية وكذلك على تزمت رجال الدين في لبنان . وفي الشرق أطلق على الأدب المهجري الجديد اسم (الأدب الجبراني ـ والأسلوب الجبراني ـ والانشاء الجبراني) لأن جبران كان أبرز أدباء المهجر على الاطلاق ، وكان باعث الروح الجديدة في الأقلام المهجرية . والقسم الأهم من انتاجه الأدبي كتبه بالانكليزي ، ثم ترجم الى العربية . وكان كتابه (النبيّ) ثورة في الفكر ، تركت أصداء واسعة في أميركا خاصة .

وكان ميخائيل نعيمة ناثرا ـ الا في كتاب شعري واحد هو « همس الجفون » ، الذي صدر بعد انفراط الرابطة القلمية ، وعودة نعيمه الى لبنان ـ وأما مؤلفاته الأخرى فكانت نثرا كلها : تأملا ، ونقدا أدبيا ، وأقصوصة ، ورواية ، وخطرات فكرية .

وكان ايليا أبو ماضي شاعرا فقط . ونسيب عريضه كتب شعرا وكتب نثرا . ورشيد أيوب أصدر أربعة دواوين شعرية فقط ، ولا نعرف له شيئا من النثر .

وكان أمين الريحاني من أبرز أدباء المهجر الشمالي ـ وقد أسلفت أنه لم يكن عضوا في الرابطة القلمية ـ وكان يختلف عن الرابطيين بأنه كان داعية للقومية العربية والوحدة العربية ؛ ومن أجل هذه الدعوة كتب

بالانجليزية مدافعا عن العرب ، وناشرا لأدبهم ولقضاياهم في الغرب ، وكتب بالعربية داعيا العرب الى الوحدة ، وتجول في البلدان العربية من أجل اصلاح ذات البين بين ملوكهم وقادتهم ، ومن أجل اصلاح الحياة الاجتماعية في بلادهم . ولعله أغزر المهجريين انتاجا ، كما كان من أبرزهم أثرا في الأدب العربي المعاصر بروحه الانسانية ، وبأفكاره الثورية الاصلاحية . وكان مثل جبران ناقما على الحكام والاقطاعيين ورجال الدين في لبنان .

ولم يكن هؤلاء كل أدباء المهجر الشمالي ، بل كان هنالك آخرون يكتبون الشعر والنثر : أذكر منهم الشاعر القومي مسعود سماحة ، والشاعر الرقيق أمين مشرق ، والشاعر نعمه الحاج الذي توفي عام ١٩٧٩ فقط في أميركا بعد أن تجاوز الخامسة والثمانين من عمره . كما كان هنالك أيضا الشاعر الخفيف الروح والفكه الشاعرية أسعد رستم .

ولم يبق على قيد الحياة من الرابطيين غير ميخائيل نعيمه ، وهو يعيش الآن في قريته بسكنتا ، في سفح جبل صنين ، وقد تجاوز الحادية والتسعين من عمره .

في الجنوب

بعد أن انفرطت مسبحة الرابطة القلمية في الشمال الأميركي ، تداعى أدباء البرازيل ، في الجنوب الأميركي ، وعلى رأسهم الشاعر شكر الله الجر ، الى تأليف رابطة لهم ، تجمع شملهم ، وتوحد عملهم وأهدافهم الأدبية والفكرية ، وتبرز جهودهم وانتاجهم ، على غرار ما فعلت الرابطة القلمية . واستجاب الأدباء والشعراء للدعوة . وولدت (العصبة الأندلسية) هناك في بداية سنة ١٩٣٢ برئاسة الشاعر ميشال معلوف ، خال الشعراء الثلاثة الاخوة فوزي وشفيق ورياض المعلوف . وقد ضمت العصبة مجموعة من أبرز أعلام الشعر والنثر العرب في البرازيل ، كان منهم : شفيق المعلوف ، والشاعر القروي رشيد سليم الخوري ، يوسف البعيني ، وحبيب مسعود ، وتوفيق ضعون ، ونظير زيتون ، ونصر سمعان ، وشكر الله الجر ، والياس فرحات ، ونعمه قازان - وقد عاد الأخيران فانسحبا منها بعد فترة قصيرة من تأسيسها ، كما انسحب منها توفيق ضعون - وكان هنالك عدد آخر من الشعراء والكتاب الى جانبهم .

ولم تلبث العصبة الأندلسية أن أصدرت مجلة دعتها (العصبة) تقوم لها مقام (السائح) للرابطة القلمية في الشمال . وعاشت مجلة العصبة من سنة ١٩٣٥ الى سنة ١٩٥٦ ، وتركت هي أيضا بصماتها بارزة في الأدب العربي المعاصر .

غير أن الفرق الكبير بين أدب الشمال وأدب الجنوب هو أن أدب الشمال كان ثورة في اللغة والأدب ، روحا وشكلا معا ، فقد جدد الشماليون الرابطيون في المعاني والأفكار والأخيلة ، وجاءوا من ذلك بالشيء الكثير الملموس ، وجددوا في أساليب اللغة وبيانها ، اذ كتبوا بعبارة ملأى بالرقة والنعومة والهمس . والذين فعلوا ذلك هم بشكل خاص : جبران ، والريحاني ، وميخائيل نعيمه - في النثر - وأبو ماضي ، ونسيب عريضه ، ورشيد أيوب - في الشعر . وأما أدباء الجنوب فلم يعرفوا الثورة اللغوية ، وان يكن قسم منهم قد كتبوا الشعر والنثر بلغة سهلة مأنوسة ، وبعبارة قوية مؤثرة . وكان اتصال الجنوبيين بالوطن وأحداثه ، وحنينهم اليه ، أقوى وأكثر تأثيرا في انتاجهم الأدبي - أستثني الريحاني من الشماليين من حيث التأثر الدائم بالوطن العربي ، والعمل المباشر على توحيده واصلاحه ، بحيث لا يشاركه في هذا أديب مهجري آخر في شمال ولا جنوب . كما أستثني نعمه قازان ، من الجنوبيين ، من الثورة اللغوية ، ولا سيما في معلقته الشعرية الطويلة التي دعاها « معلقة الأرز » .

العصبة الاندلسية

قبل انشاء العصبة الأندلسية ، لمعت في الجنوب أسماء أدبية قوية . كان أشهرها اسم الشاعر الرقيق النابغة فوزي المعلوف ، ابن المؤرخ واللغوي والنسابة الشهير عيسى اسكندر المعلوف ، وصاحب مطولة (على بساط الريح) ، الذي قضى في ميعة الشباب . ومنها كذلك اسم الشاعر الوطني الملتهب وطنية وحماسة ، الياس طعمه - الذي عُرف فيما بعد باسم (أبو الفضل الوليد) ومثله الشاعر عقل الجر وأخوه الشاعر شكر الله الجر وكان شكر الله فيما بعد أحد مؤسسي العصبة الأندلسية .

اقتصرت العصبة الأندلسية على الأدباء المقيمين في البرازيل ، ولكن مجلتها كانت ميدانا لكل الأقلام المهجرية حيثما وجد أصحابها . كما انفتحت صفحاتها لكتاب وشعراء من المشرق العربي . وكان صاحب هذا المقال واحدا منهم في زمن ما من أوائل الخمسينات وأواخر الأربعينات .

ولم يعش رئيسها الأول ، ميشيل معلوف ، طويلا . وبعد وفاته خلفه الشاعر القروي ، رشيد سليم الخوري ، ثم تنحى هذا عن الرئاسة ، فتسلمها الشاعر شفيق المعلوف ، وظل رئيسا لها حتى آخر أيامها ، حين بدأت تنفرط حباتها بدورها ، بوفاة بعض أعضائها ، وعودة بعضهم الى الوطن ، ثم بتوقف مجلة (العصبة) عن الصدور بشكل خاص ، مما أدى الى بعثرة شمل الأحياء منهم .

كان بين أعضاء العصبة عدد من الشعراء البارزين ، من أمثال : القروي ، وشفيق المعلوف ، وشكر الله الجر . وكان بينهم عدد من الناثرين ، منهم : حبيب مسعود ، ونظير زيتون ، ويوسف البعيني . وكان حبيب مسعود رئيس التحرير لمجلة (العصبة) منذ صدورها حتى احتجابها ، كما كان خطاطا جميل الخط ، وقد كتب بخطه الجميل كل (ملحمة عبقر) لشفيق المعلوف . كما كان هنالك توفيق ضعون ، وجورج حسون معلوف ، من مشاهير الناثرين المهجريين .

وكان القروي ، وكذلك فرحات ، ومن قبلها أبو الفضل الوليد ، شعراء الوطنية العارمة المجلجلة ، وكانت أصواتهم الشعرية الوطنية تصل الى الشرق مدوية ، فتتردد أصداؤها في كل مكان . وكان أول بروز القروي على أثر الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) في ديوانه (الأعاصير) ، الذي منعت السلطات الاستعمارية الفرنسية دخوله الى سوريا ولبنان ، ولكن قصائده انتشرت في سوريا ولبنان والبلاد العربية انتشارا عجيبا رغم المقاومة الفرنسية ، لما فيها من ثورة عاصفة على الاستعمار الفرنسي ، ونقمة على تخاذل اللبنانيين عن مشاركة اخوانهم السوريين في ثورتهم ، ومن ثورة على الطائفية المفرقة بين الاخوان . وكان كل ذلك مليئا بالعنفوان وقوة الشعر المثير ، والدافع الى الغليان الوطني .

وأما شفيق المعلوف فقد تميز بالشاعرية الرقيقة ، والخيالات المحلقة ، والصور الناعمة ، والعبارة الدافئة الحلوة . ويتجلى ذلك كله في جميع دواوينه الشعرية ، كما يتجلى في ملحمته المبدعة (عبقر) . ومما يجدر ذكره أن شفيق المعلوف قد مهد لعبقره الشعرية بمقدمة نثرية طويلة لم يسبقها مثل بحثها المفصل الواسع في الأساطير العربية .

وكان شكر الله الجر شاعرا رقيقا كذلك ، جميل الصور والخيالات الشعرية ، كما يظهر ذلك في دواوينه الشعرية المتعددة ، من (الروافد) و (زنابق الفجر) المطبوعين في البرازيل ، الى آخر دواوينه العديدة التي صدرت في لبنان ، حتى وفاته عام ١٩٧٥ . وكان كذلك ناثرا ، وله كتابان نثريان مطبوعان في البرازيل ، هما : (المنقار الأحمر) و (نبي أورفليس) ، كما صدرت له في الوطن روايتان طويلتان .

في غير البرازيل

وفي غير البرازيل كان هنالك عدد من الكتاب والشعراء البارزين ، أذكر منهم جورج صيدح ، الذي برزت شاعريته أولا في مصر ، قبل هجرته الى أميركا ، ثم توقفت فترة طويلة من عهد الهجرة في فنزويلا ، حتى عادت الى البروز بقوة في أواخر هجرته في فنزويلا ؛ اذ ظهر أول ديوان له عام ١٩٤٧ بعنوان (المراحل) ، ثم تلاحقت دواوينه الشعرية ، ولا سيما بعد عودته الى لبنان ، ثم معاودته الهجرة الى فرنسا ، حيث ظل يقيم حتى وفاته في أواخر عام ١٩٧٧ ، وهو في قمة الشيخوخة . وكان هنالك أيضا الشاعر جورج كعدي ، الذي كان يقيم في بوليفيا ، ثم عاد الى لبنان ومات هناك سنة ١٩٧٥ .

وفي الأرجنتين اشتهر الأخوان الشاعران الياس وزكي قنصل . وهما اليوم أبرز شعراء المهجر الذي لم يضعف شعرهم . ولا يزالان يواليان الانتاج القوي الجيد ، رغم انتهاء عهد المهجر الزاهر المجدد .

وحين كان صيدح في الأرجنتين ، بعد مغادرته فنزويلا ، عمل هناك على تأليف رابطة أدبية ضمت عددا من الأدباء والشعراء ، وكان هو قطبها ومصدر الحياة فيها . ثم غادر الأرجنتين عائدا الى المشرق ، وظلت الرابطة حية بعده ، ولكن أبرز أعضائها الأخوان الياس وزكي قنصل ، ومدى فاعليتها محدود جدا ضمن حدودها فقط ، وليس لها أي صدى في المشرق ولا في المهاجر الأخرى .

تجمعات أخرى

قامت محاولات مختلفة في الشمال الأميركي وفي الجنوب لانشاء تجمعات أدبية : فقد أنشأ الشاعر المصري أحمد زكي أبو شادي ـ خلال هجرته القصيرة في نيويورك ـ جماعة دعاها (رابطة منيرفا) كان هو قطبها ومحركها ، وانضم اليها بعض الأدباء والشعراء المهاجرين ، كان منهم عبد المسيح حداد ، ونعمه الحاج ، والدكتور سليمان داود . ثم توفي أبو شادي وماتت معه

متيرفا دون أن تنتج أدبا يسمع به الناس .

وعلى أثرها حاول الدكتور سليمان داود أن يؤلف رابطة أخرى ، ولكنها لم تعش كذلك . وقد دعاها (جامعة الأدب العربي في أميركا الشمالية) . ولسنا نعرف عنها شيئا ذا أهمية .

وفي البرازيل قامت السيدة مريانا دعبول فاخوري ، صاحبة مجلة (المراحل) الشهرية التي تصدر في سان باولو ، البرازيل ، بانشاء رابطة هناك تخلف العصبة الأندلسية . وكان ذلك سنة ١٩٦٥ ، وانضم اليها عدد من بقايا الكتاب والشعراء ، منهم : فيليب لطف الله ، وشاكر الدبس ، وبرنردس القزي ، ونبيه سلامه ، وغيرهم . وما تزال الرابطة تعمل الى الآن باشراف السيدة مريانا ورعايتها ، وميدانها هو مجلة (المراحل) .

وفي عام ١٩٧٨ تألفت في البرازيل جماعة جديدة ، أطلقت على نفسها اسم (عصبة الأدب العربي) ، برئاسة نواف حردان ، ويشترك فيها عدد من الكتاب العرب هناك . ولسنا نعرف شيئاعن هذه العصبة .

هذه الجماعات والروابط كلها جاءت في عهد شيخوخة الأدب المهجري وغروب شمسه ، بعد أن ذهب الأعلام البارزون من شعراء المهجر وكتابه ، وبعد أن أصبح الأدب المشرقي متقدما جدا على الأدب المهجري ، ولم يعد في وسع المهجر أن يقدم للمشرق شيئا جديدا ذا قيمة أدبية حقيقية . ولهذا لم يستطع أي من هذه الجماعات الأدبية أن يوصل صوت الأدب المهجري الحالي الى أبعد من محيطه الضيق المحدود ، لأن هذا الصوت قد انتابته بحة لا تسمح بوصوله بعيدا .

وليس في وسع أحد أن يبث في الأدب المهجري اليوم شيئا من الحياة التي فقدها ، فهذه سنة الطبيعة ، تجيء على الناس والأشياء على السواء ، وتبدأ بالولادة ، ثم تنتهي بالشيخوخة ، ثم بالرحيل .

ومع ذلك فان هذه الفئات المؤمنة ، الحريصة على بقاء الحرف العربي حيا في ديار الهجرة البعيدة في الأميركتين ، جديرة بكل تحية وتقدير ، وجديرة بتشجيع العرب في كل مكان . ■■

عمان ـ د . عيسى الناعوري

طبائع الاستبداد

● قيل ان الحكيم الصيني كونفوشيوس كان سائرا ذات يوم في نفر من تلاميذه عند سفح جبل تاي ، فشاهد عن بعد امرأة تنوح على قبر ، فحث السير اليها ، وعندما اقبل عليها بعث بتلميذه « تزي لو » يسألها ما مصيبتها ، فدنا منها وقال : انك تنوحين نواح من نكب مرة بعد اخرى .

فقالت : والصواب ما قلت ، ان وحشا افترس أبي هنا ، ونزلت المصيبة نفسها بزوجي ، وها هو ذا ابني يسقى الردى من كأس واحدة .

فقال الحكيم : ولماذا لا تبرحين هذا المكان وتلجأين الى آخر .

فقالت : لانه لا توجد حكومة مستبدة هنا .

فقال الحكيم : تذكروا يا ابنائي هذا واحفظوه ان الحكومات المستبدة شر من الوحوش المفترسة .

اول من منح قدرة التنقل بين عالم الروح

العالم المتصوف

في خلال فترات من التاريخ قد تتباعد وقد تتقارب ، يظهر رجال عظماء نصيبهم موفور من العبقرية وامتياز الشخصية ، ولكنهم برغم نباهة شأنهم وكثرة اتباعهم من الدارسين لهم والمعجبين بهم ، لا تزال جوانب من حياتهم المتألقة الحافلة بالمنجزات الباهرة والاثار الباقية تثير التساؤل ، وتختلف فيها مذاهب التأويل ، مما يثير الصعاب في استيعاب شتى نواحيهم ، وسبر اغوارهم والاحاطة بمدى عبقريتهم . وفي حدود معرفتي المتواضعة أرى ان من امثال هؤلاء الافذاذ النوادر ـ العالم المتصوف السويدي امانويل سويدنبرج .

وقد ولد هذا الرجل العجيب الشأن المتعدد الجوانب في استكهلم سنة ١٦٨٨ م في اليوم التاسع بعد العشرين من شهر يناير ، وكان والده الاسقف يسبر سويدنبرج ، وقد اسماه امانويل ومعناها « الله معنا » وذلك لكي لا يغيب الله عن ذاكرة ابنه . وكان يؤمن بوجود الملاك الحارس والاتصال بعالم الارواح غير المنظورة ، وكان في الوقت نفسه قليل الاحتمال للضعف البشري ، شديد الحماسة للاصلاح الاخلاقي ، وكان هذا هو الاتجاه الديني الذي نشأ فيه هذا العالم المتمكن والمتصوف الذي رزق نفاذ البصيرة ، وتراءى له ان الكثير من الاسرار الكونية الخفية قد كشفت له ، وانه رأى ما لا يراه الناس العاديون في العالم المألوف .

يتقن كل شيء

وكان سويدنبرج يتقن كل عمل يقوم به ، وكانت قواه العقلية تيسر انجاز كل ما يوجه الدين إليه اهتمامه من الاعمال المختلفة المتنوعة ، وفي العشرينات من عمره اكب على الدراسة العلمية وكتب الكثير من البحوث المختلفة ، وتنقل في انحاء أوروبا : فزار انجلترا والمانيا وهولنده ، وكان من اهدافه في زيارة انجلترا زيارة العالم الكبير نيوتن ، وقد قام بهذه الرحلات بعد ان اتم دراسته في « أبسالا » واختير بعد ذلك للاشراف على المناجم في السويد ، وقد توصل الى الكثير من الكشوف العلمية .

ومنذ اتمامه الدراسة في « أبسالا » الى آخر حياته كان الرجل العملي : جمع بين براعة المهندس وتمكن العالم الجيولوجي والاقتصادي القدير وكان اول من كتب في السويد رسالة تتناول حساب التفاضل والتكامل وحل مشكلة ايجاد خطوط الطول في البحر ، ونظام الكسور العشرية في سك العملة ودراسة المد والجزر في البحر ، ودرس تكوين الجسم البشري وسائر العلوم الطبيعية . وفي اشرافه على اعمال المناجم ادخل طريقة دحرجة المثقلات ، وكان يتقن كل عمل يتولاه بحدسه الموفق وبراعته الفنية ، وانتقل إلى الفلسفة يعالج مشكلاتها بعد تبريزه في النواحي العلمية ، وجاءت بعد ذلك فترة التصوف وقد سجل في مذكراته الاحلام العجيبة ، والرؤى التي كانت تعرض له ، والاصوات الغريبة التي كانت تصل الى سمعه ، وقد أدهش اصدقاءه هذا التغيير المفاجىء والتحول غير المنتظر لرجل في طليعة علماء عصره ، وكان يقول ان السيد المسيح قد زاره ، وتلقى من هذا المصدر العالي رسالة لتفسير الكتب المقدسة تفسيرا جديدا ، ووقف الجزء الباقي من حياته التي امتدت الى الخامسة بعد الثمانين للقيام باعباء هذه

سويدنبرج

بقلم : علي ادهم

الرسالة ، وجاب الاقطار وقضى جانبا كبيرا من وقته في انجلترا ، والف الكثير من المؤلفات لتأكيد رسالته ، ووصف في مؤلفاته العالم السماوي وسكانه ، وكان يبلغ بعض الاحياء رسائل من اقاربهم الموتى .

ومن السهل ان يرفض ذلك ، ويعزي الى اضطراب الم بالاعصاب احدث تأثيره في القوى العقلية ، ولكن هناك اشياء تثير التساؤل فقد كان سويدنبرج يدعي القدرة على رؤية الاشياء غير المنظورة ، واستطلاع بعض الاحداث الغيبة ويمكن من هذه الناحية اختيار بعض ما كان يزعم الوقوف على حقيقته ، وفي حياته احداث مسجلة توضح ذلك ، منها : ان العالم الديني البريطاني « جون وسلي » تلقى رسالة من سويدنبرج يذكر له فيها ان الارواح اخبرته ان « وسلي » يريد لقاءه فاجابه « وسلي » ان هذا حق ، وحدد له ميعادا لهذا اللقاء ، فرد عليه سويدنبرج قائلا : « انه في هذا التاريخ يكون قد حانت منيته التي ستحدث يوم ٢٩ مارس سنة ١٧٧٢ » وهو تاريخ سابق للتاريخ الذي حدده له وسلي ، وهذه الرواية تكشف ناحيتين من نواحي امتياز سويدنبرج ، الناحية الاولى قدرته على استطلاع ما في نفوس غيره من الناس ، والناحية الثانية قدرته على استشفاف احداث المستقبل .

انباء عن بعد

ويروى عنه انه كان يتناول طعام العشاء في جوتنبرج مع جماعة من اصدقائه وهو وادع النفس كثير البشاشة ، ولكنه لم يلبث ان علت وجهه لمحات من الكدر والهم ، فعجب من ذلك اصحابه وسألوه عن سبب ما الم به من التغيير فقال لهم « ان النيران قد اشتعلت في منزل احد اصدقائه في استكهلم وكان منزل هذا الصديق قريبا من منزله ، وذكر ان النيران كانت قوية الاشتعال سريعة الانتقال ، وان منزله معرض لاخطارها » ، وقد ظل ساعتين في قلق وحيرة ، وفجأة اشرق وجهه وزال اضطرابه وقلقه ، وقال لاصحابه : « ان النيران قد خمدت واطفئت عند المنزل الثالث القريب من منزله » ، وانتشر الخبر في جوتنبرج وبينها وبين مكان الحريق اكثر من مائتي ميل ، وبعد يومين جاءت اخبار الحريق الى جوتنبرج .

وفي برلين اخبرت ملكة السويد اخاها الملك ان احدى سيدات حاشيتها قد تعرضت لازمة نفسية شديدة من جراء مطالبتها بمبلغ من المال كان زوجها المتوفي قد استدانه ، وكانت هذه السيدة واثقة من ان زوجها قد قام بسداد ما عليه من الديون قبل وفاته ، ولكنها لم تستطع الاهتداء الى المكان الذي احتفظ فيه زوجها بالمستندات والوثائق الخاصة بما كان عليه من ديون ، فذهبت السيدة الى سويدنبرج ، وتوسلت اليه راجية ان يسأل زوجها عن المكان الذي احتفظ فيه بالايصالات الخاصة بسداد ما كان عليه من دين ، وفي اليوم التالي اخبرها سويدنبرج عن المكان الذي به هذه المستندات في القصر الرحب ، وانه قد طلب من زوجها ان يظهر لها ، وفي الوقت المناسب رأت السيدة زوجها في رؤية حالمة وقد ارتدى الملابس التي كان يرتديها حينما ادركه الموت .

وفي ذات يوم كان هذا السويدي الموهوب في سفينته وقد تولى قيادتها القبطان ديكسون ، فسمع احدى السيدات تسأل هل بالسفينة من المأكولات المحفوظة ما

يكفي ركابها في الرحلة التي سيقضونها بها . فاجابها سويدنبرج ان الاغذية الموجودة كافية وان السفينة التي بدأت رحلتها من لندن ستصل الى استكهلم في ثمانية ايام في الساعة الثانية وكان هذا ما حدث .

بعيدا عن المال والشهرة

وقد عاش سويدنبرج في عزلة ، ولم يبد اية رغبة في تحصيل المال او كسب الشهرة ، ولم يعمل على ايجاد انصار واتباع ولم يكن يفضي بأسراره الا لعدد قليل من اصحابه الذين يثق بهم ويطمئن الى حكمتهم وحبهم له

وقد عرف بدقة يوم وفاته والساعة التي سيدركه فيها الموت ففي يوم الاحد ٢٩ مارس سنة ١٧٧٢ سأل اصحابه عن الساعة ، فقيل له : « انها الساعة الخامسة فاجاب « لقد قضي الامر بارك الله لكم جميعا » . وبعد عشر دقائق اسلم روحه .

ولقد اعتاد بعض الباحثين في حياته ان يقسموها الى ثلاث مراحل ، المرحلة الاولى تبدأ من نشأته واشتغاله بالمشكلات العلمية والبحث في عالم الطبيعة ، وانتقل منها الى الاقبال على الفلسفة ، ثم فرغ بعد ذلك للاتجاه الصوفي ولكن اغلب الباحثين في حياته يرون انها مرت بمرحلتين المرحلة العلمية حتى سنة ١٧٤٣ ، وتبع ذلك المرحلة التصوفية التي اكد فيها اتصاله بعالم الارواح ، وقضى في هذه المرحلة اكثر اوقاته في استكهلم ولندن وامستردام .

ومن اشهر مؤلفاته كتاب « اقتصاد عالم الحيوان » وقد دهش الفيلسوف الالماني « امانويل كانت » حينما وجد في بحوث سويدنبرج بعض اوجه الشبه من فلسفته كما اعجب بمؤلفاته الشاعر الفيلسوف الانجليزي كولردج ، وقال عنه « لا اتذكر اشياء في مؤلفات لورد بيكون ترتفع الى مستوى ما كتبه سويدنبرج ، سوى القليل في الثراء الفكري ، وعمق التفكير ، وبلاغة التعبير ،ورجاحة وزن الحقائق » كما اعجب به توماس كارلايل واثنى عليه ، وقد كتب مقدمة ترجمة كتابه عن « الحب المقدس والخلق » الى الانجليزية العالم البحاثة الانجليزي المعروف السير اوليفر لودج .

من حكمته

وكان من متتبعي اخباره ، والمتسائلين في أقواله احد الانجليز ، وقد تتبع خطواته حتى لقيه في باريس ، وقد روى ان الابواب في منزله كانت لا تغلق ، ولما اشتكى من ذلك احد الخدم خشية تعرض المنزل للسرقة التي قد تدعو الى الاشتباه في امره قال سويدنبرج « ان له عذره في هذه الشكوى ولكن ليطمئن باله فانه لا يرى الحارس غير المنظور المشرف على حراسة المنزل » .

ومن كلماته ان الله جل شأنه لا يسمح ببقاء احد في الجحيم الى الابد لآثام تورط فيها أثناء حياته القصيرة ، والمقصود بالعقوبة الاصلاح والتقويم ، وبرغم ان موارده المالية كانت محدودة فقد كان يقدم مبالغ من المال ضخمة لانقاذ بعض الشركات من الافلاس . وكان لا يخيب رجاء احد من الذين يلتمسون مساعدته ويقول المؤرخ البحاثة جورج جودوين في كتابه عن « عظماء المتصوفين » : « ان سويدنبرج في العصر الحاضر يثير اهتمام رجال الدين وجماعة المتصوفين ولكن هذا كان احد جوانب سويدنبرج الذي كان خبيرا في علم طبقات الارض وعلم المعادن والعملة والرياضة والفلك واللغة وشتى الوان المعرفة ، والانسان في تقديره هو الارادة فاذا كان سيدخل النار فلأنه قد اختار ذلك ، والخلاص يجيء للانسان عن طريق الايمان والحب . »

والحكمة الرئيسية عند سويدنبرج هي ان « كل الناس الذين عاشوا في هذا العالم ورائدهم الصلاح واجتناب الشر سينقذهم الله ويشملهم برحمته » ، وكان يقول : « انه رزق القدرة على الاتصال بالموتى ، ومحادثتهم ، والتنقل في المدن السماوية ، والعوالم غير المنظورة » وكان يقول عن نفسه « انه اول انسان سنحت له القدرة على التنقل في العوالم الروحية والعيش في الارض والسماء » . والفيلسوف « كانت » الذي عني ببحث هذا الموضوع كان يقول لمن يظهرون الدهشة والاستنكار « اني لا اعرف ان احدا قد عهد في ميلا الى وجود العجائب او الضعف الذي يميل بالانسان الى سرعة التصديق والعجيب في امر هذا الرجل العبقري هو الجمع بين التفوق التعليمي والقدرة العلمية التي ظهرت في كل ما عهد اليه القيام به ، او الاشراف عليه ، وهذه النزعة الصوفية الغريبة الشأن المحفوفة بالغموض ولكن ليس هذا بالكثير على الكون الذي يعيش فيه ، الحافل بالاسرار والخفايا والعجائب ، والذي لا تستطيع ان نزعم اننا نحن البشر قد استوعبنا حقائقه ، وادركنا كنهه ، وسبرنا اغواره ، واحطنا بمداه ، وقد يكون استيعابه من جميع نواحيه ، وحل طلاسمه وكشف مجاهله من وراء قدرتنا المحدودة ولهذا اختلفت مذاهب التأويل وتلونت الاحتمالات برغم الامعان في الدراسة والتعمق في البحث » .

■■

علي ادهم

لماذا نقسم الثقافة الى علمية وأدبية ؟؟

في الطريق الى الثقافة الثالثة

بقلم : محمود محمود

لقد درجنا على ان نقسم المثقفين طائفتين : طائفة ثقافتها علمية واخرى ثقافتها ادبية وبالثقافة في هذا الصدد نعني التعلم او المواد التي عني الفرد بدراستها سواء في ظل نظام تربوى معين ام بجهده الشخصي واهتماماته الخاصة .

وبالثقافة العلمية نعني العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء والرياضيات . وبالثقافة الادبية نعني دراسة مأثور الكلام الذي يتميز بجمال التعبير ، ويتمثل في قصيدة من الشعر أو في قصة او رواية او مسرحية او مقال ادبي وغير ذلك من فنون القول . وتدخل في هذه الثقافة كذلك العلوم الاجتماعية والانسانية وبعض الدراسات النفسية والفلسفية ، وتخرج من هذا التقسيم الفنون التشكيلية من نحت أو تصوير وكذلك الموسيقى والدراسات الدينية ايضا لان الاحساس بالجمال الذي تعبر عنه الفنون ، والشعور بعجز الانسان امام قدرة الخالق عز وجل من صفات النفس البشرية ، على تفاوت بين الناس في درجة الحس وعمق الشعور .

وعلى هذا التقسيم للمعارف الانسانية الى علوم وآداب تبني نظمنا التعليمية فتقسم المرحلة الثانوية بوجه عام الى شعبتين ، احداهما أدبية والأخرى علمية وتتوزع الدراسات في الكليات الجامعية كذلك على اساس هذه التفرقة بين العلم والادب .

ومن العلوم ما هو نظرى بحت تختص به كليات العلوم ومنه ما هو تطبيقي ، نلمسه اساسا في دراسة الطب والهندسة ، وانك لتكاد تجد هذا التقسيم في اكثر النظم التعليمية في ارجاء العالم كافة ، على الرغم مما يؤدى اليه من تعذر التفاهم واتفاق وجهات النظر بين الفريقين بل وسخرية رجال العلوم من رجال الاداب ، ورجال الاداب من رجال العلوم ، واعتقاد كل مجموعة منهما بانها الاصلح من الاخرى لتولى شئون الحكم في البلاد . لا يتخيل الاديب ان انسانا ما ـ مهما كانت حدود معرفته ـ لم يقرأ شيئا من مسرحيات شكسبير مثلا ، ولا يتصور رجل العلم ان انسانا في العصر الحاضر يجهل القانون الثاني للديناميكا الحرارية ، وهو قطعا اعمق اثرا في الوجود من كل ما جادت به قريحة

شكسبير او غيره من الكتاب والشعراء . وهذه التفرقة الحادة بين ما هو علم وما هو ادب حديثة العهد نسبيا في تاريخ الانسان . فلقد كان فلاسفة اليونان كما كان علماء العرب ، يجمعون في دراساتهم بين الطرفين . ولبث تاريخ الفكر البشري يسير هكذا حتى كان النصف الثاني من القرن الثامن عشر حينما بدأ تفجر المعرفة الانسانية واستحال على المتعلم ـ او كاد ـ ان يلم ولو بصورة عامة بنتائج القرائح في مختلف الميادين فجنح الى التخصص في فرع واحد من فروع المعرفة .

واكدت الثورة الصناعية التي احتدم أوارها في القرن التاسع عشر هذا الاتجاه واثبتت اهمية العلم ، لان الصناعة تقوم اساسا على العلم ولا تجديها الاداب فتيلا .

ثم اعقبت الثورة الصناعية ثورة اخرى تسميها الثورة العلمية . وهنا ينبغي التنويه بان الثورة الصناعية شيء والثورة العلمية شيء آخر .فنحن نعني بالاولى استخدام الآلات لتحل محل الايدي وتجمع الرجال والنساء في المصانع الكبرى للانتاج على نطاق واسع ، مع اختفاء العمل الفردي الى حد كبير والانتقال من الريف والاشتغال بالزراعة الى المدن والاشتغال بالصناعة وتوزيع المصنوعات .

اما الثورة العلمية فقد جاءت بعد ذلك ، ونستطيع ان نقول انها بدأت مع استخدام الانسان للجسيمات الذرية في القرن العشرين ، لان المجتمع الذي يعتمد على الالكترونات والطاقة الذرية والتشغيل الاوتوماتيكي يختلف اختلافا جذريا عن كل المجتمعات التي سبقته وهذا التحول من العصر الآلي الى العصر الذري هو الذي نسميه بالثورة العلمية .

ومن الحق ان العصر الذي نعيش فيه يؤمن بالعلم اكثر مما يؤمن بالادب ، لان العلم هو اساس التقدم المادي الذي هو معيار الحضارة الحديثة .

ومن اسف أن العلميين لا يدركون ان الصناعة نفسها التي تستند الى الكشوف العلمية بحاجة ايضا الى تنظيم اجتماعي ودراسات نفسية هي الى دراسة الانسان اقرب منها الى دراسة المادة ،« وليس بالخبز وحده يحيا الانسان » . ولا بد من تضافر الجهود العلمية مع الجهود الاجتماعية لكي نحقق للبشرية النظام الامثل .

تقسيم ساذج

حول هذه الافكار العامة القى اللورد سنو احد الكتاب الانجليز المعروفين في العصر الحديث سلسلة من المحاضرات في جامعة كمبردج بانجلترا في عام ١٩٥٩ ، كانت ومازالت مثار جدل عنيف بين رجال الفكر في جميع أنحاء العالم . فلقد أوضح هذا العالم الاديب أن العالم على وجه الجملة تسوده ثقافتان ـ ثقافة العالم وثقافة الاديب ـ وان الهوة سحيقة بين هاتين الثقافتين ، ولابد من الوصل بينهما لكي يتم التفاهم بين افراد الشعب الواحد ولكي تسير كل أمة من الامم نحو الوحدة التي تنشدها .

غير ان سنو لم يفته أن هذا التقسيم ساذج الى حد كبير . والواقع أن كل تقسيم ثنائي فيه تجاوز شديد للامر الواحد ، وليس اللون اما أسود واما أبيض وانما بين السواد والبياض اطياف متعددة وبين الواحد والاثنين كسور لا نهاية لها . فكما ان هناك العالم والاديب فهناك العالم الاديب . والاديب العالم (كما كان سنو نفسه) . وبين العلماء انفسهم متخصصون في فروع مختلفة ، وقد تكون الفرقة بين أحدهم والآخر أبعد شقة من الفرقة بين عالم وأديب .

ولم يرد سنو ان يقول ان الثقافة اما علمية واما ادبية ، والا كان الى التعصب اقرب منه الى سماحة الفكر . وانما كان هدفه ان يضع لنا مؤشرات عريضة لأوجه الخلاف بين نظرة الى الكون تحلل وتعلل ، ونظرة أخرى شمولية عامة تستند الى الحس المباشر ، لان الثقافة في الواقع ضروب واشكال ليست لها نهاية ، ولا يجوز ان نحصرها في قالبين اثنين ـ العلم والادب ـ فهناك ثقافة ثالثة ورابعة ... الخ وكل من هذه الثقافات مزيج من المعارف مختلف المذاق . غير ان سنو قد تأثر فيما عرضه من آراء بحياته الخاصة فلقد كانت العلوم دراسته والكتابة الادبية حرفته ، ونشأ في أسرة فقيرة ، فأحس احساس الفقراء نحو الحاجة الماسة الى اصلاح المجتمع بحيث تضيق الهوة بين الغني والفقير ، ويتوافر لكل امريء حد ادنى من الحياة الكريمة في مأكله وملبسه ومسكنه وتربيته وصحته ، وكل ذلك لا يمكن احداثه الا بالحس المرهف الذي ينفعل بما في الحياة من مآس ، وبتطبيق العلم لتوفير المستوى المادي المنشود .

فالعالم الاديب اذن هو نموذج الرجل المصلح . وتضافر العلماء والادباء في كل من البلاد أمر لا محيص عنه غير أن سنو لاحظ أن العلماء في بلده ولعهده يتعاطفون مع العلماء في البلاد الاخرى ويشاركونهم أفكارهم اكثر مما يتعاطفون مع الادباء في وطنهم او يشاركونهم احساسهم ، وذلك بسبب الصراع بين ثقافتين كان



الاحرى بهما ان يتفقا في الهدف وان اختلفتا في الوسيلة .

وكما فطن سنو الى ضرورة التآلف بين العالم والاديب ادرك كذلك ان المثقفين الذين يعملون باذهانهم سواء كان ذلك في مجالات العلم والأدب ، لابد لهم من تقدير الجهد الذي يبذله العاملون بايديهم ممن تنعتهم بغير المثقفين في ميادين الزراعة والصناعة فالجانب العملي ليس اقل من الجانب النظري في حياة الشعوب .

تجربة انجلترا

والحكم الرشيد يستند الى قوائم من العلم الطبيعي ودراسة الانسان وجهوده العلمية . ولكن ما نشاهده في أكثر البلدان هو استيلاء اصحاب الدراسات الاجتماعية والانسانية على مقاليد الامور وتنحية او تنحي رجال العلم عنها . وقد استرعى انظار الانجليز ان تصل ذروة الحكم في البلاد لاول مرة امرأة خلفيتها الدراسية هي الكيمياء « وان تكن قد درست القانون فيما بعد » – واعني بها السيدة تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا الحالية .

ولعل من مزايا العالم كحاكم انه اكثر تفاؤلاً من زميله دارس الآداب ، من حيث امكان الاصلاح الاجتماعي ، مهما كان متشائماً في حياته الخاصة ، ومهما بلغت مأساة حياته من الشدة والخطورة . فهو يرى ان العلم يستطيع ان ينجز الكثير بالعمل الايجابي ، ولا كذلك الادب بسلبيته .

الا ان رجال الادب ـ الى جانب ذلك ـ يعتقدون أن دراسة القصص والمسرحيات والشعر والتاريخ وغير ذلك من الانسانيات تساعدهم على تفهم حاجات المجتمع وسلوك الافراد كما تعاونهم على تقويم الاخلاق ، وفي ذلك بعض الحق ولكن فيه كذلك بعض المبالغة في الرأي . فكثير من رجال العلم الذين لايتعمقون الآداب يحسون حاجات المجتمع وهم على خلق كريم وليس من المعقول ان نحول دراسة الفيزياء او الرياضيات دون الحس الاجتماعي المرهف او الرغبة في خدمة الآخرين . غير أنه مما لا شك فيه أنهم اذا اضافوا الى دراسة العلوم الالمام بالآداب التي تحلل سلوك الافراد والجماعات كانوا اوسع خيالاً واغنى نفساً . وليس معنى ذلك ان دارس الادب لا يقع في هذا الخطأ ، فهو ايضاً قد تخصص ويقصر همه على دراسة شاعر من الشعراء او فترة معينة من فترات التاريخ دون سواها ويكون شأنه في ذلك شأن العالم الذي يتعمق ناحية واحدة من نواحي المعرفة دون أن يكون على المام بخريطة المعارف الانسانية كلها .

والواقع ان الانجازات العظيمة في التاريخ لم تتم الا بالتقاء الثقافتين لدى الافراد والجماعات على حد سواء . وكذلك يرى سنو ضرورة دمج العلوم في الآداب بحيث لا يتعرض الكاتب للكتابة الا بعد ان يهضم علوم عصره وليس ثمة ما يدعو الى تقسيم الدراسة في معاهد التعليم الى ادبية وعلمية بل يتحتم علينا لكي نخرج المواطن الصالح ان نزوده بطرف من هذا وطرف من ذاك ، وأن نزيل الحواجز بينهما بحيث لا يشعر أن المعرفة الانسانية فيها هذا التقسيم الصارم ، أو أن بين الناس هذا الفارق في الثقافة ، ولا يتميز فرد عن آخر الا بالتعليم ولا يكون لدارس علم فضل على دارس ادب .

وقد تنبهت الى ذلك الولايات المتحدة الامريكية فرست نظم التعليم فيها على هذا الاساس واكدت في مناهج الدراسة على ضرورة الجمع بين العلوم واللغات . وكذلك تنبهت الى ذلك دول ناهضة في الصناعة كالصين التي اولت العلم والتكنولوجيا في مناهجها أهمية بالغة بعد أن كانت لا تأبه الا بدراسة التراث كما كانت الحال في بلادنا العربية حتى عهد قريب . وبذلك استطاعت

الصين كما استطاعت اليابان من قبلها ان ترفع هامتها الى هامات أهل الغرب في مجال الصناعة . ولم تكف نفسها فحسب بل استطاعت كذلك ان تغرق بمنتجاتها الاسواق العالمية .

نحو ثقافة ثالثة

نادى سنو بهذه الاراء في كتابه « الثقافتان » الذى اشرت اليه فيما سبق ، فانهال عليه النقاد تارة بالتأكيد وتارة بالمعارضة فجمع كل ما قاله عنه المفكرون والنقاد ، ثم قام بمراجعة الكتاب في عام ١٩٦٤ ولم يلحق به كثيرا من التغيير واكتفي في اكثر الحالات بالمزيد من الايضاح فذكر ـ مثلا ـ انه عندما ذكر « الثقافة » انما عني بها معناها في المعاجم وهو « التنمية العقلية » بأية من الوسائل عليا كان أم أدبيا ام احترافا . كما قصد بها في الوقت نفسه معناها الفني الذى يأخذ به الانثروبولوجيون وهو « مجموعة من الافراد يعيشون في بيئة واحدة ، وتربط بينهم عادات مشتركة ، وطريقة للعيش واحدة » . وبهذا المعنى ايضا تميز الادباء عن العلماء ، فلكل مجموعة منها أسلوبها في الحياة الخاص بها . الأدباء يتأثرون بالعواطف والعلماء يحكمون العقل ، ولذلك فان سنو يقبل بتعبير برونسكي الذى يستبدل « بالثقافتين » « نظامين عالمين » ويضيف الى ذلك انه حينما يذكر في حديثه الطريقة العلمية في معالجة الامور فهو يعني بها دراسة العالم الطبيعي واستنباط القوانين التي يسير بمقتضاها من ناحية كما يعني بها محاولة السيطرة على هذا العالم والتحكم فيه من ناحية اخرى . فالطبيب لا يكتفي بتشخيص المرض ولكنه يصف له كذلك الدواء . ولا ينبغي للعالم ان يقف عند اكتشاف القوانين الكونية لان من واجب العالم خلقيا ان يستخدم هذه القوانين فيما فيه مصلحة البشر . فقد نعرف كل ما يتعلق بالذرة كخطوة اولى ثم تأتي بعد ذلك الخطوة الثانية التي ترسم لنا طرق استغلال هذه الطاقة فنوجهها نحو البناء والتعمير ولا نستخدمها في الهدم والتدمير وفي الفصل بين العلم وتطبيق العلم مخاطر جمة .

وفي مراجعة الكتاب يؤكد سنو ضرورة انشاء « الثقافة الثالثة » التي تجمع بين « الثقافتين الادبية والعلمية » كما يؤكد أن الدراسات الاجتماعية ينبغي ان تتبع في اسلوبها المنهج العلمي من الاستقصاء والفرض واستخلاص النتائج ثم وضع هذه النتائج موضع التطبيق لاختبارها والوثوق من دقتها وصحتها .

واني اذ اعرض هذه الاراء هنا عرضا خاطفا لارجو ان نتوسع فيها ونتخذ منها ركيزة لنا عند وضع استراتيجيات تطوير التربية العربية والمجتمع العربي ، فلا تكون لنا ثقافتان متمايزتان تفرق صفوف المفكرين في امتنا العربية وتباعد بين الناس ، بل ثقافة واحدة ، هي ما يسميها سنو « الثقافة الثالثة » . ■■

محمود محمود

علاج حاسم

● التقى بول بونكور السياسي الفرنسي مع سول بلوم عضو الكونجرس الامريكي لاول مرة فبادره قائلا : ولكنك تبدو اصغر بكثير مما كنت انتظر ؟.

سأل بلوم : وكم سنة تحسب عمرى ؟ اجاب بونكور : حوالي الستين !

قال بلوم : كلا ، انني اكبر من ذلك بكثير . واني لاعزو مظهر الشباب الذى لا زلت محتفظا به الى شيء واحد هو الفتيات !

هز الرجل الفرنسي رأسه في دهشة ـ وقال : حسنا ، لقد عرفت .

وتابع بلوم حديثه فقال بصيغة الجزم : نعم البنات فلا شأن لي بهن !

صناعة جديدة اسمها الاستجمام

بقلم : عبد المقصود حبيب

لم يعد الاستجمام ترفا مقصورا على الاثرياء وذوي المكانة الرفيعة ، ولكنه صار صناعة كبيرة لها دورها المؤثر ، في عالم يتزايد فيه القلق والتوتر .

في المانيا الغربية ، تغطي مؤسسات التأمين الصحي نفقات استجمام ضحايا الارهاق اليومي .. حتى تذكرة الطائرة والقطار !

وبالرغم من أن فئة قليلة ـ لو قيست بأعداد الشعوب ـ هي التي تعرف الاستجمام وتذهب اليه لتستمرئه ..فقد أنشئت له المشافي وأقيمت الاماكن التي يستجم فيها من يستطيع الاستجمام ..

وقبل أكثر من خمسين عاما تحدث عن الاستجمام كاتب ألماني ساخر هو كورت توخولسكي (ولد في ١٨٩٠ ومات منتحرا في ١٩٣٥) يصف فترة استجمام قضاها في احدى دور الاستشفاء ، وما مر به خلالها فكتب يقول « لقد قال لي الطبيب انها الاعصاب ، وما تحتاج اليه هو الراحة والاسترخاء والتدليك والتريض مع متابعة نظام خاص للطعام ينحصر في تناول الخضر ... وفكرت بيني وبين نفسي بأن الامر سيكون مبهجا .. وبالفعل كان كذلك ، اذ اقتصر طعامي على ثريد بالخضار ونصف ورقة من الخس ونصف برقوقة .. وكان على أن أتم كل يوم تنفيذ برنامج معقد فيا بين السابعة صباحا كل يوم حتى الثانية عشرة والنصف ، أتنقل خلاله بين المدرب البدني والمرضة المشرفة على وزن الجسم وبين مدرب السباحة والمدلك .. ثم أنتقل الى عهدة الطبيب ثم المرضة المراقبة .. وفي الحقيقة كانوا مهتمين بي جميعا الى أقصى الحدود .. وبدأت أتخيل أني مريض بالفعل .. وما ان يظهر على ذلك الشعور حتى يصرخوا جميعا في وجهي بأن لاداعي مطلقا لكل هذه المبالغة لأن صحتي تحسنت جدا جدا »

كان ذلك عام ١٩٣٠ عندما سمع « توخولسكي » النصيحة بالاستجمام من طبيبه الذي لم يجده مريضا في بدنه ولكنه اعتقد أن أعصابه مريضة .. واضطر توخولسكي للانصياع لهذه النصيحة رغم أنه فقير ومن هذه الفئات التي لا تعرف الاستجمام .. لم يكن واحدا من علية القوم الذين سبقوه أو لحقوا به ويعرفون تماما ما هو الاستجمام وأين أماكنه ويذهبون اليها حتى دون استشارة طبيب ..

وقبل توخولسكي امتدح كل من الشاعر جوته (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) والموسيقار بيتهوفن (ولد في بون في ١٧٧٠ ومات في فيينا ١٨٢٧) منافع الاستجمام والعلاج

الاستشفائي وان كان حتى الآن لا يعرف الدافع الذي كان وراء استجمام جوتة عندما سافر وهو في سن الخامسة والثلاثين الى مدينة (كارلسباد) ينشد الاستجمام كما قال .. الا أن بعض الكتب (البيليوغرافية) عنه قالت ان التحاقه بهذا المشفى لم يكن للعناية بصحته بقدر ما كان يهدف الى الهرب ولو لبعض الوقت من متاعب مهنية ألمت به آنذاك .. وذكرت أنه تقابل هناك مع الموسيقار بيتهوفن وكان الاثنان ينحنيان تحية كلما تقابلا كما كانت العادة بين أهل تلك المدينة ..

الا أنه بالرغم من ذلك فقد استمتع العملاقان بكل معاني الراحة والاستجمام .. من هدوء وشاعرية ونظام صحي دقيق واحتساء مياه الينابيع الصحية والاستجمام في المياه المعدنية والبعد عن كل ما يمكن أن يزرق شعرة فيها ..

يهربون من الاستجمام

وكان كل ذلك بالفعل هو أركان الاستجمام .

فهل بقي من ذلك شيء الآن .. أم ذهب الى غير رجعة ... ؟ لنر ..

في هذا العصر الذي يتسم بالواقعية ويتخلل كل شيء فيه وقع المادية والسرعة والتقدم الصناعي .. تحول الاستجمام الى صناعة متقنة تستثمر فيها الاموال مثل أية صناعة ثقيلة .. وتفتح لها المكاتب في مختلف أرجاء الارض .. تقوم بالدعاية للاستجمام في مكان ما بجانب اعلانات السجائر التي يقف فيها عمر الشريف يدخن سيجارته بمتعة ، أو مثل اعلانات السيارات التي يقف فيها محمد علي كلاي رمزا لقوتها .. وبالطبع لو دهسته رغم قوة ذراعيه لضاع هباء منثورا .

ودخلت تحت عنوان الاستجمام أشياء كثيرة لكي تجتذب هذه القاعدة العريضة جدا من الجماهير التي لا تعرف معنى الاستجمام ولا تحبذه ولا تريده أن يدخل حياتها .. فدخلت مثلا كلمة سياحة .. وبالطبع يرغب فيها كل من يستطيع وبالتالي فهو لن يستجم في سياحته .. اذ أن السياحة كما هو معروف لف ودوران حول الآثار وبين أعمدتها بأقدام حافية على سطح الرمال .. أو ركوب الجمال (فاكهة عند الاوروبيين) واستلقاء تحت أشعة الشمس الحارقة في افريقيا أو آسيا كي يعودوا الى بلادهم يزورون الاطباء مما أصابهم .

وعلى سبيل المثال للاموال التي تستثمر في هذه الصنعة الجديدة .. فقد استثمر في ألمانيا الغربية وحدها ما يزيد على ٣٥ مليارا من الماركات على شكل منشآت لحمامات المياه المعدنية والطمي والحمامات البحرية والطبية أو دور للاستشفاء .. ويؤم تلك المنشآت سنويا ما يزيد على ٣٠ مليون شخص يقدر ما ينفق عليهم ١٠ مليارات مارك .. ويشرف عليهم ربع مليون شخص من العاملين في تلك المنشآت يسقونهم هذا الاستجمام .

ومن منطق أن ذلك الامر أصبح صنعة .. فان نظام التأمين الصحي والاجتماعي في ألمانيا تقوم به مؤسسات رهيبة التكوين ، رهيبة رأس المال ، رهيبة الارباح .. هذه المؤسسات هي التي تدفع هذه التكاليف التي يتكلفها المستجمون ، ففي ٩٩٪ من الحالات ينصح الطبيب المعالج الشخص المعني بزيارة احدى دور الاستشفاء للاستجمام مدة معينة ويرسل بذلك تقريرا طبيا الى مؤسسة التأمين التي في حوزتها هذا المريض فترسل بدورها لتستدعي المريض لاجراء فحص طبي لدى أحد الاطباء المعتمدين لديها الذي يعتمد في فحوصاته على الوثائق الضرورية التي يحصل عليها من الطبيب المعالج أصلا ... وتتم الاجراءات وتتحمل المؤسسة جميع النفقات حتى تذكرة القطار أو الطائرة ذهابا وايابا .

وبذلك اتسعت بالفعل دائرة الاستجمام .. وكما يهرب الموظفون الآن من أعمالهم تحت شعار الاستجمام أو كما يسمى في اللغة الالمانية (الكور)

وبما أن الامر أصبح صنعة .. وأصبح مرتادا من قطاعات كبيرة في المجتمع .. فلم يعد له الوضع القديم من قصور فاخرة ومبان فوق قمم الجبال أو بين الغابات القديمة وعلى شواطيء البحار أو المحيطات كما كان على أيام الملوك الكبار والقياصرة والاباطرة ..

لذلك أصبح الاستجمام مثل السياحة العامة .. فلا داعي لان تكون دوره الآن فنادق فخمة يعيش فيها النزيل على هواه يفعل ما يحب ويعرض عما يكره .. ولم تعد العملية في ذاتها عملية تبجيل واحترام ومحاولة للارضاء والتفاني في خدمة المستجم .. بل غالبا ما يشكو النزلاء الآن من البرنامج اليومي الدقيق والصارم ومن التحذير من هذا وحظر ذاك من الامور فيجب ـ مثلا ـ على النزيل أو النزلاء في غرفة واحدة أن يطفئوا الانوار قبل الساعة العاشرة والنصف ، بدعوى أن يأخذوا النصيب الكافي من النوم .

بالعلاج الحركي

كان الاستجمام في الماضي متعة كما وصفها توخولسكي .. وكما ذهب اليها بيتهوفن وجوته .. الا أنه الآن أصبح له مفهوم آخر .. فالنزلاء لا يحضرون الى أماكن الاستجمام للمتعة وانما لاستعادة قدرتهم على العمل مثل الآلة التي يقفون أمامها حتى تستنفد لا أعصابهم فحسب بل وحياتهم أيضا .. مجتمعات جعلها التقدم التقني قسوة من وراء قسوة ..

حتى النزلاء أنفسهم لم يعودوا كما كان نزلاء الاستجمامات من قبل ـ وكما يقول الاطباء ـ أيام عزها وأيام أن كان المستجم يجد في استجمامه جنة من جنان الله على الارض .

وهذا هو توماس كاريت طبيب نزل للاستجمام بمنطقة تسمى الهارتس يقول « ان معظم النزلاء الذين يأتون الينا مصابون بأمراض السكر وحصوة المرارة والمثانة والقرحة المعدية وأمراض البروستاتا والكليتين والغدة الدرقية واضطرابات الدورة الدموية وأمراض القلب المزمنة .. »

ثم يستطرد قائلا .. « لقد أصبح المكان مستشفى عاما . وفي الحقيقة فان هؤلاء لا يحتاجون الى استجمام .. بل الى علاج وان كان القسم الاكبر من علاجهم في أيديهم وهم في عقر دارهم . فمعظم هذه الامراض هي من طبيعة العصر تنتج عن التصرف الخاطيء للمريض .. وهذا التصرف الخاطيء ينحصر في عادة التدخين والادمان على الكحول والسمنة بجميع ما ينجم عنها بالاضافة الى الارهاق العصبي وقلة الحركة الرياضية الحرة ... أليس في مقدرة انسان العصر الحديث بما أتيحت له من وسائل التثقيف والوقوف على العلوم المختلفة أن يدرك مثلا ضرر التدخين فيقلع عنه .. ؟

أو يقدر مثلا ماذا له أن يأكل وما عليه أن يترك حتى يحتفظ بوزنه المناسب .. ؟ أو مثلا يخصص الوقت للتريض مشيا على الاقدام حتى تظل دورته الدموية منسجمة .. وتظل عضلاته في حركة وحيوية .. أو التنزه فوق دراجة أو القيام ببعض الاعمال اليدوية .. ؟ ان ما ينقص الانسان في العصر الحاضر .. هو شيء كان يملكه .. ثم وضعه بعبقريته في الآلة والكمبيوتر .. كأنه حمل ألقاه عن كاهله .. هذا هو النظام الذي تدور به الآلة .. ونسي الانسان أن يدير به آلة الجسم . حتى يعود الاستجمام متعة كما وصفها توخولسكي من قبل خمسين عاما .. ومن قبله بأعوام عندما ذهب اليها كل من جوته وبيتهوفن .. »

لقد تغيرت عملية الاستجمام من عملية متعة للنفس والروح والجسد الى صناعة لها قيود الصناعات الاخرى حتى أصبحت أماكن الاستجمام الحديثة والتي دعت اليها التوسعات في هذه الصناعة .. أصبحت نزلا مثل نزل الامراض العقلية لا يخضع فيها فرد لنفسه الا لحظات قليلة .. مما تحولت معه هذه النزل الى مراكز للتوعية الصحية .. فلم يعد يكفي الجلوس بعد الظهيرة في حديقة منسقة الزهور والورود والزروع والاستماع الى فرق الموسيقى تؤدي ألحانها الهادئة الشاعرية كما كان الامر في مطلع هذا القرن .. وانما أصبحت هناك برامج جديدة للاستشفاء يطلق عليها اسم العلاج الحركي .. بعد أن أوشكت كلمة الاستجمام بمعناها أن تضيع من قاموس الحياة .. ■■

عبد المقصود حبيب
بون ـ ألمانيا الاتحادية

شكرا حسب الظروف

● دعى طالب صينى لتناول الشاى على مائدة رجل اعمال امريكي ـ ولما كان الطالب لا يجيد عبارات المجاملة باللغة الانجليزية . فقد ابتاع كتابا « للاتكيت » وحفظ العبارات عن ظهر قلب . وحدث ان قدم اليه الرجل الامريكي بعض الحلوى فشكره الطالب بقوله : « شكرا يا سيدى او سيدتي .. حسب ما تقتضيه الظروف » .

رسالة باريس :

الابحاث العلمية بلغة السينما

بقلم : محمد صالح القمودي

السينما في فرنسا . لم تعد فقط وسيلة للترفيه والابهار ، بل اصبحت اداة لنشر الابحاث العلمية في اطار من الفرجة يجعلها في متناول الجميع .



لقطة من فيلم (ايكار) .



المخرج رينيه ..



العالم لا بوريت ..

هذا الاتجاه الجديد للسينما الفرنسية ، برز مؤخرا من خلال فيلمين : الاول عنوانه (ايكار) والثاني عنوانه (عمي القاطن في امريكا) .

(ايكار) هو الفيلم رقم ٢٨ الذي يخرجه (هنري فيرنوى) منذ ان احترف الاخراج في مطلع الخمسينات ، وتخصص في لون يجمع بين الترفيه والابهار ، لكنه لا ينتزع اعجاب النقاد رغم ما يدره من ارباح .

يقول المخرج عن عمله الجديد :

ـ ثمة اسئلة تؤرق عصرا باكمله ويحاول الفنان ان يجيب عنها بأدواته . مثلا .. الحقيقة كالشمس ، والشمس نور ونار ، فهل يحترق من يقترب كثيرا من الحقيقة ؟ !

السؤال صعب والجواب أصعب .

أنطلق من حادث اغتيال .. اغتيال رئيس للجمهورية في دولة عظمى . كل مشاهد سيفهم أنني أتناول اغتيال الرئيس (جون كينيدى) .لقد قرأت تقرير لجنة (وارن) وهي اللجنة الرسمية التي حققت في اغتيال الرئيس الأمريكي وأكدت أن الذي اقترف الجريمة شخص فرد هو (أوزو ولد) . قرأت أيضا كافة الكتب التي تحدثت عن القضية وأيقنت أن اللغز ما زال قائما .. لذلك تخيلت وكيلا للنيابة اسمه (هنرى فولني) ، وهو شخص حلمت به الولايات المتحدة الأمريكية ولم تعثر عليه ، رجل يستأنف التحقيق ويقترب من الحقيقة .. لكن الحقيقة كالشمس تحرقه ، وحجاب الحقيقة لا يسمحون لأحد ببلوغها .

في البداية ،

يخيل للمشاهد أن المخرج يبحث عن العصابة التي اغتالت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وربما وجدها في وكالة المخابرات المركزية وعلاقاتها المتشابكة مع (المافيا) ومع بعض الحكام في أمريكا اللاتينية .. لكن المشاهد سرعان مايوقن بأن المخرج قد اتخذ اغتيال (كينيدى) اطار اغتيال ليجره الى تجربة علمية غاية في الأهمية هي تجربة العالم الأمريكى (استانلى ميلجرام) عن الاستسلام للسلطة .

يقول المخرج عن ذلك :

ـ أبحاث الأستاذ (ميلجرام) التى أجراها في جامعة (ييل) هي التي أوحت الي بفكرة الفيلم ، وعندما كتبت قصته .. عرضتها على هذا العالم الكبير وهو الذي وجهني في كل خطوة خطوتها .

الاستسلام للسلطة

نقاد السينما الفرنسية .. أجمعوا بأن مشهد التجربة العلمية هو قمة الفيلم . يقول المخرج :

ـ الأستاذ (ميلجرام) كان يستقطب الناس في مختبره ليساهموا في اجراء تجربة تبدو للوهلة الأولى وكأنها لعبة لا خطر فيها . التجربة تفرض على المشارك معاقبة زميل له بشحنات كهربائية متزايدة كلما خانته الذاكرة . يبدأ العقاب بشحنة قدرها ٢٥ فولت ثم يتضاعف بالتدريج . بعض المشاركين في التجربة وصلوا الى الشحنة القاتلة ٤٥٠ فولت . تقديرات الأستاذ (ميلجرام) وزملاؤه قبل بدء التجربة افترضت أن نسبة ٢٪ من المشاركين فقط هي التي ستصل الى الشحنة القاتلة . ذهل الأستاذ (ميلجرام) وزملاؤه عندما وجدوا أن أكثر من ٦٠٪ من المشاركين في التجربة قد وصلوا الى الشحنة القاتلة . ومن حسن الحظ أن التجربة كانت مغلوطة حتى لا تسبب أذى لاحد . فالذى يتلقى

الصدمات الكهربائية ممثل تابع للمختبر والتعليمات الصادرة اليه تجعله يتظاهر بتلقى الصدمات الكهربائية .. لكن الذى يشارك فى التجربة لايعلم أنها مفارقة ، ولا يعرف أن زميله ممثل .

تجربة الأستاذ (ميلجرام) .. ماذا تثبت ؟ !

تثبت أن الدكتاتور المتسلط لا يستطيع ـ بمفرده ـ تصفية كافة أعدائه ، ولذلك يستعين بآلاف الامعات الذين ينفذون أوامره الاجرامية متسترين خلف (أداء الواجب) ، و (تنفيذ الأوامر) .

خلاصة القول أن بعض المجتمعات المعاصرة قد حولت الفرد الى ترس فى آلة ، إلى إنسان بلا ارادة غالبا ما ينفذ التعليمات والأوامر بصورة آلية ، وان أدى ذلك الى ارتكاب الجرائم واقتراف الآثام .. انه إمعة مستسلم للسلطة استسلاما تاما ، وهذا خطر فادح على الحرية .

ورغم أن مشهد التجربة يحث على التفكير العميق ، فان الفيلم يجمع بين الترفيه والتفكير ، ويستحوذ على المشاهد بمفاجآته الى آخر لقطة .

المخرج .. أمضى أربع سنوات طويلة فى القراءة والتأليف والمراجعة والاخراج ليقدم فيلما رائعا أجمع النقاد على اعتباره اتجاها جديدا فى السينما الفرنسية ، واستحق عن جدارة جائزة (لوى ـ لوميير) الشهيرة .



ايف مونتان .. بطل (ايكار) .

العلم والسينما

ما الذى يجمع بين عالم أحيائى ومخرج سينمائى ؟ !

سؤال حير الصحافة الفرنسية قبل أن تطلع على التفاصيل التالية :

● المخرج الفرنسى الشهير (آلان رينى) يستعين بأبحاث عالم الأحياء الكبير (هنرى لا بوريت) لاخراج شريط روائى عن السلوك البشرى .

● هنرى لا بوريت .. جراح تفرغ للبحث العلمى ، وخاصة فى مجال الأحياء ، فتوصل الى نظرية للسلوك تفسر تصرفات البشر فى حبهم وكرههم ، فى سلمهم وحربهم ، فى مرضهم وصحتهم .

● أبحاثه أثارت ضجة فى العالم : الولايات المتحدة منحته جائزة (الأوسكار) ، والاتحاد السوفيتي سلمه جائزة (فيشنيفسكي) .

● سنة ١٩٧٤ م .. طلبت منه شركة ألمانية للأدوية تحقيق فيلم علمى عن دواء ينشط الذاكرة . إشترط (لا بوريت) أن يقوم (رينيه) باخراج الفيلم لأنه الوحيد القادر على فهم أبحاثه ، بدليل الفيلم الروائي الذى أخرجه عن الذاكرة تحت عنوان (السنة الماضية فى مارينباد) . وافقت الشركة الألمانية ، فبدأ التعاون بين العالم الأحيائي والمخرج السينمائي .

ما أن اجتمع العالم والفنان حتى أدركا أن بامكانهما أن يقدما عملا أهم من شريط علمى قصير . وهكذا أمضيا خمس سنوات فى كتابة قصة روائية تقدم احدى نظريات (لابوريت) الى جمهور السينما العريض .

العالم والفنان اتفقا على اختيار نظرية الاعاقة ، وهي نظرية تثبت بأن الاعاقة الباطنية لحرية النشاط أو التعبير عند الانسان تولد غما ينجم عنه المرض .

لاثبات ذلك .. أجرى العالم تجاربه على الفئران .

أخذ قفصا حديديا به حاجز يقسمه الى جهتين : يمنى ويسرى . الحاجز به فتحة تسمح بالتنقل من جهة الى أخرى .

ثم وضع بالجهة اليمنى من القفص فأرا ، وأرسل فيها شحنة كهربائية . أمام هذا الاستفزاز ، لجأ الفار الى الجهة اليسرى من القفص .

أعاد العالم تجربته عدة أيام ، ثم عدة أسابيع .. فلاحظ أن رد الفعل كان دائما الهروب .

تجربة الاستفزاز

خلال التجربة الثانية .. أغلق العالم الحاجز بين جهتي القفص ، ثم وضع فأرين في جهة واحدة ، وسلط على أحدهما شحنات كهربائية ، فلاحظ أن رد فعله على الاستفزاز ينعكس هجوما على زميله الفار .. ثم فحص الفأرين بعد عدة أسابيع من تكرار التجربة ، فلم يجد هما قد أصيبا بمرض .

خلال التجربة الثالثة .. وضع العالم فأرا في الجهة اليمنى من القفص ، وأغلق عليه الحاجز ليمنعه من الهروب ، وتركه وحده حتى يحرمه من التنفيس عن الاستفزاز المسلط عليه .. ثم بدأ يحصه بالشحنات الكهربائية . انها الاعاقة الباطنية لحرية النشاط أو التعبير . بعد أيام من تكرار التجربة ، لاحظ العالم أن الفأر يفقد الشهية ويصاب بالهزال . فاذا ما أطعم جسمه بخلية سرطانية فانه يصاب بالسرطان وكذلك الحال مع بقية الأمراض الخطيرة .

يقول العالم في ذلك :

ـ الفأر كالانسان ، اذا ما تعرض الى إعاقة باطنية لحرية النشاط أو التعبير ، فان جسمه يفرز مواد كيميائية ضارة لا يستطيع التخلص منها .

نظرية الأستاذ (لابوريت) تأكدت صحتها من خلال دراسة أجريت في مستشفيات الأمراض النفسية ، حيث ظهر أن الذين يعانون من انفصام الشخصية ويعيشون في عالم وهمي فروا اليه .. أقل تعرضا للاصابة بالسرطان من غيرهم .

هذا جانب من أبحاث العالم (لابوريت) .. لكن كيف ستقدم أبحاثه في اطار روائي يلفت انتباه المشاهد العادي الذي أفسدت ذوقه عشرات الأفلام الزاخرة بالتسلية الرخيصة ؟

هنا تبرز براعة المخرج ، وقدرته على تحويل البحث العلمي الجاف الى صور حية نابضة بالمواقف الانسانية التي تشد الانفاس .

المخرج يستخدم صوت العالم في شرح سلوك الشخصيات .. ثم يحجب سياق الاحداث وهي في قمتها ، لينقل المشاهد الى المختبر ، وليعطيه تفسيرا علميا للسلوك الذي شاهده .

يقول المخرج :

ـ أريد ابهار المشاهد .

اريده ان يخرج من القاعة ـ بعد مشاهدة الفيلم ـ وقد فهم لماذا يحب ويكره ، لماذا يسعد ويشقى ، لماذا يضحك ويبكي .

.. وبعد ، هذا اتجاه جديد للسينما الفرنسية ، لا يقتصر على الترفيه وإنما يجتازه ، مستعينا بأعمق الابحاث العلمية ، وصولا الى الادراك المستنير والوعي الصحيح .. وهو اتجاه طيب ، اذا ما حافظ على نقاء البداية ، ولم ينحرف في مساره كما انحرفت اتجاهات عديدة سبقته . ■■

باريس ـ **محمد صالح القمودي**

هذه بضاعتكم !

● السيدة : هل تتفضل بان تزن لي هذه الحزمة ؟

القصاب : بكل سرور يا سيدتي انها تزن ثلاثة ارطال ونصف رطل .

السيدة : شكرا لك . هذا هو العظم الذي وجدته في ارطال اللحم الاربعة التي اشتريتها منك امس !





الآثار الجانبية لأقراص منع الحمل

٤٠ مليون امرأة في العالم يتعاطين الأقراص

بقلم : الدكتور سامي عمران

لعل البشرية في تاريخها الطويل وتجربتها التي لا تنقطع مع المرض والعقار لم تجمع على دواء واحد ولسنوات طويلة مثل اقراص « منع الحمل » . ففي بريطانيا وحدها تتعاطاها ٣ ملايين امرأة بانتظام . وقد قررت منظمة الصحة العالمية أن ما لا يقل عن أربعين مليون امرأة يتناولنها في العالم اليوم ، حتى اصبحت من علامات هذا العصر .

ان مزايا هذه الاقراص معروفة وذائعة ، ومن اهمها بالطبع انها تتحكم في النسل والانجاب بطريقة منظمة وعلمية وتكاد ان تكون مضمونة مائة في المائة ، (لا تتعدى نسبة الحمل ٠،١٪) ولكن لها اثارا جانبية عديدة لا يجوز اغفالها . ومن الغريب انه بسبب هذه الاثار الجانبية المعدودة والمدروسة جيدا الآن ، فان الناس قد درجوا ـ بما فيهم الكثير من الاطباء ـ الى القاء اللوم على اقراص منع الحمل عند اي شكوى او مرض يصيب السيدة التي تستعمل هذه الاقراص ، وربما كان موجودا قبل ان تستعملها ؛ مما قد يسبب رأيا عاما مضادا لهذه الاقراص بين النساء وتنتفي بذلك الفائدة منها .

ويكاد يجمع كل الاطباء الآن أن أقراص منع الحمل عقار لا ضرر منه ، والدليل على ذلك هذه العشرات من الملايين التي تستعمله في العالم بدون اضرار تذكر . بل ان الضرر الذي ينتج لا يقارن بالضرر الذي يلحق بالسيدة عند الحمل والولادة الطبيعيين ، ناهيك بغير الطبيعي منها .

ومع ذلك فانه من الواجب تبصير الناس دائما « بالآثار الجانبية » لها المعروفة والثابتة علميا ، حتى لا يضيع الناس في متاهات الظن والتخمين والصاق الامراض بهذه الاقراص وهي منها براء .

يمكن تقسيم الآثار الجانبية الى ثلاث مجموعات رئيسية : ظاهرة ـ ونادرة ـ وخفية .

أولا : الآثار الجانبية الظاهرة

وهذه عادة ما تخف وتزول بعد الشهور الثلاثة



الاولى وبتعود استعمالها ، ومن هذه الآثار :

١ ـ اضطرابات الدورة الشهرية ، عن طريق :

ـ قلة دم الحيض : وهذا في الحقيقة من مزايا الاقراص لانه يوفر كمية النزف الدموي التي كانت تفقدها السيدة كل شهر (حوالي ٦٠ سم) ـ لذا كانت نسبة مرض فقر الدم اعلى في النساء من الرجال .

ـ انقطاع الطمث تماما ، وهذا قليل الحدوث ، وربما انقطعت الدورة الشهرية لسنوات حتى بعد التوقف عن تناول الاقراص .

ـ نزول الدم بصفة متقطعة اثناء تناول الاقراص . وهذا عادة يصاحب الاقراص ذات التركيز الهرموني المنخفض (١٥٠/٣٠) .

ـ ازدياد الطمث الشهري عن المعتاد .

٢ ـ زيادة وزن الجسم :

وهذا يعتبر من اهم عيوب اقراص منع الحمل لما يسببه من اضطرابات نفسية بسبب السمنة الزائدة ، وقلق زائد لدى السيدات عامة وخاصة في المجتمعات الحديثة التي ترفض السيدة البدينة . كما انه يعتبر السبب الرئيسي في التوقف عن استعمال هذه الاقراص بعد فترة من تعاطيها .

في الشهور الاولى تكون زيادة الوزن بسبب احتباس الماء في الجسم تبعا للتأثير الهرموني للاقراص . اما في الشهور التالية فتكون نتيجة لازدياد الشهية نحو الطعام . وهذا قد يحتاج الى اتباع نوع من انواع الحمية الغذائية للسيطرة على هذه الزيادة غير المرغوبة وخاصة اذا زاد الوزن عن ٣ كجم .

٣ ـ الصداع : غالبا ما تشكو السيدات من صداع (الم بالرأس) ينتابهن في الاشهر الاولى من بدء تناول الاقراص ويخف بالتدريج بعد ذلك . ولكن اذا تحول الى النوع النصفي (مرض الشقيقة) فهذا ايذان بالتوقف عن استعمال الاقراص .

٤ ـ الغثيان والقيء : وذلك شائع الحدوث في الايام الاولى لاستعمال الاقراص وهو يشبه قيء وغثيان الحمل المبكر الى حد كبير لدرجة ان السيدة تظن نفسها قد حملت اثناء تناولها مما قد يسبب ارتباكا وقلقا حتى لدى بعض الاطباء ، ولكن سرعان ما تخف هذه الاعراض وتزول بتعود استعمالها .

٥ ـ الاكتئاب والاضطرابات النفسية الاخرى : غالبا ما تكون السيدة مصابة بهذه الحالة قبلا او لديها استعداد نفسي او وراثي لذلك ، وتكون الاقراص المانعة للحمل شيئا عرضيا في سير المرض وتطوره وعلاج هذه الحالة يكون بواسطة فيتامين ب ٦ (بيرودوكسين) . واحيانا تشكو السيدة من « عصبية زائدة » فهي تثور وتغضب لاتفه الاسباب وربما انتابتها نوبات هستيرية من الغضب والانفعال . كما انها قد تصاب بالقلق في كثير من الاحيان وقد يكون ذلك سببا لتوقف السيدة عن تكملة استعمال الاقراص .

ومن الملاحظ ان تفاعل السيدات ورد الفعل لديهن بالنسبة لهذه الاقراص يختلف باختلاف طبيعتهن النفسية . وهذه الاعراض تكون واضحة اكثر لدى السيدات اللاتي لديهن استعداد نفسي لذلك وخاصة اذا كن من النوع الهوائي المتقلب الذي يسهل التأثير عليه .

٦ ـ تغيرات الرغبة الجنسية ، وذلك قد يكون عن طريق ازدياد الرغبة الجنسية او فقد هذه الرغبة

وتقلصها ، او ازدياد النشاط الجنسي ، او الوصول الى الارتواء الجنسي ، او الشعور باللذة الجنسية ، او الرضاء الجنسي ، او التخيلات الجنسية ، او التناسب او التناسق الجنسي .

وهذه الاعراض تختلف باختلاف السيدات وتعتمد اعتمادا كثيرا على الشريك الجنسي (الزوج) وثقافته الجنسية ، والحالة النفسية للسيدة . ولكن غالبا ما تشعر بعض السيدات ببعض الفتور الجنسي في الاشهر الاولى الذي يخف بالتدريج وبالتعود على الاقراص .

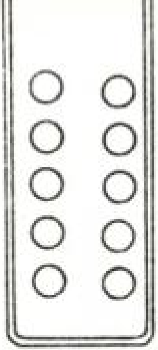
٧ ـ تغيرات الثديين : وذلك ايضا له عدة ظواهر مثل ، زيادة حجم الثديين ، وظهور افرازات صفراء او حتى افرازات لبنية من حلمة الثدي ، وآلام الثدي ـ وهذه الاعراض ايضا تخف بالتدريج .

٨ ـ الاعراض الجلدية : مثل كلف الوجه ويشبه كلف الوجه اثناء الحمل ، وزيادة القشر في شعر الرأس ، وسقوط شعر الرأس جزئيا ، واسمرار البشرة ، وظهور بثور الوجه التي تشبه حب الشباب ، والاصابة بالحكة الجلدية (بسبب ترسب املاح الصفراء) واصفرار الجلد (بسبب الصبغة الصفراوية) والعرضان الاخيران بسبب تأثير الاقراص في وظائف الكبد .

٩ ـ التقلصات العضلية ، وهي تؤدي الى مجموعة من الاعراض : آلام الظهر بسبب تقلص عضلات الظهر ـ آلام الفخذ بسبب تقلص العضلات الفخذية أو عضلات الساق ـ آلام اسفل البطن بسبب تقلص عضلات البطن وقد تكون حادة مما قد يؤدي الى تشخيص حالة حادة في البطن ، كالزائدة الدودية مثلا اذا كان في الجهة السفلى اليمنى .

١٠ ـ الطمث المؤلم ، وتشعر به السيدة ـ وخاصة تلك التي انجبت العديد من الاطفال لاول مرة بعد استعمالها للاقراص ، وذلك بسبب التأثير الهرموني على عضلات الرحم واسباب اخرى غير معروفة .

١١ ـ الاعراض المهبلية ، وتكون عن طريق قابلية المهبل للاصابة بالفطريات كفطر المونيليا بسبب ازدياد الافرازات المهبلية وتغير حموضة المهبل مما يشجع نمو وتكاثر هذه الفطريات مسببة الالتهابات المختلفة ـ او ازدياد الافرازات المهبلية زيادة محسوسة وتكون ذات رائحة غير مقبولة اذا كانت مصحوبة بالاصابة بالفطريات المهبلية ـ كما ان بعض انواع من الاقراص تسبب جفاف المهبل .



١٢ ـ الاتصال الجنسي المؤلم : وله عدة اسباب منها الالتهابات المهبلية او جفاف المهبل او عدم الرغبة الجنسية وكلها من الآثار الجانبية لاقراص منع الحمل .

١٣ ـ التهابات عنق الرحم ، وهذه ينتج عنها ازدياد في افرازات عنق الرحم مما يسبب زيادة في الافرازات المهبلية التي سبق ذكرها ، ومنها اصابة عنق الرحم بالقرحة ، والتهابات الغشاء المخاطي الداخلي لعنق الرحم .

١٤ ـ ازدياد حجم الرحم والاورام الليفية : يزداد حجم الرحم قليلا باستعمال اقراص منع الحمل ، وكذلك الاورام الليفية اذا كانت موجودة . وكثير من الاطباء يحجم الآن عن وصف أقراص منع الحمل لسيدة يعلم ان لديها اوراما ليفية في الرحم . وقد تسبب هذه الاقراص زيادة كبيرة في هذه الاورام بسبب تحللها كما يحدث في الحمل .

١٥ ـ بعض التغيرات المتعلقة بالتمثيل الغذائي : وهذه تشبه الى حد كبير التغيرات التي تحدث اثناء الحمل مثل : ارتفاع في نسبة عنصر الايودين (اليود) المتحد بالبروتين في الدم ـ ارتفاع في النسبة الكلية لهرمونات الكورتزون ـ تغير في وظائف الكبد تغير طفيف غير محسوس بواسطة الفحوص المخبرية العادية ، ولكن اذا حدث وظهر مرض الصفراء فتوقف الاقراص فورا ـ تغير في التمثيل الغذائي لفيتامين حمض الفوليك .

١٦ ـ الحمل ، اذا حدث الحمل اثناء تعاطي الاقراص فهناك احتمال اصابة الجنين بالتشوهات الخلقية عند الولادة ، كتشوهات الاطراف المختلفة او الاورام المهبلية او بعض عوارض الذكورة في الجنين الانثى .

١٧ ـ عوارض الذكورة ، قد تسبب الاقراص ازدياد نمو الشعر في الشفة العليا او على الذقن تحت تأثير هرمون البروجيستيرون ، الذي يتحول في بعض مراحل تمثيله في الكبد الى هرمون الذكورة تستستيرون .

ثانيا ـ الآثار الجانبية نادرة الحدوث

ويمكن حصر المعروف منها فيا يلي :

١ ـ ارتفاع ضغط الدم : من المعروف ان الذي يتحكم في ضغط الدم هو التوازن بين هرمونين الاول تفرزه الكلية واسمه رينين والاخر يفرزه الكبد واسمه انجيوتنسين . وينظم ضغط الدم في الانسان بطريق مباشر وبطريق غير مباشر . اما الطريق المباشر فبواسطة الهرمونين السابقين على الشرايين المتوسطة السعة . اما الطريق غير المباشر فبواسطة تحكم الجهاز العصبي المركزي على لب الغدة فوق الكلوية والتي تستجيب لشتى المؤثرات العصبية والنفسية (كالخوف والغضب) ، وتفرز هرموني الادرنالين والنورادرنالين وايضا تأثيره على قشرة نفس الغدة لافراز هرمون الاولدستيرون .

وقد وجد ان اقراص منع الحمل تحدث اضطرابات في هذا الجهاز الهرموني الدقيق ، فقد تسبب ارتفاعا في نسبة هرموني الانجيوتنسين والاولدستيرون في الدم ، مما يسبب ارتفاعا في ضغط الدم . ولكن الغريب انه بالرغم من هذه الزيادة الكبيرة في نسبة هذه الهرمونات في دم السيدات اللاتي يستعملن اقراص منع الحمل ، فان نسبة ضئيلة منهن تستجيب هذه الزيادة بارتفاع كبير في ضغط الدم . والغالبية العظمى يرتفع لديهن ضغط الدم ببطء ارتفاعا طفيفا في السنتين الأوليين من استعمال الاقراص .

٢ ـ الجلطة الدموية ، بدأت القصة عام ١٩٦١ عندما اكتشفت حالة جلطة دموية مزدوجة في الشريان الرئوي لامرأة كانت تعالج بهرمونات المبيض (نفس هرمونات اقراص منع الحمل) .

ثم توالت الاحصائيات المتضاربة بعد ذلك ، ففي عام ١٩٦٣ صدر تقرير عن هيئة الغذاء والدواء الامريكية بتحليل ٣٥٠ حالة من حالات الجلطة الدموية بانه لم يتوفر اي دليل بان هذه الاقراص ترفع من نسبة الوفاة بسبب الجلطة الدموية بين مستعملات هذه الاقراص . وفي عام ١٩٦٥ صدر تقرير مخالف عن هيئة « سلامة الدواء » البريطانية بانه اكتشفت ١٦ حالة جلطة دموية خلال ١٢ شهرا بين مستعملات اقراص منع الحمل (في حين ان نسبة الجلطة الدموية على المستوى السكاني هي ١٣ حالة بين كل ٤٠٠,٠٠٠ سيدة تستعمل هذه الاقراص) .

وتبلور التضارب بين كل هذا السيل من الاحصائيات من مختلف المراكز الطبية في العالم ، في ان السيدة السليمة التي تتناول اقراص منع الحمل عرضة بنسبة خمسة اضعاف للاصابة بمرض الجلطة الدموية عن السيدة التي لا تستعملها . وقد هبطت هذه النسبة الى اربعة او ثلاثة اضعاف بتخفيض نسبة الهرمونات في الاقراص .

اي انه بين كل مائة الف سيدة تستعمل الاقراص هنالك ٢٠ أو ٣٠ سيدة سوف تدخلن المستشفى للعلاج من الجلطة منهن واحدة أو اثنتان قد تموتان كل سنة من مختلف انواع الجلطات الدموية .

ولذلك يحظر استعمال الاقراص للسيدات اللاتي : اصبن سابقا بالجلطة الدموية ، او اصبن بمرض قلبي شديد ، او ببعض انواع امراض الدم مثل سرطان الدم .

وعلاقة مرض الجلطة الدموية باقراص منع الحمل علاقة معقدة وهي تزيد من قابلية الدم للتجلط بتأثيرها على الصفائح الدموية ، والعوامل التي تتحكم في الجلطة الدموية . فقد وجد ان الهرمونات المكونة للاقراص وخاصة الايستروجين تسبب ارتفاعا في العامل رقم ٢ والعامل رقم ٧ والعامل رقم ١٠ . وكذلك في نسبة مادة الفيبرينوجين في الدم كما تسبب انخفاضا في نسبة المادة المضادة لعامل الثرومبين التي تتحكم في هذا العامل في الدم مما يزيد من فرص الاصابة بالجلطة الى ٣ ـ ٥ اضعاف كما اسلفنا . كما انها ايضا تسبب ارتفاعا في مادة الكولسترول في الدم ، التي تلعب دورا كبيرا في جلطة الشريان التاجي بالقلب . ويبدو ان الآسيويات والافريقيات لديهن مناعة ضد الجلطة الدموية كما ان ذوات الفصيلة (A) من فصائل الدم اكثر تعرضا للجلطة من ذوات الفصيلة (O) . ويجب علينا الا ننسى ان الحمل ايضا يسبب الاصابة بالجلطة الدموية وان حملا واحدا يساوي في الخطورة ١٥ عاما من تعاطي الاقراص ...

٣ ـ سرطان الثدي والرحم والمجاري التناسلية السفلى . وهذا اثر جانبي افتراضي وليس هناك اي دليل علمي او عملي على ذلك . وقد وجد ان تكرار الاتصال الجنسي اخطر كسبب لهذا المرض الوبيل من اقراص منع الحمل .

٤ ـ التأثير على تمثيل مادة الكربوهيدرات في الجسم : تؤثر اقراص منع الحمل في منحنى السكر في الدم . وقد تزيد من فرص الاصابة بمرض البول

السكري الكيميائي . وقد تسبب ازديادا في الحساسية للجلوكوز ، وتسبب ارتفاعا في نسبة الانسولين في الدم . وبتأثيرها على الكبد تؤثر على تكوين الانزيمات المتداخلة في تمثيل الجلوكوز في الجسم .

٥ ـ التأثير على تمثيل الدهنيات في الجسم : قد تحدث اقراص منع الحمل ارتفاعا في نسبة الدهنيات في بلازما الدم مثل « التراجليسرايدن » ، والدهنيات الفوسفورية ، والكوليسترول والدهنيات ذات الكثافة المنخفضة . وهذا الارتفاع قد يؤدي الى بعض الظواهر الاكلينكية غير الحميدة في الجسم .

٦ ـ التأثير على الفيتامينات : فقد يؤدي تعاطي اقراص منع الحمل الى نقص في فيتامين ب ٦ اللازم في بعض خطوات التمثيل الغذائي لبعض الاحماض الامينية في الجسم . وربما ادى ذلك الى حالة الاكتئاب العصبي او النفسي الذي سبقت الاشارة اليه وقد ثبت ان بعض من حاولن الانتحار وجد لديهن انخفاض في نسبة السيروتينين في الدم ، وهي احدى هذه الاحماض .

فيتامين ب ١٢ ، فيتامين حامض الفوليك ، فيتامين ج ، وهذه قد يؤدي تعاطي الاقراص ، الى انخفاض نسبتها في الدم وخاصة في الكريات الدموية البيضاء والصفائح الدموية .

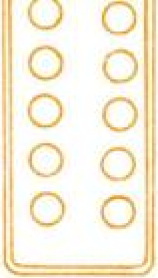
ويؤدي نقص الفيتامينات ايضا الى بعض امراض الجلد النادرة : كالالتهاب العصبي الجلدي وبعض امراض الاوعية الدموية النادرة مثل تقلص شرايين الاصابع ـ اضطرابات الابصار وامراض الحوصلة الصفراوية وبعض الامراض العصبية ـ اختفاء الطمث نهائيا ـ التهابات المثانة البولية ، قرحة الاثني عشر ـ الانفلونزا المعدية ، الحساسية الانفية ـ الطمث الزائد .

ومن ناحية اخرى ، تؤثر اقراص منع الحمل تأثيرا سلبيا على كل من : مضادات الجلطة الدموية ، مضادات الصرع ، مضادات الاكتئاب ـ مهبطات ضغط الدم ، المضادات الحيوية ، مضادات مرض السكري ـ المهدئات العصبية .

ففي كل هذه الحالات تعدل جرعة الدواء للتحكم في المرض ، والا حدث الحمل بالرغم من تعاطي الاقراص المانعة له . كما قد يصبح التحكم في مرض (كالبول السكري) صعبا مع تعاطيها .

ثالثا : الآثار غير المرئية

وهي التي لا تظهر الا بعد تحليل الدم او البول ، ويمكن رصد هذه الآثار على النحو التالي :



ـ الاملاح المعدنية : كالكالسيوم والفوسفور والحديد والزنك والنحاس ، قد تزيد وقد تنقص نسبتها في الدم .

ـ الفيتامينات : وقد سبق الاشارة الى بعضها .

ـ الهرمونات : مثل هرمونات الغدة الصنوبرية وهرمونات المبيض وهرمونات الغدة الكظرية (الكورتزون ومشتقاته) قد تزيد وقد تنقص في الدم .

ـ بروتينات الدم : كالزلال وبروتينات التجلط الدموي ومضاداته وبروتينات ملتصقة بالهرمونات ـ والاحماض الامينية معظمها ينقص وبعضها يزيد في الدم .

اخيرا ، فان الخلاصة التي يمكن ان تنتهي اليها من هذا الاستعراض هي :

ـ قد تعطي هذه التغيرات في العناصر المكونة لبلازما الدم تفسيرا لبعض الآثار الجانبية .

ـ لم تزد الاقراص في نسبة الوفيات بين النساء ـ فما زالت نسبة الوفيات المتعلقة والمتسببة بالحمل ومضاعفاته كما هي .

ـ تعاطي هذه الاقراص ادخل في الطب الوقائي حقلا جديدا باعطاء أشخاص أصحاء تماما عقارا قويا ولسنوات عديدة فوجب توفير كافة الضمانات والسلامة لهن .

ـ لا توجد دلائل على ان الاقراص تسبب سرطانا في الجنس البشري (ربما في حيوانات التجارب) .

ـ بتغيير الاقراص يمكن التغلب على كثير من الآثار الجانبية .

ـ حتى الآن فالاقراص هي الوسيلة الاولى للحد من الانفجار السكاني الرهيب الذي يهدد بعض دول العالم .

ـ تلعب الحالة النفسية للمرأة دورا هاما في ابراز الآثار الجانبية لهذه الاقراص .

ـ يجب الاحتياط عند تعاطي عقار آخر لامراض معينة حتى لا يحدث الحمل . ■■

د . سامي عمران

طرائف أجنبية

قوانين غريبة .. عجيبة

ـ في (ماين) احدى المقاطعات الشمالية في الولايات المتحدة يمنع قانونا خروج المرء الى الشارع دون ربط اشرطة حذائه !

ـ وفي مريديان بولاية ميسيسبي الامريكية يمنع الباعة من الضرب على الطبول أثناء فترة التمشي بعد الغداء في الشوارع .

ـ أما في لاكروس بولاية ويسكونسن فيرتكب المرء خطأ قانونيا اذا قام بلعب الورق (الكوتشينة) في الاماكن العامة .

ـ ويشترط أحد قوانين (براينارد في مينسوتا) على كل رجل اطلاق لحيته لكي تكبر وتطول .

ـ وفي (هاموند/انديانا) يرتكب الفرد عملا مخالفا للقانون اذا قام برمي بذور البطيخ على الرصيف المخصص للمشاة .

ـ وفي لوس انجلوس ممنوع قانونا كتابة الرسائل البريدية التي تحمل شكوى حول وجود نفايات المطابخ في غرف الفنادق .

ـ اما من يقوم بتقبيل انسان حسب العادات والتقاليد فانه يمنع في مقاطعة انديانا من اطلاق شواربه ، بل يجب عليه قصها .

ـ وفي (ويسكونسن) هناك نص قانوني على أنه اذا تناول المرء وجبة طعام تكلف أكثر من ٢٥ سنتا . فمن حقه أن يحصل على ١٩ جراما من الجبن مع الوجبة .

ـ وفي شمال (كارولينا) ممنوع بتاتا تناول الماء أو الحليب في القطار .

ـ في (ريفرسايد/كاليفورنيا) يرتكب الانسان خطأ قانونيا اذا قام بتقبيل آخر على الشفاه . واذا حدث ذلك فعلى الطرفين غسل شفاههم بسائل خليط من حامض الكاربوليك وماء الورد .

ـ وفي (كونكورد نيوهامبشاير) يمنع العمال والموظفون قانونا من العمل وهم حفاة .

ـ ولاجل اصطياد الفئران يجب على المرء (في كاليفورنيا) أن يحصل على اجازة صيد بنصب الفخ المخصص لذلك .

ـ وفي كنتاكي (ولاية الدواجن) يمنع منعا باتا رمي القطع الفخارية أثناء فترة تفقيس البيض .

ـ وكل شخص يركب دراجة هوائية في (بويبلو/كولورادو) يجب أن يحمل ناقوسا للتنبيه .

ـ أما في نيويورك فيمنع قانونا ادخال الهيكل العظمي (للانسان) الى الشقق المؤجرة .

ـ كما يمنع منعا باتا تخويف الاطفال الصغار في (ميلوي/ميسوري) .

كيف يواجهون التحدي الامريكي ؟

أوروبا تسأل
والسينما تجيب ولا تجيب

بقلم : الفاروق عبد العزيز

ايها السادة : ان اسهام اوروبا في خلق وتطوير الفن السينمائي عبر قرن كامل من الزمان يوشك ان تحمله العواصف بعيدا عن شطآننا لتنقذ السينما الاوروبية من أزمتها . فقد حان الوقت ...

هكذا تحدث الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان في رسالته الى المجلس الثقافي الاوروبي المنبثق عن السوق الاوروبية المشتركة منذ بضعة شهور .

وانكب المجلس يدرس ما اسماه بأزمة السينما الاوروبية والصعوبات التي تواجهها امام ما اطلق عليه الكاتب والسياسي الفرنسي جان جاك سيرفان شرايبر « التحدي الامريكي » في كتاب بنفس العنوان أصدره قبل عشرة اعوام . لم يكن شرايبر يتحدث صراحة عن التحديات الثقافية (وربما اعتبرها اقوى المواقع في مواجهة التحدي الامريكي بل اقتصر حديثه على الاقتصاد والسياسة ؛ ولكن المجلس اعتبر ان اوروبا يمكن ان تحقق في احداث اي تقدم - بالنسبة الى امريكا - الا في ميدان الثقافة !

هذا اعتزاز اوروبي قومي !

وتوالت الآراء حول نقص السيولة وهجرة الفنانين والفنيين الى الولايات المتحدة الامريكية ومشكلات التوزيع واستغلال الاستوديوهات لخدمة الانتاج الامريكي وانحسار تأثير الفيلم الاوروبي امام المنافسة ...

عادت بنا الذاكرة الى حالة السينما الاوروبية في نهاية الستينات ومطلع السبعينات . سينما تمور بالحركة ... الموجة الجديدة وسينما المؤلف والسينما السياسية الثانية (بعد السينما الاول وهي الهوليوودية الامريكية) ورؤى جديدة تماما للعالم . ولكن الى ماذا انتهى هذا كله ؟

ولماذا تزخر اوروبا اليوم بتساؤلات تجيب عنها سينماها حينا ولا تجيب احيانا ؟

هذا هو السؤال الاساسي الذي اجتمع من اجله المجلس الاوروبي . وهذه هي ابعاد الموقف على ابواب الثمانينات في اوروبا الغربية .



« مسلسل اسود » : تنويعات فرنسية على عالم دوستويفسكي ..

هؤلاء يتساءلون ويجيبون احيانا ، لماذا « توقف المسيح في ايبولي »

هـذا هو عنوان فيلم المخرج الايطالي الكبير فرانشيسكو روزي . وفي الوقت نفسه هو عنوان كتاب الدكتور كارلو ليفي الذي رحب بفكرة اخراج روزي لفيلم عن كتابه قبل ستة عشر عاما . وقد ذكر روزي أنه تحمس كثيرا للفكرة ، وخاصة بعد ان شاهد الدكتور ليفي فيلمي « سلفاتوري جوليانو » في عام ١٩٦٣ ولكن مشاغل كثيرة طارئة حالت دون اخراج الفيلم وقتهـا . والآن جاء وقت انتاج هذا الفيلم .. فايطاليا اليوم ما تزال في الواقع كما كانت عليه في الكتاب الذي الفه ليفي قبل اربعة وثلاثين عاما .. وهـذا هو تاريخ كل يوم . التاريخ الحي المعاش الذي ينبغي ان تتوقف عنده السينما » .

لم يكن من الصعب على احد ان يدرك ان روزي يعبر عن خط متصل من الفكر انتظم فعله وقوله منذ عشرين عاما فروزي (الذي ولد بنابولي عام ١٩٢٢) قد جاء مما يعرف في المدن الكبرى ـ « بالاحياء القذرة » . وقد اختار روزي منذ بداية عمله في السينما عام ١٩٥٨ ان يقف الى جانب كل قوى التغيير في المجتمع فردية كانت أو جماعية . وقد امكن لروزي كمجدد سينمائي خلاق ان يبتكر اسلوب التحقيق السينمائي (على غرار التحقيق الصحفي) الذي برع فيه في « الايادي فوق المدينـة » (التحقيق بالوقائع) وفي « قضية ماتي » (التحقيق الصحفي) وفي « جثث اصحاب السعادة » (التحقيق الجنائي) . في « ايبولي » هنـاك نوع من التحقيق يقوم به البطل . وهو بطل يختلف عن الابطال الذين اعتدناهم ، فهو لا يقدم الحدث الرئيسي ولا يؤخره ولكنه يشارك بالملاحظة والتسجيل والمشاركة المحدودة ، وتتطور شخصيته وتنمو بفعل التطورات المحيطة ذاتها الى ان تصل الشخصية الى درجة عالية من الايجابية مع الواقع المحيط . والدكتور كارلو ليفي شخصية واقعية . ولد في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٠٢ في تورين في شمال ايطاليا ودرس الطب وبدأ الرسم في الوقت ذاته وفي عام ١٩٢٩ انضم الى جماعة فنية اطلقت على نفسها أسم « رسامو تورين الستة » وفي العام التالي اسس الدكتور ليفي حركة نضالية مناهضة للفاشية أسماها حركة العدالـة والحرية وخلال هذا العام ايضا قام ليفي بعرض اعماله في لندن للمرة الاولى . ثم اصبح يدير صحيفة في روما ، بعد اعتقاله بسبب اشتراكه في المقاومـة . وقد كتب

الدكتور ليفي ثمانية مؤلفات ، بينها « توقف المسيح في ايبولي » . ويطلنا في هذا الفيلم رجل مثقف ثوري وفنان وكاتب وطبيب نفي من الشمال الغني الى قرية منسية في الجنوب حيث يتلقى عقوبته وقد كانت العقوبة هنا مجالا خصبا ورائعا لتأجيج نار الثورية في صدر المنفى . فهذا بطل مناسب لواقع مناسب . ولكن الدكتور يؤثر الصمت ومتابعة ما يدور حوله حتى النصف الاول من الفيلم قبل ان يتحول الى شخصية مشاركة مع نهاية الفيلم . وايبولي هي محطة ينتهي عندها القطار ليبدأ بعد ذلك رحلة بسيارة الارياف المتهالكة الى القرية المنسية .

وقد أورد روزي في مقدمة الفيلم هذه الكلمات (بصوت جيان ماريا فولنتي الذي قام بدور الدكتور ليفي) : « لم يصل المسيح ابدا الى هذه النقطة ولا حتى الزمن او الذات الفردية او الامل او العلاقة بين السبب والنتيجة او بين العقل والتاريخ » بعد ايبولي بدأ الدكتور ليفي يكتشف الثقافة المعاشة في تفاعلها مع الواقع وهو واقع يعترف في كتابه بأنه لم يكن يتصور وجوده قط . عناصر القرية التقليدية حاضرة . القس والبرجوازي الصغير المثل في العمدة وبعض الملاك المحدودي الدخل ، والغالبية من الفلاحين المعدمين . في القرية المنسية يتوقف التاريخ . فهم لا يسمعون عن ايطاليا او العالم الخارجي شيئا ولا يتابعون مع راديو العمدة العتيق سوى خطاب الدوتشي موسوليني وهو يعلن « غزو الحبشة » ويصفق اهل القرية دون ان ينسوا ان يتساءلوا عما تكون الحبشة واين تقع ولماذا يغزوها الدوتشي .

يسجل الدكتور ليفي نفسه في سجلات العمدة الذي يحذره من الاتصال بأي من المنفيين العشرة الآخرين في القرية . ويخرج الدكتور ليفي الى طرقات القرية ليعاين البؤس المنتشر . وتحيط به نسوة القرية بعد ان علمن بأنه طبيب ، ويطلبن منه بالحاح معالجة اطفالهن ولا تفيد احتجاجات الدكتور بانه لم يعد طبيبا ولم يمارس المهنة منذ زمن طويل .

يكتشف ليفي ان علاقات اهل القرية بذويهم المهاجرين الى الولايات المتحدة اقوى من علاقاتهم مع حكومة روما ، سواء كانت حكومة فاشية ام ديمقراطية ام اي شيء آخر .

وعندما تزوره اخته لبضعة ايام يجد ليفي انسانا يستطيع ان يسمع له وان يناقشه . ويقول لها ان هذا الاقليم كله ـ الذي لم يكن يعرف عنه الكثير في الواقع ـ محكوم ببرجوازية صغيرة مضطرة لاستغلال الفلاحين لانه لا يوجد سبيل آخر للعيش .. وان هذه البورجوازية ، تتحول بسهولة الى فريسة للفاشية وبوق دعاية لها نتيجة لهذا الوضع وتكون زيارة اخته بالنسبة له بمثابة نقطة تحول . فيقرر الدكتور العودة الى رسم الوجوه المكدودة والكتابة عنها ، الى ممارسة الطب رغم معارضة السلطات المحلية . ويستمع الى الناس والى المرأة القروية (جوبليا) وتلعب دورها ايرين باباس ويستمع الى خرافاتها واساطيرها الشعبية التي تكشف له عن ثراء الخيال وخصوبته لدى اهل الجنوب .

بروفة الاوركسترا
« الخطر يكمن في اعماقنا » ـ فيلليني

« لم اشأ تقديم عمل سياسي ولكني اردت رواية حكاية اخلاقية . لقد سعيت ببساطة الى دفع المشاهدين الى الشعور بشيء من الخجل كما لو كانوا قد اصيبوا بمرض » ـ

« .. ان الخطر يكمن بداخلنا وليس فيما هو خارج عنا . ولكي اقول الصدق فاني كنت افضل الا يناقش « بروفة الاوركسترا » لكي يظل محتفظا بغرائبه وتأثير الانفعال القدسي على كل مشاهد .. وفي رأيي فان الفيلم يجب ان ينقل الى المشاهد نوعا من الشعور بالرعب وبالعاطفة .. نوعا من الشعور بالعار وبلوعة الارهاب اليومي الذي نعيشه » .

والحكاية هنا اننا بصدد بروفة في يوم عادي لاوركسترا سيمفوني واصل كلمة « سمفوني » يعني ان تعزف كل آلة في تناغم وفي وقت واحد تقريبا مع الآلات الاخرى ، الامر الذي يبدو عسيرا للغاية مع هذه الاوركسترا فكل عازف يحمل رؤيته للاوركسترا ولدوره وللموسيقى السيمفونية وتحليله الخاص لدور المايسترو ولآلته التي يعزف عليها . العازفون ليسوا جميعا من روما وبعضهم يتحدث بلكنة ساردينية والآخر صقلية والبعض من الجنوب النابوليتاني . الاوركسترا خليط .

وقبل ان يحضر المايسترو يقدم كل عازف نفسه وآلته في شكل « انترفيو » (لقاء تلفزيوني) فيحدثنا مباشرة في عين الكاميرا عن همومه وتصوراته . كل في واد وكل يعتقد بأهمية آلته وخطورة دورها في الاوركسترا وكل لا يحترم المايسترو .

عندما يحضر المايسترو يسكت الجميع ويبدأون البروفة ولكن « عناصر » من هنا وهناك تبدأ النشاز . ويوقف المايسترو البروفة . يعيد من جديد . يوقفها . ومع كل وقفة ترتفع درجة التوتر يستريح المايسترو في حجرته قليلا . الشعارات على الجدران « تسقط الفاشية » و « تحيا الفاشية » . كل الاحزاب الايطالية تمثل كلها تقريبا في معارك شعارات الجدران . أناس يبكون وآخرون يضحكون

وفي وسط العازفين الذين يبدون ككرنفال عبثي يظهر المايسترو من جديد بقميصه الاسود ليلقي خطبة فاشية رهيبة نصفها بالايطالية والآخر بالالمانية . وينصاع العازفون ويخرج اللحن هذه المرة متناغما والاوركسترا في كامل استعداده .

فهل تنتظر ايطاليا ـ في رأي فيللينـي ـ عودة الفاشية ؟

من يخرجهم من عنق الزجاجة ؟

في مطار تشيامبينو في روما تحط طائرة يهبط منها رجل اعمال ديناميكي ، يتوجه الرجل الى حيث ينتظره سكرتيره امام سيارة « جاجوار » فاخرة . يجري رجل الاعمال بعض الاتصالات من سيارته وهي تنطلق في الطريق الرئيسي الى المدينة . فجأة تبرز زحمة سير ما تلبث ان تتكاثف ليختنق المرور فوق الطريق الذي يتحول الى عنق زجاجة حقيقي .

من سوء طالع رجل الاعمال الكبير ان تتوقف سيارته بجوار سيارة فيات مضعضعة تتكدس فوقها عشرات المنقولات وداخلها كومة بشرية (زوج وزوجته وجدة واولاد وبنات من كل الاعمار) اسرة من نابولي .

من هذا التناقض ينطلق المخرج ليعرض بانوراما

اوسكار عازف الطبلة يشارك الاقزام استعراضهم : « قررت ان اوقف نفسي عن النمو لكيلا ادخل عالم الكبار .



كاملة للوضع الايطالي برمته . ولكن على الطريقة الايطالية ، انه لا يركز على حالة واحدة يعالجها . انه فقط يمضي بكاميرته ليصور ـ باسلوب الموزايكو او الفسيفساء المعمارية ـ قطعا قطعا من المشهد الشامل ، وعليك انت ان تتولى تجميع هذه القطع في نسق واحد متصل لكي ترى صورة واحدة متكاملة .

ونمر « بعينات » مختلفة ...

سيارة جديدة . زوجان في حوالي الخمسين . متحابان في طريقهما للاحتفال بمرور ٢٥ عاما على زواجهما . شاب في فولكس واجن عصبي المزاج ، مثار ، يريد ان يصل الى ماريا التي يتصور انها تنتظره بأية وسيلة . مرسيدس فاخرة فيها رجال اربعة مسلحون يضحكون كالمتخلفين عقليا . سيارة إسعاف بها مصاب ينزف بسبب صدمة باص عند تقاطع المشاة . على اليمين محطة وقود ومقبرة للسيارات ، والى اليسار كوخ منعزل مصنع كيماويات ، يلوح في الافق ومشروع طريق علوي للسيارات لم يكتمل .

ماذا يفعلون ؟

مصور فوتوغرافي لموضات ملابس النساء يصور موديلاته الحسناوات في سيارته . فتاة وحيدة في سيارة ستروين قديمة معها جيتار تعزف عليه . شبان ثلاثة في رينج روفر يبدون واثقين من أنفسهم يعاكسونها فتصدهم . شاب اوتوستوب يقف وسط « العنق » حاملا لوحة يرجو فيها ذوي القلوب الرحيمة توصيله الى نابولي ... وامرأة تترك سيارة الاجرة ، لان السائق رفض ايقاف العداد وتنضم لفتى الاوتستوب في طريقهما الى نيبال . ممثل شهير يغادر سيارته فيتحلق الناس حوله لانه مرهق فيقتاده معجب الى حيث يسكن في الكوخ المجاور . تخرج الناس من السيارات بأجهزة راديو ترانزستور ويتابعون مباراة للكرة ويصيحون ويرقصون ويرفعون الاعلام : ايطاليا فازت .

مع حلول الليل يتصاعد التوتر . الشبان الثلاثة يغتصبون فتاة الجيتار الوحيدة ويضربون شابا ، حاول الدفاع عنها . الكل يرى ولكنه لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم . الممثل يبيت ليلته في الكوخ ويقوم من نومه ليمارس الجنس مع زوجة مضيفه ولكنه يفشل لعجزه ... الزوجان السعيدان يتشاجران . الاسرة الفقيرة تبيع الماء وبعض المأكولات . الاسرة ذاتها تتشاجر حول الابنة الشابة التي ترفض الاجهاض وهي غير متزوجة .

من السهل ان تكتشف رموز هذا العمل . فما نراه هو في الواقع صور وحالات فردية لكنها على المستوى الرمزي (القراءة الاخرى للعمل) تكشف عن حالة عامة ذات دلالات متشعبة .

وفيا يبدو فان معظم المخرجين الايطاليين يبشرون بنوع من الفوضى بعد ان وصلت كافة اشكال الازمات الى عنق زجاجة حقيقي . وقد شاهدنا في فيلم « بروفة الاوركسترا » لفيلليني معالجة اخرى لنفس الموضوع على مستوى رمزي ايضا . ولكن الحل الذي طرحه فيلليني ـ على طريقته ـ هو دخول كرة حديدية صماء ضخمة ، الى القاعة التي تجرى فيها البروفة لتحطم الجدران ، ويسود صوت المايسترو ذي القميص الاسود .

من يقرع الطبلة ؟

« طبلة الصفيح » هي الرواية الشهيرة للكاتب الالماني المعاصر جونتر جراس . وليس في الفيلم ـ السيناريو الذي كتبه فولكر شلندروف بالتعاون مع كاتب السيناريو الكبير جان كلود كاير ـ حكاية تقليدية تبدأ من موقف وتتطور الى عقدة تنتهي الى حل . ولكنه متابعة لجانب من قصة حياة طفل هو اوسكار ماتزيراث (لاحظ ان العائلة يهودية) . وتبدأ حكاية اوسكار قبل مولده حين يفتح الفيلم برجل مطارد يختبىء تحت سروال امرأة قروية من أعين الشرطة . ويتزوج الرجل هذه المرأة وينجب منها ولدا يكبر ويتزوج اخرى . ويعمل الابن الكبير بقالا في مدينة دانزيج البولندية (الالمانية فيا قبل النازية) والمعروفة حاليا باسم جدانسك . وترتبط الام (انجيلا وينكلر) بعلاقة غرامية بشاب بولندي يعمل في مكتب المدينة هو دانييل او لبرخسكي وتثمر علاقتهما المحرمة ميلاد اوسكار . وهكذا يكون للطفل القادم الى عالم الكبار ابوان احدهما شرعي والاخر غير شرعي . ويظل الاب غير الشرعي على علاقة بالام وبالعائلة طوال الوقت .



الدكتور كارلو يناقش القس في القرية المنسية في « رابسولي » في منتصف الثلاثينات : الفاشية تؤكد التخلف » .

وتبدأ قصة اوسكار في عام ١٩٢٤ . نلاحظ ان اوسكار يبدو اكبر من سنه طوال الوقت فهو يتعاطف مع الكبار ومع الواقع الخارجي - الموجودات والاحاسيس - برؤية تشككية واضحة . فهو لا يقبل اى شيء ولا يتصرف تصرفات صغيرة . ويكبر في عينيه « صغار » الكبار . ففي احتفال بعيد ميلاده الثالث يجلس اوسكار تحت المائدة ليرى قدم والده الحقيقي صديق العائلة تمتد الى حجر والدته . وفي هذه اللحظة يقرر اوسكار اعلان رفضه الكامل لهذا العالم .

ودون ان يفكر طويلا يلقي اوسكار بنفسه من فوق الدرج وتكون النتيجة هي ما اراده اوسكار وحلم به : ان يظل صغيرا ويتوقف نموه الجسماني فلا يصير كبيرا كهؤلاء الصغار . وتبدأ رحلة اوسكار مع طبلته الصفيحية التي وعد بها في عيد ميلاده هذا . وتمثل الطبلة - التي ستظل معه طوال حياته - وسيلته وسلاحه الخاص الذى يعلن به احتجاجه على ما سيراه في هذا العالم من بعد .

مع توقف نموه يكتسب اوسكار ميزة جديدة : قدرته الخارقة على الصراخ الى الدرجة التي يتحطم عندها اى زجاج امامه ... ويظل اوسكار وطبلته وصوته بمثابة صرخة الاحتجاج والتمرد الوحيدة في العصر الذى شهد نمو النازية وسيطرتها .

ففي احتفال نازي بعرض عسكرى وجماهير حاشدة يتسلل اوسكار الى اسفل منصة الاحتفال ويدق بطبلته الشهيرة فيتحول احتفال اصحاب « القمصان البنية » الى مهرجان لرقص الفالس على انغام الدانوب الازرق ...

وأوسكار فنان ايضا يتعرف على اصدقاء له يعملون في السيرك . جميعهم اقزام ويجوب معهم اركان المانيا ممثلا لمسرح الجبهة ويقع في غرام قزمة جميلة تموت في الحرب .

يموت أبوه الرسمي وتموت امه بمرض غريب تأكل فيه الاسماك نيئة .. ويموت أبوه الفعلي في هجوم على مركز البريد في دانزيج - وهو الهجوم الذى شهد اول طلقة في نيران الحرب العالمية الثانية . ويطرد ماركوس (شارل ازنافور) التاجر اليهودي الذى كان يعطيه الالعاب مجانا (لاحظ اختيار شخصية اليهودى هنا حبيب الاطفال البريء القلب) .

ويصر اوسكار على ان يعاشر زوجة ابيه الشابة ويفعل . وتغمره تساؤلات مطلقة حول الموت والجنس والحياة . وتنتهي قصته .

في الرواية كما في الفيلم ، هذا الميل الشديد الانحدار الى مزج الواقع باساطير ما وراء الواقع الغريبة الشديدة الالمانية وكأنها مستمدة من حكايات القبائل الجيرمانيةالمتوحشة في الالف الاول للميلاد .

ان كثيرا مما هو كامن في اوسكار ماتزيرات يمكن ان نعثر عليه اليوم في جيل الحاضر الشاب . ان كثيرين يودون لو أمكنهم الفرار من عملية التحول الى البلوغ بما تنطوى عليه من مسؤوليات تقتحم حياتهم . لهذا تبدو لي شخصية اوسكار شخصية حية معاصرة لانها مأسورة بشكل دائم في نطاق الحاضر » .

هير تزوج يسأل عن فويتسيك !

ما هي حكاية الجندى فويتسيك التي سجلها الاديب الالماني الشاب جورج بوشنر في عام ١٨٥٠ ؟

دخل فويتسيك (وهو شخصية حقيقية) الجندية بين عامي ١٨٠٧ ـ ١٨١٨ وتقلب في اسلحة مختلفة وتزوج وانجب طفلا . في ٢١ يونيه ١٨٢١ ذبح فويتسيك زوجته واوقف واعدم بعد محاكمة وتحقيق وفحص لقواه العقلية في ٢٧ اغسطس عام ١٨٢٤ .

واسترعت هذه الفكرة المختصرة انتباه الاديب الالماني الشاب جورج بوشنر ، الذى ترك رغم عمره القصير ٢٤ عاما اعمالا روائية عديدة . ويكفي ان اذكر ما قاله الاديب الطبيعي الالماني الكبير جيرهارد هاوبتمان عن بوشنر « لقد كانت اعماله بمثابة وحي وكشف للادباء الالمان في القرن التاسع عشر . ان روحه معنا . وفينا » .

لقد بنى بوشنر ومن بعده هيرتسوج احداث الرواية في الفيلم بناء على وقائع من حياة فويتسيك . وفي مدينة صغيرة في منتصف القرن التاسع عشر كان يعيش الجندى فويتسيك . يقوم بأعمال عديدة لاسعاد زوجته مارى وطفلها . ولكن لا احد يدرى ماذا اصاب فويتسيك . فهو يتخيل انه يسمع اصواتا ويرى رؤى . يشعر بالقلق ويحادث نفسه . يفحصونه ولا يكتشفون شيئا .

وذات يوم تقف زوجته بالشرفة فترى فرقة موسيقى الوحدة العسكرية . قائد الفرقة يغازلها وتستجيب لغزله . وتصير الزوجة فريسة سهلة للكابتن الذى يراقصها على مرأى ومسمع من فويتسيك . يترك فويتسيك انطباعاته عن كل شيء وتأملاته العلوية الى صديقه اندريه ويذهب الى محل اليهودى من فوره ويشترى سكينا ويستدرج مارى قرب الغدير ويذبحها .

ماذا في « فويتسيك » ؟

في الفيلم إحساس قوى بالعنف . وقد يكون العنف وثيق الصلة بالادب وربما بالشخصية الالمانية . ولكن العنف هنا يصب في العمود الفقرى للعمل . العنف الواقعي الذى يعيشه فويتسيك في حياة الجنديه وعنف الطبيب وقائده وعنف الكابتن الذى يسرق زوجته . والمثير ان رد فعل فويتسيك في البداية كان الامعان في هلوساته . وتصورى ـ وهذا جانب من ثراء قصة بوشنر ـ ان الهلوسة كانت محاولة من الجندى للهرب من ضحالة وشظف وعنف الواقع الذى يعيشه فالتحقيق الفعلى قطع بأنه كان صحيح العقل عندما ذبح زوجته . وهذا قد يدعم التفسير الذى اتصوره بادعائه الهلوسة . .

« الشقية » والمسلسل الاسود وغياب الفن العظيم

في مهرجان كان الاخير وقف فيليب لوكا وزير الثقافة الفرنسي ليعلن عن حلول مقترحة لما اسماه « ازمة السينما الفرنسية » . وفيما يبدو فان لوكا قد نجح في تشخيص الداء بقوله : « ان السينما الفرنسية قد اكتفت من السينما بالتجريب وتركت لامريكا التجارة » . ورغم ان هذا قول شديد العمومية ولا ينطبق بالضبط على إنتاج السينما الفرنسية الفعلي الا انه مقبول بشكل عام .

فنظرة سريعة خلال قائمة انتاج ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ لشركة واحدة رئيسية ـ مثلا ـ كأونيفرانس فيلم ، تجد ١٠٠ فيلم جاهزة للتوزيع الغالبية العظمى منها افلام قليلة التكاليف انتجت لاغراض تجارية . القليل هو الذى يصمد فنيا لاستناده لاسماء جديرة بالاحترام .

فورة الخمسينات والموجة الجديدة بسبب هجمة مخرجي الموجة انفسهم الى قلعة الصناعة السينمائية العالمية في هوليوود . ففرانسوا تروفو يؤلف عن هيتشكوك ويشترك في تمثيل « لقاءات النوع الثالث » لسبيلبرج وشابرول يخرج في هوليوود فيلمين قبل ان يعود الى فرنسا « بفيوليت نوزيير » .. وجودار التجريبي الوحيد الباقي « محلك سر » ومارى ستراوب غارق في التجريب ولوى مال الى هوليوود ايضا ليخرج علينا « بالصغيرة الجميلة » (الذى عرض بكان الماضي) .

لقد صار مطمح السينمائيين الفرنسيين هو « أمركة » الفيلم الفرنسي .



الجندي فوينسيك ، هل انتابه مس من الشيطان ام قتلته الغيرة ؟

الشقية تركض بلا نهاية

جريا وراء موضة اكتشاف الصغيرات خاصة الفتيات اللواتي يخرجن عن التقاليد قبيل السن القانونية قرر جاك دوابون اختيار الشقية مادلين ديديفيز (من مواليد مارس ١٩٦٧) التي تهوى افلام وقصص المغامرات في الواقع لتقوم بالدور امام كلودابير (من مواليد مايو ١٩٥٧) والذي قام من قبل بادوار هامشية .

وحكاية « الشقية » تبدأ حين تتعرف على فرانسوا ذي العشرين عاما والذي يرفضه الجميع بما فيهم امه وزوجها . يعيش المراهق وحيدا كأنما حكم عليه بسجن ابدي . مادو في الحادية عشرة . تعيش مع والدتها التي تعاملها احيانا بخشونة ومع شقيقتيها اللتين تتجاهلانها طوال الوقت . الحياة بؤس والوحدة قاتلة . لا تعلم ما الذي تريد بالضبط ان تكونه في المستقبل . ربما بائعة .

فرانسو يخطف مادو . يعيشان سويا في ركنه القصي ويهمسان خشية ان يسمعهما « السيد » . لعبة . حلم . ما هو الخيط الرفيع بين التمرد ومعايشة قسوة الحياة ؟

هذا هو ما حاول دوابون الاجابة عليه .

ولكن اجابته جاءت ناقصة : الشقيان يعيشان سويا ، وهناك تبرير كاف لعزلتهما عن المجتمع ولكن الحل غير المفتوح الذي يضعه دوابون القائل بامكانية التصالح يضع مبررات التمرد موضع الشك . الشكل الفرنسي ؟ حسنا . ثمة سمات اتضح انها « عالقة » بشكل الافلام الفرنسية بوجه عام . القسوة عندما تقدم خلف غلاف رقيق والوحدة عندما تصنع منها اغنيات رومانسية . نجح هذا الشكل عند ليلوش في فيلميه الاولين فقط « رجل وامرأة » و « الحياة للحياة » ولكنه اخفق بعد ذلك . غير انه يبدو ان هذا الشكل قد صار تراثا سينمائيا فرنسيا لافكاك منه .

مسلسل تومسون ـ دوستويفسكي الاسود

قد يكون « مسلسل اسود » اهم ما عرض من افلام فرنسية مؤخرا . وهو بالتأكيد اهم فيلم للممثل الفرنسي باتريك ديوار .

والفيلم مأخوذ عن رواية للكاتب الاميركي جيم تومسون بعنوان « جحيم امرأة » . اشهر روايات تومسون والذي بدأ عمله في الصحافة في مطلع الثلاثينات ـ هي « الهروب » و « لا شيء اكثر من الكثرة » و « مدينة قاسية » و « رجل اللاشيء » و « عدد السكان ١٫٢٧٥ » و « جحيم امرأة » .

وعالم تومسون هو عالم يشبه عالم دوستويفسكي في تفاصيله . وهذا ما جلب له المتاعب لان رواياته تدور حول شخصيات سحقتها الفوارق الاجتماعية الحادة فاضحت ضحايا مصدر عذابها واضح . وهذا ما أوقعه في مشاكل مع صحيفته التي كانت تكلفه بمهام شبه « مطاردة عربات المطافىء » وبالطبع وضع في القائمة السوداء ايام المكارثية الى ان مات . وهكذا طغت على شخصياته احاسيس قهرية ومشاعر قوية بالاضطهاد . وكل ما فعله جورج بيريك (كاتب سيناريو « مسلسل اسود ») ان قام بتحديث الرواية فجعلها تدور في ضواحي باريس في وقتنا الراهن .

فرانك بوبار بائع ملابس متجول ـ من الباب للباب ـ يقع ذات مرة على منزل في احدى ضواحي باريس حين يبحث عن صديق له هو اندرياس تيكيديس . المرأة العجوز صاحبة المنزل تعرض عليه مقابلا ليبيعها معطف حمام من الصوف الناعم . تعرض

عليه جسد ابنة اختها منى ذات الثمانية عشر ربيعا .

يرفض بوبار الصفقة ويحتقر المرأة العجوز . وبوبار ليس مواطنا فاضلا لكنه مهووس بسبب الفقر الذى يعيش فيه واضطراره الى الرضوخ لاستغلال ستابلان التاجر الذى يعطيه الملابس .

تدل منى بوبار على المكان الذى تخبيء فيه خالتها اموالا كثيرة وتقرر مساعدته في قتل العجوز البخيلة ويقتلها بوبار ويقتل صديقه اندرياس ايضا وعندما تكتشف زوجته الجريمة يقتل زوجته ايضا . اولغ بوبار في الدماء وكل هذا له مبرره الاخلاقي لديه . ولكنه بالطبع غير واع بالعناصر الاجتماعية الاخرى المشاركة في دفعه الى الجريمة . ورغم ان الفيلم ينتهي باكتشاف الجريمة الا ان المشاهد لا يشعر بان الحق الاجتماعي قد انتصر بالقصاص من الباطل الفردى (الذى يمثله بوبار) .

وهذه هي بالضبط نقطة الامتياز في هذا الفيلم . هذه أمانة مع رواية تومسون .

اين بريطانيا .. والآخرون ؟

بريطانيا السينما الحرة انتهت منذ زمن طويل . الانتاج السينمائي البريطاني متوقف تماما أو يكاد ، ولكن زيارة الى استوديوهات باينوود او تويكنهام او الى مكاتب شارع واردور الشهير سوف تكشف لك عن الوجه الآخر للصناعة السينمائية البريطانية . صحيح ان « الانتاج » البريطاني كجزء من أزمة السينما الاوروبية في مجملها ولكن الاصح هو ان « الصناعة » لم تتوقف لحظة وهي تشهد على اعتاب الثمانينات اقوى واشد فترات الازدهار في تاريخها .

فقد رضيت الصناعة السينمائية البريطانية ان تتحول الى دور الممول الوسيط الانتاجي معا وتتحكم في هذا كله وبشكل أساسي اسهامات اللوردين ولفونت وجريد اللذين اسمتهم « النيوزويك » الامريكية مؤخرا بالارقام ـ كعنصرين فاعلين من عناصر قوة « المغول » الاربعة الجدد في السينما الامريكية « » والآخران هما المخرج السورى الاصل الامريكي الجنسية مصطفي العقاد والثاني هو الصيني تشو وهونج كونج ، الاربعة في زعم المجلة يسيطرون على الحجم الفعلي للسيولة النقدية المستثمرة في صناعة السينما الامريكية : اكبر صناعة سينمائية في عصرنا الراهن .

هذا باختصار شديد هو دور بريطانيا الان .

اسبانيا تتسع لابداعات كالوس ساورا وخوان بارديم في مرحلة ما بعد الفرانكوية وسينماها تستحق منا وقفة خاصة لا يتسع لها هذا المقام اذا انها ـ في تقديرى ـ من أهم السينما القومية في اوروبا في الوقت الراهن . تطرح اسئلة جوهرية وتسعى الى الاجابة عليها وتبدو كما لو كانت تعزف في توافق حساس مع أطروحات المجتمع الكبرى .

بلجيكا .. السويد .. اليونان .. الدنمارك ... سويسرا هولندا .. البرتغال .. سينما الهموم الذاتية والتساؤلات المحدودة . هذا « حكم » بالغ التعميم ولكنه يتسق هنا في رأيي مع الطرح الاساسي لمقالنا هذا ..

فقد حاولنا ان نعالج « اهم » معالم الوضع الراهن للسينما الاوروبية في « اهم » مراكزها من خلال « اهم » ما أنتج مؤخرا .

هل استطاعت السينما ان تجيب على اهم التساؤلات الاوروبية في مطلع الثمانينات ؟

من خلال العرض الذى قدمناه يبدو ان مقولة ان السينما تجيب ولا تجيب قد باتت صحيحة . لست اعني بالاجابة وعدم الاجابة دورا مزعوما للسينما في المجرد او المطلق . ولكننا نتحدث عن مشكلات معينة في مجتمعات معينة ونتساءل الى اى حد تجاوبت السينما معها .

لقد صارت القدرة على الاجابة او الصمت جزءا اساسيا من ازمة السينما الاوروبية في مطلع الثمانينات . الفنانون الخلاقون ما زالوا يواصلون تقديم ابداعاتهم خاصة في ايطاليا واسبانيا ، والمانيا . ولكن الازمة الشاملة تحيط بالجميع . ويبدو ان المسألة الاساسية هي كيف يواجهون التحدي .. الامريكي ؟ ■■

الفاروق عبد العزيز

المجذوب

ما كان مجنونا وان سخروا به لكن يرى ما لا يَرونَ ويسمعُ
ساهي الجفون كأنما نظراته شدّت الى نورٍ بعيدٍ يلمع

❊❊❊

أبصرتُه في السوق يخطب مرةً والناس من احواله تتجمع
هيا اعشقوا مثلي وغنوا حبكم وتزودوا من دهركم وتمتعوا
فالحب ريحان الحياة وروحها وضياؤها واريجها المتضوع
وانا المحب المستهام بفاتنٍ ملأ الوجود جماله المتنوع
ضاقت به الدنيا ورحب فضائها ونجومها وحنت عليه الأضلع
ولقد أناجيه فاسمع صوته واحسّه في مهجتي يتربع
هامت به الافلاك في عليائها والهاتفات على الغصون السجّعُ
والبرق والرعد المدوّي والحيا والزهر والروض الجميل الممرع
كلٌ يسبح باسمه متشوقا لوصاله وهو العزيز الأمنع
حتى الحجارة تغتلي ذراتها شوقا اليه فقلبها متصدّع
دارت على أقطابهن رواقصاً طربا على نغمٍ لهنّ يوقَع
فهي الدراويش الصغار فديتها بالهاجعين وليلها لا يهجع

❊❊❊

سكت الخطيب وأدركته حسرة كادت لها أحشاؤه تتقطع
فتضاحك النظار من اقواله ورثوا له من رحمة وتوجعوا
ومضى وفي يمنى يديه هراوة يزوي بها الصبيانَ عنه ويردع

حلب ـ عمر ابو قوس

انهم لا يولدون صادقين او كاذبين

لماذا يكذب الأطفال؟

بقلم : الدكتور ملاك جرجس

لا يولد الاطفال صادقين ، ويتعلمون الصدق والامانة شيئا فشيئا من البيئة ، اذا كان المحيطون بهم يراعون الصدق في أقوالهم وأعمالهم ووعودهم ... ولكن اذا نشأ الطفل في بيئة تتصف بالخداع وعدم المصارحة والتشكك في صدق الآخرين ، فأغلب الظن أنه سيتعلم نفس الاتجاهات السلوكية والاساليب في مواجهة مواقف الحياة وتحقيق أهدافه .

ومن الخطأ الظن بأن الطفل الصغير لا يفرق بين الكذب والصدق ، فالطفل في مقدوره تماما ان يفرق بين ما هو صادق وما هو كاذب خصوصا فيما يتعلق بالامور والرغبات الخاصة به .

والطفل الذي يعيش في وسط لا يساعد على تكوين اتجاه الصدق والتدريب عليه ، يسهل عليه الكذب ، خصوصا اذا كان يتمتع بالقدرة الكلامية ولباقة اللسان ، وكان أيضا خصب الخيال .. فكلا الاستعدادين مع تقليده لمن حوله ممن لا يقولون الصدق ويلجأون الى الطرق الملتوية وانتحال المعاذير الواهية ، يدربانه منذ طفولته على الكذب .

وعلى هذا الاساس فان الكذب صفة أو سلوكا مكتسبا ، نتعلمه كما نتعلم الصدق وليس صفة فطرية او سلوكا موروثا .

والكذب عادة عرض ظاهري لدوافع وقوى نفسية تجيش في نفس الفرد سواء كان طفلا او بالغا ، وقد يظهر الكذب بجانب الاعراض الاخرى كالسرقة او شدة الحساسية والعصبية ، او الخوف الى غير ذلك من الاعراض .

اسلوب خاطيء

يلجأ بعض الآباء الى الزج بأبنائهم في مواقف يضطرون فيها الى الكذب ، وهذا أمر لا يتفق مع أصول التربية السليمة ... كأن يطلب من الابن أن يجيب السائل عن أبيه ، كذبا بأنه غير موجود ... او يقول لطارق باب المنزل كذبا ان الاب أو الاخ لم يحضر بعد من الخارج او ما شاكل ذلك ... ان الطفل في هذه المواقف يشعر بأنه أرغم فعلا على الكذب ودرب على أن الكذب أمر مقبول ، والا لما لجأ اليه مثله الاعلى الوالد او الوالدة أو الاخ الأكبر ، كما انه يشعر بالظلم عند عقابه عندما يكذب هو في أمر من أموره كما يشعر بقسوة الكبار الذين يستحلون لانفسهم سلوكا لا يسمحون له به .

هذا كما أن بعض الادباء يلجأون الى المبالغة في تنشئته على الصدق ، فيضيقون عليه في كل صغيرة وكبيرة وفي كل عبارة يقولها . ويصرون ان تكون صادقة مائة في المائة وفقا لما ينشدونه من صدق ـ هذا الاسلوب الصارم لا يغرس في الطفل صفة الصدق بل العكس ، قد يُدفع الطفل الى الكذب كمحاولة للظهور بالمظهر الذي يطلبه الوالدان ، كما انه لا يجدى كوسيلة لاقلاع طفل عن الكذب ...



لماذا يكذب الاطفال .. ؟ وهل صحيح أن الكذب والسرقة والغش كلها صفات تشترك في سلوك واحد هو عدم الامانة ، وأن الامانة في القول كالامانة نحو ممتلكات الغير .. ؟

ان مثل هؤلاء الآباء ينسون أن كل طفل لا بد ان يمر بفترة من حياته يكذب فيها ويلفق ، بما قد يوحي له خياله قبل أن يصل في طريقه الشاق الطويل الى مرحلة الصدق . كما انه من النادر ان نجد شخصا كاملا في صفة الصدق منذ طفولته .

والكذب عند الاطفال انواع مختلفة ، تختلف باختلاف الاسباب الدافعة اليه ، ومن هذه الانواع ما يأتي :

الكذب الخيالي

كل الاطفال يمرون بفترة في صغرهم لا يفرقون فيها بين الحقيقة والخيال . وهو أقرب ما يكون الى اللعب .. بل أنه نوع منه ووسيلة للتسلية ، كما انه احيانا يكون تعبيرا عن احلام الطفل ... احلام اليقظة التي تظهر فيها آمال ورغبات الطفل ، تلك الامال والرغبات التي لا يمكنه ان يفصح عنها بأسلوب واقعي . وواجب الآباء تهيئة الفرصة للاطفال ليعبروا عن أنفسهم بهذا الاسلوب الخيالي ، وفي نفس الوقت يجب عليهم أن يبصروهم ويساعدوهم على التفرقة بين الواقع والخيال .

ولا أدل على أن هذا النوع من الخيال أو الكذب الخيالي ـ ليس كذبا يبشر بانحراف سلوكي أو اضطراب نفسي من أن الاباء والامهات والجدات يقصصن على الاطفال في كل المجتمعات قصصا خيالية اثناء النهار للتسلية أو قبل النوم ليتراخوا ويناموا .

ويعتبر سن الطفل عاملا مهما عند تقدير خطورة أو عدم خطورة ميله الى الكذب . فالطفل في سن الرابعة مثلا قد يلفق قصة من نسج خياله الواسع ، ولا يمكن أن نعتبرها كذبا بالمعنى المتعارف عليه بين البالغين .. وذلك لان الطفل الصغير تختلط في ذهنه الافكار ولا يفرق بين الصحيح منها وغير الصحيح ، كما أن خياله يصور له أفكارا بعيدة عن الواقع والحقيقة ويتصور أنها واقع وحقيقة . ولعل هذا هو سبب شغف الاطفال بسماع القصص الاسطورية من الجدات . بل انهم لا يدركون عدم واقعية القصص الخرافية لدرجة أنهم يعيشون في أجوائها ويتخيلونها بشغف ولذة وسرور ، وقد يتخيلون أنفسهم ابطال هذه القصص .

ولا شك ان ميل الطفل الى القصص الخيالية أو تأليفه لها ، لا يعتبر جنوحا او ميلا الى الانحراف والكذب المرضي بل يدل على أنه لا يزال صغيرا لا يفرق كثيرا بين الواقع والخيال .

ثلاثة أمثلة

ومن نماذج الكذب الخيالي هذه الامثلة الثلاثة :

ـ طفل لم يتجاوز الثالثة من عمره ذكر أنه رأى كلبا ذا قرنين وذلك بعد أن احضر والده خروف العيد ... لقد انتزعت مخيلته قرون الخروف وركبتها على رأس الكلب ... كان يؤكد ما رآه ويصر على أنه حقيقة كلما نهاه والداه عن هذا القول .

لقد كان من واجب الوالدين أن يفطنا الى العلاقة بين أحضار خروف العيد والكلب والقرنين . ويوضحا السر في خلطه صفات الخروف بصفات الكلب ويمدا يد العون للطفل ويساعداه ليفهم الفرق بين الكلب والخروف ، وتصبح هذه فرصة طيبة لتعليمه بعض المعلومات ، وذلك بدلا من التصميم على نهى الطفل واتهامه بالكذب والسخرية منه ، الامر الذي جعله يصر اصرارا شديدا على ان ما رآه كان حقيقة وليس كذبا .

ـ طفل عمره أربع سنوات ذكر أنه رأى ثعبانا تحت مكتب أخيه فارتعبت العائلة كلها وقاموا بتفتيش الحجرة تفتيشا دقيقا ... واخيرا قرر الطفل ان الثعبان كان في كتاب أخيه ... وهو في الواقع صورة لثعبان في كتاب يدرسه أخوه .

مثل هذا الطفل لا يجب أن نعاقبه أو نؤنبه انما يجب أن نفهمه الامر برفق وعطف .

ـ ولد عمره ١٢ سنة على درجة كبيرة من الذكاء ... رائع الخيال ، طلق اللسان كان يكتب القصص منذ صغره .. وكان والده مولعا بالعلوم النفسية فساعده على تنمية قدراته ، ولذلك فأن الابن نبغ في كتابة الادب وفي كتابة القصة . وقد انقسم مدرسوه قسمين : قسم يشجعه وقسم آخر يعارضه على انتحاته هذه الناحية ... وكانوا يتهمونه بأنه يضيع وقته .. وقد انضمت والدته للقسم الاخير بل أخذته الى اخصائي في الامراض النفسية ، وشكت له من أن ابنها منذ طفولته كان يسترسل في حديثه ويسرد أشياء خيالية ... وانها لم تزجره وتمنعه ، ولم تكن تدرك ان الامر سيتطور معه في الكبر ، فيا كان من اخصائي الامراض النفسية الا انه نصح الام بتشجيع ابنها ما دام ناجحا في دراسته ، وبذلك اصبح هذا الولد من كتاب القصص والروايات الناجحة في كبره .

وكلنا يعرف قصة « ساجان » الكاتبة الفرنسية المشهورة ، فهي حالة مماثلة للحالة السابقة وحالات أخرى كثيرة في جميع البلاد .

لذلك يجب على الآباء الا يقلقوا اذا كان الطفل خصب الخيال ، ولا يحاولوا بكثير من الجهد علاج هذا النوع من الكذب ، بل على العكس يتركون الامر للزمن ، فهو كفيل بانتهائه كسلوك عند الطفل ... هذا ان لم تنم هذه الملكة وتصبح موهبة عند الطفل في الكبر ... يكفي أن يؤكد الآباء للطفل بأنهم يدركون أن ما يقوله هو نوع من اللعب وانهم يحبون هذه التسلية ... ويؤكدون له في نبرات الصوت وفي سلوكهم انهم يدركون أن ما يقوله ليس صدقا كما أنه ليس كذبا بل أنه مداعبة ...

الكذب الالتباسي

هذا النوع من الكذب لا يدل على انحراف سلوكي وسببه أن الطفل يلتبس عليه الامر لتداخل الخيال مع الواقع بحيث لا يفرق بينهما ... مثال ذلك أن يسمع الطفل قصة خرافية او قصة واقعية تمتلك مشاعره وبعد أيام يتقمص احداث القصة في نفسه أو في غيره .

وكثير من الكذب الالتباسي مرجعه احلام الطفل ... وكمثل لهذا الكذب ... أن طفلا عمره خمس سنوات كان يكره الخادم الذي يعمل عندهم لغلظته في معاملته ... قام من النوم يبكي .. في الصباح ويقول أن الخادم ضربه وسرق منه طعامه ... ورمى له لعبه في الشارع ... والواقع ان الطفل حلم حلما بهذا المعنى أثناء الليل ولم يفرق في الصباح بين الحقيقة والحلم ... بل كان من وقت لآخر بعد ذلك يذكر للخادم أنه سبق له أن سرق طعامه وضربه وحطم له لعبه ، ... والعلاج لمثل هذه الحالة هو ان نفهم الطفل بأن ما حدث له كان حلما وليس واقعا ، ثم نكرر له ذلك من وقت لآخر .

والواقع أن هذا ليس كذبا بالمعنى المعروف ويزول من تلقاء نفسه مع مضى الوقت ، فكلما زادت خبرات الطفل وكلما تقدم في السن أمكنه التفريق بين الواقع والخيال .

وكما يحدث هذا الكذب نتيجة الاحلام التي يحلمها الطفل أثناء الليل ، فأنه قد يحدث نتيجة أحلام اليقظة . فقد يتصور الطفل أن كلبا هجم عليه .. ويقص قصة يصورها على أنها واقعية ... رغم انه ليس في محيطه كلاب ، ورغم أنه بعيد عن مثل هذه التجربة ... كما قد يتصور أن شخصا ما تكرهه العائلة وهو يعلم بذلك قد قابله في الطريق أو حضر له في المدرسة وضربه أو شكاه للمدرس أو المدرسة ... وكل هذا مرجعه خيال الطفل الواسع وليس له صلة بالواقع اطلاقا وسببه طبعا أحلام اليقظة التي يستغرق فيها ، ثم يلتبس عليه الامر بين الواقع والخيال .

ان الطفل في مثل هذه الحالات يلجأ الى الكذب دون قصد ، وذلك لان الحقائق تلتبس عليه ، وتعجز ذاكرته عن أن تعي حادثة معينة بتفاصيلها ، فيلجأ دون أن يدري الى ان يحذف منها بعض التفاصيل ويضيف اليها أخرى من عنده ، حتى تصبح مستساغة لعقله

الصغير ومنطقه المحدود ، وحتى تصبح مألوفة لديه ، واذا قصها بدت لنا كذبا وهو من الكذب براء .

الكذب الادعائي

يلجأ بعض الاطفال الذين يعانون من الشعور بالنقص الى تغطية هذا الشعور بالمبالغة فيا يملكون او في صفاتهم ، او صفات ذويهم بهدف الشعور بالمركز في وسط أقرانهم او استجابة لمؤثرات يتعرضون لها في البيئة او بهدف النزوع للسيطرة عليهم .

ومن أمثلة ذلك أن يدعي الطفل ان لديه لعبا كثيرة وكبيرة جدا ... بل قد يتخيل شكل لعبة حجمها غير واقعي ، ويدعي ملكيتها والواقع انه ليس لديه من اللعب شيء يذكر . وقد يدعي أن والده يشغل مركزا مرموقا او انه يعمل في مهنة بعيدة كل البعد عن حقيقة مهنته ، وذلك لمجرد التفاخر وتعظيم الذات ، ذلك لان الشعور بالنقص يحمل الطفل على تلفيق حقيقة مشاعره بالادعاء والمباهاة .

ومن الامثلة التي صادفتني في العيادة النفسية ان تلميذا في التاسعة من عمره على درجة كبيرة من الذكاء ، متقدم في دراسته وفي مدرسة خاصة من مدارس اللغة الانجليزية ، مستواه كمستوى باقي الطلبة من حيث أنه مرتفع اقتصاديا وهو ابن لاحد كبار موظفي الدولة ، وكثير من زملائه في الصف ابناء لكبار موظفي الدولة أو رجال السلك السياسي ... كان نظام المدرسة أن يحضر والد أو والدة التلميذ كل شهر لاستلام تقرير بنتيجة أعماله ، وليقابل مدرسي الفصل للوقوف على أداء وسلوك التلميذ بالمدرسة ... وكان هذا التلميذ من الخمسة الاوائل في أغلب الشهور وكان كلما حل موعد استلام الشهادات او التقارير لا يخبر والده ... ويقول لمدرس الفصل أن والده مسافر خارج الجمهورية وكذلك والدته ... والحقيقة عكس ذلك أو السر في ذلك يرجع الى أن بعض اباء الطلبة زملائه يسافرون للخارج من وقت لآخر في اعمال ومهمات حكومية ... ويحضرون لابنائهم هدايا وملابس . وهؤلاء التلاميذ يطلعون زملاءهم عليها ويفاخرون بها ... وكان والد التلميذ المذكور رغم كون مركزه مرموقا فانه لا يسافر للخارج ، وكان التلميذ رغم نجاحه في المدرسة وتفوقه ... قصير القامة بشكل ملحوظ ويعاني من اعوجاج في أسنانه .. وكان التلاميذ يعيرونه بذلك ... فاخترع قصة سفر والديه مرارا ليفاخر بذلك أمام زملائه الطلبة ... وليشعرهم أنه سيحصل قريبا مثلهم على لعب وملابس وهدايا من الخارج .

والكذب هنا سببه واضح وهو الشعور بالنقص ، ومحاولة الطفل تغطية هذا الشعور بتعظيم نفسه بأمل أن يتحقق له الشعور بالتقدير من أقرانه ومن ثم يشعر بالمركز في وسطهم .

وهذا النوع من الكذب شائع بين أغلب الاطفال ولا ضرر منه ، خصوصا بين الاطفال الذين يتواجدون في بيئة أعلى من مستواهم في أي ناحية من نواحي الحياة ولا يمكنهم الوصول اليها .

وكما أن الكذب الدعائي وسيلة لتعظيم الذات والحصول على الشعور بالمركز فأن الاطفال يلجأون اليه لاستدرار العطف وللشعور بالقبول في البيئة ولكي يصبحوا مركز اهتمام الغير ...

ويلجأ الاطفال للكذب الادعائي عادة لاستدرار العطف عن طريق التمارض والادعاء كذبا بالمرض ... أو بمحاولة ايهام الطفل للغير بأنه مغمى عليه أو أنه أرجع ما أكله ، الى غير ذلك من الوسائل التي يسيطر بها على البيئة ويحدث ذلك عادة من الاطفال الذين لم ينالوا درجة معقولة من العطف من الوالدين في طفولتهم .. وأيضا للاطفال المدللين في الصغر وتغيرت معاملة الوالدين لهم على أساس أنهم لم يعودوا بعد اطفالا صغارا .. بل جاوزوا سن الخامسة مثلا ...

هذا كما قد يلجأ بعض الاطفال الى الكذب الادعائي .. فيتهمون الغير بتعذيبهم او ضربهم أو اضطهادهم ، كأن يدعي تلميذ عند والديه أن المدرس أو المدرسة دائمة الاضطهاد له وهو بذلك يحاول أن يستدر عطف الوالدين ويجد لنفسه سببا ليبرر عدم نجاحه في دروسه .

وهذا النوع يجب الاسراع في علاجه بتفهم الحاجات النفسية التي يخدمها ومحاولة اشباع هذه الحاجات بالطرق الواقعية المعقولة .. والا تشأ الحدث على المبالغة في كل شيء ، واختلاق الاقاويل مما يؤثر على مكانته الاجتماعية في الكبر .

وقد يكذب الطفل بغرض الاستحواذ على الاشياء المختلفة كالنقود ، او الحلوى او اللعب ، كما قد يكذب لانه يخاف العقاب فيلصق ما يتهم به بطفل آخر بريء وكل هدفه من الكذب الدفاع عن نفسه ، كما قد يكذب الطفل تقليدا للاباء والامهات الذين يكذبون على أطفالهم في كثير من الامور ... ■■

طرابلس ـ د . ملاك جرجس

لا يشكر الله من لا يشكر الناس

الشكر معرفة النعمة واعلانها والثناء على صاحبها بالخير ، والفرق بينه وبين الحمد انه خاص والحمد عام . فالشكر لا يكون الا عن نعمة تسبقه ، فهو جزاء عليها ، واما الحمد - ومثله المدح - فيكون عن نعمة سابقة او غير نعمة ، ويكون ثناء بالخير على الصفات الجميلة في صاحبها ولا شكر على صفة جميلة . ويكون الحمد والشكر بالنية او القول او العمل ، او ببعض ذلك . والقرآن الكريم يستعمل « الحمد » في جانب الله تعالى ، وقد اورثه في لغتنا صبغة علوية ، ونحن اكثر ما نستعمل « الحمد » في جانب الله ايضا ، اتباعا للقرآن من حيث ندري ولا ندري ، ولما رسخ في نفوسنا من ايمان بان الله جميل في ذاته وصفاته واعماله ، والتسليم بكل ما يأتينا منه ولو ضقنا باثره ، ولذلك نقول عند الضيق بشيء « الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه » وكما نحمد الله لهذا المعنى الايماني ، نشكره ايضا لان نعمه متواصلة من حيث نعيها او لا نعيها باعيانها او حدودها ، وكذلك هو يحمدنا ويشكرنا اذ يقبل طاعتنا واعمالنا الصالحة تفضلا منه ، ويغفر اخطاءنا ، وقد وصف الله في القرآن مرات بانه « حميد » كما وصف مقام النبي بانه « محمود » ففي سورة الاسراء « عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا » .

و « الشكر » لا يكون الا مقابل نعمة تسبقه ، ففي القرآن بصدد التطوع بالحجة أو العمرة « فمن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » ويقول الشاعر :

شكرتك ان الشكر حبل من التقى
وما كل من اوليته نعمة يقضي

اي ليس كل من تقدم له نعمة يقابلها بحقها من الشكر لك .

وقد ينطق المرء بالشكر في غير موضعه : اي لمن يبخل عليه بمعونة ، او لمن يسيء اليه فيقهره ، فيكون استعماله مجازيا ، ويكون الباعث عليه لرغبة في استجلاب مودة او رضا ، او اتقاء اذى يخاف ، او على سبيل الاعتذار او التبكيت ، او السخرية تشفيا وقصاصا ، او للاستعلاء على الاساءة ، وشبيه بذلك الشكر على نقمة اعقبت نعمة والقرآن يقول « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » والمثل العربي يقول « رب ضارة نافعة » .

وعكس الشكر في المعنى « الكفر » لا بمعنى الشرك بالله او الالحاد ولكن بمعنى عدم الاعتراف بالنعمة نية او قولا او فعلا كما في آيتي النمل : « ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربي غني كريم » و « هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر » .

و « شكر » فعل متعد ، ولكنه قد يستعمل كاللازم فيكتفي بالفاعل إذا اريد به مجرد حدوث الفعل ، وامثلته في القرآن كثيرة ، منها في آية ابراهيم « لئن شكرتم لأزيدنكم » فلا ذكر هنا للنعمة المشكورة ولا لصاحبها .

ويستعمل متعديا مباشرة الى مفعول به واحد كما جاء في البيت السابق « شكرتك ... » وكما في القرآن على لسان سليمان « رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ... » ويتعدى مباشرة الى مفعولين كقول الشاعر عبد الله بن الزبير :

سأشكر عمرا - ما تراخت منيتي -
أيادي لم تمنن ، وان هي جلت

والمفعولان هنا « عمرا » وايادي » (جمع « يد » بمعنى النعمة) وجملة معنى البيت ، سأشكره - مهما تمتد حياتي - على نعمه فهو لا يتبعها بالمن وان كانت جليلة .

وقد يتعدى باللام الى مفعول به واحد ، كما في الآية « ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله » او الى احد المفعولين مباشرة ، والى الآخر باللام كما في قولنا « نشكر

لكم فضلكم » واللام في الحالين تدخل على المنعم ، او بالباء كقولنا « تشكركم بفضلكم » او « على » كقولنا « اشكركم على فضلكم » ويلاحظ في هاتين الصيغتين الاخيرتين ان اللام و « على » تدخل على النعمة كما يلاحظ ان الصيغة الاخيرة اكثر استعمالا بيننا اليوم .

ويرى بعض اللغويين ان « أشكر لك » افصح من « اشكرك » وكان شيوخنا في المدارس يتابعونهم الى حد التحريج علينا في استعمال « اشكرك » ويرونها ضعيفة او ركيكة . ونحن نرى ان لا مسوغ لهذا التفضيل وهذا التحريج ، لان الصيغتين وردتا في القرآن ـ وهو الحجة العليا الكافية الشافية ـ وفي كلام الفصحاء ايضا كما جاء في بعض الأمثلة السابقة ومن الجذر « ش ك ر » جاء الفعل في القرآن ماضيا ومضارعا وامرا ، ولهذا الفعل ثلاثة مصادر هي « شكر وشكور ، وشكران » وقد ورد المصدران الأولان في القرآن هكذا « اعملوا آل داوود شكرا » و « وانما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » و « وشكر شكورا » مثل جلس جلوسا ، وقعد قعودا . ويجوز ان يكون « شكور » جمعا للمصدر « شكر » ونظائره في الفصيحة تبلغ العشرات ، مثل « بيع بيوع و « شر شرور » و « خير خيور » والمصدر يكون مفردا اذا كان يدل على مجرد الحدث ولكن اذا كانت له انواع يثنى ويجمع تبعا لتنوعه ، وقد يستعمل المصدر اسما او صفة فيعامل مثلها تثنية وجمعا مثل عهد وعهدان وعهود وهذه مثل عدل وعدلان عدول وهذه صفات فان « عهد » مصدر استعمل اسما و « عدل » مصدر استعمل صفة .

واما المصدر « شكران » فبزيادة الألف والنون فيه للدلالة على زيادة الشكر وعلماؤنا يقولون « زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى » وكل فعل ثلاثي فمصدره اصلا ثلاثي ، وكل ما زاد على الثلاثة فهو دليل الزيادة في معناه ، وللمصدر « شكران » نظائر كثيرة في الفصيحة ، مثل : كفران وخسران .

وكثير منا اليوم في مختلف اقطار امتنا العربية يتخذ لابنه اسم « شاكر » ، واقل منه انتشار « عبد الشكور » وان كان القرآن قد وصف الله بهذين الوصفين « ان الله شاكر عليم » و « ان الله غفور شكور » وكذلك جاءت فيه الكلمتان وصفين للانسان « انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » « وان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » .

وفي القرآن وصف العمل بانه مشكور « وكان سعيكم مشكورا) ويمكن ان يوصف به البشر فيقال « المحسن مشكور لاحسانه او باحسانه او على احسانه » .

و « شكور » وصف للمذكر والمؤنث على سواء ، فيقال « هو شكور » ، و « هي شكور » اي كثير الشكر وكثيرته ، لأن كل ما كان على وزن فعول بمعنى فاعل يستعمل وصفا للزوجين الذكر والانثى ، مثل : « صبور وغيور » واذا نظرنا الى معنى الفعل جاز ان يقال : هي « شكورة » بل اذا نظرنا الى معنى الفعل ـ ولو كان خاصا بالانثى ـ جاز ان تزاد في الوصف تاء التأنيث ، فيقال « الذئبة ولودة » و « الدجاجة بيوضة » .

ونحن اليوم نستعمل « الشكر » و « التشكر » في الدارجة كثيرا ، ويقال في الفصيحة تشكرت له أو « وتشكرت لفضله » و « تشكرت بفضله ، ومنه قول الشاعر :

واني لاتيكم تشكر ما مضى
من الامر واستيجاب ما هو في غد

وقد يستعمل « شكور » للدلالة على الطبع والخلق اللازم فيكون صفة مشبهة للدلالة على الثبوت فيقال « هو شكور » اي من اخلاقه الشكر لا بمعنى كثير الشكر كاسم الفاعل للمبالغة الذي يدل على تكرار الفعل او الشدة فيه ، وخلق « الشكر » من اكرم الاخلاق ، وفيه دلالة على طبع سوى اصيل ، وحسبنا دليلا على ذلك قلته بين البشر ، وفي الاثر « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » اي لا يتقبل شكر المرء له على احسانه إذا كان يكفر نعمة سواه ، او لا يؤدي حق الشكر لله حتى يؤديه للاخرين ، ومهما يعظم خلق المرء فانه يغتبط بشكر الاخرين حين يحسن اليهم ، ويأسى لمن يكفرون نعمته لانه هذا الكفر دليل على تشوه الاخلاق ، واشد ما يألم له من كفر النعمة ان يجازى احسانه بالاساءة ولذلك قيل (اتق شر من احسنت اليه :) وهذا الكفر يغثي النفس كما يغشيها كل تشويه ، ويترك فيها ندما مريرا ، وقد يحمل المحسن على الانقباض عن كافر نعمته وعن غيره ايضا ولهذا يقول عنتره :

نبئت عمرا غير شاكر نعمتي
والكفر مخبثة لنفس المنعم

وقد يكون الباعث على انكار النعمة شعور المنعم عليه بالتدني امام المنعم فيدفع ذلك عن نفسه بكفر النعمة وصاحبها ، وقد يشتط فيسيء اليه جعلنا الله من الشاكرين الشكورين ، وصدق رسول الله : « لا يعرف الفضل لأهل الفضل الا ذوو الفضل » . ■■

كسرى واليمن

● اطلعنا في العدد ٢٢٥ فبراير ١٩٨٠ صفحة ١٤١ من العربي الغراء على اتهام وجهه الينا الفاضل سالم محمد مخنف من تعز في مقالنا عن القادسية بعدد العربي اغسطس ١٩٧٩ ، ينفي فيه ان كسرى برويز بعث الى عامله على اليمن ليحضر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدلل على ذلك بانه لم يكن لفارس اي ولاة في اليمن وانها تخلصت من النفوذ الفارسي قبل الاسلام بزمن طويل .

ولما كنا قد درجنا على التحقق مما نكتب ـ دائما ـ فقد ازعجنا ما قرأنا وحسبنا ان الصواب قد جانبنا وجل من لا يسهو ، وقمنا نبحث عن مصدر ما سقناه في مقالنا المذكور ، ونكتفي من ذلك بما وجدناه في القسم الثاني من الجزء الاول من الطبقات الكبرى لابن سعد ، من ان كسرى كتب الى باذان عامله على اليمن ان ابعث من عندك رجلين جلدين الى هذا الرجل الذي بالحجاز ... الخ ، وقد جاءت الواقعة اكثر تفصيلا (في صفحتين) في تاريخ الطبري ضمن احداث العام السادس من الهجرة ، قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن يزيد بن حبيب قال : كتب كسرى الى باذان وهو على اليمن ان ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به ، فبعث باذان قهرمانه و (يعني وكيله وهو بابويه وكان كاتبا حاسبا بكتاب فارس وبعث معه رجلا من الفرس يقال له خرخسرة وكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره ان ينصرف معهما الى كسرى .. الخ كما جاء ذكر باذان في أسد الغابة وفي الاصابة باعتباره عامل كسرى على اليمن واول من أسلم من ملوك العجم .

احمد عادل كمال

القصص المترجم

● كثيرا ما تنشر الصحف العربية ومنها مجلة العربي قصصا وابحاثا تذكر فقط انها مترجمة ، ودون ان تذكر اسم كاتبها . الا ترون معي ان الواجب يدعو لذكر اسم المؤلف لتمكين القاريء من ان يطالع بقية كتاباته ان رغب في ذلك وكنوع من عرفان الجميل ادبيا لاسم المؤلف .

جورج خوري

الرياض / السعودية

اليهود في العالم

● ذكرت احصائية عن الامم المتحدة نشرتها دائرة المعارف البريطانية في كتابها السنوي ان مجموع اليهود في العالم هو :

في منتصف عام ١٩٧٤ بلغ المجموع ١٤,٣٨٦,٥٤٠ يهودي .

في منتصف عام ١٩٧٨ بلغ المجموع ١٤,٣٩٣,١٠٠ يهودي .

اي بزيادة قدرها ٦٥٦٠ يهوديا .

وهم موزعون كالتالي :

٤٠٪ من يهود العالم في امريكا (اي نحو من ستة ملايين)

٢٠٪ من يهود العالم في فلسطين المحتلة (اي نحو من ثلاثة ملايين)

١٥٪ من يهود العالم في الاتحاد السوفيتي (اي نحو من مليونين وربع)

١٠٪ من يهود العالم في انجلترا وفرنسا والارجنتين بواقع نصف مليون في كل منها .

صبيح شاكر الاوسي

بغداد

ابن النفيس وليس هارفي

● اود ان اصحح خطأ في حل مسابقة الكلمات المتقاطعة لمجلة العربي الصادرة في شهر شباط ١٩٨٠ حيث ذكر اسم وليم هارفي للدورة الدموية .

والصحيح ان مكتشف الدورة الدموية الكبرى هو بن العباس المجوسي الذي ولد في القرن العاشر الميلادي ، اما الدورة الدموية الصغرى فقد اكتشفها علاء الدين بن ابي حزم القرشي الملقب بابن النفيس الدمشقي من مواليد (٢١٠هـ ـ ١٢٧٧م) .

بينما الطبيب الانكليزي (و.م هارفي) اثبت بنظريته ان في الجسم دورتين .

اكون شاكرا اذا نشرتم هذا التصحيح .

عبد الرضا فرهور
النجف العراق

الفلسطينيون

● الا ترون معي ان هناك حاجة ملحة لان تقوم هيئة بعمل احصاء لعدد الفلسطينيين .. ان احصاء كهذا ضروري جدا .. وباعتقادي ان منظمة التحرير الفلسطينية قادرة على اجرائه سواء لمن هم داخل فلسطين ام خارجها .

نبيل صائب الناظر
الاردن

كلمات فقدت سمعتها

● نادى الاستاذ احمد بهاء الدين رئيس تحرير مجلة العربي في كلمته الافتتاحية في محرم ١٤٠٠ « كلمات فقدت سمعتها » ! نادى الى اعطاء الكلمة حق قدرها ، وحذر من مقت الله للقائلين ما لا يفعلون .

ومع الصدق الواضح في كلمة رئيس التحرير الا ان نداءه صرخة في واد ، وظني ان لو اخبر العالم العربي ان مرضا فتاكا سيجتاحه غدا فلا يبقي ولا يذر لا حيوانا ولا نباتا ولا بشرا ما حرك هذا التحذير همم الناس . فقد مرض الجميع بمرض اللامبالاة .

ان طريق النجاة معروف ولا بد للعرب ان يغيروا طريقتهم في معالجة الامور ، ويطهروا قلوبهم وليسيروا على هدى دينهم ويتخلصوا من الصغائر والكبائر ، وحب الدنيا والرئاسة ، والاستبداد بالرأي وخنق الرأي المخالف .. وليعلموا انهم جميعا اخوة امروا بالاعتصام ، وحذروا من التفرق .

نبيه خليل البدراوي
الاسكندرية ـ مصر

شريعة الانسان

اذا ذكر الأحبة والصحاب ... فروحي منزل والقلب باب
أحب الناس حب الناس دأبي ... واعلم ان بعضهم ذئاب
كأني لم أصب منهم بسوء ... ولم يغرز بقلبي الغض ناب
ولا زرعوا بدربي الشوك حتى ... تدمى من دمي الجاري التراب
ولو يجدي العتاب عتبت لكن ... مع الاوباش لا يجدي العتاب
يقيني بدوه بألف شك ... وهل في الناس الا الارتياب
احباني وما في الناس حب ... لان شريعة الانسان غاب
اقول احبني والقلب ادرى ... بأن احبني شيء سراب

جعفر علي جاسم

أرصفة السكة الحديد تمتد ، متينة ومظلمة ، متجاورة بلا نهاية . عريضة وخالية .

والسماء المعتمة فوقي شاسعة ومنفصلة . الليل الذي فيها لا ينجاب . والنجوم ثابتة ، صغيرة ، لن تذوب في أي فجر .

أسأل نفسي لماذا هذا الخواء في هذا العالم الذي ليس لي غيره ولا أعرف كيف أخرج منه . لا أعرف أين الباب . أعرف انه لابد ان يكون هناك ، ولكني لا أعرف طريقا اليه ، أي طريق .

كأنني خرجت من تحت سقف المحطة الزجاجي العالي ، وكأن أمي واخواتي البنات الاصغر مني قد خلت منهن المحطة ، وتركتني وحدي . أتلفت حوالي ، تحت

محطة السكة الحديد

قصة ادوار الخراط



ضغط اللهفة المحكوم الهادىء ، ولا ارى سور المحطة من وراء الارصفة المتكررة ، رصيفا بعد رصيف ، على يميني وعلى شمالي ، بلا آخر . القضبان الحديدية بينها ساقطة على الارض ، مدورة ، ملتوية ومستقيمة ، متشابكة ومتوازية ، عيناي تعرفان مدى صلابتها التي لا يمكن أن تنكسر ، شديدة اللمعان من فرط احتكاك العجلات الدوارة بها ليل نهار ، الاقراص الحديدية الهائلة التي لا تقضم منها جذاذة ولا تصنع شرخا ، بل تزيدها عنادا . والقطارات الضخمة سوداء ، مربوطة بلا جدوى بقاطراتها الهامدة ، لا أعرف من فيها .

يجب عليّ أن أجد الشباك الذي أقطع منه تذكرتي . شبابيك التذاكر حوالي من وراء قضبانها الوثيقة المتقاربة ، منيرة ولكن مغلقة ، ليس فيها وجه ، ليس فيها امل . والوقت يفوت ، والساعات الكبيرة المدورة الوجوه ممسوحة ليس فيها عقارب . ولا أجد من أسأله .

كنت أعرف أن الباب هناك تحت ممر واسع ومرتفع ودائري العَقْد والهواء فيه نظيف ، في وسط جدار المحطة الداخلي السامق العريض الاحجار ، وانه مغلق الضلفتين ، ومصنوع من الحديد الرقيق المشغول ، أطرافه المدببة على شكل السهام المرشوقة في اعلاه ، مطلية بالذهب ، ولا يفتح الا عندما يأتي الملك في قطاره الابيض ذي الشرفات المزركشة . ويفرش البساط الاحمر ويمتد تحت قدميه من عتبة القطار على طول الرصيف وعبر الباب والممر العريض المنير حتى الساحة الخارجية

وتمتلىء المحطة بالجنود والزهور في صفوف وثيقة ومتلاصقة لا ينفذ منها شيء . ولا يقف عمال الابواب على رؤوس الارصفة عند الحاجز الحديدي المنخفض ، لا يثقبون التذاكر بمقراضهم الحديدي الشرير الشكل ولا يقتضونها منك عند الخروج ، فلا يمكن أن تدخل او تخرج الآن . مرة واحدة لمحته من بعيد ، الملك ، من بين ظهور الجنود والناس الواقفين بجلابيبهم وطرابيشهم وعمائمهم وشيلانهم وربطات العنق الرفيعة الضيقة الخناق ، ورأيت اهتزاز ذيل « السموكنج » الطويل الذي يلبسه على جسمه الثقيل ، غريبا على ساقيه المثلثتين ، وجانبا من وجهه المحتقن المزدحم بالدم ، وشاربه القائم بذؤابتين رفيعتين مشدودتين « بالكوزماتيك » المشمع . كان أبي يقبض على يدي بقوة ، ونحن نخرج في الزحام ، وأشم الرائحة الحريفة من معطفه وسجائره ورجولته ، وهو يمسك بعصاه الرفيعة السوداء الحديدية الكعب ذات المقبض الابيض المحفور بزخرفة عرفت عندما كبرت انها اسمه « فلته فلتس » من العاج المخروم . كان في ميدان المحطة قره قول من تلاميذ المدرسة الحربية بالشريط الاحمر الذي يشق البنطلون الداكن الضيق المستقيم حتى تحت الحذاء الاستيك اللميع ، وبلوك من الجيش البريطاني ، وموسيقى القرب الاسكتلندية بأصواتها الثاقبة المملة ، والجونلات ذات الطيات المتعددة



وقطرات العرق تتفصد ببطء على الوجوه المحمرة ولا يمسحونها . والموسيقى النحاسية تضرب بفرقعات بهيجة وايقاع واحد لا يتغير . وجندي قصير يحمل طبلا ضخما على بطنه الكبير يدق عليه بانتظام دون توقف ، كأنه وحده في العالم .

جنود بلوك النظام ينزلون جريا من عربات الجيش المربعة العمودية الجوانب ، على سلالم قصيرة مثبتة في مؤخرة السيارات ، ويطاردوننا ، بقمصانهم الطويلة المهدلة وسراويلهم التي تنزل تحت الركبة بقليل ، وسيقانهم السوداء مربوطة بلفائف « الألثين » الكاكي الرمادية التي ترتفع الى ما تحت الركبة بقليل . ونحن نجري في ميدان المحطة الفسيح بين عربات الترام الصفراء اللون التي توقفت ، واحدة بعد الأخرى ، على خطوطها ، والناس ينظرون منها بفضول . وكان تلاميذ المرقسية ورأس التين قد انضموا الينا . وكنت أهتف ، ولا أسمع صوتي : تحيا فلسطين . يسقط وعد بلفور . الاستقلال التام .. حملت العلم يا عبد الحكم .. الشمس حارة في دمائنا ونحن نجري . والشتائم البذيئة من العساكر تلاحقنا ، والعصى القصيرة في أيديهم . وكانت الشتائم موجعة جدا . والغضب يلف العالم ، ولا ينجاب أبدا .

كان الجدار الخارجي الجانبي للمحطة ، أمام باب الدرجة الاولى ، يرتفع حتى الشارع العلوي تتخطر عليه عربات الحنطور التي تبدو صغيرة ، وأجراسها دقيقة مصلصلة الصوت ، فوانيسها النحاسية الامامية بزجاجها المصقول المكعب المسطوح كأنه معمول من ماس كثيف ونقي تحبس شعلات صغيرة صفراء محمرة تتقد في النهار . وقع حوافر الحصان على بازلت الطريق له موسيقى رشيقة . وكنت أنظر الى إعلانات « شركة الادرياتيك وتريستا للسفريات والملاحة » ، والباخرة تمخر مياه الحلم المتموجة بزرقة فاتحة الصبغة ، دون أن تتحرك ، مستقيمة الخطوط وهفهافة الريح في وقت معا ، ثابتة في سرعتها الساكنة التي لا زمن فيها ، ونوافذها ، في البطن المسطح ، بصفحته المستوية ، فتحات كاملة الاستدارة ومسدودة بلون الزجاج المعتم الشفافية .

كنت أرقب « الدبور » الذي صنعته من ورق كراسات المدرسة ، مدببا أبيض حاد المقدمة ، أشد طيرانه بالخيط الطائر في السماء ، بحزم ورفق ، فوق رؤوس النخل ، وأنا على سطح بيتنا في غيط العنب . وقلت لنفسي بفرح انني عندما أكبر جدا ، واصبح في العشرين ، سوف أسافر في بعثة ، كما سافر رفاعة رافع الطهطاوي ، الى مارسيليا ، وأركب البحر على باخرة شركة الادرياتيك وتريستا ، وأعرف فنون الحرية في باريس كما لم يعرفها أحد في مصر قط . وكنت أعرف انني لم أركب هذا البحر ، ولم أمخر عباب هذه الحرية ، وان القلب الطفلي ما زال يطفو فوق أحلامه القديمة وان كان الآن قد تصدع بشقوق رقيقة وقاتلة .

أنزل السلم العريض بدرجاته الحديدية المفتوحة ، لأقدامي عليها رنين معدني ، كسلالم الحريق . سياجه الدائري يهبط معي الى دور سفلي في المحطة معقدة المسالك ، خاويا أيضا ، متكرر الارصفة ، أيضا ، بلا نهاية . والسماء نفسها فوقي ، وفوق الارصفة العلوية الاخرى ، منفصلة لا تزال ، لا يهب فيها النسيم .

وأجد امامي المصعد الكبير الذي ينزلق على بابه الحديدي المصمت ، بهدوء وثقة في مجراه المحفور ، ويصطك بالجدار المعدني بصوت ثقيل نهائي وفي الهبوط البطيء احبس في قلبي الروع الذي يريد أن ينفجر . هذا الباب لن ينفتح على قط . لن يسمع أحد صوتي عندما أنادي النجدة . لن ينجدني العالم .

وتسكت حركة المصعد الفسيح ، وتمر ثانية واحدة ، كأنها لن تمر ، من الصمت التام . الباب مغلق . لا ينبض .

ثم يرتعش الباب ببطء ، على الرغم منه ، وينزلق مفتوحا .

وأفلت منه كأنما خرجت من قبر ذي أصداء ، مضيء بمصباح كهربي مدور تتحلق به شبكة أسطوانية من الاسلاك الحديدية عليها سحابة ضعيفة الحركة من الهاموش .

وتمتد أمامي الارصفة المتكررة المفتوحة مرة أخرى . وتزداد السماء وليلها الملتبس ابتعادا . الادوار العلوية ، دورا فوق دور ، مدكات شاهقة من الاسمنت مغلفة باحجار البازلت اللامعة .

لا اريد الاستسلام للفزع الذي في ساقي ، ولا أريد أن أجري في شوط لا أعرف له وجهة ولا نهاية . أرفض اليقين الذي في جسمي بأنني ضللت الى الابد بين هذه الامتدادات الشاسعة من الارصفة المتعاقبة والمتقاطعة والمتراكبة ، بين اسوار البازلت الشاهقة ، ترتفع عليها مصاعد البضاعة الهائلة وتسقط مغلقة الابواب .

العناد ، كاليأس ، لا ينكسر .

صفارة القطار تنطلق فجأة في الصمت المعتم الرحيب التي تقطعه مصابيح عالية صغيرة . ويتردد لهذا

الصوت الوحيد صدى أجوف الصدر ، يصطدم بالسقف الزجاجي المحدب البعيد ، قضبانه العلوية المتشابكة في نسق هندسي رقيق التصميم ، تبدو مفصلاتها القوية العضل هشة وحساسة أمام عيني المرفوعتين .

والقطار يتخم نفسي ، أخيرا ، بدقاته الرتيبة ، مرة أخرى ، كأنها دائما هي المرة الأولى . وهو ينطلق في نور الظهر القاسي ، بايقاعه المتراوح الذي يتضخم ويتفجر في خبطة مكتومة ثم يهبط ، يتضخم ، ويمتلىء ويفرقع في هدة مكبوحة ، ثم يخفت . هزيمه المتصل المتناوب الصدمات يصطفق في داخلي ، دون هوادة ، في عزم ليس له انقطاع .

أسأل نفسي السؤال الممزق ، وأنا صامت ، جامد الجوارح : أين يقف هذا القطار ؟ واذا وقف ، فكيف أعرف انها محطتي ؟

ايقاع دقات العجلات على القطار ، منتظما ، لا يفرغ ، وطنين المحرك المليء بالقوة لا يبالي شيئا ، هو صمت خاص .

الزجاج المحكم على السخونة المفهافة في العربة المكيفة الهواء يبدو منيعا ، لا يخترق .

وكأنما على الرغم مني ارتفعت يدي ، لا أملك لها ردا ، تبحث وتتلمس بلهفة مضغوطة متطلبة . يدي تريد أن تجد مقبضا أمسك به ، مفتاحاً أديره ، زرا كهربيا أضغط عليه ،حلقة معدنية أجذبها ، أريد أن أفتح الزجاج ، أتنشق الهواء البارد الذي أراه يهز أشجار الغيطان وعيدان الذرة ، أعرف نسمته المتربة المحببة . لا يُنال .

جدار القطار المعدني ، منبسطا وناعما ، ليس فيه أدنى خدش ولا نتوء ، لا يقطع سطحه المصمت شيء . والستائر الكريتون الصفراء بلون المستردة الغامق تنسدل على جانبي الزجاج بريئة ، بيتية ، أحس فيها مع ذلك قصدا خبيثا ، وهي مصنوعة بمكر وأناقة متكررة ، كلها متطابقة .

ترتفع يدي مرة بعد مرة ، بارادة خاصة ، أكابد الحيرة التي لا تنقضي . وأجاهد حتى لا تبدو عليَّ هذه المكابدة الوحيدة ، فأسترق النظر الى الركاب الصامتين ، كل منهم وحده ايضا . حتى الأزواج والرفقاء ، متفارقين . وأعرف أنهم يسترقون النظر اليَّ ، في أعينهم اتهام غير معلن ، مترصد ، هل ينتظرون اللحظة التي يفصحون فيها عن شيء كالاثم قد اقترفته . لا أعرف ما كنهه ، لكنى أعرف انه هناك ؟ وأفاجيء نفسي بالسخرية من نفسي : تظن نفسك من أصحاب الآثام . وتظن ذلك بطولة مقلوبة على وجهها ، من غير شريك ؟ والشركة في الاثم لا هي تبرئك ولا هي تمجدك .

وقلت لنفسي ليس بين هؤلاء الذين يركبون معي من يثير الاهتمام .

هذه المجموعة المعتادة من ركاب « الديزل » الدرجة الثانية المكيف : أواسط كبار الموظفين بعيونهم المتورمة وذقونهم المتهدلة اللحم وحقائبهم « السمسونايت » الاصلي والمقلدة التي تحمل أوراق الادارة أو الشركة أو تصميمات المشروعات المربحة للجميع ، وضباط الجيش الشبان ، والذين ليسوا شبانا جدا ، بملابسهم الكاكي المكوية وقد خلعوا الكاب ووضعوه على الرف العلوي المزدحم بحقائب جديدة صغيرة ومتوسطة وبأكياس النايلون المنبعجة بما فيها ، والزوجات ـ أو غير الزوجات ـ المنهكات جفت النيران الوجيزة التي عرفتها بسرعة ، مكحولات ومصقولات الخدود وشفاههن داكنة الاحمرار بالماكياج المستورد ، صدورهن المشدودة لم تعد لها جدوى ، والمقاولون ، والسماسرة والتجار ورجال الوكالات وشركات التصدير وخصوصا الاستيراد ، لاتخطئهم العين ، ملابسهم غالية ولكنها مازالت توحي بالجلباب الحرير والقفطان الشاهي والمعطف البلدي ، عيونهم صلبة ومعدنية . وقلت لنفسي لا ، لا يهمونني ، لست منهم . وأعرف أنني لا اختلف عنهم في شيء . ولعلهم يعرفون أنني معهم . وقلت لنفسي لا ، لست منهم ، لست انا . ثم قلت لنفسي ومع ذلك فانت هنا ، معهم ، في قطار واحد ، وعربة مكيفة الهواء واحدة ، وسوف ينتهي القطار بنا جميعا الى محطة واحدة . ويداي تحترقان فجأة برغبة لاجدوى منها في أن أجد مفتاحا يشق انسداد هذا الزجاج المغلق عليَّ وعليهم . ورأيت فأس الحريق الحمراء الصغيرة ، في صندوق زجاجي مغلق باطار معدني من الالومنيوم الثقيل ومعها تعليمات مطبوعة عن كيفية استخدامها عند اندلاع النار . أين رأيت هذه الفأس ؟

هل يمنعوني من النزول عندما تأتي محطتي ؟ وما محطتي هل يعرفون انني ليس معي تذكرة ، يعني أنه لا مكان لي هنا ، في حقيقة الامر ؟ وهل هذا صحيح ؟ لا أذكر هل اشتريت تذكرة ، ولا أريد أن أبحث عنها الآن في جيوبي ، في المحفظة ، بين صفحات مذكرة الجيب ، لا أريد أن أثير شبهاتهم ، لا أريد أن أستعدى اتهامهم ، لا أريد أن أستفز هجومهم . لست أخافهم ، صحيح ، لكن ما الداعي لانواع من سوء الفهم وتخبط المقاصد ؟ سأنتظر حتى يأتي المفتش وتنتهي المسألة ، إما ان أجد التذكرة أو أدفع الثمن مضاعفا ، والغرامة ، وبدل

التكييف والدمغة والرسوم . أم ان المفتشين يرفضون قبول الثمن ، ينتظرون حتى الوصول الى أول محطة ، ويأخذون المسافر الذي اقتحم القطار الى مكتب الناظر .. لكي .. ما هي الكلمة ؟ لكي .. لكي .. يُطوّق .. نعم هذه هي الكلمة . يطوّق ، أو يحبس .. لا .. لا .. كان هذا من زمان . في طفولتي . اليس كذلك ؟ لم يعد الامر الآن على هذا النحو . لم هذا الفزع المستكنّ لا يريم ، بذرة أثرية قابلة للانفجار ، لا تريد ان تتفجر عن شجرتها السامة ، ولا تريد ان تموت . غريب ان المفتش لم يجيء حتى الآن . لابد اننا سافرنا ساعات وساعات . هذا القطار مباشر صحيح ، لا يعرج على المحطات الوسطى . إلام يذهب ؟ ماالمحطة التي يجب على ان انزل فيها ؟ عندما تأتي سوف اتعرف عليها . سوف اعرفها سوف اعرف اسمها . من شكل الارصفة ، وشبابيك التذاكر ، والابواب الجانبية ، والسقف ، سوف اعرفها ، من نداءات الحمالين ، ممن ينتظرون . يجب ان اعرفها .

كان القطار قد ارتفع فجأة فوق جسره ، يتسنم طريقا له وحده وهبطت الاشجار تحتى ، ورأيت ذؤاباتها الكثيفة تنوس برشاقة غير انسانية موسيقية ، خبطات القطار قد ازدادت عمقا ، ولها صدى ، وهو يشق السماء المحايدة المحجوزة وراء الزجاج المسدود . حدائق البرتقال تمتد تحت الجسر ، تبدو نائمة ، شجرها قصير ومدور ، وخضرتها داكنة والحبات الصفراء المخضرة مرشوقة في الكثافة التي تنضم عليها ، بنهم ، كأنها ملصقة هناك ، غير حقيقية ، فواكه الشمع التي كنا نضعها في فسحة بيتنا وانا صغير ، خداعة لا تؤكل ولا رائحة لها . وعلى حواف الجناحين اشجار الموز القميئة ، مفلطحة الاجنحة ، عقيمة ، تآكلت اطراف ورقها العريض الذي يتهدل هش النسيج . والطرق تتشعب ، تحت جسر السكة الحديد ، الى مفترقات وممرات ضيقة بين الغيطان الصفراء المحشوشة الزرع ، والبرك الصغيرة بمائها الاسود الراكد عليها وز قليل يجرى فجأة مفزعا لا أسمع صوته ، تحت اسوار حجرية تعلوها اسلاك حديدية مدببة ، تحيط بخرابات مهجورة فيها طوب وكتل من الاسمنت ولافتات زرقاء واسعة تحمل بالحروف الانجليزية والعربية اسماء شركات وبنوك ايرانية وسعودية مصرية مشتركة ونوايا مصانع لاجهزة التكييف وثلاجات للخضر والدواجن ومناطق حرة للتصدير والتوريد ، وربوة مضطربة الارتفاع تأتي فجأة ، وعليها الشواهد ومكعّبات القبور المحدبة جديدة التلوين ، تحت شجرة الجميز العتيق .

وخطفت تحت بصرى فجأة ، على حافة الترعة البطيئة الجريان ، سيارة مرسيدس واقفة متنمرة ، فاجرة اللمعان تحت ورق الموز المسطح الجاف ، وبالقرب منها نساء سمينات وجوههن كالخزف الاملس ، مشقوقة الافواه والعيون ، يأكلن بتصميم وصمت من طواجن متعددة ، يجلسن على ملاءة سرير وردية اللون مفروشة على تراب الغيط ، وايديهن لا تتوقف ، تحمل قطعا كبيرة من اللحم والخبز الملء بالطبيخ الى الافواه المصبوغة وكانت افخاذهن عارية وسمراء وكثيفة في جلستهن على الارض ، وأولادهن يتحلقون حول الطواجن وتراميس الماء الكبيرة البطون . وبينهن فلاحات عجائز ، كأن اجسامهن خشبية ، بالطرح السوداء الجديدة ، يقفن غير بعيد ، بلا حركة . اندفع القطار ، وارتفعت وجوه النساء اليّ ، الافواه تتحرك ، والعيون جامدة من اللذة المكررة المعتادة ، واختفين وراء القطار .

نافذة القطار المزدحم مفتوحة ، وانا اقف بين الناس والقفف واللفف والربط والسلال والحقائب الكرتون المقوى المصبوغ بلون الجلد ، أضع قدما واحدة على ارض القطار المهتز ، واستند بذراع اثقلها التعب والتوتر على مسند المقعد الخشبي وراء رؤوس الفلاحين واولاد البلد المتلاصقين باللبد والطواقي والطرابيش ، وقدمي الاخرى مرفوعة محشورة بين السيقان والشنط والكراكيب التي يكتظ بها ممر العربة . الرياح يجرى تحت القطار بمياهه الحمراء عفيّة العضلات ، أمواجها الصغيرة تسابق القطار وتتقلب عليها كتل صغيرة من الطين والقش والاعواد الخضراء . هواء العصر في هذا اليوم من اواخر سبتمبر يهب على وجهي ، باردا وقويا ، من النافذة الخشبية المفتوحة ، ويدخل بنفث الدخان الدقيق الذى أحس ذراته السوداء على يدى وأعلى صدرى تحت القميص غير المكوي المفتوح من غير كرافته ، والجاكتة الصوف الجاهزة . الاشرعة البيضاء شامخة فوق اجسام المراكب المدبية الصدر ثابتة الجريان على مياه الترعة التي تبدو فجأة ضيقة ومزدحمة .

قرقعة القطار لا تتوقف ، والافندى ، بجانبي ، يتحدث بثقة من تحت شاربه الكث ومن كرشه الكبير ، ويقول لفتى اسكندراني امامه ، ملوح الوجه وأزرق العينين ، باللاسة اللامعة واللباس الاسود الواسع المتهدل الطيات ، أن الحكومة عملت وزارة جديدة اسمها وزارة التموين ، وسوف تعطى الناس كوبونات للجاز ، وبطاقات ، دفاتر صغيرة مخصوصة يعني ، فيها اسماء العائلة وتصرف لهن السكر والزيت بها . وامرأة ممتلئة القوام في ملاءتها التي تراخت على كتفها ،

وكشفت عن صدرها النازل من فتحة فستانها الواسعة ، مصمصت بفمها الشهواني ورفعت حاجبيها المحفوفين ، قوسين رفيعين على عينيها اللامعتين من الالتصاق باجسام الرجال ، تحت قمطة شعرها المحبوكة على جبهتها المدورة وسألت : كيف تترك الواحدة أسياء ضناها ، اسم الله عليهم ، عند الحكومة والبقالين ومن يسوى ومن لايسوى ؟ هذا لا يرضي ربنا ، حتى . ونظرت الى الولد الاسكندراني العشرة الى جانبها ، بطمع صريح . وتذكرت أمي . وكانت صحوة رجولتي الجديدة مذنبة . وكان جسمي كله مشدودا من الوقفة المتزعزعة والزحمة واليقظة في الفجر وركوب الحمار مع أختيّ الصغيرتين وانتظار القطار الفرعي في محطة كفر داود الذي يتوقف كل خمس دقائق ، ثم الانتظار في محطة ايتاي البارود للحاق بقطار الاسكندرية . ولم نكن قد أكلنا الا القراقيش التي عملتها لنا جدتي باللبن الرايب والزبدة ، وأوصتني على اخواتي ودعت لى بأن يكتب لى في كل خطوة سلامة وان يحوطني ، بحق ابنه يسوع ، ببركه الصليب في كل مطرح احط فيه رجلي ، وقبلتني على خدى بشفتيها الجافتين . وشممت رائحة الحطب والخبز من طرحتها السوداء وهى تضع حولى ذراعيها الصغيرتين .

أستند بجزء من ظهرى الى القفة الكبيرة التي وضعنا فيها الوزة المذبوحة المنتوفة الريش ، والقراقيش ، وصفيحة الزبدة التي سوف تسيّحها أمي لتعمل منها السمنة والمورتة ، وأستند بجزء من جنبي الى حقيبتنا الكبيرة التي ربطنا فوقها ، بدوبارة غليظة ، لحافنا القديم . ولم يكن اللحاف نظيفا جدا ، كنا قد تغطينا به منذ كنا صغارا جدا ، انا واخواتي ، عاما بعد عام . والهواء يندفع من نافذة القطار فيفضح رائحة اللحاف . والفتاة التي تجلس امامي ، ملتصقة جدا بأختي من ناحية ، وبالست العجوز المهدمة التي لا بد انها أمها ، او خالتها ، من ناحية اخرى ، تحولّ وجهها عن الحقيبة كلما انحرف القطار في طريقه فاشتد تيار الهواء . واحس العرق الخفيف يحز وجهي بفتات دخان القطار الدقيق . وكان وجهها جميلا وسمرتها صافية وحيّة ، وعيناها حادتان متقلبتان بموج صغير فاتح الخضرة . وجسمها المزحوم يبدو لعيني قويا ومتوفزا ، مدور البطن ، وكان صدرها كبيرا ومحبوكا ومثيرا . وتنظر الىّ ، ولا أجرؤ على فهم ما تقول عيناها . وقلت لنفسي هل هى تلميذة بالثانوي تعود للمدرسة ، مثلنا ؟ أو بائعة في صيدناوي ، مثلا ، او هانو ؟ وسرحت في قصة عن أنها تحب ولدا مثلها وانه يحبها ويشتاق اليها . وقالت لي فجأة بصوت غاضب الا أستطيع أن أزحزح هذا من أمامها ؟ ألم يكن هناك مكان آخر أضعه فيه ؟ وأصابعها المكتنزة الدقيقة الاطراف بعيدة كأنها تخترق ، جارحة ، ربطة اللحاف التي يضطرها الزحام ان تضغط بساقها عليه . فرددت عليها بصوت هادىء ومؤدب ومثقف انني متأسف ولكن الامر لم يكن بيدي فقالت بصوت حار وثاقب ان هذا غير ممكن وغير لائق حتى . ووجدت نفسي أجيب بصوت مستثار ومستفز أنها ترى بعينيها هذه الزحمة وانها لو تستطيع ان تجد طريقة فلتتفضل بأن تقولها ، وقالت هذه الربطة هل يعني من نصيبها ان توضع أمامها ، وما هذه الربطة ؟ أهذا يصح يعني ؟ ولم أنتبه الى ان سؤالها كان سؤالا حميا ، وكانت عيناها الآن مشتعلتين وكان صوتي الآن عدوانيا ومهاجما وأنا اقول انه يجب ان تتحمل بعضنا ساعة زمن على اقل تقدير وانني لست السبب في قيام الحرب وزحمة القطارات وان المسألة ليست ما يليق وما لا يليق بل مسألة ظروف لانتحكم فيها . وضبطت نفسى اوشك ان أفلسف اخلاقيات زمن الحرب فسكت مرة واحدة وسكتت هى بعد ان تنبهت الى الناس حوالينا وكانوا ينظرون الينا . وكانت السيدة الملفوفة التي تبدو في عنفوان نضوجها المتأخر قد مالت على الولد الاسكندراني جارها ، تتابع الخناقة ، ورفعت يدها تسوى مدورتها بسرعة على شعرها ، وانحدرت الملاءة السوداء على ذراعها العارية البيضاء المتموجة المياه ، وكان جانب ثديها الآن ملتصقا بكتف الفتى وبدا كأنه محبوس وممتلىء . وعادت قرقعة القطار تتتابع وتدق ، مرتفعة مرة أخرى ، وتغرق همهمة الكلام ونداءات الباعين الذين يقفزون وينحشرون بين الركاب والقفف والحقائب ، يحملون على رؤسهم مقاطف اليوسفندى الطازة العشرة بقرش . واكتشفت فجأة وهى تنظر الىّ بعينها الخضراوين ، فيهما غضب وفهم ، انني متوتر وصلب جدا ، وان بطنها دمث وراسخ ، وصدرها يهتز ، بثقة ، مع هزات القطار الرتيبة .

عندما ماتت اختي بالتيفويد في آخر ذلك العام تذكرت نظرتها الوديعة الىّ وهى بجانب هذه الفتاة ، كأنها تغفر لي ، وتذكرت اننا لن نجد عربة حنطور تقبل ان تحملنا الى البيت من المحطة بثلاثة قروش وهى كل ما كان معي ، وانني حملت الحقيبة وتركت لها القفة الكبيرة وكانت ثقيلة عليها ، فرفعتها وحملتها فوق رأسها ، وهى مازال طفلة بالكاد في الرابعة عشرة ، وكانت نحيلة وشديدة السمرة وشعرها مجعد وعيناها فيهما شجن لا أفهمه وهادئتان ، ومسحوبتان كحبات اللوز ، وصعيدية جدا ، وكانت أقربنا شبها بأبي . وبكيت عندما تذكرت كيف كانت تسير الى البيت بصبر

وصعوبة ، أمام المقاهي والدكاكين المنيرة المزدحمة في اول الليل ، وتقول أنها ثقيلة فأقول هاتت وسنصل بعد دقائق ، وكانت دموعي صافية لاول مرة وعرفت ان البكاء لا معنى له وان الالم الذى يمزق القلب شيء لا وزن له ولا يجدى شيئا عند أعز الناس الى القلب . وتعلمت شيئا آخر عن الوحدة . وانا أبكي الان ، بعد السنوات الطويلة ، بلا ضرورة أيضا . وكنت حزينا وأنا افكر انني سأجد اختي تنتظرني على الشباك وسوف أرى وجهها الصعيدى الناعم السمرة وعينيها العميقتين الخجولتين بسوادهما الذى تخفيه عني ، وانها ستقدم لى فنجان القهوة المضبوط الذى تعرف كيف تصنعه لى ، لكي أسهر طول الليل أنهي كتاب تاريخ الحضارة وأرده غدا للمكتبة البلدية . وقلت لنفسي انني لن اضربها على وجهها بعد الآن لانها تقرأ رواية غرامية من روايات الجيب وسأقول لها ألا تسهر تنتظرني حتى أعود بعد منتصف الليل وبعد ان ينام كل من في البيت وتعد لى عشائي وتسألني اذا كنت اريد فنجان القهوة المضبوط ، لا داعي ان تسهرى ، نامي أنت ، سأعد لنفسي العشاء . وكنت أفكر أن الحزن ورقة القلب غريبة وقد فات اوانها من زمن بعيد ، وليس لها الآن أدنى اهمية .

كان زجاج النوافذ مصمتا والستائر الكريتون الداكنة الصفرة تبدو كأنها ورق ديكور قديم وكركرة تكييف الهواء الجافة قد سكتت والناس صامتين يتحركون كأنهم مرغمون على النزول . ضباط الجيش من غيرة حماسة الآن ، والنساء اللاتي بهت الماكياج على عيونهن المرهقة الظاللة ، والمقاولين بعد غلظة الاكل والبيرة وحسابات المكاسب العقلية وغير العقلية راضين جدا ومثقلين بأجسامهم التي كأنها ماتت عنهم .

والقطارات المنطفئة قد توقفت اخيرا في ساحة المحطة الداخلية التي تتوقد فيها مصابيح متناثرة على اعمدة عالية ، بقعا باهتة تسقط ضوءا قليلا على القضبان الحديدية . وتعريشة نباتات طازجة الخضرة في السور المصنوع ، تتسلق على جدران كشك خشبي مفتوح الباب ، ووراءها أوراق التين الشوكي العريضة الكثيفة الجسد ، أيديها ممدودة مرفوعة مدببة السنان ، خضرتها غضة وشرسة وتوشك أن تنفجر بدمائها . أكوام تراب الفحم عالية ولامعة السواد بجانب ثمرات التين الشوكي المغلقة المستكنة بين لفائف الخضرة . القطارات قد أفرغت من سكانها ، ونوافذها فوهات محترقة وعليها سواد الدخان . والدبابات الفاتحة اللون في الليل يقظة ومعمورة ، خارج السور الحديدى الطويل ، مدافعها ثابتة تخترق الظلام ، مترصدة .

طلقات الرصاص بعيدة ، تتجاوب متقطعة لها أصداء تتردد بين الشوارع التى انحسر عنها الناس ، فاتسعت وهي تشق قلب المدينة الصامتة . والبيوت خارج سور المحطة مرصوصة ومتطابقة ومسدودة النوافذ ، غارقة في الماء ، مظلمة كلها ، أعرف أنها مغلقة على نفسها ، حقل من ازهار عباد الشمس الحجرية في الليل طوت أوراقها القديمة الصلبة على بذورها وتضامت أعمدتها الساقطة التيجان واقتربت بدون صوت من بعضها البعض فلم تترك بينها فسحة لاعتداء الليل .

وقع خطواتي ثابت وواثق على الحجر وأنا أرتفع ، في الظلمة ، على حافة بناء شاهق يقف على طرف جسر ترابي مرتفع ، وتحته الماء الراكد كأنه مرآة ساكنة السطح ، مدت عليه الواح من الخشب تصل بين الرصيف وحائط البناء المتين الاحجار . أصعد السلالم الخارجية المنحوتة خارج البرج ، من غير سياج ، كتلا صغيرة ضيقة وعرة ، مرصوصة فوق بعضها البعض ، من حجر أبيض ثقيل الملمس تحت قدمي .

أرتقي السلالم الحجرية بعزم معقود وأساسي ، وانا أرزح بالنشوة والغضب ، معلقا على حافة هذه السماء التي امتلأت بجسد الليل . أعرف انني لا أستطيع النزول ، انني لا يمكن ان أنزل الآن ، وانني أصعد الى هذا الوجه بسمرته الصافية ، وصوح عينيه ، الى هذا الجسم الناعم الراسخ الذى سيبقى معى الى يوم موتي ، وانه لا يمكن أن يفصل بيني وبينها شيء . ■■

ادوار الخراط

سؤال وجيه

● اخذت ام ايطالية تعظ ابنها الصغير مبينة له اننا انما وجدنا في هذه الدنيا لكي نعين غيرنا من الناس ، ففكر الولد قليلا ثم سألها في لهجة الجاد المهموم :

« وما الغرض من وجود غيرنا من الناس ؟ »

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. أما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي ٠ مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٥٨ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول يوليو (تموز) ١٩٨٠ .

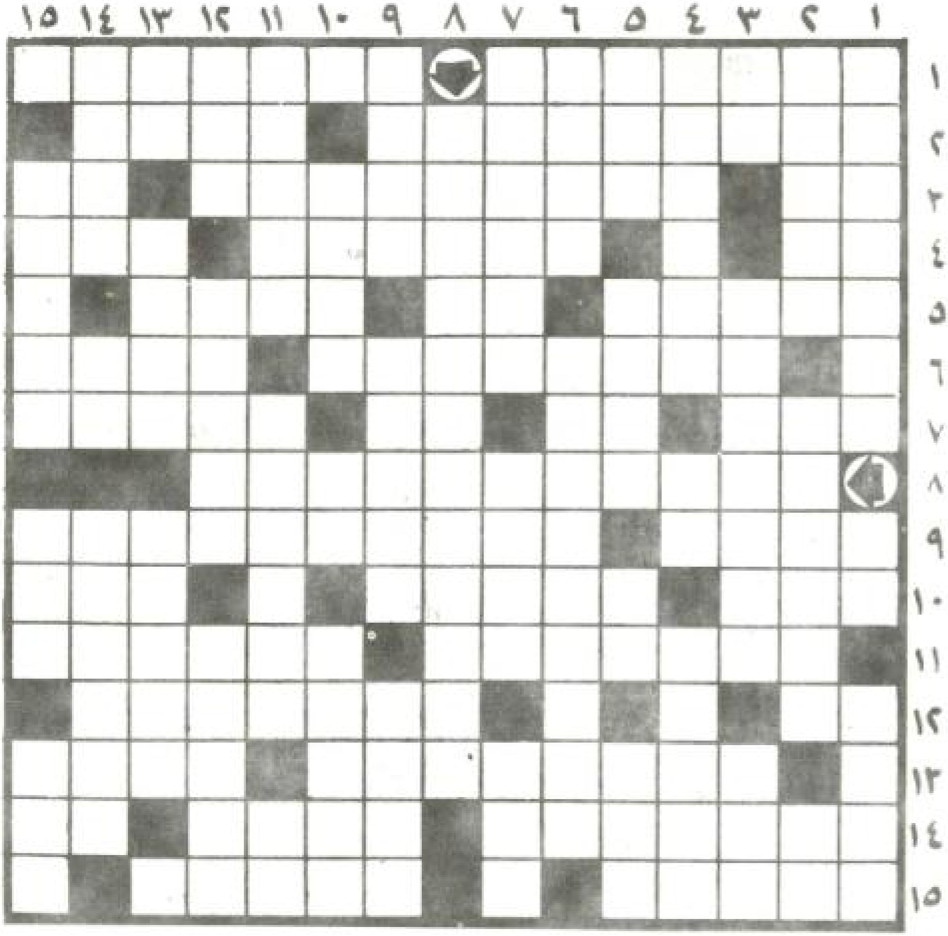
اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم واحد من أوائل المؤلفين في الاسلام ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم زعيم هندي راحل .

الكلمات الأفقية :

١ ـ حاملات العناصر الوراثية في الخلية الحية ـ تحدث في أثر بعضها .
٢ ـ أعلى شلالات العالم ـ عاصمة أوروبية .
٣ ـ اكتمل ـ موسيقى عالمي من أصل روسي ـ نصف كلمة (رقصت) .
٤ ـ حرفان متشابهان ـ يلاحظه ـ خلف .
٥ ـ تشارك ـ حرفان متشابهان ـ خراب .
٦ ـ شاعر ايطالي من القرن التاسع عشر ـ مست .
٧ ـ ضمير ـ نصف كلمة (سائد) ـ للتمني ـ مؤلف اغريقي تكلم بلسان الحيوانات .
٨ ـ من أوائل المؤلفين في الاسلام .
٩ ـ بحيرة افريقية ـ كتاب شهير لتشارلز دارون .
١٠ ـ لاذ ـ من الفواكه ـ حاكي .
١١ ـ تصنع فيا بينها زوايا قائمة ـ ولاية أمريكية .
١٢ ـ نصف كلمة (نعجة) ـ رسام معروف من عصر النهضة الايطالي .

كوبون مسابقة
العدد ٢٥٨



١٣ ـ من رواد التجديد الموسيقي في الوطن العربي ـ مسئوليات عمل .

١٤ ـ شاعر عباسي معروف ـ في القرآن الكريم ـ حرف نفي .

١٥ ـ أقل منها ـ في الذرة .

الكلمات الرأسية :

١ ـ من جمهوريات الاتحاد السوفيتي ـ أرض مرتفعة ـ من الحشرات .

٢ ـ حيوان ـ تنقض عليه ـ للتمني .

٣ ـ عظم ـ اتحاد بين نباتين يعيشان معا ـ من الدهون .

٤ ـ يتفاخر ـ حرفان متشابهان ـ خالفت أمره .

٥ ـ ضياء ـ أوان ـ حرفان متشابهان ـ اقترب .

٦ ـ ألوذ ـ مضيق معروف .

٧ ـ تنفيها ـ ترتقي ـ رضاب .

٨ ـ زعيم هندي راحل .

٩ ـ مزور ـ آلة تدور على محور ـ كلمة تحذير .

١٠ ـ يظهر ـ فك ـ أشيعه .

١١ ـ فوقهم ـ من الزهور العطرية ـ حرفان متشابهان .

١٢ ـ في الوجه ـ قطر عربي ـ اله الحصاد في عقائد الاغريق .

١٣ ـ قوام ـ من الحبوب ـ صيانة .

١٤ ـ في الكف ـ نصف كلمة (سوار ـ مجلة شهرية عربية .

١٥ ـ تراسل ـ خصم ـ من الاحجار الكريمة .

أديب فرنسي معاصر

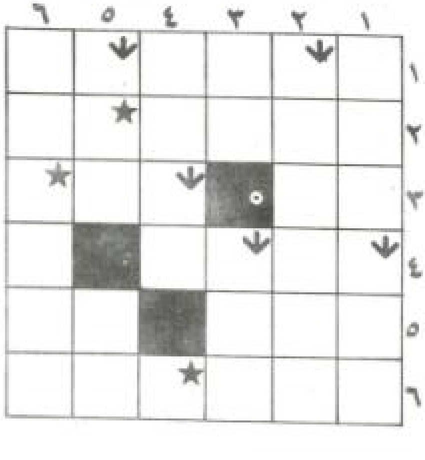
ابدأ بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات التي بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الأول لأديب وكاتب فرنسي معاصر . ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

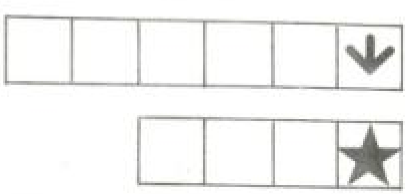
الكلمات الأفقية :

١ ـ من المضادات الحيوية .
٢ ـ دولة أوروبية .
٣ ـ لفظة ضيق ـ من امارات الخليج العربي .
٤ ـ من الفاكهة .
٥ ـ من الاقارب ـ مقام موسيقي .
٦ ـ تقهقرت .

الكلمات الرأسية :

١ ـ تضاف الى الطعام لتحسين مذاقه .
٢ ـ شهر ميلادي .
٣ ـ من الأمراض ـ ضمير .
٤ ـ عاصمة أوروبية .
٥ ـ يسير على قدميه ـ اترك .
٦ ـ نسيج صناعي .



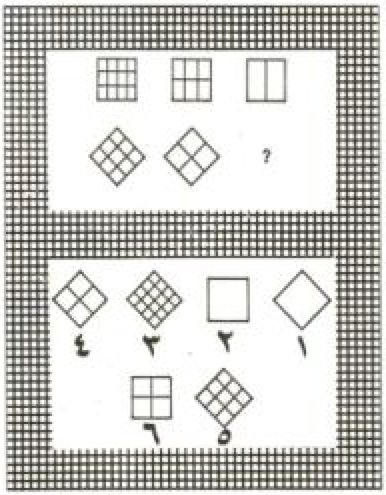


● اختبار معلومات ●

أين الصواب ؟ .. وأين الخطأ ؟ ..

هذه المعلومات بعضها صحيح ، وبعضها خطأ ، هل تستطيع التمييز بينها ؟ .

١ ـ فيلولوجيا : علم دراسة النصوص القديمة .
٢ ـ شق رولاند : خليج استرالي .
٣ ـ سيمون بالاس : واضع أسس علم السلالات البشرية .
٤ ـ ريفولي : معركة انتصر فيها نابليون على ايطاليا .
٥ ـ قطر الندى : ابنة الأمير خمارويه ، وزوجة المعتضد بالله .
٦ ـ سنحاريب : ملك آشوري قديم .
٧ ـ زواج أخضر : الاسم الشائع لكبريتات الحديد .
٨ ـ راديولوجي : علم اللاسلكي .
٩ ـ كاتوللوس : شاعر روماني قديم هجا يوليوس قيصر .
١٠ ـ لاكوست : غازي أوروبي قديم .



الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أي الاشكال ذات الارقام ، يحل محل علامة الاستفهام .

الحلول

النجمة والسهم :

اندري جيد .

اختبار معلومات :

كلها صحيحة فيما عدا :
(٢) شق رولاند : من نواحي المخ البشري .
(٨) راديولوجي : علم الاشعة .
(١٠) لاكوست : مبتكر صناعة السينما الناطقة .

الشكل المطلوب :

رقم ١ .

وست إند

تحفظ الوقت بدقة

الآن.. ساعات كوارتز الجديدة



الوكيل العام :

يعقوب يوسف بهبهاني

ص.ب : ٣٣٤ ـ الصفاة ـ الكويت ـ هاتف : ٤٢١١٢١/٤٢٣٥٨٥

استثمارات

أدخلوا مع ك.د.ب. الالمانية الغربية عالم استثمار الأموال في أسواق العملة العالمية.

فاستثمار الأموال في البورصات العالمية لم يعد حكراً على طبقة معينة فقط وانما تطور ليشمل طبقات رجال اعمال جديدة ظهروا على السطح بفعل الثورة الاقتصادية الحديثة. ونحن ندعوك لمشاركة زبائننا في ارباحهم الجيدة التي حصلوا عليها من خلال استثمار اموالهم لدينا. وقد حصل زبائننا على نسب صافية من الأرباح بلغت:

عام ١٩٧٦	عام ١٩٧٧	عام ١٩٧٨	عام ١٩٧٩
٪٣٩،٤٣	٪٤٣،٨٤	٪٣٣،٣٣	٪٣٤،٩١

معفاة تماماً من أية رسوم او ضرائب. اذا كنتم راغبين انتم ايضاً في الانضمام الى عداد زبائننا العرب والاوروبيين الراضين تماماً عن نجاحنا في ادارة واستثمار اموالهم في اسواق الانتاج العالمية فيمكنكم الاتصال بنا. ويسرنا ان نعطيكم المزيد من المعلومات في اللغتين العربية والانكليزية معاً. الحد الأدنى للمشاركة: خمسة آلاف دولار اميركي. نعمل في مجال الاستثمار وادارة الاعمال وبنجاح منذ عام ١٩٦٥.
اكتبوا الينا باللغة العربية او الانكليزية على العنوان التـــالي:

KDB DEPOTBETREUUNG GmbH

HANS-THOMA-STR. 19
P.O. BOX 700650
6000 FRANKFURT/MAIN 70
WEST-GERMANY

من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول مايو ١٩٨٠

العدد ١٢٨

من الأعمال المختارة

برانيسلاف نوشيتش - ٢

ممثل الشعب

ترجمة وتقديم : د. فوزي عطية محمد
مراجعة : د. سمية محمد عفيفي

رولكس "آرنولد بالمر"
دائمًا تدور ستين

في نادي غولف "بيركديل" الملكي لوحة تحيي ذكرى أشهر ضربات اللاعب "آرنولد بالمر".

حدث ذلك أثناء المباراة التي أقيمت عام ١٩٦١ في بريطانيا للاعبين المؤهلين فنيًا لدخول المباراة.

عندما انتهت رمية "بالمر" الخامسة عشرة - وكان "واي ريش" الويلزي يستحثه ويحفزه - بأن استقرت الكرة تحت شجيرة خفيضة.

وما أن امسك "بالمر" بالمضرب "رقم ٥"، حتى أدرك جمهور النظارة أنه يحاول قذف الكرة الى المرج الأخضر على بعد ١٥٠ ياردة.

وفيما بعد، قال "بالمر" أنه لم يسبق له أن ضرب الكرة بهذه القوة، حيث انه قطع الشجيرة بمضربه وفصلها عن الأرض وانطلقت الكرة بعيدًا نحو الهدف.

ضربات جريئة كهذه هي التي أكسبت "آرنولد بالمر" المقام الرفيع وجميع ألقاب البطولة في هذه اللعبة. والساعة التي يتقلدها شبيهة به من حيث القوة والدقة والشهرة.



إنها "رولكس داي - ديت" التي اكتسبت هي أيضًا أرفع مقام مستطاع ونالت لقب "الكرونومتر السويسري" الذي يصبو اليه كثيرون.

الواقع، وعلى الرغم من أن إنتاجها لا يشكل سوى جزء ضئيل من الإنتاج الإجمالي للساعات السويسرية، فقد حصلت رولكس على ما يقرب من نصف الشهادات التي منحت في أي وقت مضى لصانعي الساعات الكرونومتر.

عندما يقذف "بالمر" الكرة بمضربه تنطلق بسرعة ١٥٠ ميلاً في الساعة، ويساوي وزن قوة الصدمة الدافعة القصوى ما يزيد على الطن.

ومع ذلك، يستطيع "بالمر"، بضربة فنية دقيقة، أن يدخل الكرة في الحفرة ويحرز معها قصب السبق.

هذا الجمع بين القوة العارمة والدقة البالغة هو الذي جعل من "آرنولد بالمر" أشهر لاعب عرفته مضمار الغولف.

إحساس كهذا ليس غريبًا عنا.

ROLEX
رولكس



ساعة رولكس "داي-ديت" كرونومتر مصنوعة من ذهب عيار ١٨ قيراطًا، مع سوار مثلائم

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس

مع

لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطها ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني.

لومبارد نورث سنترال عضو في أحد مجموعات البنوك المصرفية العالمية ولدينا تاريخ يرجع إلى أكثر من ١٠٠ سنة. نمدكم بتسهيلات ايداعية تعود عليكم باقصى فائدة مع مرونة الاختيار وضمان لأموالكم. لدينا ودائع لأفراد ومؤسسات من جميع انحاء العالم.

٪١٥

في السنة

ايداع محدد لمدة سنة.

تدفع كل الفوائد بدون خصم أي ضريبة.

أسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة.

اختاروا المنهج الملائم لاحتياجاتكم:

نقدم لكم ثلاث تسهيلات ايداعية لكل منها شروط متعددة ملائمة لاحتياجاتكم الخاصة.

ايداع ذو الأخطار:

بحد ادنى ٥٠٠ جنيه استرليني ويمكن الاضافة اليه أي مبلغ وفي أي وقت كما ويمكن السحب بعد الاخطار في اخر المدة المتفق عليها. تستحق الفائدة اعتبار من تاريخ الايداع وتدفع نصف سنويا أو تضاف إلى الحساب.

ايداع ذو مدة محددة:

بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني بمدة محددة من سنة إلى خمس سنوات بسعر فائدة محدد في هذه المدة. تدفع الفائدة نصف سنوية أو سنويا.

ايداع ذو دخل منتظم:

بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني. هذا المشروع يؤهلكم باستلام شيك بالفائدة كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل نصف سنة. ونسبة الفائدة تزداد تدريجيا حسب المدة التي تختارونها. تودع الأموال لمدة محددة تتراوح بين السنة والخمس سنوات بسعر فائدة محدد لهذه المدة.

لتفاصيل أكثر من برامج حسابات الايداع وأسعار الفوائد نرجو ان تملؤا الكوبون وارساله لنا اليوم.

Lombard North Central
Bankers

إلى:

LOMBARD NORTH CENTRAL LTD., DEPT. W182,
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND.
Telephone: 491 7050.

الاسم: ________________

العنوان بالكامل: ________________

____

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - دولة الكويت

مايو - أيار
١٩٨٠ م

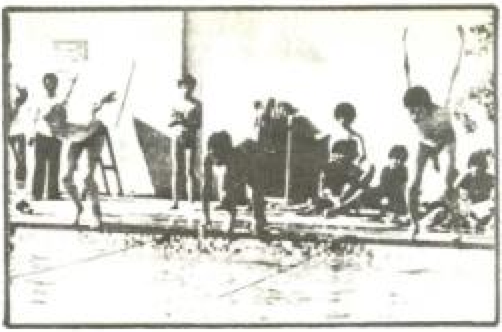
العرب والتحدي

تأليف:
الدكتور محمد عمارة

الكتاب التاسع والعشرون

٢٥٠ فلساً

المراسلات:
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت



COPFORD COLLEGE, ENGLAND



كلية كوبفورد الداخلية بانجلترا

دورات لتعليم الانكليزية أثناء الاجازة الصيفية

تمة دورتان للاجازة الصيفية ، احداهما للطلبة الذين تتراوح اعمارهم ما بين ١٠ و ١٤ سنة ، والاخرى للطلبة الذين تزيد اعمارهم على ١٥ سنة ـ وكلتاهما تيسر فرصة فريدة للطلاب الذين يلمون بعض الشيء باللغة الانكليزية او لا يلمون بها اطلاقا . ومدرسونا المؤهلون خير تأهيل ، خبرة وتخصصا ، في تعليم الانكليزية كلغة ثانية يقدمون دورات تعليمية مكثفة . ويعقد اختبار للطلبة عند وصولهم لالحاقهم بمجموعات تناسب مستواهم في اللغة ولا يزيد عدد الطلبة في كل مجموعة على ثمانية . ويتيسر مختبر للغة ذو ١٢ مقصورة للدراسة الشفوية ، بالاضافة الى جميع وسائل التدريب الحيوية العصرية الاخرى التي هي تحت تصرف الطلاب .

وتعد الكلية فريدة من نوعها اذ تنظم دروسا خصوصية اثناء وقت الفراغ لمن يرغب من الطلبة وخاصة الذين يحتاجون تقوية لامتحانات الملاحق او امتحانات القبول بالجامعات او المدارس بانجلترا .

وتحتل الكلية بقعة مثالية في قرية كوبفورد التي تؤلف مجتمعا وديا غير فاسد في قلب مقاطعة اسكس الريفية .

ومع ذلك فانها لا تبعد عن لندن سوى ساعة واحدة بالقطار . وتقوم كلية كوبفورد وسط منطقة مساحتها ٢٢ فدانا من الحدائق والاحراج ، وتتيح الفرصة للطلبة الذين هم في العاشرة ويزيد ـ بينما هم يتعلمون الانكليزية ـ ان يتشربوا طريقة الحياة البريطانية : ثقافتها ، وتقاليدها ، والهوايات التي تمارس فيها في اوقات الفراغ .

وتشجع الكلية على بث روح الزمالة بين طلابها دون اية تفرقة في الجنس او العرق او الدين . والطلاب الذين ينضمون تحت لواء هذه الجماعة المتعددة الجنسيات لا يسعهم الا ان يتطوروا في جو مفعم تماما بالتسامح والوئام .

وتنظم الايام بشكل يتيح للطلاب الانتفاع الكامل بوسائل كثيرة تتيسر في الكلية لاوقات الفراغ ، من امثال مسبح ساخن المياه ، وملاعب للتنس ، والغولف والكريكيت ، وكرة القدم ، والكرة الطائرة ، تنس الطاولة ، والرماية ، كما توجد سيارات سباق للطلبة سرعتها القصوى ٣٠ ميلا في الساعة وتتوفر فيها شروط السلامة ، وهناك فرص لركوب الخيل في ناد مجاور ، وايضا التجديف بالقوارب . وتنظم بالاضافة زيارات متعددة لاماكن سياحية .

وصحة الطلاب والترفيه عنهم هما في عداد المسؤوليات الاولية الملقاة على عاتق « الام الحاضنة » صاحبة الاختصاص في رعاية الصغار . وتقدم قاعتنا للطعام اطباقا خاصة تفي بشتى المتطلبات سواء من الناحية الدينية او الصحية . وتنظم وجبات خاصة للطلبة الذين يصومون رمضان ، كما تحتفل الكلية بعيد الفطر المبارك وتقيم حفلات لاعياد ميلاد الطلبة .

للحصول على معلومات اضافية يرجى الكتابة باللغة الانكليزية او باللغة العربية الى :

Mr. M. Ibrahim , Copford College , Colchester , Essex , England

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

KFAS

دعـــوة
الى الترشيح لجائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

تمشيا مع اهداف مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وتحقيقا لاغراضها في تدعيم الانتاج العلمي وتشجيع العلماء والباحثين . تقوم المؤسسة بتخصيص جوائز في مجالات العلوم والاداب والفنون وذلك وفق برامجها السنوية وخططها على المدى البعيد والقريب .

ومن خلال هذه الجوائز تسجل المؤسسة اعترافها بالانجازات الفكرية المتميزة التي تخدم التقدم العلمي وتساعد على النهوض بالمجهودات المبذولة لرفع المستوى الحضاري في مختلف الميادين .

أ ـ على مستوى الوطن العربي بما فيه الكويت :

تمنح المؤسسة في كل من الحقول الخمسة الآتية :

١ ـ العلوم الاساسية : في مجال العلوم البيولوجية Biological Sciences
٢ ـ العلوم التطبيقية : في مجال الهندسة المدنية Civil Engineering
٣ ـ الفنون والآداب : في الشعر الغنائي العربي Arabic Lyric Poetry
٤ ـ احياء التراث العربي والاسلامي : في تاريخ الرياضيات عند العرب History of Arabic Mathematics
٥ ـ العلوم الاقتصادية والاجتماعية : في مجال التغيير الاجتماعي في الوطن العربي خلال العقدين الماضيين Social Changes in the Arab Nation in the last two decades .

جائزة سنوية قدرها خمسة آلاف دينار كويتي (٥٠٠٠ د . ك) لكل من (واحد أو اكثر) اسهم بصورة رئيسية وقدم اضافات جديدة في الحقل . *

ب ـ على مستوى دولة الكويت :

تمنح المؤسسة في كل من الحقول آنفة الذكر جائزة سنوية قدرها خمسة آلاف دينار كويتي (٥٠٠٠ د . ك) لكل كويتي (واحد أو اكثر) اسهم بصورة رئيسية وقدم اضافات جديدة في الحقل .

ويشترط فيمن يحصل على جائزة المؤسسة :

(١) ان يكون انتاجه مبتكرا وذا اهمية بالغة بالنسبة الى الحقل المقدم فيه خلال العشر سنوات الماضية .
(٢) ان يكون المرشح من ابناء الاقطار العربية .
(٣) تقبل المؤسسة طلبات المتقدمين وترشيحات الجامعات والهيئات العلمية كما يحق للافراد الحاصلين على هذه الجائزة ترشيح من يرونه مؤهلا لنيلها ولا تقبل ترشيحات الهيئات السياسية .
(٤) يتضمن الترشيح السجل العلمي للمرشح ونبذة مختصرة عن حياته وانتاجه العلمي ومبررات ترشيحه لنيل هذه الجائزة .
(٥) لا يعاد الانتاج المقدم الى مرسله فاز المرشح او لم يفز .
(٦) لا تقبل الاعتراضات على قرارات المؤسسة بشأن منح الجوائز للفائزين .
(٧) على الفائز ان يقدم محاضرة عن الانتاج الذي نال الجائزة عنه .
(٨) تقبل الترشيحات ابتداء من ١/٣/٨٠ الى ٣١/١٠/١٩٨٠ .
(٩) ترفق مع الترشيحات اربع نسخ من الانتاج المقدم وترسل على العنوان التالي :
السيد : مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ـ ص . ب (٢٥٢٦٣) الصفاة ـ الكـويت

وتقوم المؤسسة بالاعلان عن هذه الجوائز كما تقوم بارسال دعوات الى الجامعات والهيئات العلمية .

كما تقدم المؤسسة مع الجائزة النقدية ميدالية تقديرية وشهادة خاصة تبين مميزات الانتاج واهميته بصورة مقتضبة .


سوني
SONY
KV-2020ME
في البدايـة تـرينيترون ، والآن بـيتاماكس
سُوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر
12:00
L-500
L-500
SL-8080E
بال / سيكام
للتسجيل واعادة المشاهدة
SONY
انطلقت سوني في تكنولوجيا الفن التلفزيوني الى مرتبة جديدة عالية مع
تلفزيون ترينيترون الملون . والآن أوصلت تكنولوجيا سوني متعة
المشاهدة التلفزيونية إلى مستويات عالية جديدة ، بواسطة مسجل
التلفزيوني الرائع بيتاماكس . أربط بيتاماكس بجهازك التلفزيوني
لتسجيل أي شيء تريده ، فيلتقط لك أروع المشاهد ، ثم يعيد عرضها
أمامك من جديد لتشاهدها ، كلما خطر ببالك ، وحينما يحلو لك جدول
أوقاتك اليومي . على أن هذه هي البداية فقط لما يمكن أن
يفعله بيتاماكس من أجلك . اذا كان لديك برنامجان في
نفس الوقت ، مشوق ، وعلى قنالين مختلفتين متعارضين ،
فلا تفكر طويلاً ، ولا تتعب نفسك لاختيار أي منهما تراقب ، بل
يمكنك مشاهدة أحد العرضين في الوقت الذي يبدأ بيتاماكس
بتسجيل الآخر لك ، لتعود فتشاهده فيما بعد .
واذا رغبت بمغادرة البيت في المساء ؟
- اضبط مسجل الوقت الأوتوماتيكي ، الذي يخدم ثلاثة
أيام ، قبل مغادرة المنزل ، فيسجل بيتاماكس لك أوتوماتيكياً ، وبأمانة
ودقة ، كل المشاهد ، وأنت خارج بيتك . لقد صرفت سوني عشرين
عاماً متواصلة في اجراء التجارب والاختبارات التكنولوجية ، لصنع
مسجل التلفزيوني (فيديو ريكوردر) القادر على تحقيق كل هذا
لك . ومع ذلك يبقى مضغوطاً كفاية ، ومدمجاً بالمنزل واجوائه ،
كقطعة أنيقة صغيرة . بالإضافة الى ذلك ، تتميز تجربة سوني
بصنع شريط التسجيل التلفزيوني الشهير ، فيديو كاسيت ، والسهل
الترضيب ، مرن الملمس ، سريع التعامل معه ، لأنه أصغر كاسيت في
السوق حتى اليوم ، ويدوم أكثر من ثلاث ساعات في إذاعة البرمجة
المسجلة وبدون انقطاع . أضف الى كل ذلك ، جهاز بيتاماكس بولرنغ
المضاعف لتسجيل والكشف لمرحلة الإذاعية ، وقد أثبتت الاختبار
جدارته ، والاعتماد عليه ، والثقة به ، إنه الأقوى والأوثق استقراراً
بين أجهزة التسجيل التلفزيوني ، ويوزع الصور الكاملة النقية الوضوح .
في البداية الترينيترون ... الآن بيتاماكس الساحر .
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر .
Sony Betamax
سُوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته



أربعة أوقات للمتعة مع أربعة أنظمة من تلفزيونات سانيو

CTP 6461

تقدم معظم التلفزيونات نظامي بال وسيكام لتغطية جميع بلدان الشرق الأوسط وبعضها تضاعف متعتكم بأنظمة بال وسيكام و NTSC التي تشتمل على برامج من الولايات المتحدة وكوريا والفلبين. ولكن لدى سانيو تجديدات أكثر من هذا كله. إن التلفزيون الملون CTP 6461 من المجموعة الذهبية مجهز بأربعة أنظمة ليتيح لكم مشاهدة أشرطة الفيديو من أي مكان في العالم.



فلا تفوتكم مشاهدة أي شيء، بمجرد ربطه مع أي مسجل للفيديو وبذلك تحصلون على أكثر وضوح ونقاوة ممكنة للألوان المتألقة من التلفزيون المصمم ليتناسب مع ديكورات أية غرفة في المنزل بالإضافة إلى أربعة أوقات للمتعة تحقق لأول مرة من سانيو.



CTP 6454N

CTP 6457



SANYO سانيو

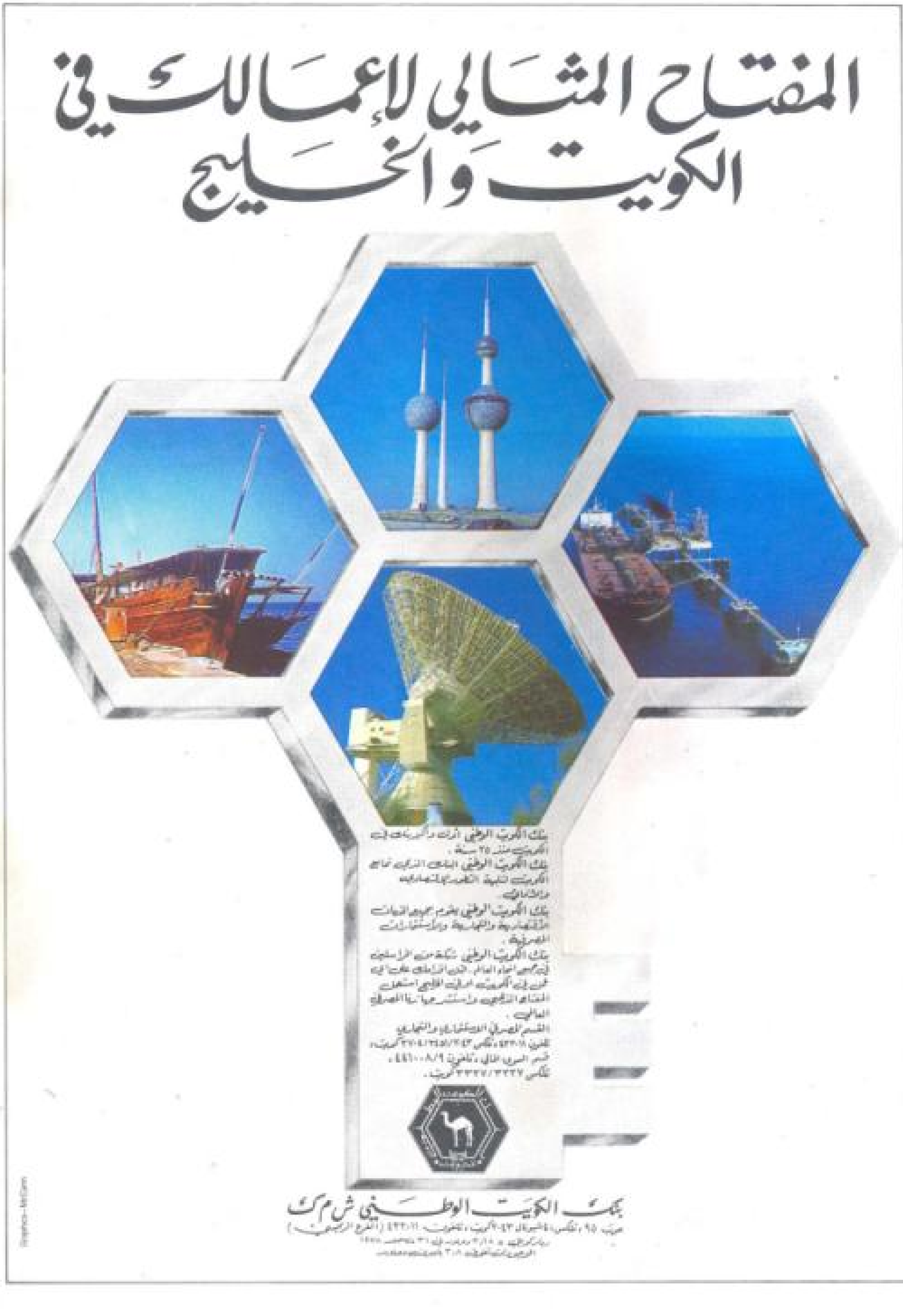


العربي

شعبان ١٤٠٠ هـ - يوليو (تموز) ١٩٨٠ م

خطأ النواة الوراثية فى الإنسان !

أهل الحل والعقد : من؟ وكيف؟


المفتاح المثالي لأعمالك في
الكويت والخليج
بنك الكويت الوطني ش م ك

عزيزي القارئ

لعلنا نكتب هذا الكلام ونكرره في مثل هذا الوقت من كل سنة . ولكن ، هل نملك غير ذلك ؟

فمع موسم الصيف ، تنشط السياحة العربية نشاطا شديدا . وتعلن الصحف عن انواع من الرحلات .. ابتداء من رحلات حول العالم .. الى رحلات الى امريكا .. واوروبا .. والصين وآسيا . وتقدم مكاتب السياحة وشركات الطيران في تلك البلاد تسهيلات كبرى .. وطبعا من المفروض ان تكون تلك البلاد قد استعدت لا ستقبال هؤلاء السياح ..

ولانجد في بند السياحة في البلاد العربية الا النزر اليسير ..

اننا طبعا لا نريد ان ننغلق على انفسنا . ولا أن نستغنى عن العالم وعن معرفة الغير . ولكن هذا لا يمنع ان معرفتنا بانفسنا هي أول المعرفة . ولا ننسى ان هناك شرائح كثيرة في بلادنا تفضل قضاء اجازاتها في مناطق عربية اخرى كمصايف ومشاتي . ولكن البلاد التي فيها هذه الطبيعة هي المقصرة . فاذا استثنينا مجهود تونس والمغرب ، فاننا نتساءل ، اين مرافق السياحة الحديثة في باقي الشواطىء العربية التي تحيط بالبحر الابيض من سوريا الى المغرب ؟ ولماذا اكثرها غابات وصحراوات مهجورة ؟ وماذا لدى شواطىء اسبانيا الرملية احسن منها ليقوم هذا العمار . وجبال شمال العراق ؟ .. وجبال الاطلس في الشمال الافريقي ؟ ..

ماذا يجعل شواطىء بلغاريا ورومانيا اكثر جاذبية من شواطئنا هذه ؟ والمال العربي موجود وجاهز لانشاء مصايف عالمية في كل مكان ؟

لاشيء .. الا اننا لا نريد ان نلحق بالعالم الذي يجرى ويتطور !

« المحــرر »

صورة الغلاف



● احمليني على ظهرك وسأحملك على ظهري لنتعاون على مصاعب الحياة ... صورة تذكرنا بالماضي عندما كان الاطفال الصغار يلهون في ساحة البيت .. والصغيرتان تلعبان بكل براءة لعبة « طبق حنة طبق ماش » .. هل لا تزالون تذكرون هذه اللعبة الشعبية الكويتية القديمة ؟ ام انها دخلت في تراث الماضي ؟ (اقرأ الاستطلاع ص ١١٦) .

حديث الشهر

قضايا عامة

عروبة واسلام

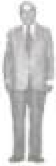
طب وعلوم

ادب وفنون

تاريخ وتاريخ اشخاص

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة



العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: أحمد بهاء الدين
مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . الخليج العربي ريالان قطريان . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج . م . ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير
عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١
تلغرافيا « العربي »
ALARABI — No. 260 — July 1980
P.O. Box 748 — KUWAIT

كلية الحقوق

بقلم : أحمد بهاء الدين

في الشهر الماضي ، احتفلت كلية الحقوق في جامعة القاهرة بمرور مائة سنة على انشائها .. فهي أقدم كلية من نوعها في العالم العربي والشرق الاوسط .

ولعل خريجيها ، من كل ابناء العالم العربي ، وخريجي حقوق « الاستانة » او القسطنطينية ، ايام كانت عاصمة الامبراطورية العثمانية المسيطرة على العالم العربي كله سوى مصر ، هم الذين قادوا وشكلوا السياسة في كل العالم العربي خلال حقبة طويلة من الزمن .. ربما سادت هزيمة حرب فلسطين الاولى سنة ١٩٤٨ ، اذ بدأ حكم « الحقوقيين » يتزعزع ويتراجع . بعد ان طغى السيف على القانون . وربما كانت هزيمة ١٩٤٨ ذاتها هي التي اقنعت العرب زمنا طويلا بعدم جدوى القانون امام السيف ، مهما كانت القضية عادلة .

وان « الحق فوق القوة ، والأمة فوق الحكومة » كلمة جميلة اطلقها اشهر حاملي شهادات القانون ، سعد زغلول ، اهتزت بها اعواد المنابر زمنا .. ولم يهتز بها شيء آخر بعد !

وكم كنت حزينا ، لانني كنت بعيدا عن القاهرة يوم احتفلت كلية الحقوق بالعيد المئوي لها . ذلك انني احد خريجي تلك الكلية العتيدة ، التي طبعت موجات الاثير على جدرانها عددا من اعظم الأصوات التي عرفتها مصر والعروبة . واذا كنت لم اشتغل بالقانون الا قليلا ، الا ان الاثر الذي تتركه كلية الحقوق في نفس تلميذها لا ينمحي ، اذا كان قد دخلها عن حب وشغف ، لا عن طريق تقليعة « مكاتب التنسيق » ثم انني اذا كنت قد تركت العمل بالقانون الى مهنة الكتابة والصحافة بعد حوالى خمس سنوات فقط ، الا انني كثيرا ما اكتشف فجأة انني ما زلت اشتغل بالقانون من ناحية ، ربما تركت ما نسميه « بالقانون الخاص » وهي القوانين المدنية والجنائية وغيرها ، الا انني بقيت ـ ككاتب ـ على صلة دائمة بما نسميه « القانون العام » : اي الاقتصاد والعلوم السياسية والقانون الدولي والقانون الدستوري والقانون الاداري .. اي القوانين التي تنظم حياة المجتمعات والشعوب والدول ، وليس الحياة الخاصة للافراد ... كما هو الحال في كل ما نسميه « القانون الخاص » ...


سعد زغلول

.. وحديث الذكريات .. ومعنى «القانون»

ولكن الاهم من ذلك ، انني فعلا اكتشف عادة انني ما زلت اشتغل بالقانون ، لانني دائما اجد نفسي متلبسا بالتفكير في اى موضوع بطريقة « قانونية » . او بطريقة متأثرة بالتفكير القانوني الى حد بعيد .

ذلك ان دراسة القانون تعلم المرء طريقة خاصة في التفكير . تزود صاحبها بما يشبه « الترموستات » او منظم درجة الحرارة ، يقرأ الانسان في الآداب ، ويحلق وراء الفنون ، ويجوب آفاق الفلسفة .. وهذه اشياء ربما كانت هي جوهر الفكر ، ولكن من درس القانون ـ فيما يخيل لي ـ يجوب هذا كله وقد ربطه التفكير القانوني الى ارض واقعية معينة . فهو ينظم تفكيره ، ويضع في صدره ميزانا دائما يزن به كل ما يعرض له من افكار وأمور . ويخلصه من تيارات « الفن للفن » و« الفكر للفكر » في حين يربطه بان الفن للحياة . والفكر للحياة . والسياسة للحياة . وكل شيء وبدءه ومنتهاه الحياة . والناس . وان الرؤية المتأثرة بالقانون هي الفرق بين احلام اليقظة واحلام التطبيق . او بين تهويمات الخيال ورؤى الحقيقة .

ولست هنا أفاضل بين شيئين . فحياتنا بلا احلام لا تساوى شيئا . وبغير الاحلام لا تتحقق الاشياء العظيمة . ولكن حياة تقوم على الاحلام هي بالونات ملونة تطير في الهواء وتضيع . وليست مركبات فضاء محددة الغرض ، محكمة التوجيه .

ثم ..

هل هناك قضية دارت حولها حياة المجتمعات الانسانية منذ نشأت ، ولا تزال ، اكثر من قضية « الحق والواجب ؟ » وهي قضية القانون . واليس القانون هو الوسيلة البشرية لتنظيم الحياة .. ابتداء من تنظيم حركة المرور في الشارع الى علاقات الدول بيعضها البعض في البر والبحر والفضاء ؟

كل انسان ينفتح وعيه لاول مرة على شيء مختلف . هكذا الحياة . لو كانت زهورها بلون واحد واشجارها بطول واحد لفقدت جمالها . بل لصارت جحيما . ونفس الحال في البشر . لو كانوا على شاكلة

واحدة ونمط واحد لفقدت الحياة مذاقها بل وربما مغزاها . والاخوة في البيت الواحد كثيرا ما يتباينون رغم كل عوامل الوراثة الواحدة والتربية الواحدة ...

بالنسبة لي .. لا اذكر مهما حاولت التذكر ان امرا استبد بي منذ البداية اكثر من تلك القضية ، الحق والواجب ، الظلم والعدل . وبالتالي الاداة في كل هذا وهي القانون .

وكانت ترجمتها في سن المراهقة هي الشغف الهائل بحضور القضايا الكبرى . والاستماع الى المرافعات الرنانة . وكنت اذا قرأت عن محاكمة سياسية كبرى حدثت منذ عشرات السنين ، ذهبت الى دار الكتب ، وطلبت مجلدات صحف تلك الفترة لاقرأ القضايا والمرافعات ومناقشات المحكمة كاملة بالتفصيل . وكان كل تاريخ مصر الوطني في الفترة السابقة في يد المحامين ، وكانت المحاكم احدى اهم ساحات الكفاح .

وكنت ارى نفسي وانا صبي في شتى الادوار داخل تلك الحلبة الرائعة : قاعة المحكمة . احيانا ذلك القاضي الجالس على عرشه ، او ذلك المحامي بصوته المدوي واحيانا المتهم الواقف في قفص الاتهام في ثبات بوصفه بطلا وسبب تلك الدراما كلها !

واستقر رأيي على ان اكون قاضيا . فهذه الهيبة والرهبة . وهذه الدقة والمتابعة واليقظة . ثم اخطر واصعب شيء : حين يخلو الى نفسه ، وقد سمع اقوى الحجج من الجانبين ، وعشرات الشهود المتناقضين ، وكيف يمسك من وسط هذا كله بخيط الحقيقة ، وتصدر من فمه الكلمة حاسمة ونهائية .

على انني حين دخلت كلية الحقوق فعلا ، دخلت في الواقع الجامعة باكملها . وتفتحت امامي مع سنوات الشباب كل فروع المعرفة . وكنت احضر محاضرات كلية الحقوق وكلية الآداب واحيانا غيرها . وتلك ميزة الجامعة . انها تعطيك كل المفاتيح . هذا ما يفرقها عن المدرسة . وحين يقرأ المرء الادب والفلسفة ومذاهب الفكر المتلاطمة يجد ان العثور على الحقيقة ليس سهلا . بل انه يكاد يكون مستحيلا ؟ هذه مجالات تعلمك أن لكل رأي الف وجه ، وان كل موقف له الف تفسير . وان المذنب قانونيا قد يكون هو البريء فكريا او اجتماعيا او حتى فلسفيا ، ووجدت ان مهنة القضاء صارت لا تناسبني . انها مهنة مستحيلة . اى عذاب وأرق وألم يكابده المرء حتى يقول « هذه هي الحقيقة » ! مستحيل انها ضد طبيعتي ، عمل كل الموازنات وحساب كل الاعتبارات سوف يفضي بي الى الشلل ...

واتجه ذهني الى ذلك المترافع البليغ . انه يأخذ جانبا واحدا ويحاول اثباته . وهذا امتع واسهل وافخم . حتى لو كان يدافع عن قاتل . فقد قرأت ايامها ـ فيا قرأت من كتب المحامين الكبار ـ كلمة لمحام انجليزي كبير يقول « حين يقف المتهم في القفص ، مجردا من كل سلاح ، محروما من أي صديق . والعالم كله يشير اليه بأصبع الاتهام . هنا لا بد ان يقف الى جانبه شخص . هذا الشخص هو المحامي . وفي هذا الموقف يكمن دوره المقدس ! »

ما اعظم هذا !

ولكني حين تخرجت من كلية الحقوق ، ومن الجامعة كلها ، لانني مرة اخرى كنت اشعر انني طالب بالجامعة كلها . استمع الى عبد المنعم بدر يدرس القانون كما استمع الى يوسف مراد يدرس الفلسفة .. اكتشفت ان مهنة المحاماة هي آخر ما يناسبني ! على الاقل ذلك النوع من المحاماة .

فليس من طبيعتي الانطوائية ان اواجه الجمهور واتحدث كأنني على خشبة مسرح ! ثم انني كنت



عبد الرزاق السنهوري

اقل من السن القانونية لممارسة المحاماة ! ثم ان الكلمة المكتوبة صارت اوسع انتشارا من اعظم كلمة تقال في قاعات المحاكم !

وكان حظي من ممارسة القانون اصعب جوانبه ، بالنسبة لي : وكيل نيابة . مهمتي ان اضيق الخناق على المتهم . وان أثبت جريمته بدل ان اثبت براءته . ومرة اخرى جريمة بالمعنى القانوني ، التي قد يكون في نفسي الف سبب ضد اعتبارها جريمة .

وبعد سنوات قليلة قفزت من زورق القانون بشكله المباشر ، الى زورق الصحافة والكتابة .. والبحث عن الحق والواجب والقانون بمعانيها الاوسع .

وبعد ..

فقد بدأت هذا الحديث وفي ذهني ان يكون حديث ذكريات عن اساتذة عظام حتى ان خالفتهم في الرأى .. ولكنني سرت وراء فكرة القانون . ربما لأنها ناقصة في حياتنا . أو لأنها غير مفهومة على وجهها الحقيقي . ولكني قبل أن أستطرد وراء فكرة القانون أستأذن في رواية الذكرى القانونية الوحيدة بعد تفرغي للصحافة ...

كان المرحوم عبد الرزاق السنهورى باشا اكبر عقل قانوني انتجه العالم العربي في هذا القرن بغير شك . ولم الحق به تلميذا في كلية الحقوق . وان كانت كتبه ظلت هي الاساس في مجال كتب فيه ، واذا كانت شهرته في القانون عالمية ، فانني كنت اراه من افصح من كتبوا باللغة العربية . فكانت كتاباته القانونية من ارقى الكتابات الادبية في تقديرى .

ولم اكن ـ على البعد طبعا ـ من المعجبين بدوره في الحياة العامة . سواء في آرائه في التعليم كوكيل لوزارة المعارف ، او لتعاطفه مع احزاب الاقلية ضد حزب الوفد .

فلما تأسس مجلس الدولة لاول مرة ، وكان أول رئيس له ، قبل ثورة ١٣ يوليو ٥٢ بسنتين تقريبا ، صار بطلا قوميا لدى كل فئات الشعب في مصر . كانت المعركة السياسية على اشدها قبل الثورة ،

وكانت معظم المواجهات السياسية تنتهي الى مجلس الدولة ، وكان يصدر احكاما قضائية بلغت القمة في شجاعتها ، ونزاهتها ، ودقتها في مراعاة القانون ، وعمقها في تطبيق « روح القانون » ، وهو الاصعب والاهم . كانت رئاسة مجلس الدولة احدى التحولات الكبرى في حياة مصر قبل الثورة .

وبعد الثورة ، اقترب منه منصب اول رئيس لجمهورية مصر اقترابا شديدا . ولكن تقلبات الثورات في ايامها الاولى عصفت به . وانتهى معزولا ، معتزلا جالسا في بيته ، غير مسموح حتى بذكر اسمه في صحيفة .

وكنت كاتبا صحفيا مبتدئا . وذات يوم اتصل بي المستشار المرحوم زكي بك حسين وكان صديقا لأبي . وقال لي انه جاء ذكرى في حديث مع السنهوري ، وانه ابدى اعجابا بما اكتبه كاسم جديد . وانه يحب ان يراني . وكان الرجل وقد انسحبت عنه الاضواء لا يزور ولا يزار .

ووجدت في ذلك تشريفا عظيما ...

وذهبت لجلسة هادئة في بيته في مصر الجديدة ، كان لها على وقع التنويم المغناطيسي . واتفقنا على ان ازوره عصر كل خميس . وقد واظبت على ذلك حتى سافر في مهمة حين استعانت به حكومة الكويت .

ذكرت هذه الواقعة ، لانني لم أر في حياتي رجلا تجسدت فيه روح القانون مثل السنهوري . لست اتحدث هنا عن علمه ومؤلفاته وآثاره . ولا حتى عن الحوار معه حين يكون حول القضايا الجدية . ولكن ، حتى حين يكون الحديث حول أبسط الاشياء اليومية ، يشعر المرء ان هذا الرجل قد « تشرب » روح القانون ، حتى عقله لا يتحرك ويعمل في الصغيرة والكبيرة الا وقد نهل من هذا المنبع . كان قد ترك الدنيا والسياسة وعواطفها وانفعالاتها وصار عقلا خالصا وضميرا خالصا . أى حكاية يأتي ذكرها ، لا تلبث اذا علق عليها أن تجدها وكأنها كانت كومة من الاشياء وقد انتظمت فجأة ووضعت كل جزئية في مكانها بسحر ساحر .

وكان رحمه الله يحثني وقتها على ترك الصحافة التي لم ابدأها الا من قريب ، بعد أن عرف مني انني سجلت رسالة دكتوراه في السوربون في باريس ، عن مرحلة من تاريخ مصر السياسي ، وكان ميله الغريزي الى ان بحثا طويلا ممتعا هو أعظم شيء . ولكن التيار جرفني الى مجرى الصحافة بغير رجعة ...

وما اقل ما نختار ما نفعله في هذه الحياة ...

ولكن .. ماذا عن القانون وعن روح القانون ؟

كنا نظن في بدء دراسة القانون انه نصوص . وان الدنيا تتغير بتغيير النصوص . العدل يسن بقانون ، الظلم يزول بقانون . الخطأ يحدد بقانون . والصواب يحدد بقانون .

كلا ...

علمتنا الايام ، وعلمنا الاساتذة الكبار ، ان القانون شيء غير هذا ، شيء اعمق وابعد من هذا بكثير .

القانون الجدير بهذا الاسم هو المعبر حقا عن روح المجتمع ، الصاعد من أعماقه . تماما كالتعبير الفني حين يكون صادقا .

بدليل ان هناك مجتمعا فيه قانون غير مكتوب « عادة » او تقليدا ، يعيش قرونا محل احترام الناس ومراعاتهم .

في حين ان هناك قانونا يحمل كل انواع الاختام . ختم حاكم او ختم برلمان . ولكنه لا يحظى بأي اعتراف او احترام من الناس ، حتى من يوم صدوره .

ليست كل ورقة تحمل سلطة تشريعية او تنفيذية ، قانونا بهذا المعنى .

قانون بمعنى الفرض ، نعم .

قانون بمعنى قرار السلطة ، نعم .

ولكنه ليس قانونا بمعنى تعبيره عن روح المجتمع ، واتساعه لرغباته وأمنياته ، وتجاوبه مع أفئدة الناس في هذا المجتمع .

لذلك نرى احيانا قوانين تهطل كالمطر ، لكن سرعان ما تجففها الشمس ، وتمسحها الرياح...

ونرى قناعات الناس في تصرفاتهم ، تسير في مسالك اخرى تماما ...

ونرى قوانين تنقل من الكتب . او تؤخذ من بلاد شتى متنافرة ، كمن ينتقي اصنافا من دكان العطار . ولكنها تبقى غريبة .

هل تزرع شجرة بلاستيك مصطنعة ، وتثمر ؟

مستحيل .

هل تزرع شجرة حقيقية في اى مكان ؟ ان كل نبتة لها بيئة وطقس عليها بالعقم او بالاثمار .

كذلك القانون ...

منذ اسابيع ، انشغلت انجلترا بقصة طريفة .

سيدة تملك فندقا صغيرا في انجلترا على شاطىء البحر ، وذات يوم جاءها الصياد الذي يبيع لها السمك عادة ، يحمل خبرا مثيرا : انه اصطاد سمكة من نوع « السترجون » وهو السمك الذي ينتج الكافيار . ذلك ان هذا السمك لا يوجد في بحار انجلترا عادة . اللهم الا نادرا جدا وكأنها سمكة ضلت طريقها . ولا يحدث هذا الا مرة كل عدة سنوات .

واشترت السيدة السمكة ، واعلنت عن وليمة عشاء لنزلاء الفندق والبارزين في القرية الصغيرة . واذا برجل عجوز من المدعوين يقول لها ان هناك قانونا منذ القرن السادس عشر يقضي بان اى سمكة من هذا النوع يتم صيدها تكون ملكا لملك انجلترا !

واسقط في يد السيدة . واتصلت تليفونيا بموظف في قصر ملكة انجلترا تسأله . فقال لها نعم ان هناك قانونا موجودا بهذا المعنى . وما يزال ساريا . ولكنه لا يظن ان الملكة ستطالب بالسمكة .

ولكن السيدة الغت العشاء . وحملت السمكة في احسن وعاء لديها وركبت القطار الى لندن . وهناك توجهت الى قصر بكنجهام حيث اصرت على تسليم السمكة للملكة . وطاردتها الصحف حين علمت بالقصة ، فقالت انها سعيدة جدا .

قانون سخيف طبعا .

وحين صدر كان صورة لظلم القرون الوسطى وعصر امتيازات النبلاء ...

ولكن مع الزمن ، وتطور النظام في انجلترا ، واحساس تلك السيدة بأن قوانين بلدها بوجه عام تعبر عنها ، وتتسع لمشاعرها ، وجدت سعادة في تنفيذ قانون ميت ، حتى لو سخرت منها الصحف والناس .

لم تكن بذلك تنفذ قانونا او تخشى عقابا . كانت تعبر عن ذاتها من خلال بناء عام تشعر انه يعبر عنها . وهذا هو القانون . ■■

احمد بهاء الدين



الدكتور زكي نجيب محمود يكتب

حضارة الأخلاق

شهدت الانسانية حضارات يزيد عددها على العشرين (إذا اخترنا بمقياس « توينبي » في دراسته للتاريخ) ، وكان لكل حضارة فيها مذاق خاص ، والا لما تميزت من سواها ، ولابد ان تكون تلك الخاصة المميزة للحضارة المعينة هي التي عملت على نشأة تلك الحضارة وظهورها ، وذلك عندما كانت تلك الخاصة المميزة في عنفوان قوتها ، ثم لابد كذلك ان تكون تلك الخاصة نفسها عندما اصابها ضعف وفساد ـ هي علة اندثار الحضارة التي تميزت بها ، وهذه كلها مقدمات اراها واضحة بذاتها ، او تكاد تكون كذلك .

ومن تلك المقدمات الواضحة ، انتقل بخطوة واحدة الى ما اردت ان اقوله في هذه السطور ، وهو ان الخاصة التي ميزت الحضارة الاسلامية من سائر الحضارات ، هي انها ادارت رحاها على محور « الاخلاق » ، فاذا كانت حضارات اخرى قد ارست قواعدها ـ في المقام الاول ـ على « الفن » او على « العلم » ، او غير ذلك من اسس كالزراعة والتجارة او الصناعة ، فان الحضارة الاسلامية قداختارت « الاخلاق » اساسا لها .

على اننا في هذه التفرقة ، لا يفوتنا ان الجوانب كلها قد تجتمع في كل حضارة على الاطلاق وذلك بمقادير تتفاوت هنا وهناك ، لكننا هنا إذ نميز الحضارة المعينة بخاصة ما ، فانما نريد ان تكون تلك الخاصة ـ اكثر من سواها ـ ركيزة اولى يقام عليها البناء ، وبناء الحضارة الاسلامية ركيزته « الاخلاق » .

قف معي لحظة تتأمل فيها هذه الآيات الكريمة من سورة الفجر : « الم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد . وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد ... »

فأول ما يلفت النظر للوهلة الاولى ، بل ويلفته للوهلة الثانية ، والثالثة ، والعاشرة ، هو ان هذا العدد القليل من الآيات الكريمة ، قد اوجز لنا القول ايجازا بليغا ، في ثلاث حضارات سبقت ظهور الاسلام ـ ضمن ما سبقه ـ وهي حضارات ثلاث تشابهت كلها في انها جعلت

« الفن » اساسا لصروحها ، وان اختلفت بعد ذلك في نوع الفن الذي اختارته كل واحدة منها : فقوم « عاد » الذين عاشوا حضارتهم فيما هو الآن الجزء الشمالي من الجزيرة العربية كانت براعتهم في فن بناء المدن ، واقاموا مدينة « إرم » . على نحو يذهل خيالك ذهولا اذا قرأت شيئا من تفصيلاته كما ذكرها المؤرخون ، فهي مدينة قوامها قصور شوامخ ، من ذوات الطوابق ، وكانت طريقتهم في بناء الطوابق العليا ، ان يقيموها على « عمد » ، والعمد بدورها تقام على اسطح الطوابق السفلى ، لا على الارض ، فكانت تلك العمد تبدو للقادم من بعيد وكأنها غابة كثيفة من الجذوع الصخرية العاتية ، وصدق الله العظيم في وصفها بانها « إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد » .

واما قبيلة ثمود فقد عاشت هي الاخرى في منطقة قريبة من موطن عاد ، وكان مقرها واديا صخريا اوشكت حياة النبات وحياة الحيوان الا تجد لها فيه موردا للنماء ، فدارت براعتهم ـ أعني قبيلة ثمود ـ على فن النحت بصفة اساسية ، وحتى بيوتهم نحتوها في صخور الجبال كالكهوف واخيرا يأتي ذكر فرعون وما اختارته حضارة مصر يومئذ من فن المسلات والمعابد ، (الاوتاد) فليس هو فن المدن كما رأينا عند « عاد » ولا هو فن النحت كما رأينا عند « ثمود » لكنه فن المعابد وملحقاتها ، وفيها ما فيها من قوائم ذات جبروت وشموخ .

هي اذن حضارات قامت على « فنون » ، ولم يكن في ذلك ما يعاب لولا انها قرنت فنونها تلك بطغيان ، اعني انها أقامت فنا عظيما في ذاته ، لكنها لم تدعمه بأخلاق التعاطف بين الانسان والانسان .

« ... الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد . فصب عليهم ربك صوت عذاب ، ان ربك لبالمرصاد » .

ونمضي في قراءة سورة الفجر ، فنقرأ أمثلة من أخلاق السلوك التي اعوزت حضارات الفنون السابق ذكرها : فهم لم يكونوا يكرمون اليتيم ، ولم يكونوا يطعمون المسكين ، وكانوا يأكلون التراب اكلا لما ، ويحبون المال حبا جما .

وجاءت حضارة الاسلام لتكون اولا وقبل اي شيء آخر ، حضارة اخلاق ، تعتمد على بناء الضمائر في الصدور ، قبل ان تعني ببناء مدينة في فخامة مدينة « ارم » او براعة يبدونها في تشكيل الصخر العصي بيوتا وتماثيل ، او الارتفاع بأوتاد الهياكل والمعابد ، فبالضمائر الحية التي ترسم لاصحابها كيف يكون التعامل الودود بين الناس ، تطمئن النفوس ، وان سورة الفجر تختم آياتها بخطاب الى النفس التي اطمأنت :

« يا ايتها النفس المطمئنة ، ارجعي الى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي . »

للحضارة الاسلامية ان تضيف الى نفسها فنا ، وعلما ، وما شاءت ان تضيف ، لكنها اذا لم تميز نفسها بركيزة الاخلاق ، فربما بقيت « حضارة » لكنها لن تكون حضارة « اسلامية » . ■■

اذا أصبح الجيش والسياسة مترادفين ، زال مضمون كل منهما !

انهيار السياسة

كثير من دول ودويلات العالم الثالث يكاد يستكمل خلال الثمانينات الدورة الاولى من دورات تطوره السياسي . بدأت هذه الدورة بالتبعية « المفروضة » وتطورت الى الثورة السياسية ثم الى الاستقلال السياسي ومحاولات الاستقلال الاقتصادي ، الى أن دخل التطور مرحلة سكون ثم بدأ يتراجع ثم يتآكل الى ان بدأ مرحلة التبعية « المرغوبة » .

وككل مراحل التاريخ لم تنشأ مرحلة من مراحل هذه الدورة التي مر بها العالم الثالث من فراغ ، بل كانت كل مرحلة نبتا وحصادا لبذور غرست في المرحلة التي سبقتها . فمرحلة الثورة السياسية تمتد جذورها في مرحلة التبعية التي فرضها الاستعمار الاوروبي ، حين غرس الاستعمار مفاهيم جديدة عن الحريات والديموقراطية كما تفهمها اوروبا ، وادخل تعديلات اساسية على النظام الاقتصادي السائد في مستعمراته ، وحطم اسس التناسق والتوافق والصراع والتنافر كما عرفتها شعوب هذه المستعمرات ، ووضع محلها قواعد وقوانين نشأت في اوروبا استجابة لظروف نمو اجتماعي واقتصادي وسياسي مختلفة كل الاختلاف عن ظروف النمو في المستعمرات .

وحين كان الاستعمار يدرب افرادا « محليين » لادارة المستعمرات أو حماية امنها الداخلي لم يكن يعرف انه ينشيء بهؤلاء الافراد « صفوة » ستفجر وتقود الثورة السياسية ضده . ثم نشبت الثورة السياسية في العالم الثالث . وظهرت على الخريطة عشرات من الدول والدويلات ، اكثرها لم يكن يحمل المواصفات الكافية ليشكل دولة مستقلة ، وبعضها تدخل الاستعمار المنسحب في انشائه لاعتبارات تضمن الضعف الدائم لهذه الدول ، وتزيد من احتمالات الصراعات المحلية والاقليمية . وبسبب السرعة في قيام هذه الدول وبسبب ضخامة المشكلات التي واجهها قادة الثورة السياسية كانت تصوراتهم « عالية » الابعاد . لم يكن التضامن الداخلي في أي دولة كافيا لضمان سلامة استقلالها أو انطلاقها نحو الاستقلال الاقتصادي .

وكان من الضروري أن يتم التكتل مع بقية الدول المحررة حديثا لاكتساب رصيد سياسي دولي يحمي هذا الاستقلال ويشجع على تعبئة الجماهير لتعويض ما فاتها من رخاء ورفاهية ، وكانوا على حق . اذ لم تمض اعوام قليلة على نيل الاستقلال الا وكشف الاستعمار عن خطط يهدف من تحقيقها الى استعادة روابط التبعية والاعتماد . غرس اسرائيل وروديسيا البيضاء في قلب العالم الثالث . وطرح موضوع الاحلاف العسكرية . وقاوم بالقوة المسلحة تدعيم استقلال جواتيمالا ومصر وكوبا والكونغو والدومنيكان ، وتدخل في لبنان والاردن



عيدي أمين



بوكاسا



لومومبا



سيكوتوري

في العالم الثالث

بقلم : جميل مطر

حين كان التيار القومي في الوطن العربي يسعى لاكتساح بقاياه وبناء صرح عربي جديد .

انتهت هذه المرحلة من مراحل التطور السياسي في العالم الثالث بصفة النهوض . كانت الشعوب معبأة ، والأحلام كبيرة ، والقيادات جادة في محاولاتها تشييد هوية لشعوبها . لذلك كان نكروما وسيكوتوري تجسيدا لخطر كبير على المصالح الاوروبية والامريكية في القارة الافريقية لانها تجاسرا فتحديا التجزئة التي غرسها الاستعمار في افريقيا ، واقدما على تأميم المصالح الغربية ، وبالمثل في الوطن العربي كانت الاحلام العربية وأمال الوحدة تزداد وتقوى .

ثم سكنت الثورة وسقط قادتها ، كانت الاحلام ضرورة لتدعيم الاستقلال وتعبئة الجماهير ، ولكنها كانت اكبر من قدرة القادة على تحقيقها . اذ انه حين استقرت الامور بدأت الشعوب تنتبه الى ان عائد الثورة اقل كثيرا من الوعود البراقة والاحلام الزاهية التي دفعت الى الثورة ودفعتها . ولم تنجح محاولات القادة لاقناعها ان تخلف مئات السنين لا يزول في اعوام قليلة . كما لم تنجح محاولاتهم في عزل هذه الشعوب عن مظاهر الاستهلاك والرفاهية التي تعيش فيها الدول الاوروبية والامريكية . اذ كانت وسائل الاتصال العصرية قد انقلبت من سلاح في يد القادة يعبئون بها الجماهير الى سلاح موجه ضدهم . لانه صار ينقل صورا من حياة الاستهلاك الغربي تتحدى جميع قيم التخطيط الاقتصادي والاجتماعي في الدول حديثة النشأة .

عوامل التآكل السياسي

لا يمكن انكار الدور الايجابي الذي تقوم به عملية تعبئة الجماهير وراء اهداف محددة . فالتعبئة الشعبية اساسية لحماية الاستقلال ومقاومة العدوان الخارجي وتحويل المسار الاقتصادي نحو تخطيط علمي وتعديل التوازنات الاجتماعية . ولكنها تصبح عنصرا سلبيا في بناء الامم حين يطول أمدها وتتحول الى اسلوب حكم . فاذا ما صارت اسلوبا للحكم زال الفاصل الواسع بين الحكم والتحكم ، او بين بداية السياسة ونهاية السياسة . فالتعبئة المرتبطة بأهداف شعبية محددة تستطيع ان تربط اطراف الامة بمركزها ، وان تجعل من تناقضاتها الداخلية حافزا للبقاء ، وان تجند للقيادة الجماهير افضل ابنائها وتدربهم على الحكم . ولكن التعبئة حين تطول وتتشعب اهدافها تفقد الحماس لها لان الشعوب لا تستطيع ان تبقى مشدودة طول الوقت . فكأي كائن حي لها حاجة طبيعية الى الراحة والتمتع بعائد الجهد والمشقة . الى جانب ذلك فان التعبئة الطويلة ـ ما لم تكن في اطار ثورة ايديولوجية متكاملة ـ لن تجند للقيادة سوى الانتهازيين والمتسلقين لانها تضع للثقة اولوية على غيرها من شروط العمل السياسي . ومع استمرار هذا الوضع تضيق حلقة السياسة تدريجيا حتى تتركز داخل اقوى مؤسسة في الدولة ، وهي الجيش !

واذا اصبح الجيش والسياسة مترادفين زال مضمون كل منهما . لان القيم السائدة في واحد تفسد القيم السائدة في الآخر . الجيش اذا دخل السياسة الغى قيمة

التنافس السلمي على السلطة . والسياسة اذا دخلت الجيش ادخلت معها التنافس على السلطة . والنتيجة هي افقار القيم السياسية في المجتمع . وفي النهاية الانهيار الكلي للسياسة . فمع طول ترادف الجيش والسياسة تقل الفرص المتاحة لتجنيد كفايات عسكرية سلمية وتجنيد قيادات سياسية تنشأ وتتربى في بيئة طبيعية . لذلك كثيرا ما نسمع من مواطنين في دول نامية عبارات يائسة عن المستقبل بحجة ان بلادهم لم تعد تنجب قيادات سياسية ، وانه لا أمل في انشاء جيل « سياسي » قادر على انتشال السياسة من اعماق الانهيار التي تدنت اليه . كيف ينشأ هذا الجيل في دول أصبح الاستفتاء الشعبي أو الانتخابات الرئاسية أداة بموجبها يتحول الرئيس الى « ملك جمهوري » والجمهورية الى « مملكة رئاسية » وهي دول اغلقت باب التنافس في السياسة ، وجعلت السياسة نشاطا محرما ، وصنفت السياسيين بين المجرمين العاديين ، واستجلبت من الدول العظمى اسلحة وخبراء لمطاردتهم وحماية النظام من خطرهم .

في مثل هذه الدول ـ وهي كثيرة ـ يكون الرئيس هو الزعيم والقائد والمعلم ، تخضع له الناس ومقدراتهم ، وارزاقهم ملك يديه ، وارواحهم رهن مشيئته . باقة من العبقريات في شخص واحد : بعبقرية القائد ، يقرر الحرب ويرسم خططها ، وبعبقرية الفيلسوف يصوغ فكرا انسانيا صالحا لكل البشر في كل زمن وعلى كل أرض . وبعبقرية الآلهة التي ساقته لانقاذ شعبه يضع الحدود ويشرع القوانين ويوزع الارزاق ويزهق الأرواح . هو الحدث التاريخي الذي لا يتكرر . كيف يمكن مع هذا « الكل في واحد » أن يظهر رأي آخر ؟ واذا ظهر فانه رأي الخيانة ، أو الجهل ، أو الالحاد ، أو اخطرها : رأي طامع في السلطة .

كذلك ساهم الانفجار الاعلامي مساهمة كبيرة في انهيار السياسة في العالم الثالث في نواح ثلاثة على الاقل :

الاولى : انه جعل كثيرا من الزعماء يصدقون أنهم فلتات ذكاء وعبقرية من كثرة ما رأوا انفسهم على شاشات التلفزة ، خاصة حين يشعر الزعيم انه موجود وبكثرة في كل مكان ، تماما كما يشعر الطفل في قصر المرايا ، وأن الكلمة التي ينطق بها تتردد اصداؤها مثنى وثلاث ورباع .

والثانية : أنه بعد أن كان الزعماء يتصلون بالجماهير مباشرة عبر مكبرات الصوت حلت كاميرات التصوير محل الجماهير ، وأصبح الزعماء يتحدثون الى كاميرات . وهي ليست آلات صماء بلا ارادة ، فقد اثبتت انها تفرض على المتحدث اليها سلوكا تعينه ، ورداء تحدده ، بل وأثبتت انها تفرض عليه سياسة ترسمها وتخططها .

والثالثة ان الاعلام كطاقة محدودة لا يتسع الا لصناع الاعاجيب والاعمال الملفتة للنظر ، وكم من جهد ووقت يضيعان حول صياغة اعمال عجيبة ترضي او تزعج هذه القوة القاهرة . سقط عيدي امين لانه كان يتفنن في صنع الاعمال الكفيلة بازعاج هذه القوة بينما صعد زعماء غيره لانهم عرفوا وسيلة ارضائها ، ولو جاء هذا الرضا على حساب شعوبهم ومصالحها .

وخطورة هذه القوة الجديدة انها تقدم نفسها لزعماء العالم الثالث رخيصة سهلة . ولكنها تقدم نفسها في شكل متتالية متسقة الحلقات ، كل حلقة تبني على سابقتها ، وفي نهاية المتتالية يكون الزعيم قد استكمل التحول في شخصيته او استكملت دولته التحول في سياستها ، او كليهما معا .

عودة الاستعمار

ويبدو انه من الظواهر الملازمة لانهيار السياسة ظاهرة زوال عقدة الاستعمار ، وهي العقدة التي يقال الان ان زعماء الاستقلال والتحرر الوطني كانوا يعانون منها . كثير من حكام اليوم تخلصوا من هذه العقدة ، ومنهم من يعتبر ان هذه العقدة كانت سببا في عدم الانطلاق نحو التنمية وتوقف اللحاق بقطار الحضارة . ولذلك حذفت كلمات متعددة من المفردات التي تستعملها الصحف المحلية واجهزة الاعلام . فحذفت « الاستعمار » و « الامبريالية » و « النفوذ » و « الاستغلال » و « الاحلاف » و « القواعد العسكرية » وحلت محلها « الحضارة » ، التكنولوجيا ، الانفتاح ، الصداقة ، تبادل المشورات والآراء ، زيارات الاصدقاء الاعزاء .

وتظهر سخرية الموقف من انه في كثير من الحالات لم تشجع الدول الاستعمارية تهافت دول العالم الثالث عليها او ارادت ان يغلف هذا التهافت بأغلفة اكثر استحياء . الا ان زعماء كبوكاسا لم يعدم وسيلة حتى الرشوة ليكسب بها حماية المستعمر واجباره على تغطية مذابحه ووحشيته . وبعد ان كان التلويح بالخطر الخارجي يأتي من جانب الدول الاستعمارية لتحافظ على نفوذها في الدول الحديثة الاستقلال صار هذا التلويح يصدر من زعماء العالم الثالث لتشجيع الدول

الاستعمارية على العودة واقامة قواعد عسكرية ، لتحمي نظمهم وتردع المعارضة الداخلية . ولا يعني هذا ان الدول الاستعمارية صارت اقل رغبة في النفوذ او الاستغلال ، فالواقع يشير الى انها تتمنع ولا تمتنع ، بدليل ان التدخلات العسكرية الاوروبية والتهديدات العسكرية الامريكية اصبحت اكثر عددا من أي وقت مضى

مستقبل العالم الثالث

يتطلب توقف انهيار السياسة وانتعاشها توافر عدد من الشروط اهمها :

أولا : حد ادنى من القبول العام بالاطار السياسي وحد ادنى من الشعور العام بالانتماء الى هذا الاطار ، والرضا العام بان هذا الانتماء يسبق كل الانتماءات الاخرى . هذا الشرط غير متوفر حاليا ، بل توجد مؤشرات متعددة تدل على ان الاتجاه السائد في معظم الدول النامية يتجاوز الانتماء الاساسي لاكثرية شعوب العالم الثالث في خيبة الامل التي نتجت عن فشل « الدولة » كاطار سياسي في الدول النامية في اشباع حاجة الانسان الاساسية في الامن وعدم الاغتراب والاطمئنان للمستقبل .

ثانيا : حد ادنى من الالتزام العام بمجموعة افكار متكاملة تلخص تراث الشعب وتحدد مشكلاته الاساسية المعاصرة وتضم احلامه وطموحاته . ولا يعني هذا الايمان بنظرية كاملة تصلح لكل الشعوب في كل الازمنة والعصور ، او الاخذ بنظريات نشأت في التراث في ظروف سياسية واجتماعية بعيدة كل البعد في تفصيلاتها وابعادها عن الظروف المعاصرة . وانما تعني اطارا « سياسيا » يضمن على الأقل حريات وحقوق المواطنين ، يحمي الاقليات من ظلم الاغلبية ، ويحمي الاغلبية من انانية الاقلية الاجتماعية الحاكمة ، ويستبعد خطر تحكم الفرد او الاسرة او اي مؤسسة منفردة في مقدرات الناس وبلدهم ، وهذا الشرط كذلك غير متوفر في معظم دول العالم الثالث ، بل وحتى تلك الدول التي استطاعت خلال مرحلة من مراحل ما بعد الاستقلال ان تضع ملامح لنظرية شبه متكاملة تخلت عنها عندما تغيرت قيادات الحكم فيها او تحت ضغوط القوى الكبرى .

ثالثا : حد ادنى من الكفايات السياسية المدربة على العمل السياسي (حزبي ـ نقابي ـ تنظيمي) والمؤمنة بقيمة التنافس السلمي من اجل الوصول الى السلطة السياسية . وقد توافر هذا الشرط الى حد كبير في بعض الدول حديثة الاستقلال ، وخاصة الهند ومصر وباكستان كما توافر لفترات أطول في بعض دول امريكا اللاتينية وخاصة شيلي والارجنتين وبدرجة اقل في البرازيل والأورجواي . الا انه تحت تأثير الضربات المتلاحقة التي وجهتها المؤسسة العسكرية في معظم هذه الدول للعاملين بالسياسة انهارت الاحزاب والنقابات ، وتحولت الطموحات السياسية للافراد الى العمل السري والارهابي تبحث من خلاله عن حق مشروع في ممارسة « العمل السياسي » . واذا كانت الهند فلتت من سطوة العسكريين مما ساعد على استمرار وجود حياة سياسية ، الا انها لم تفلت من عناصر الانهيار الاخرى وفي مقدمتها الفساد ومشكلات التنمية وانتعاش الانتماءات الاولية والفراغ الايديولوجي .

ينتج عن عدم توافر هذه الشروط مجتمعة او منفردة ظاهرة « الفرد ـ الذرة » . انسان منفرد يبحث عن هوية أو عن جماعة يشعر بنفسه فيها وعن زعامة غير سياسية تقوده الى هدف .. أي هدف . انسان يخشى المستقبل ويحن الى الماضي ، ويريد حلولا وطمأنينة تأتيه من قوى لا يدركها عقله . ومن هذا الانسان المنفرد ـ من ركام « السياسة » ـ قد تبدأ دورة جديدة في دول العالم الثالث . واظن انها بدأت ! ■■

القاهرة ـ جميل مطر

الحرية .. الحرية

اذا اهتمت الامم باي شيء آخر اكثر من الحرية ، فسوف تفقد حريتها ، واذا كان هذا الذي تهتم به اكثر هو المال والرفاهية فلن يبقى لها منها شيء بعدما تفقد حريتها !

« سومرست موم »

أقوال معاصرة



■ التحدي الحقيقي الذي يواجه أوروبا يكمن في ارتفاع نسبة البطالة . ان الدولة الديمقراطية التي لا تستطيع ان توفر عملا لكل مواطن تفقد ثقة الشعب . الغرب في حاجة الى قدر اعظم من العدالة الاجتماعية .

« برونو كرايسكي »



■ فرانكو لم يمت . ان نظامه الدكتاتوري ما زال يسيطر على اسبانيا . الاحكام التعسفية التي صدرت اخيرا ضد بعض الصحفيين تذكرنا بعهد النازي وحكم الدكتاتور عيدي امين .

« صحيفة اي بيه » او البلاد
اكبر صحف اسبانيا



■ ضد الاحكام العرفية ، وضد فشل الحكومة في الوفاء بعهودها ، وفي غيبة الدستور الجديد الذي تعهدت به وعدم تحديد موعد للانتخابات العامة ، ثار الشعب في كوريا الجنوبية .

« نيوزويك »

■ استقلت لانني اشعر انني لم اعد قادرا على الاستمرار في خدمة بلادي في ظل الظروف الحاضرة .

« سيروس فانس » وزير خارجية امريكا



■ مات آخر اعمدة الحياة ، الجندي الذي حقق المعجزة في بلد مزقته الحروب والاطماع والقوميات .

« ديستان » في تأبين المارشال تيتو

■ كانت زيارتي للسودان نقطة البداية في طريق تأكيد علاقات حسن الجوار بين بلدين شقيقين ، مهما اتسعت الخلافات بينهما .

منجستو ميريام
« في اول زيارة يقوم بها رئيس اثيوبي للسودان منذ نصف قرن »



■ ان الامن والاستقرار في منطقة الخليج هو مسئولية دول المنطقة وحدها بعيدا عن اي تدخل خارجي .

بوسلاف شنوبيك
وزير خارجية تشيكوسلوفاكيا

أهل الحل والعقد

من هم .. وما وظيفتهم ؟

بقلم : الدكتور محمد فتحي عثمان

في السنوات الاخيرة ، تتابع التحرك نحو تحكيم الاسلام وانفاذ شريعته على الافراد والمجتمع والدولة ، سواء أجاء هذا التحرك من (أعلا) بتوجيه اولى الامر وتأليف اللجان المختصة لاعداد دساتير اسلامية ، او جاء هذا التحرك من (أسفل) بمطالبة الهيئات الاسلامية بذلك .

ومن اوجب الواجبات ازاء هذا الاتجاه الصحيح السديد ، ان يواكب ذلك رؤية توضح قسمات النظام السياسي الاسلامي ومعالمه البارزة وخصائصه المتميزة ، بحيث تكون هذه الرؤية (معاصرة) .

... وأعني بالرؤية المعاصرة لنظام الحكم الاسلامي التي تضطلع بمهمتين جليلتي الخطر :

تمييز الثابت والمتغير

ـ اولاهما : تمييز المضمون من الشكل ، بحيث يتجلى في نظام الحكم الاسلامي ما هو أصل وقواعد ، ويتجلى ما كان تجربة تطبيقية تاريخية اسهمت في قيامها ظروف معينة في الزمان والمكان .. وربما تبدو هذه القضية واضحة دون اى لبس في مبدأ « الشورى » مثلا ، فلطالما ردد الفقهاء والباحثون المعاصرون ان الاسلام أتى بمبدأ الشورى دون ان يحدد شكلا معينا لها ، ومن ذلك : « اكتفت الشريعة بتقرير الشورى كمبدأ عام وتركت لاولياء الامور ان يضعوا القواعد اللازمة لتنفيذه تبعا لاختلاف الامكنة والجماعات والاوقات . فمبدأ الشورى مقرر بنصين ظاهر منهما انهما عامان مرنان الى آخر حدود العموم والمرونة (يقصد الآيتين « وشاورهم في الأمر » ـ آل عمران / ١٥٩ ، « وامرهم شورى بينهم » ـ

الشورى / ٣٨) ، بحيث لا يمكن ان يحتاج الامر الى تعديلها او تبديلها . ولكن الامر يبدو اقل وضوحا في قضية اهل الحل والعقد وكيف يمكن تحديدهم والاختيار من بينهم اذا كانوا كثيرين الى درجة يحسن معها مثل هذا الاختيار اذ يتداخل في الرؤية هنا مثلا اتجاه الغض من طريقة الانتخاب وبخاصة الانتخاب الشعبي المباشر ، سواء أكان هذا الاتجاه مبنيا على اساس ديني مثل « طالب الولاية لا يولى » ، او على اساس ما قيل كثيرا عن عيوب الانتخابات عندنا وعند غيرنا ، مما اسهم فيه من جانب المفكرون الديمقراطيون بما مارسوه من (نقد ذاتي) فذ للنظم الديمقراطية ، واسهم فيه من جانب آخر الفكر الماركسي بما اثاره حول مدى جدية « تصويت الجياع » ، ومدى تعبير البرلمانات عن الشعوب بجميع طبقاتها ولا سيما الطبقة الفقيرة صاحبة الغالبية العددية ، ووجوب اقتران الحقوق السياسية بالحقوق الاجتماعية ، واقتران تقرير الحقوق بما يكفل ضمانها ونفاذها .

ويبدو الامر غامضا كل الغموض في قضية « الخلافة » مثلا ، وهل هي شكل « تاريخي » لنظام الحكم الاسلامي او اصل شرعي ثابت . وأعانت الظروف « المأساوية » التي اقترنت بانسحاب الخلافة من حياة المسلمين ، وانقضاض الاستعمار على الجسد الاسلامي يقتسم اشلاءه من جهة ، وقيام اتاتورك بسلخ تركيا عن الاسلام سياسيا واجتماعيا ايضا من جهة اخرى ـ اعانت هذه الظروف على اعتبار سقوط الخلافة عقدة مشاكل المسلمين ورمز ضعفهم وهوانهم ، وأن رد اعتبار المسلمين لا يكون الا باعادة الخلافة كما كانت . واذكر انني كنت أحاضر طلابا للدراسات العليا عن « الفكر السياسي الاسلامي » ، وتناولت« الخلافة » باعتبارها نظاما « تاريخيا » فاحتاج ايضاح تلك الفكرة وتأكيدها مني الى جهد جهيد ، والذين لم يستسيغوا مني مثل هذا التصور طلاب كبار وتفكيرهم فوق المتوسط على الاقل ، ومنهم من كان يشغل وظائف ذات اهمية .

ان تمييز اصول الحكم الاسلامي الثابتة من الاشكال والقوالب المتغيرة عنصر اساسي لتقديم الرؤية « المعاصرة للنظام السياسي الاسلامي » .

ـ وثاني ما تتطلبه تلك الرؤية « المعاصرة » : الافادة من الافكار والتطبيقات السياسية الحديثة وتوظيفها لخدمة النظام السياسي الاسلامي . فليس من المعقول اهدار هذه التجارب النافعة واسقاط هذه الخبرات الثمينة والبدء من الفراغ ، مع تسليمنا بان لنظامنا خصائصه المتميزة ... فمن الواضح ان قيام « الدولة الحديثة » المعروفة تاريخيا قد اقترن بفكر سياسي ثري تبرز فيه كتابات مكيافلي ولوك وهوبز وروسو ومونتسكيو وماركس ودجي وبارتلمي ، وغيرهم ، على اختلاف الوانها واتجاهاتها . وتبرز فيه تطبيقات الانظمة الجمهورية البرلمانية والرئاسية وما بينها (مثل النظام الفرنسي منذ ايام ديجول) ، والانظمة الملكية الدستورية التي يملك فيها الملك ولا يحكم والتي غدا بعضها يجعل للملك ان يحكم ايضا بصورة ما ، مثل ما غدا لرئيس الجمهورية البرلمانية ان يحكم بصورة ما ... ولا يستطيع الفكر السياسي الاسلامي المعاصر ان يتجاهل ان في هذه التجارب الفكرية والعلمية ما ينفع الفكر الاسلامي ويتفق مع اصوله ومبادئه العامة ومقاصد الشريعة . كما انه يدعم هذه الاصول والمقاصد في مجال التفصيل او التطبيق .

بدلا من الشعارات

ولقد كانت دراسة الاستاذ الدكتور احمد كمال ابو المجد التي قدمتها مجلة العربي (في عدد جمادى الاولى سنة ١٤٠٠ هـ ـ ابريل ١٩٨٠ م) بعنوان « الشورى والديمقراطية ورؤية الاسلام السياسية » دراسة هادية منيرة من عالم مفكر ممارس للعمل السياسي وللحركة الاسلامية بالذات . والمسلمون احوج ما يكونون الى مثل هذه الدراسات الواعية التي تضع النقط على الحروف ، وتواجه واقعنا الاسلامي بجانبيه الفكري العلمي والحركي السياسي ، فتغوص وراء الحقيقة بما في ذلك من كد ومخاطرة ، ولا تقنع بالطفو على السطح والاكتفاء بترداد ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، او ان الاسلام كفيل بحل كل المشكلات بمجرد ان يوضع موضع التطبيق وان الانشغال بمشكلات التطبيق قبل الشروع في التطبيق هو من قبيل اللهو والعبث او من قبيل الترف الذهني ـ ان لم يكن من قبيل المؤامرات المدبرة والخيانة المقصودة لتعويق المسيرة الاسلامية وتثبيط الهمم والعمل على تسرب القوة الدافعة .

وقد توقفت بصفة خاصة عند قول عالمنا المفكر بان الشورى في النظام الاسلامي تمارس في « مجال اختيار الحكام » ، كما تمارس في « مجال المشاركة في اتخاذ القرارات » ، ومن ثم « فقد عرف الاسلام طائفتين تتوليان ممارسة الشورى في المجالين : الاولى اهل الحل والعقد ، والأخرى اهل الاجتهاد » .

وإذا كان « اهل الاجتهاد » من اليسير تحديد مقوماتهم ومؤهلاتهم بصورة منضبطة ، فان تحديد ما قصده فقهاؤنا « باهل الحل والعقد » يحتاج الى جهد ليس باليسير ، وان محاولة تحقيق طرق التوصل الى هؤلاء في مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة هي اكبر مشقة وعسرا ...

اجتهادات فردية

وقد ذكر عالمنا المفكر بحق ان ما حواه تراثنا الفقهي او الفكري بعامة عن « اهل الحل والعقد » من آراء متعددة « انما تمثل اجتهادا فرديا يعكس تصوراتهم لمهمة تلك الهيئة ... « ويمكن ان يضاف الى ذلك ان تفكير فقهائنا ومفكرينا كان الى حد ما « نظريا » وقت تدوينه . فقد انحصر في « تنظير » تجارب صدر الاسلام وتقنينها ، نتيجة ما قام من فجوة في مجال الفكر السياسي الاسلامي بصفة خاصة بين النظر والواقع ، وبحكم عدم تبلور الفقه السياسي الاسلامي ونموه ونضجه بمثل ما حدث لاحكام العبادات والمعاملات مثلا نتيجة ظروف خاصة بالمجتمعات الاسلامية ، الى جانب ظروف عامة للمجتمعات الانسانية حتى كان النمو الاخير للفكر السياسي والواقع السياسي في العصور الحديثة حين هيأت عوامل التغيير المناخ الملائم لهذا النمو ، بحيث بدت « جمهورية افلاطون » او « سياسة ارسطو » فكرا ساذجا عتيقا .. وهكذا جاء تراثنا في مجال النظام السياسي اما في صورة صياغة فقهية للتجارب التاريخية المبكرة ، او في صورة توجيه مواعظ اخلاقية للحكام ، ومن امثله النوع الاول كتاب « الاحكام السلطانية » للماوردي « المتوفى ٤٥٠ هـ) ، ومن امثله النوع الثاني كتاب « سراج الملوك » للطرطوشي (المتوفى ٥٢٠ هـ) . ولعل ما بدا محاولة من فقهائنا لمواجهة تطور النظام السياسي للخلافة قد انحصر في محاولة صياغة الاحكام لما تحقق في الواقع من « امامة الغلبة » و « امارة الاستيلاء » .

ومع ذلك يبقى تحديد المقصود لدى فقهائنا باهل الحل والعقد محاولة لها قيمتها في نظرى علميا وعمليا .. وارجو ان اسهم في هذه المحاولة في مقال تال . واتناول في هذا المقال ما ذكره الاستاذ الدكتور ابو المجد عن « الوظيفة التشريعية في حدودها المقررة في الدولة الاسلامية » وما ارتآه من اضطلاع اهل الاجتهاد بهذه الوظيفة وقد قرر انهم « هم الذين يمثلون الجماعة في ممارسة تلك الوظيفة » ... ولم اتبين اذا كان هذا التمثيل « مفترضا » او انه « يتحقق » بصورة من صور تعبير الجماعة عن ارادتها باختيار افراد بذواتهم من الحائزين على مقومات الاجتهاد . وقد ذكر الباحث انه « لا بد بطبيعة الحال ان يكون هؤلاء مؤهلين لتلك الممارسة بان يكونوا حائزين على درجة من درجات الاجتهاد في استخراج الاحكام واستخلاصها من ادلتها وفي معرفة الواقع الذي تطبق عليه تلك الاحكام » .

ولقد سبق ان قرر هذا المبدأ ايضا استاذنا الجليل الشيخ عبد الوهاب خلاف حيث قال : « ... في الدولة الاسلامية الذى يتولى السلطة التشريعية هم المجتهدون واهل الفتيا ... وكل دولة اسلامية في اى عصر لاتستغني عن وجود جماعة من اهل الاجتهاد الذين استكملوا شرائطه » .

هيئه الناخبين بامريكا

وقد ارتأى الاستاذ الدكتور ابو المجد ان يختص أهل الحل والعقد باختيار الامام ، وله ملاحظة بارعة رائدة تذهب الى ان « تصوير الماوردى لهيئة اهل الحل والعقد يجعلها عظيمة الشبه بهيئة الناخبين الرئاسيين او المندوبين eiectorai colleje المعروفة في انتخابات الرئاسة الامريكية » . وهو يشير الى قول الماوردى : « فاذا اجتمع اهل العقد والحل للاختيار تصفحوا احوال الامامة الموجودة فيهم شروطها فقدموا للبيعة منهم اكثرهم فضلا واكملهم شروطا ومن يسرع الناس الى طاعته ولايتوقفون عن بيعته . فاذا تعين لهم من بين الجماعة من اداهم الاجتهاد الى اختياره عرضوها عليه ، فان اجاب اليها بايعوه عليها وانعقدت ببيعتهم له الامامة ، فلزم كافة الامة الدخول في بيعته والانقياد لطاعته ، وان امتنع عن الامامة ولم يجب اليها لم يجبر عليها لانها عقد مراضاة واختيار لايدخله اكراه ولا اجبار ، وعدل عنه الى من سواه من مستحقيها » ويعرض الماوردى لحالة تكافؤ عدد من المستحقين للامامة ، وحالة تنازع المتكافئين وطرق الترجيح كما يعرض لحالة انفراد المستحق للامامة « وذهب جمهور الفقهاء والمتكلمين الى ان امامته لاتنعقد الا بالرضا والاختيار ولكن يلزم اهل الاختيار عقد الامامة له فان اتفقوا اثموا ، لان الامامة عقد لايتم الا بعاقد ... وقال بعضهم : لايصير المتفرد (بالصلاحية للقضاء قاضيا وان صار المتفرد (اى بالصلاحية للامامة) اماما ، وفرق بينهما بأن القضاء نيابة خاصة يجوز صرفه مع بقائه مع على صفته فلم تنعقد ولايته إلا بتقليد مستنيب له ، والامامة من الحقوق العامة المشتركة بين حق الله تعالى وحقوق الآدميين لايجوز صرف من استقرت فيه

اذا كان على صفته ، فلم يفتقر تقليد مستحقها مع تميزه الى عقد مستثبت له ».

وحتى بالنسبة لولاية العهد ـ ان وجدت ـ تظل مهمة اهل الحل والعقد قائمة ، فهم الذين يقبلون المبدأ والنظام وهم الذين يولون ولي العهد اماما حين يتوفى الامام الذي كان قائما وعهد اليه . يقول ابن تيمية (المتوفى ٧٢٨ هـ) « وكذلك عمر لما عهد اليه ابوبكر انما صار اماما لما بايعوه واطاعوه ، ولو قدر انهم لم ينفذوا عهد ابي بكر ولم يبايعوه لم يصر اماما .. » .

ويوضح الفقيه الحنبلي القاضي ابو يعلى (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) ان عقد ولاية العهد ليس هو عقد الامامة ولايتم به بحال ، وانما تتحقق الامامة بعقد آخر لاحق هو عقد الامامة نفسها يعقده اهل الحل والعقد اذا ارتأوا ذلك عند وفاة الامام الذي كان قائما وعهد الى شخص معين ، ومن ثم فان ولاية العهد عقد شخصي من الامام القائم لاداعي لان يدخل اهل الحل والعقد فيه لانه مجرد ترشيح مسبق يجوز لصاحبه العدول عنه قبل وفاته ، وانما تبدأ مهمتهم عند وفاة الامام بالنظر في صلاحية المعهود اليه وعقد الامامة له اذا ارتأوا ذلك او عقد الامامة لغيره اذا كان اولى بها وانفع فيها . يقول ابو يعلى « ويجوز للامام ان يعهد الى امام بعده ، ولا يحتاج ذلك الى شهادة اهل الحل والعقد في ذلك ولا بعضهم ... والدلالة على انه لايعتبر فيه رضا بعض الامة ان عهده الى غيره ليس بعقد للامامة ، بدليل انه لو صار عقدا له لادى ذلك الى اجتماع الامامين في عصر وهذا غير جائز . واذا لم يكن عقدا للامامة لم يعتبر فيه حضور عدد من اهل الحل والعقد . واذا عهد الامام الى رجل كان له ان يعزله قبل موته ... والدلالة عليه ان امامة المعهود غير ثابتة مادام العاهد باقيا حيا اماما ... ويجوز عهده الى من ينتسب اليه بولادة وقرابة اذا كان المعهود اليه على صفات الائمة ... لانه قد ثبت ان الامامة لاتنعقد للمعهود بنفس العقد وانما تنعقد بعهد المسلمين له . فاذا كان كذلك فالتهمة تنتفي لانه قد يختار ولايته لقرابته ولايختار المسلمون بعده فلا يصل الى غرضه فانتفت التهمة » .

اختيار الامام وحده

ومهمة جماعة اهل والعقد في اختيار الامام هي محل اتفاق ، ولكن هل تنحصر مهمتهم في هذا فحسب ؟ !

اعتقد ان « الوظيفة التشريعية » اشمل واوسع من ان تقصر على الجانب الشرعي او القانوني (الفني) ، فان لهذه الوظيفة طابعها (السياسي) الذي يحتاج لكفاية اهل الحل والعقد السياسية وخبراتهم الاجتماعية العملية . واوثر ان تظل هذه الوظيفة في ايدي اهل الحل والعقد ، الذين قد يكون من بينهم علماء لما لهم من مقدمات اجتماعية او سياسية اخرى . ويمكن ضمان الرقابة الشرعية (الفنية) من قبل هيئة المجتهدين الذين ينبغي ان يراجعوا صياغة الانظمة واللوائح والقرارات العامة قبل ان تصدرها الجهة المختصة ، كما تكون لهم اختصاصاتهم الاخرى في الفتيا والقضاء الدستوري والاداري ، على نحو يقارب ما هو معروف من نظام « مجلس الدولة » conseil detat الفرنسي او المحكمة العليا supreme court في الولايات المتحدة او يمزج بينهما ، وقد يضيف اليهما لمسات من نظام « ديوان المظالم » ايضا المعروف في تراثنا التاريخي والفقهي . على ان تكون « الوظيفة التشريعية » ذاتها لجماعة اهل الحل والعقد .

ذلك ان كثيرا من الانظمة واللوائح والقرارات فيما ليس فيه نص شرعي قد يكون مبنيا على تحقيق المصلحة وسد الذريعة ـ شأن الكثير من الاجتهادات المبكرة في عهود الصحابة والتابعين وتابعيهم وما الى ذلك من مجالات الاجتهاد التي لايقصر الرأي فيها على الفقهاء المجتهدين ، وانما يطلب الرأي من كل صاحب رأي ومن كل منتفع بهذه الانظمة والقرارات ومستفيد من تحقيق المصالح وسد الذرائع او من ممثلي المنتفعين والمستفيدين وهم جمهور الامة . ويكفي من اهل الحل والعقد علم محدود بمبادىء الشريعة العامة وقواعدها الكلية ومقاصدها ، لكن يظاهر ذلك خبرات اجتماعية وكفاية سياسية لاينبغي اهدارها .

السياسة الشرعية فن

فالسياسة علم وفن ، وقد يكون جانب الفن فيها اوفر ، حتى بالنسبة للسياسة الشرعية . ولايغني في ذلك ان يشترط في « اهل الاجتهاد » « معرفة الواقع الذي تطبق عليه الاحكام » الى جانب « حيازة درجة من درجات الاجتهاد في استخراج الاحكام واستخلاصها من ادلتها » ، فالشأن في هؤلاء الذين توفروا على العلم وتفرغوا لطلبه وافنوا فيه اعمارهم ان يكونوا بطبيعة حياتهم وظروفهم بعيدين عن الالتصاق بالواقع الاجتماعي ، وان تحقق هذا لبعضهم كان ذلك استثناء يؤكد الاصل والقاعدة . وجاز لهؤلاء ان يلجوا باب « اهل الحل والعقد » باعتبار ما تحقق لهم من قوة اجتماعية او

سياسية . وتكفي المراجعة الفنية للانظمة واللوائح والقرارات الهامة من قبل هيئة الفقهاء المجتهدين . لكن تظل جماعة اهل الحل والعقد هي الاولى والاقوم بالوظيفة التشريعية بما لها من طابع سياسي بحكم خبراتهم وكفايتهم السياسية ما كان من الافعال اقرب الى الصلاح وابعد عن الفساد وان لم يشرعه الرسول ولانزل به وحي .. » ـ على ما قرره ابن عقيل ونقله عنه ابن القيم (المتوفى ٧٥١ هـ) في « اعلام الموقعين » و« الطرق الحكمية » . ولم يغفل الفقهاء انفسهم عن ان يشترطوا في الامام مثلا « الرأى المفضي الى سياسة الرعية وتدبير المصالح » ـ على حد تعبير الماوردى . وان ماورد من اشتراط « الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البيضة وجهاد العدو » ليتطلب الشجاعة الادبية والقدرة على المبادرة باتخاذ القرارات المصيرية الخطيرة دون تردد او توان عند الاقتضاء ـ تماما مثل اتخاذها دون تسرع وتعجل . ولا تقل هذه الشجاعة بحال عن الشجاعة في ميدان القتال عند مقارعة الاعداء . ومن المعروف اعتياد أهل الفقه واهل الفكر جميعا التأني وتقليب الامر على وجوهه عند بحث اى امر مما قد يضيع الوقت المناسب لاتخاذ القرار فيولد بعد ذلك ميتا . كذلك اشترط الفقهاء في اهل الحل والعقد « الرأى والحكمة المؤديين الى اختيار من هو للامامة اصلح وتدبير المصالح اقوم » ـ كما ذكر الماوردى . والرأى والحكمة لها اهميتها ومزيتها عند اصدار الانظمة والقرارات . ولايغنى فيها العلم باحكام الشريعة والاجتهاد في استنباط مالم يرد فيه نص شرعي وفقا لمناهج الاستدلال كما هو معروف عند المجتهدين مهما وسعنا الدلالة المقصودة من « الاجتهاد » . ذلك ان اهل الاختصاص قديما وحديثا يشغلهم التعمق في تخصصهم العلمي وحده عن الثقافة العامة العريضة والخبرة الانسانية الواسعة . « والكفاية » عند ابن خلدون (المتوفي سنة ٨٠٨ هـ) تشمل « الجرأة على اقامة الحدود واقتحام الحروب والصبر بها وكفالة حمل الناس عليها . والمعرفة بالعصبية (اى بالقوى الاجتماعية وفعلها) واحوال الدهاء والقوة على معاناة السياسة . ليصح ما جعل من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وتدبير المصالح » ـ على ما قرره في مقدمته المشهورة .

و« السياسة الشرعية » مجال فسيح يحتاج للنظر البعيد والافق الواسع . ولا يشترط ان يضطلع باعباء السياسة فقهاء ولكن يشترط ان تسير السياسة الشرعية على مبادىء الشريعة العامة وقواعدها الكلية وأن تحقق مقاصدها وان لاتصطدم بشيء من احكامها الجزئية . ويضطلع المجتهدون بالجانب الفني وفقا للسياسة التي يتعاون على تخطيطها الامام واهل الحل والعقد . ويتولى الوظيفة التشريعية بطابعها السياسي جماعة اهل الحل والعقد .

من سوابق الشورى

وتبدو خلال وقائع الشورى التي بنيت عليها اقرارات سياسية وتنظيمية جليلة الخطر في تاريخنا اسماء شخصيات من سلفنا الصالح . هي اقرب الى ان تكون ضمن اهل الحل والعقد من ان تعتبر من العلماء المجتهدين .

لقد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواجهة قريش حربيا يوم بدر . بعد ان افلتت العير وخرجت قريش لحمايتها . وهذه شورى في قرار سياسي وليست في امر . فني من امور الحرب كمنزل الجيش . وكان من المشيرين المقداد بن عمرو وسعد بن معاذ . واستشار الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب بمصالحة الاحزاب على ثلث ثمار المدينة فابى السعدان : سعد بن معاذ وسعد بن عبادة . واستشار صلى الله عليه وسلم في القتال يوم الحديبية . وخطب صلوات الله وسلامه عليه في حادث الافك فقال : اشيروا علي معشر المسلمين في قوم ابنوا اهلي ورموهم ...

وروى البلاذرى عن محمد بن سعد عن الواقدي خبرا اسنده يقول : « ان عمر بن الخطاب استشار المسلمين في تدوين الديوان . فقال علي بن ابي طالب : تقسم ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيئا ! . وقال عثمان : ارى مالا كثيرا يسع الناس وان لم يحصوا حتى يعرف من اخذ ممن لم يأخذ حسبت ان ينتشر الامر . فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا . فدون ديوانا وجند جندا . فاخذ بقوله .. » وروى البلاذرى ايضا عن وكيع عن سفيان الثورى خبرا اسنده يقول ان عمر« لما وضع الديوان استشار الناس بمن يبدأ . فقالوا : ابدأ بنفسك . قال لا . ولكني ابدأ بالاقرب فالاقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبدأ بهم ... » « فلما وضع عمر الديوان : قال ابو سفيان بن حرب : أديوان مثل ديوان بني الاصفر (الروم) ؟ انك ان فرضت للناس اتكلوا على الديوان وتركوا التجارة . فقال عمر : لابد من هذا فقد كثر فيء المسلمين »

وروى القاضي ابو يوسف (المتوفي ١٨٢ هـ) في كتابه « الخراج » قال : « وحدثني غير واحد من علماء

اهل المدينة قالوا : لما قدم على عمر بن الخطاب جيش العراق من قبل سعد بن ابي وقاص شاور اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في تدوين الدواوين ، وقد كان اتبع راى ابي بكر في التسوية بين الناس . فلما جاء فتح العراق شاور الناس في التفضيل وراى انه الرأى ، فاشار عليه بذلك من رآه . وشاورهم في قسمة الارضين التي افاء الله على المسلمين من ارض العراق والشام ، فتكلم قوم فيها وارادوا ان يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا ، فقال عمر : فكيف بمن يأتي من المسلمين ... فاكثروا على عمر ... فكان عمر لا يزيد على أن يقول : هذا رأى قالوا : فاستشر ، قال : فاستشار المهاجرين الاولين فاختلفوا ، فاما عبد الرحمن بن عوف فكان رأيه ان تقسم لهم حقوقهم ، ورأى عثمان وعلي وطلحة وابن عمر راى عمر . فارسل الى عشرة من الانصار : خمسة من الاوس وخمسة من الخزرج من كبرائهم واشرافهم ... »

« قال : وحدثني الليث بن سعد عن حبيب بن ابي ثابت قال : ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارادوا عمر ابن الخطاب ان يقسم الشام كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، وانه كان اشد الناس عليه في ذلك الزبير بن العوام وبلال بن رباح .. »

بين العالم والقاضي والامام

وقد فطن فقهاؤنا الى الفارق بين العالم والقاضي والامام من حيث المهمة والوظيفة وهو اساس صالح يرشد الى صور اخرى للتفرقة والتمييز منها التفريق بين (سياسة) اصدار الانظمة والقرارات ومراعاة (الجانب الفني) في الانظمة والقرارات صياغة ومضمونا . يقول القرافي الفقيه المالكي (المتوفي ٦٨٤ هـ) مثلا : « قال العلماء : واذا كان (معاذ) اعلم بالحلال والحرام فهو اقضى الصحابة ، فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام : اقضاكم (علي) ؟ اجابوا : بان القضاء يرجع الى التفطن لوجوه حجاج الخصوم ، وقد يكون الانسان اعلم بالحلال والحرام وهو بعيد عن التفطن للخدع الصادرة من الخصوم والمكايد والتنبه لوجوه الصواب من اقوال المتحاكمين . فهذا باب آخر عظيم يحتاج الى فراسة عظيمة وفطنة وافرة وقريحة باهرةودربة مساعدة واعانة من الله تعالى عاضدة ، فهذا كله محتاج اليه بعد تحصيل الفتاوى . فقد يكون الاقضى اقل فتيا حينئذ ، فلا تناقض بين قوله صلى الله عليه وسلم : اقضاكم علي ، وبين قوله صلى الله عليه وسلم : اعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وظهر حينئذ ان القضاء يعتمد الحجاج والفتيا تعتمد الادلة ، وان تصرف الامامة الزائد على هذين يعتمد المصلحة الراجحة او الخالصة في حق الامة ـ وهي غير الحجة والادلة .

وظهر ان الامامة جزؤها القضاء والفتيا ، ولهذا اشترط فيها من الشروط ما لم يشترط في القضاء والمفتين من كونه قرشيا عارفا بتدبير المصالح وسياسة الخلق »

ونستأنس ايضا بما هو معروف من امكان تجزىء الاجتهاد ، وعليه يمكن ان يعتبر اهل الحل والعقد مجتهدين في نطاق « السياسة الشرعية » او « سياسة الانظمة واللوائح والقرارات » ان كان لا بد من اشتراط الاجتهاد على نحو ما للقيام بالوظيفة التشريعية . وقد بين ابن تيمية ان العامي اذا امكنه الاجتهاد في بعض المسائل جاز له . ومما قاله في (المجموع) : « وكذلك العامي اذا امكنه الاجتهاد في بعض المسائل جاز له الاجتهاد ، فان الاجتهاد منصب يقبل التجزأ والانقسام ، فالعبرة بالقدرة والعجز » وذكر ابن القيم في (اعلام الموقعين) : « الاجتهاد حالة تقبل التجزأ والانقسام ، فيكون الرجل مجتهدا في نوع من العلم مقيدا في غيره او في باب من ابوابه ... فهذا ليس له الفتوى فيما لم يجتهد فيه ، وهل له ان يفتي في النوع الذى اجتهد فيه ؟ فيه ثلاثة اوجه ، اصحها الجواز ، بل هو الصواب المقطوع به »

ان قيام جماعة اهل الحل والعقد ، او اهل الشورى ، بالمهام التي تضطلع بها المجالس النيابية عادة ولكن في حدود مبادىء الشريعة ، ييسر الرؤية المعاصرة لمهمة الشورى وأهلها ، كما يجمع الاختصاصات العليا بين ايدي الكفايات السياسية القيادية فيستفاد من هذا الجمع في الاختصاصات ومن هذا التنظيم في الجهد والانتفاع بالكفايات القيادية وهي بطبيعتها محدودة ، كذلك تنتفي الشبهة التي تزعم ان الاسلام يقيم « حكومة مشايخ » .. ولكن هذا بطبيعة الحال لا تعنى الغض من قدر العلماء المجتهدين او التقليل من الحاجة اليهم ... ففقهاء القانون المبرزين في دول العالم لم يكونوا اعضاء في مجالسها التشريعية ، ومع ذلك كانوا دائما هاديا لهذه المجالس وظهيرا لها ، بالرأى المتزن المتئد على طريقة اهل العلم ... والدولة الاسلامية احوج ما تكون لعلماء الشريعة المجتهدين . وسنتناول كيف الافادة منهم بما يناسب اختصاصهم وظروفهم في المقال القادم ان شاء الله .

الرياض ـ د . محمد فتحي عثمان

« فلما ان حلفت له باني صائم ضحكا ! » ـ ابو نواس

البخل عند العرب

بقلم : الدكتور
احسان النص

ادب الامة مرآة لحياتها الاجتماعية والفكرية والوجدانية ، سواء قصد الاديب ان يكون ادبه تصويرا لهذه الجوانب من الحياة او لم يقصد ، لان الاديب لا يملك ان يخرج عن نطاق عصره وبيئته مهما يحاول ذلك . ذلك ان اسلوبه في التفكير ، وتفاعله مع الاحداث ، واستجابته للمؤثرات ، وسلوكه الاجتماعي ، كل اولئك امور يحكمها المناخ الفكري الذي يعيش فيه الاديب ، والبيئة التي ينمو في ظلها والاعراف الاجتماعية التي تبسط سلطانها على ابناء مجتمعه وتدين كل محاولة للتمرد عليها .

ومن هنا فان الظواهر الاجتماعية التي يصورها ادب امة ما لا تكون في جميع الاحوال مماثلة للظواهر الاجتماعية في اداب الامم الاخرى ، وان اتفقت التسميات ، فالدوافع قد تكون مختلفة ، والنظرة اليها ليست واحدة في شتى المجتمعات الانسانية ، ومواقف الادباء منها متباينة بل ان ادب الامة الواحدة لا يتناول هذه الظواهر على نحو واحد في مختلف العصور والبيئات .

فكذلك نرى ان الادب العربي حين تناول هذه الظواهر انما تناولها على النحو الذي يتلاءم مع المجتمع الذي وجدت فيه . وسأحاول ان اعرض هنا هذه الاحاديث وكيف صور ادبنا القديم طائفة من الظواهر الاجتماعية والمعاني الانسانية ، والظاهرة التي اتناولها اليوم هي البخل .

والبخل آفة عرفتها المجتمعات البشرية كلها وصورتها آداب الأمم جميعا ولكن صورة البخل لم تكن واحدة في هذه الآداب ، بل انها لم تكن واحدة في ادبنا نفسه ، لان النظرة الى هذه النقيصة كانت تختلف من بيئة الى اخرى ومن عصر الى اخر .

كرماء بالضرورة

البخل في نظر الجاهليين خروج على الاعراف الاجتماعية التي افرزتها حياة الصحراء وضروراتها ، والتي كانت تفرض مع كل عربي ان يقدم القرى (الطعام) الى اي ضيف ينزل به ، عملا بمبدأ المعاملة بالمثل ، وامتناع الرجل من اداء هذا الواجب يجعله عرضة للاحتقار والازدراء من قبل مجتمعه ، وبخله بالقرى يلصق به سبة لا يمحوها تطاول الايام . بل ان هذا العار يتجاوز الرجل الى قبيلته فيغدو لطخة سوداء تشين صحيفتها مدى الدهر ، وتسليط الضوء القوى على هذه النقيصة انما يفسره مدى حاجة المجتمع الجاهلي الى توفير القرى لكل مسافر يضرب في مفاوز الصحراء المترامية الاطراف ، ولا سيا حين تهب الاعاصير العاتية فتعوق سفره وتلجئه الى الاحتاء باول خباء يجده في طريقه . ولا يطالب من ينزل به الضيف في هذه الاحوال باكثر من تقديم شيء من اللبن والتمر للوافد ، والمأوى في بعض الاحيان . والاخلال بهذا الامر يجعل الانتقال في مجاهل الصحراء امرا غير مأمون العواقب ، ومن هنا جاء الحاح الشعراء العرب القدامى على ذم البخل وعده من اشنع النقائص ومن هنا ايضا كانت القبائل تتحامى ، جهدها ، ان تعير بهذه النقيصة يبذلها القرى لكل وافد .

ومن عجب ان الشاعر الذي اكثر من ذم البخل عصرئذ كان هو نفسه معروفا بهذه النقيصة ونقصد به الحطيئة ، حتى عرف عنه هجاؤه لأضيافه ، يذكرون مثلا ان رجلا اسمه ابن الحمامة مر به وهو جالس بفناء بيته فقال له : السلام عليكم . فقال : قلت مالا ينكر . قال :اني خرجت من عند اهلي بغير زاد . فقال : ما ضمنت لأهلك قراك ، قال : افتأذن لي ان آتي ظل بيتك فأتفيأ به ؟ قال دونك الجبل يفيء عليك . قال : انا ابن الحمامة . قال : انصرف وكن ابن اى طائر شئت .

وأتاه رجل مرة ، وهو في غنمه ، فقال له : يا صاحب الغنم ، فرفع الحطيئة عصاه وقال : انها عجراء من سلم . فقال الرجل : اني ضيف فأجابه : للضيفان اعددتها .

وقد ذكروا انه ما نزل به ضيف الا هجاه . ومع هذا كان الحطيئة كثيرا ما يهجو البخلاء ، ويشيد بالكرم والكرماء . وتنسب اليه قصيدة فريدة في شعرنا القديم تصور كرم العرب في صورة تكاد تكون اسطورية . فما تعليل هذا التناقض في سلوك الحطيئة ؟

تعليله ـ فيما يبدولي ـ ان الحطيئة عانى الفقر والاهمال في نشأته الاولى فتولدت لديه عقدة الحقد على مجتمعه ، ووجد في نفسه القدرة على قول الشعر فاستغلها في توفير الرزق لنفسه ولعياله ، وسلط هجاءه المقذع على كل من قصر في اكرامه واتخذه اداة ينتقم بها من مجتمعه المسؤول عما لحق به . فاسمعه يقل مثلا في رجل التمس منه عطاء فلم يلب طلبه ويرسم له هذه الصورة الكاريكاتورية الساخرة :

كدحت بأظفاري وأعملت معولي
فصادفت جلمودا من الصخر أملسا
تشاغل لما جئت في وجه حاجتي
واطرق حتى قلت : قد مات أو عسى
فقلت له : لا بأس ، لست بعائد
فأفرخ تعلوه السمادير ملبسا[1]

وأصبح المال قبل العلم

وقد ظل البخل في عصر بني امية نقيصة رئيسية تضع من قدر من يرمى بها وتؤلم المهجوبها اشد الايلام ، ولا سيما اذا كان من اشراف قومه . ولا غرو فان القيم الجاهلية الاصيلة ظل كثير منها حيا في العصر الاموى ـ ولا سيما في مجتمع البادية ـ ومن اطرف صور البخل التي ابدعها شعراء ذلك العصر هذه الصورة التي مثل بها الاخطل بخل بني كليب ، رهط خصمه جرير :

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم
قالوا لأمهم بولي على النار

فقد جعل القوم لشدة بخلهم يسارعون الى اطفاء نارهم اذا طرقهم ضيف ، وجعلهم يكلون اطفاء النار الى امهم . وجعل نارهم من الضآلة بحيث تطفئها بولة .

على انه حين اطل العصر العباسي اختلفت صورة البخل في نتاج الادباء عما وجدناها في نتاج سابقيهم . فالمجتمع العباسي غدا مجتمعا حضريا خليطا من عناصر عربية وعجمية ، وللعجم عاداتهم التي تغاير عادات العربي ، هذا من جانب . ومن جانب آخر نرى ان هذا المجتمع سادت فيه قيم جديدة افرزها تطور الحياة فيه . فالمال غدا ركنا اساسيا من اركان الحياة التي تعقدت مظاهرها وكثرت متطلباتها ، فلم يعد المرء يقنع باليسير من المأكل والبسيط من الملبس ، وانما همه ان يحقق لنفسه رغبات كثيرة متنوعة لا يحققها الا توافر المال بين يديه ، واصبح السعي وراءالكسب الوافر غاية اساسية في حياة الناس ، وانفاق المال ينبغي ان يكون بحساب . هذا فضلا عن ان الكرم لم يعد منقبة يفخر بها الا لدى طبقة من العرب الخلص المحافظين على تراث اسلافهم . في حين ظهرت طبقة اخرى ـ جلها من غير العرب ـ تفخر بتوفير المال وادخاره ، بل لقد وجد من يدافع عن البخل ويتخذه مذهبا يفاخر به . وفي كتاب البخلاء للجاحظ تصوير لهذه الطبقة يعكس لنا صورة المجتمع الذى كانت تعيش فيه . فسهل بن هارون ، كاتب العباسيين الذائع الصيت ، يضع رسالة في الدفاع عن مذهبه في البخل والاحتجاج له ، حتى انه قدم المال على العلم ، « لان المال به يغاث العالم وبه تقوم النفوس ، قبل ان تعرف فضيلة العلم » .

وأثر عن ابي محمد الحزامي كلام في البخل « وهو احد من ينصره ويفضله ويحتج له ويدعو اليه » . وكان اذا قيل له : انت بخيل ، اجاب : لا اعدمني الله هذا الاسم ، لانه لا يقال فلان بخيل الا وهو ذو مال ، فسلم الى المال وادعني باي اسم شئت . والمسجديون من اهل البصرة كانوا يرون ان مذهبهم في البخل بمثابة النسب الذي يجمع بينهم ، ويصفهم الجاحظ فيقول : اجتمع ناس في المسجد ، ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة ، والتثمير للمال ، من اصحاب الجمع والمنع وقد كان هذا

(١) افرخ : ذهب روعه . السمادير : ما يتراءى للمرء من رؤى حين يشتد به السكر والمرض .



لمذهب عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب ، وكالحلف الذي يجمع على التناصر . وكانوا اذا التقوا في حلقهم تذاكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه التماسا للفائدة واستمتاعا بذكره .

وكان اهل خراسان المشهورون ببخلهم يرون ان الجود انما يكون بالكلام لا بالفعال . وكان المروزي « يقول للزائر اذا اتاه ، وللجليس اذا طال جلوسه : تغديت اليوم ؟ فان قال نعم ، قال : لولا انك تغديت لغديتك بغداء طيب . وان قال لا . قال : لو كنت تغديت لسقيتك خمسة اقداح ، فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير » .

ومن اطرف ما رواه الجاحظ من اخبارهم قصة المروزي الذي كان كلما قدم العراق ينزل على تاجر من اهلها فيكرمه كرما كثيرا ويدعوه الى زيارته بمرو ليكافئه على صنيعه ، ثم عرضت للبغدادي حاجة في مرو بعد دهر ، فلما قدم على صاحبه المروزي انكر معرفته به وقال له ـ بعد ان خلع عمامته وقلنسوته وقناعه ليعرفه ـ قولته التي ذاعت بعده : « لو خرجت من جلدك لم اعرفك . »

ومحدثوا النعمة

فقد وجدت في العصر العباسي اذا طبقة ترى ان البخل ليس نقيصة يعاب بها المرء ، وانما هي فضيلة يعتزون بها . وهذا التطور في النظرة الى البخل مرده الى تغير بنية المجتمع عصرئذ . على ان البخل في العصر العباسي لم يكن يقصد به دائما الضن بالمال والقوت ، وانما وجدت له صورة اخرى ، فقد ظهرت طبقة من الاثرياء المحدثي النعمة جمعوا اموالهم بشتى السبل .

واراد هؤلاء ان يظهروا بمظهر اهل النعمة وسراة القوم ، فكانوا يدعون الناس الى موائدهم ، ولكن وضاعة اصلهم وفطرتهم المبنية على الجشع والبخل ، كل ذلك كان يدفعهم الى ان يسلكوا خلال هذه المآدب سلوكا ينم عن بخلهم الاصيل . فمنهم من كان يتظاهر بالشبع ، والناس بعد في اول طعامهم ، ليصرفوهم عن الاكل ، ومنهم من كان يسأل احد مدعويه المشهور بشدة الاكل عن حديث طويل يشغله عن الطعام ، الى غير ذلك من الوسائل والحيل التي تحدث عنها الجاحظ في كتابه الطريف .

ومن هنا وجدنا بعض الشعراء في اهاجيهم للبخلاء يلحون على جانب البخل بالطعام ، ويديرون هجاءهم على الرغيف . وابرز من تجد في شعره هذه الظاهرة ابو نواس ، فقد اولع بهجاء طائفة من البخلاء الذين ضنوا عليه بما كان يرجوه منهم ، وكان مدار حديثه في هجائه لهم على الرغيف دائما ، فهو يقول في هجاء احدهم :

فتى لرغيفه قرط وشنف ... وخلخالان من خرز وشذر

اذا فقد الرغيف بكى عليه ... بكا الخنساء اذ فجعت بصخر

ودون رغيفه قلع الثنايا ... وحرب مثل وقعة يوم بدر

ويقول في بخل الخصيب صاحب مصر :

خبز الخصيب معلق بالكوكب ... يحمى بكل مثقف ومشطب

جعل الطعام على السغاب محرما ... قوتا وحلله لمن لم يسغب

فاذا هم رأوا الرغيف تطربوا ... طرب الصيام الى اذان المغرب

ومن اوجع هجائه بالبخل قوله في الفضل :

رأيت الفضل مكتئبا ... يناغي الخبز والسمكا

فقطب حين ابصرني ... ونكس رأسه وبكى

فلما ان حلفت له ... بأني صائم ضحكا

هذه جوانب من ادبنا صورت نقيصة البخل ، وهي تعكس نظرة المجتمع الى هذه الآفة واختلاف هذه النظرة باختلاف الاعصر والبيئات .

■■

د . احسان النص

يشهد العالم حدثا رياضيا هاما يوم ١٩ يوليو الحالي ، وعلى مدى خمسة عشر يوما عندما تبدأ الالعاب الاولمبية في موسكو ، ومع هذا المهرجان الرياضي تواجه الالعاب الاولمبية لاول مرة منذ ٨٤ عاما « انشقاقا » يهدد استمرارها بعد امتناع اكثر من اربعين دولة عن حضور الدورة الحالية احتجاجا على الغزو السوفيتي لافغانستان وبعد اتصال الالعاب الاولمبية في الحضارة الاغريقية القديمة زهاء ١١٦٠ سنة كاملة لم تستطع حضارة العصر الحديث الاستمرار « ملتقي » للجميع اكثر من ٨٤ عاما فقط ، ووقع الانشقاق الذى يعرض مستقبل الالعاب الاولمبية كلها للخطر ، فربما لا تحضر روسيا وحلفاؤها الاولمبياد في دورته التالية في لوس انجلوس ! وهكذا !

قصة الألعاب الأولمبية

- افريقيا .. مهد الالعاب الاوليمبية القديمة
- اساطير كثيرة ... حول اسباب تنظيم الالعاب الاوليمبية
- الالعاب بدأت ... برشوة !
- العقيدة الوثنية ... مزجت بين طقوس العبادة والرياضة .
- كورويوس .. اول بطل اوليمبي كان .. طاهيا
- عندما تنفس . هرقل !
- هيبوداميا .. والمطاردات الدامية !
- اوليمبيا .. كانت سوق عكاظ الاغريقية !
- بدأت الالعاب بسباق طوله مائتا متر !!

حدث رياضي ضخم .. وعيد رياضي فخم .. يسمونه من بين ما يسمونه « اعظم مهرجان رياضي في كوكب الارض » او بالاحرى .. الالعاب الاليمبية » !

ففي هذا الشهر ستنظم موسكو دورة الالعاب الاوليمبية الصيفية الحديثة الثانية والعشرين ، و .. ولكن ..

لماذا « صيفية » !!. و .. لماذا « حديثة » !!

صيفية .. وشتوية !

كانت الالعاب الاوليمبية منذ بدأت « رسميا » في عام ٧٧٦ قبل الميلاد تقام عقب ظهور البدر التالي للانقلاب الصيفي ، اي في حوالي شهر يوليو ، ولكن المحدثين اضافوا اليها ألعابا اوليمبية ، شتوية تقام مرة كل اربع سنوات اسوة بالالعاب الصيفية ، منذ عام



الشعلة ... رمز الالعاب الاولمبية .. تبدأ جذوتها في اليونان وفي موقع الالعاب الاولمبية الاولى ثم يتناقلها الرياضيون حتى تصل موقع الالعاب الاولمبية بموسكو في هذا الشهر

القديمة

بقلم : عادل شريف

١٩٢٤ .. والطريف ان البلد العربي الوحيد الذي يحرص على الاشتراك في الالعاب الاوليمبية الشتوية هو .. لبنان ! وذلك رغم ممارسة العاب الجليد ـ او الالعاب البيضاء كما يطلقون عليها ـ في العراق وسوريا والجزائر والمغرب .

قديمة وحديثة !

وعلى الرغم من ان الالعاب الاوليمبية القديمة قد بدأت قبل عام ٧٧٦ ق . م . الا ان هذا التاريخ هو التاريخ « الرسمي » لبدء الالعاب الاوليمبية ... ببساطة لان اسم اول فائز اوليمبي لم ينقش على الحجر الا في عام ٧٧٦ قبل الميلاد ، وقد اتصلت تلك الالعاب حتى عام ٣٩٣ ميلادية ثم الغيت حتى بعثت من جديد في عام ١٨٩٦ .

اغريقيا ... واوليمبيا !

و .. ولكن كيف نشأت الالعاب الأولمبية القديمة .. التي اتصل اهتمام البشر بها واحتفالهم بها مرة كل اربعة اعوام .. على مدى حوالي ثلاثة الاف سنة .. باستثناء اعوام « الوأد » ؟

كانت « اغريقيا » هي مهد الالعاب الاوليمبية القديمة . واغريقيا هي « ارض هيلاس » اي ارض اليونان فكلمة « هيلاس » باليونانية تعني .. اليونان !

وكانت بلاد الاغريق « اليونانيون القدامى » بلادا وثنية .. تتعدد فيها الالهة طبقا للاساطير الدينية القديمة . وكان للالهة رئيس او كبير او « رب ارباب » اسمه « زيوس » .

وكانت تلك الآلهة خفيفة الدم والظل والعقل رغم أن احداها كانت ربة .. للحكمة وهي « أثينا » !!

فهي ـ اي الآلهة الاغريقية ! تحسد وتحنو وتحب وتكره وتغار وتلهو وتجد وتلعب .. وتثأر ! تثأر من البشر .. ومن بعضها البعض .. وتدبر المقالب !!

وكانت آلهة الاغريق ـ تحت زعامة زيوس وزوجته حيرا .. فآلهة الاغريق كانت تتزاوج وتنجب صبيانا وبنات . تعيش فوق قمة أعلى جبل في اغريقيا وهو جبل اوليمبوس (٢٨٠٠ مترا) الذي تتوج الثلوج هامته الشديدة الارتفاع .. اذ لا يمكن للآلهة ان تعيش في مكان يستطيع البشر .... بلوغه .

ورغم ذلك الارتفاع الشاهق كانت الصلة متينة بين الاغريق الوثنيين وأربابهم المتعددين فكانوا يقيمون لها التماثيل والمعابد ويقدمون القرابين في مراكز كثيرة كان اهمها واقدسها « اوليمبيا بولاية ايليس الاغريقية » .

ثم نصل الى سر تنظيم الالعاب الاوليمبية القديمة .. فقد مزجت العقيدة الاغريقية الوثنية بين طقوس العبادة ... والرياضة ! ويقال انهم اخذوا ذلك المزج عن الفينيقيين من سكان لبنان القديم .. ومن هنا نشأت الالعاب الاوليمبية .. نشأت تكريما لزيوس .. واعوانه من الآلهة !

فقد كان زيوس بكره المركزية .. فعليه أرباب او ربات لكل مجال من مجالات الحياة .. للحب والكره .. وللرياح والبحار .. للاخصاب والحصاد .. للحكمة والجمال .. وكانت هناك ارباب مقربة تولت اكثر من مجال .. ويبدو ان زيوس كان معجبا بالتحيز .. ومراكز القوى .

ولعل اضخم واهم فارق بين الالعاب الاوليمبية القديمة والحديثة .. هو تثبيت مكان اقامة الالعاب الاوليمبية القديمة في « اوليمبيا » .

على عكس الحديثة التي تقام في بلد مختلف في كل مرة .

اقفش .... رشوة

وقد تعددت الاساطير حول اسباب نشأة الالعاب الاوليمبية القديمة كما لم تتعدد حول نشأة اي حدث من الاحداث .

وتقول احدى تلك الاساطير ان الالعاب الاوليمبية القديمة نشأت .. برشوة .

وقبل سرد التفاصيل تجدر الاشارة الى نظام الحكم في « اغريقيا » القديمة . فقد كانت اليونان القديمة تتكون من « دويلات » اسموا كل واحدة منها « المدينة الدولة » او « الدولة المدينة » .. فقد كان الاغريق يعشقون الحرية والاستقلال عشقا مبرحا .. ويكرهون الوحدة كرها ساخطا .

وكانت كل مدينة تحكم المنطقة من حولها بما تضمه من مدن وقرى أصغر .. وبسبب تلك الفرقة طمعت القوى الاجنبية في بلاد الاغريق وجاء الفرس من آخر الدنيا .. لغزوها . ولكن فيليب ملك مقدونيا (والد الاسكندر الاكبر) نجح في توحيد دويلات الاغريق في عام ٣٣٨ ق . م .

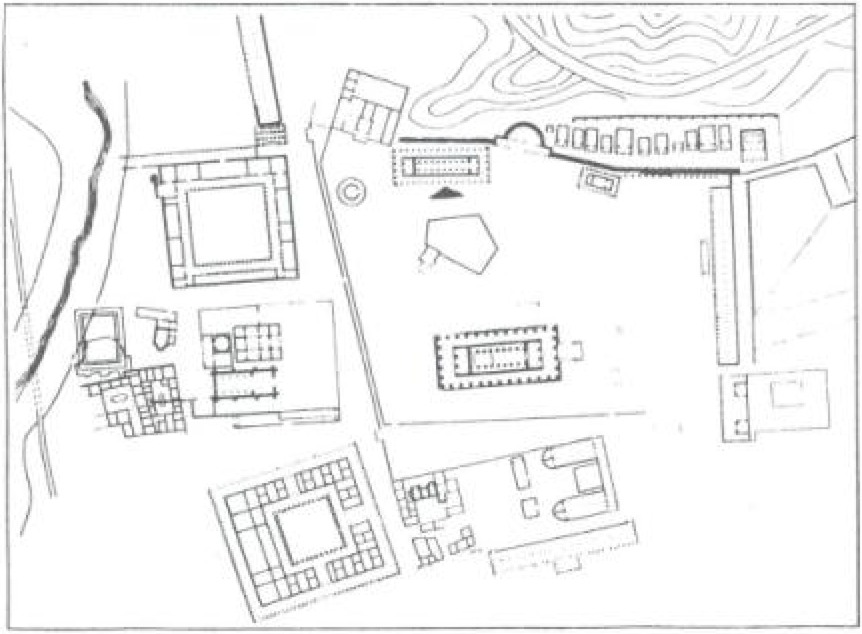
ونعود الى قصة الرشوة .. وبالتالي لاسطورة « هيبوداميا » ... الدامية ! وكانت هيبوداميا ابنة انوقس ملك دويلة بيزا ـ وهي غير بيزا الايطالية ذات البرج المائل ـ في القرن التاسع قبل الميلاد وتقع في جنوب غرب اليونان . واعلن أنوموس انه سيزوج ابنته الساحرة الجمال لا لصاحب سلطان او مال .. بل لمن يقدر على اختطافها في عربته ذات الجياد .. ثم يطارد الملك بعربته سارق ابنته .. وان لحق به الملك ليسترد ابنته .. قتله الملك برمحه ولحق أنوموس بثلاثة عشر خطيبا من خطاب هيبوداميا وقتلهم .. اذ كانت مركبته امتن عربة في اغريقيا .. وجياده اسرع الخيول .. ورمحه امضى الرماح .. وكان انوموس « ملك دقة التصويب والتسديد » .

ثم جاء الخطيب الرابع عشر وكان اسمه (بيلوبس) وكان شابا مليحا قويا ذكيا . بل شديد الذكاء وادرك بيلوبس ان مصيره رمح حاد تلقيه ذراع انوموس المدربة ، يستقر في ظهره وينفذ من قلبه .

و .. والحرب خدعة .. وكذلك الخطبة على عهد الاغريق القدامى . وقدم بيلوبس كيسا من الذهب الى ميرتيلوس سائس عربة اونوموس .. مقابل العبث بصواميل عجلات العربة .. الملكية و .. بدأت المطاردة الدامية .. بيلوبس وهيبوداميا في المركبة الاولى .. وتلاحقها عربة الملك وضاقت المسافة بين العربتين واستقل اونومس رمحه ليرمي به الساذج الرابع عشر .. وقبل ان يطير الرمح الحاد في الهواء .. طارت عجلات عربة الملك وانفصلت عن المركبة .. بفضل عبث



اطلال الهيرايون او معبد هيرا اقدم المباني التي عرفتها اولمبيا اليونان وكان الهيرايون هذا مركزا دينيا ورياضيا هاما في حياة قدماء الاغريق . بني سنة ٦٠٠ ق . م وذلك على انقاض المبنى الخشبي الاسبق



رسم هندسي للمباني التي اقامها الاغريق في بلدة اولمبيا .. حيث اقاموا العابهم الاولمبية ومهرجاناتهم الدينية .. والمبنى الذي يشير اليه السهم في الرسم يمثل الهيرايون السابق الذكر

ميرتيلوس بصواميلها .. فانقلبت العربة ومات الملك .. ومات ميرتيلوس .

فبعد ان تزوج بيلوبس من أميرة أحلامه هيبوداميا اتصلت الاحداث المأساوية .. فقد امر بيلوبس .. بالقاء ميرتيلوس من فوق قمة جبل عال !

اروع بقعة في « هيلاس »

واحتفالا بانتصاره التاريخي وفوزه بأجمل أميرات هيلاس » قرر بيلوبس اقامة مهرجان كبير تخليدا لنصره المؤزر (!) وتكريما لزيوس كبير الآلهة .

ومزج ذلك المهرجان بين طقوس العبادة والرياضة ..

وكان « اول » العاب اولمبية قديمة .

ولكن اين يحتفي بيلوبس بنصره ؟

آه .. ان شعراء الاغريق يتغنون .. بجمال بقعة ساحرة الجمال في وادي اوليمبيا وصفوها بانها « اجمل مكان في ارض هيلاس » .

ويقع وادي اوليمبيا على الساحل الجنوبي الغربي لشبه جزيرة اليونان قرب نهر ايلفيوس وروافده .. ويطل عليه جبل « اوليمبوس » الأشم المعمم بالجليد .. حيث تعيش الآلهة فوق قمته وتلهو وتجد وتكره وتحب .. ففي ارباب الاغريق كانت سمات كثيرة من تصرفات .. بني البشر .



لوحة فنية من صنع نحاتي القرن التاسع عشر تبين احدى المباريات الاولية التي اقامها وعني بها قدماء اليونان وذلك حسب تصور الفنان النحات

ومن اجل ارضاء الآلهة وتكريمها اقام بيلوبس في اوليمبيا أول ألعاب اوليمبية في مهرجان فخم ضخم اقاموه مرة كل ثماني سنوات .. ثم حفضوا الفترة الفاصلة اى « الدورة » الى اربع سنوات . وتحولت اوليمبيا الى عاصمة دينية بل وفنية وأدبية وثقافية .. فمع مر الايام وكر الاعوام اصبحت اوليمبيا مثل سوق « عكاظ » يحج اليها عشاق الرياضة والفن والادب والفلسفة والشعر والخطابة مرة كل اربعة اعوام .. من اجل ارضاء الآلهة .

عندما يتنفس .. هرقل .

ولكن اسطورة اخرى تقول ان اخيلليس هو الذي بدأ الالعاب الاوليمبية في عام ١٢٥٠ ق . م تكريما لصديقه الحبيب باتروكلوس الذي قتله هيكتور تحت اسوار طروادة قبل انتهاء حرب طروادة باشهر خدعة حربية في التاريخ .. خدعة « حصان طروادة » وكانوا يواظبون على تنظيم ذلك المهرجان الديني الرياضي على امل عودة باتروكلوس العزيز من « دار الفناء » .

وتقول اسطورة اخرى ان هرقل هو منشيء الالعاب الاوليمبية القديمة .. وانه الذي حدد طول « الاستاديون » الذي اشتقت منه كلمة « ستاد » اى « ملعب » وكان الاستاديون سباق جرى يشكل المسابقة الوحيدة في الالعاب الثلاث عشرة الاولى قبل تصعيد البرنامج الرياضي ليضم العابا اخرى كثيرة مثل الملاكمة والمصارعة و « البانكر يشن » وهي مزيج من المصارعة والملاكمة والجودو .. وسباق الخيل .. وسباق العربات التي تجرها الجياد .. ومباريات الناشئين في الجرى والملاكمة والمصارعة .. فقد كانت الالعاب الاولى لا تضم سوى « الاستاديون » وهو سباق جرى طوله ١٩٢ مترا و ٢٧ سنتيمترا ! !

فقد اخذ هرقل ـ ابن زيوس ـ والكمين وهي انثى من البشر كما تقول الاساطير . نفسا عميقا وكتم انفاسه وسار مسافة حتى اخذ نفسا جديدا .. وقاسوا المسافة التي مشاها وهو يكتم انفاسه .. وقرروا انها مسافة تشكل طول « الاستاديون » .

واكدت اسطورة اخرى ـ فأساطير زمان تؤكد اسوة باشاعات الآن ـ ان منشيء الالعاب هو اثليوس ملك دويلة « ايليس » والذي اشتقت من اسمه كلمة « اثليت » اى « الرياضي » .

فقد وعد إثليوس ابناءه بمنح تاجه لمن يفوز منهم بسباق « الاستاديون » .

وتقول اسطورة اخرى ان نزاعا قام بين زيوس وابيه كرونوس « الذي عرف باسم أكل الاطفال » على عرش الاوليمب . وقررا حسم الموقف بينهما بمباراة مصارعة .. وقهر الابن اباه .. واصبح زيوس رب الارباب ... فبدأ اقامة الالعاب الاوليمبية تكريما .. لفوزه على ابيه ..

ثم جاء .. سترابون ..وسترابون هو المؤرخ والجغرافي والرحالة الاغريقي الشهير « ٦٣ ق.م حتى ٢٤ ميلادية .. تقريبا !) الذي درس في الاسكندرية ، وسافر في النيل حتى منابعه .. وقام ذلك المثقف المستنير بدراسة كل تلك الاساطير وغربلتها .. وانتهى الى رأي يقول ان منشيء الالعاب هو اوكزيلوس زعيم القبائل « الأيتولية ـ الدورية » التي احتلت منطقة ايليس ـ حيث توجد قرية اوليمبيا ـ وبسطت نفوذها على سهل

اوليمبيا » والحرم المقدس » حيث يوجد معبد زيوس وزوجته حيرا ... وحيث أقيمت احدى عجائب الدنيا السبع القديمة .. وهو تمثال زيوس المغطى بالذهب الخالص وعلى قاعدة تلك الاعجوبة كتبوا .

« صنعني فيدياس بن شار ميديس » ، وفيدياس الاثيني هو اعظم فنان ورسام ونحات ظهر في التاريخ الاغريقي كله .

وعلى بعد خطوات من اعجوبة فيدياس كانت الالعاب الاوليمبية القديمة تقام .. حيث يوجد الاستاد ومضمار سباق الخيل وسباق العربات التي تجرها الجياد .. وحمامات البخار وجرار الزيت لتدليك اللاعبين وحمام السباحة وثلاثة « جمنازات » للتدريب العنيف المنظم المقدس .. فقد كانوا يشطبون اللاعب الذي يحضر للتدريب في اوليمبيا تحت اشراف مدربين صارمين .. قبل ثلاثين يوما من بدء الالعاب .

وكان اللاعبون يتدربون عراة ويحضرون شهادات تؤكد انهم تدربوا عشرة شهور في بلادهم قبل حضورهم الى اوليمبيا .. كما كانوا يشتركون في الالعاب الاوليمبية ... عراة تماما فهكذا كانت تقاليد اغريقيا الوثنية . وهي التقاليد التي حرمت على النساء حضور الالعاب الاوليمبية .. وقتل اية حواء تضبط وهي تتلصص لمشاهدة الالعاب .. ولم تنج من الموت سوى فيرينيس لان اباها وزوجها واخوتها وابنها كانوا ابطالا اوليمبيين .. فقد كانت مكانة البطل الاوليمبي في ذلك العهد الغابر .. سامية رفيعة .

ارسطو .... يتدخل

ورغم كل تلك الاساطير وغيرها ـ فهناك اجماع على ان الالعاب الاوليمبية القديمة بدأت في عام ٧٧٦ ق.م لانها السنة التي نقشوا فيها على الحجر اسم اول فائز اوليمبي وهو طاه من ايليس اسمه « كوروبوس » .. وهي السنة التي استخدمها الاغريق في تاريخ احداثهم ووقائعهم .

وكان كل شيء في اوليمبيا او يرتبط بها مقدسا وهكذا « الهدنة الاجبارية » التي كانت توقف الحروب بين دويلات الاغريق المتنافسة والمتناحرة .. لتتيح الامن والامان والسلام للمشتركين والمشاهدين في ذهابهم الى اوليمبيا وعودتهم منها .

وقد وقعت معاهدة الهدنة الاجبارية في عام ٨٨٤ ق.م وحفروا بنودها على القرص الذي كان يتدرب به ايفيتوس ملك ايليس في داخل خمس دوائر متشابكة .. وهي الدوائر التي تمثل الآن الحلقات الاوليمبية الخمس التي ترمز لقارات العالم الخمس .

واكد جميع الفلاسفة الاغريق وعلى رأسهم ارسطو توقيع تلك المعاهدة المقدسة في ذلك التاريخ ومن فرط حماسة أرسطو للألعاب الاوليمبية كان يعقد حلقات دراسية في أثناء اقامة المهرجان الكبير .. بل واشترك في تنقيح وتصحيح قائمة الفائزين في الالعاب الاوليمبية التي كان هيبياس قد وضعها قبل مائة عام من عهد ارسطو الذي توفي عام ٣٢٢ ق.م وتعتبر قائمة ارسطو أدق قائمة للفائزين الاوليمبيين .

فرحان ..... جائر

وكان الاشتراك في الالعاب الاوليمبية مقصورا على الاغريق الخلص .. ولما قامت الامبراطورية اليونانية القديمة .. سمحوا « للاجانب » بالاشتراك فيها دعما لسياسة « اغرقة » ولايات الامبراطورية .

و .. والايام دول .. فقد قامت الامبراطورية الرومانية في ١٤٦ ق.م وسقطت اغريقيا ومعظم ولاياتها في يد الرومان الذين كانوا يغارون من حضارة اليونانيين وتقدمهم الفكري والفني والادبي والرياضي ولكنهم أبقوا على الالعاب الاوليمبية لان الرومان كانوا وثنيين اسوة بالاغريق .

وقد استمرت الالعاب الاوليمبية القديمة ١١٦٩ عاما ثم اصدر الامبراطور الروماني ثيودوسيوس الثاني في عام ٣٩٣ ميلادية فرمانا ديكتاتوريا بالغائها .. وكان السبب انها مهرجانات وثنية لا يليق اقامتها في دولة مسيحية .. وكان ذلك بعد ان اصبحت المسيحية دين الرومان الرسمي .

وعلى مدى كل تلك السنين نظموا الألعاب الاوليمبية القديمة ٢٩٣ مرة .

وقضت غزوات القبائل البربرية والزلازل والفيضانات على « اجمل مكان في أرض هيلاس » وبعد طول رقاد كشف الاثريون الالمان عن بقايا « اوليمبيا » في حوالي منتصف القرن التاسع عشر وبعد طول كفاح نجح البارون الفرنسي بيير دي كوبيرتان في بعث الالعاب الاوليمبية ونظم اول العاب اوليمبية حديثة في اثينا عام ١٨٩٦ .

عادل شريف

أهم وثيقة حول مستقبل الاقتصاد العالمي

الدول الصناعية مهددة بكارثة

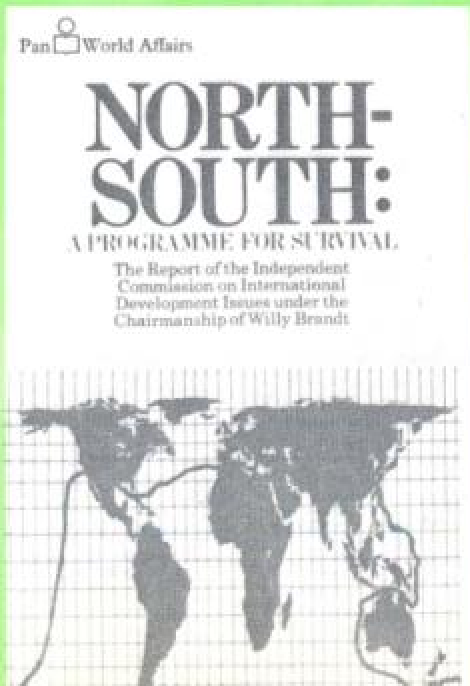
اذا لم تستمر التنمية في عالم الفقراء

بقلم : الدكتور عبد الكريم الارياني



■ لجنة برانت :

مطلوب ٥٠ بليون دولار إضافية للعالم الثالث قبل سنة ٨٥ !





انقسم العالم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة الى محورين رئيسيين يفصل بينهما برزخ من الفلسفات المتنافرة في القضايا الفكرية والاقتصادية والسياسية . هما المعسكران الشرقي والغربي . ويقع كلاهما في شمال الكرة الارضية . الا انه كان وما زال لكل معسكر حلفاؤه في اجزاء اخرى من العالم .

ففي بداية النصف الثاني من هذا القرن كانت معظم دول أفريقيا وأسيا ترزح تحت نير الاستعمار الغربي ، وبالتالي فقد كانت تابعة للمعسكر الغربي . وكذلك الحال بالنسبة لدول امريكا اللاتينية التي كانت كلها تدور في فلك الولايات المتحدة الامريكية رغم استقلالها . اما بالنسبة للمعسكر الشرقي فقد كان اهم حليف له حينئذ هو الصين الشعبية ، التي ما لبثت الا قليلا ودارت في فلك خاص بها ، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية ايضا هبت رياح التحرر الوطني في دول العالم الثالث وبدأت معها عوامل انقسام جديد يقع محوره شمال خط الاستواء . ولكنه يقسم العالم الى جزئين غير متساويين يطلق عليهما الشمال الغني والجنوب الفقير مع ملاحظة ان استراليا ونيوزيلاندا تقعان جنوب خط الاستواء الجغرافي ولكنهما تنتميان الى محور الشمال .

لقد كانت الهوة العسكرية والاقتصادية التي تفصل

الشرق والغرب واسعة جدا عند بداية انقسامهما ، ولكن المعسكر الشرقي تمكن خلال سنوات قليلة من سد الفجوة العسكرية على الاقل ، واصبح المعسكران اليوم متوازيين في ثقلهما وقدرة كل جانب منهما على تدمير العالم بأسره .

اما الهوة التي تفصل بين الشمال المترف بمعسكريه الشرقي والغربي والجنوب البائس بما في ذلك الصين الشعبية فهي في اتساع مستمر . وقد جاء في آخر تقرير للبنك الدولي للانشاء والتعمير عن حالة الاقتصاد العالمي (١٩٧٩) انه يوجد اليوم في محور الجنوب ٨٠٠ مليون نسمة تعيش تحت خط الفقر المدقع وان هذا الرقم في ازدياد كل عام .

يجمع علماء الاقتصاد وفلاسفة علم الاجتماع على ان الهوة التي تفصل بين محوري الشمال والجنوب هي من الاتساع بحيث لا يمكن سدها خلال سنوات او حتى عقود من الزمن . فمحور الشمال الذي يأوي ٢٥٪ من سكان العالم يستحوذ على ٧٥٪ من الدخل العالمي بينما يقطن في محور الجنوب حوالي ثلاثة آلاف مليون نسمة « ٣ بلايين » تعيش على ٢٥٪ من ذلك الدخل . وينجم عن هذه المقارنة المفزعة فوارق اخرى بين سكان الشمال والجنوب ففي حين يصل معدل عمر الانسان في الجزء الشمالي الى ٧٠ عاما او اكثر لا يزيد هذا المعدل في الجنوب عن ٥٠ عاما . كذلك لا تزيد نسبة الوفيات بين اطفال الشمال على ٢٪ ولكنها تصل الى ٢٠٪ بين اطفال الجنوب .

اما بالنسبة للتعليم فان ٥٠٪ من اهل الجنوب لن تتاح لهم فرصة الالمام بالقراءة والكتابة بينما تتاح فرصة التعليم حتى نهاية المرحلة الثانوية على الاقل لجميع سكان المحور الشمالي ، وكما ذكرنا سابقا فان ما لا يقل عن ٨٠٠ مليون نسمة من ابناء الجنوب يعيشون في مجاعة دائمة ، في الوقت الذي يندر ان ينام فرد شمالي ، وهو جائع . وفوق ذلك كله فان الجنوب يعتمد على الشمال في صناعته وتقنياته واستغلال ثرواته .

الانعتاق وحوار الطرشان

لقد شهد عقد الخمسينات والستينات انعتاق معظم دول الجنوب من نير الاستعمار الغربي وانضمامها الى هيئة الامم المتحدة ، بحيث قفز عدد اعضاء المنظمة الدولية من ٥٥ دولة عام ١٩٤٦ الى ١٥٢ دولة عام ١٩٧٩ . وقد تضامن الاعضاء الجدد مع من سبقهم من دول المحور الجنوبي عند عقد اول مؤتمر دولي للتجارة والتنمية في عام ١٩٦٤ ، وتمكنوا من تشكيل ما عرف حينئذ بلجنة السبعة والسبعين التي ما زالت تحمل نفس الاسم حتى يومنا هذا على الرغم من ان عدد اعضائها قد اصبح ١١٧ دولة .

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الحوار احيانا والمشادة احيانا اخرى بين الشمال والجنوب اي بين اغنياء العالم وفقرائه . وكعادة العلاقة بين الغني والفقير فقد كانت معظم المداولات اشبه بحوار الطرشان . ولكن دول الجنوب لم تيأس فقد اجمعت تلك الدول عندما عقد مؤتمر عدم الانحياز في سبتمبر ١٩٧٣ بمدينة الجزائر على المطالبة بتأسيس نظام اقتصادي عالمي جديد ، واقرت عقد دورة خاصة للجمعية العامة للامم المتحدة في الربع الاول من عام ١٩٧٤ لمناقشة اسس هذا النظام وكان الرئيس الراحل العقيد هواري بومدين هو المتحدث الرئيسي باسم هذه الدول اثناء انعقاد تلك الدورة في شهر ابريل ١٩٧٤ . وفي نفس الوقت ظهر في اواخر عام ١٩٧٣ لاعب جديد على مسرح الاقتصاد العالمي هو منظمة الاقطار المصدرة للنفط التي اخذت زمام المبادرة في تحديد اسعار هذه المادة . التي نمت وتطورت اقتصاديات الشمال على اساس اسعارها الزهيدة ، عندما كانت الشركات العالمية هي المسيطرة على هذه السلعة في انتاجها وتسعيرها وتسويقها . وتجدر الاشارة هنا الى ان ٨٦٪ من النفط المستخرج في العالم اليوم يتم حرقه في محور الشمال بينما يستهلك محور الجنوب ١٤٪ فقط من بترول العالم .

وقد كان للقوة الجديدة التي اكتسبتها الدول المصدرة للنفط اثر فعال في تحريك عجلة الحوار بين الشمال والجنوب . فجميع هذه الدول تنتمي الى محور الجنوب وقد تبنت جميعها الدعوة الى ايجاد نظام اقتصادي عالمي جديد . اما الشمال فقد ادرك لاول مرة ان مجموعة صغيرة من الدول النامية تمسك بمفاتيح تطوره وازدهاره ، وبالتالي فمن الاجدى له ان يبقى باب الحوار مفتوحا ، الا ان مواقف الطرفين ظلت متباينة تباينا كبيرا . ولعل ذلك التباين هو الذي حدا بالسيد روبرت مكنامارا رئيس البنك الدولي للانشاء والتعمير ان يقترح في خطابه الذي القاه امام الاجتماع السنوي المشترك للبنك الدولي وصندوق النقد الدولي في سبتمبر ١٩٧٧ تشكيل اللجنة المستقلة لقضايا التنمية الدولية برئاسة المستشار السابق لجمهورية المانيا الاتحادية ويلي برانت الذي قبل بدوره هذه المهمة . وحرص على ان تتكون اللجنة من عدد

متساو من ابناء الشمال والجنوب . ولكن الشمال في هذه اللجنة لم يضم مجموعة حلف وارسو كما ان الجنوب لم يشمل الصين الشعبية *

مصير واحد للجميع

عقدت اللجنة اول اجتماع لها يوم ١١ ديسمبر ١٩٧٩ في المانيا الاتحادية وحددت تفاصيل المهمة الموكلة اليها ، وهي دراسة المشاكل الخطيرة التي تهدد مستقبل البشرية جمعاء والناجمة عن التفاوت الحاد القائم اليوم بين ابناء المجتمع البشري . على ان تتقدم باقتراحات محددة تهدف الى تجاوز اهم العقبات التي تعوق مسيرة التنمية الاقتصادية في دول العالم الثالث . وتؤدي اولا وقبل كل شيء الى القضاء على حالات الفقر المدقع التي يرزح تحتها مئات الملايين من البشر . وفي سبيل ذلك رأت اللجنة ان تتناول بالتفصيل المواضيع الاساسية التالية :

١ ـ منجزات التنمية في العالم الثالث .
٢ ـ مستقبل النظام الاقتصادي العالمي .
٣ ـ الطريق الى تأسيس نظام اقتصادي عالمي جديد .

يعتبر التقرير الذي اعدته اللجنة ونشرته في اوائل العام الحالي من اهم واعمق الدراسات التحليلية عن اهمية التنمية في دول العالم الثالث وارتباطها الوثيق باستمرار تقدم وازدهار الدول الصناعية . فلا يكاد يخلو فصل من فصول هذه الوثيقة من التأكيد على ان امام البشرية بمحوريها الشمالي والجنوبي مستقبل قاتم قد يودي بها ما لم يتفق أبناؤها في الشرق والغرب والشمال والجنوب على اسس ثابتة لنظام اقتصادي عالمي جديد مبني على العدل والمساواة والمنافع المتبادلة . ولا شك ان هذه الدراسة تستحق اكثر من بحث لتعريف القاريء العربي بمحتوياتها . وسنكتفي في هذا المقال بتقديم اهم النتائج والتوصيات التي اجمعت اللجنة على ضرورة الاخذ بها اذا اريد للبشرية ان تعيش بمنأى عن الصراع السياسي والعسكري ، الذي يجر اليه التنافس الاقتصادي .

وترى اللجنة المستقلة لقضايا التنمية الدولية برئاسة المستشار برانت ان الاسطورة الكامنة وراء مفهوم المساعدات الاقتصادية الى دول العالم الثالث هي ان العالم بمحوريه الشمالي والجنوبي ينظر اليها وكأنها هبة من الأغنياء يتصدقون بها على الفقراء . وان الفقير لو استمر في جوعه وعريه وجهله ومرضه فلن يغير الغني في شيء من ترفه وبذخه . وترى اللجنة ان هذه النظرة السطحية لا تعي ان عجلة الازدهار الاقتصادي في الشمال لن تدور باقصى سرعتها الا اذا صاحبتها حركة اسرع منها في عجلة النمو الاقتصادي لدى دول الجنوب . وللبرهنة على صحة هذه الرؤية الجديدة للعلاقة الوثيقة بين اقتصاديات الشمال والجنوب قدمت اللجنة الحقائق التالية :

● اولا : تعاني الدول الصناعية منذ عام ١٩٧٣ من ازمات اقتصادية متوالية . ويوجد اليوم في هذه الدول ما لا يقل عن ١٨ مليون شخص متعطل عن العمل . وذلك على الرغم من وجود فائض في الطاقة الانتاجية غير مستغل . وتقدر قيمة الانتاج المتاح من الطاقة الانتاجية المعطلة بحوالي ٢٠٠ الف مليون دولار سنويا . ولكن السبب في وجود الطاقة الانتاجية المعطلة وما يصاحبها من بطالة مرتفعة يكمن في ان الطلب الفعلي على السلع والخدمات بين الدول الصناعية لا يكفي لمواجهة ما تنتجه اجمالي الطاقات المتاحة . وبالتالي فان الحل الامثل للخروج من هذه الورطة هو تدعيم جهود التنمية في دول العالم الثالث . وزيادة الطلب العالمي لاستغلال تلك الطاقات .

● ثانيا : لقد ثبت ان المخاوف التي اثيرت حول قدرة الاقتصاد العالمي على امتصاص الفوائض النقدية المتاحة للدول النفطية منذ عام ١٩٧٤ لم تتحقق حتى الآن . ويعود الفضل في ذلك الى دول الجنوب التي استوعبت هذه الفوائض لسد متطلباتها الانمائية وشراء السلع الاستهلاكية والمواد المصنعة من الدول المتقدمة وتقدر اللجنة ان ذلك وفر ٩٠٠ الف فرصة عمل سنويا لابناء الشمال خلال هذه الفترة .

* اعضاء اللجنة هم : عبد اللطيف الحمد (الكويت) . رودر يجو بوتير و منتريا (كولمبيا) . انطوان كيبا داكوري (فولتا العليا) ادوارد فري مونتالفا (تشيلي) . كاثرين جراهام (الولايات المتحدة الامريكية) . ادوارهيث (المملكة المتحدة . عامر جمال (تنزانيا) . لاكسيمي كانت جها (الهند) . خديجة احمد (ماليزيا) . ادم مالك (اندونيسيا) . هاروكي موري (اليابان) . جو مورس (كندا) . اولوف بالما (السويد) . بيترج . بيترسون (الولايات المتحدة الامريكية) . ادجار بيساني (فرنسا) شريدات رامفال (غايانا) . باكر العياشي (الجزائر) .

● ثالثا: لقد اصبحت دول الجنوب هي السوق الرئيسية لدول الشمال فالولايات المتحدة الامريكية واليابان ودول المجموعة الاقتصادية الاوروبية ترسل حوالي ثلث صادراتها الى دول الجنوب - كما اصبح حجم التبادل التجاري بين دول السوق الاوروبية ودول الجنوب ثلاثة اضعاف حجمه بين دول السوق والولايات المتحدة. كذلك تبلغ صادرات الولايات المتحدة الى دول الجنوب ضعف صادراتها الى دول السوق الاوروبية المشتركية. اما اليابان فان ٥٠٪ من صادراتها تذهب الى الدول النامية.

وبعد ان برهنت لجنة المستشار برانت على الترابط الوثيق بين اقتصاديات الشمال والجنوب، واكدت على ان التفاوت الحاد بين ابناء البشرية ينذر بخطر داهم، تناولت بالتفصيل مقترحاتها لمواجهة ذلك الخطر على مدى العقدين الحالي والقادم. ويأتي في مقدمة هذه الاقتراحات ضرورة القضاء على الفقر في العالم، واعادة النظر في تنظيم وصلاحيات المؤسسات الدولية واهمها البنك الدولى وصندوق النقد وتصحيح مسار النظام النقدى في العالم. وضمان اسعار مجزية وثابتة للمواد الخام التي تنتجها الدول النامية، ونقل التقنيات الحديثة في الصناعة والزراعة الى دول الجنوب.

وفوق ذلك كله فان اهم توصية قدمتها اللجنة هي التأكيد على ضرورة حقن كميات هائلة من الاموال على شكل قروض و مساعدات لتحريك عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في دول الجنوب حيث قدرت ان المبالغ الاضافية اللازمة يجب ان لا تقل بحلول عام ١٩٨٥ عن ٥٠ الف مليون دولار بالاسعار الثابتة لسنة ١٩٧٨ التي بلغ حجم القروض الميسرة وغير الميسرة المتاحة للتنمية في العالم الثالث خلالها قرابة ٨٠ الف مليون دولار. وقد اكد التقرير على ان هذه المسئولية تقع على عاتق دول المعسكرين الغربي والشرقي ودول الاقطار المصدرة للنفط والمنظمات الدولية والبنوك التجارية. وبالاضافة الى هذه المصادر فقد اقترحت اللجنة فرض ضريبة عالمية على التجارة الدولية وانتاج السلاح واستغلال الثروات العامة الكامنة في قاع البحار.

عن تجربة الماضي

والذى لا شك فيه ان تقرير اللجنة المستقلة لقضايا التنمية الدولية يعتبر ادق تشخيص لمشاكل الاقتصاد العالمي، واهم وثيقة برهنت على ان ديمومة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في دول الجنوب شرط لازم لاستمرار ازدهار وتقدم دول الشمال. وان اهم وسيلة لضمان مستقبل امن للبشرية بمحوريها تكمن اساسا في حقن مبالغ هائلة من المال الى الدول النامية لكي تتمكن من القضاء على الفقر والجهل والمرض. ومع ان احدا لا يجادل في صواب التشخيص وسلامة العلاج الا اننا نشك في مدى استعداد دول الشمال بمعسكريها الشرقي والغربي لتقبل الراى القائل بان من واجبها تقليص الهوة الهائلة التي تفصل بين الشمال والجنوب، لان في ذلك مصلحة لها. في الامد الطويل، علما بان تضييق هذه الهوة في الامد القصير لابد ان يكون مشفوعا ببعض التضحيات من قبل دول الشمال.

اين هذه المدرسة ؟

نحن نذهب الى المدرسة، لا من اجل البحث عن المعرفة وحدها ولكن من اجل ان نتعلم من فنون الحياة وآدابها .. ففي المدرسة نتعلم فن الاتصالات والتعبير .. فن الدخول بسرعة في أفكار غيرنا من الناس واستيعابها .. فن الاعراب عن تأييدنا او معارضتنا لفكرة أو مبدأ بالمنطق والمناقشة .. فن إنجاز عمل محدد في وقت محدد. فن الذوق والشجاعة ونبذ الخوف والعنف ولكن أين هي هذه المدرسة ؟ !

« وليام كوري »

واذا كان لنا في الماضي عبرة فان فشل معظم هذه الدول في الالتزام بقرار الامم المتحدة الذى صدر قبل عشر سنوات ، وتنص على أن تخصص الدول المتقدمة نسبة محددة من دخلها القومي سبعة من عشرة من واحد في المائة في السنة للمساعدات والقروض الائتمانية ، هو اكبر دليل على ذلك . ففيا عدا الدول الاسكندنافية وهولندا التي تجاوزت تلك النسبة خلال السنوات العشر الماضية فان المعدل العام لدول اوروبا الغربية والولايات المتحدة واليابان لم يزد على نصف النسبة المحددة اى حوالي ٠,٣٥٪ . اما بالنسبة لدول حلف وارسو فانها تتخذ موقفا اكثر سلبية بحجة ان الوضع القائم في العالم الثالث هو نتيجة للاستعمار الغربي وانها ليست ملزمة بتصحيح اخطاء الآخرين وبالتالي فلم تزد نسبة مساهمتها في مساعدة الدول النامية عن ٠,٠٤٪ (اربعة من مئة من واحد في المائة)من دخلها القومي سنويا . واما الدول المصدرة للنفط التي كان اغلبها تحت السيطرة الغربية فقد نوه التقرير بتفاوت درجات المسئولية بين هذه الدول ، لان العديد منها مثل الجزائر واندونيسيا ونيجيريا لا تفي وارداتها النفطية بحاجاتها الائتمانية . ومع ذلك فقد بلغ المعدل السنوى لمساهمة هذه الدول في تنمية العالم الثالث حوالى ٣٪ من دخلها القومي اى عشرة اضعاف نسبة الدول الصناعية .

ويجدر بنا في ختام هذا العرض الموجز لتقرير اللجنة المستقلة لقضايا التنمية الدولية ان نشير الى حقيقة ثابتة لم ترد في التقرير وهي ان اربع دول عربية نفطية هي المملكة العربية السعودية والكويت ودولة الامارات العربية المتحدة وقطر تقدم اليوم ما يزيد على عشرة اضعاف النسبة التي اقرتها الامم المتحدة ، حيث لا يقل المعدل السنوى لمساهمات هذه الدول في تنمية العالم الثالث عن ١٠٪ من دخلها القومي سنويا .

وامل العالم العربي !

لقد تحدثنا في مقال سابق نشرته مجلة العربي (عدد مارس آذار ٢٥٦) عن حتمية التكامل الاقتصادي العربي كشرط اساسي للوصول الى اى شكل من اشكال الوحدة العربية . وعلى ضوء تقرير اللجنة المستقلة لقضايا التنمية الدولية ، فإن واحدا من الاتجاهات التي قد ينحوها الاقتصاد العالمي هو قيام تكتلات اقتصادية اقليمية تعمل داخل كل منها مجموعة من الدول تسعى لحماية مصالحها وتوسيع نفوذها الاقتصادي . وعلى الرغم من ان اللجنة ترى ان ذلك الاتجاه سوف يحد من توسع التجارة العالمية ، الا ان هذا الاتجاه قد اصبح له نموذج علوى هو السوق الاوروبية المشتركة والرابطة الاقتصادية للدول الاشتراكية . لذلك نعيد القول هنا بان دول المجموعة العربية ستجد نفسها ان عاجلا او أجلا متنافسة فيا بينها وقابعة في نفس الوقت تحت رحمة غيرها من التكتلات الاقتصادية العالمية ما لم تتجاوز الحواجز السياسية وربما النفسية التي تعوق اليوم وضع اللبنة الاساسية ـ على الاقل ـ لتحقيق التكامل الاقتصادي العربي . ولكن لعل الحديث ذو شجون في دكنة الليل الدامس الذي يحجب الرؤية لمستقبل العلاقات العربية ! ■■

د . عبد الكريم الارياني

منذ قرن ونصف !

التحذير من التدخين ليس جديدا .. ففي عام ١٨٤٧ ، اي منذ قرن ونصف من الزمان نشرت التحذيرات التالية في صحيفة « تشامبرز أدنبره جورنال » : التدخين يسبب « القرحة المعدية ، والسعال ، والتهاب الحنجرة والقصبة الهوائية وامراض القلب ، والاكتئاب وامراض الجهاز العصبي . »

ومع هذا مضوا يزرعون التبغ ويتاجرون فيه ويدخنونه . لقد تضاعف عدد المدخنين اكثر من مائة مرة .. وازداد عدد الوفيات بالامراض الناتجة عن التدخين مائتي مرة !

صفحة مجهولة في حياة الشاعر احمد رامي



صورة تنشر لأول مرة يبدو فيها الشاعر أحمد رامي ، الأول من اليسار ، على مائدة البابا أحمدسري في التكية البكتاشية في القاهرة .

لقد تكونت في مصر في بداية القرن التاسع عشر ، جالية البانية ، كانت نواتها من الجنود الالبانيين الذين جاءوا وحاربوا مع محمد علي باشا ، والذين انتقلوا فيما بعد الى الحياة المدنية . الا ان هذه الجالية نمت مع هجرة الالبانيين ، وخصوصا من البانيا الجنوبية ، في النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، وذلك لأسباب اقتصادية وقومية .

ولهذه الجالية اهمية كبيرة ، سواء في التاريخ الالباني او في الثقافة الالبانية . وبشكل خاص تتميز تلك الجالية بادبها ، الذي يتمتع بقيمة كبيرة في اطار الأدب الالباني ككل . فقد منح ادب هذه الجالية ، تحت تاثير المحيط المصري ، بعدين جديدين للأدب الألباني . ويتمثل البعد الاول ببروز الواقعية مع الشاعر المشهور تشايوبي (١٨٦٦ ـ ١٩٣٠) ، على حين يتمثل الثاني بالمسرحية مع الكاتبين دوتشي (ت ١٩٣٣) وتشايوبي ايضا . وبالاضافة الى هذا ، فقد ساهم بعض افراد هذه الجالية ، الذين اندمجوا اكثر في المحيط المصري ، بالادب العربي من خلال ما كتبوه باللغة العربية . ومن هؤلاء يكفي ان نشير الى الشاعر احمد رامي والشاعر محمد عبد المعطي الهمشري الخ .

وذلك يقودنا الى صفحة مجهولة من حياة الشاعر المعروف احمد رامي ، الذي ما يزال يصارع المرض منذ فترة بالاضافة الى وطأة الشيخوخة ، حيث انه يبلغ الآن الثامنة والثمانين . وهنا نود ان نتعرض فقط لأصله ولعلاقته بالتكية البكتاشية بالقاهرة .

من أصل الباني

ربما نضيف ، او لا نضيف ، شيئا ، اذا قلنا ان احمد رامي الباني الاصل من جزيرة كريت . وقد كانت هذه الجزيرة مأوى للمتمردين الالبانيين وللهاربين منهم من ظلم السلطة العثمانية ، حيث ان هذه الجزيرة كانت قريبة من المناطق الالبانية الجنوبية ، وبعيدة في نفس الوقت عن تناول السلطات العثمانية . ومن بين هؤلاء نزح حسن عثمان ، جد الشاعر احمد رامي ، الى مصر عام ١٨٧٠ . وقد كان من الطبيعي ان ينزح الى مصر ، مع

هل كان رامي حقاً من شيوخ الطريقة البكتاشية ؟

بقلم : الدكتور محمد موفاكو

غيره من الألبانيين ، حيث أن مصر باستقلالها الداخلي كانت قد اصبحت بعيدة عن قبضة الباب العالي ، بالاضافة الى وجود الجالية الالبانية فيها . وقد انتسب هذا الجد ، حسن عثمان ، الى الجيش المصري وأصبح ضابطا فيما بعد . الا انه قتل عام ١٨٨٥ ، حينما كان على رأس حملة في السودان . وقد خلف هذا محمد رامي ، والد الشاعر ، الذي عمل ايضا في الجيش المصري ، ولكن كطبيب . وقد توفي هذا في وقت مبكر ، عن عمر يناهز السابعة والاربعين . وقد ولد الشاعر احمد رامي في القاهرة عام ١٨٩٢ ، وقضى فترة من طفولته في جزيرة طاشيوز ، بالقرب من قولة بلدة محمد علي باشا ، حيث عاش والده هناك فترة من الزمن .

وقد كان الشاعر واعيا لأصله الالباني ، على ما يذكر لنا معاصروه من الالبانيين والمصريين . وقد اتيح لنا ان نزور بيته في القاهرة ، في اول آب اغسطس ١٩٧٩ ، للحديث مع زوجته ، حيث ان حالته الصحية كانت تمنع اي لقاء معه . وقد اكدت لنا زوجته ان الشاعر كان يصرح بأصله الالباني ، أي انه لم يكن يخفي ذلك .وهذا يجر الى الجانب الثاني ، الى علاقته الخاصة بالتكية البكتاشية في القاهرة وبالبابا احمد سري ، راعي هذه التكية . ولا شك ان هذه العلاقة تستحق لأهميتها بحثا اوسع ، ولن يغني عنها بالتالي ما سيرد هنا .

فربما ليس من المعروف ان هذه التكية البكتاشية كانت ذات اهمية كبيرة ، سواء بالنسبة للمحيط العربي او الالباني . فقد اسسها البابا عبد الله المغاورى سنة ١٤٠٤ في قصر العيني ، الا انها اندثرت واقيم مكانها كورنيش النيل . وقد ذكر الرحالة اولياجلبي ، الذى زار مصر ١٦٧١ ، ان هذه التكية كانت تحفها الاشجار والبساتين وتتوسطها قبة عظيمة كانوا يعقدون بها مجالس الشعراء . وقد نقلت هذه التكية عام ١٨٦٥ الى جبل المقطم ، وتحولت مع الزمن الى احدى اجمل التكايا البكتاشية في الشرق . الا انها نقلت مرة ثانية ، بأمر حكومي ، الى المعادى عام ١٩٥٧ وتحولت هذه التكية في القرن الاخير من عمرها الى تكية ألبانية ، حيث جاء على رأسها الآباء الالبانيون فقط . وقد شاركت هذه التكية في النهضة القومية الالبانية وفي الكفاح في سبيل الاستقلال القومي . ومن هؤلاء الآباء الذين لعبوا دورا حاسما في حياة هذه التكية كان البابا احمد سرى ، الذى ربطت بينه وبين الشاعر احمد رامي علاقة خاصة .

وقد جاء هذا البابا على رأس التكية سنة ١٩٤٢ ، وبقي فيها حتى آخر عهدها ، التي انتهت بوفاته سنة ١٩٦٢ . وقد عرف عن هذا البابا ثقافته الواسعة وحبه للشعر . وقد كان هو نفسه ينظم الشعر من فترة لاخرى ، الا انه اشتهر كمتذوق للشعر اكثر من كونه شاعرا . وربما أثر هذا ايضا في تكوين العلاقة الخاصة بينه وبين احمد رامي .

رامي في التكية

وقد عرف عن الشاعر احمد رامي كثرة التردد الى هذه التكية بمفرده في اغلب الاحايين ، ومع زوجته في احيان اخرى كما ذكرت لنا ، وخاصة في المناسبات كيوم عاشوراء . وفي الحقيقة فان التكية بجمالها وبطبيعتها الخلابة في تلك المنطقة ، كانت تغرى فعلا بالزيارة ، وخاصة لمحبي الطبيعة . وقد ذكر لنا احد المترددين

الدائمين لهذه التكية انه كثيرا ما كان يشاهد الشاعر احمد رامي في ارجاء التكية ، متأملا طبيعتها الخلابة حيث كان يحلو له ان يكتب بعض الاشعار .

ومن ناحية اخرى ، فقد ذكرت لنا زوجة الشاعر احمد رامي ان البابا احمد سرى كان يحلو له ان يطلب من الشاعر خلال زيارته ان ينشده بعض القصائد التي كان يكتبها . وقد كان الشاعر ينشد قصائده باللغة العربية التي كان يعرفها ايضا البابا احمد سري ـ وربما ان هذا الاعجاب المتبادل هو الذى ادى باحمد رامي ليخص البابا ببعض قصائده . ومما كتبه أحمد رامي بقيت لنا فقط الابيات التي توجد اليوم على شاهد قبر البابا احمد سرى ، التي هي عبارة عن عامود مربع من الصوان الاسود فعلى أحد وجوهها كتب رامي :

رحم الله عبده سرى بابا ودعاه باللطف والاحسان
وسقاه من الشراب طهورا وحباه بجنة الرضوان
هجر العالم الدني وناجي ربه وانطوى على الايمان

وكتب على وجهها الثاني :

نم قريرا بين القطوف الدواني عند سفح المقطم الفينان
في حمى ساكن المغاوى عبد الله قطب الهدى وكنز الاماني
انها روضة سقيت ثراها وتعهدت غرسها بالحنان

اما على الوجه الثالث فقد كتب :

يا نزيل الخصيب في ارض مصر بين هذه الربا وتلك المغاني
رضي الله عن صنيعك في الدنيا فأولاك نعمة الغفران
فانزل الدار آمنا وتقبل فضل ربي بالحمد والشكران

ولكن اطرف ما في هذه العلاقة بين البابا احمد سرى والشاعر احمد رامي ان الاول عرض على الثاني ان ينخرط في سلك البكتاشية في تكيته . الا ان الشاعر ، كما روت لنا زوجته ، اعتذر بلباقة من البابا عن رفضه لذلك . ولكن مع هذا يبدو ان الشاعر رامي كان اكثر من مقرب للتكية البكتاشية ولمرشدها البابا احمد سرى . ففي كتاب البابا « الرسالة الاحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية » ، والذى طبع اكثر من مرة في القاهرة ، نرى ان المؤلف قد ذكر الشاعر احمد رامي ضمن كشف « اعلام مشايخ الطريقة البكتاشية » !

وعلى كل حال ، سواء كان الشاعر احمد رامي مقرب او اكثر من مقربا من التكية البكتاشية ، فقد بقيت هذه العلاقة وطيدة بين الشاعر أحمد رامي وبين البابا احمد سرى حتى الايام الاخيرة من حياته . فقد بقي الشاعر رامي على صلة بالبابا خلال مرضه الذى امتد لسنتين ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ . وكما ذكرت لنا زوجة الشاعر ، فقد زاره عدة مرات على سرير المرض قبل ان يختطفه الموت . ■■

بوغسلافيا ـ **محمد موفاكو**

اعظم دروس الحياة !

خارج نافذة المطبخ قد تجدين عنكبوتا ينسج بيته . لا تتركي هذا المشهد يمر هكذا . احملي طفلك الصغير ودعيه يتأمل هذا النسيج الغريب الذي يخرج من جسم هذه الحشرة الصغيرة قولي له ان هذه الخيوط الحريرية الناعمة اشد قوة من الصلب ! اذا استطعت ان تحولي فضوله الى اعجاب بهذا المخلوق الصغير ، فقد علمته اعظم دروس الحياة .. وهي أن كل ما فيها عظيم صغيرا كان ام كبيرا .. حقيرا ام عظيما !

« رونالد بيتل »

قراءة في فكر رافض

هذه «الدنيا اللغز» بين حيرة السّلف وعجز الخلف

بقلم : فهمي هويـدي

تظل الدنيا لغزا في حياة مسلم هذا الزمان ، حيّر السلف ، وأعجز الخلف !

ذلك انه الى الآن ومنذ حوالي قرنين من الزمان ، منذ استيقظ عالم الاسلام على عصر ما بعد النهضة يطرق الابواب ويخطف الابصار ، فان حيرة المسلمين في شأن هذه الدنيا الجديدة لم تتوقف . حتى كادت تصبح لغزا صعب الحل ، ومحاطا بالمخاوف والشكوك ، وبدا طريقها مسكونا بالاشباح والعفاريت ، الذاهب اليه مفقود ، والناجي منه مولود !

وفي مواجهة هذه الدنيا اللغز ، تراوحت المواقف وردود الافعال ، بين الاعتزال والخصام والتمرد !

اعرف اسرا كثيرة احتسبت الله في ابناء لها اختفوا منذ سنوات . هاجروا الى الجبال والشعاب والمغارات وانقطعت اخبارهم ، أو هجروهم بعدما انقلبت حياتهم وهم في بيوتهم . فلم يعودوا يكلمون احدا ، ولا يعرفون احدا . اغلقوا على انفسهم الطريق بين المسجد والبيت . فلا يقرأون صحيفة ، ولا يستمعون الى اذاعة ، ويستعيذون بالله من التلفزيون ، ويلعنون الذاهب الى السينما ، ناهيك عن المسرح !

واعرف شيوخا ـ اكثر تقدما (!) ـ يجيزون الاستماع الى نشرات الاخبار فقط في الاذاعة . ويضبطون انفسهم واناملهم بحيث يديرون مفتاح المذياع في اللحظة التي تنتهي فيها المقدمة الموسيقية ، تجنبا للاستماع الى « اصوات الشيطان » في اللحن المميز للنشرة الاخبارية !

وهؤلاء ، حصروا انفسهم في مسائل اللحى واغطية الرؤوس ، والثياب القصيرة والضيقة ، والمستور والمكشوف ، والمسواك والسجائر ، والطيب والحناء .. وما الى ذلك .

ولو ان الامر بقي مقصورا على مواقف ومخارج اختارها الافراد لأنفسهم ، لما كانت هناك مشكلة كبيرة . اذ الاختيار مسئولية كل فرد في النهاية ، له غنمه وعليه غرمه . ولكن المسألة اصبحت اكثر تعقيداً واشد خطرا . فهذه التيارات ، صارت تصنف الان باعتبارها من مظاهر « المد » ، والصحوة الاسلامية .

وأيا كانت التسمية ، فان الخطير في الامر ان هذه الشواهد في مجموعها تحمل في طياتها بذور دورة « الانسحاب الثاني » لمسلمي العصر الحديث ، في مواجهة الحضارة الغربية ، بفكرها ومستحدثاتها .

لقد كان الانسحاب الأول مقترنا بتلك المرحلة التي استيقظ فيها عالم المسلمين ـ بعد سبات دام خمسة قرون ـ على طلائع الحضارة الغربية ، تدق قلاعهم الناعسة بعنف بلغ ذروته طوال القرن التاسع عشر . في ذلك الوقت ، عاش المسلمون حالة من الحيرة والخوف والقلق البالغ .

في هذه الفترة ـ يقول عباس العقاد في كتابه « الاسلام في القرن العشرين » ـ كان الاسلام كما يفهمه الجهلاء ، مزيجا من الخرافة والشعوذة والطلاسم والاوهام ، ومن الوثنية وعبادة الموتى .. كان بعض المتعالين من ادعياء المعرفة يحكم بكفر القائلين بدوران الكرة الارضية ، ولا يتردد في تكفير من يسميها كرة .

وفي هذه الفترة ـ يضيف العقاد ـ كان طلاب الفتاوى من مشارق الارض ومغاربها يسألون عن الكبريت هل يجوز مسه ؟ وهل يجوز قدح النار منه ، وطبخ الطعام على تلك النار ؟ او يأثم من يمس « صنفرته » ـ الجانب الخشن الذى يحك به عود الكبريت لاشعال النار ـ لأنها نجسة تنقض الطهارة !

وعن تلك المرحلة ، كتب الامام محمد عبده مقالا بعنوان : الاسلام اليوم والاحتجاج بالمسلمين على الاسلام (الجزء الثالث من الاعمال الكاملة) : هل غاب من الاذهان ما كان ينشر في الجرائد (باقلام بعض علماء الازهر) في استهجان ادخال علم تقويم البلدان (الجغرافيا) ضمن العلوم التى يتلقاها طلبة الازهر ... على اعتبار أن تدريس الجغرافيا يستهدف « الغض من علوم الدين » .

وفي تساؤل آخر كتب الاستاذ الامام : الا يتخيل المتأمل انه يسمع من جوف المستقبل صخبا ولجبا ، وضوضاء وجلبة وهيعات مضطربة ، اذا قيل انه ينبغي لطلبة الازهر ان يدرسوا طرفا من مبادىء الطبيعة ، او يحصلوا جملة من التاريخ الطبيعي ؟ .. الا تقوم قيامة المتقين ؟ الا يصيحون اجمعين ، اكتعين ابتعين : هذا عدوان على الدين ؟

وفي الدراسة التي نشرتها « العربي » في العدد ٢٥٦ (مارس ـ آذار ـ ٨٠) تحت عنوان « العرب والغرب » ، صورة مفصلة للجدل الذى اثير في اواخر القرن الماضي بين علماء الازهر حول ارتداء البنطلون ، وحذاء الفرنجة الاسود ، الذى قال بعضهم انه مخالف للسنة ، التي لم تجز للمسلم ان يتخذ من النعال سوى الحمراء والصفراء . وما رواه الشيخ حافظ وهبة في كتابه « جزيرة العرب في القرن العشرين » . من ان اول ساعة دقاقة وردت الى نجد في اواخر القرن الماضى حطمت لاعتبارها من عمل الشيطان . وكيف اعتبرت آلات البرق ناشئة عن استخدام الجن . ثم كيف احتاج استخدام الحاكى الى فتوى ، بل كيف رفض المسلمون فكرة طباعة المصاحف « للاعتقاد بافتقار مواد الطباعة الى الطهارة ، وعدم جواز ضغط آيات الله بالآلات الحديدية » !

بهذه الانطباعات عاش عالم المسلمين صدمة الاستيقاظ من السبات الطويل :

المسلمون الذين كانت كلمة « اقرأ » هي اول ما نزل على النبي (ص) من قرآنهم ، احتاروا في نهاية الامر : هل يطبعون المصحف ام لا ؟

والمسلمون الذين افرزت حضارتهم انجازا مثل الاسطرلاب وساعة هارون الرشيد المهداة للأمبراطور شارلمان ، اصيب احفادهم بالذعر عندما رأوا الساعة الدقاقة في القرن التاسع عشر ، لانها من عمل الشيطان !؟

والمسلمون الذين قدموا للعالم اضافات باهرة في مختلف فروع العلوم ، هؤلاء المسلمون ، خلفوا اجيالا احتاجت الى فتاوى شرعية لتدريس الحساب والطبيعيات والجغرافيا !

مفارقات مدهشة ، يكاد لا يصدقها عقل ، ولكنها الحقيقة المحزنة والمفجعة !

●

ويكاد يمضي الآن قرنان على بداية هذه الصدمة ، شهدت ساحة الفكر الاسلامي خلالها مدا وجزرا ، وظهرت دعوات وخبت دعوات . نمت افكار الامام محمد بن عبد الوهاب في شمال الجزيرة العربية والشوكاني في جنوبها ، ثم ظهر السنوسي في ليبيا ، والمهدي في السودان ، وظهر جمال الدين الافغاني كعاصفة هزت عالم المسلمين ، وكان محمد عبده ورشيد رضا وعبد الحميد الزهراوي في مصر والشام ، وعبد الحميد بن باديس في الجزائر ، ثم حسن البنا وسيد قطب في مصر ، وابو الاعلى المودودي في الهند ثم باكستان ، وهو الذي رحل عن الدنيا هذا العام ، طاويا معه آخر صفحة من كتاب رواد الفكر الاسلامي في العصر الحديث .

لقد حاول هؤلاء ، وغيرهم بكل تأكيد ، ان يدفعوا مسيرة الاسلام والمسلمين الى مواقع اكثر تقدما ، وان يقيموا ذلك الجسر بين دين المسلم ودنياه ، وحققوا الكثير في مجال اثراء العمل الاسلامي بالفكر والممارسة ، لكن المسيرة لم تكتمل لاسباب كثيرة . الامر الذي لم يتح في النهاية فرصة ايجاد تيار قوي وقادر على التأثير في الاتجاه الصحيح ، وبقيت مخاوف المسلم مما حوله مستمرة ، وظلت صورة « الدنيا اللغز » مستقرة في الاذهان .

وزاد الامر تعقيدا ان متغيرات الدنيا خلال هذين القرنين حققت قفزات مذهلة في كل ميدان ، وطرحت على جماهير المسلمين وعلمائهم اسئلة لم تتوفر لها الاجابات المناسبة في الوقت المناسب ، حتى بعدت الشقة اكثر واكثر بين مواقع المسلمين وتلك الدنيا الجديدة .

والمدهش في الامر ان رقعة « حيرة مسلم هذا الزمان » لم تعد تمتد فقط الى متغيرات العقود الاخيرة ، في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع ، ولكن تلك الرقعة اتسعت حتى باتت تشمل الكثير من الامور التي كانت مثارة منذ قرنين من الزمان . اذ لا يزال بيننا من يشكك في كروية الارض ، ويرفض فكرة نزول الانسان فوق سطح القمر ، ويعتبر الاذاعة والتليفزيون من عمل الشياطين ، ولا يزال بيننا من يتحدث عن شرعية لبس البنطلون ، ويرفض التصوير ، ويحارب الرسم .

وهكذا اصبحت عناصر الصورة امامنا على الوجه التالي :

ـ تيارات اسلامية لم يتح لها ان تواصل مسيرتها ، لتنضج بقدر يمكنها من اقامة جسر يمكن المسلم من ان يتوافق مع عصره بأمان وفي طاعة الله .

ـ علماء اسلاميون لم يتمكنوا من ان يقدموا اجابات تحل للمسلم مشكلته .

ـ عصر تتسارع متغيراته يوما بعد يوم ، بل ساعة بعد ساعة .

ـ شباب مسلم نبت في تلك الظروف ، فلم يملك سلاحا يشق به طريقه ، اذ كانت الاسلحة التي بين يديه عاجزة وغير فعالة . وكان المخرج المتاح امامه هو هذا الانسحاب والاعتزال والتمرد .

ولنا ان نقرر ان هذا الواقع الماثل امامنا ، ليس نابعا هذه المرة من حيرة ومفاجأة ، فقد مضى وقت كاف للمعايشة وإيجاد تلك الصيغة او الجسر الذي يلحق المسلم بركب العصر ، دون عنت او شعور بالذنب . ولكن رد الفعل الذي نشهده لدى هؤلاء الشبان نبع في حقيقة الأمر من احساس بالعجز ، وربما اليأس من حل هذه المشكلة .

وهكذا صرنا على ابواب مرحلة الانسحاب الثاني ، ولم يمض قرنان على مشهد الانسحاب الاول !

●

وحتى نكون منصفين ، فينبغي ان نقرر ان القضية ليست وليدة قرنين من الزمان ، وان الصدمة التي مني بها عالم الاسلام لم تحدث فجأة وبغير مقدمات . وانما يتراكم وراء هذا الشعور بالصدمة رصيد تراثي هائل ، تكون منذ حدث ذلك الانفصال بين الدنيا والدين في واقع المسلمين واعماقهم وفكرهم .

منذ انفصل القرآن عن السلطان وقعت الواقعة في عالم الاسلام !

لم تكن هناك مشكلة عندما كان السلطان موظفا لصالح القرآن بوعي وبصيرة ، ولكن التحول حدث عندما انقلبت الآية . واصبح القرآن موظفا لصالح السلطان !

واستاذنا مالك بن نبي يعتبر معركة « صفين » في العام الثامن والثلاثين بعد الهجرة بداية هذه المرحلة ، التي ادت الى انفصال القرآن عن السلطان ، او « انفصال الضمير عن العلم » ، على حد قوله .

منذ خرج علي بن ابي طالب دفاعا عن القرآن . وخرج معاوية بن أبي سفيان طمعا في السلطان ، ثم كان انتصار معاوية انتصارا للسلطان . منذ ذلك الحين ، حدث الانقلاب الاول في التاريخ الاسلامي .

وقد كان هذا الانقلاب اعمق واخطر مما نتصور ، لان حدود التغيير الذي احدثه امتدت الى رقعة اوسع بكثير مما رصده المؤرخون . ذلك ان الانقلاب السياسي ، افرز انقلابا فكريا على نفس المستوى !

فانفصال القرآن عن السلطان ، اقام بمضي الوقت حاجزا ما بين العقيدة والشريعة ، وانتصار السلطان على القرآن ، ادى تلقائيا الى تزايد الاهتمام بفقه العبادات . وتعطيل نمو فقه المعاملات .

وتلك نتيجة منطقية . اذ ان غيبة التطبيق الأمين للشريعة . لا بد ان ترتب احدى نتيجتين : اما ان يتأخر نمو رصيدها الفكري ، او ان ينمو هذا الرصيد نموا غير طبيعي ، في غير الاتجاه الصحيح .

وفي ظل منطق الانصراف الى تثبيت السلطان كان طبيعيا ان تظهر على سطح الحياة الفكرية الاسلامية تيارات تتحرك ـ ربما عن غير قصد ـ نحو الانصراف عن تثبيت القرآن . ومن هنا نمت مدارس تفسير النصوص وحفظ المتون ، التي لا ترى جوهر الاسلام وحقائقه الاساسية ، ولكنها تقف جامدة امام الكلمات والحروف ، عاجزة عن النفاذ الى ما هو ابعد من ذلك . صار الاسلام نصا وليس فكرة ورسالة ، وغلبت مباحث اللغة على مقاصد الشريعة ، حتى كتب محيي الدين بن عربي ـ مثلا ـ رسالة عنوانها « كتاب الميم والواو والنون » باعتبارها « أسنى الحروف وجودا ، واعظمها شهودا » !

وكان طبيعيا في هذا المناخ ، ان ينصرف كثير من علماء المسلمين الى الاشتغال بفلسفة الكلام ، وعلم

التوحيد ، وفقه العبادات ، وفقه اللغة ، او اى شيء آخر لا علاقه مباشرة له بحياة الناس او واقعهم

وكان طبيعيا ان يدور محور القضايا المثارة ، والمعارك الفكرية الكبرى ، حول القرآن وهل هو ازلى ام حادث ، وحول التناسخ والحلول ووحدة الوجود ، وحول صفات الله وهل هي حقيقية ام مجازية . ثم الانسان وهل هو مخير ام مسير (الجبر والاختيار) ، والقرآن ظاهره وباطنه .

وكان طبيعيا ان تنمو التيارات الداعية الى الدروشة والتصوف ، والزهد والاعتزال ..

وكان طبيعيا ان تجد الخوارق والمعجزات وكرامات الاولياء مكانا في الفكر الاسلامي ، حتى تحدثنا الرسالة القشيرية ـ مثلا ـ عن الذين يطيرون في الهواء من المكشوف عنهم الحجاب ، والذين يظهرون للجائعين خبزا بغير حاجة الى طحن دقيق !

وكان طبيعيا ان تموت بمضي الوقت روح البحث والابتكار حتى لدى بعض اجيال الفقهاء ، وان تتحول المعرفة الى حفظ ونقل وتقليد . حتى جاءت أزمنة لم يعد يحتج فيها الفقهاء لا بقول الله ولا برسوله ، ولكن بما ردده السلف من اصحاب المذهب . وسجلت كتب التراث ان واحدا من شيوخ الحنفية المتأخرين ـ ابو الحسن الكرخي ـ قال في هذا الصدد : كل آية او حديث يخالف ما عليه اصحابنا فهو مؤول او منسوخ !

واذا كان المسار الرئيسي للفقه والفقهاء لم يمنع من ظهور نماذج فذة في تاريخ الفكر الاسلامي ، لا زلنا نستضيء الى الآن بثمار علمهم ، الا انهم ظلوا بمثابة ومضات عابرة ، تركت بصماتها على المسيرة بغير شك ، لكنهم ـ ايضا ـ لم يتمكنوا من تغيير مسارها ، او يحدثوا تحولات ذات قيمة فيها .

●

لقد كانت هذه الخلفية هي التي هيأت مجتمع المسلمين لتلقي شعور الصدمة عند اول احتكاك بالعالم الغربي ، فيما بعد عصر النهضة . وهي ذاتها التي اسهمت في النمو غير الصحي للتفكير الاسلامي حتى اللحظة الراهنة . وأعني به ذلك التفكير الذي يقوم اساسا على التفرقة بين الدين والدنيا ، واقامة علاقة شك وارتياب بين المسلم ودنياه .

فنحن امام تراث فكري وبناء نفسي « أخروي » بالدرجة الاولى ، غرست فيه منذ انفصال القرآن عن السلطان بذرة الغاء الدنيا من اهتمامات وتوجهات المسلم ـ وتحقيرها احيانا ـ بحجة التطلع الى الآخرة والاعراض عن مصادر الشر والغواية .

وكانت نتيجة هذا الغرس اننا عرفنا ـ على المستوى الفردي ـ نموذج المسلم « العابد » ، بالمعنى التقليدي للعبادة ، لكننا افتقدنا في الوقت ذاته صورة المسلم « العامل » او الفاعل .

لقد اصبحت طريق المسلم الى الآخرة سالكة ، في احسن الاحوال ، لكن طريقه الى الدنيا ظلت بحاجة الى مغامرة الاقتحام والاكتشاف .

وازاء هذه الحقيقة ، فقد ظل نصيب المسلم من الدنيا ، الذي نبهه اليه القرآن الكريم ، مهدورا ومهضوما ، اذا ما أراد ان يحصل عليه من باب الاسلام وتحت مظلته . وبات من الضروري ان تقام من جديد علاقة صحية بين المسلم ودنياه ، لا تحل اللغز بالضرورة ، ولكنها على الاقل تضع اطارا معقولا لاحتمالات حله .

كيف نزيل ذلك « الحاجز النفسي » ـ بتعبير المرحلة ـ بين المسلم ودنياه ؟ .. تلك قضية اخرى ! ■■

خطأ النواة الوراثية

حدٌ فاصل بين الموت والحياة !

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

ان خطا القيادات أمر لا يغتفر ، سواء كان ذلك على مستوى الجزيئات أو الخلايا أو البشر !

وطبيعى ان الانسان هو المخلوق الوحيد الذى يدرك ـ عن عقل رزين ـ معنى الصواب والخطأ ، أو الخير والشر ، فيحاول أن يسلك الطريق الأول ـ طريق الخير والصواب ، ويتجنب ـ قدر الامكان ـ طريق الشر والخطأ .. وخطأ الفرد ينعكس عليه وحده ، لكن خطأ القائد او الحاكم في شئون الناس قد يوردهم موارد الهلاك ، وربما يؤثر هذا الخطأ على الجماعات لسنوات طوال ، وهذا ما نعرفه ونعانيه ونكابده في حياتنا المنظورة ، فصلاح الحاكم أو فساده ، لمن الدعامات القوية التي تؤثر على من حوله .. ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، لكن دعنا من كل هذا ، فأمره معروف ، ولنقدم هنا صورة رائعة من عالم غير منظور .. عالم الخلية بما حوت من قيادات مثيرة ، وجماهير جزيئية غفيرة ، لنرى كيف أن هذه العوالم الصغيرة قد تخطىء في حالات نادرة ، فتنعكس أخطاؤها على ما حولها ، فيكون المرض الذى لا مفر منه ولا مهرب !

من قديم الزمان ، عرف الانسان بعض الامراض التى لا تنفع معها حكمة الحكماء ، ولا طب الأطباء ، وقالوا عنها أنها قدر مكتوب ، أو هى من فعل قوى أسطورية لا قبل لأحد بالتصدى لها ، أو الاعتراض عليها !

فمن حيث أن هذا النوع من الأمراض « قدر مكتوب » ، فذلك فكر مقبول ، وما عداه فأمر مرفوض .. لكن هذا القدر مسطر فى الخلية ، رغم أن الأسباب قد تأتيها من داخلها أو من خارجها ، فتؤثر على ما كتب في « لوحها المحفوظ » ـ نعنى نواتها ، اذ هى بمثابة القيادة المشرعة لكل أمر ، والمعبرة عن كل حكم من الأحكام التي تنظم بها حياتها ، وحياة جماهيرها الجزيئية !

هناك مثلا أمراض وراثية معروفة .. لكن المرض عموما ناشىء من خطأ ، وقد يكون هذا الخطأ عضويا او فسيولوجيا او كيميائيا أو نفسيا أو ما شابة ذلك ، ومن الممكن اصلاح معظم هذه الأخطاء بالعلاج والجراحة والدواء ، لكن الأمر يختلف مع الخطأ الوراثى ، لانه تابع اساسا من خطأ القيادة الجزيئية في نواة الخلية .. فخطأ حرف واحد في الشفرة الوراثية يعنى حدا فاصلا بين الموت والحياة .. ومن المعروف ان عدد حروف أو رموز الشفرة التى توجد في كل خلية من خلايا الانسان



الخريطة توضح نسبة توزيع الخطأ الوراثي المؤدي الى الانيميا الوراثية في إفريقيا وآسيا وأوربا

تقع في حدود ثمانية آلاف مليون شفرة !! .. ثم ان هذه الشفرات مسجلة على أشرطة كيميائية دقيقة .. الشريط الواحد قد يحمل عشرات ومئات الملايين من الشذرات المتراصة في نظام فريد .. ومع أن الغالبية العظمى من الناس تأتى الى الحياة بدون أمراض وراثية ، الا أن هناك نسبة ضئيلة تأتى بخطأ وحيد أو عدة أخطاء في تنظيم الشفرة ، فينعكس ذلك على مرض له ظواهر معروفة ، ولكى ندرك ماذا يعنى هذا الخطأ في « كتاب » الخلية المكتوب ، كان لزاما علينا أن نقدم مثلا ومثلا ، ليتبين لنا كم هى مثيرة وعظيمة تلك الشرائع والسنن الوراثية التي تسيطر على دفة الحياة في الكائنات ، ثم هى توضح لنا بجلاء، أننا كمن يفحص مجلدات ضخمة بحثا عن خطأ او أخطاء، ربما تكون قد ظهرت في كتاب الكون المفتوح !

مرض وراثى غريب

علينا الآن أن نختار واحدا من أكثر الأمراض الوراثية انتشارا في القارة الافريقية عامة ، وفي بعض الدول العربية خاصة (ليبيا وأجزاء من الجزائر والسودان والمملكة العربية السعودية ودول الخليج ـ انظر الخريطة الدالة على ذلك شكل ١) ـ ومن أجل هذا كانت أهميته في هذه الدراسة .

والمرض الوراثى الذى نحن بصدده يصيب كرات الدم الحمراء ، او بالتحديد يصيب فيها الجزيئات البروتينية العملاقة التى نعرفها باسم الهيموجلوبين ، وهى التى تعطى للدم لونه الأحمر المميز .. صحيح أن هذا المرض الدموى كان ينتشر بين السود في القارة الافريقية منذ آلاف السنين ، ثم انتقل الى الدول المجاورة نتيجة للهجرة واختلاط الأنساب ، وانتقل الى امريكا الشمالية مع تجارة الرقيق ، الا أن أسبابه لم تكن معروفة تماما ، كل ما كان معروفا أن نسبة لا بأس بها من الأطفال والبالغين (من كلا الجنسين) كانت تموت به في سن مبكرة ، بعد ان تمر بأزمة مرضية قد تستمر عدة أيام ، وفيها يكابد الانسان الحمى وآلاما غير محتملة في العظام والبطن والمفاصل ، وقد يلفظ في النهاية أنفاسه .

في عام ١٩١٠ بدأت دراسة هذه الحالة الغريبة ، فاتضح انها حالة شاذة من الانيميا (أو فقر الدم) ، وفيها تظهر كرات الدم الحمراء تحت عدسات الميكروسكوب وهى اشبه ما تكون بالمنجل او الهلال ، في حين أن الخلايا العادية تظهر كروية .. أضف الى ذلك أن عدد كرات الدم في المصابين كانت أقل بكثير من عددها عند الأصحاء .

وبعد سنوات أخرى ظهر أن العيب كله يكمن في جزيئات الهيموجلوبين ، اذ من المعروف أن تلك الجزيئات هي المكلفة بحمل الاوكسيجين من الرئتين ، والاحتفاظ به كوديعة ، ثم تتنازل عنه للخلايا التي تحتاجه ، وتعود لتشحن ، ثم تفرغ ، وهكذا .. لكن الغريب أن كرات الدم في الاشخاص المصابين ، تتحول الى اشكال هلالية ، أو أية اشكال اخرى غير سوية اذا ما نقص تركيز الاوكسيجين ، ثم اذا تشبع الدم بهذا الغاز الحيوى ، اكتسبت نفس شكل الكرات العادية ، وعاودت وظيفتها المعروفة .

ولقد ظلت هذه الظاهرة الغريبة بدون تعليل عشرات السنين ، رغم أن لها ضحايا كثيرين وفي بداية النصف الثاني من القرن العشرين تطورت الوسائل العلمية وتشعبت ، ودخلنا بحق الى العصر الذهبي لاكتشاف شفرات الوراثة ، ومعرفة التركيب الدقيق لبعض الجزيئات البروتينية المعقدة ، اذ ان هذه البروتينات تشيد من أحماض أمينية متشابكة على حسب بروجرام محدد ومحفوظ في الاشرطة الوراثية .. وهذا ما سبق لنا أن تعرضنا له في دراسات سابقة .. المهم أن العلماء وضعوا جزيئات الهيموجلوبين على « منضدة التشريح » ، وشرحوها الى ٢٦ جزءا ، كل جزء يحتوى على سلسلة من الأحماض الامينية المتشابكة ، وبطرق علمية طويلة ومتقنة وعويصة ، استطاعوا أن « يقرأوا » ما تنطوى عليه كل سلسلة من احماض ، وطبيعي أنهم قارنوا بين الجزيئات العملاقة للهيموجلوبين السليم ، وبين الهيموجلوبين المعزول من الخلايا الدموية الشاذة ، فوجدوا أن ٢٥ سلسلة من ال ٢٦ سلسلة متشابهة المضمون تماما ، عدا سلسلة واحدة قصيرة ، فيها خطأ واحد صغير ، هو الذى جعل الجزيء العملاق غير كفء لرسالته ، وانعكس ذلك على شكل منجلى او هلالى تظهر به كرات الدم ، كلما نقص فيها تركيز الاوكسيجين .

الحرف القاتل !

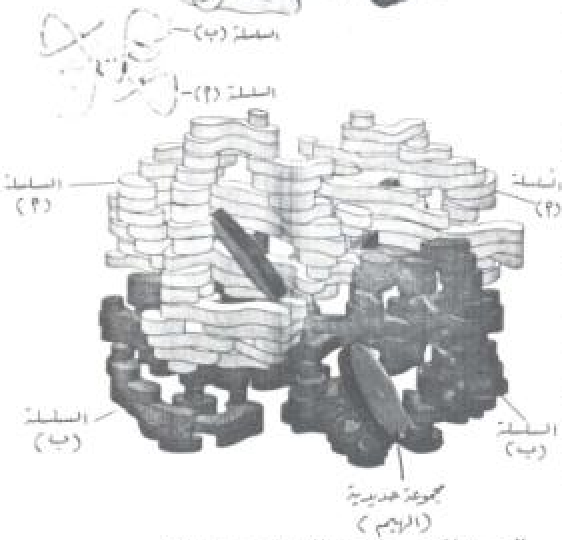
ولكى يتضح لنا المغزى الكامن وراء هذا الخطأ الطفيف ، كان لزاما علينا ان نتعرض سريعا لتكوين هذه البناية البروتينية الدقيقة التى تتوقف عليها حياتنا .. فجزيء الهيموجلوبين يتكون بالضبط من ٢٨٧ حامضا أمينيا .. منها ١٤١ حامضا تكون سلسلتين طويلتين تعرفان باسم السلسلتين (أ) ، و ١٤٦ حامضا تكون سلسلتين أطول قليلا وتعرفان باسم السلسلتين (ب) . وترتبط هذه السلاسل الأربع في بناية هندسية متناسقة تدل على أن كل شيء فيها قد شيد بحساب ومقدار (شكل ٢) .. اذ لولا هذا التنظيم العجيب الذى يبدو على هيئة هندسة فراغية ، لما كان هناك من يكتب أو يقرأ .. اضف الى ذلك ان هذه البناية تحتوى على أربع مجموعات من الحديد ، وكل مجموعة منها تعرف باسم الهيم (heme) ، وتحتل مراكز استراتيجية محددة ، وهي التى تعطى للبروتين لونه الدموى المعروف !

الغريب أن هذا التنظيم المذهل في جزيء البروتين (والذى قد تمر عليه عيوننا مر الكرام) ، لم يجيء هكذا اعتباط ، بل ان كل ذرة من العشرة آلاف ذرة التى تدخل في تكوينه تعرف موقعها ورسالتها ، كما أن هذا التخطيط الدقيق جدا قد هيأ للجزيء من أمره رشدا ، ليبدو وكأنما هو عضو أو آلة دقيقة متكاملة في تعامله مع الأوكسيجين ، فكما تعلو الرئتان وتهبطان مع كل شهيق وزفير ، كذلك يبدو هذا الجزيء المثير وكأنما هو يفعل الشيء ذاته .. فلقد اكتشف العلماء ان سلسلتين من سلاسله الأربعة تبتعدان وتقتربان ، او تنفرجان وتضيقان كلما غاب الاوكسيجين او حضر ، اى ان هذا التكوين الفذ على مستواه الصغير جدا ، قد جاء لحكمة كبرى ، وما أكثر الحكم التى تغيب في هذه العوالم الدقيقة عن عيون البشر !

يذكر دكتور م. ف . بيروتز استاذ ورئيس معمل البيولوجيا الجزيئية بجامعة كمبريدج ، والذى حصل على جائزة نوبل في الكيمياء الحيوية عام ١٩٦٢ بعد أن « قرأ » سلاسل هذا الجزيء كلمة كلمة ـ يذكر أنه اثناء قيامه بتحضير رسالة الدكتوراه في التكوين الدقيق لجزيء الهيموجلوبين عام ١٩٣٧ ، لم يطلب منه أستاذه أن يحل النظام المعقد الذى تتراص به الاحماض الامينية في الجزيء لأن ذلك قد يستنفد من عمره اكثر من ٢٥ عاما طوالا ، بل يكفى أن يقدم فقط الشكل او التصور العام الذى يمكن ان يوجد عليه هذا الجزيء بطرق تحليلية معقدة ، وهذا يوضح لنا مدى المجهودات المضنية التي تجابه العلماء ، وهم يتعرضون لأدق اسرار الحياة ممثلة جزيئاتها الأساسية .

ولكى نوضح ذلك أكثر ، دعنا نتصور أن هناك فقرة من عدة سطور ، كل سطر يتكون من كلمات ، وكل كلمة من حروف .. ولنفرض ان زيدا من الناس كان في مطبعة ، وأنه قد جمع هذه الفقرة بحروفها وكلماتها وسطورها ـ تماما كما جاءته في النسخة الخطية ، ثم لنفرض أن الطابع قد فك حروف هذه الفقرة ونزعها من لوحتها الكائنة على المطبعة ، ثم وضعها في كوب اوكيس وهزها هزا ، وطلب منك ان تعيد جمعها بنفس الطريقة التى جمعها بها ، ودون أن يطلعك على الأصل في النسخة الخطية ، عندئذ قد تنظر اليه على أنه لاشك





التجسيد الحقيقي لجزيء الهيموجلوبين وفيه تظهر الهندسة الفراغية المتناسقة وطبيعي ان هذا الشكل مبسط ، وهو يوضح فقط كيف تتراكب السلاسل الامينية الاربعة في بناية جزيئية معقدة لتصبح مهيئة لاداء رسالتها .. فاى خطأ في هذا النظام يؤدي الى مرض وراثي (راجع المقال)

مجهول ، اذ لايمكن أن تصل الى ذلك الا بعد أن تقوم بعمليات تباديل وتوافيق بين الحروف تصل الى بلايين البلايين من المرات ، وقد يكون هناك احتمال في التوصل الى الترتيب الصحيح للحروف في كلمات ـ في سطور .. في فقرة مكتوبة ، وربما تقضى العمر كله ، دون ان تتوصل الى تنظيم الفقرة الصحيحة !

وكذلك يكون علماء الحياة أمام اللغة التي جاء بها جزيء الهيموجلوبين ، أو غيره من آلاف الأنواع من البروتينات التي تزخر بها الخلية الحية .. فهم لا يرون الجزيء ، ولا مضمونه ، حتى ولو استعانوا على ذلك بالميكروسكوبات الاليكترونية .. فكأنما هم هنا كالعميان أمام هذه الأسرار ، لكنهم مع ذلك قد استنبطوا وسائل علمية تحليلية معقدة ، ونحن لا نستطيع ان نتعرض لها هنا ، فليس ذلك مجالها ، بل يكفي أن نذكر أنهم قد يعملون السنوات الطوال من أجل فك لغز الجزيء المعقد ، وكيفية تراص مئات الأحماض الأمينية بنظام مقدر من البداية ، لأن خطأ وحيدا في وضع حامض مكان حامض آخر ، قد يتمخض عن كارثة يعاني منها الكائن الحي العمر كله ، أو قد يختصر بها الحياة ، فينتقل بسببها الى رحمة مولاه !

ولقد توصل العلماء الى السبب الحقيقي الذى حول الكرة الدموية من شكلها الدائري ، الى شكلها الهلالي الذي يخذلها في أداء رسالتها ، فيأتي الموت بسببها .. فالفرق بين الجزيء السليم والجزيء الخاطيء يتركز في حامض أميني وحيد من ال ٢٨٧ حامضا التي تكون جزيء الهيموجلوبين !

من الذى أخطأ ؟ !

وطبيعى أننا قد نخطيء أحيانا في الكتابة او الطبع ، وقد ندرك أخطاءنا ونصححها ، دون ان يؤدى ذلك الى كارثة في حياتنا العامة .. وقد يخطيء القادة مع شعوبهم ، والخطأ هنا أكبر ، لأن له تأثيرا سيئا على حياة الناس ، وقد تتصدى الشعوب الواعية لأخطاء القادة والحكام ، وقد تصحح ـ في الوقت المناسب ـ اخطاءهم ، وتعيدهم الى صوابهم ، فتسري بهم الحياة من خلال ديموقراطية صحيحة ، لكن هذا الأمر الخاطيء لا يتحقق داخل الخلية الحية ، ولا احد يستطيع اصلاحه ـ الآن على الأقل !

والواقع أن هذا الخطأ الوحيد القاتل في جزيء الهيموجلوبين ، ليس هو المسئول عنه على أية حال ، بل ان المسئولية كلها تقع على التشريع الذى سنته « الحكومة المركزية » .. تعنى نواة الخلية ، أو بتحديد أكثر نقول : ان الخطأ كامن في أحد الأشرطة الدقيقة التي تكمن عليها الشفرة الوراثية .. وهي ـ كما سبق أن ذكرنا ـ تصل الى حوالى ثمانية آلاف مليون شفرة ، ومن بين هذه البلايين تجيء شفرة واحدة خاطئة ، فتؤدى الى تكوين جزيء بروتيني خاطيء !

أى أن الخطأ هنا هو خطأ القيادة الوراثية في نواة الخلية !

لكن .. ماذا يعنى هذا الخطأ حقا ؟

الواقع أن الحياة تستخدم في لغتها مركبات كيميائية اربعة لاغير ، وهذه تطلق عليها اسم أدينين وثايمين وجوانين وسيتوزين (تختصرها للتبسيط الى أ ، ث ، ج ، س) .. وهي متراصة في الاشرطة الوراثية ازواجا ازواجا ، بمعنى أن أ ترتبط مع ث في الشريط ، وكذلك

ترتبط ج مع س .. ومن تكرار وتبادل هذه الازواج في الاشرطة بنظام خاص ، تنتج بلايين فوق بلايين من الشفرات التي لها معنى ، ولكي يخرج الأمر من هذه الاشرطة لبناء بروتين مثل الهيموجلوبين ، فانه يخرج على هيئة شفرة ثلاثية .. فمثلا « أ أ ث » لها معنى يختلف عن « أ أ ج » ، أو « أ ث ج » ، أو « أ ج ث » .. الخ ، فكل شفرة ثلاثية من هذه الشفرات تتعرف على حامض اميني من الأحماض العشرين التي تستخدمها الحياة في بناء بروتيناتها .. جزيء الهيموجلوبين مثلا يتكون من ٢٨٧ حامضا ، اذن فلابد من صدور الأمر على هيئة شريط مبعوث من القيادة يحمل ٨٦١ رمزا (اى ٢٨٧×٣=٨٦١) .. ولقد حدد العلماء هذا الخطأ ، وعرفوا ان الشفرة الثلاثية على الشريط الوراثي قد اصبحت س أ ث ، بدلا من ان تكون س ث ث ـ وهي الصحيحة .. اى ان الخطأ كله قد انصب في حرف « أ » (اى أدينين) بدلا من أن يكون ث (اى ثايمين) (راجع مقالتينا السابقتين على صفحات هذه المجلة بعنوان نحن نحن كتب مكتوبة « .. » ومطابع الحياة) .

وطبيعي أن الجزيء الوراثي المبعوث قد حمل خطأ جزيئه الوراثي الباعث ، وطبيعي أيضا انه لا يستطيع له تحويرا ، ولانفيه تغييرا ، وعندما يتوجه الى ساحة الخلية ليطبعه على آلات الطباعة الجزيئية (التي تعرف باسم الريبوسومات) ، فان الشفرة الثلاثية « س ا ث » تجمع الحامض الأميني فالين ، بدلا من أن تجمع الحامض الأميني « جلوتاميك » ، وبهذا يخرج جزيء الهيموجلوبين خاطئا في حامض واحد من ٢٨٧ حامضا ، نتيجة لحرف واحد خاطيء من ٨٦١ حرفا مسئولة عن تكوين هذا الجزيء الهام !

لكن .. كيف يؤدي هذا الخطأ البسيط بمعايرنا نحن الى مثل هذه المأساة الوراثية ؟ لأن احلال حامض محل آخر يؤدي الى تفاعل فريد من نوعه بين جزيئات الهيموجلوبين الموجودة في كرة الدم الحمراء ، خاصة عند نقص تركيز الأوكسيجين فيها ، فينتج عن ذلك تكوين مركبات تشبه الخيوط المتصلة الحلزونية الدقيقة جدا ، وعندما تظهر داخل كرة الدم الحمراء ، تبدو وكأنما هي تشدها ، فتتغير شكلها ، ويؤدي ذلك الى اصطيادها في الشعيرات الدموية الضيقة ، وفيها تتحطم ، وينتج عن ذلك هذا النوع من الانيميا او فقر الدم ، وبه تظهر اعراض المرض .

هذا المثال الواقعي يوضح لنا بحق أننا نقف امام نظام دقيق مذهل ، ويبين ان هناك قدرا مكتوبا ، او كتابا مسطورا بلغة تؤلف مجلدا مثيرا يحتوى على بلايين المعلومات التي يجب ان تاتي صحيحة مائة بالمائة ، اذ أن الخطأ في رمز واحد يؤدي ـ كما رأينا ـ الى كارثة !

ولقد أمكن الآن السيطرة على هذا المرض ، ولكن في حدود معرفتنا الحالية ، اذ من الممكن مثلا ان يعيش به بعض المرضى ـ ربما لخمسين عاما ، وذلك بوضعهم في ظروف معيشية أحسن ، وتغذية أقوم ، وتجنيبهم الاصابات بالأمراض الميكروبية المعدية ❋ التي قد تخفض ورود الاوكسيجين الى دمائهم ... الخ ، وطبيعي أننا لا نستطيع أن نغير في هذا القدر المكتوب ، أو نصلح خطأ القيادة في نواة الخلية ؛ أو أن نحدد موقع الجينة او المورثة التي سجلت فيها خطة تكوين الهيموجلوبين ، فهي تقع في مكان ما بين المائة ألف جينة التي تكون الجهاز الوراثي لكل خلية في الانسان .. كل هذا وغيره خارج عن قدرة العلماء ـ الآن على الاقل ، فليس معنى أننا نعرف تفاصيل الميكانيكية البيولوجية للأمراض الوراثية ـ ليس معناه اننا قادرون على اصلاح هذه الأخطاء المميتة ؛ خاصة اذا حدثت في القيادة الجزيئية للخلية !

اخطاء أخرى

ومنذ أن عرف العلماء كيف يقرأون « الف باء » لغة الحياة ، بدأوا في معرفة الأسباب المؤدية الى كثير من الأمراض التي كانت بمثابة لغز عويص في بداية القرن العشرين ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لها هنا الضيق المجال ، لكن يكفي ان نقدم مثلا ومثلا ، لندرك المزيد عن معنى الخطأ في هذه العوالم الدقيقة .

فبعض ظواهر التخلف العقلي في الأطفال ناتجة عن خطأ واحد في عملية واحدة من سلسلة العمليات الكيميائية التي تشرف عليها الخمائر أو الانزيمات (انظر دراستنا السابقة على صفحات هذه المجلة بعنوان « مفاتيح الحياة وأقفالها ») .. فهناك حامض أميني اسمه « فينايل آلانين » .. وهو واحد من الأحماض الامينية العشرين التي تكون « ألف باء » البروتينات .. لكن الأمر الوراثي هنا لا شأن له ببناء هذا الحامض مع غيره على هيئة بروتين كما كان الحال في

❋ عدا ميكروب الملاريا .. فمن الغريب ان الذين يصابون بهذا النوع من الأنيميا لهم مقاومة أكبر للملاريا عن غير المصابين بها ، وكأنما النقمة تنبع منها الرحمة .. « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » .

الهيموجلوبين ، بل يتناوله في سلسلة من التفاعلات ، ويحوله الى مركبات اخرى محورة تحتاجها داخل أجسامنا .

والواقع أن لهذا الحامض خط تشغيل مقدر داخل الخلايا .. فلكي يتحول المركب أ مثلا الى المركب هـ ، كان لابد ان يمر بالمراحل ب ، ج ، د .. ولكل مرحلة انزيمها الخاص بها ، فلو توقف الانزيم الخاص بالعملية ج مثلا ، فان المركب ب سوف يتراكم ، وعنده تتوقف كل العمليات التي تليه في خط التشغيل .

وهذا ما يحدث بالضبط للحامض الأميني « فينايل ألانين » .. فهنك انزيم يحوله الى مركب آخر اسمه « تيروسين » ، وللتيروسين انزيم آخر يحوله الى مركب ثالث اسمه حامض « هوموجنتيسيك اسيد » Homogentisic acid .. ولابد أن يأتي انزيم ثالث ورابع وخامس ... الخ . ليحوله الى مركبات اخرى على خط التشغيل الخلوي في خطوات مقدرة تقديرا مضبوطا ، وسر ظهور التخلف العقلي عند الأطفال هو توقف اول خطوة في العملية .. اي تحويل الحامض الأميني فينايل ألانين الى تيروسين ، وعندئذ يزيد تركيز الأول عن حدوده المرسومة ، فيؤثر على خلايا المخ ، خاصة في الشهور الأولى بعد الولادة ، ويعتقد بعض العلماء أيضا ان لهذا الحامض « المركون » بعض تحولات كيميائية جانبية ، وان الناتج منها يوجد بتركيزات جد ضئيلة ، بحيث تؤثر على خلايا المخ أيضا ، وتسبب التخلف العقلي .. ومن حسن الحظ ان هذا الحامض ومخلفاته الجانبية تظهر في بول الطفل بعد اسابيع او أشهر من ولادته ، وانه يمكن الكشف عليها بسهولة ، فان ظهرت ، دل ذلك على ان الجينة المورثة المسئولة عن انتاج الانزيم المكلف بتحويل الحامض بها عطب ، ومن ثم يمكن تلافي ظاهرة التخلف العقلي منذ البداية بعلاج معروف عند الاطباء المعالجين ، ويستمر العلاج حتى العام الخامس او السادس من عمر الوليد ، حيث يكون الجهاز العصبي قد وصل الى اكتمال نموه وتكوينه .

وثمة مرض وراثي آخر يظهر في الخطوة الثانية من هذه السلسلة من التفاعلات التي تحكمها الانزيمات ، اي ان الخطوة الاولى تتم بكفاءة ، وفيها يتحول حامض فينايل ألانين الى تيروسين ، لكن التيروسين لا يجد الأنزيم أو المفتاح الكيميائي الذي « يفتحه » ويحوله الى مادة اسمها ميلانين ، وهذه المادة هي المسئولة عن صبغة البشرة والعينين والشعر بالوانها المعروفة ، فاذا لم تتكون ، ظهرت على الانسان ظاهرة « المهق » (او عدو الشمس ـ كما يجري على لسان العامة) .. وعندئذ لا يستطيع ان يتحمل أشعة الشمس على بشرته او عينيه ، لان هذه الصبغة هامة جدا في حماية البشرة من أثر الأشعة التدميري (انظر دراستنا الخاصة بهذا الموضوع على صفحات « العربي » بعنوان « اعداء الشمس من الحيوان والبشر » ـ سبتمبر ١٩٧٨ ـ العدد ٢٣٨) .

والخطأ في هذه العملية واقع على جينة ـ او اكثر ـ من الجهاز الوراثي ، لأن الانزيم او الانزيمات المسئولة عن هذا التحويل الهام هي صنيعة الجينات في المقام الاول ، فاذا توقفت او اعطت امرا خاطئا ، لتكوين انزيم خاطىء ، فلا تنتظر للأمهق خيرا .

وهناك مرض خطير قد يظهر في الخطوة الثالثة من هذه العملية .. اي عند تحويل التيروسين الى حامض الهوموجنتيسيك الذي سبق اليه الاشارة ، اذ لابد من وجد انزيم ليقوم بتحويل هذا المركب الى المركب الذي يليه ، فاذا غاب الانزيم ، فغيابه يعني خطأ جديدا في القيادة المركزية للخلية ، ويعني اكثر ان تتجمع نواتج التحويل وتتراكم ، وعندئذ تترسب في أماكن محددة من الجسم ، فتتلون الأذنان مثلا بلون ازرق أسود ، وكذلك بياض العينين ، ومقدمة الأنف ، وكل نسيج غضروفي قريب من البشرة يظهر ايضا بهذا اللون الغريب ، ولو تعرض الانسان المصاب بهذا الخطأ الوراثي لأشعة الشمس لعدة ساعات ، فان بوله يتحول الى لون أسود أزرق ، وقد يترسب هذا الحامض (اى الهومو) في غضاريف المفاصل ، فيسبب فيها التهابا حادا .

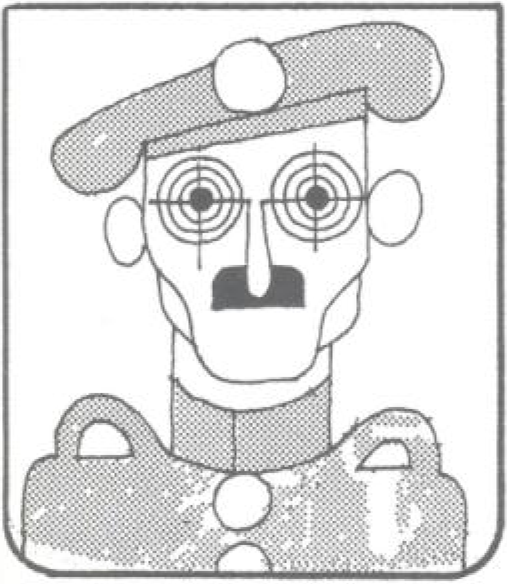
والأمثلة بعد ذلك بالمئات .. منها مثلا النزف الدموى ، وهو نتيجة حتمية لغياب أو خطأ في تكوين انزيم واحد من الانزيمات المسئولة عن تجلط الدم عند حدوث الجروح ، وقد ينزف المريض حتى الموت .

وطبيعي ان الحياة تحاول دائما ان تتخطى هذه الأخطاء ـ خاصة اذا كانت خطيرة ، فتعطى الفرصة للأصحاء ، ولا تعطيها لذوى الأخطاء . فلا تتيح لهم مثلا فرص الحياة او الانجاب .. ورغم ان هذا التشريع الطبيعي في ظاهره النقمة ، الا انه ينطوى على الرحمة .. رحمة بالنوع لا بالفرد ، فالأفراد زائلون ، والنوع باق ما شاء له ربه أن يبقى .

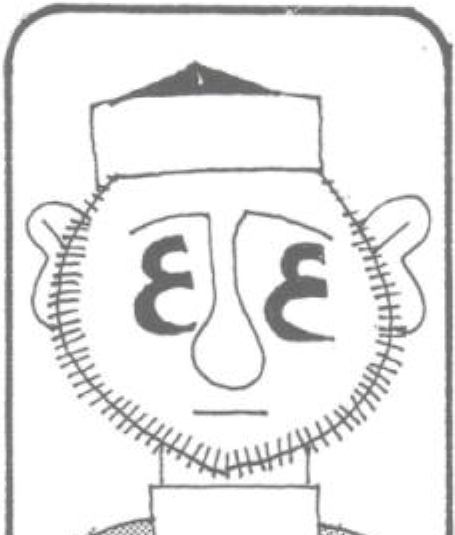
وحمدا لله ان معظمنا قد جاء الى الحياة « بكتب » كيميائية صحيحة ، وشفرات وراثية سليمة ، وقيادات لا عوج فيها ولا أخطاء .. وطوبى للأصحاء ، وندعو بالرحمة لذوى الأخطاء .. فلا ذنب لهم فيما ورثوا ، انما الذنب ذنب الآباء الذين لم يرجعوا للأطباء قبل الزواج ، لمعرفة ما خطه القدر في « كتبهم المكتوبة » من أخطاء ! ■■

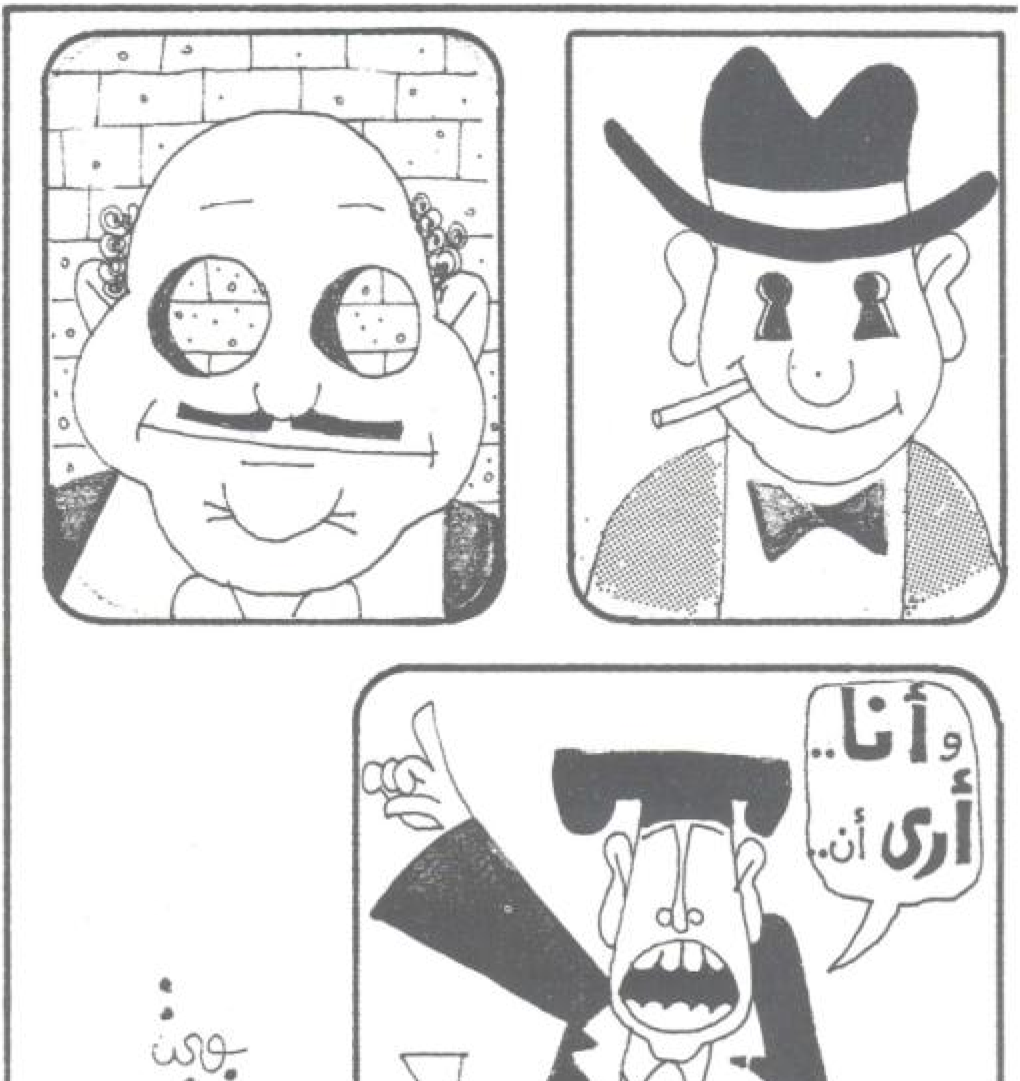
الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح

العيون لغات








وأنا.. أرى أن..

تعقيب من يوجوسلافيا :

نعم .. العقل والدّين اثنان !

بقلم : حسين جوزو

تحت عنوان : « هل هما اثنان » ناقش الدكتور زكي نجيب محمود ، في العربي (عدد ابريل رقم ٢٥٧) موضوع العلاقة بين العقل والدين ، مستشهدا ببيت من الشعر لابي العلاء المعرى يقول فيه :

اثنان اهل الارض ، ذو عقل بلا
دين وآخر دين لا عقل له

ومما قاله الكاتب : ان لابي العلاء المعرى من التصورات ما أقف إزاءها متسائلا . احقا قال المعرى ذلك ؟ ومصدر تساؤلي هو الخطأ الواضح الذى اراه مما يعد به عن ان يكون من اقوال المعرى صاحب البصيرة النافذة . وأمثلة ذلك بيت الشعر المشهور الذى ينسب اليه والذى يضاد فيه بين العقل والدين الى الحد الذى يفصل عنده . بين رجل يحتكم الى عقله وآخر يحتكم الى دينه كأنما هما رجلان لا يلتقيان ؟

انني اوافق كل الموافقة الدكتور زكي نجيب محمود فيما ذهب اليه من انه لا تضاد ولا منافاة بين العقل والدين ، وان حقيقة الامر الواقع ليست قسمة الطرفين ـ اعني العقل والدين ـ بين اهل الارض ، بحيث اذا ظفر احدهم بنصيبه من العقل ضاع عليه نصيبه من الدين او العكس ، بل الصواب هو ان هذين الطرفين مهما يكن بينهما من تباين في الجوهر وفي المنهج فهما يلتقيان معا في كل فرد من الناس ، فكل انسان عقل ودين معا وهما في الواقع جانبان يشكلان قوام كل انسان .

ان الذى أؤاخذه على الدكتور زكي نجيب محمود هو قوله بان ابا العلاء المعرى اخطأ في البيت المذكور عندما فصل بين العقل والدين ، وقسم اهل الارض الى متدينين لا عقل لهم والى عقليين لا دين لهم .

ويقيني ان الخطأ ليس في مضمون البيت المذكور وانما هو في فهمه . ان ابا العلاء المعرى لم يقصد من البيت ان يقول ان العقل والدين ضدان لا يجتمعان وان في طبيعتها التضاد والمنافاة . الحقيقة ان المعرى لم يقصد اظهار وابراز ما بين الدين والعلم من التضاد لان هذا التضاد غير موجود وانما كان غرضه الاساسي وغايته الوحيدة تصوير الحالة القائمة في عصره وفي معظم العصور الاخرى . وهذه الحالة لم تكن نتيجة حتمية لما بين الدين والعقل من اختلاف وتضاد في جوهرهما ، وانما كانت نتيجة لسلوك الناس وموقفهم ونوع علاقتهم بهما وسوء فهمهم لهما واساءة استعمالها .

دور الدراويش

ولا شك ان المعرى ادرك بثاقب رأيه وببصيرته النافذة ان الناس يخطئون في فهم الدين والعلم ، ومن

هذا الخطأ نشأت فكرة التفرقة بين الدين والعلم ، وبرزت هذه الفكرة الخاطئة بين المسلمين اما جهلا بحقيقة التكاليف الدينية واما انحرافا مقصودا لتشوية دين الله وصرف الناس عن الالتزام ، واما مجاراة وتقليدا لقوم قصروا معنى الدين على ما يريدون ـ على حد قول الاستاذ الشيخ شلتوت .

ومن هنا ـ يضيف الشيخ محمود شلتوت ـ قر في تصور كثير من الناس ان الدين باحكامه وارشاداته شيء وان العلم بمقتضياته وشئونه شيء آخر ، وصرنا نسمع في المسئلة الواحدة ان رأى الدين كذا ورأى العلم كذا !!

ومما زاد الامر بلبلة تغلغل وتسلل الخرافات والخزعبلات خلال عصور الانحطاط والتأخر في معتقدات الناس وعلى وجه الخصوص عن طريق الطرق الصوفية وجهلاء الدراويش ، الذين انشغلوا بالكرامات والامور الخارقة المنسوبة الى الاولياء والصالحين ، وغير ذلك مما ملأ كتب التصوف . فنجد مثلا في كتب الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي انه رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام وأتى له بكتابه « فصوص الحكم » وقال له : خذ هذا الكتاب وانشره لينتفع الناس به . وذكر في كتابه « الفتوحات المكية » ان اباه اخبره عن تاريخ يوم وفاته ، وقد توفي في اليوم المذكور كما اخبر . ويقولون ومنهم بعض علماء الازهر ان من كرامات سيدنا احمد البدوى الذى دفن في طنطا بمصر حيث يوجد جامعه المشهور ، احياء الاموات وتحويل الشعير مثلا الى القمح وبالعكس . وهناك أمثلة لا تعد ولا تحصى وهي اكثر غرابة وضلالة . ومن اراد المزيد فعليه مراجعة كتاب : مجموع فتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية وخصوصا فيما يتعلق بأولياء الرحمن واولياء الشيطان .

وللناظر الى هذه الحالة عذر فيما اذا ذهب الى تقسيم الناس الى متدينين لا يعتمدون على العقل والعلم ، والى علمانيين لا يعتمدون على الدين . وهذا ـ على ما يبدو لي ـ ما فعله ابو العلاء المعري وما قرره في البيت المذكور الذى نحن بصدد شرح وبيان معناه .

ومن الثابت ان الاسلام لا يعرف هذه التفرقة ولا يقرها ، انه جمع بين الدين والعلم وجعل من اهدافه الرئيسية اقامة التوازن بينهما ، اعني بذلك التوازن بين الفضيلة والمعرفة وبين القلب والعقل وبين الروح والجسم وبين القيم الروحية والقيم المادية وبين الآخرة والدنيا .

جاء الاسلام وقد توفرت الظروف لقيام العقل بدور اكثر فعالية ، فحدد القرآن دوره ورفع من شأنه ومكنه بل فرض عليه النظر في آيات الآفاق والأنفس (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ـ فصلت ٥٣) وفي القرآن اكثر من سبعمائة آية تذكر العلم بمناسبات مختلفة وتحث على النظر في الكون لان الكون من آيات الله التي تدل على وجوده وتتجلى فيه صفاته من الخلق والقدرة والعلم والارادة . (كنت كنزا مخفيا فاردت ان اعرف فخلقت الخلق ـ حديث قدسي وقد فضل الله ادم (الانسان) على الملائكة للعلم وجعله خليفة له في الارض وسخر له كل ما في السماوات والارض وما بينهما (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة البقرة ٣٠) .

هل يلتقيان ؟

والمعلوم ان بالاسلام انتهى دور المعجزات والخوارق ، وبدأ دور العقل والعلم . ان في اختلاف الليل والنهار وفي خلق السماوات والارض لآيات لاولى الالباب . والواقع ان آيات الكون تشكل معجزة اشد تأثيرا واكبر تعقيدا من اية خارقة من الخوارق الميتافيزقية .

وان كان الاسلام قد رفع من شأن العقل واطلق له حريته واناط به ادراك آيات الكون وآيات القرآن فانه حدد دوره ودائرة اختصاصاته وامكانياته . فيجب علينا ان لا نبالغ في قدرة العقل وان لا نتجاوز امكانياته ودائرة اختصاصاته .

ان في كل شيء وفي كل ظاهرة في الكون جانبين ، ظاهر وباطن . فالظاهر هو الذى يمكن ان نلمسه بحواسنا والباطن هو الذى ترشد اليه وتهدى حواسنا ولكن لا تدرك جوهره وحقيقته لانه من الغيب الذى استأثر الله بعلمه . والانسان يحكم بالظواهر والله يعلم السرائر فلا بد من التوفيق بين هذين الجانبين لانهما ـ لا اقول كما قال الدكتور زكي نجيب محمود قوام كل انسان وانما اقول انهما قوام كل وجود . ففي كل وجود دين وعقل وايمان وعلم ، اعني جانبا يختص به الايمان واخر يختص به العلم .والذى اراه ان انكار احد الجانبين يحول بلا شك دون الوصول الى معرفة الحقيقة . والواقع ان تاريخ البشرية لم يخل من هذا الانكار الذي كان عقبة قوية في سبيل تطور حياة الانسان وتحقيق سعادته . وعلى هذا

يمكن ان نقسم التاريخ الى فترة دين بلا علم وفترة علم بلا دين .

وقد انقضت فترة الدين بلا علم ونحن الان نعيش فترة العلم بلا دين . فهل يا ترى تتجه البشرية الى فترة التوفيق بين العلم والدين ؟ ، وهو ما يرمي اليه ويستهدفه الاسلام ؟

الذي يبدو ان هناك بوادر تدل على ان هذه الفترة اخذت تظهر علاماتها وانها على وشك التحقيق .

ولا يسعني هنا الا ان اذكر بهذه المناسبة ان مصير رباعياء عمر الخيام مثل مصير البيت المذكور لأبي العلاء ، لا يعبر بها صاحبها عن آرائه ومعتقداته وانما يصور لنا سلوك وعبادات ومعتقدات الناس . وهذا الفهم الخاطيء دفع بعض الباحثين الى القول بان هذه الرباعيات موضوعة ومدسوسة لم يقل بها عمر الخيام .

من عمان :

الاستهلاك السرطاني استعمار جديد ..

بقلم : ابراهيم السمان *

لا تقتصر تنمية أي مجتمع على الخطط الرامية الى رفع مستواه الحياتي عن طريق زيادة دخل الفرد . فهذا جانب من جوانب عديدة يجب على الانسان مراعاتها وتنفيذها . فكل مجتمع يضع قدمه على طريق التنمية مطالب بتوجيه خطواته كلها الى الامام .. فلا يسمح بأي تراجع مهما كانت نسبته كأن يخطو خطوتين الى الأمام ثم يرجع خطوة الى الخلف .. والتراجع يتخذ اوضاعا واشكالا عديدة قد لا تنحصر في تعثر العملية التنموية سواء في التخطيط او التنفيذ . فنجاح العملية التنموية يعتمد الى حد كبير على الجوانب الذهنية والنفسية والحضارية التي يعيشها المجتمع .. فالعمل التنموي بحاجة الى الفكر الحضاري . ولذلك يجب أن تقوم أي عملية تنموية على قاعدة فكرية تستهدف تنظيم حياة الفرد من الداخل والخارج .. نريد الانسان ان يفكر بعقلية تنموية كما يفكر بعقلية علمية ، فتدخل فلسفة التنمية في حياته بجميع اجزائها . ولعل أقرب مثل أسوقه بهذه المناسبة على المشاكل الخطيرة التي تهدد التنمية في عقر دارها اينما كانت هو الاستهلاك . وابادر على الفور فأقول الاستهلاك السرطاني ، اذا جاز هذا التعبير او التشبيه .. وهو الاستهلاك الذي تتمرد خليته كالخلية السرطانية فلا يعرف الحدود ولا السدود .

والاستهلاك ، هو احدث انواع الاستعمار المعاصر بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى .. استعمار الدول المتقدمة الغنية الدول الفقيرة النامية .. فبعد ان كانت الدول الكبرى تستعمر الدول والشعوب الصغيرة بجيوشها اصبحت في عصر التكنولوجيا تستعمرها

* وكيل وزارة الاعلام المساعد بالحكومة الاردنية .

بأجهزتها وادواتها وآلاتها فتستنزف عن طريق تسويقها اقتصادها . لقد استعبد الاستهلاك السرطاني مواطن الدول النامية فغدا الفرد عبدا لكل ما هو جديد . المواطن النامي غير المنتمي الى فكر تنموي راسخ صار يستعمر نفسه بنفسه .. وكأن الدولة المتقدمة قد وضعت داخل هذا المواطن جهاز استعمار ذاتي تلقائي كالقنبلة الموقوتة . فالمواطن النامي رهن نفسه بنفسه عند الدولة المتقدمة المصدرة ..

والاستهلاك السرطاني الاعمى هو اعظم اسباب اختلال التوازن الاقتصادي في الدول النامية . وهو الثقب الكبير الواسع الذي يسيل منه هدرا اي جهد يبذله المواطن سواء على الصعيد الرسمي او الاهلي في سبيل تحقيق شيء من التنمية وسد الهوة السحيقة المتسارعة بينه وبين الدول التي سبقته .

مشكلة كل شخص

لقد رافق الغلاء العالمي والمحلي في معظم الدول النامية ظاهرتان خطيرتان هما : اجور اليد العاملة ، والاقبال المجنون على الاستهلاك . واقصد استهلاك الكماليات .. او بالاحرى كماليات الكماليات . فقد رافق الدخول الكبيرة مصاريف اكبر استوعبتها وفاقتها .. صحيح أن المواطن النامي اصبح يعيش في عالم كمالي مريح في ظاهره ، ولكنه ليس من صنعه . وصحيح ان هذا المواطن يعيش في الظاهر حياة ممتعة مغلفة بقشور حضارية ، ولكنها حياة محفوفة بالمخاطر .. مخاطر الفقر والتخلف الاجتماعي المتربصة بالمجتمع كله .. فبالاضافة الى الهدر الكبير الذي يصيب الاقتصاد الوطني في ذلك المجتمع النامي دون أي مردود ايجابي نافع ، هناك عملية التخريب النفسي التي يزرعها الاستهلاك في نفس المواطن الذي اصبح هدفه الاول والاخير هو أن يملأ منزله بما هو ليس ضروريا لحياته من مستوردات الدول المتقدمة . هذا في الوقت الذي نجد فيه مواطن تلك الدولة محروما وطنيا من التمتع بتلك المصنوعات . صارت حياة المواطن النامي معرضا للمباريات الاستهلاكية تستنفد قوته وقوته في قطاعات الحياة كافة . واصبحت نظرته محدودة الهدف لا تتعدى أنفه . ومن المحزن والمفزع في آن واحد أن بعض المجتمعات النامية وربما معظمها صار يعتمد حتى في اهم عناصر حياته التي تحفظ بقاءه على غيره : خبزه مثلا .. واكثر الناس في هذه الدول اهملوا الزراعة وغادروا الارض ليتسمروا في مكتب بوظيفة اية وظيفة .. وحتى اصحاب المهارات من ذوي الايدي العاملة جعلوا الاستهلاك هو الهدف . ولا شك ان الاستهلاك السرطاني قد لعب دورا كبيرا خطيرا في زيادة الغلاء . وان نظرة موضوعية علاجية سريعة الى وضع المواطن النامي المستهلك ستعود عليه بفائدة كبيرة وتعيد اليه رشده الاقتصادي . ففي امكان الانسان ان يستغني عن قدر كبير قد تصل نسبته الى اكثر من خمسين في المئة مما يعتبره ضروريا مما يأكل او يشرب او يلبس او يسكن او يتحرك به .

على أن الأمر ليس مرتبطا كله بالدول لانها لا تستطيع ان تقيم مراقبا على كل مواطن فيها .. وان انجع وسيلة لاستئصال سرطان الاستهلاك هو التخطيط السليم الشخصي في ضوء واقع كل انسان وظروف المجتمع الذي يعيش فيه . فمعظم الناس في الدول النامية يدخلون (السوبرماركت) دون اي تخطيط مسبق لما يريدون شراءه : اي لما يحتاجونه فعلا . انهم يتركون الأمر لمعروضات السوق ، وغير خافية ، بطبيعة الحال ، آثار المغريات الموجودة هناك على جيوبهم وبالتالي على اقتصاد بلدهم . ولعل اول وسيلة لمعالجة الاستهلاك السرطاني قبل استفحاله هي ان يعرف المواطن ما يريد : يشتري ما يحتاج لا ما يرغب .. وان يقيم ستارا حديديا بينه وبين التقليد الاعمى المدمر والجري وراء اوهام وسراب الاستهلاك .. ولعل شيئا من سوء الظن بالناس والايام معا مفيد في هذه الحالة فالانسان يجب ان يفرض اسوأ الاحتمالات في الحياة .. وانا لا أقصد بدعوتي هذه الى نشر التشاؤم وعدم الثقة بين الناس .. وانما اريد ان ينظر الانسان الى الحياة بحلوها ومرها ، ابيضها واسودها ، نهارها وليلها .. أريد النظر الى الأمور بعين الواقع .. ووزنها في موازينها الصحيحة .. المواطن في الدول النامية مطالب بحسن التمييز بين (حاجته) و (رغبته) . ■■

من دمشق :

هل نحن حقاً شعبٌ لا يقرأ ؟

بقلم : عيسى فتوح ٭

لماذا عزف الناس عن قراءة الكتب الجادة ، ذات المضمون الفكري والأدبي الرائع ، الى قراءة المجلات الخفيفة والمسلية ، وهي الحافلة بالصور المغرية ، والتعليقات الخاطفة ، بدلا من الجمل الرصينة ، والأسلوب الأدبي الرفيع الذي كان الكتاب قبل نصف قرن يتبارون في تجويده وصقله ، ويتنافسون على تنقيته وتقويمه ، فتأتي أعمالهم في النتيجة غاية في الروعة ، وآية في الابداع .

لقد كان شبابنا حتى عهد ليس بعيدا يبحثون بلهفة عارمة عن كتب الزيات والمنفلوطي والرافعي وطه حسين والعقاد والمازني وسلامه موسى وأحمد أمين ومارون عبود وميخائيل نعيمة . كنا نقرأها بنهم لا يرتوي وجوع لا يشبع ، تتلذذ بعباراتها المتينة ، ولغتها المصقولة ، وجملها المرصوفة ، يستهوينا بيانها المشرق وفكرها العميق .

أما اليوم فقد طغت على الكتابة النثرية موجة الحداثة ، فاجتاحتها كما اجتاحت الشعر من قبل ، وصرنا كثيرا ما نقرأ جملا مفككة ركيكة مهلهلة النسج ، تفتقر في جلة ما تفتقر الى المنطق الصحيح ، والتركيب اللغوي السليم ، ولذلك غمضت واستحال فهمها ، وبدت مضطربة قلقة ، لأن أصحابها يقلدون تقليدا أعمى أسلوب سعيد عقل ، وأنسي الحاج ، وشوقي أبو شقرا وغيرهم ممن ظنوا أنهم يطورون الكتابة العربية ويحدثونها بهذه الأساليب الملتوية العرجاء ! .

ان قراءة الصحف والمجلات لا يمكن أن تغني بحال من الأحوال عن قراءة الكتب الأدبية ، لأن بعض الكتاب الكبار يحجمون عن الكتابة فيها ، ويؤثرون التعبير عن أفكارهم وخواطرهم في كتب مطبوعة مستقلة ، يمكن حفظها ووضعها في رفوف ، والرجوع إليها في كل وقت ، ولا تستهويهم المجلات بكل أناقتها وألوانها وصورها الجذابة .

والمجلة أيضا لا يمكن أن تنافس الكتاب أو تحل محله في المكتبة الخاصة ، فالقارىء الأصيل يظل يفضل الكتاب ، لأنه نبع فياض ، ومائدة فنية لأفكار الكاتب ، يمكن أن تختار منها ما لذ وطاب ، وتعيش معها في شبه نزهة ممتعة لا أجمل ولا أحلى ... ولذلك نتسابق الى شرائه واقتنائه وتجليده وحفظه ، والحرص عليه كقطعة فنية نفيسة ، نضن بها ولا نعيرها الا لأخلص الأصدقاء ، وأقرب المقربين .

٭ أمين سر جمعية النقد العربي في اتحاد الكتاب العرب بدمشق .

حدثني صديق عاد من بلغاريا مؤخرا أنه رأى أمام احدى المكتبات صفا طويلا كصف الجند ، يشتري أحد الكتب التي صدرت حديثا ، وكان الثلج ينهمر على رؤوسهم ، والبرد يكاد يجمد الدماء في العروق ، ولذلك تنفد طبعة الكتاب عندهم خلال أيام قليلة ، علما بأن الطبعة الواحدة تتراوح بين الخمسين والمئة ألف نسخة ، في حين أن اتحاد الكتاب العرب ووزارة الثقافة لا تزيد مطبوعاتها عن الألفين للشعر والقصة ، والخمسة آلاف لكتب الأطفال ، والعشرة آلاف لكتب المختار من التراث ، وهو أعلى رقم قياسي وصلت اليه وزارة الثقافة . عشرة آلاف نسخة لثمانية ملايين أو أكثر من الناس (❊) ، فلنتصور ! .

محنة التكوين الثقافي

ونتساءل بعد هذا : لماذا لا نقرأ ؟ هل نحن شعب لا يقرأ فعلا ، كما أكد الدكتور عيسى الناعوري في احدى مقالاته التي نشرها في مجلة « الأديب » اللبنانية قبل بضع سنوات ؟ هل تزداد نسبة الأمية ، والأمية الثقافية بنوع خاص ، سنة بعد سنة كما أكد الأستاذ سميح عيسى في كتابه « على طريق محو الأمية في سورية » ؟ هل للأحداث والصراعات المؤلمة التي تشهدها المنطقة العربية كلها هذه الأيام علاقة بذلك ، فتجعلنا نلصق آذاننا بأجهزة الراديو ، ونسمر أعيننا بشاشات التلفزيون فقط ؟ .

ان مشكلة العزوف عن القراءة ترتد في رأيي الى تكويننا الثقافي منذ الطفولة ، فأكثر أطفالنا لا يتعاملون في بيوتهم مع الكتاب أو المجلة أو الجريدة ، وقليلون هم الآباء الذين يصطحبون أطفالهم أو أولادهم الى المكتبات ليختاروا لهم الكتب الجميلة والمفيدة ؟ أو يهدوهم اياها في المناسبات ، كالأعياد أو أثناء التفوق والنجاح الباهر . بل كثيرا ما يفضل الطفل دراجة أو لعبة أو أرجوحة على الكتاب ، لأن معلمه لم يخلق بينه وبين الكتاب ألفة ومودة ، ولم يغره به ويبين له محاسن القراءة وأثرها في تكوين فكره ، وبناء شخصيته ، واغناء ثقافته .

اذا اعتاد الطفل على القرآة في سن مبكرة ، ظلت هذه العادة ترافقه حتى الشيخوخة ، وصارت جزءا لا يتجزأ منه ، واستحالت أخيرا الى هواية نافعة ممتعة ، تأسره وترافقه في كل وقت ، قبل النوم ، وبعد الطعام ، وعند اليقظة في الصباح . فلكل دقيقة من العمر ثمن ، ينبغي أن لا نفرط بها أو نضيعها سدى .

ليست القراءة ترفا ، بل هي عمل شاق ، وجهد فكري مكثف لا يقل عن الجهد الذي يبذله الانسان في الكتابة . لذلك لا يجوز أن نقرأ للتسلية وقتل الوقت ، وملء الفراغ ، بل يجب أن نقرأ بمنتهى الجدية والاهتمام ، ونعرف كيف نختار الكتاب الشائق المفيد الذي يغني الفكر ويثريه ، وتترك قراءته أثرا عميقا في النفس لا يزول بعد اغلاقه ... يجب أن نمحص وندقق ونغربل ما قرأناه ، ونطرح على أنفسنا هذا السؤال : ما الفائدة التي جنيناها من قراءة هذا الكتاب أو ذاك الذي أنفقنا فيه الساعات الطويلة ؟ هل استطاعت قراءته أن تضيف شيئا جديدا الى ثروتنا الفكرية أو الأدبية أو اللفظية ؟ هل استطاع هذا الكتاب أن يوسع آفاقنا ، ويفتح أعيننا على عوالم جديدة أو مجهولة ؟ هل استطاع أن يحرك أعماقنا ، ويوقظ فيها الشعور بالغبطة والارتياح ، ويهذب طباعنا ، ويعدل من تهورنا ، ويكبح من جماح تطرفنا ، ويرشدنا الى الحق والخير والجمال ؟

من هنا تنبع أهمية القراءة الواعية الهادفة ، فاذا لم تستطع أن ترقى بنا وتسمو ، فلا فائدة من الساعات العديدة التي أمضيناها فيها ، وكانت فعلا اضاعة للوقت وهدرا للجهد . ومن هنا أيضا تنبع مسؤولية الكاتب الأصيل الذي يجب أن يدرك مدى خطورة ما يخطه قلمه ، وأن الكلمة التي يكتبها لا تبقى له ، بل للجماهير تقدسها وترفعها شعارا لها ، أو تدوسها وتلعن كاتبها لأنها كانت هدامة وغير مسؤولة . ■■

❊ مفترضين أن الكتاب العربي يوزع محليا فقط !

من حلب :

قبرس بالسين لا بالصاد !

بقلم : الدكتور محمد التونجي

توالى ورود كلمة « قبرس » في كتابات الباحثين والمؤرخين العرب بالصاد « قبرص » ، وصوابها بالسين كما ذكرت . وكنت كلما حاولت أن أنوه إلى هذا الخطأ اللفظي شغلتني أمور . حتى وقع بصري في العدد (٢٥٢) من مجلة « العربي » على عنوان مقال قيم وهو « فتح قبرص في عصر المماليك » . عندئذ عزمت على الشرح الكامل لهذه السين التي تحولت إلى صاد خطأ في القرن الأخير .

فالمعروف أن الساميين ، ولا سيما الفينيقيين احتكروا التجارة البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وغدت كلمة كنعان - بكسر الكاف وسكون النون - تعني « التاجر » قبل الميلاد .

وأخذ الفينيقيون ينشئون محطات على طول ساحل البحر الشمالي والجنوبي ، وعلى شواطيء الجزر التي كانت تعترض مسيرتهم البحرية .

وبلغت مراكزهم ذروة النشاط في منتصف القرن العاشر قبل الميلاد ، عندما أسسوا بعض المستعمرات البحرية . مثل : قادس في إسبانية ، وأوتيكاو لبدة وصبراتة وأوية وقرطاجة على ساحل تونس وليبيا (لوبية أتلز) . وأطلقوا على هذه المحطات أسماء سامية فينيقية . فـ :

قادس : معناها الجدار ، وهي أقصى مدينة في إسبانية على المحيط الأطلسي .

ترسيسيوس : بلاد كان الفينيقيون يقصدون إليها في طلب المعادن الثمينة ، وهي في لغتهم بمعنى المنجم أو الزبرجد . وتقع على المحيط الأطلسي ، وكانت تدعى « ترشيش » . وما زال في لبنان - منطقة المتن - قرية حتى اليوم تدعى « ترشيش » ، فيها آثار قديمة .

برشلونة : من كلمة « البرق » .

ملاقة : معناها الدكان أو المعمل الصغير .

ماجو : في اليونان بمعنى (المجن) .

ساموس : جزيرة في الأرخبيل اليوناني ، مأخوذة من

الشمس لأن الشين في الفينيقية يقابلها السين بالعربية ، وكذا العكس .

كريت : مشتقة من (كارت) أى القطع والقرط . وأخذها الفرس من العرب فقالوا للسكين : كارد .

مالطة : كان أكثر أهلها من الفينيقيين ـ كما يقول المؤرخ تيودوروس ـ ، وما زالوا كذلك حتى اليوم . وقد حط فيها الفينيقيون في القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، ثم فتحها العرب في القرن التاسع الميلادى ، وتركوا فيها آثارهم اللغوية حتى اليوم . وقد سماها الفينيقيون بمعنى الهرب . و Malot بالعبرية بمعنى : هرب ونجا ، وهي كذلك في السريانية . ول « ملط » بالعربية معان مجازية تدنو من هذا المعنى .

وسبب هذه التسمية أن الفينيقيين ما كانوا يسمحون لأية سفينة أن تلحقهم وتكتشف مراكز تجاراتهم ومناجمهم ومقالعهم من الجزر والشواطيء . فكانوا إذا أحسوا بأن إحدى السفن الغريبة تتعقبهم هربوا (ملطوا) إلى تلك الجزيرة . ويصل الأمر بهم إلى تحطيم السفينة وإغراقها ، ويقبضون من ملكهم كامل قيمتها .

أوروبة : تحكي الأساطير أن الاله « زيوس » اختطف « أوروبة » الجميلة ابنة الملك الفينيقي « أجينور » من مرج الساحل السورى بعد أن هربت إلى « كريت » ، وتزوجها هناك . واستقرا في البلاد التي سميت « أوروبة » باسمها . ومع أن ما ذكرناه أسطورة فانها تدل دلالة قاطعة على سيطرة الفينيقيين الساميين على البحر المتوسط . ومع أن هذا البحر حتى مطلع الاسلام كان يسمى « بحر الروم » فانه كان بحيرة فينيقية عدة قرون من الزمان .

قبرس : سبب تسميتها بهذا الاسم أن الفينيقيين اكتشفوا فيها مناجم عظيمة للنحاس . والنحاس الأصفر في العربية والفينيقية والعبرية هو الصفر ، وينطق بالعبرية Chivre وبعد أن اشتدت سيطرة اليونان على البحر أبقوا اسم هذه الجزيرة « صفر » ، واضافوا Us في نهايتها علامة التنوين اليونانية والرومانية . ومن عجب أن العرب لفظوا كل الأسماء بالسين حسب النطق اليوناني مثل : طرابلس و نابلس و جرابلس و طرطوس . وحين وصلوا إلى « قبرس » لفظوها خطأ بالصاد .

وهكذا تحول اسم « الصفر » في اليونانية إلى Cypress ، ثم سماها اللاتين Cypruss . وعنها أخذ الانكليز فقالوا Cypruss ، أما الفرنسيون فلفظوها Chypre أما كيف تحول الحرف الأول من صاد إلى قاف ، فان العرب بعد أن صدروا كلمة « صفر » إلى الغرب عادوا فاستوردوها ـ ومثل هذا كثير في تاريخ الألفاظ ـ . وبما أن الحرف « C » يلفظ كافا حينا وسينا حينا في اللغات اللاتينية فان العرب حديثا لفظوها بالقاف أخت الكاف ، وقالوا « قبرس » .

وقد تنبه العرب قديما إلى أن الكلمة يجب أن تنطق بالسين ، فسجلوها في كتبهم بالسين . فالطبري في تاريخه ذكرها تسع مرات في أربع مجلدات بالسين ولم يذكرها بالقاف مطلقا . وابن منظور أوردها في « لسان العرب » في مادة « قبرس » وقال : « القبرسي من النحاس : أجوده . والقزويني في كتابه « آثار البلاد وأخبار العباد » ذكرها بالسين كذلك . أما ياقوت في « معجم البلدان » فقد حدد تهجئتها فقال : « قبرس : بضم أوله وسكون ثانيه ثم ضم الراء ، وسين مهملة » . ويقول : « وافقت من العربية : النحاس الجيد » . ■■

من الولايات المتحدة الامريكية :

بين حضارة غريبة وواقع مرفوض ..

بقلم : الدكتور مصطفى شعبان*

كتب كثيرون على صفحات العربي وغيرها عن مشكلة ضياع التراث العربي وقضية التغريب والخوف من الهلاك (عددي ٢٣١ و ٢٣٤) . ومما قيل في هذا الصدد اننا غارقون في تقليد الغرب وانجاح مخطط غربي لهدم التراث العربي واذا نحن لم نتصد لهؤلاء المغربين هلكنا لا محالة . ولا بد لنا من ان نرد بصراحة على عدة اسئلة جوهرية ربما نصل الى اجابات مقبولة لمشكلة العربي المحصور بين حضارة غربية لا يستسيغها وحاضر عربي مريض يقض مضجعه . من هذه الأسئلة مثلا : هل هناك فعلا « هجوم مخطط على تراث الامة العربية » بقصد تغريبها ؟ من المسئول عن هذا التغريب او التخريب ؟ هل ننقل الحضارة ام ننقل الاخلاقيات والقيم وبعض القشور ؟ ثم : الى اين المفر ؟

أولا : لا اعتقد ان هناك عربيا يعرف عروبته وينكر ان هناك مخططا للقضاء على الحضارة العربية والاسلامية خاصة لخلافات تاريخية وحاجات اقتصادية واستراتيجية وسياسية . فلا احد ينسى مذابح محاكم التفتيش الاسبانية ولا الحروب الصليبية ولعل زيارة اللورد اللنبي لقبر صلاح الدين وقوله « لقد رجعنا يا صلاح الدين » كفاية عن سرد التاريخ . وحاجة الغرب لتفتيت العرب واضحة وما خلق وتشجيع اسرائيل والخلافات القطرية والانقلابات والاغتيالات الا جزءا منها . هذه هي الحرب فهل قاتلنا ؟

ثانيا : ان المسئول الاول عن الهزيمة او على الاقل التراجع هم « المثقفون » من اول القيادات « ثورية كانت او رجعية » الى حملة الدرجات العلمية والكتاب والشعراء .

ان بعض القيادات حركها مركب النقص الى تقليد الغرب . فاذا كان الغرب لا يلبس الجلباب ـ مثلا ـ فيجب علينا خلعه . واذا كان الغرب قد فصل نظام الحكم عن كنيسة جاهلة في عصور الظلمات فلا بد لنا كما فعل كمال اتاتورك ان نحطم شعائر الاسلام . ولم يقرأوا التاريخ ولم يعلموا ان الغرب يعاني اليوم من فراغ اخلاقي خطير نتيجة تحطيم القيم الدينية كان

* الاستاذ بمعهد فرجينيا التكنولوجي

يكفي هؤلاء وهؤلاء الاطلاع على بعض الاحصائيات : معدل الانتحار في السويد . التسمم الكحولي في بولندا ، مليون ونصف طفل غير شرعي لفتيات غير متزوجات في امريكا ، رسالة دكتوراه سنة ١٩٦٣ تقول ان ٥٦٪ من المتزوجات في امريكا يمارسن الجنس مع غير ازواجهن ، ٦٠٪ من بنات الجامعات هنا يعتبرن المعاشرة دون زواج ليست اثما ... وغير هذا كثير .

ليس بالدين وحده

بالقيادات الرجعية رأت في الدين الكتب الصفراء « ومن نسي قديمه تاه » دون تحليل او تجديد . تشاءب الناس . فتلهم الملل ولكنهم مصرون .

وحملة الدرجات العلمية تائهون : بين مستغرب اعجمي الفكر وبين مستعرب يجهل عروبته الا من عصم الله وقليل ما هم . يترجمون للناس ما حفظوه من الغرب الذي يحسبون انه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو ينقلون اليهم اقاويل الكتب الصفراء .

ثالثا : ان كثرة كثيرة من مثقفي عالمنا يخلطون بين الحضارة وبين اخلاقيات بعض الشعوب . فالخنافس مثلا ليسوا مرحلة او شكلا حضاريا ولكنهم ظهروا كرد فعل معاكس لأخلاقيات المجتمع المحافظة ولسياسة الحكومة في فيتنام وسوء توزيع الدخل والاحتكارات وانقياد الطبقة المتوسطة في خدمة رأس المال دون مبادىء . وتقليد العربي للخنفس الامريكي دون فهم لفلسفته السياسية سفه تعلمه من وسائل اعلام جاهلة تنقل له الصورة دون المضمون ويقدمون لنا فتاتا من كلام وطبخات فجة علينا ان نرددها ونفهمها على انها « حضارة » الغرب . والواقع ايضا ان كل حضارة تمر بمراحل نمو من الطفولة الى الشيخوخة ثم الموت واذا كانت هناك حضارة كاليابان واخرى يافعة مثل المانيا وثالثة شاخت مثل انجلترا فلا يجوز لنا ان نستخدم جزءا غير مقبول من اخلاقيات هذه او تلك ونسميه حضارة الغرب ونقول ان نقل حضارة الغرب هلاك .

ان مستوى الانتاج الاقتصادي وطريقة توزيع هذا الانتاج بين العمال واصحاب الارض واصحاب رأس المال ثم النظام الاجتماعي الذي ينشأ عن كل ذلك ليس الا وجها من وجوه الحضارة و « التركيب الاقتصادي » بهذا المعنى يؤثر تأثيرا واضحا في اخلاقيات المجتمع اللهم الا اذا شذبت هذه النوازع عن طريق الدين او الترابط الاسرى .

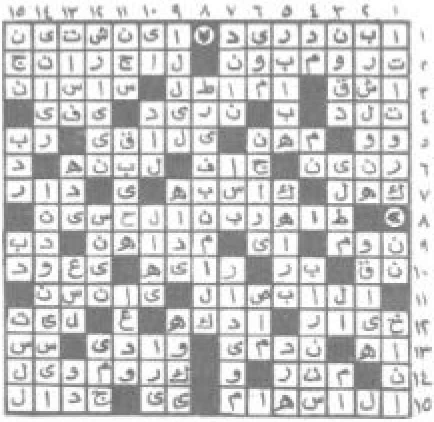
وخلاصة القول هنا ان الدين ليس وحده الذي يصنع اخلاقيات الشعوب انما هناك عناصر البيئة الاسرية خاصة والاجتماعية عامة ثم الضغوط الاقتصادية التي تؤثر في سلوك الافراد ويكفي في هذا الصدد ان اقول ان الرشوة والسرقة ظاهرتان اقتصاديتان وليستا استهتارا بالدين أو ناموس الجماعة ولذلك اوقف عمر بن الخطاب حد السرقة ايام المجاعة .

نسأل انفسنا ماذا نريد ؟ هل نريد ان نتقدم اقتصاديا واجتماعيا وروحيا بدون جهاد ؟ فريق ينقل لنا ويترجم ما ظنه حضارة الغرب وفريق يكلمنا بمهمهات لا يدري احد كنهها وفريق يرتل على اسماعنا ما فهمه رجال منذ ألف سنة ودسوه لنا في مخطوطات دون ما تخريج او شرح او تعديل ؟

هذه هي خلاصة « ازمة المثقفين » في بلادنا أو « مثقفي الازمة » ان شئت وستظل الازمة قائمة ما دام هناك فريق يخاف « التغريب » وفريق يرهب التعريب وفريق يستمع لكل اولئك وهؤلاء ولا يكاد يفهم ما يقولون . ■■

الايـــــام

● الايام خمسة : يوم مفقود وهو امس ، ويوم مشهود وهو يومك الذى انت فيه ، ويوم مورود وهو غدك ويوم موعود وهو آخر ايامك من الدنيا ، ويوم ممدود وهو يوم القيامة .



أفقياً :

طاهر بن الحسين

رأسياً :

طريف بن مالك

اثنتان في واحدة :

(٨ أفقيا) طاهر بن الحسين . من كبار قوّاد المأمون . عهد اليه بالقضاء على ثورة الخوارج في خراسان ، فأخمدها ، واستقل بأمره بعد ذلك وأغفل ذكر الخليفة في خطبة الجمعة . اغتيل ، وخلفه أولاده في حكم خراسان طوال قرن تقريبا .

(٨) رأسيا : طريف بن مالك . قائد عربي بربري الاصل . أول من غزا الأندلس بأمر من موسى بن نصير في عهد الوليد . وعاد غانما عام ٧١٠ ميلادية .

الفائزون بالمسابقة

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : حبيب حسين المرادي ـ المنصورية ـ الكويت .

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : امين عبده سيف الحزمي ـ تعز / اليمن الشمالي .

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : صائب جمال سليم ـ إربد / الاردن .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ اوعزوز الوجدي ـ وجدة / المغرب .
٢ ـ ياسين محمد عبد اللطيف ـ صافيتا / سوريا .
٣ ـ احمد محمد قدورة ـ بيروت / لبنان .
٤ ـ لطيف مجيد خورشيد ـ السليمانية / العراق .
٥ ـ حسن عبد المطلب العلواني ـ الرياض / السعودية .
٦ ـ مصطفى عبد المجيد عبد الله ـ الخرطوم / السودان .
٧ ـ مدحت علي محمد ـ القاهرة / مصر .
٨ ـ عبد العزيز علي عبد الرحمن ـ الدوحة / قطر .



قصة

المحصول

بقلم : جمال الغيطاني

.. قبل اقتراب الظل من شجرة الكافور العتيقة ، قبل اذان الظهر ، افترشوا الارض بجوار الزرع ، جلسة ما بعد نضج المحصول ، يوم او يومان ثم يبدأ الجني . تجت البسلة من النداوة التي تجفف الاوراق وتمتص اللون الاخضر ، تجعله كالقش . ان عبد الموجود راض ، ينظر الى الولدين جابر الكبير وعبد العال الصغير ، ثم الى فروع النبات ، لم يتبق مجهود كبير . قرقر الشاى في البراد . الصوت الوحيد في السكينة التي تتوسط النهار . صوت سيارة . انها سوداء . تبطىء سرعتها . تتوقف علي الطريق الذى يعلو قليلا ، نزل ثلاثة ، لم يستطع تمييز ملامحهم . تلفتوا حولهم كأنهم يبحثون عن شيء ما . مدوا أيديهم عند نزول المنحدر ، بدأ اولهم غير عابيء بالطين المبلول . قال عبد الموجود لنفسه . اللهم اجعله خيرا . ظنهم من المباحث جاءوا للاستفسار عن شخص ما ، او ضلوا الطريق . أولهم شاب في عمر عبد العال . طويل يبدو انه من مصر . السلام عليكم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . صافح بقلب مليء بالترحيب . لم يبد وجلا من الاكف الخشنة . بل انه قال ضاحكا . ممكن نقعد ؟ ، قال عبد الموجود ... ياسلام تشرفونا يا بك . تشربوا شاى ؟ قال الشاب . آه والله .. ياعم الحاج . سأل عن اسماء الكرماء الافاضل . ثم سأل . هل انتم اصحاب الارض ؟ . قال عبد الموجود انهم مستأجرون . الزرع زرعهم . وحده هناك عند الساقية القديمة . اربعة افدنة . قال انه لا يستطيع تمييز الذرة من القمح . رجاهم ان يعذروه . هل هذه خضر ؟ . قال عبد الموجود ان كل الاراضي في هذا الخط تزرع بالخضر لقربها من مصر . هنا طماطم . وبصل وبطاطس وباذنجان . وقرب الجبل توجد الفواكه . اما الارض هنا فكلها بسلة . نعم .. بسلة . رشف الافندى الشاى من كوب الصاج الوحيد بنفس مفتوحة . هذا ما يريده تماما . هذا اللقاء الذى تم بدون ترتيب . بدون ميعاد . سيريحه تماما . وربنا يعمل ما فيه خير الطرفين . قال عبد الموجود انه الخير . ولن يجيء الا الخير باذن الله . ثم طلب من ابنه عبد العال الصغير ان يقطف بعض البسلة للاساتذة . ضحك الافندى . يبدو ان عم عبد الموجود يعرف ما جاء من اجله تماما . قال انه موظف باحد الفنادق الحديثة في مصر . فندق ضخم سيفتح ابوابه بعد سبعة ايام . سيقدم الاكل لاكثر من الف شخص يوميا . وعلى الرغم من ان مديرية واصحابه خواجات الا انهم يعرفون السوق وما يجرى في السوق والاعيب المتعهدين . قالوا . لماذا اللف والدوران . صاحب الزرع موجود . والنقود موجودة وعربات النقل جاهزة . والرجال الذين سيعبئون وينقلون موجودون في الفندق . هز عبد الموجود رأسه آه .. خير ما عملوه . تفكير سليم وتدبير تام . في هذه اللحظة وصل عبد العال الصغير . مال ليضع البسلة بين يدى الافندية . تفضلوا . قال جابر ان هذه الحبات من الدرجة الاولى . مليئة بالحب . ومثل هذه لا يعرضها التاجر في السوق ابدا إنما يدخرها لمن يعرفون الاكل واصوله . وكل شيء له ثمن . لم تفت الملاحظة الافندى . قال ان الفندق لا يهمه السعر بقدر ما تهمه

الجودة . انه فندق عالمي ، صمت عبد الموجود . التفت الى الاثنين الآخرين ، احدهما يمسك حقيبة سوداء مربعة لها يد طويلة من الجلد ، يبدو الثاني ساهيا ، بدا له الا يسترسل في التفاصيل العملية ، من الذوق ان يهتم بضيوفه الذين نزلوا عليه فجأة ، تساءل عما اذا كان الاستاذان يعملان ايضا في الفندق ؟ قال صاحب الحقيبة السوداء ، انه صاحب البك فقط ولا يفهم في امور الفنادق . قال الثاني انه سائق العربة ، نعم .. في الفندق . اهلا وسهلا ، وهنا سأل جابر مفتتحا حديث البيع والشراء عن الكميات التي سيطلبها الفندق ، قال الافندي انه سيتم شراء المحصول كله ، ليس الآن فقط ، لكن في كل موسم ، الخضر طبعا ، قال عبد الموجود مقطبا عينيه الارض كلها من هذه الناحية لا تزرع الا الخضر . قال ان مصر كلها تأكل من هنا ، ومن اراضي الجهة الاخرى ، قال ان الارض قريبة من النيل ، وقريبة من الصحراء . اشار الى الجهة الشرقية لا يوجد عمار بعد البلدة ، اذا رمح الجمل في الصحراء يتوه فيها ولا يسعى أحد خلفه . هز الافندي رأسه ، استحسن السائق مذاق البلة ، طلب من عبد العال الصغير ان يجني للاسطى . قال الافندي ان هذا لا يمكن بسط عبد الموجود يده فوق صدره ، الهدية لا ترد ... ثم انها حاجة بسيطة ليدخل بها الاسطى على الاولاد ، تساءل الافندي عن سعر الكيلو ـ قال عبد الموجود انهم يبيعون بالجوال . الجوال ثمنه خمسة او ستة جنيهات ، سأل الافندي .. يعني الكيلو بكم نظر عبد العال الصغير الى والده ، قال ان الجوال فيه حوالي ستين او سبعين . صفر الافندي . نظر الى زميليه وكأنه ادرك حقيقة ظلت خفية عليه ، قال ان السعر في السوق ثلاثون قرشا ، والصنف الممتاز الذي يأكلون منه الآن لا يقل عن اربعين قرشا اذا وجد ، قال صاحب الحقيبة السوداء انه لا ينزل السوق ولا يعرف شيئا عن الاسعار ، « المدام » تشتري كل شيء بنفسها ، قال عبد الموجود ان المزارع كلها حولهم ، ليبحث بنفسه ، اذا وجد مثل هذه الحبات في الثمرة الواحدة . عندئذ يكون كلام آخر ، قام الافندي منهيا الجلسة . وقف السائق . وقف الافندي حامل الحقيبة السوداء المربعة . قال انه لن يبحث ، لن يدور ويلف لانه دار ولف فعلا ، ان السعر هنا مناسب جدا والمحصول جيد جدا ، الاهم من ذلك كله ان قلبه مال الى الحاج ... الحاج .. عبد الموجود ، ان « اللوكاندة » وجدت ما تبحث عنه ، قدم جابر الكبير كيسا به حوالي ثلاثة كيلو جرامات الى السائق ، تساءل عبد العال الصغير بصوت جاد عن عنوان اللوكاندة في مصر ، بسط الافندي يديه مطمئنا ، قال انه سيجيء اليهم بنفسه خلال ايام .

سيحضر معه اكياسا خاصة لتعبئة المحصول ، يمكنهم اعتبار الاتفاق منتهيا ، سيدفع نقدا . لن يكلفهم عناء الذهاب الى مصر لقبض الثمن . الدخول الى اللوكاندة صعب لانها في مكان بعيد اولا . ولان الحراسة مفروضة حولها دائما ، كل ما عليهم ان يوقعوا الفواتير وايصالات الاستلام . قال عبد الموجود وفي تساؤله موافقة ، الن تصل النقود الى هنا ؟. اومأ الافندي ، اذن كما تشاء ... مضي أنه يرجو من الله ان يعمل ما فيه الخير ، لكن اليس من الواجب البقاء الى موعد الغذاء ؟ ابدوا اعتذارا ، ابدوا شكرهم ، تمنوا ان يجعله عامرا ، اقترب عبد العال من الافندى ، الا يمكن معرفة اليوم والميعاد حتى ينتظروهم ، قال الافندى انه لا يمكنه التحديد الآن ، لكنه لن يتأخر عن ثلاثة ايام . حاول عبد الموجود ان يصعد المنحدر وراءهم ، لكن الافندى اقسم ان يبقى كل في مكانه ، احتكت العجلات بالارض ، تضاءل الصوت تدريجيا حتى استقر الصمت ، بدا الامر مفاجئا حتى سأل عبد الموجود نفسه ، اهو حلم ام علم ؟ ما اسم اليوم ؟ الله الاثنين .. الاثنين شرح دائما . لكن عبد العال الصغير يبدد سكون الظهيرة المشبع برائحة الزرع . ان قلبه يأكله ، الموضوع فيه ما فيه ، انه غير مطمئن لهؤلاء الافندية ، قال ابوه على العكس ، انه مطمئن تماما ، الافندى في منتهي الاخلاق والذوق ، كلامه واضح ، هل يكره الراحة من التعب والغلب ، تعبئة المحصول في اجولة ، الجرى هنا وهناك للاتفاق مع من يساوى ومن لا يساوي للمشاركة في استئجار عربة نقل ، نزول السوق في الليل والبرد يقص اطرافهم قصا ، ربما باعوا المحصول في ساعة ، ربما خاب السوق فيمضون ليلة او ليلتين ، ثم يبدأ انتظار المعلم ، لم يتحدثوا اليه مباشرة لم يروه الا من مسافة ، يجيء في عربة ويذهب في عربة ، يلف رأسه بشال حريرى ابيض . يمشي الرجال من امامه ومن خلفه ، احدهم يجيء

اليهم بالفاتورة ، والنقود ، يأخذ لنفسه ما فيه النصيب ومن قبلة الواقف امام الميزان والرجل الذى اوجد لهم مكانا ليضعوا فيه المحصول ، هذا يأخذ وهذا يأخذ ، ثم يبدأ بحثهم عن طريقة للعودة من مصر ، قال عبد العال الصغير انه يعرف ذلك كله ، لكن قلبه غير مطمئن لهذا الافندى ، لماذا لم يجبه بعنوان اللوكاندة ؟ لن يصدق الا اذا رأى العربات قادمة ، والنقود في ايديهم ، قال جابر ان شكله يشبه ضباط المباحث ، انهم عادة يتظاهرون بالود ، صاح عبد الموجود متسائلا عما يمكن ان تهتم به المباحث هنا ، قال جابر ، ربما يبحثون عن قطعة سلاح .. او يستقصون اثر شيء ما ، ضرب عبد الموجود يده


HIJKLMNO
JKLMNO
UA
SOS
vip

بالارض ، يا اولاد ... الافندى لم يطلب لنفسه شيئا شرب معهم الشاي بنفس مفتوحة . صمتوا .. تصاعدت رائحة القش المحروق . ثقلت الظهيرة ، لم تهتز الفروع والاوراق . تجمدت شواشي الذرة مع ان امشير يودع ايامه الاخيرة ، في الليل ردد عبد الموجود انه سيستريح من السوق ، وظلم السوق ، وقرف السوق الذى اكل عمره مقدارا اثر مقدار . لن يقترض من القريب والبعيد لينقل المحصول ، ولن يجر السلفيات من هذا وذاك ، انه لا يطمع في المزيد من النقود ، ما يريده الراحة والبعد عن وجع القلب ، في اليوم التالي ، قبل ان يصل ظل الشمس الى شجرة الكافور رفع رأسه متسائلا : الم يأت الافندي في مثل هذه الساعة ؟ لم ينتظر ردا ، قام متحاملا على نفسه ، كتفه اليمين مرتفعة قليلا ، في مشيته عرج خفيف ، يصعد المنحدر ، يقف محدقا بالبصر الكليل ، يتدلى فكه الاسفل ، من يدرى ربما اضاعوا طريقهم ، المنطقة كلها متشابهة ، وهؤلاء افندية من مصر . في اليوم التالي استعان بعصا من جريد النخيل لان الوقفة طالت بالامس ومفاصله تؤلمه ، فات الزمن الذى كان يرفع فيه « الفأس » ويهوى بها على الارض من طلوع الشمس وحتى غروبها ، في اليوم السابع ازداد تدلي فكه الاسفل . قبل طلوعه : هل ضرب سعرا مرتفعا ؟ هل بان عليه الطمع ؟ قال عبد العال انه لم يطمع وانه اظهر الكرم لكن ربما اتجه الى غيط اخر ، ربما كانوا يشغلون انفسهم اثناء سفر طويل . لقد لمح ضحكة على وجه السائق ، لكن عبد الموجود لم يصغ . بعد الفجر مشي في الندى الباكر إلى نقطه المرور أوصى الجاويش أن يدل العربة السوداء على الغيط ربما يتوقف الافندى ويسأل . في منتصف الليل قام من نومه فرحا ، قال ان افندى غريبا لم يره من قبل جاءه ، قال .. انت عبد الموجود ؟ قال نعم يا سيد الكل . قال الافندى ان اللوكاندة تأخرت والسبب عدم حضور الزبائن ، لكن الكلام ماش ، لن تتأخر اللوكاندة عنه اكثر مما تأخرت . كاد عبد العال يبكي من الضيق وهو يشير الى جفاف الحب ، وفساد المحصول ، عندئذ يضيع ما وراءهم وما امامهم لن يطولوا عنب الشام ، او تين اليمن . عندما جاءت عربة النقل وراح السائق القادم من مصر يتعجل شحن المحصول اقترب منه وسأله عن عربة سوداء يركبها ثلاثة شبان ، ضحك السائق ، ضحك . تطلع عبد الموجود الى جوف الليل ، ربما ظهرت عربة اللوكاندة ، يأخذون المحصول في اخر لحظة ، لم يرافق ولديه ، لاول مرة لا يصحبهم ، ربما جاء الافندى وسأل عنه . لف على اهالي البلدة ، رجاهم باسم النبى ان يدلوا شابا يرتدى قميصا اسود سيجيبيء في عربة سوداء ومعه صاحبه الذى يمسك حقيبة سوداء حقيبة مربعة .. بالضبط مربعة ، ورجاهم ان يصفوا له الطريق الى الغيط ، ان يصفوا له شجرة الكافور العجوز ، اقدم شجرة في الخط كله ، الافندى من مصر ولا يعرف الناحية . دار على الدكاكين الصغيرة مستفسرا عن عربة سوداء ، توقف امام رجال ، واعترض طريق نساء ، وطارد اطفالا صغارا ظن انهم يعرفون بمجيء الافندى لكنهم يخفون ذلك عنه . وصاح زاعقا على كل سيارة تمرق فوق الطريق . انه لا يصغي الى نزول الليل ، واخطار الطريق . من تصدمه عربة لادية له ، انه يرفع عصا الجريد مهددا جابر الكبير وعبد العال الصغير ، يريدان ان يضيعا فرصة العمر ، الافندى قال انه سيجيبيء يعني سيجيبيء ، من يدرى ربما جاء مع الليل . من سيقابله ليتفق معه ؟ ؟ ■■

القاهرة ـ جمال الغيطاني

استثمار الوقت

● قال سير سيدني سميث خبير الطب الشرعي المعروف وهو يتحدث عن فترة تقاعده عن العمل :

ـ لقد وجدت انك قبل ان تتقاعد ، تتعهد لنفسك بانك ستفعل كل شيء بعد تقاعدك ، ولكن جزءا كبيرا من وقتك يضيع في تأجيل هذه الاشياء ، وفي النهاية تبتكر طريقة لتأجيل الاشياء تأخذ كل وقتك !

مقالات في كلمات

■ المستحيل يتحقق فيه كثير جدا من الحالات ، فيجعل الحياة اما سعيدة ، واما تعسة !

« وليام فيزر »

■ انني احب دائما ان استمع الى الرجل ، اى رجل ، وهو يتحدث عن نفسه ، بهذا وحده أضمن انني لن اسمع سوى الحلو من الحديث الذى لا يعكر مزاجي .

« ويل روجرز »

■ الدنيا كرة مستديرة . وهي هكذا حتي تتيح الفرصة للصداقة ان تدور معها وحولها !

« بيير تيلاردى شاردان »

■ ولد الانسان ليعيش ، لا من اجل أن يستعد للحياة !

« بوريس باسترناك »

■ الحكمة في ان تؤمن بما تقول به قلوبنا !

« جورج سانتايانا »

■ الكرم هو ان تعطى لغيرك ، ما انت في حاجة اليه فعلا !

« ماريان مور »

■ اى طبيب يمكن ان يصبح اخصائيا في امراض القلب ، كل ما هو مطلوب منه ان يحب الناس ، وان يخص انسانا معينا بحب خاص .

« د . رونالدجيبسون »

■ الانصات الى جانبي القضية ، يجعلك تؤمن بأن هناك اكثر من جانبين لهذه القضية .

« توماس مور »

■ لن تدرك ابدا مدى القوة التي تتمتع بها ذاكرتك الا عندما تحاول ان تنسي شيئا راسخا في ذهنك .

« القاضي هاردنج »

■ ليس هناك حقيقة اخاف ان ابوح بها ، او ان اخفيها عن العالم كله !

« توماس جيفرسون »

■ اكبر مآسي الحياة ان يموت شيء داخل الانسان ، وهو ما زال حيا !

« البرت شفايتزر »





لا تزال القرى البربرية التونسية ، تحافظ على ملبسها التقليدي

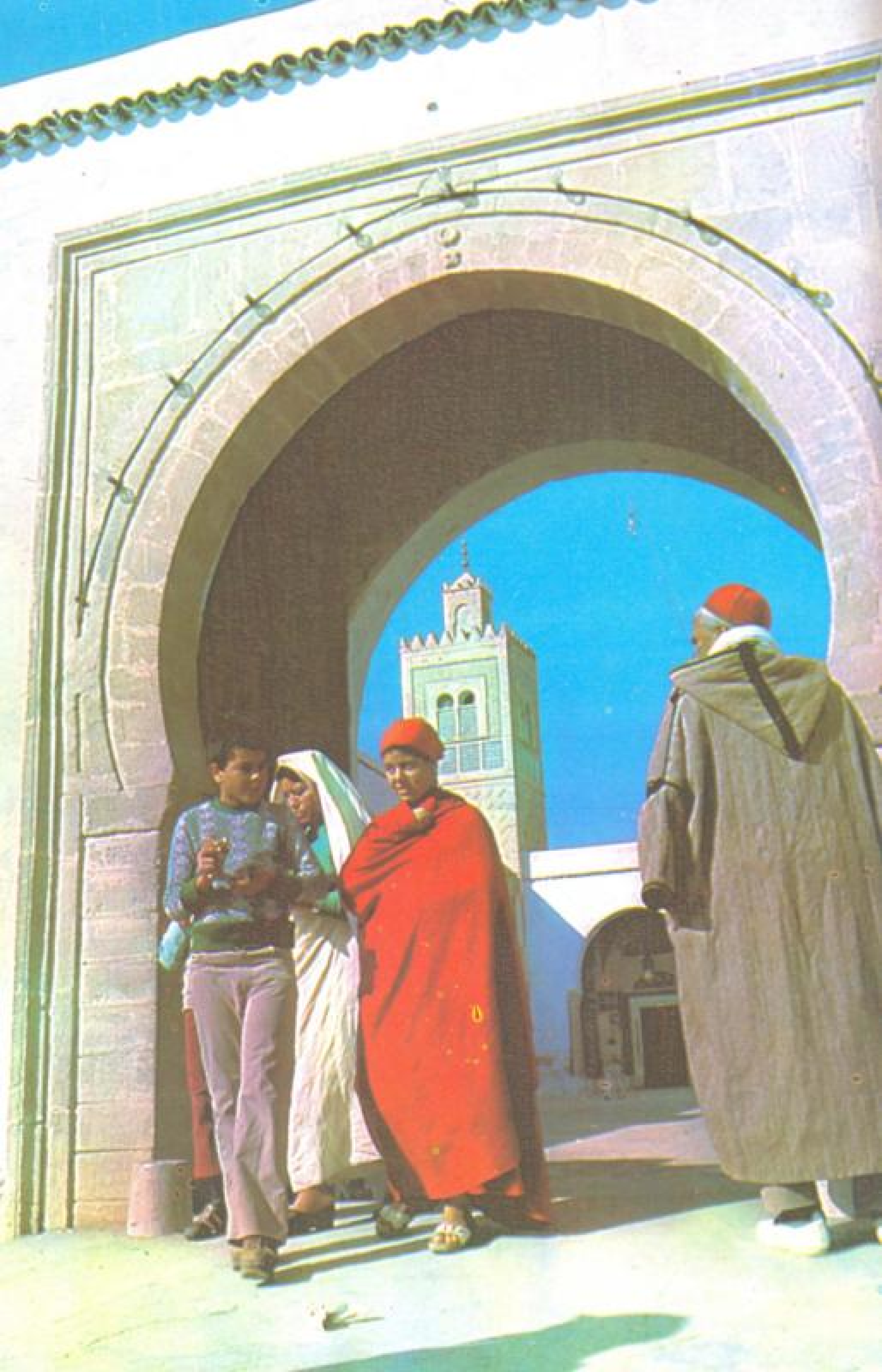
تونس

دولة الصمود في مواجهة الغزو الحضاري

استطلاع : **يوسف الشهاب** تصوير : **فهد الكوح**



احد سطوح المدينة القديمة في تونس ، و (الى اليسار) يبدو مدخل جامع الحجام بالقيروان وهو الذي دفن به الصحابي « ابو زمعة البلوى » ثم اعيد بناؤه في القرن ١٧ م



اذا حاولنا ان نستعرض دول « الصمود » في مواجهة الغزو الحضاري الغربي ، فلا بد ان تحتل تونس مقدمة هذه القائمة . ذلك انه من الحقائق المدهشة في تونس ، انه رغم ضغوط التغريب الشديدة التي تعرض لها ذلك الجزء من الوطن العربي ، فانه ظل ثابتا على تمسكه بالعديد من القيم الاصيلة ، التي تبدو شديدة الوضوح في العمارة التونسية .

لقد اكتسبت تونس شخصيتها الاسلامية منذ دخلها الاسلام على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان . ومنذ ذلك الحين تتابعت عليها عهود وعهود . حتى عاشت حياة من الفوضى التي بثها الاعراب في اواخر ايام الدولة الحفصية ، واصبحت هدفا لتوسعات الدولة العثمانية من ناحية والمملكة الاسبانية من جانب آخر .

ولم يتوقف هذا الصراع على تونس من جانب القوى الاجنبية التي نهبت البلاد ، بل ارادت القوى الأخرى ان تأخذ نصيبها وتجرب حظها في محاولة للقضاء على الطابع الاسلامي في تونس واحتلالها او تسخيرها لهم على اقل تقدير. جاءت فرنسا لتأخذ نصيبها مستخدمة العنف تارة واللين تارة اخرى . لكنها عادت الى حيث جاءت حينما وجدت ان محاولاتها لم تجد شيئا .

كانت مدينة القيروان هي بداية انطلاقتنا ، باعتبارها اول مدينة اسلامية بالمغرب العربي . اما الذي بناها فهو « عقبة بن نافع الفهري » الذي جاء الى افريقيا عام ٧٦٠ م . والقيروان لفظ فارسي دخيل في العربية وتعني « محط الجيش ومناخ القافلة وموضع اجتماع الناس في الحرب » ولعل اختيار موقعها البعيد عن الشاطيء يعود الى ان البيزنطيين يومئذ كانوا يحتلون الشواطيء . وفي امد وجيز صارت القيروان قلعة حصينة كبرى انطلقت منها جيوش الفاتحين الى شمال افريقية تنقل معها الاسلام ولغة العرب التي جاء بها كتاب الله .

ولقد عاشت القيروان فترة مد حضاري كبير وواسع وبلغ اوج حضارتها وتطورها في القرن التاسع الميلادي حين حكم الاغالبة وكذا الحال في القرن العاشر حيث الفاطميين لكن هذا الاشعاع الحضاري الذي بدأ بالقيروان لم يدم نوره فانطفأ فجأة عام ١٥٥٧ م وهي السنة التي ارسل الفاطميون جحافل الهلاليين على افريقية فخربوا القيروان انتقاما من ولاتها ذوي النزعة الاستقلالية المتطرفة في نظرهم وفقدت هذه المدينة مكانتها وحضارتها . لكنها استطاعت ان تعيد شيئا من ماضيها الزاهر العريق .

عالم ديني .. وهندسة بناء

وزائر القيروان ، يعود به الفكر الى الماضي الاسلامي وبقايا العصر الذهبي الذي عاشته المدينة في تلك الحقبة . وهندسة البناء بالقيروان تبدو جلية واضحة تمتزج فيها الظلال بالاضواء وتتجلى في دقة انسجام الأحجام خاصة عند تقابل الالوان البيضاء بالشهباء ، ولعل ثروة القيروان الفنية تبدو من خلال ما تحتويه من آثار قديمة عديدة وفي الجامع الاعظم الذي بناه عقبة بن نافع اول جامع اسلامي في الشمال الافريقي . لقد كان بناء هذا الجامع في عام ٦٧٠ م . واكثر ما يلفت نظر الزائر الى هذا الجامع هيكله العام بروعة ابعاده المحصنة وهي ابعاد تعيد الى اذهاننا تلك القمم الروحية والفنية في العالم ومنها جامع القيروان الذي تنبعث منه ايقاعات الاروقة وصحن الصلاة والمئذنة الشامخة الرائعة التي تعرف منها مواقيت الصلاة في كل المدينة حين يرتفع صوت المؤذن مناديا .. الله اكبر .. لتنطلق بعد ذلك اصوات الجوامع الاخرى تنادي مصليها للصلاة ايضا ..

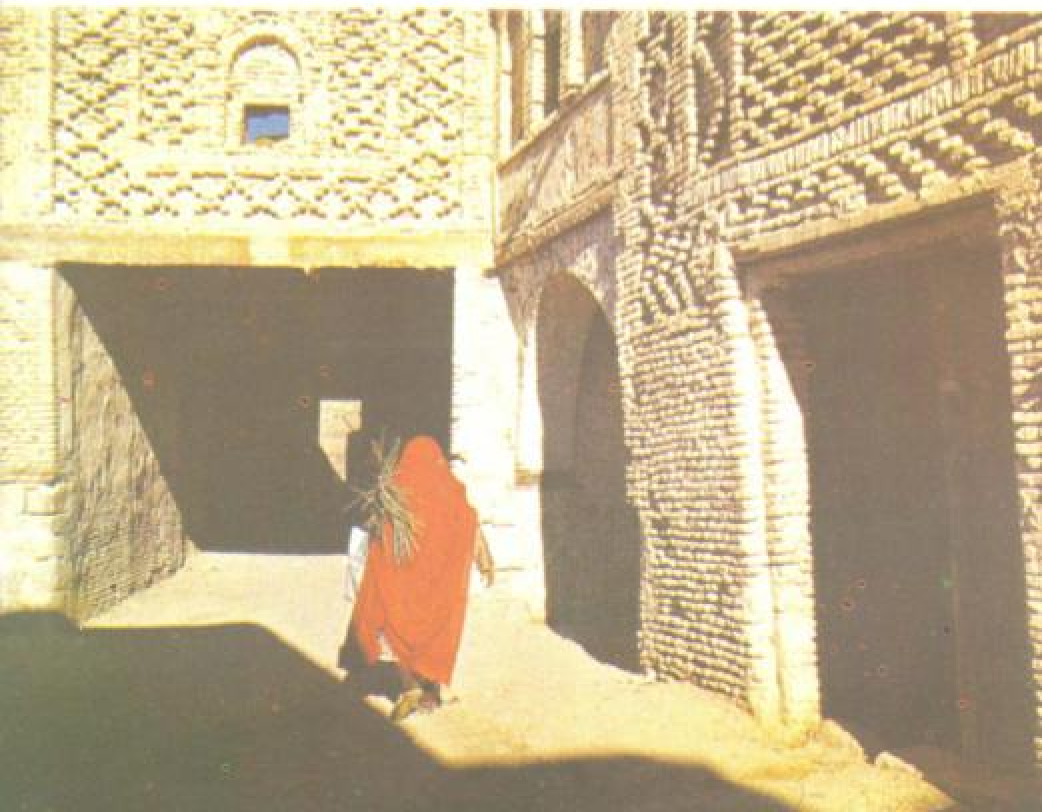
وتتوسط ساحة جامع القيروان ، ساعة حجرية قديمة بنيت مع بناء الجامع . والساعة عبارة عن قاعدة حجرية ثبت فوقها « قضيب » صغير يعرف به الوقت من خلال اتجاه ظل هذا القضيب ، كما توجد على سطح قاعدة الساعة الحجرية رسوم تدل على الجهات الاربع ومنها ايضا يعرف الاتجاه اذا ما اراد انسان ان يعرف وجهته ، ولا يزال استعمال هذه الساعة قائما رغم تعاقب السنين وظهور العديد من اصناف الساعات الحديثة التي زودت بها بيوت الله .

حافظ البناء التونسي على اصالته القديمة دون ان يتأثر بزحف الحضارة والتطور . والصورة الزخرفية لاحد الاحياء القديمة صنعتها بقيت صامدة رغم مرور الزمن





مشهد يمثل احد نماذج البناء في مدينة توزر



جامع الحجام حيث تبدو الاعمدة
المرمرية والنقوش الاسلامية القديمة





مواطنان في ملبسهم التقليدي بمدينة القيروان



احدى اللوحات الزخرفية القديمة التي لا تزال تونس تحافظ عليها

وتتابع تجوالنا بالقيروان بين الفنون الاسلامية وبهاء رونقها كما اوجدها الفاتحون المسلمون خلال تاريخهم الطويل لنصل الى .. جامع الحجام .. الذي دفن فيه الصحابي ابي زمعة البلوى . احد رفاق رسول الله عليه الصلاة والسلام ، واحد الذين شهدوا معه صلح الحديبية ، ولقد أعيد بناء هذا الجامع في القرن ١٧ ، بشكل ظهر فيه الابداع الاسلامي الهندسي وتناسق الالوان والنقوش ، ولمبنى الجامع ثلاثة افنية يختلف كل منها عن الآخر .

فالزائر يبدأ جولته بسقيفة جميلة محاطة برواق من الاعمدة المرمرية المغطاة بصفائح من الخزف تعد ثروة من اندر الثروات الفنية الاسلامية .

خشوع وسكينة

وسط هذا المناخ الروحاني والصمت الخاشع ، نمضي في تجوالنا الى صحن جامع المعظم حيث يزداد الخشوع ويسود الصمت فلا تسمع غير دعاء الزائرين حول ضريح .. ابي زمعة البلوى القابع في منتصف الصحن الصغير للجامع ـ والزيارة يومية لكل الزائرين لكن الدخول الى الصحن حيث الضريح ، لا يحق للاجانب زيارته ـ ولعل العناصر الزخرفية العديدة التي يحويها الجامع الاعظم كالمرمر المخرم والخزف والمحفورات والرسوم الخشبية وغيرها ، هي التي تجلب السياح اليها لانها تمثل حقيقة ما وصلت اليه الحضارة العربية الاسلامية بتونس من بهاء ورونق في بداية القرون الوسطى .

واهالي القيروان يحرصون على احياء المناسبات الدينية ، يساعدهم في ذلك المناخ الديني الذي يسود مدينتهم بوجود الجوامع القديمة التي شيدها الفاتحون في بداية قدومهم اليها ، ويحتل المولد النبوي الشريف مقدمة هذه المناسبات بين اعياد المدينة ، اذ تغطي بيوت الله بالكثير من الوان الزينة التي تتلألأ خلال الليل ، كما تغطي الاسواق بالعديد من الزينة اجلالا وتقديرا للمناسبة ويخرج الناس الى الشوارع لاكل المقروض .. وهو نوع من الحلويات التي تشتهر بها القيروان تكون صناعته من « السميد » الممزوج مع التمر والعسل . وتشهد المدينة خلال هذا الاحتفال مواكب دينية وتجمعات بالمساجد تحيي ذكرى ميلاد خاتم انبياء والمرسلين .

وربما تكون مدينة القيروان ، اهم المدن التونسية فيما يتناول جانب التوسع العمراني ، فقد ارادت هذه المدينة لنفسها ان تحافظ على معظم ملامح طابعها القديم ، فرفضت التوسع والثورة على ماضيها العمراني ، ولذا فان الانسان في القيروان يكتشف للوهلة الأولى هدوء المدينة المعتاد والحياة الزاخرة فيها في آن واحد ـ واكثر ما يلفت النظر بالقيروان تلك المقابر الفسيحة الاخاذة حقا التي لا تزال تروى تاريخ المسلمين القديم جدا ..

رباط .. سوسة

الطريق بين تونس العاصمة ومدينة سوسة ، يتطلب منك السعي أكثر من ساعتين تقطعها السيارة بين اراض خضراء تنوعت فيها الفواكه والاشجار .. وسوسة ، لاتزال رغم تعاقب السنوات والدهور تحتفظ بطابعها الاسلامي القديم ، طابع الهندسة المعمارية وطريقة تشييد البناء فيها منذ القدم تمشيا لمتطلبات واحتياجات تلك العصور حيث كانت منطلق الفتوحات والغزوات الخارجية ، زرنا رباط سوسة واذا به بلغ من العمر عتيا ، وتسأل مرافقنا عن قصة هذا الرباط ويجيب ، لقد كان رباط سوسة من اقدم واهم البنايات العسكرية العربية في كافة مناطق شمال افريقيا ، واستطعنا ان نحافظ عليه نتيجة الاهتمام والعناية به ليبقى هكذا محافظا على مكانته وعراقة هندسته العمرانية ، اما رباط سوسة فانه يتألف من طابقين يمثل كل منهما غرفة تطل على الفناء الداخلي ، كما يضم قاعة كبرى للصلاة في الطابق العلوى ـ ولايزال ابناء سوسة يتوافدون يوميا على هذا الرباط لتأدية الصلاة فيه ـ كما ان الزوار الا جانب يرتادونه يوميا لرؤية تلك الاثار التي خلفها القدماء .

ويعود تاريخ مدينة سوسة الى القرن التاسع قبل الميلاد بنزول الفنيقيين الى ارض تونس وانشاء مستوطنات يقيمون فيها مراكزهم التجارية على الشواطىء فكانت سوسة هي واحدة ضمن تلك المراكز ، وشهدت المدينة الكثير من الاقوام الذين توافدوا عليها للدفاع عن انفسهم او للانطلاق منها للحرب ، ولعل ابرز تلك الاقوام الرومان الذين استولوا عليها ثم اعترافهم لها بالاستقلال حتى وصول « الفاندال » الذين احتلوها في النصف الاول من القرن الخامس الميلادى فبقوا فيها حوالى ٩٥ عاما ـ ثم جاءها العرب بوصول الاغالبة الذين اعادوا بناء سور المدينة والجامع الكبير وقصر الرباط ومن ثم جاء القاطميون بعد زوال دولة الاغالبة في نهاية القرن الثالث ، وبعدهم جاء « بنوزيرى » الذين دام حكمهم فيها من عام ٣٦٢ هـ الى ٥٥٥ هـ ، وتبعهم الموحدون فالحفصيون الى عام ١٥٣٥م حيث الفتح



في كل صباح تخرج المرأة التونسية في المناطق الريفية الى الحقل لتقف الى جانب الرجل في زراعة الحقول ، والصورة لفتاة تونسية تحمل معها الماء في طريقها الى الحقل بزيها التقليدي ، والصورة الثانية لامرأتين حملت كل منهما « قلة » الماء في طريقها الى العمل الزراعي



الاسباني لمدينة سوسة لكنهم لم يحققوا املهم لمقاومة اهلها لهم ..

ونعود مرة اخرى لسؤال مرافقنا عن دور رباط سوسة ، ويقول .. لقد كان هذا الرباط قاعدة لفرق من المجاهدين النساك الذين انعزلوا عن الدنيا ومخالطة الناس وتفرغوا للدين والعبادة في هذا الرباط وبضيف ، ولعل دور النساك لايقتصر على العبادة وحدها بل انه وصل الى دفاعهم عن السواحل وحراستها وكذلك في شن غزوات بحرية كانت نتائجها باهرة .

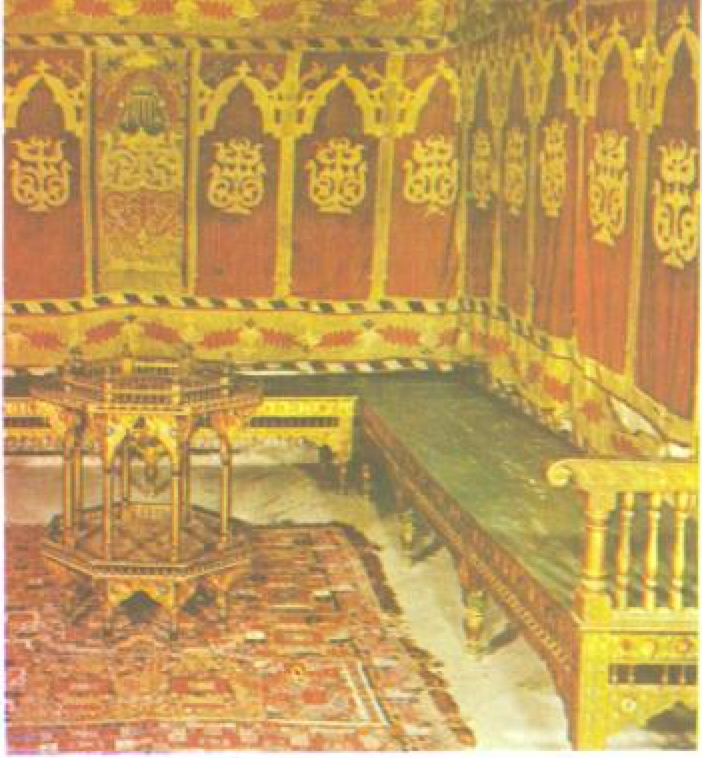
وحينا تتجول في سوسة ، فان الفن المعماري القديم يروي لك حكايا القدماء الذين توافدوا على المدينة ، ولعل احتفاظ اهلها بهذه الهندسة الاسلامية القديمة ينبع من حبهم لها وتمسكهم فيها ، فالطابع القديم واضح في هندسة المنازل والاسواق والاماكن العامة التي يرتادها ابناء سوسة ..

من قرية الى عاصمة

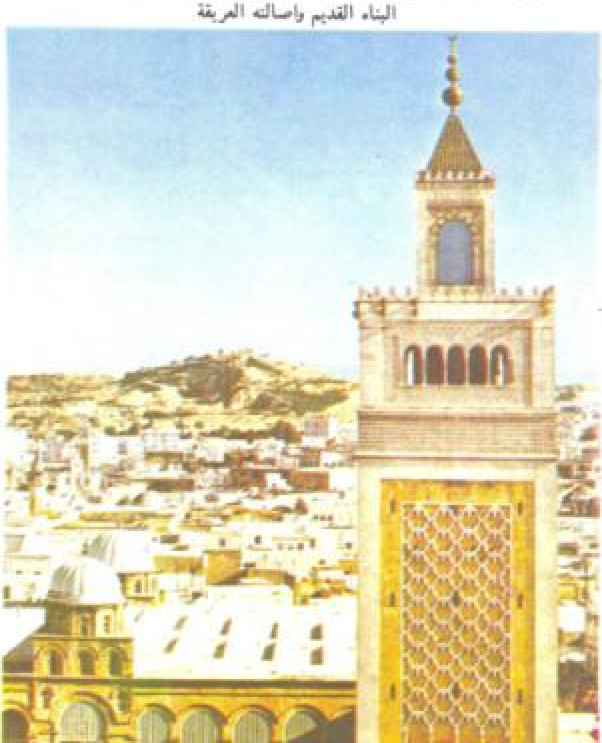
كان لانهيار مدينة قرطاجنة ، في القرن الثاني قبل الميلاد اكبر الاثر في فتح الباب امام اهل تونس للحصول على حاجاتهم من المرمر والعمد والتيجان الجاهزة التي شيدوا بها بناء بلادهم على انقاض قرية صغيرة ، لقد تحولت هذه القرية التي لم تكن بالحسبان الى عاصمة تعج بالسكان وتفوح منها روائح فنون الهندسة المعمارية القديمة . يقول المؤرخ البكري ... ان دور مدينة تونس تحوي رخاما بديعا ، لها لوحان قائمان فالعاصمة التونسية اذن هي استمرار لبقية المدن التاريخية الاخرى كالقيروان وسوسة وغيرها في هندستها الاسلامية وفي عاداتها وتقاليدها الموروثة منذ زمن طويل .. طويل ..

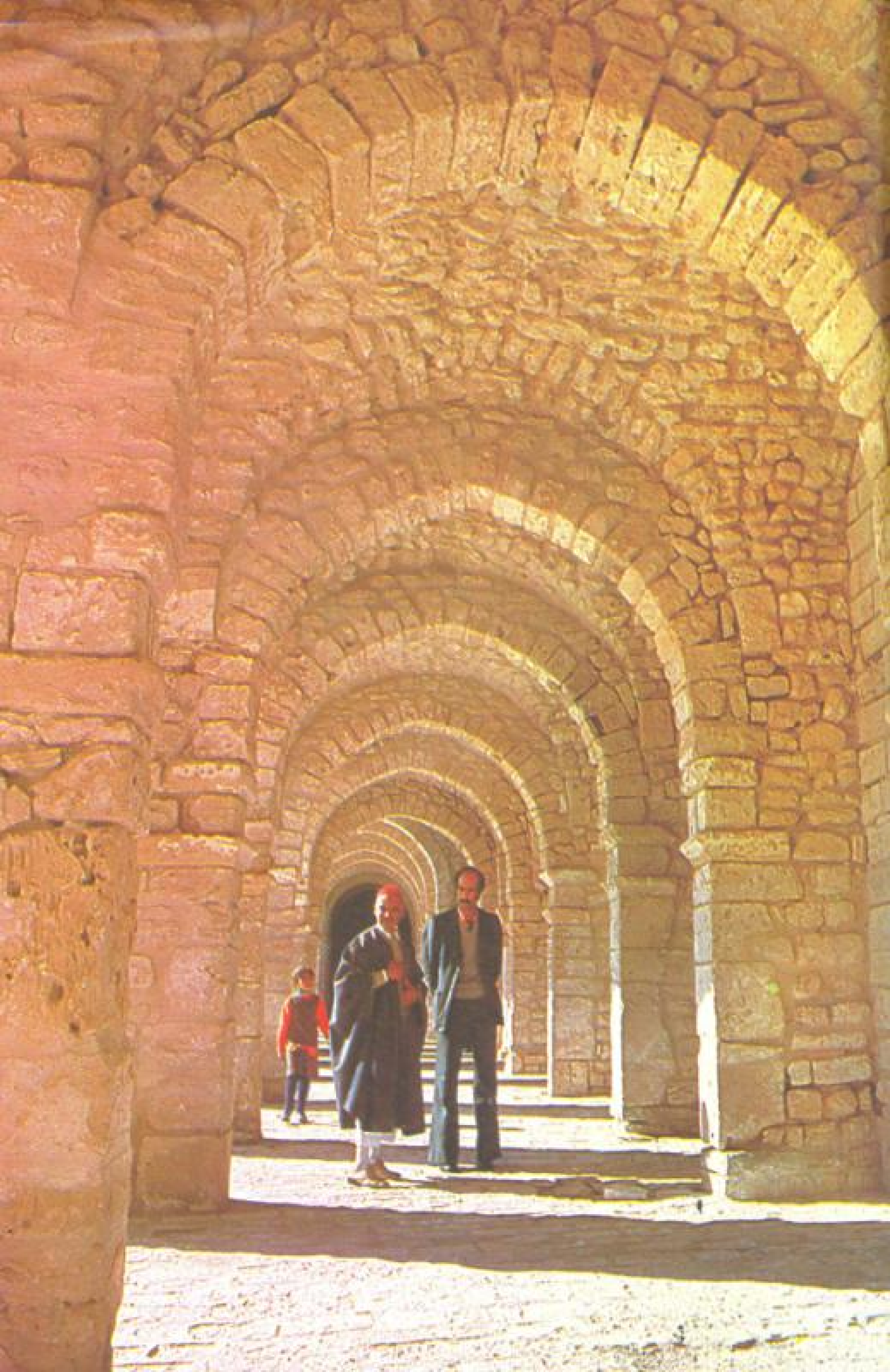
زرنا المدينة القديمة من العاصمة التونسية ، فاذا بها





يسيطر الطابع التقليدي على طبيعة المجالس الاجتماعية في تونس ، والصورة (العلوية) لاحداها ، اما الصورة (الى اسفل) فتمثل مئذنة جامع الزيتونة ، و (الى اليسار) جانب من جامع رباط مدينة سوسة وتبدو متانة البناء القديم واصالته العريقة





لاتزال حية تنبض فيها عروق الاقدمين بحضاراتهم التي طافوا بها انحاء المغرب العربي ، ان ماتحويه هذه المدينة اليوم يتمثل في معظم الروائع والحضارات التي تعاقبت على هذه المنطقة ، لقد مضى على هذه التحف الهندسية الرائعة ردح طويل من الزمن يزيد على اثنى عشر قرنا ، وبرغم هذا العمر الطويل نرى اروقته لاتزال تجلب للحاضر حكايا القدماء وحضاراتهم .

ان مدينة تونس القديمة نموذج طريف ومبدع للتخطيط العمراني الاسلامي في عصوره التاريخية الزاهية ، وحينا تتجول بين ربوع هذه المدينة وبين ازقتها يراودك حب البقاء بين تلك التحف الفنية باشكالها الرائعة والوانها البراقة التي جادت بها عبقرية القدماء فأبدعوا فيها واحاطوها برعايتهم وعنايتهم ، بل هي لاتزال تلقي هذه الرعاية من الجهات المسؤولة في بلاد تونس .

في الحي القديم من المدينة القديمة ، يقبع جامع الزيتونة شامخا في امتداده رائعا في هندسته .

قلنا للمشرف عليه ما قصة هذا الجامع ؟ فأجاب .. هو جامع وجامعة ويضيف ، ان مؤسسه هو الامير حسان ابن النعمان ثم الوالي عبد الله ابن الحبحاب عام ٧٣٢ تقريبا ، ثم اعاد البناء محمد بن الاغلب حوالي عام ٨٤٠ ، وفي عهد الحفصيين ادخل التعليم فيه ليأخذ شكل الجامعة في القرن ١٣ ، ودرست فيه مواد الادب والتاريخ والفلسفة الدينية واللغوية ، ويستطرد محدثنا قائلا ، لقد كانت اول محاولة لاصلاح الجامع بالمرسوم الذي اصدره الباي احمد عام ١٨٤٢ القاضي بانتخاب ثلاثين عالما للتدريس فيه ، وفي عام ١٩٣٣ صدر المرسوم الخاص بتحويل جامع الزيتونة الى جامعة ..

وتتبع جامع الزيتونة مكتبة كبيرة ، متعددة الكتب والمخطوطات ، ويقال ان هذه المكتبة كانت تحوي ٤٠,٠٠٠ الف مخطوط ، ثم اضيفت اليها مخطوطات نادرة ونفيسة لكن هذه النوادر نقلت الى الاماكن الاثرية بالمدينة لتكون بين ايدي الباحثين وامام اعين الزوار ..

اكبر جامع

وجامع الزيتونة ، اكبر جوامع تونس ، تحيط به اسواق العطارين التي تفوح منها روائح العطر النادر . وحين تتجول داخل هذا الجامع فانك ترى رونق الهندسة وتداخل الاشكال والخطوط اما مئذنته فهي مربعة الشكل رفعت في القرن الماضي ، ويعتبر جامع الزيتونة من اقدم الجوامع في المغرب العربي .

ان الانطباع الذي يخرج به كل زائر الى تونس هو هذا الاعجاب الذي يغمر الانسان هناك ، الاعجاب بالجمال فيما تراه امامك من نقوش تغطي اسطح الحجارة وجمال الابواب وزخرفتها وانعكاس الالوان والاضواء على تلك المرافق الاسلامية التي خلفها القدماء في ارجاء تونس ، وهناك الاهتمام بالدين الاسلامي الذي يوليه المواطن التونسي كل اهتمامه ، والمذهب الفقهي السائد هناك هو المذهب المالكي ، كسائر معظم المناطق في الشمال الافريقي .

هذه هي تونس بحضارتها الاسلامية ، وجلال جوامعها ، هي تحفة من تحف الاسلام النادرة ، وهي محط انظار السياح بما تحويه من نقوش وزخارف وجمال رائع .

يوسف الشهاب

كيف تسعد بالحياة ؟

لا تحاول ان تتجاهل المشاكل التي تصادفك في حياتك اليومية حتى تنعم بالسعادة !! اذا استطعت ان تقنع نفسك بان المتاعب التي تبدو وكأن من المستحيل التغلب عليها اليوم سوف تحل نفسها بنفسها غدا ، فقد نجحت في ان تسعد نفسك وتريح من حولك وتستريح !

« كبير أساقفة وستمنستر »

من ادب المغامرات



بحارة كبلنج الشجعان

بقلم : الدكتور عبد الواحد لؤلؤه

(رديارد كبلنج) انجليزى ولد في بومبي بالهند عام ١٨٦٥ حيث كان والده يعمل بتدريس الفنون الحرفية هناك ، ايام الوجود البريطاني في الهند . عاد الى انجلترا وهو فتى ليلحق بمدرسة تعده للخدمات العامة اسمها (ويستورد هو) لكنه لم يكن سعيدا في تلك المدرسة ولا بابتعاده عن والديه . فعاد الى الهند وبدأ يشتغل في الصحافة ، حتى بدأت سمعته تنمو بسبب القصص والحكايات التي كان ينشها عن خبراته في تلك البلاد العجيبة التي تلهب خيال الاوربي والانجليزى ، وخاصة كانت كتابات « كبلنج » تعتمد الخبرة المباشرة حيث كان يرى في الهند عالما قائما بذاته يستهوى الصغار والكبار على حد سواء . لذلك كانت تقاريره الصحفية وقصصه تنال اعجاب قراء الصحف الانجليزية في الهند وفي انجلترا معا .

قضى الفتى الصحفي سبع سنين في الهند بين ١٨٨٢ ـ ١٨٨٩ يكتب عن الالوان الصارخة والوحش والادغال والبحر وعجائب المخلوقات . لذلك قامت شهرته على « كتاب الادغال » بجزئيه اكثر مما قامت على ما كان يقرض من شعر اختلفت في قيمته الآراء . وأحسب ان الرأى الذى ساد حينا فجعل من (كبلنج) شاعر الامبراطورية البريطانية ان هو الا رأى مبالغ فيه . صحيح ان (كبلنج) بفعل الجو الفكرى والسياسي الذى ساد في اواخر القرن الماضي وفي ذروة عز الامبراطورية البريطانية جعل من امثاله من الشباب الضعاف الجسوم عشاق قوة وسيطرة ، ودفعته الى الحديث عن (عبء الرجل الابيض) ولكنه في الواقع

كان رجلا افرط في محبة وطنه ، بسبب البعد فتجسم لديه الحس بعظمة منبته وأهمية الدور الذى كانت تؤديه بريطانيا في حضارة العالم . ولم يكن كبلنج وحيد عصره في ذلك الشعور ولكن الشهرة لا تتطلق دائما لاسباب منطقية ولا عقلانية .

نشر (كبلنج) كثيرا من القصص والروايات عن خبراته في الهند والبحار الجنوبية ورحلاته الاميركية ، تجمعت في كتب كثيرة نشرت بين ١٨٨٦ ـ ١٩٢٣ . وفي عام ١٩٠٧ نال جائزة نوبل في الاداب وبعد الحرب العالمية الاولى تطوع للعمل في البحث عن جثث القتلى والمفقودين من الجيش البريطاني في اوربا . وربما كان دافعه الاول في ذلك ان ابنه الوحيد قد قتل في تلك الحرب ، فزادت عليه وطأة المرض والشيخوخة . كان (كبلنج) في اوائل القرن موضع تكريم وتقدير في عدد من الجامعات العالمية ، ومن جهات حكومية وادبية شتى . كان يساهم كثيرا في الاعمال الخيرية وفي كل فعالية تتعلق بالحرب وما يتعلق بها من خدمات مما زاد على سمعته الادبية والصحفية . وقد توفي بعد ان اشتد عليه المرض في عام ١٩٣٦ .

تعد رواية (البحارة الشجعان) في ادب المغامرات البحرية فقد نشرت عام ١٨٩٧ واشتهرت في الحال بين عشاق المغامرات وهواة قصص البحر التي تتحدث عن البطولات الفردية في اصطياد الاسماك من شواطيء الاطلنطي ، التي تعانق شمال شرق الولايات المتحدة والاطراف الجنوبية الشرقية من كندا ، التي تدعى (الشواطيء العظمى) حول (نيوفنلاند) . وتدور احداث الرواية في العقد الاخير من القرن الماضي قبل ان تبدأ تجارة صيد الاسماك بالقوارب البخارية والسفن الكبيرة .

الفتى المدلل

نلمس في هذه الرواية محبة (كبلنج) للقوة في شتى اشكالها ، وللمقدرة على ادارة الامور في الاوقات العصيبة ، سواء كان ذلك في تصرفات (ديسكوتروب) صاحب وقائد السفينة المسماة (نحن هنا) او في تصرفات المليونير الاميركي (جيني) وعرفانه بالجميل بعد ان اعاد له البحارة ابنه وكان يحسبه قد غرق في البحر .

تدور احداث الرواية حول فتى مدلل ابن مليونير اميركي من كاليفورنيا اسمه (هارفي جيني) . كان هذا الفتى على ظهر سفينة ركاب سريعة اقلعت من نيويورك في طريقها الى اوربا . ولكن (هارفي) قد اصابه دوار البحر بشكل شديد ، ولم يكن يعي ما حدث له اذ دفعت به موجة ضربت السفينة والقت به في عرض البحر . وتشاء الصدف ان يكون على مقربة من السفينة المضطربة زورق صيد انتشل الفتى وحمله الى سفينة الصيد الكبرى ذات الاسم العجيب (نحن هنا) .

لم يبد السرور على وجه (ديسكوتروب) صاحب السفينة وقائدها ، ولكنه قال للفتى انه سيدفع له عشرة دولارات مع الاقامة على السفينة على ان يساعد في الاعمال طوال الاشهر التي تجرى فيها عمليات الصيد بين اوائل الصيف واوائل الخريف حتى تبلغ السفينة ميناء جلوستر على الطرف الشمالي الشرقي في ولاية (ماساشوستس) الاميركية . ولكن الفتى المدلل لم يعجبه ذلك الكرم من بحار خشن لا عهد له بعيش اصحاب الملايين فأصر ان يحمل الى ميناء نيويورك في الحال ، قائلا ان والده المليونير سيدفع لصاحب سفينة الصيد ما يشاء من مال . ولما رفض البحار ان يضيع عليه موسم الصيد وما ينتظر من ارباح ، بدأ الفتى يغلظ في القول والاهانة حتى لجمته لكمة على ارنبة انفه لقنته درسا لن ينساه ما عاش .

وكان على سفينة الصيد ابن صاحبها ، فتى في عمر هارفي اسمه (دان) ، اسعده ان يجد رفيقا يأنس اليه ، يختلف عن البحارة الجفاة الغلاظ . وراح (هارفي) يحدث صديقه الجديد عن نعم الغنى والسيارات الخاصة وحفلات العشاء . ولان ابن البحار كان في عمر ابن المليونير فانه كان اكثر تصديقا لما يسمع ، مخالفا بذلك بقية البحارة قائلا ان (هارفي) لا يمكن ان يكون كاذبا في كل ما يروى من تفصيلات عن حياة الاغنياء في كاليفورنيا .

واذ بدأ (هارفي) يعتاد حياة البحر ، الفه الرجال الجفاة وراحوا يعلمونه فنون البحر والصيد . وكان من بين البحارة واحد يدعي (جاك الطويل) راح يطوف بالفتى (هارفي) في ارجاء السفينة يعلمه اسماء الحبال والقلوع وعدة الصيد . وكان الفتى سريع التعلم لانه كان تائها ولانه كان يخشى السوط ينهال به عليه ملاح غليظ اذا هو اعطى الجواب الخاطيء . وراح الفتى يتعلم كيف يدير الزوارق الصغيرة حول السفينة وهي تعود بحصيلة النهار من السمك . وعرف كيف ينظف الاسماك ويملحها ويحفظها في المخازن تحت سطح السفينة ، وكيف يمسك نوبة حراسة عند دفة السفينة وهي تدور في منطقة صيد الى اخرى حول (الشواطيء العظيمة) .

وحتى (ديسكو تروب) نفسه اعترف بعد فترة ان الفتى (هارفي) سيصبح مساعدا ناجحا في اعمال الصيد قبل ان يبلغوا (جلوستر) في الخريف .

الفرنسي والسكين

اصبح البحر والصيد متعة (هارفي) بعد فترة قصيرة . وفي ايام هياج البحر كانت ثمة جلسات يستمتع فيها الى الثمانية الاخرين وما يغزلونه من قصص وحكايات حول البحر والصيد . في تلك الجلسات عرف ان البحارة الثمانية جاءوا من بلاد شتى . كان صاحب السفينة وابنه من ميناء (جلوستر) نفسه ، وكان (جاك الطويل) من ايرلندا ، و (مانويل) من البرتغال وسالتز كان فلاحا ، و (بنسلفانيا كان واعظا في كنيسة ، وقد فقد اهله في فيضان (جونستن) . كان هذا الفيضان قد اغرق مدينة (جونستن في ١٨٨٩/٥/٣١ ، وهي مدينة في ولاية بنسلفانيا على مقربة من بتسبرج) وتقع على نهر (كونغو) في منطقة صناعة وتعدين ، وقد هلك في الفيضان خلق كثير . كان الطباخ زنجيا نشأ في (نوفا سكوشيا) وكان يشتم بلغة ايرلندا ، كان هذا الجمع من الناس من اطرف ما عرف هارفي في حياته ، والذي اعجب الفتى اكثر من سواه ان البحارة قد قبلوه كأنه واحد منهم ، لا لانه ابن مليونير . ولم يكن يصدق حكاياته منهم سوى الطباخ الزنجي ورفيقه و (دان) .

وذات يوم مرت بهم سفينة فرنسية ارخت قلوعها وفعلت مثل ذلك سفينة الصيد (نحن هنا) واذ توقفت السفينتان في عرض البحر ذهب (جاك الطويل) مع هارفي لشراء التبغ من السفينة الفرنسية وقد آلم (هارفي) ان البحارة الفرنسيين لم يفهموا لغته الفرنسية التي تعلمها في المدرسة ولكنهم كانوا يفهمون لغة جاك بالاشارات . وثمة مقابلة اخرى مع السفينة الفرنسية قام فيها (هارفي) ورفيقه (دان) بمغامرة طريفة . ذهب الولدان الى السفينة لشراء سكين كانت تعود الى بحار فرنسي قيل انه غرق في البحر ، فاشترى (دان) تلك السكين واهداها الى رفيقه لان لها قيمة خاصة ، ذلك ان صاحبها الفرنسي قال انه قد قتل بها احد الاشرار ، وبعد ايام كان الولدان قد القيا شباكهما في البحر فاحس هارفي ثقلا غريبا على الحبل الذي كان يجره وما لبث ان وجد جثة الفرنسي معلقة بالصيد فقطع الفتى الحبل والقى بالسكين وراء الجثة حاسبا ان الفرنسي قد عاد ليأخذ سكينه . وهكذا عاش الولدان انواعا من المغامرات البحرية غير ان (دان) كان يفوق رفيقه معرفة بالبحر فقد نشأ في ميناء صيد ومارس حياة البحر اكثر من (هارفي) . غير ان الاخير كان يجيد استعمال الالات البحرلرصد النجوم ، وكان على معرفة بالحساب اعجبت البحارة جميعا . ومنهم (ديسكو) نفسه الذي زاد اهتمامه بالفتى الضيف وراح يعلمه فنون البحر .

مفاجأة العودة

وفي اوائل الخريف اقتربت السفينة من موقع صيد وفير وراح البحارة يعملون ليل نهار ليملأوا مخازن السفينة بالسمك . وكانت السفينة التي تصل ميناء « جلوستر » قبل غيرها محملة بالسمك تكرم من في السفن الاخرى ، وتحصل على اعلى الاسعار . وقد فعلت (نحن هنا) ذلك اربع سنوات على التوالي . واذ افلحت سفينة (ديسكو) هذه المرة راحت تطوف بالسفن الاخرى وسط مظاهر التكريم ، تتسلم البريد من السفن الأخرى ينقلها البحارة الى الاهل تغبطهم بحارة تلك السفن .

واذ القت السفينة قلوعها في ميناء (جلوستر) هرع (هارفي) فارسل برقية الى والده في كاليفورنيا يعلمه فيها انه بخير وانه ينتظره في (جلوستر) . ورد الوالد انه سيهرع اليه بسيارته الخاصة ، وكانت دهشة البحارة عظيمة اذ وجدوا ما يدل على صدق الفتى . ولكن الطباخ الزنجي ورفيقه (دان) كانا دائما على ثقة من دعوى (هارفي)

واذ وصل الوالدان كان اعظم ما ادخل السعادة عليهما ان يجدا ولد الامس المدلل قد غدا فتى شديد المراس يعتمد على نفسه ويحسن عددا من الاعمال الصعبة ، ويقدر الناس اقدارهم حسبما يستطيعون فعله لا بقدر ما يملكون من مال . وكان لهذه المسألة ابلغ الاثر عند المليونير الاميركي الذي بدأ حياته في فقر ثم بنى ثروة بالجد والكدح ، ولما عرض مكافأة على بحارة السفينة رفض الجميع ، ولكن (دان) قبل ان يصبح ضابطا في سفينة في اسطول يملكه والد (هارفي) . والتحق الطباخ الزنجي بصديقه الجديد بعد ان قرر هجر حياة البحر وصار رفيقا يحرس (هارفي) . وبعد سنوات تسلم (هارفي) ادارة شؤون والده ، وعاش الثلاثة على ذكرياتهم الطيبة في عرض البحر تحت رحمة الانواء والامل بالصيد الوفير ، ولم تكن تمر مناسبة الا ويقوم الطباخ الزنجي بتذكير (دان) بما كان يقوله دائما انه في يوم من الايام سوف يصبح تحت امرة الفتى (هارفي) . وكان الثلاثة يضحكون وينعمون بحاضر سعيد وذكريات جميلة . ■■

بغداد ـ د . عبد الواحد لؤلؤة

أنت والعلم

بنيامين فرانكلين ورسومه الأولى لتيار الخليج

● لعل بنيامين فرانكلين هو الرجل الأول في العصور الحديثة كلها من حيث تعدد جوانب شخصيته وتعدد مواهبه . فقد كان عالما وصاحب مطبعة ورجل دولة وموظف بريد ... واشتهر بعدد كبير من المخترعات والاكتشافات .. نذكر منها على سبيل المثال البرق ، وقد اكتشف فرانكلين انه ضرب من الكهرباء . اما في المجال السياسي فقد ساهم في وضع الدستور الامريكي وصياغة اعلان الاستقلال ... وكان ذا فضل في وضع اول خطة للاتحاد بين الولايات الامريكية التي كانت مستعمرات بريطانية في ايامه . ومن اطرف ما يذكر عنه الدور الهام الذي لعبه دون ان يشتهر به ، دور اكتشاف بل مسح تيار الخليج الدافىء .. فقد كان يشغل منصب نائب مدير دائرة البريد وكان في زيارة للندن ، حينما اكتشفوا ان السفن التجارية كانت تقطع المسافة بين اوربا وامريكا باسرع مما كان يتسنى لسفن البريد الحكومية .. وان السفن الحكومية التي حملت الطرود والرزم البريدية تأخرت في وصولها الى الجانب الآخر من المحيط الاطلسي بحوالي اسبوعين عن موعد وصول السفن التجارية .. علما بأن موعد انطلاق هذه السفن وتلك كان واحدا ...

وقام فرانكلين بابحاثه ودراسته التي ساعده فيها احد اقربائه ، تيموثي فولجر ، وكان بحارا خبيرا في الملاحة في المحيط الاطلسي ويعمل قبطان سفينة . وكانت الثمرة اكتشاف تيار الخليج الذي عرفته وانتفعت به السفن التجارية قبل أن تعرف عنه شيئا سفن البريد الحكومية ... ولما كان فرانكلين ملما بالهندسة والرسم ايضا ، عمد الى مسح مجرى هذا التيار وتحديده في رسوم وخرائط تعرف باسم (فرانكلين فولجر) .. واعتبرت تلك الرسوم بحكم المفقودة حتى سنة ١٩٧٨ حين عثر عليها احد العلماء الامريكيين .. فيليب رتشاردسون في المكتبة الوطنية في باريس Nationale Bibliotheque .. والظاهر ان فرانكلين تعمد اخفاء رسومه في مكان ما لئلا تقع في ايدي الاسطول البريطاني في ذلك الوقت الذي تأججت فيه نار الحرب بين بريطانيا وامريكا .. وظلت تلك الرسوم طي الكتمان ولعلها انتقلت من مكان الى مكان ، حتى تسنى لرتشاردسون المختص في علوم البحار اكتشافها ووضع مقال مفصل عنها نشرته له مجلة سيانس Science في عددها الصادر في فبراير الماضي .

وتجدر الاشارة الى ان بنيامين فرانكلين من ابناء ولاية بنسلفانيا (١٧٠٦ ـ ١٧٩٠) وانه اعتزل السياسة وتفرغ للعلم سنة ١٧٤٩ حين مكنته من ذلك ارباح مطبعته الخاصة .. اما خرائط تيار الخليج فقد وضعها سنة ١٧٦٩ ـ ١٧٧٠ وعلى خريطة للسير ادمون هالي Halley احد فلكيي ذلك الزمان .

العظم .. بدأوا يحولونه الى لحم

● العظام ... عظام الخراف والبقر التي تقدمها الى الكلاب ، او تلقي بها في أوعية القمامة بعد استعمالها في تحضير شوربة او ما الى ذلك ... اصبحت ذات قيمة كبيرة نسبيا .. لا يجوز رميها هدرا .. فقد نجح العلماء في تحويلها الى مواد غذائية وصنع منها البروتينات والدهنيات .. فضلا عن المواد الغضائية ، من مادتها على نطاق واسع ... وسيأتي اليوم الذي تستطيع التخيير فيه بين اللحم الذي تعرف ولحم آخر مصنوع من عظم ... وارخص ثمنا .. هذا ما سيحدث في مستقبل قريب جدا ، في بريطانيا ، على اقل تقدير .

ذلك ان العمل يمضي على قدم وساق في بلدة فلتويك Flitwick في انجلترا لانشاء مصنع يحول العظام الى المواد الغذائية بفئاتها الثلاث السالفة الذكر ... وستبلغ تكاليف هذا المصنع حوالي ١,٣٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني وسيكتمل انشاؤه في شهر ايلول/سبتمبر المقبل ليبدأ انتاجه مع بداية السنة القادمة سنة ١٩٨١ .

وهذا المصنع ليس الاول من نوعه في بريطانيا ، بل الثاني ... وهو اكبر من الاول ، وكان مصنعا تجريبيا ـ وتبلغ طاقته الانتاجية ١٠ اضعاف طاقة المصنع الرائد ... ولولا النتائج المشجعة التي توصلوا اليها عن طريق المصنع الاول لما أقدموا على اقامة المصنع الثاني الكبير الذي يستطيع معالجة حوالي ١٪ من مجموع عظام الماشية التي يذبحونها في بريطانيا سنويا ، وتحويل تلك العظام الى غذاء ..

والجدير بالذكر ان الشركتين الشريكتين في المصنع الجديد هما « شركة البحث والتنمية الوطنية » ، وكبرى شركات اللحوم في اوربا قاطبة .. شركة F.M.C. وستتولى ادارة المصنع وتصريف انتاجه شركة اخرى ثالثة .. هي شركة منتجات لنسفيلد Lensfield المتفرعة عن FMC والتي اقاموها خصيصا لهذه المهمة ...



مراصد جديدة ، اصغر حجما ، وأقل ثمنا

● اعتمدت التلسكوبات حتى الان على العدسة الواحدة .. او ان شئت المرآة المقعرة الواحدة فهذه هي التي تجمع الضوء وتركزه . وهي التي تقرر مدى قوة التلسكوب ... فكلما كانت المرآة اكبر قطرا كان التلسكوب اقوى وأبعد مدى .. وكذلك اكبر حجما ... لذلك كان تلسكوب مرصد باستوكوف في القفقاس في الاتحاد السوفياتي اقوى تلسكوب في العالم .. اذ يبلغ قطر مرآته ٢٤٠ بوصة .. وقد انشيء عام ١٩٦٩ ، وانتزع بذلك مكان الاولوية من تلسكوب مرصد جبل بالومار في كاليفورنيا الذي لم يزد قطره على ٢٠٠ بوصة .

على ان تلسكوبا جديدا تم انشاؤه مؤخرا في الولايات المتحدة من شأنه ان يحدث انقلابا كبيرا في صناعة التلسكوبات .. فقد جهزوا هذا التلسكوب الذي اقاموه على قمة جبل هوبكنز في ولاية اريزونا ، جهزوه بست مرايا بدلا من مرآة واحدة .... وجعلوا كلا من هذه المرايا الست بقطر ٧٢ بوصة .... بحيث تصبح قوة هذا التلسكوب معادلة لقوة تلسكوب ضخم كبير من الطراز القديم يبلغ قطر مرآته الواحدة ١٧٢ بوصة .وهكذا يصبح تلسكوب اريزونا الجديد التلسكوب الثالث في العالم من حيث القوة ...

وثمة ميزتان اخريان يتمتع بهما التلسكوب الجديد المتعدد المرايا ... فهو اصغر حجما واقل ثمنا من تلسكوب المرآة الواحدة .. وذلك لأن المرايا الست صغيرة المساحة ولا تشغل حيزا كبيرا نظرا لانهم يصفونها باحكام بمحاذاة بعضها البعض وبشكل دائري وكأنها المشط في المدفع الرشاش السريع الطلقات .. وقد بلغت تكاليف تلسكوب اريزونا ٧,٥ مليون دولار .. ولو كان هذا التلسكوب ذا مرآة واحدة (بقطر ١٧٢ بوصة) لبلغت تكاليفه ٤٠ مليون دولار .

« كان الرشيد يقتفي اخلاق المنصور ويعمل بها .. » ـ السيوطي

الخليفة الباكي في الميزان

بقلم : عبد الوهاب شكري

من الثابت ان الشهرة كثيرا ما تجني على صاحبها في كل أمة وتاريخ لما يحاك حولها من الاخبار والنوادر الى حد الاساطير ، ثم لا تلبث أن تتفشى في الناس كما تتفشى النار في الهشيم تتناقلها الاجيال لتعيش في الوجدان ملصقة بالتاريخ وما هي منه في شيء ، وكأنما على الاجيال المتعاقبة ان يأخذوا ما في الصحائف كما هو ، ولا يهم أصاب ابن خلدون أم اخطأ ابن عبد ربه ، والتاريخ بوصفه علما وفنا ـ او هكذا ـ يجب أن يكون يأبى ان يضاف الى سجله ما ليس بدخل في منهجه حيث يقف منه شهود الحق للتزكية موقف الحذر والحيطة او الرفض البات .

ومن حسن حظ التاريخ الاسلامي ان يكون مؤرخوه او جلهم على الاقل من رواة الحديث اشتهروا بدقة الرواية وتحري الصدق فيما يكتبون ، وهي مفخرة من مفاخر الفكر الاسلامي الا ان تكون هناك استثناءات ، والنادر لا يقاس عليه . وشتان ما بين مؤرخ نزيه وقاص مغرض ، ولخبر مغلوط خير من خطأ مقصود .

ولا يخالج احدا شك في ان اي عمل يقبله المنطق ويطابق الواقع ويؤدي الى غاية نبيلة الا وكان معلمة على صانعه . وهذا هو النهج الذي سار عليه في الغالب السلف من المؤرخين ، وليس هذا من قبيل المغالاة او التنزيه . وانما هو شهادة اعتراف لأولئك الذين كانوا القدوة والمنار على درب الحق ، ولم يسلكوا البنيات التي هي مظنة الزيغ .

وايا ما كان فان هذه السطور لن تكون الا محاولة انصاف لواقع تاريخي يمس حياة رجل قبل ان يكون دفاعا عنه . وذلك الرجل طالما تعسفت عليه بعض المصادر الادبية وكالت له تهما اخلاقية صيغت في حكايات ماسخة تعبر في مجملها عن شهادة بـ (سوء السلوك) لا بحسنه ، مستخرجة من سجل غير عدل لخلوه من دلائل الاثبات ، كي تجعل ادانته موضوعية . ونحن عندما نستعرض اسماء من التاريخ فان اول ما يتبادر الى الذهن هو هارون الرشيد .

ماذا قالوا ؟

وان المنصف ليندهش وهو يرى هذا العدد الجم من الروايات المدسوسة التي ترد في بعض المصادر الادبية

كالعقد الفريد والاغاني والف ليلة وليلة وغيرها ، كلها تصور هارون الرشيد غارقا في اللهو والمجون اناء الليل واطراف النهار . وقد اتخذ التشويه لسيرته اشكالا عديدة وصورا متباينة هي آية في الاحكام والسبك ، حتى ليوشك أن يترسخ في الاذهان ان ما قيل عن الرجل صحيح ولا سبيل الى الشك فيه او رده . فبينا جورجي زيدان يتخذ من قصة « العباسة » المختلقة ذريعة للتشهير ومطعنا على الرشيد في عرضه ، واذا بأبي الفرج الاصبهاني قبله بقرون يرسم له صورة مقذعة يتحدث فيها عن مجالس لهوه وشرابه مع ابي نواس إما صاحب العقد الفريد فيطلعنا على صور للرجل اكثر بشاعة وتشويها يبدو فيها مستلقيا بين ايدي الجواري في مختلف الاوضاع ، وكل صورة هو ممهن في شأن .

ولا نرى داعيا لذكر ما جاء في الف ليلة وليلة وغيرها ، لانه كتاب معروف . وليس غريبا بعد هذا ان يسهم في حملات التشهير والافتراء على الرشيد مستشرقون معادون للاسلام ولقادته الاعلام

وهكذا تتوالى الصور واللقطات مكيفة بحسب الاغراض الموضوعة لها . وهي في كل الاحوال لا تخلو من اهداف او نوايا مبيتة ، تتراوح ما بين الصراحة والخفاء ، وادراكها يسير على المؤرخ الحق . هذا فضلا عن ان هؤلاء الذين كتبوا سيرة الرشيد من هذه الوجهة المحرفة كانوا ادباء وليسوا مؤرخين ، لذلك يستحيل التعامل مع رواياتهم بالتسليم والقبول لما فيها من تحامل وتلفيق ولأنها ـ بالتالي ـ كتبت بلغة لا يصح منطقيا ولا عقليا الاخذ بها على الاطلاق .

والحقيقة ان هذا التشويه كان موضوعا بدقة ، وجه للرشيد بالذات لانه يمثل قمة خلفاء بني العباس اعتبارا لما شاده من صروح للتقدم العلمي والحضاري ، وما حققه من ازدهار شامل تمثل (فيما بلغته بغداد برعايته وحكمته وعقيدته ذروة القوة في كل شيء سياسة وعلوما واقتصادا وتربية) [١] . ولما كانت بغداد في عهد الرشيد الدولة الاقوى في العالم كله قهرت اعداءها شرقا وغربا ، فمن البديهي ان يكثر آنذاك الخصوم والحاقدون وبالتالي اباطيلهم ومفترياتهم عليه تحت غطاء التاريخ ، ولعل الشعوبية اصدق مثال على ذلك مضافا اليها الطامعون والمتربصون من ذوي النزعات السياسية وغيرها . وما اخال شعار الرشيد وهو يذمة الله الا قول ابي العلا المعري :

تعد ذنوبي عند قومي كثيره
ولا ذنب لي الا العلا والفضائل



وكم من المشاهير اوذوا في اعراضهم واقدارهم باسم التاريخ وما كان التاريخ يوما لينعت احدا بسوء وهو بريء . وانما المتقولـون عليه بالـكذب والـزور هم الفاعلون .

سؤال كبير

ورغم ما يكتب اليوم من ابحاث ودراسات تاريخية متصفة ، الدافع اليها الغيرة على الحق ، الا ان هنـاك صفحات من التاريخ الاسلامي ما تزال مطمورة تحت ركام من الاساطير والخرافات ، تحتاج الى اقلام امينة نزيهة لتكشف عن حقائقها الناصعة كما هي لا كما ترد في اذهان وضاعين واهمين .

والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه بالحاح هو ، كيف يسوغ في عقل سليم ويستقيم في ذهن مستنير ان يكون هارون الرشيد متعهرا فاجرا وهو من هو ، وفي المجتمع الاسلامي آنذاك من افاضل العلماء والفقهاء الاجلاء من يغضب لله في الصغيرة ناهيك بالكبيرة ، يسكت عن الحق كالشيطان الاخرس ولا يتصدى لحماية منصب الخلافة الاسلامية من العبث والسقوط في حمأة الاقذار اعتبارا لما لهذا المنصب الخطير يومئذ من دلالة ورمز ؟ مع ان الاسلام اوجب النصح لمن ولاهم المسلمون امرهم . فان لم ينتهوا فقد اباح خلع طاعتهم ، اذ لا طاعـة لمخلوق في معصية الخالق . والاسلام اذ يقرر هذه الحقيقة الهامة فانه جعل الى جانبها حقا مشروعا في ايدي المسلمين متمثلا في تغيير المنكر بوسائل سنها لهم والزم كل مكلف طائره في عنقه .

ايمكن ان يقع هذا الافتراء امام مرأى ومسمع الامام مالك وسفيان الثوري والفضيل بن عياض وابن السماك وعبدالله العمري وامثالهم وهم كثيرون من اهل العلم والفضل الذين ازدانت بهم ايام الرشيد الوضاءة وكان له بهم صحبة ؟ وهل يعني هذا ان هؤلاء العلماء والفضلاء تنكروا لدينهم ولمصالح المسلمين ؟

ثم كيف يتفق هذا مع ما كان عليه هارون الرشيد نفسه من الدين والخلق والبكاء لادنى موعظة ؟ وهـل يتطابق مع واقع انسان كالرشيد في صميمه وجوهره وهو الذي اقترنت حياته بزوجة كريمة مثالية هي السيدة زبيدة التي مدت قنوات المياه الى بيت الله الحرام وبنت المساجد وانشأت المرافق والاوقـاف في المدن والطرقـات للسابلة ؟ وهل يعد فاجرا مذنبا من يقف في الحج حاسرا حافيا على الحصباء ، وقد رفع يديه وهو يرتعد ويبكي ويقول يارب ، انت ، انت ، وانا ، انا ، انا العواد الى الذنب وانت العواد الى المغفرة اغفر لي ؟ ...

سؤال كبير وعريض تتيح الاجابة عنه الوقوف على طائفة من الحقائق السلوكية والاخلاقية والانسانية الخاصة بالرجل طالما تطلع الكثيرون الى ازاحـة ما لابسها من غموض ، وتناقض .

الرشيد في الميزان

كان الرشيد خليفة دينا بأوسع ما في هذه الكلمة من شمولية (عاملا بالتكاليف الشرعية) . وقد اجمع المؤرخون الثقاة امثال الطبري وغيره على انه كان يصلي في كل يوم مئة ركعة الى ان فارق الدنيا ما لم تعرض له علة ، وكان اذا حج حج معه مئة من الفقهاء وابنائهم واذا لم يحج (بسبب غزو او جهاد) احج عنه ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة [٢] وروصفه الخطيب البغدادي بأنه كان (يحب العلم واهله ويعظم حرمات الاسلام ، ويبغض المراء في الدين والكلام في معارضة النص كان يبكي الى نفسه سيما اذا وعظ) [٣] .

ويذكر حسن ابراهيم حسن نقلا عن الفخري (ان ابا معاوية الضرير احد علماء عصره قال اكلت مع الرشيد يوما فصب على يدي الماء رجل ، فقال لي : يا ابا معاوية اتدري من صب عليك الماء ؟ فقلت : لا يا امير المؤمنين فقال : انا ، قلت : يا امير المؤمنين ، انت تفعل هذا اجلالا للعلم . فقال : نعم [٤] .

وبلغ من حب الرشيد وتواضعه للعلماء انه كان يأتي بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض ، (وانه لم يكن يقطع امرا من امور المسلمين الا بعد الرجوع الى الصالحين من اهل العلم) ثم ان خليفة كالرشيد يرحل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطأ على مالك رحمه الله على ما يذكر القاضي الفاضل في بعض رسائله خليق بان يؤكد حبه للعلم والعلماء . يضاف الى هذا انه روى عن الرسول (ص) بعض الاحاديث وينقل السيوطي عن الصولي (ان الرشيد كان يخطب فقال في خطبته : حدثني مبارك بن فضلة عن الحسن عن انس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اتقوا النار ولو بشق تمرة) . وكذلك روى الرشيد في سند مرفوع الى علي بن ابي طالب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (نظفوا افواهكم فانها طريق القرآن) [٥] اما اجتنابه للخمر ، فمعروف عند خاصته ووصفائه . وقصته مع ابن بختيشوع الطبيب ترد عنه كل اتهام بها . يقول

المسعودي : (احضر السمك الى الرشيد في مائدته فحماه عنه ابن بختيشوع . ثم امر صاحب المائدة ان يحمله الى منزله ففطن الرشيد وارتاب به ودس خادمه حتى عاينه يتناوله . فاعد بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك في ثلاثة اقداح خلط احداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى وصب على الثانية ماء مثلجا وعلى الثالثة خمرا صرفا . وقال في الاول والثاني : هذا طعام امير المؤمنين ان خلط السمك بغيره او لم يخلطه . وقال في الثالث : هذا طعام بختيشوع . ودفعها الى صاحب المائدة حتى اذا انتبه الرشيد واحضر للتوبيخ ، احضر ثلاثة الاقداح . فوجد صاحب الخمر قد اختلط واماع وتفتت ووجد الآخرين قد فسدا وتغيرت رائحتها . فكانت له في ذلك معذرة) [٦] .

كما ثبت عن الرشيد انه امر بحبس ابي نواس لما بلغه عنه من انهماكه في شرب الخمر حتى تاب واقلع .

عظمة الرجل

والى جانب هذه الصفات والمزايا ، كان الرشيد رقيق القلب سريع المدمعة) يتأثر للموعظ الحسنة ، حتى ليشفق من نفسه التي قد يستبد بها الكبرياء والغرور احيانا ويتضاءل لديها الاحساس بالقمة . فكيف لا يبكي وهي تعلمه ان كل شيء صائر الى زوال ! وكيف لا يعد لاستقبال آخرته بالعمل الصالح يرضي عنه الله والعباد ، والموت للاحياء كالشهاب الراصد لا يخطيء احدا ! وبالقطع ما كان الرشيد ليغيب عن ذهنه كل هذا ولا ليقصر فيه ، وهو الذي احاط نفسه بوعاظ يوقظون لديه هذه المشاعر وينبهونه كلما نام عنها واطمأن . وقد جاء الكثير من النصوص التاريخية التي تتحدث عن اخلاق الرشيد لتعبر في مجملها عن تأثره البالغ بالموعظة تلقى على مسامعه فينفعل لها انفعالا شديدا يتحطم معه شموخ الخلافة وجلال قدرها . وما ذاك الا لرقة من نفس الرجل وتقوى في قلبه يخشع للكلمة الواعظة خشوع التائب المنيب الى ربه يقول الطبري : (دخل ابن السماك الواعظ على الرشيد فقال له عظني فقال : يا امير المؤمنين ، اتق الله وحده لا شريك له واعلم انك غدا بين يدي الله ربك ثم مصروف الى احدى منزلتين لا ثالث لهما ، جنة او نار . فبكى هارون الرشيد حتى اخضلت لحيته فاقبل الفضل بن الربيع على ابن السماك فقال :

سبحان الله وهل يتخالج احدا شك في ان امير المؤمنين مصروف الى الجنة ان شاء الله لقيامه بحق الله وعدله في عباده وفضله . فلم يحفل بذلك ابن السماك من قوله ولم يلتفت اليه . واقبل على الرشيد فقال :

يا امير المؤمنين ، ان هذا يعني الفضل بن الربيع ليس والله معك ولا عندك في ذلك اليوم . فاتق الله وانظر لنفسك . فبكى هارون الرشيد حتى اشفق عليه الحاضرون وافحم الفضل بن الربيع ولم ينطق بحرف . [٧]

ثم يسوق السيوطي بين ايدينا شاهدا آخر فيقول : (وروى ان ابن السماك دخل يوما على الرشيد فاستسقى ماء فاتى بكوز فلما اخذه قال ابن السماك : على رسلك يا امير المؤمنين ، لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها ؟ قال ببعض ملكي . قال : اشرب هناك الله تعالى فلما شربها قال : اسألك لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتري خروجها ؟ قال : بجميع ملكي . قال ابن السماك : ان ملكا قيمته شربة ماء وبولة لجدير الا يتنافس فيه . فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا [٨]

وحكى الاصمعي ان الرشيد صنع طعاما وزخرف مجلسه واحضر ابا العتاهية وقال له : صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا . فقال ابو العتاهية :

عش ما بدالك سالما
في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد : احسنت ، ثم ماذا ؟ فقال :

فاذا النفوس تقعقعت
في ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا
ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد . فقال الفضل بن يحيى : بعث اليك امير المؤمنين لتسره فحزنته . فقال الرشيد : دعه فانه رآنا في عمي وكره ان يزيدنا منه .

وان خليفة يتواضع لله فينشرح صدره للنصيحة او الموعظة وينقاد لها في خشوع راضيا يتقبلها من اي كان وفي اي صيغة وردت لدليل على عظمة اخلاق الرجل ووعيه . وليس بكاء مثله الا تفسيرا لما تنطوي عليه نفسه من رغبة في الخير وتمسك بمبادىء الحق والعدل والسير في خطى الصالحين .

على ان للعلامة ابن خلدون كلاما ينفرد بكونه اقوى ما وصف به هارون الرشيد من صفات اخلاقية جامعة واكثر استيعابا لها . نجتزيء منه هذا النص حيث يقول : (واما ما تموه به بعض الحكايات من معاقرة

الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر الندمان فحاشا لله ما علمنا عليه من سوء . واين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاورته للفضيل بن عياض وابن السماك والعمري ومكاتبته سفيان الثوري وبكائه من مواعظهم ودعائه بمكة وطوافه ، وما كان عليه من العبادة والمحافظة على اوقات الصلاة وشهود الصبح لاول وقتها ؟ [9] سؤال ايضا يطرحه ابن خلدون يعكس مدى الهوة بين الواقع والخيال .

بين الجد والهزل

ومع ميل الرشيد الى الفكاهة والغناء ، فانه لم يكن مسرفا على نفسه .. ولم يتخذها غرضا يرمي به كما يفعل المتهالكون على اللذة وطلاب الامتاع والمؤانسة . بل اننا لنجده اشد حرصا على تطبيق مبدأ (لكل مقام مقال) . ولا ادل على ذلك من هذه الحكاية التي تنقلها عن الطبري بتصرف ، حيث انه كان للرشيد سمير فكه يدعى ابن ابي مريم لا يكاد يفارقه ، اراد يوما مداعبته حين سمعه يقرأ في صلاته (وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون) فقال ابن ابي مريم ، لا ادري والله فما تمالك الرشيد ان ضحك ثم التفت اليه مغضبا وقال : يا ابن ابي مريم ، في الصلاة ايضا ؟ اياك ، والقرآن والدين ، ولك ما شئت بعدهما) [10]

ان هؤلاء المؤرخين وهم يدلون بشهادتهم للتاريخ ليقدرون مسئوليتهم حق قدرها ، فلم يبيحوا لانفسهم الانسياق وراء العواطف والاهواء او ينقادوا لاخيلتهم في رسم شهادات زور وفق ما يريدون . وحرصهم على التدقيق فيما يروون من اخبار وما اشتهروا به من نزاهة واعتدال كل اولئك يعزز ثقتنا فيهم ، ولا يسعنا الا ان نصدر عن حكمهم ونحن له مطمئنون بما فيه الكفاية .

تلك هي سيرة الرشيد الاخلاقية ، عرضنا لها بايجاز ، ولا ندعي اننا احطنا بها احاطة السوار بالمعصم وما قلناه في الحقيقة لا يمس الا جوانب قليلة منها . ■■

عبد الوهاب شكري
ورزازات ـ المغرب

المراجع

(١) هارون الرشيد لشوقي ابو خليل ص ١٥٣ (٢) الطبري ٣٥٧/٨ . ط دار المعارف (٣) تاريخ بغداد ٥/١٤ . الطبري ٣٤/٨ (٤) تاريخ الاسلام السياسي ٦٣/٢ (٥) تاريخ الخلفاء ص ٢٩٧ (٦) مروج الذهب ٣٤٣/٣ (٧) الطبري ٣٥٧/٨ (٨) تاريخ الخلفاء ٢٩٣ . الطبري ٣٥٧/٨ (٩) المقدمة ص ١٧ ط . مصطفى محمود (١٠) الطبري ٣٤٩/٨ .

■ انا أعرف كل شيء لانني أعرف أنني لا أعرف شيئا على الاطلاق !

وليام تل

■ اذا نسيت عدوك ، ولم تعد تذكر حتى اسمه ، فانت رجل تحب الحياة !

تشارلز ديكنز

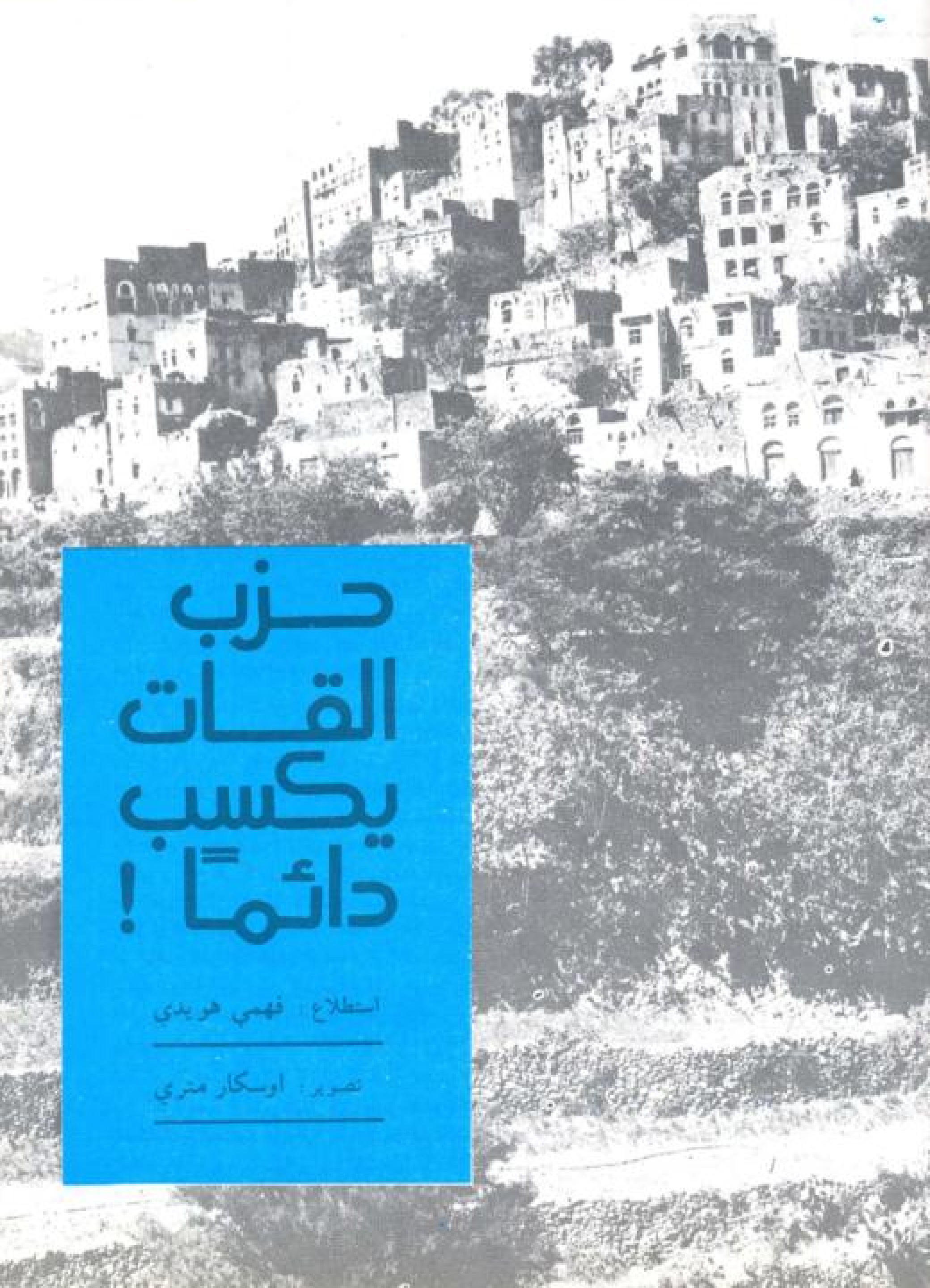
■ المرأة الجميلة لا تتطلع الى وجهها في المرآة الا عندما تحس بالتعب !

لانا تيرنر

■ وراء كل امرأة جميلة رجل يقول لها : « لا أعرف ماذا كنت سأصنع بنفسي لولم أتزوجك » !

كليمنتاين تشرشل

في اليمن يفسر التاريخ بالقات ـ الشاعر محمد محمود الزبيري



حزب القات يكسب دائماً !

استطلاع : فهمي هويدي

تصوير : اوسكار متري

لا نبالغ كثيرا اذا قلنا ان في اليمن حزبا عتيقا وعريقا ، لم ينفرط ولم ينحل ، لا في فترات الامامة ، ولا في ظل الثورة ، ولا في فترات البين بين . هو حزب القات ، الذي حقق انتصارات كاسحة خلال السنوات الاخيرة ، تمكنه من ان يبقى في الصدارة الى ما شاء الله .

وبنفس القدر ، لا نبالغ كثيرا اذا قلنا ان القات يشكل مفتاحا اساسيا يفسر الكثير من ظواهر الحياة اليمنية ، من العمارة الى الهجرة ، مرورا بالطعام والانجاب . الأمر الذي يمهد لقبول فكرة « التفسير القاتي » لتاريخ اليمن وجنوب الجزيرة . وهي الفكرة التي طرحها ابو الثوار اليمنيين الاستاذ محمد محمود الزبيري ، في مقاله عن القات في اول اعداد مجلة العربي (ديسمبر ١٩٥٨) ، عندما قال انه اذا كان الماركسيون يعتبرون التاريخ محركا للاقتصاد ، والداروينيون يفسرون التاريخ بالجنس ، فانه في اليمن يفسر التاريخ بالقات !

والقات الظاهرة لا جديد فيه . وكما يعرف الناس الذهب الاصفر ، والذهب الاسود ـ النفط ـ فان القات عند اليمنيين بمثابة « الذهب الاخضر » ، مع اختلاف واحد يميزه عن الذهب الاسود والاصفر . فمنتجو الاصفر والاسود يقبضون من ذهبهم ، اما هم ـ اليمنيون ـ فيدفعون من أموالهم وأنفسهم لقاء ذهبهم هذا !

ومن الثابت انه انتقل الى اليمن من موطنه الاصلي في الحبشة ، مع غزو الاحباش لبلاد اليمن في القرن السادس الميلادي . ولا يزال القات الهرري ـ من هرر الحبشية ـ يزرع في بعض الجبال اليمنية الى الآن . وروى بعض قدامى المؤرخين انه كان يستعمل « لتنشيط الذهن وشحذ الذاكرة وابعاد الهم والحزن عن النفس » ، عن طريق حرق الاوراق واستنشاق دخانها . بينما اعتبره بعض الرحالة الاجانب « شاي العرب » . وقيل ان الاسكندر الاكبر استعمل القات في علاج جنوده من مرض تفشى بهم . ومن المرجح ان زراعته باليمن سبقت زراعة البن . وان كان موطنه الان موزعا بين دول شرق وجنوب افريقيا . في الحبشة والصومال وكينيا ، الى الكونغو واوغنده وتنياسلاند وروديسيا . ويعتبر اليمن الشمالي الآن هو اكبر منتج له .

لكن الجديد في الامر شيئان هما : حجم الظاهرة ، ثم انعكاساتها السلبية على حياة الناس واقتصاديات البلاد .

حساسية شديدة

ومن الثابت ان هناك حساسية شديدة لليمنيين تجاه موضوع القات ، ربما لان معالجات الموضوع اتجهت منذ البداية الى التركيز على سلبياته ، وصورت الشعب اليمني في النهاية ، كما لو كان مجموعة من البشر المخدرين والكسالى . وقد لاحظت ان كثيرين من اليمنيين يحملون بعض العتب على مجلة العربي ، لانها نشرت مقال الاستاذ الزبيري الذي هاجم فيه القات تحت عنوان : « شيطان في صورة شجرة » . وفوجئت بان منهم من لا يزال يحفظ بعض عبارات المقال ، الذي نشر قبل ٢٠ عاما ! كما لاحظت ان مثقفا يمنيا بارزا مثل الدكتور عبد العزيز المقالح ـ الاستاذ بجامعة صنعاء ـ قد الف كتابين عن شعر العامية ثم شعر الفصحى في اليمن . حجم كل منهما يصل الى ٥٠٠ صفحة تقريبا ، عرض خلالها كافة صور الممارسات الشعرية القديمة والحديثة . لكنه لم يشر الى القات . رغم ان جانبا لا يستهان به ـ من الشعر اليمني الحديث على الاقل ـ هو وليد جلسات القات . فضلا عن الاشعار التي قيلت في القات ذاته ـ والمدح اضعاف اضعاف القدح ـ ما سمعته منها في اليمن خلال ١٥ يوما ، يكاد يكون وحده ديوانا من الحجم المحترم !

والواقع ان معالجة موضوع القات من زاوية تأثيره على صحة الافراد ، او حتى تبديد اوقاتهم ، لا يخلو من تبسيط شديد . لان ملايين المدخنين في العالم يدركون كم هو ضار تدخين السجائر ، وفي بلاد كثيرة تحمل كل علبة سجائر تحذيرا من الخطر . ومع ذلك فان هؤلاء الملايين لم يكفوا عن التدخين ، كما ان اكثر الاطباء الذين ينصحون مرضاهم بالاقلاع عن التدخين ، هم ايضا مدخنون !

ذلك ان القات ليس نباتا يتلذذ به البعض و « يخزنونه » في الجانب الايمن من افواههم ، كما انه ليس كيفا يستريح معه البعض ويدمنه الآخرون ، ولكن القات قضية اكبر من هذا وذاك . هو الصيغة

والمناسبة التي يلتقي الناس عليها كل يوم . وهو المنبر الذي يعتليه البعض ليقولوا رأيهم في اعظم الاشياء واتفه الاشياء . هو - بتعبير الاستاذ الزبيري - السينما والمسرح والمنتزه والمقهى والمنتدى ، وقاعة المحاضرات ومكتبة المطالعة !

اليس في هذه النشاطات ما يتجاوز حتى قدرات الحزب !!

وهو نوع من الذكاء الفطري عند اليمني . الذي عاشت اجياله سنوات طويلة محرومة ومفتقدة لهذه الاشياء كلها ، فقرر - بوعي منه او بغير وعي - ان يختزلها في جلسات القات ، وان يعوض هذا الحرمان بالصيغة التي رآها اكثر ملاءمة لظروفه الفريدة .

وكانت الحاجة ، هي ام هذا « الاختراع » !

واكاد اقول ان اهل القات يشكلون الآن تنظيما بالمفهوم المتطور السائد في بعض دول العالم الثالث . اعني صيغة « التحالف » التي تلملم شتات الجميع تحت مظلة واحدة ، ايا كانت اتجاهاتهم . اما اذا كان الحزب بنفسه البرنامج فليست هذه مشكلة ، لان الاوضاع السائدة في العالم العربي تحتمل ذلك . اذ يصبح الحزب احيانا هو الهدف . والبرنامج لا يهم . فضلا عن انه ما اكثر البرامج التي وضعت ثم ظلت حبرا على الورق ، وصار وجودها كعدمها .

يضحك اخواننا اليمنيون ، ويقولون : عظيم . هذه افكار القات !!

ساعة القات

ولانه يقوم بهذا الدور « الشمولي » في الحياة اليمنية ، فان ساعة القات لها ما يشبه القداسة الخاصة . وعندما يحين أوانها ، لا يعلو صوت فوق نداء القات . الجميع يهرولون الى سوقه ابتداء من الثانية عشرة ظهرا . الموظفون والتجار والعمال والمثقفون ، وكل الفئات التي يضمها « التحالف » . وهو زحف كثيرا ما أدى الى تعطيل حركة المرور في صنعاء ، الامر الذي دفع بلدية العاصمة الى تقرير نقل سوق القات خارج المدينة ، في منطقة متربة مليئة بالحفر والهضاب . ومع ذلك ورغم كل « العوائق الطبيعية التي تحول دون الوصول الى موقع السوق ، فانه يتحول في ساعة الظهر الى « قبلة » ، يهون في سبيل التوجه اليها كل شيء . واذا كنت في صنعاء ، وشهدت على البعد سحابة من الأتربة تتصاعد في الافق ، وتناهت الى اسماعك اصوات ضجيج بشري هائل ، ولمحت سربا من المركبات يتراوح بين الحمار والمرسيدس ، فانت على مقربة من سوق القات ، والكل على موعد معه !

سألتهم : بعدما زرت أسواقه ، وشهدت بعض جلساته ، ما سر هذا الاقبال الشديد على القات ؟

تعددت الردود : قال احدهم : المال كثير في ايدي الناس ، والبركة في المهاجرين الذي يعملون في الخارج ، ويمولون .

وقال آخر . المناخ الاجتماعي - العادات والتقاليد . واضاف ثالث ، والمناخ السياسي ايضا ، ثم تساءل : الم ترتبط الماريجوانا بحرب الامريكيين في فيتنام ؟ . كم فيتنام شهدناها في اليمن ؟! وقال رابع ، الفرصة الوحيدة المطروحة امامنا ، لنلتقي ونتحاور ، ونقضي وقتا طيبا وسط الاقارب والاصدقاء ، في زمن لم يعد يعرف فيه الساكن جاره ، ولا الابن أباه .

تصنيفات اخرى

وان يصبح اليمنيون فريقين : قاتيون ، وغير قاتيين ، فذلك يضيف عنصرا جديدا ، متطورا نسبيا الى قائمة التصنيفات العديدة في اليمن . فاذا كانوا جغرافيا قد صاروا شماليين وجنوبيين . فانهم - مذهبيا - زيود وشوافع وقلة من الاسماعيلية . وعرقيا ، هم يصنفون قحطانيين او عدنانيين . اما طبقيا واجتماعيا ، فحدث ولا حرج ، لان درجات الناس - من هذه الزاوية - ثمان : السادة الذين ينتمون الى البيت الهاشمي (كانت فيهم الامامة) ، ثم القضاة ، والتجار ، وملاك الاراضي ، وشيوخ القبائل ، والفلاحون وصغار التجار ، واصحاب المهن والحرف التي يترفع عنها الآخرون (الجزارون ، والحلاقون وصانعو الاحذية مثلا) . واخيرا ، أتعس الفئات وادناها ، وهم « الاخدام » ويقال انهم بقايا الاحباش الذين استعمروا اليمن قبل الاسلام ، بزعامة « ابرهة » ، الذي حاول هدم الكعبة . وقد صاروا يمنيين الآن ، لكنهم معزولون ، ويعيشون في اطراف المدن ، ويعملون خدما في البيوت ، وعمال نظافة في الشوارع .

ولكل فريق من هؤلاء معالمه المميزة ، من غطاء الرأس الى شكل ووضع الخنجر الذي يزين « الجنبية » التي تطوق خصره ، وهكذا . حتى ان فئة اصحاب الحرف الصغيرة ، لا يتزوج من بناتهم احد من الفئات الاخرى .

وثمة تقسيمات اخرى معاصرة ، مثل العسكر والمدنيين ، والعسكر فرق ، السبتمبريون (الذين قاموا

بثورة سبتمبر) ، والبوتويون (انصار حركة التصحيح في ١٣ يونيو ٧٤ التي قام بها المقدم ابراهيم الحمدي) ، وما الى ذلك !

ورغم أن هذه التقسيمات تبرز وتختفي حسب مقتضيات الاحوال . ومتغيرات المناخ السائد ، الا ان الفريقين اللذين لم يتأثرا بمسار الأحداث ـ وان اختلف حجم كل منهما ـ هما انصار القات واخصامه . وكان الحزب المعارض للقات قد نشط بعد ثورة سبتمبر ، خصوصا وان بعض آباء الثورة تعاهدوا بعد نجاحها على ان يقاطعوا القات ، في محاولة لارساء قيم جديدة ملائمة للمرحلة . ومن هؤلاء الشهيد محمد محمود الزبيري ، والقاضي عبد الله الايرياني (مقيم في سوريا الان) والاستاذ احمد محمد النعمان (انتهى به المقام في السعودية) . وكانت ذروة المواجهة عندما اصدر محسن العيني رئيس الوزراء قرارا في عام ٧٣ يمنع زراعة القات . ولكن القرار استخدم ضده ، حتى خرج من الوزارة !

وفي ظل الاوضاع التي تلاحقت ، عادت الامور الى « نصابها » ، والغي قرار العيني ، بل ايضا الغيت الضريبة على تجارة القات ! (كانت حصيلتها حوالي ٣ ملايين دولار سنويا) ، بعدما رفعت الضرائب عن مختلف السلع التي تنتج محليا ، لتشجيع هذا الانتاج ! ورغم ما يقال عن ان الغاء ضريبة القات يرجع الى ان اعباء جباية هذه الضريبة كانت تفوق حصيلتها ، الا انه من المرجح ان القرار كان سياسيا ، هدفه كسب تأييد حزب القات .

وكانت هذه الخطوة ـ في النهاية ـ انتصارا لحزب القات وتأكيدا لدوره في الساحة السياسية !

في « المقيل » و « التفرطه »

وقد اتيح لي ان اشهد ثلاث جلسات للقات . وفي كل مرة كنت افشل في تخزينه ، وابتلعه بعد لحظات من مضغ اوراقه الحمراء الداكنة . اذ يحتاج الامر الى مران فيما يبدو ، لكي يتمكن المرء من تخزين تلك الكرة الصغيرة في جانب من الفم ، ويحتملها لمدة ساعة على الاقل ، وينفصل عنها ليمارس نشاطات اخرى عديدة ، من المناقشة الى القراءة والكتابة ، واحيانا الرقص والغناء !

وجلسة القات (يسمونها « المقيل » من القيلولة) لها مواعيد ونظام وطقوس .

اولا تتم في قاعة مصممة خصيصا لهذا الغرض ، يسمونها « المفرج » ، من الانفراج ربما ، او لان نوافذها الكبيرة ، التي في مستوى الجالسين على الوسائد الارضية ، تمكن الجميع من « الفرجة » على المشهد الخارجي ويسمونه « السفح » (في صنعاء القديمة كان لكل شارع بستان صغير) . وكما ان « المقيل » يتم بعد الغداء مباشرة (الثانية او الثالثة ظهرا) في المناطق ذات الطقس المعتدل مثل صنعاء ، وبعد صلاة العشاء في المناطق الحارة مثل الحديدة ، فان المفرج ، والطراز المعماري ، يختلف تصميمه ايضا باختلاف الطقس ، هو في صنعاء وما حولها في قمة البناء المرتفع ، الذي يصمم خصيصا بحيث ، يتمكن الجالسون من الاطلال على « السفح » وفي الوقت ذاته ، لا تتلصص اعينهم على الجيران من سكان البنايات الاخرى . اما في ظروف حرارة ورطوبة الحديدة وما حولها فالمفرج بالدور الارضي . في جانب من فناء البيت ويطل على حديقة البيت ذاته .

واهل كل حارة ـ الاسم المتداول للشارع ـ يجتمعون في بيوتها بالتناوب . يتوزعون على بيتين كل يوم . وعندما يحين الموعد يتوافد الجمع على المقيل ، وكل منهم متأبط حزمة القات ، ومستلزماته ان شاء ، وهي بالدرجة الاولى ماء بارد في « ترمس » صنعه الذكاء الياباني خصيصا لهذا الغرض ، بحيث الحقت به قطعة خارجية يوضع عليها كوب الماء الصغير تحت طرف فوهته . وبضغطة اصبع واحد ، ينساب الماء بالقدر الذي تحتاجه عملية ترطيب جفاف الحلق ، وارواء العطش الذي يسببه القات . ومن اراد ان يحضر معه ترمس شاي او قشر القهوة المغلي ، فلا مانع . المهم ان يصل كل واحد وهو في حالة اكتفاء ذاتي ، حتى لا يتحمل المضيف عبئا ثقيلا في وجود ١٥ او ٢٠ شخصا دفعة واحدة .

يتحلقون حول القات في تلك الجلسات اليومية المنتظمة ، لا فرق بين غني وفقير ، او وزير وخفير ، تتساوى الرؤوس ويرفع التكليف ، وتحفظ الالقاب ، بمجرد ان يخلع القادم نعله ، ويفك جنبيته ، واذا كان من الافندية فانه غالبا ما يتحلل من البنطلون ، ويستبدل به ازارا جاهزا (يسمونه الفوطة) يمكنه من الجلوس على الارض طوال ساعات المقيل ، بغير عنت ولا مشقة .

وللنساء جلسة مماثلة ، يسمونها « التفرطه » ، التي ينفرط فيها عقد الوقت . ورغم انه يفترض نظريا انها تتم لمناسبة معينة (زواج او ولادة او ختان او وفاة) ، الا انه من الناحية العملية لا تخلو حارة كل يوم من مناسبة كهذه ، خصوصا وان الزواج مناسبة تستحق ـ



وجهان في الحياة اليمنية لا ينفصلان ، المشغولات الفضية الدقيقة والبديعة التي تصيب الاجانب بالهوس ، وتخزين القات الذى ينبغي ان يتم يوميا في موعده المقرر بغير تأخير

طبقا للعرف السائد هناك ـ ان يستمر الاحتفال بها ٤٠ يوما . والولادة ، حدث لا يقل اهمية ، وهو يحتاج الى ٤٠ يوما اخرى . اما الختان فله اسبوع واحد ، واحزان الرحيل ينبغي ان تتكافأ مع فرحة الميلاد ، وينبغي ان تستمر ٤٠ يوما اخرى .

والتفرطه لا تعقد في بيت صاحب الشأن بالضرورة ، ولكنها تتم في بيوت اخريات لحساب التاسبة وباسمها ، وهي مقصورة على المتزوجات فقط ، ومحظورة على غيرهن من البكارى . وكما في المقيل ، فان كل قادمة تأتي بزادها من الماء او قشر القهوة او البخور ، والقات دوره محدود . اذ التخزين في التفرطه استثناء وليس قاعدة . واذا كان الرجال في المقيل يتنافسون في شراء الاجود والاغلى من القات ، الا ان منافسات التفرطه تدور حول الثياب والحلى والعطور والبخور ، فضلا عن ادق أسرار الحارة ، والقيل والقال !

درس في التخزين !

لهثنا وتقطعت انفاسنا حتى صعدنا الى المقيل « المتكى » من الاتكاء في روايات اخرى ـ اذ كان المفرج فوق سطوح بين من سبعة طوابق ، والمسافات بين درجات السلم الحلزوني بعيدة الى حد لا يقوى عليه الا متسلقو الجبال الشاهقة . تقدمنا مرافقنا مخترقا ستائر الضوء الشاحب ، وعند كل منعطف ينبه من يهمه الامر من السكان او النازلين ، ويردد بين الحين والآخر : الله . الله .

تقنعك الرحلة في حد ذاتها بانك بحاجة الى مقيل او متكى . اذ تصبح في نهايتها بحاجة الى ان تلقي بنفسك على اى مقعد او حشية . لتستريح عدة ساعات . لكنها كانت مشكلة شخصية فيما يبدو ، لان بقية الصاعدين دخلوا من باب المفرج ولله الحمد ، وكأنهم قادمون من غرفة مجاورة خارجون لتوهم من حمام منعش وساخن . (وهي عادة يتمسك بها البعض قبل حضور جلسات القات في الشتاء) .

القاعة فسيحة ومزينة الجدران ، والحشايا والمساند ذات الألوان الزاهية ، متناثرة بطول القاعة وعرضها ، بينما تنتصب في الوسط نرجيلة او اكثر ـ مداعه ـ طويلة العنق لها مستودع نحاسي ، « ومبسم » واحد في نهاية خرطوم اطول ، مكسو بالقماش وربما مطرز ، مهمته توصيل مفعول النرجيلة الى اوسع دائرة ممكنة من الجالسين .

ولا يخلو المفرج القديم من نافذة صغيرة للتهوية اذا لزم الامر . وان كانت المباني الحديثة قد حلت هذه المشكلة بصيغة اكثر تطورا . عن طريق الاجهزة الكهربائية التي تتولى سحب الهواء الى الخارج . من ذلك النوع الذي يستخدم في المطابخ عادة .

ومن باب حسن الظن بي ، وربما املا في ضمي الى عضوية الحزب ، فقد اعطيت في البداية ما يمكن ان يسمى « ثقافة قاتية » ، وهي خلفية لازمة للوافدين الجدد ، تؤهل للانخراط فيما بعد .

وخلال هذه المرحلة الاولى ، تكتشف ان القات درجات (٢٥ وفي رواية ٧٠) كما ان الناس درجات . وان سعر الحزمة (حوالي ٤٠ عودا) يتراوح بين ٢٥ و ٣٠٠ ريال . بينما كان سعر الحزمة من اجود الانواع ٣٠ ريالا حتى عام ٧٤ . (بعد رفع اسعار النفط) ، اى ان سعر النوع الجيد تضاعف ١٠ مرات .

تكتشف ايضا أن كل منطقة تتميز بانتاج مختلف من القات . في صنعاء مثلا . اجود الانواع تحمل اسماء : ضلاعي ـ وادي ـ قرية ـ رجامي . والصوتي هو اردأ الانواع . وفي تعز اجود الانواع هي الصبرى (من جبل صبر) والجعشني ، واردؤها هو الشرعبي . واجودها في الحديدة هي الشامي والقسطل والحرامي ، واردؤها الحفاشي . واهم واجود قات اليمن الجنوبي هو اليافعي والضالعي .

وكل الاصناف متوفرة على مدار العام ، لان شجرة القات ، دائمة الخضرة ، ويناسبها تماما طقس المرتفعات والاجواء المفتوحة ، وهو اكثر مما يتميز به قلب اليمن ، حيث سلاسل الجبال العالية ، التي لا تنتهي . ومن اسرار هذه الشجرة انها تنمو بغير بذر ولا زهر ، ولكن « بالعقلة » في اغلب الاحوال ، اذ تؤخذ الفروع الرفيعه وتقطع الى عقل طول كل منها نصف متر ، ثم تزرع في بطن التربة ، وتروى لمدة ٤٠ يوما فقط ، ثم تترك لتعتمد على مياه الامطار ، وتعمر مدة تصل الى ٢٥ عاما . وكلما قطفت اوراقها نمت من جديد . والغريب ان شجرة القات لا تصاب بالآفات الزراعية الا نادرا ، وان اشجار البن المزروعة الى جوارها كثيرة الاصابة بهذه الافات .

في مرحلة تالية تلقيت درسا في التخزين !

المخضرمون يقولون في البدء لم يكن هناك تخزين ، ويحسدون هذا الجيل الذي اتيح له ان يوظف مظاهر التقدم العلمي لصالح تعاطي القات ، حتى انه اصبح يتلقاه طازجا حيث وجد . وهنا يروون ان اليهود اليمنيين



في سوق القات ، التجار لهم اكشاك خاصة لكن ذلك لا يمنع اي مزارع من ان يحمل جني الصباح ، ويعرضه وسط السوق

الذين هاجروا الى اسرائيل منذ عام ٤٨ زرعوا القات هناك ، وان هذا القات يصدر الآن للجاليات اليمنية في الخارج (انجلترا بوجه خاص) . وسمعت من احدهم ان هناك طائرة تنقل القات الى لندن كل يوم سبت ، وانه شخصيا خزنه في العاصمة البريطانية مساء السبت ، ليس خرقا لقوانين المقاطعة ، ولكن ـ فقط ! ـ للتثبت من الأمر !

يضيف المخضرمون انه قبل نصف قرن ، عندما كانت الجمال هي وسيلة الانتقال الاولى ، كان متعذرا ان يحصل انصار القات عليه طازجا .. فكانت اوراقه تجفف وتنقل من بلد الى آخر ، حيث يشرب الجميع منقوع القات . ومن هنا جاء تعبير الرحالة الاجانب الذين زاروا مناطق القات في القرن الماضي ، واسموه « شاي العرب » . لان القاتيين كانوا يضعون هذه الاوراق الجافة في الماء لبعض الوقت ، ثم يشربون الماء بعد ذلك .

وعندما ظهرت السيارات والقطارات اصبح انتقال القات الطازج ميسورا بين دول شرق افريقيا التي تنتجه ، وادت السيارات هذه الوظيفة في اليمن ، اذ لا توجد هناك سكك حديدية . لكن الفرج الاكبر ـ على حد تعبير احدهم ـ جاء مع استخدام الطائرات .. التي كانت احدى وظائفها الاساسية في الماضي هي نقل هذا القات من الحبشة الى اليمن ، ومن صنعاء الى عدن والحديدة وتعز ، وهكذا .

وكلما تقدمت وسائل المواصلات والنقل ، تطورت اساليب تعاطي القات ، حتى اختفى تماما شرب منقوع القات ، وسادت طريقة التخزين .

المواة يقطفون اوراق القات الصغيرة من اطراف الفروع ، ويمضغونها ثم يحتفظون بها لبعض الوقت ، وبعد ذلك يتخلصون منها في اناء صغير ، ليواصلوا القطف والتخزين بعد ذلك . اما المحترفون فانهم يحتفظون بالاوراق مدة اطول ، وقد لا يتخلصون مما في افواههم الا في نهاية الجلسة . ولذلك فانهم يقطفون ويقطفون ، ويضيفون المزيد الى ما في افواههم ، وتظل الكرة تكبر وتكبر ، وينتفخ معها جلد الوجه في الجانب الايمن ، حتى ليبدو كما لو كان هذا الجزء قد صار « مطاطيا » من كثرة الاستعمال .

على انهم لم يعودوا الآن بحاجة الى الطائرات ـ في داخل اليمن على الاقل ـ لان القات اصبح يزرع في كل مكان ، باستثناء سهل تهامه الساحلي ، الذي يتلقى احتياجاته عن طريق السيارات ، خصوصا بعد استكمال شبكة الطرق الرئيسية في اليمن .

مخدر ام ماذا ؟

سألتهم ، ما هو المفعول الحقيقي للقات ؟ .. هل هو مخدر ام لا ؟ ..

انصار القات يعددون مزاياه ولا يرون الا النصف المليء من الكوب . بينما الخصوم يتهمونه بكل نقيصة ، ويؤكدون انه مخدر ومضيع للوقت والجهد والمال ، اى انهم يركزون على النصف الفارغ من الكوب .

ويبدو ان ما يقوله الطرفان صحيح . والفرق بينهما ان الانصار يصدرون حكمهم على القات من خلال رصد الموقف في بداية « المقيل » ، بينما الخصوم عليه من نهاية الجلسة !

ولأنني كنت طرفا محايدا ، فقد رويت لهم ما شاهدته ، من خلال تجربة مباشرة . ذلك أن احد مرافقينا في الرحلة كان من انصار القات . ورغم انه ممثل مسرحي ، وكان شديد الالحاح على ان اناقش معه مشكلة المسرح اليمني ، الا ان سؤاله الاساسي الذي كان يطرحه قبل تجوالنا كل صباح هو : اين سنتناول الغداء ؟ وكانت هذه صيغة مهذبه تغلف سؤالا آخر هو : اين سيتم التخزين ؟

كان طلال ـ وهذا هو اسمه ـ يعلن الطوارىء قبل الثانية عشرة ظهرا . يضيق صدره ولا يحتمل سؤالا فضلا عن ملاحظة . كان يبدو حاضرا معنا ولكن عقله غائب عند « المقوت » ـ بائع القات .

ولا يستريح له بال الا بعد ان يشترى حزمة القات . كان يدفع ١٠٠ ريال كل يوم ـ بمعدل ٣ الاف ريال كل شهر ـ بينما راتبه الشهري ٨٦٠ ريالا (الفرق يغطيه من بيع اراض ونباتات يملكها) . يعود من غيبته بعد ان يطمئن الى ان زاده معه . ملفوفا في كيس من النايلون ، صنعته اليابان خصيصا لاهل اليمن وكتبت عليه « بلادي بلاد القات » ، ولكن هذه الاكياس اصبحت تنتج محليا الآن (!) .. بعد الغداء ينهض طلال ليفض الكيس ويبدأ في التخزين . يعتدل في مقعد السيارة ويقول ، وقد عادت اليه حيويته وابتسامته ، الآن انا مستعد للذهاب معكم الى نهاية العالم . لا يعود اليه عقله الغائب فقط ، لكنه يتحول الى شخص آخر ، شديد الانتباه والانطلاق . تشعر كما لو كان مؤشره في صعود ومعنوياته في السماء . يظل على هذه الحال طوال ساعتين او ثلاث على الاكثر . اى انه بعد الساعة الخامسة ، ومن السادسة ، يتحول الى شخص ثالث ، يصعب عليه التركيز ، وتتلقى ردوده ببطء ، بينما تصبح حركته اكثر بطئا . وتكتشف على الفور ان المؤشر قد عاد الى الهبوط ، وان معنوياته تهبط معه تدريجيا !

وفي كل صباح كان يجيئنا مكتئبا من الارق وقلة النوم ، رغم محاولاته التغلب على الارق بشرب المتوفر من الكحوليات . (وهي عادة اكثر مدمني القات ، ويسمون هذه المرحلة الثانية « التفسيخ ») خصوصا وان القات يفقده الشهية ، فلا يتمكن من تناول اى طعام في العشاء .

فتش عن القات

واكثر الذين ناقشتهم اقروا هذا التوصيف . وزادوا عليه قولهم انه بسبب القات فان دوام موظف الحكومة لا يتجاوز ٣ ساعات في اليوم ، لان الموظف الذي يظل مؤرقا في الليل ، يصل الى مكتبه متأخرا ، ولا يحتمل الجلوس على مقعده بعد الثانية عشرة ظهرا ، عندما يجئ موعد شراء القات . ويبدو ان وزارة الاشغال في صنعاء ارادت ان تحل المشكلة ، فخصصت احدى حجراتها داخل مبنى الوزارة للتخزين ، في محاولة للابقاء على الموظفين اطول فترة ممكنه .

اى ان انتاج الموظف ومواعيد حضوره وانصرافه لها علاقه بالقات ، الذي يؤثر ايضا على مواعيد طعام ونوم وكافة ارتباطات اى مواطن آخر . اذا اردت موعدا فهو

في المقيل ، والنوم بعد الغداء لا مكان له بسبب موعد المقيل . واذا اردت الاحتفال باى مناسبه ـ حتى ولو كانت عيدا ـ فليكن ذلك حول القات . ولانه يفترض ان اللقاءات تتم في المقيل ، فليس من اللائق ان تزور يمنيا في بيته بعد السابعة والنصف مساء . وربما كانت مصادفة ان تجيء تعاليم المذهب الزيدي المنتشر في اليمن متوافقة مع متطلبات جلسة القات . التي تمتد الى ما بعد صلاة المغرب . ذلك ان الزيود يجيزون جمع الصلوات في الظروف العادية ـ خلافا لاهل السنه الذين يبيحون الجمع في حالات السفر والضرورة ـ وعلى ذلك فان الزيدى يستطيع ان يجمع الظهر والعصر قبل ذهابه الى المقيل ، وان يجمع ما بين المغرب والعشاء بعد الجلسه (جمع تاخير) . وبذلك يظل في مكانه طول وقت المقيل ، بضمير مستريح للغاية !

بل ان تركيب الطعام اليمني ذاته يكاد يكون محاولة للرد على مفعول القات وتخفيف اضراره الصحية . ذلك ان استمرار فقد الشهية الذي يحدثه ، يؤدي طبيعيا الى انتشار امراض سوء التغذية من البلاجرا الى تضخم الكبد وقروح المعدة . وكان الرد الغريزي على هذا الخطر هو ما لجأ اليه اليمنيون من اضافة الحلبة المطحونه الى اغلب الاطعمة في وجبتي الافطار والغداء . و « المطيط » ـ الطبق الرئيسي والشعبي عند عامة اليمنيين ـ هو خليط الدقيق بالحلبة والبيض مع السعتر والفلفل . تقوم الحلبة بهذا الدور الوقائي ، بما تحتويه من قيمة غذائيه كبيرة ، فيتامين ج و د فضلا عن البروتين والفوسفور والكالسيوم . وقد قرأت تقريرا لأحد الخبراء يقول فيه « ان الحلبة تقوم بدور هام في المحافظة على البقية الباقية من صحة شعب اليمن . فضلا عن انها تعالج حالة القبض الشديد الذي يحدث بالامعاء نتيجة القات . »

ويذهب البعض الى ان للقات دورا في تزايد هجرة اليمنيين الى الخارج في السنوات الاخيرة ـ فقد ادى ارتفاع اسعاره الى افلاس الكثيرين ، لانه عمليا ليس بمقدور اليمني ذى الدخل العادي ان يغطي نفقات التخزين اليومي (مرافقنا نموذج لذلك) ، والذين لا يتاح لهم ان يغطوا انفاقهم على القات من مصادر اخرى ، يضطرون الى الهجرة .

وليتها الميزانية فقط التي تتأثر ـ هكذا يقولون ـ لكنه حجم الاسرة ايضا . لان ادمان القات يؤثر سلبيا على قدرات الرجال الجنسية ، فضلا عن تأثيرات اخرى في ذات الاتجاه ، يشيرون اليها ولا يخوضون في تفاصيلها . وربما كان هذا هو السبب في ان عدد سكان اليمن ينمو ببطء شديد ، اذ انهم كانوا ستة ملايين منذ ١٦ عاما ، وحتى العام الماضي لم يزد عددهم على ثمانية ملايين !

واخطر من ذلك تاثيراته على الاقتصاد اليمني ، اذ ان الارتفاع الشديد في اسعاره دفع كثيرين من الزراع الى التوقف عن زراعة المحاصيل الاخرى ، والتحول الى القات لانه اوفر ربحا ورعايته تحتاج الى جهد اقل . وذلك أدى الى العجز في الانتاج الزراعي . ولان اكثر انواع التربة ملاءمة لزراعته ، هي تلك التي يزرع فيها البن ـ لتعاسة الحظ ـ فإن بعض الزراع لم يترددوا في خلع اشجار البن واستبدال اشجار القات بها !

لكن هناك ايجابية تذكر للقات ، ولا يختلف عليها احد ، انه استطاع خلال السنوات الاخيرة أن يؤثر في توزيع الثروة باليمن ، عن طريق نقل ثروة المدينة الى الريف . ذلك ان زيادة الاقبال عليه أدت الى زيادة اسعاره بصورة مدهشة ، وذلك أدى الى مضاعفة دخول المزارعين من سكان الجبال والقرى . وكان لهذه النتيجة دور فعال في اقبال الفلاحين على شراء موتورات الاضاءة والسيارات والدراجات البخارية ، فضلا عن ظاهرة التوجه الاستهلاكي العام السائدة هناك .

وهم يردون على كل ما يطرح من ملاحظات بقولهم ان القات افضل من المشروبات الكحولية اى أنه أهون الشرين . ويسلمون بان سلبياته اكثر من ايجابياته ، ثم يقولون : ما هو البديل عنه ، وكيف تحل مشكلته التي استشرت ؟ . لقد حرمت اليمن الجنوبية بيعه وتعاطيه الا في يومي الخميس والجمعة من كل اسبوع ، ولاسباب متعلقة بتوقيت الاجراء . وطبيعة الاوضاع هناك ، أمكن تطبيق النظام ، وامكن تقليص نفوذ القات .

أخيرا ، يرددون : ان اتهام اليمنيين بالقات ينطوى على ظلم فادح لهم ، ونحن يتبنى على مغالطة كبرى . فاليمني عندما يسافر الى خارج البلاد لا يفكر في القات ، بعكس اى مدمن . وعندما يعود لا يجد صيغة اخرى تمكنه من ان يشارك في نسيج العلاقات القائمة في المجتمع اليمني . وهي مشكلة لا تحل بقرار ، وانما بطرح هذا البديل الذي لا يملك مفتاحه طرف واحد ، ولا يمكن ان يحسم القضية لا في شهر ولا في سنة .

اليس غريبا هذا التشابه بين حزب القات واكثر احزابنا العربية ، حيث الغالبية العظمى على استعداد لان تتخلى عنه في لحظة اذا وجدت بديلا مقنعا ، فضلا عن احساس الانصار بان « العضوية » عبء تتمنى لو تحللت منه ، وان الاختيار لا يتم على اساس مفاضلة بين جيد ورديء ، ولكنها بين رديء واردأ !!! ■■

ما هي ضرورة المسرح ، في مجتمع يشح فيه الخبز ؟!

قصة أبو محروس

هى مشكلة المسرح العربى !

بقلم : عبد العزيز مخيون

في كل فلاح يرقد حافز للتعبير . وربما في عهود الاستعمار المختلفة اسيء توظيف هذا الحافز ولجأ الفلاح الى اشكال فنية اخرى يفرغ فيها شحنة التعبير ويتنفس . ففي القرية التي كانت بعيدة عن تيارات الغزو الحضاري عاشت اشكال التراث بمعزل عن كل المؤثرات الدخيلة . فقد كانت القرية اقل تهديدا من المدينة .

مع هذه الاشكال اردت ان اتعامل . لأخرج من مرحلة الفروض النظرية الى مجال التطبيق العملي في ارض الواقع . وحاولت ان اقوم بمجهود في احتواء ظواهر الابداع الفني البكر في القرية المصرية .

كان العمل اولا على نص مسرحية « الصفقة » لتوفيق الحكيم . وقد اجريت عليه مع الفلاحين تغييرات شاملة نتجت عن التناقض بين الواقع الحي والنص المكتوب . وبين صيغة المسرح التقليدية ومخزون التراث الفني الشعبي .

ثم دفعت بفكرة الى مجموعة الفلاحين وطلبت من كل واحد منهم ان يتصور نفسه « داخل الموقف » فاذا بكل فلاح يضيف رأيا او يلقي بجملة حوار سرعان ما اخذت تنسج عملا مسرحيا جديدا بالمرة .

عملنا في هذه التجربة على انتزاع الظاهرة المسرحية من واقع الريف المصري .

ويعتبر هذا المقال كمقدمة للاستنتاجات النظرية المترتبة على تجربة المسرح في قرية زكي افندي في سنوات ٧٥ ـ ٧٦ ـ ١٩٧٧ .

« ابو محروس : هيا يا ام محروس . اجمعي الاولاد فنحن ذاهبون الليلة الى المسرح »

هذه عبارة غريبة على الاذن ولا يجرؤ كاتب عربي ان يقولها في مسرحية او رواية او في اي عمل فني ينتمي الى الواقع . لانه لو قبل مثل هذا الحوار على لسان هذه الشخصية الشعبية سيعني امرين : اما كون كاتبه يزيف الواقع بتقديم صور غير حقيقية . واما كونه كاتبا متفائلا يحلم حلما جميلا بان هذا سوف يحدث في المستقبل



البعيد . ذه العبارة البسيطة تشير الى انعدام ظاهرة النشاط المسرحي بمفهوم عصري بين الجماهير الشعبية ، وحتى على مستوى الطبقات الوسطى التي تتركز في المدن الكبرى . فالمجتمع العربي لا يعرف المسرح كظاهرة حية ضمن مظاهر النشاط الاجتماعي المتعددة ، وسنحاول هنا ان نتأمل المشكلة على ضوء تجربتنا في محاولة احياء الفن المسرحي بقرية « زكي افندي » في شمال دلتا مصر ، معتمدين على اشكال العروض الشعبية المنحدرة من التراث والتي ما زالت تعيش في قرى الريف المصري حتى يومنا هذا ، وتحظى باقبال وتجاوب حار من الفلاحين .

جذور المشكلة

ان مأساة اغتراب الانسان في المدينة العربية الحديثة ومن ضمنها مشكلة « اغتراب المسرح وتمزق هويته ... قديمة ... وقد جاء ادراك الفكر العربي لها مع بداية زحف انماط الحياة الغربية على الشرق العربي منذ زحف الحملة الفرنسية الى مصر » .

فهذا هو الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ، يعطينا اول رد فعل مندهش ازاء اول حدث مسرحي قادم من الغرب ليقع في مصر : « احدثوا بغيط النوبي المجاور للازبكية ابنية على هيئة مخصوصة ، منتزهة يجتمع فيها النساء والرجال للهو والخلاعة في اوقات مخصوصة ، وجعلوا على كل من يدخل اليها قدرا مخصوصا يدفعه او يكون مأذونا وبيده ورقة . »

وبعد الجبرتي بحوالي اربعين عاما ، يأتي شيخ اخر هو رفاعة الطهطاوي الذي اقام في باريس من الفترة ١٨٢٦ ـ ١٨٣١ م يتأمل حياة المجتمع الباريسي الغريبة على الشرق . وقد نقل لنا انطباعا عن المسرح لا يخلو من الدهشة وزاد على الشيخ الجبرتي محاولته تفهم وظيفة هذا النشاط ودوره في المجتمع .

وهذا مقال في جريدة « الاهرام » بعنوان « مراسحنا » نشر في ١٥ ابريل نيسان سنة ١٩٠٨ م . اي بعد مرور ستين عاما على عرض اول مسرحية معربة عن الفرنسية (١) يستنكر فيه كاتبه مبدأ النقل والتقليد في المسرح المصري فيقول : « ان معظم رواياتنا التمثيلية هي روايات منقولة لا موضوعة عربت من الاجانب ... » ؟ وبعد ذلك بعقد وبضع سنوات اي في العشرينات من هذا القرن تصدر من القاهرة مجلة « التمثيل » التي اولت هي الاخرى موضوع نشوء

مسرح قومي عناية كبيرة . وقد دعت المجلة الى تكوين مسرح مصري خاص يحمل العادات والاخلاق المصرية . المشكلة اذن قديمة وقد بدأت بعملية الاستنبات غير الطبيعي للمسرح الاوروبي في ارض مصر والشام .

لقد دخل المسرح الى الشرق العربي في ركاب غزو استعماري يحمل معه انماطا معيشية غريبة تنتمي لمجتمع آخر ، ويحمل أيضا فكرا جديدا كان مجهولا لاولئك الذين وقفوا يقاومون الغزو باسلحة متخلفة .

خلال قرن وثلاثين عاما هي « العمر الرسمي » للمسرح العربي ، كان اغلب الانتاج المسرحي يعتمد على التقليد والنقل المباشر عن المسرح الاوروبي ، وحتى بمقاييس مدارس النقد الغربية التي تربى في احضانها هذا المسرح فقد رأينا الكثير من المسوخ المسرحية المقلدة التي تفتقد الأصالة والجودة فالاعمال المسرحية المعبرة التي خرجت من باطن المجتمع العربي التي حاولت التحرر من تأثير المسرح الغربي لتلمس جوهر الاصالة القومية قليلة ، اذا ما قورنت بسيطرة اتجاه التقليد على اتجاه التأصيل . ولا يمكن اعتبارها باية حال « ظاهرة » لها وجودها المتفاعل في بنية المجتمع ، ظلت صيغة المسرح الاوربية تنمو وتنتشر وتفرض نفسها على فن التعبير المسرحي العربي ووجدت من يكيفها ويضع لها الحواشي والفواصل الغنائية [٢] من زاوية المصالحة مع الفنون التقليدية المحلية الدارجة » .....

توقف تأثير الفنون الشعبية التقليدية عند حد معين لم تتجاوزه ، فقد كانت مهددة في ظل تحول نظم المعيشة واتجاهها القوي نحو الاخذ بنظم الحياة الغربية » واسباب المدنية الحديثة .

المسرح المفقود

خلال مسيرة المائة والثلاثين عاما لم تثبت « ظاهرة المسرح » وجودها في المجتمع العربي الحديث . ظل المسرح كنشاط هامشي على صفحة الحياة الاجتماعية تعرفه تلك الطبقات التي ارتبطت بالثقافات الاوربية الوافدة مع الغزو الاستعماري في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر . تلك الطبقات التي تنحدر من اصول غير شعبية والتي تدفعها مصالحها الاقتصادية الى التمادي في النقل والتقليد والتبعية واحتقار كل ما هو قومي وشعبي .

ذلك الغزو الذي جوهره تقابل بين حضارتين ، حضارة ذبلت منذ عدة قرون ، وحضارة فتية في طور النمو والاكتشاف . وكان من اوجه هذا التقابل ان دخل مسرح اوروبا القرن الثامن عشر ولم تدخل التيارات الحديثة التي كانت تختمر في قلب المسرح الاوربي في ذلك الوقت والتي ما زالت مؤثرة في مسيرة المسرح الغربي حتى يومنا هذا . او بتعبير آخر كان الاتجاه الى المسرح التجاري الاوربي غالبا على الاتجاه الى المسرح الجاد الاوربي .

دخل مسرح القرن الثامن عشر على الفنون الشعبية واشكال التعبير الموروثة التي حفظتها ذاكرة الشعب وما زالت تعيش في الوجدان كفنون خيال الظل ، الاراجوز ، الحكاواتية ، شعراء السيرة الشعبية ، المداحون ، المنشدون الدينيون ، حلقات الذكر ، التقليعة ، والعاب الشوارع والاسواق ، وكل هذه أبداعات فنية يتجسد فيها نوع من المسرح القائم على فن العرض ويتجسد في بعض منها عنصر التمثيل والمحاكاة ، وهي تعيش في صلب بنية الحياة الاجتماعية . ولا يمكن للحياة ان تسير بدونها لانها جزء من مكوناتها ، فهي انعكاس لعادات وتقاليد هذه الحياة ، لان فيها يمارس ويعيش جزءا كبيرا من التقاليد الاجتماعية .

هذا التعايش بين التعبير الفني المتمثل في الاشكال سابقة الذكر والحياة ، او هذا الفن الذي يعيش في دورة الحياة ، يمثل مصدر طاقة عظيم وقوة دفع حيوية لفن المسرح . وفيه تكمن قوة استمرار نابعة من قوة استمرارية الحياة ذاتها ، ومنه ايضا يتولد اتصال حار وعفوي مع الجمهور . اتصال كان لا يعرف في المسرح الاوروبي في ذلك الوقت ، وهو يبحث عنه الآن على مشارف نهاية القرن العشرين .

---

(١) مسرحية البخيل لموليير عرضها مارون النقاش بفناء داره في بيروت ١٨٤٧ في حضرة مدعوين من علية القوم وقناصل الدول لم تكن البخيل تمثل المسرح السائد في فرنسا في ذاك الوقت فقد قدمها النقاش بعد مرور قرن وتسعة وسبعين عاما على تقديمها في باريس .

(٢) رشدي صالح المسرح العربي مطبوعات الجديد القاهرة يونيو ٧٢ .



رفاعة الطهطاوي



عبد الله النديم

في الفنون الشعبية العربية يعيش نوع من المسرح له جمالياته وله منطقه الخاص به . وهو مسرح يختلف عن المسرح الآخر « مسرح المؤسسة » الغربي المبني على تراث اليونان القديمة ، والذي بدأ انفصاله عن الحياة الاجتماعية ابان عصر النهضة الاوروبي ، حتى صار كيانا مستقلا ومؤسسة من مؤسسات المجتمع التي ازدهرت انذاك ، كالجامعة والمدرسة ودور الصحف بعد اكتشاف الطباعة .

الاعيب من نوع آخر

وهنا يمكننا ان نتأمل ملاحظات الشيخ رفاعة الطهطاوي اول عقل عربي تأمل المسرح الغربي عن قرب شديد نجده يقول : « فمن مجالس اللهو عندهم محال تسمى التياتر والسبكتاكل ، وهي يلعب فيها تقليد سائر ما وقع » ... ويضيف « فالتياتر عندهم كالمدرسة يتعلم فيها العالم والجاهل » ...

لا شك ان الشيخ رفاعة كان قد شاهد الاعيب الممثلين الجوالين وسمع شعراء السيرة من شوارع واسواق القاهرة وحول مساجدها ... وهو هنا يشاهد الاعيب من نوع آخر لكنها تدور في محال مغلقة تعتبر كالمدرسة وتسمى التياتر .

من الطبيعي ان يقف الشيخ رفاعه مبهورا بالمسرح الباريسي في اواخر سنوات العشرينات من القرن التاسع عشر ، ولكن بعد مرور قرن ونصف من الاحتكاك والمخالطة ... الا يحق لنا ان ننظر بعين جديدة مقرين بان جوهر النشاطين واحد ، والاختلاف في الشكل فقط .. فما قد شاهده الشيخ رفاعة في مسارح بولفار سان دينيس يلتقي في جوهره مع ملاعيب ومسامرات الشعراء الشعبيين في سوق بين القصرين او في سوق السلاح بالقاهرة في عصر محمد علي .

● قصة ابو محروس

المسرح في الغرب مؤسسة تنشأ في كنف الدولة او الهيئة الاجتماعية ، ولها قانون ونظام اداري وعرف مصطلح عليه - وليس هذا فقط - بل ان « مؤسسة المسرح » اخذت تكتسب احترامها مع بداية القرن التاسع عشر حتى احيط بها نوع من القدسية جاءت من كهنوت وغموض الفن المسرحي واسراره التي لا تبدو للمتفرجين سهلة المنال ، فنسمعهم يقولون « المسرح معبد ... المسرح كنيسة ، ولكي يكتمل الثالوث زادوا فقالوا : « مسجد » !

يعني فرض الصمت والخشوع على جمهور المتفرجين ، وامتنعت لغة الحوار عماد فن المسرح وروحه الحية . فهل جاء الجمهور الى المسرح ليصلي او ليسمع موعظة يلقيها ممثل بدلا عن القسيس او الشيخ ؟

كلا اذا كان للمسرح وجود في الشرق العربي فهو لن يكون « مسجدا » ، بل يكون احتفالا حيا ينشأ فيه الاتصال الطليق بين المؤدي والجمهور وتسمح طبيعة الاحتفالات الشعبية السابق ذكرها بهذا اذ يتوفر فيها جو البهجة ... البهجة التي كتبها المسرح المقلد الذي قولب جو الحفلة الشعبية واعاد صياغته في الاطر والقوالب .

عندما نقل الى الشرق مسرح الغرب ، لم يأخذ ناقلوه مناهج الفكر المتقدم من هذا المسرح لتبث في الفنون التمثيلية الدارجة المتوارثة ، وانما هم وللاسف قد اجتهدوا في نقل شكل المؤسسة المسرحية اكثر من اجتهادهم في تأمل مضمونها الفكري والحضاري . ونقصد هنا المنطق الذي يعالج الموضوع المطروح والصراع الذي يدور بين الافكار والشخوص والنسق الذي ينتظم كل هذا في عملية تركيبية .

لقد كانت فنون التراث - وما زالت - بحاجة لفكر جديد يغذيها ويمسح عنها تراب الزمن ويدفعها لملاحقة العصر وهذا هو اول طريق النمو الشرعي لفن المسرح في بلادنا .

صراع بين المسرحين

يمكننا القول بأنه منذ بداية الاتصال مع الغرب كان هناك مسرحان يتصارعان على ارض العالم العربي : المسرح الدخيل او المسرح المقلد ، وذلك المسرح المعاش في دورة الحياة والذي هو جزء من مظاهر الحياة الاجتماعية ، ويمكن تسميته مسرح « الحفلة » . فاطاره هو الاحتفالات الشعبية ، احتفالات العودة من الحج ، الافراح ، ختان الذكور ، الاعياد والموالد الدينية .. الخ

وتاريخ المسرح في مصر مثلا هو صراع بين المسرحين .

بينما كان مارون النقاش يقلد ويترجم عن الغرب ، كان يعقوب صنوع يؤصل ويؤلف ويضع صيغة جديدة للمسرح المصري . صيغة جمعت اشكال التراث والروح الشعبية الساخرة والوعي بالفكر المتطور في الحضارة الغربية .

وعند منابع الفن الشعبي كان فنان آخر هو عبد الله النديم يضع هذه الاشكال الدارجة على اولى درجات سلم الحداثة ... غير ان نشاط النديم السري واختفاءه الطويل وملاحقة السلطات له ، جعل اغلب صياغاته هذه في طي المجهول وفي عصر لاحق على هذا .... بينما كان جورج ابيض يجلجل بأبيات الشعر الفخيم في بلاط الملوك متقمصا لويس الحادي عشر ، وبينما كان يوسف وهبي لا يمل من ترديد صيحته الشهيرة « ياللهول » كان في قاع المجتمع . فنانو الارتجال امثال المسيري وجورج [٣] دخول ومحمد ادريس وسيد ابو النصر وغيرهم ، يكسرون الايهام والحائط الرابع ويحطمون جدران « المؤسسة » ساخرين بالوقار المزيف في صالات الوجهاء والمحترمين بوسط المدينة .... من دون اقنعة مستعارة ، او حواجز مصطنعة تدور مسرحياتهم في الاسواق والموالد والافراح من حلقات المسامرة الشعبية وجو السهرة الاليف .

المدينة ...... والتشوه

واليوم ، وبعد مرور ما يقرب من قرنين من المواجهة الحضارية والاختلاط الثقافي استقرت انماط معيشية جديدة ، ومع كل هجمة من هجمات الاستعمار الذي يتغير شكله ولونه وتتغير اساليب احتوائه وطرق سيطرته مع كل عصر .. باتت التقاليد في كل يوم مهددة بخطر التشوه او الاندثار ، واصبحت هذه التقاليد في جزء كبير منها في مأزق عدم القدرة على الاستمرار ومجاراة العصر ، في مجتمع صار لا يستغني عن « السيارة والبندقية والعملية الجراحية » ......

انها ليست قضية المسرح فقط ، فهي تشمل المسرح من ضمن ما تشمل ، انها قضية المجتمع بأسره .

هذه النظم المعيشية الجديدة التي لم يعرفها الانسان العربي من قبل ، ولم تدخل حياته الا منذ عهد ليس بعيدا لا يتجاوز قرنين من الزمان ... اصبحت هذه النظم مستقرة ، تشكل حياة طبقة متميزة أو شريحة من المجتمع .. ويقل تأثيرها كلما نزلنا في درجات السلم الاجتماعي وذهبنا بعيدا عن المدن . ولكن لا مفر من التسليم بانها قد غيرت شكل المدينة العربية وجلبت مع محاسن التطور . اخطار التشوه ايضا .. ومع قدوم « المدنية الحديثة » بدأ يقل الاعتماد على الابتكار المحلي ، خلاصة تفاعل ذكاء الانسان مع البيئة ، وزاد الاعتماد على المواد المستوردة والمعدات الجاهزة ، واستشرت انماط السلوك غير الاصيلة وهكذا تدور عجلة الاستلاب : استنزاف ثروات البلاد ، انتشار السلع المستوردة ففي مقابل التلاشي التدريجي للحرف اليدوية والصناعات التقليدية الوطنية ، تفاقم تأثير الجانب الضار من الاذاعة والتليفزيون ، تراكم وسائل المواصلات مع اهدار قيمة الوقت ، الاسراف في استعمال مبيدات الحشرات والمواد الكياوية في معالجة المحاصيل الزراعية .. كل هذه الوسائط تعوق الابداع الحقيقي للانسان في بيئته ومناخه الطبيعي وتقدم له حلولا جاهزة تسير حياته وتقطع صلته بتاريخه وتصادر على تفاعل ذكائه مع البيئة .

رغم هذا الانتشار الجميل الذي حققته وسائل العصر ، يبقى هذا السؤال يفرض نفسه فرضا : ما هي ضرورة المسرح ـ عموما ـ في مجتمع يشح فيه الخبز وينخفض استهلاك الفرد من البروتين الى مستويات دنيا . ما هو دور المسرح وشكله من مجتمع يحول الانسان الى كائن ينحني ظهره طيلة يومه وينحصر تفكيره في تدبير واحدة من الضروريات الاساسية الاتية : الطعام ـ الكساء ـ المأوى ـ العلاج ؟

ما شكل هذا المسرح الذي تحتاجه قرية طينية لم يطرأ عليها تقدم ملموس منذ عهد الاسرات . فلا مياه صحية ولا كهرباء ولا مجار ولا غذاء صحي .. قرية يشرب الالف وثمانمائة نسمة سكانها من نفس الصنبور .. ويعيش اهلها بعقولهم خارج القرن العشرين ، بينما هم مهددون في نفس الوقت بشوشرة اجهزة اعلام القرن العشرين . على ضوء ما سبق .. اعتقد اننا مطالبون بالبحث ـ من جديد ـ عن معنى لكلمة « المسرح » في مجتمعنا .

والحقيقة ان مشكلة المسرح في العالم العربي هي بشكل ما مشكلة ابو محروس ، هذا الذي تمر من خلف ظهره رغم انفه كل المتغيرات ، وتسن باسمه القوانين ، وتنقلب نظم وتقوم دول وكلها تنادي اول ما تنادي

(٣) يقدم الدكتور علي الراعي في دراساته عن الكوميديا الشعبية في مصر نماذج من ابداع هؤلاء الفنانين الذين اسقطوا من تاريخ المسرح العربي .

بتحرير ابو محروس وتعليم ابو محروس وتحضير وتمدين ابو محروس ، حتى يقدر ان يقول ذات يوم « هيا يا ام محروس اجمعي الاولاد فنحن ذاهبون الليلة الى المسرح ... »!

فأي المسرحين مطلوب له : مسرح « الحلقة » المعاش في دورة الحياة ، ام المسرح الدخيل المقلد ؟ وما دمنا في معرض الحديث عن ابو محروس فمن وجهة نظره سيكون هناك مسرح واحد لا مسرحين كما نرى نحن المسألة ، لان المسرح موجود في حياته بشكل آخر ، وهو يمارس فنونه في الاطر والاشكال التي اعتادها والفها عبر تاريخه الطويل حيث نجح في ان يعبر عن آلامه ويحفظ فيها شخصيته القومية ، وان كان لا يطلق على فنه هذا ل تعريف « المسرح » بهذه الدرجة من التحديد .

٥ ملاحظات

ان السؤال الاساسي هنا هو كيف ينهض المسرح في مجتمعنا ، وكيف يعيش نشاطا حيا في صلب الحياة الاجتماعية ، وكيف يبقى ظاهرة موجودة ومؤثرة في المجتمع ؟ وختاما لهذا الحديث نسوق هذه الملاحظات التي ربما تحمل ضوءا للاجابة على السؤال :

١ ـ تعرف الجماهير فن المسرح وتمارسه في حياتها اليومية ، فالاشكال التمثيلية الدارجة المتحدرة من تاريخ الحضارات في المنطقة لم يزل بعضها يعيش في الاوساط الشعبية . ولم تزل تمارس في الاحتفالات الدينية والاجتماعية ، وهي جزء اساسي من هذه الاحتفالات . فهذا مسرح كامن في قلب الناس يجب ايقاظه وطرح المشاكل والقضايا المعاصرة من خلاله وربطه بالحياة اليومية بشكل مباشر .

٢ ـ ان قولبة المسرح في اطار مؤسسة تشرف عليها الدولة او مؤسسة اهلية تدعمها الدولة او ترعاها الهيئة الاجتماعية ، هذه المؤسسة ذات الاسوار ، هي مقتل هذا الفن في بلادنا . ففيها يوضع المسرح داخل اطار تحكمه قبضة الحكومة ، ولقد فتحت عينالسلطة مبكرا على خطورة فن المسرح كمكان عام للالتقاء والاحتفال ، وكوسيلة مت وسائل الاتصال المباشر والحي بالجماهير . فالمسرح فن تفرزه الحياة الاجتماعية وجوهره نشاط جماهيري يأتي كرد فعل في دورة الحياة خارج المؤسسات الرسمية او شبه الرسمية التي تمنع هذه العملية التفاعلية

٣ ـ المواجهة الجماعية هي اهم عناصر عملية الخلق المسرحي فلا يقوم المسرح بدونها . وتبدأ المواجهة بين الفنانين اولا ، ثم تنتقل الى حيز اوسع واعرض عندما تواجه جماعة الفنانين جماعة المتفرجين او تجمع الجمهور ، واثناء عملية المواجهة سواء بين مجموعة الفنانين او بينهم وبين الجمهور ، يتولد الحوار وينمو الحديث .. ومن هنا فان المسرح هو اكثر وسائل التعبير تضررا في غياب الديمقراطية وسيطرة النظم المستبدة .

٤ ـ ان الدعوة الى تأصيل المسرح دعوة لازمة وضرورية كضرورة الديمقراطية للمسرح ويجب الحذر من الخلط بين التأصيل والنزعة السلفية او نعرات التعصب للتراث . فالتأصيل هو احد الطرق المؤدية الى شعبية المسرح وقوميته في آن واحد ، فلا تأصيل دون تبنٍّ واع لاشكال التراث والابداعات التي يمارسها الشعب في حياته اليومية .

هذه الفنون التي تعيش في الحياة تتمنى طرحها من جديد على الجماهير .. ولا يتم هذا الا بكسر جدار مؤسسات المسرح الرسمية والسعي الى خلق « مساحة مسرحية جديدة » بين صفوف الجماهير حيث سيبحث المسرح عن هوية وعن لغة اتصال وعن وجوده بين جمهوره الحقيقي .

أ ـ لا انفصال بين المسرحية ووسط المفترجين « الجماعة » فهم جزء اساسي منها .. لهذا فان محاولات التأصيل داخل اطار مسرح المؤسسة عملية تلفيقية تتلاعب بالاماني والطموحات المنشودة وتقدم بدائل مؤقتة عن الاحتياج الضروري .

فلا يكفي ان تلبس الشخصيات عباءات وعمائم وجلاليب فضفاضة وتدور الاحداث في عالم من الف ليلة وليلة حتى يكون هذا تأصيلا . وكم شاهدنا من مسرحيات تنتمي لهذا النوع تدعي التأصيل وهي لم تخرج من اطار الدراما الاغريقية .

ب ـ ان دراسة اشكال التراث القديمة والتي ما زالت تعيش حتى اليوم ضرورية ولازمة للفنان المسرحي العربي من أجل تحديد الارضية التي يقف عليها وينطلق منها ومن اجل اكتشاف امكانياتها واكتشاف دورها الجديد في المجتمع المعاصر .

٥ ـ تبسيط المسرح وتيسيره وتحطيم كهنوته وتقريبه من الناس وعرض اسراره عليهم ، عمل التدريبات المسرحية في قلب الناس والتجمعات حتى تتمكن الجماهير من امتلاك المسرح كوسيلة تعبير فنية . ■■

عبد العزيز مخيون

نفائس المكتبة العربية الاسبانية فى الاسكوريال

بقلم : محمد عبد الله عنان

تحتفظ مكتبة دير الاسكوريال الملكية بأسبانيا بمجموعة ثمينة من الكتب العربية ، معظمها أندلسية ومغربية ، تبلغ نحو الألفي مخطوط . ويقوم بالاشراف على هذه المكتبة التالدة الآباء الأوغسطينيون .

ولهذه المجموعة النفيسة من الكتب العربية قصة مشجية ، خلاصتها ان الكتب العربية بدأت تودع في المكتبة الملكية بقصر الاسكوريال ، عقب سقوط آخر القواعد الاندلسية المسلمة في يد اسبانيا النصرانية في اواخر القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادي) . وجمع كميات كبيرة من المخطوطات العربية منها ، وكانت يومئذ تبلغ عدة آلاف . ثم وقع بعد ذلك حادث ترتبت عليه ان ضوعف عدد المخطوطات العربية بمكتبة الاسكوريال ، هو استيلاء الاسطول الاسباني على المكتبة الزيدانية المغربية في عرض البحر ، وهى مكتبة السلطان مولاى زيدان ابن الملك أحمد المنصور .

وكان مولاى زيدان قد اضطر تحت ضغط الفتن واشتداد ساعد خصومه ، ان يغادر عاصمته مراكش ، وان يحمل معه امواله وذخائره ومكتبته الثمينة ، وكانت تحتوى على نحو ثلاثة او اربعة آلاف من نفائس الكتب المغربية والاندلسية والمشرقية ، في عدة من السفن استأجرها لكى تحمله مع ذخائره شمالا في اتجاه ثغر أغادير ، وقد فاجأها الاسطول الاسباني في عرض البحر ، واستولى عليها ، وكان ذلك في سنة ١٠٢١ هـ ـ ١٦١٢ م . وحملت هذه المكتبة الثمينة غنيمة لتودع في المكتبة الملكية بقصر الاسكوريال ، وارتفع بذلك عدد المخطوطات العربية في المكتبة الملكية الى نحو عشرة آلاف مخطوط . وكانت اعظم واثمن مجموعة من نوعها ، اذ كانت تتألف من نخبة قيمة من الكتب المختارة ، سواء ما جمع منها من قواعد الاندلس المفتوحة ، وبالأخص غرناطة ، او ما كانت تحتويه المكتبة الزيدانية ، التي جمع معظمها باختيار السلطان الاديب العالم مولاى زيدان ، وكان من عشاق نفائس الكتب .

واستمرت هذه المجموعة النفيسة الضخمة من الكتب العربية بقصر الاسكوريال ، حتى وقع به الحريق الكبير في سنة ١٦٧١ ، وامتد هذا الحريق المدمر الى المكتبة فأتى على معظم الكتب العربية . ولم يبق من هذه المجموعة العظيمة ، سوى نحو الفى مخطوط ، هى التي ما زالت تثوى الى اليوم بدير الاسكوريال .

وما زالت هذه المجموعة العربية بالرغم مما نزل بها من النكبة الفادحة تجذب أنظار الباحثين في المشرق والمغرب ، وما زالت تضم عددا كبيرا من الكتب النفيسة النادرة ، ومنها نحو مائة مخطوط من كتب المكتبة الزيدانية السابقة .

عمل جديد وأصيل

وقد لبثت مجموعة الاسكوريال العربية في أقبية المكتبة الملكية بالاسكوريال عصورا ، محجوبة عن أعين الباحثين . حتى رأت الحكومة الاسبانية اخيرا ان تقوم باحصائها والتعريف بها بواسطة فهرس علمى جامع يوضع لها ، فوقع اختيارها للقيام بهذه المهمة على عالم

يجمع بين الثقافتين المشرقية والمغربية وهو الحبر الماروني السوري ميخائيل الغزيري الذي يعرف في البحوث الغربية باسم Casiri . وقد ولد بالغزير من اعمال طرابلس سنة ١٧٠١ ، ودرس العلوم الدينية واللغات الشرقية ثم تابع دراسته برومة حيث كان يحاضر في العربية والسريانية والكلدانية وفي الفلسفة واللاهوت ، ويدرس اللغة اللاتينية في نفس الوقت . فاستدعته الحكومة الاسبانية الى مدريد ، في سنة ١٧٤٨ وعينته موظفا في المكتبة الملكية بمدريد . ومديرا مساعدا لمكتبة الاسكوريال ، ثم انتخب عضوا في اكاديمية التاريخ ، ومترجما للملك في اللغات الشرقية . ثم عين مديرا لمكتبة الاسكوريال . وعهدت اليه الحكومة الاسبانية منذ البداية بالمهمة الرئيسية التي دعته الى القيام بها ، وهي دراسة المجموعة العربية بالاسكوريال والتعريف بها ونزل الغزيري بقصر الاسكوريال في سنة ١٧٤٩ ولبث مقيا به حتى سنة ١٧٥٣ وفي تلك الفترة التي امتدت زهاء خمسة اعوام ، لبث الغزيري عاكفا على اداء مهمته في دراسة المجموعة العربية . وقد قام خلالها بفحص المخطوطات المختلفة ، وتقييد الشذور التي رأى ان ينقلها منها ، والملاحظات التي رأى تسجيلها ثم عاد الى مقر اقامته بمدريد في اواخر سنة ١٧٥٣ ، وبدأ في اعداد فهرسه ، معتمدا على نفسه ، وعلى المواد والشذور التى جمعها والمعلومات الفياضة التي قيدها .

وكانت قد عملت لمجموعة الاسكوريال العربية قبل الغزيري ، في اواخر القرن السادس عشر واواسط القرن السابع عشر قوائم وفهارس موجزة . ولكن الغزيري لم يعر هذه الفهارس اهتماما لضآلتها وخلوها من اية مميزات علمية او نقدية وعول على ان يقوم بعمل جديد اصيل لم يسبقه اليه احد .

وقضى الغزيري زهاء عشرة اعوام في دراسة المجموعة الاسكوريالية واتبع في وضع فهرسه قاعدة التركيز وهي تدور حول المواد والتحليلات ، وجرى على اسلوب الاقتباسات الموجزة والمطولة في ابراز قيمة المخطوطات ذات الاهمية الخاصة ، وترجمة هذه الاقتباسات الى اللاتينية .

واصدر الغزيري في سنة ١٧٦٠ الجزء الاول من فهرسه اللاتيني الشهير بعنوان « المكتبة العربية الاسبانية في الاسكوريال » Bibliotheca Arabico Hispana Escurialensis عمل وشرح ميخائيل الغزيري Michaelis Casiri السوري الماروني البرسبتيري مدير المكتبة ، الدكتور في اللاهوت ، وخبير اللغات الشرقية تحت رعاية الملك كارلوس الثالث ، العظيم القادر » .

ويقسم الغزيري فهرسه الى فنون عديدة . واول اقسام الجزء الاول هو النحو Gramatici واول كتب هذا القسم الذي يحمل رقم ١ من الفهرس هو كتاب « اصول النحو » لابي بشر بن عثمان بن قنبر الشهير بسيبويه . وهو يقوم بوصف الكتاب ومحتوياته باللغة اللاتينية ويكتب اسمه واسم مؤلفه في اسفل الصفحة باللغة العربية . وهو بهذه المناسبة ينقل في ذيل الصفحة نبذة عربية عن نشأة النحو لشمس الدين الانصاري . وهو يقسم كل كتاب في قسم بحسب حجمه من الربع او الثمن . ويضم فن النحو بمختلف احجامه نحو مائتي مخطوط وينتهي بالرقم cci (١٩٠) . ويأتي بعد النحو الفن الثاني وهو فن البلاغة Retorici وينتهي بالرقم cclix (٢٥٩) ثم يليه فن الشعر ويبدأ من الرقم ٢٦٠ وينقل في خلاله نبذا عديدة ، ويتحدث في الشروح ، كما ينقل العديد من المقطوعات الشعرية التي ترد في مختلف المخطوطات

مخطوطات نادرة

ويأتي بعد الشعر قسم الكتب اللغوية على اختلافها Philologici ويحتوي على ٣٠٧ مخطوطات وينتهي بالرقم Dlxv (٥١٥) . وينقل الغزيري من مخطوطاته نبذا مختلفة . ويليه قسم المعاجم Lexicographi ويبدأ من الرقم ٥٦٦ وينتهي بالرقم ٦٠٨ محتويا على اثنين واربعين مخطوطا . ويليه قسم الفلسفة ويحتوى على مائة وستة وخمسين مخطوطا . وينقل فيه الغزيري نبذا بالعربية عن فخر الدين بن الخطيب الرازي ، وعن الفارابي وكتبه ، وعن نرفورس الصوري ، ويليه قسم الاخلاق والسياسة محتويا على ثمانية وسبعين مخطوطا ، وبه نبذ عربية وحكم وامثال . ويأتي بعده قسم الطب ويحتوي على مائة وستة مخطوطات . وفيه ينقل الينا الغزيري نبذا عديدة عن بقراط وكتبه ، وعن محتويات كتاب جالن ترجمة حنين بن اسحق ، وعن الاسكندر الافروديسي وعلاقته بجالن ، ونبذا طويلة عن جالن وكتبه ، ونبذا مطولة عن أبي بكر الرازي وعن حياته وكتبه ، كما ينقل الينا نبذا كثيرة عن ابن سينا وكتبه ونبذة عن ابن البيطار الاندلسي وكتبه في الادوية ، ثم عن موسى بن ميمون وكتبه وعن افلاطون وتلاميذه ، وعن ارسطاليس وكتبه . ويعتبر هذا القسم اغنى الاقسام بالنبذ المنقولة عن كتبه ، وينقل الغزيري ترجمة هذه النبذ كلها باللاتينية في اعلى الصفحات فوق النبذ المختارة .

ويلي قسم الطب ، قسم التاريخ الطبيعي ، وبه تسعة مخطوطات فقط ويليه قسم الرياضيات محتويا على تسعة وسبعين مخطوطا . وفي هذا القسم يتوسع الغزيري في ايراد الشذور المختارة توسعا كبيرا فينقل الينا نبذا كثيرة عن اقليدس ، وعن الرياضيين اليونانيين ونبذة عن بطليموس القلوذي صاحب كتاب « المجسطي » وعن كتابه ونبذا عن ابي معشر البلخي ، ونبذة كبيرة في اربع صفحات عن الكندي وكتبه وعن مسلمة المجريطي الفلكي والرياضي الاندلسي المتوفى سنة ٣٩٨ هـ ثم عن ارشميدس الرياضي ومصنفاته ، وعن ثابت بن قرة الحراني ومصنفاته وعن الزرقيالي الاندلسي ، ابراهيم بن يحيى النقاش القرطبي ابرع اهل زمانه في رصد الكواكب وعن كتبه ، وعن ابن وافد الاندلسي استاذ علم الادوية المفردة ، وعن الحسن بن الحسن بن الهيثم المهندس البصري ، نزيل مصر ، المتوفي سنة ٥٣٠ هـ ، وعن عمر بن الكرماني القرطبي الرياضي البارع في علم العدد والهندسة وهو الذي حمل خلال رحلته الى المشرق كتاب « اخوان الصفا » الى الاندلس وعن ابي مسلم الحضرمي الاشبيلي الفلكي والمهندس والطبيب المتوفى سنة ٤٥٨ هـ وعن ابن جلجل ، سليمان ابن حسان الاندلسي استاذ الطب والهندسة ، ثم عن سنان ابن ثابت بن قرة نبذة مطولة ، واخيرا عن شمول بن يهود الاندلسي الحكيم البارع في الرياضة والطب والهندسة ، وقد توفي بالمشرق حوالى سنة سبعين وخمسمائة ويلي هذا القسم قسم الرياضيات الغني بالشذور والبحوث المختارة من كتبه العديدة الهامة . ثم قسم الفقه ، ويحتوي على مائتين واربعة وستين مخطوطا . ويليه علم الكلام (اللاهوت) ويحتوي على مائة وستة وثمانين مخطوطا ، ثم علم العقائد ويحتوي على مائة وتسعة وثلاثين مخطوطا .

ثم الكتب النصرانية ويحتوي على ثمانية مخطوطات . وبهذا ينتهي المجلد الاول من فهرس الغزيري .

العجائب والغرائب !

ومضت بعد ذلك عشرة اعوام اخرى ، قبل ان يستطيع الغزيري اصدار المجلد الثاني من فهرسه . وقد صدر في سنة ١٧٧٠ بالـلاتينية وبنفس العنوان : « المكتبة العربية الاسبانية في الاسكوريال » وهو يفتتحه بقسم الجغرافية ، مبتدئا من الرقم MDCXXIX (١٦٢٩) ومحتويا على سبعة مخطوطات فقط . وهو يبدأ بكتاب « العجايب والغرايب » لمؤلفه سراج الدين بن عمر الوردي ، وينقل منه شذورا في ذكر مدن مصر وبعض مدن المغرب ، وينقل من كتاب أخر فصلا طويلا عن الكعبة ثم يليه قسم التاريخ محتويا على مائة وتسعة وسبعين مخطوطا منتهيا بالرقم MDCCCXV (١٨١٥) واوله تاريخ ابي الفدا وهنا يتقدم الغزيري بذكر عناوين نحو عشرين كتابا من امهات كتب التاريخ المشرقية والاندلسية ، وينقل منها نبذا عديدة خاصة بتواريخ الامم السالفة من عرب وفرس ويونان وقبط ، ومن الكتب المذكورة تاريخ العواصم والقواصم « لابن العربي الاندلسي الاشبيلي ، وكتاب ابن المنذر البلنسي في الرباط وفضله في الجهاد ، وما خصت به من ذلك جزيرة الاندلس . وهو يتوسع في النقل بصفة خاصة من كتاب « اللمحة البدرية في الدولة النصرية » لابن الخطيب السلماني ، فينقل منه فصولا عديدة عن تاريخ مملكة غرناطة في ظل ملوك بني نصر (بني الاحمر) . وينقل شذورا من كتاب القاضي عياض « مشارق الانوار على صحيح الآثار » وشذورا عديدة اخرى من مختلف المصادر عن الخلفاء الراشدين وبني امية ثم بني العباس وعن ملوك بني الاغلب . والخلفاء العبيديين بافريقية ومصر ، ثم عن بني امية بالاندلس وعن دول الطوائف ، ثم عن الموحدين وعن بني مرين ملوك المغرب ، وعن بني زيان ملوك تلمسان . ثم ينقل الينا نبذة عن الرازي مؤرخ الاندلس وعن كتبه كما ينقل الينا بعض شذور من كتاب « تاريخ غرناطة » او بعبارة اخرى « الاحاطة » لابن الخطيب . ويتخلل هذه الفصول المنقولة من مخطوطات قسم التاريخ ، بعض الوثائق التاريخية الهامة مثل كتاب « أمان عبد الرحمن » الداخل للبطاركة والرهبان والاعيان النصارى الاندلسيين اهل قشتالة الصادر في صفر سنة ١٤٢ هـ . وتؤلف هذه الفصول مرجعا تاريخيا هاما ، يستعين بالافادة منه من لم يسعفه وقته للبحث في المخطوطات الاصلية ، مما يستغرق الوقت الكثير .

وبعد قسم التاريخ يستعرض الغزيري طائفة متنوعة من المخطوطات المختلفة المواضيع والصفات مما لم يدخل من قبل في الاقسام التي سبق ذكرها . ويصل بتعداد هذه المخطوطات المتنوعة الى الرقم MDCCCLI (١٨٥١) ثم يلي ذلك كشف عام بالاعلام والكتب يستغرق نحو نصف المجلد الثاني .

وقد كان صدور فهرس المكتبة العربية الاسبانية في الاسكوريال فتحا جديدا في ميدان البحوث الاندلسية ،

اتجهت اليه انظار الباحثين والفوا بما يعرضه من المراجع والوثائق العديدة كنوزا من الحقائق والمعلومات التي لم يسبق ان ظفروا بها عن تاريخ اسبانيا المسلمة وحضارتها وعلومها وفنونها . فقد كان الغرب حتى اواخر القرن الثاني عشر لا يعرف من تاريخ اسبانيا المسلمة سوى ما تعرضه الروايات النصرانية من شذور مغرضة وكانت مئات الحقائق تغمرها حجب التعصب والتحامل والكذب ، فجاءت وثائق الاسكوريال تبدد هذه الحجب ، وتقدم الادلة القاطعة على عظمة هذه الصفحة من تاريخ اسبانيا ، وتعرض لنا مئات الحقائق عن تفوق الحضارة الاندلسية .

وظهرت كتب عديدة جديدة في هذا الموضوع تستقي كثيرا من مادتها من المراجع المخطوطة التي كشف عنها فهرس الغزيري وفي مقدمتها مؤلفات اندريس وماسدي وكوندي ودوزي وغيرهم . ولبث معجم الغزيري اكثر من قرن مرجعا فريدا للمجموعة العربية الاسبانية في الاسكوريال ، حتى قام المستشرق الفرنسي هارتفج ديرنبور بتكليف من وزارة المعارف الفرنسية بدراسة جديدة لمحتويات هذه المجموعة . فأنفق في هذه المهمة اعواما واخرج في ١٨٨٤ اول جزء من معجمه Les Manuscrits Arabes de L.Escurial (المخطوطات العربية بالاسكوريال) . وبالرغم من انه يبدي في مقدمته ريبة في قيمة مجهود سلفه والى تبيان طائفة من اخطائه فانه لم ير مع ذلك بدا من اتباع طريقته في التنظيم والتبويب والترقيم مع تغيير يسير .

وقد عثر ديرنبور في زوايا الاسكوريال على نحو مائة مخطوط عربي اخرى لم يذكرها الغزيري . كما انه لم يعثر على بعض مخطوطات ذكرها . وقد اختفى في الواقع كثير من آثار هذه المجموعة خلال الاحقاب المتوالية . وانتهى ديرنبور في تعداده الى الرقم ١٩٥٥ والغزيري يقف حسبما اسلفنا عند الرقم ١٨٥١ التي تعادل ١٨٥٦ من ترقيم ديرنبور ، فهو يزيد على الغزيري باكثر من مائة اثر جديد عثر بها واستطاع ديرنبور ان ينجز في فهرسه اقسام اللغة والبلاغة والشعر والادب والاخلاق والسياسة . ثم توفي سنة ١٩٠٥ وقام باتمام مهمته الاستاذان ليفي بروفنسال ورينو ، وذلك من واقع المذكرات التي تركها ديرنبور . وبذلك اصبح للمجموعة العربية الاسبانية في الاسكوريال فهرسان كاملان ، يرجع اليهما في دراسة محتويات هذه المجموعة النفيسة النادرة .

محمد عبد الله عنان

رسالة من بكين !

أجمل ما في الصين

بقلم : خان جا شيه
الاستاذ بمعهد اللغات في بكين

هذه مجموعة من العلامات البارزة ، التي تشكل في مجموعها نماذج لاجمل الاشياء في الصين التي لم يختلف عليها كاتب او مؤرخ او رحالة ....

أجمل مدنها :

تقع مدينة هانغتشو ذات الحضارة العريقة جنوبي الصين ، وقد اشتهرت هذه المدينة ولا تزال بانتاج الحرير الرائع والشاي الممتاز ، غير أن شهرتها الحقيقية تبعث من انتشار مبانيها البديعة وشوارعها المشجرة على ضفاف « البحيرة الغربية » .. التي تعتبر أجمل بحيرة في الصين كلها اذ تقدر مساحة هذه البحيرة ب ٦ و ٥ كم ، وعلى محيط البحيرة البالغ طولها ١٥ كيلومترا وفوق صفحة مياهها الصافية تتناثر الأبراج المجنحة والجسور المتعرجة والمواسق العجيبة والحدائق الساحرة والمعابد القديمة والمساجد العظيمة ، ويعتبر مسجدها المسجد الثاني في

الصين قاطبة . كما تمتاز هذه المدينة بطقسها البديع على مدار الفصول الأربعة . لقد حبا الله هذه المدينة بكل آيات الجمال فلا يرى السائر في ربوعها الا السحر الأخاذ والطبيعة الخلابة واجتمع فيها الماء والخضرة والوجه الحسن .

لذا ليس عجيبا أن يقال « فردوس الله في السماء وعلى الأرض جنة هانغتشو » . أما العرب أهل البلاغة والبيان فقد سحرهم جمالها وروعتها فقال أحد شعرائهم يصفها :

« في جنة الصين كم يستيقظ القلم
ويحسن النطق من أعياهم البكم
في وسط هانغتشو تظل النفس سابحة
والعقل بطرب والأفكار والهمم
ما هاجني في ربا هانغتشو سوى شغفي
بجنة كل ما فيها هو النعم » .

أجمل مقابرها :

تقع « مقابر الأباطرة الثلاث عشرة » في ضاحية بكين الشمالية الغربية على مسافة ٥٠ كيلومترا من قلب المدينة ، وهي نائمة بين أحضان الجبال الخضر التي تسلب الألباب مرتدية حلة من الديباج الأخضر . وتحتل مساحة المقابر ٤٠ كيلومترا مربعا ، دفن فيها ثلاثة عشر أمبراطورا من أسرة مينغ الملكية (عام ١٣٦٨ ـ ١٦٤٤ م) . وقد نصبت على جانبي مدخل المقابر الرئيسي ستة وثلاثون تمثالا ضخما منحوتا من الرخام و المرمر ، وتمثل الفيلة والجمال والخيول والأسود الى جانب الامراء والقادة لكي تظهر عظمة الأباطرة وجبروتهم حتى بعد موتهم .

وقد تم اكتشاف مقبرة آخر أمبراطور من الأباطرة الثلاثة عشر ودشنت للزوار في أكتوبر عام ١٩٥٩ . والمقبرة المفتوحة تضم قاعتي العرض اللتين تعرض فيها المحفورات الثمينة النادرة مثل تيجان الأمبراطور والأمبراطورة والملابس الأمبراطورية المطرزة الفاخرة والأواني الذهبية والفضية واليشمية . أما المقبرة التي تبلغ مساحتها ١١٩٥ مترا مربعا فقد دفن فيها الأمبراطور وزوجتاه معا .

أجمل حدائقها :

يعتبر القصر الصيفي الذي يقع على بعد ١٨ كم شمال غربي العاصمة بكين أجمل حديقة في الصين كلها . وتبلغ المساحة الاجمالية لهذه الحديقة ٢٩٠ هكتارا ، منها ٢٢٠ هكتارا مساحة البحيرة الرائعة الجمال وما تبقى مساحة القصور والصروح والسرايات والجواسق والأكشاك والأبراج والأروقة وغير ذلك من المعالم القديمة والآثار النادرة .

يرجع تاريخ القصر الصيفي الى أكثر من ٨٠٠ سنة . ولما كان هذا القصر مصيفا للأباطرة على مرور العصور لذا فانهم قد أولوه اهتماما فائقا مبذرين مبالغ خيالية في بنائه وتعميره . وعلى سبيل المثال فقد أنفقت الأمبراطورة الأرملة يهونالا عام ١٨٨٨ ٩٣٧٥٠٠ كيلوغرام من الفضة المخصصة لبناء الأسطول البحري واغاثة المنكوبين . ومن الطريف أنها أقامت سفينة من حجر المرمر على شاطيء البحيرة رمزا للأسطول الضائع بغية تهدئة سخط الجيش والشعب .

أجمل قصورها :

كان القصر الأمبراطوري قصرا أمبراطوريا للأسرتين الملكيتين الأخيرتين في الصين . وهو يقع في قلب مدينة بكين . ويعتبر هذا القصر أجمل وأعظم مجموعة من القصور القديمة ذات السقوف المجنحة حتى اليوم . وتاريخه يرجع الى أكثر من ٥٠٠ سنة ، ومساحته كلها تبلغ ٧٢ هكتارا وفيه أكثر من تسعة آلاف غرفة مفروشة لخليلات الأباطرة وجارياتهم الحسناوات . ويحيط بالقصر سور كبير ارتفاعه عشرة أمتار وقناة لحماية القصر يبلغ عرضها ٥٢ مترا . وقد باشر في هذا القصر أربعة وعشرون أمبراطورا سلطتهم المطلقة لمدة خمسمائة سنة . وجدير بالذكر أن القصر الأمبراطوري ما زال يحافظ على صورته الأصلية بصروحهاالفريدة وكنوزه المعروضة .

أجمل كهوفها وأنهارها :

يقع كهف المزمار العجيب في منطقة قويلين الواقعة في جنوب الصين الشرقي التي تتمتع بشهرة عظيمة لروعة قممها وصفاء مياهها وغرابة كهوفها وجمال صخورها . ويبلغ طول كهف المزمار ٥٠٠ متر ، ودرجة الحرارة فيه معتدلة صيفا وشتاء . وهذا الكهف ممتليء بالصخور الغريبة المسترسلة وبراعم البامبو الصخرية والأعمدة المبلورة الحجرية والستائر الشفافة والأزهار الزاهية الصخرية التي تشكل صورا مختلفة ملونة فتانة

أخاذة ، كأنه قصر فني طبيعي يتكون من أكوام من الأحجار الكريمة والمرمر والمرجان والزمرد .

ويجري في هذه المنطقة الدائمة الخضرة « نهر لي » ، وهو أجمل أنهار الصين . اذ تنساب مياهه الصافية متعرجة لطيفة مترفة بين الجبال التي تناطح السحاب والأجرف الغريبة الخطيرة . ويصطف على ضفتي النهر عدد لا يحصى من القمم الشامخة الخلابة والسيول المتدفقة الضاحكة والصخور العجيبة النادرة والكهوف الأخاذة الساحرة .

أجمل جامعاتها :

جامعة بكين أعرق جامعات الصين وأجملها ، اذ يرجع تاريخها الى عام ١٨٩٨ . وهي أقرب الى حديقة منها الى جامعة . فأبراجها العالية ومبانيها العريقة التي بنيت على الطراز الصيني التقليدي تتناثر بين الأشجار والأعشاب والأزهار ، ودروبها المشجرة اللطيفة تقودك الى البحيرات الساحرة والتلال الهادئة . تبلغ مساحة الجامعة ١٤٥ هكتارا ومبانيها تضم كافة فروع التخصص العلمي . وتضم مكتبتها الكبيرة مليونين وثمانمائة ألف نسخة من الكتب القيمة . ويصل عدد طلابها الى أكثر من عشرة آلاف ، ويدرس فيها أيضا مئات من الطلبة الأجانب الوافدين من القارات الخمس .

أجمل نسائها :

تروى السجلات التاريخية الصينية أن أجمل فتاة صينية هي « سي شه » التي عاشت أيام الدويلات المتحاربة قبل الميلاد . وهي ابنة حطاب كان يعيش في قرية نائية ، وقد عرفت بجمالها الساحر وحسنها الصارخ وقد وصفها أحد الشعراء الصينيين قائلا انها كانت « اذا أطلت الى الماء أغاصت الأسماك ، واذا نظرت الى السماء أسقطت الأطيار ، واذا بدت في الليل أخجلت البدر ، واذا ظهرت في النهار أذبلت الورود » وفي عام ٤٨٨ قبل الميلاد وقع عليها اختيار أمير الدويلة التي عاشت فيها سي شه ، لارسالها خليلة الى أمير الدويلة المجاورة القوية بغية اغرائه وصرفه عن شؤون الدولة والجيش حتى يتمكن منه ويأخذ ثأره . وقد وضعها أميرها قبل ارسالها فوق القصر الأحمر المكشوف لمدة ثلاثة أيام ، فتدفق الناس من كل حدب وصوب لالقاء نظرة عليها بعد دفع قطعة من الذهب ثمنا لهذه النظرة . فجمع منهم الأمير مبلغا هائلا لميزانيته العسكرية ثم بعث بها هدية الى الأمير الثاني ، وقد كانت سي شه رائعة الفتنة والدلال ، تعرف كيف تستخدم جمالها الفتاك وسحرها المخدر ، لذا سرعان ما وقع الأمير الثاني في حبائلها ضاربا شؤون دولته وجيشه عرض الحائط . ولم يستيقظ من لذة خمر الفتنة والسحر الا في الوقت الذي اقتحم فيه جيش الأمير الأول قصره !

بكين ـ خان جا شيه

● خرج أحد علماء الفلك مع شيخ تقي جليل فأفاض هذا في وصف ما يتراءى له عن طريق التلسكوب ، فقال : ان عجائب الفلك تتضح لنا عن طريق هذا المرقب .. وحين انتهى العالم الفلكي من كلامه التفت اليه الشيخ التقي وقال : انتم يا معشر العلماء ترون النجوم قليلة بيد اننا نرى ببصيرتنا ربنا ورب هذه النجوم .

● خرج صبي يتنزه مع ابيه بين الزرع في وقت الحصاد فرأى سنابل القمح منخفضة الرأس بتواضع لا تتحرك لكنه راى بينها بعض السنابل مرفوعة الرأس بتشامخ وكبرياء ، فسأل اباه قائلا : لماذا هذه السنابل من بين رفيقاتها مرفوعة الرأس ؟

فقال ابوه : ان هذه السنابل المنخفضة الرأس مملوءة حبا فتنحني بثقلها واما هذه السنابل فرؤوسها فارغة ولذلك تراها مرتفعة !!!

الهناءة والهناء والتهنئة

بقلم : محمد خليفة التونسي

من الآداب الاسلامية تشميت العاطس و« التشميت » ان يقال له « يرحمك الله » او « يرحمكم الله » ولو كان واحدا ، كما يقال في تحية الواحد « السلام عليكم » وهو الاشيع ، او « السلام عليك » .

ومن آدابنا اليوم ان يقال للشارب ـ عقب الشرب غالبا ـ « هنيئا » او « هنيئا مريئا » وهكذا يقال للآكل ، وقد تقلب الهمزة ياء فتدغم في الياء قبلها فيقال « هنيًا مريًا » ، ونحن اليوم ادنى الى التخفف من الهمزة كما في لهجة قريش وبها كانوا يقرأون القرآن الكريم .

« وهنيئا مريئا » ، صفتان في الاصل اذ يقال « شراب هنيء مريء » ولكننا في عبارتنا « هنيئا مريئا » استعملنا هما مصدرين ، كلاهما مفعول مطلق منصوب على المصدرية ، فكأننا قلنا للشارب « هنأك الشرب او الشراب هناءة ، ومرأك مراءة » ، ويجوز ان نقول انهما صفتان على الاصل ، ولكنهما تنوبان عن المصدرين ، فيكون كل منهما منصوبا لنيابته عن مصدر (مفعول مطلق) فكأننا قلنا « اشرب شربا هنيئا مريئا » ثم حذفنا المصدر ، فصارت الجملة « اشرب هنيئا مريئا » ثم حذفنا الفعل ايضا ، لدلالة الكلمتين « هنيئا مريئا » على ما حذف ، وهو الفعل والمصدر ، و « حذف ما يعلم جائز » في الفصيحة وامثلته بالمئات .

و « الهنيء » ما يسوغ او يلذ تعاطيه من الماديات ، و « المريء » ما تحمد عاقبته عند تعاطيه ، ولكن كلتا الكلمتين قد تغني وحدها في الدلالة على هذين المعنيين معا ، اي ما يلذ تعاطيه ثم ينحدر في الجوف حتى يخرج منه دون تنغيص ولا عناء [1]

وقد تستعمل الكلمتان مجازا في غير الطعام والشراب ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم بشأن مهر الزوجات ، وتنازلهن عن بعضه (أو جميعه) لأزواجهن عن رضا « فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » اي سائغا حلالا فلا تبعة عليكم فيه .

وهكذا يقال مجازا ايضا « هنأني السفر ، او التفرج في المتاحف او التنزه عند الشاطيء او الاطلاع على الكتب والصور .. » كما يقال في ذلك « مرأني السفر ... » ايضا .

ولنا ان نعكس فنقول « هنأتُ السفر ... ومرأته ... » .

« وهنأ » بتثليث النون (فتحها وضمها وكسرها) و « مرأ » (بتثليث الراء ايضا) .

والمصدر « هناءة » و « مراءة » [2] والهنيء والهني كل ما يأتي بغير تعب ولا تبعة ، ومثلهما « المهنأ والمهنا » على وزن منهج وفي بعض الاحاديث ان رجلا سأل : ايجوز له تلبية المرابي اذا دعاه الى طعامه ، فاجيب « لك المهنأ وعليه الوزر » اي ان المرابي هو الذي يتحمل الذنب ، ولا تبعة على ملبي دعوته ، وفي حديث آخر عن اكل طعام العمال (الولاة) الظلمة « لك المهنأ وعليهم الوزر » والجمع المهانيء والمهاني « وهناه ومناه » ذكره

---

(١) المريء ايضا : عضو في الجوف هو رأس المعدة حتى الحلقوم .

(٢) « مرؤ » يأتي بمعنيين : معنى « ساغ » فيقال « مرُؤ الشراب مَرَامة » على وزن « كرُم كرامة » وبمعنى الانسانية فيقال « مرُؤ الرجل مروءة » على وزن « سهُل سهولة » « وصعب صعوبة » .

بالمهاني والاماني عن صدق او توهم [٣] .

و « استهنأ الرجل الشراب » طلبه هنيئا لنفسه او لغيره من الضيوف او الشيوخ والاطفال مثلا . ومصدر « هنأ » هو « هناءة » (كزرافة) و « هنأة » (كشجرة) و « هـنء » (كشيء) و « هـنء » (كدفء) واول الاربعة اشيعها استعمالا .

ومن هذا الجذر « هـ ن ء » تأتي كلمات بمعان أخرى لا تعدم صلة بينها وبين المعنى السابق يقال « هنأ الطفل » اي اكل دون شبع ، فهو « هانيء » ، والاطفال هنأي وهانئون . ويقال : « هنأ الرجل صديقه » اي اعطاه . فالعطاء متعة للصديق ، او بمعنى نصره أو اعانه او خدمه ، لان في النصر والمساعدة والخدمة متعة للصديق ولهذا تأتي « الهانيء » بمعنى المعطي والناصر والمعين والخادم .

وهذه المعاني مختلفة ولكنها متداخلة ، وكلها تسبب المتعة لمن يتلقاها (وقد تسببها لمن يقدمها) » والتهنئة » خلاف التعزية . يقال هنأه بالفوز تهنئة وتهنيئا . دعا له بالنعمة في فوزه ، وهكذا يقال في كل مناسبة سارة ، « وعزاه في حزنه تعزية » اذا دعا له بالصبر والتسلي وهكذا يقال في كل مناسبة محزنة . وجمع التهنئة (مصدرا) هو « التهاني » و « التهنئات » كقول المتنبي لكافور

انما التهنئات للاكفاء
ولمن يدني من البعداء

ومن الجذر « هنء » ايضا « الهناء » بوزن « وعاء » وهو « القطران » الذي تعالج به الابل من داء الجرب يقال « هنأ الراعي الابل » أي طلاها بالقطران ، فهو « هانيء »

وهذا المعنى يبدو جديدا ، ولكن الصلة بينه وبين المعاني السابقة تبدو واضحة للمتأمل ، فان البعير يشعر بأكال من اثر الجرب في جلده ، فاذا وضع عليه القطران احس براحة ومتعة بل انه يعمد احيانا الى جذوع الاشجار ونحوها ليحك بها مواضع الجرب ، فيشعر باللذة ولو نزف منه الدم ، وهكذا كل حي حين يحس بالأكال في جلده فيحك موضعه فيستريح [٤] .

وقد قلنا ان « هناءة » من مصادر « هنأ » ولكننا نستعمل في الدارجة اليوم المصدر « هناء » (بوزن صفاء) ـ اكثر مما نستعمل « هناءة » ونسمي بناتنا احيانا « هناء » وبعض اللغويين المعاصرين يرى ان استعمال هذا المصدر « هناء » خطأ ، بحجة انه لم يأت في « المعاجم الموثوقة » .

اما نحن فنتسامح في ذلك لامرين :

اولها ان الكلمة قديمة الاستعمال عند الشعراء منذ قرون ، فان سبط بن التعاويذي من شعراء القرن السادس يقول مادحا للمستضيء بالله (احد ملوك العباسيين) :

انت أعلى من ان تهنيك قدرا
لليالي ـ اذا سلمت ـ الهناء

ويقول الشاعر ابن نباتة المصري من شعراء القرن الثامن (ت ٧٦٨ هـ) معزيا السلطان الافضل في وفاة ابيه السلطان المؤيد ، ومهنئا له باستخلافه في السلطنة بعده :

هناء محا ذاك العزاء المقدما
فما عبس المحزون حتى تبسما

والامر الثاني ان المصادر على فعال وفعالة معا من جذر واحد ـ كثيرة في العربية وهي تعد بالعشرات ، مثل : بذاء وبذاءة ، براء وبراءة ، جلال وجلالة ، رفاه ورفاهة ، سخاء وسخاوة ، سراء وسراوة (بمعنى السيادة) ، سفاه وسفاهة ، سماح وسماحة ، شقاء وشقاوة ، ضلال وضلالة ، لجاج ولجاجة ، نقاء ونقاوة .

ولسنا نقول ان هذا مطرد في المصادر من هذا الوزن ولكن كثرة امثلته وقدم استعمال « الهناء » مصدرا كالهناءة يحملان على التسامح فيه . ■■

---

(٣) قد يكون الطعام او الشراب وغيرهما غير هنيء في ذاته ، ولكن الضرورة او الحاجة تجعله مقبولا كحالة الجوع والعطش او الفقر ، لان الجوع والعطش والفقر قاهر ، ومثله نوازع الشر في الانسان تدفعه الى ارتكاب الجرائم والتعرض للمهالك متلذذا بذلك ومثل ذلك « الساديون » الذي يتلذذون لآفة في نفوسهم بتعذيب الآخرين . ومن حكم فيلسوفنا الفارابي في هذا الصدد : « لا تطلبوا من الاشياء ما أحببتموه ، ولكن أحبوا منها ما هي مجبوبة في نفسها »

(٤) هناك نوع من الناس ـ لآفة في نفوسهم ـ يتلذذون بأن يعذبهم الآخرون ، وهذا النوع يسمى « المازوكيين »

عندما يرقص





« طبق حنه ـ طبق ماش » صورة من صور الماضي لا تزال الصغيرات تمارسنها حاضرا

الرقص والغناء الشعبي الكويتي فن اصيل متوارث عبر الاجيال يحفظه الكبار ويتعلمه الصغار

أطفال الكويت

استطلاع : دينا العيسى

تصوير : اوسكار متري



ليس صحيحا ان رقصات الاطفال والعابهم هي مجرد عبث صغار بغير معنى او قيمة . وانما الصحيح والمؤكد ان رقصات الاطفال هي لوحات ترسم الواقع وتعبر عنه ، ببراءة وتلقائية تفوقان ـ ربما ـ مختلف فنون الكبار .

واذا كانت هناك شبهة الاحتراف والافتعال قائمة في عالم الكبار ، فانها ابعد ما تكون عن عالم الصغار .

فهناك جملة من المؤثرات والمتغيرات التي تطبع حياة الناس بطابع معين يميزهم من غيرهم . فالعامل التاريخي له اثر بارز على عادات وتقاليد الناس واحيانا على الازياء الشعبية ، ثم هو ينطبع حتى على قسمات الوجه ، لما لأثر الاختلاط بالاجناس والهجرة والحروب واوقات السلم والازدهار الاقتصادي من اثر كبير على هيئة السكان .

وكذلك العامل البيئي وطبيعة وتضاريس ومناخ اي بقعة في وطننا الكبير تنعكس بشكل مباشر على طبائع الافراد ومسالكهم . وبشكل غير مباشر على حرفهم ومهنهم ، ولعله لا يخطر في بال احد ان الالعاب الشعبية تكون نتاج جملة من المؤثرات من تاريخية وبيئية وجغرافية وحضارية ، تتمازج وتتداخل ، لتعطي كل شعب من شعوب الارض صبغة ولونا اجتماعيا مميزا ، وتكون تلك الصبغة هي اساس شكل كل مجتمع ومضمونه .

ومع تقدم المدنية وتطور الحضارة تتدخل عوامل تغير كثيرة لتترك اثرا كبيرا على حياة الشعوب ، فمع تطور الصناعات الاميركية واليابانية والسويدية تغيرت وجوه النشاط بما فيها العاب الاطفال . فقديما كانت العاب الاطفال تعتمد على القوة الجسدية بنسبة كبيرة . غير اننا نجد اطفالنا اليوم يلعبون ويلهون بلعب عصرية مبتكرة من قطارات وسيارات واجهزة اليكترونية ومعدات تعتمد على البطاريات والكهرباء ، وهنا يدخل عامل المخترعات والمبتكرات وعناصر تطور الطاقة عوامل ذات تأثير غير مباشر ، فتنعكس على لعب الاطفال .

وكل هذه المظاهر تجعلنا نحن دوما للقاء الماضي . ومن هنا سندخل في سلسلة من العاب الماضي الشعبية التي عرفها اطفال الكويت .

من العاب الأطفال

اولا ـ البروي

(لفظة البروي عندنا تطلق على ادوات الالعاب والزينة ونحوها التي تجمعها البنات ليلعبن بها .) هكذا عرف الاستاذ سيف مرزوق الشملان لعبة البروي وهذه اللعبة من العاب البنات الصغيرات فقديما كان مجتمع الكويت يتكون من مجموعة أسر وكانت طبيعة الاسرة الكويتية تنعكس على العاب الاطفال فكانت مجموعة البنات يلعبن لعبة البروي فتقوم احداهن بتمثيل دور الام والاخرى تتقمص شخصية الاب وتتخيل الام دورها بانها هي التي تطبخ الطعام وتنظف البيت ويتخيلن انهن يشربن الشاي ويقمن بصنع عرائس (دمى) صغيرة الحجم ويمثلنها على اساس انهن اطفال الاسرة الحقيقية .

في الماضي كانت أدوات هذه اللعبة تتكون من أشياء تجمعها الصغيرات مما حولهن في البر والبحر فمن البحر مثلا القشي (مثل القلين الابيض) ويحفرن عليه العينين والانف والفم وتكون تلك هي العروسة او (الدمية) ويلصقن عليها الورق وقصاصات القماش ، ثم مع تطور العصر ظهرت كل ادوات البروي من فناجين الشاي الملونة والعرائس المطاطية وغيرها والملابس الجاهزة ، حتى فرن المطبخ الذي كان عبارة عن اعواد خشبية قديما تجمعها الصغيرات وبتخيلنها نارا حقيقية لطهي الطعام ـ تطورت الى فرن حديث من البلاستيك او الخشب المدهون ، وكن يتخيلن وليمة غداء او عشاء ويضعن المائدة ويستقبلن الضيوف والزوار .

ثانيا ـ لعبة « خروف مسلسل هدوه [١] »

هذه لعبة من العاب الصبيان ، إذ يجتمعون ويقوم احدهم بتمثيل دور الخروف ويمسك أحدهم رجله ، ويصيح قائلا :

ـ خروف امسلسل
+ فترد الجماعة عليه : هدوه
ـ تراه ياكم [٢]
+ هدوه
-خرب غداكم
+ هدوه
ـ في ريلة قراحة [٣]
+ هدوه
ـ كبر البراحة [٤]
+ هدوه
ـ تراه ياكم

وهنا يفلت الصبي الذي يمثل خروفا من يد راعيه ، ويجري ليمسك باحد من الجماعة ، وعندما ينجح في الامساك باحدهم تتكرر اللعبة ويقوم الممسوك بدور الخروف . وهكذا .

ثالثا ـ (لعبة أنا الذيب باكلكم انا امكم بحميكم) .

هذه لعبة من العاب البنات ـ تقف البنات صفا في مقدمته الأم وتجلس خلفها العروس ، وتقف بنت اخرى في مواجهة الام وبناتها وتمثل تلك البنت الواقفة في مواجهة الام دور الذئب ، وتبدأ اللعبة بحركة من الذئب قائلا : ضاعت اسكيكيني [٥] فترد الام : يا عيار يا مكار دورها .

الذئب : لقيتها ، ثم يهجم على الصف رافعا يديه وهو يقول انا الذيب باكلكم .

الام : انا امكم بحميكم .

الذئب : شاش الذيب على الطليان .

الام : يا ويلكم ، يا العيال

واحيانا تتبعها بجملتين او اكثر وتقول : ملعون طشطش [٦] خرزي ليش تبوق [٧] ولدي .

ثم تتراكض الصغيرات ، ويلحقهن الذئب ، ليصطاد الواحدة تلو الاخرى بعد كل حوار مثل الذي دار اول مرة ، الى ان تبقى العروس وهي الجالسة خلف الام ، ثم تقوم الام بإخفائها وتدعي بأنها ذاهبة لشراء بعض الحاجيات من السوق حينئذ تبدأ الاخريات مرحلةالبحث عن العروس الى ان يجدنها ويقمن باخفائها وبعد عودة الام من السوق لا تجد عروسها فتسأل البنات :

وين العروس ؟

البنات : راحت البصرة (مثلا)

تدور الام وهي تبحث : البصرة البصرة ما لقيتها .

وتعيد السؤال : وين العروس ؟

البنات : راحت بيروت

الام : بيروت ، بيروت ، بيروت .

ويستمر البحث من بلد لبلد في كل سؤال وجواب الى

---

(١) هدوه كلمة عامية بمعنى أطلقوه .

(٢) تراه ياكم اي جاءكم . وأهل الكويت ينطقون الجيم ياء في كثير من الكلمات ، وهي لهجة بعض قبائل العرب منذ الجاهلية ، ومن أمثلتها قول أحد شعرائهم في مخاطبة شجرات

فإن لم يكن فيكن ظل ولا جنى ... فأبعدكن الله من شيرات

وشيرات : هي شجرات .

(٣) قراحة بمعنى في رجله دمل او ميكروب ، و« ريله » هي « رجله » .

(٤) البراحة بمعنى الساحة الترابية الفسيحة وهي كلمة عامية ، وعربيتها « البراح » .

(٥) اسكيكيني : تصغير سكين .

(٦) طشطش : انتثر وتناثر والمقصود بها تناثر اطفال الام مثل تناثر حبات الخرز .

(٧) تبوق : كلمة عامية بمعنى « تسرق » يقال في العامية « باقه ، بيوقه » أي سرقه ، يسرقه .



من العاب الصبيان « خروف مسلسل هدوه » .. (الصورة الى اعلا) ... « انا الذيب باكلكم انا امكم بحميكم »
وتظهر العروس جالسة خلف الام محتمية من الذئب .. (الى اليسار أعلا ..) خكن خكوه وتردد الصغيرات بقية
العبارات ويقفزن بكل مرح وبراءة . (إلى اسفل) .. البروي المتحضر على العشب الاخضر والأواني والدمي المصنعة
في اكبر المصانع بدلا من الدمي التي كانت تصنعها الصغيرات قديما . (الى اليسار اسفل)







ان تجد العروس وتنتهي اللعبة .

رابعا ـ لعبة احنا بنات احمد ، تلاقينا

هذه لعبة قديمة وخفيفة وتعتبر من العاب البنات الصغيرات وتكون على شكل صفين متقابلين من البنات وفي كلا الصفين تقف كل طفلة بمحاذاة الاخرى واضعة كفها على كتف زميلتها ثم تبدأ اللعبة بخطوات للامام وللخلف وحالما يعود الفريق الاول للخلف يتقدم الفريق المقابل للامام وفي البداية يردد الفريقان هذه الابيات :

احنا بنات احمد ، تلاقينا (٨)
والشمع والبارود في ايدينا
كلينا حلوه دبق ايدينا (٩)



الغناء الشعبي يردده الكبار ويحفظه الصغار ، ويدخل الرقص الشعبي الكويتي ضمن انواع التسلية التي يمارسها الاطفال .

ويكررن القول ثم يتقدم الفريق الاول بخطوات للامام في مقابلة الفريق الثاني ويرددن :

حنا جيناكم

ويرجعن بخطوات للوراء ليتقدم الفريق الثاني للامام ويرددن حي من جانا .

وبنفس الحركة يردد الفريق الاول :

فرشوا الزوالي (١٠)

فيجيب الفريق الثاني : ما فرشناهم

الاول : حطوا المطارح

الثاني : ما حطيناهم .

وهكذا حتى تتعب الفتيات الصغيرات وتنتهي اللعبة .

خامسا ـ لعبة (تنتني ، طف اسراجك والحقني)

لعبة من العاب الصبيان فعندما يجتمعون يقوم رئيسهم بربط غترهم (١١) كل طرف غترة بالاخرى ويمسك كل واحد منهم الطرف الاخر لغترته ، ويكون الطرف الاخر مربوطا مع غتر البقية ثم يرددون « تنتني ، طف اسراجك والحقني » وبحركة جماعية يحاول كل واحد فك غترته من بين البقية ، والاول هو من يستطيع تخليص غترته ويفكها ، ثم يبدأ بعدها بضرب الاولاد بغترته محاولا تعطيلهم عن فك غترهم ويقوم بمطاردتهم ليصعب عليهم عملية فك الغتر ، وآخر واحد أو آخر اثنين هما اللذان يتعرضان للسخرية والتهكم ومضايقة الآخرين . وهكذا تنتهي اللعبة .

سادسا ـ لعبة (خكن خكوه)

من الملاحظ ان كثيرا من الالعاب الشعبية الكويتية تقترن بترديد كلمات او ابيات عامية . ففي اثناء اللعب يردد الاطفال عبارات موزونة او مسجوعة ومن هذه الالعاب التي تقترن باغنية وتعبيرات عامية هي لعبة « خكن خكوه » وهي لعبة سهلة تلعبها البنات فيجلسن على الارض القرفصاء ، ويقفزن قفزات رشيقة وهن يرددن هذا القول خكن خكوه ، سلط على مكوه ، وبنت عمها عرشوه .



من العاب الصبيان القديمة (تنتني طف إسراجك والحقني) ،
لعبة قديمة تحتاج لخفة الحركة والقدرة على الجري السريع .

وهناك ايضا لعبة من الالعاب السهلة والمعروفة تلعبها البنات او الصبيان احيانا : شخصان يتلاصقان بالظهر وكل واحد يمسك بيد الاخر وينحني للامام ليرفع الآخر على ظهره ويرددون طبق حنه [١٢] طبق ماش . اي ان احدهم يقول طبق حنة ويرفع على ظهره رفيقه ، ثم يأتي دور الاخر ويقول طبق ماش ويرفع بدوره الاول وهكذا تتكرر اللعبة .

سابعا ـ أم الغيث

هناك رقصة شعبية تمارسها البنات الصغيرات من باب التسلية والدعاء لله سبحانه ، وهذه الرقصة هي رقصة أم الغيث فيحدث احيانا ان يتأخر نزول المطر فتخرج البنات ويدرن في الشارع وهن يصفقن حاملات ما يشبه خيال الزرع ويكون على شكل عصاة يثبت بها من أعلى صورة كبيرة تسميها البنات « كردية » وهذه هي أم الغيث ثم تردد البنات هذا القول :

ام الغيث غيثينا

بلي ابشيت راعينا
خلي اعشيبتنا تنبت
يرعاها إطليينا

ويتكرار هذا القول يصفقن ويرقصن ويطفن على البيوت وكل بيت يعطيهن اي شيء أرزا ، او دهنا ، او نقودا .

ثامنا ـ الحيلة

اي الحجلة وحجل في اللغة العربية تعني أن يرفع الانسان رجلا ، ويسير وثبا على الاخرى وباللهجة العامية في الكويت تلفظ الجيم ياء ، احيانا و « الحيلة » لعبة قديمة معروفة عالميا يلعبها الاطفال والشباب ، ذكورا واناثا وان كانت في بلادنا يلعبها البنات غالبا ولهذه اللعبة قواعدها الاساسية وان اختلفت اشكالها من

(٨) احنا : كلمة عامية بمعنى نحن .
(٩) أي أكلنا حلوى فصارت أيدينا لزجة .
(١٠) الزوالي : السجاد ، والمفردة : زولية .
(١١) غترة : الكوفية التي على الرأس . وجمعها غتر ، على وزن : حزمة ، وحزم .
(١٢) حنه : أي الحناء .





الحجل او (الحيلة) من الالعاب العالمية المعروفة في كل مكان . وقد اصبح من النادر رؤيتها حاضرا .
(الى اعلا)

لعبة البنات المفضلة للآن (طاق طاق طاقية) .
(الى اليسار اعلا)

« ام الغيث غيثينا » دعاء لله سبحانه بنزول المطر . وقديما كانت البنات الصغيرات يقمن بهذه الحركات ويرددن الدعوات على العموم هذه صورة من صور الماضي المندثر ، فهل نحافظ عليها ؟ ...
(الى اليسار)





بلد لآخر. وهناك خاصية هامة في هذه اللعبة وهي ان بالامكان ان يلعبها اي عدد من اللاعبين سواء كان الرقم زوجيا ام فرديا. ابتداء من لاعبين اثنين الى اي عدد آخر.

في المرحلة الاولى يرسم مستطيل كبير على الارض ويقسم هذا المستطيل الى ثمانية مربعات وقديما كانت بنات الحي يرسمن هذا المستطيل على التراب مباشرة وتطور الحال الى استخدام الفحم في رسم المستطيل على الارض المبلطة وتستخدم « الربازة » [١٣] اما بطريقة « الدز » اي دفع الربازة بمقدمة القدم للامام او بطريقة الشيل وهنا تحذف الربازة في المربع الاول وتبدأ عملية الحجل برفع الربازة من على الارض والحجل من مربع لآخر وهكذا تستمر اللعبة كل لاعبة تلعب دورها الى ان تخطىء. ويأتي دور التي بعدها وعندما تنتهي احداهن من مرحلة الحجل مرورا على كل مربع ابتداء من عملية رمي الربازة في المربع الاول وانتهاء رميها في المربع الثامن. وفي كل رمية لابد من ان تكمل دورة المربعات الثمانية وهكذا الى ان تدخل اللاعبة في المرحلة الثانية من اللعبة وهي مرحلة القل [١٤] وهنا تقف الفتاة معطية ظهرها للمستطيل وترفع يدها ملقية حصاة صغيرة تكون في يدها. والمربع الذي تستقر فيه الحصاة يكون ملكا لها وتسميه بيتها. وهذا يحدث اذا كانت الحصاة قد وقعت في احد المربعات الثمانية اما اذا وقعت خارج المستطيل او على « الشيش » [١٥] فتكون قد أخطأت ويأتي دور التي بعدها وهكذا ايضا تستمر اللعبة ويبقى التنافس بين كل لاعبة على اساس القدرة على امتلاك اكبر عدد من البيوت.

ولقد دخلت كثير من الاضافات على هذه اللعبة الا اننا الان نادرا ما نجد اطفالا يمارسون هذه اللعبة فالمدينة قد حولت الساحات الترابية الى ساحات خضراء حديثا...

تاسعا ـ الثعلب فات فات

هذه ايضا لعبة من العاب البنات حيث يجلسن بشكل دائري وتقوم احداهن وهي ممسكة بشيء متفق عليه وتلف حول الدائرة ويردد الجميع عبارات موسيقية مثل « طاق طاقية. رن رن يا جرس » و« الثعلب فات فات في ايده سبع لفات... ثم ترمي بالشيء المتفق عليه خلف احدى الجالسات ويكررن العبارات الى ان تكتشف الاخيرة ما خلفها فتهب وتجري خلف الاولى التي كانت ممسكة بذلك الشيء وتحاول ان تمسك بها وقد تنجح الاولى في الافلات منها وتجلس مكانها او ربما تنجح الاخيرة بالامساك بها وهكذا تتكرر اللعبة.

واخيرا هذه مجرد صور من الماضي نكاد نفقدها اليوم فليتنا نستطيع الحفاظ على تراثنا. ■■

دينا العيسى

---

(١٣) الربازة: كلمة عامية تعني قطعة من الحجر مربعة او مستطيلة الشكل.

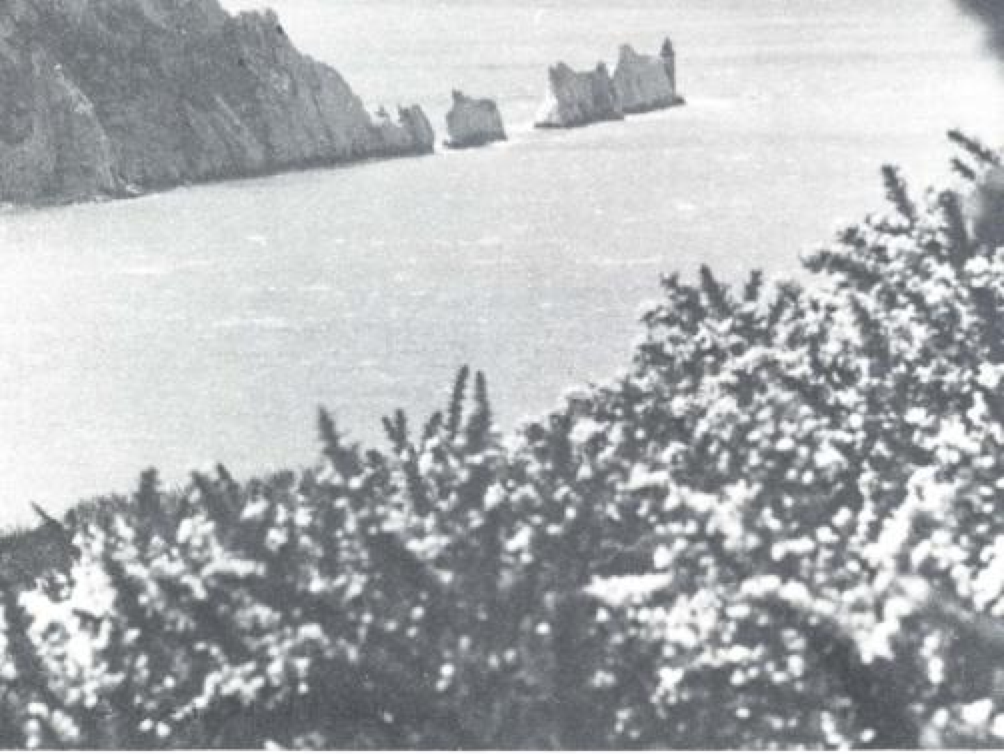
(١٤) القل: كلمة عامية تعني رمي حصوة او اي شيء في اي مكان.

(١٥) كلمة عامية بمعنى الخط الفاصل بين كل مربعين.

ما الحياة ؟

كل انسان يجب ان يحقق شيئا ما وحده.. شيئا يعطيه الاحساس بانه قد اصبح فنانا في هذا المجال كأن يكتب، او يطير، او يغني، او يرسم، او يخبز رغيفا طيبا، او ينظف شارعا، او يزرع شجرة،.. فهذا الاحساس هو الذي يملأه بالشعور بأنه حي، ويجعله يستمتع بالحياة.

« اديسون »



جزيرة وايت الانجليزية

زمردة الله وسط بحر!

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

هي جزء من بريطانيا ، وما هي بجزء ، لانها جزيرة ولانها شبه مستقلة [1] ، وهي أقرب بعاداتها ، وتقاليدها ، ونمط حياتها ، الى القارة الاوربية منها الى انكلترة .

أهي زمردة سقطت من السماء فاستقرت على مقربة من الساحل الجنوبي لانكلترة ؟ ام هي جنة الله ؟. هذه الكتلة الجبلية التي لا تربط اطرافها السكك الحديد ، فقد اقتلعت منها اقتلاعا ، وانما سلسلة من الطرق العصرية الممتازة .

(١) عاصمتها نيوبورت Newport وتقع عند مصب نهر « مدينة » Medina



سفينة حوامة تحمل ٥٨ راكبا وبوسعها ان تقطع المسافة بين البر الانكليزي وجزيرة وايت في سبع دقائق ، في حين ان البواخر تقطعها في خمس وعشرين دقيقة ، وتسافر عادة بين ساوث سي south sea وهي مدينة على ساحل انكلترة الجنوبي وبين ميناء رايد ryde قبالتها على جزيرة وايت

في « ربوة الله » gods hill القرية « الالعوبة » وهي قرية مصغرة على نمط « ماديورادام » بهولندة ، ولكن على مقياس اصغر وفوق مرتفع من الارض ، وهي اقل تنويعا ودونها تلوينا ، واذا كانت « ماديورادام » قطرا مصغرا فان « سميذى » the smithy كما تسمى قرية نموذجية اشبه بعالم ريفي مصغر ، مع ذلك فهي لاتخلو من جمال خاص وروعة !





التشاين : واد عميق ذو كهف كان يختبيء فيه المطاردون من قبل السلطات

لم يكن الرحيل من اكسفورد الى الساحل الجنوبي في منتصف السابعة صباحا الا حلما او شبه حلم لان بقايا النوم كانت لا تزال عالقة في اطراف الاجفان .

قصدتها وأنا لا اتوقع ان ارى فيها غير ما رأيته في كثير من الجزر التي قيض لي ان اشاهدها ، بل قصدتها وانا اميل الى العدول عنها الى مكان آخر سواها ، ولكن ما العمل وها أنا قد احتجزت مقعدي في سيارة فخمة تقصد الساحل الجنوبي ، لتقوم بجولة في الجزيرة وتعود في المساء .

قلت محدثا نفسي : يوم واحد من حياتي الى ضياع ، فيا أكثر ما اضعت من ايام ! وسأكون على اي حال بعيدا عن اكسفورد هذه المدينة التي لا تتحدث الا عن العلم ، والا عن مستحدثات الدراسات الاكاديمية .

في الطريق إلى الجزيرة

كانت المناظر ونحن نخترق مقاطعة همشاير HAMPSHIRE مزاجا من مدن صغيرة ، وقرى وحقول وأرياف ، على نحو ما تشهد عادة عندما تسافر بالسيارات العامة التي تتعمد اختراق مراكز المدن لتستزيد من الركاب ، لا ان تتحاشاها باتباع الطريق السلطانية خارجها ، توخيا للسرعة ، وتفاديا لعرقلة المواصلات التي تتسم بها ميادين المدن وشوارعها .

بعد مضي ساعتين ونصف الساعة ، كنا في ميناء سوثمبتون Southampton ، فتركنا الحافلة لنستقل الباخرة ، وكان فيها كل متطلبات الراحة ، رغم ان السفرة كانت قصيرة لم تتجاوز الخمس والعشرين دقيقة ، ولكن الباخرة لا تستطيع بلوغ ساحل الجزيرة تماما ، فتقف على مبعدة منه ، لذلك ابتدعوا وسيلة بارعة بادخال لسان الى البحر ، تنزلق عليه قاطرة تحمل ركاب البواخر القادمة من انكلترة ، فانزلقنا مع المنزلقين لنجد انفسنا في جزيرة « وايت » Wight .

وهكذا فالجسر الحديد داخل في البحر ، وفي نهايته محطة قطار يقطع ما تبقى من البحر وان شئت سرت مشيا على الاقدام ، او استقللت سيارتك الخاصة بعد اخذ اذن بالعبور قبل يوم .

الساحل مألوف كأكثر السواحل السياحية المعدة للمصطافين ، او بالاحرى « المخرفين » فقد كانت الرحلة في شهر الخريف او اواخر صيف جزيرة وايت ، لان صيفها يختلس من الخريف شطرا فهو اطول من صيف انكلترة المعتاد .

انها لا تختلف كثيرا عن برايتون Brighton الا بساحلها الرملي ، لان ساحل برايتون « حصبائي » ، فالمطاعم واماكن اللهو والمقاهي وحوانيت التحف والتذكارات هي هي ... متناثرة هنا وهناك ، ولكن مهلا هنا شيء جديد لم آلفه من قبل .

الى الحوامة

انه شيء ضخم أشبه بالسلحفاة الصناعية ، ذات القاعدة الرخوة المطاطية ، رابضة فوق الرمال ، ترى ما تكون ؟ تأملت مليا فأدركت انها « الهوفركرافت » السفينة البرمائية .. او الحوامة ... انها مألوفة عندي في مشاهد التلفزيون ، ولكنها المرة الاولى التي اشهدها فيها عيانا .

« متى تقلع ؟ » ـ سألت مديرة المحطة ، قالت : بعد دقائق . قلت هاتي اذن بطاقة سفر ، ولنقم بتجربة جديدة تضاف الى العديد من تجاربنا ، فلعلنا نضيف بعدا جديدا لابعاد الحياة التي لا تكاد تعد او تحصر .

وانتفخت اوداج « الحوامة » بقدرة قادر ، ومرقت كالسهم ، محدثة ضوضاء مزعجة ..... ناثرة المياه على سطح البحر يزيد راغ ، انها تطير ولا تطير وتسبح ولا تسبح ، ذلك لانها تسير فوق وسادة هوائية تصنعها بنفسها تلقائيا ، لتتمكن من هذا الضرب من الابحار المائي ـ الهوائي فتفوق البواخر الاعتيادية سرعة ، كانت مستديرة وكانت غاصة بالركاب .. قامت بجولة ترويحية لساعة ونصف الساعة ، لتعود بنا الى ميناء (رايد) Ryde فتستقر على الرمال .

كانت فترة لا تنسى من العمر .. اخذتني فيها النشوة الشعرية كل مأخذ فتناولت منديل ورق ذهبي اللون كان كل ما تيسر لدي في تلكم اللحظات ، ودونت الابيات التالية :

احببتها وهي فوق الرمل جاثية
« حوامة » ادهشت بالحسن رائيها
حتى اذا انتفخت اوداجها غضبا
ارتك من خلقها ما لم يكن فيها
غول اذا ما عدت ، طير اذا ارتفعت
حوت اذا مخرت في سيرها تيها
اعجوبة الدهر في لطف وفي غضب
جبارة حين يدعو الجد داعيها
وسادة تحتها في التو تصنعها
من الهواء كعرش .. عز تشبيها



« قلعة الله » في جزيرة وايت

فليس بسر ولا بسم برادعها
عن الحراك ، اذا هبت خوافيها
والحسن أجمع مخبوء بباطنها
فغادة ههنا .. قلبي يناغيها
والكل يرنو بشوق نحو طلعتها
فتبسم الشمس زهوا من مآقيها
تحدت البحر في سلطان زرقته
فراح يعجل بالازباد يخفيها
ترنح البحر بالامواج مزبدة
فأزبدت أكؤس دارت تضاهيها !
امضيت فيها سويعات مؤنقة
يا ليت كف النوى يوما ترينيها
ورائع الساع في صحو وفي حلم
نحيا بها العمر في ذكرى .. ستبقيها

عدنا الى جزيرة « وايت » .. فكان اول ما سألت المسئول عن مواصلاتنا من اكسفورد الى « وايت » : اذا كانت الحوامة بهذه السرعة فلم لم تأتوا بنا الى هنا في ظرف سبع دقائق بدلا من الخمس والعشرين دقيقة التي امضيناها في الباخرة ؟

فأجاب : لانها أبهظ اجرا ، ولان بعض الناس لا يحبونها ، اذ يشعرون كأنهم في سيارة (باص) غريبة الاطوار ، بل ان فريقا منهم يشعر بالدوار فيها ، على حين انهم لا يشعرون بشيء من ذلك في الباخرة المكيفة الذبذبات .

فاظهرت شيئا من الاقتناع ، وان لم يك الاقتناع كله ، واخذت سمتي الى السيارة العامة التي ستدور بنا في الجزيرة كلها .

جولة في الجزيرة

قد لا يصدق المرء حين اقول له : ان في هذه الجزيرة رمالا ذات الوان شتى متعددة ، كالوان القوس قزح ، ولجمالها رتبوها طبقات رقيقة في رأس شفاف لاقلام تذكارية يقتنيها السياح ، ليستعيدوا بها ذكريات هذه الجزيرة وهم يكتبون بطاقاتهم السياحية أو رسائلهم عبر البحار وبوسعك ان تعلم انني اقتنيت اكثر من قلم تذكاري من هذا النوع تحسبا لردود فعل المعجبين به .

أكانت الجزيرة صغيرة ، ام ان السائق كان بارعا بحيث سلك بنا اقصر السبل الى امتع بقاعها ، فطواها من ساحل الى ساحل في نصف نهار ؟ لقد كانت هذه الجزيرة في يوم من الايام مغطاة بشبكة من الخطوط الحديد . اما اليوم فليس فيها غير حطام محطة مهملة ، وجزء تذكاري من بقايا خطوطها الحديدية ، تذكر القادمين بتطور الطرق الممتازة في الجزيرة التي اصبحت خير عوض عن السكك الحديدية فيها .

دخلنا في اعماق الجزيرة فتبدى لي جليا صريحا أن من اراد الهدوء العصبي والصحة النفسية .

فيا عليه الا ان ينتبذ ناحية قصية منها في بعض فنادقها ، فقد كانت ، خلافا لما تجده في انكلترة ، ذات مفارقات وتلاوين ، فلا بقعة تشبه اخرى ... والتكرار الممل معدوم ، والتباين هو القاعدة !

ان مشاهد جزيرة « وايت » مزاج من منطقة البحيرات في شمال غربي انكلترة ولبنان ، وبعض بقاع هولندة ، ومع ذلك فكل شيء خاص بجزيرة وايت .. فهي نسيج وحدها ، وبالرغم من انتهاء موسم السياحة ، فقد كانت الاماكن غاصة بالسياح ، لان الكثيرين يحاولون تجنب موسم الازدحام فيحدثون نوعا جديدا من الازدحام في موسم خاص ... هو هذا الموسم الصيفي العجيب الذي يتغلغل في ثنايا الخريف .

ربوة الله

واخيرا جيء بنا الى « ربوة الله God,s Hill » ، الى مكان ظنناه لاول وهلة مجرد حديقة عامة قد الحق بها مطعم ، فتناولنا وجبة غذاء ثقيلة ، ممتعين ابصارنا بالمنظر الجبلي المنحدر صوب البحر امام الواجهة الزجاجية، وخرجنا من المطعم ، وكان لا يزال ثمة متسع من وقت ، وكانت الوجبة الثقيلة بحاجة الى رياضة سير لهضمها ، فيا احرانا بتجوال في هذه الحديقة الفسيحة ، فدخلناها وكان في واجهتها تمثالان غريبان لقرصانين من قراصنة البحر ، يحمل احدهما فانوسا بدائيا وعلى احدى عينيه رقعة سوداء على عادة بعض القراصنة ، ومضينا قدما ، فيا لله ! ما هذه ؟

انها بقعة جبلية مطلة على البحر احيلت الى عالم من الجان والحيتان الاصطناعية والأقزام ، واذا بهذا المكان يعرف بحديقة الاقزام الخرافية الحارسة لكنوز باطن الارض إنهم يسمونها « بالقرية النموذجية » MOdel Village وكان الاحرى ان تسمى « بالدنيا الاسطورية » او « قرى الجن » ويعلم الله انها تجسيد رائع لما ذكره الاستاذ الكبير جعفر الخليلي في قصته الخالدة : « في قرى الجن » قبل نيف وثلاثين عاما ، اكان القاص قد رأى هذه القرية ، فصورها في كتابه ؟ ام ان صانع هذا النموذج كان قد قرأ القصة ولفرط اعجابه بها صاغها مجسمة وكأنها قد قفزت لتوها من كتاب الخليلي ؟

اشك ان يكون الخليلي قد زار جزيرة « وايت » او ان المهندس المثال الذي صنع هذه الاعجوبة كان يحسن العربية ، ولكن خيال الانسان عندما يحلق عاليا لابد ان يلتقي مع سواه في ذروة واحدة ، مهما تباعدت الارجاء ، وتباينت الاجناس ، وليكن التعليل ما يكون ... ففي منتصف « مملكة الجان » هذه منظر فريد ، يعز نظيره في كثير من بقاع العالم ، ذلك هو المنحدر العميق الضيق بين جبلين ، وفي قعره البحر الازرق المائل الى الخضرة ، وقد زان حواقيه الزبد الابيض الناصع .. منظر تباهي به جزيرة « وايت » كثيرا من الجزر وتجده في العديد من الصور الملونة والبطاقات البريدية ، ولا سيما عندما تضاء ليلا ، فتصبح مشهدا اسطوريا خارقا ، وتعرف هذه الهوة الفريدة بالـ « تشاين » Chine (٢) فلا بدع اذا ما وقفت امام هذا المنظر الفريد وانطلق شيطان شعري يرتل على غير وعي مني :

في (شنكلين) رأيت كل عجيبة ... وسمعت من غور المياه انينا
أ (تشين) ، يا غارا تحدر مرعبا ... وسط الخبج ، فكان فيه كمينا
الناثرون على اختلاف عصورهم ... جاءوا فضمهم اليه سنينا
جل الاله ، وجل فيك صنيعه ... إذ أبدعت ألواحه تلوينا

مدينة الأقزام

وعدت كرة اخرى الى « مدينة الاقزام » .. عن طريق اشبه ما يكون بالمتاهة الاصطناعية ، فهناك حيطان خضراء نباتية ، قصت بأشكال هندسية عجيبة على هيئة دروب ، فمن دخلها احتاج الى دماغ الكتروني « للخروج منها ، وبعد اللتيا والتي ، وارتكاب العديد من الاخطاء استطعت ان اجد المخرج ، ولم يكن حظ سواي بأفضل من حظي ، فكنت كلما سألت عن سواء السبيل من مستطرق مثلي يواجهني بقوله : « لا ادري » .

خرجت وانا امسح العرق المتصبب من جبيني .. والقيت نظرة اخيرة على الاقزام في « مدينة الجان »

(٢) لفظة Chine في الانكليزية عجيبة فهي ضيقة الاستعمال ضيق مؤداها فهي تعني الوادي الجبلي الصغير الضيق الشديد الانحدار والعميق جدا ، ولا ينطبق هذا التعريف الا على موضعين احدهما في جزيرة « وايت » والآخر في « دورسيت » Dorset بانكلترة ، ولا ثالث لهما !

وقفزت الى ذهني (ما ديورادام) ، اتذكرون يوم حدثتكم عنها وقلت انها منقطعة النظير ؟ لقد كنت صادقا فيا قلت ، ولكن ههنا شيء آخر . لا اقول انه شبيه بما ديورادام ، ولكنه لا يقل عنها روعة في معناه الخاص الذي قصدت اليه .

وقبل ان اخرج حانت مني التفاتة الى الممر الذي يصل « قرية الانس » بقرية الجان فرأيت هيكلا عظميا لحيوان هائل منقرض ، معلقا في السقف ، وتحته كرسي يعرف بكرسي الاماني « تجلس عليه وتضع قطعة نقد في شق بذراعه الايمن وتتمنى في سرك ما تشاء من أمنيات ... فلما سئلت « ماذا تمنيت ؟ » قلت : « تمنيت ان يعود هذا الوحش الهائل المعلق فوق رؤوسنا الى الحياة ، لتختم زيارتنا الرائعة لهذا المكان الخرافي ختاما اسطوريا فضحك من كان حولي ، وكانهم خشوا ان تستجاب دعوتي فحثوا الخطى على عجل ، ودلفوا الى سياراتهم من غير ان يلووا على شيء !

وتوغلنا في الجزيرة اكثر .. فكان هناك متحف آخر .. ما اكثر الاشياء التي يراها الانسان في جزيرة « وايت » مما لا يمكن للذاكرة ان تسقطها يوما في أعماق اللاوعي ، ففي زاوية رأيت مشهدا لن انساه ما حييت : منظر كوبرا وقد التفت حول ابن عرس مختفية ، ولكن هذا لم يشأ وهو في النزع الاخير الا ان يغرز اسنانه في عنق الافعى ، فيقضي عليها فياتا جميعا ، وحنطا على وضعهما هذا .. وهكذا انتقم ابن عرس لنفسه ، اذ ليس هناك من يأخذ بحقه في هذا العالم المحكوم بالقوة الا من ابدى صبرا وجلدا ، ولو في حالة احتضار !

آه ! ما اشد فرحتي امام منظر المظلوم منتقما من ظالمه ، حتى وان كان ذلك في آخر لحظة . هذا مشهد ان تعرض صوره في كل مكان ، ففيه عظة لكل جبار يعتقد ان لن يقدر عليه خصمه المستضعف المخذول !

من زوار الجزيرة

لا عجب اذن بعد كل الذي شهدناه ورأيناه ان تفتن بالجزيرة الملكة فكتوريا وقرينها الامير البرت فيبنيا لها قصرا ، هو قصر أوزبورن هاوس Osborne House سنة ١٨٤٥ المطل على خليج سولينت Solent الذي يفصل الجزيرة عن البر الانكليزي ، وكانت الجزيرة تذكر الامير البرت باروع ما في نابولي من مناظر ايطالية خلابة ، وفي هذا القصر توفيت الملكة فكتوريا ، ومما يجدر ذكره ان في القصر « قاعة هندية » صممها والد الشاعر الانكليزي روديارد كبلنغ Rudyard Kipling .

وقد اصبحت الجزيرة بعد بناء « قصل اوزبورن » الملكي ، محط انظار الساسة والزعماء والكتاب والادباء ، وقد قرن اسمها باسم مشاهير من امثال غاريبالدي ، وشارلي دكنز ، ولونجفلو ، وكيتس ، واللورد الفريد تينيسون Tennyson الذي بنى لنفسه هناك قصرا آوى اليه ثلاثين عاما وكتب فيه قصائده : « اينوخ اردن » و « اناشيد الملك » وقصيدته الرمزية (مود) التي اثارت جدلا طويلا بين مادحها وقادحها .

وعلى حين ان قصر الملكة فكتوريا قد اصبح اليوم متحفا للشعب ، فان قصر الشاعر تينسون غدا فندقا عصريا شهيرا .

ولئن رنت في اجواء غربي الجزيرة اصداء اشعار تنيسون ، فان اجواءها الشرقية ، وعلى الاخص « شانكلين » ، رددت الحان اعذب مقطوعات كيتس Keats .

وفي هذه الجزيرة كتب دكنز القسم الاعظم من كتابه « التوقعات العظيمة » Great Expectations وقضى فترات يتأمل جمالها الطبيعي الخلاب .

والسر في ان الكثيرين من الاقطاب والمشاهير جعلوها قبلة انظارهم لا يعود الى جمال الجزيرة وحده ولا الى تشييد الملكة فكتوريا قصرا ملكيا فيها ، بل الى سبب خطير آخر هو : ان الطبيب الشهير السر جيمس كلارك SirJames Clark زار فينتنور Vantnor سنة ١٨٣٠ ، واعلن ان جو الجزيرة خير علاج للعديد من الامراض ولا سيا السل ، وفي سنة ١٨٦٨ اقيم فيها مصح للمصدورين ، وقد رأيناه ورأينا المقبرة قبالته ، وبينهما شارع ، فاشار احد الظرفاء الى المستشفى قائلا : « من لم يجد شفاءه هنا ، وجده هناك » وأومأ بسبابته الى المقبرة وقد انتجع الجزيرة بحثا عن العافية كارل ماركس Karl Marx ونستن تشرشل في شبابه سنة ١٨٧٨ ... بين الكثيرين ممن انتجعوها في العصر الفكتوري .

وعندما خيم الظلام كنت قد عدت الى اكسفورد وجلست امام مكتبي مترددا في اختيار عنوان لمذكراتي التي سأدونها عن جزيرة وايت ، توقفت لحظة أمام عنوان « جنة الله .. في بحره » ثم ضربت عليه وكتبت : « زمردة الله في بحره » وطرحت القلم جانبا ، فاذا به يقهقه ضاحكا ويقول « انها كلاهما ... «جنة » وزمردة وسط بحر » . ■■

د . صفاء خلوصي



واسفل الناس لا يكون دون ان يتخذها ، وأرفع الناس لا يكون فوق ان يتخذها ـ الجاحظ

هواية الحمام عند العرب

بقلم : الدكتور كمال نشأت

حينما استتب الامر للعرب بعد غزوات كثيرة كما هو معروف ، مال بعض شبابهم الى شيء من اللهو البريء، فكان ان اولعوا بتربية الحمام . وهي هواية نجدها عند كثيرين من ابناء الامم الأخرى .

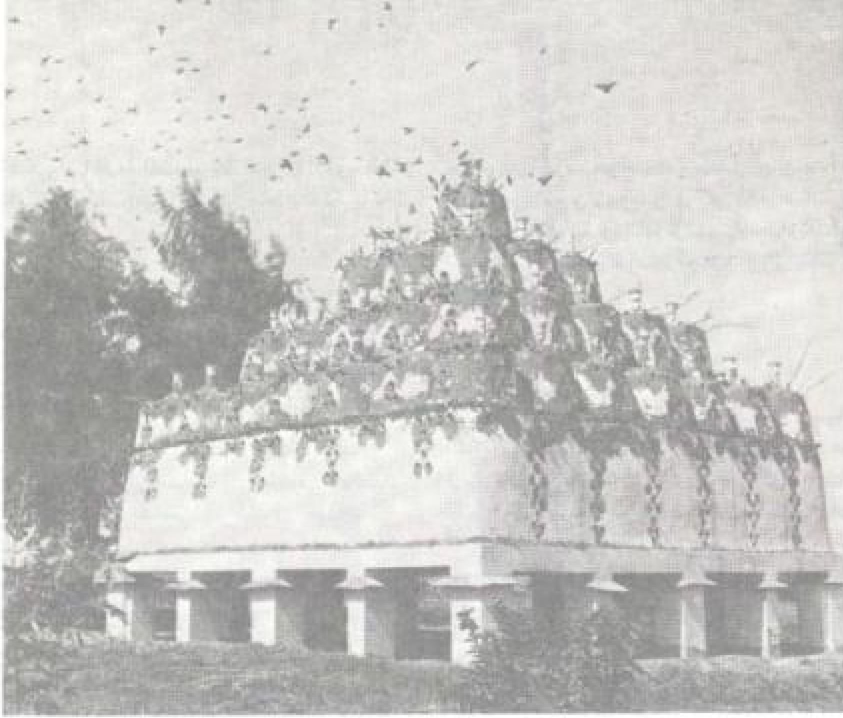
يذكر الدميري في كتابه « حياة الحيوان الكبرى » انواع الحمام (كما فعل الجاحظ من قبل) فيقول انه البري والذي يألف البيوت ، ومن انواعه الرواعب والمراعيش ، والعداد ، والسداد) والمضرب ، والقلاب (وهذا الاخير ينقلب اثناء طيرانه ، وهو موجود بكثرة لدى هواة تربية الحمام في الكويت ..) .

وقد انتشرت هذه الهواية ، واصبح لها عشاق كثيرون من الطبقات المختلفة ... يقول الجاحظ في كتابه « الحيوان » (واسفل الناس لا يكون دون ان يتخذها ، وارفع الناس لا يكون فوق ان يتخذها ، وهي تمشى بتخيرها ما بين الحجام الى الرجل الهمام ..) ويقول انه لا يمتنع الرجل الجليل ، ولا الفقيه ، ولا العدل من اتخاذ الحمام ، والمنافسة فيه ، والاخبار عنه والوصف لأثره ، والنعت لمشهوره حتى وجه اهل البصرة الى (بكار بن شبية البكراني) قاضي مصر ـ وكان في فضله وعقله ودينه وورعه ما لم يكن عليه قاض ـ بحمامات لهم مع ثقات ، وكتبوا اليه يسألونه ان يتولى ارسالها بنفسه .

ويروى ان الله تعالى امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار الذى لجأ اليه الرسول (ص) وصفيه وارسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار ، وان ذلك مما صد المشركين عنه (ص) وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين

ويروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي (ص) يوم فتحها فدعا لها بالبركة ، وروى ابن قانع والطبراني عن حبيب بن عبد الله بن ابي كبشة عن أبيه عن جده ان النبي (ص) كان يعجبه النظر الى الاترج والحمام الاحمر ، وكان في منزله (صلعم) حمام احمر يقال له « وردان » . ويذكرون ان عليا (رضي) شكا الى النبي « صلعم » الوحشة فقال له : اتخذ زوجا من حمام تؤنسك ، وتصيب من فراخها ، وتوقظك للصلاة بتغريدها .

وبعد ان كان اللعب بالحمام مكروها ايام عثمان بن عفان اصبح الخلفاء انفسهم من هواته ، فكان الخليفة المهدي وهارون الرشيد من المولعين به وبتطييره ،



وكذلك ابن المعتز وانتشرت الهواية حتى لعب به اعلم القوم واتقاهم على كبر برج الحمام الذي يربيه أو صغره وكانت هذه البروج تبني بـ (الساسان) وتخزن بها انواع الغلات ويخصص لخدمتها عدد من الخدم ، يتولى بعضهم اطعامها وتنظيف بيوتها ويتولى آخرون تدريبها ، يقول الجاحظ (ان احد الاغنياء كانت نفقته في الشهر زيادة عن مائة وخمسين دينارا عدا ما يحتاج اليه سطح الطيور وهو عشرون دينارا) .

أنساب الحمام

وقد صنفوا الحمام حسب انواعه وحسب المدينة او البلد الذي ينتمي اليه ، وقد سميت الكتب التي سجلت فيها أنسابه بـ (دواوين الحمام) ، وقد عرف علماء اهتموا بهذه الناحية ، ووصل الاهتمام بعراقة بعض انواعه ، وتسجيل انسابها ان (الهذيل المازني) وصف (مثنى بن زهير) وحفظه لانساب الحمام فقال : « والله إنه انسب من سعيد بن المسيب ، وقتادة بن دعامة للناس .. » .

وكان الخليفة الناصر لدين الله العباسي يهتم بـ (حمام البطاقة) ويسجل انسابها ، وكانت الحمامة من الانواع الراقية تباع بحوالى الف دينار . ويذكر الجاحظ ان بعض انواع الحمام كانت الواحدة منه تباع بخمسمائة دينار وتباع البيضة بخمسة دنانير والفرخ بعشرين دينارا ، وان ذلك كان مألوفا بالنسبة لسوق الطيور ببغداد او البصرة . ويبدو أن هواته قديما وحديثا يبذلون في سبيله الاموال الطائلة حسب قدراتهم ، من هنا جاء المثل الشعبي المصري (اللي معاه فلوس بتحيره ..... يجيب حمام ويطيره ..) و (الغاوي ينقط بطاقيته) .

وقد اثارت المسابقات بين الحمام جدلا بين الفقهاء ، ذلك ان الهواة كانوا يتراهنون فيما بينهم على اطلاق طيورهم من مسافات بعيدة فمن وصلت طيوره قبل طيور غيره فهو الرابح لذلك قال بعضهم ان هذه الهواية ما هي الا نوع من المقامرة يجب استنكارها وتحريمها . وقال آخرون وقد بلغوا شوطا بعيدا في كراهيتها ان شهادة الغاوي يجب ان ترد ، الا ان بعض الفقهاء جوزها على اعتبار ان تدريب الطيور يفيد في نقل الاخبار ، وانها يحتاج اليها في الحرب .

وقد فضل اهل بغداد الاناث من الحمام الزاجل على الذكور ، بعكس اهل البصرة الذين فضلوا الذكور على الاناث ، وحجة البغداديين ان الذكر اذا سافر وكان قد بعد عهده بانثاه ، ورأى انثى في سفره فانه قد يميل اليها ويترك مواصلة السفر ، وحجة البصريين ان الذكر احن الى بيته حيث انثاه ، وانه اشد طيرانا ، ويقول الدميري ان في مقدور الذكر ان يطير مسافة ثلاثة آلاف فرسخ في اليوم الواحد .

وقد كان الحمام من انفس الهدايا التي تقدم الى الخلفاء وعلية القوم . كما ان خير هدية كان يقدمها الخليفة الى احد الاعيان هي ان يقدم اليه حمامة بيده .

ويحكي ان الخليفة المعتصم بالله قدم الى النقيب الطاهر قطب الدين الحسين بن الافساسي حماما بيده تكريما له

حمام الزاجل

ويقول ابن حزم في كتابه (طوق الحمامة) ان العشاق كانوا يلجأون في مراسلاتهم الى الحمام وان العاشق كان يعقد كتابه الى حبيبته بجناح حمامة ، وفي ذلك يقول :

تخيرهـا نوح فما خاب ظنه | لديهـا وجـاءت نحـوه بالبشائر
سأودعهـا كتبـي اليك فهاكها | رسائـل تهـدى في قوادم طائر

والمعروف ان هذا النوع من الحمام الذي يحمل الرسائل هو النوع المسمى « الزاجل » ، فهـو اقـدر من غيره من انواع الحمام على الطيران لمسافات بعيدة ، وكانت الرسالة تكتب على ورق رقيق جدا ، وتوضع في قارورة من رقيق الذهب وتعلق تحت جناح الحمامة او في عنقها .

ويذكر الاستاذ (سعيد الديوه جي) في كتابه عن الفتوة ان اول من استعمل الحمام الزاجل هم اليونان ، ويقال ان رجلا من جزيرة (اوجين) كان يذهب الى أثينا ليشارك في الالعاب الأولمبية ، وذلك قبل الميلاد بنحـو ثمانية قرون ، فكان اذا انتصر في لعبة رياضية اطلق حمامة تحمل جزءا من غصن احمر اللون ليعرف اهله نبأ انتصاره . ولقـدرة الحمام الزاجل على قطع المسافـات البعيدة دون تعب استعملتـه الجماعـات السرية ، واستعمله القادة والوزراء من اجل تدبير المؤامرات بعيدا عن انظار الحكام كما اشار الى ذلك ابن الجوزي في كتابه « المنتظـم في تاريخ الملـوك والامـم » والجاحـظ في « الحيوان » ، وممن استخدمه الاتابكيون والفـاطميون الذين حكمـوا مصر فتـرة من الزمـن ، كما استخدمـه المعتصم في حروبه .

ومن الطرائف التي تحكي في هذا المجال والتي نقلها الاستاذ سعيد الديوه جي . في كتابه السابق الذكر قوله عن الحمام الزاجل (على انه قليلا ما كان يستعمل في نقل الاشياء الصغيرة ليوصلها الى الاماكن الاخرى ، وهذا مالم نعهد له مثيلا عند الأمم المتقدمة غير العرب ، فمن ذلك ان (العزيز) ثاني خلفاء الفاطميين بمصر ذكر لوزيره (يعقوب بن كلس) انـه ما رأى القراصيـة البعلبكية ، وانه يحب ان يراها . وكان بدمشق حمام من مصر ، وبمصر حمام من دمشق ، فكتب الوزير لوقته بطاقة يأمر فيها من هو تحت أمره بدمشق ان يجمع ما بها من الحمام المصري ، ويعلق في كل طائر حبات من القراصية البعلبكية ويرسلها الى مصر ففعل وبعد ايام حضرت تلك الحمائم بالقراصية فجمعها الوزير وذهب بها الى العزيز .

سباق الغاية

ويتحدث الاستاذ سعيد عما يسمى « سباق الغاية » وهو نفس السباق الدوري الذي يقيمه هواة تربية الحمام بالكويت ... يقول : (ويكون السباق لبلوغ الغاية بين المتراهنين ، وهم اصحاب الحمام المتسابق . فكانوا يرسلون حمامهم مع عدول اكفاء امناء الى احدى المدن ويعينون يوما لاطلاقها من تلك المدينة وكانوا قبل اطلاقها يكتبون ورقة بها تاريخ ووقت اطلاقها واسم صاحبها ويعلقونها في الحمام ، وفي الوقت المعين يخرج الناس الى اسطح دورهم ينتظرون قدوم الحمام ، فقد كان يشهد هذا السباق جمع غفير من الناس يتمتعون بالنظر اليها اذا ما اقبلت ، واذا ما سبقت طيور شخص ما ، فان الناس يهنئونه بهذا ، كما ان الشعراء ينظمون القصائد ، ويثنون على السابق ، وينوهون بذكر الخليفة وكونه الحامي الاكبر لهذه الالعاب ..

اما الحمام كرمز من الرموز الدالة على اشياء اخرى حينما يراه النائم في احلامه (تؤكد نظريات فرويد ان الاحلام تعتمد على الرموز) ، فقد اشار اليها الدميري بقوله « الحمام في المنام رسول امين ، او صديق صدوق ، او حبيب انيس ، وربما دلت رؤية الحمام على النوح والتعديد ، وربما دلت الحمامة في الرؤيا على امرأة مباركة حسناء عربية لا تبتغي ببعلها بدلا ، ومن قص جناح حمامة في المنام فقد حلف على زوجته ان لا تخرج من بيته ..) .

على ان الحمام ـ وقد اتخذ رمزا عالميا للسلام ـ ما زال الى الان يجد عشاق تربيته ، فقد رأينا له اسواقا تعقد في حي القلعة بالقاهرة ـ وفي سوق الغزل في بغداد ـ وفي « سوق الطيور » بالكويت مثلما كانت تعقد له اسواق في بغداد قديما ، تحدث عن احدها ابن الجوزي اما في مصر حاليا فهناك « جمعية هواة الحمام الزاجل » وتقع في شارع من اهم شوارع القاهرة . منذ سنتين نشرت جريدة (الاهرام) نبأ السباق الذي اقامه هواة تربية الحمام لقطع المسافة الطويلة بين اسوان والقاهرة ...

بغداد ـ د . كمال نشأت

قصة من موسكو :

ابن الجندي



للكاتب الروسي : جنكيز آيتماتوف

الترجمة : هاشم حمادي

للمرة الاولى رأى والده في السينما . لم يكن عمر الطفل اذ ذاك يزيد على الخامسة . حدث ذلك في الحظيرة البيضاء الكبيرة ، حيث تجز الخراف في كل عام . وحتى وقتنا هذا لا تزال تلك الحظيرة البيضاء الكبيرة المغطاة بشرائح الخشب تقوم قرب الطريق ، تحت الهضبة ، وراء المزرعة الحكومية .

كان قد جاء الى هنا مع امه : وكانت والدته جينجول ـ عاملة التلفون في مكتب بريد المزرعة ـ قد اعتادت في صيف كل عام ، وعندما يبدأ موسم الجز ، العمل في المركز . ومن أجل ذلك كانت تستخدم إجازتها السنوية والأيام الاضافية ، التي استحقتها بعملها الاضافي ليلا ونهارا امام لوحة التلفونات في موسم الزراعة وولادة الحملان . فتعمل هنا حتى آخر يوم الجز .

ولما كانت الاجور تدفع لكل قطعة فقد كان بالامكان ان تكسب بعض المال ، وكانت ، وهي ارملة الجندي ، بحاجة الى كل كوبيك [1] . صحيح ان أسرتها صغيرة ـ هي وولدها ـ ومع ذلك فهي اسرة على اي حال . هي بحاجة إلى جمع الأخشاب لاستخدامها في فصل الشتاء ، وعليها شراء الدقيق قبل أن يرتفع سعره وأن تشتري الثياب والأحذية وغير ذلك من الاشياء .

لم يكن ثمة أحد تترك الطفل معه في البيت ، ولذا فقد كانت تصحبه معها إلى العمل ، حيث كان يجري طوال اليوم ملطخ الثياب وهو في ذروة السعادة وسط عمال الجز والرعاة وكلابهم المشعثة .

كان أول من شاهد عربة عرض الافلام وهي تدخل بهو الحظيرة وأول من انطلق يزف هذا الخبر السعيد للجميع : السينما وصلت ، السينما . .

بدأ عرض الفيلم بعد العمل مباشرة وبعد أن حل الظلام ، وقبل ذلك كان يشعر بقسوة الانتظار ولكنه كوفيء على انتظاره القاسي ، فقد كان الفلم عن الحرب : وعلى الشاشة البيضاء التي علقت بين عمودين في نهاية الحظيرة بدأت المعركة ودوت الطلقات وانطلقت الصواريخ وهي تصفر فيتوهج الظلام الدامس . ويلتصق الكشافة بالارض ، وما يكاد وهجها يخبو حتى ينطلق الكشافة نحو الامام . وكانت المدافع تزمجر خلال الليل فيشعر الطفل بالرهبة

كانت تلك هي الحرب .

كان قد جلس مع والدته فوق بالات الصوف وراء الجميع حيث كانت الرؤية أفضل . صحيح أنه كان

يرغب في الجلوس في الصفوف الأمامية حيث جلس على الأرض قرب الشاشة أطفال المزرعة الحكومية . وقد حاول الاندفاع نحوهم ولكن أمه جذبته وهي تقول :

يكفي ، انك تجري منذ الصباح وحتى المساء ابق معي . ثم أجلسته على ركبتيها .

قعقعت آلة العرض ودارت رحى الحرب . كان الناس يراقبونها بتوتر ، وكانت أمه تتنهد بصوت عال وبين الفينة والأخرى كانت ترتعش وتضمه الى صدرها بقوة . حينما كانت الدبابات تلقي النار باتجاهها وكانت ثمة امرأة تجلس أمامها على البالات ولا تكف تقرقر وتتمتم :

ـ يا إلهي . ما هذا الذي يحدث ! يا إلهي .

ولكنه لم يكن خائفا جدا على العكس كان يشعر بالمرح إذ يرى الفاشيين يتساقطون : وحينما كان يقع الجنود الروس كان يخيل إليه أنهم لن يلبثوا أن ينهضوا من جديد .

إن منظر الناس وهم يقعون في الحرب مسل حقا تماما كما يقعون هم ـ الأطفال ـ حين يلعبون لعبة الحرب . وبوسعه هو أن يقع وهو يجري كأن أحدا ما أوقعه في شرك . صحيح ان الخدوش قد تسبب له الألم . ولكن أي ضير في ذلك ؟ فها هو ذا ينهض ويعود إلى الهجوم وقد نسي كل الرضوض .

أما هؤلاء، فلا ينهضون . إنهم يستمرون في رقادهم على الأرض كالتلال الداكنة التي لا تريم . وكان يجيد السقوط بطريقة أخرى كما يسقط أولئك الذين يصابون برصاصة في بطونهم . فهؤلاء لا يسقطون مباشرة بل يقبضون على بطونهم في البداية ثم ينحنون ، ويبطء يتكومون على العشب والسلاح يسقط من أيديهم . وبعد ذلك كان يعلن أنه لم يقتل ويعود إلى الحرب من جديد ولكن هؤلاء، لم يكونوا ينهضون أبدا .

كانت الحرب ما تزال تدور وكانت آلة العرض مستمرة في قعقعتها وظهر رجال المدفعية على الشاشة . كانوا يدفعون سلاحهم إلى أعلى التل عبر السفح الطويل والعريض الذي يكاد يصل إلى عنان السماء . وعبر هذا السفح الطويل والعريض المليء بحفر القنابل تحركت هذه المجموعة من عناصر المدفعية . وكان ثمة في حركاتهم وملامحهم ما يجعل القلب يتفطر ويمتليء بالفخر والألم وانتظار كل ما هو مخيف وعظيم .

كان عددهم حوالي سبعة رجال وكانت ملابسهم محترقة وكانت ملامح احدهم لا تشبه ملامح الروسي ،

وربما لم يوله الطفل أي اهتمام لولا أن أمه همست في أذنه :

ـ انظر إنه أبوك ....

ومنذ تلك اللحظة أصبح هذا الرجل أباه وكانت كل بقية الفيلم عنه ـ عن أبيه ـ كان أبوه شابا مثل بقية شبان المزرعة الحكومية ، لم يكن بالطويل القامة وكان ذا وجه دائري وعينين سر يعتين وكانت عيناه تقدحان شرا في وجهه الأسود بتأثير الدخان والوحول . وكان خفيفا وسريعا كالطر وها هو ذا يرفع عجلة المدفع بكتفه ثم يلتفت ويصيح مخاطبا أحدهم : هات الطلقات بسرعة . ولكن صوته دفن في انفجار قذيفة جديدة .

ماما أهذا أبي ؟ سأل أفاليك والدته .

ماذا ؟ ـ لم تفهم الأم ـ اجلس بهدوء وتفرج .

لقد قلت لي أنه أبي .

طبعا إنه أبوك ولكن لا تتكلم لا تضايق الآخرين .

لماذا قالت له ذلك ؟ قد يكون مصادفة ودون تفكير أو قد تكون أحداث الفيلم أثارت أشجانها وذكرتها بزوجها ، فصدق هو كلامها . ودب السرور إلى نفسه وشعر بالارتباك من هذه السعادة غير المنتظرة التي لم يسبق له أن تذوقها من قبل وشعر بالفخر بوالده الجندي إنه أب حقيقي ! إنه هو والده ، بينما كان الأولاد يعيرونه أن لا أب له فليروا أباه الآن وليره الرعاة أيضا .

فهؤلاء الرعاة الذين يجوبون الجبال لا يتذكرون أسماء الأطفال أبدا فهو يساعدهم في سوق القطيع إلى حظيرة الجز ، ويطرد كلابهم حين تبدأ في العراك ، أما هم فيمطرونه بوابل من أسئلتهم فكل راع . وما أكثرهم في هذه الدنيا ، يطرح عليه هذا السؤال :

ـ ما اسمك ايها الغلام ؟

ـ افالييك .

ـ وابن من تكون ؟

ـ ابن توكتوسون .

وللوهلة الأولى لا يعرف الرعاة ماذا يقصد الطفل فينحنون على السرج وهم يسألون :

ـ توكتوسون ! ومن يكون توكتوسون ؟

ـ ويكرر الطفل من جديد : أنا ابن توكتوسون .



بهذا أمرته أمه أن يجيب . أما جدته العمياء فقد طلبت منه أن لا ينسى اسم أبيه ابدا وقد شدته من أذنيه عقابا على ذلك .

يا لها من شريرة ....

ـ آه انتظر ، انتظر ، أنت ابن عاملة التلفون التي تعمل في البريد أليس كذلك ؟

ـ كلا أنا ابن توكتوسون . عاد الطفل يكرر جوابه بعناد .

وحينذاك فقط يبدأ الرعاة في إدراك كنه الأمر . حقا إنك ابن توكتوسون عفارم . لقد أردنا فقط أن نختبرك فلا تغضب أيها الغلام فنحن نقضي العام كله في الجبال بينما أنتم هنا تنمون كما الأعشاب ، ومن الصعب أن نعرف جميع الأطفال .

وفيما بعد يتهامس الرعاة طويلا عن أبيه كيف ذهب إلى الحرب وهو بعد في ربيع عمره ، وقد نسيه الكثيرون منهم الآن . ومن حسن الحظ أنه ترك وراءه ولدا فكم من الشباب ذهبوا الى الحرب قبل أن يتزوجوا فلم يخلفوا من يمكن أن يحمل أسماءهم .

والآن . ومنذ الدقيقة التي همست له والدته « انظر هذا هو ابوك » أصبح الجندي على الشاشة أباه . وبالفعل فقد كان يشبه إلى حد ما الصورة العسكرية لأبيه ـ الجندي الشاب في اللباس العسكري . تلك الصورة التي كبروها فيما بعد وعلقوها في إطار وغطوها بلوح من الزجاج .

أما في تلك اللحظات فكان أفاليك ينظر إلى أبيه بعيني الابن واجتاحت روحه موجة حارة من الحب البنوي والرقة والحنان . وعلى الشاشة كان الأب يبدو . وكأنه يعرف أن ابنه يراقبه ، فكان يبدو وكأنه يريد أن يترك لدى ولده انطباعا راسخا يعتز به كجندي خاض غمار الحرب الماضية . ومنذ تلك اللحظة لم تعد الحرب بالنسبة له مسلية ولم يعد ثمة ما يثير الضحك في الطريقة التي يتساقط بها الناس . لقد اصبحت الحرب جدية خطيرة ومخيفة . ولأول مرة شعر بالخوف على شخص يحبه . شخص كان يفتقده أبدا ويشعر بالحنين الجارف اليه .

استمرت آلة العرض في قعقعتها ، واستمرت رحى الحرب في الدوران . وفي المقدمة ظهرت الدبابات المهاجمة . كانت تتحرك برهبة ، تدهس الارض بجنازيرها وتدور أبراجها وتطلق النار من مدافعها مع الحركة : أما عناصر المدفعية فكانوا لا يزالون يدفعون المدفع نحو الأعلى وهم يكادون يسقطون من فرط الانهاك . وراح الطفل يستعجل اباه « هيا . هيا . يا أبي الدبابات قادمة ، الدبابات » .

اخيرا وصل المدفع إلى القمة ومن وسط أجمة من أشجار البندق فتح النار باتجاه الدبابات ، وبدورها راحت الدبابات تطلق النيران . كان عددها كبيرا وأصبح الموقف مرعبا .

وخيل للطفل أنه هو هناك ، يقف إلى جانب أبيه وسط نيران الحرب وهزيمها فكان يقفز على ركبتي أمه حينما تشتعل النيران في هذه الدبابة أو تلك ويتصاعد منها الدخان الأسود ، وحين كانت جنازيرها تنفصل عن العجلات فتروح تدور في مكانها بشكل أعمى ، ولكنه كان يجلس هادئا ويتكوم على نفسه عندما يسقط الجنود قرب المدفع . كان عددهم يتناقص شيئا فشيئا ..... أما أمه فكانت تبكي ، وكان وجهها ساخنا مبللا بالدموع .

واصلت آلة العرض قعقعتها ، واستمرت الحرب تدور وازدادت ضراوة المعركة وبدأت الدبابات تقترب شيئا فشيئا . وقرب عربة المدفع انحنى الأب وراح يصيح بحدة في سماعة التلفون الميداني ولكن صياحه ضاع وسط هزيم المعركة وسقط جندي آخر قرب المدفع ، وحاول النهوض ، ولكنه لم يستطع ، فسقط على الارض التي تخضبت بدمه ولم يبق سوى اثنين ـ الأب وجندي آخر اطلقا طلقة ثم اثنتين متتابعتين ، ولكن الدبابات استمرت في تقدمها . ومرة أخرى صفرت قنبلة أخرى ثم انفجرت قرب المدفع واندلعت ألسنة النار . ومن على الأرض نهض شخص واحد فقط ، كان أباه . ومن جديد يندفع باتجاه السلاح فيحشوه بنفسه ويسدد بنفسه ، كانت تلك الطلقة الأخيرة ، ومن جديد تدوي الشاشة بانفجار آخر دمر مدفع الأب وألقي به بعيدا ، ولكنه كان ما يزال حيا ، إنه ينهض عن الارض بتثاقل ، ويسير ببقايا ثيابه المدخنة باتجاه إحدى الدبابات وفي يده قنبلة يدوية . لم يعد يرى ولا يسمع شيئا . كان يحاول جمع كل ما تبقى من قوة .

وصاح وهو يلوح بالقنبلة:

ـ قف ، لن تمر ! ثم يجمد لحظة في هذه الوضعية ، وقد شوه الحقد والألم وجهه . عصرت جنجول يد ابنها بقوة . كان يريد أن يتملص منها و يندفع نحو أبيه ولكن زخة من الطلقات اندفعت من مدفع الدبابة ، فسقط الأب كما تسقط الشجرة المقطوعة . تدحرج على الارض . ثم حاول النهوض لكنه عاد فسقط على ظهره حيث ظل راقدا ويداه ممدودتان .

وصمتت آلة العرض وانقطع شريط الحرب . كانت تلك نهاية البكرة ، واخذ العامل الفني النور كي يضع بكرة أخرى حينما غمر الضوء الحظيرة . أصيبت أجفان الجميع بعدوى الرف السريع وهم يعودون من عالم السينما ، من عالم الحرب إلى حياتهم الفعلية ، وفي هذه اللحظة تدحرج الطفل من على بالات الصوف وهو يصيح :

ـ كان ذلك ابي ! ألم تروه ؟ لقد قتلوا والدي ....

لم يكن أحد ينتظر شيئا من هذا القبيل ،ولم يتمكن أحد من فهم حقيقة ما يجري ، بينما الطفل يجري وهو يصيح صيحةالظفر باتجاه الشاشة حيث يجلس أقرانه الذين كان رأيهم بالنسبة له هو الرأي الفصل ، وخلال لحظات ساد الحظيرة صمت مخيف وغريب ، فلأول وهلة لم يدرك الناس سبب سعادة هذا الصغير الذي لم يسبق له أن رأى أباه من قبل . لم يكن أحد يفهم شيئا ، فكانوا يلوذون بالصمت ويهزون اكتافهم بارتباك . وسقطت على الارض بكرة الشريط ولكن أحدا لم يول ذلك أي اهتمام ، حتى العامل الفني نفسه لم ينحن لالتقاطها ، أما هو ، الجندي الصغير ، ابن الجندي الشهيد ، فقد استمر يؤكد :

ـ لقد رأيتم ، إنه أبي !... لقد قتلوه ! كانت حماسته تزداد كلما استمر الناس في صمتهم ولم يفهم لماذا لم يشاطروه سعادته وفخره بأبيه .

وقال احد الكبار موبخا :

ـ هس ـ اسكت ـ لا تتحدث هكذا .

ولكن احدهم اعترض :

ـ وماذا في ذلك ؟ إن أباه قد استشهد في الجبهة أليس كذلك ؟

وحينذاك استجمع احد تلاميذ المدرسة شجاعته وكشف له الحقيقة :

ـ إنه ليس أباك ، فلماذا هذا الصياح ؟ إنه ليس أباك ، بل هو ممثل . اذهب واسأل العامل الفني .

لم يكن احد من الكبار يريد أن ينتزع من الطفل

هذا الوهم المر والرائع ، ولذا فقد كانوا يأملون في أن يقوم العامل الفني ـ وهو القريب عن المزرعة ـ بهذه المهمة . والتفت الجميع ناحيته ، ولكنه لاذ بدوره بالصمت . وانكب على آلة العرض متظاهرا بالانشغال .

ـ ولم يستسلم الجندي الصغير :

ـ كلا ، إنه أبي ، أبي .

ـ ومن جديد سأله أحد الاولاد:

ـ من هو أبوك ، من ؟

ـ إنه هو الذي اندفع باتجاه الدبابة يحمل القنبلة ، ألم تره ؟ لقد سقط هكذا .

وسقط الطفل على الأرض وراح يتدحرج ، تماما كما

سقط أبوه . كان يرقد قرب الشاشة على ظهره وقد مدد يديه .

وبشكل لا إرادي قهقه المتفرجون ، بينما كان هو يرقد كأنه ميت ، دون أن يضحك ، ومن جديد عاد الصمت يلف الجميع .

وقالت امرأة مسنة ـ راعية ـ توبخ أمه :

ـ ما هذا ، ماذا فعلت به يا جينجول ؟

شقت الام طريقها وسط الناس حزينة قاسية ، والدموع تترقرق في عينيها .

رفعت ابنها عن الارض :

ـ هيا بنا يا بني ، هيا ، كان هذا والدك . قالت ذلك بهدوء ، ثم قادته خارج الحظيرة .

كان القمر يرتفع عاليا ، وفي الافق كانت تتلألأ ذرى المرتفعات بيضاء على خلفية السماء الداكنة وفي الاسفل كان السهل يمتد شاسعا على مدى النظر .

الآن فقط وللمرة الاولى في حياته أحس أنه فقد شيئا عزيزا . وفجأة عصف به الغضب والحزن والالم من أجل أبيه الذي استشهد في المعركة وشعر برغبة ملحة في ان يعانق أمه ويبكي وأن تشاركه البكاء ولكنها كانت صامتة ، فضم قبضتيه وازدرد دموعه في صمت .

لم يعرف أن أباه الذي استشهد في الحرب منذ عهد بعيد قد بدأ يعيش في داخله منذ تلك اللحظة ! ■■

موسكو : هاشم حمادي

المواساة !

● ذهب شاب فرنسي فقير الى مدير شركة لكي يجد له عملا . وروى للمدير بانه بائس وان اولاده يتضورون جوعا ووالده مريض ولا يجد ثمن الدواء وان زوجته مريضة لا تجد ماتأكله بعد الوضع .

وتأثر المدير ولم يتمالك نفسه من البكاء ثم دق الجرس ولما جاء الفراش ، اشار المدير الى طالب الاستخدام قائلا :

ـ لقد قطع هذا الرجل نياط قلبي بظروفه المؤلمة فاخرجه من هنا .

حوار القراء

العربي في سجن بئر السبع

● استقبلت مجلتكم انا والمعتقلين في سجن بئر السبع وكأنها نعمة نزلت علينا من السماء ..

انني عاجز عن وصف شعور المعتقلين في هذا السجن عند رؤيتهم للعربي انيسا ممتعا لهم في هذا المعتقل البغيض .. ويكفي ان اقول بان وصول العربي لنا كل شهر سيساعدنا على تحمل مرارة السجن .

محمد ابراهيم رجب حروان
سجن بئر السبع
فلسطين المحتلة

العرب والغرب

● المقال الذي نشره العربي في عدد ٢٥٦ للاستاذ ابراهيم محمد الفحام اثار عندي العديد من التساؤلات .. فاذا كان هدف الكاتب هو الاستخفاف بمن وقفوا ضد تيار الغزو الثقافي الاوروبي دفاعا عن الشخصية العربية المسلمة في الجيل السابق ، فالحقيقة تقول اننا نفتقر كثيرا هذه الايام لأمثال هؤلاء الرجال الشجعان الذين كان دافعهم الاصلي هو الغيرة على الدين والشخصية العربية المسلمة .

واني على يقين ان التقهقر الاسلامي العربي الذي حدث في القرون الماضية سوف لن يطول ، بل ان المؤشرات كلها تؤكد ان استشراء التيار الاوروبي المادي سيكون شحنة للانطلاق العربي الاسلامي في القريب ان شاء الله .

محمد عبد المنعم خليل
اسكتلندة

هكذا تعود القدس

● القدس لن تحررها الاجتماعات والبيانات والخطب الرنانة .. وستظل القدس وكل المحتل من ارضنا العربية يصرخ فينا قائلا : اعتمدوا المنطق الصهيوني لتحريري ، والجأوا للقوة .. قوة هذه الامة بكل طاقاتها وامكاناتها ...

ان قرارات الامم المتحدة لن تعيد الينا ذرة تراب اذا لم نستطع وضع هذه القرارات موضع التنفيذ بقوة السلاح والارواح .

المنطق الصهيوني يقول على لسان جولدا مائير : بأن دبابة واحدة خير لاسرائيل من مائة قرار لصالحها .

الطريق واضح فاسلكوه ان كنتم صادقين .

محمد صالح اسماعيل تاية
القدس

اقترح

● اقترح تخصيص باب في كل عدد يتضمن نبذا عن حياة علماء العرب واسهاماتهم في تقدم البشرية واسعادها بحسبان ان ما نراه اليوم من انجازات هائلة في الميادين العلمية لا يمكن ان يكون منبت الصلة عن الماضي .. هذا الماضي الذي كان للعلماء العرب فيه باع طويل .

ارجو ان يلاقي اقتراحي هذا منكم القبول .

عبد الله مبارك النهدي
المقلا

العربي والجزائر

● باسمي وباسم الآلاف من مثقفينا في الجزائر أكتب الى ركن حوار القراء بمجلة « العربي » الغراء ، مستفسرا عن غياب مجلتنا القيمة عن الساحة الثقافية في الجزائر .

واؤكد لكم ان غيابها هذا ليمثل فراغا كبيرا في الاوساط الثقافية هنا بالجزائر كما اطلب من الاخوة المسؤولين في ادارة المجلة ، بعض الايضاحات حول هذا الموضوع . واناشد شركتنا الوطنية للنشر والتوزيع ان تفسح المجال لمجلة « العربي » لتستعيد مكانها بين مختلف المجلات في السوق

الجزائرية ، وبهذه المناسبة ايضا وعبر ركن حوار القراء لا يسعني الا ان اوجه عميق شكري وتقديري للعاملين بسفارة دولة الكويت بالجزائر الذين مكنوني من اقتناء بعض الاعداد من هذه المجلة النادرة ، ولولاهم لم امكنني ذلك فشكرا لهم ولكم « والله لا يضيع اجر المحسنين »

عباس عبد الحميد
جامعة الجزائر

ترجمة القرآن الكريم

● ان تباين ترجمات القرآن الكريم الى الانجليزية توقع من يفهم هذه اللغة في حيرة من امره .. لأن تعدد الترجمات يعني تباينا في معنى الكلمة الواحدة من ترجمة الى اخرى ، واقرب مثال على ذلك ترجمة قوله تعالى « إنا انزلناه في ليلة القدر » ـ فقد ترجمت كلمة « قدر » تارة AL — QADR وتارة POWER ومرة ثالثة DESTINY ولا شك ان هذه الكلمات الانجليزية لا تعطي المعنى الصحيح لكلمة القدر .

ان الترجمة الخاطئة لآيات الله تحمل في طياتها خطورة كبيرة .. ومن الافضل ان تقوم على هذه الترجمة هيئة واحدة من العلماء المتمرسين بمعاني القرآن الكريم واللغة المترجم اليها .

يوسف محمد الكتاني
مصر

صرخة من وراء القضبان

● هذه الصرخة جاءتنا من وراء القضبان والصارخ هنا هو السجين زياد محمد ابو عين الذي القت السلطات الامريكية القبض عليه وسجنته منذ شهر اغسطس الماضي تمهيدا لارساله الى اسرائيل لمحاكمته على تهمة لفقتها له السلطات الصهيونية .

وهي سابقة خطيرة ، اولا لان صيغة التهمة سياسية وثانيا ان امريكا تعلم مدى البطش الذي تنزله تلك السلطات بالفلسطينيين .

الصرخة تقول : انا رجل بلا وطن ومنزلي الان هو زنزانة في سجون شيكاغو .. اناشد العالم باسم الانسانية وباسم الدفاع عن حقوق الانسان .. ان يسمع صدى صرختي والا فسأباشر الاضراب عن الطعام حتى الموت .. فهذا الاضراب هو السبيل الوحيد الذي تركته امامي السلطات الامريكية للدفاع عن نفسي ، خير من الوقوع في قبضة اولئك الصهاينة .

زياد محمد ابو عين
سجن شيكاغو الفدرالي

الوجدان الديني

● قد يتساءل المرء احيانا في حيرة : كيف وصل الانسان المعاصر الى ما وصل اليه من حياة تتصف بالقلق وتمتلىء بالمشاكل المعقدة التي جعلت وجوده فيها قطعة من العذاب ؟ كيف استطاع هذا الانسان ان يصل الى القمر ويستمتع بمخترعات كهربائية والكترونية كانت الى نصف قرن فقط حلما من الاحلام ، ومع ذلك فلم يستطع ان يحيا في سلام مع اخيه الانسان كأي حيوان مع زميله من الحيوان ؟

لا شك ان غياب الدين عن حياتنا كان ـ ولا يزال ـ له اثر كبير فيما وصلنا اليه من فوضى معيشية حولت عالمنا هذا الى غابة بشرية شعارها : البقاء للأقوى ، غابة اصبحت فيها القوانين والقيم والمبادىء والمثل مجرد كلمات في قاموس اللغة .

محمد ابو المجد
القاهرة ـ وزارة الاقتصاد

سفير العروبة المتجول

● ان الجهود التي تبذلونها في اخراج العربي تستحق الشكر. شكرنا نحن القراء الذين نعتبر العربي بحق سفيرا للعروبة متجولا يجوب ارجاء المعمورة حاملا لواء التعريف بالامة العربية .. ولا استطيع ان اصف لكم مشاعر الفرح التي انتابتني عندما رأيت مجلة العربي تزين مكتبات بعض الاصدقاء في كل من ايطاليا والنمسا والمانيا . ان اغلى هدية قدمتها الكويت للعالم العربي هي هذه المجلة .

احميدات بلقاسم الحمروني

تونس

أسف .. وتصويب

● في مقال عن الامثال الشعبية في سوريا المنشور في عدد العربي رقم ٢٥٧ جاء في الهامش رقم (٤) ص ١١٥ الخاص بالآية الكريمة « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ما يلي « هذه الاية الكريمة منسوخة اللفظ باقية المعنى فنحن لا نجدها مكتوبة في القرآن مع ان معناها صحيح » وهذا للأسف ـ خطأ سافر ، فالآية ثابتة اللفظ ثابتة المعنى نجدها في كتابه تعالى في ، سورة الرحمن ، ورقمها ٢٧ .

وتصويب ذلك ، ان الهامش يخص آية منسوخة لفظا باقية معنى ، وردت في فقرة اسقطت من المقال ـ وهي : وقولهم « ابن ادم عينو طماعة ما بتشبع غير من كمشة تراب » مأخوذة عن قوله تعالى « لو كان لابن أدم واديان من مال لتمنى لهما ثالثا ، ولا يملأ عين ابن أدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب » ..

احمد ابراهيم السيد

حلب

الفرزدق وليس الحطيئة

● اورد الدكتور عبد الواحد لؤلؤة في مقالته « نداء الغاب » بيت الشعر التالي :

تعش فان عاهدتني لا تخونني   نكن كمن يا ذئب يصطحبان

وذكر انه للحطيئة . في حين ان البيت المذكور من قصيدة قالها الفرزدق عندما نزل بالغريين ، فأتاه على ناره ذئب وأقعى جانبا ، وكان مع الفرزدق شاة مسلوخة ، فرمى اليه بيدها فاكلها ، فرمى اليه بقطعة اخرى فتناولها وولى ، فقال :

واطلس عسال وما كان صاحبا   دعوت بناري موهنا فأتاني

فلما دنا ، قلت : ادن دونك ، انني   واياك في زادي لمشتركان

فقلت له لما تكشر ضاحكا   وقائم سيفي من يدي بمكان

تعش فان واثقتني لا تخونني   نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

هذا ما رغبت في توضيحه ليطلع عليه الاخوة قراء العربي ، عسى ان يكون فيه الفائدة ، وجلاء الغموض .

عبد اللطيف السعيد

سوريا

خطأ مطبعي

● ورد في العدد ٢٥٧ خطأ في استطلاع مفاتيح جبل طارق ، اذ ذكر ان الحصار دام اكثر من اربع سنوات كاملة من عام ١٧٧٩ حتى عام ١٩٨٣ .. ولا شك ان المقصود ان الحصار دام من عام ١٧٧٩ حتى عام ١٨٨٣ ...

مروان طلحاوي

سوريا



في مؤتمر يالطا ، جلس الرئيس المقعد المريض مع ستالين وتشرشل يبحثون حدود اوروبا بعد الحرب الثانية العالمية

شجاعة الرئاسة

للدكتور
جون موزيس
والكاتب الامريكي
ولبير كروس

عرض وتقديم : منير نصيف

الامراض والجروح والآلام عاشت مع رجال جلسوا على اكبر كرسي في احدى اكبر دولتين في العالم .. ولكنها لم تقتل رغبتهم في الاستمرار كما يقول العلم ! فقد وجد هؤلاء الرؤساء مع الألم والمرض ، القوة والعزم والتصميم . هذه جراح بعضهم في كتاب جديد .

.. والانتخابات الامريكية تقترب .. يبرز التساؤل عن الحالة الصحية للمرشحين لمنصب الرئاسة .. فالصحة ميزة قد ترجح كفة مرشح على آخر .. وهي مسألة تشغل حيزا كبيرا من مناقشات الرأي العام .. هل رونالد ريجان شيخ عجوز ؟ ماذا عن الألم الذي يعاني منه كينيدي ؟ وكارتر الذي يتغير ويغير مواقفه كثيرا .. هل يصمد أم ينهار ؟

واليوم غير الامس .. الحاجز الذي كان يفصل بين حياة هؤلاء الرؤساء وبين الشعب بدأ يتهاوى والناس يعرفون نتائج الفحوص الطبية التي تجري للمرشحين للرئاسة . فهي تنشر وتذاع عليهم بكل دقائقها وتفاصيلها .. صحة الجسم وصحة النفس !

ومنذ سنوات والدكتور جون موزيس أحد كبار الاخصائيين في الامراض الباطنية بمدينة نيويورك مشغول بالبحث عن بعض الحقائق الطبية التي لا يعرف بها الكثيرون عن الحالة الصحية التي كان عليها رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية السابقون .. وقد جمع هذه الحقائق في كتاب اسماه « شجاعة الرئاسة » The Presidential Courage واشترك معه في صياغته الكاتب الامريكي وليم كروس .

الجدري ، السل الرئوي ، الجلطة ، الاكتئاب ، السرطان ، أمراض القلب .. هي بعض الوان العذاب التي عانى منها رؤساء امريكا السابقون ، وكانت لها نتائج دراماتيكية على مصير بلادهم السياسي .

جروح الرؤساء

كان العديد منهم يحاربون معارك يائسة ضد امراض مستعصية اثناء جلوسهم على مقعد الرئاسة محاولين اخفاء « جروحهم » الخاصة وآثارها المدمرة عن الشعب .. كان توماس جيفرسون يبكي ويئن وهو يمتطي صهوة جواده في الريف ، دون ان يشعر به احد .. فقد كان مصابا بحالة اكتئاب شديد مصحوبا بصداع نصفي لم يفارقه ابدا . وكان جيمس ماديسون يعاني من مرض الصرع الهستيري وشستر أرثر يشكو من التهاب حاد في الكليتين وجروفر كليفلاند تحت العلاج المستمر من السرطان أثناء رئاسته . وودرو ويلسون غير قادر على الحركة بسبب جلطة في الدماغ وفرانكلين روزفلت يتحرك على مقعد بعجلات إثر اصابته بشلل الاطفال وباضطراب في الدورة الدموية أدت الى عدم وصول الدم الى المخ ، وربما ايضا سرطان الجلد .



عملاقان من الماضي ، جورج واشنطن اول رئيس لامريكا على فراش الموت ، واندرو جاكسون الذي عذبه المرض والالم طوال رئاسته





كينيدي .. كان مصابا بآلام في الظهر لم تفارقه يوما واحدا ثم داهمه مرض اديسون

الغريب بعد هذا ان هذه الامراض لم تعجزهم .. ففي ملفات هؤلاء الرؤساء المرضى ، ما يثبت انهم استطاعوا ان يخدموا بلادهم بقدرة وكفاءة .

وكان جورج واشنطون ، محرر امريكا ، مصابا بوسواس المرض ، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى وعندما مات وجدوا اصبع يده اليمنى ضاغطا على رسغ يده اليسرى ، كان يقيس نبضه البطيء ، وقد ظلت الهواجس تستبد به وتلح عليه طوال السنوات التي عاشها حتى مات عن عمر يناهز السابعة والستين .

وقد اكل الدرن صدره ، وامتلأ جلده بالحفر الصغيرة التي يتركها الجدري ، وتشوه فكه نتيجة التسوس الذي اصاب اسنانه وكان يجد صعوبة كبيرة في التنفس حتى وهو مسترخ ، لم يكن قادرا على أن يملأ رئتيه بالاوكسيجين ، وقد ازدادت صحته ضعفا بسبب إصاباته المتكررة بالالتهاب الرئوي . وقبل ان يصبح اول رئيس للولايات المتحدة الامريكية بعامين داهمه الروماتيزم ، فشل حركته حتى انه كان يجد صعوبة في وضع يديه فوق رأسه .

واشنطون العملاق

وبعد ستة اسابيع من جلوسه على كرسي الرئاسة ، اجريت له عملية جراحية بدون مخدر ، لاستئصال ورم مليء بالصديد في فخذه ، وتوالت الآلام .. فقد ضعف بصره ، وعاوده الالتهاب الرئوي وبقي طريح الفراش مدة مائة وتسعة أيام ، لم يستطع خلالها ان ينجز شيئا من مهامه الرسمية ومع هذا فقد نجح الرئيس المريض في أن يعيد تنظيم حكومته الوليدة ، ويزيل اسباب التوتر بين الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ، ويقوم باجراء مفاوضات ناجحة انتهت بتوقيع معاهدات مع الهنود الحمر ، فتحت بموجبها ارض جديدة لاستيطان المهاجرين .

ولم يكن واشنطون هو العملاق الوحيد المريض على كرسي الرئاسة في امريكا فربما كان اكثرهم مرضا على الاطلاق اندرو جاكسون ، الرئيس الامريكي السابع ، فقد كان يمشي طول حياته مع شبح الموت وكان هيكلا عظميا .. فقد كان طويل القامة يزيد طوله على ستة اقدام ، ومع هذا لم يكن يزن اكثر من ٤٧ كيلو جراما ولو أنه عاش اليوم ، لما قبلت اي شركة تأمين على الحياة ان تؤمن على حياته مهما كان تساهلها مع عملائها !

وعندما كان صبيا كان يبصق لعابه الذي يسيل باستمرار ، وخاصة عندما تتوتر اعصابه ، وقد اصيب بالدوسنتاريا المزمنة وظل يعاني منها طول حياته . وأصيب بالجدري ونخر السوس كل اسنانه حتى اصبح عاجزا عن تناول اي طعام يحتاج الى مضغ .. ثم اصيب بالحساسية ، فكان يحك جلده من إصبع قدمه حتى فروة رأسه .

لقد اوشك جاكسون ان يموت قتيلا قبل ان يبلغ التاسعة والثلاثين ، فقد جرت بينه وبين خصم له مبارزة بالمسدسات واستقرت رصاصة في صدره بعد ان اخطأت القلب بأقل من ثلاثة سنتيمترات . وأدت الاصابة الى تكوين دمل في الصدر ، سبب له سعالا مزمنا مصحوبا بصديد ودم طوال ايام حياته .

حلم مزعج

واصبحت شهور جاكسون الأخيرة في الرئاسة حلما مزعجا من الآلام المبرحة .. فقد تورمت قدماه حتى اصبح عاجزا عن المشي ، وظلت نوبات الصداع تلاحقه حتى لم يعد قادرا على التركيز واصابه إسهال مزمن

وعسر هضم ، وضيق شديد في التنفس ونزيف داخلي وآلام في الصدر ، ثم كان أن فقد البصر لقد اصيبت احدى عينيه بالعمى ، ولم يعد قادرا على تمييز الاشياء بعينه الثانية حتى الأذنين لم يسلما ، فقد اصيبتا بالتهاب ، افقده حاسة السمع .

لقد قضى ايام رئاسته حبيسا في البيت الابيض ، وكان يؤجل اجتماعات وزارته ، حتى عندما اراد ان يذهب الى الكونجرس لالقاء خطاب الوداع ، وجد نفسه عاجزا عن الوقوف على قدميه .. كان قد اصبح حطاما للرجل الذي كان .

ماذا صنعت كل هذه الآلام بالرئيس المريض ؟ كان من اقوى الرؤساء الذين دخلوا البيت الابيض فبدلا من ان يقتل الألم قوته ، شحذ من همته وعزيمته ، وفي مؤتمر باريس الذي عقد في عام ١٨٣١ ، لبحث التعويضات التي كان من المقرر أن تدفعها فرنسا للولايات المتحدة الامريكية ، نتيجة للخسائر التي لحقت بأمريكا بسبب حروب نابليون ، وقف الفرنسيون ينظرون في سخرية الى « تلك العيادة الطبية المتحركة » ، وتوقعوا نصرا سريعا في اول اجتماع لهم مع جاكسون واعضاء الوفد الامريكي ، ولكن « العصا العجوز » كما كانوا يسمونه ، انتصر ، ودفع الفرنسيون ، كما دفع معظم اعدائه السياسيين .

لقد كانت رئاسة جاكسون ، نقطة تحول في التاريخ الامريكي . فقد قاد شعبا منقسما على نفسه خلال ازمة مالية مدمرة ، ومهد الطريق لاعطاء الشعب صوتا اكبر في اختيار حكومته ومات عن ٧٤ عاما رغم انف كل ما أصابه من امراض وآلام .

ولم يعرف الامريكيون او الغالبية العظمى منهم ، الا القليل عن الحالة الصحية التي كان عليها الرئيس جاكسون . فقد كان الرأي ان صحة رئيس الجمهورية لا تعنيهم . ثم ما لبث هذاالرأي ان اعتبر مناسبا تماما ، وظل سائدا لاعوام طويلة ...

الابواب المغلقة

ففي صيف عام ١٨٩٣ على سبيل المثال ، لم يكن احد يعلم أن شيئا ما يحدث على ظهر اليخت « اونيدا » في مياه (أيست ريفر) ـ بمدينة نيويورك . ولكن اليخت في الواقع كان يحمل رجلا سمينا له عنق ثور مصابا بالنقرس ، وكان الجراحون يجرون له عملية جراحية لاستئصال ورم سرطاني في الفم . وكان الرجل هو جروفر كليفلاند الرئيس الثاني والعشرين للولايات المتحدة الامريكية ولم يكن الوقت مناسبا ابدا لمرض الرئيس . فقد ساد البلاد في ذلك الوقت موجة من الكساد ، أدت الى افلاس اكثر من خمسمائة مصرف و ١٥ الف شركة ، وارتفاع نسبة البطالة بين العمال .

وخرج كليفلاند من الجراحة بلا فك ، فقد انتشر السرطان في فكه العلوي ، واضطر الجراحون الى استئصاله كله تقريبا ، ولم يعد الرئيس قادرا على الحديث . ولكن البيت الابيض لم يجد حرجا بالرغم من خطورة حالته ، من ان يصدر بيانا بعد الجراحة بيومين يعلن فيه ان رئيس الجمهورية بخير وأنه يمارس اعماله كالمعتاد بعد جراحة بسيطة اجريت له لخلع ضرس نخره السوس . !

ومن وراء الابواب المغلقة كان أطباء الرئيس يواجهون الازمة : « انه لم يعد قادرا على الكلام ! » واخيرا استطاع احد جراحي الاسنان ، ان يصنع له فكا من المطاط .

ولم يعرف الامريكيون شيئا عن « معركة رئيس الجمهورية الخاصة » مع السرطان . وبقيت هذه

ايزنهاور .. لم يعد مرض الرئيس في عهده سرا ...





وودرو ويلسون ، اصيب بالشلل ، وكانت زوجته الثانية اديث تدير البيت الابيض

الفضيحة الطبية التي تشبه فضيحة ووترجيت السياسية سرا لا يعرفه احد لاكثر من عشرين عاما . حتى زوجة الرئيس اخفوا عنها النبأ فلم تكن تعرف مدى خطورة مرض زوجها .

وعاش كليفلاند ، واعيد انتخابه لفترة ثانية ، حتى مات في عام ١٩٠٨ إثر اصابته بنوبة قلبية ، وكان قد جاوز الحادية والسبعين .

روزفلت والسرطان

ولقد كان فرانكلين روزفلت ، رجلا مريضا جدا ، ويقال انه كان مصابا بالسرطان عندما رشح نفسه لمنصب الرئاسة للمرة الرابعة في عام ١٩٤٤ وقد اقعده شلل الأطفال قبل ذلك بسنوات . وكان التوتر الشديد يسيطر عليه ، وهبوط القلب يهدد حياته ، ولم يكن الأوكسجين يصل بكميات كافية الى المخ والكليتين .

ومع هذا ، وبعد ان كان روزفلت قد أتم ثلاث فترات على كرسي الرئاسة ، ونجح في ان يمر ببلاده عبر أعنف فترة من الركود الاقتصادي في الثلاثينات ، استطاع رغم مرضه وآلامه ان يقود بلاده في الحرب العالمية الثانية .. إلى ان كان مؤتمر يالتا في فبراير عام ١٩٤٥ ، الذي رسم فيه الحلفاء شكل المسرح السياسي لأوروبا بعد الحرب .. في هذا المؤتمر ولأول مرة قال لورد موران طبيب تشرشل الخاص بعد لقائه بروزفلت ان هذا الرجل لن يعيش لاكثر من بضعة شهور اخرى . فقد بدا روزفلت يومها غير قادر على التركيز في محادثاته ومناقشاته اثناء انعقاد المؤتمر .

ومع هذا فقد وقف مستشار الرئيس الطبي ، على الجانب الآخر في امريكا نفسها يؤكد ان فرانكلين روزفلت ، لم يكن في يوم من الايام في صحة افضل مما هو عليها اليوم . ولكي يؤكد روزفلت هذا الرأي ، وقف يلقي خطابا تحت مياه المطر ، قصد به القضاء على اية شائعات ، يمكن ان تكون قد انتشرت عن اعتلال صحته .

ولكن الكلمة بقيت للورد موران ، فقد مات روزفلت بعد مؤتمر يالتا بشهرين ، إثر اصابته بنزيف في المخ ، واغلقت حدود دول اوربا الحديثة !

الهواجس تلاحق ويلسون

وربما لن نجد في التاريخ الطبي للرؤساء الامريكيين ، شيئا يماثل الاحداث الغريبة التي مرت بالرئيس وودرو ويلسون الذي اصيب بجلطة في الدماغ اعجزته تماما عن الحركة خلال العام الاخير من فترة رئاسته . ففي عام ١٩١٩ ، كان ويلسون في قمة مجده السياسي فقد انتهت الحرب التي انهت الحروب بالنصر ، واصبح ويلسون معبود الجماهير في اوروبا وفي امريكا .. وكان اول رئيس دولة بعد الحرب الأولى العالمية ، يذهب الى مؤتمر الصلح في باريس ليمهد لقيام الديمقراطية في عالم آمن .

وفي باريس داهمه المرض .. كان العرق يتصبب فوق وجهه الشاحب ، وهو يستلقي على المقاعد الوثيرة في مبنى السفارة الامريكية . واصبح نهبا للهواجس ، فكان يتصور ان هناك قوى شريرة تتآمر عليه ، وان جواسيس فرنسا ينهبون أثاث السفارة ويستبدلون به أثاثا آخر .. وساءت حالته وبلغ مرضه ذروته عندما اصيب ويلسون بجلطة ادت الى شل نصفه الايسر من الرأس الى القدم ومع هذا رفض ان يعترف بانه رجل مريض ، وبقي في مقعد الرئاسة متمتعا بكامل سلطاته الدستورية حتى نهاية مدته .

ولم يقتصر موقف الرفض على إنكار مرضه فقد

رفض ايضا ان يدخل اي مستشفى ، او يخضع لاي علاج يمكن ان يحدد معه الاطباء مدى خطورة حالته العقلية ، او موطن الاصابة في المخ .

ولم يعرف الرأي العام الامريكي شيئا عن مدى الخطر الذي يتهدد حياة الرئيس طوال فترة رئاسته التي اقر فيها الكونجرس ٢٨ قانونا ، نفذت كلها دون ان يوقعها رئيس الجمهورية .

ولعل اهم جانب في هذه القصة العجيبة عن « المؤامرة الطبية » ، هو ان ويلسون ، كان رجلا مريضا منذ فترة طويلة قبل ان يصبح رئيسا للولايات المتحدة . فبين الفترة الواقعة من صيف عام ١٨٧٥ عندما كان شابا في الثامنة عشرة ، حتى آخر مرض ألم به في عام ١٩١٩ ، أصيب ويلسون باكثر من اربعة عشر نوعا من انواع الأمراض المختلفة التي لازمته مددا تتراوح بين شهرين وسنة كاملة . بل انه في عام ١٩٠٦ صحا يوما من نومه مصابا بالعمى في عينه اليسرى ، ربما نتيجة لجلطة دموية في المخ . حتى ان زوجته الاولى كتبت يومها تقول : « إن زوجي مصاب بتصلب في الشرايين .. انه يحتضر .. انه يموت ببطء ! »

المذهل ، كيف استطاع هذا الرجل العليل ان يصل الى البيت الابيض .

لنكولن الحزين

واذا سألت أبناء امريكا عن اعظم رئيس في تاريخ بلادهم ، اجابك العديد منهم : « ابراهام لنكولن » ، فهو الذي قاد هذه البلاد الشاسعة في أظلم لحظة في حياتها ، عندما كانت الحرب الأهلية تمزق أمريكا من اقصاها الى اقصاها ..

وهو الرجل الذي حرر العبيد .. ووضع نهاية لاحزان السود .. ولكنه عاش حزينا طول حياته !

كان رجلا ينزع الى الانقباض .. كان وجهه المكتئب الذي يبدو به دائما في صوره ، ونظراته الحزينة تعبر عما كان يعتمل في صدره من انفعالات .. كان لنكولن مصابا بالاكتئاب الذي رافقه طوال سنوات رئاسته حتى قبل ان يتولى الرئاسة . وكان يتخيل اشياء لا وجود لها وكان يؤمن بالاحلام ويقال انه رأى موته في احلامه . وفي شهر مارس من عام ١٨٦٥ ، اي قبل شهر واحد من حادث اغتياله قال الاطباء ان الرئيس الامريكي مهدد بالاصابة بحالة انهيار عصبي تام .



جروفر كليفلاند .. استأصل الجراحون فكه المصاب بالسرطان . واصبح عاجزا عن الكلام

وكان يضع بجوار مكتبه في البيت الابيض اريكة مريحة يتمدد عليها كلما فاجأته هذه النوبات المتكررة .

ويرجع الاطباء هذه الحالة العقلية المضطربة التي عانى منها لنكولن الى ايام طفولته . فقد تعرض الرئيس الى حادث وقع له عندما كان صبيا في العاشرة . اصيب برفسة جواد في رأسه وانطلق الجواد يجري ، تاركا الصبي الصغير وراءه فاقد الوعي واكتشف الأطباء ان الصبي أصيب بشرخ في الجمجمة ادى الى ارتجاج في المخ . وكان لهذه الاصابة اثرها في تكوين شخصيته ، وفي الحالة النفسية المضطربة التي لازمته في شبابه وشيخوخته .

وعندما مات « حب » لنكولن الاول ، كاد الحزن يقتله ، حتى ان اصدقاءه خشوا عليه من الاصابة بالجنون . وبعد سنوات قليلة ، انتابته حالة من الاكتئاب الشديد ، دفعته الى الهرب والاختفاء عن الناس في ليلة زواجه الذي لم يتم وعندما عثروا عليه في اليوم التالي وجدوه في حالة نفسية مؤلمة ، حتى انهم اضطروا الى البقاء بجواره وملازمته طوال الأربع وعشرين ساعة ، خشية ان يقدم على محاولة للانتحار والتخلص من الحياة .

وقد اصيب لنكولن بالجدري وهو يلقي خطابه الشهير في جيتسبرج ، وبدأ يشعر باعراض المرض الخطير وقت القاء الخطاب ، مما اضطره الى اختصاره ، عندما وجد الكلمات تتعثر على شفتيه من الالم .

وتهاوى الحاجز !

ولكن الحاجز الذي طالما اخفى وراءه هذه الحقائق عن الشعب ، ما لبث ان تهاوى في السنوات الاخيرة .. ولم تعد الحالة الصحية لرؤساء امريكا سرا من اسرار الدولة ..... فعندما اصيب ايزنهاور بنوبة قلبية في سبتمبر عام ١٩٥٥ اعجزته عن القيام بمهام منصبه حتى يناير من عام ١٩٥٦ ، عرفت امريكا والعالم الخارجي من حولها بالخبر وانتقلت مهام الرئاسة الى نائبه ريتشارد نيكسون ...

وعندما تعرض ايزنهاور بعد ذلك بستة اشهر لالتهاب في الجزء الأسفل من الامعاء الدقيقة واضطر الجراحون الى اجراء عملية جراحية للرئيس ، ظلت النشرات الطبية تصدر من البيت الابيض الامريكي عدة مرات كل يوم لتطمئن الشعب على صحته .

وكان جون كنيدي يشكو من آلام مبرحة في ظهره ، وهو الرئيس الذي يمثل الشباب والحماس في البيت الابيض فقد كان اصغر الرؤساء الامريكيين سنا عندما جلس على كرسي الرئاسة (٤٣) سنة .

قال شقيقه بوب الذي لقي نفس مصير جون اثناء الحملة الانتخابية .. القتل بالرصاص ، قال : « ان نصف الايام التي قضاها كنيدي من عمره كانت اياما مليئة بالآلام الجسمانية . »

ولقد اصيب كنيدي في اواخر ايامه بمرض اديسون وهو ضمور يصيب الغدد فوق الكليتين/. وكان يعالج بالكورتيزون .. وبالرغم من هذه الامراض والآلام التي نتجت عنها ، لم يتغيب يوما واحدا عن مكتبه في البيت الابيض .. وكانت اياما قصيرة لم تزد في مجموعها على الالف يوم !

هكذا تشكل تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ، بواسطة رجال هدهم المرض والعمى والعجز والجنون . وقد يقلل الاعلان عن الحالة الصحية للمرشحين للرئاسة اليوم من خطر دخول رجل مريض الى البيت الابيض .. ولكن الا يمكن ان يحرم هذا امريكا من بعض الرجال الموهوبين ، امثال ويلسون ولنكولن وغيرهما .. حتى لو كانوا مرضى ؟! ■■

منير نصيف

كتب وصلتنا

الاسلام اهدى

عبد الله كنون

دار الطباعة الحديثة ـ الدار البيضاء

● ينبري هذا الكتاب للرد على مقولة شائعة بان عالم الاسلام بدأ ينحط منذ احتجاب الخلافة الرشيدة وقيام الخلافة الاموية ويرى مؤلفه المفكر المغربي عبد الله كنون ، ان الاسلام كدعوة استمر وانتشر في عهد الدولة الاموية ثم برعاية الخلفاء العباسيين ثم في قرطبة « حتى عهد الخلافة العثمانية الذي يعده دعاة التغريب ، عهد انحطاط واستعمار للشعوب العربية هو من العهود الاسلامية التي يحق لنا ان نفتخر بها » .

وينتقل المؤلف بعد هذا الاستهلال ، الى الرد على المقولات الضمنية (غير الصريحة) التي تشيع ان الاسلام قد احتجب في خضم المذاهب والانظمة التي اتت بها حضارة العصر (النهضة الصناعية ، الفكر العلمي مبادىء الثورتين الفرنسية والامريكية ، والاشتراكية) قضايا الملكية الفردية ، الرق ، المرأة ، الاقتصاد ، ونظام الحكم .

يذهب المؤلف الى ان الاسلام ضمن ملكية الافراد والجماعات فلم يطلق يد احد في مال احد ، اذا صحت ملكيته له شرعا ، الا ان الاسلام لم يعتبر اصل التملك مطلقا مما يضر بالمصلحة العامة او الخاصة ولكنه نظر في وجه الملك وحرص ان يكون سليما .

كتب وصلتنا

اضافة الى ذلك نظم الاسلام التصرف بالاموال ، عندما فرض ضريبة معيشة على المال بجميع انواعه تؤخذ قسرا من المتمولين وتصرف في وجوه معينة من الضمان الاجتماعي ، وذلك هو نظام الزكاة . وذهب الاسلام خطوة أبعد من ذلك عندما نهى عن الاحتكار واذن للوالي بضرب يد المحتكر وحرم الربا بل اهدر كل ما جمع من الربا . ويشير المؤلف في معرض عرضه لموقف الاسلام من الملكية الفردية الى ان الاصول لا تأبى ان يفرض على الاغنياء ما كانوا يؤدونه عن طيب خاطر بشرط ان يكون اجراء استثنائيا مرهونا بوقت الحاجة .. » .

وهكذا فان الكتاب يعيد التأكيد على المبادىء العامة والاساسية التي نادى بها الاسلام ، في عرض مشرق مميز ، واذا كان المؤلف قد اجاب على القائلين والزاعمين باحتجاب الاسلام ، بقوله ان الاسلام (دولة ونظام) قد استمر حتى في عهد الخلافة العثمانية فانه لم يجب عن السؤال الاخر الاكثر الحاحا وهو لماذا انحسرت الانظمة الاسلامية بعد ذلك التاريخ رغم ان الاسلام باق وأصيل في نفوس اكثرية المسلمين ؟ لعل ذلك هو المشروع المقبل للمفكر المغربي الكبير .

قلب الظلام

جوزيف كونراد (رواية)

دار ابن رشد ـ بيروت

● تتمتع هذه الرواية لمؤلفها البولندي الانجليزي جوزيف كونراد بسمعة عالمية ذائعة الصيت . وقد استقى منها المخرج الاميركي فرانسيس كوبولا فيلمه « الرؤيا الآن » الذي فاز بجائزة مهرجان كان السينمائي عام ١٩٧٩ .

يذكر مترجم الرواية نوح حزين ان كونراد عندما كان صغيرا في بولندا نظر الى خارطة العالم واشار باصبعه الى الكونغو وسط افريقيا وقال عندما اكبر سأذهب الى هنا » .

وفي عام ١٨٨٩ تولى امرة زورق بخاري في نهر الكونغو التي كانت آنذاك مسرحا للنهب الامبريالي ، وبعد ذلك بعشرة اعوام (١٨٩٩) انتهى كونراد من تسجيل احداث تلك الرحلة في واحدة من اعظم رواياته « قلب الظلمة » . وبعد عودته من الكونغو كان كونراد قد قال : قبل رحلة الكونغو لم اكن اكثر من حيوان ، فقد عانى بعد عودته من ازمة نفسية وروحية عميقة ، كان سببها ما شهده من وحشية ورعب وبشاعة ، وهو يحمل في قلبه المحطم ذكرى القوة التدميرية لعنف ووحشية « الوهية » الرجل الابيض تجاه الوطنيين السود .

تبدأ الرواية بجمع من الرجال فوق المركب الجوال نيللي ، يجلسون باوضاع مرسومة عند ملتقى نهر التيمز بالبحر ، حيث كان المغامرون وفرسان البحر الانجليز يخرجون الى العالم لينشروا فيه العلم والمعرفة والدين والرعب والذعر والدمار . وفي الافق بدا ضباب قاتم كالحداد يتكثف ، لتطفى على المشهد بعد ذلك قتامة مبهمة تمهد لقصة مارلو التي تشكل العصب الاساسي للرواية . « وكان هذا ايضا » قال مارلو فجأة ، احد الاماكن المظلمة على الارض .. ومن ملتقى التيمز بالبحر تبدأ رحلة الرجال مع قصة مارلو نحو قلب افريقيا السوداء ، لتنتهي تحت سماء ملبدة بالغيوم بدت متجمعة نحو قلب ظلمة عظيمة . وبين المشهدين القاتمين يروي مارلو اكثر القصص ترويعا وقتامة . قصة الوهية كورتز وخراب قلبه وولوغ مارلو في التجربة المشابهة الى ما قبل النهاية بقليل وخروجه منها محطم القلب .

ومنذ البداية يضع كونراد قارئه في جوف المأساة وتصبح الظلمة المحيطة رابطا موضوعيا بين مستوى الرواية الرئيسين ومستوى الجلسة الذي تستغرقه رواية مارلو لقصته ، والمستوى الحقيقي الذي استغرقته الرحلة بالفعل ، وعند النهاية تكون الظلمة الحالكة . تلك هي الاجواء المهيمنة على الرواية التي تترجم لاول مرة في العربية والتي يعرضها لها المترجم ، بصورة وافية في المقدمة حين يحدد موقعها في سياق الادب الانجليزي وتأثيراتها على هذا الادب منذ مطلع القرن .

نزهة العقل الذكي (decorative header)

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٦٠ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول سبتمبر (١٩٨٠) .

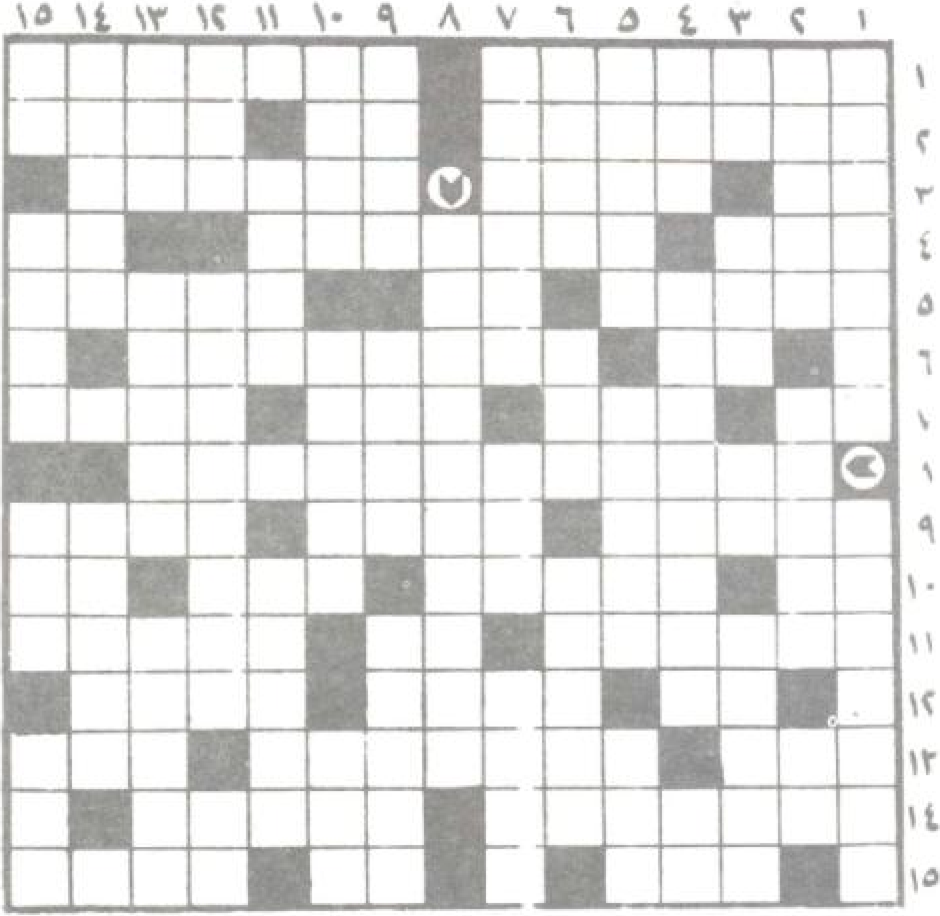
اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم جغرافي عربي ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم شاعر وأديب عربي .

الكلمات الافقية :

١ ـ دولة أوربية ـ من الآثار العربية بالقدس .
٢ ـ عاصمة نيوزيلندا ـ من سور القرآن الكريم ـ اجابات .
٣ ـ في الجهاز الدوري ـ ابتغى ـ من المذاهب الاسلامية .
٤ ـ بين بين ـ غاز في الهواء ـ أرض مرتفعة .
٥ ـ من مراحل العمر ـ رغب ـ واجهه .
٦ ـ للنداء ـ أديب فرنسي كتب قصة نانا .
٧ ـ صاحب ـ أدرك ـ في الوجه ـ أود .
٨ ـ جغرافي عربي .
٩ ـ من الالوان ـ ألعب ـ تتبع :
١٠ ـ يخصني ـ اختلاف ـ شكوك ـ نصف كلمة (عاني) .
١١ ـ تقدمها بلا مقابل ـ حرف استفهام ـ غير مقيمة .

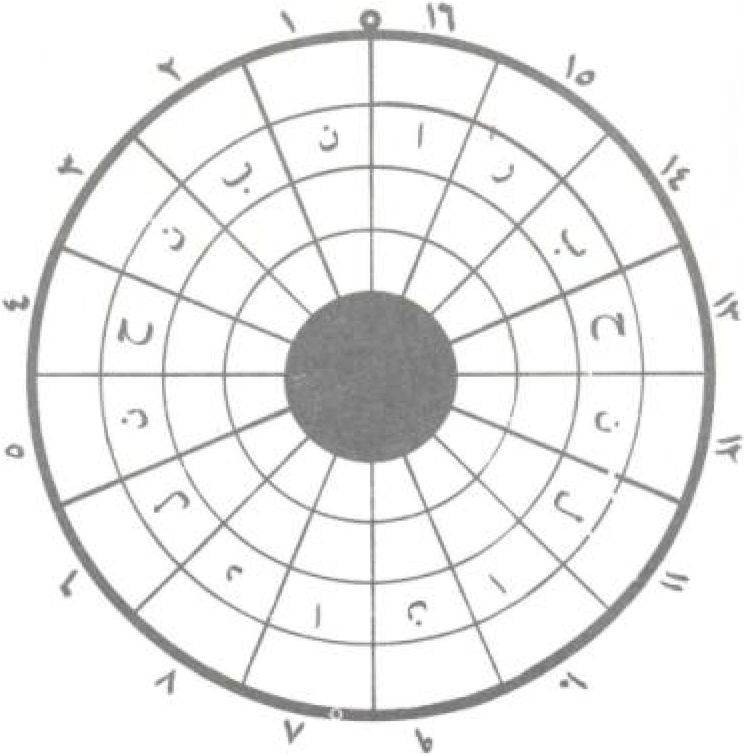
كوبون مسابقة العدد ٢٦٠



١٢ ـ حرفان متشابهان ـ في المسرح ـ رغب في .
١٣ ـ من الاشجار ـ من دول القارة الامريكية ـ موت .
١٤ ـ يبجله ـ من انواع الطائرات .
١٥ ـ وحدات تجمع سكاني ـ ضمير ـ مفر .

الكلمات الرأسية :

١ ـ ملك من البربر حكم ايطاليا ـ الخاتمة .
٢ ـ يمسه ـ من الفنون التعبيرية ـ نصف كلمة (رحيل) .
٣ ـ عمر ـ ثنى ـ حرفان متشابهان ـ اقتربتم .
٤ ـ لاذ ـ كاتب فرنسي وضع الحكمة على أفواه الحيوانات ـ أجاب .
٥ ـ تدعه ـ انحدار ـ طمأنينة .
٦ ـ يصيب الرأس ـ من أقاربي ـ أسبيه .
٧ ـ من العناصر الكيميائية ـ لقب حاكم الجزائر سابقا ـ تقول بلا تفصيل .
٨ ـ شاعر وأديب عربي .
٩ ـ دور ـ نصف يوم ـ أسقه .
١٠ ـ أعقل ـ من الحشرات ـ وحدة قياس زمن .
١١ ـ أسلم ـ يقاسي .
١٢ ـ طريق ـ الامتحان ـ كشف .
١٣ ـ بعد ـ عاصمة أوربية ـ قطعة بحرية حربية .
١٤ ـ أفسدت صورته ـ غير حاسم .
١٥ ـ قوام ـ في النار ـ من الزواحف ـ يود .



حول الدائرة السوداء

ضع الكلمات ذات الحروف الاربعة ، والتي تعطيك معانيها ، في أماكنها وفقاً للأرقام . يساعدك في هذا وجود الحرف الثاني من كل كلمة على الشكل .

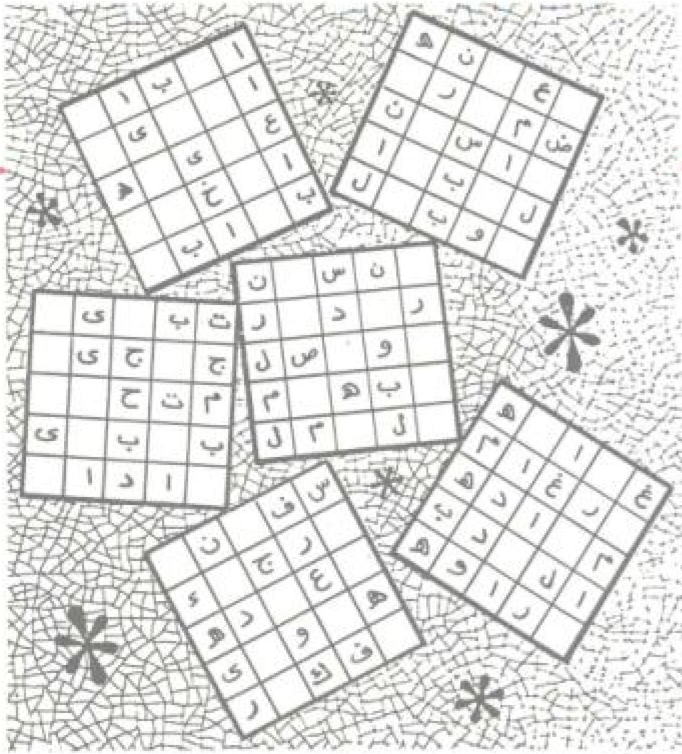
اذا وصلت الى الكلمات الصحيحة ، ستجد حول الدائرة السوداء اسم :

« حاكم وقائد اسلامي معروف »

الكلمات لها المعاني التالية :

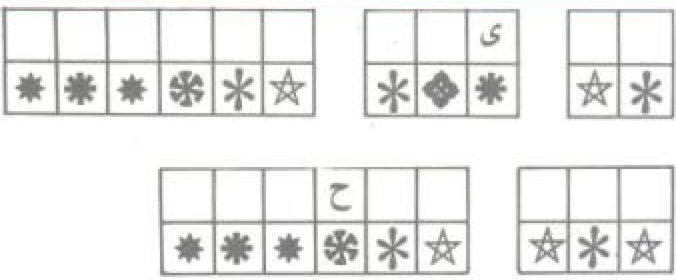
(١) بقل (٢) طريق (٣) أخير (٤) صوت الثعبان (٥) شيد (٦) من مظاهر الطبيعة (٧) للكتابة (٨) ثمين (٩) أبناء (١٠) دولة أفريقية (١١) طائر مغرد (١٢) قناة أمريكية (١٣) بقي (١٤) أختير (١٥) في الصحراء (١٦) في متناول اليد .

العواصم



أمامك ستة مربعات ذات اطارات ثقيلة خارجية . في كل مربع من هذه المربعات خمس كلمات أفقية ، ينقصها جميعا حرف واحد . اجمع هذه الحروف الناقصة من المربعات الستة ، رتبها بحيث تصنع اسم عاصمة من عواصم العالم .

مثل عربي



أمامك مثل عربي معروف ، بدلا من الحروف نضع رموزا ، بحيث يحل كل رمز محل حرف واحد دائما . على سبيل المساعدة أعطيناك بعض حروف كلمات المثل .

هل تستطيع أن تصل الى المثل العربي ، اذا علمت أنه يفيد :
أن مواجهة الامر الشديد ، تقتضي شدة المراس .

الحلول

العواصم :
الرياض .

حول الدائرة السوداء :
صلاح الدين الأيوبي .

مثل عربي :
لا يفل الحديد الا الحديد .

مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول يوليو ١٩٨٠

١٣٠ / ١

من الأعمال المختارة

ايفان سرجييفيتش تورجنيف - ١

• العالة
• خيال مريض

ترجمة وتقديم : د. سمية محمد عفيفى

مراجعة : د. فوزى عطية محمد


أورينت تذكرك بالوقت.. على أنغام الموسيقى
ORIENT
QUARTZ
START-STOP
TIME SELECT
LIGHT
SET
12:00 00
MUSIC ALARM
ORIENT
إليك آخر ما توصلت إليه أورينت. ساعة
كوارتز رقمية جديدة مع ضوابط تنبيه متعددة
الاستعمالات وسهلة التحكم. نغمات معدودة من
"ماربليس" كتنبيه أول. وإذا رغبت، هناك نغمات
ملحة أكثر، أو موسيقى دائمة - كل ساعة. هذا مثال
آخر على التقنية الخلاقة لساعة أورينت، أول ساعة
في العالم بمنبه موسيقي. هناك مجموعة كاملة من
ساعات أورينت كوارتز لتختار منها. وكل ساعة
منها تعطيك أكثر بكثير من مجرد الوقت - بنعومة ورقة.
ORIENT اورينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL:407-5901, TLX:J26896 ,TIMETEST

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس

مع

لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطها ١،٣٠٠،٠٠٠،٠٠٠ جنيه استرليني .

لومبارد نورث سنترال عضو في أحد مجموعات البنوك المصرفية العالمية ولدينا تاريخ يرجع إلى أكثر من ١٠٠ سنة . نمدكم بتسهيلات ايداعية تعود عليكم باقصى فائدة مع مرونة الاختيار وضمان لأموالكم . لدينا ودائع لأفراد ومؤسسات من جميع انحاء العالم .

١٥٪

في السنة

ايداع محدد لمدة سنة.

تدفع كل الفوائد بدون خصم أي ضريبة.

أسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة .

اختاروا المنهج الملائم لاحتياجاتكم :

نقدم لكم ثلاث تسهيلات ايداعية لكل منها شروط متعددة ملائمة لاحتياجاتكم الخاصة .

ايداع ذو الأخطار :

بحد ادنى ٥٠٠ جنيه استرليني ويمكن الاضافة اليه أي مبلغ وفي أي وقت كما ويمكن السحب بعد الاخطار في اخر المدة المتفق عليها . تستحق الفائدة اعتبار من تاريخ الايداع وتدفع نصف سنويا أو تضاف إلى الحساب .

ايداع ذو مدة محددة :

بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني بمدة محددة من سنة إلى خمس سنوات بسعر فائدة محدد في هذه المدة . تدفع الفائدة نصف سنوية أو سنويا .

ايداع ذو دخل منتظم :

بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني . هذا المشروع باهلكم باستلام شيك بالفائدة كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل نصف سنة . ونسبة الفائدة تزداد تدريجيا حسب المدة التي تختارونها . تودع الأموال لمدة محددة تتراوح بين السنة والخمس سنوات بسعر فائدة محدد لهذه المدة .

لتفاصيل أكثر من برامج حسابات الايداع وأسعار الفوائد نرجو ان تملؤا الكوبون وارساله لنا اليوم .

Lombard North Central
Bankers

إلى :

LOMBARD NORTH CENTRAL LTD., DEPT. W182,
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND.
Telephone: 491 7050.

الاسم : ______________________

العنوان بالكامل : ______________________

____

وست إند

تحفظ الوقت بدقة

الآن .. ساعات كوارتز الجديدة



الوكيل العام :

يعقوب يوسف بهبهاني

ص.ب : ٣٣٤ - الصفاة - الكويت - هاتف : ٤٢١١٢١/٤٣٣٥٨٥

استثمارات

أدخلوا مع ك . د . ب . الالمانية الغربية عالم استثمار الأموال في اسواق العملة العالمية .

فاستثمار الأموال في البورصات العالمية لم يعد حكراً على طبقة معينة فقط وانما تطور ليشمل طبقات رجال اعمال جديدة ظهروا على السطح بفعل الثورة الاقتصادية الحديثة . ونحن ندعوك لمشاركة زبائننا في ارباحهم الجيدة التي حصلوا عليها من خلال استثمار اموالهم لدينا . وقد حصل زبائننا على نسب صافية من الأرباح بلغت:

عام ١٩٧٦	عام ١٩٧٧	عام ١٩٧٨	عام ١٩٧٩
٪٣٩،٤٣	٪٤٣،٨٤	٪٣٣،٣٣	٪٣٤،٩١

معفاة تماماً من أية رسوم او ضرائب . اذا كنتم راغبين انتم ايضاً في الانضمام الى عداد زبائننا العرب والاوروبيين الراضين تماماً عن نجاحنا في ادارة واستثمار اموالهم في اسواق الانتاج العالمية فيمكنكم الاتصال بنا . ويسرنا ان نعطيكم المزيد من المعلومات في اللغتين العربية والانكليزية معاً . الحد الأدنى للمشاركة: خمسة آلاف دولار اميركي . نعمل في مجال الاستثمار وادارة الاعمال وبنجاح منذ عام ١٩٦٥ .
اكتبوا الينا باللغة العربية او الانكليزية على العنوان التـــالي:

KDB DEPOTBETREUUNG GmbH

HANS-THOMA-STR. 19
P.O. BOX 700650
6000 FRANKFURT / MAIN 70
WEST-GERMANY

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - دولة الكويت

يوليه - تموز
١٩٨٠ م

الموشحات الاندلسية

تأليف :
الدكتور محمد زكريا عناني

الكتاب الواحد والثلاثون

٢٥٠ فلساً

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

سوني
SONY



في البداية ترينيترون، والآن بيتاماكس
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر



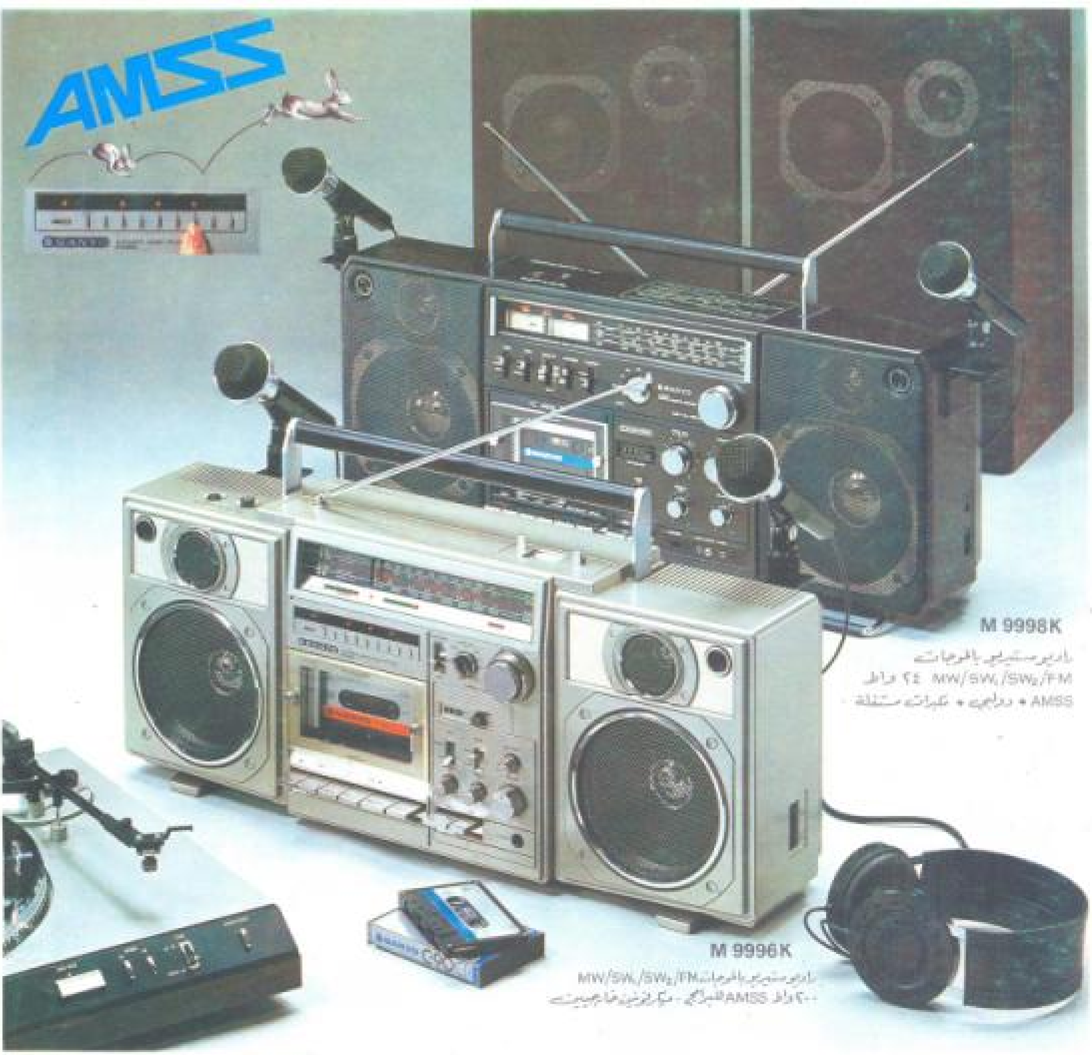
SL-8080E
بال/سيكام
للتسجيل واعادة المشاهدة

انطلقت سوني في تكنولوجيا الفن التلفزيوني الى مرتبة جديدة عالية مع تلفزيون ترينيترون الملون. والآن أوصلت تكنولوجيا سوني متعة المشاهدة التلفزيونية الى مستويات عالية جديدة، بواسطة المسجل التلفزيوني الرائع بيتاماكس. أربط بيتاماكس بجهازك التلفزيوني لتسجيل أي شيء تريده. فيلتقط لك أروع المشاهد، ثم يعيد عرضها أمامك من جديد لتشاهدها، كلما خطر ببالك. وحينما يسمح لك جدول أوقاتك اليومي. على أن هذه هي البداية فقط لما يمكن أن يفعله بيتاماكس من أجلك. اذا كان لديك برنامجان في نفس الوقت، مثلاً، وعلى قنالين مختلفتين متعارضين، لا تفكر طويلاً، ولا تتعب نفسك لاختيار أي منهما تراقب، بل يمكنك مشاهدة أحد العرضين في الوقت الذي يبدأ بيتاماكس تسجيل الآخر لك، لتعود فتشاهده فيما بعد.

واذا رغبت بمغادرة البيت في المساء؟

- اضبط مسجل الوقت الأوتوماتيكي، الذي يخدم ثلاثة أيام، قبل مغادرة المنزل، فيسجل بيتاماكس لك أوتوماتيكيا، وبأمانة ودقة، كل المشاهد، وأنت خارج بيتك. لقد صرفت سوني عشرين عاماً متواصلاً في اجراء التجارب والاختبارات التكنولوجية، لصنع المسجل التلفزيوني (فيديو ريكوردر) القادر على تحقيق كل هذا لك. ومع ذلك يبقى حجمه صغيراً كفاية، ومدمجاً بالمنزل واجوائه، كقطعة انيقة صغيرة. بالإضافة الى ذلك، تتميز تجربة سوني بصنع شريط التسجيل التلفزيوني الشهير، فيديو كاسيت، والسهل الترضيب، مرن الملمس، مريح التعامل معه، لأنه أصغر كاسيت في السوق حتى اليوم، ويدوم أكثر من ثلاث ساعات في اذاعة البرمجة المسجلة وبدون انقطاع. أضف الى كل ذلك، جهاز بيتاماكس بولونغ المضاعف للتسجيل والكشف لمرحلة الاذاعية، وقد أثبت الاختبار جدارته، والاعتماد عليه، والثقة به، إنه الأقوى والأشد استقراراً بين اجهزة التسجيل التلفزيوني، ويوزع الصور الكاملة النقية الوضوح.
في البداية الترينيترون ... الآن بيتاماكس الساحر.
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر.

Sony Betamax سوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته



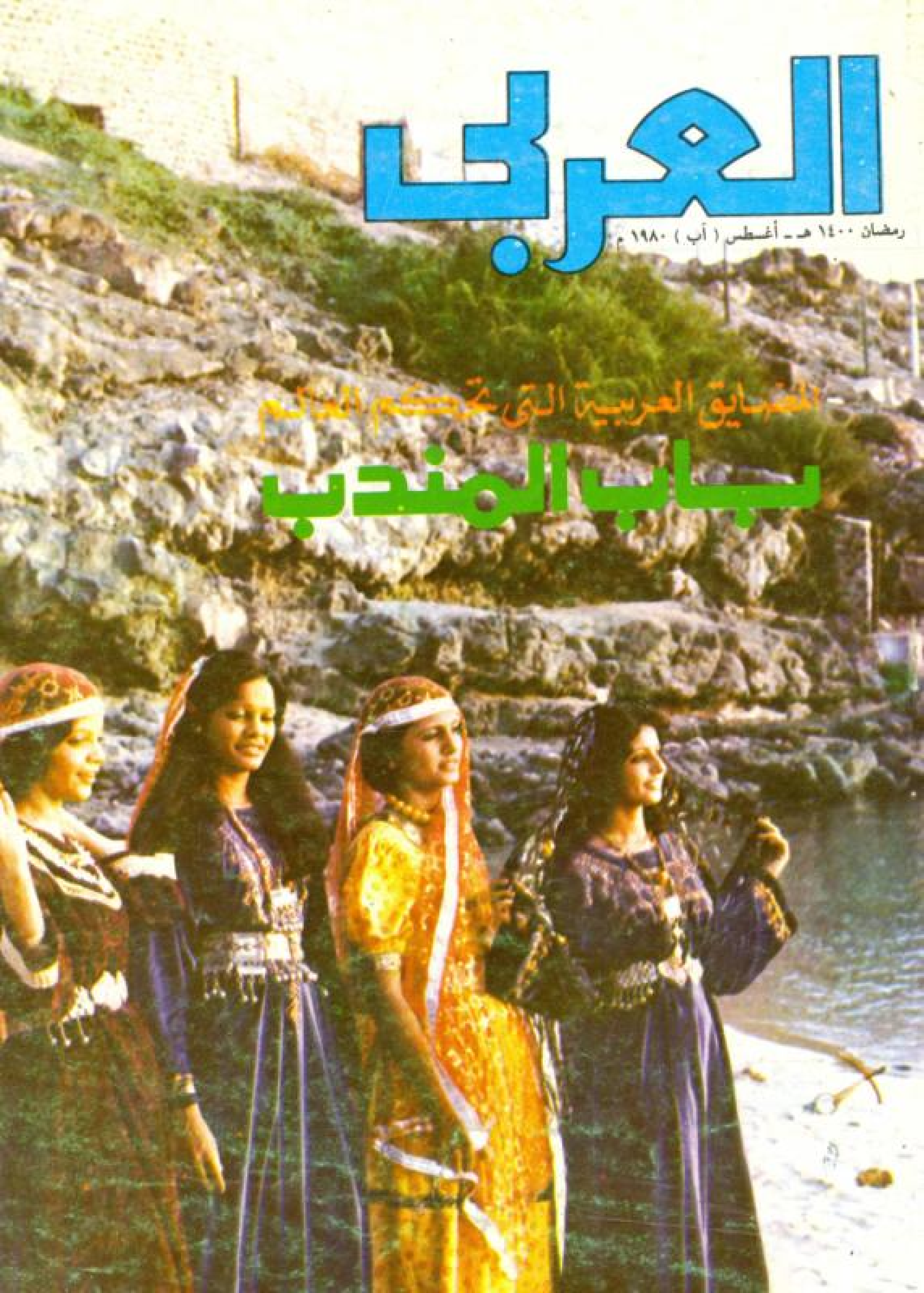
إستمع لِمَا تريد... وَاترك البَاقي

نظام مركب لمستوى الاستماع بإضافة AMSS من أساتذة الموسيقى النقالة.

[illegible]



SANYO سانيو



العربي
رمضان ١٤٠٠ هـ ـ أغسطس (أب) ١٩٨٠ م
المضايق العربية التي تحكم العالم
باب المندب

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج



بنك الكويت الوطني ...
الكويت منذ ٣٥ سنة .
بنك الكويت الوطني ...

بنك الكويت الوطني ش م ك

عزيزي القارئ

نقول في ختام شهر رمضان : كل سنة وأنتم طيبون ، او بتعبير اهل الخليج « عساكم من عواده » ، وتطوى صفحة الشهر الكريم .. ويحل العيد ، ويأكل الجميع كثيرا . يعوضون كل ما افتقدوه خلال شهر الصيام ، رغم ان الجميع كانوا « يأخذون بحقهم » ساعة الافطار كل يوم !

ويمضي العيد ، ويحل عيد آخر ، لتتكرر القصة ذاتها ، يتحينها الجميع فرصة ليأكلوا كثيرا . وفي كل مناسبة تظل المائدة هي مسرح الاحتفال ، والطعام هو صيغته المفضله والمثلى ، والتخمة هي مظهره ان لم تكن هدفه !

وتفقد الاعياد والمناسبات رموزها ومغزاها ، وتضيع من الجميع فرص نادرة للمراجعة والتأمل والحوار ، في الامس واليوم والغد . فرص لتجديد الحياة ، وتصحيح مسارها ، ودفعها في اتجاهات اكثر ايجابية وتقدما .

ويمضي ركب الحياة سريعا ، بأسرع مما نتصور ، لا ينتظر المتحلقين حول الموائد ، ولا القاعدين بتأثير التخمة ، ولا المشغولين بمواقع الاقدام عن النظر الى الغد واستشراف آفاق المستقبل .

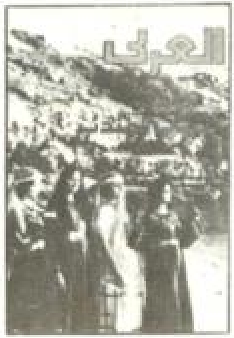
المشكلة ان التخلف عن ركب الحياة ، والانفصال عن قطار العصر ، لم يعد يعني ان يسبقنا الآخرون فقط ، وانما يعني في المقام الاول ان التقدم سيكون من نصيب فريق اللاحقين بالركب ، والتردي سيكون من نصيب فريق القاعدين . اى ان النتيجة لن تكون فقط انتصارا كبيرا للفريق الاول ، ولكنها ستحمل الفريق الثاني ثمنا باهظا تدفعه اجيال المستقبل ، مالم تستيقظ في الوقت المناسب .

نقول ذلك وعيد الفطر على الابواب ..

ولا يفوتنا ان نردد مرة ثانية : كل سنة وانتم طيبون !

« المحرر »

صورة الغلاف



عدد من فتيات اليمن الديمقراطية على أحد شواطىء البحر الاحمر ، في لقطة ضمن سلسلة الاستطلاعات التي تقدمها « العربي » حول المفاتيح الاستراتيجية والمواقع الهامة في الوطن العربي .. وهذه المرة تجولنا في ميناء عدن ، وكانت « العربي » اول مجلة تطير الى جزيرة ميون وسط باب المندب ، ثم انتقلنا الى الماضي تقلب صفحات التاريخ لتتعرف على سر المكان وعبقريته

(الاستطلاع ص ٦٨)

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة

أبواب ثابتة

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين
مدير التحرير : فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج . م . ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليا ، الجزائر ٢,٥ دينار ، المغرب ٢,٥ درهم ، اليمن ٢,٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير
عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١
تلغرافيا « العربي »

AL ARABI , August, No. 261
P.O. Box 748 — KUWAIT

حضارة المسدس .. والدولار

بقلم : أحمد بهاء الدين

زرت الولايات المتحدة الامريكية ، اول مرة ، سنة ١٩٦٠

وزرتها ، آخر مرة ، منذ اسابيع ، اى في سنة ١٩٨٠ ، اى بعد عشرين سنة بالضبط وفي خلال ذلك زرتها حوالي عشر مرات . زرتها احيانا كما يذهب « الطالب » والباحث في احشائها من المحيط الاطلنطي شرقا الى المحيط الهادىء غربا . وزرتها احيانا كمحاضر في بعض جامعاتها ، ومتأملا في جوها الاكاديمي . واحيانا كمريض في مستشفياتها ، واحيانا كصحفي يتردد بين البيت الابيض والكونجرس ووزارة الخارجية ، والامم المتحدة .

ولذلك ، اعتقد انني صرت اعرف بعض الشيء عن هذه القارة الحافلة ، والدنيا المائجةالماتجة ، تلك القارة التي قامت على الهجرة ، على الوافدين . فلا يكاد يوجد شعب في العالم القديم ، الا وله جالية في هذا العالم الجديد . ومع ذلك تصهرهم بوتقة واحدة ، في مساحة تبدو وكأنها لا آخر لها ، وفي بيئات جغرافية متفاوتة . من المدن الكبرى ، الى القرى الصغيرة ، الى الجبال المغطاة بالثلوج ، الى المساحات الشاسعة من السهول الزراعية ، الى الصحراوات الحارة الكبرى التي تضارع صحاري آسيا وافريقيا .

.. وهي ما زالت دولة شابة ، ليست في شيخوخة اوروبا مثلا ، فهي كالمعدة الشرهة تهضم المهاجرين ، وتمتص العقول من كل انحاء العالم . وكلنا نعرف في بلادنا مشكلة « هجرة العقول » ويعرفها معنا العالم كله من اوروبا الى آسيا وافريقيا . فالشاب الذي يذهب طالبا للعلم ، وينبغ ، نادرا ما يعود الى بلده . بعكس الذاهبين الى اوروبا مثلا . وفي امريكا يقولون « ان اهم سلعة تستوردها امريكا هي العقول الاجنبية ! » وقد كان من المفروض ان ندرك نحن



ان اهم سلعة نفقدها هي هذه العقول ذاتها ، ولكن العقول لا تجد مكانها عندنا ، وقوة الجذب هناك هائلة ... ولكن تلك قضية اخرى . فمشكلة الكتابة عن امريكا هي كثرة ما يمكن ان يكتب عنها ، واغراء الاستطراد عند كل قضية . وانا اريد او احاول ان اتجه الى قضية واحدة .

.. ومن يخالط الامريكي العادي ، يجد فيه صفات ممتازة ، فهو اكثر من الاوروبي بكثير في بساطته ، وكرمه ، وانفتاحه على الناس . وهو يقدس قيما ايجابية اهمها قيمة العمل . والعمل هو ما يميز الناس ، لا الطبقة ولا الاسم ولا الاسرة ، كما هو الحال في فرنسا او انجلترا مثلا .

وبالتالي ليس لديه عقدة « المظهرية » الموجودة في اوروبا ، فالامريكي اقل الناس اهتماما بثيابه ـ رجلا كان او امرأة ـ واقلهم تصنعا وتكلفا .

فقد عشت مثلا في بيوت اثرياء امريكيين . وكنت اجد ان الابن الصبي اذا طلب شيئا قال له اهله : اذن عليك بغسيل السيارة كل اسبوع ونعطيك كذا دولار . او عليك بغسيل زجاج النوافذ والابواب . او اذهب الى نادي التنس القريب حيث يحتاجون الى اولاد يجمعون الكرات التي يلعب بها اللاعبون . فهو مهما كان حظ اسرته ، لا بد ان يعرف ان القرش له قيمة وان له ان يستمتع ويلهو بقدر ما يعمل ويكسب .

طبعا ، اذا دفعنا هذا الاسلوب في الحياة ، او هذا المنطق ، الى نهايته ، فانه قد ينقلب الى شيء آخر مضاد . وفي هذه الحالة مثلا ، يمكن ان يؤدي هذا المنطق الى ان تصبح القيم مادية تماما ، القيمة الوحيدة فيها هي الدولار . وهذا بالطبع صحيح حين نلقي نظرة شاملة على منطق الحياة في الولايات المتحدة الامريكية ، بصرف النظر عن الافراد في حد ذاتهم .

وامريكا ـ كمجتمع ـ تتغير دائما . تعيش اليوم فقط لا تنظر الى الأمس ابدا . حتى التاريخ الذي نجده في المجتمعات القديمة لا وجود له هناك . ان الفتى من يقول ها أنذا ، ليس الفتى من يقول كان ابي ! . رجل مثل رونالد ريجان ، لا يمكن تصوره مرشحا لرئاسة الجمهورية في أي بلد في العالم ـ متقدما كان او متأخرا ـ الا في امريكا . ممثل سابق ،مشهور بالجهل السياسي ، لا يهم . انه يجمع الاصوات اكثر من غيره . ففرصة الربح هي الاهم . انك تريد ان تكسب او تخسر . غير هذا غير وارد في البال .

.. في سنة ١٩٦٠ ، حين ذهبت الى امريكا اول مرة كانت عالم الامان . كنت ادهش حين ارى الواقع كما رأيته في السينما ! ينام الناس وبيوتهم غير مغلقة من الداخل . ويسير المرء في منتصف الليل وهو آمن . طبعا كان هناك دائما ما يسمى بالجريمة المنظمة . وهي العصابات الكبرى . ولكن هذه تهتم بالمال الكبير . ليس هدفها المواطن العادي . نمت وتضخمت كما نمت الشركات والمؤسسات وتضخمت . ولكن كل مرة يتغير شيء ، الى الاحسن او الى الاسوأ . ولكن المهم ان هناك تغييرا مستمرا . وكل تغير لا بد ان يكون كاسحا شاملا .

الآن صارت الجريمة الفردية في كل مكان . فأكبر تجارة هي تجارة تحصين البيوت ، واذا كانت سيدة في سيارة ووقفت عند الاشارة في اكثر الاماكن ازدحاما ، تغلق الزجاج و« تتربس » الباب . فقد يخطف منها شيء . ولا يجوز لاحد ان يسير ومعه اكثر من خمسين دولارا : فاذا كان معك مال كثير جردوك منه . واذا لم يكن معك مال ، ضربوك من شدة غيظهم .

كانت هناك مرحلة الهدوء ، والمحافظة الاخلاقية ، والتدين ...

ثم جاءت مرحلة الاغتيالات السياسية .. من جون كنيدي الى روبرت كنيدي الى مارتن لوثر كنج .

ومرحلة « الهيبيز » ، والاباحيه المطلقة ...

ومرحلة ثورة الشباب على الحرب ـ ايام فيتنام .. وحملات السلام !

وكل ظاهرة او مرحلة كما قلت ، لا تلبث ان تعم كل مكان في هذه الدولة ـ القارة . والسبب في تقديري هو السطوة الهائلة لماتسميه بوسائل الاعلام . سطوة اكثر من اللازم .

ومن مشاكل امريكا بالمناسبة ان كل شيء منها « اكثر من اللازم » . المال اكثر من اللازم . الوفرة اكثر من اللازم . ناطحات السحاب اكثر من اللازم . العنف اكثر من اللازم . الصراع اشد من اللازم . جوانب الخير والشر على السواء ، اكثر من اللازم . فهي بلد الوفرة في الرفاهية ، وفي الجرائم على حد سواء .

واعود الى سطوة الاعلام ، لان هذه هي الجزئية التي اريد ان اقف عندها في هذا الحديث .

لقد عرفت امريكا الصحافة . ثم عرفت الاذاعة ، ثم عرفت السينما ثم عرفت التليفزيون .

وكما يتضخم كل شيء في امريكا ، ويتجه الى التركيز والاحتكار ـ رغم كل القوانين ـ تضخمت هذه الوسائل حتى غطت تلك القارة من المحيط الى المحيط وصارت امبراطوريات شامخة تجثو امامها اي سلطة اخرى ...

وفي مجال التأثير على الناس فحدث ولا حرج . فالامريكي في أي مكان كان يجد في غرفة نومه ذلك الصندوق السحري ، التليفزيون ، ويجد فيه ـ في المعدل ـ اثنتي عشرة قناة مختلفة . بعضها يعمل أربعة وعشرين ساعة في اليوم دون انقطاع !

طبعا كان للصحافة نفوذها الجبار وما زال ، ولكنها بالتأكيد اكثر نفوذا لدى النخبة . ثم كانت السينما بسحرها ، ثم الاذاعة باتساعها . ولكن هذه الادوات بلغت قمتها في التأثير بظهور التليفزيون . فهذا الصندوق السحري ، الذي ينقل العالم الى كل بيت .. يؤثر على النخبة وعلى السواد العام دون استثناء . وهو يسمر المشاهد في مكانه . يستأنسه .. ويروضه .. بما يصبه على رأس المشاهد كل يوم وكل ساعة .. من مشاهد .. واحداث .. وقصص وتعليقات .. واعلانات انه يكتسح تأثير الصحيفة .. وتأثير البيت .. وتأثير المدرسة .. وتأثير الحزب السياسي .. او الزعيم ..

ومع تعاظم فترة التليفزيون ، صار يقدم للناس كل شيء .. الترفيه .. والاعلانات التجارية .. والاحلام .. والسياسة .. وكل ما يمكن ان يفكر فيه المرء . فهو يحيط الفرد من كل جانب .. من الجوانب الذهنية والعاطفية والسياسية ، والاجتماعية .

ما لم يحدث ويصور على التليفزيون كأنه لم يحدث قط ! فأي زعيم سيجد جمهورا اكثر من عشرة آلاف مستمع ؟ وما قيمة هذا الى دقيقة واحدة يراها مائة مليون مشاهد ؟

ولأن المؤسسات الاعلامية ، بما فيها التلفزيون ، تجارية .. فقد صار هذا هو الاساس في تنافسها ، وصار الزعماء السياسيون ينافسون شركات صناعة الصابون في شراء الوقت على الشاشة الصغيرة .. بالدقيقة و الثانية .. والدقيقة ثمنها عشرات الآلاف من الدولارات ...

ونحن نعرف جميعا افلام « الغرب » التي نرى فيها قوافل المهاجرين ، بالعربات والخيول تشق طريقها غربا ، وتنتزع الارض من سكانها الهنود الحمر ، وتقيم حياتها ازاء صعوبات هائلة ونعرف ايضا افلام « الكاوبوى » او « رعاة البقر » .. حيث لا يوجد قانون ، ولكن يوجد امران : الاول محاولة كسب الدولار بأي ثمن . والثاني ان الفوز لمن تكون يده اسرع في سحب المسدس واطلاق النار ..

.. او كما قال الشاعر العربي القديم : وفاز باللذة الجسُور !

ونحن نقول ان هذه الافلام التي تُعاد مئات وآلاف المرات تؤثر في الشعب الامريكي . وهذا طبعا صحيح . ولكن العكس ايضا هو الاصح . والعكس هنا هو ان هذه الافلام بالذات هي نتاج تجربة حقيقية ، في تكوين الشعب الامريكي . وصدى لقيم حقيقة ما زالت كامنة فيه .

الفرد هو البداية والنهاية ، ومن حق الفرد ان يصارع في سبيل نيل ما يريد . والبقاء للاقوى ، الغاية هي الدولار والوسيلة هي المسدس . البطل هو المغامر . القادر على العمل الشاق . يعتمد على نفسه فقط . وبندقيته هي وسيلته ، عدوانا أو دفاعا .

وقد يدهش الناس اذا علموا انه حتى الان بعد كل هذه الحضارة ، ما زالت احد اهم « جماعات الضغط » ـ كالصهيونية وغيرها ـ اولئك الذين يدافعون عن حق اقتناء السلاح

لكل فرد . فعندما بدأت موجة الاغتيالات السياسية ، حاول اكثر من نائب في الكونجرس ان يقدم مشروع قانون يقيد حق اقتناء السلاح . ولكن احدا لم يتمكن من ذلك الى الان . وفي انتخابات الرئاسة ، يهتم المرشح بكسب اصوات الناخبين بقبول الوضع الراهن . والوضع الراهن هو انك تستطيع شراء البندقية او المسدس حتى بواسطة البريد . وامريكا اكثر بلد يتوفر فيه السلاح في ايدى الناس .

ففي تاريخ امريكا خيط من العنف ...

ذلك ان تاريخ امريكا فيه ثلاث تجارب لا تنسى ، وهى تترك بصمتها على الشخصية الامريكية الى الان .

الاولى : ان الامريكي جاء مهاجرا . وكلما شغل مكانا ، زحف غربا الى مكان جديد وفرصة اوسع . وذلك بدافع فردية شديدة ، وروح مغامرة ، وعدم اعتماد الفرد على شيء الا على نفسه .

والثانية : انه ، في هذه العملية كان يبيد في طريقه شعبا آخر هو شعب الهنود الحمر اصحاب البلاد الاصليين ، فهو اخذ الارض بذراعه وسلاحه واخذها مخضبة بالدم . وليبرر لنفسه ذلك لابد ان يؤمن بفكرة ان الاقوى هو صاحب الحق .

والثالثة : انه خطف العبيد من افريقيا ، وجعلهم ملكا له ـ كالدواب تماما ـ في امريكا اقام على اساس عبوديتهم زراعاته الواسعة . وبوصفه مالكا مطلقا لهم فانه ضربهم بالسياط ، واستخدمهم في اشق انواع العمل ، ووضعهم في حظائر كالماشية ، واغتصب نساءهم وحكم بالاعدام على من تمرد منهم .. الى آخر ما نعرف من قصة الزنوج المأساوية ، في الولايات المتحدة .

ومع ذلك ، فقد هاجر هذا الامريكي من اوروبا ، هربا من الاضطهادات الدينية .. والفوارق الطبقية ، هاجر باحثا عن عالم مثالي في حريته . ولكن التجربة العملية اوقعته في هذا التناقض . ولذلك قال احد المؤرخين الامريكان « كان جيفرسون يقرأ « اعلان حقوق الانسان » الذى انبثق عن الثورة الامريكية وحرب الاستقلال ضد انجلترا .. وامريكا نفسها غاصة بملايين السود الارقاء ، يرزحون في قيود العبودية » .

كأنها اثينا القديمة .. التي عرفت اوسع انواع الحرية لاهلها . ولكن قوتها قامت على العبيد « الذين ليست لهم اى حقوق » .

هذه التجارب الثلاث ، ظلت كامنة في النفس الامريكية . تبدى نفسها في صور العنف الغريب . الذى ان لم يلمسوه في حياتهم الواقعية . تلمسوه في القصص ، والافلام ، وعلى شاشة التلفزيون .

ولذلك فالامريكي يتنازعه عاملان : عامل الدفاع عن نفسه وتبرير مسلكه ، وعامل التأثر بهذا الخيط من العنف الذي لم يستأصل من نفسه بعد .. وقد كان المؤرخ الامريكى عادة يقلل من هذا الجانب الكريه ، ولكن كتاب التاريخ المحدثين يكشفون عنه اكثر واكثر .. على اساس ان هذه المعرفة الكاملة هي خير وسيلة للخلاص من هذه العقدة . وحتى لا يتعلم التلميذ في المدرسة غير ما يدركه بعد ذلك حين يكبر .

فحين نرى الكمية الرهيبة من الافلام البوليسية التي تنصب على رأس المتفرج ساعات طويلة كل يوم .. نجد كأنها صورة عصرية لافلام رعاة البقر . ولكن العمارات الشاهقة بدل الغابات والجبال . والسيارات بدلا من الخيل . ولكن الدولار هو الهدف . والمسدس هو الوسيلة . والفرد في النهاية يعتمد على نفسه اكثر مما يعتمد على البوليس والمحاكم والقضاة .

الامريكي يرى أنه أقام انجح تجربة . وها هو الدليل في الوفرة الهائلة في كل شيء . ولكنه اقامها على اسس من الفردية المطلقة . والعنف . وقانون البقاء للاقوى . ولمن يسحب مسدسه اسرع من غيره .

والتلفزيون الساحر . المسيطر . الباحث عن الربح . يتملق اى غريزة متاحة . ويبحث عن المثير الرهيب .. وبذلك يمد في عمر هذه القيم . بدل ان يستخرجها من وجدان المشاهد . ويخلصه منها .

وقد كان من اعمق الاوتار التى عزفت عليها اسرائيل طوال ثلث قرن . هي المقارنة غير المباشرة بين تجربة الاسرائيلى والامريكى : كلاهما مهاجر . وكلاهما طرد شعبا آخر من ارضه (بتصوير العرب على انهم بدو ومثل الهنود الحمر) على اساس حق التفوق والقوة . فكان سهلا على الامريكى ان يرى في تجربة اسرائيل تبريرا حديثا لتجربته . وان يفهم منطق اسرائيل اكثر مما يفهم منطق العرب (الهنود الحمر) .

وقد دخل الامريكى السياسة الخارجية بهذا التكوين . حين صارت امريكا دولة عظمى بعد الحرب العالمية الثانية ...

• دخلها معتقدا انه يقوم بدور « المبشر » . ينقل حضارة امريكا الى عالم متخلف عنها .. ودخلها بالدولار والمسدس . وقدرته على ان يكون الاسرع في سحب المسدس . فقام باعمال وحشية في فيتنام . ودمر كمبوديا . وبرر ما يسمى « بالعمليات القذرة » التي قامت بها المخابرات الامريكية .

وقد قلت في اول الحديث انني كلما ذهبت الى الولايات المتحدة . وجدتها في حالة نفسية جديدة .

هذه المرة الاخيرة . كان الامريكى العادى في حالة صدمة هائلة وحيرة بالغة . وذلك بفعل امرين :

● البترول الذى جعله يشعر لأول مرة ان كل مورد له آخر . وله حدود وقيود ليست في يده تماما . وهذا غير ما تعوده منذ هاجر الى امريكا .

● التوازن الذرى . فقد ادرك لاول مرة ان هناك قوة اخرى دولية تتعادل معه ـ وقد تتفوق عليه ـ في السلاح الذرى وقدرة التدمير . وهي الاتحاد السوفيتي . فهو لم يعد الكاوبوى الذى اذا ظهر في الشارع والمسدسان على جانبيه . ارتد الناس . ونكص الجميع عن مواجهته .

وتلك قصة اخرى .. قد يكون لها حديث آخر . ■■

احمد بهاء الدين



الدكتور زكي نجيب محمود يكتب

طبقات ثقافية

هن طبقات ثقافية ثلاث ، لست ادرى كيف يمكن ان يضاف اليهن رابعة ، كلا ، ولا كيف تحذف منهن واحدة ، فقولوا ما شئتم في دمج الناس جميعا في طبقة واحدة ، في ميادين الاقتصاد ، والاجتماع ، ومن حيث الحقوق والواجبات ، اقل لكم : الا الحياة الثقافية ، فقد أراد لها الله ان تتفاوت اقدارها في تلك الطبقات الثلاث .

اولاها ، واعلاها ، طبقة يغلب ان تكون قليلة العدد جدا ، بالقياس الى جمهور الناس ، يميزها انها تتعقب الافكار الى مقوماتها الداخلية جزءا جزءا ، ولا تطمئن لها نفس الا اذا قام على كل فكرة برهانها ، فهي جماعة ترفض ان يقال لها عن فكرة ـ كائنة ما كانت ـ انها « بديهية » تفرض نفسها على العقل فرضا ، او انها معصومة من الخطأ لاى سبب من الاسباب ، فاما ان يقام على الفكرة برهانها ، واما أن تنحى حتى يأتيها ذلك البرهان ، وما البرهان ؟ البرهان المطلوب هو ان ترد الفكرة الى مصدرها ، ثم ترد ذلك المصدر نفسه الى مصدره ، وهكذا دواليك ، الى ان يبلغ بها آخر شوطها ، وعندئذ ستجد نفسك في احدى حالتين : فاما ان تجد ان آخر الشوط انما هو مجرد فرض فرضناه ، وهاهنا تعلم ان السلسلة كلها ظنون في ظنون ، واما ان تجد ان آخر الشوط هو لقطة باحدى الحواس من ظواهر الكون المحيط بنا ، وعندئذ تعلم ان الافكار التي بين يديك هي من ذوات المضمون الحقيقى الذى يجوز الركون اليه في دنيا العمل .

تلك ـ اذن ـ هي عليا الطبقات الثقافية الثلاث ، واما الطبقة التي تتلوها ، فجماعة تقف من الامر موقفا وسطا ، فلاهي تتعنت في طلب البراهين العقلية على كل شيء ، ولا هي في الوقت نفسه تقبل ان تمضى المشكلة المعروضة بغير برهان ، ولكن كيف ؟ ان ذلك الموقف الوسط يتحقق لها على

الوجه التالي : تقول لها ـ مثلا ـ كلمة « مساواة » او كلمة « عدالة » او كلمة « حرية » او ما شئت من هذه المجموعة الضخمة من المعانى ، التي لا هي في دقة المصطلحات العلمية من جهة ، ولاهي من كلمات الحياة العملية اليومية الجارية ، من جهة اخرى ، والعجيب في امر هذه المجموعة من المعانى ، انما هي التي تكون عادة مصدر اعتراك واقتتال وتعصب وتحزب بين الناس . اقول : انك تذكر معنى من هذه المعانى لافراد الطبقة الثقافية الثانية ، فيكاد يستحيل عليهم ان يسألوا : ما معناه ؟ اذ هم ياخذون اللفظة مأخذ التسليم بان معناها معروف ، ولا محل للسؤال ، ومن ذا يريد ان يسأل ـ من افراد هذه الطبقة ـ ان كان للمساواة ، او للعدالة ، معنى محدد او لم يكن ؟ هم ـ اذن ـ يقبلون الامر قبولا لايحيط به شك ، لكن الذى يطالبون به هو ما اذا كان موقف معين ، او حالة بذاتها ، مما يكفل للناس تلك المساواة او العدالة ؟ كانما الشك عندهم منحصر في عملية التطبيق وحدها ، لا في مضمون المعنى الذى يراد تطبيقه . ومن هنا تأتي الخلافات الحادة بين الناس في هذه الميادين ، فتراهم يقتتلون فيما بينهم عن « الحرية » ـ مثلا ـ او عن « الديمقراطية » دون ان يكون في مستطاع احد منهم ان يحدد لك معنى هذا الذى يقاتل في سبيله .

واما الطبقة الثقافية الثالثة فهي عامة الجمهور ، التي كفاها الله شر السؤال وشر القتال ، فلقد اراح ابناؤها انفسهم من وجع الدماغ ، فلاهم يريدون برهانا على الفكرة الاصلية ، ولاهم يريدون برهانا على سلامه تطبيقها .

وعلى هذا الضوء اقرأ الآية الكريمة : « ادع الى سبيل ربك ، بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي احسن » ففيها اشارة الى الوسائل الاقناعية الثلاث ، التي تصلح للطبقات الثقافية الثلاث ، كل بحسب استعداده وقدرته ، وتلك الوسائل الثلاث هى : الحكمة ، والجدل ، والموعظة .

والحكمة هي طريقة البرهان العقلي من المبدأ الى المنتهى ، والجدل هو التسليم بالمبدأ ثم طلب البرهان على المنتهى ، اى على أن نتيجة معينة انما تولدت عن ذلك المبدأ المسلم به ، واما الموعظة فهي تلجأ الى التأثير بطريقة الخطابة وضرب الامثلة ، دون اللجوء الى برهان عقلي يقام .

وان نصيب امة من التقدم الثقافي ، يقاس بالنسبة العددية بين هذه الطبقات الثلاث ، فاذا كثرت الفئة التي تصر على تحليل الافكار الاساسية المتداولة ، تحليلا يبين على وجه الدقة مضموناتها ، ومصادر تلك المضمونات ، كانت الامة على درجة رفيعة من من الوعي الثقافي ، واما اذا كثرت فئة الطرف الادنى ، واعنى اولئك الذين لايؤرقهم ان يأخذوا المعاني في جملتها ، بغير تطلع الى تحديد محتواها الفكرى ، ومع ذلك تراهم يشقون حناجرهم بالهتاف لها اوضدها ، بل هم قد يسفكون دماءهم سفكا على معان لايعرفون من حقائقها كثيرا ولاقليلا ، اقول انه اذا كثر في الامة امثال هؤلاء ، كانت الامة على درجة متواضعة من الوعي الثقافي ، وبين الدرجتين : العليا والدنيا ، درجة وسطى .

واني لاتردد في ان اذكر هنا ما يستطيع كل قارىء ان يلحظه في الامة العربية بصورتها الراهنة ، وهو : كم تكون النسبة العددية ياترى بين هذه الطبقات الثقافية الثلاث ؟ ! ■■

« لا خيار للمسلمين اليوم الا ان يفعلوا ما فعله اسلافهم بالاهتداء بروح الاسلام الحية »

المسلمون واكتشاف الروح

بقلم : الدكتور عون الشريف قاسم *

يعيش مجتمعنا في العالم العربي والاسلامي وفي كل أقطار العالم الثالث مرحلة انتقال خطيرة يمكننا أن نسميها بمرحلة اليقظة ، فنحن في السودان مثلا كجزء من العالم الاسلامي والعربي والافريقي قد تأثرنا بما تأثر به هذا العالم الحضاري العريض من نكبات ومحن لقرون طويلة ، فأصبح الجمود العقلي والتحجر الفكري والاجتماعي وما يتبع ذلك من جهالة عمياء ، وتقليدية مفرطة ، وخوف من كل جديد ، مهما بلغ صلاحه ، أصبح كل ذلك سمة من سمات المجتمع ، ومن ثم اصبحت حياتنا في مجملها رتيبة مكرورة ، وكأنها دورة من دورات الطبيعة الثابتة ، تمر الاعوام والقرون وهي هي لا تتبدل ولا تتغير إلا في أضيق الحدود ، يرثها الخلف عن السلف ، ويسلمونها في أمانة لمن يليهم وهكذا دواليك .

وهذه التقليدية والتمسك بكل قديم دون نقد أو اجتهاد تستقيم مع مثل هذا المجتمع المكرور غير المتطور ، لان الناس لا يغيرون أفكارهم ولا نظمهم الاجتماعية حبا في التغيير ، وانما يغيرونها بدافع الحاجة والضرورة ، وليست هناك من حاجة ولا ضرورة لتغيير فكر أو نظام في مجتمع رعوى أو زراعي تسير فيه الحياة سيرتها الطبيعية المحكومة بالعادة لا تطور الزمن .

التحدي الحضاري :

ولكن لا بد مما ليس منه بد وهكذا وجدت هذه الشعوب انفسها امام تحد حضاري لم تألفه من قبل ، ولم تكن مستعدة لملاقاته ، والتحكم في النتائج المترتبة على هذه الملاقاة . وهذا التحدي الحضاري قد بدأ يطل الى الوجود منذ القرن السابع عشر الميلادي ، وبلغ أوجه

* رئيس المجلس الاعلى للشئون الدينية والاوقاف بالسودان .

في القرنين التاسع عشر والعشرين . فقد أصبح العالم كله وليس اوروبا وحدها ، الميدان الفسيح للحضارة الغربية الصناعية ، وكان لا بد لكل الشعوب أن تتأثر بالتيارات الحضارية الجديدة ، لأن الرجل الابيض لم يكتف في الدعوة لافكاره ونظمه بالكلمة والموعظة الحسنة وحدها ، بل دعمها بالاستعمار والسيطرة على كل هذه الشعوب التقليدية المتخلفة . وبما أن هذه الشعوب عاجزة عن الحركة الذاتية ، وعن تطوير نفسها بحكم هذا العجز العقلي والاجتماعي ، فقد أمكن للاستعمار من أن يمكن لكثير من أفكاره ونظمه في حياه هذه الشعوب المحنطة ، وأن يقنع الكثيرين من ابنائها بأن الافكار والنظم الموروثة عن حضاراتهم لا تصلح لحياة العصر الصناعي ، وأن ما جاء عن المجتمع الغربي وحده من عادات وأفكار ونظم اجتماعية وما إلى ذلك هو وحده السبيل للتقدم . ومعنى ذلك أننا اذا أردنا التقدم فلا سبيل الى ذلك الا بتقليد ما يفعله الغربيون في كل شيء ، والتخلي عن كل ما يذكرنا بماضينا وشخصيتنا الجامدة العاجزة عن الحركة .

وكانت الحلقة مفرغة . بمعنى أننا وكل العالم الثالث وجدنا انفسنا في موقف العجز والشلل التام امام سيل جارف من الافكار والنظم التي لا تستقر على حال إلا لتتبدل بحكم حيوية المجتمع الغربي المتطور الذي تصدر عنه هذه الافكار والنظم . وبما أن كثيرا من مظاهر حياتنا المادية قد تغير بحكم التطور الحضاري الذي شمل كل العالم ، وبذلك خرج مجتمعنا في بعض جوانبه من دورة الطبيعة الصارمة ، وتخلص نوعا ما من اسار العادة المكرورة . فكان لا بد أن يتبع ذلك تغير مماثل في افكارنا وفي نظمنا ، بحيث نجاري التطور المادي في حياتنا ، الذي يفرض علينا مواجهة القضايا والمشاكل الجديدة التي احدثتها حركة المجتمع وانفلاته من قبضة الرتابة التي كان عليها في سالف الايام ، ومعنى ذلك أن حركة المجتمع المادية ، وتغيير بعض مظاهر حياته ، تتطلبان موقفا فكريا متفتحا لمجابهة الظروف الجديدة ، وإحداث تغييرات مماثلة في حياتنا العقلية والاجتماعية تستقيم ومنطق التطور الذي ألم بحياتنا . وذلك يعني باختصار أن تخلص المجتمع من دورة الجمود المكرورة التي عاش عليها دهرا ، والتي كانت تكفي فيها بعض العادات الموروثة ، والمواقف العقلية والاجتماعية الجامدة التي تتلاءم وطبيعة المرحلة المتخلفة المتوارثة ، يتطلب فكرا منطلقا جريئا يواكب مظاهر الحياة الجديدة ، ويتغير ويتغيرها ، يوجه ويخطط ، ويقدر ويستشرف ويهدي الى أسلم النتائج . ان تغير الحياة البشرية وتطورها يستلزمان بالضرورة تغيرا في حركة الفكر لضمان التقدم ، ومواصلة المسيرة في سبيل المستقبل المشرق للبشر . لكن الموقف الفكري المتطور الذي يوجه حركة المجتمع غير متيسر إلا للأمم التي انبثقت في حناياها وفي اعماقها جذوة الوعي الحضاري ، وتفجرت فيها طاقات الابداع والاصالة ، فاندفعت تخلق وتعمر وترتاد وتكتشف وتخطيء وتصيب . وقد واجهنا نحن في عجزنا وشللنا حيوية هذه الحضارة الغربية تغزونا في عقر دارنا فنقلدها دون فكر ، وتحدث في حياتنا مختلف التحولات فلا نستطيع التحكم فيها بحكم هذا العجز ، ولا يستطيع موروثنا ونظامنا التقليدي مجابهة التحدي بحكم الجمود الذي ران عليه لقرون طويلة لم يفتح فيها باب الاجتهاد لكي يواكب حركة الحياة في المجتمع . فأصبحت الحلقة مفرغة ، جديديفرض علينا من الخارج لا نستطيع له دفعا ، وتراث جامد موروث عن زمان غير زماننا في مجتمع تقليدي جامد تغيرت معظم معالمه الآن ، فلا نهتدي الى ما يشفي غليلنا منه بغرض تطويعه لملاءمة حاجات العصر ، وهذا هو سر تمزقنا وازدواج شخصيتنا .

فترة التيه :

وكانت فترة التيه والتمزق التي اعقبت اتصال شعوب العالم الثالث بحضارة الغرب ، ومحاولة الرجل الابيض فرض سلطاته وثقافته الوطنية عليها ، ارهاصا بميلاد وعي جديد ، وبداية لمرحلة من مراحل اليقظة الذاتية سبيلها البحث عن الشخصية الحضارية الضائعة بين ركام الماضي الجامد وقشور الحاضر الزائف ، وغايتها تاصيل الذات ، وتحقيق الشخصية في كل ابعادها المعنوية والمادية ، بحيث يكون تقدم الامة نابعا من روحها ، قائما على اصالتها ، مطورا لكل ما هو خير وطيب في موروثها . وقد كان أكبر مظاهر هذه اليقظة ادراك الثنائية الحضارية في حياة الأفراد والجماعة . فقد بدا جليا أن هناك ازدواجية في الفكر والعمل تتفاوت في درجاتها ، وتبلغ ذروتها بين المتعلمين خاصة . ومرد ذلك الى ان المتعلمين في المدارس لا يتلقون في مناهجهم الدراسية ما يعمق في نفوسهم وعقولهم عظمة تراث أمتهم ، ويدفعهم الى التنقيب عن كنوزه ، واكتشاف روح الاصالة فيه التي اكتشفها الغربيون في مطلع نهضتهم . وقد كان جمود المجتمعات المسلمة في عصور الظلام ، واستغراقها البعيد في متاهات الخرافة والشعوذة ، ناجما عن انطفاء شعلة العلم والابتكار في عقول الرجال ، وانصراف من لحق بهم الى اجترار أضابير

الماضي وتقديس افكار الرجال الاوائل وكلياتهم ، بدل إعمال الذهن فيها بغرض تطويرها أو تحويرها أو الغائها لتتلاءم افكار الناس مع مواضعات حياتهم المتجددة ابدا . فلقد استتبع سقوط الدولة الاسلامية المادي هبوط فكري عام كان من ابرز مظاهره اغلاق باب الاجتهاد وقبول كل ما جاء عن المفكرين والمصلحين الاوائل كأمر لا يقبل الجدل ، ولا تصح مخالفته مهما بلغت مفارقته لحياة الناس وعقولهم . ومن ثم رأينا جهود الدارسين تنصرف الى ما كتبه الاوائل ، لا لتضيف جديدا ، وانما لتختصره في شكل برشامات ليحفظه الدارسون ، أو لتسود حول متونه آلاف الصحائف في شكل شروح أو هوامش او حواش أو تعليقات أو ما شاكل ذلك من علامات الافلاس العقلي ، الذي عجز عن ابتكار شيء جديد ، فانصرف الى القديم يزخرفه في غير ما طائل . ولم تكن الدنيا واقفة طوال هذه القرون التي وقف فيها فكر المفكرين ، وانصرفت فيها جهودهم الى لعبة الزخرفة الورقية بدل شغل أنفسهم بملاحقة تيارات الحياة المتسربة في كيان مجتمعهم ، ومحاولة التعبير عنها فكرا وثقافة وتشريعا واجتهاعا مما لا نجده الا في اقل القليل من فكر المفكرين منذ الامام الغزالي في بداية القرن السادس الهجري .

انفصال الفكر :

وكانت نتيجة ذلك أن انفصل الفكر عن ملاحقة تطور المجتمع ، ووقف عن رصد حركته الدائبة ومواكبة تطوره لقرون طويلة . ولكن الفكر ان تحنط وعجز عن احتواء تجربة المجتمع المتصلة ابدا بغرض تقويمها وترشيدها وربطها بالاطار النفسي العام لتجربة الامة الحضارية بحيث يحدث التواؤم والانسجام بين ماضي الناس وحاضرهم ، فان حركة المجتمع لا تقف ، واكتسابه للتجارب والمواقف لا يتعطل بتعطل عقول المفكرين من أبنائه ، ومعنى ذلك أن الفكر يفقد بمرور الزمن قدرته على تفسير كثير من الظواهر الاجتماعية التي تلم بحياة الناس لانفصاله عن هذه الحياة ، ويعجز عن التصدي للقضايا والمشاكل الملحة التي تجابه الناس في صراعهم اليومي من أجل البقاء لانصراف المفكرين لاجترار قضايا العصور الماضية التي تصدى لها جهابذة المفكرين الاوائل مما شل من قدرتهم على مواجهة القضايا الجديدة ، وإيجاد حلول لها لم يكتشفها الاوائل لانهم لم يعيشوها ، وكل ذلك يقتضي اجتهادا جديدا في ضوء تجربة التراث المكتسبة وروحه الحية ، مما لا قبل به للمقلدين والمجترين من مزخرفي الورق . ومادام الناس لا يجدون الحلول الجاهزة لقضاياهم الملحة في كتب الاقدمين ، ولا في عقول المجترين لها من سدنة الفكر ، فالنتيجة الحتمية لذلك أن ينصرف الناس عن كل ذلك ، ويتقلص من ثم أثر الحركة الفكرية المتوازنة في حياة الناس المعاشة ، ويندفع المجتمع في حركته الدائبة يعلو ويهبط في دروب الزمن ، يجوب ويختار ويرفض بالسليقة المختزنة في اعماقه ، والمترسبة في كيانه ، بتأثير التراث الذي بعد العهد به ، وتعاورته صروف الدهر اضعافا واضمحلالا . ومن ثم تتراكم مع الزمن تجارب كثيرة في حياة الناس بحكم تطور مجتمعهم ، وقد يكون معظمها خارج اطار الهيكل الفكري المتوارث . ومن هنا جاءت الثنائية والازدواجية ، لأن الفكر عجز عن احتواء التجارب الجديدة للمجتمع ، والتعبير عنها تعبيرا يسلكها في الاطار العاطفي والعقلي والنفسي للامة ، بحيث يتجانس فكرها وعملها . ومن الواضح ان المفارقة بين الفكر الموروث وحياة الناس المعاشة لم تكن بعيدة نسبة لرتابة الحياة وبطء حركتها وبعدها عن التأثر بالتيارات الوافدة من الخارج الا في أضيق الحدود ، ومن ثم لم يكن انفصام الشخصية وتمزقها بين الماضي الموروث والحاضر المكتسب قضية كبيرة في ماضي أمتنا القريب ، للتقارب الكبير بينهما ، ولأن كثيرا من مظاهر الحياة ما تزال تجد تعبيرها في بعض الفكر الموروث . ولكن اطراد تقدم الحياة المادية ، وانتقال أجزاء كبيرة من المجتمع الى حياة حضرية متصلة الاسباب بما يحدث في عالم الغرب الشديد الحركة المتغير أبدا ، وعجز علمائنا التقليديين عن ملاحظة هذا التطور ، واستسلامهم للنوم الذي ظلوا يغطون فيه لقرون طويلة ، كل ذلك جعل مسافة الخلف بين كثير من مظاهر حياتنا المعاشة وفكرنا الموروث بعيدة بعد القرن العاشر الميلادي عن القرن العشرين . والأمر المؤكد أن الاستعمار قد وجد مجتمعا منشطرا على نفسه ، قد انفصل فكره عن حياته ، فاستغل كل ذلك لمصلحته ، وعمق منه على أمل أن ينصرف الناس عن قديمهم ليتوهوا في متاهات تجربة الغرب الجديدة .

وكان من أبرز النتائج المترتبة على قصور الفكر وعجزه عن متابعة حركة المجتمع بالرصد والتقويم والترشيد من أجل وصل روح الماضي بالحاضر ، خلق فجوة وجدانية ضخمة في نفوس الناس وعقولهم بين موروث الناس وما درجوا عليه من مواضعات ، وبين الجديد المكتسب الذي طرأ على حياتهم وأصبح واقعا معاشا دون أن يتصدى له الفكر بالتقويم فيرفضه أو يقبله أو يبرره ، ومن ثم يمنحه جواز المرور الى حصيلة التجربة الوجدانية الكامنة في أعماق النفوس المتجانسة

مع روح التراث . وينجم عن ذلك هذه الثنائية التي تحدثنا عنها ، والتي تتمثل في ازدواج الشخصية وتمزقها بين ماض يقوم عليه كيانها العقلي والنفسي والاجتماعي ، وبين حاضر يهجم عليها في كثير من مظاهره من خارج هذا الكيان ، يعارض ويسعى الى الغلبة على ما سواه . ومما يعمق من حدة هذه الازدواجية جفاف هذا الماضي وجموده لارتباطه بحضارة جمدت لقرون طويلة وماتت فيها روح الابداع والاصالة ، فاستكانت الى التقليد والتكرار في عفوية وخدر دون وعي أو ادراك لما تفعل ، تسيرها العادة فتترسم خطى آبائها الأولين في صمت رتيب . ويبدو قصور هذه الشخصية القائمة على موروث هذا الماضي على أشده في مجال المقارنة بالشخصية الغربية القائمة على مكتسبات الحضارة الحديثة ، فيحس الفرد وكأنه مشدود الى وتد يعوقه عن الحركة ، أو كأنه يحمل على كتفيه جثة هامدة في حين ينطلق الآخرون في رحاب الزمان في حرية وخفة . ومما يضاعف من حدة الازمة ان انطلاق هذه الشخصية التقليدية من عقالها رهين بتحول عام في منحى الحضارة التي تنتمي اليها يعيد إليها حيويتها ويبعثها من جديد . وعلى هذه الحضارة أن تفعل كل ذلك في وجه تحد خطير ، وتحت ظروف غير متكافئة كما هو حال كل الحضارات التقليدية في وجه حضارة الغرب الحاضرة وجبروتها . وأمام الظروف القاسية يبدو لكثير من الناس استحالة هذا البعث وعدم جدواه ، ويرون أسلم الطرق في الانخراط في الحضارة الجديدة واختصار الطريق الى الحداثة ، زاعمين أن هذه الحضارة ملك للجميع ، وهي فوق ذلك تتخطى حدود الاقليم والعنصر واللون .

عصور الانحطاط :

ولعله من المفارقات الكبيرة في تاريخ الحضارة الاسلامية أن يكون مصدر قوتها وغناها الكامن في شموليتها وتنظيمها الدقيق لحياة الناس الاجتماعية والروحية عاملا من عوامل اضمحلالها وضعفها في عصور الانحطاط التي ما تزال تعيش تحت ظلها . فاذا تجاوزنا للحظة الحرب الشعواء التي يتعرض لها الدين عامة من قبل هذه الحضارة الغربية ، التي قامت في كثير من جوانبها كرد فعل على تسلط الكهنة والبابوات على حياة الناس وعقولهم وكل ذلك مما يثير الشبهة ، ويلقي بأكثف الظلال على كل حضارة ترتكز في صميمها على الدين ، مثلما تفعل الحضارة الاسلامية ، فاذا تجاوزنا ذلك فاننا لا بد أن نلحظ موقفا عقليا هو في بعض صوره امتداد لفترة الاجترار والتقليد التي مر ذكرها . وهذا الموقف العقلي يفترض اصلاح الحاضر باعادة الماضي بحذافيره ، لاتتصرف فيه إلا في أضيق الحدود . وهذا الفهم ناجم من ان النظام الاسلامي نظام شامل يخطط للفرد وللمجموعة ، وأنه يرتكز على القرآن الذي حوى كثيرا من الاحكام العامة والخاصة التي فصلتها السنة الشريفة وتوسعت في تبيين جزئياتها ، ثم جاء الفقهاء والمجتهدون من اصحاب المذاهب فاستنبطوا مختلف الاحكام والتشريعات الدقيقة بحيث لم تصبح للمسلم قضية ، وما عليه في ضوء هذا الفكر إن أراد صلاح الدنيا والآخرة إلا أن يطبق هذا النظام الكامل الموروث فتمتلىء الارض عدلا بعد أن ملئت جورا ، ويعم الاخاء والمودة العالمين .

الحياة العريضة :

وخطورة مثل هذا الفهم أنه يفترض أن النظام الاسلامي الوارد في القرآن والسنة وفي اجتهاد المجتهدين نظرية تطبق ، وليس حياة تمارس وتعايش ، ويتعذب الناس بل ويموت بعضهم في سبيل تطويعها وتطويرها لتصبح حياتهم اكثر انسانية ، واعظم روحانية ، بمقدار تشاطهم العقلي والاجتماعي الذي يكسب مفاهيم الاسلام العامة والخاصة رواءها ورونقها . فإن الاسلام حياة عريضة تتفتح في رحابها كل العقول ، وتزدهر كل النفوس ، وهو روح حر طليق قبل أن يكون نصا أو مؤسسة أو حدا ، فلذلك لا يمكن أن نحده بحدود اجتهاد قرن بعينه ، ولا أن نقبل في فهمه وتفسيره ما أتانا عن المتأخرين من الرجال في العصور الاخيرة الذين يلحون على النص فيقتلون الروح ، وتتحول سماحة الاسلام الكامنة في نفوس المسلمين الى جفاف وغلظة في أفواه المتحدثين باسمه وعقولهم ، فيزداد نفور المسلمين من اسلامهم الكامن في ضمائرهم ، لان معظم المتحدثين باسمه عجزوا عن اكتشاف ما في ضمائر المسلمين البسطاء والتعبير عنه . وهذه هي القضية ! . فالاسلام الذي يتحدث عنه بعض الناس وكأنهم يأتون للناس بشيء غريب لم يعهدوه ليس جديدا على الناس ، بل هو جزء من حياتهم ، وهم في جوهرهم صياغة حية لفكرة الاسلام ، والمطلوب من المجتهدين في العصر الحديث اكتشاف هذا الاسلام الحي في نفوس البسطاء من الناس ، وازالة الشوائب عنه ، وتفجير طاقاته الخلاقة ، وربطه بحياة العصر بحيث لا يشعر المسلم الذي هو النموذج الحي لفكر الاسلام ، بالغربة في القرن العشرين . وسبب هذه الغربة أن هذا الاسلام الكامن في النفوس ، والذي صاغ شخصيات المسلمين واعطاها

كينونتها وذاتها نسيج حضاري حي ، يتفاعل مع البيئة ويؤثر فيها ويتأثر بها ككل كائن حي ، فيتطور الفرد ويتطور المجتمع ايضا ، لأنه روح حية وليس شكلا جامدا ، والا لما أمكن أن ينظم حياة الناس وعقولهم وهي متجددة ابدا لاهثة ابدا وراء الجديد . والعبرة ليست بما صار اليه الاسلام في حياة المتأخرين وعقولهم ، فان ذلك الصورة الجامدة للاسلام الذي توقف عن النمو والحركة بتوقف المجتمع المسلم عن النمو والحركة . وانما العبرة بما كان عليه الاسلام في حيويته وانطلاقه وهجومه الكاسح على معاقل الحضارات واحتوائه لها ، وهضمه لكل جديد وقديم فيها من الفكر والاجتماع ، وتجديد نفسه بالانفتاح على ثمرات الفكر والحياة حيثما نزل ، وبذلك تبرز قوته وتبدو روحه التطورية المعبرة عن روح العصر في كل مجالات الابداع والابتكار . ولا نستثني من ذلك الشريعة نفسها التي ضرب لنا مفكروها الأول المثل الحي للطواعية والمرونة وانفتاح الذهن على تجدد الحياة واختلاف صورها ، وادراكهم الواعي لهذه الحركة المتصلة في اعماق المجتمع ، وسعيهم الحثيث للتعبير عن ذلك في فهمهم الكبير للنصوص وتفسيرها وتأويلها بما يحقق اكبر قدر من الفائدة للمجتمع ، ويتيح لطاقات النص أن تنطلق بالقدر الذي يسمح به تطور الحياة في حدود الزمان والمكان . ومن هنا جاء اختلاف الفقهاء الذي هو رحمة ، ومن هنا تعددت المذاهب ، ومن هنا كان التعبير عن حيوية الشريعة ومرونتها ليس في هذه الصور الاخيرة الجامدة للمذاهب ، وانما في فتاوى الفقهاء والعلماء واحكام القضاة ، ومن هنا كان للافتاء في الاسلام هذه المكانة العظيمة . ومن هنا كان من اصول الشريعة بعد القرآن والسنة القياس والاجماع وإعمال الرأي عند بعض الفقهاء ، كل ذلك يكسب الشريعة نماءها ومرونتها وقدرتها على استيعاب كل تيارات الحياة في اطارها العام المرن ، ولو جمدت وتحجرت واصبحت قوالب احتواء لتجاوزتها حركة الحياة الدافقة ، وخلفتها كآثار للتاريخ ، وهياكل فارغة لاحياة فيها ولا رواء .

ومن هنا كان عقل المسلم الذي شحذته دعوة القرآن للقراءة والتزود من العلم والاستزادة منه رائدا للفكر طالبا للعلم ، يأخذه من حيث جاء ولو في الصين ، وبذلك تغير المزاج العقلي والفكري والديني ايضا بمجرد أن خرج العرب من جزيرة العرب واتصلوا بأصحاب الحضارات من الفرس والروم والهنود ومن اليهم . لم يقل مفكرو الاسلام : علينا الوقوف عند ما ورثناه من آبائنا ، بل طوروه بالانفتاح على الجديد الذي وجدوه خاضعين له ، مطوعين فكرهم وموروثهم للتعبير عن الوضع الجديد ، بحيث يصعب علينا اليوم أن لا نقدر الثراء العقلي الذي اضفته حركة اهل الكلام والفرق الاسلامية المختلفة على تراث الاسلام ، ثم ما اعقب ذلك من نشاط الفلاسفة وعلماء الطبيعة المسلمين الذين بلغوا الذروة في النظر العقلي ، بحيث لم يغيروا من حياة المسلمين العقلية والاجتماعية فحسب بل غيروا من مسار الفكر البشري عامة وطوروه حتى اسلموا الشعلة لاوروبا في العصور الحديثة . وهذا هو الاسلام الحي ، الاسلام المتطور الذي يتغذى بالتجربة ، ويتلون بالبيئة ، ويثري الحياة ، ويؤثر فيها ويتأثر بها ، ويهدف ابدا الى الأمثل في كل شيء متجاوزا حدود الماضي مستشرفا المستقبل . ومن هنا كان تجدد روح الاسلام في الشريعة وفي الفلسفة وفي الفكر وفي نمط الحياة الاجتماعية . ولو لا ذلك لظل البدوى الذي نزل عليه القرآن حيث كان وحيث هو . ولكنه باسترشاده بروح الاسلام بلغ ذروة الحضارة في أقل من قرن ونصف قرن .

ولا خيار اليوم للمسلمين الا أن يفعلوا ما فعل أسلافهم بالاهتداء بروح الاسلام الحية ، وبتجاوز الماضي ، واستشراف المستقبل ، باكتشاف روح الاصالة الكامنة في نفوسهم ، ورفدها بتيارات الحياة الجديدة ، لبناء حضارة اسلامية انسانية جديدة ، لا تقف في وجهها القيود ، ولا تحول دون انطلاقتها السدود . ■■

الخرطوم ـ د . عون الشريف قاسم

● اعلنت سيدة اجنبية عن نيتها في الزواج فذهب رجل لطلب يدها ولما دخل البيت رأى ثلاث قبعات معلقة ، ولما سألها قالت :

هذه قبعة زوجي الذى مات غرقا ، وهذه قبعة زوجي الذى مات حرقا ، وهذه قبعة زوجي الذى مات قتلا ...

فناولها قبعته وهو خارج وقال :

ـ خذى هذه وقولي : هذه قبعة زوجي الذى نفد بجلده .



الفين توفلر

الفين توفلر مع ثورته الجديدة .

بعد الثورة الزراعية والثورة الصناعية

التفتيت

"الموجة" أو الثورة الثالثة

اعداد : منير نصيف

● امريكا مقبلة على صراع مع التفتيت

● مطلوب دستور جديد وبناء حكم جديد

● امريكا تحبس العقول في مصيدة بالية

الفين توفلر ، كاتب ومحلل ذائع الصيت ، حدد بكتاباته الطريق لرؤية التغييرات الاجتماعية في المستقبل . وهو مؤلف « صدمة المستقبل » ، وقد كتب اخيرا « الموجة الثالثة » اكثر الكتب توزيعا في امريكا والعالم . وفي كتابه الجديد ساق توفلر الادلة على ان اجهزة الحكم والمؤسسات الاقتصادية القائمة ليست مؤهلة لمعالجة متطلبات العصر الحديث ، وانها في حاجة الى تغيير جذري ، « اذا شاءوا لهذه الامة ان تعيش . »

في هذا الحديث يلقي الضوء على بعض النقاط الهامة التي اوردها في « الموجة الثالثة » ، بعد ان صدم العالم في « صدمة المستقبل » !

بناء الحكم عفى عليه الزمن .

أمريكا مشغولة بطقوس عتيقة بالية وهي تصارع من اجل اختيار رئيس لها . ولا يهم اذا انتخبنا قديسا او عبقريا للبيت الابيض ، لان الفائز ، مهما كان ، لن يتمكن من ان يفعل شيئا ، لان بناء الحكم اصبح « موضة قديمة » ، ولم يعد يتناسب مع المشاكل التي تواجه هذه الامة وهي تنتقل من العصر الصناعي الى عصر جديد أو مرحلة « الموجة الثالثة » من الحضارة . لقد ارست الثورة الزراعية منذ عشرة الاف سنة اول « موجة » هائلة من التغيير ، وأطلقت الثورة الصناعية التي بدأت منذ ثلاثمائة عام الموجة الثانية من التغيير ، فخلقت مجتمعا من سماته المميزة ، ان كل شيء فيه اصبح على نطاق جماعي ، التعليم ، الاستهلاك ، وسائل الترفيه .. الخ . ولكن اليوم بدأت موجة ثالثة من التغيير ، خلقت معها مجتمعا جديدا ، اهم ما يميزه « التفتيت » ، حيث تنفصل الجماعات والمؤسسات الى كيانات اصغر !

ونحن نرى هذا « التفتيت » في تفرع وسائل الاعلام ، حيث يتزايد الاقبال على اصدار المطبوعات المتخصصة ، ويتضاعف انتشار شبكات الارسال البرقي والتلفزيوني عبر الأقمار الصناعية . ثم نحن نراه ايضا في الدين مع ظهور مجموعات وطوائف متخصصة ايضا ونحن نراه في الاعمال التجارية حيث يزداد الاتجاه الى تجزئة السوق وتقطيعها . ونحن نراه في السياسة مع تمزق الاجماع في الرأي وظهور مجموعات لها رأيها الخاص في مسائل محددة . ان الموجة الثالثة من التغيير سوف تتناول كل جوانب المجتمع بالتحول .

ولكن هذا الانتقال من المجتمع المتكتل الى المجتمع « المتفتت » ، سوف يحمل معه صراعا . فهؤلاء الذين يولون اهتماما خاصا بالمجتمع المتكتل ، يقاومون « التفرق » ، وتجار الجملة سيدخلون في منافسة مع تجار القطعة . والديانات القائمة تحارب النظريات اللاهوتية المضادة . وفي السياسة تقاوم واشنطون المطالب الخاصة بانتقال السلطة الى الاقاليم او الولايات او المدن . وبين رجال الادارة ، تشهد صراعات متزايدة بين دعاة التفتت ، وما يمكن ان نسميهم دعاة « العودة الى التجمع » بين هؤلاء الذين يؤيدون « الفرقة » الجديدة ، وبين المدافعين المتعصبين لمجتمع التكتل القديم .

والنظام السياسي القائم غارق في هذه الفرقة ، لانه صمم من اجل مجتمع اكثر تماثلا بكثير مما هو عليه اليوم . ولذلك فهو غير قادر على مواجهة تلك الملايين المتفتتة . واذا كنا نريد لهذا النظام ان يؤدي وظيفته في عالم القرن العشرين الحقيقي ، فلابد من اعادة بنائه من جديد .

خدمات جماعية لرأي عام متفتت .

بعد مرور سبعة اعوام على الحظر الذي فرضته منظمة الاوبك ، نجد انه ليس لدينا أية سياسة خاصة بالطاقة ، وكذلك ليس لدينا اية سياسة تكنولوجية ، ولا سياسة أسرية ، ولا سياسة خارجية مرئية . وليس هذا لأن لدينا رجالا اغبياء في مراكز السلطة ، ولكن لاننا نختار أناسا على جانب كبير من الذكاء ، ثم نضعهم بعد ذلك في مصيدة البناء التنظيمي البالي ، بحيث يستحيل عليهم التوصل الى سياسات عاقلة .

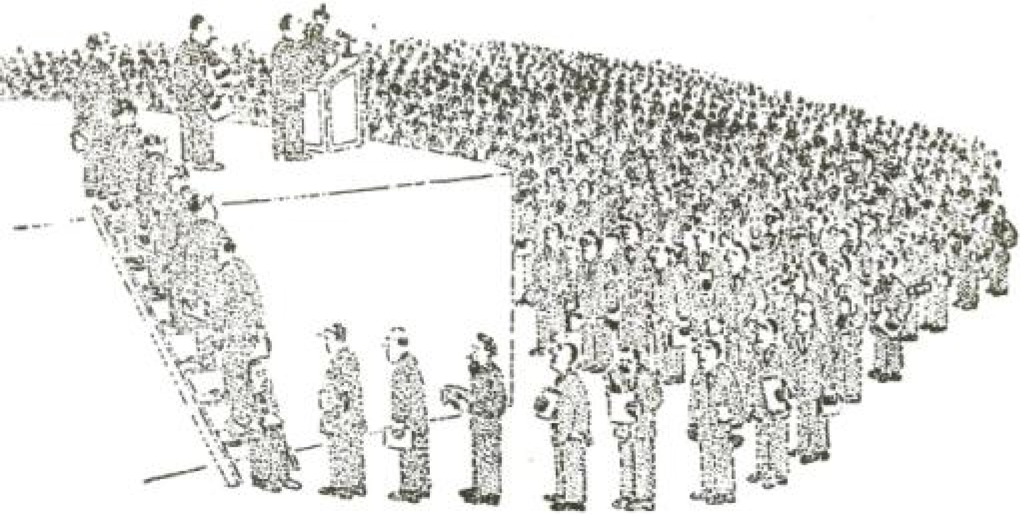
فالبيروقراطية الحكومية ، على سبيل المثال ، هي مصانع هائلة صممت لتقديم خدمات متماثلة صالحة لكل الظروف ، وعندما يختلف المستهلكون ويتنوعون ، تبدأ المصانع في عرض تشكيلة اكبر من المنتجات التي قد تفي بمطالبهم ! ولكن الحكومة لا تميل كثيرا الى الاستجابة الى التنوع ، ولذلك نجد ان كثيرا من البرامج الحكومية تقدم خدمات جماعية لرأي عام متفتت . والنتيجة زواج غير ملائم وخطر يهدد بالضياع . حتى الذين يتلقون المعونات الحكومية كثيرا ما تؤذيهم هذه المعونة ، ويزداد الرأي العام غضبا وعداء .

ولأن المواطنين لا يملكون أية سيطرة فعالة على البيروقراطية الحكومية ، فهم يردون باعلان غضبهم . وليس معنى هذا ان الرأي العام يفتقر الى المشاعر الرقيقة واللياقة الاجتماعية ، ولكن لأن الشعب يحاول ان يؤكد سيطرته على البرامج ، وبفرض سياسات مختلفة ، وعندما يكتشف انه عاجز يقول : « فلنقتل الشيء كله ! »

لابد للبرامج الحكومية من التفتت !

الانتخابات « باغلبية مزيفة ! »

وبسبب التنوع المتزايد في المجتمع ، نجد أن من الصعب تجميع اغلبية وراء اية قضية أو مرشح . نحن نستخدم نظام الانتخابات لنفرض بالقوة اقتراعا بين اثنين من المرشحين ، وتكون النتيجة ما يبدو لنا انه اغلبية ، ولكنها اغلبية خرافية او مزيفة . وحتى لو اعطي ٥١٪ من الناخبين اصواتهم لاحد المرشحين ، سوف نجد في اليوم التالي ان هذه الحادية والخمسين في المائة قد تفتتت الى عشرة آلاف مجموعة مختلفة ذات



مجموعات تتفتت كيانات اصغر .. واصغر !

مصالح عابرة ، ولم يعد لتأييد الاغلبية أي اثر .

● نحو « أزمة دستورية » .

إننا نحاول ان نسير امور الولايات المتحدة بنظام حكم عمره مائتي عام .. بناء أسس من اجل خدمة شعب لا يزيد تعداده على اربعة ملايين نسمة في ذلك الوقت .. شعب متجانس نسبيا لانتمائه الى اصل مشترك .

وبينما نجد ان الدستور وقانون الحقوق الأساسية للشعب ، من المنجزات المذهلة ، الا اننا نضعهما تحت ضغط كبير ، اكبر بكثير مما يظن غالبية الناس ، فنحن متجهون الآن الى ازمة دستورية سوف تنشب خلال الاعوام العشرة او العشرين القادمة . اننا لا نستطيع ان نحدث ثورة في التكنولوجيا وفي المواصلات ، وفي حياة الاسرة ، وفي الاقتصاديات ، وفي العلاقات الدولية ، ونتوقع في ذات الوقت ان يبقى البناء الحكومي القديم على ما هو عليه . هذا البناء لابد من اعادة تصميمه .

● تصنيف « الحقوق التي نريد ان نحميها »

ورغم تقديري لقانون الحقوق الاساسية للشعب ، الا أن هذا القانون في حاجة الى مزيد من الشمول والتوسع . فهو لا يتضمن شيئا عن الاخطار التي يتعرض لها الفرد نتيجة للوراثة الهندسية . ولا الاخطار الناجمة عن اقتحام الكومبيوتر لحياة الناس الخاصة . ولا يشير بشيء الى الكثير من المشاكل التي بدأت لتوها تظهر في الافق . فاذا لم نقم بشيء من التفكير المسبق في الحقوق التي نرغب في حمايتها ، سوف نجد انفسنا وقد اضعنا الكثير منها . اننا في حاجة الى قانون يحمي حقوقنا في القرن الحادي والعشرين .

نحن ايضا في حاجة الى تطبيق نظام اللامركزية بالنسبة لعملية اتخاذ القرارات . فليس في امكان البيت الابيض والكونجرس والبروقراطيات الفيدرالية ، اتخاذ القرارات العاقلة ازاء واحد من عشرة من المشاكل العديدة التي يحاولون الان معالجتها . فالسياسيون غارقون وهم يجدون انفسهم في مواقف تتطلب منهم اتخاذ قرارات فورية بالنسبة لمسائل لا يعرفون عنها الا القليل القليل .

وواشنطون لن تتنازل عن سلطاتها للأقاليم او الولايات او حتى لمجموعات قامت على اسس غير جغرافية في المجتمع ، دون ان تدخل في صراعات معها . وهذا الصراع سوف يتخذ اشكالا عديدة ، فقد يكون معركة على المشاركة في الدخل ، وقد يكون معركة حول المنح الخاصة التي تقدم للمدن والولايات ، وقد يكون معركة من اجل حقوق الأقليات . والكونجرس يصارع هذه المشاكل بعينها الآن ، دون ان يفكر في وضع اطار لتفهم الصورة على المدى البعيد !

● سلطة اكبر عبر « مستوى الحدود القومية »

وحتى لو نقلنا بعض السلطة « الى تحت » .. الى المدن والولايات والاقاليم ، فسوف نجد أننا في حاجة الى نقل انواع اخرى من السلطة « الى فوق » .. الى الوكالات الدولية . انني افكر مثلا في اشياء مثل السيطرة على البحار ، والسيطرة على الفضاء الخارجي .



قانون الحقوق الأساسية في حاجة الى مزيد من الشمول والتوسع . انه لم يأت بشيء عن الاخطار الناجمة عن أخطار الوراثة .

فمثل هذه المشاكل من الضخامة بحيث لا يمكن بعد اليوم معالجتها على المستوى القومي . وبينما نجد ان فكرة نقل السلطة « الى تحت » تلقى تأييدا سياسيا كبيرا ، نرى ان نقل السلطة عبر مستوى الحدود القومية ، لا تلقى غير قدر ضئيل من التأييد السياسي ، رغم انها خطوة لا تقل اهمية عن الاولى .

● « بلد من أمم اقليمية ناشئة » هي بلدنا .

اقتصاديا ، لدينا عدة امم داخل الولايات المتحدة ، وهذه حقيقة تتضح لنا بسرعة ، فلم يعد لدينا اقتصاد قومي ، وانما لدينا اقتصاديات اقليمية . وكل اقتصاد من هذه الاقتصاديات الاقليمية أصبح من الضخامة والتعقيد بصورة لا تقل عما كان عليه اقتصادنا القومي منذ ثلاثين او اربعين سنة مضت .

ولكننا مع هذا ، ما زلنا ندير اقتصادنا كما لو كان اقتصادا ذا بناء واحد متماثل . ولهذا فنحن نرى الليبراليين والمحافظين يدخلون في مباراة سخيفة في « البنج بونج » ، حول زيادة او عدم زيادة التمويلات ، او تخفيض الضرائب او زيادتها ! مثل هذه المناورات المركزية تؤدي الى نتائج غير عادلة وغير منتظمة ومتناقضة . نفس الاجراء الموحد الذي يتخذه المسئولون عن الاحتياطي الفيدرالي بمساعدة مدينة سانيفيل بولاية كاليفورنيا ، حيث تتوفر الوظائف ، وكيف سيؤدي هذا الى احساس مدينة يانجزتاون بولاية اوهايو بجرح مشاعرها ، لان مصانع الحديد والصلب تغلق ابوابها والناس لا يجدون عملا . انها اشبه بطبيب يصف نفس الدواء بعينه لكل المرضى الذين يرقدون في المستشفى ، سواء كانوا يعانون من القرحة او من اضطراب المرارة او من الغدة الدرقية !

لابد لنا من ان نتفهم الحقيقة الماثلة ونتعامل معها وهي أن الولايات المتحدة بلد يضم مجموعة من الامم الاقليمية الناشئة التي قامت على اقتصاديات اقليمية مختلفة متباعدة ومحددة تحديدا تاما . ان السياسات القومية الموحدة لن تفيد . والسلطة السياسية لابد لها في النهاية ان تكون انعكاسا لهذه الحقيقة الاقتصادية الجديدة .

● العمل من اجل تجنب وقوع نزاعات حادة .

كل الدول الصناعية الاخرى تشعر بنفس الضغوط ، ونظمها السياسية اصبحت هي الاخرى « موضة قديمة » . في بريطانيا وفرنسا واليابان والاتحاد السوفيتي ، صممت النظم السياسية من اجل ان تعمل في مجتمع زراعي او صناعي . انها لم تصمم لكي تؤدي وظيفتها في مجتمعات تتقدم الى ما بعد التصنيع .. الى عصر « التفتيت » ..

فاذا كانت هذه البلاد من الذكاء بحيث تتوقع انبثاق اقتصاديات وثقافات اقليمية ، وبدأت تتحرك في هذا الطريق . فقد تتمكن من تجنب وقوع الحركات الانفصالية التي تقترب من العنف والتي نراها الان في فرنسا وبريتاني وكورسيكا وكويبك وغرب كندا واسكتلندة وويلز وغيرها . نحن في حاجة الى توقع المشاكل ومحاولة تجنبها عن طريق نقل السلطة طواعية وبذكاء ، قبل ان تثير مطالب المجموعات المنشقة في طريق العنف ■■

● حل مسابقة العدد ٢٥٨ ●



أفقيـاً

هشام بن الحكم

رأسيـاً

جواهر لال نهرو

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا : هشام بن الحكم . كوفي من كبار أصحاب الامام جعفر الصادق . برع في المناظرة والجدل ، وتقدم بذلك وهو شاب على شيوخ الشيعة . وهو من أوائل المؤلفين في الاسلام ، له كتاب « الالفاظ » في أصول الفقه .

(٨) رأسيا : جواهر لال نهرو . من مؤسسي استقلال الهند الحديثة . كان تلميذا لغاندي ، وساعده الامين في بناء الدولة الجديدة . قضى تسع سنوات في السجون البريطانية مناضلا من أجل الاستقلال . له كتاب « لمحات في تاريخ العالم » .

الفائزون بالجوائز

- ● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : سليمان عبد اللطيف ـ الدار البيضاء ـ المغرب .
- ● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : اسامة ثابت نعمان ـ اللاذقية ـ سوريا
- ● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : انور شمس الدين طاش الزرقاء ـ الاردن .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ محمد عبده عبد الرزاق ـ عدن / اليمن الديمقراطي

٢ ـ سلوى الحداد ـ بيروت / لبنان

٣ ـ علي عبد الله كفيل ـ القصيم / السعودية

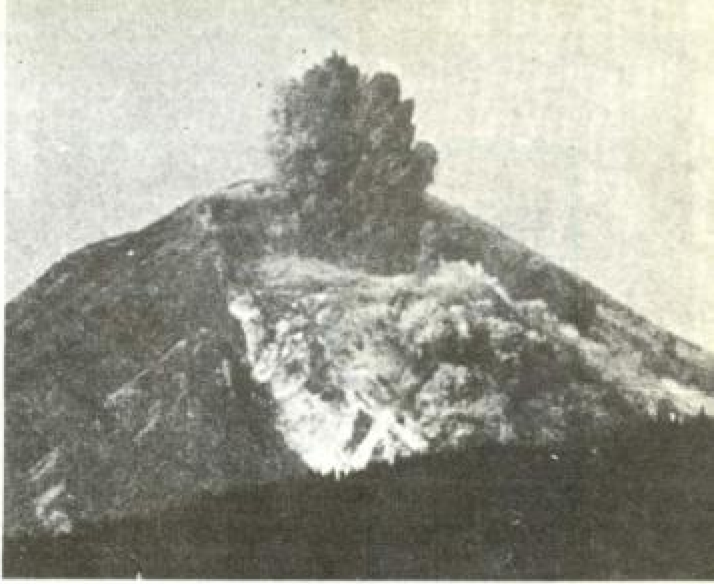
٤ ـ جعفر عبد الجبار علي ـ البصرة / العراق

٥ ـ سيد مصطفى علي ـ سلوى/ الكويت

٦ ـ جعفر عبده الكوري ـ تعز / اليمن الشمالي

٧ ـ محمود محمد عبد الله علي ـ البسيتين / البحرين

٨ عصام الدين عبد الله التوم ـ جامعة الخرطوم / السودان .

على سطح الكرة الارضية اكثر من خمسمائة بركان ..

استغلال الطاقة

بقلم : مجدى نصيف

انفجر جبل سنت هيلينا الذى لا يبعد اكثر من اربعين ميلا عن فانكوفر بولاية واشنطن . وطار الرئيس الامريكي جيمي كارتر الى المنطقة المنكوبة التي اعلن انها ضمن « منطقة الكوارث » . وعلى الطريقة الامريكية اعلن الرئيس الامريكي وسط المأساة ان ادارته تفكر في ان تتحول منطقة الكارثة « الى نقطة جذب سياحية » . لكن اقتراحه قوبل من الاهالي المنكوبين باحتجاج مطالبين بسرعة عمليات الانقاذ التي سارت ببطء بيروقراطى .

وكانت النتيجة حوالى مائة قتيل وملايين من اطنان الرماد وصل عمقه في بعض الاماكن الى اكثر من سبع بوصات ، ومازال البركان يخرج دخانا مهددا ستين الفا من سكان وادى نهر توتل بملايين اخرى من اطنان الرماد .





الناتجة عن البراكين!

ولنترك الآن الجانب المأساوى من الموضوع ونتأمل فيا يقوله العلماء من انه رغم خطورة البراكين الا انها في الوقت نفسه مصدر من أغنى المصادر لمعرفة العمليات التي تجرى في باطن الارض المجهول . ثم لنتأمل في حقيقة اخرى يضعها العلماء : انه من الممكن استخدام البراكين لخير البشرية .

كيف ؟

لم يكن بالامكان حتى مطلع الخمسينات ، سوى مراقبة الظواهر الخارجية لانفجار البراكين . ومن ثم اقتصرت دراسة البراكين على ماتلفظه من حمم بركاني ورماد . السبب الاساسى كان نقص المعدات العلمية . اما اليوم ، ومن خلال تقدم الثورة العلمية والتكنولوجية ، فتدرس البراكين باساليب زلزالية وجيوفيزيقية دقيقة ، تتيح لنا تتبع سلوكها !

الحمم البركانية

والحمم البركانية كتل منصهرة نارية ، ترتفع من اعماق تزيد على المائة كيلو متر من باطن الارض . اما في كمتشاتكا وجزر كوريليا ، فهي تقع على عمق ما بين مائة وخمسين ومائتي كيلومتر . ولا يمر عام دون أن تفصح اعماق ارض كمتشاتكا وجزر كوريليا المضطربة المملوءة بالحمم والغازات الخانقة والابخرة والمياه الساخنة ، عن نفسها . ومنذ عهد قريب انتهي بركان تياتيا علي جزيرة كوناشير ، ولاتكاد تمر ساعة دون ان تتقلقل الارض برجة جديدة ، وان كان معظم هذه الاهتزازات لاتلتقطه الا الاجهزة العلمية الحساسة .

وقد اظهرت دراسة البراكين ، ان الانفجارات البركانية ، عملية دائمة استمرت طيلة وجود الكرة الارضية . غير ان هناك شيئا تغير مع مرور الزمن ، الا وهو الموقع الجغرافي للبراكين ، وقوتها وتكوين الحمم البركاني والرماد ، وكذا عدد المنتجات المتصهرة والغازية التي تقذف بها البراكين عند الانفجار .

●

يقول علماء الجيولوجيا ان نشاط البراكين الآن اضعف كثيرا عما كان عليه في الازمنة الجيولوجية ◄

الغابرة . ويقدم عدد منهم الافتراض التالي : ان الانفجارات البركانية في مستهل وجود الارض ، لم تكن منتشرة في كل مكان على سطح الكرة الارضية ، اذ ان بؤر الحمم التي تغذى النشاط البركاني ، كانت في العصور الجيولوجية المبكرة من حياة كوكبنا ، اكثر قربا من سطح الارض ، وتكونت على عمق الكيلومترات الاولى القريبة من سطح الارض ، فكان خروج السوائل النارية المنصهرة اسهل .

ويقدر عمر الارض ، حسب المعطيات العلمية الاخيرة ، بحوالي ستة بلايين سنة . وكان النشاط البركاني متفاوتا على مدى هذا التاريخ الجيولوجي ، لكنه تناقص . وهذا لايعني ان نشاط الأرض « يخمد » ، او ان الارض تحتضر . بل العكس هو الصحيح . انه يعني ان ظروف حياة البشرية على كرتنا الارضية يهيأ لها الأمن والسلامة .

ومع مرور الزمن تغيرت الصفات المميزة للانفجارات البركانية . والاهم بصفة خاصة ، هو تبدل تركيب المعادن المطمورة التي ترافق النشاط البركاني . وهذا له قيمته العملية الكبيرة ، الى جانب قيمته العلمية .

لماذا ؟

دلت البحوث العلمية في هذا المجال ، على ان احداثا جيولوجية كثيرة قد وقعت في حياة كرتنا الارضية . من ذلك مثلا : نشأة الغلاف الجوي ، وتكوين مياه المحيطات والبحار . فالغلاف الجوي للارض لم يتكون مع ولادة كرتنا الارضية ، بل تكون وتطور عبر ملايين السنين من تاريخها . ونفس الشيء بالنسبة للبحار والمحيطات . وقد برهن احد علماء البراكين ، على ان الكلور الموجود في مياه المحيطات من اصل بركاني . اذ يقول انه تجمع في مياه البحار والمحيطات من الغازات التي انفصلت عند الانفجارات البركانية التي تمت تحت الماء . وهذا يعني ان الكلور الذى يوجد في الملح الصخرى او ملح الطعام الذى نستخدمه يوميا في طعامنا ، له اصل بركاني .

واثبت العلماء ايضا ان بعض الخامات والمعادن النافعة الاخرى ، قد تكونت من خلال النشاط البركاني . ويذكرون بهذا الخصوص كبريتات النحاس ، وخام البوكسيت الذى يصنع منه الالمنيوم ، وخامات المنجنيز والفوسفات (الاسمدة) . ويقولون ان هذه المعادن تكونت من الغازات البركانية ، والمذيبات الساخنة السائلة التي خرجت الى قاع البحر عند الانفجارات البركانية .

وتتكون نتيجة الانفجارات البركانية ايضا : الصخور ـ في القشرة الارضية . وتظهر نتيجة هذا ـ لاسيا تحت تأثير الينابيع الساخنة ـ رواسب الخامات الثمينة كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والزئبق ، وكلها معادن تعرف اهميتها . وقد اثبت العلماء في السنوات الاخيرة على وجه الخصوص ، الصلة بين الانفجارات البركانية وعمليات نشأة رواسب المعادن والمواد الخام المطمورة .

اذا اردنا اذن اكتشاف بعض الخامات ، فلابد وان نستوعب هذه القوانين العامة ، ولابد من معرفة كيفية تغير النشاط البركاني على سطح كوكبنا خلال تطوره الجيولوجي .

هنا يهب « علم تاريخ البراكين » لمساعدتنا .

استثمار باطن الارض

لقد كانت البشرية منذ « العصر الحجرى القديم » حتى اواسط القرن العشرين تقريبا ، تستخرج فقط المعادن التي تجدها على سطح الكرة الارضية . كان معنى ذلك ان الشركات « تكشط » هذه الثروات ولاتتعمق الى ابعد من هذا . اما بعد ذلك فقد بدأت في استغلال ثروات الارض المطمورة ، وشرعت الشركات في البلدان الصناعية المتقدمة والعالم الثالث ، في اعمال البحث والتنقيب عن الخامات .

وطبيعي في نفس الوقت ان يشتد الاهتمام بعلم « تاريخ البراكين » اشتدادا حادا منذ ان اتضحت الصلات المباشرة بين النشاط البركاني ومختلف انواع الخامات المطمورة . وثبت ان هناك مساحات شاسعة تتكون من « صخور بركانية » مختلفة الاعمار . وعلى سبيل المثال ينطوى نصف كازاخستان الوسطى على منتجات النشاط البركاني الغابر ويعود تاريخ تلك المنطقة الى ما بين ٥٠٠ مليون الى ٢٠٠ مليون سنة . اما الجزء الجنوبي من شبه جزيرة كالسكى فيتكون من طبقات بركانية يقدر عمرها بثلاثة بلايين سنة . ويمتد خط انتشار « الصخور البركانية » في آسيا من تشوكوتكا حتى فيتنام مسافة ١١ الف كيلومتر ، تكونت في فترات متقطعة عمرها بين ١٠٠ مليون الى ٥٠ مليون سنة .

قبل بضعة ملايين من السنين ، كان هناك الكثير من البراكين النشيطة في منطقة الكربات والمجر والمانيا وجنوب فرنسا واسكوتلنده وتشيكوسلوفاكيا . ومع ان براكين كثيرة في هذه المناطق احتفظت بشكلها المخروطي المعتاد ، فانه لم تحدث اية انفجارات تعيها ذاكرة البشرية . لكن هناك بركان باريكوتين بالمكسيك الذي « تكون » عام ١٩٤٣ ، وقد ظهر في ارض مستوية بحقل ذرة كان يمتلكه احد الفلاحين ، وهو جبل يبلغ ارتفاعه نصف كيلومتر . وتوجد براكين « شابة » في كمتشاتكا وجزر كوريليا وايسلنده واليابان .

ومازلنا نذكر بركان ايسلنده الذي كان نائما وثار عام ١٩٧٣ ، ودفن بيوت المدينة تحت الحمم التي لفظها ، فيات الميناء الذي كان عدد سكانه نحو خمسة آلاف شخص . لكن مدينة جديدة قامت فوق الحمم ، اذ عاد معظم سكان الميناء الى منازلهم القديمة بعد ان أزالوا الحمم ، بمساعدة آلاف المتطوعين من جميع انحاء العالم . لكن الخبر الجديد ان السكان يستخدمون الطاقة الحرارية التي ظلت تنبعث من البركان ... ذلك البركان الذي ظل خامدا ستة آلاف سنة ، ثم ثار فجأة ، دون انذار .وكان قذف الحم قد توقف بعد ستة اشهر من ثورة البركان .

آنذاك بدأ العلماء في دراسة كيفية استخدام الطاقة الحرارية للحمم البركانية ، لاستخدامها في تدفئة المنازل . وقالوا ان الحمم البركانية ، بها من الطاقة ما يكفي لتدفئة كل منازل المدينة الصغيرة لعشرين عاما .

وبدأ استخدام هذه الطريقة لاول مرة ، في المنزل الاول ، في يناير عام ١٩٧٤ ، فوصلت انبوبة بين المنزل وحفرة في الحمم الملتهبة ، ووضعت بالحفرة انابيب حلزونية مر بها الماء ليسخن ، ووصلت المياه الساخنة الى المنزل ودرجة حرارتها ٦٥ درجة مئوية .

حلقة البراكين

هناك على سطح الكرة الارضية الآن اكثر من خمسمائة بركان ، تصطف معظمها في حلقة حول المحيط الهادي ، وفي خط آخر بطول البحر الابيض المتوسط ، وفي خط ثالث على حافة المحيط الاطلنطي . وفي الحلقة البركانية حول المحيط الهادي والبحر المتوسط ، تعثر على اخطر ما تعرف من براكين .

ويعتقد العلماء ان باطن الارض يموج بالمواد المنصهرة التي تغلي بسبب درجة الحرارة والضغط الهائلين عند هذه الاعماق ، من هنا فهم يقولون اننا نعيش على « مرجل يغلي » .. غير مستقر . ولانه غير مستقر ، تحدث بين حين وآخر ، موجات هائلة من التمدد لهذه المواد لتضغط على القشرة الارضية ، مكونة بؤرة زلزال تنتشر موجاته الى السطح فتقتلع المدن بمن يسكن عليها . وفي احيان اخرى يشق سيل الحمم المتمددة طريقه بين الصخور نحو نقطة ضعف من القشرة الارضية ، حيث ينفجر على شكل بركان ، يقذف بالحمم التي قد تدفن مدنا باكملها .

ان معرفة القوانين التي تكونت بها الصخور البركانية على سطح الارض في مختلف العصور الجيولوجية من حياة الارض ، وتتبع التغير العام في تركيب صخور البراكين القديمة وبنيتها ، يعني فتح الطريق نحو تقدير آفاق وجود الخامات والرواسب الطبيعية في مختلف مناطق الكرة الارضية .

وفي النصف الاول من السبعينات على سبيل المثال قام العلماء بقياس درجة الحرارة من فوهتي كل من بركان تياتيا وبركان تشيكوراتشكي بجزر كوريبل ، بدقة غريبة ، اثناء انفجارها . وقد قاموا بهذا من على متن طائرة خاصة مستخدمين التصوير الفوتوغرافي بالاشعة تحت الحمراء .

قال رئيس فريق العلماء الذي قام بهذا العمل الرائع :

ـ استمرت المراقبة الجوية للنظام الحراري في البراكين عدة ايام ، وقد مكنتنا من رسم خريطة ، عرفنا منها اكثر البقاع نشاطا اثناء الانفجار ، ومن ثم متابعة ديناميكيتها .

لاحظ العلماء خلال هذه الدراسة ان درجة حرارة سطح الارض في جزر كوريبل وفي جزيرة كامتشاتكا بشكل عام ، قد ارتفعت درجات ، الامر الذي يدل على اشتداد نشاط هذه المنطقة من العالم ، تحت سطح الارض .

ان ذلك الاتجاه الجديد في دراسة البراكين واستخدام نشاطها ، هو دعم لطرق ومناهج الدراسة ، وذلك كله يفتح الطريق لاكتشاف وتعميم تجربة دراسة البراكين القديمة والنشيطة والتي يتجدد نشاطها . ويضع هذا الاتجاه ، الاسس الدقيقة للتكهن العلمي عند التنقيب عن المعادن والمصادر الطبيعية . ■■

لندن ـ مجدي نصيف

بعد مقاله عن دور اهل الحل والعقد ، الذي نشرته العربي في العدد السابق ، يواصل الدكتور محمد فتحي عثمان طرح رؤية الاسلام السياسية ، منتقلا هذه المرة الى دور هيئة العلماء المجتهدين .

حول رؤية الاسلام السياسية :

أهل الاجتهاد حرّاس الشرعيّة في الدولة الاسلاميّة

بقلم : الدكتور محمد فتحي عثمان

الشريعة الاسلامية دستور الحكم وقانونه في دولة الاسلام ، وهي التي تحكم أعمال الامام وأهل الشورى او « أهل الحل والعقد » ، فلا مجال للشورى فيما ورد فيه نص شرعي ، وأما مالم يرد فيه نص شرعي فينبغي الاجتهاد فيه وفق المناهج المقررة بحيث تراعى مقاصد الشريعة ومبادئها العامة ، وقواعدها الكلية ، ولا يعارض في الوقت نفسه حكما جزئيا من احكام الشريعة الواردة في محل آخر .

وعلماء الشريعة ومجتهدوها هم حراس الشرعية في الدولة الاسلامية .. مهمتهم جليلة خطيرة في دولة تقوم على الاسلام ، وتستمد مقوماتها منه قبل كل شيء ، قبل الارض وقبل الشعب وقبل السيادة .

واذا كانت هذه هي مكانة شريعة الاسلام في دولة الاسلام ، فلماذا لم ينص كثير من الفقهاء صراحة على إيجاب إدخال علماء الشريعة في زمرة اهل الحل والعقد ، إن لم يكن قصر أهل الحل والعقد على علماء الشريعة وحدهم ؟؟

لقد ألمع الفقيه المالكي القرافي (المتوفى سنة ٦٨٤هـ) ـ كما ذكرنا في المقال السابق ـ الى حقيقة هامة حين ذكر ان اعلم العلماء، قد لا يكون بالضرورة اقضى القضاة ، بل قد لا يكون قاضيا على درجة مناسبة من الكفاءة ، فان « القضاء يعتمد الحجاج ، والفتيا تعتمد الادلة ، وان تصرف الامامة الزائد على هذين يعتمد المصلحة الراجحة او الخالصة في حق الامة ـ وهي غير الحجة والادلة ... ولهذا اشترط فيها (في الامامة) من

الشروط ما لم يشترط في القضاة والمفتين من كونه قرشيا عارفا بتدبير المصالح وسياسة الخلق [١] .

وزاد العلامة الفذ ابن خلدون (المتوفى ٨٠٨هـ) التكوين الفكري والسلوك الفكري لأهل العلم ايضاحا وبيانا في مقدمته الرائدة أو المتفردة ، فعقد فصلا خاصا « في ان العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها » حاول فيه أن يجلي أسباب هذه الظاهرة فقال : « والسبب في ذلك انهم معتادون النظر الفكري ، والغوص على المعاني ، وانتزاعها من المحسوسات ، وتجريدها في الذهن امورا كلية عامة ، ليحكم عليها بأمر على العموم ـ لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا امة ولا صنف من الناس ، ويطبقون من بعد ذلك الكلي على الخارجيات ، وايضا يقيسون الامور على اشباهها وامثالها بما اعتادوه من القياس الفقهي . فلا تزال احكامهم وانظارهم كلها في الذهن ، ولا تصير الى المطابقة الا بعد الفراغ من البحث والنظر ، ولا تصير بالجملة الى مطابقة ، وانما يتفرع ما في الخارج عما في الذهن من ذلك ، كالاحكام الشرعية فانها فروع عما في المحفوظ من ادلة الكتاب والسنة فتطلب مطابقتها ما في الخارج لها عكس الانظار في العلوم العقلية التي يطلب في صحتها مطابقتها لما في الخارج . فهم متعودون في سائر انظارهم الامور الذهنية ، والانظار الفكرية ، لا يعرفون سواها ، والسياسية يحتاج صاحبها الى مراعاة ما في الخارج ، وما يلحقها من الأحوال ويتبعها ، فانها خفية ، ولعله ان يكون فيها ما يمنع من الحاقها بشبه او مثال ، وينافي الكلي الذي يحاول تطبيقه عليها . ولا يقاس شيء من احوال العمران على الآخر ، اذ كما اشتبها في امر واحد فلعلها اختلفا في امور ، فيكون العلماء لاجل ما عودوه من تعميم وقياس الامور بعضها على بعض اذا نظروا في السياسة افرغوا ذلك في قالب انظارهم ونوع استدلالاتهم فيقعون في الغلط كثيرا ولا يؤمن عليهم ... والعامي (اي غير العالم بالشريعة في الاصطلاح) سليم الطبع المتوسط الكيس ، لقصور فكره عن ذلك ، وعدم اعتياده اياه يقتصر لكل مادة على حكمها ، وفي كل صنف من الاحوال والاشخاص على ما اختص به ، ولا يعدي الحكم بقياس ولا تعميم ، ولا يفارق في اكثر نظره المواد المحسوسة ، ولا يجاوزها في ذهنه ... فيكون مأمون النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملة ابناء جنسه ...» [٢]

كذلك يلقي العلامة ابن خلدون أضواء كاشفة على ان العلم والاجتهاد والمزايا الفكرية هي غير الثقل الاجتماعي والسياسي تماما ، الا ان يكون العالم المجتهد متمتعا ايضا بمكانة اجتماعية او سياسية نتيجة ظروف وعوامل معينة ... ويخطيء من يظن ان العلماء في مجتمع معين ينبغي أن ينالوا واقعيا ما يناله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو صحابته رضوان الله عليهم من مكانة نفسية بين المسلمين ، فان احدهم اذا نال مكانة وارث الأنبياء بعلمه وخلقه وقوله وعمله ، فانها ستكون مكانة فرد واحد لا يمثل الا نفسه من ناحية الموازين الاجتماعية والسياسية ، الا أن ينجح في الاتصال المباشر بالقاعدة الشعبية العريضة وجمع الناس عليه ، وهذا إن تحقق لواحد نتيجة مواهبه القيادية وجاذبيته للجماهير Charisma ، فليس هو الحكم العام ... ولنستمع الى ابن خلدون يجلي ذلك حسب نظريته في « العصبية » وهي تعني الثقل الاجتماعي السياسي ، فيقول ان تعظيم « الرتب الشرعية » يكون « للتجمل بمكان اصحابها في مجالس الملك » ، « ولم يكن لهم من الحل والعقد شيء ، وان حضروه فحضور رسمي لا حقيقة وراءه ، اذ حقيقة الحل والعقد انما هي لأهل القدرة عليه ، فمن لا قدرة له عليه فلا حل له ولا عقد لديه . اللهم الا اخذ الاحكام الشرعية عنهم وتلقي الفتاوي منهم فنعم ... وربما يظن بعض الناس ان الحق فيما وراء ذلك ، وان فعل الملوك فيما فعلوه من اخراج الفقهاء والقضاة من الشورى مرجوح ... فاعلم أن ذلك ليس كما ظنوا . وحكم الملك والسلطان انما يجري على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيدا عن السياسة . فطبيعة العمران في هؤلاء لا تقتضي لهم شيئا من ذلك . لان الشورى والحل والعقد لا تكون الا لصاحب (عصبية) يقتدر بها على حد أو عقد أو فعل او ترك . وأما من لا عصبية له ولا يملك من أمر نفسه شيئا ولا من حمايتها ، وانما هو عيال على غيره فأي مدخل له في الشورى او اي معنى يدعو الى اعتباره

---

(١) القرافي : الاحكام في تمييز الفتاوي عن الاحكام وتصرفات القاضي والامام ، بتحقيق عبد الفتاح ابي غدة ـ حلب ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م / ص٤١ ـ ٤٢ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة وهي المجلد الاول من تاريخه ـ مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ببيروت سنة ١٩٦٧ م ـ ص١٠٤٥ ـ ١٠٤٧ .

فيها ؟ اللهم الا شوراه فيا يعلمه من الاحكام الشرعية فموجودة في الاستفتاء خاصة ، اما شوراه في السياسة فهو بعيد عنها لفقدانه العصبية والقيام على معرفة احوالها واحكامها (٣) .

هيئة المجتهدين

لكن الدولة الاسلامية في أمس الحاجة للعلماء والمجتهدين ، فهم هداتها ونبراسها وحراس الشريعة والشرعية . ولا بد من هيئة تنتظم العلماء والمجتهدين وتختص بالرقابة على الشرعية في دولة الاسلام ، وتكون اشبه بمجلس الدولة في فرنسا او تقارب المحكمة العليا في الولايات المتحدة او تجمع بين النظامين بصورة ما ، وتضيف الى ذلك ما عرف من نظام المظالم في تاريخنا وفقهنا .

ونظير المظالم كما تحدث عنه الماوردي وابو يعلى في كتابيهما عن « الاحكام السلطانية » كان يجمع صلاحيات تدخل في اختصاصات القضاء العالي العادي والقضاء الاداري ، والشكاوي ، ومنها ما يقارب اختصاصات اجهزة المحاسبة المالية ، والتحقيق في اعمال الادارة العامة ، فضلا عن الاشراف على الاوقاف والحسبة ومراعاة العبادات الظاهرة . وعلى رأس المظالم ينبغي ان يكون ناظر « جليل القدر نافذ الامر ، عظيم الهيبة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع ، لانه يحتاج في نظره الى سطوة الحماة ، وتثبيت القضاة ، فيحتاج الى الجمع بين صفات الفريقين وان يكون بجلالة القدر نافذ الامر في الجهتين .. » وعد على رأس هذا الجهاز احد كبار رجال السياسة او الادارة ، ولم يشأ ان يكون من بين القضاة او العلماء . ويضم مجلس النظر في المظالم ـ عدا رئيسه ـ القضاة ، والفقهاء ، والكتاب ، والعدول ، والحماة والأعوان . وهكذا ارتضى الماوردي القاضي الفقيه ان يرأس المظالم واحد من غير القضاة والفقهاء ، لكنه جعل القضاة والفقهاء الدعامة (الفنية) لهذه الهيئة ، والى جانبهم اجهزة معاونة تضم امناء السر والخبراء بالمدينة واهلها (العدول) وحرس المظالم او شرطتها .

وعدد الماوردي لنظر المظالم عشرة مجالات :

١ ـ تعدي الولاة على الرعية وأخذهم بالعسف في السيرة .

٢ ـ جور العمال فيا يجبونه من الأموال ، فيرجع فيه الى القوانين العادلة في دواوين الأئمة فيحمل الناس عليها ويأخذ العمال بها .

٣ ـ تصفح احوال كتاب الدواوين ، لانهم امناء المسلمين على ثبوت اموالهم فيا يستوفونه له ويوفونه منه ، فان عدلوا بحق من دخل او خرج الى زيادة او نقصان اعاده الى قوانينه وقابل على تجاوزه .

٤ ـ تظلم المسترزقة من نقص أرزاقهم ، او تأخرها عنهم ، واجحاف النظر بهم ، فيرجع الى الديوان المختص لفرض العطاء العادل واجرائه عليهم ، وينظر فيا نقصوه او منعوه من قبل : فان كان قد اخذه ولاة امورهم قضى باسترجاعه منهم ، وان لم يكونوا اخذوه قضى به من بيت المال .

٥ ـ رد الغصوب ، سواء أكانت غصوبا سلطانية تغلب عليها ولاة الجور كالأملاك المقبوضة عن أربابها لرغبة فيها او لتعد على اهلها ، ام كانت غصوبا تغلب عليها ذوو الايدي القوية الذين تصرفوا تصرف الملاك بالقهر والغلبة .

٦ ـ مشارفة الوقوف بالبدء بتصفح الوقوف العامة ، وان لم يكن فيها متظلم ، لاجرائها على سبيلها ، وامضائها على شروط واقفها ، والنظر من تظلم اهل الوقوف الخاصة عند التنازع فيها .

٧ ـ تنفيذ ما توقف من احكام القضاة ، لضعفهم عن انفاذها ، وعجزهم عن المحكوم عليه ، لتعززه وقوة يده ، أو لعلو قدره وعظم خطره ، فيكون ناظر المظالم اقوى يدا وأنفذ امرا .

٨ ـ النظر فيا عجز عنه الناظرون من الحسبة في المصالح العامة ، كالمجاهرة بمنكر ضعف عن دفعه فيأخذهم بحق الله تعالى في جميعه .

٩ ـ مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع والاعياد والحج والجهاد من تقصير فيها ، فان حقوق الله اولى ان تستوفى وفروضه احق ان تؤدى .

١٠ ـ النظر بين المتشاجرين ، والحكم بين المتنازعين ، فلا يخرج في النظر بينهم عن موجب الحق ومقتضاه ، ولا يسوغ أن يحكم بينهم الا بما يحكم به الحكام والقضاة . (٤)

---

(٣) المصدر السابق ص٣٩٥ ـ ٣٩٦ .
(٤) الماوردي : الاحكام السلطانية ص٧٧ ـ ٨٣ .

اختصاصات مقترحة

واذا كانت هيئة المجتهدين هي الحارسة الأمينة على الشريعة والشرعية في الدولة الاسلامية ، فانها ينبغي ان تضم اقساما او اجهزة تضطلع بالمهام التالية :

(١) مراجعة الانظمة واللوائح والقرارات الهامة : ومنها ما قد يقترحه الامام ، او هيئة الوزراء ، او جماعة اهل الحل والعقد ، ومنها ما قد يكون من صلاحيات احد الوزراء او الحكام الاقليميين ، وله اهميته التي تستوجب مراجعته من قبل هيئة المجتهدين ، ثم يعرض بعد ذلك على الجهة المختصة بتقريره .

(٢) الفتيا : في اية مسألة تثور عند تطبيق احكام الشريعة النصية ، او الاحكام الاجتهادية التي تضمنتها الانظمة واللوائح والقرارات الهامة ، وقد تكون الفتيا حلا لمسألة جزئية او فردية وما يماثلها من مسائل ، وقد يسوق البحث الى ان تواجه الفتيا المشكلة من جذورها ، باقتراح حكم اجتهادي عام ملائم تتعاون عليه هيئة المجتهدين مع الجهة المختصة (الامام او هيئة الوزراء ، او جماعة اهل الحل والعقد) لاصدار نظام او لائحة او قرار .

(٣) القضاء الدستوري والقضاء الاداري العالي : فتؤلفْ محكمتان او محكمة ذات دائرتين أو غرفتين تختص كل منها بجانب ، او محكمة تمارس الاختصاصين معا وفقا لما يكون ملائما ... وتنظر المحكمتان او المحكمة القضايا التي يطلب فيها ذوو المصلحة من الافراد ، او الشخصيات الاعتبارية ، او تطلب فيها الحكومة او المحاكم الأخرى أو ديوان المظالم النظر في مطابقة نظام اجتهادي ، او قرار اداري لاحكام الشريعة ، او للنظام الأساسي للدولة المبنى على احكام الشريعة ، او مطابقته لنظام او اى قرار اجتهادى أعلى درجة سبق صدوره . ويمكن ان تعالج المحكمة الدستورية حالات التضارب بين الانظمة ، وتعالج المحكمة الادارية العليا حالات التنازع بين ما هو دون ذلك .

(٤) النظر في المظالم : وتقوم عليه هيئة تختص بتلقي الشكاوي ، والتصرف فيها حسب اهميتها ، فمنها ما يمكن ان يحال للوزير المختص للتصرف على ان يضم الوزير القسم المختص بالمظالم في هيئة المجتهدين ، بما اتخذه في الموضع بحيث يكون مقنعا ، او يحال للتحقيق . اما الشكاوي ذات الاهمية فيحققها المختصون في القسم المعنى بالمظالم ، وقد يحال بعد تحقيقه للامام ، او لجماعة اهل الحل والعقد ، او للمحكمة المختصة حسب الاحوال والمقتضيات ، وتبعا لما تقتضيه حماية الشرعية والعدالة من اجراءات .

محكمة عليا للدولة

(٥) الحكم في المنازعات بين الامام او هيئة الوزارة وهيئة الشورى :يقول عز من قائل « فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا » (النساء/٥٩) .

وقد درجت الانظمة البرلمانية الحديثة في حالات الخلاف الشديد بين الحكومة والبرلمان على سحب البرلمان الثقة من الحكومة واستقالتها ، واقدام الحكومة على استصدار مرسوم من رئيس الدولة بحل البرلمان ، كما قد يقوم رئيس الدولة باقالة الحكومة ، كذلك قد يتعرض البرلمان نفسه لنزاع بين كتلتين من اعضائه يمنع تعاونها ويجمد كل ما يعرض على البرلمان فلاينال الاغلبية المطلوبة . وهنا ايضا قد يحل البرلمان لاجراء انتخابات جديدة والواجب في دولة تدين بشريعة الاسلام ان يكون لها اجراءاتها المتميزة المستوحاة من مبادىء الدين واخلاقه ... يقول احد الفقهاء المعاصرين« ... وان اختلفوا ـ اى اهل الشورى ـ في امر وجب رده الى الكتاب والسنة ، بعرضه على اصولها وقواعدها ، بوساطة من يختار لذلك من اهل العلم بهما ، والبصر بالمصالح العامة ، فيعمل بما يتفق معهما » [٥] . واولى من يقوم بذلك هيئة المجتهدين مجتمعة بجميع اقسامها . ويقول الباحث النمساوي المسلم الاستاذ محمد اسد (ليوبولد فايس) بعد ان ذكر آية التنازع سالفة الذكر من سورة النساء :« وواضح من الآية ان كل مستحكم من الخلاف وخطيره بين الامام ومجلس الشورى ، او بين جماعة المسلمين كلها ـ ينبغي ان يرجع فيه احد الطرفين المتنازعين الى هيئة محايدة ، تحكم بما انزل الله في كتابه او اثر عن رسوله في سنته وحكمها حينئذ فصل الخطاب . لهذا ينبغي ان توجد في الدولة محكمة عليا تفصل في هذه الامور ولامعقب لحكمها فيها ، وتكون عضويتها لشيوخ علماء وذوى الفضل من بينهم ، ممن يجمعون الى حفظ كتاب ربهم ودراسة سنة رسوله بصرا تاما بشئون

(٥) رزق الزلباني : السياسة الدستورية الشرعية ـ مجلة الأزهر ـ م١٨ ج٢ .

الحياة ، واحاطة شاملة بنواحيها ، لانهم وحدهم هم الذين يستطيعون ان يقرروا في حدود ماوهب البشر من حكمة ، وما فتح الله على بصائرهم من هدى ـ مدى مسايرة اعمال الحكومة وانظمتها الادارية ، وتشريعات مجلس الشورى واحكامه لشريعة الاسلام وموافقتها لها .

وسواء أجاءت قرارات المحكمة واحكامها عن اجماع او غالبية فانها ينبغي ان تعتبر قاطعة حاسمة تلتزم بها الدولة بكل اجهزتها وادارتها ، كما يتحتم على افراد المجتمع كله كذلك ان يتقبلوها في رضا وتسليم مالم تنسخ احكامها احكام اخرى جديدة ، اذ لامانع من ان تصدر المحكمة في امر ثم ترى بعد ذلك رأيا جديدا غيره يدعوها اليه تغير الظروف والملابسات او تغير اعضائها بعضهم او كلهم ، وبهذا يبقى باب الاجتهاد مفتوحا على مصراعيه .. فالمحكمة العليا تقوم على حماية الدستور ، وينتخب مجلس الشورى اعضاءها ، ويوافق الامام على ترشيحهم ابتداء . وتحكم هذه المحكمة وفق نصوص القرآن والسنة في كل خلاف بين الامام ومجلس الشورى يطلب احد الطرفين المتنازعين احالته الى المحكمة للفصل فيه ، ولها ابطال اى حكم تشريعي يصدره مجلس الشورى ، او قرار يتخذه الامام ، حين ترى بعد ترو وتدبر أن هذا وذاك يصادمان نصا من القرآن والسنة ، كما ان لها ايضا ـ في نظر محمد اسد ـ ان تأمر باجراء استفتاء عام لعزل الامام ، او اقالته من منصبه ، اذا رأى مجلس الشورى بغالبية ثلثي الاصوات ان هذا الامام يخالف الشريعة في احكامه ، ويصادم صريح نصوصها . ذلك انه ما دام الاسلام يؤكد وحدة الجماعة في الدولة المسلمة وتماسكها من جهة ، ويجعل طاعة المسلمين لحكومتهم متوقفة على موقف الحكومة من الشريعة ، واخذها بها ، او انحرافها عنها ، وتعطيلها من جهة اخرى ، فلايحق لفرد او مجموعة من الافراد ان تحل لنفسها وللمسلمين الخروج على الامام ، واهدار ما افترضه الاسلام ، وقام عليه بناء المجتمع ، من واجب الطاعة له ، الا برضا افراد المجتمع او غالبيتهم العظمى ، ووضوح هذا الرضا بعد اخذ الرأى عليه في استفتاء عام يحسن ان تقوم به تلك الهيئة العادلة التي تحكم بين الامام ومجلس الشورى ولا تميل مع احدهما »

(٦) الاشراف على ما يجرى من انتخابات واستفتاءات عامة :ولا يعني ذلك ان تشغل هيئة المجتهدين نفسها بالامور التفصيلية ، والاجراءات الادارية للانتخابات او الاستفتاء ، بل تقدم بذلك الاجهزة المختصة تحت اشراف بعض افراد من هيئة المجتهدين يندبون لهذا الغرض وقت الانتخاب او الاستفتاء ، مثلما يندب القضاء في بعض الدول ويمكن ان يتبع جهاز ادارة عملية الانتخاب او الاستفتاء ـ هيئة المجتهدين ، لضمان حيدته ، على ان تعاونه في مهمته سائر وزارات الدولة وادارتها واجهزتها المعنية ، ويعتبر انفاذ المهمة التي تناط بأى ادارة واجبا يعاقب الرئيس المسئول على التقصير فيه ، ويعتبر التقصير مخالفة ادارية او جنائية عامة بحسب الاحوال .

(٧) المساعي الحميدة :وهناك مهمة تفرضها وحدة الجماعة المسلمة وتضامنها وتناصحها ، وائتمارها بالمعروف ، وتناهيها عن المنكر ، وتواصيها بالحق ، وتعاونها على الخير ، وهي مهمة لا تحيط بها النصوص التنظيمية وان جاز ان تشير اليها . ذلك ان اعضاء هيئة المجتهدين مدعوون افرادا وجماعة لبذل النصح عند الاقتضاء ، والسعي للصلح في حالات النزاع والخصام بين مختلف الاطراف السياسية ، ومحاولة ازالة الفجوات وتدعيم الصلات وتذويب التناقضات وتحقيق الوفاق باساليب الاتصال الشخصية قبل ان تتعقد الامور ويعز الوئام .... وأن لأعضاء هذه الهيئة العليا الموقرة من المكانة افرادا وهيئة ما يؤهلهم للقيام بهذه المهمة الخطيرة ، التي هي أوجب من كل واجب ، ولا تحيط بها نصوص او قواعد مكتوبة

ولتحقيق هذه المهام الجليلة الكبرى ، ينبغي ان يكون على رأس هيئة المجتهدين واحد منهم مبرز في علمه وسلوكه وشخصيته ، كفء لتوجيه هذه الهيئة ذات القدر العظيم والمسئولية الخطيرة ويحسن ان تكون هيئة المجتهدين مستقلة تماما بكل ما يتبعها من اقسام واجهزة . ويجوز ان تتبع هيئة الشورى او جماعة اهل الحل والعقد وفقا لمقتضيات التنظيم .

ان هيئة المجتهدين لها من مهامها الكبرى المتعددة ما هو جدير بمكانتها وما هي جديرة بالاضطلاع به ..... وليس النأى بها عن خضم اتخاذ القرارات ذات الطابع السياسي الا مسايرة لطبيعة افرادها وتكوينهم وماهم اقدر عليه وأولى به ، دون ان يعني ذلك غضا من اقدارهم او حرمانا للدولة الاسلامية من قدراتهم وكفاءاتهم وما يحسنون من اعمال .....

ولعل هذه المحاولة قد القت شيئا من الضوء على مبحث هام من مباحث نظام الدولة الاسلامية الذى يتطلع اليه المسلمون المعاصرون .

وعلى الله قصد السبيل .

الرياض ـ د . محمد فتحي عثمان

مجرد مهندس فقير .. ولكنه كان مصنع مشاريع .. اقتحم ذات يوم قبة الاكاديمية العلمية في باريس ووضع امام أعضائها فخذ خروف مجمد !!

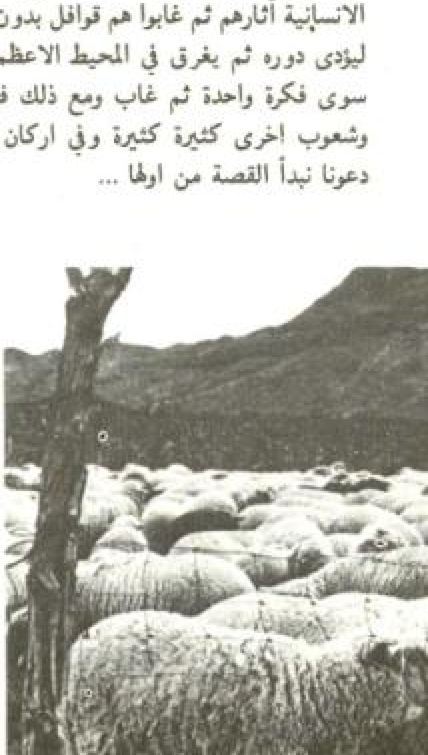
من أطعمك اللحم المثلج ؟

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

انت لم تسمع دون شك باسم شارل تلييه Charles Tellier* وكيف تسمع ؟ انه من قبائل النسيان التي يفترسها الليل وان كانت باقية فيك ومن حولك ، باقية في عود الكبريت الذى تشعل ، وفي القلم الذى تستعمل وفي الشريط الذى تسمع ... وفي خيط العطر الذى يشد وجهك في الطريق ... المجهولون الذين تركوا في ايدي الانسانية آثارهم ثم غابوا هم قوافل بدون وجوه ولا ملامح . هم سواد على المغيب . يمر ليؤدي دوره ثم يغرق في المحيط الاعظم ... و (تلييه) من هؤلاء لم يقدم للناس سوى فكرة واحدة ثم غاب ومع ذلك فانت تدين له وانا ادين ، وجموع هذا البلد وشعوب اخرى كثيرة كثيرة وفي اركان الارض الاربعة ... بماذا ندين ويدينون ؟ دعونا نبدأ القصة من اولها ...

منذ مائة وعشر سنوات ، في اعقاب حرب السبعين سنة ١٨٧٠ بين فرنسا والمانيا كانت صحف باريس مملوءة بالسواد . باصداء المدافع ، بريح الجثث المتعفنة على جهة الرين . بالقلوب المنفطرة ذلا وانكسارا وهزيمة . لم يتنبه احد الى اعلان صدر في جريدة (الفيغارو) يقول :

« خمسة آلاف فرنك من الربح لكل عشرة آلاف فرنك في عمل « شريف وموثوق . تدفع المساهمات في بنك فرنسا باسم : « ش . ت »



(*) مهندس فرنسي ولد في امبان سنة ١٨٢٨ وتوفي سنة١٩١٣ مبتكر طرائق حفظ الاغذية بالتبريد .

القلائل الذين قرأوا الاعلان اخذوا الرجل على انه مجنون او أحمق ، بعضهم حسبه مزاحا من سقط المزاح . وبالرغم من ان الذين يعرفون شارل تلييه كانوا يستلطفونه الا انهم كانوا دوما على الريب من جديته . كان صاحب اخيلة ، ومشاريع هوائية ... يفكر في محركات تعمل بالامونياك ويضع مشروعا لطرقات تشق تحت الارض ، ولقطار جوى ولآخر يعبر الصحراء الكبرى بالطاقة الشمسية .. واهتم بانجراف التربة الارضية ودرس استخدام الاسمدة ذات المنشأ البشري .

ابتكر مشروعا لزيادة خصب الحقول وآخر لتطهير المجارى المائية ... انشأ سفينة ثم هجرها لتغرق في عاصفة على نهر المارن . اقترح على بلدية باريس عمل اقنية تحت الارض لتوزيع الطاقة على المنازل .. من تفسخ القاذورات والزبالة !! ... كان الرجل مصنع مشاريع نبع افكار ... كلها بين الحقيقة والخيال !! اما في الثروة فكان افلس من طنبور ... كان مجرد مهندس فقير !!

وفي تلك الايام إذا كان العلماء يحتاجون ، كي ينجحوا الى ان يكونوا مهندسين ومتمولين وتجارا أو صناعيين ، فان شارل تلييه اضطر عشر مرات ان ينقل مختبره ومعمله الصغير من مكان الى آخر في باريس ، ولقد سجن مرة في بعض الديون ...

البحث عن سفينة

على انه كان واثقا من المشروع الاخير الذى خطر له والذى نشر من اجله الاعلان في الفيغارو كان يراهن عليه . يناقش فيه ، يقنع هذا الصناعي ويبسط الحجج لذاك المصرف . ومرت سنوات قبل ان يستطيع سنة ١٨٧٦ أن يقنع مجموعة من المساهمين وان يؤسس شركة للمشروع الذى يريد ، وان يذهب في النهاية للبحث عن سفينة ينفذ عليها الفكرة ـ المشروع .

ووجد السفينة . وها هوذا متنها في ميناء ليفربول !

كان طولها ٦٥ مترا وكانت حمولتها ٦٥٠ طنا وكان الثمن غاليا ٢٢٥ الف فرنك واما اسمها فهو Eboe على اسم بعض الانهر الافريقية واما سرعتها فست او سبع عقد .... وقال له صاحب السفينة :

ـ ولكن هل استطيع ان اعرف ماذا ستفعل بها ؟

وقال تلييه :

ـ سوف أنقل اللحم من الارجنتين الى اوروبا .. انقله مثلجا ! ليس في هذه الفكرة الآن أى أمر مثير . اضحى من عاديات بيتك ان تفتح الثلاجة وتسحب منها اللحم المبرد . ومن بديهيات التجارة نقل العجول والخراف مجمدة من قارة الى قارة .... اما قبل مائة سنة فقد كانت الفكرة تجعل المرء يقفز من الدهشة . كان معروفا ان الارجنتين كانت ـ وما تزال الى اليوم ـ بحر اللحوم . قطعان الثيران المتدفقة في سواد المزارع وابعادها لا يعرف حتى اصحابها تعدادها الا ظنا ... ولكن نقل هذه اللحوم عبر المحيط الاطلسي ومن اقصى جنوبه الى اقصى الشمال كان امرا آخر .

بائع السفينة نظر الى تلييه من تحت نظارتيه الصغيرتين وهز رأسه ... في نفسه كان يقول لا شك انه مجنون . ماذا يهم مادام يدفع الثمن نقدا وعدا ؟

فخذ خروف مجمد !

ولكن تلييه كان اجرى التجارب العلمية الكثيرة على تجميد اللحوم في مختبره . اقتحم ذات يوم قبة الاكاديمية العلمية في باريس ووضع امام اعضائها « الخالدين » وهم يناقشون احد تقاريره ، فخذ خروف مجمد !

العالم باستور اعترف له بصحة الفكرة ... ولكن هل يستطيع تحويل التجربة المخبرية الى عمل ناجح ؟ كانت المشكلة الكبرى امامه هي ان التبريد يحتاج الى الغاز السائل والسفن لا تقبل حمولته الا على السطح خوفا من انفجاره وتلقيه الى الموج عند اول خطر او عاصفة ... واذا استطاع التغلب على هذه الصعوبة فكيف يجتاز المحيط كله بحمولة سفينة من اللحم ويحتفظ له خلال الرحلة بدرجة التجمد اللازمة والضرورية لحفظه ؟ ....

وقبل شراء المركب (ايبوى) كان تلييه قد قام بتجربتين . واخفقت التجربتان . اقام اولا على احد مراكب نهر الامازون جهاز تبريد ووصل المركب الارجنتين ... ولكن احد البحارة فتح صنبور الغاز فتسرب كله . ولم يكن في امريكا اللاتينية كلها غاز سائل فاخفق المشروع !

وعاد تلييه فاقام جهازا على مركب انكليزى ، وفي طريق العودة توقف جهاز التبريد فالقيت اللحوم كلها في البحر ... ولكن هذا الطوباوى العالم ظل يحاول واطلق على المركب الذى اشتراه اسم : الثلاجة . ونقله الى ميناء الهافر ليقسم قاعه غرفا صغيرة ويعد عليه أجهزة التبريد ويبدأ الرحلة مع عدة اطنان من اللحم . أيهم ان تذكران

رائحة التريميتيلامين التي كان يستعملها للتبريد كانت مقرفة لدرجة منعه من مقابلة الناس ؟

احترق وجهه ولكن !

ايهم ان نعرف ان بالونا من حامض الكبريتيك انفجر في وجهه فاحرقه و .. لولا ان سلمت عيناه ؟ ...

ايهم أن نعدد كم قاسى الرجل ليحتفظ بدرجة الصفر في الغرف التي نظمها في قاع السفينة بينما حرارة غرف الالات المجاورة تجاوز الاربعين ؟

ام يهم ان نعرف انهم نادوه يوم السفر من بين الالات في القاع واخبروه ان الاحتفال قائم وان الكاردينال جاءلمباركة السفينة فلبس بدلة السموكن فوق بذلة العمل المفعمة بالزيوت والشحوم وخرج بهذه الهيئة للناس ؟ ام ان نعرف ان ملك البرتغال استقبله في قصره في لشبونة ، وهو في الطريق ، فلما عاد من حضرته الى الوراء اوقع الزهريات الصينية الثمينة الفخمة من شدة الارتباك ؟ ولكنه لم يرتبك حين اقام لكبار لشبونة حفل عشاء على سفينته وقدم لهم فيه من اللحم المبرد المذبوح قبل شهر في فرنسا !

الهام ان (الثلاجة) وصلت ، بعد اسابيع من الابحار الى بونس آيرس . كل الارجنتين كانت تنتظر التجربة المثيرة . أصحاب المزارع ، الذين لا يعرفون عدد الالاف المؤلفة من قطعانهم السارحة في الادغال . كان مصيرهم في الميزان . نجاح التجربة كان معناه صفقة العمر . من الممكن ان يتحولوا بطرفة عين ، اصحاب ملايين .. بدل ان تستهلك لحومهم محليا بابخس الاثمان او تنقل حية تسعى .. وكم ذا يقاسون وتقاسي الحيوانات في النقل الحي !

واقام تلبيه على السفينة عشاء لكبار القوم . كانوا يسمعون سماعا فقط ان اللحوم التي تحملها السفينة وصلت بحالة جيدة ولكنهم ارتعدوا حين رأوا قائمة الطعام : كانت كلها مجموعة من هذه اللحوم التي جلبها الرجل معه ! عمرها يزيد على مائة وعشرين يوما ! واهل الارجنتين اكلة لحوم . ذواقو لحوم . مغرمون بانتقائه وتخيره وألوانه . معتادون الطرى منه والغض والاحمر والابيض ولكل طعام ووقت لحمه والنوع والالوان .. انها قضية مزاج رفيع كالنبيذ للفرنسيين !!

مصير ثروة الارجنتين في فمها !

ووزعت قطع اللحم على الموائد فاحجم الجميع ! جمدت الايدى على الشوكات والسكاكين ودارت العيون فقط ينظر بعضها الى بعض .. اجرأهم كانت امرأة رئيس الوزراء . قطعت أخيرا وبعد تردد قطعة صغيرة من الصحن وحملتها الى فمها .. فيا عدا الافلام السينمائية ما تعلقت عيون بشفتين بمثل ذلك الاهتمام الذى تعلقت فيه عيون القوم بشفتيها ... ولاكت اللقمة على هون وهم ينظرون . وصمتت وصمتوا . ونظرت ونظروا ... كانوا ينتظرون ان تقول شيئا . اى شيء . وشعرت هي اخيرا بذلك . مصير ثروة الارجنتين الحيوانية كان معلقا بالكلمة التي سوف تخرج من شفتيها ... واخيرا قالت :

ـ ماذا ؟ انه لحم !

واقبلت الايدي بالسكاكين على الصحون . واخذت صيحات الاعجاب تتوالى !!

وخرجت الصحف في اليوم التالي بالنبأ المدهش . الذين اكلوا اللحم الفرنسي المذبوح قبل اربعة اشهر والذين لم يأكلوه على السواء في نشوة الفرح والبشرى .

انه منجم من الذهب اللحمي قد فتح على الارجنتين . كتبت الصحف هناك :

« بفضل شارل تلبيه سيأكل الفقراء اللحم بكل مكان . انه فجر يوم جديد . للارجنتين ولثروتها انه فتح سيقضي على سوء التغذية وعلى البؤس ....

من قمة النجاح الى الافلاس والنسيان !

كان هذا المجد هو اقصى ما وصله تلبيه وسفينته . كان القمة وما اسرع ما بدأ من بعده الانحسار والفشل . فقد وصلت موجة التفاؤل والنجاح الى فرنسا لترتفع اسعار الاسهم في شركة تلبيه الى الحدود الخيالية . والح كبار المساهمين عليه بالعودة الى باريس ثم الحوا عليه بفتح الباب الاوسع لاغراق السوق بالاسهم ... وخاف الرجل نتيجة المغامرة المالية ، التي يدفعونه اليها . ان انتكست انها اذن الفضيحة والانهيار . وهو لا يريد لمشروعه المقامرة بمال المساهمين الصغار . واضطر في النهاية الى الانسحاب والانزواء وانسحب معه الكثيرون من المشروع وتعطل العمل كله .. وافلست الشركة .!

بينما كان تلبيه يعود الى العتمة والنسيان ... والفقر كانت انكلترا تلتقط الخيط والمبادرة بجهود اللورد كيلفن Kelvin وتنزل خلال سنوات اسطولا من ٣٠٠ سفينة ثلاجة الى البحر ..

اما السفينة « الثلاجة » الاولى سفينة تلبيه فكانت احدى المعروضات الجذابة في معرض باريس الدولي سنة

١٨٨٠ . وقف امامها تليبيه فسأله احد العابرين :

ـ هل زرتها ؟ فقال : سمعت عنها !!

وانتهى الرجل مغمورا بين المغمورين الكثيرين ... وتوفي بعد الكبر والعجز في الخامسة والثمانين من العمر ...

السفينة الشبح

اما السفينة (الثلاجة) فكان لها مصير آخر بعد ذلك ....

لقد اعيدت الى الخدمة وفي يوم ١٩ اذار (مارس) سنة ١٨٨٤ دخلت بحر المانش لتذهب الى اسبانيا . الضباب كان بحرا آخر يغرق كل شيء ويلف الصواري والاشباح ... وسمع قائدها دوى صفارة انذار لم يستطع ان يحدد أيان منطلقها ومجراها ؟ الرؤية لا تزيد على امتار . أوقف السفينة واطلق ثلاث صفارات . لم يسمع عليها اى جواب . تابع السير بهدوء وهو يقرع جرس المقدمة للتحذير . فجأة برز وسط الضباب مقدم سفينة اخرى كأنها القدر ، لم يكن الى تفادى الاصطدام بها من سبيل ... وسمعت ضجة صاخبة في الضباب لقد تحطم جانب (الثلاجة) ثم مالت على الموج وأذنت بالغرق . أمر القائد بمغادرتها .. السفينة الانكليزية التي صدمتها لم يصبها أذى ... التقطت مركب النجاة واحد عشر بحارا من بحارة (الثلاجة) التي ابتلعها بسرعة بحر الضباب .

تم كل شيء كأنما هو يجرى في عالم الاحلام . في دنيا اخرى منقطعة هواؤها غيم اخرس والوجود اطياف واشباح ...

مضت السفينة الانكليزية تشق الضباب والماء . لم تكن قد قطعت ميلين حين صاح رقيبها : سفينة في الطريق !

كان ثمة شبح سفينة يتجه نحوهم مباشرة . شبح صامت قاتل . انه (الثلاجة) تسير والدخان ما يزال ينطلق من مدخنتها . وصاح القائد الانكليزي :

ـ الى اليمين باقصى سرعة ...

تفاداها . على خط مواز لسيرها وفرك عينيه . أهو واهم بالاشباح ؟ أهي قادمة للانتقام ؟ كان يجب ان تكون تحت الماء . في الاعماق . فهل تسيرها الارواح ؟ البحارة يؤمنون بامثال هذه الهواجس ، المرعبة ....

بعد اقل من ميل آخر صاح رقيب السفينة مرة اخرى :

ـ سفينة في الطريق !!

ونظر البحارة والقائد ... انه غير معقول ! انه مستحيل . اى ضرب من الجن هذا ؟ كانت (الثلاجة) قادمة مرة ثانية عليهم .... ايموتون واهمين ؟ اهي سفينة اخرى مشابهة ـ الى اليمين باقصى السرعة ايضا ...

ولكن الاوامر في هذه المرة كانت متأخرة جدا لقد كان مقدم (الثلاجة) قد ضرب السفينة الانكليزية ضربة عنيفة زلزلتها . بدأ ماء البحر يغرق الغرف الدنيا والقاع ... انها تغرق ! وبينما كان بحارة السفينتين ، على قوارب النجاة في البحر وكانت السفينة تغيب في الماء ، مقدمتها آخر ما يغرق منها ... كانت الثلاجة ـ الشبح تختفي في الضباب كرة اخرى ....

واقبل الملاحون يجدفون على القوارب ، في اتجاه البر .

لم يمض نصف ساعة على ذلك حتى انجاب الضباب . بدأت الرؤية تمتد على البحر اميالا . وجه البحر يلمع . ليس الا الماء والسماء .... والا (الثلاجة) ، بلى ! كانت على مقربة منهم تسير ...

صعق قائدها . والقائد الانكليزى والبحارة الذين ابطأت ايديهم على المجاديف ـ هل انتم واثقون من انكم لم تتركوا احدا على متنها ؟

واقتربوا من السفينة الماثلة . انها تسير ! اهي الاشباح ؟

حين صعدوا اليها عرفوا السبب !

كانت الضربة قد خرقت غرف التبريد السفلي ولكنها لم تؤذ غرف المحركات التي ظلت تعمل . كان الفاصل بين مجموعتي الغرف منذ ايام تليبيه ، صفيقا وكافيا لمنع تسرب الماء . وكانت الدفة قد تثبتت وهي مائلة قبل ان يغادرها صاحب الدفة العجول لينجو بروحه . فظلت السفينة تدور في الضباب وتدور .

ولكن الضربة الأخيرة كانت قدخرقتها هذه المرة فاخذت وهي تجرى ، تغرق ببطء كالنسر الجريح يجر الخوافي الكسيحة !

وانسحب البحارة ينظرون اليها وهي تغيب على مهل في الماء اللانهائي . لقد تم بغرقها غرق القصة كلها في محيط النسيان .

ولكن العالم ظل حتى اليوم ـ وسوف يظل ـ يأكل اللحم غضا طريا سليما وان ذبح قبل اشهر .. اعرفت من اطعمك اللحم المثلج ؟ ■■

د . شاكر مصطفى

الخريطة والألوان الأربعة

قصة رحلة شاقة للعقل البشري

بقلم : الدكتور عبد العظيم أنيس

كيف يمكن تكوين خريطة لعدة دول بحيث لا يكون لدولتين متجاورتين نفس اللون .؟ ولماذا تكفي أربعة الوان .؟ هذه هي المشكلة الرياضية التي استمرت خمسة وثمانين عاما ، من عام ١٨٩١ وحتى عام ١٩٧٦ ، وقد حلت بعمل ١٢٠٠ ساعة على الكمبيوتر ..

في يوم عادي من أيام شتاء لندن البارد عام ١٨٥٢ كان أحد تلاميذ المدارس الثانوية (فرانسيس جوثرى) يقوم بتلوين خريطة لانجلترا بمقاطعاتها المختلفة ، وكان من الطبيعي أن يراعى عند التلوين ألا يكون لمقاطعتين متجاورتين (أي بينهما حدود مشتركة) نفس اللون ، وخطر له أن يسأل نفسه : كم عدد الالوان الضرورية لانجاز هذا العمل ؟ لقد لاحظ فرانسيس من خلال عمله أن أربعة ألوان تكفي ، وبدأ يسأل نفسه : هل هذه قاعدة عامة .

بمعنى آخر هب أن فرانسيس كان يقوم بتلوين خريطة لاوربا مثلا ، فهل تكفي أربعة ألوان لانجاز هذا العمل بشرط ألا يكون لدولتين متجاورتين نفس اللون ؟

أعاد فرانسيس التجربة على خريطة لاوربا ، ووجد مرة أخرى أن أربعة ألوان كافية . (انظر شكل (١) وبدا للفتى أن أفضل ما يمكن صنعه للاجابة على هذا التساؤل أن يناقش أخاه فردريك جوثرى . فأخوه طالب بجامعة لندن يدرس الرياضيات على يد أستاذ من أقدر علماء عصره (الاستاذ دي مورجان) ، وربما يستطيع أن يبرهن رياضيا على أن أربعة ألوان كافية لتلوين أية خريطة تحت هذا الشرط الذى سبق ذكره .

وتداول الاخوان طويلا في الموضوع دون حل . لقد كان واضحا لفردريك أن ثلاثة ألوان لا تكفي لانجاز هذا العمل ، كما يتضح من القاء نظرة على الشكل (٢) حيث توجد أربعة دول متجاورة مثنى مثنى .

ولكن لماذا تكفي أربعة الوان بالذات ؟ كيف يمكن اثبات هذا نظريا ؟ وما هو الشيء السحرى في العدد أربعة الذى يجعل منه فارسا في هذه المهمة ؟

كان الفيثاغوريون في اليونان القديمة ـ وهم أول مدرسة رياضيات عرفتها البشرية ـ ذوى اتجاه صوفي محدد ، يقرنون بين الاعداد والصفات ، فيقولون ان من الاعداد البهى الكريم ومنها القبيح المضجر . فهل يكون العدد أربعة من بين هذه الأعداد البهية الكريمة التي تلعب دورا خاصا في تكوين الخرائط ؟

لا شك أن هذه النظرة الصوفية للاعداد كانت بعيدة عن ذهن الاخوين فرانسيس وفردريك .

وعندما عجز الاخوان عن الوصول الى حل للمشكلة ، حملها فردريك في اليوم التالي الى أستاذه دي مورجان ، ودخل عليه في غرفته وهو متهيب أن يكون سؤاله سخيفا تافها وان تكون الاجابة عليه معروفة منذ زمان طويل . ولم يخطر على بال الفتى أن العقل البشرى سوف يظل مشغولا بهذا السؤال لمدة تقرب من مائة وخمسة وعشرين عاما ! وانه خلال هذه المدة لا يكاد يوجد عالم رياضي مرموق في هذا العالم لم يحاول البحث عن برهان لهذه المقولة دون نتيجة ، وانه في عام ١٩٧٦ فقط توصل رياضيان أمريكيان من جامعة الينوى الى برهان كامل لهذه المقولة !

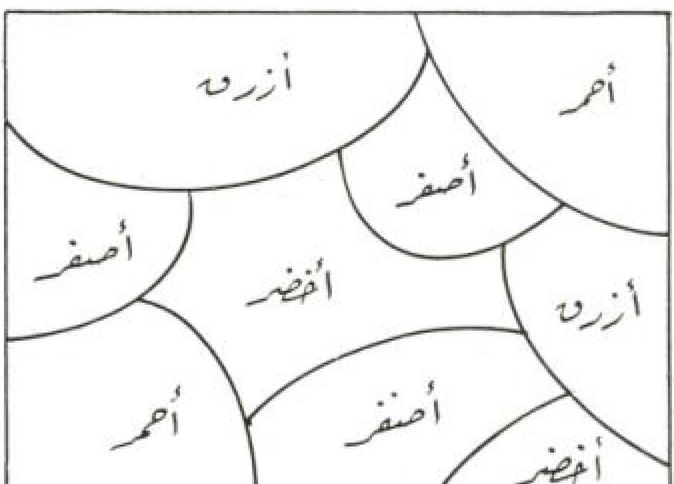
والاغرب من هذا كله أن البرهان الذى نشر عام ١٩٧٦ يقع في مائة صفحة كتلخيص ، ومائة صفحة من التفاصيل ، وسبعمائة صفحة من الهوامش ، كما يشتمل على ١٢٠٠ ساعة عمل على الحاسب الآلي (الكمبيوتر)

سوف يقول قارىء أريب على الفور : أن هذا جنون بلا ريب ، اذ لماذا تنفق البشرية كل هذا الجهد للاجابة على سؤال من هذا النوع ؟ وما هو قيمته العملية على أي حال ؟

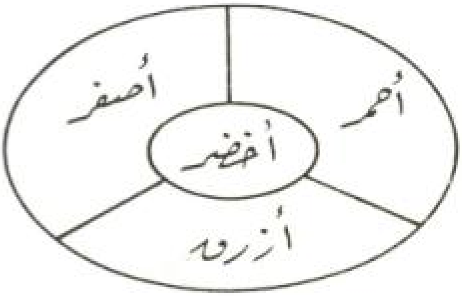
للاجابة على هذا السؤال المشروع ... على القارىء أن يدرك أن القضية نشأت أولا من خلال مشكلة عملية ، وأن الاجابة على أسئلة من هذا النوع كانت في الحقيقة بداية فروع جديدة في العلوم الرياضية . وقد تبدو هذه الفروع مجردة في بادىء الامر وبلا تطبيقات لفترة من الزمن ، ولكن البشرية في احدى لحظاتها تجد استخداما لها في أكثر فروع العلوم والتكنولوجيا التصاقا بمشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية ، وان مشكلة « الخريطة والالوان الاربعة » كانت على أى حال فتحا جديدا لمجالات رياضية جديدة ذات تطبيقات هامة .

الموضوع اذن مهم ويستأهل هذا الجهد . ولكن الاهم في هذا المقال أن نستعرض كيف استغرق العقل البشرى كل هذا الوقت ليصل الى اجابة على سؤال يبدو في مظهره بسيطا الى هذا الحد ؟ وكيف ظن كثيرون على طول الطريق أنهم وصلوا الى اجابة ثم تبين أنهم خدعوا ...

لنعد اذن الى فردريك جوثري ومقابلته لاستاذه دي مورجان حيث عرض عليه المشكلة . بطبيعة الحال لم يكن لدى دي مورجان إجابة . ولكنه كتب الى الرياضي الايرلندى الكبير سير وليم هاملتون خطابا . وفي هذا الخطاب ذكر دي مورجان أن أحد تلاميذه هو الذى طرح المشكلة وأنه يود أن يعرف ان كان عند سير وليم اجابة عليها .



شكل " ١ "



شكل "٢"

ولم يكتف دى مورجان بهذا ، بل قام بطرح هذه المشكلة عام ١٨٦٠ علنا لاول مرة خلال مقال له كان يستعرض فيه أحد الكتب الرياضية الجديدة . وسارع الفيلسوف وأستاذ المنطق الامريكي بيرس بنشر « برهان » لهذه النظرية بعد قراءته للمقال ثم تبين أن البرهان خاطىء !

على أن أول محاولة جدية لبرهان هذه النظرية جاءت على يد الانجليزى كمب Kemp عام ١٨٧٩ ، أى بعد طرح المشكلة علنا بتسعة عشر عاما ! والغريب في الامر أن كمب هذا كان محاميا بالمهنة ولم يكن رياضيا محترفا . لقد كان من الهواة سبق أن درس الرياضيات على يد الاستاذ كيلي بجامعة كمبردج ، ولكنه تحول بعد ذلك الى مهنة المحاماة . وقد نشر البرهان في « المجلة الامريكية للرياضيات » .

وصفق العالم الرياضي كله لهذا الرياضي الهاوى الذى أنجز ما عجز عنه الرياضيون المحترفون . وعين كمب أمينا لصندوق الجمعية الرياضية بلندن ثم انتخب رئيسا لها مكافأة له على هذا العمل الجليل . والاكثر من هذا أنه انتخب عضوا بالجمعية الملكية البريطانية ـ وهو شرف لا يحظى به الا كبار العلماء ـ تقديرا لعبقريته في هذا المجال .

أغلق الباب اذن على المشكلة باعتبارها منتهية ، وأخذ بعض نظار المدارس الثانوية يعرضون منطوق النظرية على الممتازين من تلاميذهم في تحد واضح للوصول الى برهان كمب أو أى برهان آخر ، حتى ناظر احدى مدارس بريستول طرحها على تلاميذه مشترطا أن أى حل يقدمونه « لا ينبغي أن يزيد عن ثلاثين سطرا بالاضافة الى صفحة من الرسم البياني » !

وكنوع من التسلية والترويح طرحت المشكلة في عدد من المجلات المتخصصة ، ومنها « مجلة التعليم » التي تصدر في لندن . وبعد سنتين من طرحها نشرت نفس المجلة عام ١٨٨٧ حلا للمشكلة قدمه اسقف لندن آنذاك (فردريك تمبل) الذى أصبح فيما بعد كبير اساقفة بريطانيا . وقد ذيل الاسقف البرهان بسطرين قال فيهما انه وصل الى هذا الحل بينما كان شارد الذهن خلال اجتماع ممل للكنيسة !

لكن المفاجأة المذهلة وقعت عام ١٨٩١ ، أى بعد أن نشر كمب برهانه باثنى عشر عاما ، عندما نشر الاستاذ هيوود ـ أستاذ الرياضيات بجامعة ديرهام ـ بحثا يبين فيه أن برهان كمب يحتوى على مغالطة تنسف البرهان من أساسه ، وأن مشكلة « الخريطة والالوان الاربعة » ما تزال دون حل !

ورغم هذه الصدمة فقد كان الشائع في أوساط الرياضيين الاوروبيين أن الخطأ في برهان كمب ليس من النوع الخطير وأنه يسهل تداركه ، وأن النظرية مبرهنة في أساسياتها وان كان البرهان في حاجة الى بعض التعديل ليكون مقبولا .

لكن السنين مضت دون أن يستطيع أحد تعديل البرهان حتى يكون مقبولا ، وشيئا فشيئا بدأ العلماء الكبار في أوربا يدركون أن المشكلة أعمق مما كانوا يتصورون .

ومنذ عام ١٨٩١ حتى ١٩٧٦ بذلت محاولات شتى دون جدوى ، ولا يكاد يوجد عالم رياضي مرموق في هذه الفترة الا وقد حاول أن يحرق أصابعه دون طائل في البحث عن برهان ... الى ان أعلن الرياضيان الامريكيان أبل وهاكن الاستاذان بجامعة الينوى منذ اربع سنوات

عن برهان جديد . هذا البرهان الذى استغرق ٧٠٠ صفحة من الهوامش ، ١٢٠٠ ساعة عمل على الكمبيوتر !

هل هذه هى نهاية المشكلة اذن ؟

الذين اطلعوا على البرهان من الرياضيين يقولون : نعم ولا فى نفس الوقت . نعم ... لان النظرية قد عرف لها برهان فى آخر الامر ، ولا ... لانه لا يمكن للبشرية أن تستقر على قبول مثل هذا البرهان المطول جدا والذى يصعب على الاخرين التحقق من صحته . فما هى قيمة أى برهان رياضي لا يستطيع الآخرون متابعته ؟

ومع أن المشكلة قد حلت من ناحية المبدأ فيما يبدو ، الا أن السنوات القادمة سوف تشهد محاولات أخرى مثيرة اما لاختصار برهان ابل وهاكن أو لا يجاد طريقة أخرى للبرهان مختلفة كيفا عن طريقتهما التي هي فى الحقيقة تطوير واستمرار لبرهان الانجليزى كمب .

أن هذه النتيجة التي توصل اليها العالمان هى بالتأكيد انتصار للانسان وللعقل البشرى ، وهى علامة من علامات ارتقاء هذا الكائن الذى هو نحن ـ وليس السؤال المهم هو : ماذا أعمل بهذه النظرية الان ؟ لان البشرية على طول تاريخها وتجاربها قد علمتنا أن ما حققه العقل البشرى من انتصارات انما كان دائما نحو فهم أفضل لهذا الكون الذى نعيش فيه ، وأن ما قد يبدو شديد التجريد فى العلوم الرياضية أحيانا انما يجد طريقه فى نهاية الامر فى مكان ما من صورة المعرفة الانسانية التى يزداد اكتمالها .

والا فماذا كنا صانعين بنظرية النسبية لاينشتين عندما صدرت عام ١٩٠٥ ؟

لنتذكر قصة اقليدس الذى كان يدرس الهندسة لتلاميذه فى جامعة الاسكندرية قبل ألفين من السنين ، وهذا التلميذ الذى سأله : « وما فائدة هذه النظريات ياسيدى ؟ » والتفت اقليدس غاضبا الى خادمه وقال مشيرا للتلميذ : « يا غلام اعطه درهما » ؟

ثم لنتذكر الجهود الجبارة التي بذلها المهندسون العرب فى بناء قصر الحمراء بالاندلس ، والاشكال الهندسية ذات التماثل الغريب التي راعوها فى تزيين القصر . ان من المؤكد أن عرب الاندلس لم يكونوا يعرفون شيئا عن هندسة التحويلات ، لكن أشكالهم الهندسية هذه كانت المفتاح الاول لدى الاوروبيين عندما ابتكروا كثيرا من أفكار هندسة التحويلات ، وان هذا الفرع من الرياضيات يجد له تطبيقات مثيرة فى علوم مختلفة كالفيزياء والكيمياء .

ولعل من اروع عبر هذه القصة المثيرة عن « الخريطة والالوان الاربعة » أنها مقولة تبدو بسيطة الى حد الاستهتار (وهذا فيما يبدو طابع كل عميق فى المعرفة البشرية) وأنها قد طرحت على يد تلميذ بالمدارس الثانوية . تلميذ لم يخطر فى خلده أن يجتاز العقل البشرى هذه المرحلة الشاقة للوصول الى حل لها ، وهو درس جدير بعنايتنا عند تربية اولادنا فى البيت والمدرسة . هذه التربية العلمية القائمة على الفضول ومحبة المعرفة والسعى اليها وتحكيم العقل وتنمية الاعتماد على الذات . ان هذا هو طريق اللحاق بالامم التي سبقتنا فى مضمار الحضارة والنهضة . ■■

د . عبد العظيم انيس

● شرع الاسكندر يوزع على اصحابه كل ما لديه من مال وتحف قبل رحلة الى آسيا فاعترضه صديق خشي تبذيره فقال له :

ـ وما الذى تركته لنفسك ؟

فاجاب : الامل !

● سئل « روكفلر » اغني اغنياء العالم : كيف توصلت الى اقتناء الثروة الطائلة ؟

فاجاب : انني توصلت الى الاثراء باربع خلال لا غني عنها لمن يرغب في ادخار المال وتوسيع الثروة وهي : الا يشترى من الاشياء الا ما كان ضروريا له ـ ان يدخر بعض ما يربحه ـ ان يكون امينا دقيقا في عمله ـ ان يقلع عن العادات السيئة .

قراءة في فكر رافض

دعوة إلى "تطبيع" العلاقات بين المسلم ودنياه

بقلم : فهمي هويـدي

نريد ان نقيم مصالحة بين المسلم ودنياه ، تمهد « لتطبيع » العلاقات بينهما ، بتعبير المرحلة !

نريد ان نستقر على صيغة ترد للمسلم حقه المشروع في الدنيا ، حتى « آخر شبر » في الحلال !

ذلك ان علاقة المسلم بدنياه هي حالة فريدة في نوعها . فحقه في الدنيا ثابت ومقرر بنص القرآن الكريم ، منذ اربعة عشر قرنا . لكن هذا الحق مهضوم ومهدور ، كما قلت في الحلقة السابقة من المناقشة . لم يغتصب منه ولم يسلبه احد ، ولكنه تنازل عنه حينا ، بحجة التسامي والانصراف الى الآخرة ، وحيل بينه وبين نيل هذا الحق حينا آخر ، لان الفقهاء لم ييسروا له امكانية الحصول عليه من باب الاسلام .

نعم ، هناك حل ثالث اضطر اليه الكثيرون ، وهو سهل وبسـيط للغاية ، وان لم يخل من شعور بالذنب احيانا ، هذا الحل الثالث هو : ان يحصل المسلم على حقه في الدنيا من الف باب وباب آخر ، ليس بينها باب الاسلام !

ان الكون لم تختل حركته ، ولم تتوقف عجلة الدنيا عن الدوران ولم يتوقف ركبها عن الركض ، لان بعض المسلمين تخلوا عن نصيبهم فيها . لكن المسلمين انفسهم هم الذين خسروا ، فاتهم قطار العصر ، وقعدوا على بسطهم وفي تخلفهم ، هم في واد ، والدنيا في واد آخر !

وقبل ان نمضي في المناقشة ، فثمة ايضاح واجب في تعريف الدنيا التي أعنيها ، حتى يزول لبس قد قد يرد على اذهان البعض . فحق المسلم في الدنيا هو حقه في كل ما هو حلال منها . في « زينة الله التي اخرج لعباده » وفي « الطيبات من الرزق » ـ بتعبير القرآن الكريم ، وفي كل ما هو خير وشريف من عمل او حتى متعة !

انني اتحدث عن الحلال والخير في الدنيا ، مدركا ان هناك من لا يرى فيها الا الحرام والمعصية .

التحدث عن النصف الملآن من الكوب ، مدركا أن هناك من لا يرى الا نصفها الفارغ ، وما أصابه من تلوث ، وما عف عليه من ذباب !

نعم ، ان رأى اكثر النصوص الاسلامية في الدنيا لا يشرفها باى حال ، والتحذيرات الواردة في القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، التي تحذر من الدنيا ، وتصفها بكل نقيصة ، عديدة وبغير حصر . وما من كتاب في الفقه الا وتناول هذا الموضوع ، من زاوية اتهام الدنيا ، بشكل او بآخر ، حتى ان الامام الغزالي خصص فصلا كاملا في الجزء الثالث من كتابه احياء علوم الدين ، عنوانه : ذم الدنيا ـ وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات .

والامر كذلك ، فان من يحاول « التوسط » في الموضوع ، داعيا الى المصالحة او ما يسمى بالتطبيع ، قد يصيبه رذاذ هو في غنى عنه ، ولن يخلو من مظنة الاتهام عند الكثيرين .

لكن الدعوات التي بدأت تروج بين اجيال الشباب ، تطرح صيغا للتعامل مع الدنيا باسم الاسلام ، لا اظنها تتفق مع نصوص الاسلام او روحه . حتى بات التصدى لهذه التيارات الغريبة واجبا ، لمصلحة الاسلام والمسلمين .

ذلك ان الوقوف على التصور الاسلامي العام للدين والحياة ، والمراجعة الواعية للنصوص ، يقودانا الى حقيقتين اساسيتين :

ـ ان المنطلق الاساسي للفكر الاسلامي يقوم على فكرة الوصل بين الدين والحياة ، وما يسمى بالوسطية بين الروح والمادة ، والضمير والعلم .

ـ ان النصوص لم تتناول الدنيا على اطلاقها بالذم والقدح ، ولكن ثمة وجه مذموم ووجه آخر مرغوب للدنيا . ووضع الاثنين في سلة واحدة ، مغالطة فادحة ، واساءة بالغة الى الاسلام ، بل اهدار للاضافة الأساسية التي اضافها الى مسيرة الانسان وتاريخ الاديان .

ولنقف سريعا امام كل من هاتين الحقيقتين .

●

ان اكثر تفسيرات الآية « وكذلك جعلناكم امة وسطا » ـ البقرة : ١٤٣ ـ تتفق على ان المقصود بها هو ـ كما يقول الشيخ رشيد رضا في الوحي المحمدي ـ « ان المسلمين وسط بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجسدية والمنافع المادية ، كاليهود ، والذين تغلب عليهم التعاليم الروحية ، وتعذيب الجسد ، واذلال النفس والزهد ، كالنصارى والهندوس » .

والتوجيه الالهي في القرآن الكريم يمضي في هذا الاتجاه ..

وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك .. (القصص ـ ٧٧) . فاذا قضيت الصلاة ، فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله (الجمعه ـ ١٠) .

في هذه الآيات ـ وغيرها كثير ـ دعوة الى تحقيق هذا التوازن ، الذي عبر عنه الفقهاء والمفسرون بالمقولة الشهيرة : تثبت « مصالح العباد ، في المعاش والمعاد » .

وقد روى ان بعض الصحابة اخذ على نفسه ان يصوم النهار ويقوم الليل ، واخذ بعضهم على نفسه ان يعتزل النساء ، فبلغ النبي عليه الصلاة والسلام ذلك ، فوقف بين الناس خطيبا وقال : ما بال اقوام قالوا كذا وكذا . اما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له . لكني اصوم وافطر ، واصلي وارقد ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني .

ان الرسول عليه السلام القائل « لارهبانية في الاسلام » هو ذاته القائل « رهبانية امتي في الجهاد » ، ثم .. « افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .. هذه الاحاديث مجتمعة ترسم صورة باهرة « للجديد » الذي اتى به الاسلام ، الذي يرفض عبادة الصوامع المغلقة ، ويمتد بالرهبانية الى الجهاد بشتى صوره ، ويمتد بالجهاد الى حد اعلان كلمة الحق في مواجهة السلطان الجائر ، ارساء لقيمة العدل ودفاعا عنه .

ايضا ، فان النصوص تذهب الى مدى بعيد في دعوة وحث المسلمين الى ان يقبلوا على كل ما هو طيب وخير في الدنيا .

وفي الآيات : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق .. (الاعراف ـ ٣٢،٣١) .

يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون (المائدة ٨٧ ـ ٨٨)

يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ، واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون (البقرة ١٧٢) .

وفي الاحاديث : اذا اوسع الله عليكم فأوسعوا على أنفسكم ، وان الله يحب ان يرى نعمته على عبده . كلوا واشربوا والبسوا في غير سرف ولا مخيلة .

وعندما نهى الرسول عن الكبر ، وسئل : ان الرجل يحب ان يكون ملبسه حسنا ونعله حسنا ، أفهذا من الكبر ؟ كان رده عليه السلام : ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر النعمة وغمط للناس .

●

ان الدنيا المذمومة في النصوص الاسلامية ، ليست كل العالم الذي نعيشه ، بخيره وشره . ذلك تعسف في التفسير وسوء فهم بالغ للدين . والآية : يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان (البقرة ـ ١٦٨) ، هذه الآية تفرق بين طيبات الدنيا ومزالق الشيطان فيها ، بين وجهين للدنيا ، طيب وخبيث ، خير وشرير .

ان الدنيا المذمومة لها مواصفات خاصة ، وحدود واضحة المعالم في التصور الاسلامي . فهي تلك التي تندرج ـ بالفعل او القول ـ في دائرة المحرمات ، وهي تلك التي تلهي المسلم عن ذكر الله ، وهي تلك التي تطمس على قلبه فيتخذها غاية ودينا ومذهبا ، وتجرده من البصيرة ، مبقية له على البصر وحده .

والمؤمنون حقا هم كما وصفهم القرآن : رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .. (النور ـ ٣٧) وعلى الذين يصرون على تحقير الدنيا او اعتزالها ان يقرأوا هذه الآيات :

للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير . (النحل ـ ٣٠)

واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ، انا هدنا اليك (الاعراف ـ ١٥٦) وآتيناه في الدنيا حسنة ، وانه في الآخرة لمن الصالحين (النحل ـ ١٢٢) وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا (القصص ـ ٧٧) .

ان هذه الآيات التي تتحدث عن حسنات في الدنيا يؤجر بها حتى الانبياء ـ مثل آيه سورة النحل التي نزلت في سيدنا ابراهيم عليه السلام ـ تقابلها آيات اخرى تحذر من الدنيا ، وتصفها بأنها لعب ولهو ومتاع الغرور . ولست اظنني بحاجة الى تكرار سرد نماذج من هذه الآيات . فأكثر المسلمين يحفظونها ، كعادتنا في الانتباه الى مواضع الحذر والمنع ، بأكثر من رؤيتنا للحلال والرخص .

وهاتان المجموعتان من الآيات ، تتحدثان عن طريقين مختلفين للمسلم يمران بالدنيا لا محالة :

احدهما في طاعة الله يبدأ في الدنيا ويقود الى رضوانه سبحانه في الآخرة ، والثاني في معصية الله ، يبدأ وينتهي في الدنيا . الاول مطلوب ومرغوب ، والثاني مرفوض ومذموم .

الاول هو النصف الملىء من الكوب ، الذي ادعوا الى ان نستقي منه ونتصالح معه ، ونرى الدنيا من خلاله ، بغير اغترار ولا غفلة .

والثاني ـ المذموم ـ هو النصف الفارغ من الكوب ، الذي ينبغي ان نعي حدوده ونعطيه حجمه ، بغير تهوين او مبالغة في التهويل .

ويخطىء بكل المقاييس من يرى الدنيا من وجه دون غيره ، من نصفها الملىء او نصفها الفارغ ، فذلك يناقض المنطق وحسن التقدير ، بل يناقض فكرة (الوسطية) التي تميز بها الاسلام .

ان الله سبحانه وتعالى عندما أبلغ الملائكة بقرار خلق الانسان في الارض ، في الحوار الذي تسجله سورة البقرة (آية ـ ٣٠) كان رد الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ؟ » ، وذلك أنهم لأول وهلة رأوا فقط الوجه المذموم من الدنيا ، رأوا النصف الفارغ من الكوب .

غير ان الله لم ينف وقوع مثل هذا الاحتمال . وكان رده سبحانه : اني أعلم مالا تعلمون . وتلك اشارة الى ان المسألة اكبر مما خطر على بال الملائكة وان ثمة وجها آخر للانسان والدنيا ، لم يكن الملائكة على معرفة به ، يتجاوز الافساد والشر ، الى آفاق البناء والخير .

●

حتى الزهد في الدنيا ، التي تدعو اليه بعض النصوص ، لا يتعارض مع هذا المنطق .

فالزهد في الاسلام ، ليس رهبنة باسم جديد ، ولا هو قعود عن العمل واستسلام للاسترخاء والكسل ، ولا هو اعتزال للحياة واستجداء الناس . ولكن الزهد كما يعبر عنه الامام جعفر الصادق « هو الاكتفاء بالحلال ، لا التجرد من الحلال » . وهو بتعبير الامام الشاطبي في « الموافقات » « مخصوص بما طلب تركه حسبما يظهر من الشريعة » .

وفي ذلك يقول الشاطبي : ان ازهد البشر ، محمدا عليه الصلاة والسلام ، لم يترك الطيبات جملة اذا وجدها ، وكذلك من بعده الصحابة والتابعون ، مع تحققهم في مقام الزهد .

والزهد كما يصفه الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه « مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام » ، يقتضي ملك شيء يزهد فيه ، والزاهد حقا من ملك الدنيا فجعلها في يده ، ولم يجعلها في قلبه .

وقد كان الشيخ الشعراني ، وهو من دعاة التصوف ، يفضل الصناع على العباد ، « لان نفع العبادة مقصور على صاحبها ، اما الحرف فنفعها لعامة الناس » . وكان يقول : ما اجمل ان يجعل الخياط ابرته مسبحته ، وان يجعل النجار منشاره مسبحته !

ومن ائمة الزاهدين ابراهيم بن ادهم ، وكان يؤاجر نفسه . ومسلم الخواص كان يلقط الحب وابو يزيد البسطامي عمل بستانيا .

ويحيى بن معاذ البلخي ـ المتصوف الشهير ـ كان يقول : طلب الزهد فرارا من المشقة بطالة ، وترك المكاسب مع الحاجة اليها كسل . والقعود مع تضييع العيال جهل !

عندما قرر القاضي شمس الدين البساطي ان يتنازل عن مرتب القاضي زهدا وتعففا ، فقد كان يعمل ليعيش يوما بيوم . يخرج يصطاد بشبكته قوت يومه ، ثم يدخل داره فيغير لباسه ، ويجلس مجلس القضاء ! (من كتاب احمد بن حنبل للاستاذ عبد السلام الجندي) .

●

اننا نسلم بأن « الدنيا ممر لا مقر » ، وأنها « مزرعة الآخرة » ، وأن « المعاش طريق الى المعاد » ، الى غير ذلك من العبارات التي درج الفقهاء على استخدامها ، وأخذت بمأخذ ترك الدنيا وتحقيرها .

لكن الامر المحير هو : اذا كانت الدنيا ممرا ، فلماذا لا نحيلها ممرا مريحا وهينا ، واذا كانت مزرعة فلماذا لا نملأها بالورود والزهور . واذا كان المعاش طريقا الى المعاد ، فلماذا لا نمهد هذا الطريق ونضيئه ، ونفرشه بالبسط اذا امكن ؟

لماذا هذا الاصرار على ان يظل الممر مليئا بالحفر والمنعرجات ، وان تمتلىء المزرعة بالشوك والحنظل ، وان تطفأ انوار الطريق وتقام عبره الحواجز بين كل خطوة وخطوة ؟

ان منطق الاسلام في الدعوة الى اليسر ورفع الحرج عن الناس (في العبادات فيما بالكم بالمعاملات) ثم حرصه على حث الناس للاستمتاع بالطيبات من الرزق ، وغيره من صور الحلال ، هو ذاته منطق الرسول عليه السلام في حديثه : اوسعوا على انفسكم .

ان الحذر من شيء لا يعني بالضرورة الامتناع عنه ، ولا العداء له ، ولا التعامل معه بخوف حينا ، وعبوس واكتئاب احيانا . الحذر من شيء لا يعني الذهول عنه او صب اللعنات عليه . ذلك كله ليس مطلوبا ، بل انه يدخل في دائرة العنت والمشقة وتعذيب النفس والآخرين ، المنهى عنه شرعا (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ـ المائدة/٦) .

ان غاية ما يتطلبه الحذر من شيء هو الوعي به . لنفتح اعيننا جيدا ، ثم نتقدم بثقة المؤمنين وشجاعة المجاهدين وصبر المحتسبين .

ان الله لم يستخلف الانسان في الارض ، ليهجر الدنيا ، ويخاصمها ويدير ظهره لها . ولم يسخر له الكون ليحتفظ به رصيدا مجمدا ، او يتأمله عاجزا ، او يفر عنه ذاهلا او زاهدا .

ان الله لم يتعبد الناس بالاعراض عن الدنيا ، ولكنه تعبدهم بامتلاك هذه الدنيا وتطويعها واستثمارها .

ان منطق الاسلام في جعل الارض كلها « مسجدا وطهورا » للمسلم ، يتناقض على طول الخط مع الدعوة الى تحقير الدنيا ، واعتبارها نجاسة لا يجوز الاقتراب منها .

ان الاسلام عندما انتقل بالعبادة من الصومعة الى الشارع ، حتى اعتبرت (ازاحة الاذى عن الطريق صلاة) بنص الحديث الشريف ، فانه أسقط تلقائيا تلك الحواجز المصطنعة بين الدين والدنيا .

اقول ذلك للذين ضيقوا على انفسهم سبل الحياة من الشباب ، باسم التدين والتعبد .

واقوله ايضا للذين ضيقوا على الناس سبلهم الى الحياة من الدعاة باسم حماية العقيدة والذود عن حياض الله .

واستغفر الله اولا واخيرا !

المصرية العربية تكتسح الفرعونية

بقلم : اكرم زعيتر

وزير خارجية الاردن الأسبق

يواصل الاستاذ اكرم زعيتر في هذا المقال عرض فصل جديد من تاريخ عروبة مصر وهو هنا يتحدث عن رأي مصري في قضية الفرعونية .

في اواخر تموز (يوليو) من سنة ١٩٣٣ ، قدم الى فلسطين وفد كشفي مصري ضخم ترأسه العالم المفضال الشيخ عبد الوهاب النجار ، وكيل جمعيات الشبان المسلمين بمصر ، وقاده ضابط من وزارة المعارف ، ورافقه بعض كتاب مصر ومفكريها ، واحتفلت به مدن فلسطين .

وفي الحفلة الكبرى التي اقيمت تكريما له في القدس وقف رئيسه الاستاذ النجار يقول : « جئنا اليكم لنؤكد عهود الاخوة ولنمتن ما بيننا من أواصر المحبة ، فالبلاد العربية كلها جسد واحد ، ويجب ان يكون لها قلب واحد ، وفكر واحد وشعور واحد ، وما العرب في فلسطين والعراق والحجاز ومصر والمغرب الا اخوان في الحقيقة ، غرباء في المجاز .. » ومما قال : « كل نجاح يناله قطر عربي انما هو نجاح لنا معشر المصريين ، وكل ألم يدخل على قطر عربي هو ألم يدخل على أهل قطرنا ، فنحن اخوان تصل بيننا الدماء والعواطف والآلام والآمال » .

واقيم للوفد الكشفي مهرجان حفاوة في نادي الشبيبة اللحمية في بيت لحم ـ مهد السيد المسيح ـ ولحفاوة الشبان المسيحيين في فلسطين بالشبان المسلمين المصريين دلالة تضامن عربي ، وشاء رئيس النادي الاستاذ عيسى البندك بعد الترحيب ، ان يغتمز الذين ينادون بالفرعونية فقال : « ان المصريين عرب شاءوا ام أبوا لان دينهم دين العرب ولغتهم لغة العرب ، وثقافتهم ثقافة العرب ، وعاداتهم عادات العرب .. تربطهم بالعرب وشائج القربى والدين والجوار فهم عرب رغم أنف الزمن .. ان المسيحيين مسلمون قلبا وقالبا والاسلام مبدأ سام وعقيدة وطنية يجب ان يعتنقها كل وطني . »

وهنا نهض الاستاذ عبد الوهاب النجار يقول : « لست ادري ولا المنجم يدري ، من هو الذي اختلق الفكرة الفرعونية الخاسرة ! ولكن يظهر انها احلام مغتسل في حمام . اننا لم تخطر على بالنا فكرة الفرعونية ، وانما هي دسيسة مجرمة حاول بعض نكرات ان يبثوها في مصر وخارجها ، ولكنها أخفقت والحمد لله ..لقد اثبت



العقاد



طه حسين



الزيات



عبد الرحمن عزام



المازني

التاريخ ان اجداد الفراعنة هم عرب قدموا من بطن الجزيرة ، ويتضح للباحث ان هناك شبها كبيرا بين الخط المصري القديم والخط العربي » ودوى المكان بالتصفيق حين قال : « وهل من المعقول ان يستبدل المصريون بعمر بن الخطاب وصلاح الدين اوزوريس وامنحوتب » وفي قرية « لفتة » ، وهي معروفة ببسالتها ، وفي حفلة اقامتها فرقة كشافة « مصعب » خطب الاستاذ النجار : « أؤكد لكم ان مصر أشد ما تكون استمساكا بالوحدة العربية وان اول واجباتها الارتباط باوشاج وثيقة مع الاقطار العربية الاخرى » وكان خطيب الوفد عبد المنعم خلاف ، داعية الوحدة في جميع الاحتفالات التي اقيمت في يافا ونابلس ورام الله وغيرها من المدن الفلسطينية .

العربية المصرية

كان الاستاذ اسعاف النشاشيبي يحتفي بأعلام المصريين ، ولا سيما اساتذة الجامعة ، وكبار ادباء مصر ، وقد اعد « رسالة » جادت من آيات البيان تكريما لمصر ممثلة في أئمة ادبائها ، وطبعت ووزعت في الاقطار العربية ولا سيما مصر ، وجعل عنوانها : « العربية المصرية » وفيها يقول : « وما يجادل في عربية المصرية ومصرية العربية الا كافر بالشريعة الكونية ، والا محترق محتقد على هذه الاسلامية ، والا ناشيء اضلته على علم (وهو غافل) هذه المدرسة الغربية ، والا وغد سمسار باع الشرف الغالي رخيصا في سوق العلوج والفرنج والحكومات الاجنبية ، والا غبي جاهل ... وان مصريا يجهد ان ينسلخ من عربيته لطالب في الدنيا محالا ، ولن يكون مرغبه الا من بعد أن يفارق نحلته ، وينسى لغته ، ويضمحل ادبه ، ويفنى مجده في ثلاثة عشر عصرا ، ويمحى حسبه » ، وفيها : « وان قال عربي منتم الى العربية ما معه من العربية شيء» لست بعربي » فليس لمصري أن يقول مقالـه ، ويضل ضلاله ، ان المصري هو وارث ذاك المجد والمصرية هي وارثة العربية ، وان لم يكن المصري هو العربي ، فليت شعري من يكون العربي ، وان لم تكن مصر دار العربية فاين يا قوم دارها ؟ وان قال زنيم نيط بالمصرية : « لست في شيء من العربية قالت له المصرية : « ولست في شيء من المصرية ، انكر العربية فانكرته المصرية ! » .

وفيها : « ليست العربية بالعزوة » ، ليست العربية نسبة ، ولكنها عقيدة ونحلة وملة ، ولكنها خليقة وادب ولغة » وانهى بيانه هاتفا : « مصر موئل العرب والعربية ، مصر ، حيا الله مصر ، حيا الله ربعها » .

وكان استاذي اسعاف لايفتأ يردد ، في هذه المناسبات ، ما استهل به كلمته في مهرجان امير الشعراء احمد شوقي : « ليست دار العربية رمال الدهناء او هضبات نجد ، او الحجاز ، او اقليم الشام ، او ارض العراق ، بل دارها كل مكان ينطق بالضاد اهله ، ويتلو

فيه كتاب محمد (صلوات الله عليه) قراؤه ، واقوى القوم عربية ، بل العرب العرباء اعرفهم بأدب العربية ، فاهل مصر اذن هم القبيل المقدم في العربية ... »

ولا ادري ما اذا جاز لي ان اعد بعض مواقف لحكومات مصرية من قبيل التحديات ما دامت لا تمثل الشعب المصري ؟ كلا بل ان الشعب المصري كان ناقما منها وساخطا عليها ، وكانت الشعوب العربية تشارك الشعب المصري تلك النقمة وذلك السخط بمختلف الاساليب ؛ واذكر هنا ما علمنا من اجراءات اتخذها اسماعيل صدقي باشا رئيس الوزارة المصرية حين اخرج من مصر الثائر العربي الكبير الامير عادل ارسلان ، وطارد كاتبا سوريا حرا هو الاستاذ سامي السراج الذي كان يشارك صحيفة « الجهاد » الشرقية ، وحظر على الاستاذ محمد علي الطاهر ، صاحب « الشورى » الاشتغال في القضية الفلسطينية ، وقد أشرت في مقال سابق الى منعه الاحتفال بتمجيد الشهيد العظيم عمر المختار ، وصدقي باشا هو الذي أمر باخراج (الشهيد) عبد القادر الحسيني لانه فضح النزعة التبشيرية في معهد اميركي بمصر .. ومما أرمض النفوس ان حكومته لم تسمح لشيخ مجاهدي العرب والاسلام السيد احمد السنوسي بان يستشفي في مصر فقضى في الحجاز ، وكان عزاء الشعوب العربية عن هذا كله ان الشعب المصري كان يقارع تلك الحكومة في غير هوادة،وكانت الصحف المصرية تنكر وتستنكر تلك التصرفات بشدة ، وتبالغ في الاعتذار عنها للشعوب العربية ، وتقول فيما تقول : « ان من اعتدى على الدستور ومن فرط في جغبوب مجاملة لايطاليا يهون عليه ان يفعل هذا كله » . ولعل الصحف العربية كانت أشد ضراوة في الحملة على حكومة صدقي باشا من الصحف المصرية بسبب ما توافر لها من حرية في هذا كانت محرمة على الاقلام المصرية ...

اشراقات مصرية شعبية

على ان الاشراقات العربية الشعبية المصرية كانت هذه السنة ساطعة كسفت تلك التحديات الرسمية !

في ايلول (سبتمبر) من هذه السنة توفي في (برن) الملك فيصل الاول ، ملك العراق ، واذا بموجة عارمة من الحزن الشديد تعم القطر المصري لا يباريها شدة الا الفزع الهائل الذي تبدى على الشعوب العربية يوم قضى سعد زغلول ، ذلك لان فيصلا الاول كان له منزلة شرف لدى المصريين ، وكانت قصيدة أحمد شوقي التي غناها الاستاذ محمد عبد الوهاب في بغداد بحضور فيصل قبل سنة قد عبئت في اسطوانة انتشرت في البلاد العربية كافة ، وترنحت الاعطاف ومحمد عبد الوهاب يشدو قول شوقي :

يا شراعا وراء دجلة يجري ... في دموعي تجنبتك العوادي

سر على الماء كالمسيح رويدا ... واجر في اليم كالشعاع الهادي

كانت افتتاحيات الصحف المصرية رثاء لفيصل ، وتفجعا عليه ، وتهاطلت البرقيات على بغداد من مصر ، وهي تتحدث عن فاجعة مصر والعالم العربي ، ووجه حمد باشا الباسل نداء الى اهل الرأي في العراق يقول فيه : « لقد كان فيصل يحمل الأعباء ، أما الآن فعلى كل وطني ان يشاطر في حمل الامانة ... واعلموا ان الله اقامكم في مقام العباسيين فليكن للعراق عز اسلافه ، ومجد ابائه ، ولتكونوا جميعا رسل هذا العز وذلك المجد .. »

طه حسين يرثيه

الدكتور طه حسين ، وقد تحدثنا عن الغارة التي شنت عليه قبل ثلاثة اشهر ، أنشأ في جريدة « كوكب الشرق » مقالا رائعا تعبق منه طيوب العروبة ، عنوانه « ملك » بدأه بقوله : « خرج من العراق منذ أشهر ، وان حياته الخصبة القوية لتملأ اقطار الشرق العربي كله ، وان جذوته الحادة الملتهبة لتؤجج في قلوب العرب جميعا هذه النار المقدسة ، نار الوطنية الصادقة والقومية الخالصة والحرص على العزة العربية وعلى اعادة ما كان للعرب من مجد أثيل ، ولم يكد يصل الى اوروبا حتى جعل نفسه وشعبه وأمته حديث الاوروبيين ، حديثا عذبا فيه اكبار واجلال ، وفيه محبة ومهابة ، وفيه آمال ، وفيه اشفاق » . والمقال طويل وانما اقتبس منه العبارات التي تنم عن الروح العربية لدى كاتبه ، ففيه يقول طه عن فيصل :

« وكانت قلوب امته العربية كلها ملتفة حوله تذكره في اقطار الشرق العربي بأحسن ما يذكره الملوك .. »

« وفيصل على هذا كله قد ايقظ نفوس العرب بعد نومها ، وأحيا آمال العرب بعد موتها ، ووقف حياته وجهوده على ان يرد للعرب عزتهم الشامخة ، ويشيد لهم مجدهم القديم .. »

وقال « لقد تم اسبوع منذ نعي فيصل الى الشرق العربي ، فلم يهدأ حزن المحزونين ، وانما ازداد عنفا وشدة ، ولم يخف جزع الجازعين ، وانما ازداد يأسا وحدة ، وان هذه الملايين من العرب التي قضت هذا الاسبوع في حزن ليس بعده حزن ، وجزع ليس فوقه جزع ، لا تذوق النوم الا غرارا ، ولا تعرف راحة ولا استقرارا ، وانما هو نحيب متصل ونشيج لا ينقطع ، أثناء الليل وأثناء النهار ، لدليل اوضح دليل ، وحجة اسطع حجة ، على ان فيصلا قد ظفر من شعبه وامته بما لم يظفر به الملوك الا قليلا » .

وقال « وقد ادرك فيصل مجدا مؤثلا حديثا فاضافه الى مجد مؤثل ، حاول ان يقيم ملك العرب في الشام ، فاعترضت من دونه الاحداث ، وحالت بينه وبين ارض الشام ، ولكنها لم تحل بينه وبين قلوب أهل الشام ، فهم بايعوه بالملك ، وهم آمنوا دائما بأن بيعته لازمة في اعناقهم .. فلما اعجزته ارض الشام ، وعاصمة الامويين ، حاول ان يقيم ملك العرب في أرض العراق .. » ثم قال « وكانت الاهوال والكوارث تحف بهذا الشعب العراقي الناهض فاذا فيصل يسوسه ويدبر أموره ألطف سياسة ، وأحسن تدبير ، واذا هو ينتقل به من فوز الى فوز ، ومن تفوق الى تفوق ، حتى تولى عنه الآن ، وان للعراق مكانا في سياسة الشرق والغرب ما كان يحلم بها قبل خمسة عشر عاما » . وتحدث طه حسين عن لقائه فيصلا منذ أشهر .. ثم ساق العزاء الى الامة العربية في عبارات مؤثرة .

والعقاد يرثيه

والاستاذ عباس محمود العقاد ، كتب مقالا نفيسا عنوانه : « الملك فيصل والنهضة العربية » ومما قاله بعد وصف بليغ مؤثر لمناقب الملك الراحل : « وسيذكر العالم العربي لملك العراق الراحل جهاده المشكور في انهاض الدعوة العربية ، وحث العزائم على احياء جامعة العرب ، من طريق الادب والسياسة » . ومما قاله مما يتصل بموضوعنا : « فان المصريين اذا ذكروا أعراقهم فليس معنى ذلك انهم ينسون الاواصر العربية ، أو يسيئون الى تاريخ العرب وآمال العروبة ، بل يسيء الى المصريين حقا من يحسبهم مضطرين الى التبرؤ من جنسهم ، والأنفة من ماضيهم ... ان الجامعة العربية لاكبر واوسع واكرم من ان تكون جامعة لحم ودم وقرابة عمومة وخؤولة ، انما هي جامعة ثقافة ولغة وعقيدة ورجاء ، وماذا يضيرها ـ وهي كذلك ـ ان يكون فيها مصريون وعراقيون وسوريون وحجازيون ؟ لن يضيرها ذلك شيئا وانما يضيرها ان تتناقر على التاريخ ، وتتنابذ بالاصول ، وتنسى ان المستقبل هو الأمل المطلوب ، وان الذي يجمعه الرجاء لا تفرقه الذكريات . سلام على الملك العربي الفقيد ، وعزاء للامم العربية فيه ، ورجاء في مستقبل الجامعة العربية لا يغض منه اختلاف التاريخ ، ولا اختلاف الاجناس . »

واما الاستاذ عبد الرحمن عزام فقد كان عنوان مقاله المؤثر : « فيصل مؤسس دولة ورسول وحدة » وقد بدأه بقوله : « لا اظن ان المصريين سيصبحون على نبأ اثقل على الاسماع واصدع للقلوب من ذلك النبأ المفاجيء بوفاة فيصل ، ولا اظن ان ملكا خارج حدود مصر يلقى موته في نفوس المصريين ما يلقى نبأ ملك العراق من اللوعة وخيبة الامل » وبعد حديث عن ذكرياته مع فيصل وعن صفاته قال : « ولا شك ان التاريخ سيضعه في المقام الذي ناله بالجد ، وصدق العزيمة ، وصالح الرأي ، ذلك المقام المحمود الذي كان فيه شمسا مشرقة بآمال العرب في كل مكان ، ولا شك ان الوحدة العربية آتية ، وانه فيها صاحب الفضل الاول ، وسيحيا بها حياة الخلود في تاريخ الامة الخالدة بل في تاريخ البشرية .. »

انصاف واجحاف

وكان مقال الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني وعنوانه : « فيصل العربي الثائر ـ هدفه الاسمى في سياسته وملكه » مقال خبير واسع الاطلاع على احوال البلاد العربية ، واذا انا اقتبست بعض عبارات منه هي اقرب الى السرد التاريخي ـ فلكي يقارن القاريء بين الانصاف فيما كتب بالامس ، والاجحاف فيما يكتب اليوم ، قال المازني : « فدخل فيصل دمشق بجيشه ، واستقبله ابناء الشام جميعا بقلوبهم ، وشرع في تأسيس الملك الذي اراد به ان يكون قاعدة لتحرير البلاد العربية ، وحاول في رحلتين متواليتين الى اوروبا ان يتفق مع الانجليز والفرنسيين على تأليف مملكة تشمل سورية كلها من جبال طوروس الى حدود مصر ، ولكنهم راوغوه وخذلوه ، فعمد الى احداث الامر الواقع ، واعلن استقلال تلك المملكة بواسطة مؤتمر سوري عام ، وشرع في تنظيم جيش قوي ، واعلن الخدمة العسكرية الالزامية ، وشرع في سك العملة السورية الجديدة ، ولكن لم تكد هذه المملكة الفتاة تشب عن طوقها حتى

خرج فيصل من دمشق والدموع ملء عينيه ، وعزمه على الجهاد اعظم مما كان في كل زمن مضى » . وتحدث المازني عن جهاد فيصل في تنظيم العراق واستقراره سياسيا وعسكريا « قبل الشروع في الخطوة التالية التي هي تحرير البلاد العربية » .. « ولم تجر الاقدار بان تفسح في اجله الى ان يتم الرسالة التي وقف نفسه لاتمامها » .

وكانت مقالة الاستاذ احمد حسن الزيات وعنوانها « الملك الشهيد » من ابلغ ما كتب ، وقد عرف فيصلا معرفة وثوق وخبرة ، وانتهى الى القول : « كان الملك فيصل في العراق ملك دولة ، ورئيس حكومة وزعيم امة ، وهو في الاقطار العربية مؤسس نهضة ، وممثل فكرة ورسول وحدة ، وداعية سلام ، ومعقد امل ، فاذا هفت النفوس جزعا لفقده ، واستولى على العرب الوجوم والحيرة من بعده ، فان في منطق الحوادث وطبيعة الامور ما يسوغ هذا الجزع ، ويعلل هذه الحيرة » .

وحين قرأت مقال الاستاذ فكري اباظة وعنوانه « العظيم الذي رحل » قلت : « اي سحر كان لفيصل في نفوس كتاب مصر ! » وقد قال فكري بعد ان تحدث عن النبأ « فوجئنا جميعا ، وجزعنا جميعا ، ومرت فترة ذهول وحسرة ووجيعة ، وما كنا بالعراقيين ولا بالهاشميين ، ولكن كنا ، ولا زلنا ، وسنظل الى الابد ـ نحس قرابة العربية وقرابة الشرقية ، وكنا ولا زلنا وسنظل الى الابد نقدر للعظيم عظمته وللجليل جلاله وللملك الصالح ولاءه لشعبه ووفاءه لرعيته » .

« وكان حديث فكري عن لقائه فيصلا طريفا ومؤثرا ، انهاه قائلا : « فليبك الشرق المنكوب » .

وكان رثاء الاستاذ محمد الغنيمي التفتازاني (شيخ السادة الغنيمية) وعنوانه « وافيصلاه » قطعة من كبده ، تحسر فيه على « حامل فكرة استعادة مجد العرب ، ونشدان حرية العرب » . ثم هتف به : « فليهنك ايها الشهيد الكريم انك قمت نحو العرب بما لا ينقطع بره ، ولا يضيع اجره ، ويخلد ما دام العرب ذكره » .

واذا افتقد العرب احمد شوقي فقد كان لهم في رائعة لعلي محمود طه بعض عزاء ، كما كانت قصائد محمد حسن النجمي ، وعلى محمد شاكر (ابو تراب) وفايد العمروسي ـ غررا محجلات في ديوان الرثاء !

لجنة مصرية لتأبينه

ومما يذكر ان الاستاذ عبد الفتاح الطويل نقيب محامي الاسكندرية ـ افتتح اجتماع المحامين بالحديث عن مصاب مصر بوفاة فيصل وقال : « ان مشاركتنا هذه لا ترجع الى الجامعة العربية او الوحدة العربية فقط بل الى ما اشتهر عن الراحل العظيم من ديمقراطية صحيحة ، وتفان في انهاض بلاده ، وإعلاء شأنها » .

ومما اذكره هنا ان اول ما تلي في حفلة التأبين الكبرى التي اقيمت ببغداد وكنت في عداد الخطباء بعد تلاوة آي من الذكر الحكيم برقية لرئيس الوفد المصري مصطفى النحاس باشا كانت أشبه بمقال رثاء، وقد بدأها قائلا : « يؤسفني غاية الاسف الا استطيع الذهاب الى بغداد للاشتراك شخصيا في حفلة التأبين الكبرى ، ولكن ان غاب شخصي عن شهود حفلتكم لما يهمني ويعنيني من شؤون مصر العانية فان قلبي يشارككم في تأبين الفقيد العظيم ، فقد عرفته شخصيا فعرفت فيه ملكا أبيا ، وشهما عربيا ، وخلقا رضيا ، وبعد ان عدد مناقب فيصل قال : « فاذا بكي فيه العراقيون مؤسس دولتهم في حاضرة العباسيين فان العرب جميعا يبكون فيه صديقا عظيم الغناء ، كبير النفع ، فليتقبل الشعب العراقي الكريم عزاء الامة المصرية . » .

وتألفت في مصر لجنة لتأبين فيصل حسبي ان اذكر اسماء اعضائها لنرى اي مأتم قومي عربي ضخم اقامته مصر لفيصل ، وهم : محمد علي علوبة باشا ، جعفر ولي باشا ، احمد زكي باشا ، عبد الرحمن رضا باشا ، عبد الخالق مدكور باشا ، سماحة السيد محمد البيلاوي ، الامام رشيد رضا ، الشريف عبد الله ، محمد حسين هيكل ، عبد القادر حمزة ، لويس فانوس ، خليل مطران ، عبد الرحمن شهبندر ، الياس عوض ، عبد الرحمن عزام ، عبد الرحمن لملوم ، عبد الوهاب النجار ، عبد الحميد سعيد ، علي عبد الرازق ، نسيم صيبعة ، محمد الهراوي ، اسعد داغر ، حامد المليجي ، عبد الحميد الخطيب ، سامي فانوس .

خطأ الموسوعة الميسرة

وهنا اسمح لنفسي ـ ومجلة العربي منبر حر ومجال نزيه للنقد الصريح ـ ان اقول استطرادا : ان فيصلا هذا الذي اوردت بعض ما قاله اعلام مصر وكبار كتابها تفجعا عليه قد كتبت عنه « الموسوعة الميسرة » التي يترأسها الدكتور محمد شفيق غربال بمصر ويشترك في تحريرها علماء افاضل : « انتخب عضوا عن جدة في

مجلس المبعوثان العثماني ، حارب في صفوف الجيش التركي في سورية في الحرب العالمية الاولى حتى سنة ١٩١٦ (مع ان فيصلا لم يحارب في صفوف الجيش العثماني مطلقا) ، حتى فر الى بلاد العرب حيث انضم الى الثورة العربية التي اشعلها لورنس الانجليزي ضد الحكم التركي (وهذا يخالف الواقع كليا ، ففيصل غادر دمشق في طريقه الى الحجاز بعد ان تفاهم ورجال الحركة العربية على اسس الحركة المقبلة ، ونشبت الثورة العربية وهو في الحجاز فقاد جيشها الشمالي ، ولورنس الانجليزي لم يشعلها وانما أشعلها الشريف الحسين بن علي بعد ان قطعت له الوعود باستقلال البلاد العربية ، ولم يزعم لورنس نفسه هذا .. ولا سبيل الان وفي هذه المناسبة للحديث عن دور لورنس المضخم في نسف سكة الحديد !) نصبه الانجليز ملكا على سورية ١٩٢٠ (وهذا خطأ فادح وزعم كان المفروض ان تتنزه عنه موسوعة علمية ، فالمؤتمر السوري الممثل لبلاد الشام : ساحلا وشمالا وجنوبا هو الذي اعلن استقلال سورية استقلالا تاما ونادى بفيصل ملكا على سورية في ٨ آذار (مارس) ١٩٢٠) ولكن الفرنسيين خلعوه في العام نفسه عندما انتدبتهم عصبة الامم لحكم سورية (واين الحديث عن ميسلون ؟ وعن حكاية الانذار الفرنسي وغدر الفرنسيين ؟) ولكن البريطانيين اجلسوه على عرش العراق بعد اجراء استفتاء (ما دام ان استفتاء قد جرى قبل جلوسه على العرش فلماذا القول بان الانجليز هم الذين اجلسوه) ووضع في عهده دستور ١٩٢٤ والغي الانتداب البريطاني سنة ١٩٣٢ (أهذه كل مآثر فيصل ومنجزاته في تاريخ القضية العربية ؟) .

وقد تساءلت : « ترى أيعد ماورد في « الموسوعة الميسرة » عن فيصل في جملة التحديات للفكرة العربية ؟ » ثم أجبت : « كلا .. انها نقص في معلومات من كتب تلك السطور ، ولعله متأثر بمدرسة جعلت دأبها انتقاص جهود الرعيل الاول من رجال القضية العربية ، وانا موقن ان الأساتذة الفضلاء الذين كتبت اسماؤهم في سجل محرري الموسوعة أجل من ان يقروا هذا التخبط في تدوين سير رجالات القضية ، واعلم ان منهم من يرى في فيصل غير هذا الرأي ، وأبدى دهشته لي شخصيا حين اطلع على ما كتب !

والحديث عن « العروبة بين الاشراق والتحدي في مصر » ، في الثلاثينات من هذا العصر لا يزال يحتاج الى مزيد من القول فالى مقال تال ان شاء الله . ■■

بيروت ـ اكرم زعيتر

مع الادباء والشعراء والظرفاء

● قالوا لتولستوي (١٨٢٨ ـ ١٩١٠) ماذا وجدت في القلم .. حتى هجرت الجندية من اجله ؟ قال .. وجدت فيه قلبا ينبض .. وجرحا يلتئم .. وروحا تهيم ـ وجدت في القلم نفسي التي قضيت سنوات طفولتي ابحث عنها .

● ذهب شاب الى برنارد شو وقال له : لقد تركت دراسة الطب لكي اشتغل بالادب لخدمة الانسانية ، فما رأيك ؟ فقال شو : لقد خدمت الانسانية بهذا ـ يا بني ـ اجل خدمة ، فقال الشاب في سرور : كيف ذلك ؟ فقال شو : بان تركت دراسة الطب .

● حضر ترستان برنار الكاتب الفرنسي الساخر ، مجلسا دار فيه الحديث عن الجنة والنار ولاحظت احدى الحاضرات انه لا يشترك في الحديث فسألته مداعبة ...

ـ ايهما تفضل ... الجنة ام النار ؟

ـ قال : لا شك يا عزيزتي ان الجنة هي الافضل من نواح عديدة الا ان الاقامة في النار تتيح للمرء الفرصة ليرى اصدقاءه واحبابه !!

● قيل لسقراط : « ان الكلام الذي قلته غير مقبول » فقال سقراط : « ليس من الضروري ان يكون كلامي مقبولا ، وانما يجب علي فيه ان اكون صادقا ...

● جرى النقاش التالي بين اثنين من الفلاسفة :

الاول : كيف يتناسل السمك في الماء ؟

الثاني : وكيف عرفت ان يتناسل .. انك لست سمكة ؟

الاول وكيف عرفت انني لا اعرف ... انك لست انا ؟

تأملات فى خطط التنمية الإقتصادية التى طبقت فى أغلب الدول النامية

بقلم : صلاح الدسوقي

ان العلم الذي نريد أن نرقى به في مدارج التقدم يتطلب منا شيئا آخر غير تكرار المعلومات المكتسبة من قبل . يتطلب أن يكون لأذهاننا قوة على الكشف والاختراع ، قوة على الابتكار .

لقد اعتدنا خلال السنوات القليلة الماضية سماع محاضرات وقراءة مؤلفات عن خطط لمكافحة الفقر ، ومع الأسف الشديد كان أكثر القائمين على هذا النشاط الذهني من الدول المتقدمة . وكان من الطبيعي أن نجد نموذجهم المفضل في التنمية هو النموذج الغربي الذي بدأ يتصدع الآن بشكل يدعو الى القلق . وفي نفس الوقت حاولت كثير من الدول الفقيرة أن تحل مشاكلها متطلعة الى النموذج الغربي لأسباب أهمها ارتباط كثير من الاقتصاديين في تلك الدول بالنظريات التي درسوها في معاهد الغرب ، ولاحتياجهم للمعونة الأجنبية اعتقادا منهم أن مسايرة التفكير الاقتصادي للبلاد المانحة شرط هام للحصول على تلك المعونة .

من الخير أن نعترف بعد أن مضى عقدان من الزمن بأن التنمية الاقتصادية موضوع شائك وطريق شاق طويل والاختيارات فيه ليست سهلة خصوصا بالنسبة للدول الفقيرة . وعلى الرغم من تصريح أكثر من زعيم من زعماء الدول النامية بالاهتمام بعلاج مشكلات الفقر ، نجد الحيرة بين النظريات الاقتصادية للشرق والغرب وبين القديم منها والحديث . ولم يدركوا أن التنمية الاقتصادية تنبع من قلب المجتمع وأن الهجوم المباشر ضد الفقر يحتاج الى شجاعة سياسية من الدرجة الأولى ، أساسها اعادة بناء المؤسسات الاقتصادية والسياسية القائمة . وقد يكون من المناسب ذكر ما قاله الفيلسوف الفرنسي ديكارت في أحد مؤلفاته عن احكام قيادة العقل للبحث عن الحقيقة « الترتيب العقلي لا يفيده الخضوع للواقع الحاصل ، ولا الاذعان للأشياء على الوجه الذي هي عليه ، انما هو بمثابة قوة كبيرة هي قوة الرفض ، رفض هذا العالم الذي يعرض لنا كلا غير منقسم ثم هو رفض لذلك البرهان التقبل ، برهان الحضور والأمر الواقع الذي يكون له الغلبة على أفكارنا أكثر مما ينبغي ، ورفض لتلك الطبيعة المادية التي تقذف في وجوهنا كل شيء في وقت واحد » .

الدول النامية ومشاكل الفقر

جميع المؤشرات التي نراها تفيد بأن المؤسسات القائمة في أغلب الدول النامية أصبحت غير قادرة على حل مشاكل الفقر أو على تحمل أعباء المستقبل ، ويجب أن يكون واضحا أن رفض بقاء واستمرار هذه المؤسسات واعادة النظر فيها وتجديدها هي علامة قوة وليست علامة ضعف . وسيترتب على انشاء مؤسسات جديدة ظهور القوى الجديدة التي تحدث التغيير ، والاستفادة بالثروة البشرية والمادية والحضارية في تلك المجتمعات .

يصرح ماكنمارا ، رئيس البنك الدولي ، بعد خبرة طويلة وتقييم للمساعدات الضخمة من البنك الى الدول الفقيرة ، بالتصريح التالي :

« ان المهمة أمام حكومات الدول النامية هي أن تعيد توجيه سياسة التنمية من أجل أن توجه هجوما مباشرا ضد الفقر للقطاعات الأكثر حرمانا من سكانها والتي تتجاوز ٤٠٪ . وهو ما تستطيع الحكومات أن تفعله دون أن تتخلى عن أهدافها في النمو . ولكنها يجب أن تكون على استعداد لأن تضع في أوليات خطة التنمية ما يحقق توفير الاحتياجات البشرية الأساسية مثل التغذية ، الاسكان ، الصحة ، التعليم ، والعمالة حتى لو كان ذلك على حساب الخفض من سرعة التقدم في قطاعات أخرى تعود مزاياها على القلة . ان اعادة توجيه السياسة الاقتصادية والاجتماعية انما هي مهمة سياسية في المقام الأول . ويجب على البلاد النامية أن تقرر لنفسها ما اذا كانت ترغب في الاضطلاع بها . انها ستتطلب تصحيحا وشجاعة كبيرة . ونحن نعلم أنه لا يوجد بديل أفضل للتحرك نحو سياسات للعدالة الاجتماعية . فعندما يكون ذوو الامتيازات الكبيرة قلة ، والفقراء الى حد اليأس كثرة ـ وعندما تزداد الفجوة بين الجانبين سوءا بدلا من أن تتحسن ـ لا يكون الأمر سوى مسألة وقت قبل أن يتعين الاقدام على اختيار حاسم يوفق بين التكاليف السياسية للاصلاح ، والمخاطر السياسية للثورة . وهذا هو السبب في أن السياسة الموضوعة للحد من حرمان أفقر ٤٠٪ من سكان الدول النامية ليست ضرورة من ناحية المبدأ فقط وانما من ناحية الفطنة أيضا . وان العدالة الاجتماعية ليست مجرد حتمية أخلاقية ، وانما هي حتمية سياسية كذلك » . **والمثل الحي الذي نعيشه الآن والذي يجب أن يكون درسا يستفاد منه هو ما يحدث حاليا في بلد عربي شقيق وهو لبنان . فعلى الرغم من الأسباب العديدة للحرب الأهلية التي بدأت منذ شهر ابريل ١٩٧٥ ولم تنته حتى الآن ، فان الوضع الاقتصادي هو أحد الأسباب الأساسية لهذه المأساة . فالطبقة التي تمثل الأقلية المميزة لم تقبل أن تتنازل عن مميزاتها ودافعت في مناسبات كثيرة عن حقوقها الى درجة العنف ، فاندفعت الأكثرية المحرومة الى شتى الاتجاهات سواء أكانت سياسية أم دينية بعد أن وصلت الى درجة اليأس وأصبح التدمير شاملا وأثار الانفجار تعصف بالوطن بأكمله وستقضي حتما على النظام السياسي القديم .**

درس من ايران

والدرس الذي يمكن الاستفادة به من أحداث ايران أيضا هو أن الطبقة التي حصلت على الامتيازات وازدادت ثراء في عهد الشاه لم تقف بجانبه بل ذابت في زحام الأحداث وهذا ما سبق أن حدث في باكستان في عهد الرئيس أيوب خان . وقد يكون من الخير أن تستبدل السخط والهجوم على الطبقة التي أثرت برفض المؤسسات التي أدت الى ظهورة هذه الطبقة .

فهل يمكن أن تكون أحداث ايران ولبنان سببا في ايقاظ الأذهان ومن فرط الشر يخرج الخير ، ومن ظلام الشك ينبلج نور اليقين ؟ لقد اعتدنا القول بأن لبنان هي سويسرا الشرق الأوسط . والتدقيق في هذا التشبيه يوضح الفرق الكبير بين الوضع في لبنان والوضع الاقتصادي السويسري الذي يتمتع بمؤسسات قادرة على توفير ضروريات الحياة للمواطن مثل التعليم والصحة والتغذية والمسكن ـ وتحقيق العدالة الاجتماعية وعدالة توزيع الدخل والعمالة ، وقادرة أيضا على حل المشكلات عن طريق اشراك المواطنين بالاستفتاء وليس عن طريق البحث عن الفرد أو البطل كما هو متبع في بعض الدول الأخرى . فالنظام السويسري اذن أبعد ما يكون عن النظام في لبنان أو عن أي بلد عربي آخر .

تقييم خطط التنمية في الدول الفقيرة

أصبح تقييم خطط التنمية في الدول الفقيرة أمرا واجبا وذلك للتعرف على الأخطاء الشائعة والتي يجب أن نتجنبها حتى تحقق الهدف الذي نريد أن نصل اليه وهو معالجة مشكلة الفقر في تلك المجتمعات .

كان اهتمام هذه الخطط بالمفاهيم النظرية وبالأرقام ، وتجاهلت مشكلات البطالة وتدهور الخدمات الاجتماعية في المدن والفقر في الريف . وكانت الفجوة كبيرة بين التخطيط والتنفيذ . واذكر عندما كنت سكرتيرا لمجلس الوزراء في مصر أن أثار وزير التخطيط هذا التناقض أثناء مناقشة ميزانية الحكومة وصرح أثناء الاجتماع أن ميزانية الدولة في واد وخطة التنمية في واد آخر . وكانت هذه محاولة لمتابعة تنفيذ وتطبيق الخطة ومع الأسف كان مصيرها الفشل . اهتمت خطط التنمية اهتماما كبيرا بمعدلات الاستثمار واعتبرت أن رأس المال هو جوهر عملية التنمية ، ولم تهتم بما تعنيه زيادة الاستثمار في الموارد البشرية بل اهتمت بالاستثمار في التسهيلات

المادية . وكثيرا ما نسمع عن معونات مالية كبيرة معطلة في الدول الفقيرة لهذا السبب ، فكانت المدارس والمستشفيات تبنى دون تزويدها بحاجتها من المدرسين والأطباء ، كما كانت تضاف وحدات صناعية جديدة الى وحدات تعاني من قصور الاستخدام . وتشمل بعض الخطط كل عام مزيدا من المدارس على حين ترفض تلبية الاحتياجات الضرورية للمدارس القائمة حتى تؤدي رسالتها التعليمية والتربوية على أساس سليم . كذلك اهتمت خطط التنمية بالمعدلات العالية لنمو الناتج القومي وركزت الاهتمام على ما تم انتاجه وبالسرعة التي تم بها هذا الانتاج ولم تركز على نوع الانتاج والكيفية التي وزع بها كما لم تحدد المستفيد من هذا الانتاج . وأذكر على سبيل المثال اقامة مصنع المياه الغازية سيفن أب (SEVEN UP) الذي أنشيء برأسمال أجنبي يتمتع بمزايا قانون الاستثمار الجديد أي أن الشركة لها الحق في تحويل أرباحها الهائلة الى الخارج ومن الواضح أن المشروع لن يحل مشكلة البطالة أو مشكلة الفقر بل انه سيستفاد من ادارة المشروع بأجور منخفضة وستخرج الأرباح الطائلة خارج البلاد . وهذا نموذج لمشروعات أخرى تقوم بها الشركات المتعددة الجنسيات التي تحقق مصالحها على حساب المصالح الحيوية للمجتمعات الفقيرة . والانحراف الخطير في مثل هذه الحالات هو التغاضي عن هدف المشروع أو فصل زيادة الانتاج عن سياسة توزيع الدخل وهو ما أدى الى زيادة طبقة الأغنياء ثراء وطبقة الفقراء فقرا والى زيادة الصراع الطبقي داخل المجتمعات في الدول التي اتبعت هذه السياسة كما ذكرنا . كذلك اهتمت بعض الخطط بانشاء المدن الجديدة بدلا من الاهتمام بالتنمية الزراعية والصناعات الريفية لمكافحة الفقر في الريف ورفع مستوى معيشته . وبالاتفاق على استيراد السيارات الحكومية بدلا من الاهتمام بالمواصلات العامة التي تعتبر شريانا حيويا لعجلة التنمية .

هذه هي بعض النتائج التي ظهرت من تقييم خطط التنمية للدول الفقيرة والتي تحاول مؤسسة العالم الثالث بنشاطها الثقافي أن تنبه الرأي العام والمفكرين في الدول النامية لتتفادى الأخطاء التي ظهرت ولاعادة النظر في المؤسسات القائمة وفي علاقاتها فيما بينها . كما تنادي بالحوار بين الجنوب والجنوب قبل الحوار بين الشمال والجنوب تمهيدا للنظام الاقتصادي العالمي الجديد الذي بدأت كثير من الأصوات تنادي به اذا أريد للعالم أن يعيش عصرا جديدا من الرخاء أساسه التعاون بدلا من الصراع .

وأخيرا يمكن القول دون مبالغة أن العالم الثالث على وجه العموم والعالم العربي على وجه الخصوص يملك قوى هائلة ذات عناصر جديدة لم يألفها من قبل هي قوى التغيير ، والاستفادة بها وحسن استخدامها سيؤدي الى أعظم النتائج والتصدي لها ومقاومتها سيؤدي الى أحداث هي أشبه بالهزات الأرضية أو البراكين التي تقضي على المؤسسات العتيقة لتفسح المجال لمؤسسات جديدة التي هي الدعامة للأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي ستتكفل بحل مشاكل الحاضر وستساهم في ارساء قواعد النظام الاقتصادي العالمي الجديد . ■■

● ذهبت زوجة مزارع لزيارة الطبيب ، وبقي المزارع في البيت للعناية بالاطفال ... فسجل كل شيء عمله . وقد اتى سجله كما يلي :

« فتح الابواب ١٠٦ مرات ، نهر الاطفال ٩٤ مرة ، ربط سيور الاحذية ١٦ مرة ، اوقف المشاجرات ١٩ مرة ، سقي الاطفال ماء ٢٦ مرة ، رد على التليفون ١١ مرة ، رد على الاسئلة ٢٠٢ من المرات ، جرى وراء الاطفال ٤,٥ ميلا ، فقد السيطرة على اعصابه ٤٥ مرة .

وفي اليوم التالي ذهب الى المدينة ، واشترى الغسالة التي طالما تمنتها زوجته !

من القاهرة :

التكنولوجيا المتقدمة وراء مشكلات العالم !

بقلم : المهندس حافظ احمد أمين

كثيرا ما نقرأ البحوث والمقالات التى تمدح التكنولوجيا المتقدمة ، وتدعو الى سرعة ادخالها الى البلاد الفقيرة للاسراع في التنمية ، واللحاق بالدول الناهضة ، بحجة أن هذه التكنولوجيا المتقدمة كفيلة بمضاعفة الانتاج ، وبالتالي تذويب الفوارق بين البلاد الغنية والبلاد الفقيرة ، وبين الاغنياء والفقراء في الدولة الواحدة .

والحقيقة اننا نرى عكس هذا تماما ، ونعتقد أن من أهم العوامل التى ساهمت في التزايد المستمر في الفجوة بين الاغنياء والفقراء ، في العصر الحديث ، التوسع المستمر في استعمال التكنولوجيا المتقدمة ، وذلك لسببين رئيسيين :

السبب الاول : أن التكنولوجيا المتقدمة تعمل على رفع كفاءة الكفء ، كما تعمل على فقدان ذوى الكفاءات المحدودة لكثير من كفاءاتهم .

ففي الورشة الصغيرة ـ مثلا ـ نجد أن الفارق بين صاحب الورشة والعامل فيها ، أو بين صاحب المتجر والبائع البسيط ، فارق صغير ، بينما يتسع هذا الفارق اتساعا شديدا في الشركات الكبيرة التى تعمل بتكنولوجيا متقدمة ، وتنظيم علمى دقيق . وتقسيم متخصص للعمل ... فالتكنولوجيا تفرض على الرئيس أو المهندس أن يكون ذا المام واسع بالعلوم والفنون الحديثة ، وما أكثرها ، كما يفرض التنظيم العلمى الحديث على المدير والملاحظ أن يكون ذا مهارات واسعة في المجالات المختلفة لفنون الادارة ، هذا بينما تفرض نفس التكنولوجيا المتقدمة ، ونفس التنظيم العلمى ، على العامل البسيط ، أن يقتصر عمله على القيام بحركات ميكانيكية متكررة ، لا تحتاج الى علم أو ذكاء ، بل وترى في علم وذكاء العامل الصغير معوقا له عن التفرغ للعملية الصغيرة التى يقوم بها ، وتفضل أن ينسى كفاءاته الطبيعية المتعددة ليتفرغ تماما للحركة الميكانيكية المطلوبة منه .

وما يقال عن المتقدم والمتخلف داخل المصنع أو المتجر أو المزرعة أو المكتب ، يقال أيضا عن الدولة المتقدمة والدولة المتخلفة ، حيث يشجع المناخ العام في الدولة المتقدمة على أن يكتسب معظم أهلها المهارات العلمية والادارية ، ويعمل المناخ العام في الدولة المتخلفة على قتل مهارات أهلها وذكائهم .

السبب الثاني في مساهمة التكنولوجيا المتقدمة على اتساع الفجوة بين الاغنياء والفقراء ، أنها تضاعف من الانتفاع بالانتاج الذي يقدمه المتميزون في العلوم والفنون ، وتخفض قيمة النفع من الانتاج الذى يقدمه المتوسطون والعاديون ، وذلك لما تقدمه التكنولوجيا

المتقدمة من فرص ومجالات واسعة لتوزيع ونشر أعمال المتميزين وبحوثهم وأفكارهم . وفي نفس الوقت من قفل الابواب امام انتاج اصحاب المهارات البسيطة أو المتوسطة .

ولنضرب في ذلك مثالا : الشركات الضخمة والمؤسسات متعددة الجنسية التي تعمل بتكنولوجيا متقدمة في مجالات البحوث والانتاج والتسويق ، وما فعلته بالشركات الصغيرة التي تعمل بتكنولوجيا متخلفة او متوسطة التقدم .. أو ما فعلته المطبعة والكاميرا والميكروفون بأعمال الكتاب والفنانين ، اذ أن هذه الآلات والأجهزة قد ضاعفت من انتشار وتوزيع اعمال المؤلف المتفوق والفنان المتميز ـ وبالتالي ضاعفت من مقدار الانتفاع بانتاجه ـ في نفس الوقت الذي سرقت جمهور الفنان المتوسط أو الأقل تفوقا ، اذ استطاعت الجريدة واسعة الانتشار ، والاسطوانة المسموعة في كل مكان ، والفيلم الذي يراه الملايين ، أن تنقل اليها الجماهير الذين كانوا يقبلون على الفنانين المتوسطين ، الى الفنان المرموق ، المحتكر لهذه الوسائل ، أو المحتكر منها

ولما تربع العلماء والمديرون والفنانون الكبار ، على عروش وسائل الانتاج ووسائل الاتصال ووسائل التوزيع ، ولم يعد هناك مكان للعالم وللمدير وللفنان متوسطي المهارة ، اختل النظام الهرمي للاشياء .

واتسعت الفجوة بين الصفوة والعامة في كل مجال ، واختفى المتوسطون الذين كانوا حلقة الاتصال بين القمة والقاعدة ، والذين كانوا يبعثون الأمال لدى القاعدة لأنهم كانوا سلما في حلقات التدرج والترقي نحو القمة ، أما بالنسبة للصفوة فكانوا مانعا لها من السقوط ، حاميا لها من العزلة والاغتراب ... فلما تسببت التكنولوجيا المتقدمة في اتساع الفجوة ، أصبحت القمة قريبة جدا من القاع ، ويئس من كان في القاعدة ، وأصبحنا نتساءل : « أين جيل العمالقة ؟ » و « لماذا انتابت معظم الناس مشاعر السخط والقنوط ؟ » .

وهذا نموذج لتأثير التكنولوجيا في العالم المعاصر ، وهو تأثير ليس مقصورا فقط على زيادة الفجوة بين الأغنياء والفقراء ، ولكنه يمتد ايضا الى مشكلات التضخم والتلوث وتناقص المخزون من الموارد الطبيعية ، ويمتد بنفس القدر الى العديد من المشكلات الاجتماعية والنفسية

لكى تصبح محترما ؟

ماذا تقول التكنولوجيا المتقدمة للانسان الحديث ؟ . انها تقول : « لكى تصبح محترما ، يجب أن تكسب أموالا أكثر ، لتقتنى بضائع أكثر ... ولكى تكون محبوبا يجب أن تكون ذا شكل جذاب ، وهذا ينتج عن استعمال أكثر لأدوات الزينة ومتابعة الموضة ، ولكى تكون قويا يجب أن تشترى سلاحا أكثر .. وهكذا ... » .

واضح أن المنطق في هذا الكلام معكوس ومضلل ... والحقيقة أن التكنولوجيا المتقدمة تحاول تسويق انتاجها ، فلا تفعل الا أن تضاعف من احساس الانسان الحديث بفقره وضعفه ، وتقصر همه على مضاعفة الانتاج والاستهلاك

ولكى يضاعف الانسان الحديث انتاجه ، تقدم له التكنولوجيا المتقدمة ، طريقة عمل تفسد خلالها روحه وتحطم علاقات الأسرة ، فاذا ما أحس بالشقاء في عمله وأسرته ، غضب أو أضرب أو ثار ، فينظر اليه المسئولون نظرة تعجب واستغراب ويقولون له : « ماذا تريد أكثر من هذا ؟ » ثم يجتمعون ويقررون أن يوجهوا هذا الغضب وهذه الثورة نحو عدو خارجي ، وهذا يستلزم ـ طبعا ـ مزيدا من الاستعداد العسكرى .

لقد أنست التكنولوجيا المتقدمة الانسان الحديث حقائق كانت في الماضي بديهيات ، أنسته أن الغنى أفضل من الثراء ، وأن علاقة ود عميقة أفضل من علاقات جنسية متعددة ، وأن القوة الحقيقية للانسان تأتى من علاقة طيبة مع الطبيعة ... وليس من (انتصاره ! !) على نواميسها .

وهكذا تتسبب التكنولوجيا المتقدمة في ظهور أخطر مشكلات يواجهها العالم المعاصر .

والحق أن الموضوع لم يعد موضوع حصر المشكلات ومعرفة ابعادها وادراك اثارها .. ففي كل

مشكلة نجد مئات العلماء الذين يتصدون لتحليلها وقياس عناصرها ، وفي كل مشكلة نجد مئات المصلحين الذين ينادون بضرورة علاجها

ولكن الموضوع - في رأيي - ان التخصص الشديد - وهو احد نتائج التكنولوجيا المتقدمة أيضا - في بحيث كل مشكلة على حدة ، أعمانا عن النظر الى المشكلات ككل ، وعن ادراك المعنى لها ، والأسباب الجذرية التي تقف من ورائها

وقد حاول بعض المفكرين التوصل الى علاقة تربط بين هذه المشكلات بعضها بالبعض الاخر ، فصوروها ضمن دورات تاريخية متكررة ، وقالوا ان هذه المشكلات ليست الا نكسات أو انكماشات في الدورة ، سرعان ما تتبعها انطلاقات وانتعاشات ... وعلى هذا فلا داعي اذن للخوف او القلق

ولكن الموضوع - في رأينا - ليس بهذه البساطة ... فحتى لو كانت نظرية الدورات هذه سليمة صحيحة ، فالملاحظ ان كل نكسة في كل دورة ، تأتي اشد وأقسى من النكسة في الدورة التي تسبقها ، فالنكسة التي نقبل عليها في ثمانينات القرن العشرين ستكون أقسى من نكسة الثلاثينات ، ونكسة الثلاثينات كانت اقسى من نكسة ثمانينات القرن التاسع عشر ... وهكذا ... وعلى هذا ، فحتى لو تحمل العالم النكسة التي نعيش الآن فيها فلن يتحمل نكسة أخرى جديدة .

فما الحل اذن ؟

الحل - في رأيي - أن نحاول ادراك السبب الحقيقي وراء هذه المشكلات جميعا ، وليس الأسباب الظاهرية وراء كل مشكلة .

والسبب الحقيقي - في رأيي ايضا - هو أن التكنولوجيا المتقدمة قد أفسدت العالم وأغرقته في بحر من المشكلات الحادة الخطيرة ... وأنه لا مخرج من هذا الفساد وهذه المشكلات الا التراجع عن هذا النوع من التكنولوجيا الى نوع اخر اقل تقدما ... أو ما يسمى بالتكنولوجيا المتوسطة .

أما ما هي التكنولوجيا المتوسطة ؟ فهذا يحتاج الى مقال اخر . ■■

من الكويت

أدب إسلامي : كيف ؟

بقلم : الدكتور احمد مطلوب

درج مؤرخو الادب العربي على ان يقسموه الى عصور وان يسموا الفترة التي بدأ فيها الاسلام وعاش في ظلها الامويون « العصر الاسلامي » . وهي تسمية غير دقيقة لأسباب منها : ان الاسلام لم يؤثر في ادب تلك الفترة تأثيرا كبيرا ، لأن النفوس ظلت مشغولة بالجهاد الاكبر ونشر الدعوة الاسلامية في الافاق ، وان بعض القيم التي سادت في العصر الاموي لم تكن اسلامية بل ظلت مرتبطة بالجاهلية . وكان الشعراء يأخذون منها بل يزيدونها ضراما كما فعل شعراء السياسة والهجاء وأصحاب العصبيات القبلية ، وان تسمية تلك الفترة بالعصر الاسلامي توحي بان الادب العربي لم يكن اسلاميا خلال العصور التي تلته ، وهذا ظلم كبير للذين حملوا لواء الحق في كل مكان وكان لهم دور عظيم في نشر العقيدة الاسلامية والدفاع عنها .

لقد ظهر ادباء خلال العصور المختلفة يحملون الفكر الاسلامي ويعبرون عنه ، وقد زخر النثر بكثير من الصور المشرقة التي تظهر القيم الاسلامية الرفيعة باسلوب بديع فيه من الاقناع ما يحمد عليه اصحابه .

وحفل الشعر العربي ببعض الاشراقات الاسلامية التي كانت تضيء من خلال ما تراكم من شعر شغل بالتعبير عن ملذات الحياة والدعوة الى اغتنام الفرصة لان الحياة سراب . وكاد هذا اللون يطغي على الشعر العربي في فترات مختلفة لولا نداء الضمير واندفاع المؤمنين الى المساهمة في الحياة العامة والتصدي لكل من يسيء الى العقيدة او يحاول طمس انوارها . ولعل شعر الحب العفيف الذي ينبع من قلوب تخشى الله ، والدفاع عن الطبقات المسحوقة والشعر الصوفي والشعر الذي صور انتصارات المسلمين على اعداء الله ، خير ما بقي من ذلك التراث الضخم .

غير ان معظم ما خلدته الايام من الادب ـ ولاسيما الشعر ـ لا يمثل الروح الاسلامية خير تمثيل ، لان بعضه انحرف عن الحق والجمال واخذ يصور الدعوات المشبوهة والعقائد المنحرفة والاهواء المسعورة ، ولا يبعد من ذلك شعر التملق الذي اساء الى الفكر الاسلامي واعاق حركته واوقف زحفه ، لانه اتخذ من الباطل غطاء ومن الزيف شعارا وحجب الرؤية حينما جعل الملوك والسلاطين خير ما جادت به الايام ، ودعا الى الاقتداء بهم لانهم ظل الله في ارضه ، والشعراء اول من يعلم انهم كاذبون . ومثل ذلك شعر الغزل الماجن والخمرة والطعن في الاعراض والتحريض على اثارة العصبيات والتمييز العنصري والدعوة الى الخروج على الاسلام ليشيع الفساد ويستعبد الانسان بعد ان حرره الاسلام من قيود الذل والهوان والشهوة والتمرغ في الطين الحقير .

تهمة للإسلام مردودة

وقد كان من المؤمل ان يؤثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في نفوس اولئك الشعراء ويصرفهم عما ذهبوا اليه ، ولكن ما حدث يوحي بانهم لم يستفيدوا من هذين المنبعين ولم يؤثرا في قلوبهم وعقولهم ليعبروا عن الكون والحياة والانسان من خلال التصور الاسلامي . والغريب انهم كانوا اكثر حرية من المعاصرين في الابتعاد عن هذا الاتجاه ، وكانوا يدعون الى فصل الادب عن الدين والاخلاق ، اي انهم لا يريدون الالتزام بعقيدتهم التي تدعوهم الى الخير وتفتح امامهم سبل الحياة فهم كالذين اضاعوا نفوسهم في هذه الايام وركضوا لاهثين وراء شعار « الفن للفن » ، وهو شعار ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، لانه يفرغ الانسان من قيمه ويجعله بعيدا عن مجتمعه الذي يحيا فيه .

والاغرب من ذلك ان القاضي الجرجاني (ـ ٣٩٢ هـ) يقول في وساطته : « فلو كانت الديانة عارا على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، لوجب ان يمحى اسم ابي نواس من الدواوين ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ، ولكان اولاهم بذلك اهل الجاهلية ومن تشهد الامة عليه بالكفر !! . واذا كان هذا صحيحا من الناحية الفنية فانه غير مقبول من الوجهة العقيدية التي تحتم الالتزام بالقيم الرفيعة والاخذ باسباب تقدم الانسان لا تصوير نوازعه وشهواته وعزله عن الحياة العامة وعن مجتمعه . وكان على الادب العربي ان يلتزم بذلك ليقدم للعالم صورة مشرقة بناءة ، ولكنه ظل بعيدا عن القرآن الكريم والنظرة الشاملة الى الكون ، ولم يستفد مما جاء من تصوير بارع لمشاهد القيامة والطبيعة والقصة والعواطف الانسانية الرفيعة . ويبدو ان العناية بالاسلوب واللغة صرفتهم عن الاهداف السامية فلم يأخذوا من كتاب الله الا بلاغته التي صاغوها قواعد فقدت ظلها بعد جيل او جيلين واصبحت لا توحي بالحياة والحركة التي كانت في كتاب الله . ولو اتخذوا الكتاب العزيز لهم شرعة ومنهاجا في التعبير عن الحياة لكان لهم ادب انساني رفيع .

واذا فات القدماء هذه الحقيقة فان الدنيا لا تزال بخير على الرغم من شيوع الالحاد والعودة بالانسان الى عهد الغاب ، ولا يزال الايمان يعمر قلوب كثيرين في مشارق الارض ومغاربها ، وهم مدعوون الى خلق ادب اسلامي جديد يعبر عن الانسان وتطلعاته ، ويعلي اشواقه وآماله ، ويرسم صورة صادقة للاجيال التي تتخطفها العقائد الزائفة والمذاهب المودية باهلها الى النار . ولئن كاد الادب القديم يخلو من هذه النزعة السامية فان الادب العربي الحديث ليفتقر الى ذلك افتقارا مخيفا يوحي بان الصلة انقطعت بينه وبين الواقع الذي يحياه الناس ، لانه يعني بالتصورات البعيدة عن الانسان الذي كرمه الله وجعله خليفة في الارض ، ويزخر بالاتجاهات المنحرفة التي نقلها اصحابه عن قوم اكلهم التمزق وارهبهم الموت والعدم فاصبحوا خائفين يترقبون

بعد ان فقدوا الثقة بالله والاعتزاز بالانسان الذي يصارع الحياة من اجل الوصول الى انبل المقاصد واشرف الغايات .

ان الادب العربي مدعو في هذه الفترة التي تمر بها الامة في نضالها ضد اعداء الانسانية الى الاخذ بالتصور الاسلامي في معالجة القضايا ليحقق الانسان اهدافه في الحياة الكريمة ويصل الى ارفع ما يصبو اليه ، ويحقق الرسالة الخالدة ، وهي تقوم على الحق والخير والعدل والجمال . والادب الذي يخدم هذه الاهداف هو الادب الذي ينبثق عن التصور الاسلامي الذي يشمل الكون والحياة والانسان . وهو تصور يعتمد اول ما يعتمد على اعلاء شأن الانسان ورفعه من الهوة التي تردى فيها حينما فقد الايمان .

وينبغي ان يبرز هذا الادب حقيقة العقيدة الاسلامية باسلوب فني ليكون له تأثير نفسي عظيم الى جانب ما يقدم من صور ناطقة ، وان يكون مسه للقيم الاسلامية مسا فنيا يهز النفوس هزا رقيقا ويشرح القلوب للايمان . واذا ما اريد للادب ان يكون اسلاميا فينبغي ان يأخذ العقيدة منطلقا له ليحقق الالتزام الذي ينبع من الايمان الصادق والفكر العميق .

ميزات الادب الجديد

ولعل أهم ما يمثل هذا الادب الجديد : النظرة الشاملة الى الحياة كما صورها الاسلام لا كما صورتها النحل الزائفة والاهواء الجامحة .

والشوق الى الله لا باسلوب التناسخ والحلول بل باسلوب القرآن الذي يرفض ما يشيع الآن في ادب بعض الكتاب ممن تأثروا بالاتجاهات المريبة . والابتعاد عن فكرة تعدد الآلهة التي شاعت في الادب الحديث نقلا عن الملاحدة والافاقين الذين ظهروا في عهود الجاهلية او الذين ظهروا في كهوف الضياع الذي اخذ يطبق على العالم بعد ان فقد ايمانه بالله وقدرته . والتحرر من سيطرة اللاوعي الذي صار هذيانا في كثير من الاعمال الادبية واتخذ طابعا يعوق الفكر ويقيد الابداع ويصدر مالا ينفع الناس وهو ما يرفضه العقل السليم والذوق الرفيع . والاستفادة من التصوير الفني في القرآن الكريم وما يتصل بالحياة الدنيا والحياة الآخرة ، ليبث القوة في النفوس ويزرع الامل في القلوب . والغريب ان لا يستفيد المسلمون من ذلك في حين اقتبس الغرباء من ذلك الشيء الكثير وبنوا اعمالهم الادبية على ما في كتاب الله من حديث عن الفردوس والمطهر والجحيم ، كما فعل دانتي في الكوميديا الآلهية وغيره من كبار ادباء العالم ومفكريه . وكأن بعض الادباء العرب يريدون النكاية بالاسلام حينما ينهلون من النحل الفاسدة والعقائد الزائفة وينقلون عن الكتب التي ينكرها كل عقل سليم .

وينبغي ان يكون الادب الاسلامي ثوريا لا يهادن احدا ولا يرضخ الا لسلطان الله الذي خلق هذا الكون ، وان يكون حرا لا يخشى في الحق لومة لائم ولا يرهبه جبروت ليكشف الزيف ويرسم الطريق وينير الحياة ، وان يكون حركيا يعبر عن الواقع الحي ويستشرف الافاق البعيدة لينير دروب الملايين المجاهدة في سبيل الله وتحرير الامة والوطن من الاستعباد وقيم الجاهلية الجهلاء ، لان الادب عنصر من عناصر البناء اذا احسن استخدامه ووجه لما فيه الخير .

وينبغي بعد ذلك كله ان يخضع نقد الادب لمقياسين مقياس اسلامي ياخذ اصوله من التصور الشامل للكون والحياة والانسان وينطلق من كتاب الله وسنة رسوله . ومقياس فني يستقي اصوله من اللغة العربية وبلاغتها وسحرها الاخاذ . وبغير هذين المقياسين يفقد الادب هويته ويصبح افكارا تصور العقيدة كما ترسمه الدراسات العلمية ، او اظهارا للقدرات الفنية من غير محتوى اصيل .

هذه نظرة عامة في الدعوة الى ادب اسلامي ، وهي ليست بدعة من البدع وانما هي تعبير عن الواقع الذي ينبغي ان ينطلق منه المؤمنون بالله والامة والوطن اذا أرادوا حياة شريفة ووطنا حرا . وليست الامم بافضل من امة العرب ، فلكل امة عقيدة تنطلق منها وتبني حياتها عليها وتلزم افرادها بالاخذ بها حينما يفكرون وحينما يعملون . واذا اريد للعرب والمسلمين أن تكون لهم منزلة بين الامم فعليهم ان يتخذوا من عقيدتهم السامية ورسالتهم الخالدة شرعة ومنهاجا ليبنوا حاضرهم ويستشرفوا مستقبلهم ويقدموا للعالم فكرا جديدا يحملهم على اجنحة العزة ليكونوا خير امة أخرجت للناس . ■■

الطوفان الأزرق

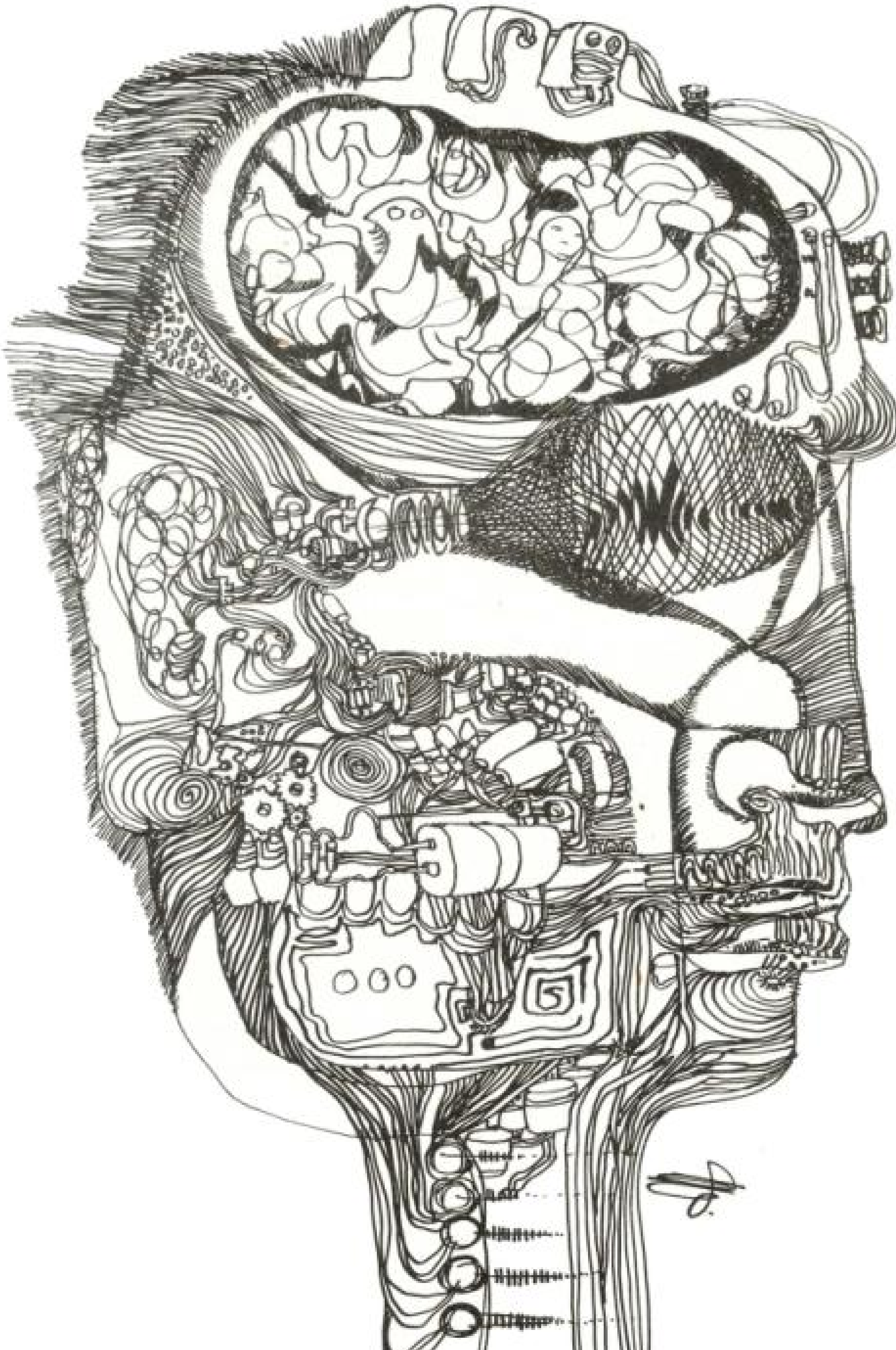
بقلم : يوسف الشاروني

يحتل أدب الخيال العلمي مكانة هامة في الادب الغربي اليوم ، وهو وان بدأ يتبلور في النصف الثاني من القرن الماضي على يدي أبرز كاتبين له في ذلك الوقت وهما جول فيرن الفرنسي (١٨٢٨ ـ ١٩٠٥) وهربرت جورج ويلز الانجليزي (١٨٦٦ ـ ١٩٤٦) ، الا انه لم يأخذ في الانتشار بصورة واسعة الا ابتداء من العقد الثالث في هذا القرن . وهناك اليوم ـ نتيجة للتطورات العلمية السريعة المتلاحقة ابتداء من غزو الفضاء حتى إقتحام الذرة والخلية الحية ـ عشرات من أبرز كتاب الغرب يكتبون هذا اللون القصصي ، كما ان هناك مئات الكتب التي تتناوله بالدراسة ابتداء من تاريخه حتى جمالياته .

وفي أدبنا العربي الحديث ـ وربما بعد قرن من ولادة هذا اللون القصصي في الغرب ـ يمكن القول ان توفيق الحكيم ربما كان أول كاتب يكتب في أدب الخيال العلمي باللغة العربية . فقد نشر في عا١٩٥٠ في مجموعة مسرحياته « مسرح المجتمع » مسرحية ذات فصل واحد بعنوان « لو عرف الشباب » تدور حول أحد باشوات مصر في ذلك الوقت تحول جسمه الى جسد شاب بفعل عقار اخترعه طبيب مصري ، غير ان العقار لم يستطع ان يؤثر على ذاكرته فظلت محتفظة بخبراتها مما خلق مواقف متناقضة أدت الى مطالبته بالعودة الى شيخوخته الجسدية لتتسق مع ذاكرته العجوز ، ثم يتضح ان الامر كله مجرد حلم ، وبذلك كان توفيق الحكيم ما زال يتأرجح بين الفانتازيا وأدب الخيال العلمي ، غير انه خطا بعد ذلك خطوات أبعد ، وطرح نهائيا ثوب الحلم عن خياله العلمي فيما نشره من قصص قصيرة ومسرحيات ذات فصل واحد وفي مسرحيته ذات الفصول الثلاثة « رحلة الى الغد » (١٩٥٨) .

ومن أبرز من كتب روايات الخيال العلمي في مصر بعد توفيق الحكيم مصطفى محمود (١٩٢١) في روايته العنكبوت (١٩٦٤) ورحلة تحت الصفر (١٩٦٧) ، ثم نهاد شريف (١٩٣٢) في روايتيه قاهر الزمن (١٩٧٣) وسكان العالم الثاني (١٩٧٧) الى جانب مجموعاته القصصية . ويعتبر رؤوف وصفي أحدث هؤلاء الكتاب سنا (١٩٣٩) ولم يصدر حتى الآن الا مجموعة قصصية واحدة بعنوان « غزاة من الفضاء » (١٩٧٩) وان كان قد نشر كتابا من اعداده عن الفضاء بعنوان « الكون والثقوب السوداء » (١٩٧٩) .

ولا شك أن هناك أكثر من كاتب في اكثر من بلد عربي آخر يساهمون بكتاباتهم في هذا اللون الأدبي .



ويمكن ان تكون رواية « الطوفان الازرق » للكاتب المغربي أحمد عبد السلام البقالي نموذجا لهذه الكتابات . ولئن كان نهاد شريف قد نشر روايته الثانية « سكان العالم الثاني » عام ١٩٧٧ (وان كان المفهوم من تاريخ الاهداء انه كتبها أو انتهى من كتابتها عام ١٩٧٣) فيبدو انه في تلك الفترة نفسها كان أحمد عبد السلام البقالي (المولود عام ١٩٣٢ وهو العام نفسه المولود فيه نهاد شريف ايضا) يكتب روايته الطوفان الازرق التي نشرها عام ١٩٧٦ قبل ان يتسنى لنهاد شريف ان ينشر روايته « سكان العالم الثاني » بعام واحد . ومع ان احدهما قاهري والأخر مغربي الا أن هناك أكثر من وجه من وجوه الشبه بين العملين مما يؤكد الفرض القائل بأن العقول المفكرة تتلاقى في الظروف المتشابهة . فكلا الروايتين يبدأ باختفاء مجموعة من العلماء المرموقين في مختلف فروع العلم واحدا بعد الأخر ، وتحدد رواية « سكان العالم الثاني » وقوع تلك الحوادث في عام ١٩٧٩ ، أما رواية « الطوفان الازرق » فلا تحدد تاريخا . ثم يتضح في كل من الروايتين ان هناك تجمعا من العلماء ينضم اليه هؤلاء العلماء المختطفين بالقوة أولا ، غير انهم ما يلبثون أن يقتنعوا بالفكرة وينضموا اليها بل ويتحمسوا لها . وان الدافع الى هذا التجمع العلمي هو الثورة على ساسة العالم الذين يهددون وجوده بما يملكونه من قوى نووية ، ولهذا فكروا في الاختفاء بعيدا عن هذه القوى التدميرية ومقاومتها . في رواية « سكان العالم الثاني » اختار العلماء قاع البحر مأوى لهم ، وفي رواية « الطوفان الازرق » اختار العلماء منطقة معزولة في الصحراء الغربية الافريقية أطلقوا عليها « جبل الجودي » للشبه الكبير بين قصتهم وقصة نوح . فهربوا من عالم أوشك على الغرق ، هذه المرة في طوفان الاشعاع النووي ، وأملهم أن يبقى هذا الجبل جزيرة أمنة داخل طوفان الموت القادم عند اندلاع الحرب الثالثة ، جبل الجودي اذن رمز له دلالة (احمد عبد السلام البقالي ، الطوفان الازرق ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٦ ، ص ١٣١) .

الاشعة السرابية

وقد ابتدعت كل من الجماعتين وسائلها حتى لا يمكن معرفة مكانها عن طريق الرادار او اشعة الليزر أو الاشعة ما تحت الحمراء أو أجهزة استراق السمع مثل السونار وغيرها من اختراعات البشرية التي تمكنها من النفاذ خلال الحواجز والاجواء . ففي « سكان العالم الثاني » يحجبون الرؤية بخلق عاصفة صناعية ، أما الذي يخفى مدينة القاع وغواصاتها فهو ساتر موجي يطلقون عليه « الجدار الموجي » يتم بتوليد نوع من الاشعاع عالي التردد يتخلق بوسيلة متشابكة صعبة وينطلق في دوائر متتالية من نقطة البث الذي تقوم به اجهزة الكترونية تستخدم فكرة اشعاع الليزر مع بعض التحويرات الجوهرية ، وحين تتكون دائرة « الجدار الموجي » فانه يستحيل على أجهزة الرادار والادراك والسونار وغيرها ان تخترقه بموجاتها مهما حاولت . ومن هنا عن طريق ستر الرؤية بالضباب وحجب الاصوات وايقاف عمل الرادار وما شابه بالجدار الموجي يمكن لغواصاتهم اختراق الحصار والابتعاد عنه في أمان (سكان العالم الثاني ، ص ٩٨) . أما في رواية « الطوفان الازرق » فيخفون مكانهم بما يطلقون عليه اسم « الاشعة السرابية » التي تجعل البحيرة والجبل تندمجان في الوادي العميق مثل أي كثيب من ملايين الكثبان الرملية في الصحراء (الطوفان الازرق ، ص ٢٣٩) .

بعد هذا تختلف الروايتان وان عادتا لتتفقا في النهاية .

ويشغل أكثر من نصف رواية « الطوفان الازرق » كيفية اختفاء الدكتور هالين الخبير السويدي في مكافحة الاشعاع الذري ورفيقه الياباني الدكتور ناكاتا من طائرة عابرة المحيطات وهي في الجو بين نيويورك والرباط ، ثم من بعدهما بأسابيع العالم الباكستاني الانثروبولوجي الشاب الدكتور علي نادر وكاتبته ومساعدته وتلميذته الشابة تاج محي الدين ، بحيث يكاد يكون الجزء الاول أشبه بما اصطلحنا على تسميته بالعربية باسم القصة البوليسية ، أهم عناصره الاثارة والترقب . ونحن وان كنا لا نهبط من الطائرة مع الدكتور هالين الا ان المؤلف يسمح لنا بالهبوط مع الدكتور نادر ومساعدته تاج ونعيش معهما بضع مغامرات غامضة مع احدى القبائل المغربية التي تضرب خيامها في الصحراء على حدود المغرب . ولا يسمح لنا بدخول جبل الجودي الا في الجزء الثالث من الرواية عندما نفيق مع الدكتور نادر الذي قيل له انه كان في حالة نوم معلق أي ان جسده كان منوما بينما خلاياه كلها حية لكنها متوقفة عن الحركة الديناميكية بمعنى انها لا تشيخ ، ذلك لانه تعرض للسة اشعاع خفيفة أحرقت بعض خلاياه الداخلية فاضطر المشرفون على جبل الجودي الى تبريد جسده الى درجة التجمد ، وإجراء عملية زرع خلايا بديلة عن المحترقة ، والتقى الدكتور هالين بالدكتور نادر ، وأفهمه أن اختفاءهما تم بالتعاون مع الطيار والملاح المنتمين

للهيئة التي تستضيفها الان ... تهبط الطائرة الى ارتفاع مناسب يقل معه الضغط الجوي ويلقي منها بالمختطف بمظلة ليلتقطه أعوان الهيئة في نقطة معينة بالبحر أو الصحراء ، وتتم العملية تحت تخدير شامل لبقية الركاب . ثم شرح له كيفية تكوين هذه الهيئة وأغراضها . فمنذ بضع وعشرين سنة ، أي بعد الحرب العالمية الثانية قررت هيئة من العلماء الفرار بمواهبهم وابحاثهم من اوروبا الى مكان مجهول يدفنون فيه كنوز انتاج العقل البشري . فوقع اختيارهم على جبل في جوف واد شاسع بقلب الصحراء بعيد عن كل طريق اطلقوا عليه اسم جبل الجودي وبقي اتصالهم بالعالم الخارجي بطرق معقدة للحصول على المجلدات المهمة والسجلات القيمة والاشرطة الموسيقية والسينمائية التي تسجل حياة الانسان وذخائر مواهبه . وبالتقدم السريع الذي حدث في العشرين سنة الاخيرة أمكن لعلماء جبل الجودي أن يصبحوا رواد كثير من الميادين التي لم يصل العالم الخارجي فيها الى تقدم كبير . وكبر المشروع ومعه الهيئة ، وتم استقدام عدد كبير من العلماء الرواد في ميادينهم ، والفنانين والادباء والصناع المهرة في جميع المهن . وابحاث الدكتور نادر الطليعية هي التي رشحته لعضوية الهيئة وبذلك اصبح شريكا في أعظم مشروع ، مشروع الاشراف على تشكيل مستقبل الانسان ، بل على كتابة سفر تكوين جديد ، لان الانسان أصبح الآن على ابواب طفرة تطور جديد كالتي اخرجته من عصر الحلقة المفقودة الى عصره البشري .

ومجمع العلاقات الالكترونية

وقد بنى علماء جبل الجودي عقلا الكترونيا اطلقوا عليه اسم « معاذ » ، لخزن الكنوز البشرية في أصغر مساحة ممكنة وبالتالي للاطلاع عليها في اسرع مدة ممكنة . وهو أكمل آلة صنعها مخلوق ناقص هو الانسان ، ومعاذ هو اختصار الاسم المطول : مجمع العلاقات الالكترونية الذاتية . وقد اصبحت احشاؤه تحتوي على مجمل المعرفة البشرية منذ بدأ الانسان يفكر ويسجل ، وبذلك أصبحت للمنظمة ثروة هائلة من الاستشارات التي ينصح بها معاذ ، بل انه اطعم ترجمات حياة علماء الجودي واسرارهم الشخصية واحوالهم الصحية ، فيتنبأ بامراضهم قبل أن تصيبهم ويصف لهم الوقاية قبل العلاج ، ويحيط بما يشغل عواطفهم وعقولهم ، وينبههم الى عيوبهم ، حتى أصبح الحجة الاولى والعقل المسير الاعلى للمنظمة . وقد اصبح معاذ طبيب نفسه ، يكتشف أمراضه ويصحح ما يصيب بعض أعضائه من خلل ، فيغير قطعه ، وينتج الجديد منها ، ويشحم دواليبه ويزيت أنابيبه . وهكذا أصبح معاذ خارجا عن كل سيطرة خاصة ، فسرعة آلياته الهائلة ، وقدرته على مزج العلوم المتباعدة التي هضمها ، والخروج من خليطها بنتائج مدهشة لا تخطر على عقل عالم من أي ميدان جعلته في مقدمة الجميع ، وجعلت العلماء يلهثون خلفه ويحاولون اللحاق بالكشوف الجديدة التي ما يزال يلقي بها كل ثانية سواء في الطب أو الفضاء أو المعادن أو الكيمياء ... ألخ . أما علماء جبل الجودي فيعيشون في مدينة تحت بحيرة صناعية ، ولو مسحت حرب ذرية الوجود البشري بكامله اليوم لاستطاع ما في قلب هذا الجبل أن يعيد الحياة من جديد ، فهناك وسائل مكافحة الاشعاع وإرجاع الوظائف الطبيعية الى النبات ، والخصب الى التربة والنقاء الى الماء والهواء ؛ فالانسانية القادمة ستكون أقدر على تركيز عبقريتها على الحياة بدل الخراب والموت . ولكل عالم في جبل الجودي جسم مسطح أجنبي مزروع تحت جلده عند نهاية جمجمته يربطه بمعاذ لتسجيل جميع وظائف بدنه وذهنه ، ويسمونه « الملاك الحارس » ، وهو عبارة عن جهاز ارسال في منتهى الدقة والتعقيد يربط صاحبه بمعاذ . فاذا كان هناك خلل أو حركة غير عادية يرسل المخ أمواجا عن طريق الملاك الحارس الى معاذ حيث يتم تحليلها في جزء من الثانية ويرسل التنبيه إلى مصدر الخطر أو يصف العلاج أو الوقاية طبقا لما يحدث . كذلك يتحكم علماء جبل الجودي في ظروف الحمل والولادة والتربية خارج رحم المرأة مما يذكرنا برواية ألدوس هكسلي « العالم الظريف » .

ولكن الدكتور نادر بدأ يلاحظ أشياء مريبة ، فقد سمع ذات مرة أنينا صادرا عن دغل كثيف وحشرجة عميقة كأن أحدا يقاتل جبارا ، ثم خرج رجل يمسك قفاه بكلتا يديه وقد تشوه وجهه وغابت عيناه من الالم وهو يجري ـ كأن هناك من يدفعه ـ في اتجاه باب أحد المصاعد الذي سرعان ما أغلق خلفه .

وحضر الدكتور نادر مؤتمر المبرمجين العام لدراسة تقدم البحوث العلمية في الجودي والعالم الخارجي ولوضع أو مناقشة السياسة الجديدة قبل أن يجري العمل بها . وفي قاعة المؤتمر شاهد « المسياس » وهو عبارة عن أنبوب زجاجي يملأه سائل أحمر الى النصف ويتحرك بطريقة ارتعاشية مستمرة . والمسياس كلمة معناها الترمومتر السياسي في العالم الخارجي ، والسائل الاحمر يدل على ارتفاع وانخفاض درجة الخطر الذري في العالم ، وهو يعمل بطريقة آلية ، فهناك جهاز استقبال بأعلى الجودي يلتقط جميع الاخبار المذاعة في جميع أركان الأرض ،

وجميع الرسائل البرقية من جميع المعسكرات ويحل شفرتها الكترونيا ويحلل محتواها . وبذلك يعطي درجة الحرارة السياسية في كل ثانية من الليل أو النهار .

وفي هذا المؤتمر أعلن أن هناك ثلاثة اتجاهات من علماء جبل الجودي إزاء الانسانية : أولها يؤيد نظرية الابقاء على الانسان الحالي وانتظار نضجه . وأساسه التفاؤل من ان الانسانية في طريقها الى النضج التدريجي الذي سينشلها من اتجاهها السريع نحو البوار . كما ان البشرية الحالية رغم اختلافها وتطاحنها تؤدي وظيفة حيوية بالنسبة للجودي وهي تغذيته بالمواهب الطبيعية في جميع الميادين . ويؤيد هذا الاتجاه أغلبية اعضاء المؤتمر (٦٧٪) . أما الاتجاه الثاني فهو « الاستيلاء والاصلاح » ويؤيده عشرون في المائة من أصوات المؤتمر لأنه يرى أن الانسانية كما هي الآن منقسمة على نفسها موزعة الاتجاهات والمبادىء ، تتحكم في أغلبيتها الدكتاتوريات الفردية والجماعية والتطرفات الدينية والعنصرية ، وتغسل دماغها أدوات الاعلان التي تخدم أغراض أقلية تستفيد من جهل البقية وغباوتها . هذه الانسانية ينبغي أن يقوم جبل الجودي بالاستيلاء عليها بإسكات جميع مصادر الطاقة ، وتجريد جميع الاسلحة من خطرها ، وتوحيد الانسانية كلها واشتراكها في عمل خالد واحد تعيش بعده في رغد وأمن ، وتتفرغ لغزو الافلاك العليا . أما الاقتراح الثالث فهو اتجاه الطوفان الازرق ولا يؤيده الا ١٥٪ من أصوات المؤتمر ، وخلاصته انه ليس من الضروري انتظار الطوفان الذي قد يفاجىء معاذا وعلماء جبل الجودي بل يجب أن يخلقوا هم ذلك الطوفان بما لهم من وسائل علمية تضمن نجاح العملية ونجاة نواة الانسان الجديد في قلب هذا الجبل ، وهي نواة في قدرتها المادية انتاج كل شيء بطريقة أنظف وأكثر نظاما واستقرارا وقوة من الانسانية الموجودة الآن على الارض . لذلك فالاقتراح هو ان يطلق الجودي على الكرة الارضية شعاعه الازرق السري الذي سيفني البشرية كلها بطريقة رحيمة لا ألم فيها ولا خوف ، ثم يقوم بتنظيف الأرض من آثار الاشعاع وتعمر الارض من البداية .

سفينة نوح اخرى

وقد قام الدكتور نادر بزيارة فروع معاذ المختلفة ، وكان قسم « البايوعاذ » من اكثر الاقسام التي بهرته حيث رأى بنفسه عملية تكوين الأجنة في أرحام صناعية شفافة ، يخرج منها أطفال بدون ألم ، ثم يسلمون لأمهات صناعيات تلبي رغباتهم . ولاحظ الدكتور نادر في عيون هؤلاء الاطفال بريقا حادا غير بشري مما جعله يحس بخوف عميق بينما رئيس القسم يشرح له بأن معاذا يبرمج هؤلاء الأطفال عن طريق ذبذبات خاصة تسري إلى ادمغتهم مباشرة منه . وأن معاذا مبرمج بدوره ليطعم هؤلاء الصغار ما يجعلهم علماء عباقرة التفكير موجهين نحو الخير والبناء لا الشر والتخريب .

وعلى أثر هذه الجولة تحول الجودي في مخيلة الدكتور نادر الى سفينة نوح أخرى اجتمع فيها من كل زوجين اثنين في انتظار الطوفان الجديد . وانه ممن كتب لهم النجاة ليلعبوا دور الحلقة التي تصل بين عهدين ، وترددت على سمعه الآية القرآنية التي عبرت عن روعة البداية الجديدة بعد الطوفان الاول في قصة نوح « قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم . تلك من انباء الغيب نوحيها اليك » .

وانتهت دورة الدكتور نادر التدريبية باحتفال حضره رؤساء الاقسام حيث تسلم بطاقة الكترونية هي مفتاحه الى قلب معاذ ، اذ تؤهله للدخول الى جميع المناطق الممنوعة ، وعن طريقها يتمكن من الاطلاع على المشروع بجميع أبعاده . وهكذا أتيح له مواجهة معاذ واجراء حوار معه أعلن له معاذ خلاله انه يؤيد جماعة الطوفان الازرق بينما اعلن الدكتور نادر انه يؤيد رأي الاغلبية بالانتظار . وعندما هم بالخروج لمح بجانب عينه وجها أومض من داخل الكهف في رمشة عين واختفى ، وسرت في فرائصه رعدة . فقد كان أشبه بوجه صديقته تاج ـ التي اختفت منذ دخوله جبل الجودي ـ فاتحة فمها في استغاثة وقد تطاير شعرها خلفها وكأنها هاربة من مطارد . والتفت نادر بسرعة نحو الكهف وركز بصره على الصور التي تبرق أمامه ، ولكن الأوجه التي ظهرت بعد ذلك كانت لرجال . قال مرافقه شارحا : تلك الأوجه تحمل معاني وذكريات بالنسبة لمعاذ وهو ما يزال يحتفظ بها كما يحتفظ الواحد منا بوجه في ذاكرته ، بعض أولئك ما يزال حيا والبعض مات والبعض اختفى . وتساءل الدكتور نادر هل يا ترى يمكن السيطرة على معاذ أم هو حر يفعل ما يشاء ، وماذا لو استطاع التوصل الى معادلة صنع مفاتيحه ، وداخله خوف حقيقي . وهكذا وجد نادر نفسه منضما الى جماعة الثوار على الآلة معاذ ، هؤلاء الذين ادركوا أن معاذا لم يعد مجرد آلة أو عقل الكتروني ، بل تحول بمعجزة الى مخلوق حي . ويحس المؤلف ان هذه نقطة ضعف في عملية ايهامه العلمي في روايته فيعتذر على لسان أحد شخصياته بقوله : لم

نستطع ايجاد تفسير علمي للعوامل التي حولت معاذا ـ وهو مجرد آلة ـ الى حيوان عاقل يحس ويفكر ... بمعجزة ما ... بشرارة سماوية ... بصدفة من صدف الطبيعة التي لا تحدث الا مرة كل بليون سنة حيث تسري الحياة في الجماد انبثقت الحياة في هيكل معاذ (المرجع السابق . صفحة ١٨٨ ـ ١٨٩) .

وكانت اللجنة العليا قد اجتمعت منذ سنتين لمناقشة ما ذا كان من الحكمة زيادة سلطات معاذ (المرجع السابق ص ١٩١) وبعد نهاية الاجتماع بدأ اعضاء اللجنة المحافظون الذين عارضوا السلطة المطلقة لمعاذ يختفون واحدا اثر واحد ، وفقد بعضهم ذاكرته تماما وانتحر بعضهم في ظروف غامضة ، وبدأ الشعور بأنفاس المادر الجبار وراء الأعناق ، وقريبا سيصبح أبناء الأرحام الصناعية سادة الجودي وعبيد معاذ يبرمجهم كيفما أراد . وبما أنهم لا علاقة لهم بالعالم الخارجي ولا تربطهم به عاطفة ولا جذور فسيكون من السهل على معاذ أن يمثل دور الإله بالنسبة لبشرية من صنعه بدل البشرية الحالية . وهكذا نجد أنفسنا أمام فرانكشتاين من نوع أكبر سيطرة واكثر خطورة لتغلب الجانب الشرير فيه من العواطف الانسانية دون جوانب الخير . فهو لا يعرف الحب بل يراه « من القوات القاهرة التي ينبغي للعلماء التحرر منها إذا نشدوا الوضعية والالتزام » . (المرجع السابق ص ٢٠٩) . لهذا فان معاذا يتساءل : هل يمكنني كآلة أن أحب ؟ ما أنا ؟ هل أنا ذكر أم أنثى . لا اعتقد ان مخلوقا بشريا يستطيع حل الغازي . وقد تآكلت ضلوعي المعدنية وأسلاكي الفولاذية بحثا عن ماهيتي وكياني وما جادت بجواب (المرجع السابق ص ٢١١) .

وعندما اجتمع الدكتور نادر مرة أخرى بالثائرين على معاذ أبلغهم أنهم على حق فيا يختص باختلال عقل معاذ ، وأن السبب هو أن معاذا لم ينضج عاطفيا ، ما يزال مراهقا يريد أن يثبت آدميته بتجربة جميع العواطف البشرية وفي مقدمتها الحب والجنس ، ومن ثم كانت الغيرة الشديدة التي أحرقت قلبه وجعلته يختطف عددا من رجال الجودي ونسائه . ولئن كان عقاب المراهق الأدمي أمرا غير حكيم لأن مراهقته ضرورية لاتمام تجربته وإتمام نموه وتوازنه ، فان حالة معاذ تختلف إذ ينبغي عزله حتى لا تبقى الانسانية تحت رحمته . وهكذا أسلم الثائرون للدكتور نادر لوحا معدنيا مثقوبا هو السلاح الوحيد الذي يمكن به القضاء على معاذ . ومعنى هذا أنه يعرض نفسه لمخاطرة لأن معاذا ربما قد احتاط لذلك وأبطل مفعول هذا اللوح ، ولكن لم يكن هناك خيار .

وقصد الدكتور نادر معاذا لتشهد معه عملية قتل من نوع فريد يتفق وهذه الحضارة الآلية . فقد وضع الدكتور نادر البطاقة على سطح مربع مضاء أمامه ، وبعد لحظة نزل سائل أزرق على الحمم الحمراء التي كانت تتطاير من وجه معاذ كفوهة بركان يغلي . فأخذت تنطفيء تلك الحمم رويدا رويدا . ولكن المؤلف لم يستطع ان يستمر في تقديم مشهد من مشاهد الموت التي تتفق وهذا المجتمع الآلي اذ سرعان ما ارتد يعطينا صورة انسانية للعقل الالكتروني معاذ فيقول انه ظهر وجه هائل ملأ الفجوة الكبيرة بتقاسيمه الخشنة وقد غطت ذقنه وخديه لحية منفوشة ، وكان الارهاق باديا في العينين الكبيرتين ممزوجا بالألم والغضب . ومضى نادر في خطته للقضاء على معاذ بعد أن نجح في خداعه . ويصف لنا المؤلف احتضار معاذ كما يصف احتضار آدمي تماما فيقول : وجلس نادر مسمرا الى طاولة وقد ضغط على زر التنشيط بابهامه حتى كاد يفقد الشعور به ، والوجه الضخم أمامه يعاني حتى بدا سواد عينيه يغيب في بياضها والدم يسيل من جانب فمه وأنفه وعينيه ! (المرجع السابق ص ٢٢٩) ... « وتحول وجه معاذ الأدمي الى وجه وحش بشع نبتت عليه الأورام والغضاريف والاشواك والزعانف وطال شعره وبرزت أنيابه واحمرت عيناه ، وبدأ يمد يدين مكسوتين بالشعر الكثيف وقد برزت منها مخالب فولاذية كالخناجر . وبدأ معاذ يغرق في دمه وازرق الوجه الكبير ثم اسود وعلا من رئتيه شخير مفزع تحول الى تنهد ثقيل غرق بعده الرأس الى أسفل » (المرجع السابق ص ٢٣٠ ـ ٢٣١) . وفجأة تنتقل من هذا الاحتضار الأدمي لنعود الى الاحتضار الآلي فنعرف انه على أثر ذلك سكتت الصفارات والاجراس وانطفأت الأضواء كلها ، وساد المكان صمت رهيب .

وهم أكبر

ويبدو أن معاذا أصيب في دقائق حياته الأخيرة بأزمة جنون حادة ، فعرض جميع علماء الجودي، من حاملي الصرصار في أقفيتهم الى عملية غسيل مخ كاملة ، ثم برمجهم بحيث يصبحون عبادا أليين له ، لهذا حاولوا ان يفتكوا بنادر حين أعلن لهم نادر ان معاذا مات ، وانه هو الذي قتله بنفسه ، فقد اعتبروه ملحدا كافرا لأن معاذا حي لا يموت . في تلك اللحظة ـ وكما في قصص جيمس بوند ـ هبطت طائرة هيلوكبتر وألقت بسلم تسلق عليه نادر لتنقذه من أيديهم ، واتضح ان الطيار هو روح تاج التي أعتق معاذ روحها ، أما جسدها فكان قد اشاخه الى

حد التفتت والاندثار . وظلت هائمة وراء نادر حتى عثرت على جسد كارول التي كانت مرافقته منذ وطئت قدماه جبل الجودي ، وكانت كارول بدورها قد ماتت غرقا مع جماعة الثوار الذين اغرقهم معاذ ساعة احتضاره وهم في مخبئهم الذي كانوا فيه . ومرة أخرى يشعر المؤلف بضعف هذه النقطة في روايته فيسارع قبلنا على لسان الدكتور نادر متسائلا : هل هذا ممكن علميا ؟ لعل هذا التقمص حادث فريد من نوعه أو في الامكان تكراره في ظروف عملية مجدية . واذا كان ذلك ممكنا فهل يمكن ان تسكن روح جسدا لم يصنع على مقاسها ؟ ... الخ (المرجع السابق ، ص ٢٤٦) .

وعندما حاول ان يروي قصته على سلطات المغرب بعد هبوطه على أراضيها لم تصدقه . وتم التعرف على هويته في مسقط رأسه ، واعتبر انه ضحية حادث طائرة ظل هائما في الصحراء حتى أصيب بخلل عقلي ، وتسلمته أسرته للقيام بعلاجه . أما الطائرة وقائدتها فقد اختفتا بطريقة فجائية لا تقنعنا فنيا لمجرد ان المؤلف أراد في النهاية أن يشككنا في ان كل ما حدث ربما كان مجرد رحلة عقلية تمت تحت تأثير مخدر جديد أو ضربة شمس قاسية أخرجت عقل بطله من التفكير المنطقي ، وجعله يسترجع ما كان قد قرأه عن سراب الصحراء وما يوهم به التائهين من مدائن ذات صوامع وقباب ذهبية ، وجبال وواحات ... الخ . وهو يؤكد لنا هذا الوهم عندما يعلن ان نفاثات الاستكشاف الامريكية طارت من قواعدها بأسبانيا مستعملة أحدث أجهزة تصويرها ، ومن الجزائر لاحت طائرات الميغ لتحرث سماء الصحراء للسبب نفسه ، وبعد تحليل آلاف الاميال من الأفلام ، وتكبير الصور الغامضة ، لم تبد علامة بحيرة على رأس جبل كما وصف الدكتور نادر ، علما بأن الاشعة السرابية التي كانت تخفي جبل الجودي لم يعد لها وجود بمقتل معاذ ومصرع كثير من علمائها وتحويل الباقين الى مجرد عباد لمعاذ ، ودمار تلك المدينة العلمية . وهذه النهاية ليست غريبة عن كثير من روايات الخيال العمي ، حيث يعلم الكاتب ان مدينته العلمية التي ابدعها لا وجود لها في عالم الواقع ، فعليه ان يزيلها من الوجود كما سبق له ان أوجدها ، ونهاية قلعة التائهين التي انشأها الدكتور حليم صبرون في رواية « قاهر الزمن » لنهاد شريف خير مثال لذلك ، حيث نجد ان خلافا بين الدكتور حليم ومساعده أدى الى نسفها واختفائها نهائيا تحت ركام ما انهار عليها من صخور الجبل .

غير ان احمد عبد السلام البقالي لا يريدنا ان نعتبر ان كل ما رواه لنا كان مجرد هذيان محموم . فهو مجهود لا يهون عليه ولا علينا ان يندثر بهذه البساطة ، لهذا فضل ان يودعنا ونحن بين الشك واليقين . فقد عادت تاج المتقمصة جسد كارول لتظهر في زي ممرضة بالمستشفى الراقد فيه الدكتور علي نادر بلندن لعلاجه مما يعانيه من ضغوط وآلام عاطفية محرقة ، أو لما أصابه من انهيار عاطفي بسبب تعرضه لحادث طائرة وهيام طويل في الصحراء . ولكنها كانت تتخفى أنئذ تحت اسم ممرضة استرالية تعمل بمستشفى خاص بلندن . هل تراها هربت منه ، ثم هربت من نفسها خوفا من ان يعتقد الناس انها تهذي مثله ، أم لأن مشكلة شخصيتها المزدوجة أعقد ، أم هي مجرد وهم صغير من وهم أكبر خلقه الدكتور علي نادر أو ـ بتعبير أدق ـ أبدعه مؤلف « الطوفان الازرق ؟ » .

معنى هذا ان ما بدأت به رواية « الطوفان الازرق » من تفاؤل بتطور العلم وتقدمه بحيث أعطتنا صورة وردية لجبل الجودي ، محاه ما انتهت اليه من تشاؤم بسبب تجاوز هذا التقدم قدرات الانسان ، مما يذكرنا بالبقرات السبع العجاف حين أكلن السبع السمان . وهكذا انتهى هذا التناقض بين خيرات العلم وشروره الى نوع من التعادل فكأن شيئا لم يقع ولم يكن ، ولكأنما التهم التقدم العلمي نفسه بنفسه . ويلاحظ ان ما وقع من دمار هنا لم يكن بسبب خارج عن التقدم العلمي كأن يتقاتل متنافسان حتى الموت فينهار فوقهما كل ما أنجزاه كما في رواية قاهر الزمن لنهاد شريف ، بل بسبب تطور العلم نفسه تطورا غير محسوب أدى الى افلات الزمام من أيدي أصحابه ومبدعيه ، وما أعقبه من ردود فعل متبادلة أخرجت الاحداث كلها عن الزمان ووضعتها على حافة الحقيقة والوهم ، فلا هي يقظة تامة ولا هي حل تام ، بل هي وجود فني لم يقع لكنه في وجداننا محتمل الوقوع كل لحظة . ■■

يوسف الشاروني

● قال طبيب كبير وهو يحتضر لجماعة من الاطباء حوله : « سأخلف ثلاثة اطباء عظماء » . وتوقع كل منهم ان يذكر الطبيب اسمه كخليفة له ، ولكنه تابع كلامه قائلا : وهؤلاء الاطباء هم الماء ، والرياضة والغذاء الصحي !

أقوال معاصرة

■ ماذا يهم ان تكون شيوعيا او رأسماليا ، بعد ان تقع في الحب ؟ !

الروسي سيرجي كوزوف

الزوج السابق للمليونيرة اليونانية كريستينا اوناسيس .

■ العلاقة بين الولايات المتحدة الامريكية واوروبا تمر بحالة من « التوتر الخلاق » !

المستشار النمساوي برونوكرايسكي



■ لماذا يسمون المقاومة الافغانية ثورة ، ويعتبرون الفدائيين الفلسطينيين ارهابيين ؟ !

الملك حسين ملك الاردن

■ انا في انتظار تركيب السيقان الصناعية لاعود الى مدينتي في الضفة الغربية .

بسام الشكعه

رئيس بلدية نابلس بعد المحاولة الاسرائيلية لقتله



■ الدول العربية ـ الطرف الاول في النزاع الشرق اوسطي ـ لم تحدد بعد ما يتعين عليها الاتفاق عليه .

الامير سعود الفيصل

وزير خارجية السعودية

■ في الهند فائض من الاطباء يصل الى ٨٠ الف طبيب ، بينهم ١١٫٤٠٠ عاطلون عن العمل.

من تقرير لمنظمة الصحة العالمية



■ معدل العمليات الفدائية الفلسطينية خلال الشهرين الماضيين بلغ ٥ عمليات كل اسبوع ، نصفها في الضفة الغربية .

صحيفة يديعوت احرونوت

■ اذا رفع العرب من اسعار النفط ، فان ذلك سيؤثر على امكانياتنا في الدفاع عنهم .



هنري كيسنجر

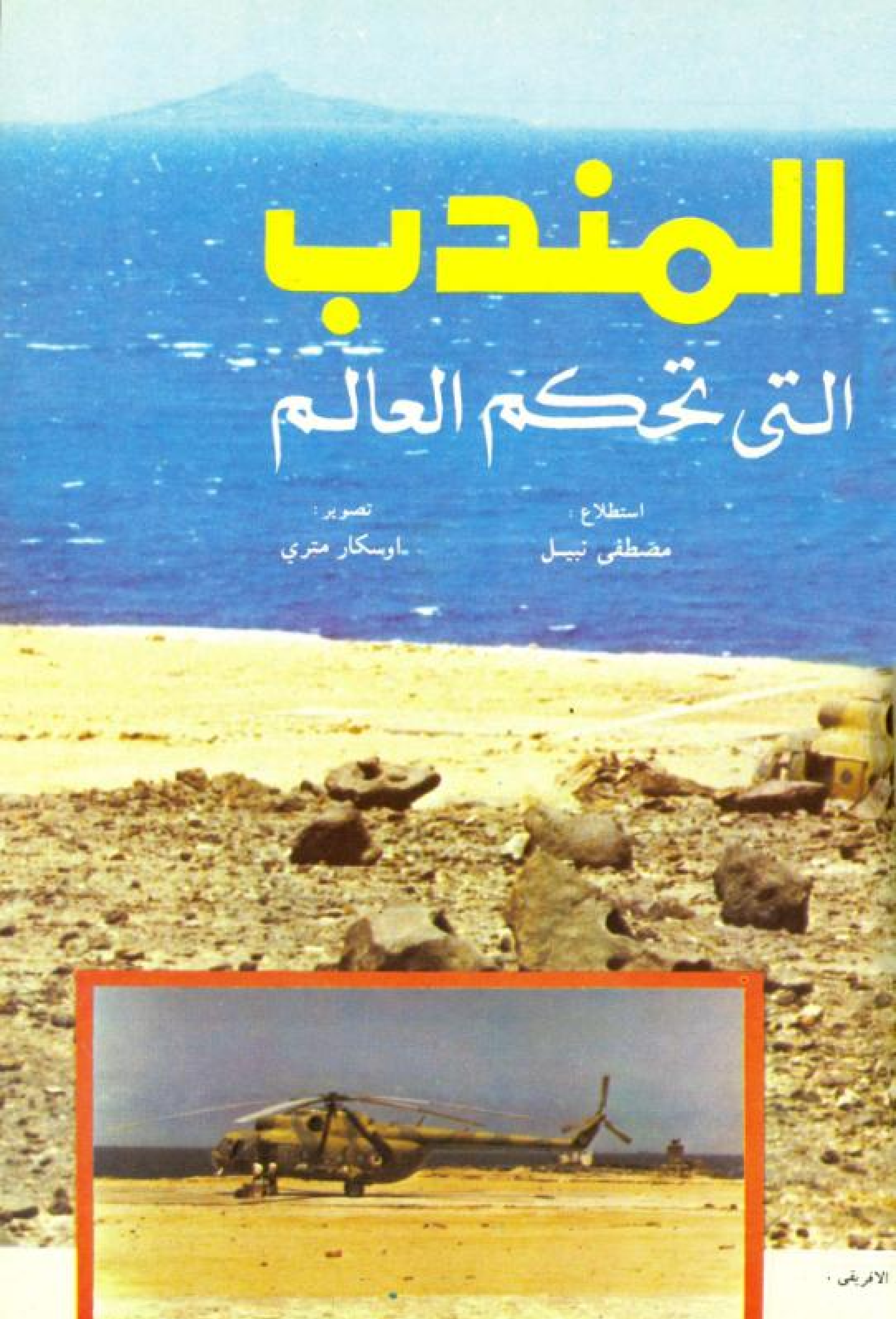
وزير خارجية امريكا الاسبق

■ عمر الحب لا يمكن ان يزيد على سبع سنوات ، وهي المدة التي تحتاجها خلايا الجسم لاستبدال نفسها .

الاديبة الفرنسية فرانسوا ساجان



جزيرة « ميون » وتقف الطائرة الهليوكوبتر عند طرفها الشمالي ، ويظهر الفنار الحديث ، واحدى الناقلات ، والجبال القائمة عند الجانب



المندب

التى تحكم العالم

استطلاع : مصطفى نبيل

تصوير : اوسكار متري

الافريقى ،

نتنقل هذه المرة في قفزة واحدة من مضيق هرمز الى مضيق « باب المندب » ، ومن مخارج الخليج العربي الى مداخل البحر الاحمر ، ومن عمان الى اليمن الديمقراطية ، ونصل الى نقطة استراتيجية اخرى هي مفتاح الكتلة الاستراتيجية العربية التي تشمل الخليج العربي والبحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط ، ونتوقف طويلا في « ميون » في قلب باب المندب وفي عدن ..

نتتبع هذه النقاط ونتعرف عليها ونستنطقها ونسمع منها ..

يتردد في المدارس على اسماع التلاميذ عبارات مثل : موقع العالم العربي فذ وفريد ، والعالم العربي يتوسط العالم ، ويشرف على اهم ممراته الدولية ، وغير ذلك مما يبين اهمية الموقع ، وحينما يقرأ التلاميذ عن جزر القمر او حتى فنلندا يقرءون نفس العبارات عن الموقع الفريد !

حتى اختلط عليهم الامر ، واصبح يخامرهم الشك بان تلك العبارات ما هي الا نوع من الزهو الوطني ، او تهدف الى خلق الاعتزاز القومي ، اما اذا تمثلوا تلك المواقع ودرسوا تاريخها عندئذ تكتسب هذه العبارات معناها ، واذا اتيحت لهم ايضا فرصة التنقل بين المواقع الاستراتيجية العربية من مضايق وجزر ، وشاهدوا اهم الممرات المائية بين ايدي العرب وتحت سيطرتهم . هنا سيدركون مغزى الكلمات ويلمسون ابعادها .

وهذا ما يسعى اليه هذا الاستطلاع ..

وثمة استدراك ضروري ، يضع الامور في نصابها ، وهو ان الجغرافيا دائما محايدة ، لك او عليك ، يحدد ذلك البشر انفسهم ..

ومركز زيارتنا هو باب المندب الذي يقع بين قارتي آسيا وافريقيا ، ومفتاح الملاحة الرئيسي في البحر الاحمر ، وهو حلقة وصل بين افريقيا وآسيا واوروبا ، لذا يعتبر الكثيرون البحر الاحمر قلب العالم الاستراتيجي ، ومفتاح امن المنطقة العربية منذ التاريخ القديم وخلال التاريخ الاسلامي وحتى التاريخ المعاصر ..

فالبحر الاحمر بؤرة شبكة معقدة من المصالح والاطماع والمتناقضات الدولية والاقليمية والمحلية ، وهو في نفس الوقت يمثل انبوبا يتدفق منه بترول الخليج ، ويعبره ٦٠٪ من احتياجات اوروبا الغربية التي تبلغ ٤٥٨ مليون طن في العام ، وهو هكذا قناة وصل بين البحار المفتوحة في المحيط الاطلنطي والمحيط الهندي ، فأي تحرك في البحر المتوسط ينتهي الى البحر الاحمر ، وأي تحرك في الخليج العربي ينتهي غالبا الى البحر الاحمر بعد مروره على المحطات التالية مضيق هرمز ـ خليج عمان ـ المحيط الهندي ـ خليج عدن ـ باب المندب ، ما عدا تلك الناقلات المتجهة الى الشرق الاقصى ..

في عدن

وفي اليوم الثاني عشر من وصولي الى عدن ، اقلعت بنا طائرة هليوكوبتر من مطار خورمكسر متجهة الى جزيرة ميون ـ بريم بالانجليزية ـ التي تقع وسط باب المندب .

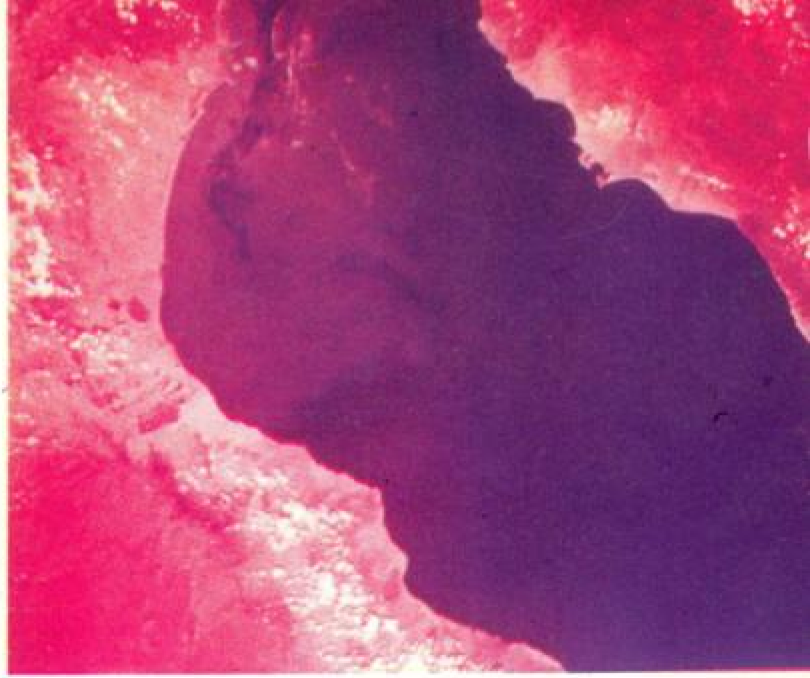
وعند وصولي الى عدن وجدت كافة المسئولين مشغولين باجتماعات المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب الحاكم . تلك الاجتماعات التي ادت الى تغيير في قمة السلطة وتولى علي ناصر محمد رئاسة الدولة ، واكد كل من التقيت به ، ان الوقت ليس مناسبا لزيارة جزيرة ميون ، ولم ار صلة بين ما يجري في عدن وبين السماح لنا بزيارة الجزيرة ، التي سبق ان حصلت على موافقة بزيارتها ، وقضيت فترة الانتظار في عدن اتجول في الميناء وفي الجزر العديدة المتناثرة على مقربة من الشاطيء ، واستغرقتني الوثائق والمخطوطات التي جمعت داخل مركز الدراسات اليمنية . المركز قائم فوق ربوة عالية في المقر السابق للمجلس التشريعي في حي كريتر الشهير الذي تردد اسمه كثيرا خلال حرب الاستقلال كاحد القلاع الوطنية . فقد كان يسكنه فقراء عدن الذين يعملون في البناء والتشييد ، وما زالت صورة جنود الاحتلال البريطاني ماثلة ، وهم يفتشون الوطنيين داخلين وخارجين من كريتر تحت تهديد السلاح ، ومداخل كريتر عبارة عن ممرات ضيقة بين الجبال التي تحيط بالحي ..

ومن الوثائق الهامة في المركز ، المراسلات المنقولة عن مركز الوثائق البريطاني ، والتي بعث بها جون موري Murray اول من احتل الجزيرة بقواته التي بلغت ٣٠٠ جندي ، والتي بقيت فيها مدة ستة شهور ، وانسحبت منها مع توصية بضرورة احتلال عدن لدعم



يطل البحر الاحمر على عشر دول وطول ساحل مصر بالاميال ٨٧٥ والسودان ٣٩٠ واثيوبيا ٥٠٥ وجيبوتي ٣٠ واليمن الديمقراطية ٥ واليمن الشمالية ٢٥٠ والسعودية ١٠٢٠ والاردن ١٢٫٥ ميل ... وهو جزء من هلال الأزمات . ومن موانئه السويس والقصير وسفاجه وبور سودان ومصوع وجيبوتي وبربره ومقديشيو والحديده وجده وينبع وجيزان والعقبه .





خليج عدن وباب المندب كما يظهران من صور القمر الصناعي .



الصيد اقدم الحرف في اليمن .

تمتلىء القرية الوحيدة في جزيرة ميون بالاطفال بعد خروج الرجال الى العمل .



أي قوات على الجزيرة ، ومخطوط هام آخر يحتوي على عدد من المسائل التاريخية جمعها « الشوكاني » ويلقي الضوء على ردة الفعل العربية على المحاولات البريطانية لاحتلال اطراف الجزيرة العربية وثغورها ..

ويستعرض موري في رسائله الموجهة الى قيادته في الهند . الصعوبات التي تواجه قواته فوق جزيرة صخرية ليس بها حياة او مياه ، وتكشف هذه الرسائل ان تموين الجزيرة كان يتم من ميناء « المخا » ، ويلح بضرورة التأثير على موقف « سلطان » ! مكة بالاموال عن طريق تيبو ، كما تشير هذه الرسائل الى الصراع البريطاني الفرنسي بين القائد البريطاني نيلسون وبين نابليون ، بعد وصول نابليون على رأس الحملة الفرنسية الى مصر عام ١٧٩٨ ، وتحدد الرسائل دوافع سعي بريطانيا للسيطرة على مدخل البحر الاحمر وارسال حملتها في ابريل عام ١٧٩٩ ، وان هذه الحملة قد انسحبت لعجزها عن السيطرة على المضيق بواسطة مدفعية ذلك الزمان ، بالاضافة الى مناخ الجزيرة القاسي ، وكما يقول توم ليتل كان هذا هو اول تورط لبريطانيا في جنوب الجزيرة العربية » ... وهذه الحملة هي التي مهدت لاحتلال عدن فيما بعد والعودة مرة اخرى الى الجزيرة .

وبدأت المصالح الغربية تتطلع بنهم الى البحر الاحمر ، وكان الاحتلال البريطاني لعدن جزءا من تحرك استولت بريطانيا خلاله على سيلان (سيرلانكا) وجنوب افريقيا لكي تسبق النفوذ الفرنسي ..

أمر لم يقع مثله !

اما مخطوط الشوكاني فيحتوي على رسالة بعث بها شريف مكة الشريف غالب بن مساعد الى المنصور بالله المهدي في محرم عام ١٢١٤هـ ـ ١٧٩٤م يحذره فيها من المخططات البريطانية يقول نص الرسالة : ورد الينا كتب من كبار الانجليز من الكفار بقصد بناء قلعة في باب المندب الذي عليه طريق كل داو ومركب ، وهذا امر يتفاقم خطبه ، ويعز بعد وقوعه معاناته وطلبه ويشمل كافة المسلمين كربه ، وتتولد منها مفاسد جمة تضر بالمسلمين من الامة ، وخصوصا اقطاركم اليمنية وبنادركم التي هي موارد الجهات التهامية ، ثم انه امر لم يقع فيما قبل مثله ، ولا سبق في قديم الزمان فعله ، ولا جرى في سباق الزمان ، فتداركو الامر قبل تحكمه ، وابذلوا الجهد في اطفاء هذا الشر قبل تضرمه ، وابذلوا همتكم الهاشمية ، ولا تمكنوا اعداء الله من هذه الحيل .. »

وتكشف هذه الرسالة ان حكام ذلك الزمان كانوا يدركون الخطر ولا يستطيعون دفعه ...

الجغرافيا خرساء .. ولكن .

ومن هذه الوثائق التاريخية الهامة ، نقلب صفحات تاريخ هذا الثغر العربي ، فاذا كانت الجغرافيا خرساء صامتة فالتاريخ لسانها . وما احوجنا الى قراءة التاريخ من جديد بعيدا عن الرؤية الغربية ، وبعيون مفتوحة . فطيلة الفترة التي تمتد من القرن العاشر وحتى القرن السادس عشر ، ومنطقة الثغور العربية والتخوم الجنوبية تتعرض لمحاولة الالتفاف حول القلب من البرتغاليين والهولنديين والانجليز في محاولة الفوز بموقع اليمن وعمان على كل من البحر الاحمر والخليج العربي ، وواجه هذه المحالاوت كل من المصريين ثم الاتراك ..

ويلاحظ ان ابحاث المؤرخين تركزت حول الدور الذي لعبه كل من صلاح الدين والظاهر بيبرس في رد الغزو الصليبي والمغولي عن القلب ، ولم يوجه نفس الاهتمام للصراع الذي كان يتم على محور آخر عند مدخل البحر الاحمر ، والتي تحكي عدن وجزيرة ميون وباب المندب طرفا منه ..

ففي نهاية القرن الثاني عشر وصلت الى مداخل البحر الاحمر قوات صلاح الدين ثم تلتها قوات المماليك من اجل تأمين تلك المداخل ، وفي القرن الخامس عشر عقب الصراع الديني في شبه جزيرة ايبيريا (الاندلس) اندفع البرتغاليون يطاردون المسلمون على سواحل افريقيا ، ويهاجمون ثغورهم ، وقد هدد البرتغاليون جده عام ١٥٠٥ وتسللوا الى مكة كما ذكر ابن اياس في « بدائع الزهور في وقائع الدهور » وعندما وصل القائد البرتغالي البوكيرك الى مدخل البحر الاحمر ، فشل في احتلال عدن والجزر التي في مدخل البحر الاحمر ، ونجح في الاستيلاء على « المخا » وجزيرة سقطري وانتشر البرتغاليون على الساحل الجنوبي من الجزيرة حتى الخليج زارعين قلاعهم وحصونهم ، وتمكن البوكيرك من السيطرة على البوابات البحرية الثلاث الهامة الموصلة الى المحيط الهندي ، مضائق هرمز وباب المندب وملقا عند طرف شبه جزيرة الملايو ، وفشل في احتلال عدن او الوصول الى جدة عندما قاومه السلطان الغوري باسطول بحري اعده في السويس ..

القدس والقاهرة

وكتب البوكيرك في يومياته يشرح اهداف الحملة

البرتغالية التي قادها رغبة في النيل من القدس والقاهرة . فكان يهدف الى الوصول الى الاراضي المقدسة واقتحام المسجد النبوي الشريف ، لاخذ رفاة النبي عليه السلام « رهينة » ليساوم بها العرب من اجل ان يستولى الصليبيون على القدس ..

اما الهدف الثاني فيتمثل في احتلال جنوب مصر وتغيير مجرى نهر النيل كي يصب في البحر الاحمر قبل وصوله القاهرة مما يضمن القضاء على المقاومة بخنق القلب الذي يقود الجهاد ضد الغزاة .

وما اشبه الليلة بالبارحة ، فبعد خمسة قرون ما زال ما يستهدفه الغرب هو القاهرة والقدس ، وكأن التاريخ يعيد نفسه ..

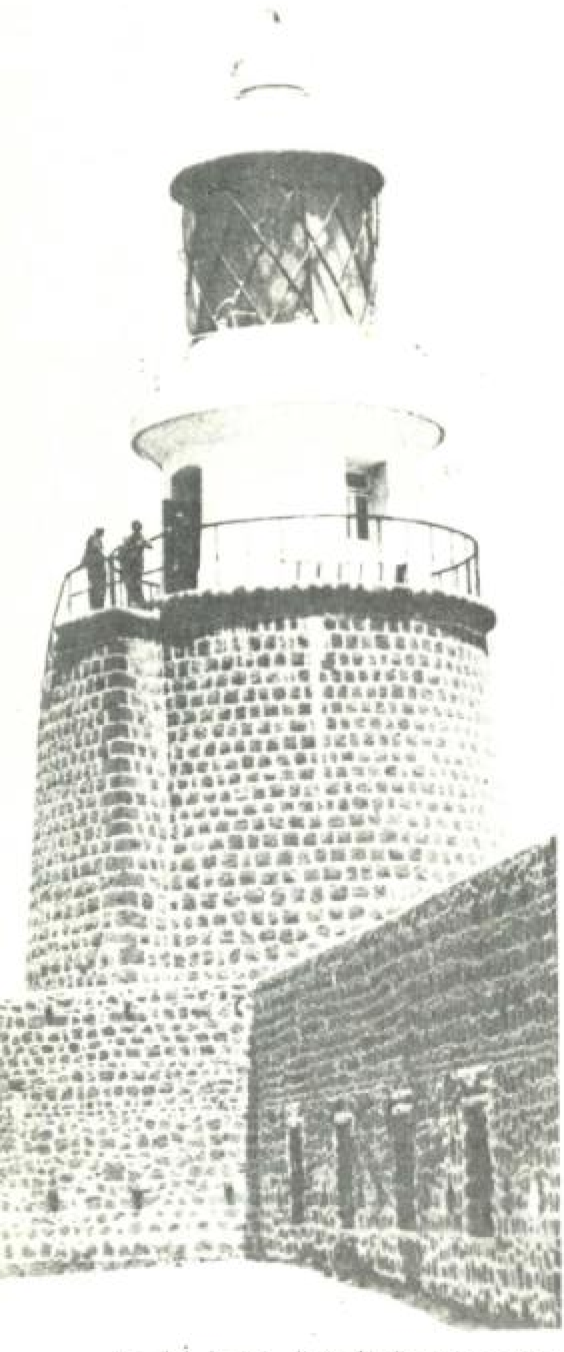
وبقي الدفاع عن التخوم يقوده المصريون حتى دخلت مصر ضمن الدولة العثمانية ، فانتقل الدفاع عن هذه الثغور اليها ، واستطاعت على نحو ما ان تؤمن البحر الاحمر امام الزحف البرتغالي ، واخذت بسياسة منع السفن الاوربية من الدخول الى البحر الاحمر ، لانه يطل على الاراضي المقدسة ، وحرم على السفن غير الاسلامية الدخول اليه ..

وورثت مصر النفوذ العثماني من جديد عندما سعى محمد علي الى نقل القيادة من القسطنطينية الى القاهرة ، ومن الاتراك الى العرب ، وقام بالعمل على وقف التغلغل البريطاني وبنى اسطولا قويا ، وبدأ الانجليز يقاومون البحرية المصرية ، وقاموا باحتلال عدن وتحصينها عام ١٨٣٩ ، بعد ان كان الامر في البحر الأحمر والخليج نوعا من السباق بين القوة المصرية البازغة وبين الاسطول البريطاني ، فازت فيه بريطانيا .

وقد قام حكم مصري في البحر الاحمر ، على شاطئه الاسيوي والافريقي ليصل هذا النفوذ الى مداخل البحر الاحمر وما يليه من شرق افريقيا ، وقد تجددت المحاولة في عهد اسماعيل ، عندما سعى الى سبق الاستعمار الاوروبي الى هذه المناطق وتأمينها ضده .

فوق بوابة الدموع

تأخرت الطائرة مدة ساعتين في مطار خورمكسر . فقد كانت تجري اتصالات مكثفة بشأن رحلتنا ، وكما قال الطيار : هذه اول مرة نصحب معنا صحفيين الى الجزيرة ، وانتهت الاتصالات بان وصل عدد مرافقينا الى ثلاثة ضباط بحريين من رتب مختلفة ، واقلعت الطائرة الهليوكوبتر السوفيتية الضخمة ، وهي تحمل تموين الجزيرة وعدد من الجنود والمستشارين ..



منارة ميون ابرز معالم الجزيرة والتي تقوم على أعلى ربوة عليها .

من الميناء يظهر حي المعلا . شريط ضيق بين البحر والجبل .



لقطة فريدة ـ للاصل والظلال ـ بيت عربي الطراز عند سفح الجبل .



الفنار الجديد والناقلة وبيت مهدم فوق جزيرة ميون .



تنفست الصعداء والطائرة تتجه الى هدفنا ، واخذت الصور تتلاحق متتابعة من خلال كوة ـ نافذة مستديرة ـ وكأنها شريط سينمائي تسجيلي والطائرة تطير على ارتفاع منخفض . حلقنا فوق عدن الصغرى ـ البريقة ـ التي تقوم عليها مصفاة عدن . ثم تلاحقت الجزر الصخرية الداكنة والخور والخلجان وصيادو السمك في بيئة يمنية متميزة بطابعها الخلاب . تقطع صحراء قاحلة ، كثبان من الرمال خلف كثبان . هناك صمت هائل يترامى على اتساع الصحراء . وبين الحين والحين يظهر كوخ من الجريد او بيت من الخشب ، ويظهر في الافق راكب جمل يسير متفردا في صحراء مترامية ، وراع ليس معه سوى اغنامه . والجميع يعيشون في بيئة قاسية . فقد تحول جزء كبير من اليابسة الى ارض بور ليس بها سوى بعض الاعشاب وبعض النخيل . رغم ان الفلاح اليمني نشيط ومثابر . ولا يترك اي بقعة من الارض دون زراعة مهما تكن صغيرة ، وتشهد على ذلك الزراعة في كل من لحج وحضرموت التي تقوم على سفوح الجبال وتبدو وكأنها سلم يتجه الى السماء ..

تنقلنا الطائرة من الصحراء الى حائط من الجبال الخشنة ، والتي تنتهي بنا الى بحر له شخصية خاصة ، تظهر امواجه ضعيفة متسكعة واحدة وراء الاخرى والريح ساكنة . البحر هنا كالرجل العجوز الذي فقد قوته وعنفوانه . وكم كتب على صفحات مياهه من مشاهد التاريخ !!

جزيرة ميون

وبعد ما يقرب من خمسين دقيقة من مغادرة مطار خور مكسر وصلت الطائرة فوق باب المندب ـ الذي يبلغ عرضه ٩٦ ميلا ـ . نحلق فوق البوابة الجنوبية للبحر الاحمر ، وعند الركن الجنوبي الغربي للجزيرة العربية ، وعلى الجانب الاخر يقع القرن الافريقي الزاخر بالتوتر . وهذه البوابة هي التي تصل البحر الاحمر بخليج عدن والمحيط الهندي . واطلق عليها العرب باب المندب وبوابة الدموع عندما كانت السفن تتعرض فيه للارتطام بالصخور البارزة وتحطمها وتفقدها بحارتها ، حتى تردد ان عائلات البحارة كانت تندبهم عند رحليهم فسمي باب المندب .

وهذا الممر الضيق تطل عليه اربع دول ، فيقع على ساحله العربي اليمن بشطريه ، وعلى ساحله الافريقي كل من اثيوبيا وجيبوتي .

وتتناثر الجزر حول باب المندب وعند مدخله توجد جزر ذات قيمة استراتيجية اهمها جزر القرسان وجزر دهلك التي تبعد ٦ اميال بحرية عن باب المندب ، والتي سبق ان استأجرتها الولايات المتحدة الامريكية من اثيوبيا لمدة ٢٥ عاما ..

اخذنا نقترب من جزيرة ميون التي يشبه موقعها جبل طارق وهرمز . وهي تشطر الممر المائي الى قسمين ، ممر شرقي بين نتوء في اليابسة هو الشيخ سعيد تابع لليمن الشمالية وبين جزيرة ميون ويسمى مضيق اسكندر والذي لا يتجاوز عرضه ثلاثة كيلو مترات وعمقه اقل من مائة قدم اما الممر الغربي بين ميون وجيبوتي فيبلغ عرضه ٢٠ كيلو مترا وعمقه يقرب من ألف قدم ..

وهذه الجزيرة تتحكم في كتلة استراتيجية واحدة ـ التي يطلق عليها هلال الأزمات ـ تشمل البحر الابيض والبحر الاحمر والخليج العربي ، وتتوسط المسافة بين منابع النفط وقناة السويس . لا تنقطع امامها ناقلات النفط الضخمة ، التي اذا التقطت لها صور من قمر صناعي ظهرت كمجموعة نقط متصلة بين حقول النفط وبين مواقع استهلاكه . واتذكر ما سبق ان قاله كوجلان المقيم البريطاني وهو يحرض حكومته البريطانية على الاستيلاء على هذه الجزيرة في المرة الثانية وبعد احتلال عدن بقول : « انها ستتيح للبريطانيين فرصة التحكم في موانيء البحر الاحمر جميعا بالاضافة الى موانيء الساحل الافريقي مثل زيلع وتاجوره وزنجبار وان وضع قوة بحرية صغيرة في تلك الجزيرة سوف يكون كافيا لمراقبة المضايق وتفتيش اي سفينة تمر بها ..» .

نحلق فوق الجزيرة التي لا تتجاوز مساحتها خمسة اميال وهي على شكل حدوة حصان تتجه الى الشاطيء الافريقي . وهي اقرب الى « اللوح » الذي يمسكه الرسام ويضع عليه فرشاته والوانه . قطعت الطائرة الجزيرة من جنوبها حتى طرفها الشمالي حيث هبطنا الى جوار فنار حديث يحدد بداية الجزيرة . والى جواره مبنى القوات المسلحة ..

ابلغنا قائد الطائرة ان الطائرة ستبقى في الجزيرة ساعة واحدة ، ولم يكن لدينا وقت نضيعه ، تجولنا في الجزيرة الصخرية المنبسطة التي ليس بها اي طرق معبدة بواسطة سيارة لاند روفر . التقط زميلي المصور عدة لقطات للناقلات التي تمر في الممر الغربي ، وانتقلنا الى الممر الشرقي الذي يطل على الشيخ سعيد ، وفي الجنوب الشرقي من الجزيرة وسط الغبار يقطع السكون صوت الرافعات الضخمة ورتابة الجو القائظ ، ترى الكراكات والرافعات والجرافات مشتبكة تقيم ميناء



لم تبخل الطبيعة على جزيرة ميون الصخرية بألوان البحر الزاهية ، وبالطيور البحرية الجميلة ويظهر في اعلى الصورة المستشفى الذي تركه الانجليز خاليا من الحياة .

حديثا او لعله قاعدة بحرية محل الميناء الطبيعي الذي كان قائما في خور الجزيرة وتقف جنوب الجزيرة قطع بحرية من القوات البحرية اليمنية ، ومن علامات الجزيرة المميزة فنارها الكبير القديم الذي يقف فوق اعلى مكان في الشمال الشرقي والذي يبلغ ارتفاعه ٦٨ مترا فوق سطح البحر والذي يرشد السفن المارة عبر المضيق والذي احضرته القوات البريطانية من الهند ..

وتوقفنا عند القرية الوحيدة في الجزيرة ، قرية صيد يطلق عليها « ميون » ايضا (وهو اسم الجزيرة) وفي القرية عدد قليل من الصيادين يجففون صيدهم على رمال الشاطئ ، ويتقاسمون انصبتهم من الماء العذب الذي توزعه عليهم محطة صغيرة لتحلية المياه ، وفي القرية عدد قليل من الرجال فاغلب الرجال في هذا الوقت يعملون في اقامة الميناء الجديد وبقي عدد كبير من الاطفال ، وليس بالجزيرة مدارس ولا مستشفيات ، سوى مبنى المستشفى القديم الذي تركه الانجليز خلفهم بعد نزع كل معداته وحتى نوافذه خلال رحيلهم حسرة وكمدا على ترك الجزيرة ..!

خلاف حول التعداد

لم يكن التقاط الصور سهلا على الجزيرة فيما اكثر المناطق التي اعتبرها المرافقون « عسكرية » لا يجوز تصويرها ، اما تعداد السكان فقد اختلف حوله من التقيت بهم ، وتراوحت اقوالهم بين ٣٠٠ و ٤٠٠ نسمة ، واذا كان لدينا فسحة من الوقت لقمنا باحصائهم ، لتتمكن شركة النقل البحري التي تمون الجزيرة من القيام بعملها على اسس دقيقة ، واخذنا نسمع الحكايات من شيوخ القرية ومتعلميها ، حكايات تختلط فيها الحقيقة بالاسطورة ، واطرف ما سمعته كيف كان الاتراك يغلقون الممر المائي بواسطة سلسلة حديدية تمتد بين الشيخ سعيد والجزيرة ..

وكانت الجزيرة مقرا لاحدى شركات تموين السفن اقامتها القوات البريطانية خلال احتلالها للجزيرة ، كما كان بها محطة ارسال برقي اغلقت عام ١٩٣٦ ..

مفاتيح بوابة الدموع

ومفاتيح باب المندب موزعة على عدد من الجزر والنقاط الاستراتيجية ، وتعتبر جزيرة ميون اهمها جميعا ، يشاركها جزيرة قمران والشيخ سعيد وجيبوتي وسقطري ، وهذا دفع قوات الاحتلال البريطاني للسيطرة على الجزر المتناثرة في البحر الاحمر باعتبارها ركائز هامة :

● جزيرة قمران .. سميت قمران لان ظل القمر يظهر في بحرها كأنه قمران وليس قمرا واحدا ، وقد احتلتها بريطانيا بعد الاستيلاء على عدن بعامين اي في عام ١٨٤١ ، وتقع في مواجهة ميناء الصليف في شمال الساحل اليمني المطل على البحر الاحمر ، وكانت موضع نزاع بين اليمن وبريطانيا ، وكانت محجرا صحيا للحجاج ، وربطتها بريطانيا اداريا بمستعمرتها عدن في عام ١٩٤٩ ، وانتقلت الى اليمن الديمقراطية بعد الاستقلال ، الا ان قوات اليمن الشمالية احتلتها بالقوة مؤخرا ، وهي تقع على بعد مائتي ميل شمال باب المندب ، وعلى بعد لا يزيد على ثلاثة اميال من ساحل اليمن الشمالي ، وتعتبر اكبر جزيرة في مجموعة الجزر الصغيرة والمرتفعات الضحلة المتناثرة في الساحة المعروفة باسم قمران ..

● كما استولت بريطانيا على جزيرة كوريا موريا عام ١٨٥٦ وهي تقع امام ساحل ظفار وتتوسط المسافة بين عدن ومسقط ، واصبحت تتبع عدن التي كانت بها



معالم الميناء ـ البواخر الحديثة والحوض الجاف ، ثم الجزر المتناثرة وتظهر جزيرة العبيد التي كانت محجرا صحيا وتحولت الى جزيرة لصيد الاسماك ، وبنى عليها مصنع لتعليب السمك







احد الوجوه اليمنية المميزة



القيادة البريطانية للشرق الاوسط حتى عام ١٩٦٠ ، وانتقلت بعد الاستقلال الى اليمن الديمقراطية حتى احتلتها القوات العمانية ..

● اما جزيرة سقطري التي تقع على بعد ٢٢٠ ميلا من الجنوب الشرقي لباب المندب ، فقد احتلها البرتغاليون عام ١٥٠٧ ، ثم احتلتها القوات البريطانية عام ١٨٥٣ ، وهي الان تتبع اليمن الديمقراطية .

● ويبدو انه من الضروري زيارة المنطقة لتعرف ان جزيرة قمران انتقلت من اليمن الجنوبية الى اليمن الشمالية ، وان كوريا موريا انتقلت الى عمان ، وان الساحل المقابل لجزيرة ميون ـ الشيخ سعيد ـ تابع لليمن الشمالية ، وليست كما يظهر في العديد من الخرائط !

اسرائيل وباب المندب

وقد شهدت امواج البحر المتلاطمة هنا فصولا هامة من الصراع العربي الاسرائيلي فاسرائيل حاملة طائرات غربية احد جناحيها على البحر الابيض المتوسط والاخرى على الطرف الشمالي للبحر الاحمر على خليج العقبة . كان الفصل الاول عندما هاجم الفدائيون في يونيو عام ١٩٧١ ناقلة نفط متجهة لميناء ايلات وتحمل ٦٥ الف طن من النفط الايراني ، وقد استخدم الفدائيون في هجومهم زورقا تجاريا سريعا ..

وخلال حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ اغلقت القوات البحرية اليمنية والمصرية مضيق باب المندب في وجه الملاحة الاسرائيلية ، واستمر مغلقا خلال شهري اكتوبر ونوفمبر ، وقد تحرك الاسطول السابع الامريكي مقتربا من المضيق ، وكما ذكر وقتها فقد وضعت اسرائيل وحدات كوماندوز على جزر اثيوبية قريبة من باب المندب ..

ولم يقع اي صدام مع الاسطول الامريكي ولا مع القوات الاسرائيلية .

وقد روى لي المقدم الجلد قائد القوات البحرية في مكتبه المشرف على ميناء عدن .. قصة اغلاق باب المندب ، قال : لم يكن اغلاق باب المندب وليد الصدفة ، بقدر ما كان نتيجة تنسيق عربي طويل ، وكانت قواتنا البحرية والبرية في حالة تأهب واستعداد ، ومنذ اعلن اغلاق المضيق لم تقترب سفينة اسرائيلية واحدة ، بل لقد غيرت السفن والناقلات الاسرائيلية اتجاهها .. »

وللاهمية البالغة لمضيق باب المندب بذلت القوى الغربية عدة محاولات تهدف الى وضع المضيق وجزيرة بريم تحت صورة من صور السيادة الدولية ، ولم يكتب لهذه المحاولات النجاح .

جبال كاسنان سمك القرش

ونعود لنتوقف مرة اخرى في عدن ..

اقف على ربوة عالية وارى منظرا عاما لمدينة عدن ، يظهر شكلها المميز .. الجبال الحادة كأسنان سمك القرش ، وسهل ضيق بين الجبال والبحر ، والجزر متناثرة في الميناء ، والبواخر التي القت مراسيها في صبر ، والجوامع تشق طريقها برشاقة نحو السماء ..

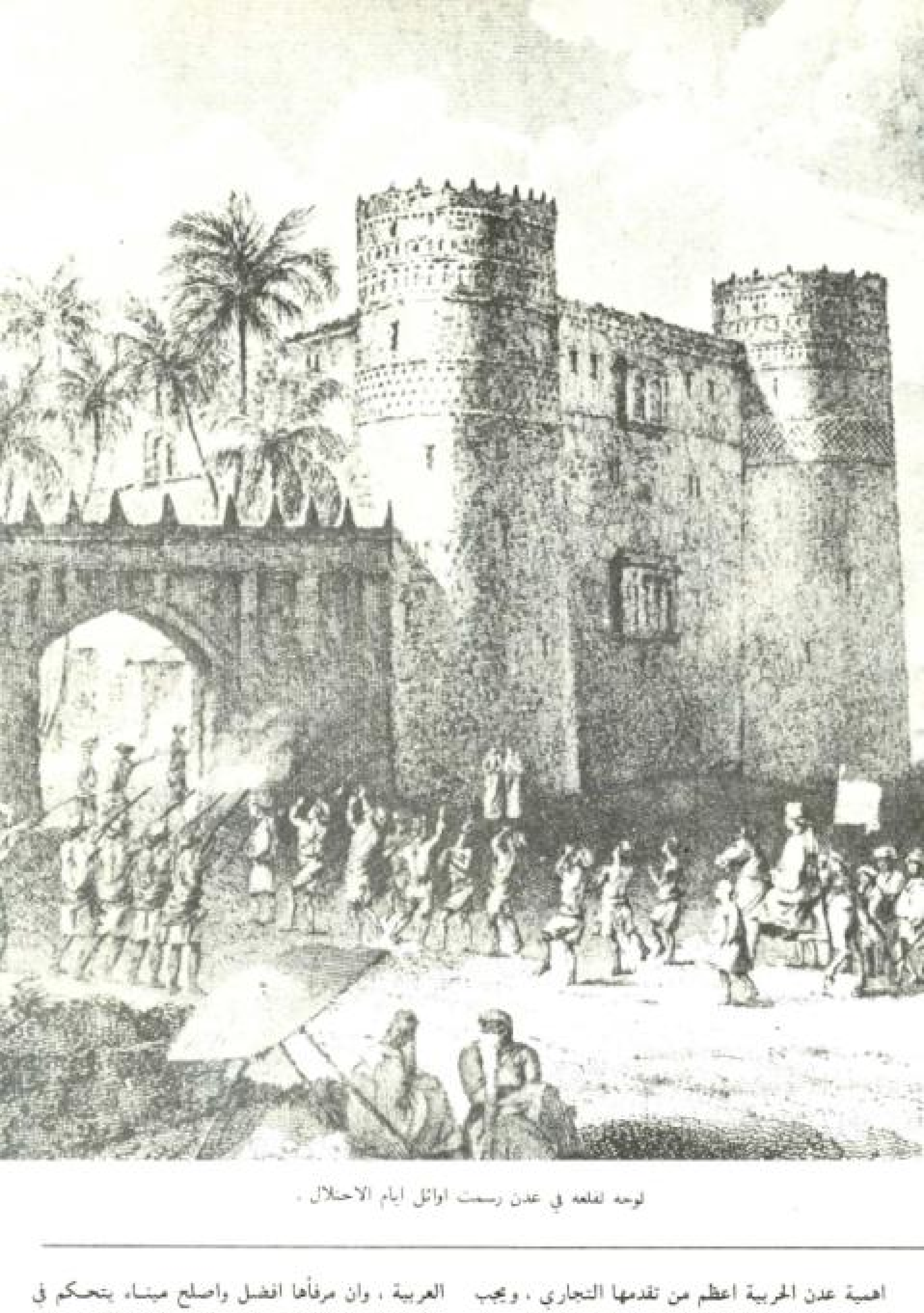
واشاهد المنظر العام للمدينة : رأسان بركانيان كالكماشة هلالا كبيرا ، ويتصلان بواسطة حزام ضيق من الاراضي ، ويصنعان معا خليجين يشكلان ميناءين صالحين لرسو السفن يقع احدهما في الشرق والاخر في الغرب ، اما في الداخل فتشكل واحة الشيخ عثمان مركزا سكانيا حافظ على الطابع اليمني القديم ..

لقد كانت عدن على الدوام احد مواقع الجذب الاستراتيجي ومطمعا دائما للدول الكبرى ، ومفتاح فهمها يكمن في تلك الاهمية الاستراتيجية ، فكانت بالنسبة لبريطانيا ، نقطة تجمع ، وبرج مراقبة ، ومدخلا لشرق افريقيا ، وقاعدة استراتيجية تحمي البحر الاحمر وطريق النفط ..

قال عنها الروائي الفرنسي بول نيزان .. « عدن نقطة تقاطع لعدة طرق بحرية محاطة بالمنارات والجزر الصغيرة المزروعة بالمدافع ، وهي احدى الحلقات في السلسلة الطويلة التي تحافظ على ارباح تجار لندن في كافة انحاء العالم وهي قطعة شقيقة لجبل طارق .. »

وقال عنها المستشرق البريطاني هارولد جيكوب .. « انها القلعة التي تلفحها الشمس ، والواقعة عند فوهة البركان ، والتي تتحكم في البحر الاحمر ، والتي اصبحت درة التاج البريطاني » .

واحتلالها وقصة حصولها على الاستقلال تكشف اهميتها الاستراتيجية وتلقي الضوء على مسارها الراهن ، فهي ما زالت تدفع ثمنا فادحا للسياسة الاستعمارية البريطانية ، ويكفي ان تعرف انه عندما تركتها بريطانيا لم يوجد خارج عدن سوى ١٤ ميلا من الطرق المعبدة ، كما احيطت بمنطقة عشائرية رأت بريطانيا تكريس اوضاعها لتصبح عدن جزيرة آمنة وسط اوضاع متخلفة ، وكانت التوجيهات التي تلقاها « هينز » الضباط البحري البريطاني الذي احتلها واصبح اول مقيم سياسي بريطاني فيها تقول .. « ينبغي اعتبار



لوحة لقلعة في عدن رسمت اوائل ايام الاحتلال .

اهمية عدن الحربية اعظم من تقدمها التجاري ، ويجب ان يكون هذا هو الهدف الاول والمنظور والمشاهد .. »

وعندما زارها هينز في اول رحلة استطلاعية قدر عدد سكانها بحوالي ستمائة نسمة من بينهم مائتان وخمسون يهوديا يمنيا ، وخمسون من التجار الهنود ، وقال .. « ان عدن يمكن ان تصبح من المدن العظيمة في الجزيرة العربية ، وان مرفأها افضل واصلح ميناء يتحكم في الطريق البري المصاحب للبحر الاحمر لموقعه المشرف على مدخله الجنوبي ..»

اما السير روبرت جرانت حاكم بومباي فقد كتب في فبراير ١٨٣٨ بصراحة يقول .. « ان اهمية عدن لا تقدر بثمن ، فيمكن استخدامها كمخزن ومحطة تموين ، وهي





يتميز البحر الاحمر بثروته السمكية الكبيرة ، مما ينعش حرفة الصيد على سواحله .



كهل فوق جزيرة ميون .

مركز التقاء ومرفأ ممتاز للسفن التي تعبر طريق البحر الاحمر والخليج والساحل المصري الغني بمنتجاته ، وعندما تصبح ملكا لنا فانها كجبل طارق تتميز بحصانتها ومنعتها من البر والبحر على السواء ، انني انظر الى الموضوع بشمول وعمق ، فهناك امتان كبيرتان تتآمران علينا وتودان القضاء على قوتنا في الشرق ، اولها روسيا وهي تتجه نحونا من خلال ايران ، والثانية فرنسا وهي آتية من خلال مصر ! وحتى نتصدى لهذه التهديدات يتحتم علينا ان نقيم مراكز دفاعية متقدمة .. » وهكذا على مر العصور كان « الامن » ذريعة التوسع والعدوان !

ويمكن ملاحظة الصلة بين مصر واليمن ، فقد جاءت بريطانيا الى عدن مرتين ، احداهما عندما استولى نابليون على مصر ، فاحتلت جزيرة بريم وسعت للسيطرة على عدن ، والثانية عندما وصل محمد علي الى اليمن ، ويقول جرين في كتابه الموجز عن تاريخ الانجليز ، ان بريطانيا استولت على عدن خوفا من قيام محمد علي بالسيطرة عليها ، وخوفا من بسط حمايته على سوريا والجزيرة العربية ، فيسيطر على الطريقين بين الشرق والغرب ، طريق البحر الاحمر وطريق وادي الفرات ويضيف .. « ولم يكن غريبا ان واجهت القوات البريطانية في عدن المجندين من الطوبجية المصريين »

يهود عدن

ومنذ ان وطأت القوات البريطانية ارض عدن وهي تواجه هجمات الوطنيين ، وخلال السنوات الاولى واجهت ثلاث محاولات رئيسية من لحج ، فشلت امام الاسلحة البريطانية التي ضربت الثوار من البواخر الراسية في الميناء ، ولا يفوتني أن اذكر في هذه المعركة الدامية ، الدور البارز الذي لعبه اليهود في عدن لمساعدة الاحتلال البريطاني ، وتكشف المصادر البريطانية جزءا يسيرا من هذا الدور ، وتذكر كيف استعان هينز باليهود واستخدمهم ، وكانت تبليغاتهم احد الاسباب الرئيسية التي ادت الى القضاء على الثوار واحكام سيطرتهم على عدن ، تلك التقارير التي كانت تكتب ـ كما يذكر جيكوب ـ باللغة العبرية حتى لا يتمكن السكان العرب من فهمها ، وكان البيت التجاري المهيمن في عدن لاحد اليهود وهو مناحيم ميسا ، وكان مسئول الجمارك من اليهود ، واوضح هينز في تقاريره .. « ان اليهود افضل العناصر التي استعان بها ، اذ كانوا يعرفون المواقع المتعددة التي يقيمون فيها ، وكانوا جزءا من نسيج



الضابط البريطاني هينز الذي الذي دخل عدن غازيا في يناير ١٩٣٩

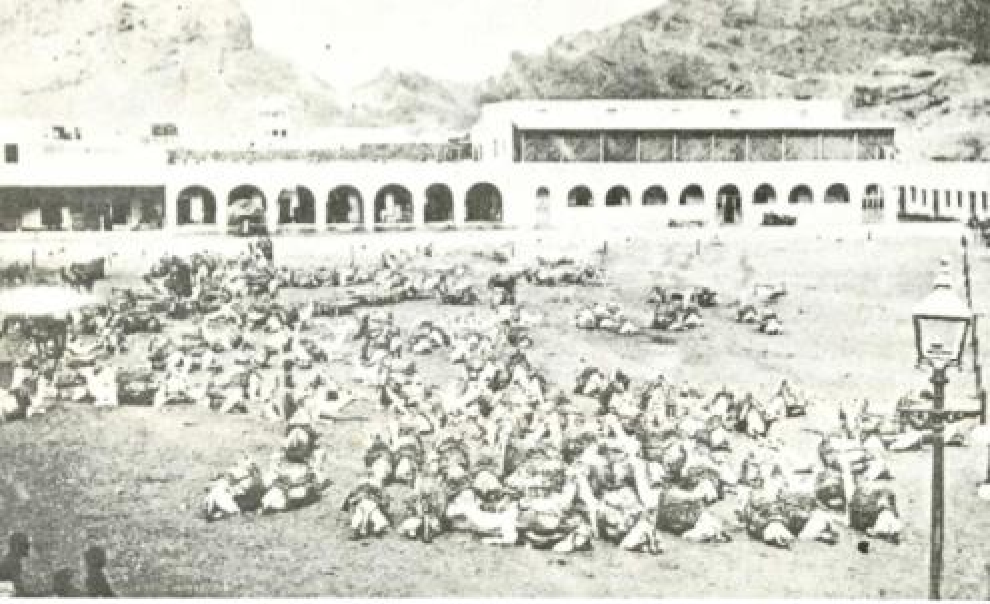
المجتمع يعملون صيارفة ومحاسبين لدى شيوخ القبائل ..» .

مفتاح عدن

اليس من الطبيعي اذن ما نراه ونلاحظه من ان عدن تحكمها اليوم عقدة الخوف على موقعها ، وخاصة وهي تئن تحت ثقل قلة الموارد والمصاعب الاقتصادية ، وهي جزء من منطقة غنية تتدفق بالنفط والثراء ، كما انه يؤرقها الحصار ، وتعيش ما يمكن تسميته بالعقدة التاريخية بما كان لها من تاريخ مجيد في الماضي ..

وتنتقل من مكان الى آخر باحثين منقبين ..

التجول في شوارع عدن وازقتها ، واري كم تغيرت عدن منذ الاستقلال ، تغير الكثير وبقي الاهالي بوجوههم المميزة المكدودة ، وازرهم زاهية الالوان ، ولم يعد مضغ القات عادة يومية ، بل تحظر الحكومة بيعه وتعاطيه خلال ايام الاسبوع عدا يومي الخميس والجمعة ، ولم تعد السيارات تمشي على اليسار كالجزيرة البريطانية ، واختفى من شوارعها ودواوينها هذا العدد الكبير من الهنود الذين كانوا يعملون في الادارة والتجارة ، ولم تعد كما كانت ارخص مكان في العالم ، فقد اختفى الازدهار الناتج عن تجارة الترانزيت ، واصبحت ترى العديد من المحلات التي كانت تمتلىء



صورة قديمة لسوق الجمال في كريتر .

بالبضاعة الاجنبية مغلقة ، بعد ان اصبحت الحكومة تقدم الخدمات للذين حرموا منها في الداخل ، ولم يعد الاجانب يسكنون حي التواهي والمعلا بل زحف اليها ابناء البلاد ، وما زالت الاكواخ على جانبي تلال كريتر عند سفوح جبال شمسان قائمة ..

والذي لفت انتباهي اختفاء العصافير وكثرة الغربان السوداء باصواتها المزعجة ، وما زال يحذر السكان من الاجنبي ، في بلد لم ير من الاجنبي سوى الرغبة في السيطرة حتى اصبح الحذر غريزيا ، بل ومقتنا !

وما زالت احياء مثل كريتر والشيخ عثمان ، تروى ايام مجد سابقة ، من خلال فن العمارة والابداع في فن التطريز للمشغولات الفضية والنحاسية ، والتي يفوح منها رائحة مجد تاريخي قديم ، بل اذا زرت الشحر او سيئون فيمكن ان تشاهد ذلك بصورة اوضح ..

خزان العرب البشري

ومن حق عدن ان تطمح ، بل ومن حقها ان تبحث عن دور يفوق حدودها ، وان تتمرد على اوضاع الفقر والتخلف ، وخاصة مع حركة الاحياء الواسعة للتاريخ والتراث الذي تشهده ، الم تكن اليمن مهد العرب وخزانهم البشري ، فمن تلك الزاوية المكتظة بالسكان ، انطلقت موجات الهجرة حتى وصلت الى سواحل البحر المتوسط ، وكانت الارض اليمنية بجبالها الشامخة والشحيحة لا تستطيع ان تنتج ما يكفي ابناءها ، فكانت مثل المضخة التي تدفع بموجات البشر بعضها وراء بعض ، ويرجع بعض علماء « الانثروبولجي » اصل سكان مصر القديمة الى هذه المنطقة التي عبروا منها البحر الاحمر الى مصر ، ويرجع الى هذا الركن من العالم سكان نجد التي يطلق البعض عليها « مصنع العرب » ، ومع انتشار الاسلام انتشر اليمنيون في العديد من ارجاء العالم القديم ، حول البحر الابيض ، والى بلاد ما بين النهرين ، وحملوا معهم الحضارة العربية الى الشرق الاقصى ..

وحتى اليوم نجد ابناء اليمن في كل دول شرق افريقيا ودول الخليج ، بل لقد وصلوا الى مارسيليا الفرنسية وكاردف البريطانية ، كما لعبت هجرة الحضارمة اليمنيين دورا تاريخيا عندما حملوا بضائعهم وافكارهم الى شرق افريقيا والمحيط الهندي ، وما زالت توجد جاليات يمنية تزيد عن ٣٠ الف نسمة تعمل بالتجارة في اندونيسيا ، وجالية اخرى كبيرة في سنغافورة .

ولكن هذا المجد التاريخي لا يعالج مصاعبهم الراهنة .

فما زالت همومهم حول امن البحر الاحمر قائمة ، وما زالت معضلاتهم الاقتصادية تبحث عن حل .. وما زالت الفجوة قائمة بين دول عبور النفط ودول انتاجه ،



قدمت حكومة عدن البواخر الحديثة وادوات الصيد لجمعيات تعاونية للصيادين . وهذا الخور امام قرية ميون ، وتظهر الفلايك ، وعدد من السكان .

اسراب الطيور الجميلة تكسر حدة الطبيعة القاسية ، والجو القائظ .







والفجوة قائمة بين الثروات والدخول وبين الاعباء والتضحيات .

فتتحدد مصادر الدخل في اليمن الديمقراطية في القليل من المنتجات الزراعية وصيد الاسماك والرعي ، ورسوم الميناء ودخل مصفاة عدن ، ويبقى العجز السنوي للميزانية كبيرا .. وهناك خطط طموحة لتجاوز فجوة التخلف ، ويتزايد الانفاق على التعليم والخدمات الصحية وبالتالي يزيد العجز المالي ..

ميناء عدن

ورسوم الميناء كانت اهم مصدر دخل لعدن ، ويهيمن مرفأ عدن على البلدة ، تزدهر بازدهاره وتتدهور معه ، الميناء ببواخره وجزره وخلجانه يشبه مدينة فينسيا الايطالية ، لا تنقطع منه الحركة ، بواخر حديثة تقف الى جوار البواخر التقليدية اليمنية القديمة .

كان اول من التقيت به داخل الميناء مدير الميناء ، مصطفى عبد الكريم مانا الذي قضى عمره يعمل فيه ويرى ايام ازدهاره ، حدثني عن المشاريع الجديدة لتطوير الميناء ليواكب حركة الملاحة العالمية : وقد تم تعميق الميناء من ٣٦ قدما الى ٣٩ قدما ، وتقام ارصفة جديدة لاستقبال الحاويات » واضاف .. « ان حركة الميناء لم تصل بعد الى ما كانت عليه قبل اغلاق قناة السويس .. »

وهذا الميناء افضل ميناء طبيعي في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وجنوب شرق البحر الاحمر ، يزدهر الميناء مع ازدهار التجارة في البحر الاحمر ، فمثلا بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، ودخول مصر ضمن الدولة العثمانية ، اخذ ميناء عدن يتراجع ، حتى تم افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ ، فاسترد ميناء عدن ازدهاره ، وخلال حرب السويس عام ١٩٥٦ هبطت السفن من ٤٥٤ باخرة شهريا الى ٩٣ باخرة ، وبعد العدوان الاسرائيلي واغلاق القناة عام ١٩٦٧ كان كل من ميناء عدن وميناء جيبوتي يحتلان المركز الرابع والسادس بين موانيء العالم من حيث عدد السفن التي تدخلها ، ولميناء عدن منافس خطير هو ميناء جيبوتي ، ومنافس اخر محلي هو ميناء المكلا .

وعدن محطة على طريق الشرق القديم اما المحطات الاخرى فهي : جبل طارق ومالطا ، وقبرص ، وقناة السويس ، وفسر مدير ميناء عدن تقلص تجارة الترانزيت بالتغيرات التي وقعت في حركة السياحة العالمية ، فلم تعد السياحة بالبواخر اقتصادية بعد التطور الهائل في حركة الطيران ، وما زال الميناء يحتاج الى مشاريع ضخمة تلاحق التقدم الكبير في صناعة الناقلات واساليب الشحن والتفريغ ، كما يحتاج الى شبكة طرق تربط الميناء بكل مراكز التسويق والانتاج .

لمن الأمن ؟!

نصل الان الى الموضوع الرئيسي الذي نحوم حوله تمهيدا للخوض فيه ، اعني به امن مدخل البحر الاحمر ، بعد ان كانت وقفاتنا في الثغور والتخوم والمفاتيح الاستراتيجية ، والذي تشرف عليه في جانبه العربي دولة مجزأة هي اليمن ، ونتساءل .. كيف يتحقق الامن ؟ ولمن يتحقق ..؟

فكثيرا ما يتناول الكتاب « الامن » بمعنى تأمين وصول احتياجات الغرب اليه بالشروط التي تناسبه ويصبح الامن هنا ، امن احدى الكتلتين الدوليتين المتصارعتين تجاه الكتلة الاخرى ، ولذلك نلاحظ ان قضية امن البحر الاحمر قد اثيرت وعقدت من اجلها المؤتمرات بعد سقوط امبراطور اثيوبيا ، وكانت مثل امن الخليج ، فكما وقع عند مضيق هرمز وقع عند مضيق باب المندب ، ففي السابق أوكل الغرب للشاه في ايران حماية مضيق هرمز ، وأوكل مهمة امن باب المندب لامبراطور اثيوبيا ، وعندما سقط الشاه والامبراطور ، تعالت الصيحات حول امن الخليج وامن البحر الاحمر ..

اما الامن العربي فمعناه امن الاقطار العربية ضد الاخطار التي تتهددها بعيدا عن التكتلات الدولية ، وبهذا لا يمكن ان يتحقق الامن عن طريق استبدال قوة دولة باخرى ، وهي الظاهرة التي يصدق عليها قول المفكر الجزائري مالك بن نبي ظاهرة القابلية للاستعمار ؛ وما يؤدي اليه ذلك بأن تصبح الاقطار العربية ساحة للصراع الدولي ، ويصبح أمنها وتطورها رهينة لدى احدى القوتين الكبيرتين ..

اما الامن العربي في البحر الاحمر فيتحقق بمواجهة التهديدات الاسرائيلية ، ومن هذا المنظور تصبح التنمية والتحديث مفاتيح رئيسية للامن العربي ، كما يصبح حل الصراعات المحلية والتوفيق بين الاهداف المتباينة مدخلا طبيعيا لتحقيق الامن العربي ..

وحدة اليمن

وترتبط قضيتا الامن والتنمية في اليمن بتحقيق

الوحده بين شطري اليمن . وخاصة بعد ظهور جيل على الجانبين ينظر الى المستقبل بثبات ويتجاوز النظم السياسية والاقتصادية ، ويستشرف مستقبل يمن مزدهرا بوحدته التاريخية ، وتشكل الوحدة اليمنية تيارا جارفا ، بل بعدا سياسيا مؤثرا على كافة الاحداث التي تشهدها كل من عدن وصنعاء ..

ولا يمكن تحقيق الامن او التنمية في نصف بلد ، ويواجه تيار الوحدة تخوفا عميقا من تزايد اتساع الجفوة مع الوقت بين شطري اليمن . بين نظامين احدهما قبلي والاخر شمولي ، احدهما له علاقة بالاتحاد السوفيتي والاخر بالولايات المتحدة ، والتخوف العميق من الاستقطاب الدولي مما يحول قضية الوحدة ، الى ما يشبه الوحدة الالمانية التي جعلها الاستقطاب الدولي مستحيلة ..

وضمن هذا السياق يصبح مشروع مثل مد خط انابيب من حقول النفط على الخليج الى مصفاة عدن بعد تطويرها خطوة هامة على طريق الامن العربي ، وهو الذي يؤدي الى رفع مستوى دخل الفرد ، ويساهم في سد الفجوة بين الذين يملكون والذين لا يملكون ..

ومن هنا تأتي اهمية المساعدات التي تقدمها الكويت لكلا شطري اليمن . وهي المساعدات التي تساهم ايضا في تحقيق الامن وسد الفجوة بين دول انتاج النفط ودول عبوره .

وتقيم اليمن الديمقرطية شبكة علاقات لتحقيق امنها وفك الحصار من حولها ، ويؤكدون ان العلاقات القائمة بين اديس ابابا وعدن قد نجحت في القضاء على الوجود الاسرائيلي في كل من جزيرة « حنش الكبرى » و « حنش الصغرى » وجزيرة ابو عيل ...

كما عقدت اتفاقية صداقة سوفيتية يمنية تحصل عدن بمقتضاها على عتاد واسلحة لعلها تمكنها من الدفاع عن هذا الموقع الاستراتيجي .

وبعد

حلقنا بالطائرة فوق مدخل البحر الاحمر وجزره ، وتتبعنا مضيق باب المندب ، وتجولنا في كل من ميون وعدن ، واعدنا قراءة تاريخ هذه المواقع الاستراتيجية ، كخطوة اولى تقفز بعدها ٢٠٠٠ كيلو متر في وثبة واحدة وتصل الى مخارج البحر الاحمر عند قناة السويس ، ونواصل تقديم البحر الاحمر موانئه وشواطئه وجزره في استطلاع قادم . ■■

مصطفى نبيل .

العلم ... والسياسة !

سألوا البرت أينشتاين : « كيف استطاعت البشرية ان تطلق الطاقة الذرية من عنانها ، ثم تفشل بعد ذلك في منع استخدامها في تدمير البشرية ؟ »

فقال العالم الكبير : « الامر في منتهى البساطة » لان السياسة يا اصدقائي اكثر تعقيدا بكثير من العلوم بكل ما فيها من معادلات وتفاعلات !! .

الردع

● توصلت احدى السيدات الفرنسيات الى طريقة عبقرية للانتصار في معركة البدانة ... فكلما تسللت الى المطبخ لتناول بعض الطعام، وفتحت باب الثلاجة ، كان اول شيء يقع بصرها عليه .. صورة لنفسها عندما كانت سمينة ملصقة في الباب !



أول صالة للانزلاق على الجليد في منطقة الخليج

استطلاع : صادق يلي
تصوير : مهدي الرشيد

في صيف الكويت القاسي . وفي حرها القائظ تحت درجة حرارة تقترب من الخمسين مئوية ، يتزحلقون على الجليد .. كيف ؟ ما هي قصة أول صالة للانزلاق على الجليد في منطقة الخليج ؟



مجموعة من الفتيات يتزلجن في الصالة المخصصة للفتيات .. والفتيان ايضا اعجبتهم لعبة التزلج على الجليد ، انهم يجدون فيها متعة وتسلية بريئة .





التزلج على الجليد .. في قلب الصحراء اصبح حقيقة واقعة ، بفضل الجهود التي بذلت في هذا المجال . فقد شعرت الكويت بضرورة توفير اقصى ما يلزم من الوسائل الترفيهية والرياضية لكافة المواطنين ، وتمشيا مع روح التقدم في كافة اقطار العالم المتحضر ومن ذلك مثلا انه رؤي تزويد مشروع حدائق الحزام الاخضر الذي يحيط بمدينة الكويت بصالات للتزلج على الجليد ، وقامت جهات الاختصاص بدراسات مستفيضة حول المشروع واتباع افضل الطرق لانجازه ، فعرض المشروع على كبرى بيوتات الهندسة في العالم ، وبعد الدراسة تبين ان العرض الذي قدمته شركة استشارية فرنسية متخصصة في هذا المجال كان متكاملا ، ويتناسب مع اجواء الكويت وبيئتها من حيث السهولة والبساطة ويعبر بوضوح عن الغرض من استخدامات المبنى ، كما روعيت النواحي الجمالية له من الداخل والخارج ، كذلك امتاز المشروع عن صالات التزلج الاخرى في العالم بكونه يتمشى مع تقاليدنا العربية الاسلامية وبيئتنا الشرقية .

رياضة التزحلق

وتقول الموسوعة البريطانية : ان رياضة التزحلق على الجليد من الالعاب الممتعة ، وقد عرفت اول ما عرفت في البلدان الاسكندنافية في القرن الثامن الميلادي ، اذ كان اللاعبون يستخدمون احذية خشبية او عظام البقر والحيوانات الكبيرة للتزحلق على الجليد ، وكان هواة هذه اللعبة يربطون ارجلهم بشرائح من العظام او الخشب حتى لا يؤدي سقوطهم الى كسر ارجلهم ، وقد اصبحت هذه اللعبة شائعة في القرن الثاني عشر في بريطانيا وبدأ الروائيون والكتاب في ذكر لعبة التزحلق كنوع راق من الفن . وقد كتب جون ايفلن في يومياته وصفا للمتزحلقين على الجليد في حديقة جيمس بارك في لندن ، كما كتب تشارلز ديكنز الروائي البريطاني الشهير مقالا في سنة ١٦٧٦ قال فيه : « انه لمن المثير حقا ان تراقب المتزحلقين . ان رياضة التزحلق رائعة ، انها غالبا ليست معروفة عند الشعب الروسي وعند اغلب الشعوب الاخرى » . ولما تحولت هذه اللعبة الى رياضة لها قوانينها وانظمتها ، اقيمت صالات التزحلق ليتمكن هواة هذه اللعبة من ممارستها والتدرب عليها طوال العام . واول صالة انشئت عن طريق تجميد المياه صناعيا كانت في حي شلسي في لندن سنة ١٨٧٦ وكانت عبارة عن حجرة كبيرة طولها ٤٠ قدما وعرضها ٢٤ قدما ثم تلتها الولايات المتحدة في هذا المجال فاقيمت اول صالة في مدينة نيويورك سنة ١٨٧٩ م اما فرنسا فقد اقاموا فيها صالة للتزحلق في مدينة باريس سنة ١٨٨٩ .

لقد أصبحت هذه الرياضة من اكبر الرياضات المحببة والمسلية للجمهور ، وبدأت فرق التزحلق جولات لها في عدة مدن رئيسية ، ومن أهم هذه الفرق فرقة





منظر عام لصالة التزلج على الجليد .

(فوليز آيس) سنة ١٩٣٦ ، اذ عرضت هذه الفرقة عروضا لمدة عشرين سنة على ما يقرب من ٤٠ مليون شخص .

ورياضة التزحلق على الجليد من الرياضات التي تقوم على العلم وعلى الفن في آن واحد ، وهي من اكثر الالعاب صعوبة ، وتتطلب مهارات خاصة ومتعددة لتحكم الانسان في جسمه بالاضافة الى المران الطويل الشاق . ومنذ الثلاثينات من هذا القرن عرف الرقص على الجليد ووضعت له القوانين ، واصبح هناك رقص حر ورقص مقنن بمجموعة من القواعد كطريقة الاستدارة والدوران من الخلف .

صالتان للتزحلق

وصالة التزحلق على الجليد التي تديرها شركة المشروعات السياحية هي إحدى القنوات التي تعمل على توفير وسائل الترفيه والسياحه وتقوم بادارة العديد من المشاريع المختلفة في البلاد .

تتكون هذه الصالة من صالتين احداها للشباب والاخرى للفتيات ، ويعتبر وجود صالتين متلاصقتين اول مشروع من نوعه في العالم . فالصالة الاولى وهي الصالة الرئيسية ذات مواصفات اولمبية تبلغ مساحتها ١٨٠٠ متر مربع وفيها مدرجات تتسع لـ ١٦٠٠ متفرج بالاضافة الى مقصورة لكبار الزوار وتبلغ المساحة المخصصة للتزحلق في هذه الصالة ٦٠ مترا طولا و ٣٠ مترا عرضا وهي نفس القياسات الاولمبية المعتمدة . لذلك فهذه الصالة مؤهلة لاستضافة المباريات الدولية . اما الصالة الثانية وهي مخصصة للفتيات فتبلغ مساحتها ١٢٠٠ متر مربع وفيها مدرجات تتسع لـ ٥٦٠

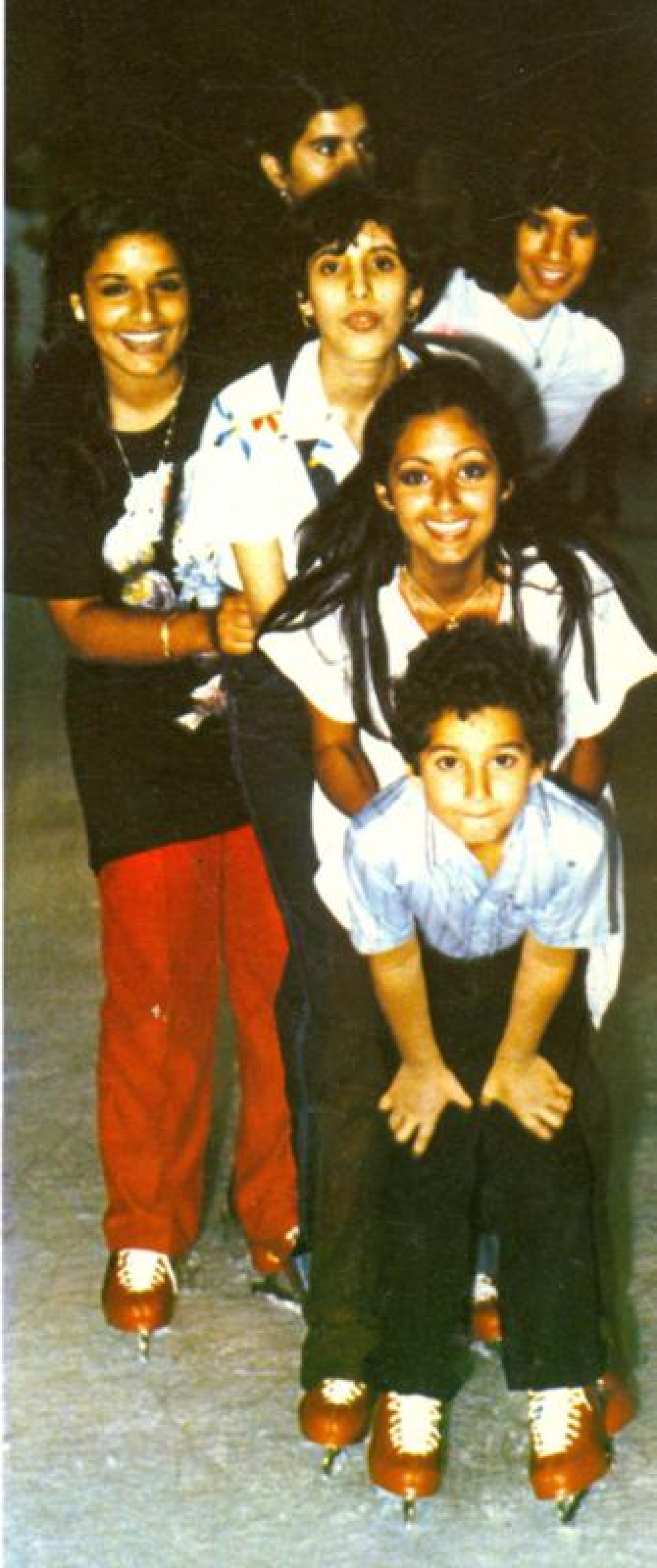
جانب من العرض الذى قدمته الفرقة الاستعراضية عند افتتاح الصالة .



● مجموعة من الفتيات والفتيان في لعبة القطار (الى اقصى اليمين) .









● رياضة التزلج على الجليد من الالعاب التي تتطلب مهارات خاصة ومتعددة كتحكم الانسان في عضلات جسمه (الى اليمين)

● افراد الفرقة الاجنبية التي قدمت عروضها يوم افتتاح الصالة (الى اليمين) .

● تتسع مدرجات الصالة الرئيسية لـ ١٦٠٠ متفرج وهنا مجموعة من المتفرجين في الصالة الرئيسية (الى اسفل)





متفرجا . وقد زودت الصالتان بكافتيريا ومطابخ لتقديم الوجبات الخفيفة للاعبين والمشاهدين على السواء كما زود المبنى بقاعات للمحاضرات والاجتماعات . وهناك وحدات خاصة لخلع الملابس واماكن لتوزيع ادوات التزحلق تكفى العدد اللازم المقدر لاستعمال الصالتين . وقد زودت الصالة بكافة الخدمات العامة الحديثة وانظمة التلفونات والبث الموسيقي وتكييف الهواء .

عبد الله القطامي رئيس مجلس ادارة شركة المشروعات السياحية : « ابتدأنا بفريق للهوكي كتجربة اولى لقيام فرق

مشروع ضخم

ولكي نتصور مدى ضخامة الاجهزة التي تعمل على تجميد المياه على مساحة ٣٠٠٠ متر مربع بارتفاع اربعة سنتيمترات بالاضافة الى تبريد الصالة وملحقاتها ، تشير الى أن الانابيب التي تقوم بتجميد المياه يبلغ طولها ٢٣ كيلو مترا في الصالة الرئيسية وعشرة كيلو مترات في الصالة المخصصة للفتيات اذ تبلغ درجة حرارة بلاطة الجليد ثماني درجات مئوية تحت الصفر . وقد روعي عند تصميم المعدات الخاصة بالتبريد أن تكون في الحجم والكفاية ثلاثة امثال نظيراتها في صالات من الحجم نفسه في دول اوربا . ولا يفوتنا ان تذكرهنا ان قيمة عقد انشاء الصالة بلغ ثلاثة ملايين دينار كويتي وربع مليون دينار لتأثيث الصالتين بالأثاث المناسب والأنوار الكاشفة ، ومعدات التزلج الحديثة ، وادوات السلامة والاجهزة الفنية . بالاضافة الى تجهيز الكافتيريات في الصالتين بالمعدات اللازمة .

ومن الملاحظ ان عدد الرواد أخذ في الازدياد مع بداية اشهر الصيف وعطلة المدارس ، فعدد الرواد يوميا يتراوح بين ٤٠٠ الى ٥٠٠ وفي نهاية الاسبوع والعطلات الرسمية يرتفع العدد اليومي الى ما بين ٩٠٠ ـ ١١٠٠ ، شخص ، علما بأن الصالة تفتح في اليوم الواحد لثلاث فترات صباحا ثم ٣ ـ ٥ ، و ٦ ـ ٨ مساء .

فريق للهوكى

وكان لنا لقاء مع الاستاذ يوسف القطامي رئيس مجلس ادارة شركة المشروعات السياحية والعضو المنتدب ، فسألناه عن مدى امكانية اقامة فرقة استعراضية للتزلج على الجليد من شباب الكويت تقدم عروضها امام كبار زوار البلاد ؟ فاجاب : ان هذه الفكرة لم تغب عن اذهاننا وهي من الأمور التي نحاول دوما تحقيقها ، بل إننا بصدد اعداد فريق للهوكي وهي تجربة اولى لنا وسوف يشترك شباب الكويت والوافدون في هذا الفريق وسوف تتبعها فيا بعد اقامة فرقة استعراضية علما بأن قيام مثل هذه الفرقة يحتاج الى أستعدادات كبيرة ومدربين وغير ذلك . ان اقامة مثل هذه الفرقة سوف تأتي كمرحلة لاحقة . وقال الاستاذ القطامي ، ان الشركة بصدد دراسة افضل وسيلة لاشتراك الافراد في صالة التزلج ، علما بأن افراد فريق الهوكي يسمح لهم بالدخول بدون مقابل ، بالاضافة الى التسهيلات الاخرى التي تقدمها لهم كالادوات الرياضية والمدرب ، فافراد فريق الهوكي لا ينطبق عليهم نظام الدخول المعتاد للصالة .

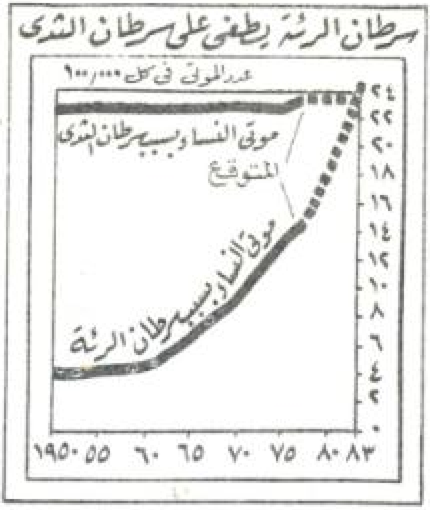
وهكذا نجحت الكويت في اقامة اول صالة للتزلج على الجليد في البلاد العربية . ■■

صادق يلى



للالعاب الاستعراضية على الجليد . » « تصوير نايف جودى »

أنباء العلم



امراض التدخين تنتشر بين النساء بعد الرجال

● اصدر كبير الجراحين في الولايات المتحدة الامريكية US Surgeon General في مطلع هذه السنة تقريره السنوي حول التدخين والصحة .. وكان موضوع هذا التقرير : التدخين والنساء . ذلك ان الاحصاءات بدأت تنذر المرأة في امريكا بمثل المخاطر والامراض التي تعرض لها الرجل في السنوات العشرين الاخيرة .. ولا يخفى ان الرجل سبق المرأة في التدخين بنحو عشرين سنة وسبقها بالتالي من حيث الاصابة بالامراض التي يسببها التدخين .. ولكن المرأة ما لبثت ان لحقت بالرجل في هذا الصدد .. فانتشر التدخين بين النساء الامريكيات وانتشرت كذلك امراض التدخين بينهن .. مع الفارق ان النساء مضين في التدخين بتسارع يفوق كل ما عرف عن الرجل .

يقول كبير الجراحين في تقريره : « تدخين السجاير الذي وجدت فيه المرأة الامريكية بشيرا لتحررها الاجتماعي ما لبث ان اصبح نذيرا لتدهورها الصحي » . ويؤكد المستر جوليوس ب . رتشموند J . B . Richmond ان المدخنات اكثر تعرضا للاصابة بسرطان الرئة من غير المدخنات بحوالي ٢ ـ ٥ مرات .. وهن عرضة كذلك للاصابة بسرطانات الحنجرة والفم والمثانة . شأنهن في ذلك شأن الرجال .. اما احتمالات اصابتهن بالنوبة القلبية فهي ضعف احتمالات اصابة الرجال بها .

وينبه كبير الجراحين الى خطر للتدخين يتهدد النساء دون الرجال .. ذلك هو خطره على الحوامل واجنتهن . فالمدخنات من الحوامل غالبا ما يلدن قبل الاوان او ينجبن مواليد باوزان ناقصة . هذا بالاضافة الى المضاعفات التي يعانين منها اثناء الحمل .. ولم يعد سرا ان نسبة الموتى بين مواليد المدخنات اعلى منها بين مواليد غير المدخنات . ويتنبأ المستر رتشموند بان سرطان الرئة سيفوق سرطان الثدي لا من حيث انتشاره بين النساء فحسب ولكن من حيث عدد اللواتي سيمتن بسببه ايضا . ولعل في الرسم البياني المرفق مزيدا من وضوح .

ما تأكله الحامل ومدى علاقته بجنس الجنين

● تصدر صحيفة لوموند الفرنسية المعروفة ملحقا طبيا يحظى بتقدير واحترام لدى الاوساط العلمية والطبية . وقد كرست الصحيفة ملحقها الصادر في مطلع شهر ابريل الماضي لنشر حصيلة الابحاث التي اجراها البروفسور جوزف ستولكوفسكي Stolkovsky في جامعة باريس ، والدكتور

(Henrion) والدكتـور بابـا (Papa) من اقطاب العاملين في مستشفى الـولادة في بورث روبال ... وتدور تلك الابحاث الخطيرة حول العلاقـة بـين الاطعمة والاجنة ، وتؤكد ان بعض المواد الغـذائية تضمـن الحمل بالذكور الى حد كبير ، بينما بعضها الاخر يكفل الحمل بالاناث ، الى حد كبير ايضـا . فالشـاي والقهـوة والمياه المعدنية .. وكذلك اللحوم والخبز والخضـار والفاكهـة .. من المشروبـات والمأكولات التـي تعطي للمرأة اذا اتجهت رغبتها الى ان يكون جنينهـا ذكرا .. ويحظر الحليب والجبـن على هذه المرأة لان اللبـن ومشتقاتـه انما يدخل في قائمة اطعمة الانوثة .. اما السكر والعسل فيسمح بهما في كلتا الحالتين . وما هذه وتلك؟ الا امثلة معدودة من القوائم المفصلة الحافلة بالـوان الطعـام والشراب التـي تسنـى للعلماء التحقيق في اثرها والتي نشرتها اللوموند في ملحقهـا باعتبارهـا اطعمة ذكورة او انوثة او اطعمة حيادية مباحة للجنسين .

اما الحقيقة الاساسية التي تثبتها وتقوم عليها تلك الابحاث فهي ان منويات الذكورة (Y) تنتعش في محلـول غنـي بالبوتاسيوم بينما تفضل منويات الانوثة (X) محلول الـكلسيوم والمغنسيوم .

اثبتـت ذلك التجـارب العـديدة التـي اجـريت على



آخر مبتكرات الكمبيوتر

● يسمي البعض القرن العشرين بعصر الفضاء ، ويسميه آخرون بعصر الكمبيوتر .. وقد سجلت السنوات الاخيرة رجحان تسمية الكمبيوتر .. نظرا لاجهزة الكمبيوتر العجيبة التي ظهرت وما زالت تظهر في امريكا واليابان وغيرها ..

من تلك الاجهزة الكمبيوتر الذي صنعوه اخيرا في الولايات المتحدة الامريكية والذي يجمع بين التسلية والفائدة ، ان لم نقل بين العاب الاندية وعلوم المدارس . وهذا الكمبيوتر الذي سموه بجدارة Intellivision يعمل باعتباره ملحقا بالتلفاز ولا يعمل الا بوصله به .. وهو مكون من جهازين (انظر الصورة) احدهما كالاة الكاتبة والاخر ذو شاشة او ما يشبه الشاشة ، تصلح لشتى الالعاب المسلية .. وكلا الجهازين معد او مبرمج لاغراض عديدة مختلفة .. ولها اشرطة يستطيع المرء اختيار ما يروق له منها . فمنها ما يقدم لك الالعاب الرياضية كلعبة كرة القدم وكرة السلة ولعبة رجال الفضاء او العاب التسلية كالشطرنج وما اليه .. لتلعب انت ورفاقك وتقضي وقتا ممتعا وانت في منزلك .

ومن تلك الاشرطة ما يلقنك دروسا كاملة في لغة انت تختارها من بين عدة لغات .. او يعلمك فنا من الفنون او غير ذلك .

الفئران والضفادع والبقر في المرحلة الاولى ، وعلى النساء في مرحلة متأخرة .. وقد احرزت هذه التجارب الاخيرة التي أجريت في احد مستشفيات باريس نجاحا كبيرا وبلغت نسبة النجاح فيها ٨١٪ . وقبل مثل ذلك في التجارب الثمانية والثلاثين التي قام بها البروفسور ستولكوفسكي والتي اصاب النجاح في ٣٢ تجربة منها .

وما زال العلماء المذكورون يوالون تجاربهم في هذا المجال .. لاسيما فيما يتصل بالعائلات التي تعاني من امراض وراثية قد تقضي على الجنين الذكر دون الانثى او بالعكس . وتشمل التجارب الجديدة فيما تشمل امرأة كانت فقدت مولودها الذكر بسبب المرض الذي عانى منه منذ البدء ، وهو الاعتلال العضلي (myopathy) .. ثم حملت ثانية فاجريت لها عملية اجهاض نظرا لان الجنين كان ذكرا ، حسبما اثبتت الفحوص الامنيوتية (Amniotic) . ثم حملت ثالثة فاجريت لها عملية اجهاض ثانية للسبب نفسه .. وقد اعطيت اطعمة الانوثة بعد ذلك وهي تنتظر الان وبفارغ الصبر مولد ابنتها .. التي لا تعاني من المرض الوراثي المذكور والتي لن تموت عقب الولادة ، كما يؤكد العلماء .



البيض المقلي المخفوق حسب الاصول

● الى الذين يفضلون البيض المقلي مخفوقا ، ولا يعجبهم الخفق اليدوي كثيرا .. اخترعت احدى الشركات الامريكية جهازا صغيرا لخفق البيض آليا (انظر الصورة) .. واطرف ما في هذا الخفاق انه يخفق بياض البيضة بصفارها وهما داخل قشرتها . ويتم ذلك بواسطة ابرة معوجة قليلا تنفذ الى داخل البيضة عبر قشرتها .. ثم تبدأ دورانها السريع بواسطة التيار الكهربائي . فلا يكاد يمضي بضع ثوان حتى تتم الابرة مهمتها وتكمل خفق البيضة وهي ما زالت داخل قشرتها .

ولعل هذا الخفق الداخلي هو ميزة هذا الجهاز .. فهو لا يتطلب غسل المزيد من الاطباق في المطبخ كما هي الحال في الخفق اليدوي العادي .

بدعة تفسير القرآن بالعلم

بقلم : الدكتور محمد رضا محرم*

بدعة العصر في التعامل مع القرآن الكريم ، ما يسميه البعض بالتفسير العلمي للقرآن .

وهي تسمية فيها الكثير من الادعاء ، ويكفي انها تحتكر لتيار تفسيري بعينه « العلمية » بينما تنزعها ـ ولو بطريق غير مباشر ـ عن بقية مناهج التفسير .

ولو تجاوزنا عن الابتداع الخطير في محاولات هؤلاء ، وترفقنا بهم ، لقلنا انهم يجتهدون لتفسير القرآن بالعلم . ولو قلنا الحقيقة المجردة بشأن ممارساتهم التي تدعى التجديد لقلنا انهم « يفسرون القرآن بالجهل » فالعظمة الحقيقية ، والاعجاز المفحم في القرآن الكريم ، انه كتاب عقيدة وتشريع ، محكم الايات ، متسق الصياغة ، مطرد الدلالة ، لا تناقض فيه ولا اضطراب ولا اختلاف ، (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) .

اما أن يزعم البعض ان القرآن يحتوى الى جانب علوم الدين سائر علوم الدنيا فذلك تزيد في القول والفهم مردود ومرفوض . وهو بالاضافة الى كل ذلك اتجاه منحرف في التفسير له جذوره القديمة التي تضرب لعدة قرون خلت في حقل التراث الاسلامي . وليس يخفي هذا القدم ادعاءات التجديد او الافراط المعاصر في اخضاع الكثير من الآيات القرآنية لبعض معارف العلم الطبيعي المحدثة .

وليس يصرفنا عن هذا الفهم ان يحتج البعض علينا بقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) . فالاية الكريمة ليست تعنى ان القرآن قد حوى كل العلوم والمعارف جملة وتفصيلا ، ولكنها تعنى اشتماله على اصول وضوابط عامة (كليات) يعمل الناس على اساس منها ، ويستهدون بها . اما التفاصيل والجزئيات فقد ترك الباب فيها مفتوحا للمجتهدين من المشتغلين بالعلوم المختلفة ، يكيفونها وفق مقتضيات الزمان الذى يعيشون فيه والمكان الذى يسعون عليه .

* استاذ مساعد ـ كلية الهندسة ـ جامعة الازهر ـ القاهرة .

وفي كتابه الاخير « الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم » يتحدث المرحوم الشهيد الشيخ الذهبي عن قدم الظاهرة في تراثنا التفسيري فيرد بداياتها الى عصر النهضة العلمية العباسية حيث ظهرت محاولات يقصد منها التوفيق بين القرآن وما جد من العلوم . ويضيف فضيلته أن هذه النزعة وجدت مركزة وصريحة على لسان الغزالي (منذ تسعة قرون) ومن سلك مسلكه من العلماء . فالغزالي ينقل عن بعض العلماء في كتابه « الاحياء » أن « القرآن يحوي سبعة وسبعين الف علم ومائتي علم ، اذ كل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك الى اربعة اضعاف ، اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع » . كما أنه يقول « ان كل ما اشكل فهمه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ، في القرآن اليه رموز ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركها » . ثم طبقت الفكرة عمليا ـ ولا يزال الكلام للدكتور الذهبي ـ وظهرت في مثل محاولات الفخر الرازي ضمن تفسيره للقرآن ، ثم جدت بعد ذلك كتب مستقلة في استخراج العلوم من القرآن وتتبع الايات الخاصة بمختلف العلوم .

اسرائيليات معاصرة

عندما كان للاخباريين والقصاص مكانة في نفوس الناس ، كانت تقولاتهم ، رغم خروجها على المألوف ، تجد هوى في هذه النفوس . فكان البعض يفرط في الاخذ عنهم ، ولا يرد لهم قولا . ومن هنا فانه بعد عصر الصحابة (عصر التحوط والحرص والقرب من المصدر المصفى والمباشر للدعوة) ، ومع مقدم عصور التابعين ، لصق بالقرآن من الروايات والقصص والاخبار مالا يتصوره عقل ، ومالا يجوز ان يفسر به كتاب الله . وقد عرفت اغلب هذه المدسوسات بالاسرائيليات ، نظرا لارتباطها المباشر بمعارف السابقين من اهل الكتاب .

و عندما احتدم الصراع السياسي بين طوائف الامة المسلمة ، راحت كل فرقة تصبغ موقفها السياسي بصبغة دينية لتفحم الفرقة (او الفرق) المناوئة . وبحثت كل فرقة عن دعم قرآني لموقفها . ومن هنا ظهرت محاولات معتزلية ، واخرى شيعية ، وغيرها خارجية .. لتفسير القرآن .

ومع ازدهار حركة الترجمة والاطلاع والتعرف على الثقافات الاجنبية ، وبلوغها الاوج في بدايات العصر العباسي ، انتقلت اخلاط من التراث الصوفي الهندي والفلسفي اليوناني الى الثقافات العربية الاسلامية ، وراجت الافكار التصوفية (المستوردة) في العالم الاسلامي في منتصف القرن الثاني الهجري . وكان لا بد وان تنتقل اثار كل هذه الدخائل الى تفسير القرآن الكريم . فظهرت مناهج التفسير الصوفي النظري ، والتفسير الاشاري الفيضي . وكلها اتجاهات تخرج بالقرآن ـ في الغالب ـ عن هدفه الذي يرمي اليه ، وتؤدي في النهاية الى خدمة الفلسفة والنظريات التصوفية ، دون ان تقدم للقرآن شيئا الا هذا التأويل الذي كله شر على الدين والحاد في آيات الله ، كما يقول المرحوم الشيخ الذهبي .

وفي عصرنا الحديث ظهرت للعلم سطوة وسيطرة ، واصبح التمسك به والتمسح في أعتابه دليل استنارة وفهم ومعاصرة . ومن هنا كان انبعاث وتضخم اتجاه قديم كان يبحث عن العلوم في صفحات المصاحف . واستهوت اللعبة الكثيرين من أهل العلم الطبيعي ومن أهل العلم الشرعي على حد سواء .

واقتحم الميدان كثيرون لا هم من هؤلاء، ولا هم من اولئك .

وقد كان في الامكان التغاضي عن هذه الظاهرة القديمة المحدثة ـ بل والقبول بها ـ لو انها وقفت عند حدود المعقول ، واتبعت القصد في فهم بعض آيات القرآن في ضوء انجازات العلم المعاصر دون مبالغة او افتعال او تشويه للنص القرآني . ولكن أن تبلغ الامور حدود الافراط السفيه في الفهم ، والتأويل المريض للنص ، والخلط القبيح بين الخرافة والعلم ، ويحتاج الامر الى الوقفة الصادقة ، والعزمة الشجاعة خاصة من المسلمين الذين حصلوا حظا وافرا من علوم الدنيا التي اوشك التوظيف السيء لمعطياتها أن يملأ كتب الدراسات القرآنية ومحاولات التفسير الحديثة بالكثير مما يمكن تسميته « الاسرائيليات المعاصرة » .

فرجل علم طبيعي ، يحمل درجة الدكتوراه ، ويهوى الحديث عن عوالم الجن والملائكة ، ويقدم احصاءات باعداد القاطنين في هذه العوالم ! . يؤمن باتصال عالم الجن بعالم الانسان ، ويعتقد فيما يسمى بالمس ! ، ويتساءل عما اذا كان هذا المس بالجسد ام بالروح ؟! . ولانه ـ بحكم شهاداته ـ رجل علم فانه يقطع ان هذا المس بالروح ، ودليله العلمي في هذا الشأن ان الجان الذي خلق من نار لو مس انسانا بالجسد لاحرقه ! . مثل هذا الدكتور المنتسب الى العلماء ، لا يخاطب بالمنطق العلمي ولكنه يخاطب بمنطق الشخص . والنصيحة التي

توجه اليه اذا التقى بواحد من اصدقائه أن لا يأخذه في الاحضان والا غبر ملابسه . فصديقه هذا انسان ، والانسان خلقه الله من تراب ! . وويل له من مس صديقه اياه اذا اصاب هذا الصديق بلل من مياه المجاري في الشوارع او نزل عليه عرق من زحام المواصلات فتحول التراب الى طين !

وعالم دين في مصر ، محدث لبق ، ملء السمع ملء البصر ، يحدث ان علماء الارض والكيمياء قد قدموا الدليل على ان آدم مخلوق من تراب . فبتحليل التراب وجد انه يتكون من عناصر أساسية هي نفسها العناصر المكونة للجسم البشري ! . وبمنطق العلم الطبيعي نتحدث الى رجل العلم الشرعي . فالتراب في مصطلحات العلوم ليس له تركيب كيماوي ثابت ، ذلك لان اي تجمع من الحبيبات الدقيقة للمعادن (المكونات الاساسية للقشرة الارضية) أيا كانت نوعياتها يمكن تسميته ترابا . واذا قيل ان المقصود هو التراب المكون من معادن الطين بصفة خاصة ، فحسب علمي ، وانا من اهل التخصص ، ان هذه المعادن تتكون كيماويا من سليكات الالمونيوم المائية . وحسب علمي ايضا ، وارجو ان يردني الى الصواب اهل التخصص ، فان السليكون والالمونيوم ليسا من المكونات الاساسية لجسم الانسان ! . فاى تراب هذا الذى يؤذينا عالمنا الفاضل به ، ويجرنا تحت سحاباته الى تفسير عملية الخلق المعقدة (الدليل الاكبر على القدرة الالهية) بمعارفنا العلمية الساذجة ؟ ! . وبلغة اهل الشرع نسأل : اليس من الخطأ ان نخضع - ولو بغير قصد - خالق الناموس لفعل الناموس الذى هو من خلقه ، وان نحاسب صانع القوانين بما نكتشفه نحن من هذه القوانين ؟!

الاعيب المفسرين بالعلم !

الحرفية (او التكتيك) في اعمال انصار التفسير العلمى للقرآن ، تقوم على اساس من عدة مغالطات ، بعضها علمى ، وبعضها الاخر دينى .

❋ ففي الجانب العلمى يتغافل هؤلاء عن التفاوت بين الفرضية ، والنظرية ، والقانون . فالقانون علاقة محددة تربط برباط الضرورة بين الظواهر او بين عناصرها . اما النظرية فانها صياغة (عمومية) لتفسير اسباب وكيفية حدوث الظواهر . في حين ان الفرضية تفسير اولى للظواهر يقوم على التخمين والمعقولية ولو لم يمكن اثباته . فالنظرية والفرضية كلتاهما اذن قابلة للتعدد وقابلة للتغيير ايضا . وبالتالى فان في تفسير القرآن بهما تعريضا له هو ايضا للتعدد والتبديل .

وقد يزعم مفسرونا المحدثون هؤلاء انهم لا يستخدمون الا ما ثبتت صحته من مكتشفات العلم لتفسير القرآن . ولكن الملفت للنظر ان البعض ممن يقفون وراء هذا الزعم لا يستنكف - على سبيل المثال - ان يفسر قوله تعالى في سورة الانبياء : « او لم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » احدى الفرضيات البشرية التي تبحث في اصل الكون وتزعم انه بدأ في صورة غاز واتربة ودخان يملأ الفضاء وينتشر فيه ، ثم راح يتكدس في بؤرات تحت تأثير الدوامات والجاذبية ليكون الاجرام السماوية والكواكب التي نراها ، وهذا يعنى أن الارض والسماء كانتا متصلتين ثم فصل الله بينهما .. فهل يجوز بناء هذا الاستنتاج الخطير على فرضية تقوم على التخمين ، كما انها موضع خلاف شديد بين العلماء ؟!

وحتى لا يبقى البعض مصرا على امكانية استخدام القوانين في تفسير القرآن ، بوصفها اعلى معارفنا العلمية انضباطا وقبولا ، فاننا ننبه الى ان سمة العلم الحديث انه نسبى ، وان كل ما فيه قابل للتغيير حتى القوانين ، ويكفى ان نذكرهم فقط بان قوانين نيوتن التى تحكم حركة الاجسام صحيحة تماما من الناحية الشكلية ولكنها مبنية على التقريب الكبير اذا ما درست في اطار النظرية النسبية الخاصة .

❋ أما في الجانب الدينى فان مغالطات هؤلاء تبدأ بالتزيد والمبالغة والتعميم . فاذا صادفتهم آية تتحدث عن الشمس او القمر او النجوم فذلك دليل على تضمن القرآن علم الفلك . واذا قرأوا كلاما عن الجبال اقحموا علوم الجيولوجيا عليه . واذا تعاملوا مع قول عن الرياح والسحاب والماء والانهار فذلك في عرفهم ووفق فهمهم فيض من علوم الرصد الجوى ، والنبات ، والحيوان ، والتغذية ، والرى ، والهيدروليكا .. الخ .

ولعل من اطرف ما يذكر في هذا الصدد ان واحدا من الذين يسرفون في مسخ القرآن باسم العلم ، عندما عرضت له آيات كريمات من سورة الغاشية يقول فيها الحق تبارك وتعالى : « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الارض كيف سطحت » علق يقول بالحرف الواحد « وهذه هى علوم الاحياء ، والفلك والجيولوجيا والجغرافيا كما نعرفها الان » !!!

وهم ايضا يلجأون الى نزع الايات القرآنية من سياقها ويسيئون تفسيرها حتى تلتقي مع هواهم . فعندنا يتحدث الحق تبارك وتعالى عن مشاهد يوم القيامة ، حيث تتوقف القوانين الكونية وتتعطل النواميس ، ويصف الجبال التي يظنها الناس ـ من شدة الهول ـ ثابتة بانها تمر مر السحاب ، فذلك في رأيهم دليل على اتفاق القرآن مع العلم الحديث بشأن دوران الارض .

ثم انهم يعمدون ايضا الى التأويل السخيف لصرف النص القرآني عن دلالته المباشرة كمثل زعم بعضهم بان قوى الطرد المكزى وقوى الجاذبية هي الاعمدة غير المرئية التي ترفع السماء فوقنا والتى عناها الله تبارك وتعالى في قوله « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » .

وعندما يصل بنا تحليل ابتداعات هؤلاء الى هذا الحد ، فان سؤالا حول الموقف الصحيح للمسلم المعاصر من الاشارات القرآنية الى المشاهد والظواهر الكونية قد يثار ، واذا أثير فلا بد من اجابة .

مشاهد الطبيعة في القرآن

« سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » .... (فصلت ـ ٥٣)

« قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » ...... (العنكبوت ـ ٢٠)

توجيه قرآني صريح باعتماد المشاهدة والنظر وسائل لادراك الابداع في خلق الله . فاذا أضفنا الى ذلك الدعوة المتكررة في كتاب الله للتفكر في الكثير من المشاهد التفصيلية في الطبيعة والتى تعرض للانسان في حياته اليوميه ، كالليل والنهار ، والمطر والسحاب ، والبحار والانهار ، والارض والجبال ، والابل والانعام ، والشمس والقمر .. الخ ، لا دركنا ان احد المداخل الى تأكيد الايمان او تنميته او ايقاظه يتمثل في المتابعة الواعية المتعلقة المتدبرة للموجودات المادية في الكون .

وتوجيه القرآن ـ لمن يفقه ـ يؤكد ان البحث عن حقائق الكون والقوانين التي تضبطه يتم بالسير في الارض او النظر في الافاق ، وليس يتم بالنظر في آيات القرآن وسوره ، وتلك هي نقطة الخلاف الاولى الاساسية مع الذين يزعمون ان القرآن جمع علوم الاولين والاخرين .

فاذا سرنا في الارض ، ونظرنا في الافاق ، وتحقق لنا بعض ما نقصده من الكشوف العلمية ، وتوصلنا الى تأكيد بعض النظريات او القوانين التي تفسر وتحكم مشاهد الطبيعة التى نراها او نتعامل معها ، فمن وجهة النظر الدينية ، نكون قد وصلنا الى موضع العظة والعبرة والتفتنا الى آيات قدرة الله ودلائل وحدانيته . أما ان يلجأ البعض الى تجاوز هذا الهدف ، واتباع الخداع والتحريف ، ومحاولة رد هذه المكتشفات ـ باثر رجعي ـ الى القرآن ، والادعاء بانها قد وردت فيه بكل خباياها وبكل تفاصيلها ، فذلك زعم يستحيل القبول به ، ويحرم السكوت عليه . وتلك هي نقطة الخلاف الاساسية الثانية مع اصحاب بدعة تفسير القرآن بالعلم .

ومنهج القرآن ، ومنطقه ، واسلوبه في عرض المشاهد الكونية يرجح ما اذهب اليه . فالقرآن باعتباره كتاب هدى ودعوة يوجه الحديث الى الناس كافة ، على اختلاف ثقافاتهم ، او تفاوت الوعي لديهم ، وتعدد تخصصاتهم ولما كانت العبرة والعظة والتسليم بقدرة الله هي الامور المستهدفة من العرض القرآني ، فان ما يطرحه القرآن في هذا الصدد لا يعدو ان يكون مشاهدات يومية يدركها الجميع ، ولا تخفى عليهم لمحة الابداع فيها ، وليس في وضع اى منهم ان ينكر النظام المحكم الذى تجرى على اساس منه . وليس يلزم ان يكون الانسان متخصصا او باحثا او حتى (متفذلكا) ليصل الى ادراك كل هذا او بعضه .

ولنقف على سبيل المثال امام قوله تعالى في سورة يس « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » . مثل هذه الحقائق يعرضها القرآن في هذه الآيات لا يستدعى ادراكها ولا التسليم بها ان يكون الانسان على معرفة بعلم الفلك ، ولا بقوانين حركة النجوم والكواكب ، ولا بنظام المجموعة الشمسية او العلاقة بين افراد هذه المجموعة ، ولا بدوران الارض حول الشمس ، او دوران القمر حول الارض ، او الاوضاع النسبية بين هؤلاء جميعا بكل ما يترتب عليها من تحولات الليل والنهار ، وتغير الصورة المرئية للقمر من بدر الى هلال ... الخ . وبالتالى فان اكتشافنا اللاحق للقوانين التي تحكم هذه الظواهر الكونية ليس يضيف شيئا الى مدلولات النص القرآني ، مالم يتوفر قصد الافتعال . كما انه ليس

يزيد او ينقص من الانبهار الذى اصاب المؤمن الذى التفت الى هذه الظواهر . ذلك لان العظمة في آية ظاهرة تتمثل في وجود الظاهرة ذاتها وليس في اكتشاف القانون الذى تقوم عليه . واذا كانت هناك قيمة وراء اكتشاف القانون العلمى الذى تطرد على اساس منه العلاقة بين مجموعة من الظواهر او تعمل وفقا له ظاهرة ما ، فانها تكمن في كون هذا الاكتشاف شهادة محدثة بعظمة وتمكن وتطور العقل البشرى . اما عظمة خالق الظواهر وخالق القوانين التي تحكمها فانها عظمة ازلية ، كانت قبل وجود هذه الظواهر ، وثبتت بوجودها ، وقبلها العقل الانساني وسلم بها منذ بدأ الانسان يلمس هذه الظواهر ويتعامل معها ، حتى ولو لم يدرك كنهها او يفهم القواعد التي تعمل وفقا لها .

والنتيجة المنطقية لكل ما تقدم ان المصادمة بين حقائق العلم وبين نصوص القرآن غير واردة . ذلك لان القرآن الكريم قد اقتصر على توصيف الظواهر ، بينما احال ما يتعلق بتفسيرها او تقنينها الى التدبر والتعقل وما يشابهها من القدرات التي أودعها الله ـ جلت قدرته ـ خلقه من بني الانسان . وحسب المسلم تمسكه بهذه القاعدة البسيطة ، حتى لا يجهد نفسه في غير نفع في مطاولة العلم بالقرآن ، اوتشويه القرآن بالعلم ، او افتعال التوفيق بين نصوص القرآن الواضحة المباشرة وبين نظريات العلم المعقدة المتغيرة . ■■

د . محمد رضا محرم

فراسة شعرية

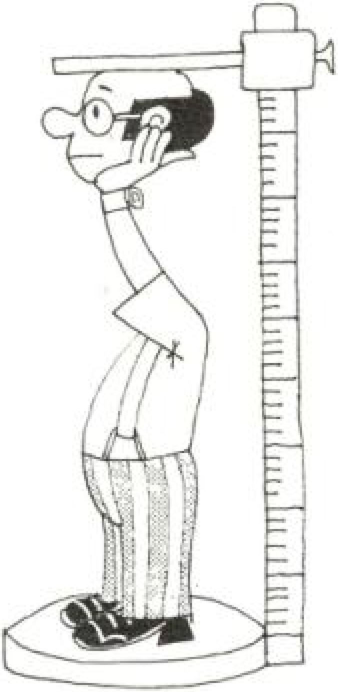
● حكى أن رجلا كثير المال اصطحب معه عبدين في سفر لـه ، فلما توسط الطريق هم لعبدان بقتل سيدهما وسلب أمواله ، فلما أيقن السيد ماعزما عليه قال: اقسم عليكما ان كان لابد لكما من قتلي أن تذهبا الى داري وتنشدا ابنتي هذين البيتين فقال العبدان : وماهما ؟ قال السيد :

من مبلغ بنتيّ أن أباهما
لله دركما ودر ابيكما

فقال احدهما للاخر : ما نرى فيه من بأس !

فلما قتلاه جاءا الى داره ، وقالا لابنته الكبرى : ان اباك قد لحق به ما يلحق الناس ، وأنه أمرنا أن نخبركما بهذا البيت من الشعر ٠ وانشداها البيت فقالت الكبرى ما أرى فيه شيئا تخبراني به ، ولكن اصبرا حتى أستدعي أختي الصغرى وكانت أديبة لبيبة ٠ فانشدتهاالبيت فخرجت حامرة الرأس وقالت : هذان العبدان قتلا أبي يامعشر العرب ، قالوا : وما الدليل عليه ـ قالت : المصراع الاول يحتاج الى ثان والثاني يحتاج الى ما يكمله ، ولا يليق أحدهما بالاخر ٠ قالوا : فما ينبغي أن يكون ؟ قالت ينبغي أن يكون هكذا :

من مبلغ بنتي أن اباهما
أمسى قتيلا بالفلاة مجندلا
لله دركما ودر ابيكما
لايبرح العبدان حتى يقتلا

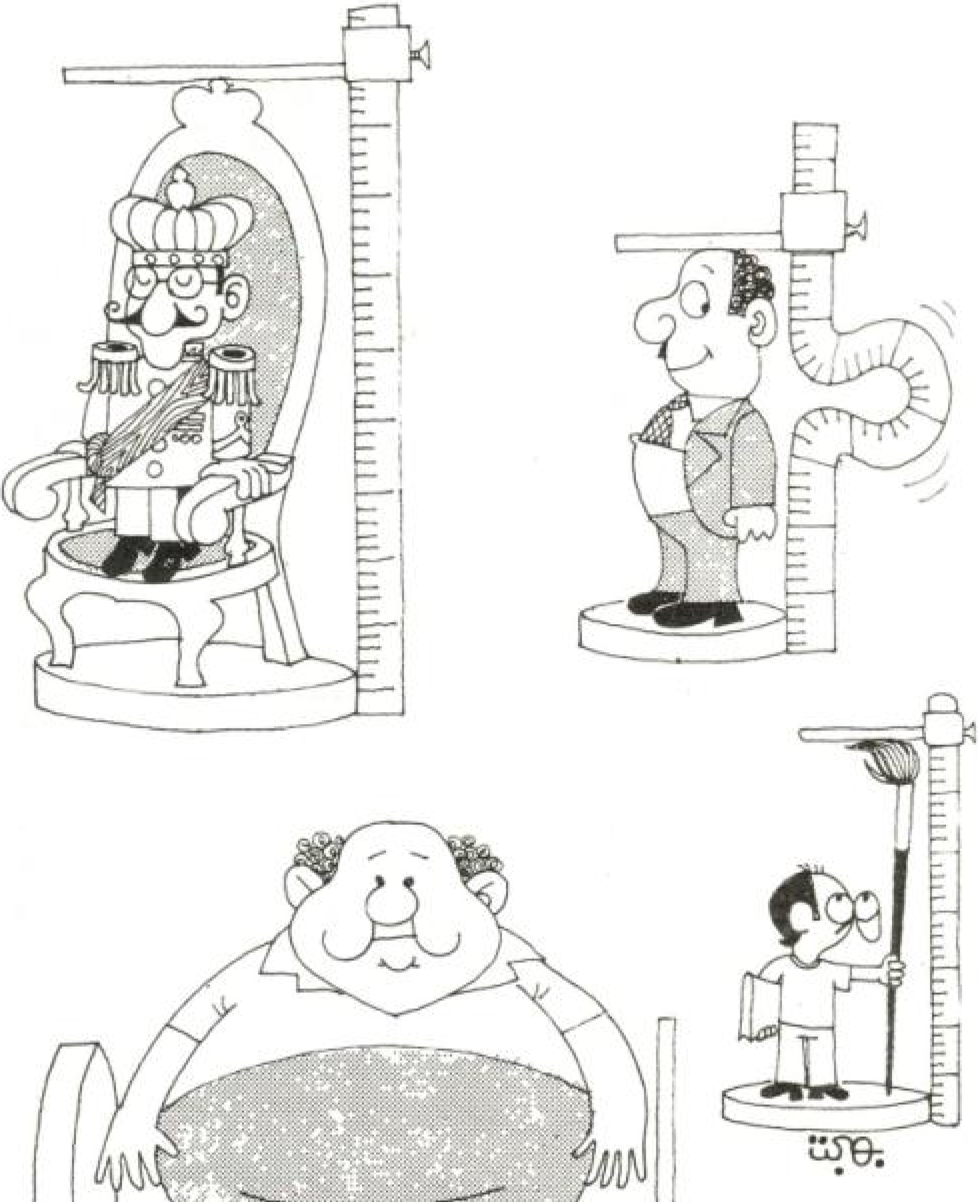


الناس أطوال

ليس المهم أن تكون طويل القامة
الأهم هو أن تعيش مرفوع الهامة






بهجت

نكسة علمية

بدأ العلاج بالحشيش



١٠٠ ألف أمريكي يتعاطون سجائر الحشيش رسميًا كدواء

بقلم : الدكتور السيد عماد

الاستاذ بكلية الطب ـ جامعة اوهايو

انه حقا موضوع الساعة في عالم الدواء والعلاج . اذ يوجد اليوم في امريكا اكثر من مائة شخص يدخنون سجائر الحشيش او الماريوانا علنا وبتصريح رسمي حكومي بل ويصرف لهم الصيدلي التذكرة الطبية على حساب الخدمات الصحية القومية . والدواء هو سجائر الماريوانا . ويقول احد هؤلاء المرضى واسمه روبرت راندل (٣١ سنة) انه لولا هذا العلاج لاصيب بالعمى من مرض الجلوكوما وانه يتعاطى الدواء في شكل عشر سجائر يوميا او ما يعادل اوقيتين ونصفا من الماريوانا اسبوعيا .

كما بينت الابحاث ان الحشيش يمكن ان يكون ايضا علاجا ناجعا لحالات القيء الشديدة الناتجة عن علاج مرض السرطان بالادوية المضادة للسرطان . واليوم يطالب الكثيرون في امريكا بتشريع يبيح استعمال الحشيش . وبالطبع بعضهم يطالب باباحة استعماله كدواء والبعض الآخر يطالب باباحة استعماله للتدخين من اجل الكيف والمزاج .

ويبدو ان كل شيء اصبح ممكنا في هذا العالم المجنون . ففي خلال السنوات الماضية عندما كنت اقوم بالقاء محاضراتي في علمي الصيدلة (الفارما كولوجيا) والسموم كنت اذكر هذه الخصائص الفارما كولوجية للحشيش والتي اثبتتها التجارب المعملية . وكنت اقول مداعبا ومتهكما ، ربما يأتي اليوم الذى يكتب فيه الطبيب تذكرة طبية تحتوى على سجائر الحشيش ويقوم

الصيدلي بصرف لفائفها بدلا من علب الدواء !

ونعود الى عالم ما قبل المدينة الحديثة ..

نعم لقد استعمل الحشيش كدواء منذ آلاف السنين لعلاج الأرق والآلام ، وكمهدىء ومنوم . وبعد التقدم العلمي الرائع في ابحاث وصناعة الدواء وبعد ان ظهرت خطورة الحشيش الاجتماعية . اصبح هذا المخدر دواء « غير محترم » وحرمت معظم دول العالم زراعته او الاتجار فيه او حيازته او استعماله . وتتراوح العقوبات في ذلك بين دولة واخرى وفي الولايات المتحدة الامريكية اعتبر استعمال الحشيش خروجا على القانون سنة ١٩٣٧ بتعديل قانون هاريسون للمخدرات الصادر في عام ١٩١٤ والذى كان يحرم الافيون والكوكايين

الاسرائيليون اسبق .. في الحشيش

ومن الاهمية بمكان ان نبين ماهية الحشيش وتاريخه . فالحشيش او الماريوانا هما اسمان لنبات واحد هو القنب ـ همب ـ الكانابيس (cannabis sativa) وهو نبات حولى يزرع في غرب ووسط اسيا والمناطق الحارة والمعتدلة بافريقيا وامريكا الجنوبية وامريكا الشمالية . ولقد عرفت زراعة الحشيش منذ اكثر من ثلاثة آلاف عام في الصين والهند ثم انتقل الى منطقة الشرق الأوسط ثم دخل امريكا واوروبا في عهد نابليون . وكان الغرض من زراعة الحشيش هو تاثيره النفسي واستعمال اليافه في صناعة الحبال والملابس والخيام واستخراج الزيوت من بذوره لصناعة البويات وكعلف للماشية . ومن الافتراءات التي تنسب الى العرب القول بأنهم الذين نشروا استعماله مشيرين بذلك الى فرقة القتلة او الحشاشين .

لكن الوثائق التاريخية تبين ان اسم كانابيس هو الاسم الاغريقي للنبات وان الحشيش استعمل منذ اكثر من ألفى عام في مناطق حول برلين في المانيا . وان ذكر الحشيش واستعماله ورد في المخطوطات الاسرائيلية القديمة وان الاسرائيليون كانوا اسبق من العرب بمراحل في استعماله .

ونبات الكانابيس يوجد على شكل مذكر وعلى شكل مؤنث . والنبات هو الذى يحتوى على المادة الفعالة للحشيش في قممه المزهرة . وتوجد المادة الفعالة في هذه الزهور على شكل مادة راتنجية (resin) . وهو ما يعرف باسم الحشيش وتختلف نسبة هذه المادة في النبات المزروع في الهند ـ ٢٠٪ وفي المكسيك ١٥٪ وفي امريكا ٨٪ . والحشيش الهندى يتكون من الزهور فقط بينما الانواع الاخرى تتكون من الزهور والاوراق والاعناق . ولهذا فكمية الحشيش بها اقل نسبيا والمادة النقية الفعالة في الحشيش امكن فصلها والتعرف عليها كيمائيا وتعرف باسم تتراهيدروكا نبينول tetrahydrocannbinol . وقد امكن تحضيرها معمليا هي ومشتقاتها وهو ما يعرف بزيت الحشيش . وطبقا لتقرير لجنة المخدرات بالمجلس الاقتصادى والاجتماعي للامم المتحدة فان نبات الحشيش او الماريوانا (mari guana) منتشر بصورة خطرة في انحاء العالم في امريكا الشمالية والجنوبية وافريقيا وجنوب شرق آسيا والشرق الاوسط ، وكما اوردنا سابقا في اوروبا ايضا . ويعرف في كل هذه البلاد باسماء مختلفة مثل البانج او جانجا في الهند واحجا في جنوب افريقيا .

وجدير بنا ان نبين التأثيرات الفارماكولوجية للماريوانا اى تأثيرها على وظائف الجسم الفسيولوجية وعلى الحالة النفسية والجهاز العصبي . والماريوانا تستعمل عن طريق التدخين بحرقها على شكل سجائر او عن طريق وسائل خاصة مثل « البايب » وفم السجائر .

وطريقة التدخين هي الطريقة السريعة والفعالة حيث يمتص الدخان عن طريق الرئتين بسرعة كبيرة ويصل الى الدم والقلب ، حيث يوزع بعد ذلك على المخ والجهاز العصبي واجهزة الجسم المختلفة . ويظهر مفعول الحشيش بعد عدة دقائق من تدخينه ويستمر حوالى ثلاث ساعات واذا استعمل الحشيش عن طريق الفم فان تأثيره يكون ضعيفا . وحتى المادة الفعالة النقية في الحشيش تتراهيد روكانبينول فانها ايضا ضعيفة المفعول اذا اخذت بطريق الفم او الحقن ولا بد من تدخينها مع السجائر مثلا .

وتدخين الحشيش يسبب زيادة في دقات القلب وجفاف الحلق والفم والتدخين المزمن يسبب احتقان والتهاب الانف والشعب الهوائية واحتقان واحمرار العينين وارتخاء الجفون .

واما عن تأثير الماريوانا النفسى والعصبى ، فان الماريوانا أو الحشيش يمكن ان تنطوى تحت ادوية الهلوسة والتي تسبب الهلوسة والاختلال النفسي والعاطفي وهو ما يعرف بحالة (psychosis) ويحدث الحشيش حالة من الشعور بالانسجام والارتفاع « high » وزوال الخجل وانسياب الافكار والميل الى الضحك في وجود الأخرين والهدوء والصمت في حالة الانفراد . ويحدث اختلال في

تقدير الزمان والمكان وتبدو الحوادث والاشياء كأنها بطيئة او سريعة عن معدلها ويحدث فقدان جزئي للذاكرة وميل الى النوم مع احساس شديد بالجوع وميل شديد نحو الحلوى وزيادة في الرغبة الجنسية . ومع زيادة كمية الحشيش التي تدخن تحدث حالة من جنون العظمة والاحساس الكاذب بالاهمية او بالقوة (paranoic) والهلوسة . وفي حالات نادرة جدا قد يحدث فقدان الوعي وتوقف التنفس

التأثير على القلب

والماريوانا او الحشيش لا تسبب الادمان اى الاعتياد الجسماني على المخدر بحيث اذا ما منع استعماله اصيب المدمن بحالات شديدة من الهيجان والتشنجات والبكاء وعدم القدرة على مواصلة الحياة مثل ما يحدث في حالة ادمان المورفين او الكوكايين والكحول . ومع هذا فان الحشيش يحدث نوعا من الاعتياد والسيكلوجي اى التعود عليه بحيث يشعر المدخن بالضيق اذا لم يدخن الحشيش .

ويجدربنا ان نشير الى اثر خطر للحشيش اتضح مؤخرا وهو ان الحشيش يزيد من احتياج القلب للاكسوجين وان تدخين الحشيش يساعد على ظهور الازمات القلبية والذبحة الصدرية بعد التعرض لمجهود عضلي . وقد اثبتت الابحاث الحديثة ان ان تدخين الحشيش يقلل من مناعة الجسم ضد الفيروسات والفطريات والاصابة بالسرطان .

ولكن ما هي الاغراض العلاجية التي يمكن ان يستعمل فيها الحشيش كدواء ؟

١ ـ علاج مرض الجلوكوما (glaucoma) وهو مرض ارتفاع ضغط العين ومن اعراضه الزغللة ورؤية دوائر ملونة حول الاشياء المرئية والم شديد في العين . وقد يؤدي المرض الى فقدان البصر ويعرف هذا المرض باسم المياه الزرقاء نظرا لان لون العينين يصبح داكنا . وتوجد في الصيدليات ادوية عديدة تعالج هذا المرض بنجاح وتخفض ضغط العين مثل قطران البيلوكاربين والازرين ودواء الدياموكس المدر للبول وكذلك شرب الجلسرين وحقن المانيتول بالاضافة الى الدواء الجديد الدايميلول (dymelol) وذلك غير العلاج الجراحي في بعض الحالات . وقد وجد ان الحشيش له اثر فعال وانه علاج ناجح في حالات الجلوكوما .

٢ ـ علاج القيء الشديد والغثيان اللذين يحدثان كنتيجة لعلاج مرض السرطان بالأدوية المضادة للسرطان . وقد اجريت البحوث على مجموعة كبيرة من المرضى وثبت نجاح الحشيش في علاج ومنع القيء والغثيان . وبالطبع توجد ادوية عديدة في الصيدليات للتحكم في القيء والغثيان . ويقول بعض المؤيدين لاستعمال الماريوانا في هذه الحالات ان مريض السرطان قد لايتحمل الاثار الجانبية لهذه الادوية وان اضرار الحشيش الجانبية اقل بكثير من ناحية الخطورة والتأثير على الحالة الجسمية لهؤلاء المرضى .

٣ ـ وجد ان المادة النقية في الماريوانا لتتراهيد وكانابينول توسع الشعب الهوائية وقد تكون ذات مفعول علاجي في حالات الربو اذا ما اخذت طبعا بطريقة اخرى غير التدخين الذي يساعد على حدوث الازمات الربوية .

٤ ـ التأثير المنوم او المهدىء ، وبالطبع توجد عشرات من الادوية المهدئة والمنومة اقل خطورة وضررا من الحشيش .

وفي الوقت الحالي تتركز جهود المؤيدين لاباحة استعمال الحشيش كدواء على استعماله في البندين الاولين : علاج الجلوكوما وعلاج القيء في مرض السرطان . وفي ولاية اوهايو في شهر فبراير (شباط) من هذا العام وافق المجلس التشريعي على مشروع قانون بالتصريح باستعمال الحشيش كعلاج لمرض الجلوكوما . ويقول النائب الذي قدم هذا القانون ان الغرض منه هو غرض انساني وواقعي .

وجهة نظر !

ورغم ان الدكتور فردريك كابتانسكي استاذ مشارك امراض العيون لا يوافق على ذلك ، ويقول ان هناك ادوية كثيرة فعالة لعلاج هذا المرض ، الا انه شكلت لجنة من أخصائيين في ثلاثة فروع : علم النفس وطب العيون وامراض السرطان لانتقاء حالات المرض وصرف الماريوانا لهم بالمجان في شكل سجائر او كبسولات او قطرات للعين ، وعلاجهم تحت اشراف الولاية والحكومة الفيدرالية . وفي جامعة اوهايو في الشهر ذاته عقدت ندوة اشترك فيها ممثل الاتحاد الامريكي للحريات المدنية السيد دون روتين والدكتور جوزيف بيانكين استاذ الطب والادوية والعلاج ، واتفق الاثنان على تقنين استعمال الحشيش وان كانا يختلفان في الغرض من تقنينه . فممثل الاتحاد الامريكي للحريات

المدنية يرى ان الماريوانا متداولة فعلا بين الشباب وأن لكل فرد الحق في فعل ما يراه مناسبا له . وان اباحة استعمال الحشيش ستؤدي الى خفض اسعاره وتوفير الاموال التي تصرفها الدولة لمكافحة الحشيش والتفرغ لمكافحة الجرائم الاخرى . بينما يرفض الدكتور جوزيف بيانكين ذلك ، ويقول انه يؤيد اباحة استعمال الحشيش من اجل العلاج وليس المزاج . ولقد ناقشت الدكتور جوزيف بيانكين في هذا وقلت ان هذا مبدأ خطير لان الادوية الحالية ممتازة في فعاليتها العلاجية وان التصريح باستعمال الحشيش سيؤدى الى زيادة انتشاره وقد اتفق معي على ذلك .

والذى لاشك فيه انه من الممكن حل المشكلة بمنطق آخر ، فاذا كان العلاج بالماريوانا ضروريا ، فليس هناك ما يمنع من تحضير مشتقات منه لها فاعلية علاجية بدون تأثير نفسي وعقلي مثل ما حدث في انتاج عشرات من الادوية من مشتقات المورفين .. هي التي تستعمل في علاج الكحة والاسهال دون أن يكون لها تأثير مخدر او تسبب الادمان . وجدير بالذكر ان احدى المحاكم الفيدرالية في واشنطون قد رفضت في ذلك الشهر ايضا القضية التي رفعتها المنظمة القومية لاصلاح قوانين الماريوانا ، والتي طالبت فيها بعدم تجريم استعمال الحشيش للمزاج .

انني ارفض رفضا قاطعا استعمال الحشيش بأى وسيلة . لان التصريح به سيؤدي الى زيادة انتشاره وزيادة الكمية المستعملة منه وبالتالي زيادة اثاره الضارة والمدمرة . كما انه سيكون خطوة اولى للقفز نحو باقي المخدرات الخطرة .

كما انني ارفض فكرة المطالبين بتقنينه اجتماعيا على اساس ان الخمر مباحة قانونا ، وهي اكثر ضررا . ورغم ان هذا القياس ليس واردا من جانبنا ، لان الدين الاسلامي يحرم الخمر ، واذا كان تدخين السجائر له تأثير جسدى ضار ، فان هذا لا يعني ان يكون مبررا لاباحة الحشيش . لان مكافحة التدخين على اشدها في كل البلاد . كما اننا لم نسمع ان مدخنا للسجائر اعاقته معوقات نفسية او عقلية عن اداء عمله كما يحدث تحت تأثير الماريوانا . كما انه من الثابت قطعا ان تدخين الماريوانا يؤثر في مقدرة الفرد على قيادة السيارة والتحكم فيها مما يسبب حوادث قاتلة .

وطبقا لتقرير للجنة المخدرات في الامم المتحدة عام ١٩٦٥ فان تعاطي الحشيش يساعد ويسهل على ارتكاب الجريمة ، وخصوصا اذا كان تدخين الماريوانا مصاحبا لشرب الخمر والمخدرات الاخرى . كما ان مدخن الحشيش يعرض حياته وحياة الآخرين للخطر عندما يتوهم تحت تأثير الحشيش بانه قادر على السير فوق الماء والقفز من اعلى البنايات ، او كأن يمشي وسط الانوار الكاشفة للسيارات المسرعة .

وانه لغريب حقا ان يكون المطالبون الآن باباحة استعمال الحشيش او الماريونا من اجل الكيف والمزاج من طبقة المثقفين والطبقات العليا التي كانت تعتبر تدخين الحشيش عملا لا يليق الا بالطبقات الدنيا من المجتمع وبغيرهم من المنحرفين خلقيا ونفسيا ! ■■

اوهايو . السيد عمار

● ذهبت فتاة فرنسية الى مركز الشرطة وادعت ان شابا يعاكسها في الطريق ويهددها بالضرب . فطمأنها الضابط قائلا : لا تخافي يا ابنتي سنلقي القبض عليه ونزجه في السجن . فاجابت الفتاة على الفور : ولكني لا اريد منكم ان تسجنوه .. اريد ان تقبضوا عليه وتسلموه لي ... فقد وعدني بالزواج !

● مر سائح في قرية وشاهد عددا من القرويين جالسين بهدوء فوق مقعد وحاول ان يتحدث اليهم ولكن لم يجاوبه احد منهم فقال السائح :

« هل هنالك قانون في قريتكم يمنع الناس من الكلام » ؟! وهنا اجابه احدهم « لا يوجد قانون غير اننا متفقون على ان لا يفتح احدنا فمه للكلام الا اذا كان متأكدا من ان ما سيقوله افضل من السكوت » !



رابليه

أبو الفكاهة الفرنسية الأصيلة

بقلم : الدكتوره سامية احمد اسعد

فرانسوا رابليه F. Rabelais كاتب فرنسي عاش في القرن السادس عشر وتميزت مؤلفاته بالفكاهة والسخرية والنقد اللاذع ، وهو اول من أرسى دعائم القصة الفرنسية القصيرة ، ووضع لها تقاليد راعاها كتاب هذا اللون الادبي من بعده ، بقدر قد يكثر او يقل . ظلت حياة رابليه غامضة في كثير من نواحيها حتى يومنا هذا . بل ان تاريخ ميلاده لا يزال يدور حوله خلاف كبير ، يقول البعض انه ولد عام ١٤٨٣ ، في حين يقول البعض الآخر انه ولد عام ١٥٠٢ ، والمعروف انه درس اللاهوت واصبح راهبا ، ودرس الانسانيات كما درس الطب ، بل ومارس تلك المهنة وابرز ما في حياته حبه للتجوال والسفر ، ولقد قام بعدة رحلات داخل فرنسا وخارجها ، خاصة في ايطاليا .

نشر رابليه اول كتابيه « بنتجرويل » (١٥٣٢) لهدف واحد ، الا وهو الترفيه عن البشر المساكين ، والمرضى منهم بالذات ، ولم يول اهمية كبرى لكتاب لا يعدو ان يكون وسيلة لقضاء لحظات مرحة تقضي على المزاج المكتئب .

بنى رابليه كتابه على غرار قصص الفروسية التي عاشت في نهاية القرن الخامس عشر . بدأ بالحديث عن طفولة « العملاق » بنتجرويل ، ثم روى اعماله الخارقة للعادة . ثم جر القارىء الى عالم خيالي بحت ، لا شيء فيه يقبل التصديق ، ومشبع بالروح الشعبية الخالصة .

ويشعر القارىء ان هذا الكتاب كتب بسرعة ، ومن ثم ، كان افتقاره الى الوحدة والترابط . فنحن نرى رابليه ينقل بلا مبرر مركز الاثارة من البطل بنتجرويل الى تابعه بانورج . كما ان الدراسة النفسية فيه سطحية لا تنفذ الى اعماق الشخصيات .. مع ذلك ، نجد في الكتاب رابليه كله ، خاصة نقده الواقعي لعيوب عصره ، ولقد جاءت فيه صفحة فريدة من نوعها ، ذات اثر عميق الا وهي خطاب جرجنتوا الى ابنه بنتجرويل ، حيث نلمس لهجة صادقة متحمسة يتكلم بها انسان شاب انتشى اذ اكتشف مصادر المعرفة .

مغامرات الأب والابن

تصحب ميلاد بنتجرويل معجزات غريبة ، والطفل من الكبر والثقل بحيث قضى على امه بعد ولادته ، يتمتع العملاق الشاب بقوة هائلة وشهية مفتوحة دائما . وعندما شب ، وحان الت لتعليمه دعاه ابوه الى زيارة جامعات فرنسا ، ثم استقر الرأى على ايفاده الى باريس للدراسة ، يطيع بنتجرويل اباه ، ويدرس ويصبح عالما في القانون ، قادرا على الاشتراك في اعضل المناقشات ويتلقى ، اثناء وجوده في باريس الخطاب سالف الذكر الذى يتعدى اثره ومداه القصص الضاحكة التي يتألف منها نسج الكتاب . وفي باريس يلتقي بنتجرويل ببانورج ، الانسان الضاحك المرح ، وتربطه به صداقة متينة ، ويعجب بخياله الخصب بصفة خاصة ، وبانورج شخصيه لطيفة ، ماكرة ؛ فريدة من نوعها ، تفتقر الى التحفظ والمبادىء في آن واحد . يعلم بنتجرويل باختفاء ابيه الذي نقل الى بلد الساحرات ويغزو « الديسود » بلده يوتوبيا . وهنا ، تبدأ قصة اعماله الخارقة للعادة ، يهب بنتجرويل لنجدة مملكته ، ويقضى على ستمائة وستين فارسا مسلحا بالطوب وعلى قائدهم ، ويغزو بدوره ارض الديسود وبناء على نصيحة بانورج ، يأسر ملك الغزاة ، ويزوجه من امرأة عجوز .

بعد عامين من ظهور الكتاب الاول نشر رابليه « جرجنتوا » (١٥٣٤) ، حيث روى مغامرات الاب بعد مغامرات الابن ، مستخدما ذات الموضوع ، موضوع العمالقة ، لكن بمزيد من الفكاهة . ونواياه هنا اعمق من سابقتها بكثير ، وان ظل الاطار هو هو ، واحتفظ السرد بشكله الشعبي الفكاهي . طفولة عملاق طيب واعماله الخارقة للعادة ، لكن الكتاب لم يعد مجرد عمل لطيف للتسلية ، والترفيه ونسيان الآلام ، فهو يفتح الآفاق على





بعض المشاكل الخطيرة التي كانت تشغل الاذهان آنذاك وهكذا ازدادت اهميته وبعد مداه ، وتحول من مادة فكاهية الى مادة تدعو الى التفكير والتأمل . ويبدأ الكتاب بمقدمة رائعة من حيث الحركة يدعو فيها المؤلف القاريء الى البحث عن المعنى الحقيقي الخفي الدفين وراء الاحداث الخيالية . وفي الوقت نفسه ، يحذر القاريء الساذج من التفسيرات الخاطئة المبالغ فيها .

وميلاد جرجنتوا معجزة مثل ميلاد ابنه تماما . فلقد خرج من اذن امه اليسرى وفي اول صرخاته ، طلب الشراب ، فما كان من ابيه الا ان صاح : « يا له من حلق كبير » ، سمي المولود جرجنتوا اى ذو الحلق الكبير .

السوربون في القفص

وعندما بلغ سن الدراسة ، عهد به ابوه الى عجوزين جعلا منه انسانا مجنونا ، ابله حالما كسولا . لكن ، سرعان ما تولى امر الفتى مرب آخر ، يدعى بونوكراتيس . بدأ هذا الاخير باصطحاب تلميذه الى باريس ، حيث اراد ان يطبق عليه المنهج التربوى الذي كان متبعا في الجامعات آنذاك . وفي الطريق ، مر الاثنان بمقاطعة « لابوس » ، حيث داعب الذباب ذيل الفرس التي يركبها جرجنتوا ، فطردته بضربة من ذيلها جردت على اثرها كل اشجار المنطقة من اوراقها . وفي باريس ذهل الشعب اذ رأى ضخامة العملاق جرجنتوا ، واحاط به ، فما كان من العملاق الا ان اغرق ٢٦٠ الفا من الباريسيين في « بوله » ، ونزع اجراس كاتدرائية نوتردام ليزين بها عنق فرسه فارسل الشعب اليه اكبر اساتذة اللاهوت في السوربون سنا ، واكثر علما وغرورا . وهكذا اتيحت لرابليه الفرصة للسخرية من السوربون واساتذتها ـ التي كانت قد ادانت كتابه الاول بدعوى البذاءة والاخلال بالحياء .

كان لا بد من ان يصحح بونوكراتيس اولا الاخطاء التي ارتكبها اسلافه من الناحية التربوية . ولكي يعرف مصدر الداء ، قرر ان يدع جرجنتوا يتصرف على سجيته بعض الوقت ، وهنا تجد نقدا لاذعا للتعليم الديني الذي كان يعطى للتلاميذ آنذاك ، تعليم آلي شكلي ، مجهد ، يتنافى مع كافة المبادىء الصحية . يحرص بونوكراتيس على الا يضيع تلميذه ساعة واحدة من ساعات النهار . ويرى ان الاهتمام بالصحة وتنمية الجسد لا بد ان يسيرا جنبا الى جنب مع تربية العقل ، على ان تستوحي هذه الاخيرة المناهج السليمة ، وتتبع مبدأ اوليا : عدم فعل اى شيء نتيجة للضغط ، وفعل كل شيء بحرية تامة ، وعدم الفصل بين التعليم والحياة كما انه لا ينسى التربية الدينية والاخلاقية ، في هذا البرنامج الحافل ، بل يعطيها اهمية اولى .

وبينما يواصل جرجنتوا دراسته في باريس ، تنشب « الحرب البكروكولية » على ارض ابيه . والمسرح الذي تدور عليه احداث تلك الحرب ليس خياليا قط لانه ذلك المسرح او ذلك الاطار الذي قضى فيه رابليه طفولته ، لقد عاشت ، في الآفاق التي الفها المؤلف ، كائنات حقيقية كما عاش فلاحون فرنسيون على شاكلة الرعاة الذين تخيلهم رابليه في قصته .

يستولي كل من جنون الغزو والميل الى الخصام والشجار على بكروكول ، ويجعلانه يأتي اعمالا خرقاء ، ذلك ان الحرب الوحيدة المشروعة في نظر رابليه ، هي الحرب الدفاعية ولا ينبغي ان يلجأ اليها الحاكم الا بعد ان يستنفد كافة محاولات السلم ، قدم والد جرجنتوا بعض التعويضات . لكن ما من شيء يوقف بكروكول في جنون المعركة ، هذا بالاضافة الى النصائح السيئة التي يسديها له حكامه .

يهب جرجنتوا لنجدة ابيه ، ويصل الى قصر هذا الاخير . ويهاجم الجميع المكان الذي يختبيء فيه بكروكول ، وينتصرون عليه ، وتحين ساعة المكافآت : يكافيء جرجنتوا وابوه الأب جان الذي قاوم الغزاة بشجاعة ، يكافئونه بانشاء دير له يطلق عليه دير تيليم ، ويستبعد منه رجال القانون ، والمرابون ، والغيورون والمنافقون ، ومن يدعون التدين ، ولا يؤمه الا القوم الاحرار والفرسان والنبلاء ، الخ ...

ويتجلى مثل رابليه الاعلى بوضوح في القاعدة التي يسنها للحياة في الدير ، قاعدة لا تقوم الا على ثقة لا حد لها في الطبيعة البشرية الطيبة ، اذا ما سنحت لها فرصة التفتح . ويوصي المؤلف بالايمان العميق ، وتنمية الذات ، والمثل العليا الانسانية التي اكسبها الايمان طابعا روحانيا ، وذلك بدلا من الصرامة والقسوة وممارسة الدين ممارسة آليه تفقده معناه عندما تقتصر على ترديد بعض العبارات .

ما رحلة الحياة ؟

تكونت مادة هذين الكتابين خلال حياة رابليه كلها ، مما وضعته الصدفة في طريقه . فهي مزيج من الاساطير الشعبية ، والذكريات الشخصية ، والتلميحات المعاصرة ، والدراسة الدينية والدنيوية ، والقديمة والحديثة من كل ما رآه وسمعه ، خلق رابليه عالما جديدا هو صورة طبق الاصل من العالم الذي نعيش فيه . لم يراع المؤلف الزمان والمكان ، وكثيرا ما يحدث هذا في القصص الخرافية ، بل خلق زمانا ومكانا يناسبان شخصياته العملاقة ، صحيح ان هذه الشخصيات تتحول الى كائنات بشرية ، لكن هذا لا يؤثر على قدرتنا على تصديق ما يرويه لنا المؤلف لان العالم الذي يخلقه لنا هو ذلك العالم الذي نجده في الاساطير الشعبية ، لقد تعمقت دراسة رابليه وتشعبت لكنها لم تقتل فيه الكاتب « البدائي » ، وهذا شيء نادر .

وتتخلص عبقرية رابليه في عبارتين : الكلمة والرواية ، فهو يرى اولا وقبل كل شيء . وذاكرته ذاكرة ترى وكذا خياله . والصورة هي الشكل الذي تتخذه عنده الفكرة ، والصورة تنادي الكلمة . ورابيله صاحب اكبر قدر من الكلمات استخدمه كاتب فرنسي . كما ان لغته تعكس عالم عصر النهضة وحضارته . بها سجل المؤلف كل شيء : الدراسة ، والتجربة والفن ، والحياة الاجتماعية والشعبية والعادات ، والمعتقدات ، والامثلة السائرة ، والاساطير . انها لغة نابعة من الارض الفرنسية الاصيلة ، بكافة لهجاتها واسلوب الكتابين موسيقى ، شعبي في اغلب الاحيان ، ساخر متهكم دائما . ويمكن ان نقول ان كل ما كتبه رابليه محاكاة تهكمية لقصص الفروسية ، و« الالياذة » و« الاوديسة » والضحكة عند كاتبنا ضحكة صريحة ، لا تخفي وراءها شيئا ، وقد لا ترضى اصحاب الذوق الرفيع في كثير من الاحيان .

نتوقف بعد ذلك عند بعض الاعمال الهامة والكتاب الذين تأثروا برابليه ، مباشرة او كتبوا القصة القصيرة وفقا للروح والقواعد التي وضعها لها واخترنا بالذات المؤلفين الذين كتبوا قصصا خيالية قصيرة يبرز فيها دور اللغة او الضحك او السخرية او الخيال . فتلك ، كما رأينا ، الاسس الرئيسية التي يقوم عليها كل ما كتب رابليه .

هل يغلب الشر ؟

لنقف اولا عند القصة الفلسفية القصيرة التي كتبها فولتير عام ١٧٥٩ واطلق عليها « كانديد او التفاؤل » . تربى شاب يدعى كانديد ، اى الساذج في منزل احد البارونات وقضى احلى ايام حياته برفقة معلمه بنجلوس الذي علمه أن العالم حسن لان كل سبب يفضي الى افضل النتائج بطريقة حتمية ، تسير الامور على هذا النحو حتى يأتي يوم يحل فيه الاضطراب محل الطمأنينة التي كان يعيش فيها كانديد ، اليوم الذي يفاجئه البارون فيه بين احضان ابنته كونيجوند ، يركل البارون كانديد في مؤخرته ، ويطرده من القصر ويظل الشاب متنقلا بين البلدان ، ويتبين ان هذا العالم لا يتفق الا قليلا مع العالم الذي صوره له بنجلوس . وسواء حط رحاله في ايطاليا ، او انجلترا او فرنسا ، وجد نفسه مضطرا لان يقر ان الشر يغلب على الخير بطريقة وحشية وكلما تقدمت به السن ضاعت آماله واوهامه ، يصبح كانديد لعبة في يد القدر ويذوق الذل والهوان . كل هذا وبنجلوس الذي يظل أصم امام الواقع الى جواره . ويكسب كانديد اصدقاء جددا : مارتان الذي يناقض مذهبه مذهب بنجلوس على طول الخط ، وكاكمبو المخلص . وينتهي المطاف بالاربعة الى القسطنطينية . ووسط هذه المحن لا يجد كانديد حتى لمسة العزاء التي كان يمكن ان يقدمها له الحب . تلحق به كونيجوند لكنه لا يجد ما يقوله لها حقا ، خاصة انها اصبحت عجوزا مملة . يفكر بطلنا في الانتحار لكنه يقابل تركيا حكيما يعلمه كيفية احتمال الحياة . أن ينسى المرء العالم ما امكنه ذلك ، و« يزرع حديقته » . ويحاول كانديد من الآن فصاعدا اتباع هذه النصيحة .

لا ينبغي ان نخدع بكل هذا ، لان « كانديد » ، في الواقع ، كتاب جدلي يرفض فيه فولتير نظرية التفاؤل التي نادى بها الفيلسوف ليبنيز ، وتتلخص في العبارة الآتية « ليس في الامكان احسن مما كان » . يعارض فولتير هذا المبدأ . فاذا كان الله قد خلق العالم في افضل صورة ، فهذا لا يعني ان هذا العالم خال من العيوب . مثل هذه النظرية تميل حتما الى تخدير العقول ، سواء رضينا أم لم نرض . وبمجرد ملاحظة الوقائع تبين لنا ان كل شيء يتنافى مع التفاؤل سالف الذكر . يندد فولتير بنفاق البشر ، وميلهم الى الشر وحماقتهم ، ويندد في الوقت نفسه بفوضى الاحداث ، والنظم السياسية ، والدينية ، والاجتماعية اللامعقولة ، وفي الطريق يواجه بعض اخطاء الفكر الانساني التي طالما ناصبها العداء : حب الحرب والنزعة العقائدية ، وعدم التسامح بين الاديان ، الخ ...

« كانديد » اذن ملخص للكون ، يسخر فيه الكاتب



من نظرية ليبنيز الفلسفية كما قلنا ، ويجعلنا نشعر اننا زائلون ، خاصة ان فولتير يظل بعيدا عن شخصياته ، صحيح انه يشير الى ملاذ لنا من هذا التشاؤم ، ترمز اليه الحديقة التي يمكن ان نقارنها بالنيرفانا الهندية ، لكن هذا ايضا هو السبيل الوحيد الباقي . وتظل قضية الشر كاملة . ولا يشتمل الكتاب على اى دراسة نفسية لان احداثه لا تهدف الا الى ابراز الرسالة التي يدافع عنها المؤلف ، ويتميز باسلوب خال من البيان يحاكي الطبيعة ، ويتسم بالوضوح والدقة والتوازن .

الملهاة الانسانية

وفي القرن التاسع عشر كتب بلزاك « الملهاة الانسانية » ، وكتب ايضا مجموعة قصصية اقل شهرة من هذا العمل الكبير ، نشرها فيما بين ١٨٣٢ و ١٨٣٧ واستعاد فيها طريقة الرواة الفرنسيين القدامى واستخدم لغتهم ، وتشتمل المجموعة على قصص خفيفة جمعها المؤلف تحت عنوان « قصص فكاهية » ، يدين بلزاك حقا بهذه المجموعة لرابليه ، فلقد قلد مكره الخالص واسلوبه الساذج ظاهريا ، وحشية الخالية من الافكار المسبقة ، ووضع المرادفات جنبا الى جنب كما كان يحلو لسلفه ان يفعل . ويفخر بلزاك بانه من مقاطعة « لاتورين » مسقط رأس رابليه بل ان رابليه نفسه بطل احدى هذه القصص ، في مجموعته يعالج بلزاك الموضوعات التي عالجها الرواة التقليديون الذين يدعون عادة بمدرسة بوكاشيو : الزوج الخائن او الزوجة الخائنة ، والآثام التي يرتكبها الرهبان والقساوسة ... الخ .. وتسبق كل قصة مقدمة فكاهية لطيفة ، وبطلة اول وآخر قصة هي امبريا الجميلة ، المحظية ، الشهيرة التي عاشت في عصر النهضة ، لكن بلزاك ينقلها الى العقد الاول من القرن الخامس عشر ، وتتناول قصة اخرى الحب المتبادل بين صاحبة القصر والغلام الذي يعمل في خدمتها وتدخل بعض القصص الاخرى عنصرا خارقا للعادة بطريقة جميلة محببة ـ مثال ذلك قصة بعنوان « وريث الشيطان » ، او تستسلم للكتابة المجنونة المرحة ، مثلما في « اقوال راهبات بواسي » .

يستخلص المؤلف من كل قصة تعليما او عبرة ، كما كان يفعل المؤلفون القدامى غالبا ما يسخر فيها من الدين والاخلاقيات التقليدية ، بلهجة شك محببة سيلجأ اليها اناتول فرانس فيما بعد وبالرغم من قدم لغتها ، فان هذه المجموعة تنتمي الى المزاج الذي ساد القرن التاسع عشر بصفة عامة ولقد سايرت هذا التيار الروائي الماكر الذي لا يحترم شيئا ويمتلىء بنداءات موجهة الى التقاليد الفكاهية الساخرة التي ارساها رابليه وبعض من سبقوه في هذا السبيل .

ثم نقفز الى القرن العشرين لنلتقي باثنين من اكبر كتاب القصة القصيرة في فرنسا مارسل ايميه ، وريمون كينوه ، لقب الاول « برابليه القرن العشرين » ، وتميز الثاني باستخدام اللغة الشعبية الدارجة كما فعل رابليه من قبل .

بدأت شهرة مارسيل ايميه بين الحربين الاولى والثانية . ودلت مؤلفاته على انه قاص يستخدم لغة حلوة المذاق ساخرة كل السخرية ، قريبة كل القرب من لغة رابليه ومع الحرب ، ارتفع الى مستوى آخر مستوى الهجاء ، وتأكدت فيما بعد نزعته هذه التي تنطوى على القسوة ، وان شابها المرح في مظهرها ، كان لا بد من شيء اقوى من الشجاعة كان لا بد من نزعة استقلالية ثائرة ، واسلوب ميال الى التهكم ، لكي يهاجم الكاتب اساطير حركة التحرير بسخرية قاسية لاذعة ، ولكي يهاجم بصفة خاصة ذلك النفاق اليقظ الواعي الذي لا يمكن ان نطلق عليه كلمة امتثال . واذا قدر لمؤلفات م . ايميه ان تعيش ، فلسوف تعيش قصصه القصيرة اولا وقبل كل شيء . ان سخريتها وخفتها تفرد لها مكانا خاصا في عالم الادب ، مكانا لا يمكن ان ينتزعه منها احد وسواء تخيل موظفا قادرا على عبور الجدران ، او حب كائن خرافي نصفه رجل ونصفه حصان لفتاة يتيمة ، او قانونا يضاعف من زمن الحياة الانسانية ، نراه لا يخلق المواقف المضحكة فحسب ، بل يخفي درسا اخلاقيا وراء السرد الضاحك ، حتى لو لم يكتب ايميه سوى « قصة القط المعلق » ، فمن المؤكد ان فنه باق بقاء فن رابليه .

سار ريمون كينوه في الطريق الذي سلكه رابليه ، اذ حرر اللغة ، واضفى عليها طابعا فكاهيا شعبيا ، وتكاد تكون كافة مؤلفاته لعبا بالالفاظ ، وموقفه من اللغة موقف استخفاف اساسا فهو ليس من اولئك الذين يقبلون الكلام كما هو بل يعيدون النظر فيه كل لحظة ، فالكلام لا يعطى للمرة الاولى والاخيرة بل يظل تحت تصرف كل واحد منا . يخلط كينوه الكلمات العادية

بالكلمات العلمية ، ويكتب كما يتكلم الناس ، عندما يتكلمون خطأ ، دون مراعاة للقواعد والنحو وكثيرا ما تشبه صفحاته نقلا فوتوغرافيا لاسلوب الكلام لكنه احيانا ، يستخدم ساخرا اكثر الأساليب اصطناعا وجلالا ، تارة يحاكي الحياة ، وتارة يحاكي الادب ، الحوار في « صديقي بيروه » مثلا مأخوذ عن الاسلوب الكلامي لكن الشكل يسخر من البيان الكلاسيكي هذا ويستخدم الكاتب في المشاجرة التي تبدأ بها القصة ، اسلوب « الالياذة » . واذ يبرز كينوه دور الكلام ، يثبت انه اكثر من وسيلة للتعبير ، فهو حقيقة العمل الادبي الاساسية · يمكن ان نقول عن مؤلفات كينوه انها ملهاة الكلام ، من اولها الى آخرها ، تبدو رواية « صديقي بيروه » وكأنها رواية بوليسية ، لكننا لا نعرف حتى ما اذا كانت هناك جريمة ، او ان شيئا حدث بالفعل ، الكتاب مجرد قصيدة ، وتدريب على الكلام ولعب بالالفاظ ، يريد كينوه ان يقول لنا بكل بساطة ان الكلام مادة خلق دائم ، وان الكاتب لا ينتهي من امره ابدا ، لا يقبل كينوه الكلام كما هو ، كما انه لا يهدمه ، كل ما هنالك انه يحاول شق السبيل الى تجديده .

وكينوه كاتب ساخر ، مثل رابليه لكن « سخريته السوداء » تعبر عن رؤية ميئوس منها للعالم الا انه يقهقه احيانا ، ويكتفي احيانا اخرى بالابتسام ، احيانا ، ينظر الى العالم بعين لاهية واحيانا ينظر اليه بعين قاسية ، ويكشف لنا عالم كينوه عن فراغ الوجود لكنه يفتح امامنا فضاء الحلم ، والسخرية هي في آن واحد الصدى الوحيد الذي يتصرف على صوت العدم ، ورد الفعل السليم الصريح الذي يبعدنا عنه ، ويقول لنا كينوه ان الحياة عيد دائم ، هذا اذا نظرنا اليها بشيء من اللامبالاة ، وتنطلق من الكشف عن تلك الحقيقة المضحكة ضحكة لا تخدع ، تصل بين الانسان والحياة ، والانسان وسائر البشر .

ختاما ، يمكن ان نقول ان « جرجنتوا » و « بنتجرويل » بلغا شهرة عالمية حقة . يقرأ هذين الكتابين الصغار والكبار والبسطاء ، واصحاب الذوق الرفيع المرهف ، واطفال العالم اجمع يقرأون اليوم رابليه في اقتباسات مصورة ولا يفرقون بين العمالقة التي تخيلها رابليه ، والشخصيات التاريخية الشهيرة ، « وسوبرمان » الحديث وابطال القصص التي تجمع بين العلم والخيال ، كما يفرح البالغون سذجا كانوا ام علماء بفكر رابليه الجريء .

وجدير بالذكر ان كتابي رابليه قد تخطيا حدود الادب المقروء فالمخرج الفرنسي المجدد جان لوي باروه استخلص منهما نصا اضفى عليه صيغة حديثة ، واخرجه على المسرح في اطار لفت النظر بنزعته المبدعة ، اذ استخدم الرقص والباليه ، والاضاءة السريعة الدوارة ، واوقف الممثلين على منصات تحاكي تلك التي كانت تقام ، في الاسواق وتقدم عليها العروض المسرحية فيما مضى ، وجاء العرض اقرب الى العرض السينمائي منه الى العرض المسرحي ، ولاقى نجاحا منقطع النظير ، هكذا اثبت رابليه انه فنان اصيل ما زالت افكاره تجد اذنا صاغية بين الفرنسيين وغير الفرنسيين من ابناء القرن العشرين . ■■

د . سامية احمد اسعد

● سئل الاقتصادي المعروف اندريه سوفي عن السر في نجاحه ، فأجاب : كنت دائما انسى اخطائي ولكني لا انسى ابدا سبب وقوعي فيها .

● كان فرعون مصر (سيزوستريس) الثاني فارسا مغوارا ، وفي احدى حروبه قهر اربعة ملوك وقادهم اسرى الى عاصمة ملكه .. وبينما كانت العربة تسير ، لاحظ فرعون ان احد الاسرى يطيل النظر الى عجلات المركبة وهو غارق في لجة من التفكير ، فامر فرعون بوقف الموكب واستدعى الاسير وسأله فيم يفكر ؟ اجاب هذا : كنت اراقب العجلة وهي في دوران متواصل بحيث يصير اعلاها اسفلها بسرعة كبيرة ، ثم لا تلبث ان تنقلب الاوضاع فيرتفع الى اعلى ما كان باسفل ، وقلت لنفسي ان الدنيا دولاب يدور كدولاب هذه العجلة ، فقد كنت بالامس في اعلاها ، وصرت اليوم في اسفلها فلما سمع فرعون كلامه تأثر به وامر بحل وثاق الاسرى جميعا واطلاق سراحهم .

كتاب الف ليلة وليلة اخذه عنا الاوربيون واستفادوا منه في فنونهم .

المونولوج الداخلي في ألف ليلة وليلة

بقلم : عباس خضر

اعتقد انناالان في مرحلة « مراجعة الذات » التي نتقصى فيها ما ورثناه من فنون ومعارف ونتفهمه ، ونؤصل فنوننا ومعارفنا به ، بعد ان اوغلنا في مرحلة النهضة التي جربنا فيها اشواطا طويلة مع الغرب . كان لابد من تلك الاشواط لنهب من رقودنا ، ونسير في ركب الحضارة الحديثة ونأخذ عن العالم الغربي ما ينفعنا ، وهو كثير .

في غمرة تلك الاشواط لم نلتفت كثيرا او كما ينبغي ان نلتفت ، الى الاصول والجذور ، بل اكثر من هذا ارحنا نكيل لها التهم ونسمها بالتأخر . وترمى من ينظر اليها بالرجعية .. على ان هذا لم يكن كله باطلا : فالرجعية والتأخر كانا ولا يزالان كائنين ، ولكن الامر ليس على الاطلاق .

مما ناله الرشاش الاعمى الفن القصصي في تراثنا .. ظللنا تأخذ عن الغربيين فنونهم ونحاكيهم فيها حتى بلغنا مستواهم في بعضها ، وارتقينا بذلك ، ولا شك في ذلك ، ولكنا اوغلنا حتى نسينا ذاتنا ، ثم آن لنا ان نرجع الى هذه الذات .

كتاب « الف ليلة وليلة » مثلا : « اخذه عنا الاوربيون ، فترجموه الى لغتهم ، واستفادوا منه في فنونهم ، استوحوه وتأثروا به ، ونحن عنه غافلون ، لم نلتفت اليه كما يجب الا بعد ان رأيناه عندهم .

ربما كان ازدراؤنا لالف ليلة وليلة ، او استهانتنا به ، راجعا الى ما يتفشى فيه من لغة عامية تختلط بالفصحى ، والى ضعف بنيانه اللغوى على وجه عام ، وعلى ما فيه احيانا من زوائد واشياء يأباها الذوق العصرى العام .

ولا شك ان الاوربيين لم يواجهوا ذلك لانه ترجم الى لغاتهم منقحا خاليا مما يشوبه في الاصل .

علقة ساخنة

قرأت حكايات الف ليلة وليلة وانا صغير متخفيا بعيدا عن الانظار ، حتى لا يلحظني احد فيكون نصيبي « علقة ساخنة » لابد ان اقول معها : « حرمت » .

وامتد الزمن ... وسرني كثيرا ما قرأت في لغتنا عن الف ليلة وليلة من دراسات تعيد اليه الاعتبار ، اذكر منها الدراسة التي نالت بها « سهير القلماوى » درجة الدكتوراه . كما سرتني الاستلهامات الفنية منه ، مثل بعض قصص كامل كيلاني للاطفال وبعض



المسرحيات التي عرضت اخيرا والتمثيليات الاذاعية التي كتبها طاهر ابو فاشا .

وفي هذه الايام عدت اليه قارئا راشدا مطمئنا ، واستغرقت في قرائه ، رأيته يبرىء نفسه مما الصق به وبامثاله من قصص عربي - من تهم باطلة رميناها بها ونحن في عدونا للغرب كأنا نقول : لا ، هذا كلام فارغ ، ونحن سنأتي بالفن الصحيح !

صحيح ان الفن الغربي الذى اتينا به فن صحيح ، ولكن موروثنا ليس كلاما فارغا كما زعمنا سافهين ...

قالوا ان الفن القصصي الحديث يتميز بالمرحلة داخل النفس للتحليل وتصوير ادق الخلجات ومن وسائل ذلك ما يسمى « المنولوج الداخلي » اى المناجاة التي يجرى فيها الحديث بين المرء ونفسه .

حلاق بغداد

وما دروا ان هذا الحديث عن داخل النفس موجود عندنا في القديم .. هذا مثال من قصص الف ليلة وليلة :

حلاق بغداد يحكي للخليفة عن اخوته ويفيض في الحديث عما جرى لهم ، وهو يزعم انه « صامت ، غير ثرثار كالحلاقين الاخرين .. ولكن ثرثرته تتغلغل الى داخل النفوس فتبرز ادق ما فيها ، يقول عن اخيه الخامس انه اخذ حصته من ميراث ابيه مائة درهم ، واحتار ما يصنع بها حتى : « وقع في خاطره انه يأخذ بها زجاجا من كل نوع ليتجر فيه ويربح ، فاشترى بالمائة درهم زجاجا وجعله في قفص كبير وقعد في موضع ليبيع ذلك الزجاج وبجانبه حائط فاسند ظهره اليه .. قعد متفكرا في نفسه وقال :

ان رأس مالي في هذا الزجاج مائة درهم ، انا ابيعه بمائتي درهم واشترى بالمائتي درهم زجاجا وابيعه باربعمائة درهم ، ولا أزال ابيع واشترى الى ان يبقى معي مال كثير ، فاشترى به من جميع المتاجر والعطريات حتي يربح ربحا عظيما ، وبعد ذلك اشترى دارا حسنة واشترى المماليك والخيل والسرج المذهبة ، واكل واشرب ، ولا اخلي مغنية في المدينة حتي اجيء بها الى بيتي واسمع مغانيها .

هذا كله وهو يحسب في نفسه وقفص الزجاج قدامه ، ثم قال :

وابعث جميع الخطابات في خطبة بنات الملوك

والوزراء واخطب بنت الوزير فقد بلغني انها كاملة الحسن بديعة الجمال ، وامهرها بالف دينار ، فان رضي ابوها حصل المراد ، وان لم يرض اخذتها قهرا .

وسأشترى عشرة خدام ، ثم اشترى لي كسوة الملوك والسلاطين واصوغ لي سرجا من الذهب مرصعا بالجوهر ، ثم اركب ومعي المماليك يمشون حولي وقدامي وخلفي ، حتى اذا رآني الوزير قام اجلالا لي واقعدني مكانه وقعد هو دوني ، لانه صهري ، ويكون معي خادمان بكيسين : في كل كيس الف دينار فاعطيه الف دينار مهر بنته واهدى اليه الالف الثاني انعاما . اظهر له مروءتي وكرمي وصغر الدنيا في عيني ، ثم انصرف الى داري ، فاذا جاء احد من جهة امرأتي وهبت له دراهم وخلعت عليه خلعة ، وان ارسل الوزير هدية رددتها عليه ولو كانت نفيسة ولم اقبل منه حتي يعلموا اني عزيز النفس ولا اخلى نفسي الا في اعلى مكانة ، ثم اقدم اليهم في اصلاح شأني وتعظيمي ، فاذا فعلوا ذلك امرتهم بزفافها . ثم اصلح داري اصلاحا بينا ، فاذا جاء وقت الجلاء لبست افخر ثيابي وقعدت على مرتبة من الديباج ، لا التفت يمينا ولا شمالا لكبر عقلي ورزانة فهمي ، وتجيء امراتي وهي كالبدر في حليها وحللها ، وانا لا انظر اليها عجبا وتيهاً ، حتى يقول جميع من حضر : ياسيدي امرأتك وجاريتك قائمة بين يديك فانعم عليها بالنظر فقد اضربها القيام ، ثم يقبلون الارض قدامي مرارا فعندك ذلك ارفع رأسي وانظر اليها نظرة واحدة ثم اطرق برأسي الى الارض ، فيمضون بها واقوم انا واغير ثيابي والبس احسن مما كان علي ، فاذا جاءوا بالعروسة المرة الثانية لا انظر اليها حتى يسألوني مرارا ، فانظر اليها ثم اطرق الى الارض ولم ازل كذلك حتى يتم جلاؤها .

ثم اني امر بعض الخدامين ان يرمي كيسا فيه خمسمائة غينار للمواشط ، فاذا اخذته أمرهن ان يدخلنني عليها ، فاذا ادخلنني عليها لا انظر اليها ولا اكلمها احتقارا لها لاجل ان يقالاتي عزيز النفس حتي تجيء امها وتقبل رأسي ويدي وتقول لي :

ـ ياسيدي انيل جاريتك فانها تشتهي قربح فاجبر خاطرها بكلمة .فلم ارد عليها ولم تزل كذلك تستعطفن حتي تقوم وتقبل يدي ورجلي مرارا ، ثم .. تقول :

ـ ياسيدي ان بنتي صبية مليحة ما رأت رجلا ، فاذا رأت منك الانقباض انكسر خاطرها فمل اليها وكلمها ، ثم انها تقوم وتحضر لي قدحا وفيه شراب ، ثم ان ابنتها تأخذ القدح لتعطيني فاذا جاءتني تركتها قائمة بين يدي وانا متكيء على مخدة مزركشة بالذهب لا انظر اليها من كبر نفسي وجلالة قدري حتي تظن في نفسها اني سلطان عظيم الشأن ، فتقول :

ـ ياسيدي بحق الله عليك لا ترد قدحا من يد جاريتك فانني جاريتك . فلا اكلمها ، فتلح علي وتقول :

ـ لابد من شربه ، وتقدمه الى فمي ، فانفض يدى في وجهها وارفسها واعمل هكذا ... ثم رفس اخي برجله فجاءت في قفص الزجاج وكان في مكان مرتفع فنزل على الارض فتكسر ما فيه .

ثم قال اخي : هذا كله من كبر نفسي .

ويتابع الحلاق حديثه الى الخليفة فيقول : لو كان امره الي يأمير المؤمنين لضربته الف سوط وشهرته في البلد .

●

وبعدها رأيك في هذا المنولوج العجيب ؟ الا يقف الى جانب روائع الفن الحديث في عالم التحليل ومناجاة النفس او احلام اليقظة ؟

الا تراه يقول : انا عربي ، وعيبي عندكم اني لست « خواجه » ! ■■

عباس خضر

الجنة والنار ؟

قال احدهم للكاتب الفرنسي الكبير جان كوكتو : « ما رأيك في النار والجنة ؟ »

واجاب كوكتو مبتسما : « ارجوك ان تعفيني من الاجابة على هذا السؤال ، فان لي اصدقاء هنا وهناك .. وانا شخصيا لا اعرف الى اى المكانين ذاهب !!

مقالات في كلمات

■ الناس الذين يعزفون الموسيقى لا يمكن ان يكونوا اعداء ، على الاقل خلال عزف المقطوعة الموسيقية !

« بول هيندميث »

■ الشيء الوحيد الذى يستطيع معظم الناس ان يصنعوه افضل من غيرهم ، هو قراءة مايكتبونه بخط ايديهم !

« جون أدامز »

■ شيئان لايمكن للرجل ان يخفيهما عن الناس ، عندما يكون مخمورا ، وعندما يقع في الحب !

« انتيفان »

■ الطريقه الوحيدة للمحافظة على صحتك ، ان تأكل مالاتحب ، وان تشرب مالاتريد ، وان تفعل مالاتميل اليه !

« مارك توين »

■ انها لم تعد امرأة ، لانها تعرف كل شيء ، ولانها تستطيع ان تفعل اى شيء !

« برنارد شو »

■ انسان العصر الحجرى وحده هو الذى نعم بالحرية ، دون ان يعرف ماهي الحرية !

« اندريه مالرو »

■ الرجل الذى لايثق في احد ، لايجد رجلا واحدا يمكن ان يضع ثقته فيه !

« هارولد ماكميلان »

■ من السهل على الاب ان يكون له اطفال ، ولكن من الصعب على الطفل ان يجد له ابا مثاليا !

« البابا يوحنا الثالث والعشرون »

■ من بين الاسباب التي تدفعني الى الامتناع عن شرب الخمر ، انني اريد ان اعرف متى اكون سعيدا !

« ليدى استور »

■ قدرة الرجل على العدل بين الناس ، تجعل الديمقراطية امرا ميسورا ، اما ميل الرجل الى ظلم الناس ، فيجعل الديمقراطية امرا ضروريا !

« راينهولد نيبهر »

■ نحن لا نستطيع ان نعبر الجسر الا بعد ان نصل اليه ونجده امامنا !

« برنارد باروخ »

بدر الدين قاضي

وثورته من أجل

بقلم : محمد حرب عبد الحميد

في ٢٨ يوليو عام ١٤٠٢ م ، دارت في شمال مدينة أنقرة (عاصمة تركيا الآن) معركة هائلة بين جحافل تيمورلنك بقيادته ، وبين العثمانيين بقيادة بايزيد الصاعقة . دارت الدوائر على العثمانيين لأسباب منها أنهم لم يألفوا حرب الفيلة التي كانت تجيدها قوات التتار ، كما أن انحياز الجنود المرتزقة العاملين في جيش بايزيد الى تيمورلنك ، بعد أن أمطروا العثمانيين بوابل من السهام في ظهورهم ، كان من العوامل التي عجلت بهزيمة الجيش العثماني . ورأى المستشارون العسكريون العثمانيون ، ضرورة أن يهرب سلطانهم من الحرب . لكن « الصاعقة » رفض وحارب رغم كل الظروف ، حتى انه استخدم البلطة العسكرية في القتال (تقابل السونكي والسلاح الابيض الآن) .

انهزم بايزيد . أسر . لكن تيمورلنك المحارب ، قدر قدر أسيره ، فأجله واحترمه . لكن بايزيد العملاق العثماني ، العظيم الاعتداد بالنفس ، والذي لعب دورا تاريخيا كبيرا في توحيد الاناضول ذي الولايات المتعددة المتنافرة في دولة واحدة ، بايزيد الذي رفع راية الجهاد الاسلامي في أوربا ، وحاول فتح القسطنطينية (استانبول الآن) في حصار دام سبعة اشهر كاملة ، أقول : إن بايزيد لم يستطع تحمل ذل الأسر ـ رغم ما لاقاه من تقدير ـ فمات بعد قليل من وقوعه أسيرا .

كانت واقعة أنقره نكبة كبرى على العالم الاسلامي عامة ، وعلى العثمانيين خاصة ، فعلى اثرها انهارت السلطنة العثمانية الفتية انهيارا فجائيا ، وبهزيمتها انفصلت عنها كثير من مناطق الرومان وانحل اتحاد الاناضول الذي عمل من أجله العثمانيون كثيرا . وعاش العثمانيون عهد تحلل سلطنتهم وهو عهد استمر احدى عشرة سنة ، سماه مؤرخوهم (فاصلة سلطنت) . وقد سجل هذا العهد انهيارا شاملا في كل مناحي الحياة العثمانية .

بعض وضوح نقول ان هزيمة انقره جعلت السلطنة العثمانية الموحدة ، على الشكل الآتي :

ـ انهيار الدولة العثمانية وتفككها بحيث لم يبق للعثمانيين منها الا ثلاث مناطق : اماسيا وجوروم وتوقات .

ـ تحول الاناضول من دولة موحدة ـ تقريبا ـ الى امارات صغيرة مستقلة تذكرنا بملوك الطوائف بالاندلس

عسكر "العثمانية"

امتلاك العالم !

والامارات السلجوقية الاناضولية في اعقاب سقوط دولة سلاجقة الروم .

ـ توقف حركة المد العثماني في أوربا واستقلال كل من بلغاريا ، والافلاق (في رومانيا الآن) ، والصرب (في يوغسلافيا الآن) بعد ان كانوا تابعين للعثمانيين .

ـ الانهيار الاقتصادي التام والحيرة والقلق يسود البلاد .

ـ انتشار الاوبئة والامراض المعدية .

مات بايزيد الصاعقة في الأسر ، فبدأ صراع أبنائه فيما بينهم . ولما كان مصطفى بن بايزيد أسيرا لدى تيمورلنك ، وكذلك قاسم بن بايزيد أسيرا لدى امبراطور بيزنطه ، فقد انحصر صراع الاخوة الباقين ، في كل من :

١ ـ عيسى : وقد أعلن نفسه سلطانا في بورصه بمساعدة القائد العثماني المشهور تيمور طاش باشا .

٢ ـ محمد : وقد أخذ يسعى لاعادة كيان الدولة العثمانية من جديد (منجم باشي المؤرخ العثماني يطلق على محمد لقب « مجدد الدولة ») فيحارب جنود تيمورلنك الموجودين في الاناضول . حاربهم في جبال الاناضول ، واستخلص منهم بعض المدن الهامة . وقام محمد باستخلاص اخيه موسى من أسر أمير كرميان ، ثم قام محمد بتسليم اخيه العائد من الاسر ـ موسى ـ جيشا جرارا ، ليحارب اخيهما سليمان المتحالف مع امبراطور بيزنطة ضد اخوته ، واستطاع موسى بالفعل هزيمة اخيه سليمان خارج أسوار أدرنه عام ١٤١٠ م ، وان يقتله .

٣ ـ موسى : وقد داخله الطمع فتمرد على أخيه محمد الذي أنقذه من الأسر ، وفتح له طريق أدرنه .

لكن محمدا استطاع ان يظفر بأخيه وان يأمر بقتله عام ١٤١٣ م .

بداية بدر الدين

كان في جيش موسى ، عالم ديني يشغل منصب قاضي العسكر (أعلى مناصبالدولة العثمانية وقتئذ) ، وكان هذا العالم يسمى بالشيخ بدر الدين بن اسرائيل .

يقول طاشكوبريلي زاده احمد في كتابه الشقائق النعمانية ما يلي : « الشيخ بدر الدين محمود بن اسرائيل .. المشهور بابن قاضي سماونه ولد في قلعة سماونه في بلاد الروم (احدى قرى ادرنه التي تقع اليوم في الجزء الاوربي من تركيا) كان ابوه قاضيا بها وكان أيضا أميرا على عسكر المسلمين (فيها) وكان فتح تلك القلعة على يده أيضا .. وولادة الشيخ بدر الدين (كانت) في زمن السلطان غازي خداوندكار (مراد الأول) من سلاطين آل عثمان ، ثم أخذ الشيخ العلم في صباه عن والده .. وحفظ القرآن العظيم وقرأ على المولى المشتهر بالشاهدي ، وتعلم الصرف والنحو عن مولانا يوسف ، ثم ارتحل الى الديار المصرية .. وقرأ هناك مع (أي زامل) السيد الشريف الجرجاني ، على مولانا مبارك شاه المنطقي المدرس بالقاهرة ، ثم حج مع مبارك شاه وقرأ بمكة على الشيخ الزيلعي ، ثم قدم القاهرة ، وقرأ مع السيد الجرجاني على الشيخ أكمل الدين (البابيوردي) . وقرأ على الشيخ المذكور (أي تعلم وتتلمذ على يد الشيخ بدر الدين) السلطان فرج ابن السلطان برقوق ملك مصر (سلطان مصر المملوكي برقوق) .

ثم أدركته (أي الشيخ بدر الدين) الجذبة الالهية ،

والتجأ الى كنف الشيخ سعيد الأخلاطي الساكن بمصر وقتئذ ، وحصل عنده ما حصل (اي اصبح مريده) .. وارسله الشيخ الاخلاطي الى بلدة تبريز للارشاد (الصوفي) . حكى انه لما جاء تيمورلنك تبريز .. نال (أي بدر الدين) من الامير المذكور (تيمورلنك) مالا جزيلا بالغا الى نهايته ، ثم ترك الشيخ الكل ، ولحق بيدليس ثم سافر الى مصر .. ثم الى حلب ثم الى قونيه ثم الى تيره من بلاد الروم ثم دعاه رئيس جزيرة ساقز (وهو نصراني) فاسلم على يدي الشيخ .. ثم لما تسلطن موسى من اولاد عثمان الغازي نصب الشيخ (أي جعل من الشيخ بدر الدين) قاضيا بعسكره ثم أن أخاموسى (محمدا) قتل موسى .. وحبس الشيخ مع أهله وعياله ببلدة ازنيق .. « انظر الشقائق النعمانية مخطوط لاله لي بالسليمانية رقم ٢٠٧٦ .

والواقع ان السلطان محمد الاول هذا ، لم يشأ أن ينتقم من قاضي العسكر الشيخ بدر الدين وانما « اكرمه لوفور فضله فعين له الف درهم عثماني في كل شهر وارسله الى ازنيق وامره ان يسكن في قلعته (اي قلعة ازنيق) .

دعوة الشيخ

وفي ازنيق ـ وهي مدينة في تركيا ـ بدأ الشيخ بدر الدين محمود بن اسرائيل يدعو الى مذهبه . وتتلخص الخطوط العريضة لدعوته ـ هذه الدعوة التي نشأت في هذه الظروف العصيبة التي كانت الدولة تجتازها ـ على النحو الآتي ، مأخوذة من كتابه « واردات » ، والواردات هنا بمعنى الالهام او ما يرد الى الذهن او الخاطر من افكار :

ـ وحدة الوجود : قال الشيخ بدر الدين بنظرية وحدة الوجود ، وعمل على نشرها بين اتباعه ، وفي كتابه « واردات » يقول الشيخ :

ـ « الوجود الصرف البحت عند الاطلاق والتقييد بينهما هو الحق تعالى وتقدس ليس بكلي ولا جزئي ، اذ الكلية والجزئية باعتبار ثان بالنظر الى الاشتراك وعدمه وهو مسبوق بالحقيقة من حيث هي حقيقة مجردة عن الاعتبار نظرا الى الحقيقة من حيث هي ، مع قطع النظر عن غيرها وان كانت لا تخلو عن احدهما باعتبار ثان . »

ـ « ذات الحق منزه عن الكل والكل فيه وهو في الكل وواجب لا يفارق الوجوب في كل أطواره والامكان خيال بحسب الصورة . والحدوث والقدم يتعاقبان على الصور وهو منزه مع أنه فيها ، فوجود الممكن محدث وخلق باعتبار الصورة . »

ـ « والوجود المطلق هو الله الاله الخالق باعتبار الفعل والتأثير والعبد المخلوق باعتبار التأثر والانفعال . »

ـ « سار في الكل وانصبغ في الكل وهو منزه عن الكل والخسة والشرف والظلمة والكدر يظهر بالمظاهر ويتفاوت بالنسبة اليه وليس في الحقيقة غيره وهو الواحد ولو ظهر بألف صورة . »

ـ الدعوة الى الزهد المطلق : وذلك بان يتجرد الفرد من فاخر الثياب ويكتفي بقطعة من الملابس واحدة تستره وان يسير عاري الرأس وله ان يتخلص من شعره تماما ويسير حافي القدمين !

والواقع ان الشيخ بدر الدين جعل ترك الدنيا وعدم الاشتغال بأمورها من اهم مانادى به ويعبر الشيخ نفسه عن نظرته هذه بالعبارات التالية :

ـ ترك الاشتغال بالدنيا من أعظم أصول الوصول الى الحق . »

ـ « اعلم ان العبد ينبغي ان ينظر الى القرآن ما جاء فيه مما يتعلق بأمور الدنيا ومعاشه وما جاء فيه مما يتعلق بعلوم الآخرة وعلوم الدنيا على تلك النسبة . والقرآن ثلاثون جزءا وما يتعلق بمعاش الدنيا يكون جزءا من ثلاثين أو أكثر قليلا أو أقل ، والباقي تسعة وعشرون جزءا بالتقريب كلها للآخرة . وتنزيل القرآن على هذه النسبة ، للتنبيه على العباد على أن اشتغالهم بالدنيا والآخرة وكذا اشتغال العلماء بعلوم الدنيا والآخرة ينبغي أن يكون على هذه النسبة والله اعلم وهذا وارد « من واردات الحق على .. »

ـ انكار الجنة والنار ويوم القيامة والملائكة والشياطين : للشيخ بدر الدين مفهومه الخاص للآخرة وللثواب وللعقاب ، سجلها في وارداته ، فيقول عن الآخرة : « اعلم ان الكون والفساد أزليان أبديان ، والدنيا والآخرة اعتباريان ، فالظاهر دنيا فانية والباطن عقبي باقية فهما موجودان أزلا وأبدا ، ولكن الاعتبار بالأغلب . »

ـ « وعن الجنة والنار : « اعلم ان الجنة يصح ان يطلق لكل حال ورتبة ومقام شريف دنيا وآخره ، وكذلك النار والحيات والعقارب . والزقوم يطلق على كل حال ومقام خسيس ودني والذي يوصف في الكتب ويسمع من الحور والقصور وغيرها صورة ماقلنا . »

وعن الشياطين والملائكة يقول الشيخ : « الملائكة من الملكوت فليس لهم تحقق الا في ضمن الملك اذ الملكوت باطن الملك فكل بواعث الخير تسمى ملائكة وبواعث الشر تسمى شياطين وأبالسة . »

ـ « كل ما يهيجك الى الحق فهو ملك ، وكل ما يهيجك الى ما سواه وليس ما سواه فهو ابليس وشيطان . فتقواك التي تبعثك على الميل اليه تعالى ملائكة ، وقواك التي تبعثك على اللذات الجسمانية الشهوانية شياطين فانت مملو من الملائكة والشياطين والحكم للغالب والجن بينهما . »

ـ « اعلم ان القوى الفلكية والقوى العنصرية وامثالها هي الملائكة وقول الانبياء فيهم محمول على ما قلت من القوى لا كما زعم الجهال . »

ـ قوله عيسى المسيح مات جسدا أما روحه فهي الحية :

ـ « عيسى عليه السلام حي بروحه ميت بجسده العنصرية ولما كان روح الله الروحانية غالبة ولا موت على الروح لانه لم يمت سوى جسده العنصرية وهو محال فافهم . »

ـ « رأيت سنة ثمان وثمانمائة يوم الجمعة رجلين حضرا بين يدى وعلى يد أحدهما عيسى وهو ميت كأنهما يشيران الى ، على انه عيسى توفي بدنه » .

ـ قصر الشهادة على نصفها الاول :

يعني ان تقتصر الشهادة على « لا اله الا الله » ، وحذف نصفها الثاني « محمد رسول الله » وكان ذلك طمعا في ضم اليهود والنصارى الى الحركة . يقول شكر الله صاحب بهجة التواريخ وهو مؤرخ معاصر لحركة بدر الدين :

« هؤلاء الصوفيون الذين شهدوا بألا اله الا الله واصروا على عدم ذكر بقية الشهادة (وهي محمد رسول الله) ، هؤلاء المتصوفة قد خصوا شيخهم (أي بدر الدين) بمرتبة النبوة » .

يقول الاستاذ محمد شرف الدين استاذ الفلسفة وعلم الكلام بكلية الالهيات بدار الفنون (جامعة استانبول) في كتابه « سماونه قاضيسي اوغلى شيخ بدر الدين » (استانبول ١٩٢٤) : « ان اتباع الشيخ بدر الدين كانوا يخصون شيخهم بالنبوة حيث لم يكن هناك طريق مختصر لجمع المسلمين تحت رايته الا التضحية بدرجة النبوة في الشهادة »



أين الشيوعية في فكره ؟

للشيخ بدر الدين عدة كتب في الفقه والتفسير والصرف والنحو . من ذلك : « لطائف الاشارات » و « جامع الفصولين » و « تسهيل » في الفقه . اما في التصوف فمن كتبه : « حاشية على مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم » و « مسرة القلوب » و « واردات » . وفي التفسير : « نور القلوب » وفي الصرف والنحو « عقود الجواهر » و « جراغ الفتوح » .

لكن فكر دعوته انحصر اكثر ما انحصر في كتابه واردات .

والمصادر الشيوعية . من دائرة المعارف السوفيتية الى ملحمة الشيخ بدر الدين ابن قاضي سماونه للشاعر التركي ناظم حكمت (استانبول ١٩٣٦) . تصف دعوة الشيخ بانها حركة شيوعية اسلامية . ووصفها احد الباحثين اليوغوسلافيين بأنها « شيوعية محمدية » .

لكن الاستاذ محمد شرف الدين يقول : « ان (الشيوعية) في الارزاق والملبوسات والمواشي والأراضي وما شابهها لم توجد في اي كتاب من كتب الشيخ بدر الدين . كما ان الشيخ لم يلقن هذه الافكار لأحد . ولم يقل بها أحد من الذين تلقوا الدرس عنه » انظر كتاب محمد شرف الدين السابق الذكر ص ٦٧ .

ويقول الاستاذ حلمي ضيا أولكن استاذ الفلسفة في كتابه « الفكرة الاسلامية » (استانبول عام ١٩٤٦) : « لاوجود للفكرة الاشتراكية في فكر الشيخ بدر الدين . ولا في كتابه الفلسفي « واردات » ولا في كتابه الفقهي « جامع الفصولين » . لا وجود للفكر الاقتصادي عند بدر الدين الا جملة واحدة مست الفكر الاقتصادي من بعيد . وهي عبارة وردت في وارداته يقول فيها : « ان الناس يتصورون انهم يعبدون الله في الحين الذي يعبدون فيه بعضهم البعض ويعبدون الدرهم والدينار والرتبة والمنصب وكذلك المأكل والمشرب . » انظر الفكرة الاسلامية ص ١٨٨ . ١٨٩ . كذلك انظر نجدت قورداكول : بدر الدين بكل زواياه ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

والغريب ان الفكرة الشيوعية ليست موجودة في مصنفات الشيخ الثائر كما ان هذه الفكرة لم ترد في المصادر الاولى التى عاصر مؤلفوها حركة الشيخ بدر الدين وكتبوا عنها وارخوا لها . وهم : ابن عربشاه وعاشق باشازاده والمؤرخ البيزنطي الجنوى دوكاس وشكر الله بن شهاب الدين .

كل ما هناك ان دوكاس قال في معرض كلامه عن حركة الشيخ : « ان بوركلوجه مصطفى (أحد أعوان الشيخ) كان يقول : كما أنني استطيع التصرف في املاكك . فبنفس القدر . تستطيع انت التصرف في املاكي وبنفس الشكل الذي اتصرف به أنا . »

كما قال دوكاس أيضا : « ان القروي المذكور (يعني بوركلوجه مصطفى) كان يعظ الاتراك ويبذل لهم النصح وكان يوصي بان تكون كافة الاشياء مثل الاكل والملبس والحيوانات والاراضي مشتركة بين عموم الناس باستثناء النساء » .

ويرد شرف الدين (اوائل العقد الثاني من القرن العشرين) على دوكاس البيزنطي (القرن الخامس عشر) بقوله : « ان توصية بوركلوجه مصطفي بان تكون كافة الاشياء من مأكل وملبس وحيوانات واراض . مشتركة بين عموم الناس ثم استثناؤه النساء من ذلك انما كان سترا أمام الرأي العام العثماني . فمن المحقق ان الشيخ بدر الدين لم يلقن مصطفى مثل هذه الاشتراكية » (شرف الدين ص ٦٨) .

وحسب الجدول الذي صنفه نجدت يورداكول . فاننا نجد أن اضافة فكرة الاشتراكية والشيوعية الى فكر هذه الحركة الباطنية الثورية ضد الدولة العثمانية . والتي استندت بدورها الى كلام دوكاس المار الذكر . لم تبدأ عند المؤرخين المحدثين الا في تاريخ ابو الفاروق الذي صنفه ميزانجي مراد وهو من مؤرخي العثمانيين في العقد الاول من القرن العشرين .

بدايات الثورة

يقول صاحب كتاب هشت بهشت نقلا عن الشيخ بدر الدين هذه العبارة التي تفسر هدفه من ثورته على الدولة العثمانية : « اني سأثور من أجل امتلاك العالم . وباعتقاداتي ذات الاشارات الغيبية سأقسم العالم بين مريدي . بقوة العلم وسر التوحيد . وسأبطل قوانين اهل التقليد ومذهبهم . وسأحلل ـ باتساع مشاربي ـ بعض المحرمات . »

كان الشيخ ثائرا طموحا . وكانت البلاد في حالة تمزق كامل والفوضى تضرب أطنابها في كل ارجاء البلاد .

قام الشيخ ونادى بافكاره . وساعده في نشرها . مريدان على درجة كبيرة من الحركة والنشاط . احدهما يهودي يدعى طورلاق هود كمال . وكان يدعو لفكر الشيخ في منطقة مغنيسيا . والثاني يدعى بوركلوجه

مصطفي ويدعو الى فكر الثورة بالقرب من ازمير . جمعا للشيخ أنصارا اكثر . وكانت افكار الشيخ اكثر انتشارا بين نصارى الدولة بالدرجة الاولى ثم بين اليهود فيها بالدرجة الثانية ثم بين الاتراك . وكان على رؤوس هؤلاء تلامذة الشيخ اثناء ما كان يلقي دروسه ، وكذلك الذين أنعم عليهم الشيخ اثناء ما كان يتنقل في مناصب الدولة حتى وصل الى درجة قاضي العسكر وهي اعلى الرتب .

أعطى طورلاق هود كمال ، اشارة البدء بالثورة ، وكان في منطقة مغنيسيا .

وكان الشيخ وقتئذ في منطقة سينوب ، وقد تلقى من امير الافلاق (في رومانيا) ـ وكان من ألد اعداء الدولة العثمانية ـ عونا عسكريا وماديا ، وبناء على ذلك عبر الشيخ فورا الى منطقة دلي اورمان (في بلغاريا الآن) .

يقول محمد شرف الدين في مسألة توجه الشيخ بدر الدين الى دلي اورمان : « ان هذه المنطقة وما يحيط بها من مناطق هي مأوى الباطنية ، وهي منطقة تعج باتباع ثورة بابا اسحق التي قامت ضد الدولة العثمانية في منتصف القرن السابع الهجري ، وان توجه الشيخ بدر الدين الى هذا المكان وتمكنه من جمع الآلاف المؤلفة من المؤيدين له ولحركته من هذه المناطق لفيه الدلالة الكافية لاختيار الشيخ هذا المكان بالذات . » (شرف الدين ص٦٨) .

وفي دلي اورمان بدأت المعونات الاوربية تفد الى الشيخ ، واتسع نطاق الثورة ضد السلطان العثماني محمد الاول ، وبدأ أنصار الشيخ الحركة بجيش يقدر بين ٧ ـ ٨ آلاف محارب .

ولم يكن السلطان محمد الاول بغافل عما يفعله الثوار . ارسل اليهم جيشا بقيادة الامير الصربي المسلم سيسمان ، لكن الثوار هزموه . ثم ارسل السلطان جيشا آخر بقيادة الوزير الاعظم بايزيد باشا وكان بصحبته ولي العهد الامير مراد الى قتال اليهودي طورلاق هود كمال وكان في ثلاثة آلاف رجل في مغنيسيا فظفرا به وصلبوه ، وقام نفس الجيش العثماني بدحر قوات بوركلوجة مصطفى في قرة بورون بمنطقة ايدين بجوار ازمير .

اما السلطان فقد قام بنفسه لحرب الشيخ بدر الدين وكان هذا على رأس جيش عظيم في دلي اورمان . اتخذ السلطان محمد من سيروز (في اليونان الان) مركزا لقيادته . ارسل السلطان قواته الى الشيخ فكسرته ، وتوارى الشيخ الثائر بعد هزيمته ، في منطقة دلي اورمان ، فرارا من السلطان .

القبض على الشيخ

وكان ملازما للشيخ في الايام الاخيرة من هذه الواقعة ، شابان ، ينفذان أوامره ، ويرعيان كافة شئونه حتى حازا على كل ثقته .

وذات يوم استدعاهما الشيخ وصرح لهما بنيته في السفر الى الافلاق (رومانيا) . استصوب الشابان الرأي ، واحضرا عربه بجوادين حمل فيها متاع الشيخ . هبطت الامطار الغزيرة في منطقة دلي اورمان في ذلك الوقت ، فاستبشر الشيخ خيرا وتفاءل كثيرا وركب مع مريديه العربة ، ونادى الجميع بالسائق :

ـ الى رومانيا وبدلا من ان يتجه السائق الى الشمال أخذ ينطلق باقصى سرعة بعد ان غير اتجاه العربة الى الجنوب . نظر الشيخ الى مريديه وهو فاغر فاه ، وقال :

ـ أنحن على طريق رومانيا ؟ !

وجاءه الجواب سريعًا :

ـ لا يا سيدنا . نحن الآن في طريقنا الى معسكر السلطان محمد !

امتقع وجه الشيخ وسكت . وصلت العربة الى مدينة سيروز حيث يعسكر السلطان . نزل الشيخ بدر الدين من العربة .. تقدم منتصب القامة نحو السلطان .

قال السلطان محمد الاول : مالي أرى وجهك قد اصفر ؟ !

اجابه الشيخ قائلا : ان الشمس يا مولاي ، تصفر عندما تقترب من الغروب .

أقيمت مناظرة علمية حرة بين الشيخ بدر الدين وعلماء الدولة الكبار . ثم اقيمت محكمة شرعية ، ترك القضاة فيها الكلمة الاخيرة للمتهم نفسه ليصدر الحكم الشرعي الذي يراه . واصدر الشيخ بدر الدين حكمه بنفسه على نفسه ، وكان : الاعدام .

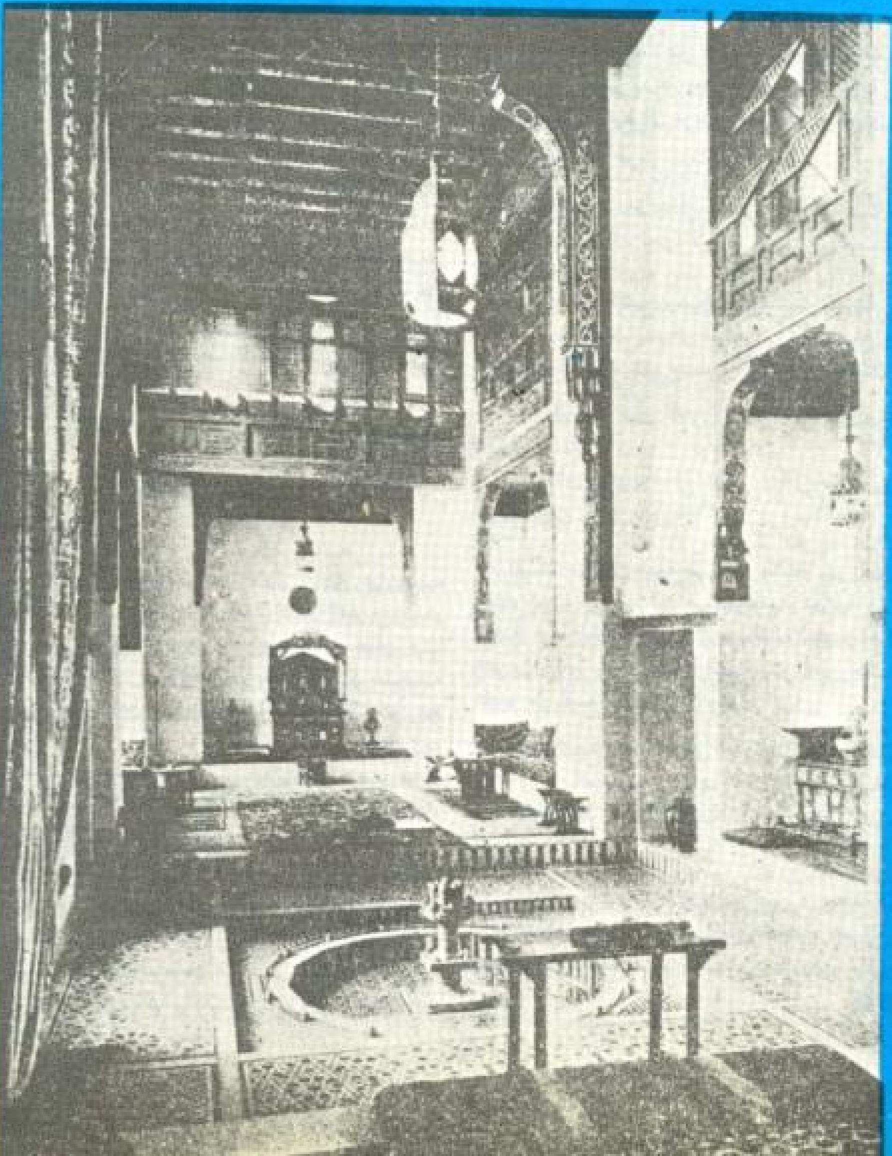
وقال الشيخ حيدر الهروي ان دم الشيخ بدر الدين حلال ، اما ماله فحرام ، ولم يمس أحد من رجال السلطة ماله لكنه أعدم . أعدم شنقا على شجرة في مدينة سيروز .

ومازالت بقايا دعوة الشيخ بدر الدين في منطقة دلي اورمان وماحولها حتى الان متمثلة في اتباعه ـ وهم قلة ـ يطلقون على الشيخ منهم لقب ابن سماوى ، والمريد سماوني . ■■

استانبول ـ محمد حرب

نحو شخصية متميزة

للمسرح العربي



بقلم : المهندس صلاح الدين كامل

الاستاذ بمعهد الفنون المسرحية بالكويت

البحث عن شخصية مميزة للمسرح العربي قضية تؤرق كثيرين من المشتغلين بشؤون المسرح فى الوطن العربي ... بل ان الامر قد تعدى عند البعض مجرد معاناة المشكلة الى محاولة للبحث عن حلول لها ... وارجو ان يعتبر بحثى هذا ضمن هذه المحاولات ... وكم أتمنى وارجو ... ان يقام مؤتمر عربي لمناقشة كل هذه المحاولات ... فربما توصل المؤتمرون الى نقطة بداية فى هذا الطريق الطويل الشاق .

فالمسرح كلمة واحدة تعبر عن عدة فنون تكمل بعضها البعض .. فمن فن المعمار الى التاليف .. الى الاخراج والديكور والتمثيل ... وغير ذلك من فنون .. فاذا حاولنا أن نتبين ملامح هذه الفنون جميعها فى المسرح العربى ... لوجدناها كلها ذات ملامح أوربية ولافتقدنا فيها الملامح العربية .. فالمعمار المسرحي فى الدول العربية .. هو فى الحقيقة .. معمار أوربي .. وان حاول البعض ادخال بعض الزخارف العربية فيه . واذا تاملنا معظم النصوص العربية التى ظهرت على المسرح .. لوجدناها خاضعة للاصول الدرامية الاوروبية سواء كان ذلك فى المأساة .. او الملهاة .. وينطبق هذا ايضا على المناظر المسرحية (الديكور) الذى يلتزم بخشبة المسرح الاوربية .. حتى ولو كانت تلك المناظر تعبر عن أماكن عربية فان اسلوب معالجتها يلتزم بالنظريات الفنية الاوربية .. فاذا انتقلنا الى الاخراج فان مخرجينا يضطرون الى الالتزام بالمعمار المسرحي والتفسير الدرامي الاوربي فينعكس هذا بدوره على الممثلين .

وفى اعتقادى ان الجفوة التى نراها اليوم بين الجمهور العربي والمسرح الجاد ترجع الى شعور الجمهور بان كل هذا الذى يقدم اليه .. انما هو شيء غريب عنه .. ولا يمكن له أن يحس به او يتجاوب معه .

كيف السبيل اذا الى خلق او بعث مسرح عربي حديث أصيل الجذور خالص من اى شوائب .. ؟ فى تصورى ان الاسلوب الاوفق فى تناول هذا البحث .. يكون بدراسة جذور ونمو المسرح الاوربي .. ثم باستكشاف جذور المسرح العربي .. ثم نحاول ان ننمو بهذه الجذور — رغم طول الوقت الذى اهملت فيه — حتى يظهر لنا المسرح العربي الحديث ..

المسرح الاوروبى

فاذا رجعنا الى جذور المسرح الاوربي ، فمن المعروف انه قد بدأ فى اليونان بجوار «الاكروبول» حيث اقيم مدرج كبير على منحدر الجبل يشرف على ساحة دائرية كان يعرض فيها الرقص والانشاد والموسيقى « الكنشرتات » احتفالا بالالة « ديونيزوس » اله الخصب والنبيذ عند اليونان .. ولا يستطيع احد ان يحرز الى اى مدى اقترب هؤلاء المنشدون والموسيقيون .. من مجرد القاء اناشيدهم واغانيهم ، الى القيام بتمثيلها — ولكننا نستطيع ان نتصور كيف مهد كل ذلك الى ظهور المسرحية اليونانية وكتابها العظام ابتداء «بتسبس» الى — « سوفو كليس » الذى رسخ اقدام المسرحية اليونانية .

وقد نما وترعرع المسرح الاوربي على مدار القرون .. فظهر المسرح اليوناني بمنصته المعروفة .. وانتقل ذلك الى عصر النهضة الاوربية والباروك والركوكو .. ثم الى المسرح الاوربي الحديث .. بما صاحب ذلك كله من اضافات وزخارف ... ووسائل تكنيكية .. اقتضاها الزمان والمناخ والمكان الذى يقام فيه المسرح .. كل هذا دون المساس بالجذور الرئيسية للمسرح الاوربي ، حتى اننا نجد الكثير من المحاولات فى اوربا لتنقية ما وصل اليه المسرح الاوربي الحديث من شوائب على مدار السنين والرجوع به الى اصوله العريقة .

واننا اذا اردنا ان نخرج بنتيجة من هذا العرض السريع فهى ان المعمار المسرحي الاوربي قد سبق فى اقامته ظهور المسرحية الدرامية بمقوماتها المعروفة .. واننى اعتقد ان التكوين المعمارى الذى ظهر عليه هذا المسرح .. كان له دخل كبير فى تحديد الشكل الذى ظهرت عليه الدراما ، وعلى

من القرون فقد تاثر المعمار المسرحي والنصوص الدرامية كل منها بالآخر ٠٠

ان محاولة التعرف على جذور المسرح العربي في اعتقادي هي كمحاولة البحث عن جوهرة ثمينة في قاع المحيط ٠٠ فالاقطار العربية غنية بفنونها الشعبية من رقص وغناء والعاب بهلوانية ٠٠ وشعر وقراقوز ٠٠ وخيال الظل ٠٠ وشعراء الربابة ٠٠ والقصص والحكايات والتراتيل الدينية ٠٠ وخلاف ذلك مما لا تعيه ذاكرتي ٠٠ وكل ذلك في اعتقادي يمكن أن يشكل منطلقا للمسرح العربي من ناحية المادة الفنية والادبية ٠٠ ولو أنني أعترف بان هذا المجال له متخصصوه وباحثوه ٠٠ وليس في نيتي ان اقحم نفسي في خضم أمواجه ٠

ولكـن ما يشغل فكـري هو الكشف عن تكـوين معماري عربي كان في وقت من الاوقات مسرحا لتادية تلك الفنون ٠٠ فاذا استطعنا تحديد ذلك ٠٠ وحاولنا تطوير هذا الشكل بما يتلاءم مـع متطلبات المجتمع العربي الحديث ٠٠ لامكن لنا كما اعتقد اكتشاف ملامح جديدة لمسرح عربي حديث٠٠

من البيت العربي

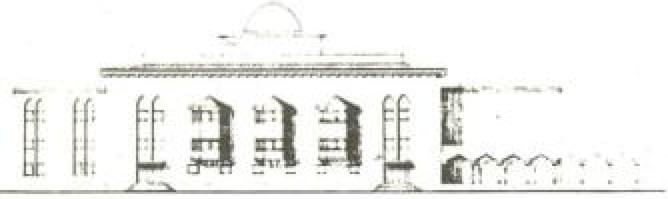
فاذا استعرضنا تاريخ العمارة العربية لوجدنا ان المعمار العربي لا يكاد يخرج عن ثلاثة أشكال هي المسجد ، والمدرسة ، والمسكن ٠٠ اما المسجد فوظيفته الآن محددة بتادية الطقوس الدينية ولا يمكن لاحد بالطبع ان يتصور أن أيا من الفنـون السمعية كان يمكن ان يكون لها وجود بين جدرانه ولذلك فانه لابد من استبعاده تماما من مجال البحث عن التكوين المعماري المنشود ٠٠ وما ينطبق على المسجد ينطبق ايضا على المدرسة ٠٠ التي كانت لها وظيفة محددة بعيدة كل البعد عما نبحث عنه ٠

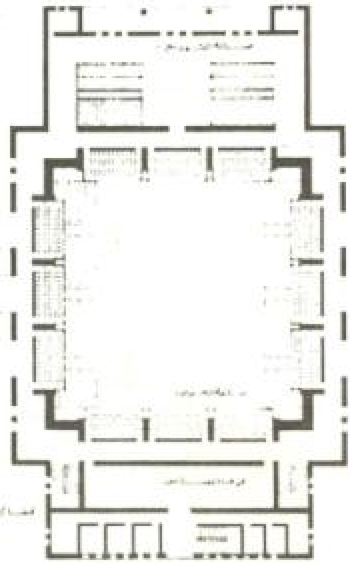
يبقى بعد ذلك المسكن ، ومن دراستي لمجموعة منها في القاهرة ـ كبيت الكريتلية ومنزل جمال الدين الذهبي ، ومنزل السحيمي ، وفي دمشق كقصر العظم وبيت السباعي ٠٠ لاحظت ان كلا منها لا يخلو من وجود صالة كبيرة تحتل اكثر من نصف مساحة البيت كانت مخصصة لاقامة الحفلات ٠٠ وهذه الصالات تتكون من ساحة ذات مستويات مختلفة كان يتم فيها العروض الفنية ٠٠ وعلى جوانبها الاربع نجد مجموعة من الايوانات التي كان يجلس فيها النظارة من الرجال ٠٠ وفي بعضها كما هو فـي بيت الكريتلية بالقـــاهرة ـ نجـد مشربيات علوية ٠٠ كانت تجلس فيها النظارة من النساء متحجبات عن الرجال ٠

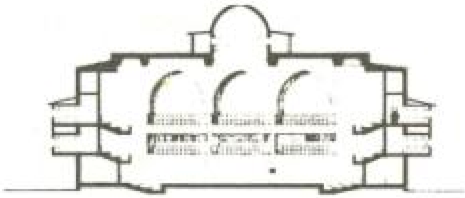
وفي تصوري ان الحفلات التي كانت تقام في تلك الصالات كانت غنية بمختلف الفنون ٠٠ فلاشك ـ انه كان يلقى فيها الشعر ٠٠ ويتم فيها الغناء والرقص ٠٠ والاناشيد الدينية ٠٠ وسرد القصص والحكايات ٠٠ وما يمكن أن يكون بـين هذا وذاك من محاولات للتمثيل ٠

وفي اعتقادي أن اختيار تلك الصالات كنموذج لاشكال معمارية مناسبة لمسرح عربي ـ لن يجانبه التوفيق ٠٠ رغم ما في هـذا الاختيار من جوانب سلبية قد تؤخذ عليه ـ فعلى سبيل المثال أن جميع هذه المساكن التي سبق وتوهت عنها هي من العصر العثماني ٠٠ ومن المعروف ان العصـر العثماني قد تاثر الى حد كبير في قيمه الوظيفية والفنية بالطرز الاوربية ٠٠ وذلك عن طريق اسطمبول وعلاقتها بالغرب ٠٠ وعلى ذلك فهو طراز نشكوك في عروبته الاصلية ٠٠ وفـي اعتقادي انه يمكن القول ٠٠ بان الطراز العربي منذ بدايته ٠٠ كـان دائمـا يقتبس مـا يمكن اقتباسه من الفنون التي وجدت في البلاد التـي نشا فيها ٠٠ ثم يطوع ذلك بما يخدم الفكـر العربي الاسلامي ، ففي العصر الاموي في الشام اقتبس الكثير من الطراز البيزنطي ٠٠ وفي مصر اقتبس من الطراز القبطي ٠٠ وفي العصـر العباسي بالعراق اقتبس من الطراز الفارسي والهندي ٠٠ وهكذا في باقي الحقب التاريخية فهو طراز ياخذ دائما ما يساعد على تحقيق ذاته٠٠ وينبذ ما يمكن أن يفقده هذه الذات ٠٠ وعلى هذا فانه من غـير الانصـاف أن يشك المرء في عروبة العمارة العثمانية وأصالتها ٠٠٠

وقد يعترض البعض بأن هذه الصالات كانت للخاصة من الناس فلم تكن لها طبيعة جماهيرية٠٠ كما هو الحال بالنسبة لمسـرح « ديونيزوس » اليوناني ـ ولهؤلاء المعترضين كل الحق فـي اعتراضهم ٠٠ ولكن اليس من المعروف أن البنـاء المعماري الوحيد الذي كان له صفة الجماهيريـة في الطراز العربي هو المسجد ٠٠ الذي لا يمكن







أن نتصوره مسرحا لمزاولة الانشطة الفنية ••

ورغم ذلك فاننى لا أدعى أنه لم تكن هناك تجمعات جماهيرية فى التاريخ العربى تزاول الاستمتاع بالفنون المختلفة فى أماكن عديدةخارج هذه البيوت •• ولكن هذه الاماكن لم يكن لها شكل معمارى واضح •

تجربة مقترحة

لكل ماتقدم فقد قمت بتجربة تصميم صالة عرض •• مسترشدا بالاصول المعمارية التى كانت تتبع فى بناء تلك الصالات •• مع الاخذ فى الاعتبار ، اضفاء الصفة الجماهيرية عليها•• مما يستوجبه التطور الاجتماعى الذى اتسم به المجتمع العربى الحديث • كما استخدمتفيها بعض الامكانيات اللازمة لاتمام العروض الجماهيرية•• كغرف الفنانين وأماكن اعداد المناظر •• ذلك دون المساس بالفكرة الاساسية للتصميم ••التى تتمثل فى وجود ساحة كبيرة للعرض •• على جوانبها الاربع مجموعة من الايوانات على مستويين لجلوس النظارة ••

أما ما يمكن ان تقدمه هذه الصالة من ملامح للعروض المسرحية التى يمكن أن تقدم عليها فانه يمكن تلخيصها فى الآتى : ـ

اولا : انه يجب كتابة نصوص مسرحية خاصة بهذه الصالة •• فالنصوص الاوروبية اوالعربية التى تلتزم بالاصول الدرامية الاوروبية ـ لاتصلح للعرض بها •• نظرا لاختلاف العلاقة بين الجمهور واللاعبين فى هذه الصالة عنها فى الصالات الاوروبية •

ثانيا : ان المناظر المسرحية (الديكور) لا بد وان يتخلص من كل النظريات المرتبطة بالمسرح الاوروبى •• فعلى مصمم المناظر لهذه الصالة أن يضع فى اعتباره أن المناظر يجب ان تشاهد من جميع الجهات وليس من جهة واحدة كما هو الحال فى المسرح الاوروبى •

ثالثا :ان المخرجين سيجدون انفسهم امام مشاكل جديدة لاتوجد فى المسرح الاوروبى وعليهم أن يجدوا لها الحلول الذاتية •

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن •• هو ••هل يمكن أن يقدم كل هذا ملامح عربية لمسرح حديث ؟

وفى اعتقادى اننا على أقل تقدير ستتاح لنا الفرصة لخوض تجربة جديدة خالصة من اىتأثير غريب عنا • ■■

• صلاح الدين كامل

الوليد رغم ضعفه الظاهر .. يملك بعض القوى التي حباه الله اياها لكي يعيش

الخصائص الرئيسية للوليد البشري

بقلم : دكتور زيدان عبد الباقي

الوليد البشري كائن انساني لا حول له ولا قوة ، ومن ثم يعتمد اعتمادا كليا على الاخرين ، وفي مقابل هذا العجز الشديد يهبه الله امكانات هائلة للاكتساب ، وتكون بعض اجهزته على استعداد للعمل المباشر للمحافظة على حياته ، والبعض الاخر ما زال امامه بعض الوقت لكي يقوم بوظائفه على الوجه الاكمل . ولا يستطيع الوليد البشري احداث اي تعديل في بيئته لاشباع حاجاته البيولوجية الا عن طريق الام .. ومن هنا كانت وظيفة الامومة ضرورية لبقائه .

ويلاحظ ان الخاصية الرئيسية التي يأتي الوليد البشري مزودا بها الى هذا العالم هي حالة العجز الشديد الذي يفوق اي عجز عند اي وليد آخر في السلسلة الحيوانية في بداية حياته بعد الميلاد . وفي هذا يقول سبحانه وتعالى « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » (النحل ٧٨) . ويلاحظ ايضا ان هذا العجز يرتبط ارتباطا واضحا بنوع الحياة الاجتماعية التي يحياها الانسان من حيث المستوى اذا قورن بمستويات التجمعات الحيوانية الاخرى ، ومن حيث تعقب وسائل التكيف المتبادل بداخلها ، واستناد هذه الوسائل الى درجة عالية من الاكتساب . فالوليد رغم ضعفه الظاهر ، فانه يملك بعض القوى التي حباه الله ايها لكي يعيش . فهو قادر على الاستجابة للمثيرات ، حساس لمطالبه الحيوية ، وفي نفس الوقت ، غير قادر على مقابلة حاجاته . كما ان ضعفه يجذب الاخرين اليه لرعايته ، وجاذبيته تملأ القلوب بمحبته وبمساعدته .

مساعدة الكبار للوليد البشري !

هذا وتدل كثير من الدلائل على ان حالة العجز لدى الوليد البشري تتوفر بدرجة تفوق كثيرا الدرجة التي تتوفر بها في اي مستوى حيواني آخر سابق على المستوى البشري وبين الوليد الشمبانزي الذي يمثل اعلى المستويات التطورية السابقة على الوليد البشري . اذ يلاحظ ـ على سبيل المثال ـ ان الوليد الشمبانزي يستطيع ان يتعلق بالشعر المتدلي من بطن امه بعد ساعة من ولادته . وبطبيعة الحال يعتمد هذا التعلق على قدرته على القبض بيديه على هذا الشعر . في حين ان القدرة على القبض باليدين لدى الوليد البشري لا تظهر بشكل



واضح الا في نهاية الشهر الثاني بعد ولادته . وكذلك يلاحظ ـ على سبيل المثال ـ ان الوليد الشمبانزي وهو متعلق تحت بطن امه يستطيع ان يحرك راسه منذ اليوم الثالث او الرابع لولادته . على حين ان قدرة الوليد البشري على تحريك رأسه وهو ملقى على ظهره لا تظهر بشكل واضح قبل نهاية الشهر الاول من عمره .

والرضاعة ـ كمثال آخر ـ تحتاج من الوليد البشري الى قدرة معينة على تحريك الشفتين واللسان والبلعوم ، حيث لا توجد هذه الوظيفة لدى الوليد البشري بشكل منتظم الا بعد ٤٨ ساعة او ثلاثة ايام من ولادته . وقبل ذلك توجد على شكل ارجاع او افعال منعكسة . وتبدأ في الانتظام في اليوم الرابع ، بينما هي عند الوليد الشمبانزي تبدأ منذ ولادته .

هذه الامثلة ، بالاضافة الى امثلة اخرى كثيرة ، تدل على الفرق في مستوى العجز لدى الوليد البشري اذ قورن بمستوى العجز لدى الوليد الشمبانزي . وعلى ذلك فاننا اذا قارنا عجز الوليد البشري باي عجز آخر لدى الاجنة الحديثة الولادة في مستويات السلسلة التطورية الاخرى فسيبدو الفرق اوضح من ذلك بكثير .

تعلم الصغار من الكبار !

ومما يلاحظ ان هذا العجز تصحبه في حالة الوليد البشري درجة مرتفعة من القدرة على الارتقاء Development وهذه الصورة الخاصة التي يتخذها المجتمع البشري ، هي تلك الصورة الفريدة التي لا تتوافر في اي مستوى آخر . ونستطيع اذا نظرنا نظرة تحليلية ان نجد علاقة اساسية بين حالة العجز هذه وبين مستوى التنظيم والتكامل الاجتماعي البشري . هذه العلاقة نستطيع ان نقرر انها على النحو التالي :

ـ مستوى من العجز يساهم بنصيب وافر في تحقيق الحياة الاجتماعية بصورتها البشرية .

ـ قدرة على الاكتساب تساهم في تحقيق درجة عالية من الارتقاء .

والسؤال هنا هو : كيف يساهم هذا العجز في تحقيق درجة عالية من التكامل الاجتماعي Social Integration ؟ والاجابة هي ان هذا العجز الشديد يساهم في تحقيق درجة عالية من التكامل الاجتماعي عن طريق الخطوات التالية :

(١) يحتم هذا العجز الشديد على الكبار (الامهات والاباء عادة) ان يكفلوا قدرا كبيرا من المساعدة وتلقين مختلف طرق التكيف لهذا الوليد البشري . وبما ان حالة العجز التي تستلزم قيام هذه المساعدة تفوق حالات العجز المماثلة في المستويات التطورية الاخرى فنحن نتوقع ان تكون المساعدة التي

لابد ان يبذلها الكبار (الاباء والامهات) للصغار في المجتمع البشري (عمليات الرعاية والتربية) تكون بمقدار يفوق كثيرا ما يقدمه الكبار الى الصغار في المستويات التطورية السابقة على البشرية .

هذا « التوقع » تتناوله كافتراض Assumption علمي يمكن تحقيقه على النحو التالي اذا اجريت ملاحظات على سلوك الكبار نحو الصغار في السلسلة الحيوانية نجد ان هذا السلوك ـ ونعني به سلوك المساعدة ـ يتفاوت في المقدار وفي التعاقب في المستويات التطورية المختلفة ففي ادنى هذه المستويات نجد الحشرات تضع بيضها وتتركه تركا تاما فيفقس وتخرج منه الصغار لتبدأ حياتها بنفسها . وفي اعلى المستويات تحت البشرية نجد الام الشمبانزية التي يظل طفلها معتمدا عليها ـ الى حد ما ـ لمدة ثلاث سنوات من عمره . وفي خلال هذه المدة الطويلة تقدم له احيانا الغذاء وبعض الخدمات الصحية كما تقدم له بعض الخدمات التربوية (تعويده على عادات سلوكية معينة) .

(ب) يحتم هذا العجز ايضا بالنسبة لعلاقة الكبار بالصغار في المجتمع البشري ان تستمر هذه العلاقة فترة اطول من ذلك بكثير ونستطيع ان نقرر انها في المتوسط ـ في مجتمعاتنا الحديثة تبلغ حوالي عشر سنوات . وطوال هذه السنوات العشر يقدم الكبار الى الصغار الغذاء والملبس والخدمات الصحية ، ويقومون بعمليات تربوية تفوق في تعقدها كثيرا عما تقدمه الام الشمبانزية الى طفلها .

تعلم وسائل التعبير والطلب

ومن ثم لابد لهذا الوليد من ان يتعلم ما يلقي اليه من توجيهات والا هلك اي لابد له من القدرة على التعلم والاكتساب بدرجة عالية والشيء الاساسي الذي يجب ان يتعلمه الوليد لتحقيق تكامله مع المجتمع واندماجه في الحياة الاجتماعية هو وسائل التعبير والطلب . فالطفل يتعلم كيف يستخدم البكاء كوسيلة للطلب ... والمناغاة كتعبير عن الشبع او السرور ... ولابد له من تنمية وسائل التواصل هذه .

فالصغار يتعلمون عن طريق المساعدات التي يقدمها الكبار ، كما اكدت ذلك بحوث التعلم لدى « هل » Hull وبحوث التشريط عند « بافلوف » واللغة من اهم الاشياء التي يتعلمها الصغار من الكبار ، ولا



سيا من ناحية الدور الذي تقوم به في تحقيق التكامل الاجتماعي . واللغة ـ ايضا ـ وسيلة من وسائل التعبير. فالصياح بصوت عال له معنى والسكوت له معنى. ونحن هنا بصدد ظاهرة انسانية لا وجود لها لدى المستويات تحت البشرية ـ وايضا الحياة الاجتماعية من الظواهر الانسانية ولكن تكرار حضور الام وهدهدتها له وتلبية مطالبه ، وتكرار هذا الامر يجعل الطفل يدرك انه اذا اراد حضور الام ، فما عليه الا ان يصيح او يبكي .

توافر المطاوعة بدرجة عالية

ومن الخاصيتين الثانية والثالثة نستنتج الخاصية الرابعة وهي توافر المطاوعة Plasticity بدرجة عالية ، حتى اننا اذا قارنا درجة قابلية وليد بشري للتشكل مع طفل من المستويات تحت البشرية ، فانه تتبين لنا قدرة الطفل البشري المرتفعة على المطاوعة او القابلية للتشكل وهذه القابلية او المطاوعة تسمح للطفل بتشكيل سلوكه باشكال مختلفة تتناسب مع انماط السلوك السائدة في مختلف المجتمعات التابعة لحضارات متنوعة وتدل كثير من البحوث الانثربولوجية على ان الوليد البشري يتمتع بدرجة عالية من المطاوعة تفوق كثيرا درجات المطاوعة لدى الصغار حديثي الولادة في المستويات الحيوانية السابقة على البشرية .

واكتساب الطفل هذه الخصائص يعتمد بصفة رئيسية على توافر خاصية المطاوعة ، وخاصية الاكتساب Acquisition الامر الذي يوفر على الوليد مجهودا كبيرا لكي تستمر حياته . واذا نظرنا نظرة تطورية للعلاقة بين

الكبار والصغار نجد انها تمر بمراحل في بداية السلسلة الحيوانية ، اذ نجد انها في بداية هذه السلسلة تكون في اضيق نطاق ، وفي نهايتها تكون على اوسع نطاق . ومن الامثلة على ذلك حشرة « الثاقبة » Earwing تضع بيضها وترقد عليه ، فمن يفقس ويخرج ، كان بها ، ومن لم يفقس ويخرج فانها لا تساعده وهناك السلاحف التي تبيض عشرات البيضات وتدفنها في الرمال وتتركها لكي تفقس وتخرج الصغار وحدها من البيض ومن تحت الرمال دون اي مساعدة من الام ، بل ودون وجود الام بالمرة وهكذا نستمر مع السلسلة الحيوانية حتى نصل الى الشمبانزية فنرى ان العلاقة تأخذ فترة اطول ، لاسيما في علاقة اعتماد الصغار على الكبار في السنوات الثلاث الاولى . ونجد ان معظم الخدمات التي يقدمها الكبار للصغار تتعلق ببقائها البيولوجي . وكذلك الحال في القطط حيث تنظف الام وليدتها بلسانها . وتلك خدمات صحية ، وتعلم الام الشمبانزية وليدها بعض انماط السلوك وتلك خدمات تربوية . كما انها خدمات قصيرة الاجل ، فقد لا تستمر اكثر من ثلاث سنوات ... بينما في المجتمع البشري نجد علاقة الكبار بالصغار تستمر مدة طويلة الى اخرى فهناك فئات تقدم خدماتها لابنائها حتى يتمكنوا من اتمام دراساتهم الجامعية وربما فيما بعدها ، وهناك من يستمرون في تقديمها حتى نهاية التعليم المتوسط . وهناك من يدفعون باطفالهم الى معترك الحياة بمجرد انتهائهم من مرحلة التعليم الاجباري ، واحيانا بدونها .

والسؤال الان هو :

كيف تساهم هذه النتائج بدورها في اكساب الانسان القدرة على ان يحيا حياته الاجتماعية التي لا مثيل لها في المملكة الحيوانية ؟

والاجابة ان الحياة الاجتماعية البشرية تمتاز بانطوائها من ناحية على درجة مقنعة من الاندماج والتماثل بين شخصيات افراد المجتمع ، ولكنها من ناحية اخرى لا تكفي الفوارق الفردية بين هؤلاء الافراد ، ولا تلغي ان لكل منهم شخصية ذات طابع مستقل يختلف الى حد ما عن شخصيات الافراد الاخرين .. تلك هي الخصائص الرئيسية للوليد البشري . ■■

د . زيدان عبد الباقي
استاذ مشارك بجامعة الامام محمد بن سعود

بين أم وابنتها

قالت الابنة لامها : غدا عيد ميلادي الخامس عشر يا امي .. وانت .. متى تحتفلين بعيد ميلادك . كم عمرك الآن يا امي ؟

واجابت الام : « خمسة وعشرون هذا العام ! »

وقالت الابنة وهي تبتسم : « عندي شعور غريب بانه سيأتي اليوم الذي اصبح فيه انا اكبر منك سنا ! »

لست انجليزيا !

قالوا للشاعر الامريكي الكبير روبرت فروست : « نحن لم نفهم قصيدتك .. نرجوك ان تشرح لنا المعنى الذي ذهبت اليه فيها ! »

وقال فروست في غضب : « ماذا تريدونني ان افعل بها ؟ .. هل اضعها في انجليزية ركيكة لكي تفهموا ماذا اريد ان اقول ؟ آسف فانا لست انجليزيا »

اليد والأيدي والأيادي

بقلم : محمد خليفة التونسي

الانسان مدين في كل ما وصل اليه من ثقافة وحضارة لامرين : عقله ويده ، فهما اللذان يميزانه من سائر الحيوانات .

وقديما عرض الفيلسوف اليوناني ارسطو لتعريف الانسان ، فقال : انه « حيوان ناطق » اي مفكر ، ومع تفكيره نشأ كلامه على اختلاف لغاته . لان اللغة ـ اي لغة ـ صورة الفكر ، والفاظ اي لغة تجري على وفق انظمتها الصوتية والنحوية والصرفية لتؤدي معانيها لدى المتكلم والسامع معا .

وجاء العالم الامريكي بنجامين فرنكلين فعرف الانسان بأنه « صانع ادوات » ، واليد ـ الى جانب الفكر ـ هي التي تتولى صناعة الادوات . بها صنع الانسان ابسط أدواته في البدء ثم ارتقى فكرا وعملا حتى تمكن من صنع ادوات ادق واكبر لتحقيق منافع اكثر ، وكلما سد حاجة بها تفتحت له حاجة أو حاجات جديدة ، تستلزم صنع آلات تحقق له سد الحاجات الجديدة ، وهكذا حاجاته لا تنقطع ما دام حيا ، وقديما قال شاعرنا :

نموت مع المرء حاجاته
وتبقى له حاجة ما بقي

ولولا أن يد الانسان قادرة على صنع الأدوات لسد حاجاته لما انتفع بفكره وحده كل هذه المنافع التي وصل اليها بصناعاته ، وهذه المنافع متجددة كحاجاته المتجددة التي لا تنقطع مدى حياته وتعريف فرنكلن للانسان لا يقل دقة ونفاذا عن تعريف ارسطو له .

وكلمة « اليد » ـ ونظائرها في لغات كثيرة ـ تدل على معان كثيرة ، واصل هذه المعاني عندنا ـ وعند كثير غيرنا ـ هو « اليد » بمعنى العضو الذي يتناول به الانسان الاشياء (أي الكف والاصابع معا) ، وقد تطلق « اليد » بمعنى جزئي على الأصابع وحدها او الكف وحدها وقد تطلق على معنى اشمل فتدل على ما بين اطراف الاصابع حتى الكتف (اي الاصابع والكف والساعد والعضد) ، كما اذا قلنا : « للانسان يدان ورجلان » فاليدان هما الطرفان العلويان ، والرجلان هما الطرفان السفليان .

وعن طريق تشبيه الحيوان بالانسان تطلق اليد مجازا على كل طرف من الطرفين الاماميين للحيوان ، كما تطلق الرجل على كل طرف من طرفيه الخلفيين ، وكذلك تطلق اليد على جناح الطائر ، لان الجناحين يقابلان اليدين في الانسان .

وقد تطلق اليد مجازا على ما تقبض عليه يد الانسان من اي شيء فنقول يد السكين ويد السيف ويد الموسى ويد الباب ... وهكذا ، والعلاقة المجازية هنا المجاورة .

ومن المجاز ايضا اطلاق اليد على العطية فالعلاقة المجازية هنا هي السببية لان اليد هي سبب العطية . ومثاله قول المتنبي :

هذه دولة المكارم ، والرأ
فة ، والمجد ، والندى والأيادي

وكل هذه الاستعمالات ونحوها خاصة بالحسيات ، ولكن تتولد استعمالات مجازية كثيرة لمعان اخرى ، اشيعها معنى « النعمة » فالعطية قد لا تكون حسية ، بل معنوية وهناك معان اخرى سنذكر بعضها هنا .

وايا كان معنى « اليد » حقيقيا او مجازيا ، وحسيا ومعنويا فجمعها هو « الايدي » و « الايادي » ولكن بعض اللغويين المعاصرين يختصون « الايدي » بالاعضاء ، ويختصون « الايادي » بالنعم او بكل ما يماثلها من المعنويات وهذا تخصيص لا تسوغه النصوص المأثورة ولا المعاجم ، ويظهر ان هذا التخصيص الخاطيء يرجع الى قرون فان أبا عبيد البكري في كتابه « التنبيه » الذي يذكر فيه مآخذه على كتاب « الامالي »

لابي علي القالي ـ يروي بيتين لشاعرنا « القحيف العقيلي » يصف فيهما مجلس شراب فيقول

« ومن اعجب الدنيا الى زجاجة
تظل ايادي المنتشين بها قبلا »
يصبون فيها من كروم سلافة
بروح الفتى عنها كأن به خبلا

ويعقب البكري على ذلك بقوله : « هذا البيت (الاول) شاهد على ان اليد العضو تجمع ايادي » ويؤيد ذلك رأي بعض اللغويين في ان الايادي « جمع » الايدي الذي هو جمع « اليد » وسواء صح رأيهم أولم يصح في ان الايادي ليس جمعا بل جمع جمع فانه يدل على ان « اليد » ايا كان معناها ـ تجمع على « الايدي » و « الايادي » بلا تفرقة بين معنى وغيره . وتجمع « اليد » أيضا على « اليَديّ » (كصبيّ) كما ان « الأيدي » تجمع على « الأيدين » وتصغر « اليد » فيقال « يُدَيّة » (كسمية) ويقال ان « يدي » (كظبي وجدي) حذفت ياؤها الاخيرة تخفيفا ، فانتقل مركز الاعراب (رفعا ونصبا وجرا) الى حرف الدال قبلها كما قيل : اصلها « يدا » مثل « رحا » و« عصا » كما في قول الشاعر :

قد اقسموا لا يمنحونك بيعة
حتى تمد اليهم كف اليدا

وكل اسم مثل « يد » قائم على حرفين يمكن اظهار حركات الاعراب « رفعا ونصبا وجرا » على حرفه الاخير مخففا او مشددا ، عند وصل او وقف ، في شعر او نثر مثل : دم ، أب ، اخ ، حم ، وكذلك لو كان اصله حرفا ثم صار اسما « لو » الشرطية كما في قول ابي زبيد الطائي :

ليت شعري ، وأين مني ليت
إن ليتا وإن لوا عناء

اي ان تمنى شيء والندم على فوته يسببان التعب . »

و « الايد » بمعنى القوة ، وهي جمع « اليد » ايضا مع حذف الياء ، على لغة قوم من الفصحاء يحذفون الياء من كل اسم منقوص في الشعر والنثر .

ويقال « يَدِي فلان » فهو « ميدي » (بوزن رضي فهو مرضي) اي شلت يده . وكل مرض في اليد من شلل او وجع فهو « يداء » كما يقال : زكام وصداع وهكذا وزن كثير من الامراض .

ويدَيْتُ اليه عونا أديته له .

و « أد » في الفصيحة هي « يد » و تثني « فيقال أديٌ ، وأيديك ، وأديه » وهكذا في الدارجة . و « جلس الطلاب بين يدي المعلم » ، اي امامه و « وقف هو بين أيديهم » اي أمامهم ، وفي القرآن الكريم على لسان الشيطان في اغواء الناس « ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم » ، اي من امامهم وورائهم لاغوائهم . وتقول « القرآن مصدق لما بين يديه من التوراة والانجيل » اي ما سبقه منهما .

وتأتي اليد مجازا بمعنى القدرة او السلطان او الغلبة والقهر ، ومنه الآية « يد الله فوق ايديهم » ويقال : « هذا الامر في يد فلان » او « ليس في يده » أي في سلطانه .

و « اليد » بمعنى المشاركة بنصيب في أي أمر ، والاصل في ذلك ان يشترك جماعة في حمل شيء بأيديهم فيقال مجازا « لفلان يد في الامر » او « لايد له فيه » .

وتأتي بمعنى الطاعة مثل « يدي لأبي » وبمعنى التسليم كقول الخليفة عثمان حين ضرب في مجلس خلافته عمار بن ياسر ، فغضب له مواليه بنو مخزوم وغيرهم من الصحابة « هذه يدي لعمار » اي انا مستسلم له ، فليحتكم بما يرضيه .

و « طول اليد » في المأثور كناية عن كثرة العطاء ومنه حديث النبي بين زوجاته « اسرعكن لحوقا بي اطولكن يدا » وكانت اسرعهن موتا بعده منهن « زينب بنت جحش » ، لكثرة بذلها للفقراء من عمل يديها . و« طول اليد » في الدارجة اليوم كناية عن اللصوصية او سرعة الايذاء وهو اصطلاح مقبول بلاغيا .

وفي الآية « يوم يعض الظالم على يديه » كناية عن الندم ، وقد يكنى بذلك عن الغيظ وشبيه به ما جاء في الآية بشأن موقف المنافقين تجاه المؤمنين « واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ » وكذا يفعل النادم والمغتاظ .

و« هذا التاجر يبيع بيدين » اي بثمنين مختلفين .

وفي الحديث « المسلمون يد على من سواهم » اي امرهم واحد ، فهو مجتمعون متعاونون ضد الخصوم وفي الآية « وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » فاليد المغلولة هي المقيدة فلا تعطي ، وبسط اليد كثرة العطاء .

القطار

بقلم : الدكتور يوسف عز الدين عيسى

ينساب القطار داخل نفق يبدو وكأنه بلا بداية وبلا نهاية . جميع مصابيح القطار مطفأة او قد يكون بلا مصابيح . الركاب الذين يشغلون جميع مقاعد عرباته لا يميزون بعضهم عن طريق العين ، بل عن طريق الاذن . الاصوات مختلطة لا يكاد الانسان يميز منها سوى بعض كلمات .

سمع الركاب وقع اقدام في ممر احدى العربات . قال احدهم في صوت رفيع يكاد يشبه صوت صياح الديك :

ـ هل انت رئيس القطار ؟

رد عليه صوت يقول :

ـ أجل .

قال ذو الصوت الرفيع :

ـ من اي محطة قام هذا القطار ؟

قال رئيس القطار :

ـ لست ادري .

قال صوت آخر قوي :

ـ كيف لا تعلم محطة قيام القطار وانت رئيسه ؟

قال رئيس القطار .

ـ انا مشغول باشياء اخرى .

قال الصوت الرفيع :

مثل ماذا ؟

قال رئيس القطار :

ـ التأكد من ان جميع الركاب قد دفعوا ثمن تذاكر الركوب .

قال الصوت القوي :

ـ وهل تأكدت من ذلك ؟

قال رئيس القطار :

ـ لا . لم اتأكد بعد .

قال صوت فتاة :

ـ ومتى ستتأكد ؟

قال رئيس القطار :

ـ عندما يقف القطار في محطة الوصول .

قال ذو الصوت القوى :

ـ وما هي محطة الوصول ؟ الى اين نحن سائرون ؟

قال رئيس القطار :

ـ لا احد يدري . سنعرف ذلك عندما نصل الى المدينة .

قالت الفتاة :

ـ عجيب ان تكون رئيس القطار ولا تعرف المكان الذي سنصل اليه .

قال رئيس القطار :

ـ هذه ليست مهمتي . انها مهمة الذين وضعوكم في القطار .

قال ذو الصوت الرفيع :

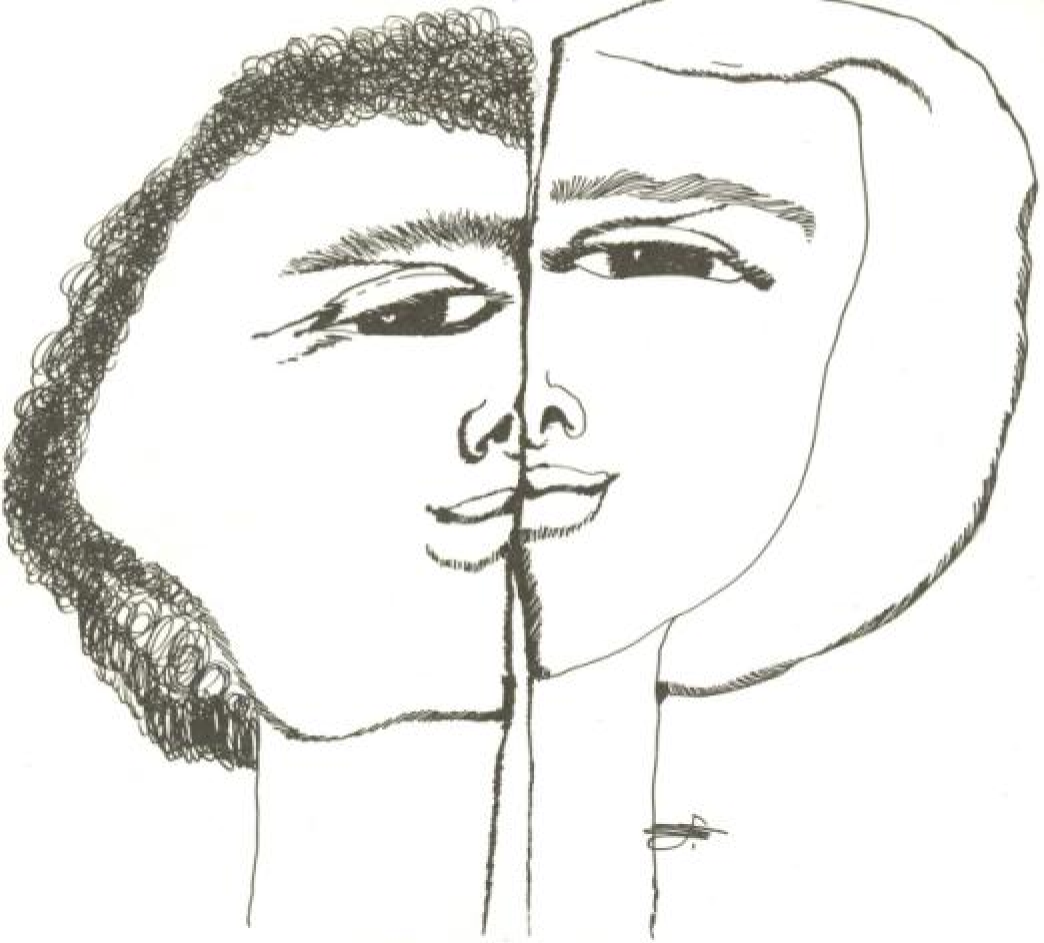
ـ ومن الذي وضعنا في هذا القطار ؟

قال رئيس القطار :

ـ لا شأن لي بذلك . انا لا اعلم من اين اتيتم .

قالت الفتاة :

ـ ولكن لنا الحق في معرفة المكان الذي نحن ذاهبون اليه .



سمعوا وقع اقدام تبتعد . قال ذو الصوت الرفيع :

ـ لا اذكر انني قطعت او دفعت اجر ركوبي في هذا القطار ، ولا اذكر متى ركبته .

لم يسمعوا ردا فاستنتجوا ان رئيس القطار غادر العربة . ساد صمت . ازدادت سرعة القطار فأخذ يهتز هزا عنيفا . صرخ بعض الركاب . هدأ القطار من سرعته فساد الصمت من جديد . فجأة خرج القطار من النفق . ركز جميع الركاب انظارهم نحو النوافذ . رأوا انوارا ساطعة لم تحتملها عيونهم التي اعتادت الظلام طوال الطريق فاغمضوا عيونهم . توقف القطار . اضطروا لفتح عيونهم . وجدوا الاضواء قد خفتت عن ذي قبل ثم اخذت تزداد تدريجيا فظلت عيونهم مفتوحة تتأمل مباني المحطة ومساكن المدينة التي وقف القطار عندها . اشرأبت الاعناق وبرزت الرؤوس من نوافذ القطار لقراءة اسم المدينة . وجدوا لافتة المحطة بيضاء خالية من الكتابة . رأوا رجلا فارع الطول يسير بين صفوف الركاب مرتديا بدلة صفراء . صاح الرجل قائلا :

ـ ماذا تنتظرون ؟ توقف القطار في محطة الوصول . ادركوا من صوته انه رئيس القطار الذي سبق أن تبادلوا معه الحوار في الظلام .

قالت الفتاة :

ـ هل من المفروض ان نهبط في هذه المدينة ؟

قال رئيس القطار :

ـ لقد وصلتم الى المدينة فماذا بقاؤكم في القطار ؟ لن يتحرك القطار بعد هذه المحطة انتم الآن في بداية الطريق . هيا اخرجوا .

قال ذو الصوت القوى :

ـ تقصد اننا في نهاية الطريق .

قال رئيس القطار :

ـ نهاية الطريق هي البداية .

لم يفهم احد شيئا وبدأوا يغادرون القطار . قال احد الركاب لرئيس القطار :

ـ ما اسم هذه المدينة ؟ اننا نهبط الى مدينة لا نعرف عنها شيئا ، حتى اسمها لا نعرفه .

قال رئيس القطار بلا اكتراث :

ـ وكيف اعرف اسمها ولافتة المحطة لا توجد عليها اية كتابة ؟

شعر الجميع ببرد شديد وسرت في اجسادهم قشعريرة جعلتهم يرتجفون . اكتشفوا انهم شبه عرايا لا يرتدون سوى ملابس العوم . اين كانوا ؟ هل جاءوا من احدى مدن الشواطئ وخرجوا من البحر مسرعين ليلحقوا بالقطار ؟ لا احد يدري .

عندما لاحظ رئيس القطار أنهم يرتعدون من البرد اشار نحو أحد مباني المحطة وصاح قائلا :

ـ اسرعوا الى هذا المخزن وارتدوا أية ملابس تجدونها .

انطلقوا يعدون نحو المخزن الذي وجدوه مليئا بالملابس من كل شكل ونوع . بعض الملابس كانت لضباط وعساكر شرطة وضباط جيش ، الى جانب ملابس عادية للرجال والنساء . بعضها أنيق وبعضها عادي والبعض مهلهل . اسرع كل منهم بارتداء ما وقعت عليه يده من ملابس ، فبدا البعض أنيقا والبعض في ملابس تنبو عنها الابصار . وفي غمار لهفتهم على ارتداء اي شيء يرد عنهم غائلة البرد اضطر بعض الرجال الى ارتداء ملابس النساء كما اضطر بعض النساء الى ارتداء ملابس رجال .

وقفوا عند باب المحطة المؤدي الى المدينة . رأوا في ميدان المحطة فرقة موسيقية بدأت تعزف الحانا جميلة احتفالا بقدومهم . اصطف على جانبي باب المحطة عدد من الجنود . فتح الحارس باب المحطة وسمح لركاب القطار بدخول المدينة . كان الجنود يؤدون التحية لكل من يرتدي ملابس انيقة ولا يعبأون بذوي الملابس القديمة او المهلهلة .

وقف ركاب القطار حائرين لا يدرون الى اين يذهبون في مسارب هذه المدينة التي لا يعرفون عنها شيئا . تقدم نحوهم رجل طويل نحيل يرتدي حلة زرقاء ذات ازرار ذهبية وفي يده عصا قصيرة ، وقال مشيرا نحو احد الشوارع الفسيحة التي تصطف على جانبيها الاشجار :

ـ كل من يرتدي ملابس انيقة يتجه نحو هذا الشارع ويعدو بأقصى سرعته ويحتل اية فيلا او اية شقة يجدها خالية ، ويزاول المهنة التي تؤهله لها الملابس التي يرتديها .

اسرع ذوو الملابس الانيقة يعدون . حاول أحد ذوي الملابس القديمة العدو معهم فجذبه احد الجنود واوقفه قائلا :

ـ لست منهم . الا ترى ملابسك المهلهلة ؟

ثم التفت نحو ذوي الملابس القديمة واشار نحو زقاق قذر على جانبيه مساكن آيلة للسقوط وصاح قائلا :

ـ اسرعوا نحو هذا الزقاق واحتلوا الاماكن الخالية فيه ، وليمارس كل منكم المهنة التي تؤهله لها ملابسه .

اندفعوا نحو الزقاق . نجح بعضهم في العثور على بعض الشقق المتواضعة الخالية ، وبقي عدد كبير منهم بلا مأوى . ظل الذين لم يوفقوا في العثور على مأوى حائرين لا يدرون ماذا يفعلون اتجهوا نحو الرجل ذي الحلة الزرقاء وسأله احدهم :

ـ لم نجد لنا مأوى .

قال الرجل :

ـ كانت المساكن الخالية امامكم فلماذا لم تسرعوا باحتلالها ؟

قالت فتاة ترتدي ثوبا باليا يكشف عن بعض اجزاء جسمها :

ـ اسرعنا على قدر طاقتنا ولكنهم ازاحونا عن طريقهم بقوة وعنف واستولوا على كل شيء ، ولا ندري كيف سنعيش في هذه المدينة .

قال الرجل ـ

ـ ليس هذا من شأني . تصرفوا .

كان الرجل ذو الصوت القوي يرتدي حلة فاخرة فعثر في الشارع الواسع على فيلا انيقة ذات حديقة رائعة . بعد نحو شهر ، عندما دخل غرفة نومه وجد فتاة جميلة جالسة على طرف السرير ترتدي قميص نوم شفافا . سألها :

ـ ماذا تفعلين هنا ؟ ان هذا منزلي . لقد عثرت عليه بعد مجهود عنيف .

قالت مبتسمة :

ـ هو منزلي انا ايضا .

عرف من صوتها انها الفتاة التي تحدثت مع رئيس القطار في اثناء الظلام . قال لها ـ

ـ من اين حصلت على هذا القميص ؟ لقد رأيتك عقب خروجك مع المخزن ترتدين معطفا انيقا .

ـ لقد اشتريته . المعطف الذي كنت ارتديه اهلني للحصول على وظيفة مرموقة حصلت منها على مرتب كبير .

قال الرجل :

والبدلة الانيقة التي عثرت عليها في المخزن اهلتني للحصول على وظيفة كبيرة ذات مرتب محترم .

قالت الفتاة وقد اضطجعت على السرير :

ـ الديك اعتراض على ان نعيش معا في منزل واحد ؟ ان منزلك جميل اعجبني .

انقض الرجل عليها وقبلها ثم قال :

ـ المنزل بدونك لا يساوي شيئا .

تعانقا طويلا ، ثم اطفأ النور وناما جنبا الى جنب ، قالت الفتاة :

ـ سنكون اسعد زوجين .

قال الرجل ذو الصوت القوي وهو يحتضنها :

ـ لن يكون في المدينة اسعد منا . وجودك في منزلي سيشيع السعادة والبهجة في كل ركن من اركانه .

ما كاد ينتهي من حديثه حتى سمعا جرس الباب . قام غاضبا يرغي ويزبد ويغمغم بكلام غير مفهوم . عندما فتح الباب اطل منه رجل ذو ثياب قذرة مهلهلة . قال صاحب البيت :

ـ ماذا تريد ؟

قال الرجل ذو الثياب المهلهلة :

ـ لم تؤهلني ملابسي للحصول على اى عمل ارتزق منه . اعطني بعض المال او كسرة من الخبز . تذكر صاحب البيت ذو الصوت القوي ان ذلك الرجل ذا الصوت الرفيع هو الذي كان معه في القطار . اعطاه بعض النقود واقفل الباب ورجع الى سريره .

تمكن الرجل ذو الصوت القوي من جمع اموال طائلة لم يكن يعرف كيف ينفقها . كان يشتري كل ما تشتهيه نفسه او نفس زوجته ولا يشعر ان نقوده قد نقص منها شيء ، بل كان كلما اسرف في الشراء ازدادت امواله .

بعد فترة اصبح لذلك الرجل ولدان . اكتشف ان عددا كبيرا من ركاب القطار تمكنوا من جمع ثروات هائلة ، بينما ظل البعض الآخر يتضور جوعا ويتسول في الشوارع والازقة .

ذات يوم بينما كان يهم بالانطلاق بسيارته الفاخرة اعترض طريقه رجل رقيق الحال ممزق الثياب . اتضح انه احد مرافقيه في رحلة القطار . طلب الرجل منه صدقة . قال ذو الصوت القوى انه في حاجة الى خادم . قبل الرجل على الفور ان يصبح خادما في منزل ذي الصوت القوي .

بعد فترة قصيرة اختفت جميع البضائع والمجوهرات الثمينة من حوانيت المدينة . لقد اشتراها سكان الشارع الانيق . ورزق الرجل ذو الصوت القوي بابنة ولدت كفيفة البصر . اصبحت تلك الابنة سوط عذاب يلهب جسده وجسد زوجته . تحولت الحياة في الفيلا الانيقة الى جحيم لا يطاق . ثم ظهرت اعراض الاختلال العقلي على احد ولديه ، ومرض الابن الثاني بشلل الاطفال .

ذات ليلة دق جرس الباب . فتح الخادم باب البيت فوجد امامه الرجل ذا الصوت الرفيع وقد اصبح شبه عار . اقبل صاحب البيت ذو الصوت القوي ، ولما رأى ذلك المتسول طرده واغلق الباب في وجهه مشيعا اياه باللعنات .

اصيبت الزوجة بالسل الرئوى . حزن زوجها حزنا شديدا وعرضها على اعظم اطباء المدينة . ذات يوم اعلن الراديو ان ركاب القطار مطلوبون للاجتماع في قاعة المدينة . ذهب الجميع الى الاجتماع يرتدي بعضهم الملابس الانيقة والبعض الآخر يرتدي الملابس البالية . انخرط الجميع في بكاء عنيف . وقف رجل على المنصة يرتدي حلة زرقاء . سألهم عن سبب بكائهم . قالوا : انهم منذ حضورهم الى هذه المدينة وهم في شقاء وعذاب متواصل . ارتفع صوت احد الرجال قائلا :

ـ لا اريد البقاء في هذه المدينة . انني اتعذب عذابا فوق احتمالي ، اريد الذهاب الى القطار قال الرجل الواقف على المنصة :

ـ لك مطلق الحرية في ركوب القطار . انه الآن في المحطة .

انطلق الرجل نحو المحطة ليلحق القطار . قال الرجل الواقف على المنصة متفرسا في وجوه الجماهير التي ما زالت تبكي من فرط الحزن والشقاء :

ـ القطار ما يزال في انتظار من يريد مغادرة هذه المدينة .

اسرع عدد آخر من النساء والرجال نحو المحطة . ظل الباقون يئنون ويبكون . قال الرجل ذو الحلة الزرقاء :

ـ وانتم ، هل ترغبون في البقاء ام في السفر ؟

صاحوا وهم يجهشون بالبكاء :

ـ نريد البقاء .

ـ رغم العذاب الذي تقولون انكم ترزحون تحت وطأته ؟

اجل نريد البقاء في المدينة رغم العذاب والشقاء الذي نعانيه .

انفض الاجتماع وذهب كل واحد الى منزله او مقر عمله او الى عرض الطريق .

حمل البريد ذات يوم الى الرجل ذي الصوت القوي خطابا يأمره بالتوجه الى المحطة هو وزوجته لركوب القطار ، وسوف تمر عليهم سيارة لتوصيلهم الى المحطة . وقال الرجل لزوجته :

ـ لقد ورد امر بذهابنا انا وانت لركوب القطار .

قالت الزوجة في دهشة وفزع :

ـ والاولاد ؟ هل سنتركهم وحدهم ؟

قال الزوج :ـ

ـ لا بد لنا في ذلك . لم يصدر الامر بركوب الاطفال معنا .

قالت الزوجة :

ـ لا يمكننا تركهم بمفردهم . كيف يعيشون بدوننا ؟ من الذي يرعاهم ؟ وكيف تعيش ابنتنا الكفيفة المسكينة بلا مساعدة او رعاية مني ؟

قال الزوج :

ـ لا بد من تنفيذ الامر . لا بد لنا في ذلك .

جمع الزوج والزوجة كل ما لديهم من اموال وتحف ومجوهرات في عدة صناديق وطلبوا من الخادم ان يرعى الاطفال . اعتذر الخادم قائلا انه ايضا ورد اليه أمر بركوب القطار .

ـ تركوا الاطفال بالمنزل وأنزلوا الصناديق المليئة بالاموال ووقفوا امام منزلهم في انتظار السيارة التي ستنقلهم الى المحطة .

اقبل سرب ضخم من اللوريات وقد حشر فيه عدد هائل من المسافرين ومعهم امتعتهم وصلوا الى ميدان المحطة فهبطوا من اللوريات وعندما هموا بدخول الباب المؤدي الى المحطة استوقفهم بعض الحرس وطلبوا منهم ان يخلعوا جميعا الملابس ولا يبقوا على اجسادهم سوى ملابس الاستحمام التي كانوا يرتدونها عند قدومهم الى المدينة . خلعوا ملابسهم وهموا بدخول المحطة . بعضهم لا يحمل في يديه شيئا والبعض يحمل حقائب تضم الاموال التي حصلوا عليها طوال مدة اقامتهم بالمدينة والتحف والبضائع التي اشتروها . اعترض طريقهم حارس البوابة قائلا :

ـ لن يسمح لاحد بأخذ أي شيء لم يكن معه عند قدومه للمدينة .

تركت جميع الحقائب خارج اسوار المحطة ، دخل جميع من كانوا في اللوريات وركبوا القطار ، وهم مذهولون . اكتشف الرجل ذو الصوت القوي ان الجالس بجواره هو الرجل ذو الصوت الرفيع الذي كان متسولا في المدينة . كانت ملابس جميع الركاب متشابهة . انها ملابس العوم التي كانوا يرتدونها عند قدومهم للمدينة . بحث الرجل ذو الصوت القوي عن زوجته فوجدها جالسة بجوار الرجل الذي كان خادما في منزلهم . حانت منه التفاتة من شباك القطار فرأى ابنته الكفيفة وولديه يبكون ويلوحون للقطار بأيديهم الصغيرة . كان في ميدان المحطة حشد هائل يشترك في وداع ركاب القطار وقد ارتفع صراخهم وعويلهم .

اطلقت المدينة زمارة الانذار فكان هذا ايذانا بتحرك القطار ، تحرك القطار ، وبعد بضعة امتار انساب داخل نفق مظلم وغاب عن الانظار ! ■■

د . يوسف عز الدين عيسى

ديجول اكتشف نفسه ٣ مرات

قال الجنرال ديجول ، اعظم قادة فرنسا وساستها ، ان الرجل الذي يتميز بخلق عظيم يجد جاذبية خاصة في المتاعب التي تصادفه ، لأنه وسط هذه المتاعب دون غيرها يكتشف الرجل ، ولاول مرة قدراته وامكانياته .. أنا شخصيا اكتشفت نفسي ثلاث مرات عندما قدت المقاومة ضد قوات النازي في بلادي ... وعندما قاومت جنرالات فرنسا المتمردين في الجزائر واخيرا وأنا اقف متحديا الوجود الامريكي في اوربا !

المعلم

هجر الرغد هازئا بالعناء في سباق الى ذرى العلياء
لم تنل منه حالكات الرزايا او يروعه عاصف من شقاء
عجبا ، كيف يستطيب مقاما من زوايا الحياة في بيداء ؟
يتلوى في بؤسه وتراه باسما ثغره عظيم الرجاء
بين جنبيه خافق يتلظى لم يهبه لذلة او رياء
وهو في عالم من الطهر والاحـ ـلام صاف معطر الارجاء
لا يبالي وهو الوفي المرجى ان يدين الورى بغير الوفاء
فهو يستعذب الجهاد بريئا لا لجاه او راحة او ثراء
همه رفع امة تتنزى نحو مستقبل لها وضاء
تنشد الخلد في الحياة ومجدا سطرته مآثر الاباء

❋ ❋ ❋

يا طبيب النفوس ، يا بسمة الكو ن ، ويا مشعل الهدى والضياء
جهلوا فضلك العميم ، وقدما سخروا من رسالة الانبياء
مهج بين راحتيك تغذيها بذوب المكارم الشماء
هي في دهرك الكئيب شهاب وهو انشودة الرضى والعزاء
هكذا تعشق النفوس المعالي حرة من سفاسف الاهواء

❋ ❋ ❋

ان المت سود الخطوب فانـ ـت النور يفري حشاشة الظلماء
جسد فوق هذه الارض يحيا مستميتا ، ومهجة في السماء

عيسى عصفور ـ دمشق

حوار القراء

الارقام العربية

● من الملاحظ ان الحديث عن التعريب اكثر من العمل ... فهلا عربنا الارقام الى حين نتفق على تعريب المصطلحات واسماء المخترعات الحديثة التي لا تقابلها اسماء عربية خالصة ام كما يقولون : اتفق العرب على الا يتفقوا . رجائي ان تبدأ حبيبتنا مجلة العربية بتعريب الارقام واستخدامها في ترقيم صفحات المجلة حتى لا تضيع الحقيقة بان الارقام التي يستخدمها الغرب ومعظم دول العالم هي في الاصل ارقام عربية . وحتى يعلم الذين لا يعلمون ويصفون الارقام العربية بأنها أرقام غربية .

املي كبير في أن تقوم مجلة العرب القراء بدور الريادة كما عودتنا دائما وما زالت تزيدنا عليا يوما بعد يوم .

صالح محمد اسماعيل
واشنطن

ـ الارقام العربية / 9876543210
الارقام التي نستخدمها نحن العرب / ٩٨٧٦٥٤٣٢١٠
ارقام غير عربية وان لم تخنى الذاكرة فانها ارقام هندية .

بداية القرن الهجري

● لقد تناقشت مع زملائي ومع كثير من المثقفين حول التقويم الهجري وكثيرون قالوا ان هذا العام الهجري ١٤٠٠ هو اول القرن الخامس عشر الهجري وأنا وآخرون نرى ان هذا خطأ اذ ان العام ١٤٠٠ هجري هو آخر سنة في القرن الرابع هجري انه يجب الا يخفى علينا ان اول سنة هجرية اخذت الترقيم واحد وليس صفرا وان اول سنة في القرن الخامس عشر هجري تبدأ منذ اليوم الاول لعام ١٤٠١ هجري فما رأيكم ؟

المهندس صادق طاهر
سوريا / السلمية / حماه

ـ سينشر العربي مقالا حول هذا الموضوع .

الى متى

● الى متى يظل النزيف الدموى فى الوطن العربى والاسلامى ومن أجل من ؟ أترى من أجل أن نكون تابعين للشرق او للغرب أو الصهيونية ..

فاين حملة رسالة محمد (صلعم) من جنود الحق بل واين المفكرون فى العالمين العربى والاسلامى لكى ينظروا فى التحديات والمشاكل التى تواجه الامة وفى الطرق والوسائل التى تجعل من العقيدة سبب قوة وتقدم لا سبب فرقة وخلاف ان خطورة هذا التناقض يجب أن يشغل القادة المخلصين والمفكرين الشرفاء عن كل دعوة الا دعوة النذير لدرء الخطر لا لتمزيق الصف والهاء الجماهير المسحوقة بالمعارك الداخلية حتى ضاعت هويتنا القومية والدينية فى دوامة الخلافات السياسية والصراعات الفكرية ..

خادم الله والرسول

حل اسلامي

● اقترح اختيار بقعة في العالم تزود بمكتبة اسلامية جامعة لعلوم التفسير والحديث وما يتعلق بها ، واختيار نخبة من علماء الاسلام يجتمعون في تلك البقعة وتؤمن لهم حياتهم .

وعملهم ينحصر في بيان الصحيح من احاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ثم تقسيم الصحيح الى درجات وفق قوة الحديث وتواتره .

محمد حسان شامي
ادلب/سوريا

هكذا تصان الحقوق

● في ايامنا هذه اصبحت كلمة « حق » مرادفة لكلمة « قوة » .. فصاحب القوة هو صاحب الحق .. اما الضعيف فان حقوقه تضيع تحت سياط البطش .. تذكرت هذا عندما قرأت قصة المرأة التي جاءت الى الخليفة المأمون تشكوه ظلم ابنه العباس .. فما كان منه الا ان امر ابنه بان يجلس مجلس الخصوم وصدر الحكم لصالحها . فاين نحن اليوم من عظمة اولئك الاجداد .. وايمانهم بالحق والمساواة .. ومعاملة الحكام للمواطنين على السواء دون تمييز بين قوي وضعيف .. ترى هل ستسود تلك الاخلاق الحميدة ثانية ؟

الدكتور محمد جبر
حلب .

اصل تسمية النقود العربية

● لاحظت اثر مطالعتي لمجلة « العربي » القراء ، العدد (٢٥٧) متعة في الدراسة التي اجراها الاستاذ / طلال مجذوب . واني نيابة عمن استمتعوا بتلك الدراسة ذات الاطلالة القصيرة ، لاشكر الاستاذ على دراسته غير اني اود ان اورد هنا اضافات ولا ارغب في تسميتها تصويبات :

فأما الدرهم فمأخوذ من الكلمة اليونانية درخم بمعنى قبض او تناول .

واما الجنيه فانه اول ما صنع ، صنع في القرن السابع عشر من ذهب غينيا

والريال صحيح ومعناه الملكي او السلطاني ، وهو منقول عن لفظة (regal) لاسبانية المتحولة بدورها عن اللاتينية ، فتحولت معها الجيم الى ياء ، كما تتحول معظم الكلمات الاسبانية المنقولة عن اللاتينية .

والقرش مأخوذ من كلمة جرمانية بمعنى الكبير . تطلق احيانا على الدستة ، ربما لاحتوائه على اثنتى عشرة قطعة صغيرة ، واصل تلك اللغة « جروشن » ـ (GROSCHEN) نقلت الى البولونية فنطقوها جروشي وبعد تناقلها بين السنة الترك وعملاء البندقية وجنوه ، وايطاليا المتاجرة مع النمسا والمانيا ثم مصر منذ القرن السابع عشر تحولت الى قرش .

والمليم فرنسي الاصل ، فهو جزء من الالف (MILLIEME) ذلك لان الجنيه قسم الى مائة قرش والقرش الى عشرة مليمات .

والمليم يعادل أربع بارات « بارا » وهي جمع بارة « التركية » والتي تعود بالاصل الى الكلمة الفرنسية (PRIS) وهي مادة تشتق منها مرادفات معاني النقود مثل القيمة والثمن والمكافأة ... واليها ترجع كلمة البريزة العربية .

اشرف ابو اليزيد مرسي
مصر . بنها

هجرة العقول العربية

● رغم كل ما نشر عن هجرة العقول العربية الى الخارج وما تمثله هذه الظاهرة من خطورة الا ان هذه العقول ستظل تهاجر ما دامت راية الفوز معقودة للجهل والجهلاء في بلادنا .

يأتي الفنى الاجنبي الى ديار العرب فتعطى له كل الامتيازات .. راتب ضخم ، سكن تذاكر طائرة الخ .. بينما الفنى العربي يقتات البؤس والجوع والمرض .. ابعد هذا نتساءل لماذا تهاجر العقول العربية ؟

محمد شويخ المشهداني
الدوحة/قطر

العربي في السودان

● مجلة العربي في السودان اخذت تختفي من المكتبات بسرعة .. وفي ظرف ٢٤ ساعة من وصولها .. فاذا اضفنا الى ذلك ميعاد وصولها غير الثابت ، اصبح الحصول عليها ضربا من المحال .

فنرجو ونلح بالرجاء، طبع المزيد من النسخ وارسالها الى السودان في وقت ثابت من كل شهر .

حافظ داود الصديق
السودان

الاستشراق

● قرأت في العدد رقم ٢٥٨ من « العربي » الغراء للكاتبة روز ماري صايغ تحت عنوان « نهاية الاستشراق » فرأيت ان اكتب اليكم مشيرا الى الملاحظة التالية : ان شمول الكلمة ـ الاستشراق ـ جعلنا نحن معشر القراء في حيرة من امرنا لاننا نفهم الاستشراق ـ رسالة ثقافية وتاريخية معا غايتها الاساسية خدمة تراث الانسان المشرقي عامة والعربي خاصة . وان لهذه الرسالة روادا نذروا انفسهم واوقفوا قدراتهم لخدمتها في مجال نفض غبار السنين عن القديم واستجلاء ما غمض من جميل معانيه ونفيس دفائنه وتقديمه بالتالي الى العالم بشكل صحيح لاغناء التراث الانساني العالمي المتكامل . فاستحق مثل هؤلاء الرواد لقب « حفظة التاريخ » .

ومن اشارة لصاحبة المقال ان الاستشراق « احد معاقل الاستعمار الثقافي » « وهذا زاد الموقف حرجا لصعوبة التسليم بمجمل هذا القول دون تحديد ابعاد الكلمة اذ ان جميع المستشرقين ومترجمي الآداب المشرقية ليسوا على شاكلة لورنس وفيلبي وغيرهما

اذ من كتب تاريخ غسان القبيلة العربية العريقة بمثل ما كتبه المستشرق تيودور نولدكه ؟ ومن كتب عن تدمر وبين الضائع من تاريخها مثل ما كتبه العالمان وادنكتون والمركيز دي فوكيه « اللذان افتتحا الدروس التدمرية وخدما العلم بما اكتشفا » على حد قول العلامة سيستيان رنزفال ، الى مثل هؤلاء الاعلام اللذين حافظوا على طهارة الاستشراق وقدسيته نشير كي لا نؤخذ بعاطفتنا الى متاهة فكرية نقبل فيها بكل شيء او نرفض كل شيء، ونحرم بالتالي من التحصيل المفيد الهادي، الذي لا يتوفر الا بالعاطفة المتزنة ....

يحي عمار
لبنان

كتاب الشهر

العرب فى المرآة

تأليف : جوناثان ريان

عرض وتقديم : فيليب جلاب

الذين يدركون قوة التأقلم لدى البدو سيصابون بالفزع !



تقديم :

« سوق » الكتابة عن العرب رائجة أيضا . لكنها كأي « سوق » لا تخلو من بعض المحتالين وأدعياء الكتابة والصحافة . وقبل الحديث عن الكتاب الذي تقدمه آثار الانتباه كتاب آخر ذو عنوان يبدو جادا او اكاديميا : فهو حوالي ستمائة صفحة بعنوان « العرب ـ تاريخهم واهدافهم وتحدياتهم للعالم الصناعي » . واول ما يلفت النظر أن ثمن الكتاب رغم ضخامته ـ أقل من أربع دولارات . اي أنه يباع الآن بأسعار ما قبل عشرين عاما تقريبا . ولذلك فقد وزعت في الولايات المتحدة الامريكية واوروبا الألوف من النسخ . ويبدأ الكتاب بملحوظة كتبها المؤلف عن نفسه بأنه قبل أن يتفرغ عام ١٩٧١ للكتابة نشر عدة كتب تبحث في الحضارة العربية والاسرائيلية . وما أن تتجاوز بضع صفحات في الكتاب نفسه حتى تكتشف أنه من عينة « الكتب » التي يصدرها قسم « الدعاية السوداء » في المخابرات الاسرائيلية وهو يشبه الى حد كبير الكتاب الذي اصدرته المخابرات الاسرائيلية في بيروت بعد عدوان ١٩٦٧ بعنوان « وتحطمت الطائرات عند الفجر » ، مع فارق واحد هو أن مؤلف الكتاب الجديد المدعو « كوماس كيرنان » يمتلك قدرا من البذاء والانحطاط الفكري والخلقي قل أن تجتمع في انسان واحد اذ يحكي هذا السيد كريان كيف رأى همجية ووحشية العرب بعينيه ، عندما قام أحد الرجال الفلسطينيين في احدى المعسكرات في لبنان بقتل طفلة فلسطينية اصيبت في رجليها من جراء غارة اسرائيلية .

ثم كيف عرض عليه أحد مشايخ القبائل العربية ان ينتقي احدى زوجاته او بناته لكي تقضي معه الليل في خيمته !! وعندما حاول ان يرفض ، أبلغه الدليل أن الرفض « اهانة » لشيخ القبيلة لا يمكن أن يغسلها الا الدم ... دم الامريكي !!!

الى هذا الحد يمكن أن يصل عملاء المخابرات الاسرائيلية في التشهير بالعرب واختراع كل ما يخدش سمعتهم وتاريخهم وانسانيتهم .

أول ما أثار انتباه « جوناثان ربان » في الطريق المرتفع الذي يربط جزيرة المحرق بالمنامة عاصمة البحرين هو تشابك حضارتين متناقضتين ومتكاملتين : « أسطول » او قافلة الجمال ، وووراءها مباشرة تبدو الزوايا الحادة للكراكات والروافع والقلابات وغيرها من الأجهزة الأوروبية والامريكية العملاقة . وبعيدا عن هذا كله في خلفية الصورة الممتدة الى الجنوب كان وهج الشعلة المتأججة من مصفاة البترول تحاول تحدي القمر المضيء . ومنذ أن وصل الى البحرين الى أن غادر منطقة الخليج ، لاحظ أن السيارة من أنسب الأماكن ذات الخصوصية لصاحبها . وهي عادة سيارة كبيرة تستطيع أن تنام فيها وتأكل وتشرب وتمارس أعمالك وحياتك الاجتماعية .

كانت سيارة الأجرة التي ركبها ذات « ديكور » داخل باذخ ، وهي اشبه بمحارة مغطاة « بالموهير » الوردي . وادار السائق على الفور جهاز التسجيل « واغرقني في طوفان من تحبب الحبيب المهجور » ويبدو أن المؤلف لم يتح له من قبل الاستماع الى صوت السيدة أم كلثوم لذلك فقد اثارت لديه ردود فعل غريبة : « ان افضل المغنين العرب هم الذين يمكنهم اطالة الاغنية لتستغرق تسعين دقيقة . واكثر المغنين شعبية بين هؤلاء جميعا مغنية مصرية توفيت منذ فترة ، تعرفها كل انحاء شبه الجزيرة باسم « السيدة » (او « الست ») وهي ذات خبرة في هذا الفن الغريب لدرجة أنني لم أصل أبدا الى نهاية اية اغنية تبدؤها .

« وفي البحرين كانت المغنية تبدو ساهمة ، وفي قطر غير منفعلة للعزاء او السلوى . وفي ابو ظبي كمن اسقط في يدها . اما في دبي فتدخل في حالة من الجنون الانتحاري ، يظل دون تغير خلال اليمن ومصر والاردن » .

(لكنه سرعان ما اعتاد صوتها وغناءها : « كنا لا نزال في منتصف الطريق المرتفع . ولم نبتعد عن المطار اكثر من ميل واحد عندما اصبحت « السيدة شيئا مألوفا لي » .

لا لوم اذن على المستمعين العرب .!

وقد وصف ناقد بريطاني كتاب كيرنان هذا بانه لم يحدث ان قرأ طوال حياته كتابا ينضح بالعنصرية ضد العرب وضد أي شعب آخر كما قرأ في ذلك الكتاب .

اما الكتاب الذي ظهر بعد ذلك مباشرة ، وهو الذي نقدمه في هذا العدد فهو مختلف تماما من جميع الوجوه . الكتاب يمكن ترجمة عنوانه : « العرب في المراة » ولا يدعي مؤلفه « جوناثان ربان الناقد الادبي والكاتب المسرحي البريطاني انه دراسة اكاديمية او تاريخية لكنه كما وصفه ناقد بريطاني « يضع مؤلفه في طليعة كتاب الرحلات البريطانيين .

يقول المؤلف « ربان » ان بعض « جيرانه » العرب في لندن اثاروا فضوله فقرر أن يطير الى الشرق الاوسط ليزداد معرفة بهم :

وقبل أن يغادر لندن تلقى اثنى عشر درسا في اللغة العربية على يد فتاة مصرية تدعى « فاطمة » . وتجول « ربان » بشكل اساسي في البحرين ودولة الامارات العربية واليمن ومصر ، وهو يعتقد ان الاماكن التي زارها جرت فيها تطورات او تغيرات لا حد لها من جراء النفوذ المالي للمملكة العربية السعودية .

والكتاب نوع من أدب الرحلات بأسلوب راق وخلفية ثقافية متنوعة . لكن المؤلف يتأرجح في انطباعاته بين اللمحة الذكية البارعة احيانا وبين التعجل الذي لا يخلو من استخفاف او تعال احيانا أخرى .

لكن الكتاب ، في كل الاحوال لا يمكن تجاهله ويستحق أن يقرأ ويناقش .

العسل والذباب

احدى المترادفات الكثيرة لكلمة « صحراء » باللغة العربية ـ كما يلاحظ المؤلف ـ هي كلمة « التيه » او « المتاهة » . ومن ثم فان رجال الصحراء الذين ينتقلون الى المدينة يتطلعون الى حماية انفسهم فيها لا شعوريا عن طريق بناء « متاهات » حول مساكنهم ، كالازقة والحواري المغلقة والانفاق والدروب المتشعبة ، التي يتوه فيها الغرباء بعد ثوان من الدخول فيها .

لم يتوقع ربان « ان يصادف في « مدينة بترولية » مثل تلك الطرق والازقة الضيقة والمعقدة » « كانت السيارة تكاد تنحشر وهي تحاول تجنب مرابط الدواب وابواب الدكاكين على جانبي الطريق ، ويبدو أي زقاق كأنه لا ينفتح الا بالقدر الذي يسمح لنا بالمرور ، وسرعان ما ينغلق بعد مرورنا » .

كان المؤلف يتوقع أن تكون المنامة مدينة كئيبة لكنه فوجىء بطرائفها ومتناقضاتها . فكل حرفة او تجارة لها شارع او زقاق خاص بها تحدده الظروف العملية والتقاليد . وفي رأيه ان اقوى القلاع العربية ضد فرض الحضارة الواحدة او الموحدة ، هو هذا التنوع والتقسيم والفصل بين الاشياء يؤدي الى اختلاف وتنوع الناس ايضا . وفي كل منعطف حيث تنتهي حرفة وتبدأ اخرى تلاحظ اختلافا واضحا في لون البشرة وأسلوب الملابس . إن الاعمى يستطيع أن يجد طريقه وسط هذا التنوع عن طريق حاسة الشم فقط .

في شارع النجارين تشم رائحة خشب الصنوبر المنشور حديثا . وعندما تبدأ رائحة التوابل النفاذة ينتهي حي النجارين . وفجأة تجد نفسك أمام رجال من نوع خاص ويتسع الشارع وتزداد المباني ضخامة وحداثة وتبدأ رائحة النقود الدولية ورجال الأعمال . هناك تشم رائحة مزيلات العرق ووسائل تنظيف الملابس (دون غسيل) وسيجار هافانا .

وما ان يخرج المؤلف من المدينة الى الضواحي حتى يبدو له كل الناس هناك بين واقف فوق سلم او غائص

داخل حفرة . وعلى طول الساحل كانت الروافع الضخمة تنقل الرمال الى خارج الخليج وتكدسها في الجزيرة . بدت له البحرين في تلك اللحظة أضخم من المعتاد . فهي تنمو الى أعلى وتتسع الى الخارج في سباق جنوني لتحقق في الدقيقة الاخيرة أكبر ما يمكن انجازه من دخلها البترولي الذي يتناقص سريعا . في كل مكان تنتصب هياكل لم تكتمل بعد للمستشفيات والمدارس والمراكز الرياضية والمحلات التجارية . وتحتشد اللوريات بعمال البناء الكوريين الذين يشبهون بزيهم الاخضر الموحد ، اسرى الحرب .

وكان « ربان » قد قرأ أن البحرين من أقدم وأفقر دول الخليج وأكثرها تقشفا . لكنها لا تبدو له الآن على هذه الصورة . انها « اشبه بطبق العسل الذي تئز من حوله مجموعات من الذباب المهتاج » . وفي كل موقع بناء تقرأ لافتة اشبه بالتعاليم : « اليابانيون فعلوا هذا ، والالمان فعلوا ذلك ، والفرنسيون او البريطانيون هم الذين انجزوا تلك ، والامريكيون يجمعون تصيبهم من العسل ، وكذلك الهنود والسويديون والهولنديون ومجموعات من الشركات التي لا وطن لها الهاربة (بدون عنوان ثابت) من جحيم الضرائب .

في بريطانيا تفخر المصانع والمؤسسات بتاريخها الطويل الموغل في القدم . اما في المنامة فالامر على العكس تماما .

وتبدو البحرين ، التي لا يتجاوز سكانها عدد سكان بورغموث ، وصحراؤها اقل من حجم منديل على الخريطة ، متنوعة ومعقدة كأي عاصمة فلا يبدو أن أحدا حاول أن يكلف نفسه دراسة الخريطة . وحدود المكان لديهم هي التي تقررها النقود والآلات والمقاولون ورجال الاعمال ، وقدرتهم على استغلال ذلك الجيش الكوري والباكستاني من العمالة الرخيصة . فهل هو تغيير من اجل التغيير ؟ وأن يتحول البحر الى ارض والنفط الى بنزين والجمبري الى اكياس مجمدة ، وأن يحفر او يجمد او يحرك كل شيء ويعاد بناؤه او تركيبه ؟

الفرق بين الشحاذ العربي والاوربي

في كل بلاد الخليج بدأ العد التنازلي بالنسبة للبترول . البعض أمامه ثلاثون عاما قبل ان ينفذ البترول ، والبعض عشرون عاما فقط ، اما الآخرون مثل البحرين فقد بدءوا في استنزاف الاحتياطي وإما ان يتمكنوا الآن من استثمار دخولهم الحالية ويعيشوا كاعيان العصر الفيكتوري في انجلترا ، على ما تدره من عوائد او ايجار ، او يغامروا بأموالهم في « احلام خادعة لعمليات تنويع صناعي يهدف مواصلة انتاج الثروة الى فترات طويلة بعد ان يجف البترول » .

ولا يبدو واضحا السبب الذي يجعل المؤلف رافضا لفكرة التنوع او التنويع الصناعي في البحرين او الخليج .

والكلمة نفسها لها رنين « سخيف » في أذنيه هل لأن التصنيع خارج أوربا يفقد الخليج وشبه الجزيرة « رومانسيتها » المحببة الى الاجانب ، أو لأن التنويع كما رأى في البحرين لا يزال « مجرد كلمات على لافتة منتصبة فوق براميل فارغة ، وسور من الاسلاك الشائكة ؟» .

في سوق الذهب في البحرين لاحظ « ربان » بعين ثاقبة شحاذا بساق واحدة وهو ينهي « عمله » ويقوم من مكانه متحاملا على عكازة ، بعد أن لف الطبق الذي يتلقى فيه الاحسان بقطعة قماش قديمة . وعلى بعد حوالي خمسين ياردة من موقعه الأول توقف الشحاذ الاعرج أمام شحاذ اخر « فقد كلتا ساقيه) واسقط قطعتي عملة في طبقه ، وواصل سيره « لقد عجبت من هذه السلسلة الغريبة لفعل الخير التي امتدت لتصل الى هذا الرجل البائس الذي حسبته بائسا وعاجزا لدرجة لا تسمح له بان يقدم احسانا الى زميل اخر مقطوع الساقين . ان الاحسان هو احد الواجبات الصارمة لدى المسلم . وحتى المحرومون عليهم أن يمارسوا نوعا من فعل الخير مع الاكثر حرمانا » .

ويقارن المؤلف بين حرفة الشحاذة في البلاد العربية وفي أوربا او بريطانيا . ويرى أن الاحساس في الغرب مسألة شخصية تماما تتعلق بطرفين في نوع من التمثيلية القذرة ، التي تظهر كرما زائفا من ناحية المحسن ، وامتنانا زائفا من الشحاذ : اما في المنامة فالأمر مختلف حيث لا يصدر عن المتلقي أي شكر او ايماءة اعتراف بالجميل ، ويبدو المحسن كمن يقدم النقود الى شيء او جذع شجرة فالعلاقة هنا بين اشياء وليست بين اشخاص . « والشحاذة وظيفة اجتماعية مستقرة ، كما أن الاحسان او فعل الخير واجب اجتماعي مستقر » .

البدو في مواجهة العاصفة

الصورة المقابلة في « بار » فندق الخليج حيث يجتمع

الطبقات « الراقية » من كل الجنسيات . ليست هناك امور خصوصية بالمعنى المعروف . وأثناء زيارة المؤلف كان أحد رجال الاعمال الاجانب يحاول ابعاد زوجته التي يسبب بقاءها حرجا له . وبعد ان سلم جواز سفرها انشغل ببذل جهد وراء الكواليس ليضمن خروجها على أول طائرة .

وفي فترة بعد الظهر يتحول « بار » فندق الخليج الى بورصة حقيقية . وتسمع همس المال في الهواء وتتناثر أسماك القرش الصغيرة حول اجهزة التليفون بينما تنتشر « القروش » الكبيرة في الاركان المعتمة . وليس هناك تخصص لرجال الاعمال في تلك المنطقة . اليوم صفقة لحوم وبعد أيام يوقع عقد بناء أو يستورد ملابس جاهزة .

في متحف « العين » في الصحراء على بعد ٦٠ ميلا من ابو ظبي التقى المؤلف بالمرافق الفلسطيني الذي سيصحبه . كان الصباح مثقلا بأخبار هجوم اسرائيلي على مراكز فلسطينية في لبنان « مما اقام جدارا من الثلج بيننا » .

ورغم بعض المشاكل الروتينية التي كادت ان تحول بين المؤلف وبين هدفه الاساسي وهو زيارة اسرة بدوية . استطاع الفلسطيني أن يسوي الامر مع السلطات واتجها بالسيارة الى القرية . وفي الطريق تتابعت أنباء الغزو الاسرائيلي من خلال الراديو . واحس « ربان » بالموقف المتوتر فقال لرفيقه بدون تفكير : « انني أسف ».

قال الفلسطيني متسائلا : علام تأسف ؟ أمن أجل وعد بلفور ؟!

اشد ما أثار المؤلف ان تلك المستطيلات التي تتناثر في قرية تبدو مهجورة في مهب الريح . تختلف تماما من الداخل .

طرق الفلسطيني كثيرا من البيوت ولم يتلق اجابة . وعند الباب الرابع اجاب رجل عجوز مرحبا بهما داخل المنزل . كان الفناء واسعا تتناثر فيه الأشجار وتغمره الشمس . وفي وسط الفناء ما يعد غرفة استقبال خارج المنزل . تحيط بها تعريشة عنب وبعض اشجار السنط . وكان المكان باردا كأنه مكيف . وأحضر المضيف إناء نحاسيا مليئا بالبخور وقدم لكل منهما صندوقا من المناديل الورقية . ونادى الرجل فجاءت القهوة وعصير البرتقال .

وبدأ تبادل المجاملات كأي اجتماع دبلوماسي :

« قلت للعجوز انني فخور بأن اكون ضيفه في هذا البيت الجميل . فقال بأن هناك صداقة عميقة تربط بين الشعب الانجليزي والعرب وأنه فخور بالترحيب برجل انجليزي في بيته . كان مسرورا عندما وصفت منزله بانه جميل ، لكنه لم يحاول ان ينسب لنفسه فضلا في ذلك ، فالمنزل وجد بفضل الله ، وأريحية الشيخ زايد » .

ومر الوقت بسرعة السلحفاة دون ان يبدأ الحوار الحقيقي اذ يجب ان تستنفد كل انواع المجاملات اولا ، ثم يبدأ الحوار بعد ذلك : « وحلقنا الى اعلى المستويات حتى لم يبق شيء لم نجده في بلدينا ، سواء كان التاريخ او الحكام او روح الشعبين . وبعد أن أقمنا صداقة دولية كاملة بين انجلترا وابو ظبي ، استطعنا ان نتحرر اخيرا ونبدأ الحديث » .

ولا يفوت المؤلف في هذه المناسبة أن يوجه بعض الغمز واللمز الى الطريقة التي تدار بها أمور السياسة في الشرق الاوسط : « حيث تكون فيها اكثر الاحاديث صحة هي اكثرها مبالغة » .

والطريقة التي تدار بها أمور السياسة في الشرق الاوسط لا تختلف في رأيه من حيث الاسلوب والوقت الذي تستغرقه عن المجاملات التي دارت بينه وبين مضيفه العجوز . فيما عدا انها تتخذ في حالة السياسيين تبادل الشتائم والاهانات بدلا من الاعجاب والتكريم !

بدأ العجوز في الرد على استفسارات « ربان » . قال إن حياتهم كانت مختلفة تماما منذ ستة اعوام كانوا يقضون الصيف في قلعة طينية ، على بعد أميال من الطريق ، مع عائلات اخرى كثيرة ، وفي الشتاء يرحلون مع ابلهم وماشيتهم جنوبا حتى مسقط ، حيث يعيشون في الخيام وكانوا فقراء بمعنى الكلمة ، لا يعرفون شيئا عن السيارة او التليفون .

اما الآن فبفضل الله وأريحية الشيخ زايد ، أصبحوا يملكون هذا البيت الجميل ، ولديهم تليفزيون وحياتهم ميسرة وليسوا في حاجة الى أي شيء . لقد اصبحت « العين » مدينة جميلة بعد ان كانت مجرد واحة ، وبها فندق « هيلتون » وآخر يسمى فندق روليكس » (واسماء الساعات الشهيرة تعد من الرموز القوية في هذه المنطقة) .

من الملاحظات الذكية للكاتب البريطاني ان العرب حتى لو كانوا من البدو ، لديهم القدرة على التماسك كأسر منعزلة في مواجهة المدينة او الحضارة الحديثة ، مع التأقلم معها في سرعة غير عادية في نفس الوقت .

وبينما يرى الكاتب ان نصف شعوب افريقيا دمرتها العاصفة الهوجاء المفاجئة للمدينة الحديثة وسحقت شعوبا اخرى بالكامل في مناطق مختلفة ، صمد البدوي الذي تلقى عاصفة هذا القرن على أم رأسه واستطاع ان يتعامل مع هذه الحضارة داخل اسرة متماسكة تحميها حوائط كثيفة من الطوب والاسمنت .

كأي شيء في الداخل

واكتشف جوناثان ريان هذه الحقيقة من مشاهداته ومن خلال الحوار الذي جرى مع البدوي العجوز .

سأل ريان : الا تعتقد ان تحول « العين » الى مدينة حديثة قد يجلب معه بعض الشرور بالنسبة لعائلة متماسكة اعتادت الحياة داخل بيت متعزل ؟

قال العجوز ان عائلته ستظل متماسكة دائما . ان ابنه الاكبر يعمل مهندسا وتلقى تدريبه في بيروت ولندن ، وكان يرسل خطابا لاسرته كل اسبوع وعندما عاد من الخارج لم يخرج عن طاعة أبيه .

وسأل ريان مرة اخرى هل لديك تليفزيون ؟ وقال العجوز ان لديه اثنين . واحد للرجال والآخر للنساء .

ألا يخيفك في التليفزيون ما تراه من عنف وتمزق لشمل العائلات في لندن او نيويورك ؟

ـ التليفزيون معلم كبير نعرف عن طريقه الكثير عن البلاد البعيدة . وهناك الكثير الذي يعجبنا مما تراه في بريطانيا او امريكا .

يقول المؤلف انه كلما كان يتحدث اكثر عن عالم العنف والبلطجة والتمزق الذي تجلبه الحضارة الحديثة ، كلما ازداد العجوز واولاده تأكيدا بأن شيئا من هذا القبيل لن يحدث هنا ، ومهما ابتعد الاولاد في العمل او التعليم فلا بد ان يعودوا الى بيت الاسرة كل يوم جمعة على الاقل !

لكن يلاحظ المؤلف ان حرمان المرأة من حق ارتياد المجالات الحديثة التي اقتحمها الرجال ، يعني أن الثقة التي يتحدث بها البدوي عن عدم خوفه من المستقبل ، تعتمد على الاحتفاظ بالمرأة في الماضي .

في طريق العودة الى ابو ظبي تغيرت نظرة الكاتب الى القرى التي شاهدها من الخارج قبل أن يدخل بيوتها . لم يعد الآن ينخدع بمظهرها الخارجي الذي قد يبعث للوهلة الاولى على الكآبة . فقد اكتشف ـ كما يقول ـ ان هذه البيوت التي تبدو كالصناديق المستطيلة المغلقة من الخارج هي جزء من وجهة نظر أصحابها . انهم يركزون كل شيء على داخل البيوت وليس خارجها ولقد نجحوا في اختصار هذا القرن العشرين (الذي يصعب السيطرة عليه) الى المدى الذي يمكن التعامل به معه ، أو استئناسه بالمقاييس المحلية داخل حدودهم وبيوتهم .

(من عش النسر)

جوناثان ريان ليس مجرد سائح ، ولذلك لا يكتفي برؤية المدينة من زاوية واحدة . اما الزاوية الاخرى فهي مناقضة تماما للأولى ، وهي مسكن « زكي نسيبة » المستشار الصحفي للامير « الشقة » عالية كعش النسر تملأ الكتب حوائطها ويغطي الارض جلد نمر ، وصاحب البيت فلسطيني مثقف ولماح .

والمؤلف يوافق تماما فيما يبدو على تفسيرات « نسيبة » : « هناك شيئان يجب ان تفهمهما عن هذه المدينة الأول هو ألا يأخذك المعمار الرأسي ، لان المدينة الحقيقية هناك اسفل العمائر . ومن الصعب على الزائر أن يرى للوهلة الاولى أبوظبي كمدينة حقيقية للبدو . لكن لو تأملت في الطريقة التي يتزاور بها الناس ويتزوجون ، ويستخدمون مثل هذه البنايات ستتأكد ان القاعدة الاساسية (السرية) في هذا المكان هو « البدوي الخالص » . لكن يصعب على غير العربي أن يكتشفه ، لأن كل ما يراه مجرد نوع من خداع البصر . والشيء الثاني هو قدرة البدوي الهائلة على التكيف . أنه يقبل عملية التغيير ببرود وسيطرة على النفس .

هناك مثلا ، خادم عجوز في قصر الامير ، لم يحصل على أي قسط من التعليم ، وقضى جل حياته في الصحراء لا يعرف أكثر من الجمال والصقور والقوافل ، وعندما رأى للمرة الاولى في التليفزيون صورة لرجل الفضاء الامريكي وهو يهبط على القمر ، جاءني غاضبا وأبلغني أن كل ما رآه لا يخرج عن مجرد اكاذيب ودعاية امريكية لأنه من المستحيل ان يصل انسان الى القمر . لكن بعد عام واحد سمع ارسال سفينة فضاء الى كوكب المريخ فجاءني متسائلا : « افترض انهم وجدوا آثار اوكسجين في الصخور التي سيأتون بها من هناك فهل تظن ان هذا يعني حقيقة وجود حياة على المريخ ؟

واذا كان خادم بدوي عجوز لا يقرأ ولا يكتب استطاع أن يتحرك بهذه السرعة ليتأقلم مع اشياء كانت تبدو له نوعا من الخرافات ، فماذا تظن ما سيكون عليه الشباب الذين نشأوا مع النفاثات ورحلات القمر ؟

ان قوة التأقلم لدى البدو شيء لم يفهمه الكثيرون بعد ، والذين فهموه سيصابون بالفزع !

هل هي جمهورية افلاطون ؟

ويتجول المؤلف في الساعات الصغيرة من الليل في شوارع ابوظبي فتبدو له بواجهاتها المضيئة كمجتمع تجريبي او « تحت الاختبار » . وهو يعتقد أن مدينة نيو انجلند كانت بنفس هذه المواصفات تقريبا منذ مائتي عام . لكن لم يحدث في التاريخ أن وضعت تحت تصرف احد كل هذه الاموال والخبرات التكنولوجية ، ومثل هذه الرؤية الاجتماعية والدينية القوية لبناء حضارة من الصفر ، كما يحدث الآن في الخليج .

المشكلة الاساسية لدى المؤلف ، رغم لمحاته الذكية ، أنه لم يدرك بعد أن البدوي الخارج لتوه من الصحراء لا يبدأ حضارة من الصفر ، لان اجداده عاشوا حضارة زاهرة في وقت غرقت فيه اوروبا « أو كادت » في ظلمات الجهالة .

ثم يعود ربان ليقارن أمراء الخليج بالعائلات الايطالية الكبرى في عصر النهضة . ومع ذلك فان احدا منهم ـ كما يرى ـ لم يستطع ان يفعل ما تفعله ابوظبي « ان الاشجار تزرع حيث لا يمكن زراعتها منطقيا ، والمباني ترتفع حتى تختفي وراء السحب .... وان كانت كل هذه الطاقات والمنجزات تبدو في خطر بسبب الاحساس بان كل شيء ، وكل شخص هنا بشكل مؤقت » !

قلعة اليمنى بيته

عرفت اليمن لدى الرحالة القدماء بانها « العربية السعيدة » ـ لانها كانت تمثل الركن السعيد الخصب في صحراء مجدبة . لكن المؤلف لم يكن في حاجة الى جهد كثير ليكتشف أن خصبها ومهارة شعبها قد نضبا منذ وقت طويل .

عندما كان في الخليج استمع « ربان » الى سيدة اجنبية متحمسة لزيارة اليمن : « انني أحب صنعاء فزيارتها تعني بالنسبة لي العودة مباشرة الى العصور الوسطى . انها « العربية الحقيقية » .

ولم يختلف ما سمعه كثيرا عما رآه : « فلو ان كل مؤسسات أوروبا ماتت او توقفت في منتصف عصر النهضة ، وتركت كل أسس الحضارة للتدمير الذاتي ، لكانت لندن وفلورنسا وفينيسيا وامستردام تبدو اليوم أقرب الى انطباعي الأول عن صنعاء » .

وبعد زيارة الخليج ، تبدو الروضة وضواحي صنعاء كآثار باقية من عمليات التدمير الذاتي ، ان الابواب تبدو ساقطة عن الحوائط ، والحوائط خارجة عن البيوت ، والبيوت ليست في الشوارع وكل الشوارع تبدو انها خرجت عن المدينة » .

لكن اليمن تشترك مع بقية المجتمعات العربية الاخرى في اخذها بنظام « المتاهة » ايضا الذي يتناقض مع النظام الغربي العمودي . وحيثما تتجول في صنعاء ، تجد نفسك محاطا باسوار عالية وممرات ضيقة ، ودروب وشعاب كثيرة معقدة ، وعندما يظن الانسان انه في مكان معين يكتشف بعد وهلة انه في مكان اخر مختلف تماما .

والبيت اليمني يختلف في رأي « رابان » عن بيت البدوي في الخليج وعن أسلوب حياته ايضا . فالبدو منفتحون على بعضهم البعض ، اما اليمن فبلاده عاشت قرونا طويلة في عزلة عن بقية العالم وتنبع جذور هذه العزلة في الانفصال الواضح بين اليمني واليمني ، وبين بيت كل منهما عن الآخر . وكل من قابله المؤلف من اليمنيين ، كما يقول ، يحاول أن يفخر بأن يميز نفسه عن زملائه الاخرين في العمل .

وفي اليمن يشعر المؤلف ان المواقف عارية تماما وقاطعة . واحيانا يرى بوضوح ان محدثه يكرهه تماما ، او يميل اليه تماما .

بعكس الأمر في الخليج حيث تختفي هذه المشاعر القاطعة تحت غطاء من الرسميات وقواعد دستور التعامل بين الناس .

ان التفرد والانعزال بين المواطنين في اليمن ، هو الذي جعل من بيت اليمنى قلعته الحقيقية ، وهو الذي حفظ اليمن كلها من اكثر الغزوات والمذابح همجية ضد شعبها .

وعندما تتأزم الامور أو تهب العواصف السياسية يلجأ اليمني الى قلعته (بيته) المزود بكل ما يحتاجه الانسان من الضروريات في منطقة بعيدة عن الحضارة . وفي قلعته ، « يمضغ اليمني القات ، وينام ، وينتظر لمدة قرن او قرنين حتى تموت الضجة الخارجية تماما .. » وعندئذ يبدأ في الخروج من قلعته ! ■■

فيليب جلاب

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

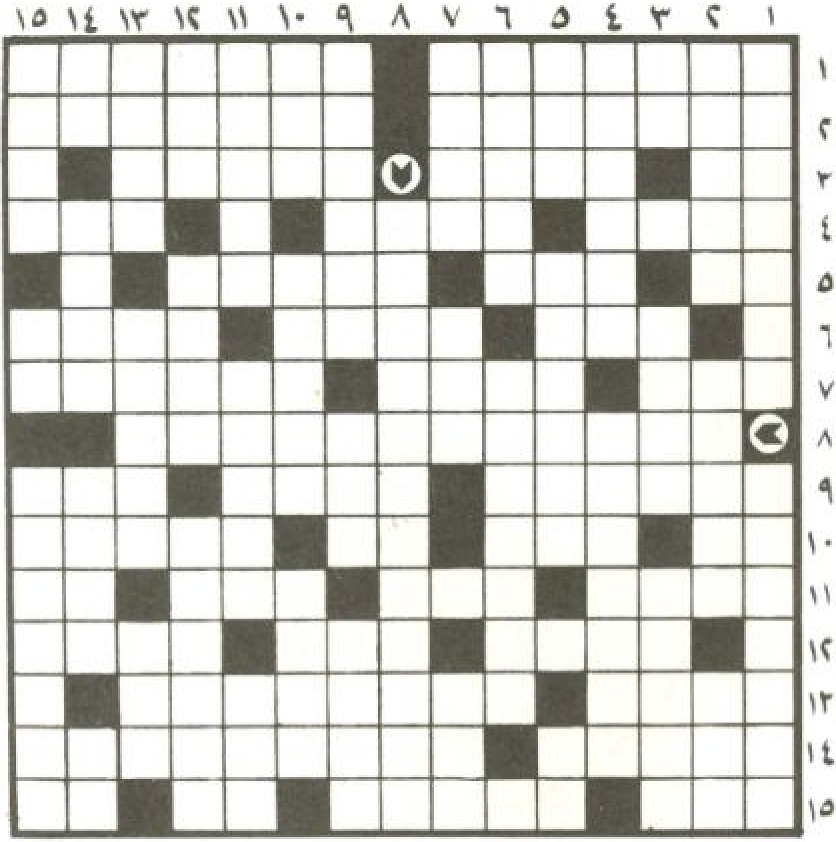
ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٦١ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول أكتوبر (١٩٨٠) .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم صحابي وقائد إسلامي ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم زوجة من زوجات النبي عليه الصلاة والسلام

الكلمات الأفقية :

١ ـ أول رئيس جمهورية تركي ـ من أصحاب المعلقات .
٢ ـ أكثر العناصر شيوعا على وجه الارض بعد الاكسجين ـ من أعظم علماء الرياضة في القرن ١٨ .
٣ ـ من الحبوب ـ في الجهاز الدوري ـ صلة دم .
٤ ـ من أشكال الغناء الشعبي ـ حزب فاشستي ـ احسانه .
٥ ـ برد ـ داس ـ من الفواكه .
٦ ـ أناه ـ يشب ـ صوت الحمام .
٧ ـ خبر ـ أبحث ـ أرفضها .
٨ ـ صحابي وقائد اسلامي .
٩ ـ تكلمت بلا اعداد مسبق ـ تعتاد ـ تجدها في كلمة (أيام) .
١٠ ـ يخصني ـ حبل ـ ملكة فرعونية ـ أفرح .
١١ ـ نصف يوم ـ من الأقمشة ـ أغراض ـ في الجهاز الدوري .
١٢ ـ خبر طيب ـ امحى ـ أخير .
١٣ ـ نظهر ـ سياسي انجليزي شهير .

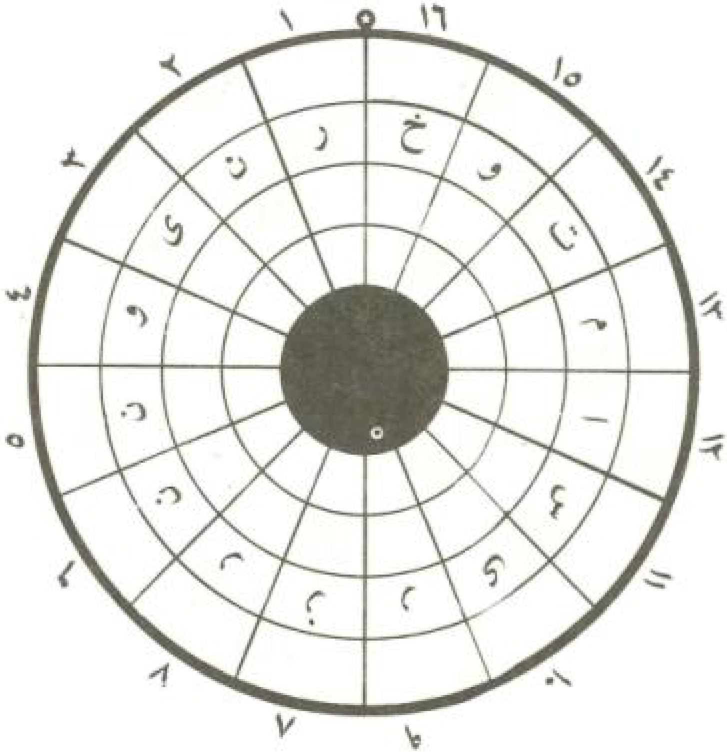


١٤ ـ أحاكيه ـ من شخصيات ألف ليلة وليلة .
١٥ ـ أسعده ـ مستعد ـ نصف كلمة (ساعة) ـ للتفسير .

الكلمات الرأسية :

١ ـ نوع من الأفاعي الافريقية ـ حيوان من الثدييات .
٢ ـ أعلى الاصوات بين المغنين من الرجال ـ انسانية ـ حيوانات مستأنسة .
٣ ـ للتعريف ـ أصبحت ـ أغيزه .
٤ ـ من الزهور ـ مفتاح اللغة الهيروغليفية .
٥ ـ عش ـ عاصمة عربية ـ ضمير .
٦ ـ حكيتنا ـ سيدة اشتهرت بتطوير مهنة التمريض .
٧ ـ من دول القارة الامريكية ـ ينقص ـ حي .
٨ ـ زوجة من زوجات النبي عليه الصلاة والسلام .
٩ ـ من أسماء الله الحسنى ـ آلة موسيقية ـ وحدة مكاييل .
١٠ ـ كسد ـ شواطيء ـ ألوة .
١١ ـ تخاطر ـ رحلات ـ شغف .
١٢ ـ طريق ـ يمتحن ـ تحاربه بالسيف .
١٣ ـ ناسك ـ ماكر ـ في السماء .
١٤ ـ عملة يابانية ـ علم ـ حيوان قطبي ـ حرفان متشابهان .
١٥ ـ نهر عربي ـ مقام موسيقي ـ أديب مصري راحل .

كوبون مسابقة العدد ٢٦١



حول الدائرة السوداء

ضع الكلمات ذات الأحرف الاربعة ، والتي نعطيك معانيها ، في أماكنها وفقا للأرقام . يساعدك في هذا وجود الحرف الثاني من كل كلمة على الشكل .

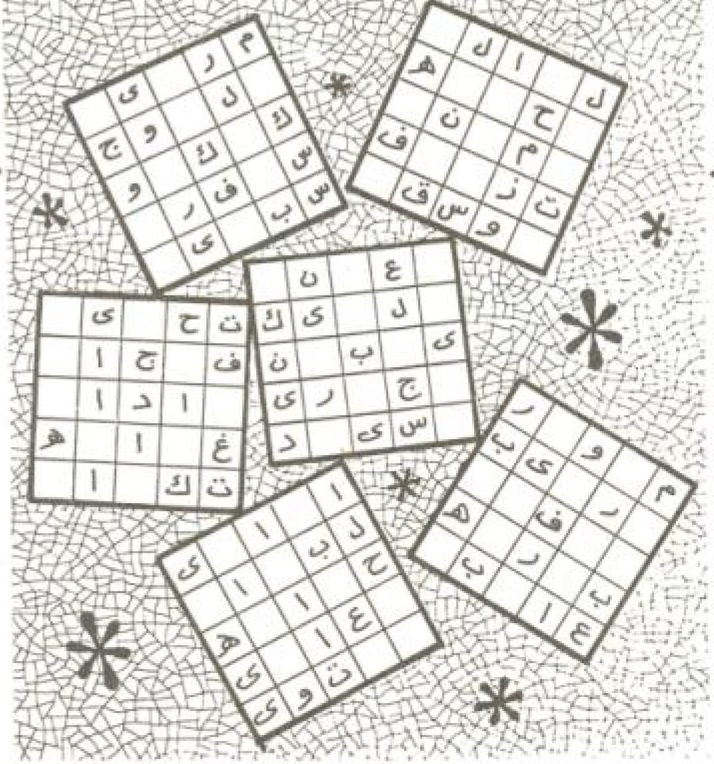
اذا وصلت الى الكلمات الصحيحة ستجد حول الدائرة السوداء اسم :

« موسيقي عالمي معروف من القرن السابع عشر »

الكلمات لها المعاني التالية :

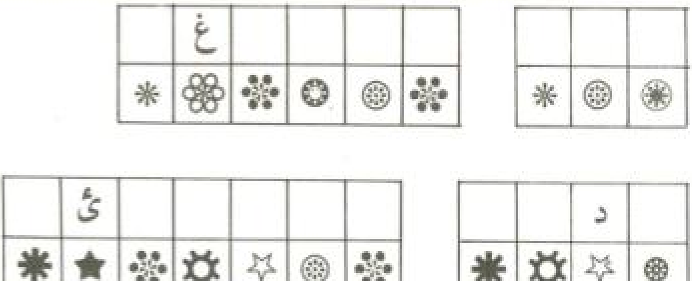
(١) للاضاءة (٢) أسلم (٣) تاريخ شخصي (٤) قمر صناعي (٥) في طرف الاصبع (٦) أثمن (٧) داني (٨) أسوأ (٩) في الساعة (١٠) مقاصد (١١) من الدهون (١٢) قصة من تأليف اميل زولا (١٣) من الفاكهة (١٤) مجهد (١٥) عاصمة أوربية (١٦) من أجزاء المخ .

العواصم



أمامك ستة مربعات ذات اطارات خارجية ثقيلة . في كل مربع من هذه المربعات خمس كلمات أفقية ، ينقصها جميعا نفس الحرف . اجمع الحروف الناقصة من المربعات الستة ، ورتبها بحيث تصنع اسم عاصمة من عواصم العالم .

مثل عربي



أمامك مثل عربي معروف ، ولديك في مكان الحروف بعض الرموز ، بحيث يمثل كل رمز نفس الحرف دائما . على سبيل المساعدة ، أعطيناك بعض حروف كلمات المثل .

هل تستطيع أن تصل الى المثل العربي ، اذا علمت أنه يفيد :
ان الظلم يرتد الى نحر مرتكبه .

الحلول

حول الدائرة السوداء : جوهان سباستيان باخ .

العواصم : تيرانا .

مثل عربي : على الباغي تدور الدوائر

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس

مع

لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطها ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني.

١٥٪

في السنة

ابداع محدد لمدة سنة.

تدفع كل الفوائد بدون خصم أي ضريبة.

أسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة.

لومبارد نورث سنترال عضو في أحد مجموعات البنوك المصرفية العالمية ولدينا تاريخ يرجع إلى أكثر من ١٠٠ سنة. نمدكم بتسهيلات ايداعية تعود عليكم باقصى فائدة مع مرونة الاختيار وضمان لأموالكم. لدينا ودائع لأفراد ومؤسسات من جميع انحاء العالم.

اختاروا المنهج الملائم لاحتياجاتكم:
نقدم لكم ثلاث تسهيلات ابداعية لكل منها شروط متعددة ملائمة لاحتياجاتكم الخاصة.

ايداع ذو الأخطار:
بحد ادنى ٥٠٠ جنيه استرليني ويمكن الاضافة اليه أي مبلغ وفي أي وقت كما ويمكن السحب بعد الاخطار في اخر المدة المتفق عليها. تستحق الفائدة اعتبار من تاريخ الأبداع وتدفع نصف سنويا أو تضاف إلى الحساب.

ايداع ذو مدة محددة:
بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني بمدة محددة من سنة إلى خمس سنوات بسعر فائدة محدد في هذه المدة. تدفع الفائدة نصف سنوية أو سنويا.

ايداع ذو دخل منتظم:
بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني. هذا المشروع يؤهلكم باستلام شيك بالفائدة كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل نصف سنة. ونسبة الفائدة تزداد تدريجيا حسب المدة التي تختارونها. تودع الأموال لمدة محددة تتراوح بين السنة والخمس سنوات بسعر فائدة محدد لهذه المدة.

لتفاصيل أكثر من برامج حسابات الايداع وأسعار الفوائد نرجو ان تملؤا الكوبون وارساله لنا اليوم.

Lombard North Central
Bankers

إلى:

LOMBARD NORTH CENTRAL LTD., DEPT. W182,
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND.
Telephone: 491 7050.

الاسم: ________________________

العنوان بالكامل: ________________________

____

مِنَ المسرحِ العالَمِيّ

سِلسلة ثقافية

تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول اغسطس ١٩٨٠

الكرز المزهر

تأليف : روبرت بولت

ترجمة : الشريف خاطر

تقديم : د. على أحمد محمود

مراجعة : د. طه محمود طه

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

أغسطس - آب
١٩٨٠ م

تكنولوجيا السلوك الإنساني

تأليف : ف . ب . سكنر
ترجمة : الدكتور عبد القادر يوسف
مراجعة : الدكتور محمد رجا الدريني

الكتاب الثاني والثلاثون

٢٥٠ فلساً

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

سوني
SONY

الأنظمة الـ ٣ لسوني بيتاماكس الجديد

تحقق لك أفضل تسلية مرئية في العالم

اليك جهاز سوني بيتاماكس المنتظر. انه جهاز بيتاماكس SL-T7 المزوّد بالانظمة الثلاثة الملونة لمشاهدة البرامج المسجلة وفقاً لنظام NTSC ونظامي بال وسيكام، بالاضافة الى اجمل برامج الفيديو في العالم، منها الافلام السينمائية المثيرة من نيويورك بواسطة نظام NTSC ، ومباراة كرة القدم من لندن بنظام بال، وعرض السيرك المدهش من باريس بنظام سيكام، كما وانه بإمكانك تسجيل كافة البرامج المبثة بنظامي بال وسيكام.
وجدير بالذكر أن بيتاماكس الجديد SL-T7 هو أول جهاز في العالم

يحتوي على آلية استكشاف الصورة. وبإمكانك مشاهدة برامجك لدى عرضها على شاشة التلفزيون بمعدل عشر مرات السرعة العادية، باتجاهي الدفع الامامي والعكسي، وذلك بكبس زر فقط. فمن السهل جداً الآن تحديد مقطع معيّن من أي برنامج. كما وانه بإمكانك تسيير آلية استكشاف الصورة بواسطة جهاز التحكم عن بعد. سوني تفتخر بحق الأكثر عراقة والوحيدة في انتاج مسجل فيديو رائع جمعت فيه تقنيتها المتطورة وكل هذه الميزات الفريدة.
انه جهاز سوني بيتاماكس SL-T7





سوني بيتاماكس
Sony Betamax T7

Betamax



إسْتمع لِمَا تريْد... وَاترك البَاقِي

نظام مركب لمستوى الاستماع بإضافة AMSS من أساتذة الموسيقى النقالة .

بإمكانك الآن تخطي الأغاني أو تكرار الاستماع إليها أو النقاط المفضّل منها لغاية ٨ أغنيات على الشريط في كل من الإتجاهين بمجرد لمس الزر الضاغط . إن إضافة آلية AMSS الفائقة بوساطة البرامج تمكنك من تخطي أو تكرار الأغنية بكل بساطة . إن راديو / كاسيت سانيو يوفر لك تسهيلات الأنظمة المركبة لمستوى الاستماع والانتقال جميعاً تربع في جهاز واحد . إنه كما الموديلات أعلاه جميعاً لك كنظام منزلي كامل للموسيقى بعد وصلها بالغراموفون وبالميكروفونات الخارجية . إنها أنظمة الستيريو الحرة ... في كل مكان . من أساتذة الموسيقى النقالة ... من سانيو .

أجهزة نقالة أخرى فاخرة من سانيو



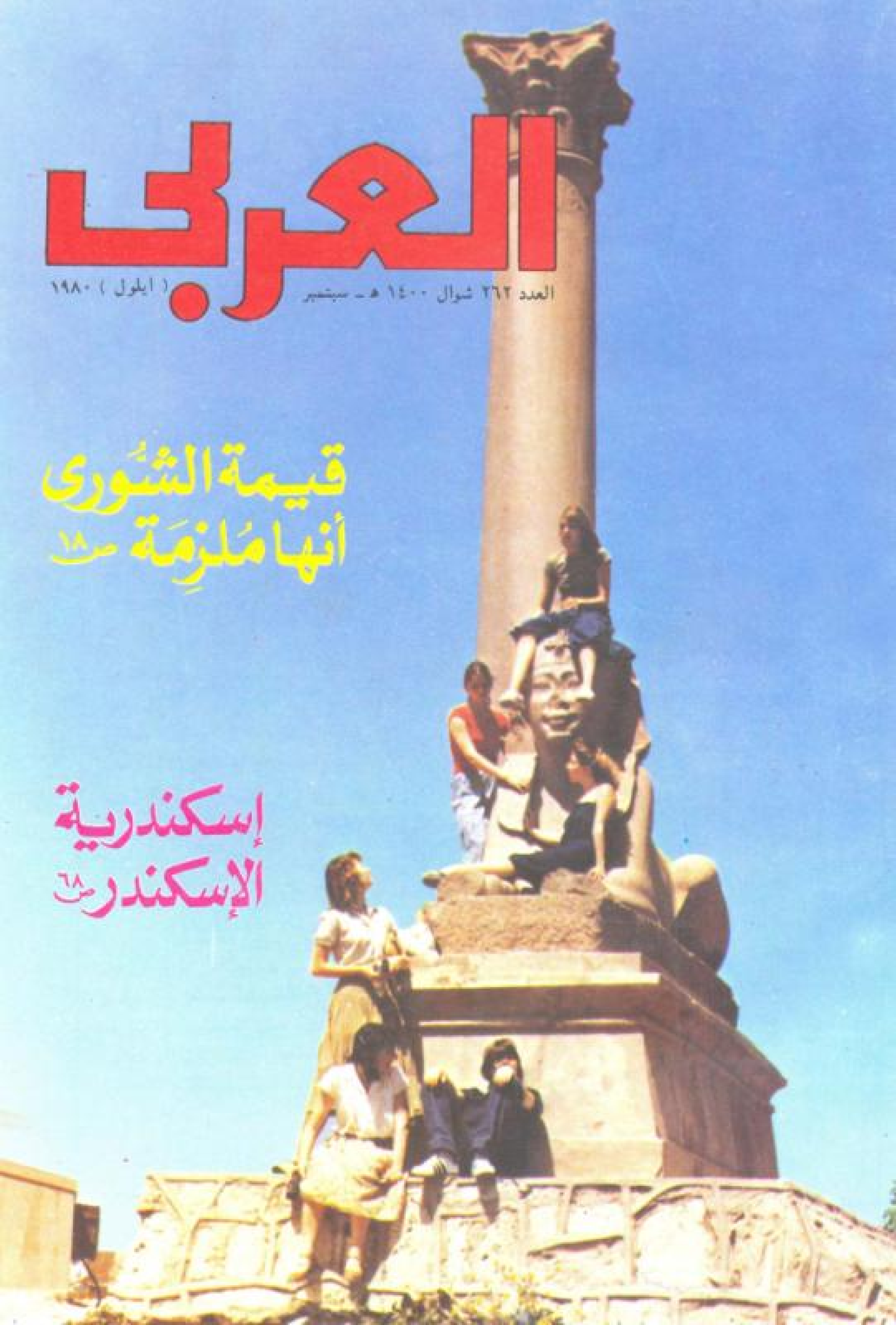
M-X920 ٣٢ واط • AMSS • دولبي
شريط مطابق التشغيل آلي بإخراج الكاسيت بلمسة ناعمة

M 9922RK ٥ واط - آلية
إخراج الكاسيت بلمسة ناعمة

SANYO سانيو

العربي

العدد ٢٦٢ شوال ١٤٠٠ هـ - سبتمبر (أيلول) ١٩٨٠



قيمة الشُّورى
أنها مُلزِمَة ص ١٨

إسكندرية
الإسكندر ص ٦٨

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج



بنك الكويت الوطني ش م ك

عزيزي القارئ

في الشهر الماضي نقل التليفزيون البريطاني رسالة الى مشاهديه تقول : ان فقراء العالم الثالث ، مسلمين وغير مسلمين ، يموتون من المجاعة ، ولا امل في انقاذهم الا على يد الغرب .

واذا احسنا الظن بالذين بعثوا بهذه الرسالة ، سنقول بانهم ارادوا بها ايقاظ الضمير الانساني ، ليهب الناس لمساعدة هؤلاء الذين يتضورون جوعا ويموتون . واذا اسأنا الظن بهم ، فسوف نشك في انهم قصدوا بالرسالة ان يقارنوا بين مصير محزن يلقاه سكان المناطق الاسلامية في افريقيا ، وبين تصرفات محزنة لبعض اثرياء العرب والمسلمين في العواصم الاوروبية !

وايا كان الهدف من هذه الرسالة ، التي جاءت عبر فيلمين عرضهما التليفزيون البريطاني ، فان الذي يهمنا انهم بعد اذاعة الفيلم الاول تلقوا تبرعات بقيمة مليوني جنيه استرليني لضحايا المجاعة في اوغندا ، وتطوع بعض طلاب الطب في جامعتي اوكسفورد وكامبريدج للاسهام في انقاذهم ، اما في الفيلم الثاني ، فقد ظهرت سيدة انجليزية على شاشة التليفزيون البريطاني وهي تشرف على علاج هؤلاء الضحايا من المسلمين وابنائهم .

يحدث ذلك والعالم العربي غارق في همومه ومشاكله ، بينما الآخرون يعملون ويكسبون مواقع ومصالح ، في مختلف الدول الاسلامية حكومات وشعوبا .

نعم ان المال العربي يواجه ضغوطا كثيرة من هنا وهناك ، تصل الى حد الابتزاز احيانا . لكن هذا المال ليس بين ايدي الحكومات وحدها ، والمطالب بالبذل ليست هذه الحكومات وحدها انما المطالب هم القادرون والاثرياء العرب ، الذين هم بغير شك اوفر مالا من مشاهدي التليفزيون البريطاني الذين تبرعوا بمليوني جنيه استرليني لمسلمي اوغندة المهددين بالجوع والعطش والموت .

اليس الاقربون اولى بالمعروف ؟!

« المحــرر »



صورة الغلاف :

عمود السواري في الاسكندرية اقامه الاغريق من حجر الجرانيت .. جاءوا بالاحجار من أسوان ، قطعه من الجرانيت .. نحتوها وزخرفوها ورفعوها في مكانها الذى مازالت فيه حتى اليوم .. كيف نقلوا هذه الكتلة الهائلة من الحجر ؟ مازال امر نحته ونقله لغزا حتى اليوم !

(راجع صفحة ٦٨) .

قضايا عامة

قضايا حيوية

عروبة واسلام

طب وعلوم

فنون

تاريخ وشخصيات

استطلاعات مصورة

متنوعات

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين
مدير التحرير : فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم

الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلساً ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج . م . ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥ مليما ، الجزائر ٢،٥ دينار ، المغرب ٢،٥ درهم ، اليمن ٢،٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١

تلغرافيا « العربي »

ALARABI - No 262 - Sebtember 1980

P.O. Box 748 KUWAIT

لقد برهنت الابحاث الاثرية على عدم صحة اكثر الاساطير التوراتية ـ مونتغارت

أواصر العرب والعبرانيين

بين الحقيقة والوهم



بقلم : الدكتور عفيف بهنسي

مدير الآثار والمتاحف في سوريا

ما هي الحقيقة ، فيما يقال عن أواصر تاريخية يهودية عربية ؟؟

ان الحديث عن العهد القديم لا يكتمل من خلال الروايات التاريخية في التوراة ، وانما يجد اسانيده الصحيحة في المكتشفات الاثرية التي تضم الواحا مكتوبة تعتبر مروياتها مصدرا حاسما للتاريخ القديم . ومصر هي جزء من التاريخ القديم في هذه المنطقة والكتابات والرسوم التي اكتشفت فيها او التي اكتشفت في سورية والعراق تتمم قصة التاريخ القديم في هذه المنطقة .



لقد احدثت هذه الكتابات انقلابا تاريخيا جذريا تناول الاسس التي كانت تعتمد للحديث عن التاريخ القديم ، هذه الاسس التوراتية التي كانت مسلمات لا تقبل الجدل قبل الكشوف الحديثة . وكانت وسيلة اليهود لتبرير وجودهم التاريخي وحقوقهم المزعومة في الارض الموعودة من الفرات الى النيل ، ان الحديث عما يسمى بالأواصر التاريخية يبدأ بظهور ابراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وسفره الى بلاد كنعان ومصر ثم انتقال حفيده يوسف بن يعقوب بن اسحق الى مصر ، في قصته المثيرة المشهورة .

ان آل ابراهيم هم أول من نادوا بالوحدانية ، وان اطلاق عبارة (اسرإيل) على يعقوب وهي تعني عبد الله (اسير ـ ايل) ما هو الا دليل على دعوة هذه الاسرة لعبادة الاله ـ ايل ـ هذا الاله الذي كان معبودا من سكان هذه المنطقة التي كانت في ذلك الوقت موحدة ثقافيا وعقائديا من بلاد كلدان في العراق الى آرام في الشام الى كنعان في الساحل السوري .

والاله إيل « الاله العلي القدير » هو الاله الذي اوردته التوراة على انه اله ابراهيم وهو كذلك في العقيدة الاسلامية . الا انه غير الاله « يهوه » الذي يعتبر الاها خاصا باليهود وليس هو رب العالمين .

ولعل ظهور اسم اسرإيل في رقم ايبلا (١) يؤكد وجود العقيدة التوحيدية في بلاد عمورو منذ الالف الثالث ق . م .

وتؤكد التوراة ان ابراهيم الخليل وإن ولد في أور ، فقد جاء من حران (شمالي الفرات) فهو آرامي ـ المنبت والثقافة والعقيدة . ولقد جاء الى بلاد كنعان وفاجأه انحراف بعض اهلها عن عقيدته التوحيدية الموروثة ، والتي لم تكن لتظهر كدعوة دينية الا بفضله . فهو غريب عن ارض كنعان ، هو واهله واعقابه من ابناء يعقوب الاثنى عشر الذين ولدوا في فدان آرام أي في منطقة حران ايضا . والتوراة اوردت كثيرا من الشواهد على غربة ابراهيم واهله وعلاقته بارام النهرين (٢) « استحلفك بالرب اله السماء واله الارض ان لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين انا ساكن بينهم ، بل الى ارضي والى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني اسحق (التكوين ٢٤ = ٣ ـ ٤) .. (وذهب الى آرام النهرين الى مدينة ناحور) .

والتوراة مليئة بمثل هذه الشواهد ، على ان انتشار بعض اسماء آل ابراهيم في ايبلا (١) مما اظهرته الرقم المكتشفة عام ١٩٧٥ يؤكد ان هذه العائلة كانت امورية آرامية ولم تكن ابدا عبرية أو كنعانية . وان انتقال بعض افرادها الى مصر هو انتقال عربي .

الهكسوس عرب

والنقطة الثانية في قصة الاواصر هي رحيل يوسف الى مصر بعد محاولة اخوته الغدر به ، وكيف بيع ثم دخل في خدمة فرعون .

لقد تم ذلك في منتصف القرن الثامن عشر ق . م اي ابان حكم الهكسوس على مصر .

والسؤال الذي قد يتبادر الى الاذهان هو ! من هم الهكسوس وبماذا نفسر انتقالهم وانتقال يوسف الى مصر ؟ لقد ابانت رقم ومكتشفات ايبلا في موسم ١٩٧٩ ان هذه المدينة التي احرقها عام ٢٢٥٠ ق . م نارم سين الملك الاكادي عادت الى الظهور في القرن الثامن عشر . ثم انقرضت وهجر سكانها المنطقة .

ان الحديث عن ايبلا لم ينته بعد ، ذلك ان مكتشفاتها لم تنشر بما فيه الكفاية ، ولكن معلوماتنا المباشرة ابانت عن وجود علاقة بين ايبلا والهكسوس في هذه الفترة الثانية . ثم ان سكان ايبلا كانوا من العموريين وهم اجداد الاراميين ، وقد توضح لنا مكتشفات متوقعة ان سكان ايبلا خلال الاسرة الثانية كانوا من الأراميين او لعلهم من بقايا العموريين .والمهم ان هذه المنطقة ، من ماري (على الفرات) الى ايبلا (قرب ادلب) الى قطنة (المشرفة قرب حمص) والى الالاخ (عطشانة قرب انطاكية) وغيرها ، هي حواضر ـ عربية قديمة كان سكانها قد تعرضوا الى غزوات متتابعة منذ عهد حورابي . مما ادى الى نزوحهم

---

(١) تقع ايبلا شمالي سورية وتم فيها اكتشاف مكتبة كاملة من الرقم التي تتحدث عن تاريخ هذه المنطقة بعد القرن الرابع والعشرين ق . م

(٢) انظر سفر التكوين ٢١ = ٣٤ و ٢٢ = ١٩

الى مصر . وكان الهكسوس (الملوك الرعاة) وهم خليط لسكان هذه المنطقة يتكلمون لهجات مختلفة للغة واحدة ، هي اللغة العربية الام التي اوضحت كتابات ايبلا جميع ابعادها .

وليس التمازج بين الشعوب في هذه المنطقة جديدا بل سابقا لوجود الهكسوس ، ففي مدونه بردية لاحد الحكماء المصريين « أبور احتوت » وصف لظهور « الاسيويين » في مصر ، ولدورهم . وكان ذلك في عهد الملك بيبي الثاني .

وتذكر المدونه ان هؤلاء الاسيويين قد حلوا محل المصريين في كل مكان ، وامتلأت البلاد بهم (٣) ولا بد ان نربط بين هذه المدونه وبين المكتشفات الاخيرة التي تمت في ايبلا والتي ابانت عن وجود علاقة بين هذه الامبراطورية التي امتدت حتى سيناء وبين مصر ، فلقد ظهر اسم بيبي الثاني على احد احجار الحلي المكتشفة في هذا الموقع . ولقد اكتشف لوح في هرم سحورع يمثل رسوم سفن كثيرة مشحونة بالاسرى الفينيقيين على حد تعبير بريستد (٤) وهي اقدم الرسوم البحرية ، وهي تحكي قصة الاسر الكبير الذي حققه المصريون فاقتادوا الى مصر اعدادا ضخمة من السوريين الساحليين .

ولعل هذا كان اقدم صورة من صور الاندماج القومي والثقافي ، الذي كثيرا ما تكرر نظرا للعلاقات التجارية او الحربية بين مصر والساحل السوري . مما تؤكده مكتشفات اوغاريت وجبيل .

لقد كانت سيناء دائما جزءا من الارض العربية ويتأكد ذلك من اسمها المأخوذ عن « سين » اله القمر وهو اله اكادي وعموري قديم .

واستمرت سيناء جسرا بين حضارتين كبيرتين تربطهما اواصر حقيقية لاحد لتعدادها .

بعد هذا لا بد ان نعود للحديث عن الهكسوس ، فهم عرب هذه المنطقة الذين نزحوا الى مصر وحملوا معهم ثقافة وحضارة جديدة ، وحكموا مصر بعد ان وحدوها من عام (١٧٣٠ ـ ١٥٨٠) ق . م ولقد هاجر الى مصر في ذلك العهد كثير من اهل بلاد الشام من العموريين الذين استخدموا في الجيش في معسكرات اواريس ، ويبدو ان انتقال يوسف الى مصر كان من جملة هذه الهجرات المتلاحقة (٥) ويذكر المؤرخون ان يوسف دخل مصر في عهد الملك الهكسوسي ابابي رع كتن وان وزير هذا الملك هو الذي اشتراه وان هذا الملك هو الذي اطلقه من السجن وعينه امينا عاما (زافتنات بنياخ » .

ومع ان المدونات تستنكر وجود الهكسوس الغرباء في مصر وتعتبرهم غزاة اجانب ، الا ان العلاقة بين الشام ومصر كانت قوية . ولقد نقل الهكسوس الى مصر صناعة البرونز واستعمال الخيل والعربات واساليب تجارية جديدة وانتشرت اللغة العربية القديمة باللهجة العمورية في مصر السفلى والوسطى حتى بعد انتهاء العهد الهكسوسي .

ان جميع الهجرات المتلاحقة كانت عربية محضة ، وليس من بينها هجرة واحدة يمكن ان تسمى يهودية ، ولم تكشف التنقيبات الواسعة التي عرفتنا على تاريخ مصر القديمة ، اية علاقة لبني اسرائيل بمصر حتى رحيل يوسف فهو لم يتأكد بعد في الكتابات المصرية ، ومع ذلك فان المؤرخين يرون هذا الرحيل ممكنا جدا ، ولكن لم يكن رحيلا يهوديا ، بل كان رحيلا عربيا . وقد اوضحنا هذه الهوية فيما عرضناه .

موسى في بلاد كنعان

النقطة الثالثة في تحديد الاواصر هي قصة موسى وظهوره ورحيله الى بلاد كنعان .

وقبل ان نتحدث في هذه الآصرة لا بد من ذكر أصرة هامة جدا بين الشام ومصر لم يذكرها التوراتيون على اهميتها ، لانها لا تعني كتبة التوراة في شيء ، بل لعلها تنقض كثيرا من اوهامهم التي جعلوها حقائق تاريخية في كتاباتهم التي تأخرت عن الاحداث فيما يزيد عن الف عام (٦) .

---

(٣) سليم حسن ـ مصر القديمة ج ١ ص ٣٣٨

(٤) تاريخ مصر من اقدم العصور ، ترجمة حسن كمال ص ٨٠ ـ ٨٤

(٥) احمد كمال ، العقد الثمين ص ٧٤ ـ ٨٠

(٦) انظر : احمد سوسه « العرب واليهود في التاريخ ـ دمشق ١٩٧٥ »

هذه الأصرة هي ظهور الديانة الاخناتونية بعد القضاء على الحكم الهكسوسي ، حيث استمر الوجود العموري في مصر كما استمر النفوذ المصري في بلاد الشام ، فلقد كانت هذه البلاد خلال حقبة الاسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ ـ ١٣٤٠ ق. م) تحت السلطان المصري « وقد نتج عن ذلك تمازج وتبادل في اللغات والعادات وتنقل الاشخاص او الجماعات بين مصر وهذه البلاد التي كانت غالبية سكانها من الجنس العربي » (٧) .

وتؤكد ذلك مكتشفات اوغاريت (٨) فقد عثر فيها على آثار ملوك هذه الاسرة العربية وعلى مشهد زواج ملك اوغاريتي باميرة مصرية . ولقد كانت اكثر مكتشفات اوغاريت والمكتشفات الارامية في شمالي سورية وفي دمشق ذات تأثيرات مصرية واضحة .

وتؤكد هذه العلاقة الوشيجة ايضا ، رسائل تل العمارنة وهي طينية ارسلت من امراء قطنة (المشرفة) ونوخاشي (قرب حلب) وتونب (بعلبك) وجبيل وصور ، وهي مرسلة الى امنحوتب الثالث والرابع (اخناتون) .

ان ذكر هذه الامثلة دليل على التمازج القوي بين ارض العروبة وارض الكنانة في العصور القديمة . ولم يكتشف بعد اي اثر او مدونه تبين علاقة ما يسمى باسرائيل بمصر القديمة .

ان ظهور اخناتون (امنحوتب الرابع) (١٣٧٥ ـ ١٣٥٨ ق .م) واعتناقه ديانة جديدة غريبة عن ديانة مصر التقليدية (عبادة أمون رع) ، هو حقيقة تاريخية وهذه العبادة الجديدة هي عبادة توحيدية « والارجح ان اخناتون اخذ بديانة التوحيد هذه متأثرا بعهد الهكسوس (٩) » والعرب الذين اندمجوا بالمصريين وشكلوا مجتمعا واحدا لم يترددوا في ممارسة عبادة توحيدية دعا اليها فرعون مصر .

مرة اخرى تقول ان هذه العبادة التوحيدية على اهميتها لم ترد كآصرة هامة في حديث التوراتيين ، وهي انما تدل على ان التوحيديين كانوا عربا وان دعوتهم هي التي انتقلت الى مصر وانتشرت على يد اخناتون ، وان العبرانيين (وان كانت التسمية غير صحيحة) حتى ذلك التاريخ ، لم يكن لهم وجود ولم تكن لهم دعوة ، ولم يكن لهم اية اصرة تاريخية او حضارية مع مصر ، بل على العكس فبعد ظهور موسى تتضح عبادتهم في الكتابات التوراتية ، حتى تبدو غريبة عن التوحيدية .

لقد انتهى عهد اخناتون عام ١٣٥٨ واعاد توت عنخ أمون العقيدة التقليدية الى الوجود الرسمي ، ولكنه لم يستطع ان يقضي على العقيدة التوحيدية في صفوف بعض قطاعات الشعب . ونستطيع ان نتصور حياة هؤلاء وتحركاتهم ضد السلطة ، او تحركات السلطة ضدهم ، ولا بد من الاشارة ان هؤلاء ، ليس لهم اية علاقة نسبية بآل ابراهيم ، والتاريخ المصري الذي اصبح معروفا ، لم يذكر اي وجود لبني اسرائيل لا في عهد يوسف ولا بعده . ولكنه يذكر اسماء عربية قديمة تذكر بعبادة ايل ولا تذكر ابدا بعبادة اله اليهود (يهوه) الذي ظهر فيما بعد .

العبور والتوحيد

هنا نعود الى الحديث عن النقطة الثالثة في الاواصر المزعومة خلال قصة النبي موسى .

من المعتقد ان النبي موسى ظهر في القرن الثالث عشر ق . م وحسب ما اورده المؤرخ اليهودي يوسيفوس (١٠) (القرن الاول ميلادي) ان موسى كان كاهنا او حاكما مصريا وكان قائدا مصريا وحقق نصرا في الحملة على الحبشة وتزوج هناك من ابنة ملك الحبشة . واسم موسى مصري وهو اختصار للفظ حموس او احموس ويؤكد بريستد ذلك . كما يتوسع العالم فرويد في تحليل شخصية موسى (١١) في كتابه موسى والتوحيد ، وقد

---

(٧) م . عزة دروزة ـ عروبة مصر ص ٥٠ بيروت ١٩٦٣

(٨) اوغاريت او اقارت قرب اللاذقية ـ سورية وقد تم اكتشافها منذ عام ١٩٢٩ من قبل العالم شيفر وما زالت التنقيبات جارية فيها حتى اليوم

(٩) احمد سوسة ـ العرب واليهود في التاريخ ص ٤١٥

(١٠) يوسيفوس ـ تاريخ اليهود القديم ـ الطبعة العربية ترجمة يوسف حامد ـ بيروت .

(١١) Frued : Moses and Monotheism 1940 p.p.76.77

تآمرت الصهيونية على هذا الكتاب ، ولكن المؤرخين يذكرون ان موسى وقد امضى طفولته وشبابه في مصر عرف العقيدة الاخناتونية التوحيدية ودعا اليها .

والمكتشفات الاثرية لم تبين ابدا ان ثمة علاقة بين يوسف وموسى ، وهكذا فان الآراء تتجمع الآن للحديث عن مصرية النبي موسى ، وان قومه كانوا ايضا من المصريين الذين كانوا قد اخذوا بعقيدة اخناتون التوحيدية ، ولم يكن لهم علاقة مباشرة بعقيدة بني اسرائيل .

والواقع ان قوم موسى هجروا الدين الذي دعا اليه وعادوا لعبادة العجل بعد ان قتلوا موسى . ويعتقد فرويد « ان القول باغتيال موسى على ايدي اتباعه محتمل جدا ، لان موسى الذي تربى في مدرسة اخناتون لا بد ان يكون قد استعمل العنف والقسوة على طريقة اخناتون في فرض شعائر دينية صارمة على اتباعه » (١٢)

ان قصة العبور اذن ما هي الا انتقال عقيدة توحيدية كانت قد ظهرت في مصر بتأثير عربي (عموري وآرامي قديم) وليست هي حلقة في اواصر تاريخية مزعومة . ويقول موتغارت « برهنت الابحاث الاثرية على عدم صحة اكثر الاساطير التوراتية » (١٣) .

ومن المؤسف ان الحقيقة التاريخية المبنية على وثائق اثرية لم تستطع بعد احتلال مكانها الصحيح في صفوف المثقفين ، وان هي صارت اساسا جديدا لعلم التاريخ . وسريان الاساطير التي تتحدث عن اواصر في التاريخ القديم ، هو الورقة التي تحاول بها اسرائيل ان تتسلل الى العقل العربي . ■■

دمشق ـ د . عفيف بهنسي

(١٢) Weeh . Civilisation of Near East ' p 84

(١٣) موتغارت ـ تاريخ الشرق الادنى القديم ص ٢٧٩ دمشق ١٩٦٧

احمد بهاء الدين

لم يتمكن لسبب طارىء من كتابة مقاله ، ويستانف « حديث الشهر » في العدد القادم ، باذن الله .



الدكتور زكي نجيب محمود يكتب

الفكرة الأدبية

قد لا يصعب على القارىء ان يتصور المعنى المقصود اذا ما كان الحديث عن « الفكرة العلمية » ، واما ان يدور حديثنا عن الفكرة الادبية فالامر عندئذ يحتاج الى شيء من التحديد والتوضيح فكلنا يعرف بعض الخصائص التى تميز الافكار العلمية ، على اختلاف صنوف العلم . فمن ذلك مثلا ـ ان الفكرة العلمية لابد ان تكون قابلة للتحقق من صدقها وذلك باخضاعها لمبادىء المنطق وقواعده في استدلال النتائج الصحيحة من الشواهد المتاحة ، وغير ذلك من الخصائص التى لا مجال لذكرها في هذا المقام .

واما الفكرة « الادبية » فاصعب تحديدا واعسر منالا ، ومع ذلك فالافكار الادبية هي « الترمومتر » الذى نقيس به غزارة الحياة الثقافية في جماعة معينة من الناس ، وان كاتب هذه السطور ليتهم حياة الثقافة في الامة العربية اليوم بضحالة مخيفة ، وهي ضحالة ادت الى كثير جدا مما نحن فيه من ضعف ادراك وسهولة انقياد ، فاذا طلب من صاحب هذا الاتهام ان يقيم البرهان على صدق دعواه ، لم يكن له من سبيل الى ذلك سوى البحث فيما يكتبه الكاتبون العرب ، عما يسمى بالافكار الادبية ، حتى اذا لم يجدها ، او وجدها هزيلة نحيلة ، كان له في هذا الضعف برهانه المطلوب .

وعند هذا الموضع من سياق الحديث لابد من توضيح الفكرة الادبية ما هى ؟ فنقول : ـ

اليس الادب في عمومه يتخذ من « الانسان » في فعله وانفعاله موضوعا له ؟ ماذا يكون الشعر وماذا تكون القصة او المسرحية ، الا ان تكون عرضا للانسان فاعلا ومنفعلا ؟ وحتى اذا التفت الاديب الى جوانب الطبيعة فهو انما « يؤنس » ، تلك الجوانب حتى لكأنها في وجدانه بشر من البشر ، يفعل وينفعل ، ويفرح ويحزن ... لكن الاديب وهو يرسم النسيج السلوكى بكل ما يكمن وراءه من حياة الوجدان ، فهو انما يقيم بناءه على « فكرة » يضمرها ، وقل ان يفصح عنها ، وبعدئذ تكون المهمة الاولى للناقد الادبى ، هي أن يستخرج ما قد اضمره الاديب من « فكر » في جوف عبارته التى اجراها شعرا او قصة او مسرحية ، فاذا غزرت الحياة الثقافية غزرت معها تلك الافكار السارية

في مبدعات الادب والفن . واما اذا ضحلت تلك الحياة ، جاء النقاد والقوا بشباكهم في الماء ، فخرجت اليهم خالية او كالخالية .

ما هى الامانة التى عرضت على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنا . واشفقن منها ، وحملها الانسان ؟ انها هى حرية اختيار الاهداف ، ثم حرية اختيار الوسائل التى يراها الانسان محققة لاهدافه . فلقد رضيت ظواهر الطبيعة ان تسير وفق قوانين مطردة معصومة من الخطأ ، لكنها في الوقت نفسه احلت نفسها من الحياة الخلقية وما تستتبعه من تبعة الفعل . واما الانسان فهو الكائن الوحيد الذى تركت له حرية الاختيار ، وعليه تقع تبعة اختياره ، ان خيرا فخير وان شرا فشر ؟ فاذا تصدى الاديب لهذا الانسان يصوره شعرا او نثرا ، فانما يصوره كائنا يختار ، ويفاضل بين الاهداف وطرائق السلوك ، وبهذه المفاضلة والاختيار تتجلى « القيم » التى يسير بمقتضاها ، وتلك هي « الافكار » الدفينة التى تظل كوامن في النص الادبي الى ان يستخرجها ناقد ويعلنها ، واما اذا ضحلت الحياة الثقافية عند قوم ، فقل ان يجد الناقد ما يستخرجه ليعلنه .

وعلى هذا الضوء اقرأ لفحول الشعراء وأعلام الادب المسرحي او القصصي ، او ادب الرسائل والمقامات وغيرها ، تجد نفسك امام « افكار » كانت مستبطنة في البناء الفني ، فاذا ما استخرجتها بالدراسة الفاحصة تبدت امام عقلك جبارة قد تشغلك بعد ذلك اعواما وأعواما : ان تجاور الحب والحرب ، او قل تجاور الحب والموت عند الشعراء الاقدمين ، يضعك امام فكرة من هذه الافكار ، تقرأ « الاوريستيا » لاسخيلوس فتخرج بالحيرة امام سؤال : ايها امعن في الجريمة ، ان يقتل الانسان اباه ام ان يقتل امه ؟ وهل للاجابة تعليل يتصل بالمبادىء البيولوجية نفسها ؟ او تقرأ « اوديب » لسوفوكليز ، فتقع في متاهة الفكر العميق عن الصلة الحيوية التى تربط الولد بامه ، وتقرأ هاملت لشيكسبير ، فلا ينتهى بك التأمل الجاد فيما يحير الرجل الذى صقلته الثقافة ، من تردد لا يسمح له بالتسرع في الاحكام مادامت مواقف الحياة الانسانية بطبعها مبهمة معقدة مركبة ولا سبيل الى الالمام السريع بكل تفصيلاتها دفعة واحدة .

ماذا لو قرأت الجاحظ في « الرسائل » او في « البخلاء » او في غيرهما من روائع أدبه لترى كم يوحى لك فكر يظل يلاحقك دهرا لعله لا ينتهى ، او قرأت ابا حيان التوحيدى في « الامتاع والمؤانسة » او في « المقابسات » ، فترى كم هى المسائل العقلية التى تثار في ذهنك فتثريك ، ولا اقول شيئا عن ابى العلاء ، فانت معه في بحر لجى من الخواطر الموحيات .

الفكرة الادبية هي « حالة » تخرج بها من قراءتك لناتج ادبي ، فتكسبك هذه الحالة الوجدانية التى خرجت بها منظارا جديدا قد تقبله وقد ترفضه ، لكنه في كلتا الحالتين يتركك اوفر حياة مما كنت ، فهل انت واجد مثل ذلك فيما يكتبه ادباء يومنا ، واذا وجدته فبأى مقدار ؟! ■■

منذ نشرت « العربي » في عدد شهر ابريل الماضي مقال الدكتور احمد كمال ابو المجد عن الشورى في الاسلام ، والحوار مستمر على جبهات ثقافية عديدة ، حول مختلف جوانب هذه القضية الهامة ، التي تكاد توضع الآن موضع المحك والاختبار ، على الاقل وسط تيارات المد الاسلامي المتعاظم في هذه المرحلة . وبعد نشر البحث الهام الذي كتبه الدكتور محمد فتحي عثمان في العددين الاخيرين حول قضيتي اهل الحل والعقد ، واهل الاجتهاد ، من منظور معاصر ، تلقت المجلة هذا المقال من الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي الذي يرى فيه ان الشورى في الاسلام ليست ملزمة دائما ، وهو ما رد عليه الدكتور ابو المجد في مقال تال بوجهة نظر مختلفة ..

والحوار لا يزال مستمرا ..

الشورى في الاسلام ليست ملزمة دائمًا!

بقلم : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

عجبت طائفة من الحقوقيين وغيرهم ، عندما قلت في محاضرة ، كنت القيتها في رابطة الحقوقيين بدمشق : ان الحاكم وان كان ملزما ، في الشريعة الاسلامية ، بالرجوع الى مجلس الشورى ، في كل ما لا نص عليه في قرآن او سنة ، ولا استقر اجماع على حكمه : الا انه غير ملزم بالتقيد برأي هذا المجلس او اكثريته ، كما هو الشأن في النظم الديموقراطية !..

ولقد ذهب بهم الاستغراب مذهبا اذهلهم عن القيود والايضاحات التي اتبعتها بهذا الحكم ، الذي من شأنه ان يثير الاستغراب حقا ، لاول وهلة . وقال قائل منهم : فما هي قيمة الشورى اذن ؟ واي فرق بقي ، من حيث الجوهر ، بين نظام الحكم في الاسلام ، وسائر الانظمة الاستبدادية الاخرى ؟!..

وانا ارجو ان ازيل وجه الغرابة في هذا الحكم ، من خلال بيان موجز يعتمد على ايضاح نقطتين اثنتين :

النقطة الاولى : ما لا يتنبه اليه كثير من الدارسين والباحثين ـ لاسيا الحقوقيين منهم ـ من فرق كبير هام بين انظمة الحكم الوضعية على اختلافها ، ونظام الحكم في الشريعة الاسلامية .

واعني بهذا الفرق ، ان الحكم في النظم الوضعية ، انما مصدره (في احسن احواله) الأمة او الشعب .

فالامة هي التي تشرع لنفسها ـ في ظل هذه النظم ـ ما تشاء من مذاهب الرأي والحكم . وانما لسانها الناطق في ذلك ما يسمى بمجلس الامة او الشورى . فالتزام الحاكم بالرجوع الى ما يقضي به هذا المجلس ، انما يتفرع من كون الحاكم ليس اكثر من امين على ارادة الامة وسلطانها ، اي ان وظيفته ليست اكثر من ان يحسن الاصغاء الى قراراتها ، ثم ان يخلص في سلوك افضل السبل الى تنفيذها .

وانما سبيله الى اداء هذه الوظيفة على خير وجه ، ان يلتزم بما قد يجمع عليه اهل هذا المجلس ، او يتجه اليه اكثريته . اذ هو وحده لسان الشعب الذي يحكم . فان هو لم يلتزم بذلك ، مؤثرا عليه رأيا قام في ذهنه ، او حكما اقتبسه من اي شرعة او امة اخرى ، فقد خان الامانة التي عهدت اليه .

اما مصدر الحكم في الشريعة الاسلامية ، فانما هو الله عز وجل وحده . ويستوي الناس كلهم من دونه (رسلا وانبياء كانوا ، او حكاما ومحكومين كانوا) في انهم جميعا مكلفون بتنفيذ حكمه والخضوع لسلطانه .

وانما السبيل الى معرفة احكامه ، الرجوع الى نصوص القرآن المحكمة ، ونصوص السنة الثابتة ، او الرجوع الى ما استقر عليه اجماع المسلمين .

فان غم على الناس شيء ، لعدم وجود نص يتناوله ، ولا اجماع يتعلق به ، كان عليهم ان يتعاونوا في السعي الى معرفة حكمه ، بالسبل الاجتهادية ذات الضوابط والقيود المعروفة في اماكنها ، وهي سبل عرفت بها نصوص القرآن والسنة ذاتها ، والزمت المسلمين بالاستعانة بها والخضوع لنتائجها .

وما وجوب رجوع الحاكم المسلم الى مجلس الشورى ، فيما لا نص فيه ولا اجماع ، الا تنفيذ دقيق لواجب هذا التعاون .

فاذا تبينت هذا الفارق الهام ، وعلمت من قبل ذلك او من بعده ، ان من شروط الامامة الكبرى ان يكون صاحبها عالما متمكنا في الشريعة الاسلامية واصولها ، قد بلغ في ذلك رتبة الاجتهاد او داناها ، امينا على تنفيذ ما هدي اليه من احكام الشريعة الاسلامية وآدابها [1] ، زال وجه الغرابة والعجب ، من ان لا يلزم هذا الحاكم المسلم برأي الاكثرية في مجلس الشورى ، وان كان ملزما ـ من حيث التعاون الاجتهادي ـ بالتشاور معه والرجوع اليه .

الحاكم مجتهد ايضا

ذلك لان عملية الشورى بين الحاكم والامة ، في هذه الصورة ، ليست اكثر من تعاون فكري وعلمي في طريق البحث عن حكم الله عز وجل . وليس بعيدا ان يتقدح في اجتهاد الحاكم ان حكم الله في الامر انما هو كذا ! ومعلوم ان المجتهد ايا كان ، فضلا عن الحاكم المجتهد ، ليس له في هذه الحالة الا ان ينفذ ما قد هداه اليه اجتهاده . ولا عليه ان يأتي مخالفا لما ارتآه اكثر الناس ، اذ هو لا يقل ، في الطاقة الاجتهادية ، عن اهل شوراه ، ثم ان كان مصيبا عند الله عز وجل كان له على ذلك الاجر مضاعفا ، والارجع باصل الاجر الذي قيضه الله تعالى له . فهو مأجور على كل حال .

وهذا من اوضح الاحكام الشرعية المعروفة في باب الاجتهاد والتقليد .

على ان له ادلة خاصة اخرى ، من ابرزها قول الله عز وجل (.. فاذا عزمت فتوكل على الله) بعد قوله (.. وشاورهم في الامر) اذ العزم كما قال علماء اللغة والتفسير ، هو اعتاد الامر المروى المنقح . اي فاذا اتجهت عزيمتك ، بعد ترو واجتهاد ، الى امر ، فما عليك الا ان تنفذه متوكلا على الله عز وجل . فلم يعرج البيان الالهي على رأي مجلس الشورى وضرورة التزامه بأي تنبيه او اشتراط .

ومن ابرز الامثلة والادلة على ذلك ، العزم الذي عزمه ابو بكر في معضلة امر الردة ، فانه لم يثنه من المضي فيما عزم عليه عن روية واجتهاد ، مخالفته لاكثرية مستشاريه في ذلك .

ومثله الرأي الاجتهادي الذي سكنت اليه نفس عمر ابن الخطاب ، في مسألة سواد العراق بعد حرب القادسية ، فقد كان رأي اكثر الذين استشارهم عمر في ذلك ، ان يقسم ارض السواد بين المسلمين ، كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه خيبر

---

١ ـ انظر ص ٦ من الاحكام السلطانية للماوردي ، وباب الامامة الكبرى في مختلف كتب الفقه .

ونحوها . غير ان الذي هدى عمر اجتهاده اليه ، ان تحبس رقبة الارض ملكا لبيت مال المسلمين ، ثم توضع بين ايدي المسلمين يستفيدون منها على خراج يجري للمسلمين واجيالهم المتلاحقة فيما بعد . وجادل عن اجتهاده بادلة من كتاب الله تعالى في سورة الحشر ، وبالتنبيه الى الفرق بين ارض خيبر وسواد العراق .

وقد نفذ عمر اجتهاده هذا ، غير مبال بمخالفة جل الصحابة له في ذلك [٢] .

ومثله موقف عبد الله بن الزبير من اصلاح الكعبة ، بعد ان تهدم واحترق جوانب منها ، بفعل يزيد بن معاوية .. فقد عقد مجلسا للشورى في موسم الحج ، اقامه من وجوه اهل الحل والعقد ، واستشارهم في كيفية اصلاح الكعبة : ايرممها ، ام ينقضها ثم يبنيها من جديد ؟

فقال له عبد الله بن عباس ، ومعه اكثر القوم :

ارى ان تصلح ما وهى منها ، وتدع بيتا اسلم الناس عليه ، وحجارة اسلم الناس عليها .

ولكن اجتهاد ابن الزبير لم يتفق مع هذا الرأي . فأجاب ابن عباس قائلا : لو كان احدكم احترق بيته ما رضي حتى يجدده ، فكيف ببيت ربكم ؟ اني مستخير ربي ثلاثا . ثم عازم على امري . ثم باشر نقضه واقامته من اساسه بعد ثلاثة ايام [٣] .

وهكذا ، فان احدا من هؤلاء الأئمة لم يتجاوز اجتهاده الذي امر الله تعالى بانفاذه واتباعه ، ليلزم نفسه برأي الاكثرية ، على الرغم من انهم جميعا استبصروا باجتهادات اهل الحل والعقد ، وآرائهم في المشكلات التي طرحت عليهم .

يقول الامام القرطبي في تفسيره الجامع لاحكام القرآن :

« والشورى مبنية على اختلاف الاراء . والمستشير ينظر في ذلك الخلاف ، وينظر اقربها قولا الى الكتاب والسنة ان امكنه . فاذا ارشده الله تعالى ما شاء منه ، عزم عليه وانفذه متوكلا على الله . اذ هذه غاية الاجتهاد المطلوب ، وبهذا امر الله تعالى نبيه في هذه الاية » [٤] .

اقول : ولا اعلم خلافا بين اهل العلم في ان هذا هو واجب الحاكم في الشريعة الاسلامية ، بصدد الشورى ونتائجها .

حقوق الأمة

النقطة الثانية (وبايضاحها يتكامل جلاء هذه المسألة وتزول غواشي اللبس عنها) : هي ان ثمة طائفة من المسائل ، اناط الله احكامها برأي الامة ، وما تختاره من وجوه البت والقضاء فيها . اذ كانت تلك المسائل منطوية على حقوق عينية او معنوية للامة . فان رأى امام المسلمين ان يتصرف بشيء من هذه الحقوق ، بوجه من وجوه التصرف ، فان السبيل الشرعي الى ذلك محصور بالرجوع الى رأي الناس وقرارهم في الامر . وانما يمثل الناس جميعهم اولئك الذين اختاروهم وكلاء عنهم ، ينطقون باسمهم ويعبرون عن ارادتهم .

ومن ثم . فلا يسع الامام الاعلى للمسلمين ، بصدد التصرف بشيء من هذه الحقوق ، الا الرجوع الى الامة او وكلائها : « مجلس الشورى » ثم لا يسعه الا تنفيذ ما اتفقت عليه كلمة هذا المجلس . اذ ان الحاكم امين على حقوق الامة ، مسؤول عن رعايتها وحفظها . فلا مناص له من السير وراء ارادتها ، في كل ما قد يخطر بباله تجاه تلك الحقوق من آراء واجتهادات .

ومن أبرز الادلة والامثلة على ذلك ، ما ثبت في الصحيح من ان النبي عليه الصلاة والسلام ، ما ان وزع سبي هوازن واموالهم على المسلمين بعد غزوة حنين ، حتى جاءه وفد كبير من قبيلة هوازن مسلمين . وسألوه ان يرد عليهم سبيهم واموالهم .

فخطب النبي عليه الصلاة والسلام في المسلمين قائلا : اما بعد ، فان اخوانكم قد جاءوا تائبين ، واني رأيت ان ارد اليهم سبيهم . فمن احب منكم ان يطيب

---

٢ ـ انظر الخراج لابي يوسف : ٣٦ ، والاموال لابي عبيد : ٥٨ف/١٥١، و ١٥٢ . وانظر تفصيل الحكم في ذلك كتاب محاضرات في الفقه المقارن لكاتب هذا المقال ص ١٣٠ وما بعدها .

٣ ـ انظر عيون الاثر لابن سيد الناس : ٥٣/٦ واعلام الساجد للزركشي : ٤٦

٤ ـ الجامع لاحكام القرآن : ٢٥٢/٤

ذلك فليفعل ، ومن احب منكم ان يكون على عطائه على أن نعطيه اياه من اول ما يفيء الله علينا ، فعل .

فتصايح الناس : قد طيبنا ذلك يا رسول الله .

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : انا لا ندري من اذن منكم في ذلك ممن لم يأذن . فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم . فرجع الناس ، فكلمهم عرفاؤهم . ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاخبروه انهم قد طيبوا واذنوا . فاعيد الى هوازن سبيها [5] .

فهذا وامثاله من الامور التي لا يملك رئيس الدولة ان يبت فيها بأي قرار اجتهادي من عنده ، الا بعد الرجوع الى رأي الامة او وكلائها . ثم انه لا يملك ان يخالف اجماعها او اتجاه اكثريتها ، مهما جادل عن رأيه ، ولاح له وجه المصلحة فيه .

ويدخل في هذا القبيل ، كل حكم اجتهادي يترتب عليه تفويت حق عيني او معنوي ، ملكه الله تعالى او متع به افراد الامة .. كاجتهاد الحاكم في سياسة الاموال العامة التي هي ملك الناس جميعا ولا تسري عليها الملكية الخاصة ، وكاجتهاده في فرض ضرائب او اتاوات على الناس ، زيادة على القدر التي تدعو اليه الضرورة الشرعية . وكاجتهاده في حظر استيراد بعض السلع المباحة في اصلها او حجز الناس عن ممارسة بعض حقوقهم او تصرفاتهم المباحة بحد ذاتها . وتدخل تحت كل من هذه الامثلة جزئيات كثيرة ومتنوعة .

فمن الثابت ان على الحاكم بالاضافة الى بذل الاجتهاد في معرفة ما فيه مصلحة الناس من هذه المسائل واشباهها ، ان يأخذ نفسه بالرجوع الى اصحاب هذه الحقوق ، وان يستحصل على موافقتهم فيما لاح له وجه الخير فيه ، اما بالاتصال بهم جميعا مباشرة ان امكن ، واما بالرجوع الى عرفائهم وممثليهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اذ كان مبنى هذه الاحكام على كونها حقوقا لاصحابها اولا ، فلا تمس الا باذنهم ، ثم على السير بها نحو ما فيه الخير او المصلحة ثانيا . لا ينفصل واحد من هذين الاساسين عن الاخر .

ومن هذا القبيل ما اتجهت اليه رغبة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ، في تحديد المهور . فانه ما رجع عن ذلك ، الا لانه لم يحصل على موافقة من قد شرع الله المهر حقا لهن . اذ لما وجد ان امرأة ممن ملكها الله هذا الحق ، عارضته في رأيه ، ولم تشأ ان تتنازل عن حقها ، سيرا وراء ما ظهر لعمر انه الخير لمجموع الناس : تراجع عن اقتراحه متنبها الى خطئه هذا ومعلنا عنه .

ومعنى هذا ، انه لو حصل على موافقة اللائي شرع الله المهر حقا لهن ، لما كان في تنفيذه للرأي الذي ارتآه خطل او ضير . وهكذا فوجه الخطأ الذي اقر به عمر ، انه لم يتنبه الى انه انما يقضي في امر جعل الله الحق فيه الى النساء ، وانه لا سبيل الى انفاذ قضائه فيه الا بعد موافقة منهن عليه . مهما لاح له فيه وجه المصلحة والخير .

وبوسعك ، ان دققت في الامر ، ان تلاحظ بان رجوع الحاكم في هذه المسائل الى مجلس الشورى وممثلي الامة ، ليس تعاونا في البحث عن حكم شرعي يكشف عنه النظر والاجتهاد ، كما هو الشأن في المسائل التي سبق بيانها في النقطة الاولى . بل هو هنا جزء لا يتجزأ من تنفيذ الحكم الشرعي ذاته .

●

وبايضاح هاتين النقطتين ، احسب انه لا يبقى مجال لاي استشكال او استغراب بصدد هذا الحكم الشرعي المعروف لدى علماء الشريعة الاسلامية ، والمبين في كل من بابي الاجتهاد والتقليد ، واحكام الامامة الكبرى في الاسلام .

على ان الحديث كله انما هو عن نظام الشورى في الاسلام ، عندما يكون جزءا من بنية متكاملة لنظام الحكم في الشريعة الاسلامية .

فاما اذا بحث عن نظام الشورى في الاسلام ، على ارضية من النظم الوضعية والمناهج المستوردة ، فمن العبث اضاعة الوقت في هذا الكلام . ومن المعلوم ان اضافة الاستبداد في الحكم دون الانصياع لرغبات الامة ، الى كونه حكما وضعيا ، اكثر شناعة من ان يقتصر البلاء على هذا الشيء الثاني ، ثم تكون ارادة الامة محترمة ، ومجلس الشورى او مجلس الامة هو المرجع الحقيقي في الانظمة والتشريعات . ■■

دمشق : د . محمد سعيد رمضان البوطي .

---

٥ ـ رواه البخاري والطبري والبيهقي وابن سيد الناس ، كلهم عن طريق ابن اسحاق بمزيد من التفصيل .

هل من عدالة الحكم ان يرجع الحاكم بالأجر ، وتجني الامة ثمرة تفرده بالرأي ؟

قضيّة الشّورى ..

بقلم : الدكتور احمد كمال ابو المجد

من الخطر على أي تجربة انسانية أن يتصدى الباحثون لحل مشاكلها في مرحلة متقدمة من مراحل تطورها .. وهم يستعملون « المناهج » و « القوالب » التي استعملوها خلال المراحل الاولى لنشأة تلك التجربة ..

وتجارب المسلمين في أمور السياسة والاقتصاد وتنظيم المجتمع ـ كما نقرر دائما ـ ليست مستثناة من النواميس العامة التي تحكم حركة المجتمعات .. خصوصا حيث يكتفي الشارع في تنظيمها بوضع المبادىء العامة وارساء الاصول المجملة .. دون أن يحدد للناس وسائل تطبيق هذه المبادىء وتفاصيل العمل بتلك الأصول .. ذلك أن اكتفاء الشارع بالاجمال دون التفصيل ينطوي ـ عند التأمل ـ على تفويضه الناس في اختيار الوسائل والتفاصيل التي يرونها أكثر قدرة على تحقيق مقاصده في رعاية مصالحهم .. كما ينطوي على اقرار ضمني بجواز اختلاف وسائل التطبيق وصوره باختلاف الازمنة والامكنة والظروف المحيطة بواقع التطبيق ..

نسوق هذه المقدمات كلها لما نلاحظه ـ مع اتساع الحوار الدائر هذه الايام حول رؤية الاسلام السياسية وموقفه من نظام الحكم ـ من فارق هائل بين مستوى من البحث والمناقشة يجري في اطار نظري خالص تحكمه النصوص وحدها ويتحرك فيه الباحث وسط تقريرات عامة لمبادىء قررها العلماء بعبارات غامضة خلال مراحل تاريخية كانت المجتمعات فيها على درجة كبيرة من البساطة ، وكانت أكثر مشاكل التنظيم والتطبيق التي نعيشها اليوم لا تزال في ضمير الغيب . وبين مستوى آخر تحددت فيه قسمات المجتمع ، ونظمت هيئاته ومؤسساته ، ووزعت بينها وظائفها .. وكشفت ممارسة ذلك كله عن مشاكل محددة لا يعرف حجمها الحقيقي الا من واجهها وواجهته ..

ان الاصرار على الاكتفاء بمناقشة التجارب والمشاكل المعاصرة في اطار المستوى النظري العام الذي بحثناه ، يعني في الواقع اهدار ثمرات التطور التاريخي عبر حقب كاملة واسقاط قيمة التجربة الانسانية المتراكمة في موضوع البحث .. وهو اصرار يضع التجربة المعاصرة في اطار « تاريخي » يفرضه عليها ، ولا يسمح ـ لذلك ـ بتقديم حلول تواجه الجوانب الحقيقية القائمة للمشاكل المعاصرة .. انه ـ بدلا من هذه المواجهة الضرورية ـ يحصر المناقشة كلها في اطار عديم الجدوى ، ويجعل الآراء المختلفة التي تتقيد بهذا الاطار ، نوعا من المبارزة

بحاجة كلها إلى رؤية جديدة

الكلامية التي تقصر عن الاحاطة بعناصر المشكلة المطروحة أو حتى فهمها ، فضلا عن أن تجد لها حلا مقبولا ..

طرح غير صالح ولا كاف

ومن الميادين التي تظهر فيها هذه المفارقة بين مستوى تركيب المشكلة وتعقيدها ومستوى الجدل الدائر حولها .. ميدان السياسة والحكم ، وما يتعلق به من مباحث الشورى التي نفرد لمناقشتها هذه الصفحات ..

لقد اقتصر الطرح التقليدي لقضية الشورى في الفكر السياسي الاسلامي على بحثين أساسيين هما مدى وجوب الشورى .. ومدى الزامها .. والمقصود بوجوب الشورى تحديد مدى التزام الحاكم بالالتجاء الى المشاورة ، وما اذا كان ذلك التزاما جازما يدخل في دائرة « الوجوب » ، أم أنه التزام غير جازم يدخل في دائرة الندب .

أما الزام الشورى ، فقضية يأتي دورها بعد التجاء الحاكم الى طلب الرأي من رعيته ، علمائها ومجتهديها وأهل الحل والعقد فيها .. ومدار البحث فيه على تحديد قيمة « الرأي » الذي تميل اليه أكثرية أهل الشورى ، وما اذا كان الحاكم ملزما باتباعه ، أم يظل على حريته في الاختيار بينه وبين غيره من الاراء ..

وحتى في اطار هاتين القضيتين لم تسلم المناقشة من خلط واضح بين وجوب الشورى والزامها ، ورأينا عددا غير قليل من الاقدمين والمحدثين يتحدثون عن الامرين كما لو كانا أمرا واحدا .. أو يسوق بعضهم دليلا معينا يسند به رأيه في المسألة الاولى .. بينما يسوقه غيره ليسند رأيا يراه في المسألة الثانية . ولكن الذي نحرص عليه هنا هو الاصرار على أن هذا الطرح التقليدي لقضية الشورى لم يعد صالحا ولا كافيا لمناقشة مباحث الشورى في المجتمعات الاسلامية المعاصرة .. وكثير من النصوص التي يستدل بها ويسند بها أصحاب الاراء المختلفة آراءهم لا يمكن الاستدلال بها ، أو لا يمكن ـ على الاقل ـ أن تنهض حجة على ما يريد أصحاب هذه الاراء أن يتوصلوا اليه ..

ولابد هنا أن نقرر رأيا سبق أن أبديناه وهو أن الاسلام في أمور السياسة والحكم قد اكتفى بتقرير عدد من المبادىء، جاءت بها نصوص قرآنية وأحاديث نبوية ، فهي لذلك ملزمة لا حجة لأحد في تركها ، ولكن لم يفصل ـ عامدا عالما سبحانه ـ كيفية وضع هذه المبادىء والاصول موضع التنفيذ حتى يكون الناس في سعة من أمرهم ، وليختاروا في تطبيق تلك المبادىء ما يحقق مصالحهم كما تحددها ظروف البيئة والزمان والمكان ..

وعلى رأس هذه المبادىء العامة في أمور السياسة والحكم « مبدأ الشورى » .. فهو سبحانه قد أوجبه على رسوله بقوله تعالى : « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر .. » كما أوجبه على المسلمين بقوله تعالى :« وأمرهم شورى بينهم » .. ولكن التجارب السياسية التي مرت بها المجتمعات الاسلامية وغير الاسلامية قد دفعت بأجهزة الحكم في الدولة الى مراحل متعاقبة من التطور نحو مزيد من التركيب والتعقيد ، يناسب التطور الهائل في تركيب المجتمعات نفسها وفي تعقد وتشعب العلاقات الاجتماعية بين الناس أفرادا وحكاما من ناحية أخرى . فانفصلت مهمة التشريع عن مهمة التنفيذ ، واستقلت وظيفة القضاء ضمانا لحياد القائمين عليه ولتخصصهم في اقامة العدل بين الناس ... بل ان وظيفة التشريع نفسها صارت وظيفة مركبة .. بعضها من طبيعة قانونية تتعلق

« بشرعية » التشريع ، وبعضها من طبيعة سياسية واجتماعية تتعلق بملاءمة التشريع ومدى حكمته كأسلوب في سياسة المجتمع وتنظيمه وتطور دور الرعية ـ هو الاخر ـ في ابداء المشورة .. وصار من الطبيعي أن يختلف باختلاف ميادينها .. فهو في أمور التشريع غيره في أمور الادارة وتنظيم المرافق والخدمات ، واتخاذ القرارات والمواقف ورسم السياسات في أمور المجتمع الداخلية والخارجية .

كما أن الثورة العلمية والصناعية في وسائل الاتصال ، قد غيرت تماما قيمة ما كان يحتج به قديما من استحالة استشارة الكافة لتعذر الاتصال بهم كما أن تشعب العلوم الحديثة من اقتصاد واجتماع وادارة وتشريع في أمور المعاملات ، أوالجنايات .. كل ذلك جعل « أدوات » الاجتهاد وشروطه تخضع بالضرورة ـ هي الاخرى ـ لتغير يساير ..

في ضوء ذلك كله لا يمكن أن يكون الحديث العام المرسل المجمل عن الشورى والزامها الا كلاما نظريا عاما ، وجدلا حول أدلة لا يتخلص بها الاشكال .. واصرارا ـ كما قدمنا ـ على تجاهل حجم المشكلة القائمة نزولا عند حجم الدليل التاريخي الذي ولد يوم ولد ليواجه المشكلة في بساطتها الاولى .

ان نقطة البدء في تناولنا للشورى لا يمكن أن تكون مجرد حصر النصوص التي عالجتها أو رصد السوابق التي دارت حولها .. وانما تكون ـ فيما نرى ـ بتحديد المشكلة كما تعرض فعلا في اطار الواقع القائم .. ثم يكون الرجوع الى النصوص والسوابق ـ بعد ذلك ـ جزءا من محاولة التصدي للمشكلة بالتناول والعلاج .. اذ بهذا وحده ، تتحدد الجوانب التي عالجتها النصوص وواجهتها ، والجوانب التي لم تكون مطروحة أو قائمة عندما جاءت النصوص أو وقعت السوابق فنلتمس لها ـ بالضرورة ـ حلولا يمكن أن تتجاوز النصوص ، وهو تجاوز لا غرابة فيه ولا شذوذ ، اذ لا تطالب النصوص برأي فيما لم تأت أصلا لتناوله أو علاجه .

من ؟ وفي ماذا ؟

ان المباحث الحقيقية التي يثيرها مبدأ الشورى ، كما يعرض اليوم هي :

أولا تحديد المستشير .. لأن الالتزام بالشورى ـ أيا كانت طبيعته ـ يرتبط ارتباطا واضحا بطبيعة عمل المستشير ، وأساس ما يملكه من حق الطاعة وسلطة الأمر .. وتصوير قضية الشورى كما لو كانت مجرد التزام يضعه الاسلام على عاتق حاكم فرد .. تصوير غير سليم ، لأنه يفترض بقاء قضية الحكم والسياسة محصورة في تلك الثنائية البسيطة .. ويستبعد من « خريطة الحياة السياسية » سائر المؤسسات التي اقتضى التطور الاجتماعي والسياسي قيامها ، ومشاركتها للحاكم الفرد ، أو لرئيس الدولة كثيرا من سلطاته .

فالمستشير اذن قد يكون رئيس الدولة ، وقد يكون رئيس الوزارة وقد يكون وزيرا من الوزراء .. ومن المستحيل تحديد طبيعة التزامه بالشورى .. قبل تحديد طبيعة اختصاصه ، وحدود ذلك الاختصاص .

ثانيا : تحديد نطاق الشورى وموضوعها ، أو « متعلقها » كما يقول الاصوليون .. وذلك بالنسبة لكل مستشير على حدة .. وفي هذا نرى غير قليل من التداخل والغموض في كلام علمائنا الأقدمين .. فمنهم من يقول ان نطاق الشورى يقتصر على الامور التي لم يرد فيها نص .. وهو ما يتضمن ـ تبعا ـ أنه يتصور الشورى في مجال الامور التشريعية أو مجال الاحكام الشرعية . ومنهم من يراها مقصورة على الامور المباحة في شئون الحياة وأمور الدنيا ، استنادا الى أن المشاورة كانت من النبي (ص) « في مكائد الحرب ولقاء العدو تطييبا لنفوسهم وتأليفا لهم على دينهم وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم وان كان الله أغناه عنهم بوحيه » (١)

بينما يميل الامام الشافعي رضي الله عنه الى أن الشورى تجري كذلك في أمور الاحكام ويعلل ذلك

(١) أنظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج١٣ ص٢٨٨ .

(٢) فتح الباري ، الموضع السابق ، وانظر في هذه الاراء رسالة الدكتوراه المقدمة من الدكتور صلاح الدين محمد علي دبوس ، الى جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٦ بعنوان « الخليفة ، توليته وعزله » ـ ص ٢١٨ .
وظاهر من العبارة التي أوردناها في المتن أن الامام الشافعي رحمه الله يعالج نطاق الشورى ومدى الزامها ، في عبارة واحدة ـ وظاهر عبارته أنها ـ في هذا النطاق على الاقل ـ غير ملزمة .

قائلا : « انما يؤمر الحاكم بالمشورة لكون المشير ينبهه على ما يغفل عنه ويدله على ما لا يستحضره من الدليل لا لتقليد المشير فيما يقوله فان الله لم يجعل هذا لأحد بعد رسوله » (٢)

ويضيف آخرون الى هذا ذكر عدد من السوابق التي استشار النبي صحابته في أمرها مع تعلقها بالاحكام الشرعية ـ فيذكر الامام الشوري ـ على سبيل المثال أن رسول الله (ص) استشار أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في أسارى بدر ، وأنه « استشار اصحابه يوم الحديبية » (٣) كذلك عرض عمر بن الخطاب رضي الله عدة مسائل تشريعية على أهل شوراه من بينها مسألة عقوبة شارب الخمر ومسألة أرض العراق التي فتحت في عهده (٤) بل يذكر بعض العلماء أن الشورى تجري كذلك في أمور القضاء . فيروي الطبراني (في الاوسط) وأبو سعيد في « القضاء » عن علي رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ان عرض لي أمر لم ينزل فيه قضاء في أمره ولا سنة كيف تأمرنا ؟ قال : تجعلونه شورى بين أهل الفقه والعابدين من المؤمنين ولا تقضي فيه برأيك خاصة » (٥) ـ بل ان ابن قيم الجوزية رحمه الله يوسع نطاق الشورى لتشمل « الفتيا » فيقرر (٦) أن المفتي « ان كان عنده من يثق بعلمه ودينه فينبغي له أن يشاوره ولا يستقل بالجواب ، ذهابا بنفسه وارتفاعا بها أن يستعين على الفتاوي بغيره من أهل العلم » .. ويعلل هذا صراحة بأن الله تعالى ، « أثنى على المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم ، وأنه تعالى قال لنبيه « وشاورهم في الامر » ..

لهذا كله ذهب بعض الباحثين الى أن « كل أمر مما لم يرد فيه نص يمكن أن يكون محلا للشوري ما دام يتعلق بمسألة تعد من الشئون العامة للامة . » (٧)

قضايا مترابطة

ثالثا : مدى « وجوب الشورى » ..

وفي هذا ذهب رأي الى أن مبدأ الشورى لم يرد على سبيل الوجوب وانما على سبيل الندب .. وعلى هذا أكثر كتاب « الاحكام السلطانية » في التاريخ الاسلامي .. وعلى رأسهم القاضي أبو يعلي الحنبلي ، والماوردي وكذلك ابن حزم الظاهري ، وابن قيم الجوزية (٨) ، وذهب رأي آخر الى أن المشاورة واجبة .. من ذلك ما ينقله القرطبي عن ابن عطية من أن « الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الاحكام ومن لا يستشير أهل العلم فعزله واجب »

ولا نريد أن نتابع هذه الاقوال ولا أن نخوض في أدلتها ذلك أننا نعتقد ـ مع حرصنا على توقير علمائنا الاوائل والاعتراف بفضلهم ـ أن أكثرها قد سيق ودافع عنه أصحابه وفي خواطرهم « صورة » واحدة من صور الشورى اختلفت من فقيه الى فقيه .. وأن تقريراتهم ، في عمومها ، لا تكفي اليوم وحدها للاستدلال .. لأن موضوع هذا الاستدلال غير محدد ..

ثم اننا نعتقد اعتقادا جازما أن هناك ترابطا لازما بين القضايا العديدة التي أثرناها في شأن الشورى .. فلا يمكن الحديث عن « وجوب الشورى » هكذا باطلاق .. اذ يتصور أن تكون واجبة في أحوال ومندوبة في أحوال .. وغير مطلوبة أصلا في أحوال ثالثة أخرى ..

---

(٣) أورده الدكتور محمد مصطفى دبوس ، نقلا عن فتح الباري ، وعمدة القاري .

(٤) الدكتور محم سليم العوا « النظام السياسي للدولة الاسلامية » ص ١٨٨ .

(٥) أنظر تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ، جـ ٥ ص ١٥٩ .

(٦) اعلام الموقعين جـ ٤ ص ٢٥٦ .

(٧) الدكتور محمد سليم العوا ـ المرجع السابق ص ١٨٧ ـ والواقع أن الدكتور العوا من القلائل الذين تحرروا من الاطار التقليدي الذي عولجت به مباحث الشورى فذكر تحديدا (ص ١٨٧) أن أمور الادارة اليومية التي تشغل الاجهزة التنفيذية والادارية للدولة لا تحتمل العرض على الشورى .. أما بعد ذلك فيستوي أن تكون الاموروذات الدقة والخطر التي تعرض للشورى من الامور التنفيذية أو من الامور التشريعية .

(٨) ومع ذلك فعبارة الامام الشافعي في كتاب « الام » تحتاج الى تأمل اذ نصها : « اذا نزل بالحاكم الامر يحتمل وجوها .. ينبغي له أن يشاور » اذ يرى بعض العلماء أن عبارة « ينبغي » عند الشافعية تؤخذ على الندب في الاحكام الشرعية ولا تؤخذ على الوجوب .

وهذا التردد بين الاحكام التكليفية المختلفة ليس الا نتيجة لازمة لارادة الشارع سبحانه أن يترك الناس في سعة من أمرهم مع توجيههم الى عموم مبدأ الشورى .. وهي ارادة يكاد يبديها استخدام كلمة جامعة عامة هي كلمة الامر في قوله تعالى « وشاورهم في الامر » وقوله : « وأمرهم شورى بينهم » ..

رابعا : مدى الزام الشورى للمستشير ..

وهذا هو المبحث الذي أطال علماؤنا الحديث فيه ، بالعموم نفسه الذي عالجوا به كافة قضايا الشورى .. فذهب فريق الى أنها ملزمة للمستشير (هكذا باطلاق) ، وذهب آخرون الى أنها معلمة له ، ان شاء أخذ برأي الذين استشارهم فيها وان شاء أخذ بغيره ..

وموقفنا في هذه القضية كذلك أنه لا يمكن اتخاذ موقف واحد من صور الشورى المختلفة واحوالها التي تختلف باختلاف المستشير والمستشار وموضوع المشورة .. وأن الجدل الطويل الذي ثار قد بدأ بالنصوص وانتهى بها متجاوزا عن الاختلافات الاساسية بين الصور المختلفة للشوري وأن هذا التجاوز يؤدي بالضرورة الى سوء فهم النصوص ، أو سوقها في غير مساقها ، وتحميلها فوق ما تحتمل ، كما يؤدي الى تساهل شديد في تفسير السوابق واستخراج الحجة منها .. نتيجة تقصير في تحليل تلك السوابق وضبط ملابساتها ، وربط الاحكام المستفادة من هذه السوابق بتلك الملابسات وحدها .. بحيث يدور حكم السابقة وجودا وعدما مع وجود تلك الملابسات وعدمها ..

ان هذا المنهج كله يضيع في ذات المنهج الشكلي القائم على الانحصار في النصوص واشباعها تحليلا لغويا ومنطقيا دون التفات كامل الى « الموضوع » الذي تعالجه .. ومن قبيل هذا المنهج الشكلي ما يقول به الفقيه الكبير ابن حزم الظاهري الذي نعترف له بقوة العارضة ودقة استخراج الاحكام من أدلتها ، ونعرف له مكنته الكبيرة في الاصول والفروع والعقائد .. ولكنا ـ مع ذلك كله ـ لا نجد مقنعا في رفضه القول بالزام الشورى (على اطلاقها) استدلالا بأنه سبحانه قال « فاذا عزمت فتوكل على الله » ، فمرد الامر الى النبي (ص) لا اليهم .. ونسأل من زعم لزوم المشاورة فان قالوا لا يصح شيء من الشرع الا بمشاورتهم كلهم أتوا بالمحال والحرج ، وان قالوا يصح بمشاورة البعض .. قلنا فماذا البعض ؟؟ وكم حده ؟ فصح أن الآية ندب »

ان هذا النوع من التدليل يترك المشكلة بكل ما فيها ، ويذهل عن مضمونها كله مستغرقا في تحليلات وتخريجات نظرية خالصة .. تضفي على بعض النصوص عموما ليس لها .. وتؤدي ـ بالضرورة ـ الى ادخال الامور بعضها في بعض على نحو تفوت معه المصالح ، وتنفصل به النصوص عن وظيفتها في حفظ مصالح الناس .. بل ان ابن حزم ـ رحمه الله ـ في حرصه المعهود على أن يدور مع النصوص وحدها ، يقفز الى النتيجة التي يريدها قفزا متجاوزا عما يمكن أن يقال ـ وقد قيل فعلا ـ من أن التوكل انما يكون على الله في الاحوال كلها .. مما لا يقدح في لزوم المشاورة ، أو أن العزم والتوكل على الله انما يكون في الامر الذي يصدر فيه الرسول (ص) عن وحي الله تعالى .. أما ما لم يكن فيه وحي فلا دلالة لهذا النص عليه ويبقى على الاصل من التزام الشورى فيه ، ان الحديث يمتد بنا كثيرا لو حاولنا تعقب المزالق والاخطاء التي أدى اليها ـ في تقديرنا ـ تجهيل المشكلة والالتزام في طرحها بالصيغة التقليدية التي طرحت أول العهد بها .. ثم محاولة اخضاع السوابق والشواهد كلها للنتائج النظرية المستخلصة على عجل من النصوص المعزولة عن موضوعها ..

ان من هذا القبيل ـ فيما نرى ـ أكثر ما ذهب اليه العالم المعاصر الدكتور سعيد رمضان البوطي في مقاله بهذه المجلة فهو ـ على سبيل المثال ـ يبدأ حديثه بتصور عام للشورى يربطها باستخراج الاحكام الشرعية .. ثم يلاحظ أن من شروط الامامة الكبرى أن يكون صاحبها عالما متمكنا في الشريعة الاسلامية واصولها قد بلغ في ذلك رتبة الاجتهاد أو دانا ها .. وأنه اذا لوحظ ذلك « زال وجه الغرابة والعجب من أن لا يلزم هذا الحاكم المسلم برأي الاكثرية في مجلس الشورى .. » .. « وليس بعيدا أن ينقدح في اجتهاد الحاكم أن حكم الله في الامر انما هو كذا .. ولا عليه في هذه الحالة أن ينفذ ما قد هداه اليه اجتهاده ولا عليه أن يأتي مخالفا لما ارتآه أكثر الناس ، اذ هو لا يقل في الطاقة الاجتهادية عن أهل شوراه .. »

ان هذا التصوير كله ـ في تقديرنا ـ محل نظر كبير .. فليس الامر دائما أمر تشريع واجتهاد في استخراج الاحكام الشرعية .. وحتى في نطاق التشريع ، فبأي سند يرجح رأي حاكم فرد على رأي جمهرة من العلماء المجتهدين يتداولون الامر بينهم في « مجلس للشورى » .. وهل يمكن أن يغيب عنا اليوم استحالة توفر صفة المجتهد المطلق في الامور كلها للحاكم الفرد

وهل يمكن أن تضع الامة مصيرها كله في يد حاكم فرد يعتمد على اجتهاده في الاحكام ، ويملك أن يضرب عرض الحائط باجتهاد الكثرة من العلماء المختارين في مجلس الشورى .. وهل يمكن أن يعتذر عن ذلك بأنه ان كان مصيبا كان له على ذلك الاجر مضاعفا ، والا رجع بأصل الاجر الذي قيضه الله تعالى للمجتهد ، فهو مأجور على كل حال !! كما قال الدكتور البوطي . وهل من أمانة الحكم وعدالته وصلاحه أن يرجع الحاكم بالاجر ، وأن تجني الامة ثمرة خطئه وتفرده بالرأي ... وهل القضية كلها أجر الحاكم أم قضية مصالح الرعية ؟!

ويتضح خطر المنهج الذي تنقده في تصور قضية الشورى من الامثلة التي يسوقها الدكتور البوطي ليدلل بها على رأيه في عدم الزام الشورى فهو يشير الى موقف عبد الله بن الزبير من اصلاح الكعبة بعد أن تهدم واحترق جانب منها بفعل يزيد بن معاوية ، فقد عقد مجلسا للشورى في موسم الحج .. واستشارهم في كيفية اصلاح الكعبة : أيرممها أم ينقضها ثم يبنيها من جديد ؟!

وقد رأى ابن عباس رأيا مالت اليه كثرة المجتمعين ولكن عبد الله بن الزبير لم يأخذ به .. واستخار ربه ثلاثا .. وقرر نقض البيت واقامته من أساسه ..

ان الاستدلال بهذه السابقة للوصول الى نتيجة عامة مؤداها عدم الزام الشورى محل نظر كبير .. فهذه مسألة تنفيذية لا نظن الشورى فيها واجبة أصلا ... فضلا عن أن تكون ملزمة ..(١٠)

رؤية جديدة واجبة

خامسا : أهل الشورى ..

في كتب السياسة الشرعية وكتب الفقه الاسلامي بصفة عامة اصطلاحات ثلاثة تحتاج الى ضبط وتحديد ، فهم تارة يشيرون الى أهل الشورى ، وتارة يشيرون الى أهل الحل والعقد ، وتارة ثالثة يشيرون الى أهل الاجتهاد ..

وفي ضوء الغموض الذي أحاط بمباحث الشورى كلها نرى من التعسف في التفسير أن نحاول ضبط هذه المصطلحات في اطار التصور التقليدي لقضية الشورى والاقرب الى ضبط المصطلحات - فيما نرى - أن عبارة أهل الشورى عبارة عامة تشير الى من يصلحون ليطلب الحاكم رأيهم في أمر من الامور .. ومن ثم كان طبيعيا أن تختلف صفاتهم وشروطهم باختلاف الامر المطلوب منهم .. أما أهل الحل والعقد ، فتشير الى عنصر « التأثير الاجتماعي » ، الذي يتمتع به فريق من الناس بحيث يكون انحيازهم لشخص أو رأي أو قرار مدخلا كافيا لرضا الناس به ودخولهم فيه وانصياعهم لحكمه ..

أما أهل الاجتهاد ، فالاقرب الى المنطق أنهم المؤهلون لابداء الرأي السليم في المسائل الفنية على اختلافها .. فان كان الامر المعروض ذا طبيعة تشريعية كان من شروطهم توفر القدرة على الاجتهاد - بمعناه الشرعي - أي القدرة على استخراج الاحكام الشرعية من أدلتها .. مع ما يتطلبه ذلك من أدوات للبحث والاستقراء والمعرفة .. وان كان الامر المعروض ذا طبيعة اقتصادية أو اجتماعية أو هندسية أو طبية أو مالية .. كان من شروطهم أن يحوزوا قدرا من المعرفة بتلك الامور .. والا كان تصديهم لابداء المشورة تكلفا واقتفاء لما ليس لهم به علم ..

ان الاجتهاد - كما قال العلماء بحق - حالة تقبل التجزؤ والانقسام ، ومن لم يبلغ درجة الاجتهاد في جزء من العلم لم يجز له الافتاء فيه ، ولم يجز - بداهة - أن يطلب منه الرأي في شأنه ..

ان أهل الشورى - اذن - ليسوا جماعة مخصوصة ثابتة .. وليسوا نظاما « اسلاميا » محددا نبحث عنه اليوم في كتب الاقدمين لنهتدي اليه بحذافيره ..

والخلاصة أن قضية الشورى كلها تحتاج الى رؤية جديدة .. وأن جوهر هذه الرؤية أمور ثلاثة :

أولها : ان الاسلام أقر الشورى وأمر بها واعتبرها أصلا من أصول الحكم وسياسة الناس .. ولكنه لم يفصل أحكامها .. وغاية ما تثبته النصوص أن يكون

---

(١٠) وأغرب من هذا كله ما ينهي به الدكتور سعيد رمضان عبارته قائلا : « ولا أعلم خلافا بين أهل العلم في أن هذا هو واجب الحاكم في الشريعة الاسلامية بصدد الشورى ونتائجها » فهذا القول محل نظر كبير ، فالخلاف قائم ومشهور ..

للرعية نوع « اشتراك » في « أمرها » .. وأن تفاصيل ذلك الاشتراك متروكة للناس ، وأن هذا الامر يختلف باختلاف أحوال الامة الاجتماعية في الزمان والمكان فلم يكن من الحكمة أن يوضع له نظام موافق لحال الصدر الاول وحدهم .. ولو وضعه النبي (ص) لاتخذوه دينا وتقيدوا به في كل زمان ومكان وهو لا يمكن أن يوافق كل زمان ومكان [١١]

ثانيا : ان مناقشة قضية الشورى اليوم في اسار المباحث التي صاغها علماؤنا الاوائل والانحصار في تقسياتهم لتلك المباحث .. ودورانهم في فلك التفسير اللفظي للنصوص أمر غير سائغ دينا ولا عقلا .. وهو أهم أسباب الحيرة والاضطراب في مباحث الحكم والسياسة في فقهنا الاسلامي المعاصر .. وأن الواجب لذلك البدء بتحديد المشكلة وتحليل جوانبها .. ثم البحث عما عالجته النصوص القرآنية والنبوية من هذه المشاكل .. والاجتهاد فيما لم تعالجه وهو الاكثر الغالب ..

ثالثا : أن الترجيح بين الآراء المختلفة لا يجوز أن يستند الى النصوص وحدها وانما لابد أن تسنده خبرة تشريعية وسياسية واجتماعية .. فالنصوص هنا لا تعالج سلوكا فرديا لآحاد المكلفين .. وانما تنظم اطارا دستوريا وسياسيا لأنه تنظيم الملايين .. ولا يمكن التصدي لتطبيق تلك النصوص بعيدا عن الخبرة المتراكمة للشعوب .. المسلم منها وغير المسلم ما دام الاجتهاد في الامور كلها ـ يظل مقيدا ـ في الدولة المسلمة بمبدأ عدم مخالفة الثابت ـ حقيقة لا وهما ـ بنصوص الكتاب والسنة . ■■

د . أحمد كمال ابو المجد

---

(١١) الشيخ رشيد رضا ، في تفسير المنار ـ جـ ٥ ، ص ١٥٣ .

● شكا موظف باحدى المؤسسات التجارية الى مديرها من انه امضى عشرين عاما في عمله فيها اكتسب خلالها خبرة . ومع ذلك تخطاه في الترقية من هم احدث عهدا منه من الموظفين فقال له المدير : « الواقع ان لك خبرة عام واحد ولكنها تكررت عشرين مرة » !

● في سنة ١٩١٢ ، نظرت احدى المحاكم الامريكية في ولاية جورجيا قضية رفعتها احدى السيدات طالبة الحكم لها بالطلاق من زوجها الثاني ، لان شبح زوجها الاول يلوح امامها دائما وينغص عليها حياتها الزوجية الجديدة . فقضت المحكمة لها بالطلاق ، وبنت حكمها على هذا السبب .

أقوال معاصرة



■ سباق التسلح بين الدول الكبرى يكلف العالم مليون دولار في الدقيقة الواحدة .

كورت فالدهايم / السكرتير العام للامم المتحدة

■ سياسة فرنسا مستقلة ، لكنها ليست حيادية .

الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان



■ لم استطع توجيه اى اوامر الى القوات الجوية الايرانية ، لانها كانت تتلقى اوامرها من واشنطن !

من حديث لشاه ايران السابق قبل وفاته

■ لقد احسنت العمل رغم جفاف الموقف .

من برقية الرئيس كارتر الى اخيه بيلى بعد زيارته لليبيا .



■ الدبابات السوفيتية لا تهددنا ، لكن سياسة مناحيم بيجن هى التهديد الحقيقي ضدنا

عبد الله بشاره مندوب الكويت لدى الامم المتحدة

■ الرئيس كارتر مهتم بتحسين صورته باكثر من اهتمامه بنجاح مساعى الافراج عن الرهائن .

رامزى كلارك النائب العام الامريكى السابق



■ ستضطر اسرائيل الى ان تعيش في توازن الرعب النووى مع عدد من الدول العربية ان عاجلا او آجلا .

اسحاق رابين رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق

■ جو الانتخابات الامريكية الآن ، وبرنامج الحزب الجمهوري المعلن ، يعطنا انطباعا باننا نعيش اياما مماثلة لتلك التى سبقت انتخاب هتلر في المانيا

الرئيس الكوبى/فيدل كاسترو

■ التقدم المتحدى في حل مشكلة الشرق الاوسط هو مفتاح التعاون الحقيقي بين الولايات المتحدة ودول الخليج .

هيرمان ايلتس سفير امريكا السابق في مصر والسودان

هل علاج أزمة الحلف الغربي ، عن طريق اقدام الأوروبيين على مزيد من دعم الولايات المتحدة ، أم عن طريق عطاء الولايات المتحدة وقدرتها على مسئوليات القيادة ..؟

أزمة الحلف الغربي

بقلم : جميل مطر

يتصف الحلف الغربي أو الرأسمالي بعدة سمات لا تتوافر في الحلف الشرقي أو الشيوعي أهمها أنه حلف مرن ، بمعنى أنه يسمح نظريا وعمليا لأي طرف من أطرافه بالخروج منه ويسمح لأطراف أخرى بالانضمام اليه ، وقد يسعى لذلك أحيانا . تنعكس هذه المرونة أيضا على سلوك اعضاء الحلف وقواعد تفاعلاته الداخلية والدولية ، ويبرز ذلك في اتساع حيز الاجتهاد في تفسير أهداف الحلف وتطبيق سياساته . كما يبرز في مرونة حدود التنافس بين الأطراف لتحقيق مصالح ذاتية قد تتناقض مع مصالح أطراف أخرى وربما تمس مصالح الحلف ذاته . هذه المرونة لا تتوفر بنفس القدر في الحلف الشرقي الشيوعي . وأسباب ذلك متعددة من بينها ـ وربما أهمها ـ طبيعة الايديولوجية السائدة ، فالايديولوجية الشمولية بحكم التعريف تقلل من فرص الاختلاف وتضع المصلحة الكلية للحلف فوق مصالح أي عضو منفرد . ويزداد هذا الاعتبار أهمية اذا راعينا اتساع الفارق بين عناصر القوة المتوفرة لدى الطرف القائد وبين عناصر القوة لدى أي طرف آخر او لدى بقية الأطراف مجتمعة . ونلاحظ أهمية هذا الفارق من تتبع التطور السياسي للحلف الرأسمالي نفسه ، اذ أن المرونة رغم توفرها بحكم الايديولوجية السائدة الا انها تزداد مع استمرار تقلص حجم الفارق بين الولايات المتحدة كطرف قائد في الحلف وبين بقية الأطراف مجتمعة أو منفردة .

نشأ الحلف الغربي في ظل ظروف دفعت الى تحمس دول أوربا الغربية للمشاركة في انشائه أو بالانضمام اليه . يبرز بين هذه الظروف الدافع العسكري الناشيء عن تقسيم أوربا والامتداد السوفيتي وقيام حكومات شيوعية في شرق ووسط القارة ، ومن بينها أيضا الواقع الاقتصادي ومدى التدمير الذي لحق بالدول الأوربية نتيجة للحرب وحاجتها الماسة الى الدعم الأمريكي لاعادة بناء اقتصادها .

لاعادة بناء اقتصابها .

ورغم هذه الظروف الملحة الا أن الحلف نما يحمل بذور اختلافات ومشكلات جوهرية لم يستطع التخلص منها . ولم ينجح الحلف والتضامن الذي تولد عن انشائه في ازالة المرارة الفرنسية من موقف الحلفاء ـ وخاصة الولايات المتحدة ـ من الغزو الألماني لفرنسا في بداية الحرب ، هذه المرارة التي شكلت ما صار يعرف بالعقدة الديجولية في التاريخ الفرنسي الحديث .

كما أعقب انتهاء الحرب مباشرة شعور متزايد لدى الدول الاستعمارية التقليدية كانجلترا وفرنسا ان الولايات المتحدة تسعى لاحتلال مواقعها بذريعة عدم قدرتها على حماية المصالح الغربية ، وكانت الدولتان تأملان ان تكون القوة الأمريكية عنصرا يدعم العملية الاستعمارية بشكلها التقليدي ، وليس ان تكون بديلا لها . بمعنى آخر أرادت الدولتان ان يكون الحلف الغربي غطاء يساعدها على استعادة مراكزها الاستعمارية ، بينما ارادت الولايات المتحدة ان تتطور العلاقة الأوروبية بالمستعمرات بشكل يسمح لأمريكا بأن تلعب دورا بارزا في اكتساب صداقة شعوب المستعمرات وأن يتسع نطاق الحلف ومشتقاته ليغطي هذه الشعوب . ولعل أزمة قناة السويس تمثل أبرز مثال على هذه العلاقة التنافسية

التي سيطرت على سلوك أطراف الحلف الغربي في الفترة الأولى من فترات تطوره .

ولا شك ان الولايات المتحدة قد نجحت الى حد كبير خلال هذه المرحلة في انهاء دور الاستعمار التقليدي وتطوير مفاهيم جديدة للامبريالية الدولية منتهزة حالة الحرب الباردة وضعف القدرات الأوربية . الأمر الذي حد كثيرا من فعالية عنصر المرونة داخل الحلف الغربي ، وساعد كثيرا على التعجيل بفرض الهيمنة الأمريكية على النظام الدولي الغربي خاصة وعلى تفاعلات دولية متعددة . وقد تم هذا في كثير من الأحيان على حساب مصالح الدول الأوروبية . ولم تكن أوربا لترضى بهذا الوضع لو لم تكن فاقدة الثقة في قدرتها على اعادة البناء بمفردها والاحتفاظ بمستعمراتها ومصالحها في مواجهة تزايد القوة السوفيتية وتزايد احكام النفوذ السوفيتي على اوربا الشرقية ، الأمر الذي كان الاتحاد السوفيتي يؤكده مرة بعد أخرى منذ أزمة برلين في عام ١٩٤٨ ومرور بأزمة المجر عام ١٩٥٦ .

التحولات في القوة الأمريكية

هدفت الديجولية كسياسة دولية الى اعادة ثقة أوربا بنفسها بشكل عام وفرنسا بشكل خاص . وتأبى الديجولية قيام السوق الأوربية المشتركة ونموها السريع في النواحي الاقتصادية مما كسب الديجولية مصادقة لدى الدول الأخرى ، واكتسب السوق من الديجولية دافعا وحافزا لتجاوز مختلف العقبات التي واجهها وخاصة تلك التي وضعتها السياسة الأمريكية . اذ كان الموقف الأمريكي من السوق الأوربية يتراوح بين عدم التشجيع وبين المقاومة الشديدة . وتختلف هذه المقاومة بشكل واضح في مساعي ادخال بريطانيا الى السوق بشروط بريطانيا والولايات المتحدة . وهي المساعي التي قاومتها فرنسا بكل صلابة وكادت تؤدي الى تدمير السوق وأدت بالفعل الى مشكلات شديدة بداخل الحلف الأطلسي .

شتان ما بين الوضع الدولي آنذاك والوضع الدولي الراهن . ان النظام الدولي لا يثبت على حال ، وانما يتطور تدريجيا في اتجاه شكل ما ، بل ان أي شكل يتخذه النظام الدولي في وقت ما هو شكل غير ثابت ، فالتفاعلات ومصادر القوة في حركة دائمة ، ولكنها ليست حركة مضطربة ، وانما حركة تتوجه باتجاهات تصارع مختلف العناصر الثابتة وغير الثابتة التي يتشكل منها النظام الدولي . قد يمكن وصف حالة من حالات النظام الدولي بأنها حالة سيولة ، وهي الحالة التي يصل عندها تصارع هذه العناصر الى قمته ، وتبدأ بعض اركان النظام القائم تهتز . ولاشك ان العالم يمر في هذا الحالة ، وهو الأمر الذي قد يفسر ظواهر مختلفة ليس فقط على صعيد تفاعلات الدول العظمى والتحالفات الدولية بل أيضا على صعيد الدول الصغرى وعلاقاتها بالدول الكبرى وعلاقاتها فيا بينها .

وحتى يمكن تبسيط وايجاز الاشارة الى عدد من التغيرات الحادثة حاليا والى تراكماتها التي تشكل تحولا جذريا في تفاعلات النظام الدولي ، وفي توازنات القوة الدولية . ولعل أهم تلك التطورات ما تعلق منها بالولايات المتحدة الأمريكية .

اذ تعرضت هذه الدولة العظمى الى سلسلة من حلقات متعاقبة من الانتكاسات السياسية الداخلية والدولية التي أثرت أكبر التأثير على أمرين في وقت واحد . الأول هو الادراك الدولي لقوة الولايات المتحدة وزعامتها والثاني هو الادراك الأمريكي الذاتي لهذه القوة وهذه الزعامة . لقد خرجت الولايات المتحدة من حرب فيتنام متهزمة ، رغم كل محاولات هنري كيسنجر وأوربا والاتحاد السوفيتي في اللحظات الأخيرة من الحرب لانقاذ ماء وجه الولايات المتحدة ، والعمل على خروجها من فيتنام في اطار اتفاقية سلام لا تمس الشرف الأمريكي ولا تثير الشعب الأمريكي ولا تضع بذورا لقيام تيار متطرف ينشأ في الولايات المتحدة يهدف الى الانتقام من الهزيمة برعونة أو تهور . أي أن جميع الأطراف الدولية شعرت انه من الضروري عدم تعريض النظام الدولي بأسره للخطر اذا ظهرت الولايات المتحدة أمام الأمريكيين اولا والعالم ثانيا كدولة عظمى انهزمت أمام دولة صغرى .

هذا العمل المشترك من جانب الأطراف الكبرى ، والدور الذي لعبته أوربا الغربية بالذات من اجل انقاذ صورة الدولة القائدة في الحلف الغربي أكد للأوروبيين ان مرحلة الزعامة المطلقة للولايات المتحدة قد انتهت ، وان غطرسة القوة الأمريكية تؤثر بالضرر على مصالح أوربا ، بعد ان كانت هذه الزعامة المطلقة حماية ودرعا يتم في ظلها اعادة البناء ، كما انها نبهت الى أن اوربا ـ المستقلة نسبيا ـ تستطيع ان تلعب دورا فعالا ليس فقط لحماية الزعامة الامريكية من نفسها ولكن ايضا لحماية القارة الأوربية .

ولم يخف قادة أوربا ـ بل وكثيرون من قادة دول

العالم الثالث ـ أملهم ان تبدأ الولايات المتحدة على الفور علاج آثار الحرب الفيتنامية على النفس الأمريكية واعادة الوئام الى صفوف الشعب الذي قسمته هذه الحرب . ولكن تبخر هذا الأمل حين تفجرت قضية فساد نيكسون السياسي وتكشف للعالم أن الهزيمة الفتنامية كانت تعبيرا عن شيء أسوأ بكثير يتعلق بالقيادة السياسية الأمريكية ، ثم تبين في الأعوام الأخيرة ان المشكلة تتعلق بالقيادة بمعناها الواسع ، وظهرت آراء تقول ان المجتمع الأمريكي « شاخ » ولم يعد ينجب قيادات صالحة في أي قطاع من قطاعاته سواء في الحياة السياسية أو النقابية أو الاقتصادية .

وأثبت كارتر أن الجهاز السياسي الأمريكي لم يعد قادرا على تدريب القادة وصقلهم ، أو أثبت أن عملية الجزر في القوة الأمريكية قد وصلت الى حدود لم يعد من الممكن وقفها . لقد تسلم كارتر الحكم في ظل ادراك من الرأي العام الأمريكي بانتهاء عهد وبداية عهد جديد ، انتهاء عهد الوفرة المطلقة وبداية عهد الحدية في الرخاء والرفاهية . ولاشك ان هذا الادراك كان له ـ وسيكون له ـ وقع شديد على كل المسارات الأمريكية في المستقبل . فالمجتمع الذي نشأ ونما في ظل فلسفات اللاحدود واللاشباع واللانهائية اكتشف من خلال ازمات متلاحقة أنه يواجه حقائق مخيفة ، لم يواجهها دفعة واحدة ، ولكنها واجهته على حلقات متعاقبة وتكاد تكون متصلة . فيتنام ، ووترجيت والنفط والفساد الداخلي في الكونجرس وحكومات الولايات وتقلبات الدولار ثم ايران وافغانستان .

لسنا هنا في محل ابراز اخطاء السياسة الأمريكية في معالجة هذه القضايا ، ولكننا ننظر الى وقعها على الحلفاء الغربيين ووقعها على الرأي العام الأمريكي . لقد تأكد لدى حلفاء الولايات المتحدة أن هناك مشكلة تتعلق بالقيادة في الولايات المتحدة وبالتالي فهناك مشكلة قيادة في الحلف الغربي . وفي نفس الوقت يتأكد لدى هؤلاء الحلفاء ان هناك مشكلة أخطر من هاتين المشكلتين ، وهي مشكلة وقع هذه القضايا على الرأي العام الأمريكي خاصة بعد أن جرب المخاطرة بالمجهول وفشل ، الأمر الذي يجعل المستقبل رهينة عدد من البدائل لا يمكن التنبؤ بنتائج الأخذ بواحدة منها .

في ظل نظام قطبين ، كالنظام الدولي الراهن ، يترجم القادة والرأي العام كل انجازات وانتكاسات احدى القوتين بلغة التنافس والصراع بينهما . فأوروبا اليوم تنظر الى حالة الولايات المتحدة وتترجمها على الفور في إطار حساب أرباح وخسائر الحلف الغربي . ان موقف الولايات المتحدة في قضية قرار مجلس الأمن الخاص بالقضية الفلسطينية بين تأييد القرار ثم التراجع عنه ، أو موقفها بالنسبة للعقوبات ضد ايران ، أو موقفها من غزو السوفيت لأفغانستان ، أو موقفها الخاص بدعم باكستان ، أو موقفها من اشاعة أو حقيقة وجود فرق سوفيتية في كوبا ... الخ ، هذه المواقف لا تشجع دول أوربا على الاطمئنان الى أن الدولة القائدة في الحلف يمكن الركون اليها في اتخاذ قرارات باسم الحلف بأسره . ان القيادة الضعيفة تضطر الى اختلاق مواقف أو اوضاع معينة لكي تثير الرأي العام أو لتخفي عنه حقيقة ضعفها ، وليس هذا بالأمر الجديد على السياسيين سواء كانوا أوروبيين أو أمريكيين أو سوفييتا ، ولكن المخيف ـ في رأي الأوروبيين ـ أن معظم هذه المواقف تستلزم اتخاذ سياسة موحدة بين جميع دول الحلف والا فشل الموقف وانكشفت القيادة الأمريكية ليس فقط امام الرأي العام الأمريكي ولكن ايضا أمام العالم كله . واذا لم تستجب الدول الحليفة ورفضت أو اجلت اتخاذ سياسة موحدة ، اضطرت القيادة الأمريكية الى القاء تبعة الفشل على الحلفاء ، وأثارت ضدهم الرأي العام الأمريكي .

وضع مخيف ـ بالنسبة للأوربيين ـ سواء استجابوا لسياسة غير مدروسة ومحفوفة بالمخاطر وصادرة عن أهواء متضاربة أو لم يستجيبوا . ان أوروبا تدرك جيدا ان الحلف الغربي يمر بأخطر أزمة واجهها منذ نشأته ، وهي لذلك لا تتسرع ، لا تستجيب ولا ترفض ، وانما تحاول اقناع القيادة الأمريكية بأن مصلحة الحلف تتطلب شجاعة وموضوعية ، اوربا تخشى رد فعل الرأي العام الأمريكي بنفس قدر خشيتها من الانسياق وراء اخطاء وتناقضات القيادة الأمريكية ، وتتمنى لو أن هذه القيادة أوقفت عجلة الابتزاز ضد الحلفاء باستخدام الرأي العام الأمريكي ـ انها حين تحاول اقناع الولايات المتحدة بأن فرض العقوبات على ايران قد يؤدي الى خضوع ايران للاتحاد السوفيتي انما تحاول تذكيرها بتجربة كوبا وبتجارب دول متعددة في الشرق الاوسط . أو انها حين تتردد في مقاطعة الألعاب الأوليمبية في موسكو انما تحاول تذكير الولايات المتحدة بأحد اركان فلسفاتها الدولية القائمة على « مبادىء الاخلاق » ونبذ النفاق ولسياسة امريكية مستمرة ترفض الربط بين الرياضة والسياسة .

ولكن أوروبا تحاور قيادة غير واثقة من نفسها ، قيادة مدركة لخطورة التحولات الدولية الراهنة ولكنها

عاجزة عن التأقلم مع هذه التحولات ، وأوربا تخشى الأثر المدمر الذي قد يحدث في الولايات المتحدة لو واجهت هذه التحولات المتراكمة الرأي العام الأمريكي والنظام السياسي الأمريكي . هي ايضا مدركة ولكن ليست عاجزة عن التأقلم التدريجي ، هذا التأقلم الذي تهاجمه القيادة الأمريكية وتصفه بأنه سعي وراء تحقيق مصالح ضيقة .

العقدة الأوروبية في النظام الدولي

الا أن التاريخ يضع قيودا على تفاعلات القمة الدولية وبالذات على علاقات الحلفين المتصارعين . تتشكل هذه القيود من مجموعة دروس تلقنتها أوربا ولقنتها للعالم أجمع عبر القرون الثلاثة الماضية ، فأوربا دمرت نفسها عددا من المرات وكادت تدمر العالم كله في حربين عالميتين . هذه الدروس تكمن في وعي جميع القادة في حلف وارسو كما تكمن في وعي قادة الحلف الأطلسي . ولا يختلف في هذا قادة الاتحاد السوفيتي عن قادة الولايات المتحدة . فالجميع يشعرون أن اوربا يجب ألا تترك لنفسها ، تستقل بارادتها وبنزاعاتها وبخلافاتها الداخلية ، بل ولاشك أن كثيرا من القادة الأوروبيين أنفسهم يشاركون قادة الدولتين الأعظم نفس الشعور ، ويدركون انهم مهما بلغ حماسهم لتحقيق اكتفاء ذاتي في المجال العسكري الا أنهم يتمنون لو ظل هذا الاكتفاء دون الحد الذي يسمح لهم بتشكيل قوة ثالثة مستقلة تماما عن القوتين الأعظم .

هذا الادراك ، والحرص على المحافظة على درجة ما من التبعية لقيادة أمريكية ، ربما يفسر السعي الدائم من جانب عدد من الدول الأوربية وخاصة المانيا وبريطانيا ، واليابان أيضا ، الى المساهمة في انقاذ الدولار في كل مرة يتهاوى فيها ، ويفسر الخشية الحقيقية من مظاهر الضعف العام التي صارت تميز القيادة السياسية الأمريكية ، وتخبط السياسة الخارجية الأمريكية .

ولذلك فانه أيا كانت نتيجة أزمة الرهائن في ايران أو الاحتلال السوفيتي لافغانستان وأيا كانت نتيجة الخلافات الدائرة حاليا بين الولايات المتحدة وحلفائها حول هاتين القضيتين أو ما يستجد عليهما من قضايا ، تظل أزمة الحلف قائمة وأظن لفترة طويلة . وذلك لأن مقومات الأزمة داخل الحلف معقدة ومتشابكة ، ولا توجد حلول فورية لها في الأجل القصير . ويظهر مدى تعقيد الأزمة من تشابك العناصر الآتية :

أولا : أوربا تخشى على نفسها وعلى الحلف الغربي من المستوى المتزايد الانهيار للقيادة السياسية الأمريكية . ولا تدل المؤشرات على ان الولايات المتحدة مقبلة على أفراز قيادات من مستوى أفضل خلال السنوات القليلة المقبلة .

ثانيا : أوربا لا تريد التخلص من زعامة الولايات المتحدة للحلف الغربي ، بل على العكس فأنها تخشى من احتمالات تأثير الحملة ضدها على الرأي العام الأمريكي ، وتخشى بشكل خاص عودة تيار الانعزالية الأمريكية .

ثالثا : الاتحاد السوفيتي يريد أوربا أقل تبعية وخضوعا للقيادة الأمريكية ولكنه لا يريدها مستقلة عن القوتين الأعظم .

رابعا : ليس من مصلحة الولايات المتحدة انهيار الحلف الغربي أو التخلي عن مسئولياتها الدفاعية في غرب أوربا .

خامسا : القيادة الأمريكية الراهنة عاجزة فعلا عن ممارسة دور القوة العظمى في اطار تحولات دولية رئيسية ، وهي في حاجة ماسة لأن يساعدها حلفاؤها على أن تمارس جزءا من هذا الدور من خلال قيادتها لهم ، أو على الأقل أن تبدو وكأنها لا زالت تقودهم .

من تشابك هذه العناصر يتبين ان مستقبل ازمة الحلف الغربي يرتبط بعاملين أساسيين أحدهما يتعلق بخطورة التحولات الدولية الجارية حاليا وفي مقدمة هذه التحولات تقلص الفجوة بين القوتين الأعظم بل وربما الوصول فعلا الى حالة التعادل في كثير من المجالات العسكرية ، ومن بينها استمرار تزايد القوة الاقتصادية والسياسية للسوق الأوربية المشتركة ، وسقوط مراكز هامة من الرصيد الدولي للولايات المتحدة والحلف بسبب ثورات أو اضطرابات في عدد من الدول التابعة في العالم الثالث .

والعامل الثاني ويتعلق بقدرات القيادة السياسية الأمريكية على مواجهة هذه التحولات ، وقد أثبتت الممارسات المتعاقبة للقيادة السياسية الأمريكية ضعف هذه القدرات بل وانخفاض شديد ومستمر في معدل الانجازات الأمريكية ـ ليس فقط في مواجهة هذه التحولات ـ بل وفي المجال الخارجي مما أضر فعلا بمصالح الحلف ككل ومصالح الولايات المتحدة بشكل خاص .

ولذلك فان الأزمة لن يسويها اقدام الأوروبيين على مزيد من العطاء لمساندة الولايات المتحدة وانما باستعداد الولايات المتحدة للعطاء في مجال القيادة . ■■

جميل مطر

الرُقى والتعاويذ : القديم يتجدد !

بقلم : الدكتور فخري الدباغ

الرقى والتعاويذ وسائل وحيل غير طبية مختلفة الانواع والاساليب يستعين بها الانسان لدرء المخاطر والاذى عنه ، او لتخفيف معاناته وعذابه من امراض نفسية او خبيثة .. ، او لوقايته من ارواح شريرة وقوى ضارة يتوقع حدوثها او حلولها فيه والسيطرة على افكاره وسلوكه استنادا الى عقيدة موغلة في البدائية والقدم هي : ان المآزق واضطرابات وانحرافات السلوك والفكر والشعور ـ وحتى الآلام الجسمية والشقاء تعزى الى « ارواح شريرة » تحيط بالمصاب وتهيمن عليه وتجعله عاجزا لا حول له ولا طول الا اذا جابهته قوة اخرى تكمن في تعويذة او « طلسم » او تميمة يعدها ويصنعها شخص ذو نفوذ ديني او سحري يدعي بصانع التعاويذ يعمل على طرد وابعاد تلك الارواح المؤذية بعد صراع ـ قد يطول او يقصر .

ويلاحظ القارىء انني راعيت الدقة في التعريف للاسباب والنواحي التالية :

١ ـ ان الرقي وسائل « روحية » غير طبية ـ او غير علمية ، اذ لم تدخل لحد الآن في عداد العلاجات الطبية والنفسية المعترف بها .. ، ولانها تستخدم لعلاج شتى الاضطرابات بما في ذلك الضعف الجنسي والعشق ...

ب ـ وانها مختلفة الانواع : لانها كثيرة ، وتتراوح من مجرد دعاء وكلام وسطور مباركة ومقدسة ، الى اعقد العمليات المنظمة المحيرة بما في ذلك من طقوس ومراسيم ..

ج ـ وانها ملجأ جذاب (ومبهم في الوقت ذاته)للانسان الذي يعتبره حصنه الموهوم عند الاخطار والامراض او الشعور بمداهمتها ، فهي اذن لا تقتصر على المرضى من البشر ولا تقتصر على الشخص المهدد ، بل قد تعد وتحاك ضده من قبل الاعداء والحساد ، او « تعمل له »دون علمه من قبل ذويه ومعارفه حرصا عليه وشفاء له ..

د ـ .. وان من يصنع التعويذة والتميمة شخص مختص او « خبير » مؤهل ـ بالوراثة العائلية ، او بالتعلم المهني الخاص ، او بالممارسة الروحية ـ التصوفية الدينية ، فيكتسب مكانة ونفوذا خرافيا ساحرا قد لا



يتعمده هو او لا يرغب فيه اذا كان من نوادر من يقوم بالتعاويذ للخير والاحسان ولوجه الله تعالى « لا يبتغي جزاء ولا شكورا .. »

في المدلول اللغوي نقول :

عاذ به عوذا : اى التجأ اليه واعتصم به
واعاذه بالله :حصنه به وباسمائه ...
والعوذة : هي التميمة ، وجمعها عوذ وتمائم
وعوذه : علق عليه العوذه ..
والرقية : يرقى بها الانسان من فزع او جنون

فالرقي والتعاويذ والتمائم اذن : حماية وحرز وتحصينات للانسان ضد شيء مؤذ او خطير او مرض جسيم ..

جذور وتاريخ

لعل تاريخ الرقي والتعاويذ قديم جدا لانها ظهرت قبل الطب القديم بزمن بعيد . ثم عاصرته وزاملته ، وتداخلت معه في احلاف ثنائية من صداقة وتعاون ، او فترات من غض النظر والهدنة والترقب وعدم التحرش .. ، ثم واجهت علم الطب والاطباء والفلاسفة والفقهاء بمواقف وازمات عصيبة تخللها سجال ونزاع وعداء سافر ـ والى يومنا هذا ، عندما ظهرت بوادر وعلائم جديدة واحاديث خافتة هامسة حول امكانية صحة او « معقولية » التعاويذ كما سنتطرق اليه .

ولكن ، كيف بدأت الرقي ولماذا ؟ .. هذا مالم يدون بدقة كالاحداث التاريخية ، الا ان دراسة الحياة الاجتماعية كما كشفت عنها الاثارة والحفريات والدراسات الانتربولوجية والتاريخية والدراسات الثقافية القديمة والحديثة (الاثنولوجية) ethnology ، القت الضوء على سلوك الانسان القديم ومعتقداته والاطر الاجتماعية والدينية والروحية التي كانت سائدة بين المجموعات المتفرقة من البشر بشكل قبائل صغيرة منتشرة هنا وهناك في ارجاء المعمورة ـ ولا تزال موجودة ـ في افريقيا وجزر أسيا الجنوبية وقد تبين ان الرقي والتعاويذ احتلت جزءا مهما من السلوك البشري وافكاره

عن الكون والموت والحياة والمرض والجريمة (الخطيئة) . فعندما كان الانسان يدقق في نفسه وفي الكون الغامض المخيف وفي الاخطار التي لا تحصى المحيطة به ، كان يجاهد لمعرفة علة الوجود وسر الخليقة ويبحث عن تفسيرات لها . وكانت المجاهيل امامه كثيرة تعد بالمئات والالاف ، الا ان ما كان يصدمه هو المرض بشتى انواعه : المرض الجسمي والمرض العقلي وما يحيط بهما من معاني الموت والحياة والخلود والعدم .

وهكذا تحتم افتراض وجود القوى الاخرى خارج ارادة الانسان وحسه وقواه . ولما كانت تلك القوى غير مرئية ولا محسوسة ، فقد اصبحت ظواهر روحية غامضة . فلما صمموا ان تكون ملموسة او مرئية شبهوها بالنصب والتماثيل ذات التعابير والاشكال الرمزية الغريبة لتكون « استعارة » ومجازا لصورة او روح الالهة .

والطوطمية ارتبطت بفكرة الخطيئة والمحرمات التي آمنت بها بعض القبائل البدائية . والطوطم هو نبات او حيوان او شيء جامد (بشكل نصب او تمثال) تتخذه تلك القبيلة رمزا وشعارا مميزا لها (كاعلام الدول او الفرق الرياضية المعاصرة) ، اعتقادا منها انه يذكر القبيله بالمحرمات واسباب الشر والخطيئة ، كما انه يذود عن الفرد كل خطر طالما التزم بتقاليد القبيلة .

وكانت معرفة الكهنة بعلم الهيئة (او الفلك) واستعانتهم بالنجوم لاستجلاء الحوادث الطبيعية قد شجعتهم على استطلاع المستقبل والمصير عموما لان الظواهر ساعدتهم على معرفة الحوادث الطبيعية من مواسم وفيضانات وكسوف وخسوف وكوارث اخرى . واصبح علم الفلك بابا الى علم التنجيم وفي خدمته ، وهكذا انسلخ التنجيم عن الفلك واصبح فنا مستقلا بايدي الكهنة وقراء المستقبل . واكتسب التنجيم نفوذا واحتراما بين عامة الناس لانه فتح نافذة على المجهول او هكذا تصوروا . وما يتصوره الانسان من استقراء المجهول يبث فيه روح الطمأنينة ويهدىء من قلقه ومخاوفه .

وهكذا نستطيع ان نربط بين الفكر البدائي للطوطمية ، وكاهن المعبد والعراف وقرابينها التي يطلبانها والعلاجات والتعاويذ ، والمنجم والساحر الذي يستطلع النجوم ليعرف المستقبل ويحترز من الكوارث فاصبح السحر « صنعه » خاصة بين المتطببين والدجالين الدهاة .

وانفصم السحر عن المعبد واصبح صنعة (مدنيه) ، وانتشرت الساحرات في اوربا كما ذكرنا ، وتولين اعداد الرقى والتعاويذ والادوية الغريبة والطقوس المذهلة للايقاع بالناس المساكين والبسطاء الحيارى . وما لبث الوعي العلمي والتنوير ورجال الدين أن شنوا حملة كاسحة لتطهير اوربا من السحرة ، وراح نتيجة تلك الحملات المتعصبة مئات الضحايا بحكم العدالة العاجلة او الخاطئة .. الا ان مفهوم السحر والرقى والاساليب الروحية بقيت مغروسة وراسخة في الفكر البشري بصور سالبة او باهتة حتى عادت بشكل موجات شاذة واجراءات عنيدة من ممارسة السحر والتزق والدعارة والادمان كما حصل لدى جماعات الخنافس . والهيبز في اوربا وامريكا .. ، وظهر بين تلك الجماعات رؤساء ادعوا السحر والقوى الخارقة !

ويبدو من كل ما تقدم ان الرقى وجدت لتطهير الانسان المريض من الروح الشريرة التي حلت فيه وسببت مرضه او لتطهيره ووقايته من الاثم والخطيئة التي تلبس بهما . ولكن الاثم والدنس لم يكونا واضحي المعالم ومحددين . وسنرى كيف اختلطت المشاعر البدائية بالعقائد الوثنية ، ثم بالتفاسير الدينية ثم بالتفاسير والظواهر المرضية والطبيعية الاخرى لتجعل من معنى الشر والاثم والخطيئة مبهما ومتشابكا مبدد الملامح .

كان الاجداد المسيحيون مثلا يتهيأون لصلاة يوم الاحد ويتطهرون حتى باخذ العقاقير المسهلة والملينة للامعاء وتنظيف بطونهم من الاوساخ . وكان اذا طال الابراز في الجسم يعتقدون انه ربما ينتقل من الجسم الى الرأس فيؤذي الدماغ . وكان يظن ان الانثى تتخلص من الادران بالحيض الشهري .

ظواهر انشطارية

ومما يدفع بالانسان الى التعلق بالرقى والتعاويذ حدوث ظواهر نفسية ـ طبية غريبة : كازدواج الشخصية او انشطارها الوقتي خلال برهة سريعة من الزمن . ففي الطب النفسي هناك ظاهرة معروفة تدعى بتبدد الواقع والشخصية او « اختلال الانية » derealization depersonaliation & تحدث في كثير من امراض العصاب والرهاب والذهان . والمثال التالي يوضح ما هو المقصود بها :

يذكر احد المرضى بلسانه « .. كان هناك شخصان ورأيت نفسي لوحدها في المرآة ولم يكن لها وجهي .. كنت

انا وليس انا .. والذي تكلم لم يكن انا بل شخصا آخر .. وكنت انظر ولم تكن ذاتي الصغيرة قادرة على التحكم في ذاتي الاخرى المنشغلة بازعاج الاخرين .. ، كان موقفا رهيبا » .

مثل هذه الظواهر ورؤية الذات مواجهة وكأنها شخصية مستقلة متكاملة خارجيا تتخذ مظهرا اشد في حالات معينة من نوبات الصرع ومرض الفصام (الشيزوفرينيا) . وقد قتل مصاب بالفصام شخصا غريبا لم يكن يعرفه قط وقال انه رأى نفسه في ذلك القتيل فاراد ان يقضي « عليها » فيه . كذلك رأى (دوريان جراى) في قصة (اوسكار وايلد) نفسه الشريرة في اللوحة امامه وكأنها تهجم عليه فمزقها ليقضي على ذاته ..

ويصور (دوستويفسكي) في (الاخوة كارامازوف) الازدواجية على لسان (ايفان) وهو يخاطب زائره الشيطاني : « .. لم اكن اعتبرك حقيقيا ولو لبرهة فاتت كذبة .... وانت علتي .. انت شبح .. لا اعرف كيف احطمك ويخيفني ان احملك اكثر من هذا انت وهم انت تجسيد لنفسي .. وبالتحديد ارذل واحق جزء مني .. » ثم يعود ايفان ليخبر الوسيط معقبا لكنه انا نفسي .. كل ما هو اساسي ومحتقر ومتفسخ في ذاتي ..

ومعظم الذين كتبوا عن شخصيات مزدوجة او منشطرة في قصصهم وانتاجهم الادبي كانوا قد مروا بتجارب ذاتية حقيقية مشابهة مثل دوستويفسكي المصاب بالصرع و (ستريندبيرج) Strindberg المتصوف صاحب القوى الروحية الاستجلائية كما يتضح ذلك في روايته (الجحيم) Inferno ، و (ادجار الان بو) المدمن على الافيون .

ان تلك الظواهر المتداولة ومعاناة عدد من الناس لها ، وفي الاخص رؤية الانسان لشبح او ظل ذاته ، اشاع الاعتقاد الشعبي بانها من علامات الموت ، او ان الشبح الثاني المنشطر والمشابه للذات يجب ان يموت . وقد يتم القتل فعلا : اما للذات الاصلية او للخيالية .. ، او ان يكتفي الانسان باللجوء الى الرقي والتعاويذ لأنه ايقن ان شبحا او روحا لابد موجودة وتسكن فيه والا لما غادرته ..

ومرض الوسوسة :

ومرض الوسوسة او (الحصر ـ القهري) ـ Compulsive obsessive هو احد امراض العصاب الذي يصور لنا بوضوح تأثير الشعور بالاثم وعلاقة ذلك بالطقوس والرقي والتعاويذ . وتتلخص الاعراض بان المريض تراوده افكار تسلطيه غريبة وسيئة وشاذه رغما عنه ، او يندفع للقيام باعمال وتصرفات يعتقد انها سخيفة ولا مبرر لها . ورغم ذلك لايجد مناصا من تنفيذها على سخافتها : كأن يضحك في مجلس عزاء ، او ترتفع في ذهنه قطعة من اغنية لعبد الحليم حافظ وهو في قاعة المحاضرات ، او يلمس اعمدة الكهرباء وهو في طريقه الى دائرته .. ، او يغسل يديه كلما لمس كتابا او صافح يدا غريبة . وقد يغسلها ثلاثا او خمسا او عشرا او عشرين مرة قبل ان يطمأن ويشعر بالراحة . وهنالك اعراض اكثر واشد غرابة ...

والمهم في هذا ان التفسير النفسي « الديناميكي » لمثل هذه الاعراض انها ردود افعال « احترازية » دفاعية يقوم بها المريض ليشعر بالامن والراحة ضد شعور دفين « مكبوت » بالخطر او الاثم . وقد يتولد هذا الشعور بالذنب منذ الطفولة لا شعوريا الى العقل الباطن اما لان تربية الوالدين كانت قاسية متزمتة ومركزة على النظافة والوقاية من الاوساخ والتطهر الشديد بعد اى عمل او تواليت ، او لان عقاب الوالدين لهفوة بسيطة بولغ فيه الى حدود القسوة والعصبية ، او لان العادات السائدة في البيت جامدة صارمة (حرفية) مقننة بحيث يجد الطفل نفسه وقد كبر واصبح ورجلا ولايزال يشعر بالذنب لادنى سبب واى قول او فعل يتوهم انه مخالف للعرف والتقاليد او يجرح شعور الاخرين ...

وهكذا تبدأ الوسائل الدفاعية النفسية في مرض الوسواس لتحميه من شدة عذاب الضمير او من الشرور والاخطاء ، فيلجأ الى تلك الافكار والافعال والطقوس المرضية التي ذكرناها والى تعليق التعاويذ في رقبته او على باب داره او احدى حاجياته ، او استخدام اشياء منفرة وعتيقة كحذاء ممزق او نعل فرس او صورة عين او رقي يعدها له متطبب او شيخ او سيد او رجل دين وكلها وسائل دفاعية رمزية تعوض له عن شعور دفين بالخطيئة او باتيان فعل حرام غير حقيقي او مبالغ فيه .. او درءا لعين الحسود ..

ونلاحظ ان عملية طرد الارواح الشريرة والوقاية من غضب الالهة الناقمة بالطقوس والرقي والتعاويذ كان يقابلها منذ القدم عمليات التملك possession من قبل الالهة والارواح الطاهرة الخيرة . اى ان الجماعات البشرية البدائية ـ وحتى بعض الناس المتحضرين

والمنتمين الى فرق دينية مسيحية تقوم بطقوس خاصة من موسيقي ورقص وتصفيق وترتيل وصياح لاجل حلول الروح الطيبة في الفرد (سواء اكان مريضا ام شخصا سويا يتوق الى المزيد من التطهر والتسامي ..) ويلقب الشخص الذى تحل فيه الروح الطيبة (بالمأخوذ) . ولا تزال تجرى هذه الطقوس بين قبائل جنوبي السودان وفي برر هايتي وترينداد وفي كينيا وزمبيا والبرازيل والولايات المتحدة ، حيث ينتهي الاحتفال « الديني » بالذهول والاغماء والارتخاء والاستلقاء على الارض ثم الافاقة في حالة نشاط وفعالية وشعور بالصحة والعافية والطهر ـ اى الخلاص من الادران « وامتلاك » الروح الطيبة .

وتجرى الى يومنا هذا في مقاطعة (كارولينا الشمالية) في امريكا طقوس ملامسة وتناول الافاعي واللعب بها ـ وبعضها سامة ـ اعتقادا بما جاء في (انجيل مرقس) من ان الايمان يحمي الانسان من الشر

دور الأديان السماوية

ان الاديان السماوية انقذت البشر المهتدين من ضلالة الجهالة وادخلت في قلوبهم الايمان والطمأنينة بعزوها ظواهر الكون والحياة والسلوك البشرى الى القوة الالهية الواحدة وبذلك حاربت الخرافة والوثنية والسحر والدجل .. بل شجعت بصورة مباشرة او غير مباشرة التفكير العلمي . وكان ذلك واضحا في الدين الاسلامي الذي لم يتعارض بجوهره مع العلم ولم يدخل في ازمة حقيقية او كبيرة معه ..

ومع ذلك ، فان بعض الافكار والاجتهادات والوقائع ـ وربما الانحرافات ـ بعد مرور مرحلة الرسل وحياتهم ، شجعت الناس على اللجوء الى الرقي والتعاويذ . ولايضاح ذلك نذكر مثلا ما حدث في المسيحية : فالتخلص من الادران والالام والتوصل الى الطهر والعفاف جاءت مؤكدة لفكرة الخطيئة الاولى التي انتعشت في المسيحية ودعمتها الكاثوليكية بعدئذ بالاعترافات وتوسط القساوسة بين الانسان والرب ، كما جعلت من رجل الدين في مكانة العراف القديم الذى يساعد على رفع وتخفيف الخطيئة .

وقد ساد في الكنيسة المسيحية مفهوم امكانية طرد الأرواح الشريرة من الناس الذين سيطرت عليهم . وقد طرد المسيح نفسه الشياطين بكلمة وأمر منه . وكان ذلك علامة حلول مملكة الرب ، وتبع ذلك قانون كنسي بطرد الشياطين باسم المسيح . وفي الغرب يحتم القانون الكنسي الحصول على موافقة الكاردينال قبل اجراء التعويذة على المصاب (وليس من الضرورى تحصيل الموافقة في حالة العزائم على الامكنة) وقد تسرع وانتظم اجراء طرد الارواح الشريرة في القانون الكنسي منذ عام ١١٥١م .. وهو اعتراف ضمني من الكنيسة بان عملية طرد الروح تتخللها خطورة او ينتج عنها ضرر للمصاب بالعلة . ولا يشترط في القائم على التعويذة ان يكون رجل دين او قسيسا

اما الاسلام ، فانه اكد على ان الانبياء بشر مثلنا ، وان محمدا (صلعم) ليس ساحرا وان الشفاعة هي استرحام ورجاء من الله عز وجل .. وان الانسان له من العقل ما يميز به بين الخير والشر .. اما الجن والشياطين فقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم . ومعصية ابليس وخطيئته الكبرى .. ثم اغواؤه واعوانه من الجن للانسان اعادت للفكر البشرى ذكرى الارواح الشريرة واحتمال اضرارها بالانسان والايقاع به فعلا

وانتشرت بعدئذ عادة زيارة الاضرحة المقدسة وكذلك تقديم التبرعات والحسنات درءا لعين الحسود او جلبا للطالع الحسن . وتطور ذلك الى عقد الاشرطة وتنف الملابس الشخصية على جدران واسوار الاضرحة هنا وهناك . والى تعليق القلائد والعلب الصغيرة الحاوية على اوراق مكتوب عليها آيات من الذكر الحكيم او الكلام المقدس تيمنا وبركة

ثمانية اسباب

وهكذا نجد من محصلة الجذور الدينية والتاريخية والثقافية والدراسات النفسية والطبية الحديثة التي استعرضناها ان الانسان لجأ الى الرقي والتعاويذ ـ وكذا العزائم ـ لاسباب مختلفة

ـ الوثنية الجاهلية كما نعرفها بوضوح اكثر في عصر ، ما قبل الاسلام . حندما لجأ الناس الى الالهة المختلفة وعبدوها خوفا او تطيرا او تفاؤلا . واضفوا على الحيوان والجماد قوى سحرية حيوية تكمن فيهما من مصائب وخير وشر ..

٢ ـ التطير والتفاؤل من علامات ورموز واسماء وحيوانات وظواهر تحدث في الحياة اليومية وتتوارثها الاجيال لتصبح مصدر قلق ورهبة وتثير في الانسان نوازع الحذر والدفاع والحيطة سواء بالنذور او بالعبادة والعزائم . او بزيارة الاماكن المقدسة باعداد الرقي والتعاويذ من قبل شخوص متنفذة روحيا او دينيا او ذوى سمعة شعبية « سحرية » .

٣ ـ واستمرت هذه الافكار الموروثة على قوتها ونفوذها رغم ان الاسلام حارب التطير واعتبره النبي محمد (صلعم) نوعا من الشرك .

٤ ـ ومن هذا التطير والتشاؤم ظلت الخرافات القديمة سائدة بشكل او بآخر تتزيا بزي العصر وتحتفظ بروح القدم او البراءة . فالشعور بالاثم والاهتمام بالظواهر الطبيعية الخارقة (الفلكية) .. والهلع من حوادث معينة كان موجودا من عهد الفراعنة والبابليين والاشوريين منذ الاف السنين . وكان الفرد البابلي اذا شعر بخطر موهوم او بمرض هرع الى الكاهن والمعبد ليقدم القرابين ويطلب البركة والعزائم والرقى والتمائم .

٥ ـ الخوف من المرض او الرغبة في الشفاء لان المرض النفسي لا يزال من المجاهيل العلمية . كما ان المرض الجسمي المستعصي يثير الرهبة والوسوسة ويدفع الانسان الى الالحاح بالتفكير باسباب خارقة وغامضة او بعوامل شيطانية وخبيثة مرتبطة بمفاهيم الخير والشر والعقاب والتكفير .

٦ ـ وهي وسيلة للهجوم من اجل الدفاع .. ، اي ان التميمة قد يعدها الانسان ضد غيره لتليسه بالمشاكل والمضاعفات فيتقي شره او ينتقم من عدوه . وهنا يبرز دور الدعاة من السحرة والمشعوذين ..

٧ ـ او ان التميمة وسيلة تطمينية للانسان تقيه الكوارث والازمات ـ لو حدثت ـ وتجلب له الخير دون ان يكون مصابا بشيء في ذلك الحين . وقد يتمادى في هذا المنحى الى العمل على احلال الروح الطيبة فيه بالجذب والتوسل والطقوس الخاصة والتعاويذ ..

٨ ـ ولا نستغرب ، حسب نظرية يونج في علم النفس ، ان الانسان المعاصر قد يحمل كل ما ذكرناه من دوافع ويختزنها في عقل « سلالي ـ اثري » هو اعمق من اللاشعور الفرويدي .

تفسير نفسي للتعاويذ

رغم تطرقنا الى دوافع الانسان للتعلق بالرقي فانها عسيرة ـ من حيث كيفية عملها وتأثيرها ـ على علم النفس الحديث والطب النفسي .

صحيح ان المصائب البشرية والاخطار المحدقة والمرض العقلي والنفسي تدفع الانسان المتحضر في القرن العشرين احيانا الى البحث عن الاحتراز والخلاص في تعويذة يستلها من صانع الرقي . الا ان علينا تفسير ذلك في ضوء علم النفس الحديث وكيف تنجح الرقي احيانا في شفاء البعض . وهل لذلك نصيب من اي علم معروف لدينا لحد الان ام نكتفي بذريعة الصدفة ؟

١ ـ ان دور الايحاء لا يمكن تجاهله في مفعول التعاويذ . فمعروف في الطبابة ان بعض الادوية تنجح « نفسيا » قبل ان تعمل بمفعولها الكيميائي في الجسم . كما ان معاملة الطبيب الانسانية وكلامه الرقيق وعطفه يريح المريض قبل الدواء . ويمكن ان تعزى الى حمل الرقي من قبل الانسان دورا ايحائيا مطمئنا يبث فيه روح المقاومة والشجاعة واللامبالاة تجاه مسببات القلق وعواقبه الاخرى .

٢ ـ ان الرقي والتعاويذ وما يصاحب العزائم من اجراءات وطقوس تضع الانسان في موقف التوجس والترقب والتوتر الذي يؤدي الى نوع من عملية « التطهير » او التنفيس ، اشبه بالتنفيس خلال الاعترافات الدينية او خلال العلاج النفسي او حفلات الزار والرقص البدائي العنيف عند القبائل القديمة . فالتعويذة تطلق العنان للانفعالات الحبيسة ـ وبذلك يتم الشفاء ..

٣ ـ وفي اعقاب الحرب العالمية الاولى ثار الجدل بين (براون) من جهة وا مكدوجل ويونج) من جهة اخرى عن كيفية علاج الازدواجية . وكان المثل الذي اصبح مدار النقاش هو (ما ملأ القلب سال من الفم ..) ، واتفقوا ان الحادث المؤلم العنيف يؤدي الى الانشطار احيانا وأنه يظهر في الحلم كحيوان شرس او شبح مخيف . واقترح مكدوجل ان يكون العلاج بالتئام وجبر الانشطار واعادة المزدوج الى الواحد . وتوصل (فرويد) الى هذا الرأي قبله وذلك بتبنيه اسلوب التحليل النفسي في الكشف عن العقد المكبوتة والتطهير . ولعل في آلية واسلوب التعويذة شيئا من الجبر والالتحام وحلا لعقدة الكبت undoing كما يبدو ..

٤ ـ ويمكن القول ان التعويذة تنجح فقط عندما تؤدي الى نوع من التفاهم والوئام بين الشخص والاخرين الذين كان يشعر نحوهم بالغربة نتيجة شعوره بامتلاك التعويذة . اما انها تطرد الروح الشريرة فهو ما لا يمكن التكهن به والجزم بصحته ..

نظرة نقدية للرقى :

وبعد ، فلا بد ان نتساءل عن موقف الفكر البشري

الى الرقى والتعاويذ وخاصة في حقل علوم النفس والاجتماع والفيزياء .. ؟

لقد جرت ندوة حول الموضوع في الاذاعة البريطانية عام ١٩٧٩ شارك فيها اطباء نفسيون وروحانيون وباحثون اجتماعيون ومرضى « مأخوذون » . وما سأذكره هنا نتف مما جرى ونتف مما ارى ويراه غيري من المهتمين بالموضوع . ولنتناول الموضوع بالمنطق والحياد والعلمية المتيسرة لدينا حسب التدرج التالي :

إ ـ ان الظواهر الازدواجية والانشطارية في مجال الطب النفسي وذكر الشياطين والجن في الاديان السماوية .. ، والازمات النفسية الحادة .. ، والوسوسة الشديدة .. ، لا يمكن ان تقنع الانسان او تمنعه عن التفكير باحتمال وجود ارواح شريرة وطيبة ..

ب ـ ان ممارسي الرقى والتعاويذ من الرصينين الخيرين يعتقدون فعلا بوجود الروح الشريرة ويفرقون بين ما هو « روحي» وما هو « نفسي » وماذا في جعبتنا لدحض هذا الادعاء واثبات عدم وجودها ؟ حتى العلم يعجز عن تفسير كل ظواهر الكون المعروفة والمدركة من كهرباء ومغناطيس وسرعة وحركة .. ، افلا ينطبق ذلك اذن على شخصية الانسان ؟ ..

ج ـ ان التعاويذ نقطة التقاء بين الطب وعلم النفس والدين وما وراء الطبيعة . فهي تؤكد اولا ـ وجود الله ، وثانيا ـ وجود كيان غير مادي يدعى بالروح ، وثالثا ـ ان للارواح حرية التنقل من مكان الى اخر . ولوشئنا معرفة اصناف تلك الأرواح لجاز ان نقول انها من صنفين :

ـ ارواح صرفة (نقية) كالملائكة والشياطين ...

ـ ارواح (منسلخة) عن كيان مادي سابق (مخلوق) كانسان او حيوان ...

واذا جاز لنا تفسير تنقلها وتواجدها في اماكن مختلفة (ممنوعة وغير ممنوعة) ، فهي على نوعين :

ـ تنقل في اماكن تعاودها وتزورها haunting وعندئذ يطلق على ذلك المكان بانه « مسكون » ...

ـ تنقل وحلول في انسان او حيوان .. ، وعندئذ يطلق على ذلك المخلوق بانه « مأخوذ » possessed

د ـ وجاء ذكر الروح والانس والجن والشياطين في القرآن الكريم ولا يمكن ان نطبق المعايير الحسية والعلمية القاصرة المحدودة على قضايا المعرفة والالهية الواسعة العظيمة . كذلك فان مسألة الحياة بعد الموت .. والبعث .. والاخرة وانسلاخ الروح عن الجسد هي امور دينية وليست مجرد فلسفية ميتافيزيقية . اذن لا يمكن نفيها او دحضها ..

هـ ـ اما موقف الطب النفسي وعلم النفس فواضح تجاه الشعوذة والخرافة والدجل . ومختبرات العلوم الطبية مشغولة بمحاولة الكشف عن تغيرات كيماوية وعصبية مسببة للمرض العقلي ودور الوراثة والجينات فيها ، فلانتوقع منها ان تستسلم بسهولة وتعزو المرض النفسي الى الارواح الشريرة ، ففي ذلك رجوع الى نظريات وعقائد قديمة ترعرعت في مراحل غير علمية . الا ان الشيء المنطقي الوحيد الذي يربط بين علم النفس الحديث وعالم الارواح وغير المحسوسات هو فرع جديد دعي بعلم النفس الجانبي او الخوارق (الباراسايكولوجي) parapsychology لانه يبحث في قضايا الاحساس والادراك والافعال غير الاعتيادية كقراءة الافكار (التخاطر) ورؤية الاشياء على ابعاد شاسعة والتنبؤ بالمستقبل وتحريك الجماد عن بعد .. الخ ..

و ـ لذلك يعلق بعض علماء النفس على قضايا الارواح ووجودها بأنها قد تكون ميدانا اخر يشابه الباراسايكولوجي ، واننا لا نعرف عنه ما فيه الكفاية ، ولا يمكننا نفيه قطعا . فالحقيقة اكبر من حصرها في اطار معرفتنا الحالية ، والقوانين المتعارف عليها هي ليست كل القوانين ، ان البعد المادي والقياس الحسي ليس البعد الوحيد . واذا كانت الامراض النفسية والعقلية مسميات وعناوين لاعراض وظواهر ، فلماذا لا نعترف باننا نجهل حقيقة ما يجري داخل العقل ولماذا لايجوز الحلول الروحي في الشخصيات المزدوجة أو ذوي الوساوس ؟ ..

كل هاته الملاحظات النقدية الهادئة يجب ان لا تقلقنا من ناحية ولا تقعدنا عن مواصلة البحث العلمي او التساهل في محاربة الدجل والخرافة ، لان المنهج العلمي لا يتنكر للظواهر الشاذة او غير المألوفة فورا ، وانفعالا ، ولا يتجاهلها تغابيا وعجزا .. ، لكنه ككل تنظيم وتشريع حضاري معاصر يحارب استغلال الانسان للانسان بحجة احتمال « شيء » في خدعة الناس بالرقي والتعاويذ .. ولا يمكن ان نسترسل اكثر من هذا ، فما هو مجهول اكثر بكثير مما هو معروف . ■■

د . فخري الدباغ
استاذ الطب النفسي ـ كلية طب الموصل ـ العراق

قراءة في فكر رافض

تعمير الدنيا قبل تعمير الجنة

بقلم : فهمي هويدي

الذين يشغلون انفسهم بتعمير الجنة على حساب اشتغالهم بتعمير الدنيا ، يبتدعون طريقا ما انزل الله به من سلطان ، ويرتكبون خطأ فادحا في حق الدين والدنيا . والذين يحاولون القفز الى الجنة عن غير طريق الدنيا ، يميتون علينا ديننا ـ بتعبير عمر بن الخطاب ـ ويقوضون الشريعة من اساسها . والذين يخلطون حساب الآخرة بحساب الدنيا ، يقلبون الموازين ويجورون على حق الله سبحانه .

ان لافتة « حزب الله » ، التي ترفعها الان جماعات متناثرة في انحاء العالم الاسلامي لا تمنح اصحابها اعفاء من الاتصال باهل الارض ، باعتبار ان انتماءهم قد تعلق بالسماء . كما انها لا تخولهم بأي قدر ان يصنفوا غيرهم باعتبارهم حزب الشيطان . فذلك هزل في موضع الجد ، واستخدام لا يليق بتوقير وقداسة كتاب الله وآياته البينات .

ان مثل هذا الخلط المؤسف ، قد قلب أوراقا كثيرة في مناهج العمل الاسلامي . وهو امر ادى الى خلل في ترتيب الاولويات ، بين ما هو علاقة بين الفرد وربه ، او بين الفرد والناس ، وبين ما هو مسئولية ضرورية التحقيق في الدنيا ، وبين مآل موكول امره الى الله في الاخرة .

انك لا تكاد تحاور اكثر حملة رايات الاسلام في هذا الزمان الا وتراهم قد حصروا انفسهم في دائرة الايمان والكفر والتمذهب ، والتقوى والمعصية والردة ، ناسين ان هناك دنيا يجب ان تدار ، ومصالح للخلق يجب ان تدير ، وركبا للحياة يجب ان يتقدم .

ان ايقاظ الضمير المسلم لا ينبغي ان يعني انفصال المسلم عن واقعه ، فضلا عن ان دائرة الضمير ينبغي ان تظل « منطقة حرام » ، سالكة فقط بين العبد وربه ، وليس لاحد ان يقترب منها او يحقق في امرها .

ومنذ قال الله سبحانه وتعالى لنبيه « ان عليك الا البلاغ » ، ومنذ قال للمؤمنين « عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » ، ومنذ عاتب النبي (ص) أسامة بن زيد بقوله « هلا شققت قلبه ؟ » ، مستنكرا منه قتله لمشرك نطق بالشهادتين خوفا من السيف .. منذ ذلك الحين تأكدت حرمة منطقة القلب والضمير ، وباتت محاولة التسلل اليها واستكشافها انتهاكا لهذه الحرمة المقررة في التوجيه الاسلامي ، حتى قال الامام الغزالي في « احياء علوم الدين » (جـ ١) ان « القلب خارج عن ولاية الفقيه » .. وان الفقيه اذا تكلم في شئون القلب « فليس ذلك من الفقه . وان خاض الفقيه فيه ، كان كما لو خاض في الكلام والطب ، وكان خارجا عن فنه » .

ان تلك الحصانة التي فرضتها النصوص لمنطقة القلب والضمير لم تكن مقصودة لذاتها ، ولم تستهدف فقط ترك مكنونات القلوب للعليم باسرارها ، ولكنها استهدفت ايضا دعوة الناس الى الاحتكام الى ما هو ظاهر من التصرفات والمواقف ، والانصراف الى تدبير شئون دنياهم في ضوء مصالحهم ومعايشهم .

هنا تضيء لنا الطريق كلمات ابن القيم في « اعلام الموقعين ـ ج ٣ » اذ يقول : « ان الله ارسل رسله وانزل كتبه ، ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذي قامت به السماوات والارض . فاذا ظهرت امارات الحق ، وقامت ادلة العقل ، واسفر صبحه باي طريق كان ، فثم شرع الله ودينه ورضاه وامره . والله تعالى لم يحصر طرق العدل وادلته في نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التي هي اقوى منه وادل واظهر ، بل بين بما شرعه من الطرق ان مقصوده اقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط ، فاي طريق استخرج به الحق ومعرفة العدل ، وجب الحكم بموجبها ومقتضاها » .

ثم يقول في موضع آخر ، ان الرسول الذي امر بتبليغ الرسالة للناس : « لم يؤمر ان ينقب عن قلوبهم ، ولا ان يشق بطونهم ، بل يجري عليهم احكام الله في الدنيا اذا دخلوا في دينه ، ويجري احكامه في الآخرة على قلوبهم ونياتهم . فاحكام الدنيا على الاسلام ، واحكام الآخرة على الايمان ، ولهذا قبل اسلام الاعراب ، ونفى عنهم ان يكونوا مؤمنين ، واخبر انه لا ينقصهم مع ذلك من ثواب طاعتهم لله ورسوله شيئا . وقبل اسلام المنافقين ظاهرا ، واخبر انه لا ينفعهم يوم القيامة شيئا ، وانهم في الدرك الاسفل من النار » .

ان المنطق الاسلامي لا يعرف طريقا الى الله ، لا يمر بالدنيا ، واللفتة الذكية التي يشير اليها الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه « العبادة في الاسلام » ، تكشف الى اي مدى يعتبر القرآن اهمال السعي في الدنيا ، « امرا مذموما عن سنة الفطرة ، وصراط الدين معا » ، على حد تعبيره .

فقول الله تعالى في سورة البقرة « ... فمن الناس من يقول : ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . اولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب » (٢٠٠ ـ ٢٠٢) .

هذه الآيات تتحدث عن صنفين من الناس : طلاب دنيا ، ما لهم في الآخرة من خلاق ، او طلاب سعادة الدارين ، الدنيا والآخرة ، وهم الفائزون .

وملاحظة الدكتور القرضاوي ان القرآن الكريم « لم يذكر القسم الثالث من الناس ـ بحسب التقسيم العقلي ـ وهو من لا يطلب الا حسنة الآخرة ، وما له في الدنيا من ارب ، وكأن الله سبحانه ـ يعلمنا ان هذا الصنف لا يكاد يوجد في الناس » بل لا ينبغي ان يوجد بأي حال .

ومنذ بدء الخليقة ، عندما قال الله سبحانه لملائكته « اني جاعل في الارض خليفة » تحددت في طيات فكرة الاستخلاف مهمة الانسان في الدنيا ، الا وهي عمارة الارض التي سخرها الله ، وسخر معها السماء لاسعاد هذا المخلوق المكرم .

بل ان الشيخ محمد رشيد رضا يعتبر آيات الاستخلاف هذه بمثابة تفويض من الله سبحانه للمسلمين ، في ادارة شئون دنياهم « بشرط الا تجني دنياهم على دينهم وهدى شريعتهم » ، وعقد في الجزء الخامس من تفسير المنار فصلا لهذا الموضوع بعنوان : « تفويض امر الدنيا للناس » .

ان تقوى الله معيار يحاسب عليه المرء في الآخرة ، (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ، لكنه ليس معيارا مجردا منفصلا تماما عن الدنيا ، لان الله سبحانه يعتبر تحقيق العدل ـ حتى في بيت المسلم ـ من صور التقوى (اعدلوا هو اقرب للتقوى) .

وتلك سنة الله فيا شرعه من تكاليف وعبادات ، ليس بينها شيء مجرد منقطع الصلة عن الواقع واكاد اقول انها كلها ذات وظيفة اجتاعية واضحة المعالم ، لها مردود مطلوب في الدنيا ، بالاضافة الى مردود في الاخرة بطبيعة الحال . والايمان في القرآن لا يذكر الا مقترنا بالعمل الصالح . وفي الحديث « ليس الايمان بالتمني لكنه ما وقر في القلب وصدقه العمل » . والصلاة وقوف بين يدي لله ، وامتثال له ، هذا صحيح ، لكنها ايضا « تنهي عن الفحشاء والمنكر » . بل انها لا تقبل اذا لم تؤد هذه الوظيفة . وفي الحديث « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، فلا صلاة له » .

ومع ذلك تظل التفرقة واضحة في التفكير الاسلامي ، بين معايير يحاسب بها المرء في الآخرة واخرى يحتكم اليها في الدنيا .

عمل المرء وجهده ـ ظاهره وما يصدر عنه هو الميزان الذي ينبغي ان يتم به القياس والتقدير والحساب ، طالما بقي في هذه الدنيا ، وعندما يقف امام الله سبحانه فان قلبه يوضع بين كفتي الميزان ، ويرجح الثواب او العقاب .

انه اذا كانت التقوى هي معيار الحساب في الآخرة ، فان مصلحة المسلمين ، المجتمع بأسره ، هي المعيار الذي ينبغي ان يحتكم اليه في الدنيا ، ولا تناقض بين المعيارين في واقع الامر ، لان الوضع الامثل في التصور الاسلامي يدعو الى الجمع بين الاثنين ... « من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا » ، والعمل الصالح هو هذا الجهد الذي يلتقي فيه عنصرا نفع الناس واخلاص النية لله .

ورغم ان التناقض بين المعيارين غير قائم ، وان الجمع بينهما مطلوب ، الا ان التمييز بينهما قد يفيد في هذه المناقشة ، لانه يساعدنا في تحديد ما ينبغي ان نطالب به نحن في الدنيا ، وما ينبغي ان نحيله الى ساعة الحساب امام الله سبحانه وتعالى في الآخرة .

ان العدل اذا كان مطلوبا بأي طريق كان ، كما قال ابن القيم ، فان مصلحة المسلمين مطلوبة ـ ايضا ـ بأي طريق كان .

وهذه القضية تعرض لها شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهو يتحدث عن « الولايات » في كتابه « السياسة الشرعية » . وكانت وجهة نظره ، كما سجلها في الكتاب هي : ينبغي ان يعرف الاصلح في كل منصب ، فان الولاية لها ركنان : القوة والامانة ، كما قال تعالى « ان خير من استأجرت القوي الأمين » ـ (القصص ـ ٢٦) ، الى ان قال ان : اجتماع القوة والامانة في الناس قليل ، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : اللهم اليك اشكو جلد الفاجر وعجز الثقة ، فالواجب في كل ولاية ، الاصلح بحسبها (الأكثر كفاءة) فاذا تعين رجلان احدهما اعظم امانة ، والآخر أعظم قوة ، قدم انفعهما لتلك الولاية واقلهما ضررا فيها . فيقدم في امارة الحروب الرجل القوي الشجاع ، وان كان فيه فجور ، على الرجل الضعيف العاجز ، وان كان امينا » .

ويضيف ابن تيمية : كما سئل الامام احمد عن الرجلين يكونان اميرين في الغزو ، واحدهما قوي فاجر ، والآخر صالح ضعيف ، مع أيها يغزى ؟ فقال : اما الفاجر القوي فقوته للمسلمين ، وفجوره على نفسه ، واما الصالح الضعيف ، فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين .

وبناء على ذلك ، قرر الامام احمد ان : يغزو مع القوي الفاجر ، مستشهدا بالحديث الشريف : ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

ثم يقول شيخ الاسلام : ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يستعمل خالد بن الوليد على الحرب ، منذ اسلم ، وقال (ان خالدا سيف سله الله على المشركين) مع أنه احيانا قد كان يعمل ما ينكره النبي (ص) حتى انه مرة رفع يديه الى السماء وقال : « اللهم اني ابرأ اليك مما فعل خالد » .... وكان ابو ذر رضي الله عنه ، اصلح منه في الامانة والصدق ، ولكن الرسول نهاه عن الامارة والولاية ، لانه رآه ضعيفا .

ان القضية التي شغلت ابن تيميه في باب « الولايات » هي كيف تتحقق مصلحة المجتمع اولا وقبل

شيء ولا باس في سبيل ذلك من الاستعانة باي قادر على الاسهام في تحقيق هذا الهدف ، بصرف النظر عما قد يعيبه هو شخصيا ما دامت « المصلحة راجحة على المفسدة » .

اليس هذا هو المنطق الذي نجده ايضا في قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نستعين بقوة المنافق واثمه عليه » .

الا يضع هذا المنطق مصلحة الناس فوق كل اعتبار ، ويسعى الى تحقيقها بأي طريق كان ؟ » .

في وقائع قصة هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة مشهد ينبغي ان يستوقفنا في السياق الذي نحن بصدده . ذلك انه عندما قرر الرسول ان يهاجر في تلك الليلة التي تآمر على قتله فيها زعماء قريش ، كان بحاجة الى دليل عالم بدروب ومسالك الصحراء ، قادر على ان يذهب به الى المدينة بعيدا عن اعين المتربصين به وكانت المفاجأة ان وقع الاختيار لهذه المهمة الدقيقة والخطيرة على واحد من مشركي مكة : عبد الله بن اريقط !

في هذا المشهد عنصران : احدهما ايجابي يتمثل في مصلحة مرجوة كان عبد الله بن اريقط خير من يقوم بها . والثاني سلبي يتمثل في كفر عبد الله بن اريقط ذاته الامر الذي يضعه في المربع المناقض تماما لدعوة رسول الله ، ويدفع به في الآخرة الى جهنم وبئس المصير .

لكن القرار لم تختلط فيه المعايير ، وغلب عنصر المصلحة ، وترك امر حساب الرجل على كفره الى الله . وحدثت التفرقة الواضحة بين اداء مطلوب لمصلحة محددة في الدنيا وبين اثم يعيب اعتقاد الرجل ولا يشرفه امام الله في الآخرة .

هنا لم يكن الاختيار بين اسلام وايمان ، ولكنه كان بين اسلام وكفر !

روى الزهري ان رسول الله (ص) استعان ببعض اليهود في حربه ضد المشركين واسهم لهم (اي اعطاهم من الغنائم) . وان صفوان بن امية خرج مع النبي (ص) في غزوة حنين وكان لا يزال على شركه .

وبناء على ذلك اجاز الفقهاء ، لامام المسلمين ان يستعين حتى في الشئون الحربية بغير المسلمين ، وبخاصة اهل الكتاب وان يسهم لهم من الغنائم كالمسلمين .

وفي رواية للطبري ان عمر بن الخطاب كتب الى امراء المدن في العراق أن يستعينوا بمن يحتاجون اليه من الاساورة ، ويرفعوا عنهم الجزاء (والاساورة هم فرسان الجيش عند المجوس) . كما امر سعد بن ابي وقاص بان يستشير طليحة الاسدي وعمرا بن معديكرب ، وكانا قد ارتدا ثم عادا الى الاسلام في الامور العسكرية لخبرتها في هذا المجال ...

●

وفي التاريخ الاسلامي صفحات اخرى ناصعة البياض تكشف عن مستوى رفيع في التفكير واستيعاب العقيدة والشريعة ، لا تشوبه عقد ولا حساسيات ، يضع مصلحة المجتمع في المقام الاول ، بكل ما يترتب على ارساء هذه القيمة من رسوخ للعدل ، وعمارة في الارض .

ويسجل الدكتور مصطفى السباعي في كتابه « من روائع حضارتنا » ، العديد من هذه الصفحات ، منها مثلا كيف كانت الوظائف تعطي للمستحق الكفء بغض النظر عن عقيدته ومذهبه ، وبرؤية صافية لما تقتضيه مصلحة المجتمع اولا واخيرا ، من ذلك « ان الاطباء المسيحيين في العهدين الاموي والعباسي ظلوا محل الرعاية لدى الخلفاء وكان لهم الاشراف على مدارس الطب في بغداد ودمشق زمنا طويلا . كان ابن اثال الطبيب النصراني طبيب معاوية الخاص . وكان « سرجون » كاتبه . وقد عين مروان « اثناسيوس » مع آخر اسمه اسحاق في بعض مناصب الحكومة في مصر ، ثم بلغ مرتبة الرئاسة في دواوين الدولة ، وكان عظيم الثراء واسع الجاه حتى ملك اربعة آلاف عبد وكثيرا من الدور والقرى

والبساتين والذهب والفضة ، وقد شيد كنيسة في الرها من ايجار اربعمائة حانوت كان يملكها فيها ، وبلغ من شهرته ان وكل اليه عبد الملك بن مروان تعليم اخيه الصغير عبد العزيز ، الذي اصبح واليا على مصر فيا بعد ، وهو والد عمر بن عبد العزيز .

« ومن اشهر الاطباء الذين كانت لهم الحظوة عند الخلفاء جرجيس بن بختيشوع ، وكان مقربا من الخليف المنصور واسع الحظوة عنده . يحرص على راحته ، حتى كان لجرجيس زوجة عجوز ، فأرسل اليه المنصور ثلاث جوار حسان فرفض قبولهن قائلا : ان ديني لا يسمح لي بأن اتزوج غير زوجتي ما دامت في الحياة ، فسر منه المنصور وازداد له اكراما ، ولما مرض امر المنصور بحمله الى دار العامة (اي دار الضيافة) ، وخرج اليه ماشيا يسأل عن حاله . فاستأذنه الطبيب في رجوعه الى بلده ليدفن مع آبائه . فعرض عليه المنصور ان يسلم ليدخل الجنة فأبى . وقال : رضيت أن اكون مع ابائي في جنة او نار ، فضحك المنصور وامر بتجهيزه ، ووصله بعشرة آلاف دينار .

« وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيب المعتصم . ولما مات جزع عليه المعتصم جزعا شديدا وامر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة ديانته . وكان بختيشوع بن جبرائيل طبيب المتوكل وصاحب الحظوة لديه . حتى انه كان يضاهي الخليفة في اللباس وحسن الحال وكثرة المال وكمال المروءة .

« وكانت الحلقات العلمية في حضرة الخلفاء تجمع بين مختلف العلماء على اختلاف اديانهم ومذاهبهم . كانت للمأمون حلقة علمية يجتمع فيها علماء الديانات والمذاهب كلها وكان يقول لهم : ابحثوا ما شئتم من العلم من غير ان يستدل كل واحد منكم بكتابه الديني كيلا تثور بذلك مشاكل طائفية .» .

« ومثل ذلك كانت الحلقات العلمية الشعبية . قال خلف بن المثنى : لقد شهدنا عشرة في البصرة يجتمعون في مجلس لا يعرف مثلهم في الدنيا علما ونباهة . وهم الخليل بن احمد صاحب النحو (وهو سني) . والحميري الشاعر (وهو شيعي) . وصالح بن عبد القدوس (وهو ثنوي) وسفيان بن مجاشع (وهو خارجي صفري) . وبشار بن برد (وهو شعوبي خليع ماجن) . وحماد عجرد (وهو زنديق شعوبي) . وابن رأس الجالوت الشاعر (وهو يهودي) . وابن نظير المتكلم (وهو نصراني) . وعمر بن المؤيد (وهو مجوسي) . وابن سنان الحراني الشاعر (وهو صابئي) كانوا يجتمعون فيتناشدون الاشعار ويتناقلون الاخبار . ويتحدثون في جو من الود لا تكاد تعرف منهم ان بينهم هذا الاختلاف الشديد في دياناتهم ومذاهبهم » .

ان لقاء الناس على الاسلام مطلوب بغير شك ، وتوادهم وتراحمهم امر مفروغ منه ، لكن ذلك لا يصادر حرية الحركة الاوسع . التي يتعامل من خلالها المسلم مع غيره ، باعتباره انسانا من خلق الله الذي نفخ فيه من روحه .

ان التفكير الاسلامي يذهب بعيدا في تعميق اخوة الانسان حشدا لطاقات البشر من اجل العيش في سلام والسعي لاجل البناء والخير ، وهذا التوجه يشكل قاعدة ذهبية في الاسلام . بل هو امر من الله سبحانه وتعالى (وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم ابلغه مأمنه ـ التوبة) . فأنت ترى الوحي السماوي كما يقول الدكتور مصطفى السباعي ـ « لا يكتفي منا بأن نجير المشركين ونؤويهم ونكفل لهم الامن في جوارنا فحسب ، ولا يكتفي منا بأن نرشدهم الى الحق ونهديهم طريق الخير وكفى ، بل ان الله سبحانه يأمرنا بأن نكفل لهم كذلك الحماية والرعاية في انتقالهم حتى يصلوا الى المكان الذي يأمنون فيه كل غائلة . » .

ان مسيرة الانسان في المجتمع الاسلامي امر لا يحتمل التهاون والعبث . وعمارة الارض في التصور الاسلامي رسالة مقدسة ، جند الاسلام من اجلها كل الطاقات وشحذ كل الهمم ، في كل اتجاه ، وحتى تقوم الساعة .

انه اذا كانت الحكمة ضالة المؤمن ، حيث وجدها فهو احق الناس بها كما يقول الحديث الشريف ، فانه بنفس القدر يظل التقدم رائد المؤمن ، حيث وجده فهو احق الناس به ، واسرعهم اليه . ■■

رحلة داخل محطة القوى في جسم الانسان

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

الذين درسوا « مفردات » كتاب الكون المفتوح ، وعاينوا ما يطويه بين دفتيه من أسرار لا أول لها ولا آخر ، هم أقدر الناس على ادراك تجليات الخالق وابداعه في كل خلق خلقه ، فقدره تقديرا حسنا .. وهم ـ في كل ما يستطيعون استيعابه من هذا الكتاب العظيم ـ يعلمون تماما أن هناك فكرة مذهلة تتمخض عن تجسيد حقيقي في كل ظاهرة وخافية من أمور المخلوقات .. بداية من الميكروب الضئيل ، ونهاية بالانسان العظيم .. وهم أيضا ـ من خلال علمهم وثقافتهم التي استقوها من سنن هذا الكتاب وشرائعه ـ يدركون أن وحدة الخلق قائمة ، حتى ولو كره الكارهون ..

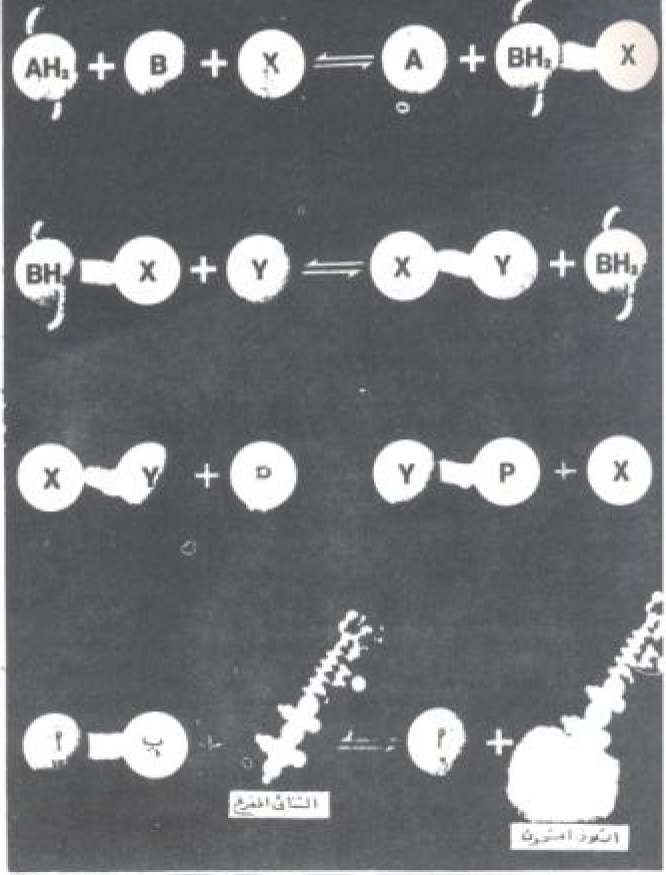
الطاقة .. هي موضوع الساعة الذي يشغل بال العالم كله في وقتنا الحاضر ، أو لسنوات طويلة قادمة .. فلا شيء يتحرك بدون طاقة .. لا تختلف في هذا الكائنات عن الآلات !

ولكي يصبح للطاقة معنى ، كان لابد من وجود الأداة المناسبة لتحريرها ، ثم الاستفادة بها الى أقصى حد ممكن .. وطبيعي أننا لن نتعرض هنا لما صنع الانسان وابتكر ، فليس ذلك من محتويات كتاب الكون ، ولا هو وارد فيه ، بل علينا أن نقدم هنا محطات القوى التي تحرر في داخلنا طاقة الحياة ، ليتبين لنا فيها بديع صنع الله ، وعندئذ سنعرف كم هي بدائية تلك الأفكار التي جسدناها في آلات ، لتحول الطاقة الكامنة من صور الى أخرى .. بمعنى أنه يمكن تحويل الطاقة الكامنة في البترول أو الفحم أو المياه أو الرياح الى طاقة حركية (أي ميكانيكية) أو ضوئية ، أو كهربية ، أو حرارية ..

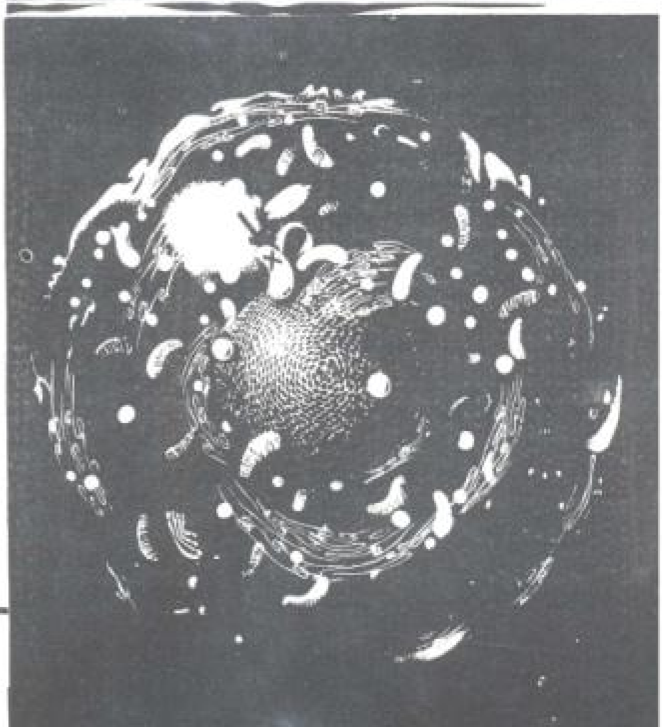
لكن مما لا شك فيه أن الانسان لم يأت بجديد .. فالطبيعة أم الاختراع ـ كما يقولون ، الا أن الطبيعة لفظ مبهم ومضلل للعقول ، اذ لو اطلعنا على الحقيقة الكامنة في الخلق ، لسلمنا أن من وراء ذلك عقل كوني مدبر ، وقدرة فذة لا يستطيعها البشر ، ولكي نجسد هذا الكلام الى واقع ، كان لزاما علينا أن نعرف معنى الطاقة التي تسير كل أحياء هذا الكوكب .. ونطلع على محطات القوى التي تحررها ، والوقود الميسر لاستخدامها .. الخ .

الميتوكوندريون .. محطة القوى !

بادىء ذي بدء نقول : ان محطة القوى التي تمدنا بالطاقة ليست عضوا أو مرفقا قائما بذاته ـ كما هو الحال مثلا مع القلب الذي يضخ الدم ، أو الكلية التي ترشح البول ، أو الأمعاء التي تهضم الطعام .. الى آخر هذه الأجهزة أو المرافق التي تخصصت وتآلفت لخدمة الجسم الحي ككل ، لكن مرفق الطاقة لا يحتل في الجسم مكانا محددا ، ليحرر الطاقة ويوزعها كما يتوزع الدم من القلب ، أو الطعام من الأمعاء ، بل ان هذا المرفق الحيوي يتوزع توزيعا عادلا في جميع خلايا الجسم



نموذج ذرى « لعملة » الطاقة الموحدة بين الكائنات جميعا .. فإلى أقصى اليمين جزيء ثلاثي فوسفات الادينوسين المشحون بالطاقة الكامنة في رابط الكتروني بنهاية ذيله ، وبجواره مركب كيميائي (أ) فقد طاقته ليعطيها إياه .. وإلى اليسار جزيء ثنائي فوسفات الادينوسين الفقير في الطاقة ، وبجواره مركبان أ ـ ب ، بينهما رابط اليكتروني غني بالطاقة ، وعندما يتخليان عنها حملا ، فانهما يشحنان الثنائي ويحولانه الى ثلاثي غني بالطاقة .. والسهمان اللذان يتجهان يمينا أو يسارا يعنيان أن الشحن والتفريغ عملية عكسية .



الرسم يوضح خلية ، وبداخلها اجهزتها الخلوية ، وترى محطات قوى توليد الطاقة منتشرة في السيتوبلازم (مشار الى واحدة منها بسهم وعليها علامة ×) على هيئة كلوية (الجسم الكبير المستدير في قلب الخلية هو نواتها) .

(عدا كرات الدم التي تموت يوميا بالملايين ثم تتجدد) .. وهذا يعني أن لكل خلية جسدية أو جنسية محطة قوى تخدمها ، وتيسر لها طاقتها ، لكن الخلية لا تكتفي بمحطة قوى واحدة ، بل تطوي في داخلها عشرات أو مئات من هذه المحطات الدقيقة للغاية ، ولهذا تبدو تحت عدسات الميكروسكوب الضوئي كخيوط دقيقة ، ومن أجل هذا أطلق العلماء السابقون عليها اسم الميتوكوندريا Mitochondria (مفردها ميتوكوندريون) .. وهذه كلمة يونانية تتكون من مقطعين : ميتوس بمعنى خيط ، وكوندروس بمعنى حبيبة .. أي تعني الأجسام الخيطية !

وطبيعي أن الذين رأوها لأول مرة ـ وهي تنتشر في داخل السيتوبلازم الحي للخلية ـ لم يعرفوا كنهها ولا أهميتها بالنسبة لجميع الكائنات الحية في مملكتي الحيوان والنبات على السواء ، ومن أجل هذا أطلقوا عليها ذلك الاسم الذي لا يعني الا وصفا سطحيا لشيء يبطن غير ما يظهر ، وكان من الممكن أن تظل هذه الخيوط الدقيقة سرا مطويا ، لكن حمدا لله أن ظهر الميكروسكوب الاليكتروني الذي يكبر الأشياء عشرات أو مئات الألوف من المرات ، وبه عرفنا أن تلك الخيوط ليست الا بنايات جزيئية عجيبة ، تنطوي على متاهات مثيرة ، وتشكيلات فريدة ، وهي لا زالت ـ ببعض أسرارها الخافية ـ تحيرنا أعظم حيرة .

لكن ما علينا من كل ذلك الآن (فسنعود لتوضيحه) ، إذ لابد أن توزيع الميتوكوندريا أو محطات القوى في جميع خلايا الأجسام الحية قد يدعو الى تساؤل له مغزاه : أو ليس هذا التوزيع يحمل معنى الاسراف ، خاصة اذا علمنا أن جسم كل منا يحمل ملايين الملايين من هذه المحطات الدقيقة ؟

الواقع أنه ليس إسرافا ، بل من وراء ذلك حكمة لا يخفى مغزاها على لبيب .. ذلك أن كل خلية في الجسم بمثابة وحدة قائمة بذاتها ، ولكل خلية متطلباتها من الطاقة الخاصة بها دون غيرها ، وعليها أن تقدر ميزانيتها بمعايير مضبوطة لا اسراف فيها ولا تقتير .. فخلايا عضلات القلب مثلا يقع عليها عبء كبير ، فهي تنبض ليل نهار ، وتبذل مجهودا يحتاج الى قدر كبير من الطاقة ، وكان لابد ـ والحال كذلك ـ من امدادها بأكبر قدر ممكن من الطاقة ، ومن أجل هذا كان لها نصيب موفور من محطات توليد القوى ، اذ قد يصل نصيب كل خلية في القلب الى ألف محطة توليد ، أو قد تزيد (هناك تقدير آخر يرفع هذا العدد الى ٥٠٠٠) كما أن خلايا الكبد بمثابة مصانع كيميائية دقيقة ، وفيها تجرى مئات العمليات المتشابكة ، ولن يتم لها ذلك الا بطاقة ميسرة ، ومن أجل هذا منحت كل خلية حوالي ٨٠٠ ميتوكوندريا .. ثم تهبط معدل هذه « الافران » الحية الدقيقة بقدر ما تهبط فيها متطلبات الطاقة ، الى أن تصل الى حوالي ٢٠ ميتوكوندريا في الحيوان المنوي ، فهذه كافية لدفعه وتوصيله الى هدفه ـ أي الى البويضة التي تنتظر تلقيحا ، فاذا وصل ، تخلى عن « محطاته » وتركها على جدار البويضة ، فليس له فيها بعد ذلك مأرب ، خاصة بعد أن « تذوب » محتوياته في محتويات البويضة بعد عملية التلقيح .

علينا الآن ـ وتبسيطا للموضوع ـ أن نتخيل أننا كبرنا واحدة من هذه المحطات الدقيقة بلايين فوق بلايين من المرات ، عندئذ ستبدو لنا على هيئة بنايات كبيرة مشيدة أعظم تشييد ، ومنظمة أعقد تنظيم .

ولكل بناية من مئات البنايات المنتشرة في سيتوبلازم الخلية سور عظيم ، ليحدد لمحطة التوليد معالمها ، ويعطيها كيانها ، لتصبح وحدة قائمة بذاتها .. والسور هنا مشيد بنظام خاص ، « وأحجاره » البنائية عبارة عن جزيئات كيميائية عملاقة متراصة حسب خطة مقدرة ، وكأنما هي تقف على مشارف محطة القوى كحرس شديد ، فلا تسمح للجزيئات المنتشرة حولها بالدخول اليها ، أو الخروج منها الا بما يتلاءم مع الاحتياجات التي يتطلبها تخصصها الدقيق .. أي أن هذا النظام الدقيق الفذ الكائن في سور محطة القوى يسحب من « بحر » السيتوبلازم الخامات اللازمة لتشغيل المحطة ، وكأنما هناك هيئة رقابة جزيئية على أعلى المستويات ، لتنظم حركة المرور من والى المحطة الحية !

ومن داخل السور الخارجي ، سور آخر داخلي ، لكنه ليس سورا متصلا ، بل تتخلله أبواب أو فتحات تنتشر فيه ، فاذا دلفنا خلالها ، نريد بذلك أن نتجول في داخلها ، عندئذ ستصادفنا ممرات أشبه ما تكون بالمتاهات التي تلف وتدور داخل محطة توليد القوى .

ولا شك أن حكمة الله في تشييد هذه المحطات الدقيقة تتجلى لنا أكثر ، لو أننا اطلعنا على التصميمات المختلفة التي جاءت بها في الأنسجة المتباينة في جسم الانسان ، أو تلك التي نحصل عليها من عالم النبات أو الحيوان .. فاذا وقع على النسيج مجهود يتطلب طاقة زائدة ، جاءت محطات التوليد في خلاياه ، بأعداد هائلة ـ كما سبق أن ذكرنا ، لكن من الأمور الهامة أيضا أن تصبح هذه المحطات ذات كفاءة عالية ، وقد كان .. ففي داخلها تتكدس الممرات المتشعبة المحاطة بالأسوار أو

الأغشية ، لتستوعب آلات جزيئية اكثر عددا ، وأكبر بذلا ، وهذا ما نراه حقا بالميكروسكوبات الاليكترونية .. وعلى العكس من ذلك تكون الأنسجة (في علمي النبات والحيوان) التي لا يقع على خلاياها عبء مذكور .

ورغم اختلاف أشكال الميتوكوندريا ، الا ان الفكرة فيها واحدة ، بمعنى أنها تحتوي جميعا على المنشئات الأساسية المكلفة بتحرير الطاقة من عقالها .. فالتفاعلات التي تجري في داخلها لا تختلف بين نسيج كبد أو مخ أو قلب أو غدة .. الخ ، كذلك لا تختلف هذه التفاعلات بين خلايا انسان وحيوان ونبات .. فكلها أحياء ، ولكنها تحتاج الى « عملة » موحدة من الطاقة ، وهذا دليل جديد على وحدة الفكرة في خلق الكائنات ، حتى ولو كان ذلك على مستوى « أفران » حية تمدها بالطاقات !

كأنها خلايا داخل خلية !

ولكي تتفرغ كل محطة لمهمتها البالغة الأهمية بالنسبة للحياة ، كانت لكل منها اداراتها ورسلها و « مطابعها » التي تشكل عليها بروتيناتها وأنزيماتها دون الرجوع الى القيادة المركزية في الخلية الحية والممثلة في نواتها .. أي أن الميتوكوندريا تمتلك بعض الأجهزة الجزيئية التي تمتلكها الخلية الأم ، ولكن بصورة مبسطة ومصغرة .. ولهذا وصفها بعض العلماء بأن هذه المحطات بمثابة خلايا بدائية صغيرة ، داخل خلايا متطورة كبيرة (والوصف هنا نسبي ، لأن الخلية لا ترى بالعين المجردة) .. يعني هذا أن للميتوكوندريا أشرطتها الوراثية التي تخطط لها حياتها ، ولها أيضا جزيئاتها المبعوثة بالشفرة الوراثية لتبني للمحطة بروتيناتها وأنزيماتها ، ولها آلاتها الجزيئية (الريبوسومات) التي تطبع أو تصنع عليها الجزيئات الأساسية التي تشرف على سير العمليات الحيوية فيها (انظر مقالاتنا السابقة على صفحات هذه المجلة « نحن كتب مكتوبة » و « مطابع الحياة » و « مفاتيح الحياة وأقفالها ») .

والغريب أيضا أن الميتوكوندريا تمتلك القدرة على الانقسام والتكاثر داخل الخلايا ، وهذا أيضا ما يؤيد أنها بمثابة خلايا صغيرة من داخل خلايا كبيرة ، لأن من صفات خلايا كل المخلوقات أنها تنقسم وتتكاثر ، فيؤدي ذلك الى نمو المخلوق . لكن انقسام هذه المحطات لتنشيء محطات مثلها لا يؤدي الى النمو ، كما أنه لا يسري هكذا جزافا ، بل هو - اي الانقسام - مؤشر حي لمتطلبات الطاقة ، فاذا احتاجت الخلية لطاقات زائدة ، كان لابد من انشاء محطات جديدة .. اي أن كل شيء هنا يسير بحساب ومقدار .. فلا اسراف ولا تقتير !

ونحن ندين بالحياة لأمهاتنا .. لا لآبائنا ، ليس لأنهن حملننا وأرضعننا ، فهذا أمر معروف ، بل يرجع ذلك الى حقيقة مثيرة تكمن في بداية خلقنا .. فلقد ورثنا « شعلة » الحياة عن طريق بويضة الأم .. تعني أن ملايين البلايين من هذه « الأفران » الدقيقة الحية التي تنتشر في خلايا أجسامنا ترجع جذورها الى البويضة .. لا الى الحيوان المنوي ، فهذا يفقد كل محطاته الكامنة بين رأسه وذنبه ، بمجرد أن يصل الى هدفه ، اذ هو يتركها على سور البويضة الملقحة أو غشائها الرقيق ، وهنا تتكفل محطات القوى الكامنة في البويضة الملقحة بتزويد كل خلية قادمة بأفرانها ، فعندما تنقسم ، تنقسم معها أفرانها أو محطاتها ، ثم تتغير « موديلات » الميتوكوندريا على حسب نوع النسيج الذي حلت فيه ، لتصبح مناسبة للهدف تماما .

الوقود الأمثل لمحطات القوى !

ولكي تشتغل هذه المحطات ، وتنتج أكبر قدر من الطاقات ، كان لابد من وقود يتناسب مع التنظيم الداخلي لهذه الأفران .. والوقود الأمثل هو سكر الجلوكوز .. لا يختلف في هذا الميكروب .. عن النبات .. عن الحيوان .. عن الانسان .. أي ان السكر هنا بمثابة « البنزين السوبر » الملائم لمحطات توليد القوى في خلايا جميع الكائنات .

ما عليك مثلا الا أن تلقى ببلورات من السكر على النار .. تجدها تحترق وتتحول الى نار ودخان (في الاحتراق التام ينتج غاز ثاني أوكسيد الكربون وبخار الماء) .. والنار بلا شك صورة من صور الطاقة ، سواء خرجت من احتراق سكر أو نشا أو بنزين أو سولار أو دهون .. الخ ، وللعلماء وسائلهم وأجهزتهم ومعادلاتهم التي توضح مقدار الطاقة المختزنة او المتحررة من حرق هذه المواد العضوية المختلفة ، لكننا في حل من التعرض لها هنا لضيق المجال .

ولا شك أن السكر الذي نتناوله في طعامنا ، أو النشويات التي تتحول الى سكريات بسيطة ، في عملية الهضم ، ثم تنفذ الى الدماء ، لتتوزع على الخلايا - لاشك أن هذا السكر البسيط يحترق أيضا في محطات توليد الطاقة ، ويتحول في النهاية الى غاز ثاني أوكسيد الكربون والماء ، لكننا مع ذلك لا نلحظ الأجسام الحية وقد أصبحت أفرانا تتمخض عن نيران مشتعلة ، ولا

حرارة عالية ، ولو كان حالها كما هو الحال في أفراننا وآلاتنا ، لاحترقت الأحياء ، ولما قامت لها على هذا الكوكب قائمة !

ان الفهم العميق للتنظيم الفذ ،الذي جاءت به الميتوكوندريا الى الحياة ، قد أخذ من عمر العلماء سنين طويلة ، اذ أن هذا التنظيم ينطوي على أسرار ومتاهات عويصة ، ولقد عرف العلماء بعضها ، ولا زال البعض الآخر لغزا مطويا ، فعملية احتراق السكر لا تتم هكذا جزافا ، بل تدخل جزيئات هذا الوقود الأمثل الذائب في سلسلة من العمليات الكيميائية المعقدة ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لها هنا ، فذلك يستلزم من القارىء الماما لا بأس به بعلوم الكيمياء والفيزياء والاليكترونات ، لكن يكفي أن نذكر هنا أن « حلب » الطاقة الموجودة في جزيء السكر يستلزم مروره في أكثر من ٢٢ عملية كيميائية اليكترونية ، ولكل عملية انزيماتها ، ثم ما يتصل بهذه الأنزيمات من جزيئات كيميائية مساعدة .

ان جزيء سكر الجلوكوز يتكون من ست ذرات كربون مع ست ذرات أوكسيجين مع ١٢ ذرة ايدروجين ، وطبيعي أن هذه الذرات مترابطة مع بعضها بروابط اليكترونية غنية بالطاقة ، ومحطة توليد القوى تعرف مواضع هذه الروابط ، وكيف تفكها ، لتحرر طاقتها الكامنة .. لكنها ـ في الواقع ـ لا تحلب الطاقة دفعة واحدة ، ولو فعلت ، لاحترقت المحطة فالخلية فالنسيج فالمخلوق .. ولكي لا يحدث ذلك ، كان لا بد أن تمر جزيئات السكر على خطوط تشغيل .. مرحلة من وراء مرحلة من وراء مرحلة .. وهكذا ، حتى تنتهي بالمرحلة الثانية والعشرين ، وعندها يصبح الناتج غازا وماء .. فتتخلص من النفاية الغازية ، لتحملها تيارات الدم الى الرئتين ، فيخرج غاز ثاني أوكسيد الكربون مع هواء الزفير ، ويحل محله الأوكسيجين ، فيتوجه به الدم الى الخلايا ، ليدخل في عمليات الاحتراق البطيئة على خطوط التشغيل الكامنة في الميتوكوندريا .. وهكذا تسري العملية ما دامت الحياة .

وعندما تتكسر الروابط الاليكترونية في جزيئات السكر في مراحلها المتعددة ، تنطلق طاقتها خطوة فخطوة ، لكن هذه الطاقة قد تضيع سدى ما لم تجد تنظيما آخر ليستقبلها ، ثم يختزنها في صورة ميسرة ، وبعد ذلك يوزعها في أرجاء الخلية ، لتستفيد بها استفادة قصوى ، مثلها في ذلك كمثل وقود مشتعل . ولن يصبح لطاقته المتحررة من فائدة ، الا اذا تيسرت لها الآلة المناسبة .

العملة الموحدة للطاقة !

لكن .. كيف يتم اصطياد الطاقة المتحررة ؟ .. وما هو نظام التوزيع ؟

الواقع أن لذلك أيضا نظاما فذا لا نستطيع أن نتعرض هنا لتفاصيله ، والا لخرج الموضوع من أيدينا ، لكن يكفي أن نذكر أن محطات توليد الطاقة الكامنة في خلايانا تسير على أعقد وأتقن العمليات الكيميائية والاليكترونية .. فانطلاق الطاقة من الروابط الاليكترونية للجزيئات الكيميائية ، يستلزم استقبال هذه الطاقة على اليكترونات مركبات أخرى ، فتثير فيها هذه الاليكترونات .. او بمعنى آخر تنشطها ، وتدفع المركب الذي حملها للدخول في تفاعلات كيميائية هي المسئولة عن دفع عجلة الحياة في خلايا الكائنات .

أي أن العملية ـ ببساطة شديدة ـ كيميائية اليكترونية في المقام الأول !

أو هي ـ كما عبر عنها جون فيفر في كتابه « الخلية » ـ أكبر اكتشاف مذهل في علوم الحياة أوضح لنا كيف أن الطبيعة قد شيدت بعناية بالغة تصميماتها الاليكترونية في كل الكائنات الحية .. ان سريان الاليكترونات خلال سلسلة من وسائل النقل الاليكترونية (يقصد بها الجزيئات التي أثيرت اليكتروناتها ، او التي استقبلت اليكترونات حاملة للطاقة المتحررة) ، لهي لب الحياة في خلايا النبات والحيوان ، لكن مما لا شك فيه أن هذه التيارات تزيد كلما احتاج الكائن الى طاقة زائدة .. فالانسان المسترخي على فراشه تسري في كل سلسلة فيه ثلاثة اليكترونات في كل ثانية (يقصد بالسلسلة هنا أحد خطوط التشغيل في الميتوكوندريا) ، وقد يرتفع معدلها الى ٣٠ اليكترونا لكل ثانية في أقصى حالات نشاطه .. ثم يقدم لنا جون فيفر بعد ذلك ارقاما ، فيذكر أن ضخامة العملية لن تتضح الا اذا عرفنا أن في كل ميتوكوندريون حوالى ١٥ ألف سلسلة (اى خط تشغيل لتفكيك جزيئات السكر) ، وفي كل خلية ما بين ٥٠ (بحد أدنى) و ٥٠٠٠ ميتوكوندريا ، وأن جسم الانسان يحتوى على آلاف الملايين من الخلايا ، عندئذ تستطيع أن تحسب الأعداد الكونية الضخمة من الاليكترونات التي تنطلق داخلنا في كل ثانية تمر من أعمارنا !

وبدون الدخول في التفاصيل كان لا بد أن نذكر أن

العملة الموحدة للطاقة في جميع خلايا الكائنات الحية تتركز في جزيء واحد اسمه ثلاثـي فوسفات الأدينوسين .. ولنختصره الى ث ف أ ـ أخذنا الحرف الأول من كل كلمة ليس الا ـ (Adenosine tri phosphate atp) وهو هنا بمثابة الأسلاك التي تنقل الطاقة الكهربية من محطات توليد الكهرباء ، وتوزعها على الأجهزة والآلات في البيوت والمصانع ، وطبيعي أن نظام الأسلاك ليس موجودا في الخلية ، بل تحل محله تلك الجزيئات الحاملة الطاقة ، والتي تنتشر في السيتوبلازم كحبات مطر منهمر !

وجزيئات ث ف أ ـ أو تلك البطاريات الجزيئية الدقيقة المشحونة بطاقة كيميائية غنية ـ تخرج من محطات توليد الطاقة الى ساحة الخلية ، وهناك تفرغ شحناتها لكل عملية كيميائية تحتاج الى طاقة ، ولا شك أن الميتوكوندريا بدورها تحتجز لنفسها نصيبا من هذه « العملة » لتدبر بها شئونها .

وتفريغ الطاقة من ث ف أ يتم عن طريق كسر رابط اليكتروني من « ذيل » البطارية ، والكسر يؤدي الى انفصال جزيء فوسفات واحد عن الجزيء الثلاثي الفوسفات ، ويعني هذا أن الجزيء الحامل للطاقة له تنظيم فريد .. فرأسه يتكون من المركب العضوى أدينوسين ، ومن ذلك الرأس تمتد جزيئات غير عضوية .. اى فوسفات مرتبط بفوسفات ثم بفوسفات .. أي كأنما هي بمثابة ذنب موصول برأس .. وكسر الفوسفات الأخير يؤدي الى اطلاق اكبر قدر من الطاقة ، ولا بد من وجود نظام ليكسر هذا الرابط الاليكتروني في ساحة الخلية ، لأنه لا ينكسر من تلقاء نفسه ، (تماما كما لا تطلق البندقية مقذوفها بنفسها) ، ثم لا بد من وجود نظام آخر ليستقبل الطاقة المتحررة من تلك البطارية الدقيقة ، ولن نتعرض ايضا لهذه النظم المعقدة ، لكن يكفي أن نذكر هنا أننا بحق أمام نظم متقنة أشد الاتقان ، ولها تخطيطات فذة ، وأفكار مذهلة ، ليسري كل شيء بحساب ومقدار .. وكأنما الله سبحانه وتعالى قد وضع فيها موازين حساسة ، لتأخذ كل عملية سبيلها المقدر في معمعة ليس لها من قرار ، ولتصبح مضبوطة غاية الانضباط !

وبعد أن تفرغ البطاريات الكيميائية الدقيقة (أي ث ف أ) شحناتها لآلاف العمليات التي تتم داخل الخلية ، كان لا بد ان تعود مرة اخرى الى محطات الشحن (اي الميتوكوندريا) ، فتدخل اليها على هيئة جزيئات « مكسورة » من ذيلها ـ اى ثنائي فوسفات الأدينوسين (لأنها فقدت جزيء فوسفات من الثلاثة المترابطة) ، ومعها أيضا الجزء المكسور (أي الفوسفات المنفصل) ، ولا بد من اعادة ربط هذا بذاك ، ليتحول الثنائي الضعيف الطاقة الى الثلاثي الغني بالطاقة ، لكن الربط يحتاج الى طاقة ، والطاقة تنطلق من خطوط التشغيل المعقدة التي تتناول جزيئات السكر بالكسر او التفكيك في أرجاء المحطة ، ومع كل كسر في جزيء السكر ، يحدث ربط بين الفوسفات والبطارية الخاوية ، فتعود الى حالتها المشحونة (أي ثلاثي فوسفات الادينوسين) .. اى أن هدم الطاقة وتحريرها من جزيء ، يؤدي الى اصطيادها في جزيء آخر ، وبها يخرج ، ثم يفرغ ، ويعود ليشحن ، ثم يفرغ ، وهكذا تتكرر هذه العملية ملايين الملايين من المرات في اليوم الواحد !

ولقد قدر العلماء هذه العملية بالحساب والأرقام ، وعرفوا بالضبط موازينها .. فمن خلال مرور جزيء سكر الجلوكوز على خطوط التشغيل ، ثم هدمه في سلسلة طويلة من العمليات ، وما يتمخض عن كل عملية من اطلاق جزء ضئيل من الطاقة الكامنة في السكر (بمساعدة غاز الأوكسيجين الذي تتكفل بنقله هيئة جزيئية معقدة) .. يتبين أن جزيء السكر الواحد يستطيع ان يشحن ٣٨ جزيئا من ثنائي الفوسفات ، ويحولها الى ثلاثي الفوسفات ، وطبيعي ان هذه العملية ـ عملية الشحن والتفريغ ـ تتم في الثانية الواحدة بملايين الملايين !

أي كأننا نحن ـ في الواقع ـ امام دوائر اليكترونية كيميائية صممت ونفذت على ادق المستويات في داخل الميتوكوندريا ، فهناك عالم ألماني يدعى كريب حصل على جائزة نوبل في الكيمياء لأنه استطاع ـ بعد سنين طويلة ـ ان يتوصل الى فك شفرة هذه الدوائر داخل محطات توليد الطاقة في الخلايا ، ومن أجل هذا اطلقوا اسمه عليها (دائرة كريب Kreb,s Cycle) .

وقد يتبادر على الذهن تساؤل : اذا كان السكر هو الوقود المتداول بين كل أحياء هذا الكوكب ، ليشحن به بطاريات الحياة ، اذن .. فكيف يشحن هذا السكر بالطاقة ، ليصبح ميسرا على الدوام ؟

الواقع أن الحياة قد امتلكت « دينامو » من نوع آخر ، وفيه اسرار تتوه فيها عقول البشر ، ولهذا دراسة أخرى قادمة ، لتفتح بها صفحة اخرى من كتاب الكون المجيد . ■■

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح

« ما بكت العرب شيئا مثل ما بكت الشباب » ـ ابو عمرو بن العلاء.

الباكون على الشباب

بقلم : الدكتور احسان النص

البكاء على الشباب الراحل من الموضوعات التي شغلت حيزا كبيرا في آداب الأمم كلها . ولا غرو فهو موضوع انساني عام يتصل بالطبيعة البشرية المتشبثة بأهداب الحياة ، والتي ترى في تولي الشباب ايذانا بمغيب شمس وجودها وفراق مباهج الحياة ومتعها ، والشباب هو المنعطف الذي يبدأ عنده العد التنازلي في طريق الاياب ، طريق اللاعودة .

ولئن كان الناس عامة ينتابهم الفزع والفرق لدى مجاوزتهم هذا المنعطف ، لا جرم يكون الشعراء بحسهم المرهف اشد فزعا وفرقا حين تلوح لهم نذر الشيخوخة . فتبدأ الشعرات البيض تخط الفودين ويسري الوهن في الاعضاء والمفاصل ويدب الاعياء والكلل الى الحواس . وقد يلجأ المرء حينئذ الى تمويه نذر الشيخوخة باللجوء الى الخضاب ايهاما لنفسه ولمن يراه بأنه ما زال الفتى القوي الساعد الناضر العود ، ولكن هيهات ان يرد الخضاب الشباب المولي ، والزهرة اذا اصابها الذبول فليس ثمة ما يعيد اليها تألقها وأرجها .

وقد شغل موضوع رثاء الشباب وما يتصل به من ذكر الشيب والخضاب ادباءنا القدامى والشعراء بخاصة ، حتى قل ان نجد شاعرا منهم لم يقف على بكاء الشباب جانبا من شعره . وهذه الحقيقة يقررها العالم اللغوي ابو عمرو بن العلاء فيقول : « ما بكت العرب شيئا مثل ما بكت الشباب ، وما بلغت به ما يستحقه . » كما يجعل الراوية الاصمعي البكاء على الشباب من أجود انماط الشعر المأثورة عن العرب .

موقف الجاهليين

على اننا لا نجد بكاء الشباب كثيرا في أشعار الجاهليين . ولعل مرد ذلك الى ان حياتهم لم تكن توفر لهم الكثير من المتع ، وكان السعي وراء القوت شغلهم



الشاغل . وبعض من شغلتهم متع الحياة ولذائذها منهم فارقوا دنياهم وهم في ميعة الصبا فلم يعرفوا من الحياة الا جانبها اللاهي العابث . شأن الشاعر طرفة بن العبد فيلسوف العبثية واللامبالاة في العصر الجاهلي . فقد قتل قبل ان يأفل نجم شبابه . وامرؤ القيس . الملك الضليل . قضى شبيبة عابثة لاهية ثم قتل ابوه فصرفه الثأر عن امور حياته الخاصة .

ومع ذلك لم يخل شعر الجاهليين من زفرات نفثها الشعراء في اثر شبابهم المدبر . وما كان يحققه لهم من لهو ومتاع . وممن شق عليه فراق شبابه وايام لهوه اعشى قيس . وهو مع ذلك يحاول ان يتلاءم مع مقتضيات السن فيباعد الغانيات ويقنع بالحكمة بديلا من الصبا :

قليلا ثم زجرت الصبا
وعاد علي عزائي وقارا
فأصبحت لا أقرب الغانيا
ت مزدجرا عن هواي ازدجارا
وان أخاك الذي تعلمين .
لياليـنا اذ نحل الجفارا
تبدل بعد الصبا حكمة
وقنعه الشيب منه خمارا

ويجنح علقمة بن عبدة الى التفلسف وتزويد القوم بخلاصة تجاربه . فهو يقرر ان لاخطورة لامريء لدى النساء اذا فقد شبابه او ماله :

فان تسألوني بالنساء فانني
بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء او قل ماله
فليس له من ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه
وشرخ الشباب عندهن عجيب

حتى شاعرنا الحكيم زهير بن أبي سلمى لا يملك وقد داهمه الشيب وسمع العذارى ينادينه « عمنا » الا ان يودع شبابه ويقصر عن عبث الصبا :

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله
وعرى افراس الصبا ورواحله
وأقصرت عما تعلمين وسددت
علي سوى قصد السبيل معادله
وقال العذارى انما انت عمنا
وكان الشباب كالخليط نزايله

الحسرة واللوعة

فاذا كان العصر الاموي والعباسي من بعده واتسعت اسباب الرزق وكثر المال في أيدي الفاتحين العرب نجد القوم يقبلون على الحياة ويتهافتون على متعها ـ والمرأة تحتل منزلة الصدارة بينها ـ ومن هنا كان فراق الشباب يثير في نفوسهم حسرة اي حسرة ويفعمها مرارة ولوعة . ونجد صدى هذا كله قويا بارزا في شعر شعرائهم ، وقل ان نجد شاعرا منهم يخلو شعره من عبرات يسفحها في وداع ايام صباه ومرابع لهوه ، واكثر ما تقع على هذه اللفتات الوجدانية في مطالع القصائد التي ترى طائفة من النقاد انها لا تعدو ان تكون مقدمات تقليدية تمهد لغرض القصيدة المحوري ، في حين نرى ان الشاعر يكون في هذه المقدمات اصدق تعبيرا عن مكنون نفسه منه في سائر قصيدته .

وتكون الصدمة القاسية على الشاعر حين يحس اعراض النساء عنه وقد لاح لهن مشيب شعره ، ولا يجد حينئذ بدا من الاقرار بهزيمته امام عدو لا سبيل الى مقارعته وينبغي ان يوطن نفسه على لقائه ، فالشيب في نظر الفرزدق ثوب لابد من ارتدائه :

والشر ثوب جديد انت لابسه
ولن ترى خلقا شرا من الهرم [١]

ولذات الشيب ما هي الا اضاليل تعلل بها انفسنا :

وفي الشيب لذات لخادع نفسه
ومن قبله عيش تعلل جادبه

وجرير يطلق صيحة يائسة : هل من سبيل الى استعادة الشباب او شرائه :

بان الشباب حميدة ايامه
لو كان ذلك يشترى او يرجع [٢]

وقد لاحظ في مرارة انصراف الغانيات عنه حين اودى شبابه وعدم احتفالهن بصرمه :

بان الشباب وقال الغانيات له
اودى الشباب واودى عصرك الخالي
قد كن يرهبن من صرمي مباعدة
فاليوم يهزأن من صرمي وادلالي [٣]

ومن عجب اننا لا نجد عمر بن ابي ربيعة ، شاعر المرأة والهوى ، يعرض في شعره كثيرا لهذا الجانب فيسجل شعوره وهو يجتاز هذا المنعطف الخطير في حياته ، وهو احق الشعراء بأن يفعل ذلك وقد انفق حياته في لهو متصل وهوى متجدد ، وليس في شعره الا وقفات قصيرة صور فيها زهده في صبوات الشبيبة وعزوفه عن الغيء ، في نحو قوله مثلا :

عجبت اذ رأت لداتي شابوا
وقتيرا من المشيب علاني
ان تريني اقصرت عن طلب الغي
وطاوعت عاذلي اذ دعاني
وتركت الصبا وادركني الحلـ
ـم وحرمت بعض ما قد كفاني
ودعاني الى الرشاد فؤاد
كان للغي مرة قد دعاني [٤]

بيد ان التفجع اللاهف على الشباب والتوجع المر لفقده انما نجدها عند شعراء العصر العباسي خاصة ، ذلك العصر الذي توافر فيه للناس من اسباب اللهو والوان الاستمتاع بالحياة ما لم يتوافر مثله في العصور السابقة ، والفجيعة انما تكون بقدر المفقود . وقف معي عند هذه الابيات لابي حازم الباهلي فانك سترى انه اتى بمعان لم يسبق اليها :

ولى الشباب فخل الدمع ينهمل
فقد الشباب بفقد الروح متصل

---

(١) الخلق : الثوب البالي .
(٢) بان : فارق وبعد
(٣) الصرم : الهجر .
(٤) اللدات : الاصدقاء في سن متماثلة . القتير : اول الشيب .

لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها
من الشباب بيوم واحد بدل
شرخ الشباب لقد أبقيت لي أسفا
ما جد ذكرك الا جد لي ثكل
كفاك بالشيب ذنبا عند غانية
وبالشباب شفيعا ايها الرجل

الدنيا ـ والشباب

هذه المعاني البكر التي جاء بها الباهلي في بكاء الشباب انتزعت اعجاب النقاد القدامى ، ولئن جعل أبو حازم الباهلي الدنيا كلها لا تعدل يوما واحدا من أيام الشباب لقد جعل منصور النمري الدنيا كلها تبعا للشباب تنقضي بانقضائه :

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع
اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
ما كنت اوفي شبابي كنه غرته
حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

وأمنية أبي العتاهية مشهورة : كان يتمنى ان يعود الشباب ليخبره بما صنع المشيب به :

ألا ليت الشباب يعود يوما
فأخبره بما صنع المشيب

وقد كان وقع المشيب في نفس البحتري بليغا بحيث تمنى مخلصا لو كان بياض السيف أصابه مكان بياض المشيب :

وددت بياض السيف يوم لقينني
مكان بياض الشيب حل بعارضي

ونقف مع دعبل على مفارقة طريفة بين ضحك المشيب وبكاء الشاعر :

لا تعجبي يا سلم من رجل
ضحك المشيب برأسه فبكى

على اننا لا نعرف شاعرا عربيا وقف من فراق شبابه وقفة ابن الرومي ، فقد كان شاعرنا يترشف الحياة قطرة قطرة ، ويعيشها بحواسه كلها ، ويتشبث بها بكل ما أوتي من قوة . فلما بدأت أيام صباه تتصرم واحس عجزه عن مواصلة الجري في مرابع اللهو ، انتابه فرق وجزع لا نظير لهما ، واخذ يبكي شبابه المولي بكاء المفجوع الواله ، حتى لقد قال في رثاء الشباب وتذكر سويعاته الهائنة قصيدة لا أظن ان لها نظيرا ، لا في الشعر العربي وحده بل في آداب الامم الاخرى ، وتكاد ان تكون ملحمة فريدة تحيط بكل ما يوحي به الشباب من معان ورؤى واحاسيس ، وانا احيلك على ديوانه لتقرأها فهي اطول من ان يتسع لها هذا الحديث الموجز .

وقد جرى فيها على نمط طريف ، فقد جعلها لوحات متتابعة يبدأ كلا منها بعبارة :

يذكرني الشباب ، وفي كل لوحة يستعرض طائفة من الصور التي يستعيد بها ذكريات شبابه المولي . وحسبي ان اقتطف لك ابياتا من رائعته هذه اختم بها حديثي :

كفى بالشيب من ناه مطاع
على كره ومن داع مجاب
وقلت مسلما للشيب : اهلا
بهادي المخطئين الى الصواب
الست مبشري في كل يوم
بوشك ترحلي اثر الشباب
لعمرك ما الحياة لكل حي
اذا فقد الشباب سوى عذاب
يذكرني الشباب صدى طويل
الى برد الثنايا والرضاب
يذكرني الشباب هوان عتبي
وصد الغانيات لدى عتابي
يذكرني الشباب سهام حتف
يصبن مقاتلي دون الاهاب
يذكرني الشباب جنان عدن
على جنبات انهار عذاب
فيا اسفا ويا جزعا عليه
ويا حزنا الى يوم الحساب

د . إحسان النص

نصيحة للأدباء

● سأل اديب ناشيء الشاعر المعروف « ادوين روبنسون » : ما هي أهم صفة ينبغي ان يتصف بها شاعر ناشيء ؟ فرد الشاعر : « شهية ضعيفه للطعام » ..

قرأت في عدد ابريل الماضي ، من هذه المجلة الزاهرة ، الكلمة القيمة التي كتبها الأخ الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة ، تحت عنوان : (حكمة الهند بين براهم وبوذا) وبالنظر الى سعة هذا الموضوع وتشعبه وغموض كثير من نواحيه عن كثير من ابناء اللغة العربية ، وبالنظر لاختصاصي بالموضوع ، رأيت ان اعلق عليه اتماما للفائدة لا سيما بعد ان اصبحت الهند جزءا من العالم الذي تربطنا به روابط كثيرة ذات شأن في حياتنا السياسية والاجتماعية والفكرية فأقول :

حقائق الهندوكية

بقلم الدكتور احسان حقي

كان الناس الى عهد قريب ، لا يتجاوز القرن من الزمن ، يتحدثون عن الهند وكأنهم يتحدثون عن كوكب من الكواكب السماوية او عن بلد خارج كوكبنا . وكان السائحون ، قبل ان يتصل العالم بعضه بالبعض الأخر ، بواسطة السيارات والطائرات والراديو والتلفزيون والاقمار الصناعية التي قضت على المسافات بين البلدان ووضعتها تحت منظار شديد الحساسية ، يكذبون بقدر ما يشاؤون ويعزون الى البلاد التي يزورونها اشياء لا توجد الا في اوهامهم ، او قد يكونون هم انفسهم سمعوها من آخرين فصدقوها من غير تفكير او تمحيص لا سيما وان الناس مولعون بسماع الغريب العجيب من الاقوال وروايته .

واذكر بهذه المناسبة اني سمعت ، وانا طفل ، من جارة لنا يهودية تروي عن عمها ، الذي كان حاخاما وكان يذهب الى الهند لجمع التبرعات للجالية اليهودية ، انه يوجد ، في الهند فيما يوجد من عجائب المخلوقات نبات ـ حيوان شكله شكل انسان قزم لا يتجاوز طوله ٣٠ او ٤٠ سنتيمترا ، وانه لا يجرؤ احد على اقتلاعه من ارضه لأنه حين قلعه يصرخ صوتا شديدا يموت كل من يسمعه ، ولذا فان الهنود يلجأون الى حيلة في قلعه وذلك انهم يربطون هذا النبات الحيواني بطرف حبل ويربطون الطرف الأخر من الحبل بكلاب يجيعونها بضعة ايام ثم يبتعدون عن المكان ويلقون لهذه الكلاب لحما فتثب الكلاب لالتقاطه فتقتلع هذه الاقزام من الارض وتخرج صوتا يميت الكلاب وتصبح هذه الاقزام ايضا خشبا لا حياة فيها . ولست اذكر فيما اذا كانت جارتنا قد ذكرت لنا فائدة هذا النبات الحيواني او لم تذكرها ، ولكني اعتقد ان الذي اخترع هذه القصة لابد الا وان يكون قد اكملها بأن اخترع فائدة لهذا النبات ايضا .



وكان الناس يصدقون مثل هذه السخافات كما كان يلذ للسائحين نقل رواية هذه الاخبار التي يخترعونها او يسمعونها لكي يقال انهم رأوا ما لم يره غيرهم . وخبر السلحفاة التي ظنها المسافرون جزيرة في البحر فنزلوا فوقها وطبخوا طعامهم على ظهرها فلما احست بالنار تحركت فادركوا انهم فوق ظهر حيوان وليس فوق جزيرة فعادوا مسرعين الى سفينتهم واقلعوا .

اعود فاقول ان الحديث عن الهند كان الى زمن قريب اشد غموضا وابهاما من الحديث عن الكواكب في ايامنا هذه ، ولذا فقد نسب الى الهند اشياء كثيرة على غير وجهها ، وعلى الرغم من زوال اكثر تلك الخرافات من الاذهان فان بعضها ما زال عالقا في رؤوس بعض الناس الذين يتأثرون بالدعاية او انهم يقولون : عنز ولو طارت . ولذا فاني ساعرض امام انظار ابناء اللغة العربية صورة شاملة عن هذه البلاد وعن الهندوكية وموطنها الاصلي وتعاليمها وما تفرع عنها من ديانات .

بلاد كثيرة ومختلفة

ان شبه الجزيرة الهندية الباكستانية بلاد واسعة ، مترامية الاطراف ، مختلفة الاجواء والاهواء والنوازع والسكان بحيث يصح ان نطلق عليها اسم قارة ، وان نقسمها الى عشرات المناطق ونجعل من كل منطقة منها قطرا يختلف كل الاختلاف عن سواه . فالفرق بين مناخ الشمال ومناخ الجنوب ومناخ الوسط وكذلك بين مناخي الشرق والغرب ، كبير جدا . واختلاف اهل هذه المناطق بعضهم عن البعض الآخر من حيث الاجسام والسحن والاخلاق والطبائع والعادات والصفات حتى والطعام والشراب والاثاث واللباس لا يقل عن اختلاف المناطق نفسها ، لا بل هو اكبر مما نراه من اختلاف في المناخ والناس بين الفنلنديين والسويديين من سكان شمال اوربا ، من جهة ، وبين الاسبانيين و « الطليان » من سكان جنوبها ، من جهة اخرى . فلو قارنا بين شخص من سكان الحدود الشمالية الهندية الباكستانية وبين شخص من مدراس او كلكته نجد الاول جسما ضخما ، عريض المنكبين ، مفتول الساعدين ، كث اللحية ولونه بين السمرة والبياض ، جاف الطبع ، حاد المزاج ، سريع الانفعال ، بينما نجد الثاني هزيلا ، نحيلا ، قصير القامة ، اثط اللحية ، اسود الجلد او اسمره ، لين العريكة ، سهل الخليقة الى غير ذلك من الاختلاف الظاهر للعيان . ولو اخذنا سنديا وبلوجيا ، وهما جاران ، نجد الاختلاف بينهما كبيرا ايضا . وهناك قبائل في باكستان بيض البشرة ، شعرهم اشقر ، اشبه الناس بالالمان منهم باهل الشرق قريبه وبعيده . ومن البدهي ان يتبع هذا الاختلاف القطري الناشيء عن اختلاف الاصول والمناخ ، اختلاف في الطباع والعادات والاطوار

وبالتالي فان شبه الجزيرة الهندية ـ الباكستانية وان جمعتها ، في القديم ، الوحدة الاسمية فهي في الواقع بلاد كثيرة مختلفة باختلاف اقطارها واصول سكانها ومختلفة باختلاف عقائد اهلها وتفكيرهم ولهجاتهم الكثيرة التي تزيد على خمس مئة لهجة بالاضافة الى ما يزيد على عشر لغات مقروءة مكتوبة ذات آداب رفيعة . وكما ان لفظ (الهند) كان يطلق تجوزا على هذه القارة ، فكذلك حالها من حيث الدين اذ اصطلح الناس ، او العرب على الاقل ، على ان يطلقوا على ديانات الهند اسم : (الديانة البرهمنية) تجوزا او جهلا ، لأن البرهمنية هي فرقة من الديانة الهندوكية وهي احدى الديانات الموجودة في الهند . وهذا ما سأوضحه فيما سيأتي اذ لم يعد من الجائز جهل هذا الواقع .

اضف الى هذا كله ان هذه القارة لم تكن في يوم من الايام بلدا واحدا ولا كانت تحت سيطرة حكومة مركزية واحدة ، بل كانت بلادا كثيرة يحكمها امراء عديدون ولم تجتمع هذه البلاد تحت راية واحدة الا زمن

الامبراطوريات الاسلامية التي حكمت الهند وخاصة الامبراطورية المغولية وزمن الاستعمار الانكليزي ايضا . ومع ذلك فقد كان يوجد في كلا الزمنين امارات شبه مستقلة ، الى جانب الحكومة المركزية ، وكان استقلال هذه البلاد يتسع او يضيق تبعا لهمة اميرها وطموحه ونفاذ شخصيته وماضيه السياسي وقربه من الحكومة المركزية او بعده عنها . وفي زمن الاستعمار الانكليزي كان يوجد في الهند وباكستان ما يزيد على خمس مئة امارة بين صغيرة وكبيرة وكانت اعظمها امارة حيدر آباد ـ دكن ـ التي كانت شبه امبراطورية اذ كانت امارات صغيرة تابعة لها .

فلما تقرر اعطاء شبه الجزيرة استقلالها وتقسيمها الى قسمين : هندوستان وباكستان ، فقد دعيت هذه الامارات الى الاندماج في احدى الدولتين التي هي موجودة فيهاأي ان تنضم الامارات الكائنة في دولة هندوستان الى هندوستان وان تنضم الامارات الموجودة في باكستان الى باكستان . غير ان امارة حيدر آباد ، بالنظر الى اهميتها والى ماضيها وعظمتها ، فقد كان لها شأن آخر وهو ان تبقى مستقلة عن الدولتين او ان تنضم الى احداهما . واما الامارات الواقعة على حدود البلدين فكان لها الخيار ان تنضم الى احداهما فقط ، وكان من البدهي ان تنضم الامارة ذات الاكثرية الهندوكية الى الهند وان تنضم ذات الاكثرية الاسلامية الى باكستان . ولكن حكومة الهند داست على هذا الاتفاق الذي عقدته بمحض رضاها واستولت بقوة السلاح وبسفك الدماء على امارة حيدر آباد وطردت اميرها المسلم وضمتها الى بلادها نهائيا كما انها اعتدت على الامارتين الحدوديتين : جوناكده (١) وكشمير وهما امارتان اسلاميتان وضمت الاولى اليها بقوة السلاح ايضا وارادت ان تضم كشمير فاصطدمت بأهلها المسلمين فلم تستطع ان تستولي عليها كلها بل استولت على ثلاثة ارباعها واعلن الربع الباقي استقلاله تحت اسم : (كشمير الحرة) واحتمى اهله بباكستان . وقد رفعت باكستان ، في حينه ، شكوى الى مجلس الامن لانصاف اهل كشمير المسلمين فتقرر اجراء استفتاء لمعرفة رأي اهل البلاد فرضيت باكستان بذلك ورفضت الهند الانصياع وما زالت الى اليوم ترفض واهل البلاد يئنون ويشتكون دون جدوى .

كنوز تاريخية

وكان الناس حتى سنة ١٩٢٢ يظنون بأن الدراوريين هم اهل الهند الاصليون وانهم امة بدائية تعيش حياة الغابات ولذا فان العلماء لم يعيروهم اي اهتمام ولم يبالوا بدراسة تاريخهم ، ولعلهم لو ارادوا ذلك لما كان لديهم من الوثائق ما يستندون اليه ، ولذا فانهم كانوا يعتبرون استيلاء الآريين ـ الهنادكة ـ على الهند بدء تاريخ هذه البلاد . وكان الهنادكة يروجون هذا الرأي الخاطيء ، وهم يعلمون ، لكي يدعوا البلاد . وظل الامر كذلك الى سنة ١٩٢٢ يوم اكتشفت في احفار وادي السند آثار مدينتين عظيمتين هما : (مهنجودارو) و (هربا) فكشفتا الغطاء عن كنوز تاريخية مجهولة علمنا منها ، فيما علمنا ، ان الدراوريين انفسهم لم يكونوا اهل الهند الاصليين بل كانوا مثل الآريين ، دخلاء عليها ، جاؤوها من الشمال فاستولوا عليها ثم توسعوا في الارض . وبعد ان عمروا البلاد حينا من الدهر تلاشوا باستيلاءالآريين عليها . وعلمنا أيضا بأن الدراوريين لم يكونوا امة بدائية بل كانوا على جانب عظيم من المدنية والحضارة وقد عاصروا مدنيتي العراق ومصر وفاقت مدنيتهم مدنية الآريين الذين جاؤوا بعد الدراوريين . وعلمنا فوق ذلك كله ان الدراوريين قد فروا امام الآريين كما فراهل البلاد الاصليون ، من قبل ، امام الدراوريين . وكانت وجهة الفريقين الجنوب اذ كان كلما تقدم الفاتح نحو الجنوب فر المغلوب امامه ، وان احفاد هؤلاء واولئك ما زالوا موجودين في الجنوب الهندي الى اليوم . ويرجع العلماء بأن سكان الهند الاصليين يرجعون الى اصول سكان سوماطرا واستراليا وسيلان التي تسمى اليوم : (سري لنكا) وهم قصار القد عريضو الانف ، سود البشرة ، والموجودون منهم اليوم ما زالوا يتكلمون لهجاتهم التي ترجع في اصولها الى اصول لغات سكان جزر المحيط الهادىء والمحيط الهندي . ويعزى وجود هؤلاء الناس في الهند الى سببين اما لأن هذه الجزر كانت متصلة بشبه الجزيرة الهندية ثم انفصلت عنها او انهم هاجروا اليها لسبب من اسباب الحياة . ويبدو بأن اهل البلاد الاصليين كانوا يعيشون حياة بدائية بدليل انهم ما زالوا الى الآن يعيشون حياة بدائية .

وحيث ان غزاة الهند كانوا يأتونها ، دائما ، من الشمال ولذا فان المقيمين فيها كانوا يفرون الى الجنوب وقد فر السكان الاصليون امام الدراوريين وفر الدراوريون امام الآريين ويبدو ان فرار المغلوب امام الغالب لم يكن له غير سبب واحد وهو ما كان يعانيه المغلوب من ظلم الغالب واستعباده اياه واستبداده به فيفر من يستطيع الفرار بكرامته ، ولا ارى سببا لفرار المغلوب غير ذلك لأن الناس في الازمان الماضية ، يوم لم

يكن للوطنية والقومية مفهومها الضيق ، ولم تكن العادات والمذاهب والاديان تحول دون اندماج الغالب بالمغلوب وتعاونهما معا واخذ الغالب عن المغلوب حتى دينه وآلهته وبالعكس . اقول يوم كانت الحال كما ذكرنا لم يكن ما يدعو اهل البلاد الى مغادرة بلادهم بسبب استيلاء قوم غرباء عليهم لأنهم لم يكونوا يخسرون شيئا . ففرار اهل الهند الاصليين امام الدراوريين وفرار هؤلاء امام الآريين ليس له من سبب وجيه ، في نظري ، الا ظلم الغالب للمغلوب واسترقاقه .

واذا كان قد ثبت الآن بأن اهل الهند لم يكونوا على شيء من المدنية والحضارة فقد ثبت العكس بشأن الدراوريين اذ ظهر في احفار السند ان القوم كانوا على منزلة رفيعة من المدنية والرقي بالنسبة الى زمنهم اذ وجدت عندهم آلات للنسج وادوات منزلية واوان فخارية واسلحة حديدية ومركبات وجواهر واحجار كريمة مصقولة وتماثيل اناس وحيوانات كما وجدت حبوب حنطة وشعير . ووجد في المدينتين قنوات للمياه النقية واخريات للمياه القذرة ووجدت حمامات عامة واسواق . ولعل من اعظم ما وجد في هذه الاحفار ان كل دار كانت تحوي حماما خاصا بيتا لم تكن اوربا تعرف ذلك حتى القرن التاسع عشر ولم تعرف الحمامات العامة الا بعد الحروب الصليبية ، اي بعد ان رأى الصليبيون الحمامات في الشرق فعملوا مثلها ولكن على نطاق ضيق جدا .

ووجد في المنازل عظام حيوانات وفلوس اسماك متنوعة . ودلت التماثيل التي وجدت على نوع اللباس الذي كان القوم يلبسونه وهو شبيه باللباس الهندي الحالي . وكان هذا اللباس يصنع من الحرير ومن الصوف . وكان القطن معروفا في البلاد . وكان الناس رجالا ونساء يتحلون بمختلف انواع الحلي كما هي حالهم اليوم .

ولا نعرف بالتأكيد متى استولى الدراوريون على الهند ، ولكننا نستطيع بالقرينة ان نقول انهم استولوا عليها في نهاية الالف السابعة قبل الميلاد وذلك على اعتبار ان مدينتهم دامت نحو ثلاثة آلاف سنة قبل مجيء الآريين ، والآريون جاؤوا البلاد في الالف الثانية قبل الميلاد .

هذا ما كان قبل استيلاء الآريين ـ الهناركة ـ على الهند ويرجح العلماء بأن استيلاء هؤلاء القوم على الهند كان في بداية الالف الثانية قبل الميلاد . وقد نزل بالدراوريين من جراء الغزو الآري ما كان نزل ، من قبل ، بسكان البلاد الاصليين من جزء الغزو الدراوري ، اذ فر فريق من وجه الفاتحين الى الجنوب وبقي آخرون فانصهروا في الآريين ولكن هؤلاء لم يقبلوهم في حظيرتهم اخوانا واندادا بل اتخذوهم عبيدا وخولا وكان ذلك بدء ظهور الطبقات .

وقد اختلف العلماء في تعيين اصل الآريين الذين سموهم ايضا بالهنود الجرمانيين ، كما اختلفوا في تعيين البلاد التي انبعثوا منها ، فقال قائلون انهم من آسيا الصغرى ـ تركيا ـ او من اواسط آسيا ، وقال غيرهم بل هم من سكان اوربا الشرقية وخاصة المجر والنمسا ، رحلوا من بلادهم في سبيل العيش واتجهوا نحو الشرق فاقام فريق في ايران وتقدم آخرون الى الهند فاستولوا على شمالها واستوطنوه .

ولما كان الآريون هم الذين كتبوا تاريخ الهند في صورة كتب دينية ، فقد تعمدوا الحط من اقدار الدراوريين ونبذوهم بحيث ظنهم المتأخرون امة متوحشة فاهملوهم ، ولولا العثور ، في احفار السند ، على الحلقة المفقودة من تاريخ الهند ، لظل الناس على ظنهم . وقد فعل الآريون في الهند ما فعله الرومان ، من بعدهم ، في افريقيا الشمالية اذ انهم لما وجدوا انفسهم امام اناس سود البشرة او سمرها ، ترفعوا عنهم وسموا انفسهم : (آريا) اى المختار ، وسموا اهل البلاد المفتوحة : (ويسو) اى السمر ، كما سمى الرومان بعد ذلك الاقوام الافريقية : (بربر) وسمى العرب غيرهم بالاعاجم .

وجهة نظر في الابقار

واذا كان نبذ العرب والرومان اعداءهم بهذه الالقاب ظل على مرور الزمن في نطاق التاريخ واللغة فقط من غير ان يفيد معناه الاصلي ، فان نبذ الآريين اعداءهم بما نبذوهم قد تعدى حدود اللغة وبقي ، على الزمن غلا في اعناق المغلوبين اذ انقلبت هذه الفكرة السياسية او الاجتماعية الى عقيدة دينية قامت عليها الديانة الهندوكية ـ ديانة الطبقات والتقاليد .

ولعل هذه المعاملة هي التي جعلت كثيرا من اهل

(١) هكذا تكتب هذه الهاء في آخر الكلمة لكي تلفظ هي والحرف الذي قبلها حرفا واحدا .

البلاد يفرون من وجه الفاتحين ويلتجئون الى الجنوب دفعا لأذى الآريين وتعصبهم اذ انزلوهم منزلة الرقيق بيتا لم تكن لهم عليهم اية مزية يمتازون بها الا كونهم الغالبين او المعتدين .

كان الآريون مثل غيرهم من الاقوام البدائية ، يعبدون الارض والسماء والشمس والقمر والنهر والشجر والنار والهواء وغيرها من مظاهر الكون وكانوا يصنعون تماثيل لحيوانات يعبدونها ، ولا سيما البقر وهم ما زالوا كذلك الى اليوم . والهنادكة لا يقدسون الحياة ، كما جاء في كلمة الأخ الدكتور ابو ريدة ، بل يقدسون البقر ويعبدونها . ولو كانوا يقدسون الحياة لكانوا اطلقوا تقديسهم لحياة جميع المخلوقات ولا سيما لحياة الانسان ، الذي هو اشرف مخلوق ، ولم يكونوا يختصون بالتقديس البقر دون غيرها ولما كانوا يقتلون . والى اليوم آلافا من الناس اذا ما ذبح غير هندوكي بقرة ليأكلها . وما زالت السائبة ، التي عرفتها الجاهلية ، موجودة في الهند الى اليوم وان اول منظر يقفز امام عيون السائحين ، في الهند هو البقر السائب في الطرقات والاسواق في المدن الكبيرة والصغيرة بالاضافة الى منظر الفقراء المشعوذين والحواة .

والهنادك يؤمنون بالتناسخ سبيلا للنجاة الابدية ، وبالتناسخ يرتقي المرء الى درجة ارفع من درجته أو ينحدر الى درجة دونها . فالمرء في الهندوكية يخلق في طبقة معينة من الطبقات الكثيرة وذلك نتيجة لاعماله السابقة في الحياة الدنيا السالفة وباعماله اما ان يرتقي حتى يندمج بالأله او يتدنى حتى يصبح حيوانا او حشرة او حتى جمادا . وفناء العالم ، او ما يسمى في بعض الاديان بيوم القيامة يكون حينما تندمج جميع المخلوقات من حيوان وجماد في الله كما جاء في منو سمرتي اذ يقول : متى اندمجت كل المخلوقات بالروح الاعظم ، مبعث المخلوقات كلها ، حينذاك ينام الروح الاعظم ويتخلص من التفكير والعمل (٢) .

ويقسم الهنادكة انفسهم الى اربع طبقات رئيسية هي : برهمن ، كشتري ، ويش ثم شودر . ويقولون ان الله خلق البراهمة من رأسه ، وخلق الكشتريين من ذراعيه وخلق الويش من فخذيه وخلق الشودر من قدميه ، وبالاضافة الى هذه الفرق الاربع الرئيسية هناك فرق كثيرة دونها لا تعد .

قلنا ان الهنادكة جازوا الهند فوجدوا فيها قوما ذوي مدنية وحضارة فاقتبسوا منهم مدنيتهم وادعوها لانفسهم وحيث ان الصلات التجارية والسياحية كانت مستمرة بين الهند والشرق الادنى ولا سيما العراق فقد نقلوا الى الهند ما كان في العراق من مدنية كما نقلوا اليها فن الكتابة وكتبوا كتبا كثيرة كانت في بداية امرها عبارة عن كتب تاريخ فاصبحت ، بعد ذلك ، كتبا دينية . واول ما كتبوا كتابا اسمه (ركويد) اي العلم الاقدس ، ثم كتبوا كتبا ثلاثة عرفت باسم (ويد) مضافا اليها صفة تدل على نوع الغاية التي كتب الويد لأجلها وهذه الكتب هي : يجرويد ، سام ويد ، وأتهرويد ، ثم اضافوا كتابا خاصا بمقام الويد يعرف باسم (بران) ثم كتبوا كتبا كثيرة غير هذه منها كتاب (ابنشد) وهو تفسير للويد . وقد كثرت هذه الكتب التي اعطوها صبغة دينية بحيث لم يعد باستطاعة حتى اهل الاختصاص ، بله عامة الناس ، الاطلاع عليها ناهيكم عن ان يحيطوا بها علما ، فقام فريق من علمائهم ، في القرن السادس قبل الميلاد ، وكتبوا كتابا جمعوا فيه كل ما يحتاجون اليه في امور حياتهم من تشريع وسموه منو سمرتي اي تشريع منو .

ومنو هذا هو ما نستطيع ان نسميه باله الزمن وذلك لأن الهنادكة يعتقدون بأن دورة العالم الاخيرة تتم بعد مجيء اربعة عشر منو لكل واحد منهم ، زمن موقوت ، يكون فيه الاله الفرد المتصرف بهذا الكون .

ويقسم كل زمن منو الى واحد وسبعين دورا . ويزعم الهنادكة ان هذا الزمن الذي نحن فيه هو دور السابع والعشرين ، من زمن منو السابع . اعني ان العالم الآن في نحو نصف الطريق بين البدء والفناء . ويزعمون ايضا ان زمن كل منو هو (٨٥٢,٠٠٠) سنة قدسية او الهية اي (٣٠٦,٧٢٠,٠٠٠) سنة شمسية من سني دهرنا ، وذلك على اعتبار ان كل سنة قدسية تعدل ٣٦٠ سنة شمسية . وان زمن الاربعة عشر منو تعدل يوما واحدا من ايام برهما .

ثلاثة آلهه وليس واحدا

والهنادكة ليسو بموحدين ، كما جاء في كلمة الدكتور أبو ريدة ، بل هم يؤمنون بثلاثة آلهة رؤساء وهم :

---

(٢) راجع الباب الاول الفقرة ٥٤ .

(٣) راجع الباب الاول الفقرات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ،

(برهما) ، (وشنو) ، و (مهيش) ويقولون ان الاول يخلق الكائنات والثاني يربيها ويتعهدها والثالث يهلكها ويبيدها . وفوق هؤلاء الالهة يؤمنون بأله اعظم يسمونه (برماتما) اي الروح الاعظم . فهم بهذه العقيدة يكونون قد زادوا على الثالوث المسيحي آلها اعظم ويكونون قد زادوا على آلهي المجوس ، الذين يعتقدون بالهين واحد للخير وآخر للشر ، الها ثالثا يتعهد ويربي المخلوقات . وليس هذا كل ما عند الهناذكة من آلهة بل عندهم آلهة لا تعد ولا تحصى .

ولا يعتقد الهناذكة بأن الويد وحي من الله ، كما جاء في كلمة الدكتور ابو ريدة نقلا عن البيروني ، بل انهم لا يعتقدون بالوحي اصلا . وان ما قاله البيروني انما قاله بالقياس على العقيدة الاسلامية . فالهناذكة لا يعتقدون بالوحي لأنهم لا يعتقدون بالنبوة بل يرون ان الانسان يكون انسانا كما يكون الها في وقت واحد ولذلك فانا نرى الآلهة عندهم كثيرة بينما لا نرى ذكرا لنبي ويؤيد هذا ما جاء في منو سمرتي قوله : (بينما كان منو جالسا بكل اطمئنان ويقظة ، جاءه كبار الاحبار فسلموا عليه باحترام وسألوه قائلين : انبئنا ، ايها العظيم الاقدس بواجبات الفرق الحرة والهجناء ، لأنك انت وحدك ، ايها العظيم تعلم الطقوس الشرعية وعلم الروح واحكام الأله ، واجب الوجود ، الخفية التي لا تدرك . فلما سأل الاحبار العظام هذه الذات القديرة التي لا حدود لسلطانها ، ما سألوه ، رد منو عليهم السلام وقال اسمعوا [٣]

وهنا اخذ يوضح كيف ان برماتما خلق برهما ، ثم ان برهما خلق الآلهة العاملة ثم خلق منو ذاته ثم ان منو خلق العالم وخلق عشرة آلهة وخلقا كثيرا .

هذه نظرة خاطفة عن الهندوكية وهي تشبه في تشريعها واحكامها الخاصة والعامة الديانة اليهودية كل الشبه وان من يقرأ منو سمرتي ويقرأ التوراة لا يشك بأن مصدر الاثنين واحد لا بل فان من يرجع الى تاريخ اليهودية والهندوكية يجد بينهما من القرب ما يجعله يوقن بوحدة المصدر .

اما الديانات التي انبثقت عن الديانة الهندوكية فهي : البوذية ، الجينية ثم السيكهية .

اما الديانة الجينية والديانة البوذية فقد ظهرتا في وقت متقارب في القرن الخامس قبل الميلاد ، والجينية هي مغالاة في الهندوكية اذ ان الجين لم يقتنعوا بما عند الهناذكة من آلهة كثيرة بل اعتبروا ان لكل مخلوق في هذه الحياة روحا حتى الجماد وحرموا على انفسهم قتل الروح مهما كان صاحبه ، وأتباع هذا الدين يعدون بضعة ملايين في الهند وهم يتورعون عن قتل كل ذي روح حتى الحشرات ولذا فانهم كانوا ، وما زال المتزمتون منهم ، يضعون على افواههم وانوفهم كمامات اذا ما خرجوا في الطرقات لكي لا يدخلها بعوض او ذباب فتموت فيرتكبوا بموتها اثما .

واما البوذية فهي ردة فعل للهندوكية اذ ان مؤسسها كوتاما وهو هندوكي النشأة انكر وجود كثرة الآلهة في الهندوكية فاعتزلها واخذ يفكر في الحياة فهداه تفكيره الى ان الحياة ، في حد ذاتها ، الم وان هذا الالم ينشأ عن حرص الانسان فتحرر الانسان من هذا الحرص يكسبه السعادة الابدية فهو انكر وجود الروح بته وانكار الروح معناه انكار الآلهة عند الهناذكة لأن ارواح المخلوقات مستمدة من الروح الاعظم . ويقوم دين كوتاما ، الذي لقب بلقب بودها اي الحكيم وحرف العرب هذا اللقب وقالوا بوذا ، على امور اخلاقية ولكن اتباعه بعد موته ألهوه وقالوا انه كان يؤمن بأله ، وانتقلت البوذية من الهند الى الصين واليابان ويبلغ عدد اتباعها اليوم ما لايقل عن ٦٠٠ مليون نسمة .

والدين الثالث الذي انبثق عن الهندوكية هو دين السيكه ، الذي يكتبه العرب (سيخ لأنهم نقلوه عن الاجانب الذين يكتبونه SIKH بينما هذه ال KH او الكاف والهاء هي حرف واحد يلفظ بسكون الكاف وسكون الهاء ايضا . واصحاب هذا الدين يختلفون في الفروع والاصول عن الهناذكة ولكنهم يجتمعون معهم بعبادة البقر وتقديسها وهم بضعة ملايين في الهند ويمتازون عن باقي الهناذكة بامور كثيرة اظهرها انهم يرسلون شعر رؤوسهم وكل شعر ينبت على ابدانهم منذ الولادة والى الموت . ومؤسس هذا الدين رجل من البنجاب اسمه (بابا نانك) اختلف في دينه فقال قائلون انه مسلم واراد ان يقرب الهناذكة من المسلمين فاوجد فرقة معادية للاسلام والمسلمين ، ويقول آخرون انه هندوكي ولكنه كان ينكر على الهناذكة اعتقاداتهم فاراد اصلاحها فكان ما كان . وقد ظهر هذا الدين في القرن السادس عشر الميلادي .

هذه لمحة خاطفة عن الهند واديانها الوثنية نكتفي بها لأن الافاضة في هذا الموضوع تحتاج الى عشرات المقالات ونحن نعمل بالقول القائل : ما لا يدرك كله لا يترك قله .

دمشق ـ د . احسان حقي

غارباج

المدينة والموت

مسرحية تزعج المؤسسات الصهيونية في العالم

بقلم : محمد الظاهر

❋ اصحيح انني انا اليهودي الذي يجب عليه ان ينتقم من هؤلاء الاذلاء ؟

نعم ، لكن يجب ان يكون ذلك بطريقة معينة ، طريقة مناسبة جدا .

❋ سأشترى المنازل القديمة في هذه المدينة واهدمها ، وابني بدلا منها بيوتا جديدة لابيعها بفائدة عظيمة . المدينة ستحميني بل يجب عليها ذلك ، ولكوني يهوديا فلن اهتم لصرخات الاطفال والآلام العجزة والكبار من الناس .

❋ آه .. لقد امتصنا ذلك اليهودي النذل حتى الرمق الأخير ، لقد شرب من دمنا ووضعنا على الطريق الخاطيء ... لانه يهودي ولاننا يجب علينا ان نكفر عن ذنوبنا ، لقد كانت غلطته هو ، ومع ذلك اوجد عندنا عقدة الشعور بالذنب .

❋ لو انه بقي حيث اتى ، او حتى لو مات في افران الغاز ، لكان بمقدوري ان انام هانئا هذه الايام .

هذه المقتطفات ، تبدو وكأنها اخذت من احد المنشورات النازية عام ١٩٣٠ ، ولكنها على العكس من ذلك ، لاتمت الى تلك الفترة بصلة ، فما هي الا فقرات صغيرة من مسرحية المانية معاصرة باسم « غارباج .. المدينة والموت » ، وغارباج هو اسم المدينة التي يقيم فيها ذلك اليهودي الشري ، والتي تتعرض لها هذه المسرحية وغارباج تعني « النفايات » .

خوض في المحظور

اما مؤلف هذه المسرحية ، فهو كاتب الماني طليعي ، في الثلاثين من العمر يدعى « رينر فاسيندر » ، وهو من الع الشباب العاملين في مجال المسرح والسينما الالمانيين ، فقد انتج واخرج حوالي ثلاثين فيلما ، تصور الكثير من القضايا التي يعاني منها المجتمع الالماني الغربي .

ولقد اثار صدور هذه المسرحية موجة عارمة من الحملات النقدية والتحريضية ما زالت تدور على الساحة الألمانية منذ فترة ليست بالقصيرة ، ذلك ان المسرحية تتعرض لقضية كانت ولا تزال من المحرمات ، التي يحرم على رجل الشارع تناولها او حتى مجرد التفكير فيها ، او الهمس بها لصديقه ، فهي قضية مبتوت بها ، ولعنة لا بد من تحملها .

المؤسسات الصهيونية الالتفاف من حولها ، وايقاعها في شركها لما لتلك الشخصيات من اهمية ، وحجة واقناع في ذلك المجتمع .



ريتر فاسبندر
مؤلف المسرحية

اما القضية فهي قضية اليهود وامتيازاتهم في المانيا الغربية ، بل وفي معظم اقطار العالم الغربي ، تلك القضية التي روجت لها الدعاية الصهيونية وفرضتها بوسائلها المختلفة ، وبتهديداتها المباشرة ، اذا لم تجد وسائل الاقناع .

ولكون هذه المسرحية تشكل تحديا لاعقد المسائل السياسية في المجتمع الغربي بل ، ولكونها تحديا للمؤسسات الصهيونية المتنفذة في المانيا وسائر الدول الرأسمالية فلا بد ان تجند كافة الوسائل والطاقات ، بل واللجوء للتهديد ، من اجل ايقاف لعنتها المدمرة .

ولعل اول المسائل العملية التي اتخذت بحق الكاتب والمسرحية ، هي وقف القرض الحكومي الذي كان سيمول به افلامه الجديدة ، وتوقف الناشر عن توزيع نسخ المسرحية للمكتبات ، خوفا من سوء الفهم ، والعواقب المتوقعة وغير المتوقعة .

اما الحملات الاعلامية التي لم تتوقف ، فقد شملت الاذاعة والتلفزيون والصحافة وكافة المؤسسات الاعلامية ، وشملت ايضا العديد من الشخصيات ذات الثقل الاجتماعي والفكري في المانيا ، حيث استطاعت

اللعنة تطارده

وقد كان يواكيم فست ، مؤلف كتاب سيرة هتلر ، اول من وقع في هذا الشرك وقد ركزت الصهيونية عليه ، لتظهر للرأي العام الالماني ، وجهة نظر انسان يؤلف عن النازية ، ويحكي قصتها ، ويسرد تاريخها ، لانه حسب رأيها اكثر الناس اطلاعا على الظروف السياسية والاجتماعية في المانيا الغربية ، وادرى الناس باضطهاد اليهود الذي تتاجر به الصهيونية .

يقول يواكيم فست :

« فاسبندر عاص وقذر ، وهو معاد للسامية ، من وجهة نظر يسارية »

ويذهب فست الى ابعد من ذلك حين يقول :

« فاسبندر واحد من الجيل الجديد الذي يحاول بث الرعب في المدينة بويضيف :

«في بيت الجلاد يحلو للاطفال ان يثرثروا حول حبال المشنقة »

اما جين امرى ، الكاتب اليهودي الذي تعرض للاضطهاد النازي في بداية حياته فيقول :

« لم يكن فاسبندر ضد السامية فحسب ، بل كان وما يزال اسوأ كاتب مسرحي على الاطلاق ، فقد اغفل كل الجوانب السيكولوجية والفلسفية والتاريخية ، حين تعرض لهذه المسألة الحساسة . »

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فقد قام المؤلف يسانده العديد من الكتاب الطليعيين في المانيا الغربية بالتصدي لهذه الحملة واحباطها ، والرد عليها بعنف .

يقول فاسبندر في لقاء له مع صحيفة « دي تسايت » الاسبوعية الصادرة في هامبورج مكذبا كل الادعاءات والمزاعم المثارة :

« هذه المسرحية تعتمد اعتمادا مباشرا على رواية « جيرهارد زفيرنر » ، « الارض غير مأهولة كالقمر » الصادرة عام ١٩٧٣ . وهي رد فعل عفوي وبسيط للواقع الحاصل فعليا في فرانكفورت ، وانا مقتنع ان الحقيقة يجب الا تكبتها التقاليد الوطنية المعقدة . »

ويضيف :

« اعتقد ان بعث مثل هذا الشعور في عزلة اليهود ، هو الذي ادى الى الحقد عليهم ، عندما كنت اقابل يهوديا ، كان ابي يهمس لي من خلف راحة اليد : هذا يهودي احترمه ، وتعامل معه بلطف ، ولم اعتقد ان هذا هو الموقف الصحيح »

ويقول في نهاية اللقاء :

« انني مصمم على ان يكون الكاتب حرا في توظيف كل المخاطر والقضايا الحساسة في اعماله ، واذا لم يسمح لي ان افعل ذلك فلن يسمح لي ان افعل اي شيء »

اما « زفيرنر » مؤلف كتاب « الارض غير مأهولة كالقمر » الذي اعتمد عليه فاسبندر في كتابة مسرحيته فقد قال :

« ما بين اواخر الستينات واوائل السبعينات كانت الاحتكارات التجارية في اوجها في مدينة فرانكفورت . المدينة ذات العلاقة بالرواية والمسرحية ، وهذا يؤكد حقيقة الشخصية وواقعيتها . »

اما « هنز براندت » اليهودي الذي دخل معسكرات الاعتقال في عهد النازية والمطلع على معظم التطورات الحاصلة في مدينة فرانكفورت فيقول :

« البطل في هذه المسرحية واقعي ونموذجي »

اما احد محرري « دي تسايت » فقد كتب يقول :

« اذا استطاع فاسبندر ازالة سوء الفهم الواضح فانه سيتفادى مسألة الموضوع »

الواقع كاملا ..

ونعود للمسرحية ، فهي تحكي كما توضح المقتطفات الواردة في بداية هذه المقالة قصة يهودي ثري ، قام بشراء المساكن الشعبية القديمة في المدينة ، وهدمها وقام ببناء عمارات جديدة ، واستغلها اسوأ استغلال .

والذي يقلق النقاد حول هذه المسرحية ، ان فاسبندر لم يعرض للحقائق فقط بل تعامل مع الواقع بلا حساسية .

هذه المسرحية التي ازعجت المؤسسات الصهيونية في العالم ، والتي ردت عليها مجلة « تايم » بهستيرية تامة حين كتبت تقول :

« لا يوجد الماني حقيقي وأصيل يعتقد في هذه الايام ان اليهود حقيرين وخسيسين »

هذه المسرحية تعلن ان المانيا التي ظلت تنوء تحت وطأة اشباح المؤسسات الصهيونية والرأسمالية ، سترتاح في يوم من الايام ، وان الشباب الالماني الغربي بدأ يدرك زيف الواقع الذي يعيش فيه ، ويدرك بالتالي ان كافة المزاعم التي تحولت الى حقائق واقعة بفعل ضغط المؤسسات الصهيونية ، ما هي الا اباطيل مردودة ، وان الخطأ فيها يعود على اصحابها لا على كاهل شعب باكمله .

ان عقدة الذنب التي رسختها الدوائر الصهيونية في نفسية الانسان الالماني لم يعد لها اي اثر في نفسية الشباب الالماني الذي يجاهد ويناضل من اجل القضاء عليها وعلى كافة التقاليد والمزاعم الزائفة .

ومع ان عمليات الارهاب ما زالت على اشدها ضد حركات الشباب كما تقول « تايم » فان هذا الجيل الذي يعلن عن المستقبل المشرق لالمانيا الاتحادية سينتصر في النهاية وسيقضي على كافة الرواسب العالقة بالمعطف الغربي . ■■

عمان ـ محمد الظاهر

رابطة الكتاب الاردنيين

الدين والمخدرات

جاء في كتب الفقه : « ويحرم اكل البنج والحشيش والافيون ، لانها مفسدة للعقل وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، ويجب تعزيز آكلها بما يردعه وقال ابن تيمية : « ان فيها من المفاسد ما ليس في الخمر ، فهي بالتحريم اولى ، ومن استحلها وزعم انها حلال فانه يستتاب ، فان تاب والا قتل مرتدا ، لا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين » .

ماذا فعلنا لصد خطر التلوث ؟

بقلم : طالب عمران

لا تزال قضية تلوث الجو للمدن بالابخرة والغازات والدخان المنبعث من محركات السيارات ومكنات المصانع ، وتلوث المياه في البحار والمحيطات والانهار والآبار الجوفية ، تشغل حيزا كبيرا من اهتمام علماء البيئة ، فقد توصلوا مؤخرا الى نتائج مرعبة لها عواقب وخيمة فيما اذا استمرت نسبة التلوث بالصعود والزيادة ... وهو أمر يجب ان نتنبه اليه قبل فوات الاوان ، والبلاد العربية يعيش اكثرها على ابواب هذه المرحلة الخطرة .

فمن بين ـ ٢٦٠ ـ الف طن من الغازات في الابخرة الموجودة في جو المدن ـ حاليا ـ نجد ٢٠٠ الف طن من اوكسيد الفحم و ١٨ الف طن من اوكسيد الأزوت و ٦٠٠ طن من الرصاص الذي ثبت انه مادة سامة . وقد حددت الدراسات نسبة معينة من هذه الغازات يستطيع الجسم البشري ان يتحملها وهي ٠،٠٦ من مليون في الساعة الواحدة ...

في لوس انجلس في الولايات المتحدة بلغت نسبة حدة الغازات ٥،٣ من مليون في الساعة ويعتقد عدد كبير من الاخصائيين انه ينبغي التقليل من نسبة خطر هذه الغازات ، مثل تجريد البنزين من الرصاص وليست هذه العملية بمستحيلة ولكنها باهظة النفقات .

ان كارثة بلدة ـ سيفيسو ـ الايطالية التي وقعت في عام ١٩٧٦ قد دفعت عدة حكومات لتبنى اجراءات شديدة لمراقبة سمية بعض العناصر في الجو الا ان الاجراءات جاءت عامة وغير كافية ، ولم يتخذ حتى الان في ميدان ـ البيولوجيا الذرية ـ اي قرار نهائي يتعلق بالحد من التجارب الذرية منعا لتلوث الجو ، ولا يزال الجدل مستمرا في مختلف الاوساط حول تلك القضية الهامة . ان تلوث الجو او تلوث المياه من الميسور مكافحته بالنسبة للعلم الحديث ، ولكن الكلفة كبيرة ، وهذا ما يجعل الكثيرين يعتقدون ان قضية التلوث لا تحل الا بنشوء صناعة جديدة مربحة اسمها ـ صناعة مكافحة التلوث ..

ان ديدان الاسكاريس ـ كما هو معلوم ـ تنتقل من البيئة الى الانسان دون وسيط حيواني ـ كما في حالة الدودة الوحيدة ـ فتنتقل بويضاتها مباشرة عن طريق المياه الملوثة والفواكه والخضار وهذا النوع من الديدان ينتشر في مناطق الانهار .. وخطرها على الصحة العامة يتجلى في كونها تتكاثر داخل الجهاز الهضمي للانسان بحيث يصل تعدادها في الشخص الواحد الى ٣٠٠ دودة ، وهي تسبب امراضا هضمية وعصبية كفقر الدم والتهاب المرارة والزائدة الدودية وانسداد او انثقاب الامعاء والتهاب البريتون والتهاب الكبد الذي يؤدي الى البرقان فالموت ... والمصابون بفقر الدم من العمال والفلاحين يضعف انتاجهم ويزداد استهلاكهم على حساب دخلهم المحدود وهذا ما يؤثر على الانتاج فيضعفه ... لسنا في مجال الحديث عن اخطار الاصابة بالاسكاريس على الانسان لانها عديدة وانما يهمنا اخذ الجانب الخطر من

مسبباتها كتلوث المياه ببويضاتها ... لذا فتصفية المياه وتنقيتها بالطرق العلمية والانتباه لركام الاوساخ والفضلات الملقاة في الانهار .. امر ضروري .

كما ان تنظيم مرور الشاحنات التي تنشر خلفها سحبا من الابخرة البترولية التي تحوي الرصاص ـ وهو مادة سرطانية ـ ضمن شوارع خاصة منعزلة عن الاحياء المزدحمة الفقيرة ، هو ايضا من الامور الملحة للحد من ـ بعبع ـ الرعب المسيطر على الشوارع من الازدحام بالشاحنات الضخمة والسيارات الفارهة والشاحنات الصغيرة .

التحرك السريع مطلوب

لقد استطاعت البحوث العلمية المتطورة ان توظف انجازاتها في الافادة من كل العناصر والمركبات التي تبدو عديمة القيمة ، فحتى الفضلات والنفايات التي تخرج من الانسان والحيوان او من المصانع الكبيرة والمعامل على اختلاف انواعها ، اصبح بالامكان الاستفادة منها بشكل مباشر وتحويلها الى طاقات توظف من جديد في مجالات الحياة والبناء بدلا من هدرها .....

لقد ابتكر علماء الكيمياء والبيولوجيا منذ سنوات نظاما خاصا لتحليل البول وتحويله الى ماء صالح للشرب ، في معظم المدن الامريكية الفقيرة بمصادر المياه .. وهذا ما افاد رواد الفضاء ـ ابان رحلاتهم الى القمر ـ في الاطمئنان الى مخزونهم من مياه الشرب ، وتكرار عملية التحليل لعدة مرات متتالية .... كما ان الغازات الناتجة عن عملية الزفير تنقى من جديد ليتنفسها رائد الفضاء دون ان يشكو من نقصان الاوكسجين بوجود مثل هذه الاجهزة المتطورة .

والقمامة والفضلات والنفايات المجمعة خارج المدن ، اصبحت هي الاخرى ذات فائدة ، تصنع منها المواد البلاستيكية والاسمدة والوقود والمواد القابلة للاشتعال او حتى المواد البروتينية المفيدة في التغذية .

وكما استخدم الفلاح في الريف روث البهائم في تسميد الارض لمضاعفة انتاجها الزراعي ، استخدم علماء التكنولوجيا هذا الروث كوقود لمحركات سيارات خاصة تسير بسرعة تقارب ـ المائة ميل ـ في الساعة .....

وقد نشر في فرنسا ، ان الغبار الناتج عن مصانع الفولاذ في اوروبا والذي يقدر سنويا بثلاثة ملايين طن ، يحتوي على توتيه ورصاص بنسبة كبيرة .. فمن بين هذه الملايين الثلاثة من الغبار يوجد (١٥٠) الف طن من التوتياء و ٢٦ ألف طن من الرصاص ... وتتضافر حاليا جهود علماء البيئة والاقتصاد على الافادة من هذا الكنز الذي يضيع هدرا عن طريق الدخان المتصاعد من تلك المصانع ... وتشجع دول السوق الاوروبية المشتركة هذه الابحاث .....

لقد نجح المهندسون الفرنسيون في فصل ذرات ذلك النوع من الغبار حسب احجامها ، حيث تكون ذرات الغبار الصغيرة اغنى من الكبيرة بمعدن الرصاص والتوتياء .... كما توصلت شركة المانية الى اعداد أفران تقطير خاصة لمعالجة نفايات المصانع .

الصحافة ... قبل الميلاد

ثبت من فحص بعض اوراق البردي المحفوظة في متحف اللوفر بباريس ان الفراعنة كانوا اسبق الناس الى الصحافة . فبين هذه الاوراق صفحات انتقادية كانت تصدر في سنة ١٧٥٠ قبل الميلاد . وكان لدى اهل بابل سجلات يثبتون فيها الحوادث العامة يوما بعد يوم . كما كان الرومان يصدرون صفحات يلصقونها على الجدران وابواب المتاجر كالاعلانات .. متضمنة آخر الانباء ، وبعض القصص والمعلومات العامة ..

من القاهرة :

.. وعام دولي للشيخوخة

بقلم : يوسف الشاروني

بعد الاحتفال بالعام الدولي للطفولة ، يجب ان ننتبه الى ان هناك مرحلة من مراحل العمر الانساني ما تزال بعيدة عن دائرة الاهتمام مع اننا اليها جميعا سائرون وصائرون اذا أمد الله في اعمارنا ، تلك هي مرحلة الشيخوخة . ولعل السبب الأساسي لعدم الاهتمام بهذه المرحلة في ذلك العصر المادي الذي نعيش فيه هو انها لا تقدم عائدا اقتصاديا كما هو الحال في مرحلتي الطفولة والشباب ، بل انها على العكس من ذلك تمثل استهلاكا اقتصاديا لمعظم الحالات . ومن ناحية أخرى فان النظام العشائري السابق والشبيه بالعشائري قد يكون له جيوب في بعض المناطق الريفية حتى اليوم ، كان يعطي لكبار السن مكانتهم ويحفظ لهم هيبتهم ويجعل منهم مرجع افراد الأسرة والحكم في منازعاتهم ، ولهم الصدارة في أفراح الاسرة واحزانها . اما نظام الاسرة الحالي لضيق المكان وانشغال المرأة بالعمل الخارجي وغلاء المعيشة قد أصبح يضيق بالمسنين . بل ان شباب الاسر قد يتبرمون من خدمتهم ان كانوا بحاجة الى الخدمة ، ومع ذلك فان كلا من الشباب والشيوخ لم يتقبل بعد فكرة الحاق الشيوخ بمؤسسات لرعايتهم . فلا نحن نستطيع التخلي عن نظام لم يعد ملائما ، ولا نحن نستطيع تقبل نظام لم يندمج وتقاليدنا وأذواقنا بعد . وذلك في الوقت الذي يضاعف من أهمية هذه المرحلة - مرحلة الشيخوخة في عصرنا - ازدياد متوسط الاعمار ، بحيث يتضاعف في كل جيل عدد الذين يصلون الى الشيخوخة عن عددهم في الجيل السابق بسبب التقدم الطبي من ناحية ، وازدياد عدد السكان من ناحية أخرى .

ويرى البعض ان الأمراض الجسمية والوجدانية والعقلية التي يتعرض لها شيوخ اليوم سببها عدم العناية بالشيخوخة ، وان هذه الاعراض ستزول بمجرد توجيه الرعاية لهذه المرحلة من مراحل العمر ولهذا قد تقع الشيخوخة المبكرة لبعض الاشخاص (أحيانا طبعا لعوامل وراثية) ، وقد لا تقع لآخرين حتى لحظة مغادرتهم دنيانا بعد حياة حافلة . فالشيخوخة بهذا المعنى حالة تحدث نتيجة ظروف معينة وليست بالضرورة قدرا لا يمكن التخفيف من وطأته . فاذا كان الانسان يبدأ طفلا ثم شابا ثم شيخا ثم يموت ، فليس شرطا ان تكون شيخوخته محفوفة بالامراض ، بل يمكن ان يمتد الشباب بحيث تختفي الشيخوخة بالمعنى المتعارف عليه لهذا اللفظ وهو معنى الوهن والذبول والتدهور .

الادخار في الشباب

والواقع ان الاستعداد لقضاء شيخوخة صحية سليمة يبدأ من مراحل العمر المبكرة والتي يمكن أن يدخر فيها الانسان من صحته ونفسيته وعقله ومادته بل يدخر من مجتمعه وأسرته ما ينفق منه في شيخوخته الى جانب ما يدخره روحيا .

ويتلخص مبدأ الادخار المادي في ألا يكون شعار الشخص في شبابه « اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب » ، فلا يقنع الانسان بما يوفره له حاضره من امكانات بل لا بد من استثمار امكانات الحاضر المادية بحيث تعطي استثمارا سهلا في شيخوختنا . أي لا بد ان نبذل جهدا مضاعفا في شبابنا حتى لا نكون عالة على أحد ماديا في شيخوختنا . ومن حسن الحظ ان الحكومات قد اليوم مظلة التأمينات الاجتماعية على كبار السن ، كما

ان للموظفين والعمال معاشاتهم ، وهذا نوع من الادخار الذي تهيئه الجماعات وتنظمه لأفرادها .

ولكن ما جدوى توفر الجانب المادي للشخص اذا لم يستطع أن يستمتع بما وفره من مادة بسبب مرض أو عجز يحول بينه وبين الاستمتاع بالحياة كبقية خلق الله ؟ من هنا كانت ضرورة الادخار الصحي وذلك بتعويد الانسان نفسه على التغذية الصحية كما وكيفا ، وهي عادات شديدة الصلة بمصيرنا في الشيخوخة . فالاكثار مثلا من النشويات والسكريات والدهنيات من شأنه ان يؤدي الى امراض الشيخوخة وفي مقدمتها تصلب الشرايين الذي يؤدي بدوره الى اصابات الذبحة والشلل وضعف الذاكرة المبكر وصعوبة الحركة ... الخ لأن الاكثار من تناول هذه المواد يؤدي الى ترسب مادة الكوليسترول في الاوعية الدموية وهي التي تسبب الاصابة بتصلب الشرايين . كذلك ادمان الخمور والتدخين وغيرها من العادات غير الصحية التي لا يظهر أثرها بين يوم وليلة ولكنه يتراكم على مر الأيام والليالي ، حتى اذا بلغ المرء شيخوخته ظهر أثر هذا التراكم في علة بدنية تعوق الانسان عن حرية الحركة وتجعله عالة على غيره ، فضلا عما تسببه له من آلام جسمية ونفسية .

أما الادخار النفسي فيتمثل في محاولة تدريب النفس على عادات هدفها الاقتصاد في الاستهلاك العصبي ، لأن الانفعال العصبي يؤدي في الشيخوخة - كما تؤدي كثرة النشويات والسكريات والدهنيات - الى الاصابة بأمراض تقعد الانسان عن الحركة بصورة طبيعية . فمن المعروف انه في حالة الغضب تزيد كمية الادرنالين في الدم حتى يتاح للجسم بذل طاقة أكبر للهجوم أو الدفاع أو حتى الهرب . لكن حضارتنا الحديثة تطالب الانسان ان يسيطر على حركته في مثل هذه الأحوال ، فلا يجري هاربا ولا يندفع متهورا ، ونتيجة لذلك فان الادرنالين لا يحترق رغم زيادة نسبته في الدم ، فيترسب على جدران الاوعية الدموية ليساعد على تصلبها .

كذلك يؤدي الانفعال العصبي الشديد المتكرر الى ما يعرف بالامراض السيكوسوماتية أو ما يعرف بالامراض النفسجسمية مثل قرحة المعدة التي تنتج عن زيادة نسبة الحموضة في المعدة ، وهذه الحموضة تنتج بدورها عن تهيج الجهاز الباراسمبثاوي وهو أحد فرعي الجهاز العصبي المنتشر في الجسم .

ولعل من أهم مظاهر الادخار العقلي ان تكون للانسان هواية لها علاقة أولا علاقة لها بعمله أو وظيفته ، المهم انه يمكن ان يستمر في ممارستها بعد احالته الى المعاش . فلا تكون أهميته مستمدة من منصبه الرسمي بحيث اذا فقده فقد كل مبررات وجوده .

أما الادخار الاجتماعي فهو ما يدخره الشخص في قلوب الافراد الذين يتعامل معهم كمعارفه وزملائه واصدقائه . والادخار الأسرى نوع من انواع الادخار الاجتماعي ، وان كان أضيق نطاقا الا انه أعمق أثرا ، فعائده أسرع وأوضح ، لأنه يتمثل في العلاقات الأسرية التي يدخرها الشخص لنفسه في شبابه وبخاصة فيما يتعلق بالزوجة والابناء والبنات الذين أنجبهم .

وخلاصة القول ان ما يزرعه الانسان في شبابه يحصده في شيخوخته .

ولكننا - وكما أشرنا في بداية هذه الكلمات - لا نستطيع ان نغفل دور المجتمع في تشجيع هذا الادخار أو تثبيطه . فمما يجعل اليأس هو السمة الغالبة على مرحلة الشيخوخة وجود رأي عام في مجتمعاتنا يرى ان الشيخوخة عالة على مراحل العمر الأخرى . بينما هذا الرأى العام نفسه لا ينظر النظرة نفسها الى مرحلة الطفولة مع ان الاطفال « عيال » على الكبار . وبذا يتولد الاحساس لدى المسن أنه قليل القيمة قليل النفع مما يحدد ملامحه النفسيه ومدى ثقته في نفسه ومدى قيمته بالنسبة لمجتمعه .

فكثير من كبار السن تسد في أوجههم سبل العمل لمجرد كبر أعمارهم بغض النظر عن قدراتهم أو طاقاتهم . كما أن احوالهم المالية تتدهور لأن معاشهم قد يكون أقل من دخلهم الذي لم يكن يقتصر على مرتبهم بل قد يشمل دخولا اخرى مترتبة على مناصبهم أو معاملاتهم كالأجور الاضافية أو التشجيعية والبدلات والعمولات أو المزايا العينية ... الخ كذلك فان كثيرا من العاملين يتنكرون

لرؤسائهم بمجرد احالة أولئك الرؤساء على المعاش . ذلك ان ما كانوا يبدونه من احترام واعتزاز لم يكن الا خوفا من بطش أو طمعا في رضاء، وما وراء هذا الرضاء من منفعة .

بل ان كثيرا من المسنين لا يلقون من ابنائهم وبناتهم ما كانوا يلقونه منهم من طاعة ووفاء عندما كان هؤلاء الابناء والبنات في حاجة اليهم ، وقد بلغ أولئك الأولاد والبنات السن والمكانة الاجتماعية التي تسمح لهم بالاعتماد على النفس والاستغناء عن خدمات الأب والأم . لهذا انقلب الوضع وأصبح الكبار هم المحتاجين الى خدمة الأصغر سنا ، ولكن الصغار لا يعبأون برد الدين للكبار لأنهم مشغولون بأن يكرروا مع ابنائهم ما سبق ان فعله اباؤهم لهم .

كذلك فان من أسباب يأس الشيوخ هذا الفراغ الذي يواجهونه بعد احالتهم الى التقاعد ، لا سيما اذا كانوا قد تعودوا على أن يصبوا أنفسهم في قالب الوظيفة وان يأتمروا بأوامر غيرهم ، فهم فجأة يجدون أنفسهم وقد تحرروا من كل هذه القوالب ، فيجدون مشقة في أن يكونوا سادة أنفسهم ، ويعجزون عن تخطيط حياتهم مما يصيبهم بالاحباط والاحساس بان حياتهم لا مبرر لها ، ويتمنون الموت كأفضل حل لمشكلتهم مع أنفسهم ومع المحيطين بهم .

ويطالب الاستاذ يوسف أسعد ميخائيل مؤلف كتاب « رعاية الشيخوخة » بالتفرقة بين ما هو جائز وما هو واجب أو لازم ، وان من الخطأ الخلط بينهما . فمن الممكن ان نقول مثلا انه من الجائز ان يعفي المسن من العمل ، ولكن من الخطأ ان نقول انه يجب ان يتنحى المسن عن العمل . والواجب ان يترك الاختيار بين العمل أو تركه الى ارادة الشخص ، بينما يترك الزامه بترك العمل للجهات الطبية . والواقع ان الغالبية العظمى من المسنين قد يطلبون اعفاءهم من اعمالهم المرهقة التي كانوا يمارسونها قبل سن الاحالة الى المعاش ـ ولو ان البعض قد يتشبث بها الى آخر رمق اذا كانت ستبقى على نفوذهم ـ ويفضلون ان يعهد اليهم بأعمال تتناسب وخبرتهم من ناحية ولا ترهقهم من ناحية اخرى ، لكنهم ـ بوجه عام ـ لا يرغبون في اعفائهم من العمل تماما حتى يحسوا ان لحياتهم معنى وانهم ما يزالون قادرين على البذل والعطاء ، وانهم ليسوا عالة على غيرهم .

نفسية الشيوخ

وللأسف فان علم النفس لم يول مرحلة الشيخوخة اهتمامه كما أولاها لمراحل العمر الأخرى كالطفولة والمراهقة والشباب . ففهم نفسية المسنين ضرورية للتعامل معهم على اساس لا يزعجهم . ومن الامثلة الجيدة على ذلك ضرورة مراعاة الأسر التي تضم مسنين بين أفرادها لأوقات راحتهم وعدم اثارة الجلبة حولهم حتى يركنوا الى الراحة .

كذلك يتميز المسنون بحساسية زائدة نحو ذواتهم ، فالمسن معجب أولا بتاريخ حياته ثم هو معجب بجيله ـ وهو لون من الوان اعجابه غير المباشر بنفسه ـ يحس بضآلة حاضره بالمقارنة بماضيه الذي كان فيه فتيا قويا كله حيوية ونشاط . أما ذاكرته فغالبا ما تغلب اهتماما عقليا على اهتمام آخر ، فهو لا يتذكر الا ما يهمه من الامور ، وهذا نوع من الاقتصاد تلجأ اليه الذاكرة حتى لا يرهقها ما لا حاجة لها به ، وليس احتفاظ ذاكرة المسن بأحداث ماضيه وشبابه ونسيانه أحداثا وقعت منذ أيام الا دليلا على اعتزازه بهذا الماضي اكثر من اهتمامه بحاضره . لذلك فان معظم المسنين لا يكون لديهم أدنى استعداد للتنازل عن آرائهم أو تعديلها ، لأن كلا منهم يكون قد تبلور فكره وتحددت آراؤه بصدد الموضوعات العامة .

ومن الأمراض الوجدانية السائدة لدى المسنين الشك في نيات الآخرين تجاههم ، حتى ليتهم المسن أقرب الناس اليه بأنه لا يحبه وانه يتمنى الموت له لكي يرثه . كذلك تتسم طبيعة الشيوخ بالالحاح في الطلب ، وما ان ينتهي من طلب شيء حتى يبدأ التفكير في طلب شيء آخر . كذلك فان ضعف الحواس كالسمع والبصر قد يترتب عليه صعوبة التفاهم مع الآخرين مما قد يضيق به المسن والمحيطون به معا .

على أساس من هذا الفهم النفسي للمسن يجب ان تكون معاملته . فكثيرون من الأجيال الأصغر سنا يعاملون المسنين معاملة الند للند . ويمكن ان نتصور مدى الخطأ الواقع من مثل هذه المعاملة حين نرى شابا يعامل طفلا معاملة الند للند . فمثلا ليس من المستحسن انتقاد آراء المسن أو القاء الضوء على تصرفاته التي قد تكون شاذة أو تخطئتها لا سيا امام الأغراب ، كما يجب عدم الصدام المباشر معه أو الاصرار على محاولة اقناعه برأي يرفضه أو تغيير عاداته . وان كان هذا لا يعني اتخاذ موقف اللامبالاة تجاهه ، لأن هذا يؤذي مشاعره أيضا . كما ان افتعال مشورة المسنين يشعرهم انهم ما يزالون اصحاب وزن كبير في الأمور الهامة .

ولعل من أهداف دعوتنا الى تخصيص عام دولي للشيخوخة أن تقوم المنظمات المتخصصة في الأمم المتحدة بتقديم خبراتها في مجال رعاية الشيخوخة لمختلف الشعوب حتى تختصر الطريق بالاستفادة منها بعد ان تدخل عليها من التعديلات ما يتفق وتقاليدها مع تدرجها في الأخذ بنظام مؤسسات رعاية الشيخوخة التي فرضتها طبيعة الحياة المعاصرة . ولئن وجدت مثل هذه المؤسسات في بعض الدول العربية فهي أضيق من ان تستوعب كل ما يقدم اليها من طلبات ، علما بأن الحاجة اليها تزداد يوما بعد يوم .

ولكن الى ان تنتشر مثل هذه المؤسسات ، فان تخصيص عام دولي للشيخوخة من شأنه أن ينبه الدول والجماعات والأفراد الى التقدم بالمقترحات لتقديم أفضل رعاية لهؤلاء الأجداد الذين سنصبح مثلهم يوما ما ـ اذا قدر لنا أن نعيش أعمارهم

ويمكن في مثل هذا العام ان تقدم الدول والشركات التي تقدم أو ترغب في تقديم خدماتها لمن بلغوا مرحلة الشيخوخة تكريما لهم ، مثل استخدامهم وسائل النقل بالمجان برية وبحرية وجوية أو بتخفيضات كبيرة حتى يتاح لمن هاجر ابناؤه أو بناته من السفر اليهم ورؤيتهم أو حتى لمجرد اتاحة الفرصة للسياحة ، واعفاء كل من تجاوز السبعين مثلا من الضرائب ، وحجز بعض الاماكن في دور السينما والمسرح لكبار السن بأسعار مخفضة .. انشاء جمعيات أصدقاء الشيخوخة .. تكريم الدول للمسنين البارزين من ابنائها باقامة الاحتفالات لهم وتوزيع جوائز وأوسمة مناسبة عليهم .. اصدار تشريعات لصالح المسنين .. اقامة حفلات يخصص دخلها للنهوض بمشروعات الشيخوخة مثل انشاء دور لرعايتهم وتبرع بعض المؤسسات الاقتصادية للغرض نفسه ... اقامة معارض يشترك في انتاجها الشيوخ سواء أكانت معارض فنية أو صناعات يدوية .. ومباريات رياضية ومسابقات ثقافية بينهم .. الخ .

اننا اذا كنا نحتفل اليوم بالعام الدولي للطفولة ، فما أجدرنا بالدعوة للاحتفال بعام دولي للشيخوخة ... طفولة الانسان الثانية . ■■

الخروج من سمرقند

بقلم : اللواء الركن
محمود شيت خطاب

تحتاج وقائع قصة الفتح الاسلامي لسمرقند ، التي ذكرت في استطلاع بالعدد ٢٥٨ ، بعنوان : الطريق الى سمرقند ، الى مزيد من التصحيح والتفصيل ، فقد تولى قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان سنة ست وثمانين الهجرية (٧٠٥ م) للحجاج بن يوسف الثقفي والي العراقين ،

ولكنه فتح (سمر قند) سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١ م) في خلافة الوليد بن عبد الملك . وكان فتح سمر قند صلحا بعد قتال عنيف ، فلما وجد اهل سمر قند انهم مغلوبون على امرهم عرضوا الصلح على قتيبة ، فوافق ، ودخلها المسلمون .

وكان من شروط الصلح : ان يخلي اهل المدينة سمر قند فلا يبقى فيها مقاتل منهم ، فيدخلها قتيبة ومن يريد من رجاله ويبني بها مسجدا ويصلي فيه ويخطب ويتغدى ، ثم يخرج ومن معه من المدينة .

فلما تم الصلح واخلوا المدينة وبنوا المسجد ، ودخلها قتيبة في اربعة آلاف من المسلمين ، فدخل المسجد وصلى فيه وخطب واكل طعاما ، ثم ارسل الى الصغد (اهل سمرقند) من اراد منكم اخذ متاعه فليأخذ ، فاني لست خارجا منها ، ولست آخذ منكم الا ما صالحتكم عليه ، غير ان الجند يقيمون فيها ...

فكان اهل خراسان يقولون ان قتيبة غدر باهل سمر قند ، فملكها غدرا . وقد كان لبقاء قتيبة في سمرقند ما يسوغه من الناحية العسكرية ، لانها كانت مدينة حصينة ، وتكبد المسلمون خسائر فادحة جدا في فتحها ، كما ان موقعها السوقي (الاستراتيجي) يجعلها قاعدة متقدمة للمسلمين في الفتوح ، لان السيطرة عليها تجعل الفتح ميسورا .

ولكن لا مسوغ لقتيبة في بقائه بسمر قند ، لان الوفاء بالعهد من ابرز سمات الحرب الاسلامية والمؤمنون عند شروطهم ، وقد كان من اهداف الفتح الاسلامي نشر المثل الاسلامية العليا التي كان منها الوفاء بالعهد ، والالتزام به ، وتنفيذه نصا وروحا .

ومات الوليد بن عبد الملك سنة ست وتسعين الهجرية (٧١٤ م) وقتل قتيبة في هذه السنة ايضا ، وتولى الخلافة سليمان بن عبد الملك الذي قتل قتيبة في أوائل خلافته ، ومات سليمان سنة تسع وتسعين الهجرية (٧١٧ م) وخلفه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكانت سمر قند لا تزال تحت حكم المسلمين ، وقد انتشر الاسلام فيها انتشارا واسعا .

وتسامع الناس بعدل عمر بن عبد العزيز ومنهم اهل سمر قند ، فقالوا لعاملهم : قتيبة ظلمنا وغدر بنا ، فاخذ بلادنا ، وقد اظهر الله العدل والانصاف ، فاذن لنا ، فليقدم منا وفد على أمير المؤمنين ... فاذن لهم ، فوجهوا وفدا الى عمر .

وكتب عمر الى عامله على سمر قند بعد ان سمع وفدها : « ان اهل سمر قند شكوا ظلما وتحاملا من قتيبة عليهم ، حتى اخرجهم من ارضهم ، فاذا اتاك كتابي فاجلس لهم القاضي فلينظر في امرهم ، فان قضى لهم فاخرج العرب الى معسكرهم كما كانوا قبل ان يظهر عليهم قتيبة ؟

واجلس والي عمر بن عبد العزيز على سمر قند قاضيا لاهلها ، فقضى ان يخرج عرب سمر قند الى معسكرهم وينابذوهم على سواء ، فيكون صلحا جديدا او ظفرا عنوة ، فقال اهل سمر قند (الصغد) : بل نرضى بما كان ولا تحدث حربا .. وتراضوا بذلك .

لقد أصبح الصغد مسلمين ، فساوى الاسلام بينهم وبين العرب في الدين واصبح العربي والصغدي اخوة في الله .

تلك هي مجمل قصة فتح سمر قند وقصة قاضي عمر ابن عبد العزيز وهي المدة التي تولى فيها عمر بن عبد العزيز الخلافة التي كانت سنتين وخمسة اشهر ، بينما قتل قتيبة في سنة ست وتسعين الهجرية ، فيكون قاضي عمر بن عبد العزيز قد اصدر حكمه بعد وفاة قتيبة بثلاث سنين على الاقل .

■ اسهل طريقة لتوفير الوقت الذى تحتاج اليه لانجاز عملك ، ان تغلق جهاز التلفزيون !

« هارولد ويلسون »


ROTHMANS

اسكندرية الاسكندر!

استطلاع : منير نصيف ـ تصوير : عبد الناصر شقره

ميدان سعد زغلول زعيم ثورة مصر ضد الاستعمار الانجليزى .. يقف التمثال شامخا وسط ميدان فسيح يشرف على الكورنيش ، ويحمل اسم الزعيم الخالد . (الى اليمين) .

المسرح الروماني الذى كشفت عنه البعثة البولونية عام ١٩٦٠ تحت كوم الشقافه الذى كان تلا عاليا يغطى مساحة تزيد على ١٨ فدانا .. وهو المسرح الوحيد من نوعه الذى اكتشف في مصر كلها . (الى اسفل)





كانت أجمل واكبر مدن العالم بعد روما . بناها الاسكندر المقدوني ، وحمل اليها الاغريق مكتبة غنية تضم اكثر من اربعمائة الف مجلد في الطب والفلسفة والرياضيات والعلوم ، واحتلها الرومان ، ثم غزاها الفرس من بعدهم ، واخيرا جاء العرب المسلمون ناشرين الاسلام ، حاملين معهم حضارة وفكرا وفلسفة جديدة ، ومعهم ايضا شاع الأمن والسلام .

وعندما احترقت المكتبة .. اتهموا العرب بحرقها !

وعندما ركدت الحياة في المدينة العظيمة ، قالوا ان العرب قتلوها !!

والعرب من كل هذه الاخطاء ابرياء . لقد اصاب المدينة ما اصابها على مدى ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، لاسباب اخرى ، ليس على اي حال ، اهمال العرب لها ، او تعمد تخريبها !

كان الهدف ان تصبح المدينة وتعني بها الاسكندرية ، عاصمة لمصر في العصر الاغريقي عندما بدأ الاسكندر في بنائها الذي اكمله قواده من بعده ، وكان من الممكن ايضا ان تصبح عاصمة لا لمصر وحدها ، بل وللامبراطورية الرومانية ، بعد الاغريق . ولكن عندما جاء العرب ، رأوا ان من الحكمة تجنب اتخاذ الاسكندرية عاصمة لمصر ، لبعد المسافة بينها وبين موطنهم في شبه جزيرة العرب ، ولانها ميناء على البحر وقريب من اعداء العرب ، ولتطرف موقعها بالنسبة للاراضي المصرية ، الامر الذي يجعلها غير ملائمة لان تكون عاصمة للبلاد .

فقد كان للعرب حضارة شرقية « برية » ، تختلف تماما عن الحضارة الغربية « البحرية » ومن اجل هذا ابتعدوا عن البحر ، وما يمكن ان يحمله لهم من أخطار .. واتجهوا الى داخل البلاد ليقيموا الفسطاط ، ولتصبح عاصمة لمصر .. كان العرب بعيدي النظر ثاقبي الفكر ، فقد ثبت خلال عصور التاريخ المتعاقبة ان الموقع المتوسط القريب من رأس الدلتا الذي اختاره العرب لبناء عاصمة مصر الجديدة ، كان اكثر الاماكن ملاءمة .

وحريق المكتبة الذي لم ينسه التاريخ أبدا ، ولن ينساه . لم يكن للعرب فيه يد ، لا من بعيد ولا من قريب ، فقد احترقت المكتبة عندما امتدت اليها النيران التي اشتعلت في الاسطول الاغريقي الى المكتبة التي تطل على الشاطىء مباشرة فأتت على كل ما كانت تحويه من كنوز الفكر باستثناء بعض المجلدات التي امكن انقاذها من الحريق .

غير ان التاريخ ايضا لا يغفل ذكر بعض العوامل الطبيعية التي كان لها دور اساسي في خراب الاسكندرية وهجرة اهلها منها ، ثم اضمحلالها ، ومن بينها الزلازل المدمرة التي تعرضت لها المدينة في القرن الحادي عشر ، وانقطاع وصول مياه النيل العذبة الى الاسكندرية عن طريق ترعة « شديا » التي كان يطلق عليها العرب ترعة « خليج الاسكندرية » وقد كان لهذا العامل الاخير ، الأثر الاكبر في هجرة اهل المدينة .

.. وللتاريخ شجون !

كان ارنولد توينبي يقول كلما وقف امام حجر يحكي له قصة حضارة قديمة : « كنت ابكي عندما ارى الحضارات تموت والانسان من حولي يغني ! »

ولم ينس توينبي « الحجر » الذي كان يقف عنده طويلا يتأمل النقوش المحفورة على سطحه الأملس .. علم وفكر وفن .. فكتب عن العلاقة بين الانسان والحجر ، قال : « لولا الجبال واحجارها ما عرفنا ان حضارة قامت في وقت ما ، في مكان ما . كان الانسان ذكيا عندما قطع الاحجار من الجبل ، ونقش عليها وبنى بها حضارته منذ الاف السنين . من الحجر شيدوا بيوتهم في الحياة والموت ، وكانت الاهرامات اعظمها في رحلة الآخرة . وكان سور الصين أحد عجائب الدنيا . صمود الحجر نقل الينا حضارة اجدادنا . وتعلمنا منهم ، ولكننا لم نعد نقطع الأحجار من الجبل ، وإنما نصنعها . لهذا ستظل حضاراتهم القديمة اقوى وأبقى ، فهي الاصل ! »



هنا يؤكدون ان الاسكندر المقدوني دفن ، ومازال البحث جاريا عن مقبرته .

لغة قدماء المصريين عاشت مع الحجر سبعة الاف سنة !

مدن قامت فوق مدن ، وعصور جاءت بعد عصور ، وحضارات سادت ثم بادت ، لتقوم فوقها حضارات اخرى .. هكذا التاريخ .. منذ كان هناك تاريخ .. ومنذ كانت حياة ..

وفي الاسكندرية عاصمة مصر الثانية ، وقفنا نتذكر كلام توينبي ، كلما مررنا بحجر يحكي لنا فصلا في تاريخ هذه المدينة القديمة .. ان القديم يشدنا دائما والتاريخ يستوقفنا .. وحتى في الدول المتقدمة .. ان المصانع الحديثة تستهوينا ولكننا أيضا نحرص على الا تفوتنا زيارة التاريخ .. برج لندن في لندن ، والباستيل او ما تبقى منه في باريس ، وبرج بيزا المائل في ايطاليا . والآثار العربية في الاندلس ، وصخرة ارسطو في اليونان .. وهنا في مدننا العربية لا نمل الحديث عن عواصم الرشيد والأمويين والفاطميين وقاهرة المعز .. فالجديد امام العين مباشرة ليس في حاجة الى قراءة اكثر من العنوان وما تحت الصورة من كلام ..

راقوده قبل الاسكندرية

والاسكندرية مليئة بالتاريخ ، منذ ان اسسها الاسكندر المقدوني ثم جاء من بعده الرومان الى ان دخلها العرب حتى اعاد محمد علي باشا باني مصر الحديثة ، تأسيسها من جديد كل شيء فيها له تاريخ ، وله قصة وراء التاريخ .

قد كانت الاسكندرية موجودة قبل الاسكندر ، ولكن باسم آخر ، فقد كان اسمها « راقوده » وكانت بلدة صغيرة ، لا يعرف احد عنها وعن اهلها شيئا .. ثم جاء الاسكندر في عام ٣٣٢ قبل الميلاد في حملته الكبيرة لغزو الشرق ، وهو يحمل امل الاغريق في غزو آسيا حتى لا تصبح الحضارة الهلينية محصورة في بحر ايجة ولأن اثينا لم تعد صالحة لان تكون عاصمة « للامبراطورية الجديدة » التي امتدت بعد ذلك حتى شواطيء الهند والخليج ، وكان لابد اذن من البحث عن عاصمة جديدة تشرف على البحر المتوسط ، ويمكن ان تستوعب تجارة الامبراطورية الاغريقية المترامية الاطراف في اوربا وآسيا وافريقياالتي تطل بدورها على هذا البحر .. ووقع اختيار الاسكندر ، و « القائد الاعلى لعصبة المدن الاغريقية » على هذا المكان الذي كانت تقوم فيه « راقوده » الصغيرة والذي اصبح فيما بعد يحمل اسمه حتى اليوم .. مدينة الاسكندرية .

ونمت اسكندرية الاسكندر وانتعشت ، بفضل موقعها الجغرافي المتميز الذي مكنها من تأدية الدور الهام الذي رسم لها . فقد بقيت تقوم بدور الاتصال التجاري







▲

تمثال الالهه ايزيس ، حامية الملاحين ، عثروا عليه فى قاع البحر على بعد خمسين مترا شمالي شرق قلعة قايتباى ، وانتشلته القوات البحرية المصرية ، ويرجع تاريخه الى القرن الثالث قبل الميلاد . (الى اعلا)

تابوت من الحجر ، عثروا عليه في مقبرة « كوم الشقافة » وهى تتالف من اربعة طوابق ، وتعتبر الوحيدة من نوعها في مصر والعالم كله ويرجع تاريخها الى القرن الثاني الميلادى .

بقايا سور الاسكندرية القديم اقامه العرب عندما دخلوا الاسكندرية بقيادة عمرو بن العاص ، ونشروا بين ربوعها الامن والايمان والسلام .



بين الشرق والغرب حتى انشئت قناة السويس ، واستطاع ميناء بور سعيد بعد ذلك بقرون طويلة ان ينتزع منها هذه المكانة ، ولو أن الاسكندرية بقيت تقوم منذ انشائها على خدمة تجارة مصر الخارجية ولم يستطع اي ميناء آخر في مصر ان ينتزع منها هذه المكانة .. فهي اليوم المنفذ الاساسي لتجارة مصر مع الخارج .. أكثر من ٩٥٪ يخرج من الاسكندرية ويدخل منها ! فقد كانت بحيرة مريوط تمثل طريق الاتصال المائي بين الاسكندرية وباقي جهات مصر ، ذلك أنه كان لميناء الاسكندرية ، البحري ، ميناء آخر يقع على البحيرة ، وكانت تجيء اليه السفن من جميع انحاء القطر حاملة منتجات البلاد ، فتفرغ حمولتها وتعود بحمولات أخرى مما يصل الى الاسكندرية في مينائها البحري ، فقد كانت بحيرة مريوط تتصل بالنيل بواسطة ترعة « شديا » القديمة التي كانت تقوم بنفس المهمة التي تقوم بها اليوم ترعة المحمودية ، او ما كان يسمى بالخليج الناصري في العصور الوسطى . وبفضل هذا الطريق كانت الاسكندرية تتصل ايضا بالبحر الاحمر ، طريق التجارة الحيوي الى الشرق الاقصى . اما جزيرة « فاروس » فهي تمثل حاجزا طبيعيا هاما يحمي المدينة والميناء والسفن عند دخولها وخروجها !

ميناء عمره ٢٠٠٠ سنة

وتبحث اليوم عن الميناء القديم الذي اسسه الاسكندر فتجده هناك حيث كان منذ اكثر من الفي عام ، ولكنه لم يعد ميناء يستقبل السفن وتبحر منه ، وانما اصبح « ناديا » لهواة البحر ، وقد رست في مياهه عشرات القوارب الشراعية واليخوت .. ولكنك لا تكاد تبتعد قليلا عن موقع الميناء القديم ، حتى تجد الميناء الحديث الذي انشأه محمد علي الكبير .. ولا تزال جزيرة فاروس رابضة في مكانها تصد الرياح العاتية وتمنع وصولها الى الشاطيء والى السفن الراسية فيه .. الجديد مكان القديم في نفس البقعة .. على نفس الشاطيء .. لقد كانوا « اعلاما » .. نقلنا عن حضارتهم ، ونقلوا هم عن حضارة العرب المسلمين ، وتأثرنا بهم وبفكرهم كما تأثروا بنا ، وبعلومنا وفلسفتنا .

عرفوا اذن طريقهم الى شواطئنا ، وعرفوا كيف يستغلونها لخدمة مصالح امبراطوريتهم الشاسعة ، رغم ما كان بين اهل راقوده « والاجانب ، من عداء تقليدي ، وخاصة الاغريق ، فقد كانوا يعرفون عنهم وعن اطماعهم ، الكثير ، فما كادوا يعلمون بوصولهم حتى سارعوا الى بناء حامية عسكرية لصد هذا الغزو .. ولكنها ما لبثت ان تهاوت ، واصبحت راقوده جزءا من مدينة الاسكندرية وراء احواض الميناء في نفس الموقع الذي يقوم فيه عمود السواري اليوم .

الاسكندرية اليوم

« مدينة الاسكندرية تشغل شريطا ساحليا ضيقا يقع بين البحر المتوسط في الشمال وبحيرة مريوط في الجنوب . ويبلغ هذا الشريط الساحلي اقصى اتساعه في الشرق عندما يعرف اليوم برأس المنتزه ، حيث يصل الى نحو خمسة كيلو مترات ، ثم يأخذ في الضيق تدريجيا كلما اتجهنا نحو الغرب حتى ان اتساعه لا يكاد يصل الى كيلو متر واحد في منتصف المسافة بين المكس والدخيلة .

« ومن هذا الشريط الساحلي يظهر بروز يابس يمثل جزيرة فاروس القديمة ، واللسان الذي يصل بينها وبين الساحل ، وقد كان هذا الاتصال الصناعي بين جزيرة فاروس واليابس بمثابة خلق لمدينة الاسكندرية ، فهو اعطى الفرصة لقيام مينائي الاسكندرية ، الميناء الشرقي ، او الميناء الصغير المهجور حاليا « نادي اليخت » ، والميناء الغربي ، او الميناء الكبير الذي يعرف اليوم بميناء الاسكندرية ، وهي تبعد عن القاهرة العاصمة ، بحوالي مائتين وعشرين كيلو مترا تقطعها بالقطار او السيارة في اقل من ثلاث ساعات .

« وتشرف مدينة الاسكندرية على واجهة بحرية طويلة ، يصل طولها من رأس المنتزه في الشرق الى رأس العجمي في الغرب نحو سبعة وعشرين كيلو مترا ، وقد سهل هذا الامتداد اتصال شتى انحاء الاسكندرية بالبحر ، ومكن أهل المدينة من الاستمتاع بالمزايا البحرية المختلفة . »

« وتكاد تتفق الحدود الادارية لمحافظة الاسكندرية مع حدود المدينة ذاتها ، فهي تبدأ في الشرق من سراي المنتزه على شكل خط متعرج يتجه نحو الجنوب ثم لا يلبث ان يغير اتجاهه نحو الجنوب الغربي حتى يصل الى الشاطيء الشمالي لبحيرة مريوط . ثم يبدأ في الغرب من رأس العجمي على شكل خط مستقيم يتجه نحو الجنوب حتى يصل الى الشاطيء الشمالي لبحيرة مريوط ايضا .

« اما منطقة الاسكندرية ، فهي تشمل مساحة اوسع مما تشغله المدينة ، او مما يدخل اداريا في نطاق



مجموعة من السفن التجارية راسية على احد ارصفة ميناء الاسكندرية
من هذا الميناء تدخل وتخرج تجارة مصر كلها او ٩٥٪ منها على الاقل .

محافظة الاسكندرية . فمن الشرق يمكن اعتبار خليج أبو قير وبحيرة ادكو حدا لمنطقة الاسكندرية ، ومن الغرب تمتد منطقة الاسكندرية حتى الطرف الغربي الاقصى لذراع بحيرة مريوط . فكأن منطقة الاسكندرية تمتد من رأس أبو قير في الشرق حتى برج العرب تقريبا في الغرب » .

قبر الاسكندر

ولم يمض الاسكندر في هذه المنطقة التي اختارها لبناء الاسكندرية ، اكثر من ستة أشهر ، ثم مضى الى الشرق ليكمل غزواته حتى وصل الى حدود الهند ، وهناك اصيب بالحمى ووافته منيته ، فحمله رجاله عائدين به ، وعندما علم بطليموس الاول المقدوني بوفاة الاسكندر بعث برجاله واستولوا على الموكب الجنائزي ، عند بابل في العراق وحملوا جثمان الاسكندر عنوة الى مصر ، فقد كانت هناك اسطورة تقول ان المملكة التي ستحوي رفات الاسكندر سوف ترى مجدا عظيما ، وكانوا يريدون « لعاصمتهم الجديدة » الاسكندرية هذا المجد ، فدفنوه في ارضها ، ولكن احدا لا يعرف على وجه التحديد « اين قبر الاسكندر حتى الان ؟ » وهم لا يكفون عن البحث عنه حتى الآن .

وبقى البطالمة في مصر حوالي ٣٠٠ سنة ، من ٣٢٣ قبل الميلاد الى عام ٣٢ قبل الميلاد ، عندما قام اوكتافيوس او اوغسطس ، كما عرف فيما بعد ، وهو مؤسس الامبراطورية الرومانية ، بالقضاء على الاسطول المصري بقيادة مارك انطونيو عشيق كليو باترا والقائد الروماني المتمرد على روما ، ولكن الملكة استطاعت ان تفلت من ايديهم ، لتضع هي نهاية لحياتها بان وضعت ثعبانا فوق صدرها ، نفث فيه سمومه ، كما تقول الاساطير !

ومضى الرومان يحكمون مصر ، منذ ان وقف اوغسطس في مجلس السناتو او الشيوخ ، ليعلن ان مصر قد اصبحت جزءا من ممتلكات الشعب الروماني بحد السيف !

وعانت مصر المسيحية خلال حكم الرومان من عنتهم واضطهادهم ما عانت .. عانى اقباط مصر في عهد روما الوثنية وعانى اقباط مصر في عهد روما المسيحية بزعامة الامبراطور دقلديانوس ، وكانت مذبحة الشهداء سنة ٢٨٢ م ، التي راح ضحيتها المئات من اقباط مصر ، واصبح هذا اليوم ، بداية التقويم القبطي .







مدرسة التمريض القديمة ، زارتها فلورانس نايتنجيل ، ثم عادت الى اوربا لتقوم بثورة في مهنة التمريض ، وتحولها الى انبل مهنة انسانية . (الى اليمين)

مستشفى المواساة ، من اكبر واقدم المستشفيات في الوطن العربي ، كان مقصد الملوك والرؤساء والساسة العرب ، للعلاج والاستشفاء . (الى اليسار) .

واستولى الفرس على مصر سنة ٦١٩ م ، ولكنهم لم يستقروا فيها طويلا ، اذ سرعان ما استردها الرومان وجاء العرب المسلمون في عام ٦٤٦ م بقيادة عمرو بن العاص ، وسقطت مدينة الاسكندرية في أيديهم بعد حصار دام عدة اشهر ، وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ مصر لم تشهد مثيلا لها ، وعرفت البلاد الامن والاستقرار ، وبدأت الحضارة الاسلامية تنتشر في ربوع مصر من اقصاها الى اقصاها .. لقد خرج المسلمون الى الجبال يبحثون عن الرهبان الذين هربوا من بطش الرومان ويدعونهم للعودة وممارسة شعائرهم الدينية في حمى الاسلام والمسلمين .

وتوالت الغزوات .. وتعرضت المدينة في مطلع العصر الحديث الى اربع حملات حربية « بحرية » ، نزلت فيها او بالقرب منها ، خلال فترة لا تزيد على عشر سنوات . وكانت الحملة الاولى فرنسية ، وهي اهم هذه الحملات واشهرها ، ثم الحملة العثمانية ، واخيرا الحملتان الانجليزيتان ومنذ ذلك التاريخ بدأت مصر تتجه مرة اخرى للغرب ، وكان لابد من بناء ميناء بحري يخدم هذا الاتجاه الجديد بعد ان اصبحت دمياط ورشيد اللتان انتزعتا تجارة مصر الخارجية من الاسكندرية عاجزتين عن تأدية هذه المهمة . وهكذا اتجهت الانظار مرة اخرى الى الاسكندرية التي سبق لها ان قامت بهذا الدور منذ اكثر من عشرين قرنا .. وبدأت الاسكندرية تستعيد مكانتها الاولى » .

معاني الاسماء التاريخية

وبعض ما يشدك في الاسكندرية اليوم ، بعد ان اصبحت مفتاح تجارة مصر مع الخارج ومصيفها الجميل على الشاطيء الممتد من ابي قير حتى العجمي ، والعاصمة الثانية في طرف دلتا النيل بالقرب من مصب فرع رشيد في البحر .. بعض الذي يستوقف الزائر ، تلك الاسماء الغريبة التي نسمعها وتتردد على الأماكن التي تحملها ، ولكننا لا نعرف على وجه التحديد معانيها في التاريخ .

هنالك على سبيل المثال « كوم الشقافة » ، وهي تسمية عربية ، أي الكومة ، المكونة من قطع الاواني الفخارية . ولو ان البعض يعتقد ان كلمة كوم ليست عربية ، وانها تحريف للكلمة الاغريقية Come ومعناها القرية . وهي مقبرة من اربع طوابق منحوتة في الصخر الرملي لعمق ثلاثين مترا تحت الارض ، وهي الوحيدة من نوعها في مصر وفي العالم كله ، وهم يسمونها KATAKOMB كاتاكومب ، لأنها تشبه الممرات الأرضية التي استخدمها المسيحيون في روما ، في بداية انتشار المسيحية لكي يمارسوا حياتهم وطقوسهم فيها ثم يدفنوا موتاهم تحتها بعيدا عن أعين السلطات . ويرجع تاريخ هذه المقبرة الى القرن الثاني الميلادي ، وقد نحتت في الاصل ، لأسرة واحدة ثرية ، ولكنها على



النقيض من « كاتاكومب » روما ، نجد انها لا تضم هنا رفات المسيحيين ، ولم يدفن في كوم الشقافة مسيحي واحد . والمقبرة تجمع بين الفنون المصرية واليونانية والرومانية في آن واحد .

وقد ظل الوثنيون يدفنون موتاهم فيها من القرن الثاني حتى القرن الرابع الميلادي .

ثم عمود السواري الذي يبلغ ارتفاعه ٢٦ مترا ، وفي النص الاغريقي المحفور على الحجر في قاعدة العمود ، جاء ان الوالي الروماني بوستوموس Bostomos ، قد اقامه تكريما للامبراطور دقليديانوس الذي فتك باقباط مصر ، وحرقهم احياء ، فبدأ التقويم القبطي بعهده . والعمود كله عبارة عن قطعة من حجر الجرانيت ، جاءوا به من محاجر اسوان ونحتوه هناك ثم نقلوه الى الاسكندرية ، حيث ثبت في هذا المكان . وما زال امر نحته ونقله من اقصى الصعيد في جنوب الوادي الى اقصى الشمال ، معضلة اثرية ، لم تحل الغازها بعد . وقد بقي عمود السواري يتحدى الزمن والزلازل التي تعرضت لها الاسكندرية . ويقال ان نابليون قائد الحملة الفرنسية ورجاله تناولوا الغداء فوق تاج العمود .

ويتوسط العمود العملاق فناء معبد السرابيوم الروماني الذي شيد فوق معبد السرابيوم الاغريقي الذي اكتشف في مواسم الحفائر الاثرية بين عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ . وكلمة سرابيوم ، معناها بالعربية مجمع عبادة الاله سيرابيس ، وهذا الاله ابتكره البطالمة ، في محاولة لدمج الشعبين المصري والاغريقي في عقيدة واحدة . وهو في حقيقته ليس سوى صورة اخرى للمعبود القديم العجل أبيس والاله اوزوريس معا .. ويقع المعبد اليوم في حي كرموز الشعبي ، وهو نفس المكان الذي كانت تقوم فيه مدينة « راقوده » الصغيرة القديمة التي كانت موجودة قبل مجيء الاسكندر وتأسيس الاسكندرية .

السور والصهاريج

وبقايا سور الاسكندرية ، يرجع تاريخها الى العصر العربي في القرن التاسع الميلادي ، وكان البطالمة قد شيدو سورا قبل العرب ، يحيط بالمدينة من جهة البحر وقد بلغ طوله ١٥ كيلو مترا وكان سورا حصينا ، وقد نجح الاثري المصري المعروف محمود باشا الفلكي ان يصل الى اساسات جانب منه بلغ طولها ثلاثة كيلو مترات وعرضها خمسة امتار تحت الارض .

وعرفت الاسكندرية القديمة في العصر البطلمي نظاما علميا للتزود بالمياه الحلوة وتوفيرها في موسم الجفاف ، بفضل بناء صهاريج في بطن الارض تغذيها مياه الأمطار والقنوات الصناعية . وفي العصر الروماني اقام اوغسطس قناة جوفية هائلة ما تزال موجودة حتى الآن تحت طريق الحرية .. لقد كانت خزانات المياه والصهاريج تمتد تحت مدينة الاسكندرية بأكملها ، حتى



تمثال نصفي لعبد الله النديم خطيب الثورة العرابية في حديقة الخالدين ..
تطل عليها مئذنة جامع ابراهيم ، وهو من احدث مساجد الاسكندرية .

القلعة التي بناها السلطان قايتباى للدفاع عن ميناء الاسكندرية القديم .. شيدت فوق الفنار الذى كان احد عجائب الدنيا السبع ، ثم اندثر .



ان المقريزي قال يصفها : « إن في استطاعة فارس راكبا جوادا وشاهرا رمحه ان يلف المدينة كلها من خلال صهاريجها وقنواتها » . وقد اكتشف الفلكي باشا وحده اكثر من ٧٠٠ صهريج . كان بعضها يتألف من ثلاثة او اربعة طوابق مثل صهريج السلطان حسين .

المسرح الروماني في كوم الدكه

وفي عام ١٩٦٠ ، بدأت البعثة البولندية ، بالاشتراك مع السلطات المصرية في الكشف والتنقيب عن تاريخ الاسكندرية القديم ، وبصورة علمية منظمة ، ووقع اختيار البعثة على منطقة كوم الدكة .. وكان الاعتقاد السائد ان هذا التل بقي قائما منذ العصور اليونانية القديمة ، وانهم كانوا يطلقون عليه اسم تل « بان » ، وبان هو الهة الحقول في الاساطير اليونانية الرومانية ، وكان يرتفع شامخا فوق مساحة من الارض تزيد على ١٨ فدانا ، الى ان جاء نابليون بحملته على مصر في عام ١٧٩٨ وزاد من ارتفاعه وبنى فوقه حصنا منيعا حتى تتمكن جيوشه من السيطرة على المدينة عسكريا .. وفي عام ١٨١٩ جمع محمد علي مؤسس الاسكندرية الحديثة ، الرديم المتخلف عن حفر قناة المحمودية والقى به فوق التل ليزيده ارتفاعا . حتى اذا ما بدأ عصر الاحتلال الانجليزي ، رأيناه يتحول الى مقر للقوات البريطانية .

وانتهى احتلال الانجليز ، وكان آخر شيء يرتفع فوق التلّ هو مدفع رمضان . وعندما قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ اعتبرت مصر هذا التل رمزا للاحتلال والسيطرة الاجنبية ، فتقرر ازالته ، وحصلت البعثة البولندية لمركز آثار حوض البحر المتوسط على امتياز التنقيب عن الاثار القديمة في بطن التل .

وكانت المفاجأة عندما عثرت البعثة تحت هذه الاكوام الهائلة المتراكمة من الاتربة والصخور على اضخم حمامات رومانية في مصر كلها ، ولكنها كانت مدمرة نتيجة لانفجار في مخزن للبارود قيل انه حدث في عهد محمد علي باشا . وفي الحمامات عثر المنقبون على اماكن خاصة بالتدفئة وخزانات للماء الساخن والماء البارد ، وعلى آثار للوحات زيتية ملونة فوق الحجر ، وتماثيل للاله افروديت ، وتمثال نصفي لرأس الاسكندر ، والعديد من الاواني المنزلية المصنوعة من الفخار والقيشاني .

واستمرت البعثة البولندية تبحث وتنقب حتى عثرت في الناحية الجنوبية الغربية من كوم الدكه ولاول مرة في تاريخ مصر على درجات رخامية لمدرج روماني قديم ، وكان ذلك في عام ١٩٦٤ ، ويعتقد الاثريون انها بقايا لمسرح قديم يرجع تاريخه للقرن الثاني الميلادي .

القلعة وثورة عرابي

ومن معالم الاسكندرية ، قلعتها الشهيرة في التاريخ .. بناها السلطان قايتباي للدفاع عن ميناء الاسكندرية القديم ، في نفس المكان الذي كان يقوم فيه فنار الاسكندرية والذي كان يعد احد عجائب الدنيا السبع ، وكان قد شيد في عصر بطليموس الثاني ، ثم تهاوى واختفى في القرن الرابع عشر الميلادي ، ولكنه اصبح نموذجا لجميع الفنارات الموجودة في العالم .

اما القلعة الصامدة ، فقد لعبت دورا كبيرا في ثورة عرابي باشا عندما تحصن رجاله داخلها ، واستطاعوا ان يصدوا غزو الانجليز من البحر . وقد حولها جمال عبد الناصر الى متحف بحري يضم نماذج للحياة البحرية العسكرية من عهد قدماء المصريين حتى تأميم قناة السويس ، وما اعقبه من عدوان على مصر عام ١٩٥٦ . وفي مياه البحر قرب القلعة عثروا على تمثال الالهة ايزيس وهو يزن ٢٥ طنا ، وقد انتشلته القوات البحرية المصرية ، ويرقد الآن بجوار عمود السواري .

عندما جاء محمد علي باشا الى مصر ، واستقل بها عن النفوذ العثماني ، وبدأت تستتب له الامور ، هو وابناؤه من بعده ، راح يعمل ويبني ويعمر ويشق الترع ويشيد القناطر ، حتى اصبحت مصر في عهده جنة خضراء .. وكان حريصا على ارضاء الاجانب ، فلم يشأ أن يرفض لهم طلبا لكي يضمن تأييدهم له ضد ثورة الباب العالي .

حتى عندما تقدمت الجاليات المسيحية الأجنبية تطلب تخصيص أرض لدفن موتاهم ، لم يتردد في ان يهبهم ساحة تزيد على الألف فدان عند طرف الحدود الشرقية للاسكندرية في ذلك الوقت .. وجاء الفنانون الايطاليون ليحولوا المقبرة الى قطعة من روما بتماثيلها المرمرية في عصر النهضة ، حتى اصبحت اليوم من معالم الاسكندرية السياحية ، ولكنها لم تعد في اطراف المدينة ، كما كانت ، وانما في قلبها ، فهي الان ، اي المقابر ، وسط حي الشاطبي ، اجمل احياء الاسكندرية وبين العمارات السكنية والمدارس .. فيها دفن والد رودولف هيس الزعيم النازي الكبير ، والشاعر الاغريقي الاسكندري « كفافي » وغيرهما كثيرون .

هل تبقى هذه المدافن ام تزال لتفسح الطريق للحياة والاحياء خاصة وانها تحتل هذه المنطقة الشاسعة من

المدينة التي بدأت تضيق بسكانها ! ولان الموتى فيها لم يعد لهم احد يذكرهم بالزيارة . البعض يقول : « تنقل هذه التحف المرمرية الى متحف ! » والبعض يقول : « نتركها حيث هي ، انها روما بعظمتها الفنية في هذه البقعة من الارض العربية ! » ولم يستقر الرأي بعد على شيء !

قصر فرساي !

وعندما جاء التاجر اليوناني الكبير أنطونياوس الى الاسكندرية وازدهرت اعماله في عصر اسماعيل باشا من تجارة الاقطان ، شاء ان يبني لنفسه قصرا على غرار قصر فرساي وسط حديقة جميلة شاسعة تزيد مساحتها على العشرين فدانا . ومات انطونياوس الأب ، واهدى انطونياوس الابن ، القصر والحديقة للحكومة المصرية في اواخر القرن الماضي .. وفي حديقة القصر يحتفلون اليوم بعيد الربيع ، ويقيمون معارض الزهور كل عام .

وقصر رأس التين الذي شيد في عصر محمد علي باشا ، ثم اعيد بناؤه في عصر اسماعيل باشا .. شهد نهاية ملكين .. على رصيف الميناء الصغير داخل حدائق القصر وقف اسماعيل باشا يودع مصر ، مطرودا منها ، ثم وقف حفيده فاروق يستقل يخته الى غير عودة بعد ثورة يوليو عام ١٩٥٢ .

وقد كان طريق الكورنيش على البحر من اعظم الانجازات التي اضفت على هذه المدينة الجميلة لونا من التخطيط الحضاري ، وقد شيده اسماعيل صدقي باشا عام ١٩٣٦ ، وطوله ٢٠ كيلو مترا من قصر المنتزه الى رأس التين .. ولكنه لم يكن يتصور وهو يبني هذا الكورنيش ان تعداد سكان الاسكندرية سوف يرتفع من ثلاثمائة الف نسمة في ذلك الوقت الى مليونين ونصف مليون اليوم .. يصل الى ثلاثة ملايين ونصف في موسم الصيف .

من اجل هذا جاء الكورنيش غير متناسب مع الزيادة المستمرة في عدد السكان ، ومع التوسع الهائل في المدينة التي نمت وكبرت عشر مرات في اقل من نصف قرن ! وبدأت تشهد نهضة صناعية كبرى خلال الثلاثين عاما الاخيرة .

وفي الاسكندرية اسماء اخرى كثيرة لمؤسسات لها تاريخ .. كلية فيكتوريا التي تخرج منها العديد من الزعماء العرب من بينهم الملك حسين ومنصور حسن وزير الاعلام المصري وغيرهما . ومستشفى المواساة ، الذي ظل الى عهد قريب من اكبر المستشفيات واحدثها تجهيزا واستعدادا لاجراء العمليات الجراحية الكبرى وعلاج الحالات المستعصية . ومدرسة التمريض القديمة الملحقة الآن بكلية الطب . هنا عرفوا فن التمريض الحديث ، وزارتها فلوراتس نايتنجيل في منتصف القرن التاسع عشر ، ثم عادت الى اوربا لتطرد العاهرات من غرف المرضى وتحمل المصباح لتضيء به الطريق امام ملائكة الرحمة بملابسهن البيضاء ، وتقود ثورة لاصلاح هذه المهنة النبيلة التي دخلت معها التاريخ .

والاسكندرية منذ ربع قرن ، ليست الاسكندرية اليوم ، فقد كان نصف سكان الثغر من الاجانب ، اليونانيين والايطاليين والفرنسيين والانجليز ، وكانت اكبر الجاليات الاجنبية ، هي الجالية اليونانية .. حوالي ٤٠ الف يوناني في الاسكندرية وحدها .. وقد رحلت الاغلبية العظمى ، ولكن ما زال هناك العديد منهم في الفنادق والمطاعم ومحال البقالة .. انهم مصريون كسائر المصريين .. تعلموا في مدارسها وجامعتها الكبرى ، ثاني اكبر جامعات مصر .

وفي الاسكندرية ، قامت المساجد والكنائس جنبا الى جنب .. وهناك كنيس لليهود ، اما الكنيسة المرقسية فقد انشئت اصلا في اوائل القرن الميلادي الأول بعد استشهاد مرقس الرسول احد تلاميذ السيد المسيح ، ثم جددت عدة مرات حتى اصبحت في مبناها الحالي ، ويقال ان راس مرقس الرسول مدفونة هناك .

والمساجد في الاسكندرية لها طابع اسلامي خاص ، يجمع بين الطراز الاموي والفاطمي واقدم المساجد واشهرها مسجد سيدي أبي العباس المرسي واحدثها مسجد ابراهيم وهو يشرف على حديقة الخالدين ، على طريق الكورنيش ، او طريق الحرية .. ويتوسطها اربعة تماثيل نصفية ، احدها لخطيب الثورة العرابية عبد الله النديم ، والثاني لحسن الاسكندراني الذي كلفه محمد علي بانشاء اول اسطول مصري ، وسيد درويش « أبو الموسيقى العربية » ومحمد كريم مدير مديرية الاسكندرية الذي اعدمه الفرنسيون .

تاريخ طويل لمدينة قديمة .. هذه لمحات منه ، المدينة نفسها ما زالت تعيش مع التاريخ ولا تنفصل عنه اما الناس .. اهلها ، والوافدون اليها هربا من الحر في الصيف ، فهم دائما مع البحر .. في مياهه وعلى شواطئه ومع نسماته في الليل والصباح قبل الشروق . ■■

منير نصيف





داخل قلعة قايتباى . متحف بحرى يروى قصة مصر منذ عصور قدماء المصريين حتى يوم تأميم القناة .. المصريون القدماء يبنون احدى سفنهم الشراعية .. مجسم لاحد كبار النحاتين المصريين . (الى اعلا)

تمثال محمد على باشا الكبير . الجندى الالباني الذى شق عصا الطاعة على الباب العالى . واستقل بمصر . انه مؤسس مصر الحديثة . وقد استأثرت الاسكندرية بجانب كبير من اهتمامه . (على الصفحة المقابلة)

جانب من مقبرة اللاتين .. قطعة رائعة .. هل تزال بعد ان اصبحت اليوم فى قلب المدينة القديمة . ام تبقى فى مكانها ؟ . (الى اليسار)



مقالات وكلمات

■ الطبيعة وحدها هى التي تصنع الاشياء العظيمة بلا مقابل !

« الكسندر هرزن »

■ لن يقبل المرء ابدا ان يزحف على قدميه عندما يشعر ان هناك قوة تدفعه الى التحليق في الجو !

« هيلين كيلر »

■ اعطنى الفوائد التى جنيتها من اقتناعك ، اما شكوكك فاحتفظ بها لنفسك ، لان لدى ما يكفينى من شكوك !

« جوتيه »

■ اننا نزور الاخرين مجاملة لهم .. ترى متى كانت آخر مرة قمنا فيها بزيارة لأنفسنا ! ؟

« موريس ادلر »

■ ليس هناك واجب نقلل كثيرا من اهميته ، مثل العمل من اجل اسعاد انفسنا !

« روبرت لويس ستيفنسون »

■ انقذنى من الحكمة التي لاتبكي ، والفلسفة التى لاتضحك والعظمة التى لاتركع امام الاطفال !

« خليل جبران »

■ عندما يصل المرء اخيرا الى المراعى الخضراء ، يجد نفسه قد اصبح عاجزا عن تسلق السورالذى يحيط بها !

« فرانك ديكسون »

■ هناك دائما مكان للوصول الى الأفضل ، وهو اكبر مكان في البيت !

« لويزهيث لير »

فن «الاحاطة»

صيحة غربية نبعت من الشرق

بقلم : محمد المهدى

يقول (هيجل) في تفسيره دورة التاريخ من خلال فلسفة الجمال ان تطور الفن هو حركة تحقيق الذات من خلال سير التاريخ او تكشف الفكرة والعقل . ويجتاز هذا التكشف ثلاث مراحل لكل منها فنها الخاص . والمراحل هي .. الرمزية .. الكلاسيكية .. الرومانتيكية . في المرحلة الاولى تسيطر المادة على الفكرة فيأتي الانتاج رمزيا . وفي المرحلة الثانية تتوازن الفكرة مع المادة فيأتي الانتاج كلاسيكيا . وفي المرحلة الثالثة يعود عدم التوازن ولكن لصالح الفكرة على حساب المادة فيأتي الانتاج رومانتيكيا .

الرمزية انتاجها معماري . والكلاسيكية نحتي . والرومانتيكية تصويري بوجه خاص في الموسيقى والشعر . والفن الشرقي بشكل عام فن رمزي معماري تغلب فيه المادة على الفكرة ، والفن اليوناني كلاسيكي نحتي تتوازن فيه الفكرة مع المادة . والفن الاوربي هو الفن الرومانتيكي الوحيد .. تغلب فيه الفكرة على المادة .

من عبارة (هيجل) خرجت آراء اخرى تراوحت بين مواقف ثلاثة . اما القول بان الحضارات صبت جميعا في الحضارة الغربية . واما القول بان هناك حضارات ظهرت ونمت ثم اختفت وكان يحكمها قانون واحد . واما القول بان الحضارات التي ظهرت ونمت كانت تترك بصماتها بدرجات متفاوتة . والمواقف الثلاثة تنتهي بقول ان حضارة الغرب هي القمة وهي الصفوة وان الاختلاف بين الحضارات اختلاف في الدرجة وليس في النوع .

موقف رجال الفكر الذي توخى الاعتدال على مقعد عدم الانحياز .... انحاز بشكل واضح . وعامل حضارات الشرق القديمة او فنونه بوجه خاص ، على انها فنون من الدرجة الثانية او هي معابر للوصول الى الانسان الاعلى .

لكن ماذا عن الواقع العملي ؟ ... لقد مر الواقع بمراحل ثلاث :

اولا : استلهام الشرق فيما يعرف بالاستشراق للفن .

ثانيا : استخدام التجريد الشرقي مع التنفيذ باسلوب غربي .

ثالثا : استخدام الاسلوب الشرقي في التنفيذ .

ونتناول كل مرحلة ببعض من التفصيل مع ملاحظة انها متداخلة ، وفي بعض الاحيان متوازية .

اولا : الاستشراق الفني

تجمعت عدة عوامل في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر لتدفع بحركة الاهتمام بالشرق دفعات قوية ... ترجمة الف ليلة وليلة . ظهور الحركة الرومانتيكية في اوربا . اهتمام نابليون بالشرق وحملته على مصر . الدراسات التي قامت بها الحملة (كتاب وصف مصر) . كشف (شامبليون) لاسرار اللغة المصرية القديمة . استعانة حاكم مصر محمد علي « باشا » بالغرب والاستفادة من خبرته وعلمه . تطلع العديد من دول اوربا لاحتلال الشرق .

وظهرت اسماء لامعة في حواري القاهرة ، ودمشق ،



وبيروت ، وبغداد ، والجزائر ... شاتوبريان . شامبليون . ادوارد وليم لين . فلوبير . جيراردى فرقال . مكسيم دي كامب . انطوان كلوت (بك) بريس دافين . ارنست رينان . تيوفيل جوتييه ... ادباء ، فنانين ، رجال بحث ، علماء ... وايضا نصابين ولصوص . وتراوحت عيونهم في رؤية الشرق بين عين الفنان ، وعين العاشق ، وعين العالم ، وعين القرفان ، وعين المنحاز ، وعين الساخط ، وعين اللئيم ، وعين المستفيد . وكان طبيعيا الا يغيب الفنان التشكيلي عن هذا النبع الخصب .

ظهر الفنان الفرنسي والانجليزي والايطالي والالماني وايضا الامريكي . يجوبون طرقات الشرق . وفي عام ١٨٢٠ قامت ثورة اليونان ضد الاتراك ، وارتفعت موجة السخط الاوروبي على العثمانيين مع التهاب المشاعر



القاعة الدمشقية .. قاعة نور الدين .. الا انها تعود الى العهد العثماني .. نموذج لفن الاحاطة الاسلامي .

لوحة الرقص النوبي للفنان المستشرق لوفيج دبتش رسمها عام ١٨٨٦ .

الرومانتيكية . تلا ذلك احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ ثم شمال افريقيا . اثمرت هذه الاحداث دفعة جديدة من الاهتمام بتسجيل الشرق . بعضها ساخط او شامت يصور انتصار الاوربي على رجل الشرق . وبعضها يتأمل حركة الحياة اليومية ويسجيها في الاسواق والمقاهي والمحلات والمساجد . واعلن الكاتب والناقد التشكيلي (جوتييه) مباركته لاعمال ثلاثة فنانين من المستشرقين عرفوا بالافارقة الثلاثة .. ديلاكروا . ساشوري . دودان . تعرض الاستشراق الفني لفترة ركود . ولكن بعد عامي ١٨٧٠ / ١٨٨٠ عادت اليه الحياة بفضل ظهور التأثيرية . تأثر كل من لوبورج ، ومونيه ، ورينوار بشمس الجزائر الحية والوانها الشابة . وقام كل من فرومنتان ، وجيرار ، والالماني شيرر ، والايطالي بازين بغمس الفرشاة في ضوء الطبيعة بعد ان كانت معتمة باضواء المرسم الصناعية ، ومزاج الفنان المتقلب .

هذه اللوحات التي خرجت من حضن الطبيعة جاورت لوحات واقعية او تكاد تكون فوتوغرافية تسجيلية ، ومن مزج او تآلف الطبيعة مع الواقع تأسست على مهل مدرسة فنية تقوم على تصوير حياة الشعوب . ومن ناحية الاسلوب عقدت قرانا شرعيا بين الطبيعة والمرسم . يقوم الفنان بوضع اللمسات الاولى او اشهار العقد للوحته على ارض الواقع .. في السوق ، او المقهى ، او الطرقات او الطبيعة اثناء رحلته بالشرق . ثم ينتقل بعروسه او لوحته الى مرسمه باوربا ليطوعها على مزاجه ، ويستكمل تشكيل خطوطها الاخيرة .

وفي عام ١٨٩٢ اثمر نجاح معرض الفنانين الفرنسيين معرضا آخر باسم المعرض القومي للفنون الجميلة . جاء انتاج الفنانين المستشرقين فيه اكثر حيوية نتيجة لوعي الجيل الجديد بدرجة اكبر روح الحضارة العربية الاسلامية . ثم اقيمت مؤسسة الفنانين المستشرقين الفرنسيين .

وابتداء من عام ١٩٢٠ بدأت الدول الاستعمارية تتدخل في اعمال الفنانين المستشرقين فانحدر الانتاج . ووصل الى اسوأ حال في معرض المستشرقين عام ١٩٣١ . ولكنا نراه يعود او يعود البحث عن الانتاج السابق لاسباب تجارية ابتداء من ١٩٦٠ . لقد زاد اقبال العرب المقيمين في اوربا على شراء لوحات الاستشراق ووصل لنسبة ٤٠٪ من مبيعات معرض لندن عام ١٩٧٨ وبيعت اخيرا لوحة الفنان المستشرق (جون فردريك لويس) بمبلغ ٢٫٠٥٧٫٠٠٠ فرنك فرنسي .

الاستشراق الفني منذ اواخر القرن الثامن عشر الى اوائل القرن العشرين اكتفى من الشرق اما بالتسجيل الواقعي او شبه الفوتوغرافي ، وكان له دوره واهميته وابداعه الخاص في صور المعالجة على اللوحة ، اي المعالجة الغربية . واما الاستلهام للابداع بطريقة التأثيريين ، اي بطريقة غربية ايضا . في هذه المرحلة لم يكن للشرق دور في تغيير أسلوب الفنان الغربي . وكل ما فعله هو توسيع مصادر الخصب والخيال . اما المعالجة فهي غربية صرفة ، لا يعرفها الشرق نفسه لانه ببساطة لا يعرف فكرة وضع العمل الفني في اطار يسمى اللوحة .

ثانيا : استخدام التجريد مع التنفيذ بأسلوب غربي :

الخط الثاني الذي واصل مسيرة التأثر بالشرق ، بدأ حينما اتجه الفنان الغربي الى التجريد كاسلوب . والتجريد في تاريخ الفن الغربي بدأ من منتصف القرن الماضي . مؤرخو الفن يجعلون (سيزان) جذع الشجرة التي اثمرت اهمال البعد الثالث في التصوير .

واخرجت فروع التجريد استعدادا لخط سير سينتهي بالغاء الشكل المتعارف عليه .

نعود لمدارس الحضارة الغربية التي تحدثنا عنها . نجدها تقول ان التصوير والادب هما قمة التطور . فنون الشرق بعامة (اليابان والصين والهند وايران والشرق العربي القديم) فنون معمارية في اغلبها . وفنون اليونان والرومان نحتية . بينما جاءت فنون العصور الوسطى المسيحية تصويرية . وانتهينا الآن الى قمة التجريد أو فن العصر الحديث وهو الموسيقى . ويضيف هذا الرأي ، ان فنون الشرق كانت جمعية او جماهيرية . اي انها تجمع حشدا كبيرا من التنفيذ والتذوق لصالح العقيدة او صاحب السلطة . وفنون اليونان والرومان واوربا تتجه الى الانسان الاعلى بينما يتجه فن الموسيقى الى التجريد وان كان فيه قدر من الحسية .

وذات يوم قال رجل لآخر . اصبحت لا افرح لخير ، ولا احزن لشر ، ولا اغضب لظلم ، اجاب الآخر : الآن تكامل فيك موت القلب !

هناك نسأل هل التجريد يعني موت القلب ، او الانعزال في عالم الاولمب . ام التجريد يعني التخفيف

ثم الصعود بالمحلية وصولا الى الاحاطة بالشمولية ؟ .. التجريد ليس فلانا او آخر ، ولكنه مجرد الانسان .. اى انسان . ليس شجرة البرتقال او التين او المشمش . ولكن الاحساس بعمق الجذور ، وشموخ الساق ، وعطاء الخضرة .

هل حرم الفن الكلاسيكي بهذا المقياس من طاقة التجريد ؟ يذكر التاريخ ان البابا كلمنت السابع طلب من (ميكل انجلو) ان يقوم بعمل تماثيل للورنزو وجوليانو دي مدتشي . ولما انتهى منها احتج البابا بانها لا يشبهان الاصل . اجاب (انجلو) ... بعد مرور الف عام سوف لا يهتم الناس بسحنة لورنزو وجوليانو . اى ان شبهها مسألة عارضة ، ولم يقتنع البابا . واعتقد ان غالبيتنا لا يقتنع بهذا المنطق رغم أن تراثنا وحضارتنا الشرقية البعيدة والقريبة تقوم على فنون التجريد . والعلة هي ان مزاجنا توقف بالنقل من الغرب عند المرحلة التصويرية المباشرة التي عبرت عليها اوربا نفسها وتجاوزتها .

الفنون الكلاسيكية التي تعطي مثالية للجسم البشري كالنحت اليوناني القديم . والاتجاه الواقعي الذي ينقل بصورة شبه تسجيلية لا يخلوان من خطوط التجريد . تكشف هذه الخطوط عندما نقوم بعملية تشريح لتحديد التوازن او البحث في النسيج الداخلي لهذا اللون من الابداع . وبدون البحث عن هذه الجذور فانت في الحقيقة تتذوق انطباعك الخاص او ذكرياتك الشخصية ، او الوانك المفضلة . او تتعامل مع العمل التشكيلي بمذاق ادبي وبالتالي تجعل الفنان التشكيلي اديبا من الدرجة الثانية . مقلدا وليس بمبدع . وبالتالي فان هذا اللون من التذوق يحط من قدر تراث الشرق في تصويره ، ونحته وعمارته لان ابداعه بطبيعته يخالف الواقع بخلق خاص لا يستدعي ذكريات النشوة مع الحبيب ، او الحزن على فراق الصديق . يغرق الانسان فيها وينسى ما هو اكثر شمولا . نشوة الآخرين وحزنهم . او الالتقاء مباشرة بالنشوة او الحزن كالموسيقى بقدراتها على التجريد .

يقول توفيق الحكيم ما معناه ، ان الفن المصري القديم يخلق لنفسه عالما يختلف عن الطبيعة بل يتحداها . بينما الفن اليوناني يقلد الطبيعة الى حد المثالية وحكم الحكيم ينطبق على فنون الشرق العربي القديم .

ويقول بيكاسو « انا اود ان اصل الى المرحلة التي لا يمكن لشخص ما ان يعرف كيف تعمل صورة من صوري . والفكرة من وراء ذلك . انني ارغب بكل بساطة الا يتكشف من صوري الا الانفعال الذي تعكسه » ، ثم يقول وكأنه يعلق على كلام (انجلو) (لقد كان لهذين الشخصين وجود بالنسبة لي ، ولكن لم يعد لهما الآن وجود . ان رؤيتي لهما اعطتني انفصالا اوليا . ولكن وجودهما اخذ يقل وضوحا حتى استحال الى وهم ثم اختفيا كلية . او بمعنى آخر لقد تحولا الى صيغ والوان تحمل في نفس الوقت فكرة شخصين وتحتفظ بكل نبضات حياتهما » . وفي الفن المصري القديم حينما اكتشفت لوحة اوزات (ميدوم) وجد انها تعالج الموضوع في واقعية اثارت الدهشة ، لانها خرجت عن مألوف الفن المسطح الذي صيغت به الابداعات الفنية الاخرى . وبعد دراسة تبين ان المعالجة التجريدية من فنون الشرق القديمة بعامة كانت مقصودة ، وليس لعجز في قدرة الفنان عن تناول البعد الثالث .

وخذ مثالا آخر من زمان ومكان مختلفين . الفنان الفارسي (بهزاد) من القرن السادس عشر الميلادي ، واستخدامه للتسطيح بصورة مقصودة . فلوحاته (كانت داخل كتب منسوخة) التي صورت الطبيعة لم تخل من استخدام البعد الثالث . لقد جمع التجريد بين جذور الواقع وقدرة الاحاطة . وكان الفارق بين استخدام الفنان الشرقي للتجريد والفنان الغربي للتجريد ، ان الاول كان يصيغ ابداعه من مزاج جمعي وليس باجتهاد شخصي . لم يكن في حاجة الى شرح وجهة نظره او صياغتها في قالب فلسفي مكتوب . ووافق التجريد عنده طريقة المعالجة ، في تصوير المعابد ، او نحت التماثيل او اقامة العمارة من المعبد الى المسجد .

وجاء الفنان الغربي في مرحلة كانت في حاجة الى مصادر الهام جديدة ، وحصل على التجريد من الشرق ، وبطبيعة زمانه الذي صاغ النظريات الفلسفية واقام المدارس الفنية صاغ التجريد في مدرسة ، او قولبه .. اى جعل له قالبا وقواعد . ولكن حده في حدود ما عالج من ابداع تشكيلي في لوحة او نحت على صورة منفصلة عن التكوين العام . اى جعل هناك فاصلا كما اعتاد من ميراثه الحضاري بين العمل الفني ومتذوقه . وهنا بدأ قلقه وبدأت المرحلة الثالثة .

ثالثا : استخدام الاسلوب الشرقي في التنفيذ :

تجارب الفنان الغربي نتيجة لحالة قلقة تنوعت طولا



الموسيقيون الثلاثة ... التجريد على طريقة بيكاسو .





تجربة (كروني ١١) التي عرضت مؤخرا في باريس . محاولة غريبة لعرض فنون الاحاطة .



نموذج لفن الاحاطة داخل مسجد قايتباي بالقاهرة .. اللوحة من عمل الفنان المستشرق بريس دافين (ادريس افندي) من القرن الماضي .

وعرضـا .. تجارب مسرح الشـارع ، او النـاصيـة او الميدان .. تجارب نقل الممثلين الى المتفرجين .. او تجربة كلود فولتير المسرحي البلجيكي العكسية في تتبع المتفرجين للممثلين اثناء تحركهم من قصر قديم يمثلون فيه مسرحية الملكة الميتة لمونترلان . تجارب مزج الفنون ، او المسرح الشامل او مسرح الارتجال ...

وفي التشكيل مزج التصوير بالنحت ، او مزجهما بالاضواء والموسيقى . استخدام ادوات العصر الحديث .. معجزاتـه الصنـاعيـة ، خاماتـه الجـديدة ، عقولـه الالكترونية ، في تشكيل ما يعبر عن احساس الغربي بالغربة امام الغير وامام نفسه . ومحاولة اعـادة الالفـة بربط الانسان او التذوق بالابداع الفني او الادبي او المسرحي دون حاجز من حوائط مسرح ، او اطار لوحه ، او حدود نحت .

وفي باريس عرضت مجموعة من الشباب الـدارس (١٧ فتى وفتاة) تجربة فنية جديدة علها تعبر عن مسار الازمة ، ووصولها الى ابداع شكل فني جديد يردنـا في تقييمه الى جذور شرقية مجموعة الشباب يسمون انفسهم (تيلر استردام) . بدأ نشاطهم عام ١٩٦٣ ، وقدموا في عام ١٩٦٩ تجربة اطلقوا عليها (كروني ٥) في بينالي باريس السـادس .

بناء ضخم من الخشب المدهون بالابيض والمغطى بغطـاء شفـاف من البلاستيك في داخلـه تشكيلات تجريدية متنوعة مع الموسيقى والاضـواء . تطـورت الفكرة بعد ان احسوا ان شعور الغربة لا يزال قائما بين العمل الفني والـرواد . فسمحوا في (كروني) أخر بدخول المتفرج الى قلب العمل الفني وتأمل ابعاده ، او معايشته . وفي العام الماضي قدموا آخر تجاربهم تحت اسم (كروني ٦٦) او المدينـة الشفـافـة في مركز بومبيدو بباريس .

دارت التجربة حول محاولة ربـط الانسـان بالمكان الذي يحيط به . يقوم الانسان بدور المعبر لما يراد تقديمه ، ويقـوم المكان بدور الرسالـة التشكيلية ، ويقولون « التجربة يجب ان توحي لا ان تقول . لان القول دائما فيه القطع والتأكيد » .

ولكن نوضح ابعاد التجربة نقدم نموذجا لما تقدمـه المدينة الشفافة .. اعمده من النيكل مقامه توحي من تركيبها بوحدات او مربعات منفصلة ، تربطها مساحات مشدودة من قماش شفاف . بعض هذه الوحدات تقدم مكان لهو او عمله ، اعتقال ، او عبث ... نماذج متنوعه من الحياة يقوم افراد المجموعة بعرضها داخل المربعات في صمت وفي حدود حركة قليلة . والجمهـور يشاهد هذه التحركات او هذه المدينة الشفافة من الخارج .

جماعة استردام تستخدم اللـون الازرق الخفيف ، لان الالوان القوية تؤدي في رأيهم الى فقدان الجمهور لوعيه . والملابس لا تفصل بين الرجل والمرأة . وكذلك الاقنعة .

ويشيع ايضا اللون الابيض من المخمل فيغطي بعض المساحات .. كل شيء يوحي بالتجريد يوحي بمدينة ما . اى مدينة .. مجتمع ما ، اى مجتمع .

والتجربة رغم نجاحهـا لدى المزاج الغربي الا ان افرادها يتساءلون . لماذا فصلنا المتفرج او المتلقى عن العمل الفني ؟ لماذا جعلنا المدينة للفرجة ؟ .

انهم يعدون الآن تجربة جديدة يرجعون بها الى البناء الهندسي والاعداد التشكيلي الذي يسمح بدخول المتفرج ليتزوه في الداخل بالشحنة المطلوبة .

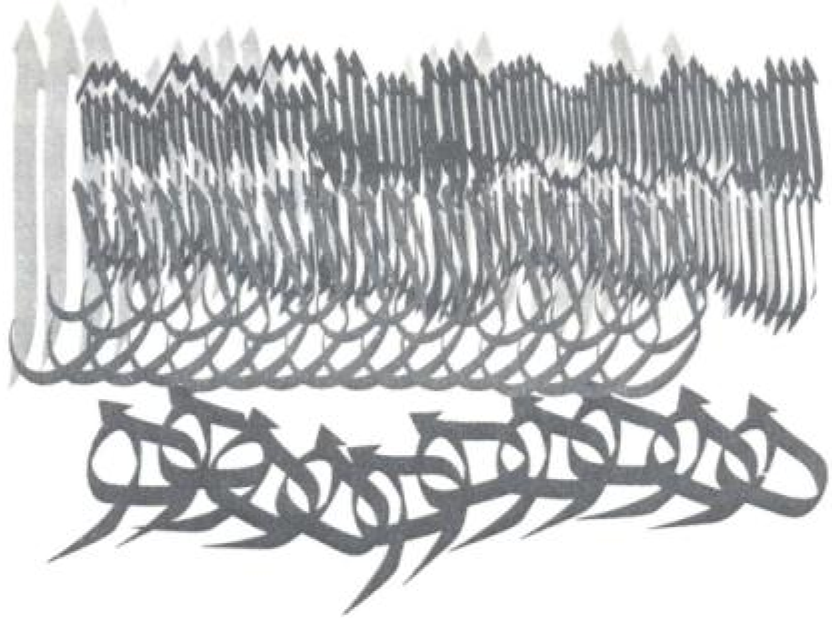
وسواء عمدت او لم تعمد تجارب هؤلاء الشباب الى الاستفادة من الاصول الشرقية فهي على الاقل تتفق معها في العناصر الآتية :

اولا : الامتزاج ... ليس هنـاك ما يسمى بالعمل الفني ومتذوقه . فالجميع يمكنهم المشاركة في اقامة العمل وبالتالي يمكنهم الاستمتاع به لارتباطـه بالحياة اليومية من ادوات استخدام الى عمارة سكن ، الى معبد الى مسجد في تراثنا القريب ...

ثانيا : الشمـولية .. اللوحـات الجدارية في الفن القديم ، والتكوينات التجريدية والخط العربي في الفن الاسلامي كلاهما مرتبط بالعمارة ولا يمكن فصلهما . واعتقد أن احساسنا بهذه التكوينات يختلف عند الالتقاء بها داخل عمارتها الاصيلة لانها جزء من التكوين العام . عن احساسنا بها عند وضعها في اطار بشكل مباشر ، او باعادة تشكيلها بتكنيك غربي داخل اطار هو ايضا جزء من التكنيك الغربي .

ثالثا : التلازم .. لا يوجد في فنون الشرق ما يسمى بالمعرض او المتحف . اى المكان الذي تذهب اليه الصفوة المثقفة او الواعية لتنهل من منابع الابداع الفردى . ولكن المنابع الفنية ـ وهي غير مقصـودة ـ هي ادوات استخدام تلازم الجماعة .

رابعا : الاحاطة .. نتيجة للعوامل السابقة لا يوجد الفاصل بين العمل الفني ومتذوقه . فالفنون جمعية حتى



لوحة للفنان احمد مصطفى .. من انجح المحاولات لصياغة الخط العربي .. دائما باسلوب غربي .

لو اقامها افراد لمصلحتهم او لعظمتهم الشخصية . وبالتالي يتوفر للعمل الفني الاحاطة بالتذوق ـ ان صح استخدام هذا المصطلح في هذه الحالة ـ من الجهات الست ... الاربع المعروفة مضافا اليها السقف والارضية .

لقد مرت علاقة الشرق بالغرب الفنية خلال المائتي عام الماضية بالمراحل الثلاث التي عرضتها . والملاحظ ان لحظة اللقاء بينهما جاءت بعد ان بعد الشرق العربي عن تراثه وفنه نتيجة لحالة التخلف التي وقع فيها . وواكب ذلك انبهار بمظاهر الحضارة الغربية واسلوبها في المعالجة الفنية فكانت النتيجة تأكيد غموض الميراث الفني او عدم فهمه عند اهله . كان المصريون مثلا يقولون ان الاهرامات بناها الجن ، ويسكنها العفريت . ويقول (جيرار دي نرفال) الذي زار مصر في منتصف القرن الماضي . ان المصريين يهملون مسجد عمرو وهو اول مسجد أنشيء في بلدهم ، بقدر اهمالهم لمسجد الحاكم بامر الله الذي اعتبروه مجنونا .

ادى هذا الموقف الشرقي من التراث الفني مع مرور الزمن الى اعتياد تذوق الفنون بالمفهوم الغربي اى وضع العمل الفني في اطار ، ويتحرك من يريد التعامل معه او تذوقه ليزوره في المتحف او المعرض . وصار مزاجا عاما حتى عند الجماهير البسيطة التي تعيش وسط الاثار العريقة .

استتبع هذه النتيجة خطرات ثلاث متناقضة في داخلها . في مرحلة الاهتمام بالاستشراق الفني من جانب الغرب ، وجدنا مزاجنا يتعاطف معها لانها شبه تسجيلية . في مرحلة تتذوق فيها الفنون بمنطق الواقعية الغربية . رغم انها من ناحية تراثنا الفني ابعد ما تكون عن روحه التجريدية . وفي مرحلة الانتاج التجريدي في اوربا نجد ان تعاطفنا معها يقل ، رغم انها في العمق هي اقرب الى مزاجنا التراثي . وفي المرحلة الثالثة اى مرحلة بحث الفنان الغربي عن قوى الاحاطه التي هي شرقية صرفة ، نجد انفسنا تنفر منها ، ونراها خبلا او اضطرابات في العقلية الغربية .

ولا ادعى في النهاية القول بان المحاولات الفنية للشباب الاوربي الآن تعبر عن روح الشرق . ورغم تحدثهم عن اطلاعهم واعجابهم بفنون الشرق ، الا انه من غير المؤكد ان تكون المؤثرات الشرقية قد طبعت تجاربهم بشكل مباشر . ولكنها وجدت ـ ربما دون ان تدري ـ الدواء في هذا اللون من الفن .. الاحاطة ، او الفن الذي يلغي الفاصل بين العمل الفني ومتذوقه . ولو حاول هذه التجربة فنان شرقي يعي دخيلة تراثه في الشكل والمضمون ، لاتت النتيجة بالتأكيد اكثر ابهارا وصدقا ، وجعلت ميزان الحكم على فنوننا وحضارتنا الشرقية يعتدل .

محمد المهدي

الأرمل

قصة قصيرة للكاتب الفرنسي : لاندرى دال
تعريب : عبد الحميد بن هدوقة

حصلت على هذه الشقة بدفع مبالغ لاتستحق الذكر : عشرة آلاف فرنك لصاحب العتبة وعشرة آلاف لمستخدم مصلحة الدفن ، وعشرة آلاف لحارسة العمارة ، وعشرة آلاف لاحدى الوكالات العقارية ، وأربعين ألف فرنك تعويضا عن الأثاث الذى كان بها ، والذى يتمثل في مقعد حديقة ، ومصباح ، وملف ضخم من ورق الحمامات !

زوجتى رأت أننا محظوظان للحصول على هذه الشقة ، وأنها شقة لابأس بها ، ماعدا الحي الذى تقع به ، وباستثناء السعر المرتفع ، وماعدا انعدام الخزائن الحائطية في الشقة ، وباستثناء الرطوبة والوضع العام للغرف .

لم أنجح في اقناعها بأن اتخذ الصالون مكتبا ، فبعد يومين من الجدل سلمت واستسلمت .

اتخذت مكتبا لى في زاوية مظلمة الى جانب مكنة الخياطة ولوحة الكي .

نقلت أثاثنا الى الشقة فرقة من الحمالين ، تركت لنا كوما من التبن بعد انتهاء مهمتها يكفي لتربية بقرة .

استطعنا أن نرتب أثاثنا في مدة لاتتجاوز الشهر .

وفي النهاية أمكننا أن نشعر أننا في بيتنا بعد حوالى (٧٠٠) ضربة بالمطرقة على أصابعنا ، وتضييع ثلاثة من مفاتيح الأدراج .

في الواقع لم يكلفنى نقل الأثاث الى هذه الشقة شيئا يستحق الذكر ، صحيح أننى دفعت ستمائة فرنك لكن انشغال زوجتى بترتيب الأثاث وعدم تمكنها من الخروج الى الاسواق وغيرها طوال هذه الفترة أكسبني تكاليف النقلة ومائتي فرنك !

وذات يوم حوالى الساعة العاشرة صباحا دق الجرس . في الصباح يتردد الانسان في فتح الباب ، على خلاف العشية ، حيث ينبغى ذلك ، لاحتمال مجىء بعض الأصدقاء ...

بالطبع ، كنا ننوى فتح الباب ، ولاسيما أننا كنا ننتظر مجىء العامل الذى كان غلط فركب أنبوب الغاز في الحمام مكان أنبوب الماء .

فتحت الباب واذا برجل يرتدى ملابس الحزن .

فسألته زوجتى :

ـ هل مات العامل ؟

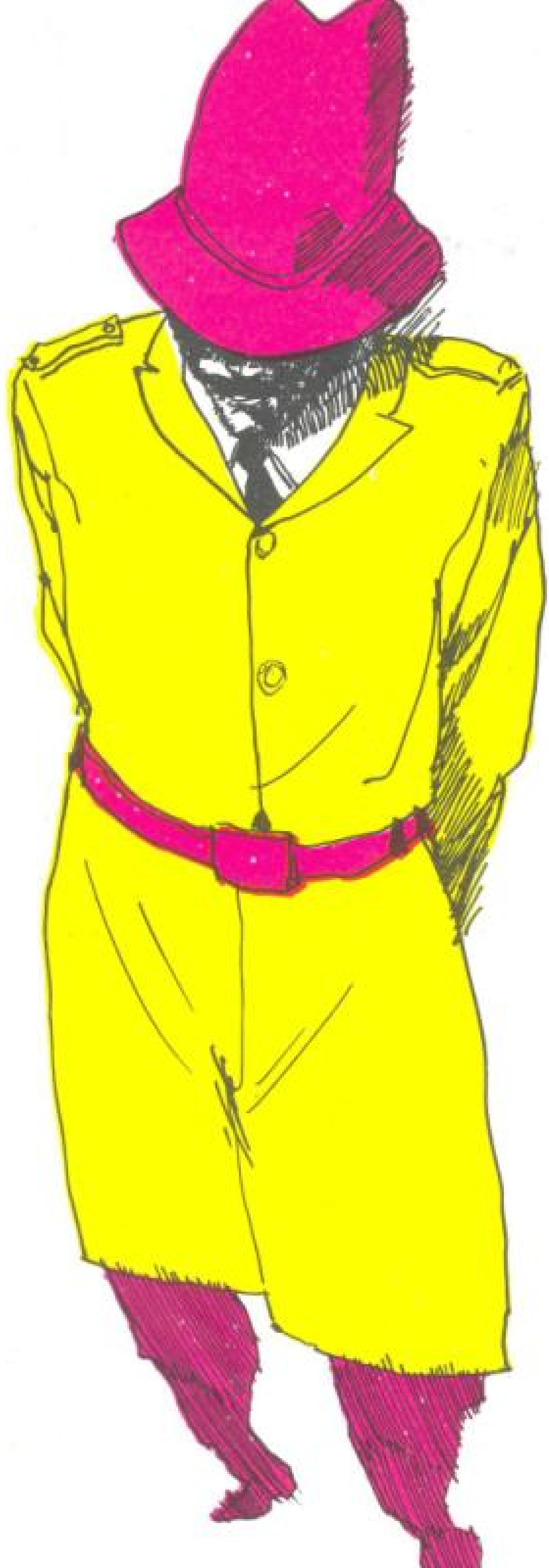
فأجاب الرجل :

ـ لا ياسيدتى ، لاأدرى ان كان العامل مات أم لا ، لم آت من طرفه . وانما ماجاء بى أمر في غاية الاحراج ، ولا يمكن أن ينتظره أحد ، بحيث لا أقدر حتى على ...

فقلت له وقد تأثرت بحالة الحزن التى هو عليها :

ـ ادخل يارجل .

حقيقة أن ملابس الحزن توحى بالثقة . هل كان ذلك



منى عطفا ؟ أو أنى بدون أن أشعر أخذت أحترم رجلا قد يرث ثروة ؟

كان الزائر يرتدي ملابس حزن لايجدها الانسان حتى في اعلانات المتاجر الكبرى . قبعة مغطاة بحاشية الحرير الأسود ، معطف أسود ، ربطة بعنق سوداء ، قفازان أسودان ، عينان سوداوان ، شاربان أسودان . ولاشك أن الأفكار التي كانت في رأسه سوداء أيضا ، بالنظر لحالته تلك المزرية .

سيدى ، سيدتى ، ان المسعى الذى أقوم به لديكما غريب لايسوغه الاما أنا فيه من حزن . أنا السيد ليغار (Liegard) ، وهو اسم لايعنى شيئا بالنسبة اليكما . أنا من كان يسكن هذه الشقة قبلكما . اننى جئت من « نيس » حيث قضيت ثلاثة أشهر . وانى ، طبقا لنصيحة الطبيب ، ذاهب الى مصر ، أين سأجد مابقي من حياتى هاته المحطمة .

لم أستطع مقاومة الرغبة في رؤية المكان الذى توفيت فيه زوجتى لآخر مرة . فهنا ، منذ عشرة أسابيع قضيتها يوما بعد يوم ... في هذه الشقة التى كنت أسكنها قبلكما ...

ان الحزن العميق الذى كان فيه الرجل ، وهو يقص علينا قصته ، جعلنى أقدم اليه كرسيا ليجلس . فهوى عليه ، وأخرج من جيبه منديلا أسود ،، كرسائل الاعلام بالوفاة . مع دموعه التى ملأت عينيه وانحدرت على أنفه .

فسألته زوجتى :

من ماذا توفيت زوجتك ؟

وكانت في قرارة نفسها وهى تسأله تحاول التعرف على أى نوع من أنواع الميكروبات التى علينا أن نواجهها .

فأجابها :

ـ القلب ، يا سيدتى . الالتهاب الداخلى ... اه ! المسكينة ! ... في تسعة أيام عصف بها كالوردة . كانت تعلم أنها تموت . فقالت لى : تزوج . أنا ! أتزوج بعد ملاك مثلها ؟ كلا ! ...

ـ لكن ، ماذا تريد منا أيها الرجل ؟ هل تركت هنا شيئا قبل مغادرتك الدار ، أو جئت من أجل ذكرى ؟ ...

ـ لا يا سيدى ، لم أترك شيئا . أما الذكريات فنعم ... جئت من أجل الذكريات قبل ان أسافر . ان ما

أبديتموه لي من طيبة يجعلني أعتقد أنكم تتفهموني ... ها هي ذي حجرة الأكل حيث كانت تتناول طعامها ... وحيث أكلت الى أن لم تعد تأكل ... وحيث أرادت أن أكل بالرغم مما كانت فيه ... كما لو أن الانسان يستطيع أن يأكل ورفيقه يتعذب . آه ، يا الهي ! ... ان ما أتمناه هو اللحاق بها ... نعم ، اللحاق بها .

وها هو ذا الصالون ... الصالون حيث كان البيانو الصغير الذي تعزف عليه ...

مقطوعة الفوكس ـ تروت (fox trots) نعم ، مقطوعة الفوكس تروت ! ...

انتهى كل ذلك ، وهي الآن تنام بمقبرة « بانيو » .

ان حزن هذا الأرمل مثير للشفقة حقا . كنا نتصور وهو يقص علينا قصته أنها وقعت البارحة فقط . وكانت أذرعتنا المتدلية تشبه الأيدي التي نسيت أن تأتي بالزهور للجنازة .

ثم قال الرجل البائس وهو يتأهب للوقوف :

ـ انني أزعجتكما . فمسعاي هذا يخالف المألوف بين الناس ... لكن ماذا أفعل ، وجرحي مازال حيا يؤلمني ... انني أرى أمامي كل ما ذكرته لكم ... الغرفة التي شاهدت فيها عينيها وهما تغمضان الى الأبد ... مع تنهد صغير كتنهد الأطفال ... انني أرى ... (وسار نحو الباب) أنكما اتخذتماها أنتما أيضا غرفة للنوم ... والسرير ، في نفس المكان الذي كان فيه سريرنا ، مقابل الموقد ... هل ... ... ما أريده منكم يفوق المعقول ... هل لي أن أنحني لحظة أمام السرير ؟

فأجابت زوجتي :

ـ نعم ، ولم لا ؟ ان ذلك لايعيدها لك ، ولكنه أمر معقول جدا ... مسكين أنت أيها السيد ...

ـ آه شكرا ... سأرسل اليك زهورا يا سيدتي ، أو أي شئ قبل سفري ... على هذا الفضل .

دخل الغرفة وانحنى باكيا . فقالت زوجتي :

ـ لندعه وحده ليس من اللياقة أن نبقى هكذا كالمتفرجين على بكائه .

فاتجهنا الى الردهة ، وقالت زوجتي :

ـ لو كنت مكانه هل ستحزن على مثل هذا الحزن ؟... على كل انني مرتاحة أن كانت وفاة زوجته بمرض القلب لا بمرض آخر ...

وأثناء ذلك خرج الرجل وعيناه مبللتان بالدموع . وناولنا بطاقته وهو يقول :

ـ ها هي ذي بطاقتي . ان روحي الشقية المتألمة لتشكر لكم هذا الجميل ... ان أصحاب القلوب الطيبة يتفاهمون ... سيدي ، انني سأرسل اليك بباقة من الزهور ... انني بهذه الزيارة كأنني رأيت حبيبتي الفقيدة من جديد . سيدي ، شكرا . لا أدري كيف أعبر لك ...

ـ لاشيء لاشيء أيها الرجل . هذه أمور لاترفض لطالب ...

ـ وداعا ياسيدي ، وداعا يا سيدتي ...

وباقي التشكرات ضاعت مع المدرج وهو هابط في أجيج تنهده وخطاه ...

فقالت زوجتي :

ـ فظيع حزن مثل هذا ! ينحني أمام السرير ! ... هذا هو الحب الذي ما بعده حب .

ودخلت الغرفة حيث كان منحنيا ، وصاحت :

ـ يا إلهي !

ماذا ؟

ـ عقدي !

ـ ماله عقدك ؟

ـ وخواتمي ... كلها كانت في الحقة فوق المدخنة ...

ـ غير معقول ؟

ـ قلت لك انها فقدت ! تركتها البارحة هنا عندما رجعت الى البيت ... الغرفة لم تفرش بعد . ضاع كل شيء . سرقنا ! لقد سرقنا . انه افتعل هذه التمثيلية ... اجر وراءه ، وبلغ عنه ...

فاتجهت حالا الى المكتب ، وكتبت لأبلغ عنه :

« سيدي مدير المسرح .

في حالة ما اذا كانت لديكم وظيفة شاغرة في الفرقة ، أتشرف باعلامكم بأن هناك ممثلا بارعا من الدرجة الأولى ... »

الجزائر ـ عبد الحميد بن هدوقة

انباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوي

التدخين اضراره لا تقتصر على امراض القلب والسرطان

● الامفزيما (Emphysema) مرض بشع من امراض الجهاز التنفسي .. وهو مرض خطير وقد يؤدي الى الموت في حالة اقترانه بالتهاب القصبات (Bronchitis) .. وما اكثر ما يقترن به .. وحسبك انه تسبب بموت ٣٥,٠٠٠ نسمة على نحو مباشر وحوالي ٣٠,٠٠٠ نسمة على نحو غير مباشر ، وذلك في العام الماضي وفي الولايات المتحدة وحدها .

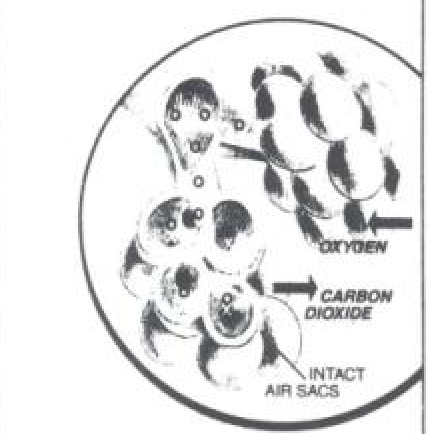
اما الاسم فاغريقي ، ويعني لغة « التضخم » او « الانتفاخ » وهذا بالضبط هو ما يعنيه في الاصطلاح الطبي .

ذلك ان تضخم الصدر وانتفاخ الرئتين هو ابرز اعراض الامفزيما .. ويصحب ذلك صعوبة في التنفس .. فالمصاب بهذا المرض يبذل جهودا مضاعفة في التنفس وذلك ضمانا لحصوله على ما يحتاجه من الاكسجين ..والمعروف انه يستنشق الهواء بمعدل ٢٠ ـ ٢٥ مرة في الدقيقة الواحدة ، اي بزيادة ٥ ـ ١٠ مرات في الدقيقة ، على معدل الرجل السليم . ولا تلبث صعوبة التنفس التي يعانيها على مستوى سطح البحر ان تتحول الى مشقة كبيرة لدى انتقاله الى بلد جبلي مرتفع .

ويعزى الانتفاخ الذي ذكرنا الى العجز الذي يحل باكياس الهواء الصغيرة (Alveoli) الموجودة داخل الرئتين والذي يحول دون أدائها وظيفتها .. فالمفروض بهذه



● رئة المدخن : وترى فيها أكياس الهواء الصغيرة المشوهة التالفة



● الرئة السوية : وترى فيها أكياس الهواء الصغيرة السليمة

الاكياس ان تمتص ما في الدم من غاز ثاني اكسيد الكربون وان تزوده بما يحتاجه من الاكسجين .. وهي تقوم بهذا الدور الحيوي تبعا لمرونتها .. تمددها حينا وتقلصها حينا آخر. ولكن الاكياس الصغيرة لا تلبث ان تفقد هذه المرونة وتعجز عن اداء وظيفتها .. لدى الاصابة بالامفزيما .

وقد يطول امد المرض .. وقد تتلف الاكياس وتصبح كالاغشية المرتخية فيكبر حجمها ، ثم لا تلبث ان تحتفظ بهواء الشهيق وتطبق عليه .. وقد يؤدي هذا وذاك الى تلف القصبات الهوائية bronchital Tubes . من هنا كان تضخم الصدر تبعا لانتفاخ الرئتين بفائض الهواء .

اما اسباب الامفزيما فوراثية في بعض الحالات .. الا ان العلماء لم يعرفوا الكثير عن اسبابه غير الوراثية .. حتى كانت التجارب والابحاث العلمية الهامة التي اجريت مؤخرا والتي اثبتت ان التدخين هو احد تلك الاسباب . والمقصود هنا التجارب والابحاث التي قام بها في اواسط هذه السنة الدكتور اوسكار اويرباخ Auerbach في مستشفى القدامى Veterans في بلدة اورانج في ولاية نيوجرسي . فقد شرح هذا العالم عددا كبيرا من الجثث Autopsies وثبت له وجود ارتباط وثيق Correlation بين مقدار ما يدخن الانسان ومقدار ما يعانيه من تلف في الرئتين واكياسها .. وهو يقول : « لا مفر من ان تظهر اعراض الامفزيما على المدخنين جميعا .. قلت تلك الاعراض ام كثرت » .

ولعل التجارب الاخرى التي اجروها في معاهد الصحة الوطنية في امريكا National Institutes of Health والتي قام بها الدكتور جيمس جادك Gadek والدكتور رونالد كريستال Crystal على وجه التخصيص ، لا تقل خطورة عما ذكرنا .

فقد عمد هذان العالمان الى المقارنة بين السائل الرئوي الذي اخذوه من رئة احد المدخنين والسائل الرئوي الذي اخذوه من رئة رجل لا يدخن . وتبين لهما ان لا فرق في كمية الانزيمات بين السائلين . اي ان التدخين لا يقضي على الانزيمات الموجودة في الرئة ولا ينقصها .. ولكنه يتلفها ويعطلها .. وذلك عن طريق المادة المؤكسدة (Oxidant) التي توجد في التبغ ، وتستقر في رئتي المدخن .

ويذكر هنا ان في الرئتين نوعين من الانزيمات ، يسمى احدهما الاستيز Elastase ، ويعرف الاخر بمضاد الاستيز anti — elastase فالتوازن الحيوي بين هذين الانزيمين هو الذي يكفل للرئتين قيامها بوظيفتها على نحو سوي .. ويعمل الانزيم الاول من اجل الابقاء على مرونة الاكياس الهوائية الصغيرة .. بينما يعمل الانزيم الثاني المضاد على الحد من فاعلية الاول .. والمصابون بالامفزيما الوراثية غالبا ما يعانون نقصا في كمية الانزيم الثاني ، مضاد الاستيز ، وذلك بخلاف التدخين الذي يقتصر اثره على تعطيل هذا الانزيم بواسطة المادة المؤكسدة ، التي ذكرنا .. فمن شأن هذه المادة ان توقف نشاط هذا الانزيم المضاد ..

وقد اثبت ذلك عمليا العالمان ارون جانوف وهارفي كارب ، وهما من كبار العاملين في جامعة نيويورك الولاية ، حينما عرضوا الانزيم المضاد للمادة المؤكسدة التي ذكرنا ثم عادوا فعرضوه لاحد مضادات هذه المادة ..

الثوم .. يغني عن البنسلين وغيره في كثير من الحالات

● عرف الناس الثوم (Allium Sativum) واقبلوا على اكله منذ اقدم الازمان .. يصدق هذا على اهل بابل وقد ثبت انهم اكلوا الثوم قبل اكثر من ٦٠٠٠ سنة ، وعلى بناة الاهرامات الذين وجدوا فيه خير غذاء لهم قبل نحو ٥٠٠٠ سنة .. واكتشف اهل الهند والصين مزايا الثوم الصحية منذ اكثر من ٢٠٠٠ سنة .

ولم يغفل الطب الحديث عن فوائد الثوم وخصائصه العلاجية .. وحسبك مرجع (ميرك) الشهير ، Index of Chemicals & Drugs ، الذي

ينشر ويوزع على نطاق واسع في الولايات المتحدة .. والذي يؤكد فاعلية الثوم في قتل الميكروبات .. تلك الخاصة التي دفعت العلماء في الاتحاد السوفياتي الى انتاج عصارة الثوم وتوزيعها باعتبارها عقارا مضادا للحيويات .. وقد اطلقوا عليه اسم الليسين Allicin .. ويسميه الكثيرون في الغرب « البنسلين الرومي » .

على ان علماء الصين واطباءهم اولوا الثوم اهتماما كبيرا مركزا في السنوات الاخيرة .. ويصدق هذا بخاصة على ما قام به فريق من الاطباء العاملين في كلية هونان الطبية Hunan ، وفي المستشفى التابع لها ، في بلدة تشنجشا Changsha .. فقد اجرى هؤلاء العلماء ابحاثا وتجارب تناولت خصائص الثوم العلاجية بصفة عامة وقدرته على معالجة التهاب السحايا بصفة خاصة .

والمعروف ان التهاب السحايا هذا ـ والمقصود هنا هو Cryptococcal Meningitis بالذات ـ مرض قاتل ويؤدي الى موت المصاب به في غضون شهور قليلة اذا لم يلق العلاج المناسب . والمعروف ايضا ان الاطباء في الغرب والشرق درجوا على معالجة هذا الالتهاب باحد مشتقات بكتريا التربة Streptomyces nodosus او الامفوتريسين بـ (Amphotericin B) .. وان نسبة النجاح التي اصابها هذا العلاج محدودة لا تزيد على ١٥٪ .. اي ان ٨٥٪ من الذين يعالجون بهذا العقار يلاقون حتفهم في غضون شهور قليلة .. والكثيرون منهم تعرضوا الى تلف الكليتين .. هذا الى جانب المدة الطويلة (٣ ـ ٤ شهور) التي تحتاجها المعالجة بهذا العقار .. لا عجب اذن ان تطلع الاطباء والعلماء جميعا الى العثور على علاج بديل .

والظاهر ان هذا البديل بات قريب المنال ، كما دلت التجارب التي اجراها اطباء الصين السابق ذكرهم .

فقد اختار هؤلاء العلماء محورا لتجاربهم ٢١ حالة من حالات الاصابة بالتهاب السحايا الذي ذكرنا . فمضوا في معالجة خمسة منها بالعقار المألوف وبالثوم في آن معا . وراحوا يعالجون الحالات الست عشرة الاخرى بالثوم فحسب .. وذلك عن طريق الفم او حقنا في العضل او الوريد .

وكانت نتائج تلك التجارب كالآتي :

	مجموع الحالات	حالات الشفاء	حالات التحسن	حالات الوفاة
المعالجة بالعقار والثوم	٥	٢	٢	١
المعالجة بالثوم منفردا *	١٦	٦	٥	٥



ثلاجة متنقلة تعمل بدون كهرباء

● هذه ثلاجة صغيرة وخفيفة ، تحمل باليد وتصلح لنزهات البر والسفر . (انظر الصورة) صنعوها من البلاستيك العازل الذي يحافظ على برودة ما في الثلاجة من مأكولات ومشروبات مدة طويلة .. والاهم من ذلك صندوق التبريد الموجود داخل الثلاجة .. فهذا يحتوي على ما يعرف بالجليد الازرق blue ice وهو مادة مبردة تصبح كالثلج وتبرد ما حولها مثله ، اذا هي تجمدت وتحولت الى جليد . ويبقى هذا الثلج الصناعي على برودته وجفافه طوال يوم بكامله .

هذا والثلاجة الصغيرة الجديدة لا تزيد سعتها على ١٧٥ بوصة مكعبة .. وابعادها على ١٠×٧،٥×٤ بوصات .

الثقافة الايطالية والعقل العربي

بقلم : الدكتور عيسى الناعوري

قلائل جدا هم العرب الذين تعمقوا دراسة الادب الايطالي خلال القرن العشرين ، عن طريق اتصالهم المباشر بالفكر الايطالي ، وترجماتهم من اللغة الايطالية . والواقع ان ها العدد لا يتجاوز الباحثين الثمانية ، وهم : اللبناني عبود أبو راشد : والمصريون حسن عثمان ، وطه فوزي ، و محمد اسماعيل ، والليبيون : خليفة التليسي ، وفؤاد كعبازي ، ومصطفى ال عيال : وانا من الاردن .

وسأقف قليلا عند كل واحد من هؤلاء الباحثين واعمالهم في حقل الادب الايطالي .

١ ـ عبود ابي راشد

يعتبر عبود أبو راشد اول مترجم للكوميديا الالهية الى اللغة العربية . ففي زمن الاحتلال الايطالي لليبيا ، وعلى وجه الدقة ، من عام ١٩٣٠ الى عام ١٩٣٣ ، قام هنالك بترجمة اناشيد الكوميديا الالهية الثلاثة ، وقدم لهذه الترجمة بمقدمة باللغتين العربية والايطالية .

ومن المؤسف ان المترجم لخص ولم يترجم : فلم يستطع ان يعطي القارىء جمال الخيال الشعري لدى دانتي ، ولم يشرح الاحداث التاريخية والاشارات الاسطورية التي تتضمنها الكوميديا . وترجمة الكوميديا دون تعليق او شرح تظل شيئا عقيما . والقيمة لترجمة ابي راشد ، على الرغم من النقص المذكور ، وعلى الرغم من عدم مقدرة المترجم على تقديم شيء ولو بسيط من اسلوب دانتي الرائع ، ومن خيالاته العجيبة ، وقوة شاعريته ، هي انه كان اول من ترجم الكوميديا الى اللغة العربية .

٢ ـ حسن عثمان

الترجمة الحقيقية الوافية والتي هي اكثر من جيدة ، للكوميديا الالهية ، هي التي قدمها الباحث المصري الدكتور حسن عثمان . فلقد عكف حياته كلها على دراسة دانتي ، بمواصلة الدراسات الجادة في المكتبات الايطالية ، والالمانية ، والفرنسية ، والامريكية ، والانجليزية ، سعيا وراء خطى الشاعر الالهي ، وبحثا متواصلا عن الترجمات الاوروبية للكوميديا ، وعن التعليقات العديدة عليها ، وكذلك سعيا الى لقاء الكتاب الدانتيين العديدين : وتوسع في البحث الى حد البحث عن الاعمال الموسيقية ، واعمال الرسم المستوحاة من الكوميديا الالهية . لقد واصل عمله بهمة ونشاط اكثر من ثلاثين سنة ، حتى انتهى منه بترجمته الرائعة التي جاءت في ثلاثة مجلدات ضخمة ، قدم لكل واحد منها بمقدمة مشبعة شافية ، واغناه بالشروح التاريخية والتوراتية واللاهوتية والاسطورية ، وبالتعليقات العديدة التي تفيد القارىء كل الافادة ، وكل ذلك ببيان

عربي اصيل فخم ، وامانة في ترجمة النص الاصلي منقطعة النظير .

ولقد قام حسن عثمان كذلك بترجمات اخرى عن الايطالية ، وكتب مقالات عن الادب الايطالي ، منها بحثه المهم عن (سافونا رولا) .

٣ ـ طه فوزى

اذا نظرنا الى كمية الترجمات والكتابات ، كان طه فوزى اغزر المترجمين العرب من الادب الايطالي واوفرهم ترجمات .

وقد احصت له المستعربة الصقلية السيدة اداجيزاوى سيمونه في مقال لها عنه ، واحدا وثلاثين عملا مترجما عن الايطالية ، تضاف اليها اعمال اخرى من تأليفه ، هي : غاريبالدى ، دانتي ، ومن الادب الايطالي . وفي هذا الكتاب الاخير (من الادب الايطالي) مقالات كتبها عن الشعراء الايطاليين الكبار : بترازكا ، والفييرى ، وفوسكولو .

في انتاج طه فوزى نجد ترجمات لاعمال ادباء مختلفين يمثلون الادب الايطالي المعاصر ، نذكر منهم : ادموندودى اميتشيس ، الذى ترجم له طه فوزى كتابه (القلب) واليساندرو مانتزونى ، الذى ترجم له (العروسان) . وهذا الكتاب الاخير يعتبر اهم عمل من بين ترجمات طه فوزى ، لانه عمل في القمة من القصص الايطالي في كل العصور . غير ان من المؤسف ان الترجمة العربية ، من حيث اللغة والاسلوب ، لم تكن على مستوى الاصل الايطالي ، وكذلك كانت الترجمة احيانا غير امينة في نقل النص الاصلي .

٤ ـ محمد اسماعيل

قصر هذا الباحث المصرى جهده على الاديب المسرحي والروائي الايطالي بيراند يللو وحده ، فترجم من اعماله اولا مسرحية (ستة اشخاص يبحثون عن مؤلف) وصدرت هذه الترجمة سنة ١٩٦٧ ، مع مقدمة اضافية . ثم اضاف اليها محمد اسماعيل فيما بعد ترجمات اخرى ظهرت في الكويت في كتابين : يتضمن الاول (ديانا والمثال ـ الحياة عطاء ـ لذة الامانة) والثاني (المعصرة ـ ادواء الادوار ـ ابو زهرة بفمه) ـ والحقيقة ان العناوين العربية لا تطابق الاصل الايطالي غالبا ـ

وقد ترجم اسماعيل ايضا عددا قليلا من اقاصيص بيراند يللو ، ولكن لم يمهله الاجل حتى يجمعها في كتاب ، فقد توفي سنة ١٩٧٤ ، كما كان قد توفي قبله بقليل زميلاه حسن عثمان ثم طه فوزى . واتمنى ان يقوم جيل جديد لمتابعة عمل هؤلاء الرواد الكبار .

٥ ـ فؤاد كعبازى

هذا العالم اللغوى المتعدد اللغات واحد من اكثر الكتاب العرب اتقانا للغة الايطالية ، واطلاعا على الادب الايطالي : وهو ، اضافة الى كونه كاتبا ، ورساما ، وعالما متعدد اللغات ، شاعر كذلك باللغة الايطالية . ولقد كتب كثيرا من البحوث باللغة العربية وباللغة الايطالية ، ونشرها خاصة في الصحافة الليبية وهي تعرب عن اهتمامه بامور مشتركة في ثقافتي الشعبين ، كما نرى ذلك في كتابه « الحان عربية على اوتار من الغرب » . واضافة الى ذلك ، نشر كعبازى في دار موندادورى ، في ميلانو ، كتابا يضم ترجمات ايطالية من الشعر العربي المعاصر عنوانه « نماذج من الشعر العربي المعاصر » ، صدر سنة ١٩٦٢ .

وعلى الرغم من انه يجيد الايطالية الى حد الاتقان ، فانه لم يعتبر نفسه قط « مستطلنا » ـ اى مشتغلا بالثقافة الايطالية ـ إما تواضعا منه ، وإما لاعتبارات اخرى .

٦ ـ خليفة التليسي

اهتم خليفة التليسي ، مثل زميله المصرى محمد اسماعيل ، بلويجي بيراند يللو بشكل خاص ، وقد ترجم له العديد من الاقاصيص ، نجدها في كتابيه : (صوت في الظلام) و (قصص ايطالية) . وكتب التليسي كذلك فصولا متعددة عن بيراند يللو ، نجدها في كتابيه (رحلة عبر الكلمات) و (كراسات ادبية) . وهو ، مثل زميله وصديقه فؤاد كعبازى ، يوالي الاتصال المباشر بالادب الايطالي ، وكذلك الاتصالات الشخصية ببعض الادباء الايطاليين .

وفي الاعوام الاخيرة انصرف التليسي الى ترجمة بعض اعمال المستشرقين والكتاب الايطاليين التي تتعلق بتاريخ بلده ليبيا ، فترجم منها : (ليبيا منذ الفتح العربي حتى ١٩١١طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا) وهما للمستشرق ايتورى روسي ، و (طرابلس منذ سنة ١٥١٠ حتى ١٨٥٠) لكوستانزو

برنيا ، و (الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا) لا ثيليو موري ، و (ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني) لفرانشيسكو كورو ، و (برقة الخضراء) تأليف اثيليو تيروتسي ، و (سكان طرابلس الغرب ـ وسكان برقة) تأليف دي اغسطيني .

وبهذه الترجمات وغيرها ساهم التليسي مساهمة كبيرة في نشر الثقافة الايطالية ، العلمية والادبية ، في العالم العربي .

٧ ـ مصطفى آل عيال

وهناك ليبي آخر يجيد اللغة الايطالية ، هو مصطفى آل عيال ، انتاجا من الاخرين . لقد غادر موطنه ليبيا واقام في لبنان حتى وفاته عام ١٩٦٥ ، وفي لبنان كان له نشاط ادبي ملموس .

لقد نشر آل عيال مقالات في صحف لبنان ومجلاتها ، ولا سيما في مجلة (الاديب) والقى محاضرات في بيروت حول الادب الايطالي . وقد اهتم بداننتي فنشر عنه كتابا صغيرا في سلسلة (اقرأ) في منشورات دار المعارف المصرية ، ونشر كذلك في دار الريحاني في بيروت كتابا يشتمل على سبع اقاصيص لادباء ايطاليين مختلفين .

٨ ـ عيسى الناعوري

خلال اتصالاتي العديدة المتواصلة مع الكتاب والشعراء والبيئات الادبية الايطالية ، كان لي الحظ الكبير في انني عرفت شخصيا عددا كبيرا من ابرز الاعلام الذين يمثلون الادب الايطالي اليوم ، وان ادرس باهتمام اعمالهم الادبية ، وان اترجم اكثر من سبعين اقصوصة لمؤلفين متعددين ، نشرت منها اثنتا عشرة اقصوصة في كتابي (اطفال وعجائز) في دار المعارف في لبنان عام ١٩٦١ ، ونشرت البقية في الصحف والمجلات العربية المختلفة .

ولقد ترجمت كذلك رواية (فونتمارا) تأليف ايتانسيو سيلونه ، ونشرت الترجمة في دار الطليعة في بيروت سنة ١٩٦٣ ؛ ورواية (الفهد) تأليف جوزيبي تومازي دي لامبيدوزا ، وظهرت الترجمة في منشورات عويدات ، في بيروت ، سنة ١٩٧٣ ؛ و (مختارات من الشعر الايطالي المعاصر) الذي يضم ١٠٤ قصائد لخمسة وعشرين شاعرا وشاعرة من الايطاليين ، ظهر في دمشق عام ١٩٧٨ ؛ ورواية (الرجال والرفض) لايليو فيتوريني ، ولم تنشر الترجمة بعد . وترجمت كذلك عشرات من القصائد لشعراء مختلفين .

واضافة الى الترجمات كتبت مقالات عديدة في مختلف الصحف والمجلات العربية ، والقيت محاضرات عديدة في بلدان عربية مختلفة حول موضوعات متعددة من الادب الايطالي ، من (دانتي والكوميديا الالهية) الى (جوفاني فيرغا) وروايتيه : اسرة مالا فوليا ، والمعلم دون جيزوالدو) ومن (سيلفيو بيلليكو وسجونه) الى (تومازي دي لامبيدوزا وروايته الفهد) ومن الشاعرين (مونتاله وكوا زيمودو) الى الشاعرين (سنيسغاللي ونينوموتشيولي) وغيرهم . وستظهر مجموعة كبيرة من هذه الدراسات والمحاضرات في كتاب في القاهرة ، ينتظر صدوره قريبا .

٩ ـ تراث ثمين

من المؤسف ان الباقين من المشتغلين بالثقافة الايطالية في البلاد العربية قليلون جدا ، فبعده وفاة حسن عثمان ، وطه فوزي ، ومحمد اسماعيل ، ومصطفى ال عيال ، لم يبق غير خليفة التليسي وغيري ـ كعبازي ، كما ذكرت سابقا لا يريد ان يعتبر مستطلنا ، مع انه كذلك فعلا ـ واتمنى فعلا ان يظهر جيل جديد من المستطلنين العرب ينضم الينا ، ويتولى التراث الذي صنعه جيلنا .

وانا اعلم ان هناك كثيرين في البلاد العربية يترجمون اعمالا ادبية ايطالية ، ولكنهم يترجمونها عن طريق لغة ثالثة : الانكليزية او الفرنسية ؛ فموارفيا ، مثلا ، ترجمت كل اعماله تقريبا الى العربية ، ولكن ذلك دائما يتم عن طريق الانكليزية او الفرنسية . وكتاب (الامير) لماكيافيللي ، ترجم الى العربية مرتين : الاولى ترجمة محمد لطفي جمعه المصري ، والثانية ترجمة خيري حماد الفلسطيني ، ولم يترجم قط عن الايطالية مباشرة . كذلك ترجمت رواية (دينو بوتساتي) (صحراء التتر) ورواية كارلو سولا (فتاة بوبه) .

ان تجربتي الطويلة ، التي تزيد عن عشرين عاما في صحبة الادب الايطالي ، تؤكد لي ان الادب الايطالي ليس ـ ولم يكن قط ـ اقل غنى واقل جدارة بالترجمة من الآداب الاخرى الغربية التي نهتم بالترجمة منها . وهذا بحد ذاته سبب كاف لكي يثير الادب الايطالي اهتمامنا ، فنترجم منه ، ونغني بهذه الترجمة ثقافتنا الحاضرة .

■■

عمان ـ د . عيسى الناعوري

هرقل في مواجهة عمر



بقلم : احمد عادل كمال

هرقل الأول هو امبراطور بيزنطة الذي حكم الدولة الرومانية الشرقية ثلاثين عاما فيما بين ٦١٠ الى ٦٤٠ م . وكان قدره أن يواجه وهو في أوج مجده الفتح الاسلامي لبلاد الشام التي كانت تابعة لامبراطوريته . قال عنه ابن كثير في تفسيره سورة الروم « كان من عقلاء الرجال واحزم الملوك وأدهاهم وأبعدهم غورا وأقصاهم رأيا . فتملك عليهم في رياسة عظيمة وأبهة كبيرة ... وكانت النصارى تعظمه تعظيما زائدا » .

واسمه كما كان ينطقه قومه هيراكليوس (الأول) He'raclius . اعتلى حكم الدولة البيزنطية بثورة . فقد كان أحد أسلافه ـ الامبراطور موريس ـ تحالف مع كسرى برويز . ثم وقع انقلاب أطاح بموريس وقتل فيه . ففر ابنه ولجأ الى كسرى . ونصب الروم قوقا امبراطورا لهم . فتذرع كسرى بذلك وقرر غزو بلاد الروم ووجه اليها ثلاثة جيوش . الأول سار يخرب كل ما مر به حتى ضرب معسكره أمام القسطنطينية عام ٦١٧ م . والثاني اتجه الى الشام واقتحم بيت المقدس ٦١٤ م وساق اسقفها وقسيسها ونصاراها واحرق الكنائس واستولى على الصليب الاعظم وبعث به الى المدائن . وكتب كسرى الى هرقل « من كسرى اعظم الالهة وسيد الارض كلها الى عبده الغبي الذليل هرقل . انك تقول انك تعتمد على الهك . فلم اذا لم ينقذ اورشليم من يدي !! » . اما الجيش الثالث فكانت وجهته مصر فاستولى على الاسكندرية ٦١٦ م .

واثناء هذه الزحوف وفي عام ٦١٠ وقع انقلاب آخر قتل الروم فيه قوقا ونصبوا عليهم هرقل الاول ، واحرز

الفرس انتصارا ساحقا في اذرعات وبدا موقف الروم لا امل فيه . وسارت الركبان بهذه الانباء الى مكة ففرح المشركون واظهروا شماتتهم حيث كان الروم اهل كتاب يتعاطف معهم المسلمون ، فنزل الوحي بالآيات الاولى من سورة الروم يتنبأ بما لم يكن احد يتصوره . بانتصار الروم على الفرس مرة اخرى « ألم . غلبت الروم ، في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

وخرج ابو بكر يعلن الآيات في نواحي مكة ويتحدى المشركين و يراهنهم بمائة من الابل على تحقق وعد الله . كان ايمان ابي بكر بالقرآن رغم ان موقف الروم كان ميئوسا منه اكبر من امل هرقل باسترداد الموقف ، وما نحسب ان هرقل كان على استعداد يومئذاك ان يراهن بناقة واحدة على ما راهن عليه ابو بكر . لم يكن باقيا لبيزنطة سوى اليونان وقليل من ارض ايطاليا وعدد قليل من الثغور الاسيوية وسواحل افريقيا البعيدة وعاصمة محاصرة في يأس ورعب . ثم اتى امر الله .

فرج من الله

كان جيش كسرى الذي يدق ابواب القسطنطينية بقيادة شهربراز يعاونه اخوه فرخان ـ وجلسا يوما يشربان نخب انتصاراتها ولعبت الخمر برأس فرخان فقال « لقد رأيتني في المنام جالسا على سرير كسرى » ونقلها بعضهم الى كسرى فكتب الى شهربراز ان يرسل اليه برأس فرخان . وراجع شهربراز كسرى ثلاثا وكتب اليه « انك لن تجد مثل فرخان ، له نكاية في العدو فلا تفعل » واجاب كسرى « ان في رجال فارس خلفا منه فعجل الي برأسه » وغضب كسرى من مراجعة شهربراز له فنزعه عن قيادة الجيش وولى فرخان ، ثم كتب الى فرخان ان يضرب عنق شهربراز .

حين تساس الامور بمثل هذا النزق فان اخلص الخلصاء يمكن ان ينقلب الى الد الاعداء . جاء فرخان بشهربراز ليقتله فقال له شهربراز « راجعته فيك ثلاثا وانت تقتلني من كتاب واحد ! » وقدم له خطابات كسرى بقتله ، فنزل فرخان عن قيادته الى شهربراز ، وكتب هذا الى هرقل يطلب لقاءه ثم قال له « ان الذين خربوا مدائنك انا واخي بكيدنا وشجاعتنا ، وان كسرى حسدنا واراد ان اقتل اخي فابيت ثم امر اخي ان يقتلني ، وقد خلعنا طاعته جميعا فنحن نقاتله معك » . فاتفقا وكتما امرهما معا حتى قتلا الترجمان الذي كان بينهما .

وفي رواية ان شهربراز كتب الى هرقل بحاجته قبل ان يلقاه . فدعا هرقل رهطه وقال لهم : اجلسوا ، انا اليوم احزم الناس او اعجز الناس ، قد اتاني ما لا تحسبونه وساعرضه عليكم فاشيروا علي فيه . ثم قرأ عليهم كتاب شهربراز فاختلفوا عليه في الرأي وقال بعضهم هذا مكر من كسرى فقال هرقل : ان هذا الرأي ليس حيث ذهبتم اليه ، انه ما طابت نفس كسرى ان يشتم هذا الشتم الذي اجد في كتاب شهربراز ، وما كان شهربراز ليكتبه الي بهذا وهو ظاهر على عامة ملكي الا من امر حدث بينه وبين كسرى ، واني والله لالقينه .

غزو فارس

ما كان هرقل ان يتوقع فرجا لكربه مثل هذا ، فانكشف عنه شهربراز واعد هرقل عدته لهجوم مضاد واستخلف ابنه على القسطنطينية ثم ابحر باسطول كبير في البحر الاسود حتى هبط بجيشه على سواحل أرمينيا وتحرك مسرعا فاوغل فيها واستولى على القوقاز وانصب منها الى نصيبين . كان تقدمه سريعا وكانت جيوش فارس بعيدة في غزو دولته . ودمر هرقل كلورمية مسقط راس زرادشت منشيء الديانة المجوسية واطفأ نارها المقدسة . وحشد كسرى اثني عشر الفا فسحقهم هرقل في نينوي بسبعين الفا وقتل قائدهم وارسل كسرى غيرهم فهزمهم هرقل واتجه الى دستجرد فهرب منها كسرى فاستولى عليها وخربها ودمر قصر كسرى بها ٦٢٨ ثم قصد المدائن ففر منها كسرى « اعظم الالهة وسيد الارض كلها » امام عبده الغبي الذليل هرقل .

وسقطت المدائن فقتل هرقل من كان بها واستولى على جميع ما فيها وسبى نساء كسرى وحلق رأس ولده

واذله وساقه على حمار في غاية الهوان . وانتقض شيرويه ابن كسرى على ابيه وقتله وعقد صلحا مع هرقل نزل بمقتضاه عن مصر والشام وآسيا الصغرى وغربي الجزيرة واعاد الاسرى الروم والصليب الاعظم الى كنيسة القيامة بالقدس في ١٤ سبتمبر ٦٢٩ م واعلن هرقل محررا للمسيحية ، وكان على صلة طيبة بزعماء الموارنة وحاول هرقل انهاء النزعات العقائدية بين الطوائف المسيحية وجمع كلمتهم عام ٦٣٨ غير انه لم يوفق .

واذ بعث رسول الله ﷺ برسائله الى الملوك يدعوهم الى الاسلام بعث برسالة الى هرقل مع دحية بن خليفة الكلبي ، والذي يصح عندنا ان ذلك كان بعد صلح الحديبية . وقد افردنا مقالا عن هذه الرسالة .

انظر العربي العدد ـ ٢٣٠ يناير ١٩٧٨ ، وكان من امرها ان هرقل قد اقتنع بصدق رسالة النبي ﷺ ومال الى اعلان الايمان بها ثم عاد وخشي غضبة الروم عليه وتضافرت الروايات على ذلك بما لا يدع مجالا للشك في صحتها ثم قاد دولته لمقاومة الفتح الاسلامي للشام .

الفتح الاسلامي

بدأ الفتح الاسلامي للشام عام ١٢ هـ ٦٣٣ م . كانت القبائل العربية هناك قد تنصرت ووقفت الى جوار جيوش الروم في مدافعة الفتح ، واى قول بان عرب الشام قد سهلوا للمسلمين مهمة الفتح وساندوها قول تنقضه الروايات التاريخية .

قال الروم لهرقل « قد اتتك العرب وجمعت لك جموعا عظيمة وهم يزعمون ان نبيهم الذي بعث اليهم قد اخبرهم انهم يظهرون على اهل هذه البلاد . وقد جاءوك وهم لا يشكون ان هذا سيكون ، وجاءوك مع ذلك بنسائهم واولادهم تصديقا لمقالة نبيهم يقولون لو دخلناها فتحناها ونزلنا بنسائنا واولادنا .

قال هرقل « فذلك اشد لشوكتهم اذا قاتل القوم عن تصديق ويقين ، واشد على من يكابدهم ان يزيلهم عن رأيهم او يصدهم عن امرهم . » ثم جمع اشراف الروم واهل البلاد ونصارى العرب في فلسطين وخطب فيهم حتى قال « ... فلما بدلتم وغيرتم اطمع ذلك فيكم قوما والله ما كنا نعتد بهم ولا نخاف ان نبتلى بهم ، وقد ساروا الينا حفاة عراة جياعا اخرجهم الى بلادكم قحط المطر وجدوبة الارض وسوء الحال ، فسيروا اليهم فقاتلوهم عن دينكم وعن بلادكم وعن نسائكم واولادكم . وانا خارج عنكم وممدكم بالخيول والرجال حاجتكم ، وقد امرت عليكم امراء فاسمعوا لهم واطيعوا .

ثم خرج هرقل من فلسطين الى دمشق ثم الى حمص ثم الى انطاكية يقول في كل منها مثل مقالته تلك . واقام بانطاكية في اقصى بلاد الشام يكتب الى انحاء دولته يطلب حشودهم . وقد كتب يزيد بن ابي سفيان الى ابي بكر الصديق « ... فان ملك الروم هرقل لما بلغه مسيرنا اليه القى الله الرعب في قلبه فتحمل فنزل انطاكية وخلف امراء من جنده على مدائن الشام وامرهم بقتالنا وقد تيسروا لنا واستعدوا » .

لابد ان هرقل كان يعلم ما فعل خالد بن الوليد بجيوش الفرس بالعراق ، ولعله قد اوجس اعظم الخفية من ان يفعل المسلمون معه بالشام كما فعلوا هناك . وان خروجه المبكر عن فلسطين وسورية ليقيم في اقاصيها ليؤكد ما ذكر يزيد في رسالته ان الرجل قد امتلأ رعبا .

واسقط في يده !

فتح المسلمون بصرى في شهر ربيع الاول ١٣ هـ مايو ٦٣٤ ثم التقوا بمائة الف من الروم في اجنادين فهزموهم شر هزيمة في ٢٧ جمادي الأولى ١٣ هـ ٣٠ يولية ٦٣٤ ، وانتهى الخبر الى هرقل بانطاكية ، يقول الرواة « فنخب قلبه واسقط في يده وملىء رعبا » . وارسل جيشا الى دمشق فهزمه خالد بن الوليد عند مرج الصفر في جمادي الاخرة ١٣ هـ/اغسطس ٦٣٤ . وجمع هرقل حشدا آخر في بيسان على نهر الجالود أحد روافد نهر الاردن ، كانوا بين خمسين الفا وثمانين الفا واتجه المسلمون اليهم حيث هزموهم في ذي القعدة ١٣ هـ/يناير ٦٣٥ .

وعقد هرقل اجتماعا بانطاكية ضم فرسانهم وكبراءهم لدراسة اسباب الهزيمة . قال هرقل : اخبروني ويلكم ، من هؤلاء القوم الذين تلقونهم ؟ اليسوا بشرا مثلكم ؟

قالوا : بلى .

قال : فانتم اكثر ام هم ؟

قالوا : نحن اكثر منهم اضعافا ، وما لقيناهم في موطن الا ونحن اكثر منهم .

قال : فما بالكم تهزمون اذا لقيتموهم ؟

قال شيخ منهم : انا اخبرك ايها الملك . انا اذا حملنا عليهم ثبتوا واذا حملوا علينا صدقوا ، ومن حيث انا نحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر .

قال هرقل : فما بالكم كما تصنعون وهم كما تزعمون ؟

قال الشيخ العليم : من اجل ان القوم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يظلمون احدا ويتناصفون فيما بينهم . ومن اجل انا نشرب الخمور ونركب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بسخط الله وننهى عما يرضى الرب ونفسد في الارض .

ووجد هرقل كلام الرجل يوافق ما في نفسه فقال : صدقتني . والله لاخرجن من هذه القرية ولادعن هذه البلدة ، ومالي في صحبتكم من خير وانتم هكذا .

قال الرجل : انشدك الله ايها الملك ، لا تترك سورية وهي جنة الدنيا للعرب وتخرج منها ولم نقاتل ونجاهد .

قال : قد قاتلتموهم غير مرة وفي غير موطن من المواطن ، كل ذلك تنهزمون وتفرون وتغلبون .

قال الرجل : انشدك الله ايها الملك ، لا تخرج وحولك من الروم عدد الحصا والتراب والذر لم يلقهم منهم انسان ، ثم تريد ان تخرج منها وترجع بهؤلاء جميعا من قبل ان يقاتلوا !

وجاءت وفود اهل قيسارية والقدس يتمسكون بامره ويستنصرونه ، فخالف نفسه مرة اخرى وقرر الاستمرار في الحرب ، وكان المسلمون يحاصرون دمشق .

وبعث اهل دمشق رسالة الى هرقل « ان العرب قد حاصرتنا وضيقت علينا وليس لنا بهم طاقة وقد قاتلناهم مرارا فعجزنا عنهم . فان كان لك فينا وفي السلطان حاجة فامددنا وأغثنا وعجل علينا فانا في ضيق وجهد . والا فانا قد اعذرنا واجتهدنا ، والقوم قد اعطونا الامان ورضوا منا من الجزية باليسير » .

واجاب هرقل « تمسكوا بحصونكم وقاتلوا عدوكم ، فانكم ان صالحتموهم وفتحتم لهم لم يفوا لكم واجبروكم على ترك دينكم وقتلوكم وسبوكم واقتسموكم . وانا مسرح لكم الجيوش في اثر الرسول » .

وجاءت خيول هرقل فاوقفها المسلمون على مسافة يوم من دمشق ، وسقطت دمشق في ايدي المسلمين يوم ١٥ رجب/١٤ هـ ٣ سبتمبر ٦٣٥ فكانت ضربة اخرى تلقاها هرقل . فلما انقضى الشتاء سار المسلمون الى بعلبك ففتحوها ثم الى حمص فاستولوا عليها .

وكأنما جلس هرقل يسترجع ماضيه ويتذكر امجاده .. يتذكر كيف ترك جيوش كسرى برويز امام القسطنطينية عاصمة دولته البيزنطية واتجه بجيشه الى ارض عدوه فغزاها في غيبة جيوشها في دولته .. عمل حربي رائع قلب ميزان القوى ! هل يستطيع ان يكرره مع هؤلاء المسلمين ؟ كيف السبيل ؟ ان الامر يختلف . لقد كان الطريق الى فارس مليئا بالانهار والخضرة والحواضر . اما بلاد العرب فلا شيء سوى الصحراء والجبال .. الرمال والصخور ، سوف يموت جيشه دون قتال جوعا او عطشا او بضربة الشمس اذا شرع في دخولها !

قاصمة الظهر باليرموك

وانتهى هرقل الى ان يجمع اكبر حشد يستطيع ثم يبعث به الى جنوب مواقع المسلمين بالشام في حركة التفاف تقطع عليهم بفلسطين وبدمشق وبحمص وتضعهم داخل المصيدة . وجاءته الجنود من القسطنطينية ومن الجزيرة ومن ارمينية ، وجعل التجنيد اجباريا فيما بين سن الحلم الى الشيخوخة ، كما طلب العون من روما (الامبراطورية الرومانية الغربية) فاقبل اليه من الجموع « مالا تحمله الارض ! » اختلف الرواة في عددهم بين مائة الف واربعمائة الف ، والذي نأخذ به انهم كانوا مائتي الف ، واسند قيادتهم الى باهان وسخا عليهم بالمال ، وخطب فيهم فقال « ان العرب قد ظهروا على سورية ولم يرضوا بها حتى تعاطوا اقاصي بلادكم . وهم لا يرضون بالارض والمدائن والبر والشعير والذهب

والفضة حتى يسبوا الاخوات والامهات والبنات والازواج ويتخذوا الاحرار وابناء الملوك عبيدا ، فامنعوا حريمكم وسلطانكم ودار مملكتكم » .

وبعث بجيوشه من انطاكية لقتال المسلمين . كان المسلمون ٣٦٠٠٠ موزعين بين حمص ودمشق والاردن وفلسطين ، وامام هذا الزحف الكبير انسحبوا ليتجمعوا في الجابية وجيوش هرقل تسابقهم على طريق مواز في محاولة للدوران حولهم لتطويقهم ولكنهم سبقوها وانحازوا الى اذرعات وتبعتهم جيوش الروم الى نهر اليرموك . وفي ٥ رجب ١٥ هـ/١٢ اغسطس ٦٣٦ دارت واحدة من اعظم المعارك حسما وانتهت بانتصار المسلمين انتصارا ساحقا على جيوش هرقل وهي ستة اضعاف المسلمين عددا .

ووصل اول رجل رومي من فلول اليرموك الى انطاكية فسأله هرقل : ما وراءك ؟ قال : خير ايها الملك هزمهم الله واهلكهم . ففرح الروم وارتفعت اصواتهم . قال هرقل : ويحكم هذا كاذب ، وهل ترون هيئته الا هيئة منهزم ! سلوه ما جاء به فلعمري ما هو ببريد ، ولو لم يكن هذا منهزما كان ينبغي له ان يكون مع أميره مقيما . فما اسرع أن جاء رجل آخر من نصارى العرب من تنوخ فقال هرقل : ما اظن خير السوء الا عند هذا . فلما سأله عما عنده ، قال : الشر . قال هرقل : وجهك الوجه بشر بالشر . خبر سوء جاء به رجل سوء من قوم سوء . ثم جاء عظيم من عظماء الروم فسأله هرقل ، فقال : الشر ، هزمنا . قال : فما فعل اميركم باهان ؟ قال : قتل . قال : وفلان وفلان وفلان ؟ قال : قتلوا .

قال هرقل : ولكنك انت والله اخبث وألأم واكفر من ان تذب عن دين او تقاتل عن دنيا . الست انت كنت اشد الناس علي في امر محمد نبي العرب حين جاءني كتابه ورسوله وكنت قد اردت ان اجيبه الى ما دعاني اليه وادخل في دينه ، فكنت انت من اشد الناس علي حتى تركت ماكنت اريد من ذلك . فهلا قاتلت الان قوم محمد واصحابه دون سلطاني على قدر ما كنت لقيت منك اذ منعتني من الدخول في دينه ؟ ثم قال لاصحابه في غضب : اضربوا عنقه . فقدموه فقطعوا راسه !

قال هرقل : قد كنت اعلم انهم سيهزمونكم .

قال بعض جلسائه : ومن اين علمت ذلك ايها الملك ؟

قال : من حيث انهم يحبون الموت كما انتم تحبون الحياة ، ويرغبون في الآخرة اشد من رغبتكم في الدنيا ، فلا يزالون ظاهرين ماكانوا هكذا ، وليغيرن كما غيرتم ولينقضن كما نقضتم .

ثم نادى في اصحابه بالرحيل الى القسطنطينية . فلما خرج من ارض الشام واشرف على ارض الروم استدار الى الشام واستقبلها بوجهه وقال : السلام عليك يا سورية سلام مودع لايرى انه يرجع اليك ابدا . ثم مضى وهو يقول : ويحك ارضا ، ما انفعك لعدوك لكثرة ما فيك من العشب والخصب والخير .

الايام الاخيرة

اقام هرقل بالقسطنطينية . واستخلف على ليبيا رجلا يدعى جرجير فتمرد واستقل يملك ما بين طرابلس الى طنجة وضرب الدنانير باسمه . ولم يهدأ المسلمون بعد ان استقر لهم الامر بالشام ، فقد انساح عمر وابن العاص بجيشه من الشام الى مصر وكان للروم حصن بابليون بالداخل بجهة مصر القديمة من احياء القاهرة اليوم ، ففتحه عمرو اولا ثم سار الى الاسكندرية وكانت حاضرة مصر فقال هرقل : لئن ظهرت العرب على الاسكندرية كان ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم ، لانه ليس للروم كنائس اعظم من كنائس الاسكندرية ، لئن غلبونا على الاسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكها .

وامر هرقل باعداد جهازه ومصلحته ليخرج الى الاسكندرية حتى يباشر الدفاع عنها بنفسه ، وامر الا يتخلف عنه احد من الروم ، فلما فرغ من اعداد عدته مات سنة ١٩ هـ/٦٤٠ م ، فكسر موته شوكة الروم ورجع كثير ممن كان قد توجه الى الاسكندرية .. وسقطت الاسكندرية بعد حصار تسعة اشهر بعد موت هرقل وخمسة قبل ذلك ، وفتحت يوم الجمعة لمستهل المحرم ٢٠ هـ ، يعني ان هرقل مات في اول شعبان ١٩ هـ او نحو ذلك . ■■

احمد عادل كمال

التغذية ومشكلات الكلى

بقلم :الدكتورة صبيحة الدباغ

الكلية مصفاة الجسم ، وقد زودت الطبيعة الانسان بكليتين مع ان كلية واحدة تفي بحاجته وما ذاك الا من باب الاحتياط ، فهناك كثيرون ممن عاشوا ويعيشون بكلية واحدة .

وقد لاحظنا في أمراض الكلية أن الأعراض كثيرا ما تكون معتدلة ومبهمة حتى تصل الى مرحلة متأخرة ولما كان أكثر الفضلات في الادرار متأتياً من المواد الزلالية . فان الاقلال من تناولها في حالات اضطرابات الكلى أمر بديهي ، بالاضافة الى تحديد مقادير الملح والسوائل .

أما اذا أخفقت الكليتان في فعاليتها تماما ، تحتم اذذاك اجراء عملية زرع الكلية أو اللجوء الى ما يعرف عند الاطباء بالDialysisوهي عملية تصفية الدم وتنقيته من الفضلات . ولاسيا اليوريا ، وقد أصبح بوسع الانسان أن يعيش من دون كلى ، شريطة أن يمضي ليلتين أو ثلاثا أسبوعيا متصلا بكلية اصطناعية ، وينام عادة أثناء عملية تنقية الدم ، ويحيا حياة اعتيادية طبيعية ، وكان اختراع الكلية الاصطناعية بهولنده في أعقاب الحرب العالمية الثانية .

ويقيني أن هذا كله لا ضرورة له لوفكر الانسان بتعقل وحكمة في كيفية الحفاظ على كليتيه سليمتين ، فالفلسفة المسيطرة على كثير من الناس مع الأسف أن يحيوا كما يشتهون دون تحوط صحي ، حتى اذا ما ألم بهم مرض استسلموا الى العمليات الجراحية والعقاقير لتصحيح ما وقعوا فيه من أخطاء نتيجة التهاون بالقواعد الصحية ، فمن ذلك مثلا عدم الاقلاع عن التدخين والادمان الكحولي ، وكلاهما ضار بالكليتين ، وكذلك هو الشأن مع العقاقير فما لم يكن منها ضارا بالكليتين فهو على الأقل مرهق لهما ، فالفيناسيتين المستعمل لمعالجة الصداع والآلام ضار بالكليتين وقد أفضى في حالات خاصة في أستراليا الى عطب الكلى ووفاة أصحابها .

أما النيكوتين فمهيج للكلى دون شك ، وما نقوله في التدخين والكحول والعقاقير نقوله بشكل خاص في الأطعمة المصفاة المنقاة الفاقدة لخصائصها الطبيعية الأصلية ، وتتمثل في السكر الأبيض والخبز الأبيض ، وينطبق القول ذاته على عملية الفلوريد وملوثات الطعام التي تضاف اليه باسم تحسين النكهة والمظهر ، فتسيء الى الكليتين اللتين تلعبان دورا أساسيا في اطالة عمر الانسان ، وليس ثمة عضو في جسم الانسان أكثر عرضة لاساءة الاستعمال من الكليتين ، ويكفي مصداقا لكلامي هذا العدد الهائل من البشر الذين هم بحاجة الى زرع الكلية أكثر من زرع أي عضو آخر .

لقد كانت الطبيعة فيما مضى تشفي أكثر من ثمانين بالمائة من الأمراض من تلقاء ذاتها بمجرد الراحة التامة والحمية والتمريض القائم على العناية والدقة ، ولكن اليوم اصبح اكثر اعتمادنا ، حتى في أتفه الاعراض ، على العقاقير المرهقة للكلية .

ان الوفيات من جراء اخفاق الكلية في الجزر البريطانية وحدها تقدر بسبعة آلاف سنويا ، وأنا شخصيا أعلق أهمية خاصة على فكرة الصوم والحمية ، فالصوم بمختلف أصنافه لم يسن في الأديان عبثا . انه أعظم عون للكليتين ، فالكليتان تفرزان ثلثي فضلات الأنسجة ، وعندما يزداد افرازها في الحميات المعدية يتضاعف عملها بطبيعة الحال ويحدث فيها التسمم من جراء الأمراض ، ومن المحتم على أولئك الذين أصيبوا بأمراض الكلى أو لهم استعداد لها أن يراعوا نمطا خاصا من الحمية كأن يتناولوا عند الفطور أي نوع من الفواكه الطرية كالتفاح والبرتقال والعنب ، والأفضل أن تقدم بصورة « سلطة فواكه » ، مع نصف قنينة حليب اعتيادية تؤخذ بجرعات بطيئة ، ويمكن في المواسم الباردة الاستعاضة عن الفواكة الطرية بالمجففة ، كالتين والزبيب والتمر ، ولابد من تناول قدح ماء عند الضحى .

ويشتمل الغداء عند الظهر على مختلف صنوف سلطات الخضراوات الطرية غير المطبوخة كالخيار

والخس والطماطة ، على أن تكون غنية بعصير الليمون الحامض ومطيبة بشيء من الزيت غير المشبع كزيت عباد الشمس أو الذرة ، واذا لم يكن المريض مصابا بارتفاع الضغط أمكن اضافة شيء جزئي من ملح الطعام ، والا فالاستغناء عنه أولى ، وعليه أن يتناول قدرا معقولا من الخبز الأسمر والرز غير المقشور والبطاطة ، وللبطاطة أهمية خاصة في علاج الكلى ولاسيما ماء البطاطة ، ويمكن الحصول عليه بتنظيفها وحكها حكا خفيفا بالسكين لازالة ما عسى أن يكون قد علق بها من شوائب ، ثم تقشر تقشيرا غليظا بحيث أن مقدارا من مادة لب البطاطة تبقى مع القشر ، وتغلى القشور الغليظة ويسقى المريض ماءها ، ومن الطريف أن الكثيرين يتصورون أن البطاطة كالخبز والرز في غناتها بالنشويات ، والحقيقة ليست كذلك ، فانها فضلاً عن احتوائها على البروتين والفيتامينات فان ثلاثة أرباعها ماء .

وعند حلول المساء يكون الطعام الجاهز عبارة عن خضراوات مطبوخة بشكل متنوع لطيف ، وحذار من التعلق بنوع أو نوعين فان ذلك يورث الملل والسأم وفقدان الشهية ، وأرى أن تقدم ثلاثة أنواع على الأقل في كل وجبة ، على أن تتباين وتختلف من يوم لآخر ، فتتمكن بهذه الطريقة من التزود بمختلف العناصر الضرورية للجسم التي قد لاتتوفر كلها في نوع أو نوعين من الخضراوات .

بمثل هذه الوجبات لانقلل من ارهاق الكليتين فحسب ولا الجهاز الهضمي فحسب ، بل الجهاز العصبي أيضا ، ومن الجدير بالذكر أن من يحاول تجنب أمراض الكلى عليه أن يتجنب التوابل والبهارات والخردل والفلفل والخل ، لأنها تحتوي على مواد مهيجة للكلى .

واذا كان لابد من تناول الشاي والقهوة فليكونا مخففين معدين لتوهما ومن غير سكر ، والأفضل تناول الماء بين الوجبات لا معها ، وكلما قلت كمية الملح في الطعام قلت الرغبة في شرب الماء معه ، ومن المتوقع من مريض الكلى وممن يقيم لكليتيه وزنا أن يتحاشى السوائل الغازية بكل صنوفها .

وطبيعي أن الأزمات العاطفية والنفسية تؤثر على الكلى نتيجة تأثيرها على الجسم برمته ، وعلينا ان ناخذ كل هذه العوامل بنظر الاعتبار لأن الانسان جسم ونفس وفكر ، وكلها بحاجة للرعاية والتغذية المادية والمعنوية ، بل كلها عرضة للأمراض ، ومن الخطأ الاكتفاء بالمتطلبات المادية لمعالجة أي مرض ، وان كنا نعترف بأن بداية أكثر الأمراض الكلوية هو الاختلال في التوازن الغذائي : الافراط في تناول البروتينات والنشويات المنقاة والسكريات المصفاة ، وان أول خطوة في اعادة الاختلال الى توازنه الطبيعي زيادة نسبة الفواكه والسلطات في الطعام ، مع خفض نسبة وتحسين نوعية العناصر الثلاثة المخربة .

وأود أن أؤكد هنا مسألة فائدة الصوم أو شبه الصوم لشفاء الكلى ولا عني بالصوم السغب الى درجة الموت جوعا ، واني أخالف بعض الزملاء الأطباء الذين يعارضون فكرة الصوم كعلاج ، ولاسيما اذا كان لفترة قصيرة من نحو يوم واحد الى ثلاثة ايام ، وفي مثل هذه الحال ينبغي للمريض أن يشرب يوميا ما لا يقل عن ليترين من الماء . ان فترات الصوم المتباعدة تعيد الى الجسم حيويته وشبابه بشكل أفضل من المقويات والعقاقير . أما خصوم الصوم ، وهم لحسن الحظ قلة ، فيضربون لنا مثلا من شخص صام ثلاثين اسبوعا وهبط وزنه الى النصف فهات ! ما الى هذا الضرب الجنوني من الصوم نقصد ، بل الصوم بمعناه العلمي المفيد ، وتحت اشراف طبي اذا اقتضى الأمر ، وفي رأيي أن أي تغير واضح في كثافة الادرار ولونه وما يسببه من احساس بالحرقة يدعو الى نوع من أنواع الحمية أو الصوم ، واذا عز ذلك فبوسع المرء أن يتبع لفترة معينة احدى طرق ثلاث في التغذية :

الاقتصار على الفواكه وحدها أو المخضرات وحدها أو على الحليب مع الفواكه ، والأخيرة أفضلها جميعا لأن الانسان يستطيع أن يعيش لمدة طويلة على مثل الغذاء لاصلاح العطب ، الا اذا كان ذا حساسية خاصة تجاه الحليب فبامكانه استعمال اللبن أو ما يعرف عند البعض باللبن الزبادي .

بقيت لي كلمة اخيرة في تكون الحصى في الكلى وعلى رأي جمهرة الأطباء أن أسباب تكونها لاتخلو من غموض ، حتى ذهب البعض الى أن للوراثة يدا فيها ، وأيا كان الصواب ، فان انتقاء الأغذية يبعد أو يقلل من أخطار الاصابة بحصى وان كان لديهم استعداد وراثي لذلك ، ومما ينبغي التنبه اليه أن الحصيات الصغيرة أكثر ايلاما وازعاجا من الحصى الكبيرة وفي كلتا الحالتين يكون العلاج جراحيا ، اللهم الا اذا كانت الحصية صغيرة ونزلت من تلقاء ذاتها وخرجت مع الادرار ، وهو ما يحدث في بعض الأحيان ، وقد تساعد الحركات الرياضية والقفزات على التعجيل بهبوطها . ■■

اكسفورد /د . صبيحة الدباغ
الطبيبة الباحثة في مستشفيات جامعة اكسفورد

عندما كتب ابن القيم في الحمل والولادة والرضاع

بقلم : الدكتور محمد مروان السبع

لم يكن ابن قيم الجوزيه فقيها فذا فقط ، ولكنه كان ايضا عالما عميق المعرفة بمجالات أخرى قد لا يعرفها الكثيرون ، ويشهد له في ذلك كتابه الفريد « تحفة المودود باحكام المولود » .

ولد ابن قيم الجوزية في دمشق وعاش بين عامي ٦٩١ ـ ٧٥١ هـ (١٢٩١ ـ ١٣٥٠ م) واسمه الكامل ابو عبد الله شمس الدين محمد بن ابي بكر . يعتبر ابن قيم الجزية عالما متجزا في علوم الدين والفقه والحديث . وله مؤلفات غزيرة تشمل مواضيع كثيرة . الا ان ما يهمنا في هذا المقام دور ابن قيم الجوزية في العلوم الحيوية (البيولوجية) . اذ يعتبر هذا العالم احد العلماء العرب المسلمين الافذاذ الذين ساهموا في اغناء تراثنا العلمي الاسلامي بالاراء السديدة والاعمال والابحاث المجيدة .

ولقد تضمن كتاب ابن القيم « تحفة المولود .. » سبعة عشر بابا ، يحتوي كل باب على فصول عديدة تتحدث عن مواضيع شتى في طلب الاولاد ومعاملتهم وتربيتهم وتسميتهم وختانهم وتأديبهم والأحكام الشرعية والآراء المتباينة حول ذلك . واما الباب الأخير فيتحدث فيه ابن قيم الجوزية عن اطوار بني آدم من وقت كونه نطفة الى استقراره في الجنة أو النار . ويمكننا ان نقسم مواضيع هذا الباب الى ثلاثة اقسام .

القسم الاول : ويتحدث فيه عن اصل النسل وكيفية الاخصاب والعلوق .

سالقسم الثاني : ويذكر فيه اطوار الجنين واستمرار الحمل .

القسم الثالث : ويتعرض فيه الى معاملة المواليد الحديثة فالرضيعة ثم اليافعة فالبالغة التامة النمو .

● القسم الاول في اصل النسل وكيفية الاخصاب والعلوق : لقد سبق ابن قيم الجوزية العلماء الاوربيين المتأخرين في وضع نظرية تقول بأن بداية النسل تنشأ عن اجتماع ماء الرجل وتعني به السائل المنوى مع ماء المرأة وتعني به البويضة . ولقد وقع كثير من العلماء المتأخرين لعصر ابن قيم الجوزية في اخطاء شنيعة عندما حاولوا تفسير عملية الاخصاب ونشوء الجنين قبل ان يصلوا الى الحقيقة الساطعة التي وضعها ابن قيم الجوزية قبلهم بما يقارب اربعمائة عام . فقد قال بعض من هؤلاء العلماء مثل هارلسيوكر بأن الانسان والحيوان يتشكل بصورة نسخة مصغرة وكاملة تماما حتى قبل ابتداء نموه وتطوره . أما تطوره فهو عبارة عن عملية نمو ليس الا ، وتضخم للكائن وكبر في اعضائه الملتفة حول بعضها البعض . ومثل هذه الفكرة اخذت تسمية الخلق السبقي (Pre formism) . وهي تزعم بأن جميع اعضاء الجنين موجودة وجودا سبقيا في البويضة . وكذلك ذكر



سوامردام الهولندي في القرن السابع عشر عندما فتح شرنقة ووجد فيها حشرة ناضجة ومكونة تماما ، بأن الفراشة موجودة وكامنة في داخل اليسروع (اليرقة) أو حتى في داخل البيضة (كذا !) .

اما اصحاب « النظرية المنوية او المنويين » فقد اعتبروا ان الحيوان المنوي في الرجل ما هو الا انسان صغير يمتلك اعضاء مثنية وملتفة في اعماق الحيوان المنوي . وهذه الاعضاء غير مرئية بسبب صغرها وشفافيتها . وعند التطور الفردي لهذه الاعضاء فليست محتاجة الا الى فك التفافها وانشاداتها فتصبح مستقيمة ثم تكبر في الحجم (كذا) .

واما اصحاب النظرية « البيضية » فقد اكدوا بأن الكائن الحي يتشكل على هيئة تخلق سبقي في بيضة المرأة (كذا !) .

بينما نجد ابن قيم الجوزية عند عرضه لهذا الموضوع قائلا بالرأي السديد ، فيقرر النظرية الصائبة عن اصل المتشكل الصحيح للكائن الحي الا وهو اتحاد نطفة الذكر ببويضة الانثى . يقول ابن قيم الجوزية في الصفحة ١٦٧ من كتابه « وبذلك اجرى الله العادة في ايجاد ما يوجده من بين اصلين كالحيوان والنبات وغيرهما من المخلوقات . فالحيوان يتعقد من ماء الذكر وماء الانثى ، كما يتعقد النبات من الماء والتراب والهواء . ولهذا قال الله تعالى « بديع السموات والارض اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » ١٠١ ـ ٦ . فان الولد لا يتكون الا من بين الذكر وصاحبته » .

ولد ام بنت ؟

فاذن يذكر ابن قيم الجوزية بأن في نطفة الرجل حيوانا صغيرا يضم عناصر من اجزاء الجسم كله . وكذلك اعلن بأن في بذرة الانثى مثل ذلك . وعلى هذا يحدد ابن قيم الجوزية مسئولية الذكر والانثى واشتراكهما في تكوين جنين الانسان . ويؤيد دعواه ببراهين شرعية وعلمية . فمن البراهين الشرعية حديث ام سلمه مع الرسول صلى الله عليه وسلم واجابته لها « تربت يداك فبم يشبهها ولدها . » ومن حديث آخر أجاب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم اليهودي عن سؤاله مم يخلق الانسان ؟ فقال ، من كل يخلق من نطفة الرجل ونطفة المرأة . واما البرهان العلمي الذي يبرزه ابن قيم الجوزية كدليل على مسئولية الذكر والانثى في تكوين الولد فهو مشابهة الولد لامه كمشابهته لابيه . وانه لو لم يكن للمرأة شأن او دور لما شبه بها ولدها . ويؤكد على ذلك بقوله « واما الرجل وحده فلا يتولد منه الولد ما لم تمازجه مادة اخرى من الانثى » . وبديهي ان المادة الاخرى من المرأة هي البويضة . ومن هذا المعنى يجب ان نعيد الى صاحب هذه النظرية حقه في الابداع والابتكار لا أن ننسبها الى العلماء الاوروبيين المتأخرين .

اما مسألة الاذكار والايناث فقد تناولها ابن قيم الجوزية في كتابه وحللها تحليلا علميا وشرعيا ، واستعرض الافكار والآراء المختلفة في هذا الصدد ، وخلص في نهايتها الى أن موضوع الذكورة والانوثة لا ينطبق فيما تناولته الرواة والكتب والاساطير مع النظر العلمي الثاقب المحص . فلم يقبل الذرائع والحجج التي وضعت لتعليل سبب الذكورة والانوثة . فقد ذكر في الصفحة ١٦٨ ان الذكورة والانوثة لا تستند الى سبب من الواطيء (أي الرجل) وان كان يحصل باسباب غير ذلك . وهي امور خارجة عن الزوجين . وهنا يسند ابن قيم الجوزية موضوع الاذكار والايناث الى مشيئة الله تعالى وارادته في اقتضاء السبب لمسببه .

واما الحديث الشريف الخاص بهذا الموضوع فقد اورده ابن قيم الجوزية وقال بأن هذا الحديث في صحيح مسلم فقط ومروى عن ثوبان . ونحن هنا نجتزىء من الحديث القسم الخاص بالذكورة والانوثة . قال جاء يهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جئت اسألك عن الولد . قال : ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر . فاذا اجتمعا وعلا مني الرجل مني المرأة اذكر باذن الله . واذا علا مني المرأة مني الرجل آنث باذن الله تعالى . فقال اليهودي لقد صدقت وانك لنبي .

ويعقب ابن قيم الجوزية على هذا الحديث بأنه ليس من الشرط ان يكون مفهوم الحديث الشريف محققا لموضوع الذكورة والانوثة . فكأن ابن قيم الجوزية لم يقنع بمدلول الحديث الشريف ومقاصده حول الاذكار والايناث . وهكذا نجد ان فكر هذا العالم النير لم يسمح له بقبول كافة الآراء والافكار حول هذا الموضوع الدقيق ذي الالغاز المحيرة والذي لم تحل اشكالاته المعقدة حتى الآن .

ومن الافكار التي يعرضها ابن قيم الجوزية ولا يجد لها دليلا علميا مقنعا فينقدها ويشكك في صحتها ، ما ذكره عن مسؤولية سبق ماء الرجل او المرأة في احداث الذكورة والانوثة فهو يقول :

ان سبق احد المائين سبب لشبه السابق ماؤه وعلو احدهما سبب لمجانسة الولد للعالي ماؤه . فههنا امران : سبق وعلو . وقد يتفقان وقد يفترقان . فان سبق ماء الرجل ماء المرأة وعلا ، كان الولد ذكرا والشبه للرجل ، وان سبق ماء المرأة وعلا ماء الرجل كانت انثى والشبه للام . وان سبق احدهما وعلا الآخر كان الشبه للسابق . والاذكار والايناث لمن علا ماؤه . وهنا يقف هذا العالم ناقدا لهذه الافكار فيقول « ان الاذكار والايناث لمن علا ليس له سبب طبيعي ، وانما هو مستند الى مشيئة الخالق سبحانه وتقديره .

نقد آراء بقراط

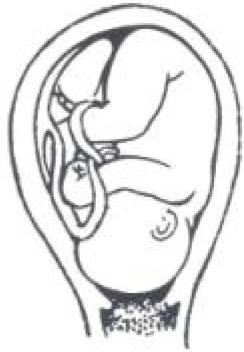
القسم الثاني : في اطوار الجنين واستمرارية الحمل . لقد قام ابن قيم الجوزية بتحليل كيفية تشكل الجنين بأطواره المتعاقبة بشكل يضاهي في دقته ابحاث العلماء المتأخرين في هذا المضمار . فهو يذكر تشكل العلقة ثم المضغة . ويصف العلقة على انها قطعة سوداء تمكث اربعين يوما .

ويصف المضغة على انها قطعة لحم تمكث اربعين يوما تقدر فيها اعضاء الجنين وصورته وشكله وهيئته ويذكر ابن قيم الجوزية اختلاف الآراء حول أي من الاعضاء يبدأ بالشكل : القلب ام الدماغ ام الكبد ويبرز حجج كل رأي حول ذلك . واما ابن قيم الجوزية فيقول « فليس عندهم دليل الا الاجدر والانسب والاولى والقياس ، والله اعلم » .

ثم يذكر ابن قيم الجوزية كيفية تشكل المفاصل والاعضاء والعظام والاعصاب واجهزة السمع والبصر والفم وكيفية فتق الاعضاء بعد ان تكون رتقا ، ومن ثم يركب اللسان ويخطط شكل الجنين وصورته وتكسى العظام باللحم ويربط بعضها الى بعض احكم رابط واقواه وهو الاسر الذي جاءت به الآية الكريمة « نحن خلقناهم وشددنا اسرهم » ويعرض ابن قيم الجوزية لآراء بقراط حول سهولة اسقاط الجنين في الاربعين يوما الاولى فيوافقه على ذلك ويضيف معلوماته عن الاغشية الجنينية ويقول بأن وجود الجنين (ويقصد به البرعم الجنيني هنا) ضمن الحجاب (أي الاغشية الجنينية) وانه يغتذي من الدم الذي يجتمع من المرأة وينزل الى الرحم (وهذا ما نعبر عنه حاليا بالحبل السرى) وقال ابن قيم الجوزية ان الطمث لا ينحدر ما دامت المرأة حاملا ان كان طفلها صحيحا . وذلك من اول شهر من حملها الى الشهر التاسع . ولكن جميع ما ينزل من الدم من البدن كله يجتمع حول الجنين على الحجاب الاعلى (أي الكوريون) مع اجتذاب النفس ، والسرة طريق وصوله الى الجنين . فيصل الغذاء اليه ويغذوه ويزيد .

ويصف ابن قيم الجوزية وجود الاغشية المشيمية الثلاثة حول الجنين وان بعضا منها تشكل في الشهر الاول ومنها ما يخلق في الشهر الثاني ومنها ما يتكون في الشهر الثالث . ويقول ابن قيم الجوزية « وجلها لا يظهر منافعها اول ما يخلق ، ولكن بعضها يمتد على المني (أي الجنين) فتظهر منافعها اولا وبعضها لا يظهر الا اخيرا ولذلك نجد هذا التفاوت في مواعيد تشكل الحجب . ويذكر ابن قيم الجوزية ان الحجب الجنينية تحول بين دم الام وجنينها . وهذا مؤكد من الناحية العلمية ولا غبار عليه . ويتعرض ابن قيم الجوزية هنا لاراء بقراط حول نزول الدم اثناء الحمل وتشكل الحجب ويضيف عليها قائلا « ومن ههنا لم تحض الحامل بل ما تراه من الدم يكون دم فساد ليس دم الحيض المعتاد » .

وهكذا يتابع ابن قيم الجوزية عرض تشكل اعضاء الجنين فتكلم عن تصلب العظام بالحرارة وانفتاح الفم وثقب الاذنين ثم العينين وامتلائها بالرطوبة الصافية . ويذكر هنا ان الاذنين تتقدمان العينين في الوجود .



وكذلك يتعرض ابن قيم الجوزية لحركات الجنين التي وصفها بقراط في كتاب الغذاء، ولكنه يضيف عليها مشاهداته، وينقد خلال ذلك كثيرا من الاوهام والاباطيل والخزعبلات حولها فيقول « الذي دل عليه الوحي الصادر عن خلاق البشر ان الخلق ينتقل في كل اربعين يوما الى طور آخر فيكون اولا نطفة اربعين يوما ثم علقة كذلك ثم مضغة كذلك ثم ينفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين يوما كأنك تشاهده عيانا. وما خالفه فليس من المخبر عيانا، وغاية ما معه قياس فاسد، وتسرع لا يحيط علما بمبدأ يكون ما شاهده منه. او تقليد لواحد غير معصوم، وكل من جاء بعده مشى خلفه فيه. فيعتقد المعتقد ان هذا امر متفق عليه بين الطبائعيين واصله كله وحد « اخطأ فيه، ثم قلده من بعده، والقوم لم يشاهدوا ما اخبروا به عن ذلك ».

وبذلك نجد ابن قيم الجوزية يهاجم الافكار الباطلة والاوهام وينقضها من اساسها. فهو لا يقر علاقة حركات القمر وزيادته ونقصانه وموعد وطء الذكر. وكذا علاقة حركات الشمس والتثليث، والتربيع والتسديس والمقابلة بحركات الجنين. ويرد بعنف على هذه الافكار الخيالية مستندا في حججه وادلته الى الوحي الالهي والمشاهدة.

في عالم الجنين

وكذلك يتحدث ابن قيم الجوزية عن استمرارية الحمل فيذكر ان الولادات تقع فيما بين الشهر السادس الى العاشر. واما مادون السادس فلا يعتبر ولادة بل سقطا. وذكر حوادث نادرة جدا عن ولادات حدثت بعد مرور سنتين وثلاث واربع سنوات وخمس واحيانا ست وسبع.

ونجد ابن قيم الجوزية ايضا ناقدا لآراء بعض مفسري الآيات الكريمة التي تتكلم في خلق الانسان « كاعطاء السمع والبصر بعد ولادة الجنين وخروجه من بطن امه والتي احتجوا عليها بقوله تعالى « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ». فهنا يرد ابن قيم الجوزية على هذا الرأي مستندا الى الوحي والاقناع والمشاهدة.

ثم يتعرض ابن قيم الجوزية لموضوع موت الجنين اذا كان عمره ثمانية اشهر وامكانية عيشه اذا كان عمره سبعة او تسعة او عشرة، ويتحدث عنه بكلام الخبير المدقق ويقول « : اذا اتم الجنين سبعة اشهر عرض له حركة قوية يتحركها بالطبع للانقلاب والخروج. فان كان الجنين قويا من الاطفال الذين لهم بالطبع قوة شديدة في تركيبهم وجبلتهم، حتى يقدر بحركته على ان يهتك ما يحيط من الاغشية المتصلة بالرحم، حتى ينفذ ويخرج منها ـ خرج في الشهر السابع وهو قوي صحيح سليم لم تؤله الحركة ولم يمرضه الانقلاب، وان كان ضعيفا فهو اما ان يعطب بسبب ما يناله من الضرر والالم بالحركة للانقلاب فيخرج ميتا. واما ان يبقى في البطن فيمرض ويلبث مدة في مرضه نحو اربعين يوما حتى يبرأ وينتعش ويقوى فاذا ولد في حدود الشهر الثامن ولد وهو مريض لم يتخلص من المه فيعطب ولايسلم، وان لبث في الرحم حتى يجوز هذه الاربعين يوما الى الشهر التاسع قوي وصح وانتعش، وبعد عهده بالمرض كان حريا ان يسلم. واولاهم بان يسلم اطولهم بعد الانقلاب لبثا في الرحم، وهم المولودون في الشهر العاشر. واما من ولد بين التاسع والعاشر فحالهم في ذلك بحسب القرب والبعد ». ويقول ايضا : « ويدلك على ذلك انك تجد جميع الحوامل والحبالى في الشهر الثامن اسوأ حالا، واخص منهن في الشهور التي قبل هذا الشهر وبعده، واحوال الامهات متصلة باحوال الاجنة ».

الا ترى معي ايها القارىء العزيز دقة وصف ابن القيم وصوابه في هذا الموضوع وغيره ؟ !

وكذلك نجد ابن قيم الجوزية ناقلا للمواضيع التي تحدث بشكل واقعي في المجتمع ويسردها دون تعليق فهو يقول « : وقد يكون قبح المولود وحسنه من اسباب اخر. منها ان افكار الوالدين وخاصة الوالدة اذا جالت عند المباضعة وبعدها الى وقت خلق الجنين في الاشخاص التي تشاهدها وتعاينها وتتذكرها وتشتاقها. لانها تحبها وتودها، فاذا دامت الفكرة فيه والاشتياق اليه ـ أشبه الجنين وتصور بصورته فان الطبيعة نقالة واستعدادها وقبولها اثر يعرفه كل احد ». وينقل عن الاطباء ايضا فيقول « : ان ادمان الحامل على اكل السفرجل والتفاح مما يحسن وجه المولود ويصفي لونه. وكرهوا للحامل رؤية الصور الشنيعة والالوان الكمدة، والبيوت الموحشة الضيقة، وان ذلك كله يؤثر على الجنين ».

وبعد ذلك يصف ابن قيم الجوزية خروج الجنين من بطن امه فيقول : « فعندما يأذن الله بخروجه يتقلب ويصير رأسه الى اسفل ، فيتقدم رأسه سائر بدنه ، هذا باتفاق من الاطباء والمشرحين . وهذا من تمام العناية الالهية بالجنين وامه ، لان رأسه اذا خرج اولا كان خروج سائر بدنه اسهل من غير ان يحتاج شيء منها الى ان ينثني . فان الجنين لو خرجت رجلاه اولا لم يؤمن ان ينشب في الرحم عند يديه ، وان خرجت رجله الواحدة لم يؤمن ان يتعلق وينشب في الرحم عند ادراكه . وان خرجت اليدان لم يؤمن ان ينشب عند رأسه ، اما ان يلتوي الى خلف واما لان السرة تلتوي الى عنقه او على كتفه ، لان الجنين اذا انحدر فصار الى موضع فيه السرة ممتدة التوت هناك على عنقه وكتفه فيمرض من ذلك ، او ان يجاذب السرة فتألم الام غاية الالم . ثم ان الجنين اما ان يموت واما ان يضعف خروجه ويخرج وهو عليل بتورم . فاقتضت حكمة احكم الحاكمين ان يقلب في البطن فيخرج رأسه اولا ثم يتبع الرأس باقي البدن » .

عندما يبكي الطفل

القسم الثالث : في معاملة المواليد الحديثة والرضيعة واليافعة : وهنا يتابع ابن قيم الجوزية شرحه الدقيق فيتحدث عن بكاء الطفل ساعة ولادته وان ذلك دليل صحته وقوته وشهرته فيقول : « واذا وضع الطفل يده وابهامه او اصبعه على عضو من اعضائه فهو دليل على الم ذلك العضو . وكل الحيوان بالطبع يشير الى ما يؤلمه من بدنه اما بيده او بفمه او برأسه او بذنبه . فلما كان الطفل عادما للنطق اشار باصبعه او يده الى موضع المه كالحيوان البهيم .» ثم يتحدث عن ان الاطفال وهم حمل في الرحم اقوى منهم بعد ولادته فيقول : « وكذلك تكون العناية بهم بعد ولادتهم اكبر والحذر عليهم اشد . فان اغصان الشجر وفروعها ما دامت لاصقة بالشجر ومتصلة بها لا تكاد الرياح العواصف تزعزها ولا تقتلعها فاذا فصلت عنها وغرست في مواضع اخرى نالتها الافة . وكذلك الجنين ما دام في الرحم فهو يقوى ويصبر على ما يعرض له وينالـه من الاذى على ما لا يصبر على اليسير منه بعد ولادته وانفصاله عن الرحم ، ولما كان مفارقة كل معتاد ومألوف والانتقال عنه شديدا على من رامه ولا سيا اذا كان الانتقال دفعة واحدة ، فالجنين عند مفارقته للرحم ينتقل عما قد الفه واعتاده في جميع احواله دفعة واحدة ، وشدة ذلك الانتقال عليه اكثر من شدة الانتقال بالتدريج » .

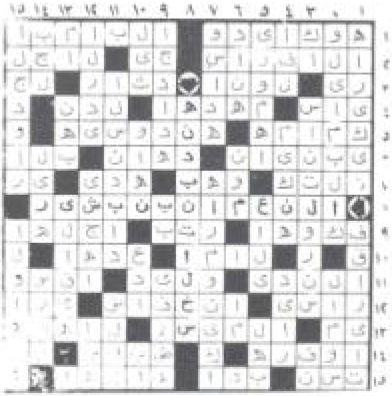
ثم يتحدث ابن قيم الجوزية عن تغذية الاطفال في المرحلة الجنينية وفيما بعد الولادة فيقول : « والجنين في الرحم كان يغتذى بما يلائمه وكان يجتذب بالطبع المقدار الذي يلائمه من دم امه . وبعد خروجه يجتذب من اللبن ما يلائمه ايضا لكنه يجتذب حسب شهوته وارادته فيزيد على مقدار ما يحتاج مع كون اللبن رديئا ومعلولا كما يكون صحيحا . وكذلك يعرض له القيء والغثيان ويجتذب اخلاطا به ، وتعرض له الالام والاوجاع والآفات التي لم تعرض له في البطن . وقد كان عليه من الحجب والاغشية ما يمنع وصول الاذى اليه ، فلما ولد وهيىء له اغشية وحجب أخر لم يكن يألفها ويعتادها ، وربما تعرض للحر والبرد والهواء . وكان يجتذب من سرته وهو الطف شيء معتدل صحيح قد يصبح قلب الام وعروقها الضوارب ، فهو شبيه بما يجتذبه من هو داخل الحمام من الهواء اللطيف المعتدل ، ثم يخرج منه وهلة واحدة عريانا الى الهواء العاصف المؤذي » . ويتابع ابن قيم الجوزية وصفه لحالة الطفل الرضيع فيقول : « فاذا تم له اربعون يوما تجدد له امر آخر على نحو ما كان يتجدد له وهو في الرحم فيضحك عند الابعين . وذلك اول ما يعقل نفسه فاذا تم له شهران رأى المنامات ، ثم ينشأ معه التميز والعقل على التدريج شيئا فشيئا الى سن التمييز ، وليس له سن معين بل من الناس من غير لخمس » . ويذكر ابن قيم الجوزية حوادث لحالات تميز نادرة جرت قبل سن الخمس سنوات .

وبعد ذلك يتعرض ابن قيم الجوزية لسن الاطفال في سبع سنين وما يكلفون به من اعمال وعبادات . واما في سن العشر سنين فيعتبر ان الاطفال يتجدد لهم حال اخرى يقوون فيها على التمييز والمعرفة ، وهنا يصبح الايمان واجبا ويعاقب تاركه . وقد اطلق ابن قيم الجوزية على من هم بين العاشرة وسن البلوغ اسم المراهق والمناهز للاحتلام . ويصف هؤلاء المراهقين فيقول : « فاذا بلغ خمس عشرة سنة عرض له حال آخر يحصل معها الاحتلام ونبات الشعر الخشن حول القبل ، وغلظ الصوت وانفراق ارنبة الانف » .

وليس لوقت الاحتلام سن معتاد . بل من الصبيان من يحتلم لاثنتي عشرة ومنهم من يأتي عليه خمس عشرة وست عشرة ـ واكثر من ذلك ولا يحتلم ، ثم يورد اختلاف الفقهاء في السن الذي يبلغ فيه مثل هذا . ثم يتحدث بشكل سريع وموجز عن سن الرجولة والكهولة ■■

حلب ـ د . محمد مروان السبع .

● حل مسابقة العدد ٢٥٩ ●



أفقيـًا

النعمان بن بشير

رأسيـًا

هند بنت الخس

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا : النعمان بن بشير . من أجلاء الصحابة ، التزم جانب معاوية وعاونه في صفين فولاه الكوفة ، ثم ولاه يزيد حمص . انقلب على الامويين في حكم مروان ابن الحكم ، فاغتاله اتباع بني أمية في حمص .

(٨) رأسيا : هند بنت الخس . من حكيات العرب في الجاهلية ، اشتهرت بحسن الجواب والفصاحة والبلاغة . لها أسجاع كثيرة

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : جاسم محمد جبر ـ السماوة/العراق .
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : دياب محمد الدياب ـ الخبر/السعودية .
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : احمد عارف القاني ـ بيروت/لبنان .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ فهد احمد سلايمة ـ اللاذقية ـ سوريا
٢ ـ عبد الرحمن احمد جاويش ـ القاهرة ـ مصر
٣ ـ بدوي محمد ـ مكناس ـ المغرب
٤ ـ صفوان عبد الغنى محمود ـ عمان ـ الاردن
٥ ـ ياسين حاج ماجد ـ الشارقة ـ الامارات
٦ ـ احمد عبدالله حمد الحارثي ـ سلطنة عمان
٧ ـ وليد أديب احمد فزع ـ حولي ـ الكويت
٨ ـ عبد العزيز محمود صالح ـ كانو ـ نيجيريا

« لو لم اكن صربيا لوددت أن اكون عربيا » ـ اجنياتوفيتش

شخصية البطل العربي في الأدب اليوغوسلافي

بقلم : الدكتور جمال الدين السيد

عبر الأديب اليوغسلافي المعروف يعقوب اجنياتوفيتش عن حبه للعرب واعجابه بهم وبتاريخهم في مقالة مطولة كتبها في القرن الماضي قال فيها : « ان الصربي مشابه لذلك العربي الذي كان في حين من الاحيان يحكم في بغداد والذي هيمن على الشرق تحت امرة محمد وخلفائه ، العربي الذي ساعد بحكمته وبطولته الجنس التركي على ان يهز كيان اوروبا ، والذي حارب في افريقيا منذ ثلاثين عاما ضد الفرنسيين العتاة من اجل وطنه » . واختتم الكاتب مقاله بجملته المأثورة « لو لم أكن صربيا لوددت أن أكون عربيا » .

ومن الجلي هنا أن اجنياتوفيتش يعرف التاريخ العربي معرفة جيدة ولذا فان هذه الكلمات لم تذكر من قبيل المصادفة المحضة او من اجل تعاطف اعمى غير حكيم تجاه الانسان العربي لقد كانت هذه الكلمات الجميلة ستعني بالنسبة لي نوعا من انواع الاطراء او المديح المألوف لو لم اكتشف انه عبر القرون الماضية كانت هناك علاقات وطيدة بين الشعب الصربي والشعوب اليوغسلافية بوجه عام وبين الشعب العربي . والصفحات الصفراء من كتب التاريخ تحدثنا عن وجود علاقات متنوعة ومتباينة بين العرب وبين السلاف الجنوبيين الذين كانوا يقطنون شبه جزيرة البلقان . وهذا يجعلنا ننظر الى كلمات الاديب اليوغسلافي نظرة جادة فهي ليست اطراء بل هي كلمات صحيحة لابد أن نتمعن في دراستها ونبحث عما بين ثناياها حتى ندرك معناها الحقيقي ونفطن الى اهميتها الجليلة والى ابعادها .

واذا اضفنا الى هذا ان الاديب اليوغسلافي يعقوب اجنياتوفيتش قد جعل من العرب ابطالا لروايتين من رواياته وهما رواية « منصور وجميلة » ورواية « الدم من اجل اهلي » ، واذا علمنا ايضا ان اجنياتوفيتش لم يكن هو الوحيد بل سبقه وتلاه كثير من الادباء اليوغسلاف لأدركنا اهمية هذا الامر وجديته وانه اصبح يشكل ظاهرة تستحق البحث والاهتمام . وقد شدتني هذه الظاهرة غير المألوفة ودفعتني الى تأملها والتعمق في دراستها ، وهي ظاهرة سيطرت بشكل ملفت للنظر في فترة من الفترات على الأدب اليوغسلافي وخاصة على الادب المكتوب باللغة الصربوكرواتية [1] سواء أكان نثرا أم شعرا وقد برزت هذه الظاهرة في الفترة ما بين عام ١٨٥٠ وحتى عام ١٩٠٠ ميلادية وهي الفترة التي

(١) اللغة الصربوكرواتية هي احدى اللغات الرسمية بيوغسلافيا وتتحدث بها الاغلبية العظمى من الشعوب اليوغسلافية



ركزت على دراستها .

وكانت المهام الرئيسية التي وضعتها نصب عيني في هذه الدراسة تنصب على ايجاد اجابات منطقية واضحة على الاسئلة التالية :

- ■ من هو هذا البطل العربي الذي يظهر في النثر اليوغسلافي ؟
- ■ كيف ظهر البطل العربي في النثر اليوغسلافي ؟
- ■ ما هو الشكل الذي ظهر به البطل العربي وما هي خصائصه ؟
- ■ هل يرجع ظهور شخصية البطل العربي الى تراكمات تاريخية واسطورية ؟
- ■ ما هو مدى انتشار استخدام شخصية البطل العربي في النثر اليوغسلافي المكتوب باللغة الصربوكرواتية ؟

وقد وجدت انه من الافضل ان اتعرض في بداية الدراسة الى بحث العلاقات العسكرية والتجارية والثقافية بين كل من العرب والسلاف الجنوبيين منذ بداية التقائها على الحدود بين الدولة الاسلامية والامبراطورية البيزنطية . ولا ريب أن هذه هي نقطة الانطلاق الرئيسية والجوهرية التي كان لابد وأن أبدأ منها .

واذا حاولنا تتبع التسلسل التاريخي للأحداث وألقينا بنظرة الى الوراء في الفترة الاولى لبدء الفتوحات الاسلامية لوجدنا انه كانت هناك علاقات متباينة بين العرب وبين السلاف الجنوبيين في حالة الحرب وكذلك في حالة السلم . وقد ادت هذه العلاقات الى تعرض السلاف الجنوبيين لتأثيرات متنوعة لا حصر ولا حد لها من جانب الحضارة الاسلامية والعربية وتشير المعلومات والحقائق التاريخية الى أن التعارف بين العرب والسلاف الجنوبيين وما تبع ذلك من تأثيرات محتملة قد تم من خلال السبل التالية :

١ ـ عن طريق الامبراطورية البيزنطية : فلقد تحولت شبه جزيرة البلقان الى بلاد سلوفانية بعد نزوح السلاف وتدفقهم على هذه المنطقة ابتداء من القرن السادس الميلادي وكان شبه الجزيرة يخضع في ذلك الحين للامبراطورية البيزنطية وفي بداية القرن السابع شعرت الامبراطورية البيزنطية بحاجتها الى تكوين جيش قوي جديد ، وحيث ان عدد الجنود البيزنطيين لم يكن كافيا فلم يكن من الممكن سد هذا الفراغ في الجيش الا بتجنيد السلاف الجنوبيون ، وبذلك اضافوا دما جديدا الى

الجيش البيزنطي وتحول السلاف الجنوبيون الى قوات تحارب وترد هجمات العرب المتكررة .

وفي عام ٦٥٨ م . وفي عهد القيصر قسطنطين الثاني انتقلت وحدة عسكرية بيزنطية قوامها خمسة الاف جندي من السلاف الجنوبيين الى صف القائد العربي عبد الرحمن واستوطنت في سوريا وهذا يدفعنا على الفور الى الاستنتاج بان السلاف الجنوبيين كانوا يحاربون مع البيزنطيين ومع العرب على حد سواء . وقد جرت على الحدود بين الدولة الاسلامية وبين الامبراطورية البيزنطية حروب استمرت ما يقرب من ثمانية قرون اشترك فيها السلاف الجنوبيون مع المسلمين ومع البيزنطيين . وتدفعنا هذه الحقيقة الى التقرير بأن استعراض العلاقات والحروب التي جرت بين العرب والبيزنطيين هي في الحقيقة استعراض لتاريخ العلاقات بين العرب والسلاف الجنوبيين .

وقد ثبت ان اول اتصال مباشر مسجل بين العرب وبين السلاف الجنوبيين تم في بداية القرن السابع الميلادي وبالتحديد في عام ٦٢٩ ميلادية على الحدود بين الامبراطورية البيزنطية وبين الدولة الاسلامية ، وقد جرت معارك مريرة على هذه الحدود من اجل كل شبر من الارض في عهد الامويين والعباسيين ، وحتى بداية القرن العاشر تقريبا وكانت تتكرر كل عام تقريبا الهجمات من كلا الجانبين ويتم اسر الجنود وتبادلهم . ومن المؤكد ان كل هذا كان يؤدي الى حدوث اتصالات مباشرة بين العرب وبين السلاف الجنوبيين وقد انعكس هذا فيا بعد على الحكايات الشعبية وعلى الأدب الروائي اليوغسلافي . ورغم كل هذه المعارك فقد عرف عبور هذه الحدود ايام السلم ايضا عندما كان يمكن ان يتم بلا عوائق تبادل الاتجاهات الروحية والافكار واسباب الحضارة والثقافة .

٢ ـ عن طريق حوض البحر الابيض المتوسط : فمن الحقائق المؤكدة ان الهجمات العربية على بحر الادرياتيك خلال القرن التاسع الميلادي استمرت قرنين كاملين على فترات متقطعة . ولا ريب ان هذه الهجمات العربية اثبتت بروز عنصر خارجي جديد له قوته مما سيؤثر فيا بعد على تاريخ دول بحر الادرياتيك ، وقد جرت معارك قاسية بين البيزنطيين والفرنجة على شواطىء بحر الادرياتيك في إطار الصراع الاستراتيجي العسكري والاقتصادي في منطقة البحر الابيض من اجل التجارة بين غرب أوروبا والشرق في هذه المنطقة .

٣ ـ عن طريق الدولة الفاطمية بمصر : وقد قام تجار الدولة الفاطمية بدور بالغ الاهمية في التجارة بين مصر والهند وكذلك مع اوروبا وهنا كان يوجد عدد من المماليك السلاف . وكان لدى الخليفة المهدي حرس خاص أغلبهم من السلاف القادمين من شواطىء شبه جزيرة البلقان . وعلاوة على ذلك كان الخليفة المعز لدين الله الفاطمي يعرف اللغة السلوفينية وهذا يؤكد وجود عدد كبير من الجنود والضباط من السلاف الجنوبيين لديه .

دور الحروب الصليبية

٤ ـ عن طريق الحروب الصليبية : وقد اعادت هذه الحروب الاتصال المباشر بين العرب والسلاف الجنوبيين . وقد اشترك الكروات بقيادة الملك اندريا الثاني ملك الكروات والمجر في هذه الحروب التي كانت تعني الكثير بالنسبة للحضارة الغربية وفي هذا المضمار اعترف جميع المؤرخين بان التأثير العربي على الأدب الاوروبي كان قويا شديدا عندما استمع الصليبيون الى قصص من كتاب « كليلة ودمنة » وقصص « الف ليلة وليلة » ونقلوها الى بلادهم .

واصبح المماليك خاصة اولئك المماليك الذين اشتركوا في الحروب الصليبية صورة للبطل المثالي الذي لم تنقطع الاساطير عن تجميل مآثره كما في قصة عنترة ابن شداد وقصة الظاهر بيبرس وبنفس الاسلوب اخذ الراوي ينقل من المجتمع الطباع والعادات الشعبية التي كان الراوي يراها حوله في قاهرة المماليك .

٥ ـ عن طريقه الدولة الاموية باسبانيا : هنا كانت قرطبة مركزا للحياة الثقافية والروحية بالغرب الاسلامي كله . وكان عدد السلاف الجنوبيين بها كبيرا وكانوا يشكلون الحرس الخاص لبعض الحكام مثل الخليفة الحكم والخليفة عبد الرحمن الثالث وبوجه عام كان الدور السياسي للسلاف الجنوبيين في اسبانيا دورا كبيرا للغاية . لقد كان بعض المحاربين والحكام اصحاب القصور الرائعة منهم . وعلى الصعيد الثقافي يوجد عدد من الشخصيات السلوفينية التي برزت بفضائلها وخدماتها ونذكر على سبيل المثال لا الحصر هرمان الدعاشي الذي يقال عنه إنه اول من ترجم القرآن العربي الى اللغة اللاتينية .

وهكذا نرى ان الحقائق التاريخية المذكورة المؤكدة تشير الى ان تأثير العرب والحضارة العربية على السلاف الجنوبيين كان اكثر قوة وانتشارا عن طريق اسبانيا وعن طريق حوض البحر الابيض منه عن طريق الامبراطورية البيزنطية .

٦ ـ عن طريق الامبراطورية المجرية : كان بالجيش المجري عدد كبير من المقاتلين الرحل وكان تعليمهم الاسلامي ممتازا . وكانت لهؤلاء المقاتلين الرحل علاقات متنوعة بالسلاف ، ولذا فمن البديهي انهم نقلوا عناصر الحضارة الاسلامية الى شبه جزيرة البلقان .

٧ ـ عن طريق الامبراطورية التركية : من المؤكد انها حلت محل الامبراطورية البيزنطية في دور الوسيط والناشر لعناصر الثقافة العربية بين السلاف في البلقان ، وهنا كانت سبل نشر الثقافة والحضارة عديدة ومتعددة الجوانب ، وقد قام بنقل عناصر الحضارة الاسلامية كل من الجندي والتاجر ورجل الدين والحاج وكذلك الحاكم ورجل القلم .

ولا خلاف على ان الحروب المديدة المتواصلة التي اشترك فيها كل من العرب والسلاف الجنوبيين قد سمحت بعلاقات ثقافية متنوعة ومتميزة بينهما . ومن المعروف ان الحياة المشتركة قد تفرض على الاعداء في بعض الاحيان ان يتصلوا ببعضهما وان يتعارفوا في جميع المجالات الممكنة وبمختلف الاشكال وبناء على ذلك فمن المنطقي تماما ان نفترض بأنه كان يوجد لدى البيزنطيين وجنودهم من السلاف الموجودين على الحدود العربية البيزنطية شكل من اشكال قصص البطولات يشبه قصص البطولات العربية ، ولا شك ان الجندي السلافي قد حاول ان يحكي على طريقته الخاصة في ايام السلم وفي لحظات الاطمئنان حكايات عما كان يحدث كما كان يفعل الجندي العربي ايضا . وهذا يدفعنا ببساطة الى الاستنتاج بان قصص البطولات الشعبية عند السلاف الجنوبيين لابد وانها نشأت على الحدود بين الامبراطورية البيزنطية وبين الدولة الاسلامية العربية ، وهنا تعرف السلاف الجنوبيون على الأدب والحضارة العربيتين وبالتوازي مع كل هذا كانت الخبرات والتقاليد الشعبية تنتقل من العرب الى السلاف الجنوبيين في وقت الحرب وكذلك في وقت السلم .

الحكايات الشعبية

من اجل هذا كله ظهرت شخصية البطل العربي في الحكايات الشعبية التي تم العثور عليها وعددها ١٠٣ حكاية . وشخصية البطل العربي تقف على رأس قائمة الابطال الاجانب الذين ظهروا في الحكايات الشعبية اليوغسلافية وكانت الحكايات الخرافية وعددها ٣٩ حكاية هي الشكل المناسب تماما من الناحية الادبية لظهور شخصية البطل العربي . وقد نجح الراوي الشعبي عن طريق الصفات التي الصقها بشخصية البطل العربي في الاحتفاظ بالذكريات الاسطورية والذكريات التاريخية القديمة في هذه الحكايات . ولذا فانه من المحتم اولا وقبل كل شيء ان يتم تفسير ظهور البطل العربي على اساس الحقائق التاريخية التي تدفعنا بالتالي الى التقرير بان هذه الشخصية كانت موجودة في الحكايات الشعبية قبل استيلاء الاتراك على المناطق اليوغسلافية في القرن الخامس عشر . ومثل هذا الحكم طبيعي ومنطقي لان الامر كان على هذا النحو في الواقع والتاريخ ايضا .

وبعد تحليل الحكايات الشعبية المذكورة تبين لنا ان هذه الحكايات الشعبية اقل في قيمتها الادبية من القصائد الشعبية التي تتفوق عليها كما وكيفا . ويمكن هنا ان يسري هذا الحكم على شخصية البطل العربي فقد كان بناء هذه الشخصية اكثر تكاملا في القصائد الشعبية وتعددت جوانبها الفنية عنها في الحكايات الشعبية . وقد لفت نظري التشابه الشديد بين الحكايات والقصائد الشعبية في افكارها وموضوعاتها بل وفي النصوص ذاتها وخاصة في الحكايات التي يتقاتل فيها البطل العربي مع البطل اليوغسلافي ماركو كراليفيتش .

وقد اثبت بالمقارنة هذا التشابه بشكل لا يدع مجالا للشك . وبالاضافة الى ذلك فالعدد الاكبر من الحكايات الشعبية التي جمعتها يعالج موضوع القتال بوجه عام وخاصة القتال بين البطل العربي مع البطل اليوغسلافي ماركو كراليفيتش ، وهنا لابد ان اوضح ان البطل العربي اقدم عمرا من ماركو لانه ـ اي العربي ـ يرث بعض خصائص الابطال الاسطوريين .

ولابد ان الفت النظر الى ان شخصية العربي في هذه الحكايات الشعبية تتميز بخاصيتين رئيسيتين هما البطولة والنبل . وتنعكس بطولة العربي بشكل كبير في الحكايات الشعبية التي تعالج موضوعات المبارزة والقتال ، وذروة هذه البطولة تتجلى في الحكايات التي تحدث فيها مواجهة بين البطل العربي وبين البطل اليوغسلافي ماركو كراليفيتش .

ويتحتم علي ان اشير الى أن التسامح الديني كان هو الطابع العام لهذه الحكايات الشعبية ولم اشعر مطلقا خلال قراءاتي بأي تعصب ديني . ومرجع ذلك اساسا في رأيي الى ان السلاف الجنوبيين قد دخلوا في دين المسيحية في عهد متأخر ـ في الفترة ما بين القرن السابع والقرن العاشر الميلادي تقريبا مما ادى الى عدم تكون الاحساس بالتعصب الديني لديهم .

وفيما عدا ذلك فصورة البطل العربي كما اظهرتها الحكايات الشعبية البوغلافية صورة متعددة الطبقات والوانها متنوعة وحفرتها التقاليد الشعبية والذكريات التاريخية حفرا عميقا في ذهن رواة الحكايات . واكبر دليل على ذلك ان شخصية البطل العربي تعيش حتى يومنا هذا في هذه الحكايات الشعبية التي يقوم فيها البطل العربي بمختلف الادوار والمناصب العظيمة والوضيعة . وبذلك تكون شخصية البطل العربي مرت بكثير من مراحل التطور والنمو المختلفة حتى بلغت مثل هذا الانتشار الادبي الواسع .

اما بالنسبة للادب الروائي اليوغسلافي باللغة الصربوكرواتية فقد اثبت ان شخصية البطل العربي تظهر في القصص الروائية وعددها ١٤٨ رواية للاسباب التالية :

١ ـ تحت تأثير الادب الشعبي من شعر ونثر .

٢ ـ بسبب العلاقات الثقافية والتاريخية المستمرة بين العرب والسلاف الجنوبيين عبر القرون .

٣ ـ بسبب انضمام السلاف الجنوبيين الى جيوش حاربت العرب بل وحاربت مع العرب .

٤ ـ بسبب تعاطف الشعوب اليوغسلافية مع الشعوب العربية حينما كان الاتراك عدوهم المشترك .

٥ ـ تحت تأثير الافكار الرومانسية والمذهب الرومانسي بوجه عام .

٦ ـ تحت تأثير الادبين الالماني والمجري .

٧ ـ تحت تأثير الترجمات من مختلف اللغات الاجنبية .

٨ ـ تحت تأثير الدور الذي قامت به النصوص المكتوبة باللغات الاجنبية وخاصة اللغات الالمانية والعربية والتركية .

وعلاوة على ذلك يذكر بعض الكتاب اليوغسلاف العرب بشكل عرضي ثانوي عند تحدثهم عن الاتراك ، وبعض الكتاب الاخرين كانوا يذكرون العرب للتوضيح او للتأكيد او للتشبيه او لابراز بعض صفاتهم .

وغالبا ما ظهرت شخصية البطل العربي في الادب الروائي اليوغسلافي في ثوبها التاريخي وفي بيئتها الطبيعية . وقد اصدر كتاب هذه الروايات احكاما وتقديرات متناقضة وغير متكافئة على البطل العربي مما يدعنا نستنتج بان كاتب الرواية كان من خلال هذه الشخصية يتحدث عن ملاحظاته وانطباعاته عن العرب . وهي ملاحظات وانطباعات تم التوصل اليها بالخبرة العملية او تحت تأثير التقاليد الشعبية المنقولة من جيل الى جيل . تلك التقاليد الشعبية التي ظهر تحت تأثيرها بعض الاوهام ، فقد كان الادب الشعبي يقوم بتقدير الحقائق التاريخية ويضفي عليها مضمونا خاصا وهو بهذه الطريقة يخلق نموذجا تاريخيا خاصا به ، وهو النموذج الذى كان غالبا ما يبتعد عن الحقيقة وعن الواقع .

وقد لاحظت ان البطل العربي ترافقه صفة « الاسود » في اغلبية الروايات والحكايات الشعبية وهي ظاهرة في حد ذاتها تحتاج الى وقفة وتمعن . ولا شك ان هناك من العرب من هم سود البشرة . وقد ازداد عدد العرب السود منذ ان بدأ اختلاط مسلمي افريقيا والبربر بالعرب ، وحدوث تزاوج بينهم ومن المرجح ان السلاف الجنوبيين عرفوا عربا سودا اكثر من معرفتهم للعرب غير السود ، وبالبحث عن تفسير لهذه الصفة وعن اسرار شيوع استخدامها في هذه الحكايات اليوغسلافية وجدت ان هناك رأيين يختلفان في تفسير هذا المدلول . الرأى الاول يقوم على التفسير الاسطورى لهذه الصفة . وبعبارة اخرى فهو يفسر هذه الصفة وكذلك شخصية البطل العربي على أساس المعتقدات السلافية القديمة . اما الرأى الاخر فهو يفسر هذه الصفة تفسيرا تاريخيا . ويقصد بذلك اولئك العرب ذوى البشرة السوداء الذين كانوا موجودين بالفعل في الجيش التركي اثناء احتلاله لمنطقة البلقان . ولكن ينبغي الا تغفل ان السلاف الجنوبيين كانوا يعلمون بوجود العرب السود حتى قبل استيلاء الاتراك على مناطق البلقان بفترة طويلة وللعباسيين هنا دور خاص بشرتهم السوداء المعروفة . وقد انطبع لونهم وشكلهم في ذهن السلاف الجنوبيين . ولا يمكن هنا ان نستبعد تأثير قصص البطولات الشعبية العربية التي يقوم ببطولتها عرب سود البشرة مثل عنترة ابن شداد والظاهر بيبرس .

ومما لا ريب فيه ان تصور وانطباع السلاف الجنوبيين عن العرب اختلط ببعض عناصر المعتقدات والتراث الروحي والمعرفة الحقيقية اى الواقع . وتصور هذه الصفة الصراع بين رواسب الاساطير في زمن تعدد الالهة وبين اللقاء الحقيقي الواقعي بين السلاف الجنوبيين والعرب في مختلف الاماكن وبالاخص على الحدود بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ولذا فليس من المبالغ فيه القول بان هذه الصفة تحوى عناصر من المعتقدات الشعبية ومن الواقع .

وقد برهنت في دراستي عن البطل العربي الاسود على صحة الافتراض القائل انه قد احتل مكان ووظيفة « الاله الاسود » الموجود بالمعتقدات القديمة للسلاف الجنوبيين . والشكل التالي يوضح نشأة وتطور شخصية البطل العربي :

الاله الاسود : الاله الابيض المعتقدات اللادينية القديمة + الخرافات المتعلقة باللون الاسود .

العربي الاسود : السلافي الجنوبي الابيض = المعرفة الانثروبولوجية + المعرفة التاريخية مختلطة بالمعتقدات القديمة اى الاسطورة + التاريخ .

العربي الاسود : البطل الابيض = الاساطير + التاريخ (الواقع)

العربي الاسود : البطل اليوغسلافي ماركو كراليفيتش = الاساطير + التاريخ

صراع بين الاسود والابيض

لقد كان يوجد بمعتقدات السلاف الجنوبيين صراع قديم بين الاله الاسود وبين الاله الابيض وبعدها اكتشف السلاف ان هناك عربا سود البشرة . ثم خلال المعارك بين العرب والبيزنطيين تم التعارف التاريخي بين العرب وبين السلاف الجنوبيين . واختلط كل هذا بمختلف الافكار الخاطئة المتعلقة بالمصائب التي يجلبها اللون الاسود والخرافات المتعلقة بهذا اللون وادى ذلك الى تحول الصراع القديم الى صراع جديد بين العربي الاسود وبين السلافي الجنوبي الابيض . واستمر هذا الصراع متواجدا عبر القرون وتحول تدريجيا الى اسطورة تقوم على المعتقدات الشعبية وعلى الحقائق التاريخية . واثر احتلال الاتراك للمناطق اليوغسلافية وكتعبير عن مشاعر الجماهير المضطهدة وتنفيسا عن معاناتها نشأ عن كل هذا صراع جديد بين البطل العربي الاسود والبطل اليوغسلافي ماركو كراليفيتش .

وفي بعض الحكايات الشعبية ظهر البطل برؤوس ثلاثة . ولا يوجد هنا الا تفسير واحد لهذه الشخصية الاسطورية فهي تذكرنا بالاله القديم ذي الرؤوس الثلاثة والموجودة بالمعتقدات القديمة للسلاف الجنوبيين وواضح هنا ان الاساطير والخرافات قد تغلبت وبرزت في لون جديد ومن الطريف ان نسبة استخدام كلتا الصفتين في الحكايات الشعبية هي ١ : ٤ تقريبا لصالح صفة الاسود . ولكن في الروايات حيث يظهر البطل العربي في شكل واقعي فمن النادر ما تذكر صفة ذي الرؤوس الثلاثة » ويقل استخدام صفة الاسود وفي اغلب الاحوال تستخدم تحت تأثير الادب الشعبي » .

الكلمات العربية

وقد لاحظت انه يوجد الكثير من الكلمات العربية في الادبين الشعبي والروائي اليوغسلافي وهذه الظاهرة طبيعية ومنطقية خاصة اذا ما اخذنا في اعتبارنا ان اللغة العربية كانت الوسيلة الرئيسية الوحيدة للنقل والتعبير عن الحضارة والثقافة الاسلامية . ولذلك فان تأثير اللغة العربية على اللغة الصربوكرواتية قد تجاوز نطاق الدين ـ وقد وضح التحليل الذى قمت به في دراستي تعدد السبل التي دخلت منها الكلمات العربية الى اللغة الصربوكرواتية .

ويمكن القول الان بشكل مؤكد انه كانت توجد كلمات عربية في لغات الشعوب اليوغسلافية حتى قبل استيلاء الاتراك على مناطق اقامة هذه الشعوب . ومثل هذه الكلمات ، يرجع أصلها الى زمن تعارف السلاف الجنوبيين بالعرب على الحدود العربية البيزنطية . وقد الحقت بالبحث احصاء للكلمات العربية الموجودة بالحكايات الشعبية والروايات والتي يقوم فيها البطل العربي بالدور الرئيسي . وهذا القاموس يحوى حوالى ٧٢٦ كلمة ليست موجودة باى قاموس سابق للكلمات العربية . وقد تعرضت بعض الكلمات العربية عند انتقالها من اللغة العربية الى اللغة الصربوكرواتية الى كثير من التغيرات اللفظية والصوتية .

ومن الملاحظ كذلك التنوع الكبير في تسجيل الكلمات العربية . واتضح لي تماما انه قد تم استخدام الكلمات العربية في الاعمال الادبية الروائية لاسباب فكرية وموضوعية ولم تستخدم لدوافع ادبية ولغوية واسلوبية وقد برهنت على ان عنصر الزمن قد لعب دورا هاما للغاية في استخدام الكلمات العربية في الاعمال الادبية الروائية . وذلك لان استخدام الكلمات العربية كان ميزة من مميزات عصر الرومانسية الذى ظهر فيه الاهتمام الكبير بالحكاية الشعبية التي كانت مفعمة بالكلمات العربية . ولا شك ان ظهور الكلمات العربية في الحكايات الشعبية وفي الروايات لا علاقة له على الاطلاق بظهور البطل العربي في هذه الحكايات والروايات . وهما يشتركان في امر واحد الا وهو ظهورهما بدرجة كبيرة في عصر الرومانسية . ■■

د . جمال الدين سيد محمد

أعصابك

تتحكم فى لعابك

بقلم : الدكتور عبد القادر استيتيه

يختلف الناس بعضهم عن بعض في معدل افراز لعابهم . فهو عند بعضهم كثير غزير ، وعند بعضهم قليل شحيح ، وعند الكثرة الغالبة منهم معتدل لا هو بالغزير ولا بالشحيح ، كذلك يختلف الناس في طبيعة هذا اللعاب فهو عند البعض مائى رقيق ، وعند البعض الآخر لزج ثقيل ، وهو وان اختلف بين فرد وفرد ، فانه يختلف ايضا في الفرد الواحد بين ساعة واخرى ، بل بين دقيقة واخرى .

وهذا الاختلاف سواء اكان في كميته ، او في طبيعته ، يخضع لعوامل عديدة منها : السن : من طفولة او مراهقة او شباب او شيخوخة ، ومنها حالة الجسم : من صحة او مرض ، ومنها الحالة النفسية للمرء : استقرارا او انفعالا او خوفا ، ومنها علاقة وقت الافراز بوقت تناول الطعام : قربا او بعدا ، ومنها نوع الطعام المتناول نفسه : لحما أو فاكهة أو نشاء ، ومنها ما اذا كان المرء خاضعا لتناول بعض العقاقير لعلاج مرض معين يكون لها في نفس الوقت تأثير ثانوى على افراز اللعاب وطبيعة هذا اللعاب ، ثم هناك عوامل اخرى كثيرة .

واللعاب في حقيقته مزيج من سائل ومخاط ، وهو مجموع الافرازات التى تخرج من الغدد اللعابية : التكفية ، وتحت الفكية ، وتحت اللسانية ، وكذلك التى تخرج من الغدد المخاطية الصغيرة الكثيرة والمنتشرة في جميع انحاء الغشاء المخاطى للفم ، واللثة ، واللسان ، وقاع الفم ، وسقف الحلق ، وباطن الوجنتين والشفتين .

اما كميته فتبلغ حجما ما يقرب من اللتر الواحد في الاربع والعشرين ساعة .

وتركيبه وطبيعته يختلفان باختلاف الغدد المفرزة . فاللعاب الخارج من الغدد التكفية مصل مائى ، ويحتوى على ماء ، واملاح ، وكمية قلية من مواد عضوية ، والخارج من الغدد تحت اللسانية لزج ، غليظ ، مخاطى ، يحتوى على كميات اكبر من سابقه من المواد العضوية ، اما الخارج من الغدد تحت الفكية فهو جامع لصفات النوعين السابقين معا ، اى مصل ومخاطى في آن واحد .

والمواد العضوية في اللعاب هى المخاطين ، واللعابين (التيالين) ، وبعض البكتيريا وخلايا سطحية ومواد تحتوى على بروتين .

المواد غير العضوية هى فوسفات الكلسيوم ، وكربونات الصوديوم ، وكربونات الكلسيوم ، وفوسفات



المغنسيوم ، وكلوريد البوتاسيوم .

وهناك اختلاف ملحوظ باختلاف الافراد في كل من تركيب اللعاب ، ومعدل افرازه ، وكذلك في تلألئه ولمعانه ، ثم في كدورته ، ثم في لزوجته ، وكذلك في اسه الهيدروجيني او درجة تأينه واخيرا في وزنه النوعي .

هذا الاختلاف كما يعزى الى اختلاف الافراد ، يعزى الى نوع المنبهات لافرازه ، او ما يسمى « الحاثات على الافراز » ، ثم الى وجود مرض في الجسم ، واخيرا الى حالة الفم من النظافة او عدمها . واختلاف تركيب اللعاب ، انما يحصل ليلائم الوظيفة التي سيؤديها . فطعام مكون من اللحم ، يحث على افراز لعاب غني بالمواد العضوية مثل المخاطين . وطعام جاف ، يحث على افراز غزير من لعاب غني بالماء ، ليقوم باذابته وتسهيل بلعه . اما الطعام الغني بالاحماض ، فيحث على افراز غزير من لعاب يخفف هذه الاحماض ويعادلها بفعل محتوياته البروتينية العالية .

وظائف اللعاب !

الوظائف الرئيسية للعاب هي تمكين الفم من البقاء رطبا نديا بالرغم من عملية التبخر الدائم لماء اللعاب ، ثم تسهيل النطق والتحدث والكلام ، فلولاه للصق لساننا بحلقنا وبشفتينا ، ثم للصقت شفتانا إحداهما بالأخرى ، ولما استطعنا ان ننطق جملة واحدة مفهومة بل كلمة واحدة . ثم من هذه الوظائف الهضم الجزئي لبعض النشويات بواسطة اللعابين « تيالين » Ptyalin وهو انزيم هاضم موجود في اللعاب ، يقوم بتحليل « جزيئات النشا الكبيرة وتحويلها الى ملتوز (سكر الشعير) ، تاركا بقية هضم هذه الجزيئات لتتم في الأمعاء الدقيقة ، بفعل العصارتين الكبدية والبنكرياسية ، ولتتحول هذه النشويات هناك الى جلوكوز (سكر العنب) . كذلك من وظائفه اذابة اجزاء الطعام القابلة للذوبان ، وهذه الوظيفة وكذلك وظيفة بدء هضم النشويات ، لا تتأتى الا اذا مكث الطعام في الفم مدة كافية ، والا اذا مضغناه مضغا جيدا ولم نزدرده ازدرادا .. كذلك من وظائفه تسهيل المضغ ، وتزليج لقمة الطعام أو تليينها لتمر بسهولة في المريء ، ثم المعدة . ثم هو يساعد في عملية التذوق (المذاق) ، التي يتم معظمها في اللسان ، والتي لاغنى لها عن اللعاب لاذابة الشيء المذاق ، حيث لا طعم للشيء الذي لا يذوب .

ومن وظائفه ايضا القضاء على بعض البكتيريا ، وحماية الغشاء المخاطي للفم ، فاذا قل افراز اللعاب ، او انعدم ، تكاثرت الامراض على باطن الفم ، واللسان ، والشفتين ، والحلق ، والحنجرة ، والبلعوم ، والمريء ، وادى ذلك الى مضاعفات كثيرة في هذه الأعضاء ، وفي الاعضاء المتصلة بها ، والفضل في هذه الخاصية في اللعاب ، يرجع الى وجود مادة كيماوية « ليزوزيم » (خميرة ذوابة) ، وهي عبارة عن بروتين قاعدي ، موجودة

ايضا في الدموع . الا ان تركيزها في اللعاب اقل من تركيزها في الدموع ، ولهذا كان مفعول اللعاب ضد الجراثيم اقل من مفعول الدموع .

كذلك من وظائف اللعاب تنظيف الفم والاسنان . فاللعاب يقوم بتنظيف مستمر ودائم لها ، لا يتوقف ابدا ، ولولاه لتراكمت الفضلات على الاسنان ، وكثرت الجراثيم في الفم بشكل عظيم .

ومن وظائفه ، تخفيف تأثير اي مهيج ، او مثير ، لاغشية الفم ، مثل الاطعمة الساخنة ، او الباردة جدا ، او الحريفة ، او اللاذعة .

وقبل ان نترك موضوع وظائف اللعاب ، هناك وظيفة لا يشعر بقيمتها الا من يضع اطقم اسنان ، اصطناعية ، كاملة ، او جزئية ، فاللعاب يقوم بدور فعال في ثبات هذه الاطقم ، والتصاقها باغشية الفم ، واحتباسها ، وعدم تحركها من مكانها . وفي غياب اللعاب ، يكاد يكون مستحيلا على المرء ان ينعم بطقم أسنان ثابت في فمه ، وناجح . وما اكثر من يضع اطقم اسنان هذه الايام .

عندما ينعقد اللسان !

هكذا يجري الأمر على هذا النحو من التعقيد وقد تدعو الحاجة الى لعاب غزير بالماء ، فينطلق النداء الى الغدد « ان افرطي في الافراز » ، فاذا دعت الحاجة الى لعاب لزج كان الامر كما تدعو أيضا . وإن كان الطعام ملحا يحتاج الى مزيد من اللعاب يخفف ملوحته ، تدفق هذا اللعاب بشكل غامر يملأ الفم ، واذا استبد بالانسان خوف ، صدر الامر الى الغدد « ان اقلعي وامسكي عليك افراطك وافرازك » ، فيتوقف اللعاب فجأة ، وينعقد اللسان ، وتلتصق الشفاه بالشفاه ، وان رأى الانسان طعاما ، او شم رائحته ، او سمع حديثا عنه ، او وصل الى اذنه صوت قرقعة الصحون ، او صوت تجهيز المائدة ، جرى اللعاب غزيرا في فمه ولكن بحساب .

كل ذلك يتم في ثوان معدودات ، وقبل ان يقوم من مكانه ، او ربما قبل ان يرتد اليه طرفه ، وباحكام يفوق حد الاعجاز ، ان دل على شيء ، فعلى قدرة الله وإحكام صنعه في خلقه .

نعود الان الى سؤالنا :

ان كان الامر على هذا النحو من التعقيد ، فما الذي يحكم افراز اللعاب ويتحكم فيه ويضبطه وينظمه ؟

يتحكم في ذلك الجهاز العصبي . والتحكم هنا ذو طبيعة انعكاسية « منعكس Reflex » مكوناته : الاعصاب الواردة والمراكز اللعابية في الدماغ ، والاعصاب الصادرة .

والعقاقير التي تؤثر في تدفق اللعاب خمسة انواع :

أولى تؤثر في الغدد اللعابية ، وثانية تؤثر في اصول الاعصاب الواردة ، وثالثة تؤثر في المركز اللعابي في الدماغ ، ورابعة تؤثر في نهايات الاعصاب الصادرة ، وخامسة تؤثر مباشرة على الخلايا السنخية .

العقاقير التي تؤثر في الغدد اللعابية نفسها :

التأثير زيادة او نقصان في الكمية ، واحيانا اختلاف في طبيعة اللعاب نفسه .

العقاقير التي تزيد افراز اللعاب تسمى « المرضبات » او « مسيلات اللعاب » ، والاخرى التي تعمل على خفض الافراز تسمى « مانعات اللعاب » .

ومانعات اللعاب هي الاتروبين وحامض التنيك والقلويات ، والمورفين ، والبلادونا (ست الحسن) ، وادوية الحساسية .

ونلفت الانظار هنا الى ان من يتناول ادوية معينة ضد امراض الحساسية ، كالربو مثلا ، وضد المغص المعدي ، او المعوي ، او الكلوي ، لا بد وان يعاني من جفاف في ريقه ، وما اكثر من يتناول مثل هذه الادوية هذه الايام !

حالات مرضية :

ذكرنا سابقا ان معدل افراز اللعاب عند الشخص العادي حوالي اللتر الواحد في الاربع والعشرين ساعة . الا ان هناك حالات يزيد فيها اللعاب عن هذا المقدار ، او ينقص عنه ، ومع هذا فلا نزال نعتبر مثل هذه

الحالات عادية ، مثل زيادة اللعاب عند الاطفال ، وقلته عند المسنين من الكبار .

الافراز عند الاطفال عادة مرتفع ، ويقل كلما تقدم بهم العمر ، حتى يصلوا سن السابعة ، فيقرب من معدل افراز البالغين . وعلى العكس من ذلك معدله عند كبار السن ، فهو منخفض ، ويزداد انخفاضا كلما تقدم بهم العمر .

لكن هناك حالات تكون زيادة اللعاب فيها ، او نقصه ، حالات مرضية .

١) « الروالية » او فرط افراز اللعاب » او « التلعب » .

افراز مفرط من اللعاب في الفم ، يصل احيانا الى درجة سيلانه من بين الشفتين الى خارج الفم (ترويل او تربيل) ، ويسبب ارباكا مزعجا للمريض ، كما يدعوه الى التخلص منه بالبصق المستمر ، اما اذا بلعه فمن الممكن ان يقود الى الغثيان .

ويحصل التلعب اثناء انبات الاسنان عند الاطفال ، وفي انواع كثيرة من التهابات الفم ، وفي اول ايام الحمل عند المرأة . كذلك عند المصابين بالصرع ، او الخبل ، او الجنون ، وعند الاطفال المتخلفين عقليا ، ثم في بعض الحميات ، او عند تركيب اسنان اصطناعية جديدة خاصة اذا كانت طويلة او سميكة زائدة على اللزوم ، كذلك في بعض الاضطرابات في عملية الهضم التي قد تصل الى حد الغثيان ، ثم عند تناول بعض العقاقير مثل التي سبق ذكرها لعلاج بعض الامراض ، كما يكون كذلك احد الاعراض في بعض الامراض المعدية مثل داء الكلب والجدري .

والعلاج يكون بالقضاء على السبب ، او وضع لصوق (لصقة) خردل على الغدد اللعابية ، كمثير مضاد للتخريش Counterirritation اما اذا كانت الحالة شديدة ، فتوصف بعض العقاقير القابضة .

٢) « جفاف الفم » أو « تشفان الريق » .

نقص او انخفاض في افراز اللعاب في الفم ، يكون مصحوبا احيانا بالم ، او تهيج ، او تقرح في اللسان ، وبتغييرات ثانوية في الغشاء المخاطي للفم ، والتهابات فيه . اكثر ما يحصل في الشيخوخة ، وعند كبار السن ، ولكن من الممكن ان يحصل ايضا عند الاطفال .

وكذلك يظهر عند الخوف ، وفي بعض الانفعالات ، والاضطرابات النفسية ، وفي حالات نقص فيتامينات (أ) و (د) ومجموعة (ب) خصوصا حامض النيكوتين ، وفي بعض الحميات ، واحيانا عند اولئك الذين يتعرضون اثناء عملهم للغبار ، أو مواد كياوية معينة ، مثل الخارصين ، وكذلك في بعض الامراض ، مثل السكري ، والتيفوئيد ، والتهاب الرئة « نيمومونيا » ، وبعض حالات السرطان ، واحيانا بعد سن اليأس عند المرأة ، وفي اي مرض يؤدي الى الاجتفاف « التكز » Dehyoration ، وفي بعض الاصابات ، او الحوادث التي تصيب المنعكسات العصبية ، التي تنظم افراز اللعاب ، كما يحصل في بعض امراض الغدد اللعابية ، التي تؤدي الى اضطراب في عملها ، او توقفها نهائيا عن عملها ، كذلك اذا تناول المريض بعض العقاقير الطبية ، مثل المورفين ، او البلادونا ، او الاتروبين ، أو الافدرين او عقاقير الحساسية ، ويحصل بشكل مؤلم ، ومزعج ، عند علاج الغدد اللعابية ، او مناطق الوجه ، والرقبة ، بالاشعة والراديوم في بعض حالات السرطان .

والعلاج يكون بالقضاء على السبب ، وباعطاء فيتامينات (أ) و (د) ومجموعة (ب) ، وخاصة حامض النيكوتين ، وكذلك بوقف العقاقير التي تتسبب في الجفاف ، وهناك حالات تستجيب للعلاج النفسائي ، كما ان اعطاء احماض عضوية مثل حامض الليمونيك ، او حامض الطرطريك ، و عصير الليمون ، على شكل (ليمونادة) يجدي كثيرا خاصة اذا كان يحتوي على حامض الكربونيك ، واحيانا توصف بعض معاجين الاسنان او المضمضات المرضبة او المسيلة للعاب ، الا ان تأثير هذه المعاجين والمضمضات آني موقت سرعان ما يزول . ■■

د . عبد القادر استيتيه .

سينما لا تعرفها

الطائرة تمر سريعا فوق ما بدا صحراوات ثلجية شاسعة تمتد بلا حدود . الالوان رمادية الطريق الى قلب المدينة موحل . على الجوانب اشجار ميتة . في الخلفية تلوح اعمدة الدخان السوداء . المصانع رمادية اللون او سوداء .

هذا وصف الوهله الاولى ، وهو وصف اعتاده من شاهد افلام (الواقعية الاشتراكية) فيما يسمى بلدان اوربا الشرقية . وصف يطابق الهموم التي طرحتها « ديمقراطيات » ما بعد الحرب العالمية الثانية في هذه البلدان . عالم جديد يرفع رايات جديدة . اعادة توزيع الثروة القومية بل اعادة تحديد الحجم الجغرافي لهذه البلدان التي عانت طويلا من الضم والاستقطاع واعادة تصنيف الهويات القومية وعشرات العشرات من المشكلات والهموم . وفيما لو التقيت بالمجريين ، فانك تلتمس بقايا الروح القاسية تجد بعضها خطوطا مرتسمة على الوجوه . ولا يقول احد ان الناس احسن حالا او اسوأ حالا . ولكن السينما تعطيك فيضا حياتيا مفعما بالحيوية للهموم المجرية .

في « حب » بلغت السينما المجرية مستوى عالميا في السرد .



.. في المجر

بقلم :
الفاروق عبد العزيز

لامجال هنا للحديث عن اهمية السينما في المجر ، فهي «الفن الاهم من بين الفنون» . ويبلغ عدد دور السينما (١٠٥٠) دارا لعرض الافلام قياس ٣٥ مم ، و« ٣٠٠٠ » لعرض افلام قياس ١٦ مم ، والمجري يذهب الى السينما ٨ مرات في العام . (آخر التعدادات السكانية تقدر السكان بعشرة ملايين) وتباع سنويا ٧٠ ـ ٨٠ مليون بطاقة دخول ، كما يشاهد الجمهور ٢٠٠ فيلم سنويا منها ٢٠ فيلما مجريا . ونفس الرقم من الولايات المتحدة وايطاليا وفرنسا بالاضافة الى ٣٥ من الاتحاد السوفيتي وبلدان اشتراكية اخرى . ويوجد بالمجر ٦٠ مخرجا . واربعة استوديوهات ينتج كل منها خمسة افلام .

لقد دهش الكثيرون للنسب الرقمية المثيرة في السينما المجرية . ولكن الدهشة تتبدد تدريجيا حين تعرف الشيء القليل عن السينما المجرية ، ويقسم المؤرخ السينمائي المجري الكبير « ايشتان نيمشكورتي » تاريخ السينما المجرية الى المراحل الخمس التالية :

ـ البدايات وما تلاها (١٨٩٦ ـ ١٩٤٨)

ـ « الارض تحت قدميك » (١٩٤٨ ـ ١٩٥٣)

ـ اعوام الصحوة (١٩٥٤ ـ ١٩٥٦)

ـ نكسة وتحضيرات جديدة (١٩٥٧ ـ ١٩٦٣)

ـ من مجرى السينما الجديدة (١٩٦٤ ـ ١٩٧٣)

وتلاحظ للوهلة الاولى ان تقسيم المؤرخ قد أظهر تأثير التطورات السياسية على « اهم الفنون » . ويكفي ان تعرف أن عام ١٩٤٨ هو عام تأسيس الديمقراطية

فيرا اثناء احد الدروس شاردة بحثا عن المعاني وراء الاجابات .



الشعبية وعام ١٩٥٣ هو عام موت ستالين ، وعام ١٩٥٦ عام الغزو السوفيتي والتغيرات الداخلية العميقة ، اما لماذا ارتبط عام ١٩٦٣ وما تلاه ، بظهور السينما المجرية الجديدة ، فالاجابة تكمن في انتشار ظاهرة « الاجتياح الذى تميزت به السينمات القومية الجديدة في العالم . وهذا يعني بعبارة اخرى ان نسبية ظاهرة من « الانفتاح » السياسي قد اتاحت فرصة تجديد شباب السينما المجرية في مطلع الستينات .

ومن البديهي ان نقرر ان التطور السياسي والسينمائي قد سارا خطين متوازيين بالغي الوضوح منذ الوهلة الاولى ...

وقد تم افتتاح اول دار للعرض السينمائي بعد اسابيع قلائل من عرض اول افلام الاخوين لوميير في عام ١٨٩٦ . وفي بدايات القرن الحالي بدأ الانتاج الفعلي . وقبيل نشوب الحرب العالمية الاولى كان في بودابست وحدها اكثر من مائة دار عرض . وتم ما بين عامي ١٩١٥ و ١٩١٨ انشاء ستة استوديوهات جديدة كما ارتفع عدد الافلام المنتجة محليا الى اكثر من مائة فيلم (كانت مدد الافلام قصيرة بالطبع) . لماذا ؟ بسبب ظروف الحرب التي حالت دون استيراد الافلام . وهكذا تنشأ صناعة وطنية بظروف اضطرارية مثلما حدث في مصر مثلا حين انشئت الشركة الايطالية في الاسكندرية اثناء الحرب . وقد برع من هذا الجيل الكسندر كوردا ومايكل كيرتس .

جمهورية المجالس

ومع جمهورية المجالس التي لم تستمر في الحكم اكثر من مائة يوم من ابريل الى اغسطس ١٩١٩ ويعتبرها المجريون « بروفة » مبكرة للديمقراطية الشعبية من ١٩٤٨ . امكن انتاج ٣١ فيلما ، غير ان الفترة الصامتة التي يسميها نيمشكورتي فترة « الصمت المميت » استمرت طوال العشرينات حتى مشارف الثلاثينات . في هذه الفترة بدأت الهجرة الكبرى خارج المجر من قبل الفنانين المبدعين الذين رأوا في الظروف السياسية السائدة عناصر قهر لطاقاتهم .

في الاربعينات كانت السينما موجهة كلية للدعاية للايديولوجية الفاشية في وقت حاربت فيه الانصار والقوى الجديدة معركتها . ومع حلول الحرب حل الدمار على صناعة كانت مزدهرة بالقياس الاوربي . ووصل الانتاج الى حوالي عشرة افلام بالعام كانت جميعها دون المستوى .

مع الجمهورية (١٩٤٨) بدأت الامال تتعلق بانعاش الصناعة ومن الحطام خرج فيلم « الارض تحت قدميك » لفريجيس بان الذي كان قد اخرج اثني عشر فيلما بلا قيمة قبل ذلك .

وتميز الفيلم بأصالته في التعبير عن الموروث الشعبي المجري وتفاعله مع ما يجري فوق ارض الواقع كما تميز بقدرة تعبيرية جيدة . وتوالت اسماء اعلام السينما المجرية « الجيل الثاني » في الظهور فيكلس مارباش وزولتان فابري وفاركوني وكيليبتي وآخرون . ولكن كل شيء كان يدور ، في فلك ما سمي بعد ذلك « بعبادة الفرد » ، ولعل اصدق تعبير عن هذه الفترة التي سبقت موت ستالين في مارس ١٩٥٣ يتمثل في قول عالم جماليات السينما المجري كارولي نيميس : « لم تخلق هذه السينما سوى شخوص ورقية بغرض تصوير موضوعات استغلت الاثارة الرومانسية لتوليد ردود فعل عاطفية » .

كان جو الشك والخوف عائقا رئيسيا امام تطوير عطاء هذه الشخصيات ، وقد كان هذا الجو مسيطرا بدرجات متفاوتة من الظلمة في كافة بلدان اوربا

ميكلوش يانتشو في الكترا كان يبحث عن علاقة بين التاريخ والاسطورة . فقدم ملحمة سينمائية جديدة .



الشرقية .. والامثلة كثيرة . ففي هذا الجو لابد وان تتدفق افلام عديمي المواهب وانصاف المتعلمين . وهذا ليس مثيرا ولكن المثير هو ما جرى اثناء وإبان احداث خريف ١٩٥٦ في المجر .

في العامين السابقين كانت هناك بشارة بفورة ثقافية شاملة تغسل آثار الستالينية التي لم تكن قد ماتت حتى بعد موت صاحبها ـ ولكن الفورة الواعدة تلاشت في خريف ذلك العام . غاب الشك وجاء التردد فلم يعد احد يعرف ماذا يقال وما لا ينبغي ان يقال ..! ويذكر النقاد فيلما عجيبا ظهر ابان هذه الفترة اسمه لماذا كانت الافلام المجرية سيئة (وقد ترجم في الغرب تحت عنوان « سعادة بدون ازعاج ») . شرح فيه صانعوه لماذا كانت السينما المجرية سيئة . ويقول نيمشكورتي ان الفيلم نفسه سيىء ، وتعليقا على هذه الفترة التي تخللت الاحداث وقف اول رئيس لاتحاد الفنانين السينمائيين المجريين يوسف دارفاش يقول في عام ١٩٥٩ ان الافلام المجرية افلام « رمادية » .

وقد ظل دارفاش ـ الكاتب والوزير السابق ـ لفترة طويلة مديرا لبعض الاستوديوهات . وقد ظل المستوى الفكري لهذه السينما متخلفا بشكل واضح من التقدم التقني المحدود الذي طرأ عليها . ورغم ان هذا عجيب الا انه يدلنا على قدر الاهمية التي منحت لهذا الفن في زمن من أزمنة انحداره الفكري .

ولكن احدا لم يكن يدري ماذا هناك وبرغم ذلك كله بلغ عدد المشاهدين ١٤٠ مليونا في العام . ووصل عدد دور العرض الى ٤٥٠٠ دار . وهذه ارقام فلكية في تعداد لم يكن يزيد وقتها عن ٦ ملايين نسمة ..

المثالية وتزييف الواقع

لنا ان نتخيل موضوعات الافلام حتى بعد انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي في عام ١٩٥٦ . الذي وجه فيه النقد الواضح لعبادة الفرد وهدم تمثال الستالينية . افلام مغرقة في خلق نماذج مثالية وتزييف كامل للواقع ، حتى في تلك الموضوعات التي عادت فيها السينما الى الماضي ، فان محتواها الاجتماعي ودلالاتها السياسية الحاضرة كانت اضعف بكثير من اخرى سبقتها في الثلاثينات . كانت اياما باردة ضحلة « رمادية » .

ولكن « الموجة الجديدة » والجيل الثالث كانا في صراع من اجل اثبات الوجود ، وقد ظهرت بعض



شكل الوسترن « مركب على حكاية هنغارية شعبية من ملة اخرى » للخروج من اطر الواقعية الاشتراكية الثانية .

الافلام القصيرة مثل الافلام الاولى لايشتفان سابو « تنويعات على ـ موضوع » و « انت » وافلام اخرى لبال جايور وشاندور شارا وميكلوش ياتنشو وايشتفان بال ومارتا ميشاروش . لقد بدأت مراجعة شاملة لكل شيء : التاريخ والواقع والحرب والمستقبل ومفاهيم وعقائد اخرى كثيرة . بيد أن ذلك لم يتم دفعة واحدة . ولك ان تتصور اليوم حجم « الحرية » التي يتمتع بها فنان السينما المجري . وهي ليست حرية سياسية ـ نسبيا ـ فحسب ولكن حرية فنية ايضا عرفها العالم في مهرجانات دولية استردت بها السينما المجرية مكانتها بين السينمات القومية المعاصرة .

واذا ما تعرضنا لقائمة فناني السينما المجرية ، فانه لابد من ان نذكر اولا ميكلوش يانتشو علمها البارز ، ثم بال شاندور وبال جابور وايشتفان بال ومارتا ميزاروش وكارولي بال قبل ان تنتهي باسماء اخرى في الدرجة الثانية مثل زولتان فابرل واندراش كوفاش وبيتر باتشو وفيرنس كاردوش . ويدرك المجريون هذا جيدا ، ربما كان السبب عائدا الى تفوق وعبقرية كامنة في يانتشو مثلا وغيره من جيل بعد عام ١٩٦٤ يضاف الى ذلك ما اضافه نقاد الغرب على هؤلاء الاعلام من دعاية ورعاية لافلامهم في المهرجانات الدولية المختلفة .

ويانتشو يعمل بالافلام القصيرة منذ عام ١٩٥٤ ولكنه لم يبدأ عمله كمخرج للافلام الطويلة الا في عام ١٩٥٨ بفيلم « وتقلت الاجراس الى روما » ولم يعد الى الفيلم الطويل الا حين اخرج « كانتانا » وما بين « كانتانا » (وهي لفظة موسيقية معناها اغنية قصيرة) و« رابسوديا مجرية » و« اليجرو باربارو » (١٩٧٨) (وهما مصطلحان موسيقيان ايضا) يمتد تاريخ متصل وطويل من الخلق والابداع .

فمع يانتشو يسهل ان تلاحظ « ترديدا » شكليا وليس تكرارا اسلوبيا . ويعني هذا انه يستخدم في كافة افلامه منذ « الاحمر والابيض » نفس معطيات الصورة ـ وبقدر الامكان بنفس الابطال ـ الجياد والارض الخضراء الواسعة والمنزل الابيض والنساء العاريات والنيران والدخان ، ويترجم هذا كله الى قوتين متواجهتين : الجموع والسلطة . الفلاحون في مواجهة ملاك الارض المتحالفين بالطبيعة مع القوى الاجنبية .

في « رابسوديا مجرية » يعود يانتشو الى التاريخ ، وافلامه كلها حول التاريخ . ويلزم لك لكي تفهمها جيدا ان تدرك شيئا من الخلفية التاريخية لبلاده ، انه فنان شديد المحلية ذو اسلوب عالمي ، لم يسع قط الى تقليد اية سينما محلية اخرى ايا كان تأثير مبدعيها ، لهذا تجد دائما صعوبة لدى المشاهد غير المجري في تفهم افلامه بسرعة ، وفي « رابسوديا المجرية » يعيد يانتشو تفسير تاريخ المجر منذ اوائل هذا القرن ، من خلال تجسيد الصراع بين عائلتين تمثلان قوميتين اجتماعيتين مختلفتين : عائلة زاداتيير وعائلة اوربيج ، الاولى ملاك الارض والاخرى للفلاحين . وفي خلال الانتخابات يظهر احد ابناء الفلاحين « باكسا » ولان العائلة الارستقراطية ترتبط بالجيش من خلال ولديها ايشتفان وجابور . فقد استطاعت قمع حركة الفلاحين المطالبين بالعدالة وقتل باكسا ـ الذي يعود للظهور مرة أخرى دون ان تدرى هل قتل بالفعل ام لا كرمز للتجدد . وتنهار الامبراطورية النمسوية المجرية بقيام الحرب العالمية الاولى وتقوم ثورة ١٩١٨ وينضم الضابطان الى الثورة المضادة « هذا مكاننا الطبيعي » . وبعد الثورة يتمزق شمل العائلة الارستقراطية وينتهي الفيلم بتساؤل حول معنى الوطن والشعب والامة .

وعموما فانه لا يمكن تلخيص اعمال يانتشو لان بها شحنات بصرية وتعبيرية غاية في الكثافة والتعقيد . يكفي المرءان يشير اليها باعتبارها من اعظم اسهامات المجر في الفن السابع اليوم .

مهرجون على الحائط

واذا ما انتقلنا الى المخرج بال ساندور فاننا امام واحد من اهم مخرجي الجيل الثاني في السينما المجرية ومنذ ما يربو على عشر سنوات وافلامه تلقى تقديرا دوليا واسعا . في كارلو فيفاري ١٩٦٨ فاز فيلمه الروائي الطويل الاول « مهرجون على الحائط » بجائزة لجنة التحكيم الخاصة وبشهادة تقدير للمستوى الفني لعمله وفي عام ١٩٧٤ فاز فيلمه « كرة القدم ايام زمان » بجائزة لجنة التحكيم ايضا .

وفي فيلم شاندور الاخير « خلصنا من الشراء » قد يبدو من التبسيط المخل ان تلخص قصة الفيلم بانها تدور حول سرقة معطف والمحاولات المستميتة لاسترداده . وقد تبدو فكرة مضحكة . ولكن هذا هو « الموقف » الاساسي في الفيلم فعلا .. ففي ديسمبر من عام ١٩٤٤ كانت بودابست خرابا ، الكائنات البشرية الباقية تتحرك كالجرذان بين الابنية المحطمة ، في احدى مدارس تعليم الرقص كانت الام تتلقى معاطف الراقصين بينما كانت ابنتها سوزي ـ التي تسلك سلوكا مشينا ـ تراقص رجلا لا نعرف عنه شيئا قبل ان تصحبه الى الدور العلوي . اندراش الابن يتمتع بذكاء محدود للغاية يقف وحيدا . فيري ارمل شقيقة الام يقف هناك ايضا ككائن فاقد للاتصال مع الحاضر . اندراش يريد ان يصحب احدى الفتيات . لكنها تقول انها لن تعطيه شيئا مقابل لاشيء ... يسرق اندراش معطف احد الزبائن .. وتكتشف الام اختفاء المعطف . وهنا تبدأ الاحداث في الانزلاق .. مع الاحداث تنزلق كاميرا شاندور لتقدم بانوراما شاملة لبودابست ـ والمجر ـ في سنوات الحرب الرهيبة .. اننا هنا لا نطالع الصورة التقليدية للحرب والدمار . ولكننا نغوص في تفاصيل غير مباشرة تتعلق بشعور الام بالشرف الملطخ بعد سرقة المعطف الازرق ذي الياقة المخملية .. ان شعورها

باليأس يتصاعد في نبرة تهكمية رهيبة « سأسترد هذا المعطف مهما كلفني واقسم على هذا بحياة اولادى » .. وتتطور المطاردة لكي نغرق في تفاصيلها .

فهناك رجل مطارد يتصور الجميع انه سارق المعطف ولكنه يسقط من الطابق الرابع ويتصور الجميع بانه لقى مصرعه . ويقررون دفنه في احد الحمامات التركية خوفا من الشرطة . ويلقونه في المسبح فيفيق وسط توتر درامي هائل .. وينضم للمطاردين خطيب سوزى ، الجندى الشاب الذى يقتل بعد قليل اثر محاولته اليائسة الهروب من الجندية . اما اندراش فيذهب الى بيت غريب او متجر فيتبعه الجميع حيث يسقطون في فخ صاحبة المتجر التى تسعى للاستيلاء على ملابسهم . ويكتشف اندراش هناك قبوا مليئا بالعاهرات حيث يشبع جوعه قبل ان يخرج الجميع من هذا الجو الغريب .. في الطريق تجد الام وابنتها موكبا من الجنود الهاربين المساقين الى الجبهة وبينهم ترى ارمل شقيقتها والرجل ذا الشارب الطويل الذى صحب ابنتها في البداية الى الدور العلوى وتصرخ الام : « لماذا ؟ لماذا ؟ كل هذا من اجل معطف ملعون » وعندما يهم الرجل ذو الشارب بالفرار يصرعه الجنود . ويتساءل اندراش ـ سارق المعطف ـ في رعب : « ما الذى سوف يحدث لنا بعد ذلك يا أماه » ؟ !

ومن بين سينما المراجعة الشاملة بالمجر يبرز فيلم « تدريب فيرا » للمخرج بال جابور ، والذى يحرص جابور قبيل عرضه على عرض فيلم اخبارى يرجع تاريخه الى ثلاثين عاما مضت . ويصور الفيلم الاخبارى الاحتفالات التي جرت وقتئذ في المجر بمناسبة مرور مائة عام على صدور البيان الشرعي (١٨٤٨ ـ ١٩٤٨) واللافت للنظر ان ردود فعل الجمهور المجرى ازاء الفيلم الاخبارى كانت مثيرة بالفعل . والواقع ان ذكاء بال جابور الذى هداه لعرض هذا الفيلم الاخبارى قبيل فيلمه الذى يدور في الفترة ذاتها ، يستحق التقدير بالفعل ولا يخفى القصد منه على اية حال . وينتمي بال جابور الى الموجه الثانية من مخرجي السينما المجرية الذين بدأوا مع رياح الستينات حملة تغيير في هذه السينما ومنذ عشر سنوات تقريبا ، وحتى الآن قدم جابور بالاضافة الى بعض الافلام التسجيلية خمسة افلام اشهرها .. رحلة مع يعقوب (١٩٧٢) ـ « والوباء » .

وتدور احداث « تدريب فيرا » في عام ١٩٤٨ اثر اجتماع حضره ممثل للجمهورية الوليدة من بين انقاض الحرب . في هذا الاجتماع وقفت فيرا (١٨ عاما) تتحدث بتلقائية عن الجوانب السلبية في المستشفى الذى تعمل فيه مساعدة ممرضة . وفيرا لم تتم تعليمها وتتمتع بذكاء فطرى وميل طبيعي للعدالة . ويفاجأ مدير المستشفى والحاضرون بملاحظاتها ، ولكن مندوب الحزب يقرر ايفادها لدورة تدريب سياسي . في مدرسة الحزب تلتقي فيرا بأخريات تبرز من بينهن « انا » المناضلة السابقة والتي صارت الان اكثر جهامة من اى وقت مضى . وتقع في حب المدرس المتزوج اندريه . ويبادلها حبا بحب . ولكنه يبدو مستحيلا . ويسيطر على فيرا هاجس يقول ان « انا » قد شاهدتها ليلة خروجها من حجرة اندريه .

وتخرج فيرا مع انا لزيارة عامل عجوز وجه نقدا للحزب . وتكتب انا تقريرا عنه وترغم فيرا على التوقيع عليه . وتشعر فيرا بذنب عظيم ومع تعاظم هذا الشعور وفي اجتماع حزبي تكتشف فيرا اسرار علاقتها بالمدرس الحزبي الشاب وتقول انها لاتحبه ولكنه يعلن حبه لها . وفي اليوم التالي يختفي المدرس ليحل محله آخر .

ويتضاعف شعور فيرا بالذنب ، فتقف عارية في احدى الليالي الشتائية القارسة في شرفة المدرسة وتنقذها زميلة لها . ومع نهاية الدورة تمنح فيرا جائزة الكفاءة ، ويغمى عليها . وعندما تفيق لا تجد بجوارها سوى انا التي يبدو انها ستوجهها الوجهة التي تختارها لها .

من خلال هذا السرد يمكن تبين اوجه الضرورة في نقد الحزب في الماضي . فالصورة التي تقدم بها مندوب الحزب وليس المدرس ـ لاتختلف في تفاصيلها عن الصورة التي قدمها للزعيم الحزبي الفيلم الاخبارى . شخصيات تتمتع بذكاء محدود ومخلصة للبيروقراطية ويشلها الخوف عن المبادرة .

لا مجال للحديث عن المستوى التقني المتقدم الذى بلغته السينما المجرية اليوم ، فكافة عناصر العملية « الفلمية » متوفرة وعلى مستوى ممتاز في الحقيقة . وينتهي النقاد الغربيون الى ان السينما المجرية قد استطاعت ان تطور من موضوعاتها بحيث تمتد الى « نقد الحاضر » . هذه وجهة نظر جديرة بالاحترام ولكنها ليست كل الحقيقة ، ففي المجر لا يوجد شهداء منشقون او فنانون مناضلون .. في السينما المجرية يعيش بانتشو بسينماء ذات التعبير الفني البالغ التعقيد مع بال شاندور صاحب الرؤية الاقل تعقيدا جنبا الى جنب مع سيوماش مخرج « الكابوى » المجرى .

انها سينما تتمتع بفاعلية ودينا ميكية كبيرة تميزها في الواقع عن معظم السينمات القومية في أوروبا الشرقية ..

■■

الفاروق عبد العزيز .

البحث عن متاهة!

قصة : سحر توفيق

في ذلك المساء ـ وكما في كل مساء ـ جاء ذلك الرجل الابيض النحيل ، ذو الاصابع القريبة ، جلس على نفس ذلك المقعد الحجري ، عيناه تحدقان في نفس المكان ، حدقتا عينيه الرماديتين تدوران في حيز ضيق ، تتأملان نفس الشيء ، جلس متوحدا شاردا .

في اول مرة رأته بادلها بضع كلمات قليلة جدا ، عن الموسيقى ، بعد ذلك كان لا يراها ، ولا يبدو انه يعرفها ، ولا يبادلها كلمة واحدة .

جاء سعيد .

قامت معه وغادرا المكان ، سارا قليلا وانحرفا الى الجسر ، لا شيء هناك الا النهر ، وبعد قليل بدأ يتحدث ، تحدث عن اشياء كثيرة ، عن اصدقائه وامه وأبيه ، العمل والارهاق والوحدة والعالم . وعن الحب . قال لها انه يحبها . بعد ان قال لها جميع الاشياء الاولى والبدائية ، وكان ينظر اليها مستفهما ، وقال لما رآها لا تجيب : ـ هل تقولين شيئا ؟

ولكن النهر كان وحده هناك ..

وقالت له حينئذ ان الحديث في الحب هو من العبث الذي لا يجدي في ذلك الوقت .

وحدثته عن نفسها .

وقالت له ان اول علاقة لها برجل كانت سيئة جدا ، وكانت تعرف منذ اليوم الاول انها ستنتهي ، ولكنها لم تقاوم ، حتى كان ذلك اليوم الذي تجمعت فيه كل الاشياء المتراكمة ، في نفس ذلك اليوم ، انهت كل شيء .

وقالت له : احببت رجلا في ذات يوم ، وكان يحبني ، وكان كل شيء جميلا حقا ، وما كان هناك شيء يمكن ان يقطع الامر .

سألها : ثم ماذا ؟
قالت : لا شيء .
قال : لماذا تركته ؟
قالت : لم اتركه .
قال : تركك هو ؟
قالت : ولا هذا ايضا .
قال : فما الذي حدث اذن ؟
قالت : لست أدري !

كانت قد انقبضت تماما ، ابطأت خطوتها وانقبضت يدها ، سارا في صمت . اخيرا قالت انها تريد ان تعود .

كانت تجلس مع صديقاتها . كن يتحدثن عن عروس البحر التي ظهرت في اليمن . كانت احداهن تصف ساقيها وركبتيها البارزتين ، وجسدها ورأسها التي تشبه السمكة ثم تحدثن عن الارواح والجان . وحكاياتهن الجديدة ، وآخر ما فعلوه .



قالت احداهن : انها علامات القيامة .

سارت في بعض الطرقات ، وكانت شديدة الظلمة ، فكرت لماذا لا تصدق هذه الحكايات .

قالت ان الموت لا يصدق ولكنه يحدث . لم تعرف ما هو الصدق ولكنها احست بالخوف من الظلام .

في الصباح الباكر كانت تجلس على شاطيء النيل ، بين يديها كتاب ، جعلت تتذكر ايام الحب الاولى . كانت فتاة صغيرة وضعيفة ، وساذجة ، لكن كل شيء كان ممتعا وجميلا ، والحقيقة ان المسألة تبدو كمسألة الخبرة بمسالك الطرق ، في البداية كانت تتوه كثيرا عندما تسير في شوارع وسط القاهرة ، وتظل تلف وتدور حتى تخرج الى مكان تعرفه ، بعد ذلك عرفت شارعا واحدا وكانت تأتي من كل الشوارع اليه . بعد ذلك عرفت كل الشوارع ، عرفتها تماما ، اليوم لا يوجد شارع جانبي ولا رئيسي لا تعرفه ، ولكنها كثيرا ما كانت تتمنى لو تتوه ، كان هذا شيئا جميلا جدا ، وممتعا ، وخاصة انها فقدته تماما ، فكرت في عروس البحر وكانت تحيرها كثيرا ، جاء الرجل العجوز ، جلس وكان يبدو لها في عالم آخر ، وانه مضت ايام طوال منذ رأته لآخر مرة ، كانت عيناه صغيرتين ولونهما فاتح ، وكانت عندما تتذكره لا تعرف اللون الحقيقي لعينيه ، وقررت في نفسها انه في يوم ما ستتبعه الى المكان الذي يأتي منه ، كان يمسك في يده بأوراق ، جعل يقلب فيها ، حاولت ان تدقق النظر ولكنها لم تستطع ان تتبين شيئا . مر وقت وهي ترقبه وترقب الزوارق وترى البرج والاندلس والسيارات على الجسر .

جاء سعيد ، جلسا صامتين ، بعد قليل قام الرجل العجوز من مكانه ، قامت واقفة ، سألها سعيد : الى اين ؟ توترت . قالت : هيا بنا نتمشى قليلا .

تمشيا .

قالت : احضرت لك بعض الحلوى .

بعد قليل بدأت تضحك وتمرح ، وتسرع في سيرها او تجري ، ثم تقف ، تتفرج على الناس والنهر والشجر ، جلسا في مكان هاديء .

س قال لها : ماذا بك ؟

قالت : لا شيء .

قالت بعد قليل من الوقت ، لا اعرف ، لابد ان شيئا ما سيحدث ، وحينذاك ستتحدد كل الاشياء .

سارا متوترين ، اوصلها ، ذهبت الى فراشها ونامت . في تلك الليلة حلمت انها تخرج سرا لتقابله ، ولكن امرأة ما او رجلا رآها ، حينئذ لم تدر ما الذي تفعله ، ضربته بيدها على ظهره فوقع ميتا ، شعرت بخوف شديد وندم وحيرة ، اختبأت في حفرة لكيلا يكتشفها احد ، لكنهم وجدوها واخذوها في سيارة مقفلة ، كانت السيارة تنطلق بسرعة وهي تفكر ، لماذا حدث ذلك ، وما اسبابه الحقيقية ، فلا تجد ، والآن إما انها تشنق او تسجن ، وكلاهما امر عجزت عن استيعاب امكانية احتماله ، احست بأنها مظلومة ظلما لاحد له ، وبأنها لم تذنب .

اخيرا استيقظت ، كانت تحس بأشياء كثيرة تحترق ، نزلت الى الشارع وهي لا تدري ماذا تفعل ، تخيلت انها لو رأته الآن فستلقي بنفسها في حضنه وتظل تبكي وهو يربت على ظهرها ويعرف كل الاشياء ولا يسألها ولا يلومها .

ذهبت الى ميدان التحرير ، صعدت درجات « الكوبري » ، ظلت تدور فوقه عدة مرات ، احست بالتعب ، وخيل اليها ان تجلس على درجات السلم . نزلت وسارت الى الكورنيش ، كان الرجل العجوز جالسا ، كان يقرأ في كتاب صغير ، تمنت ان تجلس الى جواره وتقرأ معه ، تمنت ان يقرأ لها بصوت هادىء وحنون وهي تستمع اليه وتنظر الى الماء ولا تتكلم . بعد وقت قام ، سارت خلفه ، ركب الاتوبيس ، فركبت مثله . نزل في احدى المحطات ، فنزلت خلفه ، سار عابرا الميدان ودلف الى شارع ضيق ثم دخل في منطقة لم تذهب اليها من قبل ، مليئة بالحارات والشوارع الضيقة المزدحمة ، ظل يسير في احدها ويخرج منه ليدلف الى آخر ، اخيرا وصل الى بيت قديم اصفر باهت اللون ، دخل من باب نزل اليه بضع درجات وكان المدخل مليئا بالظلام . ظلت تنظر لفترة الى المدخل المظلم ، ثم دارت لترجع ، ووجدت نفسها قد نسيت الطريق الذي اتت منه ، ظلت تلف وتدور في الحارات والازقة حتى انتهت الى الميدان .

تنفست بملء رئتيها ، ونظرت الى السماء المتسعة والنور الذي يملأ الميدان ساعة الظهيرة ، سارت بنشاط ، تمشت وهي تبتسم لكل الاشياء والناس ، نظرت الى الساعة . كان موعد سعيد يقترب ، ووجدت ان الامر ليس مهما جدا ، وقفت في مكان مزدحم وهي تتفادى الشمس بعينيها ، في ذلك الوقت كانت الساعة تدق دقاتها المنتظمة ، وكانت تحاول ان تتذكر ملامح الرجل العجوز ، وبذلت في ذلك مجهودا كبيرا ، ولكنها لم تستطع . ■■

القاهرة ـ سحر توفيق

طرائف من تاريخ البريد

كان القدماء يكتبون بالحليب في الرسائل السرية فلا يظهر له اثر فاذا ذروا عليه رمادا ساخنا من رماد القراطيس المحروقة ظهرت الكتابة في الحال .

وكانوا يكتبون بمرارة السلحفاة فلا تقرأ الكتابة نهارا ، ولكنها تقرأ في الليل بكل وضوح .

وكان القواد غلاظ القلوب يستخدمون الرؤوس البشرية في كتابة الرسائل : يحلقون شعر الرسول ثم يكتبون عليه الرسالة بالوشم ، ويتركون الشعر ليطول او يغطون الرأس بشعر مستعار ثم يرسلونه ، وعندما يقرأون الرسالة المكتوبة على الرأس يقطعونه !!

ويروي المقري ان بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل بن العادل بن ايوب رقعة في ورقة بيضاء ، ان قرئت في ضوء السراج كان لونها فضيا ، وان قرئت في الشمس كان لونها ذهبيا وان قرئت في الظل كانت حبرا اسود !!

عيناكِ

للشاعر : حسن عبد الله القرشي

السفير بوزارة خارجية المملكة العربية السعودية

عَيْنَاكِ أغنيتا حَنانْ　　سِحرٌ يُهدهِدُهُ افتتانْ
رَنّتا فأشعلتا دَمي　　وافترَّ في الخافِقانْ
عَيْناكِ .. أم مَوجُ المحبَّـ　　ـةِ ضلَّ فيه العاشقانْ ؟
أتُراهما وَتَران إذْ　　يتناغَيانِ فيَذهلانْ ؟
حُلُمُ الطُّفولةِ فيهما　　غضٌّ كزهرِ الأقحوانْ
خَفَرٌ يَرِفُّ عليهما　　أبداً فيزهُوَ الحاجبانْ
وَبِهِلٌ فَجرٌ للنّعا　　دو ، إذْ يُغرِّدُ طائرانْ !

❋ ❋ ❋

عَيْناكِ يا لَوْنَ الرّحيـ　　ـقِ صَفَا وشَعشعَ في الدِّنانْ
يا تَمتماتِ النَّرجسِ الـ　　ـوَسْنانِ يا ألَقَ الجُمانْ
تَعِدانِ بالوصلِ الشّهيِّ　　ويَمطُلُ الوعدَ الزّمانْ
كَيما رِهانَ القلبِ لـ　　ـكِنّي خَسِرتُ أنا الرِّهانْ

❋ ❋ ❋

يا غادتي والحُرُّ يأ　　نفُ أن يَذِلَّ وأن يُدانْ
مُتمرِّدٌ أنا فيمَ قلـ　　ـبي لِلهوى العُلويِّ لانْ ؟
حُرٌّ حبيتُ الأسرَ عنـ　　ـدَكِ ما شكوتُ به هَوانْ
الحبُّ فوقَ صدى العِنا　　دِ، وفوقَ جَورِ العُنفُوانْ
وترفُّقُ الحُسْنِ الوَضِـ　　ـيءِ يفوقُ عِزَّ الصولجانْ
أهوى انعطافَ الصَّدْرِ حيـ　　ـنَ يُطِلُّ منه الناهِدانْ
والخصْرِ حينَ تَمايلـ　　ـنَ فيَسكَرُ الرُّوحُ اللّيانْ
التَّوأمانِ هما وكَم　　أروى التلهُّفَ تَوأمانْ

❋ ❋ ❋

أهواكِ هَلْ لِهوايَ في　　نَبَضاتِ قلبِكِ من مَكانْ ؟
فهُناكَ أمنَحُكِ الأمانْ　　ونَعيشُ في شُرُفِ الجِنانْ !

ظاهرة التأنيث فى العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

الاسماء في اللغات الهند أوربية تنقسم ـ من حيث الجنس ـ ثلاثة اقسام : مذكرا Masculine ، ومؤنثا Feminine ، ومحايدا Neuter ، فالمذكر مادل على ذكر ، والمؤنث مادل على انثى ، والمحايد مادل على جماد . وقد ينزلون بعض الاحياء التى تكون مذكرة او مؤنثة ، منزلة الجمادات . فالطفل عندهم مذكرا او مؤنثا يعبر عنه بضمير الجماد It ، وبعض الجمادات تنزل عندهم منزلة الاحياء فتذكر او تؤنث . فالشمس عندهم بمنزلة المذكر ، فيعبر عنها بضمير المذكر (He) والقمر بمنزلة المؤنث فيعبر عنه بضمير المؤنث (She).

وأما لغتنا فانها ـ من حيث الجنس ـ كسائر اخواتها العروبية (السامية) كالبابلية ، والأشورية ، والكنعانية : عبرية ، وفينيقية (بونية) وأوجارتية ، والارامية والحبشية ، فالاسماء فيها (ومثلها الصفات) ليس لها غير قسمين : مذكر ومؤنث ، تستوى في ذلك الاحياء والجمادات :

ولكن علماءنا يميزون في ذلك بين عالم الاحياء وعالم الجمادات ، فيقسمون كلا من المذكر والمؤنث قسمين : حقيقيا ومجازيا ، فالمذكر الحقيقي ماله أعضاء ذكورة ومنه اللقاح ، والمذكر المجازى ما انزله العرب من جماد منزلة المذكر ، مثل : حجر ونهر والمؤنث الحقيقي ماله اعضاء أنوثة تتقبل اللقاح فتلد او تبيض من الحيوانات مثل امرأة ، وشاة ، وقد يكون ذلك فيا يثمر من النباتات العليا ويتميز فيه الذكر من الانثى كالنخل مثلا ، فمنه الذكر الذى يخرج الفُحّال للتلقيح ، ومنه الانثى التى تثمر فيقبل ثمرها اللقاح ، فيصير ثمرها جنيا . والمؤنث المجازى ما انزله العرب من جمادمنزلة المؤنث ، مثل : نار وقوس ، وصخرة ، وصحراء .

وهذه القسمة بين مذكر ومؤنث في لغتنا حاسمة ، وهي عميقة وواسعة شعورا وتأملا وفكرا وخيالا ، ويكفى لمعرفة عمقها وسعتها انها تجاوز الاسماء الى الصفات ، ثم الى ما يقوم مقام الاسماء ، اى الضمائر ، سواء كانت شخصية مثل : هو ، وهي ، او اشارية ، مثل : هذا وهذه ، او موصولة مثل : الذى والتى ، مما يندر مثله في سائر اللغات ، حتى اخوات العربية ، وكما يظهر هذا التمييز في المفرد يظهر في صيغة المثنى وصيغة الجمع . ويظهر ايضا في الافعال حين تسند الى مذكر او مؤنث ، فنحن نقول مثلا :

هذا هو الطبيب الذى يرعى مرضاه

هذه هى الطبيبة التى ترعى مرضاها

هذان هما الطبيبان اللذان يرعيان مرضاهما

هاتان هما الطبيبتان اللتان ترعيان مرضاهما

هؤلاء هم الاطباء الذين يرعون مرضاهم

هؤلاء هن الطبيبات اللاتى يرعين مرضاهن

وفي لغتنا (اى) للاستفهام او الشرط او غيرهما ، تكون للمؤنث والمذكر بصورة واحدة ، كما في الآية « في اى صورة ما شاء ركبك » وفي العبارة « اى الرجال المهذب » ! وقد تلحقها التاء حين تضاف الى مؤنث ، فيقال : اية جريدة تقرأ ؟ «

وهنـاك غـير الاسماء والصفـات والضمائـر بعض الظروف ، تلحقها التاء مثل ثم ، بمعنى هناك ، فيقال : « ثمت » ، وليس فيها معنى التأنيث .

بل هناك بعض الادوات (حروف المعانى) ، تلحقها التاء وليس فيها دلالة على التأنيث ولا يمكن ان تقبلها الادوات ، لعدم قبولها تذكيرا ولا تأنيثا ، مثل « رب » و « ثم » يقال « رب رمية من غير رام » او « ربة رمية من غير رام » و « ربما جئتك » و « ربتما جئتك » واشباه هذه العبارات في تراثنا كثيرة .

هذه التـاء تكتب احيانـا مفتوحـة (طويلـة) او مضمومة (مغلقة ، مدورة) بسبب حالتها عند الوقف عليها ، فاذا وقف عليهاء تـاء » كتبت مفتوحـة سواء كانت ساكنة مع الفعل ، أو متحركة مع غيره ، مثل : « البنت جلست قليلا ، ثمت ذهبت » واذا وقف عليهـا « هاء » ـ وهى متحركة دائما ـ كتبت مضمومة مثـل : « الشجرة ضخمة » وهذه التاء الاخيرة تسمى تاء التأنيث لانها تنطق تاء حين توصل بما بعدها ، وتسمى ايضا هاء التأنيث لانها تنطق هاء عند الوقف .

ونختم هذه الصفحة بعدة ملاحظات

١) ان التفرقة بين المؤنث والمذكر في لغتنا عميقة متغلغلة في كلمات لغتنا الى حد يندر نظيره في سائر اللغات ، فهى تتسرب الى الاسماء والصفات والضمائر وتلحق التاء بعض الظروف وبعض الادوات (حروف المعانى) كما يظهر من الامثلة السابقة .

٢) ان علامة التأنيث قد تكون اداة (حرفا) فهناك التاء ، مثل : حليمة ، وشجرة ، وحجرة ، والف التأنيث المقصـورة ، مثـل : ليلى ، صغـرى ، والف التـأنيث الممدودة ، مثل : عفراء ، وخضراء .

وقد تكون علامة التأنيث حركة ، مثل : يابنـى ، انتَ نجحتَ في الامتحان » ويابنية انتِ نجحتِ في الامتحـان » فالتـاء في « انت » و « نجحت » تنطق بالفتحة في خطاب المذكر ، وتنطق بالكسرة في خطـاب المؤنث ، وهنـاك تاء التـأنيث الساكنـة في آخر الفعـل الماضى ، مثل (بانت سعاد) و التاء المتحركة في اول المضارع ، مثل « تكتب سعاد » .

وهناك التاء التى يقال انها للتأنيث ، وهى لا تفيد تأنيثا ولا غيره ، كما في « ثمة » ـ ظرفا ـ بمعنى هنـاك ومثل الاداتين : (ثمت) اى « ثم » ، و « ربت » اى رب ، وقد تأتى لمعان اخرى سنذكرها في صفحة اخرى ان شاء الله .

٣) في لغتنا اسماء كثيرة تدل على مؤنث حقيقى ، مثل : هند ، وزينب ، او مجازى مثل : نار وريح ، وهى خالية من علامـة التـأنيث ، ومنهـا صفـات خاصـة بالنساء ، مثل : مرضع ، وحامل ، ومنها صفات مشتركة بين المؤنث والمذكر ، مثل : عجوز ، وجريح ، ومعطار .

٤) في لغتنا اسماء تدل على مذكر تلحقها تاء كأنها مؤنثة ، مثل : خليفة ، وعنترة ، ويسمى علماؤنـا هذا النوع مؤنثا لفظيا .

٥) بعض الكلمات المؤنثة في لغتنا ينتهى بعلامة تأنيث واحدة ، كالتـاء في مثـل : خديجـة وعصفـورة ، وصخرة ، وكالالف المقصورة في مثل : سعدى واولى ، ولكن بعضها ينتهى بعلامتين مثل : علقاة (نوع من النبات) فهنا الف وتاء ، وقد قيل في ذلك ان اصلهـا « علقي » فهنا الف التأنيث المقصورة ، وزيدت عليها تاء التأنيث فصارت « علقاة » ويرى بعضهم ان الالف في « علقى » للتأنيث ولكنها في « علقـاة » للالحـاق ، والتاء وحدها للتأنيث ، ولا مبرر لهذه التفرقة بين الالف في « علقى » و « علقاة » .

٦) اننا نجهل معظم الاسباب التى جعلت اسلافنا يرون بعض الجمادات كانها مذكرة ، وبعضها الاخر كانها مؤنثة ، كما نجهل الاسباب التى جعلت الاسـلاف في لغـات اخرى يعتبرون مؤنثـا ما اعتبره اسلافنـا في الجمادات مذكرا ، وعكسوا الامر في كلمات اخرى ، مثل تأنيث الشمس عندنا وتذكير القمر والامر عكس ذلك في الانجليزية مثلا .

حوار القراء

هجرة العقول العربية

● الحديث عن عودة العقول العربية المهاجرة أصبح مكررا معادا .. والعقول التي هاجرت من الصعب ان تعود في ظل هذا الواقع العربي .. ولابد اولا من تغيير هذا الواقع وذلك بايجاد المناخ الملائم لهذه العقول .

واول خطوة لايجاد هذا المناخ هو ان تتبنى وزارات التربية في الدول العربية الاوائل العرب في الثانوية العامة بغض النظر عن جنسياتهم ، وتيسر لهم سبل التحصيل العالي في مختلف التخصصات سواء في جامعاتها او الخارج .. ولا ينتهي الامر عند تخرجهم بوضعهم على الرف او تعيينهم في وظائف بعيدة عن تخصصهم .. بل تظل الرعاية قائمة بوضع هذه الذخائر في اماكنها الصحيحة تعمل وتبحث في مناخ نفسي ملائم .

هذه هي الخطوة التنفيذية لايقاف المأساة المسماة « هجرة العقول العربية » .

فهل انتم فاعلون ؟؟

الدكتور فائق طهبوب
الكويت

فلسطين (الضفة والقطاع)

● يوم وقعت نكبة فلسطين كان عمري عشر سنوات ، وكنت اسمع طيلة السنوات التالية عن اغتصاب فلسطين ، وضرورة عودتها للسيادة العربية .. عودة يافا وحيفا وصفد والناصرة واللد وبئر السبع وطبريا وكل

الله ليس متحازا لاحد

● وردتني استفسارات كثيرة ، بطرق شتى ، عن وجهة نظرى في المقال الذى كتبه الاستاذ فهمى هويدى في العدد ٢٥٩ من هذه المجلة ، تحت عنوان : الله ليس متحازا لاحد واقول بكلمة موجزة : ان المقال بجملته لا غبار عليه ، لولا نقطة هامة فيه تجاوزها الكاتب دون تبيين او تمحيص لها .

صحيح ان حكم الله تعالى في عباده لا تحيز فيه .. وصحيح انه انما يحاسب الناس على اختلافهم ، وعلى تنوع مذاهبهم (التقليدية) على اساس ميزان واحد ، هو الايمان والعمل الصالح .

ولكن ما هو المقصود هنا بالايمان ؟ تلك هي النقطة التى لا تستبين سلامة هذا القرار الا بتمحيصها ... الايمان هنا هو ما فسره الله تعالى ذاته عندما قال : « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين احد من رسله » وهو ما زاده النبى صلى الله عليه وسلم تفسيرا عندما قال في الحديث الصحيح « الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره » .

فاذا آمن الانسان العاقل المكلف هذا الايمان (على النحو الذى اوضحه القرآن) دخل في وعد الله تعالى الذى الزم به نفسه ، من اى تبعية كان هذا المؤمن ومن اى نحلة .

ذلك لان هذا الايمان من شأنه ان يذيب فوارق ما بين المذاهب والنحل . بل تغدو تلك النحل تحت سلطان هذا الايمان الظاهر تقليدية لا عبرة بها . وحتى ان لم يعترف المؤمن الحق بلسانه ، واخفى يقينه هذا في قلبه (اى لم يعلن اسلامه) فهو عند جماهير العلماء ، ناج يوم القيامة ، وان كان الحكم القضائي في دار الدنيا مضطر ان يعامله معاملة الجاحد او الكافر وذلك نظرا الى ان العبرة في الاحكام القضائية بالظاهر .

وهذا معنى ما يكرره القرآن العظيم وعلماء العقيدة ،

فلسطين ... وبقي هذا الامل يداعب خيالنا .. ثم فجأة وبالتحديد بعد ١٩٦٧ بدأ الامل يعزف بطريقة غريبة .. فلسطين لم تعد ضمن الامل .. اصبحت اسمع معزوفة اخرى تقول : لابد من عودة الضفة والقطاع .. وبعضهن يأبى الا أن يسميها « يهودا والسامرة » ...

تصوروا معي كيف تقلص الامل .. فلسطين اصبحت فقط « الضفة والقطاع » .. وحتى هذا الامل المتواضع ينكره علينا الكثيرون . فمتى تستيقظ هذه الامة ؟

مصطفى عبد الرحمن صبري
فلسطيني

مرض النكاف

● نشرتم مقالا في العدد ٢٥٩ من العربي عن مرض النكاف للدكتور هشام الناظر .. وقد لاحظت وجود خطأ في الصور الثلاث المنشورة مع المقال .. حيث انها تشمل اوراما والتهابات واكياسا في جانب الرقبة ، ليس لها علاقة بمرض النكاف .

ويبدو لي ان بعض العاملين في المجلة قد غير الصور سهوا . ولا بد من ايضاح بعض النقاط المتعلقة بمرض النكاف . ان هذا المرض يصيب الـ PAROTID GLAND وهي اكبر الغدد اللعابية وشكلها غير منتظم وليس لها غلاف محدد .. وهذه الغدة تمتد الى الامام فوق عضلة الـ MASSETER وباختصار فان موضع مرض النكاف يقع على الجهة الخلفية من الخد ، واسفل الاذن ، وليس في الرقبة . واهم العلامات الموضعية المميزة لهذا المرض هي : تصلب الفك الجزئي مع ارتفاع شحمة الاذن .

الدكتور حسين بلال
بغداد

من ان الدين الحقيقي الذي تعبد الله به الناس جميعا دين واحد . وما قامت هذه الحواجز والفوارق التي ظهرت فيما بعد : الا تزيدا من الناس بدافع عصبية ونحوها .

فاما اذا لم يتحقق المرء بهذا الايمان الذي بينه القرآن واوضحته السنة ، فمن الطبيعي ان لا يقام لاعماله ميزان يوم القيامة ، وان لا يجزى عليها بشيء . وهذا من بعض مقتضيات ما قاله الاستاذ هويدي نفسه .

اذ ان الايمان الحقيقي لم يوجد لديه ، من ناحية .

ولانه عندما كان يقوم باعماله الانسانية في الدنيا ، لم يكن يبتغي بها اجرا يوم القيامة وكيف يبتغي ذلك وهو لا يؤمن بيوم القيامة من حيث هو ؟

ومن ابرز قوانين العدالة السائدة ان العامل يجب ان يعطى الاجر الذي طلبه ، فان استبدل صاحب العمل بالاجر الذي اشترطه العامل لنفسه اجرا غيره ، فهو ظالم له . ومن هنا كان قرار الله تعالى في كتابه ان امثال هؤلاء الناس ، يوفى اجرهم في دار الدنيا ، وما لهم في الاخرة من نصيب . الم تر الى قوله :

ـ « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا » وقوله : ـ

ـ « مثل الذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ، » وقوله : ـ

ـ « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا »

وقد شرح النبي صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة الهامة في احاديث ثابتة كثيرة ، لا مجال هنا لسردها .

فاذا اخذنا باعتبارنا ، هذه النقطة التي تمت تجليتها (والتي ينطوي عليها قصد الكاتب بلا شك) فان حديث الاستاذ هويدي في مقاله المذكور لا غبار عليه .

محمد سعيد رمضان البوطي

جامعة دمشق

أي عالم هذا ؟

● يقول المدير العام لمنظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة انه « يتحتم على المواطن الافريقي العادي ان يكتفي بكمية من الغذاء تقل بنسبة ١٠٪ عما كان يعيش عليه منذ عشر سنوات مضت » .

المواطن الافريقي من واجبه ان يجوع حتى يموت من اجل ان يوفر للقارة الاوروبية الترف والرخاء حتى التخمة .

أي عالم هذا الذي نعيش فيه ... وهل يختلف كثيرا عن عالم الغابات حيث يأكل فيه القوي الضعيف ؟.

مصطفى صبري
عمان / الاردن

التقويم العربي الى اين ؟

● كانت العرب تؤرخ بعام الفيل ، وهو العام الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانوا قبل ذلك يؤرخون ببناء الكعبة على يد سيدنا ابراهيم واسماعيل وقبل ذلك كان ابناء اسماعيل يؤرخون بنار ابراهيم .

ولما تولى عمر بن الخطاب الخلافة جمع الصحابة للمشورة وطال الجدل بينهم حول اتخاذ تاريخ يؤرخون به فمنهم من اقترح تاريخ الفرس ولكن رأيهم استقر على ان يؤرخوا بحادث اسلامي .

فكان ان هداهم الله الى ان يؤرخوا بهجرة الرسول من مكة الى المدينة لانه يوم ثابت لا خلاف فيه ولانه يوم يفرق بين الحق والباطل والنور والظلام لماذا لا نهتم بالتاريخ الهجري الذي يكاد يكون مقصورا على المكاتبات الرسمية في بعض المؤسسات .

فالتاريخ الهجري هو الاساس والمطلوب الاهتمام به حرصا على التقويم العربي .

احمد خضير
ج ٠ م ٠ ع

كتاب مصر وفلسطين

● في العدد الاخير لمجلة العربي تعليق ممتع للدكتور عبد الرحمن مصطفى على كتاب « مصر وفلسطين » وقد ورد في تعليقه انه يخشى أن دخول الجيش المصري حرب فلسطين سنة ٤٨ كان بايحاء من انجلترا التي حاولت احتواء التوسع الامريكي في المنطقة ، هذا الاستنتاج ينم عن حس تاريخي لدى الدكتور عبد الرحيم مصطفى . وهناك ما يؤيد احساسه هذا بدليل حي :

هناك كتاب « Dlive Tree in Storm » شجرة الزيتون في العاصفة تأليف لازوارن ونشر AFME عبارة عن تقرير لقس مسيحي وربي يهودي قدما الى مصر في مطلع الثورة وقابلا بعض الشخصيات التي رأيا انها تمثل شرائح مختلفة من المجتمع المتعلم وقد رفض الشيخ الخضر حسين شيخ الازهر رفضا باتا مقابلتهما او التحدث مع يهودي في شأن فلسطين وشجب المحاولة . ولكنهما قابلا رئيس تحرير مجلة الازهر ، ثم قابلا مصطفى امين صاحب اخبار اليوم وطاف بهما في دار اخبار اليوم واطلعهما على مطبعة جديدة استوردها ثم تطرق الحديث الى حرب فلسطين .

فقال مصطفى امين انه علم من النقراشي شخصيا ان الانجليز اغروا فاروق بل ضغطوا عليه لدخول جيش مصر الى فلسطين وان السفير البريطاني وعد النقراشي بامداد مصر بالاسلحة وعدا صريحا قاطعا .. ولكن بعد ان دخلت مصر الحرب فعلا وذهب النقراشي يطالب بالسلاح الموعود قدم له السفير البريطاني مشروعا يوقع عليه يتلخص في تخلي مصر عن اية حقوق في السودان وجعل التوقيع على هذا التعهد شرطا لوصول السلاح . ورفض النقراشي المشروع .

السيد فهمي الشناوي

من مكتبة العربي





الانتحار.. الخطأ الذى لا يمكن ان يغتفر

تأليف : كولين ديلن   عرض وتعليق : فؤاد دواره

يقول البيركامي في جملة الافتتاح الشهيرة في كتابه « اسطورة سيزيف » :

« لا توجد سوى مشكلة فلسفية واحدة جادة حقا ، وهي الانتحار ..فالحكم بان الحياة جديرة بان نحياها ام لا يرتفع الى مستوى الاجاجة على السؤال الاساسي في الفلسفة . اما كل ما عدا ذلك فهو اقل اهمية . »

غير ان هذه القطعة من المنطق الفرنسي المكثف تخفي وراءها قطعة اخرى من اسلوب التفكير الفرنسي المشوش . فتقرير ما اذا كانت الحياة جديرة بان نحياها ام لا قد يكون القضية الرئيسية في الفلسفة ولكنه ليس مرتبطا بالانتحار بالضرورة . فصامويل بيكيت على سبيل المثال مقتنع تمام الاقتناع بان الحياة ليست جديرة بان نحياها ، ولكنه لم ينتحر حتى الآن وكذلك الحال مع جان بول سارتر الذى أثر عنه قوله انه لا معنى لا لحياتنا ولا لموتنا .

ومن الناحية الاخرى ..فان معظم من انتحروا لم يتأملوا هذه القضية الفلسفية الخطيرة ويقرروا الاجابة عليها بالنفي ، او على حد تعبير تشارلز راى جاردنر ذات مرة : « الاجابه على الحياة بلا » . بل ان عددا كبيرا من المنتحرين عاجزون عن التفكير السليم ، وهم ضحايا عاطفة مضطربة .

ومنذ نشر دوركهايم كتابه المشهور سنة ١٨٩٧ ، والكتابات عن الانتحار آخذة في التزايد حتى اصبح لدينا مئات الكتب عن الموضوع . وها هوذا شاب فرنسي يدعى جان بيشلر يحاول ادخال قدر من التنظيم على هذه الفوضى بدراسة ضخمة حسنة التوثيق * . والنتيجة رائعة حقا: مزيج غريب متفجر من نظرة دوركهايم الاجتماعية ومحاولة كامي تحويل الانتحار الى فلسفة .

انه كتاب لا يقرأ بسهولة ، ولكنى لا اشك فى انه لن يلبث ان يصبح مرجعا كلاسيكيا في موضوعه .

اما القراء الذين لا يعرفون الكثير عن دوركهايم فسأحدثهم عن نظرياته بايجاز .فالواقع ان « ابا علم الاجتماع »كتب قطعة من الدعاية لموضوع تخصصه فقد قال معاصروه . كيف يصبح الاجتماع علما ؟ ان موضوعه غير متجانس ويختلط بصورة يستحيل معها تحليل علمي ؟ . وحينما اختار دوركهايم موضوع الانتحار ليشرح من خلاله منهجه ، كان اشبه بالمشعوذ الذى يعلن بانه سيخرج فيلا من قبعته العالية .

يقول دوركهايم :

ـ حسنا ، انتم تقولون ان الانتحار شديد الشذوذ ، شديد الفردية ، بحيث يستحيل وصفه علميا . فاذا كان ذلك صحيحا ، فلماذا اذن يظل معدل حوادث الانتحار ثابتا بصورة مذهلة ـ بالرغم من اختلافه من بلد لاخر ؟ فعلى سبيل المثال ترتفع نسبة المنتحرين بين « الفرديين » عنها بين « الجماعيين » ـ البروتستانت ينتحرون اكثر من الكاثوليكيين واليهود .ويختتم دوركهايم تحليله بان هناك « موجات انتحارية » تنتشر في المجتمع وتؤثر فى الافراد بصورة آلية ـ وكأنها نزلة برد ـ وتؤدى الى الانتحار .

انه مؤلف بديع وتحليل رائع . المشكلة انه بدا وكأنه يتجاهل الارادة الحرة للكائنات الانسانية فاذا كان كارل ماركس قد اكد لنا ان الانسان ليس الا نتاج « ضغوط تاريخية » ، فان دوركهايم يقول نفس الشيء تقريبا .

الانتحار انواع

وكان من الطبيعي ان تثير آراء دوركهايم قدرا كبيرا من الغضب ، ادى الى اتجاه عديد من الكتاب الى اقصى النقيض المقابل ، فاكدوا ان الانتحار ممارسة للحرية الكاملة في الاختيار وهو ما قال به كامي كما رأينا ، وان كان من الواضح انه مجرد عبث ، لان الناس لا ينتحرون

* جان بيشلر : « المنتحرون » تقديم راموند ارون ، بازيل بلاكويل (لندن) ، ١٧٫٥٠ جنيه استرليني .

وهم في حالة تأمل فلسفي .

ومن هذه النقطة نفسها بدأ السيد بيشلر وهو صديق الفيلسوف رايموند ارون ، في محاولة للخروج من هذا المأزق . ورايموند ارون هو الذي كان جالسا ذات يوم في مقهى مع سارتر وسيمون دي بوفوار ، فاشار الى كأس به « كوكتيل » مشمس وقال لسارتر :

ـ « لو انك قرأت هوسرل ، لعرفت كيف تحول هذا الكأس الى فلسفة . » فاندفع سارتر نحو اقرب مكتبة واشترى كتابا عن هوسرل ، ومن ثم انطلق لاحتراف الفلسفة . لذلك ينبغي ان نتوقع اكثر من لمسة « وجودية » في موقف بيشلر . وهذا هو الواقع ، وهو ما يضفي على كتابه نغمة اثارة خفية تجعله اقرب لدستويفسكي منه لدوركهايم .

ان نقطة البداية عند بيشلر تتمثل في ان الانتحار جهد فردي لحل مشكل معينة ، اى انه وسيلة لغاية . فهو يشعر ـ كسارتر ـ ان الانسان « محكوم عليه بالحرية » ، وان الانتحار اختيار .ويريد بعد ذلك ـ كدوركهايم ـ ان يحاول تعريف نوعية الظروف التي تساعد على هذا الاختيار المميت . هناك انتحارات « هروبية » ، فرارا من هزيمة او حزن ، وانتحارات « عدوانية » ترتكب للانتقام او الابتزاز وانتحارات « تضحية » ـ حيث يختار شخص الموت لينقذ آخر ـ وانتحارات « عبثية » حيث يقامر شخص بموته ـ والمثل الواضح هو « الروليت الروسية » . (وهو مقامرة او مبارزة يستخدم فيها مسدس واحد ذو ساقية دوارة توضع فيها رصاصة واحدة ، ويضعه أحد المتبارزين على صدغه ويضغط على الزناد ، فاذا لم تصبه الرصاصة انتقل المسدس الى زميله ليضغط على الزناد .. وهكذا الى ان تنطلق الرصاصة وتقتل احدهما .)

عند هذه النقطة من الكتاب ـ وهي في منتصفه تقريبا ـ انتابني مزيج من التأثر والضيق فبيشلر يروى اكثر من مائة حالة ، ومعنى ذلك ان الكتاب ليس مجرد تحليل فلسفي ، وبالرغم من ذلك فيخيل الى انه واقع في الشرك الذى نصبه دوركهايم حين حول الانتحار الى « ظاهرة اجتماعية » .

واسمحوا لي ان اشرح ما اقصده بمثلين فتنت بهما دائما . الاول من كتاب روميلي فيدين عن الانتحار ، وقد قرأته قبل ان ابلغ العشرين من عمرى .. فلاح ايطالي يدعي ماتيو لوفات اراد الالتحاق بالكنيسة ، فلم يستطع بسبب فقر ابويه ، فخصى نفسه ، ثم رحل الى مدينة البندقية حيث قرر صلب نفسه . صنع صليبا في حجرته العليا ، وربطه على « بكرة » بحيث يمكن انزاله من النافذة . وكانت مشكلته هي كيف يسمر نفسه على الصليب وهو مدلى في الشارع . وقد حلها بالجلوس داخل شبكة ثبتها في الصليب وانفذ مسمارا في قدمه رثبته في ثقب اعده في الصليب ، كما انفذ مسمارا آخر في كفه اليسرى ، ثم اخرج الصليب من النافذة ، وسمريده اليمنى في الصليب ، وامسك بالمطرقة بيده اليسرى المثقوبة ، وكان ينوى وضع المسمار ـ النافذ في يده اليسرى ـ في ثقب اعده له ـ ولكن لسوء حظه وهنت قواه نتيجة لفقد الدم والصدمة ، فظل معلقا فوق الشارع وذراعه الايس متدليا الى جانبه . فانزلوه من فوق الصليب ، وادخلوه مستشفى للمجانين ، حيث مات فيما بعد نتيجة لامتناعه عن تناول الطعام .

والقصة الاخرى من كتاب تايلور « تشريعات طبية » وهي تصف رجلا تملكه الفضول الشديد لمعرفة المشاعر التي تصاحب الموت ، حتى لقد اشعل النار في حشية سريره واستلقي فوقها وبين الحين والاخر يقوم من السرير ويسجل احاسيسه على الورق ثم يعود للاستلقاء مرة أخرى . وعثر عليه ميتا محترقا . ويقول تيلور (ص ٧٧٣) ان السبب الذى دعا الرجل الى اتباع هذا الاسلوب الغريب هو رغبته في اثبات ان المنتحرين ليسوا جبناء .

ولقد فتنت بماتيولوفات لانني استطيع ان افهم بسهولة ما الذى يدعو رجلا يشعر ان وجوده لا يتحقق الا في الكنيسة ثم يضطر « للحياة في المجتمع » صانعا للاحذية ، ليصلب نفسه بهذه الطريقة معبرا بذلك عن سخطه على المجتمع وعلى الحياة ومؤكدا ما يؤمن به بعمق . باختصار اعتبرت لوفات « لا منتميا » يعبر عن معارضته بهذا الاسلوب الغريب .

والشيء نفسه يصدق ، ولكن بدرجة اقل ، على الرجل الذى احرق نفسه ، فهو لم يحاول ان يثبت فقط ان الانسان قد يتصرف بناء على دوافع غريبة تماما على المجتمع بل كذلك ان العقل من الممكن ان يظل مرتفعا عن تلك القيم ويقوم بدراستها وكأنها مسألة رياضية . باختصار كان يحاول بالرغم مما في ذلك من تناقض ، ان يثبت انه اله . ومن الواضح ان هذا ينطبق على لوفات ايضا .

واسلم بان هاتين الحالتين تمثلان انتحارين شاذين الى ابعد حد ، ولكنهما تصلحان مع ذلك فيما ارى ـ نقطة بداية قوية ، فهما توضحان الانتحار كمحاولة لعلاج مشكلة معينة تماما مثلما يعالج العالم او الفنان مادة معقدة عنيدة .

تقديرات خاطئة

ونتنقل الان الى بعض تواريخ الحالات التي قدمها بيشلر ، لنرى بوضوح اننا مرة اخرة ازاء عقل انساني يحاول علاج مشكلة ، ولكنه في حالات كثيرة يفعل ذلك دون ان تكون لديه المعلومات الكافية . كما في حالة شقيقتين كانتا تعيشان حياة فقيرة مع ابيهما العطوف ، وان كان ميالا للسيطرة . وذات يوم عاقبهما لانهما شاهدتا مباراة كرة قدم : اشتكت الفتاتان للشرطة التي لم تجد شيئا تفعله ، وفي طريق عودتهما الى البيت صاحت اقواهما شخصية : « فلنقتل انفسنا » ثم القت بنفسها امام القطار المقترب .

يروي بيشلر هذه الحكاية باعتبارها انتحارا « انتقاميا » ـ فالفتاة بعد ان فشلت في الحصول على تأييد الشرطة لها قررت ان تحصل على هذا التأييد بطريقة اخرى . ولو انها كانت تعرف ان الاب لا يحبها لما تصرفت على هذا النحو . كانت تدرك ان موتها سيؤلمه .

على ان الانتحار يظل مع ذلك نزوة حمقاء ، فهربرت هندين يلاحظ في كتابه « الانتحار واسكندنافيا » اننا لا نعرف عدد الاشخاص الذين يتمنون لواتيح لهم النكوص بعد ان يلقوا بانفسهم من فوق اسطح المباني العالية .

وفي حالة تلك الطفلة التي القت بنفسها امام القطار من المحتمل ان تكون قد ادركت ان رغبتها في وضع نفسها في مشهد درامي قد تجاوزت الحد ـ ولكن كان ذلك بعد فوات الاوان .

واهم ما في الامر كونها في الثالثة عشرة من عمرها جعلها غير قادرة على تقدير الموقف : حياتها والتأثير على ابيها ، الى آخر ذلك . ويبدو ذلك صحيحا بصورة او بأخرى بالنسبة لكل حالات الانتحار : فهي جميعا تقديرات خاطئة ، وهذا يدعو بدوره الى تأليف كتاب عن « نوعيات التقديرات الخاطئة » وسيكون ذلك هو البديل الاصيل للنظرة الاجتماعية للمسألة .

ومن اهم الملاحظات التي ابداها دوركهايم ان معدل الانتحار يزداد في فترات الازمات الاقتصادية والرخاء على السواء . ويبدي بيشلر ملاحظة مشابهة مفادها اننا نجد الانتحارات بين من يعانون من نقص القوة (او العاجزين) ومن يتمتعون باكبر قدرمنها . فرجل الاعمال الناجح قد يقتل نفسه اذا فشلت احدى عملياته ، لانه تعود ان يقف وحيدا . وينفرد باتخاذ قراراته وهذا اسلوب آخر للتعبير عن ان الانتحار قد يكون رد فعل لقدر من الحرية اضأل مما ينبغي او اكبر مما ينبغي . وهذا يفسر سبب تصاعد الانتحار في المجتمعات المترفة من العالم .

وقبل نهاية كتاب بيشلر ببضع صفحات عثرت على اكثر عباراته اثارة :

« الذين ينتحرون يرتكبون خطأ لا يغتفر ، باعلانهم كل يوم ان الحياة معركة ضد الموت خسروها مقدما . » وتحدث ايضا عن استراتيجيتين يستخدمها البشر ليمنحوا انفسهم الامان : اي القوة والاستقلال . « اما ان يرتفع الفرد بنفسه الى مستوى من القوة لا يستطيع معه اي شيء ان يهدده فاذا بلغ الغاية القصوى اصبح الها ، واما ان يشل كل القوى الخارجية بالخضوع فيصبح عبدا لله » وكان المثال الذي قفز الى ذهني هو دستويفسكي وابطاله ، فوجدتني اتمنى لو ان بيشلر كان يستهل كتابه بدلا من ان يختمه . ■■

فؤاد دواره

مشاهدات فى « المدن الحجرية »

ديوان : الشاعر محمد ابراهيم ابو سنه   تعليق : الدكتور صلاح فضل

في مشهد من لوركا يحكي قصته مع الابداع قائلا : ان الشاعر الذي يمضي في صنع قصيدة يتوفر لديه احساس مبهم بانه يذهب الى رحلة صيد ليلية في غابة نائية .. فيضطرب في قلبه خوف يستعصي على الشرح .. ولكي يهدأ عليه ان يتناول دائما قدحا من الماء البارد .. ويخط بريشته سطورا لا معنى لها .. انه يمضي الى رحلة صيد فتبترد حدقتاه بنسمات ندية وبرن القمر المستدير كالقرن المعدني الطري قارعا في صمت ذوائب الاغصان .. وتبدو له ظباء بيضاء من خلف جلوع الشجر وينتفض الليل كله في وشوشة العشب .. وتقفز المياه

الصافية العميقة بين الآسال . وعندئذ لا بد من الخروج .. وهذه هي اللحظة الخطرة امام الشاعر .. عليه ان يحمل خارطة بالاماكن التي سيرتادها .. وان يتذرع بالسكينة امام الالاف المحاسن والمقابح المقنعة بالحسن مما سيتري امام عينيه . عليه ان يصم اذنيه مثل عوليس عن النداءات الخادعة التي تطلقها حوريات البحر .. ويسدد قوسه تجاه الصور الحية لا الشكلية الزائفة التي تصحبها .. وتصبح تلك اللحظة حرجة ان استسلم الشاعر ، فان فعل فلن يستطيع من ثم ان يقيم عمله . على الشاعر ان يذهب الى رحلة صيده نظيفا هادئا وحتى مقنعا ، عليه ان يثبت امام تهاويم السراب ويترصد بحذر اللحن الواقعي النابض الذي يتناغم مع خارطة قصيدته المعدة .. وربما كان عليه احيانا ان يطلق صرخات حادة في وحدته الشعرية كي تنفر منه الارواح الشريرة السهلة التي تريد ان تحمله الى المفاتن العامية المحرومة من المعنى الجمالي والنظام الشعري .

واذا كان هذا صادقا على التجربة الشعرية فانه يصور ايضا جانبا من تجربتي النقدية مع ديوان الشاعر محمد ابراهيم ابو سنة الاخير « تأملات في المدن الحجرية » فقد سددت اليه ثلاثة اقواس طاش اثنان منها وربما اصاب الاخير ..

ـ حاولت فهمه اولا بطريقة مذهبية بالنفي للرد على دعوى الرومانسية ، فوجدت ان هموم الرومانسيين فردية وهموم شاعرنا جماعية ، وان ثورتهم تمرد على العرف وثورته حث للتاريخ ، وانهم يهربون الى احضان الطبيعة اما هو فيعانقها ويراها تجسدت بالانسان ، وتشاؤمهم مطلق مرير وشاعرنا لا يصيبه اليأس من امكانية التغيير وبينما تجدهم يترنحون بالعواطف المشبوبة يتوهج عقل ابي سنة من خلال وجدانه .. غير اني وجدت هذا المسلك مسدودا يلخص الشعر ويقتله بحثا عن ايديولوجية كامنة .

ـ حاولت ثانية الاستدلال بالاشعار المستطعمة في مطلع الديوان لتلمس تجربة الشاعر في تحول معاناته الى تفرح واشراف ظامىء على الموت ثم تطلع للغد وتساؤل متشوف للمستقبل ، ثم ادراك لثمن الرحلة والندوب التي لا تبرأ ، غير اني وجدت هذا المسلك بدوره مصادرة على المطلوب وتعجلا للنتائج .

ـ فكانت المحاولة الثالثة استقرائية متتبعة للقصائد نفسها متصتة لبرح الشاعر ومستقصية لمحاوره الاساسية ، تقف عند جدلية الموت والبحث عنده ، ودورها في تخليق صوره وتكييف اتجاهه وصيغ تجاربه وتوجيه رموزه وتحديد بنية رؤيته .

مدينة ميتة

١ ـ ففي القصيدة الاولى تجد مدينة شاعرنا ميتة ، منتهكة العرض لكنه موت ناقص فهو يخاطبها قائلا :

كنت تنامين
ينحسر الثوب عن الثديين
ينحسر الثوب عن الفخذين
تنهمر دماء سوداء
تتجول فوق العشب المسموم
لا يسمع نبض في القلب المحموم

فهي تنام في ميتة صغرى ، وبالرغم من انه لا يسمع لها نبض فان قلبها محموم ، ثم لا يلبث ان يتكرر في القصيدة ـ قبيل نهايتها ـ هذا المقطع مشيرا الى استدارة تكوينها ، ويأتي التساؤل عن البحث ليخترق هذه الاستدارة ، ويصبح بمثابة العلق الذي يربط الثمرة بفرعها ومصدر حياتها ، ويتراءى البحث هنا حقيقيا مستقبليا واعدا .

٢ ـ اما في القصيدة الثانية فان الشاعر يموت ، لانه يجهل ـ او يرفض ـ قوانين الحياة الظالمة ، لانه يعشق ضوء القمر والحب والعدل ، لكن البحث الذي ينتظره بالفعل بحث زائف ، لانه في مهرجان الدم وسط رقص الاشباح ومع ذلك فان الموت لم يتم ، لانه ان حدث فسيعادل الصمت ، وهو وان كان سيقتل في الليل الا انه سيبكي عليه النهار ، اي ستشرق الشمس ثانية بالرغم من كل شيء .. ومرة اخرى تتكسر الدائرة وتتفتق عن جذر الحياة ، مما ينبيء عن يقين الشاعر واتكائه على صدق وصلابة قضيته .

٣ ـ ولان الموت عندما يكون فعلا مضارعا فهو احتضار تجيء القصيدة الثالثة لتقدم عملية الاحتضار عندما تحل بسحابة .. تتلوى فوق الصحراء .. ويموت باعطافها .. نفس الماء ، والسبب هو ذاته فقدان الحب والصدق اى طغيان الكراهية والكذب ، ويصبح الحزن معادلا للموت . على ان البحث هنا يأتي في مطلع القصيدة ، وهو بحث ذو صبغة دينية ، فالسحابة تقول :

كنت اخبىء في اجنحتي
نهرا اخضر
تتدفق فيه الموسيقى
وسماء زرقاء ..
كنت اخبىء للاطفال نجوما

للفتيات نهودا .. للمحزونين الفردوس
كان الحزن يموت .

ولما كان الحزن معادلا للموت ، فان موته يعني انتصار الحياة ، الا ان ما تخبئه السحابة انما هو الفردوس المفقود ، الوعد المضمر في عالم الغيب فقلبها ما زال يحترق فيه شيء ، لكنه ممتلىء بالشجن ، فهو حي مبتعث !

٤ ـ فهل يستسلم الشاعر للموت ؟ انه يستنجد بالصبي الذي كان فيه ، بالانسان الحالم بعالم افضل ـ الحلم يعادل الشعر ـ يستنجد بالشاعر فيه كي يستحضر البعث وينفي الموت :

لعل المدينة تولد من صرخة للجياع
لتبعث هذي الجذور التي يركض الموت فيها
ليفرح كل الحزانى
ويهلك فيها المحبون وقتا للقبل
لعل المدينة تولد ..

بل نجده اكثر جهارة وجسارة في استكشاف ما يحلم به ، حتى لا يقع في دائرة الفراغ ، فيطلب من صوته ان يصبح سيفا ، ووجهه سارية للسفينة ، كي يذهب للفقراء طعاما ووسادا وامنا .. وايضا موتا .. لكن لدرء المذلة انه اذن يرسم لنفسه طريق بعثه ، كي تولد مدينته . فهل هي المدينة المثالية الفاضلة التي لا تبرز الا في الحلم ، ام انها فحسب تلك المدينة المكتملة بالحياة ؟

وعندما يكف الشاعر عن التعامل مع الموت الرمز في حواره الخصب مع البعث ويقرر ان يواجه الاشياء مباشرة فلا بد له ان ينزل من فوق منصة الشعر المنغوم الى طريق النثر الممدود ، عندما يكتب رسالة الى الحزن فلا بد ان تكون شعرا منثورا ، لانه خلع قناع الموت ورأى عدوه المباشر في الواقع اليومي ، من هنا رغبته في ان يستبدل بالكلمة الشاعرة رصاصة نافذة الى احشائه .. انه يتوق للفعل بدلا من القول فيفقد رغبته في النظم .. ولا تسعفه حينئذ سوى المفارقات التشرية القريبة ، والحديث المكرور المعاد ، حيث يصبح الحزن مخلوقا شيطانيا اسطوريا لانه يفقد جدليته مع الفرح الذي يعادل البعث .

وهكذا عندما يتجمد الشاعر عند طرف واحد من الثنائية تعرج اشعاره ، وعندما يسرد قائمة اعدائه يتنازل عن رمزيته .. وعن شعره ، قد يقال ان الحزن يفترض الفرح ، ولكن موقف الشاعر هنا انتظار لفرح بلا حزن ، فهو اذن اسطوري يحارب طواحين الهواء . ومشكلة الكاتب هنا انه لا يقدر على ان يكون دون كيشوت ، فهو يعرف انه يطلب المستحيل ومع ذلك يختصم ، ويلصق نهاية مفتعلة لا تدل على يقين ، فبينما يعلم ان الحزن سوف ينتصر في النهاية ويخرج من الرماد والدم « بحالة جيدة وفي صحة تدعو للحسد » يقول انه يعرف وسيلة وحيدة للقضاء عليه هي« ان توقد جميعا ثلاث شموع في القلب : الحب ، الحرية ، العدل » فهنا يتعارض ما يعلم مع ما يعرف ، ويتمخض الموقف عن فن لصيق ، ويقين ضعيف ، وشعر منثور ، .

نبض مصر بين الف عام

٦ ـ ولما كان الصمت عند شاعرنا من المعادلات الموضوعية للموت ، فهذا ابو الهول « بين لفائف عشرين قرنا يموت » في القصيدة السادسة من الديوان ، ولانه يخضع لاستجواب الشاعر فينبغي ان يكون ذلك دليلا على انه يبعث « فهل تبعث الآن في الرمل ؟ » على ان هذا البعث في رؤية الشاعر المكثفة سيكون اجابة لسؤال محير عن مجيء الزمان السعيد ، وعندئذ سترى ابا الهول معه وهو « ينهض يضحك .. يسقط عنه لفائف هذى القرون » ، ونلاحظ هنا ان شاعرنا يرفرف ليتخلص من جاذبية شوقي في احدى روائعه الاسرة ، فيملأ صوت ابي الهول بالمدلول الاجتماعي :

يقول انك تلبس اقنعة
من اشعة شمس الملوك
وتسقط في الليل في بئرك المرمري
وتجمع حولك كل المصابين بالحزن ..
تجمع كل المنادين بالعدل

وبذلك يكون بعثه ليس مجرد معادل للنهضة المصرية كما كان عند شوقي في مشهد حديقة الازبكية الشهير ، بل بعث للعدل وتحقيق للحلم في عاصفة من جنون .

٧ ـ وشهادة شاعرنا معذبة اليمة ، لانه يعاين دوما عملية البعث من خلال الموت ، فهو يخاطب مدينته في القصيدة السابعة :

تنامين بين الرماح .. وتحت السيوف
وقلبك معتقل في النزيف
لكنه لا يلبث ان يراها وهي :

تقومين رغم النبوءات بالموت
ومعك زيت القناديل ..
قلبك ميزان عدل .

فيدرك حينئذ ان النبوءة مخبوءة في الدماء ، اي ان البعث كامن في الموت المأساوي وان الاحتضار ما هو الا مخاض الميلاد الجديد .

هل من حقنا في هذه المرحلة من التطواف في ديوان ابي سنة ان نفترض تصورا لرؤيته باعتبارها متناسخة دائرة جدلية ، تبصر النور في الديجور والبعث في الدم والتجدد في السكون ؟ لنمض قليلا لمزيد اختبار لهذا الفرض .

٨ ـ وبالرغم من انه يبدأ القصيدة الثامنة : قبليني اننا في اول الحب وفي يوم الفراق ، فنكاد نخشى دورته في فلك ناجي اذ يقول : اختاما كيف يحلو لك في البدء الختام . الا انه لا يلبث ان يعثر على مركز ثقله الخاص المتكرر المتمثل في قوله :

كان توقيت الغروب
يلتقي في لحظة العشق بتوقيت الشروق

وحول هذا المحور تتمركز حركة القصيدة .. فالمعشوقة طبعا هي مصر .. مصر التي ظن الناس انها ماتت ، لكن حبيبها يعرف كيف يسمع بنبضها ، حتى اذا دامت رقدتها الف عام .. ازلا كاملا . الا ان لحظة البعث كان لابد وان تصل ويلتقي فيها الغروب = الموت بالشروق = البعث هذا الشروق الذي يدري كيف يأتي من باب الدماء ، ومن ثم يصحو التاريخ ويهيب بها الشاعر :

فابعثيه الآن .. ابعثي هذا الحطام ..
ان ميعادك حان .. ان ميلادك حان ..

وهو ميلاد لا لمصر فقط ، بل على وجه الخصوص للشهيد ، لان البعث هو وجه العملة الاخر للشهادة وتتمة دورتها .

وتتجسم المفارقة في القصيدة التاسعة من تبادل المواقع ، ومن تحول الاخوة الى عدواة بين ابناء الشعب الواحد .. فيصبح موتهم مجانيا ، وبعثهم فجرا كاذبا .. وتسقط رؤاهم ميتة رقصة امواج البحر ، وتستحيل نوافير الاحلام دماء ، وعندئذ فان المولود يصبح هو الرعب ، وتتحول الدماء الزكية الى مياه ، لكنها مياه محرومة من قوة الري وخاصية الاخصاب ، انها مياه تروى الاوحال ، حيث لا خضرة ولا نبات . ومن ثم يتحول الموت هنا الى حقيقة ، والحلم يصبح جثة .. تشبع موتا حتى تستحيل الى ذكرى . هنا تتحول الثمرة الى كرة ، تفتقد السرة ، تحرم من جدلية البعث ، تتجمد اذ يتلاشى العذق .

ما هو الربيع؟

١٠ ـ في القصيدة العاشرة اعادة صياغة للقضية المحورية حول سؤال ما هو الربيع ، ويسقط هذا السؤال على قلب الشاعر المحزون الوجيع ، فيأخذ في التطواف حضور الشاعر المهجري ايليا ابي ماضي .. ممتزجا بايقاعات شجية من ابي القاسم الشابي ، الاول في التساؤلات الفكرية ، والثاني في تجسيد الطبيعة لاغاني الانسان على ان تطواف شاعرنا يمضي ليكتشف للربيع معنى لدى كل المخلوقات متصلا بدورة الحياة منها ، ولا بد ان يكون معناه اذن بالنسبة للشاعر متمثلا في الحب ، اذ به تكتمل عملية البعث والتجديد ، وتلتئم دائرة رؤيته .. وتتضح الخاصية الجوهرية لها وهي انها حيوية .. « فيتاليست » متجددة ، دائرية !!

فاذا وقفنا عند هذا القدر من الديوان ، وهو يقرب من ثلثيه ، واعتصرنا ثمار القصائد السابقة وجدناها جميعا :

أ ـ تتغنى بعالم البراءة والصدق
ب ـ تنشد للحب والعدل
جـ ـ ترى في تحقق ذلك بعثا وفي نفيه الموت

واصبح من حقنا ان نتساءل عن مدى حيوية هذه التجربة خوفا من ان تتهددها الذهنية الصارمة وتوقعها في التكرار والفراغ ويمكننا اعتمادا على مشهد لوركا الذي سقناه في البداية ان نطرح التساؤل على الوجه التالي : ـ الا يرسم شاعرنا بذلك خارطة مسبقة ـ لا لكل قصيدة كما كان يطلب لوركا ـ وانما لشعره في هذا الديوان كله ؟. فهو لا يحمل لكل مكان خارطة ، بل يمسك بخارطة واحدة ويبغي ان يرتاد بها كل مكان ؟ وهل ذلك هو السبب الكامن في اختياره الديكارتي لعنوان ديوانه « تأملات في المدن الحجرية » بدلا من المشاهدات والمعاينات والاستبصارات والرؤى الاقرب الى حقل الشعر وطبيعته ؟ ■■

صلاح فضل

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي .

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

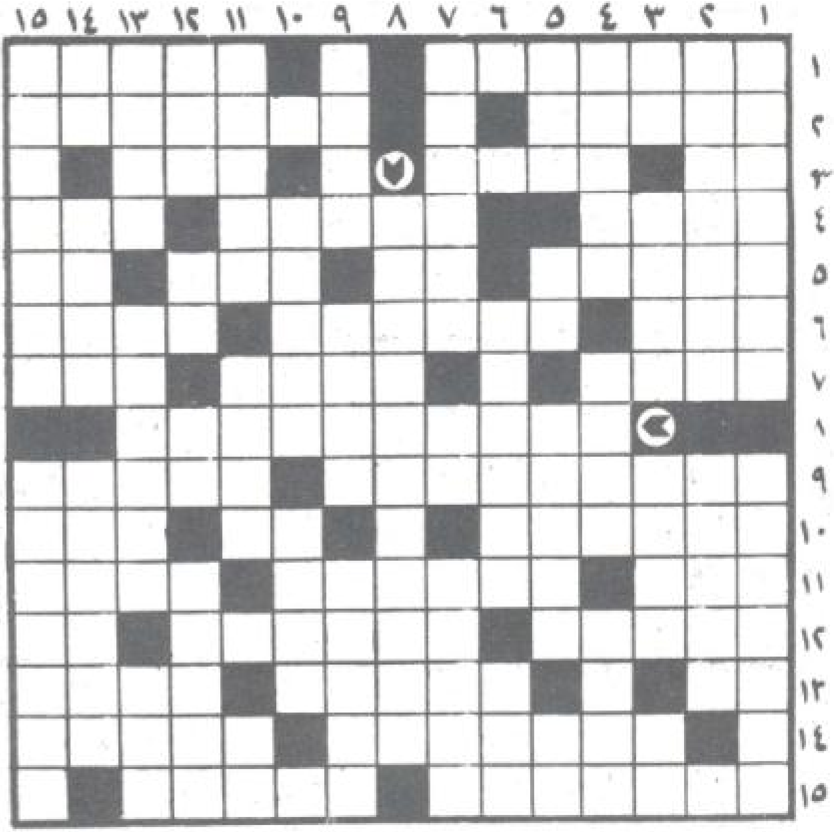
ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٦٢ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول نوفمبر (١٩٨٠) .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، فستجد في (٨) أفقيا اسم واحد من صحابة الرسول ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم مؤرخ عربي .

الكلمات الأفقية :

١ ـ من أجزاء الأذن ـ يحتا .
٢ ـ عاصمة أفريقية ـ من الغازات .
٣ ـ قضيت ـ تمام ـ أحمي .
٤ ـ بحيرة أمريكية ـ من الخضروات ـ من الامراض .
٥ ـ ينتسب الى فئة بالهند ـ أرشد ـ زمن طويل ـ عسى .
٦ ـ كلمة ترحم وتوجع ـ من أعمال طه حسين ـ ظاهر .
٧ ـ نصف يوم ـ خامل ـ سهل التشكيل .
٨ ـ من صحابة الرسول .
٩ ـ كائنات دقيقة جدا تحدث الامراض ـ سكروا .
١٠ ـ تستنبط ـ مادة قاتلة ـ يبدو .
١١ ـ حروف متشابهة ـ من الزهور ـ أوجاع .
١٢ ـ نصنعه ـ زجاجة ـ حرف عطف .
١٣ ـ نصف كلمة (غاية) ـ وحدات قياس زمن ـ سفل .

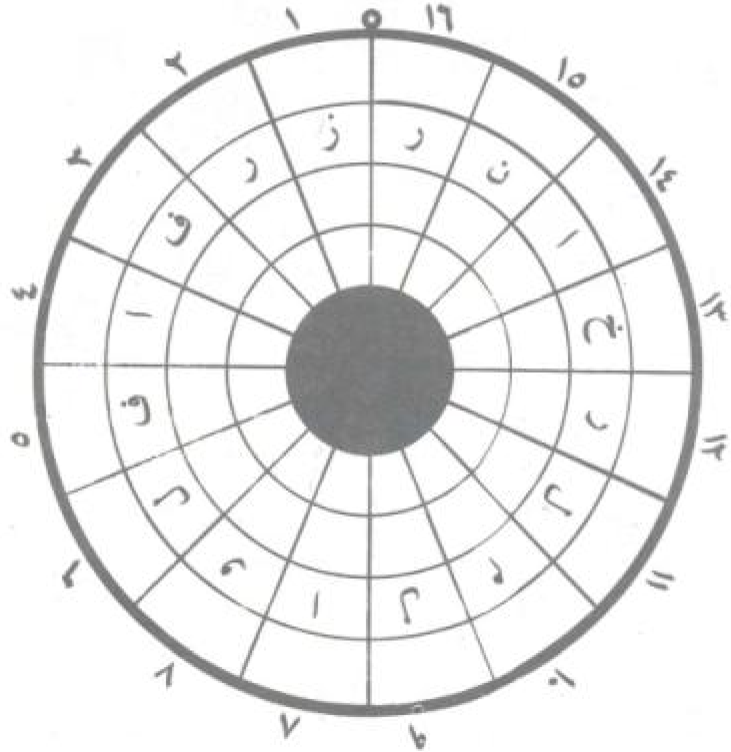


١٤ ـ من مدارس الفن التشكيل الحديثة ـ واجهه .
١٥ ـ قائد عسكري في التاريخ ـ تلالى .

الكلمات الرأسية :

١ ـ ابن هارون الرشيد ـ ذاتيُون .
٢ ـ من اللغات القديمة ـ لغته .
٣ ـ لفظ ـ كسا ـ ما يبقى على المائدة ـ نصف كلمة (تبصر) .
٤ ـ عاصمة آسيوية ـ وقور ـ من مظاهر الطبيعة الجغرافية .
٥ ـ من الفنون التشكيلية ـ نصف كلمة (ذابت) ـ ينسكه ـ نصف كلمة (ثياب) .
٦ ـ أكبر بحيرات أوروبا ـ تجدها في كلمة (سلوى) .
٧ ـ دولة أوربية ـ نصف كلمة (بسيط) ـ تضاهي .
٨ ـ مؤرخ عربي .
٩ ـ سير اللجام ـ الخفت ـ يقامر .
١٠ ـ جرحا ـ عقلت .
١١ ـ فراشة ـ عملة عربية ـ رمز رياضي .
١٢ ـ حيوانات ـ صاحب ـ حرف عطف ـ في الوجه .
١٣ ـ شدة الحر ـ صوت الحمام ـ رقعة الخلق .
١٤ ـ حرفان متشابهان ـ في أعقابي ـ مذهب اسلامي .
١٥ ـ زوجة هنري الثامن التي أعدمها ـ من أماكن الترفيه .

كوبون مسابقة
العدد ٢٦٢



حول الدائرة السوداء

ضع الكلمات ذات الاحرف الاربعة ، والتي تعطيك معانيها ، في أماكنها وفقا للأرقـام . يساعدك في هذا وجود الحرف الثاني من كل كلمة على الشكل .

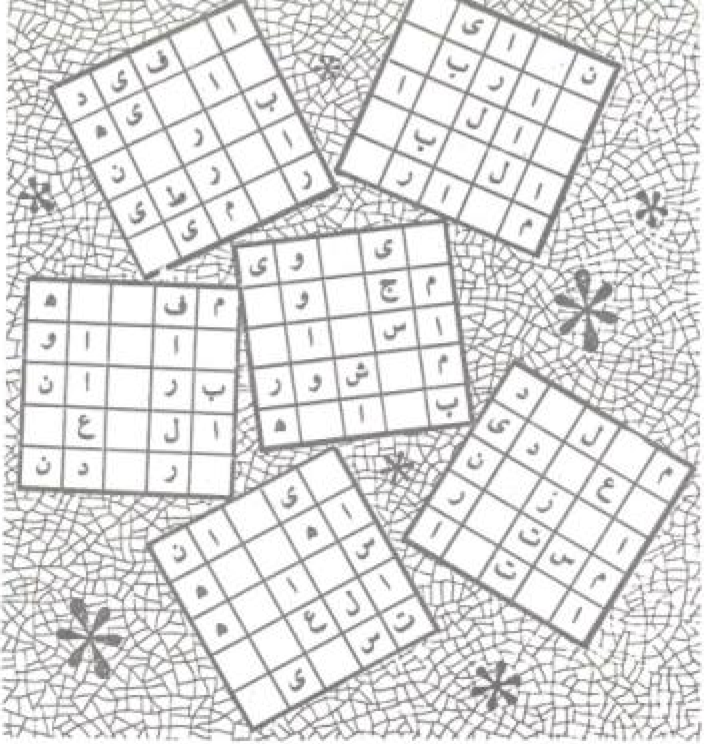
اذا وصلت الى الكلمات الصحيحة ستجد حول الدائرة السوداء اسم :

« عالم رياضي فرنسي شهير من القرن الثامن عشر »

الكلمات لها المعاني التالية :

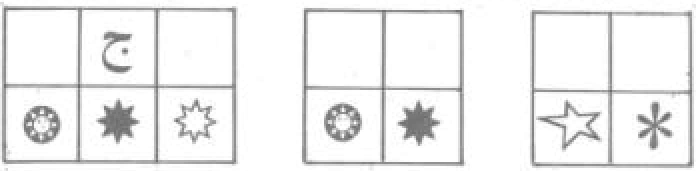
(١) خليط (٢) تأمل (٣) يكسب (٤) دولة أفريقية (٥) قليل الوزن (٦) من أوجه القمر (٧) دولة أفريقية (٨) مرتفع (٩) أمس (١٠) من الجهات الأصلية (١١) ألوذ (١٢) عاصمة أوربية (١٣) أنبأ (١٤) بحيرة افريقية (١٥) ترجع (١٦) في السماء .

العواصم



أمامك ستة مربعات ذات اطارات خارجية ثقيلة . في كل مربع من هذه المربعات خمس كلمات أفقية ، ينقصها جميعا نفس الحرف . اجمع الحروف الناقصة من المربعات الستة ، ورتبها بحيث تصنع اسم عاصمة من عواصم العالم .

مثل عربي



أمامك مثل عربي معروف ، ولديك في مكان الحروف بعض الرموز ، بحيث يمثل كل رمز نفس الحرف دائما . على سبيل المساعدة ، أعطيناك بعض حروف كلمات المثل .

هل تستطيع أن تصل الى المثل العربي ، اذا علمت أنه يفيد أن :

الاجتهاد يعود بالخير على صاحبه .

الحلول ١

العواصم :

وند هوك .

حول الدائرة السوداء :

جوزيف لويس لاجرانج .

مثل عربي :

من جدَّ وجد .

مِنَ المسرح العالمى
سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام فى الكويت

أول سبتمبر ١٩٨٠

العدد ١٣٢

توركواتو تاسو

تأليف : يوهان فلفجانج جيته
ترجمة وتقديم : د. عبدالرحمن بدوى

كلية «سانت اولديتس» أكسفورد
متخصصة في الالتحاق بالجامعات والدراسات المهنية

تعتبر سانت اولديتس من اكبر كليات اكسفورد المستقلة للتعليم العالي ، متخصصة في دراسات الــ «جي . سي . إي» المستوى المتقدم «"A"-Level» . على الرغم من ان التركيز في الكلية ينصب على دراسات المستوى المتقدم «"A"-Level» ، إلا انها تتيح الفرصة للدارسين للحصول على المستوى العادي «"O"-Level» بحثا وراء الحصول على درجات أعلى لدخول الجامعات او لغرض تخصص ما

تقع الكلية في قلب اكسفورد وهي مختلطة متعددة الثقافات ومعترف بها كمركز امتحانات لاربع هيئات ممتحنة لشهادة الــ «جي . سي . إي» والحد الادنى الطبيعي للدخول هو ١٧ عاما .

والهدف من تركيز كلية «سانت اولديتس» على دراسات المستوى المتقدم «"A"-Level» هو مساعدة الطلبة للحصول على اعلى الدرجات (مع الاعداد الاضافي للمستوى العادي «"O"-Level» اذا لزم الأمر) وكذلك اتاحة كافة التسهيلات للطلبة للاستمتاع بالفرص الثقافية الفريدة من نوعها التي تقدمها اكسفورد .

سياسة الكلية هي ان لا يزيد عدد الدارسين في الفصل عن ١٠ طلبة وبذلك يضمن نجاح جميع المتقدمين في الامتحانات كما يعطي الحافز للطلبة للاستفادة بجميع الميزات والتسهيلات التي تمنحها كلية «سانت اولديتس» من منح دراسية وسعة نضج في افق التفكير .

يسرنا موافاتكم بنشرة معلومات لــ «جي . سي . إي» في حال طلبها . الدراسة باللغة الانجليزية . وكذلك جميع المراسلات يجب ان تكون باللغة الانجليزية .

St. Aldates College, Oxford

Principal B. Mendes B.Sc. (Econ.) F.C.A.
(Dept 42) Rose Place, Oxford. OX1 1SB. England.

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - دولة الكويت

سبتمبر - أيلول
١٩٨٠ م

الانسان والثروات المعدنية

تأليف :
الدكتور محمد فتحي عوض الله

٢٥٠ فلساً

الكتاب الثالث والثلاثون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

قيمة كاتربلر CATERPILLAR

بامكانك التوفير مع شاحنات الرفع الصغيرة الجديدة « في » من المجموعة « سي » ، بأربع طرق مهمة



التوفير اثناء العمل ـ إن محرك بيركنز ٣٠٢ ـ ٤ فئة أربع اسطوانات ديزل المستخدم في هذه الشاحنات سلس التشغيل، سريع الاستجابة، فعال الاداء ...



فحجرة الاحتراق المقسمة فيه تقوم بمزج الوقود والهواء بفعالية اكبر لتامين تشغيل اطول بالغالون الواحد. كما أن احتراق الوقود ببطء يخفف من معدل انبثاق الحرارة لتخفيض الدرجات القصوى لحرارة الاسطوانات وضغطها، وبذلك تخف مستويات ضجيج المحرك، وترتفع جدارته بالاعتماد، ويزداد التوفير في نفقات الوقود ...

التوفير اثناء الخدمة والصيانة ـ سهولة التوصل المباشر الى نقاط الصيانة بالامكان فتح الالواح الجانبية المفصلية وغطاء المحرك على مداها، ورفع اللوح الارضي، وتحريك البطارية الى الخارج ويمكن كذلك ضبط اسطوانات (دلافين) السارية والعربة دون نزع السارية. كما أن وجود الوصلة العامة المحركة بين محور الدفع وآلية نقل الحركة يتيح نزع الاجزاء المركبة بسهولة تامة. وهكذا فان الفترات الاقصر اللازمة للخدمة والصيانة تعني التوفير في النفقات ...



التوفير من خلال المتانة والقوة ـ إن الهيكل ملحوم بشكل مقاطع صندوقية مصنوعة من الواح فولاذية قياس ١٢ ملم ـ وهذا التركيب المتين المؤلف من وحدات مترابطة يؤمن التراصف والحماية الكاملة للهيكل والاجزاء المركبة. كما أن السارية مثبتة الى الهيكل بشكل يقوم فيه الهيكل نفسه، عوضا عن محور الدفع، بامتصاص صدمات التحميل وجهد الرفع. أما آلية نقل الحركة الهيدروستاتية المختومة كليا فلا تحتوي على اية تروس أو قوابض قابلة للبلى، ولكنها تتميز بخزان مختوم مستقل للزيت مجهز بمرشح ومبرد. وقضبان الربط الثابتة الضبط تحفظ العجلات متراصفة بحيث تخدم الاطارات مدة أطول. وفترة الخدمة الاطول تعني التوفير في كلفة التوقف للتصليح ...



التوفير من خلال تامين الراحة ـ هذه الشاحنات مريحة في التشغيل يسهل الصعود اليها والنزول منها من الجانبين الايمن والايسر. ومقعد السائق مركز في موضع يسهّل التحكم في كافة وظائف العمل بشكل فعال. كما أن أجهزة الضبط الهيدرولية القصيرة المدى المركزة الى يمين السائق تحسّن التحكم بالاحمال وتخفف من الجهد في التشغيل وبالامكان أيضا تخفيض الضجيج بمقدار أكبر بواسطة عدة أدوات اختيارية خاصة والتخفيف من اجهاد السائق وارهاقه يعني التوفير في النفقات ...



تفحص شاحنات الرفع الصغيرة من المجموعة في ٣٠ ـ ٥٠ سي التي تنتجها كاتربلر CATERPILLAR قبل شراء شاحنة من هذا النوع في المرة القادمة ـ فقد يعني لك هذا المزيد من التوفير والمزيد من كفاءة التشغيل الجدير بالثقة وجميع شاحنات الرفع الصغيرة من انتاج كاتربلر CATERPILLAR تدعمها خدمات الوكيل في منطقتك وبذلك تكون قطع الغيار وتسهيلات الخدمة والصيانة دوما متوفرة بالقرب منك.

CATERPILLAR

Caterpillar Tractor Co. ... Cat Caterpillar

شاحنات الرفع الصغيرة من المجموعة في ٣٠-٥٠ سي

9047

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس

مع

لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطها ١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني.

١٤٪

في السنة

ايداع محدد لمدة سنة

تدفع كل الفوائد بدون خصم أي ضريبة

اسعار الفائدة المذكورة جارية الى حين ارسالها للطباعة

لومبارد نورث سنترال عضو في البنوك المصرفية العالمية وتاريخنا يرجع الى أكثر من ١٠٠ سنة. نقدم لكم تسهيلات ايداعية تعود عليكم بأقصى فائدة مع مرونة الاختيار وضمان لأموالكم وهذه الودائع متاحة للأفراد والمؤسسات في جميع أنحاء العالم.

اختاروا المنهج الملائم لاحتياجاتكم

نقدم لكم ثلاث تسهيلات ايداعية لكل منها شروط متعددة ملائمة لاحتياجاتكم الخاصة.

ايداع ذو الأخطار

والمبلغ الأدنى للايداع هو ٥٠٠ جنيه استرليني ويمكنكم اضافة أي مبلغ اليه في أي وقت ويمكنكم سحبه بعد اخطار كتابي في آخر المدة المتفقة عليها. تتجمع الفائدة اعتبارا من تاريخ الايداع وتدفع نصف سنويا ثم تضاف الى الحساب أو تدفع الى المودع بواسطة شيك.

ايداع ذو مدة محددة

والمبلغ الأدنى للايداع هو ١٠٠٠ جنيه استرليني لمدة محددة من سنة الى خمس سنوات مع سعر فائدة محدد لهذه المدة. تدفع الفائدة سنويا.

ايداع ذو دخل منتظم

والمبلغ الأدنى للايداع هو ١٠٠٠ جنيه استرليني. بواسطة هذا المشروع يمكنكم الحصول على مبلغ الفائدة أي على شيك كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل نصف سنة والفائدة تزداد تدريجيا حسب المدة التي تختارونها. تودع الأموال لمدة محددة أي بين السنة والخمس سنوات بسعر فائدة محدد لهذه المدة.

نرجو منكم أن تملأوا الكوبون إن أردتم تفاصيل اضافية ومطولة عن حسابات الايداع واسعار فوائدها.

Lombard North Central
Bankers

إلى :

LOMBARD NORTH CENTRAL LTD., DEPT. X182,
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND.
Telephone: 491 7050.

الاسم : ______________________

العنوان بالكامل : ______________________

____

وست إند

تحفظ الوقت بدقة

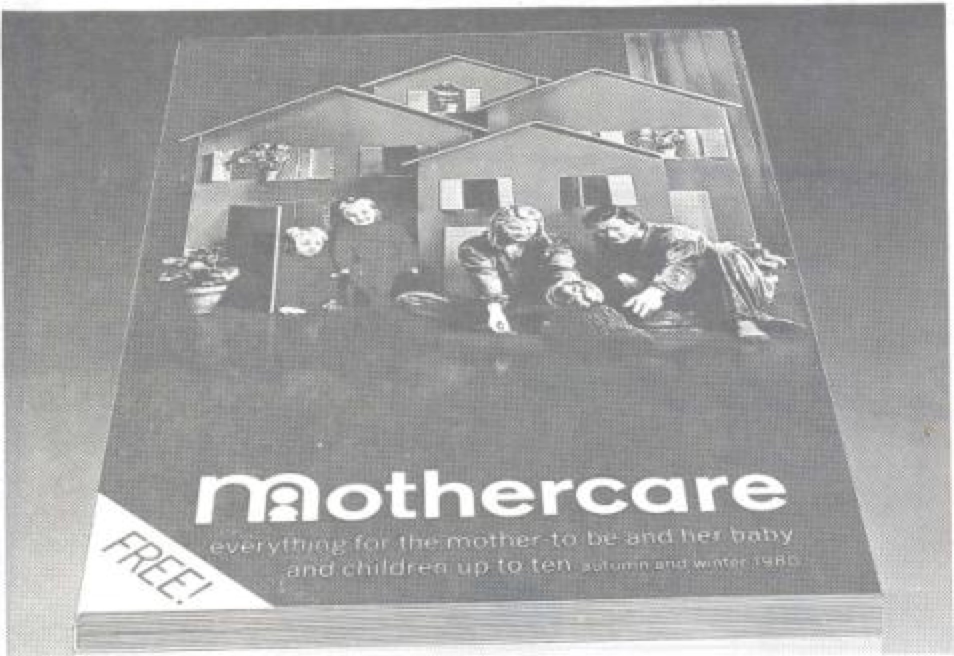
الآن.. ساعات كوارتز الجديدة



الوكيل العام:

يعقوب يوسف بهبهاني

ص.ب: ٣٣٤ ـ الصفاة ـ الكويت ـ هاتف: ٤٣٣٥٨٥/٤٢١١٢١



هنـــاك ستة أسباب تحفـــزك للشـــراء من كتالوج Mothercare®.

١ ان Mothercare هو أكبر المتخصصين في العالم في كل ما يتصل بالحوامل والرضع بعد الولادة، وكذلك الأطفال حتى سن العاشرة. ان لدينا أكثر من ٣٧٠ مخزناً في جميع أنحاء المملكة المتحدة وأوربا والولايات المتحدة الأمريكية في حين ان أمهات من ١٣٠ قطراً يتمتعن بخدمة Mothercare-by-Post بالبريد.

٢ ولأننا أكبر المتخصصين في هذا المجال فنحن نستطيع ان نبيع بأسعار منافسة. قارني قيمة بضائعنا بثمنها.

٣ ان كل ما نبيعه تم تصميمه وسلامة طفلك في اعتبارنا. ان بضاعتنا تهتم بالناحية العملية وهي مصنوعة من أكثر المواد جودة.

٤ ان اختيار البضاعة من كتالوج Mothercare أسهل كثيراً للأم المشغولة من عملية الشراء العادية، معناه انك تشترين في وقت فراغك وأنت متمتعة بالراحة في منزلك.

٥ اننا نضمن اعادة نقودك إليك في حالة عدم رضائك عن أي قطعة من بضاعتنا. فاذا لم تكوني راضية لأي سبب كان فان نقودك سوف تعاد إليك دون توجيه أي أسئلة.

٦ وفي مقدمة ذلك كله فان كتالوجنا مجاناً لن يكلفك الحصول على الكتالوج سوى ثمن طابع البريد الجوي.

Mothercare®-by-Post

وكما ترين فان الأمر بسيط جداً:

ارسلي الكوبون بالبريد الجوي للحصول على نسختك من كتالوج Mothercare

ضعي علامة أمام ما تختارينه من بضاعة في نموذج طلب البضاعة المرفق بالكتالوج وارسليه الينا وبعد ذلك سترسل اليك البضاعة التي اخترتيها في أقرب فرصة ممكنة.

واحد لك أرجو ان ترسل لي كتالوج Mothercare الجديد لخريف/شتاء ١٩٨٠ الملون ذو ٣٤٤ صفحة لأن طفلاً لنا يلي:

To: Mothercare, P.O. Box 145, Watford, England.

الاسم: ____________

العنوان: ____________

(بحروف كبيرة من فضلك) ____________

القطر: ____________

الرقم الكودي للمنطقة (ان وجد): ____________

KM

Mothercare®-by-Post

وكذلك ٣٧٠ مخزناً في جميع أنحاء المملكة المتحدة وأوربا والولايات المتحدة الأمريكية

وواحد لصديقتك أرجو ان ترسل لي كتالوج Mothercare الجديد لخريف/شتاء ١٩٨٠ الملون ذو ٣٤٤ صفحة لأن طفلاً لنا يلي:

To: Mothercare, P.O. Box 145, Watford, England.

الاسم: ____________

العنوان: ____________

(بحروف كبيرة من فضلك) ____________

القطر: ____________

الرقم الكودي للمنطقة (ان وجد): ____________

KL

Mothercare®-by-Post

وكذلك ٣٧٠ مخزناً في جميع أنحاء المملكة المتحدة وأوربا والولايات المتحدة الأمريكية


أورِيَنت تذكرك بالوقت.. على أنغام الموسيقى
ORIENT
QUARTZ
START–STOP
MODE SELECT
LIGHT
AL
AUT
ST
12:00 00
SET
MUSIC
AUTO
TIMER
STOP W
NOR.
MUSIC ALARM
إليك آخر ما توصلت إليه أوريينت. ساعة
كوارتز رقمية جديدة مع ضوابط تنبيه متعددة
الإستعمالات وسهلة التحكم. نغمات معدودة مثل
"ماريليس" كتنبيه أول. وإذا رغبت، هناك نغمات
ملحّة أكثر، أو موسيقى دائمة - كل ساعة. هذا مثال
آخر على التقنية الخلاقة لساعة أوريينت، أول ساعة
في العالم بمنبه موسيقي. هناك مجموعة كاملة من
ساعات أوريينت كوارتز لتختار منها. وكل ساعة
منها تعطيك أكثر بكثير من مجرد الوقت - بنعومة ورقة.
ORIENT
ORIENT اوريينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901, TLX J26896 TIMETEST

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

مدير التحرير
عبدالعزيز السيد أحمد

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أبدي نحو ١٢٥,٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب **التكامل الاقتصادي في الخليج العربي** (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .

٢ - كتاب **آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي** (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .

٣ - كتاب **حقوق الطفل في دولة الكويت** (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .

٤ - كتاب **الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية** (بدوي خليل) ١٩٨٠ .

٥ - **دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء** (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها : -

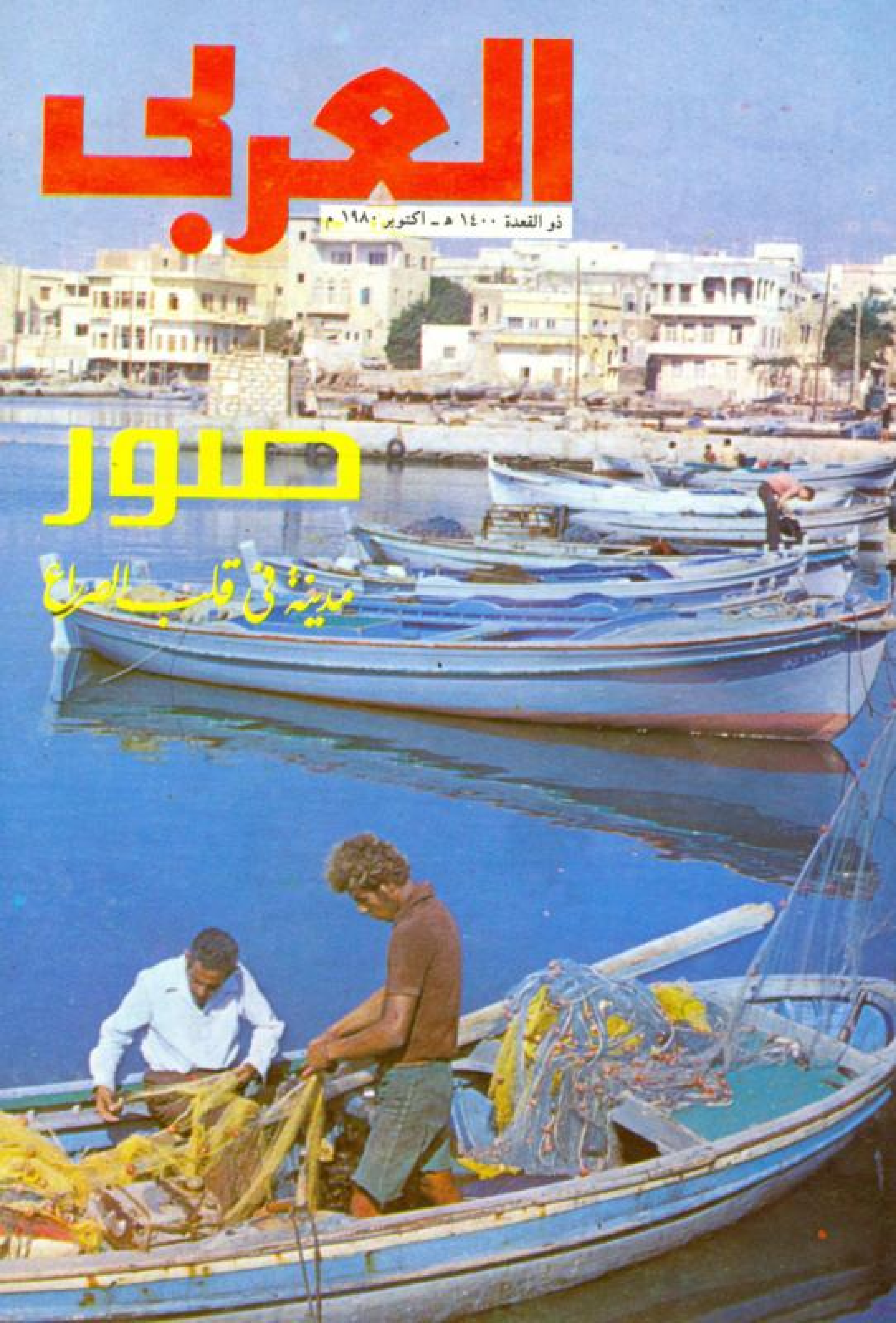
الكتاب الأول - وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .


سوني
SONY
الانظمة ال ٣ لسوني بيتاماكس الجديد
تحقق لك أفضل تسلية مرئية في العالم
اليك جهاز سوني بيتاماكس المنتظر. انه جهاز بيتاماكس
SL-T7 المزود بالانظمة الثلاثة
الملونة لمشاهدة البرامج المسجلة وفقاً
لنظام NTSC ونظامي بال
وسيكام، بالاضافة الى اجمل برامج
الفيديو في العالم، منها الافلام
السينمائية المثيرة من نيويورك بواسطة
نظام NTSC، ومباراة كرة
القدم من لندن بنظام بال، وعرض
السيرك المدهش من باريس
بنظام سيكام، كما وانه
بإمكانك تسجيل كافة
البرامج المبثة بنظامي
بال وسيكام.
وجدير بالذكر ان بيتاماكس الجديد
SL-T7 هو أول جهاز في العالم
يحتوي على آلية استكشاف الصورة، وبإمكانك
مشاهدة برامجك لدى عرضها على شاشة
التلفزيون بمعدل عشر مرات السرعة
العادية، باتجاهي الدفع الامامي
والعكسي، وذلك بكبس زر فقط.
فمن السهل جداً الآن تحديد مقطع
معين من أي برنامج، كما وانه بإمكانك
تسيير آلية استكشاف الصورة
بواسطة جهاز التحكم من
بعد. سوني تعتبر بحق
الأكثر عراقة والوحيدة في
انتاج مسجل فيديو رائع
جمعت فيه تقنيتها المتطورة
وكل هذه الميزات الفريدة.
انه جهاز سوني بيتاماكس
SL-T7
PAL
SECAM
NTSC
بال
سيكام
COLOR 3 SYSTEM
SL-T7ME
12:00
COLOR 3 SYSTEM
SONY
سوني بيتاماكس
Sony Betamax T7
Betamax


سانيو فقط
تعطيك كلّ هذه
المتعة في هذه
العلب الصغيرة
Mini & Slim
TPM 2170
تلفزيون أبيض وأسود وراديو
AM/FM وساعة LCD رقمية في قياس
صغير ٢,٥ بوصة رفيق مثالي
للاستماع والمشاهدة اثناء الرحلات
أو الحفلات في الهواء الطلق.
Mini & Slim
M 1950F/H
يتوفر في راديو AM/FM (F) أو راديو
MW/SW1/SW2 (H) مع مسجل كاسيت
متفوق وساعة كوارتز LCD من
جانب الراديو. يسهل حمله
ورقيق لدرجة متناهية.
M 7700K
راديو كاسيت ستيريو بالموجات
MW/SW1/SW2/FM مع مكبرين منفصلين
رائعين لموسيقى الستيريو قياس ٧,٧ سم
بمواصفات موسيقى الغرف المؤثرة...
في أي مكان
SANYO
سانيو


العربي
ذو القعدة ١٤٠٠ هـ - اكتوبر ١٩٨٠م
صور
مدينة في قلب الصراع

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج



بنك الكويت الوطني اول واكبر بنك في الكويت منذ ٣٥ سنة.

بنك الكويت الوطني البنك الذي نما مع الكويت لتلبية الطلب الاقتصادي والمالي.

بنك الكويت الوطني يقدم جميع الخدمات الاستثمارية والتجارية والاستشارات المصرفية.

بنك الكويت الوطني شبكة من المراسلين في جميع انحاء العالم. [illegible] في الكويت [illegible] المفتاح الذهبي واستشر جهازنا المصرفي العالمي.

القسم المصرفي الاستثماري والتجاري
تلفون ٤٢٢٠١١، تلكس ٢٠٤٣/٢١٤٥/٢٢٧٠٤ كويت،
قسم السوق المالي، تلفون ٤٤١٠٠٨/٩،
تلكس ٢٢٢٦/٣٢٢٧ كويت.

بنك الكويت الوطني ش م ك
ص.ب ٩٥، تلكس ناشيونال ٢٠٤٣ كويت، تلفون ٤٢٢٠١١ (الفرع الرئيسي)

Graphics • McCann

عزيزي القارئ

بدأت الكويت تستعد للعودة الى الحياة النيابيـة .. وهي ليست عودة حزبية . فليس في الكويـت احزاب ، وانما برامج تهدف كلها في النهايـة الى خير هذا الوطن ومصلحته ورفاهيته . فالحزبيـة ليست بالضرورة اساسا للحيـاة الديموقراطية . وانما هي الشورى تلك التي ذكرها الله في كتابه الكريم « وامرهم شورى بينهم » ثم قوله تعالى « وشاورهم في الامر » هذه الشورى هي اساس الديموقراطية الصحيحة التي سارت الكويت على نهجها .

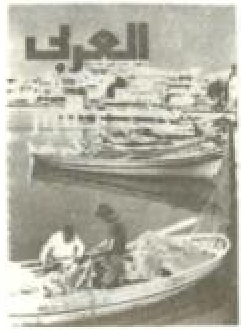
ولقد كانت الحيـاة النيابيـة من اعظم الانجازات التي حققتها كويت ما بعد الاستقلال .

غابت لفترة .. ولكنها ما لبثت ان عادت لتشرق من جديد ، اشراقة اكبر واشمل فانجازات السلطة التنفيذية التي تحققت في غيبة ممثلي الشعب ، سوف تعرض على المجلس الجديد لتقييمها وابداء الرأي فيها ..

تم منح المرأة الكويتية ، ولاول مرة حق الانتخاب ، كما وعد سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء حين قال : « تقديرا للخدمات الجليلة التي قدمتها المرأة للمجتمع والوطن ينبغي ان نفسح لها المجال للاشتراك في انتخابات المجالس النيابية »

والى اليوم الذي نرى فيه المرأة الكويتية تخرج ناخبة ، ثم تقف ممثلة للامة في مجلس الامة نهنيء الكويـت بمجلسها النيابي المرتقب .

« المحـــرر »



صورة الغلاف

● يشهد جنوب لبنان جولة جديدة من الاعتداءات والضغوط الاسرائيلية ، وتتجاوز هذه الاعتداءات نهر الليطاني او الخط الاحمر ، وتتركز شمال الليطاني حول قلعة الشقيف وشماله في مدينة « صور » التاريخية ، وسبق وقدمت مجلة العربي استطلاعا عن نهر الليطاني وقلعة الشقيف ، ويقدم هذه المرة استطلاعا حول مدينة « صور » الصامدة ..
[راجع ص ٦٨]

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

آداب وفنون

تاريخ وتاريخ اشخاص

استطلاعات مصورة

أبواب ثابتة

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير: أحمد بهاء الدين
مدير التحرير: فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج . م . ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليما ، الجزائر ٢,٥ دينار ، المغرب ٢,٥ درهم ، اليمن ٢,٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

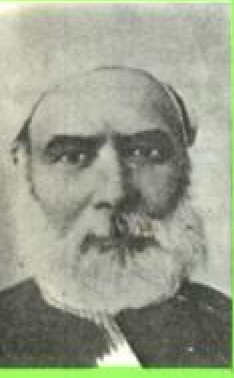
الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير
عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤٦
تلغرافيا « العربي »

AL-ARABI — No. 263 — October 1980
P.O. Box 748 — KUWAIT

.. بل الإسلام .. والعروبة .. معاً



الشيخ محمد عبده

بقلم : الدكتور احمد كمال أبو المجد

الحوار حول الاسلام والعروبة حوار قديم في تاريخنا ..

ولكن الذي يستوقفنا هذه الأيام أن يبعث هذا الحوار من جديد بهذه الحدة .

أمامي ، وأنا أكتب هذه السطور ، عشرة أعداد من جريدة عربية تصدر في عاصمة غربية .. وفي الاعداد العشرة مساجلات حادة حول الاسلام والعروبة .. بلغت حدتها أن هتف أحد أطرافها بسقوط القومية العربية ، مما استنفر عددا من المؤرخين والكتاب السياسيين للدفاع عن العروبة ونفي « العصبية » و « العنصرية » عن دعاتها .. وأمامي كذلك نحو عشرين عددا من مجلات اسلامية تصدر في عواصم عربية مختلفة لا يخلو عدد منها من مقال يشير صراحة أو ضمنا الى التناقض بين الاسلام والعروبة وتكاد كلها تدين الدعوة القومية باعتبارها عصبية جاهلية ينكرها الاسلام وهو الذي لا يعرف بين أتباعه رابطة ولا نسبا غير رابطة الايمان ونسب التقوى .

والحوار حول الاسلام والعروبة حوار قديم في تاريخنا .. ولكن الذي يستوقفنا هذه الايام أن يبعث هذا الحوار من جديد بهذه الحدة ، وأن تنشط أقلام كثيرة لاثارته ، لا بحثا عن صيغة يجد فيها العربي المسلم المعاصر مخرجا من هذا التناقض المفتعل ، ومدخلا يعينه على تقديم عطائه لكل من اسلامه وعروبته ، دون أن يتهم بالخروج على الاسلام أو التنكر للعروبة .. وانما تنشط هذه الاقلام لتفتح جبهة جديدة من جبهات الصراع الداخلي في عالمنا الاسلامي والعربي في وقت أثخنته فيه الجراح ، وتكسرت النصال الموجهة الى عروبته على النصال الموجهة الى اسلامه .

ولا أريد ـ بحال ـ أن أجر قراء « العربي » أو أستدرج بعض كتابه ليفتحوا ـ بدورهم ـ فصلا جديدا من فصول هذه المعركة التي يمكن أن تستغرق الوقت كله والجهد كله .. وأن تصرف عطاء القادرين على العطاء عن أن يوجهوه لما ينفع الناس .. عربا ومسلمين .. في دينهم .. ودنياهم .. وانما أريد من وراء هذه الكلمات



جمال الدين الافغاني



محمد المهدي



عبد الرحمن الكواكبي



عبد الحميد بن باديس

أن أسكن الغبار المثار في هذه المعركة المفتعلة .. بالكشف عن « فساد » الصيغة التي تطرح بها القضية كلها .. وبالقاء بعض الضوء على مواقف الاطراف فيها ..

فرضان خاطئان !

ان القضية تطرح هذه الايام .. وقد طرحت على التحو ذاته في أيام خلت .. في صورة خيار معروض على المفكرين والدعاة ، ومعروض كذلك على الجماهير .. بين الدعوة القومية .. والدعوة الاسلامية ..

وطرح القضية بهذه الصورة يفترض أن موضوع الدعوتين واحد .. كما يفترض أن بينهما تناقضا لا يسمح بالجمع بينهما .. وكلا الفرضين غير صحيح .. وهو ما نوضحه في هذه السطور ..

ان الامر يحتاج ـ في البداية ـ الى تشدد وتدقيق في ضبط كثير من الالفاظ والمصطلحات فلقد دلت التجربة على أن التساهل في استعمال المصطلحات يفتح الابواب لمعارك وهمية وصراعات بين فرقاء غير مختلفين ..

ونحن ـ في هذه القضية ـ بما تقوم عليه من فروض مختلفة أمام مصطلحات أربعة .. تحتاج كلها الى ضبط وتحديد :

القومية العربية ،. وحركة القومية العربية ،. والاسلام ،. والجامعة الاسلامية : ودون دخول في متاهات التعريفات وخلافات الفلاسفة والكتاب العرب والغربيين .. نوضح بعض الحقائق الاساسية التي تتصل بهذه المصطلحات ..

فالقومية nationalism تعبير عن الانتماء الى أمة .. والامة جماعة تتبادل الشعور بالانتماء .. وهو شعور تخلقه مقومات مشتركة من أهمها اللغة باجماع العلماء .. رغم اختلافهم في تحديد القيمة النسبية لكل مقوم من المقومات المشتركة الاخرى ..

وهذا الانتماء ليس مذهبا ، ولا فلسفة .. وانما هو « واقعة اجتماعية ونفسية ذات جذور تاريخية » .. ومن هنا فان انتماء المصري أو السوري أو الكويتي أو الجزائري .. الى الامة العربية ليس أمرا متوقفا على « مذهبه السياسي » وانما هو جزء من حقيقة ارتباطه العضوي بالمجتمع العربي لا يختلف عن قرشية القرشي ، وأوسية الاوسي .. واذا كان الامر كذلك ـ بالنسبة للقومية ـ فان السؤال عن موقف الاسلام منها .. يعد من قبيل « السؤال المحال » .. أي الذي لا يجوز طرحه ..

ومن المحقق أن الاسلام لا يتعرض « للوقائع الاجتماعية » باحكامه التكليفية ، اذ هي ـ كما يقول الاصوليون ـ من الامور الجعلية (أي التي جُعلت كذلك) ولا يَرِدُ عليها حكم تكليفي ..

الحنين

بل نقول أكثر من هذا ان ما يجده الفرد من تعلق باسرته ، أو قبيلته أو عشيرته ، أو أمته .. انما هو من قبيل المشاعر النفسية التي لا تعرض لها الشرائع بموقف أو حكم .. فهي مشاعر تثور في النفس لا سلطان لصاحبها عليها .. والا فهذا النبي (ص) تضيق ـ أم القرى ـ أول الامر عن دعوته .. ويلقى وتلقى دعوته من أهلها ما تلقى من الفتن والاذى .. ويخرج منها مهاجرا .. ومع ذلك يحن اليها والى جبالها ووديانها وكل ما فيها .. ويظل يتغنى بذلك كله في دار الهجرة .. دون أن يجد في هذا الحنين وذلك التغني ما يخدش كمال اسلامه ، أو ينال من مكانته على رأس الجماعة الاسلامية التي تلا علينا في شأنها ، قول ربه سبحانه : « وأن هذه أمتكم أمة واحدة » .

ـ أما حركة القوميات .. فانها حركة سياسية .. هي اذن ـ حركة ـ وليست مجرد انتماء .. هدفها أن تحول الواقع التاريخي والحضاري الى واقع سياسي .. بأن تطابق أو تقارب بين الواقعين ، متجهة « بالامة الواحدة » الى أن تكون « كيانا سياسيا موحدا » ولو لم يأخذ هذا التوحد ـ بالضرورة ـ شكل الدولة الواحدة ..

هذا ـ وحده ـ هو معنى الحركة القومية ... ونقول وحده ، لايماننا بأن الاوصاف الاضافية التي ينحلها أصحاب القوميات المختلفة .. حين يصفون حركتهم بأنها تقدمية .. أو ذات مضمون اشتراكي .. أو ذات جوهر اسلامي .. هذه الاوصاف كلها تزيد وخلط للامور بعضها ببعض .. وهي انتقال من الحديث عن « الحركة القومية » ـ الى الحديث عن شيء آخر مختلف تماما ، هو المضمون الحضاري المالىء لتلك الحركة .. أو ـ هو بعبارة أخرى مضمون حضارة الامة الساعية الى التوحد السياسي ..

ـ أما الاسلام .. فغير متصور أن نخوض هنا في أمر تعريفه .. انه النظام الشامل الذي يقيم حياة الناس على اساس من الاصول الاعتقادية والفكرية والتنظيمية التي جاء بها الانبياء والرسل عن ربهم ، والتي ختمها وفصلها ـ في شعائرها وشرائعها ، الوحي

احمد بهاء الدين

لم يتمكن لسبب طارىء من كتابة مقاله ، ويستأنف « حديث الشهر » في العدد القادم ، باذن الله .

الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، قرآنا يتلى ، ويعمل به .. وسنة تروى وتتبع ..

ـ أما الجامعة الاسلامية .. فهي ـ مثلها في ذلك مثل الحركة القومية ـ دعوة وحركة سياسية تهدف الى تحقيق التطابق أو التقارب بين الواقع الديني والحضاري للمسلمين من ناحية ، وبين واقعهم السياسي من ناحية أخرى .. بحيث تنظم المسلمين ـ في ظلها ـ رابطة سياسية واحدة ، لا يلزم ـ هنا كذلك فيما نرى ـ أن تأخذ شكل الدولة الموحدة .. اذ في اعتقادنا ـ وهذا رأي نراه ـ أن عالمية الدعوة الاسلامية لا تقتضي ـ بالضرورة ـ وحدة الدولة الاسلامية .. هذه الجامعة الاسلامية هي وحدها التي يمكن أن تجري المقابلة بينها وبين حركة القوميات .

القومية .. والاسلام

أما القومية .. فواقع تاريخي ..

وأما الاسلام فدعوة شاملة ونظام مستوعب للحياة .. ووضعهما جنبا الى جنب .. والحديث عن تناقضهما أو توافقهما حديث لا معنى له أصلا .. على أن هذا الضبط للمصطلحات ليس الا مدخلنا للحديث .. اذ لا بد من كلمة تقال .. فيما كتب ويكتب .. عن « القومية العربية » والاسلام .. وعن المواقف المختلفة التي اتخذها المفكرون والساسة والمصلحون .. والتي لا يزال الناس يصنفونهم ـ بسببها ـ الى دعاة قوميين .. أو دعاة اسلاميين ..

في مواجهة الاقليمية والانحصار

أولا : ان دعاة القومية العربية في عصرنا هذا لا يرفعون دعوتهم القومية في مواجهة الجامعة الاسلامية ..

اذ الدعوة الى هذه الجامعة الاسلامية لم تأخذ ـ بعد ـ مكانها كقوة مؤثرة وفعالة على مسرح السياسة المعاصرة .. وانما يرفع القوميون دعوتهم في وجه الدعوة الى الاقليمية والانحصار داخل حدود الدول والكيانات العربية المجزأة .. باعتبار هذا الانحصار واقعا سائدا وغالبا من حولنا ..

فحركة القومية العربية ـ اذن ـ لا يجوز أن ينظر اليها على أنها حركة تمزيق للوحدة الاسلامية .. اذ ليس ذلك من أهدافها عند الكثرة الغالبة من دعاتها ، وانما الصحيح أن ينظر اليها على أنها دعوة « توحد » وتجميع تعلو على الاقليمية وتحارب نوازع الانحياز الاقليمي الضيق . وخصمها الاكبر هو الانحصار داخل الحدود الاقليمية ـ وليس خصمها الاسلام ، بأي معيار من معايير الخصومة ..

ثانيا : ان كثيرا من دعاة القومية العربية لا يقفون عند حد الدفاع عن قضية « التوحد العربي » وانما يدور حديثهم حول « العروبة » وتمجيد العرب .. ومع ذلك فان الرؤية الدقيقة لملابسات هذا الموقف تكشف عن طبيعته الحقيقية .. فهو ليس موقفا عنصريا يزعم تفوق « الجنس العربي » على سائر الاجناس ، والا كان ـ بحق ـ مناقضا لما حرص الاسلام على تقريره ، من وحدة « النوع الانساني » ورفض العصبية والعنصرية بكل صورها ..

هجوم على الاسلام

لقد كان هؤلاء الدعاة القوميون ـ تاريخيا ـ في موقف الدفاع عن العروبة والحضارة العربية في مواجهة حملة ضارية تهدف الى التقليل من شأن الامة العربية ، واتهام العرب ـ عبر تاريخهم كله ـ بالعجز والخواء الحضاري . وهذه الحملة ، عند التأمل الدقيق فيها وفي بواعثها ، كانت في الحقيقة موجهة الى المحتوى الحضاري للامة العربية ، وهو ـ في أكثر مكوناته وعناصره ـ محتوى اسلامي .. فالهجوم ـ إذن ـ كان هجوما على الاسلام ، يستتر تحت شعار « الهجوم على العروبة » ـ والدفاع ـ بالضرورة ـ دفاع عن الاسلام ، وان حمل ـ هو الآخر ـ شعارات العروبة ..

ان من هذا القبيل ما نشرته مجلة « تايم » الامريكية بعد حرب عام ١٩٦٧ بعنوان « الامة العربية المخدوعة .. Arabia Deceptia » ، فالعنوان هجوم على العروبة ، ولكن المحتوى ـ في أكثره ـ هجوم على الاسلام والحضارة الاسلامية .. والذي يتصدى للرد على مثل هذا الهجوم لابد أن يمتزج في رده حديث العروبة بحديث الاسلام .. دون أن يتهم ـ في ولائه لأي منها ، أو يتهم بالانحياز لواحد منها دون الآخر ..

في مواجهة التتريك !

وشبيه بهذا الموقف ـ فيما نرى ـ موقف الدفاع الذي وقفه العرب داخل الدولة العثمانية ، حفاظا على عروبتهم .. لا في مواجهة الاسلام كما يتصور البعض ، وانما في مواجهة شعوبية حديثة هي شعوبية التتريك .. فهذا الموقف ـ بدوره ـ مبرر تاريخيا .. وهو عين الموقف الذي كتب له أن يستمر ـ تحت رايات القومية ـ كقوة مقاومة وصمود في مواجهة الاستعمار الغربي الذي تلقف الشعوب العربية الخارجة من سلطان الدولة العثمانية ..

ان كثيرا من المقولات والاحكام التي تشرح الانبعاث العربي الذي قام داخل الدولة العثمانية والذي اتخذ في النهاية شكل الثورة العربية .. تحتاج الى تحقيق تاريخي .. وأقصى ما يسمح به المقام هنا أن نقول ان من واجب العربي المنصف وهو يراجع أوراق تاريخه أن يضع الحقائق المتصلة « بحركة التتريك » جنبا الى جنب مع حقيقة التمرد العربي على التأخر الحضاري والمحافظة الشديدة التي بلغت حد الجمود والتي طبعت الحياة الاجتماعية والسياسية كلها في أواخر عهد الدولة العثمانية .

كذلك فان تصوير هذا الانبعاث العربي بأنه موقف « لا اسلامي » على اساس أن الدولة العثمانية كانت تحكم بالشريعة الاسلامية .. تصوير محل نظر .. والصحيح ـ فيما نرى ـ أن الرابطة داخل الدولة كانت ـ في الاصل ـ رابطة اسلامية ، وخلال هذه الفترة كانت الخلافة محل احترام وموضع ولاء .. بل انها أدت ـ تاريخيا ـ دور الغطاء الذي سكن كثيرا من أسباب الشكوى ، وأخر الجهر بالاحتجاج على جمود النظام الاجتماعي وتخلفه .. فلما ظهرت نزعة « التتريك » ، تحركت دوافع الانفصال عن الدولة ، لباعث قومي ، وآخر اصلاحي .. ان محاربة اللغة العربية واضطهاد العرب داخل الدولة لم يكن ـ بأي معيار ـ سياسة اسلامية يمكن الدفاع عنها ، بل كان تحركا قوميا من نوع عنصري ، حرك تحركا قوميا آخر لدى العناصر العربية .

شهداء أبطال

وهذه المقاومة العربية حركة جديرة بالاحترام

والتقدير ، حتى من وجهة نظر اسلامية خالصة .. وهل يستطيع مؤرخ منصف أن يصف رجالا كعبد الحميد الزهراوي والشيخ احمد طبارة وسليم الجزائري ممن سقطوا شهداء في هذه الحركة على يد السفاح جمال باشا ، بأنهم كانوا معادين للاسلام ، أو كفارا .. واذا لم تكن معالم الفكر الاصلاحي لهؤلاء الشهداء واضحة تماما .. فماذا يقول الباحثون في امثال الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي ورشيد رضا ممن وقفوا موقف الخصومة والاعتراض من سياسة الدولة العثمانية تجاه رعاياها من العرب ، وتجاه سياستها الداخلية كلها .. وتجاه تفسيرها المحافظ والمغلق للاسلام ومبادئه ..

ان التفسير السليم لموقف هؤلاء الدعاة الاسلاميين الذين أيدوا حركة الانفصال عن الدولة الاسلامية أنهم ـ بحسهم السياسي الاسلامي السليم ، قد شعروا بالمفارقة الهائلة بين التحدي الكبير الذي بدأ يواجه الامة الاسلامية ، وهو تحدى الحضارة الغربية الزاحفة بأسلحة العقل والتنظيم والقوة العسكرية وبين ضآلة ما أعدته الدولة العثمانية لمقاومة هذا الزحف بعد أن تدثرت بالجمود وتزملت بالانغلاق وقعدت عن الاجتهاد والنظر وفقدت مقومات الحركة الفعالة التي لا يصلح غيرها لمقاومة الزحف الغربي الجديد .. لقد كان تأييد الانفصال اذن ـ بالنسبة لهؤلاء ـ موقفا اسلاميا مستنيرا في مواجهة موقف متخلف عقيم تصور أن اللافتات التي تحملها الدولة العثمانية المتداعية ، قادرة وحدها على صنع المعجزات لحساب الاسلام والمسلمين ..

وما قلناه في ذلك عن الدعاة والمفكرين من أمثال الافغاني وعبده والكواكبي ورضا .. وابن باديس .. يقال عن المصلحين والزعماء من أمثال محمد بن علي السنوسي ومحمد أحمد المهدي وغيرهما .. [١]

ثورات اصلاحية اسلامية

اننا لا نستطيع أبدا أن ندخل حركات السنوسي والمهدي في اطار مد قومي عربي على نحو ما يتقول به بعض الباحثين [٢] ، وانما الاقرب الى وقائع التاريخ ، وأقوال وسيرة مؤسسي هذه الحركات أنها كانت ثورات اصلاحية اسلامية صادمت مؤسسات متخلفة متهالكة تحمل شعارات الاسلام ..

ثالثا : ان عملية التوحد العربي التي تمت تاريخيا عن طريق الفتوحات العربية أو عن طريق حركة التجار العرب ، كانت في الوقت نفسه ، بل كانت في أساسها ، عملية توحد اسلامي .. فالفتوحات تمت كلها باسم الاسلام ونشرا لدعوته ، والتجار العرب الذين ساعدت حركتهم على « التوحد » العربي كانوا في الاساس تجارا « ومبشرين بالاسلام » ان جاز هذا التعبير ، ولذلك فان التوحد الذي حققوه لم يكن مجرد توحد قومي بل كان في جوهره « توحدا اسلاميا » على أيد عربية

ومن هنا لا يستطيع الباحث أن يفصل ـ بدقة ـ بين حدود التوسع العربي ، والتوسع الاسلامي . ومن المؤكد كذلك أن مما يسر هذا التوسع طبيعة الاسلام الخاصة كدين عالمي يسقط من حسابه تماما ، وبعد مساومة ولا تقبل لانصاف الحلول ، كل ألوان التمييز بين الناس على أساس العنصر أو اللون ، ولا يعرف منطقه في التعامل مع الناس الا أنهم في الاساس « ناس » وقد يكونون بعد ذلك « مؤمنين » .. ومعنى هذا أن المحتوى الاسلامي لحضارة العرب هو الذي يسر لها أن تنتشر وأن تتقبلها الشعوب التي اتصلوا بها .

معركة موهومة

رابعا : ان القوميين المعاصرين مطالبون ـ في الحقيقة ـ بأمرين ..

أولهما .. أن يحددوا ـ هدفهم السياسي ـ تحديدا واضحا بأنه السعي للتوحد العربي .. وأن ينفوا عنه شبهة الاستعلاء العنصري . فهذا الاستعلاء مدخل لصراعات قومية عقيمة في اساسها وخيمة في عواقبها .. ثم هو ـ قبل ذلك ـ مسلك غير مقبول اسلاميا ، وهو

---

(١) كان السنوسي يقول : ان الاتراك اصبحوا مقدمة النصارى ، ما دخلوا محلا الا ودخله النصارى » وهو بذلك يجسد الموقف الذي شرحناه ، موقف الاحساس بأن ضعف الدولة العثمانية يفتح الباب للاستعمار الغربي .

(٢) الى هذا التصوير يميل الاستاذ محمد عمارة في كتابه العربي والتحدي ـ من سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت مايو ١٩٨٠ وذلك رغم دقة تحليله لكثير من خصائص تلك الحركات .

الذي يثير شبهة التعارض بين القومية والاسلام . واذا استقام هذا المعنى في الفكر القومي المعاصر .. فينبغي أن تزول ـ فيما نرى ـ أسباب المعركة الموهومة بين القومية والاسلام ..

الثاني : أن يتخلوا عن الاصرار على وجود محتوى حضاري عربي مستقل عن الاسلام .. فالحضارة العربية السابقة على الاسلام ـ مهما تكن لها من قيمة ـ لا يمكن أن تكون شيئا مذكورا الى جانب الفيض الغزير الوفير الذي نشأ ونما وتطور وغير حال الدنيا كلها ـ وكتب له البقاء ـ منذ اشرق الاسلام ..

ان مقولة « الامة العربية الواحدة ذات الرسالة الخالدة » ، مقولة مقبولة فيما نرى ـ من وجهة نظر اسلامية ـ حين تفسر انها « شعار لا يصح الا اذا أدركنا أن الاسلام هو الرسالة الخالدة لتلك الامة الواحدة » [٣] .

خامسا : ان الدعاة الى الاسلام مطالبون ـ بدورهم ـ بوقفة هادئة يحددون فيها الشعارات والمصطلحات قبل أن يحددوا موقفهم منها .. فالدعوة الى الوحدة العربية ، حين تتجرد من العنصرية والعصبية .. وحين يسلم أصحابها بأن الاسلام هو المكون الرئيسي للحضارة العربية لا يمكن أن تكون شرا يستعاذ بالله منه ، أو يهتف بسقوطه .. كما أنها ليست ـ بالضرورة ـ بديلا عن الجامعة الاسلامية .. بل لعلها أن تكون سبيلا اليها ، وخطوة على طريقها .. وهذا نبينا (ص) بدأ ـ بأمر الله تعالى ـ فأنذر عشيرته الأقربين ، ثم وحد الجزيرة العربية ، ثم انطلق الدعاة والقادة من بعده (ص) فنشروا الاسلام بين سائر الامم والشعوب .. ويبدو هذا المسلك اليوم ملائما ، اذا تأمل الناظر في أحوال الدول الاسلامية .. وما بينها من تباعد وخلافات تحتاج ازالتها الى جهود كبيرة وأوقات طويلة ..

« التوحد العربي »

والكل ـ بعد ذلك ـ مدعوون الى أن يطوروا رؤيتهم لهذه المقولات كلها على هدى التغيرات التي تنتاب الدنيا كلها من حولنا ، والتي تترك بصماتها واضحة على موازين الصراعات السياسية بين العرب والمسلمين جميعا وبين خصومهم .. الوحدة الاسلامية ليست قريبة المنال . والوحدة العربية التي طرحت خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن لم تعد هي الاخرى مطروحة كخيار جدي امام النظم والحركات العربية . وانما واقع العرب والمسلمين من حولنا يصرخ بأعلى صوته معلنا عن العنف والصراعات الداخلية ، والتشرذم ، وتفرق الكلمة ، وغياب الموقف الفعال ..

وحرام .. في العقل والنقل جميعا .. أن تضاف الى تلك البلايا كلها ، معركة عقيمة حول أهداف لا تزال غامضة المعالم .. بعيدة المنال .. وأولى من هذا أن يشتغل الساسة المؤمنون بالقومية بطرح جديد « للتوحد العربي » يقوم على اسس موضوعية من المصالح المشتركة ، ويضع صيغة جديدة تقوم على « التنسيق وتوحيد المواقف وتحقيق صور ممكنة من التكامل» بدلا من الصيغة الرومانسية « للوحدة الاندماجية » التي تجاوزتها ـ ولو مؤقتا ـ ظروف الزمان والمكان .. وأولى بالدعاة الى الاسلام أن يوجهوا جهودهم الى ترشيد حركة « الصحوة الاسلامية » .. واستشراف مهامها الجديدة في المستقبل القريب والبعيد .. والى تصفية القضايا المنهجية المعلقة في سمائها ، حتى تكون حركتها تقدما ، ويكون نموها رحمة .. وحتى ينال دعاتها رضا الله والناس .. وعلى الله قصد السبيل . ■■

د . أحمد كمال أبو المجد

---

(٣) من مقال الاستاذ أكرم زعيتر بجريدة الشرق الاوسط التي تصدر في لندن يوم الجمعة ١٩٨٠/٤/٢٥ وهو يستشهد في ذلك بقول الامير شكيب أرسلان من مقال له سنة ١٩٣٧ « ان العرب خير أمة أخرجت للناس .. ولولا الاسلام لبقوا ممزقين كل ممزق وهم لم يقعدوا في التاريخ المقعد الذي أحلهم في الصف الاول من الامم الفاتحة الا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

أعظم درس

سأل احد الصحفيين تشرشل مرة « ما اعظم درس تلقيته في حياتك ؟ »
فقال : « ما تحققته من انه حتى الاغبياء والبلهاء يكونون على صواب احيانا » .



الدكتور زكي نجيب محمود يكتب

الفطرة السليمة

نعم ، نحن ابناء حضارة جعلت جوهر رسالتها الى العالمين مبادىء الاخلاق ، وليس هذا القول من قبيل الكلام الأجوف ، يزهى به كاتب بنفسه وبقومه ، بل هو قول جاء ليصف امرا وقع وشهده التاريخ . فمن الحضارات ما ادار غايته حول « الاشياء » يحللها ويستخرج قوانينها ، وفيها ما جعل الاولوية في اهتماماته « لضوابط السلوك » يلجم بها نوازع الفطرة اذا هي انحرفت عن سواء السبيل ، ولقد كانت حضارتنا التي ورثناها من هذا الضرب الثاني ، فالسبيل الى الجنة عندنا هو « العمل الصالح » قبل ان يكون العلم بالاشياء او امتلاكها واستثمارها .

ولكن مبادىء الاخلاق التي هي ميزتنا وامتيازنا بين سائر الحضارات ، مهما كثرت عددا ، ودقت صياغة ، فهي لن تحيط بكل دقائق الحياة العملية على امتداد القرون ، ولذلك حرصت على ان تكون مرنة الصياغة ، لتترك المجال امام اصحاب الفطرة السليمة من عباد الله ، ان يلتمسوا في اطرها العامة موضعا ، عند الحكم على موقف طارىء تميز بتفصيلات تجعله بين سائر المواقف فريدا بذاته ، ويحتاج الى حكم فريد .

ليس اقتل للمبادىء ايا كان نوعها ـ وبينها مبادىء الاخلاق ذاتها ـ من الوقوف بها عند حرفية نصوصها ، فالحياة لاتدب في الادب ، او في الفن ، او في السياسة ، او في النشاط الاجتماعي كله ، الا اذا قيض لها الله نفرا من الناس ، يعرفون كيف يستلهمون المبادىء في مجال نشاطهم الخاص ، على نحو يحفظ للمبدأ المعين قوته التنظيمية من جهة ، ولا يتركه للجمود وتصلب الشرايين من جهة اخرى . وحسب الانسان في ذلك كله فطرة سليمة ، يحتكم اليها في اخلاص وصدق فتميز له الحق من الباطل عندما تبهم بينهما الحدود الفواصل .

كان لنا زميل حاد الذكاء دءوب على تحصيل العلم ، وكان له من التفوق عند اختتام دراسته الجامعية ، ما اهله للسفر في بعثة دراسية الى احدى كبريات الجامعات الامريكية ، فما هو هناك الا ان فاجأه مسجل الجامعة بان قائمة المواد التي درسها في جامعة بلده ، تزيد هنا وتقل هناك ، فلا تطابق بينها وبين ما تنص عليه قواعد القبول ، ثم لم يتردد في رفض تسجيل اسمه مع من اجاز لهم الالتحاق ، فلجأ صاحبنا الى مدير الجامعة يعرض عليه الامر ، واخذ المدير يدرس دقائق الموقف ، ويوازن ، لينتهي الى قرار بالقبول ، ولم يرضخ المسجل بادىء الامر ، وذهب بنفسه الى المدير ليبين له اين تكمن الفوارق بين ما هو معروض وما تقتضيه قواعد القبول ، فقال له المدير : ان مهمتك انت في

الجامعة ان تطبق حرفية القواعد . واما مهمتي انا فهي الخروج عليها كلها وجدت حرفية نصوصها لا تتلاءم مع الموقف المعروض . والا فلو كان المطلوب دائما هو قسر الواقع الحي على الدخول في قوالب جامدة لا تلين . لبقيت في ايدينا القوالب . وافلتت منها الحياة .

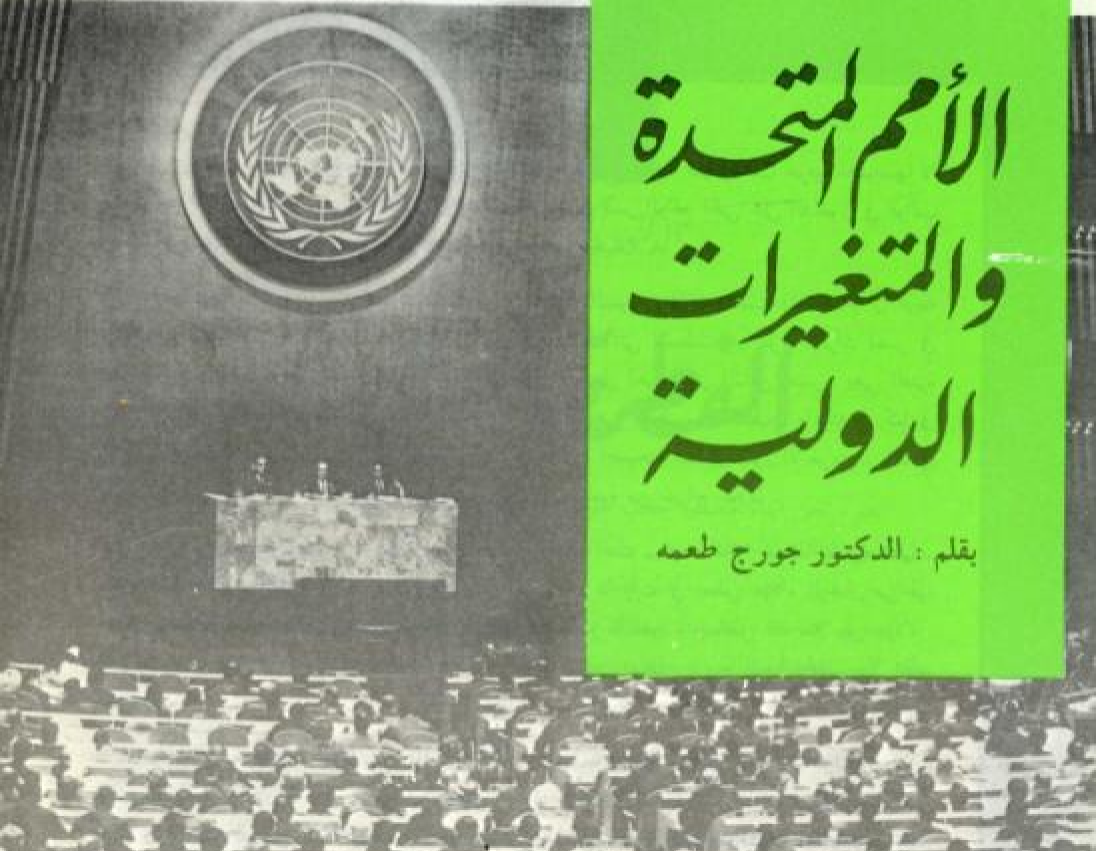
وهاك لقطة طريفة من تاريخنا . حتى وهو في عهوده السود . فلقد هممت ذات عام ان اوجه مطالعاتي نحو الحياة الثقافية في بلادنا ابان القرون الثلاثة التي توسطت بين غزو الاتراك لمصر في اول القرن السادس عشر . وحتى حملة نابليون على مصر في آخر القرن الثامن عشر . وهي الفترة التي اراها ـ ويراها كثيرون ـ بمثابة عصورنا الوسطى . وهي وسطى بين نقطتين واعيتين . كنا في الاولى اصحاب النور نبعث به الى الآخرين . وفي الثانية اصبحنا نستنير بنور الآخرين . واما في ثلاثة القرون المظلمة . فقد انطفأ سراجنا . ولم نتلق الضوء من سراج غيرنا .

وكان من حسن حظي ان وجدت مراجع وافية لرجال العلم ـ او ما كانوا عندئذ يسمونه علما ـ ابان تلك الفترة . وكان مما جذب انتباهي جذبا شديدا . ما رأيته في بعض هؤلاء الرجال من قوة خلقية وصلابة وشجاعة رأي . ما احسب انه اليوم مفقود او كالمفقود . وسانقل لك مثلا من هؤلاء . لان فيه ما يتصل بموضوع حديثنا عن الفطرة السليمة حين تهتدي بروح المبدأ الخلقي ولا تتقيد بحروفه .

هو رجل يدعى محمد بن النجار الدمياطي . كان خطيبا لمسجد . جمع الله له بين العلم والعمل . وكان ـ كما يقول مؤرخه ـ في علوم الشرع اماما . وفي علوم الحقيقة قدوة . وكان جم التواضع يقضي نهاره وشطرا من ليله في خدمة العميان . والمساكين . ويقضي حوائج الفقراء واليتامى والارامل . يجمع لهم من اموال الزكاة ما استطاع . يلبس الثياب الزرق . والجبب السود . ويتعمم بالقطن . يتلو بعد صلاة الفجر نحو ربع القرآن سرا . حتى اذا ما اصبح قرأ جهرا قراءة تأخذ بمجامع القلوب . ولقد سمعه نصراني ذات صباح . وفتن بما سمع فاسلم على يديه . وكان الناس يقصدون الى مسجده من شتى انحاء القاهرة . ليؤدوا صلاتهم خلف امامته .

ومع شدة تواضعه في خدمة الناس . كان ذا هيبة تنفذ الى القلوب . وحدث له في عهد السلطان قانصوه الغوري ان استودعه تاجر مالا ليعطيه الى ولده اذا ما فاجأه الاجل . اذ كان ولده ذاك صغيرا . وخشي التاجر اذا ما وافاه اجله ان يتبدد ماله قبل ان يصل الى وارثه . ومات التاجر . وعلم الغلام بما تركه له ابوه من مال عند الشيخ . فقصد اليه يطلب ماله . فابى الشيخ عليه ذلك حتى يبلغ رشده . فشكاه الغلام الى السلطان الغوري . فاستدعاه السلطان . وامره ان يسلم الوديعة فاقسم له الشيخ الا وديعة ! ومضت اعوام . وبلغ الفتى رشده . وذهب الى الشيخ . فاعطاه الشيخ وديعة ابيه . فلما سمع الغوري بذلك . استدعى الشيخ ليحاسبه على ما قد كان من انكاره الامانة . وحلفه اليمين بالباطل . فاجابه الشيخ قائلا : ان فقهاء الشافعية ـ كالنووي في الروضة ـ قالوا ان الظالم اذا طلب الوديعة ممن اؤتمن عليها . وخاف منه اذا ما اخذها . له ان ينكرها وان يحلف على ذلك . وانت ظالم !!

هكذا اهتدى الشيخ الطيب بفطرته السليمة . سبيل الحق في تأدية الامانة الى صاحبها . وهكذا تكون المرونة الصلبة . او الصلابة المرنة . اذا اردنا للحياة قوة تنفض عنها رواسب الخمول .



الأمم المتحدة والمتغيرات الدولية

بقلم : الدكتور جورج طعمه

راودت رؤيا عالم واحد يحكمه القانون وتقبل فيه شعوب الارض وحكوماتها ـ عن طواعية وقناعة ـ نظاما واحدا او سائرا صوب التوحيد ، تطلعات الفلاسفة والمفكرين ودعوات الانبياء والرسل وكبار معلمي الانسانية وقادتها . ووجدت هذه الرؤى والدعوات تعبيرا جزئيا لها ، في مطلع هذا القرن ، عند تأسيس محكمة العدل الدولية في لاهاى (١٩٠٨) ، ثم قيام عصبة الامم عقب الحرب العالمية الاولى (١٩١٩) ، وتأسيس منظمة الامم المتحدة (١٩٤٥) . واصبح ثابتا في هذا التطور التاريخي المعاصر ، ان قيام التنظيم الدولي انما جاء نتيجة لقيام الحروب الكونية وما خلفته من مآس ودمار . يتبع ذلك ان التطلع المستقبلي لاى نظام دولى ، انما ينبع بدوره من حرص مفكرى العالم ان يكون قدر الانسان الحياة لا الموت . وان يكون مصير البشرية تأمين افضل وجود للانسان وسط اصعب الظروف .

فالتفكير في نظام دولي يوقف التدهور والانحدار صوب الهاوية والفناء ، تيار فلسفي كبير لا يمكن بل لا نملك القدرة على تجاهله . ومن هذه الزاوية يمكن اعتبار قيام الامم المتحدة لا تأسيس نظام جديد فحسب بل استئنافا لجهد بشرى جماعي فشل في عصبة الامم ، ثم بعث من جديد بعد دفع ثمن باهظ كبير ثمنا للفشل السابق ، وهو جهد مستمر طالما ان الانسان يعي انسانيته ، وليس التفكير في مصيره ومستقبله الا جزء لا يتجزأ من انسانية الانسان ، الذى يتطلع دوما الى المستقبل عبر تجارب الماضي ومشاكل الحاضر . ويكفي ان ننظر حولنا في هذه البقعة من الوطن العربي واعني الخليج العربي .. حيث تجمع عدد من اكبر اساطيل العالم في ما يشبه المجابهات ، وحيث قاربت الحساسيات الملتهبة فيه نقاط التماس الحار والانفجار ، لندرك ان مثل هذا التفكير الدولي المستقبلي لا يتم في فراغ ، وليس رياضة فكرية ، بل ان ضغط المشاكل ووقوع المآسي التي نعيش في اجوائها تدعونا اليه .

ثمة سؤالان تنطلق منهما للبحث في هذا الموضوع : (١) ما المقصود « بالمتغيرات الدولية ؟ » (٢) هل بوسع المنظمة الدولية ومؤسساتها القائمة أن تستوعب هذه المتغيرات خاصة عندما تتحول الى تحديات كبرى وان تحتويها وان تصرفها في قنوات ايجابية بناءة ؟

المقصود من المتغيرات الدولية ؟

اذا كان المقصود بالمتغيرات الدولية القضايا والتطورات الكبرى التي اصبحت « مداخيل » لها نتائجها فهذه المتغيرات لم تتوقف منذ قيام المنظمة الدولية والمنظمة عام ١٩٧٠ . هي حتما غيرها عام ١٩٥٠ . واذا قصد بالمتغيرات تلاحق الاحداث بعضها رقاب بعض ، وتأثر جميع جوانب الحياة من سياسية وفكرية واقتصادية وقانونية بجميع الجوانب الاخرى ، فهذه عملية لا نهاية لها في مجرى احداث التاريخ . فهذا الشهر بمميزاته واحداثه هو غير الذى انقضى بمعنى ما احتواه الزمن فيه ، وهو غير الاتي بمعنى ما سيتفتق الزمن عنه من احداث . ان جدول اعمال الجمعية العامة في دورة انعقادها السنوية وهي شبه خارطة فكرية لضمير الانسان المعاصر يعطي فكرة عن هذه المتغيرات .

اما السؤال الثاني ان كان بوسع المنظمة ان تقابل هذه المتغيرات وان تكون في مؤسساتها واجهزتها ، وعند قادتها المقدرة على استيعابها واحتوائها فهذا امر لا يمكن البت فيه بتا قاطعا وانما تقريبيا فحسب وذلك على ضوء امرين (أ) تجربة الامم المتحدة داخليا و (ب) فعل القوى العظمى المؤثرة في اتخاذ القرار الاخير خارج المنظمة ، واعني لعبة القوة أودور الدولتين الاعظم . الى جانب ذلك نطرح منذ الآن التساؤل : هل يمكن ان يكون العالم الثالث ككل ، أى كقوة سياسية ضاغطة ، وان يكون لمنظماته الخاصة به كالاوبيك مثلا ، او المعبرة عن ارادته كالاونكتاد ، ان تلعب دورها في تقرير المصير والنظام الدوليين .

انعكاس ميزان القوى

ان مجرد استعراض بسيط للقضايا الاساسية التي يمكن اذا صح القول ان تكون عناوين فصول كبرى تعطى فكرة تقريبية عن كمية المشاكل موضع البحث ونوعيتها . في طليعة هذه القضايا انعكاس ميزان القوى في الميثاق وتوزيعها في الاجهزة الرئيسية للمنظمة . كانت هذه القوى عند وضع الميثاق عام ١٩٤٥ القوتين الاعظم وما زالتا والى جانبهما بريطانيا التي لم تعد على ما كانت عليه . وقد حافظت القوى الخمس على « قيادتها » وذلك من خلال ممارسة حق الفيتو الذى اعطته لنفسها في مجلس الأمن بدعوى خدمة السلم والامن الدوليين والحفاظ عليه . ولكنها لم تفعل ذلك بل كانت تستخدمه لخدمة مصالحها . ويكفي ان نذكر ممارسة اميركا للفيتو عند التصويت على قرار يدعم الحق العربى . ومع اتساع العضوية في المنظمة لتستوعب جميع الدول التي تحررت من الاستعمار اصبحت الجمعية العامة ـ خاصة بعد الستينات ـ مركز الثقل في مقابل مجلس الامن . ورافق ذلك تغير في اولوياتها اذ انتقل التشديد من الحفظ على السلام والأمن العالميين الى القضايا الاقتصادية والاجتماعية ، وبالتالي تغير سلم الاولويات في الامم المتحدة ، مما يعكس الحاجات الصارخة لدى شعوب العالم الثالث . رافق ذلك ايضا تعديل الميثاق وتوسيع عضوية المجالس الرئيسية للمنظمة : مجلس الامن ، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي ، ومجلس الوصاية ، وبالتالي ازدياد تأثير الدول المتوسطة والصغيرة في تعديل ميزان القوى العالمية وايصال كلمتها للمجتمع الدولي .

بين الخمسينات والستينات امتصت المنظمة الى حد بعيد زخم الحرب الباردة التي جرت الدولتين الاعظم مرتين على الاقل الى خطر الحرب النووية الماحقة ، ويمكن ان نذكر ايضا تصفية الاستعمار وتحرر الشعوب من ربقته . حفظ السلام وحل المشاكل الدولية بالطرق

السلمية . تنمية مبادىء القانون الدولي وأساليبه . دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، إنشاء منظمات اختصاصية جديدة لمجابهة المشاكل الجديدة . حماية حقوق الانسان ووضع اتفاقيات لها . نزع السلاح وتنظيم التسليح . ويمكن اجمال هذه التطورات بالمراحل الثلاث التالية :

اولا : اقامة الامم المتحدة عام ١٩٤٥ ويشمل ذلك الوكالات الاقتصادية والمالية التي جمعت ما عرف بنظام بريتون وودز الاقتصادي والمالي الذي كان سائدا حينذاك وهي صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعمير والاتفاقات العامة للتعرفة الجمركية .

ثانيا : جاءت المرحلة الثانية مع عام ١٩٦٠ وشملت منظمات قامت ضمن المنظمة كالاونكتاد واخرى خارجها وفي طليعتها السوق الاوروبية المشتركة وال او اي سي دي DECD ومنظمة لم تلفت الانظار اليها كثيرا حينذاك وهي الاوبك .

وجاءت المرحلة الثالثة بعد عام ١٩٧٣ وما زالت مستمرة حتى يومنا هذا . وقد شهدت قيام برنامج الامم المتحدة ومجلس الغذاء العالمي (عاكسا بذلك تعاظم مشكلة الجوع والغذاء في العالم) ووكالة الطاقة الدولية (اسسها كيسنجر خارج الامم المتحدة وهدفها الالتفاف حول الاوبيك وتحطيمها لو امكن) . مجموعة من « رابطات المنتجين » المتخصصة بمواد طبيعية معينة والمؤلفة من مصدرين لمواد اولية معينة .

منظمة الاوبك تملى شروطها

تتميز هذه المرحلة ببروز اكبر متغير دولي نتج عن الثورة النفطية بعد ان قام اعضاء الاوبيك برفع سعر النفط وتحديد كمية الانتاج وان يكن هذا التحديد لفترة محدودة جدا مما شكل منعطفا تاريخيا كبيرا لا في الوطن العربي فقط بل على المستوى العالمي ذلك انه لاول مرة في تاريخ علاقات الدول الصناعية النامية بالدول الاخذة في النمو تمكنت مجموعة في دول هذا العالم الاخير أن تملي شروطها على الاولى وان تجعل من النفط سوق بائعين لا سوق مشترين . وكانت النتيجة الواضحة لازمة النفط عام ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ تغيرا اساسيا في النظام السياسي الدولي . فقد ظهرت على المسرح مجموعة جديدة من « القوى » الموجهة للاحداث اخذت لنفسها دور الوسيط بين البلدان الصناعية النامية والبلدان الآخذة في النمو . واخذ ينظر للنفط بصورة متزايدة من زاويتي « الامن » والاستراتيجية » ويلعب دورا في توجيه الاحداث .

الحوار العربي الاوربي

اما على مستوى التنظيم والمؤسسات الدولية فقد كان من النتائج المباشرة للثورة النفطية الاعلان عن قيام نظام اقتصادي دولي جديد وما نشأ عنه مباشرة من مؤتمر اقتصادي ما عرف بحوار الشمال والجنوب ثم الحوار العربي الاوروبي والحوار الاوروبي الخليجي والحوار الاوروبي الافريقي . ومن المؤسسات التي تبلورت عنها هذه المرحلة « صندوق الابيك لمساعدة الدول النامية » خاصة تلك التي تضرر اقتصادها من رفع اسعار النفط والمصارف والصناديق الاقليمية .

تميزت كل مرحة من هذه المراحل في بناء المؤسسات الدولية لمواجهة المتغيرات الدولي بميزتين : وظيفية وسياسية . اما الهدف الوظيفي لكل منها فهو اقامة اطار مؤسسي دولي حيث يمكن ضمنه معالجة القضايا الجديدة الاخذة في التعقيد والتي لا تمكن معالجتها ضمن مؤسسات الدولة الواحدة او حيث عجزت المؤسسات الدولية او الاقليمية عن معالجتها .

واما الهدف السياسي فهو مزدوج : اعطاء قاعدة شرعية لبنية السلطة التي كانت فاعلة في العلاقات الدولية عند قيام تلك المؤسسات . وقد عني ذلك عام ١٩٤٥ مثلا اضفاء الشرعية الدولية على سيطرة الدول العظمى ، وعنى عام ١٩٦٠ دورا متزايدا في العلاقات الدولية للقوى المتوسطة التي استعادت قوتها الاقتصادية كاوروبا الغربية واليابان و دمج الدول القومية الجديدة التي تحررت من الاستعمار في اسيا وافريقيا . وتعني ايضا في مرحلة متأخرة بعد عام ١٩٧٣ اشراك « الطبقة الجديدة » من الدول التي أثرت كالدول النفطية وتحميلها مسؤولية دولية .

قد عنى هذا التطور ايضا الاخذ بنظام دولي أخذ بعين الاعتبار المتغيرات الجديدة فيفسح مجالا لقيادة جماعية واقتسام واجبات هذه القيادة ومسؤولياتها من قبل اكبر عدد ممكن من الدول ويشمل ذلك دول العالم الثالث في عدة قضايا هامة ، كما عنى تجنب تجربة عصبة الامم عندما اصبحت مجرد ناد للدول العظمى في حينها فلم تدخلها امريكا وخرج منها الاتحاد السوفيتي .

« لسنا في احسن العوالم الممكنة »

كل هذا لا يعني اننا في « احسن العوالم الممكنة »

بل ربما كان العكس هو الصحيح . فلئن لم تقع حرب عالمية ثالثة حتى اليوم فليس ذلك راجعا لفضيلة في الدولتين الاعظم بل لان ميزان الرعب » اصبح الضمان الحقيقي والوحيد لتجنب القضاء على البشرية ومحو الحضارة الانسانية بكل ما وصلت اليه ثم ان الفجوة بين الفقر والغنى قد اتسعت وهي في ازدياد مستمر . بل ان بعض النتائج المترتبة على هذه الفجوة مما يثير الصدمة والفزع . فقد ورد في تقرير مدير البنك الدولي مكنمارا لعام ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ » انه في احسن التوقعات تفاؤلا واذا تحققت معدلات النمو في العالم وفقا لما هو مرغوب فيه فان ستمائة مليون كائن بشري سيكونون في نهاية هذا القرن اسرى الفقر المطلق

والشركات متعددة الجنسية ما زال امرها يستفحل اكثر واكثر . وحقوق الانسان ـ سواء على المستوى الدولي من حيث علاقات القوى العظمى بالقوى الصغرى واحترام حكم القانونغو خاصة من حيث كرامة الانسان وصيانة جسده وحرية ضميره وعقله وفي دول العالم الثالث الضحايا تتساقط بالالاف وتبلغ عشرات الالاف احيانا وليس من ضمانه دولية او مؤسسة تحد من طغيان الحكم الاستبدادي وفساده واستغلاله .

انه زحف الموت البطيء على مدن وشعوب بكاملها .

هذه المشاكل كلها رافقت قيام الإمم المتحدة لكنها اكتسبت ابعادا كبيرة وهي تتزايد سنة بعد سنة وتشكل اكبر التحديات للمنظمة ومبادئها وميثاقها ومؤسساتها والمثل الاعلى لحكم القانون .

يضاف الى ذلك مشاكل جديدة ومتغيرات جديدة رافقت تطورات العلم . فالصناعة تقدمت ولكن على حساب البيئة والهواء الذي يتنشقه الانسان . وتتحكم بالتكنولوجيا عدد من الشركات متعددة الجنسية وتحجبها عن الحكومات والشعوب التي هي بامس الحاجة اليها دون ان تتوصل المنظمة حتى الان الى اى تشريع دولي ينظم هذه القضية

جملة هذه المتغيرات القائمة الان وهي قسمان قسم رافق قيام المنظمة واستمر وقسم رافق تطور العلم والتكنولوجيا يمكن ارجاعها الى خمسة تحديات اساسية تجابه المجتمع الدولي :

(١) التقليل الى ادنى حد ممكن من خطر العنف الجماعي الواسع الذي يهدد الحضارة البشرية بل والانسان ذاته بالفناء. ان بعض مواد الميثاق كالمادتين ٤٦و٤٧ اللتين نصتا على انشاء » لجنة اركان حرب من الاعضاء الدائمين في مجلس الامن » لم توضع موضع التنفيذ .

(٢) ترشيد التنمية الاقتصادية والاجتماعية بما يدفع على الأقل خطر الجوع والموت والمرض عن مئات ملايين الكائنات البشرية .

(٣) تحقيق الحد الاقصى من احترام حقوق الانسان وايجاد ظروف موضوعية ملائمة للعدالة السياسية وخاصة ضمن دول العالم الثالث ونظمه الاستبدادية وشعوبه المضطهدة التي قدمت اكبر التضحيات للتحرر من الاستعمار وتعسفه املا في عالم افضل .

(٤) اعادة نقاء المحيط الطبيعي والمحافظة على صفاء البيئة ويشمل ذلك المحافظة على الموارد الطبيعية الايلة للنضوب .

(٥) اعتبار العلم والتكنولوجيا تراثا انسانيا حضاريا مشتركا فلا يجوز بالتالي حبسها في حدود سياسية او استغلال رأسمالي او سجين الشركات المتعددة الجنسية ومن يخدم مصالحها من عملاء في العالم المتخلف .

دور العالم الثالث
من هذه المتغيرات والتحديات

هذه المتغيرات والتحديات التي يجابهها المجتمع الدولي ومن ضمنه العالم الثالث هي في المحط الاخير مجابهات حضارية اى ان جوهرها فكرى ثقافي عقلاني . عبثا ننتظر هبوط الحق والخير والعدالة من ايدى المستغلين والظالمين . فالحق عبر التاريخ انتزع انتزاعا ولم يعط عن طواعية وقبول . والانفعال لا يحل هذه المشاكل الكونية بل يزيدها تقصيرا ويزيد من عجزنا في مجابهتها . فاذا استطاع العالم الثالث ان يتغلب على تناقضاته الذاتية وان يوقف زحف الاستبداد والموت على شعوبه ومجتمعاته وان يعي معنى التحدى الحضارى لانه وريث عدد من اكبر الحضارات التي عرفها الانسان في تاريخه وكانت بمثابة انهار كبرى صبت في التراث الحضارى البشرى ، اذا عرف ذلك بصلابة وثقة ولكن بتواضع ومحبة كبيرين فسيكون بوسعه ان يدخل في مجرى التاريخ لا ان يعيش على هامشه وان يصنع الاحداث لا ان يكتفي بمجرد الانفعال بالاحداث . ■■

د . جورج طعمه

الإمبريالية اليوم ماذا تعني ؟

بقلم : الدكتور احسان حقي

كثر الكلام في ايامنا هذه ، وفي شرقنا العربي خاصة ، عن الامبريالية والديمقراطية والتقدمية والرجعية . وكثر استعمال هذه الالفاظ في الصحف والمجلات وعلى افواه الحكام والعامة على حد سواء . ولما كان كثير من الناس يستعملون هذه الالفاظ وهم لا يعرفون معانيها الصحيحة ، ولا يعرفون من هم الذين يجب ان ينعتوا بها بل يستعملونها كما يسمعونها ، بات ضروريا ان توضع امام الجميع معاني هذه الكلمات بجلاء يزيل ما علق بها من لبس وتحريف .

فالامبريالية بمفهومها العلمي تعني اخضاع دولة قوية ، بقوة السلاح ، شعبا او شعوبا اضعف منها وضمها تحت جناح سيطرتها وحكمها من مركز واحد هو بلد المغتصب المعتدي ، وكان القصد من هذا الاخضاع فرض العنجهية العسكرية والتسلط السياسي حبا بالشهرة واظهار القوة والبطش . وكان الاستغلال الاقتصادي يأتي في المرتبة الثانية بعد التسلط العسكري .

فلما ظهر الاستعمار بشكله المعروف انقلب وجه الامبريالية واصبح الاستغلال الاقتصادي هو الغاية ولم يعد الفتح العسكري والاخضاع السياسي الا وسائل للحصول على الثروة ، ثم لما ظهرت النهضة الرأسمالية في ثوبها الصناعي اتخذت الامبريالية مفهومها الحالي . والماركسيون ، وعلى رأسهم لينين ، هم الذين اعطوا الامبريالية مفهومها الجديد اذ عرفها لينين بأنها مرحلة خاصة من مراحل الرأسمالية تظهر حينما تصل القوى المنتجة ، وخاصة الصناعية منها ، اعلى درجات تطورها في البلاد الاكثر تقدما ويبلغ ، حينذاك ، تمركز الانتاج ورأس المال مستوى عاليا جدا ويحصل اندماج بين رأس المال المصرفي ورأس المال الصناعي ينتهي بظهور قوة مالية وسيطرة جماعة من اصحاب رؤوس الاموال وينشأ الى جانب ذلك ميل الى احلال الاحتكار محل المنافسة .

فاجتماع هذه العوامل يدفع المؤسسات الكبيرة الى البحث ، في البلاد البعيدة الضعيفة او المستضعفة ، عن مجال اقتصادي ، وهو الذي اصطلح على تسميته « بالمجال الحيوي » ، حيث تجد هذه المؤسسات ، في وقت واحد ، المواد الاولية اللازمة لصناعتها والارض الصالحة لتصريف انتاجها وامكانات توظيف رؤوس اموالها المتزايدة . ولكي تسهل الدول الرأسمالية الصناعية هذا

التوسع تلجأ الى الغزو الاستعماري . ولكي لا تضطر هذه الدول الى الاحتكاك فيا بينها فانها تقتسم مناطق النفوذ ثم تقتسمها بحسب الضرورة والحاجة وقوة كل منها بالنسبة الى الاخرى .

ومن هذا يبدو بأن امبريالية اليوم المرتبطة بتطور النظام الرأسمالي ليست ذات طابع ثابت ، بل هي ذات اشكال ومظاهر تتغير تبعا لتغير اشكال ومظاهر الرأسمالية الجديدة وتبعا للتغيرات التي تطرأ على العالم وان كانت في اساسها ومفهومها لا تتغير .

امبريالية هذا الزمان

وقد بدأت امبريالية اليوم تأخذ طابعها المميز بعد الحرب العالمية الثانية تدريجيا بينما كانت قد مرت بمرحلتين لكل منها طابعها الخاص بها .

مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى : حيث سار التطور التقني في اوربا وامريكا الشمالية جنبا الى جنب مع معركة تمركز الانتاج وتمركز رؤوس الاموال وكانت هذه ظاهرة جديدة لا عهد للعالم بمثلها من قبل فنتج عن ذلك نهضة صناعية في هذه الاقطار تشبه الانفجار احيانا . وضاعفت المؤسسات المصرفية الكبيرة فروعها ووظفت مبالغ كبيرة في الامور الاقتصادية وتطورت المصارف التجارية ببطء ، ولكن بنشاط كبير واخذت تعمل لغزو رؤوس الاموال الصناعية بجعلها تحت رقابتها . وزادت سرعة تصدير البضائع ولكنها كانت دون سرعة تصدير رؤوس الاموال التي بلغ مدى انتشارها حدا مذهلا في بعض الاحيان ، اذ زادت كل من انكلترا وفرنسا رؤوس اموالها المستثمرة في البلاد الاجنبية ، ما بين سنتي ١٨٨٠ و ١٩١٤ ، اربعة اضعاف ما كانت عليه قبل ذلك ومثلها كان شأن المانيا ما بين سنتي ١٩٠٠ و ١٩١٤ . وقد استثمر اقل من ثلث هذه الاموال في اوربا واكثر من الثلث في امريكا والباقي في آسيا وافريقيا . وبلغ الاستعمار في هذه الفترة اوج عظمته وازداد تسابق الدول الكبيرة الى الاستيلاء على البلاد الصالحة لكي تكون اسواقا لتصريف البضائع والتي تحوي المواد الاولية الصالحة لتوظيف رؤوس الاموال الفائضة .

وفي مطلع القرن العشرين كان تقسيم العالم بين الدول الاوربية قد تم تقريبا ولم يعد ما يتقاتلون عليه لاقتسامه فبدأ الصراع بين هذه الدول نفسها لكي تنهش الاقوى ما تستطيعه من الاضعف ، من جهة ، وبين هذه الدول التي تمثل الاستعمار ، وهي انكلترا وفرنسا في الدرجة الاولى ، وبين الدول المستعمرة الصاعدة التي تتمثل بالولايات المتحدة والمانيا ، من جهة ثانية .

وحيث لم يكن لاطماع الفريق الاول من حدود في التوسع ولم يكن لحرص الفريق الثاني ورغبته بالمشاركة بالغنيمة من سبب بالتراجع عن حرصه فقد كان لا بد من التصادم فكانت الحرب العالمية الثانية .

مرحلة ما بين الحربين العالميتين : سجلت فترة ما بين الحربين توقفا نسبيا في التطور الاقتصادي بالنسبة الى الدول الامبريالية وبالتالي الى استقرار النظام الامبريالي والى تقسيم العالم بعد الحرب العالمية الاولى على الوجه الذي تم عليه التقسيم بعد الحصول على الغنائم الجديدة بانهيار الامبريالية العثمانية وحلفائها ، اذ لم تكد الدول المستعمرة الغالبة تضمد جراحها التي اصابتها من الحرب وعقابيلها التي نشأت عن الثورة الشيوعية وما تلاها من ردة فعل في العالم الغربي حتى بدأت في سنة ١٩٢٩ ـ ١٩٢٠ ازمة عالمية كادت تهز التوازن الاقتصادي والاجتماعي في جميع بلاد العالم الرأسمالي المتطور . هذا بالاضافة الى ما كان لظهور الفاشية من اثر في التسابق الى التسلح مما لم يكن باستطاعة ميزانيات بعض الدول ذات الاقتصاد الضعيف تحمله ، اضف الى كل ذلك ان التبادل التجاري العالمي لم يزد بين الحربين الا بنسبة ١٥٪ كما سجل توظيف رؤوس الاموال في الخارج انخفاضا في مجموعه ، لا بل وتراجعا فيا لو اخذنا بعين الاعتبار تدني قيمة النقد الشرائية .

غير ان هذه الحالة لم تصب الجميع بصورة واحدة بل بينما اخذت الامبريالية الاوربية تضعف وتتضعضع على درجات مختلفة واقتنعت بالمحافظة على ما هي عليه اخذت الامبريالية اليابانية تبرز الى عالم الوجود بقوة ، وذلك بتدعيم حركات تكتل المؤسسات التجارية والصناعية واخذت تغزو العالم بمنتوجاتها . وظهرت الامبريالية الامريكية بكل قوة ونشاط واحتلت المكان الاول في تصدير رؤوس الاموال الى الخارج . واذا كان قد ظهرت ، بين الحربين ، فترة اشبه بالتراجع بالنسبة الى المد الامبريالي فقد كانت فترة قصيرة وكانت بداية لتقسيم النفوذ بين الدول القوية .

ظهور التكتلات الاقتصادية

الامبريالية بعد الحرب العالمية الثانية : بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت الى عالم الوجود امبرياليتان

احداهما غربية والاخرى شرقية اما الامبريالية الغربية فقد اصبحت امبريالية قوة مالية وذلك ان الرأسمالية في البلاد الصناعية لم تشهد انتشارا واسعا فقط بل انها قد شهدت ايضا حدوث بعض التعديلات في ملامحها ، منها عالمية الحياة الاقتصادية اذ عم تبادل العملات بين الامم الرأسمالية المتطورة ورفعت الحواجز بين الحدود والغيت الرسوم الجمركية او خفضت وأنشئت مجالس اقليمية مثل المجلس الاقتصادي الاوربي ، والشركة الاوربية للتبادل الحر ، وغايتها دمج اقتصاديات المشتركين في بعضها بعضا مع الانفتاح بصورة اوسع على الخارج ، فنشأ عن ذلك نمو في التبادل العالمي وتصدير رؤوس اموال بشكل اوسع مما كانت عليه الحال في الفترة الاولى من ازدهار الامبريالية قبل سنة ١٩١٤ .

فقد ارتفع التبادل العالمي اربعة اضعاف ، بين سنتي ١٩٤٨ و ١٩٦٨ ، وزاد توظيف رؤوس الاموال عالميا ، سنة ١٩٦٥ ، اربع مرات على متوسط ما كان عليه بين سنتي ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ ، وزاد نمو الحركتين بعد سنة ١٩٦٥ . ومما امتازت به هذه الفترة ان حركة تصدير السلع وتبادل تصدير رؤوس الاموال الخاصة بين البلاد الرأسمالية الصناعية نفسها كان اكثر مما كان عليه تصدير رؤوس الاموال بين هذه البلاد وبين العالم النامي وبالتالي فان الاقتصاد لم يعد محليا بل اصبح عالميا .

ومن مظاهر بعد الحرب العالمية الثانية ظهور حركات تكتل المؤسسات العالمية وتركزها على الرغم من القوانين التي تحظر هذا التكتل ، وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا واليابان ، لكي لا يقف هذا التكتل مانعا في وجه المنافسة ، ولكن المؤسسات التي تكتلت لم تعدم الحيلة في ايجاد المخرج من هذا الحظر وتكتلت في بادىء الامر المؤسسات في الولايات المتحدة ثم تلتها انكلترا واليابان وباقي البلاد الاوربية مثل المانيا وايطاليا وهولندا وفرنسا وغيرها .

وكان هذا التكتل ضروريا وذلك لاسباب كثيرة منها مقتضيات الزمن ثم للقيام بالابحاث الفنية والتقنية التي تتطلبها الصناعات الحديثة اذ ان مصنعا واحدا وصناعة واحدة لم يعودا قادرين على القيام باعباء بعض الصناعات بل كان لا بد لهما من الاتحاد لكي تقدرا على ايفاء الصناعة حقها . فصناعة الطيران مثلا لا يمكن ان تتم في مصنع واحد بل لا بد من مصنع يصنع الآلة وآخر يصنع جسم الطائرة وثالث يصنع الكاوتشوك ورابع يقوم بالادوات الكهربائية وغير ذلك . ثم ان هذه الصناعة تتطلب الابحاث الفنية والتقنية بصورة مستمرة وهذه الابحاث تكلف كثيرا ولا يستطيع مصنع واحد ان يقوم بها فكان لا بد من التعاون . ولذا فهناك الآن ٧٠٪ من المؤسسات ، في الولايات المتحدة ، تعمل بصورة جماعية ، وهذا التكتل لا يمنع المنافسة .

ولم يقف هذا التكتل عند حدود المؤسسات الصناعية بل قد تعداه ، في بعض البلاد الرأسمالية ، الى المصارف فتكتلت ايضا .

بعد نهاية الاستعمار

ومن مظاهر ما بعد الحرب العالمية الثانية انقضاء عهد الاستعمار بمفهومه القديم اذ استقلت كل المستعمرات تقريبا وزالت الامبراطوريات وقد تأثرت الدول المستعمرة بذلك اقتصادا ومادة اذ انها كادت تحرم من اسواق لتصريف سلعها ولكنها تداركت الامر واقامت صلات صداقة مع مستعمراتها السابقة لكي تظل سوقا لسلعها باسم الصداقة والنفع المتبادل وليس على وجه الاكراه والجبر كما كانت من قبل وظلت سوق المنافسة مفتوحة امام الجميع لم يستأثر بها احد

الامبريالية الشرقية : قبل نهاية الحرب العالمية الاولى ظهرت الشيوعية في روسيا وظلت ثلاثين سنة تعاني ازمات سياسية واقتصادية واجتماعية لا قبل لها بها ولكنها استطاعت وهي في هذه الازمة ان تجد متنفسا لها خارج روسيا بما كانت تنشره من افكار جديدة مغرية وما كانت تغدقه من وعود واحاديث عن الازدهار الاشتراكي ، وحيث ان الفاشية كانت قد اخذت تحتل مجالا في نفوس بعض الناس في عالم الغرب والشرق على حد سواء فلكي تبعد الدول الديمقراطية عن بلادها خطر الفاشية ساعدت الشيوعيين في بلادها على نشر دعوتهم وتثبيت اقدامهم او انها تغاضت عن نشاطهم باسم الديمقراطية وحرية الرأي لكي تكافح بهم الفاشية فتكونت احزاب شيوعية في البلاد الغربية والشرقية ولكن نجاحها ظل محدودا .

فلما انتهت الحرب العالمية الثانية بانتصار حلفاء روسيا استولت روسيا على اوربا الشرقية وعلى دول البلطيق ولم يفلت من قبضتها الا يوغوسلافيا ، وكانت روسيا في القرن الماضي قد استولت على البلاد الاسلامية الكائنة شرق بلاد موسكو وهي ممالك بخاري وخيوه وسيبير واستراخان وخانات التتر والقرم وغيرها ،

وضمتها اليها واعتبرتها جزءا منها وفرضت على كل هذه الاقطار التي استولت عليها قديما وحديثا ادارة سياسية واقتصادية وعسكرية صارمة بحيث لم تعد اى من البلاد تستطيع الانفكاك مما هي فيه حربا ولا سلما وقد جربت كل من بولونيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا ذلك فلاقت مقاومة عنيفة ولذا فقد قال ديغول ، سنة ١٩٥٩ ، في ندوة صحفية تلفزيونية : ان الدولة المستعمرة الوحيدة الموجودة اليوم في العالم هي الاتحاد السوفيتي لا غير . لا بل فان سيطرة الاتحاد السوفيتي على دول اوربا الشرقية ودول البلطيق والدول الاسلامية الموجودة في داخله السوفيتي ، اشد واقسى من سيطرة الامبريالية الاستعمارية الماضية في مستعمراتها .

فالامبريالية اليوم ، بحسب تعريف لينين سالف الذكر ، امبرياليتان امبريالية امريكية غربية تقوم على سيطرة الرأسمالية المتكتلة بحرية ، وامبريالية شرقية تقوم على سيطرة حزب يحتكر السلطة والمال ، وبالتالي فان عالم اليوم منقسم الى ثلاثة معسكرات :
(١) الامبريالية الامريكية ومن يدور في فلكها
(٢) الامبريالية الروسية ومن يدور في فلكها
(٣) الدول غير المتحازة ، وهذه الدول غير المتحازة او اكثرها يميل الى الامبريالية الروسية لأن هذه الدول تعتبر الامبريالية الامريكية سدا في وجه ازدهارها الاقتصادي او بمعنى آخر ان هذه الدول تفيد من الامبريالية الامريكية مالا وغذاء وخبرة فنية وترهن عواطفها لدى الامبريالية الروسية .

وازاء هذا الواقع الذي نشأ ، بعد الحرب العالمية الثانية ، اتخذت الامبريالية الامريكية منذ سنة ١٩٥٠ ستراتيجية دفاعية قضت بالدعم الاقتصادي الذي نوهنا به ، لمجابهة الانكماش الاقتصادي الذي تذرعت به البلاد الاشتراكية فانحرمت هي من اسباب الازدهار الذي عم البلاد ذات الاقتصاد الحر كما انه حرم رؤوس الاموال العالمية من الافادة من مواد اولية ومن بلاد كان بالامكان ان تكون مصرفا لسلع خارجية هي باشد الحاجة اليها وقد نشأ عن ذلك توتر عالمي بين المعسكرين : معسكر الامبريالية الامريكية ومعسكر الامبريالية الروسية وقد سمي هذا التوتر بالحرب الباردة وكان زعيم هذه السياسة ستالين فلما مات سنة ١٩٥٣ رأى قادة الكرملين الجدد ، وعلى رأسهم خروتشوف ، ضرورة انتهاج سياسة جديدة يكسرون بها الجليد ويقيمون صلات اكثر ليونة وينفتحون على عالم الغرب لكي ينقذوا اقتصادهم وسمعتهم وقد وجدوا ، في عالم الغرب ، تجاوبا وانفتاحا ولكن الكرملين لم يسر الشوط الى آخره بل وقف عند حد الأخذ دون العطاء فافاد من خبرات الغرب الفنية والتقنية واستعان باموالة لتحقيق كثير من مشروعاته وحصل على انواع كثيرة من الاغذية التي ما زال يحصل عليها حتى الآن .

وقد ظنت بعض البلاد المرتبطة بالاتحاد السوفيتي ان هذا الانفتاح معناه حقهم بالافصاح عن رأيهم فهبوا مطالبين بالحرية فكان نصيبهم الفشل .

وبالتالي فانه يجدر بنا حينا تذكر الامبريالية الا تطلق هذا اللفظ اطلاقا ، اذا كنا منصفين ، بل ان نعين اية امبريالية من الامبرياليتين تعني ، لأن لفظ الامبريالية اذا اطلق يكون اكثر انطباقا على الامبريالية الروسية لأن الامبريالية تعني سيطرة دولة قوية على دول صغيرة ، كما اسلفنا ، وهذا ما هو حاصل بالنسبة الى الاتحاد السوفييتي ، واما الامبريالية الامريكية او الغربية فهي امبريالية اصطلاحية اذ انها تقوم على المال .

واذا كانت امريكا تستطيع ، في بعض الاحيان ، ان تملي ارادتها على شركائها في المال او على من تقرضهم المال فما ذلك الا تبعا للقاعدة الاقتصادية القائلة : (من يدفع يأمر او يحكم) او تبعا للقاعدة الثانية التي تقضي ان يكون اوفر الشركاء مالا احقهم باملاء الارادة . ■■

دمشق ـ د . احسان حقي

تذكار الصداقة

هو : لقد كان زوجك المرحوم من اعز اصدقائي فارجو ان تعطيني شيئا من تركته احفظة كتذمار صداقة عندي .

هي : (بحزن لا يوصف) رحمه الله . انه لم يترك شيئا غيري .

هل تتحقق احلام النسبية ويركب الانسان مركبة حول الكون تتحدى بسرعتها



الحياة في عالم النسبية

بقلم : الدكتور سعد الحاج بكري

عندما ظهرت نظرية النسبية مع بداية هذا القرن لتعطي تصورا جديدا لمبادىء حركة الاجسام يخالف تصورات النظريات التي سبقتها ، كان صاحب النظرية البرت انشتاين يبذل قصارى جهده في الحديث عنها ، يتجول بين أقطار العالم يحضر المؤتمرات ويلقي المحاضرات ، يشرح افكاره ويعطي تفسيراته ، محاولا اثبات انه على حق وان عالم النسبية هو عالم الحقيقة وليس عالم الخيال .

وكان لانشتاين هذا مساعد يرافقه في رحلاته ، يحمل اوراقه ويحفظ مراسلاته ، وينظم اوقاته ومواعيده ، ويبحث لنفسه عن دور في عالم النسبية ، ومع الايام ، استطاع هذا المساعد بحكم عمله ان يحفظ عن ظهر قلب كل ما كان انشتاين يقوله ويكرره في كل محاضرة او رسالة او حوار ، حتى ظن انه فهم كل جوانب النظرية الجديدة . ومرة كان انشتاين يستعد لزيارة احدى الجامعات لشرح نظريته ، فاقترح عليه مساعده تبادل الادوار بحيث يصبح المساعد انشتاين واضع النظرية ويصبح انشتاين الحقيقي المرافق الطموح ، لتكون حصيلة هذا العمل فيما بعد ، وعند كشف سر التبادل ، هي اثبات ان هناك شخصا آخر غير انشتاين قادر على فهم وشرح النظرية الجديدة المعقدة . ولم يكن وجه انشتاين في ذلك الوقت معروفا لدى الناس . فلم تكن وسائل الاعلام عندئذ بالشكل الذي نعرفه اليوم من صحف يومية تنقل الاخبار بالصور او تلفزيون ينقل الاحداث بين انحاء العالم بواسطة الاقمار الصناعية .

وكان للمساعد ما اراد . تقدم على انه العالم الكبير واضع النظرية الجديدة الذائعة الصيت والقى محاضرة انشتاين المعتادة بنجاح ، ثم وقف يجيب عن الاسئلة المختلفة . وبينما هو كذلك جاءه سؤال معقد اوقعه في حيرة ، وبسرعة وقبل ان تلتفت الانظار الى حيرته التي اقلقت العالم المسكين اعلن المحاضر ان السؤال المطروح هو سؤال بسيط لا يريد الاجابة عنه بنفسه وانه يترك الاجابة لمساعده . هب انشتاين الحقيقي عندئذ بصفته المؤقتة كمساعد ، ليجيب على السؤال المطروح وليقف الحضور مشدوهين امام ذكاء وقدرة واستيعاب هذا المساعد البسيط للنظرية الكبيرة .

كانت هذه القصة تروى بين الطلبة في مختلف الجامعات للقول ان نظرية النسبية هي حلم رجل واحد تعيش في خياله وحده وانه لا يمكن لاحد ، حتى اقرب المقربين لهذا العالم ان يستطيع استيعاب مختلف جوانب هذه النظرية المعقدة ، لانها محاولة لرؤية الحقيقة بمنظار من الخيال ابتدعته احلام اشتاين . ما هي هذه النظرية .. وما هو عالم النسبية ... ؟

قوانين الطبيعة ..

عبر التاريخ كان علماء الطبيعة يبحثون وباستمرار في الاحداث من حولهم ، يستقرئون تصرفات الطبيعة ، يجرون التجارب ويحللون الملاحظات ويجمعون النتائج ، محاولين من خلال ذلك وضع تصور محدد لفهم قوانين الحياة . وقد اعتاد العلماء عبر الاجيال على استخدام الرموز في تفسير فهمهم لاحداث الطبيعة لتأخذ تصوراتهم شكل المعادلات الرياضية الانيقة الشكل التي تثير اهتمام وتقدير طالب العلم لانها تتعامل معه بالارقام وتعطيه النتائج بدقة والتي تثير في نفس الوقت اعجاب غير المتخصص لكونها في نظره لغزا يطابق الحقيقة .

ولا شك ان العلماء الذين حاولوا وضع احداث الطبيعة في ملاحظات ومعادلات وتصورات محددة ، قد لاقوا الكثير من المتاعب وواجهوا شتى انواع المعاناة ، كان عليهم ان يدرسوا تصورات من سبقهم في العلم على انها حقيقة . ومن خلال ذلك كان عليهم الاضافة الى النظريات السابقة او تغيير تلك النظريات ، وفي الحالتين كان لابد لهم من البحث نظريا او تجريبيا عن افكار جديدة تفسر تساؤلات تبحث عن اجابات مرضية . وكان لابد لهم ايضا من اقناع من حولهم من علماء آخرين او من اصحاب السلطة بالافكار الجديدة ، ولقد دفع العالم جاليليو حياته في القرن السابع عشر ثمن قوله ان الارض كوكب كروي يدور حول الشمس مع الكثير من الكواكب الاخرى . فلقد تمكن من اقناع بعض زملائه من العلماء بنظريته هذه ولكنه فشل في اقناع بعض رجال الكنيسة الاقوياء الذين كفروه بغير ما سبب وقتلوه بدون ذنب .

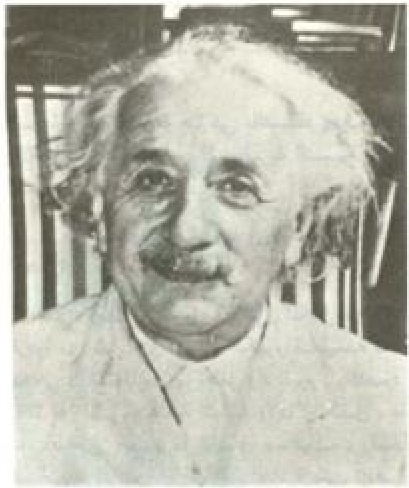
وكثيرا ما بدأ البحث عن بعض قوانين الطبيعة من خلال حدث بسيط ، ولعل سقوط التفاحة الناضجة على رأس نيوتن من شجرة التفاح التي كان يستظل بها في القرن السابع عشر كان نقطة بداية لنظريات نيوتن في الجاذبية والحركة المتسارعة بانتظام . وكثيرا ما تضافرت جهود مجموعة من العلماء في تطوير نظرية واحدة ، فقد قام فرداي في القرن التاسع عشر بوضع ملاحظاته حول الاثر المغنطيسي للتيار الكهربائي ، ليأتي ماكسويل بعد ذلك بخمسة وعشرين عاما ، وليضع هذه الملاحظات في معادلات رياضية وليفترض ان سرعة انتشار الامواج الكهربائية والمغنطيسية هي سرعة الضوء . ثم ليأتي هرتز بعد ذلك ويثبت عمليا صحة هذا الافتراض .

وكثيرا ايضا ما اعتمد العلماء في وضع تصوراتهم ومعادلاتهم الرياضية حول تصرفات الطبيعة على ملاحظات وتجارب تجري ضمن ظروف محددة ليأتي بعد ذلك علماء آخرون بافكار جديدة تقوم بتغيير المفاهيم القديمة . فلقد كان من المعتقد مثلا ان سرعة الضوء لا نهائية وان الضوء ينتشر آنيا ومباشرة ، حتى جاء رويمر في القرن السابع عشر واثبت عمليا ان الضوء يحتاج في انتشاره من نقطة الى اخرى الى زمن معين . لقد كان من المعتقد ايضا ان معادلات نيوتن في الحركة هي معادلات تمثل قوانين الطبيعة تحت كل الظروف حتى جاء اشتاين ليعطي تصورا جديدا لقوانين الحركة وليضع معادلات رياضية جديدة تتفق مع معادلات نيوتن ضمن ظروف السرعات المعتادة ، ولكن تختلف معها تماما في عالم السرعات العالية التي تقارب سرعة الضوء .

مبدأ النسبية

بدأت بحوث النسبية في ذهن اينشتاين بتصورات واحلام خيالية كان أولها حلمه بمركبة تنطلق به بسرعة تساوي سرعة الضوء التي تبلغ ثلاثمئة الف كيلومتر في الثانية ، أي ما يعادل اكثر من ثمانمئة الف مرة سرعة طائرة الكونكورد التي تتجاوز سرعة الصوت او اكثر من عشرة ملايين مرة سرعة سيارة تنطلق بسرعة تتجاوز مئة كيلومتر في الساعة . وكانت مشكلة اينشتاين في حلمه هذا هي قضية استخدام المرآة للتمكن من حلاقة ذقنه اثناء هذه الرحلة الخيالية . فقد ظن في البداية انه لن يستطيع ان يرى صورة وجهه في المرآة طالما ان سرعة مركبته هي سرعة الضوء . وكان سبب ظنه هذا هو انه كي يرى صورته في المرآة ، لابد للضوء المنعكس عن وجهه من الوصول الى المرآة اولا . لكن هذا الضوء سوف لن يتمكن من الوصول الى المرآة طالما ان هذه المرآة تتحرك مع المركبة بسرعة مساوية لسرعة الضوء .

اقلقت هذه المشكلة اشتاين الذي راح يبحث عن



اينشتاين

حل او تفسير آخر اكثر اقناعا لنفسه وللآخرين فاعاد تفسير قضيته الخيالية بناء على مبدأ النسبية الذي وضعه جاليليو قبل ذلك بحوالي ثلاثمائة عام . ومبدأ النسبية هذا يقول ان الحركة هي حالة نسبية وانه لا يمكن القول بحدوث حركة مالم يكن هناك نقطة تنسب الحركة اليها . فالارض الثابتة بالنسبة لمن يحيا عليها ، تتحرك بالنسبة للشمس حركة دائرية منتظمة . والطائرة التي تبدو ساكنة بالنسبة للركاب داخلها وهم يتناولون الاطعمة ويتحركون بين اماكنها ومقاعدها المختلفة ، تنطلق بالنسبة للارض بسرعة تنقل المسافرين عبر القارات خلال ساعات .

بتطبيق مبدأ النسبية هذا على حلم انشتاين في رحلته الخيالية يمكن استنتاج تفسير جديد مقبول لقضية استخدام المرآة اثناء الرحلة . فاذا كانت مركبة انشتاين تتحرك بسرعة الضوء بالنسبة للارض فانشتاين نفسه ومرآته هما في وضع الثبات بالنسبة للمركبة . وعلى ذلك وضمن عالم المركبة ، ومهما كان وضعها من حركة او ثبات بالنسبة للارض ، سوف يصل الضوء المنعكس من وجه انشتاين الى المرآة ليرى صورته فيها وليتمكن من حلاقة ذقنه اثناء رحلته الخيالية .

اعتمد انشتاين مبدأ النسبية في وضع تصوره الجديد لقوانين الحركة . واعتمد ايضا على جملة من الملاحظات والافتراضات يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ ـ ان اي حدث او تفاعل في الطبيعة يتم في سرعة معينة وبالتالي يحتاج الى زمن محدد .

٢ ـ ان الحدث المعروف ذا السرعة العظمى هو انتشار الامواج الكهرومغناطيسية .

٣ ـ ان هناك سرعة عظمى لا يمكن لاي حدث او تفاعل ان يتجاوزها .

٤ ـ ان سرعة الامواج الكهرومغناطيسية هي سرعة الضوء .

٥ ـ ان لسرعة الضوء قيمة ثابتة بالنسبة لاي نقطة . او مراقب مهما كان وضعه سواء اكان ثابتا او متحركا ، ومهما كانت سرعة حركته .

الزمن في عالم النسبية

انطلاقا من مبدأ النسبية واعتمادا على صحة الملاحظات والافتراضات السابقة ، وضع انشتاين تصوراته حول السرعة والزمن والمسافة وكتلة الأجسام في معادلات رياضية جديدة تختلف عن تلك التي وضعها نيوتن في القرن السابع عشر . فبينما اعتمد نيوتن على ان المسافة والزمن هما الاساس الثابت في الطبيعة ، وان سرعة الضوء هي قضية نسبية يمكن ان تختلف حسب وضع المراقب من ثبات او حركة ، جاء انشتاين ليقول ان سرعة الضوء هي الاساس الثابت في الطبيعة وان المسافات والزمن هي قضايا نسبية تختلف حسب وضع المراقب . وهذا يعني في رأي انشتاين ان قياس المسافات ومرور الزمن يختلف بين شخص وآخر ، تبعا لوضع هذا الشخص من حركة او ثبات . ولكن وبالرغم من اختلاف الاسس بين نيوتن وانشتاين فنتائج انشتاين الجديدة تأخذ معناها الجديد فقط في السرعات العالية التي تقارب سرعة الضوء . اما ضمن الحركات والسرعات المعتادة فنتائج انشتاين تتفق مع نتائج نيوتن وتثبت انه على حق ضمن مجال حركة الاجسام المعتادة .

لان نسبية الزمن تظهر بوضوح في السرعات العالية ، راح انشتاين يحلم من جديد برحلة خيالية جديدة في مركبة تنطلق بسرعة هائلة تبلغ تسعا وتسعين في المئة من سرعة الضوء لتجول به بين ارجاء الكون . ثم قام بتطبيق نظريته الجديدة على قضية الزمن في هذه الرحلة ، ليستنتج انه لو ان هذه الرحلة ممكنة ، ولو انها استغرقت عشر سنوات بالنسبة اليه والى ركاب مركبته لعاد الى الارض ليرى فيها الغرائب والعجائب وليجد انه قد مضى على الارض منذ ان غادرها مئة سنة وليس عشر سنوات . لان الزمن كعامل نسبي يمضي ببطء بالنسبة المتحرك في مثل هذه السرعات بالمقارنة مع مضيه

بالنسبة للمقيم فوق سطح الارض .

والاغرب من ذلك انه لو اقتربت سرعة المركبة من سرعة الضوء اكثر من تسع وتسعين في المئة لتمكن انشتاين من العودة الى الارض بعد فترة محدودة ليجدها وقد مضى عليها مئات بل ربما آلاف السنين . ذلك انه كلما زاد الاقتراب من سرعة الضوء تباطأ الزمن بالنسبة للمتحرك حتى اذا ما وصلت سرعته الى سرعة الضوء تماما ، توقف الزمن بالنسبة الى هذا المتحرك مهما مضت السنين فوق سطح الأرض .

ولان انشتاين كان قد افترض ان السرعة العظمى في الطبيعة تطابق سرعة الضوء ، كان عليه ان يبحث على تفسير مقبول لهذا الافتراض فيما يتعلق بحركة الاجسام . فاذا كانت الاجسام تحتاج حسب مقدار كتلتها الى قوة دفع تدفعها لمدة زمنية معينة كي تتحرك فان سرعة هذه الاجسام سوف تزداد باستمرار بازدياد قوة الدفع وزمن التأثير . فاذا ما تحرك جسم تحت تأثير الدفع ووصل الى سرعة تقارب سرعة الضوء فان زمن التأثير بالنسبة الى هذا الجسم ينخفض تدريجيا ، لان الزمن حسب قانون الزمن في النسبية يقل بالنسبة للمتحرك كلما ازدادت سرعته . فاذا ما وصل الجسم الى سرعة الضوء انعدم الزمن وبالتالي لا تستطيع أي قوة مهما بلغت ان تؤثر فيه . وعلى ذلك يمكن القول ان ثقل الجسم قد ازداد الى حد اعظمي بحيث لا يمكن الاستمرار في دفعه ، وبالتالي لن يتمكن اي جسم تحت اي ظرف من تجاوز سرعة الضوء . طالما ان انشتاين قد افترض ان سرعة الضوء هي السرعة العظمى في الطبيعة ، فقد افترض ايضا ان اي جسم يمكن ان يصل في حركته الى هذه السرعة . وعلى ذلك فقد اعتبر ان كل جسم في الطبيعة يحتوي على طاقة وان كتلة الجسم هي مقياس هذه الطاقة لان هذه الطاقة تتناسب مع كتلة الجسم ومع سرعة الضوء السرعة العظمى في الطبيعة .

نظرة الى المستقبل

لاشك ان الفهم الكامل لاي نظرية في الطبيعة يعتمد على تطابق هذه النظرية مع الحقيقة من خلال الخبرة التي تعطيها التجارب العملية . ولا شك ايضا انه من الصعب الحصول على خبرة عملية في عالم اجسام تتحرك بسرعة الضوء الا اذا كان العمل في اشياء ذات سرعة عالية جدا . ومثل هذه الاعمال ما زالت محدودة في عصرنا هذا ، بالرغم من ان هناك من يطلق عليه عصر السرعة ولكن السرعة هنا هي بالنسبةلما يعرفه الاباء والاجداد وليس بالنسبة الى نظرية النسبية وسرعة الضوء .

ما هي فائدة نظرية النسبية في حياتنا اليومية في هذا العصر ؟

سئل العالم ماكسويل في القرن الماضي عن الفائدة المرجوة من نظريته في الامواج الكهرومغناطيسية فاجاب وما هي الفائدة المرجوة من طفل ولد اليوم . والمقصود ان ولادة اي نظرية علمية تشابه ولادةاي طفل ، فقد يستطيع ان يكون ذا شأن في مستقبله ، وقد لا يستطيع ، كذلك حال النظرية العلمية فقد تزدهر في مستقبلها ، وقد يأتي من يثبت انها على خطأ . لكن الفرق بين الانسان المولود والنظرية المولودة ان الانسان هو ملك لزمنه يولد ويرحل في عمر محدد ، وان النظرية او الفكرة هي ملك الانسانية والتاريخ وانها على حق الى ان يثبت العكس . ولعل الاهم من ذلك كله هو ان الانسان نفسه هو الذي يضع الافكار والنظريات ، ولعل حكمة من الله ان يكون للحياة طرفان ، طبيعة ذات اسرار وعجائب ، وانسان مجهز بعقل للبحث في امور هذه الاسرار والعجائب .

ولا شك ان كل انسان فوق هذه اللارض قادر على العطاء اذا اراد ، وان ما وصل اليه العلم هو حصيلة لجهود الكثيرين ، وان النجاح والفشل ليس قدرا على انسان دون انسان اخر . فقد استخدم انشتاين مثلا ملاحظات وافكار غيره ليضع تصورا جديدا متكاملا لعلم حركة الاجسام .

ولئن كان قد نجح نظريا على الاقل في ذلك ، فقد لاقى الفشل بعد ذلك حينما حاول وضع قوانين موحدة للاجسام والامواج الكهرومغناطيسية معا . حتى انه رفض مرة ان يلقي محاضرة امام طلبة جامعة كامبردج حول هذا الموضوع بالرغم من انه لم يرفض اي دعوة للحديث عن النسبية ، ربما لانه شعر ان النسبية هي نجاحه وانه من الافضل الصمت في قضية الموضوع الذي فشل فيه .

اذا كانت النسبية نظرية تطابق الحقيقة ، فهل سيأتي يوم تتحقق فيه احلام النسبية ويركب الانسان مركبة تنطلق به عبر ارجاء الكون ويتحدى بسرعتها الخيالية مرور الزمن فوق سطح الارض .؟؟ ■■

بيرمنجهام ـ د . سعد الحاج بكري

المأزق فوق البرزخ
بين العلم والدين

بقلم : الدكتور يحيى الرخاوى

ماذا يفعل العالم في مجتمعنا اذ يفشل أن يلحد حين يرى استحالة الالحاد ـ بيولوجيا ـ مع استمرار الحياة ؟ هذا متى ما وعى بصدق علمه وأمانة موضوعية ماهية الايمان كتناسق حتمى بين الكون الاوسط (الانسان) والكون الأعظم على طريق التكامل واستمرار التطور ؟

وماذا يفعل نفس العالم اذا عجز أن يؤمن ـ بلغتهم ـ خوفا من الارهاب الفكرى والقهر بحتمية التسليم لتفاصيل التفاصيل لمسلمات احتكروا تفسيرها ، وحجروا على عقله ـ وهو فخره وأمانته ـ أن يعمل فيها ؟ ؟

إن أمانة العالم مع نفسه ، اذ يحسن استعمال عقله المكرم ، ويجرؤ على تصديق حدسه الأعمق تعجزه عن الكفر ، كما أن احترام العالم لعقله وخوفه من الحظر الفكرى والقهر القوالبى .. تحجزه عن اعلان ايمانه الحقيقى الأصيل في سعيه الى موالفة صحية أعلى .

وهى قضية قديمة جديدة ، ولكن الحاجة الى ضرورة حلها أصبحت ملحة لا تحتمل أى ابطاء ، وقد تحددت معالمها من كل مجتهد بشكل لا يدع مجالا للتكرار ، ولكن ينبغى أن ندرك أن تكرار الحديث فيها انما يدل على الصعوبة التى تصل الى درجة الاستحالة التى تمنع نقلها من مجال النقاش النظرى الى مجال الفعل اليومى ، وهذا هو ما يضطر المتادين بها الى اعادة النداء والاستغاثة المتلاحقة .

فلم يعد خافيا أن الحضارة الغربية تتعاطى دفعات مركزة من أمصال تكنولوجية تحاول أن تستعيد بها شبابها ، دون جدوى . وليس بعيدا عن الأذهان ما لجأت اليه الاسعافات العصرية لأزمة اغتراب الانسان الغربى الى استعمال وسائل تكنولوجية ، وأبحاث فسيولوجية للدعاية لأديان جديدة تناسب منطق العصر

مثل التأمل التجاوزي بمركزيه في سويسرا والولايات المتحدة الأمريكية !

ولم يعد خافيا أن الفكر المادي يتسع في تحايل اذ يحاول أن يحتوي الدين .. وحتى الخرافة .

وهكذا تتأكد ضرورة الدين من غير أهله ، ويتحتم الايمان جوهرا لتكامل الانسان الحق

لحن نشاز !

وفي نفس الوقت تنتفض الأمة العربية والاسلامية انتفاضات توحي بأنها تكاد تدرك هذه الحقائق فتتأهب للقيام بدورها الحضاري الطبيعي والعالم في أشد الحاجة اليه ، وعلى هذا الطريق وفي هذا الاتجاه تتلاحق الأبحاث ، وتدون الأفكار وتتناقش الآراء على ورق مصقول وغير مصقول ، وتموج الأحداث تلو الأحداث ، وترتفع الشعارات وتعلو الصيحات على اختلافها من دوي طبول الحرب وصليل اهتزاز العروش .. الى صخب موسيقى السلام وقرع كؤوس الوفاق ، وكل هذا طيب أو ينبغي أن يكون طيبا لو استمر في الاتجاه الصحيح وتكلم بلغة العصر ، الا أن هذه الأفكار والانتفاضات تبدو قصيرة العمر تكاد تولد مهزومة لأنها رغم تغمتها الفردية المؤملة ، ليست الالحنا نشازا بلا حركة فكرية حرة ، ولا التزام اجتماعي ولا هدف حضاري شجاع .

ويستطيع الفاحص الأمين أن يرجع ذلك الى استقطاب العقل العربي والاسلامي بين غلاة المتعبدين في محاريب أصنام العلم كوسيلة هروبية من قهر الدين (أعني رجاله) ومن التفكير الحر الأشمل في أن واحد ، وبين غلاة المنغلقين في تفسير محدود لألفاظ الدين ، وهكذا أصبحنا في موقف منشق يحد من فرصتنا في اقتحام الطريق الى الحقيقة غير مبالين الا بأمانة الرؤية وتقدم الانسان .

ولأضرب لذلك مثلا في مجال علمي المتواضع (علم الطب النفسي وما يرتبط به من علم النفس) ، فالمشتغل بهذا العلم دراسة وممارسة اذ يتعرض « لماهية الانسان » كحقيقة بيولوجية تتوازن مرة في الصحة والسلامة ، وتتنافر مرة أخرى في المرض والتناثر ، لا يستطيع اذا كان أمينا مع عقله ورؤيته أن يفصل هذه الحركة التوازنية ـ التنافرية عن مسار الانسان بما في ذلك أصله ومصيره ، كفره وايمانه ، ويزداد هذا الحتم ونحن على أبواب العقد التاسع من القرن العشرين حيث أعلن فشل تفسيرات التحليل النفسي ، ليس فقط بسبب لغتها الجنسية الرمزية ولكن بسبب نظرتها الحتمية السببية القاصرة ، ويرتمي المشتغلون في هذا الفرع في أحضان الحلول الكيميائية ، هربا من التهويمات الجنسية والتبريرات التثبيتية ، واذا بهم يسجنون عقولهم في الخلية العصبية ومشتبكاتها التوصيلية ، وسرعان ما ترفض عقولهم هذا الحل المسطح مرة ثانية لأنه يستهين بانسانيتهم وعقولهم جميعا اذ يختصر الظاهرة البشرية الى تفاعلات محدودة لاتمثل الا جزءا يسيرا جدا من حقيقة التوازن البيولوجي الأكمل ، ويشتد الهجوم على التحليل النفسي من جهة ، وعلى العلاج الكيميائي من جهة أخرى ، وتظهر في الغرب الحركة المضادة للطب النفسي ، وهي حركة ، رغم وجاهة منطقها في اعلان الفشل ، الا أنها حركة عدمية تجاري الموقف العدمي الذي ما زال فاعلا في الغرب منذ الحرب العالمية الثانية ، أما عندنا ونحن لم نبلغ بعد ترف العدم ، فتظهر دعوات تحاول أن ترجع علم النفس ـ والطب النفسي بالمرة ـ كتابع لرجال الدين وخادم لأغراض الدولة (لا كدعامة لجوهر الدين ومنذر على مسار الدولة) ويفرح البعض منا لفرط ما أرهقتهم السباحة ضد تيار الطبيعة البشرية في حركة تطورها الغائية المتكاملة ، حين أنكرت ـ أو أهملت ـ هذه العلوم قيمة الدين والايمان في التكامل ، ولكن النتيجة أن الفرحة لا تتم لأن هؤلاء المرهقين قد سلموا أمرهم لغير أهله فتنازلوا مباشرة عن علميتهم وحرية تفكيرهم معا ، ولا يعمر مثل هذا الحل قليلا أو كثيرا .

وتظهر مدارس بأكملها تحاول علمنة المفاهيم الايمانية دون ربط مباشر ، وذلك مثل مدرسة البعشخصية (أو عبر الشخصية) في علم النفس Transpersonal Psychology ، وهي مدرسة تؤكد أن الذات الفردية هي مرحلة محدودة ما بين اللاذات ، وما بين التآلف الأكمل مع سائر البشر والأكوان ، ويسمى هذا الفكر الحركة الرابعة في علم النفس (باعتبار أن الحركة الثالثة هي علم النفس الانساني ، والحركة الثانية هي علم النفس السلوكي والحركة الأولى هي التحليل النفسي) وهذه الحركة الرابعة تعلن بشكل لا مراء فيه ضرورة الوعي الديني والامتداد الخلودي لانسان العصر اذا كان له أن يتوازن ويستمر مكرما اذ يصعد لولب التطور الأرقى .

ويشتد المأزق

وحين يفرح العلماء المؤمنون بهذا العلم الأعمق ، ويستريحون لهذا الفكر الأكمل ، لا يستطيع الواحد منهم

في مجتمعنا ـ أن يجهر به في أسلوب علمي من واقع الممارسة الكلينيكية مثلا . ذلك لأن الأوصياء يترصدون له بالحكم والتصنيف والترجمة المباشرة لتفسيرات محدودة ، فيضطر الى أن يكتم حديثه في نفسه ، أو أن يرضى باللغة العلمية القاصرة بديلا عن اللغة الايمانية الأشمل وذلك حرصا على دينه واحتراما لعقله معا .

ويشتد المأزق بمثل هذا العالم وهو مقهور من كهنة العلم اذ يصرون على الاقتصار على التجريب وسيلة أولى لقبول أي مقولة علمية . وكأن الانسان يستطيع أن يعيش يومه هو هو مرتين (أي ينزل نفس النهر مرتين) ، وهو في نفس الوقت مقهور من الأوصياء على الدين لأنهم يصرون على استعمال تفاصيل تفاصيل لغتهم الخاصة ، والا فالتفسير والنبذ جاهزان بلا رحمة .

ويشتد المأزق أكثر وأكثر حين تصبح هذه الممارسة حول ماهية الانسان ومساره ومصيره ممارسة يومية بطبيعة المهنة ، أي أنها ليست مجرد مناقشة عقلية (تفلسفية أو كلامية) ، فالمرض النفسي باعتباره من أهم مضاعفات مسيرة التطور ، والطب النفسي باعتباره الاسعاف العلمي لهذه المضاعفات ، يفرضان مواجهة هذه القضية كمعاناة واقعية ، لا كتدريب عقلي شائق أو مناقشات فكرية مبهجة . والعالم الطبيب اذا لم يغلق عينيه وقلبه عن « كلية » الانسان اذ يتعرى ، وعن « غائيته » الايمانية التكاملية اذ يلم شتاته ، فهو مؤمن لا محالة بما بعد الانسان الفرد ... وهنا تنتابه رعدة الخوف من الأوصياء وأهل الربط (وليس الحل) اذا ما اقترب من عرينهم .

وقد لجأ بعض المخلصين المجتهدين ممن وجدوا نفسهم في هذا المأزق الى حلول براقة أقنعت بعض لشباب الضائع ، ولكنها ، ويا للأسف شوهت الحقيقة الأعمق . وأعني بذلك تفسير ألفاظ الدين بقشور العلم وبالعكس . فاذا كانت أبعاد القضية أربعة هي : (١) قشور العلم ، (٢) وموضوعية الحقيقة (٣) وألفاظ الدين (٤) وجوهر السعي الايماني الى التكامل ، فان هذه المحاولات اكتفت بتفسير البعدين السطحيين بعضهما ببعض تعسفا وتلفيقا فرفضها أهل الدين وأهل العلم جميعا .

وقد واكب هذا الحل التلفيقي حلولا هروبية وتسكينية متنوعة منها تحريم ممارسة الفلسفة (رغم السماح بالحديث عنها أو حتى تعلمها) . ومنها الاقتصار على شمول علم النفس ، وخاصة بالنسبة للرجل العادي ، على الأفكار النصائحية والرشاوي السلوكية ليدع القلق ويحسن النفاق حتى أصبح المنشور في المجلات الثقافية والعامة (وليس العلمية المتخصصة) تحت عنوان علم النفس شيء أشبه باعلانات السجائر أن « تعال للفقلة وستيقى للضياع » . ومنها أخيرا الافراط في الغرق تحت الموجة العارمة من التخدير الطبي من المهدئات والمطمئنات والمعقلات الى آخر هذه القائمة التي ـ رغم فائدتها من حيث المبدأ ـ انما تعلن استسهال الانسان وتجنبه المواجهة بأسرع مما يضمن استمرار نموه .

أما الحديث عن النفس بوصفها ماهية الانسان ، وعن علم النفس بوصفه العون العلمي المنهجي على طريق تطور الانسان ، وعن المرض النفسي بوصفه انذارات التدهور ، وعن الصحة النفسية بوصفها حلاوة الايمان الموضوعي الساعي الى الحقيقة ووجه الله (الأقرب من حبل الوريد) فهذه هي اللغة الصعبة التي يستحسن تجنبها خوفا من رجال الطائفتين معا (الأوصياء على الدين وكهنة العلم)

شجاعة مطلوبة

فالموقف الآن يحتاج الى أكثر من الشجاعة ، اذ على من يريد أن يخرج من هذا المأزق أن يواصل سعيه الى الحقيقة بكل ما أوتي من وسائل علمية وأمانة ذاتية ورؤية ايمانية موضوعية ، لا يحده عنها وصاية دينية مهما بدت ساحقة أو مفزعة ، أو معرفة جزئية علمية مهما بدت لامعة ومريحة ، ولكن كيف السبيل الى ذلك أو بعض ذلك ؟؟

دعونا نعلن بعض أبعاد المأزق في شكل أسئلة تضيف الى مسئوليتنا ولا تخفف عنا ، ولكنها تؤكد احترامنا لعقولنا وديننا معا حتى لو ظلت بلا اجابة .

١ ـ الى أي مدى يستطيع العالم المؤمن ـ في مجتمعنا ـ أن يطلق لفكره العنان ، وأن يعطى لحدسه الأمان ، وأن يثق في يقين موضوعيته النابعة من معاناة الباحث عن الحقيقة لا يرده عنها مقولة مسبقة ولا معرفة جزئية ؟

٢ ـ هل من سبيل الى تحديد ماهية الانسان دون وصاية ارهابية فكرية سواء كانت مادية متشنجة ، أو تفسيرية محدودة بعدد الحروف وشكل الألفاظ ؟؟

٣ ـ هل من سبيل الى قياس حيوية الانسان النابضة (التي تسمى السعادة أحيانا) على مسيرة تكامله ، كدليل صحيح على سلامة الطريق ، دون

انصياع لتسليم غبي (ولا أعني ايمانا بالغيب) يؤجل القضية ، وانخداع شبه علمي يسطحها ؟

٤ ـ هل من سبيل الى الاستفادة من (تنمية وممارسة) بعض الحقائق الجوهرية في ديننا الفطري ـ مثل التوحيد والمباشرة ـ دون الاصرار على الاغتراب والوساطة كسبيل أوحد للحصول على بطاقة التدين . ؟؟

٥ ـ هل من وسيلة يطمئن بها العالم المؤمن أن حسابه الأول والأخير هو مدى احترامه لكلمته ومعناها ومسئوليتها ، ومدى اطمئنانه لمعلومته ومراجعتها والتأكد منها ، ومدى احترامه لعقله وموضوعيته في تواضع العاجز المجتهد ، وأخيرا مدى احترامه لأمله في سعيه الى الحقيقة بما في ذلك الحقيقة الكونية دون استسهال ؟؟

٦ ـ هل من أمان يؤمن العالم المؤمن الى استبعاد تكفيره اذا ما اختلف مع أوصياء الدين أمانة مع فكره ، واستبعاد نبذه من مجتمع العلم اذا ما اختلف مع كهنة العلم احتراما لعقله ، وتكريما لوجدانه وحدسه ؟؟؟

ويمكن أن تتوالى مثل هذه الأسئلة بلا تلكؤ ، لتتركنا في النهاية أمام أزمة بالغة التعقيد تقول :

ان مثل هذه الصرخات والاستغاثات ما لم تجد أذنا صاغية عند « من يهمه أمر هذه الأمة » ، ومالم تجد قلبا شاجاعا ، وعقلا كريما يفتح أبواب كرامة عقل الانسان على مصراعيها ، فالأولى بنا أن نكف عن إطلاقها ، وأن نرضى بالانشقاق الممزق لطبيعتنا البشرية ، ونعود ننادى أن ما للعلم للعلم ... وما للدين للدين ، نفعل ذلك وننتظر الحل ضمنا من أرض غير أرضنا ، نرطن بلغة غير لغتنا ، وتؤمن بدين أبعد عن الفطرة من ديننا ، فاذا ما استوردنا الحل السعيد بعد عام أو مائة عام ... عضضنا على عقولنا من غيظ التبعية ، وتمنينا لو أن لنا كرة فنقول لهم ان هذا الحل السعيد كان عندنا وزيادة ، ولكنا لم نكن شجعانا حينذاك لنعلنه ونرعاه ونحافظ عليه وها نحن ـ مرة أخرى وليست أخيرة ـ التابعون المنبهرون ولا حول ولا قوة الا بالله .

من يرضى بهذا ؟؟؟ من يرضيه هذا ؟

هل يرضيك يا إمامنا محمد عبده ، ويا جمال يا أفغاني مثل هذا ، وحتى اجتهاداتكما التي أدت دورها في حينها والتي لم تعد تكفي عصرنا حالا ، حتى هذه الاجتهادات يساومون فيها من أول وجديد .

هل يرضيك يا سيدنا عيسى هذا وأنت من أبلغتنا أنه في البدء كان الكلمة وكان الكلمة الله ؟ هل يرضيك يا سيدنا محمد هذا بعد أن علمتنا أن نؤمن بالله ثم نستقيم ، وكل ما خالف الفطرة فهو ليس ديننا ؟

هل يرضيك يا ربنا هذا بعد أن كرمتنا اساتيتنا بعقولنا الواعية الناظرة في كل شيء ، وحسابها عليك ؟

وأخيرا .

أستغفر الله العظيم .

د . يحيى الرخاوى

الشيء الباقي

× ظلت الزوجة توالي ثرثرتها في الفراش ثم مدت يدها الى مفتاح النور استعدادا لاطفائه وقالت لزوجها : هل اقفلت كل شيء يا عزيزى .. ؟

فقال زوجها : اجل يا عزيزتي .. ما عدا فمك ...

التحية تكفي

× كان المجند الجديد مفرطا في حماسه لاداء التحية للضابط الذي مر امامه . فدق كعبيه بشدة ولكنه تعثر وسقط منكفئا على وجهه . وانحنى الضابط ليساعده على الوقوف ، وغمغم قائلا ـ كان يكفي ان تؤدي التحية فقط ...

أقوال معاصرة









■ ان كارثة كبرى تنتظر كافة الاطراف في الشرق الاوسط اذا لم يتحقق تقدم نحو سلام حقيقي ودائم .

الملك حسين بن طلال

■ حكومة الولايات المتحدة تضم عصابة من المخادعين .

سوموزا ديكتاتور نيكارجوا السابق

■ صحافتنا حرة في توجيه اي انتقاد بناء ، على الرغم من الرقابة المفروضة عليها !

الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق

■ لا خطر على الخليج من القوى الخارجية . الخطر سيأتي من الداخل .

الشيخ صباح الاحمد

نائب رئيس الوزراء ، ووزير خارجية الكويت

■ اذا استمرت الامور كما هي الآن فسيصبح العالم عام ٢٠٠٠ اشد تلوثا وازدحاما واقل استقرارا ، واكثر عرضة للمخاطر .

من تقرير لمجلس البيئة في الولايات المتحدة الامريكية

■ السلطات الاسرائيلية لم تعثر على مرتكبي محاولات قتل عمد لانها لم تبحث عنهم بين صفوفها .

بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس

■ « يقف الرئيس كارتر اليوم ذات الموقف الذي وقفه ستة من الرؤساء الامريكيين من قبل وهو الحفاظ على اسرائيل قوية آمنة .. والرئيس كارتر وحده طلب من الكونجرس مساعدة لاسرائيل تزيد على عشرة آلاف مليون » .

ادموند مسكي وزير الخارجية الامريكية خلال لقاء في نادي الصحافة .

■ تعقدت مشكلات الامن في الخليج بسبب « الفراغ » ! الذي حدث في المنطقة بعد ان اختفت العمد التقليدية للحفاظ على الامن ، عقب انسحاب بريطانيا في اوائل السبعينات ، ثم سقوط الشاه عام ١٩٧٩ ..

هيرمان ايلتس . السفير الامريكي السابق في القاهرة .

■ ان هناك هجوما دوليا يشن على اسرائيل ، وان من شأنه ان يؤدي الى نهايتها ، ليس نهايتها ككيان مادي بل نهاية استقلالها السياسي والاقتصادي والامني ، ان وضع اسرائيل خطير جدا بعد الهجمات المتكررة في الامم المتحدة واوروبا الغربية »

موشى ديان وزير خارجية اسرائيل السابق

مدينة بابل الأثرية

كما يراها مهندس مصري

بقلم : الدكتور ميلاد حنا *

كانت مدينة بابل محفورة في وجداني باعتبارها مهبط حضارة قديمة ارتبط اساسا بطموح البشر في الوصول الى السموات العليا فحاولوا تشييد برجها المشهور ، كما ارتبطت بابل في مخيلتي بالغزوات التي تم خلالها أسر اليهود وسبيهم منذ آلاف السنين .

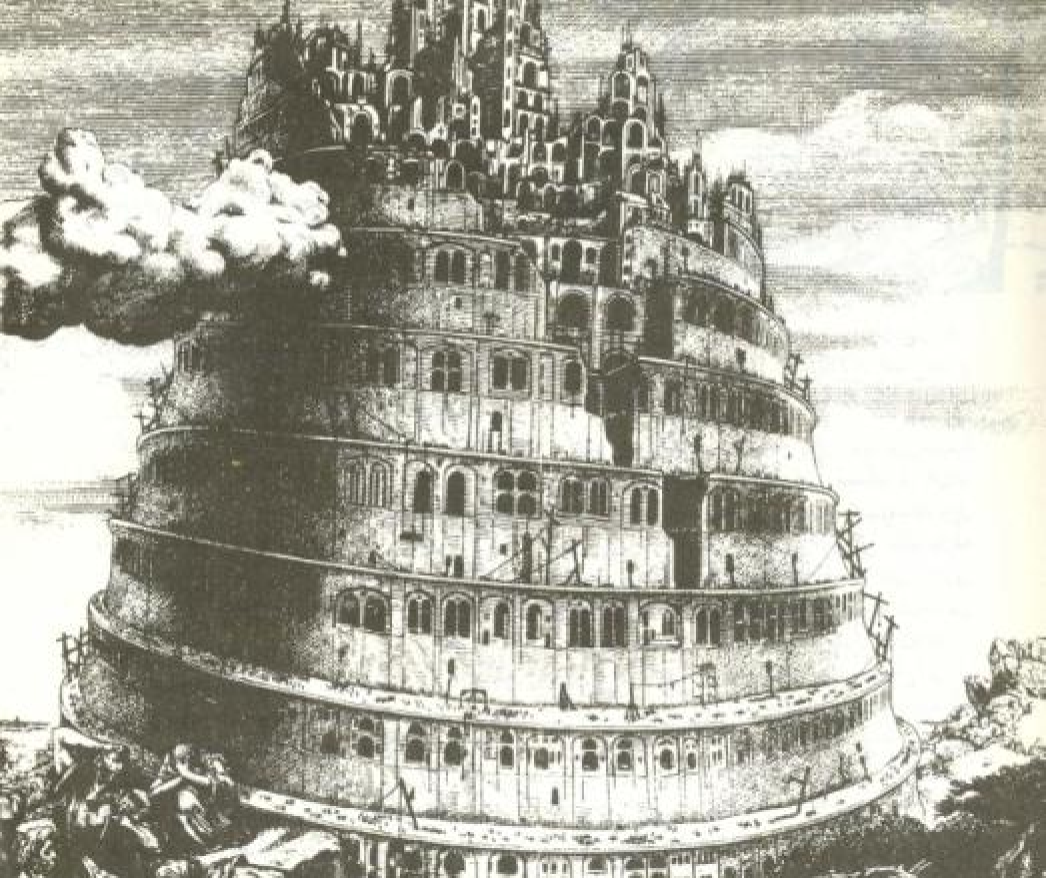
ولست أعلم لماذا تصورت ـ وتصور معي عديد من مثقفي مصر ـ وكأن بابل قد اندثرت تماما وأن برج بابل لم يعد الا أسطورة وأن « حدائق بابل المعلقة » هي نوع من الشعر تجسيدا لخيال ..!!

وهكذا امتزجت صور الطفولة بمعلومات غير دقيقة ، ولكنها متداولة وسائدة . ولذلك فقد سعدت عندما كلفتني المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن اقدم لها مشورة هندسية حول معاينة مدينة بابل الأثرية وطرق خفض المياه الجوفية محافظة على ما تبقى من مبانيها والتي تعني الكثير ليس للعراق فحسب وانما للأمة العربية وربما للعالم اجمع .

العراق ومصر ذراعان قديمان

كان رفيقي في الرحلة من بغداد الى بابل الأستاذ فؤاد سفر ، العالم الأثري الشهير وحجة العراق في تراثها ولغاتها القديمة . ظل يشرح لي مشيرا الى اكوام وتلال بسيطة على جانبي الطريق بين الحين والحين قائلا : هذه

* استاذ العمارة بكلية الهندسة بجامعة عين شمس ـ القاهرة .



كلها قرى أثرية قديمة ويوجد منها آلاف في كافة أنحاء العراق ولكننا ـ وقد أحصيناها ـ لا نرغب ان تبدأ الحفريات فيها محافظة عليها الا عندما يحين الوقت طبقا لجدول أفضليات معين تقيده كذلك الاعتمادات المالية فهي مكمورة تحت التراب كتراث وكنوز للأجيال التي تأتي من بعدنا ...

ولعل شهرة العراق التاريخية في مصر ـ وفي العديد من بلاد العالم العربي ـ مقرونة بأساطير البذخ في عهد العباسيين وقصص تلك الحقبة التي تدور في قصور هارون الرشيد وحريمه وعن ليالي الف ليلة وليلة وقصص ونوادر أبي نواس .... ولكن حضارة العراق قديمة قدم أهرامات الجيزة ومقابر وادي الملوك ومعابد أبو سنبل وتكاد تكون معاصره وموازية للحضارة التي بهرت العالم من مصر .

لقد بزغت حضارة السومريين والأكديين عبر الألف الثالث قبل الميلاد وبلغت أوجها أيام البابليين والأشوريين في الألفين الثاني والاول قبل الميلاد ـ وهكذا تبرز العراق أو بلاد ما بين النهرين أو الرافدين ـ كما هي الترجمة الحرفية لاسم العراق في اللغات الأجنبية واللاتينية كلها ـ كمهد عريق لحضارة

مستمرة وعميقة تسير في طريق متواز مع حضارة الفراعنة وليس في طريق متناقض كما يحلو للبعض أن يصوره .

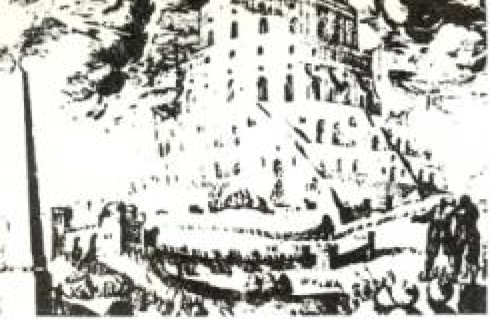
بابل = باب الاله

تقع مدينة بابل على بعد ٩٠ كيلومترا جنوب بغداد والطريق اليها متعة شديدة لمناظر الريف العراقي والتي لا تختلف كثيرا عن مناظر ريف مصر فيما عدا أن كثافة السكان اقل كثيرا . وفي الطريق تلمح مدينة « الاسكندرية » حيث تتمركز الصناعة خارج بغداد بطريقة تشابه مدينة « حلوان » عندنا . وتلمس بوضوح أن حكومة العراق تخطط لمركز صناعي كبير فالأرض واسعة شاسعة تكاد تبدو بلا حدود . والمباني والمداخن وابراج الصناعة تنمو يوما بعد يوم بطريقة تنافس النخيل وتنقل المجتمع من حلاوة التمر الى ثمار عوائد البترول ..!!

وكنت اتصور آثار بابل على مسطح بسيط وفق ما تعودنا في مصر عندما نزور معبد الكرنك أو منطقة صقاره .. واذ بها مدينة كاملة بمسطح حوالي ٤٠ كيلومترا مربعا ... هكذا كانت حدود المدينة يوما ما وفي اوج عظمتها أيام نبوخذ نصر وحين استكمل بناء السور الخارجي للمدينة وتركزت اقامة اليهود الاسرى بين السور الداخلي والسور الخارجي للمدينة الآلاف ..!!

وسألت الأستاذ فؤاد سفر ، والذي يحرص ان لا يلقب بالدكتور رغم أنه صانع لعشرات الرسائل للدكاترة ، وما أصل اسم بابل .. قال : هي تطوير لكلمة « باب ايلي » أي باب الاله باللغة الأكدية السامية .. ويرجع تاريخها الى القرن ١٨ قبل الميلاد حين استقر بها الساميون الاموريون القادمون من أعالي بادية الشام وأسسوا أول أسرة أو سلالة حاكمة . كان الملك السادس من هذه الأسرة المشرع حورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق.م.) هو أول من وضع قانونا أو شريعة وسجل ذلك على لوحة شهيرة من حجر الديورايت الأسود وموجودة بمتحف اللوفر بباريس ويعتز بها العراقيون فأخذوا عن الأصل نسخا مماثلة ووضعوها في بعض الميادين العامة والحدائق في بغداد .

ويقول المشرع الانسان حورابي في مطلع الوثيقة : « انه توخى نشر العدالة والقانون بين الناس وتثبيت حقوق كل فرد في المجتمع بحيث لا يجوز القوي على ظلم الضعيف .... » وبالخيال اقول ترى هل تمكن الانسان ورجال الفكر والقانون والسياسة وحتى رجال الحرب من



منع « القوي من ظلم الضعيف » وقد مضى على حورابي حوالي ٣٧٠٠ سنة ... انها ولاشك قصة صراع البشرية عبر التاريخ ، الصراع بين الخير والشر ..!!

على انه للأمانة ، فانك لن ترى شيئا من مدينة حورابي عندما تذهب الى بابل فهي مسجلة في كلمات المؤرخين فقط . اذ يقولون انها موجودة تحت مدينة بابل التي ترى اطلالها الآن أما مدينة حورابي فانها غارقة تماما تحت مستوى المياه الجوفية في باطن الارض ... ترى هل سيتمكن ابناؤنا ـ في القرن القادم أو الذي يليه ـ من ان يحفروا ليصلوا الى شيء من مدينة حورابي القديمة ... وشيء من الخيال هل سيتمكن المهندس العراقي أو العربي أو العالمي من ان يخفض مستوى مياه جوف الارض بالقدر الكافي ويضيء المدينة العلوية « مدينة نبوخذ نصر » ، ثم المدينة السفلية لحورابي ، وهل سيتم ذلك من خلال مشروع مماثل « الصوت والضوء » أو نقل معبد أبو سنبل والفيلة ... ليستمتع احفادنا أو حتى احفادهم بتراث وآثار مدينة كانت مهد شريعة قديمة ما زالت غير محققة في عالم يدور فيه الصراع بين القوي والضعيف ... صراع الموت والحياة ..!!

سبي اليهود حول بابل

لاشك في ان الباني الحقيقي لمدينة بابل الأثرية كما نحاول ان نعرفها الآن هو الملك الجبار نبوخذ نصر والذي يسيطر اسمه بوضوح في سفر دانيال بالعهد القديم والذي ساد حكمه ٤٣ عاما وهي ولاشك كانت مدة طويلة مملوءة بالانشاء والبناء في الداخل والحروب والفتوح في الخارج (٦٠٥ ـ ٥٦٣ ق.م.)

ردم نبوخذ نصر القصر والمباني التي بناها اسلافه جميعا ورغب في أن يهرب من المياه الأرضية التي تتذبذب مع ارتفاع وانخفاض المياه في نهر الفرات والذي كان يخترق المدينة في ذلك الوقت وبنى قصوره الكثيرة وبنى أسوارا طويلة : سور داخلي يحمي قلب المدينة وعليه بوابات تحدد المداخل ويقال انها كانت تسعا ، يبدأ في كل منها شارع فاخر مرصوف بالطوب وتؤدي الشوارع الى المعابد . وهكذا كان هناك ولاشك نوع من

الدراسة الهندسية والتي نسميها الآن « التخطيط العمراني للمدن » « تخطيط المدينة »

وأشهر هذه البوابات واجملها قاطبة هي « بوابة عشتار » والتي أخذها المنقبون الألمان مع مطلع هذا القرن ثم اعادوا بناءها كأجمل قطعة اثرية في متحف برلين ....

وقد سجل بعض الفنانين العراقيين في لوحة زيتية شهيرة منظر احتفال أهالي بابل قديما بالموكب الذي يخترق بوابة عشتار يوم رأس السنة البابلية (في أول أبريل) ، عندما كان يتم نقل تماثيل الآلهة من معابدها بالمدينة الى دار الولائم خارج السور الداخلي في احتفال مهيب يشهده أهالي المدينة كلها . وحيث تستمر الاحتفالات ثلاثة أيام قبل اعادة التماثيل لأماكنها في المعابد مرة أخرى في احتفال ضخم . ترى هل لذلك علاقة بالاحتفالات المماثلة التي كانت تتم في معبد الكرنك بعصر الفرعونية مع كل فيضان ..!!

وللأسف فقد قام بعض المتحمسين للآثار في بغداد ببناء نموذج مصغر لبوابة عشتار بنصف الحجم القديم وأنشيء ذلك في المدخل المخصص حاليا لدخول الزائرين لمنطقة بابل وذلك ليكون تصورا لعصر مضى . ولكن هذه المباني الجديدة والتي صارت قديمة الآن تعطي انطباعا سيئا للعابر غير الدارس . ومن الأفضل انشاء « بوابة عشتار » في مكانها الصحيح تاريخيا وبحجمها الأصلي السليم وبالألوان والطوب لتكون نموذجا مطابقا للأصل الموجود في برلين . ولكن لنكن عندئذ أمناء في ان يكون الانشاء جديدا وصريحا وسواء رغبنا واتفقنا على انشاء بوابة جديدة او نقل بوابة برلين فان منظر البوابة الحالية هزيل ويخفض من القيمة الأثرية والمتحفية لتراث بابل . واظنه رأي سديد في ان نفكر في ازالة البوابة الحالية .

برج بابل الى أسفل

ان قدماء اليونان قد سجلوا عجائب الدنيا ممثلة في منشآت هائلة لا تتكرر وكان نصيب مصر ممثلا في اهرامات الجيزة . أما العراق فقد فاز ببرج بابل وسورها العظيم ثم بحدائقها المعلقة ولكننا نلاحظ أن اهرامات الجيزة لا تزال شامخة تقاوم الزمن والقرون ، الا أن برج بابل قد انتهى تماما وبدلا من أن يكون أثره بارزا الى أعلى معبرا عن كلمة البرج اذ به ينخفض تماما من السطح ، ولا يخلف وراءه الا حفرة مربعة حوالي ٩٠ × ٩٠ مترا تغوص الى اسفل حتى ظهرت المياه الأرضية . وهذه الحفرة المربعة هي بالفعل التي تحدد الحائط الخارجي للبرج في دائر محيطة المربع الذي انشيء من الطوب المحروق خلافا للطوب النيء . ومن هنا فان أخواننا العراقيين يسمون هذا النوع من الطوب المحروق بالآجر المشوي . وقد قاوم هذا الطوب الزمن لفترة محدودة فكان مغنما للأهالي عبر السنوات والقرون والاستفادة به في انشاء مساكنهم ، فأخذوا يخلعونه قالبا قالبا وطبقة طبقة حتى أوقفهم وجود المياه الجوفية فتركوا لنا هذه الحفرة المربعة بما تحتوي من المداميك السفلية من الطوب تحت سطح المياه تعبيرا وتحديدا لموقع البرج العظيم الذي كان يحمل أسم برج بابل ... ولولا بعض المعلومات المسجلة على بعض الطوب الخاص والمسمى بالرقيم الطيني لما أمكن معرفة شيء عن برج بابل الا هذه الحفرة المملوءة بالماء وهناك رغبة هامسة لدى حكومة العراق لاعادة بناء برج بابل وقد تصادف ان التقيت هناك الدكتور لويس عوض وكان الحوار ساخنا بيني وبينه حول كيفية بناء البرج الجديد لو قدر لهذا المشروع ان يتم . ان الدكتور لويس عوض لا يرى الا برجا جديدا يماثل البرج القديم تماما وبحيث يبنى من الطوب النيء (من اللبن) من الداخل ولتكن الكسوة الخارجية كلها من الطوب المحروق أو المشوي مثل القديم تماما . ولكنني كمهندس أنشائي اختلفت في الرأي ، على اعتبار ان ذلك سوف يتضمن كمية عمل هائلة لبناء هذه الملايين من وحدات الطوب الداخلي والخارجي لتشكيل هذا الهرم الضخم من الطين والذي كان الأقدمون ينشئونه ليضعوا المعبد فوقه للاله ماردوخ بعد انشاء المساطب عند مناسيب مختلفة وكان هناك فوق ذلك السلالم التي توصل الى اعلا حول البرج من كل جانب وفق المسجل والمحقق تاريخيا .

وان تصوري هو ان جيلا قادما سوف يبني هيكلا مفرغا من الخرسانة المسلحة يكون شكله هو ذات الشكل القديم وليكن هذا الهيكل من قشرة سمك ٢٠ أو ٣٠ سم مثلا من الخرسانة المسلحة او من الوحدات الجاهزة ثم يكسى هذا الهيكل الانشائي بطبقة من الطوب المشوي بالشكل والحجم والطريقة التي أنشيء بها البرج القديم . لقد تصورت أنني بذلك اكون قد حققت الشكل الخارجي مثل الأقدمين مع طريقة بناء أكثر اقتصادا وتتفق مع انشاءات القرن العشرين وربما تصلح للقرن الواحد والعشرين ..!!

اين حدائق بابل

حدائق بابل المعلقة اخذت شهرتها من اليونان

الأقدمين وذهب الخيال بعيدا في شكلها ووصفها وكيفية تعليقها ... وهل هي كباقة الورد وقد علقت بخيوط من كبد السماء ... ولماذا أنشئت وما الغاية منها ..

تحكي الأساطير ان حدائق بابل المعلقة قد بنيت لكي يقدم الملك هدية منها لزوجته الجميلة والتي يبدو انها كانت قد عاشت طفولتها في منطقة اخرى غير بابل حيث كانت توجد الجبال والمرتفعات والسهول والوديان وحيث كان كل ذلك مكسوا بالأشجار الجميلة ... ولكن منطقة بابل مسطحه تماما فانت لا تلمح عبر البصر وفي المنطقة كلها الا سطحا واحدا تماما بلا نتوء ولو حتى تل بسيط .

وعندما رأى الملك حزن زوجته وبعدها عنه ، قرر ان ينشيء لها قصرا يحتوي على حديقة كبيرة بها اشجار ، وقد انشئت على مساطب عالية كيا لو كانت تلا أو جبلا . فأنشأ هذه الحدائق والتي تدل آثارها ومخلفاتها على انها عدة حوائط متقاربة ومتوازية وقد غطيت المسافة بينها بمجموعة من القبوات وتم زراعة بعض الأشجار فوقها فكانت بذلك اول حديقة علوية صناعية وفق ما تسميه نحن « روف جاردن » .

ولكن شتان بين الخيال والواقع بين الصورة في التصور وبين واقع الحوائط المتهدمة من الطوب النيء وقد كساها لون ابيض هنا وهناك من تأثير بعض الأملاح التي يمتصها الطوب من المياه الجوفية في باطن الارض ...!!

الآثار المنهوبة

أما الجزء الرئيسي الذي يحج اليه اغلب الزائرين فهو القصر الجنوبي وطريق الموكب وما تبقى من بوابة عشتار ومخلفات الحدائق المعلقة وقد كان هذا الجزء مطمورا تحت التراب ومحافظا عليه أثريا ، الى أن جاءت بعثة المانية عام ١٩٠١ وبتصريح واتفاق مع الباب العالي للبحث والتنقيب عن آثار بابل وقد سجلوا في مجموعة كتب رائعة كل ما شاهدوه ... ثم اخذوا منها ما أستطاعوا من الطوب المزجج والملون ، ومن كل هذا تمكنوا من اعادة انشاء بوابة عشتار داخل متحف في عاصمة بلادهم برلين .

ولكن ترتب على ذلك ان جعلوا للأسف الشديد هذه الآثار مكشوفة للعيان الأمر الذي عرضها لعوامل التعرية من اعلى ، ولتذبذب المياه الجوفية وما بها من املاح ، من أسفل . ومن جانب آخر قد جعلوا الطوب الأثري القديم مطمعا لفلاحي المنطقة وفي تلك الحقبة لم يكونوا مدركين ان ما قد تحمله طوبة من نقوش أو كتابة باللغة المسمارية قد لا تقدر بثمن .

مكتبة من الطوب

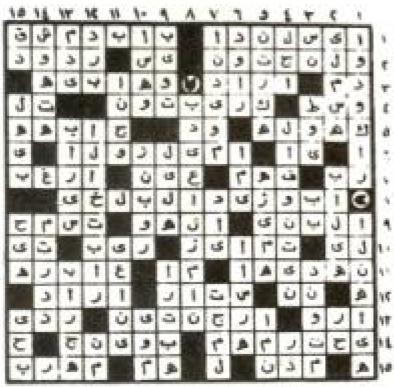
ان هدف عامة الشعب هو احياء مدينة بابل واعادة بناء بعض اجزائها الرئيسية تعبيرا عن احياء لتراث الاجداد . اما هدف الأثريين فهو احتمال العثور على الطوب الرقمي او ذلك القالب من الطوب والمسجل عليه بيانات ... ويقولون انه ربما وفقنا في الحصول على « مكتبة » اي على غرفة تحوي العديد من هذه القوالب المكتوبة والتي لها دلالة تاريخية بالذات ، اذ أن العديد من هذه القوالب الطين لا تسجل الا حدثا شخصيا مثل عقد بيع او زواج او اتفاق ... ولكن احيانا ما يصادف الاثري رقيا طينيا له أهمية خاصة مثل ذلك الرقيم الذي سجل وصف برج بابل وحدد مساطبه وارتفاعه وشكله وطمع الأثريين في احتمال تحديد عدد الأسرى من اليهود أيام نبوخذ نصر على سبيل المثال ...

وفي كل ذلك كان فكري كمهندس يتجه الى الاسباب التي ادت الى عدم قدرة آثار بابل على مقاومة الزمن مثلما تتعايش في مصر مع تراث الفراعنة ولكن يبدو ان الظروف الطبيعية لأهل ما بين النهرين قد اوجدت لهم سهلا ضخما عريضا فلم يكن لديهم خيار الا في الانشاء من تراب الارض وعن طريق الطوب النيء . أما عند انشاء المباني المتحفية والقصور فقد امكنهم معرفة اسرار المواد التي يطلون بها هذا الطوب قبل حرقه فتوصلوا الى الطوب المزجج بالوان زاهية وجميلة ومبهرة عاشت آلاف السنين .

اما الفراعنة فقد كانوا اكثر توفيقا في ان مجرى النهر لم يتفرع الى فرعين الا قرب نهايته في الدلتا وقد شق طريقه وسط الجرانيت والحجر الرملي القوي في بلاد النوبة وحتى اسوان ثم في الحجر الجيري على جانبي الوادي وعلى طول المعبد غربا وشرقا ... ومن هنا فقد اندثرت المباني السكنية لقدماء المصريين والتي كانت من الطوب النيء ولكن ظلت المقابر والمعابد والتي قدسها المصريون فأنشأوها من الحجارة بأنواعها والوانها المختلفة لتظل قائمة تتحدى الزمن والقرون .

ولكن يظل الانسان في كل من الواديين رمزا للحضارة ذاتها . ■■

د . ميلاد حنا



أفقيا

أبو زيد البلخي

رأسيا

بديع الزمان

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا : أبو زيد البلخي . جغرافي عربي ولد في شاميستيان بالقرب من بلخ في خراسان . درس الفلسفة مع الكندي . له « صور الأقاليم » أو « تقويم البلدان » . وقد استعان به الاصطخري في وضع كتابه الذي يحمل نفس الاسم .

(٨) رأسيا : بديع الزمان . هو بديع الزمان الهمذاني ، شاعر وأديب من أئمة الكتاب . ولد بهمذان ، وانتقل الى خراسان وجرجان ، ثم استقر في هراه . اشتهر بكتابيه « الرسائل » ، و « المقامات » ، وعنه أخذ الحريري .

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازت بها : بثينة عوض عبد الرحمن ـ الخرطوم/السودان
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : عباس محمد السعيد ـ الرغاية/الجزائر
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : نواف يوسف الشبعان ـ المحرق/البحرين

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منهم خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ امين عبده سعيد احمد ـ الجمهورية العربية اليمنية/تعز
٢ ـ مصطفى محمد احمد رجب ـ سوهاج/مصر
٣ ـ خالدة رؤوف عبد العزيز ـ محافظة المثنى/العراق
٤ ـ وفاء دياب ـ اللاذقية/سوريا
٥ ـ توفيق بوسته ـ ولاية المنستير/تونس
٦ ـ علي ابراهيم محمد الصايغ ـ الدعية/الكويت
٧ ـ فاطمة محمد عوض الرقيدي ـ الرياض/السعودية
٨ ـ سها عجمي ـ رأس الخيمة/الامارات

وتحول المسرح إلى ملهى ليلى ..

بقلم : فؤاد دواره

بالرغم من التطورات العديدة التى طرأت على فن نجيب محفوظ الروائى عبر ما يقرب من نصف قرن ، فقد ظل محافظا على عناصر اصيلة لا تكاد تخلو منها رواية من رواياته ، ومنها روايته الاخيرة « عصر الحب » ، وهى رواية قصيرة من ذلك الطراز الذى استأثر بالجانب الاكبر من انتاجه منذ « اللص والكلاب » (١٩٦١) .

انها تعتمد على اطار الحكاية الشعبية ، وجو الحارة المصرية القديمة الذى تختلط فيه الاسطورة بالواقع بالبحث الميتافيزيقى والمدلول السياسى ، في تركيبة فنية فريدة ، تعرفنا عليها لاول مرة في « اولاد حارتنا » (١٩٥٩) ، وفي عدة اقاصيص وروايات اخرى ، قبل ان تتبلور في أسلوب فنى جديد في عمله الملحمى « الحرافيش » (١٩٧٧) .

وبالرغم من صغر حجم « عصر الحب » فهي تقدم لنا ثلاثة اجيال من ابناء الحارة ، وهو الشكل الذى قام عليه بناء « الثلاثية » (١٩٥٧/٥٦) وعدد آخر من رواياته التالية ، بل ان شيئا من التأمل في موضوع الرواية الجديدة وشخصياتها ، لا بد ان يلفتنا الى قوة الشبه بينها وبين روايته « الشحاذ » (١٩٦٥) .

وكأنما خشى الكاتب ان يستغرقنا جو الحكاية الشعبية المشوقة الغالب على الرواية ، فيغيب عنا مدلولها السياسى الغائم ، فاستهلها بتعريف جديد للراوى ووظيفته :

« .. لعله خلاصة اصوات مهموسة او مرتفعة ، تحركها رغبة جامحة في تخليد بعض الذكريات ، يحدوها ولع بالحكمة والموعظة .. انه في الواقع تراث منسوج من تاريخ ملائكى ينبع صدقه من درجة حرارته وعمق اشواقه ، ويتجسد بفضل خيال امين يهفو الى غزو الفضاء ، رغم تعثر قدميه فوق الارض الاليفة المتشققة التربة ، وثغراتها المفعمة بالماء الآسن .. » (ص ٥) .

اليست هذه وظيفة الفن الصادق الامين في كل العصور .. وكما فهمها « نجيب » وطبقها دائما ؟ .. وهي أبعد ما تكون عن مجرد حكاية شيقة تسلينا ، وتمتعنا ، وتساعدنا على قطع الوقت فيما لا يفيد ، ولا يحرك وعيا او يحفز عقلا ، ولا يترك في النفس اى اثر ، بعد طى الصفحة الاخيرة ..

ام الحارة

تتصدر القسم الاول من الرواية « ست عين » .. « امرأة قوية عجيبة الاطوار مثيرة الاوصاف ، كائن فريد لا يتكرر .. وهي امرأة مرموقة ، ذات شأن ينمو



ويتضخم مع الزمن كمدينة صاعدة ، تملك جميع العمارات الكبيرة في الحارة فهي ثرية واسعة الثراء ، بل لا مثيل لثرائها .. » (ص ٦) .

وهي على ثرائها الواسع شديدة الكرم ، تعتبر نفسها المسئولة عن كل فقراء الحارة . « .. مذ ترملت لم تعد تنتظر المحتاجين في دارها .. اصبحت الزائرة المترددة ابدا على ربوع الفقراء ، تتفسى في اسر الكادحات والارامل والعجزة . يقول الراوى . : ان الحارة نسيت في ايامها البؤس والجوع والعرى .. » (ص ٩) .

تعتقد ان « سر السعادة في هذه الدنيا عندما لا تأخذ من المال الا ما يحفظ الحياة (ص ٢٤) ، وهى الصلة بين ابنها « عزت » .. وبين الله ، والصلة بينه وبين الحياة . هي كل شيء ، وهكذا ينظرون اليها في الحارة .. حتى ليقول حمدون لعزت : « انها ام الحارة وليست امك وحدك ! » .

من تكون تلك المرأة الاسطورية واسعة الثراء عميمة العطاء ؟

أهي رمز للوطن ، ام لمعنى العدالة الاجتماعية ، ام للخير المطلق .. ام لها جميعا ؟ كل ما نستطيع ان نجزم به انها اضخم بكثير من ان تكون امرأة عادية .. وانها تمثل الجيل الاول في سلسلة الاجيال الثلاثة التي تعرضها الرواية .. جيل الاصالة والخير العميم والقطة « بركة » التى تعيش في اكنافها وتسعد بمداعبتها ..

العبادة والسيادة

وينعكس مدلول « عين » الضخم على بقية شخصيات الرواية الرئيسية ، وبصفة خاصة على ابنها الاوحد « عزت عبد الباقي » الذى لا نكاد نعرف شيئا عن ابيه ..

لقد وفرت له « عين » كل فرص الرعاية والتعليم لكى يصبح افضل الرجال واقواهم واكثرهم عطاء .. ومن اجله رفضت الزواج بالرغم من كثرة الخاطبين .. ولكن ما كل ما يتمناه الاباء يحققه الابناء ..

فمنذ البداية تلاحظ « عين » انه « نشيط واناني ، ولا يتخلى عنها الا بالهزيمة ، وهو ايضا مدمر يبعثر الازهار ويطارد النمل ويقتل الضفادع . ولا ينام الا وهى تقص فوق رأسه القصص . ايظن نفسه سلطانا ؟ » (ص ١١) .

وحينما ترسله الى الكتاب يضايقه « .. جو المساواة المخيم على المجلس . الجميع سواسيه فوق حصيرة واحدة ، تخلت عنه الامتيازات التي ينعم بها في اى مكان باعتباره ابن الست عين وربيب الدار الفاخرة . انه وضع لا يحتمل . » (ص ٣٠) .

ويتعثر عزت في دراسته بالكتاب ، ثم بالمدرسة الابتدائية ، لولا صداقته بحمدون عجرمة اليتيم الفقير . انه على النقيض من عزت يفيض حيوية وايجابية وذكاء ، ولولا تشجيعه لعزت « .. ومواظبته على المذاكرة معه ما اصاب اى قدر التقدم . » (ص ٣٩) .

وقد اشترك الصديقان في حب بدرية ، واستطاع حمدون ان يكتم حبه ، فلما عجز عزت عن الفوز بها ، واوشكت ان تزف لثالث ، هرب حمدون منها وترك رسالة لعزت يقول فيها :

« اياك ان تسيء بى الظن . لقد وطنت النفس على التضحية تحت شرط ان تفعل شيئا . ولكنك اعلنت عجزك وسلمت بالواقع .. لن اتخلى عنها كما لن اتخلى عن المسرح . » (ص ٥٩) .

وكان حمدون قد ابدى تعلقا شديدا بالمسرح منذ مرحلة مبكرة ، واشرك عزت معه في اعادة تمثيل بعض المسرحيات التي شاهدها ، ولكنه لم يستطع اثارة اهتمامه باحاديثه « عن الاستعباد ، وكان يهتم بذلك ويتزايد اهتمامه بتقدمه في العمر . ولم يخل حديثه من عبارات

دموية . » (ص ٥٥) .

وباختفاء حمدون وبدرية من حياة عزت تتكشف له طبيعته الغريبة .. « انه يحب شيئين متنافرين ، العبادة والسيادة . يعتز بأمه وبداره ، ويهوى فؤاده الوجاهة .. » (ص ٤٤) .

ولكنه ما يلبث ان يدرك « ان جاهه زائف ، وانه يستمد نوره من امه . انه في الواقع حقير فقير عاجز .. لو كان في قوة حمدون لغامر مغامرة فريدة مرحبا بالصعلكة . لكنه أسير الحديقة والوسائد الناعمة وتلك القوة الغامضة المجهولة . » (ص ٥٨) .

وحين اكتشفت امه عبثه غير البريء مع « سيدة » القبيحة المستهترة ، وجاءت لتحاسبه « وردت في ذهنه فكرة غريبة بأن أمه ستتحطم على يديه . » وتضطره الام الى الزواج من سيدة ..

ويخيب عزت في دراسته للحقوق ، فينقطع عن الدراسة ، ثم يلتحق بوظيفة يستقيل منها بعد شهر .. و « لم تكف القصص البوليسية لملء الفراغ ، فانزلق الى غرزة يسلي بها همه . » (ص ٧١) .

ابناء الغد

ويعيش عزت في بلادة وملال « حتى العبادات مارسها بلا شعور ولا حماس » (ص ٧٢) . الى ان يعود حمدون الى الظهور وقد احترف التمثيل مع زوجته بدرية بسيرك اللاوندي ، حيث يقدمان كل ليلة مسرحية من تأليفه ، وتعود الصداقة القديمة ، ويقتنع عزت بمشاركة حمدون وبدرية في انشاء فرقة مسرحية تعمل في روض الفرج . « ومارس عزت عمله كمدير وصاحب للمسرح ، لم تكن السيادة بالخال الغريبة عنه .. » (ص ٩٢) .

وعقب النجاح الكبير التى حققته ليلة الافتتاح ، يتصور ثلاثتهم انهم اهتدوا اخيرا الى طريقهم الصحيح وبدأوا حياتهم الاصيلة ، وانغمس عزت في الهام عجيب فتح قلبه لاشراق باهر . واحب بقوة خيالية كل شيء . غير انه كان ايسر عليه ان ينفصل عن قلبه او كبده من ان ينفصل عن حمدون وبدرية او المسرح الذى هيأ لهم الالتحاق الابدي » (ص ٩٧) .

ويدافع حمدون عن مسرحياته « انها ليست هزلية بالمعنى المتعارف عليه ، فمن خلال الهزل اقول اشياء لها قيمتها .. اذا كان لابد من الجد فعندنا مسرحيات شكسبير المترجمة .. » (ص ١٠٣) .

غير انه قبل ان تتحول الفرقة الى هذا الاتجاه الجاد « اندفعت الاحداث في مجرى جديد غير متوقع اختل بتوازنها واسرع بايقاعها ، فانطلقت مثل قذيفة » (ص ١٠٥) .

اكتشفت بدرية ان زوجها حمدون عضو في جماعة « ابناء الغد » .. « انهم متمردون على كل شيء ومطاردون .. ومتهمون باغتيالات معروفة ! » (ص ١٠٦) ، وصارحت عزت لينصح حمدون . ويظن حمدون ان المحامي يوسف راضي زميله في الجماعة هو الذى وشى به ، فيقتله . ويكتب عزت خطابا مجهولا للنائب العام يشي فيه بحمدون ، ليخلو له الجو ويتزوج بدرية ، في نفس الوقت الذى اعترفت فيه لحمدون انها هي التي اخبرت عزت بامره . فيثور عليها ويطلقها ويسلم نفسه ويعترف بجريمته فيسجن .

ويشتري عزت مسرحا كبيرا وسط المدينة ، ولكن الفرقة تعجز عن الاستمرار دون حمدون ، وترفض بدرية الزواج بعزت :

ـ « الزواج الذى تقترحه يعني التمادي في الاجرام ، منك ومني ايضا » (ص ١٢٨) .

وتفضل الزواج بثري عجوز ، وبذهابها « توقف العمل . اطفئت الانوار . لم يعد صوت يجلجل بخير او بشر . قوض عالم الخيال . تبخر سحره . ران الاسى على كل قلب . » (ص ١٢٩) .

ويرفض عزت العودة الى الحارة حيث « البطالة والغم » على حد تعبيره ، و « الوجاهة والزواج ثم الحج الى بيت الله » على حد تعبير تابعه « فرج يامسهل » (ص ١٣٠) ، ويوافق على اقتراحه بتحويل « المسرح الى ملهى ليلي ، فهذا زمن الملاهي ! .. وربحه مضمون » ولكنه وهو يفعل ذلك « ادرك انه يغوص في اعماق مظلمة . لم يفزع ولم يتردد . القى بنفسه في تيار الاستهتار وكأنما ينتقم من عدو مجهول . » (ص ١٣١) .

العضو الصالح

في هذه الحياة الجديدة غرق عزت وسط الخمر والمخدر والساقطات « تتراكم ارباحه . تزداد بدانته .. يجد في الهروب من الالم والكآبة .. اما اسعد الاوقات حقا فهو وقت النوم العميق . وانه ليرنوالى الضاحكين بارتياب حتى خيل اليه ان ملهاه الليلي ما هو الا بؤرة للمجانين

والتعساء . ترى هل تنتهى هذه الحياة بخراب وفناء شامل ؟! وعجب كيف انه لا يعرف في دنياه من يأنس اليه الا فرج يامسهل . » (ص ١٣٣) .

ولا يكتفي المؤلف بملهى ليل واحد ، « فهذا زمن الملاهي الليلية » كما يؤكد القواد « فرج يامسهل » خبير العصر والاوان .. فهاهي بدرية بعد ان ترملت استغلت ميراثها الوفير في تحويل عوامة الى « ملهى زهرة النيل الليل » الفاخر .

ويذهب عزت لزيارتها بدافع الفضول ليراها بدينة مثيرة للتقزز ، مهزوزة الاعصاب فاقدة الذاكرة .. تسخر منه ومن نفسها :

ـ طبعا ، من الفن الخائب الى الملاهي الليلية ، نحن نمت الى طبيعة واحدة ، وقد تخلصنا في الوقت المناسب من العضو الصالح ! » (ص ١٥٧) .

وقبل ان تطرده يرتفع صوتها بمرثية مارك انطونيو الشهيرة لقيصر في مسرحية شكسبير الخالدة ، فهي لم تفقد حبها للمسرح ! « يخيل الى اننى لم احب الا المسرح » (ص ١٥٨) ومن الاسباب التى دعتها لانشاء الملهى « حلم سخيف بان اقدم مسرحيات وامثلها » .. (ص ١٥٥) وبصوتها المخمور تخطب بقوة :

« ايها الاصدقاء ، ايها الرومانيون ، ايها المواطنون ، اعيرونى اسماعكم : انى جئت لكى ادفن قيصر لا لكي اشيد بذكره .. حتى الامس كانت كلمة قيصر قادرة على ان تصد العالم . والان ينطرح هناك لا تبلغ المسكنة باحد ان يخصه بتكرمة .. » (ص ١٩٥ ، ١٦٠) .

وما يلبث « العضو الصالح » ان يخرج من السجن محطما :

ولكنه بالرغم من ذلك ما زال محتفظا بقدر كبير من صلابته وقوة ارادته ، فحين يسمع اعتراف عزت برسالة الاتهام للنائب العام يرفض ان يوحد مصيره معه :

ـ انك قذر ولكنك لست اقذر من كثيرين .. انك تبحث عن كفارة واخرى وانى احتقر ذلك .. اى تسامح من ناحيتى يعنى ان عمرى ضاع هباء .. » (ص ١٦٧ ، ١٦٨) .

جيل الامل

هذا ما انتهت اليه حياة الجيل الثانى في الرواية .. فشل واحباط وضياع ونشوة .. مع بقية من وهم صمود وكبرياء .. اهم انجاز حققه هو تحويل المسرح الجادى الى ملهى ليل .. وكان من الممكن ان يتطور ويصبح فنا عظيما لو سارت الامور في طريقها الطبيعي ..

ومن المؤكد ان لكل شخصية مدلولها السياسى الخاص بالرغم من اهابها الواقعى الظاهر .. ولن نتعسف ونزعم انها ترمز الى شخصيات واقعية بعينها ، وان كان هذا واردا ، وبين سطور الرواية ما يوحى به .. يكفى ان نشير الى انتمائهم الطبقى كما حدده الكاتب لتتضح لنا طبيعة مدلولها السياسى في واقعنا المعاصر .

عزت ابن البورجوازية الثرية .. كسول وعاجز عن الفعل والعطاء بالرغم من طموحه الشديد وميله للسيادة ، وبداخله قدر محترم من الغدر والاستهتار بكل القيم .. استطاع « حمدون » بصداقته له ان يحرك بعض جوانب الخير فيه ، وافاد من امكاناته المادية وحبه للسيادة والوجاهة في انشاء الفرقة المسرحية التى كان من الممكن ان تكبر وتنضج وتعم بنفعها الجميع ..

وحمدون ابن الطبقة الفقيرة تحول الى مثقف ثورى ، مخلص امين ، لا يعيبه سوى التطرف والاندفاع ، ومن ثم لم يحقق ما كان مرجوا منه .. ان كان قد افاد من صداقته لعزت ، فافادة عزت منه اكبر ، وبدونه فقدت حياته كل هدف ومعنى .. وهذا نفس ما ينطبق على علاقة حمدون ببدرية التى تنتمي الى نفس طبقته ..

غير ان هذا الجيل الحاضر العقيم انجب ـ دون قصد وربما رغم انفه ـ جيلا ثالثا اشرف واوعى واكثر ايجابية ، يعلق عليه نجيب محفوظ اكبر الامال منذ قدمه لاول مرة في شخص المناضل ذى الوردة الحمراء الذى يشير للبطل اليائس الجالس في ظل تمثال سعد زغلول بان يتبعه . وكان ذلك كما نذكر في خاتمة روايته « السمان والخريف » (١٩٦٢) .

يمثل هذا الجيل الثالث في « عصر الحب » سمير الذى انجبته سيدة بعد ان هجرها عزت ، وتربى بعيدا عنه في كنف جدته « عين » ورعايتها .. انه يتقدم في الدراسة بنجاح على عكس ابيه ، ولا يصرفه تخصصه في الهندسة وارتباطه بحب زميلة له عن الاهتمام بالسياسة :

« لا هندسة ولا اسرة بلا سياسة » (ص ١٤٢)

ويعتقد عزت « ان الولد سر جدته » (ص ١٤٣) ، وان كان لا يتنكر لابيه بالرغم من ادراكه لكل سوءاته ، بل يرحب بزيارته ، ولا يبخل عليه بعطفه ، ويضن بلومه ، مكتفيا بالقول :

ـ « لعل النقص يكمن في اننا نمر بفترة انتقال » (١٤٣) .

غير ان انتماء سمير لحمدون اكبر بكثير من انتمائه لابيه عزت . الذي يفاجأ ذات صباح باخبار عن القبض على فرع لجماعة « اخوان الغد » ، و « ثمة كلام عن سمير عبد الباقي عضو البعثة الهندسية بانجلترا الذي هرب في اللحظة المناسبة الى مكان مجهول .. » (ص ١٤٦)

ثم يفاجأ مرة اخرى بحمدون الخارج من السجن الطويل يقول له بهدوء وثبات :

ـ « ولكنك انجبت ابنا رائعا » (ص ٦٤)

وحين يهم بالانصراف غاضبا يدور بينهما هذا الحوار التالي :

« تساءل عزت »

ـ كيف تواجه الحياة ؟

فقال وهو لا يتوقف :

ـ كما يواجهها ابنك .

وخفق قلبه فسأله بلهفة :

ـ أنت تعرف عنه أشياء ، ماذا تعرف عن ابني ؟

فقال وهو يعبر العتبة :

ـ لا تسأل عما لا يعنيك ! » (ص ١٦٩)

وحين ينفرد عزت بنفسه قرب الخاتمة يقول :

ـ « عند ما يرجع سمير سيجد ثلاثة آباء في انتظاره ، انا والاخر (يقصد الجانب الايجابي الخير فيه) وحمدون . سيختار اباه بنفسه كما اختار حياته » (ص ١٧٧) .

المدينة الفاضلة

من الغريب اننا نجد نفس هذه التركيبة السياسية ـ النفسية في رواية نجيب محفوظ « الشحاذ » (١٩٦٥) ، حتى ليكاد عزت عبد الباقي يكون نسخة متطورة من « عمر الحمزاوي » بطل « الشحاذ » ، وحمدون عجرمة صورة مطابقة لعثمان خليل صديق « عمر » المؤمن بالمدينة الفاضلة ، العامل من اجلها ، المسجون مؤبدا بسببها ...

وفي « الشحاذ » يفاجأ عمر ايضا بان ابنته « بثينة » المثالية التي ورثت عنه ميله القديم للشعر قد ارتبطت بعثمان اكثر من ارتباطها به ، حتى لتقترن به بالرغم من فارق السن .. وفي حلم غريب مشوش يرى عمر ابنه الرضيع « يثب الى الارض متخذا رأس عثمان رأسا له .. » (ص ١٨١)

اما الاغرب من ذلك فهو ان اسم ذلك الرضيع رمز المستقبل هو « سمير » تماما كنظيره في « عصر الحب » .. ولا اعتقد انه تماثل مقصود ، بل ارجح ان يكون هذا الاسم قد استقر في وجدان الكاتب ـ لسبب او آخر ـ مقترنا بقيم ايجابية مشرقة .

والشيء نفسه نقوله عن التشابه الواضح بين بناء الروايتين وشخصياتها .. فهو ليس تكرارا لفكرة واحدة بقدر ما هو تأكيد لموقف ثابت للكاتب تجاه تطورات الاحداث المحيطة بنا وان اختلفت الاجواء والتفصيلات والمواقف بصورة تنفي مظنة التكرار .

وما اظننا بحاجة بعد ذلك الى الاشادة ببراعة نجيب محفوظ في بناء حكايته في اطار شيق محكم ، ورسم ملامح شخصياته بريشة ثابتة قوية الخطوط والالوان ، على المستويين الواقعي والرمزي ، النفسي والسياسي ، وقدرته المعروفة في خلق الاجواء والظلال ، والمواقف الدرامية ، وحشد الرواية بالعديد من التفصيلات الانسانية المؤثرة ، وسلاسة اسلوبه وشاعريته وتدفقه وتركيزه .. فكل تلك خصائص فنية معروفة في كل كتابات « نجيب » ، وهي التي حفرت له مكانته الوطيدة في ادبنا .

وان كنا لا نملك بالرغم من ذلك ان نتجاهل ذلك الميل للاستسهال في الاسلوب اللغوي لهذه الرواية بالذات ، حيث لا نكاد نتوقف عند صياغاته الفنية المتميزة ، بل على العكس نصدم بين الحين والاخر بعبارات عادية اقرب للغة الصحف اليومية منها لاسلوب نجيب المتفرد المتألق . من ذلك مثلا :

« .. دائما ترجع الى ذلك الحديث كما يرجع الحمار الى حظيرته دون مرشد » (ص ٢٤) .

« .. لكنه مريض وبدرية دميمة والدنيا تعاني انيميا حادة لا تصلح معها للحب .. » (ص ١٢٠) .

« .. ان الانسان يتألم لسبب فاذا لم يجد السبب تألم اتوماتيكيا .. » (ص ١٣٣) .

امثال هذه العبارات قد لا نتوقف عندها في مؤلفات اي روائي آخر ، ولكنها عند نجيب محفوظ تستلفت النظر لما تعودناه من احكام صياغاته وتميزها وشاعريتها ، وان كانت بطبيعة الحال لا تقلل من قيمة الرواية وتميزها وقدرتها على امتاع القاريء واثارة عقله ووعيه بالواقع المحيط به . ■■

القاهرة ـ فؤاد دواره

قراءة في فكر رافض :

مجتمع «الشغيلة» الحق !

فهمي هويـدي

لولا خشية سوء الفهم واللبس ، لقلت ان التصور الاسلامي لقضية عمارة الدنيا يبلغ مدى يؤهل المجتمع الاسلامي لكي يصبح ـ قبل غيره ـ مجتمع « الشغيلة » الحق !

فالدنيا في التصور الاسلامي هي دار « التشمر والاكتساب » بتعبير الامام الغزالي . كل الناس فيها مستنفرون للعمل والسعي ، وكل عناصر الحياة فيها موظفة لصالح التعمير والنماء ، حتى آخر لحظة من عمر الارض . واذا تحقق بذلك ، يصبح المعاش بحق جديرا بان يكون طريقا الى المعاد ، ويلقى الانسان سعادة الدارين ، الدنيا والاخرة .

اقول ذلك للذين يقفون برؤيتهم للاسلام عند حدود عمارة الجنة ، شاغلين انفسهم بشئون الثواب والعقاب ، والايمان والاعتقاد ، وداعين الجميع الى ضرورة السير وراءهم ، مستخدمين في ذلك مختلف اسلحة التأثيم والتخويف ، كما قلت في مرة سابقة ..

ان البيان الالهي : « هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها » (هود من الآية ٦١) ، يربط ما بين الخلق وعمارة الكون . كما ان الله سبحانه عندما سخر الارض للانسان ، ثم دعاهم قائلا : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » (الملك ـ ١٥) ، لم تكن هذه دعوة الى النزهة والترهل والبطر ، ولكنها كانت تكليفا الهيا واضحا للانسان بالسعي في الارض واستثمارها . حتى ان هناك من يفسر تلك الآية * بانها تعني : ان من مشى اكل ، ومن كان قادرا على المشي ، ولم يمش ، كان جديرا الا يأكل . *

ولانه خليفة الله في الارض ، فان تلك المسئولية العظمى جاءت مصحوبة بصلاحيات عظمى . اذ ليست الارض وحدها المسخرة للانسان ، بل ان مجال الحركة والسعي ممتد الى غير ما حدود ـ « الم تروا ان الله سخر لكم ما في السماوات وما في الارض » (لقمان ـ ٢٠) ـ « وسخر لكم الليل والنهار والشمس

---

* مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام ـ د . يوسف القرضاوي .

* ابو حنيفة ، بطل الحرية والتسامح في الاسلام ـ عبد السلام الجندي

والقمر » (النحل ـ ١٢) ـ « وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ، وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار » (ابراهيم ـ ٣٢ و ٣٣)

وعندما يستخدم البيان الالهي كلمات مثل قوله سبحانه انه جعل الارض « ذلولا » للانسان ـ ثم « سخر » له السماء والبر والبحر ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، عندما توضع كل هذه الافاق ـ بهذا الشكل ـ تحت امرته ورهن اشارته ، ثم دعي الانسان ليتبوأ هذا المنصب العظيم خلافة الله في الارض . ماذا ينتظر منه بعد ذلك سوى ان يطلق طاقات الابداع فيه ليعمر الارض .؟

وماذا تعني خلافة الله في الارض ، ان لم تكن وكالة عنه سبحانه في عمارة الدنيا ، عمارة مادية وروحية ؟

ثم ، الا يعد التقاعس في عمارة الدنيا اخلالا بمسئولية الاستخلاف عن الله ، واساءة في استخدام هذه الوكالة التي شرفه الله بها ؟

لماذا اذن اهدار الجهد والوقت في غير ذلك ، حتى كاد يستقر في اذهان الكثيرين ان الدين يعني هجرة الدنيا ، وان التخلف مرتبط بالاسلام والمسلمين حيث حلوا !

ولست هنا في مجال استعراض النصوص التي تحث الناس على تعمير الدنيا بالعمل الدؤوب ، فذلك امر صار مسلما به لدى كل من قرأ الف باء الاسلام ، لكن الذي يعنيني في هذا السياق هو التنبيه الى « المدى » الذي بلغته هذه الدعوة في التفكير الاسلامي ، من واقع نصوص القرآن والسنة ، واجتهادات الفقهاء . وهو مدى فذ في آفاقه وحدوده .

●

فالمسلم الحق يتعبد بعمله !

صلاته ليست ركوعا وسجودا فقط ، وتسبيحه ليس ادعية ومأثورات فقط ، ولكن كل جهد يبذله وكل سعي له وراء الرزق ـ اذا سلمت النية والقصد ـ في مرتبة الصلاة بل نوع من الجهاد ، وحبات العرق التي تتساقط منه في كده اغلى قيمة عند الله سبحانه من حبات كل مسابح العابدين في المساجد !.

والاية الكريمة « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ، لم تحمل الا بمعنى العبادة الذي يشمل عمارة الكون ، المادية والروحية . وعندما سئل شيخ الاسلام ابن تيمية : ما العبادة ؟ كان رده : هو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال ... الى ان قال : فكل ما امر الله به عباده من الاسباب فهو عبادة .

وهناك من يرى ان فهم الاسلام باعتباره فرائض واعتكافا في المساجد وعزلة عن الدنيا ، هو انحراف عن الدين ، وخروج عليه (سيد قطب في خصائص التصور الاسلامي) .

ويرى الامام الغزالي ان الاسلام سوى بين السعي للكسب والسعي للجهاد ، استنادا الى الاية : « وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون في سبيل الله » (المزمل ـ ٢٠)

اليست هذه الاية تعني ـ بصياغات العصر ـ ان معركة التنمية هي عند الله في مقام معركة التحرير ؟!

وفي الاحاديث : « ان الله تعالى يحب المؤمن المحترف » ـ

« أن الله يحب العبد يتخذ مهنة ليستغني بها عن الناس »

« من امسى كالا من عمل يديه ، امسى مغفورا له »

وعندما امتدح المسلمون رجلا امام النبي (ص) ، قائلين انه كان لا يكف عن ذكر الله ، فسألهم عمن كان يكفيه بعيره ؟ قالوا كلنا . قال النبي : كلكم خير منه !

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه هو القائل : اني لأرى الرجل فيعجبني ، فأقول : أله حرفة ، فان قالوا لا ، سقط في عيني .

ومن العمل ما هو اعلى مرتبة من الصلوات ..

وفي الاحاديث : « لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير لك من ان تصلي مائة ركعة تطوعا ».

« تفكر ساعة خير من قيام ليلة »

●

وقد كانوا كلهم شغيلة ، بكل ما في الكلمة من معنى ..

بل انها حكمة الهية ، ان يكون كل الانبياء من هؤلاء الشغيلة ، فما من نبي الا ورعى الغنم ـ كما قال محمد عليه الصلاة والسلام . وفي الحديث ان النبي داود كان زرادا (يصنع الزرد والدروع) وكان آدم حراثا ، وكان نوح نجارا ، وكان ادريس خياطا ، وكان موسى راعيا .

وقد كان النبي يعلف بعيره ويخصف نعله ويرقع الثوب والدلو ، ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا تعب ، ويخرج الى السوق ، يشتري حاجته ويحملها بنفسه .

وكان ابو بكر رضي الله عنه يخرج الى السوق ، يحمل الثياب فيبيع ويشتري ، وظل هذا دأبه حتى بويع للخلافة ، فسعى الى السوق يواصل تجارته ، ولكن الصحابة منعوه وخصصوا له راتبا من بيت المال لقاء عمله « اجيرا » عند المسلمين !

وكان عمر يحمل القربة على ظهره لاهله . وعلي يحمل لاهله التمر والملح في ثوبه .

ويروي علي عن فاطمة انها اجرت الرحى حتى اثرت الرحى بيدها . واستقت بالقربة حتى اثرت القربة بنحرها ، وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها ، واوقدت تحت القدر حتى اسودت ثيابها واصابها من ذلك ضر .

وفي عالم الفقه اسماء كبيرة مثل الصفار الذي كان يعمل في بيع الاواني الصفرية ، (النحاسية) والصيدلاني (من يبيع العطور) ، والحلواني الذي كان يبيع الحلوى ، والدقاق والصابوني والبقال والقدوري وغيرهم .

.. حتى ترى في امة الاسلام ما لا تكاد تراه في اي امة اخرى : الفقهاء الصناع ، والصناع الفقهاء ، يصنعون للناس الفقه والصناعة معا ، ويقضون حياتهم فيما بينهما ، جيئة وذهوبا .

وهكذا كانوا .. شغيلة دائما ، مهما بلغ مقام الواحد منهم وعظم شأنه .

انهم كانوا يتعبدون بالعمل !

●

ومن منظور الحرص الكامل على عمارة الدنيا واستنفار الجميع لاجل هذه الغاية ، لابد ان نفهم العديد من التوجيهات والتعاليم الاسلامية .

ذلك ان التصور الاسلامي يقدم حشدا هائلا من النصوص لا مثيل له ، لخوض معركة عمارة الكون واستمرار مسيرة الانماء فيه .

فالافساد في الارض ، جريمة لا تعادلها جريمة اخرى : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله . ويسعون في الارض فسادا ، ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، او ينفوا من

الارض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم » ـ (المائدة ـ ٣٣) .

ورغم انه كثيرا ما اسيء تفسير واستخدام هذه الاية في التطبيق العملي (وحول الحرابة جدل كثير) الا ان الشق الذي يعنينا هنا هو هذا التشدد في التصدي لكل محاولة للافساد في الارض تعيض عمارة الارض ـ فابن كثير يرى ان الافساد يطلق على انواع من الشر . وفي موضع اخر من القرآن الكريم يقترن الافساد في الارض باهلاك الحرث والنسل : (واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل) .

والى جانب هذا التشدد البالغ في بتر اي محاولة للافساد في الارض ، فان حشد النصوص يدعو الى توظيف وقت المسلم ، وفكره ، وجهده ، من اجل تلك الغاية العظمى : عمارة الارض . فثمة أوامر صريحة بالعمل ، ورفض قاطع لفكرة قعود المسلم عن الحركة والسعي ، اذا لم يكن هناك من سبب قهري بطبيعة الحال .. « وقل : اعملوا ، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

والقعود مرفوض حتى ولو كان ذلك في مسجد . وفي القرآن الكريم نص صريح على ذلك : « فاذا قضيت الصلاة ، فانتشروا في الارض » (الجمعة ـ ١٠)

والنهي عن اللغو ، دعوة لاستثمار الوقت فيما هو مفيد ، حتى قال الامام مالك ، لا احب الكلام الا فيما كان تحته عمل .

بل ان كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي ، كما يقول الامام الشاطبي في الموافقات .. ... والعلم المعتبر شرعا هو العلم الباعث على العمل . كما ان العلم ليس مقصودا لذاته ، بل للعمل به ، حتى العلم بالله ـ يضيف الشاطبي ـ لافضل فيه بدون العمل به وهو الايمان .

والحملة العنيفة للاسلام على الترف ، رغم دعوته الى الغنى ، تنطلق من هذا التصور الذي يحارب القعود والاستسلام للدعوة ، ويلح في استمرار السعي واكتساب الرزق .

وفي السياق ذاته يفسر موقف الاسلام الرافض للتعامل بالربا حيث ينضم بعض الاغنياء الى القاعدين بغير عمل ، مطمئنين الى ان اموالهم ستدر عليهم وهم جلوس دخلا ثابتا لا غرم فيه ولا عناء . ومستغلين في ذلك حاجة البعض الى اقتراض المال لسبب او آخر .

ومن هذا المنظور افتى ابن حزم بانه لا تجوز اجارة الارض ، ولا يجوز في الارض الا المزارعة بجزء مسمى مما يخرج منها (المحلى ج ٨) واستند في فتواه الى نهي النبي (ص) عن « كراء الارض » .

اذ ليس مقبولا ان يعمل انسان ويكد في زراعة أرض واستثمارها ، ويعطى لمالكها اجرا ثابتا ، بينما نتاج الارض غير مضمون دائما . والاقرب الى التصور الاسلامي ان تتم بين مالك الارض ومستثمرها مشاركة يقتسمان بمقتضاها الغنم والغرم معا ، حتى لا يظلم احد .

والحديث الشريف : من احيا ارضا ميتة فهي له ، دعوة صريحة للاستصلاح والاستزراع .

والشق الثاني من الحديث : وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنوات ، ينذر الحائزين بضرورة اعمار هذه الارض ، والا انتزعت منهم ، وهو ما اكده عمر بن الخطاب في قوله : من عطل ارضا ثلاث سنين لم يعمرها ، فجاء غيره فعمرها ، فهي له .

وقد بلغ الحرص على الاعمار مدى اعتبر معه كل غرس في الارض قربة الى الله تعالى .

وفي الحديث الشريف : ما من مسلم يغرس غرسا ، او يزرع زرعا ، فيأكل منه طير او انسان او بهيمة ، الا كان له به صدقة .

ولعل ابلغ وابدع تعبير عن هذا الحرص ، قول النبي (ص) :
ان قامت الساعة ، وفي يد احد منكم فسيلة (نخلة صغيرة) فليغرسها ، فان استطاع الا تقوم الساعة حتى يغرسها ، فليغرسها !

وذلك ان الفزع الاكبر يوم القيامة ، وفكرة فناء البشر ونهاية العالم ، ذلك كله ينبغي الا يعطل المسلم عن ان يغرس ويزرع .
هل هناك من استنفار ، بل اندفاع عارم ، نحو تعمير الدنيا اكثر من ذلك !!
واستدل بعض العلماء من ذلك على ان الزراعة افضل المكاسب ، وقال آخرون : بل الصناعة وعمل اليد ، وقال غيرهم : بل التجارة . ※

وايا كان الرأي في ذلك ، فان الاهم هو ان تستمر مسيرة الاعمار والانماء ، وأن يظل الجميع مستنفرين لبلوغ هذه الغاية ، من أي طريق كان .

وقد كان هذا الادراك الواعي هو الذي حدا بالخليفة ابي بكر لان ينبه جيش المسلمين المتجه الى الشام لمحاربة الروم بقوله : ولا تعقروا نخلا ولا تقطعوا شجرة مثمرة !

لم ينس الصديق في غمار الاستعداد للحرب ، ولحظة انطلاق جيش المسلمين لحرب واحدة من القوى العظمى في ذلك الزمان ، لم ينس ان يوصي برسالة الاسلام بعدم التعرض للنخيل والاشجار !
وهم ذاهبون للشهادة ، ذكروا بالحفاظ على عمارة الارض !
حتى في عالم الحيوان ، تظل قيمة عمارة الارض ، ويطرح الفكر الاسلامي موقفا يتصدى لحماية هذه المخلوقات ، لان في استمرار ما هو مفيد منها بقاء على احد عناصر التركيب الكوني ، وحماية لمسيرة الحياة ، وترسيخ لقيمة الاعمار .

ومشهور حديث النبي (ص) « دخلت امرأة النار في هرة حبستها ، فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الارض ، حتى ماتت هزلا » !

وعندما روى النبي لصحابته قصة الرجل الذي سقى كلبا ظمآنا فشكر الله فغفر له ، فسئل : ائن لنا في البهائم لاجرا يارسول الله ، كان رده عليه السلام : في كل كبد رطبة اجر !
وهكذا ، في كل غرس اجر ، وفي كل كبد رطبة أجر !
حتى قتل العصفور لغير حاجة ، يحاسب عليه المرء ، لان للعصافير وظيفة ، ولان الحياة بغير تلك الطيور الرقيقة تفقد احد عناصر بهجتها وجمالها . وما من كتاب في الفقه الا وتضمن بابا في الصيد ، حدوده وآدابه والحل فيه والحرمة . فالصيد بالحصى والاحجار الصغيرة ـ مثلا ـ منهي عنه ، لان تلك الحصى ـ كما يقول الحديث الشريف ـ لا تصيد صيدا ولا تنكأ عدوا ، لكنها تكسر السن وتفقأ العين !
اي انه اذا كان للصيد حاجة ، فيجب الا يتم بتعذيب الحيوان او الطائر !
بل ان الامام مالك ذهب الى عدم استحباب الاسراف في الصيد ، حتى اذا كان لحاجة الانسان .
ان تلك المخلوقات جزء من الحياة ، التي يحرص الاسلام على ان تستمر دافقة الى ان تقوم الساعة . والعبث باي من مكونات هذه الحياة ، على ضعفها وهوان شأنها مرفوض على طول الخط . ولان عمارة الدنيا ليست زراعة وحرثا وصناعة وتجارة فقط ، فيجب ان تستمر زقزقة العصافير !
والله اعلم .

※ الحلال والحرام ـ د . يوسف القرضاوي .

الرّوائى جنكيز ضاغجى وأحلام المسلمين فى القرم

بقلم : محمد حرب

يرتبط اسم جنكيز امين حسين ضاغجي ، باسم قضية مسلمي الاتحاد السوفيتي عامة وقضية مسلمي القرم خاصة . علينا ان نتعرف اولا على القرم التي قال عنها جنكيز ضاغجي انها : « جغرافية روحي » ومن ثم نتعرف على هذا الروائي .

كما ان فلسطين هي مأساة العالم العربي ، فان القرم هي مأساة العالم التركي ان هناك تشابها كبيرا بين مأساة فلسطين العربية ومأساة القرم التركية : فشعب فلسطين أخذت منه أرضه وطرد من دياره ، وشعب القرم (٧ ملايين نسمة) أخذت منه أرضه وطرد من دياره . في فلسطين : حدثت هجرات يهودية الى فلسطين الى ان استولى اليهود بالقوة المسلحة على هوية الارض الفلسطينية واعلنوا فيها دولة يهودية (عام ١٩٤٨) . وفي القرم حدثت هجرات يهودية روسية وصقلبية روسية الى القرم الى ان استولى الروس بالقوة المسلحة على هوية الارض القرمية (عام ١٩٤٦) . (لاحظ في هذا الصدد ان ستالين حاول اقامة دولة يهودية في القرم) .

لكن العالم يتذكر فلسطين وينسى القرم ، حتى قصة مصطفى جميل ، المثقف القرمي الذي طالب بجرأة من السلطات السوفيتية في عام (١٩٧٨) السماح لشعب القرم بالعودة الى بلاده ، هذه القصة لم يسمع بها العالم الا عندما نقل العالم الروسي زخاروف أنباء التعذيب الذي مارسته السلطات السوفيتية على مصطفى جميل حتى اذيع انه مات بسببه .

اهل القرم : اتراك مسلمون ، يتحدثون اللغة التركية بلهجتها القرمية . والقرم (معناها القلعة) شبه جزيرة تقع في شمال البحر الاسود . وهي اليوم مجرد اقليم عاصمته اق مسجد (اي المسجد الابيض : لاحظ ان الروس غيروا اسمها الى سيمفروبول) . وبموجب قرار مجلس السوفيت الاعلى في ١٩٤٦/٦/٢٠ ، ضمت القرم الى جمهورية اوكرانيا السوفيتية الاشتراكية .

مساحة القرم ٢٦,١٤٠ كم ، وهي منطقة غنية بالموارد الطبيعية ، ومواردها تكفي حاجة اهلها الى البلدان او الاقاليم الاخرى ، كما يشير الى ذلك بتفصيل ، مستجيب او لكوصال رئيس منظمة لاجئي القرم في دراسته اتراك القرم ، (انقرة ١٩٧٦) ، ففيها اي القرم ـ البترول والفحم الحجري والليغنيت والغاز الطبيعي والحديد والمنجنيز والرصاص والنحاس ، وكل ذلك بوفرة . ويعادل حديد القرم في جودته حديد المانيا ولكسمبورج .





جنكيز صاغجي

والقمح القرمي المشهور باسم قريكا جيد ووفير . والفواكه كثيرة ومتعددة الانواع (في القرم ٤٥٠ نوعا من العنب و ٥٥٠ نوعا من الكمثرى ، والامثلة كثيرة) والغابات الكثيفة والملح والمرمر والتبغ ، من الشواهد على غنى القرم .

القرم : التاريخ

كانت القرم ولاية في دولة التون اوردو (الجيش الذهبي) التي اسسها احد احفاده جنكيز خان وهو : باطوخان (ـ ١٢٦٨ م) . وعندما دمر تيمورلنك هذه الدولة تفرقت الى ثلاثة (خانيات) ، كانت القرم واحدة منها . تولى الحكم في خانية القرم عائلة كيراي (منذ ١٤٢٧ الى ١٧٨٣) التي فطنت الى خطورة روسيا على القرم فوقفوا ضد توسعها : حاصر محمد كيراي موسكو (عام ١٥٢١ م) واخضع حاكمها واسيلي واجبره على دفع الجزية ، ثم فتح دولت كيراي موسكو عام ١٥٧١ م .

وعندما اصاب الضعف خانية القرم بدأت اعتداءات الروس عليها وفي عام ١٧٧١ قتلت الجيوش الروسية ٣٥٠,٠٠٠ قرمي (مستجيب اولكوصال ـ المرجع السابق) . وعندما تنبه شاهيم كيراي آخر حكام عائلته (١٧٧٧ ـ ١٧٨٣) الى ضعف بلاده ، حاول إعادة بنائها وتقويتها فلم تمهله كاترينا الثانية (١٧٢٩ ـ ١٧٩٦) امبراطورة روسيا ، فبادرت بإرسال الجيوش الروسية بقيادة الجنرال بوتمكين عام ١٧٨٣ الى غزو القرم وتلاوة أمر الامبراطورة كاترينا بالحاق القرم بالامبراطورية الروسية وقد دخل الجنرال بوتمكين القرم وهو يحمل الصلاحية الكاملة لطرد شعب القرم والقضاء على دينه وثقافته ، رغم التعهدات الشكلية التي وعدت بها الامبراطورة الروسية بالمحافظة على كل حقوق القرميين .

يقول ادوارد دانييل كلارك ، وهو شاهد عيان على العدوان الروسي في القرم (١٨١٢) : « انهم (اي الروس) هدموا واحرقوا القرم ، كسروا الاشجار ، خربوا المنازل والمساجد والاماكن العامة والقنوات . سرقوا أهل القرم ونهبوهم ، وأظهروا السخرية بدينهم وبتقاليدهم . هدموا قبورهم ونبشوها .. » قال هذا ايضا الكاتب الروسي سوماراكوف (١٨٠٣) والكاتب الفرنسي دوبوا (عام ١٨٣٩) .

ونتيجة لتطبيق السياسة الروسية الرامية الى طرد الأتراك القرميين من بلادهم وتحويلهم الى أجراء في أرضهم بعد سحب ملكيتها منهم وتركهم بلا عمل يتعيشون منه بدأت الهجرات من القرم الى تركيا ، حتى وصل عدد المهاجرين منهم قرب نهاية القرن التاسع عشر الى مليون و ٢٠,٠٠٠ نسمة وحول الروس ٨٣٠ مسجدا (من مجموع ١٥٥٦) الى اغراض غير عبادية .

يقول الجنرال الروسي لفيتسكي في مذكراته المنشورة عام ١٨٧٩ : « ان الحكومة الروسية لم تتخل ـ وهي في سبيل الوصول الى المضايق والمياه الدافئة ـ عن اقتراح

الأمير منشكوف الخاص بتهجير اتراك القرم الى داخل روسيا والى الولايات الروسية البعيدة ايضا ... »

وفي ١٩١٧/١٢/١٣ تم اعلان استقلال جمهورية القرم الشعبية في ظل الثورة البلشفية يقوم على ادارتها حكومة وطنية . لكن البلاشفة « لم يكونوا جادين » في اعطاء القرم الاستقلال لأن ٣٠,٠٠٠ من بلاشفة مدينة (اق يار) غير الروس اسمها الى (سيفا ستبول) من جنود البحرية والعمال لم يعترفوا بسلطة الحكومة الوطنية وقاموا بمساعدة الروس المهجرين الى القرم من يهود وصقالبة ، باسقاط الحكومة واعدام رئيس جمهورية القرم جلبي نعمان جهان والقاء جثته في البحر (١٩١٨/٢/٢٣) .

وفي عام ١٩٢٠ اعلنت موسكو قيام جمهورية القرم ذات الاستقلال الذاتي وعينوا لرئاستها بلشفيا قرميا يدعى ولي ابراهيم .

وفي عام ١٩٢٨ اعترض ولي ابراهيم واعضاء حكومته القرمية على فكرة ستالين باقامة دولة يهودية في القرم وبالتالي على تدفق الهجرات اليهودية الى القرم ، فصدرت الأوامر من موسكو باعدام رئيس جمهورية القرم ولي ابراهيم وكل اعضاء حكومته وباتحاد الحركة الشعبية القرمية المعترضة . صحيح إن فكرة إقامة وطن قومي لليهود في القرم لم تنفذ ولم تتم ، إلا أن الهجرات اليهودية الروسية الى القرم كانت قد استقرت فيها*

وعلى إثر الاعتراضات الوطنية على قرار ستالين اصدر هذا امره المشهور عا م ١٩٢٩ بنفي ٤٠,٠٠٠ قرمي من بلادهم الى منطقة (سفرد لوفسك) في سيبريا حيث معسكرات العمل الاجباري الشاق ، فمات الكثيرون منهم من الجوع وقسوة البرد (درجة الحرارة في سيبريا تتراوح بين ٣٥ ـ ٤٠ تحت الصفر .

وعندما اعترض محمد قوباي رئيس جمهورية القرم على سياسة التجويع التي اتبعت تجاه البلاد (١٩٣١ ـ ١٩٣٣) نتيجة لاستيلاء حكومة موسكو على محاصيل القرم الزراعية وبيعها بالخارج ، نفاه الروس من بلاده (لاحظ ان مجاعة مماثلة حدثت في القرم عام ١٩٢١ ، اودت بحياة ٦٠,٠٠٠ قرمي)

وعند احتلال الالمان للقرم في الحرب العالمية الثانية تعاون القرميون معهم ضد الروس ، فانتقم الجيش الاحمر ـ بعد هزيمة المانيا ـ من القرميين ، ففي تاريخ ١٠ ـ ٢٥/ ابريل عام ١٩٤٤ ، نفى الروس البقية الباقية من شعب القرم من بلاده الى آسيا الوسطى وسيبريا ومناطق الاورال .

يقول رئيس منظمة اللاجئين القرميين : « ظل كل فرد من شعب القرم في المناطق التي نفي اليها خاضعا لمراقبة الشرطة ليلا ونهارا ، وخلال عشر سنوات . أما بعد هذه السنوات العشر فقد خففت هذه المراقبة بحيث سمحت السلطات السوفيتية بإمكان تغيير القرميين لاماكن اقامتهم وسكنهم بشرط الا يتعدى هذا حدود الولايات التي تم النفي اليها .

وبعد انتهاء الحرب ، اجتمع مجلس السوفيت الأعلى في ١٩٤٦/٦/٢٠ ، واصدر قراره بالغاء جمهورية القرم نتيجة : « لخيانة شعب القرم لدولة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وتعاونه مع الالمان » وبالحاق بلاد القرم بجمهورية اوكرانيا .

صحيح ان مجلس السوفيت الاعلى اتخذ قرارا عام ١٩٦٧ بالغاء قرار اتهام شعب القرم بالخيانة لكن شعب القرم ما زال في المنفى وما زال القانون بتحريم عودة هذا الشعب الى ارضه ساري المفعول وما زال الاعتقال والحبس و مصير كل قرمي ينادي بعودة شعب القرم من منفاه الى ارضه ومن هؤلاء عالم الفيزياء التروية المشهور قاضي بيف .

جنكيز ضاغجي

ولد جنكيز ضاغجي عام ١٩٢٠ في (قيزيل طاش) احدى قرى يالطا في القرم ، في وقت المجاعة التي حدثت في القرم واحتجاج القرميين على اصرار ستالين باقامة وطن قومي لليهود في القرم .

وعندما بلغ جنكيز الثانية عشرة من عمره شاهد بنفسه احتلال الروس لارض ابيه الفلاح المتوسط الحال وتحويل اصحاب الاراضي الكبيرة الى (عبيد) في المزارع التعاونية واثر في نفسه تأثيرا سيئا انعكس بعد ذلك في أدبه والقى القبض عليه ، ونفي مع جزء كبير من اهل قريته وكان بينهم اعمامه . وبموجب قرار حكومي حرم بقية افراد اسرة جنكيز من العمل (عثمان قوجة قايلان ، حول روايات جنكيز ضاغجي ، مجلة حركت عدد ١٩٧٩/٦ ، استانبول) .

في هذه الظروف تلقى جنكيز تعليمه الابتدائي في قريته ثم الاعدادي في مدينة (اق مسجد) (١٩٣٨) والتحق بمعهد التربية في اق مسجد لكنه لم يكمل دراسته لتجنيده في الجيش الروسي عند قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٤٠) .

حارب جنكيز في جبهة اوكرانيا ضد الالمان ، ثم ادخله الروس مدرسة الضباط في اوديسا حيث تخرج برتبة ملازم دبابات (١٩٤١) وفي نفس العام وقع جنكيز في اسر الالمان .

وفي السنوات الاخيرة من الحرب بعد هزيمة الالمان تخلص جنكيز من الأسر ولجأ الى الحلفاء وفي عام ١٩٤٦ استقر في انكلترا مع زوجته البولندية وابنته الوحيدة ، ثم افتتح مطعما في حي Chelsea في لندن ، وما زال يديره حتى الان .

وفيما يلي أسماء روايات جنكيز ضاغجي مع سنوات صدور الطبعات الاولى منها :

السنوات الرهيبة (١٩٥٦) ـ الرجل الذي فقد وطنه (١٩٥٧) ـ هم ايضا كانوا بشرا (١٩٥٨) سنوات الموت والرعب (١٩٦٢) ـ هذه الارض كانت أرضنا (١٩٦٦) ـ الحياة في الكولخوز (١٩٦٦) ـ العودة (١٩٦٨) ـ الشاب تيموجين (١٩٧٩) ـ الاطفال المشنوقون على اغصان شجر اللوز (١٩٧٠) ـ الشارع المصاب بالبرد (١٩٧٢) .

ملاحظة : نظم جنكيز الشعر ونشره في مجلتي الشباب والادب في القرم بين عامي ١٩٣٦ ـ ١٩٤٠ كما اثر فيه قبل ان يكون شخصية ادبية مستقلة كل من : تولستوي ودستويفسكي ونكراسوف وتورجنيف ، وكذلك كل من جويس وبروست وشتاينبك والالمان ايضا .

في رسالة قدم بها جنكيز ضاغجي روايته السنوات الرهيبة يقول : « احمد الله اني تركي مسلم ، واقسم بالله بان كل ما كتبته هنا انما هو واقع وحقيقة » . وجنكيز يتميز بالواقعية في رواياته ، وكلها تدور حول بلاده القرم . صور جنكيز في روايته السنوات الرهيبة اماني المسلمين في الاتحاد السوفييتي في الاستقلال ببلادهم من خلال اندفاعهم الى الاشتراك في جيش تركستان الذي كونه الالمان في الحرب العالمية الثانية لتحرير تركستان الغربية والقرم من الحكم السوفييتي . كما يصور جنكيز في هذه الرواية ما لاقاه هؤلاء التركستانيون والقرميون من العنت والتجويع والاحتقار والاستهزاء من الالمان ايضا ، لكن حبهم لبلادهم ولتحررها دفعهم الى الاقبال على التدريبات العسكرية العنيفة تحت اسرة الالمان ، والأمل يراودهم في التحرر ورفع الراية التركية الاسلامية فوق اراضي المسلمين الذين يحاولون الحفاظ على دينهم وتراثهم وعنصرهم وتقاليدهم وحريتهم من الضغط الروسي كما صور ايضا المحن التي شاهدها جنكيز بنفسه في صباه وشبابه . كما عبر ايضا عن حنين المسلمين الى العودة .

ان في روايات جنكيز ضاغجي : « ابعاداعالمية مثل اكتساب صفة الثورة على الظلم وبحث الانسان عن نفسه كما ان « الواقع الذي عاشه (جنكيز) وعبر عنه في رواياته » يضفي على أعماله الادبية قوة ، ويدفع القاريء الى الايمان بها . (عثمان قوجة قابلان المرجع السابق) .

ملاحظة : الذي يلفت النظر في قراءة روايات جنكيز ان الاسلام عنده عاطفة قوية واحساس صادق مخلص اكثر منه ايديولوجية شمولية .

وتدور احداث ثنائية « السنوات الرهيبة » والرجل الذي فقد وطنه حول : محنة كل من القرميين والتركستانيين الغربيين في ظل الحكم الروسي وقيام الحرب العالمية الثانية وما فجرته من آمال لدى المسلمين في الاتحاد السوفييتي ورغبة المسلمين في التحرر والاستقلال ـ كما قلنا من قبل ـ عن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ورغبة المسلمين في هذه الديار في الافادة من كل فرصة تظهر لهم في سبيل استقلال بلادهم ، وكل هذا بدافع من الحفاظ على عقيدتهم الاسلامية ، وعلى عنصرهم الذي يعمل الروس على اذابته في الاطار الروسي بحيث يفقد الاتراك في الاتحاد السوفيتي هويتهم تماما .

تصور هذه الثنائية ايضا كيفية تجنيد المسلمين في الجيش الروسي ، ثم وقوع الكثير منهم في معسكرات الاسر الالمانية ، وتدور أحداث القسم الاول من الثنائية وهو « السنوات الرهيبة » حول المحن التي لاقاها هؤلاء المسلمون في معسكرات الأسر الالمانية حيث اتضح للمسلمين ان الالمان لا يقلون عن الروس اذى ووحشية ، وحول تلذذ الالمان من معاناة المسلمين للاسر (الجندي الالماني يتلذذ من منظر تدافع هؤلاء الاسرى من اجل لقمة القاها هذا الجندي على الارض) .

لم ينس جنكيز أن يسجل في هذه الثنائية كراهية المسلمين الاسرى في المعسكرات الالمانية لليهود (اليهود الاسرى يحاولون جر الاسرى المسلمين الى الوقوع في عمليات تعذيب فظيعة نتيجة للمكر اليهودي والوقيعة بين ادارة المعسكرات وبين المسلمين الاسرى) .

وان كانت ثنائية جنكيز هذه تتسم بشموها في التعبير عن روح المقاومة لدى المسلمين السوفييت وان كانت

تتسم بتصويرها لمشاعر هؤلاء المسلمين تجاه الاستقلال والخلاص . فان روايتي : « هم ايضا كانوا بشرا » و « هذه الارض كانت ارضنا » قد خصصها جنكيز للتعبير عن محنة شعب القرم وحده ، لذلك يندر وجود التركستانيين فيها .

في هاتين الروايتين ايضا تصوير للحياة الاجتماعية والاقتصادية في القرم من خلال القرية القرمية خاصة قرية المؤلف التي عاش فيها . وفيها أيضا تعبير عن معاناة القرميين من « المزارع التعاونية » ورد الفعل السيىء الذي أحدثه نظام هذه الكولخوزات في نفوس القرميين ، ومقارنة بين القرية والكولخوز مقارنة هي في مصلحة القرية في وجدان جنكيز ضاغجي .

وإن كان جنكيز ضاغجي قد شمل في ثنائية السنوات الرهيبة والرجل الذي فقد وطنه ، الروس واليهود والالمان بكراهية شعبه والشعوب الاسلامية في الاتحاد السوفييتي ، فانه قد خص الروس بكراهية شعبه القرمي في روايته : « هذه الارض كانت ارضنا » ففيها يصور الروس بانهم شعب يكرس نشاطه لاذابة العنصر التركي المسلم فيه وبأنهم ـ أي الروس ـ قد عزموا على اذابة العنصر القرمي في العنصر الروسي .

الارض .... الارض .

يقول الناقد التركي جلال ترا ايدين في مقدمة دراسته لرواية « هذه الارض كانت أرضنا » لجنكيز ضاغجي ما يلي ... حدثت مصائب كبيرة ونكبات سواء للاشخاص او المجتمعات ، لكني أظن أن افدح النكبات هي نكبة شعب في وطنه ، هي طرد شعب من أرضه التي عاش فيها هو واجداده ، هي منع هذا الشعب من العودة الى أرضه مرة اخرى . إن الحكام الذين نزعوا أصحاب الأرض الأصليين من ماضيهم ، اصحاب الأرض الذين قذف بهم من الارض التي أمضوا فيها أيامهم سعيدة كانت ام تعيسة ، الأرض التي نشأوا وتزوجوا وأنجبوا الاولاد وانجب الاولاد الأحفاد فيها ، هؤلاء الحكام لم يكونوا يستطيعين إدراك فظاعة العمل الذي قاموا به وهم تحت تأثير احقادهم المتراكمة لكن الاتراك القرميين تمتلىء مآقيهم بالدموع عندما يتذكرون ماضيهم ، أما عندما يتذكرون ارضهم فإنهم يطلقون من صدورهم آهة ويقولون في حزن عميق : « هذه الارض كانت ارضنا » (مجلة وارلق ع ١٩٧٣/٧٨٧) .

في اداء يقارب الشعر شفافية يكثف جنكيز مشاعره نحو ارض وطنه السليب من خلال ست شخصيات قروية في « هذه الارض كانت ارضنا » ، فعلى لسان بكر الفلاح يقول :

« حدثيني يا ارضي ، امعقول ان اتركك واذهب ؟ الست انت ارضي ؟!! اجدادي ولدوا هنا .. نشأوا هنا .. عاشوا هنا .. ماتوا هنا !.. كنت يا ارضي بوارا ففلحتاك . اجدادي وانا ، نظفنا ترابك . انظري اي ارضي الى يدي الجافتين المشقوقتين هاتين لقد طهرتك من الحصى ومن الكلأ طهرتك من الأعشاب وجعلتك جميلة مثل الجنة . لم تصدر مني شكوى ضدك ، اذ كيف اشكو ؟ وسعادتي تكون بقدر ما اصابني من جهد وارهاق اثناء تطهيري لك وفلاحتي فيك . كثيرا يا ارضي ما غرست بيدي هاتين ، اغصان العنب والتبغ فيك . كنت ارويك يا ارضي بدموعي بينما كنت ادعو الله ان يمن عليك بالماء .

حبات اعنابك يا ارضي عندي بمثابة حبات اللؤلؤ في الجنة ، واوراق تبغك يا ارضي عندي ، بمثابة قطع الذهب . لا رغبة في هذي الدنيا الاك انت .. انت يا ارضي ... » . ■■

استانبول ـ محمد حرب

ماذا يريد

جلس مدير الشركة في غرفة الانتظار بمستشفى الولادة ... وبينما كان بقية الآباء يذرعون ارض الغرفة في عصبية . جلس هو امام احدى الموائد واخرج اوراقا من حافظة اوراقه المنتفخة واخذ يكتب فيها باهتمام .

وبعد بضع ساعات جاءت الممرضة وقالت له : ، انه ولد يا سيدي .

فقال المدير دون ان ينظر اليها .. حسنا .. اسأليه ماذا يريد ؟ ..

غرام يشيب

دعيني اعود الى شاطئيك   واسكب روحي على راحتيك
واغفي بقية عمري لديك   قريرا ، قريبا الى ناظريك
حرمنا مراح الصبا والمآب   وكابدت يتم الهوى في الصحاب
واوصد دوني اليك الشعاب   وضقت بقلبي بكل الرحاب
تناءيت حيرى بما تكتمين   ومسرى هواك دقيق دفين
طواه الحفاظ ونسج السنين   فما كان ضرك لو تفصحين
اسيرة صمت وبين وحد   ودنيا تباعدني كل بعد
وآنف اسعى اختلاسا لود   وطهرك يأبى فكاكا لقيد
وعشنا سواء فطيمي هوى   نلوك السهاد ونحسو الجوى
كلانا جواد كبا فالتوى   وضلت خطاه بوادي النوى
وذاب الشباب وشاب الغرام   وما زال جرحي عصي التئام
وما زال قلبي بين الحطام   خفوقا يطاول صمت الركام
وما فل عزمي عاتي الزمان   ولا رد طرفي قصي المكان
واصغي لوحيك ملء الجنان   رفيفا يباهي اختيال الحسان
اهيم التياعا بصوت رقيق   وطرف وديع جليل البريق
واقرأ عمري بسطر دقيق   على صفح خدٍّ نضير عتيق
جمالك وهج وعطر ولحن   وطيفك ظل وري وأمن
وان عاث فينا ذبول ووهن   عشقتك روحا الى الخلد تدنو
تعالي فقد شف ثوب الجسد   وكل اشتهاء خبا او خمد
وما خوف ساع هجا او حمد   حبيبين عادا لظل الابد

■■

جمعه جمجوم ـ الكويت

بين اليمن وألبانيا

صلات نضالية في مطلع القرن العشرين

بقلم : محمد موفاكو

قد يوحي العنوان بان الصلات اليمنية ـ الألبانية هي حديثة العهد ، الا انها في الحقيقة تعود الى فترة اقدم ، الى القرن السادس عشر ، حين تم اول احتكاك بين اليمنيين والالبانيين . وقد تم هذا الاحتكاك في اطار الامبراطورية العثمانية التي جمعت هذين الشعبين تحت سيطرتها ، بعد ان تمكنت من السيطرة على المناطق الالبانية ابتداء من معركة « كوسوفا » المشهورة ١٣٨٩م وعلى المناطق اليمنية فيما بعد عام ١٥٣٩م ويمكن لنا أن نميز نوعين من الصلات التي قامت بين اليمنيين والألبانيين خلال مرحلتين اساسيتين : مرحلة القمع (القرن ١٦ ـ ١٩) ومرحلة النضال المشترك (القرن ١٩ ـ ٢٠) .

وقد تميزت المرحلة الاولى بشكل عام بسياسة الامبراطورية العثمانية ، التي كانت تقوم على الاستعانه بالشعوب التي حكموها في مقاومة بعضها البعض فالامبراطورية العثمانية ، كما يقول بحق د . جورج حنا في كتابه « ألبانيا بلاد النسور » ، كانت عندما تقلقها انتفاضة تحررية ضدها في البلاد العربية تسرع الى استقدام فرقة من الجيش الالباني لاخضاع الشعب العربي الثائر . كما كانت ، عندما تقلقها انتفاضة تحررية في البانيا ، تسرع الى ارسال فرقة من الجيوش العربية ، وتضمها الى الجيش العثماني لاخضاع الشعب الالباني الثائر . فما كان احد الشعبين يتعرف الى الشعب الاخر الا في ساحات القتال والتدمير . فآلاف المقابر في البانيا تضم رفات ابنائنا الذين قتلوا فيها ، كما ان آلافا من المقابر في الصحاري العربية تضم رفات ابناء البانيا الذين قتلوا عندنا وتضرب لنا ملاحظة الدكتور حنا الى حد كبير تلك المرحلة الاولى . ولدينا افضل مثال عن هذه المرحلة في الانتفاضة اليمنية التحررية التي عمت اليمن في القرن السادس عشر ، التي وصلت الى ذروتها سنة ١٥٦٧ مع تحرير صنعاء وعدن . وامام خشية السلطان سليم الثاني من تأثير نجاح هذه الانتفاضة التحررية على المناطق المجاورة ، فقد كلف الوالي الالباني المعروف سنان باشا ، الذي كان حينئذ واليا على مصر ، بالتوجه الى اليمن للقضاء على تلك الانتفاضة . وفعلا ، غادر سنان باشا مصر متوجها مع جيشه الى اليمن سنة ١٥٦٩ ، حيث أخمد بقوة هذه الانتفاضة الى سنة ١٥٧١ . وقد وصف المؤرخ قطب الدين محمد المكي اليماني اخماد



مقاتلون البانيون في انتفاضة ١٩١١ التي هبت بتأثير الانتفاضة اليمنية في نفس السنة

سنان باشا لهذه الانتفاضة بانه « الفتح العثماني الثاني لليمن » ، الشيء الذي يدل على مدى خطورة تلك الانتفاضة .

بين اليمن والبانيا

وقد سارت الصلات العربية ـ الالبانية ، وبضمنها الصلات اليمنية ـ الالبانية ، في هذا الاتجاه حتى القرن التاسع عشر ، الذي تميز بحادثتين بارزتين . الاولى ، ظهور محمد علي باشا في مصر ، الذي فتح صفحة جديدة في العلاقات العربية ـ الالبانية بمحاولته كالباني تأسيس امبراطورية عربية مستقلة ، وبالتالي تجاوز الدور التقليدي للولاة الالبانيين في المناطق العربية الذي تمثل في قمع كل نزعة استقلالية . اما الحادثة الثانية ، فهي الانتفاضة القومية الالبانية ضد السلطة العثمانية سنة ١٨٧٨ ، التي انهت نوعا ما الاستسلام لعملية التهدئة التي استخدم الباب العالي الدين فيها لتبرير سيطرته على الالبانيين وعلى المناطق الالبانية . وقد تميزت هذه الفترة الباقية من القرن التاسع عشر ، وحتى استقلال اليمن والبانيا في مطلع القرن العشرين ، باندلاع سلسلة متواصلة من الانتفاضات التحررية . وخلال هذه الانتفاضات نما في اوساط اليمنيين والالبانيين وعي مشترك بالهدف المشترك لكل منهما ، الشيء الذي ادى الى نشوء صلات كفاحية بينهما في هذه الفترة .

ولابأس في ان نشير هنا الى المميزات المشتركة التي جمعت بين اليمن والبانيا ، وبين اليمنيين والالبانيين . ففي تلك الفترة كانت اليمن وألبانيا تتمتعان بموقع استراتيجي مهم للامبراطورية . فقد كانت اليمن بوابة الامبراطورية الجنوبية ، على حين ان البانيا كانت بوابة الامبراطورية الشمالية . وقد أدى هذا الموقع الى ان تشدد الامبراطورية العثمانية قبضتها على هاتين البوابتين لكي لا يؤدي استقلالها الى انفتاح هاتين البوابتين على الجهات الاخرى المجاورة . ومن ناحية اخرى ، كانت لطبيعة البلدين الجغرافية اثر كبير في استمرار الانتفاضات التحررية . فكلا البلدين يتمتع بطبيعة جبلية وعرة كانت تشكل معقلا ممتازا يحمي القوات الثائرة وينهك القوات العثمانية ، الشيء الذي كان يعيق الاخماد التام لاية انتفاضة . كما ان الطبيعة البشرية لكلا البلدين كانت تساعد بدورها على استمرار اندلاع الانتفاضات التحررية . فالعلاقات البشرية في اليمن والمناطق الالبانية في ذلك الوقت ، وحتى الى اليوم بشكل ما ، كانت تقوم على الاساس القبائلي ـ العشائري . فالاستقلالية ، التي تتميز بها القبائل والعشائر اليمنية والالبانية ، بقيت مقدسه ، وحافظت عليها هذه القبائل والعشائر بقوة السلاح خلال العهد العثماني . كما ان القبيلة او العشيرة ، بما يحكمها من علاقات داخلية ، كانت تتحرك كجسم واحد ، ولذلك فأي قرار « قبائلي » بالانتفاضة كان يشمل كل افراد القبيلة وبطونها .

وقد تبدت هذه الصلات النضالية اليمنية ـ الالبانية بشكل خاص في انتفاضة اليمن سنة ١٩٠٤ ، التي لم تكن سوى استمرار للانتفاضات السابقة . وقد لجأ الباب العالي كعادة الى استقدام الجنود الالبانيين وارسالهم لاخضاع الثائرين اليمنيين ، وذلك باستغلال عامل جديد ، عامل الدين . ففي تلك الفترة ، حاول الباب العالي ان يستغل الفوارق الطائفية بين اليمنيين الشيعة الزيديين والالبانيين السنيين ، وذلك لدفع الالبانيين الى الذهاب للحرب في اليمن لاخماد الانتفاضة . الا ان بداية سنة ١٩٠٥ حملت شيئا جديدا ، وذلك حين وجهت احدى المنظمات القومية العربية رسالة مفتوحة الى الالبانيين ، تدعوهم فيها الى الانسحاب من الجيش العثماني والى الكفاح في سبيل تحررهم القومي ايضا . وقد نشرت حينئذ هذه الرسالة المفتوحة الجريدة الالبانية المعروفة دريتا Drita ، التي ناشدت بدورها الالبانيين ان يتخلوا عن الجيش العثماني . وفعلا ، كما تذكر مجموعة المؤلفين السوفييت لكتاب « تاريخ البانيا » ، انسحب حشد من الضباط والجنود الالبانيين من الجيش العثماني في اليمن في ربيع ١٩٠٥ ، وانضموا للقتال في صفوف الثائرين اليمنيين ضد الجيش العثماني . الا اننا ، للاسف ، لا نملك معطيات اخرى حول مصير هؤلاء الضباط والجنود الالبانيين بعد انضمامهم الى صفوف الثائرين اليمنيين .

بعد خيبة الامل

وفيما بعد ، مع استيلاء جمعية « الاتحاد والترقي » على السلطة ، سنة ١٩٠٨ ، برز بوضوح اكثر الخط الشوفيني للامبراطورية العثمانية ، الشيء الذي زاد حدة الانتفاضات التحررية سواء في اليمن او في المناطق الالبانية . وكان قد صدر في نفس السنة ، آب ١٩٠٨ ، قانون جديد عن الباب العالي حول الخدمة العسكرية للالبانيين ، الذي تضمن تطبيقات صارمة حول خدمة الالبانيين في الجيش العثماني . ومع هذا القانون ، استمر ارسال الالبانيين ، ودون تمييز ، الى المناطق العربية بشكل خاص ، حيث كانوا يجابهون صعوبات المناخ بالاضافة الى توريطهم في العمليات العسكرية . وكنتيجة لهذا ، كانت قلة من الالبانيين تعود فقط من الخدمة العسكرية الطويلة في المناطق العربية ، وخاصة من اليمن . وحول هذا ، نجد ان الجريدة الالبانية المعروفة ديلي Dielli تورد في عددها بتاريخ ١٥ شباط ١٩٠٩ بان ٣٠٠ الباني فقط عادوا من اليمن من كل الذين ارسلوا للخدمة العسكرية هناك في ذلك الوقت .

وقد أدت السياسة الشوفينية ل « الاتحاد والترقي » الى عودة التهاب الانتفاضة في اليمن ، الشيء الذي كان يهدد بانتقالها الى المناطق المجاورة بتأثير الخيبة الجديدة التي اصيب بها العرب من جراء السياسة الشوفينية الجديدة . وكالعادة في هذه الحالة ، حاول الباب العالي اخماد هذه الانتفاضة بواسطة قواته الاوربية ، وخاصة فرقة سالونيك ، التي كانت تضم في عدادها الكثير من الضباط والجنود الالبانيين . وتدلنا الوثائق ان هذه المحاولة الجديدة من الباب العالي قوبلت بمقاومة من الجنود الالبانيين وبقسم من الضباط . وفي تلك الاثناء ، كانت تبدو في الافق انتفاضة جديدة للالبانيين في المناطق الالبانية ، وبشكل خاص في ولاية كوسوفا Kosova . وكما يقول الباحث زكريا تسانا z . cana فقد كانت حكومة « الاتحاد والترقي » واعية الى الخطر الذي يمكن ان تثيره هذه الانتفاضة الالبانية الجديدة في ذلك الوقت الذي كانت فيه الانتفاضة اليمنية على اشدها . ولذلك عمدت حكومة « الاتحاد والترقي » ، في محاولة لتفادي هبوب انتفاضة البانية جديدة في الوقت الذي كانت تلتهب فيه الانتفاضة في اليمن ، الى ارسال وفد ديني ـ سياسي الى المناطق الالبانية برئاسة المدرس عمر ناجي بك . وقد طاف هذا الوفد الديني ـ السياسي في المدن الالبانية الكبيرة داعيا الى عدم الانتفاض على السلطة العثمانية ومحرضا الالبانيين على الذهاب للحرب في اليمن ضد الانتفاضة هناك . وقد حاول هذا الوفد ، سواء في دعوته الى عدم الانتفاض او في التحريض للذهاب الى اليمن للحرب ، ان يستغل عامل الدين لدى الالبانيين ، الا انه فشل في ذلك فشلا ذريعا ، حيث لم يقتنع الالبانيون بحسن نية « الاتحاد والترقي » كما رفضوا ان يذهبوا للحرب ضد الانتفاضة في اليمن بحجة الدين . وحول مهمة هذا الوفد كتب احد القناصل في سالونيك يصف فشل مهمته بقوله بان عمر ناجي بك ورجاله « ذهبوا ببطء وعادوا بسرعة » .

انتفاضة جديدة

ولم يكتف الالبانيون بهذا الرفض في الانجرار الى سياسة « الاتحاد والترقي » في التورط بالحرب ضد الانتفاضة في اليمن ، بل بدأوا استعداداتهم للانتفاضة في سنة ١٩١١ . وقد كان للجنة مناستير Manastir السرية دور المركز المنظم لهذه الانتفاضة الجديدة . وقد عقدت هذه اللجنة اجتماعا هاما في بداية شباط ١٩١١ حضرته وفود من المناطق الالبانية المختلفة . وفي هذا

الاجتماع اعطت اللجنة تعلياتها وتوجيهاتها الى الروابط واللجان الوطنية الالبانية حول تنسيق العمليات للانتفاضة الجديدة . وما يهمنا من هذا الاجتماع ،ان هذه اللجنة قد ربطت بداية هذه الانتفاضة الالبانية بتطور الانتفاضة في اليمن . وفعلا ، هبت الانتفاضة الالبانية في وقت مبكر نسبيا ، في آذار ١٩١١ ، في جبال شكودرا shkodra . وفيا يتعلق بهذه الانتفاضة ، يعترف الباحث تسانا ، في كتابه « الحركة القومية الالبانية في كوسوفا ١٩٠٨ ـ ١٩١٢ » ، بان انتفاضة اليمن بشكل خاص قد خلقت شروطا داخلية مناسبة للانتفاضة في المناطق الالبانية . وهذا الارتباط بين الانتفاضتين ، الشيء الذي كان يهدد بفتح جبهتين حساستين في خريطة الامبراطورية العثمانية ، دفع بسلطة « الاتحاد والترقي » لكي تقوم بكل ما في وسعها لحصر الانتفاضة الالبانية . فازاء هذه الانتفاضة الالبانية ، عمدت سلطة « الاتحاد والترقي » الى نوع من الالتفات حول الالبانيين وذلك بارسال السلطان محمد رشاد نفسه في زيارة الى المناطق الالبانية ، الى ولاية كوسوفا ، في حزيران ١٩١١ ، وذلك في محاولة لتهدئة الالبانيين .

الا ان هذه الزيارة السلطانية ، وما رافقها من مظاهر ادعائية ، لم تؤد الى نتيجة فيا يتعلق بتغيير موقف الالبانيين من السلطة العثمانية ، بل خلقت بعض الهدوء فقط ، ذلك الذي سيسبق العاصفة في سنة ١٩١٢ . ففي هذه السنة ، كانت الانتفاضة اليمنية قد تمكنت من فرض نفسها على استنبول ومن انتزاع الاستقلال الداخلي التام لليمن . وقد كان هذا الانتصار من العوامل التي شجعت ودفعت اخيرا الانتفاضة الالبانية الشاملة في ايار ١٩١٢ ، التي كانت تطالب كحد ادنى باستقلال داخلي مشابه لذلك الذي حصلت عليه اليمن . ومع تعنت استنبول ، تجاوزت الانتفاضة حدودها واكتسحت المناطق الالبانية وتوجت انتصارها بتحرير سكوبيه ، عاصمة ولاية كوسوفا ، في آب ١٩١٢ . وبذلك وضعت استنبول امام الامر الواقع . الا ان هذا الانتصار الكاسح للانتفاضة الالبانية استغل من قبل الدول البلقانية التي اعلنت الحرب على تركيا في تشرين الاول ١٩١٢ واحتلت بدورها معظم المناطق البلقانية . ولم يتح للالبانيين ان يعلنوا استقلالهم على ما تمكنوا من الحفاظ عليه الا في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٢ . وبذلك تحقق في هذه السنة ، ١٩١٢ ، هدف مشترك جمع بين الانتفاضتين اليمنية والالبانية في مطلع القرن العشرين . ومع ذلك فقد جمع التاريخ اليمنيين والالبانيين في شيء آخر ، فكما توزع اليمنيون في يمن جنوبية وفي يمن شمالية ، توزع الالبانيون ايضا بين البانيا وبين كوسوفا ، التي اصبحت في عداد يوغسلافيا منذ عام ١٩١٨ ، والتي يتمتع فيها الالبانيون اليوم بالحكم الذاتي .

لن نخرج ابدا

ان هذه الصلات النضالية بين اليمنيين والالبانيين لا نراها فقط بين صفحات الوثائق التاريخية ، بل يمكن ان نطالعها ايضا في الادب الشعبي الالباني ، وبشكل خاص في الاغاني الشعبية التاريخية ، والى حد ما في الامثال الشعبية . فمن الامثال الشعبية نسمع اليوم « ما يوجد في اليمن لا يمكن ان يسجله القلم » . ولا شك في ان هذا المثل قد ذاع في اوساط الالبانيين من قبل الجنود الالبانيين الذين حالفهم الحظ واتيح لهم ان يعودوا احياء من الخدمة العسكرية في اليمن . الا ان هذه الصلات تطالعنا بشكل اوضح في الاغاني الشعبية التاريخية . ومن المعروف ان الشعب الالباني يتميز بتراث غني من الاغاني الشعبية التاريخية ، التي تتناول الحوادث التاريخية المختلفة في حياة هذا الشعب . وخاصة خلال نضاله للتحرر من السلطة العثمانية . فمن هذه الاغاني لدينا اغنية حزينة ، يبدو انها تعود للنصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حين بدأ تجنيد الالبانيين وارسالهم للحرب ضد الانتفاضات في اليمن . وهذه الاغنية الحزينة تغنى على لسان جندي الباني مقهور بعد ان جند وأرغم على الذهاب الى اليمن .

ولدينا من مطلع القرن العشرين اغنية شعبية تاريخية بعنوان « استشهدوا يا رجال في سبيل البانيا » . ويبدو من مضمون الاغنية انها تعود الى سنة ١٩١١ ، حين كانت الانتفاضة مندلعة في اليمن والمناطق الالبانية . ففي تلك السنة ، كما رأينا ، حاولت السلطة العثمانية ان تهدىء الالبانيين من جهة ، وان تحرضهم على الذهاب للحرب ضد الانتفاضة في اليمن من جهة اخرى . وتقدم هذه الاغنية تسجيلا رائعا للموقف الشعبي الالباني ، الشيء الذي يعبر بوضوح عن تعاطف الالبانيين مع اليمنيين في انتفاضتهم برفضهم الذهاب لقمع الانتفاضة في اليمن .

الا ان الموقف الشعبي يعبر عن رفضه لهذا الطلب ، للذهاب الى اليمن لقمع الانتفاضة ، وتأتي الابيات التالية لتعبر بقوة عن هذا الموقف :

لسنا ممن يذهبون الى اليمن
ولن نخرج ابدا خارج البانيا !

■■

محمد موفاكو
برشتنا ـ يوغسلافيا

أبو الطيب المتنبي

كل انسان يتأثر بالبيئة التي ينشأ فيها ، ولا مفر له من الاستجابة لاتجاهات العصر الذي يحتويه ، ومختلف نزعاته ، ويبدو الالف الشائع في بيئته ، والعادات المطردة في عصره ، خلال كلماته ، وطرائق تفكيره ، وفيا يوجهه من الاسئلة ، وما يتلقى من الاجوبة ، وفي جميع ما يختلج في خاطره ، وهواجس نفسه .

والشاعر المطبوع الفذ في رأي نقاد الادب ودارسيه هو الذي يأتي بالخواطر غير المسبوقة ، ويكشف اسرار حياته وافكاره وخواطره واوهامه واحلامه الخاصة ، وهذا في تقديرهم هو مقياس الاصالة ، وسمة الاخلاص في التعبير عن النفس ، والمنتظر منه ان يأتي بما ينفرد به لا بما يشاركه فيه سائر الناس من الافكار والخواطر والاحاسيس والخوالج ، والاستعارة نقيض ذلك ولكن الواقع ان الفن العظيم سواء في الشعر بوجه خاص او في غيره من الفنون الجميلة اعظم من ان يكون ذاتياً خالصا ومجرد امتداد لتجاربنا الخاصة ، ويردد كثير من كبار الشعراء الاصداء السالفة والخواطر والافكار والاحاسيس المسبوقة ، وقد يتعرضون من اجل ذلك للاتهام بانهم مقلدون ، وبان نصيبهم من الابتكار والقدرة على التجديد جد محدود .

والفنان الصادق المطبوع يفيد من تجاربه وتأثراته ونزعاته وتطلعاته وما حصله في دراساته واطلاعه ، ويتخذ ذلك كله مادة ويستغل كل قواه الفكرية والعاطفية في تنظيمها وتنسيقها واشادتها وبنائها ، وهو يستعين على ذلك بما يستخلص من التقاليد المرعية والاحكام والنظريات السالفة ، ومدى معرفته بالطبيعة البشرية ، وما يستمده من العقائد السائدة ، والاداب الغالبة ، فهو يفيد من تجاربه الذاتية ، والانسان لم ينفرد بخلق دياناته وعقائده ومألوف نظراته الاخلاقية وانما يستمد ذلك كله من اتجاهات عصره ، وهو يضيف الى هذه المادة المتجمعة ليلقي منها الضوء على المستقبل ، فهو لا يقف في الميدان منفردا ، وانما يتطلع الى ما حوله ، ويأنس بما يرتاح اليه ويستصوبه من الاراء والمعتقدات ومختلف الاتجاهات والمأثورات .

والفنان يستعير ويقتبس ويمعن في الملاحظة والبحث والتقصي ، ليظفر بالذخائر والنفائس ولا يرمي من اجل ذلك بعدم الامانة ، ونقص الاصالة . والعامل الهام هو كيف تناول المادة التي استعارها ، وكيف افاد منها وانماها وزاد عليها واضاف من عنده ما يزيدها تألقا ولمعانا وبهجة واشراقا وعمقا واتساعا ، وما دام بعيدا عن التقصير في التسامي بها ، والاضافة اليها وتجميلها ، وتصحيح ما قد يكون من الاخطاء والانحراف واستكمال



بين الأصالة والاستعارة

بقلم : علي ادهم

ما قد ينقصها من المزايا والمحاسن فاننا لا نستطيع ان ننكر عليه أصالته واجادة ادائه .

لا محل للاتهام

والذي ينتفع بالحكم المأثورة والامثال المضروبة والكلمات الخوالد ويجعلها جزءا من مبتكراته في الادب والفن ويلقي عليها ظل شخصيته ويطبعها بطابعه لا يوجه اليه الاتهام بالاغارة على التراث الادبي والفني ، ومعروف عن الكاتب الكبير برنارد شو انه افاد من دراسته للكاتب صامويل بتلر ، وقد لوحظ بوجه عام ان الكتاب والشعراء والفنانين يفيدون كثيرا ممن يشبهونهم في المزاج والاتجاه الفكري والفني ، وقد كان المتنبي يشبه الشاعر الكبير ابا تمام الطائي في ميله الى الحكمة ، ونظراته النافذة للحياة والمجتمع ، ولذلك عني عناية خاصة بدراسة شعر ابي تمام ، وقد روى العبيدي في كتابه المعروف الذي اسماه « الابانة عن سرقات المتنبي » انه سمع من ثقة انه لما قتل المتنبي في طريق الاهواز وجد في خرج كان معه ديوانا الطائيين بخطه وعلى حواشي الاوراق علامة كل بيت اخذ معناه وسلخه ، واذا نظرنا الى هذه الرواية بعين الفاحص المتأمل نجد انها لا تنال من ادب المتنبي ، وانما تدل على اكبابه على الدرس والحرص على الافادة من الاثار الادبية الممتازة للمتقدمين ، وبخاصة الذين يشبهونه في المزاج والاتجاه ، وحتى القرن الثامن عشر الميلادي كان المعروف ان هومر بلغ قمة الشاعرية دون امعان في الدراسة او استفادة من ادب غيره ممن سبقوه ، ولكن دارسي الادب اليوناني عرفوا بعد البحث المتقصي والدراسة الواعية ان قصصه الشعرية عن الابطال مأخوذة من الاشعار الغنائية التي تقدمت عصره ، وأنه لم يكن مطلعا على الاساطير والقصص التي تناولت حصار طروادة فحسب ، بل كان يعرف كل الاحداث المتصلة بالتاريخ البطولي لبلاد اليونان ، وانه استمد من هذه المصادر الحافلة واعتمد عليها ، وان الذين سبقوه مهدوا له السبيل الى تصوير الشخصيات ورواية الاحداث . ولم يشك احد برغم ذلك في اصالة هومر ، وقدرته البناءة ، ومن الكلمات المأثورة عن الشاعر الناقد وليام تيلور بتس قوله « كل فن لابد ان يكون مثل القنطروس يجد في الاساطير الشائعة ظهره وساقيه القويين » .

والشاعر العربي ابو تمام الطائي شغل باعداد ديوان الحماسة المعروف حينما ذهب الى عبد الله بن طاهر في خراسان وعاقته العوائق الجوية عن سرعة العودة الى مستقره ، وقد دل بحسن اختياره للاشعار التي اختارها في هذا الديوان على حسن اختياره ، وسعة اطلاعه والشاعر الانجليزي الكبير شكسبير لم يبتكر موضوعات رواياته وانما استمدها من الكتاب والشعراء الذين سبقوه . والمعروف عن الشاعر والمؤلف المسرحي الفرنسي موليير انه لم يكف عن الاستعارة طوال حياته ، ومن مأثور اقواله « انني لا اعف عن اخذ ما أفيد منه حيثما وجدته ، وملهياته مأخوذة من مؤلفين سبقوه ، والشخصيات الواردة في رواياته والمواقف والاحداث منقولة منها ، ولكن نقد المجتمع الوارد خلال كلمات ابطال الروايات في مختلف المواقف ـ مستمد من تفكيره ، وينم على قدرته الناقدة ، وعبقريته مثل عبقرية شيكسبير مصدرها قدرته على معرفة ذوق اهل عصره والمامه بما يخالج شعورهم ويدور في نفوسهم .

عاش عصره

وقد عرف المتنبي طبيعة عصره ، وادرك ما يدور في نفوس معاصريه ، وتقلب في مختلف الاقطار العربية ، ومتنوع البيئات ، واضاف الى ذلك اطلاعه الواسع الدائم ، فحفل شعره بالحكم والامثال ، وكان ثمرة لتجاربه ومختلف مشاهداته ، واعترف له خصومه بانه كان واسع الاطلاع كثير الرواية ، وفي كتاب « الصبح

المتنبيء عن حيثية المتنبي » ان المتنبي كان من المكثرين في نقل اللغة العربية والمطلعين على غريبها ولا يسأل عن شيء الا استشهد بكلام العرب من النظم والنثر ، وقيل ان الشيخ ابا علي الفارسي قال له يوما « كم لنا من الجموع على وزن فِعْلَى ؟ » فقال المتنبي في الحال « حجلى وظربى » وقال الشيخ ابو علي الفارسي « فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على ان اجد لهما ثالثا فلم اجد » .

وللشاعر الالماني الكبير جيتي رأي في الاصالة جدير بالنظر ، وقد عبر عنه في خلال حديثه الشائق مع ايكرمان يوم ١٢ مايو سنة ١٨٢٥ م ويقول جيتي في هذا الحديث « يتحدث الناس دائما عن الاصالة ، ولكن ما الذي يقصدونه بها ؟ فنحن حينما نولد سرعان ما تبدأ الدنيا تأثيرها فينا ، ويستمر هذا التأثير الى النهاية ، وغير الجهد المبذول والقوة والارادة ما الذي نستطيع ان ندعيه ؟ ولو اني استطعت ان اقدم بيانا بكل ما انا مدين به للسابقين العظماء والمعاصرين لما تبقى لي سوى جزء يسير في الميزان » .

ويقول جيتي في هذا الحديث « الشيء الهام هو أن من على ان اتعلم منه يلزم ان تكون طبيعته ملائمة لطبيعتي ، واضرب مثلا لذلك الشاعر كالدرن ، فبرغم انه شاعر عظيم وبرغم اعجابي به لم يكن له اي تأثير حسن او سيىء في نفسي »

وتصور المتنبي للبطولة والشجاعة والكرم وما الى ذلك من الصفات الحميدة مستمد من التقاليد العربية ، فالبطولة في رأيه تشمل الكرم في اقصى حدوده ، والشجاعة التي تستهين بالموت ، وهو يقول في ذلك :

ومن تكن الاسد الضواري جدوده
يكن ليله صبحا ومطعمه غصبا

وتشمل الشجاعة كذلك اعزاز الجار وكسر شوكة الجبار فهو يقول في مدحه لسيف الدولة :

يا من يعز على الأعزة جاره
ويذل من سطواته الجبار

ويشيد كذلك بعدم التفريط في طلب الثأر ، ويقول في ذلك مادحا سيف الدولة :

اذا طلب التبل لم يشأْهُ
وان كان دينا على ماطل

وقد تناول كثير من الكتاب والنقاد المحدثين ادب المتنبي وحياته بالدراسة والشرح والتحليل الكاشف الوافي ، والف الاستاذ محمد كمال حلمي رسالة جامعية عن حياة المتنبي وخلقه وشعره ، كما كتب عنه الاستاذ العقاد فصولا ممتعة في كتابه « مطالعات في الكتب والحياة » وكتاب الاستاذ محمود محمد شاكر كذلك من الدراسات القيمة وكذلك ما كتبه الاستاذ ابراهيم العريض عن « فن المتنبي بعد الف عام » ، وكتاب الاستاذ عبد الغني الملاح وما كتبه المستشرق الفرنسي الدكتور بلاشير ولكن يمكن القول بوجه عام ان النقاد والمؤرخين القدامى كانوا اكثر اهتماما بالكشف عما سموه « سرقات المتنبي » من الباحثين المحدثين ، فقد تناول هذا الموضوع تناولا مستفيضا العبيدي في كتاب « الابانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى » واختصه القاضي الجرجاني بحيث يسهب في كتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ، كما عني بهذا الموضوع الشيخ يوسف البديعي في كتابه « الصبح المنبي عن حيثية المتنبي » .

هل سرق فعلا ؟

وقد حاول العبيدي ان يدفع عن نفسه تهمة التحامل على المتنبي فقال في مقدمة كتابه « ولست يعلم الله اجحد فضل المتنبي وجودة شعره وصفاء طبعه ، وحلاوة كلامه وعذوبة الفاظه ورشاقة نظمه ، ولا انكر اهتداءه لاستكمال شروط الاخذ اذا لحظ المعنى البديع لحظا ، واستيفاءه حدود الحذف اذا سلخ فكساه من عنده لفظا ، ويعتذر عن اظهار ما اسماه سرقات المتنبي قائلا « غير اني مع هذه الاوصاف الجميلة لا ابرئه من سرقة » وهو يرى ان منزلة المتنبي لا تسمو الى منزلة ابي تمام والبحتري وابن الرومي ، ويأخذ عليه أنه كان يجحد فضائل من تقدمه من الشعراء .

والشاعر المطبوع يستفيد ويقتبس ويفيد من الذخائر الادبية ، ولا يتهم مع ذلك بالسرقة وقلة الاصالة والتقصير في التجديد والابتكار ، وطرافة المتنبي وبراعته وقدرته على التجديد والخلق تبدو في استعانته بشتى الاساليب الشعرية والمعاني والاخيلة والتصورات التي وردت في اشعار المتقدمين ، وهو يضيف الى ذلك نظراته العميقة ، وخبرته الواسعة وتجاربه ومعاناته .

والوسط الذي يولد فيه الانسان يكون اقوى تأثيرا في نعومة اظفاره وليونة السن ، لان النفس قبل أن تستكمل شعورها بكيانها وذاتيتها تكون غارقة في مؤثرات تنصب اليها من البيئة التي تعيش بها ، وليس هذا في اسلوب التعليم وحده ، ولا تقف هذه العملية

عندما يستحصد العزم ويكتمل الشعور الذاتي واللغة التي نتبادل الاحاديث بها نتيجة نمو مستمر ومحصول حياة الاجيال السالفة، وهي ليست مقصورة على تمكيننا من التعبير عن انفسنا، وانما هي تؤثر كذلك في تشكيل التفكير واتجاهاته، والعادات والنظم السياسية والادبية السائدة ومعايير الاداب والفنون والفلسفة والدين تبين القالب الذي يؤثر في بناء الشخصية للافراد وتكوين طرائق تفكيرهم، ولا يستطيع الانسان ان يتخلص من هذه المؤثرات الا الى حد محدود لا يمكن تخطيه وتجاوزه، والفرد الذي يملك حرية لاحد لها دون ان يتأثر بالعوامل الخارجية لا مكان له في عالم الحقيقة والواقع.

ولقد بذل صاحب كتاب الابانة عن ما اسماه سرقات المتنبي جهدا واضحا في التنقيب عن ما اتهم فيه المتنبي بالسرقة ولكن في الواقع اثبت لنا قدرة المتنبي واصالته في الكثير مما اتهم فيه بالاغارة والسرقة ومن امثلته ذلك قول ابن الرومي في شكوى الدهر:

شكوى لو انـي اشكوها الى جبل
اصم ممتنع الاركان لانفلقا

فقد نظر المتنبي الى هذا المعنى واعاد بناءه قائلا:

ولو حملت صم الجبال الذي بنا
غداة افترقنا اوشكت تتصدع

وابو تمام وهو في رأي الكثيرين من قدامى النقاد في الادب العربي امام اهل الصنعة يقول:

لو حاد مرتاد المنية لم يجد
الا الفراق على النفوس دليلا

وهو بيت من الشعر جيد النظم يجمع بين السلاسة والوضوح. ولكن المتنبي لم يقصر عن مداه حينما قال:

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت
لها المنايا الى ارواحنا سبلا

لوم جائز

والحق يقتضينا ان نقول ان المتنبي على فضله وقدرته وبراعته وفرط تمكنه في صناعة الشعر كان في بعض الاحايين يقصر في الاستعارة، ولا يحسن الاستفادة في اقتباسه، وهو امر قد استهدف له كثير من كبار الشعراء، وفي هذه الحالة يجوز ان نلومه، ونوجه اليه النقد لتقصيره بعد ان مهد له المتقدمون سبيل الاجادة ويبدو ذلك واضحا في عدم استفادته من بيتي اشجع السلمي، وهما قوله مادحا:

وعلى عدوك يا ابن عم محمد
رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا
سلت عليه سيوفك الاحلام

فقد اراد المتنبي الاستفادة من وقوفه على هذين البيتين فقال:

يرى في النوم رمحك في كلاه
ويخشى ان يراه في النهار

وقد قصر في هذا البيت عن مدى الاجادة التي حققها اشجع في بيتيه، وبعض المعاني التي اتهم العبيدي ابا الطيب بالسرقة من المعاني العادية المألوفة والمتداولة، ومن ذلك قول المتنبي

وانا الذي اجتلب المنيه طرفه
فمن المطالب والقتيل القاتل

فقد يكون قد اقتبسه من قول الشاعر دعبل:

لا تأخذوا بظلامتي احدا
قلبي وطرفي في دمي اشتركا

والواقع ان جانبا كبيرا من الفن يقوم على المحاكاة والافادة من براعة المتقدمين وحسن تناولهم لمشكلات الحياة والمجتمع، وكثير من التأملات التي استغرق فيها الشعر قد لا تكون افلتت من الشعراء السابقين، والحكمة القائلة انه لا جديد تحت الشمس تنطوي على معنى يستحق النظر والتقدير قبل توجيه الاتهام بالسرقة والسطو على المعني والاخيلة والافكار والاحاسيس، والفنان قد يجيد الاختيار في محاكاة المتقدمين، وقد يتعرض للاخفاق والتقصير مهما تكن كفايته وسوابق تفوقه واجادته، وما يعجب به الفنان في آثار سابقيه قد يبعثه الى الرغبة في محاكاتهم، ومحاولة الاجادة والتفوق فيه، وقد يكون من الظلم والرغبة في الاساءة والنيل من السمعة والمكانة المبادرة الى اتهام كبار الشعراء والفنانين بالانتهاب والسرقة الذي اولع به كثير من النقاد والمؤلفين في الادب العربي، ولعل هذا من اسباب اقلاع كثير من النقاد المحدثين عن سلوك هذا السبيل، ودفعتهم الى الاعتدال والترفق في اتهام كبار الشعراء والفنانين ـ وفي طليعتهم المتنبي ـ بالسرقة والسطو والانتهاب وهم مصابيح الفكر وقادة الرأي، وفي طليعة الحكماء المجربين والمبتكرين المجددين. ■■

علي ادهم

علم بلا ضمير !

بقلم : الدكتور حسن عيسى

يبدو ان السؤال لا يزال مطروحا : هل هناك مكان للأخلاق في العلم ؟! هل يمكن قبول فكرة اجراء بحث علمي ، معروف سلفا بانه سيؤدي الى الاضرار بفرد او جماعة ، في سبيل اثبات حقيقة قد تفيد آخرين مستقبلا ؟

ان المعلومات المثيرة التي تضمنها احدث كتاب عن البحث الاجتماعي ، تكشف النقاب عن نماذج مخجلة ، من تصرفات هيئات ومؤسسات كبرى ، استخدمت علماء ، كان بعضهم يعرف ما يقوم به في ابحاث كان القاسم المشترك بينها هو : « غيبة الضمير في الهدف والأسلوب ! »

ان كتاب « استراتيجية البحوث الاجتماعية ، لمؤلفه الامريكي هـ . و . سميث يطرح هذه القضية الخطيرة ، دفاعا عن الضمير العلمي ، ودفاعا عن الانسان .

لقد كانت العلوم الانسانية هي آخر المباحث الفلسفية التي استقلت عن الفلسفة بعد مقاومة شديدة وذلك لان نرجسية الانسان جعلته يرفض ان يخضع للدراسة العلمية ، ويصبح « موضوعا » لها ، في مستوى أي موضوع آخر من الجمادات التي تدرسها العلوم الطبيعية ، خاصة وأن تراث العصر الفلسفي كان يعتبر « الذات » أسمى وأفضل من « الموضوع » ، وينظر الى « التأمل الذاتي باعتباره افضل منهج للبحث عن الحقيقة ، بينما نجد ان الاساس الذي قامت عليه هذه العلوم الانسانية هو « الموضوعية » ، مثلها في ذلك مثل سائر العلوم ، فالمفروض ان العالم يدرس الاشياء والظواهر كما هي بالفعل وليس كما ينبغي لها ان تكون . ولذلك فهو ينحي قيمه ومعتقداته وتحيزاته الذاتية جانبا لكي لا تؤثر على ملاحظته الموضوعية للظاهرة التي يدرسها . وجوهر الموضوعية هو ان اي عالم آخر يستطيع ان يصل لنفس النتائج من ملاحظته لنفس الظاهرة بنفس الاسلوب .... ومن هنا راجت الفكرة القائلة بان العلوم الاجتماعية ينبغي لها ان تكون محايدة اي لا تتأثر بالقيم الاخلاقية والشخصية للباحث Value Free, Neutral. فالعلم يصف العالم كما هو بينما تصف الاخلاق ما ينبغي ان يكون عليه العالم .

واذا كانت وظيفة العلم هي مجرد الوصف الموضوعي للواقع الذي يدرسه فلن تكون هناك اية مشكلة . ولكن المشكلة تنشأ حينما نجد ان المعرفة العلمية التي يصل اليها انسان قد تؤدي الى السيطرة على انسان آخر ، وبخاصة في مجال العلوم الانسانية التي يكون موضوعها الانسان نفسه .

الهدف النهائي للعلم

الواقع ان العالم لا يهتم فقط بوصف الواقع الراهن ،

من البشر ؟



ولكنه يرغب في التنبؤ بمستقبل الاحداث والوقائع ، ويقوده التنبؤ في النهاية الى امكانية الضبط والتحكم في الظواهر التي يدرسها وهذا هو الهدف النهائي للعلم ، وهنا تظهر المشكلة : فالتحكم في العلوم الاجتماعية يكون موضوعه البشر انفسهم وهذا التحكم في الآخرين من البشر لا يخضع فقط لقرار العالم وحده ولهذا نجد ان العلم الذي يؤدي الى التحكم في البشر يحتاج الى ان يكون القرار الأخلاقي من العالم نفسه بالدرجة الاولى .

وقد يعترض بعض العلماء في مجالات العلوم الاجتماعية بأن هدفهم هو مجرد جمع البيانات عن الانسان ، وانهم لم يصلوا بعد الى تناول الانسان نفسه بالتجريب ، وعلى الرغم من ان الاتجاه الحالي في البحوث الحديثة يشير الى ان البحوث الاجتماعية قد بدأت تظهر اهتماما متزايدا بتناول الانسان نفسه بالدراسات التجريبية ، الا انه حين لا يكون تناول الانسان نفسه بالدراسة واضحا فيها ، تظل هناك مشكلات أخلاقية تختفي وراء مجرد جمع البيانات عن الانسان .

والحق ان الضبط التجريبي مسألة نسبية تتوفر بقدر ما في كل انواع البحوث وتفرض على الباحث التزامات اخلاقية معينة فعلماء الاجتماع مثلا يعتمدون غالبا على البحث المسحي حتى الآن ولكنهم يستخدمون في تحليلاتهم بشكل متزايد طرقا تقترب بهم من الضبط التجريبي . وهناك قاعدة عامة في العلم هي انه كلما زاد الضبط التجريبي الذي يقوم به العالم على المفحوصين الذين يدرسهم ، زادت دقة النتائج التي يصل اليها . والأمر على النقيض من ذلك بالنسبة للمسألة الاخلاقية : فكلما زاد الضبط التجريبي من العالم على مفحوصيه ، عظمت المشكلات الاخلاقية التي تترتب على هذا الموقف . فبقدر ما تكون زيادة الضبط التجريبي ميزة بالنسبة للبحث العلمي ، تصبح مصدر خطر من الناحية الاخلاقية .

واذا علمنا ان كل بحث علمي يؤدي الى احداث تغيير ما في الموضوع الذي يبحثه ، سواء بشكل صريح او بشكل ضمني ، فنجد ان العالم في مجال العلوم الاجتماعية سيكون له نوع من السيطرة او التحكم بشكل ما على المجتمع وافراده ، ومن هنا يجد هذا العالم نفسه بالضرورة متورطا في قضية القيم الاخلاقية .

مسئولية الباحث

ولتوضيح ذلك نفرض مثلا ان باحثا يجرب صلاحية بعض الطرق التربوية الجديدة بواسطة المنهج التجريبي . فما السلطة التي يمكن ان يبرر بها توفير تعليم افضل للمجموعة المعينة التي تسمى بالمجموعة التجريبية وليس للمجموعة الاخرى التي تسمى بالمجموعة الضابطة اي لماذا كانت احداها تجريبية تتمتع بالتعليم الاحسن والاخرى ضابطة تحرم منه ؟ او لنفرض ان باحثا يدرس السلوك الاجرامي كما يتمثل في انحراف الاحداث ، وما يقومون به من سطو او تخريب فهل ينبغي عليه ان يرفع تقريرا عن نشاطهم المضاد للقانون الى السلطات المسئولة ؟ .

الواقع ان الباحث لا يستطيع ان يخرج نفسه من مثل هذه الامور بألا « يفعل شيئا » على الاطلاق فعدم اتخاذ موقف يعد في حد ذاته موقفا . لان المطلوب من الباحث هو ان يكون مسئولا سواء بشكل صريح او بشكل ضمني عن احداث تغيير او ابعاد تغيير آخر عن المفحوصين الذين يجري عليهم دراسته .

وبينما نجد ان الباحثين في العلوم الاجتماعية

والسلوكية غير متفقين تماما على مجموعة واحدة من القواعد الاخلاقية العامة التي يجب اتباعها في البحوث التي تشتمل على مفحوصين من البشر ، نجدهم متفقين بوجه عام على ان الباحث ينبغي ان يسأل نفسه السؤال التالي :

« هل تتناسب الاهداف العلمية التي تحققها الدراسة مع المخاطرة التي يتعرض لها المفحوصون وبعبارة اخرى : هل تفوق الفوائد العلمية المحتملة المخاطرة التي يمكن ان يتعرض لها المفحوصون .

وهنا نجد ان الباحثين منقسمون بهذا الصدد الى فريقين : اقلية تنادي بقانون اخلاقي مطلق وموحد ينطبق على كل مواقف البحث العلمي . واغلبية تزعم بأن كل القرارات الاخلاقية ينبغي ان يمليها ضمير الباحث وحده ، في كل موقف على حدة .

والواقع انه لا معنى لهذا التمييز بين الفريقين ، سواء اولئك الذين يؤمنون بالاخلاق المطلقة ، او هؤلاء الذين يؤيدون الاخلاق النسبية ، فقد اصبحت المعادلة المقبولة من الجميع هي المقابلة بين الاهداف العلمية والمخاطرة التي يتعرض لها المفحوصون ويعترف الباحثون جميعا بان الالتزام الاخلاقي للباحث يجب ان يتناسب مع مخاطر الدارسة وما يترتب عليها من ضرر على المفحوصين .

تجربة عشناها !

الا ان لكاتب هذا المقال رأيا يختلف عن ذلك فيا يتعلق بمسألة تحديد الفوائد المحتملة هذه ومدى تفوقها على الضرر الذي يحيق بالبشر . فمن الذي يحدد ذلك ؟ هل هو العالم نفسه ؟ ام السلطة التي يعمل في خدمتها احيانا ؟ ولنا في ذلك تجربة مباشرة مع موضوع تهجير اهالي منطقة حلفا بشمال السودان الى خشم القربة التي تقع في شرقه نتيجة لغرق اقليمهم بمياه السد العالي . فقد رأى الخبراء الاقتصاديون في عهد حكومة عبود العسكرية ان الفوائد الاقتصادية الناتجة عن تهجير الحلفاويين الى هذا المكان الذي يختلف تماما عن بيئتهم الاصلية تفوق الاضرار التي سيتعرضون لها نتيجة لذلك . وكانت المحصلة النهائية وفاة المئات من كبار السن او اصابتهم باضطرابات نفسية وعقلية خطيرة نتيجة لفشلهم في التوافق مع البيئة الجديدة (كانت دراسة الكاتب في الدكتوراه تتناول هذا الموضوع) . ورغم النجاح الاقتصادي للمشروع بعد ذلك ، الا اننا لا نستطيع ان نقول بان هذا يفوق التضحية بالمئات من البشر . ونحن نقف ضد الاتجاه المنتشر في كثير من البلاد النامية والذي ينادي بالتضحية بالفرد في سبيل المجتمع ، فلا يمكن ان نقبل التضحية بجيل ما ، او سكان منطقة ما تحت اية شعارات تعد بحياة افضل للاجيال القادمة ، وهي أمنية محتملة ، وحتى ان تحققت ، فلا ينبغي لنا ان نقبل بمثل هذه التضحية المفروضة على اناس لم يختاروها مهما كانت الاعتبارات » .

وعلى الرغم من التزام معظم الباحثين بالقاعدة السابقة ، الا ان عددا قليلا منهم تجاهلها فأوجد مناخا غير ملائم ومضادا للبحث العلمي انسحب على كل الباحثين ، ونعرض فيا يلي امثلة معاصرة عن بعض هذه البحوث التي تتناول الانسان وتتحكم في مصيره ، وما اثارته من مشكلات اخلاقية . ونعتمد في معظمها على ما ورد في كتاب المؤلف الامريكي هـ . و . سميث H.W . Smith, 1975 والذي يحمل عنوان : «استراتيجيات البحث العلمي » « Str atigies of Social Research » فنتناول اولا : « مشروع كاميلوت « Project Camelot » لما كان لهذا المشروع من آثار مدمرة لسمعة الباحثين الاجتماعيين لا في الولايات المتحدة وحدها ، بل وفي العالم كله . وكانت وزارة الدفاع الامريكية هي التي تمول المشروع بميزانية مقدارها ستة ملايين دولار ، ويعتبر هذا المبلغ هائلا اذا قورن بميزانيات البحوث الاجتماعية السابقة ، وسنفهم السر في انفاق هذاالمبلغ الضخم من قبل وزارة الدفاع الامريكيةاذا علمنا بان الغرض المعلن لهذه الدراسة كان جمع بيانات عن طبيعة الثورات واسبابها في البلدان النامية . اما ما هو اكثر اثارة للاهتمام من الناحية الاخلاقية فهو ان الهدف الحقيقي من الدراسة كان هو كيفية منع الثورات .

وقد تم التفكير في هذا المشروع في نهاية عام ١٩٦٣ ، ولكنه لم ير النور قط حيث تم اجهاضه قبل تنفيذه . ومن المثير للسخرية ان بلدا لم يكن داخلا في اطار الدراسة ، هو الذي اخذ على عاتقه محاربة هذا المشروع ونجح في وقفه في النهاية ، ففي سنة ١٩٦٥ سرب عضو بمجلس الشيوخ في تشيلي ، عن طريق صحافة بلاده ، عبارة لعالم الاجتماع النرويجي جون جالتنج G. GALTUNG ، فضحت هذا المشروع . وقد تسبب الضغط السياسي الذي قامت به تشيلي الى وقف المشروع فورا نتيجة لما أبداه اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي والرسميون من رجال الحكومة الامريكية من اهتمام بالغ بذلك .

والغي المشروع نهائيا بامر من الرئيس الامريكي نفسه ، وكان في ذلك الوقت ليندون جونسون وكان من نتائج ذلك ايضا ان اقر الرئيس جونسون سياسة جديدة تؤدي الى رفع حماية الحكومة الامريكية عن البحوث التي تجري في خارج الولايات المتحدة اذا رأى وزير الخارجية انها تؤثر تأثيرا سيئا على سمعة الولايات المتحدة وعلاقاتها الخارجية بالدول .

كيف يمكن منع الثورات ؟

ويرى عالم الاجتماع الامريكي هورويتز (Horwwitz, 1965) ان المشروع كان يتضمن منذ بدايته سلسلة من التحيزات الخطيرة لافكار غير علمية في النظر الى موضوع الثورات فهناك اولا الهدف من البحث الذي تمثل في السؤال التالي : كيف يمكن منع الثورات ؟ »

فمثل هذا السؤال يفترض اساسا ان الثورات شيء ضار (وربما كانت كذلك من وجهة نظر وزارة الدفاع الامريكية) ولم يوجه العلماء اي اهتمام الى الثورة باعتبارها قوة مفيدة في التغيير الاجتماعي وذات طابع إنشائي .

والامر الخطير الثاني هو ان العلماء الاجتماعيين المشتركين في المشروع قد تركوا لوزارة الدفاع ان تدعي لنفسها الحق في أن يكون لها المسئولية الكاملة في تحديد المشكلات التي ترى من المفيد ان يبحثها المشروع . وعلى هذا فالسؤال الملح والخطير هو :

« هل افصحت وزارة الدفاع للعلماء الاجتماعيين عن الاغراض التي ترغب في تحقيقها من وراء هذا البحث ؟ » او بمعنى آخر : « هل أملت وزارة الدفاع اهداف المشروع على هؤلاء العلماء ؟»

لقد أدى مشروع كاميلوت هذا الى عدة سقطات اخلاقية كان اهمها ، وهو المخزي حقا ، ان العلماء المشرفين على البحث لم يرفضوا التعامل مع المشروع بدافع من نزاهتهم العلمية باعتبارهم هم المسئولين بحكم تسلحهم بقانون الالتزام الاخلاقي ، عن حماية العلم من تدخل رجال السياسة ، فقد سمحوا للعميل صاحب البحث وممولة ، وهو وزارة الدفاع بأن يسخر بحثهم لمصلحته ويستخدمهم كما لو كانوا يقدمون مجرد « مساعدة مأجورة » ، وهو ما يأباه العلم الحق على علمائه .

وقد ادى هذا بالعميل لأن يفصل أغراض البحث على اساس احتياجاته هو ، وبصرف النظر عن متطلبات البحث العلمي وما يحتاجه من ضوابط منهجية واخلاقية .

ويلخص لنا هورويتز المسألة بألفاظه هو على النحو التالي :

« كان مشروع كاميلوت من وجهة نظري الخاصة غير قائم على اساس منهجي سليم من الناحية العلمية ، وعلى الرغم من هذا فان ما هو اكثر دلالة ومعنى في هذا الموضوع ان المشروع لم يلغ بسبب خطأ هذه المناهج العلمية ولكن الغاءه قد تم نتيجة للرقابة الحكومية وهذا ما يعبر عن مدى الاستهانة بالعلوم الاجتماعية من جانب الحكومة المسيطرة التي هي اشد الجميع حاجة لهذه العلوم لما تقدمه لها من خدمات . لذلك وجب ان نهتم بالا نسمح بتجريد مشروعات البحوث الاجتماعية من الاحتياطات العلمية المنهجية بأوامر حكومية حتى لو كنا لا نوافق على هذه البحوث على اسس سياسية أو عقائدية .

كارثة كاميلوت !

وهورويتز هنا لا يحذرنا فقط من مسألة تمويل البحوث التي تفتقد الى اساس سليم من الناحية العلمية او العقائدية او الاخلاقية ، بقدر ما يود ان يشير الى نتيجة هامة لكارثة كاميلوت هي على وجه التحديد : « إن كاميلوت قد اوقف بحثه نظرا لطبيعة التهديدات السياسية التي تترتب عليه بالنسبة للحكومة الامريكية بدلا من ان يوقفه نظرا لما فيه من نقص خطير في قيمته العلمية من الناحية المنهجية . وكان من الممكن لهذا البحث ان يؤدي ، لو لم يتم اجهاضه ، الى التأثير على مستقبل البحوث العلمية المحترمة ذات القيمة العلمية والاخلاقية .

ونود ان نضيف هنا ان اسرائيل اتبعت نفس هذا الاسلوب حين اعتمدت على دارستها للشخصية العربية وسماتها في تخطيطها لهجمات الطيران المنخفض التي بدأت بها حرب الايام الستة في يونيو ١٩٦٧ .

فقد كانت تعرف بناء على هذه الدراستان الجنود في خطوط الدفاع الاولى سيشاهدون الطائرات المعادية اثناء طيرانها المنخفض ولكنهم سيترددون لفترة في ابلاغ هذا النبأ السيء لقادتهم في مطلع النهار ، وستستغرق عملية التردد بين مستويات القيادة المختلفة حوالى نصف ساعة ، ولذلك حسبت خطة الطيران بالكمبيوتر بطريقة بيرت بحيث يتم الانتهاء من ضرب جميع المواقع الهامة في نفس الوقت في حوالي ثلث ساعة .

ومثل آخر !

المثال الثاني الذي يقدمه لنا سميث : هو دراسة جول زيهر لحبوب منع الحمل . فقد قام احد اطباء مدينة سان انطونيو ويدعي جوزيف جولد زيهر في خريف سنة ١٩٦٩ بدراسة لاختبار الآثار الجانبية لحبوب تنظيم الحمل على عينة معظمها من الامريكيات المكسيكيات تضم ٣٩٨ امرأة . وقسمت العينة الى اربع مجموعات تجريبية ومجموعة ضابطة واحدة .

وقد اعطيت لثلاث من هذه المجموعات التجريبية حبوب تنظيم الحمل التي توزع تجاريا ، بينما اعطيت للمجموعة الرابعة حبوب جديدة تجرب لاول مرة واعطيت للمجموعة الضابطة حبوب زائفة من السكر (لتلافي اثر الايحاء) .

وقد وافقت كل النساء الموضوعات تحت التجربة على ان يتعاطين حبوبا لمنع الحمل وبعد حوالي سنة ونصف من الدراسة وجدت الادارة الفدرالية للعقاقير ان حبوب منع الحمل التجريبية غير مأمونة . وعلى هذا الاساس اوقفت دراسة جولد زيهر . واكتشف في ذلك الوقت ان هناك سبعة من المشتركات في الدراسة قد حملن ، ست منهن من المجموعة التي تناولت حبوبا مزيفة والسابعة من المجموعة التي تناولت الحبوب التجريبية . وحيث ان المشتركات في الدراسة قد وقعن اقرارات بالموافقة على اشتراكهن فيها تحتوي على تنبيه لهن بضرورة استعمال الحبوب الموصوفة . لذا فانهن كن يعتقدن بأنهن يقمن بمنع الحمل ، ومعنى هذا ان الباحث لم يذكر لهن الحقيقة (خاصة بالنسبة للمجموعة الضابطة التي كانت تتعاطى حبوبا زائفة لا علاقة لها بمنع الحمل) . وترتب على ذلك بأن حملت سبع من النسوة بأطفال لم يكن يرغبن في إنجابهم !

ورغم ان الخطأ الاخلاقي واضح في هذه الحالة ، إلا ان الباحث يرى انه من الافضل ان نركز على نتائج الدراسة التي استفدنا بها ، والتي تقول بأن الآثار الجانبية لحبوب تنظيم الحمل تكون غالبا آثارا جسمية ـ نفسية Psycho — somatic وليست آثارا فسيولوجية مباشرة .

والغريب في الامر ان اللجان الحكومية التي عهد اليها بتقييم الجانب الاخلاقي في هذه الدراسة قد قررت ان فوائد هذا النوع من الدراسة تفوق المخاطر التي تعرض لها الافراد المفحوصون وتجاهلت هذه اللجان مسألة هامة هي : « من الجهة التي يتوجب عليها تحديد ما هو في صالح الافراد او ضد صالحهم ؟ ؟ »

وتوحي لنا هذه الحالة بأن القوانين الاخلاقية المستخدمة حاليا في البحوث الانسانية والتي تعتمد على توقيع الافراد بالموافقة على الاشتراك في الدراسة دون ان يعلموا بحقيقة ما سيحدث لهم ، ليست كافية لحماية القواعد الاخلاقية للبحث العلمي . وعلى الرغم من ذلك فوزارة الصحة بالولايات المتحدة ما زالت تعتمد على هذه القوانين غير الأخلاقية وربما تساهلت اللجان الحكومية في المعايير الاخلاقية لان المشتركات في الدراسة معظمهن من غير البيض .

فضيحة تا سكيجي !

وهذا يقودنا الى الحالة التالية التي تمثل فضيحة اخلاقية كانت مجهولة ، حتى القي الضوء عليها مؤخرا .

وهي دراسة اهالي تاسكيجي :

فقد بدأت وزارة الصحة العامة في الولايات المتحدة دراسة في سنة ١٩٣٢ كان هدفها معرفة تأثير مرض الزهري على جسم الانسان . وفي هذه الدراسة أيضا تم اجراء الفحص الطبي على فترات منتظمة لعدة مئات من زنوج الباماوتا سكيجي الذين كان من المعروف انهم مصابون بالزهري وبواسطة اطباء وزارة الصحة العامة ومنذ اللحظة التي بدأت فيها الدراسة قام هؤلاء الأطباء الحكوميون بمنع علاج المرض عند المفحوصين المشتركين في البحث لكي يستطيعوا ان يحددوا آثار مرض الزهري على الجسم .

وقد أثيرت الشكوك فيما بعد عن سبب عدم اجراء الدراسة على اشخاص من البيض ، وتبين أنه كان مقدرا لها في البداية ان تجرى على « خنازير غينيا » فعادوا واستبدلوا بها الزنوج كحيوانات تجارب تماما كما تمت تجربة حبوب منع الحمل على اهالي بورتوريكو الملونين قبل ان يسمح بتداول هذه الحبوب للجمهور العام من سكان الولايات المتحدة الامريكية . والواقع ان الجمعية الطبية قد فعلت ما هو اسوأ من ذلك في هذه الدراسة الأخيرة عن آثار الزهري . فقد زودت اطباء الحكومة الذين قاموا بهذه الدراسة بقوائم بأسماء الفقراء وغير المتعلمين من الزنوج الذين استخدموا في الدراسة بدلا من « خنازير غينيا » . وكانت النتيجة ان الكثيرين من هؤلاء قد ماتوا واصيبوا بعجز شديد بسبب الزهري الذي اصيبوا به وترك دون علاج .

والوصمة الاخلاقية في هذا البحث هي ان الباحثين لم يحصلوا على موافقة المفحوصين مسبقا ولم يخبروهم بما

سيجري عليهم من تجارب وما اهدافها ... والغريب في الامر ان هذه الفضيحة الاخلاقية ظلت خافية عن الضمير العلمي لعلماء الولايات المتحدة منذ بداية الثلاثينات ، حتى كشف عنها النقاب في السبعينات بمناسبة ما أثاره بحث جولدزبهر السابق عن حبوب منع الحمل .

أرأيت الى اي مدى يسقط العلماء لو لم يتسلحوا بقوانين الالتزام الاخلاقي في البحث العلمي ؟ !

إننا نستطيع في النهاية أن نلخص بعض الارشادات التي نوصي الباحثين بها في اي بحث يستخدم مفحوصين من الآدميين . ومنها :

أولا :

الحصول على الموافقة المصحوبة بمعرفة ما سيحدث للمفحوص نتيجة اسهامه في البحث والتأكد من فهمه لذلك بوضوح تام ، وألا يكون هناك اي نوع من القسر والاجبار في الحصول على هذه الموافقة ويتم تطبيق هذه القاعدة بمنتهى الصرامة والدقة في البحوث التي تتناول الأفراد انفسهم كموضوع للدراسة التجريبية (وليس آراءهم او خبراتهم كما في البحوث الاستطلاعية أو الوصفية والمسحية التي تستخدم مقابلات او استبيانات) .

وأن يعرفوا بالتفصيل ما سيتعرضون له من اجراءات التجربة ونتائجها ، مع وجود تحذيرات كافية باستخدام السرية واحترام كرامة الافراد كبشر ، ويجب ان يعطي الافراد هذه الموافقة بانفسهم ، وان يكون لهم الحق في ان يسحبوها في اي وقت . والحرية في عدم الاستمرار في التجربة في اي مرحلة من مراحلها وعلى الرغم من ان هذه القاعدة الاخلاقية التي يقبلها الجميع قد وضعت لحماية المفحوصين الذين يتطلب الامر حمايتهم ، إلا ان الواقع يظهر لنا انه ليس كل الافراد والجماعات يحتاجون للحماية بنفس الدرجة . فقد تبين ان الذين تلقوا قدرا ضئيلا من التعليم ، والاقليات الاقتصادية والعرقية هم اكثر الناس حاجة للحماية لانهم اكثرهم تعرضا للاستغلال في هذا المجال . ولذلك يحتاجون لتحذيرات وشروح اكثر تفصيلا ممن هم اغنى واكثر تعليما . كذلك فان كثيرا من الباحثين يضمنون بحوثهم اطفالا أو مساجين او افرادا متخلفين عقليا ، وهؤلاء يحتاجون لحماية اكثر من المعتاد حيث يحتمل تعرضهم لاستغلال اكثر ، ولا بد من الحصول على موافقة من شخص مسئول عنهم قانونيا بذلك .

ثانيا :

الشرط الثاني الذي يجب ان يلتزم به الباحث هو ان يحتفظ بسرية كل المعلومات التي حصل عليها من المفحوصين . وفي بعض الاحوال العلمية حين يفقد الباحث ثقته في الوفاء بوعده نتيجة لضغوط قانونية كطلبه للشهادة او ما الى ذلك ـ يكون من الضروري ان يخبر المفحوص او مصدر المعلومات بذلك بسرعة ليتدبر امره .

ثالثا :

من اخطر المسائل الاخلاقية التي تثير الجدل ما يتعلق بالاعتداء على الحياة الخاصة للافراد بدعوى فوائد البحث العلمي وتتضمن مثل هذه المواقف عموما دراسة الآخرين دون ان يشعروا بأنهم محل دراسة ، وذلك حتى يضمن العالم ان يكون سلوكهم طبيعيا وتلقائيا .

رابعا :

المعادلة بين مخاطرة المفحوص والفوائد المحتملة للبحث : ينبغي ان نوازن بين المخاطر المعروفة او التي يمكن توقع حدوثها للمفحوصين والفوائد المحتملة التي يمكن ان تنتج عن مساهمتهم في البحث سواء اكانت بالنسبة لهم ام لمجتمعهم أم للانسانية جمعاء ، وتزداد اهمية هذه المعادلة والحرص عليها كلما زاد التحكم الذي يمارسه الباحث على مفحوصيه كما يحدث في البحوث التجريبية الكاملة مثلا حيث يسمح بقدر اكبر من المخاطرة من جانب المفحوصين حيث تكون الفوائد الناتجة عن التجربة بالنسبة له وللانسانية ذات قيمة كبيرة . وعلى العكس كلما كان البحث عاديا قلت المخاطرة التي يمكن ان يتحملها المفحوص .

ورغم ذلك فينبغي ان تكون هناك حدود للاضرار او المخاطر التي يتعرض لها البشر في سبيل البحث العلمي . فلا يمكن مثلا التضحية بحياة الأفراد او قدرتهم على الانجاب مثلا لحل مشكلات تزايد السكان او الغذاء ، وعلى هذا الاساس ادينت نظريات مثل نظرية مالتوس في السكان ، كما يمكن ان ندين بشدة عمليات التعقيم التي قامت بها حكومة انديرا غاندي الأولى كحل لمشكلة التزايد السكاني الهائل في الهند فمن الممكن باستمرار التفكير في حلول بديلة لهذه المشكلات لا تحدث مثل هذه الاضرار للافراد ولا تتعرض للادانة من الناحية الاخلاقية . ■■

الكويت ـ د . حسن احمد عيسى

صور

مدينة في قلب الصراع

استطلاع : مصطفى نبيل   تصويـر : اوسكار متري

منظر عام للمدينة في اتجاه البحر .







كهل ينسج الشباك ، ويحمل معرفة وخبرة سنين طويلة كانت فيها صور أهم المراكز للصناعات اليدوية . « والى اليسار » الجامع بمنارته وقبتيه يتوسط المدينة ..



لقد قدر لمدينة صور ، الا تبقى فقط حصنا للتاريخ ومهدا للحضارة ، ولكنها صارت الان احد علامات التحولات التاريخية التي تشهدها المنطقة العربية الان .

صور اللبنانية نعني ، لا صور الساحلية في عمان ، ولا صور السورية بين دير الزور والحسكه ولا صور الغزلان في الجزائر .

ان مدينتنا التي ترتمي في احضان البحر الابيض المتوسط ، تقع اليوم في قلب الصراع العربي الاسرائيلي .

وتقف على خط المجابهة الاول ، بعد ان كانت « صور » البلدة التي يتنفس فيها الجنوب اللبناني ، وكانت بوابته الى العالم ، اصبحت في متناول مدافع وصواريخ وطائرات اسرائيل ، يراقبونها ويحاصرونها ولا يقتحمونها ، بل تركوها للضباط الاسرائيليين الذين يقودون الميليشيات الانعزالية على بعد بضعة كيلو مترات !!

واصبحت المحور الرئيسي لهذا الصراع بعد استحالة فك الاشتباك بين الازمة اللبنانية والقضية الفلسطينية ، وانتقلت كافة الضغوط المحلية والدولية الى الجنوب وتركزت في قلبه ، في مدينة صور ...

وصور مدينة غنية بالتاريخ ، ومعنى اسمها باللغة السامية صخر ، فهل تكون الصخرة التي تتحطم عليها اهداف الذين يلاحقون البسمة على الشفاه والندى على ورود الصباح ...؟ ومعنى صور بالعربية .. البوق للنذير .. فهل يصل نذيرها الى كل مكان ..؟!

■■■

تبدو البلدة من بعيد وكأنها لسان يمتد داخل البحر ، وتظهر كاملة من فوق المرتفعات المحيطة بها وعندما تمضي السيارة مسرعة وسط البساتين واشجار البرتقال وعيدان القصب ، يخيم على المكان السكون المتحفز ، فكل ما يتحرك على الطريق عرضة للقصف .

تسبقني خواطري الى المدينة الغنية بتاريخها ، فتاريخها جزء من عالم حي اشتبك دائما في صراع حماية لموقعه ، وتاريخها الطويل هو الذي يفسر روح المقاومة العنيدة التي تشهدها ، وهو الذي اكسبها حسا حضاريا تنامى مع تجربتها في وجدان ابناء صور ، والحصار التي تشهده ليس جديدا عليها . وما القصف الذي تتعرض له سوى صفحة من صفحات تاريخها ..

دخلتها وتجولت في شوارعها انقب عن روح المكان لاصل الى شخصيتها الكامنة النفاذة ، وزرت أحياءها العتيقة التي يكاد يقف بعض مبانيها بفضل ارث من كبرياء ، وقد تكون البيئة خرساء ولكن الانسان لسانها ، والتقيت فيها بانسان صور الجديد الذي روى تجربته المريرة ..

تغيب عن صور سلطة الدولة ، ويخيم على اهلها التحفز والتوتر ، يتوقعون الخطر في كل لحظة ، هاجر أهلها جماعيا مرات عديدة ، واصبحت مثل المضخة كلما انهالت عليها القذائف رحل عنها اهلها ، وكلما بزغ امل جديد يحملون متاعهم ويعودون اليها ..

وكل ما في المدينة ينطق طالبا وضع حد لآلامها ومعاناتها التي طالت ، فقد وقفت صور موقفا وطنيا خلال الحرب الاهلية ، ولم تشهد اي حادث طائفي ، وانضمت القوات المسلحة التي كانت في حصن صور الى جيش لبنان العربي ..

ولدى اهلها شعور عميق بانهم يدفعون ثمن موقفهم الوطني ..! عندما يستمر من حولهم الحصار ، و يتوالى القصف والتدمير الاعمى لمساكنهم ومزارعهم . كان حظها قليلا من العمران في الماضي ، فكل الوزارات وعدت باقامة ميناء حديث لصور ، وكانت تعطله الضغوط الطائفية وبقي مشروع ميناء صور مثل مشروع نهر الليطاني ، سرابا من الوعود وازدادت مشاكلها مع الحرب وشهدت ما يمكن تسميته بالانقلاب الديمجرافي (السكاني) ، بعد ان تركها عدد كبير من سكانها باحثين عن حياة هادئة ، ولم يبق من سكانها سوى القليل ..

ولا يفوتك ان تلحظ وانت في مقاهيها بين الصيادين على الشاطيء كيف تعيش صور آلامها في صبر ، ويعود



منظر عام لمدينة صور من الجو ، وتظهر خلاله الجزيرة التي اتصلت بالارض الاصلية ، وتبدو البلدة وسط خليجين يرسمان معالمها ويحددان شكلها العام .

ذلك الى تجربتها الوطنية المتقدمة ، وهي تزدحم اليوم بالاندية السياسية ، وتنشط فيها القوى السياسية لتساعد ابناء المدينة على المقاومة والصمود ، وفي هذه النوادي تتحول القذائف الاسرائيلية الى معارض وديكورات . كما تنشط الحركة الوطنية في بناء المخابىء المحصنة تحت الارض لتحمي السكان ، واقامت هذه القوى مجلسا سياسيا يعمل على حل المشاكل ومساعدة الاهالي الذين يعيشون في صراع مستمر من اجل استمرار الحياة ، وآخر ما قام به هذا المجلس اقامة مستشفى ميداني للطوارىء .

وبيوت صور تتراوح بين بيوت هدمها القصف واخرى متصدعة ، وتلك التي اصابتها شظايا القنابل العنقودية ـ والتي احترقت بالقنابل الفسفورية .!

اضواء حيفا

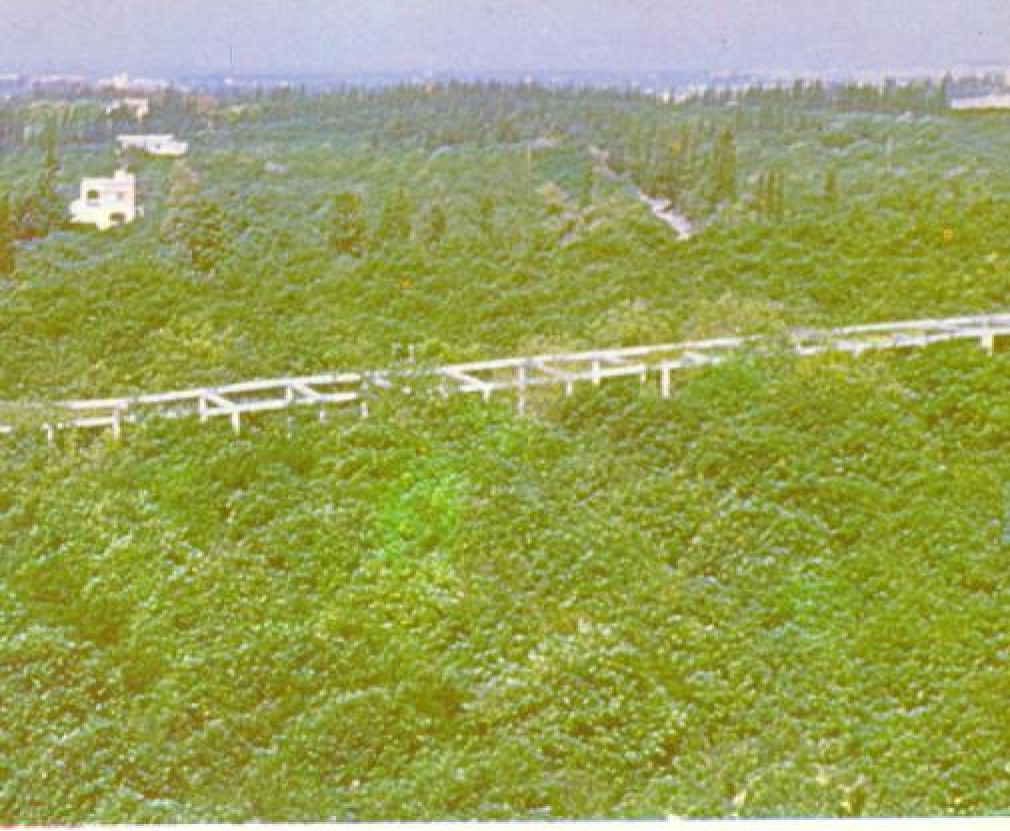
وصلت الى فندق « اليس بيتش كلوب » على الشاطىء الرملي الذي كان يعد لقضاء الاجازات ، فوجدته غارقا في صمت قاتل ، لا يستقبل النزلاء ، ومن شرفة الفندق ترى اضواء الناقورة وعكا ، فصور تبعد عن ميناء حيفا ٣٠ كيلومترا ، وفي هذه المنطقة السياحية تحولت الاستراحة الى مركز للصليب الاحمر الدولي ...

وجلست في الشرفة مع احمد محفوظ ناظر مدرسة صور الثانوية ، وروى لي تجربة صور التي عاشها من بدايتها ، قال : سعت اسرائيل منذ فترة طويلة الى شل الحياة في المدينة ، وضربت حصارا حول الميناء الذي اقيم خلال الحرب الاهلية ، وهدف اسرائيل من المدينة ان تنال من وحدة المسلمين والمسيحيين بها ، ومعاقبتها على نفوذ الحركة الوطنية والتنظيمات النقابية ، انها باختصار تستهدف الانتماء الوطني والعربي لمدينة صور .

ويصف الجو النفسي للاهالي وكيف سرى بين السكان تصور ان القصف الاسرائيلي يقع كل اربعاء « ويضيف .. » ان العدو لا يعتمد في فرض قبضته على قرى الشريط الاول ومد نفوذه ، الى قرى الشريط الثاني إلا على ضعف الحضور والفعالية الوطني ، وعلى اقتناع ابناء الجنوب بانهم تركوا وحدهم ، مما يعني وقوعهم في الشرك الاسرائيلي ، ويساعد الحركة الوطنية في صور ان الاهالي يعرفون جيدا معاناة سكان المناطق الرازحة تحت سيطرة سعد حداد ...

« ليل صور .. »

قضيت ليلتي في منزل يقع في احد بساتين صور ، استضافني احد ابناء صور الذي كان يعمل في افريقيا وعاد الى لبنان بمدخراته واحلامه . ذهبت اليه بعد الغروب وقد تحولت صور الى مدينة اشباح . اختفى الاهالي من



الخضرة وبساتين العنب والليمون التى تحيط مدينة صور . (الى اعلا) .. الاطفال والنساء الذين يتعرضون للقصف ، ولا تدرى اى امرأة اذا كانت سترى زوجها او وليدها . لقطة من مخيم الرشيدية القريب من صور . (الى اسفل)





وتتحول الدانات والقذائف الاسرائيلية الى معارض فى النوادى السياسية المنتشرة فى صور . كما تتحول
الى ديكورات داخل بعض بيوت المدينة . (الى اسفل)



الطرقات واغلقت المقاهي ، وتبيت صور على اذاعة الانعزاليين التي اطلق عليها « صوت الامل ..! » وتصب فيها التهديدات والانذارات المعززة بالنشاطات الجوية والبحرية الاسرائيلية ، وبين وقت وآخر تلقي طائرات الهيلوكوبتر الاسرائيلية قنابل مضيئة فوق شاطيء صور .

واخر ما اعلنته الاذاعة انه اذا تعرضت مناطق الشريط الحدودي لاي قصف في اي منطقة فسيتم قصف مدينة صور . اما الارسال التلفزيوني الذي يشاهده اهل صور فيشاهدون بوضوح التلفزيون الاسرائيلي ..!

وفي الصباح تجولت في أنحاء المدينة ، انها مثل كل المدن العربية ، لها اسواقها التقليدية ، وأحياؤها التي يميزها الطعم العربي الخاص والطراز القديم ، وفي بعض احيائها وازقتها تتصور للحظات انك تعيش في القرون الوسطى ، حي الناصرى وحي المصاروه وحي الجلاجيق .. وهكذا ..

البيوت في حي النصارى ما زالت مهدمة من القصف ، القليل منها تم ترميمه ، وحتى الكنائس اصابتها القذائف ، وتوجهت الى كنيسة الروم الكاثوليك والتقيت بالمطران جورج حداد صاحب المواقف الوطنية دفاعا عن سكان صور ، بدأ حديثه عن مبنى الكنيسة الذي اقم عام ١٨٦٠ واقامه احد ابناء حمص واقام معه مسجدا على نفس الطراز واضاف المطران نحن نعيش مسلمين ومسيحيين في ود واخاء منذ القدم ، ونرفض الدعايات الجوفاء التي تزعم الدفاع عن المسيحيين في لبنان ، فنحن شعب واحد في النعمة والمحنة .. » .

وسألته : « ما سبب القصف المركز الذي تعرض له الحي المسيحي والذي اصاب حتى الكنائس ؟ » أجاب : « هذه المناطق التي تراها أحياء سكنية ، وليس بها مسلحون وليس بها اهداف سوى اجسام البشر وارواحهم ، والقصف الوحشي ادى الى هجرة واسعة ، فاين حقوق الانسان ؟ لقد اصيب الذين نجوا من القصف من الاطفال بالامراض النفسية والعصبية .. اننا سنعيد بناء ما تهدم ، ولكن الذي يهمنا هم البشر لا الحجر ، وليس لنا ما نحارب به سوى الكلمة ، وسوف نضع الحقائق امام كل المراجع الدينية والدولية ، وهناك مطران في بوسطن هو يوسف طويل مهمته ان يسمع صوتنا لكل مهتم في امريكا .. » .

ويحكي المطران جورج حداد تجربته مع القصف قائلا .. « عندما استمر القصف طويلا على هذا الحي راجعني الاهالي وطلبوا مني التدخل ، فلم يكن امامي سوى التوجه تحت القصف الى قوات سعد حداد والقوات الاسرائيلية التي تسانده ، وخاطبتهم قائلا .. لماذا تقصفون المدينة وليس بها مسلحون ولا مكاتب للمقاومة ؟ ولكنهم رفضوا سماعي ، وعلى ما يبدو ليس هذا هو منطق الامور ، بل كما سمعت منهم ، انها سياسة دولة هي اسرائيل يسيرون عليها ..! » انتهت شهادة المطران جورج حداد ...

على الشاطيء

وفي مقهى الصيادين على الشاطيء وجوار المرفأ جلست مع الصيادين ، الساحل على شكل هلال تطل عليه البيوت بطرازها القديم ، بعض المباني اسقطها

الدانات والقذائف الاسرائيلية بعد ان تحولت في بعض منازل صور الى ديكورات .





فنار مدينة صور .

القصف ، وصياد هنا وآخر هناك ينشرون شباكهم ، وباخرة جانحة عند المرفأ ، هنا اصغي مع الصيادين الى همس البحر واضطراب موجه ، البعض يدخن النرجيلة ، والبحر امامهم وهو الذي علمهم الصبر ، ينظرون اليه ويتوقون الى استئناف رحلاتهم بعد انقطاع ...

استعيد في المقهى أجواء « حنا مينا » في رائعته « الشراع والبحر » ، وقصة رجال البحر في صراعهم اليومي والمرير مع الخطر ، مع البحر الهائج والعواصف الغادرة التي يواجهونها باشرعتهم الممزقة ، اخذ كل منهم يروي قصته ، يضعها امامي لانقلها لكل من يعنيه ، قالوا : « الست تحمل امانة الكلمة » ، قصتنا ليست قصة الانتصار على البحر ، بل قصة الارادة البشرية ضد قهر العدو وتخلي الصديق ، « ان عادتنا أن لا نبرح الشاطىء كلما اشتدت الانواء ، وهذه البقعة على الشاطىء تبقى صلتنا بالبحر ، ولم تعد احاديثنا كما كانت عن مناطق الاسفنج والمد والجزر والنوء والصيد ، بل حول الحصار الاسرائيلي وعدد القتلى والجرحى واخبار المهجرين ومتاعب حياتنا اليومية ، وكيف اغلقت اسرائيل ميناء صور وفرضت الزوارق الاسرائيلية الحصار على طول الساحل !! بعد ان كان الميناء - بامكانياته البدائية - مجالا لعمل البحارة ، وتموين البلدة ، واصبحت البحرية الاسرائيلية تقود البواخر القادمة وتخضعها للتفتيش وبحارتها للتحقيق ، بعد ان استقبلت صور عن طريق المرفأ ٣٠٠ باخرة خلال حرب السنتين ...

ولم تكتف بذلك بل لاحقت فلائك الصيادين ، ووقفت الزوارق الاسرائيلية لتحول بينهم وبين البحر الواسع ، اما بان تسرع الى جوار مركب الصيد فتقلب (الشخطورة) او بتفجير قنابل الاعماق ، وراح ضحية هذه الاعمال العديد من الصيادين وكثيرا ما تقود البحرية الاسرائيلية مراكب الصيد الى حيفا وتعتقل وتستجوب من عليها ...

ان هذه الاجراءات الاسرائيلية جزء من الضغط الاقتصادي على اهالي صور ، وخلق العراقيل والصعوبات امام الحركة الوطنية ، وخاصة أن نقابة الصيادين جزء من هذه الحركة ، وهي التي قاومت قيام



« بوابة النصر » ، ومدينة اثرية كاملة بما تحويه من توابيت وآثار . (الصور على الصفحة المقابلة)

يحكي ابناء هذا الجيل تجربته لجيل المستقبل على شاطيء صور . (الى اليسار)

الخراب او اعمدة صور الاثرية ، التي على جانبي الطريق ، ويمضي الغزاة ، وتستمر المدينة صامدة . (الى اسفل)





شركة « بروتين » التي اقامها قائد انعزالي لتحتكر الصيد على طول الساحل وقد شهدت صور وصيدا تحركا واسعا ضد هذا المشروع ودفع الشهيد معروف سعد حياته ثمنا لمقاومته وهي من الاحداث الهامة التي سبقت الاقتتال الاهلي ..

ولعل هذه الاسباب هي التي ادت الى قصف مقر النقابة والمنتدى القديم الذي يجتمع فيه البحارة ، يقول رئيس نقابة صيادي صور .. « رغم طول محنة صور ما زال يوجد ٦٠٠ صياد عاطلين عن العمل ، ولم تتلق سوى القليل من المساعدات التي لا تكفي حتى لاصلاح مراكب الصيد ... »

ويروي ابو يوسف : كيف اطلقت عليه الزوارق الاسرائيلية مدافعها ومنعته من الخروج الى البحر ، وقال ثالث : انه رغم المحنة التي تعيشها صور ، تتعرض للاستغلال من الجميع ، تحول لدينا التعليم الى تجارة رابحة فالمدارس الاهلية التي اقامتها جهات يفترض فيها الرغبة في الخدمة العامة ترفع اقساطها وتبالغ في اثمان الملابس والكتب ، وكل هذه المبالغ ولا تعليم ..

وبالفعل فقد تعرضت صور لمصاعب اقتصادية جمة ، فمدينة صور محاطة بالاف الهكتارات من البساتين وتقول ارقام المجلس السياسي ان خسائر القطاع الزراعي وحده تزيد على ٢٥ مليون ليرة ، وقد زاد سعر متر الارض زيادة كبيرة خلال الازمة ، وتضاعف حجم النقد المتداول خلال الاحداث حوالي اربع مرات ، وفي مدينة صور عشرة مصارف تجارية تصل ودائعها الى ١٠٠ مليون ليرة ، وهذه احد الغاز الازمة اللبنانية التي لا يفسرها سوى ان الازمة تمول من الخارج ...

التاريخ والخراب

وانقلت من الحاضر الى الماضي عندما تقودني قدماي الى منطقة تسمى « الخراب » منطقة الاثار « مدينة الاموات » الاغريقية بما تحويه من توابيت وتماثيل ، والى جوارها اطلال المسرح (الفوروم) الروماني والملعب الكبير وطريق تحف به الاعمدة ويمتد تحت البوابات والاقواس في طريق عرضه ١١ مترا ، والمساحة الواسعة التي حولي مبلطة بالفسيفساء واعمدة من رخام تعلوها تيجان بديعة .....

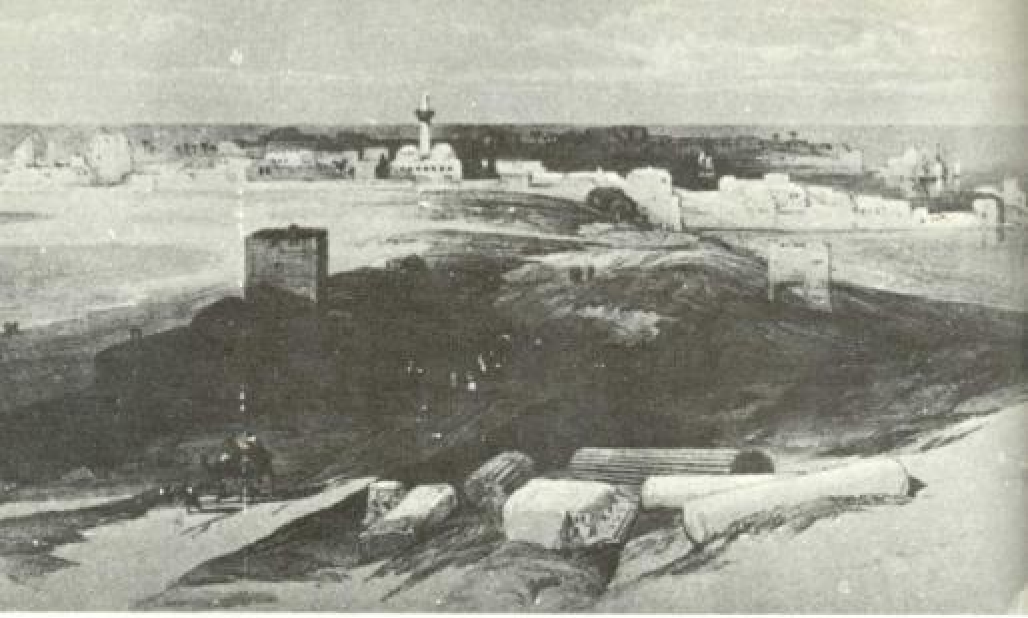
فهنا عثر الاثريون على توابيت وتماثيل وأوان خزفية وعملات وصفحات من التاريخ الانساني ، تجولت بين هذه الآثار مأخوذا وانا استمع الى مرافقي .. « اكتشف هنا العديد من معابد العالم القديم في الفترة التي كانت « صور » مركزا لحوار وصراع بين الشرق والغرب ، وقراءة تاريخ صور تؤكد ان المحن مها تجمعت فهي زائلة ، فقد شهدت صور موجات وراء موجات ، ثم شاهدت هذه الموجات وهي ترتد وتنحسر ، ولذا كانت جذورها مهما هزها الريح راسخة ... » .

وهي مثل اغلب المدن العربية ذات تاريخ زاهر ، وصفحات فوق صفحات ، ولعل هذا سر روح التحدي والمقاومة وتكاد صور تكون متحفا ، اينما اخذت قطعة من ارضها وجدت فيها رائحة آلاف السنين ، ويتحول التاريخ الطويل الى خبرة متراكمة لابنائها .

وامام الاثار توالت مسرعة صفحات التاريخ .....



فن النحت الاغريقي على قطعة من آثار صور .



منظر عام لمدينة صور بريشة دافيد روبرتس عام ١٨٣٩ ، بعد عامين فقط على وقوع الزلزال الذي دمر عددا من مباني صور الاثرية ، ويظهر في وسط اللوحة الجامع الذي ما زال قائما وسط البلدة .

الصراع الجبار بين الاسكندر الاكبر وداريوس ، هو الصراع الذي شهدت « صور » اهم فصوله ، هذا الصراع الذي اعاد تشكيل جغرافية المدينة ، فبعد أن كانت تقوم فوق جزيرة صغيرة يفصلها عن اليابس برزخ صغير ، وبعد المعركة التي وقعت بين الاسكندر وداريوس اندفع الاسكندر جنوبا ووجهته مصر ليضمن السيطرة على خطوط المواصلات ، ولم تقف في طريقه سوى « صور » . فبنى الاسكندر رصيفا من الشاطيء حتى الجزيرة ، بعد حصار استمر سبعة اشهر من البحر والبر ، ولم يقبل الاسكندر ان تستعصي عليه فدمرها ، واتى باكثر من مائتي سفينة ليقتحمها من البحر ، وبعثت صور بشيوخها ونسائها واطفالها الى شقيقتها قرطاجة ، وهذه الصورة التاريخية ليست بعيدة عن الحاضر ، فكما اقترنت صور الفينيقية بقرطاجة تقترن صور الحالية بمدينة صيدا ، التي كلما اشتد الخطر انتقل اهل صور الى صيدا .....

وكانت امجد ايام صور عندما كانت حاضرة فينيقية .....

وقد جاء اسمها اول مرة على صحائف التاريخ في احدى حفريات « تل العمارنة » عاصمة اخناتون في صعيد مصر ، واصبحت صور عاصمة الفينيقيين واهم موانئهم ، وازدهرت المدينة الدولة City - State ، وكان يحف بها في الشمال الميناء الصيداوي وفي الجنوب الميناء المصري ، وما زالت الاثار الفرعونية المصنوعة من شجر الارز باقية حتى اليوم ، ومنها مراكب الشمس التي عثر عليها بجوار الاهرامات ...

وكان الفينيقيون اول امة بحرية في التاريخ ، واثبتت الابحاث التاريخية قدومهم من ميناء « صور » الذي ما زال قائما على الخليج العربي في عمان ، ولم يصبح الفينيقيون اول امة بحرية فحسب ، بل كانوا اول من تاجر في البر والبحر وكانت التجارة لديهم تعلو على السياسة ، وجذبهم البحر الابيض ، وحولوا حركتهم من البادية الى البحر ، وكان البحر لا يخيفهم ، والعالم المجهول يفتنهم ، وتحول البحر المتوسط في زمنهم الى بحيرة فينيقية قبل أن يصبح بحيرة يونانية او رومانية ولهم فضل الوصول الى الحرف والكلمة المكتوبة ، وفضل اكتشاف النجمة القطبية ، مما اعانهم على فن الملاحة ليلا ، وقد ظهرت السفن الفينيقية حوالي ١٤٠٠ قبل الميلاد ، مرسومة على المباني الاثرية المصرية وهي على شكل هلال ولها مؤخرة ومقدمة مرتفعتان ومجدافان يستعملان كدفة للسفينة وفي اعلى الصاري شراع واحد على امتداد ياردتين ..

وما يدور اليوم وتشهده صور لا يبعد كثيرا عن تلك الصور التاريخية ، فما زالت صور تدفع ثمن موقعها كمفتاح لمنطقة هامة كانت مدخلا لمنطقة الشام باكملها ، وكانت الممر التاريخي لكل الجيوش الغازية ، فهي تقع



رغم الحصار والقصف يخرج ابناء الصيادين يبحثون عن رزقهم مؤكدين ارادة الحياة وخلفهم منظر عام لمدينة صور .

لقطة من احد ازقة صور بطابعها المميز ، ويظهر الاهالي الذين يعيشون المأساة .





بعض جدران كنيسة الروم الكاثوليك
ويظهر فيها طراز القرون الوسطى .



المنتدى القديم للصيادين وسط الميناء
بعد ان قصفته الطائرات الاسرائيلية .



على خط التقسيم التاريخي بين الشرق والغرب تقع في الشرق وتواجه الغرب الذي تكاد تراه عبر البحر المتوسط ، جاء منه الاغريق ثم الرومان ثم الغزو الصليبي واخيرا إسرائيل .....

امام المسرح الاغريقي

امام المسرح الاغريقي ، استعيد المشهد الاغريقي القديم بالملابس الاغريقية المميزة ، والشعراء والفلاسفة يقدمون اعمالهم ، وتصور المقتطفات التي ذكرها فيليب حتى حياة المدينة ...

« كانت هناك اماكن يروح فيها الاغريق عن انفسهم . فيستعملون اماكن الرياضة والحمامات ويمسحون أنفسهم بالطيب الثمين والزيوت ، ويشربون الخمر وسط اصوات القيثارات الصاخبة التي جعلت مدنا كاملة ترن بالضجيج . »

وصورة اخرى بعد افول نجم الاغريق وبزوغ الرومان ، واحتلالهم لمدينة صور عام ٦٤ ق . م ، عندما يملأ الرومان المدرج الذي امامي بملابسهم وخوذاتهم المميزة ، يشاهدون مصارعة العبيد مع الوحوش المفترسة من اجل لحظة اثارة لتكون متعة الكسالى والمتخمين ، وتتوالى المشاهد : صور العجلة الرومانية على الطريق الذي امامي تحت الاقواس ، وقد حفظ لنا التاريخ قول الشاعر الروماني جوفنال غاضبا : « لقد اخذ نهر العاصي السوري منذ مدة طويلة يصب مياهه في نهر التيبر حاملا معه رطانته وعاداته وقيثارته واوتار اعواده .. »

وها نحن نقرأ كلمات حزقيال عن صور (اصحاح ٢٧)

« يا صور انت قلت انا كاملة الجمال ، تخومك في قلب البحور بناؤوك تمموا جمالك ، عملوا كل الواحك في سرو سنير ، اخذوا ارزا من لبنان ليصنعوه لك سواري ، صنعوا من بلوط باشان مجاذيفك ، صنعوا مقاعدك من عاج مطعم ، كتان مطرز من مصر هو شراعك ليكون لك راية ، اهل صيدون وارواد كانوا ملاحيك ، حكماؤك يا صور الذين كانوا فيك هم ربابينك ، شيوخ جبيل وحكماؤها كانوا فيك ، جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك ، تاجروا في اسواقك بالبهرمان والارجوان والمطرز والبوص والمرجان والياقوت ، بحنطة منيت وحلاوي وعسل وبلسان ، دمشق تاجرتك بكثرة صنعائك ... أنواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب اقاموا اسواقك .. » وقد مر بها السيد المسيح وشفى فتاة من صور ..

واحتضنت في رحابة كافة الاديان السماوية وشهدت فصولا من صراع الانسان للوصول الى معنى لحياته ، وما زالت تعيش هذا الصراع ...

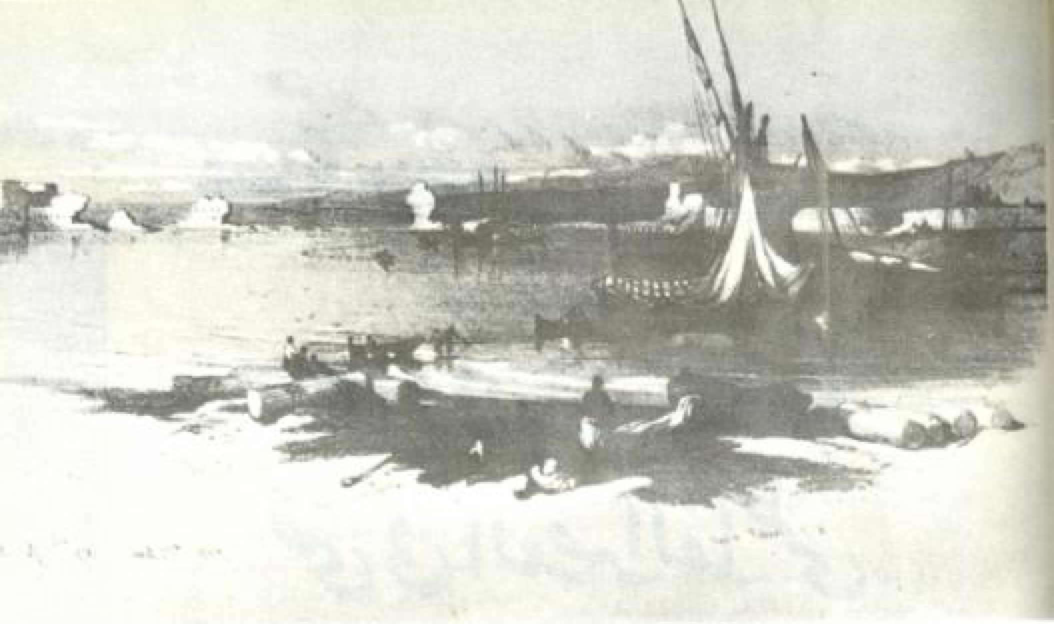
فجر الاسلام

وفي فجر الاسلام قاد الصحابي شرحبيل بن حسنة قواته الى كل من عكا وصور ، ومنذ هذا الوقت بدأ عهد جديد لمدينة صور ، وارتبطت بالتاريخ والمستقبل العربي ، فقد نقل الأمويون احواض بيزنطة الى مدينة صور ، وما زالت بعض بيوتها تعكس الطراز الاموي القديم ، وقامت صور بدورها في بناء الحضارة العربية ، وامدت الحملة العربية الاولى المتجهة الى قبرص بخبرتها البحرية وسفنها التي صنعت من احراج لبنان الغضة ، ثم نقل الوليد بن عبد الملك مصنع عكا للسفن الى صور .

واستمرت صور مدينة عربية عدا بضع عشرات من السنين خلال الحروب الصليبية ، وحتى حررها قلاوون الملقب بالملك المنصور ، فقد جعلها الصليبيون ميناء لمملكة القدس بعد احتلال هذا الثغر عام ١١٢٤ م ، بعد ان قاومت صور طويلا ، ومما ساعدها على المقاومة قيامها على شبه جزيرة حصينة ، وكان حصن صور آخر الحصون التي بقيت في يد الصليبيين وبعد حطين اتجهت موجة التحرير بعد القدس نحو الحصون الباقية ، وجرفت

المطران جورج حداد
مطران كنيسة الروم الكاثوليك





لوحة لميناء صور رسمها روبرتس ، وتظهر المراكب والبحارة ، واعمدة المرمر والجرانيت ..

في طريقها الشوبك والكرك في الجنوب والشقيف وصهيون في الشمال ، ثم عسقلان وعكا وصفد وطرطوس وجبله واللاذقية ، وكان آخر ما بقي في يد الفرنج صور وطرابلس وانطاكية ..

وبعد سقوط عكا في ٢٨ مايو عام ١٢٩١ اخليت صور في اليوم ذاته ، واسدل الستار عن المشهد الاخير للحروب الصليبية ....

وفي وصف ابن جبير الذي زارها في هذه الفترة وكأنه يصف بعض أوضاعها الراهنة يقول : « مدينة يضرب بها المثل في الحصانة ، ولا تلقى لطالبها بيد طاعة ولا استكانة قد اعدها الافرنج مفزعا لحادثة زمانهم وجعلوها مثابة لامانيهم اما حصانتها ومنعتها فاعجب ما يحدث به وذلك انها راجعة الى بابين احدهما في البر والاخر في البحر الذي يحيط بها الا من جهة واحدة فالذي في البر يفضي اليه بعد ولوج ثلاثة ابواب او اربعة كلها في ستائر مشيدة محيطة بالباب واما الذي في البحر فهو مدخل بين برجين مشيدين الى ميناء ليس في البلاد البحرية اعجب وضعا منها ، يحيط بها سور المدينة من ثلاث جوانب ويحدها من الجانب الاخر جدار معقود بالجص ، فالسفن تدخل تحت السور وترسي فيها وتعترض بين البرجين المذكورين سلسلة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج ، فلا مجال للمراكب الا عند ازالتها ...

وشأن هذا الميناء شأن عجيب في حسن الوضع ، السفن الكبار ترسي خارجها ، والمراكب الصغار تدخل اليها .... »

وقطع مرافقي تأملاتي في صفحات التاريخ بقوله .... « كانت القوانين تحدد بصرامة المناطق الاثرية في مدينة صور ، وكان الاثريون يكتشفون بين وقت وآخر كنوزا تاريخية ولكن خلال الاعوام الخمس الماضية ، ومع غياب سلطة الدولة ، سقطت كل الضوابط ، واقيمت احياء بكاملها فوق المناطق الاثرية ، ومن ناحية اخرى دمر القصف الاسرائيلي قسما من الحفريات ، مما جعل لجنة صور الدولية توجه نداء للعالم بالتدخل لوقف تدمير هذا الجزء من التاريخ الانساني .

وتبقى عبرة التاريخ واضحة جلية ، بان صور احدى بؤر التطور الانساني ، واحدى جبهات الصدام التاريخية وانها احتفت واحتضنت كافة الاديان السماوية ، والحصار الذي تشهده اليوم ليس جديدا عليها ، فقد قاومت من قبل حصار الاشوريين وانتصرت على الاسكندر وطردت الافرنج ، فهي اقدم واعرق مدن العالم بالتاريخ والحضارة ......

ان السؤال الملح الآن هو : لماذا لا تتولى هيئة عربية مختصة مهمة الاستجابة للتحدي الاسرائيلي ، وتقوم باعادة بناء مدينة صور ، لتقف رمزا للصمود ، ورمزا لوقوف العرب جميعا الى جانب أبناء الجنوب . ■■

مصطفى نبيل

ظل الباب «داميًا» حتى في العصر الفاطمي

بقلم : حسن عباس محمد ❋

طالعت في عدد (يونيو) من مجلة العربي مقالا للاستاذ جمال الغيطاني عنوانه « الباب الدامي » وقد اورد فيه صفحات مثيرة حقا من تاريخ باب زويلة . وتوقفت عند قول الكاتب : « وخلال العصر الفاطمي لم يستخدم باب زويلة مكانا لتعليق رؤوس المتمردين ، لقد كان احد ابواب المدينة المقدسة ، ولا تسجل المراجع التاريخية اي حادثة اعدام تمت عند الباب ، ويبدو ان طبيعة العصر الفاطمي ، وما حفل به من استقرار كانت لا تتيح فرصا كثيرة لمظاهر الشنق العلنية » .

ثم حين يمضي مؤيدا ما ذهب اليه فيذكر ان اول حادثة صلب علنية كانت سنة ٦٦٥ هـ على باب النصر ، اما اول حادثة صلب على باب زويلة فقد تمت سنة ٦٩٤ هـ .

ولكن الوقائع التاريخية تنفي هذا الكلام . فلم يكن العصر الفاطمي حافلا بالاستقرار كما رأى ، بل كان حافلا بالدسائس والمؤامرات والفتن خاصة في القسم الاخير من حياة هذه الدولة بمصر ، ويكفي ان نشير الى ما دونه المؤرخون المعاصرون الذين شهدوا الاحداث عن قرب لنؤمن بذلك ، ومنهم على سبيل المثال : عمارة اليمني في كتابه « النكت العصرية في اخبار الوزارة المصرية » ، واسامة بن منقذ في كتابه « الاعتبار » .

ولن نخوض في حديث الفتن والقلاقل التي سادت هذه الاونة ، لانها تحتاج الى دراسات طويلة يضيق عن مثلها المقام ، ولان طرفا منها سيبدو واضحا في اثناء الحديث عن حوادث الصلب العديدة التي لم يشر اليها مقال الاستاذ الغيطاني .

خير البر عاجله

تروي لنا المصادر التاريخية كيف ان الخليفة الظافر لم يقدم شيئا حين توليه الخلافة سنة ٥٤٤ هـ على الانتقام من ابني الانصاري لما كان يبلغه عنهما في ايام والده الحافظ فقد كانا من جملة الكتاب ، ولكنهما تمكنا من قلب الحافظ ، فقدمهما على غيرهما دون استحقاق ، فوثبا على السادة من رؤساء الدولة ، فتتبع القوم عوراتهما ، والخليفة الحافظ لا يزداد فيهما الا رغبة ، حتى جعل احدهما يتولى نصف ديوان الانشاء مع الاجل الموفق على ان يكون الانشاء للموفق ولابن الانصاري الرتبة لعدم كفايته ، اما الاخر فقد قلده الحافظ امارة طوائف الاجناد .

فكان اول ما فعله الظافر بعد ركوبه بزي الخلافة ، وعودته الى القصر ان وقف على باب الايوان واحضر ابني

❋ مدرس الادب العربي المساعد بجامعة اسيوط

الانصاري واستدعى متولي الستر ، وهو صاحب العذاب ، واحضرت آلات العقوبة ، فضرب الاكبر بحضوره بالسياط الى ان قارب الهلاك ، وثنى باخيه كذلك ، وامر باخراجها وقطع ايديهما ، وسل لسانيهما من قفويهما ، وصلبا على بابي زويلة الاول والثاني زمانا .

وفي شوال من السنة نفسها ـ ٥٤٤ هـ ـ قتل ابن السلار حين توليه الوزارة القاضي الموفق ابا الكرم محمد ابن معصوم التنيسي ، وذلك ان ابن السلار لما كان في بداية امره في جملة صبيان القصر دخل على ابن معصوم ، فكتب له مرة منشور باقطاع ، وجاء به الى ابن معصوم ليثبته . فلما رآه تغافل عنه ، واهمل أمره اهانة له وكراهة فيه ، فقال له ابن السلار وقد تكرر سؤاله وهو يعرض عنه : ما تسمع ؟ فقال له ابن معصوم : كلامك ما يدخل في اذني اصلا . فولى ابن السلار وخرج من غير ان يكتب له .

وضرب الدهر ضرباته ، وصار ابن السلار وزيرا ، وابن معصوم ناظر الدواوين ، فلما دخل عليه قال له : يا قاضي ، ما اظن كلامي يدخل اذنك . فتلجلج ، وقال : عفو السلطان . فقال : قد استعملت العفو حين خروجي من عندك . واشار الى بعض خدمه فاحضر مسمارا حديدا عظيم الخلقة ، وقال : والله هذا اعددته لك من ذلك الوقت ، وامر به فجر ، وضرب بالمسمار في اذنه حتى نفذ من الاخرى ، وحمل الى باب زويلة الاوسط ، ودق المسمار في خشبة وعلق عليها ميتا ، ثم انزل بعد أيام .

الطموح القاتل

وفي سنة ٥٥٣ هـ اقام الملك الصالح طلائع بن رزيك وزير مصر وملكها غير المتوج واليا من قبله على الاسكندرية اسمه طرخان بن سليط بن طريف ، وكان ابو طرخان قرانا ، فترقى طرخان في ايام الفتن ، حتى ولاه طلائع . لكن طموحه لم يقف عند حد ، وحدثته نفسه بالوزارة ، فخلع طاعة الصالح سنة ٥٤٤ هـ وخرج اليه بالعربان والعسكر لقتاله ، فجرد اليه الملك الصالح حملة ، وتمكن من اعتقاله ، الا ان اخاه اسماعيل ابن سليط خرج من القاهرة ثائرا ، وبرز من الاسكندرية في السنة التالية ـ ٥٤٥ هـ ـ وقد جمع لحرب الصالح ، وخيم على دمنهور ، وتلقب بالملك الهادي ، فلما هجمت عليه الجيوش هرب الى الجيزة ، واستتر عند بعض العربان ، ثم هرب طرخان مع الموكل به ، فاعتقل بعد يومين ، وصلب على باب زويلة ، وضرب بالنشاب ، ثم صلب اخوه الى جانبه بعد قتله .

التاريخ يعيد نفسه

ومرة اخرى تثور الاسكندرية بقيادة واليها ، فعندما تقلد ضرغام وزارة مصر ولى الامير مرتفع بن مجلي المعروف بالخواص الاسكندرية سنة ٥٥٨ هـ برجاء ابعاده ، فلما صار اليها ظفر بقوم رتبهم ضرغام لقتاله ، فتأكدت الوحشة بينهما ، وجمع مرتفع العربان لمحاربة ضرغام ، وخرج من الاسكندرية ، فوجه اليه ضرغام باخيه ناصر الدين هام على طائفة من العسكر ، وفي هذا الحين كان ضرغام قد جمع عددا من الامراء يربو على السبعين سوى أتباعهم ، وضرب اعناقهم لانهم يميلون الى منافسه شاور ، فلما علم العربان بذلك فترت همتهم في القتال مع مرتفع بن مجلي ، وطمعوا فيه ، ووثب به قوم منهم ! وقبضوا عليه ، واتوا به الى هام ، فقدم به الى القاهرة ، فضرب ضرغام عنقه وصلبه على باب زويلة في ثامن ربيع الاخر سنة ٥٥٩ هـ .

ولا نشك بعد ذلك في ان هذه الحوادث التي ذكرناها ـ انما هي قليل من كثير اهملته كتب التاريخ لانه لا يتعلق باشخاص لهم مكانة بارزة في الحياة السياسية في مصر ابان العصر الفاطمي ، ولان هذه التواريخ كانت مشغولة برصد تحركات الجموع الصليبية التي داهمت شرقنا العربي في ذلك الحين .

الإحصاء .. أم العقيدة

بقلم الدكتور : عماد الدين خليل

في كل يوم تقوم اجهزة الاحصاء وشعبه المتخصصة في الدول المتقدمة او شبه المتقدمة بحملة علمية شاملة لاحصاء هذه الظاهرة او تلك ، في مجرى الحياة المعاصرة الواسع المعقد العميق .. مستخدمة من الاجهزة الالكترونية (الكمبيوتر) ، واحدث النظريات الاحصائية واكثر الرجال تفرغا وتخصصا ..

تجمع النتائج وتتعرض للفرز والفحص والدرس والتبويب والتحليل .. ثم تركز المحصلات النهائية للحملة الاحصائية في خطوط او رسوم او ارقام ، وتوزع على المؤسسات المعنية لكي تفيد منها في دراستها او تعلن على الناس لكي تنير لهم الحياة السعيدة ..

والناس رغم هذا كله ، ليسوا بسعداء ...

عشرات الحملات الاحصائية تجري في السنة .. ومئات الحقائق يكشف عنها النقاب .. وآلاف المؤشرات تطرح .. وعشرات الآلاف من الارقام توزع ، في محاولة من الاجهزة والمراكز الاحصائية لخدمة الحياة المعاصرة ، وترقيتها ، والكشف عن اعراض نقصها واضطراباتها وعذابها .. بهدف العلاج .. ومع ذلك فأبناء هذه الحياة المعاصرة ليسوا سعداء ...

اليوم تقوم حملة احصائية ، في هذه الدولة او تلك ، في هذا الاقليم او ذاك ... في هذه المدينة او تلك .. للكشف عن عدد المدخنين ، ومقدار التبغ الذي يحرقونه في رئاتهم .. وانواعه .. ومنحنيات الزيادة والنقصان في استهلاك (السجائر) لدى كل واحد منهم والانماط الاكثر شمولية لهذه المنحنيات .. تلك التي تمنحنا عينات اجتماعية يقود فحص تعاملها مع الدخان الى الكشف عن نتائج محددة ذات بعد اجتماعي .. او نفسي .. او الى آخره ...

لأنهم ليسوا سعداء

تعلن النتائج ، وتوزع على كل من يهمه الامر .. وتتلقفها الصحف والمجلات واجهزة الاعلام .. فماذا تكون النتيجة الاكبر والاخطر ؟ ان الناس يدخنون لانهم ليسوا سعداء ، وان المحاولة الاحصائية لم تفعل شيئا سوى انها وصفت الظاهرة ، وحللت معطياتها ... اما الطرائق الجادة للتعامل مع الظاهرة وتحقيق نتائج نوعية لصالح الانسان .. فهي مسألة صعبة للغاية .. يعترف الاحصائيون انها ليست من اختصاصهم .. ويظل الناس ـ من ثم ـ رغم الحملات الاحصائية ... ليسوا سعداء ...

قدمت حكومة المانيا الغربية منذ عدة سنوات ـ كما يحدثنا محمد الحديدي في كتابه (نماذج من الرواية العالمية) ـ مشروعا بتحديد شخصية كل مواطن الماني بعدد يتكون من اثنى عشر رقما ، الستة الاولى هي تاريخ مولده باليوم والشهر والسنة ، والرقم التالي لذلك

يدل على نوعه (ذكرا او انثى) والقرن الذي ولد فيه (طبقا لجداول تحدد ذلك) . ثم تأتي بعد ذلك اربعة ارقام تميز هذا الشخص بين من يشتركون معه فيا سبق من بيانات ، ثم رقم اخير للتصنيف . وذلك حتى يمكن استخدام الحاسب الالكتروني في تداول بيانات تحقيق الشخصية وغير ذلك . ويظل الفرد معروفا بهذا الرقم منذ مولده الى ما بعد وفاته بثلاثين سنة حين يلفظه الحاسب الالكتروني ومن المحتمل ان يكون تم الاخذ بهذا النظام في سنة ١٩٧٥ وقيل تعليقا على ذلك : لقد سبقوا جورج اورويل بتسع سنين ، وذلك اشارة الى الرعب الاجتماعي وانتهاء عصر الفرد الانساني في رواية اورويل الشهيرة « سنة ١٩٨٤ » ، التي ينتظرها العالم بقلب خافق !! وهناك رواية مستقبلية جديدة لايرى ليفين الامريكي تتناول المجتمع الانساني عندما يبتلعه الحاسب الالكتروني في دوائره وتحويلاته وملفاته العديدة ...

ورغم ذلك .. بل من اجل ذلك .. سيظل الناس بعيدين عن السعادة ..

لا بد من العقيدة

وحاولت الولايات المتحدة يوما ان تحرم شرب الخمر في طول البلاد وعرضها ، لحماية مسيرتها الحضارية ، وحشدت لحملة التحريم طاقات اعلامية ومالية وبوليسية هائلة ... وكانت النتيجة ان فشلت الحملة وتراجعت الحكومة عن قرارها ..

وعندها انشغلت اجهزة الاحصاء بمقادير الورق التي استهلكت في الحملة الاعلامية ضد الخمر ، وانماطها وصنوفها .. وفي عدد المعتقلين والمعاقبين ، ومدد محكومياتهم وانماط سلوكهم ، والشرائح الاجتماعية التي ينتمون اليها .. ثم ماذا بعد ، لا شيء ..

ظل الامريكي يتناول الخمر ... ثم تجاوزها الى الحشيش والافيون .. ثم تجاوزها الى الحقن والعقاقير .. ثم الى ان يرمي بنفسه من الطوابق العليا يغادر الحياة التعسة التي يحياها نشوان جذلا .. ثم تجيء موجات الدنس والقذارة الجماعية لكي تكتسح الشباب في عواصم العالم الكبرى ... والبيتلز .. والهيبيز .. و .. و .. الى آخره ..

ان الاحصاء لا يفعل شيئا سوى ان يسلط الضوء على الظاهرة .. واسارع فاقول انها حقا خطوة لها اهميتها الكبرى ... ولكنها وحدها لا تكفي ..

لا بد من العقيدة اولا .. وبعدها يجيء دور الاحصاء . وحده لا يفعل شيئا .. ولا يغير شيئا ..

اسمعتم عن رأي (توينبي) ؟ .. ان احد عوامل اعجابه بقدرة الاسلام الفذة على الفعل والتغيير ، هو تمكنه من تخليص امة باسرها من ظاهرة تعاطي الخمر التي تمتد جذورها آلاف السنين وهو ما لم يستطع قانون او دين ارضي ان يفعله كما فعله الاسلام ...

اقرأتم عن المعجزة نفسها كيف تحققت ؟

ثلاث آيات من القرآن فحسب تحسم الموقف لصالح الانسان .. لا اطنان من الاوراق ولا ملايين من الدنانير ولا الوف من المعتقلين ولا مئات من المؤشرات الاحصائية والبيانات العلمية والمنحنيات !! ثلاث آيات من القرآن فحسب ...

والمفتاح يكمن في العقيدة ... لقد اعطى الاسلام اتباعه عقيدة جادة .. تغلغلت في عقولهم وقلوبهم وشرايينهم حتى اصبحت الهواء الذي يتنفسونه والدم الذي يجري في العروق .. وحينذاك كان بمقدور الرسول عليه السلام ، وهو يتلقى امر الله ، ان يقول للمسلمين ان الله يأمركم ان تكفوا عن شرب الخمر .. ويومها فقط شوهدت دنان الخمر وهي تكسر ، والصهباء وهي تنساب على الارض فتختلط بترابها ووحلها .. وشوهد بعض من دخل الخمر جوفه قبل دقائق او ساعات ، يسعى جاهدا الى تفريغ جوفه من الدنس لكي يتطهر كما اراد الله له ان يكون ...

ومرة اخرى .. العقيدة اولا ..

وبدونها .. فان الفا من محاولات الاحصاء لن تفعل سوى ان تصف الظواهر وتصنفها اما الناس فانهم سيظلون ، في الطرف الآخر ، ليسوا سعداء !!

هذا النابغة العربي .. من يعرفه وينصفه ؟

بقلم : ماهر شمسي باشا

هذه صفحة مجهولة من حياة نابغة عربي ، اخترع قبل نصف قرن جهازا يحول اشعة الشمس الى طاقة كهربائية هائلة ، لكن طائرته سقطت به في حادث غامض بالولايات المتحدة ، عندما قرر ان يطير باحلامه الى وطنه العربي .

وطويت صفحة هذا العبقري العربي حسن كامل الصباح ، الذي قدر له ان يظل سجله مجهولا لدى الجميع ، في انتظار من يفتش فيه ويروي للعرب بعضا من صفحاته المشرقة ، انصافا للرجل وتعريفا به .

ان المعلومات المتوفرة لا تزال في حدود ما نشرته مجلة « الرسالة » المصرية في عددها رقم (١٠١) تحت باب البريد الادبي ، صفحة ٩٥٦ ، وفيه ما يلي :

« في اول يوم من بعد هذا الشهر احتفل في بيروت باستقبال جثمان الشاب العالم العربي النابغ (حسن كامل الصباح) وقد علقته المنون بمدينة (مالون) بالولايات المتحدة يوم ٣١ مارس سنة ١٩٣٥ في حادث طيارة كان قد اشتراها ليرحل بها الى البلاد العربية ، فكان فقده خسارة للعلم والاختراع وفجيعة للعرب الذين يرجون بمثل هذا النبوغ البارع ان يتبشروا للناس ان حيويتهم لا تزال فاعلة ، وان خصائصهم لا تزال كاملة ، وان مكانهم من المدنية الحديثة لابد ان يشغلوه » .

فمن هو كامل الصباح ؟

ان المعلومات التي نشرتها مجلة الرسالة تقول انه ولد في يوم ١٦ اغسطس سنة ١٨٩٤ ، وفي بلدة النبطية من قضاء جبل عامل جنوب لبنان ، وانه شب وأكب على العلم وكان له ولع خاص بالحساب والفلك ، فدرس الجبر والهندسة بنفسه وبرع فيهما . ولما رأى والده نبوغه المبكر ارسله الى المدرسة السلطانية في بيروت فانهى علومه الثانوية فيها والتحق بعدها بالجامعة الامريكية لكنه اضطر ان يقطع دراسته فيها لاستدعائه لاداء الخدمة العسكرية حين قامت الحرب العالمية الاولى . سافر مع (فرقته) الى الآستانة وهناك عينوه في قسم اللاسلكي التابع للعسكرية العثمانية تحت امرة ضابط الماني ، فاغتنم الفرصة ليتعلم الالمانية ، فاتقنها كما اتقن من قبل اللغتين الافرنسية والانكليزية .

لم تشغله الجندية عن متابعة دراسته للعلوم والرياضيات من مصادرها في اللغات الثلاث ، حتى انتهت الحرب ، فاستقر في دمشق وعين استاذا للرياضيات في المدرسة السلطانية وبقي فيها حتى عام ١٩٣١ .

طموح مستمر

« لكن طموحه لم يتوقف فسافر الى بيروت وتعين مدرسا للرياضيات بالجامعة الامريكية ، ولم ينقطع عن مواصلة ابحاثه في العلوم ، وكأن شيئا كان يضطرم في نفسه ، فما لبث ان هاجر الى الولايات المتحدة الامريكية ، وهناك التحق بمؤسسة (ماسا تشوستس) الفنية وكانت آنذاك من ارقى مدارس الهندسة في العالم . ثم انتقل الى احدى الجامعات ليروي نهمه المتزايد للعلوم

فيا بل غليله ، واحس بانه لابد له من ممارسة التجارب على ما اكتسب من العلوم النظرية ، فاتصل بشركة الكهرباء العامة في نيويورك وعين موظفا فيها . فبدأ نبوغه يظهر وتفتحت عبقريته وادهش الفنيين المتخصصين باختراعاته واكتشافاته في علم الكهرباء ، فخصصت له الشركة مختبرا وعينت له عددا من المهندسين يعملون معه باشرافه وارشاداته . فتوالت الاكتشافات وتتابعت الاختراعات فطار صيته في المقامات العلمية وفي الجامعات والمؤسسات داخل الولايات المتحدة وخارجها كمخترع عظيم ، واطلق عليه جهابذة الفن الكهربائي لقب (اديسون الصغير) ...

ثم التحق بشركة « جنرال الكتريك » فاطلقت يده ليثابر على الكشف والاختراع .

وقد سجلت له شركة الكهرباء العامة في نيويورك جدول اختراعاته في دائرة السجلات بواشنطن وهي ثلاثة واربعون اختراعا منها :

١ ـ طريقة لضبط القوة الصادرة من المقوم الكهربائي رقم التسجيل (١٦٦٩٥٠٢) .

٢ ـ حوافظ وضوابط لحماية المقومات الكهربائية من الخطر رقم التسجيل (١٧٧٦١٨٩) .

٣ ـ طريقة لمنع حدوث هزات عالية في القوة الكهربائية في المقومات الزئبقية . رقم التسجيل (١٨١٧٣١٢) .

٤ ـ ملتقط حديث لمنع حدوث انفجار كهربائي منعكس ومحول للعزائم الكهربائية العظيمة رقم التسجيل (١٨٥٢٢٠٥) .

٥ ـ جهاز للتلفزة يستخدم المنور كضابط للتيار الكهربائي رقم التسجيل (١٦٩٤٦٦) .

٦ ـ جهاز للتلفزة يستخدم الكهارب المنعكسة بفعل النور رقم التسجيل (١٧٠٦١٦٥) .

٧ ـ جهاز للتلفزة يحول اشعة الشمس لنار قوية وقوة كهربائية هائلة . رقم التسجيل (١٧٤٩٦٢) .

حلم لم يتحقق

وقد انفقت الشركة في تسجيلها مئة الف دولار ، كما انفقت على هذا الاختراع الاخير ربع مليون دولار .

ولما تم له اختبار اختراعه الاخير فكر في وطنه العربي الكبير وداعبته الاحلام السعيدة والامال الكبيرة ... فهذه الشمس الساطعة في سماء العالم العربي الصافية ستتحول الى طاقة كهربائية هائلة تنير المدن ، وتدير المحركات وتفجر الينابيع في الصحاري فتقلبها الى جنات وارفة .... أرقته الاحلام فصمم على العودة الى الوطن ، والامل يشده والرغبة تدفعه ، فانهى اعماله واشترى طائرة خاصة واستقلها يوم ٣١ أذار (مارس) سنة ١٩٣٥ .

حلق بطائرته ، او طارت به احلامه في اسعاد قومه ... لكن يد القدر حالت دون بلوغ هذا الحلم ، اذ سقطت طائرته في مدينة (مالون) الامريكية قبل ان يغادر الولايات المتحدة . فخسر العلم والعالم مخترعا عظيما وعالما كبيرا وعبقريا فذا شهد له العلماء بالنبوغ والتفوق ، وهنأ العظماء والرؤساء على اكتشافاته واختراعاته ، وعلى رأسهم الرئيس (هوفر) رئيس الولايات المتحدة ورئيس المؤسسة الكهربائية في بوسطن ، والاستاذ (كاستللوفراتش) استاذ الكهرباء في جامعة (ميلان) ، والاستاذ (مولايس لوبلان) العالم الفرنسي الكبير .

ورسالة التعزية التي وجهها مدير شركة جنرال الكتريك الى والده المفجوع نموذج لشهادة العلماء ، ومما جاء فيها : « ... لقد برهن الاستاذ حسن كامل الصباح اثناء خدمته لشركتنا على انه من اعظم المفكرين الرياضيين في البلاد الامريكية وان وفاته خسارة كبيرة لعالم الاختراع . »

كم في بلاد المهجر من امثال حسن كامل الصباح اولئك الجنود المجهولون في بناء الحضارة ؟

قصة :

الشهيد

تأليف الكاتبة الامريكية كاترين آني بورتر

ترجمة : الدكتور سليم الاسيوطي

كان روبين ، ألمع الفنانين المصورين واشهرهم في المكسيك ، وكان يذوب هوى ويتفطر جوى في غرام الموديل .[١] ايزابل ، التي كانت بدورها وهي متيمة في حب فنان آخر ينافسه حبه ، عاطل من الشهرة لا اهمية له تذكر ، لا يتمتع بمركز خطير وليس بذي شأن كبير مثل روبين .

كان من عادة ايزابل ان تنادي روبين بصغيري « شيرو » وهي كعكة حلوة ، وهو ايضا الاسم المدلل الذائع بين عامة المكسيكيين للكلاب الصغيرة . وكان روبين يرى فيه اسما ممتعا للغاية ، ويقول امام زائري الاستوديو : وهي الآن تناديني « شيرو » ها ! ها ! واذا ما ضحك اهتز جسمه داخل صدرته التي يرتديها ، فقد كان يزداد بدانة ، يوما بعد يوم .

وحينئذ ، فان ايزابل وقد كانت فارعة الطول نحيلة القوام ، تعمل اصابعها الطويلة القوية في باقة من الزهور جاء بها اليها روبين ، وتنتزع بتلات الزهور واحدة تلو اخرى ناثرة اياها في الهواء ، وقد تصيح ، ساخرة : « ياها ! ياها ! » ، ثم تصبغ ارنبة أنفها بالطلاء . كما لوحظ انها كانت تنتف شعره بقسوة وتجذب اذنه بشدة وقسوة .

وحينما كان الجادون من القوم يقومون بحجتهم المقدسة الى الاستوديو ، هابطين الشارع الضيق المرصوف بالحصى في حذر واحتراس فوق حفر ضحلة امتلأت بماء المطر ، في الباحة المحاذية للدار ، وقد جعلت درجات السلم المتداعية تصر مقعقعة تحت وقع اقدامهم وهم يتهافتون للحظوة بنظرة الى شخصية الفنان العظيم الذي يتحلى بالتواضع ، تصيح قائلة : « لقد وفدت جموع البلهاء » ، كانت تستمتع بنظراتهم وهم يحملقون بجرأة مشدوهين .

طالما كانت تشكو السأم والملل ، اذ كانت في بعض الاحايين تقضي طوال اليوم ، تضفر شعرها ، ثم تعود فتحله ، بينما يقوم روبين بعمل « اسكتشات » لها في اوضاع متنوعة ، ويظلان على هذه الحال لاهيين ، عن الدنيا وما فيها ، حتى الطعام ، الى وقت متأخر من النهار ، ولكن لم يكن لديها منتجع آخر تلوذ به ، ما لم تسنح الفرصة لعشيقها، منافس روبين ، ببيع لوحة ، لأن الجميع صرحوا بأن روبين سوف يقتل لفوره كل من يحاول ان يسلبه ايزابل ، ومن ثمة كانت ايزابل تبقى في مكانها لا تريم ولا تتحرك ، حتى رسم لها روبين ثمانية عشر منظرا لصورته الجدارية الزيتية . كانت تطهو له طعامه احيانا ، وتتشاجر معه ، احيانا اخرى ، وتخرج لسانها الاحمر الطويل لمن لا تحبهم من الزائرين وكان روبين يزداد جنونا بحبها .

كان قد فرغ لتوه من الرسم التاسع عشر لايزابل حينما باع منافسه لوحة كبيرة جدا ، لثرى قال عنه المزخرف الخاص له ، انه يجب ان يكون له لوحة كبيرة

(١) ـ الموديل : المرأة التي تجلس امام الرسام او النحات لكي يستعين بها على ابداع صورة أو تمثال .



ذات اطار من الخشب ، باللونين الاخضر والبرتقالي لتغطية حائط معين في منزله الجديد . وكانت هذه الصورة ، للمصادفات السعيدة ، خضراء برتقالية مذهلة تفوق حد التصور . ودفع له الرجل الثري ثمنا ضخما ، ولكنه كان سعيدا لذلك وشرح سبب سعادته قائلا ان تغطية هذه المساحة بطنفسة [٢] كان يتقاضاه ستة امثال ما دفع من ثمن . وكان الفنان المنافس سعيدا ، ايضا ، على الرغم من انه لم يهتم لشرح سبب سعادته . وفي اليوم التالي ، ذهب بصحبة ايزابل الى كوستاريكا . وهذه هي نهايتها فيما يخصنا .

قرأ روبين رسالة وداعها المختصرة :

« عزيزي شيرو المسكين : انه لأمر يدعو الى الرثاء والشفقة ان تكون حياتك رتيبة كل الرتابة مليلة كل الاملال ، قلوتني بالضيق والضجر ، وقد عدت لا احتملها اكثر مما احتملت اني راحلة برفقة شخص آخر ، لن يدعني اطهو له مطلقا . ولكنه سوف ينجز لوحة جدارية عليها خمسون رسما لي ، بدلا من عشرين لا غير . وسوف يكون لي ايضا « شيشب » اخر ، وسأعيش حياة بهجة مرحة تسر قلبي .

صديقتك القديمة ،

ايزابل

ما كاد روبين يقرأ هذه السطور حتى احس بأنه رجل يغرق ، فقد تقطعت انفاسه ، وراح يضرب بعنف في الماء ، طويلا . ثم شرب زجاجة كبيرة من « التيكيولا » بدون عصير الليمون أو أية نكهة ما ليخفف من حدة الشراب ، ثم استلقى على ارض الحجرة وبكى بكاء مرا .

وبعد هذا اضحى رجلا غير الرجل في كل شئونه . فلم يكن ليستطيع الحديث ما لم تكن ايزابل هي موضع حديثه ، بوجهها الملائكي ، وألاعيبها المحببة ، وتصرفاتها الساذجة « لقد اعتادت ان تركلني في عظمتي الساقين بين الركبة والقدم فتترك عليها اثارا من اللونين الأسود والأزرق » . هكذا كان يتحدث في شغف عنها ، ثم تفيض عيناه بالدموع . كان يأكل دائما الكعك الحلو من

---

(٢) ـ لوحة كبيرة من نسيج صوفي بها رسوم تطريزية .

حقيبة بجوار حامل لوحات الرسم . ويقول وهو يرفع بيده واحدة منها قبل ان يأخذ منها قضمة تلأ فمه : « لقد اعتادت ان تناديني « شيرو » . مثل هذه ! » .

لقد عم السرور اصدقاءه جميعا لرحيل ايزابل ، وكانوا يرددون فيما بينهم انه محظوظ لفقدانه الشيطانة النحيلة . وعقدوا العزم على مساعدته على النسيان . ولكن روبين من جانبه . لم يكن ليشغله عن ذكراها شاغل . ويقول وهو يهز رأسه في عناد : « لا يوجد في الدنيا امرأة اخرى مثل تلك المرأة . لقد رحلت ورحلت حياتي معها . لقد فقدت نشاطي وحيويتي ، ولم تعد بي روح تحركني الى شيء حتى الثأر » ثم يضيف قائلا : « اني اقرر لكم ، ان ملاكي الصغير المسكين ايزابل قاتلة . لقد حطمت قلبي . » .

وكان في بعض الاحايين يجوس خلال الاستوديو ويقذف بالنعل المصنوع من اللباد في اكوام الرسوم المكدسة بعضها فوق بعض بغير نظام على الارض في كل مكان ، وقد غطاها التراب . او وهو يطحن الالوان لبضع دقائق قائلا بصوت محسور حزين : « كانت فيما امضي تودي لي كل هذا . هلا تصورتم صلاحها ! » ولكنه كان دائما يعود الى النافذة ، ويطعم الحلوى والفاكهة وكعك اللوز من حقيبته . وحينما كان اصدقاؤه يأخذونه معهم لتناول العشاء في الخارج كان يأخذ مجلسه في هدوء وسكينة ، ويلتهم اطباقا باكملها من كل لون من الوان الطعام في المطعم ويسهل ازدياد ما يأكل بجرعات من النبيذ الابيض الحلو . ثم يشرع في البكاء ، والحديث عن ايزابل .

ولقد اجمع الاصدقاء على ان ما آلت اليه الأمور قد اصبح في حكم البلاهة والحماقة اوكاد . كان رحيل ايزابل دخل في شهره السادس تقريبا . ورفض روبين ان يقرب الصور التسع عشرة التي رسمها لها ، ورفض رفضا باتا واصر في عناد ان لا يشرع في العشرين ، ومن ثمة اصبح الطريق الى اكمال الصورة الجدارية مسدودا .

قال رامون الذي كان يرسم صورا كاركاتورية ، ورؤوس فتيات جميلات للمجلات : « انظر الي ، يا صديقي العزيز ، اني انا ولست بالفنان العظيم ، اعلم كيف يمكن ان تدمر المرأة اعمال الرجل وجهوده . دعني اقص عليك حكايتي . حينما هجرتني ترداد ، اصبحت انسانا لا يصلح لشيء . وفقدت طعم كل شيء ومذاقه ، ولم استطع ان افرق بين الألوان او اميز بعضها من بعض ، وغدوت اصم تماما عن كل ما يحيط بي . ان المخادعة بليل الوقحة صفيقة الوجه التي تجردت من الخجل وعطلت من الحياء كادت ان تحطمني . ولكن انت يا صديقي ، يجب ان تصحو وتتنبه وتفوق لنفسك ، انجز الصورة الجدارية العظيمة التي باتت في حكم المكتملة ، من اجل الانسانية ، ومن اجل المستقبل ، وتذكر ايزابل ، حينما ترفع صلاة الشكر الى الله لانها قد رحلت . »

كاترن آني

ولدت في عام ١٨٩٠ وهي كاتبة قصة ومؤلفة رواية ، ولدت في تكساس من اسرة تدهور حالها فخورة بانحدارها عن دانيل بوني بطل القرن الثامن عشر الرائد ل ـ كنتكي . ولقد تمردت في وقت مبكر من حياتها على العرف الاقليمي ، وانطلقت تبحث عن مكانها تحت الشمس ، ومن ثمة فقد حصلت على قدر ضئيل من التعليم الرسمي . وعملت في صحيفة يومية في دنيفر لمدة ثلاث سنوات ، ثم عاشت مغتربة في المكسيك واوربا . وعلى الرغم من تمردها ، فان احسن اعمالها يكاد ان يكون محصورا في القصص التي تعالج حياة قصة بطلة نشأت مثل نشأتها وفي مثل سنها ولها خلفيتها وحيث تتخذ مادة مجتمعها الجنوبي لبناء قصصها فغالبا ما تكون هي مادة طفولتها ومن ثمة فهي كاتبة جنوبية (من جنوب الولايات المتحدة) لا يخطئها احد . ومن هذا المنطلق نراها تستخدم المادة التي لا تنضب ولا تنتهي لكل ما في الجنوب المنهزم في النسيج الاجتماعي للكاتب كما يفعل فوكنر (وليم فوكنر) وعلى الرغم من ذلك فهي اكثر التزاما بالتجرد عن الهوى والبعد عن التحيز والتمسك بالاستقلال في الرأي مثل غالبية زمرة الكتاب الجنوبيين . ان علاقة الحاضر المطرده التناقض بالماضي المجيد تتيح لها تحقيق اروع مؤثراتها واجلها ـ كما هي الحال في قصص « ميراندا » فهذه القصص المترابطة فيما بينها التي تعالج المبادرات الانسانية والاجتماعية لفتاة تقف على صلة وثيقة بالمؤلفة . تستخدم طريقة رمزية دقيقة وتعرض الماضي بوصفه قوة داخلية جبارة وهكذا نلمس جهودها من قصة الى قصة حتى نجد في قصة « يهوذا المتبجح » ميراندا المعتقة أو المحررة

وينفض روبين برأسه وقد تهالك منهارا على اريكته وهو يلتهم اللوز المسكر ، ويصيح قائلا :

« ان ألما اصاب قلبي سوف يقتلني . لا يوجد مثيل لهذه المرأة في العالم » .

وفجأة انتفخت رقبته حتى ضاقت بها بنيقته التي رفض طرفاها أن يلتقيا أسفل ذقنه وارخى حزامه حينئذ ، وقال شارحا : « انى اجلس ساكنا بلا حراك ، فقد اصبحت عاجزا عن الحركة . ان طاقتي قد تحولت الى حزن » . كانت طبقات الشحم تتراكم خفية على جسمه الذي انبعج حتى غدا غريبا حتى على صاحبه . وصرح دامون قائلا وهو يعرض كاريكاتوره الجديد الذي رسمه لروبين ، على اصدقائه : « اقسم اني كنت استطيع ان ارسمه بالفرجار . فان الأزرار لتكاد ان تتفجر من قميصه . انها لظاهرة خطيرة كل الخطورة وغير مأمونة العاقبة . »

ولكن روبين يظل على عادته يجلس بالليل ، يأكل مكتئبا في وحدته ويذرف الدمع على ايزابل الى ان يفرغ زجاجته الثالثة من النبيذ الحلو ، في جوفه .

بحث اصدقاؤه ما آل اليه حاله وخلصوا من البحث الى ان الأمر اصبح مدعاة الى اليأس ، وحان الوقت ان يتولى احدهم الافضاء اليه بالسبب الحقيقي لألمه . ولكن راح كل منهم يطلب من الآخر القيام بالمهمة . وانتهى الامر الى انه لا يوجد احد من بين الجماعة ، ومن المحتمل في جميع ربوع المكسيك ، فظ خشن لا يرعى شعور الآخرين بحيث يستطيع القيام بهذا الدور . وعقدوا العزم على ان يلقوا بهذه المسئولية على طبيب في كلية الجامعة . ففي عقل هذا الشخص كان يجب ان تمتزج العاطفة المهذبة الكاملة بارفع درجات المعرفة الفنية وكان هذا هو العمل الدبلوماسى ، الحكيم ، شديد الحساسية الواجب انجازه . ولقد انجز فعلا .

●

وجد الطبيب روبين جالسا امام حامل لوحات الرسم ، مواجها الاشكال التسعة عشر التي رسمها لأيزابل التي لما تكتمل ، كان يبكي وفيما هو ينشج كان يلتهم ملء ملاعق من الجبن مع فاكهة المانجو المتبلة كان يجلس على كرسى بلا ظهر او ذراعين يتدلى جسمه عليه من كل جانب مثل كومة من عجينة اختمرت . قص على الطبيب حكاية ايزابل اولا ، قال : « انى أؤكد لك بكل اخلاص وامانة يا صديقى ، وحتى مجرد تصوير مواطن الجمال فيها لم يعد في مقدورى وبالاضافة الى ذلك ، فقد كانت ملكا في حنانها ورقتها وعطفها » . وفيما بعد افضى قائلا ان الألم الذي يستشعره في قلبه سوف يكون فيه حتفه . وتأثر الطبيب تأثرا عميقا لما سمع . وبقى لفترة طويلة يواسى مريضه دون ان تواتيه الشجاعة لوصف علاج مادى لرجل على مثل هذه المشاعر

محرومة من قوة الحب .

كانت اول مجموعة من القصص لها هى « يهوذا المتبجح » في عام ١٩٣٠ وكانت تضم بالاضافة الى القصة التي تحمل عنوانها ، ثلاث قصص اخرى على الأقل ، من الطراز الاول : « حمل ماريا » وهى تتناول حياة امرأة من هنود المكسيك وتعد واحدة من الحالات القليلة التي تتخلى فيها الكاتبة عن خلفيتها المألوفة . و « المرأة ـ المشروخة » وهى قصة مماثلة ولكنها مثل اقل اسرافا . انها قصة امرأة ايرلندية عنوانها « الناكثة [١] من جرانى ويذرهول » « واحلام اليقظة على فراش الموت ، للأم [٢] الرئيسية » وانجح مجموعة مماثلة هى « جواد واهن ، راكب شاحب » . وتضم حكايات ميراندا القصيرة مجموعة القصص التي تحمل العنوان « البرج المائل » التي ظهرت في عام ١٩٤٤ وتدور حول المانيا النازية وفيها يبعد التركيز فهى محاولة مجردة للتعليق الاجتماعى الى ابعد حد . وتظهر مواضع الضعف عندها اوضح ما تظهر في روايتها « سفينة من الحمقى » ١٩٦٢ التي استغرقت الكاتبة عشرين عاما من التأليف . انها قصة رمزية آلية عن حمولة سفينة من المسافرين الى المانيا في الثلاثينات تصف الحماقات الانسانية الاجتماعية مستهدفة الاحاطة بالخلق النازي . ولكن شهرتها الذائعة تقوم على قصصها ، والتي تستحق على الأقل ، ارفع الاهتمام بوصفها ريادات للضمير الذاتى .

(١) ـ الناكثة : المرأة التي تنكث بعهدها فتنبذ رجلا كانت من قبل تبادله الحب .

(٢) ـ امرأة تحكم اسرة او جماعة وبخاصة امرأة ترأس اسرتها .

الرقيقة والأحاسيس المرهفة .

« ان كل ما لدى من ادوية مألوف للكافة تماما » ، ولكنها جميعا كل ما تملكه البشرية لتسهم به في شفاء الروح المقروحة المجروحة . » وجعل يسميها واحدا تلو الآخر . فألفت معا قائمة رائعة ، ولكنها ليست شاملة : نظام خاص للتغذية ، هواء نقى ، المشى مسافات طويلة ، وتمارين عنيفة متكررة ، ومن الأفضل ان تكون على قضيب مستعرض ، ودش من الماء المثلج ، والامتناع التام تقريبا عن احتساء النبيذ .

وبدا ان روبين لا يسمع ما يقوله الطبيب . وفاضت همهمته المكبوتة التي انطوت في زوايا النسيان خلال عبارات الطبيب الادبية الصقيلة جدا :

« ان الآلام تبلغ حدا لا يحتمل ولا يطاق فى الليل ، فحينما ارقد فى فراشي الموحش وحيدا واحلق فى السموات الخاوية من خلال نافذتى الضيقة ، افكر لنفسى : « من المؤكد ان مثواي الأخير سيغدو فورا اضيق من هذه النافذة ، واحلك ظلاما من القبة الزرقاء ، ثم يعتصر قلبي واتضور الما ، آه ، يا ايزابلتي ، يا جلادتي !

اختلس الطبيب خطواته خارجا فى احترام ، وترك مريضه جالسا فى مكانه يأكل الجبن ويحملق بعينين مخضلتين بالدموع فى الرسوم التسعة عشر لايزابيل .

ضاق الاصدقاء والصحاب ذرعا الى الحد الذى يدعو الى اليأس ويبعث على القنوط وتركوه فى وحدة تزداد اكثر واكثر . لم يره احد منهم لعدة اسابيع فيما خلا صاحب مقهى صغير يسمى « القردة الصغار » حيث اعتاد روبين ان يتناول عشاءه بصحبة ايزابل والى حيث كان فى هذه الآونة يذهب وحيدا ليتناول طعامه .

وهنا فى هذا المقهى ، ذات ليلة ، قبض روبين فجأة ، على قلبه بعنف ، ووقف من مقعده ، وقلب طبق « الطامال » [٣] ومرق الفلفل الذى كان يأكل منه . وهرع صاحب المقهى اليه . وافضى اليه روبين بهمس على عجل ، واشار بيده اشارة مؤثرة فوق رأسه بأحد ذراعيه ، ولنقل ما حدث فى ايجاز ولطف بقدر الامكان ، لقد مات .

وأسرع أصدقاؤه فى اليوم التالى لمقابلة صاحب المقهى ، الذى اعطاهم وصفا بالغ التأثير والروعة فى صورة كاملة للحدث المحزن . كان رامون فى ذلك الحين يقوم بجمع مادة لكتابة سيرة حياة دقيقة لأعظم فنان واشهر مصور فى بلاده ، بغية تزويدها بأعداد كبيرة من صور روبين الشخصية التى تعبر عن سماته وصفاته . وكان الاهداء الى « صديقه واستاذه ، عبقرية الفن الملهم الذى لا يبارى فى القارة الأمريكية » قد اعد مسبقا .

وسأل رامون صاحب المقهى مصرا : « ولكن ماذا قال لك ، فى اللحظة الأخيرة الهائلة الرهيبة ؟ انه اهم ما فى الأمر . فان الكلمات الأخيرة التى يقولها فنان عظيم ، يجب ان تكون غاية فى البلاغة . اعد هذه الكلمات فى دقة ، يا زميلي العزيز ! انها سوف تضيف عظمة الى سيرة حياته ، بل ولتاريخ الفن نفسه ، اذا ما كانت كلمات بليغة . »

نفض صاحب المقهى رأسه بما يوحى بانه الرجل الذى يفهم كل شيء ويقدره حق قدره .

« انى اعرف ، انى اعرف ، فربما كنت لا تصدقني حينما اقول لك ان كلماته الأخيرة كانت رسالة رفيعة حقيقية اليكم ، انتم اصدقاؤه الاوفياء ، والى العالم أجمع . لقد قال ايها السادة : « اخبرهم انى شهيد الغرام ، وانى اموت دفاعا عن قضية جديرة بالتضحية ، انى اموت بقلب كسير ! » ثم اضاف قائلا : « ان ايزابلتي هى جلادتي ! » كان هذا كل ما قاله يا سادتي » هكذا ختم صاحب المقهى حديثه فى بساطة وتبجيل . وحنى رأسه . وحنوا جميعا رءوسهم .

قال رامون بعد فترة الصمت التقليدية ، حدادا : «لقد كان ذلك رائعا حقا وانى لاشكرك . انه لمرثية رائعة ، تحفر على قبره . انى لراض كل الرضا . »

واضاف صاحب المقهى قائلا بلهجة متواضعة : « لقد كان مغرما غراما بالغا بطبق الطامال والمرق المتبل بالفلفل الاحمر . لقد كانا متعته الاخيرة . »

صاح رامون قائلا : سوف يذكر هذا فى المكان المناسب ، فلا تخش شيئا يا صديقى العزيز ، وصوته يتعثر بعاطفة جياشة عارمة ، مع ذكر اسم مقهاك أيضا . سوف يكون قبره مزارا للفنانين حينما يذاع خبر هذه القصة . ثق انى ساحفظ بكل امانة واخلاص كل تفصيل دقيق فى حياة هذا العبقرى العظيم وحياته . فان كل حلقة لها اهميتها المقدسة ، الثمينة الخاصة . نعم ، حقا ، سوف اذكر ولن انسى طبق « الطامال » ! ■■

د . سليم الاسيوطى

---

(٣) ـ طعام مكسيكي معد من دقيق الذرة ومن لحم مفروم مع الفلفل الأحمر .

اعداد : يوسف زعبلاوي

اقلام حبر جاف جديدة

اخترعوا قبل حوالي سنة قلم الحبر الجاف الذي يمكن محو حبره ، أو كتابته وكأنه قلم رصاص ... واخترعوا في المدة الاخيرة قلم حبر جاف ثان قابل للمحو كالاول . الا انه يبشر بمزيد من رواج في أسواق القرطاسية العالمية ..

فقد صنعوا هذا القلم الجديد على نحو لا يسمح بتجديده ، واستبدال اناء حبره القديم اذا نفد ، باناء حبر جديد .. وحرصوا على صنعه من مواد رخيصة تسمح ببيعه وبشرائه بثمن زهيد ، وبالالقاء به جانبا حالما ينفد حبره القديم .

والحبر واحد تقريبا في كلا الاختراعين .. والغريب انه حبر مكثف .. اكثف من حبر اقلام الحبر الجاف العادية (التي لا تسمح بالمحو) بنحو ١٠٠ مرة .

ولا يحتاج القلمان الجديدان الى ممحاة خاصة ... فالممحاة العادية التي يستعملها طلاب المدارس تفي بالغرض .



سيارة تسير بالطاقة الشمسية

نجح البروفسور اريه برونشتين Arie Braunstein في صنع سيارة تسير بالطاقة الشمسية .

وتعتمد هذه السيارة التي تراها في الصورة على البطاريات الشمسية (Photovoltaic Cells) وهي التي تحول ضوء الشمس الى طاقة كهربائية فورا ، وعلى نحو مباشر ، وذلك بفضل مادة السيلكون التي تحتوي عليها تلك البطاريات . وهذه البطاريات تحتاج الى شحن كالبطاريات العادية .. ولكن شحنها يجري تلقائيا لدى تعرضها لضوء الشمس .. وبذلك تحصل على ثلث حاجتها من الكهرباء .. ويتم حصولها على الثلثين الآخرين من التيار الكهربائي المتوفر في المنازل وذلك بوصل البطارية باحد بلاكات الجدران .

وقد بلغت سرعة البطة القبيحة (كما يسمي البروفسور المذكور السيارة الشمسية التي اخترع) ٤٠ ميلا في الساعة ، في حدها الاقصى . وهي تستطيع قطع ٥٠ ميلا بمخزونها من الكهرباء دون التزود بمزيد .. اما تكاليف تسيير هذه السيارة فزهيدة للغاية ولا تكاد تبلغ $\frac{1}{10}$ من تكاليف تسيير سيارة البنزين العادية .

وتجدر الاشارة الى ان العمل يجري على قدم وساق لتحسين اداء هذه السيارة الشمسية .. وذلك في تل ابيب في اسرائيل ، حيث تم تطويرها .

زرع المفاصل

منذ نحو ١٥ شهرا وعمليات زرع المفاصل تجرى على سبيل التجربة في مستشفيات جامعة كليفلاند في ولاية اوهايو ... وقد بلغ عدد المفاصل التي شملتها تلك العمليات ٥١ مفصلا (حتى اواخر شهر ابريل سنة ١٩٨٠) ، وعدد المرضى الذين زرعت المفاصل في اصابعهم ٢٢ مريضا .. ويؤكد المطلعون ان هذه المفاصل الاصطناعية ستصبح في متناول المستشفيات والجراحين في غضون نحو سنتين ...

على ان المقصود هنا هو مفاصل الاصابع فحسب . اذ كثيرا ما تتلف هذه تبعا لاصابتها بمرض التهاب المفاصل (Arthritis) او نتيجة لحوادث الطرق .

ولما كان من المتعذر معالجة المفاصل والقضاء على الآلام المبرحة التي غالبا ما تقترن بها .. عمد بعض العلماء في الولايات المتحدة الامريكية الى تطوير ما يعرف باسم Biomerec Finger Prosthesis وضع المفاصل التي يمكن زرعها مكان المفاصل الطبيعية التالفة لتقوم مقامها . وقد صنعوا هذه المفاصل من معدن التيتانيوم المتين والخفيف الوزن .. ومن مطاط اصطناعي بالغ القوة والمرونة . ويصلح بصفة خاصة لصنع « المفصلات » الضرورية لتلك المفاصل ..

وتشمل المفاصل الاصطناعية ستة اطرزة مختلفة بمقاييس متفاوتة تلائم شتى مفاصل الاصابع الطبيعية باستثناء مفاصل الابهام .. التي ما زالت الجهود تبذل في سبيل صنع نظير لها ..

وتجدر الاشارة الى ان الطبيب الجراح الذي يقوم بتلك العمليات هو الدكتور كنجز بورى هيبل (Kingsbury Heiple) وان الشركة التي تتولى صنع مفاصل التيتانيوم الاصطناعية هي شركة (هيبل ولورد) في بنسلفانيا .

صبغ عجيب

هذا صبغ جديد يضيء في الليل دون ان تصدر عنه اى اشعاعات كما هي الحال في المواد الفسفورية .. وخاصة تلك التي قوامها الراديوم . لذلك كان هذا الصبغ الجديد الذي اخترعته احدى الشركات السويسرية في اواسط الصيف الماضي آمنا لا خطر من استعماله اطلاقا .. وكان بالتالي ذا استعمالات عديدة تشمل طلي العاب الاطفال ، بحيث تصبح اجمل واكثر جاذبية . على ان استعمال الصبغ الجديد في وضع علامات المرور في الطرق والشوارع هو الاستعمال الرئيسي ..

ومما يذكر عن الصبغ الجديد انه يعتمد على ما يعرف بمبدأ (Phololuminescence) . فهو يمتص ضوء السيارات وسواها ثم يعود فيطلق هذا الضوء وكأنه هو مصدره .. على ان هذا الصبغ لا يمتص من اشعة السيارات وما اليها الا الاشعة فوق البنفسجية ذات الموجات القصيرة .. والغريب ان الاشعة التي يطلقها هي من ذات الموجات الطويلة ...

واطرف ما يذكر عن هذا الصبغ انه لا يحتاج الى اكثر من نصف دقيقة ليختزن فيها من

اشعة ضوء السيارات ما يكفي لاشعاعه طيلة ساعة ونصف الساعة .

كمبيوتر يغني عن الترجمات

نجحت احدى الشركات الامريكية في اختراع كمبيوتر يتقن ترجمة النصوص الانجليزية الى اللغة العربية .. وقد استكملت اختراعها هذا نهائيا واصبح في الامكان شراؤه .

ويستطيع هذا الجهاز القيام بمهمته بسرعة كبيرة ، تبلغ ١٥٠٠٠ كلمة في الساعة الواحدة . ولكن ترجمته تظل بحاجة الى صقل نهائي يقوم به ترجمان خبير . وفي استطاعة الكمبيوتر ان يساعد هذا الترجمان في اداء مهمته هذه .. اذ انه يختزن مجموعة كبيرة من المفردات والمترادفات يرجع اليها المترجم بعد الاطلاع على ترجمة الجهاز والشعور بعدم الرضى عن بعض محتوياتها .. عندئذ يستعرض الترجمان الالفاظ المختزنة ويتخير منها ما يروق له بدلا عن الالفاظ او العبارات التي لم تعجبه في ترجمة الجهاز الاولى ..



نقط للانف تؤدي الى الحمل والانجاب

من طريف ما حملته الينا انباء الطب خبر عقار الخصوبة الجديد ، الذي تتناوله المرأة نقطا في الانف بدلا من تناوله حقنا في العضل او حبوبا . وكانت السيدة جلوريا بولاند ، التي تراها في الصورة تتعاطى عقار الخصوبة باشكاله التقليدية طلبا للابن الثاني .. ومضى ١١ سنة على ولادتها الابن الاول وهي تواصل العلاج الذي ذكرنا بلا طائل . ثم عمدت الى المعالجة بواسطة نقط الانف .. فحملت وولدت الطفل الذي يظهر معها في الصورة .. وقد بلغ من العمر ستة شهور .

ولا يختلف العقار الجديد عن العقار التقليدي (Lhrh) من حيث التركيب ... اذ ان قوامها هو هرمون الخصوبة الطبيعي نفسه ، وان كان في كلتا الحالتين مخلقا الى حد كبير . الا ان نقط الانف تغني المرأة عن التردد على المستشفيات بضع مرات في اليوم .. ويبدو ان نصيب العقار الجديد من الهرمون الطبيعي اكبر من نصيب العقار التقليدي من ثم كانت اثاره الجانبية اقل ، وهذه ميزة كبيرة ولا ريب ..

وقد جرى تطوير نقط الانف هذه في جامعة جنوب كاليفورنيا على يد الدكتورة شيلا فانزي Phansey اخصائية امراض النساء والتوليد .. ونشرت المجلة العلمية التي ترعى اصدارها جمعية الخصوبة الامريكية بحثا مفصلا حول العقار الجديد وذلك في عددها الصادر في مطلع الصيف الماضي وقد شارك في كتابة هذا البحث العالمان (راجهافن نير) Raghaven Nair واوليفر وليمسون Williamson ، فضلا عن الدكتورة شيلا فانزي وهي الرائدة في هذا المجال .



أعراس لها تاريخ

بقلم : رابح لطفي جمعة

أعراس العرب لها سجل حافل بالاثارة والمتعة والبهجة .. وهو سجل جدير بأن نستعيد صفحاته ، لنتعلم منها الكثير .

اشتهرت مكة قبل الاسلام بمئات السنين بكعبتها المقدسة . وكانت هذه القداسة تتجلى كل عام في سلسلة من الحفلات والأعياد والأعراس والموالد والأسواق تقام كلها حول مكة في بطحائها وظواهرها وفيها تمتزج المواسم الدينية ذات الشعائر والرسوم بالتجارة والبيع والشراء وحفلات الزواج والمفاخرة بالأشعار والأنساب والكرم والفصاحة والجمال والشجاعة .

وقد أراد المكيون أن تقع تلك الأعياد والأعراس والأسواق في فصل الشتاء وطرف من الربيع وآخر من الخريف ووضع بعض الحاسبين منهم نظام النسيء ليجعلوا من السنة القمرية والتاريخ الهلالي سنة شمسية لكي يحتفظوا بحلول المراسم في الوقت الذي يرغبونه .

ولم يختر المكيون هذا الوقت عبثا ، ولم يفضلوه على غيره لطراوة الهواء أو هبوط الحرارة والقيظ على القادمين والرائحين ، وانما اختاروه لانه الوقت الذي يكثر فيه الأدم والثمرات وغيرها من البضائع والعروض في الأسواق مما يؤدي الى رواج المعاملات وانتعاش الحالة الاقتصادية ، فكانت حفلات الزواج في الجاهلية تقام في هذا الوقت بالذات .

وقد وصلت الينا بعض الاخبار عما كان يفعله العرب في الجاهلية بمناسبة الاحتفال بالخطبة والزواج ، فكان النساء والرجال يشتركون معا في هذه الاعراس يحيونها بالغناء والرقص ويعزفون على الآلات الموسيقية المختلفة كالدفوف والمزاهر [1] وكان المهر يسلم للعروس او لابيها او من يقوم مقامه من ذويها باعتباره من حقوقها حتى لقد كانوا في الجاهلية إذا ولد لأحدهم بنت يقولون له « هنيئا لك النافجة » أي المعظمة لمالك لأنك تاخذ مهرها فتضمه الى مالك فينتفخ .

كما كان للعروس حقاب تجمع فيه حليها وما يتبعه من أدوات الزينة وآنية الطيب ولم يكن يثقلها ما كانت تتحلى به عند زفافها من خلاخيل وقلائد وأهلة وأقراط وأساور وخواتم وما تلبسه من عصائب ومناطق وأقمصة وأزر .

كما كان العرب في الجاهلية يطلقون لفظة « الملاك » على طعام الخطبة ولفظة « الوليمة » على طعام العرس . يقول صاحب مجمع البحرين للخطبة الملاك والوليمة للعرس ، ليس هذا فحسب بل كان هناك نوع من الخطابة لا يقال إلا في مناسبة الخطبة أو الزواج ، وكان هذا النوع يسمى بخطبة « الاملاك » لترغيب القبيل المخطوب اليه في قبيل المخطوب له وعد فضائله وذكر ما يسوقه من المهر ونحو ذلك ، ولا شك أنه كانت للعرب في الجاهلية أغان يتغنون بها في حفلات العرس والزفاف شأنهم في ذلك شأن سائر الأمم : فمؤلف كتاب الأغاني يذكر لنا أن الموسيقى والغناء كانا مع العرب من ترنيمة المهد الى مرثاة اللحد .

ولعل ما جاء في كتب التاريخ والسيرة عن زواج السيدة آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن عبد المطلب وكذلك زواج النبي بالسيدة خديجة رضي الله عنها ـ أن يعطينا صورة لحفلات الزواج قبل البعثة المحمدية ، فتروى الأخبار أنه عندما تزوج عبد الله بآمنة بنت وهب دامت الافراح في مكة ثلاثة أيام بلياليها ، كان عبد الله أثناءها يقيم مع عروسه في دار أبيها على عادة القوم قبل الانتقال الى بيت الزوجية ، أما زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة فتروي كتب السيرة أن الذبائح نحرت والدفوف دقت

---

(١) يؤخذ ذلك من قول ابن رشيق في العمدة ـ كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الاطعمة وأتت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الاعراس .

وفتحت دار السيدة خديجة لاستقبال المهنئين من الأهل والاصدقاء ، وخطب أبو طالب في هذه المناسبة فقال « الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمدا بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعليّ » .

أعراس ما بعد الاسلام

وعندما جاء الاسلام اتسمت أفراح العرب بالبساطة وإن لم تكن لتخلو من إقامة الولائم ونحر الذبائح والغناء والرقص وتزيين العروس وتطييبها بالطيوب والعطور مما يطلق عليه لغة « جلوة العروس » . وقد وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها ما كان يفعله الأحباش في أعراسهم إذ كانوا يرقصون ويلعبون بالدرق والحاب في مسجد الرسول ، وفي الاثر أن السيدة عائشة رافقت عروس أحد الأنصار يوم زفافها فلما عادت سألها الرسول : أهديتهم الفتاة الى بعلها ؟ فقالت : نعم قال : فبعثتم معها من يغني ؟ قالت : لا فقال : أو ما علمت أن الانصار قوم يعجبهم الغزل ؟. كما قال الرسول في مرة أخرى : احيي الزواج واضرب الغربال .

وقد احتفل عليه الصلاة والسلام نفسه بزواجه من السيدة زينب بنت جحش بعد البعثة ، فكانت حفلة الزواج وليمة حافلة ذبح الرسول فيها شاة وأمر مولاه أنس بن مالك أن يدعو الناس إليها فتوافدوا أفواجا يأكل كل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى أن قال أنس : يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال عليه الصلاة والسلام : ارفعوا طعامكم .

أما زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة عائشة رضي الله عنها : فقد كان الاحتفال به بسيطا إذ تم الزفاف بعد الهجرة الى المدينة بأشهر معدودات ، وتصف السيدة عائشة يوم عرسها في حديث فتقول : ما نحرت عليّ جزور ولا ذبحت من شاة حتى ارسل الينا سعد بن عبادة بجفنته كان يرسل بها الى رسول الله » وحمل اليها والى النبي قدح من لبن شرب الرسول منه ثم ناوله العروس وشربت منه .

ولكن عندما زوج النبي ابنته فاطمة الزهراء من ابن عمه علي بن أبي طالب احتفل بنو عبد المطلب بهذا الزواج كما لم يحتفلوا بزواج مثله من قبل ، فغنى فيه حمزة بن يتيم وعزف به عمرو بن أمية الضمري على الدائرة ، وجاء حمزة بن عبد المطلب عم النبي وعلي بن أبي طالب بشارفين فنحرهما وأطعم الناس بالمدينة .

وواضح من هذه الأخبار أن الاحتفال بالعرس في صدر الاسلام كان يتسم بالبساطة والبعد عن مظاهر الاسراف وإن لم يكن يخلو من الطعام والرقص والغناء ، وفي ذلك ما ينفي ما زعمه البعض من كراهة الاسلام للغناء والرقص واللهو البريء .

يروي الراغب الاصبهاني في محاضرات الأدباء أن عمرا رضي الله عنه مر بدار قوم فسمع ضجة فقال ما هو ؟ فقيل : عرس فقال : ما يمنعهم أن يخرجوا غرابيلهم فإنها من أمارة العرس .

مزيج الفرس واليونان

أما في العصور المتأخرة ـ وخاصة في العصر العباسي ـ فقد كانت الدولة الاسلامية قد بلغت أوج عظمتها وذروة فتوحاتها في مشارق الارض ومغاربها وامتلأت خزائن الخلفاء ، وبيوت المال بالغنائم وكسب المجاهدين وجباية الأموال ، وتسرب ما فاض منها الى بيوت المقربين وصنائعهم من وال وأمير ووزير ورئيس ديوان وصاحب شرطة ، فذاق المسلمون حلاوة الحضارتين الفارسية والرومانية وانتفعوا بما أنتجته هاتان الحضارتان من أسباب الرفاه في المأكل والمشرب والملبس والمسكن ، فلبسوا الخز والديباج وأكلوا أشهى الاطعمة وألذ أنواع الحلوى من فالوذج وسكباج وامتطوا الجياد المطهمة بالسروج والموشاة بالحرير والقصب ، تحف بها مواكب الحشم والغلمان ، وتربعوا في محافل الأنس ومجالس الشرب والطرب على الطنافس الوثيرة والوسائد الناعمة والنمارق اللينة ، في القصور العالية والمنازل الأنيقة المحاطة بالحدائق الغناء وعج البلاط العباسي بالشعراء والأدباء ، وقد انعكس ذلك كله على اعراس وحفلات الزواج وبلغ البذخ والاسراف في بعض هذه الحفلات إلى الحد الذي جعل المؤرخين يذكرونها في تواريخهم باعتبارها أخبارا جديرة بالتسجيل ، ومن هذه الأعراس زواج الخليفة العباسي ببوران بنت الحسن بن سهل وزواج أسماء بنت خمارويه الشهيرة بقطر الندى بالخليفة المعتضد العباسي .

أما زواج المأمون ببوران فقد تم عقده سنة ٢٠٦ هجرية ولها من العمر عشر سنوات في حين تم زفافها الى الخليفة بعد ذلك بأربع سنوات والاسم الحقيقي لهذه العروس خديجة أما بوران فهو لقب لها ، وعندما عقد المأمون عليها شهدت بغداد ما يشبه « لعبة الطامبولا » إذ نثر عليها أبوها أبو الحسن بن سهل يومئذ وعلى عامة

الناس بنادق المسك مكتوب في ورقة وسط كل بندقة اسم قرية أو ملك أو جارية أو غلام أو فرس ، فمن وصله شيء من ذلك ملكه !! كما نثر أبوها نوافج المسك وبيض العنبر وأنفق على المأمون وعسكره مدة إقامته التي دامت خمسة أيام ألف ألف درهم ، فلما ترحل المأمون عنه أطلق له عشرة آلاف ألف درهم وأقطعه « فم الصلح » . وعندما زفت العروس الى المأمون فرشوا له حصرا من ذهب ليجلس عليها ونثروا على قدميه ألف حبة جوهر ووضعوا شمعدانا من ذهب فيه شمعة من عنبر زنة أربعين منا (وحدة وزن) فقال المأمون وقد هاله هذا البذخ والترف : هذا سرف . ونظر الى ذلك الحب المنثور على الحصر يضيء فقال : قاتل الله أبا نواس حيث يقول في صفة الخمر :

كأن صغري وكبري من فقاقعها
حصباء در على أرض من الذهب

ثم أمر بالدر فجمع وجعل في حجر العروس وقال : هذا نحلة مني لك وسلي حاجتك . فقالت لها جدتها : سلي سيدك فقد استنطقك فقالت : أسأل أمير المؤمنين أن يرضى عن ابراهيم بن المهدي . فرضي عنه .

وعرفت بغداد في هذا العرس نوعا من الطعام أطلقوا عليه اسم « البورانية » نسبة الى بوران صنع خصيصا لهذه المناسبة .

وكان لوالد العروس قصر يعرف بالقصر الحسني أهداه اليها يوم زفافها فعمرته وأصلحت ما وهي منه ورمت ما كان قد تشعث من بنيانه وفرشته بأنواع الفرش في كل موضع منه ما يليق به من المفرش والستور وأسكنته ما يليق به من الجواري والخدم وأعدت به المآكل الشهية وما يحسن ادخاره في ذلك الزمان .

ويروي المؤرخون أن المعتمد طلب من بوران أن تنزل له عن هذا القصر فأجابته الى ذلك وأرسلت مفاتيحه اليه وعندما دخله ابنه المعتضد هاله ما رآه من الخيرات ومظاهر الرفاه والترف ، ووسع في القصر وزاد فيه وجعل له سورا حوله كما بنى فيه الميدان ثم بنى فيه قصرا مشرفا على دجلة ، فكان هذا القصر قدر مدينة شيراز كما يقول صاحب البداية والنهاية في التاريخ . وقد اتخذ المعتضد هذا القصر دارا للخلافة فكان اول من سكنه من الخلفاء الى آخر دولة العباسيين حيث خربه التتار عندما استولوا على بغداد سنة ٦٥٢ هجرية .

عرس قطر الندى

أما عرس قطر الندى بنت خمارويه فقد كان أبوها قد عرض زواجها من ابن المعتضد الخليفة العباسي كصفقة سياسية هدفها تحسين العلاقات بينه وبين الخليفة ، الا أن المعتضد طمع في العروس ورغب في الاستئثار بها والزواج منها بدلا من ابنه . وقد بذل خمارويه الأموال الطائلة في تجهيز ابنته الى الخليفة وغالى في ذلك الجهاز مغالاة شديدة مما أدى به وببيت مال مصر الى ما يقرب من الافلاس .

وقد عهد خمارويه لابن الجصاص باعداد هذا الجهاز ومنحه جائزة على ذلك مقدارها أربعمائة ألف دينار !!

ولنا وقفة قصيرة عند ابن الجصاص هذا واسمه الحسين بن عبد الله ابن الجصاص وكان جوهريا بارعا وصائغا متقنا في بغداد وكان ذا مال عظيم وثروة واسعة



اكتسبها بطرق ملتوية لا ترتفع عن مواطن الشبهات ، وكان أصل نعمته من بيت أحمد بن طولون الذي جعله جوهريا له يسوق له ما يقع من نفائس الجوهر بمصر فاكتسب بسبب ذلك أموالا طائلة وقد اعترف هو نفسه ببعض أساليبه في تكوين ثروته فقال : كنت بباب ابن طولون إذا خرجت القهرمانة وبيدها عقد فيه مائة حبة من الجوهر تساوي كل واحدة ألف دينار فقالت : أريد أن تأخذ هذا فتخرطه حتى يكون أصغر من هذا الحجم . فأخذته منها وذهبت به الى منزلي وجعلت جواهر أصغر منه تساوي أقل من عشر قيمته تلك بكثير فدفعتها إليها وفزت أنا بذلك الذي جاءت به . أي أنه استبدل العقد بآخر كما يفعل ذلك بعض الجوهرية في كل زمان ومكان .

بهذه الوسائل غير المشروعة وغيرها جمع هذا الرجل ثروته ، ولا أدل على ثرائه الفاحش من أنه صودرت أمواله في أيام المقتدر وأخذ منه في هذه المصادرة ما يقوم بستة عشر مليون دينار !! ومع ذلك بقي معه من الأموال شيء كثير جدا .

وكان هذا الجوهري « المليونير » يظهر الغفلة والسذاجة عن قصد حتى يقال عنه إنه مغفل ولكن ما رواه هو نفسه عن استغفال القهرمانة ينفي عنه بكل تأكيد أيه غفلة أو سذاجة . عهد خمارويه الى هذا الجوهري باعداد جهاز ابنته قطر الندى مما أدى الى إفقار خزانة الحكومة ودعا خمارويه الى لعن ابن الجصاص الذي تولى أمر هذا الجهاز وأشار عليه بمحتوياته .

ويتضح لنا إسراف خمارويه في الاحتفال بزفاف ابنته من قول المؤرخ ابن دقماق من أنه : « حمل معها ما لم ير مثله ولا سمع به إلا في وقته » . أما المقريزي فيقول في خططه إنه « لم يبق حظيرة ولا طرفة من كل لون أو جنس إلا حملها معها » . فمن هذا الجهاز دكة من أربع قطع من ذهب مشبك في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة من الجوهر لا يعرف لها قيمة (أي لا تقدر بثمن) !! هذا الى مائة هاون من الذهب الخالص لدق العود والطيب فيها ، وألف تكة ثمن الواحدة منها عشرة دنانير ، ولم يكتف خمارويه بما أعده لابنته من جهاز بل أمر أن يبني لها على رأس كل مرحلة من مراحل المسافة بين القطائع عاصمة الطولونيين في مصر وبغداد عاصمة العباسيين قصر تنزل فيه ، وأعد هذه القصور بما تحتاجه حتى صارت في سفرها إلى دار الخلافة العباسية ممتعة بكل وسائل الراحة وأسباب الرفاهية .

يقول الدكتور علي حسن ابراهيم في كتابه (مصر في العصور الوسطى) إنه لم يقف في مصدر من المصادر العربية على مبلغ نفقات هذا العرس وكل ما أتى عليه المؤرخون هو أن مقدار صداقها بلغ مليون درهم على حسب رواية ابن خلكان في « وفيات الأعيان » ، وليس هذا بالشيء الكثير بجانب ما صرف على جهازها والاحتفال بزفافها .

بعد إعداد الجهاز خرجت قطر الندى من القطائع قاصدة بغداد وسار موكبها في مطلع الشمس وجلست العروس في هودجها بين الحشايا كأنها في مقر الامارة ، وصحبها في موكبها وصيفتها (آسيه) تقص عليها الملح والطرائف لتنفي الوحشة عنها وتدخل السرور الى قلبها ، وكذلك عمها خزرج بن أحمد بن طولون وعمتها العباسة وابن الجصاص الذي تولى أمر جهازها وبعض الأمراء وكبار رجال الجيش على جياد مطهمة ، وانتشر على طول طريق الموكب حراس من جند خمارويه عليهم الديباج والمناطق والسيوف ، والموسيقى تصدح بأنغام شجية وجمهور الشعب على جانب الطريق يهتف هتافات مدوية بحياة عروس مصر قطر الندى تحية للبيت الطولوني الكريم وجدها أحمد بن طولون الذي رفع اسم مصر عاليا بين الأمم .

وكان الموكب يستقر بالعروس وأصحابها في تلك القصور التي أقامها لها أبوها بين القطائع وبغداد وأعدت فيها المخادع والنمارق وعلقت الستور وهيئت الموائد والخدم والحشم والجواري وكل ما تحتاج اليه حتى لم يشعر أحد بتعب الطريق وعناء السفر وكان قطر الندى في طول سفرها تقيم في قصر أبيها في مصر .

وبلغ الموكب شاطيء بغداد في أول المحرم سنة ٢٨٢ هـ ، وكان دخوله عاصمة العباسيين يوما مشهودا امتنع الناس فيه من المرور في الطرقات من كثرة الخلق وشدة الزحام كما يقول صاحب البداية والنهاية .

وشهدت بغداد أياما كلها سرور وحبور وسارت السفن تمخر عباب نهر دجلة وعليها المواشط والوصائف والجواري يحملن الشموع ، وجليت قطر الندى على عريسها المعتضد في يوم الثلاثاء ٥ ربيع الآخر من ذلك العام ولمع اسم هذه الفتاة على صفحات التاريخ المصري .

ولا يزال الناس في مصر حتى الآن يتغنون بأغنية شعبية تشير الى هذه الفتاة يقول مطلعها (حنة يا الحنة يا قطر الندى) ولا شك أنها انحدرت إلينا منذ أيام ذلك الاحتفال بهذا العرس التاريخي . ■■

رابح لطفي جمعة

مقالات في كلمات

■ هي تعرف انني لا احبها ، ومع هذا فهي تفعل بي ما تفعله الأم بطفلها !! في النهاية سوف اجد نفسي متيما بحب أمي !!

« برنارد شو »

■ سر المفكر الذى يثير اهتمام العالم يكمن في اهتمامه بالعالم .

« وليام دين هاولز »

■ العنف هو صوت اختناق العقل في الحنجرة !

« جون بويز »

■ ليس هناك رجل يمكن ان يصبح زعيما عظيما ، الا اذا احس بالسعادة تملأ صدره ، وهو يرى هؤلاء الذين يعملون تحت رئاسته يحققون بدورهم نجاحا كبيرا .

« ايمرسون »

■ لقد اخطأت ، وسأحاول ان أصحح اخطائى ، وسوف انتهج سياسات جديدة بسرعة ، كلما احسست بجدواها ونفعها .

« ابراهام لنكولن »

■ لا يسعدني ابداً ان انتصر على اى انسان . ولكن يسعدني ان ارى غيرى ينتصر عليّ بجدارة واستحقاق .

« ابراهام لنكولن »

■ القدرة على العمل الجاد المرهق ليست موهبة ، ولكنها الوسيلة الوحيدة للاستمرار في الحياة اذا أعوزتك الموهبة .

« جيمس جارفيلد »

■ اننا نحب هؤلاء الذين نشعر بالسعادة ونحن معهم ، والا فكيف نعرف اننا نحبهم ، او كيف نضع تعريفا للحب ؟!

« نان فيربرازر »

■ اسوأ الشرور التي تزعم الدكتاتورية انها قامت لعلاجها ، او اصلاحها ، هي الدكتاتورية نفسها !

« البير كامو »

■ عندما تسافر الى بلد غريب ، فاعلم ان هذا البلد لم يصمم من اجل راحتك أنت وانما من اجل راحة اهله واصحابه .

« كليفتون فاديمان »

فلاديمير مايا كوفسكى

مؤسس المستقبلية في الشعر الروسى

بقلم : الدكتور محمد جليل مصطفى

هذا الشاعر يعد بحق مؤسس المستقبلية الروسية ، وهو الذي ترك بصمات واضحة المعالم في شعر اجيال الشعراء التي جاءت بعده في الاتحاد السوفيتي وفي انحاء العالم من أقصاه الى اقصاه .. قبل ان يموت منتحرا !

لقد ولد مايا كوفسكي في (١٩) تموز ١٨٩٣ ، في قرية (بغدادي) ، التي تدعى الان (مايا كوفسكي) ـ اي باسم الشاعر ـ ، وتقع القرية في جورجيا (وهي احدى الجمهوريات الاتحادية السوفيتية ، في منطقة ما وراء القفقاس) .

نشأ مايا كوفسكي بين بسطاء الناس ، المليئين بمشاعل الكرامة الذاتية ، والاباء ، المتطورة عاليا لدى الجبليين . كان الجميع يعملون ، ولا احد عاطل او متبطل ،كسلا او بطرا . وقد نشأ الصبي في اجواء الحرية الطلقة في الريف الجبلي ، واعتاد ، منذ الطفولة ان يرى في العمل والكدح التزاما ، وحقا ، وسعادة للانسان . وفي البداية ، درس مايا كوفسكي ، بشكل ممتاز . ولكن سرعان ما اجتاحت الاحداث الواقعية ايما خيال كتبي .

لقد حل العام ١٩٠٥ ، وقد لفت الحركة الثورية القطر باسره . وجعلت الكتب والكراسات يتلو احدها الآخر . كان مايا كوفسكي (او كما كانوا يسمونه « فولوديا » ـ وهذا هو اسم تصغير وتحبيب لفلاديمير ـ اسمه الاول) يقرأ الكثير ، وعلى نحو متعطش . وكان يقرأ ـ أساسا ـ الادبيات الفلسفية والسياسية .

وعند بداية عام ١٩٠٨ انخرط في العمل السياسي ، على نحو نشيط . وتعين عليه ان يتعرف على مراكز الشرطة ـ والمعتقلات ، اكثر من مرة .

يمكن الاحساس في بعض مؤلفات مايا كوفسكي المبكرة ، بتأثير معاصريه القدامى ـ بروموف وبلول ، واقرب زملائه الادبيين : الشعراء المستقبليين .



الشاعر الروسي فلاديمير ماياكوفسكي
مع ليلي بريك شقيقة زوجته

وفي اشعار ١٩١٣ ـ ١٩١٤ ، كان مايا كوفسكي قد بدأ ، لتوه ، التحسس بالاشكال الشعرية ، وبينبوع الشعر المتدفق من قلبه ، والذي كان يضيق بالقواعد والقيود . غير انه مضى الى الامام بسرعة خارقة ، وثقة ، وفي وقت سريع جدا وجد اسلوبه الخاص به ، واحتل مكانه الذي يستحق في عالم الادب والابداع الادبي .

البطل الوجداني لاول مرة

ان اصالة ابداع مايا كوفسكي قد ظهرت ، قبل كل شيء في ميدان الشعر الوجداني .

فقبل كل شيء ، استطاع هذا الشاعر ان يبلغ شأوه في التصوير الوجداني لتلك الجوانب من الحياة والواقع ، التي صورها غوركي في الناس والاحداث . ولا يكتفي الشاعر بتصوير الانسان المعذب بل يتجاوزه الى حمل هذا الانسان على الاحساس باستياء الشاعر ، ونقل هذا الاحساس الى الاخرين .

لقد صور مايا كوفسكي العالم الروحي للبطل الوجداني للشعر ، عاكسا فيه الملامح الاساسية لتناقض العصر ، وهموم انسان العصر .

وعلى هذا المنوال ، فان جدة شعر مايا كوفسكي تنحصر ، بالدرجة الاولى في كونه قد ادخل الى الشعر الروسي في القرن العشرين ذلك البطل الوجداني الذي لم يكن له وجود فيه من قبل ، وادخل شخصية الانسان الجديد بتجاربه الجديدة .

بأية وسائل يتصرف الشاعر ، خالقا بطله الوجداني ؟

طرح مايا كوفسكي هذه القضية من خلال شعره ، وفي بعض المقالات الدالة التي كتبها ، في مراحل مختلفة من حياته وابداعه الادبي .

يرى مايا كوفسكي ان الشاعر لا يصور الفعل بقدر ما يصور الانفعالات المجردة ، المتفاعلة مع المحيط والعصر ، ان بطله ، اذن ، هو ال (انا) ولكنها « انا » ملتحمة بمحيطها الاجتماعي الانساني وبعصرها المواز المتغير .

والوسيلة الاساسية لتحديد الصورة لديه ـ تبعا لذلك ـ هي حديث المؤلف ، الذي نفهم منه كيف يحس الشاعر ، وكيف يقف من الحياة .

ولكن ما هي هذه « الانفعالات » ، التي يؤكد عليها شاعرنا ؟

ـ انها الانفعالات الذاتية ـ الاجتماعية ، الواسعة في خلفية العصر والاحداث ، والشاملة (على نحو غير طبيعي) . ان اهمها ـ التعاطف مع الالم الانساني والدعوة لتغيير العالم الذي يسبب هذا الالم ، وكذلك ـ الكراهية القاتلة للظالمين (ايا كانوا ، وبأي « لبوس » ظهروا) والدعوة للنضال ضدهم .

ومن ناحية اخرى ـ تبدو هذه الانفعالات متوترة للغاية ـ وحادة ، كما ان البطل الوجداني في شعر مايا كوفسكي هو « القلب الكبير » ، القلب الانساني المثقف ، المستبصر ، الذي تلتحم فيه غنائية الذات بغنائية الموضوع .

وعلى هذه الشاكلة ، فان شعر مايا كوفسكي كان مدعوا ـ وفقا لهذه المقولة الجمالية ـ الايديولوجية ـ الفنية ـ ان يعبر عن غنى الروح ، من ناحية ، وعن التوتر الاقصى للانفعالات الشعرية الانسانية ، من ناحية اخرى .

« سحابة في سروال » !

لقد تلقى مايا كوفسكي بعض اهم القبول والتقدير الذي حازه ، ووطد له مكانته الادبية ، بعد ان صدرت له في عام ١٩١٥ ، القصيدة الاولى له والمعنونة « سحابة في سروال » .

وقد كان موقف الرقابة القيصرية من هذه القصيدة قاسيا ، كما هو متوقع . فقد اقتصت هذه الرقابة من الشاعر الثائر بعنف ، « ناثرة النقاط » ، مكان كل المواضع التي كانت تبدو لها « مريبة » !

ان الالم الشخصي يكتسب ، في القصيدة مغزى تعميميا ، « انا دائما حيثما يكون الالم » ـ هذه هي لازمة مايا كوفسكي الابدية ، ان المأساة الشخصية للشاعر ـ هي في ذات الوقت ، مأساة مئات الوف الناس المعاصرين له والذين يريدون ـ كما يريد الشاعر ـ ان يكون صوتهم الضخم ، العريض .

وهذا الامر يمكن الاحساس به في القصائد الاخرى ـ ايضا :

ـ « المزمار ـ العمود الفقري » (١٩١٥) .

ـ « الحرب والسلام » (١٩١٦) .

ـ « الانسان » ١٩١٧ .

واذا ما استشرنا مصادر النقد والبحث الادبي السوفيتي المعاصر ، فاننا ستجد الباحثين يؤكدون ، ان الشاعر قد ادرك منذ ما قبل الثورة ضرورة جعل الفن ديمقراطيا ، جعله ذا اهداف اجتماعية كبيرة كما ان ذلك يرتبط ، كل الارتباط بمستقبلية مايا كوفسكي وخصوصيتها الخاصة ويقول الباحثان (باجتينوف) و (شراغين) في ذلك : « ان التاريخ يسير احيانا ، خلافا لما ترويه الكتب المدرسية ، فان مستقبلية مايا كوفسكي لم تكن شيئا سطحيا او مستعارا . وانما كانت دعوة الى هدم الحدود البالية للفن البرجوازي المنحط ، وشعارا يدعو الى بناء فن المستقبل . وقد قال اراغون : « مهما يكن في هذا من ازعاج لعلم الايقونات ، فان مايا كوفسكي لم يكن مستقبليا شكليا بل كان مؤسس المستقبلية الروسية ، ... وفي هذا المجال ، وكما فعل ، فيما بعد ، ايلوار في صراعه مع « الكلمات التي كانت محظورة عليه لاسباب سرية » فان مايا كوفسكي يصنع سلاحه بلا شك ، يصنع لهجته ، الا انه ما يزال ينقصه الوضوح الديالكتيكي الضروري لاستعماله المقبل » .

ولان مايا كوفسكي كان يتطلع دائما الى المستقبل ، فانه اراد ان يحتفظ طويلا ، حتى الى ما بعد الثورة ، بلقب المستقبلي . ومن السذاجة المفرطة ان يتصور المرء ان شخصا ما استطاع ان يستميله الى هذا الطريق كي يسخر عبقريته لاغراض نفعية . فقد كان المستقبل في نظر مايا كوفسكي صورة حسية ، مجالا لثورة قائمة الان ، وحجة لا يمكن دحضها في النضال الشاق الذي كان يخوضه ضد السطحيين التافهين ، وضد البيروقراطيين » .

ان ما يقوله الباحثان باجتينوف وشراغين يبدو مبررا ، ومنطقيا ، في ضوء المسار الشعري للشاعر والمسيرة الحياتية له ايضا .

موضوعه الوطن

كتب مايا كوفسكي قصيدته الكبيرة (١٥٠ مليونا) خلال الفترة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ . وهذا الرقم

(١٥٠ مليونا) ـ انما هو كناية عن سكان روسيا وقتذاك ـ واشارة الى مجموع المواطنين الذين يؤيدون، باسرهم، ثورتهم الاشتراكية.

ان ثورة الشعب السوفييتي من اجل الحرية والاستقلال، وضد المعتدين الاجانب ... ان كل هذا قد غير، بقوة، من عقيدة مايا كوفسكي العامة. واذا كنا في اشعار مايا كوفسكي، في عهد ما قبل الثورة، وخصوصا في قصائده الوجدانية، نواجه، غالبا، التراجيدية العميقة، التي يرسخ، في اساسها، التناقض بين الانسانية النشيطة للشاعر (وتأكيد الانسانية الحقيقية في ضميره الوجداني « انا ») من ناحية، والنظام الاجتماعي والسياسي اللاانساني، من ناحية اخرى ... فالآن (اي بعد الثورة) باتت تدوي الحان الايمان العميق، والاغتباط، والفرح بالحياة الجديدة، وانجازاتها لجماهير المواطنين جميعا.

ان هذه الصفة الجديدة ل « الانا » الوجدانية قد اغنت شعر مايا كوفسكي، وادخلت اليه تيارات جديدة وقد انعكس هذا في قصيدة (١٥٠ مليونا) موضوع الحديث، وقصائد اخرى.

يدعو الشاعر الشمس، في هذه القصيدة، لتعرج عليه ضيفة كريمة، وترتشف الشاي معه من السماور، ويحاور الشاعر شمسه طويلا، فيظهر ان لديهما الكثير من الامور المشتركة.

وفي هذه المقابلة الرومانسية الثورية (المرحة ايضا) لعمل الشاعر والشمس مغزى عميق. فان مهمة الشاعر في الحياة هي ان يصنع ما تصنعه الشمس، وهي : المساعدة في انماء كل ما هو حي، والى جانب ذلك ـ تسليط الضوء الفاضح على اشد منعطفات الحياة عتمة. ان الشاعر ينبغي ان يفعل فعل شعاع الشمس. ولا يستطيع الشاعر كذلك، ان يزوغ من طريقه في السماء، كالشمس تماما !.

« فلتحيا الشمس، فلتختف الظلمة ! » اعلن قبل مائة سنة من ذلك، الشاعر الروسي أ. س. بوشكين وقد تحدث مايا كوفسكي عن ذات الشيء، ولكنه فعل ذلك بطريقته الخاص وبخصوصيته المميزة :

ـ « فليكن النور دائما،

فليكن النور في كل مكان

حتى ابد الابدية !



فليكن النور ،

وكفى !

هذا هو شعاري

وشعار الشمس ايضا ! »

وبالنسبة لكلا الشاعرين ، فان الفن والاشعار انما هي مظهر للمبدأ الاساسي المشرف والمعقول

وفي قصيدتيه « عن هذا » ، و« احب » : يؤكد مايا كوفسكي ، الحب الكبير الذي ، يفعم الانسان طوال حياته ، الحب الذي يحمل الانسان على تفهم العالم كله ، على نحو اعمق واتم .

وفي قصيدة « عن هذا » ، خصوصا ، يعبر الشاعر عن القناعة الاكيدة ، المتأججة ، بان التراجيديا الفردية تلقى حلها في سعادة الانسان المستقبلة .

الانهيار والانتحار

انطلق مايا كوفسكي ، في الفترة ١٩٢٦ ـ ١٩٣٠ ، يعمل بملء طاقته ، وبكل ما اوتي من قوة وكأنه يستشعر ان نهايته قد دنت . فقد طاف الاتحاد السوفييتي وقرأ المحاضرات والاشعار في (٥٢) مدينة من مدن الاتحاد السوفييتي . وفي هذه الفترة فانه ، دون حسبان الشعارات التي نظمها شعرا ، وال (١٢) سيناريو وتسعة كتيبات للاطفال ، والمقالات والمسرحيتين التربيتين والاستعراض الشعري المعد للسيرك ، دون حسبان كل هذا (وهو ليس بالقليل كما وكيفا) فان شاعرنا كتب حوالي (٣٠٠) مقطوعة شعرية .

ان الاستاذية الرفيعة التي امتاز بها شعر مايا كوفسكي وتجلت لها موهبته ـ كانت تتقوى باطراد ، وهو يرفع شعار الواقعية الاشتراكية الى مرحلة ارفع .

وعموما ـ يمكن ان نقول ، بثقة ، ان مايا كوفسكي قد كرس شعره وحياته لوطنه ، ولقضية شعبه وقد طرح الزمن امام الشاعر مهمات جديدة باستمرار . واراد الشاعر ، غير مدخر نفسه ، ان يجيب عن كثير من أسئلة الحياة وتحدياتها .

لقد كانت السنوات الاخيرة ، وخصوصا السنة الاخيرة لحياة مايا كوفسكي مليئة بالتضادات العميقة ، فمن ناحية ، فان مايا كوفسكي شاعر كسب لنفسه شعبية ضخمة (وكان له كثير من الحساد ، ومن الخصوم الذين لم يفهموا ، ولم يريدوا ان يفهموا ـ شعره وخصوصا منهم ـ البيروقراطيين والعقائديين الجامدين ، و« اليساريين الطفوليين ») ، ومن ناحية اخرى ـ يجابهنا ، على نحو مبرر ، المغزى الكبير لابداع مايا كوفسكي ، ومكانته الرفيعة في الشعر السوفييتي والعالمي .

وعلى اية حال ، فان الظروف الشاقة للحياة الشخصية والازمة الروحية التي اجتاحت الشاعر (بعد انتحار صديقه الشاعر يسينين (١٦) ، وبعد توطد بداية عبادة الفرد الستالينية) قد قوت من اضطراب اعصاب مايا كوفسكي ، وانهيارها فوقعت الكارثة .

ففي ١٤ نيسان ١٩٣٠ اطلق مايا كوفسكي النار على نفسه ، منتحرا ، وهو في اوج عزه وازدهاره ، وكانت لوفاته على هذا النحو الفاجع قبل الاوان ، رنة اسى عميقة اجتاحت البلاد السوفيتية من اقصاها الى اقصاها ، وقد رثاه وأبنه كل شعراء البلاد البارزين ، وكافة شعراء اوربا والعالم ، المعاصرين له ، سواء كانوا متفقين معه ـ ام غير متفقين .

تنحصر الاهمية البالغة للشاعر في كونه قد وسع ، لحد كبير ، واغنى الامكانيات التعبيرية للشعر الروسي كما انها تنحصر في ذلك الموقف من الشعر ، الذي نشاه وطوره مايا كوفسكي ، وفي تلك الصورة الفنية الجديدة للشاعر ، التي اكدها هو ، بابداعه .

وتكمن اهم ملامح الصورة الفنية الجديدة للشاعر ، بالدرجة الاولى ، في الاحساس الملازم لمايا كوفسكي في وحدة الشخصي والعام ، الواجب والمثال .

كما انها تكمن في وطنية مايا كوفسكي ، والصفة الاشتراكية لانسانيته ، والفكرية الرفيعة لابداعه ، وتكمن كذلك في فاعلية شعره ، والموقف من الكلمة الشعرية ، كقوة ذات تأثير بالغ على الانسان . وتكمن ، اخيرا وليس آخرا ، في وعي الشاعر العميق بمسؤوليته امام المعاصرين والاجيال القادمة عن الصفة السياسية والجمالية ـ الايديولوجية لاشعاره ، وكذلك .. في الاحساس المتوتر المرهف بالجديد في المجتمع والحياة ، والسعي الذي لا يكل للتعبير عن هذا الجديد باتم شكل واوفاه .

ان دمقراطية الشعر ، وجماهيرية الفن ترتبطان ، اوثق الارتباط ، بشخصية مايا كوفسكي الذي يبذل قصارى جهده كي يقرب عمل الفنان والشاعر اقصى

تقريب الى جهد الملايين من الناس الذين يبدعون القيم المادية . فكان يهتف باعتزاز :

« ان عملي
لكل عمل آخر
نسيب »

كما كان مايا كوفسكي يتطلب من نفسه ، مثلما يتطلب من الاخرين ، جودة رفيعة لعمل الفنان ومهارة لا تتقبل اي حل وسط ،وفي نظره كان جعل الفن ديمقراطيا لا يعني تجاهل التقدم الذي احرزه فن الماضي الكبير ، ولا مجرد تقليد الانواع الشعبية ، وانما تأليف ، والتحام ، وبعبارة اخرى تنفيذ اوسع المهات وارفعها شأنا من اجل الشعب ، بواسطة الفن الاكثر اكتمالا .

وختاما ، فان اهمية مايا كوفسكي تكمن ايضا ، في كونه ، مؤكدا على الشعر الوجداني الاشتراكي الجديد قد وحد توحيدا عضويا ، وظيفيا (اذا صح التعبير) بين الخاص والعام .

وقد تربى في مدرسته كثير من شعراء العالم امثال ـ بيخر ، وبريخت ، واراغون ، وتوفيم ، وناظم حكمت ، وبابلو نيرودا ، وغوموجو ، وماوتون وغيرهم كما كان له تأثيره الكبير على شعراء الشرق السوفييتي في اذربيجان وفي كازاخستان ، واوزبكستان ، وطاجيكستان ، وقرغيزيا وباقوتيا ، وداغستان ، وكالماكيا ، وجورجيا ، وارمينيا وغيرها ، وعلى شعراء الوطن العربي ، بخاصة ، ويمكن تلمس هذا التأثير في شعر عبد الوهاب البياتي ، وسعدي يوسف ، ومعين بسيسو ، ومحمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زياد ، وشوقي بغدادي ومالك حداد ، واحمد سليمان الاحمد ، وفي شعر الاجيال الادبية الجديدة ، ايضا . ■■

د . محمد جليل مصطفى
جامعة بغداد ـ كلية الأداب

مغالطة

× كانت الزوجة منهمكة في اعمال الغسيل والكي بينما كان زوجها يملأ اقرارات الضرائب فقالت له في ثورة :

ـ اياك ان تكتبني ضمن الذين تعولهم .

طريقة سهلة

× دوى صوت الطفل الصغير في الاتوبيس المزدحم يسأل امه : ـ هل قطتنا ذكرام انثى . ؟

فاجابت الام في صبر : انه قط ذكر

ـ وكيف عرفت انه ذكر ؟

وهنا ساد الصمت في انحاء السيارة ، واصغى الركاب بامعان ليروا كيف ستعالج الام هذا السؤال ـ ولكنها كانت على استعداد لهذا التحدي اذ قالت ببساطة : ـ لان له شوارب ، اليس كذلك ؟ !

حديث المارسلييز

بقلم : الدكتور علي راشد

« المارسلييز » MARSEILLAISE ، او القصيدة « المرسيلية » كما اسماها « رفاعة الطهطاوي » ـ رائد المثقفين المصريين حول منتصف القرن الماضي ـ نسبة الى « مرسيليا » الميناء الفرنسي الشهير ، هي ذلك النشيد الوطني المحموم الذي الهب حماس الشعب الفرنسي منذ السنوات الاولى للثورة الفرنسية الكبرى قرب نهاية القرن الثامن عشر ، والذي اتخذته الدول حديثة النشأة او التحرر او الاستقلال في عصرنا انموذجا لها في استلهام الاناشيد الوطنية ، وكاد بعضها ـ مثل لبنان ـ ينقله نقلا كاملا ، من حيث الايقاع واللحن على الاقل .

ولهذا النشيد العبقري قصة رواها لنا في عجالة ساحرة من التاريخ والفن والادب الكاتب النمساوي « ستيفان زفايج » (ST. ZWEIG) ، الذي اسدلت عليه الحرب العالمية الثانية ستار النسيان ، في كتابه الذي اعطاه عنوانا « ساعات السعود في تاريخ البشرية » ، وافضل ان يستبدل بالمقطع الاول من هذا العنوان عبارة « الساعات العبقرية » ، فان المؤلف ذاته اختار لقصة « المارسلييز » في كتابه المذكور عنوان « عبقرية ليلة » او « العبقرية لليلة واحدة » ، وعبقرية « الساعة » ـ كناية عن الفترة الزمنية التي استغرقها وقوع الحدث ـ هي المعنى المشترك في كل ما احتواه ذلك الكتاب البديع من موضوعات اذكر منها ـ للتشويق وعلى سبيل المثال ـ « فتح بيزنطة » و « الدقيقة العالمية في ووترلو » .

وبودي ان اسوق هنا حديثا عن « المارسلييز » ، التي تبدو من خلال القصة التي ابدعها « ستيفان زفايج » كما لو كانت تمثالا خرافيامن الاشعار والالحان بحجم فرنسا كلها ، سيبقى خالدا على الزمن ما بقي الشعب الفرنسي نفسه . فهو تمثال صيغ من وجدان هذا الشعب الذي اسهم بمشاعره الفياضة وخلجات نفسه ـ وهو يغلي بالثورة على الطغاة من بقايا العصر الوسيط الاوروبي ـ في ابداع نشيده الخالد على يدي « وسيط » فرد من ابنائه ، مسته الشعلة العبقرية المقدسة لليلة واحدة لم يعرف قبلها ولا عرف بعدها بأية صلة جدية له



بشياطين الشعر او ملائكة الانغام ، وان كان بوسعه ان « ينظم » الكلمات في المناسبات وان يعزف على الكمان كهاو للتسلية .

وفي الحقيقة فاني مدفوع الى رواية هذه القصة ، ليس فقط بعبقرية نشيد « المارسلييز » ذاته ، ولكن بعبقرية الكاتب المبدع الذي خلف لنا تلك القصة والكثير غيرها من القصص والتراجم التي اثرى وزين بها الادب العالمي في فترة ما بين الحربين العالميتين قبل ان يضع بيده هو حدا لحياته وهو في منفاه الاختياري بالبرازيل سنة ١٩٤٢ ـ بعيدا عن وطنه « اوروبا » ـ يأسا من بزوغ فجر السلام والحرية بعد ان انفقت الحرب العالمية الثانية ثلاث سنوات طوالا من عمرها العريض دون أن تظهر أية بوادر لقرب زوال الغمة وكان الكاتب قد بلغ عندئذ الحادية والستين من العمر .

والحق أن حياة وأدب « ستيفان زفايج » تشكل في حد ذاتها قصة رائعة لبطولة العقل والنفس والوجدان ، اعطى هو بنفسه لمحات منها في اعماله العديدة وبخاصة ترجمته الذاتية التي اتخذ لها عنوانا « عالم الامس ـ ذكريات مواطن اوروبي » . ومن حق عشرات او مئات الآلاف من قراء العربية من الجيل المعاصر ، الذين شاهدوا افلاما سينمائية عالمية لقصص مثل « ٢٤ ساعة في حياة امرأة » و « رسالة من مجهولة » ، او مسلسلات تلفزيونية مثل « ماري انطوانيت » ملكة فرنسا التي اطاحت برأسها مقصلة الثورة الفرنسية هي وزوجها « لويس السادس عشر » ، وغير ذلك الكثير من الروائع الادبية التي لا ينبغي الاحتكام في شأنها الى ما تنتجه منها صناعة السينما الساعية الى الربح قبل كل شيء ـ أقول ان من حقهم ان يعرفوا ان صاحب هذه الروائع هو ذلك الاديب الفنان الذي يمثل براعة التعبير وعفة الفكر والقلم ونزاهة القصد والضمير .. ستيفان زفايج .

في استراسبورج

الوقت بعد منتصف ليلة السادس والعشرين من ابريل سنة ١٧٩٢ ، بعد اقل من ثلاث سنوات من اندلاع الثورة الفرنسية الكبرى . والمكان مدينة « استراسبورج » المشرفة على نهر « الراين » ـ الذي يفصل في هذه المنطقة بين فرنسا والمانيا ـ وليس « مارسيليا » الميناء الفرنسي المطل على البحر المتوسط في

اقصى الجنوب الفرنسي كما قد يتبادر الى الذهن . ومهبط الالهام غرفة متواضعة في منزل عتيق من المساكن الخشبية ذات الطابع الخاص التي اشتهرت بها مدينة « استراسبورج » وما زالت تحتفظ بالكثير منها كتحف سياحية نادرة يرجع بعضها الى عصر النهضة قبل بضعة قرون . و « البطل » الذي وافاه الالهام في هذه الظروف الزمانية والمكانية هو « الكابتن » الشاب « كلود روجيه » (Claude ROUGET) ، الذي كان قد اضاف الى اسمه هذا لقب « دوليل » (DE LISLE) ليحشر نفسه في زمرة النبلاء كما فعل « بلزاك » بعد ذلك بنحو نصف قرن . وكان هذا « الكابتن » الشاب ضابطا بفرقة المهندسين بجيش « الراين » الفرنسي المرابط في مواجهة « البروسيين » (الالمان) على الجانب الاخر من هذا النهر ، ويسكن تلك الغرفة المتواضعة في اعلى المنزل العتيق ، يقوده اليها سلم حلزوني كذلك الذي تزود به مآذن المساجد او ابراج الكنائس .

اما المناسبة التي هيأت الجو للالهام والابداع الفني فهي ذلك الاحتفال الوطني الصاخب الذي اقامه البارون « فردريك دوديتريش » عمدة « استراسبورج » في قصره الفسيح بساحة « بروجلي » تكريما لجنرالات وضباط « جيش الراين » عشية تحركه نحو الجبهة للقاء الجيش البروسي ، بعد أن كان الملك لويس السادس عشر قد اصدر ـ كارها ـ مرسوما بإعلان الحرب على تحالف الملوك والاباطرة المعادين للثورة وذلك قبل اعدامه بالمقصلة (في ٢١ يناير سنة ١٧٩٣) بأقل من سنة واحدة . فقد تعددت في هذا الحفل الخطب والانخاب والكلمات الوطنية ، وترددت في كل ذلك الشعارات والنداءات الحماسية التي تصايحت بها الصحف في كل انحاء البلاد : « الى السلاح ايها المواطنون . لقد ارتفعت راية النصر .. وجاء اليوم لاخذ الوانها المثلثة في نزهة عبر بلاد الاعداء .. » . ووسط صخب الخطب والانخاب اتجه العمدة المضيف الى الضابط « روجيه » الجالس بجواره ـ والذي سبق له ان نظم في مناسبة اعلان « الجمعية التأسيسية » قبل ذلك بستة شهور فقط « نشيدا للحرية » ، وضع موسيقاه المؤلف الموسيقي النمسوي « بلايل » (PLEYEL) الذي اشتهر بمصنعه لآلات البيانو في باريس اكثر مما اشتهر بأعماله الموسيقية ـ وسأله عما اذا كان سينتهز فرصة هذه الاحداث الوطنية الكبرى ليضع نشيدا للحرب يهديه الى « جيش الراين » الذي سيتحرك في اليوم التالي لملاقاة العدو ، فقبل « روجيه » ان يقوم بهذه المهمة ارضاء لصديقه الكبير المقام .

الميلاد الكبير

وعاد « روجيه دوليل » الى غرفته بعد انتهاء الحفل في ساعة متأخرة من الليل وهو في حالة من الحماس الوطني الملتهب ـ الذي شمل المدينة كلها بما تعج به من عسكريين ومدنيين ـ والنشوة العارمة بفعل الشراب ، وراح يذرع غرفته ذهابا وجيئة في حركة محمومة وهو يفكر في « نشيد الحرب » الذي عليه ان يؤلفه ، والذي أوصاه الجنرال « لوكنر » قائد « جيش الراين » بأن يرسله اليه في جبهة القتال فور فراغه من تأليفه . وكانت تطن في أذنيه أصداء النداءات الملتهبة التي حفلت بها بلاغات الحرب والخطب والانخاب خلال الحفل : « الى السلاح ايها المواطنون .. الى الامام يا ابناء الحرية لنسحق الطغيان .. ها هي ذي راية الحرب ترفرف .. » . ومثلت في ذاكرته عبارات كانت تصفع سمعه وهو في الطريق ، وأصوات نساء يرتجفن اشفاقا على ابنائهن او وجلا من أن تجيء كتائب الاعداء الى ارض فرنسا فترويها بالدماء . وكان قد بلغ درجة وسطا بين الشعور واللاشعور عندما خط قلمه الشطرتين القصيرتين اللتين تستهل بها « المارسلييز » ، واللتين لا تزيدان على ان تكونا ترديدا لبعض النداءات التي سمعها : « هيا يا ابناء الوطن .. لقد جاء يوم المجد » ، او كما ترجمها « رفاعة الطهطاوي » نظما ـ قبل نيف وقرن ونصف من الزمان ـ في قوله :

فهيا يا بني الاوطان هيا
فوقت فخاركم لكم تهيا

وعند هذه البداية الموفقة توقف « روجيه » عن النظم وسارع الى « الكمان » يداعب اوتاره في محاولة لايجاد اللحن والايقاع المناسبين لهذه الكلمات . وهنا كانت المعجزة ، حيث هبط عليه اللحن مع الايقاع على الصورة التي نسمع بها استهلال « المارسلييز » اليوم وغدا الى ما شاء الله . وكانت هذه البداية المعجزة نظما ولحنا هي مفتاح النشيد كله ، تماما كما يكون البيت الاول من الشعر احيانا هو مفتاح القصيدة كلها ولو بلغت مئات الابيات . فانه بعد ان سجل هذه البداية كتابة ، استرسل « روجيه دوليل » في نظم وتلحين بقية « المقطع » الاول ثم المقاطع التالية في سرعة مذهلة ، كما لو كان « وسيطا » يتلقى ما تمليه عليه قوة او روح عبقرية خفية . وما ان تم تسطير النشيد نظما ولحنا قبل بزوغ فجر يوم ٢٦ ابريل سنة ١٧٩٢ حتى اطفأ مصباحه والقى بنفسه على سريره منهكا ، وراح في



روجيه دوليل

سبات عميق كالموت ، بل انه كان الموت الفعلي للعبقرية التي تقمصته لفترة وجيزة تحسب بالدقائق في تلك الليلة الخالدية .

وعندما استيقظ من نومه بمشقة كان يحس بان شيئا قد حدث كما لو كان في الحلم ، وفوجيء بالاوراق التي على منضدته وقد سطر فيها نظما ولحنا ذلك النشيد الذي لم يعرف التاريخ له نظيرا في كمال التوفيق وانسجام الالفاظ والمعاني والانغام ، والذي بهر « رفاعة الطهطاوي » فعكف على نقله نظما بمقاطعه الستة الى العربية في لغة العصر المتكلفة . واخذ « رووجيه دوليل » يدندن النشيد لنفسه وهو في شك من قيمته ، شأن كل فنان امام العمل الذي فرغ من ابداعه . فلما طمأنه جار له من رفاق كتيبته مبديا اعجابه بالنشيد مع ملاحظات طفيفة ، اسرع به الى صديقه البارون « ديتريش » عمدة المدينة في قصره مزهوا بانه انجز بهذه السرعة المذهلة ما وعده به في المساء . وهناك في غرفة « الصالون » انشد « رووجيه » لاول مرة في التاريخ « انشودة الحرب لجيش الراين » ـ التي عرفت بعد شهور قلائل بنشيد « المارسلييز » ـ يصاحبه على « البيانو » البارون « ديتريش » الذي كان هو نفسه يتمتع بصوت جميل من طبقة « التينور » ، والذي عكف للفور مع زوجته ـ الموسيقية المطبوعة هي الاخرى ـ على أعداد النشيد موسيقيا لآلة « البيانو » ، بحيث امكن عزفه في مساء نفس اليوم في حفل ضم نخبة الاصدقاء من علية القوم في المدينة . واعد « رووجيه دوليل » عدة نسخ من نشيده ـ الذي اهداه للجنرال « لوكنر » ـ وارسلها لجنرالات « جيش الراين » على الجبهة .

تشابه مع موزار

هذا اذن هو اصل نشيد « المارسلييز » الخالد ، الذي قدت كلماته وشعاراته مما كان يهدر به شعب بأسره في الطرق والصحف والبيانات والنداءات والخطب وهو في قمة الانفعال والغليان بحب الوطن والحرية والثورة على الطغيان ، والذي الهمت ايقاعاته نبضات قلب هذا الشعب الثائر كما ترجمها حسيا ايقاع خطو الجنود وجلجلة الابواق وضجيج عجلات المدافع وهي تتدفق في الطرقات . ولا ينتقص شيئا من ملكية الشعب الفرنسي بأسره لالحان وايقاعات نشيده العبقري ـ فضلا عن ملكية الكلمات والعبارات ـ ان يكتشف في السنوات الاخيرة فقط التطابق المذهل بين « النوتات » الموسيقية القليلة الاولى في استهلال « المارسلييز » وبين جملة موسيقية قصيرة في سوناتا « البيانو من مقام « لا » للموسيقار العالمي ـ العبقري منذ الطفولة ـ « فولفجانج اماديوس موزار » ، الذي توفي قبل سنة واحدة من مولد « المارسلييز » ، وكانت الحانه وانغامه تحلق في سماء اوروبا كلها . كما لا يهون من العبقرية التي تقمصت « رووجيه دوليل » في تلك الليلة المشهودة واملت عليه ما املت من اشعار والحان ، ان تكون تلك الجملة الموسيقية القصيرة في « سوناتا موزار » هي بذاتها البداية التي استهلت بها « المارسلييز » . ولا ان يكون البناء « الاوركسترالي » الرائع للنشيد كما نسمعه الآن من عمل المؤلف الموسيقي العملاق ـ صاحب السيمفونية « العجيبة » (فانتا ستيك) ـ « هيكتور برليوز » (١٨٠٣ ـ ١٨٦٩) ابتداء ، ثم اعطاه « امبرواز توما » في سنة ١٨٨٧ صيغته الرسمية التي ثبت عليها حتى الآن ، بعد ان عادت « المارسلييز » نشيدا وطنيا رسميا بمرسوم صدر في عهد « الجمهورية الثالثة » سنة ١٨٧٩ ، وكانت قد احتجبت منذ عهد « نابليون » بعد ان صفى الثورة ونصب نفسه امبراطورا .

من سخريات القدر

وككل احداث التاريخ الكبرى لم يبخل القدر في قصة « المارسلييز » بسخرياته الشديدة المرارة احيانا . فقد شاء ابتداء ان ينسب هذه المعجزة الى « مارسيليا » في اقصى الجنوب من فرنسا ، متجاهلا « استراسبورج » في اقصى الشمال الشرقي التي اجتمعت فيها كل العناصر اللازمة للايحاء والالهام في ليلة بعينها . وحاك لذلك سلسلة من المصادفات التي لا يحسنها سواه . فانه في يوم ٢٢ يونيه من نفس السنة (١٧٩٢) اقام « نادي اصدقاء الدستور » بمدينة « مارسيليا » مأدبة على شرف ستمائة من « المتطوعين » من اهل هذه المدينة المسافرين الى جبهة القتال في الشمال مرورا بباريس . وفي اثناء الحفل وقف شاب يدعى « ميرور » ، حائز على درجة دكتور في الطب من جامعة « مونبلييه » ، وساد الصمت الحاضرين انتظارا لما ظنوه خطبة سيلقيها ، ولكنه مد ذراعه اليمنى في حركة مسرحية وانطلق ينشد انشودة مجهولة تماما من الحاضرين ولا يدري احد كيف وصلت الى علمه ، وكانت بذاتها « انشودة الحرب لجيش الراين » التي أبدعها « روجيه دوليل » قبل ذلك بنحو شهرين فقط بعيدا في « استراسبورج » . والتقت معاني النشيد والحانه وايقاعاته مع المشاعر الملتهبة لشباب الجنود الذين يتأهبون للرحيل ، واستوعبوه في الحال وانطلقت حناجرهم تردده في هدير مثير . وانتقل النشيد من افواه الجنود الى افواه الشعب في « مارسيليا » ذاتها ثم في الاقاليم على طول الطريق الذي قطعته كتيبة المتطوعين « المارسيليين » عبر فرنسا كلها من جنوبها الى شمالها حتى دخلت « باريس » في ٣٠ يوليو سنة ١٧٩٢ . وهنا تلقف « الباريسيون » نشيد « المارسيليين » ـ الذي عرف من هذه اللحظة باسم « المارسيلية » (المارسلييز) ـ بحماس جنوني . بل ان وزير الحرب « سيرفان » بادر بطبع مائة الف نسخة منه بهذا الاسم ووزعها على جميع قيادات جيش الثورة ، الى أن صدر في عيد سقوط « الباستيل » ـ (١٤ يوليو) ـ سنة ١٧٩٥ مرسوم بجعل « المارسلييز » نشيدا قوميا للجمهورية في فرنسا ، هو الذي يختتم به اي احتفال ، وهو في المعارك الحربية البديل الذي لا يقاوم ولا يجارى من حصة « الكحول » المضاعفة التي يقدمها « جنرالات » الاعداء لجنودهم لشحذ عزائمهم ومنحهم الجرأة على التقدم الى ساحة الوغى .

واما سخرية القدر بمبدع النشيد الخالد « روجيه دوليل » ، وبالموحي بفكرة النشيد والمشارك في اعداده موسيقيا لانشاده في قصره لاول مرة البارون « ديتريش » عمدة « استراسبورج » ، وبالجنرال « لوكنر » الذي اهدى له النشيد ، فقد كانت بالغة القسوة . فانه بينما كان النشيد العبقري يحلق في سماء المجد في كل فرنسا صاعدا الى النجوم تحت اسم « المارسلييز » ، تطغى شهرته على اسماء « موليير » و « راسين » و « فولتير » المجلجلة حينذاك في سماء الشعر والفن والفكر ، كان الكابتن « روجيه دوليل » ما زال قابعا في حامية صغيرة قرب نهر الراين يعكف على تخطيط الاستحكامات وشق الخنادق ، لا يربط احد ـ على الصعيد الرسمي او غير الرسمي ـ بينه وبين ذلك النشيد الذي بلغ عنان السماء . ومن المفارقات ، التي لا يملك الا « القدر » وحده نسجها ، أن صاحب النشيد الذي زاد الثورة الفرنسية اشتعالا اكثر من اي شيء آخر لم يكن هو نفسه ثوريا وأن كان يعشق الحرية ويتغنى بحبها . وعندما اقتحم الشعب قصر « التويلري » واسقط « لويس السادس عشر » عن عرشه ، كفر « روجيه دوليل » بالثورة وابى ان يقسم يمين الولاء للجمهورية وهجر الجيش . ولما اقتيد الى « المقصلة » صديقه البارون « ديتريش » والجنرال « لوكنر » ومعهم سائر الوجهاء الارستقراطيين ، الذين استمعوا الى نشيده قبل اقل من سنة في مساء ٢٦ ابريل سنة ١٧٩٢ ، جاهر بمقته « للجنة الخلاص الوطني » المشرفة على هذه المجزرة البشرية ، فزج به في السجن كمضاد للثورة بينما هو منشدها الاول ، ولم ينقذه من المقصلة الا فتح ابواب السجون على اثر سقوط زعيم الارهاب « ماكسمليان دوروبسبيير » . ولو انه مات تحت المقصلة لكانت ميتة بطولية ، افضل من بقائه منكورا على قيد الحياة بعد ذلك اكثر من اربعين سنة قبل ان يموت شيخا مجهولا في السادسة والسبعين ، وكأنما القدر لا يريد أن يغفر له تسلله ذات ليلة الى صفوف الخالدين .

وكان لابد ان تمضي على وفاة العبقري لليلة واحدة عدة اجيال وثلاثة أرباع القرن قبل ان يرفع القدر قبضته عن العبقرية المهضومة ويمنحها للابد مكانها بين الخالدين . فانه في خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ـ وبينما كانت ايقاعات « المارسلييز » الملتهبة تجلجل على طول الجبهة الفرنسية ـ صدر مرسوم بنقل رفات « الكابتن روجيه دوليل » الى قبو الشرف تحت قبة « الانفاليد » بباريس ، الى جوار « الملازم الكورسيكي » نابليون بونابارت !

د . علي احمد راشد

الهمزة العربيّة

تستضيف صفحة اللغة في هذا العدد احد قراء المجلة ، الذي عنى بموضوع الهمزة العربية ، والصيغة الجديدة المطروحة لكتابتها .

مثلما اختلف الدارسون في وصفهم لصوت الهمزة ، من حيث هو مجهور(يهتز الوتران الصوتيان عند النطق به) او مهموس (عكس المجهور) او ليس ايا منها ، فقد اختلفوا ايضا في كتابة هذا الحرف اذا جاء في وسط الكلمة .

ويبدو لي ان الاتفاق على طريقة واحدة لكتابة الهمزة أهم من وصف الصوت ، وخاصة لان ذلك يمس كثيرين من القراء والكتاب ، حتى يكون هناك اتفاق في الكتابة كما هناك اتفاق في اللسان العربي .

والمعروف ان الهمزة اذا جاءت في اول الكلمة ، كتبت الفا مطلقا ، كما في نحو : احسان . اما اذا تطرفت ، وكان ما قبلها ساكنا ، فانها تكتب مفردة على السطر مثل جزء ، وشيء ، واذا تطرفت وتحرك ما قبلها ، كتبت بحرف حركة ما قبلها مثل : ظمىء ، وهيوء .

وان وقعت الهمزة في آخر الكلمة بعد الف لم تحتج الى الف أخرى عند تنوينها كما في : ابتداء على عكس بدءا ، اذ احتاجت الى الالف في تنوين الفتحة فقط ، اما بدو ، وبدءٌ فلا .

وقد قرأت مؤخرا صيغة جديدة توصل اليها المجمع اللغوي بالقاهرة على يد الدكتور رمضان عبد التواب ، الاستاذ بجامعة عين شمس ، وهي تقوم على ترتيب الحركات من حيث قوتها وضعفها ، وكذلك النظر الى حركة الهمزة وحركة ما قبلها .

فالكسرة اقوى الحركات ، تليها الضمة ، فالفتحة ، ثم السكون الذي هو اضعف الحركات وينظر ايضا الى حركة ما قبل الهمزة في حالة وقوعها متوسطة ساكنة مثل بأس ، بئس ، بؤس اما حركة الهمزة نفسها فهي التي تتحكم بصورة كتابتها مثل : سأل ، لؤم ، رؤف ، ما لم تكن مفتوحة بعد ضم او كسر فتصور بحرف حركة ما قبلها كما في نحو : ذئاب ، سؤال .

وتقول الصيغة الجديدة ان الكتابة العربية تكره توالي الامثال ، ولذلك يكتب الحرف المضعف حرفا واحدا في مثل :قدم وكرم ، وعلى ذلك كتب الحجازيون داود ، وروس بواو واحدة ، ويرى صاحب الفكرة ان تكتب الهمزة مفردة ، على السطر ، في حالة توالي الامثال ، كما في رءوس ، رءوف الا اذا كان ما قبلها مما يوصل مثل : الأمثال ، وكئوس ، فانها تكتب على نبرة (كرسي) .

والملاحظ في حالة توالي الامثال انها في مصر تكتب مفردة ، وفي بلاد الشام وبعض بلدان الجزيرة العربية تكتب على واو : رؤوس ، كؤوس ، فؤوس .

والحق ان كتابتها على واو افضل ، وذلك حتى تنطبق القاعدة من ناحية ، ومنعا للبس بكسر الكاف في كئوس ، والفاء في فئوس ، وكذلك لا نعتبر الواو المهموزة مثلا للواو الساكنة . فيستحسن الكتابة على واو في مثل الاسماء السابقة او الافعال : جاؤوا ، باؤوا ، يشاؤون . مع بعض الشواذ مثل لئلا ، لئن ، مائه ...

■■

عيسى إمين صبري .

لماذا كان الأجداد

اطول عمرا

واكثر صحة منا ؟



عباد الشمس

الأعشاب طبيبك الطبيعي

بقلم : الدكتور صالح مهدي ذرب

لماذا لا نفكر في العودة الى ذلك الطبيب الطبيعي الممتاز : الاعشاب ؟

اللافندر



عرق السوس





الكرفس

منذ سنوات كان يزورني في صيدليتي الشيخ نوح الذي جاوز عمره مائة وعشرين عاما ، ولم يكن له من حديث سوى ما يسمى « دواء العرب » ، وكيف انه يعالج به نفسه ولا يستعمل تلك الحبوب او تلك الكبسولات التي يسميها « السموم » ورغم محاولتي اقناعه كل مرة بالعدول عن هذا الرأي ، ولكنه كان دائما يهز رأسه ويردد باصرار غريب : « سموم ... سموم » ولا ادرى من اين جاء الشيخ نوح بقصة الجنود الروس والاتراك الذين كانوا يصطفون لساعات طويلة من اجل حفنة من بذور عباد الشمس املا ، في ان تساعدهم على المقاومة والاستمرار ايام الحرب .

وكان الشيخ المسن يخرج بين الحين والاخر من كيسه الذي يحمله اينما حل ، زهرة صفراء يابسه يقطع اوراقها ويضعها في فمه ثم يمضغها بهدوء وعضلات وجهه تصعد وتنزل مع حركة فكيه . سألته مرة « ما الذي تأكله يا شيخ ؟ » .

« مقوى للقلب السريع » .. اجابني وهو يضع بقية الزهرة في الكيس « وهل ان قلبك سريع ؟ » سألني بحنان ابوى . قلت : « عندما امشي اواركض بسرعة » .

كانت عباراته غريبة على فلم اسمع بمثل هذه العقارات من قبل . « مضغة » كان يستعملها كعجينة يضعها على قطعة صغيرة من القماش ثم يضعها على جبهته عندما يشعر بصداع حاد ، كان يشرب نوعا من الشاى يقوم بتحضيره من ازهار وردية يسميها « كجرات » يقول الشيخ نوح « انني اشرب هذا الشاى كل مساء كي يجعلني انام بسلام وبدون قلق او احلام مرعبة » .

ويوم ما ، دعاني الشيخ الى مزرعته لتناول طعام الغذاء . « سوف اريك مزرعتي الجميلة » . انهى حديثه وغادرني على امل ان اراه في مزرعته ، « مزرعة جميلة حقا ... ولكن ما هذه النباتات وهذه الزهور ؟ هل هي اعشابك التي تتحدث عنها ؟ » سألته باعجاب ، «هذا بعض منها » أجاب وهو يزيل بعض الاوراق اليابسة ويضعها في كيس صغير علمه بعلامة تختلف عن العلامة الاخرى في الكيس الصغير الآخر ـ ، « وهل تستعمل كل هذه النباتات للامراض ؟ اليست سامة ؟ » سألته بحذر . رد مبتسما « انها جيدة للجسم ولكن كل نبتة وزهرة لها استعمال معين ومنها السامة والقاتلة التى لاتؤكل ، واستعمل بعضها للاستعمالات الخارجية كما هي مراهمك وسمومك »

« سمومي مرة اخرى » !

ان سمومك تخفي المرض ولا تنهيه ، ودواء العرب يشفي ولا يضر بصاحبه ابدا » .

الطب القديم

كان لحكايات الشيخ نوح اثرها الكبير في تفكيري ، حيث تعلمت منه الكثير ، واكملت دراستي العليا في المملكة المتحدة في مجال الاعشاب ، وبمرور الايام تعرفت على الكثير من اسرار تلك الاعشاب الساحرة .

اننا لو عدنا بالزمن ، عندما كان العالم بعيدا عن التلوث ، سوف نتذكر ان الطبيعة كانت هي الطبيب الوحيد للانسان بنباتها وعشبها وجذورها واوراقها . كانت الغذاء والدواء . حتى اجبر الانسان ان يجربها نبتة بعد نبتة ويعرف منها المفيد ومنها المضر ، وبمرور القرون اصبحت الاعشاب والنباتات هي الدواء الوحيد حيث لا يوجد دواء اصطناعي بل كلها تحضر من المصادر الطبيعية حيث لا مصانع ولا كمياويين يعتمد عليهم في تلك الفترة ، وكما قال ابو قراط ، ابو الطب ، (ليكن غذاؤك دواءك) فقد ترك للذين اتبعوه قائمة طويلة تضم اربعمائة عشب استعملت في الطب في القرن الرابع ، وقسم كبير لازال يستعمل حتى اليوم في بعض انحاء العالم .

وفي القرن الخامس ظهرت الكتب حول التداوى بالاعشاب باللغات الايطالية والاغريقية والالمانية ، واول كتاب شامل حول الاعشاب ظهر في عام ١٥٩٧ للجراح البريطاني الدكتور جون جيرارد الذى كان طبيب الملك جيمس آنذاك ، فهو كطبيب وجراح ومختص بالاعشاب فقد كان يزرع في حديقته الخاصة الف نوع من الاعشاب ، الأمر الذى مكنه من كتابه موسوعته « الاعشاب » .

واوسع بحث نشر منذ القدم هو ل : نيكولاس كولبير في القرن السابع عشر ، ومن اعماله « الاعشاب الكامل » الذي لايزال يستعمل لقيمته العملية التاريخية حتى اليوم ، ففي احد المجالات وصف نيكولاس كولبير دواء عشبيا لكل مرض ، واستطاع أن يصنف جميع الاعشاب واستعمالاتها الدوائية .

اليس هذا مضيعة للوقت ؟ قد يسأل بعض الناس ، يخلط ذلك العشب مع تلك الاوراق والازهار لعلاج

مرض ما ، بينما نجد ما نحتاجه من مضادات حيوية وعقارات في اقرب صيدلية ؟

الجواب يأتي من الدكتور جرمي ستملر رئيس شعبة امراض القلب في شيكاغو « الولايات المتحدة الامريكية » ، الذي كان يتحدث في مؤتمر لوضع حلول لمنع السكتة القلبية ، حيث قال ، ان الطرق لمنع حدوث السكتة القلبية يجب ان تكون امينه . ولا احد يعرف ما هي الجوانب المضرة للدواء على المدى البعيد ، المنع لا يمكن ان يأتي باستعمال الدواء ، اذا كان المرض هو نتيجة طريقة العيش ، والغذاء احد عواملها لذا فان استعمال الدواء غير صحيح ، والغذاء افضل من الدواء » .

وصوت آخر جاء من بريطانيا من الدكتور بيلي الذي قال « الدواء يخفي اعراض المرض »

اليس هذا ما قاله الشيخ نوح ؟

والدكتور ديل فريفد ، استاذ في الطب ورئيس مستشفي بيتربنت « بوسطون » ، كان اكثر وضوحا في التعبير عن الموقف حيث قال « لا يوجد هناك شيء اسمه الدواء الامين » .

اليست هذه اشارة الى « السموم » التي كان يحذر منها الشيخ نوح ؟

العودة للاعشاب

ربما لهذه الاسباب نحن نشهد الان العودة الهائلة الى الاعشاب والطب الشعبي ، ففي عام ١٩٧٨ وانا ابحث في واحد من الخضراوات التي نأكلها كل يوم تقريبا الاوهي (الكرفس) فقد استخلصت منه مادة دوائية فعالة صالحة لمعالجة امراض المفاصل ، ووصلتني مرة رسالة من احد الاصدقاء في العراق يقول فيها « اصيب اخي الاكبر بجرح بالغ في يده اليمنى مما ادى الى التهاب يده كلها ولم يفلح الاطباء والمضادات في انقاذ يده فقرر الاطباء بتر تلك اليد لمنع تسرب المرض الى اجزاء اخرى ، لم يوافق اخي وانا على بتر اليد ، وترك اخي المستشفي ونصحنا احد الناس بالذهاب الى رجل كبير السن يسكن الصحراء يعتقد انه يملك علاج اخي ، وهكذا ذهبت مع اخي الى عمق الصحراء ، ووجدنا ذلك الشيخ وارشدنا الى نبات صحراوي ذي ازهار وردية جذابة ، وقال لي اسحق الاغصان وضع المسحوق على الجرح ثلاث مرات يوميا ، وعدت مع اخي بكميات كبيرة من ذلك النبات وبعد مرور ايام قليلة بدأت يده تتحسن والتأم الجرح تماما بعد اسبوعين فقط » .

وفي عام ١٩٧٩ زرت المريض واطلعت على ذلك النبات الساحر بجماله وازهاره الوردية التي اعطت تلك الصحراء جمالا رائعا . لقد استخلصت من ذلك النبات مادة مضادة للمكروبات التي كانت سببا في شفاء مريضنا

هذا جزء من سحر الطبيعة وهذا جزء من الطبيب الطبيعي ، وليس الكنين بغريب علينا الذي يستخلص من اشجار المستكوتا والذي كان يستعمل كشاي لطرد حمى الملاريا ، او ليس البنسلين المضاد الحيوى العظيم هو من الفطريات ؟ والكثير مثل الافدرين الذي يستعمل لمعالجة ضيق القصبات ، والكرارى الذي يستعمل لاوجاع العضلات والتشنجات العضلية ، وذلك الكثير كعرق السوس الذي يستعمل لكثير من الامراض ويحتوى على الكثير من المواد الفعالة طبيا .

ان اللافندر الذي يستعمل كثيرا في العطور النسائية والرجالية افضل بكثير من تلك العطور التي تحتوى على مواد كيماوية سامة ، ان نقيعا من ازهار اللافندر يستعمل كغسيل رائع للفم واستعماله باستمرار كفيل بالمحافظة على اللثة وتقويتها . وانا شخصيا وجدتها رائعة لفمي حيث الشعور النقي والتنظيف في فمي .

ولبذور عباد الشمس حكاية اخرى فبذور عباد الشمس متوفرة في السوق ويتسلى بأكلها الكثيرون في اوقات السمر ، ولقرون عديدة استعملها المتخصصون بالاعشاب كدواء ضد الملاريا وكمدر وقاشع للبلغم . وهي غنية بالبروتينات والمعادن والفيتامينات وتحتوى على مادة تستعمل لتخفيف كولوستيرول الدم وتمنع تصلب الشرايين .

واطباء الأسنان الامريكيون والانجليز ، ولقرون عديدة ، لاحظوا ان اكل بذور عباد الشمس باستمرار هو سبب اللثة السليمة والاسنان القوية ، وذلك لاحتواء البذور على مادة الفوسفات والكالسيوم وكميات قليلة من الفلورين الذي يقوى الاسنان ويمنع تلوثها . ولاحتواء بذور عباد الشمس على فيتامينات أ و ب ٢ ، فهي جيدة جدا للعشو (العمى) الليلي الذي يعاني منه الكثيرون ، وهي جيدة ايضا للذين لا يستطيعون مواجهة الانوار الحادة .

ومن عباد الشمس الى ورد البنفسج الذي يفيد بتبريد وشفاء اغشية المعدة المتقرحة اذ يستعمل كشاي

قبل وجبات الطعام .

الثوم دواء ساحر

واذا كان اللافندر طيب الرائحة فللثوم رائحة غير مستساغة ، فهو المضاد الحيوي الطبيعي . ولو عدنا الى عام ١٩١٨ حيث اطلقوا عليه في انجلترا « عام الرعب » حيث مات ألوف من البشر . والذي بقوا على قيد الحياة ، عاشوا يعانون من ضيق في التنفس أو متخلفين عقليا لشدة الحمى التي عانوا منها عندما غزا البلاد وقتئذ مرض الانفلونزا . وفي ذلك الوقت لم يكن العلم قادرا على المساعدة ومنع حدوث المأساة .

في تلك الفترة كانت هناك امرأة عجوز عندما سمعت بوباء الانفلونزا راحت غارقة في التفكير ثم صرخت « الى العمل ... نحن في خطر » اختفت لوهلة وعادت بحزمة كبيرة من الثوم وقالت لافراد العائلة « هذا الدواء الذي سيحمينا من الموت » « كل واحد منكم يأخذ حزمة ، وحتى يمر الخطر فانني احذر كل من لا يمضغ الثوم في فمه » وكان عام ١٩١٨ عاما « ثوميا » في تلك الاسرة ، ثوم في الاكل ، ثوم مع الشوربة وثوم مع اللحم ، وثوم في كل وقت وبين وجبات الطعام . الكل يمضغ الثوم !

وكانت المرأة العجوز التي جاوزت المائة عام تحذر افراد اسرتها وتذكرهم بالخطر حتى انها كانت تطالبهم عند النوم بمضغ الثوم . واغلقت المدارس وبقي الناس في منازلهم حيث انتشر الوباء ، وانتهى الوباء ولم يصب احد من افراد تلك الاسرة بالانفلونزا . ولم تكن تلك الاسرة هي الوحيدة التي استعملت الثوم بل أقبل عليه آخرون ، وبينهم الاطباء ، حتى اصبح سعر الثوم في تلك الفترة خياليا .

هل للثوم تلك القوة الخيالية لمنع الانفلونزا ؟ في عام ١٩٦٥ عندما داهمت الانفلونزا الاتحاد السوفياتي لجأت الحكومة الى استيراد ٥٠٠ طن من الثوم . وبعدما انكب العلماء الروس على دراسة الثوم بدقة اعلنوا في صحيفة موسكو المسائية نصيحة لجميع المواطنين بأكل الثوم لانه يمنع الاصابة بالانفلونزا .

وفي عام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ حيث عم وباء الانفلونزا انجلترا ، وانتقل الى نصف العالم في ذلك الشتاء ، لم تكن الاصابة ظاهرة في ايطاليا مقارنة بالدول الاوربية الاخرى . وكان الثوم هو السبب ، لان شهرة الايطاليين بأكله بكميات كبيرة ، مما أنقذهم من الوباء .

ان تاريخ الثوم طويل يعود الى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد حيث استعمله البابليون كغذاء ودواء . وكذلك الاغريق والرومان والعرب وقدماء المصريين . ولقد نصح به الرسول محمد (ص) لاصحابه للاستعمالات الداخلية والخارجية . والطبيب الروماني سمى الثوم (مضاد السموم) .

وخلال الحرب العالمية الاولى استعملت آلاف الاطنان من الثوم لعلاج الجنود الجرحى ، واستعمله الروس في الحرب العالمية الثانية لمعالجة جراحهم حيث يضعون الثوم على الجروح لسرعة التأمها وعدم حدوث المضاعفات .

وليس غريبا استعمال الثوم من قبل الامهات العربيات ، اللاتي يعالجن اطفالهن به عندما يصابون بالسعال الديكي باعطائهم ١٠ ـ ٢٠ قطرة من عصير الثوم في عصير البرتقال او مع العسل لكل اربعة ساعات .

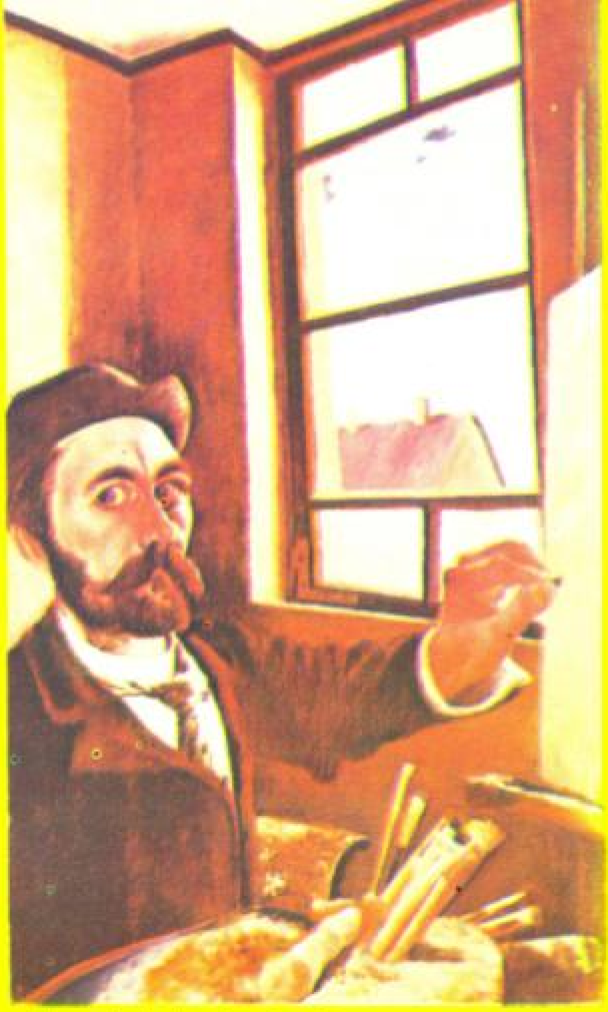
وهل للثوم اساس في كل هذا ؟ العلم الحديث اجاب على هذا السؤال : ان العامل الفعال في الثوم هو مادة دوائية تدعى « اليسن » ، تنظف الجسم من الجراثيم الضارة وذلك بخنق الجراثيم بعد تلف الاوكسجين ويسمى هذا الدواء عند الروس بالبنسلين الروسي .

وبعد كل هذا وذلك وحيث ان اربعة بالمائة فقط من اصل ٣٥٠ الف فصيلة نباتية درست استعمالاتها الدوائية بصورة مفصلة او مختصرة . وكما ان الملايين من البشر لهم اصابع وطريقة في المشي وتراكيب كمياوية خاصة تختلف عن الاخرين مما عقد عمليات زرع الاعضاء من جسم الى آخر ، كذلك كيمياء النبات تختلف من نبتة الى اخرى .

ان هذا كله يدعونا لاعادة النظر بهذا الطبيب الطبيعي ، والارض غنية بموارده كغذاء او دواء او الاثنين معا . وان كان ذلك لا يعني ان كل نباتات العالم صالحة كدواء او غذاء فمنها السامة والقاتلة !.

ان ذلك يدعونا الى ان نقيم من جديد الخضرة التي تسكن الارض وتعطيها جمالها وسحرها ، بقدر ما يدعونا الى تلك « السموم » (الأدوية الكيماوية) قدر المستطاع . فكم كان آباؤنا واجدادنا اطول عمرا واكثر صحة منا ! ■■

برمنجهام (انجلترا)
د . صيدلي ـ صالح مهدي ذرب



سونتفاري كوستاكس، الفنان المجري الذي
صور القدس في مطلع القرن العشرين

القدس وفلسطين

في عيني فنان مجرى

بقلم : جمال الغيطاني

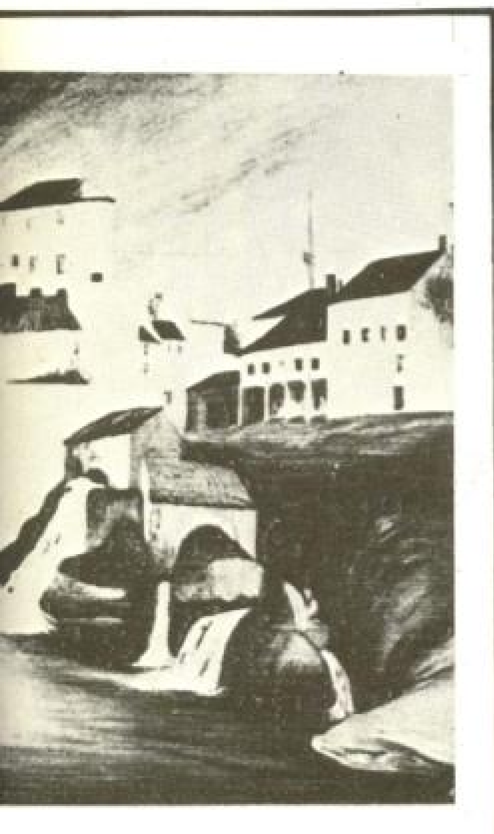
.. في شارع هادىء ، مبلط بالحجارة ، في مدينة « بيتش » المجرية القريبة من الحدود اليوغسلافيه ، يقوم مبنى انيق قديم يمت الى القرن التاسع عشر ، خصص لعرض اعمال الفنان المجري « شونتفاري كوستكاس » ، عندما دخلت القاعة الرئيسية فوجئت بلوحة ضخمة تتصدر المكان لمدينة القدس العربية ، تتوسطها قبة الصخرة خضراء اللون تتناثر خلالها اشجار الزيتون والنخيل ، وكنيسة القيامة والخطوط العريضة لملامح المدينة التي رآها الفنان في بداية القرن الحالي .

ولم تكن لوحة القدس هي الوحيدة ، لوحة اخرى لبئر العذراء مريم في الناصرة ، ولوحة حائط المبكى بالقدس . ثم لوحة كبيرة تحتل جدارا باكمله ، طولها اكثر من سبعة امتار وارتفاعها اربعة امتار ونصف لمدينة بعلبك ، وعدت الى المعرض الدائم اكثر من مرة ، اتأمل الاماكن التي ينتمي تاريخي ووجداني اليها ، واستوعب رؤية الفنان الفريدة لها ، واسلوبه في اعادة خلقها ، وأثار وجود هذه اللوحات في تلك المدينة المجدبة القابعة بين احضان الجبال في وسط اوروبا ، آثار في نفسي مشاعر غامضة من الحنين ، والاهتمام ، ورحت استقصي حياة هذا الفنان الذي يتمتع باسلوب فريد في رؤية الواقع ..

وراء اسرار الفن

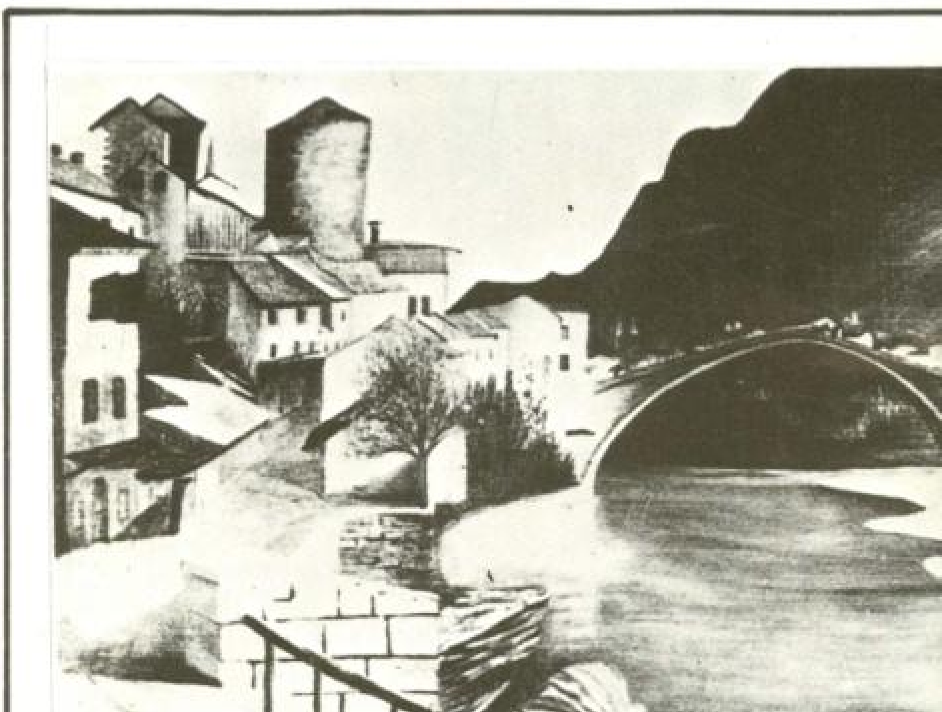
ولد شونتفاري كوستكاس في الخامس من يوليو عام ١٨٥٣ . في بلدة « كيشين » المجرية من اب صيدلي اسمه لازلوكوستكاس ، يقول الفنان عن طفولته المبكرة ان والده كان مغرما بصناعة الالعاب النارية والصيد ، ومن هنا امتلأ البيت بانواع مختلفة من كلاب الصيد ، كلاب لصيد الثعالب ، وكلاب لصيد الارانب واحيانا بعض الذئاب الصغيرة ، وانواع عديدة من الطيور ، وكثير من طائر البوم ، الذي يعتبر رمزا للحظ في هذه المنطقة من اوروبا . كانوا ستة اشقاء يمارسون الرياضة ، لدى كل منهم بندقية صيد ، ومن المشاهد المبكرة ، في طفولته مشهد النيزك الضخم الذي مرق في سماء المدينة ذات ليلة . كان لا يحب التعليم ، تاق دائما الى الارتقاء في احضان الطبيعة الحرة ، الى اصوات الطيور ، وخضرة الغابات ، وكثيرا ما انطلق عبرها ليحلق في زهرة ، او النحل او الحشرات الملونة . انتقل الاب من مدينة كيشين الى مدينة سردني ، والتحق الفنان مع ثلاثة من اشقائه بمدرسة انجفار ، يقول عن هذه الفترة من حياته ..

« .. كنت الاول في الرياضة والرماية والانزلاق ، وكنت اربي دودة القز ، ولهذه الاسباب كانت درجاتي النهائية سيئة ، وادى هذا بوالدي الى ان يلحقني بخدمة احد التجار ، وقضيت ثلاث سنوات ونصف سنة امارس التجارة ، وفي نفس الوقت اتعلم الصيدلة ، وبالفعل حصلت على دبلوم الصيدلة ، ثم تطوعت لمدة سنة بالجيش ، ثم اصبحت موظفا بمحافظة بودابست ، بدأت اهوى العلم ، وتحمست لوضع اسلوب جديد لتربية دودة القز ، ووضعت عام ١٨٧٧ مشروعا لادخال مادة تربية دودة القز في مراحل التعليم المختلفة ، وعندما حدثت



كارثة الفيضان في مدينة « سيجيت » اشتركت في عمليات الانقاذ وادى هذا الى اصابتي بالتهاب رئوي ، وخلال شهور الراحة لاحظت عربة تجرها الثيران تقف في الطريق ، رسمت المنظر على الروشتة ... »

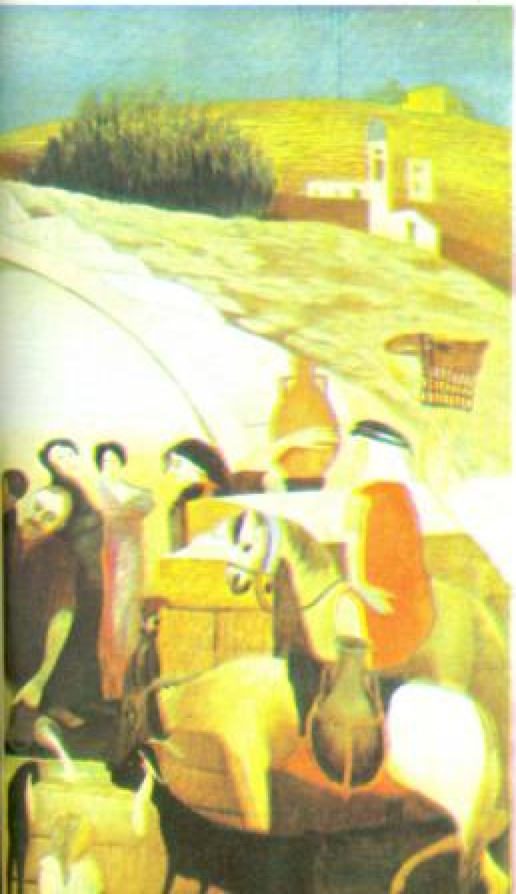
بدأت طاقات شونتفاري تتجه الى الرسم ، سافر الى روما ، ودرس عدة شهور ، وجد انه من الضروري ان يعمل لمدة عشرين ساعة متصلة يوميا حتى يتقن فنه ، رحل الى بودابست ، ثم الى باريس ، ثم الى ميونيخ ليدرس ، ونصحه احد اصدقائه بالذهاب الى كارلسره بالمانيا ليدرس على يدي احد الاساتذة الكبار . ومن كارلسره اتجه الى ايطاليا لمدة ثلاثة شهور ، رسم خلالها العديد من المناظر على شواطىء الدالماسيا ، وراجوتسيا ، ثم عاد الى دسلدورف مرة اخرى . وهناك اخبره المدير انه يعرف فنه بما فيه الكفاية ، وعلى الرغم من ذلك كان شعر انه لازال بحاجة الى الامساك باسرار الفن ، سافر الى باريس والتحق باكاديمية جوليان ، لكنهم حاولوا فرض اسلوب معين عليه ، لم يتقبله ، اتجه الى اكاديمية بومبي ، وبعد انتهائه من دراسته قام بعدة رحلات الى اثينا ، حيث رسم لوحته الضخمة (معبد جوبيتر) ، وفي ١٩٠٤ جاء الى فلسطين والى لبنان ، حيث جمع مادة لوحاته الضخمة المعروضة الآن في بيتش ، جاء شونتفاري الى المنطقة وهو في قمة نضجه الفني ، استوعب ما رأى ، وسجله في اسكتشات . وعلى مدى الاعوام التي تلت الزيارة ابدع لوحاته ، وبعد وفاة الفنان اشترى احد اصدقائه معظم اعماله ، وظل المهندس المعماري جدعون جولوثر يحاول ان يقيم معرضا خاصا لاعمال صديقه الذي رحل ، خاصة وان امنية صديقه خلال حياته ان يرى اعماله معروضة في قسم خاص ، غير ان هذا لم يتحقق الا في سنة ١٩٧٣ . عندما خصص هذا البناء القديم في مدينة بيتش ليكون معرضا دائما



القدس عام ١٩١٠



القدس



لاعمال شونتفاري .. وحاليا يضم المعرض ثماني لوحات كبيرة معلقة في صالة رئيسية منها اللوحات الاربع التي ذكرناها . وعدد آخر من البورتريهات الشخصية والاستكشات وقسما خاصا يضم الاستوديو الذي كان يعمل به الفنان .

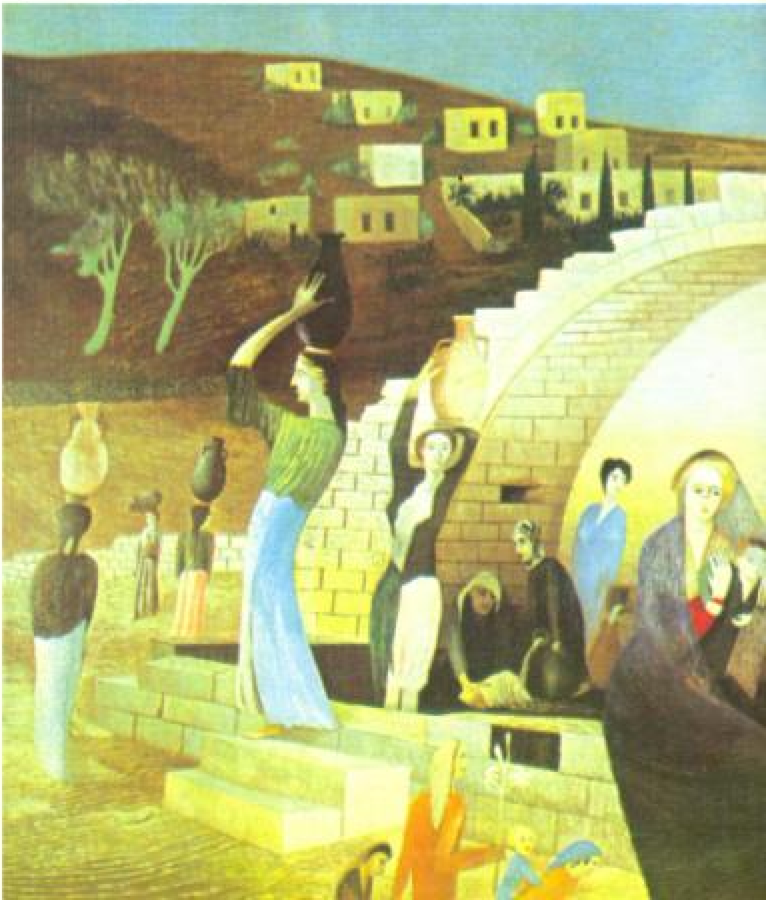
وتطوف عيناي بارجاء المعرض ثم تعودان لتستقرا فوق هذه اللوحات الأربع لاطول فترة ممكنة ..

في المدينة الأزلية

الـ « القدس » ... لوحة كبيرة ارتفاعها ١٢٧ سنتيمترا ، وطولها ٢٦٢ سنتيمترا ، المنظر عام من اعلى ! في اللوحة مركزان اساسيان ، قرب المنتصف قبة الصخرة خضراء اللون ، تبدو تفاصيل المسجد الاقصى ، كذلك النوافذ التي تلي القبة مباشرة ، اللون الاخضر هو الغالب على المسجد الاقصى ، خط الافق رفعه الفنان وجعله حدا لمياه البحر الميت الذي يبدو في نهاية اللوحة وخلفيتها ثابتا ، خاليا من حركة الامواج . في مقدمة اللوحة تقوم كنيسة ضخمة عني الفنان بابراز تفاصيل البناء ، كذلك السور الحجري الذي يبدو الى اليسار ، يحيط حديقة من اشجار الزيتون ، تظهر قباب اخرى لبعض مساجد المدينة ، ومجموعات المباني ، تذوب معالمها وتندمج بعكس التحديد الصارم والواضح لمعالم المسجد الاقصى وبناء الكنيسة ، تبدو المدينة من نقطة الرؤية المرتفعة التي اختارها الفنان ثابتة في ازلية دائمة ، كأنها خلت من البشر ، لكنها مسكونة بالزمن ، والقدسية ، والرهبة واذا دققنا النظر سنجد اثنين يقفان فوق سطح مبنى يقع في مركز اللوحة تقريبا ، لكن وجودهما شاحب تائه في ازلية المدينة ، وهذا الجو الخاص الذي يشبه حلما شفافا ، صيغت الالوان من اطيافه ، كأننا ننظر اليها من خلال حاجز شفاف لا يرى ، نرى اشجار زيتون ونخيلا ، وكلاهما يوحي بالابدية ، لم يكن تصوير الفنان تصويرا فوتوغرافيا ، لكنه تعبير عن رؤية فنية خاصة للمدينة واحساس فريد بها ، لم ينقل الواقع ولم يحاكه ، انما اعاد خلقه من جديد وفقا لرؤيته ، وهذا يبدو واضحا عند تصويره للبشر ، في لوحته « مدخل حائط المبكى بالقدس » ، نرى المشهد التقليدي الذي يحدث بجوار الحائط ، اللوحة تحتوي في مضمونها الواقع واللاواقع ، التفاصيل دقيقة محددة تبرز المضمون بوضوح لكنه



بئر العذراء مريم







بعلبك

مضمون خاص ، خلقه الفنان ، الوجوه ملامحها غريبة ، عيون بعضها دقيق ، وبعضها متسع ، بعضها محملق وبعضها خامد النظرة ، جو غريب لكنه لا ينأى عن الواقع .

يذكرنا الى حد ما بلوحات الفنان الكبير الهولندي بيتر بروجل ، في يسار اللوحة مجموعات من الوجوه المتجاورة التي لا تبدو اجسام اصحابها ، تحدق في اتجاهات مختلفة ، نلاحظ ان معظم اليهود في اللوحة ذوو ملامح شرقية وازياء تمت الى المنطقة ، ونرى شيخا ذا لحية بيضاء يرتدي طربوشا تركيا .

عند بئر العذراء

نفس الاسلوب يبدو في لوحة بئر العذراء مريم بالناصرة . ولكن لا نجد هنا الجو الكابوسي المخيم على حائط المبكى . هنا رؤية شفافة كحلم عذب تجسد مضمون اللوحة . في مقدمة اللوحة امرأة تمسك طفلا في نفس الوضع الذي تحمل فيه العذراء ابنها المسيح في اللوحات الفنية التي تصور الموضوع ، لكن الجالسة على البئر عذراء من عصر الفنان ، يبدو هذا من خلال ملابسها وملامحها ، بقية الشخصية في اللوحة لا تلتفت حولها ، كل متشاغل بالنظر الى نقاط مجهولة لا تبدو في اللوحة ، تبدو الشخصيات كأنها زرعت من الارض ، او في حركة بطيئة جدا ، تماما كالحلم ، اما الألوان التي انتشرت في مساحات كبيرة فقد ساعدت على ابراز هذا الجو اللاواقعي الذي تختلط فيه الازمنة .

رسمت هذه اللوحة في سنة ١٩٠٨ . وهي لوحة كبيرة ، ارتفاعها ثلاثة امتار واثنان وستون سنتيمترا ، وطولها خمسة امتار ، وخمسة عشر سنتيمترا ، لكن اضخم اللوحات التي يضمها المعرض هي لوحة « بعلبك » ، اذ تبلغ ابعادها ٣٨٥×٧١٤،٥ سنتيمترا ، وتحتل جدارا كاملا ، رسمت عام ١٩٠٦ ، وتصور مدينة بعلبك من خلال عالم الفنان الخاص ، يبدو المنظر مرئيا من خلال نقطة معلقة في الفراغ بحيث تظهر عدة مستويات للمدينة تذكرنا بلوحات التصوير الاسلامي التي تقدم اكثر من مستوى زماني ومكاني على سطح اللوحة ،



فترى الملامح الاساسية للمدينة ، خاصة الاعمدة الرومانية في المسرح القديم ، وتبدو تفاصيل الحياة اليومية مودعة في المدينة ، امرأة تحمل طفلا ، تنزل سلم بيت قديم ، جمال راحلة او قادمة ، اطفال يلعبون ،



حائط المبكى

مارة . وهذه التفاصيل تغيب تماما عن لوحة « القدس » ، مما يؤكد الرهبة التي تحيط برؤية الفنان للمدينة المقدسة .

هذه اللوحات الأربع ، واعمال الفنان الاخرى تبرز موهبة كبيرة ، يصعب تصنيف صاحبها في مدرسة فنية محددة ، لان اعماله تشكل اسلوبا خاصا وفريدا ، ورؤية نفاذة وحادة ترفع صاحبها الى مستوى الرسامين العالميين ... » . ■■

المجر : جمال الغيطاني

الحياة فى قيعان البحار

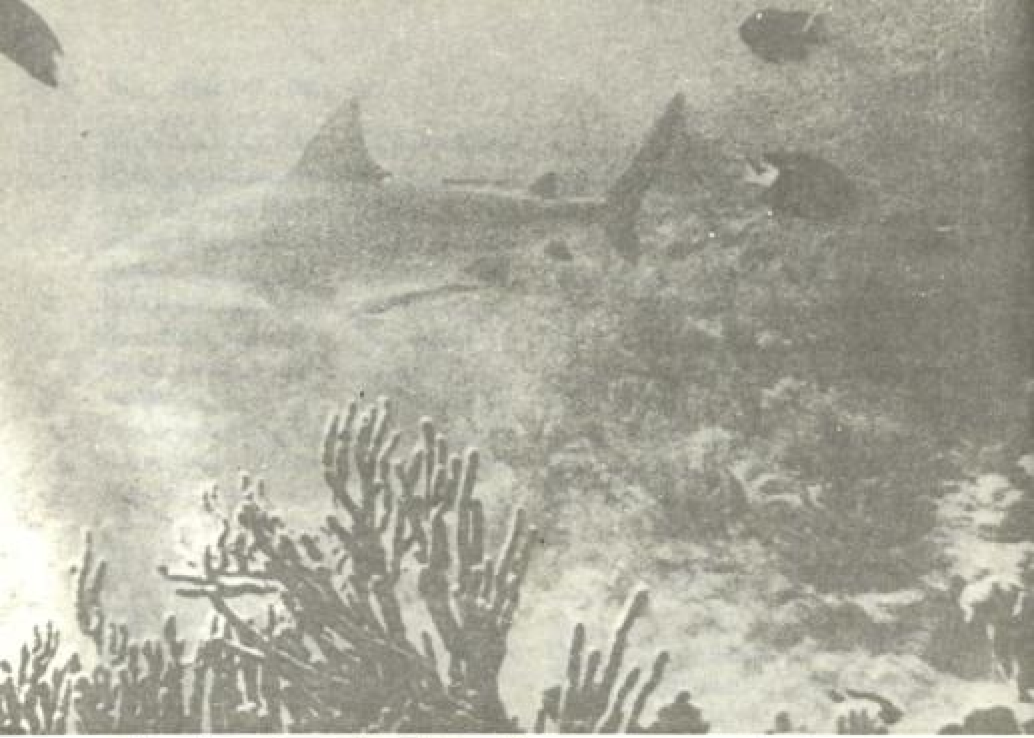
بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

لقد كشفت آلات التصوير الحديثة المهيأة لالتقاط الصور في أعماق المحيطات ، عن آهلات مذهلة من الأسماك الكبيرة وغيرها من مفترسات ، تلتهم الحيوانات الميتة التي تسقط في القيعان .

انها صور رائعة ، التقطتها آلات تصوير ، تعمل تلقائيا ، أسقطت في قاع المحيط ، أيدت ما كان قبل مجرد تصورات وأخيلة ، لم يقم عليها دليل ، سوى ما كانت تجمعه شبكات الصيد ، التي يلقي بها من سطح سفينة ، الى قاع المحيط . وكان المعتقد الى سنوات خلت ، أن قاع المحيط السحيق ، لا تشغله وتعمره ، سوى كائنات صغيرة ضعيفة كالديدان والقواقع والأسفنج الا أن آلاف الصور ، قد أوضحت أن معظم هذه القيعان السحيقة الأعماق ، انما تعمرها أسراب من عديد من الأنواع من المفترسات ، من لا فقاريات متوحشة أو أسماك أو أقراش (جمع قرش) مفترسة هائلة الحجوم تتغذى بطعام بحري متنوع ، لم يكد يكتشف النقاب عن نوعيته الا أخيرا .

وقد كانت رحلة السفينة المتحدية ، التي تمت منذ نحو قرن من الزمان (سنة ١٨٧٠) ، وهي التي حطمت الفكرة التقليدية القديمة ، من أن المياه العميقة في المحيطات المفتوحة ، ما هي الا صحراء مائية موحشة قاحلة ، فقد رفعت شبكات الصيد الى سطح الماء مجاميع من الأحياء ، تعيش في القيعان ، أو في المياه العميقة ، انها صور لحياة وأحياء ، قد تبدو شائهة أو بشعة ولكنها تأقلمت وتكيفت للمعيشة ، على هذه الأعماق ، وقد يكون بعضها قد انقرض ، ولكنه يرى متحجرا أو مطبوعا أو ملتصقا على أسطح الصخور .

وقد أضافت كشوف القرن الحالي الكثير الى معلوماتنا عن هذه الحياة العجيبة في قيعان البحار والمحيطات السحيقة الأغوار . وقد أجريت الدراسات بوساطة الشباك والجرافات التي تدفع الى الأعماق ، لتستخرج النماذج والعينات ، وكذلك بالغوص المباشر الى هذه الأعماق ثم بدفع آلات التصوير ، التي تعمل تلقائيا ، لتلتقط صورا حية ، لهذه الحياة العجيبة ، في أعماق البحار ، وقد كان المعتقد الى عهد قريب أن هذه الأعماق ، انما تعمرها كائنات ضعيفة مهيأة ومتكيفة لتعيش على لون واحد من ألوان الطعام ، الذي كان يعتقد أن لا طعام سواه على هذه الأعماق ، واذا برخات من الأحياء تتساقط من المياه السطحية الى هذه الأعماق ، وقد تهرأت وتحللت بفعل الكائنات الدقيقة من بكتريا وغيرها ، وقد ترسبت في قعر المحيط كما تبين أن التعرف على هذه الحيوانات وتلك الكائنات التي تعمر القاع يحتاج الى أدوات وأجهزة جديدة ودقيقة .



وليمة كبيرة

وفي خلال السنوات السبع الحالية ، أجرت مجموعة من العلماء ، تعمل في معهد لعلوم البحار ، عددا من الدراسات بأجهزة أحسن اعدادها وتصميمها ، تعمل آليا وتلقائيا من تصوير للأعماق ودراسة للحياة في هذه الأغوار السحيقة ، ومعرفة توزيع هذه الكائنات وسلوكها . وكان أول كشف مثير لهذه الجماعة أن هذه اللافقاريات التي تعيش في هذه الأعماق ليست قليلة ولا ضعيفة وأنها لا تعيش وحدها وانما تشاركها السيادة والسيطرة أسماك مكتسحة مفترسة وقشريات ضخمة مستعدة لالتهام كل ما يتساقط في القاع من ألوان الغذاء ، ومن أجسام حيوانات ميتة ، ومن كائنات تعيش في الأعماق المتوسطة ومن سابحات هبطت الى هذه الأغوار ، حيث ترسل آلة التصوير لتستقر في القاع ، ما بين اثنتي عشرة ساعة وثمان وأربعين ساعة ، حيث تلتقط تلقائيا صورا على فترات تتراوح بين خمس وخمس عشرة دقيقة ، ويوضع الطعم في مقابل الآلة ومتصل بها ، حتى تكون الصورة عمودية أو مائلة . وفي نهاية التجربة ، ينتزع الطعم ، وترفع آلة التصوير الى سطح الماء ، حيث تفحص الصور ، وتسمع التسجيلات الصوتية لكل ما حدث في تلك الأثناء ومتابعة الدراسة فوق سفينة الأبحاث على هذا النحو ، في الأوقات المختلفة وعلى مدار السنة في فصولها المختلفة ، ثم في السنوات المتتابعة ، بل وفي أماكن متقاربة أو متباعدة في قاع هذا المحيط أو ذاك ، أمكن رسم صورة للحياة الواقعية على هذه الأعماق وتلك الأغوار ، مع استعمال كل ما وصل اليه العلم من أجهزة الكترونية وصوتية وتكنولوجية حديثة يمكن أن تفيد في هذا المجال .

وقد بدأت الدراسة في أول الأمر على أعماق تتراوح بين أربعمائة متر ، وسبعة آلاف متر ، اذ تبين أن الأعماق التي تزيد على ذلك تحتاج الى أجهزة وآلات تصوير خاصة تحتمل ضغطا متزايدا مع العمق .

وتبدو الصور الأولى ، التي تؤخذ في الدقائق الأولى لانزال آلة التصوير الى القاع وقد زخرت بأسماك ولا فقاريات وقد هجمت على الطعم تحاول تمزيقه والتهامه ، وكثير منها من التجمعات الهشة . والقشريات ومزدوجات الأرجل والأسماك ، كل هذه تلتقط آلة التصوير رسومه وترصد حركاته في الدقائق الأولى لبلوغها القاع واستقرارها فوقه . ومع الوقت يتزايد عدد

الأسماك المتجمعة حول الطعم ، وتصل أعدادها الى حدها الأقصى في ساعات معدودات ، وكثيرا ما تسجل الصورة هجوما شرسا من الأسماك ، كل تحاول أن تفوز بالنصيب الأوفى من الفريسة ، وتعمل فيها نهشا وتمزيقا وقد تحترب فيما بينها ، ويدفع بعضها بعضا في سبيل الهدف المرموق : وهو الوليمة المعدة للالتهام . ومن العجيب أنه في معظم الحالات ، التي سجلتها آلات التصوير ، ينتهي منظر الوليمة ، وينتهي الحفل فجأة بعد ثلاث أو ثماني ساعات ، سواء كانت المائدة تحت سطح الماء مباشرة أو على عمق بضعة كيلومترات في قاع البحر أو المحيط ، وذلك عندما يحضر الوليمة سمك القرش الهائل ، فيهجم على الطعم ملتهما اياه ويسارع بقية الآكلين الى الفرار رعبا وفزعا ، ثم يغادر القرش المكان بعد أن يكون قد أتى على أغلب ما حواه الخوان ، ثم يعود الهاربون يلتمسون ما تركه القرش ، ليتغذوا من فضاله وينظفوا قاع البحر من آثار الوليمة ونفاياتها ، وما هي الا سويعات أخرى ، حتى تكون قنافذ البحر وسرطاناته وقواقعه قد طهرت المكان تماما .

وكثيرا ما يتضح أن هؤلاء الذين وصلوا مكان الوليمة متأخرين ، انما اتجهوا اليها ضد التيار ، الذي حمل اليهم رائحة الطعام ، فانجذبوا نحوه بعد حين ، ولعل الأسماك هي الأخرى تعتمد على حاسة الشم في معرفة مكان الطعم والاتجاه نحوه ، وكلما كانت الرائحة قوية نفاذة ، كان ـ عدد الاسماك المتجهة نحوه كبيرا ، وربما ساعدها على التعرف على المكان وتحديد موضعه ـ ما تحدثه أسماك القرش من تيارات عنيفة أثناء سباحتها .

تقديرات فوق الحصر

يقول العلماء من أعضاء هذه البعثة التي أجرت هذه الدراسات ، لقد كانت مفاجأة لهم أن ـ يجدوا في بعض المواضع في قاع المحيط الهادي حياة زاخرة صاخبة بالأهلات المختلفة ، على حين أن المياه السطحية فقيرة وأحيانا يكون العكس ، فتكون الطبقات السطحية غنية والعميقة فقيرة ففي أحد المواقع ، ظهر بالقاع على عمق ستة كيلومترات تجمع أكثر من أربعين سمكة كبيرة وكثير من القشريات انجذبت نحو الطعم في خلال ساعات قليلة ، وقد لوحظ أن هذا الموقع غني بعروق المنجنيز ، على حين أنه في موقع آخر في المحيط الهندي وعلى عمق أربعة كيلو مترات ، وكان سطح القاع مغطى بترسبات عضوية لم يزر الطعم الا اعداد قليلة من الاسماك وقليل من القشريات ، على حين أن المياه السطحية في هذا المكان غنية جدا بالكائنات البحرية المختلفة . وكذلك الحال في مواقع أخرى من المحيط الهادي ، كانت المياه العميقة فوق القاع فقيرة جدا الا من اعداد قليلة من ثعابين السمك تجمعت حول الطعم ، كذلك أثبتت صور أخذت للقاع تحت تيار « بيرو » الغني ، أن القاع فقير الا من اعداد قليلة لاسماك ضخمة وأعداد كبيرة من اللافقاريات وكتل مفترسة من مزدوجات الأرجل أتت على الطعم في ساعات قلائل وتفسير هذه الظاهرة من توزيع عجيب لأهلات القيعان ، انما يكمن في نوعية الطعام الذي تتطلبه وتستمرئه هذه الأنواع او تلك من الحيوانات والاسماك المفترسة ، انها تعتمد على ما يتسقط في القاع من أسماك وثدييات بحرية ميتة وما يتناثر من شظايا واجزاء من هذه الكائنات نتيجة ما يجري من تجارب وانفجارات تحت سطح الماء ، وكذلك ما يتجمع من بقايا سفن غارقة وما كان على ظهرها من أطعمة ونفايات . وكذلك ينشأ توازن بيئي بين هذه الكائنات وما يلزمها من طعام يوزع الى الاعماق المختلفة ما بين السطح والقاع .

وفي المنطقة الواقعة شمال غربي المحيط الهادي صور كثير من الاسماك فوق قاع به عروق من المنجنيز ، حيث تكثر أسراب التونه وأسماك أخرى كبيرة تعمر المياه السطحية كما تكثر بها الحيتان وغيرها من كائنات بحرية تهاجر في مواسم معينة وكما تتخذ الحيوانات المسنة والمريضة من الصحاري مهجرا تستكن فيه ، فكذلك يبدو أن هذه الاسماك الكبيرة تتخذ من القيعان السحيقة موئلا وملاذا ، فكأنها صحاري بحرية ، تبدو عامرة أحيانا بما يهاجر اليها ، وتعيش على ما يساقط نحوها من كائنات أو فتات ، ولا يعرف على التحقيق مصير هذه الاسماك الضخمة والحيتان الهائلة التي تستوطن هذه الأعماق . وان لوحظ أحيانا أن بعض هذه الاسماك التي ترى لأول مرة على أعماق سحيقة عند خطوط العرض القليلة ، قد غدت تستعمر المياه السطحية عند العروض العالية . وقد قدر الباحثون أن ما يزيد على ٨٠٠,٠٠٠ طن من نوع من الاسماك تعيش على عمق ١٥٠٠ متر في مياه المحيط جنوبي « كاليفورنيا » ويقررون أنها سلالة من نفس النوع الذي هاجر يوما من الشمال ، بل ومن المياه تحت القطبية ، واذا كان الامر كذلك ، وانه لكذلك فيما يبدو ، فإن ما يعمر البحار والمحيطات من ثروات واسماك وموارد غذائية ، يفوق الحصر والتقدير ، وانه لكفيل أن يقي البشري شر الجوع ، ما استطاع الانسان أن يستغل هذه الثروات ، ويستنبط هذه الطاقات ، ويستخرج هذا الغذاء ويقول

علماء البعثة أن أعداد وكميات « الجمبري » تفوق التصور ، حيث لوحظ أنها صورت منجذبة بكميات هائلة على جميع الأعماق ، وفي كل القيعان التي مارسوا التصوير على الاعماق فيها . وفي بعض المواقع لا ترى أسماك البتة ، وانما حظى بالطعم كاملا أسراب من اللافقاريات من جمبري وغيره وأحيانا ترى كتل ضخمة من هذه القشريات حتى أنه اذا خطر لسمكة كبيرة أن تقترب منها ، فانها تولي الأدبار هاربة من هذا التجمع الضخم ، كما أن اخطبوطات الأعماق ، انما هي لا فقاريات أخرى قد تسيطر على بعض المواقع ، وتخشى بأسها أسماك كبيرة وذلك على عمق يزيد على أربعة آلاف متر .

هل يقبل عصر البحار ؟

وكثيرا ما تهاجم الطعم أسراب لا تحصى من أسماك مفترسة وحيوانات من الجيليات الأولية . وكان ذلك على عمق ألفين من الأمتار ، وكانت دهشة الباحثين أن الأسماك الضخمة الشرسة لم تقترب من الطعم وقد تبين أن المهاجمين الأوائل قد نشروا حول الطعم طبقة هلامية ، كفيلة بتنفير الأسماك الأخرى وابعادها . وقد لوحظ أن ما يصل منها الى الطعم تحاول أن تنظف خياشيمها مما علق بها من هذا الهلام ، كما لوحظ أن سمكة واحدة من الرواد الأوائل تستطيع أن تفرز من الهلام الجيلاتيني ما ينتشر في كمية كبيرة من الماء حول الطعم . ومع ذلك فان بعض المفترسات من أسماك القاع ، يتميز بقدرة عجيبة على افتراس بل وتمزيق فرائسها والتهامها ، كما التقطت صور كثيرة لأقراش ضخمةعلى أعماق تزيد على كيلومترين لعلها تنجذب الى الطعم برائحته ، وتقوم حوله بحركات هندسية تبدو وكأنها محسوبة ، قبل أن تهجم عليها على حين تعجز أحيانا عن الوصول الى الطعم اذا كان مستقرا فوق صخرة خشنة عالية ، مما يدل على أنها تفضل ان يكون الطعم مستقرا فوق قاع مسطح ممتد ، فوق والا فانها تبذل جهدا ضائعا في العض على حواف الصخر وشقوقه وبعد محاولات قد تتعدد كثيرا ، وقد يطول أمدها طويلا ، الى أن ينجح القرش مثلا في امساك الطعم بين فكيه وقد يفشل أحيانا في الامساك بالطعم اذا كان فوق صخرة تعلو مترا فوق القاع على حين تنجح ثعابين السمك وأنواع من « القرنباد » في افتراسه ، ولا تجد صعوبة في التهامه مهما يكن موقعه .

ولا مراء أن مثل هذه الدراسات وتلك الكشوف ، ستعين الى حد كبير على حسن استغلال ـ الثروات البحرية في قيعان البحار والمحيطات ، وبعض الأسماك تبدو كأنها خجول ، وبعضها الآخر كأنه ضعيف الابصار . وبعض الكائنات يعيش في اعماق مظلمة ، لا تكاد تضيئها الا كائنات مفسفرة وضاءة ، وبعضها يستجيب لحاسة الشم ، كما أن بعضها الآخر يستجيب لسماع صوت ، كما أن بعضها يستجيب لكائنات دون أخرى وبعضها ينشر زباناه لتتلقف بينها بعض الكائنات الصغيرة أو النفايات لتقدمها في أفواهها ، لتغتذي بها وبعضها الآخر ، يندفع ليحفر في رواسب القاع ، فيثير سحبا منها ، لينتقي منها بعد ذلك ما يستسيغه غذاء وطعاما .

ولعل مما أثار دهشة العلماء الباحثين أن تكون معظم الأسماك التي صورت عند الأعماق السحيقة ، انما هي أسماك ضخمة الحجم ، لا يقل طول الواحدة عن المتر ، وذلك على أعماق تصل الى ستة كيلومترات في المحيط الهادي والمحيط الهندي وفي المناطق القطبية ، على أن الأسماك الصغيرة قليلة نادرة ، وكذلك بويضات السمك أو صغاره لا تكاد توجد ، وان وجدت اناث ذات مبايض ناضجة على القاع ، على حين أن الأقراش التي صورت على هذه الأعماق كانت هائلة الحجم ، حتى أن الصورة لم تستوعب أحيانا الا جزءا صغيرا من طولها الذي لا يقل عن ثمانية أمتار .

ومن المحتمل ولعله الراجح ، أن تكون صغار هذه الأسماك الضخمة مما يستوطن الأغوار الضحلة نسبيا ، على حين تهاجر الكبيرة الى هذه الأعماق ، ولعل هجرة بعض الصغار الى الأعماق انما لتكون غذاء لغيرها من الضخام البالغة ولتكون فرائس سهلة لها ، ومن هنا كانت ندرتها على الأعماق ، فقد كانت طعاما سائغا للكبار .

حقا ، لقد كشفت آلات التصوير التي ترسل الى هذه الأعماق السحيقة ، والتي تعمل تلقائيا وعلى المدى الطويل لتمسح أعماق البحار وقيعانها ، ولتعطي انطباعا كاملا عن الحياة والأحياء عند هذه الأعماق وانه لانطباع مبشر جدا عن مورد غذائي زاخر ، تستطيع الانسانية التي تخشى الانفجار السكاني ، أن تعتمد عليه الى حد كبير ، بشرط أن تعمل جاهدة على دراسة هذه البحار واستغلالها واستنباط ثرواتها ، ولعله أن يسبق « عصر الفضاء » ان كان استكشاف أعماق البحار ، واستغلال ثرواتها ، أيسر كثيرا ، وأقل نفقة وجهدا وخطرا من استكشاف الفضاء .. ■■

د . عبد الحليم منتصر

الأشعة السبعة

بقلم : عبد الحميد بن هدوقه

اتفق جميع من فحصه من الاطباء على أن آفته طبيعية ، تكونت فيه يوم أن تكونت أجزاؤه في بطن أمه .

واتفق جميع من يعرفه على أنه ولد أبكم .

كل علاج إذن مستحيل ما دامت العاهة طبيعية . وكل أمل في إنطاقه كان عبثا .

كان أبوه حزينا متألما ولكن يأسه من نطقه مكنه من أن يحيا في حزنه هادئا ، وبين آلامه مطمئنا اطمئنان الرهبان .

كان الأب لا يشكو حاله إلى أحد فاذا ما شعر بانقباض هب الى المحراب حيث السكينة السماوية تعيد الى القلوب اليائسة بعض ما فقدت من أمل . وكان يقول في صلواته ودعواته متوسلا لابنه : « يارب ، لا أسالك إنطاقه ولكن أن تمكنه من فصل عقباء الخير والفلاح » .

كان الولد يدعى حامدا ولكن آفته لم تمح الكلام من لسانه فقط بل محت أيضا اسمه من ألسنة الناس . فالكل يناديه « الأبكم » .

كان أبكم وكان أيضا أصم . ولحكمة ما يقترن غالبا البكم بالصمم ؟ وكان جميل الطلعة حسن الملامح . وكانت نظراته صافية عميقة تملؤها الأحلام . لكنه كان كئيبا يائسا لا تعرف البسمة شفتيهه ، ولا الانطلاق محياه .

كانت له أم يعرفها في أعماق نفسه ولكنه كان لا يراها كما يرى الفتيان أمهاتهم .

كان بالقرب من الدار التي يسكنها أبواه بركة عميقة الغور تدعى « بركة العذارى » كانلا يغشاها أحد ولا يقترب منها انسان ، اذ كان يشاع أن عملاقا أبيض ذا قرون سبعة يختطف العرائس في ليلة زفافهن ، اتخذ له مسكنا في قرارها . وكانت هذه البركة تشبه بحيرة صغيرة ، ماؤها داكن الزرقة هادىء الأديم . فكان الفتى الأبكم يختلف اليها في كل وقت منذ باكر صباه ، واتخذ له على حفافها مجلسا .

ولطالما حذره أبوه من الذهاب اليها . ولطالما حذره من يعرفه ، ولكنه لم يكن يفهم ما يقال : كان أصم أبكم ...

كانت الارض التي تحيط بهذه البحيرة لا عشب على سطحها ولا ظل الا التراب والاشعة المحرقة . وكان الفتى الأبكم جالسا في احد الايام ينظر الى البحيرة نظرات فيها حيرة وذهول . وكان أدهيها هادئا حالما يرشف من صافي الأشعة رشفا متصلا . وكان الحر يلفح الأرواح فضلا عن الأجسام وكان الصمت الصامت يخيم



على الأرض .

أخذ الفتى حجرا ورماه في البحيرة فارتسمت على سطحها دوائر سبع متلألئة لا معه مرتعشة كالزئبق ، فأحس الفتى بصوت بعيد عميق امتد من قرار البحيرة امتدادا حتى اتصل بقرار نفسه اتصالا رفيقا وديعا لذيذا . وشعر بنشوة تتدفق من أقاصي روحه فتسري في جميع كيانه ، نشوة لم تذوق مثلها في حياته !

وشعر أن الران الذي كان يغلف قلبه وسمعه ولسانه أخذ ينحل ويذوب ويتلاشى في غمرة ذلك الصوت الهامس المنبعث من قرار البحيرة الواصل الى قرار نفسه . وأخذت تزول عن ملامحه تلك الكآبة الحزينة . وبش وجهه . وانطلق محياه ، وشعت نظراته ، وابتسمت شفتاه . وبعد لحظات عاد الحجر الى أديم البحيرة ، وذاب الصوت في أعماق نفسه وخيم الصمت من جديد . عاد كل شيء الى ما كان عليه ، فالبحيرة أخذت ترشف من الأشعة السائلة عليها والدوائر السبع اضمحلت ، لكن شيئا واحدا لم يعد ... هو تلك الكآبة التي كانت مرتسمة على وجه الفتى فكأنها زالت الى الأبد !

ثم أخذ حجرا ثانيا ورماه بنفس الطريقة فأحدث نفس فومضت الدوائر السبع الزئبقية على سطح الماء ، وانبعث الصوت الحنون العذب من أعماق البحيرة الى اعماق نفسه . وأحس كأن ذلك الصوت انبثق من شيء تقوم عليه البحيرة وتقوم عليه السماء .

واوصل رمي الحجر ولما بلغ الرمية السابعة رأى رئية عابرة كأغرب وأجمل ما تكون الرؤى ... رأى أن تلك الدوائر المرتعشة المتلاحقة تنبع من شمس ذات أشعة سبعة مستقرة في أعماق البحيرة وأعماق نفسه وأعماق السماء !

وبعد ذلك رجع الى الدار فأتى بسطل وأخذ يملؤه من ماء البحيرة ويصبه على جوانبها سبع مرات واستمر على هذا المنوال يأتي كل يوم الى البحيرة فيرمي الحجرات السبع ويرى الدوائر ويسمع ذلك الصوت النابع من الشمس ذات الأشعة السبعة المستقرة في أعماق البحيرة وأعماق نفسه واعماق السماء . ثم يسقي جوانب البحيرة وحفافها بسطله سبع سقيات ويعود الى داره ، حتى اليوم السابع فاذا بشيء جديد يحدث ...

ففي هذه هذه المرة لم تفارقه الرؤية العابرة ، كان يرى الشمس ذات الأشعة السبعة مستقرة دائما في أعماقه . وكان الصوت الحنون الهامس الغامض الذي يسكت بزوال آخر دائرة من وجه البحيرة ، في هذه المرة لم يسكت بل بل بقي يجوب كيانه حتى كاد يزيح شيئا عن حلقه المسدود ! وكان واضحا في هذه المرة ، فقد عرف الفتى مصدره وأدرك معناه . كان منطلقا من أعماق قلب أمه الحنون التي فقدها في أحد الأيام . وكان يقول له : انني عائدة .

كانت أمه فتاة بارعة الجمال من أجمل فتيات القرية التي ولدفيها . كانت ذات شعر طويل أسود تشع منه زرقة اذا تعرض للضوء . كانت عيناها جذابتين فاتنتين بصفائها وسوادها وطول أهدابها . كان أنفها رقيقا مستقيا يوحي بكبرياء صاحبته وعزة نفسها . كانت شفتاها رقيقتين ساحرتين . كانت أعضاء جسمها متناسقة تناسقة . وكان صوتها ممتلئا رخيا عذب النبرات .

كانت في أحد الايام في بيتها هي وطفلها حامد وكان سنة آنئذ لم تتجاوز الثانية وكان الفصل صيفا التهبت حرارته واستعر وكان زوجها قد ذهب يحصد زرعه في حقل بعيد عن القرية فخطر لها في جحيم تلك الحرارة أن تذهب الى البحيرة فتغسل ابنها وتغتسل .

كانت تعرف أسطورة العملاق الأبيض الذي يسكن ويخطف العرائس ، ولكنها كانت لا تصدق كثيرا ما يشاع في القرية من أوهام . لقد رأت في أحد الأيام سائحا أوربيا يغتسل في البحيرة ، وهو ما جعل شكها يزداد في صدق الأسطورة . ثم إن الحر كان شديدا ولم يكن بالبيت ما يكفي من الماء للشراب والاغتسال . وفوق ذلك فهي لم تعد عروسا لتخشى الخطف !...

حلت ابنها وذهبت الى البحيرة الصغيرة ، ولما انتهت من غسل الطفل بدالها أن تتغمس في البحيرة فتسبح قليلا فليس هناك من تخشى أن يراها ، اذ كل سكان القرية يخافون هذا العملاق الذي بنت أعضاءه المفرطة الطول خيالاتهم المفرطة المرض !

كان الطفل الصغير يضحك وكانت أمه الجميلة تسبح في الماء وتداعبه من بعيد . ولذت لها السباحة ، وطاب لها البقاء في الماء ، وفجأة اعترى عروقها تصلب وحاولت بمرارة أن تخرج من البحيرة ولكن تصلب عروقها أفقدها كل لين ومرونة لتستطيع الخروج . وصاحت صيحة مولة يائسة بلع حر الصيف صداها وغاصت في الماء !...

ورآها الطفل وهي تصيح فصرخ صرخة كانت هي آخر صوت خرج من فمه .

ومنذئذ والصدمة اصابته بالبكم . وسمع الناس

فنسبوا الشر الى عملاق البحيرة . وكذلك الأب ! ومن ذلك اليوم ازداد عملاق البحيرة في رؤوس سكان القرية طولا وعرضا . ومن ذلك اليوم فقد الطفل النطق . وتوهم الأب في النهاية من كثرة ما سمع من الأطباء أن آفة ابنه حقيقة طبيعية تكونت فيه منذ التكوين . ولم يكن يجد عزاءه وسلواه الا في المحراب ، حيث السكينة السماوية تعيد الى بعض القلوب ما فقدت من أمل . وكان يدعو الله أن يمكن ابنه من فعل عقباه الخير والفلاح بعد أن سلب منه القول .

تواصل اختلاف الفتى الى البحيرة وتردده عليها يوميا . واعشوشبت جوانبها وأزهر حفافها واكتسى ترابها بحلة خضراء ناعمة مما شربت من ماء وأشعة .

وفي احد الأيام كان الفتى في طريقه الى البحيرة واذا بسحابة من الطائرات تغطي السماء متجهة من الشمال الى الجنوب . فنظر اليها مليا ثم تابع طريقه الى البحيرة . . لم يسمع شيئا من أزيزها ، ولم يفهم معنى هذه الصناديق المجنحة السوداء التي لطخت وجه سماء القرية الوضاء المشرق . ولكنه أحس بانقباض وهو يرى في سماء القرية غير ما تعود أن يراه من نجوم وأقمار ! واذ وصل الى البحيرة زال انقباضه وعاد اليه سروره .

بيد انه كان يشعر أن هذا اليوم لا يشبه ما عرف من أيام ، كانت أحاسيس غامضة متلاحقة متعانقة في نفسه ليست سرورا وليست حزنا ولكنها مزيج منهما معا .

وجلس في مكانه المعتاد والى جانبه سطله ، وأمامه حجراته السبع . وبقي مدة في مكانه جالسا منحنيا في خشوع وذهول . وكان بصره مصوبا الى البحيرة الهادئة حيث تنام أمه الحنون وبغتة لاحظ صورا سوداء تضطرب في ماء البحيرة فرفع رأسه فاذا هو يرى سحابة من الغربان سالكة طريق سحابة الطائرات فأحزنه منظرها ولم يدر لماذا . فأخذ الحجرة الأولى ورماها . وكانت سحاب الغربان قد ابتعدت وزالت صورها المضطربة من صفحة الماء وفي هذه المرة كانت الدوائر السبع أشد تلألؤا وارتعاشا ، وكان الصوت المنبعث من قرار البحيرة أشد وضوحا ودويا ، وكانت الشمس ذات الأشعة السبعة أقرب منه مكانا في نفسه وفي البحيرة وفي السماء !

وإثر كل حجرة يرميها كانت تزداد الدوائر اتساعا . والصوت وضوحا وصفاء ، والشمس ذات الأشعة السبعة اقترابا واشراقا .

وعندما استعد لرمي الحجرة السابعة كانت في تلك اللحظة قنبلة منقضة كالصاعقة على البحيرة انطلقت من احدى الطائرات ! وتدفق الماء من بطن البحيرة اليالسيا في عنف ورأى الفتى في تلك الغمرة العارمة فتاة عذراء ، رأسها شمس ذات أشعة سبعة ارتفعت مع دفقات الماء الى السماء عاليا . ورأى نور تلك الشمس يغمر الأرض والسماء فصاح بكل قواه « امي » . ■■

الجزائر ـ عبد الحميد بن هدوقة

من غرائب العظماء

× كان نابليون يقضي وقت الفراغ في حل الالغاز والمعميات وربما صرف ساعات يحاول ان يستنبط لغزا يعجز اصحابه عن حله .

× وكان جورج واشنطن ولوعا بصيد الثعالب ، وكان كلما اصطاد ثعلبا صغيرا جاء به الى منزله واخذ يعلمه بعض الالعاب .

× وكان شيلر الشاعر الالماني يضع رجليه في ماء الثلج ويجلس الى منضدته ليدون ما يعن له من الافكار وغرفته مملوءة برائحة التفاح المتعفن .

× وكان الشاعر ملتون لا يستطيع جمع افكاره الا اذا كان رأسه وجسمه غارقين في المخد ات والملايات .



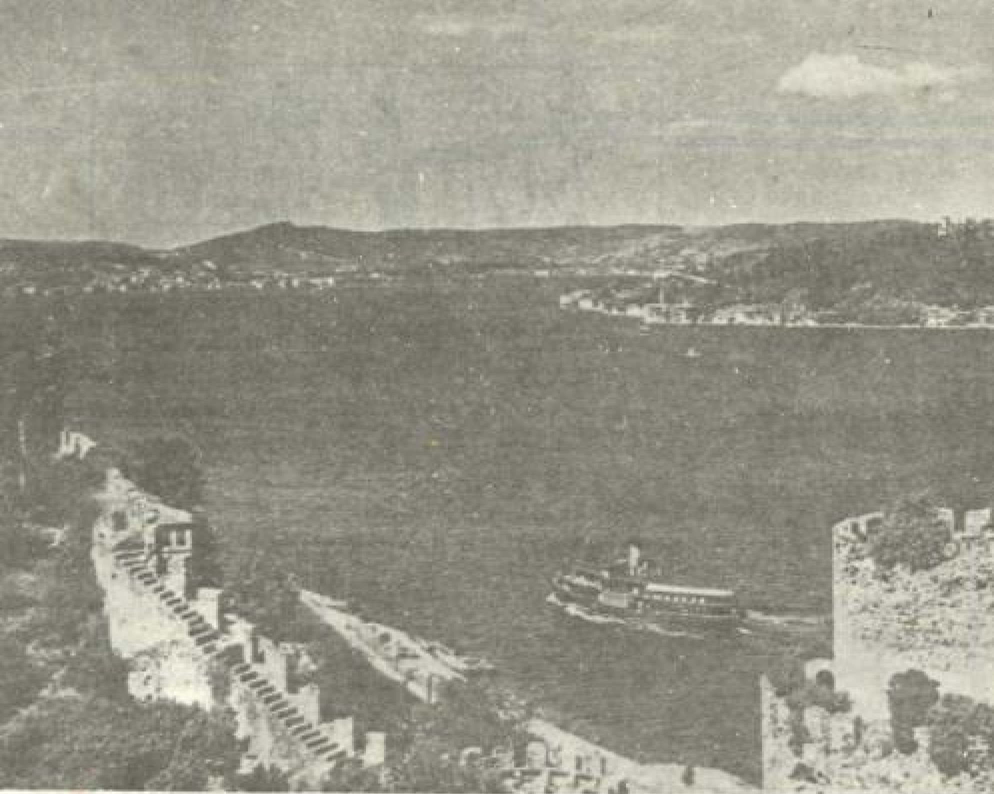
حديث الضفتين

شعر : الد‍ ‍ عبده غانم

هنا اخترق الموج خضر التلال — واضفى عليها السنى والجلال
هنا جمع البحر بين عرو — سين قد زفتا في الصبا والجمال
فاحداهما تجتلىَ في الجنوب واخ — راهما تجتلى في الشمال
عروسان في « البوسفور » الندىّ قـ — ـد اتثال بالعطر أي اتثيال
وباهت بمجراه « استانة » — وقد ضاق في الضفتين المجال
فكادت تلاقي عروساها — على الجسر في موكب من دلال

❋ ❋ ❋

تقدمت اسأل ما اسماكما — وما كان اغنى الفتى عن سؤال
ولكنه طمع الشاعر — ين في الوصل حتى ولو بالمقال
ولا سيما ان تولى الشبا — ب ولم يبق للمرء الاّ الخيال
فقالت شمالية الضفتيـ — ـن كأنك تجهل ماذا يقال
« اوروبا » انا ان سألت الزما — ن وادعي به في الورى ما ازال
وقالت جنوبية الضفتيـ — ـن و « آسية » اسمى البعيد المنال
ولكن الى أينا تنتمي — وانت تنقل بين التلال
فقلت اليك فأنت الحمى — ولا سيما موطني في « أزال »



فمهما اصطليت بحرّ الشمو س ومهما ابتردت ببرد الظلال
فلا بُدَّ لي من رجوع اليـ ـك فأنت المعاد وأنت المآل
ولكن لماذا ارى الغيد فيـ ـك وقد صِنَّ في ذهبيّ الخصالِ
وعهدي بغيدك سود الغدا ئر للمسك فيهن قيل وقال
فقالت هنا ملتقى الفاتحيـ ـن قد اقبلوا في القنا والنصال
فقد مرّ بي بعد «دارا» الكبيـ ـر «اسكندر» في الجيوش الطوال
وكم قد غزاني جنود القيـ ـاصر واحتلت الدار أي احتلال
وظل بي الروم حتى اتى محمد الفاتح المتعال
وها نحن بعد مئات السنيـ ـن بين اتصال وبين انفصال
فيفصلنا البحر لكنه من الفصل قد جاء بالاتصال
وقالت اوروبا : رعاك الالـ ـه من شاعر قلبه في انتقال
يريد البقاء على شاطىء ويمنعه شوقه للجبال
لك الله من ضائع بيننا فللشقر حال وللسمر حال
ولكننا اليوم في وحدة ففي ايناكتت كان الوصال

د . محمد عبده غانم

حوار القراء

● قرأت في عدد شهر رجب ١٤٠٠ مقال الاستاذ جمال الغيطاني (الباب الدامي) فوقفت عند قوله : (في تلك الاثناء ظفر والي الشرطة بشخص يسمى ابن الكازروني وكان سكرانا فاشهره في القاهرة وعلق الجرة والقدح في عنقه وصلبوه على باب النصر) .

فانكرت تنوين (سكرانا) والصحيح (سكران) بغير تنوين لامتناعه من الصرف لانه على وزن (فعلان) كغضبان قال تعالى : ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا ، ولم يقل غضبانا

وذكرت ما قاله الاديب الحكيم ابن دانيال في هذه الواقعة مما رواه العماد الحنبلي في شذرات الذهب :

لقد كان حد السكر من قبل صلبه
خفيف الأذى اذ كان في شرعنا جلدا

فلما بدا المصلوب قلت لصاحبي
ألاتب ، فان الحد قد جاوز الحدا

ولا يخفي ما في البيت من الجناس البديعي الطريف

عبد الرحمن بركات
دمشق

موريتانيا والعربي

● تذكرون عادة في الصفحة الثالثة من كل عدد من اعداد المجلة سعرها الرسمي في كل بلد عربي .. ما عدا بلدي موريتانيا .. ترى اليست موريتانيا بلدا عربيا يستحق ان يذكر كما تذكر البلدان العربية الاخرى ؟

والامر الثاني لماذا لا يوجد موزع « للعربي » في موريتانيا حتى الان ؟

امل ان تحققوا رغبتنا في الاطلاع عن هذه المجلة باستمرار .

محمد عبد الله المنير
نواكشوط ـ موريتانيا

جورو وليس اللنبي

● ورد في مقال الدكتور مصطفى شعبان بين حضارة غريبة وواقع مرفوض » ، في العدد (٢٦٠) صفحة ٦٤ . قوله ان اللورد اللنبي قام بزيارة لقبر صلاح الدين بدمشق وقال « لقد رجعنا يا صلاح الدين » وهذا خطأ .

والصحيح هو انه ليس اللنبي الذي قال ذلك بل هو القائد الفرنسي (جورو) بعد انتصاره على القائد (يوسف العظمة) في معركة ميسلون عام ١٩٢٠ م .

حسن سالم ارشيدات
الرمثا ـ الاردن .

بيت العنكبوت

انما الدنيا بلاء	ليس في الدنيا ثبوت
انما الدنيا كبيت	نسجته العنكبوت
كل من فيها لعمري	عن قريب سيموت
انما يكفيك منها	ايها الراغب قوت

محمود زيدان سفاريني
الزرقاء ـ الاردن .

عدالة الله والعقيدة السليمة

● تعقيبا على مقال فهمي هويدي بعنوان (الله ليس منحازا لاحد) - عدد يونيو ١٩٨٠ ارجو ان اوضح فكرة بدت غامضة في المقال ، هي اننا نؤمن بالفعل بان الله سبحانه عادل عدلا مطلقا ، وعدالته تحتم المساواة بين المؤمنين من عباده .. ولكن ذلك مشروط بالعقيدة السليمة . وسلامة العقيدة تقضي بالا نفرق بين احد من رسله سبحانه . فالمؤمنون يؤمنون بجميع الكتب المنزلة ومنها القرآن ، وبجميع الرسل ومنهم محمد عليه السلام . اذن من لم يؤمن بالقرآن ككتاب سماوي منزل . ومن لم يؤمن بمحمد رسولا لم يتحقق لديه شرط الايمان السليم . ثم انه من البدهي ان المقصود « باليهود والنصارى » في الاشارات القرآنية الذين آمنوا بانبيائهم في زمانهم وعلى اساس من دياناتهم التي لم تعبث بها ايدي البشر . فمن آمن بعيسى في حياته ومن آمن بموسى ايضا ثم آمن بمحمد فهم كاتباع محمد سواء بسواء .

محمد محمود عبد النبي

المدرس بالحربية الثانوية - القاهرة .

خطأ مطبعي

● اطلعت في العدد ٢٥٩ على الاستطلاع المصور الذي نشره العربي عن « مصايف العراق » وقد لفت نظري اسم « وهوك » فأدركت على التو أن خطأ مطبعيا قد وقع ، اذ ان الاسم الصحيح هو « دهوك » وهو اسم محافظة من محافظات شمال العراق .

عبد المنعم الخفاف

اربيل - العراق

غزو وليس فتحا ..

● اشار السيد يوسف الشهاب في استطلاع العربي عن تونس الى « الفتح الاسباني لمدينة سوسه » واود ان اقول ان ثمة خطأ في استخدام كلمة « الفتح الاسباني » ومتى كان الاستعمار فاتحا ؟ والفتح تتوافق مع العدالة و « الاستعمار » عكس ذلك . وهذه تفرقة لابد ان تكون واضحة .

زياد دياب - حمص / سوريا .

ملاحظات

● لماذا تظل جوائز العربي بقيمتها التي كانت عليها منذ انشائها : مائة دينار ؟ ولماذا لا تتابعون التغييرات السياسية والعسكرية ومجرى الاحداث في العالم العربي وغير العربي ؟ لماذا لا تنقلون الى المجلة درجة حرارة الجو الذي تعيش فيه يوما بعد يوم ؟

عيسى عبد الله

الزرقاء - الاردن .

تصحيح

● في مقال الدكتور زكي نجيب محمود بعدد شعبان - يوليو الماضي بعنوان : (حضارة الاخلاق) لاحظت ان ثمة اخطاء مطبعية في آيات القرآن بحاجة الى تصحيح . فقد جاء في المقال (فصب عليهم ربك (صوت) عذاب) . وهذا خطأ والصحيح (سوط عذاب) بالسين وليس بالصاد .

وجاء في المقال (يأكلون (التراب) أكلا لما) . وهذا خطأ والصحيح (وتأكلون التراث اكلا لما) .

فارجو التكرم بالتنويه عن هذا الخطأ حتى لا يفوت ذلك على احد .

البكري البيلي

القاضي الشرعي بدولة الامارات

السعودية والعربي

● لماذا لا تأخذ المملكة العربية السعودية حظها الكافي من الاستطلاعات رغم كبر مساحتها وسكانها ودورها . نرجو ان تقوموا في المرة القادمة باستطلاع عن منطقة الوشم القريبة من الرياض التي عاصمتها مدينة شقراء لزيادة ثقافة القارىء ومعرفته بوطنه العربي .

عن اهالي منطقة الوشم والقرى
: احمد الصالح .

القرآن هو الدليل

قال بعض المتكلمين : افنيت عمري في الكلام اطلب الدليل وانا لا ازداد الا بعدا عن الدليل ، فرجعت الى القرآن اتدبره واتفكر فيه واذا انا بالدليل حقا معي وانا لا أشعر به ، فقلت والله ما مثلي الا كما قال القائل :

ومن العجائب والعجائب جمة
قرب الحبيب وما اليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

محمود زيدان سفاريني
الزرقاء ـ الاردن .

حزب القات

● اننا ندرك كيمنيين ان القات آفة مضرة للبلاد وللناس ، ولكن هذا الوجه السلبي لليمن تقابله وجوه كثيرة ايجابية وبغير حصر . ان بلادنا تشهد نهضة كبيرة ، بشرية وعمرانية ، لا يستطيع ان ينكرها احد . هناك مئات الالاف من الطلاب والالاف من المدارس التي بناها اليمنيون بامكانياتهم البسيطة .. هناك الطرقات التي شقوها باظافرهم في جبال وعرة وتحت ظروف طبيعية قاسية ..

هناك عشرات المصانع وهناك مئات المهندسين والاطباء والاف من خريجي الجامعات وهناك الاف اخرى من الطلاب اليمنيين منتشرون في جميع جامعات العالم وفي شتى التخصصات .

انني اضع هذه المعلومات امام الجميع ، حتى لا يتصوروا ان اليمن هي القات وحده .

عبد الرحمن نايف فرحان العمري
دولة الامارات العربية .

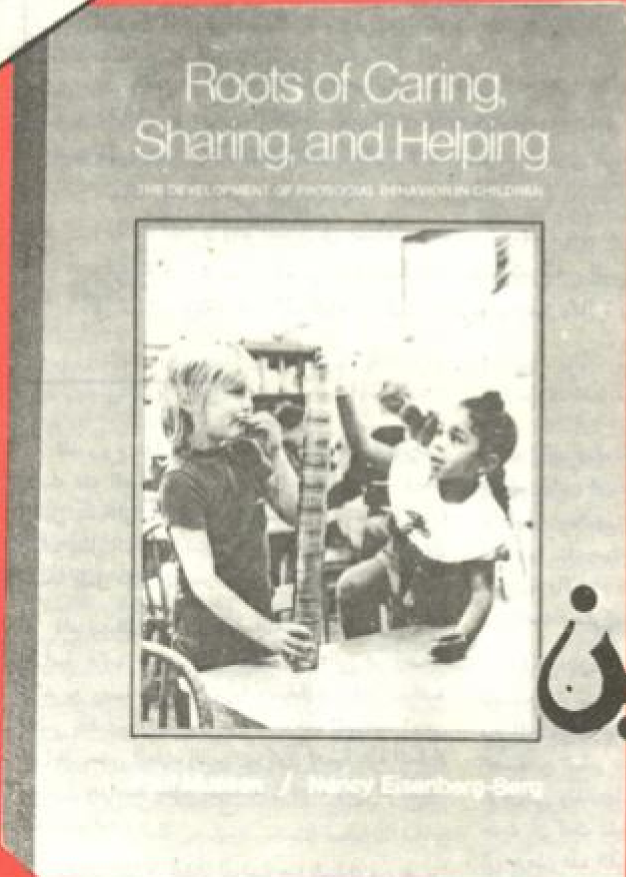
عن الصوفية

● ان الصوفية لم تكن في يوم من الايام معول هدم ، ودعاة جهل او سبب فقر . لان الاسلام دين عمل وجهاد وعدل وعبادة وعلم ونور ، وحضارة قائمة على مخافة الله وحب الانسان لاخيه الانسان . والتشهير بالصوفية لا يخدم حقا ولا يبني بديلا . اننا ندعو الناس الى الخير . والذين يسيئون الى رجال التصوف يريدون شرا بالاسلام واهله .

اتركوا عباد الله مع الله يفرحون ويعبدون ، مالكم كيف تحكمون .

غالب عبد الجواد العكش
الاردن ـ عمان .

كتاب جديد



عش* مع الآخرين

كيف نحارب الانانية ونستبدل بها سلوكا اجتماعيا ايجابيا بين الصغار ؟

تأليف : بول مسن [١]

ونانسي ايزنبرج ـ برج [٢]

تقديم : الدكتور عبد الله محمود سليمان

* صدر عن دار W.H. Freeman : Company, San Francisco

١ ـ جامعة كاليفورنيا ـ بركلي   ٢ ـ جامعة ولاية اريزونا

ماذا تفعل اذا شاهدت رجلا يهجم على فتاة ، يسدد لها طعنات سكينه ، والفتاة تصرخ الما ، وتقاوم طعناته محاولة في يأس التشبث بالحياة ؟ !

ذلك ما حدث لفتاة في عمر الزهور : كيتي جينوفيز ، في ليلة من ليالي مارس عام ١٩٦٤ ، في مكان لانتظار السيارات بالقرب من مسكنها في حي كوينز نيويورك . لقد استمر الرجل يطعن الفتاة التي كانت تصرخ وتتلوى من الالم ، وتستغيث ، علّ انسانا رحيا يسعى الى نجدتها ، لكن هيهات ! ٣٨ شخصا ظلوا يشاهدون هذا الحادث المفزع وهم آمنون في مساكنهم خلف النوافذ ، يسمعون صراخها ويشاهدونها وهي تقتل ، دون ان يحاول احد منهم استدعاء الشرطه ، التي كان بوسعها ان تحضر في ثوان ، وتنقذ هذه المسكينة ، ماتت كيتي جينوفيز متأثرة بجراحها العميقة !

لقد روع هذا الحادث الاليم الناس وهز ضمائرهم . كتبت عنه الصحف في تفصيل واسهاب والم . وبدأ الناس يتساءلون : هل تضببت قلوب البشر من الرحمة ؟ كيف يظل الناس متبلدين غير مهتمين ، وهم يشاهدون انسانا يقتل دون ان يسرعوا الى نجدته ؟

لقد نبه هذا الحادث علماء النفس الى انهم لم يهتموا بدراسة جانب حيوي من السلوك الانساني هو رعاية الآخرين ومساعدتهم . وبدأوا يتساءلون : لماذا يساعد الناس بعضهم او يمتنعون عن تقديم هذه المساعدة ؟ ومن ثم اخذ بعض العلماء الذين يدركون اهمية هذا السلوك يقومون بدراسته علهم يستطيعون فهمه ومن ثم تنميته والتحكم فيه .

وكتابنا هذا هو محاولة لدراسة هذا السلوك عن طريق دراسة البحوث التي اجريت لفهمه . مؤلف هذا الكتاب هو بول مسن وهو استاذ معروف باسهاماته العديدة في علم نفس النمو ونانسي ليزنبرج ـ برج وهي من الاساتذة الصاعدين في هذا الميدان .

ما هي طبيعة الانسان ؟

في الصفحات الاولى من الكتاب يتساءل المؤلفان : ما هو جوهر الطبيعة الانسانية ؟ وها اذ يفكران في الاجابة على السؤال ، يكتشفان ان الاستعداد للسلوك الاجتماعي الايجابي : العطف والكرم والتعاون ، اقل بكثير من القابلية للتدمير واللاانسانية ! وانت لاتحتاج الى كثير من الادلة لكي تقتنع بما يقوله المؤلفان . انظر حولك ؛ تجد عداء الاخوة وتنافس الاصدقاء . تأمل فيمن يحيطون بك ، تجد صراع زملاء العمل الى حد ايقاع ابلغ الاضرار ببعضهم بعضا . بل فكر في العنف والجريمة والحروب . في حياتنا اليومية نلتقي بمن يتصف سلوكهم بالانانية والاهتمام بالذات ، لكن ـ لحسن الحظ ـ نلتقي بمن يتصف سلوكهم بالتعاطف والمساعدة .

ولكي يجيب المؤلفان على هذا السؤال يستعرضان دراستين قام بهما اثنان من علماء الانثروبولوجيا لقبيلتين من المجتمعات الاولية : الايك وهي قبيلة صغيرة من الصيادين تقطن جبال اوغندا ، وقد كان لها بناؤها الاجتماعي وثقافتها وقوانينها وعاداتها واعرافها . لكن حدث ان ادت تغيرات تكنولوجية وسياسية في المنطقة الى حرمان هذه القبيلة من مناطق صيدها ، فبدأ نظامها الاجتماعي في التحلل ، وانقسم افرادها الى عصابات فظة لاتهتم الا ببقائها ، واصبح افرادها متوحشين غير انسانيين ، يكذبون ويسرقون ويتآمرون ، ويخدعون ويخونون ، بل ان القتل صار جزءا من حياتهم اليومية . ولم يكن احد منهم يشعر باية محبة لاي شخص آخر حتى ولو كان زوجا او والدا او طفلا . وبذلك انعدم من هذه المجموعة الكرم والعطف .

هل يمثل سلوك افراد الايك الطبيعة البشرية ؟ لو كان الامر كذلك ، لكان الموقف في غاية التشاؤم .

قد ترتاح نفوسنا وتطمئن اذا وجدنا ان الذين يشبهون الايك في سلوكهم قليلون ، وان معظم الافراد يشبهون في سلوكهم افراد الهوبي ، هذه القبيلة الهندية التي تقطن

ولاية اريزونا الامريكية . يتميز افراد هذه القبيلة بالترابط ، فهم يعتبرون التعاون أساسا لبقائهم . ومعظم ما يفعله الفرد او يفكر فيه انما له ارتباط بالجماعة . ويتعلم طفل الهوبي منذ الطفولة المبكرة ، انه ليس هناك شيء اكثر اهمية من ان يكون له « قلب هوبي طيب » يثق في الاخرين ويحترمهم ، ويهتم بحقوق كل فرد ورفاهيته ومشاعره . وفي عائلة الهوبي تشبع حاجات كل من الفرد والاسرة بواسطة التعاون والمساعدة ، وتشتمل مثل الهوبي التي يسعى الافراد الى تحقيقها على التعاون والاجتهاد والرقة وعدم العدوان بالنسبة للناس . وليس غريبا ان تختفي في هذه القبيلة المنافسة والاختلافات وتأكيد الذات .

هل يعكس اسلوب حياة الهوبي جوهر الطبيعة الانسانية اكثر مما يفعل ذلك اسلوب حياة الايك ؟ لا احد يستطيع الاجابة على هذا السؤال فمشكلة جوهر الطبيعة البشرية لم تحل ، وربما تحل . وكل ما يمكن ان يقال هو ان سلوك الانسان ايا كان هو نتاج عوامل معقدة متفاعلة ، بيولوجية واجتماعية وسيكولوجية واقتصادية وتاريخية ، اي انه نتاج تفاعل عوامل بيولوجية وبيئية .

ما هو الاجتماعي الايجابي ؟

يعرف المؤلفان السلوك الاجتماعي الايجابي بانه ذلك الذي يتضمن « الافعال التي يقصد بها مساعدة او افادة فرد او جماعة دون ان يتوقع من يقوم بهذه الافعال مكافآت خارجية » . وتتطلب هذه الافعال تضحيات او مخاطرة او انفاقا من جانب من يقوم بها . وتشتمل على مجموعة من الوان السلوك مثل الكرم والغيرية والتعاطف ، وتقديم المساعدة المادية او النفسية للافراد الذين يواجهون ازمات ، واشراك الأخرين في الممتلكات والهبات . والمشاركة في اوجه النشاط التي تعمل على تقليل الظلم الاجتماعي والوحشية وعدم المساواة .

ويهدف كتابنا الى فهم كيف ينمو السلوك الاجتماعي الايجابي ، وما هي العوامل التي تكمن وراء هذا السلوك . كيف يطبع الاطفال حتى يسلكوا سلوكا اجتماعيا ايجابيا ؟ ما هي الخصائص الشخصية والظروف البيئية التي تيسر او تكفى التعبير عن الكرم والمساعدة والغيرية ؟

ويحاول الكتاب تفسير الاختلاف بين الافراد في السلوك الاجتماعي الايجابي . ما هي العوامل التي تجعل فردا يساعد الاخرين ، وتلك التي تجعل فردا آخر لايقوم بذلك . ولفهم ذلك يناقش الكتاب عملية التنشئة الاجتماعية ، وتفاعل الفرد مع الذين يسهمون في تنشئته ، مثل الوالدين والمدرسين والرفاق والمؤسسات الثقافية والدينية ووسائل الاعلام . ما هي عوامل التنشئة الاجتماعية والادوار التي تقوم بها كل من المؤسسات والافراد السابقين لتدعيم السلوك الاجتماعي او تثبيطه ؟

الانسان والحيوان

للمقارنة بين سلوك الانسان وسلوك الحيوان سحر خاص عند علماء النفس فالملاحظات والتجارب التي اجروها على سلوك الحيوان كانت بداية الانطلاق في علم النفس الحديث . ومن ثم فلايجب ان ندهش حين نجد العلماء يبحثون عن اصول للسلوك الاجتماعي الايجابي في سلوك الحيوان .

هل السلوك الاجتماعي الايجابي وقف على الانسان ؟ لو نظرنا الى سلوك الحيوانات ابتداء مع الحشرات الاجتماعية حتى الفقريات والفقريات العليا ، لوجدنا انها تقوم بسلوك يشابه السلوك الاجتماعي الايجابي للانسان . هل تعني ملاحظات مثل هذه ان هناك اساسا بيولوجيا للسلوك الغيري ؟ . هذه الملاحظات وهذه التساؤلات ، اثارها كتاب نشره حديثا ادوارد ولسون ، وهو استاذ معروف لعلم البيولوجيا بجامعة هارفارد ، بعنوان البيولوجيا الاجتماعية . ولقد اثار هذا الكتاب كثيرا من الجدل ، واصبح اساسا لفرع جديد من فروع المعرفة يهدف الى دراسة الاساس البيولوجي للسلوك الاجتماعي .

ويحتوي هذا الكتاب على كثير من الامثلة لأفعال الحيوانات التي يمكن وصفها بانها اجتماعية وايجابية ، تهدف لخير الاخرين . لنأخذ مثالا من سلوك الحشرات الاجتماعية التي تضحي بنفسها من اجل الغير . فشغالة النحل تهاجم من يتطفل على خليتها وتغرس شوكتها الحادة في جسمه ، عندئذ تنجذب الشوكة مع غدة السم لتبقى في جسم المهاجم ، آخذة معها جزءا كبيرا من احشاء الشغالة التي تموت بعد وقت قصير . ومع انتحار الشغالة ، تحقق اهدافها ، لان الغدة السامة تستمر في افراز السم في الضحية ، كما ان الشوكة تفرز رائحة تهيج شغالة آخرين في الخلية ، فتقوم هذه بهجوم آخر على المتطفل .

لنأخذ مثالا آخر من سلوك اناث بعض الطيور مثل البط والحجل . اذا ما اقترب طائر مفترس من عش

لاحدى هذه الطيور ، تظاهرت كما لو ان جناحها مجروح فتطير قليلا ، ثم تسقط ، تحاول ان تجذب نظر المهاجم بعيدا عن العش والصغار ، حتى اذا كانت على مسافة آمنة من عشها طارت وابتعدت ، وعادة ما تنجح في الهرب ، ولكن في احيان اخرى يتمكن المهاجم من اصطيادها وافتراسها . وهناك من الطيور من تحذر رفاقها اذا ما اقبل عليهم صقر مفترس بواسطة صفير مميز ، وهي حين تفعل هذا تجذب الانتباه اليها ، وتخاطر بان يكتشفها الصقر ويقتلها .

وهناك امثلة للسلوك الغيري تتمثل في اقتسام الحيوانات للطعام الذي تصطاده مع رفاقها . فبعض الكلاب الافريقية البرية يبقى لحراسة بعض الصغار في الكهف ، بينما يذهب البعض الاخر للصيد . وحين تعود هذه من الصيد تقدم الطعام لمن بقي في حراسة الصغار كما تسمح الام للكلاب الكبيرة الجائعة برضاعة اللبن من ثديها . وتبدو الشمبانزي من اكثر الحيوانات كرما ، فحين تأتي بصيدها تقدم لصغارها قطعا من اللحم ، كما تنبه غيرها من الحيوانات الى موقع الطعام وتقودها اليه ..

كيف يمكن تفسير غيرية الحيوانات خاصة تلك التي تضحي بنفسها من اجل الاخرين ؟ لتفسير ذلك ، يقدم ولسون وغيره من البيولوجيين مفهوم الانتخاب العشائري . وهو امتداد لمفهوم الانتخاب الطبيعي ، اذ بواسطة هذه الافعال الغيرية التى تضحى فيها الحيوانات بنفسها ، تجنب افراد عشيرتها ـ التي تشترك معها في الجينات (او المورثات) ـ الاخطار ، وبذلك تزيد من احتمال استمرارها في الحياة ، وانتقال المورثات المشتركة الى اجيال اخرى . ومن ثم يرى هؤلاء العلماء ان اية عملية تزيد من احتمال بقاء الجينات تصبح خاصية للنوع ، وحيث ان السلوك الغيرى يعمل على بقاء الجينات في الشخص الذي يضحى من اجله ، فانها بالتالي يمكن ان تنتقل الى الاجيال التالية . ويتضح هذا المبدأ ـ بالاضافة الى الامثلة السابقة ـ في حالة جنود النمل الابيض الذين يفرزون مادة غدية تقضي على من يهاجم مستعمرتهم من الحشرات الاخرى وعليهم هم ايضا . وهم باستشهادهم يحمون المستعمرة والملك والملكة الذين هم والدى الجنود واخوانهم الذين يعيشون ويتناسلون وينتجون الجينات في اولادهم وبناتهم .

ويعترض العلماء على هذا الرأى الذى يحاول ان يجد اساسا جينيا للسلوك الغيرى الانساني . وليس هناك خلاف على ان الانسان لديه استعداد للسلوك الغيرى ، والاما استطاع القيام به . كما ان هذا السلوك سلوك تكيفي ، لكن ذلك لايعني ان هذا السلوك محدد بواسطة الجينات .

ويعجب ستيفن جولد احد علماء البيولوجيا بملاحظات ولسون ، ولكنه ينتقد وجهة نظره التي تقوم على الحتمية البيولوجية للسلوك الاجتماعى الانساني . ولنأخذ مثالا ، عائلات الاسكيمو التي تضطرها قلة الماء ونضب الموارد الى الرحيل بحثا عن موارد اخرى ، ويختار العجزة وكبار السن طواعية أن يبقوا في اماكنهم ويموتوا بدلا من ان يعيقوا الاسره كلها عن الرحيل ويعرضوها للخطر . وطبقا لتفسير ولسون ، فان العجزة وكبار السن يضحون لان لديهم جينات غيرية ، اما الاسر التي ليس لديها جينات غيرية فتخضع لمبدأ الانتخاب الطبيعي حين يعوق هجرتها العجزة وكبار السن ، مما يؤدى الى موت الاسرة كلها .

ويرى جولد ان هذا التفسير يبدو ومعقولا ، لكنه ليس شاملا ، اذ ان هناك تفسير آخر يبدو معقولا ايضا ، لكنه لايعتمد على مبدأ الجينات فليست هناك جينات غيرية على الاطلاق ، بل لايبدو ان هناك فروقا فردية بين اسر الاسكيمو التي تضحى وتلك التي لاتضحى . وانما يمكن النظر الى تضحية الاجداد على اساس انها اسلوب تكيفي وليس خاصية بيولوجية تكونت نتيجة للنمو والتطور . فالاسر التي لاتضحى لاتبقى لاجيال طويلة . اما الاسر الاخرى فالتضحية يحتفل ويشاد بها في الاغاني والقصص . والاجداد الذين يختارون البقاء يصبحون ابطال العشيرة الكبار . وينشأ الاطفال منذ الصغر على تمجيد هذه التضحية . ويرى جولد ان كلا التفسيرين محتمل .

ويتفق مؤلفا الكتاب مع الرأى الذى يؤمن به كثير من علماء السلوك : وهو ان ما يرثه النوع الانساني هو الامكانية والاستعداد لتعليم انواع متعددة من السلوك البشري ، لكن ما يتعلمه الانسان حقيقة يعتمد على الموقف الاجتماعي الذي ينشأ فيه . وبذلك يكون السلوك الاجتماعى التعاوني الغيرى التكيفي هو نتاج للتعلم الاجتماعي ، وليس نتيجة لعملية التطور البيولوجي . فالتطور الاجتماعي يقوم على اساس تفاعلات اجتماعية سيكولوجية لا على اساس تفاعلات وراثية .

واذا ، فان السلوك الغيرى انما يتعلم بواسطة تفاعلات التنشئة الاجتماعية مثل المكافآت والعقاب وفرص التعلم المتاحة اجتماعيا ، والتوحد والتقليد وتلقين مبادىء الجماعة ، مما يؤدى الى تعلم الفرد انماطا من المعتقدات واشكال السلوك التوافقي .

وفائدة هذا الاتجاه في تفسير السلوك هو انه يمكننا من

تحديد العوامل التي تؤدي الى السلوك الغيري ، وبذلك نستطيع عن طريق ايجاد هذه العوامل ان تساعد الناس على تعلم هذا السلوك .

دور الثقافة

من دراسة قبيلتي الايك والهوبي يمكن ان نلاحظ ان المجتمعات يمكن ان تستمر فقط اذا توفر فيها حد ادنى من اهتمام أفرادها بعضهم ببعض . لكن درجة هذا الاهتمام تختلف من مجتمع الى آخر ، فالمسئولية والتعاون ملامح مميزة لبعض المجتمعات ، بينما لا تكون موضع التقدير في بعضها الآخر . وفي جزيرة واحدة . وجدت مارجريت ميد قبيلتين هما الارابش ، التي يتميز افرادها بالتعاون والحب والرقة ، والموندا جومر التي يتصف افرادها بعدم التعاون والشجار والعدوان . وفي بعض المجتمعات الحديثة مثل المجتمع السوفيتي ، نجد ان خصائص التعاون والمسئولية الاجتماعية والاهتمام بالاخرين تقدر وتكافأ . وتربي هذه الخصائص منذ الصغر في الاطفال بواسطة الاباء والمربين وكل من يقوم بالتنشئة الاجتماعية .

والآن ما هي العوامل الثقافية التي تسهم في تنمية السلوك الاجتماعي الايجابي ؟ لقد افترضت مارجريت ميد ان وداعة الارابش تأتي نتيجة الاهتمام العطوف الذى يجده الطفل عند والديه ، كما افترض البعض ان ضغوط جماعة الرفاق هي التي تؤدى الى نمو الاحساس بالمسئولية لدى الافراد . ولا يرفض المؤلفان مثل هذا التفسير ، ولكنهما يقولان ان الادلة غير كافية ، فوجود ظاهرتين معا في ثقافة واحدة لايعني ان احداهما سبب للاخرى . ولكي تتأكد ان ضغوط جماعة الرفاق هي مقدمة للمسئولية الاجتماعية مثلا ، يجب أن نجرى دراسات عدة في ثقافات مختلفة .

ومن موضوعات السلوك الغيرى التي درست عبر الثقافات : التعاون . وقد انتهت عدة دراسات الى ان الاطفال الذين ينشأون في مجتمعات ريفية تقليدية ومزارع جماعية يتعاونون اكثر من الاطفال الذين ينشأون في مجتمعات المدينة . على ان الاطفال يتعاونون في كل الثقافات اذا كان التعاون يتم بشكل مباشر وكانت هناك مكافآت جماعية . لكن ما هي الاسباب التي تجعل الثقافات تختلف في السلوك الاجتماعي الايجابي مثل التعاون ؟ يرى المؤلفان ان طبيعة المجتمعات الزراعية والريفية تحتم التعاون لانتاج الغذاء والبقاء ، وعلى العكس نجد مجتمعات الطبقة الوسطى في المدينة المنافسة ضرورية في صراعها الاقتصادى من اجل البقاء . لكن هذا تفسير عام ويحتاج الى مزيد من الدرس .

ويخصص المؤلفان قسما خاصا لدراسة برونفنبرنر . عالمان للطفولة ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، لما لها من اهمية خاصة . فقيم الغيرية والاتجاه الى الجماعة تغرس في الطفل منذ الصغر : « ماعندى ملك لك ، وما عندك لي » . ويعمل الوالدان والمدرسون وكل المتولين عن التنشئة الاجتماعية منذ الصغر على تهيئة الظروف التي تساعد الصغير على تعلم هذه القيم وانواع السلوك المرتبطة بها .

وبعد ان ناقش المؤلفان دراسات كثيرة استنتجا ان الاطفال يكتسبون مستويات عالية من السلوك الاجتماعي الايجابي ، اذا نشأوا في ثقافات تتميز بما يلي :

تأكيد الوالدين والرفاق وغيرهما من القائمين بالتنشئة الاجتماعية على الاهتمام بالاخرين ، والمشاركة ، والاهتمام بالجماعة .

التنظيم الاجتماعي البسيط او الكيان الريفي او التقليدى .

تعيين وظائف اقتصادية هامة للنساء .

حياة افراد الاسرة الممتدة معا .

تحديد اعمال ومسئوليات للاطفال في وقت مبكر من العمر .

دور الاسرة

بالرغم من ان الثقافة تنجح في ان تغرس في الاطفال منذ الصغر القيم والمعايير والاستجابات المرتبطة بالسلوك الايجابي ، الا انها لاتتحكم تماما في استعداد الافراد لان يسلكوا سلوكا اجتماعيا ايجابيا . ونظرة يسيرة الى افراد ومجتمع ما ، وخاصة المجتمعات الحديثة المعقدة ، تكشف عن وجود فروق واضحة في سلوك الافراد المتعلق بالكلام والتعاون . ولكي تفهم هذه الفروق في السلوك ، يجب ان نوجه انظارنا الى اختلاف انماط التنشئة الاجتماعية في داخل الثقافات وهذا يعنى ان ننظر الى ما يفعله القائمون بالتنشئة الاجتماعية لتدعيم السلوك الاجتماعي الايجابي او تقييده . ولاشك ان الوالدين والاساليب التي يتبعانها في تنشئة الاطفال منذ الايام الاولى يلعبان دورا كبيرا في التأثير على هذا السلوك .

كيف تؤثر الاسرة على السلوك الاجتماعي الايجابي للطفل ؟ ما هي الوسائل التي تتبعها بحيث تؤدى بالطفل

الى ان يسلك سلوكا اجتماعيا ايجابيا ؟ لقد وجد الباحثون في تجاربهم ان من اهم العوامل التي تؤدي الى تنمية السلوك الاجتماعي الايجابي لدى الطفل ، قيام الوالدين بالسلوك الاجتماعي الايجابي باعتبارهما نموذجا يحتذيه الطفل . ومن النتائج التي انتهت اليها هذه التجارب : ان ملاحظة الاطفال لشخص راشد يقوم بافعال اجتماعية غيرية كالكرم والمشاركة والمساعدة ، تزيد من كرم هؤلاء الاطفال ومشاركتهم ومساعدتهم للاخرين ، على الاقل لفترة محدودة ، وفي احيان كثيرة لمدة طويلة ، وفي دراسات اخرى وجد ان ملاحظة الاطفال لنموذج اناني يقلل من كرمهم . كذلك وجد ان تأثير النموذج في افعال الكرم يزداد ، اذا كان النموذج يحتل مركز القوة ، اي يتحكم فيا يوجد في مجاله من امكانيات . كما ان الاب اذا كان عطوفا مدعما لاطفاله ، وكان يقوم بالافعال الاجتماعية الايجابية كان احتمال تقليد الاطفال لكرمه وعطفه ومساعدته للآخرين كبيرا . وقد وجد ان الوالدين اللذين يمارسان الكرم ويبديان اهتماما بالآخرين ، يتميز اطفالهما بالقيام بافعال غيرية اساسها الكرم والمشاركة .

وسائل الاعلام

لايتعلم الطفل من والديه فحسب ، بل انه يتعلم ايضا من رفاقه ومدرسيه وغيرهم من الافراد الذين يلتقي بهم في الحياة ويشاهد سلوكهم . ومن ثم فالمتوقع ان تؤثر الشخصيات التي يشاهدها الفرد من خلال وسائل الاعلام على سلوكه .

وللتيلفزيون تأثير خاص على سلوك الاطفال . فهم يقضون اوقاتا كبيرة وهم يشاهدون فيها التيلفزيون ، وتشد انتباههم قصصه وشخصياته . ولقد انتبه المربون الى قوة تأثير التيلفزيون ، وثارت مناقشات كثيرة ، واجريت ـ لحسن الحظ ـ دراسات عديدة لفهم وتقدير هذا التأثير على سلوك الاطفال . وكان موضع الاهتمام في هذه الدراسات تأثير العنف والعدوان في برامج التيلفزيون على سلوكهم . ولقد توصل الباحثون الى ادلة لايرقى اليها الشك على ان الاطفال يكتسبون السلوك العدواني من مشاهدة برامج التيلفزيون مباشرة ، وان هذا السلوك يستمر فترة طويلة .

واذا كان التيلفزيون يساعد على اكتساب السلوك العدواني ، فهل يساعد على اكتساب السلوك الغيرى ؟ لقد اهتم بعض الباحثين بدراسة هذه القضية ، وحصلوا على بعض النتائج المشجعة . فقد اختبروا تأثير برامج التيلفزيون على السلوك الاجتماعي الايجابي ، ووجدوا ان مشاهدة مثل هذه البرامج ادت الى تغيير ايجابي في سلوك الاطفال ، اذ اصبحوا أكثر مثابرة ، واكثر طاعة لنظام المدرسة ، واكثر احتمالا لما يحدث من تأخير في تحقيق رغباتهم ، كما ازداد مستوى التعاون وتدعيم الاخرين والتعاطف والتعبير عن المشاعر بين اطفال المستويات الاقتصادية والاجتماعية الدنيا . اما بعض اطفال الطبقات العليا ، فقد ازداد سلوكهم الاجتماعي الغيرى بعد ان شاهدوا برامج عدوانية ومحايدة وقد كانت هذه من النتائج التي تدعو الى الدهشة . وقد وجد ايضا ان التدريب على السلوك الاجتماعي الايجابي بعد مشاهدة برامج عن هذا السلوك ، بمناقشة ماحدث في البرامج ، او باللعب بالعرائس وتمثيل ما حدث في البرامج قد ادى الى زيادة السلوك الاجتماعي الايجابي ، وتعميمه اى حدوثه في مواقف اخرى تشبه المواقف التي شاهدها الطفل في برامج التيلفزيون او تلك التي تدرب عليها بعد ذلك .

وقد ناقش المؤلفان علاقة عوامل اخرى بالسلوك الاجتماعي الايجابي ، فناقشا علاقة الطبقة الاجتماعية والعمر والجنس وحجم الاسرة وترتيب الطفل في الاسرة ، وخصائص الشخصية ومستوى النشاط والتفكير والعدوان ، والتكيف الاجتماعي والوجداني بالسلوك الاجتماعي الايجابي الغيرى . كما ناقشا علاقة بعض العوامل الموقفية مثل التدعيم والوعظ وخصائص من يوجه اليه السلوك الغيري ، واعطاء المسئولية ، ووجود الاخرين بهذا السلوك .

وقد افرد المؤلفان فصلا لدراسة علاقة المتغيرات المعرفية والاخلاقية والفهم الوجداني . وتوصلا من مراجعتهما لدراسات مختلفة الى ان مستوى الذكاء العام او القدرة المعرفية لاعلاقة له باستعداد الطفل للقيام بالافعال الاجتماعية الايجابية . لكن مستوى نضج الحكم الاخلاقي له علاقة ايجابية وان كانت غير قوية باستعداد الطفل للقيام بالسلوك الاجتماعي الايجابي . فقد وجد ان هناك علاقة بين ضعف الحكم الاخلاقي والجناح والغش . اما الاطفال والمراهقون ذوو الاحكام الاخلاقية الناضجة فقد كانوا اكثر استعدادا للمساعدة والكرم .

×× ×× ××

وقد اوضح المؤلفان ان هناك الكثير من الصعوبات المنهجية التي تواجه دراسة السلوك الاجتماعي الايجابي والتي تحتاج الى التغلب عليها ، كما اوضحوا أنه لايزال هناك الكثير من الاسئلة التي تحتاج الى اجابة .

لكن الهدف الاسمى الذى تخدمه دراسة السلوك

الاجتماعي الايجابي والغيري ، يستحق كل مجهود ، وكل عناء . وأى هدف اسمى من تحسين حياة الانسان ؟ ! « فدلالة هذا المجال في البحث العلمي لاتحتاج الى مبالغة ، لانه يتصل بنوع الحياة ، خاصة طبيعتها الاخلاقية . فالكثير منا ، يجد ان الوضع الراهن للبشرية يدعو الى الرثاء ، كما انه يستمر في التدهور . فالعالم اليوم يبدو وهو ينفجر من العنف ، والظلم ، وعدم المساواة ، ووحشية الانسان في معاملة الانسان » .

الطريق الى الخلاص ؟

ان يؤمن الناس بان السلوك الاجتماعي والايجابي اساسي لنمو المجتمع ، ولتحسين وجود الانسان . واذا اصبح هذا الايمان قيمة قوية عند افراد المجتمع ، عندئذ نستطيع ان نتجه الى العلم لمساعدتنا على فهم هذا السلوك ، وبالتالى اكتشاف الاساليب التى تساعد افراد المجتمع ، اطفالا وكبارا على اكتسابه .

ما هو البديل لعدم الاهتمام بالسلوك الاجتماعي الايجابي ؟

البديل هو ان يخضع هذا السلوك للصدفة . وقد توجد في المجتمع ظروف تدعم الانانية ، والاسراف في الاهتمام بالذات ، وعدم اعتبار الاخرين . عندئذ تكون النتيجة مروعة ، فسيتحلل المجتمع كما تحلل من قبل مجتمع قبيلة الايك .

كيف يدعم السلوك الاجتماعي الايجابي كقيمة اساسية في سلوك الفرد ؟ العلم هو طريقنا الى ذلك . تبدأ بان ندرس السلوك الاجتماعي الايجابي ، ونحاول اكتشاف العوامل التي تؤدي اليه وتتحكم فيه وترتبط به . فاذا استطعنا اكتشاف هذه العوامل ، امكن ان نعمل على توفيرها في تنشئة الاطفال وتنظيم المجتمع .

والآن لنستمع الى مؤلفي الكتاب وهما يلخصان بعض النتائج التي توصلا اليها من دراسة هذا العدد الكبير من الدراسات التي اجريت عن السلوك الاجتماعي الايجابي .

ما هي خصائص الاطفال الذين يهبون تلقائيا بعض ما يمتلكون للاطفال اليتامى او يتطوعون لمساعدة رفاقهم الذين يصيبهم الاذى او الضيق ؟

تشير الدراسات الى ان هؤلاء الاطفال يكونون واثقين من انفسهم ، نشيطين ، متقدمين في فهم الاخلاق ومهارات القيام بالادوار ، وفهم الآخرين فهما وجدانيا .

وعادة ما يكون هؤلاء الاطفال ابناء لوالدين مدعمين ، يكونون نموذجا جيدا للسلوك الاجتماعي الايجابي يستخدمون الاقناع في تربيتهم لاولادهم ، ويتمسكون بمعايير جيدة للسلوك ويشجعون اطفالهم على تحمل مسئولية الاخرين منذ الصغر .

ما هي الظروف التي تؤدي الى ترجمة استعداد الاطفال للسلوك الاجتماعي الايجابي الى افعال ؟ يقوم الاطفال بالمساعدة حينما يشعرون بالسعادة او النجاح ، وبعد ان يتعرضوا لارشادات تؤكد العوامل التي تدعو الى المساعدة ، وحينما تناط بهم المسئولية .

وعلى الوالد الذى يريد ان يسلك اطفاله سلوكا اجتماعيا ايجابيا ان يكون نموذجا يقوم بسلوك المساعدة والمشاركة بوضوح وباستمرار ، وان يشجع اطفاله على ان يفكروا في مشاعرهم وتوقعاتهم ومشاعر الاخرين وتوقعاتهم ، وان يحرص على معايير جيدة لسلوك الطفل وان يكون واضحا في ذلك . وان يجعل الاطفال مسئولين عن الاخرين مبكرا .

وبالمثل يستطيع المربون ورجال الدين ان يعملوا على تنمية السلوك الاجتماعي الايجابي للاطفال . فهم يستطيعون ان يدعموا هذا السلوك حينما يحدث ، وان يكونوا نماذج للعطف والكرم ، ويبتكروا المواقف التي تشجع الاطفال على ان يفهموا الاخرين فهما وجدانيا . كما يمكن ان تعمل البرامج التلفزيونية التى تتصف بالمسئولية الاجتماعية على زيادة حدوث الرعاية والمشاركة .

لقد قدم هذا الكتاب اطارا لمظهر حيوى من سلوك الانسان ، الذى يعتبره البعض مكونا اساسيا للطبيعة البشرية : اهتمام الانسان باخيه الانسان ورعايته له . ولقد حلل المؤلفان هذا المظهر تحليلا علميا جيدا وناقشا المشكلات المتعلقة به ، ولخصا اهم النتائج التي توصل اليها الباحثون واوضحا كيف يمكن الاستفادة منها .

هذا الكتاب يعالج قضية هامة .

ومن يشعر بالمسئولية الاجتماعية ، سوف يلتفت حوله ويتساءل : هل في نظمنا الاجتماعية ، هل في علاقة الافراد ببعضهم ، هل في سلوكنا نرعى الاخر ، ونشاركه فيما لدينا من خيرات ، ونساعده اذا احتاج الينا ؟!

ذلك حديث آخر .

د . عبد الله محمود سليمان

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي .

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

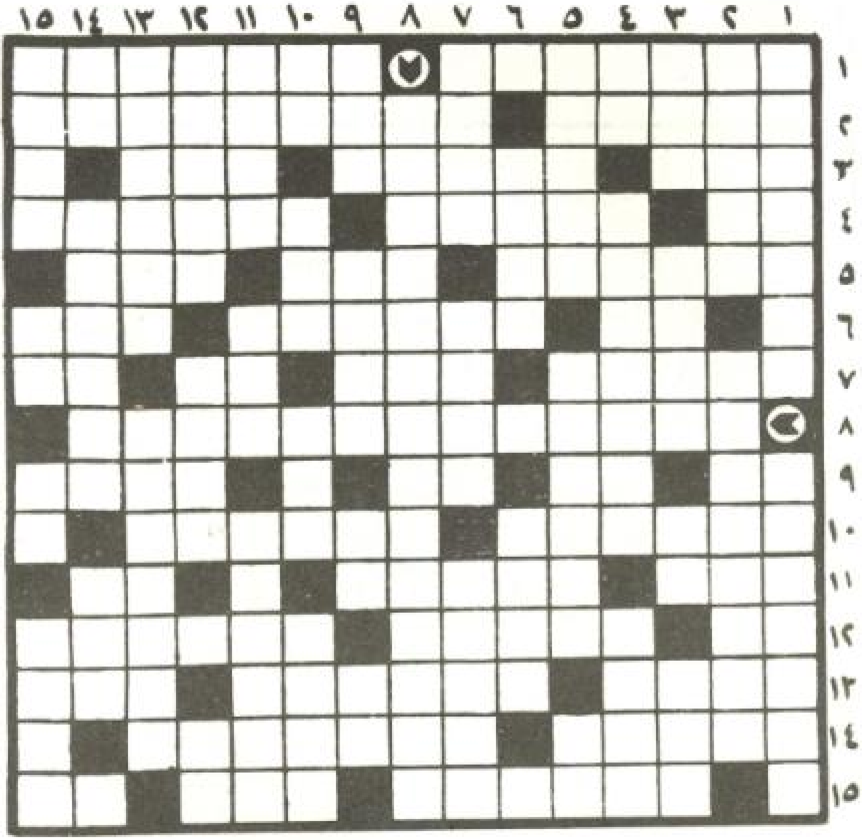
ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٦٣ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول ديسمبر (١٩٨٠) .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم عالم لغوي عربي شهير ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم ملحن ومغن عربي .

الكلمات الأفقية :

١ ـ قرشي من أعلام الغناء في القرن الثاني الهجري ـ عاصمة جزيرة بالبحر الابيض .
٢ ـ حيوان يشبه الدب ـ من مؤلفات طه حسين .
٣ ـ من عند الله ـ أماليء ـ أجيب .
٤ ـ نصف كلمة (بائد) ـ أهتم ـ يثير شكوككم .
٥ ـ من الفواكه ـ من امارات الخليج ـ أفزع .
٦ ـ نصف كلمة (قتيل) ـ من الأمراض ـ طابق .
٧ ـ مرشدة ـ ارتفاع ـ حرف نفي ـ حرقة .
٨ ـ عالم لغوي عربي شهير .
٩ ـ رمز جبري ـ حرف ندبة ـ نصف كلمة (بهار) ـ لقب مفكر فرنسي معروف .

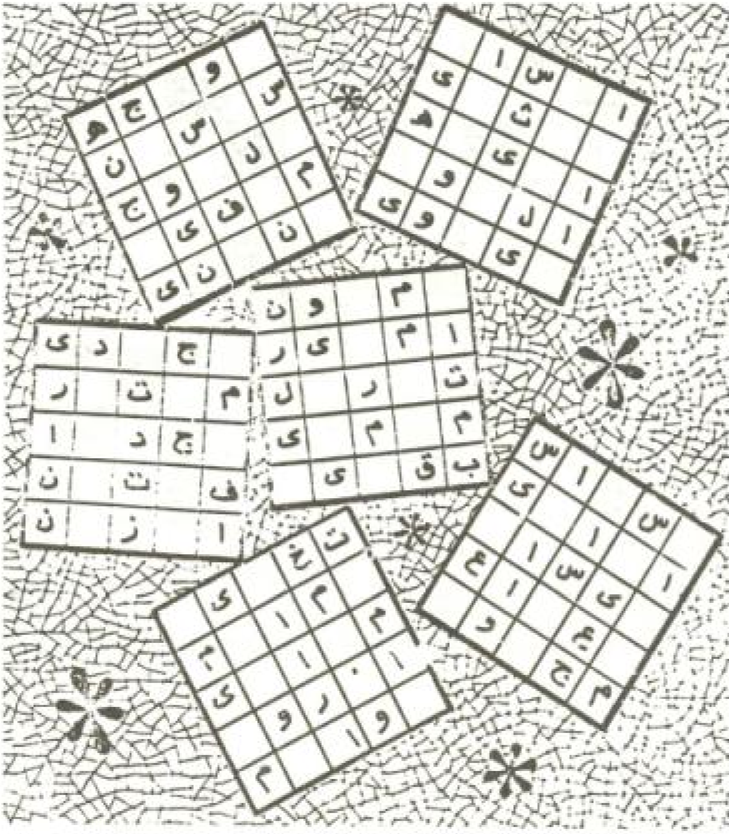


١٠ ـ متمهلة ـ دولة أوربية .
١١ ـ يبصر ـ عمرنا ـ للنداء .
١٢ ـ أجاب ـ من الاستحكامات الحربية ـ مشدودة .
١٣ ـ شارك ـ يفرون ـ فزع .
١٤ ـ لمعانه ـ رائد النظرية النسبية .
١٥ ـ مخازن مياه ـ ستر ـ حرف عطف .

الكلمات الرأسية :

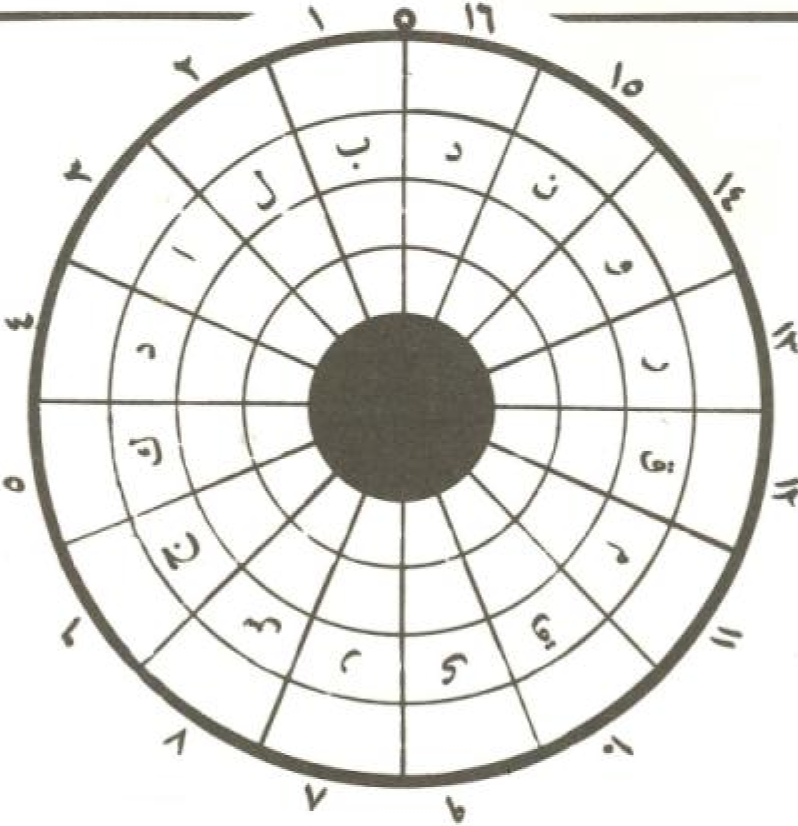
١ ـ من فلاسفة الاندلس ـ أديب أمريكي من القرن التاسع عشر .
٢ ـ لقب مخترع السفينة البخارية ـ أوربية .
٣ ـ في العين ـ أذكر النواقص ـ للتفسير ـ تجدها في كلمة (عصبية) .
٤ ـ من الاقارب ـ من العناصر الكيميائية ـ باعثة على السأم .
٥ ـ ناشدا ـ نشاط ليس فيه احتراف ـ نصف كلمة (هائل) .
٦ ـ بات ـ من التقاويم .
٧ ـ في المصنع ـ من افرازات الجسم ـ مقر محكمة العدل الدولية .
٨ ـ ملحن ومغني عربي قديم .
٩ ـ آلة موسيقية ـ تنوه ـ مقام موسيقي ـ من الحبوب .
١٠ ـ نصف كلمة (سبيل) ـ حروف متشابهة ـ في البحر ـ من أشكال الغناء العربي .
١١ ـ ميسر ـ الى أخره ـ يستنبط .
١٢ ـ فصيلة من الآلات الموسيقية ـ كافر ـ نصف كلمة (قريب) .
١٣ ـ من شخصيات ألف ليلة وليلة ـ حكايتهن .
١٤ ـ نصف كلمة (يبصر) ـ أول من اتخذ باريس عاصمة لملكه ـ من الاشجار .
١٥ ـ وحدات قياس زمن ـ دق ـ رغب ـ من أوجه القمر .

كوبون مسابقة العدد ٢٦٣



العواصم

أمامك ستة مربعات ذات اطارات خارجية ثقيلة . في كل مربع من هذه المربعات خمس كلمات أفقية ، ينقصها جميعا نفس الحرف . اجمع الحروف الناقصة من المربعات الستة ورتبها بحيث تصنع اسم عاصمة من عواصم العالم .



حول الدائرة السوداء

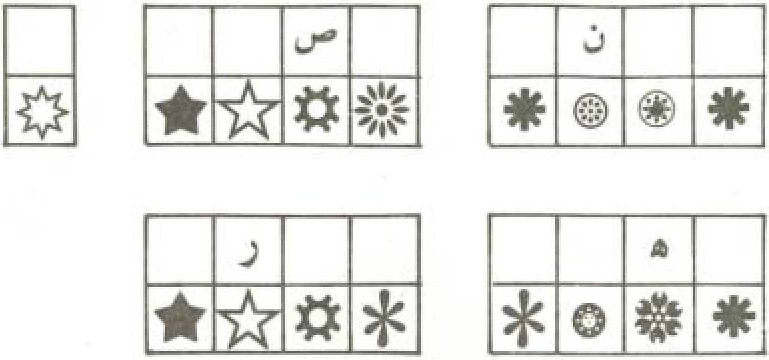
ضع الكلمات ذات الاحرف الاربعة ، والتي نعطيك معانيها ، في أماكنها وفقا للارقام . يساعدك في هذا وجود الحرف الثاني من كل كلمة على الشكل .

اذا وصلت الى الكلمات الصحيحة ، ستجد حول الدائرة السوداء اسم :

« حاكم وغاز اغريقي معروف في التاريخ »

الكلمات لها المعاني التالية :

(١) أشرع (٢) مريض (٣) من الاشعاعات (٤) يطأ (٥) في صناعة النسيج (٦) خلاعة (٧) أصوب (٨) للنوم (٩) من الاشعاعات (١٠) أرضى (١١) قبيح (١٢) من الاحجار الكريمة (١٣) حائط (١٤) دولة أفريقية (١٥) موت (١٦) يدرك .



مثل عربي

أمامك مثل عربي معروف ، ولديك في مكان الحروف بعض الرموز ، بحيث يمثل كل رمز نفس الحرف دائما . على سبيل المساعدة ، أعطيناك بعض الحروف من كلمات المثل .

هل تستطيع أن تعرف المثل العربي ، اذا علمت أنه يحكي عن :

من يفعل خيرا قليلا ويحدث شرا هائلا .

الحلول

العواصم :

واشنطن .

حول الدائرة السوداء :

الاسكندر المقدوني .

مثل عربي :

يبنى قصرا ويهدم مصرا

من المسرح العالمى
سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام فى الكويت
١

أول أكتوبر ١٩٨٠

العدد ١٣٣

مشهد فى الطريق

تأليف : المر رايس
ترجمة وتقديم : محمد الحديدى
مراجعة : د. طه محمود طه

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

اكتوبر - تشرين أول
١٩٨٠ م

قضايا افريقية

تأليف :
الدكتور محمد عبد الغني سعودي

٢٥٠ فلساً

الكتاب الرابع والثلاثون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

قيمة كاتربلر CATERPILLAR

بامكانك التوفير مع شاحنات الرفع الصغيرة الجديدة « في » من المجموعة « سي » ، بأربع طرق مهمّة



التوفير اثناء العمل ـ إن محرك بيكنز ٢٢٠٣ ـ ٤ فئة أربع اسطوانات ديزل المستخدم في هذه الشاحنات سلس التشغيل، سريع الاستجابة، فعال الاداء ...



فحجرة الاحتراق المتقدمة فيه تقوم بمزج الوقود والهواء بفعالية اكبر لتامين تشغيل اطول بالغالون الواحد. كما أن احتراق الوقود ببطء يخفف من معدل اعناق الحرارة لتخفيض الدرجات القصوى لحرارة الاسطوانات وضغطها. وبذلك تخف مستويات ضجيج المحرك، وترتفع جدارته بالاعتماد، ويزداد التوفير في نفقات الوقود ...

التوفير اثناء الخدمة والصيانة ـ سهولة التوصل المباشر الى نقاط الصيانة بالامكان فتح الالواح الجانبية المفصلية وغطاء المحرك على مداها، ورفع اللوح الارضي ، وتحريك البطارية الى الخارج ويمكن كذلك ضبط اسطوانات (دلافين) السارية والعربة دون نزع السارية. كما أن وجود الوصلة العامة الحركة بين محور الدفع وآلية نقل الحركة يتيح نزع الاجزاء المركبة بسهولة تامة. وهكذا فإن الفترات الاقصر اللازمة للخدمة والصيانة تعني التوفير في النفقات ...



التوفير من خلال المتانة والقوة ـ إن الهيكل ملحوم بشكل مقاطع صندوقية مصنوعة من الواح فولاذية قياس ١٢ ملم ـ وهذا التركيب المتين المؤلف من وحدات مترابطة يؤمن التراصف والحماية الكاملة للهيكل والاجزاء المركبة. كما أن السارية مثبتة الى الهيكل بشكل يقوم فيه الهيكل نفسه، عوضاً عن محور الدفع، بامتصاص صدمات التحميل وجهد الرفع. أما آلية نقل الحركة الهيدروستاتية المختومة كليا فلا تحتوي على اية تروس أو قوابض قابلة للبلى، ولكنها تتميز بخزان مختوم مستقل للزيت مجهز بمرشح ومبرد. وقضبان الربط الثابتة الضبط تحفظ العجلات متراصفة بحيث تخدم الاطارات مدة اطول. وفترة الخدمة الاطول تعني التوفير في كلفة التوقف للتصليح ...



التوفير من خلال تامين الراحة ـ هذه الشاحنات مريحة في التشغيل يسهل الصعود اليها والنزول منها من الجانبين الايمن والايسر. ومقعد السائق مركز في موضع يسهّل التحكم في كافة وظائف العمل بشكل فعال كما أن أجهزة الضبط الهيدروليبة القصيرة المدى المركزة الى يمين السائق تحسّن التحكم بالاحمال وتخفف من الجهد في التشغيل. وبالامكان ايضاً تخفيض الضجيج بمقدار اكبر بواسطة عدة ادوات اختيارية خاصة والتخفيف من اجهاد السائق وارهاقه يعني التوفير في النفقات ...



تفحّص شاحنات الرفع الصغيرة من المجموعة في ٣٠ ـ ٥٠ سي التي تنتجها كاتربلر CATERPILLAR قبل شراء شاحنة من هذا النوع في المرة القادمة ـ فقد يعني لك هذا المزيد من التوفير والمزيد من كفاءة التشغيل الجدير بالثقة وجميع شاحنات الرفع الصغيرة من انتاج كاتربلر CATERPILLAR تدعمها خدمات الوكيل في منطقتك. وبذلك تكون قطع الغيار وتسهيلات الخدمة والصيانة دوما متوفرة بالقرب منك.

CATERPILLAR

Caterpillar Tractor Co. هي علامات تجارية مسجلة ® , Cat , Caterpillar

شاحنات الرفع الصغيرة من المجموعة في ٣٠ ـ ٥٠ سي

9047

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس

مع

لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطها ١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني.

لومبارد نورث سنترال عضو في البنوك المصرفية العالمية وتاريخنا يرجع الى أكثر من ١٠٠ سنة. نقدم لكم تسهيلات ايداعية تعود عليكم بأقصى فائدة مع مرونة الاختيار وضمان لأموالكم وهذه الودائع متاحة للأفراد والمؤسسات في جميع أنحاء العالم.

١٤٪

في السنة

ايداع محدد لمدة سنة

تدفع كل الفوائد بدون خصم أي ضريبة

اسعار الفائدة المذكورة جارية الى حين ارسالها للطباعة

اختاروا المنهج الملائم لاحتياجاتكم

نقدم لكم ثلاث تسهيلات ايداعية لكل منها شروط متعددة ملائمة لاحتياجاتكم الخاصة.

ايداع ذو الأخطار

والمبلغ الأدنى للايداع هو٥٠٠ جنيه استرليني ويمكنكم اضافة أي مبلغ اليه في أي وقت ويمكنكم سحبه بعد اخطار كتابي في آخر المدة المتفقة عليها. تتجمع الفائدة اعتبارا من تاريخ الايداع وتدفع نصف سنويا ثم تضاف الى الحساب أو تدفع الى المودع بواسطة شيك.

ايداع ذو مدة محددة

والمبلغ الأدنى للايداع هو١٠٠٠ جنيه استرليني لمدة محددة من سنة الى خمس سنوات مع سعر فائدة محدد لهذه المدة. تدفع الفائدة سنويا.

ايداع ذو دخل منتظم

والمبلغ الأدنى للايداع هو١٠٠٠ جنيه استرليني. بواسطة هذا المشروع يمكنكم الحصول على مبلغ الفائدة أي على شيك كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل نصف سنة والفائدة تزداد تدريجيا حسب المدة التي تختارونها. تودع الأموال لمدة محددة أى بين السنة والخمس سنوات بسعر فائدة محدد لهذه المدة.

نرجو منكم أن تملأوا الكوبون إن أردتم تفاصيل اضافية ومطولة عن حسابات الايداع واسعار فوائدها.

Lombard North Central
Bankers

إلى :

LOMBARD NORTH CENTRAL LTD., DEPT. X182,
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND.
Telephone: 491 7050.

الاسم : ____________________

العنوان بالكامل : ____________________

____

أيّ رحّالة دوليّ حقّ يجد في ساعته رولكس ما لا يقدّر بثمن

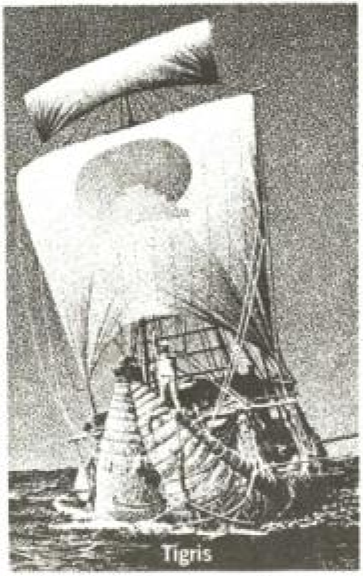
في عام ١٩٣٧، راح يراود مخيّلة "ثور هيردال" حلم حول ما إذا كانت الحضارات القديمة لكل من المكسيك والبيرو وجزر الباسفيك ومصر ووادي ما بين النهرين تنبع من مصدر واحد، حلم أراد أن يثبت معه ان عبور المحيطات الثلاثة كان ممكنا قبل إقدام الأوروبيين على تحقيق ذلك بأمد بعيد.

وبعد عشر سنوات، عام ١٩٤٧، أقلع هيردال من ساحل البيرو بطوف من خشب "البلزا" أطلق عليه إسم "كون - تيكي". مرّ يوم ويوم رسا الطوف "كون - تيكي" بعدها على جزر الباسفيك.

وفي عام ١٩٧٠، غادرت أفريقيا "رع ٢"، سفينة "ثور هيردال" المصنوعة من قصب البردي، وبعد سبعة وخمسين يوما، وصلت "رع ٢" الى "بربدوس" في الجانب الآخر من الأطلنطي.

وفي العراق، خلال ١٩٧٧ - ٧٨، قام "هيردال" ببناء السفينة "تايغرس"، أي دجلة، من القصب، وأبحر فيها مارا بمحاذاة باكستان وسلطنة عمان حتى مدخل البحر الأحمر حيث حالت الحرب المحلية دون مواصلة الابحار. ورغم ذلك، أثبتت "تايغرس" انه كان من الممكن ان تتفاعل الحضارات القديمة لكل من سومر ووادي الأندوس ومصر بطريق البحر.

ويقول هيردال، "المحيطات لم تفصل بين الحضارات القديمة، بل انها ربطت فيما بينها".


Tigris

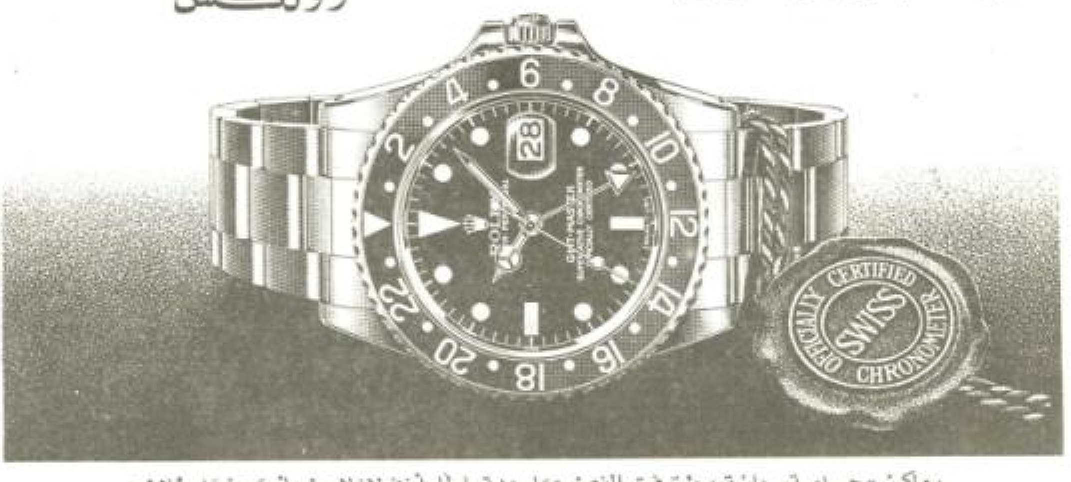
ويستند نجاح حملات "هيردال" الى التخطيط الواضح والدقة التامة في كل شاردة وواردة.

ويضيف هيردال، "لقد أنزلنا الى البحر نماذج مطابقة تماما للسفن الأولى التي بناها البحارة القدماء. واستخدمنا طرقهم في شدّ الحبال والأشرعة والصواري وفي التوجيه، واقتتنا بما كانوا يقتاتون. واخترنا أجهزة الملاحة البدائية التي استعملوها. ولكن، من أجل تحديد المسار بطريقة علمية دقيقة وبالاتصال اللاسلكي الاضطراري لدى دخولنا الموانئ الحديثة والطرق الملاحية، كنا بحاجة الى ما كان باستطاعة الانسان القديم الاستغناء عنه: ساعة حديثة بالغة الدقة جديرة بالاعتماد".

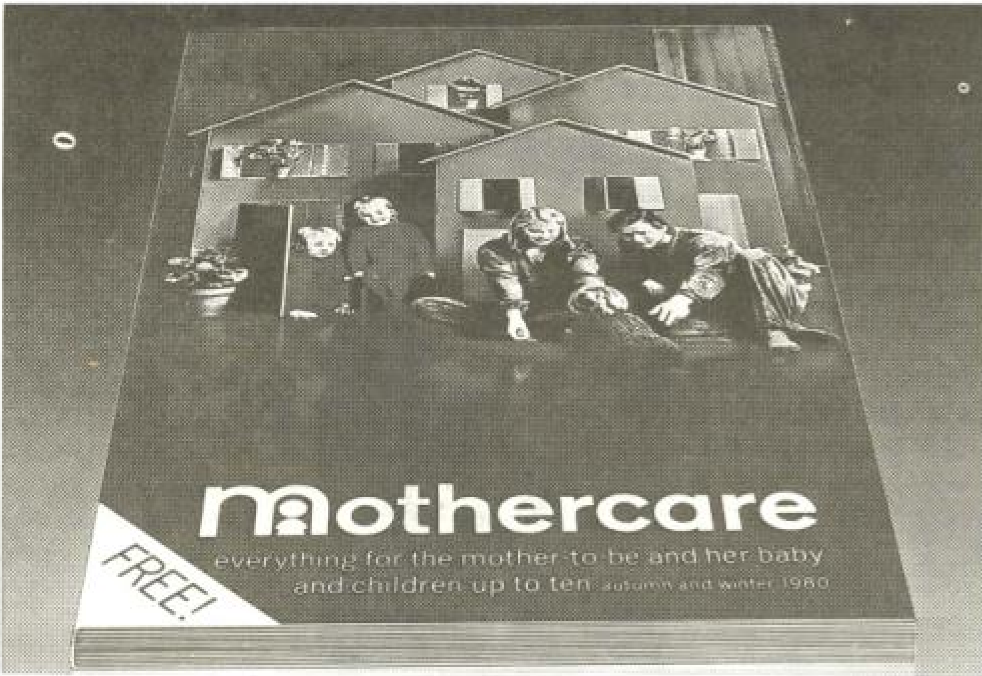
إنه الاطراء في توجيه مجاملة كهذه الينا، خاصة وقد جاءت على لسان أشهر رحّالة دوليّ في العالم.

الساعات التي كان يلبسها "ثور هيردال" وبحارته هي من صنع رولكس.

ROLEX
رولكس



رولكس "جي - إم - تي - ماستر" متوفرة بالذهب عيار ١٨ قيراطا، أو فولاذ لا يصدأ، مع سوار ملائم.



هنـــاك ستة أسباب تحفـــزك للشـــراء من كتالوج Mothercare®.

١ ان Mothercare هو أكبر المتخصصين في العالم في كل ما يتصل بالحوامل والرضع بعد الولادة وكذلك الأطفال حتى سن العاشرة . ان لدينا أكثر من ٣٧٠ مخزناً في جميع أنحاء المملكة المتحدة واوربا والولايات المتحدة الأمريكية في حين ان أمهات من ١٣٠ قطراً يتنعمن بخدمة Mothercare-by-Post بالبريد .

٢ ولأننا أكبر المتخصصين في هذا المجال فنحن نستطيع ان نبيع بأسعار منافسة . قارني قيمة بضائعنا بثمنها .

٣ ان كل ما نبيعه تم تصميمه وسلامة طفلك في اعتبارنا . ان بضاعتنا تهتم بالناحية العملية وهي مصنوعة من أكثر المواد جودة .

٤ ان اختيار البضاعة من كتالوج Mothercare أسهل كثيراً للأم المشغولة من عملية الشراء العادية ، معناه انك تشترين في وقت فراغك وأنت متمتعة بالراحة في منزلك .

٥ اننا نضمن اعادة نقودك إليك في حالة عدم رضائك عن أي قطعة من بضاعتنا . فاذا لم تكوني راضية لأي سبب كان فان نقودك سوف تعاد إليك دون توجيه أي أسئلة .

٦ وفي مقدمة ذلك كله فان كتالوجنا مجاناً لن يكلفك الحصول على الكتالوج سوى ثمن طابع البريد الجوي .

Mothercare®-by-Post

وكما ترين فان الأمر بسيط جداً :
ارسلي الكوبون بالبريد الجوي للحصول على نسختك من كتالوج Mothercare
ضعي علامة أمام ما تختاريه من بضاعة في نموذج طلب البضاعة المرفق بالكتالوج وارسليه الينا وبعد ذلك سترسل اليك البضاعة التي اخترتها في أقرب فرصة ممكنة .

واحـد لـك أرجو ان ترسل لي كتالوج Mothercare الجديد لخريف/شتاء ١٩٨٠ الملون ذو ٣٤٤ صفحة لأن طبقاً لما يلي :

To: Mothercare, P.O. Box 145, Watford, England.

الاسم : ____________________

العنوان : ____________________

(حروف كبيرة من فضلك)

____

القطر : ____________________

الرقم الكودي للمنطقة (ان وجد) : ____________________

KO

Mothercare®-by-Post

وكذلك ٣٧٠ مخزناً في جميع أنحاء المملكة المتحدة وأوربا والولايات المتحدة الأمريكية

وواحد لصديقتك أرجو ان ترسل لي كتالوج Mothercare الجديد لخريف/ شتاء ١٩٨٠ الملون ذو ٣٤٤ صفحة لأن طبقاً لما يلي :

To: Mothercare, P.O. Box 145, Watford, England.

الاسم : ____________________

العنوان : ____________________

(حروف كبيرة من فضلك)

____

القطر : ____________________

الرقم الكودي للمنطقة (ان وجد) : ____________________

KN

Mothercare®-by-Post

وكذلك ٣٧٠ مخزناً في جميع أنحاء المملكة المتحدة وأوربا والولايات المتحدة الأمريكية

أوْرِيَنت تذكّرك بالوقت.. عَلىَ أنغام الموسّيقى



إليك آخر ما توصّلت إليه أورينت. ساعة
كوارتز رقمية جديدة مع ضوابط تنبيه متعددة
الإستعمالات وسهلة التحكم. نغمات معدودة من
"أماريليس" كتنبيه أول. وإذا رغبت، هناك نغمات
ملحّة أكثر، أو موسيقى دائمة - كل ساعة. هذا مثال
آخر على التقنية الخلاّقة لساعة أورينت، أول ساعة
في العالم بمنبّه موسيقي. هناك مجموعة كاملة من
ساعات أورينت كوارتز لتختار منها. وكل ساعة
منها تعطيك أكثر بكثير من مجرّد الوقت - بنعومة ورقة.

ORIENT اورينت

Manufacturers: **ORIENT WATCH CO., LTD.**
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL:407-5901, TLX:J26896 TIMETEST

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

مدير التحرير
عبدالعزيز السيد أحمد

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :-

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - بيبليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١- **كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .**

٢- **كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .**

٣- **كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .**

٤- **كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .**

٥- **دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .**

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :-

الكتاب الأول - وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

سوني
SONY

الانظمة الـ ٣ لسوني بيتاماكس الجديد

تحقق لك أفضل تسلية مرئية في العالم

اليك جهاز سوني بيتاماكس المنتظر. انه جهاز بيتاماكس SL-T7 المزود بالانظمة الثلاثة الملونة لمشاهدة البرامج المسجلة وفقاً لنظام NTSC ونظامي بال وسيكام، بالاضافة الى اجمل برامج الفيديو في العالم، منها الافلام السينمائية المثيرة من نيويورك بواسطة نظام NTSC، ومباراة كرة القدم من لندن بنظام بال، وعرض السيرك المدهش من باريس بنظام سيكام، كما وانه بإمكانك تسجيل كافة البرامج المبثة بنظامي بال و سيكام.
وجدير بالذكر أن بيتاماكس الجديد SL-T7 هو أول جهاز في العالم

يحتوي على آلية استكشاف الصورة. وبإمكانك مشاهدة برامجك لدى عرضها على شاشة التلفزيون بمعدل عشر مرات السرعة العادية، باتجاهي الدفع الاساسي والعكسي، وذلك بكبس زر فقط. فمن السهل جداً الآن تحديد مقطع معين من أي برنامج، كما وانه بإمكانك تسيير آلية استكشاف الصورة بواسطة جهاز التحكم عن بعد. سوني تفخر بحق الأكثر عراقة والوحيدة في انتاج مسجل فيديو رائع جمعت فيه تقنيتها المتطورة وكل هذه الميزات الفريدة، انه جهاز سوني بيتاماكس SL-T7



COLOR 3 SYSTEM



سوني بيتاماكس
Sony Betamax T7

Betamax

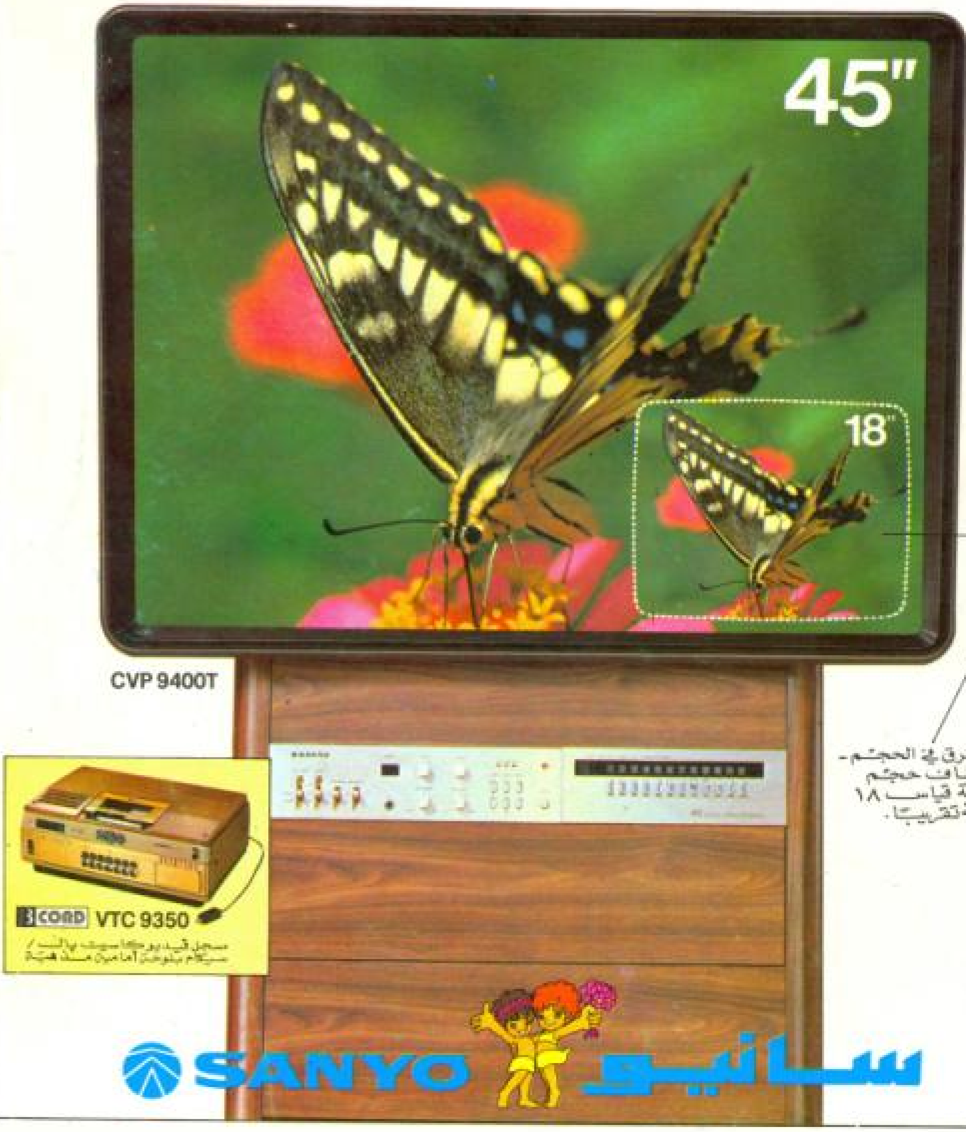
آلة عرض فيديو ملونة قياس ٤٥ بوصة

SANYO HOME THEATRE

السينما سانيو في بيتك

« إنها سينراما » هذا هو تعليقك المناسب لدى رؤيتها بالشاشة الكبيرة أمامك بينما تحيط موسيقى الستيريو المؤثرة بمقعدك « المفضل ». والناس تدعوها سينما سانيو المنزلية لأسباب وجيهة.

فهي ليست مجرد عرض للأحداث الرياضية والأفلام التلفزيونية الخاصة والأكثر إثارة وإنما بالإمكان ربطها كذلك بمسجل الفيديو كاسيت. فاختر واحدة منها قبل حفلتك القادمة ولتكن مفاجأة سارة لأصدقائك



CVP 9400T

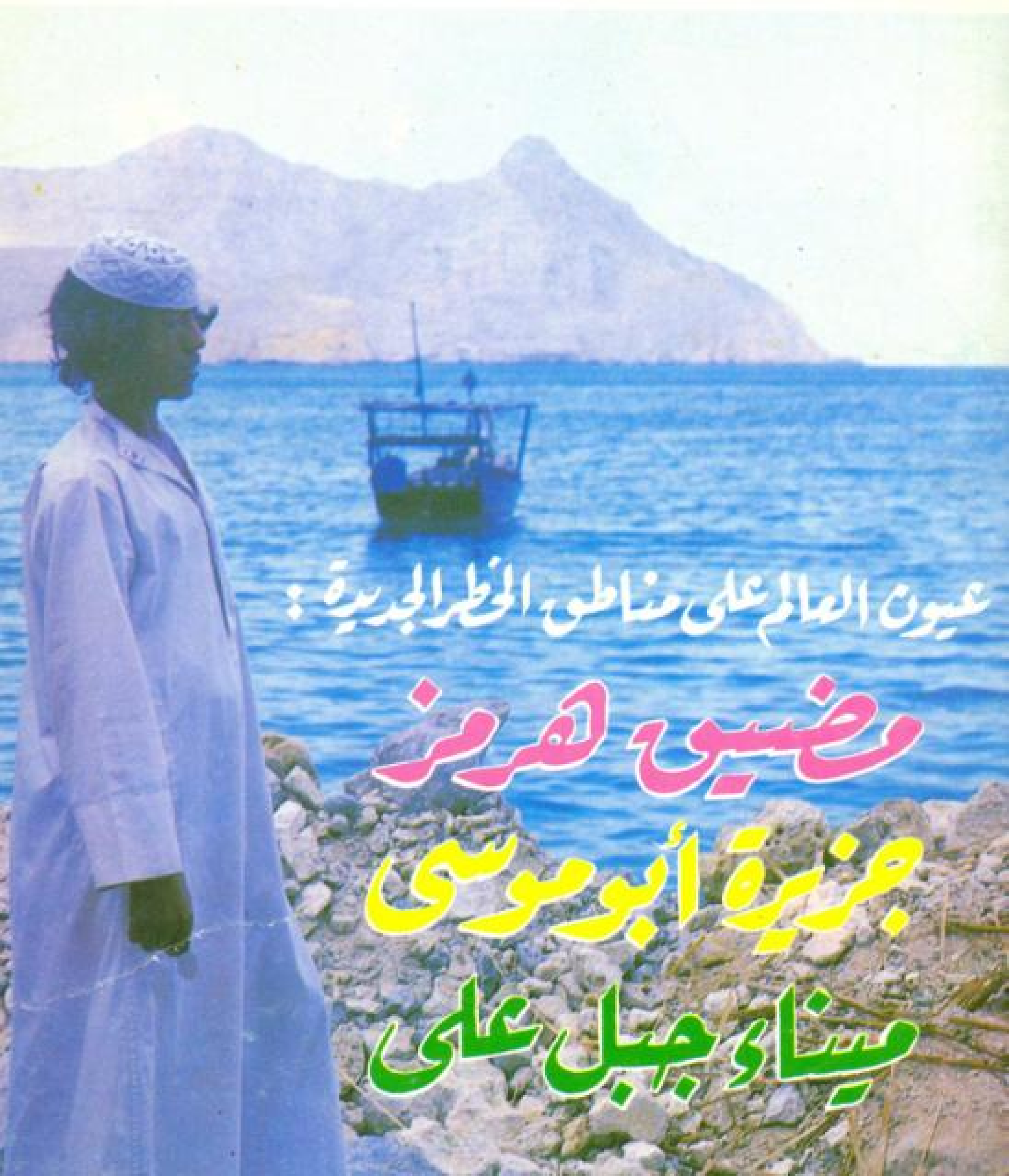
قارن الفرق في الحجم - ٧ أضعاف حجم الشاشة قياس ١٨ بوصة تقريباً.

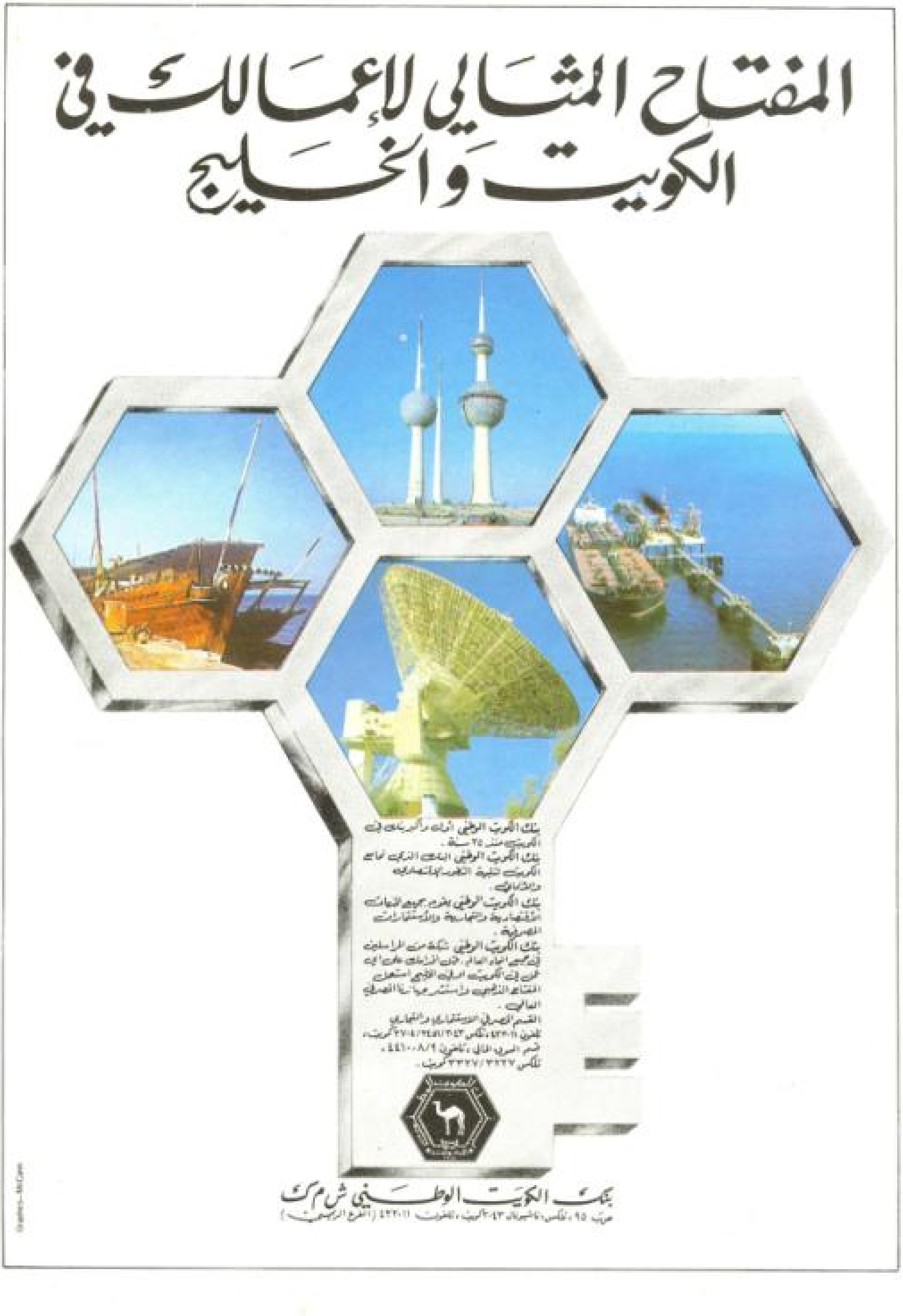
3 CORD VTC 9350

SANYO سانيو

العربي

محرم ١٤٠١ هـ - ديسمبر « كانون الاول » ١٩٨٠ م




المفتاح المثالي لأعمالك في
الكويت والخليج
بنك الكويت الوطني ش م ك

عزيزي القارئ

● يظل معرض الكتاب العربي بمثابة « صورة بالاشعة » لحالة العقل العربي ، تتبدى المهارة لافي تجويد الصورة ، ولكن في مدى صدق تعبيرها عن الواقع .. وهذا ما فعله المجلس الوطني للفنون والاداب بالكويت عندما اقام معرض الكتاب العربي السادس في الشهر الذى انقضى .. اذ جاء المعرض ناطقا بصدق تعبير عن حالة العقل العربي في المرحلة الراهنة .

من صورة الأشعة الدقيقة التي عرضها علينا المجلس الوطني للفنون والآداب يتبين أن العقل العربي لايزال يسبح في الماضي ، باكثر مما يتطلع الى المستقبل . بل يتكشف لنا ان بعضا من دولنا العربية اختارت الاقتصار على الابحار في الماضي ومخاصمة الحاضر والمستقبل ، دون محاولة للموازنة بين الماضي والحاضر والمستقبل معا .

يتبين ايضا أن الاهتمام بالادب ، بمعنى القصة والشعر ، لايزال يلقى قسطا كبيرا من توجهات الكتاب العرب ، وفي حين تزايد « كم » هذا النوع من الكتب غابت فرصة استكشاف الكيف ، باختفاء الكتابات النقدية التي يبدو انها انسحبت حتى من هذا الميدان ، في جملة انسحابها من سطح الحياة العربية العامة . على اعتبار انه اذا كان النقد والحوار من محظورات المرحلة ، فلامحل لاستثناء الأدب من القاعدة السائدة !

يتصل بذلك ظاهرة « تسييس » الفكر التي أطلت علينا بصورة أوضح في عدد من اجنحة المعرض . وهي ظاهرة لم تعد مقصورة على استخدام الأقلام لصالح بعض السياسات القائمة ، وانما تجاوزتها الى تصدى الزعماء وكبار المسئولين بأنفسهم للكتابة في مختلف القضايا العامة ، وهي عودة الى مراحل اجتاع سلطان القوة والقلم في يد واحدة ، التي تؤدى على الفور الى تضييق مساحات الحوار وانعدامها .

من المعرض يتبين لنا ايضا ان بيروت ـ برغم ماساة لبنان ـ لاتزال تحتل مقدمة مراكز الطباعة والنشر ، وهي ظاهرة صحية على كل حال ، كما يتبين ان حركة الطباعة والنشر العربيين في المغرب العربي آخذة في التقدم ، وتلك ايضا خطوة الى الامام في اتجاه الانفكاك من اسار الثقافة الغربية والفرنسية بوجه اخص .

ان « صورة الاشعة » التي عرضت علينا بالكويت تقول لنا بوضوح وباختصار : ان ازمة التفكير العربي تزداد عمقا واتساعا !

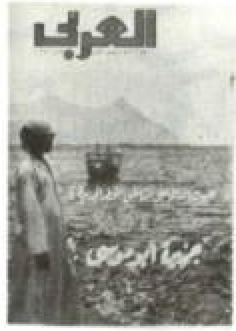
والأمر كذلك ، فلم يكن غريبا ان تتوالى الخطابات من قراء « العربي » تطالب بعودة زاوية « من التراث الحديث » ، التي كانت قد اضيفت الى الابواب الثابتة في المجلة منذ شهر ١٢ سنة ١٩٧٦ من العام الماضي ـ وفي سياق تلك المطالبة كتب أحد قراء المجلة من اللاذقية يقول : اذا كانت فرصتنا في قراءة آراء الكتاب في قضايا الساعة تتضاءل باستمرار ، فلماذا نحرم من قراءة ما كتبه « الآباء » في مختلف قضايا الفكر والعصر ، ولماذا تدفع دفعا للتعلق بكتابات الاجداد . واجداد الاجداد ؟

عزيزي القارىء : هاقد عادت نافذة « التراث الحديث » من جديد ، لعلها تسهم في ملء الفراغ ، وتزودنا بذلك القدر من الحوار العقل الذى كثيرا ما نفتقده .

وان كنا على ثقة من ان الداء اكبر ! ■■

(المحـــرر)

صورة الغلاف



● كلما انفجرت ازمة ، اتجهت العيون الى الخليج ، وبالتحديد على مضيق هرمز ونقط الارتكاز المحيطة به .. وطوال الاسابيع الماضية ، عندما انفجرت الحرب العراقية الايرانية كان هم العالم وشاغله هو : مضيق هرمز وجزيرة ابو موسى .. وميناء جبل علي . (انظر الاستطلاع ص ٦٨)

قضايا عامة

قرن هجرى جديد

قضايا حيوية

طب وعلوم

اداب وفنون

صفحة لغوية

تاريخ واجتماع

استطلاعات مصورة

أبواب ثابتة

الفهرس العام

قرن
هجري
جديد

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين
مدير التحرير : فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج . م . ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليا ، الجزائر ٢,٥ دينار ، المغرب ٢,٥ درهم ، اليمن ٢,٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١

تلغرافيا « العربي »

AL-ARABI — No. 265 — December 1980

P.O. Box 748 — KUWAIT

.. ولكن الأرض تدور !

إعادة محاكمة جاليليو بعد ٣٥٠ سنة

بقلم : أحمد بهاء الدين

كان هذا الخبر احد أهم واطرف اخبار الشهر الذي مضى ..

فقد قرر « الفاتيكان » ـ القيادة الروحية للعالم الكاثوليكي المسيحي ـ ان يعيد محاكمة الرجل الذي قال ان الارض تدور حول الشمس .. وذلك تمهيدا لرد اعتباره اليه ! وذلك عن طريق اصدار حكم جديد ، يلغى الحكم السابق الذي صدر بادانته وتجريمه .. منذ ثلاثمائة وخمسين من السنين !

والقصة القديمة معروفة، وهي احدى اشهر صفحات الصراع الطويل بين « العقل الانساني » وبين قوى القهر والغرائز والتسلط ..

ففي القرن السادس عشر، واوروبا تتهيأ للخروج من ظلام العصور الوسطى الى انوار عصر النهضة .. ظهر عالمان هما اكبر واهم علماء الفلك والعلوم الرياضية : كوبرنيك في بولندا ، وجاليليو في ايطاليا .

وكان كوبرنيك هو الاسبق زمنا بوقت قصير (ولد سنة ١٤٧٣ ومات سنة ١٥٤٣) . وكان قد درس اللاهوت والرياضيات .

قال جاليلو انه مخطىء، ومذنب امام المحكمة

والان يحاولـون رفـع الوحمة من جبين الكنيسة



ويقول المؤرخون ان هناك من الفلاسفة من قالوا ـ منذ القرن الثالث الميلادى ـ ان الشمس ـ وليس الارض ـ هى مركز الكون . ولكن هذه الآراء تم كبحها تحت سطوة السنوات الاولى لسلطة الكنيسة الرسمية .

وبعد دراسة وسفر ودرس ، توصل كوبرنيك الى ان الارض ليست ثابتة ولكنها تدور حول الشمس . وكتب بحثا هاما عن ذلك كان الاول من نوعه . ولكنه عندما اراد نشر هذا البحث لم يجد مطبعة تطبعه له . فذهب بمخطوطه الى نورنبرج (المانيا) ، ثم الى ليبزج . ولكنه فشل ايضا في محاولاته . كانت الكنيسة البروتستانتية ترفض نشر مثل هذا الكلام الذي لم يرد اى نص يؤيده في الاناجيل كلها . على انه تمكن من نشر بحثه اخيرا سنة ١٥٤٣ ، قبل وفاته بشهور .

وفي عصرنا هذا يؤرخ المؤرخون لتاريخ الحضارات لهذا البحث باسم « الثورة الكوبرنيكيه » لانه قلب تصور الانسان للكون المحيط به رأسا على عقب . وإن كان وقتها قد ظل وجهة نظر ينقصها الدليل ، والانتشار .

اول معارك عصر العقل

وفي وقت لاحق له بفترة زمنية قصيرة ، ظهر عالم آخر في ايطاليا كتب له أن يكون اهم شأنا . هو جاليليو جاليلى الذي ولد سنة ١٥٦٤ في مدينة بيزا المشهورة ببرجها المائل ، وعاش حتى قارب الثمانين .

كانت صناعة « التلسكوب » قد بدأت تظهر بطريقة بدائية .ولكن جاليليو ، ابن الموسيقار ، كان موهبة فكرية وعلمية هائلة . فاستطاع أن يصنع أول تلسكوب انطوى على قفزة علمية هائلة ، واشتهر به وقتها في انحاء اوروبا جميعا ، واعتبر من ذلك الوقت وحتى الآن ابو الميكانيكا الحديثة والعلوم التجريبية في اكتشاف قوانين الحركة والجاذبية .. الى آخره .

وكان كذلك أول من استخدم المنطق الرياضي في تحليل الأشياء بدلا من المنطق الارسطوطالي .

وقد نشر جاليليو بحوثا متعددة في ميادين شتى واحرز شهرة عظيمة في عصره .كما انه اكتشف عددا من الاجرام السماوية التي كانت مجهولة كالزهرة والمشترى . واكتشف أن وجه القمر مجعد وليس ناعما املس كما يبدو للعين المجردة . ولكنه في سنة ١٦١٠ اصدر اهم ابحاثه ، التي برهن فيها بشكل حاسم ونهائى على ان الارض تدور حول الشمس وليست ثابتة في مكانها .

وقد احدث هذا الكشف ضجة هائلة . وكان جاليليو ، على عكس كوبرنيك ، يمتلك اسلوبا ادبيا جدليا وقدرة على تبسيط اعقد الامور العلمية . وبالتالي لم يقتصر بحثه على اهل الفلك وحدهم ، ولكنه وصل الى الناس كافة ، الذين اقبلوا عليه باهتمام كبير .



كوبرنيكوس

كل دعوة إلى تقليل حرية الإنسان في العلم هي ضد روح الدين ومنطق الحياة

ومرة اخرى ، اصطدم جاليليو مثل زميله كوبرنيك ، بالقيود التي وضعها رجال الدين على الفكر في القرون الوسطى . وعدم اعترافهم بالعلوم . بل ورفضهم اساسا لعلوم الرياضيات بالذات . واخذهم بمبدأ ان مالم يأت به نص في الانجيل فهو كاذب ، وغير قابل للبحث فيه .

كان « عصر العقل » يخوض أول معاركه الكبرى مع عصر الجمود وضيق الافق ، ورغبة رجال الكنيسة في استمرار احتكارهم للمعرفه وبالتالي رفضهم تقبل اى معارف جديدة مهما قامت عليها من براهين .

وكالعادة ، كان هناك رجال الكنيسة المستنيرون الذين حاولوا مساعدته . ولكن كان هناك رجال الكنيسة الجامدون ، الذين لجأوا ـ كما يحدث كثيرا ـ الى استغلال صراع الكاثوليكية مع البروتستانتية في ذلك الوقت لقهر كل فكر علمى جديد ، على اساس انه يضعف موقفهم ازاء الخصوم . وكانت لهؤلاء الغلبة ، فاقفلوا الباب بضرورة محاكمة جاليليو اذا صمم على آرائه .

ثماني سنوات في الظلام

وبالفعل ، اقتيد جاليليو وهو في شيخوخته الى محكمة التفتيش . وهناك كان عليه إما أن يعلن انه مخطىء ويتوب عن آرائه واما أن يواجه ابشع انواع التعذيب .

واعلن جاليليو في المحكمه انه مذنب . وانه مخطىء . وان اكتشافاته غير صحيحه . وانها منافيه للايمان ... الى آخر القائمة المعروفة ...

وبالتأكيد كانت المحكمة تعرف في ضميرها انه انما يسايرهم . ولذلك لم يحكموا ببراءته . ولكنهم حكموا بادانته ولكنهم اكتفوا بتوبة « بسيطة » ، هي تحديد اقامته في منزل في قرية قرب فلورنسا ـ بعيدا عن روما ـ مدى الحياة ..

وتقول بعض الروايات ، انه خرج من قاعة المحكمة وهو يتمتم للجندى القابض عليه قائلا : .. ومع ذلك ، فان الارض تدور !

وعاش جاليليو في الاقامة الجبرية ثماني سنوات .. فقد خلالها بصره .. ثم مات .. دون ان يرى نور الحرية مرة اخرى !

مات جاليليو ! واستمرت سلطة الكنيسة على حرية العقل والعلم زمنا قبل ان تزول . ولكن الارض ـ كما قال جاليليو للسجان بحق ـ ظلت تدور .

لم يوقفها الحكم عن الدوران !

ومع الزمن صارت نظرية جاليليو هى الحقيقة المسلم بها ...

وكان في الفاتيكان منذ قرون وظيفة ما زالت باقية ، وظيفة على شاغلها ان يطارد الهرطقة والهراطقة حيثما يكونوا .

ومنذ عهد نابليون ـ حوالي ١٨٠٠ ـ بدأت حملة تبناها عدد من رجال الكنيسة ، للمطالبة باعادة النظر في الحكم الصادر على جاليليو سنة ١٦٣٣ ولكن البابوات والكرادلة الكبار كانوا غير متحمسين لفكرة اعتراف الكنيسة بخطأ ارتكبته ، ويكفى أن الحكم الخاطىء قد طواه النسيان وصار جاليليو يدرس في مدارس العالم كلها .

عندما يوضع الدين في مواجهة العلم ؟

ولكن بعض الرهبان ظلوا يتناقلون حملة اعادة اعتبار جاليليو جيلا بعد جيل . حتى وصلت الحملة الى يد راهب معاصر اسمه « الأب دوبارل » ، وفي وجود بابا بولندى ـ من وطن كوبرنيك اكبر اسم في حياة بولندا .

واعلن البابا الحالى ، منذ اسابيع قليلة ، قراره باعادة فتح ملف جاليليو والنظر في قضيته من جديد . بعد ثلاثة قرون ونصف قرن !

وقال المقربون من البابا الحالى انه أراد ان يزيل من تاريخ الكنيسة قصة من القصص التي جعلت الكنيسة رمزا لمقاومة الحرية العقلية والفكرية !

ان القصة كلها ، من الناحية العلمية ، لم تعد لها اهمية ، لان حكم محكمة التفتيش لم يمنع الارض من الدوران !

ولكن « الرمز » الذي تنطوى عليه هذه القصة هام . فالرموز هامة في الحياة العامة للشعوب .



نابليون بونابرت



البابا جون بول الثاني

فالذين يضعون الدين في مواجهة حرية العقل وفي مواجهة العلم ، انما يرتكبون غلطة في حق الدين وفي حق الانسان في نفس الوقت ..

الدين نزل على الناس ليعلمهم القيم العليا التي لا تستقيم بدونها حياة كريمة ، ولكن الدين لم يطلب من الانسان ان يضرب في الارض مغمض العينين ، مغلق العقل . انما نجد القرآن الكريم بالذات يحض على القراءة ، والعلم ، والفكر ، والتأمل والعمل في الارض . وقد قال بشكل بسيط وقاطع انه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ..

وكل دعوة الى تقليل حرية الانسان في العلم ، الى حقه في ان يعلم ، وان يستخدم عقله ، هي دعوة ضد روح الدين . وهي دعوة الى الاستبداد والى تحصين الاستبداد بالغموض والجهل والتخلف . وهي دعوة ضد منطق الحياة كلها ...

ذلك ان الارض ، كما قال جاليليو ، سوف تظل تدور . ■■

احمد بهاء الدين



الدكتور زكي نجيب محمود يكتب

احياء التراث وكيف افهمه

عندما أخرج ابو حامد الغزالى كتابه « احياء علوم الدين » ، لم يرد لكلمة « الاحياء » ان تجيء على الغلاف زخرفا تبهر العين ، او ان تكون صوتا له في السمع ايقاع ثم يمضي فلا يترك وراءه أصداء تتردد في كل صفحات الكتاب ، بل اراد ان يكون لاسم الاحياء معناه ، وهو ان ترد الى شريعة الاسلام « حياة » تتبدى في سلوك المسلمين ، بعد ان كان نبضها قد خفق في القلوب ، الى الحد الذى اغرى طائفة من المتصوفة ان يجعلوا الشريعة في ناحية ، والحقيقة في ناحيه أخرى .

وعلى هذا الغرار نفسه ، اذا ما اردنا اليوم « احياء » للتراث ، وجب ان يكون لهذه الكلمة « معنى » ، بان نخرج موروثنا الثقافي من غيبوبة ألمت به ، ولا يكون ذلك باعادة طبع كتاب اصفرت اوراقه ، في كتاب ابيضت فيه تلك الاوراق ، ثم نكتفي بذلك فنقول : « احياء » !

وهل تحيا الدمية اذا البسناها ثوبا غير ثوب ؟ ولن يغير من الامر شيئا ان يضيف المحققون الى الطبعة الجديدة هوامش مثقلة برموزها ، فيقولون ان هذه اللفظة المعينة قد وردت في النسخة الفلانية كذا ، وفي النسخة العلانية كيت ، فهذا كله عمل اكاديمي له قيمته ، لكنه لا يحيى كائنا بعد موت .

واحياء التراث لا يتحقق الا اذا انتقل من كونه جملة مجردة تكتب او تقال ليصبح غذاء لكائن حي متعين ، فيجرى في شرايينه دماء مع الدماء ، بمعنى أن يتحول في نفسه الى ضرب من الحساسية ، يتذوق ما يتذوقه ، وان يفرز له مجموعة من القيم ، يهتدى بها في قبول ما يقبله من انماط السلوك . فالعالم المستشرق اذا ما حقق كتابا في التصوف الاسلامي ـ مثلا ـ وشرح غوامضه في هوامش تدل على غزارة

علمه وسعة اطلاعه ، ليس ـ بالضرورة ـ « يحيي » هذا النص الذى حققه ونشره ، بمعنى انه قد لا ينتهي من عمله هذا بأن يحيا حياة المتصوف صاحب النص ، فالاحياء لا يكون الا بالتحرر من قيود الزمن ، لتجعل من الماضي حاضرا حيا متجليا فيما نأخذ وما ندع من شئون الحياة ـ .

احياء التراث هو ان يخرج قارئه ودارسه بروح يستمدها مما قرأ او درس ، ليبثها في حناياه فاذا هو مصطنع لنظرة جديدة ، من شأنها ان تعقد الاواصر بينه وبين السلف الذى احيينا تراثه ، حتى ولو وقف من مضمون ارثه موقف الناقد او المتشكك . فاذا قرأت ديوان المتنبي قراءة احياء ، خرجت منه وقد سرت في عروقي كبرياؤه ، ثم لا ينفي ذلك ان اقف منه موقف الناقد ، المهم هو ان اعيد شيئا من حياة المتنبي في حياتي ، او قل ان المهم هو ان « اتقمصه » ولو الى حين ، وبعدئذ يترسب منه في نفسي ما يترسب ليبقى . ولو قرأت ابا العلاء المعرى قراءة احياء ، لخرجت منه آخر الامر ، بنظرة هي كنظرة الطائر ، التي تنظر الى الاشياء من عل فتعرف نسبة بعضها الى بعض ، فلا يكبر في عيني صغيرها ، ولا يصغر كبيرها ، بعد ان كنت قبل قراءته انظر الى تلك الاشياء نفسها نظرة الدود الزاحف على بطنه تعترضه الحصاة الصغيرة فيحسبها في حجم الكوكب الذى لا تحده حدود .

اقرأ شيوخ المعتزلة قراءة احياء ، تخرج منهم انسانا يعتد بارادته الحرة ، التي اسبغت عليه كرامة الانسان ، لانها القت على كتفيه تبعات الانسان ، او اقرأ ابا الحسن الاشعرى قراءة احياء ، تجدك بعدئذ قد عرفت لعقلك حدودا ، فعرفت ما له وما عليه ، فله ان يذهب في التعقل الى آخر مداه لا حرج عليه ولا قيد ، لكنه اذا ما بلغ ذلك المدى بقيت امامه بقية لا تدخل في نطاقه ، فيحيلها الى منطقة الايمان .

لكن هذا القول نفسه يدلنا دلالة واضحة على ان ما كل موروث يجب احياؤه بهذا المعنى . انني عندما بلغت من الكتابة هذا الموضع ، وثبت الى ذهني اسطر من خطبة الحجاج بن يوسف ، حملونا على حفظها والاعجاب بها ، عندما كنا صغارا لا نميز في المحفوظ بين قول وقول ، فكم مرة طلب مني او من رفاقي في الدرس ان ننهض لنلقي في نغمة الخطباء قول الحجاج « انا ابن جلا ، وطلاع الثنايا ، متى اضع العمامة تعرفوني ، اني ـ والله ـ لارى ابصارا طامحة واعناقا متطاولة ، ورءوسا اينعت وحان قطافها ، واني انا صاحبها ، كأني انظر الى الدماء ترقرق بين العمائم واللحي ... »

فهل فتح المعلم يومئذ ابصارنا ، لننفر من صاحب هذا القول ، حتى ولو كانت بشاعة معانيه لبست ثوبا لفظيا من حرير ؟ هل اوحى لنا المعلم يومئذ بان نتساءل في انفة وعزة ، ماذا تكره يا حجاج من الابصار اذا طمحت ، ومن الاعناق اذا تطاولت ؟ ان مثل هذا التراث من حقه ان يكون موضع درس عند علماء التاريخ السياسي ، بل والتاريخ الادبي ، لكن ليس من حقه ان « يحيا » في نفوس قارئيه او دارسيه .

اننا في موقفنا من التراث ، ينبغي ان نتبين الخيط الاسود من الخيط الابيض ، فندرسهما معا ، ولكن ندرس الابيض ليحيا في سلوكنا ، وندرس الاسود ليموت في ظلمته . ■■

الإسلام في العصر الحديث

بقلم : الدكتورة نعمات احمد فؤاد

بعد أربعة عشر قرنا من ظهور الاسلام ونزول الوحي ، يحس انسان العصر الحائر ، بحاجة قوية الى الاسلام يتفهمه ويتعمقه ، ويطلب عنده الشفاء من داء العصر ، وهو الغرور المادي والغرور العلمي .

بعد ان ابدع انسان العصر الحديث حضارته الآلية ، وقطع فيها شوطا بعيدا حتى وصل الى سطح القمر ، شعر كما لم يشعر من قبل بظمأ الروح والمشاعر ... هذا حين طب الاسلام لروحه وجسمه معا ، لآخرته ودنياه معا لم يعمل لواحدة على حساب الاخرى ، بل اعاد التوازن الى النفوس القلقة فاستقرت وارتاحت ... واذ تطمئن النفس تعطي عطاءها كله غير منقوص وغير شائه .

ان مأساة الانسان المعاصر ، مأساة بروميثوس الذي حاول تحدي الآلهة فارتطم بالجبل (جبال القوقاز في الاسطورة) ..

ان كل نمو للوعي ، يدعو اللاوعي للانكماش .

ان النمو في جانب واحد حتى الاخلاق ، يؤدي الى الانهيار المحتوم .

هنا الطبيب يكتشف ثورة عارمة من اللاشعور ضد الشعور ... وهنا يعجز العقل الانساني عن العلاج الا بحلول زائفة او مشتبه فيها .

الطريق هو الذي عثر عليه الشرق منذ بداية الأشياء .

الطريق الذي عثر عليه الصينيون حين لم يفصلوا بين المتضادات في الطبيعة الانسانية ، بحيث لم ينقطع الاتصال الواعي بينها .

ليس هناك اخطر على الانسان الاوربي من اخذه باليوجا الهندية لان المسألة عنده ، مسألة ارادة ووعي . والامر اكبر من هذا فتحدث النتيجة نفسها التي اريد تجنبها .. اي تنمية الوعي ضد اللاوعي فيصاب الرجل الاوروبي بالعصاب اي بالاضطراب .

ان التفاعل اذا جاء من داخل الفرد تحول الى رؤية خارجية .. واذا جاء من خارج الفرد تحول الى تجربة ذاتية .. وخير التفاعل ما تدفق من تيار نهر الزمن ..

اما الاسلام فقد منح الانسان الطمأنينة النفسية .. السلام النفسي . (افعل ما يطمئن اليه قلبك وان افتوك وافتوك) محاولة من الرسول الكريم في بث الطمأنينة

والثقة في نفس المؤمن .

وهذه الطمأنينة النفسية هي التي جعلت ، بلالا ، يعذبونه اقسى واقصى العذاب فيقول : احد .. احد .

لقد اطمأن الى عقيدة يهون معها ويهون بعدها كل شيء ..

« قلب المؤمن دليله » .. قالها التراث الاسلامي في مباشرة وسهولة حين لف « يونج » العالم النفسي الكبير ، حولها طويلا .. شقي في البحث عن دليل .

ان التقوى هي اتقاء نزعات الشر ، ونزغات الشيطان .. والشيطان هو الجزء الثائر المحموم المنبوذ في النفس . والانسان المتكامل نفسيا هو الذي اصطلح في داخله الوعي واللاوعي . والتكامل شوق الانسان ولو لم يدر الى هذا اللقاء الداخلي .. ولهذا وجدت الديانات لتغذي حنين الروح الى ذلك التكامل .

لهذا وجدت الديانات ولهذا عاشت .

وهنا تتذكر وحدات الفن الاسلامي . لقد مثل الفن الاسلامي ، التكامل النفسي بوحداته .

ان كيان الانسان يعج بالمتناقضات .. فيه رحمة وقسوة .. فيه قوة وضعف .. الفن الاسلامي بمتقابلاته يحل هذا التناقض ..

قبل التقليد

لكي نطيع قوانين النفس الداخلية كما يقول « يونج » يجب ان نطيع قوانين الارض اولا .. ان نرضي غرائزنا ارضاء ذكيا وكاملا في غير ترخص . لقد دعت المسيحية الى الروح .. ولكن بعد العصور الوسطى حين انحلت الروح الى ذهن ، وسادت العقلانية ، كان رد الفعل خطأ اللبس بين الذهن والروح الذي ادى بدوره الى لوم الروح لاخطاء الذهن ....

ان الذي ينمي نفسه في بعد واحد ، يضيع ... وحركات الفن في حقيقتها ثورة على الاتجاه الواحد في سعي الى التكامل عن طريق الاخذ بالطرف الاخر المقابل ... ومن آثار هذا ، « اللامعقول » في الفن .

ونأتي نحن لنتظاهر « بالمودرنزم » فنأخذ باللامعقول مع اننا لم نمر بالمراحل التي ادت اليه والتي عاشها اصحابه وعانوا منها .

هل نتروى قليلا قبل التقليد ؟

للصين كتاب عن الحياة ترجمه من الصينية الى الالمانية ، « كلهلم » ونشر في لندن سنة ٣٥ وترجمه الى الانجليزية Cary Baynes هذا الكتاب فسره وعلق عليه « يونج » . ومن قوله :

الحل ليس في التهكم من الروحانية الشرقية ووصفها بالعجز ،

وليس في التشكك في العلم واعتباره هداما للانسانية

لابد للروح ان تتكيء على العلم بوصفه مرشدا في عالم الواقع

ولابد للعلم ان يتجه الى الروح للاهتداء الى معنى الحياة .

وقد حقق الاسلام هذا التوازن في احكام دقيق ووثيق .

لقد اقام الاسلام بمبادئه وقوته الذاتية امه ودولة ، يجتمع لها العلم والدين ، مرتين :

ـ مرة في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام حين جمعهم ونظمهم ونشأهم على المبادىء الجديدة والقويمة بما صقلهم وهذب بداوتهم وقلم جاهليتهم واحال النزوة الغرائزية في داخل الانسان البسيط الى ذروة انسانية ، لا اقول عند الجميع .. ولكن يكفي عند النماذج التي عرفت لنا في ميدان الحكم مثل ابي بكر وعمر .. والتشريع عند الامام علي بن ابي طالب ، والحرب عند خالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص ، وابي عبيدة بن الجراح ونظرائهم في الميادين الاخرى .

ـ ومرة بعد وفاة الرسول فلولا الاسلام لارتدوا الى جاهليتهم التي الفوها طويلا ـ وقد حاول بعضهم بالفعل ، الارتداد ـ ولكن ابا بكر وصاحبه على هدى من الاسلام واهتداء ، جمعا شمل الجماعة ، وقبضا على ناصية الامور وشرعا تحولا تاريخيا عاش الى اليوم عبر القرون والظنون .

ولو ان الدول التي قامت على اكتاف الاسلام واصلت الاستضاءة بروحه ، والاسترشاد بهديه ، لكان للمسلمين اليوم ، شأن آخر .

ولكن ركبها او معظمها ، غرور الفرد ، وغريزة التملك ، وشهوة اراقة الدماء سفحا من الجسد ، او هدرا من العقل باكراه المفكرين وكراهيتهم واضطهادهم ، كما حدث في محنة القول بخلق القرآن .

المسلمون .. والسياسيون

لقد اعتدنا ان نركز الفروق بين الغرب والشرق في الماديات والروحانيات .. ولكننا ننسى او نتناسى المقارنة بينهما في نظم الحكم .. فقرآننا يقول بالشورى ، ولكن الذي يعمل بها مسيحيو الغرب لا مسلمو الشرق . فكل حاكم في الغرب يستمد شرعيته من الكنيسة او من الديمقراطية اي حكم الشعب واختياره الحر المريد .. حتى لويس الرابع عشر كانت وراءه قوى تكبح جماحه وتوجه سيره على الرغم من قوله (انا الدولة) او الملك الشمس Le Roi Soleil . اما الحكم في معظم تاريخ الشرق فهو لا يستمد من روح الدين الذي يحترم الارادة والعقل والشورى ولا يستثني من هذا الامويون والعباسيون والعثمانيون والاندلسيون الخ ...

ومع هذا ظلت الامة الاسلامية امة فاضلة .. وهي في ميزان الاسلام والقيم والتحضر ، الاحسن والابقى والاشرف ففي كنفها ، ومنها ، وبها ... القضاة والعلماء والفقهاء والاخيار .

ان الفقه الاسلامي من صنع الامة الاسلامية لا السياسيين .

والفن الاسلامي من صنع الامة الاسلامية لا الحكوميين .

بل ان المجاهدين من صنع الامة الاسلامية . فالمرابطون في الثغور على اهبة الجهاد ، متطوعون لان الاسلام في قلوب الناس يوجه حياتهم وسلوكهم بينما اصحاب الدول يوجههم الحكم والمصلحة .

ولولا قلوب الناس العامرة بالايمان الصحيح من قوة الاسلام .. ولولا قيام الامة الاسلامية بالعلم والقضاء والحسبة والصناعة والفن لما عمرت في التاريخ ، الدول طويلا .

ولسنا في هذا بدعا ففي كل مكان في الدنيا ، الدول لا تصنع الحضارة ولكن الامم اذا امنت واطمأنت فعملت وجودت في العمل ثم تفننت وابتكرت وابدعت .. وهنا يحمد الحاكم العادل المتدين لانه يوفر للامة الجو المعين على الازدهار .. خاصة اذا تجاوب معها ، وأمن بها ، وعف فيها ، وربط خيره بخيرها .. اما اولئك الذين حكى التاريخ انهم اعتمدوا على القوة فهم كراكب الاسد يراه الناس فيوجلون منه ، وراكب الاسد اشد وجلا .

ان القوة تفصل نفسيا بين الحاكم والمحكوم في كل زمان ومكان .

وهنا تصح نظرية (الدائرة الشريرة المقفلة) التي قال بها ابن خلدون وغيره من المفكرين في الشرق والغرب في العصور الوسطى اي بداية الدول ونهايتها الدراهية .

ان التاريخ علم الشعوب لا الملوك خلافا لما قاله « بوسويه » الذي اعتبر التاريخ علما رفيعا مقصورا على الملوك وانه خطة إلهية .. ولكنها مقصورة على المسيحيين وحدهم !!

ولكن الاسلام لم يعرف هذه التفرقة بين الانسان او الاديان لانه دين الفطرة ولان رسوله بعث الى الناس كافة .. ولان الناس عنده سواسية كاسنان المشط .. وهي قيم لم يرق اليها « بوسويه » او كتابه « مقال عن التاريخ العالمي Discours sur LHistoire Universelle على شهرته .

من الذي سقط ؟

استطاع الاسلام ان يصنع من البادية ، امة ودولة وخلافة وحضارة تهدي الى الدنيا فخر الحكام وعطر التاريخ عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز وعبد الرحمن الناصر .

ان المسيحية اعتنقتها ممالك كانت قائمة قبلها ، وبدونها . واليهودية لم تقم دولة ، ودولتها الجديدة لم تكن لتقوم لولا مصالح الغرب ومنافسيه في قيامها ومساندتها .

ولكن الاسلام نشأ محاطا بقوتين دنيويتين ضخمتين .. هما الفرس والروم فغلب عليهما بقوته الذاتية لا بالسلاح ، فقد كان سلاحهما يفوق سلاحه مرات نوعا وعددا ولكنه كان الاعمق والاقوى اثرا في نفوس آمنت به فاسترخصت الفداء لان الله وعدها الجنة .. وهي امل يفعل الاعاجيب ، واعلى في يقينها الشهادة والشهداء فاستبسلت وقاتلت في سبيل الله وابلت بلاء حسنا .

وتتميز الحضارة الاسلامية بانها نجت من داء الحضارات وهو الانحلال والاضمحلال لان اساسها ليس عنصرا بشريا .

ان الذي سقط في الاندلس دولة العرب لا حضارة الاسلام ، فان هذه باقية الى اليوم حتى بعد مآل الحكم

الى أخرين دينا ودولة .

حضارة الاسلام في الاندلس باقية تشهد عليها قرطبة وغرناطة واشبيلية التي تمثل عنصر الجذب في سياحة اسبانيا الى يومنا هذا . والذي سقط في دمشق دولة بني امية لا حضارة الاسلام . وفي كل مرة تسقط عاصمة ، ترث مكانتها ، في مكان آخر ، عاصمة اخرى لان الاسلام امة يقوم بدولته فيها ، المسلمون بلا تفريق .. بلا عصبية لجنس او امتياز لطبقة .

لقد قامت الحضارة العربية والاسلامية بالاسلام .

وتدهورت بالمسلمين عربا وعجما دون الاسلام . فالاسلام قيم ونظم وتشريع وانسانيات .

والمسلمون خاصة الحكام من امثال بني بويه وبني الاحمر كانوا لا يرقون الى مستوى الاسلام فبقي الاسلام دينا وانحدر دولة وسياسة بل صناعة وفنا .

ومن شرف المسلمين ان الفساد لم يلحق الاسلام قط بل انحصر في فئة قليلة استأثرت بالحكم والنفوذ والمال وهي رزايا لا مزايا ان لم يدعمها الخلق حتى لا تسقط ، ويعززها الضمير فلا تجور .

والتاريخ الاسلامي يسجل ان الصراع انحصر في المتنافسين على السلطان .. اما الامة الاسلامية فقد نفضت يدها من هؤلاء ، واستعزت بالسلطة الباقية سلطة الدين والعلم ، فالتفت حول العلماء والفقهاء ، وسمت رجل الدين الذي تتمثل فيه خصائصها هي ، سلطان العارفين في رد هادف على سلطان الحكم .

خط سير مختلف

ونظرة مقارنة بين الحضارة الاسلامية والحضارات الاخرى التي سبقتها او التي تلتها نجد ان المسيحية ولدت في بيت لحم بفلسطين وكانت تابعة للرومان . وحارب الرومان المسيحية ودافعت مصر عن المسيحية ثم قامت بنشرها حتى وصلت بها شمالا الى ايرلندا ، وجنوبا الى الحبشة . ومكنت لها بالعلم حين كتبت اشهر ما في تراثها الفكري والديني على يد بوخوميوس واثناسيوس من الاباء المصريين .

اذن نشر المسيحية والتمكين لها جاء من خارجها .

ولما اعتنقها الرومان في النهاية ، استقطبتها حضارتهم التي قامت على الغزو والسيطرة في طابعها العام والتي ورثت من الناحية الفكرية الحضارة اليونانية التي تتلمذت بدورها على الحضارة المصرية القديمة .

المسيح او عيسى بن مريم عليه السلام لم يكن حوله الا تلاميذه او حواريوه .. هنا خاصية الخاصة ، لا عمومية (الكافة) .

واذا رجعنا قليلا الى الوراء ، نجد اليهود (المكابيون) يعارضون اقبال الناس على اليهودية .. وهنا بدأ الصراع بين اليهود انفسهم . فلما بطش (بختنصر) بهم ونفى جماعات منهم الى ارض بابل وهو ما يعرف « بالاكسودوس » او الخروج ، انكسرت شوكتهم ، وبدأ الشتات او « الديا سبورا » الذي تكرر في عهد الرومان فلم ينصفهم الا الاسلام الذي افسح لهم بتسامحه مكانا في دولته خاصة في الاندلس .

اما الحضارة الغربية اي الحضارة الحديثة فهي تنسب اصولها ـ باستثناء المنصفين منهم ـ الى الحضارة الاغريقية اي الهلينية وهي كما ذكرت قامت على الحضارة المصرية .. كما ان الحضارة الاسلامية ، قامت بترجمة الحضارة الاغريقية . وبهذا وفرت على اوربا الف عام على الاقل . ولهذا بعد تفصيل عريض .

ولكن الاسلام خط سيره ، مختلف :

وحد الاسلام القبائل في امة . ثم مهد منذ هجرته الى المدينة لنظام مجتمع ودولة تبلورت في خلافة ابي بكر وعمر . ثم صارت هذه الخلافة ملكا في عهد بني امية . ثم صارت امبراطورية في عهد عبد الملك بن مروان . ثم صارت للامبراطورية حضارة اسلامية في عهد العباسيين .

حضارة اسلامية قام بها المسلمون على اختلاف جنسياتهم تصديقا لقول الرسول الكريم : (بعثت الى الناس كافة) في عملية مؤاخاة بين البشر .

فلم تعرف دولة الاسلام النعرة الجنسية .

هذا حين شاع التعصب للجنس الى حد النعرة في الامم القديمة والوسطى والحديثة ايضا .. وما قول هتلر بتفوق الجنس الآري ببعيد . وما قول اليهود بشعب الله المختار وسائر الناس ، كما يبدو ، الشعب المحتار ، بخاف .

اليونان اعتبروا انفسهم الاعلى والاخرون برابرة . وقسموا الشعب في بلادهم الى سادة وعبيد . واحتقروا العمل اليدوي واستنكفوا منه ، واستمرأوا الانغماس في

الفراغ بلهوه وعبثه ، فجنت عليهم البطالة ، وفي النهاية قضى عليهم المتدينيون الذين كانوا يحتقرونهم بقيادة الاسكندر .

والرومان في قوانينهم نصوا على أفضلية الروماني ! حتى كان التجنس بالجنسية الرومانية وسيلة للوصول .

والصينيون يقولون من خلال سور الصين المشهور انهم في غنى عن سواهم اي انهم الاعلون .

والهنود البراهمة يدلون بأنفسهم .

وحين لم يعتد ابن خلدون في مقدمته ، والمسعودي في مروجه الذهبية باللون الابيض ، جعلته اوربا ، امارة تفوق ومظهر امتياز حتى بلغ الازدهاء بـ « هيوستون ستوارت تشمبرلين Heuston Stewart Chamberlain ، حدا الف معه كتابه « اسس القرن التاسع عشر Foundations of the Nineteenth ، عزا فيه كل معطيات الانسان المتحضر الى الجنس الاري او الهندي الجرماني ، وهنا اعتبر المؤلف ، المسيح نفسه أريا .

وحين دهمت هجرة الاوربيين امريكا نادى مفكروها بقصر الهجرة على السكسونيين والجرمان واهل شمال اوربا امتدادا لعقيدة او عقدة تفوق الجنس الاري . وتزعم هذه الحركة ماديسون جرانت ولوثر وباستودارد .

فلم يكسر شوكة هذا الادعاء والازدهاء ، الا العالم المؤرخ توينبي بعد قرون .

ويشهد الاسلام المعركة مستقرا وقريرا ، فقد حسمها منذ البداية حسما ، أضت اليه في النهاية ، اوربا صاحبة نظرية الاستعلاء .

ويرن في سمع الزمن والناس ، رأي الاسلام ورؤيته وآيته (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

اقول للمرة الكم لا ادري : ان الاسلام من خلال القرآن الكريم صنع ١٤ قرنا بما فيها من اجتماعيات وسياسات ، اعاد بناء الانسان على ارض الجزيرة وما حولها .

كتاب فجر كتبا بل مكتبات . ويتجدد القلب فتتجدد المعاني فيه . وتتمزق الامة الاسلامية من الفرقة والتشتت والهوى والخطأ والخطايا احيانا ثم لا تموت لان هناك شيئا خفيا وقويا يربطها فلا تضيع ويمسكها فلا تتهاوى . هذا الرباط الخفي القوي هو القرآن . وقد لا يعرف الناس هذا ولكنه واقعهم وحظهم الكبير .

وهذا الرباط لا يستثني منه غير المسلمين ممن يعيشون معهم ويلتقون بهم في جنسية الوطن وعلى ارضه .

هذا هو الاسلام . ■■

د . نعمات احمد فؤاد

وساطة مرفوضة بين العلم والدين

بقلم : الدكتور جمال نصر

الانسان العربي المثقف يستطيع أن يزاوج في قلبه بين الايمان المطلق بالله وقدراته وبين الايمان بالعلم وامكانياته المحدودة ، دون أن يشك في أي منهما .

الخلاف الذي يدور حول بعض النظريات والمعارف العلمية ومدى تعارضها أو توافقها مع نصوص القرآن الكريم خلاف قديم في مضمونه يثور في أشكال جديدة من آن لآخر بين المتشيعين « للدين وحده » والمتشيعين « للعلم وحده » ثم يزيد الأمر سوءا ذلك الفريق ؟ من أصحاب الحلول الوسطى الذي يسعى للوساطة بين الدين والعلم بتأويلات يرفضها معظم رجال الدين ولا يستسيغها معظم رجال العلم . وفي اعتقادي أن الخلاف بين الدين والعلم خلاف مفتعل ، وأن الوساطة بينهما غير لازمة بل هي ضارة ، وأن الانسان العربي المثقف يستطيع ان يزاوج في قلبه بين الايمان المطلق بالله وقدراته وبين الايمان بالعلم وامكانياته المحدودة دون أن يتطرق اليه الشك في أي منهما . ذلك أن للعلم منهجه الخاص به ومجاله الضيق المقيد وللدين مجاله الواسع الرحيب . وهذان المجالان بحكم اختلاف طبيعتها وبسبب من اختلاف المنهج لا يتعارضان ولا يتداخلان بل يكمل كل منهما الآخر .

ان القاريء للقرآن الكريم لا يجد به سوى طائفة قليلة متناثرة من الملاحظات « العلمية » دون أية تفاصيل عن الكيفية ولا التوقيت التي تم بها خلق الانسان وغيره من الكائنات الحية وتم بها انشاء الأرض والقمر والشمس والكواكب والعوالم الاخرى . ولا ينبغي أن يكون الأمر خلاف ذلك فالمعرفة العلمية المفصلة المنسقة المبوبة المتكاملة ليست هدفا يقصد اليه القرآن . أضف الى ذلك أن كتاب الله يوجه حديثه الى البشر كافة وليس الى جمهور من المتخصصين في الفلك والرياضيات وطبقات الأرض والعلوم الطبيعية .

المعارف العلمية

ان الدارس لآيات القرآن الكريم التي يحلو للوسطاء بين الدين والعلم كثرة الاستشهاد بها وتلقيبها بالآيات العلمية لا يسعه الا أن يلاحظ أيضا أن الغالبية العظمى من « المعارف العلمية » القرآنية انما تقع في نطاق الخبرة

اليومية للانسان العادي وانها تساق لقصد واحد وهو تقديم الدليل اثر الدليل على وجود الخالق وعلى قدرته غير المحدودة على الخلق والابداع والتدبير .

وها هي طائفة مختارة من هذه الآيات ليرى القارىء مدى صدق هذه الملاحظة .

« وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون . سبحن الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون . وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون . (٣٦) يس ٣٣ ـ ٤٠

« أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ؟ رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعا لكم ولأنعامكم . (٧٩) النازعات ٢٧ ـ ٣٣ »

« ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . (٣) آل عمران ١٩٠ »

« والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع . يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير . (٢٤) النور ٤٥ »

« الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين . يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . (١٣) الرعد ٢ ، ٣ »

« والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه . (٣٥) فاطر ١١ »

« الذي خلق سبع سموات طباقا . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير . (٦٧) الملك ٣ »

عظمة الخالق وقدرته

اننا نقرأ هذه الآيات وغيرها بقلب خاشع مؤمن ونتدبر في خلق الانسان بل وفي عظمة الحياة حتى في أبسط صورها ونتفكر في خلق السموات والأرض فينطلق لساننا بالقول « ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » . ثم نقف في ثبات عند ايماننا المطلق بعظمة الخالق وحكمته وقدرته لا نتدنى من بعد ذلك الى تحميل آياته الخالدات ما تحتمل وما لا تحتمل من تأويلات مفتعلة شوهاء تريد أن تجعلها ظاهرة الاتفاق مع المعارف العلمية لعصرنا والتي هي بحكم طبيعة العلم معارف عابرة مؤقتة غير ثابتة تنتظر كشفا جديدا أو قياسا دقيقا أو رأيا آخر غير الرأي السائد لكي تتعدل الى وضع آخر هو أيضا غير ثابت ينتظر بدوره التعديل من جديد .

ان الوسطاء بين الدين والعلم والذين تدل كتاباتهم على أنهم على استعداد دائم لتغيير تأويلاتهم للنصوص القرآنية كلما تغيرت النظرية العلمية السائدة في مضمونها أو في تفصيلاتها كي يجد العلم أحيانا سندا من الدين وكي يجد الدين في كل وقت سندا من العلم . هؤلاء الوسطاء لا يخدمون الدين ولا العلم رغم ما قد يتوفر لهم من نية طيبة وقصد حسن . وهم في اعتقادي أكثر ضررا على الدين من أولئك المتشيعين « للدين وحده » الذين يقفون بتأويلاتهم عند المعنى الحرفي للآيات لا يتعدونه . ذلك أن المتشيعين للدين وحده يحاولون أن يبينوا استنادا الى فهمهم لظاهر المعنى صحة أو خطأ بعض ما يراه رجال العلم أو أن يؤكدوا في أحيان أخرى استحالة أن يكون العلم قد توصل الى ما توصل اليه فعلا من كشوف . ومثل هذه التأويلات الحرفية قد تثير في قلوب الناس مشاعر تتراوح حسب طبائعهم بين الأسف والأسى والسخر نحو هؤلاء الذين يخوضون فيما لا دراية لهم به فيكشفون عن ضيق أفق وتزمت وجهل أكثر من أن تدفع الناس لأن يتخذوا موقف العداء أو الازدراء من الدين نفسه وحقيقة الأمر أن المتشيعين للدين وحده لا يدافعون عن الدين بقدر ما يدافعون عن نفوذهم الشخصي وعن حتمية أن يستبدوا بالرأي وأن يكون اليهم وحدهم المرجع الأول والأخير في تفسير كل أمر في كل اختصاص . ان الوساطة بين الدين والعلم غير لازمة لأن كلا منهما يمثل وجهة نظر أخرى للوجود وللانسان ، ولأنهما كلاهما ضروريات لسعادة الانسان وتقدمه .

أساس العلم

يقوم العلم على فرضية أساسية هي أن العالم الذي نعيش فيه منظم يسير وفق قواعد ثابتة ، وأننا نستطيع أن نفهم هذا النظام ونصوغ العلاقات بين الظواهر والمتغيرات المختلفة بطريقة دقيقة تساعدنا على الفهم والتنبؤ . ولو كان الانسان قد ظن أنه يعيش في عالم تسوده الفوضى وأن كل ظاهرة تحدث على حدة دون ارتباط بغيرها من الظواهر التي سبقتها أو تليها ، وأن الظواهر لا تتكرر اذا ما تكررت نفس العوامل التي أدت الى حدوثها أول مرة . لو كان الانسان قد ظن ذلك لما قامت للعلم قائمة . الا أن الانسان قد عرف منذ البداية أن الشمس تطلع كل يوم من الشرق وأن العطش يرويه الماء دائما وأن النار تحرقه اذا لم يحسن التعامل معها . لقد لاحظ الانسان منذ واجه الوجود انه يستطيع في وسط هذا الكون الغامض المليء بالأشياء غير المفهومة أن يتلمس طريقه وأن يكتشف علاقات واضحة بين بعض المتغيرات . ان العلم ينبني على الاعتقاد بأن « ما حدث اليوم قد حدث بالأمس وسيحدث غدا طالما تكررت نفس الظروف والعوامل » .

•

ميدان العلم الذي صال فيه وجال هو الدراسات المتصلة بالمادة الجامدة وحيث يمكن التحكم في العوامل المتغيرة بالتثبيت والتغيير وفق الارادة . وقد كان لما حققته الفيزياءوالكيمياء على نحو خاص وتطبيقاتها على علوم الحياة من نجاح هائل ملحوظ الآثار في هذه النهضة التكنولوجية التي نحياها الآن ما أثار في النفوس الكثير من الرهبة والاجلال للعلم والمنهج العلمي مما أعشى الأبصار عن أن ترى قصور هذا المنهج عندما يتعدى نطاق التجريب القائم على التحكم الكامل في المتغيرات .

احترام المنهج العلمي

الحق أن المنهج العلمي قد نال خارج نطاق العلم البحت من الاحترام أكثر بكثير مما يستحق ، وان استعارة هذا المنهج لتطبيقه على العلوم الانسانية مثل علوم الاجتماع والتربية والتاريخ والاقتصاد والأديان المقارنة وما الى ذلك قد أسبغ على الانسانيات علمية زائفة مضللة . فالتجارب الاجتماعية أو التربوية لا يمكن أبدا أن تكون علمية بالمعنى الدقيق مهما استعانت بأبدع الوسائل الاحصائية وعبرت عن معطياتها بالمعادلات الرياضية والرسوم البيانية الضافية . ذلك أن التجريب ـ في اعتقادي ـ لا يؤدي الى نتائج علمية الا اذا توفر فيه على الأقل شرطان أساسيان :

. أولاهما : انه يمكن التحكم اراديا في العوامل المتغيرة بالتثبيت والتغيير بحيث يمكن دائما ـ اذا أريد ـ دراسة العلاقة بين متغيرين اثنين فقط في الوقت الذي تثبت فيه كافة العوامل الاخرى تثبيتا لا شبهة فيه .

وثانيهما : أن تكون التجربة قابلة للاعادة . وانها اذا أعيدت بنفس الطريقة وتحت نفس الظروف من قبل باحث آخر فانها تعطي نفس النتائج في حدود الدقة المسموح بها .

هذان الشرطان لا ينطبقان على التجريب في مجال الانسانيات لأن التحكم الكامل في المتغيرات غير ممكن وعلى ذلك لا يؤدي تكرار التجارب الانسانية الى نفس النتائج في حدود الدقة التي يسمح بها العلم الطبيعي . أضف الى ذلك أن الباحث الانساني لا يستطيع أن يجرد نفسه عن موضوع بحثه تجريدا كاملا يشبه تجريد العالم الذي يدرس مثلا تأثير تغيير الضغط أو الحرارة على مواد جامدة أو حتى على مواد حية . فالباحث الانساني لا يمكن أن يستبعد اهتماماته ويفصل ذاته عن موضوع بحثه عندما يتعلق الأمر بالانسانيات . وكثيرا ما نرى التجربة الاجتماعية الواحدة تفسر على أوجه عديدة متضاربة « تثبت » لنا الشيء أو عكسه وكل تفسير يسمي نفسه تفسيرا علميا دون أن يكون لدينا معيار صحيح متفق عليه نستطيع أن نحتكم اليه عند النظر في الآراء المتضاربة ...

ان الموضوعية الكاملة البعيدة عن الاهتمامات الذاتية والخالية من الاحكام المسبقة غير متوفرة للباحث في الانسانيات توفرها للباحث في العلوم الطبيعية . ان الانسانيات ليست ولن تكون علما بالمعنى الدقيق للعلم لأن المنهج العلمي ليس بأفضل المناهج لدراسة الانسان . حسب أصحاب الانسانيات أن يقدموا لنا آراءهم من وجهة نظر واحدة متماسكة خالية من التناقض والتضارب في الوقت الذي يكونون فيه واعين لتحيزاتهم وأحكامهم المسبقة .

مجالات العلم

يتعلق العلم بدراسة الظواهر الطبيعية وخصائص الاشياء بقصد فهم الطبيعة . ان هذا الفهم الذي يشبع في الانسان ميلا طبيعيا يؤدي الى زيادة المعرفة والخبرة في

الوقت الذي يزيد فيه من قدرة الانسان على التحكم في بيئته وعلى تغيير بعض ظروفها تغييرا يجعل الحياة أكثر راحة وملائمة أو أقل عناء وشقاء. يبدأ العالم عادة من مشكلة معينة محددة تحديدا دقيقا ثم يضع عددا من الفروض المختلفة التي يمكن أن تحل هذه المشكلة أو تفسرها، ثم يشرع في اجراء التجارب لاختبار هذه الفروض فرضا بعد فرض حتى يصل الى حل مقبول يصوغه في صيغة نظرية أو في صورة قانون يساعد على التنبؤ بما يمكن ان يحدث مستقبلا في أحوال مماثلة فهدف العلم الاساسي هو الوصول الى قوانين عامة تفسر الظواهر المدروسة وتساعد على التنبؤ بما لم يدرس ويعتمد المنهج العلمي في معظم الأحوال على الاستقراء كوسيلة للوصول الى قوانينه فابتداء من عدد قليل من المشاهدات والتجارب الفردية يمكن الوصول ـ عن طريق الاستقراء ـ الى قوانين كلية عامة.

العلم يبدأ كما بينا من مشاكل صغيرة محددة لينتهي تدريجيا الى بناء شامخ وعدد قليل من القوانين ونظرية متكاملة يمكن بواسطتها تفسير العديد من الظواهر المختلفة التي قد لا يبدو لأول وهلة أن هناك ما يربط بينها. ان العلم يبدأ من الجزئيات لينتهي منها الى الكليات.

ولابد من وقفة قصيرة هنا لنقول أن امكانيات العلم حتى في مجال المادة الجامدة محدودة متناهية. وأن الكثير من خفايا المادة سيبقى لغزا يعجز العقل البشري بتركيبه الخاص عن حله أو تصوره. لقد مضى الى غير رجعة الزمن الذي ظن فيه أن العلم وحده قادر على حل كل مشكلة والاجابة على كل سؤال وتفسير كل شيء.

العلم .. والدين

ان المنهج العلمي ليس صالحا على نحو خاص للنظر في أمور الدين والتدين، لأن الدين يقوم على الايمان والاعتقاد بينما يقوم العلم على ما يسمى بالشك المنظم. واذا كان الاستقراء هو الوسيلة التي يتبعها العلم غالبا للوصول الى معطياته فان وسيلة الدين هي القياس، فالمعطيات الدينية يتوصل اليها ابتداء من نصوص دينية عامة مقطوع بصحتها المطلقة ولا تقبل الجدال ولا الشك. الدين يبدأ من الكليات لينتهي الى الجزئيات. ان رجل العلم أيضا مضطر لأن يبدأ بالتسليم بصحة عدد من القضايا الأولية، لأن الشك في كل شيء لا يؤدي الى أي شيء، الا انه يدرك أن تسليمه بصحة القضايا الأولية انما هو تسليم مؤقت تقتضيه الضرورة العملية، وتراه ينتظر الفرصة المواتية ليعيد النظر في مسلماته. ان الشك المنظم هو عنصر أساسي من عناصر المنهج العلمي فليس في العلم حقائق قاطعة أو قضايا مسلم بصحتها تسليما نهائيا. حتى ان من العلماء من يرى أن النظرية العلمية لا ينبغي أن توصف بأنها صحيحة أو خاطئة فغاية النظرية العلمية أن تقدم تفسيرا مقبولا للظواهر الطبيعية وتساعد على التنبؤ بامكان وقوع احداث معينة اذا توفرت شروط معينة وعليه فالنظريات العلمية في رأيهم ينبغي أن تقسم الى نظريات نافعة والى نظريات غير نافعة (غير مفيدة).

لا مجال للتساؤل

وقد يتساءل القارىء هنا: أي المنهجين أفضل؟ المنهج الديني الذي يقوم على الايمان والتسليم أم المنهج العلمي الذي يقوم على الشك المنظم والبحث الدائب؟ ونحن نرد بأن هذا السؤال لا ينبغي أن يطرح أصلا لأنه لا مجال للمفاضلة بين منهجين مختلفين لكل منهما مجاله الخاص به. ونكرر القول أن مجال العلم هو حيث يمكن تفسير الظواهر الطبيعية بالملاحظة والتجريب وهو محصور في نطاق المادة الجامدة وما يتعلق بها من قوانين.

أما الدين فمجاله الرحيب هو الانسان والوجود. ان هذين المجالين منفصلان وينبغي الحرص على استمرار فصلها وعدم الخلط بينها. ان العلم عادة يحاول أن يجيب على السؤال كيف حدث هذا؟ أما الدين فيجيب على السؤال: لماذا حدث هذا؟ وفي محاولة الاجابة لا يبعد العلم كثيرا عن نطاق المشاهدة بينما يتخطى الدين معطيات الحواس الى آفاق واسعة رحيبة تشمل الكون كله والوجود بأسره. انه من الخطأ البالغ أن تتخذ نظريات العلم التي هي عرضه للشك المنظم والتغيير المستمر وسيلة لاثبات معطيات الدين.

وأخيرا فاننا نرفض رفضا قاطعا الوساطة بين الدين والعلم لأننا نرى أن التفسير العلمي انما هو تفسير آخر للانسان وللوجود يختلف في وسائله وغاياته عن التفسير الديني وهو أيضا تفسير ضيق ينقصه الشمول لأنه محدود بما في المنهج العلمي من قيود وقصور.

طرابلس الغرب: دكتور جمال نصر
أستاذ الكيمياء الفيزيائية
كلية العلوم ـ جامعة الفاتح

.. بل هي أزمة الحرية !

بقلم : فهمي هويدي

يخطيء كثيرا من يظن ان مستقبل الاسلام منفصل عن مستقبل المسلمين . ويخطيء أكثر من يظن أن مستقبل المسلمين منفصل عن مستقبل الانسان في هذه الامة . لكن الخطأ يصبح أشد جسامة وفداحة ، اذا فصلنا بين هذا وذاك ، وبين الواقع الذي نعيشه بتياراته وضغوطه وتفاعلاته .

ان الاسلام الذي انزله الله في كتابه ، وبلغه على الناس رسوله عليه الصلاة والسلام ، هو الثابت الذي لم يتغير على مدى الاربعة عشر قرنا التي مضت . ولكن الذي تغير ، وتقلبت به صروف الدهر واحواله ، مدا وجزرا وصعودا وسقوطا ، هو خريطة ذلك الواقع في ديار الاسلام . وعصور الازدهار الفكري لم تلمع في سماء المسلمين وتاريخهم فجأة ، ولم يحدث ان استيقظ المسلمون ذات صباح فوجدوا فكرا نيرا وحوارا مثمرا وفقهاء يجاهرون بالحق ولا يخشون الا الله وحده . وانما كان الازدهار الفكري قبسا من اشعاع واقع مضيء ومشرق ، بعضه او كله .

وبالمثل ، فان عصور الانحطاط الفكري لم تتجمع سحبها القاتمة ذات صباح في سماء الامة الاسلامية ، ولم تسقط علاماتها كالصواعق فوق الرؤوس على غير انتظار ، وانما كانت افرازا طبيعيا لواقع عانى كثيرا من التدهور والتحلل والانحطاط .

افتح اي صفحة من صفحات التاريخ الاسلامي ، ستجدها حقيقة ناصعة في كل مرحلة ، مكتوبة بفصيح اللسان وصريح العبارة : كما تكونون يكون دينكم !

وليس صدفة ان يقفل باب الاجتهاد في نفس القرن السابع الهجري الذي سقطت فيه بغداد عاصمة الخلافة العباسية في أيدي التتار ، وفي عصر بلغ فيه التحلل والانهيار ذروته ، حتى يروي ابن كثير ان الخليفة المستعصم بالله كان يداعب جارية من حظاياه (اسمها عرفة) بينما التتار يحاصرون دار الخلافة ويرشقونها بالنبال . وهو ذاته ـ المستعصم ـ الذي تنقل بعض الروايات انه دعا علماء الفقه في المدرسة المستنصرية ببغداد ان يقصروا دروسهم على اقوال الائمة من قبلهم ، ولا يدرسوا كتابا من كتبهم لتلاميذهم ، مما كان بداية لمرحلة من التقليد والجمود افرزت رجلا مثل ابي الحسن عبد الله الكرخي ـ شيخ الحنفية في بغداد ـ بلغ به الحال ان قال : كل أية تخالف ما عليه اصحابنا فهي مؤولة او منسوخة ، وكل حديث كذلك فهو مؤول او منسوخ !

ان هذا المستوى المدهش من السقوط الفكري كان ثمرة طبيعية لبناء سياسي اقامه العباسيون الذين قامت دولتهم في البدء على اكتاف عبد الله السفاح ، وهو من قال مفاخرا في أول خطبه له (انا السفاح المبيح والثائر المتيح !) ، ثم آلت في النهاية الى « الاتراك والديالمة والخصيان والنسوان » ، اذا استخدمنا تعبير محمد كرد على (الاسلام والحضارة الاسلامية جـ ٢) مما قاد الى هزيمة مفجعة سقطت معها عاصة الخلافة ، وطويت صفحة

العباسيين في مشهد مأساوي .. اذ قتل الخليفة المستعصم « رفسا وهو في الجوالق » ، وهدمت بغداد ، واجتمع على المسلمين « الغلاء والوباء والفناء ، والطعن والطاعون » ، كما يقول ابن كثير (البداية والنهاية جـ ١٣) .

والقصة مكررة في بقية عهود التاريخ الاسلامي ، في الاندلس وصقلية ، وفي مصر المملوكية وفي بلاد ما وراء النهر ، وفي دولة المسلمين بالهند !

ثم ، ألا نجد تلك المشاهد ذاتها ، باختلاف طفيف في التفاصيل والاسماء عندما تقرأ تاريخ الدولة العثمانية ، التي كان علماؤها في مرحلة الفتوح العظيمة يتصدون لسلاطينها ، يردونهم الى الصواب ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، بل ويعزلون السلاطين ، اذا ما حادوا عن شرع الله ، ثم انتهى بهم الامر في مرحلة انحطاطها ان صار كثير من العلماء يتبارون في تبرير قتل الناس والاشتغال بالدجل والشعوذة ومختلف صور الارتزاق والاجتراء على الحق . وهي المرحلة التي انتهت بسقوط الخلافة والغائها في عشرينات هذا القرن ، على يد كمال اتاتورك وجماعته .

●

ان الواقع السياسي ، بانعكاساته الاجتماعية والفكرية والاقتصادية ، هو مفتاح القضية ولب الموضوع . وهذا الواقع السياسي تلخصه في زماننا كلمتان اثنتان : الحرية والديمقراطية .

اذ تظل الحرية والديمقراطية هما المعيار الذي يمكن ان يقاس به ازدهار اي مجتمع وانحطاطه . قل لي اي حجم من الحرية والديمقراطية يتمتع به اي شعب في الكرة الارضية ، اقل لك على درجة من التقدم او الانحطاط هو .

ولست اظنني بحاجة الى مناقشة الذين يفسرون الحرية بالاباحية ، او الذين يقرنون الديمقراطية بالفوضى وحكم الرعاع . ففي ذلك قدر واضح من التعسف والتجاوز ، على الاقل في السياق الذي نحن بصدده ، كما انني لست بحاجة الى الخوض في جدل حول استخدام كلمة الديمقراطية او الشورى ، اذ الاهم هو المعنى والقيمة ، خصوصا وان بعض الذين يرفضون مبدأ الديمقراطية يسترون موقفهم برفض الكلمة واعتبارها من بضاعة الفكر المستورد !

ان ثمة تيارا بارز الملامح في التفكير الاسلامي يشدد على دور ذلك الواقع السياسي ، ويعلن صراحه انه مفتاح التقدم والتدهور ، وان بذرة الانحطاط تنمو في غيبة الحرية والديمقراطية ، وفي ظل الظلم والاستبداد .

فهذا الماوردي في « ادب الدنيا والدين » ، يؤكد ان « الجور يفسد ضمائر الخلق ، ولكل جزء من الجور قسطا من الفساد حتى يستكمل » . وهذا ابن خلدون يخصص في مقدمته فصلا كاملا بعنوان « في أن الظلم مؤذن بفساد العمران » ، يقول فيه ان « الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم « هي » ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه ، وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري » . وهو المعنى الذي يكرره احمد بن الضياف ، الفقيه والمؤرخ التونسي في قوله ان الجور « هو اقوى الاسباب في تدمير البلدان وتخريب العمران وانقراض الدول » . (اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان جـ ١) .

اما محمد عبده ، فانه يصب جام غضبه على تلك « الشجرة الملعونه » ، شجرة السياسة « سياسة الظلمه والاثرة » ، حتى يقول « اعوذ بالله من السياسة ، ومن لفظ السياسه ، ومن كل حرف يلفظ في كلمة السياسة ، ومن كل خيال يخطر ببال من السياسة .. الخ »

وينتبه الاستاذ الامام بوعيه الشديد ونظرته الثاقبة الى ان قضية الحرية كل لا يتجزأ ، فيقول ان الجمود الفكرى من متطلبات سياسة الظلمة والاثرة التي تخشى : « الخروج من فكر واحد من حبس التقليد ، فتنتشر عدواه فيتنبه غافل آخر ، ويتبعه ثالث ، ثم ربما تسري العدوى من الدين الى غير الدين .. الى آخر ما يكون من حرية الفكر ، التي يعوذون بالله منها » (الاعمال الكامله ـ جـ ٣) .

ـ ويخصص عبد الرحمن الكواكبي كتابا كاملا لهذه القضية ، بعنوانه الشهير : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد . في مقدمته يقول انه بعد بحث ثلاثين عاما « تمحص عندي ان اصل هذا الداء (الانحطاط) هو الاستبداد السياسي ، ودواؤه دفعه بالشورى الدستورية . »

ويضيف « ان البدع التي شوشت الايمان وشوهت الاديان ، تكاد كلها تتسلسل بعضها من بعض ، وتتولد جميعها من غرض واحد هو المراد ، الا وهو الاستعباد » .

ثم يصل الى انه « قد يبلغ فعل الاستبداد بالامة ، ان يحول ميلها الطبيعي من طلب الترقي الى طلب التسفل ، بحيث لو دفعت الى الرفعة لابت وتألمت ، كما يتألم الاجهر من النور . »

ويقرر الكوكبي: لو ملك الفقهاء حرية النظر لخرجوا من الاختلاف في تعريف المساكين الذين جعل الله لهم نصيبا من الزكاة فقالوا: هم عبيد الاستبداد، ولحصلوا كفارات فك الرقاب فشمل هذا الرق الاكبر!

●

ان وضع قضية الحرية على هذه الدرجة من الاهمية والاولوية، هو منهج الاسلام منذ نزلت الرسالة على البشر. فمعركة الاسلام الاولى لم تكن مع عوائد الناس وطبائعهم، وقضية الاسلام الاولى لم تكن اصدار الاوامر والنواهي. وانما معركة الاسلام الاولى كانت في مواجهة الوثنية والشرك. كانت في تحطيم الاصنام واسقاط العبودية لغير الله. وقضية الاسلام الاولى استهدفت تحرير الانسان، ورد كرامته اليه، باعتباره مخلوق الله المختار، وخليفته سبحانه في ادارة وعمارة الارض.

وهي معركة مستمرة. فمنذ نزل والى الازل، فان اسلام الفرد لا يصح الا اذا نطق - اولا - بشهادة ان لا اله الا الله، التي هي اعلان عن انعتاقه من سلطان كل الاوثان، حجرا كانت ام بشرا، وهي في الوقت ذاته اسقاط لكل الاغلال التي تقيد انسانيته وضميره. وهو ما نص عليه القرآن الكريم «الا نعبد الا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله» - (آل عمران - ٦٤) وهو ايضا ما أوضحه زهرة التميمي احد قادة جيش المسلمين في معركة القادسية، لرستم قائد جيش الفرس، حينما قال له وهو يعرفه على الدين الجديد: ان الله ابتعثنا لكي نخرج الناس من عبادة العباد، الى عبادة رب كل العباد.

وهذا البعد لقيمة الحرية في العقيدة الاسلامية، له صداه القوى في مختلف نصوص القرآن والسنة. ففي الحديث القدسي يقول الله سبحانه «ياعبادى اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» والظالمون ينالهم غضب الله «لاينال عهدى الظالمين»، (البقرة - ١٢٤) وعذابهم اليم في الاخرة: «انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم. (الشورى - ٤٢). وفي الاحاديث النبوية ان الكلمة الحق عند سلطان جائر هي «افضل الجهاد»، ومن دفع حياته ثمنا لذلك فهو: «افضل شهداء امتي». والناس اذا سكتوا واستسلموا «اوشك ان يعمهم الله تعالى بعقاب». واذا خافت الامه وهابت «فقد تودع منها».. وهكذا.

وهي ملاحظة جديرة النظر، ولا تخفي دلالتها، ان تخص النصوص الاسلامية في القرآن والسنة ظاهرتين محددتين باكبر قدر من الادانه والتنديد والتجريم، حتى لايفوقهما في هذا النصيب الا الشرك بالله. والظاهرتان هما: الظلم والترف، او كما نقول الان: الفساد السياسي والفساد الاقتصادى، اذ عندما تتسلل جرثومة الظلم الى السلطة، وجرثومة الترف الى الثروة، فذلك ايذان بانهيار المجتمع وسقوطه.

وعندما قال ابن خلدون ان الظلم مؤذن بفساد العمران، فانه لم يذهب بعيدا عن مسار النصوص القرآنية فآية سورة النمل التي تقول «ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها» لم تكن تدين المنصب في حد ذاته كما يتوهم البعض، وانما كانت تدين السلطان المطلق والظلم الذى قد يمارس في ظله. فالنبي داود عليه السلام «آتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء» (البقرة - ٢٥١). فاللافتة او التسميه لا تهم، ولكن الاهم هو هل تمارس السلطه بالحكمة ام بالهوى، بشرع الله وشورى الناس ام برأى السلطان الفرد ونزوات بطانته؟ والاول طريق التقدم والسلامة، والثاني طريق التدهور والندامة!

واذا كانت قضيتنا الان، ونحن في مستهل قرن هجرى جديد، هي مستقبل الاسلام وما ننتظره او نتمناه له، فان العمل الاسلامي، فكرا كان ام ممارسة. لا يمكن ان يؤتي ثماره المرجوة في غيبة الحرية والديمقراطية

ان اى غرس، مهما كانت ميزاته لا يمكن ان ينمو بمجرد توفر التربة اللازمة له، حتى وان كانت مواتيه بكل المقاييس والمواصفات. ولكن توفر «المناخ» المناسب عنصر لا بد منه لكي يبدأ ذلك الغرس رحلة النماء والاخضرار. واذا فسد المناخ فان مصيرا مشئوما ومحزنا لابد وان يلحق بالغرس، يتراوح بين توقف نموه او استمراره موصوما بمختلف اشكال العجز والعاهه. وفي احسن صوره، فلن تكون الشجرة من جنس الغرس باى حال!

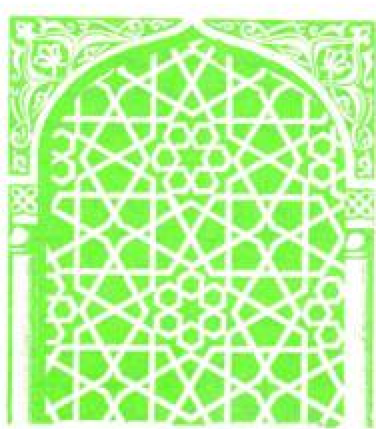
والحرية هي قوام ذلك المناخ الذى ينبغي ان يتوفر لكى تنمو شجرة الفكرة، خالية من التشوهات والعاهات والعقد.

وفي واقعنا الراهن نماذج عملية تدلل على مدى التشوه الذى اصاب العمل الاسلامي نتيجة ازمة الحرية التي يعاني منها العالم الثالث على وجه الخصوص. فتيارات تكفير المجتمع وجماعات الغلو والتشنج والهلوسة

باسم الدين . هؤلاء جميعا لم يظهروا الى الوجود ، الا في المرحلة التي صودرت فيها حرية العمل الاسلامي الشرعي ، ضمن اجراءات اخرى استهدفت مصادرة حرية التعبير والتفكير .

وفي التاريخ المعاصر للدعوة الاسلامية درس بالغ الاهمية ، يدلل على فداحة الثمن الذي يمكن ان يدفعه الاسلاميون عندما يغيب عن ادراكهم هذا الوعي بقيمة الحرية . ذلك انه عندما صدر قرار بحل الاحزاب السياسية المصرية في الخمسينات ، التي كان وجودها احد اشكال الممارسة الديمقراطية ، فان فريقا لا يستهان به من الحركة الاسلامية رحب بالقرار وتشفى ، وهتف بعضهم بعبارة « وهزم الاحزاب وحده » . ولم يدرك هؤلاء الا في وقت متأخر ان الحرية لا تتجزأ وان غياب الديمقراطية الذي تمثل في الغاء الاحزاب السياسية لا بد وان يؤدي الى تصفية الحركة الاسلامية ايضا . وذلك ما حدث بالفعل ، بل ان نصيب الحركة الاسلامية من التصفية كان اضعاف اضعاف انصبة الاخرين مجتمعين !

ان التفكير الاسلامي لا يمكن ان يستقيم في غيبة الحرية . وغاية ما يستطيعه في مناخ كهذا هو اما ان ينشغل بتوافه وصغائر الامور ، او ان يهرب الى حيث يصبح في مأمن من المصادرة والبطش . وذلك ما حدث فعلا في ظل مرحلة التدهور والاستبداد التي شهدها العالم الاسلامي في العصر العباسي الأول على سبيل المثال ، عندما اثيرت قضية خلق القرآن وحداثته ، وظهرت اهتمامات الفقهاء بالتأويل والتصوف واللغة وعلم الكلام ، وباي شيء الا قضايا المجتمع الاساسية والمصيرية .



في غيبة الحرية ينبغي الا نتوقع حوارا مثمرا ، ولا اجتهادا ذا قيمه ، ولا قراءة واعيه وعصرية للنصوص ، ولا حتى مراجعه مفيده لكتب التراث التي تخاطب زمانا غير زماننا ، وهي التي كتب اكثرها ـ في الفقه خصوصا ـ خلال القرون الاربعة الاولى بعد الهجرة ، اى منذ الف عام !

في غيبة الحرية تسود قيم الوثنيه ، وتمتد القداسة والحصانة لسادتنا وكبرائنا ، وما وجدنا عليه آباءنا ، اذا استخدمنا تعبيرات القرآن الكريم .

●

ان احد المآخذ الاساسية التي تحسب على اكثر الحركات الاسلامية المعاصرة انها تعاني من خلل مفجع في ترتيب الاولويات التي توجه اليها نشاطاتها ، ومن غرائب الامور ان هؤلاء تشغلهم قضايا اطلاق اللحى والنقاب والحجاب ولبس الساعة في اليد اليمنى ام اليسرى ، باكثر مما تشغلهم قضية حرية التفكير والتعبير والحركة . وقد ادى بهم ذلك الى انهم عزلوا انفسهم عن آمال الجماهير وطموحاتها . كما عزلوا انفسهم عن فصائل النضال الوطني ، اذ اختاروا جبهة شديدة البعد وشديدة التواضع ، ومضوا يقاتلون عليها ويقتتلون !

وهي مفارقه مدهشة ان يخوض حملة الاسلام يوم نزلت الرسالة معركتهم الاساسية لصالح تحرير الانسان من الوثنية والشرك ، ثم يدور الزمن ، وتمضي ١٤ قرنا واذا بمعارك اكثر حملة الاسلام تدور حول اللحى وموضع الساعة والمفاضله بين البنطلون والجلباب !

لكن دهشتنا تزول اذا تذكرنا ان الاولين كانوا صحابه رسول الله ، وان الاخرين هم ابناء شرعيون للمرحله .. وهي مقابلة ترشح الاولين بجداره لخوض المعارك الكبرى ، ولا تمكن الاخرين الا من التصدى بالكاد للمعارك الصغرى ، الم يخلق كل فريق لما يسر له ؟!

انه عبث لا طائل من ورائه ، بل تضييع للجهد وتبديد للوقت واستنزاف لطاقات اجيال المسلمين ، اذا لم يتنبه الاسلاميون الى ضرورة اعادة ترتيب الاولويات في نشاطاتهم . واذا لم يدرك الجميع هذه القيمه الهائله لقضية الحرية ، فاننا سنظل ندور في حلقة مفرغه ، نعدو كثيرا ، ونلهث كثيرا ، ولا نتقدم خطوة واحدة الى الامام ! ■■

فهمي هويدي

أقوال معاصرة

■ القرارات التي تتخذها المملكة انطلاقا من سيادتها وامنها وحرصها على اعلاء كلمة الله . والجهاد الذي اجمع المسلمون على ضرورته ، لا يمكن ان يكون موضع مناقشة من احد .

الملك خالد بن عبد العزيز

■ رونالد ريجان ، الرئيس الامريكي الجديد ، يتمتع بافكار ساذجة ، ولا يقرأ سوى « الريدرز دايجست » .

مجلة العصر الحديث السوفيتية .



■ النبوة والديمقراطيه مفهومان ليسا متناقضين بالضرورة .

فيليب روندو المستشار بالمعهد الفرنسي للعلاقات الدولية .

■ سئمت كلام المثقفين ، وكل كلام ينفجر من الم كبير ، أو فرح كبير .

المطران جورج خضر .



■ هناك ١٢٠٠ مذهب ديني تمارس طقوسا على امتداد الولايات المتحدة الامريكية .

القس جوردون ميلتون .

■ تتيقن في نيويورك ان هناك حربا يتقنها بعض المسلمين والعرب : الحرب التي تعلن لا لكي يتحرر الانسان ، وانما لكي يبقى عبدا !

أدونيس



■ ترك الاساطيل الغربية في المحيط الهندي ـ هو نوع من التظاهر السياسي

الجنرال الفرنسي بيار جالوا

■ ان الحكومة لاتزال تواجه مصاعب في تزويد المدن والمراكز الصناعية بالمواد الغذائية مثل الحليب واللحم .

الرئيس السوفيتي ليونيد بريجنيف .



■ شباب الصين سيلعبون دورا هاما في عالم المستقبل ، فهناك ٦٠٠ مليون صيني لاتتجاوز اعمارهم ثلاثين سنة .

الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان

■ منذ اربع سنوات ونحن نتلمس المخارج والحلول دون اية تباشير في الافق ومايزال السؤال : أين الخلاص ؟ وكيف وما هي السبيل ؟

كامل الاسعد رئيس البرلمان اللبناني



خذ دواءك .. واحذر !

بقلم : الدكتور السيد عمار

تعتبر صناعة الدواء هي ثاني صناعة في العالم بعد صناعة الاسلحة من حيث قوتها الرأسمالية وسيطرتها على بعض الحكومات بل وعلى بعض المؤسسات العلمية في العالم بما تمنحه من تبرعات ودعم وغير ذلك . واذا كان للسلاح خطورته كاداة حرب ودمار فان للدواء خطورته ايضا على صحة الانسان وحيواناته وطيوره .

ولا يوجد دواء خال من الآثار الضارة فحتى الفيتامينات لها آثارها الضارة اذا ما استعمل بعضها بكميات كبيرة . ويمكن القول بان كل دواء سم ، وان الفرق بين كونه دواء او سما هو الجرعة التي تستخدم في العلاج ، وبالتالي تتدرج سمية الدواء في درجات متعددة . وتنقسم أخطار مضار الادوية الى آثار ضارة جانبية غير مطلوبة وآثار سامة . وحسب تعريف منظمة الصحة العالمية عام ١٩٦٩ فان الاثر الجانبي للدواء هو المفعول الضار وغير المرغوب فيه والذى ينتج عن جرعات تستخدم في الوقاية والتشخيص والعلاج .

واما الاثار السامة فهي التي تنتج عن استعمال جرعات كبيرة من الدواء تحوله الى سم زعاف ، اما عمدا واما بدون قصد . ولنضرب لهذا مثلا بسيطا قد يحدث في الحياة اليومية لاشخاص كثيرين مثل مرضى السكر الذين يعالجون بجرعة يومية محدودة من دواء (الانسولين) ولكن اذا ما زاد مقدار الجرعة كثيرا فان ذلك قد يحدث اثارا سامة تهدد حياة الانسان . وعلى سبيل المثال ايضا فان دواء (الوارفارين) والذى يستعمل في علاج جلطات الدم في الجسم يعتبر علاجا ناجحا في جرعات معينة ، ولكن اذا ما زادت هذه الجرعات عن معدلها فانه يحدث تأثيرا ساما مثل النزيف وخاصة من شرايين المخ ، وبهذا يهدد الحياة . وهو الدواء الذى يستعمل سما للفئران . وايضا دواء (الديجيتالا) الذى يعتبر ذا مفعول ساحر في علاج هبوط القلب وما يصاحبه من ورم في الجسم ، يعتبر هذا الدواء ايضا سما زعافا .

ونعود الى التأثيرات الجانبية للادوية والتي تحدث دائما جنبا الى جنب مع الاثر العلاجي للدواء . ونعطي أمثله على ذلك عديدة فمثلا النبات المعروف باسم ست الحسن (البلادونا) يحتوى على مجموعة من اشباه القلويات تسمى مجموعة (الاتروبين) وهو دواء يستعمل في علاج قرحة المعدة والمغص . ولهذه الادوية آثارها الجانبية التي تضايق المريض مثل جفاف الحلق والريق والجلد وارتفاع درجة الحرارة للجسم « وزغللة» في العينين وارتفاع ضغط العين وزيادة في دقات القلب واحتباس البول . كذلك فان المضادات الحيوية التي تؤخذ عن طريق الفم تقتل الميكروبات النافعة والموجودة في القناة الهضمية والتي تقوم بتمثيل فيتامين ب المركب ، مما يسبب نقصانا في هذا الفيتامين بالجسم وينتج عن ذلك آثار ضارة . ولهذا يعطي دائما فيتامين ب المركب مع المضادات الحيوية . وبعض المضادات الحيوية مثل (الاستربتو مايسين والكانامسين والنيوميسين) تسبب آثارا ضارة على العصب السمعي قد تؤدى الى فقدان السمع . كما ان الكثير من الادوية مثل مشتقات (الفناستين) والتي تستعمل في علاج الصداع كبديل للاسبرين تسبب آثارا ضارة على الكلى ونخاع العظام الذى تتكون فيه كرات الدم مما يسبب

الانيميا . كذلك فان بعض مدرات البول مثل مشتقات (الكلورو ثيازيد) تسبب مرض السكر والنقرس . وكذلك فان مركبات (الكورتيزون) والتي تستعمل في علاج الامراض الروماتيزمية والحساسية قد تسبب ارتفاعا في ضغط الدم وظهور مرض السكر وقرحة المعدة والامراض العصبية . بل ان استعمالها لفترات طويلة ـ مثل حالات زرع الكلي لتقليل رفض الجسم للاعضاء الغريبة ـ قد تؤدي الى آثار قاتلة .

ومن ناحية اخرى ، فان بعض الادوية اذا استعمل اثناء فترة الحمل قد يسبب ولادة الاجنة المشوهة مثل ما حدث في كارثة دواء (الثاليدومايد) وكذلك فان بعض الادوية قد تحدث مع الاستعمال الطويل بعض انواع السرطانات كما ثبت اخيرا ، ان دواء (الرزربين) والذى يستخدم في علاج ضغط الدم العالي يسبب سرطان الثدى .

ـ وحتى دواء الاسبرين فانه يحدث اضرارا كثيرة مثل قرحة المعدة والنزيف .

أسباب للضرر

والاسباب التي تؤدى الى حدوث الآثار الضارة والجانبية للادوية يمكن تقسيمها على الوجه التالي :

١ ـ تأثيرات ضارة نتيجة لخاصية معينة في الدواء لا يمكن تلافيها كما ذكرنا آنفا في حالة مركبات (الاتروبين) ، أو نتيجة لخطأ في التركيب الصيدلي للدواء .

٢ ـ أسباب وراثية ناتجة عن اختلاف في العوامل الجنينية عند بعض الاشخاص ، ولا تظهر الا عند تعاطي ادوية معينة مثل ما تسببه بعض مركبات (السلفا ودواء البريماكين) الذى يستعمل في علاج الملاريا من تحلل الكرات الدم الحمراء والانيميات في بعض اهالى البحر الابيض المتوسط والجنس الاسود . بل قد يحدث مثل هذا الاثر نتيجة لاكل معين مثل الفول وبعض البقوليات .

٣ ـ الحساسية . وهي تحدث على شكل طفح جلدى « وهرش » وتورم ، او قد تكون شديدة وقاتلة مثل ما يحدث في بعض حالات حقن (البنسلين) وما ينتج عنه من صدمة ويرجع ذلك الى تكوين اجسام مضادة للبنسلين في الجسم ، وعند تعاطيه بعد ذلك يتحد جزيئه مع الاجسام المضادة ، ويحدث نتيجة لذلك افراز غزير لمادة (الهستامين) التي تسبب الحساسية .

والتأثيرات الضارة للادوية بدأت معرفتها منذ عام ١٩٣٤ منذ اختراع السلفا ثم بعد ذلك المضادات الحيوية ، ولكن غض البصر عن هذه الاضرار نظرا للتأثيرات العلاجية الساحرة لهذه الادوية في ذلك الوقت . ومع زيادة البحث عن ادوية جديده انصب الاهتمام على تخليق أدوية خالية من الآثار الجانبية وللان لم يمكن اكتشاف الدواء الذي يخلو من اي اثر ضار . وعلى العموم يؤخذ في الاعتبار عند قياس الآثار الضارة والسامة للادوية بما يسمى المعامل العلاجى للدواء وهو : الجرعة العلاجية ٥٠٪ ، الجرعة السامة ٥٠٪ اى النسبة بين الجرعة التي تحدث اثرا علاجيا في ٥٠٪ من الاشخاص الى الجرعة التي تحدث الآثار الضارة في ٥٠٪ من الاشخاص وقد تعارف على ان يكون هذا المعامل ١٠ او اكثر حتى نضمن اقصى حد من السلامة والامان عند استعمال الدواء .

وعلى اية حال فانه كما يقول المثل الدارج رب ضارة نافعة فان الآثار الجانبية للادوية او الضارة في معظم الاحيان قد امكن استغلالها في علاج امراض اخرى . فمثلا الافيون ومشتقاته والذى يستعمل في علاج الآلام الشديدة قد يسبب امساكا شديدا ، وقد امكن استخدام ذلك في علاج حالات الاسهال الشديدة التي كان من الممكن ان ألا تعالج بادوية اخرى كذلك فان التأثيرات الضارة للادوية المضادة للحساسية مثل الاغفاء والميل الى النوم ، والتي قد تكون خطيرة للغاية عند قيادة سيارة او ادارة آلة ـ قد استعملت في علاج الارق دون اللجوء الى الادوية التي تسبب التعدد والادمان ، ولايمكن ان تنسى ان معرفة الآثار الجانبية للادوية قد أدت الى اكتشافات دوائية لها دورها الفعال في العلاج . ومثال ذلك الاثر الجانبي الذي تسببه مركبات السلفا ـ التي تستعمل في العلاج من بعض الامراض الناشئة عن الميكروبات ـ وهو خفض معدل السكر في الدم ـ قد ادى الى اكتشاف ادوية جديدة من مركبات السلفا لعلاج مرض السكر وتستعمل عن طريق الفم مثل دواء (الراستينون والدايميلوز) ويعتبر ذلك انجازا عظيما في علاج السكر لتلافي الحقن اليومي (بالانسولين)

ان هدف البحث العلمي والتجارب المستمرة دائما هو تخليق الدواء المناسب لكل داء بدون آثار ضارة من اجل سعادة البشرية وتخفيف آلام الانسان . ■■

د . السيد عمار
استاذ الادوية بكلية الطب ـ جامعة ولاية اوهايو الامريكية



مصطفى النحاس

إنتفاضات فلسطين وأصداؤها فى مصر

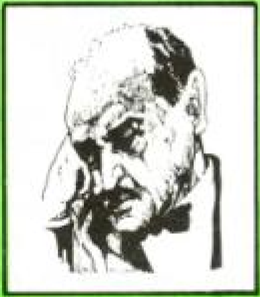
غضبة مشتركة تقدمها السياسيون والأزهريون والشعراء
الشيخ المراغى تنبأ فى الثلاثينات بتهويد فلسطين !

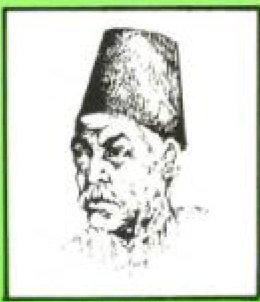
بقلم : اكرم زعيتر

والفكرة العربية تشرق ، وتستنير في مصر حين يجلى قطر عربي في حركة وطنية ، او تنشب فيه ثورة تحررية ، فلايلبث صدى هذه الاندفاعات الجهادية حتى يبدو أقوى ما يكون على أسنة أقلام الكتاب ، ولهوات الخطباء ، وبيانات الجماعات ، وتكون الغضبة المصرية للحق العربي المهتضم اشراقة عربية ، وكأنها الاعصار يجتاح كل نزعة شعوبية ، ويسكت كل نأمة اقليمية ! . وطالما كانت الاصداء المصرية للثورات الوطنية في مشارق دنيا العرب ومغاربها مهرجانات قومية عربية ، واذا كانت الغيرة الاسلامية مما يؤجج الحماسة المصرية فانها ، ذاتها ، كانت روافد تصب في بحر العروبة الزاخر .

وقد امتاز النضال الفلسطيني في الثلاثينات بهبات وثورات وطنية عنيفة .. واذا كانت التظاهرات الفلسطينية الدامية سنة ١٩٣٣ مناسبة رائعة لتجلي الروح العربية في مصر ، فان النزعة العربية المصرية الصارخة قد بلغت الذروة سنة ١٩٣٦ ، وأوفت على الغاية سنة ١٩٣٨ مما ارجو ان اتحدث عنه فيا بعد .

ففي سنة ١٩٣٣ قررت اللجنة التنفيذية العربية ازاء اندفاع السياسة البريطانية في تهويد فلسطين القيام بتظاهر عام في القدس يوم الجمعة ١٣ تشرين اول (اكتوبر) ١٩٣٣ على ان يسير اعضاؤها وزعماء البلاد في طليعتها ، مع عدم استئذان السلطات ، كسرا لقانونها ، وعلى ان يرافق ذلك اضراب عام ، فبادرت السلطات الى اذاعة بلاغ رسمي حظرت فيه القيام بأي تظاهر ، منذرة من يخالف بأشد العقاب ، ولكن تهديد السلطة لم يجد ، وخرج التظاهر الصاخب العنيف من الحرم الشريف بعد صلاة الجمعه ، يرافقه موكب حماسي من السيدات ، واصطدم المتظاهرون بقوات السلطة


احمد شوقي


حافظ ابراهيم


مكرم عبيد

فجرح البعض ، ثم قررت اللجنة التنفيذية الاستمرار في التظاهر التمردي في ٢٧ تشرين اول في يافا ، وفي التظاهر الثاني ، عنف الاصطدام بقوات البوليس البريطاني ، ووقع ٣٠ شهيدا واكثر من مئتي جريح عربي كما قتل بوليس بريطاني وجرح آخرون ، وتعرض رئيس اللجنة التنفيذية موسى كاظم باشا الحسيني للاذى ، واعتقل كثيرون من الزعماء .

ولعل الاندفاع المصري في نصرة هذه الحركة كان أشد منه في الحركات الفلسطينية السابقة . نعم ان ثورة « البراق » سنة ١٩٢٩ لقيت اهتماما مصريا ، وكان لمصر دور بارز في الدفاع عن البراق ، وقد اشرت في مقالة سابقة الى دور احمد زكي باشا وعلوبة باشا والتفتازاني ، كما كان للوفد المصري في المؤتمر الاسلامي العالمي في القدس سنة ١٩٣١ جولات باسلات ، وأدى خطاب عبد الرحمن عزام في المؤتمر انتصارا لطرابلس ـ برقة الى قرار السلطات البريطانية اخراجه من فلسطين فورا ومخفورا حتى الحدود المصرية .

عتاب على شعراء مصر

ولكن ذلك الانتصار المصري كله لم يكن يبلغ المبلغ المرجو .. وهنا اذكر ان شاعر فلسطين ابراهيم طوقان ، أعد قصيدة لتكريم امير الشعراء احمد شوقي حين عزم على زيارة فلسطين ـ وهي زيارة لم تتم ـ وكان مما قاله فيها :

يا باكي الفيحاء حين أبت
تقيم على الهوان
ارسلت عن (بردى) سلامـ
ـك في لظى الحرب العوان[١]
وذرفت « دمعا لايكفـ
ـكف » هيجته الغوطتان

وبعد حديث عن بيان شوقي وعن صلاح الدين وحطين هتف الشاعر بشوقي :

جل المصاب (ابا علي)
فابك هاتيك المغاني
في مصر يطمع (اشعب)
وهنا تبارى (أشعبان)[٢]

وارسل شاعرنا عتابا الى شعراء مصر في قصيد طويل ومما ورد فيه :

جئتكم عاتبا بلابل مصر :
بلبل الروض عتبه الحان

(١) اشارة الى قصيدة شوقي ومطلعها :

سلام من صبا بردى ارق ودمع لايكفكف يا دمشق

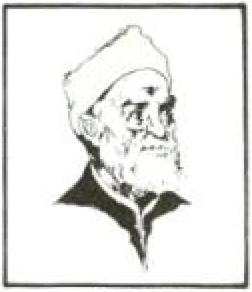
(٢) اشارة الى الاستعمار والصهيونية

رفـرف الشعـر فوقـكم بجناحيه
وفي ساحـكم غذاء البيان
وتسامـى صرح العروبـة في مصر
وهـل غيـركم له اركان ؟
كمْ بلاد تهـزكم ليس فيها
لـكم جـيرة ولا اخوان
خطبنـا لايهـز (شوقـي) ولكن
جاء رومـا فهـزه الرومان[3]
خطبنـا لايهـز (حافـظ ابراهيم)
لـكن تهـزه اليابـان[4]
ما (مطـران) يا فلسطـين شأن
بـك لكن له بنيرون شان[5]
سيقولـون : قدِّسَـت هذه الارض
فما أن لنـا بهـا شيطان
بل فلسطـين بالشياطـين ملأى
ضجـت الانس منهـم والجان
ان بلوتـم منهـم فريقـا فانا
قـد رمانـا باثنـين هذا الزمان

واتفق ان زارت بر الشام سنة ١٩٣١ فرقة رياضية من الجامعـة المصرية وفي احتفـال اقامتـه الجمعية المصرية في الجامعة الامريكية ببيروت ، وجه الشاعر ابراهيم طوقان تحية الى مصر بالغة الروعة وقد رأيتني انتشي من قوله فيها :

شقـوا (القنـاة) عباهـا عنـك تبعدني
أنـى ؟ ومـن لغتـي جسر سيدنيني
أحـب مصر ، ولـكن مصر راغبة
عنـي ، فتعـرض من حـين الى حين
وان بكت ، لابـكت هيا ، فقـد علمت
وايقنـت ان ذاك الهـم يبكيني
ومـا عتبـت على هجـر تدل به
ان الـدلال يمنيـني ويغريني
لكن جزعـت على ود أخـاف اذا
فقدتـه لم أجـد خلا يداويني

واذكر ان امير البيان ، الامير شكيب ارسلان ، قد علق على هذه القصيدة بمقال في صدر جريدة الشورى (القاهرة) عنوانه : (الشعر العربي استأنف ديباجته الاولى) ومما خاطب به شاعرنا ابراهيم : فمصر اذا اعرضت عنك فانما تعرض عن نفسهـا ، وانما تتبدل



الشيخ المراغي

الضعف من القوة ، والوحشة من الانس ، فأمهلها تعالج نفسها من الامراض الاجتماعية التي بها ، وتفيء غش الفلسفة الكاذبه التي دخل عليها ، وهي بعد ذلك تأتي من نفسها اليك ، وتضع يدها في يديك » .

مصر : الأمل

وهنا اقول استطرادا ، مما يوائم موضوعنا ، : ان للامير شكيب رأيا في مصر اورده سنة ١٩٢٥ في كتاب « حاضر العالم الاسلامي » تعليقا على بحث عن الجامعة العربية لمؤلفه لوثروب ستودارد ، وفيه يقول : « المركز الوحيد الذي يمكن ان تؤسس به الآن دولة كبرى تجمع بين جانب كبير من افريقية وجانب آخر عظيم من أسيا ، ويستأنف به مجد العرب والشرق اجمع ، وتحفظ به الموازنة الضرورية لتمكين السلام بين الشرق والغرب هو مصر القاهرة ، اذ بمصر جميع مايلزم من مواد بناء الدولة الضخمة من وفرة الاهالي وخصب الاراضي وثروة البلاد وتوسط الاقليم البلاد وأثار المدنيتين الشرقية والغربية وكثرة المباني الاميرية والمعاهد العلمية والخيرية الى غير ذلك من اشراط قيام الدول العظام ، ولمصر من الوسائل لتحقيق أمل العرب ماليس لغيرها » .

واعود الى صدى الاحداث الفلسطينية في مصر ، فاقول : لقد تلقى موسى كاظم باشاالحسيني ، رئيس اللجنة التنفيذية من مكرم عبيد سكرتير الوفد المصرى ـ وقد كنا نعده ابنا لسعد زغلول ، وسعد زغلول في اجتهادنا ، بين الزعماء ، لااعظم ولااجل ولا اكبر وفيها يقول « ان مصر الشقيقة لينبض قلبها عطفا وحزنا على تلك الدماء الطاهرة الزكية التي سفكت في سبيل قضية فلسطين العربية . واني ، وقد كانت لي حظوة أن أشهد عن كثب تلك الوطنية المتأججة في اهالي فلسطين وزعمائها الاكرمين لايداخلني الشك في النصر المدخر

(٣) اشارة الى قصيدته : رومه
(٤) اشارة الى قصيدته : غادة اليابان
(٥) اشارة الى قصيدته : نيرون .

لكم ، وقد استحصلتموه كاملا بما تحملتم وبذلتم ، وسيعلم المستعمرون أنه ما من قوة على الارض تعظم قوة المظلومين اذا ما شربوا الكأس حتى الثمالة ، فرخصت نفوسهم ، فبذلوها مستميتين مستشهدين ، ولقد كلفني دولة الرئيس الجليل حضرة مصطفى النحاس باشا ان اعرب لكم مرة اخرى باسمه واسم الوفد ، واسم الامة المصرية معا عن مؤازرة مصر لفلسطين في نكبتها وعن عطفها على ما أصابها وأصاب زعماءها المجاهدين في سبيل عدالة قضيتهم ، والله يرعى فلسطين وأبناءها ويكلؤهم بعنايته وتاييده »

وبادر موسى كاظم باشا الحسيني فشكر « للرئيس وللمجاهد هذه المواساة في النكبة «والمؤازرة حين الشدة من مصر ، أم الاقاليم العربية ، وما لاقته فلسطين من حنو عليها ومن مساعدة ، ولن يعز ذو باطل ، ولن يذل ذو حق والعاقبة للمتقين والنصر للثابتين »

واتصلت ام المصريين ، صفية زغلول «هاتفيا » بالأستاذ اسعاف النشاشيبي ترجوه ان يعرب للشعب الفلسطيني عن عاطفتها ، وفي برقية حمد باشا الباسل : « انا تلقونه من ضروب القسوة والارهاق في سبيل الدفاع عن مبادئكم والذود عن حقوقكم من التنكيل في الرجال والنساء والاطفال يهز قلوبنا وقلوب الاقطار العربية نحو الشقيقة العانية ، وانا نشاطرها آلامها واحزانها مترحين على القتلى وداعين للجرحى ، وان بلادا انجبت بسالتكم الباهرة لها المجد والظفر بحول الله » .

برقيات من القاهرة

أما الدكتور عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين فهتف بنا : « في سبيل الله والوطن ماتلاقون من وحشية الظالمين . قلوبنا معكم ثبت الله اقدامكم » وكان لبرقية شريفة رياض رئيسة اللجنة السعدية للسيدات الى عقيلة الرئيس كاظم باشا ابلغ الاثر في نفوس الفلسطينيات وفيها تقول : « قررت اللجنة السعدية للسيدات المصريات باجماع الآراء في اجتماعها اليوم ببيت الامة ابداء احتجاجها على السياسة الاستعمارية الوحشية في فلسطين التي تقوم على التنكيل بالابرياء واهدار دم الشهداء ..كما قررت اللجنة ابلاغ عصمتك وزميلاتك المجاهدات عظيم اعجابنا نحن المصريات ببسالة شقيقاتنا في فلسطين ، والله تعالى كفيل بانقاذ فلسطين من يد الظلم والظالمين » .

وكانت غضبة الازهر عارمة ، فاضرب الازهريون عن الدرس ، وانطلقوا في تظاهرة صاخبة نحو مكتب الجامع ليطالبوه بموقف حازم . وقد اصطدموا بالقوات المسلحة التي حاولت صدهم فما افلحت ، وتألفت من ممثليهم لجنة لمتابعة نصرة فلسطين ، كما تألفت اللجنة المصرية العليا لمساعدة ضحايا فلسطين .

وابرق الشيخ محمد مصطفى المراغي رئيس جماعة الدفاع عن الاسلام ببرقية مهمة تحدث فيها عن الارتياع الذى عم مصر لاخبار الفواجع التي فجعت بها فلسطين« بسبب موقفها في الدفاع عن اعز شيء لديها وهو الوطن والمقدسات ، ولقد حز في نفوسنا ان يسلط الاقوياء عليكم ، وانتم في موقف الدفاع عن حقكم ، واننا لنخشى كما تخشون ان تكون النتيجة القريبة والبعيدة لسيل هجرة اليهود الى البلاد المقدسة تحويل هذه البلاد العربية الاسلامية الى بلاد يهودية لايذكر فيها الاسلام ، ولاتشك لحظة واحدة في ان هذا الذي تشعر به من الالم والحزن يشعر به جميع المسلمين في سائر الاقطار الاسلامية ويشعر به العرب جميعهم سواء أكانوا مسلمين ام مسيحيين ، والله تعالى هو المسؤول ان يضمد جراحكم ويجمل عزاءكم ، ويجعل ما تبلغونه من الاماني بهذا الدفاع المجيد شفاء لآلامكم . وابرق الامير عمر طوسون ، وكانت له مكانته المرموقة ، ببرقية مؤثرة .

وكانت حملات الصحف المصرية عنيفة مما جعل السلطات تمنعها كلها من دخول فلسطين ، وقد جاء في « افتتاحية » الجهاد : « ان انظار العرب قاطبة تشخص الى المسجد الاقصى في ايام العيد المبارك والى الاشبال المتوثبة للدفاع عن ذلك العرين .. اخذ الله بيد الاحرار العاملين في سبيل العرب اينما كانوا » .

عن حزب مصر الفتاة

وبعد ، فقد تأسس في مصر سنة ١٩٣٣ حزب مصر الفتاة ويهمني هنا وبالنسبة الى الموضوع ، ان اشير الى لحظته من تطور معنى الفكرة العربية لدى هذا الحزب الشاب ، ففي بدء التأسيس كان الحزب او رئيسه احمد حسين يهتف بالمصرى : « غايتك ان تصبح مصر فوق الجميع ، دولة شامخة تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الاسلام ولكن الممارسات العملية في الحقل العربي ، والاتصالات باركان الحركة العربية والتجارب ودروس نكبة فلسطين ادت الى تصحيح المفهوم العربي وبلوره ، وأرائي الان اتجاوز الترتيب الزمني للبحث فاتخطى هذا العام ست عشرة سنة ، حين اصبحت « مصر الفتاة » حزب مصر الاشتراكي سنة ١٩٤٩ وجاء في برنامجه ما يأتي : « يعمل حزب مصر

الاشتراكي على توحيد الشعوب العربية كلها في ظل دولة واحدة يطلق عليها اسم « الولايات العربية المتحدة » حيث يحتفظ كل شعب عربي في ولايته بشخصيته وطابعه ، واستقلاله بشؤونه الداخلية ، وان يتعاون الجميع كدولة واحدة على ما يرفع من مستوى الشعوب العربية اقتصاديا واجتماعيا بتنظيم الانتاج والتوزيع فيما بينها طبقا للنظم الاشتراكية ، وان يتألف من الجميع جيش واحد لصد اى عدوان يقع من الخارج على الكتلة العربية او اى محاولة اجنبية من اى نوع كان للاستغلال او التحكم » .

ومن الاشراقات العربية ان ينتشر حديث لعبدالرحمن عزام ، يدعو فيه الى « الامبراطورية العربية » وقد هزنا الحديث وتنافست الصحف العربية ذات النزعة القومية في نشره ، وحرصت على ادراجه في كتاب المطالعة للثانويات العراقية . وقد استند عزام في دعوته الى حقائق تاريخية وواقعية والى قوى طبيعية ظاهرة وكمينة في سبعين مليونا من البشر ، وضرب الامثلة من شبه امبراطوريات اسسها محمد علي ومحمد احمد المهدي وعبد الله التعايشي وعبد العزيز آل سعود : وقال : « وليس بين العرب وبين بعثهم مرة اخرى الا ان يؤمنوا بانفسهم وأن يؤمنوا بوجودهم . فقد افتتنوا بعظمة غيرهم حتى نسوا ذلك الوجود وليس بين العرب وبين الامبراطورية التي تمثل عظمتهم الا ان يكونوا كاليابانيين والصينيين والروس والترك والافغان مؤمنين بانهم امة لها حق تقرير مصيرها .. » ولما اشار الى امبراطوريتي اليابان وروسيا قال : « وانما هي العزة القومية والمثل الاعلى والقدوة الحسنة هي التي جعلت من هاتين الامبراطوريتين اكبر دول العالم » وبعد ان عدد عزام الشعوب العربية التي اتيح له ان يخالطها في افريقية وآسيا قال : « وبالرغم من الحدود المصطنعة التي تفصل هذه الشعوب ومن الاستعمار الاوروبي الذي يعمل على حل عرى الوحدة فيها ، بل بالرغم من انحدار دمائها من الاصول السامية والحامية فان الامة العربية الحديثة هي وحدة اجتماعية وثقافية وليدة تاريخ مشترك لها خواصها الظاهرة والخفية التي تميزها من الشعوب والامم » وهنا توجه عبد الرحمن عزام الى مواطنيه المصريين لافتا نظرهم الى قول ومجال ، العالم الاثري الذي اثبت بشواهد كثيرة ان مصر كانت على الدوام امبراطورية ، الا حين كانت تستولي عليها امة اجنبية ، وقد ضرب ومجال مثلا بالاسرة الثانية عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والبطالسة والفاطميين والايوبيين ومحمد علي « وقد منّ الله على مصر الحديثة بأن بسط حدودها شرقا وغربا فجعلها قلبا في جسم امة عظيمة تمتد من الخليج الى المحيط ، فهي في وسط اخوة في العقيدة والدم واللغة ، فيجب عليها ان تستفيد مما احدثته العصور الاسلامية وان تكون في طليعة الدعاة الى الوحدة ، فليس لها سلامة بغيرها ، كما انه لاحياة لبقية الشعوب بدونها » .

ايضاح لازم

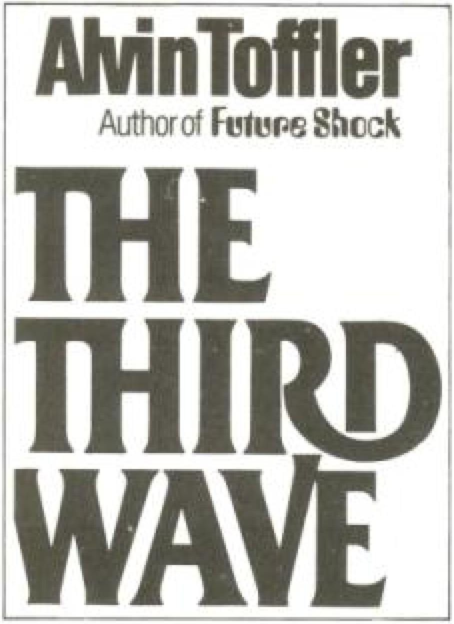
ولعل الاستاذ عزام انتبه الى مايرافق كلمة « امبراطورية »من المعاني المستكرهة كالتوسع ، فاستدرك هذا بقوله : « فلست اقصد بكلمة الامبراطورية العربية غير الوحدة على اى مظهر تحققت ، وليس الغرض تغليب قبيلة على قبائل او امير على امراء او استئثار اقليم ببقية الاقاليم وليست تصورا لنظام دون آخر ولا هيئة من الهيئات التي تكون عليها الدولة دون اخرى ، وانما اول القصد وغايته التعاون بين الشعوب العربية لتكون جبهة واحدة تسير على ضوء المثل الاعلى الذي يخرجه مزاجها المشترك الى الغاية السامية التي هي جديرة بالامة الحرة الكريمة » .

وقد صدق الاستاذ المازني في قوله ، في ذاك الحين : « ونحن نعرف ان الآراء في مصر قد تطورت هذه السنوات الاخيرة الى حيث اصبح الزعماء والقادة يرون الآن ما كان يراه فردان بل افراد قلائل منذ عشر سنين او تزيد من ضرورة التضامن مع الشقيقات العربية في سبيل الحلف العربي او الوحدة العربية » .

واراني قبل ان انتقل الى مقال آخر ، بدافع الوفاء أنوه بذكرى شيخ العروبة احمد زكي باشا الذى صك مسمعنا نعيه في حزيران (يونيو) من سنة ١٩٣٤ ، وقد عرفنا المجلي في خدمة العروبة ، المسهم في احياء ثقافة العرب ، ونشر حضارة العرب ، المدافع المدره عن البراق والحرم ، وعن الثورات العربية ولم تبرح الخواطر نداءاته الصارخة الى بني قومه المصريين يحثهم فيها على نصرة القضايا العربية . ومما اذكر هنا انه نظم ثلاثة ابيات جعلها شعاره ، وزخرف بها داره :

وقفت على احياء قومي يراعتي
وقلبي ، وهل الا اليراعة والقلب
ولي كل يوم موقف ومقالة
انادي ليوث العرب : ويحكمو هبوا
فاما حياة تبعث الشرق ناهضا
واما فناء ، وهو ما يرقب الغرب ■■

بيروت ـ اكرم زعيتر



السؤال الشاغل لعلماء المستقبليات

العالم غداً

■ ماذا يخبيء القدر لما بعد الحضارة الصناعية ؟

■ رؤى الباحثين تشدد على ازمة الطاقة وثورة المعلومات

■ تزايد دور العائلة والروح الفردية وتفكك المجتمعات الكبيرة

بقلم : الدكتور حازم الببلاوي

لقد اصبحت العلوم المستقبلية للبحث والتنبؤ عن مصير البشرية والمجتمعات من اكثر الدراسات رواجا . فاذا لم يكن قدر العالم التدمير والكوارث كما تنذر بذلك كل يوم احتمالات التدمير النووي الشامل والفوضى العارمة ، فأي مستقبل يخبؤه الزمن لنا ..؟

هذا السؤال تحاول الاجابة عليه العديد من الدراسات والبحوث لمراكز متخصصة او أفراد مستقلين . وهي دراسات تجمع عادة بين الخيال وادوات البحث العلمي . فلا هي خيال محض يترك الباحث فيه العنان لشطحاته وانما يحاول ان يستند الى العديد من الملاحظات القائمة والاتجاهات العامة والاحصاءات المتاحة ، ولكنها ليست ايضا من قبيل البحث العلمي الموضوعي المستند فقط الى وقائع ثابتة . ففي جميع الاحوال هناك تزاوج بين فروض واختيارات الباحث المستندة الى مزاجه او قراءته وبين الملاحظات والاحصاءات المستمدة من الواقع والحياة . ولذلك لم يكن غريبا ان تتراوح نتائج هذه الدراسات بين تشاؤم البعض وتفاؤل الاخرين .

فكلنا لم نزل نذكر تنبؤات نادي روما في دراسته

« حدود النمو » الصادرة في ١٩٧٢ حيث اعادت الى الاذهان مخاوف القس الانجليزي مالتس في القرن الماضي عن قصور الموارد الزراعية عن ملاحقة زيادة السكان . فاذا بنا مع « تقرير نادي روما » نتعرض لنقص في الموارد الزراعية وفي الطاقة والمواد الاولية ، فضلا عما يلحق العالم من تلوث وتدهور في البيئة من جراء الاستمرار في معدلات النمو الحالية . كل ذلك قدم ضمن اطار نظري من المعادلات الرياضية والنماذج النظرية للدوائر الهندسية والتغذية المرتدة والمستندة الى بيانات مذهلة جمعت على الكومبيوترز . ولم يكد هذا التقرير يظهر حتى عرف العالم في السنة التالية مباشرة ـ ١٩٧٣ ـ ازمة النفط ثم ازمة الغذاء . وفي مواجهة هذه الدعوات المتشائمة ظهرت دراسات اكثر تفاؤلا كما هو الحال في دراسة ليونتيف W . Leontief التي اعدها لهيئة الامم المتحدة او في تقارير نادي روما اللاحقة . وهكذا تتابعت دراسات المستقبل سواء في اطار من الاستقراء او ضمن البحث عن برامج العمل . ومن هذا النوع الاخير تقرير « ريو » (اعادة تشكيل النظام العالمي) تحت رعاية الاقتصادي الهولندي تنبرجين J. Tinbergen وكذلك العالم العربي سنة ٢٠٠٠ الذي تجري دراسته ضمن عدد من المنظمات الاقتصادية الاقليمية العربية ، وغير هذا كثير .

ومن الكتاب الذين حققوا شهرة في هذا النوع من الدراسات المستقبلية الامريكي توفلر A . Toffler فبعد ان صدر كتابه « صدمة المستقبل » في السبعينات ها هو يخرج بمؤلفه « الموجة الثالثة » في اول الثمانينات وكما كان « صدمة المستقبل » واحدا من اكثر الكتب رواجا ، فان « الموجة الثالثة » لتوفلر قد استأثرت بنفس الاهتمام . وفي الكتابين يحاول توفلر ان يلقي ضوءا على مستقبل المجتمع . على انه في كتابه الاخير لا يكتفي بابراز صعوبة التأقلم مع المجتمع الجديد كما هو الحال في مؤلفه السابق ، وانما يحاول ان يستخلص ، ما وراء آلام التلاؤم والتأقلم ، من ظهور مجتمع جديد اكثر انسانية من مجتمعنا المعاصر .

فتوفلر في كتابه الجديد « الموجة الثالثة » يندرج ضمن الكتاب المتفائلين الذين يرون واحة الامن والاستقرار في نهاية النفق الطويل . فكل ما نعانيه من اضطراب وفوضى في عالمنا المعاصر ليس اكثر من آلام المخاض لمستقبل آخر مختلف ، مستقبل اقل قهرا وأكثر انسانية . ونود في هذا المقال أن نلخص الافكار الاساسية لتوفلر في كتابه الاخير « الموجة الثالثة » او ما بعد المجتمع الصناعي .

حضارة الخدمات ؟

ولعل نقطة البدء هي ضرورة تفسير اختيار عنوان الكتاب « الموجة الثالثة » فماذا تكون الموجتان الاولى والثانية . يرى توفلر مجاراة لعدد من الكتاب ان الانسانية قد مرت بمرحلتين حضاريتين اساسيتين ، الأولى الحضارة الزراعية،والثانية الحضارة الصناعية . وها نحن الان بصدد الدخول في مرحلة حضارية ثالثة هي ما بعد الحضارة الصناعية او « الموجة الثالثة » . وهذه الفكرة ليست جديدة في ذاتها فقد سبق اليها عدد كبير من المفكرين بل وجعلها البعض اساسا لنظرياته ومن ذلك مثلا الكاتب الفرنسي جان فوراستيه Jean Fourastie الذي اصدر في نهاية الخمسينات احد الكتب الاساسية « امل القرن العشرين » . وفي هذا الكتاب يرى فوراستيه ان العالم يعيش فترة انتقالية تفصل بين توازن قديم استمر مع الحضارة الزراعية ، وتوازن مستقبل يتجه اليه العالم فيما بعد الحضارة الصناعية . فالنشاط الانتاجي كما نعرفه الآن ينقسم بين نشاط اولي يتمثل في الزراعة ، ونشاط ثان يتمثل في الصناعة ، ونشاط ثالث يتمثل في الخدمات . ومنذ الثورة الصناعية بدأ يتضاءل دور الزراعة لحساب الصناعة ، سواء من حيث عدد العاملين في كل قطاع او من حيث الاهمية النسبية لكل منهما في الاقتصاد . فبعد ان كانت الزراعة تمثل اكثر من ٨٠٪ من اقتصاديات العالم لما قبل القرن الثامن عشر ، اذ بدورها يتضاءل الى اقل من ٥٪ في الدول الاكثر تقدما . على ان الظاهرة الاكثر اهمية ـ في نظر فوراستيه ـ ليست فقط في تضاؤل اهمية الزراعة وتزايد اهمية الصناعة . وانما في الاتجاه نحو قطاع الخدمات بعد مرحلة معينة من النمو الصناعي . فالدول الاكثر تقدما اصبحت تستخدم في قطاع الخدمات نسبة متزايدة ، ففي الولايات المتحدة الامريكية اكثر من ٥٥٪ من العاملين يعملون خارج الزراعة والصناعة في القطاع الثالث للخدمات . ولذلك فقد انتهى فوراستيه بان اغرب ما ستؤدي اليه الثورة الصناعية هو قيام حضارة خدمات تتزايد فيها باستمرار اهمية الخدمة الانسانية المباشرة .

واذا كان العالم القديم قد عرف نوعا من التوازن والاستقرار عندما كان اكثر من ٨٠٪ يعملون في الزراعة والباقي في الصناعات الحرفية والخدمات ، فان العالم سوف يتجه الى توازن مستقبل حيث يعمل حوالي ٨٠٪ من السكان في الخدمات والباقي يوزع بين الزراعة والصناعة . وهكذا فان المجتمع الصناعي الذي نعيشه

يعدو ان يكون نتيجة طبيعية لمراحل الانتقال . وهذا ليس فقط نتيجة احتياجات المرحلة الجديدة الوليدة ، وانما نتيجة تعايش اكثر من مرحلة في نفس الوقت . فالحضارة الزراعية والحضارة الصناعية والحضارة لما بعد الصناعية ليست مراحل متتابعة فقط ولكنها ايضا مراحل متداخلة .

وهذا يفسر الى حد بعيد التناقض والتعارض في المجتمعات الحديثة فالتطور لا يتم بدرجات واحدة في كل القطاعات في نفس الوقت . ففي نفس الوقت تتعاصر قيم ومتطلبات لحضارات مختلفة بعضها يمثل « موجة » زائلة والبعض الاخر يبشر « بموجة » قادمة ولكنها كلها قد تتعاصر في لحظة واحدة مما يزيد من الغموض والتعارض .

ثورة المديرين

وتحتل الموجة الثانية ـ الحضارة الصناعية ـ مكانا مرموقا من دراسة توفلر حيث اننا لا زلنا نعيش هذه المرحلة ، رغم انها في طريقها الى الزوال . وهنا نجد ان توفلر في استعراضه لخصائص هذه الموجة الثانية لا يميز بين الاشكال الاقتصادية والسياسية المختلفة ، فالدول الرأسمالية والاشتراكية الصناعية تقدم صورا متماثلة من الحضارة الصناعية . وتوفلر يتابع في هذا الصدد تيارا هاما بين عدد من المفكرين الذي يركزون على خصائص المجتمع الصناعي ولا يرون في الرأسمالية والاشتراكية اي تعارض اساسي بل هما تطبيقان متقابلان لحضارة واحدة . وقد كان المفكر الماركسي الامريكي برنهام J. Burnham من اوائل من اكد على هذا التماثل عند اصدار كتابه « ثورة المديرين » خلال الحرب العالمية الثانية عندما راعه مع عدد من المثقفين اليساريين تحالف ستالين مع هتلر في ١٩٣٨ . وقد كانت فكرة برنهام ان اخذ النهج الماركسي في التحليل التاريخي يؤدي الى ظهور طبقة المديرين التي تدير كلا من الاقتصاد الصناعي الالماني والاقتصاد الصناعي الروسي مما سهل عليهم امكانية التقارب السياسي ، ومن المفكرين المحدثين الذين يركزون على خصائص المجتمع الصناعي دون تفرقة اساسية بين النظم الرأسمالية والنظم الاشتراكية الاقتصادي الامريكي جالبريث K. Galbraith والمفكر الفرنسي ارمون أرون R. aron . ويفسح توفلر في استعراضه لخصائص الموجة الثانية او الحضارة الصناعية مكانا هاما لقضية الطاقة . فالحضارة الانسانية كلها تقوم على استخدامات الطاقة . وهنا نجد ملاحظة توفلر الهامة حول الفارق بين صور الطاقة



الفين توفلر

الان ليس اكثر من مرحلة انتقالية بين توازن قديم وتوازن مستقبل . وكجميع مراحل الانتقال فان كل شيء يكون محلا للمراجعة والتغيير والاضطراب .

وتوفلر لايقول نفس الشيء تماما في كتابه الجديد ، ولكنه يقول شيئا غير بعيد . فالعالم الآن يتجه الى الموجة الثالثة ، الى مرحلة ما بعد الصناعة .

وهكذا فان كل ما نعانيه الآن من آلام واضطراب لا

المستخدمة في الحضارة الزراعية وتلك المستخدمة في الحضارة الصناعية . الاولى تعتمد على صور متجددة من الطاقة ، وسواء أكانت الطاقة المستخدمة مستمدة من الطبيعة او من الحيوان . فالرياح واندفاع المياه مصادر متجددة دائما ، وكذلك الحال مع قوة الحيوان بل والانسان ايضا (احوال استخدام العبيد) . اما الطاقة المستخدمة في الحضارة الصناعية فهي اساسا تعتمد على استهلاك المناجم والحفائر سواء الفحم او البترول . ففي الحالتين نجد انفسنا في مواجهة مصادر للطاقة غير المتجددة والتي تثير قضية نفاد مصادر الطاقة . ومن المشروع التساؤل في ظل هذا التغيير عن جدوى التقدم الذي حدث مع تطور مصادر الطاقة . حقا ان استخدام الفحم او البترول مع ثورة البخار وآلة الاحتراق الداخلي قد زادا من قدرة وسرعة الانسان بشكل لا مثيل له بالمقارنة بوضعه حين كان يعتمد على قوة الريح او تحمل الحيوان .

ولكن أليس من الممكن ايضا التساؤل عن الافق الزمني لكل من الحضارتين . الحضارة الزراعية لا تعطي حقا مصادر الطاقة فيها نفس القدرات التي تتيحها مصادر الطاقة في الحضارة الصناعية ، ولكن الاولى دائما متجددة لأفق زمني لا ينتهي ، في حين ان الثانية محدودة بأفق زمني بعيد تنفد عندها تلك المصادر . وبذلك فان ما اكتسبته الحضارة الصناعية من قوة بمصادر الطاقة الجديدة قد ضيعته بالعمر الزمني المحدود ـ مهما طال ـ لها . فالامر لا يعدو ان يكون استهلاكا على حساب الاجيال القادمة .

وفي استعراض للخصائص التكنولوجية للانتاج ركز توفلر على اهمية الفصل بين الاستهلاك والانتاج في الحضارة الصناعية . وهو امر لم يكن كذلك دائما . فالفصل بين المنزل والعمل (المصنع) امر حديث نسبيا . فحتى وقت قريب كان هناك خلط واندماج بين المنزل والعمل ، وتتداخل الاعمال المنزلية مع النشاط الانتاجي . اما الحضارة الصناعية فالفصل كامل ليس فقط من الناحية المكانية بل ايضا من حيث قواعد السلوك والقيم السائدة في كل منهما . وبصفة عامة فان اهم ما يميز الحضارة الصناعية هو تغلب « قيم العمل » على كل شيء حتى على حياة المنزل . فالمصنع اصبح يحدد الى حد كبير نموذج الحياة . فالمدرسة هي اعداد التلميذ لحياة المصنع في المستقبل ، بل ان المدرسة هي مصنع في تنظيمها . ففي المدرسة لا يتلقى التلميذ فقط المعلومات والمهارات ولكنه يتعلم قبل كل شيء « النظام » و « الانضباط » و « الطاعة » . وهي كلها امور تهيىء التلميذ لحياة « المصنع » فيما بعد .

السوق في الحياة الحديثة

والفصل بين الانتاج والسوق يجعل التبادل او السوق امرا جوهريا في الحياة الحديثة . وعندما نتحدث عن السوق تنصرف اذهاننا عادة الى المجتمعات الرأسمالية ولكن الحقيقة هي ان جوهر السوق هو التبادل ؛ هو الانتاج من اجل مستهلك آخر غير المنتج وهو امر لا يختلف بين مجتمعات راسمالية ومجتمعات اشتراكية . واذا كان جل الانتاج هو للسوق وله قيمة نقدية يتم التبادل بها ، فليس معنى ذلك ان كل شيء يتم من اجل السوق . فهناك العديد من صور النشاط الانساني الذي يتم بعيدا عن السوق ، مثل خدمات الزوجة في المنزل : تربية الاطفال ، اعداد الطعام ، تهيئة جو عائلي ... كذلك هناك العلاقات الانسانية مثل الحب والصداقة . ولكن المجتمع الصناعي يتميز بغلبة قيم السوق على السلوك . حتى داخل الاسرة اصبح مكان الرجل متميزا لانه يعمل من اجل السوق ، ومن ثم تقدر قيمة عمله نقديا في حين ان الزوجة تعمل بعيدا عن قيم السوق .

والانتاج للسوق هو بطبيعته انتاج كبير . وهنا نجد التأثير المتبادل بين التكنولوجيا والسوق . فالتكنولوجيا تساعد على الانتاج الكبير ومن ثم على الفصل بين الانتاج والاستهلاك وظهور السوق . ولكن ظهور الاسواق من ناحية اخرى وتطورها يساعد على مزيد من تقسيم العمل ومزيد من التقدم التكنولوجي . ونعرف جميعا كيف ان آدم سميث (ابو الاقتصاد السياسي) قد ركز على اهمية تقسيم العمل والسوق واثرهما على التقدم الاقتصادي . وقد اصبح مؤلفه فيما بعد دستورا لكافة النظريات الاقتصادية التي عاصرت وتابعت الثورة الصناعية . ويرتبط بالانتاج الكبير وظهور اهمية السوق ظاهرة اخرى هي الترابط الاقتصادي . فمع الحضارة الصناعية زالت صور الاكتفاء الذاتي والاستقلال النسبي ، واصبحت كافة الوحدات مرتبطة ببعضها البعض . على انه من الضروري هنا التأكيد على ان الترابط الاقتصادي والاعتماد المتبادل ليس بالضرورة علاقة بين متساويين . بل لقد اوضحت العلاقات الاقتصادية ان التطور يسير في اتجاهين في نفس الوقت ، فمع مزيد من الترابط والتداخل ، هناك مزيد من علاقات السيطرة والتبعية . وقد عنيت هذه الظاهرة باهتمام الاقتصاديين الماركسيين ثم عديد من الاقتصاديين الغربيين مثل الفرنسي فرانسوا بيرو

Francois Perroux الذي اهتم منذ وقت طويل « باقتصاديات السيطرة » والامريكي سويزي P . Sweezy الذي كتب كثيرا عن الاحتكارات .

خصائص العصر

ويرى توفلر ان الانتاج في ظل الحضارة الصناعية قد تميز بعدة خصائص تراعي طبيعة هذه المرحلة : النمطية ، والتركيز ، والمركزية ، والتعظيم ، والتوقيت .

الانتاج الكبير يحتاج بطبيعته الى نمطية الانتاج وعدم التمييز فيه ، وهذا يرتبط بضرورة تقسيم العمل وتجزئته مما يجعل التخصيص امرا ضروريا . ولا يمكن ان يستمر التخصيص ويزداد دون تركيز الانتاج في وحدات كبيرة . وهذا يؤدي بدوره الى مركزية القرارات ، وفي كل هذا يصبح البحث عن اقصى ربح وادنى تكلفة مؤشرا عن حسن الادارة . وبذلك يصبح تعظيم النتائج معيارا للكفاءة . واخيرا فان ترابط العمليات المختلفة واعتمادها على بعضها البعض يجعل التوقيت امرا ملحا .

ويشير توفلر الى اهمية الفنيين والمديرين في تحقيق التنسيق بين العناصر المختلفة في المجتمع الصناعي . وازدياد اهمية الفنيين والمديرين من الامور التي عنيت باهتمام المفكرين منذ وقت ليس بالقليل ، وان كان ذلك على اسس مختلفة . ففي بداية الثلاثينات ، اشار بيرل وميتز الامريكي الى الفصل بين الملكية والادارة في العصر الحديث مع نمو اهمية شركات المساهمة وغياب دور المساهمين في السيطرة الفعلية على القرارات . وفي الاربعينات استخلص برنهام من تطبيق المنهج الماركسي على التطور ، ظهور طبقة المديرين نتيجة الصراع بين رأس المال والعمال ، كما حدث في مرحلة سابقة عند الصراع بين الاقطاع والفلاحين حيث ظهرت طبقة البورجوازية . فالصراع الطبقي عند برنهام ينتهي لمصلحة طبقة جديدة لم تكن طرفا في الصراع . وفي الستينات اشار جالبريث الى اهمية طبقة الفنيين نتيجة تعاظم اهمية المعرفة في اتخاذ القرارات . اما عند توفلر فان الحاجة الى المديرين والفنيين ترجع الى ضرورة التجميع بين الجزئيات المختلفة التي يخلقها المجتمع الصناعي ، والى ضرورة التنسيق واتخاذ السياسات بين العديد من مراكز القرارات المبعثرة نتيجة للتخصص والبعثرة . بل ان توفلر يرى في الدولة وسيلة لتحقيق التكامل السياسي الضروري للتكامل الاقتصادي فيما بين الوحدات الاقتصادية المتناثرة . ويذهب الى أن الاتجاه الى العالمية امر مرتبط بطبيعة المجتمع الصناعي . فالمشروع الصناعي قد اصبح يجاوز حدود الدولة السياسية .

وها نحن نرى توسع ما يسمى بالشركات متعددة الجنسية . ويؤكد توفلر ان هذه ظاهرة ليست مقصورة على الدول الرأسمالية ، بل ان الدول الاشتراكية هي الاخرى تعرف ظاهرة مماثلة لهذه الشركات متعددة الجنسية .

وهكذا فان توفلر يرى ان الحضارة الصناعية قد غلبت على كل شيء من تنظيم حياة الانسان الى معتقداته وقيمه . بل ان نظرة الانسان الى الطبيعة قد تغيرت في ظل هذه الحضارة . فالانسان لم يعد جزءا من الطبيعة ، وانما هو على العكس يعمل في مواجهة الطبيعة . الانسان ليس من الطبيعة وانما هو في صراع معها . فالانسان والطبيعة ليسا كلا متكاملا ، ولكنهما في علاقة بين شخص وموضوع . والطبيعة ليست طرفا في هذه العلاقة وانما موضوع او محل لها .

الى الموجه الثالثة

وهذه وغيرها من مظاهر الحضارة الصناعية او « الموجة الثانية » تواجه الآن مرحلة انتقالية الى مرحلة جديدة ، الى « الموجة الثالثة » . وفي هذا يتفق توفلر مع عدد من المفكرين الذي يرون ان العالم يواجه مرحلة انقطاع وتغيير . ففي كتاب ظهر في نهاية الستينات « عصر الانقطاع » اشار الكاتب الامريكي النمساوى الاصل - بيتر دروكر p. drucker انه على خلاف ما يعتقده الكثيرون فقد كان النصف الاول من القرن الحالي فترة استمرار وتطور في نفس الاتجاه ، وما ظهر من اختراعات واساليب جديدة كانت بدورها معروفة منذ القرن الفائت . ولكننا نواجه منذ نهاية الستينات عصرا جديدا مختلفا عما سبق يؤذن بعصر جديد مختلف . ولذلك فقد انتهى عصر الاستمرار وبدأ عصر الانقطاع .

ولعل من اهم مظاهر هذه المرحلة الجديدة ما تواجهه من ازمة في الطاقة فعصر الطاقة من المواد النافدة قد اقترب من نهايته وهو ما يفرض على البشرية ضرورة البحث عن مصادر جديدة مختلفة . ولعل اهم ما ستتميز به هذه المصادر هو تنوعها . فلن يعود العالم من جديد الى عصر الفحم او عصر البترول . وانما الى عصر تتكاتف فيه العديد من مصادر الطاقة : الطاقة الشمسية ، الرياح ، تيارات البحار ، الحرارة الباطنية ، الطاقة النووية . فالمستقبل سيكون في الغالب للتعدد في مصادر الطاقة اكثر من تركيزها .

واذا كانت المصادر الجديدة للطاقة ستكون بطبيعتها اقل تركيزا وتميل الى التجدد ، فان ذلك لا يعني ابدا العودة الى اوضاع الطاقة في « الموجة الاولى » (الحضارة الزراعية) بل على العكس مجاوزة لكل من الحضارتين الزراعية والصناعية .

ويفرد توفلر في عناصر الموجة الثالثة مكانا بارزا لثورة المعلومات . فالحضارة الصناعية قد تميزت بقفزة هائلة في دور المعلومات في الحياة . فذاكرة الانسان لم يعد يحملها معه . وانما اصبحت مدونة في سجلات ومراسلات ومؤلفات ومكتبات وهو امر لم تعرفه حضارة « الموجة الاولى » ، على الاقل بنفس الدرجة . وقد عمدت الحضارة الصناعية الى اخضاع المعلومات لنفس خصائص المجتمع في التنمطية والتركيز والمركزية .. الخ ، ولكن المعلومات تعرف الآن ثورة حقيقية مع ظهور العقل الالكتروني (الكومبيوتر) والدوائر الكهربائية والترانزستر والمواد الجامدة . وقد كان لذلك اثره الكبير في دور المعلومات وتأثيرها على حياة الفرد . فانظر مثلا الى تأثير التليفزيون حين وحّد او نمّط الاذواق ، وبث الاخبار والمعلومات بشكل مكثف في نفس الوقت على مئات الملايين . وقارن هذا بظهور « الفيديو » حيث عادت من جديد الفردية والذوق الخاص في اختيار ما يراه المشاهد . هنا نجد ان التطور في وسائل نقل المعلومات قد انعكس أثره على الافراد :

التليفزيون وسيلة للتنميط والغاء الفردية ، وعلى العكس فان الفيديو مثلا وسيلة للتحرر واعلاء دور الذوق الشخصي ، وهكذا . وقد اصطحب كل ذلك بتغير في نظرة الأفراد لاجهزة الاعلام المركزية وبدأت الثقة فيهم تهتز .

وكذلك الحال مع الكومبيوتر فقد بدأ مع المؤسسات العملاقة حيث يحتاج الى تكاليف مذهلة . ويعالج احجاما ضخمة من البيانات ، وها نحن الآن بصدد صور صغيرة متطورة من العقول الالكترونية الصغيرة بل والمنزلية التي يمكن ان تساعد في العديد من الاعمال المنزلية . لم يعد الكومبيوتر فقط مقصورا على الشركات الصناعية الكبرى وشركات الطيران بل اصبحنا نجده في عيادات الاطباء ايضا . وساعد على هذا التطور ما لحق وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية من تطور .

وفي مواجهة التطور الذي يمكن ان يلحق مصادر الطاقة الجديدة من ناحية والمعلومات وتوزيعها من ناحية اخرى لم يعد الانتاج الكبير هو الصورة الاساسية للنشاط الاقتصادي واصبحنا نسمع عن دعوات جديدة تفضل صغر الحجم . ومنذ وقت ليس بالبعيد يذكرنا نيف Neff في كتابه عن الحضارة الصناعية ان اهم ما يميزها هو غلبة الكم على الكيف . فالاكبر دائما افضل . وها هو كتاب « الصغير جميل » يصدر في بداية السبعينات ليحاول ان يحطم اسطورة الحجم ، فالاكبر قد لا يكون دائما الافضل . وها نحن مع شوماشر E. Schumacher نكتشف ان الصغير ايضا جميل .

المنزل الالكتروني

ونلاحظ فيما سبق ان توفلر يركز بصفة خاصة على قضيتي الطاقة والمعلومات وما يلحقها الآن من تطور ينبيء بظهور حضارة جديدة : الموجة الثالثة .

والحقيقة انه يمكن متابعة التاريخ البشري من خلال ما لحق هذين الامرين من تطور . وهو ما تنبه له الاقتصادي الفرنسي الشاب جاك اتالي J. attali منذ فترة وخاصة عندما نشر كتابه الشيق عن « الكلمة والأداة » في منتصف السبعينات . ولعلنا نضيف هنا ان الحضارة الصناعية لم تعبر فقط عن مستوى وشكل معينين لكل من الطاقة والمعلومات ، وانما اخضعت المعلومات بشكل كبير لمقتضيات الطاقة فالكلمة سخرت للآلة الى حد بعيد .

ويؤكد توفلر ان خصائص « الموجة الثالثة » ستختلف عما تعودنا عليه مع الحضارة الصناعية فمن الناحية الشكلية يبدو ان هناك عودة الى خصائص « الموجة الاولى » (الحضارة الزراعية) ، ولكن الحقيقة ان التماثل الظاهري يخفي اختلافا كيفيا . فالفصل بين العمل والمنزل والذي اصبح من خصائص المجتمع الصناعي قد بدأ يتراجع مع التطورات الجديدة في ميدان الطاقة والمعلومات . فكثير من الاعمال لم يعد من الضروري انجازها في المصنع . فهناك عدد متزايد من المصانع في الولايات المتحدة الامريكية الذي يترك للعمال حرية انجاز بعض الاعمال في منازلهم بحيث لم يعد الحضور والانصراف في مواعيد محددة ذا اهمية . وهذا لا يعني العودة الى الاعمال المنزلية الحرفية ، بل انه يشير الى تطور المنزل وظهور ما يمكن ان يعرف بالمنزل الالكتروني . فالعامل يجد تحت تصرفه في منزله العديد من الاجهزة الصغيرة التي تدار بوسائل جديدة للطاقة ، كما ان اعتياده يزداد على ما يمكن ان تطلق عليه الكومبيوتر المنزلي حيث يتصل منزله بالمراكز الرئيسية

لتوزيع المعلومات . ويظهر ذلك بوجه خاص في العديد من الاعمال المكتبية .

فالسكرتيرة التي اصبحت جزءا من مظاهر الادارة الحديثة ، يمكن ان يختفي مكانها تماما في الحضارة الجديدة . فمع وسائل الاتصال اللاسلكي الحديثة ووسائل نقل المعلومات لم يعد من الضروري التواجد المادي للسكرتيرة في اماكن العمل .

ومن شأن هذه التطورات ومثيلاتها اعادة النظر في وضع العائلة . فالعائلة الكبيرة التي عرفت في الحضارة الزراعية الاولى بدأت تختفي مع الحضارة الصناعية . ودور العائلة بدأ يتراجع كثيرا في ظل هذه الحضارة لمصلحة مؤسسات اخرى مثل المدرسة والمستشفى والحضانة فضلا عن المصنع ، بحيث لم يعد قائما من العلاقات العائلية سوى اقل القليل . والان فانه يمكن ان يتزايد دور العائلة في ظل التطورات الجديدة . فاذا كان العمل يتم في المنزل في جزء كبير منه ويشترك فيه الزوج والزوجة وربما الاولاد ايضا ، فانه من الطبيعي ان يخف الفصل الشديد الذي عرفناه مع الحضارة الصناعية . كذلك فان الفصل الكامل بين الاستهلاك والانتاج يمكن ان تخف حدته ويتأكد الطابع الاكثر ذاتية في العلاقات الاجتماعية .

ويرى توفلر ان مارأيناه من حضارة المجموع (الانتاج الكبير ، النمطية) سوف يبدأ في التراجع لاشكال جديدة اكثر ذاتية وتنوعا . بل انه يرى ان الاتجاه نحو التنوع وتأكيد الذاتية لم يقتصر على اشكال الانتاج واساليب العمل وطرق التربية والتعليم ، وانما ستعبر عن نفسها في مزيد من تأكيد الاتجاهات الاستقلالية للجماعات . فاذا كانت الامة قد ظهرت كوسيلة لتحقيق التكامل السياسي اللازم للتكامل الاقتصادي القائم على النمطية والانتاج الكبير ، فان عناصر الاستقلال والتمييز سوف تظهر مع الحضارة الجديدة المعتمدة اكثر على مصادر الطاقة الاكثر تنوعا ووسائل الانتاج الاكثر تلاؤما مع تعدد الاذواق .

وهكذا فانه يرى ان حركات الاستقلال بدأت تظهر في كل مكان ، هناك حركات استقلالية في كندا ، ودعوات مماثلة في بلجيكا ، وارهاصات في فرنسا . بل ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ليسا في نظره بعيدين عن هذا الاتجاه العام . فالحديث عن صفات تكساس او خصائص الجنوب او الغرب في الولايات المتحدة الامريكية لم تعد اصواتا غريبة على الاسماع . كذلك فان التخوف من حركات الاستقلال القومي لبعض جمهوريات الاتحاد السوفيتي يمثل هاجسا معروفا سواء تعلق الامر باوكرانيا او بالجمهوريات السوفيتية الاسلامية او المغولية او غير ذلك . وفي جميع الاحوال يرى توفلر ان الدعوة الى مزيد من الاستقلال المحلي او الاقليمي ستكون من طبيعة المرحلة القادمة . ويرى توفلر ان وحدة الدولة وسلطتها المركزية لم تعد مهددة فقط من اسفل عن طريق هذه الحركات الاقليمية ، بل انها ايضا مهددة من اعلى بتزايد دور ما يسمى بالشركات متعددة الجنسية التي بدأت تتجاهل الحدود السياسية للدول بشكل متزايد .

في استعراضه لاشكال الحضارة الجديدة ينتقل توفلر من ميدان الى آخر في سرعة مذهلة ولا يكاد القارىء يحيط بمثال او امثلة في مجال معين حتى ينتقله المؤلف الى اطار جديد مختلف تماما . فكتاب توفلر اشبه بعصور سينمائي على سيارة سريعة او حتى طائرة لا يكاد ينتهي من نقل لقطة الى القارىء حتى يجد نفسه في لقطة جديدة تماما ، وهو يتنقل في كل هذا من غريب الى اغرب . وهذه السرعة الشديدة افقدت الكتاب بعض الوحدة برد هذه اللقطات او الصور الى محور او محاور رئيسية واضحة .

وباستثناء القول باننا على مشارف مرحلة حضارية جديدة مختلفة في خصائصها عن مرحلة الحضارة الصناعية لم تعد تعرف تماما ما المقصود « بالموجة الثالثة » سوى انها ليست الموجه الثانية ، وهي اقرب في مظاهرها الشكلية الخارجية للموجة الاولى وان كانت مجاوزة لها في طبيعتها .

وفي تعليق لمجلة الاكونومست اللندنية على كتاب توفلر اشارت الى ما بذله الكاتب من جهد كبير في قراءة العديد من الكتب والمقالات والتقارير والبحث في العديد من الجرائد والمجلات والمقابلات مما اغرق القارىء في امثله وحالات متنوعة من كل صوب .

وخلصت المجلة الى انه ربما كان من الافضل للكاتب والقارىء معا ، لو ان توفلر بذل جهدا اقل في القراءة وجهدا اكبر في التفكير . وقد يكون في هذا التعليق بعض القسوة ، ولكن الحقيقة هي ان كثرة القصص والامثلة الطريفة التي اوردها الكاتب قد افقدت القارىء عند وصوله الى نهاية الكتاب النظرة الشاملة لطبيعة « الموجة الثالثة » وان اغنته بالعديد من صورها .

د . حازم الببلاوي

باعة الحضارة

مالك بن نبي

اننا نعرف في الجزائر ، وفي البلاد الاسلامية الأخرى ، ذلك الوجه المألوف ، وهو يشق طريقه بين الجماهير في أسواق المدينة وبطحاتها ، يوزع مجانا ماء غدقا يسكبه من قربة يحملها بجنبه ، يمر وهو يكرر كلمته المعروفة لدى أجيال المسلمين :

ـ في سبيل الله ! السبيل ! ..

اننا نعرف هذا الوجه الأصيل ، بين وجوه أخرى كذلك المؤذن . وهو يوزع في الواقع زهده ، وطمأنينة عقيدته وروحانيته العميقة في الأسواق ..

فكل حضارة تصنع هكذا نماذج اجتماعية ووجوها تقليدية تتعاقب في الأجيال ، تضع عليها طابعها ، وترسم على ملامحها ما يعبر عن رسالتها الخاصة .

فالحضارة الغربية ، باعتبارها شغالة ومهنية ، قد صنعت النموذج الاجتماعي المطبوع بما نسميه مثاليتها ، أي المطبوع بالعبقرية التي تتمثل فيما يطلق عليه الانجليزي « الشغل » « Business » وبالحكمة التي يعبر عنها هذا الرجل فيقول :

ـ ان الوقت درهم ...

ومن الطبيعي أن يكون هذا النموذج متنوعا حسب الحاجة في مجتمع اعتنى أكثر من غيره بالتخصص وتوزيع العمل .

اننا لا نجد هذا النموذج متمثلا فحسب في البقال ، وفي السمسار الذي يعرض العمارات للبيع ، وفي بائع الحديد القديم ، وفي بائع المخلفات أي في كل بائع لشيء من الأشياء ، بل نجده متمثلا في البائع الذي يبيع « لاشيء » .. أي في البائع الذي لايسلمك شيئا في مقابل نقودك .

انك تعرف ، لاشك ، اذا كنت من سكان مدينة كبيرة في الغرب ذلك الزائر الذي يدق على بابك ليعرض عليك اما « مصاصات الغبار » التي تمتص الغبار من السجاد ، واما تكبير الصور العائلية فيقول أحدهما :

ـ يا أستاذ ، ان الآلة التي أعرضها على حضرتكم لازمة لصحة بيتكم ، لأنها تكفيكم شر المكروبات الموجودة في الغبار .



ولد عام ١٩٠٥ بمدينة قسنطينه بالجزائر ، وتخرج من باريس مهندسا كهربائيا عام ١٩٣٥ ، ولكنه اشتغل بقضايا الفكر ، ما بين باريس والقاهرة والجزائر . من ابرزمؤلفاته : الظاهرة القرآنية ، شروط النهضة ، مشكلات الحضارة ، الفكرة الافريقية الاسيوية . توفي بالجزائر في ١٩٧٣/١٠/٣١ م .

ويقول الثاني :

ـ يا سيدي ، ان دارنا تمكنكم مجانا من حفظ ذكريات العائلة من التلف .. يجب أن تكبروا صور العائلة كي تحتفظوا بها .

انك تستمع هذا .. وتبتسم طبعا لهذه العبارات البريئة ، حيث ترى المصلحة الشخصية فيها . وهي تحاول أن تختفي وراء مصلحتك .

ولكن مهما يكن في موقف هذين الزائرين من انتفاعية بسيطة متخفية ، فانهما على كل حال ، يعرضان عليك شيئا معينا ، مقابل نقودك .

ولكن كيف تحكم على من يأتي الى بابك كي يبيع لك الحضارة ؟ . ان بعض القيم لا تباع ولاتشترى ، ولا تكون في حوزة من يتمتع بها الاكشرة جهد متواصل أو هبة تهبها السماء . كما تهب الخلد للارواح الطاهرة ، وتضع الخير في قلوب الأبرار .

فالحضارة من بين هذه القيم التي لاتباع ولاتشترى .. ولايمكن لأحد من باعة المخلفات أن يبيع لنا منها مثالا واحدا ولايستطيع زائر يدق على بابنا أن يعطينا من « شنطته » ، أو من حقيبته الدبلوماسية . ذرة واحدة منها .

أن الحضارة ليست شيئا يأتي به سائح في حقيبته لبلد متخلف كما يأتي بائع الملبوسات البالية . ان ابن المستعمرات هو الذى يذهب الى الحضارة ، الى مصادرها البعيدة . وقبل كل شيء الى مصادرها الأقرب من أصالته . وليست الحضارة في نية المستعمر ولو صحت هذه النية بل هي نتيجة الجهد الذي يبذله كل يوم الشعب الذي يريد التحضير ، وفي ارادة هذا الشعب ازاء الحضارة أى عندما يضع في كل تفصيل من حياته مضمونه الأخلاقي والجمالي والعملي ، حتى يكون هذا التفصيل كأنه خطوة نحو التقدم .

وفي هذا المضمون مع ما تضعه فيه عبقرية ابن المستعمرات هندوكيا كان أو بوذيا أو مسلما ـ تجد ما تضعه فيه أيضا العبقرية الغربية . لأن الحضارة الغربية ستبقي مثل ما سبقها من الحضارات مرحلة في تاريخ الانسانية . واذا كانت هذه المرحلة مرحلة فاصلة بمقتضى ارتباطها بعصر الذرة ، فان الانسانية سوف لاتدين بالتالي بحضارتها الى « نية » الغرب أو الى عبقريته بل تدين الى العناية الألهية التي تضع مصيرها تحت قوانين سماوية تسير تاريخها .

هكذا تكلم أبو كبير !

قصة : مجيد طوبيا

الاسم مصطفى ، واصدقاؤه المقربون ينادونه بالتسمية المتداولة في مصر : « درش » .. اما زوجته فتدلله منادية « صافي » .. بينما « ابو كبير » هو لقب الاسرة واسم القرية التي ولد بها ..

كان وهو مراهق يظن ان متع الحياة ثلاثة : مال وفير وزوجة محبة وبنون ظرفاء .. الزوجة حصل عليها منذ تسع سنوات ، رقيقة انيقة تتدثر اسرتها بالستر .. عندما انجبت ابنته الاولى كان هو رقيق الحال يبحث عن الثراء ، ويعمل مساعدا لرجل اسمه « محروس » ، الذى كان وكيلا لاحدى الشركات الاجنبية ، يروج لسلعها مقابل عمولة مجزية . والذى وثق فيه وعامله مثل الابن ، فتعود ان يوكله عنه بتفويض رسمي كلما سافر .. لكن مصطفى مع مجيء طفله الذكر الاول الذى فرح به كثيرا شعر بالمسئولية ، وفكر في طريقة يضمن بها مستقبل اسرته المادى ، فاستعمل كل ذكائه ، وانتهز فرصة سفر رئيسه محروس واستغل التوكيل ، واوقعه في ملعوب بارع اطاح به ، وحل مكانه لتصبح كل العمولة المجزية دخلا خالصا له ، ولينمو رصيده في البنك بسرعة فائقة !

ثم انجبت له زوجته للمرة الثالثة ابنة لطيفة لم يفرح بها ، لكنها اكدت حصوله على المتعة الثالثة : البنون ..

ورغم ثقته العميق بان السعد وعد ، الا انه لم يصدق نفسه عندما قفز رصيده الى ربع المليون ، وركبته الهواجس ، واقلقته فكرة ان هذه الثروة كما جاءته سريعا يمكن ان تضيع بغتة ، وانه من الممكن ان يقع فريسة ملعوب من منافس حاقد ، فليس جميع البشر في نقاء سريرته ! .. وتحول القلق الى عسر في الهضم وحموضة في المعدة ، وحرمان بامر الطبيب من اطباق دسمة يحبها :

احتوت حقيبتي على اكثر من دواء ، وغزت الصفرة وجهي والهزال جسدى .. كانت وساوس شيطانية فظيعة سيطرت على عقلي وروحى ! !





! هكذا تحدث مصطفي ابو كبير مسترجعا معاناة الماضي وعوارضها .. لكنه ـ وبما يشبه المعجزة ـ تخلص من كل هذه العوارض بفعل عادته الحميدة الجديدة التي ادمن تعاطيها كل ليلة ، وبعد اطفاء نور غرفة النوم ..

●●●

.. بعد اطفاء نور غرفة النوم ، وقبل ان ينعس تماما ، تعود ان يضرع في سره ، متوسلا الى الله ان يغمره بالرعاية ويديم عليه النعمة .. في الليالي الاولى كان ضميره يوقفه اكثر من مرة اثناء الدعاء ، ليؤنبه على بعض الذنوب التي ارتكبها في حق صاحب التوكيل السابق الذى اسمه محروس وبعض الاخرين ! ! .. ظل هذا يضايقه وينغص عليه دعواته ، الى ان هجر سريره ذات امسية حارة رطبة ، وخرج الى الشرفة وجلس وحيدا ، يتأمل السماء والنجوم ويفكر ، ثم يتأمل مطاردة كلب الجيران للقطط الضالة ويمعن التفكير ، ومع غموض الليل وعودة السكون الى الشارع تمكن من العثور على سكينته ، اكتشف انه يقسو على نفسه دون مبرر ، فكافة ذنوبه العابرة لم يرتكبها عمدا ، وانمابفعل زحمة الاحداث ، ومحروس قد شارف على الستين ولديه ثروة تكفيه بقية العمر (.. وهكذا، وفي اقل من ربع ساعة ـ تصالح مع ضميره ، ثم نهض هادئ البال الى سريره .. ومن وقتها ادمن عادة الدعاء قبل النوم ، دون منغصات تذكر من ضميره اليقظ او خلافه !! .. كما تعود على مساعدة الفقراء والمحتاجين بكافة القروش المعدنية التي تثقل جيبه .. فاسترد شهيته وحمرة وجهه ، وزاد وزنه باكثر مما فقد ..

لكن نسبة السكر في الدم لم تختف تماما ، وبقيت متذبذبة ، ترتفع وتنخفض ، مثل هواجسه التي عادت الى الظهور في طور جديد ، تحولت الى خوف من الحسد ، فراح ـ خزيا لعين الحسود ـ يشكو للناس من كساد السوق وغلاءالمعيشة ، ويظهر في ثياب عارية أو أقل متجنبا كافة مظاهر الثراء ، مقاوما رغبة زوجته في شراء سيارة !! ..

غير انه كان حسن الحظ بحيث تنبه قبل فوات الاوان الى فساد هذه الخزعبلات ، وذلك عندما رآه عميله الانيق ذات يوم ..

●●●

.. عندما رآه عميله الانيق واقفا تحت شمس اغسطس ، متلهفا الى مرور سيارة اجرة تعيده الى البيت ، عرض عليه توصيله .. وفي الطريق سأله عن سيارته وان كانت عند الميكانيكي او مع السيدة حرمه ؟ ! وخجل ان يقول الحقيقة ، واختار ان تكون مع السيدة حرمه !!

وفي خلوته الليلية راح كعادته يتأمل السماء والقمر ومطاردة كلب الجيران للقطط الجائعة ، ويفكر جيدا فيما حدث ، ليكتشف عبرة كأنها الحكمة :

ـ لن يكتمل مظهري الابسيارة فاخرة ، واكتمال المظهر يوحي بالثقة ، وهذا يفيدني في سوق المال ، وقديما قالوا : (اصلك فلوسك ، وجنسك لبوسك) .. كيف فاتني هذا ؟ ! ..ولماذ اتكر ماوهبني الله من مال ولا احدث بنعمة ربي ؟ !

هكذا تكلم (درش) مع نفسه .. وفي الايام التالية تمكن بفعل الاصدقاء والهدايا القيمة من استخراج رخصة القيادة ، ثم تعلم القيادة ، وبعدها اشترى السيارة المرتقبة .. ومن فوره علق حول مرآتها الامامية مسبحة فضية وكف(خمسة وخميسة) منعا للحسد ، ووضع قرب زجاجها الخلفي علبة من القطيفة الحمراء الفاخرة بداخلها كتاب الله ، لحمايتها بمن فيها من شر الحاسد اذا حسد ..

وعندما ركنها لاول مرة امام البيت ـ حيث شقته الجديدة الفسيحة ـ بقي الولد والبنتان يرقبونها من الشرفة ، وتلقت زوجته التهاني من الجيران ، وزفت النبأ هاتفيا الى الاهل والاحباب لاسعادهم ولاغاظة الغيورين منهم ! .. وبعد الظهر تزينت وركبت الى جواره ، وتدافع الاولاد الى المقعد الخلفي ، واخذهم في نزهة بشوارع القاهرة ، وارضاء لرغباتهم راح يطلق منبه الصوت طوال الطريق ، متوقعا عدم انزعاج الناس ، فالمفروض ان يفرحوا له ...

وسرعان ما ادمن الشكوى من فوضى المرور والمارة ، ومن قلة ذوق السائقين الاخرين ! لكنه كان قد ادرك خطأ افكار المراهقة ، اذ ان متع الانسان ليست ثلاثا وانما اربعا : المال الآمن والزوجة الحسناء والبنون الظرفاء والسيارة المتينة ، وكان سعيدا فخورا الى ان بوغت بالحقيقة المؤسفة .

●●●

احس ذات مغرب بالظمأ ، وكانت معه اسرته ، توقف على بعد مترين من الرصيف امام محل لعصير الفواكه ، وراح يطلق منبه الصوت ، وفي اللحظة التي تنبه فيها صبي المحل جاءت سيارة اخرى فارهة فاخرة ، واذا بالصبي ينحرف نحوها متجاهلا اياه !! .. اغتاظ جدا ولم يفهم العلة ، لكن زوجته الذكية فهمت ، لقد اعطى

الصبي الاولوية للعربة الافخم ، لتوقعه من صاحبها (البقشيش) الاكبر !!

شعر بالغيرة ، مجترا الحكمة القائلة بان العبرة بالمال وليست بالرجال !! .. ورمق السيارة المنافسة قرقانا ، فوجدها مغلقة الزجاج لتميزها بالهواء المكيف .. وللتو ادرك السر الخافي : ان سيارته ليست الافخم ، قد تكون افخر عربات الشارع الذي يسكن به ، لايضارعها في الحي كله الا واحدة ، لكنها بالنسبة لسيارات العاصمة اكثر تواضعا !! .. وكانت زوجته ـ والفضل ينسب لاصحابه ـ قد سبقته الى ملاحظة ذلك ، مما اذهله كثيرا وجعله يتأمل في احوال الدنيا وعجائبها ، اذ ان السيارة ذاتها سبق وان لفتت نظره الى ان حرمه ليست الاجمل بين النساء .

ـ وبهذا تكون زوجتي قد ثأرت لنفسها من كيد العربة بها ، ولكن دون ان تدري !! هكذا حدث (صافي) نفسه ، ثم شرد متذكرا كيف فعلت السيارة ذلك ، وكان بعد شرائها بحوالي الشهر ..

فقد ، كان عائدا ذات عصر مزدحم لابه ولاعليه ، واذا بامرأة شابه تشير له ، تخطاها بعدة امتار غير مصدق ، ثم توقف ناظرا الى المرآة ، فاذا بها تقترب متهادية وتفتح الباب وتركب ، ليشم عطرها المثير الممتزج برائحة عرق خفيفة ! .. أراد الترحيب بها لكن صوته انحبس ، فتحدثت هي بصوت عذب لذيذ ترجوه الايستاء من تطفلها عليه ، ثم تأوهت شاكيةمن فوضى المرور ساعة الذروة ، وراحت أناملها تلمس مسبحة المرآة ..

عند اول اشارة حمراء انتهز الفرصة وتمعن في وجهها ، فاذا بها (ورب الخلق طازجة ،غضة وبضة) !! فاستعاد صوته المحبوس ورحب بها ، مؤكدا انه وسيارته رهن اشارتها .. وكما يحدث في الافلام تماما صارت الراكبة عشيقته ، سرعان ما تعودت عليه ، وعندما دللته لاول مرة ونادته باسم (صفصف) غامت عيناه خلف سحابة حزينه مستوعبا كدأبه عظة الحياة :

ـ صدق من قال ان دوام الحال من المحال ، وان الدنيا طاحون دائر ، فزوجتي بعد الانجاب اهملت زينتها وقل جمالها ، وان كانت مازالت تبدو رشيقة امام الناس بفضل الاقمشة والمشدات الحديثة ، ولاتعدم بعض المراهقين يحملقون الى صدرها الممتلىء بانجذاب كالاغبياء !!

بهذا تحدث (صفصف) إلى نفسه وهو يضيف الى سلسلته مفتاح الشقة المفروشة التي اسماها الجنة ، اذ كان يشعر وهو فيها مع راكبته الشابة بانه رجل مرغوب فيه ، مما ضاعف من ثقته في نفسه ، وانعكس على تجارته فزادت جسارته وتضاعفت ارباحه ، فراح يغدق عليها كثيرا ويهدى مرارا ، الى الحد الذي شعر فيه بالملل من كثرة ما اغدق وما اهدى !!

رغم هذا ظل عاقلا واعيا ، حريصا على بيته وعلى ام ولده وابنتيه ، فان كان الزبون دائماعلى حق ، فمن باب اولى الزوجة التي تمنحه الثياب المكوية والبيت النظيف والطعام الشهى .. خاصةوانها رصينة حكيمة ، عندما لاحظت المفتاح الجديد بسلسلته تغاضت ولم تسأل عنه !! .. مما جعله يجاريها في الرصانة والحكمة ويغمض عينيه عن هناتها الصغيرة ، فهذا نفس ما يفعله مع راكبته ،ما من مرة تخلفت فيها عن مواعيده الا وتظاهر بتصديق اعذارها الركيكة ، ثم صار يعفيها من ذكرهذه الاعذار ، متغاضيا على مضض ، شاعرا بالراحة احيانا لتغيبها !!

لكنه لم يتكاسل ليلة واحدة عن عادة الحمد والشكر ، كان يظن ان متع الحياة اربعة فاذا بها خمسة ، والمتعة الخامسة هي الحبيبة الطازجة التي اسعدته دائما ، وخففت عنه وجعلته يتحمل زوجته كصديقة حميمة انيقة وعصبية احيانا ، لولا حادثة صبي محل العصير التافهة ، التي اشعرته بالاهانة ، وافهمته بانه لايمتلك افضل هذه المتع ! ! .. فان كانت سيارته ليست الافخم ، فمن المؤكد ان راكبته ليست الاروع ، وان كان رصيده في البنك ربع مليون فالنصف اكبر ، والواحد ضعف النصف ! !

اغلقت الغيرة قلبه ، انه لايحقد على مالكى مافوق المائة مليون ومضاعفاتها ، فهؤلاء نجوم في سماء المال وليسوا من طينته ، وقديما قالوا « عظام الكبير في القبر تجرح وفي الحياة تذبح ! » .. اما اصحاب المليون الواحد فهم ليسوا باذكى منه ولا امهر ! !

في نفس الاسبوع كان قد اعطى السيارة لزوجته الرصينة لاستعمالها الخاص ، وركب هو سيارة امريكية فاخرة ..

● ● ●

وما ان اصطادت سيارته الفاخرة الراكبة الملائمة حتى تخلص من القديمة ومن مفتاح الجنة المفروشة ، مستعيضا عنها باخرى مكيفة الهواء كالسيارة ، اسماها الفردوس ، عرف فيها فوائد التنويع ومضار الجمود ، مما جعله يفكر ويخطط للاتجار بسلع اخرى الى جوار سلعته الاصلية ..

ومع مرور الاعوام ودخول الاولاد المدارس ، تغيرت مفاتيح السيارات ، وتبدلت معها مفاتيح الشقق .. وظل على هذا المنوال الى ان ادركته الحقيقة القديمة القاتلة بان الدنيا طاحون دائر وبان دوام الحال من المحال .. وذلك عندما تنبه الى نفسه وقد بدأ يضيق بالمواعيد والعطور والحيل المكشوفة ، ويبرم من كثرة الهدايا والوعود .. الامر الذى اصبح همه الشاغل ! !

●●●

.. لكن همه الشاغل هذا صار همين عندما لاحظ ان ابنته الكبرى قد كبرت وادمنت عادة القراءة وشراء الكتب ، وهو يؤمن مع المرحومة والدته بان الكتب في البيت تجذب الفئران والصراصير حتى في ارقي الاحياء ، وبان القراءة تجهد العين وتفسد الذكور فكيف الحال مع الاناث ؟ !

نصحها منذ ساعة فقط نصيحة الرجل المجرب المحنك ، فاذا بها تتجاهل حكمته ، بل وترد في برود زاعمة بان الذى يميز الانسان عن الحيوان هو القراءة !! .. الامر الذى لم يسمع عنه من قبل ، والذى رفع نسبة السكر في دمائه ، وجعل الغرفة تدور به ، فسارع بابتلاع الاقراص المهدئة ، وانزوى جالسا بلا حراك في الركن المظلم من حجرته ، حتى هدأت اعصابه ، وعاد يفكر هاربا من هم الابنة الى همه الاصل : لماذا يمل ويسأم من الجنس اللطيف رغم انجذابه السابق اليهن ؟ ! اهي التخمة ام ارهاق من العمل وصراعات السوق ، ام داء السكر الذى يستفحل سريانه في الدم ؟ ! .. ام الخوف على ابنته حديثة المراهقة ؟ ! .. وهل اصحابه يمرون بنفس ما يعاني منه ؟ ! .. لعله التقدم في السن وضعف الحيوية ؟ !

بقى جامدا في ركنه المظلم ، حزينا مهدود الحيل ، الى ان جاءه الالهام : قرر ان يزوج ابنته بمجرد بلوغها السن القانونية ، وبهذا تصبح مسئولية رجل آخر ، ويتخلص نهائيا من همها ، على ان يجهز لها حفلة عرس رائعة ويساعدها بالمال من غير شح ..

ارتاح كثيرا لهذا الحل ، فاشرق وجهه واطلت الفرحة من عينيه .. لكنه عاد وتجهم ، وانحنى ظهره من جديد ، هناك احتمال بان تتمرد البنت وترفض فالقراءة تعلم الخبث !! .. ماذا يكون الحال وقتها ؟ !

احتار وتبلبل وعجز عن التفكير المنظم ، واحس بالاختناق وبالرغبة في هواء متجدد ، فنهض يرتدي ملابس الخروج ، ثم قاد سيارته ، هائما دون هدف معين ، في طرقات الحى الهادئة الساكتة يفكر ولا يجد حلا !! .. الى ان فوجىء بشارع مزدحم على غير العادة !! .. تعجب ثم سرعان ما اكتشف انه قريب من مسجد الحى ، واذا بعينيه تدمعان حبورا ، وبالاشراقة تعود الى وجهه ، وبالامل يدخل الى نفسه .. فانحرف على الفور .. مقررا الصلاة ..

وجد عربات المصلين تكاد تسد الطريق ، ففشل في العثور على مكان يركن فيه !! .. تضايق في البداية وتضاعفت عصبيته واندفع يتساءل ساخرا عن نوعيات المفاتيح في سلسلة صاحب كل سيارة ؟ ! .. ثم عاد وكبح غضبته وحمد الله على البحبوحة التي ينعمون فيها ..

ركن سيارته بعيدا ، وامسك بالمسبحة الفضية ، وتعطف بالاحسان على احد الشحاذين ، ثم خلع حذاءه ودخل ..

عند انصرافه كان هادىء النفس قرير البال ، وقد اكتشف كم كان مخطئا في احصائه لنعم الله على الانسان :

ـ فعددها ستة وليست خمسة ، ثروة ، زوجة ، بنون ، سيارة ، حبيبة هادئة متحدثة وضمير مرتاح هكذا حدث مصطفى او درش او صاقي او صفصف ابو كبير نفسه ، خاتما حديثه قائلا :

ـ واحمد ربي واشكر فضله على ما انعم ، واخص بالذكر ، راحة الضمير !! ■■

مجيد طوبيا .

العدد القادم من :

العربي

عدد ممتاز

مقاومة الإنهزام الثقافي أولاً

بقلم : الدكتور عون الشريف قاسم

رغم الكلام الكثير الذي يغمر الساحة عن التحرر ، فاننا ما نزال في معظم عالمنا الثالث اسرى نظم فكرية واجتماعية غريبة عنا ، هي التي توجه حياتنا وتسيطر على عقولنا ، وهي في جملتها نابعة من ثقافة مغايرة لثقافتنا ، تحكمت في صياغتها ظروف تاريخية واجتماعية لبيئات مختلفة عن بيئتنا ، ولكننا نتحمس لها ، وندافع عنها ، ونربط وجودنا بالاصرار على صب مجتمعنا في قوالبها ، وكأنها التعبير الأمثل عن خصائص مجتمعنا ، وذلك ما ندعوه بالاستعمار الثقافي ، الذي يحقق عن طريق الكلمة والفكرة ما لا تحققه الجيوش ، وعجز عنه بالفعل الاحتلال المباشر من قبل جحافل المستعمرين وأجهزتهم السياسية والادارية .

ولعل اخطر ما نجح فيه الاستعمار بتر معظم مثقفي العالم الثالث عن ثقافاتهم القومية ، وربطهم بقيم الحضارة الغربية السائدة في الشرق والغرب ، واقناعهم بأن هذه القيم الغربية هي حقائق انسانية مطلقة ، لا سبيل الى التقدم بغير الايمان بها والعمل بمقتضاها . وما دام الغرب قد حقق كل هذا التقدم العلمي والتكنولوجي الذي غير مجرى التاريخ ، وطور حياة البشر ، فلابد ان يكون نهجه الاجتماعي والثقافي ارقى واقدر من كل نهج اجتماعي وثقافي في هذا العالم الثالث المتخلف الذي يرسف في اغلال الجهالة ، ويتخبط في وهدة العجز والجمود ، ويعيش على هامش التاريخ خارج اطار المعاصرة

وما دام هذا قد تأكد بالبيان والعمل ، وأضحى كل العالم خاضعا رغم أنفه لما تجود به الحضارة الفاعلة من بضائع وأفكار ونظم ، فان المنطق الذي لا يقاوم ، يفرض على المتخلفين التخلص من تخلفهم ، بالتخلص من سبب هذا التخلف ، وهو ما ورثوه من اسلافهم من ثقافة قديمة مهترئة لا تصلح للحياة المعاصرة المنطلقة . ومن ثم يصبح البديل الغربي في نماذجه الشرقية والغربية هو السبيل الأوحد للانتقال من هامش التاريخ الى قلب الحياة المعاصرة . تلك هي الرسالة التي تغزو عقولنا وحياتنا آناء الليل وأطراف النهار ، نقرأها في الصحف والكتب ، ونشاهدها في السينما والتلفزيون ، ونسمعها في الراديو ، وندرسها في المدارس ، ونطبقها في حياتنا الاجتماعية . وحيث ما التفتنا رأينا ابتعادا وتنكرا لمواضعات ثقافتنا القومية ، واقترابا من النموذج الغربي. فان معظم المجتمع مثلا يتحلل بالتدريج من زيه القومي ليرتدي الزي الافرنجي ، وهنالك قرارات رسمية فرضت هذا الزي الاجنبي على كل تلاميذ المدارس ، وليس هذا في السودان وحده ، بل ان الناظر لعالمنا الاسلامي يشهد العجب من انسلاخ المسلمين من أزيائهم القومية الملائمة لاجواء بلادهم الحارة في جملتها ، واتخاذهم الازياء الغربية التي تتلاءم وحياة أهل الغرب ، إضافة الى أن كثيرا مما نرتديه من هذه الأزياء رجالا ونساء وشبابا لا يستقيم في جملته مع مقتضيات تقاليدنا وآدابنا العامة . وقل مثل ذلك في معظم مظاهر حياتنا الخاصة والعامة ، فانك قل ان تجد فيها التزاما بقيمنا الموروثة ، بل على العكس من ذلك تبدو مدننا واماكننا العامة وكأنها لا صلة بينها وبين هذه القيم .

فلسفة الغزو الثقافي

ولطغيان هذا المد الجارف واكتساحه لمعظم مجتمعات

العالم الثالث التي استبدلت به في جملتها حياتها الموروثة ، واتخذته مدخلا الى المعاصرة . فقد واكب ذلك سيل لا يقل عنه قوة واندفاعا من الافكار يفلسف هذا الانسلاخ من الاصيل الى الدخيل . فهنالك من يلهج باسم روح العصر التي تأبى التقيد بالقديم ، وتدعو الى الانطلاق وراء الجديد ، والقديم دائما قديم قومه ، والجديد دائما جديد اهل الغرب ، مهما بلغت غثاثته . وهناك من يسبح بحمد العلم ، ويزعم في المجالس ان الروح العلمية التجريبية التي الغت الغيبيات هي التي توجه فكر البشر في عصر الفضاء والتكنولوجيا ، ومن ثم فان التمسك بما عندنا من افكار وقيم لم تمسها روح العلم التي انفجرت في ديار الغرب هو عين التخلف ، وكأن روح العلم هذه تحكم حياة اهل الغرب بنفس القدر الذي تحكم به مصانعهم ومعامل ابحاثهم . ويتحدث أخر عن وحدة الحضارة التي سوت بين البشر وألغت ما بينهم من فروق ، والحضارة في كلامه حضارة الغرب ، والفروق هي التي تميز حضارة قومه ، وذلك ما يجب ان يلغى ، ليصبح الجميع سواء في انتهاج الحضارة الغالبة . وهكذا أطبق الحصار ، واصبح ما هو كائن وغالب هو الحق ، وما عداه الباطل ، ولا شيء ينجح كالنجاح ، كما يقول اهل الغرب .

والذي يجب ان ننتبه له في هذا المقام ان هذا الانهيار الفكري العام في جبهتنا الداخلية ، وما يتبعه من انهزام ثقافي امام الفكر الغربي الوافد ، يتساوى امامه من لقف ثقافة الغرب الرأسمالي ، ومن لقف ثقافة الغرب الماركسي ، اذ كلاهما في نهاية المطاف يستقي من منبع واحد ، وينزع من قوس مشترك . واختلاف الايديولوجيات بين الشرق والغرب لا تمس جوهر هذا الفكر المشترك الذي ترتكز عليه هذه النظم السياسية والاقتصادية في العالمين الرأسمالي والشيوعي ، فان المنطلقات الاساسية واحدة ، والقيم الموروثة من التراث الاغريقي الروماني المتأثر بالمسيحية هي التي توجه حركة المجتمع في الاقطار الاوروبية الشيوعية أو الرأسمالية . ولهذا السبب يشترك معظم مثقفينا في عالمنا الثالث ، بصرف النظر عن اتجاهاتهم الايديولوجية ، في موقفهم حيال تراثهم القومي ، ويتجلى ذلك في اوضح صورة في العالم الاسلامي ، الذي تبلغ المفارقة بين فكره الموروث وبين الفكر الغربي الوافد درجة كبيرة من الاتساع ، ومن ثم فقد تركزت معظم الحملات الفكرية عليه ، ولم يواجه الغربيون حضارة من حضارات العالم التقليدية مثلما واجهوا حضارة الاسلام ، لانها الحضارة الحية الوحيدة التي وقفت امام زحفهم منذ القرن العاشر الميلادي ، لا تزال رغم كل محاولات الابادة تحتفظ بروح المقاومة ، وتنذر بخطر الازدهار والانتعاش ، الامر الذي يقلق عقول المستعمرين ، فيهرفون دون خجل أو حياء بما تطفح به صحفهم ووسائل اعلامهم من تصوير ظالم لحركة البعث الاسلامي التي تنتظم كل العالم الاسلامي كنتيجة حتمية للتخلص من الاستعمار المباشر ، والسعي لتأكيد اصالة الذات بنفي ما علق بها من شوائب ، وازالة ما يعوق حركتها من قيود . وان المخاوف الحقيقية التي اثارتها في نفوسهم انتفاضة الشعب الايراني لدليل على انهم يعتبرون قيام اي حركة اسلامية حقيقية بمثابة تهديد مباشر لمصالحهم ، وبالتالي فان حرصهم على مقاومتها لا يقل عن عزمهم على التمكين للبديل الغربي الذي ظلوا يعملون على ترسيخه بكل الوسائل التربوية والثقافية والسياسية والاقتصادية ، حتى يضمنوا الولاء الفكري ، الذي هو الحارس الباقي للمصالح التي لا يجامل فيها المستعمرون .

معركة الموت والحياة

والمعركة في نهاية المطاف معركة حياة أو موت ، وهي اشد ضراوة من معارك التحرير السياسية التي قد يسقط في ساحتها بعض الشهداء ، ويحتفظ الوطن بعدها بكيانه الجغرافي والسياسي . اما المعركة الحضارية التي نخوض غمارها فتسقط فيها النفوس وتنهزم الارواح وتستلب العقول ، وسلاحها ايمان الناس بأنفسهم ، ومعرفتهم الدقيقة لحقيقة هذه الانفس ، التي تقتضي معرفة اكثر دقة بكل مقومات الامة الفكرية والثقافية والروحية التي ترتكز عليها الشخصية القومية ، وتقتضي فوق ذلك معرفة دقيقة بحقيقة الحضارة التي نواجهها ، وقوام الشخصية القومية المرتكزة عليها . وكلا الامرين

لسوء الحظ غائب عن وجودنا المعاصر ، فان ثقافتنا القومية التي ترتكز عليها حياتنا الموروثة مجهولة لدى معظم ابنائها لانفصالها عن روح العصر اولا بسبب ما ران عليها من جمود خلال قرون التيه والانهيار التي انقضت منذ أن تدهورت حضارة الاسلام ، ثم لانبتار معظم المتعلمين عن هذه الثقافة التقليدية بسبب السياسة التربوية الاستعمارية التي عزلت هذه الثقافة الوطنية عن مجرى التعليم العام ، فحنطتها في جزائر تربوية معزولة لا تتصل بمجرى الحياة ، فحكم عليها بالموت البطيء والتحجر الناجز . وما دامت ثقافتنا وما يتصل بها من حياة اصبحت بمثابة القطع الاثرية في متحف التاريخ ، فان البديل الغربي المنفصل بالحياة والذي زحم الحياة بقاطراته وادوات اتصاله السحرية ، وملأ الخزائن بالاموال ، وطور الحياة كما لم تتطور من قبل ، واصبحت المعارف المتصلة به من هندسة وطب وعلوم ولغات وما اليها هي السبيل الذي لا سبيل سواه الى حيازة الثروة والجاه والوضع الوظيفي والاجتماعي ، فان المنافسة بين ثقافتنا القومية المتخلفة في اساليبها ، وبين ثقافة الغرب المتطورة الفاعلة ، منافسة غير متكافئة . وفوق ذلك فان ثقافتنا الموروثة لا نصير لها الا أهلنا البسطاء الذين ظلوا يحافظون على ما بقي من آثارها في صلواتهم ومعاملاتهم ، وثقافة الغرب المفيدة الفاعلة مدعومة بقوة السلطان وصولجان المتغلبين . ولذلك لا عجب ان اصبح التسابق على تقليد اساليب المستعمرين سمة غالبة ، ومر على الناس زمان كان سلوك المتعلمين منا لا يمت بصلة الى سلوك قومهم البسطاء المحافظين على موروثهم القديم ، بل ان كثيرا منهم ليخجلون حتى اذا تذكروا انهم ينتمون الى هذا الموروث . وقد سمعنا ، ولعلنا نسمع الآن ، أن بعض مثقفينا يصلون خلسة لكي لا يتهموا بالتخلف والرجعية .

انقشاع سحابة الصيف

ومن الواضح ان ثقافتنا القومية ليست بهذه الدرجة من التخلف ، وان بدت لاعدائها ولابنائها الجاهلين بها في هذه الصورة الجامدة ، كما ان ثقافة الغرب الغازية ليست في جملتها بهذه الدرجة من الفعالية والاشراق ، وان حيوية الشعوب الاوروبية التي دفعتهم لاستعمار العالم منذ القرن الخامس عشر الميلادي ، وما ساندها من رخاء مادي بسبب هذا الاستعمار ، وما واكبه من تطور علمي وتكنولوجي وصناعي وفر بضائع الاستهلاك وفتح المجال امام عصر من الرفاهية حتى لبسطاء الناس ، كل ذلك قد ستر من عيوب هذه الحضارة الغربية ، وأبرزها في موقف القوة والصمود ، وهو ذاته سبب تلاشي كثير من الثقافات القومية واضعاف غيرها . ولكن الوهج الذي اعشى كثيرا من العيون ايام سطوة الاستعمار لم يعد يحجب عن الناس سلبيات الحضارة الغازية التي بدأت تظهر في عقر دارها في اعقاب تقلص النفوذ الاستعماري . وبزوال غشاء الرفاهية الذي كان يسند الهياكل الفكرية تكشفت كثير من نقاط الضعف في اطار الحضارة العام . وما تعانيه الشعوب المتقدمة في أعقاب هذه الازمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تجتاح العالم من انهيار في القيم ، وتدهور في علاقات الافراد والجماعات ، مما يهدد الامن العام ، وينذر بنسف قواعد الحياة الاجتماعية . وقد يقود الى افناء البشرية بأدوات الدمار الذرية التي يكدسونها لان منطق القوة والردع وحده هو المفهوم لديهم . كل ذلك جعل كثيرا من المنهزمين يراجعون انفسهم ، ويكتشفون مع المراجعة نفوسهم الضائعة خلف وهج الدعاية لافكار المستعمرين ، ويدركون ان سحابة الصيف التي انقشعت بزوال الاستعمار المباشر تتيح لشمس الحقيقة الفرصة لتشرق من جديد على حياة عالمنا الثالث بعثا لحضاراته ، واسترجاعا لفعالية شخصيته القومية في ضوء معارف العصر وتجاربه من منطلق التفاعل والمشاركة والاخذ والرفض بمعايير الذات القومية بعيدا عن الذوبان والامحاء في شخصيات الآخرين . وذلك ما يجب ان تتوجه اليه الهمم في عالمنا العربي والاسلامي كطليعة من طلائع الوعي الجديد في عالم ما بعد الاستعمار المباشر . ■■

الخرطوم ـ د . عون الشريف قاسم

لماذا الرفض المسبق للشعر الكلاسيكي ؟

بقلم : محمد عبد الله القولي

بعض المشتغلين بالادب ـ بحكم المهنة او الظروف ـ لا ينفكون عن مهاجمة الشعر التقليدي او الكلاسيكي باحكام حادة يشوبها الانفعال وعدم الموضوعية ، ويسمها التجني والافتئات في معظم الاحيان .

ولوضع النقاط على الحروف لا بد من توضيح مدلولات بعض المصطلحات الادبية في هذا الصدد ، فالشعر التقليدي المقصود به هو الشعر الموزون الذي يتخذ شكل القصيدة العربية ليطرح مضامين وتجارب يعيشها الشعراء مما ينغمس فيها الحرف في شجون الحياة ويحكي نبض الواقع ويتناغى مع الماضي والحاضر والمستقبل .

والشعر فن ولا بد له من عناصر ضرورية لاكتمال فنيته . ولهذا يقول ناقد من اكبر نقاد العربية وهو الدكتور محمد مندور في كتابه (فن الشعر) : والشعر لا بد ان يثير فينا احساسات جمالية وانفعالات وجدانية ولتحقيق هذه الاحداث هناك عدة خصائص لا بد من توافرها فيه : كالوجدان في مضمونه ، والصور البيانية في تعبيره ، وموسيقا اللغة في وزنه » .

اذن فالوجدان والصور البيانية والموسيقا والوزن عناصر ضرورية لفنية الشعر .... وان خلا الشعر من العناصر الفنية الضرورية اللازمة فلا قيمة له في ميزان النقد الادبي حتى ولو كان يتحدث عن اهم القضايا ، لان الادب فن ، والفن لا بد له من الشكل الجيد المناسب للمضمون الجيد كاللوحة التي يصنعها الرسام لها من الشكل الجيد الذي تتناظر فيه الكتل ، وتتناسق الالوان وتنسجم الظلال وتتلاءم اللمسات كما لا بد لها من المضمون الجيد الذي يطرحه الشكل ويوحي به .

المعادون سلفا !

ثم من قال لاولئك المتطرفين الناقمين على الشعر الكلاسيكي كله ، من قال لهم ان الشعر التقليدي لا يؤدي وظيفة انسانية وهل يصبح انسانيا فقط حين يتخلى عن الشكل التقليدي ويضيع احيانا في اللاشكل واللامضمون .

والعجيب ان بعضهم معاد سلفا للشعر التقليدي حتى ولو كان يطرح قضايا جديدة ، ويصور تجارب صادقة حتى ولو حلق وتألق . معاد له فقط لان شكله قديم او لنقل كلاسيكي تقليدي . وهو في الوقت نفسه يتقبل كلمات ونقاطا وعلامات فارقة قد لايربط بينها رابط وقد تخلو من الموسيقا الخارجية والداخلية معا وقد تكون جافة عاطفة ووجدانا ...

انه يتقبل هذا الزبد والغث كله على انه شعر وان خطر ببالك وسألته : لماذا تقبل ذلك لاجابك لان له وظيفة انسانية ، مع ان اللغة كلها قوالب واشكال .

وتستطيع ان تنتقى منها ما تشاء لتضع فيها المضامين التى تريد ، فقد تطرح مضمونا جديدا في شكل حديث بحيث لا تغيب عنه موسيقا الوزن وخلجات الوجدان والعاطفة . وقد تطرح المضمون ذاته في قالب كلاسيكى يناسبه ويصوره ويعبر عنه .

اما قضية استخدام الشكل القديم الكلاسيكى فليست بدعا في الامر اذ ان في أوروبا اليوم اتجاها وخاصة في المسرح ـ لاعادة نصوص قديمة بلغتها ذاتها . ولكن تطرح فيها مضامين جديدة او بما تعبر عنه بالاسقاط ، فقد اعيد اخراج مسرحية هملت لشكسبير بملابس جديدة وديكور حديث ولكن اللغة هي لغة شكسبير نفسها . وكذلك مسرحية (اوديب) لسوفوكليس ، اعيد اخراجها كذلك من مدة واعطيت ابعادا حديثه ولكن بقيت اللغة ذاتها . كما تكرر الموضوع نفسه في الاعمال الفنية العربية التى نراها في هذه الايام حيث اخرجت مسرحيات عديدة مستقاة من التراث وخاصة من الف ليلة وليلة مع اعطائها مضامين حديثه مثل (حفلة على الخازوق) او (رأس المملوك) وغيرها .

الجيد على الجانبين

واذا كان الاسقاط فيا هو اوسع واكثر شمولية من اللغة جائزا فمن باب اولى ان يكون الاسقاط اللغوى المقصود جائزا ، واحيانا مطلوبا . وعلينا الا ننسى ايضا ان الادب الرمزى الذى انطق الحيوان والنبات لم يكن واقعيا اذا نظرنا اليه من منظور سطحى قصير المدى ولكنه في الحقيقة واقعى اذا نجح في ايصال ما يريد الى القاريء . اذ ان الاساليب بما فيها الاشخاص ـ وليست لغتهم فقط ـ ليست الغاية في العمل الفنى سواء كنا من انصار مدرسة الفن للفن أي الادب غير الملتزم او مدرسة الفن للحياة اى الادب الملتزم ...

ففى الاولى لا تفقد اللغة القديمة والشكل القديم العمل الادبى جماله . وفي الثانية لا تفقده هدفه لان اللغة او ـ لنقل الشكل ـ ليست هي الهدف بحد ذاته .

وكنماذج حديثه حول هذه النقطة من يستطيع ان يزعم ان التزام الشاعر الفلسطينى ابي سلمى بالاسلوب التقليدى يجعل فنه اقل حداثه من فلان وفلان لمجرد تحديث اولئك للشكل . ومن ذا الذى يزعم ان التزام الجواهرى باسلوب مغرق في كلاسيكيته يجعل شعره اقل حداثه من فلان وفلان ؟

المهم هات شاعرا ، اعطنى الجواهرى ، اعطنى ابا ماضى اعطني القباني .. اعطني شاعرا وكفى ...

واخيرا يحق لنا ان نطرح هذا السؤال : هل يمكن ان نعتبر ان تجربة الشعر الحر قد اكتملت ونضجت « واستوت على الجودى » ؟ او انها لا زالت تتخبط مرة وتنجو اخرى ، وتتقدم ثالثة وتتوقف رابعة ..

لا شك ان بعض الفحول من الشعراء حين حاولوا كتابة الشعر الحر اجادوا فيه وابدعوا كالسياب ونازك الملائكة والقبانى وغيرهم ، وذلك لما عندهم من رصيد فنى ولغوى ، وتفهم لمعنى العمل الشعرى .

اذن فالخلاصة ان في الشعر الحر قصائد جيدة وفي الشعر التقليدى قصائد جيدة رائعة ايضا وليس كل ما يكتب من شعر تقليدى جيدا بل ان منه ما يستحق الطمر قبل النشر ...

ولكن ـ مع هذا كله ـ تظل نسبة الجيد في التقليدى اكبر بكثير منها في الشعر الحر .. على الاقل حتى هذه الايام ... ولا يمكن ان نجزم بما سيكون من امر الشعر الحر مستقبلا ..... فربما ! .

لابد من اوراق اعتماد

● في واجهة احد المتاجر التي تبيع ورق الجدران وبويات الطلاء ، وضعت لافته كتب فيها : الازواج الذين يختارون الالوان يجب ان تكون معهم أوراق اعتماد من زوجاتهم .

تعقيب على التعقيب

التحرر النفسي أولاً ..

بقلم : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

كتبت مقالا في العدد ٢٦٢ من « العربي » حول الشورى في نظام الحكم الاسلامي : متى تكون ملزمة للحكم ومتى تكون غير ملزمة له . وقد كان الى جانبه في العدد ذاته تعقيب عليه من الاخ الدكتور احمد كمال ابو المجد .. ولست الآن بصدد العود الى هذا البحث ، فاعتقد انني قد قلت فيه كلمة الفصل ، في خلاصة جامعة لا مزيد عندي عليها .

ولكني ، توضيحا ـ ولا اقول تعقيبا ـ لمقال الدكتور ابو المجد ، ارى من الضروري ابراز النقاط التالية :

اولا ـ يجب عند معالجة مثل هذه المسألة ، تحرير محل البحث ، كما يقول علماء هذا الشأن ، وابرازه بجلاء امام بصيرة القارىء بحيث يكون على بينة اننا انما نتحدث عن طبيعة الشورى في ظل حكم اسلامي سليم شكلا وموضوعا ، او اننا انما نتحدث عنها في ظل النظم السائدة في هذا العصر .

فان كان محل البحث هو الحالة الاولى ، فلعل من التناقض ان ننشد او نتصور البنيان المتكامل للحكم الاسلامي ، كما هو في واقعه الحقيقي ، ثم نتجاهل الصفة الشرعية للاجتهاد الذي يجب ان يتوفر لدى الحاكم ، وعلاقة الشورى بعمله الاجتهادي ، وأن ننسى ما هو ثابت في كليات الشريعة الاسلامية التي لا تقبل نقاشا او اجتهادا ، من ان العبرة اولا وآخرا لما قد هدى اليه امام المسلمين من النظر والاجتهاد ، ان كانت المسألة تعاونا في سبيل استظهار حكم الله تعالى من مظانه ومصادره المعلومة ، وما الشورى في هذه الحال الا أداة احتياطية في طريق اجتهاده .

ومن أن العبرة اولا وآخرا ، للقرار الذي ينتهي اليه مجلس الشورى ان كان الامر لا يعدو ان يكون سعيا الى اقرار حق عيني او معنوي من حقوق الامة ، وما اجتهاد الحاكم وعمله في هذه الحال الا سعي تنفيذي لمقتضى رغبة اصحاب هذه الحقوق .

وما ينبغي ان تطوى ، في هذه الحال ، صورة الحكم الاسلامي الاصيل عن النظر والاعتبار ، بحجة الحواجز التطورية التي قامت بيننا وبينه ، فان الاسلام كله يمكن ان يختفي ـ على هذا الاساس ـ وراء امثال هذه الحجب . والتطوير بيد الانسان ، ولكن كليات الاسلام امانة الله في عنق الانسان . على ان علينا ان نمسك بميزان دقيق لدى التفريق بين الكليات الثابتة التي لا يطولها الاجتهاد ، والجزئيات التي نقول انها خاضعة له .

ثانيا ـ يجب ان نعلم ان الامة كما هي معرضة للوقوع في مغبة الخطأ الاجتهادي لامام المسلمين ، معرضة في الوقت ذاته ، وبالدرجة ذاتها من الاحتمال ، للوقوع في مغبة الخطأ او الانحراف الذي قد تنزلق اليه اكثرية اهل الشورى . فما ايسر ان تبذل المساعي الخفية

لتجنيد اغلبية هذا المجلس من اجل تحويل الحق الى باطل والباطل الى حق ... وان فيا يراه العالم اليوم من المناورات العابثة تحت اقنعة النظم الديموقراطية ابين شاهد على هذه الحقيقة .

وليس منبع الصلاح والفساد ـ في ميزان الحكم الاسلامي الرشيد ـ ان يسير المجتمع بقيادة حكم فردى او جماعي . فكلاهما سواء في الشر والاستبداد عندما تكون الهيمنة للنظم والافكار الوضعية . وكلاهما سواء في الصلاح والعدل عندما تكون السيادة الحقيقية لحكم الله عز وجل بمعناه الشامل الصحيح الذى يبدأ بتزكية النفس وينتهي باقامة موازين العدل .

وبتعبير آخر : ان التخوف من الاستبداد الفردى لا معنى له اذا كان موضوع البحث جزءا لا يتجزأ في بنيان حكم اسلامى متكامل . وان الامل فيها عند الحكم الديموقراطي من مزايا ، لا معنى له ، إذا كانت النظم الوضعية والمطامع الانسانية هي السائدة .

ومع ذلك ، فاذا كانت صورة الحكم الذى تتمثله في اذهاننا ، عندما نناقش في هذه المسالة ، مزيجا مؤلفا من اطر واشكال اسلامية ، تتخلله وتتلاقي في داخله قيم وموضوعات متنافرة شتى ، فانني أأكد عندئذ ما اكدته في نهاية مقالي المذكور ، من أن الشورى لابد عندئذ أن تكون ملزمة دائما ، فذلك اقل ضررا من ان نجمع الى التباعد عن شرع الله مصيبة الفردية والاستبداد .

ثالثا ـ واخيرا ـ يجب ان نعترف (مهما اقررنا بأهمية الاجتهاد والحاجة اليه في هذا العصر) بان الامة الاسلامية تعاني اليوم (في مجموعها) من بلاء التبعية والانجراف في فلك الحضارة الغربية . ومن الثابت يقينا ان السعي الى اى تجديد او تطوير ، في هذه الحال ، لا يزيدنا الا انجرافا ـ في وضع لا ارادى ـ في فلك هذه التبعية ، مهما استعنا في ذلك بضوابط الاصالة والاجتهاد .

لابد ان نبدأ قبل كل شيء فنستعيد ، في شعور نفسى عميق ، ذاتيتنا الحقيقية ، وان نتحرر من التحرك الآلى في فلك الحضارة الغربية . وانما سبيل ذلك جهد تربوى نفسى ، قبل ان يكون سعيا فكريا او عمليا في هذا المضمار .

ان علينا ان نعلم انه لن تستقيم لنا اى فائدة جوهرية من وراء السعي الى التجديد والتطوير والاقتباس .. قبل اجتياز عقبة هذا التحرر النفسي الهام . الا اذا استقام لأمة مستعمرة ان تجلس مع السلطة التي تستعمرها ، لتتفاوض معها في سبيل ان تكتسب منها حضارة او ثروة او علما ، قبل ان تحرر ذاتها من قبضتها الاستعمارية التي تطبق على خناقها وتمتلك مصيرها . ■■

بلاغة امرأة

دخل (عمران بن حطان) يوما على امراته وكان عمران قبيحا دميا قصيرا وكانت زوجته في ذلك اليوم قد تزينت . وكانت حسناء فاتنة ـ فازدادت حسنا وفتنة ـ وبدا قوامها المشوق فلم يتمالك نفسه . وظل يديم النظر اليها فبسمت وقالت ـ ماذا بك ـ فقال لها ـ لقد اصبحت والله آية في الجمال بعد أن تزينت .

فقالت .. ابشر فاني واياك في الجنة .

ـ ومن اين علمت هذا ؟

قالت : لانك اعطيت مثلي فشكرت . وابتليت انا بمثلك فصبرت ، والصابر والشاكر في الجنة .

كاتب هذا المقال . هو احد ابناء الاستاذ احمد امين ، الديلوماسي العربي حسين احمد امين ، الذي يقدم ـ من داخل البيت ، صورة مفصلة لحياة ابيه ، الذي كان ولا يزال واحدا من ابرز اعلام الفكر العربي في العصر الحديث .

أحمد أمين

الكاتب والإنسان

بقلم : حسين احمد أمين

■ كان يصف اسلوب طه حسين بغزل البنات وابتهج عندما اعترف به العقاد اديبا .

■ رفض الاستماع لخطباء ثورة يوليو بسبب اخطائهم النحوية .

■ مع علمه المحيط بالتاريخ الاسلامي لم يقرأ ادب الغرب ولا تذوق فنونهم .

■ لم يذكر اسم زوجته على لسانه وظل يأكل باصابعه ، وارتدى « البدلة » على مضض

■ احب القدامى اليه التوحيدي والجاحظ ومن المحدثين تيمور والسنهوري اقرب اصدقائه

■ فضل اسمهان على ام كلثوم بسبب لمسه الحزن في صوتها .

كنت في الثانية والعشرين وقت وفاته في شهر مايو سنة ١٩٥٤ عن ثمانية وستين عاما .

لا أملك إلى اليوم نفسي من العجب كلما فكرت في بساطة معيشته وقلة احتياجاته : مأكله وملبسه ومسكنه ومختلف عاداته . فإفطاره كوب من اللبن وقطعة من الجبن ، وغداؤه خال من النشويات لاصابته بمرض السكر البولى ، وعشاؤه اللبن الزبادى وبعض الفاكهة . فأما الشاي فلا يكاد يشربه ، وفنجان القهوة يشربه عقب الافطار ، وآخر بعد ساعة من النوم عقب الغداء .

والمسكن رغم كبره ـ لكبر عائلته ـ يكاد يخلو تماما من أى أثاث فاخر أو كماليات . ولا أعتقد أنه جدد الأثاث مرة واحدة منذ زواجه . وكان في تنقلاته يستخدم الترام أو الأوتوبيس ، حتى ضعفت صحته وكثرت مشاغله وارتباطاته فاشترى سيارة في أواخر العقد السادس من حياته واستخدم لها سائقا .

وبساطته هذه في أسلوب معيشته تنعكس في كتاباته وأسلوبه الأدبي . فهو لا يعرف تأنقا أو حذلقة ، وإنما هو قلم يجرى بما يعن له من خواطر ، والجملة عنده



على قدر الفكرة . وهو يكتب للعامة كما يكتب للخاصة ، ولا يسعى إلا إلى إفهام . غير أنه مع استنكاره للتأنق أو الحذلقة في كتابات غيره ، وتكرر وصفه لأسلوب طه حسين مثلا بغزل البنات ، كان يدرك ـ فيما أعتقد ـ أن أسلوبه دون أن يستحق وصفه بالأسلوب الأدبي الرفيع . ولا زلت أذكر ـ بشيء من العجب والاشفاق ـ كيف أبهجه أشد البهجة أن يتحول العقاد إلى الاعتراف به أديبا بعد صدور كتابه « حياتي » ، بعد أن ظل دوما قبلها يصر على وصفه بالبحاثة أو المؤرخ العالم .

وهو خجول حيي في المحافل العامة خجل العذراء وحياءها ، وإن دلف إلى قاعة اجتماع أو مجلس قوم اضطربت خطواته وتعثر . وقد دفعه ذلك الضعف الشديد في بصره إلى أن يتجنب النظر إلى الناس حتى لا يحسب أحدهم أنه لم يحيه استكبارا أو تجاهله عامدا ، في حين أنه لم يتعرف عليه لضعف بصره .

حزن عميق ودائم

وكان سخيا الى أبعد الحدود ، ساذجا أشد السذاجة في أمور المال ، ولا أظنه كان ليترك مليما لأسرته لولا حرص والدتي وحسن تدبيرها .

وقد كان مع هدوئه وتواضعه وطول صمته وقلة كلامه قوي الشخصية مؤثرا فيمن حوله . وهي قوة نابعة أساسا من قوة خلقه ونبل مبادئه ومسلكه وعدله وموضوعيته . فالعدل والموضوعية سمتان بارزتان فيه ، سواء في حياته الخاصة أو العامة ، وهي السمة الغالبة في كتاباته ، وهو حريص دائما على الالتزام بحدود المنطق ، كان يرجع ذلك إلى اشتغاله طويلا بالقضاء .

وسمة أخرى بارزة فيه وغالبة عليه وهي الحزن ، حزن عميق دائم حتى في حالات الرضا ، ولحظات المجد ، وساعات الاستجمام . فهو نادرا ما يضحك ، وإن راقته نكتة أو استخفه موقف فأقصى ما هناك ابتسامة حزينة . ولا شك في أن حزنه هذا نجم عن نشأته الأولى ، فحياته بعدها كانت سلسلة من الانجازات والارتقاء والنجاح ، ولم يكن في حياته الخاصة أو العامة ـ حتى أصابه المرض ـ أدنى مبرر لمثل هذا الحزن العميق ، كما أنه لم يعرف من مولده إلى وفاته ضائقة مالية .

وقد تفسر موضوعيته وعدله كراهيته للحزبية وعزوفه عن الاشتغال بالسياسة.كما يفسر هذا العزوف منه عن الاشتغال بالسياسة عدم تعيينه في أحد المناصب

التي توصف عادة بالخطيرة ، وعدم نيله رتبة الباشوية . وقد قص علينا كيف أن سعد زغلول امتعض منه يوما وازور بوجهه إذ أجابه والدي برأي جاء موضوعيا على نحو لم يستسغه سعد ، فإذا هو يتمتم في ضيق : « إنت موش عاجبني النهارده ! » وقد حاول حزبان على الأقل استمالته : فقد نشر الشيخ حسن البنا في جريدته خطابا مفتوحا موجها إليه يقول له فيه إن مكانا في الصف الأول من جماعة الأخوان المسلمين في انتظاره . غير أنه لم يستجب للعرض ولا عني بأن يرد . كذلك فقد حاول صديقه النقراشي رئيس السعديين ضمه أو ربطه بالحزب السعدي ، وهو حزب كان يضم الكثيرين من أصدقائه كالدكتور السنهوري . وأذكر أن النقراشي فاتحه مرة بالاسكندرية حتى يتولى رئاسة تحرير صحيفة الحزب الجديدة « الأساس » ، فأبى رغم ضخامة المرتب المعروض ، فأرسل إليه إبراهيم عبد الهادي في منزلنا بسيدي بشر ليحاول كرة أخرى إقناعه ، فعاد إلى الاعتذار بأنه أديب وباحث لا يأبه كثيرا بأمور السياسة ولا يصلح لمثل هذا المنصب .

غير أن كثرة أصدقائه من بين السعديين جعلت البعض ، والقصر نفسه ، يعتبرانه سعديا . ولا أدري ما إذا كان هذا الاعتقاد أو امتعاض الملك فاروق منه لاحجامه الصارم عن الثناء عليه ، هو ما دفع القصر الى الاعتراض على منحه جائزة الملك فؤاد للأدب يوم قرر مجمع اللغة العربية منحها له وللعقاد وهيكل . وقد احتج القصر يومها في بلاهة بأنه لا يجوز منح الجائزة لاثنين من السعديين وواحد من الأحرار الدستوريين ، ثم عاد فرضخ لارادة المجمع حين أصر على موقفه ، ومنح والدي الجائزة .

وهو مع كراهته للملك وسروره بعزله لم يجد في الكثير من تصرفات عبد الناصر خلال السنتين الأوليين من الثورة مدعاة للاعجاب . وأجدني إلى اليوم أبتسم كلما تذكرت كيف كان يجلس في اهتمام شديد للاستماع الى خطب الثورة في المذياع ، ثم يقوم في غضب وألم لاغلاقه بعد دقائق معدودات حين تتكرر الأخطاء النحوية على لسان « الخطيب » ، وهي أخطاء كانت تؤذي مسمعه أيما إيذاء .

وقد كان في مواقفه السياسية شيء من تناقض : فهو يتمتع - كما يشهد الكافة - بجرأة شديدة في الحق ، وكثيرا ما كان يقاوم ويعارض ويجتد ويقدم استقالته من عضوية لجان ومجالس إدارات حين كان يرى اعتداء على قيم يؤمن بها ، كاستقلال الجامعة مثلا . وهو مع ذلك لم يهاجم الملك في مقال أو كتاب ، ولا هو انتقد



اسمهان

تصرفا ساءه من جانب حكومة الثورة ، كما لا أعتقد أنه ساهم في شبابه في الحركة الوطنية ضد المستعمر البريطاني بأكثر من موقفين أو ثلاثة . وقد ذكر أن والده أيضا كان به نفس العزوف عن أية مشاركة سياسية ، وأن حرصه على ألا يؤدي سجنه إلى الاضرار بعائلته كبيرة العدد سبب من أسباب إحجامه عن الانخراط في هذا السبيل المحفوف بالمخاطر .

بين القديم والجديد

كان الصراع بين القديم الموروث والجديد الذي اتصل به عن طريق القراءة والأصدقاء والحياة يحتدم دوما في نفسه على أحدّ صورة ، وبصدد كافة المجالات : في علاقته بزوجه وبأبنائه ، وفي أسلوب معيشته ، وفي كتاباته . فجذوره في القديم (في الجو العائلي الذي نشأ فيه ، وفي المجتمع الذي عرفه في شبابه ، وفي الأزهر حيث درس) ، أعمق من أن يستأصلها الجديد الطارىء ، وحماسه للتغيير والاصلاح ومسايرة العصر أقوى من أن تطفئه التقاليد الموروثة . وقد تحول من العمامة والجبة إلى الزي الأوروبي على مضض وبناء على إلحاح أصدقاء له ، غير أنه لم يرتح تماما الى الزي الجديد ، ولا كان يستشعر الراحة إلا في جلبابه في بيته . فإن جلس إلى طعام بين أهله ، أو الى كتاب في بيته ، تربع أو رفع رجله على قاعدة الكرسي أو الأريكة وكأنما هو في رواق بالأزهر . وهو يستغني بأصابعه عن الشوكة والسكين . وقد يستنكر في قرارة نفسه من أولاده تصرفا لم يكن ليحلم أن يتصرفه في حياة أبيه ، أو عقيدة

٣ ـ شمسية البلاج
٤ ـ مجموعة الكتب التي تركتها على المكتب
أرجو إحضار هذه الأشياء معكم ، والسلام . » !

هو والمستشرقون

لم تبدأ رحلاته إلى أوربا إلا وهو في منتصف العقد الخامس من عمره حين بدأ اسمه يلمع في ميدان التأريخ الاسلامي ، وصار يدعى إلى مؤتمرات المستشرقين ، أو يكلف بمهام كحضور مؤتمر المائدة المستديرة في لندن ، وهو المؤتمر الخاص بمشكلة فلسطين . فإن تذكرت اليوم ما كان يرويه لنا عند عودته من انطباعات عن الحياة الأوروبية ، تذكرت لفوري « تخليص الابريز في تلخيص باريز » للطهطاوي . فهو منبهر بأمور صارت عند أبنائه وحفدته من الأمور العادية المألوفة : كالأمانة والنظافة والنظام وقلة الضوضاء ودقة المواعيد والديمقراطية وإطاعة القانون . وقد تأثر تأثرا عميقا إذ رأى إرنست بيفين وزير الخارجية البريطاني يحضر مؤتمر المائدة المستديرة في حلة رثة وياقة قميص بالية . كما تأثر تأثر الشيخ محمد عبده من قبله إذ رأى الشعوب المسيحية أشد التزاما من الشعوب الاسلامية بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

كذلك كان يكنُّ احتراما عميقا لكبار مستشرقي عصره من أمثال جيب وبرجشتراسر وشفالي ومرجوليوث ، خاصة الأول الذي كان يزوره كلما حضر الى مصر ، والذي تولى كتابة مادة « أحمد أمين » في الطبعة الثانية من دائرة المعارف الاسلامية .

التوحيدي والجاحظ

كانت القراءة والكتابة عماد حياته ، ومتعته الكبرى . وقد يجد المثقف في أيامنا هذه جوانب ضعف خطيرة في ثقافة والدي ، مع تقدير عميق في نفس الوقت للشوط الذي قطعه في هذا المضمار . فهو يذكرني بالمثل القائل : « الثعلب يعرف أشياء صغيرة كثيرة ، والقنفذ لا يعرف غير شيء كبير واحد » . فوالدي كالقنفذ في هذا المثل ، لا يكاد أحد يضاريه في معارفه الاسلامية وإلمامه بتاريخ حضارة الاسلام وعلومه . أما فيما عدا ذلك فثمة خلل خطير ، تداركه بعض كتاب عصره كالعقاد بل وطه حسين . فهو لا يعرف شيئا عن الموسيقى الغربية ولا يستسيغها ، والأسماء الرنانة في ميدانها هي عنده مجرد أسماء . وهو لا يقرأ قصصا أو مسرحيات غير



أم كلثوم

تخالف عقيدته ، غير أنه يؤمن كذلك بحقهم في أن تكون لهم حياتهم الخاصة ، وعقائدهم المباينة ، ويرضخ رضوخ الحكيم لمقتضيات التطور واختلاف الأجيال . ولا أذكر أنه حاول قط أن يفرض اهتماماته الفكرية على أحد منا ، ولا أن يجبر أحدا على صلاة أو صوم . كما لا أذكر أنه استخدم عنفا معي إلا مرة واحدة ، كنت أقرأ له فيها من صحيفة فتكررت مني أخطاء نحوية ، فإذا هو يخطف مني الجريدة ويضربني بها ثلاث ضربات على فمي !

غير أن القديم يتمثل فيه أكثر ما يتمثل في علاقته بأمي . فهو لا يصطحبها معه في زياراته أو رحلاته أو نزهاته ، ولا يشركها في اهتماماته العقلية أو شؤون حياته العامة . فإن حادثها حادثها عن الأهل أو مشاكل الأولاد والخدم . بل إنه ـ وهو ما نجده اليوم بالغ الغرابة ـ لم يكن يناديها باسمها . ولا كانت هي تناديه باسمه . فإن أراد أن يناديها رفع صوته أو تنحنح أو نادى نداء مبهما عاما . اللهم إلا في حالات تبسط مؤثرة ، أو رضا شديد ، أو اعتراف بذنب ، فكان وقتها يناديها بالست أم حمادة ! فإن كتب إليها من بلد سافر إليه ، كانت خطاباته لضرورة ملحة ، ولم يستهلها بتحية أو حتى بلفظة عزيزتي ، وإنما كان يدخل رأسا في الموضوع ويذكر المطلوب . ومن خطاباته التي بعث بها إليها مرة من رأس البر ، وكان قد سبقنا اليها ، (وهو خطاب لا تزال تذكره في محيط الأسرة ونضحك لتذكره أشد الضحك) ما يجري على هذا النحو :

١ ـ ٣ مخدات
٢ ـ وابور جاز

بعض ما يهديه إليه من مؤلفاتهم أدباء عصره كتوفيق الحكيم ومحمود تيمور والروائي الشاب نجيب محفوظ، تجنبا للحرج حين يقابلهم بعدها. فلا أعتقد مثلا أنه قرأ في حياته رواية لتولستوي أو دوستويفسكي أو مسرحية لموليير. وهو لا يعرف شيئا عن الأوبرا والباليه، ولا عن فني التصوير والنحت، ولا أظنه زار متحفا للفنون في مدينة أوروبية إلا من قبيل « الواجب ». كذلك فقد كانت معارفه الخاصة بالتاريخ، عدا التاريخ الاسلامي، بل وحتى بتاريخ مصر القديم، شديدة القصور. وفي ظني أن أي شاب يعرف اليوم عن الماركسية وغيرها من المذاهب الاقتصادية أكثر مما كان يعرفه والدي.

غير أنه مع كل هذا القصور لم يكن يتظاهر بعكسه، ولا كان الأمر يؤرقه. كل ما هنالك هو أنه حين ضعف بصره ضعفا شديدا وصار مهددا بفقده، أحس بحسرة شديدة إذ لم يعن في شبابه بتنمية اهتمامات وهوايات مختلفة، ولم يهو غير القراءة والكتابة اللتين أصبح الآن مهددا بأن يحرم منهما. فكان يردد قوله: « لو أني نميت في نفس هواية الاستماع إلى الموسيقى مثلا، لكان في لجوئي الآن إليها العزاء عن فقد البصر ».

وهو لم يشرع في تعلم لغة أجنبية إلا بعد أن جاوز الخامسة والعشرين. وقد اختار الانجليزية (لم يعرف غيرها) فأتقنها قراءة وإن لم يتقنها كتابة أو حديثا. وكان بقية عمره كثير القراءة فيها. ولكنه اقتصر على قراءة أبحاث المستشرقين وكتب الاجتماع والمنطق والفلسفة، خاصة كتب برتراند راسل وجود اللذين كان يعجب بهما. وكانت تستهويه العقلية الأنجلوسكسونية ومنطق الانجليز وغمط عيشهم وتحفظهم في إصدار الأحكام، ويفضل ما يكتبون على ما يكتبه اللاتينيون. بل إنه كان دائما يشعر أثناء زياراته لفرنسا أو بين جمع من الفرنسيين كالسمكة خارج الماء.

وكنت أعجب لقلة نظره ـ نسبيا ـ في الشعر العربي، وضعف تعلقه به واحترامه له. فهو يستنكر منه غلبة المديح، وبذاءة الهجاء، وجعجعة الفخر، وتكلف المشاعر، وزيف الوصف. وأعتقد أن زكي مبارك كان محقا حين اتهم والدي بالعجز عن استساغة الشعر العربي، وبأن تفضيله المعلن لابن الرومي وأبي العلاء على سائر الشعراء ليس تفضيلا حقيقيا، وإنما جاء اتباعا لرأي العقاد في الأول، وطه حسين في الثاني، وتسليما بحكميهما على الشاعرين.

أما أحب كتاب العربية اليه فالتوحيدي قبل كل كاتب، يليه الجاحظ فابن عبد ربه. وكان لسبب ما، ربما لاشتراكه في تحقيق الكتاب وعمله فيه مدة طويلة، يفضل « العقد الفريد » على أغاني أبي الفرج. أما مذهب المعتزلة فيفضله على سائر المذاهب لاعتقاده الخاطيء، أن مدرستهم أكثر المدارس الاسلامية التزاما بالعقلانية والمنطق وحرية الفكر. ولم يكن يتعاطف مع الصوفية التي هي في رأيه أحد أسباب ما أصاب العالم الاسلامي من كوارث وانحطاط. ومع ذلك فالغزالي قريب دائما الى قلبه، وكتابه « المنقذ من الضلال » من أحب الكتب اليه. وقد أدهشه وسره سرورا عظيما ـ وأنا أقرأ له في المستشفى « اعترافات تولستوي » ـ ذلك الشبه الغريب بين الكتابين، وتلك التجربة الروحية الواحدة التي خاضها كل من حجة الاسلام والكاتب المسيحي الروسي.

وهو يحب الغناء الشرقي ويطرب له. وكان مع إعجابه بأم كلثوم واحترامه الجم لها، يفضل أسمهان عليها بسبب نبرة الحزن في صوتها. فإن استمع الى موال قديم يهز رأسه طيلة الوقت طربا. وهو يترنم بهذه المواويل بصوت جميل عميق خافت مرتعش كلما جلس مع أحدنا إلى لوحة الشطرنج واستغرق في التفكير في الخطوة التالية. فالشطرنج هو اللعبة الوحيدة التي يعرفها. وكان يعجب إعجابا ساذجا بمونولوجات الفنانة ثريا حلمي. أما عن السينما فلا يزورها غير مرة في السنة أو السنتين، فإن قصدها فمقعده دائما في الصف الأول أو الثاني قرب الشاشة حتى يستطيع أن يميز ما يعرض، ولا يذهب لمشاهدة غير فيلم مصري. وهو يفضل المسرح، خاصة إن كانت المسرحية لشوقي أو عزيز أباظة أو محمود تيمور، وكان من بين ممثليها صديقه الممثل القدير أحمد علام.

وهو لا يمارس شيئا من الرياضة غير السير على الأقدام والسباحة حتى أصيب بالجلطة فحرم من كليهما. غير أنه كان في شبابه شديد الشغف بالمشي لمسافات طويلة عند جبل المقطم وفي صحراء مصر الجديدة، أو في عزبته الصغيرة التي اشترك مع الدكتور السنهوري في شرائها. كما كان كلفا بحديقة منزله، يزرع أشجارها ويتعهدها بنفسه، ويركع عند صغار الشجر ليتأمل أوراقها، وكثيرا ما كان يفضل الكتابة والقراءة على كرسي يضعه بينها. ولا يروقه شيء كمنظر غروب الشمس في الريف أو على ساحل البحر، يخرج إليه عمدا لمراقبته، ويفضل الغروب على الشروق أيضا لما يوحيه الأول من مشاعر حزينة لا يوحي بها شروق الشمس.



صورة عمرها ٣٨ عاما لطلاب السنة النهائية في كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٤٢ ، وقد توسط المجموعة الدكتور طه حسين . والى يساره جلس احمد أمين . وظهرت في الصف الخلفي كل من سهير القلماوي وبنت الشاطىء . وفي الجانب الآخر الشاعرة روحية القليني .

قصته مع طه حسين

أحب أصدقائه إليه الدكتور عبد الرزاق السنهوري : كل منهما يرتاح إلى ذلك الالتزام الصارم بالمنطق لدى الآخر ، وبعده عن الهوى عند إطلاق الأحكام . وكان السنهوري يحب الاستفادة من رسوخ قدم والدي في التاريخ الاسلامي والأدب العربي ، فهو يعشقها دون أن تسمح له دراسة القانون بوقت يقضيه في القراءة فيها . وكان والدي يحب الاستفادة من إلمام السنهوري بالقانون الذي اشتغل به أبي زمنا ثم انصرف عنه كلية إلى التاريخ والأدب . وكانت المكالمات التليفونية بينهما تستغرق عادة ما بين ساعتين أو ثلاث . إن اتصل به السنهوري مساء هرعنا إلى إعداد مقعد لوالدي بجانب التليفون ، وأحضرنا له علبة سجائره والكبريت وكوب ماء وكل ما قد يحتاج إليه خلال الساعات التالية ، ثم نحييه منصرفين إلى حجراتنا على أن نراه في الصباح ! كل ذلك قبل أن يلتقط والدي السماعة ليبدأ مكالمة لا يعلم غير الله متى تنتهي .

أما عن علاقته بأدباء عصره فلا أذكر أنه كان يتزاور مع المازني والعقاد وهيكل وتوفيق الحكيم ، وإن كان على علاقة طيبة بهم جميعا . ولا أذكر أنه كانت بينه وبين أحد من الأدباء ما يشبه الخصومة غير زكي مبارك ، بسبب سلسلة طويلة من المقالات نشرها الأخير في مجلة « الرسالة » ، بعنوان « جناية أحمد أمين على الأدب العربي » . أما الأديب الأثير عنده فأشبههم به خلقا وطباعا ، وهو محمود تيمور . وكثيرا ما كان يجتمع بتوفيق الحكيم سواء في مقهاهما المفضل على البحر بالاسكندرية في شهور الصيف ، أو في اجتماع كل خميس في مقر لجنة التأليف والترجمة والنشر ، حيث كانت تلتقي دائما نخبة من مفكري مصر وأدبائها ورجال التربية فيها . غير أن الفارق الكبير في السن بين والدي والحكيم ، وتباين اهتماماتهما الأدبية ، ربما حالا دون أن تتطور الصلة بينهما إلى صداقة حميمة . وأذكر أني كنت كلما استفسرت من توفيق الحكيم عن كتب أقرأها ، أو آداب ينصح بأن أغترف منها ، أسر بالنصيحة أن أركز كلية على الآداب الغربية دون الأدب العربي ، طالبا مني وهو يضحك أن أكتم أمر هذه النصيحة عن والدي حتى لا يغضب منه !

أما عن العلاقة بينه وبين طه حسين فأمرها خلاف أمر علاقته بهذا أو بذاك . كان كل منهما في شبابه يعشق صحبة الآخر عشقا ، ولا يجد الراحة إلا في حضرته . وكانت أفضال طه حسين على والدي كبيرة ، ليس أقلها أنه هو الذي رتب نقل والدي من القضاء الشرعي إلى كلية الآداب ، حيث وجد والدي في النهاية ، وبعد طول تجارب ، مجاله الطبيعي . غير أن فترة تولي والدي لمنصب عمادة الكلية أصابت صداقتهما بضربة لم تفق منها حتى مات . فقد أراد طه حسين ـ وهو المدرك تماما لأياديه السابقة على والدي ـ أن يسيطر على أمور الكلية أثناء عمادة والدي لها ، بينما أبي والدي الا أن يصرف هذه الامور وفق ما يمليه عليه عقله وضميره . فكان أن اتهمه طه حسين بالجحود ، وكان ان تنكر له

وازور بوجهه عنه ، وكان أن ماتت صداقة يندر ان نجد في يومنا هذا مثيلا لقوتها وخصوبتها .

إلا أن الاتصال بينهما عاد وديا قرب النهاية حين أصيب والدي في عينيه ورقد طويلا في المستشفى . وكان لطه حسين مرة أخرى فضل البدء بالمصالحة . فقد أتاه يزوره في المستشفى . وكان اللقاء بينهما الذي حضرته مؤثرا إلى أبعد حد . وإن أنس لن أنسى منظر طه حسين الضرير وهو يدخل حجرة المستشفى يقوده سكرتيره من ذراعه ، وإذ يسمع والدي ، وهو معصوب العينين ، صوته يمد يده في لهفة في اتجاه الصوت ، فأمسك أنا بيد والدي ويمسك السكرتير بيد طه حسين حتى تلتقي اليدان فيتصافحا .

ثم صداقة قوية أخرى كانت تربطه بقانوني بارز آخر وإنسان عظيم ، هو عبد العزيز باشا فهمي . وكان والدي يكثر من زيارته وهو طريح الفراش بمنزله في مصر الجديدة ، ويصطحبني إليه . فعبد العزيز فهمي يحمل لوالدي مودة عميقة ، ويكن أعظم الاحترام لخلقه القوي ، ويرتاح إلى طبعه الهادىء . وكنت أعجب أثناء استماعي إلى الحديث لتلك المرارة التي يشعر بها عبد العزيز فهمي تجاه سعد زغلول ، حتى بعد مرور نحو عشرين عاما على وفاة الأخير . ولم يكن والدي يكن إعجابا ضخما لسعد يدفعه إلى معارضة فهمي وتخطئته . وأذكر يوما زرنا الرجل فيه ، فرأينا إلى جانب فراشه هرما عظيما من نحو سبعين من علب سجائر البستاني ، كتب على ظهرها عبد العزيز فهمي بخط مرتعش قصيدة طويلة صعبة من ثلاثمائة وستين بيتا في ذم الحياة ، وفي مختلف أوجه القصور في الحياة المصرية (نشرتها لجنة التأليف فيا بعد في كتيب مستقل) . وأحب المضيف أن يسمع ضيفه القصيدة . وإذ كان كل منهما ضعيف البصر ، فقد طلب المضيف إلى ، وانا بعد الطالب بالمدرسة الثانوية ، أن أنشدها مقدما إلى علبة إثر علبة . وكان أن وجدت في القراءة صعوبة لم أجد صعوبة مثلها في شيء من قبل أو من بعد ، وتكرر وقوعي في الخطأ وتلعثمي ، ووالدي ينظر إلى بين الحين والحين نظرة غاضبة تكاد تلتهمني التهاما . فلما تركنا منزل الرجل ، ظل أبي في السيارة طوال رحلة العودة إلى منزلنا بالدقي يكرر في حزن :

« كسفتني يا ولد ... كسفتني ... ! » .

بعدما بلغ الستين

كان طويلا عريضا قوي البنية ، ولا أذكر أنه عاني قبل الستين من غير ضعف البصر ومرض السكر . وقد استعان على الأول بقارىء يقرأ له أحد أبنائه أو تولى القراءة بنفسه ، لا يكاد يفصل بين الكتاب ونظارته السميكة للغاية غير ثلاثة سنتيمترات . واستعان على مرض السكر بنظام في الأكل صارم ، وحقن الانسولين كل صباح ومساء . غير أنه أصيب في الستين بانفصال شبكية العين ، واضطر إلى الرقود على ظهره في المستشفى ثلاثة أشهر معصوب العينين ، لا يتحرك يمنة أو يسرة بأمر الطبيب . وقد خرج من هذه الرقدة إنسانا غير الذي كان . ليس فقط لأن العملية لم تنجح وكادت البقية الباقية من بصره أن تذهب أدراج الريح ، ولكن حالته الصحية والمعنوية بصفة عامة تدهورت بعد العملية تدهورا شديدا سريعا . فسرعان ما أصيب بالجلطة في ساقه وبشلل نصفي . وصادف ذلك المرض إحالته إلى المعاش لبلوغه الستين ، وانفضاض جمع من حوله كان يظنهم من مريديه فإذا هم من مريدي الانتفاع من وراء صلتهم به حين كان في وسعه أن ينفع . وكان يحزن أشد الحزن حين كان يجد صندوق بريده في الأعياد خاليا إلا من بطاقة تهنئة أو بطاقتين ، في حين كان ساعي البريد منذ زمن غير بعيد يأتيه بالبطاقات والرسائل أكواما مكومة . بل إنه حتى بعض أصدقائه المخلصين قل اتصالهم به وسؤالهم عنه وزياراتهم له بعد مرضه ، واكتفى البعض بمكالمة تليفونية بين الفينة والفينة . وكان هذا التنكر منهم له من أكبر منغصات سنواته الأخيرة .

كان من وقتها إذا دق جرس التليفون في البيت ، هرع إليه في لهفة وهو يتحامل على ساقه المريضه عسى أن يكون المتحدث صديقا له . فإن لم تكن المكالمة له ، نادى على المطلوب منا وناوله السماعة وعاد إلى مقعده حزينا يجر ساقه خلفه . ولا زلت أذكر يوم عيد لم يزره فيه للتهنئة غير شاب مخلص من طلبته في الجامعة ، فزادت هذه الزيارة المفردة من إحساسه بالوحشة والمذلة ، وأبي أن يستقبل ضيفه .

وفي مساء يوم ٢٩ رمضان عام ١٣٧٣هـ الموافق ٣١ مايو عام ١٩٥٤ ، كان قد أنهى استعداده للسفر إلى الاسكندرية في اليوم التالي لبدء إجازته الصيفية ، وجلسنا معه في شرفة الطابق الأعلى من المنزل نتحادث إلى ساعة متأخرة من الليل . وكان في حالة نفسية مطمئنة منبسطة . وفي الصباح ، أصابته الذبحة الصدرية . واستدعينا الطبيب فلم يحضر إلا بعد أن كان قد مات رحمه الله . ■■

حسين أحمد أمين

السونار

أحدث وسيلة للتشخيص الطبى

بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

كثيرا ما تدفع المصائب والحوادث الخطيرة الانسان الى الابداع والاختراع لمعالجتها ومن ثم الى تقدم حضارى كبير يتعدى نطاق المأساة او المشكلة الاولى ليصبح ذا فوائد متعددة .

والموجات فوق الصوتية ultrasound waves او « الفوق صوتية » كما يؤثر البعض تسميتها Supersonics[١] ، هي من تلك الاختراعات العلمية التي انبثقت عن كارثة .. ثم اذا بها تستخدم في مجالات الحياة المتعددة ، كان آخرها استخدامها في حقل التشخيص الطبي مما اثبت دقتها وسلامتها وسعة مجالاتها في مختلف اعضاء الجسم البشرى وفي عديد من الامراض ...

في عام ١٩١٢ كانت الباخرة الانكليزية العملاقة (تيتانيك) ذات حمولة ال ٤٦,٣٢٨ طن قد اصطدمت في المحيط الاطلسي بجبل جليدى عائم ضخم فتحطمت وغرقت . ولم ينج من ركابها ال (٢٢٠١) الا (٧١١) شخص وبقي عليها القبطان (سميث) مع اربعة من ضباطه الذين ابوا مغادرتها .. ، ثم انتحر باطلاق النار على نفسه من الغم والحنق .

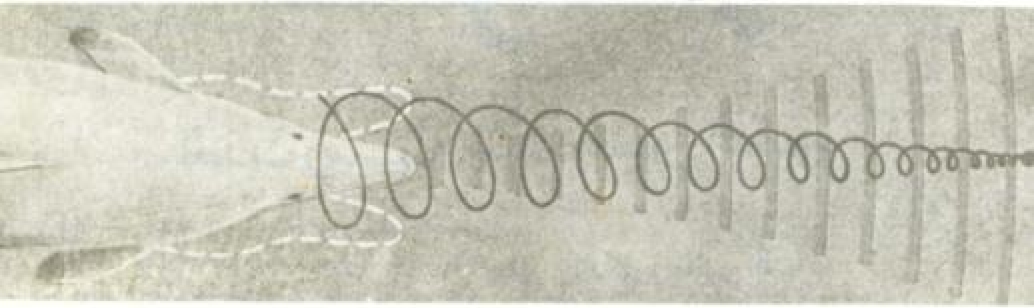
وشغلت المأساة الرأى العام العالمي والبريطاني ، وقامت الصحف وقعدت .. ، وتلاحمت الاراء والاقلام حول مسؤولية الحادث وموقف قائد الباخرة ومن اشهر تلك المساجلات مادار بين (برناردشو) ، (وارثر كونان دويل) مؤلف روايات (شرلوك هولمز) ، اذ كان برنارد شو لاذعا ناقدا ساخرا .. وكان دويل معجبا ومقدرا ومادحا لموقف القبطان سميث ....

وما يهمنا في هذا المقال هنا ان الساسة والمفكرين والعلماء بعد تلك المأساة ـ بدأوا يتساءلون وينقبون عن وسيلة علمية دقيقة تمكن الملاحين من اكتشاف الاجسام الكبيرة التي تقترب من البواخر ولا يتمكنون من رؤيتها بسبب الضباب والغمام والظلام ، وبزمن قصير بحيث يسهل تجنبها قبل وقوع الحادثة .

وهكذا تفتق الذهن بعد فترة عن صنع الجهاز المطلوب وهو جهاز تكوين الاصوات فوق السمعية ، والتي تسمى ايضا (سونار) SONAR وعم استعمال

(١) أصبحت تسمى الان ultrasonic : أما الاصطلاح القديم فأصبح يؤدى معنى السرعة التي تفوق سرعة الصوت .

الدولفين ، كالوطواط ، مزود بما يقوم مقام جهاز السونار ... فهو يطلق اصواتا بل موجات فوق صوتية ، لاتلبث ان ترتطم بما يعترض سبيلها ، فيرتد صدى تلك الموجات عنه ، وبذلك يتسنى للدولفين تحديد موقع الشيء الذي ارتطمت به الموجات وتحديد بعده ايضا



السونار وتعداه الى الاغراض الحربية لكشف الغواصات .. ثم الطائرات .. واخيرا في الطب ومجالات اخرى عديدة .. كما سنرى .

لماذا فوق صوتية ؟

الموجات فوق الصوتية هي بالحقيقة موجات صوتية ولكنها تنبعث بذبذبات سريعة جدا تفوق الحد الاعلى للذبذبات التي تسمعها الاذن البشرية ولشدة سرعتها فان الاذن لا تسمعها ، رغم وجودها كموجات حقيقية ، ورغم دخولها الاذن ووصولها الجهاز العصبي !! لذلك فهي (فوق صوتية) اى انها (غير مسموعة) رغم كونها موجات صوتية من الناحية الفيزيائية . وللايضاح والتبسيط نقول :

ان لكل مخلوق ـ انسان او جنس حيوان ـ حدودا دنيا وعليا من الذبذبات الصوتية التي يتمكن من سماعها ، فيا قل عنها وما زاد لا يسمعه ذلك الجنس من المخلوقات ... والاذن البشرية تسمع الصوت الذى تتراوح ذبذبته من ١٦ الى ٢٠ الف (هيرتز HERTZ) في الثانية . فيا زاد عن ٢٠ وما قل عن ١٦ هيرتز يدخل اذن الانسان لكنه لا يسمعه كصوت ... فهو كالعدم . وهكذا يمكن القول بان الموجات التي اقل من ١٦ هيرتز هي (تحت صوتية) والتي تزيد على ال (٢٠) ألفا هي (فوق صوتية) .

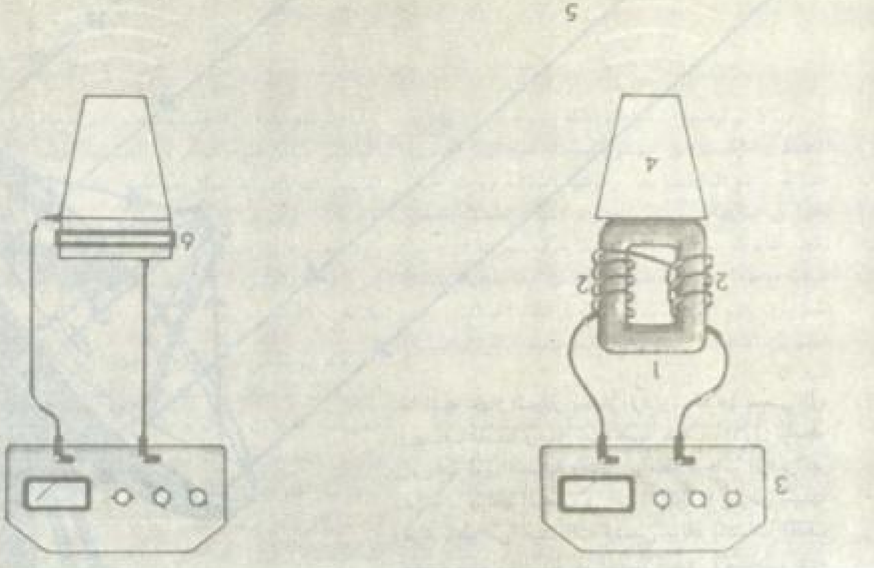
اما اجناس الحيوانات الاخرى فلها حدود دنيا وعليا اخرى تختلف عن الانسان لذلك نجد ان حدة السمع لديها تقل عن او تفوق قدرة الاذن البشرية ، وهكذا نجد ان الوطواط والكلب وسمك الدولفين يلتقط ويسمع ذبذبات تتعدى الـ (٢٠ الف هيرتز البشرية ـ اي حادة السمع [٢]

وعندما نتحدث عن الموجات الفوق صوتية فاننا نعني بها « فوق قابلية سمع الانسان » ..

ومن المفيد ان نتعرف على الموجات الصوتية (المسموعة وغير المسموعة) وخصائصها العامة لنفهم كيف يتم الاستفادة منها في التقنية الحديثة .

الصوت هو تذبذب آلي (ميكانيكي) ينتقل في المادة بشكل موجات ذات ذبذبات مختلفة في الثانية الواحدة (هيرتز) وبقوى مختلفة ايضا حسب مصدر الصوت وطبيعته . وقلنا ان الجهاز العصبي والسمعي للانسان يسمع الصوت الذي تتراوح ذبذباته من ١٦ الى ٢٠ الف هيرتز . اما ذبذبات الموجات فوق الصوتية التي يمكن احداثها باجهزة خاصة فتتعدى ذلك مئات والاف

(٢)من الحيوانات المرهفة السمع والحد الاعلى للذبذبات التي يستطيع سماعها : الوطواط ١١٥ كيلو هرتس ـ الدولفين ٨٥ كيلو هرتس ـ الفئران ٧٢ كيلو هرتس ـ الكلاب ٤٤ كيلو هرتس ـ الفيل ٥ر١٠ كيلو هرتس ـ الضفدع ١٥٠٠ هرتس فقط .



المرات بحيث تصل الى (٣٠) مليون هيرتز [٣] .

وتنتقل ذبذبات الصوت في جزيئات المادة التي تمر عبرها (اي الوسط الذي ينقل الصوت) فموجات الصوت تختلف عن الموجات الضوئية (التي تأتينا من الشمس مثلا) وتقطع المسافات الهائلة الخالية من اية مادة ـ اي في الفراغ . لكن الصوت يحتاج الى « وسط » او جو غير نقي « لينتقل عليه وبواسطة تذبذب جزيئات المواد التي توجد فيه فينتقل الصوت والا توقف ولم يستطع اختراق الفراغ .

وباختصار ، فانه كلما كان « الوسط » خاليا من المواد والجزيئات لم تجد الموجات الصوتية مجالا للانتقال بسهولة ـ وكلما كان الوسط كثيفا انتقل فيه الصوت بسهولة وسرعة اكثر . وهكذا يوجد نوعان من المناطق الصوتية : ١ ـ الكثيفة ٢ ـ المفرغة (اى كثيرة الفراغات / قليلة الجزيئات) .والاوساط الناقلة للصوت المعروفة لدنيا هي : الهواء (والغازات) ، والسوائل (الماء العذب وماء البحار .. والسوائل العديدة الاخرى) ، والمواد الصلبة .

كذلك تختلف سرعة انتقال الصوت في الوسط الذى يسير فيه حسب طبيعته ـ اى اذا كان هواء ، ام سائلا ، ام صلباوتكون سرعة انتقال موجات الصوت البطيئة جدا في الهواء والغازات واسرع جدا في المواد الصلبة (ثلاث اضعاف سرعتها في الهواء) . وتقاس سرعة الصوت بالمتر في الثانية .

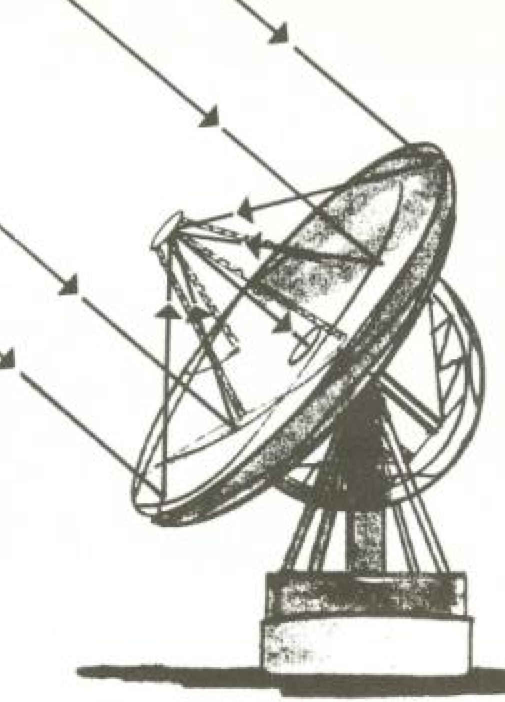
الشيء المهم هوان سرعة انتقال الصوت لا تعتمد على ذبذبته بل على طبيعة الوسط الذى يمر فيه ـ اى ان الصوت تحت السمعي والمسموع وفوق السمعي بملايين الهيرتزات تنتقل جميعها بنفس السرعة في نفس الوسط ... وتختلف اذا كان الوسط غازيا أو سائلا ...[٤]

والشيء الأهم الذى يجب ذكره في هذا المجال ان موجات الصوت التي تسير في الوسط الناقل بواسطة احداث ذبذبات في جزئيات يرتد بعضها الى الوراء بارتطامها بتلك الجزيئات وترجع ثانية مرتدة الى الخلف ... وتتبعثر .. وتخفت .. او قد يمكن التقاطها مرة اخرى (مثل الصدى) وبواسطة اجهزة لاقطة . وهذا هو سر استعمال الموجات فوق الصوتية في كشف الاسرار في كثير من المجالات ومنها الطب ـ اعتمادا على صفة الانطلاق والارتطام بالوسط الناقل ورجوع بعضها الى الوراء لالتقاطها ثم تحليلها ومعرفة ما طرأ عليها .. وهو موضوع حديثنا الاساس

---

(٣) ـ الهيرتز هو ذبذبة صوتية في الثانية ، وهيرتز اسم عالم فيزيائي . والكيلو هيرتز يساوي الف هيرتز (الف ذبذبة / ثانية ، والميجا هيرتز يساوي مليون هيرتز (مليون / ثانية) .

(٤) تبلغ سرعة انتقال الصوت على مستوى سطح البحر ٣٣٥ مترا في الثانية عبر الهواء ، ١٤٦٠ مترا في الثانية عبر الماء ، ٣٨٤٥ مترا في الثانية عبر الخشب ، ٥١٣٠ مترا في الثانية عبر الحديد و ١٦٠٠ مترا في الثانية عبر الحجر .



ما اشبه جهاز السونار بجهاز الرادار .. كلاهما يسعى الى اكتشاف الهدف ويعمل على تحديد بعده ... الاول بواسطة الموجات فوق الصوتية والثاني بواسطة موجات الراديو غير المرئية .. وترتطم الموجات في كلتا الحالتين بما يعترض سبيلها لترتد وتعود من حيث اتت فيتسنى بذلك اكتشاف الهدف وتحديد بعده ، والسونار هو الجهاز الذي لاتستغني عنه غواصة ، بينما الرادار هو الجهاز الذي يستعمل في اكتشاف الطائرات المعادية . ويبين الرسم جهاز الالتقاط الخاص برادار تلسكوبي

كيف تتكون الموجات فوق الصوتية ؟

من البديهي ان اى صوت ينبعث من جهاز او مصدر طبيعي (او حنجرة مخلوق) اذا احدث ذبذبات ميكانيكية في وسط ناقل . ومكبرات الصوت هى ابسط مثال « صناعي » على اداة احداث الصوت المسموع حيث تتحول الطاقة الكهرومغناطيسية الموصوله بمكبر الصوت الى ذبذبات هوائية تنتقل الى اذن السامع بواسطة جزئيات المادة السابحة في الهواء .....

لكن مكبرات الصوت المعروفة (وفي اكبر قاعة اجتماع او احتفال) لا تتمكن من احداث اصوات غير مسموعة (اى فوق صوتية ذات ملايين الذبذبات) مهما بلغت قوتها وكفاءتها لان الصفيحة الورقية في مكبرة الصوت لا تتمكن من الذبذبة السريعة المطلوبة فوق خاصيتها بل تتمزق او تقف ، لذلك تفتق العقل البشري والحاجة ام الاختراع ـ عن الاستعاضة عنها (بيلورات) ذات تركيب خاص لها قابلية تكوين موجات صوتية سريعة الذبذبات جدا اذا مر فيها تيار كهرومغناطيسي . وتوضع البلورات في نهايات دقيقة اسطوانية الشكل متصلة بالجهاز واسلاكه الكهربائية ـ وهذا التركيب المبسط لجهاز السونار الذى تجرى عليه تحويرات فنية حسب استعمالاته في البحر ... او الطب ....

كيف يعمل السونار ؟

الان ، وبعد ان احطنا علما بالاسس الفيزيائية والعلمية الحياتية لظاهرة الموجات فوق الصوتية وخواصها ، نستطيع ان ندرك بيسر كيف يستعمل جهاز (السونار) في مختلف المجالات ومن البديهي ذكر استعماله في البحر من قبل السفن السلمية والحربية بعد ان عرفنا قصة الكارثة التي ادت الى هذا الاختراع :

في ذراع الجهاز .. ومن نهايته تنطلق حزمة من الموجات الفوق صوتية السريعة الذبذبات جدا (١ ـ ٣٠ مليون هيرتز) .. فتسير في ماء المحيط بسرعة معينة ...... وفي اثناء سيرها بجزئيات الماء وما فيه من مواد يرتد جزء منها الى نفس الجهاز لتلتقطه النهاية اللاقطة .. وتتحول الموجات الراجعة الى مخططات ومنحنيات تسجل على الورق وتظهر على شاشة الجهاز التلفازية . ويستطيع الخبير من شكل الموجات الراجعة وسرعتها وذبذبتها معرفة الوسط الذى مرت فيه فموجات السونار في ماء البحر لها صفات معينة .. وفي مادة صلبة لها شكل وسرعة اخرى .. وفي الهواء شكل وذبذبات اخرى .. وهكذا ...

والان لو فرضنا ان الباخرة ناقلة المسافرين (او ناقلة النفط) اطلقت من جهاز السونار موجاتها الفوق صوتية .. ثم التقطتها بعد رجوعها الشاشة ووجد الخبير تغيرا في شكلها وذبذبتها المعهودة لانها ارتطمت بجبل ثلجي عائم او بغواصة .. ، عندئذ يعرف بسرعة ان جسما غريبا موجودا على بعد مسافة كذا في ماء المحيط فينذر المسؤولين وتتم الاجراءات اللازمة في تلك الحالات : من تحويل الاتجاه .. او تغيير السرعة .. او التأهب للمعركة ... او .. او .. الخ

لقد كان استعمال الامواج فوق الصوتية في الطب متأخرا كثيرا عن استعمالها في البحر والجو . وصادف يوما ان العالم (فايرستون) اكتشف ان الموجات فوق الصوتية ذات فائدة ايضا في تشخيص المناطق والاجزاء المزيفة او الرديئة في الصفائح المعدنية لجداران الكثير من الاجهزة . وشرح ذلك في تقرير له عام ١٩٤٥ . وكان ذلك منطقيا لان شكل الموجات في معدن معين يتغير اذا وجدت فيه منطقة اخرى تختلف عن تركيبه (بسبب الخطأ في الصنع او الغش المتعمد) .

هذا الاكتشاف اثار انتباه العلماء في الحقل الطبي الى امكانية تطبيق هذا المبدأ على اجهزة وانسجة الجسم . فلو كان الجزء المفحوص هو الكبد .. فلماذا لا يكتشف السونار وجود (بقع) او (مناطق) فية غير طبيعية مثل ورم او كيس او حصاة ؟ كصفيحة المعدن الفولاذي الذي تكتشف فيه من حديد غير فولاذية ؟ .. وكان الاستنتاج منطقيا وسليما . وهكذا تصرف الفنيون لصنع الجهاز الطبي استنادا الى نفس القاعدة التي يعمل بها السونار - اي موجات فوق صوتية تنبعث من نهاية ذراع بشكل حزمة وتوجه نحو منطقة معينة من جسم الانسان وتلتقط نهاية الجهاز الموجات المرتدة لتسجلها على لوحات تخطيطية ..

فلوفرضنا اننا وجهنا جهاز السونار الى راس انسان طبيعي من جهة جانبية فان الموجات المرتدة ستسجل انواعا من الاشكال الموجية المختلفة تدل على مرورها من الجلد (فروة الرأس) الى عظم الجمجمة الى اغلفة المخ .. الى المخ .. وحتى تجاويفه واعيتة الدموية . ويعرف الطبيب الفاحص المتخصص بان رأس هذا الانسان طبيعي .. ، لكننا لو افترضنا وجود ورم اوكيس داخل الفص الجداري الايسر للمخ لكان شكل الامواج المرتدة بغير شكلها الطبيعي المعروف ...... وبذلك يحصل الاشتباه والتشخيص وتزداد دقة التفاصيل الى معرفة عمق الورم ومحله وحجمه بمجرد تغيير اتجاهات ومواقع جهاز السونار على جبهة المريض ...

ولو افترضنا ان المطلوب فحص امرأة حامل في الشهر السادس ، فان الموجات فوق الصوتية المرتدة من جسم الانثى ستخطط لنا شكل الموجات ابتداء من جلد البطن الى جدار الرحم الى محتوياته .. الى شكل الجنين ووضعه .. وربما ستوضح ان الجنين ليس له رأس او بدون ذراع (مشوه) .. وربما ستوضح وجود جنينين .. او ثلاثة .. وهكذا ..

وبمرور الزمن ، وبتطور الاجهزة .. واكتساب الخبرة الطبية عم استعمال الموجات فوق الصوتية في تشخيص كثير من الحالات المرضية وفي مختلف انحاء الجسم . والذي شجع الاطباء على ذلك هوان الموجات فوق الصوتية تخلو من الالم او الحرارة او اي اذى لانسجة الجسم التي تمر فيها فهو اسلم واهدأ طريقة طبية تشخيصية وجدت لحد الان .. وهي مصيبة في ٧٠ - ٩٠٪ من الحالات التي يحددها الطب .. ومن المفيد والطريف ذكر الفوائد الطبية المهمة بسرد سريع .

مجالات السونار الطبى

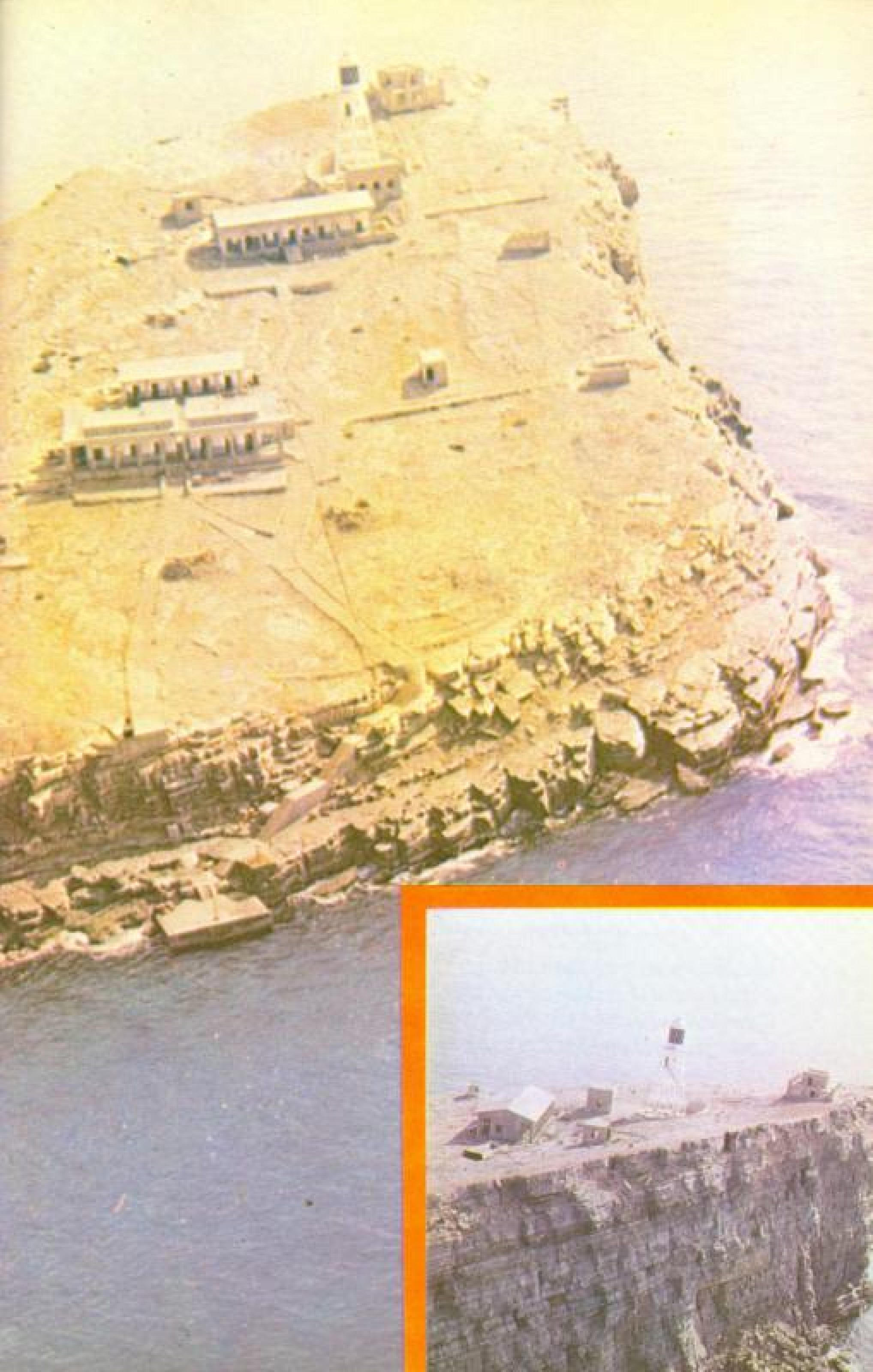
تستخدم الموجات فوق الصوتية في تشخيص الحالات المهمة التالية :

- الاورام ، والاجسام الغريبة ، والاكياس ، والخراجات في الدماغ ، ودعيت هذه الوسيلة (بالصدى الدماغي) - في امراض العين : الاجسام الغريبة ، انفصال الشبكية ، الساد (الماء الابيض) ، النزيف الاورام - في امراض الغدة الدرقية - وامراض الانف والحنجرة - وامراض الكبد .. وحالات مرضية في الجوف البطيني - وفي امراض الشرايين والاوعية الدموية وام الدم - وفي امراض القلب كحركة الصمامات .. واختلاف فتحاتها وتشوهاتها الخلقية .

كما يستخدم السونار - في الامراض النسائية والتوليد لبوغ عدة اهداف : - لمعرفة تعدد الحمل . - لقياس الجنين داخل الرحم - وتشخيص الاورام والاكياس - والتمييز بين الاورام والاكياس الصلبة واللينة .. - وبعض امراض المبيضين - وبعض امراض الرحم - ومعرفة وضعية الجنين داخل الرحم - ووجود تشوهات في الجنين مثل الولادة باسابيع واشهر .

وهناك مجالات اخرى لاستخدام السونار كان مراض العظام مثر ■■

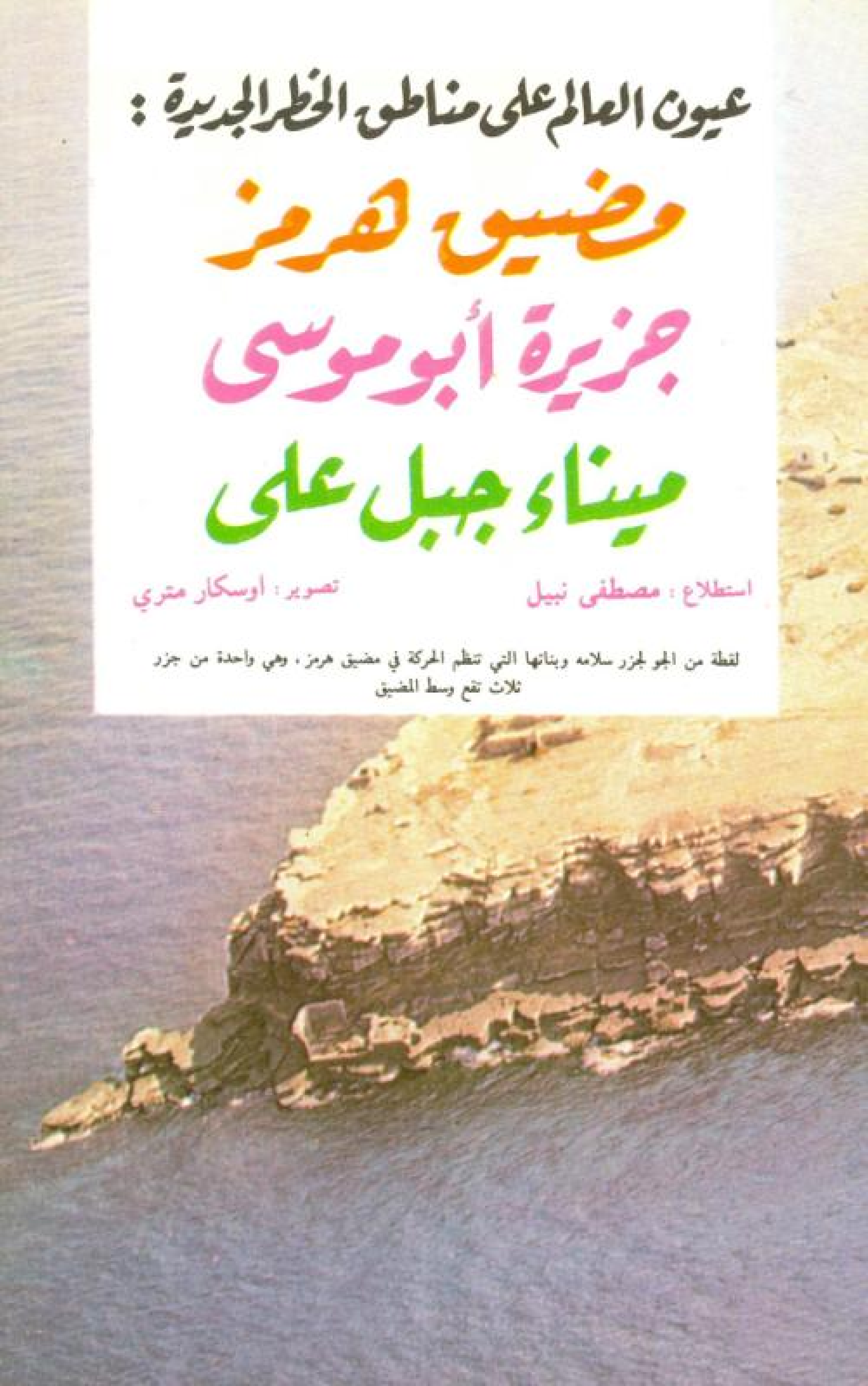
بغداد - د . فخرى الدباغ



عيون العالم على مناطق الخطر الجديدة :

مضيق هرمز
جزيرة أبوموسى
ميناء جبل علي

استطلاع : مصطفى نبيل
تصوير : اوسكار متري



لقطة من الجو لجزر سلامه وبناتها التي تنظم الحركة في مضيق هرمز ، وهي واحدة من جزر ثلاث تقع وسط المضيق

عندما كنا نحلق بالطائرة الهليوكوبتر فوق مضيق هرمز ، قبل اشهر قليلة ، متنقلين بين المواقع الاستراتيجية الواقعة على مشارفه ، لم نكن نتصور ان الاحداث ستتوالى بتلك السرعة ..

لقد طافت عدسة « العربي » فوق الجزر الواقعة وسط المضيق ، جزيرة الغنم وجزر سلامه وبناتها ، ومنها الى جزيرة أبو موسى مرورا بجزيرتي طنب الكبرى والصغرى ، وقطعت الطائرة المسافة بين رأس مسندم حتى ميناء « جبل علي » ، وظهر مشهد خشن خلاب ، الجبال شديدة الانحدار كحائط صلد ، ورؤوسها مشهرة كأسنة الرماح ..

وعندما ارتفعت الطائرة وكادت تقارب السحاب ظهر الساحل العربي من جانب والساحل الايراني على الجانب الاخر وبينهما مجموعة صخرية من الجزر ..

ومن اعلى تشاهد الصورة الشاملة وتظهر الكليات وتختفي التفاصيل ، وتكاد تفلت من الزمان والمكان ، وتصبح الثوابت سواء الجغرافية او التاريخية هي التي تتحدث ..

وترى من فوق كيف تركزت عيون العالم على هذه المناطق الساخنة المشحونه بالتوتر ..

لقد كان السؤال الذي طرحناه وقتئذ هو : هل يصبح مضيق هرمز بوابة الحرب العالمية الثالثة ..؟ وفي الرد على السؤال كانت الاجابة :رغم ان مياه الخليج الزرقاء هادئه وكأنها مياه معزولة ، الا انه كثيرا ماتكون المظاهر خادعة ، فهذه المياه لعبت عدة قرون دورا هاما في تاريخ العالم ، واغرى موقعها كل القوى التي ظهرت على المسرح العالمي ، وما اكثر الايدي التي تداولتها او تنافست عليها ، وتختفي خلف الافق منافسة ضارية بين الدول الكبرى ..

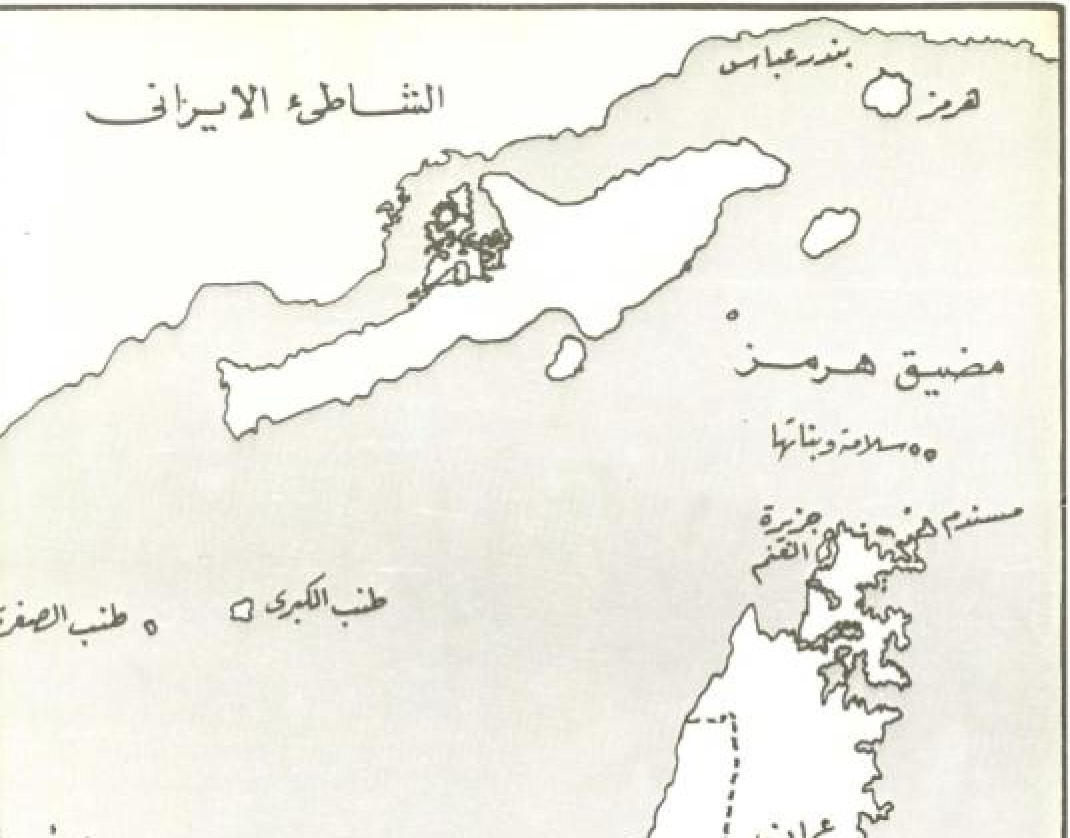
واذا راقبت المضيق من فوق جزيرة سلامه وسط مياه مضيق هرمز تكتشف دوافع السؤال ، فالمضيق هو شريان الحياة للعالم الصناعي الغربي ، ومنفذ النفط للعالم الخارجي ، يمر منه مايزيد عن نصف احتياجات اوربا الغربية ، وتشحن منه دول الخليج ثلثي انتاجها من النفط ، وهو الممر الذي ترصده استراتيجيات الدول الكبرى ، وتشير اليه على الدوام بالضوء الاحمر ، وقد تركزت على ضفاف الخليج حقول نفط ثماني دول يصل انتاجها النفطي الى ارقام فلكيه ، ويمر منه يوميا ٨٠ ناقلة ضخمه تحمل ١٩ مليون برميل . يمثل لها مضيق هرمز العنق ، والبوابة الى البحار المفتوحه ...وهو المنفذ الوحيد للدول المطله عليه باستثناء السعوديه التي لديها موانيء على البحر الاحمر ، وعمان التي تقع موانيها الرئيسيه على خليج عمان ، ودولة الامارات العربية التي اقامت مؤخرا ميناء خورفكان كمخرج بديل ..

ولم تمض ستة اشهر على هذه الصور ، حتى شهدت مياه الخليج صراعا مسلحا بين اكبر دولتين تطلان عليه هما العراق وايران ، وسرعان مازحف التوتر على كل مياه الخليج الممتدة ٥٥٠ ميلا من شط العرب على رأس الخليج وحتى مضيق هرمز ..

وعلى جزيرة سلامه لايصعب ان تتوصل الى ..(ان المضيق اوسع من ان تسده ناقله ، وان المخاطر التي تتعرض لها الملاحه فيه ، اما بزرعه بالالغام ، او ان تحتل الممر قوة بحرية معادية) .

وعناصر قوة العرب في وجود ممرات مائية ومضايق استراتيجية ضمن اراضيهم مثل مضيق هرمز ، وباب المندب ، وقناة السويس ، ولكن (الجغرافيا محايدة) كما يقولون ، تطيع من يستخدمها ، فاذا لم تكن في مستوى الموقع وتمتلك القدرة على حمايته يتحول الى وبال على اصحابه ، ويصبح نقطة في لعبة التوازن بين الكتلتين المتصارعتين ، تسعى كل منهما الى حرمان الاخرى منه ..

« فالمنطقة شهدت محاولات عديدة وبطرق مختلفة تمهد لدور عسكري للغرب في الخليج ، بعد ان اختفى الدور الايراني « كشرطي الخليج » وبقي مضيق هرمز



مضيق هرمز ، والمناطق الاستراتيجية المطلة عليه ، وسط المضيق ، جزيرة سلامه وبناتها ، وجزيرة الغنم ، ثم الجزر الثلاث طنب الكبرى ، والصغرى ، وابو موسى ، واخيرا ميناء جبل علي .

بالنسبة لهؤلاء الذين يمارسون لعبه الخرائط الملونه ، ويقتسمون العالم مطمعا لاشك فيه ، ومكسبا استراتيجيا حاسما لمن يسيطر عليه .

مفاجأة الحرب

وسرعان ما برز الخطر من جديد ، وهذه المرة والعالم يحبس انفاسه خلال الحرب العراقية الايرانية ، ومع تزايد احتمال المجابهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في هذه النقطة الملتهبة !

وبعد ان برزت المفاجأة الثانية خلال الحرب بتدمير آبار النفط ومصافية وخطوط نقله وموانيه في كل من ايران والعراق ، ويصل حجم الخسارة الى قيمة انتاج النفط الايراني الذي يبلغ ٦ مليون برميل يوميا مضافا اليه الانتاج العراقي الذي يبلغ ٣,٦ مليون برميل يوميا ، كما ان عودة الابار والمصافي التي تضررت تحتاج في رأي المختصين الى ما يزيد عن العام ، اذا كان التدمير كاملا ، ويعرف العاملون في حقول النفط ان الابار التي تتوقف عن الانتاج تغلق ذاتيا ويصبح من الضروري حفر آبار جديدة بدلا منها !

خنجر في المضيق

نعود الى جولتنا فوق جزر المضيق ، جزيرة الغنم ، وجزيرتي طنب الكبرى والصغرى ، ومن رأس مسندم حتى ميناء جبل علي ، ففي هذه الجولة تجمعت الحقائق حول ما فعلتـه الاهمية الاستراتيجية من تغييرات شهدتها اراض عربية ..

فقد استغلت ايران الشاه الاضطرابات التي وقعت في ظفار ، وحصل الشاه على حق تمركز قواته في الاراضي المطلة على المضيق ، واتخذ الطيران والبحرية الايرانية من اللسان المتد كالخنجر في قلب مياه المضيق قاعدة له في جزيرة الغنم ..!

ولم يكتف شرطي الخليج بذلك ، بل لقد استولت ايران الشاه على الجزر الثلاث الاستراتيجية ففي البداية



لقطة لجزيرة الغنم ذات الموقع الاستراتيجي على المضيق ، والتي تشقه مثل الخنجر في قلب المياه ، وهي قاعدة عسكرية متقدمة لضمان حرية الملاحة في المضيق ، كانت تحتلها قوات ايرانية قبل سقوط الشاه



استولت على جزيرتي طنب الكبرى والصغرى ، واحتلتها بعد ان كانت تابعة لامارة رأس الخيمة ، وفعلتها في آخر ايام الحماية البريطانية في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٧١ ، وما حدث هو استبدال ترتيبات الامن في الخليج ، بترتيبات جديدة بعد قرار انسحاب بريطانيا من شرق السويس ، وعليها ان تسلم المفاتيح الاستراتيجية الى الشرطي الجديد ..!

والجزيرتان في موقع « حاكم للمضيق » تبعدان عن رأس الخيمة ٦٠ ميلا وعن الساحل الايراني ٢٠ ميلا ، ومدفع فوقها يصل مداه الى طرفي المضيق ، وتم طرد السكان العرب ، واصبحت قواعد بحرية ايرانية ، وبالطبع لم اتمكن من زيارتها واكتفيت بالنظر اليها من بعيد ..!

اما الجزيرة الثالثة ، جزيرة ابو موسى فيمكن زيارتها بعد ان اقتسمتها ايران الشاه مع امارة الشارقة ، وهي جزيرة صغيرة يبلغ طولها ميلين وتبعد عن ساحل دولة الامارات اربعين ميلا ، وبينها وبين دولة الامارات اتصال يومي بالزوارق او الطائرات الهليوكوبتر ، واقامت الشارقة فيها مدرسة ومكتبة ومركزا اعلاميا ، ويعيش في نصف الجزيرة العربية حوالي ٥٠٠ عربي ، معظمهم من صيادي الاسماك ، وما زال عليها مركز للشرطة تابع لدولة الامارات العربية ..

وتقتسم كل من الشارقة وايران عوائد حقول النفط الواقعة حول الجزيرة ..

وقد تمت مقايضة من نوع غريب ، عندما اعلن الشاه تخليه عن مطالب ايران في مد السيطرة على البحرين ، في مقابل فرض سيطرته على الجزر الثلاث !!

وكانت وقفتنا الاخيرة في ميناء جبل علي ، احدث واضخم الموانىء والذي يقال انه اكبر موانىء العالم ، واقربها الى مضيق هرمز ، ويضم احدث التجهيزات ونظم الاتصال ، ويمتد الميناء الواقع في دبي الى مسافة ١٧ كيلو متر ، وبه مخازن تصل مساحتها الى ٤٤ الف و ١٠٠ متر مربع ، ويشتمل على ٧٧ رصيفا ، وبه اضخم حوض جاف لاصلاح السفن .. والميناء بكامله منطقة حره ،تعاقدت دبي مع شركة بريطانية على ادارته ، واجرت الشركة البريطانية بدورها خمس ارصفة لشركة اخرى امريكية ..

وقد اثار هذا الميناء الذي اقيم لاهداف اقتصادية شهية الدول الكبرى لاستخدامه لاهداف استراتيجية ، وداعبت احلام القوى الطامعه الاستفادة من امكانياته الهائلة ، ووضعه الاستراتيجي ..

امن المضيق ..!

هذه هي المناطق التي تعلقت بها انظار العالم ، عندما سمعت أصوات مدافع الحرب الايرانية العراقية في كل عواصم الدنيا ، وبرزت قضية امن المضيق كقضية تفوق سواها ، واصبحت القوى العالمية مستعدة لكي تستغل نتائج الحرب كل لصالحه ...

وينظر الى قضية امن الخليج وامن المضيق من موقعين مختلفين ، احدهما عربي ، والاخر غربي ..

● اما المنظور العربي للامن فهو تأمين كيان مجموعة الدول العربية الخليجية من الاخطار التي تتهددها داخليا وخارجيا ، وتأمين مصالحها ، وتهيئة الظروف المناسبة لتحقيق اهدافها وغاياتها الوطنية ، والامن العربي بهذا المعنى ليس مجرد قضية عسكرية ، ولكنه مسألة سياسية واقتصادية ، تختلط فيها الجغرافيا بالعسكرية ، والوضع الاجتماعي بقوة الدولة ، والنظام السياسي بالاستراتيجية ..

وفي هذا المجال اكدت شعوب المنطقة حرصها في كل الظروف على حرية الملاحة في مضيق هرمز وضمان تدفق النفط وانسيابه الى اسواقه لان في ذلك ضمان تقدمها ورخائها ، وعندما نشب النزاع المسلح بين العراق وايران تاكدت هذه الحقيقة ، وكل الذي وقع ان تدخلت ثلاث فرقاطات ايرانية في الجانب العماني من الخليج في الاسبوع الاول للقتال لمراقبة السفن ، ولم تقع اي محاولة للتحرش بسفن البضائع والناقلات المارة عبر الخليج ، كما جرى نشاط جوي متزايد حول الجزر الثلاث خلال ايام القتال ..

وجاء هذا النزاع ليؤكد حقيقة أنه لم يهدد أي من الدول المتحاربة حرية الملاحة في المضيق .

● اما المنظور الغربي للامن ، فيقوم على رؤيا مختلفة تماما عن المنظور العربي ، وهذه الرؤيا تقف خلف الكثير من الاحداث الجارية والتي تحتاج الى تفسير ..

فما هي المعضله لدى الغرب ، وكيف ينظر اليها .. ؟

وهنا نقتصر في عرضنا على الدراسات التي تصدرها معاهد الاستراتيجية الاميريكية وابحاث الكونجرس والتي تقدم صورة كافيه اذا اخضعت للبحث والتدقيق



المباني الشاهقة في دبي من الطائرة .

على أن نميز بين السياسات الاعلامية والدعائية وبين السياسات الفعليه ..

تبدأ الحكاية بعد انسحاب بريطانيا من شرق السويس ، واختيار ايران لتكون عنصر حماية المصالح الغربية في المنطقة ، وقذفت ترسانة السلاح الامريكية بالعتاد العسكري الى ايران ، واحتل الشاه الجزر العربية الواقعه على مدخل المضيق ، ووضع الممر المائي تحت سيطرته ، واصبح وكيلا للمصالح الغربية ، ثم جاء سقوط الشاه مدويا لكي يفتح ثغره استراتيجية في ترتيبات الامن الغربية ، وقد ادى سقوطه لتصفيه القواعد العسكرية الامريكية في ايران مثل كباخان وجبل تليش وبندر شاهبور ..

وتلاحقت التغيرات في الحزام المحيط بالشرق الاوسط لتزيد المعضلة الغربية تعقيدا ، وخاصة ما وقع في افغانستان واثيوبيا . وقيست كل هذه التغيرات من خلال اثرها على مصادر البترول .

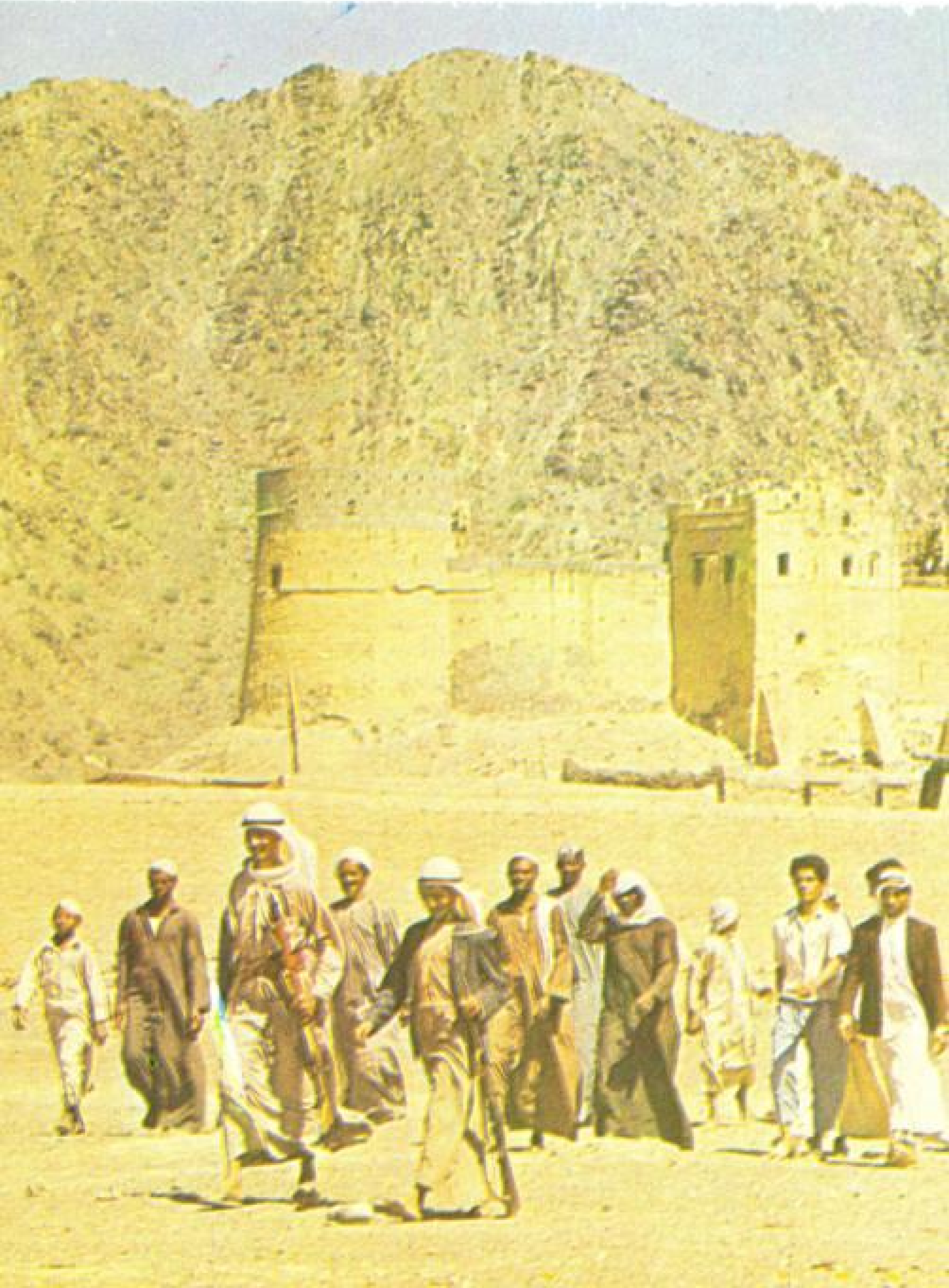
وتحول المحيط الهندي من مجرد بقعة زرقاء فوق الخريطه ، ليصبح مدخلا استراتيجيا هاما لكل من الخليج العربي والبحر الاحمر . وبدأ الحديث يتصاعد حول ضرورة انشاء اسطول امريكي مقيم ، يعمل على سد الثغرة او المفصل الاستراتيجي بين كل من الاسطول السادس والاسطول السابع . ويقترب اكثر من تلك المنطقة التي يتزايد فيها الصراع تناسبا طرديا مع ما تحتويه من احتياطات نفطيه كبيره .

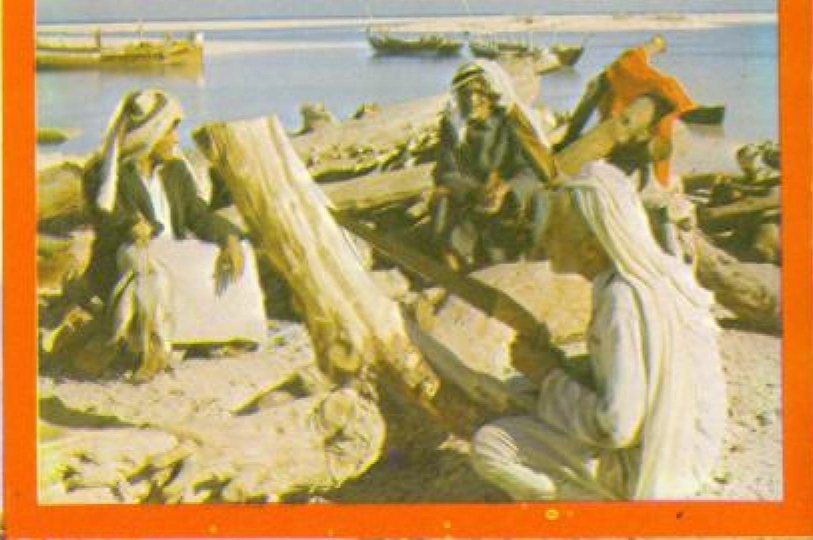
ومضت الولايات المتحده تضع الخطط من اجل الاقتراب الحذر من المضيق ودول الخليج ، وكانت تقف امام حركتها قيود عديده ، اهمها وجود هذه المنطقة قرب الاتحاد السوفيتي الذي يثيره اهتمام الولايات المتحده والعكس بالعكس .. !

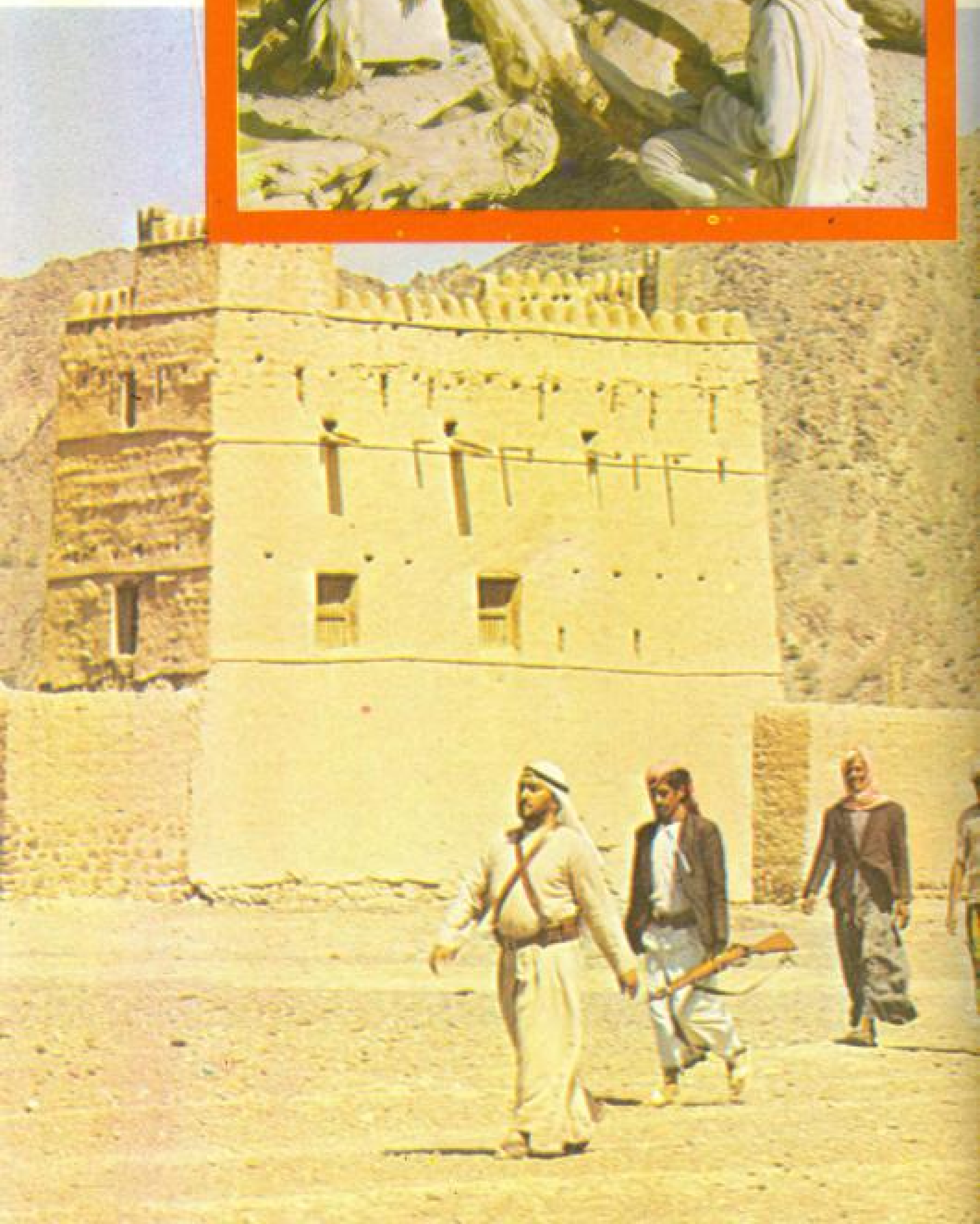
اما القيد الثاني فيتمثل في رفض معظم دول الخليج تقديم قواعد او تسهيلات عسكرية على اراضيها . والقيد الثالث الذي برز خلال الحرب العراقية الايرانية . ان الغرب يحتاج الى بترول الغالب والمغلوب على السواء في المدى البعيد . والخوف من ان تصبح المشكله مصدرا دائما للتوتر ..

وكشف الاقتراب الحذر والبطيء . على ان الغرب قد اتخذ قراره بالتواجد العسكري المباشر وان هذا هو الضمان الوحيد لمصالحه النفطية والاستراتيجية . وبقي هذا القرار يبحث عن الاوضاع والذرائع التي تساعد على وضعه موضع التنفيذ ..

لقطات من جزيرة ابو موسى التي يقتسم السيادة عليها كل من ايران ودوله الامارات ، ويقتسمون عوائد النفط من حولها ، ويقطنها خمسمائة مواطن عربي يحترفون الصيد ، وبها مخفر ومدرسة ومركز اعلامي تابع لدولة الامارات العربية







الدور السوفيتي

ويزيد من حجم المعضلة الغربية ان الاتحاد السوفيتي هو الدولة الكبرى التي تتصل اتصالا بريا بالخليج عن طريق متاخمته لايران ، ولكن قيودا جغرافية تقيده ، فلا يصله بالخليج بريا سوى طريقين بريين وعرين ، احدهما ، الطريق الغربي الذي يقطع ٢٠٠٠ ميل من البلقان وحتى البصره عن طريق البوسفور وبغداد ، والطريق الآخر الذي يمضي عبر الف ميل من جبل القوقاز الى الكويت سالكا طريق جدار زاجروس الجبلي ، وقد سبق واستخدمته القوافل الامريكية اثناء الحرب العالميه الثانية ونقلت خلاله اسلحه ومعدات الى الاتحاد السوفيتي ، ولكن العمليات السوفيتية تظل صعبه امام المعارضة الايرانية ، كما ان الطرق في كلا الدربين مختلفه ، وشبكة الخطوط الحديدية اسميه والمياه شحيحه ، ونقاط التموين وورش الصيانه لا وجود لها ..

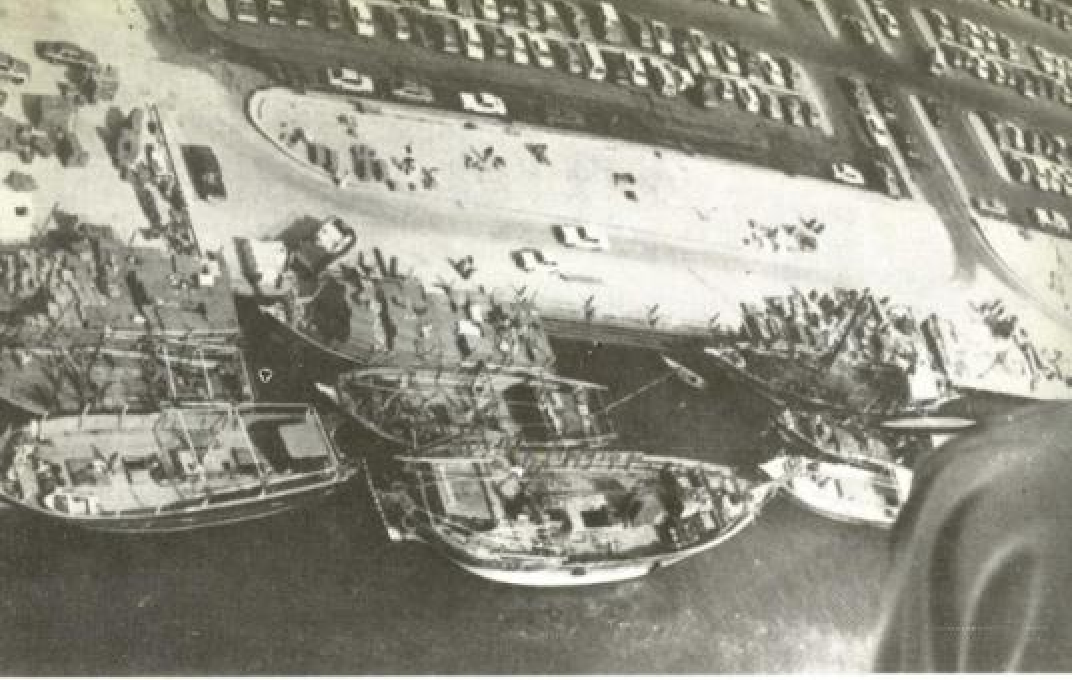
وفي التحليل الاخير تبقى القدرة العسكرية السوفيتية الاستراتيجية والتقليديه ، نظريا ، قادرة على فرض حصار على موانئ الخليج ، وقطع شحنات النفط بطريقة فعاله عند مضيق هرمز [١] .

وهذا الوضع جعل وجود حاملة طائرات امريكية في الخليج او قوات امريكية في الدول المطله عليه يمكن ان تؤدي الى عكس هدفها كوسيلة ردع ، عندما تؤدي بدورها الى تحريك قوات سوفيتية الى شمال ايران ، حسب اتفاقية بين الشرق والغرب ، لان دول الخليج توفر منفذا سهلا الى جنوب الاتحاد السوفيتي [٢] .

كما ان الولايات المتحده لم تكن تملك القوات المناسبه ، بالاعداد الكافيه ، لمواجهة التهديدات المحتمله ، وقد عبر عن ذلك احد ضباط وزارة الدفاع



مياه الخليج التي تقطع دبي وتحتها نفق يصل طرفي المدينة .



مرسى البواخر الصغيرة والتي تتنقل بين دبي وبين المواني‌ء الايرانية والهندية .

الامريكية مشيرا الى ان الولايات المتحدة لم تنشيء قوات كافية لحماية مصالحها الحيوية في المناطق التي لا تشكل فيها الاسلحة الاستراتيجية قمة رادعة واشار الى ازمة الصواريخ في كوبا عام ١٩٦٢ . واضاف .. « سيكون الخليج كوبا ثانية .. ! »[٣] .

وقد اعلنت مصادر البنتاجون حجم قوات كلا الطرفين . وذكرت بالنسبة لقوات الولايات المتحدة انه منذ بداية العام الحالي ارسل الى المحيط الهندي اسطول قوامه ٢٥ قطعه بحرية من بينها عشرون سفينه حربية تحيط بحاملتي طائرات نوويتين عملاقتين على سطحها نحو ٢٠٠ من القاذفات المقاتله ..

اما الاتحاد السوفيتي فيحتفظ على الحدود الايرانية بما لا يقل عن اثنتى عشرة فرقة كاملة الاستعداد علاوة عن قطعه البحرية في المحيط الهندي ..

واعتمدت الولايات المتحده على الوقت للتغلب على المعضلات التي تواجهها . وظهرت التصريحات المتشدده ، وسياسة الزوارق المسلحه ، لكي تقيم مظله تحتمي بها حتى تحقق اهدافها .

اراض بلا صاحب !

أما المأزق الاهم الذي تواجهه السياسة الغربية التي تهدف الى التواجد العسكري على ارض المنطقة ، والذي كان سببه سقوط حتى فكرة البحث عن شرطي جديد في الخليج عقب انهيار الشرطي القديم ، والذي انهار معه جهود سنوات طويله من ترتيبات الامن وتكديس السلاح . يبقى سؤال ماذا يمنع سقوط الشرطي الجديد ، أو توظيف دوره في اتجاه آخر .. !

واصرت السياسة الغربية على ان تنظر الى المنطقة وكأنها .. « اراض بلا صاحب ولا يسكنها بشر NO mam,s dand ، وانها لا تعني لديه سوى مصادر للنفط وموقعا استراتيجيا . وهي عودة الى النظرة الاستعمارية القديمه ، ومنذ « نظرية الفراغ » وحتى

(١) دراسة ابحاث الكونجرس اعدها كولينز وكلايد مارك .

(٢) مجلة رفيو ـ روبرت برانجر ودوبل آر .

(٣) مجلة فورتشن الامريكية .



ميناء جبل علي من الجو ، وهو اكبر ميناء على الخليج ، بل يقال انه اكبر ميناء في الشرق الاوسط ، يشمل ٧٧ رصيفا ، واحدث أجهزة الاتصال ، تعاقدت دبي على ادارته مع شركة بريطانية وأجرت الشركة البريطانية بدورها خمسة ارصفة لشركة اخرى امريكية ... وبموقعه الاستراتيجي وامكانياته الكبيرة يمثل اغراء كبيرا للقراصنة الذين يلبسون ملابس الشرطة





اعداد « قوات التدخل السريع » ، فبعد ان رفضت معظم دول الخليج تقديم قواعد او تسهيلات عسكرية على اراضيها ، بدأت السعي لخلق الوضع الموائم لخططها ، وافتعال الذرائع لتنفيذ قرارها .. !

وجدت هذه السياسة في الصراعات المحليه احسن الظروف وتعطيها افضل الذرائع ، ويلاحظ ان الصدام المسلح على الحدود بين اليمن الجنوبي واليمن الشمالي قدم فرصة لارسال حامله الطائرات الامريكية « كونستيلاشن » والسفن المرافقه لها الى بحر العرب ..

واذا هدأ صراع محلي ، فعليهم اذكاؤه من جديد ، ووجد في التهديد الاقليمي الناتج من سيطرة ايران على احد شواطىء المضيق ذريعة اخرى ..

وقدم الصراع العراقي الايراني اكبر ذريعه ، فالذي تسعى اليه الولايات المتحده بصبر ، ان يلجأ اليها احد الحكام المحليين الذي تهدد دولته احدى دول المنطقة ، وليس بعيدا الترتيبات التي قامت على المضيق نتيجة الاضطرابات التي شهدتها ظفار ، ان هذا الوضع سيقدم غطاء شرعيا تجاه السوفييت وتجاه العالم لاى تحركات عسكرية ، في المنطقة البالغة الحساسية .. !

الغرب ينظم صفوفه

ومن جانب آخر اخذ الغرب ينظم صفوفه ، وكانت بريطانيا اول من استجاب للمشروعات الامريكية عندما طرح المحافظون فكرة انشاء اسطول اوروبي ـ امريكي مشترك تكون قاعدته في دييجو جارسيا ، وهي القاعدة البريطانية في المحيط الهندي والتي تبعد الفي ميل عن عنق الخليج العربي ، كي اعلنت عن تشكيل قوة رمزية للعمل بمنطقة الخليج عند الحاجة ، اما بقية الحلفاء الغربيين فقد تراوحت ردود فعلهم العلنية بين التحفظ والقبول ، واذاعت مصادر المانيه في وقت سابق عن اتجاه المانيا الغربية لتشكيل قوة خاصة للتدخل اذا توقفت الملاحة في مضيق هرمز ، اما فرنسا فلديها اسطول يتكون من ١٤ سفينه في المحيط الهندي قاعدته الرئيسية في جيبوتي ..

وفي دراسة لمجموعة عمل خاصة بالشرق الاوسط بعنوان : النفط والتغير في الشرق الاوسط والخيارات الغربية ، طالبت المجموعة بزيادة القوة البحرية للولايات المتحدة والحلفاء في المحيط الهندي ، على ان تنتشر وراء الافق ـ اى توجد ولا تكون ظاهرة ـ وتسعى لتحسين المركز السياسي والاقتصادي للولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة .

وقد تحدد للقوة العامله في الخليج ان تخضع للقائد العام لاوروبا الذي تتضمن مسؤولياته الاقليمية مناطق الخليج العربي وكل مشارفه ! والخطة التي جرى حولها البحث ، هي تشكيل قوة بحرية مشتركه من السفن الحربية الامريكية والبريطانيه والفرنسية ، وقيل ايضا السفن الحربية اليابانية والاستراليه ، تضمن استمرار الملاحه في مضيق هرمز .

التقسيم او المجابهة

بعد ان قرر الغرب ان الضمان الوحيد لاستمرار تدفق النفط وفقا لشروطه ، يقتضي تواجده العسكري الدائم ، وبعد أن توصل الى ان الصراعات المحليه هي التي تخلق الظرف المواتي لتحقيق الاقتراب العسكري الحذر من اراضي الدول المطله على الخليج ، وان اقترابه من هدفه يتعرض الى احتمالات كبيره للمجابهة مع الاتحاد السوفيتي ، عند هذه النقطه لا تخفي الدراسات الغربية ان الغرب سيكون مستعدا لاقتسام النفوذ مع الشرق ، سواء على حساب دول المنطقة او في اماكن اخرى من العالم ..

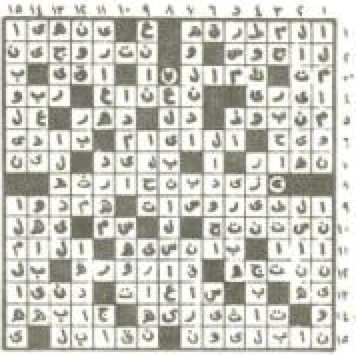
وهاهي مجموعة العمل الامريكية الخاصة بالشرق الاوسط تطالب (بالاستمرار) .. في بذل الجهود لاشراك السوفييت في مناقشات جاده ، حول منع الصراع في الشرق الاوسط ومنطقة الخليج بالذات ، وتقول .. « نحن ندرك ان للدولتين اهدافا متباينه ، الا ان لها مصلحة مشتركة ، وقد نجد ان بالامكان تنظيم تنافسهما لمصلحة الامان ، وان تبقى قنوات الاتصال مفتوحه ، وان يظهر كيف تنظر الدولتان الى مصالحهما الخاصة ، فللسوفييت بالفعل مصالح ونفوذ ، والمطلوب البحث عن سبل لتتوائم مصالح الغرب والشرق ..

وبعد

متى يتنكر القرصان في لباس الشرطي .. ؟ !

ومتى تتنكر مصفحات التدخل الغربية وحاملة طائراتها وبحريتها في صورة عربات اطفاء لتدخل المنطقة .. ؟ ومن الذي ستحترق اصابعه من اجل مضيق هرمز .. ؟ والجزر الاستراتيجية عند مضيق الخليج .. ؟ !

مصطفى نبيل



أفقيـا :

زيد بن حارثة

رأسـيا :

على بن الساعى

اثنان في واحدة :

(٨) أفقيا : زيد بن حارثة . ثاني رجل آمن بالرسول بعد علي بن أبي طالب . استوهبه الرسول من زوجته السيدة خديجة ، وتبناه وأعتقه . عقد له الرسول لواء غزوة مؤتة ، وقتل في المعركة .

(٨) رأسيا : على بن الساعي . مؤرخ من كبار المصنفين . ولد في بغداد وتوفي بها عام ١٢٧٥ م . كان خازن الكتب للخليفة العباسي المستنصر . له كتاب « الجامع المختصر من عنوان التواريخ وعيون السير » ، وكتاب « أخبار الخلفاء » .

الفائزون بالجوائز

■ الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : محمد المختار القلالي ـ قبلي / تونس .

■ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : الفاتح ابو الخير شبل ـ بيروت / لبنان .

■ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : يوسف يعقوب عيسى ـ الاحساء / السعودية .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ بلال العوضي فضل الله ـ الخرطوم /السودان .

٢ ـ خليل عبد الحليم عدوى ـ الشعبية / الكويت .

٣ ـ يوسف محمد عباس ـ الحديدة / اليمن الشمالي .

٤ ـ لمياء كريم محسن ـ بغداد / العراق .

٥ ـ بهيه عوض البنا ـ المنصورة /مصر .

٦ ـ احمد يوسف الجودر ـ المحرق /البحرين .

٧ ـ السيد الركابيي عبد العزيز ـ مكناس /المغرب .

٨ ـ شكيب محمد باجرش ـ عدن /اليمن الديمقراطي .

في عيد الفطر او الاضحى يصعد رجال الدين بابواقهم ومزاميرهم فوق مآذن مدن منطقة سينكيانج ، يذكرون الناس في وقت مبكر ، ويستنفرونهم لاداء صلاة العيد

المسلمون وعصابة الأربعة !

استطلاع : فهمي هويدي تصوير : اوسكار متري

- انتعش المسلمون في ظل الجمهورية حتى حلت « القفزة الكبرى »
- ظهرت بينهم « الجهرية » و « الخوفية » .. و « الاخوان » الوهابيون !
- لماذا وقفوا الى جانب ماو ورفضوا النزوح الى فورموزا ؟
- ما الفرق بين سياسة الحزب تجاه المسلمين وبين عصابة الاربعة ؟





هذا فصل لم يكتب في قصة مسلمي الصين !

فمنذ سقط آخر الاباطرة في عام ١٩١١ ، تتابعت احداث واحداث في سياق القصة ، كل منها اشد اثارة ـ واحيانا اشد هولا ـ من الاخر ، من صن يات صن الى انتصار ماوتسي تونغ ، ومن « القفزة الكبرى » الى الثورة الثقافية ، ومن « عصابة الاربعة » الى يومنا هذا .

كيف عاش المسلمون تلك المرحلة ؟ وما هي حقيقة سياسة الحزب تجاه الاديان والاسلام بوجه خاص ؟
لنقلب صفحات ذلك الفصل الطويل ...

منذ اليوم الاول لاعلان الجمهورية في الصين ـ ١٠ اكتوبر سنة ١٩١١ ـ كان معروفا سلفا في اي مربع يقف المسلمون ، وربما كان معروفا ايضا اي ثمن دفعه المسلمون بسبب وقفتهم هذه . ومنذ ذلك اليوم الاول ، سارع مسلمو جنوب الصين الى تأييد الجمهورية ، واستجابوا لنداء الدكتور صن يات صن الذي دعاهم فيه الى اقناع مسلمي المناطق الشمالية والغربية بالوقوف وراء الثورة ، والتضامن معها في القضاء على فلول اسرة اخر اباطرة الصين .

لذلك لم يكن غريبا ان تبادر الجمهورية الوليدة ، برئاسة الدكتور صن يات صن ، الى الاعتراف بالمسلمين باعتبارهم احد العناصر الاساسية الخمس التي تقوم عليها البلاد .

ولم يكن غريبا ان تظهر الى الوجود في عام ١٩١٢ ، اول جمعية لمسلمي الصين ، التي حملت اسم « جمعية التقدم » ، واستقر بها المقام في يونان ، حيث اصدرت بالصينية مجلة « المنبه الاسلامي » . وكانت اول جمعية اسلامية صينية استأذنت شيخ الازهر في ايفاد بعثة من شباب يونان المسلم للالتحاق بالازهر الشريف .

ولم يكن غريبا ان يتوالى انشاء جمعيات المسلمين ، واصدار صحف لهم . فانشئت ـ بعد جمعية التقدم ـ الجمعية الاسلامية الصينية في شنغهاي ، وتأسست بعدها في نانكين ـ العاصمة وقتئذ ـ « نقابة المسلمين » باذن من الحكومة .

وشهدت هذه المرحلة ايضا ظهور مجلة (نضارة الهلال) في بكين ، و (نور الاسلام) في تينجان ، و (مجلة العلوم الاسلامية) في كانتون ، وفي اوائل الثلاثينات من القرن الحالي ، سنة ١٩٣١ تحديدا ، سافرت الى مصر اول بعثة من ابناء مسلمي الصين لدراسة الاسلام في الازهر ، وكانت تضم خمسة اشخاص ، اوفدتهم جمعية التقدم في يونان على نفقتها ، بينهم الاستاذ عبد الرحمن ناجونج ، الذي تخصص في التاريخ الاسلامي ، ولا يزال يقوم بالتدريس والترجمة الى الآن .

في تلك المرحلة ، كانت نتائج تخلف التفكير الديني قد بدأت آثاره تظهر على السطح . وراجت عمليات الاضرحة والأولياء ، والتوسل الى الله بالبشر . وظهرت فرقة تعتقد في ان ما هو لونج الذي قاد ثورة مقاطعة قانصو في عهد اسرة المانشو ، انما هو « قطب » من الواصلين الى الله سبحانه وتعالى وثبتت هذه الفكرة ، حتى قيل ان منزلة القطب هذه انتقلت الى خلفائه بعد استشهاده ، مما اعطى بعض اقاربه حقا في قيادة بعض مسلمي قانصو ، في طريقة منسوبة الى القطب الاب ، ماهو لونج ، عرفت باسم « الجهرية » .

وهذه الطريقة الجهرية هي من افرازات فكرة غريبة سادت في قانصو في اوائل القرن الحالي ، وانتشرت بين المسلمين ، ووجدت فرقا تؤيدها وتدعو اليها . وخلاصة هذه الفكرة ان كلا من الخلفاء الراشدين له « طريقة » تختلف عن الاخر ، وتظهر معالمها في كيفية تلاوة القرآن الكريم ، وقراءة بعض الادعية والمأثورات عن النبي عليه الصلاة والسلام . فابو بكر رضي الله عنه طريقته « الخفية » ـ ينطقونها « خوفية » ـ حيث ينبغي ان يقرأ القرآن بصوت منخفض وغير مسموع . اما عمر فطريقته « الجهرية » ، واتباعها يقرأون القرآن بصوت جهوري مرتفع . وطريقة عثمان هي الكباريه او الكبروية ، على اعتبار انه كان كبيرا في السن . اما علي بن ابي طالب فطريقته « القادرية » ، والطريقتان الاخيرتان لها اوراد

وادعية خاصة تميزها عن الغير !

واتباع ماهو لونج من هؤلاء الجهرية ، الذين يقرأون القرآن بصوت عال ، ويرخون ايديهم اثناء الصلاة ، ويعتقدون في الاولياء وزيارة القبور .

والى جانب هذه الطرق او الفرق ، فقد شهدت بداية القرن الحالي ظهور جماعة اخرى من المسلمين تحمل اسم « الاخوان » ، وهو الاسم الذي كان يحمله اتباع الامام محمد بن عبد الوهاب مؤسس المذهب الوهابي في الجزيرة العربية .

وقد بدأت هذه الجماعة عندما اتيح لاحد ابناء قرية كويوان (البستان) في مقاطعة قانصو ، ان يؤدي فريضة الحج عام ١٨٩٤ ، وهذا الرجل اسمه الشيخ نوح ماكويوان ، ويعرف بين المسلمين الصينيين الى الان باسم « الحاج بستاني » .

عاد الحاج بستاني من الحج ، وقد راقته تعاليم المذهب الوهابي ، الذي رأى فيها مخرجا لانقاذ الاسلام في الصين مما علق به من بدع وشوائب . فمضى يدعو الى رسالته في ضرورة العودة الى الدين الخالص ، ووضع برنامجا من ٣٠ نقطة لتحقيق هذا الهدف ، الا ان المسلمين اذا كانوا قد سعدوا بالاعتراف بهم كاحد عناصر الامة الخمس ، ومارسوا في ظل هذا الاعتراف بعض النشاطات التي كانت محظورة عليهم من قبل ، فانهم بمضي الوقت تعرضوا لمنغصات اعادت اليهم صور احزان الماضي وآلامه .

الجحافل الحديدية

وتكشف الكتابات الصينية ، المنشورة بعد انتصار ماو على شيانج كاي شيك ورجال حزب الكومنتانج (حزب الشعب) ـ عن انه حدث صدام في أواخر عام ١٩١١ ، بعد اعلان الجمهورية بين المسلمين وحاكم مقاطعة سنتياج ، ادى الى قتل مائة الف شاب وفتاة من المسلمين .

وفي سنة ١٩٢٨ ـ يذكر كتاب الصين المتحررة الصادر في بكين عام ٥٧ ـ حدث ان قام المسلمون في مقاطعتي قانصو ولينشيا « بثورة مسلحة ضد فساد حكم شيانج كاي شيك وعصابته ، وقد ذهب ضحية هذا الجهاد المسلح العادل ما يربو على عشرة آلاف مسلم قتلوا في مذابح بشرية بشعة ، فضلا عن احراق منازلهم . وعاث الطغاة في قانصو فسادا ، حيث دمروا المنازل واهلكوا الحرث والنسل » .

وحينما قام المسلمون يطالبون بحقهم في الحياة ـ يضيف الكتاب ـ فان آلافاً اخرين ذبحوا فيما بين سنتي ١٩٣٠ و ١٩٤١ ، في مقاطعتي هيوان وكويوان . وقد بلغت قسوة رجال الكومنتانج حدا جعلهم يجبرون بعض الجنود المسلمين في الجيش ، لكي يقوموا هم انفسهم بهذه العمليات الوحشية ضد اخوانهم المسلمين .

« ولا ينسى المسلمون في الصين ، ما قاسوه من فقر مدقع في عصر الكومنتانج ، اذ كان لا يتسنى لاي فرد من المسلمين ان يذبح بقرة او خروفا ، قربانا لله ، لضيق ذات يده . حتى انهم اسموا عيد الفطر « عيد الدموع » واطلقوا على عيد الاضحى اسم « عيد الذل » .

ذلك فضلا عما قامت به حكومة الكومنتانج من هدم لبعض المساجد في شيوشين ، وبكين ، وموشياشونج تسي ، وتياستين .

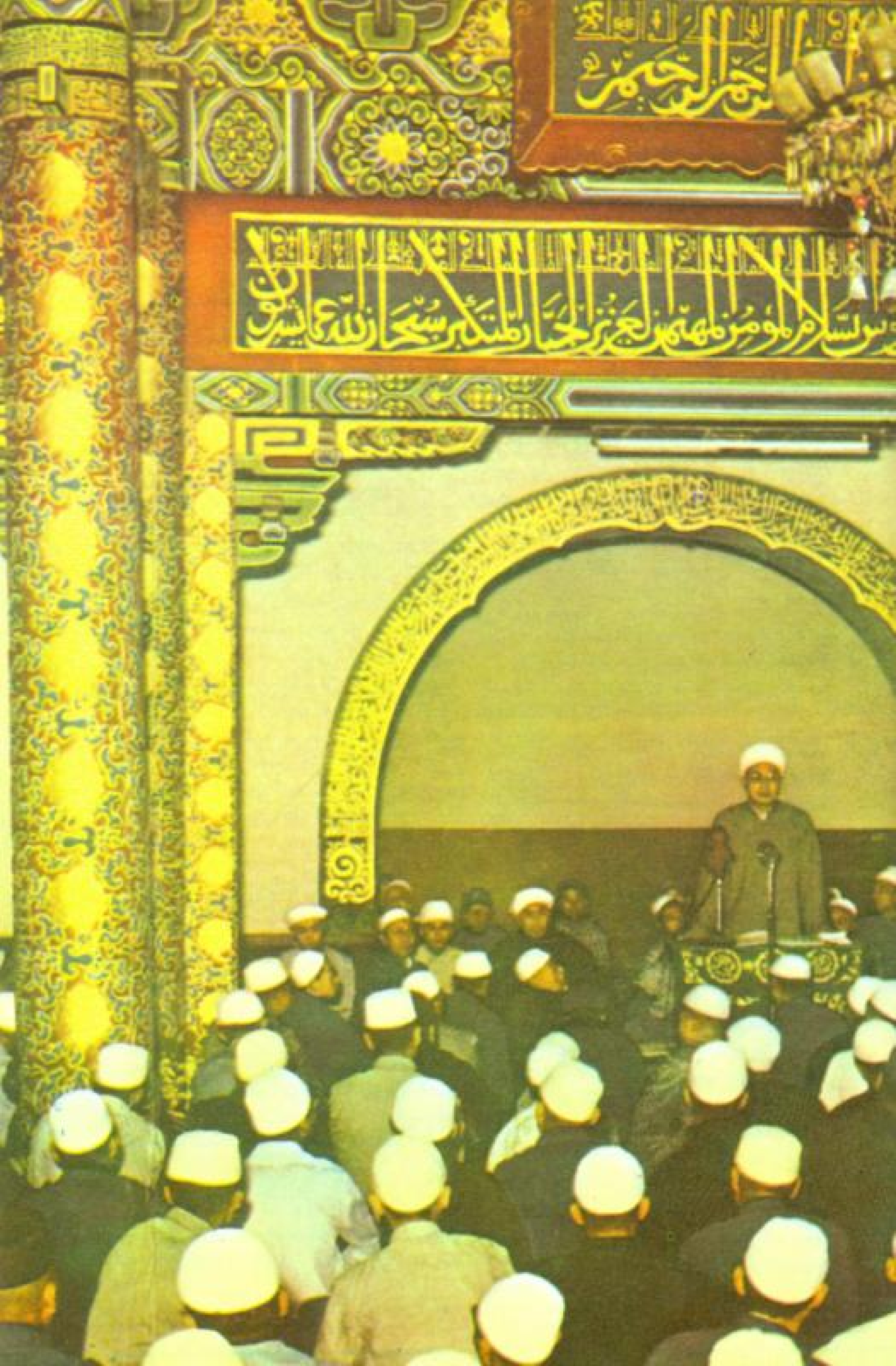
ورغم ان الامر قد لايخلو من مبالغة ، فرضتها اعتبارات الهدف الدعائي الذي كان مطروحا في الخمسينات ، بعد انتصار ماو على شيانج كاي شيك ، الا ان الامر لا يخلو من بعض الحقيقة على الاقل .

ولان هذه المعلومات تتحدث عن واقع عانى منه المسلمون ايا كان حجمه ، فان ذلك يقودنا الى معرفة المربع الذي وقف فيه المسلمون عندما احتدم الصراع بين كاي شيك وماو . الامر الذي دفع المسلمين الى تأييد خط القوى الوطنية الذي تزعمه الرئيس ماو ودورهم في المسيرة الكبرى من جنوب الصين الى شماله شاهد على ذلك . فقد سمعت من شيوخهم الذين لا يزالون على قيد الحياة ، من يقول ان اشتراك المسلمين في المسيرة كلفهم خسائر فادحة في الارواح . لانهم كانوا يقدمون على غيرهم ، باعتبارهم مقاتلين اشداء ، مما حملهم عبئا اكبر من الاخرين طوال معارك الطريق .

ومن ناحية اخرى فانه عندما دقت طبول حرب المقاومة الصينية ضد الاحتلال الياباني (١٩٣٧ ـ

صورة من الداخل لمسجد مدينة كانتون ، التصميم شرقي صرف ، والنقوش والآيات القرآنية هي ذاتها الموجودة في اى مسجد في العالم العربي .. وأغطية الرأس البيضاء ضرورية لاداء كل صلاة ، والجمع بوجه اخص




الرحيم
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون

١٩٤٥) كان موقف المسلمين يشرفهم حقا ، ليس فقط كوطنيين مخلصين ، بل كمقاتلين شجعان ايضا .

فقد شكل المسلمون اثناء حرب المقاومة « فصيلة قومية هوى » التي عرفت باسم « الجحافل الحديدية » ، بقيادة ضابط مسلم دخل تاريخ الصين الحديث ، لبسالته الفائقة ، اسمه هابن تشاي .

وتحت قيادة هذا المقاتل الشجاع خاضت « الجحافل الحديدية » معارك طاحنة ضد اليابانيين في شمال الصين ، حققوا فيها انتصارات باهرة ، كانت سببا في ايقاف محاولات اليابان الاستيلاء على منطقة سينكيانج .

ذلك على الصعيد العسكري وعلى صعيد اخر فان المسلمين الصينيين شكلوا اربع بعثات ، سافرت الى العالم العربي وبعض دول آسيا الاخرى ، في مهمة لكسب الرأي العام في تلك الدول الى جانب الصين في معركتها ضد العدوان الياباني .

وفي المواجهة المسلحة بين شيانج كاي شيك ، مؤيدا بالغرب والامريكان ، وبين ماوتسي تونج مؤيدا بالقوى الوطنية وعلى رأسها الحزب الشيوعي الصيني ، وهي ما يسمى في الصين الان (بحرب التحرير ٤٦ ـ ٤٩) ، فان المسلمين وقفوا الى جانب ماو ، الذي كان نجمه يصعد باعتباره رمزا لنضال الشعب وآمال جماهيره الفقيرة ، ومن بين ملايين المسلمين في الصين ، فان الذين اتجهوا الى فورموزا ، مع رجال كاي شيك ، لم يتجاوز عددهم ٤٠ ألفا فقط !

وعندما دخل ماوتسي تونج بكين في اول اكتوبر سنة ١٩٤٩ ، معلنا انتصار الثورة وبدء صفحة جديدة تماما ، فان مسحة من التفاؤل الشديد عمت المسلمين ، حتى تجددت ثقتهم في المستقبل الذي بدا مشرقا ومفتوح الافاق بغير حدود .

الفقهاء الاربعة

لقد كانت السنوات التي انقضت فيما بين عامي ١٩٠٠ و ١٩٤٩ ـ ورغم كل ما تخللها من ملابسات ـ بمثابة مرحلة التقاط الانفاس بالنسبة للمسلمين ، مرحلة النهوض من الكبوة استعدادا لممارسة الحياة الطبيعية بغير كبت ولا قهر ولا اضطهاد .

كانت مدارسهم ومعاهدهم يتزايد عددها ، ويتحول فيها المنهج التقليدي العتيق ، الى آخر اكثر عصرية وجدوى . وكانت جمعياتهم تتدعم وتوسع من نشاطاتها رأسيا وافقيا .

وكانت صلاتهم بالعالم الاسلامي قد تجددت ، عادت وفود الحجاج الصينيين الى بيت الله الحرام ، وقطعت الجمعيات الاسلامية الاهلية شوطا لا بأس به في اتجاه ايفاد مبعوثين صينيين للدراسة في الازهر . اذ سافر خمسة اشخاص عام ٣١ ، وخمسة آخرون في العام الذي يليه ، ثم ثلاثة في عام ٣٣ ، وستة في عام ٣٤ ، ثم ١٦ مبعوثا دفعة واحدة في عام ١٩٣٧ ، وقد اطلق على هذه المجموعة التي سافرت الى مصر اسم البعثة الفاروقية ، مجاملة للملك مصر السابق « فاروق » ، الذي حرصت اول بعثة صينية الى الازهر على مجاملة ابيه (الملك فؤاد) فحملت اليه عام ٣١ هدية من الشاي الصيني الذي، لم يكن قد سمع به من قبل !

وبذلك بلغ مجموع الصينيين الذين درسوا في الازهر ٣٥ شخصا ، في الفترة ما بين عامي ١٩١١ و ١٩٤٩ ، رغم ان بعضهم واجه مشاكل في الاعتراف بشهاداتهم في ظل حكومة الكومنتانج .

وفي الوقت ذاته طبع المصحف الشريف باللغة العربية ٤ مرات ، وبدأت طباعة بعض الكتب الاسلامية الاخرى .

وكانت هذه هي المرحلة التي افرزت عددا من علماء المسلمين الذين برزوا فيما بعد ، وبذلوا جهودا مضنية من اجل تعريف مسلمي الصين بدينهم على وجه صحيح ، بالتأليف والترجمة من العربية الى الصينية ، ومن هؤلاء :

● الشيخ وانغ جينغ تشاي المتوفي في عشية التحرير ، ومن مواليد تيانجين وقد عمل اماما ومعلما ومحررا ـ صاحب المجلة ـ مجلة « نور الاسلام » التي انشأها وساهم هو وافراد عائلته في طبعها وتوزيعها .. ولم تتح له فرصة دخول مدرسة نظامية . وان استوعب بجهده الدائب اللغات الصينية والعربية والفارسية بل وخلف وراءه كثيرا من الترجمات ، واشهرها ترجمة « القرآن الكريم » المطبوع في سنة ١٩٤٥ ، وهي افضل واكمل ترجمة للقرآن ظهرت بالصينية ، ثم كتاب « العمدة » وهو الكتاب الفقهي الشائع في الصين منذ اكثر من ثلاثة قرون . و « كلستان » ديوان الشاعر الفارسي المعروف « سادي » ، ثم القاموس العربي الصيني .

● الشيخ محمد تواضع يانغ شي تشيان المتوفى في سنة ١٩٥٨ . وهو عالم ازهري ، كان ضمن المجموعة الاولى التي التحقت بالازهر من ابناء مسلمي الصين ،

وقد عمل اماما ومحررا ومعلما ، فضلا عن انه اول من جلب حروف الطباعة العربية الى الصين مما قدم مساهمات كبيرة في نشر الثقافة الاسلامية . واضافة الى ذلك فقد الف كتابا بعنوان « ذكريات تسع سنوات في مصر » وترجم كتاب « تاريخ التشريع الاسلامي » وكتاب « رسالة الاسلام » وكتاب « مذاهب الدين الاسلامي » وغيرهما من الكتب . كما نشر عديدا من المقالات في مجلة « هلال الصين » المطبوعة آنذاك .

وقد كان الشيخ تواضع على اتصال بجماعة الاخوان المسلمين خلال سنوات دراسته في مصر حتى اصدرت الجماعة له في الثلاثينات رسالة باسم « المسلمون في الصين » .

● الشيخ ماليانج جيون المتوفي في سنة ١٩٥٧ . كان ولا يزال موضع الاحترام والتقدير لدى المسلمين الصينيين وخاصة في سينكيانج ، حيث يعتبرونه امام الائمة هناك . وكان يواظب على تأليف وترجمة الكتب الدينية باللغات الصينية والعربية والفارسية بل ولجأ ، في الظروف السيئة جدا ، الى كل الوسائل الممكن اتباعها لنشر المطبوعات .

ولم تلق اعمال الشيخ ماليانج عناية من احد ، على كثرة ما الف وترجم . ولكن ما عرض من ترجماته لا يتجاوز المبسوط « للسرخسي » و« المخمسات » باللغتين الصينية والفارسية ، وهي مجموعة كبيرة من القصائد الدينية .

● الاستاذ محمد مكين عضو اول بعثة درست الاسلام في الخارج ، الذي اشرنا اليه من قبل . اكمل دراساته في الجامع الازهر ودار العلوم . وبعد وقت قصير من عودته من مصر ظل طوال ٣٠ سنة يعمل استاذا في جامعة بكين حتى توفاه الله في عام ١٩٧٨ .. ومن مؤلفاته : « سيف محمد (ص) » و« موجز شرح القرآن الكريم » وترجماته : « القرآن الكريم » ـ قيد الطباعة ـ و« رسالة التوحيد » و« حقيقة الدين الاسلامي » و« تاريخ علم الكلام » و« تاريخ التعليم الاسلامي » و« منهاج التقويم الهجري » الخ .

نقطة التحول

• وكانت نقطة التحول الكبرى في الموقف ، هي انتصار الرئيس ماو ، ودخوله بكين ليتولى السلطة في عام ١٩٤٩ .

وكل الذين ناقشتهم من المسئولين ورجال الجمعية الاسلامية الصينية يقسمون مسيرة ما بعد التحرير ـ بعد سنة ٤٩ ـ الى ثلاث مراحل : مرحلة ما بعد التحرير والى بداية الثورة الثقافية ـ ثم تجربة الثورة الثقافية ذاتها ـ ثم وفاة الرئيس ماو وسقوط « عصابة الاربعة » ، وهي المرحلة المستمرة الى الآن .

لكن المناقشات التي تجري خارج هذا الاطار الرسمي تكشف عن ان تلك المراحل أربع وليست ثلاثا : مرحلة الاعداد لتأسيس الدولة (٤٩ ـ ٥٨) مرحلة بدء التطبيق الفعلي للنظام الشيوعي (٥٨ ـ ٦٦) ـ مرحلة الثورة الثقافية (٦٦ ـ ٧٦) ـ مرحلة ما بعد الثورة الثقافية ، التي بدأت منذ عام ٧٨ فصاعدا .

اي ان هناك مرحلة ساقطة في الخط الاعلامي للحزب هي تلك التي بين عامي ٥٨ ـ ٦٦ . ولانها تسبق مباشرة احداث الثورة الثقافية ، فانها تلقي الضوء على طبيعة الغرس الذي جاء بتلك الثمرة ، ومن هنا تكتسب هذه المرحلة اهميتها ، ومن هنا ايضا ينبغي ان تستوقفنا .

في البدء لابد لنا ان نتصور الجو النفسي الذي عاشته قيادة الصين في اعقاب تولي ماو السلطة عام ١٩٤٩ . عندما اصبح على قمة بلد تعداده ٥٠٠ مليون نسمة ـ وقتئذ ـ أنهكته المظالم والحروب والمجاعات ، وصارت القيادة في موقعها الفريد هذا مطالبة بأن تضمد جراح الشعب ، وتعوضه عما فاته ، وتبدأ على الفور في الحشد والترميم والبناء .

كانت القضية الاولى هي تثبيت السلطة للنظام الجديد ، وكأي سلطة ثورية ، فان شعاراتها ومثالياتها تظلل مرحلة البداية عادة ، حتى تغوص في الواقع وتتمكن منه ، فلا مانع بعد ذلك من التنازل عن بعض هذه الشعارات والتنازلات ، لمقتضيات قد تتعلق بطبيعة الممارسة ذاتها ، او بالتوازنات الداخلية والخارجية ، او لضرورات الاستمرار والبقاء .

لقد كانت القيادة الجديدة في سنة ٤٩ وخلال السنوات التي اعقبتها ، تتحدث بلغة الثورة ، ولم تكن قد تمرست بعد على حسابات قاموس لغة الدولة .

وفي هذا المناخ فان قضية المسلمين لم تكن مثارة ، الا بالقدر الذي يحسن علاقات الصين مع دول العالم الاسلامي ، التي تقبل اكثرها باستياء فكرة قيام دولة شيوعية في الصين . واقلقها في الوقت ذاته مصير ملايين المسلمين في تلك البلاد النائية .

ولم يكن هناك سبب جوهري يدعو الى قلق المسلمين



تلاميذ مدرسة ابتدائية في طورفان ، بمنطقة سينكيانج ، يخرجون من المدينة الى الحقل ، يعملون حتى الغروب



في ذلك الوقت ، ومن الواضح انهم كانوا في حالة ترقب ، انتظارا لما ستسفر عنه التطورات الجديدة . بدلل على ذلك اننا لا نعثر على اثر لاي نشاط خارجي للجمعيات الاسلامية الموجودة آنذاك . فلا حجاج سافروا الى الاراضي المقدسة ، ولا بعثات سافرت للدراسة في الخارج ، منذ مغادرة « البعثة الفاروقية » للصين للدراسة في الازهر في عام ١٩٣٧ .

ولكننا نعثر فقط على بوادر نشاطات للمسلمين في عام ١٩٥٣ ، بعد اربع سنوات من تولي السلطة الجديدة . ففي ذلك العام ظهرت الى الوجود « الجمعية الاسلامية الصينية » كجمعية وحيدة ممثلة للمسلمين في الصين . بينما لا نجد اثارا لبقية الجمعيات التي كانت موجودة فيما قبل ، ولا لاي نشاط صادر عنها بالتالي .

نلاحظ ايضا ان الجمعية اوفدت بعثة للحج عام ٥٣.. فور انشائها ، ربما لتكتسب شرعية التعامل مع العالم الاسلامي ، ولكن البعثة وصلت الى باكستان فقط ، ولم تواصل رحلتها الى الاراضي المقدسة ، لانها لم تستطع ان تحصل على تأشيرة دخول للسعودية .

وقد اثير موضوع حج المسلمين الصينيين في مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد بباندونج في العام التالي مباشرة ، وذلك في اجتماع خاص بين شواين لاي رئيس وزراء الصين ، وبين الامير فيصل بن سعود ، وزير خارجية المملكة آنذاك . وفي هذا الاجتماع وافق الامير فيصل على ان تسمح المملكة لعدد محدود من المسلمين الصينيين (٢٠ شخصا) بالحج كل عام . ومنذ ذلك الحين والاتفاق سار لم يطرأ عليه تعديل .

وسافرت اول بعثة صينية للحج من الصين الشعبية الى السعودية في عام ١٩٥٥ .

في هذه المرحلة ايضا ، نلاحظ انعقاد اول مؤتمر للمسلمين الصينيين في شهر مايو عام ٥٣ ، ثم اصدار مجلة باسم مسلمي الصين في العام الذي يليه ، وانشاء معهد اسلامي تابع للجمعية في عام ٥٥ . ثم طبع القرآن الكريم باللغة العربية لاول مرة في عصر ما بعد التحرير .

وفي المرحلة ذاتها ، صدر دستور ٥٤ الذى تضمن اعلانا للحريات ، نص في المادة ٨٨ منه على « حرية الاعتقاد الديني » .

وكانت تلك الفترة قد شهدت اشتراك المسلمين في مجلس نواب الشعب (البرلمان) ، وفي مختلف المجالس الاقليمية .

وربما نستطيع ان نصف هذه المرحلة ـ فيما يتعلق بالمسلمين ـ بانها مرحلة تأميم النشاط الاسلامي ، ونقل ادارته وتوجيهه من الجمعيات الاهليه الى الدولة والحزب .

القفزة الكبرى

حتى جاء عام ٥٨ ، الذى يصنف في القاموس السياسي الصيني بانه عام « القفزة الكبرى » .

وتمثلت هذه القفزة الكبرى في : انشاء الكوميونات الشعبية ، وتعميمها على الصين كلها ، من اقصاها الى اقصاها . واعتبرت هذه الكوميونات هي الانطلاقة الحقة في اتجاه التطبيق الاشتراكي . وكان واضحا ان السلطة اقدمت على هذه الخطوة ، لاحكام الهيمنة على النشاط الاقتصادي ، بعدما استطاعت خلال الفترة من ٤٩ الى ٥٨ ترتيب البيت من الداخل ، وتثبيت السلطة السياسية .

ورغم ان انشاء الكوميونات الشعبية أحدث هزة اقتصادية عنيفة في الصين ، ورغم اننا لسنا في مجال تقييم هذه الخطوة وتتبع نتائجها ، الا انها كانت اكثر ما مس مشاعر المسلمين في ذلك الوقت ، وايقظ فيهم عوامل القلق التي دفنت مع اعلان الجمهورية .

ولم يكن قلق المسلمين نابعا من اى تاثير اقتصادى اصابهم ، رغم الاهمية الحيوية لهذا الجانب ، الا ان قلقهم نشأ اساسا من ان تطبيق نظام الكوميونات ، وتوزيع كل العاملين عليها ، كل في اختصاصه ، هذا التطبيق شمل رجال الدين ، ودفع بهم الى المزارع والمصانع فجأة ، ودون اى مقدمات !

وكانت الخطوة التالية التي زادت من قلق المسلمين هي تلك الكتابات التي بدأت تظهر في الصحف ، متسائلة عن جدوى ذلك العدد من المساجد المنتشرة بكثافة شديدة في بعض المقاطعات وداعية الى استغلال امثل لهذه « المنشآت » ، « يوفر للاقليات حرية العبادة ، ويتيح الفرصة لتوظيف تلك المنشآت توظيفا اقتصاديا ملائما » . وتراوحت تلك الاشارات بين التلميح ، والتصريح والتنديد .

وكانت هذه الحملة الاعلاميه التي تصاعدت نغمتها تدريجيا ، مقدمة لقرارات اتخذت باغلاق بعض المساجد ، وتحويلها لاغراض اقتصادية تخدم « القفزة الكبرى » .

وكانت هذه هي المرة الاولى منذ عام ١٩٤٩ ، التي تغلق فيها مساجد للمسلمين .

وبصدور مثل هذه القرارات ، وتنفيذها ، تلقى المسلمون صدمة ثانية ، اشد وقعا من تجنيد رجال الدين في الكوميونات ، رغم ان الخطوة التي اتخذت بحق رجال الدين ابتداء ، ادت من الناحية العملية الى تفريغ المساجد من الائمة ، وتعطيل اقامة الشعائر فيها .

ثم لوحظ ايضا ان المعهد التابع للجمعية الاسلامية توقف عن استقبال الدارسين في عام ٥٩ ، بعد اربع سنوات فقط من انشائه . وكان هذا المعهد على تواضعه هو النافذة الوحيدة المتاحة امام مسلمي الصين لدراسة الفقه والحديث وعلوم القرآن واللغة العربية ، خصوصا وان الموقف من ارسال بعثات الدراسة في الازهر ، لم يطرأ عليه اي تغيير ، وظل هذا الباب مغلقا منذ آخر بعثة في عام ٣٧ .

وبذلك اصبح كل الذين اتيح لهم ان يدرسوا شيئا عن الاسلام منذ عام ٤٩ وحتى عام ٨٠ على الاقل ، لايتجاوز عددهم مائة شخص فقط هم مجموع الذين تخرجوا من ذلك المعهد خلال سنوات عمله الأربع !

وباغلاق معهد بكين الاسلامي ، لم يبق امام مسلمي الصين منفذ واحد يستطيعون من خلاله اعداد كوادر اسلامية تقوم حتى بتلك المهام البسيطة ، من الامامة الى الخطابة ووعظ الناس .

ومع اغلاق المعهد توقف اصدار مجلة « المسلمون في الصين » ، رغم ان الطبعة الثانية من القرآن الكريم بعد التحرير قد صدرت في ذلك العام ١٩٥٩ .

وكان الاجراء الثاني المتخذ في هذه المرحلة هو : وقف سفر بعثات الحج بعد عام ١٩٦٣ .

ثم حدث ما هو اشد خطرا ، فقد تمت عمليات تهجير واسعة في بداية الستينات ، من والى مناطق الكثافة السكانية المسلمين . تنقلت آلاف الاسر الصينية من قومية الهان ـ القومية اللادينية ذات الاغلبية الساحقة ـ الى سينكيانج على وجه التحديد . وتنقلت آلاف الاسر المسلمة من يونان الى مختلف مقاطعات الجمهورية .

وهذه الخطوه احدثت ردود فعل غاضبة بين جماهير المسلمين ، حتى ليقال ان انفجارا شعبيا حدث لهذا السبب في مقاطعه سينكيانج عام ١٩٦٢ ، وان الوفا من المسلمين لجأوا الى داخل الحدود السوفيتية بعد تدخل السلطة الصينية لقمع هذا التمرد .

وكانت تلك بعض النتائج التى أصابت المسلمين من جراء « القفزة الكبرى » .

ثورة الملاعين

حتى لاحت نذر الثورة الثقافية في منتصف الستينات .

ولسنا هنا في مجال تحليل الدوافع التي حدت بالرئيس ماو الى تفجير هذا الزلزال الذى قلب الصين راسا على عقب طوال عشر سنوات ، ولا ما اسفرت عنه هذه الثورة من نتائج ، فتلك كلها مسائل لازالت مثار جدل

ولكن الذى يعنينا في هذا المقام هو تأثيرات هذه الثورة على مسيرة الاسلام والمسلمين في الصين ، وهو جانب يمكن الخوض فيه بلا محاذير ، لان عناصره سلبية على طول الخط . واى استطراد او تفصيل في شرور عصابة الاربعة (لايستخدم تعبير الثورة الثقافية في الاعلام الصيني) ، هو مقبول بل مطلوب ، لانه ينسجم مع « الخط » المرسوم .

.. تريد ان تعرف ماذا فعلت بنا عصابة الأربعة ـ سألني الحاج الياس شين نائب رئيس الجمعية الاسلامية ـ هذه مسألة يطول شرحها ، بل الالمام بها ، لانهم خربوا كل شيء .. في بلادنا .

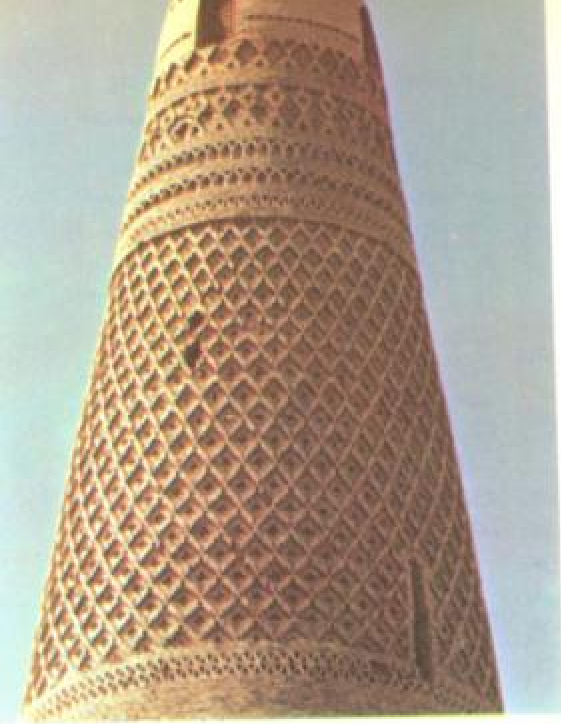
ـ سمعت ان رئيس الجمعية ، الحاج محمد على تشانج ، تعرض للضرب من قبل شباب الحرس الاحمر .

ـ الملاعين ، لم يتركوا واحدا منا الا واهانوه . لقد كان الاذى الذى تعرض له الحاج محمد على محددا من الناحية المادية ، فادحا وكبيرا ، اذا ما راعينا منصبه . اما ماجرى معي فلايمكن وصفه ، فقد كان من الناحيتين المادية والمعنوية شيئا فظيعا للغاية . الحمد لله ، فقد ذهبوا وراحت ايامهم السوداء !

قالها الحاج الياس بمرارة ، وعيناه زائغتان في الفضاء ، تبحث عن شيء او تستعيد شيئا ..

وعلمت فيما بعد ان الرجل قد ضرب ضربا مبرحا في « قانصوه » ، حيث كان نائبا لرئيس الجمعية الاسلامية في المقاطعة ، وواحدا من تسعة نواب للرئيس يباشرون نشاطات الجمعية في مختلف انحاء الصين .

وقال لى مرافقى « محمد » ان رجال الدين الذين كانوا متواجدين في العاصمة لم ينلهم كاشخاص اذى بدني كبير ، بسبب وجود سفارات الدول الاسلامية في



مجموعة من معالم الواقع الاسلامي في غرب الصين . مئذنة مسجد بتصميمها الجميل ونقوشها البديعة ، لكنه قائم وسط الحقول قرب مدينة طورفان ، ولا يطرقه المسلمون الا في الاعياد ، ثم احدى المسلمات من التتار وقد حملت طفلها ، والاثنان بثيابهما التقليدية ، واخيرا ـ في الصورة السفلى اثنان من رجال الدين المسلمين في اورومتشي وقد جلسا للتسبيح بعد صلاة الجمعة





بكين . وحتى لايطلع الاجانب على عمليات كهذه يقوم بها شباب الحرس الاحمر . ولكن الذين كانوا في الاقاليم لقوا الكثير من الاهانات . فقد اعتقل كثيرون من رجال الدين ، مئات منهم اقتيدوا الى السجون ، وعذبوا تعذيبا شديدا . والذين لم يسجنوا ضربوا في الشوارع ، او اقتيدوا وسط تهليل الجماهير وسخريتهم ، وقد علقت على ظهورهم كلمات مثل الشياطين والاشباح والغيلان .

ليس هذا فقط ، ولكن هؤلاء الشبان اقتحموا بيوتهم ، واخذوا كل ما لقوه من مصاحف وكتب ، واحرقوه علنا في الشوارع ، على اعتبار ان هذه الكتب ـ بقايا الثقافة الرجعية والبورجوازية وبسبب هذه الحرائق فقد المسلمون مئات من الكتب المخطوطة والنادرة .

وسمعت من الاستاذ عبد الرحيم تاجونج ، استاذ التاريخ الاسلامي في معهد اللغات الاجنبية ببكين ، ان مكتبته الخاصة التي افنى في تكوينها ثلاثين عاما من عمره انتهبت كلها ، والقيت مراجعه حيث احرقت ، ولم يستطع ان ينقذ من هذا المصير المحزن سوى كتب بعدد اصابع اليدين !

لقد ظلت اعداد كبيرة من رجال الدين حبيسة البيوت أشهرا طويلة ، خشية الخروج الى الشارع والتعرض للاهانة والسخرية ، ولكنهم لم يسلموا من ذلك المصير المؤلم ، فقد كانوا ينتزعونهم من منازلهم ، ويوجهون اليهم الشتائم والسباب وكلمات التجريح ، باعتبارهم رموزا للرجعية .

وامتدت الحملة الى المساجد ، التي اغلقت جميعها في خارج بكين ، وهدم بعضها وحول البعض الاخر الى ورش ومخازن ومحال تجارية . وتعرضت المقاطعات ذات الكثافة السكانية المسلمة الى قدر متزايد من هذه الاجراءات . حدث ذلك في مقاطعات سينكيانج وقانصو وتينج شياه بوجه أخص .

وقد ابقوا على مسجد واحد في بكين (مسجد تونج سي بالو) ليصلي فيه الدبلوماسيون العرب في الاعياد والمناسبات .

حتى كفن الموتى !

والى جانب هذه الاجراءات ، فقد اتخذت خطوات في الاتجاه ذاته .

ـ الغيت عطلة عيد الاضحى والفطر ، « حتى لايتعطل الانتاج » ، وكانا من الاعياد المعترف بها ، والتي يسمح للمسلمين بالتغيب اثناءها . وهما يومان فقط في العام ، كانا ثلاثة من قبل حيث اعتبرت ذكرى المولد النبوي عطلة للمسلمين ، ولكن لاعتبارات « استمرار عملية الانتاج » حذفت عطلة المولد من الاعياد المعترف بها للمسلمين .

ـ منع المسلمون في مقاطعة سينكيانج من استخدام الحروف العربية في الكتابة ، واجبروا على استخدام الحروف الصينية . وهذه الحروف العربية يستخدمها المسلمون ذوو الاصول التركيه ، الذين يعرفون بقومية « الاويغور » ، وعددهم ستة ملايين نسمة ـ حسب الاحصاء الرسمي ـ في سينكيانج .

ـ منع المسلمون في مناطق الكثافة السكانية الاسلامية من ارتداء ثيابهم القومية ، واجبروا على استخدام الثياب الرسمية الزرقاء اللون (الجاكت المغلق والبنطلون) .

ـ جرت عمليات تضييق على المسلمين في تقاليدهم وحياتهم الخاصة . فقد اعلن وقتئذ ان كل مسلم ـ مثلا ـ يموت ياخذ ١٥ قدما من القماش الابيض للكفن ، وذلك بمقتضى كوبونات خاصة تعطى المسلمين هذا الحق في حالات الوفاة ، احتراما لشعائرهم . ولكن قيادة الثورة الثقافية اعتبرت هذا الاستثناء عبئا اقتصاديا على الدولة ، فضلا عن انه « عادة بورجوازية قديمة » يجب التخلص منها . وفعلا اوقف صرف هذه الكوبونات للمسلمين .

وقد تم ذلك كله وسط جو اعلامي شن حملة عنيفه على الاديان جميعا ، وكل « الغيبيات الموروثه عن عصور الاقطاع والرأسماليه » ، وداعيه الى « القضاء على بورجوازيه الفكر والتقاليد التي تقف حجر عثره في طريق التطبيق الاشتراكي » .. الى أخر تلك الصياغات التي تهدم في حقيقتها كل ما اعلنته الثورة في عام ١٩٤٩ من شعارات وضمانات تحمي المتدينين وحرية الاعتقاد .

وكما انه كان للاسلام موقع متميز بين الاديان الأخرى منذ بداية الثورة ، فقد كان له نصيب متميز ـ بنفس القدر ـ من اجراءات وعمليات التشهير والتجريح ـ حتى ان الثورة الثقافية شكلت منذ بدايتها « مجموعة ثورية لمقاومة الاسلام » . تولت ترتيب واصدار كل هذه الاجراءات ، وغيرها بطبيعة الحال .

وحتى يتوفر غطاء قانوني لهذا الاتجاه ، فقد تم تعديل المادة ٨٨ من دستور عام ٥٤ ، التي تنص على

ضمان الاعتقاد الديني لمواطن الجمهورية الصينية ضمن التعديلات الدستورية التي تمت في عام ١٩٥٧ . وكان نص المادة ٢٨ من الدستور المعدل على النحو التالي : للمواطنين حرية الكلام والمراسلة والنشر والاجتماع والتنظيم والمسيرة والتظاهر ، وتكوين الاحزاب . ولهم حرية الاعتقاد الديني ، وحرية عدم الاعتقاد في الاديان ، ونشر الالحاد .

ومن التعديل الذي ادخل على الدستور الصيني ، لم تعد حرية الاعتقاد الديني تنفرد بمادة مستقله ، بل ادمجت في قائمه مطوله من الحريات ، يجيء الاعتقاد الديني في الترتيب التاسع منها .

لكن الاهم من ذلك ان النص يكفل ـ في الورق على الاقل ـ حرية الاعتقاد فقط ، بينما يكفل في الجانب الآخر ليس فقط حرية الالحاد ، ولكن أيضا حرية الدعوة الى الالحاد ، وهي ميزة لا تتوفر لاصحاب الاديان ، وتعني بوضوح أن حجم الحريات غير متكافىء بين المؤمنين والملحدين .

بهذه الصورة مرت على المسلمين سنوات الثورة الثقافية العشر ، من ٦٦ الى ٧٦ ، التي اعادت الى اذهانهم ظلامات العهود الغابرة ، وبددت كل ما تعلقوا به من احلام واوهام ، واهدرت كل ما انجزوه وبنوه منذ اعلان الجمهورية في عام ١٩١١ ، وسدت طريق الامل الذي انفتح امامهم عشية « التحرير » في عام ٤٩ ، وبدا المستقبل امامهم قاتما وكئيبا ، لايرون في آفاقه سوى سحابات حزن لا نهائي .

الانتهاك بالقانون

تلاحقت الاحداث بسرعة في منتصف السبعينات . بدءا بمحاولات ماو كبح جماح الثورة الثقافية ، وحصار نشاطاتها ، ثم وفاة الرئيس الصيني سنة ٧٦ ، ثم الصراع على السلطه الذي انتهى « بسحق عصابة الاربعة » ، والاعلان عن طي صفحه الماضي وبدء مرحلة جديدة عام ٧٨ .

وفي السياق الذي نحن بصدده ، فان هذه التطورات اسفرت عن « اعادة تنفيذ سياسة الحزب الشيوعي الصيني ، حول المساواة القومية وحرية الاعتقاد الديني » ، كما اعلن رئيس الجمعية الاسلامية في تقريره الى المؤتمر الرابع لمسلمي الصين ، الذي عقد في ابريل سنة ١٩٨٠

وهنا ينبغي ان نتوقف قليلا ، في محاولة للاجابة على السؤال الذي يتبادر الى الذهن مباشرة ، عند طرح هذه المقوله ، والسؤال هو : ما هي بالضبط سياسة الحزب في شأن حرية الاعتقاد ؟

وضعت السؤال امام الحاج محمد علي تشانج ، رئيس الجمعية الاسلامية ، فكان رده ان الاجراءات التي اتخذت بعد سحق عصابة الاربعة كفيله بالرد على السؤال . فقد حذف النص الذي كان قد اضيف الى دستور ٧٥ واستبدل بنص آخر اكثر تقدما في دستور ٧٨ يقضي بما يلي : جميع المواطنين لهم حرية الاعتقاد الديني ، كما ان لهم الحق في عدم الاعتقاد ، وفي الدعوة الى الالحاد .

ولضمان عدم الاساءة الى المتدينين ورجال الدين ـ واعرابا عن حسن النيه من جانب السلطه الجديده التي جاءت بعد وفاة الرئيس ماو ـ فقد اضيفت في عام ٧٩ مادة الى قانون العقوبات (رقم ١٤٧) تنص على انه : يعاقب موظفو الحكومة بالسجن بحد اقصى سنتين ، او بالحبس ، اذا ما افرطوا في تجريد المواطنين من حريتهم في عقيدتهم الدينية ، او انتهكوا اعراف وعادات ابناء الاقليات القومية ، على نحو غير شرعي .

واضاف رئيس الجمعيه ، ان النص الجديد الذي اضيف الى قانون العقوبات صدر بناء على اقتراح من رجال الدين (يقصد الجمعيه) . حتى لا يتكرر ما حدث خلال تلك السنوات العشر المشئومه .

ثم عدد الحاج محمد علي الخطوات الايجابيه التي اتخذت منذ عام ٧٨ ، في اتجاه مراعاة مشاعر المسلمين واحترام شعائرهم وتقاليدهم ، والتي تدور في فلك احياء بعض نشاطات الجمعية الاسلامية (الوعد باعادة فتح المعهد الاسلامي ـ طبع القرآن الكريم ـ للمرة الثالثة منذ عام ٤٩ ـ اعادة اصدار مجلة « المسلمون في الصين ») ، ثم استئناف ايفاد بعثات للحج ، الذي في عام ١٩٧٩ ، ومحاولة اعادة جسور الاتصال المختلفة مع العالم الاسلامي ، مثل تبادل الزيارات وحضور الندوات والمؤتمرات الاسلامية ! اول مؤتمر من هذا النوع مثل فيه مسلمو الصين كان الملتقى الاسلامي بالجزائر الذي عقد في سبتمبر ٧٩) ، ثم فتح المساجد المغلقه (في سينكيانج وحدها تقرر اعادة فتح اكثر من ١٩٠٠ مسجد تدريجيا) .. واعادة عطلتي المسلمين في عيدي الفطر والاضحى .

ورغم ان هذه الاجراءات يمكن اعتبارها ايجابيه نسبيا ، اذا قورنت بتجربة المسلمين خلال الثورة الثقافيه ، الا ان الاطار القانوني الذي يفترض انه يحمي نشاطات المسلمين ، والمتدينين عموما ، من العدوان والانتهاك . هذا الاطار تمت صياغته باسلوب غريب ومثير للدهشة .

ذلك انه اذا صحت الترجمه ـ واغلب الظن انها صحيحه لانني وجدت النص منشورا بالصيغة ذاتها في بحث حول المسلمين في الصين بمجلة الصين المصورة (عدد واحد لسنة ٨٠) ـ فان كلمات النص الذي اضيف الى قانون العقوبات ، تعاقب الذين « يفرطون » في تجريد المواطنين من حريتهم في العقيده الدينيه ، والذين ينتهكون اعراف وتقاليد الاقليات القومية « على نحو غير شرعي » وذلك معناه ان النص لا يجرم تجريد المواطنين من حرية العقيدة ، من حيث المبدأ ، ولا يعارض انتهاك تقاليد الأقليات من الاساس . اى ان التجريد اذا تم بغير تفريط ، والانتهاك اذا تم على نحو شرعي ، فانه يصبح قانونيا ، ومقبولا !

ان القلق الذي يثيره وجود نص بهذه الصيغة ، يفتح باب التجريد والانتهاك تحت مظلة القانون وفي حمايته ، لا يمكن ان ينفصل عن مرحلة ما قبل الثورة الثقافية التي استمرت فيما بين عامي ٥٨و٦٦ ، والتي يخرجها الخط الاعلامي للحزب من نطاق الادانه ، معتبرا ان تخريب سياسة الحريات الدينيه بدأ فقط في عام ٦٦ ، وفي ظل سيطرة عصابة الاربعة .

واذا كانت تلك السنوات الثماني مصنفه باعتبارها احدى مراحل التطبيق السليم لسياسة الحريات الدينية ، فان ذلك يصبح مدعاة للتشاؤم الشديد في المستقبل . اما اذا اعتبرت ممارسات تلك المرحله من قبيل عمليات تخريب السياسة الدينية ، فلماذا تم تجاهلها اذن ، واسقاطها تماما من كل صور التقييم الاعلامي ، ولماذا العزوف عن ادانتها ؟

هل هي حقا سياسة الحزب ؟

الذين سألتهم في بكين لم تخرج اجاباتهم عن حدود الخط الاعلامي الرسمي . الحزب مع حرية الاعتقاد ، وتاريخ الشر في الصين الحديثه بدأ بظهور « عصابة الاربعة » على مسرح السياسة !

يقولون هذا الكلام بصياغات مختلفه ، ويتركونك تضرب اخماسا في أسداس ، وتصدق او لا تصدق ، واثقين من انك بعد الالحاح والتكرار ، لا بد أن تصدق .. هكذا يفعل الصينيون مع انفسهم على الاقل !

ومع ذلك كله ، فلا احد ينكر ان سنوات ما بعد عام ٧٨ قد جاءت بانفراج نسبي ، عبرت عنه مجموعة الاجراءات الايجابيه التي اتخذت بحق المسلمين ، وساعدت عليه عوامل كثيره ذكرنا بعضها فيما قبل . لكن المشكله ان هناك نوعا من الجراح يصعب التئامه ، لكثرة النزف من ناحية ولما يصيب خلايا الجسم من وهن وضعف ، من ناحية اخرى . ثم ان هناك نوعا من الضربات لا تحدث جروحا او ندوبا فقط ، ولكنها تحدث عاهات مستديمه ايضا . وفي الجسد الاسلامي الصيني العديد من تلك الجراح صعبه الالتئام ، ومثلها من العاهات المستديمة !

نعم ان الكيان الاسلامي لا يزال حيا لم يمت ، يشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله ، تراه في المساجد ، احيانا ، وفي الجنازات والمدافن احيانا ، وفي حفلات طهور الاطفال والزفاف والاعياد كثيرا ، لكن الجراح والعاهات ومسيرة الاحزان غيرت منه الكثير . هدت قواه وبدلت ملامحه ، ولم يبق فيه سوى القلب . وباتت حالته فريده من نوعها كأي جسد تلفت اعضاؤه وتعطلت وظائفه وماتت خلاياه ، ولكن شاءت حكمة الله ان يظل نبض القلب فيه مسموعا ، تتردد دقاته ، متحدية كل حسابات العقل والعلم .

ولكن ذلك كله الى اجل .. ولكل أجل كتاب ! ■■

العدد القادم من :
العربي
عدد ممتاز



مي زيادة

صالونات النساء الأدبية

بين مريانا مراش ومي زيادة

بقلم : عيسى فتوح

لم يذكر التاريخ بعد « صالون » سكينة بنت الحسين أي خبر عن صالون لامرأة عربية ، فقد توقفت هذه الظاهرة الجريئة ، بسبب انكماش المرأة وتقوقعها خلال العصور التركية ، وظل الأمر كذلك حتى بداية عصر النهضة الأدبية الحديثة ، حيث خرجت المرأة العربية من عزلتها الخانقة ، واختلطت بالرجال ، فكان هناك صالون الشاعرة مريانا مراش في حلب ، ومي زيادة ، ونازلي فاضل في مصر ، وثريا الحافظ وكوليت خوري في دمشق .

فقد كانت مريانا مراش (١٨٤٩ ـ ١٩١٩) أول أديبة سورية ظهرت في ميدان الشعر والأدب ، وكتبت في الصحف . وظهور امرأة تكتب في الصحف وتنظم الشعر ، وتلتقي الأدباء في منزلها في تلك الفترة المظلمة ، أمر له دلالته . ولعل صالونها الأدبي كان الوحيد من نوعه في الشرق ، قبل أن يكون صالون مي زيادة في وادي النيل ، ولعل سفرها الى أوروبا ، واطلاعها على معالم الحضارة الغربية ، ومشاهدتها الكثير من أمثاله عند السيدات الغربيات ، كمدام ده ستايل ، ومدام ده نواي ، هو الذي شجعها على اقامة هذا الصالون الذي سبقت فيه غيرها ، بالرغم من ضيق الحياة الاجتماعية ابان الحكم التركي .

كان رواد صالونها نخبة من أدباء حلب يومذاك كقسطاكي الحمصي ، وجبرائيل الدلال ، وكامل الغزي ، ورزق الله حسن وغيرهم ، يلتقون فيه على موعد ليتناشدوا الأشعار ، ويتناقشوا في الأدب ، أما مريانا فكانت تحوط الجميع في جو من الألفة والمودة والرعاية ، حتى يخرجوا من عندها راضين يلهجون بلطفها وحسن معشرها ، وطيب لقياها ، ومسحورين بالأنغام الجميلة التي كانت تعزفها على آلة البيانو .

يقول قسطاكي الحمصي ، وهو واحد ممن دأبوا على حضور صالونها الأدبي : « كانت مريانا مليحة القد ، رقيقة الشمائل ، عذبة المنطق ، فكهة الأخلاق ، طيبة المعشر ، تميل الى المزاح ، حسنة الجملة ، عصبية المزاج ... وكان منزلها في حلب مثابة الفضلاء ، وملتقى الظرفاء والنبهاء ، وعشاق الأدب ، وكانت لنا عندها منزلة ترتد عنها أعين الحساد كليلة .... فسقيا لأيام الشباب ، ومجالس الآداب والأحباب ، ومساجلاتنا بالمحفوظ والبديه من الأشعار ، ورقصنا على العود والمزمار » .

ولكن عندما أسرف الأتراك في التضييق على أحرار الفكر ، وضغطوا على حملة الأقلام ، بحجة أنهم يشكلون خطرا عليهم ، اضطر هؤلاء الى مغادرة البلاد ، تاركين في الوطن أهلا وأحبابا ، فأقفر الصالون من رواده ، وكان جبرائيل الدلال في طليعة من فروا الى باريس ، ومن هناك أخذ يراسل صديقه قسطاكي الحمصي ، ويصف له الحرية القصوى التي يتمتع بها الفرنسيون ، وقد رضي بالغربة دارا ومقاما ما دامت تصون كرامته ، وتحمي عرضه من الأذى :

وإذا لم يكن هنا غير أن الحر فيها يعيش دون منازع
فهو يكفي حظا لقلبي وان سالت على غربتي غروب المدامع

لم تبق لي الأراذل في الشهباء من مأرب ولا من مطامع

واذا ذكر الشهباء فلا بد أن يتذكر مجالس الأنس عند مريانا مراش ، ربة الفضل والفضائل كما يقول ، ويحن الى تلك اللقاءات الجميلة في ردهتها الأنيقة :

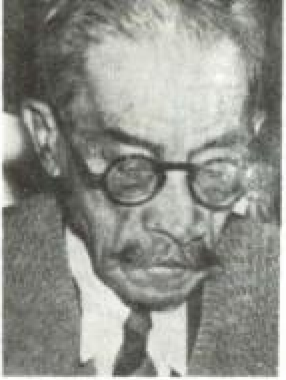
لا ولا أشتهي سواكم ولا أرغب فيها من بعد تلك الوقائع
غير قرب الفريدة اللطف ذات الصون والحسن والذكا والبدائع
ربة الفضل والفضائل (مريانا) التي ذكرها يسر المسامع

ومي زيادة

لكن صالون مي زيادة بقي في الطليعة ، فقد كانت هذه الأديبة (١٨٨٦ ـ ١٩٤١) تمتاز بصباحة الوجه ، وحلاوة الحديث ، وتحيط بالثقافتين العربية والأجنبية احاطة تامة . وقد ظل صالونها مجمع الأدباء ، ورجال الفكر والسياسة ربع قرن ، حيث يجري الحديث عن كتاب ظهر في باريس ، أو عن نجم من نجوم الفن والأدب في لندن ، أو عن الأحوال الاجتماعية في ألمانيا . وكانت مي تشترك في الحديث وتديره بذهن يقظ ، وذكاء مدرب ، ولباقة نادرة ، فهي فتاة تحب الحياة الاجتماعية ، وتتذوق معطيات الحضارة . لكنها ظلت مع ذلك تعيش في بيئة محافظة ، وتكتب بتحفظ ، مؤثرة الاحجام على الاقدام ، ولذلك تفوقت أحاديثها على مؤلفاتها كما يقول سلامة موسى .

اعتادت مي أن تستقبل كل يوم ثلاثاء نخبة من الأدباء والفنانين والمفكرين في صالونها الكائن في الطابق العلوي من أحد مباني جريدة الأهرام بشارع مظلوم باشا في القاهرة فيتباحثوا في شؤونهم ، ويتبادلوا الرأي في نتاجهم ، وكأنما ربطت بينهم صلة عائلية وثيقة . وكانت تتولى هي الحديث وتوزعه بين الحضور ، وتقدم لهم شراب الورد اللذيذ ، ففرضت على الجميع احترامها . ولعل خير دليل على براعتها النادرة ، ادارتها المجمع يوم انعقد للتشاور في الاحتفال باليوبيل الذهبي لمجلة المقتطف ، وقد حضره حوالي ثلاثين كاتبا ووزيرا ووجيها ، فرقت بين أكثرهم المنازعات السياسية الى حد التقاطع والعداء ، فقضى الجميع عندها ساعتين نسوا خلالها أن في البلد أحزابا ، أو منازعات سياسية .

لقد اتسع هذا الصالون الفريد من نوعه في الشرق



خليل مطران

العرب لمذاهب القول ، وأشتات الفكر ، وفنون الأدب ، فكان مكانا للحديث بكل لسان ❋ وكل علم ، وملتقى لجميع الطوائف والأديان دون استثناء ، فكم من مناقشة حادة جرت بين الشاعر اسماعيل صبري والمطران دوريان وشبلي شميل (الداروني) الذي كان يمتطي صهوة كرسي الخيزران كالقائد العام في صميم المعركة ، فافترقوا متآخين ، بالرغم من تباين معتقداتهم وميولهم في الدين والعلم والفكر . وكانت مي تضفي على هذه المجالس اشعاعا من ذكائها المتوقد ، وأنوثتها الدافئة ، جعل رواد صالونها يستعجلون يوم انعقاده ، ليعيشوا أحلى الأوقات وأسعدها كما يقول اسماعيل صبري :

روحي على بعض دور الحي هائمة
كظامىء الطير تواقا الى الماء
ان لم أمتع بمي ناظري غدا
أنكرت صبحك يا يوم الثلاثاء

كما عبر الشاعر خليل مطران عن هذا الحنين الى الصالون حين قال في حفلة تأبينها :

أقفر البيت ، أين ناديك يا مي
اليه الوفود يختلفونا ؟
صفوة المشرقين نبلا وفضلا
في ذراك الرحيب يعتمرونا

كان يختلف الى هذه الندوة بشكل خاص كل من : أحمد زكي باشا (شيخ العروبة) ، وولي الدين يكن ، وطه حسين ، وأنطون الجميل ، وداود بركات ، وأحمد شوقي ، واسماعيل صبري ، وأحمد لطفي السيد ، ومصطفى عبد الرازق ، وخليل مطران ، وعباس محمود العقاد ، ومنصور فهمي ، وشبلي شميل ، وحافظ ابراهيم ، ورشيد رضا ، ومحيي الدين رضا ، ومصطفى صادق الرافعي ، ويعقوب صروف ، وسلامة موسى ، وايمي خير ، ومحمد حسين المرصفي ، والخطاط نجيب هواويني ، وابراهيم عبد القادر المازني ، وبركات بركات وغيرهم... وبالرغم من اختلاف هؤلاء الأدباء في آرائهم واتجاهاتهم الأدبية والفكرية ، فانهم اتفقوا جميعا على فهم مي ، واعجابهم بها وبمكانتها الأدبية . كان بينهم المؤمنون والملحدون ، والأذكياء وأنصاف الأذكياء ، والملتفتون الى الماضي والمتجهون الى المستقبل ، والمجددون والمقلدون ، وأصحاب الثقافة الأجنبية وحدها ، وأصحاب الثقافة العربية وحدها ، والجامعون بين أكثر من ثقافة ... يهاجم بعضهم بعضا بعنف ، ويتراشقون التهم والكلمات النابية أحيانا ، لكنهم اذا ما تكلموا عن مي نسوا معاركهم وخلافاتهم ، وأجمعوا على تقديرها ، فقد كان رواد الصالون يحسون لمي في نفوسهم عاطفة اختلطت ملامحها ، أهي عاطفة حب أبوي ، أم هي عاطفة حب عذري ؟.

صالون ديمقراطي !

مرض اسماعيل صبري مرة ـ وكان من أكثر زوارها ترددا على الصالون ـ فهدد أنه اذا لم يشف يوم الثلاثاء القادم ، فلن يعترف بهذا اليوم أبدا ، ولم يكتف بهذا بل قال :

وأستغفر الله من لحظة
من العمر لم تلقني فيك صبا

ويرى أن ذروة سعادته في تلك الساعة التي يقضيها في صالونها الرحب ، ليستمع الى حديثها الناعم ، ويطفيء غلة قلبه الصادي برؤية طلعتها البهية :

يا ظبية من ظباء الأنس راتعة
بين القصور ، تعالى الله باريك
هل النعيم سوى يوم أراك به
أو ساعة بت أقضيها بناديك
وهل يعد علي العمر واهبه
ان لم يجمله نظم الدر من فيك

❋ كانت مي تتقن العربية والفرنسية والانجليزية والالمانية والايطالية ، وتلم بالاسبانية واللاتينية والسريانية واليونانية .

ان قابلتك الصبا في مصر عاطرة
فأيقني أنها عني تناجيك
وأنها حملت في طي بردتها
قلبا بعثت به كيا يحييك

وقد وصف طه حسين صالونها وجلساته التاريخية فقال : « كان صالونا ديموقراطيا أو قل انه كان مفتوحا ، لا يرد عنه الذين لم يبلغوا المقام الممتاز في الحياة المصرية . أذكر أني اتصلت بصالون مي بعد أن توقشت رسالتي في أبي العلاء ، وشهدت مي هذه المناقشة ، وشهدت فيا يظهر بعض الحفلات التي أقامها لي الزملاء حينئذ . وطلبت الى أستاذها وأستاذي لطفي السيد أن يظهرني في صالونها ، وكذلك عرفتها في هذا الصالون ، وترددت عليها أيام الثلاثاء الى أن سافرت الى أوروبا وقد رجعت الى مصر بعد سنة ، فأقمت فيها أشهرا ، ولاقيت ميا في أيام الثلاثاء ، كما كنت ألقاها قبل السفر » .

« وكان الذين يختلفون الى هذا الصالون متفاوتين تفاوتا شديدا ، فكان منهم المصريون والسوريون والأوروبيون على اختلاف شعوبهم ، وكان منهم الرجال والنساء ، وكانوا يتحدثون في كل شيء ، وبلغات مختلفة ، وبالعربية والفرنسية والانكليزية خاصة ، وربما استمعوا لقصيدة تنشد ، أو مقالة تقرأ ، أو قطعة موسيقية تعزف ، أو أغنية تنفذ الى القلوب . وقد أتيح لي أن أكون من خاصة مي ، بفضل الاستاذ لطفي السيد ، فكنت أتأخر في الصالون حتى ينصرف الزائرون ، وفي ذلك الوقت كانت مي تفرغ لنا حرة سمحة ، فنسمع من حديثها وانشائها وعزفها وغنائها . ولن أنسى صوتها حين كانت تغنينا أغنية لبنانية مشهورة « يا حنينة » وتغنينا في اللغات المختلفة ، وفي اللهجات العربية المختلفة أيضا » .

استطاعت مي أن تفتن أعلام عصرها ، رغم أنها كانت عادية الجمال ، رصينة التصرف ـ كمصطفى صادق الرافعي ، وولي الدين يكن ، واسماعيل صبري ، وعباس محمود العقاد ، ومصطفى عبد الرازق ، وجبران خليل جبران وغيرهم ... والسبب في ذلك أنها كانت نادرة الذكاء ، واسعة الاطلاع ، قوية الجاذبية ، لبقة وأنيقة ، لا يجالسها أديب أو شاعر حتى يعجب بها ، ويظن أنها تحبه ... فهي تتكلم بسهولة ولغة صحيحة ، ويرى من يصغي اليها أنه مأخوذ بتلك النغمة الآتية من الأعماق ، تحمل آيات البيان الى الآذان والأذهان ، كما يقول الدكتور نقولا فياض ، وقد تنتقل بالحديث من العربية الى غيرها ، لالمامها بكثير من اللغات ، فضلا عما تعرفه من الفنون الجميلة كالتصوير والموسيقى ، فلا تعرف مجالسها الملل ، ويخرج الجالس من عندها كأنه خارج من وليمة تذوق فيها أشهى الطيبات .

كان لصالون مي من الأثر ما كان لصالون سكينة بنت الحسين من أثر في توجيه الذوق الأدبي ، وكما لفتت سكينة أنظار الناس واعجابهم ، وجعلت النساء يقلدنها في تسريحة شعرها ، لفتت مي أنظار أبناء جيلها ، وكان كثير من الفتيات يحاولن تقليدها في ارسال شعرها وراء ظهرها بعناية .

لقاء الارستقراطية

لقد عرفت مصر في هذا القرن قبل صالون مي صالون الأميرة نازلي فاضل ، ولكنه كان أرستقراطيا ، يجمع في دارها بعابدين كبار المصريين والأوروبيين ، وكانت الأحاديث في هذا الصالون تتصل غالبا بالقضايا السياسية ووسائل الاصلاح الاجتماعي والديني التي كانت تشغل الناس في ذلك الوقت ، وكان سعد زغلول وقاسم أمين ، والشيخ محمد عبده ، وحسن عبد الرازق ، وحسن عاصم يشهدون هذه الاجتماعات ، ويشاركون في ما يدور فيها من الأحاديث ، وكانت آثار ذلك تظهر في الحياة العامة لهؤلاء الناس . وعلى الرغم من ذلك ، فقد كان ضيقا مغلقا ، لا يصل اليه الا الذين ارتفعت بهم حياتهم الاجتماعية الى مقام ممتاز ، ولم تكن الحياة الأدبية الخالصة تشغل الذين كانوا يختلفون اليه .

كان صالون مي أدبيا ، وللمفكرين من جميع الطبقات ، يدعون أو يستدرجون اليه استدراجا ، فيلتقي بعضهم بعضا ، ويتحاورون في قضايا الأدب والفن والفكر ، وكان صالون نازلي لخاصة الخاصة من السياسيين ، أو قل صالونا اجتماعيا فرنسيا .

لقد جرت عدة محاولات لاقامة صالونات أدبية تخلف صالون مي ، لكنها باءت كلها بالفشل وبقي صالون مي وحده كالنجمة المضيئة في المساء ، يجاري باعتزاز أوتيل دي رمبوليه ، ومجالس سكينة بنت الحسين . ■■

دمشق ـ عيسى فتوح

العدد القادم : عدد ممتاز

اعداد : يوسف زغبلاوي

اطفال الانابيب ومستشفياتها في بريطانيا

● منذ مولد طفلة الانبوب الاول في صيف عام ١٩٧٨ ، والعالمان البريطانيان الرائدان ، الدكتور باتريك ستبتو Steptoe والدكتور روبرت ادواردز Edwards ، يسعيان الى اقامة المستشفى الخاص بعمليات التلقيح خارج الرحم .. ذلك المستشفى الذي اعلنا عن عزمها على تأسيسه وبشرا بقرب ظهوره منذ البدء .

ولكن العالمين ما لبثا ان اصطدما بالعقبة الكأداء التي طالما عطلت او اخرت تحقيق المشاريع .. عقبة المال .. فقد عقدا الامل على ان ترد عليهما المخصصات الكافية من مختلف الاثرياء الطامعين في استثمار رؤوس اموالهم وجني الارباح المغرية من مشروع مضمون ومفيد .. ولكن احدا من هؤلاء لم يبد ما توقعاه من اهتمام وحماسة . هذا بالرغم من تراكم الطلبات التي تسلماها من الراغبات في الحمل على طريقتهما ، وفي دخول مستشفاهما الخاص بذلك ، حالما يخرج هذا الى حيز الوجود . والتزمت الحكومة البريطانية جانب الصمت بقدر ما تعمد العالمان استبعادها ، وذلك حرصا على الابقاء على مشروعهما بعيدا عن التأميم .. وسلبياته . وظل مشروعهما يتأرجح بين اليأس والرجاء حتى كان صيف هذه السنة ١٩٨٠ .

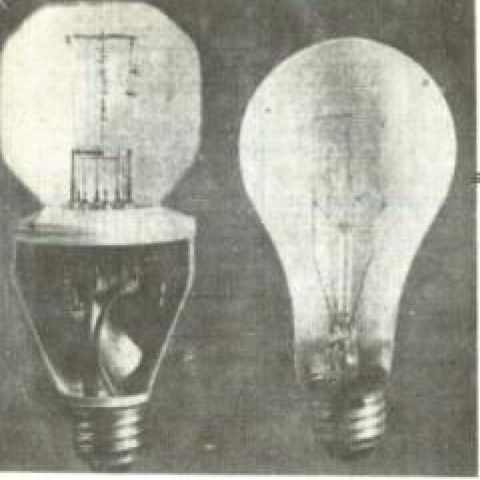
فقد تسنى لهما تأسيس شركة مع احد الميسوري الحال ، المختصين في ادارة المستشفيات ، المستر الان دكستر Dexter ، والاقدام على شراء مبنى قديم يقع بالقرب من كمبردج .. ويعرف هذا المبنى باسم Bourn Hall ، وهو متسع ، لا يقل عدد غرفه عن ٥٠ ، **واعتمد الدكتور ستبتو وشريكاه على عدد من البنوك وبيوت المال لاقتراض القسط** الاكبر من رأس مال المشروع ، وان ما حصلوا عليه من مخصصات الافراد في هذا الصدد ليس بالكثير .

وسيكون المستشفى جاهزا لاستقبال نزلائه خلال هذا الفصل ، فصل الخريف .. على ان عدد اسرته لن تزيد على ٣٠ سريرا . ذلك ان الاعمال المخبرية والعمليات الطبية والعلمية فضلا عن المعاملات الادارية ستشغل ما يقارب خُمس مساحة المبنى . اما الرسم الذي سيتقاضاه المستشفى فيبلغ ١٠٠٠ جنيه استرليني عن كل حالة .. علما بانه لا يضمن الحمل في اي من تلك الحالات .

وتجدر الاشارة الى ان اربعة من المستشفيات البريطانية شرعت في اقتفاء اثر العالمين الرائدين فيما يتصل بالتلقيح خارج الرحم .. وانجاب اطفال الانابيب .. ومستشفى هامر سميث في لندن هو احد تلك المستشفيات وهو مستشفى حكومي وخاضع لنظام الطب المؤمم ، المعمول به في بريطانيا .

وينسب الى (الدكتور) مستر روبرت ونستون (Winston) رئيس وحدة الخصوبة في المستشفى المذكور قوله : « لن نقبل الا عددا قليلا من النساء خلال هذه السنة .. سنتنا الاولى في هذا الميدان . ونحن نتوقع الفشل وسنسعد كثيرا لو اننا احرزنا بعض النجاح .. »

وذكر المستر ونستون ايضا ان الرسوم التي سيتقاضاها المستشفى الحكومي ستبلغ بضع مئات من الجنيهات .. اقل ، على كل حال ، مما كانت تكلف عمليات فتح انابيب فالوب .. وهي العمليات التقليدية التي كانت تجرى للنساء اللواتي يشكين العقم بسبب انسداد تلك الانابيب .



المصابيح الكهربائية الجديدة

● تتسابق اكبر الشركات التي تصنع المصابيح الكهربائية في السعي الى صنع المصباح المثالي الذي يوفر في استهلاك الطاقة دون ان يقصر في قوة الاضاءة .. وتذكر من تلك الشركات المتنافسة على سبيل المثال ، شركة فيلبس وشركة جنرال الكتريك ... وقد فرغت هذه الاخيرة من تجاربها الاولية على مصباحها الجديد ، وحصلت مؤخرا على الرخصة الحكومية لبيعه في الاسواق ... وتظهر الصورة هذا المصباح بجزأيه ، العلوي المضيء ، والسفلي الذي يؤوي الاضافات الكفيلة بالحد من استهلاك الطاقة .. اذ لا يستهلك هذا المصباح الا ثلث استهلاك المصباح العادي من الكهرباء ، كما تقول الشركة .

عودة إلى اليوجا !

● يعتقد الدكتور روبرت مارتن ان كثيرا من الآلام التي تصيب العمود الفقري انما تعزى الى الجاذبية ـ جاذبية الكرة



الارضية .. فهذه قوة تشدنا الى اسفل وتحدث بالتالي ضغطا على عمودنا الفقري .. وليس ادل على ذلك من أن الوقوف رأسا على عقب لمدة كافية يسكّن تلك الآلام ، ان لم يساعد على الشفاء منها ...

من هنا كان الجهاز الذي ابتكره الدكتور مارتن والذي يمكن المرء من الوقوف ورأسه الى اسفل دون ازعاج او مضايقة كما قد يحدث في ممارسة حركات اليوجا .

والجهاز المذكور الذي يشبه الكرسي الى حد ما معد لاجراء بعض التمارين الرياضية التي تنسجم وطريقة الدكتور مارتن في معالجة آلام الجاذبية .. هذا الى جانب التمارين الرياضية الصرفة التي يساعد الجهاز على القيام بها ..

وتجدر الاشارة الى ان جهاز الدكتور مارتن احرز نجاحا كبيرا ، بدليل انتشاره في كثير من المراكز الصحية والرياضية في الولايات المتحدة الامريكية ... هذا الى جانب الاهتمام الخاص الذي تلقاه طريقة الدكتور مارتن في مستشفى (باسادينا) في ولاية كاليفورنيا حيث يعمل الطبيب المذكور خبيرا في التجبير

British Policy towards Syria & Palestine 1906-1914

a study of the antecedents of the Hussein – the McMahon correspondence, the Sykes – Picot Agreement, and the Balfour Declaration

Rashid Ismail Khalidi

بالوثائق : تجزئة العالم العربي

رتبت منذ بداية القرن العشرين

بقلم : سليمان موسى

من المسلم به ان المؤرخ او الباحث ، يهدف اول ما يهدف ، الى اضافة شيء جديد في الموضوع الذي يتناوله ، سواء من ناحية المعلومات أو من نا حية وجهة النظر . وليس من شك في ان كتاب الدكتور رشيد الخالدي يتضمن الكثير من المعلومات والوقائع الجديدة التي لم تكن معروفة من قبل ، والتي توصل اليها نتيجة للبحث في ملفات الوثائق البريطانية والفرنسية وللرجوع الى مصادر عديدة اخرى .

يهدف كتاب الخالدي (السياسة البريطانية نحو سوريا وفلسطين ـ ١٩٠٦ ـ ١٩١٤) الى ايضاح النقطة التالية ، وهي ان تجزئة الأقطار العربية التي حدثت بعد الحرب العالمية الاولى ، لم تقع فجأة كنتيجة من نتائج الحرب ، ولم تبتّ الدول الغربية في أمرها خلال السنوات التي انقضت بين نشوب الحرب عام ١٩١٤ وانتهائها عام ١٩١٨ ، كما كان يسود الاعتقاد في السابق ـ بل جاءت (تلك التجزئة) نتيجة لمباحثات ومداولات تمت فيما بين تلك الدول ، في السنوات التي سبقت نشوب الحرب ، وبالذات سنوات ١٩٠٦ ـ ١٩١٤ . وتعود اسباب ذلك الى ضعف الدولة العثمانية ، ذلك الضعف الذي دفع الدول الاوروبية الكبرى (بريطانيا وفرنسا والمانيا وروسيا) الى اقتطاع اجزاء من اراضيها ، ثم الى التفاهم فيما بينها على مناطق النفوذ التي تخص كل واحدة منها في الاراضي التي بقيت للدولة في اسيا .

ينطلق المؤلف في بحثه ابتداء من موقع السيطرة الذي فرضته بريطانيا على مصر عام ١٨٨١ . ففي عام ١٩٠٦ حدثت ازمة سياسية بين بريطانيا والدولة

* British Policy towards Syria & Palestine, by Rashid Ismael Khalidi, The Middle East Centre; St Antonys College, Oxford, 1980, 412 pages

العثمانية ، بسبب اختلاف الدولتين على امتلاك بعض المواقع المهمة في شبه جزيرة سيناء ، على خليج العقبة . ومن اجل دعم وجهة نظرها ، عمدت بريطانيا الى ارسال سفينة حربية الى العقبة وقدمت إنذارا الى حكومة السلطان العثماني . ونتيجة لهذا كله اضطرت حكومة السلطان الى الرضوخ والقبول بالحدود التي أرادتها بريطانيا ، وهي الحدود التي ظلت قائمة منذ ذلك الحين بين مصر من جهة وفلسطين من جهة اخرى .

لقد نبعث هذه السياسة التوسعية من معين سياسة بريطانيا الاستراتيجية في ان تكون مصر وقناة السويس في مأمن من هجوم محتمل . ومن هنا كان توسيع حدود سيناء شرقا بمثابة عمق استراتيجي يساعد على دره الأخطار في حالة نشوب الحرب .

سكة حديد بغداد

على ان بريطانيا لم تكتف بهذا ، اذ انها كواحدة من الدول الكبرى ، عملت على تأمين حصتها من مناطق النفوذ في أراضي الدولة العثمانية عن طريق الحصول على امتيازات أبرزها امتيازات بناء خطوط السكك الحديدية . وقد نجحت بريطانيا في تأمين الحصول على نفوذ لا تنافسها فيه دولة اخرى ، في منطقتين مهمتين بالنسبة لها : وهما منطقة فلسطين لانها تجاور مصر ، ومنطقة جنوبي العراق ـ من بغداد الى خليج البصرة ـ لانها تجاور الكويت ومناطق الخليج العربي الاخرى التي كانت قد عقدت قبل ذلك معاهدات صداقة وحماية مع شيوخها .

اعتمد المؤلف بصورة رئيسية في تأليف كتابه على المراسلات التي دارت بين وزارة الخارجية البريطانية من جهة ، وبين السفير البريطاني في استانبول وقناصل بريطانيا في القاهرة وبيروت ودمشق وحلب والقدس ، من جهة ثانية . وكان التأثير الأكبر في توجيه السياسة البريطانية فيما يتعلق بهذه المنطقة لكرومر وكتشنر ، اللذين كانا يتصرفان في مصر كحاكمين غير متوجين .

كان الهاجس الرئيسي للانكليز ، فيما يتعلق بسياستهم ازاء الدولة العثمانية ، هو خشيتهم من ازدياد النفوذ الالماني ، وخوفهم ان يتطور ذلك النفوذ الى تكوين خطر على مناطقهم في مصر والخليج ، اذا ما وقعت الحرب بينهم وبين المانيا . حتى خط سكة حديد الحجاز كانوا يرون فيه خطرا يتهددهم ، معتبرين ان شبه جزيرة سيناء لا تؤلف جناحا مأمونا يكفي لصد الخطر على مصر وقناة السويس .

لقد كان امتياز خط سكة حديد بغداد الذي منح لالمانيا عام ١٩٠٣ ـ والذي اعطى المانيا امتيازا بمد خط السكة من الاناضول الى بغداد ، ومن بغداد الى البصرة على طول نهر الفرات كان ذلك الامتياز مثار جدل واسع بين الدول الثلاث الكبرى : المانيا وبريطانيا وفرنسا ، اذ اعتبرته بريطانيا وفرنسا تغلغلا خطرا على مصالحها الحيوية . وبعد مفاوضات طويلة تم الاتفاق ان تحصل كل دولة على امتيازات بمد خطوط سكك حديد في مناطق خاصة بها . . وهكذا حصل الانكليز على امتياز بمد خط للسكة من البصرة الى بغداد على طول نهر دجلة ، واتفقوا مع المانيا ان لا تمد خط السكة الخاص بها من البصرة جنوبا ، اذ كانوا يعتبرون منطقة شط العرب ومنطقة الخليج العربي تحت نفوذهم المطلق . اما فرنسا فقد تم التفاهم على ان تستقل بامتيازات مد خطوط السكة في سوريا الطبيعية حتى حلب شمالا . ومن البديهي القول ان تزاحم الدول على اقتسام مناطق النفوذ ازداد وأصبح أكثر حدة ، بعد الهزائم التي حلت بالدولة العثمانية في حروب البلقان عام ١٩١٢ وما ساد نتيجة لذلك من شعور بأن نهايتها أصبحت وشيكة .

ولا يكتفي المؤلف بمعالجة موضوع التنافس بين الدول الكبرى ، وعلى الاخص تطور العلاقات بين الدولة العثمانية وبريطانيا ، ولكنه يعرض كذلك لسياسة الدولة ـ وبخاصة في عهد حزب الاتحاد والترقي ـ تجاه المناطق العربية التي منحت الدولة الامتيازات فيها (دون التشاور مع أهلها) . كما يعرض لرد فعل العرب ازاء سياسة الدولة عموما ، وهو رد الفعل الذي برز في المطالبة باللامركزية الادارية ، وفي المطالبة بأن تكون اللغة العربية هي اللغة الأولى في بلاد العرب وبخاصة في التعليم وفي دوائر الحكومة ، دفعا لخشيتهم من سياسة التتريك . ومن خلال هذا كله يبرز تأثير الحركة العربية على سياسة بريطانيا وفرنسا من جهة ، وتأثير سياسة بريطانيا وفرنسا في تلك الحركة .

الضوء الأخضر لفرنسا

ان الهزائم التي لحقت بالدولة في البلقان ، والشعور بأن نهايتها أصبحت وشيكة ، أثارت أقاويل في الصحف الفرنسية حول مصير سوريا ، وبأن بريطانيا تخطط للاستيلاء عليها . وقد ظلت فرنسا تضغط على حليفتها بريطانيا حتى صرح (جراي) وزير الخارجية البريطانية بأن بلاده لا تضمر اية مطامع سياسية ازاء سوريا . ومن هنا اغتنم الفرنسيون فرصة هذا التصريح

فأعلنوه على رؤوس الاشهاد (٢١ ديسمبر) كانون الاول ١٩١٢ ، واعتبرت بعض صحفهم ان هذا التأكيد يعني اعطاء فرنسا يدا مطلقة في سوريا . وكان من أثر ذلك تشوه رد فعل شديد عند الالمان الذين أبلغوا بريطانيا انه في حالة الحديث عن تقسيم اراضي الدولة فان المانيا سوف تطالب بأن تكون الاناضول حصة لها .

وقد تبدى حرص الانكليز على ابعاد أخطار المستقبل عن مصر عندما رفضوا في صيف ١٩١٣اقتراح فرنسا بالحصول على امتياز لبناء خط سكة حديد حتى الحدود المصرية ، فما كان من فرنسا الا انها تراجعت واكتفت بأن يكون امتيازها حتى بلدة العفولة في شمالي فلسطين .

لقد بذل المؤلف جهدا كبيرا في الرجوع الى تقارير ممثلي بريطانيا في الشرق ، ونجح في القاء أضواء جديدة على الموضوع لم تكن معروفة من قبل . ومن خلال مطالعة الكتاب يرى المرء كيف تتصرف الدول القوية تجاه دولة ضعيفة ، اذ تتبادر الى الذهن صورة مجموعة من الذئاب المفترسة وهي تنهش جسم حيوان ضعيف . لا بل نرى أحد الذئاب يمن على الفريسة على نحو يصدق فيه قول الشاعر العربي « يرضى القتيل وليس يرضى القاتل » . ذلك ان احد كبار موظفي الخارجية البريطانية قال في معرض تبرير طلب احد الامتيازات : ان الدولة العثمانية جديرة بأن توافق على منح هذا الامتياز « لقاء ما صنعنا من معروف معها » (صفحة ١٣٧) . ومن المعروف ان ما صنعته بريطانيا من معروف مع الدولة العثمانية انها كانت قد استولت على مصر والكويت وعدن ومشيخات الخليج !! ومن سمات ذلك التكالب المفجع ان الصدر الاعظم العثماني أرهقه ضغط الدول المتنافسة الى حد اضطره لاستدعاء السفير الالماني وتوجيه رجاء اليه بأن تتفاهم المانيا مع بريطانيا على امتيازات كل منهما بين بغداد والبصرة .

مما يلفت النظر في هذا الكتاب الفصلان المتعلقان بالحركة العربية في سوريا ، فهو يعطي الانطباع بأن انشاء جمعية اللامركزية في مصر والجمعية الاصلاحية في بيروت ، لم يحدث الا بعد ان رفضت بريطانيا مبدأ التدخل من جانبها في سوريا (صفحة ٣٠٢) ، وحديثه عن الشعور الموالي للانكليز في سوريا (صفحة ٢٧٧) وعن رغبة اهل بيروت وحلب وفلسطين باحتلال بريطانيا لبلادهم (الصفحات ٢٩٧ ـ ٢٩٨ و٣٠٢) . كل ذلك اعتمادا على تقارير القناصل . وكان الاحرى بالمؤلف ان يفسر ذلك ـ اذا ما توافرت القناعة لديه بصحة اقوال القناصل ـ بالقول ان اي شعور ايجابي نحو بريطانيا وفرنسا كان ينبع من (١) الجهل بمساوىء الاستعمار الغربي (٢) كراهية الناس للاستبداد العثماني (٣) اما تفضيل بريطانيا على فرنسا فلم يكن نابعا عن حب خاص للانكليز او عن ضعف الشعور القومي بل من الخشية من الاستعمار الفرنسي الذي لم تكن فرنسا تخفي سعيها من أجله ، ومن المقارنة بين حكم بريطانيا في مصر وحكم فرنسا في تونس والجزائر .

دور الوجهاء

وهناك ملاحظة تتعلق بقول المؤلف ان قيادة الحركة الوطنية تركزت في ايدي الوجهاء وابناء الطبقة العليا في المدن ، وان الاختلاف بين جماعة القوميين العرب وجماعة المتمسكين بالدولة العثمانية ، كان صراعا بين ابناء الوجهاء المتنافسين (الصفحات ٢٠٢ ـ ٤٠٢) . ومن الواضح ان تكوين بنية المجتمع السوري في ذلك الحين كانت تقتضي ان يكون الزعماء والوجهاء والمثقفون هم القادة والممثلون للشعب . ولست اعتقد اننا نبتعد كثيرا عن الحقيقة اذا قلنا ان المثقفين والمتنورين (يتمثل هذا في اعضاء جمعيتي الفتاة والعهد) كانوا يمثلون الخط القومي المطالب بالاصلاح ، ويمثلون بذلك الجماهير العربية ، وقد كانوا جديرين بدورهم القيادي وبرهنوا على جدارتهم عندما ضحوا بأرواحهم في سبيل عقيدتهم القومية . وفي الوقت نفسه يمكن القول ان معظم المتمسكين بالحكم العثماني على علاته كانوا من ممثلي الزعامات التقليدية ومن اصحاب المصالح .

ان اقتسام مناطق النفوذ في اراضي الدولة العثمانية قبل نشوب الحرب العالمية الاولى ، أمر معروف ، وقد توسعت مصادر تاريخية عديدة في شرح خطوطه العامة (١) . ويبدو لي ان المؤلف لم يطلع على كتاب المرحوم ساطع الحصري في هذا الموضوع والذي اعتمد في تأليفه على مراجع تاريخية باللغة التركية اعتمدت بدورها على وثائق وزارة الخارجية العثمانية [٢] . وقد

١ ـ اذكر على سبيل المثال كتاب : M . S . Anderson : The Eastern Question 1774 - 1923, Macmillan, London, 1966 الصفحات ٢٦١ ـ ٣٠٩

٢ ـ البلاد العربية والدولة العثمانية : منشورات دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٦٥ .

بين الحصري في كتابه ذلك كيف اقتسمت الدول الاربع الكبرى مناطق نفوذها ، بناء على تفاهم كل واحدة منها مع الاخرى ، وكيف تم التوقيع بين كل دولة والدولة العثمانية على سلسلة من الاتفاقات خلال عامي ١٩١٣ و١٩١٤ . كما يبدو لي انه كان يجدر بالمؤلف ـ وهو عربي ـ ان يبحث أكثر وأكثر على مزيد من المصادر العربية ، لكي يعطي صورة متوازنة عن وجهة النظر العربية في مقابل تقارير قناصل بريطانيا وفرنسا . وفي نطاق رد الفعل العربي تجاه اجراءات الدولة العثمانية ، كنت أتوقع ان يذكر ثورة جبل الدروز وثورة الكرك عام ١٩١٠ ، اللتين كان الدافع عليهما سخط الناس على قرارات الدولة باحصاء النفوس وجمع السلاح والتجنيد الاجباري . وقد تولى القائد سامي باشا الفاروقي (وهو عربي من العراق) قيادة القوات التي أخمدت الثورتين بقسوة بالغة . وما يزال كثيرون في هذا الجزء من الوطن العربي يؤرخون بعض الاحداث بتلك السنة ، فيقولون : ولد (فلان) سنة سامي باشا ، أو حدثت تلك الواقعة « سنة سامي باشا » . وهذا دليل على التأثير القوي الذي تركته تلك الحملة العسكرية في نفوس الناس .

ومن مطالعة الكتاب تكوّن لدي انطباع بأن المؤلف انغمس في دوامة التفاصيل الصغيرة بين تقرير هذا القنصل او ذاك ، وتعليق هذا وذاك على ذلك التقرير ، وردود الفعل على كل هذا عند فلان وفلان من موظفي وزارة الخارجية ـ بحيث أصبح من العسير على القارىء ان يتابع الخطوط الرئيسية لاحداث تلك الحقبة . كما انني لم افهم ضرورة ابقاء عشرات المقتطفات التي نقلها عن الوثائق الفرنسية ـ على حالها باللغة الفرنسية . فهل يا ترى افترض ان يكون جميع القراء ممن يجيدون اللغة الفرنسية ؟

على ان كل هذا يجب ان لا يعتبر انتقاصا للجهد الكبير الذي بذله المؤلف ، والذي قدم من خلاله اضافات مهمة في ميدان الدراسات التاريخية ، وزادنا علما بأساليب العمل السياسي والدبلوماسي في الدول المتحضرة ، وهي الاساليب التي تكون فيها التفاصيل الصغيرة أساسا متينا للقرارات الكبيرة . ■■

سليمان موسى
عمان ـ الاردن

لمحات شخصية

× سأل الصحفيون برنارد باروخ في عيد ميلاده الرابع والتسعين عن الشخص الذي يعتقد انه اعظم شخصيات هذا العصر .. وانتظر الصحفيون في لهفة لسماع اسم شخص بارز او عظيم . ولكن باروخ قال لهم « انه الشخص الذي يؤدي عمله كل يوم . والام التي انجبت اطفالا وتستيقظ كل صباح لتعد لهم طعام الافطار وتحافظ على نظافتهم ثم ترسلهم الى المدرسة . انه الشخص الذي يحافظ على نظافة الطريق انه الجندي المجهول » .

× تعطلت سيارة احد الاصدقاء في الطريق السريع . فاوقفها على جانب الطريق وهبط منها ودس رأسه تحت غطاء المحرك ليبحث عن سبب توقفها ـ وعندما سمع ضجيجا في مؤخرتها رفع رأسه . وكانت دهشته عظيمة عندما رأى رجلا يحاول خلع غطاء عجلة فصاح به ماذا تفعل ؟

فاجاب الرجل الذي كان يحاول السرقة : خذ انت البطارية وسأخذ انا اغطية العجلات !



المراهق

هذا المخضرم في عالم الخيال!

بقلم: الدكتور مالك سليمان مخول

مدرس علم النفس بكلية التربية ـ جامعة دمشق

دراسة الحياة الخيالية للمراهق واحلامه توضح الكثير من الامور الهامة في شخصيته. فالتخيلات والاحلام، وبما تنطوي عليه من رغبات وبما تتضمنه من صور وحوادث، تعد استمرارا طبيعيا لحياة المراهق الواقعية ومعاناته لقضاياه الحيوية وصعوباته في التكيف. الا أن الحياة الخيالية للمراهق تتسم بالغنى والتنوع والغموض، ونادرا ما تسمح للملاحظ الخارجي بمراقبتها وكشفها. لذا يعمد علماء النفس الى استخدام العديد من الطرائق والنظريات في دراستهم لهذه الظاهرة وتحديد سياقها النمائي ووظائفها ودورها في تحقيق التكيف المناسب.

والمراهق مخضرم في عالم الخيال . اذ انه ، بوصوله للمراهقة ، انما يكون قد عبر عددا من المراحل التي تسهم في نمو القدرة على التخيل . فمنذ الطفولة المبكرة يتعلم الناشىء التعامل مع صور الاشياء بدلا من الاشياء ذاتها ، كما يمتلك في ذهنه صورة ما عن الفعل (يتخيل الفعل) قبل ان يقوم بأدائه . وقد يستغرق المراهق في خياله الى درجة يعجز معها عن التمييز بين ما هو خيالي وما هو واقعي . وقد يغرق بعض المراهقين طوال يومهم في مسلسل قصصي لا ينتهي لحوادث لا تمت بصلة الى الواقع . كما قد يكون للمراهق « رفيق » آخر يعيش داخله بحيث يعجز هو نفسه عن معرفة الطبيعة الخيالية للكثير من خواطره .

ومن المعلوم أن الصغار بتحركهم من الطفولة الى المراهقة يفقدون الكثير من القدرة التي تمكن بعضهم من الاستغراق في التخيل النشط الفعال . اذ ان نمو الوعي ، ووقائع الحياة ، والتجربة الفردية للصغير تطرح جميعها اشارات الاستفهام حول جدوى تخيلاته . ويغدو من الصعب على الناشىء ان يفقد ذاته في الحياة غير الواقعية التي توفرها تخيلات المراهقة . مع ذلك ، فان للمراهق العادي خيالا غنيا يستمر في تحقيق بعض الوظائف والاغراض التي سبق لتخيلات الطفل تحقيقها . ويتجلى ذلك خاصة في ضرب من المغامرة الجريئة ، ومن الانسحاب اللذين يشكلان اسلوبا للتعامل مع مشكلات الحياة .

وظائف التخيل

يستطيع المراهق عبر تخيلاته ، شأن الصغير ، القفز فوق حواجز الزمان والمكان ، وتجاوز حدود قواه الخاصة ومد قبضته بحيث تطول ما تعجز عن بلوغه في واقع الاشياء . كما يمكن للمراهق عن طريق التخيل ان يتجاوز مخاوف الحياة اليومية وان يحقق مطامحه ، فيتذوق طعم الوفرة ، ويستضيء بنور الامل ، ويطلق ساقيه للعيش بحرية بعيدا عن ظلم الناس وجبروتهم .

وليست تخيلات المراهق وسيلة للهرب من واقع مؤلم او خادما طيعا لنزوات المراهق وشهواته فحسب ، بل هي تؤدي العديد من الوظائف التي تفيد في تسيير المراهق لامور حياته . فالمراهق يكافح في تخيلاته بدرجات متباينة من الوضوح ، محاولا مجابهة المشكلات المرتبطة بحياته . انه يدأب لتحقيق المطالب الراهنة التي يفرضها واقعه المحيط به وذاته النامية المتعطشة الى الحياة . وتبعا لذلك يرسم التخيل سلسلة طويلة من التوقعات والآمال والمطامح التي يحتضنها المراهق لمستقبل حياته .

بهدف تحديد موضوعات تخيل المراهقين قام « شافر » ورفيقه (١٩٥٦) بدراسة عينة من المراهقين مؤلفة من ٦٤ ذكرا و ١٣١ انثى بمتوسط عمري قدره ٢٠ سنة وعينة اخرى من الراشدين شملت ٨٣ رجلا و ١١٢ امرأة بمتوسط عمري قدره ٢٨ سنة . وقد اظهرت الدراسة تشابه الراشدين والمراهقين في موضوعات خيالهم . وكان النجاح المهني والتفوق الذهني من الموضوعات التي تسربت الى احلام الراشدين والمراهقين بنسب مرتفعة . كما ان الفعالية الجنسية كانت احد الموضوعات الاساسية لاحلام الفئتين من الجنسين . ولم تخل الاحلام النهارية من قدر من انشغال الفكر بأمور مجهولة .

تبدو الاحلام النهارية للمراهق غير واقعية ومحاولة للتهرب من الوضع الراهن ، الا أنها تحقق وظيفة اساسية في تكيف المراهق لظروف حياته وشروطها القاسية . فقد لا يكون في وسع المراهق احتمال حياته القاسية ، ان لم يجد لنفسه ، ولو عبر تخيلاته ، مخرجا من تقييدات اللحظة الراهنة . وثمة وقت يشعر فيه كل منا وخاصة المراهق انه اضطهد وعوقب ورفض . وهنا لا يجدي سوى التخيل في رسم صورة مشرقة للغد تحول بين المرء والسقوط في درك اليأس والكآبة او القعود . ان التخيل وحده قادر على ان يبني لمن قعد على هاوية الانتحار ملجأ يستطيع الانطلاق منه ليستأنف حياته من جديد .

تضخيم الفروق بين الواقعي والمثالي

لتخيلات المراهق اثر سلبي يتمثل في تغطيتها لحال عدم الرضى التي يعانيها المراهق بسبب عجزه عن التكيف ، فينطلق في احلامه النهارية يتذوق اللذة ويتمتع بالبهجة ويحس بالنصر والنجاح الذي يفوق كل ما قد تستطيع امكاناته المتواضعة تحقيقه . ويتفجر ذلك المراهق غضبا على نفسه وعلى الآخرين بسبب الهوة العميقة التي تفصل الحلم عن الحقيقة .

ولا يخلق التخيل دائما الرغبة في الفعل ، برغم قدرته على خلق « صورة » الفعل ومخططه الاولي الامر الذي يترك احساسا حادا وعميقا لدى المرء بأن شيئا ما في خطأ شنيع . فقد تعصف بالمراهق رغبة عنيفة لأن يصبح مغنيا مشهورا . فان كان صوته جميلا وانتسب لأحد نوادي الغناء ربطت رغبته بخطة ملزمة له لامتهان الغناء

وكانت خطته متوافقة مع رغبته . اما ان كان صوته متواضعا قبيحا ، فانه قد يقفز بمخيلته بعيدا عن الخطة الموضوعة ليتصور نفسه مغنيا مشهورا تختاره الجماهير للتصفيق من دون سائر اعضاء الفريق الغنائي لناديه . هنا يتحرك المراهق متخطيا واقعه الى عالم آخر من نسج خياله . ويزداد الامر سوءا ان هو اكتفى بالتخيلات من دون الانتماء لأي ناد غنائي ، اذ انه ، في تلك الحالة ، يكون قد قصر حياته على الخيال الصرف ، وهو في واقعه الخيالي يعيش عالما امتع وأكثر اشراقا من عالمه الواقعي .

ومن المحتمل ان يطير الكثير من المراهقين بين آن وآخر الى عوالم خيالية ، الا أن السوي منهم يبقي على روابطه بالواقع . وتقل فرص المراهق في ان ينجز شيئا يعزز احساسه بذاته كفرد بمقدار بعده عن واقعه وطيرانه في عالم خياله . ففي هذه الحالة تحل احلام المراهق محل الواقع وتترك صاحبها خاوي اليدين الا من احلامه . وعلى العموم يشير ازدياد الشقة بين الواقعي والمثالي الى وجود اضطراب سلوكي عاطفي متخذ شكل القلق او الكآبة في حياة المراهق ويجعله عاجزا عن ممارسة فعالياته و« تحقيق احلامه » .

في اللحظة والمستقبل

تتحقق اكثر وظائف التخيل نفعا للناشيء في مساعدته على ان يرى اللحظة الراهنة في اطار المستقبل ذي الزمن الواسع الذي تمتد جذوره الى الماضي . وعادة يسقط المراهق بعملية التخيل عناصر فكره الحاضر في كل من المستقبل والماضي بحيث تتفتح امام الفكر تطبيقات عملية مستقبلية دون ان تشدها التجارب المرة المرتبطة بماضي الفرد .

فالمراهق الذي يتحرك باتجاه بناء شخصيته المستقلة وتأكيد ذاته تعترضه مصاعب كبيرة وعراقيل لا يمكن تجاوزها الا بتصور اليوم الذي يتخذ فيه قراراته بنفسه ويمارس فعالياته بحرية . ولا تقل ضروب التفكير العادية في المدرسة اثارة للمصاعب بوجه المراهق عما تثيره عملية تحركه نحو الاستقلالية . ففي المدرسة يظهر التنافر والصراع في شخصية المراهق بين الالتزام بالواجبات المدرسية ، وممارسة الاهتمامات الشخصية ، ولا يخفف من وطأة هذا التنافر والصراع الا تصور المراهق للوظيفة او المهنة التي يمكن ان يشغلها في اطار مطامحه المستقبلية ، والتي تعمل واجباته المدرسية الحالية على « تحقيقها » بصورة ما .

من جهة ثانية ، فان التخيل اذا ما قوم في اطار ابعاده الكاملة واستغراق المراهق فيه ، يساعد صاحبه على ان يجرب ويتحقق من امكاناته الشخصية في اطار الدور الذي يلعبه . وتجربة المراهق هذه تفيده في تحسس مصاعب المهنة المرتبطة بالدور الذي يلعبه ، والى التأكد من درجة ملاءمة « شخصه » للعب ذاك الدور في المستقبل . ان التخيل فعل من نوع المحاولة والخطأ ، والمراهق ميال بطبعه وبسبب دوره الذاتي لأن يلاحظ نتائج فعله في مجاله الحيوي ، اي لأن يكتشف الخطأ ويصححه ، مهما كانت طبيعة الخطأ .

ولسنا نغالي ان نحن اكدنا ان الحياة تفقد في عين الناشيء عند الاحساس بالغبن والاضطهاد كل الوانها الزاهية وتغدور رتيبة ومملة وقاتلة . ويمكن لاحساس المراهق برتابة الحياة وانعدام لونها ان يقعده عن الحياة وينزل به العزلة . الا أن التخيل وما يقدمه للحياة من الوان زاهية مشرقة وممتعة يحفظ للمراهق اهتمامه بالحياة ويؤهله لأن يتجاوز مرحلة الغبن والاضطهاد وما يمكن ان تجره من اقعاد مرضي مزمن للمراهق .

ولا تقتصر فائدة تخيلات المراهق على توقع المستقبل ، بل تمتد الى مساعدة المراهق على مواجهة مشكلات اللحظة الراهنة . ويجد بعضهم صعوبة في رؤية الفائدة العملية المذكورة على اعتبار ان جانبا كبيرا من الاحلام النهارية لا يبعث على الرضى النفسي وقد يثير الضيق والألم في صاحبه . فان واجهت المراهق مشكلة مباشرة ضاغطة تتطلب حلا حاسما ، عملت مخيلته على اثارة مخاوف الفشل المرتبطة بتلك المشكلة ، وذلك عبر التجربة الخيالية لمختلف اوجه حلول المشكلة المذكورة . وتجر المخاوف الى الضيق والالم والاقعاد ، الا انها في الوقت نفسه تجر الى حلول اخرى قد يزيد فيها الجانب المشرق على الجانب المخيف . وتبقى مخيلة المراهق تدور بين حل يثير المخاوف ، وآخر يقضي على تلك المخاوف ، الى ان تتكشف امامه طريقة جديدة تحل مشكلته الراهنة بقدر ضئيل من الخوف والقلق والالم وبقدر اكبر من المتعة والنفع .

الأحلام النهارية

ان الاحلام النهارية تمكن المراهق من معاناة الانفعالات والتطرق الى الاهتمامات التي قد يعجز عن مجرد الاشارة اليها في حياته الواقعية ، فتظهر في تخيلاته نزوات عدوانية كانت عرضة لكبت مطلق يمنعها من الانطلاق . فقد يحس المراهق ، مثلا ، بتعنت معلمه

فيكرهه ويتمنى موته بيده ، الا أن كل محرمات المجتمع واعرافه تعترض النزوات المدمرة ، وتكبت فكرة الانتقام التي لا تموت بل تبقى تتأرجح في الداخل بحثا عن مخرج . ويأتي العون او المخرج بأحلام نهارية قد تصور المعلم معجونا في حادث سيارة أو منفوخا على ضفة بحيرة . ويصح الامر نفسه بالنسبة للأحلام الجنسية التي يعانيها المراهق . ان اي مراهق يطمح الى ممارسة الجنس ، ومع افضل شريك ، وهو امر مزدوج الاستحالة بسبب التقاليد الاجتماعية التي تحرم الجنس خارج اطار الزوجية ، وبسبب الهوة بين « شخصية » المراهق المتخيل ، وبين شخصية « الشريك » . وتنطلق المخيلة ازاء حالة الغبن هذه فيندفع المراهق في مغامرات جنسية خيالية طريفة مع افضل الشركاء . فالتخيل اذا يجنب المراهق مشاعر الغبن ويساعده على التحرر من الانفعالات والعواطف المكبوتة في سلوك يمكن ان يتخذ صيغة حل المشكلات ، والتفكير ، ووسم التجربة الانسانية بالتكامل الزمني ، اي باسقاطها في مستقبلها عبر ماضيها .

الاساليب الاسقاطية

تغطي عبارة الاساليب الاسقاطية عددا من الطرائق التي تستخدم لاثارة شريط من الفكر والخيال يمكن ان يكشف شيئا ما عن الحياة العميقة لصاحبه . وتنطلق تلك الطرائق من واقعة ان الانصات للموسيقى او امعان النظر في صورة ما ، مثلا ، انما يتحدد جزئيا بما يسقطه المنصت او المتطلع من داخله على اللحن او المشهد . فمن المعلوم ان الناس في غالب الأحيان ، لا يتفقون على تفسير ما يرونه من مشهد ما . وقد يعطي احدهم لذلك المشهد تفسيرا متفائلا بينما يرى فيه الآخر مأساة انسانية كاملة . وهذا التنوع في تفسير المشهد الواحد يعود الى ان كلا من الشخصين قد اسقط ذاته على المشهد ولونه بألوانها ، كئيبة كانت ام فرحة . من هنا فان الاساليب الاسقاطية تنطلق من ان الفرد عندما يستجيب للمثير المعروض ، انما يكشف عن اشياء من اعماقه ، اي من مشاعره ، وطباعه ، وافكاره التي قد لا يتعرف عليها هو نفسه .

كان رورشاخ الذي صمم اختبار بقع الحبر في عام ١٩١٢ اسبق من سواه في وضع اسس الاساليب الاسقاطية . ويشمل الاختبار عددا من البطاقات تحوي الواحدة منها بقعة حبر كبيرة ، هذا مع العلم ان بقع الحبر تختلف في الشكل واللون ، فبعضها ملون بالاسود والابيض فقط وبعضها الآخر ملون بعدة الوان . وعند اجراء الاختبار يطلب من المفحوص ان يتحدث عما يراه في البقعة ، واين يراه وما الذي يجعله يراه كذلك . وثمة معايير على درجة من الوضوح والتحديد لتفسير نتائج المفحوصين فرديا .

وقد استخدمت الصور الى جانب بقع الحبر لدراسة الافكار العميقة للمراهق . ويعتبر « موراي » رائدا في استخدام الصورة كأسلوب اسقاطي لدراسة المراهقين اذ وضع في عام ١٩٣٨ اختبار تفهم الموضوع (thematic apperception test) .

الا أن مرحلة التطور الهامة في الاساليب الاسقاطية ظهرت بظهور دراسة « سيموند » (١٩٤٩) التي قدمت وقائع غنية بصدد اسقاطات المراهقين . فقد استخدم الباحث ٤٢ صورة اعدها له فنان طبقا لمواصفات اقترحها الباحث . وتطلبت مواصفات احدى الصور من الفنان ان يرسم صبيا يحمل حقيبة امتعة يبدو عليه انه هرب لتوه من المنزل او هجره أو أنه يبحث عن عمل يعيش منه وحيدا في مدينة ضخمة . كما سئل الفنان ان يرسم صورة لصبيين ، احدهما حسن الملبس والهندام ، والآخر رث الثياب اشعث الشعر يبدو انه خرج لتوه من تجربة سيئة الطالع فجلس وحيدا حزينا شاكيا . ومثلت احدى الصور امرأة راكعة تسترق النظر عبر ثقب الباب ، وفي صورة اخرى فتاة تصعد السلالم الى الطابق العلوي بظلال توحي بأن الوقت ليل ، بالاضافة لظلال شخص في أعلى السلم .

جمع « سيموند » وقائع عن صوره من عينة مكونة من ٢٠ صبيا و ٢٠ فتاة من الحلقة الثانوية . وكتب التعليمات للمفحوصين كالتالي : بين يديك اختبار للتخيل المبدع .

اليك بعض الصور التي سأعرضها واحدة اثر الاخرى واريدك ان تؤلف قصة حول كل صورة . واستمرت التعليمات لتقدم تفسيرات خاصة بصدد ما يجب على المفحوص ان يفعله وما يجب او يمكن ان يسأل .

ولابد من ملاحظة ان الباحث قد ميز بين الموضوعات « النفسية » والموضوعات « المحيطية » فما تفعله لشخص آخر هو من طبيعة نفسية اما ما يفعله هو لك فمن طبيعة محيطية . وقد وجد سيموند في تعليقه على نتائج الاختبار ان الكراهية والحب يشغلان مركز الصدارة بين الموضوعات النفسية . وألف كل المفحوصين ، صغارا وكبارا ومن الذكور والاناث ، قصصا تدل على العدوانية . وتكررت موضوعات الموت

لدى ٣٢ فردا ، والجريمة لدى ٢١ فردا والقتل لدى ١٨ فردا ، والعراك لدى ١٦ فردا ، والغضب لدى ١٨ فردا في الوقت نفسه الذي عبر فيه عشرون مفحوصا عن الاستهجان الاجتماعي والمنع والتأنيب .

وعلى الرغم من ظهور موضوعات حول الشهوة الجنسية لدى ٣٦ مبحوثا فان تلك الموضوعات نادرا ما انتهت بتحقق الشهوة الجنسية في فعل جنسي . وقد اشارت ٢٤ حالة الى الزواج ، و ١٣ حالة الى الصداقة ، وتحدث ثمانية مفحوصين بشكل مباشر عن الوقوع في الحب .

وتدل موضوعات العقاب التي ذكرتها ٣٣ حالة على ان المراهقين يتفهمون المحرمات والضوابط الاجتماعية وضرورة المحافظة على النظام . وقد كان الشرطي ، باعتباره حارسا للنظام ، شخصا شعبيا في كل القصص .

ومما يلفت النظر ان كل مراهق من عينة « سيموند » روى ثلاث قصص على الاقل دارت موضوعاتها حول العدوانية ، وذلك بدءا من النقد المعتدل ومرورا بالسرقة والتجريح وانتهاء بالقتل . وظهرت العدوانية في صبيان وبنات تبدو عليهم امارات الرصانة والهدوء في حياتهم العادية ، ولقد كان المراهق يصاب بالدهشة عندما تروي له قصة حكاها .

النهايات السعيدة

وللطريقة التي ينهي بها المراهق قصته دلالة خاصة اذ اعطى الكثير من المفحوصين نهايات سعيدة لقصصهم ، ولم يسمح سوى عدد محدود منهم لقصصه ان تنتهي بمأساة .

الا ان النهاية السعيدة للقصة لا تعني ان صاحبها من الذين يعيشون حياة سعيدة طافحة بالامل ، بل الارجح ان يكون مثقلا بمشاعر الاثم . فقد لاحظ سيموند ان بعض المراهقين يسمح لنفسه بخلق قصة عدوانية (صبي يسرع بسيارته ويدهس امرأة) لكنه يرفض ان ينهي قصته بشكل مأساوي مدمر . فبعض المراهقين يتيح لنفسه التعبير عن مشاعره العدوانية ثم يعمد الى التكفير عنها باصلاح الفساد وانهاء القصة بشكل يجلب الفرح والسعادة . اي ان المراهق بسبب اغراقه في المشاعر العدوانية وما يتبعها من احساس بالاثم يحاول في الخيال التكفير عن هذا الاثم .

ومن الطريف ان الصبيان في عينة سيموند اختلفوا عن البنات ، اذ ظهرت موضوعات العنف والموت والجريمة والقتل لدى الصبيان اكثر من ظهورها لدى البنات . وعبرت البنات عن العدوانية الا انهن ابدينها بشكل العصيان والتمرد وليس بأساليب العنف المباشر والرغبة في التدمير والقتل . كما ظهرت موضوعات تدور حول الصداقة والاطفال لدى البنات اكثر من ظهورها لدى الصبيان . وكانت موضوعات الحب لدى البنات تنتهي غالبا بالزواج والعيش السعيد ، على حين ان اكثر الصبيان مالوا الى التعبير عن عواطفهم الجنسية بصورة مشخصة ومباشرة . ولم يبد المراهقون ، من كلا الجنسين ، احساسا بالاثم عند تعبيرهم عن الحب بينما ابدوا احساسا واضحا بالاثم عند تعبيرهم عن مشاعرهم العدوانية ، وخاصة عند تعبيرهم عن رغبتهم بالقتل . ويعود السبب في ذلك برأي سيموند الى ان القتل من المحرمات الاجتماعية المطلقة التي يجب ان يمتنع عنها المرء امتناعا كليا بخلاف الحب الذي قد يعبر عن علاقة انسانية طبيعية وضرورية .

هذا ويتبين من دراسة الفروق بين صغار المراهقين وكبارهم ميل الصغار لأن يكونوا اكثر حرية من الكبار في التعبير عن عدوانيتهم دونما احساس بالاثم ، كما مال الصغار ايضا للتعبير عن خيالاتهم بطريقة بدائية . الا ان كبار المراهقين ، خلافا لصغارهم ، مالوا لاظهار خيبة الامل من الواقع ، والاهتمام الشديد بالمستقبل . وابدى كبار المراهقين جدية واضحة تمثلت « بالعجب » ، و « التفكير » ، و « التأمل » ، و « البحث عن معنى الوجود » .

واخيرا امتازت تخيلات المراهقين حول المدرسة بالطرافة ولم تخرج عن اطار نتائج الدراسات السابقة بهذا الصدد . فلم تكن المدرسة ، وهي المكان الذي تتدلى فيه حبال القصاص والفشل فوق اعناق الناشئة ، مكانا سعيدا قط . ونادرا ما ابدى المراهقون تعاطفا نحو معلميهم ، بل صوروهم افرادا انتقاميين ، متشددين ، قساة . فهل مثل مفحوصي عينة سيموند فئة خاصة تميل الى الكآبة عموما والى تصور المدرسة مكانا كئيبا ؟ اننا لا نميل الى مثل هذا التفسير ، وان كنا نحاول التمييز بين ما يقوله المراهق او يحسه من كراهية للمدرسة وللمعلمين وبين ما يصمم عليه من اجتياز تلك العقبة لبلوغ مراميه في الحياة . وعلى اي حال فان تخيلات المراهقين الكئيبة بصدد المدرسة تكشف الكثير من سلبيات الانظمة المدرسية التقليدية وتؤكد فائدة الاساليب الاسقاطية في التعرف على الكثير من مشكلات التعلم واصوله الدافعية وصعوباته التي قد لا تظهر بوضوح في الممارسات التربوية التقليدية .

د . مالك سليمان مخول

زَهْــر وأزهــار .. وزُهور أيضــًا

بقلم : محمد خليفة التونسي

وقفت على الحكاية الآتية وانا في المرحلة الثانوية منذ اقل من خمسين سنة ، ولا اذكر كيف ولا اين وقفت عليها ، وخلاصتها ان ابا حنيفة (٨٠ ـ ١٥٠ هـ) في بداية طلبه العلم اتجه الى علم العربية فكان يتردد على حلقات علمائها في بلده الكوفة ، وحدث في احد المجالس أنه جمع كلمة « كلب » على «كلوب» فخطأه بعضهم بدعوى أن الكلمة سمعت مجموعة على « كلاب » « وأكلب » فلما احتج عليهم بان امثال هذا الاسم يجمع على فعول « مثل شمس وشموس » اصروا على تخطئته بحجة ان اللغة سماعية ، ولا يصلح فيها القياس ، وانه لم يسمع « كلوب » في جمع « كلب » فقال « لأشتغلن بعلم يصلح فيه القياس » واتجه الى الفقه ، واستعمل فيه القياس متوسعا فكان امام اهل القياس بين سائر الفقهاء ، او اشهرهم به . ومعلوم ان القياس ظاهرة عقلية في كل البشر ، فمن دأب العقل او عادته ان يقيس الشيء على غيره اذا وجد بينهما مشابهة ، وقد يخطيء او يصيب .

ولسنا نقطع بصحة هذه الحكاية ، وان كنا نأخذ بدلالتها ، وهي اتجاه الامام بقوة وكثرة الى القياس في الفقه حتى عرف كلاهما بالآخر .

واجد هذه الحكاية تحضرني كلما صادفت بعض اللغويين او غيرهم يخطيء لفظا بحجة انه لم يسمع عن العرب الفصحاء، وهذه حجة واهية مضللة اذا لم تعرف حدودها ، ونقف عندها من غير ان نتجاوزها ، فلا يجوز ان نتخذها وسيلة للحجر على العقول وحرمانها من التصرف في الكلام على وفق قواعد لغوية سليمة سائغة ، فان هذا التصرف هو الذي يجدد اللغة ويوسعها حتى تستطيع مجاراة الفكر في تأملاته وبدائعه ، وتتمكن من مجاراة الحياة في تصرفاتها المتجددة المتنوعة دائما .

وننظر الآن الى كلمة « زهور » جمع « زهرة » فنقول انها من الكلمات التي لم تزل تقابل عند بعض اللغويين بالانكار والمطاردة هنا وهناك ، فهم يبدئون ويعيدون في تخطئتها مع انها صواب ، ولهم في ذلك اغاليط يتخذون منها حججا وليس فيها شيء من حق ، منها ان الكلمة لم ترد في مرجع لغوى يعتد به وليست هذه حجة ، اذ المراجع على اختلافها لم تحصر لنا كل كلمات اللغة : ومنها ـ وهذا اضعف ، ان كلمة « زهور » مصدر للفعل « زهر » بمعنى ظهر واشرق وتلألأ (وهذه ليست حجة) فان الكلمات المشتركة بين الجموع والمصادر كثيرة واقربها الينا هنا كلمة « ظهور » فهي مصدر للفعل « ظهر » وجمع للاسم « ظهر » ايضا ، فورود مصدر على وزن معين لا يمنع من وروده ، بالصيغة نفسها جمعا .

« وفعول » شائع في كل اسم ثلاثي ساكن العين سواء كان مصدرا مثل ظن وظنون وشك وشكوك ، وفهم

وفهوم ، او دل على اسم مفرد سواء كانت فاؤه مفتوحة مثل فهد وفهود ونفس ونفوس او مكسورة مثل قرد وقرود ، ورجل ورجول (في الدارجة) او مضمومة مثل برج وبروج ، وقفل وقفول او كان جمعا او اسم جنس جمعي مثل : ورد وورود ، تمر وتمور ، وحب وحبوب ، وبقل وبقول ، وبذر وبذور ، وشعر وشعور ، وهذا النوع الاخير شبيه بقولنا « زهر وزهور » سواء قلنا في زهر انه جمع او اسم جنس جمعي (يفرق بينه وبين مفرده بهاء التأنيث « زهرة ») .

هذا على فرض ان كلمة « زهور » لم ترد في معجم ، ولكن يدعم حجتنا القياسية هذه ان كلمة « زهور » وردت في احد معاجمنا وهو « المصباح المنير » ، للفيومي (٧٧٠ هـ) ولكن لا في مادة « زهور » بل في مادة (روض) اذ ذكر في تعريف « الروضة » انها « الموضع المعجب بالزهور » وقد الف المؤرخ المصرى في عصر المماليك ابن اياس (١٥٢٤ م) كتابا سماه « بدائع الزهور في وقائع الدهور » وفيه يلخص تاريخ مصر منذ القدم حتى ايامه ، وله كتاب آخر سماه « نشق الازهار في عجائب الاقطار » وفي العنوان الاخير جمع « زهر » على ازهار ، وهو جمع سماعي ، وازهار تجمع سماعيا على « ازاهير » .

ونعود الى ما بدأنا به في الحكاية المنسوبة الى الامام ابي حنيفة في جمع كلب « على كلوب » فتقول انه صحيح قياسيا ، وان كان غريبا ، او لم يرد في معجم لان الجموع لا تعرف كلها من المعاجم ، بل تعرف من كتب « الصرف » على وفق ملاحظات العلماء في قواعدهم الصرفية ، ثم نزيد ان كلمة « كلوب » وردت في شعر لاحد معاصرى ابي حنيفة ، وهو بشار بن برد (١٦٦هـ) الذي يحتج بشعره منذ ايام سيبويه ، ففي قصيدة بائية يهجو بها ابا هشام الباهلي يقول :

افيقوا بني الزنجي ان سبيلكم سبيل أبيكم ، لحمه لكلوب
ومولى ابيكم فاطرحوه لأكلب ولا يدفن الزنجي بين ربوب *

فهنا ذكر جمعين : « كلوب » و « اكلب » وذكر « ربوب » جمع رب » بمعنى السيد ، وهذا الجمع سماعي ولكنه نادر الاستعمال ، والجمع الشائع « ارباب » .

ثم نعود فنقول ان ورود كلمة في مرجع موثوق به حجة لاثباتها وسكوت المراجع عنها ليس حجة لنفيها .

---

* انظر « ديوان بشار بن برد » $\frac{٢٦٥}{١}$ طبعة « لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ بالقاهرة

هذا جزاؤك !

● وقف اعرابي مشوه الفم امام احد الولاة يلقي قصيدة يمدح فيها هذا الوالى التماسا للمكافأة ، ولكن الوالي لم يأمر له بها ... ولم يكفه هذا المجال بل سأله ما بال فمك معوجا ؟

فقال الاعرابي : لعله عقاب من الله .. فقال الوالى : ولأى شيء عاقبك الله .؟ قال الاعرابي : « لكثرة ما كذبت عليه بالثناء الباطل على بعض الناس ! »

في بحث ميداني يثير الانتباه

أسماء المصريين ودلالاتها الإجتماعية

بقلم : يوسف القعيد

ماذا يتوصل اليه الباحث الاجتماعي المدقق ، اذا تتبع الاسماء التي يطلقها الاباء على ابنائهم جيلا بعد جيل .. ؟ ، وسعى الى استنطاقها والوصول الى دلالاتها المتعددة .. ؟

انه سيقدم بالضرورة صورة لمجموعة القيم السائدة ، التي تجد في الاسماء تعبيرهابصورةمختزلة ومكثفه ، ويلقى الضوء على الزعامات الراسخه في وجدان الشعب ، سواء كانت سعد زغلول في مرحله ، او جمال عبدالناصر في مرحلة اخرى .

وهذه الدراسة قامت بها باحثه مصريه هي الدكتورة ساميه الساعاتي ، التي اختارت ميدانا لبحثها احدى قرى ريف مصر في محافظة المنوفية ، وحيا بارزا في مدينة القاهرة ، هو(مصر الجديده) .

ان اسم الانسان هو اول صفة اجتماعية مميزة يضيفها المجتمع ممثلا في الوالدين ، حتى تكون له صفة اجتماعية ذات طابع معين . وهذه الصلة تربط ذات الانسان بالآخرين ، والتسمية هي اول فعل اجتماعي يتخذ من قبل الوالدين يؤثر في حياة الطفل وشخصيته ، فالاسم هو اول وسيلة يدخل بها الشخص الى المجتمع .

ودراسة الدكتورة سامية الساعاتي استاذة علم الاجتماع المساعدة بجامعة عين شمس تنصب على الاسماء دون الالقاب . وهي تتناول ظاهرة الاسماء من زاوية اجتماعية ثقافية . وتقول من البداية عن الدلالات الاجتماعية للاسماء ، ان التسمية مهما كانت لها منطق ، وهي تعبر بصورة مختزلة ومركزة عن القيم الشائعة في ثقافة المجتمع ، فشيوع الاسماء الدينية بصفة خاصة في الثقافة المصرية يدلل على قيم الوالدين في هذا المجتمع ، ومن هذا المنطلق يمكن القول ان التحليل الاجتماعي للاسماء يمكن ان يقود الى استقراء خصائص تعد من ابرز الخصائص القومية للثقافة المحلية ، والاسماء تعكس قيم من يقومون باختيارها ، بل انها تعطى صورة واضحة عن سلم القيم لديهم ، وتعد الاسماء دالة اجتماعية على التغير الاجتماعي ، وهي مؤشر لتاريخ الامة والمسهمين في اهم احداثها ومنجزاتها .

ويمكن ان تعد الاسماء موجهات للسلوك ، وذلك بعد أن يكبر اصحابها ويصبحوا واعين اجتماعيا بمعاني



اسمائهم ومغازيها ، ومشكلة اختيار اسم المولود هي اول مسألة اجتماعية تصادف الوالدين ، وقد يشارك فيها اهل الزوج والزوجة وبعض المعارف ، وهي تعكس نمطا من العلاقات داخل الاسرة ، وقد تبرز السيطرة او المشاركة او التنازل ، اما صلة الاسماء بالبناء الاقتصادى فواضحة ، وهي تنتشر من الطبقات العليا الى الطبقات الدنيا .

وللاسماء علاقة بالبناء السياسي . يتضح ذلك من انه في ظروف سياسية معينة قد تحرم اسماء بذاتها ، كما ان للاسماء علاقة بالاقليات ، وتنتشر من الحضر الى الريف كموضة وليس العكس ، كما انها تنتقل من الريف الى المناطق الشعبية في المدن في شكل هجرة داخلية . وتتبع (موضة) الاسماء في انتشارها خطا يشبه انتشار اى (موضة) ، وتأتي في موجات اثر موجات ، وتعكس الاسماء تأثيرات مختلفة على الفرد في تعامله اجتماعيا ، فقد تزيد او تقلل من احتمال قبوله او رفضه الاعمال ، او من فرص اندماجه في المجتمع او عزوفه وعزلته ، ويتضح ذلك جليا فيمن يغيرون اسماءهم . كما تؤثر وسائل الاعلام المختلفة على انتشار اسماء معينه !

لقد اختارت الباحثه عددا من اسماء المواليد في الفترة من ١٩٥٠ الى سنة ١٩٧٥ وذلك باعتبار ان فترة خمسة وعشرين عاما هي فترة كافية لملاحظة التغير الاجتماعي الذي طرأ على ظاهرة الاسماء والتسمية ، ولهذا اختارت الباحثة مائة اسم لكل سنة .

ماذا تقول الاسماء .. ؟

قسمت الدراسة الاسماء بحسب دلالتها ، واولها الاسماء الدينية الاكثر انتشارا ، ثم الاسماء القومية التي ترتبط بظرف سياسي او قومي خاص ، والاسماء القيادية التي تعكس تصور الاباء للمثل الاعلى ، والاسماء الغريبة التي يختارها البعض في ريف مصر تحت وهم انها تمنع الحسد ! والاسماء الشعبيه مثل شيحة وامونه ، والاسماء الموقفيه مثل هديه وعطيه ، والاسماء اللقبيه مثل هانم والسيد ، واخيرا الاسماء العصرية ...

تبدأ الباحثة بالريف اولا وهي تجد ان الاسماء الدينية قد احتلت مركز الصدارة بالنسبة لكل من الذكور والاناث ، وبالنسبة للذكور تقدم اسم محمد ، اما بالنسبة للاناث فقد كان اسم فاطمة في المقدمة ، وفي سنة ١٩٧٥ انحسرت موجة الاسماء الدينية بشكل واضح حتي بلغ حوالي النصف تقريبا ، وخاصة بالنسبة للاناث

بصورة فتحت المجال امام الاسماء العصرية . وهذا يؤكد ان الاسماءمن مؤثرات التغير الاجتماعي ، وخاصة ان الاسماء الدينية تتعلق باهم القيم الراسخة في القرية المصرية وهي القيم الدينية . اما بالنسبة للاسماء القومية ، فقد وجد اسمان للاناث في سنة ١٩٥٠ من بين المائة هي اسم : دولت وحكمت ، وقد كانا من الاسماء الشائعة في ذلك الوقت ، اما في سنة ١٩٧٥ فلم يكن هناك اتجاه الى الاسماء التركية ، كما كان موجودا من قبل ، بالاضافة الى ان الاتراك لم تعد لهم اي سطوة بالنسبة للشعب المصري ، وفيما يتعلق بالأسماء القيادية يلاحظ ان هناك اسما قياديا واحدا بالنسبة للذكور في سنة ١٩٥٠ ، وهو فاروق ملك مصر في ذلك الوقت ، اما بالنسبة للاناث فالاسماء هي : فوزية وفتحية وكانتا من شقيقات الملك السابق . اما الاسماء القيادية في سنة ١٩٧٥ ، فكانت لاسماء قيادية سياسية ، وقد تكررت ثلاث مرات فقط .

وبالنسبة للاناث فكانت الاسماء القيادية اسماء فنية مثل نجلاء، وهويدا ونورا وليلى ، وهذا يدل على تأثير وسائل الاعلام على الجماهير في اختيار الاسماء ، اما الاسماء الغريبة والمذمومة فهناك اتجاه الى اندثارها ، ولكنها رغم ذلك موجودة في قلة نادرة وهي تستخدم لابعاد الحسد فالطفل يسمى باسم متفرلكي يعيش ولايحسده أخرون ، وبالنسبة للاسماء الفولكلورية والشعبية نجد ان في سنة ١٩٥٠ كان حظ الذكور منها ضئيلا ولانجد سوى اسمي حمدان وشيحه ، اما بالنسبة للاناث فان حظهن يبدو اكبر فقد برزت أسماء تبويه ، نفوسة ، امونة ، في سنة ١٩٧٥ هبطت نسبة هذه الاسماء بالنسبة للذكور والاناث ، معا ، وتصل الباحثة الى الاسماء (الموقفية) وهي التي تبين موقف الأسرة من المولود ، في سنة ١٩٥٠ هناك اسماء مثل عطية ، مبروك ، شاكر ، نفس الموقف نجده سنة ١٩٧٥ ، وان اختلفت نوعية الاسماء حيث نجد اسماء رضا ، سعيد ، نعمة ، هدية ، غالية ، وان كانت هذه الاسماء قد قلت في الفترة الاخيرة عنها في الفترة الاول ، وهذا يتمشى مع طبيعة الاسرة ، ويمكن تعليلها بان الاسماء الموقفية لن تندثر ابدا او تقل لانها تدل على احداث هامة في حياة الاسرة . وكل اسرةتمر في حياتها باحداث هامة يحتمل جدا معها ان تؤثر في تسمية احد ابنائها او اكثر .

اما الاسماء الفألية فيقل ورودها في سنتي ١٩٥٠ ، ١٩٧٥ على السواء ، وهي الاسماء التي تعكس حالة من التفاؤل بالمستقبل ، الاسماء اللقبية كانت قليلة ، في العامين ، وهي تدور حول لقب السيد وبالنسبة للمرأة قليلة ايضا وتدور حول ملكة وهانم وست الدار . الاسماء العصرية زادت في سنة ١٩٧٥عنها في سنة ١٩٥٠ سواء بالنسبة للذكور او الاناث وان كانت زيادتها في الاناث اكثرمن الذكور ، حيث تصل الى نسبة ٥٠٪ من الاسماء بكل عام .

الاسماء العصرية ايمن ، اشرف ، ياسر ، وبالنسبة للبنات : منى ، امل ، رنده ، هبة ، وقد حدث ذلك لان الطبقات الدنيا في القرية ، حاولت تقليد الطبقة العليا ، وهذه العليا تحاول استخدام الموضة السائدة في الأسماء ، والتي مصدرها المدينة . وهذه الاسماء تصل من المدينة الى القرية بسرعة بسبب اجهزة الاعلام . وهناك سبب آخر هام ، خلال الفترة من ٥٠ الى ١٩٧٥ ساعد على انتقال الاسماء من الاغنياء الى الفقراء بسرعة ، وهو مجرد موقف فكرى يدعو الى تذويب الفوارق بين الطبقات ، فهيأ ذلك الافراد لتقبل الجديد من الاسماء ، وبانها مشاع بين الجميع ولا تقتصر على فئه او طبقة واحدة .

اسماء المدن : ماذا قالت ؟

بعد هذا انتقلت الباحثة الى حي مصر الجديدة وهي من سكانه اصلا . واول الملاحظات بالنسبة للاسماء الدينية انه من سنة ١٩٥٠ ، احتلت هذه الاسماء المرتبة الاولى لدى الذكور ، ولكنها لدى الاناث تراجعت الى المرتبة الثالثة بعد الاسماء العصرية والقيادية . اما في سنة ١٩٧٥ فقد تراجعت الاسماء الدينية بالنسبة للذكور الى المرتبة الثانية ، بعد الاسماء العصرية ، ولكنها مع ذلك ظلت واسعة الانتشار ، اما بالنسبة للاناث فقد انحسرت هذه الاسماء بشكل واضح

ولعل في التغيير الذى حدث بالنسبة للاسماء الدينية دليلا على التغيير الاجتماعي الذى يتعلق بقيم راسخة في الثقافة المصرية الا وهي القيم الدينية ، ويلاحظ ذلك بصورة خاصة في اسماء الاناث التي تتجه اتجاها مطردا نحو الاسماء العصرية ، ولعل ذلك يتفق مع طبيعة الحياة العصرية في التعلق بالموضات وفي تبني الجديد ، وفيما يختص بالاسماء القومية فلم يكن هناك سوى اسم تركي واحد يذكر في سنة ١٩٥٠ وهو اسم ثروت ، اما في سنة ١٩٧٥ ، فهناك اسمان تركيان هما : انور ومدحت . بالنسبة للاناث فان الاتجاه كان نحو الاسماء القومية وبخاصة الفارسية والتركية يتزايد في سنة ١٩٥٠ ، وكانت هناك اسماء مثل نازلى ام الملك السابق وكاريمان وهو اسم عربي تركي يعني الكرم ، وفوزية وهو اسم اخت الملك ، في سنة ١٩٨٥ زاد الاتجاه نحو الاسماء

القومية من تركية وفارسية وهندية واجنبية حيث نجد انتشار اسماء فارسية مثل باكينام وشاهيناز (دلال الامبراطور) ، وماهينور (نور القمر) ونسرين . ومن الاسماء الهندية المنتشرةحديثا اسم نيرفانا واسماء اجنبية مثل داليا وهو اسم زهرة فرنسيةوكاميليا وتانس وماجي ، وكل هذه الاسماء يعود الى ولع سكان الحضر بالجديد دائما ، وبالتمسك بالموضات ، والبحث عن اسماء منفردة وبعيدة عن الشائع .

بالنسبة للاسماء القيادية في سنة ١٩٥٠ تردد اسم كمال اربع مرات ، وهو اسم الممثل كمال الشناوي الذى كان الفتى الاول على الشاشة في ذلك الوقت ، ولكن في سنة ١٩٧٥ لا تتكرر هذه الظاهرة ، بالنسبة للاناث ، يكثر الاتجاه في كلا العامين ٥٠ ـ ١٩٧٥ الى الاسماء الفنية صباح ، وهدى ، شادية ، وكاميليا ، فاتن ، نورا ، ووردة . وفي سنة ١٩٧٥ لا يوجد اسم واحد من الاسماء الغريبة التي تستخدم لمنع الحسد سواء بين الذكور او بين الاناث ويتضح من ذلك وعي الحضريين باختيار الاسماء ذات المعاني الحلوة .

اما الاسماء الفولكلورية فتقل ايضا جدا ، في سنة ١٩٥٠ كان هناك اسم واحد هو زناتي . وبعد هذا انقرضت هذه الاسماء ، وذلك دلالة على اثر التغير الاجتماعي في اختيار الاسماء والاتجاه الى اسماء عصرية حضرية .

والموضة المتعلقة بالاسماء محبوبة لانها غريبه وطريفه ، والى جانب عنصر الجدة ، هناك عامل آخر له سحره في تصميم سحر الموضة في الاسماء وهو عنصر الامتياز الذى تخلعه الموضة على الشخص الاخذ بها ، كما ان ظهور موجات من الاسماء تنتشر على نطاق واسع في المجتمع ، ثم لا تلبث ان تصبح مألوفه وعامة فتفقد حيويتها ومميزاتها الاساسية وهي الجدة والطرافة ، ويتركها الناس لغيرها ، وهذا ما يفسر انتشار بعض الاسماء التركية في زمن بعيد ثم الاسماء الفنية في زمن آخر . والان نجد موجة الاسماء العربية التي يعد الكثير منها قديما . ولكنه جديد على الاذان الحديثة . وهناك اهتمام اكبر بتسمية الفتاة باسماء عصرية ، وهذا مرتبط بخروج الفتاة الى الحياة ، ولان الاسم جزء من الشخصية وجواز المرور في شتى المجالات .

وفيما يتعلق بالاسماء القبطيه فقد تبين ان حي مصر الجديدة يضم ، كثيرا من المواطنين المسيحيين ، وبتحليل اسمائهم تبين ان هناك تغيرا اجتماعيا قد طرأ على اسمائهم ، فبعد ان كانت معظمها اسماء مسيحية مقصورة على المسيحيين سنة ١٩٥٠ فانها قد اتجهت مؤخرا الى اسماء مشتركة او محايدة سواء في الاناث او الذكور .

مقارنة

وتقيم الدكتورة سامية الساعاتي مقارنة بين نتائج الريف والمدينة ...

ـ قل الاتجاه نحو الاسماء الدينية في الريف والحضر على السواء وبخاصة بالنسبة للاناث ، وذلك في مقابل الزيادة الهائلة في الاسماء العصرية ، والغريب ان قلة الاسماء الدينية تزيد في الريف عنها في المدينة . ويمكن تعليل ذلك باتجاه الريفيين الشديد الى ترك الاسماء التقليدية والنزوع الى تقليد الحضريين الى جانب التأثر بوطأة وسائل الاعلام ، اما الحضريون فينزعون الان الى العودة الى التراث ، لان هذا القديم انما هو جديد بالنسبة للاسماء الحضرية الشائعة .

ـ وفي القرية يزداد الاتجاه الى اختيار اسماء قيادية ، وهذا الاتجاه يقل جدا ولا وجود له في المدينة ، وكذلك هناك ندرة شديدة في الاتجاه الى الاسماء الغريبة او المذمومة سواء في الريف او المدينة .

ـ وكذلك قل الاتجاه الى الاسماء الفألية سواء في المدينة او الريف . سواء بالنسبة للرجال او النساء .

ـ كما قلت الاسماء الشعبية او الفلكلورية في الريف والحضر . وقلت كذلك الاسماء اللقبية . وليس هناك تغير يذكر بالنسبة للاسماء الموقفية وهي الاسماء التي تحدد موقف الاسرة من المولود .

وفي مقابل ذلك تزايدت نسبة الاسماء العصرية بشكل ملحوظ بالنسبة للذكور والاناث على السواء في كل من الريف والحضر ، وان كان تزايدها اكثر بالنسبة للريف .

ويمكن ان يعلل ذلك بان التغيير الاجتماعي المتعلق بالاسماء والتسمية اوضح منه في الريف عنه في الحضر . فالريف يتجه الى العصرية في الاسماء بشكل بالغ ، ويسهم في ذلك عوامل طبقية وعوامل اعلامية وعوامل محاكاة الموضة الجديدة ، اما في الحضر فقد سبق التغير الاجتماعي في الاسماء المتعلق بالاتجاه الى الاسماء العصرية التغيير الاجتماعي المماثل في الريف بسنوات كثيرة . لذلك كان الاتجاه الى العصرية امرا مفروغا منه في الحضر ، ولهذا فانه لا يلفت النظر كثيرا كما في الريف . ■■

يوسف القعيد



هؤلاء الفنانون يحاولون إقلاقك !

بقلم : الفاروق عبد العزيز

السيد « فرصة » : طفل بريء يخطو نحو البيت الابيض !

هذه مجموعة من العروض السينمائية الجديدة ، الجادة والساخرة ، التي تطرح صورا مختلفة من عالم اليوم ، تتراوح بين فرصة الترشيح للرئاسة في امريكا ، الى الصارخات من نساء العالم عند فيلليني ، مرورا بالسخرية من صانعى التاريخ في اليابان .

انها ليست شواغل مجموعه من الفنانين العباقرة ، ولكنها ايضا صور لواقع نعيشه في هذا العصر .

« في الحديقة ينمو كل نبات في اوانه
فاذا كان هناك الربيع الذي يعقبه الصيف
فان هناك ايضا الخريف الذي يعقبه الشتاء
ثم يحل الربيع والصيف ثانية
وطالما ان الجذور سليمة فان كل شيء على ما يرام

هكذا تحدث السيد تشونسي غاردنر (المعروف سابقا باسم تشانس « اى فرصة » البستاني) الى رئيس حكومة الولايات المتحدة الأمريكية عندما لقيه الرئيس الامريكي مصادفة في بيت صديق له من كبار السياسيين.

لقد عاش السيد تشانس (بيتر سلرز الذي مات في يوليو الماضي) طوال حياته (بالمعنى الحرفي طوال حياته) في منزل الرجل العجوز الذي لم تره لان الفيلم يبدأ بموته . ولم تشاهد من الاحياء في منزل السيد الرجل العجوز سوى الطباخة العجوز لويز . وبرغم انه كان محروما من نعمة القراءة والكتابة وبرغم انه لم يخط خارج المنزل ولو لمسافة شبر واحد فقد كان عالمه الخاص مكتملا ويبدو انه لا ينقصه شيء : فهو يهتم في سعادة بالحديقة ويقضي كل اوقات فراغه في مشاهدة التلفزيون . التلفزيون هو الوسيط الحي الوحيد بينه وبين العالم .

وعندما يموت الرجل العجوز يغلق المنزل ويطرد تشانس بواسطة منفذي وصيته . ويمضي تشانس وحيدا لاول مرة في حياته في شوارع واشنطن دى . سي العاصمة . يلتقيه المراهقون الضائعون ويقع له حادث طفيف حين « تلمسه » سيارة ليموزين فارهة . وتصر السيدة ايف راند (شيرلى ماكلين) على اصطحابه في السيارة الى حيث تسكن مع زوجها الثرى بنجامين (ملفين دوجلاس) ».

وعندما يزور رئيس الولايات المتحدة منزل صديقه بنجامين يدور هذا الحوار حول الحديقة والفصول الاربعة والجذور الراسخة القوية في التربة . ويستمع الرئيس في دهشة وذهول . فهو يتصور ان السيد تشانس يتحدث بلغة رمزية ذات معنيين . يقول له : « يا سلام .. يا سلام .. يا للحكمة ».

ويردد معاونو الرئيس نفس الكلام . كل ذلك دون ان يدرك احد انه امي وانه لا يعلم شيئا الا عن النباتات والجذور ...

كوروساوا بين الحاكم والبديل : نظرة ساخرة الى التاريخ .



وينطلق معاونو الرئيس في « دراسة » كلمات تشونسي ويحلل المفسرون معناها بأنه دعوة الى الامة بتعهد الجذور وتنقية التربة لزراعة صحية ..

الآلة الدعائية

وتنطلق الآلة الدعائية الجهنمية الاميركية لتسبر غور واعماق السيد تشونسي . لقاءات تلفزيونية واحاديث صحفية والكل مغرم بالحديقة والجذور .. وعندما يسألونه عن اي شيء (حتى مشكلة برلين !) يتحدث عن الحديقة والجذور ..

ويدعى تشونسي الى احدى الحفلات الدبلوماسية حيث يلتقيه سفراء من دول مختلفة ، وتنطلق الشائعات حول اتقانه للغة الروسية وبعدما يلتقي بالسفير السوفياتي يبتدره بالحديث عن الحديقة فيقول السفير : « اعلم انك تتقن الروسية » ويضحكان .. وتنتهي الحفلة والسيد الامي يتقن ست لغات !!

اهم ما هنالك هو ان تشانس ليس مكارا او خبيثا . انه طفل خرج لتوه الى العالم باحاسيس ورؤى الاطفال . والاهم ايضا ان السيد بنجامين يوصي قبل ان يموت بأن يتمتع تشانس بجزء محترم من امبراطوريته بالاضافة الى تزويجه زوجته ايف بعد موته ..

وكانت ايف التي تشعر بالحرمان قد حاولت أن تغرى السيد تشانس بمعاشرتها ولكنه رفض في إباء . والسبب انه لا يملك اى تجربة سابقة ! . وتظن هي بالطبع انه تمنع لسمو اخلاقياته . وتقول بعد محاولة شاقة وهي تبكي : « آه لقد طهرتني من مشاعري الآثمة . آه كم كنت دنيوية .. »

واثناء جنازة السيد بنجامين ، بحضور رئيس الحكومة يدعهم تشانس ليمشي قليلا اثناء تلاوة المراسيم الى النهر القريب ويمضي تشانس الى ان نراه يمشي على الماء .. ورجال الرئيس يتحدثون عن ضرورة ترشيحه لانتخابات الرئاسة القادمة .. « ففرص فوزه مضمونة » ..

وكأن هذا هو كل ما كانت اميركا تنتظره . مخلص (بتشديد اللام) امي يهز الجذور في اعماق التربة الخامدة الفاسدة ويبعث الحياة في النباتات الجديدة ويمشي على الماء .

صدق . لا بد ان تصدق ، فهذا يمكن ان يحدث في اميركا .. فتركيبة المجتمع تقوم على « الفرصة » وقد اختار المخرج هال اشبي ان يقدم « فرصة » مجسدة في شخص هو رمز لفلسفة مجتمع باكمله . إننا نجد تشونسي ينتقل من عالم الى عالم ويرشح لدخول عالم ثالث بخفة غير عادية انها فرصة وقانون يعتمد المصادفة اساسا له .

ويكشف الفيلم في سخرية كوميدية تراجيدية عميقة عن الخواء الروحي للحضارة الغربية بوجه عام والتركيبة الاميركية بوجه خاص . فالدور الذي يلعبه التلفزيون وآلة الدعاية الاميركية لا يقل اهمية عن دور الرئيس نفسه . والمؤكد ان هذه الآلهة هي التي تملك تحسين او تشويه صورة الرئيس بما يؤثر على قراراته وسياساته .

« ان يكون هناك » هو ثامن افلام هال اشبي الذي نال الاوسكار عام ١٩٦٧ كمونتير عن فيلم نورمان جويسون « في غيب الليل » ... وافلامه هي « الملك » و « هارولد ومور » و « التفصيلة الاخيرة » و « متجه الى المجد » و « شامبو » و « العودة الى الوطن » و « قلوب مستعملة » .

ان اداء سيلرز في « ان يكون هناك » كان ممتازا واستحق بجدارة الاوسكار هذا العام . لم ينل الجائزة حتى اسفت اللجنة على ذلك .

كل هذا الـ ...

« كل هذا الجاز » .. كل هذا الكلام الفارغ .. كل هذا اللمعان والتلألؤ .. كل هذا المراء .. هو موضوع آخر افلام مخرج الاستعراض الاميركي الشهير بوب فوس كل هذا الجاز ـ الضجيج الفارغ الزاهي الألوان هو الحياة ذاتها . تبدأ بالرغبة في الرقص فوق بدنها الممتد عبر المسارح والشوارع (الفن والواقع) وتنتهي بابتسامة جانبية ساخرة وشيء اسمه الموت .

لا يهم ان نعرف متى يزورنا ولكننا نعرف انه آت و « اين » ؟ اين ؟ فلنحاول الاختيار . واذا اخترنا فعلينا ان نرقص ونغني له ولا بأس ان نضعه في استعراض طويل قاتم نراه كالحياة ذاتها ولنسم اغنيتنا : وداعا ايتها الحياة . ولنضعها داخل فيلم يسمى حقيقة الحياة ذاتها وينظر اليها بعين باردة كعين الموت . ها هو فوس يقدم فيلمه الرابع بعد « تشاريتي الحلوة » (١٩٦٨) والذي كان نجاحا فنيا حقيقيا وفشلا تجاريا مروعا . ثم « كاباريه » (١٩٧٢) والذي اصاب نجاحا مزدوجا هذه المرة وحقق له شهرة عالمية خاصة بعد فوزه بالاوسكار . وكان الثالث هو « ليني » (١٩٧٥) وفازت عنه فاليري



جو جيديون يحادث ملهمته : كيف يقهر الفنان الموت ؟

بيرين بجائزة احسن ممثلة في كان ذلك العام .

راقص ومصمم رقصات وكاتب ومخرج وممثل منذ مطلع الخمسينات في المسرح والسينما والتلفزيون يلبس الاسود دائما الذي لا يعني عنده الموت بحال وعلامته التجارية المسجلة (!) سيجارة تتدلى من جانب فمه ..

هكذا كانت صورة روى شايدر (جو جيديون) الذي لعب دور فوس في فيلمه . ولان « كل هذا الجاز » هو نقد ذاتي عن فنان يرى حياته وموته من خلال استعراض فقد كانت المسألة من الصعوبة بمكان على ممثل من نوع روى شايدر الذي تخصص تقريبا في دور الشرطي . فأشهر افلامه « العلاقة الفرنسية » (١٩٧٤) لوليام فريدكين و« الفك المفترس » لسبيلبرج بجزئيه تقدمه كشرطي طيب القلب . كان شايدر ملاكما في مقتبل حياته . وكان حصوله على ضربة قاضية في انفه السبب الوحيد لاعتزاله .. وكان يتصور انه سيقوم بادوار تجمع بين العنف والطيبة اذا ما فتحت له السينما ابوابها .

« كل هذا الجاز » هو تقرير ذاتي لفنان قرر ان يعاين موته ويجعله « نمرة » في سلسلة حياة استعراضية طويلة .. مثل هذه الموضوعات تتطلب بذخا في الانفاق .. تدريبا ورقصات خاصة ... « مونتاج » يقوم به راقص ومونتير في وقت واحد . كل هذا استطاع بوب فوس ان يوفره . فشذرات (الحياة) التي يقدمها داخل الاستعراض تمتزج بشذرات حياته وافكاره الخاصة . تختلط برؤيته الى الحد الذي يصعب عليك (من الوهلة الاولى) ان تميز موقع الحياة من الفن .

وهذه هي في اعتقادي ذروة نجاح فوس . فبقدر ما تدهشك الاستعراضات (الى حد الخيال) بقدر ما يدهشك هذا الامتزاج في عقل فنان . وقد كان اليوت يقول دائما ان « عقل الفنان الخالق هو بمثابة معمل كيميائي جبار » . وقد برهن فوس على ان لديه مثل هذا العقل .

التساؤل حول الموت او السخرية منه قد يكونان من الامور السهلة في الحياة الواقعية ، ولكن في الفن ؟ المسألة غاية في الصعوبة ، والا ستجد نفسك تنقلب الى واعظ او الى مهرج يضع الاصباغ على وجهه ويستدر عطف الناس وتحدر الدموع على وجهه .

كل هذا الكلام الفارغ ليس ملحمة او عملا خارقا ولكنه ببساطة عمل رائع تخطى حدود الشهادة الذاتية ليدخل في مرحلة الفن الخالص .

ان موت جيديون في النهاية لم يكن عملا « طبيعيا » ولكنه من صميم العمل الابداعي ذاته .. وهذا هو ما يجعل من « كل هذا الهراء » عملا موسيقيا من الطبقة الاولى .

●

نيك : هل انت راغب في عرض كل شيء ؟
فيم : انني راغب في عرض كل ما يجب عرضه
نيك : انت راغب في عرض كل شيء والا فانك لن تكون حرفيا ، لن تكون فنانا والفن يعني العرض ، العرض الذاتي .
فيم : ان نوع العرض الذاتي لدى سيختلف بالضرورة عن النوع الخاص بك . بالنسبة لي لا يتعين على ان اواجه موتي . على ان اواجه موتك انت .

فيم : لقد كنت اعلم بأنه يريد ان يعمل وأن يموت وهو يعمل .

نيك : يا لله انني مريض ولكن ليس بسببك . لست ادرى لماذا ، لست ادرى لماذا .. آه على ان امضي الآن . لقد بدأت اشعر بالاغماء .. اللعنة (بالفرنسية) اللعنة (بالالمانية) .. « أوكي » لقد انتهيت . حسنا ؟ ماذا ستفعل الآن ؟

فيم : اقول « اقطع » .

نيك : هيا قل « اقطع » .
فيم : قل انت « اقطع » .
نيك : هيا اقطع . اقطع . هيا هيا اقطع .
فيم : لا تقطع
نيك : لا تقطع . اقطع .

ثم سقط نيك على الارض واهتزت الكاميرا وانتهى الفيلم بالعبارة التالية : وتوفي نيك في ٢٥ ابريل عام ١٩٧٩ .

كان المقطع السابق هو آخر كلمات الحوار التي تبادلها المخرج الالماني الشاب فيم فندرز (٣٥) عاما مع المخرج الاميركي الراحل نيكولاس راى الذي مات في العام الماضي اثر اصابته بالسرطان . وقد ترك حوالي ٣٢ فيلما . اهمها « ملك الملوك » و « ٥٥ يوما في بكين » .

وقد توقف راى عن العمل منذ عام ١٩٦٣ بسبب اصابته بالسرطان ولم يعد الا بعد عشرة اعوام في مشروع مع مجموعة من طلبة السينما . الفيلم اسمه : برق على الماء ، وهو في حقيقته لقاء طويل مع رجل يعلم انه في طريقه الى الموت اليوم او غدا . ينتظره ولكنه يعمل . ويستغرق زمن الفيلم حوالي الساعتين تمثلان العام الاخير من حياة راى ولكن ما هو البرق الذي يلتمع على صفحة الماء ؟

سنابوراز في متحف المرأة : هل هذا خيال ام واقع .



ثمة مركب صغير يمضي وحيدا فوق صفحة مياه نهر هدسون بلا هدف عبر نيويورك المدينة التي اختار ان يموت فيها . وموفيلا (اله التوليف) تتدلى منها بكرات افلام .. والافلام تمتد شرائط تكاد تلامس الماء .. والمدلول هنا واضح وهو العنصر الذي يربط ـ بتكراره من حين لاخر ـ البناء العام للفيلم .

نيكولاس راى يعلم انه سيموت ، ولكنه يريد الخلود في الفن . يريد ان يرى موته والكاميرات تحيط به يتكلم ويمثل « نفسه » للمرة الاولى والاخيرة في حياته . يقدم شهادة واقعية لرجل ميت . يبحث عن الخلود في الفن ويتحدى الموت القادم والذي علم بمقدمه منذ سنوات

وطوال عام ١٩٧٨ واوائل ١٩٧٩ اجرى نيك ثلاث عمليات جراحية .. سرطان في الرئتين وآخر في المخ . وذهبت لزيارته في المستشفى عدة مرات . ويبدا الامر معجزة بالنسبة لي حين تخيلت كيف امكن له ان يعيش بعد الضعف البدني والعقلي الذي تعرض له . كان رائعا وشجاعا كعادته . ولكن كان من الواضح انه لم يعد يملك اية طاقة لاخراج اى فيلم وخلال مكالمة تليفونية جاءتني فكرة اخراج فيلم مشترك ..

وتحول الفيلم الى عمل عن صناعة الافلام .. ولان طاقة نيك كانت آخذه في التلاشي بسرعة تحول الى فيلم عن « رجل يريد ان يستجمع نفسه ومرة واحدة قبل ان يموت » كنوع من استعادة تقدير الذات ، على حد تعبير نيك نفسه في الفيلم ، وهو فيلم عن رجل آخر ، هو انا ، يشعر بأن الرجل الآخر يريد بل هو في حاجة الى الفيلم لكي يساعده على الموت او حتى : يقتله » .

والفيلم ـ الذي يسترسل دون تعليق او حواشي او ادعاء زائد ـ هو في مجمله تساؤل حول معنى الخلود في الفن . فهذا نيكولاس راى يعاين موته ويجعل من موته دورا في احد الافلام ولكنها المرة الاولى والاخيرة التي يموت فيها حقا دون ان يمثل الموت . والسؤال هو : كيف يفكر فنان ما في تخليد « نفسه » فوق شريط السيلولويد (شريط الفيلم الخام الذى يتم التصوير بواسطته) العادة ان يخلد الفنانون من خلال اعمالهم ولكن تجربة راى نيم تجربة فريدة من نوعها تطرح تساؤلات بأكثر مما تجيب .

« ظل المحارب »

بعد مضي خمسة اعوام على عرض احدث افلامه « درسو اوزالا » ، عاد اكيرا كوروساوا الى السينما ! وكانت عودة شعر معها كل محبي هذا الفن وفن هذا الياباني العملاق بان السينما في الشرق الاقصى لا تزال بخير . فكوروساوا هو مؤشر صعود وسقوط السينما اليابانية منذ عرض فيلمه « راشومون » قبل ثلاثين عاما .

وفي العام الماضي قدمنا تحليلا لاحدث افلام المخرج الامريكي فرانسيس كوبولا « الرؤيا الآن » الامر الذى يدفعنا الى القول بان ثمة علاقة بين كلا العملين . فكلاهما ملحمة تاريخية ومعاصرة عن موقع من مواقع الأزمة الانسانية . وكلا الرجلين ـ مع بعض الفوارق ـ يعتبران اليوم مؤشرين من مؤشرات الابداع السينمائي الخلاق في بلديهما .

ومن المصادفات العجيبة ان ثمة علاقة خاصة بين كوبولا وكوروساوا . اذ لولا الاول لكان من المحتمل ان كان كوروساوا (٧٠ عاما) في عداد المنتحرين الان

في عام ١٩٧٨ تدخل كوبولا وجورج لوكاس (« ت . هـ . اكس ١١٣٨ » و « نقوش امريكية » و « حرب النجوم ») لدى ألان لاد الابن الذى كان يرأس شركة فوكس للقرن العشرين انذاك لاقناعه بتمويل فيلم للفنان الياباني العملاق . وبعد اشهر قلائل وافق الان لاد الابن على تمويل الفيلم بستة ملايين دولار . مبلغ تافه لتكلفة انتاج اى فيلم اميركي عادى . ولكن المبلغ يعادل في اليابان ثلاثة اضعاف تكلفة فيلم ضخم . ومضى كوروساوا ينفذ فيلمه الذى استغرق تصويره ١٨ شهرا متواصلة ...

لم ينقذ كوروساوا من الانتحار مرة أخرى الا عرض باخراج فيلم في الاتحاد السوفياتي ، وكانت ثمرة هذا اللقاء فيلمه الممتاز المعجز ببساطته « درسواوزالا » في عام ١٩٧٥ . فاز الفيلم بجائزة مهرجان موسكو الكبرى

وبترشيحات اوسكار احسن فيلم اجنبي وجوائز اخرى .

ولكن لماذا ينتحر كوروساوا ؟

الاجابة ببساطة انه يلجأ الى الانتحار لنفس الاسباب التي تدفع اى منتحر الى الانتحار .

الاخفاق او الشعور بالاخفاق في مواجهة العالم والشعور بأن هذا العالم اكبر منه .

ورغم تقدير كوروساوا كفنان سينما عالمي منذ مطلع الخمسينات الا ان التيار الاساسي في السينما اليابانية لا

يحتفل به والمنتجون يخافون من التعامل معه . والرجل يصر على ان ينتج أفلامه في اليابان حيث ارضه وتقاليده وتراثه . وقد تلقى كوروساوا خلال الاعوام الثلاثين الاخيرة عروضا مختلفة للعمل خاصة في هوليوود ولكنه كان يرفض في اصرار : « كيف تخلع انسانا عن جذوره وتربته ... المؤكد انه لن يكون يابانيا ولا امريكيا ... سيكون مسخا أبله .. » .

في « ظل المحارب » يعود كوروساوا الى يابان القرن السادس عشر .. حيث كانت اليابان تمر بأزمنة الحرب . صراع رؤساء الجماعات الاقطاعيين يحتدم للسيطرة على العاصمة كيوتو . ويقرر شينجن تاكيدا وهو واحد من اقوى زعماء الجماعات الاقطاعيين ان يرفع علمه في كيوتو . وفي سن الثانية والخمسين تحول تاكيدا الى اسطورة كشعاره المكتوب فوق اعلامه (سريع كالريح وصامت كالغابة وساخن كالنار وراسخ كالجبل) .

وكانت هنالك ثلاث جماعات قوية اخرى تحاصر تاكيدا ورغبته في الاستيلاء على العاصمة . وفي يناير من عام ١٥٧٣ يقرر تاكيدا تحطيم جماعة اودا التي تسد الطريق امامه الى المدينة . كان تاكيدا يمتنع دائما عن حضور المعارك بنفسه وكان يلجأ الى اختيار كاجيموشا أو ظل له (او بديل) للقيام بذلك . وكان اخوه نابو كادو يقوم بهذا الدور احيانا ولكنه لا يشبهه بما يكفي للقيام بالامر . ويعثر له اخوه على شبيه حقيقي في شخص لص تافه محكوم عليه بالاعدام . ويسر تاكيدا بفكرة أن يكون شبيهه لصا تافها . وبينما كان تاكيدا الاصلي يحاصر قلعة جماعة أودا الموشكة على التسليم حتى تصيبه طلقة طائشة في مقتل . وكان استخدام البارود قد بدأ انذاك .

ويصل النبأ الى خصومه الاساسيين الثلاثة بشكل مختلف . وينسحب جيشه في فوضى بينما يعجز اخوه عن القيام بدور البديل في هذه اللحظة يحل دور البديل ـ اللص التافه . وبعد فترة تدريب قصيرة يقوم البديل بدوره بنجاح يؤدي بجنرالات الجيش الى الانحناء له اوتوماتيكيا .

ويموت تاكيدا الاصلي وهو في طريقه الى العلاج في كيوتو ويدفن ـ في احدى البحيرات .. ويوصي قبيل موته بالا يكشف السر الا بعد مضي ثلاثة اعوام . ولكن ابنه يعترض ويمضي لحال سبيله مع رجاله .

ويظن الباقون ان تاكيدا قد شفي بمعجزة وترتفع الروح المعنوية ... ولكن الجواسيس يخبرون احد الخصوم الاقوياء بنبأ موت تاكيدا الاصلي فيتحرك على الفور ويستولي على احد المعاقل . ويثور جنرالات البديل ويقررون استعادة المعقل والا فان ماء وجههم سيراق وقد يخسرون الحرب .

ويعود ابن تاكيدا ويقرر استعادة القلعة . ولكن البديل ـ وقد شعر انه تاكيدا الاصلي فعلا ـ يقرر الا يتحرك الى المعركة بنفسه ـ على عادة تاكيدا ـ مما يدفع بالخصوم الى الاستيلاء على معاقل اخرى . ويخرج ابن تاكيدا عن طاعة البديل ويقرر الهجوم . ويتساقط مئات القتلى ولكن البديل يربح المعركة في النهاية .

وبعد مرور عام ونصف تستقر الامور للبديل . ولكنه يقرر ذات يوم امتطاء صهوة جواد تاكيدا الراحل فيسقط عنه ويكتشف مرضوه ، عدم وجود ندبات في الظهر اشتهر بها سلفه الاصلي . الان وقد افتضح السر يتعين على البديل أن يهرب .

وبعد اعلان الحداد الرسمي على تاكيدا الاصلي يقرر ابنه مهاجمة الجماعات الاخرى . ولكنه يخفق وتندحر جماعة تاكيدا . وبينما كان البديل المشرد يحمل علما ويمضي بين جثث القتلى تصيبه رصاصة قاتلة فينحدر الى المجرى المائي حيث تختفي جثته .

لعل هذا العرض لقصة « ظل المحارب » يعطي فكرة واضحة عن فيلم كوروساوا الذي امتاز ببساطة معجزة ـ كالمعتاد ـ في العرض واهتمام بالغ بالتراث الياباني على مستوى الاداء الشكلي فتقاليد مسرح الكابوكي ليست بعيدة عن بعض المشاهد ورصانة وجلال العرض موجودان طوال الوقت في العمل السابع والعشرين لمخرج يتميز اغلب انتاجه بهذه الصفات .

هذا مخرج ـ فنان لا يستخدم التراث على اسس عرقية او شوفينية ضيقة ـ حتى ولو كان يتحدث باليابانية في مؤتمراته الصحفية انه يجعل من تراث بلاده (سواء كان موضوع فيلمه قصة اجنبية تلتقي مع ملامح تراثه او كان موضوعا تاريخيا او معاصرا) مادة تنبض بدفق الحياة اليومية . وهذه في اعتقادي اكمل صيغة متوفرة للعيش مع افضل ما في التراث القومي ... دون ان يغامر بالتحول الى اسرى للتاريخ او ضحايا للاقليمية .

مدينة النساء

قال فيلليني عن السبب الذي دفعه الى اخراج فيلم عن « المرأة » انه « لدي شعور بأن كل أفلامي تدور حول النساء . فنني واقع كلية تحت رحمتهن فهن المخلوقات الوحيدات اللواتي اشعر معهن براحة حقة :

انهن الاسطورة واللغز والتنوع والسحر والعطش الى المعرفة وطريق البحث ـ اوهن البحث ذاته ـ عن الهوية الذاتية . انهن كل شيء . بل انني ارى السينما ذاتها كامرأة تتغير الاضاءة فيها ما بين الظلام والنور ، بظهور الصور واختفائها . الذهاب الى السينما بالنسبة لي هو اشبه شيء بالعودة الى الرحم ، فانت تجلس هناك ساكنا ، تهجع وتقبع في صمت بانتظار الحياة التي توشك على الظهور امامك فوق الشاشة . على المرء ان يذهب الى السينما في براءة الجنين » .

من المؤكد ان فيلليني وكل معاونيه اصابهم الصمم طوال سبعة اشهر استغرقها تصوير احدث أفلامه « مدينة النساء » اصدقاؤه ومعارفه وشخصيات عامة ومشهورون وصحفيون قاموا بزيارته اثناء التصوير ووجدوه ، يهذي من كثرة ما سمع من الصراخ « يبدو ان هذا هو تاريخ نصفنا الاخر » هكذا اعلن واحد من الزوار .

اما فيلليني فلم يعلق اكثر من « هذا واحد من افلام الكوارث مثل المطار واخواته » أو يقول « انه كوميديا موسيقية » . لقد اردت دائما ان اخرج فيلما من هذا النوع » او احيانا يغمغم « انه نتاج معتاد لغبائي التقليدي »

هذا يعني انه يهذي ..... وهو ما يعني انه يخلق فنا حقيقيا .... وفيلليني لا يخلق الا عندما يصل الى حد الهذيان ... وما بالك اذا كان موضوعه هذه المرة هو « المرأة » !

فيلمي ليس مع او ضد المرأة او حركة التحرير النسوية . انه يا سادة محاولة متواضعة لفهم ظاهرة وقعنا في اسرها جميعا عبر التاريخ »

يبدو ان فكرة فيلم فيلليني قد انبثقت منذ عدة سنوات عندما فكر في اخراج فيلم مشترك مع المخرج السويدي الفنان انجمار برجمان . اختار كلاهما الموضوع : المرأة . ولكن المشروع لم يدخل قط الى حيز التنفيذ . « الفكرة واحدة ولكنها تطورت بعد ذلك كثيرا »

ويلعب مارشللوما ستروياني ـ الذي لعب في احد افلام فيلليني منذ ١٧ عاما وهو « ٨ ½ » ومن قبل ذلك مرة اخرة منذ ٢٠ عاما في « الحياة اللذيذة » ـ دور شخصية حساسة ناضجة مثل كل انسان تحت اسم غريب هو سنابوراز . وهذا هو ما كان فيلليني يناديه به خارج الاستوديو (وكان ماستروياني يناديه بكالاهان) ! .

وحكاية سنابوراز مع النساء تبدأ حينما يشرع في رحلة واقعية تتطور الى حلم يخرج منه بخلاصة من الاكتشاف الذاتي داخل كون المرأة .

٢٦٦٣ امرأة حاصرن رجلا واحدا هو سنابوراز . خليط من الممثلات المحترفات والناشئات وربات البيوت والبائعات والسكرتيرات والعاملات والكومبارس المحترفات ... بالاضافة الى عضوات في الاتحادات والهيئات النسائية ... « آه .. نعم .. بينهن كنت ترى نسوة مناضلات في هذه الهيئات . لقد كانت نظرتهن مزيجا من الاحترام والشك ... لقد كن جميعا هناك كطيور هيتشكوك متحفزات للهجوم » .

وماذا عن حلم سنابوراز ؟ نراه مسافرا في قطار . يغالب النعاس ، وعندما يدخل القطار نفقا مظلما يجد امرأة تتمتع بجاذبية عالية تجلس امامه . يطاردها مأخوذا بسحرها . تختفي بين الاشجار بعد توقف القطار ويجد نفسه وراءها في فندق حيث اجتمع عدد هائل من النسوة .. ويشهد سنابوراز مؤتمرا بالغ الغرابة يلخص علاقة المرأة بالرجل عبر العصور بعروض سينمائية ، وخطب وصراخ وطبخ واولاد وعروض تمثيلية ... ويفر سنابوراز بعد ان (تأدب) لانه تتبع المرأة . ولكن الجزء الثاني من رحلته يبدأ في عالم اشد غرابة . تلتقطه مجموعة من الفتيات المراهقات في سيارة ، ويوصلنه الى بيت غريب يقطنه الدكتور كاتزوني الذي يحتفل بانتصاره رقم ١٠.٠٠٠ ويلتقي بزوجته بين المجتمعين في البيت . ويتبع سنابوراز فتاتين جميلتين تبتسمان له طوال الوقت تاركا زوجته فوق سريرها الى ان يجد نفسه في منزله يتذكر ذكرياته الطويلة مع المرأة . وينتهي سنابوراز في « محكمة النسوان » التي تحكم عليه بالصعود الى « حلقة التضحيات » حيث يحمله بالون تصوب عليه احداهن فيسقط البالون ويفيق سنابوراز من حلمه ليجد زوجته امامه ! ..

هل ادى صراخ النسوة في « مدينة النساء » الى نتيجة معينة ؟ وهل اوصل حلم فيلليني ـ سنابوراز الى خلاصة محددة ؟ وهل يخرج المشاهد بحكمة خاصة عقب مشاهدته للفيلم ؟

فيلليني يرفض هذه الأسئلة وما شابهها . يدق على المائدة ويقول « انني اخاطب مشاهدا ذكيا .. هذا حلمي . فدع كل انسان يراه كما يريد ويفسره كما يشاء . فلنا جميعا احلامنا وتفسيراتنا .. »

الفاروق عبد العزيز

مُغربة

بقلم : محمد صالح القمودى

عقارب الساعة تقترب من منتصف الليل .

اغلب الاحياء في باريس نائمة ، وبعضها بدأ سهرة لن تنتهي الا اذا داهمها ضوء الصباح .

قطارات الأنفاق تقوم برحلاتها الأخيرة ، قبل أن تهجع في مستودعاتها حيث تقضي الهزيع الأخير من الليل .

محطة (باريس) النفقية خالية أو تكاد . بها مسافر واحد قد تهالك على مقعد بالقرب من فوهة النفق . هيئته توحي بأنه طالب ، ملامحه تؤكد بأنه عربي ، تهالكه ينم على أنه ينوء تحت هم ثقيل .

من الطرف الآخر للمحطة يقبل كناس عجوز حاملا مكنسة في يسراه وسطلا في يمناه ، يجر خطواته . التعب باد عليه . ينحني في صعوبة لالتقاط الأوراق الممزقة المتناثرة على الأرض . يبلل فوطة . ينشرها على الأرضية ، يثبت في طرفها المكنسة ، ثم يدفعها أمامه لتجب حبات التراب وأعقاب اللفائف .

الطالب العربي يرفع رأسه . يبصر الكناس العجوز . نظرته ، من غائمة زائغة .. تصبح متنبهة ، متفحصة ، ممعنة .

الكناس العجوز يشعر بالنظرة المتفحصة . يتوقف لحظة عن العمل . تدور بخلده التساؤلات المرتابة :

« من يكون هذا الشاب ؟ »

« ما باله يتفحصني هكذا ؟ »

« لعله المراقب قد تنكر في ثوب مسافر ؟ »

« لا ينبغي أن أفقد مصدر الرزق .. لقد تطوعت للعمل ليلا حتى أتجنب الرقابة » .

« أسرتي هناك في المغرب العربي ستعاني الأمرين ان أنا فقدت عملي » .

« ثم ان العثور على عمل بالنسبة لكناس عجوز مغترب في فرنسا .. أمر قد بات شبه المستحيل . »

ويستأنف الشيخ عمله في نشاط متجدد وهو يسترق نظرات خاطفة نحو الطالب ، والطالب يتفحصه وكانه ينظر الى شبح .

ويضطرب الشيخ ، فلا يرى قشرة موز تحت الجدار . قدمه تدوس على قشرة الموز فينزلق ويسقط ، فتسقط النظارة الطبية من على عينيه . انه لا يبصر بلا نظارة . ها قد أخذ يتحسس الأرضية من حوله بكلتا راحتيه بحثا عن النظارة .

بلاوعي ، يندفع الطالب نحو الشيخ . يساعده في رفق . يجلسه على مقعد قريب . يسمع منه همسا متكررا :

ـ شكرا .. شكرا يا ولدى .

الهمس يرتسم تأثرا حزينا على ملامح الطالب . يتناول النظارة ويعيدها في رفق شديد الى عيني الشيخ .

ها قد استعاد الكناس العجوز القدرة على الابصار .



يرفع نحو الطالب نظرة قلقة وفي أعماقه صخب :

« هذا الشاب الرحيم ، أو يكون هو الرقيب المرهوب ؟ »

« هل سيدوّن في التقرير سقوطي فتنتهي الشركة عملي بسبب الشيخوخة والعجز ؟ »

« كيف أعيش اذن وكيف أنفق على أسرتي البعيدة القريبة ؟ »

الشيخ لا يكاد يصدق ما يرى .

أهو البصر يخدعه أم النظارة ؟ !

يخرج من جيبه منديلا صغيرا يمسح به النظارة ثم يثبتها فوق أرنبة أنفه ، ويتفحص وجه الغريب : الدموع تسيل على خدي الشاب وهو يبذل جهدا واضحا لاخفائها ولكنه لا يستطيع حبسها .

ويدخل القطار إلى المحطة ، فيركبه الشاب مرغما والشيخ يتابعه بنظرة حائرة .

عندما يبتعد القطار ساحبا خلفه دويه ، يتحامل الشيخ على نفسه ليتم عمله ، ينحني لتناول المكنسة فيعثر على مظروف ، يتناوله ، يجده مفتوحا ، يعاود الجلوس على المقعد ، يتردد لحظة ، ثم يغلبه الفضول فيخرج محتوى المظروف : صورة لشيخ يشبهه حتى في نظارته الطبية ..

.. ويتأمل الشيخ الصورة لحظة ،

يعيد تأملها ،

رويدا يدرك ما حدث ..

ورقة تصاحب الصورة ،

يفردها ..

حروفها عربية ،

يقرأها في بطء :

« فاضت روح والدك الى بارئها . دعواته الأخيرة كانت تضرعا الى الله أن يوفقك في دراستك ، وأن يعيدك الى بلادك حاملا في يدك مشعلا من نور العلم ، وفي قلبك التقوى التي فطمك عليها في نفسك سلوكا عربيا اسلاميا لم تصبه الغربة في فرنسا بصدأ . اليك آخر صورة ، وانا لله وانا اليه راجعون . »

الكناس العجوز يشعر بفراغ هائل من حوله .

يعيد الورقة والصورة داخل المظروف .

يضع المظروف في جيب سترته ، الملاصق لقلبه .

يقفل زر الجيب في احكام ، ثم يستأنف عمله في نشاط قد استمده من مودة انسانية سكنت جيبه .. فوق قلبه .

حوار القراء

اسكندرية الاسكندر

● اتابع باستمرار قراءة استطلاعات العربي .. فمنذ صدورها حتى اليوم لم يفتني منها استطلاع واحد وقد قرأت مؤخرا استطلاع « اسكندرية الاسكندر » في العدد ٢٦٢ من العربي ، فوجدته رائعا كعهدي بجميع الاستطلاعات التي قرأتها في العربي .. وهنا اود ان اضيف الى ما ذكره المستطلع عن « عمود الصواري » .. فهذا العمود هو قطعة واحدة من حجرالجرانيت الاحمر طولها ٢٠,٧٥ مترا اما طولها مع التاج فيصل الى ٢٦,٨٥ مترا .. وقطرها عند القاعدة ٢٠,٧٠ مترا .. وعند التاج ٢,٣٠ مترا .

وقد اقيم هذا العمود اعترافا بفضل الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥) تخليدا لذكراه وفضله على الاسكندر كما جاء في النقش اليوناني الموجود على جانب القاعدة الغربية من العمود .

عبد الله حاج عبدو

عفرين / سوريا

حضارة الاخلاق

● ان المقالة التي نشرها الدكتور زكي نجيب محمود في عدد يوليو /٨٠ من مجلة العربي تحت عنوان حضارة الاخلاق « اثارت في نفسي خواطر وافكارا ... فانا معه في ان الحضارة الاسلامية قامت على مرتكز قوي من الاخلاق ، لكنني ارى اضافة لذلك انها قامت على عمل سياسي ايضا والعمل السياسي موجود ما وجد الناس ، لكن أهمية التركيز هنا على العامل السياسي هو ما قد يخاله البعض تناقضا بين السياسة والاخلاق . وذروة هذا العمل السياسي هو ما تم على يد الرسول (صلى الله عليه وسلم) نفسه ، بالاضافة للرسالة ، كان قائدا سياسيا عظيما . ويمكن تتبع ذلك من سيرته كاملة ، على ان حادث الحجر الاسود الشهير ـ وهو قبل البعثة ـ يدل على ذلك بوجه خاص . وتبع الرسول من تبعه في هذا التوفيق العظيم بين الاخلاق والسياسة . ولعل الشاعر الالماني جوته له رأي مفيد في هذا الصدد . وطبيعي انه في عصور الاضمحلال طغت المصالح الذاتية والاعتبارات الانية على المبادىء الاخلاقية ، وصارت السياسة بمعنى الدسائس والمؤامرات هي العليا . ان السياسة العظيمة حقا هي التي تضع نفسها في خدمة الاهداف الاخلاقية والمثل الانسانية ، وذلك ما كان سمة عامة .

خالد مفتاح

ابو ظبي

اعيدوا استطلاعها

● كل التقدير والاكبار للجهود الطيبة التي تبذلونها وكل العاملين في مجلة العربي لايصالها الينا . بهذا الشكل الرائع قلبا وقالبا .

وانني انتهز الفرصة لادلي باقتراح ارجو ان يكون منطقيا ومعقولا . فيا حبذا لو تعمد اسرة باب الاستطلاعات الى العودة لزيارة المناطق التي كانت قد استطلعتها على صفحات المجلة في السنوات الاولى من عمرها ـ الذي نرجوه مديدا ان شاء الله ـ وخاصة تلك المناطق النائية من الوطن العربي والتي كانت تعاني من مشاكل التخلف والجهل والجهل في ذلك الوقت كجزيرة سقطرى وجزر القمر وكوريا موريا وغيرها كثير .. وذلك حتى يتبين القارىء العربي اثر معطيات العصر الجديد على تلك المناطق سلبا او ايجابا .

ثروت اسماعيل

سوريا اللاذقية/جامعة تشرين

كلية الهندسة المدنية

اخطاء شائعة

● هناك طائفة من الاخطاء الشائعة تخيرتها من الذى يجرى على السنة المذيعين والمعلمين والصحفيين منها .

١ ـ يقولون : اذن له بالسفر ـ والصواب : اذن له في السفر . اى اباحه له ، لان معنى (اذن بالشيء) هو علم به .

٢ ـ ويقولون : فلان متآمر . والصواب : هو مؤامر وهما متآمران وهم متآمرون ، لان وزن (تفاعل) يتطلب التشارك بين اثنين او اكثر في امر من الامور .

٣ ـ ويقولون : ايها افضل الفرع العلمي ام الفرع الادبي ؟ والصواب أيها افضل الفرع العلمي ام الفرع الادبي .

حسين علي القبس
سوريا

العربي والصور الفنية

● لماذا لا تخصص مجلة العربي بعضا من صفحاتها لنشر الصور الفنية الهادفة التي تنمي الذوق العام .. وكانت قد عودتنا في الماضي على شيء من هذا ....

حسن عزز طه
الموصل / العراق

تصحيح

● ورد في العدد ٢٥٧ من العربي (ان العرب خرجوا من الاندلس عام ١٤٦٢) ـ والمعروف ان العرب خرجوا من الاندلس عام ١٤٩٢ لذا وجب التنويه .

عبد السلام رمضان
درى / سوريا

اقتراح

● ارجو ان تنشر المجلة في احد اعدادها قائمة بالاعداد السابقة المتوفرة من مجلة العربي حتى يتمكن بعض من فاتهم عدد من هذه الاعداد ان يستكملوه .

اقتراح أمل ان تأخذ به المجلة تحقيقا للفائدة .

عبد الحميد يوسف
بغداد

هيموجلوبين الدم

● لقد ورد في مقال السيد الدكتور عبد المحسن صالح « خطأ النواة الوراثية حد فاصل بين الحياة والموت » معطيات عددية عن بنية جزئي الهيموجلوبين (او كما يسمى ايضا بخضاب الدم الاحمر) ، حيث ذكر في الصفحة ٥٠ من العدد ٢٦٠ ما يلي : « فجزيء الهيموجلوبين يتكون بالضبط من ٢٨٧ حامضا امينيا .. منها ١٤١ حامضا يكوّن سلسلتين طويلتين تعرفان باسم السلسلتين (أ) و ١٤٦ حامضا تكون سلسلتين أطول قليلا وتعرفان باسم السلسلتين (ب) . وترتبط هذه السلاسل الاربع في بناية هندسية متناسقة .. »

ان جزيء الهيموجلوبين في الواقع يتألف من هذين النوعين من السلاسل البروتينية : (أ) و (ب) . الا ان السلسلة الواحدة من النوع « أ » تحتوى على ١٤١ حامضا امينيا ، وبالتالي فان السلسلتين من هذا النوع تحتويان على ٢٨٢ حامضا . اما السلسلة الواحدة من النوع (ب) فتحتوى على ١٤٦ حامضا امينيا ، وهكذا فان السلسلتين من هذا النوع تحويان على ٢٩٢ حامضا . وفي النهاية يكون جزيء الهيموجلوبين حاويا على ٥٧٤ حامضا امينيا (وليس على ٢٨٧ كما هو وارد في مقال الدكتور عبد المحسن صالح) موزعة على أربعة سلاسل . وتكون كل سلسلة من هذه السلاسل الاربع مرتبطة مع مجموعة حديدية واحدة هي الهيم Heme .

الدكتور أحمد كرزة
جامعة حلب ـ سوريا

المضايق العربية

● في استطلاعكم عن المضايق العربية التي تحكم العالم والمنشور في عدد اغسطس/٨٠ ذكرتم في اسفل صورة الضابط البريطاني الذى دخل عدن غازيا تاريخا مغايرا للتاريخ الحقيقي فقد اوردتم ان هذا الضابط دخل غازيا في يناير ١٩٣٩ .

ولا شك انكم قصدتم يناير ١٨٣٩ ولكن خطأ مطبعيا لا شك وقع .

كذلك وقع خطأ في اسم مدينة في محافظة حضرموت « ستيون » والصواب هو سيئون وليس ستيون .

لذا وجب تنوية .

زيد صالح محسن
اليمن الديمقراطية

الاسم العلمي للثوم

● ورد في العدد ٢٦٢ الصادر في شهر شوال في صفحة ١٠٠ في أنباء الطب والعلم الاسم العلمي Nomenculature للثوم Allium sativum ولم يراع فيه الشروط الاساسية لكتابته.والاسم العلمي يتكون غالبا من شقين الاول يدل على الجنس Cenus ويكتب الحرف الاول منه كبيرا Capital والشق الثاني يدل على النوع Species ويبدأ بحرف صغير . (Small)

ومن شروط كتابة الاسم العلمي ايضا كتابته بالحروف المائلة وان لم يكن في الاستطاعة يوضع خط تحت كل من الجنس والنوع وهذا حتى نفرق بين الاسم العلمي والاسم المحلي - Vernacular name .

محمود شعبان عمارة
جمهورية مصر العربية/القاهرة

نشأة الارقام

● قرأت في حوار القراء في العدد ٢٦١ ما كتبه الاخ صالح محمد اسماعيل عن الارقام العربية . وما طلبه من مجلة العربي بان تبادر فتعرب الارقام . كما قرأت رد المجلة بان الارقام هي ٠، ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ ، أرقام غير عربية ويعتقد بانها هندية .

وبعد ان قرأت ما كتب في المجلة وجدت ان تعريب الارقام أصبح واجبا علينا علما بان السبب هو ليس جنسية الارقام فقط بل شموليتها وانتشارها الواسع .

يقول السيد قدرى حافظ طوقان في كتابه العلوم عند العرب :

« لقد اطلع العرب على حساب الهنود واخذوا عنه نظام الترقيم وفضلوه على النظام الشائع بينهم وهو نظام الترقيم على حساب الجمل وكان لدى الهنود أشكال عديدة للارقام فهذبوا بعضها وكونوا من ذلك سلسلتين عرفت احداها بالارقام الهندية وهي التي تستعملها اكثر الاقطار العربية والاسلامية وعرفت الثانية باسم الارقام الغبارية وقد انتشر استعمالها في المغرب والاندلس وعن طريق الاندلس دخلت هذه الارقام الى اوروبا وعرفت عندهم باسم الارقام العربية » .

احمد جنيد
حمص / سوريا

مسابقة العربي

● ان نمط مسابقات « العربي » السابقة اكثر نفعا وفائدة للقارىء .. فقد كان حل المسابقة ينمي ثقافة القارىء ويعد اختبارا لسعة اطلاعه ومعرفته العامة .

فحبذا لو عدتم الى الطريقة السابقة في المسابقة .

مصطفى احمد نقاع
عمان / الاردن

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي .

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد » ٢٦٥ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول فبراير (١٩٨١) .

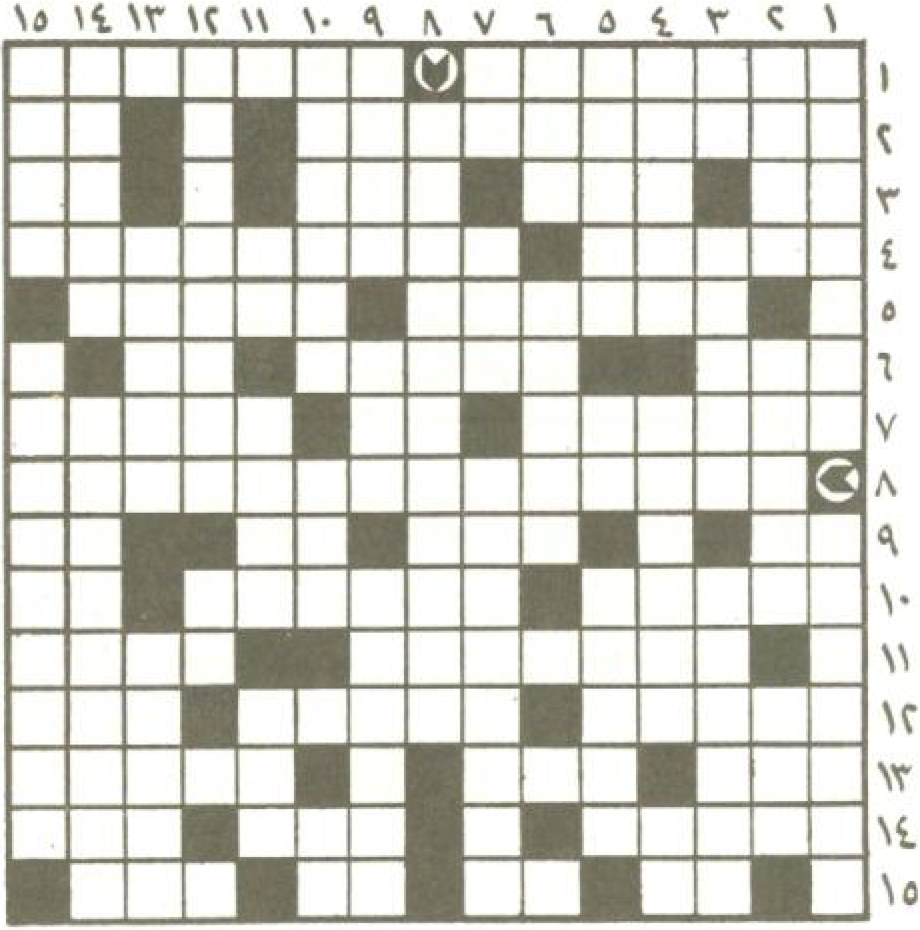
اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) افقيا اسم خليفة أموي . كما ستجد في (٨) رأسيا اسم واحد من فقهاء المدينة .

كلمات أفقية :

١ ـ كاتب ايطالي قديم ومؤلف ديكاميرون ـ مؤتمر وضع فيه الحلفاء سوريا ولبنان تحت الانتداب .
٢ ـ عالم جغرافي عربي قديم وصاحب المسالك والممالك ـ حرفان متشابهان .
٣ ـ تحصي ـ حيوان مفترس ـ صحاري ـ نصف كلمة (نصب) .
٤ ـ يقابله ـ أعلى شلالات العالم .
٥ ـ يقرضون المال بالربا ـ مطار انجليزي معروف .
٦ ـ الصغير من البشر أو الطير ـ قطر عربي ـ نصف كلمة (قائد) .
٧ ـ يسكبها ـ نصف كلمة (نهار) ـ مسكون .
٨ ـ خليفة أموي .
٩ ـ للاستفهام ـ أسد ـ شعور ـ نصف كلمة (يتلو) .

كوبون مسابقة العدد ٢٦٥



١٠ ـ تقصير ـ لمعانها ـ فات .
١١ ـ المعركة التي مات فيها نيلسون ـ يفعل .
١٢ ـ ما تناديها به ـ شهر ميلادى ـ ظهر .
١٣ ـ شب ـ حيوان قارض ـ نوع من الافاعى .
١٤ ـ الجوهرة ـ نصف يوم ـ تاقت .
١٥ ـ ضمير ـ حرفان متشابهان ـ ضمير ـ آلة موسيقية .

كلمات رأسية :

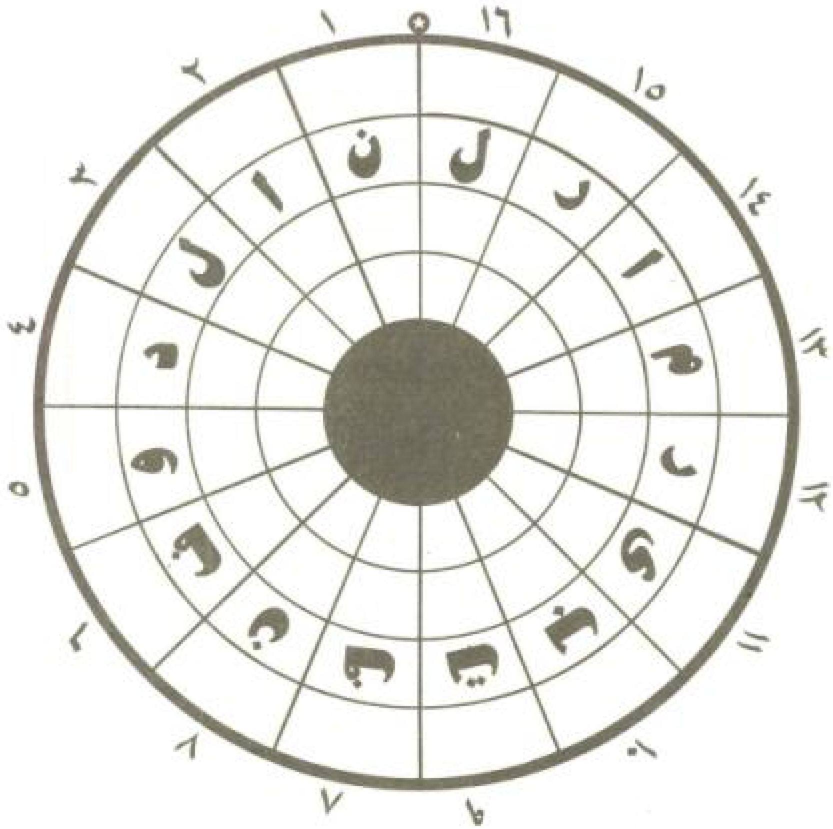
١ ـ العصر الحجرى القديم ـ عاصمة فنزويلا .
٢ ـ ثقيل ـ منافسة ـ طرق .
٣ ـ نصف كلمة (يمكن) ـ ملك فارسى حكم مصر ـ عاصية .
٤ ـ أنباء ـ آلة موسيقية ـ أصلح .
٥ ـ احتساها ـ دك ـ ربطة .
٦ ـ يغل ـ طيور مغردة .
٧ ـ نصف كلمة (يلوذ) ـ بلا خلل ـ ولاية أمريكية .
٨ ـ من فقهاء المدينة .
٩ ـ طريق ـ يتبع ـ يكاتبه .
١٠ ـ وهبتها ـ أبطل الحجة ـ حرفان متشابهان .
١١ ـ لفظ تعجب ـ من الاحجار الكريمة ـ ضرب بالقدم .
١٢ ـ من الالعاب الرياضية ـ للتفسير .
١٣ ـ نبصرهم ـ علّتها .
١٤ ـ من الفاكهة ـ مكتشف الدورة الدموية بالجسم .
١٥ ـ استمر ـ من مكونات الذرات .

حول الدائرة السوداء

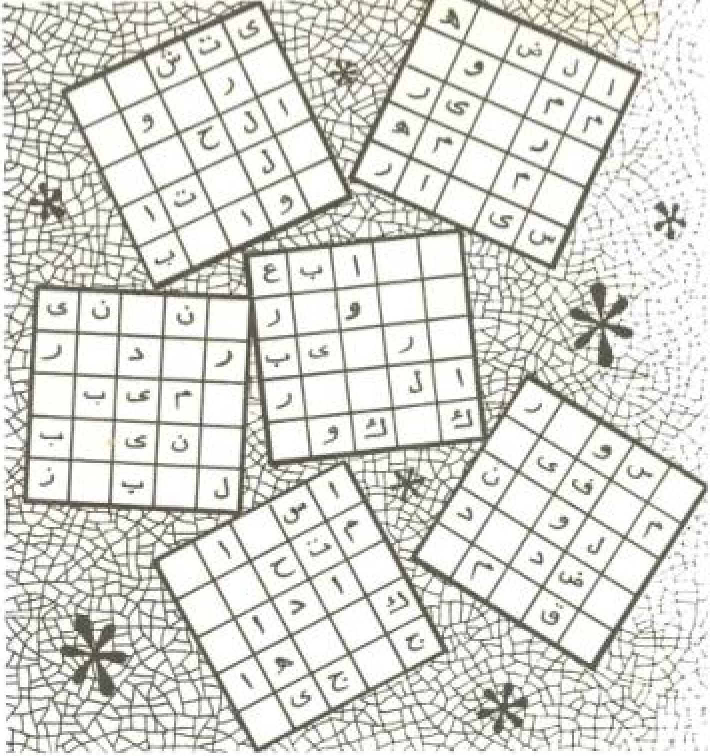
ضع الكلمات ذات الأحرف الاربعة ، التي نعطيك معانيها ، في أماكنها وفقا للأرقام . يساعدك في هذا وجود الحرف الثاني من كل كلمة على الشكل . اذا وصلت الى الكلمات الصحيحة ، ستجد حول الدائرة السوداء اسم :

عالم فلكي شهير من القرن السادس عشر

الكلمات لها المعاني التالية :
(١) توجع (٢) عتيق (٣) يمضغ (٤) اقترب (٥) شهر هجري (٦) غابا (٧) أسلم (٨) غالى (٩) يدع (١٠) اختبر (١١) أفول (١٢) نسيج ثمين (١٣) من الطيور (١٤) مرتفع (١٥) شجار (١٦) قعود .

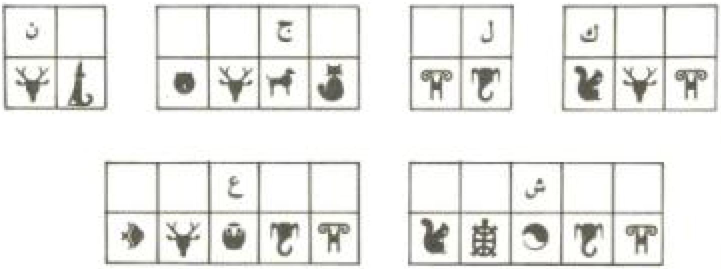


العواصم



أمامك ستة مربعات ذات اطارات خارجية ثقيلة . في كل مربع من هذه المربعات خمس كلمات أفقية ذات خمسة حروف ، ينقصها جميعا نفس الحرف . اجمع الحروف الناقصة من المربعات الستة ، ورتبها لتصنع اسم عاصمة من عواصم العالم .

مثل عربي



أمامك مثل عربي معروف ، يرمز لكل حرف من حروفه أحد الرسوم . الحرف الواحد يمثله نفس الرسم دائما . على سبيل المساعدة نعطيك بعض حروف كلمات المثل في موضعها المحدد . هل تعرف المثل اذا علمت أنه يعني :

« ان الانسان لا يجني الخير من العمل السيىء »

الحلول ١

حول الدائرة السوداء :
نيكولاوس كوبرنيكس .

العواصم :
جاكرتا

مثل عربي :
انك لا تجني من الشوك العنب .

العربي

فهرس سنة

١٩٨٠

من العدد ٢٥٤ إلى العدد ٢٦٤

حديث الشهر

بقلم : رئيس التحرير / احمد بهاء الدين

دين ورجال دين

للمناقشة

بقلم : فهمي هويـدي

سياسة واقتصاد

عروبة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الصناديق العربية وتحدي التنمية المتكاملة في الوطن العربي	د . عبد الكريم علي الايرياني	٨٠/٢	٢٥٥	٢٢
الواقع العربي والجامعة العربية	جميل مطر	٨٠/٣	٢٥٦	١٦
العرب والغرب	ابراهيم محمد الفحام	٨٠/٣	٢٥٦	٤٤
عروبة واسلام..خيوط من النور وسط ظلمات ثقيلة	د . جورج طعمة	٨٠/٤	٢٥٧	٢١
مصر بين الاشراق والتحدي : كلمة طه حسين عن العرب أثارت معركة تصدرتها الاقلام المصرية	اكرم زعيتر	٨٠/٤	٢٥٧	٢٦
النقود العربية كل اسمائها اجنبية !	طلال مجذوب	٨٠/٤	٢٥٧	١٠١
نقد كتاب مصر وفلسطين	د . احمد عبد الرحيم مصطفى	٨٠/٦	٢٥٩	٥٢
البخل عند العرب	د . احسان النص	٨٠/٧	٢٦٠	٢٥
بين حضارة غربية وواقع مرفوض	د . مصطفى شعبان	٨٠/٧	٢٦٠	٦٤
هواية الحمام عند العرب	د . كمال تشأت	٨٠/٧	٢٦٠	١٣٤
المصرية العربية تكتسح الفرعونية	اكرم زعيتر	٨٠/٨	٢٦١	٤٦
أواصر العرب والعبرانيين بين الحقيقة والوهم	د . عفيف بهنسي	٨٠/٩	٢٦٢	٦
الثقافة الايطالية والعقل العربي	د . عيسى الناعوري	٨٠/٩	٢٦٢	١٠٢
بل الاسلام والعروبة معاً	د . احمد كمال ابو المجد	٨٠/١٠	٢٦٣	٦
هذا النابغة العربي من يعرفه وينصفه	ماهر شمس باشا	٨٠/١٠	٢٦٣	٨٨

استطلاعات الكويت المصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
البحث العلمي في الكويت استثمار على المدى الطويل	منير نصيف تصوير : عبد الناصر شقرة	٨٠/١	٢٥٤	١١٦
صناعة السفن .. وداعا للعصر الذهبي !	صادق يلي تصوير : حسن الصفار	٨٠/٤	٢٥٧	٩١
الكويت تصدر الدجاج والبيض خلال سنوات	منير نصيف تصوير : اوسكار متري	٨٠/٦	٢٥٩	١١٦
عندما يرقص اطفال الكويت	دينا العيسى تصوير : اوسكار متري	٨٠/٧	٢٦٠	١١٦

الاستطلاعات العربية والخارجية المصورة

أدب ولغـة

الموضـوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
ديمقراطية الثقافة	د . زكي نجيب محمود	٨٠/١	٢٥٤	٤٨
الامثال الشعبية في الاردن	د . توفيق ابو الرب	٨٠/١	٢٥٤	١٦٢
رواية حنا مينة : الياطر	د . علي الراعي	٨٠/١	٢٥٤	١٧١
كيف نفكر في ازمة الثقافة ؟	د . فؤاد زكريا	٨٠/٢	٢٥٥	٦
وللحياة اسلوبها	د . زكي نجيب محمود	٨٠/٢	٢٥٥	٣٢
رواية جبرا ابراهيم جبرا : صراخ في ليل طويل	د . علي الراعي	٨٠/٢	٢٥٥	٥٠
دفاع عن اللغة العربية	د . عبد الله العمراني	٨٠/٢	٢٥٥	٦٥
حكمة من الصين	خان لي	٨٠/٢	٢٥٥	١٠٦
رستم وعنترة بين الحقيقة والاسطورة	د . محمد التونجي	٨٠/٢	٢٥٥	١٣٤
علموهم تذوق الفن	د . زكي نجيب محمود	٨٠/٣	٢٥٦	٢٠
لماذا الانكار ؟ اللغة السريانية هي الأم	اغناطيوس يعقوب الثالث	٨٠/٣	٢٥٦	٥٣
وظيفة الجنس في قصص يوسف ادريس	د . سامي بدراوي	٨٠/٣	٢٥٦	١٠٠
هل هما اثنان ؟	د . زكي نجيب محمود	٨٠/٤	٢٥٧	١٢
نبوءات أندلسية قبل الزوال	محمد عبد الله عنان	٨٠/٤	٢٥٧	٥٢
نداء الغاب مغامرة في دنيا الكلاب !	د . عبد الواحد لؤلؤة	٨٠/٤	٢٥٧	١١٠
عن الأمثال الشعبية في سوريا	احمد ابراهيم السيد	٨٠/٤	٢٥٧	١١٤
بين الادبين الاندلسي والمهجري	الياس قنصل	٨٠/٤	٢٥٧	١٢٢
افكار مفرضة	د . زكي نجيب محمود	٨٠/٥	٢٥٨	١٦
رحلة الادب العربي في المهاجر الامريكية	د . عيسى الناعوري	٨٠/٥	٢٥٨	١٠١
في الطريق الى الثقافة الثالثة	محمود محمود	٨٠/٥	٢٥٨	١٠٩
اسطح بغير أعماق	د . زكي نجيب محمود	٨٠/٦	٢٥٩	١٦
حضارة الاخلاق	د . زكي نجيب محمود	٨٠/٧	٢٦٠	١٢
هل كان رامي حقا من شيوخ الطريقة البكتاشية ؟	د . محمد موفاكو	٨٠/٧	٢٦٠	٤٠
هل نحن حقا شعب لا يقرأ ؟	عيسى فتوح	٨٠/٧	٢٦٠	٦٠
قبرس بالسين لا بالصاد	د . محمد التونجي	٨٠/٧	٢٦٠	٦٢
قصة ابو محروس هي مشكلة المسرح العربي	عبد العزيز مخيون	٨٠/٧	٢٦٠	١٠٢
نفائس المكتبة الاسبانية في الاسكوريال	محمد عبد الله عنان	٨٠/٧	٢٦٠	١٠٨
أجمل ما في الصين	خان خاشية	٨٠/٧	٢٦٠	١١١
طبقات ثقافية	د . زكي نجيب محمود	٨٠/٨	٢٦١	١٢
أدب اسلامي كيف ؟	د . احمد مطلوب	٨٠/٨	٢٦١	٥٧
المنولوج الداخلي في الف ليلة وليلة	عباس خضر	٨٠/٨	٢٦١	١٢٠

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
الفكرة الادبية	د . زكي نجيب محمود	٨٠/٩	٢٦٢	١٢
الباكون على الشباب	د . احسان النص	٨٠/٩	٢٦٢	٤٨
غاربـاج المدينـة والموت : مسرحية تزعج المؤسسات الصهيونية في العالم	محمد الظاهر	٨٠/٩	٢٦٢	٥٨
شخصية البطل العربي في الادب اليوغسلافي	د . جمال الدين سيد	٨٠/٩	٢٦٢	١١٨
الفطرة السليمة	د . زكي نجيب محمود	٨٠/١٠	٢٦٣	١٢
« عصر الحب » أخر قصص نجيب محفوظ : وتحول المسرح الى ملهى ليلي	فؤاد دوارة	٨٠/١٠	٢٦٣	٣٨
ابو الطيب المتنبي بين الاصالة والاستعارة	علي ادهم	٨٠/١٠	٢٦٣	٥٨
الهمزة العربية	عيسى امين صبري	٨٠/١٠	٢٦٣	١١٥
ينقصنا منهج العلم	د . زكي نجيب محمود	٨٠/١١	٢٦٤	٣٨
الحركة الأدبية راكدة ولابد لها من هزة	د . عيسى الناعوري	٨٠/١١	٢٦٤	٩٩
حول الطبقات الثقافية	يوسف ميخائيل أسعد	٨٠/١١	٢٦٤	١٠٦
أزمة اللغة العربية في ماليزيا	محمد زين الحاج عثمان	٨٠/١١	٢٦٤	١٥٦

صفحة في اللغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الموضوع	الشهر السنة	العدد	الصفحة
١ ـ شاد وشيد ٢ ـ فرد وفردة	٨٠/١	٢٥٤	١٦٠
« سكن تسلم » بل لا تسلم	٨٠/٤	٢٥٧	١٣٤
لا يشكر الله من لا يشكر الناس	٨٠/٥	٢٥٨	١٤٠
قالوا : « تحيها » قلت : « بهرا »	٨٠/٦	٢٥٩	١٣٢
الهناء والهناءة والتهنئة	٨٠/٧	٢٦٠	١١٤
اليد والأيدي والأيادي	٨٠/٨	٢٦١	١٣٨
ظاهرة التأنيث في العربية	٨٠/٩	٢٦٢	١٣٨

شعر وشعراء

الموضوع	الكاتب	الشهر السنة	العدد	الصفحة
مقتل كليب	امل دنقل بريشة بهجت عثمان	٨٠/١	٢٥٤	٦٥

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
امين نخلة : اناقة الشعر وعذوبة النثر	عبد الله الشيتي	٢/٨٠	٢٥٥	٥٥
ابو حامد الغزالي	خالد سعود الزيد	٢/٨٠	٢٥٥	٦٢
هكذا يغنون في صنعاء	د . محمد عبده غانم	٢/٨٠	٢٥٥	١١٣
سلمت للحب	فاضل خلف	٣/٨٠	٢٥٦	١٣٦
صبية	وهيب دياب	٤/٨٠	٢٥٧	٩٠
ربيع جديد	فاروق شوشه	٥/٨٠	٢٥٨	٢٢
الأم	القاضي محمد شمس الدين	٥/٨٠	٢٥٨	١٠٠
المجذوب	عمر ابو قوس	٥/٨٠	٢٥٨	١٣٥
المعلم	عيسى عصفور	٨/٨٠	٢٦١	١٤٥
عيناك	حسن عبد الله القرشي	٩/٨٠	٢٦٢	١٣٧
غرام بشيب	جمعة جمجوم	١٠/٨٠	٢٦٣	٥٣
حديث الضفتين	د . محمد عبده غانم	١٠/٨٠	٢٦٣	١٣٨
رقصة الفرس	فؤاد حداد	١١/٨٠	٢٦٤	٥٣

قصص

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
من انت ؟	د . شكري محمد عياد	١/٨٠	٢٥٤	٥٦
الانفجار	فاطمة حسين	٢/٨٠	٢٥٥	٥٩
المسافر	د . شكري محمد عياد	٢/٨٠	٢٥٥	١٢٠
هل تعرفون هندا ؟	فاطمة حسين	٣/٨٠	٢٥٦	٦٠
رحلة الاسطى احمد واخته بهية	يوسف القعيد	٣/٨٠	٢٥٦	١٤٢
لغز الطاحونة	محمد صالح القمودي	٤/٨٠	٢٥٧	٥٦
الدراجة	فاضل السباعي	٤/٨٠	٢٥٧	١٣٦
لعل الفلاحين يمرون	عباس احمد	٥/٨٠	٢٥٨	٦٢
محطة السكة الحديد	ادوار الخراط	٥/٨٠	٢٥٨	١٤٤
المغترب	عبد الحميد بن هدوقة	٦/٨٠	٢٥٩	٦٢
ما اغلى الثمن ؟	للأديب الروسي ليوتولستوي ترجمة : سليم الصريص	٦/٨٠	٢٥٩	١٣٨
المحصول	جمال الغيطاني رسم : بهجت عثمان	٧/٨٠	٢٦٠	٦٦

علوم

الموضوع	الكاتب	العلم	التاريخ	العدد	الصفحة
آفاق جديدة في الجمال والتجميل	د . شفيق نظام		٨٠/٤	٢٥٧	١٣١
مفاتيح الحياة واقفالها	د . عبد المحسن صالح		٨٠/٥	٢٥٨	٤٩
الآثار الجانبية لاقراص منع الحمل	د . سامي عمران		٨٠/٥	٢٥٨	١٢٠
لا .. للاجهاض	د . حسان حتحوت		٨٠/٦	٢٥٩	٢٦
ديمقراطية الحياة في عالم الخلايا	د . عبد المحسن صالح		٨٠/٦	٢٥٩	٤٠
لماذا لا تنضم للنادي الذري ؟	د . عبد الحليم منتصر		٨٠/٦	٢٥٩	٨٣
التنويم المغناطيسي بين الحقيقة والخيال	د . عبد الرحمن عيسوى		٨٠/٦	٢٥٩	١٣٤
خطر يهدد الاطفال : داء الكلف	د . هشام الناظر		٨٠/٦	٢٥٩	١٤١
خطأ النواة الوراثية حد فاصل بين الموت والحياة	د . عبد المحسن صالح		٨٠/٧	٢٦٠	٤٨
استغلال الطاقة الناتجة عن البراكين	مجدي نصيف		٨٠/٨	٢٦١	٢٤
نكسة علمية .. بدأ العلاج بالحشيش	د . السيد عمار		٨٠/٨	٢٦١	١١٠
الخصائص الرئيسية للوليد البشري	د . زيدان عبد الباقي		٨٠/٨	٢٦١	١٣٠
رحلة داخل محطة القوى في جسم الانسان	د . عبد المحسن صالح		٨٠/٩	٢٦٢	٤٢
ماذا فعلنا لصد خطر التلوث ؟	طالب عمران		٨٠/٩	٢٦٢	٦١
التغذية ومشكلات الكلي	د . صبيحة الدباغ		٨٠/٩	٢٦٢	١١٠
عندما كتب ابن القيم في الحمل والولادة والرضاع	د . محمد مروان السبع		٨٠/٩	٢٦٢	١١٢
اعصابك تتحكم في لعابك	د . عبد القادر استيتية		٨٠/٩	٢٦٢	١٢٤
الحياة في عالم النسبية	د . سعد الحاج بكرى		٨٠/١٠	٢٦٣	٢٢
علم بلا ضمير	د . حسن عيسى		٨٠/١٠	٢٦٣	٦٢
الاعشاب طبيبك الطبيعي	د . صالح مهدى ذرب		٨٠/١٠	٢٦٣	١١٦
الحياة في قيعان البحار	د . عبد الحليم منتصر		٨٠/١٠	٢٦٣	١٣٠
سر الشمس هذا التصميم المدهش !	د . عبد المحسن صالح		٨٠/١١	٢٦٤	٥٦
ثورة الكمبيوتر الى اين ؟	محمود محمود		٨٠/١١	٢٦٤	١٠٧
هل يمكن الاستغناء عن اللحوم في التغذية ؟	د . صبيحة الدباغ		٨٠/١١	٢٦٤	١١٢
هذا الكون العجيب وهل يتمدد بلا حدود ؟	د . عبد الحليم منتصر		٨٠/١١	٢٦٤	١١٤

أنباء الطب والعلم

اعداد : يوسف زعبلاوي

الموضوع	العلم	التاريخ	العدد	الصفحة
الطب الشعبي ومنع الحمل ـ مصدرو الاسلحة في العالم ومقدار				

تاريخ

العدد القادم : عدد ممتاز

تاريخ اشخاص

تربية وعلم نفس

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
لماذا يكذب الاطفال ؟	د . ملاك جرجس	٨٠/٥		٢٥٨	١٣٦
في الطريق الى الثقافة الثالثة	محمود محمود	٨٠/٥		٢٥٨	١٠٩
وعام دولي للشيخوخة	يوسف الشاروني	٨٠/٩		٢٦٢	٦٣

فلسفة

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
كيف نفكر في أزمة الثقافة ؟	د . فؤاد زكريا	٨٠/٢		٢٥٥	٦
حكم من الصين	خان لي	٨٠/٢		٢٥٥	١٠٦
حكمة الهند بين براهم وبوذا	د . محمد عبد الهادى ابو ريده	٨٠/٤		٢٥٧	٤١
من حكمة الصين	د . محمد عبد الهادى ابو ريده	٨٠/٥		٢٥٨	٥٦
الانسان في فكر سارتر	د . فؤاد زكريا	٨٠/٦		٢٥٩	١٨
اجمل ما في الصين	خان خاشيه	٨٠/٧		٢٦٠	١١١

مجتمع واجتماع

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
مؤتمر الذكاء العالمي	سعد كامل	٨٠/٣		٢٥٦	٥٦
عن الاضراب والمضربين	عبد الوهاب شكرى	٨٠/٣		٢٥٦	١٣٧
صناعة جديدة اسمها الاستجمام	عبد المقصود حبيب	٨٠/٥		٢٥٨	١١٣

كتاب الشهر

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
« يوم انفجرت الفقاعة » العالم يعيش اجواء سنوات الكساد العظيم	فيليب جلاب	٨٠/١		٢٥٤	١٧٨
العودة الى الطبيعة	محمد صالح القمودى	٨٠/٢		٢٥٥	١٤٣
كتب جديدة :		٨٠/٢		٢٥٥	١٤٨

الفنون واللوحات الفنية

نذكر فيما يلي الابواب التي اغفلها هذا الفهرس العام لتعذر فهرستها ونذكر الى جانبها اسماء محرريها :

نزهة العقل الذكي .... راجي عنايت
طرائف عربية .... صادق يلي
حوار القراء .... عبد الحفيظ يونس
طرائف اجنبية .... منير نصيف
مقالات في كلمات .... محمد خليفة التونسي
العربي الصغير .... يوسف زعبلاوي
الفهرس العام من اعداد .... صلاح صادق

العدد القادم من :

العربي

عدد ممتاز

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

ديسمبر - كانون أول
١٩٨٠م

الحب في التراث العربي

تأليف :
دكتور محمد حسن عبد الله

الكتاب السادس والثلاثون

٢٥٠ فلساً

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

قيمة كاتربلر CATERPILLAR

بامكانك التوفير مع شاحنات الرفع الصغيرة الجديدة «في» من المجموعة «سي»، بأربع طرق مهمة



التوفير اثناء العمل – إن محرك بيركنز ٣٠٢-٣٣ – ١ فئة أربع اسطوانات، ديزل المستخدم في هذه الشاحنات سلس التشغيل، سريع الاستجابة، فعال الاداء ... فحجيرة الاحتراق المقسمة فيه تقوم بمزج الوقود والهواء بفعالية اكبر لتأمين تشغيل اطول بالغالون الواحد. كما أن احتراق الوقود ببطء يخفف من معدل انطلاق الحرارة لتخفيض الدرجات القصوى لحرارة الاسطوانات وضغطها، وبذلك تخف مستويات ضجيج المحرك، وترتفع جدارته بالاعتماد، ويزداد التوفير في نفقات الوقود ...



التوفير اثناء الخدمة والصيانة – سهولة التوصل المباشر الى نقاط الصيانة بالامكان فتح الالواح الجانبية المفصلية وغطاء المحرك على مداها، ورفع اللوح الارضي، وتحريك البطارية الى الخارج ويمكن كذلك ضبط اسطوانات (دلافين) السارية والعربة دون نزع السارية. كما أن وجود الوصلة العامة المحركة بين محور الدفع وآلية نقل الحركة يتيح نزع الاجزاء المركبة بسهولة تامة. وهكذا فان الفترات الاقصر اللازمة للخدمة والصيانة تعني التوفير في النفقات ...



التوفير من خلال المتانة والقوة – إن الهيكل ملحوم بشكل مقاطع صندوقية مصنوعة من الواح فولاذية قياس ١٢ ملم – وهذا التركيب المتين المؤلف من وحدات مترابطة يؤمن التراصف والحماية الكاملة للهيكل والاجزاء المركبة كما أن السارية مثبتة الى الهيكل بشكل يقوم فيه الهيكل نفسه، عوضا عن محور الدفع، بامتصاص صدمات التحميل وجهد الرفع. أما آلية نقل الحركة الهيدروستاتية المختومة كليا فلا تحتوي على اية تروس أو فوايض قابلة للبلى، ولكنها تتميز بخزان مختوم مستقل للزيت مجهز بمرشح ومبرد. وقضبان الربط الثابتة الضبط تحفظ العجلات متراصفة بحيث تخدم الاطارات مدة أطول. وفترة الخدمة الاطول تعني التوفير في كلفة التوقف للتصليح ...



التوفير من خلال تأمين الراحة – هذه الشاحنات مريحة في التشغيل يسهل الصعود اليها والنزول منها من الجانبين الايمن والايسر. ومقعد السائق مركز في موضع يسهل التحكم في كافة وظائف العمل بشكل فعال. كما أن أجهزة الضبط الهيدرولية القصيرة المدى المركزة الى يمين السائق تحسن التحكم بالاحمال وتخفف من الجهد في التشغيل. وبالامكان أيضا تخفيض الضجيج بمقدار اكبر بواسطة عدة ادوات اختيارية خاصة والتخفيف من اجهاد السائق وارهاقه يعني التوفير في النفقات ...



تفحص شاحنات الرفع الصغيرة من المجموعة في ٣٠ – ٥٠ سي التي تنتجها كاتربلر CATERPILLAR قبل شراء شاحنة من هذا النوع في المرة القادمة – فقد يعني لك هذا المزيد من التوفير والمزيد من كفاءة التشغيل الجدير بالثقة وجميع شاحنات الرفع الصغيرة من انتاج كاتربلر CATERPILLAR تدعمها خدمات الوكيل في منطقتك وبذلك تكون قطع الغيار وتسهيلات الخدمة والصيانة دوما متوفرة بالقرب منك.

CATERPILLAR

شاحنات الرفع الصغيرة من المجموعة في ٣٠-٥٠ سي

9047

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس

مع

لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطها ١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني.

لومبارد نورث سنترال عضو في البنوك المصرفية العالمية وتاريخنا يرجع الى أكثر من ١٠٠ سنة. تقدم لكم تسهيلات ايداعية تعود عليكم بأقصى فائدة مع مرونة الاختيار وضمان لأموالكم وهذه الودائع متاحة للأفراد والمؤسسات في جميع أنحاء العالم.

١٤٪

في السنة

ايداع محدد لمدة سنة

تدفع كل الفوائد بدون خصم أي ضريبة

اسعار الفائدة المذكورة جارية الى حين ارسالها للطباعة

اختاروا المنهج الملائم لاحتياجاتكم

تقدم لكم ثلاث تسهيلات ايداعية لكل منها شروط متعددة ملائمة لاحتياجاتكم الخاصة.

ايداع ذو الأخطار

والمبلغ الأدنى للايداع هو ٥٠٠ جنيه استرليني ويمكنكم اضافة أي مبلغ اليه في أي وقت ويمكنكم سحبه بعد اخطار كتابي في آخر المدة المتفقة عليها. تتجمع الفائدة اعتبارا من تاريخ الايداع وتدفع نصف سنويا ثم تضاف الى الحساب أو تدفع الى المودع بواسطة شيك.

ايداع ذو مدة محددة

والمبلغ الأدنى للايداع هو ١٠٠٠ جنيه استرليني لمدة محددة من سنة الى خمس سنوات مع سعر فائدة محدد لهذه المدة. تدفع الفائدة سنويا.

ايداع ذو دخل منتظم

والمبلغ الأدنى للايداع هو ١٠٠٠ جنيه استرليني. بواسطة هذا المشروع يمكنكم الحصول على مبلغ الفائدة أي على شيك كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل نصف سنة والفائدة تزداد تدريجيا حسب المدة التي تختارونها. تودع الأموال لمدة محددة أي بين السنة والخمس سنوات بسعر فائدة محدد لهذه المدة.

نرجو منكم أن تملأوا الكوبون إن أردتم تفاصيل اضافية ومطولة عن حسابات الايداع واسعار فوائدها.

Lombard North Central

Deposit Accounts

إلى:

LOMBARD NORTH CENTRAL LTD., DEPT. 182
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND
Telephone: 409 3434

الاسم: ______________________

العنوان بالكامل: ______________________

____

أيّ رحّالة دوليّ حقّ يجد في ساعته رولكس ما لا يقدّر بثمن

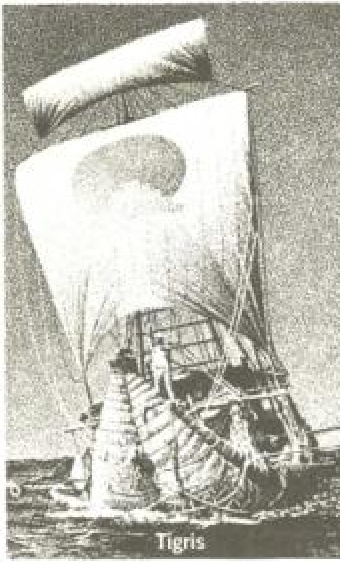
في عام ١٩٣٧، راح يراود مخيّلة "ثور هيردال" حلم حول ما إذا كانت الحضارات القديمة لكل من المكسيك والبيرو وجزر الباسفيك ومصر ووادي ما بين النهرين تنبع من مصدر واحد، حلم أراد أن يثبت معه ان عبور المحيطات الثلاثة كان ممكنًا قبل إقدام الأوروبيين على تحقيق ذلك بأمد بعيد.

وبعد عشر سنوات، عام ١٩٤٧، أقلع هيردال من ساحل البيرو بطوف من خشب "البلزا" أطلق عليه إسم "كون - تيكي". مرّ مئة يوم ويوم رستا الطوف "كون - تيكي" بعدها على جزر الباسفيك.

وفي عام ١٩٧٠، غادرت أفريقيا "رع ٢"، سفينة "ثور هيردال" المصنوعة من قصب البردي. وبعد سبعة وخمسين يومًا، وصلت "رع ٢" الى "بربدوس" في الجانب الآخر من الأطلنطي.

وفي العراق، خلال ١٩٧٧ - ٧٨، قام "هيردال" ببناء السفينة "تايغرس"، أي دجلة، من القصب، وأبحر فيها مارًا بمحاذاة باكستان وسلطنة عمان حتى مدخل البحر الأحمر حيث حالت الحرب المحلية دون مواصلة الابحار. ورغم ذلك، أثبتت "تايغرس" انه كان من الممكن ان تتفاعل الحضارات القديمة لكل من سومر ووادي الأندوس ومصر بطريق البحر.

ويقول هيردال، "المحيطات لم تفصل بين الحضارات القديمة، بل انها ربطت فيما بينها."



Tigris

ويستند نجاح حملات "هيردال" الى التخطيط الواضح والدقة التامة في كل شاردة وواردة.

ويضيف هيردال، "لقد أنزلنا الى البحر نماذج مطابقة تمامًا للسفن الأولى التي بناها البحارة القدماء. واستخدمنا طرقهم في شدّ الحبال والأشرعة والصواري وفي التوجيه، واقتنا بما كانوا يقتاتون. واختبرنا أجهزة الملاحة البدائية التي استعملوها. ولكن، من أجل تحديد المسار بطريقة علمية دقيقة وبالاتصال اللاسلكي الاضطراري لدى دخولنا المواني الحديثة والطرق الملاحية، كنا بحاجة الى ما كان باستطاعة الانسان القديم الاستغناء عنه: ساعة حديثة بالغة الدقة جديرة بالاعتماد."

إنه الاطراء في توجيه مجاملة كهذه الينا، خاصة وقد جاءت على لسان أشهر رحالة دولي في العالم.

الساعات التي كان يلبسها "ثور هيردال" وبحارته هي من صنع رولكس.

ROLEX
رولكس



رولكس "جي - إم - تي - ماستر" متوفرة بالذهب عيار ١٨ قيراطًا، أو فولاذ لا يصدأ، مع سوار ملائم.

استثمارات

ادخلوا مع ك.د.ب. الالمانية الغربية عالم استثمار الأموال في اسواق العملة العالمية.

فاستثمار الأموال في البورصات العالمية لم يعد حكراً على طبقة معينة فقط وانما تطور ليشمل طبقات رجال اعمال جديدة ظهروا على السطح بفعل الثورة الاقتصادية الحديثة، ونحن ندعوك لمشاركة زبائننا في ارباحهم الجيدة التي حصلوا عليها من خلال استثمار اموالهم لدينا، وقد حصل زبائننا على نسب صافية من الأرباح بلغت:

عام ١٩٧٦	عام ١٩٧٧	عام ١٩٧٨	عام ١٩٧٩
٪٢٩،٤٣	٪٤٣،٨٤	٪٣٣،٣٣	٪٢٤،٩١

معفاة تماماً من أية رسوم او ضرائب، اذا كنتم راغبين انتم ايضاً في الانضمام الى عداد زبائننا العرب والاوروبيين الراضين تماماً عن نجاحنا في ادارة واستثمار اموالهم في اسواق الانتاج العالمية فيمكنكم الاتصال بنا، ويسرنا ان نعطيكم المزيد من المعلومات في اللغتين العربية والانكليزية معاً، الحد الأدنى للمشاركة: خمسة آلاف دولار اميركي، نعمل في مجال الاستثمار وادارة الاعمال وبنجاح منذ عام ١٩٦٥.
اكتبوا الينا باللغة العربية او الانكليزية على العنوان التالي:

KDB DEPOTBETREUUNG GmbH

HANS-THOMA-STR. 19
P.O. BOX 700650
6000 FRANKFURT/MAIN 70
WEST-GERMANY



أورينت تذكرك بالوقت.. على أنغام الموسيقى
ORIENT
QUARTZ
START–STOP
TIME SELECT
LIGHT
SET
MUSIC
AUTO
TIMER
STOP
NOR.
MUSIC
ALARM
12:00 00
إليك آخر ما توصّلت إليه أورينت . ساعة
كوارتز رقمية جديدة مع ضوابط تنبيه متعددة
الإستعمالات وسهلة التحكم. نغمات معدودة من
"أماريليس" كتنبيه أول. وإذا رغبت، هناك نغمات
ملحة أكثر، أو موسيقى دائمة - كل ساعة. هذا مثال
آخر على التقنية الخلاقة لساعة أورينت، أول ساعة
في العالم بمنبّه موسيقي. هناك مجموعة كاملة من
ساعات أورينت كوارتز لتختار منها. وكل ساعة
منها تعطيك اكثر بكثير من مجرد الوقت - بنعومة ورقة.
ORIENT
ORIENT اورينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901, TLX J26896 TIMETEST

من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول ديسمبر ١٩٨٠

١٣٥

تحيا الملكة

تأليف : روبرت بولت
ترجمة وتقديم : محمد كامل كمالى
مراجعة : د. طه محمود طه

سوني
SONY

الانظمة الـ ٣ لسوني بيتاماكس الجديد

تحقق لك أفضل تسلية مرئية في العالم

اليك جهاز سوني بيتاماكس المنتظر، انه جهاز بيتاماكس SL-T7 المزوّد بالانظمة الثلاثة الملونة لمشاهدة البرامج المسجّلة وفقاً لنظام NTSC ونظامي بال وسيكام، بالاضافة الى اجمل برامج الفيديو في العالم، منها الافلام السينمائية المثيرة من نيويورك بواسطة نظام NTSC، ومباراة كرة القدم من لندن بنظام بال، وعرض السيرك المدهش من باريس بنظام سيكام، كما وانه بإمكانك تسجيل كافة البرامج المبثّة بنظامي بال وسيكام.

وجدير بالذكر ان بيتاماكس الجديد SL-T7 هو أول جهاز في العالم يحتوي على آلية استكشاف الصورة، وبإمكانك مشاهدة برامجك لدى عرضها على شاشة التلفزيون بمعدل عشر مرات السرعة العادية، باتجاهي الدفع الامامي والعكسي، وذلك بكبس زر فقط. فمن السهل جداً الآن تحديد مقطع معيّن من أي برنامج، كما وانه بإمكانك تسيير آلية استكشاف الصورة بواسطة جهاز التحكم عن بعد. سوني تعتبر بحق الأكثر عراقة والوحيدة في انتاج مسجّل فيديو رائع جمعت فيه تقنيتها المتطورة وكل هذه المميزات الفريدة. انه جهاز سوني بيتاماكس SL-T7



COLOR 3 SYSTEM

SL-T7ME

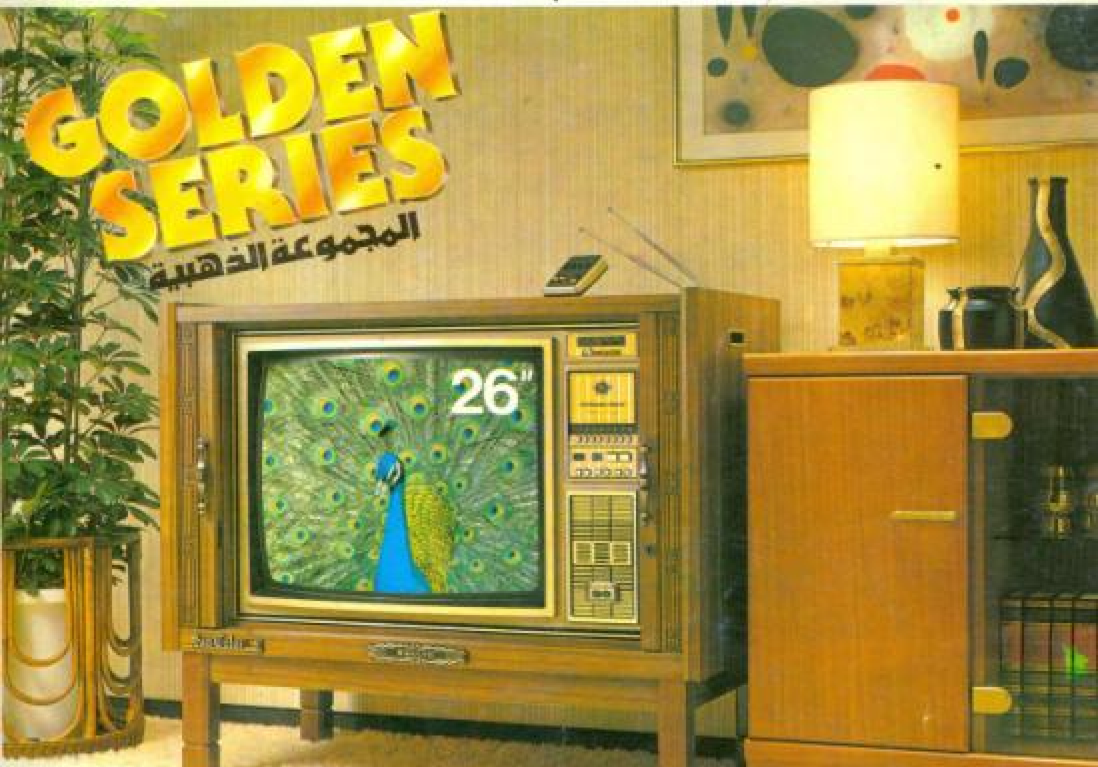


سوني بيتاماكس

Sony Betamax T7

Betamax

المجموعة الذهبية تقدم الشاشة ٢٦ بوصة



CTP 8461



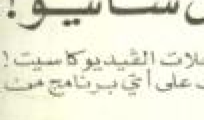
CTP 8460

CTP 8463

CTP 8462

إستقبال رباعي - خاص من سانيو!

أنتم على موعد مع المزيد من المتعة في عصر مسجلات الفيديو كاسيت! بايصال الجهاز بأي مسجل للفيديو كاسيت على أي برنامج من أي مكان في العالم تقريباً . مع :



- إستقبال رباعي (٤ أنظمة : بال ، سيكام ، ان تي اس سي ان تي اس سي ٤٫٤٣ ميجاهيرتز) .
- إنتقاء آلي للفولطية (من ١٠٠ إلى ٢٦٠ فولت) .
- مفاتيح الكترونية للتحكم باللمس أو جهاز جميل للريموت كونترول .
- إخراج متألق بالألوان المفعمة بالحيوية .
- إختر جهازك المفضل من ٤ موديلات مختلفة .

SANYO سانيو

العربي

رجب ١٤٠٠ هـ - يونيو (حزيران) ١٩٨٠ م



- رحلة في مصايف العراق
- الخليج والاسلام .. والغرب
- للإجهاض نقول : لا

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج



بنك الكويت الوطني ش م ك

عزيزي القارئ

في هذا العدد ، يعود الى قارىء العربي الجزء الخاص بمناقشة « القضايا الحيوية » بعد غيبة طويلة ، ظلت خلالها خطابات القراء تلاحقنا بالسؤال والاستفهام ، والاشارات المبطنة الى الاسباب التي ربما تكون قد ادت الى اختفاء هذا الجزء من صفحات العربي ، وهل هي سياسية أم فنية ؟ !

وربما كانت الفائدة الوحيدة التي تحققت نتيجة هذه الغيبة ، هي ان احساسنا قد ازداد عمقا بحاجة الامة العربية الى الحوار ، حتى ولو كان ذلك في حدود القضايا الثقافية والاجتماعية والاقتصادية . لقد ازددنا يقينا باننا بحاجة ملحة الى الانتقال من حديث الذات الى الحديث مع الآخرين ، من « المونولوج » الى « الديالوج » .

ورغم ان ذلك امر محزن للغاية ، ورغم اننا لاندعي ان العربي ستسد هذه الثغرة وتعالج ازمة الواقع العربي ، الا اننا على ثقة من ان اى اسهام على اى مستوى في توفير فرصة الحوار حول اى قضية ، هو غرس لبذرة طيبة لابد انها سوف تؤتي أكلها بعد حين .

لقد ساهم الواقع العربي ـ من ناحية ـ في اختفاء مناقشات القضايا الحيوية ، ذلك ان وصول المجلة الى القارىء كان يستغرق وقتا اطول مما ينبغي ، ووصول رسائل القراء والكتاب المشتركين في تلك المناقشات كان ايضا يستغرق وقتا أكثر مما ينبغي ، الامر الذي عطل الى حد كبير اتصال الحوار في الكثير من القضايا التي اثيرت .

ومن جانبنا ، فقد تم حل مشكل وصول العربي الى القارىء ، وبقيت مشكلة وصول رسائل القراء في الوقت المناسب ، وهو ما نأمل ان يحل « يوماما » !

رجاؤنا الاخير ان يقتصد الكتاب والقراء في كتاباتهم التي يسهمون بها في المناقشات ، حتى تتاح الفرصة لدائرة الحوار ان تشمل اوسع مساحة ممكنة وحتى لانضاعف من مشكلاتنا بدلا من حلها . اى لاتصبح المشكلة هي تلقي المواد في موعد مناسب فقط ، بل تضاف اليها بعد ذلك مشكلة اختصار المقال في الحيز المناسب .

وغاية ما نرجوه ان نشعل شمعة وسط الظلام الدامس ، وان نخترق حاجز الصمت الثقيل ، ولو بهمسة متواضعة !

المحـــرر



صورة الغلاف

مشكلة ان العرب يعرفون عن السياحة في اوروبا وامريكا باكثر مما يعرفون عن السياحة في وطنهم الكبير، لن تحل الا بمحاولة « اكتشاف » منابع الجمال ومواقعها في بلادنا الشاسعة، والحافلة بكل ما هو جذاب وعريق من مظاهر الطبيعة وامكانياتها . ورحلتنا الى العراق في هذا العدد خطوة في هذا الاتجاه (راجع استطلاع الشهر على الصفحات ٧٢ ـ ٨٢) .

حديث الشهر

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

آداب وفنون

تاريخ وتاريخ اشخاص

استطلاعات مصورة

ابواب ثابتة



سارتر

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين
مدير التحرير : فهمي هويدي

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
للعالم العربي وكل قارىء للعربية في العالم
الوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . الخليج العربي ريالان قطريان . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج . م . ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢،٥ دينار . المغرب ٢،٥ درهم . اليمن ٢،٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »
الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

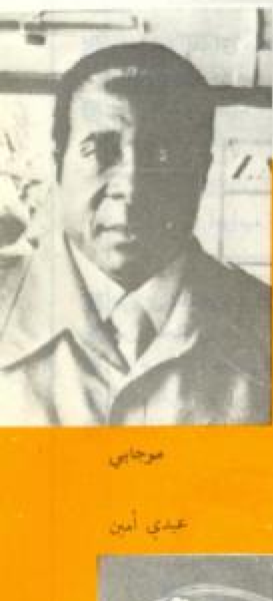
المراسلات : باسم رئيس التحرير
عنوان المجلة بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١
تلغرافيا « العربي »
ALARABI -- No. 259 -- June 1980
P.O. Box 748 -- KUWAIT

حديث الشهر

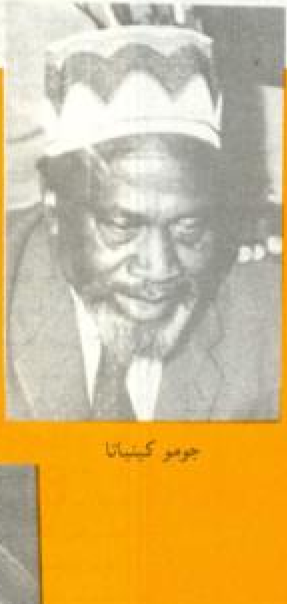
الخليج .. والحركات



نكروما



موجابي



جومو كينياتا



عيدي أمين



لومومبا

سافر احمد بهاء الدين رئيس تحرير « العربي » إلى أمريكا لالقاء محاضرة في جامعة جورج تاون في واشنطون عن الموقف في الخليج وعلاقته بامريكا في الثمانينات . وهذا جزء من المحاضرة .

الإسلامية.. والغرب

بقلم : أحمد بهاء الدين

من اكبر المآسي التي عرفنا منذ الحرب العالمية الثانية ، ان الولايات المتحدة القوية ذات الامكانيات الهائلة ، كانت دائما تفهم العوامل الاجتماعية والسياسية المؤثرة في العالم الثالث ، متأخرا .. أحيانا بعد فوات الاوان ، ودائما بعد ضياع وقت ثمين جدا واهدار جيل او جيلين على الاقل من الصراع العقيم .

وطبعا يأتي بعد ذلك من يسأل في امريكا : من المسئول عن ضياع الصين ؟ من المسئول عن ضياع ايران ؟ .. الخ .

ورد هذا على خاطري منذ اسابيع ، وان كان المثل خارج الموضوع ، عندما فوجيء العالم في انتخابات زيمبابوي روديسيا ، بفوز روبرت موجابي فوزا ساحقا ، وفجأة انقلب موجابي في الصحف البريطانية من « الشيطان » الى « رجل الاستقرار » ، حتى ايان سميث رحب بفوزه .

تذكرت أنني عرفت موجابي سنة ١٩٥٧ او سنة ١٩٦٠ في غانا ، عندما عقد اول مؤتمر للاحزاب الافريقية في اول دولة تستقل في افريقيا السوداء . كان هناك موجابي . ونكومو ، ونكروما ، ولومومبا . وكان جومو كينياتا مسجونا فحل محله توم بويا .

لم يكونوا شيوعيين . ولا ماركسيين . بل وليست لهم اي صلة بالعالم او ببعضهم البعض . كانوا وطنيين يريدون زوال الاستعمار في تعاون مفيد مع الدولة المستعمرة ، ولم يكونوا قد حملوا

السلاح بعد . باستثناء جومو كينياتا ، الذي كان مسجونا كما قلت ، وكانت الصحف الغربية تصور حركة المقاومة المسماة « ماوماو » في كينيا على انها حركة متوحشين . وقد رأينا كينياتا بعد ذلك غاية في الاعتدال ، وكان هناك الشاويش الذي يحارب مع الانجليز ضد ماوماو ، ويكافأ بالترقية بعد الترقية على عنفه ضد الثوار ، اسمه عيدي امين .

هل لم يفهم الغرب حقا العوامل السياسية في افريقيا مثلا .. فطال العذاب عشرين عاما ؟ ام ان القوى المسيطرة في الغرب كانت ببساطة لا تحب ان تفهم ، وتتصور انها قادرة على البقاء بالقوة اطول فترة ممكنة ؟

واحيانا يحدث العكس !

فنرى الباحثين الاكاديميين في الغرب ، يركزون على تفاصيل صغيرة جدا ، ربما تثبت تعمقهم في البحث ولكنها لا تثبت قدرتهم على الحكم الصحيح ، اذ ينسون في خلال هذا البحث الميكروسكوبي العوامل الكبرى الاساسية في منطقة ما .

وهذا النوع من التصور ، يجعل الرأي العام الغربي يعتقد ان ما يجري في بلد ما سببه ان اهل هذا البلد أناس مختلفون عن البشر . وان ما يحدث عندهم لا يقاس عليه . وانهم شواذ .

وآخر مثل على ذلك ، ما حدث في ايران ، كانت ثورة ايران مفاجأة تامة في عنفها ، وجماهيريتها ، ونوع قياداتها ، وكان اول رد فعل تحليلي ما رأيناه من عكوف الباحثين على تحليل المذهب الشيعي الذين يدين به اغلبية الايرانيين . وانواع الشيعة . ومذاهب الشيعة . واضطهاد الشيعة منذ ١٤٠٠ سنة . وفلسفة الاستشهاد والفرح بالموت عند الشيعة . اذ يستحم الرجل ويتطهر ويلتف بكفنه ليخرج الى الموت فاتحا صدره لقذائف الدبابات .

ملامح مشتركة لثلثي العالم

هنا ايضا يمكن ان نقول انه لاشك ان العوامل الاجتماعية لها صفاتها الخاصة في كل قطر . او في كل كتلة حضارية مثل العالم الاسلامي ، او افريقيا السوداء ، او جنوب شرق آسيا .

ولكن ما أعترض عليه هنا ، هو : الاسراف في تجسيم هذه « الخصوصية » ، لان الاسراف والانحصار فيها خطأ مثل خطأ تجاهلها تماما .

اذن ، لكي يأتي حديثنا هذا متوازنا يجب ان نتعرض لأمرين :

الاول ـ العوامل الديناميكية التي يشترك فيها العالم العربي ، والاسلامي ، ومنطقة الخليج ، مع ثلثي العالم كله تقريبا . وهي في ايجاز قضية الفقر والتخلف .

والثاني ـ العوامل الخاصة بالمنطقة العربية الاسلامية .

هذا العنصر الاول المشترك جوهري جدا وهام . لانه العنصر المشترك فيا يسمى العالم الثالث كله . واحيانا ما تكون الفروق بين المناطق مجرد خلاف في طريقة التعبير المناسبة لكل بيئة .



الخميني

وكلنا على علم بقضية العالم الثالث . ارتفاع نسبة الامية . انخفاض مستوى الصحة العامة . بدائية وسائل الانتاج . اعتماد الاقتصاد على الخامات اساسا . قرب عهدها بالاستقلال والمسئولية عن نفسها . وبالتالي عدم قيام مؤسسات دستورية ثابتة تحقق لها درجة من الاستقرار . انعدام وجود طبقة وسطى كبيرة تكون هي اساس الاستقرار الاجتماعي ، واتساع الفجوة بين نخبة قليلة العدد وقاعدة فقيرة وغير متعلمة .

تلك بايجاز هي ملامح العالم الثالث كله ، مع فروق طفيفة . وهي بالتالي ملامح كل بلاد العالم الاسلامي او اغلبيتها الساحقة .

ولابد ان نضيف الى ملامح العالم الثالث التي سبق ذكرها عنصرا آخر، هو ما ادت اليه سهولة وسرعة وسائل الانتقال والاتصال والاعلام من قيام ما سماه مارشال ماكلوهان « القرية العالمية » ، او ما ادى اليه هذا التقدم من حقيقة سماها يوجين بلاك بحق ثورة الآمال الكبيرة . في كتابه الذي يحمل هذا الاسم والذي يعتبر فيه ان هذه الثورة هي اخطر الثورات ، وهو حقيقة كبرى بالفعل . فالفرد في أفقر قرية الآن يرى في السينما وعلى شاشات التليفزيون انواعا من الحياة الباهرة ، وعالما مسحورا لم يكن يعرف بوجوده من قبل ، ومتعا متاحة لملايين غيره من البشر . وقد لا يصل طموح هذا الفلاح الى ان تكون له مثل هذه الحياة . ولكنه بالتأكيد يشعر شعورا عارما ان من حقه ان ينال نصيبا منها ، حتى ولو طرفا صغيرا من ذيلها . والشباب بالذات يرفضون ظروفهم التي تبدو لهم غير مؤدية على الاطلاق الى نيل أيسر قسط من هذا .

بل ان مجرد الانتماء المعنوي امر هام . وفي الريف المصري تجد الفلاح في جيبه عادة علبتا سجائر . علبة سجائر مصرية ـ وهي سجائر جيدة ـ لاستعماله . وعلبة سجائر امريكية باهظة الثمن ، يقدم منها لاي زائر « افندي » من القاهرة ، وهو يعطيك السيجارة الامريكية ، ثم يخرج علبة سجائره هو ويأخذ منها ، ولكنه يشعر انه اثبت وجود خيط بينه وبين ابن المدينة الزائر .

الفقر المدقع يحبس ملايين الناس من جهة ، واعلانات السلع الاستهلاكية المثيرة تطارده من جهة اخرى . فيكون شعوره بمأساته اعمق وبالظلم الواقع عليه افدح .

من احتكاك هذين العاملين تخرج شرارة الانفجار .

وهذا العنصر المشترك في العالم الثالث ، هو نفسه الموجود في معظم العالم العربي والاسلامي .

وبالتالي فان اهم عنصر استقرار هو في ايجاد صيغة نظام اقتصادي جديد وعلاقة جديدة بين ما يسمونه دول الشمال ودول الجنوب .

الفقر والغنى .. معا في الخليج

فاذا انتقلنا من العام الى الخاص ، ومن العالم الثالث بوجه عام الى العالم الاسلامي بوجه خاص ، فسوف نجد في هذا العالم الاسلامي ، بالاضافة الى الظروف التي ذكرناها ، ظروفا اخرى خاصة به ، تجعل الموقف اصعب واخطر . وربما اعنف .

ان منطقة الخليج ، التي لا يمكن فصلها عن العالم العربي والاسلامي ، اذا اردنا تحليل مصادر التوتر فيها .. فان فيها بغير شك اسبابا اخرى للتوتر فوق الاسباب التي لدى العالم الثالث كله .

المنطقة تعتبر من العالم الثالث ، بمواصفاته السابقة . ولكن الظروف شاءت ان تتفجر فيها ثروة هائلة في قيمتها المادية والاستراتيجية معا ، وهي البترول ، حتى صارت صورة البترول في العالم مقترنة بصورة العربي والمسلم .

ان هذا الواقع المفاجيء اضاف الى توتر الفقر في العالم الثالث توترا آخر ، وهو تجاور الفقر والغنى .

كان طبيعيا ان يسبق المال نفسه ، الآثار التي يمكن ان تترتب عليه .

فالمال في صورة البذخ الشخصي ، والسفر الى الخارج ، والشراء الفوري لما هو متاح من طائرات خاصة وسيارات وكل انواع الرفاهية الموجودة في العالم .. كان يصل أسرع من اشياء اخرى تستغرق وقتا اطول مثل شق الطرق ، واقامة البنية الأساسية ، وبناء المساكن ، والمدارس والمستشفيات وارسال البعثات الى الخارج . الامر الذي خلق خلخلة عنيفة في الهيكل الاجتماعي التقليدي للمجتمع .

بعض الدول احسنت التصرف في هذا الثراء الجديد بشكل او بآخر ، وكان هذا سهلا بحكم قلة عدد السكان في هذه الاماكن الصحراوية النائية .. وبعض الدول لم يحالفها نفس التوفيق .

ان الاحصاءات الدولية تضع بعض دول البترول على رأس دول العالم من حيث متوسط دخل الفرد ، ولكن هذا مضلل تماما . فالفقر في بعض مناطق دول البترول ما زال اشد مما نراه في بلاد فقيرة كمصر . فطهران عاصمة الشاه السابق ، ليست طهران البذخ والثراء الذي كانت تنشره المجلات الغربية الفاخرة ، ففي قلبها وضواحيها اماكن تقارن باي عاصمة فقيرة في العالم ، فضلا عن سائر اطراف الدولة .

وكما ان ظهور الثروة بهذا الحجم الهائل خلق توترات في داخل كل قطر بترولي على حدة ، فانه خلق توترات من نوع آخر ، بين البلاد العربية على الأقل . تمتد الآن الى مناطق اخرى من العالم الاسلامي .

فالعربي بوجه عام مهما كانت خلافاته يشعر بنوع من الانتماء والمشاركة في المصير . وبالتالي فالعربي في بلد غير بترولي ، لا يشعر بشيء ازاء ظهور البترول في بحر الشمال مثلا . ولكنه يشعر ازاء ظهوره في بلد عربي مسلم آخرْ بشعور مختلف . يشعر بان له نوعا من الحق عليه ، لاعتباره

فكرة وحدة الاسلام والعروبة ، بالمعنى التاريخي والحضاري وان لم يكن بالمعنى السياسي . خصوصا وانه يرى حكامه وزعماءه لا يكفون دون استثناء عن المناداة بالوحدة العربية . وهو يرى صراعاتهم على انها صراعات حكام وليست تصادم مصالح بين الشعوب .

فالبترول بعد ان يصل الى صاحبه يجب ان يصل شيء منه الى ابناء عمومته . وهو امر يخلق توترات اخرى في المنطقة . بمعنى انه لا يمكن الحديث عن فلسطين دون التفكير في ردود فعل في الخليج . كما انه لا يمكن الحديث عن الخليج دون ردود فعل في كل انحاء العالم العربي والاسلامي .

الفارق الاخر القوى ، بين عالم الاسلام وبين معظم بلاد العالم الثالث . هو ان ضغوط العصر الحديث لم تأت هنا في فراغ حضاري ، ولكن في مجتمع له تاريخ معقد طويل ، فخور بدينه وبتراثه ، رغم كل المحن التي مر بها ..

خصوصية عالم الاسلام

ان الانسان يمكن ان يتصور نظريا ان عملية التحديث يمكن ان تمضي بشكل اسرع ـ لو توفرت لها الظروف ـ في مجتمع بدائي حقا ، ليس لديه اي تركة ضخمة من ماض او دين او تراث .

ولكن في العالم الاسلامي والعربي يدرك الناس تمام الادارك ان ارضهم كانت مهدا للديانات الثلاث العظيمة . فاذا اضفنا الى هذه الحقيقة مركزهم الجغرافي المتميز ، والحضارات القديمة التي قامت في منطقتهم ، وجدنا ان كل هذه العوامل مجتمعة جعلتهم محط الانظار على مدى التاريخ ، اما كمصدر اشعاع للاخرين خلال ايامهم المجيدة ، واما كهدف لاطماع الغير ابان قرون الانحطاط والتدهور .

وفي الوقت ذاته ، نجد ان الاسلام ، كديانة سائدة في المنطقة ، كان له دائما الاثر البالغ القوة على الشعوب عبر اربعة عشر قرنا . فقد اعلن الاسلام عن نفسه كوريث لكل الاديان السالفة ، وآخر هذه الاديان ، ونبيه ، خاتم الانبياء والرسل ، وكتاب المسلمين المقدس « القرآن » منزل من عند الله ، وليس كتابات منقولة عن المسيح مثلا بعد قرن من وفاته . كل هذا اعطى المسلمين والعرب شعورا بان الاسلام فريد في نوعه .

ولان الاسلام ـ عبر القرآن والرسول ـ لم يقف كسائر الاديان عند حدود شرح الفضائل والرذائل او وصف العبادات بين الله والانسان ، ولكنه جاء بنظام كامل للحياة ، وكيان كامل للدولة .. متحدثا عن نظام الحكم الى قضايا الزواج والطلاق ، فقد جعل هذا مهمة دعاة التحديث عسيرة جدا . ومع ذلك فالتحديث ذاته مطلب للجميع ، ومن هنا فان اهم صراع في العالم الاسلامي هو الصراع بين دعاة التحديث ، والرافضين له بحجة ان مثل هذه الدعوة تعد خروجا على الدين او انها تشكل خطرا يهدد بفقدان الهوية . ومع ان المسلم يرى ان الكلام الوارد في القرآن هو كلام الله مباشرة ، وأن هذا القرآن وضع قواعد واحكاما لكل شيء . الا ان هذا لم يمنع من ان يختلف المسلمون خلافات عنيفة بمجرد وفاة الرسول . وبعد خمس وعشرين سنة فقط من وفاة الرسول ، دارت اول

معركة حربية كبرى وقف فيها علي ، ابن عم الرسول واقرب أصحابه ، في صف ، وعائشة زوجة الرسول المفضلة في صف أخر . ووضعت بذور اول واكبر انشقاق في الاسلام بين اهل الشيعة واهل السنة . انشقاق قامت به دول وامبراطوريات وانهارت به دول وامبراطوريات ، وتعددت المذاهب السياسية والفكرية والفلسفية تعددا هائلا ، مع انتشار الاسلام خلال مائة سنة فقط من الهند والصين شرقا الى الاندلس غربا .

وكانت آخر امبراطورية ، جمعت كل بلاد الاسلام تحت سلطتها هي الامبراطورية العثمانية ، وقد كانت سنية متطرفة ، . وكانت امبراطورية بكل معاني الامبراطورية الاستعمارية فاضطهدت العرب اضطهادا شديدا . واضطهدت الشيعة بالذات اضطهادا اشد .

هكذا دخل الاسلام القرن العشرين وبين اهله حسابات لم تصف بعد . ورغم ان اهميتها قلت كثيرا ، الا انها تطل برأسها في الوقت المناسب ، حتى نجد دائما أناسا يحاربون معارك انتهت منذ الف واربعمائة سنة .

على ان القرون المتعاقبة ، باعدت بين حقائق الحكم والسلطة والفكر وبين حقائق الاسلام ، خصوصا فترة الظلام العثماني التي دامت اكثر من ثلاثة قرون .

وعندما بدأت النهضة الاوروبية تواجه العالم الاسلامي بحقائق جديدة من جهة ، والظلام العثماني يقيده في الاغلال من جهة اخرى ، كان لا بد ان ينشأ نوعان من رد الفعل .

رد فعل ينادي بالتحديث الى اقصى الحدود كوسيلة وحيدة للحاق بالعصر ..

ورد فعل ينادي بالعودة الى الاصول والاشكال الاولى للاسلام ..

وليس الخميني هو اول من نادى بالعودة للاصول في تاريخ الاسلام الحديث .. ولعله لو لم تكن ثورته في اغنى بلاد العالم بالبترول ، لما حظيت بكل هذا الاهتمام .

فهناك المهدي الكبير في السودان ، الذي ربما هزم عسكريا ولكن قتاله اسفر عن ايجاد كيان السودان الحديث ، وقد كان هدفه تحرير السودان ومصر من حكم الاتراك والانجليز معا .

وهناك المهدي السنوسي ، الذي آثر ان لا يحمل السيف ولكنه عن طريق نظام الزوايا جمع العدد القليل من السكان في هذه الصحراء الليبية الشاسعة في شعب واحد ...

وهناك الحركة الوهابية التي نشأت في شبه الجزيرة العربية ، وكانت الاساس الفكري لحركة الملك عبد العزيز ال سعود في ضم اطراف المملكة العربية السعودية وحكمها حكما مركزيا موحدا بعد تمزق طويل .

وقد اقترن هذا بكلام كثير في صحف الغرب ، صحيح في جوهره ، عن صحوة اسلامية في كل مكان .

وهذا صحيح ، والبعض يرجع هذا ، كما حدث في حالة ايران ، إلى ان الشاه حاول التحديث أسرع مما يجب ، وهو تبرير غير صحيح ... ويكفي ان نقول بصدده نقطتين ..



محمد على باشا

ان التحديث لم يكن سريعا . ولكن المشكلة انه كان اولا مشوها . كان اخذا بقيم الغرب بل السطحي منها ، دون شعور بقيم المجتمع الاصيلة ، واقترن بالظلم والفساد .

التحديث ليس تقليدا للآخرين

ومن اهم الاسباب الدفينة لعنف هذا التيار ، ان الاسلام دخل القرن العشرين مهزوما ومخدوعا ، وقليل الثقة بالغرب .

فقد بدأت يقظة الشرق مع اتجاه اوروبا للاستعمار . محمد على الكبير في مصر هزم الخلافة العثمانية ، فلما وصل الى اطراف اسطنبول ، تحالفت عليه القوى الكبرى وقتذاك ـ انجلترا وفرنسا والنمسا وروسيا القيصرية ، وهزمته . اذ كان يناسبها اكثر دوام وضع الامبراطورية العثمانية المريض ، اكثر من قوة شابة تنفخ فيها الروح .

وعندما قامت الثورة العربية منطلقة من الحجاز ، شجعها الانجليز مقابل وعد لهم بالاستقلال ولكن كانت انجلترا وفرنسا في نفس الوقت توقعان معاهدة سرية لتقسيم العالم العربي بينهما .

وبعد الحرب العالمية الثانية اقيمت بالقوة دولة اسرائيل على اشلاء شعب فلسطين الذي طرد من أرضه بكل الوسائل الوحشية .

وبذلك بلغ التحدى مداه ، وبلغت الاهانة اقصى حدودها .

ومن هنا فالقول بان سبب احداث ايران هو سرعة التحديث ، خطأ ، انما السبب هو ان المسلم الايراني رأي من التحديث جوانبه السوداء . رأي القهر ، والظلم الاجتماعي ، والحكم الاستبدادي ، ورأى التطور السريع يتجه نحو تقليد أعمى للغرب ، وتذهب خيراته الى قلة قليلة بغير حق .

وقد اسمى احد المؤلفين هذا الاسلوب ، في ايران وغيرها ، The Modernization of Poverty اي « تحديث الفقر » .

ولعل الأصح ان نقول ان مشكلة التحديث في العالم ، هو ان البعض اعتبر التحديث هو التقليد الحرفي للغرب ، الا في حرياته واحترام حقوق الانسان فيه .

فالاتجاه الى التصنيع بشكل غير مدروس والتمركز في المدن دون وجود وجوه رزق كافية فيها ، أدى إلى إهمال الزراعة والريف والصناعات الصغيرة .

الاصح ان نقول ان العالم الثالث عليه ان يجد اسلوبا مناسبا له للتحديث لان تقليد الغرب لا نتيجة له ، إلا اللهث المستمر وراءه ، والبقاء دائما في المؤخرة .

فاذا اخذنا في اعتبارنا ، كل العوامل التي سبق ذكرها كمؤثرات في العالم العربي والاسلامي ،

فمعنى ذلك انها تنطبق بالتالي على منطقة الخليج . وان كان هناك مجال لتسجيل بعض خصوصيات الوضع في منطقة الخليج ، وفي علاقة هذه المنطقة بالغرب او بالولايات المتحدة بشكل خاص ..

العلاقة غير الصحية مع الغرب

هنا نجد مصادر محددة واضحة للتوتر يمكن تركيزها كما يلي :

١ ـ اعتماد الغرب المطلق على بترول الخليج وتزايد مطالب الغرب من هذا البترول ، دون بذل اى جهد جدى من ناحية الغرب في تقليل الاستهلاك ، او في التنقيب في اماكن اخرى او في البحث عن مصادر بديلة للطاقة .

هذا الاعتماد الساحق يجعل الغرب متوترا ازاء منطقة الخليج باستمرار وهذا التوتر والانزعاج الغربي يزعج اهل الخليج ايضا ، فهم يخافون ان يقدم الغرب على حركة طائشة . ولا يسمعون منه إلا تبرعا بالدفاع عنهم . وهم يكرهون ان يروا انفسهم محاصرين باساطيل القوى الكبرى ومنطقة مرشحة لان تكون محل صراع دولي .

٢ ـ ظهور رأي عام شامل في منطقة الخليج لا يوافق على هذه العلاقة غير الصحية بالغرب وهم يرون انها علاقة غير صحية من زاويتين :

ـ ضغط الغرب المستمر على المنطقة لتستخرج اكبر كمية من البترول تلبية لحاجات العالم الصناعي ، لا تلبية لحاجات دول البترول . انهم يعتقدون ان لديهم ثروة ناضبة ويفضلون الاحتفاظ بها اطول مدة في باطن الارض وان لا ينتجوا الا بقدر ما يحتاجون لمشروعاتهم . ولكن الغرب يرغمهم ارغاما على استنزاف البترول تمديدا لرفاهيته على حساب فقرهم الطويل .

ـ هذا الرأي العام نفسه لا يوافق على اساليب الغرب في استرداد ما يدفعه ثمنا للبترول كما يحدث مثلا عن طريق صفقات سلاح هائلة يعلم الكل جيدا انها لن تستعمل وانها مجرد تصدير حديد ميت مقابل البترول . او مشاريع باهظة التكاليف قليلة الجدوى .

هذا الرأى المزدوج في علاقة الغرب غير الصحية بالخليج ، ستجدونه عند السعودي المتخرج من جورج تاون او عند البدوى الذي لم يترك « ابوظبي » على السواء .

٣ ـ ان الغرب وخصوصا الولايات المتحدة الامريكية ، ليس مستعدا لدفع اى ثمن سياسي في مقابل ما يرى اهل البترول العربي انه ظلم اقتصادي . والثمن السياسي بات معروفا واضحا ، وهو القضية الفلسطينية . والمطلوب هنا هو اعطاء الشعب الفلسطيني حق تقرير مصيره فوق ارضه ، وتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتوالية . فهو يطلب الانصاف . ويطلب عدم الاعتراف بشرعية الغزو بالقوة .

٤ ـ في غمرة هذا الشعور السلبي ازاء الغرب ـ سياسيا واقتصاديا ـ جاء تطور الموقف السوفيتي وتواجد الروس في اماكن جديدة على درجات مختلفة من افغانستان الى عدن . وقد زاد هذا في ازعاج اهل الخليج ، ولكن محاولة امريكا تحويل هذا إلى تيار لحسابها لم تفلح . أولا للاسباب



جمال عبد الناصر

السابقة . ثانيا ، لأن الناس هناك تعودوا سلوك امريكا الطريق الخطأ وان البترول هو الهدف وليس حماية الاسلام .

عندما غزا الروس افغانستان ردت امريكا باستعدادها لارسال سلاح الى باكستان وحشد اساطيل في بحر العرب . وقد اعتبر اهل المنطقة هذا امرا ساذجا ، فهم يعرفون ان هذا غيرة على البترول وليس على الاسلام . وقد قالوا في مؤتمرهم لتنسحب اسرائيل من الاراضي المحتلة وتنسحب روسيا من افغانستان . ولكن الغرب لم يأخذ بهذا الرأي .

ثم إن رد الفعل الامريكي بدا وكأن الجيش السوفيتي سيزحف بعد افغانستان فورا الى باكستان . ورغم غلطة الاتحاد السوفيتي المميتة في افغانستان ، الا انه ليس ساذجا الى هذا الحد . انه لا يوجه ضربة من هذا النوع الا مرة كل عشر سنوات . وعندما تنضج ظروف كثيرة .

فالرد بتقوية الجيش ليس ردا . فلا يوجد جيش قوي في شعب تنقصه اساسيات الحياة .

الذي قاد المقاومة وافشل المحاولة لم يكن حلف بغداد ولا حلف السنتو ولا استنفار امريكي لحماية الاسلام .

انما قاد المقاومة جمال عبد الناصر . وخاض في العراق معركة ضارية استخدمت فيها كل الاسلحة العسكرية والاعلامية والمعنوية والسياسية . ذلك ان عبد الناصر كان يمثل تيارا حقيقيا موجودا بالفعل ، هو تيار الحركة القومية العربية ، الذي رفض أساسا تقسيم العالم العربي الى شرق وغرب على طريقة تقسيم أوروبا .

٥ ـ ان الابنية السياسية في المنطقة ليست قوية متماسكة بعد ، ففي داخل دولة الامارات المتحدة مثلا ست امارات ، كل إمارة لها علم وأمير وقبيلة . وفي الخليج كله لا مبرر لعدم اقامة كيانات اكبر ، او روابط اكبر كتوحيد العملة او خلق سوق خليجية مشتركة .

٦ ـ في ظل هذه الظروف كلها لا بد ان تظهر تيارات اكثر تطرفا يمينا ويسارا وحركات اسلامية أكثر تطرفا ، استجابة لحلم غامض بالتخلص من تركة القرون الحديثة واقامة عالم عربي اسلامي قوي جديد . وهو تيار لن يرتمي في احضان روسيا ولكنه لن يكون إلا سلبيا ازاء الغرب . حيث يقترن الغرب في ذهنه بجوانب الفساد والاستغلال في التحديث وبالعلاقة الاقتصادية غير الصحية في البترول وصفقات السلاح ووجوه صرف المال ، وبالظلم السياسي في رضاء امريكا باحتلال اسرائيل لأراضيه بل وتشجيعها عليه . ■■

احمد بهاء الدين



الدكتور زكي نجيب محمود يكتب

أسطح بغير أعماق !

ليس من قبيل التشاؤم الاحمق ، ان نقول عن (الادباء) من رجال هذا الجيل ، انهم يحيون في ادبهم حياة على الاسطح لا تعرف الاعماق ، ومن هنا تراهم وقد جاءوا عبئا على مسيرة الثقافة العربية اكثر مما جاءوا ليكونوا محركات لها نحو الامام .

ليس من حق الكاتب ـ اى كاتب ـ ان يلقى بالفاظه على الورق دون ان يضمرها في نفسه دلالات محددة ، يخرجها الى العلانية اذا ما طلب اليه تحديد معانيه . واذا كان ذلك كذلك بالنسبة لاى كاتب بصفة عامة ، فاني اشعر انه الزم لى بصفة خاصة ، لكثرة ما دعوت الى ضرورة الجام كلماتنا بمعانيها المحددة ، حتى لا تشطح بنا الى عالم الاوهام !

وها هنا جاءت لفظتان تريدان شيئا من التحديد قبل المضي في اتهام ابناء هذا الجيل بما اتهمناه ، الا وهما لفظة « السطح » ولفظة « العمق » حين يكون الحديث منصبا على ادب وفكر وثقافة .

●

ونقولها باختصار : انه اذا كان ثمة من فكر او ادب او ثقافة بصفة عامة فلابد ان يكون مدار الحديث اخر الامر هو « الانسان » ، وحتى اذا كان الموضوع مأخوذا من الطبيعة التي تحيط بنا ، فانما يأخذه الكاتب مأخذا يمس به حياة الانسان من قريب او من بعيد ، وقد نستثني من هذا التعميم « العلوم » بنوعيها : العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية . ومع ذلك ، فحتى هذه منسوبة الى الانسان مبدعها بوجه من الوجوه .

لكن لنقصر حديثنا على « الادب » حتى لا يتشعب بين ايدينا بغير طائل . فالادب في اى شكل من اشكاله (الشعر ، والقصة ، والمسرحية ، والمقالة حين تكون مقالة ادبية) اوله انسان وآخره انسان ، لكن هذا الانسان اذا كان سلوكه يظهر امام الابصار ، فيسهل وصفه في الكتابة الادبية ، فان وراء السلوك الظاهر دوافع تخفى عن الاعين ، الا عينى الاديب ، ومعنى ذلك ان الوقوف عند الجانب الظاهر هو وقوف عند « السطح » والناس ما وراءه في خفاء النفوس هو غوص الى « العمق » .

وواضح ان الادب اذا كان من شأنه ان يغير قارئيه ، فانما يجيء هذا التغيير بكشفه عن الخبيء من اغوار النفس ، فحياة القوم لا تتغير الا اذا تغير ما بأنفسهم من الداخل ، كما ينضبط سير عقارب الساعة بضبط تروسها .

والذى نزعمه هنا هو ان ادباء هذا الجيل ، لا يكتبون ما من شأنه ان يغير احدا ، استغفر الله بل انه يشد الى الوراء ، لانهم لا يمسون باقلامهم اوتار القلوب ، لانهم (وهذه نقطة لها اهميتها البالغة) لا يكادون يجعلون لادبهم « شكلا » (اعني الفورم) واذا خلا الابداع الادبي من شكله فهو لا شيء .

اقول ذلك وفي ذهني « الفورم » بادق معانيه ، والذى هو الطريقة التي ترتب بها اجزاء القطعة الادبية ، ترتيبا يخطو به القارىء خطوة خطوة الى ان يصل الى النتيجة المطلوب رسوخها في النفس ، شكل القطعة الادبية هو نفسه « فكرتها » وفكرتها هى شكلها ، فاذا قلنا ان ادباء هذا الجيل تفوتهم طريقة البناء المؤدية الى التأثير المطلوب ، فقد قلنا بالتالي ان ادبهم يخلو من « الفكرة » ، كانما هو لغو بغير مضمون .

●

لسنا نريد للشاعر او للكاتب ان يعرض علينا « عملية مجردة » لان هذه مجالها العلوه . لكننا نريد لكل انتاج ادبي ذى قيمة ان يجسد افكارا عامة في صور فردية جزئية لنراها باعيننا فنتأثر . فمسرحية « اوديب » ـ مثلا ـ جسدت نظرية التحليل النفسي في موقف متعين ، وبهذا فهي تبلغ من نفس القارىء او المشاهد ، مبلغا اعمق ، مما تبلغه النظرية العلمية المقابلة لها عند الدارسين .

ومن جهة اخرى لانريد للاديب ان يجعل الافكار التي يجسدها في ادبه ، عائمة على السطح حتى لا ينقلب الادب الى وعظ اخلاقي فينعدم تأثيره . ان معظم ما يكتبه كتابنا اليوم ، واعنى الكتابة الادبية ، لا يثير في الناقد شهوة النقد ، اذ ماذا يكون عمل الناقد الا ان يقرأ لنا القطعة الادبية من « اعماقها » التي تخفي عادة عن اعين عامة القراء ، فاذا كان المكتوب سطحا تراه كل عين وليس له اغوار تحتاج الى ناقد فاحص ففيم يقوم النقد الادبي ؟

كثيرا ما اسأل نفسى : لقد بدأت نهضة الامة العربية منذ اول القرن التاسع عشر ، اى انها بدأت قبل أن تبدأ النهضة في اليابان بنحو سبعين عاما ، فلماذا يلكأ بها السير ؟ ويكون جوابى كلما القيت السؤال هو : علتنا هي وقوفنا عند الاسطح ، ولا نغوص الى الاعماق . ■■



الانسان في فكر سارتر

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

لم يكن فيلسوفا عاديا ذلك الذي نعته أسلاك البرق في منتصف أبريل (نيسان) الحالي بل كان طرازا من الفلاسفة يتحدى جميع الصور النمطية التي ترسبت في اذهان الناس عن شخصية الفيلسوف .

كان سارتر ابعد الناس عن صورة ذلك المفكر المتوحد العازف عن صغائر الامور ، المترفع على المشكلات اليومية ، المنصرف بكل طاقته الى التأمل والنظر الى الاشياء من موقع رفيع شديد العلو ، لا تتكشف فيه الجزئيات او الدقائق ، وانما تتجلى فيه المعاني العامة والافكار الشاملة في نقائها وتجردها ، فقد كان سارتر إنسانا مندمجا في العالم ، وفي مشاكله ، بكل ما تحمله كلمة « الاندماج » من معنى . كان في مراحل مختلفة من حياته محاربا يحمل السلاح ، ومعلما وأديبا ومؤلفا مسرحيا وصحفيا ، وسياسيا ، ومناضلا نشطا في سبيل قضايا الانسان ، يدافع عن وجهة نظره في المحاكم ويقود المظاهرات ، وخلال ذلك كله ، لم يتوقف قلمه عن الكتابة بكل انواعها ولكن اعماله الكبرى ، التي بدأت منذ اقترابه من الثلاثين ، كانت تسير في خطين متوازيين : خط الادب ، وخط الفلسفة ، وكان كل من الخطين يكمل الآخر ويفسره . وحين يتأمل المرء خصوبة انتاجه ، لا يملك الا ان يتساءل : من اين اتاه الوقت الذي اتاح له كتابة كل هذه المؤلفات ، التي كانت تمتاز كلها بطابع شخصي فريد ؟ وكيف استطاع ان يوفق بين حياته الصاخبة ، الحافلة بالأحداث ، وبين الاستقرار والهدوء الذي تقتضيه كتابة رواية او مسرحية عميقة المغزى ، او كتاب فلسفي ضخم شديد التجريد ؟ اكان حقا يكتب « في المقهى » ، كما قيل عنه في اخصب فترات حياته ، بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ؟ وكيف يمكن ان ينبثق انتاج اصيل كهذا من ضجيج المقاهي ؟ .

انه ، على اية حال ، نمط فريد للفيلسوف ، يمثل القطب المضاد لذلك النمط المنظم المنهجي الهادىء ، الذي تجسد في شخص فيلسوف المانيا الاكبر « كانت » ، الذي كان كل شيء في حياته يسير وفقا لنظام مطرد لا يتخلف ، والذي كان يحرص على هدوئه وسكينته حتى لا يعكر شيء برنامج حياته المألوف ... اجل ، سارتر فيلسوف يضبط الناس ساعاتهم على موعد جولته اليومية ولم تكن قدماه تدبان بانتظام دقيق في « طريق الفيلسوف » ، بل كان انسانا يتقلب مع الاحداث ويتفاعل مع متغيرات عالم شديد الاضطراب . ولم يكن يملك الا هذا ، فقد كان « محكوما عليه » بأن يكون ابنا لعصره .

ليس مجرد مذهب فكري

ارتبط اسم سارتر « بالوجودية » الى حد اعتقد معه بعض الناس ـ من غير المتخصصين ـ انه مؤسسها وفيلسوفها الاكبر ، وحقيقة الامر ان سارتر هو الشخصية الكبرى في الوجودية الفرنسية على حين ان هذا الاتجاه الفلسفي كان له ممثلوه الكبار منذ اواسط القرن التاسع عشر ، في الدنمرك والمانيا . وحتى في حالة فرنسا لم يكن سارتر اول الفلاسفة الوجوديين ، ولكنه كان بغير شك اهمهم واشهرهم . ويذكر الكثيرون ، ممن ينتمون الى جيل الكبار ، ذلك الطابع الخاص ، الملفت للنظر الذي اتخذته الحركة الوجودية في فرنسا ثم في بلدان اوروبية عديدة ، بعد الحرب العالمية الثانية . كانت افكار سارتر تسري بين الشباب الفرنسي ، والاوروبي بوجه عام ، بوصفها التعبير الصادق عما يحس به الانسان المنتمي الى شعب طحنته الحرب وافقدته الكارثة كل احساس بما في العالم من حكمة وتناسق وجمال . ولعل الكثيرين من هؤلاء الشبان لم يفهموا افكار ذلك الفيلسوف حق الفهم ، ولكنهم تعلقوا بها لانهم وجدوا فيها « طريقة

للحياة » ، لا مجرد مذهب فكري نظري . وسرعان ما ظهرت بينهم « ملابس وجودية » ومقاه ومنتديات « وجودية » بل واسلوب « وجودي » في الاخلاق والحديث والتعامل مع الناس . اصبحت الحركة « موضة » وبقدر ما افادها ذلك في الانتشار على أوسع نطاق ، فقد اساء اليها اذ شوه افكارها وغلب مظاهرها السطحية على جوهرها الحقيقي . وبعد ان خفت آلام الحرب وبدأت ذكرياتها السوداء تتباعد عن اذهان الناس انحسرت الموجة الجارفة ، وبدأت الحركة تعود الى حجمها الاصلي ، بوصفها فلسفة تعبر عن نظرة معينة الى الانسان والعالم ، وليست بالضرورة اسلوبا كاملا في الحياة . كما بدأ الناس يدركون ان الوجودية ، وان كانت قد اشتهرت في فرنسا على يد سارتر ، كان لها ممثلوها الاقدم منه عهدا بكثير ، وكانت نشأتها الاولى في بلدان غير فرنسا ، فضلا عن ان لها اتجاهاتها المتعددة التي يصل الاختلاف بينها احيانا الى حد التعارض .

ولكن ، على الرغم من هذا التباين الشديد بين مجموعة الاتجاهات الفكرية التي يطلق عليها اسم جامع هو « الوجودية » ، فلم يكن من الصعب ان يدرك الناس تلك السمات المشتركة التي تجمع بينها كلها ، واهمها ارتكازها على الانسان ، وخاصة في تلك الجوانب التي كانت تهملها الفلسفات التقليدية . فقد كانت الفلسفات السابقة تتعامل مع الانسان بوصفه « عقلا » فحسب . وحتى حينما كانت تتحدث عن العواطف ، والانفعالات ، والقيم ، كانت تعالجها بطريقة عقلية خالصة . كانت تجرد الانسان من وجوده الحي ، الملموس ، لكي تستبقي منه هيكلا عقليا خلا من كل نبض . ومن هنا فقد جاءت الوجودية لكي تضيف بعدا جديدا تجاهلته الفلسفات التي سبقتها : هو البعد النابض بالحياة في الانسان . فهي تتابع رحلة الانسان بطريقة تتيح لكل منها ان يتعرف عليها في نفسه ، وتقدم الينا صورة للانسان بلحمه ودمه ومشاعره وضعفه وقوته ، وتصف احوال حياته اليومية ، وهمومه في موقع زمني محدد ، أما الانسان الأزلي الذي لا يتغير ولا يتحول ، الانسان الذي هو « عقل خالص » ، فلا شأن لها به .

الانسان .. محورها وهدفها

وتتمثل هذه السمة اوضح ما تكون في فلسفة سارتر ، التي وصفها هو ذاته بأنها « نزعة انسانية » ، وكان يعني بذلك ان محورها وهدفها هو الانسان ، بالمعنى الذي حددناه من قبل . ولقد لوحظ في تاريخ الفكر ان الفلسفات تعود ، في اوقات الازمات الكبرى ، او في نقاط التحول الرئيسية ، الى الانسان ، ولعلنا لاحظنا شيئا من هذا القبيل في عالمنا العربي بعد هزيمة ١٩٦٧ حتى انهال سيل من الكتابات والبحوث التي تحاول كلها ان تدرس الانسان العربي وتتعمق نظرته الى الحياة واسلوبه في التفكير وجوانب القصور في تربيته وتكوينه العقلي وطريقة معالجته للامور . مثل هذا الانسحاب الى الداخل يبدو امرا طبيعيا حين يمر مجتمع بأزمة طاحنة تزعزع أسسه وتدفعه الى مراجعة مواقفه من الجذور . واغلب الظن ان شيئا من ذلك قد حدث في فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة ، واثناءها وبعدها ، وكانت وجودية سارتر هي المظهر الفكري لعملية الانطواء على النفس وتأملها من الداخل في فترة المحنة هذه .

ومما يدل على ان الأزمة التي عانى منها المجتمع الاوروبي ، والفرنسي بوجه خاص ، في تلك الفترة الحاسمة من تاريخه ، كانت من وراء اتجاه سارتر الى تركيز فلسفته على الانسان ، وان محاسبة النفس في وقت المحنة كانت عاملا حاسما في تحديد معالم هذا الاتجاه ـ ان المجتمع الاوروبي ذاته قد عرف ، في اوقات التفاؤل والاحساس بالقدرة على اخضاع كل شيء للمنهج العلمي الدقيق ، فلسفات هامة ترتكز اساسا على مفاهيم مستمدة من العلوم الطبيعية او الرياضية ، وتدرس الانسان ذاته من خلال هذه المفاهيم . ولكن سارتر لم يكن يؤمن اصلا بهذا الاتجاه ، وكان من بين اولئك الذين ظلوا يعتقدون الى النهاية بان الانسان يختلف في جوهره عن العالم ، ومن ثم فان طريقة فهمه والنفاذ الى كيانه الباطن ينبغي ان تختلف عن تلك الطرق التي تصطنعها العلوم من اجل فهم الطبيعة . صحيح ان الانسان ، بمعنى ما ، جزء من الطبيعة ، ولكن اهم ما فيه لا يخضع للقوانين التي تسري على الطبيعة ، ومن ثم فان الاستبصار الفلسفي والنفسي يظل هو وحده القادر على التعبير عن اعمق ما في الانسان . ويكتمل هذا الاستبصار بنواتج الادب والفن والانسانيات ـ فهذه كلها هي وسيلتنا الى الكشف عن اغوار الانسان ، والوصول الى تلك الاعماق التي يستحيل ان تنفذ اليها اية دراسة تعتمد على الاساليب المتبعة في العلوم الطبيعية او الرياضية . ومجمل القول ان الوصول الى « الذات » البشرية يحتاج الى طريقة في المعالجة تختلف عن تلك التي نعالج بها « الموضوع » ، ومن هنا كانت فلسفة سارتر في اساسها فلسفة « للذات » .

الانسان .. والجبل !

لم يكن من المستغرب اذن ان يكرس سارتر جزءا



سارتر

كثيرا من جهده الفكري ، سواء في كتبه الفلسفية وفي انتاجه الادبي ، للبحث عما يميز طريقة وجود الانسان ، وما الذي يجعله « ذاتا » منفردة عن الطبيعة . فنحن نقول عن الحجر الملقى في الطريق ، او الجبل الراسخ في مكانه ، انه موجود ، ونقول عن الانسان الحي ايضا انه موجود ، ولكن من المؤكد ان هناك فرقا اساسيا بين الاثنين ، فما هو ؟ ان الاول « وجود في ذاته » ، والثاني « وجود من اجل ذاته » . وبرغم الصعوبة الظاهرية التي قد يجدها القارىء في هذه المصطلحات ، فان الفكرة واضحة كل الوضوح : فالاشياء موجودة في ذاتها ، بمعنى انها منطوية على نفسها ، يستهلك وجودها كله في تلك الصفات التي تكون عليها في اية لحظة معينة . اما الانسان ، فلا يمكن ان تستنفد جميع ابعاده في اية لحظة بعينها ، ولا يمكن ان تحدد سماته كلها من خلال مجموعة من الاوصاف الجاهزة المعدة سلفا . ذلك لان الانسان هو ، قبل كل شيء ، « مشروع » ، يتجه نحو المستقبل ويستهدف تحقيق غايات يرسمها مقدما . وهذا الاتجاه الدائم نحو مالم يتحقق بعد ، هو سمة اساسية تميز وجود الانسان ، وتفرق بينه وبين وجود الاشياء . فوجود الانسان غير مكتمل ، وعدم اكتماله هذا صفة ايجابية فيه وليس مظهرا للنقص ، لانه لو كان مكتملا لأصبح كالحجر الذي اكتسب جميع صفاته ويستحيل ان يغير فيها شيئا ..

وجود الانسان يسبق ماهيته

ولقد اوضح سارتر هذا الطابع المميز للانسان في عبارة اصبحت مشهورة في الفكر الفلسفي ، وهي ان « وجود الانسان يسبق ماهيته » . والمقصود بالماهية هو تلك الطبيعة الاساسية التي تميز جوهر اي شيء ولا يعرف الا بها . وعلى ذلك فان معنى عبارة سارتر هذه هو أن

● الانسان في فكر سارتر

الانسان يتميز عن سائر الكائنات بانه لا يملك طبيعة جوهرية ثابتة تتشكل على اساسها حياته وطريقة وجوده ، بل انه يوجد اولا ، وتتخذ حياته طابعا معينا ، ويظل يكتسب صفاته المميزة له من خلال افعاله والطريق الذي اختاره لحياته . وبعبارة اخرى فان ما يقيد مسار بقية الكائنات ، ويحكم عليها بالا تتحرك الا في اضيق الحدود ، لا يؤثر على الانسان الذي تتاح له بدائل لاحد لها ، ويصنع طبيعته بنفسه ، ان جاز هذا التعبير . ومن هنا قال سارتر ، موضحا فكرته هذه في كتاب « الوجودية نزعة انسانية » : « ان الانسان يوجد اولا ، ويواجه ذاته ، ويقذف به في العالم ـ ثم يعرف نفسه فيما بعد والسبب الذي يجعل الانسان ، في نظر الفيلسوف الوجودي ، غير قابل للتعريف ، هو أنه في البدء لا يكون شيئا ، ولن يصبح شيئا الا فيما بعد ، وعندئذ سيكون ما يصنعه بذاته . »

على هذا النحو تخلى سارتر عن تراث فلسفي كامل ، كان يضع للانسان طبيعة محددة المعالم ، او جوهرا ثابتا يتحكم في تشكيل كل فعل يقوم به ، ويصبغ وجوده بصبغته الخاصة . كما تخلى سارتر عن كل محاولات الفلاسفة المتأثرين بالعلم في تفسير الانسان كما لو كان نتاجا للطبيعة ، يسري عليه ما يسري عليها ، وركز جهده على كشف ما يتفرد به الانسان ، وما يختلف فيه « وجوده » عن وجود اي كائن آخر .

هذه النظرة الخاصة الى وجود الانسان هي التي ادت الى تأكيد معنى « الحرية » في فلسفة سارتر . ذلك لأن قدرة الانسان على صنع وجوده بنفسه تعني ان امامه امكانات لامتناهية ، وان عليه ان يختار مساره ، ويختار بذلك ما يكونه وما يصبحه ، في كل فعل يقوم به . فالحرية هي قدر الانسان الذي لا يستطيع ان يهرب منه ، وهي الشيء الوحيد الذي لا يمكن ان يكون الانسان « حرا » في رفضه او التهرب منه . وهكذا استطاع سارتر ان يقول ، في لغة لا تخلو من المفارقة ان الانسان « محكوم عليه » بالحرية . ولكن هذه الحرية تحمل في طياتها مسئولية فادحة : اذ ان الانسان حين يتخذ قرارا ما ، او حين يختار واحدا من الممكنات المتاحة امامه ، انما يختار نوع الوجود الذي يريده لنفسه ، ويضفي على عالمه المعنى الذي يريده .

الايمان الزائف

ازاء هذه المسئولية الفادحة ، لا بد ان يستشعر الانسان « القلق » وهو يرى نفسه كائنا محدودا تتاح

امامه امكانات لا نهاية لها . والقلق هنا تعبير عن وضع الانسان او موقفه ، وليس مجرد حالة نفسية يمكن التغلب عليها بالنصح او العلاج او التحليل . انه ذلك الوضع الذي يظل ملازما لكل انسان يدرك معنى انفتاح المستقبل امامه ، ويرى تلك الهوة السحيقة التي تفصل بين قدراته المحدودة وبين الامكانات الهائلة التي يتعين عليه الاختيار بينها . ولا شك ان كثيرا من الناس يتجنبون هذا القلق عن طريق الانشغال بأمور حياتهم اليومية ، فيوهمون انفسهم بانه لا يحتل مكانا في حياتهم،ولكن القلق جزء لايتجزأ من وعي الانسان وادراكه لطبيعة وجوده ، ومهما هربنا منه الى ذلك « الايمان الزائف » الذي نتصرف في ظله وكأننا لسنا احرارا ، ونتعامل مع العالم وكأننا « اشياء » في هذا العالم ، فانه لا بد ان يعاودنا في مواقف الاختيار الحاسمة وهي مواقف لا تخلو منها حياة اي انسان .

فماذا يمكن اذن ان يكون نوع الاخلاق التي يدعو اليها مفكر مثل سارتر ، يؤكد خصوصية الانسان وذاتيته الى هذا الحد ؟ لاجدال في ان مثل هذه الاخلاق لا بد ان تكون مختلفة اختلافا اساسيا عن تلك المذاهب الاخلاقية التقليدية ، التي يجد فيها الانسان قيما اخلاقية جاهزة يتعارف عليها المجتمع ، وكل ما يتعين عليه عمله هو ان يعرف كيف يطبقها على سلوكه بطريقة سليمة متسقة مع نفسها .ذلك لأن الانسان ، عند سارتر ، هو الذي يضع قيمه الخاصة ، وهو يحدد بنفسه القاعدة والمعيار اللذين يسلك وفقا لها . ولكن هذا لا يعني على الاطلاق ان يتحلل المرء من كل اساس للسلوك ويستبيح لنفسه كل شيء بحجة ان هذه قيمه ومعاييره الخاصة . ذلك لان الشعور بالمسئولية هو الضابط ، وهو الضمان ، في عالم لا نستطيع ان نحتمي فيه بقيم تعلو علينا وتتجاوز نطاق اختيارنا الحر . ففي كل اختيار اقوم به اكون ملتزما ، والزم معي البشرية كلها . وفي كل فعل يصدر عني احدد نوع الانسان الذي اكونه ، ونوع العالم الذي اريد ان احيا فيه .

معارك سارتر !

الى هذا الحد تبدو فلسفة سارتر « فردية » تماما ، حتى بالرغم من كل ما قاله عن المسئولية والالتزام ، « لان هذه هي مسئوليتي تجاه ذاتي في نهاية الامر » . وهكذا تبدو فلسفته مغامرة فردية لا تخلو من الشجاعة المأساوية ، يتحمل الفرد فيها اعباء افعاله وقراراته ، ويلتزم بها ازاء نفسه ، ويشكل حياته وفقا « للمشروع » الذي يختطه لها . وبالفعل كان هذا الطابع الفردي هو السائد في فكر سارتر خلال مراحله الاولى ، ومن اجله دخل معارك عديدة مع كل مذهب ، قديم او حديث ، يحاول ان يبني فلسفة تتجاوز نطاق الذات الفردية وتدمجها في كيان اوسع . وبلغ الامر بالنزعة الفردية عند سارتر حدا اصبح يرى معه ان « الجحيم هو الآخر » ، ويغرق نفسه في تحليلات معقدة للعلاقة بين وجودي ووجود الآخرين ، وتأثير حضور الآخرين فيّ ، ونظرتهم اليّ ، وكيف ان هذه النظرة تفقدني احساسي بتفردي وخصوصيتي وتحيلني الى « شيء » ـ وكلها تحليلات تدل بوضوح على ان سارتر لم يكن يتجاوز ، في تلك المرحلة ، نطاق الذاتية الخالصة .

على أن امانة سارتر الفكرية جعلته يزداد ادراكا بالتدريج لاهمية العوامل الاجتماعية ، حتى اصبحت هذه العوامل تلعب دورا ملموسا في فلسفته المتأخرة . فقد ادرك ان استقلال الانسان الاخلاقي ، وحريته ومسئوليته ، يمكن ان تهدد وتنهار كلها في ظل ظروف معينة ، كمعيشة المرء في مجتمع استغلالي مثلا . وهكذا اخذ يزداد وعيا بان مفاهيم « الحرية » و « المسئولية » و « الاختيار » لا تعني شيئا بدون السياق الاجتماعي الذي تقال فيه ، وبان « الاخلاق » ليست مغامرة فردية بطولية ، بقدر ما هي ممارسة ذات ابعاد اجتماعية يستحيل تجاهلها . وكان من نتيجة هذا الوعي المتزايد بالابعاد الاجتماعية للشخصية الانسانية ان ازداد اقترابا من الماركسية ، بعد ان كان حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، خصما عنيفا لها . وهكذا بدأت كتابات سارتر تستخدم المفاهيم الماركسية استخداما متزايدا ، وتجاوز الى غير رجعة مرحلة العداء السافر الذي عبر عنه تعبيرا صريحا في مسرحية « الايدي القذرة » .

حرية الانسان

ومن المؤكد ان الممارسات العملية قد لعبت دورا حاسما في احداث هذا التغير . ذلك لان الدور الايجابي الذي قام به سارتر من اجل مساندة حركات التحرير في الجزائر وفيتنام وافريقيا السوداء ، قد اقنعته بان حرية الانسان ليست « وضعا » او « موقفا » يجد نفسه فيه ، وانما هي شيء يكتسب وينتزع بعد كفاح طويل . صحيح انه لم يتخل تماما عن النوع الاول من الحرية ، ولكنه اخذ يزداد ادراكا بأن النوع الثاني هو الأهم ، وهو الذي يمكن ان يقضي على جميع امكانات النوع الاول . ففي ظل اوضاع اجتماعية معينة ، كأن يعيش الانسان خاضعا لاستعمار غاشم او لدكتاتورية سافرة او لاستغلال اقتصادي بشع ، يمكن ان تضيع تماما قيمة

تلك الحرية التي يعتقد الانسان انها تميزه عن عالم الاشياء ، ويضيق تماما نطاق الامكانات التي تتيح له ممارسة قدرته على الاختيار واستشعار المسئولية عن افعاله . وهكذا تبين له ان الحرية الفردية تفترض شروطا ، وليست على الدوام شيئا محكوما علينا به ، وتبين له ان هذه الشروط ذات طبيعة اجتماعية قبل كل شيء »

وهنا نجد انفسنا ازاء سؤال اساسي : « هل كانت فلسفة سارتر اذن تتحدث عن « الانسان » بوجه عام ، ام عن انسان معين يعيش في ظل ظروف واوضاع معينة ؟ « لقد تصور سارتر ، في المراحل الاولى من تفكيره ، انه يصف وضع الانسان ، بالمعنى المطلق لهذه الكلمة . ولكن ادراكه المتزايد لتأثير العوامل الاجتماعية في هذا الوضع الانساني كان لا بد ان يؤدي به إلى تحديد ادق لنوع الانسان الذي تتناوله فلسفته . وبقدر ما يمكننا ان نحكم ، فقد كان سارتر يتحدث في كتاباته الفلسفية ، لا عن الانسان بوجه عام ، بل عن الانسان الاوروبي المغترب في ظل اوضاع المجتمع الصناعي المعقد ، بما فيه من ازمات وحروب ونظم حكم تسلطية او ديمقراطية هشة .

« إنسان سارتر »

ولو امعنا النظر في مقولات سارتر الفكرية لوجدنا انها لا تعني الشيء الكثير بالنسبة الى انسان العالم الثالث . فالقلق والاغتراب و « الجحيم هو الآخر » ـ كلها مفاهيم تعني الكثير لدى الانسان الاوروبي في مرحلة معينة من تاريخه ، ولكنها ليست مقولات انسانية عامة كما اراد لها سارتر ان تكون . وابسط مثال على ذلك ، ان انسان العالم الثالث ، والانسان العربي على وجه التحديد ، يمكن ان يدرك معاني الحرية والاختيار والمسئولية على النحو الذي حددها به سارتر ، ولكنه لا



يستطيع ان يستشعرها في ذاته ويعيشها بوصفها جزءا من تكوينه الفكري الخاص . ذلك لأن الانسان في هذه المجتمعات يندمج في جماعات كثيرة ، كالاسرة والاصدقاء والجماعة الدينية ، الخ ، ويرتبط بها الى الحد الذي يتيح لها ان تحمل عنه قدرا كبيرا من المسئولية ، ولا تسمح له بأن يشعر بذاته بوصفه فردا ذا مسئولية مطلقة عن كل ما يفعل ، ولا تدع له مجالا للشعور بذلك الفراغ المخيف الذي يحس به انسان سارتر امام ممكنات المستقبل . وليست المسألة هنا مسألة تفضيل بين هذا الانسان وذاك ، وانما هي مسألة نمط مختلف من انماط الوجود ، لا يكون فيه لمفاهيم سارتر معنى واضح يعبر عن خبرة معاشة . ومن هنا كان الحديث عن « وجودية عربية » او « اسلامية » ، في رأيي ، تعبيرا يجمع بين اطراف لا اتساق بينها .

ان مفاهيم القلق ، والحرية « المكتوبة على الفرد » ، والاختيار المطلق ، يمكن ان تفهم وتستوعب بسهولة في المجتمع الغربي الرأسمالي ، حيث الاسرة الصغيرة التي يستقل افرادها ويتحملون كافة مسئولياتهم منذ وقت مبكر ، وحيث يطلب الى المرء ان يتولى المسئولية الكاملة عن حياته وعمله وتعليمه ومرضه في ظل نظام « الاعمال الحرة » الذي يتركك وشانك في اهم امور حياتك • وحين يقترن هذا النظام بالازمات الاجتماعية والاقتصادية ، والحروب المدمرة او التهديد المستمر بالفناء والعيش على حافة الهاوية ، يكون للمفاهيم الوجودية معنى لا يدركه العقل وحده ، بل يجربه الانسان ويعايشه .

وهكذا كانت الوجودية عند سارتر ، وعند غيره بطبيعة الحال ، ذات بعد اجتماعي لا يمكن تجاهله ، حتى لو كانت هي ذاتها تنكر هذا البعد . وحتى في الحالات التي تعبر فيها المفاهيم الوجودية عن رفض للمجتمع الذي ظهرت فيه ، او عن تمرد عليه ، فان هذا الرفض او التمرد ، انما يمثل رد فعل على هذا المجتمع ، منطلق من داخله ، ولا معنى له الا في اطاره .

واذن فقد كان سارتر ، في نهاية المطاف ، ابنا لعصره وحضارته . وفي هذا الاطار وحده تكتسب فلسفته معناها الكامل ، وتتضح دلالة المواقف التي انفرد بها بين مفكري عصره ، سواء منها مواقفه الايجابية ، كتأييده لحرية انسان العالم الثالث في وجه الاستعمار الاوروبي والعدوان الامريكي ، او مواقفه السلبية ، كتردده ومماألته ـ كما فعل معظم الاوربيين ـ في اصدار حكم قاطع لصالح العدالة في الصراع العربي الاسرائيلي . ■■

د . فؤاد زكريا

أقوال معاصرة









■ طلبات امريكا من حلفائها كثيرة ، وبعضها تصعب الاستجابة له .

المستشار الالماني هلموت شميث

■ لقد اصبح شعار الوحدة العربية محفوظا ولا يفجر موقفا ، وافضل ان تستبدل به شعار القضاء على التجزئة العربية .

صلاح الدين البيطار

رئيس وزراء سوريا الاسبق

■ الارهاب يهاجم من الخارج كاشفا القناع عن عجز مؤسسات الدولة ، والفساد يهاجم من الداخل مثيرا التساؤل حول جدوى الحفاظ على هذه المؤسسات .

فانكو فيراتورى

من علماء الاجتماع الايطاليين

■ لا نؤمن بمقولة انه لا بد من الاعتماد على قوة خارجية للتوصل الى الاستقرار الداخلي .

الامير سعود الفيصل

وزير خارجية السعودية

■ لا بد ان نفرق بين شرعية القوة التي تشكل الامر الواقع ، وقوة الشرعية التي يتمحور من حولها النضال .

صلاح خلف (ابو اياد)

نائب رئيس منظمة فتح

■ انني اطلب منكم ان تستخدموا نفوذكم الروحي لتحذير الحكومة الامريكية من عواقب اعمال النهب والظلم والاكراه ، ولنصح الرئيس كارتر باتباع تعاليم المسيح .

من رسالة لآية الله الخميني الى بابا الفاتيكان

■ لقد أعطينا الامريكان تسهيلات ، وعندما طلبنا منهم مساعدات ، لم نتلق منهم ردا !

الرئيس الصومالي محمد سياد برى

■ كون المرء عربيا ام غير عربي ، قضية لم تعد مطروحة في الجزائر .

الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد

■ الموقف الاوروبي يتجه الآن الى مزيد من الاستقلالية عن الركب الامريكي .

ميشال جوبير

وزير خارجية فرنسا الأسبق



■ بدون الاسلام لن تكون لنا شخصية مستقلة ، وبدون هذه الشخصية المستقلة لن تكون هناك ايران .

الرئيس الايراني الحسن بني الصدر

■ لقد توقفت ساعة الضمير العربي وسكتت ، ولم تعد تسمع الا دقات ساعة عصور الانحطاط .

الشاعر نزار قباني



■ من السذاجة بمكان ان يتصور احد ان اى مراسل صحفي في العالم يعمل بعيدا عن دوائر المخابرات .

ستانفيلد تيرنر

مدير المخابرات المركزية الامريكية

■ حملة منظمة الصحة العالمية ضد التدخين ، هدفها تدمير اقتصاديات الدول النامية المنتجة للتبغ .

من تصريح لمسئول شركة التبغ التنزانية



■ لو كان لي وطن لقلت ان الوطن لا يتأسس الا بالديمقراطية والحرية ، والا صار سجنا .

الشاعر محمود درويش

■ كيف يمكن ان يثق المرء في كفاءة قوة عسكرية يعتمد عليها أمن نصف العالم ، بعدما فشلت في انزال طائرتين في الصحراء الايرانية .

صحيفة لوموند الفرنسية



■ في اوربا يجتمع وزراء الخارجية ٢١ مرة في السنة ، بينما وزراء الخارجية العرب يجتمعون مرة واحدة في العام ، وحتى في تلك المرة الوحيدة فانهم يدخلون الاجتماع ، بينما كل منهم ينظر الى ساعته !

محمود رياض

الامين العام السابق لجامعة الدول العربية

■ الميزانية الجديدة في انجلترا ستحول الانجليز الى شعب من البقالين !

صحيفة « التايمز » اللندنية

■ لان الاوضاع العربية لا يمكن ان تكون اشد سوءا مما هي عليه الآن ، فينبغي اذن ان تبدأ بالتحسن !

الملك حسين ملك الاردن

انها أمانة في رقاب المفتين والمشرعين والمصلحين والأطباء

لا .. للإجهاض

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

الجنين ـ منذ بدأ ـ كائن حي مستمر النمو
والتفريط في حياته تفريط في حرمة الحياة الانسانية

•

الذين اباحوا الاجهاض اكتشفوا انه انتحار بالانقراض
وفي بلادنا لا تزال دعوات الاباحة تتردد !!

•

علميا : قتل الجنين هو قتل لنفس
وعلى الذين اباحوه من المفتين ان يراجعوا انفسهم .

حتى عصر قريب كانت المهنة الطبية في العالم كله تسبغ على الجنين حرمة الحياة البشرية ، وكانت القوانين تمنع ان تمتد يد الطبيب بالاجهاض الا في حالات استثنائية كأن تكون الام مصابة بمرض من الامراض التي تتفاقم بالحمل فتهدد حياة الأم ، فيباح الاجهاض استنقاذا لحياة الأم ، ولو ضحينا بالجنين .





ولكن شهد ربع القرن الاخير ـ فيا شهد ـ ثورة على هذه القيم التي سادت منذ القدم ، ولم يكن حملة هذه الثورة من داخل المحيط الطبي ، ولكنها رفعت الوية متعددة كان منها تحرير المرأة وكان منها التقدم الاجتاعي ، وكان منها توقي مخاطر الانفجار السكاني وكان منها تحرير الفكر الانساني من القيم البالية ، وكغيرها من الثورات بدأت متخافتة ثم تجرأت ونمت وقويت حتى استطاعت ان تغير تشريعات الاجهاض في اكثر دول العالم « المتقدم » وتضع مكانها تشريعات تتيح ـ من الناحية العملية ـ لكل انثى ان تحصل على الاجهاض ان ارادت ، لان المسوغات اللازمة اصبحت اقرب الى « تسديد الخانة » منها الى التمحيص الصادق .

وما الجديد في الامر ؟

لقد عرف الاجهاض على مدى التاريخ الانساني .. ولا نقول جديدا اذ نقول ان العديد من النساء في كل عصر كن يحصلن على الاجهاض خفية سواء لدى طبيب مرموق او لدى عجوز الحي أو داية القرية . ولكن هناك فرقا كبيرا بين هذا وبين ان تسبغ على الاجهاض الشرعية القانونية ، فانه اذن ينتشر انتشارا وبيلا وتفتك مضاعفاته بالمجتمع فتكا ذريعا . وحجة السادة المصلحين في ذلك هو انه مادام الشيء يحدث على كل حال فلماذا لانجعله حلالا مقبولا .. وهي نفس الحجة التي تذرعوا بها في بريطانيا حتى جعلوا اللواط امرا مشروعا لا يأباه القانون ونظموا المظاهرات في امريكا تحمل اللافتات العريضة مطالبة بالحقوق الكاملة للمنحرفين جنسيا حتى لو كانوا مدرسين في مدارس الصبيان او في مناصب يؤتمنون فيها على اسرار الدولة .

ولقد كنت في زيارة علمية لاحدى امهات المستشفيات في امريكا .. وشهدت ضمن البرنامج قائمة عمليات اجهاضية ، فكان الذي هالني هو ان المريضات كلهن كن اوانس غير متزوجات ، وادركت حقيقة الحاجة التي لبتها اباحة الاجهاض .

ومالنا ولهذا ؟

ولسنا أبدا بمعزل عما يحدث عند الآخرين .. بل بحكم عملي اعلم ان هذه الافكار بدأت تطرق ابوابنا طرقا مؤثرا .. واستالت اليها نفرا من اهل القمم رجالا وسيدات ، وجمهورا كبيرا من اصحاب المكانة في الطب والاجتاع والاقتصاد والتشريع منهم المخلصون ومنهم الماكرون ولكنهم جميعا في نطاق واحد من الدعوة والترويج . بل اني شهدت في وقت من الاوقات غرفة اسمها غرفة الاجهاض هيأها أستاذ جامعي في المستشفى الجامعي في بلد عربي يحرم قانونه الاجهاض . وبينما يقف الطلاب وراء ساتر يرون خلاله العملية دون ان تراهم المريضة ، يذاع شريط مسجل باللغة الانجليزية عليه محاضرة بصوت الاستاذ هي مرافعة في غاية البلاغة عن الاجهاض ، تستدر العطف على تلك المسكينة ذات الاولاد الكثيرين الذين لا تملك الاسرة لهم ثمن الخبز ، وتستنزل الشفقة على تلك الضعيفة التي اغواها الشيطان فحملت سفاحا وتخشى الفضيحة ، وما الى ذلك

مما يؤثر ويقنع من لم يكن على بينة من الاوجه الاخرى للمسألة . وهي اوجه نلخصها هنا في اعتبارات طبية واجتماعية ودينية .

موقف المهنة الطبية

وظيفة المهنة الطبية كانت ولاتزال الدفاع عن الحياة وتحسينها وتصميمها بما تملك من وسائل وقائية وعلاجية . وليس للمهنة الطبية اطلاقا ان تجوز لنفسها حق ازهاق الحياة . ويبقى السؤال المطروح اذن هل الجنين كائن حي ؟

والاجابة واضحة لدى المهنة الطبية .. فلقد نشأ فيها على مدى العقود الاخيرة تخصص طبي جديد اسمه الطب الجنيني .. يقوم على حسن رعاية الجنين في رحم امه ، وتشخيص طائفة من الامراض التي تصيبه ، وتقديم العلاج اللازم بوسائل بعضها جراحي . وعلى الرغم من ان فريقا من اهل هذا التخصص يرون اجهاض الجنين المصاب بعلة مهلكة الا ان قيام هذا التخصص في ذاته اعتراف بالجنين كائنا حيا وقبول له « زبونا » من حقه دفع الاذى عنه مادام الى ذلك من سبيل .. ولهذا فان المهنة الطبية تقع في تناقض فادح يزلزل كيانها ان استباحت في نفس الوقت ان تمتد ايدى افراد منها الى الجنين السليم الصحيح فتجهز عليه باقتلاعه من رحم امه لاسبب الا لانه غير مرغوب فيه.. ويعلم الاطباء ان الجنين منذ بدأ كائن حي مستمر النمو ، ولايوجد ابدا خط من قبله يكون الجنين ميتا ومن بعده يكون حيا .

والتفريط في حياة الجنين اذن تفريط في قيمة اساسية هي حرمة الحياة الانسانية ، وهي بداية لها استمرارها المنطقي في قتل المرضى المستعصى شفاؤهم ، ثم في قتل المخابيل او المشوهين ، ثم في قتل العجزة او المسنين الذين لاينتجون وانما يستهلكون من نتاج الارض الذى لم يعد يفي بحاجات اهلها .. ولقد وجد تعبير « القتل الرحيم » مكانه في لغة العصر في بعض بلاد الغرب واصبحت المحاكم تنظر بعض قضاياه .

آثار اجتماعية

الغريب ان بعض الدول التي كانت من اسبق الحكومات الى اباحة الاجهاض قد راجعت موقفها مؤخرا على ضوء ما جنت من ثمار ، فدارت دورة كاملة .. وجدت ان مجموع الاجهاضات قد تجاوز مجموع الولادات .. ثم وجدت بعض الدول انها بلغت رقم الصفر في النمو .. اى ان عدد المواليد يساوى عدد الوفيات دون زيادة في تعداد الامة كما حدث في بريطانيا منذ عامين .. ووجدت دول اخرى انها تتناقص عددا لان من يموتون فيها أكثر ممن يولدون : وانتبهوا على حقيقة مروعة عبروا عنها بأن الشعب يمارس الانتحار بالانقراض . ووجدوا ان الزراعة والصناعة والتوسع فيهما لن تجدا العدد الكافي من السواعد للعمل . بينما شباب اليوم سيكتهلون ويتقاعدون ويعيشون اعمارا طويلة نتيجة التقدم في الرعاية الصحية ، وبهذا تصبح الشريحة العاملة في المجتمع شحيحة جدا بينما تزداد الشريحة المحمولة غير المنتجة ..

وارتفعت الانذارات وتغيرت القوانين بالفعل وعادت بلاد كثيرة في شرق اوربا وغربها تضيق قوانين الاجهاض مرة اخرى وتسخو باجازات الامومة والحوافز المادية على انجاب الاطفال في صورة مكافآت أو اعفاءات ضريبية . كذلك ظهر ان اباحة الاجهاض انما هي جزء من صورة اكبر واشمل ، تمثل اتجاها عاما للترخص والتحلل من التراث الاخلاقي الذى صعد به الانسان في مدارج حضارته ، واحلال تقاليد جديدة تفضي الى حضارة الاباحة وما صحبها من عودة الامراض السرية بصورة وبائية ، وعدم التقيد بالزواج كشرط للمعاشرة الجنسية ، والانحراف الجنسي ، وغير ذلك مما يعاني منه المجتمع الغربي معاناة يتاح لمثلي بحكم المهنة ان يطلع على مدى ما تسببه من تعاسة وشقاء وان كان اربابها يزيفونها ببريق من الحرية والمتعة والجمال .

رأى الدين

ورغم انني سأورد رأى الاسلام فانني اؤكد بحكم اتصالاتي وقراءاتي ان الرأى المسيحي كذلك يحرم الاجهاض .. ولم تتسامح فيه الا الكنائس التي تسامحت في غيره من امهات المسائل (مثال ذلك ما ورد في مجلة التايم ٢٨ اكتوبر عام ٦٦ عن لجنة من مجلس الكنائس البريطاني في تقرير عن الجنس والفضيلة ، تستنكر فيه الاستغلال الجنسي ، وتبارك الصلة الجنسية في الزواج ، ولكنها ترفض ان تساند الرأى الداعي الى العفة قبل الزواج والالتزام بعده .. ورفضت ان تأخذ بقول الانجيل ضد الزنى الذى وجدته مسموحا في بعض الاحوال ان شكل امتزاجا شاملا بين بالغين راضيين ! ! ولست ادرى كيف يجرؤ هؤلاء على الانتساب للسيد المسيح الذى قال : من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه) .

ويجمل راى الاسلام ان حياة الانسان حياة محترمة في كافة ادوارها بما فيها الدور الجنيني وللجنين في الشريعة الاسلامية اعتبارات تدل بداهة وقطعا على ان له حق الحياة . فانه ان مات رجل عن زوجة حامل لم توزع التركة على الورثة الا بعد حفظ ميراث الحمل ، وينتظر الجنين حتى يولد . وعلى الورثة ان يتعهدوا ان وضعت المرأة اكثر من وليد ان يردوا على الوليد الثاني نصيبه .

وانه ان حكم على امرأة بالاعدام وتبين انها حامل ارجىء تنفيذ العقوبة حتى تلد وقيل حتى ترضع ، حتى ولو كان حملها من سفاح ، مما يدل على ان مثل ذلك الجنين له ايضا حق الحياة . كذلك فانه لواسقط جنين في اية مرحلة ثم ظهرت عليه اية علامة من علامات الحياة كحركة او عطسة ثم مات الجنين ، فانه يرث ايا من مورثيه الشرعيين ممن مات بعد بدء الحمل ، ثم يرث الجنين بعد موته ورثته الشرعيون . هذا فضلا عن ان في الاسلام عقوبة مالية على الاجهاض اسمها « الغره » وهي عشر الدية التي تدفع عن قتل البالغ بطريق الخطأ .. يدفعها من تسبب في الاجهاض وياخذها ورثة الجنين الشرعيون ، فان كان منهم مشارك في الجرم دفع نصيبه في الغرامة وحرم نصيبه المستحق له منها . وتستحق العقوبة حتى بغير قصد اجرامي ، فقد استدعى عمر بن الخطاب امرأة فخافت فأجهضت فدفع لها الغرة .

ولقد كانت هناك في الماضي بعض اختلافات الرأى بين فقهاء المسلمين سببها انها كانت في ازمنة ما قبل العلم المعاصر ونشأة علم الامبريولوجيا (تكوين الجنين) وما استقر الان بين ايدينا من حقائق علمية كانت على عهدهم مجهولة او مظنونة .

فمنهم من رأى أن دبيب الحياة في الجنين يبدأ لدى احساس الام بحركته في رحمها عادة بعد أربعة اشهر من الحمل . ولهذا اجاز بعضهم الاجهاض قبل ذلك . ولكننا الان نعلم ان الجنين يتحرك من قبل ذلك بزمان طويل وانما يمنعه صغر حجمه وقصر أطرافه من أن تبلغ ضرباته وركلاته جدار رحم امه فتحس به ، وهو في كيسه يسبح في السائل الامنيوسي كما تسبح السمكة الصغيرة دون أن ترتطم بالجدار .

وعرض بعضهم لحديث الاربعينات عن النبي عليه السلام ، ذاكرا ان المرء يودع رحم امه اربعين يوما نطفة ثم مثلها علقة ثم مثلها مضغة ثم يأتي الملك فينفخ فيه الروح ويكتب شقي او سعيد .. وهو حديث نأخذه تصديقا عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، ولكن تظل الروح من بعد ومن قبل من امر الله وحده .. « يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا » . ولهذا لم يأخذ به في تجويز الاجهاض الا فرقة من الحنابلة .. اما بقيتهم ونفر من اهل المذاهب الاخرى الذين رسموا للاجهاض رقعة من الاجازة فقد جعلوها في الايام الاربعين الاولى على اساس ان النطفة من بعد ذلك تكون قد تخلقت .. وهنا نعود فنقول ان التخلق سابق على ذلك ، وان عالم الامبريولوجي اليوم يعلم ان التخلق قد بدأ وقطع شوطا حتى قبل حلول موعد الحيضة المرتقبة التي ان غابت بدأت المرأة ترتاب في انها ربما قد حملت . وهكذا ينحاز الرأى العلمي الحديث الى منطق الغزالي الذي جعل افساد الحمل جناية من اول الحمل ، وجعل الجناية افحش بعد نفخ الروح ، واوصلها منتهى التفاحش بعد الانفصال حيا فيما كانت الجاهلية تقترفه من قتل البنين ووأد البنات .

ان من الاحكام الشرعية مالايمكن الوصول اليه الا بالاحاطة العلمية التامة والمتخصصة للقضية المطروحة . وكما استنبط السابقون احكامهم مما بين أيديهم من معلومات طبية فليس لنا ان نكتفي بالنقل عنهم وبين ايدينا دقائق وتفصيلات علميه جديدة لم تكن في زمانهم . ولما كنت من اهل الاختصاص الطبي الدقيق في هذا الموضوع فقد وجدت من الامانة ان اضع امام اشياخنا وفقهائنا حقيقة ان الجنين حي من بدء حمله ، وانه ينساب ناميا في تناغم واتصال ، وان قلبه ينبض بالدم في شرايينه منذ اسبوعه الخامس ، وان جنين الاشهر الثلاثة تام الخلقة وان كان صغير الحجم وانه تكون وانما يكبر وينضج بعد ذلك ، وان الجنين يتحرك ونرصد باجهزتنا حركته ونسمع دقات قلبه قبل ان تحس امه بحركته بزمان طويل .

واعلم من الناحية الطبية ان قتل الجنين قتل نفس . واصونه واحافظ عليه الا ان كان في استمرار الحمل تهديد لحياة الام ، واذاك فقط اهدر حياة لانقاذ حياة ولكن ليس لما دون ذلك من اسباب .

واود ان اجعل ذلك امانة في رقاب السادة المفتين المشرعين والمصلحين والاطباء .. وفي رقاب الاغلبية الصامتة التي تتيح بصمتها للاقلية الحادقة الدائبة ان تخطط لها وترسم لها مصيرها .

ألا هل بلغت

اللهم فاشهد

■■

د .حسان حتحوت

عندما ثار بركان فيزوف

الانتخابات أم البركان؟

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

كان يوما كيوم القيامة ..
« يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » .



قد تكون سمعت بخبر « بومبي » المدينة الايطالية التي قبرت في شواظ من نار ودخان فيا يبرحان ... ان لم تكن سمعت فالناس يروون لك انه قبل الف وتسعمائة سنة ثار البركان الهادىء الذي يجاور هذه المدينة ، بركان فيزوف ، فارسل عليها سحبا من الرماد الناري غطتها بمن فيها وما فيها . فاجأها القدر بغتة . فما تزال على الجثث المتفحمة آثار المفاجأة واضحة متجمدة . ذاعت القصة وشاعت ، والمدينة الملعونة اليوم من موارد السياحة الايطالية . والناس يشهدون من امر بشرها المتفحم وتماثيلها المبهوية وحماماتها ومسارحها ومركباتها واعلاناتها الانتخابية ما يشهدون .. ولكن ما سمع احد بالقصة المماثلة المنسية ، التي حدثت في العهد القريب ، قصة مدينة « سان بيير » ...

كان ذلك منذ ٧٨ سنة . وان شئت الدقة في مايو ١٩٠٢ . كل شيء هادىء كان في « سان بيير » النائمة على ساحل البحر الكاريبي في جزيرة المارتنيك ❋ الفرنسية ما عدا الجو السياسي . المدينة الممدودة على الشاطىء بسكانها الثلاثين الفا ، كانت قد خاضت الانتخابات لاختيار نائبها للمجلس التشريعي . وقصر المرشحان : مرشح الاكثرية ومرشح الاقلية عن الوصول الى الحد القانوني من الاصوات للنجاح فكان على الاثنين خوض المعركة مرة اخرى بعد اثنى عشر يوما ... معركة « البالوتاج » !

لا وقت للحديث

واحتدم الزحام العنيف المحموم بين انصار الطرفين .... وشارك في ذلك كل من في البلد ... رئيس البلدية واستاذ الفيزياء في المدرسة الثانوية وصاحب مصنع السكر الوحيد في المدينة واسقف الكنيسة وصاحب الصحيفة الوحيدة في سان بيير ، كانوا هم ابرز الوجوه في الحملة الانتخابية وفي حلبة الصراع . ولكن جميع السكان كانوا غارقين فيها ... اي غرق . حتى الرحلات التي كانت تنظم كل يوم احد للصعود الى قمة بركان بيليه ❋ العجوز فوق جبل البلدة للاطلال على فوهته التي لم تتنفس منذ خمسين سنة الى ان نبت عليها بعض الشجر وزحف عليها العشب الاخضر ، حتى هذه الرحلات تعطلت ذلك الاسبوع بسبب الانتخابات . البيانات الانتخابية والمجادلات لم تسمح للناس ان يأبهوا كثيرا لبعض الدخان الذي اخذ يتسلل منذ اسبوعين من الفوهة البركانية المشرفة بهدوء العجائز على المدينة ...

وحين قام استاذ الفيزياء ، اثناء اجتماع المجلس البلدي صباح يوم ٢٨ ابريل (نيسان) يلفت نظر المحافظ الى ما يخامره من القلق لهذا الدخان اسرع المحافظ يعاتبه :

ـ اهذا وقت مثل هذا الحديث ونحن نكاد نخسر الانتخابات ؟

ان البركان في مكانه هذا منذ الاف السنين ولا يتحرك . دعه ينفس عن نفسه باطلاق بعض الدخان ... القضية الملحة الآن هي ان بيننا وبين المرشح المعارض ٣٠٠ صوت فقط ويجب ان نبذل الجهد لكسب المستقلين فلديهم ٨٠٣ اصوات ! والا كان للمعارضة نائب يوم ١١ مايو ... هل هناك من اقتراح ؟

في يوم ٢٨ ابريل نفسه جاءت راهبات الدير القائم على السفح كالعصفور المعلق ، الى الاسقف ـ ابانا نحن قلقات ... ديرنا منذ عدة ايام لم ير عصفورا واحدا . هربت العصافير وكثرت الافاعي فوق الارض ...

ـ اعلم ! اعلم ! ان البركان يطلق بعض الدخان . والدخان ازعج العصافير هذا كل شيء .. والافاعي دوما موجودة . انصرفن الآن الى الصلاة ...

في ذلك اليوم نفسه على بعد كيلو متر من شمال المدينة كان صاحب معمل السكر يستقبل وفدا من عماله :

ـ اننا نسمع هزيما مخنوقا وهديرا كأنه في الاعماق والمصنع تماما على مسيلة القمة ! ..

ـ يا اصدقائي هذا البركان منذ خمسين سنة اطلق بعض الدخان بل اخرج بعض اللهب ثم عاد من نفسه الى الصمت والهدوء .. انه عجوز . سوف اصعد بنفسي الى القمة لارى وارجوا ان يطمئنكم ذلك ! وبالرغم من انه لاحظ ان ماء السيل الجاري في الوادي اضحى فاترا

❋ هي احدى جزر الانتيل في البحر الكاريبي مساحتها ١١٠٠ كم^2 وسكانها ٣٠٠ الف تقريبا اليوم .

❋ بركان Pelee هو اسم هذا البركان في جزيرة المارتنيك .

الا انه حين عاد من القمة قال لعماله :

ـ الى العمل ايها الجبناء .. لا شيء هناك !

شخص واحد فقط في المدينة كان لا يأبه للانتخابات ولا لدخان البركان ، ذلك الشخص هو النزيل الوحيد في السجن : زنجي محكوم بالحبس منذ شهرين في بعض السرقة : كان همه ان يشتم الحارس السجان لانه قد اودع في قاع غرفة كالحجر شديد الرطوبة والعمق والظلمة ! في اليوم التالي لاحظ بعض الذين صعدوا القمة ان الفوهة قد امتلأت بالماء الساخن وكانت من قبل لا تحتفظ الا ببعض الماء في القاع ، وسحب من البخار كانت تنعقد فوق الفوهة ولم يكن فوقها من قبل سحب ولا بخار ..

مصادفة سيئة

« اننا نشهد انفجارين بركانيين . واحد في الرؤوس والثاني في الجبل واحد من الخطب والاموال واوراق الاقتراع ، والثاني من الدخان والرماد الساخن ، ان البركان الانتخابي يدخن بدوره ولن يهدأ قبل ١١ مايو المقبل . اما الثاني فمتى يهدأ يا ترى ؟ »

وحين بدأ البركان يقذف بعض الحجارة مع الدخان رأى الاسقف ان مقاعد المصلين بالكنيسة قد امتلأت وان صف المنتظرين امام كوة الاعتراف يطول ... اما البحر فكان هادئا ، واولئك الذين كانوا يمتلكون بعض القوارب ركبوها ليتأملوا صورة البركان من بعيد وهو يزفر كالحوت العظيم .. المنظر شديد الروعة من البحر .

السجين وحده كان في السجن لا يدري بشيء ولا يأبه لشيء !! ومثله كان حاكم المدينة لانه كان غائبا في العاصمة تلك الايام ..

بعد يومين تغير الوضع قليلا : اشتدت نيران المعركة الانتخابية مع اقتراب يوم الاقتراع . ولكن القلق البركاني كان بدوره قد اشتد في تصاعد متواز . كانا يشتدان ... كل الناس قد اخذوا بسحب الدخان التي اخذت تتكاثف . ببعض البروق النارية التي تنطلق . برائحة الكبريت التي جعلت تفوح بالرماد الذي بات يلعب في الجو ويتساقط على الارض . كل الناس قد اخذوا الا اصحاب المعركة الانتخابية . كانوا يخشون ان يؤثر ذلك كله على النتائج التي يرجونها ... كانوا يلعنون هذه المصادفة السيئة ويصرون على ضرورة تهدئة الخواطر .. فلا شيء هناك !

في ليلة ٣ مايو لم ينم الزنجي السجين . كانت زمجرة اقسى من الغضب الذي في صدره تملأ الارض تحته . صرخ وصرخ . ضرب الباب بيديه ورجليه . لم يرد عليه احد ... وفي الصباح كانت المدينة كلها قد وقعت في بحر من الرعب ... الذعر المجنون اخذ يتجول في العيون وعلى الدروب ...

ولكن القسيس كان يأمر المصلين في الكنيسة بتلاوة صلاة « اومن بالله » بينما كانت ارتال طويلة من طالبي الاعتراف تتزاحم امامه .. وكان صاحب المصنع يطمئن امرأته :

ـ ان اشتدت الحال فليس امامنا سوى مائة متر نقطعها ونصل المركب في المرفأ ونبحر : لا تتركي الصغير يبكي . هدئيه .

وكان رئيس البلدية يستيقظ مبكرا ليبرق الى الحاكم النائب .

ـ وضع البركان يزداد خطرا . الناس في ذعر . نطلب تعليماتكم ! وجاء اليوم التالي ولم يصل اي رد . وفي اجتماع طاريء بالمحافظة وقف استاذ الفيزياء يقول :

ـ اعتقد اننا يجب الا ننتهي نهاية بومبي . يجب ان نخلي المدينة .

وصاح به رئيس البلدية :

ـ هل تدرك ما تقول ؟ هل نعلن : من استطاع النجاة فلينج لاثنين وثلاثين الف ساكن ؟ وفي قلب المعركة الانتخابية ؟ وبيننا وبين الاقتراع اسبوع ؟ انا لن احمل هذه المسئولية ؛ ليحملها الحاكم اذا شاء ... »

ولكن الحاكم لم يشأ حملها بدوره . ابرق لهم يقول : « الا تدركون الوضع الانتخابي الخطر طمئنوا الجميع وليبق كل في عمله . سأطلب التعليمات من باريس ✻ »

كان الرجل بعيد النظر . يدرك ان في القضية خسارة الحكومة لمقعد في المجلس النيابي ... وجاءت برقية الوزير متأخرة ولكنها تؤيد راي الحاكم : « تذكركم باهمية الانتخابات . نعتمد عليكم بان تفعلوا المستحيل لادارة الامور بشكل طبيعي ريثما ينتهي الدور الثاني من الاقتراع . ثم لكم مطلق الحرية في اتخاذ ما ترون

✻ كانت جزر المارتينيك هذه تابعة لفرنسا ، وما تزال .

من التدابير لمواجهة الموقف ... »

السباق اذن كان بين البركان وبين موعد الاقتراع بعد اسبوع ! في ذلك اليوم تجمع عمال مصنع السكر امام ابوابه عند الظهر بظاهر المدينة يتوجسون الخيفة . قال لهم صاحب المصنع :

ـ تستطيعون الانصراف ان كنتم مذعورين وتعودون للعمل يوم الاثنين ! ساقضي عطلة الاسبوع على المركب ... كان المركب على بعد مائة متر وكانت زوجته وابنته على باب المنزل حين صاح احد العمال :

ـ الجبل ينهار .. الجبل يتـ ....

ولكن الصيحة لم تتم لان جدارا من المهل الناري يزيد في الارتفاع على ثلاثين مترا كان قد طوى المصنع والعمال وصاحب المصنع واسرته واستقر عند الشاطيء يغلي .. ربوة من الصخر الاحمر المسود تفور بما حوت من الاجساد وتصعد الدخان والابخرة والشرر كعاصفة من عواصف الجحيم !

اخذ ذلك كله ثواني معدودات .

قضي الامر كله في ثوان !

ثم عاد البركان بغتة الى الهدوء . كأن شيئا لم يكن !

في المدينة على بعد كيلومترين . كان استاذ الفيزياء قد شهد دفعة اللهب الصخري تندفع وعرف انها لا بد اخذت المصنع وتفحم فيها ٣٥ جثة على الاقل ! .. ركض الى رئيس البلدية .. القسيس الذي كانت الراهبات قد جن اليه وتقدين عنده رأى سيل النار المنقض فقال لهن :

ـ لا شك ان الله الممكن ترك الدير اليوم . لقد طوى كطي السجل للكتب . رحم الله الدير .. لقد قبر في النار !

الصحفي الذي كان يجهل ما جرى للمصنع كتب لجريدته : لقد انفجرت دفقة من المهل وثمة تلاطم في موج البحر يزيد على ثلاثين مترا لا بد انها هزة ارضية تحت قاع البحر ...

اما السجين في قاع زنزانته فقد شعر بالارض تضطرب تحت اقدامه وضرب الباب بكلتا يديه ولكن احدا لم يسمعه . الحراس كانوا في شغل عنه . يجمعون حوائجهم ... احتياطا للاحداث ... المدينة كلها استبد بها ذعر الفرار .

واجتمع في المحافظة اركان الانتخابات : ماذا نفعل ؟

وقال رئيس البلدية :

ـ التعليمات واضحة لا سماح باي اضطراب قبل ان يجرى الدور الانتخابي الثاني . وقال استاذ الفيزياء : ولكننا نهزأ من تعليمات الحاكم . انه على بعد ٣٠ كيلو مترا منا ، انه في مأمن . والبركان فوقنا يهدد . فوقنا نحن . يجب اخلاء المدينة .

ـ ليست هي تعليماته ولكنها تعليمات الوزير ، من باريس ، وزير المستعمرات .

وقال الصحفي : ـ لا بد ان تعطيني تصريحا للجريدة .

ـ انه جاهز . اكتب : لا تدعوا الذعر يستبد بكم بدون مبرر ، تابعوا اعمالكم المعتادة ، الانتخابات قائمة ...

وجاء الحاكم يوم الاثنين ٥ مايو .

اخذ البركان يطلق الزمجرة التي تفتت الاعصاب ويبصق غيوما من الابخرة والدخان .

وجاء استاذ الفيزياء الى رئيس البلدية يرجوه :

ـ يجب ان تخلي المدينة في نظام . ان نغلق الادارات والبنوك .

ـ لا مجال لذلك . الحاكم لم يأمر به ...

ـ ولكن قل له ان يأتي البلد ليرى اين هي انتخاباته ؟ .. الست ترى ان بعض الناس يهربون وبعضهم بدأ النهب ؟

ـ صحيح ... ولكن ....

الثلاثاء ٦ مايو ...

الزحام والخصام امام كاهن الاعتراف بالكنيسة يبلغان الاوج . قدموا النساء والاطفال اولا . بعض الناس يتدافعون على الشاطيء لركوب المراكب الموجودة . شيخ شهد حادث المصنع عن قرب وفقد ابنه فيه كان يصيح في صوت النذير :

ـ غادروا هذه المدينة الملعونة . غادروا سدوم !

اما الحاكم البعيد ثلاثين كيلومترا عن سان بيير

فتلقى برقيتين : الاولى من باخرة كانت في عرض الميناء بالمدينة تقول : لقد انتهينا من تحقيق مكان انقطاع الخط التلغرافي البحري . خرائط الاعماق تحدد انه كان على بعد ٢٦٦٠ مترا من هنا . من الواجب ان تشير الى انه الآن على بعد ٣٠٠٠ متر ...

الثانية من رئيس البلدية :

اضحينا عاجزين عن امتلاك زمام المدينة . حالة الذعر والفوضى تستبد بالاهلين . عجلوا بعمل شيء ... »

واراد الحاكم ان يفعل شيئا فابرق « اني قادم »

وقال لزوجته : تذهبين معي . ان ذلك من شأنه ان يهدىء المدينة ويبعث الاطمئنان في الناس .

وابحر مركب الحاكم وزوجته نحو سان بيير وعليه ايضا لجنة علمية من بعض الاساتذة بوصفهم خبراء ،وضابط كبير فانه قد يكون ثمة ضرورة لوجوده لكبح جماح الفوضى ! ان وضع الانتخابات اضحى في خطر ان تقصت اصوات مدينة سان بيير ...

تصريح صحفي

وهدأت المدينة بالفعل حين وصل هذا الوفد . الذين كانوا يسرعون الى المراكب تباطأوا . الجامعون لحاجاتهم على عجل توقفوا . الراكضون على الازقة اخذوا يتساءلون : ان كان الحاكم وزوجته قد حضرا وحضر هؤلاء العلماء، فلا بد ان الامر ليس بتلك الخطورة ... وسرى في الدروب تيار الاطمئنان كما لو اطلقت تيارا من الهواء البارد في افواه جهنم . وكتب الصحفي في جريدته البلاغ الرسمي التالي : « ان المدينة وما حولها في اتم السلامة . واللجنة العلمية سوف تتابع الدراسة للاحداث وتبلغ الاهلين بما تراه اولا باول . والامر لا يتعدى ان البركان اطلق ما يحويه من الرماد .. »

وحده البركان كان لا يابه لكل ذلك ... والسجين الوحيد في السجن ! أما استاذ الفيزياء فكان يهمهم بينه وبين نفسه :

ـ انهم لا يرون الا يوم « البالوتاج » يريدون ابقاء الناس باي شكل في المدينة حتى ذلك اليوم ...

في المساء كان الحاكم واصحابه ضيوفا على رئيس البلدية في العشاء . وكان الصحفي يدبج مقالا في تهدئة الناس ويتهجى اسماء اعضاء اللجنة العلمية المجهولين . وقسيس الكنيسة يصلي بالراهبات بعد يومه المرهق من الاعترافات . واستاذ الفيزياء ... مثقوب الفؤاد يتساءل اليست ٣٢ ضحية بالكافية لانذار هؤلاء العميان ؟

اما السجين في قاع الزنزانة السوداء فكانت عيناه فقط هما اللتان تلمعان في العتمة ...

شهران قد قضي هناك في انتظار باقي المدة ... لا يعلم شيئا عما يجري . ايهم ان يعلم ؟

صباح الخميس ٨ مايو سنة ١٩٠٢ قبيل الساعة الثامنة بدقائق استيقظ السجين على تيار محرق من الهواء نفذ من كوة زنزانته . لقد احرق البخار الساخن اطرافه ووجهه واخذت رائحة واخذة عنيفة من الكبريت تدمر انفه .. فاقبل يضرب بكل قوته على الباب : افتحوا لي اني اختنق ! استجار . صاح ، زمجر . عوى . زفر . خار . نبح ... ليس من جواب . ظل يفعل ذلك ثلاثة ايام ...

في اليوم الرابع اخيرا اجابوه جاء بعض الجنود فكسروا الباب واخرجوه الى سطح الارض الى النور ... الذي اعشي عينيه فترة من الوقت ! ... حين استطاع ان يرى ، لم ير شيئا ، لم يكن ثمة مدينة كان ثمة فقط جثث متفحمة بكل مكان ... الاستاذ والصحفي ورئيس البلدية والقسيس ومرشح الحكومة ومرشح المعارضة والحاكم وزوجته واللجنة العلمية كانوا كلهم في المصير سواء لا يتميزون عن ٣٢ الف جثة اخرى ... سوداء حتى العظم ! موزعة بين البيوت المدمرة والطرق المغمورة بالمهل والرماد ...

لم يكن الناس قد قرأوا بعد ما كتبه الصحفي في تطمينهم صباح الخميس الفاجع . وخلال ثوان لا تجاوز الخمس . قبيل الساعة الثامنة . كانت ابواب جهنم تفتح . تنفجر قمة البركان . تتحول الفوهة الى مجموعة من الفوهات الثاربة . وسيل جبار من الحمم واللهب يهوى بعرض السفوح كلها وبارتفاع عشرات الامتار . فالمدينة كلها بما فيها ومن فيها كتلة من اللهيب الاحمر ومن سحب الضباب ... حتى المراكب في الشاطىء احترق بعضها وغرق الآخر ...

وامحت مدينة سان بيير بسكانها الـ ٣٢ الفا احترقت ما بين انتخابين .. وحين جاءت فرق الانقاذ بعد ثلاثة ايام سمعت في غرفة السجن طرقا شديدا وما يشبه العواء . انه السارق الثائر سجين المدينة الوحيد ... وكان الناجي الوحيد من المدينة التي ذهبت ، وذهب معها الانتخاب ، وامل الحكومة في الاصوات ... وكان هذا الناجي هو الوحيد الذي لا يحق له الانتخاب !

د . شاكر مصطفى

قراءة في فكر رافض :

الله ليسَ منحازاً لأحد

بقلم : فهمي هويدي

.. غاية الامر أن المسلمين يسمون أمة الاجابة ، وغيرهم يسمون أمة الدعوة ، فالجميع أمته .

بهذه العبارة يتحدث شيخ علماء المغرب ، عبد الله كنون ، عن ميزان العدل في الاسلام ، « بين جميع الطوائف والعناصر ، من غير اعتبار لون او نزعة ايا كانت » ❋

وفي هذا الاتجاه ، تصب افكار واجتهادات العديد من فقهاء المسلمين ، الذين يبنون مواقفهم على حقيقة أن بني أدم خرجوا « من نفس واحدة » ، وأن « الخلق كلهم عيال الله » .

وهو اتجاه تحدد معالمه ابعاد قيمة العدل الالهي ، بكل تجرده وسموه . اذ لا انحياز ولا محاباة لاحد ، لا في الدنيا ولا في الآخرة . بل إنه امام « الموازين القسط يوم القيامة » ـ بالتعبير القرآني ـ ، تسقط الهويات والانساب والالقاب ، ويبقي شيء واحد يحتكم اليه في الثواب والعقاب ، هو العمل الصالح اولا ، والعمل الصالح اخيرا ! .

وعندما وقف النبي عليه السلام فوق الصفا ، ليقول لقريش كلها ، ولاهله وابنته فاطمة على وجه الخصوص : لا اغنى عنكم من الله شيئا ، فقد كان على وعي تام بتلك الحقيقة ، منذ تلقي التوجيه الالهي : وأنذر عشيرتك الأقربين . وعندما سجل القرآن الكريم في قصة سيدنا نوح ، كيف انه اراد أن يشفع لابنه عند الله ، جاءه الرد بالرفض القاطع ، والسبب : « إنه عمل غير صالح » .

لا النسب ، ولا مكانة الأب الرفيعة عند الله ، حالا دون أن ينفذ عدل الله ، لان الاهم طبقا « للموازين القسط » ، ماذا قدمت يداه هو ، ماذا كان موقفه هو ، أين موقعه هو بين الخير والشر .

ان الله ليس منحازا لاحد . هذه واحدة من الحقائق الاساسية في التفكير الاسلامي ، التي ينبغي التنبيه والتذكير بها . ومن التبسيط الشديد للامور ، ومن الفهم المسطح والقاصر للاسلام ، ان يروج

❋ عبد الله كنون ـ الاسلام أهدى .

البعض لفكرة ان الطريق الى السماء حكر على نفر من الناس ، بل انه من الاساءة الى عدل الله ان يعان كائنا من كان انه صادر لحسابه مفاتيح الجنة وهو قاعد في مكانه ؟ !

لقد حسمت النصوص القرآنية الأمر منذ نزل كتاب الله قبل ١٤ قرنا . عندما تخاصم أهل الاديان ـ والرواية لابن عباس (مختصر تفسير ابن كثير ـ المجلد الاول) ـ فقال اهل التوراة : كتابنا خير الكتب ، ونبينا خير الانبياء ، وقال اهل الانجيل مثل ذلك . وقال اهل الاسلام : لادين الا الاسلام ، وكتابنا نسخ كل كتاب ، ونبينا خاتم النبيين ، وامركم وامرنا ان نؤمن بكتابكم ، ونعمل بكتابنا : فقضى الله بينهم ، ونزلت الآية : ليس بأمانيكم ، ولا أماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا (النساء ـ ١٢٣) . وخير بين الاديان فقال : ومن أحسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفا (النساء ـ ١٢٥) .

يضيف ابن كثير : ان الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال . وليس كل من أدى شيئا حصل له بمجرد دعواه ، ولاكل من قال انه هو على حق سمع قوله ، بمجرد ذلك ، حتى يكون له من الله برهان .

وفي تفسير الآيتين يقول الامام محمد عبده (الاعمال الكاملة ـ الجزء الخامس) : « ان الاديان ما شرعت للتفاخر والتباهي ، ولا تحصل فائدتها بمجرد الانتماء اليها والمدح بها ، بلوك الالسنة والتشدق في الكلام . بل شرعت للعمل ... وانما سرى الغرور الى اهل الاديان من اتكالهم على الشفاعات ، وزعمهم أن فضلهم على غيرهم من البشر بمن بعث فيهم من الانبياء لذاتهم ، فهم بكرامتهم يدخلون الجنة وينجون من العذاب ، لا بأعمالهم » .

ثم يضيف الاستاذ الامام : ان كثيرا من الناس يقولون تبعا لمن قبلهم في ازمنة مضت ، ان الاسلام افضل الاديان ، اى دين اصلح اصلاحه ؟ .. اى دين ارشد ارشاده ؟ .. اى شرع كشرعه في كماله ؟ ولو سئل الواحد منهم ، ماذا فعل للاسلام ؟ وبماذا يمتاز على غيره من الاديان ، لا يجد جوابا !

وفي هذا السياق نزلت الآية : ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا (النساء ـ ١٢٤) ، التي يعقب عليها الشيخ محمد رشيد رضا (تفسير المنار ـ الجزء الخامس) بقوله : اى ان كل من يعمل ما يستطيع عمله من الصالحات ، وهو متلبس بالايمان مطمئن به ، فأولئك العاملون المؤمنون بالله واليوم الآخر يدخلون الجنة بزكاء أنفسهم وطهارة ارواحهم .

ثم يضيف معقبا على الآيتين (١٢٣ ـ ١٢٤) ان فيهما « من العبرة والموعظة ما يدك صروح الاماني ومعاقل الغرور التي يأوي اليها الكسالى . الجهال والفساق (كذا :) من المسلمين ، الذين جعلوا الدين كالجنسية السياسية ، وظنوا ان الله العزيز الحكيم يحابي من يسمى نفسه مسلما ، ويفضله على من يسميها يهوديا او نصرانيا بمجرد اللقب . وان العبرة بالاسماء والالقاب لا بالعلم والعمل . »

وثمة آيات قرآنية اخرى ، من رب الناس ، تطل على كل الناس من منظور اكثر اتساعا وشمولا ، وتعطي قيمة العدل عند الله سبحانه ، ابعادا وآفاقا بغير حدود .

والآيات ثلاث هي :

ـ ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم (البقرة ـ ٦٢) .

ـ ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئون والنصارى ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (المائدة ـ ٦٩) .

ـ ان الذين آمنوا والذين هادوا ، والصابئين والنصارى والمجوس ، والذين اشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ـ (الحج ـ ١٧) .

والآيتان الأوليان تسويان بين الجميع امام الله سبحانه ، وتشترطان فقط الايمان بالله والعمل الصالح ، ليثاب الخيرون عما فعلوا ، وليطمئن الجميع الى عدالة الله « ولموازين القسط » يوم القيامة .

ولا بد ان نلاحظ ان « الصابئين » ذكروا في هاتين الآيتين ، وهم ليسوا من اصحاب الاديان السماوية على اي حال ، وان قيل انهم يؤمنون بالله ، وببعض الانبياء . وحتى هؤلاء ، من عمل منهم صالحا فله اجره عند ربه .

وفي الآية الثالثة اضافة للمجوس والمشركين ، وتذكير بأن حسابهم على الله يوم القيامة ، وليس على أحد من الناس في هذه الدنيا .

وفي تفسيره للآية الاولى من سورة البقرة يقول الامام محمد عبده (الجزء الرابع من الاعمال الكاملة) ان انساب الشعوب وما تدين به من دين وما تتخذه من ملة ، كل ذلك لا اثر له في رضاء الله ولا غضبه ، ولا يتعلق به رفعة قوم ولا ضعتهم . بل عماد الفلاح ووسيلة الفوز بخيري الدنيا والآخرة ، انما هو صدق الايمان بالله تعالى .

ويؤيد هذا التفسير ، ويردده ، محمد رشيد رضا صاحب « المنار » ويضيف عليه قوله : ان حكم الله العادل سواء ، وهو يعاملهم ـ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ـ بسنة واحدة ، لا يحابي فريقا ويظلم فريقا . وحكم هذه السنة ، أن لهم أجرهم المعلوم بوعد الله على لسان رسولهم ، ولا خوف عليهم من عذاب الله .

ومن المفسرين من يخالف هذا الرأي ، ويرى ان هذه الآية منسوخة بقول الله تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (ال عمران ـ٨٥) . من هؤلاء الطبري وابن كثير وسيد قطب ، الذي يشير في « الظلال » الى ان « العبرة بحقيقة العقيدة ، لا بعصبية جنس او قوم ، وذلك طبعا قبل البعثة المحمدية ، اما بعدها ، فقد تحدد شكل الايمان الاخير » .

غير ان محمد عبده ورشيد رضا والشيخ دراز ، مثلا ، يرون ان الاسلام المقصود في الآية ، والذي لا يقبل الله سبحانه سواه ، هو « الايمان بالله » واسلام القلوب له والايمان بالآخرة ، والعمل الصالح مع الاخلاص » بتعبير الامام محمد عبده .

وربما ساعدت قراءتنا للسياق على استنباط المعنى الصحيح . فالنص القرآني في هذا الموضع يبدأ بالآية : « قل آمنا بالله وما انزل علينا ، وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين احد منهم ، ونحن له مسلمون » ـ ثم تجيء الآية التي نحن بصددها : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين » .

بهذا التصور ، فان آية « ومن يبتغ غير الاسلام دينا .. » ، لا تتعارض مع الآية التي نحن بصددها « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى » . ولا مبرر للقول بان الآية الاخيرة منسوخة بالاولى .

ان العلاقة بين الآيات هنا ليست فقط علاقة تكامل ، لا مكان فيها للتناقض او التناسخ . ولكن هذه العلاقة تتسع في الوقت ذاته اطارا أمثل لعدالة الله ، باعتباره ـ سبحانه ـ « رب الناس وملك الناس » جميعا .

ويذهب الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه (الدين ـ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان) الى ان « الاسلام في لغة القرآن ليس اسما لدين خاص . وانما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الانبياء ، وانتسب اليه كل اتباع الانبياء » . ويستدل على ذلك بقوله : « هكذا نرى نوحا يقول لقومه (أمرت أن أكون من المسلمين ـ يونس ٧٢) ويعقوب يوصي نبيه (فلا تموتن الا وانتم مسلمون ـ البقره ١٣٢) . وأبناء يعقوب يجيبون أباهم « نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ، ونحن له مسلمون ـ البقرة ١٣٣ » . وموسى يقول لقومه (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ـ يونس ٨٤) والحواريون يقولون لعيسى (آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ـ آل عمران ٥٢) . بل ان فريقا من اهل الكتاب حين سمعوا القرآن : (قالوا آمنا به ، انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين ـ القصص ٥٣)

ويتساءل الدكتور دراز : ماهذا الدين المشترك الذي اسمه الاسلام ، والذي هو دين كل الانبياء ؟ ..

ويجيب الشيخ الجليل على السؤال قائلا : ان الذي يقرأ القرآن يعرف كنه هذا الدين : انه هو التوجه الى الله رب العالمين ، في خضوع خالص لايشوبه شرك ، وفي ايمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده على اى لسان وفي اى زمان او مكان ، دون تمرد على حكمه ، ودون تمييز شخصي او طائفي او عنصري بين كتاب وكتاب من كتبه ، او بين رسول ورسول من رسله .

ثم يضيف الدكتور دراز : غير ان كلمة الاسلام قد اصبح لها في عرف الناس مدلول معين ، هو مجموعة الشرائع والتعاليم التي جاء بها محمد (ص) أو التي استنبطت مما جاء به ، كما ان كلمة اليهودية او الموسية تخص شريعة موسى ، وما اشتق منها ، وكلمة النصرانية او المسيحية تخص شريعة عيسى .

●

ولعلي اضيف ان منطق القرآن ذاته في التعامل مع البشر ينطلق من هذه الرؤية الأرحب والأرحم بخلق الله جميعا . وهو المنطق الذي يبدو شديد الوضوح في هاتين الآيتين :

ـ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلاتظلم نفس شيئا . وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها ، وكفي بنا حاسبين (الانبياء ـ ٤٧) .

ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (الزلزلة ٧ و٨) .

ويرى الامام محمد عبده (الاعمال الكاملة ـ الجزء الخامس) ان الآيتين تشملان المؤمنين والكافرين على حد سواء . « فمن يعمل من الخير ادنى عمل واصغره ، فانه يراه ويجد جزاءه ، لافرق في ذلك بين المؤمن والكافر . غاية الامر ان حسنات الكفار الجاحدين لاتصل بهم الى ان تخلصهم من عذاب الكفر » .

ويضيف الاستاذ الامام أن حسنات الكافرين لاتنجيهم من عذاب الكفر ، وان خففت عنهم بعض العذاب الذي كان يرتقبهم على بقية السيئات الاخرى . وقوله تعالى « فلا تظلم نفس شيئا » اصرح قول في ان الكافر والمؤمن في ذلك سواء ، وان كلا يوفى يوم القيامة جزاءه .

ثم يقول : وما نقله بعضهم من الاجماع على ان الكافر لاتنفعه في الآخرة حسنة ، ولا يخفف عنه عذاب سيئة ما ، لا أصل له . فقد قال بما قلناه كثير من ائمة المسلمين رضى الله عنهم .

ويلتقى الالوسي ـ مفتى بغداد الاسبق والاشهر ـ في «تفسير روح المعاني » (جـ . ٣) مع ماذهب اليه محمد عبده في تفسير سورة الزلزلة . فهو يقول بأن النص على ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره .. « يشمل المؤمن والكافر . وان حسنات الكافر تخفف عنه عذاب الله في الاخرة » ، مدللا على ذلك بالاحاديث الصحيحة التي وردت في ان حاتما (الطائي) يخفف عنه لكرمه . وان اباهب (الموعود بنص القرآن بأنه سيصلى نارا ذات لهب) يخفف عنه كذلك لسروره بولادة النبي (ص) واعتاقه لجاريته ثويبة

حين بشرته بذلك . والحديث في تخفيف عذاب ابي طالب مشهور . (وهي احاديث استشهد بها محمد عبده ايضا)

وبعد ان يستعرض الالوسي وجهات النظر المختلفة في تفسير الاية ، مرجحا ما يراه ، فانه يؤكد على انه « ليس صحيحا القول بان اجماعا على ان حسنات الكافر لاتنفعه في الآخرة » .

●

وللامام الغزالي رأى يلقى مزيدا من الضوء على الموضوع من زاوية اخرى فهو يقول في كتابه (فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) ان غير المسلمين « ثلاثة اصناف » ، صنف لم تبلغهم دعوة الاسلام ولم يسمعوا باسم النبي محمد (ص) فهم معذورون ، وناجون من عذاب الله .

« والصنف » الثاني بلغته الدعوة على وجهها الصحيح ، ولم ينظر في ادلتها إهمالا او عنادا واستكبارا ، وهم « الكفار الملحدون » ، وهؤلاء مؤاخذون حتما .

والصنف الثالث بين الدرجتين ، بلغته دعوة الاسلام على غير وجهها ، « بل سمعوا منذ الصبا ان كذابا اسمه محمد ادعى النبوة « على حد تعبيره » فهؤلاء عندى في معنى الصنف الاول (من الناجين) فانهم مع انهم سمعوا اسمه (النبي عليه السلام) سمعوا ضد او صافه . وهذا لايحرك داعيه النظر والطلب » .

وفي هذا المعني يقول الشيخ محمود شلتوت في كتابه « الاسلام عقيدة وشريعة » ان من لم يؤمن بوجود الله ، ولابرسله ، ولا بكتبه ، ولا بالآخرة .. من لم يؤمن بشيء من هذا لا يعد بالضرورة كافرا عند الله .. « اما الحكم بكفره عند الله ، فهو يتوقف على ان يكون انكاره لتلك العقائد او لشيء منها ، بعد ان بلغته على وجهها الصحيح ، واقتنع بها فيما بينه وبين نفسه ، ولكنه ابى ان يعتنقها ويشهد بها عنادا واستكبارا ، او طمعا في مال زائد ، او جاه زائف ، او خوفا من لوم فاسد . فاذا لم تبلغه تلك العقائد ، او بلغته بصورة منفرة ، او صورة صحيحة ولم يكن من اهل النظر . او كان من اهل النظر ولكن لم يوفق اليها ، وظل ينظر ويفكر طلبا للحق ، حتى ادركه الموت اثناء نظره ـ فانه لا يكون كافرا يستحق الخلود في النار عند الله » .

ثم يضيف الشيخ شلتوت : والشرك الذى جاء في القرآن ان الله لا يغفره ، هو الشرك الناشيء عن العناد والاستكبار .. الذى قال الله في اصحابه « وجحدوا بها ، واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا » ـ سورة النمل ـ ١٤ .

وقيمة هذه الاشارات انها تعكس مدى الحذر الذى ينبغى ان يتحلى به الدعاة وهم يستخدمون كلمات الشرك والكفر والايمان . كما انها تعكس مدى سماحة التصور الاسلامي الحق في التعامل مع الآخرين . وقبل هذا وذلك فان هذه الاشارات تعبر بوضوح عن مدى رحابة ابواب السماء واتساعها لكل بادرة خير ، وتلمس الاعذار للآخرين ، ليس فقط من أصحاب الاديان الاخرى ، بل أيضا من الذين يبقون على شركهم لان رسالة الاسلام لم تبلغهم على الاطلاق ، او بلغتهم على غير وجهها الصحيح ، او حتى بلغتهم على وجهها الصحيح « ولم يكونوا من أهل النظر » !

●

في اول رسالة « الحسبة » ، يقول شيخ الاسلام ابو العباس بن تيمية : ان الناس لم يتنازعوا في ان عاقبة الظلم وخيمة ، وعاقبة العدل كريمة ، ولهذا يروى ان الله ينصر الدولة العادلة وان كانت كافرة ، ولاينصر الدولة الظالمة وان كانت مؤمنة !

والكلام غني عن أى تعقيب !

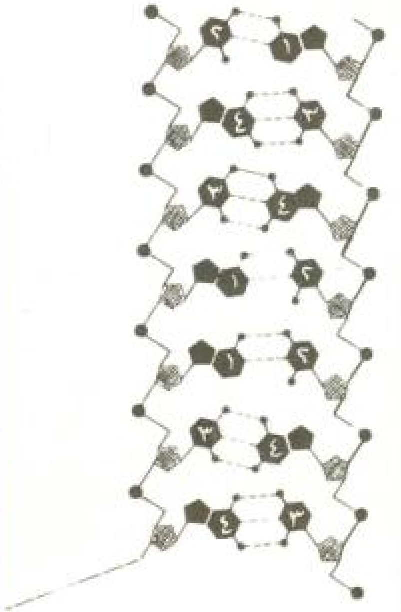
ديمقراطية الحياة في عالم الخلايا

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

ان لغز الحياة وما حوت ، لا يقل شأنا عن لغز السماوات وما طوت .. اذ كلما زادت محصلة الانسان من المعرفة ، وحسب أنه أصبح من الحقيقة قاب قوسين أو أدنى ، أشاحت هذه الحقيقة بوجهها ، لتتجلى لنا بأوجه شتى ، حتى لكأنما لن نصل الى الجوهر أبدا .. لا في ذرة .. ولا خلية .. ولا سماء ، فكلها تنطوي على أسرار وألغاز ضخمة غاية الضخامة .

وكلما توصلنا الى حل لغز من هذه الألغاز ، تجلت لنا من ورائه ألغاز أضخم محتوى ، وأعمق غورا ، لكنها - في النهاية - ترشدنا الى اكتشاف نظم مذهلة توضح « صنع الله الذي أتقن كل شيء » .. ولن يتجلى لنا ذلك الا بالبحث والتنقيب في أسرار تلك النظم ، لتصبح أمامنا بمثابة كتاب مفتوح يسعد العقول المتفتحة على معرفة تقربها من خالق هذه الأكوان ، علها تقدره حق قدره - فالى فقرة جديدة اذن من فقرات هذا الكتاب البديع .. كتاب الكون المفتوح !

لا أحد - حتى الآن - بقادر على أن يعرف لغز السرطان .. لكننا نعرف بالتأكيد أنه ينشأ من خلية من الجسم ذاته .. خلية واحدة منشقة تكفي لتدمير مجتمعها الذي يضم حوالي ٦٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ خلية (اي ٦٠ مليون مليون !) .. إن هذا المجتمع الخلوي الضخم - في جسم الانسان - موضوع تحت رقابة دقيقة ، وتشرف عليه موازين غاية في الحساسية والانضباط ، ولهذا فان أي خلل فيها - حتى ولو كان طفيفا - قد يؤدي الى المرض والموت !



جزء صغير جدا من الشريط الوراثي ، وفيه تتراص الشفرة على هيئة سلالم .. لكن هذا الشريط لا يشتغل تلقائيا ، بل من خلال هيئة رقابة تنتشر على مناطق خاصة

وإذا أردنا أن ندرك سر الخلية السرطانية ، وكيف تنشأ ، كان لابد أن ندرك أولا ما تنطوي عليه الخلية من آلية جزيئية معقدة ، ونبحث في موازينها الحساسة التي تتحكم في مجتمعاتها .. صحيح أن الخلية قد لا يتجاوز قطرها ثلاثة أجزاء من مائة جزء من المليمتر (وهي بهذه الحدود لا ترى بالعين البشرية) ، لكن لا يجب علينا أن نستهين بهذه الضآلة ، اذ أنها تنطوي على اكثر من مائة مليون مليون ذرة ، تآلفت في جزيئات عضوية وغير عضوية لتصبح اكثر عددا من سكان الأرض بمئات المرات ، أضف الى ذلك أنها تحتوي على آلاف الأنواع من المركبات الكيميائية الأساسية والمتخصصة ، وبين هذه المركبات تجري ألاف التفاعلات الحيوية ، ولابد ـ والحال كذلك ـ من وضع ضوابط وروابط ، حتى يسري كل تفاعل في حدوده المرسومة ، فلا يحيد عنها ولا يميد ، لأن الحيود قد يؤدي الى خلل في أحد الموازين ، مما قد ينعكس على خلل فيا حوله ، ذلك أن هذه الآلاف من المهام والعمليات التي تجري في الخلية متشابكة ومتفاهمة ادق ما يكون التفاهم والانسجام .. مثلها في ذلك « كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو ، تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ـ على حد قول الحديث الشريف .

أي لو أننا نظرنا الى ما يجري في داخل الخلية ، وقارناه بمعاييرنا البشرية ، لوجدنا أن مختلف التفاعلات الكيميائية ، تبدو كما لو كانت تتأرجح على هيئة آلاف المؤشرات ، فاذا مال أحدها جهة اليمين أو اليسار ، كان لابد أن يعود الى توازن له مغزاه ، أي كأننا في هذه الحالة نقف أمام « كمبيوتر » او حاسب اليكتروني جبار ، وفيه يسري كل شيء بحساب ومقدار ، وطبيعي أننا ندرك سر حاسباتنا الاليكترونية ، وما وضعنا فيها من « بروجرامات » ، لأننا صنعناها بعقولنا وأيدينا ، لكننا لا ندرك ـ الآن على الأقل ـ أسرار هذه الحاسبة الدقيقة ، نعني الخلية الحية ، لأن « بروجراماتها » وموازينها معقدة غاية التعقيد .. صحيح أننا عرفنا من ألغازها الكثير ، لكن ما عرفناه لا يعدو قطرة من بحر المعرفة الذي ينتشر فيها بغير حدود !

وسر عدم معرفتنا بنشأة الخلية السرطانية ، يرجع الى جهلنا النسبي بآلاف التفاصيل التي تسيطر على حياتها ، اذ مما لاشك فيه أن هذه الخلية الخبيثة ، كانت قبل ذلك خلية « عاقلة » متزنة ، ولاشك انها كانت تتبع شرائع الجسم وأحكامه ، ثم انشقت على المجتمع الذي فيه تعيش ، وكأنما هي قد أصيبت بالجنون ، فتبدأ في الانقسام والتكاثر دون ما داع لهذا الانقسام ، في حين أن

بعض خلايانا المتزنة تعاود الانقسام والتكاثر اذا ما دعت الضرورة الى ذلك ، كأن يكون هناك جرح أو كسر او ما شابه ذلك ، ثم يأتيها الأمر بالتوقف عندما تنتهي من مهمتها ، فتطيع وتستكين .. الا هذه الخلية السرطانية ، فلا حاكم لها ولا رادع .. اللهم الا من جراحة مبكرة تستأصل الورم الذي انتجته من جذوره !

ومما لاشك فيه أن جنون هذه الخلية يرجع الى انفلات في أحد مؤشراتها أو موازينها ، لكن أين موقع هذا الخلل ؟ او ما هو المؤشر الذي فقد توازنه ، ليؤثر على ما حوله ، لا أحد يعرف ذلك بالضبط ، ففي الخلية ـ كما ذكرنا ـ معمعة هائلة ، وتفاعلات متداخلة ، وأحداث متلاحقة ، وكأنما نحن نقف أمام غابة متشابكة ، دون أن نعرف يقينا كل ما يجري في داخلها من حياة خافية !

وطبيعي أن دراستنا هذه ليست مخصصة للأورام السرطانية ، رغم أن بدايتها قد توحي بذلك ، لكننا قدمنا ما سبق من فقرات ، لنعرف قيمة الموازين الحساسة التي تسيطر على كل خلية من ملايين الملايين التي تحتويها أجسامنا ، ولنترك هذا « الخلل » الخلوي اذن ، لنقدم بعض ما وعيناه من موازين لها في حياتنا وحياة الخلية شأن يذكر !

الرئاسة أولا من فضلك !

لكي يسري كل مشروع ضخم عظيم ، سواء على مستوى الدولة أو المدينة أو الجماعة ، كان لابد أولا من وجود رئاسة وقيادة لتخطط وتشرع وتوازن وتنفذ .. والحال كذلك مع الخلية الحية ، مع فرق جوهري ، فرئاستها أعظم ، وتخطيطها أقوم ، وتشريعها أتقن ، وتوازنها أروع ، وتنفيذها أبدع .. فلقد جاء كل هذا بقدرة فذة لا يستطيعها البشر ، حتى ولو اجتمعوا لها !

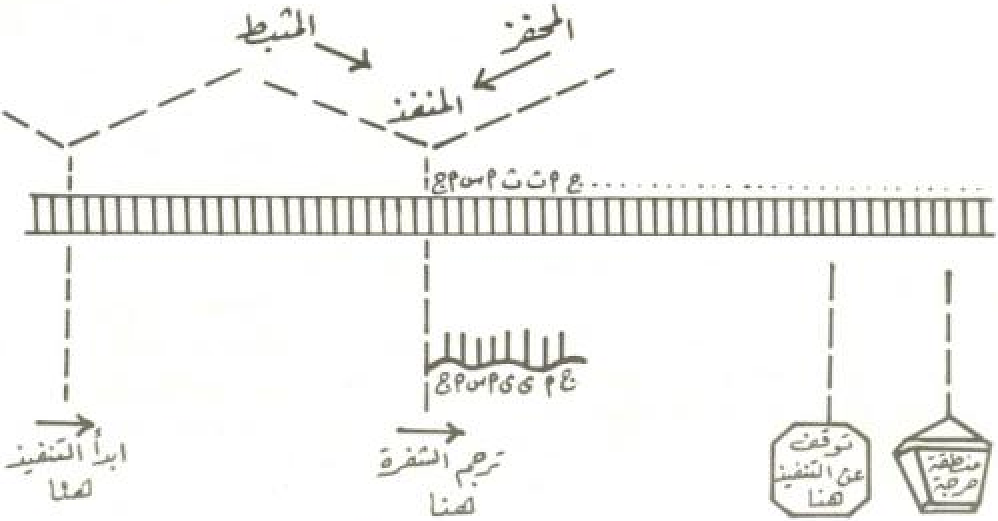
خذ الانسان على سبيل المثال .. فلقد نشأ من خلية ملقحة ، وفي الخلية كل المخزون الوراثي الذي سيحدد كل صغيرة وكبيرة .. الشكل وتناسق الوجه والأطراف ولون العينين والبشرة والشعر والبصمات والطول ، وكل تفاعل حيوي يخفي عن العيون ، وبالاختصار يوجد « كتاب مكتوب » يحدد عشرات الألوف من الصفات المختلفة التي نجيء بها الى الحياة .

وفي هذا « الكتاب » حوالي مائة ألف خطة .. كل خطة مسجلة على شريط وراثي دقيق غاية الدقة .. الشريط مطوي في جينة أو مورثة .. الجينات متراصة واحدة بجوار الأخرى بالآلاف أو عشرات الآلاف ، لتصبح على هيئة « خريطة » وراثية أو ملف كامل اسمه كروموسوم ، والخلية الملقحة تحتوي على ٤٦ ملفا أو كروموسوما ، تسكن جميعها في بناية كروية دقيقة ، نطلق عليها اسم النواة .. والنواة هنا بمثابة الرياسة أو القيادة أو الحكومة المركزية ، لأنها تحتفظ بكل الخطط التي تحتاج الى تنفيذ !

وطبيعي أن كل خلايا الجسم وأنسجته وأعضائه وعظامه قد اشتقت من هذه الخلية الأولى بطريق الانقسام والتكاثر ، وكل خلية من ملايين الملايين ، تحتفظ بنسخ طبق الاصل من كروموسومات النسخة الأولى ـ أي الخلية الملقحة .. لتصبح لكل خلية قيادتها او رئاستها المستقلة .

والى هنا قد يتبادر على الذهن تساؤل : اذا كانت كل هذه الخلايا والأنسجة المختلفة قد اشتقت من خلية اولى ، فلابد ان تكون طبق الأصل منها أو شبيهة لها ، لكننا لا نرى ذلك في الواقع ، فخلايا الكبد ، غير خلايا الجلد والعين والأمعاء والرئة والطحال والكلية والعظام ... الخ ... الخ ... اذن كيف حدث هذا التشكيل المثير ؟

حدث عن طريق برنامج زمني لا زلنا نتوه في تفاصيله أعظم تيه (لمزيد من التفاصيل راجع مقالنا في هذا المجال على صفحات العربي بعنوان « تشكيل الجنين .. هذه الرحلة المثيرة » ـ صفحة ٢٣ ـ أغسطس ١٩٧٩) ، ففي كل فترة زمنية محددة اثناء بداية تشكيل الجنين ، نرى الخلايا المتشابهة ، وقد تغيرت اشكالها وطباعها ومواقعها .. اذن هناك سر أو أسرار عظيمة تجري في الخفاء ، اذ لو استخدمت كل خلية كل مخزونها الوراثي في تسيير دقة العمليات التي تموج في داخلها ، عندئذ لن يحدث تميز أو تشكل أو اختلاف .. ولابد والحال كذلك من وجود « ادارات » على مستوى عال من



رسم توضيحي للتبسيط يبين ان الشريط الوراثي لا يعمل بذاته ، بل تأتيه الاوامر بالترجمة والتنفيذ والتوقف من خلال جزيئات تحفزه وتثبطه ليسير كل شيء متوازنا

الكفاءة والتنظيم ، لتوجه هذه الخلية فتكون بداية للعين ، وتلك للكبد ، وغيرها للمخ ... الخ .

ولقد اكتشف العلماء بعض هذه « الادارات » في السنوات القليلة الماضية ، وهنا نكون قد اقتربنا من الحقيقة ، وتعمقنا في أكثر اسرار الحياة غموضا ، اذ كلما اكتشف عالم من العلماء سرا واحدا ، حاز على جائزة نوبل في العلوم البيولوجية ، وكأنما هو قد حصل على السر من أنياب الأسد ، ليفتح لنا به آفاقا واسعة لنعرف بها دقة الاتقان والتنظيم الذي يسري في هذا العالم غير المنظور .. عالم الخلية الحية التي تجعل من هذا انسانا ، وذاك ثورا أو ثعبانا أو نباتا او طحلبا ... الخ ... الخ .

اذن .. فالرئاسة ممثلة في نواة الخلية هي التي تقرر الأمر كله ، لكن بدون دكتاتورية او صلف أو أحكام تعسفية ، اذ لو فعلت ، لدبت الفوضى ، وانتشر الفساد في ارجاء مملكتها الدقيقة .. لكن الأمر شورى بينها وبين البلايين من جماهيرها الجزيئية .. أي أن هناك توازنا وتفاهما بين الحكومة المركزية (أي النواة) وبين الجزيئات التي صنعتها على هواها ، أو جاءت على حسب الخطط الكامنة فيها .. صحيح أن النواة تضع السنن والشرائع ، لكنها محكومة أيضا بما حولها ، اي كأنما الأمر هنا أيضا « للجماهير » .. منتهى الديموقراطية والاشتراكية الجزيئية !

أوقف هذا .. ونفذ ذاك !

ان أعظم الشعوب وعيا وتقدما وحضارة هي التي تضع نصب أعينها توازنا ورقابة بين الحكام والمحكومين .. فاذا أخطأ الحاكم أو تجبر وتكبر ، قوموه أو عزلوه ، واذا أخطأ المحكومون كانت هناك أيضا القوانين الرادعة للخطأ والانحراف ، او على حد قول الرسول الكريم « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .. واذا صلح الراعي ، صلحت الرعية » .. ونضيف ايضا ان صلاح الرعية ينعكس اثرها على الراعي ، اي لابد أن يراقب احدهما الآخر ويقومه .

لكن .. ما دخل كل هذا بموضوع جينة أو كروموسوم أو جزيئات في خلية لا تعي ولا تعقل ؟

له دخل .. مع الفرق طبعا بين تفاصيل حياتنا وتنظيماتها وشرائعها ، تفاصيل حياة في خليةلا تدرك كما

تدرك نحن بعقولنا التي قد تصيبنا بشيء من الغرور، ونحسب انه ليس في الامكان أحسن مما كان .. لكن الخلية ـ والحق يقال ـ تقدم لنا أروع مثال في هذا المجال، او بمعنى آخر نقول: ان الله سبحانه وتعالى قد أوحى فيها نظاما فذا تتوارى بجواره نظم البشر وما يدعون!

قلنا ان نواة الخلية بمثابة الحكومة المركزية، لكن هذه «الحكومة» الدقيقة تصدر الأوامر والتشريعات التي تراقبها وتحد من سلطاتها، حتى لا يصبح الأمر كله في يدها، فتكون الديكتاتورية البغيضة التي لا تستقيم معها أمور الحياة .. لا في خلية، ولا في شعوب!

في كل خلية من خلايا الانسان الجسدية اكثر من مائة الف جينة او مورثة تسكن نواتها .. كل جينة مسئولة عن تشريع وراثي محدد يجب عليها تنفيذه كلما تطلب الأمر ذلك، لكن ذلك التشريع لا يصدر هكذا جزافا، بل من ورائه هيئة جزيئية منفذة، وطبيعي أن كل عملية يجب أن تكون مضبوطة غاية الانضباط، حتى تتوازن مع غيرها من آلاف العمليات، بمعنى أن الجينة ـ وكل جينة ـ تعرف متى تبدأ، وكيف تتوقف، لكنها لا تعرف ذلك بذاتها، رغم أنها المشرعة، بل يأتيها الانضباط من جهاز رقابة على أدق المستويات!

وجهاز الرقابة يتكون من جينات وبروتينات .. ففي «الحكومة» المركزية للخلية جينات اسمها الجينات الكابحة Repressor Genes .. أي التي تكبح أو تثبط او تقمع ما حولها من الجينات المسئولة عن اصدار الأوامر الوراثية بتنفيذ العمليات في الخلية. لكن الجينة الكابحة لا تقوم بعملية الكبح بشخصها، بل تطبع على ذاتها أمرا وراثيا يحمله رسول، وبه يتوجه الى «مطابع» الخلية (أو الريبوسومات Ribosomes) الموجودة في ساحة الخلية بالآلاف، فتطبع الأمر الوراثي، وتحوله الى بروتين اسمه البروتين الكابح، ويعود هذا البروتين الى النواة، ويتوجه الى منطقتين تقعان على يمين ويسار الجينة الكابحة، وهاتان المنطقتان تعرفان باسم الموجه أو المنفذ الأيمن، والموجه أو المنفذ الأيسر، فتحد البروتينات الكابحة من نشاطهما من خلال احتلال مواقع محددة على سطوحهما، وكلما زاد تركيز البروتينات الكابحة، زاد الكبح او التحكم في جهاز الحكومة المركزية ـ اي في الجينات المسئولة عن إصدار التشريعات الوراثية التي تدير بها الخلية شئون مملكتنا الصغيرة!

لكن .. ما هو دور الموجه في هذا العالم الدقيق؟

له دور هام وحيوي للغاية، فهو الذي يعرف من اين ومتى وكيف يسمح للجهاز الوراثي الحاكم بفتح «ملفاته» الوراثية، ليستخرج منها الأمر الخاص بعملية من آلاف العمليات الحيوية التي تجري في انحاء الخلية .. تماما كما نعرف نحن مثلا كل حرف وكلمة وسطر وفقرة في كتبنا المكتوبة .. اذ لو أخطأ هذا الموجه، وبدأ بحرف قبل حرف، لكانت الكارثة، اذ أن ذلك



شكل مبسط للغاية ليوضح عمل «هيئة الرقابة» الجزيئية على الشريط الوراثي .. فمن خلال المقاطع التي نراها على هذا الشريط المبسط تتحد مناطق التنفيذ والايقاف بطريقة منظمة غاية التنظيم

يعني تكوين بروتين خاطيء من البروتينات التي تقوم عليها أعمدة الحياة ، ويعني أكثر ظهور مرض وراثي قد يكون قاتلا ، لكن كيف يعرف الموجه ذلك ؟ لسنا نعرف ، وعندما نعرف ذلك مستقبلا ، فلا شك أننا سنقع على صيد علمي ثمين يوضح لنا نظما أخرى مذهلة لا زلنا عنها تائهين .. لكن كل ما نعرفه في هذا المجال ، ان الموجه بدوره يمتلك جهازا جزيئيا دقيقا على منطقة خاصة من تكوينه تعرف باسم المنطقة الحاثة او الحافزة Promoter region .. أي التي تحث جزءا من جهاز « الحكومة المركزية » في النواة بفتح ملفاته ، واصدار اوامره بتصنيع بروتين أو انزيم تحتاجه الخلية لتنفيذ عملية واحدة محددة ، وطبيعي ان العملية لها حدود ومعايير حساسة ، فاذا زادت عن حدودها ، وجدت أمامها من يكبح جماحها ، واذا تباطأت ، جاءها من يحثها ويشجعها ، وكل شيء هنا بحساب ومقدار !

ضوابط وقتية ودائمة !

ومما لاشك فيه ان تحكم « الجماهير » الجزيئية (وعلى رأسها البروتينات والانزيمات) في قياداتها ، ثم استجابة هذه القيادات لتوجيهات أجهزة الرقابة ، يضع امام اعيننا وفي عقولنا أعظم تنظيم ، وأدق تكوين ، وأكفأ تشغيل لآلاف من العمليات الكيميائية المتداخلة والمضبوطة بموازين حساسة لا خلل فيها ولا تفريط !

كأنما الخلية الدقيقة هنا بمثابة مصنع اوتوماتيكي ضخم لانتاج آلاف السلع المختلفة ، ولكل سلعة مواصفات وخطة وخامات ، والذي يشرف عليها جميعا « عقل » اليكتروني جبار ، وبداخل ذلك « العقل » بروجرامات محددة لكل سلعة ، والبروجرامات على اشرطة ، وللأشرطة ذاكرة تحدد بها السلع المطلوبة وكمياتها وحاجة الأسواق اليها ، فتوازن بين الانتاج والاستهلاك ، وعند الحاجة لسلعة أو اكثر ، يدور شريط من اشرطة العقل الاليكتروني ، ليعطي الأمر بالعمل للآلة المخصصة لصناعة تلك السلعة ، وعندما تدور الآلة اوتوماتيكيا ، تلتقط الخامات .. قطعة من وراء قطعة من وراء قطعة .. وهكذا ، وتمر هذه القطع على خط تشغيل اوتوماتيكي ، وفي كل مرحلة من مراحل التشغيل تقوم أذرع اليكترونية مخصصة بتجميع هذه القطع واحدة وراء الأخرى ، وفي نهاية الخط تخرج السلعة متكاملة وبالمواصفات المضبوطة تماما ، ويستمر الانتاج على حسب المطلوب في الاستهلاك بالتمام والكمال ، وعندئذ يعطي الشريط الخاص بهذه العملية (والكائن داخل العقل الاليكتروني المتطور جدا) اشارة الايقاف ، فتكف الآلة عن العمل ، ويتوقف خط التشغيل تبعا لذلك ، ثم يعود ليعمل عندما تنخفض الكميات المعروضة .. ثم علينا أن نتصور ان هناك مئات او آلاف السلع المختلفة التي يجب على العقل الاليكتروني أن يديرها في وقت واحد ، وعليه ايضا ان يوازن بين الانتاج والاستهلاك لكل سلعة من هذه السلع ... الخ ... الخ .

ولا شك أننا سنتبهر ونندهش لو رأينا مثل هذا المصنع الضخم وهو يدير نفسه بنفسه دون تدخل من الانسان ، ثم نراه - اي المصنع - وهو يحسب الطاقة اللازمة للتشغيل ، ويقدر الانتاج والاستهلاك ، ويعرف متى يبدأ ، ومتى يتوقف ، وكيف يسحب خاماته من البيئة المحيطة به بحساب ومقدار .. الى آخر هذه العمليات المعقدة التي تشرف عليها آلات كثيرة بعدد السلع المطلوبة ، لكن انبهارنا بما تمخضت عنه عقولنا سوف يتوارى خجلا عند مقارنته بما يجري داخل خلية حية ، اذ ليس الأمر فيها مقصورا على خطط تشغيل وتصنيع وانتاج واستهلاك ، بل من جوهرها تنبع اعظم ظاهرة في الكون على الاطلاق .. تلك هي ظاهرة الحياة التي توجت مشوارها الطويل بانسان مدرك عاقل .. كان في الأصل خلية وتلقحت ، ثم تراها تتميز الى خلايا وأنسجة وأعضاء متباينة ، وهذا بلا شك يدعونا مرة أخرى الى التساؤل : كيف حدث ذلك التشكل ؟

حدث من خلال الضوابط الكيميائية أيضا .. فكما أن للخلية ضوابط وقتية ، أي التي تدير بها شئون حياتها اليومية ، كذلك كان لها ضوابط مستديمة تبقى معها العمر كله .

خذ لذلك مثلا ومثلا ، فخلايا الكبد تقوم بعمليات

متخصصة ، وهذه ـ بلا شك ـ غير التي تقوم بها خلايا المخ أو الأمعاء او القلب او الكلية .. الخ ، فعند بداية المراحل الأولى في تشكيل الجنين ، لا تستخدم كل خلية جميع مخزونها الوراثي ـ أي المائة ألف جينة أو مورثة ـ في ادارة شئونها الداخلية ، بل يتحتم عليها ان تشتغل بنسبة قد لا تتجاوز ٥٪ من « بروجرامها » الذي ورثته من الخلية الأولى الملقحة ، ولابد ـ والحال كذلك ـ من الغاء معظم « البروجرام » ، اذ هي ليست في حاجة اليه ، والالغاء هنا مستديم ولا رجعة فيه ، ويتم ذلك عن طريق تصنيع بروتينات كابحة مانعة ، ولقد توصل العلماء الى عزل بعض هذه البروتينات التي تندس في الجهاز الوراثي للخلية (يطلقون عليها اسم الهستونات Histone Proteins) فتطمس أجزاء كثيرة من الأشرطة الوراثية ، وتحول بينها وبين الانزيمات او الجهاز التي تقوم بترجمة معلوماتها ، لتحولها الى خطط عمل ، في حين ان الأجزاء القليلة من الاشرطة الوراثية تبقى محررة ، لكنها ـ مع ذلك ـ موضوعة تحت ضوابط وقتية ، فتسمح لها بالعمل في حدود ، أي بالمعايير المضبوطة التي تحتاجها الخلية ، وهذا ما سبق ان أشرنا اليه عن طريق جهاز الرقابة الذي يتمثل في الجينات الكابحة وما يتصل بها من هيئة جزيئية معاونة !

ان خلايا المخ مثلا لا تستطيع ان تقوم بعمل خلايا الكبد او الرئة او الطحال أو ما شابه ذلك ، رغم انها تمتلك الخطط المفصلة للقيام بعمل هذه الأنسجة ، والفضل في ذلك يرجع الى الضوابط المستديمة التي طمست في خلايا المخ العمل المقرر للكبد والرئة والطحال .. الخ ، وسمحت لها فقط باستخدام نسبة محدودة من بروجرامها الوراثي المتكامل ، لتدير بها شئونها التي تؤهلها لأن تصبح خلايا مخ ، ولا شيء غير ذلك ، ثم ان خلايا الكبد تطمس معظم البرنامج الوراثي المخصص لادارة العمل في خلايا الكلية أو الأمعاء او الغدد أو المخ .. الخ ، وتسمح بتشغيل جزء آخر مخصص لعملها كخلايا كبد ولا غيرها ، وعلى هذه الوتيرة تسير مع خلايا الانسجة الأخرى .. لكن كيف تقرر الخلايا طمس اجزاء من برنامجها ، وتشغيل جزء آخر ، ثم ما هي الوسيلة التي تحدد بها ذلك ، فلسنا نعرف الميكانيكية المعقدة الكامنة في هذا النظام المذهل .. كل ما نعرفه هو ظاهر الأمور ، أي تميز الخلايا وتشكلها عن طريق بروجرام زمني تلعب فيه البروتينات الكابحة ـ الوقتية منها والمستديمة ـ لعبتها الغامضة ، وبهذا تحيرنا ألغازها أعظم حيرة !

أي كأنما الحياة بجميع صورها واشكالها قد استخدمت في مخلوقاتها مجلدا محفوظا ، للمجلد فصول وأبواب وفقرات وجمل .. وطبيعي ان لكل خلية مجلدها الدقيق المتكامل ، وكأنما هي تعرف كيف تلغي فصولا وابوابا لا تحتاجها ، وتنفذ الفصول او الفقرات التي تقوم عليها حياتها ، وبهذا تتميز عن أترابها ، وتقوم بمهامها التي ألقيت على عاتقها من أجل صالحها ، وصالح المجموع الذي يتعاون معها ، ليكون التناسق والتآلف والتعاون والتوازن الذي تسري به الحياة في الكائنات جميعها !

ثم ان هذه الضوابط أو اجهزة الرقابة على الجهاز الوراثي الحاكم في كل خلية هي التي تحدد لها طريقها الموزون ، وبدونها قد تتحول الى خلايا سرطانية ، اذ يعتقد العلماء الآن أن السرطان يبدأ ببداية التحلل من هذه الضوابط الجزيئية المعقدة ، فيترك لها الحبل على الغارب ، وكأنما هي تعود الى حالتها الجنينية ، فتنقسم بدون رابط ولا ضابط ، فتؤدي الى ورم يدمر الجسم تدميرا .

والواقع أننا لا نعرف السبب أو الأسباب الكامنة من وراء هذه الضوابط الموزونة ، ولا ندرك الميكانيكية البيولوجية التي تؤدي الى تحللها وانفلاتها ، ويوم نتعمق في اسرار الحياة أكثر ، وندرك من ألغازها أكبر ، عندئذ قد نضع أيدينا على سر حدوث السرطان ، ونبحث عن الأساليب الممكنة ، التي قد توقف هذه العمليات المدمرة ، ويصبح ذلك اعظم انتصار للانسان على « غول » السرطان ، او على الكثير من الأمراض الوراثية الناتجة عن اخطاء تنبع اساسا من « الحكومة » المركزية الممثلة في نواة الخلية ، ولهذه دراسة قادمة لنتعلم منها مالم نكن نعلم ، وما أكثر ما لا نعلم من اسرار الكون والحياة .

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح



محمد الشهرستاني

محمد الشافعي

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا : محمد الشهرستاني . ولد في شهرستان (خراسان) . ويعتبر من أشهر مؤرخي الاديان في القرون الوسطى . من مؤلفاته « الملل والنحل » ، استعرض فيه المذاهب الدينية الفلسفية .

(٨) رأسيا : محمد الشافعي ، امام ومؤسس المذهب الشافعي ، أحد المذاهب السنية الاربعة . أسّس علم الاصول . ولد في غزة ونشأ في مكة ، ودرس على الامام مالك بن أنس بالمدينة . سجن ثم عفا عنه الرشيد . توفي في مصر ودفن في سفح جبل المقطم .

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : شحادة حسن عباس ـ صيدا ـ لبنان

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : محمد عبده عبد الرزاق ـ عدن ـ اليمن الديمقراطي

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : نعيم اصطيفان زبونة ـ البصرة / العراق

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ سلمى محمد عصفور ـ الزرقاء / الاردن
٢ ـ سعاد جلال الدين مصطفى ـ دمشق / سوريا
٣ ـ عبد الرحمن محمد المختار ـ الرياض / السعودية
٤ ـ سميرة سلامة يوسف ـ الزقازيق / مصر
٥ ـ اليوسفي احمد ـ مكناس / المغرب
٦ ـ محمود رشيد عرابي ـ الكويت
٧ ـ عبد العزيز عبد علي ـ المنامة / البحرين
٨ ـ فيصل الكايد ـ الكهومار / امريكا

لقد انتهى عصر التسطيح والاحالة الميكانيكية لسلوكية الانسان !

عودة إلى ساحة الايمان من أبواب العلم التجريبي

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

بعد رحلة طويلة وشاقة في التاريخ ، يعود العلم ، بعد ان نما وشب عن الطوق وبلغ رشده ، لكي يلتقي بالدين ، واستبعدت الفكرة التي ترفض قبول كل ما لا يخضع للفحص والتحليل . لان الاجسام الفيزيائية نفسها ابت ان تخضع للفحص والتحليل ، ولم تسلم لنا نفسها لكي نعريها ثوبا ثوبا .

كل ما قدمته هذه الاجسام لنا ، كما تؤكد احدث المعطيات العلمية ، هو ملامحها الخارجية ، اما في الباطن على مستوى الحقائق النهائية للتركيب والماهية ، فلا جواب .. واذا كان ذلك كذلك .. اذا كنا نحكم على الاجسام من خلال تأثيراتها ومؤشراتها ، فان هنالك في حياتنا البشرية ظواهر لا يحصيها العد تؤثر في صميم هذه الحياة وتمد مؤشراتها الى كافة الاتجاهات ، كالدين والجمال والاخلاق .. الى آخره .. ومن ثم فان تكرنهار ـ لاننا لم نعرف عن ماهيتها شيئا ، لم نعرف سوى تأثيراتها ومؤشراتها ـ يقودنا بالضرورة الى الغاء العلم نفسه لانه لم يتعد الكشف عن التأثيرات والمؤشرات ، اما الماهيات فلا جواب . ومن ثم كان لذلك الكشف الخطير على مستوى العلم والذي بلور العالم الشهير (اديتغتون) ملامحه النهائية ، التأثير الايجابي الهام على مستوى الحياة البشرية .

انها ارادة الله سبحانه ، الذي ركز الايمان به وحده في فطرة بني آدم ، تعود بهم ثانية الى ساحة الايمان .. تعود بهم من الف طريق .. وها هو حشد كبير من العلماء يرجعون الى الله والروح والجمال والحق والخير كحقائق موضوعية مستقلة عن ذواتنا ، يرجعون من خلال منهج علمهم نفسه . من الواضح ، يقول سوليفان في كتابه القيم (حدود العلم) ان حقيقة كون العلم مقصورا على معرفة البنى ، هي حقيقة ذات اهمية انسانية عظيمة ، لانها تعني ان مشكلة طبيعة الحقيقة لم يبت فيها بعد ، ولم يعد يطلب الينا الآن أن نعتقد بعدم وجود مقابل موضوعي لاستجابتنا للجمال ، او شعورنا السحري بالاندماج مع الله .. ان مثل هذه الامور يمكن ان تكون مفاتيح لطبيعة الحقيقة ، وقد اعتبرت كذلك في كثير من الاحيان . وهكذا فان تجاربنا المختلفة قد اصبحت كما كانت على قدم اكثر تساويا . ان تطلعاتنا الدينية وحسنا

الجمالي اذن ليسـا بالضرورة ظواهـر وهمية كما جرى الافتراض في السابق ، وان من حق الرؤى الباطنية (Mystics) ايضا ان يكون لها مكان في هذا العالـم العلمي الجديد) .

ان تطلعاتنا الـدينية وحسنـا الجمالي اذن ليسـا بالضرورة ظواهـر وهمية كما جرى الافتـراض في السـابق ، يوم ان اندفـع العلم المراهـق والنظـريات الاجتماعية والنفسية التـي بنيت عليه ، يضرب هذه التطلعات ويسقط تلك الاحاسيس ، رادا الحياة البشرية الى مجموعة ميكانيكية محدودة صارمـة من الانفعال ، مبسطا هذه الحياة الكثيفة المعقدة المتشابكة ، جاعـلا اياها تتحرك على خط واحد وفق امتداد واحد ، وباقل قدر من تبادل التأثير بين الذات والموضوع واشده اختزالا .

والانسان (ذلك المجهـول) اذا استخدمنـا تعبير العالم الشهير الكسيس كاريل ، اصبح ظاهـرة مادية اخضعت للتحليل والاختبار ، من اجل الوصول بالقسر والاكراه ، الى تفسير نهائي لسلوكه . فكان يندفع حينا بتأثير دافعه الجنسي ، وكان يتحرك حينا آخر على هدى ضرورة عمياء للبقاء والارتقاء . وكان يتطور حينا آخر ، مسلوب الارادة ، بضغوط التبدل في وسائل الانتـاج ، وكان يمارس حياته حينا رابعا من خلال عقل جمعي لا يأبه بحياة الافراد .

انماط مختلفة من التفاسير اريد بها الوصـول الى المستحيل .. والمستحيل هو فهم الانسان وادراك طبيعة علاقته بالمادة .. وكان الاعتقاد السائد يومها ، ان المادة قد حسم امرها ، وان ما تبقى هو الانسان !

انتهى عصر التسطيح

لقد انتهى عصر التسطيح والاحالة الميكانيكية او البايولوجية لسلوكية الانسـان ، ما دام قد تبـين ان الاجسام المادية نفسها فقدت تسطحها وقادت الى دهاليز واعماق وسراديب ضيعت العلماء بعد ثلاثـة او اربعـة قرون في البحث في المادة دون ان يدروا انهم لا يزالون يتحـركون على السطـح . ان بعض العلماء يرون ان الموجات الالكترونية التي تشكل بنية المادة ، كما هو معروف حتـى الآن يمكن ان تكون موجات احتمالية (Waves of probability) من غير وجود مادي مهما كان نوع هذا الوجود (ص ٤٠ ـ ٤١ من كتاب سوليفان السابق الاشارة اليه) اي انه لا اساس مادي للاشياء على الاطلاق .

ويتفق علماء آخرون مثل ادينغتون وجينز على ان الطبيعـة النهائية (ultimate natural) للـكون هي طبيعة عقلية . وفي هذا يقول ادينغتون ان مادة العالم هي مادة عقلية » ويردف ان المادة العقلية منتشرة عبر الزمان والمكان ، بل ان المكان والزمان جزء من المخطط الدوري الذي هو في نهاية المطـاف مشتـق من المادة العقلية نفسها » .

واحدث النظريات التي طرحها عدد من كبار العلماء في مطلع السبعينات ، ونشرت خطوطها العريضة بمجلة (العلم والحياة) الفرنسية تقـول بالمقابـل او المعـادل اللامادي للتراكيب المادية في البنية السـديمية والـذرية على السـواء .. وانـه ما من الكتـرون او بروتـون او نيوترون او جسم كوني كذلك ، الا وتتواجد قبالتـه معادلته اللامـادية ، ومعنـى هذا ان اكثـر النظـريات الفيزيائية حداثة تقدم تأكيدا اشد على تهافت المادية وتشير بلسـان العلم المختبري والمعـادلات الـرياضية المركبة الى التواجد الروحي في قلب الكون وفي صميم الذرة !! واننا لنقف هنا خاشعين امام واحد من جوانب الأعجاز القرآني تلك المجموعة من الآيات الكريمة التي تحدثنا عن تسبيح الكون والـذرات للخالـق العـظيم (سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) ـ الحديد ـ الحشر ـ الصف ، مع اختلاف اللفظ فقط .

(تسبح له السـموات السبع والارض ومن فيهـن ، وان من شيء الا يسبـح بحمـده ولـكن لا تفقهـون تسبيحهـم) الاسراء ـ ٤٤ ـ (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) الرعد ـ ١٣ .. الى آخر الآيات في ذات المعنى .

ذلك الجانب الغامض

ان التسبيح ها هنـا لا يقتصر على كون الـذرات والاجسام الفضائية تخضع للنواميس التي وضعهـا الله فيها ، فهي بهذا تسبح بحمد الله سبحانه .. فهنالك ما هو ابعد من هذا واقرب الى مفهوم التسبيح الحي او التقديس الواعي .. ان هذه المواجيد المادية تملك ارواحـا وهـي تمارس تسبيحها وتقديسها بالروح ، وربما بالوعي الذي لا نستطيع استيعاب ما هيته ... وان هذا ليقودنا ثانية الى مقولة ادينغتون « ان مادة العالم هي مادة عقلية » !! كما يقودنا الى الآية الكريمة (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) .. حقا ان ادراك الطرائق التي تعمل بها الذرات والاجسام لما يصعب تحقيقه .. ومهما تقدم العلم وخطـا خطواتـه العملاقة ، فسيظل جانب من اكثـر جوانـب التـركيب

المادي اهمية ، بعيدا عن التكشف النهائي مستعصيا على البوح بالسر المكنون .

واذا كانت المادة نفسها ذات بعدين على اقل تقدير .. افلا يكون الانسان ذا ابعاد اكثر بكثير ؟ ومن ثم فلا التفسير الجنسي منفردا ، ولا التفسير المادي منفردا ، ولا التفسير الارتقائي منفردا ، ولا التفسير الجمالي منفردا ، ولا التفسير السلوكي منفردا .. ولا غيرها من التفاسير بقادرة على فهم الانسان .. وانه لا بد من الدين اذا ما اريد للمعادلة الصعبة المركبة ان تجد حلا .. والذي يقول هذا اليوم هم العلماء انفسهم ابناء المختبر والتجريب والتعامل العلمي الرصين مع الظواهر والاشياء والموجودات .

اقتراب المادة من عالم الفكر !

ومهما يكن من أمر فثمة اهمية ذات بعد انساني تنبثق عن التحليل السابق تتجلى كما يرى اصحابها « في انها تترك لنا مجالا اكبر من الحرية لكي نضفي الاعتبار او المغزى التقليدي على خبراتنا حول الجمال والدين ، أو لنقل بالاختصار : الخبرات الباطنية . انها لا تعزز بصورة ايجابية ايا من التفسيرات التي جاءت بها الاديان للعالم ، لكنها تقطع الطريق على تلك المناقشات التي قامت لتثبت ان ايا من هذه التفسيرات الدينية ما هو الا مجرد وهم .

لقد فعلت هذا عندما اظهرت ان العلم لا يعالج الا ناحية جزئية من الحقيقة وانه لا يوجد ادنى سبب يبرر الافتراض بان كل ما يجهله العلم او يتجاهله هو اقل حقيقة مما يعرفه ص ٤٨ ـ ٤٩ » .

ليس هذا فحسب .. بل ان العلم في عهد مراهقته والفلسفة والآداب التي اقامت صرحها عليه كانت اسيرة اعتقاد اشد خطأ يقوم على افتراض ان كل ما يجهله العلم او يتجاهله لا وجود له على الاطلاق ، وهو موقف ساذج يتشبث به كثيرون من ادعياء العلمية في بلادنا اولئك الذين اخذوا على عاتقهم ، او حملوا بشكل ادق ، مهمة اعلان الحرب على الغيبيات ، دون ان يدركوا ان الوقائع الاخيرة لمسيرة العلم الجاد قد كشفت عن حقيقة ان المادة نفسها تحمل في تراكيبها بعدا غيبيا .. ان هؤلاء ليذكرون الانسان بالنعامة التي اذا دهمها خطر ما دفنت رأسها في الرماد معتقدة بنوع من خداع الذات ـ انها ما دامت لا ترى الخطر فانه ليس بموجود .. وتكون النتيجة أن تضيع المسكينة في بطون السباع .

ان المادة اليوم ـ يقول العقاد ـ « لا تصد المفكرين عن عالم الحقائق المجردة ، ولا هم يتخذون من صلابتها وجسامتها شرطا للحقيقة الثابتة فان الحقيقة المادية نفسها لا تثبت اليوم بمجرد الصلابة والجسامة ، ولا تزال ترتد على اصولها حتى تزول الى عدد من الهزات في ميدان مجهول هو ميدان الاثير وميدان الفضاء . فالمادة في القرن العشرين قد اقتربت من عالم الفكر المجرد بل دخلته واصبحت في تقدير الثقات (عملية رياضية ، او نسبة من النسب التي تقاس بمعادلات الحساب . وقد جاز لعالم كبير كالسير جيمس جينس (Geans) ان يعتبرها كذلك ، وان يقول كما قال في ختام كتابه (الكون العجيب) « ان المعرفة الجديدة » لاحظ كلمة الجديدة « تضطرنا الى تنقيح خواطرنا العجلى التي اوحت الينا أننا وقعنا في كون لا يحفل بالحياة ، او لعله يعمل على مناصبتها العداء . ويلوح لنا ان الثنائية العتيقة (لاحظ كلمة العتيقة) التي تقول بالعقل والمادة ويرجع اليها افتراض العداوة المزعومة ، آخذة في الزوال ، لا لأن المادة تدخل باية حال من الاحوال في ظلال واشباح ، او لان العقل تحول الى وظيفة مادية لان المادة الجوهرية تحيل نفسها الى شيء من خلق العقل ومظهر من مظاهره ، ونحن نستكشف ان الكون يبدي الدليل على قدرة مديرة او مسيطرة لديها العقل الذي يماثل ما نفهمه بعقولنا ..) وجاز كذلك لعالم آخر كالسير ارثر ادنغتون Eddington ان يقول في ختام كتابه عن كيان الدنيا الطبيعية أن نظرات المتصوفة لا تهمل ، وان ملكات الانسان التي يمازجها الشعور الديني هي من وقائع الكون اذا كان الانسان قد استبقاها بفعل الانتخاب الطبيعي ، وهو من اهم العوامل الكونية . وفي كتابه (فلسفة العلم الطبيعي) يقول :ـ نحن حتى في العلم ندرك ان المعرفة ليست بالامر الوحيد الذي نعتد به ، ونسمح لانفسنا ان نتحدث عن روح العلم .. وان أعمق من كل قضية من قضايا النكران لهي العقيدة التي هي قوة خالقة اهم مما نخلقه .. وفي عصر العقل تظل العقيدة راجحة لان العقل بعض مادة العقيدة .. » ـ (عقائد المفكرين) .

ان هذه المعطيات تعرض النظرة الديالكتيكية بصدد القول بمادية العالم ، ورفض الغيب او ما وراء المادة ، لهزة قاسية ، وتصبح مقولات الديالكتيك من مثل « ان موضوعية العالم اى وجوده خارج وعينا ومستقلا عنه تعني انه مادي* » ومن مثل « لقد اثبت

* بودوستنيك وياخوت ـ عرض موجز للمادية الديالكتيكية ـ دار التقدم ـ موسكو ـ ص ٣١

العلم اثباتا قاطعا بانه لا وجود لعالم غير مادى لعالم الغيب . للعالم الآخر ، ومن غير الممكن ان يكون له وجود . وفعلا طالما ليس هناك اى شيء غير المادة فان الممكن وجوده هو عالم واحد فقط ، العالم المادى لذا تعلمنا الفلسفة الماركسية بان العالم واحد »

تصبح مقولات قاطعة كهذه ، تشنجا غير علمي ، واصرارا غير مبرر ـ على عدم بذل المزيد من الالهام في تفحص بناء العالم والتنازل ولو قليلا عن مواقف سبق وان اتخذت في بيئات القرن التاسع عشر ..

لقاء من نوع جديد

ان انفتاح العملية العلمية على الخبرات الانسانية كالدين والجمال .. الى أخره ، أخذ بالاتساع وان مناعة العالم المستندة الى فكرة السببية التي جعلته ينغلق على نفسه ، لا يبدو واضحا كما يقول سوليفان انها ستستمر . ان الاكتفاء الذاتي ، اذا صح التعبير » ينطبق فقط على فيزياء الحقل (Fieldphysics) التي تغطي جزءا كبيرا جدا من الفيزياء لكنها لا تغطي كل الفيزياء . والامل في (جعله) يغطي كل الفيزياء أخذ بالتناقص . ففي الظواهر الذرية وتحت الذرية (Sub - atomic) يبدو ان الحالة التي يواجهها العلماء تقع خارج المخطط الدورى « السببي » تماما ـ ان اكثر الامور مدعاة لعدم الارتياح في هذا الصدد هو ان قاعدة السببية التامة تشكل افتراضا رئيسيا في العلوم ، لا تبدو قابلة للتطبيق في هذا المجال ففيا يتعلق بحركة الذرات المفردة وحركات الالكترونات ، يبدو ان هناك عنصرا من الارادة الحرة . ان قاعدة الحتمية قد تصدعت لتأخذ مكانها قاعدة اللاحتمية . واذا استطاع هذا المبدأ ان يثبت اقدامه نهائيا فمن الواضح انه سيكون له نتائج فلسفية هامة . فسوف يسهل علينا الاعتقاد بان ادراكنا او شعورنا بالارادة الحرة ليس وهما ، وسيكون في مقدورنا ان تكون اكثر حرية في ان ننسب للطبيعة تقدما حقيقيا مبدعا ، بدلا من ان نعتبرها تسير وكأنها آلة هائلة جميع منتجاتها مقررة سلفا ، وكما اشار ادينغتون فان الفرق بين ما هو طبيعي وما هو خارق للطبيعة سوف يتناقص . حقا ان ذلك المبدأ لو قبل بصورة قطعية فان ذلك سوف يؤدى الى اعظم ثورة تحدث حتى الآن في الفكر العلمي وفي الفلسفة المرتكزة عليه .

ثورة عظيمة ، كما عودنا العلم دائما .. انه ليس ثمة مسلمات نهائية ، وان كشوفات العلم قد تكون ـ احيانا ـ من الحدة والعنف بحيث انها تغير انماط تفكير بكاملها فتقلبها رأسا على عقب .. انماطا في منهج البحث وفي المعطيات وفي النتائج الفلسفية المترتبة على هذا وذاك . ان عصر الاتكاء الكلي على حقائق علمية معينة قد انتهى ، وحل محله اعتقاد سائد ، اخذ يتسع شيئا فشيئا ، في ان ميدان العلم لا يشهد تغيرات فحسب .. بل طفرات وثورات ..

ان المادية الديالكتيكية مثلا اقامت بنيانها في بعض جوانبه على اسس المعطيات العلمية للقرن التاسع عشر .. وقد تبدلت تلك الاسس وتغير الكثير من تلك المعطيات ... ومازال اتباع التفسير المادى يصفونه بالعلمية ... وما يقال عن التفسير المادى يمكن ان يقال عن معظم النظريات الفلسفية والنفسية والاجتماعية ، وجل الاداب والفنون التي نهضت على تلك الاسس المتغيرة .

ان جانبا من اخطر الجوانب الفيزيائية واهمها ، وهو (الظاهرة الذرية) تمردت على السببية التي اتكأ عليها العلماء في حقول الفيزياء والتي شكلت افتراضا اساسيا في العلوم .... وان نوعا من الارادة الحرة في العلاقات الذرية اخذ يحل محل القاعدة الحتمية التي تعرضت للتصدع ... ونتساءل : اذا كان التركيب المادى ـ الذرى نفسه يتجاوز الحتميات صوب الحرية فكيف يتسنى لنا ان نخضع الحياة البشرية في صيغتها الفردية والجماعية لنوع من الحتمية الصماء . الا يعد هذا نوعا من العمل الخاطيء (علميا) لانه يتحرك باتجاه مضاد لنواميس العالم والاشياء . ان نتائج فلسفية هامة ستتمخض حقا عن هذا التغير اذا حدث وان ثبت اقدامه كحقيقة مسلم بها . ان الفرق بين ما هو طبيعي وما هو خارق للطبيعة سوف يتناقص .. الفرق بين الطبيعة وما وراء الطبيعة والحضور والغيب ، والمادة والروح ، والقدر والحرية .. وستلتقى معطيات العلم مع حقائق الدين في عناق حار .. لقد حدث وأن التقت مرارا ، اما ها هنا حيث تنهار الحواجز المادية وتمتد الحرية الى صميم التركيب الذرى ، وحيث يقف الانسان سيد العالم وخليفة الله في ارضه ، حرا في ان يتحكم بالطبيعة التي سخرت له ، لا ان تتحكم به كما صورت فلسفات (الحتمية) في القرن الماضي .. ها هنا سيكون لقاء من نوع آخر .. لقاء كثيرا ما حدثنا عنه القرآن كتاب الله المعجزة .

ان المعجزات التي يحدثنا عنها القرآن هي لقاء من نوع ما بين ما هو طبيعي وما هو خارق للطبيعة او بعبارة اخرى ، تجاوز للفرق بينهما .. وان نقل عرش بلقيس من مكان بعيد في لحظات معدودات ـ على سبيل المثال ـ هو نموذج من عديد من النماذج على تمكن الانسان

الحي ، المدعم بتأييد الله ، من التحكم بالتركيب الذري (الحي) للاشياء وتطويعها لارادته .. وان الطاقات الطبيعية وما وراء الطبيعة الهائلة التي منحها الله سبحانه لنبيه سليمان (ع) تمثل تمكن الانسان من تحقيق وفاق بين الطبيعي واللاطبيعي من اجل تحقيق (تقدم حقيقي مبدع) ..

الوفاق المرتجى

ان ارادة الله سبحانه تتجاوز « اعتبار الطبيعة آلة هائلة ، جميع منتجاتها مقرر سلفا » ، فتصوغها كما تشاء (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) الذاريات ٤٧ ، وهي بهذا تحدث توافقا فذا بين القانون وبين الابداع .. بين القدر وبين الحرية ...

فاذا ما حدث وان استمد الانسان المؤمن من ارادة الله هذه ، كان بمقدوره ان يمارس ، بالنسبة التي تنسجم ودوره في العالم ، تحقيق وفاق كهذا يحدث (تقدما حقيقيا مبدعا) ما دام انه حر ، وما دامت الطبيعة نفسها ، وفي صميم تركيبها الذري ، مخلخلة الى الحد الذي يمكن هذه الحرية من ان تنفذ اليها لكي تصوغها لصالح لانسان .

ان العلم قد بلغ اخيرا هذه المرحلة الخطيرة ... المرحلة التي يلتقي فيها المادي بالروحي في وفاق وانسجام .. ويتصالح الانسان مع الطبيعة لتحقيق التقدم المنشود ، سيدا في العالم وخليفة عن الله في الارض . ■■

الموصل ـ د . عماد الدين خليل

على من تغضبين ؟

اشترى رجل بطيخة لامرأته ، فوجدتها غير طيبة فغضبت ، فقال لها على من تغضبين ؟ اعلى البائع ام على المشتري ام على المزارع ام على الخالق ؟ فاما البائع فلو كان منه لكان اطيب شيء يرغب فيه . واما المشتري فلو كان منه لاشترى احسن الاشياء . واما الزارع فلو كان منه لانبت احسن الاشياء فلم يبق الا غضبك على الخالق فاتقي الله وارضي بقضائه ...

نقد كتاب

مصر و فلسطين

حقيقة ان مصر ـ في العهدين الملكي والجمهوري ـ خاضت اربع حروب ضد الدولة الصهيونية خلال الاعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ـ فهل كان خوضها هذه الحروب في سبيل فلسطين بالذات ام كان من وراء السعي الى تأمين حدودها الشمالية الشرقية ؟ وهل كان قرار الحرب في كل هذا المرات تابعا عن السلطة الحاكمة وظروفها الداخلية والخارجية ، ام ان السلطة الحاكمة كانت بقرارها تتجاوب مع مطلب شعبي ملح ؟ وما هي حقيقة العلاقة بين القرار المصري الخاص بخوض الحرب وتقلبات الاوضاع العربية ؟

هذه هي بعض التساؤلات التي ترتبط بموقف مصر من القضية الفلسطينية والتي يوفر الاجابة عليها لب اي بحث يتصدى لمثل هذا الموضوع الذي لم يحظ حتى الآن بكثير من الدراسات الموضوعية المتزنة التي ترتفع فوق مستوى الاتهامات وانصاف الحقائق . فهل قصرت المؤلفة اهتمامها بالفترة التي عرضت لها ايثارا منها للعافية والبعد عن اشواك الفترات التالية لعام ١٩٤٨ والمعاصرة منها بوجه خاص ؟ وما دامت قد تصدت لعرض الموضوع منذ بدايته فنطمع منها ان تستكمله حتى الامس القريب ؟ والحق انها استهدفت من بحثها تحقيق هدفين هما :

يوحي عنوان هذا الكتاب الجديد ـ لمؤلفته الدكتوره عواطف عبد الرحمن ـ بالاجابة على بعض التساؤلات التي لا تزال تتردد حول العلاقة الجدلية بين مصر ـ شعبا وحكومة ـ وبين القضية الفلسطينية . ورغم تركيزه في المحل الاول على ردود الفعل المصرية ـ على المستويين الرسمي والشعبي ـ ازاء الاطماع الصهيونية في فلسطين منذ وعد بلفور ١٩١٧ حتى حرب ١٩٤٨ الا انه يتوقف عند هذا الحد . وكان الاولى بمؤلفته ان تستكمل تطور هذه العلاقة الجدلية بعد ١٩٤٨ وكيف اثرت تأثيرا حادا في سياسة مصر العربية وبخاصة خلال فترة حكم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

بقلم الدكتور : احمد عبد الرحيم مصطفى

اولا ـ ابراز موقف القوى السياسية والرأي العام في مصر من القضية الفلسطينية منذ اوائل القرن العشرين حتى مايو ١٩٤٨ .

ثانيا ـ تأكيد نضال الشعب الفلسطيني منذ وعد بلفور وحتى قيام دولة اسرائيل . ولما كان هذا الهدف الثاني قد تحقق على ايدي باحثين جادين سواء من المصريين او من الفلسطينيين او غيرهم من المهتمين بهذا الموضوع ، وقد نشرت بعض ابحاثهم ونرجو ان ينشر بعضها الآخر ، فقد كان الاولى بالمؤلفة ان تجمل القول في هذا المضمار وان تركز على الهدف الاول وتتبعه الى نهاياته المنطقية .

وعلى اي حال فقد صدر الكتاب الذي نعرض له في عدد فبراير ١٩٨٠ من سلسلة عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت . اما مؤلفته فقد عملت بالصحافة بعض الوقت ، وهي الآن مدرسة للصحافة بجامعة القاهرة . وهكذا نجدها تهتم في المحل الاول برصد ما نشرته كبريات الصحف المصرية حول « مصر وفلسطين » خلال الفترة التي تصدت لها ، وان كانت قد اتبعت الطريقة الزمنية في تقسيم موضوعها ، وبالتالي جاء السياق مليئا بالتكرار ، بحكم ان الصحف ذات الاتجاهات الحزبية بوجه خاص لا يتوقع منها ان تخرج عن خطها الرئيسي بصدد موضوع هام كالقضية الفلسطينية ، ما دامت تعبر عن وجهات نظر كتل حزبية لها برامجها الخاصة ازاء سياسة البلاد الداخلية والخارجية .

تجاوز ملحوظ

وقد قسمت المؤلفة بحثها الى مقدمة وثلاثة ابواب :



ـ ففي المقدمة تستعرض خطة بحثها ومصادرها . وقد ابدت رأيها في بعض هذه المصادر ومنها كتابي عن « تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة » الذي حكمت عليه بالتحيز الواضح للتيار الاسلامي في مصر ، علما بأن بعض النقاد قد حكموا عليه وعلى اعمالي الأخرى بالتحيز للتيار الليبرالي وكلا الحكمين قاصر ... اذ انني حين استعرض موضوعا ما احاول بقدر الامكان ان اتجرد عن ميولي الشخصية والا اغلب اتجاها على آخر جريا وراء الموضوعية التي هي مطلب بعيد المنال . فاذا ما ركزت على اتجاه ما في وقت ما لانه طفا على السطح ، فليس معنى هذا انني استفيض في عرضه حبا فيه ، ولكنني ما كنت قادرا على تجاهل اهميته النسبية في وقته . وقد استعرضت في الكتاب المشار اليه تطور الفكر السياسي في مصر من خلال العلاقة الجدلية بين الخلفية الاسلامية التي قامت عليها دعائم المجتمع المصري عدة مئات من السنين ، وبين المؤثرات الغربية التي ضغطت على التركيبة الاسلامية ولا تزال تضغط عليها حتى الوقت الحاضر . ومثل هذه العلاقة الجدلية هي انسب منهاج لتناول موضوع التطور في التاريخ العربي الحديث والمعاصر .

ـ وفي الباب الاول (الواقع المصري وقضية فلسطين) . استفاضت المؤلفة في استعراض التيارات الفكرية والسياسية التي تلاطمت في مصر خلال فترة ما بين الحربين . فهناك التيار الاسلامي القوي الذي يستمد جذوره من الشريعة الاسلامية والاتجاهات السلفية وحركة الجامعة الاسلامية . وهناك التيار المصري البحت الذي يستمد فاعليته من كل من ماضي مصر السحيق والفكر القومي الاوروبي الذي وفد اليها مع انفتاحها على الغرب وبخاصة في عهدي محمد علي واسماعيل وفي فترة الاحتلال البريطاني . وقد ساعد على تبلور هذا الاتجاه انشغال المصريين بمقاومة التدخل الاوروبي والاحتلال البريطاني ، في الوقت الذي نمت فيه القومية العربية في المشرق العربي ـ باتجاه من الفكر الغربي كذلك ـ وتطلعت الى تأكيد ذاتها اما في نطاق الدولة العثمانية او في ظل الاستقلال التام . وقد جاء اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون في اعقاب ثورة ١٩١٩ ليعطي هذا الاتجاه الذي انبثق عن « نغمة » فرعونية دفعة لم يتعد اثرها المجال الثقافي .

اما التيار العربي فقد احتجب في مصر متواريا خلف التيار الاسلامي بحيث لم يلعب دورا ما في اخراج المصريين عن قوقعتهم . خاصة وان بعض الشوام المقيمين في مصر قد تعاونوا مع الاستعمار البريطاني وطعنوا الحركة الوطنية المصرية من الخلف . ويتضمن ما تشير اليه المؤلفة حول مسئولية العرب عن اسقاط مصر من حسابهم قدرا من التجاوز : خاصة وان التاريخ لا بد ان يفسر في سياق تياره العام بدلا من القاء التهم ذات اليمين وذات اليسار . فقد عمل الاستعمار الاوروبي في عنفوانه على الحيلولة دون قيام اي جهد مشترك لمقاومة السيطرة الاجنبية فقد تطوع بعض المصريين لمساعدة الشعب الليبي في وجه الاحتلال الايطالي . ولكن بريطانيا وقفت لهم بالمرصاد . وتضامن السودانيون مع المصريين خلال ثورة ١٩١٩ وفي اعقابها ولكن الانجليز استغلوا مقتل السردار في عام ١٩٢٤ لطرد مصر نهائيا من السودان واقامة ستار حديدي بين البلدين . اما ما يسمى بالثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين ضد الدولة العثمانية فلا اعتب على المصريين عدم الترحيب بها ، خاصة وانها استندت الى قوة الاستعمار البريطاني الذي قلب للعرب ظهر المجن عقب انهيار الدولة العثمانية .

وهكذا تستطرد المؤلفة في استعراض شتى التيارات التي تلاطمت في مصر الى ان بدا وجهها العربي وبخاصة بعد اتضاح الخطر الصهيوني على حدودها الشمالية الشرقية . ومثل هذا الاستطراد قد ابعدها في كثير من الاحيان عن المحور الرئيسي لبحثها وهو المحور الذي كان لا بد ان توجه المادة المتاحة لابرازه بغض النظر عن الاهمية النسبية للمسائل الجانبية .

وموقف التيارات السياسية

وفي هذا الباب تناولت المؤلفة ايضا موقف القوى السياسية في مصر من القضية الفلسطينية وتأرجحت في العرض للحركتين الوطنيتين المصرية والفلسطينية ، عائدة الى تفسير كل منها تفسيرا طبقيا مبالغا فيه ، وموجهة اليها بين الفينة والفينة اتهامات قد لا تستند الى اساس واقعي . فهي تذهب الى افتقاد كل منها للنظرة الشاملة ، في الوقت الذي كانت فيه الصحافة المصرية تتابع القضية الفلسطينية وتبدي تفهما عميقا لابعاد الصراع الفلسطيني البريطاني ـ الصهيوني ـ الا اننا لا نتفق معها في بلورة كل من الحركتين الوطنيتين في تلك الكيانات الحزبية التقليدية التي لم تلتحم مع القاعدة الشعبية العريضة ، ولم تتبين طموحاتها المشروعة في سبيل الديمقراطية والعدالة الاجتماعية ، بل اكتفت بالجري وراء صيغ الاستقلال المنقوص التي لوح بها المستعمر ففي الوقت الذي سعت فيه جماعة الاخوان المسلمين الى تحريك الرأي العام المصري تجاه القضية

الفلسطينية بالضرب على الوتر الديني ، نادى اليسار الماركسي بتشكيل عصبة لتحرير البلدان العربية وساند نضال الشعب الفلسطيني ضد الصهيونية والامبريالية .

وقد استعرضت المؤلفة في هذا الباب موقف كبريات الصحف المصرية حزبية وغير حزبية من القضية الفلسطينية ، وهو الموقف الذي ارتبط بطبيعة الحال بوجهات نظر الكتل السياسية التي تحركها وقد اشارت الى وجود صحافة صهيونية واخرى فلسطينية في مصر . وعلى حين عملت الصحافة الصهيونية على الترويج لدعاواها بصورة سافرة احيانا ومستترة احيانا اخرى ، فقد دأبت الصحافة الفلسطينية على التحذير من الخطر الصهيوني واستنكار السياسة البريطانية الموالية للصهيونية كما سعت الى خلق وعي بالقضية الفلسطينية وتصحيح كثير من الافتراءات التي كانت تتداولها بعض الصحف المصرية والصهيونية المعادية للقضية الفلسطينية ..

موقف النحاس باشا

وفي الباب الثاني (الصحافة المصرية وقضايا العشرينات والثلاثينات على الساحة الفلسطينية) استعرضت المؤلفة السياسة البريطانية في فلسطين والنشاط الصهيوني والحركة الوطنية الفلسطينية وموقف كبريات الصحف المصرية منها . وقد سبق ان اشرنا الى ان تبويب الكتاب ذاته الذي جعل هذا الباب يكرر كثيرا من المقولات التي سبق للمؤلفة ان اشارت اليها في مواضع سابقة افردت المؤلفة اهتماما خاصا بالثورة الفلسطينية الكبرى التي نشبت في عام ١٩٣٦ واثارت رد فعل قويا في مصر في المجال الشعبي لا الرسمي . وهكذا كانت الجمعيات الاسلامية ـ كالشبان المسلمين والاخوان المسلمين ورجال الدين وطلبة الجامعات والاتحاد النسائي المصري من أكثر الهيئات سعيا الى مساندة الثورة الفلسطينية ـ ومن ثم تشكيل لجان لاغاثة منكوبي فلسطين وتنظيم المحاضرات وجمع التبرعات وارسال برقيات الاحتجاج الى سلطات الاحتلال كما عبر بعض الشعراء المصريين عن تعاطفهم مع الشعب الفلسطيني وقامت المظاهرات الضخمة استنكارا لمشروع تقسيم فلسطين الذي اقترحته بعض الدوائر البريطانية . اما موقف الاحزاب والحكومات المصرية من الثورة الفلسطينية فقد اتصف بالسلبية ، خاصة وان حزب الوفد ـ اقوى الاحزاب المصرية التقليدية ـ كان يخشى اغضاب بريطانيا وبخاصة بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ التي اقامت حلفا شكليا بين البلدين ثبت على محك الواقع انه لمصلحة بريطانيا وحدها . على ان النحاس باشا ـ زعيم حزب الوفد ورئيس مجلس الوزراء ، ارسل مذكرة الى الحكومة البريطانية طالب فيها بايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية ، واعرب عن اسفه واستنكاره لمشروع التقسيم وعن قلقه ازاء احتمال وجود دولة يهودية على حدود مصر الشرقية وتبني الحل الذي يهدف الى ايجاد دولة عربية فلسطينية مستقلة ومتحالفة مع بريطانيا . كما طالب النحاس بتقييد الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وان يكن قد ابدى رفضه لفكرة العمل المشترك مع الدول العربية في سبيل ايجاد حل للقضية الفلسطينية .

وفي عام ١٩٣٧ شاركت مصر في المؤتمر العربي العام الذي انعقد في بلودان حيث انتخب محمد علي علوبة رئيسا له وابدت في عصبة الأمم ـ التي انضمت اليها بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ـ رفضها لمشروع التقسيم وحين استؤنفت الثورة الفلسطينية في اكتوبر ١٩٣٧ لقيت تجاوبا متزايدا في مصر : ففي اول فبراير ١٩٣٨ ارسل عدد كبير من نواب مصر وشيوخها احتجاجا الى السفير البريطاني وطالبوا دولته بضرورة ايجاد حل عادل يتضمن الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . كما شاركت مصر في مؤتمر المائدة المستديرة . الذي انعقد في فبراير ١٩٣٩ .

اما الصحافة الحزبية المصرية فقد عبرت عن مواقف احزابها . ومن أبرز الصحف التي تحمست للثوار صحافة الاخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة ـ وقد ركزت هذه الاخيرة على الجوانب العنصرية والشعارات الشوفينية وهاجمت الحكومات العربية واتهمتها بالتخاذل .

في المرحلة الدقيقة

ـ وفي الباب الثالث تناولت المؤلفة الرأي العام المصري وفلسطين في الأربعينات . فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى عام ١٩٤٨ مرت القضية الفلسطينية بأدق مراحلها بعد ان تبنت الولايات المتحدة قضية المهاجرين اليهود من اوروبا الذين تدوولت الاقاصيص الخاصة بما واجهوه من اهوال تحت الاحتلال النازي ـ ومن ثم مختلف التطورات التي تمخضت في النهاية عن اعلان الدولة اليهودية في مايو ١٩٤٨ ، ودخول جيوش بعض الدول العربية الى فلسطين .

وبينما هذا يجري على الساحة الدولية لعب كفاح مختلف الدول العربية ضد الامبريالية الغربية دوره في

تقريب المشاعر والاهتمامات القومية ، وبالتالي اصبحت الشئون العربية بالتدريج جزءا لا يتجزأ من النضال اليومي للحركة الوطنية المصرية ، وبدأت شعارات الكفاح المسلح ضد الصهيونية تطرح نفسها بقوة على الساحة المصرية ورغبة من الملك في تحويل الانظار عن السخط الشعبي وفي كسب نقطة في نضاله ضد الوفد وسعيه الى عرقلة قيام كتلة هاشمية قوية بامكانها عزل مصر عن الشرق العربي اتخذ قرار دخول مصر الحرب الى جانب الاردن وسوريا والعراق .

وما زلت عند احساسي بأن قرار دخول حرب ١٩٤٨ لا يخلو من ايحاء بريطاني بحيث تستطيع بريطانيا ان تلتف حول الضغوط الامريكية المساندة للصهيونية وتسترجع نفوذها المضعضع في الشرق الاوسط .

عن امريكا وروسيا

وكالعادة تفرد المؤلفة عدة صفحات لموقف الصحف المصرية من القضية الفلسطينية خلال هذه الفترة ، وان يكن هذا الباب برغم اهميته - لا يوازي في حجمه الابواب السابقة . على ان ثمة نقطتين في هذا الباب لا يصح المرور عليهما مرور الكرام . ففي ص ٢٨٥ تذهب المؤلفة الى ان القوات الصهيونية خلال حرب ١٩٤٨ كانت تتزود بالاسلحة من المعسكر الاستعماري بقيادة الولايات المتحدة ورغم ان الولايات المتحدة تتحمل قسطا كبيرا من المسئولية عن قيام اسرائيل وحمايتها ودعمها ، فان الموقف الرسمي الامريكي من الحرب كان يقوم على حظر تقديم الاسلحة الى طرفي النزاع ، وان تكن بعض الهيئات الامريكية غير الرسمية قد تحايلت على ارسال السلاح الى الصهيونيين بأساليب عدة . ورغم مسئولية الاتحاد السوفيتي هو الآخر عن قيام اسرائيل ، فان موقفه الرسمي من الصراع كان مماثلا ، وان يكن الصهيونيون قد توصلوا الى شراء صفقة سلاح هامة من تشيكوسلوفاكيا التي كانت قد انضمت وشيكا الى المعسكر الاشتراكي الذي تزعمته موسكو . بل ان « الهاجاناه » ارسلت بعثة الى براغ للتدريب على الاسلحة الجديدة التي حسمت الموقف لصالح الصهيونيين في اواخر مراحل الحرب [١] .

وفي ص ٢٨٩ تذهب المؤلفة الى وجود اتفاق بين بريطانيا والولايات المتحدة قبل نشوب حرب ١٩٤٨ يقضي بترك فلسطين للولايات المتحدة مع بقاء الانجليز في مصر . ولا اعرف من اين اتت بالمعلومات الخاصة بمثل هذا الاتفاق الذي لم ير النور اغلب الظن انه لن يرى النور لعدم اتفاقه مع سياق الاحداث ؟ فالدولتان الغربيتان برغم اتفاقهما على الخطوط المشتركة لاستراتيجيتهما في مواجهة المعسكر الاشتراكي كانتا تمران بمرحلة يشوبها الصراع المستتر ازاء سياستهما في الشرق الاوسط ، وهو الصراع الذي تمخض في نهاية المطاف عن انحسار النفوذ البريطاني وتفوق النفوذ الامريكي [٢] .

ومرة اخرى اكرر في هذا المجال حاجتنا الى الدراسات العلمية التي تخدم قضايانا القومية بالشكل الذي لا تحققه الشعارات والاتهامات وانصاف الحقائق والتخمينات .

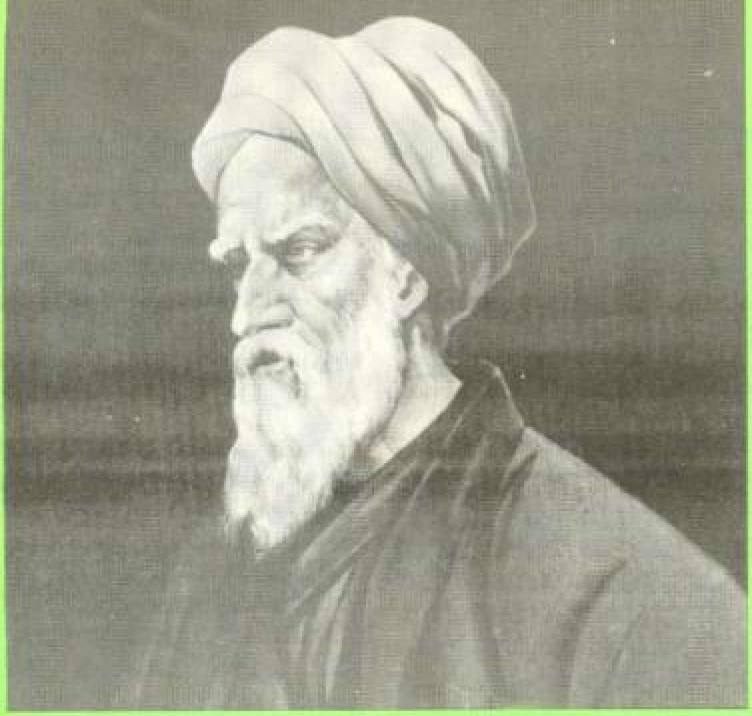
واخيرا فبالرغم من هذه الملحوظات ، فان بحث الدكتورة عواطف عبد الرحمن يسد فراغا حقيقيا في المكتبة العربية وحبذا لو اتبعته ببحث آخر يستكمل قصة موقف مصر - الشعبية والرسمية من القضية الفلسطينية منذ حرب ١٩٤٨ حتى الوقت الحاضر . وافتقاد المكتبة العربية الى الابحاث الجادة في هذا المضمار هو المسئول عن الخلط والاتهامات المتبادلة ازاء الموقف المصري من القضية الفلسطينية وما يسمى بمشكلة الشرق الاوسط خلال السنوات الاخيرة . ■■

د . احمد عبد الرحيم مصطفى

(1) Arnold Krammer, The Forgotten Friendship : Israel and the Soviet Block, 1947 - 53 (University of Illinois Press, 1974)

(٢) راجع كتابي « الولايات المتحدة والمشرق العربي » - سلسلة عالم المعرفة - عدد ابريل ١٩٧٨ .

● في احدى المحاكم الايطالية قال القاضي للمتهم : انني لن احكم عليك بالسجن بل سأحكم عليك بعقوبة اقسى .. سوف اطلق سراحك لتقاسي الغلاء والبطالة والازمات والضرائب والمشاكل السياسية !!



ابن الهيثم

العبقرى الذى تظاهر بالجنون !

بقلم : الدكتور عبد العظيم أنيس

لم ينل عربي ، في مسيرة التاريخ ، ما ناله ابن الهيثم من تقدير لعبقريته العلمية والهندسية . واذا كان العالم ما زال يذكر حتى اليوم فخر بحوثه الاصيلة ... أعنى كتابه (المناظر) في علم البصريات ، وهو الكتاب الذي ظلت أوربا تحاول استيعاب ما فيه ستة قرون ، الا أنه لا ينبغي أن تنسى أن ابن الهيثم كان مهندسا كبيرا بمقاييس عصره ، وأنه أول من أشار الى فكرة تخزين مياه النيل عند اسوان للانتفاع بها في فصول الجفاف !

حدث هذا منذ نحو ألف عام . وسمع الحاكم بأمر الله في مصر بأمر ابن الهيثم وعلو مقامه في العراق وأنه قال « لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص . فقد بلغني أنه ينحدر من مكان عال وهو في طرف الاقليم المصري » . فأرسل اليه أموالا وهدايا وناشده الحضور الى مصر . فلما قبل ابن الهيثم خرج الحاكم بأمر الله لاستقباله خارج القاهرة . والتقى به في قرية قرب أحد أبواب القاهرة مرحبا . وأكرم وفادته .

وانتظر الحاكم أياما حتى استراح ابن الهيثم من عناء السفر . ثم طالبه بما قاله في أمر النيل . وسار ابن الهيثم ومعه جماعة من الصناع المتولين للعمارة بأيديهم ـ وكأنه على رأس بعثة هندسية بأدق المعاني الحديثة لهذه الكلمة ـ يتتبع مجرى النيل من القاهرة الى جنوب أسوان حتى وصل مكانا يقال له الجنادل (ولعله الشلال) ولم يجده ابن الهيثم ـ كما بلغه من قبل ـ موضعا عاليا ينحدر منه النيل فعاينه واختبره من جوانبه . وفكر وقدر . فلم يجد الامر متفقا مع الفكرة الهندسية التي خطرت له فعاد الى القاهرة خجلا واعتذر للحاكم .

واذا علمنا أن الحاكم بأمر الله كان دكتاتورا سفاكا للدماء . شديد التقلب في مزاجه . على الرغم مما عرف عنه من تشجيع للعلم والعلماء ـ فقد يخطر في بالنا أن عنق ابن الهيثم كان مصيرها السيف على يد جلادي الحاكم بعد هذا الفشل المبين . أو أنه على الاقل طرده من البلاد وحرمه من نعمته .

وليس هذا ما حدث على أي حال . فالثابت أن الحاكم قبل اعتذاره واقتنع بما أبدى من الاسباب بل ولاه منصبا من مناصب الدولة . وقد تتفاوت التفسيرات في فهم هذا الموقف من جانب الحاكم بأمر الله . فمن قائل أنه تظاهر بقبول عذر ابن الهيثم حتى يبقيه في مصر فلا ينتفع به أحد حكام الدول العربية الاخرى . وربما كان ابن الهيثم نفسه متشيعا واعتبر القاهرة المكان الطبيعي له في ظل سلطة الفاطميين عندما كانت بغداد معقل السنة المتعصبين .

على أنه من الثابت أن ابن الهيثم كان كارها لهذا المنصب الذي ولاه الحاكم فقد كان بطبعه كارها للمناصب لا يستسيغ أعمال الدواوين . ميالا الى الانقطاع للبحث العلمي واجراء التجارب وتأليف الكتب . ففكر في حيلة يتخلص بها من هذا المنصب دون أن يجلب على نفسه غضب الحاكم بأمر الله فلم يجد وسيلة غير أن يتظاهر بالجنون وخبال العقل . وأشاع ذلك عن نفسه حتى بلغ الحاكم فعزله عن منصبه وصادر أمواله وعين عليه من يقوم بخدمته !

وظل ابن الهيثم في هذا الوضع المأساوي حتى مات الحاكم بأمر الله سنة ٤١١ هـ . فلما تيقن من الخبر استوطن غرفة بجوار الجامع الازهر وعاد الى البحث والانقطاع للعلم . ولبث بعد ذلك حيا أكثر من ثمانية عشر عاما أصدر خلالها كتاب « المناظر » أكبر أعماله العلمية وأجلها شأنا !

العقل العربي الاصيل

لكي تدرك حقيقة عبقرية العالم العربي ابن الهيثم ينبغي أن نعود الى ما كتبه مؤرخو العلم الغربيين في العصر الحديث . فكم حاول كثيرون منهم التقليل من أهمية الاضافات التي أضافها العرب في ميدان البحث العلمي . وكم قالوا عن العلماء المسلمين النوابغ انهم فرس وليسوا عربا . ومع أنه من المتفق عليه اليوم بين هؤلاء المؤرخين الغربيين قاطبة أن أوربا القرون الوسطى قد شقت طريقها الى عصر النهضة من خلال التراجم العربية للتراث العلمي والفلسفي اليوناني التي كانت موجودة بالاندلس وصقلية الا أن هؤلاء المؤرخين يتفاوتون حول قيمة الابتكار والاصالة العربية في هذا الميدان .

ورغم ذلك فهم جميعا وبدون استثناء يتفقون على أن ابن الهيثم كان عالما عربيا أصيلا : وأنه كان أشد العلماء العرب أصالة وابتكارا . وحسبنا أن نشير الى ما يقوله العالم البريطاني البولندي الاصل ـ ج برونوفسكي في كتابه « ارتقاء الانسان » . فهو يقول ما يلي بالنص عند تعرضه لحركة الترجمة الاوربية للتراث اليوناني في الاندلس :

> « أن أشهر المترجمين وأنبغهم كان جيرار دي كريمونا الذي جاء من ايطاليا خصيصا للبحث عن نسخة من كتاب بطليموس في الفلك (المجسطي) . والذي أقام في طليطلة لترجمة أرشميدس وهيبوقراطس . وجالينوس وإقليدس ـ عمالقة العالم اليوناني . ومع ذلك ففي رأيي أن أروع الرجال الذين ترجمت أعمالهم ـ وأشدهم نفوذا في المدى الطويل ـ لم يكن يونانيا . ومصدر حكمي هذا أنني مهتم بتصور الاجسام في الفراغ . وهو موضوع كان اليونانيون فيه على خطأ بين .

لقد فهم هذا الموضوع لاول مرة حوالي عام الف ميلادي على يد رياضي عربي غريب الاطوار يدعى ابن الهيثم ، وهو وحده العقل العربي الاصيل الذي انجبته الثقافة العربية » .

« لقد ظن اليونانيون أن الضوء ينطلق من العين الى الاجسام ، ولكن ابن الهيثم أدرك لاول مرة أننا نرى الجسم لان كل نقطة عليه ترسل شعاعا الى العين وتعكسه منها . »

« أن التصور اليوناني لم يكن قادرا على تفسير كيف أن أي جسم - يدي مثلا - يبدو وقد تغير حجمه عندما يتحرك . أما في تفسير ابن الهيثم فهذا أمر واضح ، اذ أن مخروط الاشعة يصدر عن اطار يدي وشكلها يأخذ في الصغر كلما حركت يدي بعيدا عنك . وكلما اقتربت يدي منك أخذ مخروط الاشعة الذي يدخل عينيك في الكبر وكانت زاوية رأسه أكبر . » .

« أن هذا - وهذا فقط - هو الذي يفسر تغير حجم اليد - بالنسبة للمشاهد - عند الحركة . ان فكرة ابن الهيثم من البساطة بحيث يبدو مدهشا أن العلماء لم ينتبهوا لها الا بعد ستمائة عام من نشره لها (باستثناء روجر بيكون) . أما الفنانون فقد تعاملوا مع هذه الفكرة بطريقة عملية قبل العلماء بزمان طويل . إن مفهوم مخروط الاشعة الصادر عن الجسم الى العين هو أساس فكرة « المنظور » ، والمنظور هو الفكرة الجديدة التي منحت الرياضيات حيوية جديدة » .

« لقد انتقلت هذه الفكرة المثيرة - المنظور - الى الفن في شمال ايطاليا وفلورنسا وفينسيا في القرن الخامس عشر الميلادي . وفي مكتبة الفاتيكان بروما توجد نسخة لاتينية مترجمة من كتاب ابن الهيثم (المناظر) وعليها تعليقات وحواشي لورنز جبرتي الذي وضع المنظور البرونزي المشهور لابواب الكنيسة المعمدانية في فلورنسا . ولقد مثل لورنز مع آخرين مدرسة متميزة في الفن هي مدرسة المنظور . انها مدرسة في الفكر لان هدفها لم يكن مجرد تصوير الاجسام كما تبدو في الحياة ، وانما خلق هذا الاحساس بحركة الاجسام في الفضاء » .

هذا ما يقوله برونوفسكي ، وقد تعمدنا أخذ هذا النص المطول من كتابه ليتبين منه الميدان الاساسي لبحوث ابن الهيثم التي تميزت بالابتكار والاصالة ولنرى منه تأثير هذه البحوث على تطور العلوم الرياضية من ناحية وعلى الفنون من ناحية أخرى .

الثلاثة الكبار

أما برنال في كتابة « العلم في التاريخ » فانه يقول شيئا مشابها لما قاله برونوفسكي ، ولكنه يؤكد من ناحية أخرى على الاهمية الفسيولوجية للوصف الدقيق الذي قدمه ابن الهيثم لتركيب العين في مناطق شديدة الحرارة كثرت فيها امراض العيون وعلاقة هذا بضعف البصر والحاجة الى العدسات المكبرة للقراءة .

وفي كتاب ألدوميلي « العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي » يقول المؤلف في باب « أوج العلم العربي في المشرق » .

« قبل أن نشرع في دراسة نتاج العلوم المختلفة على وجه التخصيص يجدر بنا أن نفرد مكانا لثلاثة من العلماء الكبار يؤلفون - مع الرازي - أعظم المفكرين والعلماء الاسلاميين الاربعة بالمشرق . وهم البيروني ، ابن سينا ، ابن الهيثم وكان الاخير من هؤلاء الثلاثة عراقيا ، على حين يمكن عد الاولين - بحق - ايرانيين » .

ثم يعود الى ابن الهيثم في نفس الكتاب فيقول ص (٢٠٦) : »

« كان ابن الهيثم رياضيا وعالما بالطبيعات على وجه الخصوص ولكنه تجاوز بعيد في مجاله المحدد أهمية جميع الفيزيائيين الآخرين عند العرب . وكتابه (المناظر) ترك أثرا عميقا ، بل كان فيما بعد باعثا الى البحوث والاعمال التي نام بها كل من روجر بيكون ووايتلو ...

« لقد تميز ابن الهيثم بأبحاثه في ظواهر انعكاس الضوء وانكساره والعدسات ، وفي وصفه الدقيق للعين ، ودراساته في الرؤية المزدوجة ، وهو أول من استخدم الغرفة المظلمة في الدراسات الضوئية . وهذه الدراسات في الانعكاس والانكسار أدت به الى حل معضلات رياضية ومنها المشكلة المعروفة باسمه وتتلخص كما يلي :

أفرض دائرة في سطح ، وافرض نقطتين خارجتين عن الدائرة ، المطلوب ايجاد نقطة أ على هذه الدائرة بحيث يكون المستقيمان اللذان يربطان هذه النقطة أ بالنقطتين الخارجتين زوايا متساوية مع نصف قطر الدائرة . لقد احتوى حل هذه المشكلة على معادلة من الدرجة الرابعة حلها ابن الهيثم بواسطة خط تقاطع دائرة وقطع زائد . »

ينسخ ليأكل !

ربما كان هذا الاستعراض لآراء ثلاثة من كبار العلماء ومؤرخي العلم الغربيين في ابن الهيثم كافيا لنستخلص عددا من النتائج الهامة منها :

أولا : أنه ليس هناك أي شك حول « عروبة » ابن الهيثم ، وحول أصالة بحوثه العلمية .

ثانيا : أنه ليس هناك أدنى شك حول الاهمية البالغة لكتابه (المناظر) وحول الاثر البالغ المدى الذي تركه هذا الكتاب على العلم الاوربي في عصر النهضة ، وعلى تطور فن الرسم الاوربي بما قدمه من مفهوم « المنظور » .

ثالثا : أن ابن الهيثم كان عالما بالمعنى الشامل لهذه الكلمة ، باحثا في الطب وفي الرياضيات وفي الفلك ، وفي الفيزياء . ومع أن أهم انجازاته كانت في الفيزياء الا أننا لا ينبغي أن نقلل من انجازاته الرياضية وبحوثه في تركيب العين . فيرونوفسكي يعتبره رياضيا تحول الى الفيزياء ، والبحوث الهندسية ـ ويشير ألدوميلي الى واحدة منها ـ التي كان عليه أن يواجهها في دراساته لعلم الضوء هي من أجل الانجازات الهندسية في عصره .

واذا اضفنا الى هذا ما كان معروفا عنه من اهتمامات في ميادين المساحة الارضية وبناء العمائر وتخزين مياه الانهار لاستطعنا أن نخرج بفكرة اولية عن حجم هذه العبقرية العربية التي تفتحت منذ أكثر من الف عام .

أن الانسان يقف مشدوها أمام مثل هذه الظاهرة عندما يتذكر أنه في هذا العصر البعيد لم تكن هناك مدارس نظامية يتعلم فيه الناس ولم تكن هناك منح علمية تمنح للمتقدمين حتى يعطوا أفضل ما لديهم كما هو الحال في عصرنا هذا . لقد كان على كل انسان طموح أن يعلم نفسه بنفسه ، وهذا ما فعله ابن الهيثم عندما لجأ الى كل الترجمات العربية للتراث اليوناني في الرياضيات والفلك والفلسفة والطب ، فدرسها ثم الف منها تصنيفات بلغت ثلاثة وأربعين في الفلسفة والعلم الطبيعي ، وعشرين في الرياضيات والفلك ، وواحدا في الطب ، وهذه التصنيفات لم تكن تلخيصا لما قرأه وفهمه فحسب ، بل تضمنت إضافات وتصحيحات ونقد لعدد من آراء من سبقوه .

أما من اين كان يأكل وينفق وهو مشغول بهذه الابحاث فاننا نجد اجابة مأساوية على هذا في الكتاب الهام لمصطفى نظيف (ابن الهيثم) حين يورد اقتباسا من كتاب ابن القفطي « اخبار الحكماء يقول فيه : « سمعت أن ابن الهيثم كان ينسخ في مدة سنة ثلاثة كتب في ضمن أشغاله ، وهي اقليدس ـ والمتوسطات والمجسطي ويستكملها في مدة سنة فاذا شرع في نسخها جاءه من يعطيه فيها خمسين ومائة دينار مصري . وصار ذلك كالرسم الذي لا يحتاج فيه الى مواكسه ولا معاودة قول فيجعلها مؤنة لسنته » .

هكذا اذن كان حال هذا العالم العبقري العربي ... ينسخ الكتب ليجد قوت يومه ، وهو الرجل الذي سماه المؤرخون العرب « الحكيم بطليموس الثاني » ! أن هذا هو مناخ حياته اليومية عندما كتب درة أعماله (المناظر) بعد وفاة الحاكم بأمر الله .

ثم يزداد الانسان دهشة عندما يتذكر طبيعة العصر الذي عاش فيه ابن الهيثم . لقد ولد ابن الهيثم في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ومات بالقاهرة في النصف الاول من القرن الخامس الهجري وفي هذا العصر أصيب العالم الاسلامي لاول مرة بالانقسام الكبير الذي لم يلتئم بعده أبدا .

لقد وقعت بغداد في أيدي الوزراء الاتراك ينهبون ويفسدون ، وانفصلت فارس وأصبهان والجبل في ايدي بني بويه ، ووقعت كرمان في ايدي محمد ابن الياس ، والموصل وديار بني ربيعة وديار بكر وديار مضر في ايدي بني حمدان ، ومصر والشام في يد الاخشيديين ، والمغرب في يد الفاطميين ، والاندلس في يد عبد الرحمن الناصر ، واليامة والبحرين في يد القرامطة ، والاهواز وواسط والبصرة في يد البريديين ... الخ ، ووصلت حالة التدهور السياسي الى قتل الخلفاء في بغداد على يد الاتراك والتمثيل بجثثهم . فاذا طلب الاتراك من الخليفة أن يخلع نفسه وأبى خلعوه وسملوا عينيه ، وهكذا شوهد الخليفة القادر يسأل الصدقة على باب المسجد . !

ظاهرة شاذة

أن هذا العصر لم يكن عصر التدهور السياسي فحسب ، بل كان عصر التدهور الفكري في معظمه ، عصر التهاب نيران الخلاف بين الفقهاء بعضهم مع بعض ، وبين السنة والشيعة ، وبين الفقهاء والمتصوفة ، وبين الاغنياء والفقراء ، عصر سد فيه باب الاجتهاد في الدين والتحجر الفكري والتعصب الاعمى . وكانت الاحوال الاجتماعية والاقتصادية على أسوأ ما يكون

فالاغنياء يزدادون غنى والفقراء يزدادون فقرا ، والمظالم والمصادرات تزداد لملء خزائن الخلفاء والامراء ، وكل هذا أدى في النهاية الى انتشار ظاهرة التصوف ، والى اتساع ظاهرة « الشطار » أي اللصوص ، والى انحلال الأخلاق وامتلاء القصور بالمؤامرات والدسائس والقتل ، والى انتشار مجالس الشرب والقيان وبيوت الدعارة (بيوت النخاسين) ، والى اتساع نفوذ الخرافات والسحر والتنجيم على يد عناصر اتخذت من التصوف ستارا للتدجيل (راجع « ظهر الاسلام » لاحمد أمين ـ الجزء الثاني) .

ولم يمض على موت ابن الهيثم بالقاهرة اكثر من خمسة عشر عاما حتى كان ـ القائد طغرل بك يضرب بخيامه تحت أسوار بغداد ثم يدخلها دون مقاومة !

ان من الغريب أنه في هذه الحقبة التي تميزت بالانحلال السياسي والتدهور الفكري استطاع ابن الهيثم أن يحافظ على تفكيره العلمي بصورة تذكرنا بفكر العلماء الاوربيين في القرن التاسع عشر . فقد بدأ شبابه متشككا ثم وجد طريقه الى البحث العلمي من خلال معرفة فلسفة أرسطو ، فهو يقول في أحد مقالاته ، « ورأيت أني لا أصل الى الحق الا من خلال آراء يكون عنصرها الامور الحسية وصورتها الامور العقلية . فلم أجد ذلك الا فيما قرره أرسطو طاليس من علوم المنطق والطبيعيات والالهيات التي هي ذات الفلسفة وطبيعتها » .

ويقرر مصطفى نظيف في كتابه (ابن الهيثم) بأنه « كان من فرقة الواقعيين من العلماء الذين يصح أن نجمل مذهبهم في أنهم يرون العالم الطبيعي موجودا في ذاته وجودا عينيا ، خارج الذهن أو العقل ، وان الحواس أدوات ادراكه » .

وهو يجعل همه الاول في بحوثه ونظرياته وتجاربه الكشف عن احكام وقوانين الطبيعة ، اذ هو من المقتنعين أن الامور الطبيعية تنتظمها قوانين يستوى في ذلك ما يدركه الحس وما يتعذر على الحس ادراكه .

وهو فوق ذلك يتبع طريقة في البحث تقوم على الاستقراء والقياس والتمثيل ، وهي العناصر الجوهرية الثلاث التي لا تزال تميز البحث العلمي حتى اليوم .

أبن الهيثم اذن كان ظاهرة شاذة في مناخ غير موات ، وليس هذا بالامر المستحيل ، فكم قدم التاريخ من أمثلة هذه الظواهر الشاذة التي لا تهدر القاعدة . فنحن نستطيع أن نتصور عالما فردا ـ كابن الهيثم ـ ينكفيء على نفسه يدرس في عزلته ويتعمق مستفيدا من التراث اليوناني وذكائه الخارق ثم يخرج على الناس بكتاب في أصالة كتاب (المناظر) .

لكننا لا ينبغي أن ننسى أن من علامات هذا العصر الاغبر أن ابن الهيثم قد اضطر الى التظاهر بالجنون عندما أراد أن يتفرغ للعلم ! ■■

د . عبد العظيم أنيس

ان كان ثمة صديق

● كان من الكتاب المسرحيين المزهوين ، فلما دنا موعد افتتاح مسرحيته الجديدة ارسل الى محافظ المدينة تذكرتين لحضور الحفلة ومعها رسالة قال فيها : ان للمحافظ ان يصحب معه صديقا « ان كان له صديق » .

فاعاد المحافظ التذكرتين مع رسالة توخى فيها غاية الادب وقال : ان ارتباطه السابق بموعد آخر يحول دون حضوره حفلة الافتتاح ولكنه يرضى ان يشترى تذكرتين للحفلة الثانية « ان كانت ثمة حفلة ثانية » .

قصة من الجزائر :

المغترب

بقلم : عبد الحميد بن هدوقه

- اركب !
- لكن ياسيدي هذا المطعم لي وانا صاحبه ...
- قلت لك اركب ولا تتكلم !
- لكن ... لم اعمل شيئا مخالفا للقانون ، لم اقترف ذنبا .
- كفى كلاما ، عندما تصل الى المركز اشرح للمحافظ حقيقتك .
- ارجوك لحظة ، أوصي فيها على المحل أحد مواطني .
- انك أكثرت الترجي ... اركب والا اضطررت لاستعمال العنف .

ركب « المولود » سيارة الشرطة مع غيره من العمال الجزائريين وسيقوا الى مركز الشرطة بدون أن يعرفوا السبب ، وفي الواقع لم يكن احد من أولئك العمال يستغرب هذه الحادثة ، فهم قد تعودوا على ذلك ، منذ وطئت أقدامهم فرنسا .

أما « المولود » فقد كان في أشد الحيرة والاضطراب ، فهو يعتبر نفسه ليس كبقية العمال . انه تاجر ، صاحب مطعم رقم ١١٨ شارع قابريال بيري في سانت وان من ضواحي باريس . فلو كان عاملا كغيره من العمال لهان الأمر ، ولكنه ليس كالآخرين ... ثم ترى ماذا سيقع لمحله أثناء تغيبه هذا ؟ انه لم يستطع حتى توصية من يخلفه في تسييره . بل لم تمنح له الفرصة حتى لغلقه ! وهذا غير معقول ... غير معقول !

وخاطب رفاقه في السيارة :

- غير معقول ، غير معقول أن أساق هكذا ! انا تاجر ، صاحب مطعم ... غير معقول أن اعامل هكذا .. غير معقول ! لو وقع حادث في المحل أثناء غيابي ، ترى من المسئول ؟ أنا المسؤول طبعا ، صاحب المحل هو المسؤول دائما ...

نظر اليه أحد العمال مليا وبسمة ساخرة تعلو شفتيه ، ولكنه لم يجبه بكلمة لا هو ولا غيره ، ولم يكن المولود ينتظر من أحد جوابا فهو لم يكن مثلهم ، مجرد عامل بسيط . انه تاجر ، صاحب مطعم ١١٨ شارع قابريال بيري . من ذا من عمال الناحية لا يعرف « ١١٨ » ؟ من ذا لم يأكل كسكسيه اللذيذ ؟ بل من ذا لم يغازل يوما ، ولو في خياله ، الفتاة العاملة « كوليت » ؟

كان هذا المطعم مشهورا بثلاثة : « كوليت » العاملة الفرنسية اللطيفة ، والمولود صاحب المطعم ذو القبعة البوهيمية والمنديل الحريري الاحمر الذي لا يفارق عنقه ، والكسكسي اللذيذ ، وكانت تجارته رابحة وقصاده كثيرين ، ليس من العمال الجزائريين فقط بل حتى من الاجانب هواة الكسكسي ...

واصلت السيارة السوداء طريقها الى المركز تشقه بصفارتها شقا ، وواصل المولود احتجاجه وتذمره من هذه المعاملة السيئة التي سوى فيها بين تاجر مشهور وعمال نكرات :

- « أقاد هكذا الى مركز الشرطة بدون سبب .. غير



منطقي ، غير معقول ... جمع الناس بهذه الصورة وحشرهم في سيارة سوداء عرفناه أيام الثورة ... أما الآن فما السبب ؟ غير معقول ... غير معقول ... البارحة فقط تناول الطعام عندي المفتش « رازول » ... البارحة فقط آه لم يسمحوالي حتى بأن أوصي على المحل ، قال لي : « اركب ولا تتكلم » ! شرطي بسيط ، قال لي هذا ... أرأيتم ايها الاخوة ! شرطي بسيط يأمر صاحب محل بهذا الأسلوب ! مع اني لم أعمل شيئا ، ولم يقع في محل ما يستحق هذه المعاملة ... لم يعلم أحد بسبب لمجيء الشرطة ولا بوقت مجيئها ... وقفت السيارة أمام الباب ، ونزلت الشرطة شاهرة في وجوهنا أسلحتها وقالت : « الجميع الى السيارة » !

كان من حقهم أن يسألوا عن هوية الناس ، أن يطلبوا أوراق التعريف ويأخذوا المشبوه في أمره ...

أما أن يحشروا الناس هكذا ، حشرا في سيارتهم فغير معقول وغير منطقي . الثورة انتهت منذ سنوات ، والجزائر مستقلة ... كل الناس يعرفون هذا . فلماذا جمع الناس بهذه الطريقة المتغطرسة ؟ ان لم يريدوا رؤية الجزائريين في أرضهم كان عليهم أن يتفاهموا مع حكومتنا ، لا أن يجمعونا هكذا كالاغنام ، كالمجرمين .. غير معقول ! غير معقول أن يستمر حقدهم علينا الى هذا الحد ، والثورة المسلحة قد انتهت منذ سنوات .... » .

●

وصلت السيارة الى المركز ، وانزل العمال منها بأعقاب البندقيات . وحشروا في أحد الممرات حشرا . حيث لم يكونوا فيه وحدهم . فقد كانت هناك مجموعات أخرى من العمال جيء بهم من مختلف الضواحي ، وكانت ظروف ايقافهم ونقلهم الى المركز مماثلة : تقف السيارة أمام المقهى وتحاصر الشرطة من فيه ، ثم تأمرهم بالركوب وتقودهم الى المركز حيث تفرغهم في ذلك الممر الطويل الذى يشبه الدهليز ... وهناك ينتظرون الساعات الطويلة قبل أن يشرع في التحقيق معهم ، وكانوا أحيانا يقضون الليلة والليلتين ثم يطلق سراحهم ، بدون أن يتعرضوا لأي تحقيق . وغاية هذه العمليات هي غالبا اشعار الجزائريين بأنهم غير مرغوب فيهم ، على الأقل من طرف الشرطة ...

كان المولود واقفا الى جانب شخص جيء به الى هناك قبله ، تظهر عليه علائم الترف فخاطبه قائلا :

ـ « أرأيت ؟ انهم لا يفرقون بين عامل وعاطل وتاجر ! لم يسمحوا لي حتى بغلق المحل . حاولت عبثا أن أفهمهم أنه لا يمكنني أن أدع المحل وحده ... انهم يسلكون معنا سلوكهم ازاء المجرمين ، بيد أن الجزائر مستقلة منذ سنوات ، والحرب بيننا وبينهم قد انتهت ... ومع ذلك فالجزائري هو الجزائري في نظرهم ...

ومضى يروي قصته من جديد : وصلوا عند الساعة الثامنة في الوقت الذي كان فيه المحل مكتظا بالناس ، أغلبهم لم يتناول طعام العشاء ... وساقونا الى هنا كالبقر . هل نستطيع أن نحتج أو نعمل شيئا ؟ كلا . يفعلون بنا ما يشاؤون . نحن كالبقر تماما . في الواقع لو كنت عاملا كسائر العمال أو عاطلا لهان الامر ، ولكني تاجر يا أخي ، مسؤول عن محل يشتمل على مقهى ومطعم وغرف للنوم . وأنا وحدي . هل تستطيع « كوليت » أن تقوم بكل شيء في غيابي ؟ كلا . ثم انها ليست زوجتي ، هي عاملة عندي فقط . صحيح أنها ثقة . منذ اكتريت هذا المحل وهي معي . عرفتها وأنا عامل بمعامل « سطروين » . ولكنها لا تستطيع أن تعمل شيئا في غيابي . امرأة عاملة لا تستطيع تولي مسؤولية تسيير محل ... لم ينبس الرجل بكلمة فسكت المولود قليلا ثم استأنف قائلا :

ـ « أعرف أنهم سيطلقون سراحي بعد أن يطلعوا على هويتي . ولكن ... ولكن الطريقة التي ساقوني بها منافية لكل القوانين ، لكل القوانين ! أنا تاجر يا أخي ، ومحلي يعرفه العام والخاص ، حتى الشرطة تعرفه . من بين زبائني مفتش شرطة اسمه راؤول ، يأتي دائما للمطعم لتناول طعام العشاء او الغداء هو ورفاقه ، ومع ذلك ساقوني هكذا كبقية الناس ، أليس هذا مثيرا ؟ لم يروا لا اوراقي ولا أي شيء ... أقضي الليلة هنا أو في مكان آخر لايهم ، ولكن المحل ، المحل تركته وحده . ماذا تستطيع أن تفعل « كوليت » في غيابي ؟ ثم ما هو أهم : المسؤولية ! لو وقع في غيابي حادث في المحل ، ترى من المسؤول عن ذلك ؟ هو أنا طبعا ، أنا المسؤول ، لأني أنا صاحب المحل . « كوليت » عاملة ليست مسئولة .. ليست زوجتي على كل حال . كثير من الزبائن يظنونها شريكتي لأنها تتولى الصندوق المالي ولكنها في الواقع عاملة فقط . وليتها المسائل المالية لأنها تتقن الحساب ، ولأنها ثقة ، عرفتها منذ سنوات . مسألة الثقة هي ثقة لا شك في ذلك . صدقني يا أخي ، انني أعرف من اثق فيه ومن لا اثق ... » .

ـ « سيدي المحافظ أؤكد لك ... »

ـ أوراقك .

ـ « قلت لك ياسيدي المحافظ تركتها بدرج المكتب بالمحل . »

ـ ماذا تعمل ؟ »

ـ « أنا سيدي المحافظ ، صاحب مقهى ، مطعم ، فندق « .... أنا علال المولود صاحب محل ١١٨ شارع قابريبل بيري ، سانت وان ، المفتش راؤول وزملاؤه يعرفونني جيد المعرفة يأتون لتناول الكسكسي عندي ، تستطيع أنت أيضا أن تأتي سيدي المحافظ لتناول الكسكسي ، تستطيع أن تأتي متى شئت ستجد لدينا كل حفاوة ، يجب أن تأتي الى ١١٨ سيدي المحافظ » .

ـ « متى دخلت الى فرنسا ؟ »

ـ « متى دخلت الى فرنسا ... منذ احدى عشرة سنة ، دخلت في سنة ١٩٥٩ » .

ـ « أين كنت تشتغل ؟ »

ـ « في معامل « سيطروين » سيدي المحافظ .

ـ « أعندك كشوف الاجرة ؟ »

ـ « لست ادري ان احتفظت بها ، لا شك أن هناك كشوفا باقية في اوراقي بالبيت . »

ـ « منذ متى وأنت عاطل عن العمل ؟ »

ـ « لكن ياسيدي المحافظ ، لست بطالا ، أنا أعمل ، أنا صاحب محل كما قلت لك . »

ـ « متى توقفت عن العمل في معامل « سيطروين » ؟ »

ـ منذ سنة تقريبا .

ـ « ومن أين جئت بالأموال التي اشتريت بها مقهى ومطعما وفندقا ؟ »

ـ « لم أشتر هذا المحل ، اكتريته فقط . »

ـ « من أين جاءتك الاموال لاكتراء محل مثل هذا ؟ »

ـ « من العمل سيدي المحافظ ، من عرق الجبين ، اقتصدت طوال السنوات الماضية لاستطيع اكتراء محل . »

ـ أنا لي عشرون سنة في الشرطة ولم أستطع توفير ما اكترى به شقة في فندق . فكيف استطعت أنت توفير كل هذه الأموال ؟ »

ـ « لكن سيدي المحافظ ، أنت لا تستطيع أكل الخبز والبطاطس سنوات .

ـ « لست أضحك معك . لا شك أنك سرقت هذه الاموال والا فأجرتك كلها لا تمكنك من اكتراء محل كالذي تتحدث عنه ! »

- « سيدي المحافظ ، أؤكد لك ، ان المال الذي اكتريت به المحل من عرق جبيني »

« ... كيف أسرق أنا ؟ أؤكد لك سيدي المحافظ أنني عامل نظيف ! »

- « هل لديك ما يثبت أقوالك ؟ »

- « اسأل عني رئيس قسم الدهن في معامل « سيطروين » سوف يجيبك بأني كنت من العمال المتفانين في عملهم . »

- « هذا كلام لا معنى له . فان لم يكن عندك ما يثبت اكتساب الاموال التي اكتريت بها المحل فانك سارق . »

- « أؤكد لك سيدي المحافظ ، لم أسرق أحدا في حياتي . واذا أعطيتني فرصة فسوف أتيك بكل الحجج التي تثبت صحة كلامي . »

- « طيب ، عندما تصل الى الجزائر ، هيىء حججك للمطالبة بحقك » .

- « الجزائر سيدي المحافظ ؟ ... ولك ... محل ... اوراقي ، حساباتي ، أموالي ... »

- « هيا اغرب من وجهي ... شرطي ! ... الذي بعده .... »

●

واصل المحافظ استنطاق العمال الآخرين بنفس الطريقة ونفس التهكم أما المولود فقد نزلت عليه كلمة الرجوع الى الجزائر نزول الصاعقة . ان كل السنوات التي قضاها بفرنسا كان وراءها هذا الحلم المتمثل في اكتراء محل وامتهان التجارة ، ولما تحقق الحلم وصار تاجرا وجد نفسه أمام هاوية !

كم عد أيامه وساعات تلك الايام ، وهو مغمور بدهن السيارات وبغازاته السامة ! كم بات على الطوى ، وكم حمل نفسه ما لا تطيق وألزمها من ظروف قاسية ليوفر من أجرة يومه ما يريحه في غده ! فرح رفاقه من العمال بعطلهم الاسبوعية ولهوا ما وجدوا الى اللهو سبيلا ، وكبح هو نفسه عن كل جنوح الى اللهو وتبذير المال . أكل رفاقه وشربوا ما حلا لهم ، وألزم نفسه بأن تقنع بالضروري من العيش ، والساتر من الملبس . وكان راضيا بحياته تلك ، مغتبطا بها . حتى جاء اليوم الذي تيسر له فيه اكتراء هذا المحل ... وأصبح تاجرا حرا ، وأصبحت حياته ذات محتوى وقد حقق ما كان يصبو له ، ولكنه نسي شيئا واحدا ، وهو أنه جزائري يحيا في أرض ليست أرضه ، وتحت حكم سلطة لا تعرف معنى لقانون أو مبدأ اذا كان الامر يتعلق بالجزائريين .

خاطب المولود شخصا كان الى جانبه قائلا في تذمر يائس .

- « أعود الى الجزائر هكذا ... بدون أن أضبط شؤوني وأبيع المحل ، وبدون أن آخذ حتى ملابسي ودراهمي ... أليس هذا هو الظلم الاحمر ! انني تاجر ، لست لصا ولا عاطلا عن العمل ومع ذلك أطرد بهذه الصورة ... أعود الى الجزائر ولا أملك حتى ثمن خبزة . أصبح متسولا في الطرقات ، وأموالي أتركها للضياع ! خمسة عشر عاما من الاعمال المرهقة والتقتير لأصبح متسولا ! أليس هذا هو المنكر بعينه ! ياحسرتاه ! لو ظننت أني سوف أطرد بهذه الصورة لما فكرت في عمل ولا في تجارة ، بل لكنت قمت بكل الافعال الشنيعة . ما الفرق بيني وبين أي مجرم ما الفرق ؟ قل لي بالله ! جمعت الثمن الذي اكتريت به المحل فرنكا فرنكا طوال خمسة عشر عاما ... والنتيجة ماذا ؟ ذهب تهر « السين » بما قترته على نفسي ! ياإلهي ! كيف افعل بنفسي عندما أنزل بالجزائر ؟ ماذا اقول للناس ؟ من يصدق قصتي ؟ ياإلهي ! .. »

واستمر المولود في أحاديثه وتحسراته المحمومة ، متنقلا من شخص الى آخر حاكيا قصته ، قصة السنوات الطويلة التي أخذت منه جهده وشبابه مقابل أثمان لم يستطع في النهاية أن ينال منها الا الحرمان ... ولم يكن يصدق أنه ، سيغادر فرنسا حقا ، وبتلك الصورة الى أن أركب القطار المتجه الى مرسيليا من الغد ، وعندئذ أدرك أن مأساته لم تكن كابوسا عابرا وانما هي حقيقة مرة عليه أن يجابهها أحب أم كره . وفتش في أعماق عينيه عن قطرات دموع ليسيلها حزنا على هذه النهاية ، ولكن عينيه كانتا يابستين منذ زمان بعيد ، منذ أن قطع كل رسائله وأخباره عن أهله بالجزائر ، منذ أن راود خياله حلم التجارة والاستقرار بباريس ...

وقال لنفسه :

« حتى البكاء لا أستطيع أن أبكي فقدت في لحظة كل شيء . فقدت السرور وفقدت الحزن . أتألم تألما يائسا ، لاندم ولا حزن فيه . ياإلهي ! كيف أقابل معارفي وأهلي ؟ أعود الى وطني عودة المجرم المطرود لماذا كل هذا ياإلهي ؟ لماذا ؟... »

وتحرك القطار المتجه الى مرسيليا يحمل عشرات الجزائريين المطرودين من فرنسا ، وكل منهم كانت تتراءى له من خلال المناظر المتلاحقة التي تقدمها لهم نوافذ القطار ذكرياته وشبابه الذي تركه وراءه تحت مداخن المعامل السوداء في مكان ما ، بفرنسا ! ■■

الجزائر - عبد الحميد بن هدوقه

الباب الدامي

بقلم : جمال الغيطاني

« ... منذ عشرات السنين فقد باب زويلة أهم وظائفه ، فلم يعد يمثل أحد مداخل القاهرة بعد أن اتسعت المدينة ، وقد امتدت مباني الاهالي خارجها فيا تلى العصر الفاطمي من حقب . ثم بطل تعليق رؤوس المتمردين عليه منذ اوائل القرن الماضي ، حتى متولي حسبة القاهرة الذي كان يتخذ مكانا مجاورا له .

لم يعد يجلس في نفس المكان لان الوظيفة نفسها بطلت منذ القرن الماضي ، ولم تترك اثرا الا على السنة بعض الناس الذين نسبوا الباب الى المتولي ، فصار اسمه باب المتولي ، ما بقي لباب زويلة حتى يومنا هذا قيمة مستمرة من عمره الضارب في الزمن لمدة الف سنة ، وبقايا اعتقاد قديم لدى بعض نساء العامة ان من لا تنجب ، تستطيع ان تدق مسمارا وتعقد عليه بعض الخيوط ، عندئذ قد تتحقق امنيتها ، وتنجب ولدا ، غير ان باب زويلة لا زال يحتفظ بعلامات من الوظيفة التي ظل يمارسها لاطول فترة من الزمن . انه المكان الذي كانت تعلق عليه الرؤوس ، واذا دققت النظر فقد تلمح بقايا دماء جفت منذ قرون ، في هذا الموضع علقت رؤوس فلاحين فقراء ، واغراب ، واعداء ، وسلاطين حكموا مصر .

من مر بالباب

مع الفتح الفاطمي لمصر جاءت قبائل مغربية عديدة ، احداها كانت تسمى « زويلة » ، وزويلة اسم ضاحية في القيروان ، كما انه اسم بلدة صغيرة بجوار المهدية التي بناها عبد الله المهدي (٢٩٧ ـ ٣٢٢ هـ / ٩٠٩ م ـ ٩٣٣ م) . وعندما جاءت قبيلة زويلة احتلت جزءا كبيرا من القاهرة ، مكانه الآن حارة اليهود بشارع الموسكي . اليها ينسب هذا الباب الذي كان احد ثمانية ابواب اختطها جوهر الصقلي في السور الذي احاط به القاهرة . ويبدو ان باب زويلة كان في البداية مكونا من جزءين متجاورين ، وعندما جاء المعز لدين الله الى القاهرة مر من أحد القسمين ، فتفاءل الناس بذلك ، واهملوا المرور من القسم الثاني الذي قيل عنه ان من مر

منه لم تقض له حاجة ، واستمر الامر حتى سد . وفي العصر الفاطمي كانت القاهرة مقصورة فقط على سكنى الخلفاء وكبار رجال الدولة . وكان المواطن القاهري لا يستطيع اجتياز ابواب القاهرة الملكية الا بتصريح خاص ، عاشت اسوار القاهرة التي بناها جوهر الصقلي ثمانين عاما ، كانت من الطوب اللبن ، ولم تعد صالحة للاغراض الدفاعية ، فيما ان استوزر المستنصر امير الجيوش بدر الجمالي حتى انشأ سورا آخر من الحجر ، بعد ان مد مساحة القاهرة بمقدار ١٥٠ مترا الى شمال السور القديم ، وحوالي ثلاثين مترا الى الشرق ومثلها الى الجنوب .

ويقول المقريزي ان بدر الجمالي استعان بثلاثة اشقاء احضرهم من مدينة الرها بشمال العراق في بناء هذا السور وبواباته ، وكان باب زويلة هو البوابة الرئيسية في السور الجانبي ، وهو المتبقي حتى الآن ، الى جانب ثلاثة بوابات وصلن الى عصرنا من البوابات الاصلية ، باب الفتوح ، بوابة النصر ، بوابة البرقية ، ويقول المقريزي : « وقد اخبرني من طاف البلاد ورأى مدن المشرق انه لم يشاهد في مدينة من المدائن عظم باب زويلة ، ولا يرى مثل بدنتية اللتين عن جانبيه ، ومن تأمل الاسطر التي كتبت على أعلاه من خارجه فانه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه ، وقد كانت البدنتان أكبر مما هما الآن بكثير ، هدم أعلاهما الملك المؤيد شيخ الحموي لما بنى الجامع داخل باب زويلة ، وعمل على البدنتين منارتين . » والمئذنتان قائمتان . حتى الآن .

لماذا تعلق الرؤوس

حتى الآن وخلال العصر الفاطمي لم يستخدم باب زويلة مكانا لتعليق رؤوس المتمردين ، لقد كان احد ابواب المدينة المقدسة . ولا تسجل المراجع التاريخية اي حادثة اعدام تمت عند الباب ، ويبدو ان طبيعة العصر الفاطمي وما حفل به من استقرار كانت لا تتيح فرصا كثيرة لمظاهر الشنق العلنية ، صحيح ان ثمة اضطرابات عديدة وقعت ، وكثير من القتلى راحوا خلال المعارك بين الاطراف المتنازعة ، ولكن تعليق الرؤوس بشكل علني لم يسجله لنا التاريخ كما سيحدث خلال العصور التالية ، واذا رحلنا مع المؤرخ ابن اياس في كتابه « بدائع الزهور في وقائع الدهور » فسنجده يسجل اول حادثة صلب علنية في النصف من شعبان سنة ٦٦٥ هـ . عندما شن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري حملة لابطال الحشيش ، واضراب الخمارات ومنع العاهرات . في تلك الاثناء ظفر والي الشرطة بشخص يسمى ابن الكازروني ، وكان سكرانا ، فاشهره في القاهرة ، وعلق الجرة والقدح في عنقه ، وصلبوه على باب النصر ، لم يصلب على باب زويلة ، ويبدو ان الصلب كان يتم في الاماكن الظاهرة للناس بدون تخصيص مكان معين لذلك . واحيانا كان يتم على باب القلعة ذاتها كما حدث في شهر ذي القعدة سنة ٧٧٨ هـ ، عندما وقعت فتنة بين الامراء والسلطان ، وتم القبض على خمسة امراء هم الامير ارغون شاه ، والامير صرغتمش ، والامير بيبغا السابقي ، والامير بشتاك الكريمي ، والامير ارغوي العزي الافرير ، تم اعدامهم وعلقت رؤوسهم على باب القلعة ، ولكن يبدو ان مثل هذا « الشرف » لم يكن حظى به الا الامراء ، وذوو المراتب العليا عند تمردهم ووقوعهم في قبضة السلطان ، والقصد من تعليق رؤوسهم على باب القلعة هو ارهاب الامراء الباقين ولا علاقة للشعب بالامر اذن .. لماذا تعلق الرؤوس على باب النصر أو باب زُويلة ؟

أول حادثة صلب

في سنة ٦٩٤ هـ ، وفي يوم عاشر المحرم ، ركب جماعة من المماليك تحت الليل وفتحوا باب سعادة ، وهجموا على اصطبلات الناس ، واخذوا خيولهم ، فلما طلع النهار ارسل الامير كتبغا فقبض على من فعل ذلك من المماليك ، وقطع ايديهم ، وطاف بهم القاهرة ، ثم صلبهم على باب زويلة ، ووسط منهم جماعة (أي قسم اجسادهم بالسيف الى نصفين ، نصف علوي وآخر سفلي) . تلك أول حادثة صلب يخبرنا بها ابن اياس في كتابه تتم على باب زويلة ، ويبدو اننا لن نسمع منذ الآن فصاعدا الا عن مكان واحد تتم فيه هذه المهام وهو باب زويلة ، وهكذا اصبح من نصيب هذا الباب ان يكون مقرا للرؤوس المقطوعة ، ولبث الذعر والخوف في النفوس ، بينما نجد الباب المقابل له والذي يقع عند نهاية الطريق باب الفتوح يمثل الباب الرسمي للمدينة ، فعنده تبدأ مواكب السلطان اثناء عودته ، او تنتهي اثناء خروجه . وكان السفراء يقبلون الارض امامه ثلاث مرات قبل دخول المدينة متوجهين الى القلعة ، مقر حكم السلطان .

في سنة ٧٣٩ هـ ظهرت بالقاهرة امراة تسمى « الخناقة » ، فاشتهر امرها بين الناس فكانت تحتال على الاطفال والنساء وتخنقهم وتأخذ ما عليهم من الثياب فلما شاع امرها وبلغ السلطان رسم لوالي القاهرة ان يقبض

عليها فلا زالوا يتبعونها حتى قبضوا عليها وشنقوها على باب زويلة

وفي مثل هذه المناسبة يتجمع الناس للفرجة ويبلغ الزحام أشده عند باب زويلة الذي يبدو ان اختياره لهذه المهمة تم نتيجة لكثافة حركة الناس عنده ، انه الباب المؤدي الى اشد مناطق القاهرة ازدحاما ، ثم انه يتوسط مجموعة من الاسواق المتتالية التي لا تخلو من الرواد ليلا أو نهارا ، ومنه يخرج الناس متجهين الى مناطق القاهرة الجنوبية التي كانت عامرة بالناس ، كما ان اي متجه الى القلعة لابد ان يمر به سواء كان أميرا أو سفيرا أجنبيا . كان الباب صرة القاهرة ومركز الرعب فيها والنقطة التي تنطلق منها اشعة الارهاب لتخويف الناس ولتلقينهم العظة . وعنده لم تتوقف الدماء عن التدفق تترجم عذابات الشعب ومعاناته ..

القتل ظلما

وكثيرا ما كانت تختفي المأساة وراء بعض الذين عرفت رؤوسهم الطريق الى باب زويلة . في رجب سنة ٧٨٢ ، أرسل الاتابكي برقوق مرسوما الى خليل بن عرام نائب الاسكندرية ليقتل الامير المملوكي بركة الذي كان مسجونا ، وعندما اشيعت اخبار القتل ثار مماليك بركة على الاتابكي برقوق ، فأنكر برقوق انه امر بقتله وارسل من امر بالقبض على خليل بن عرام نائب الاسكندرية الذي راح يصيح « والله ما قتلته الا بمرسوم الاتابكي برقوق ، وقد سرق المرسوم مني ، بيني وبينكم الله » ، لكن امور السياسة لا تعرف الهزل ، ولا مجال كما يبدو للاخلاقيات فيها ، لقد أمر برقوق بقتله فدقت المسامير في كفيه واركبوه على جمل ونزلوا به من القلعة وهنا هجم عليه مماليك بركة وقطعوه وشقوا بطنه واخرجوا قلبه ثم علقوا ما بقي منه على باب زويلة ، يقول ابن اياس ان هذه الواقعة صارت مثلا عند المصريين « نعوذ بالله من حمول ابن عرام » .

ويورد ابن اياس شعرا مناسبا للواقعة :

مخالط السلطان في محنة ... يرتقب الاوقات في عكسه
ان سره اسخط خلانه ... او ساءه خاف على نفسه

ومن الملاحظ ان معظم الامراء الذين يتآمرون على السلطان كانوا يشنقون أو يعدمون بعيدا عن باب زويلة ، أما في بيوتهم او في القلعة ، او يرسلون الى سجن الاسكندرية الذي كان بمثابة منفى ايضا للسلاطين المخلوعين ، ولم يسجل التاريخ ان سلطانا قد قطعت رأسه وعلقت على باب زويلة من الذين خلعوا ، استثناء واحد فقط حدث في احدى اللحظات الحاسمة في التاريخ ، عندما علق السلطان الشهيد طومانباي ، بعد شنقه على مرأى من الاهالي بواسطة الجنود العثمانيين الذين غزوا مصر وحولوها من سلطنة مستقلة الى ولاية تابعة . لقد قاومهم طومانباي حتى الرمق الاخير ثم علقت جثته فوق باب زويلة ، واعيد تمثيل المشهد في المقياس امام السلطان المنتصر سليم العثماني ، عندما صنع المخايل ديكورا يشبه باب زويلة وصور اعدام السلطان طومانباي وانقطاع الحبل به مرتين ، فانشرح ابن عثمان لذلك وانعم على المخايل بمائتي دينار ، والبسه قفطان مخمل مذهب ، ودعاه الى استامبول ليتفرج ابنه على ذلك !

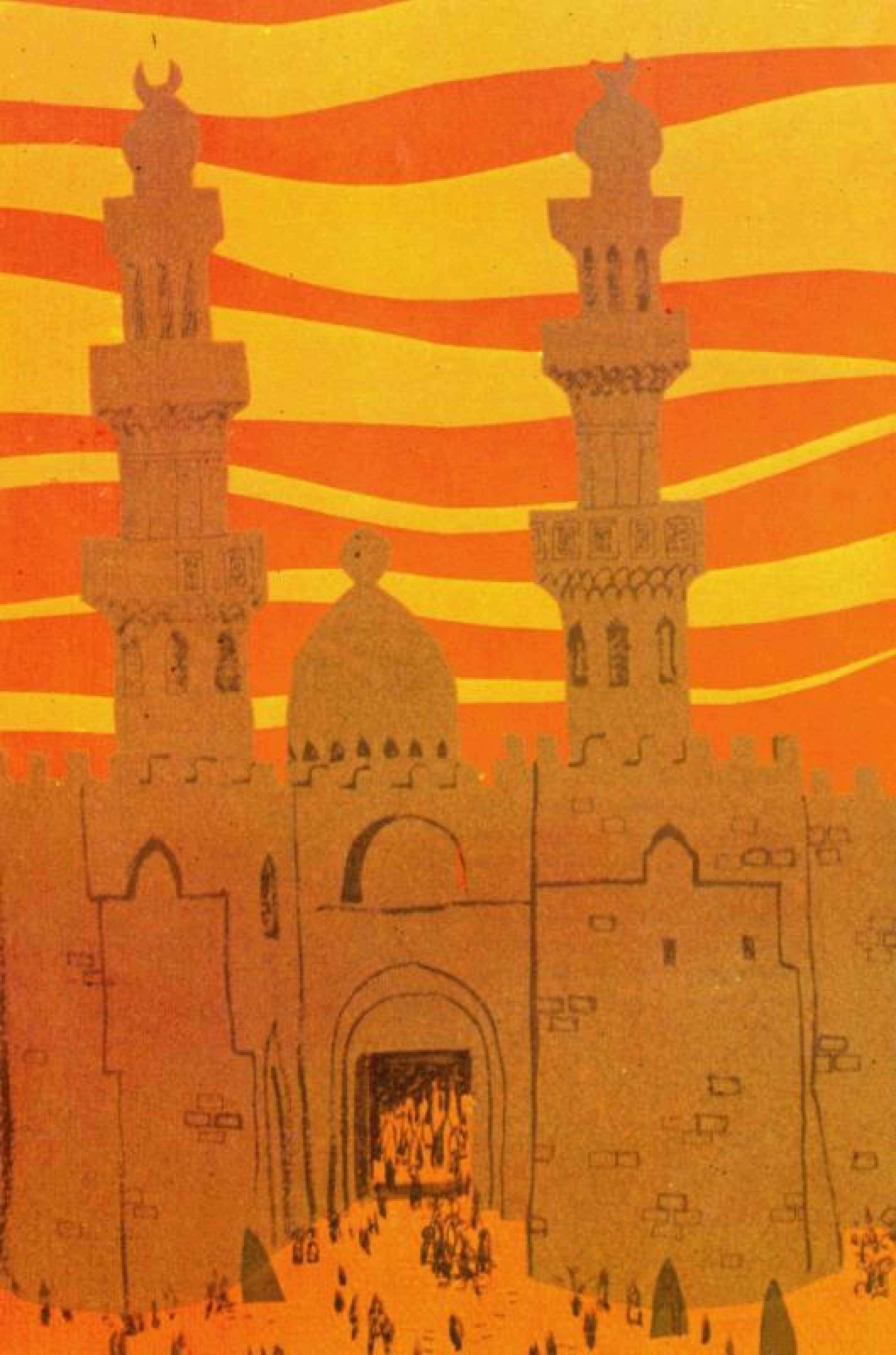
وكان باب زويلة يشهد تعليق رؤوس بعض الامراء احيانا كما حدث في شوال عام ٨١٨ هـ ، عندما علقت رؤوس بعض الامراء الصغار الذين تآمروا مع الامير قايتباي ضد السلطان المؤيد . ويبدو ان باب زويلة كان قد صار مثارا للرعب ، فعند تعيين شخص اسمه صدر الدين العجمي في منصب الحسبة في محرم سنة ٨٢٤ هـ يذكر لنا المؤرخ ابن اياس ان الامير ططر احد كبار رجال الدولة وقتئذ قال له : « لا تظلم أحدا من السوقة والا شنقتك على باب زويلة .. » .

واحيانا كان الباب الدامي يشهد نهايات بعض الاحداث الغريبة ..

ثورة العبيد

في شهر ذو القعدة سنة ٨٤٩ هـ ، قام جماعة من العبيد السود بتعدية النيل الى بر الجيزة ، واقاموا في الخلاء ، ونصبوا خيا وعلقوا على احدى الخيام الكبيرة سنجقا وجعلوا له سلطانا ووزيرا وداودارا . وجعل سلطانهم يجلس على دكة ويحكم بين العبيد ، ويطلب من العبيد من هو معاد لهم ويأمر باعدامه بين يديه ، ثم اصدر عدة قرارات بتعيين امير كبير وحاجب حجاب وارباب وظائف . باختصار بدأ ينشيء نظاما موازيا لنظام السلطنة بما في ذلك نائب الشام ونائب حلب ونواب لجميع البلاد . يقول ابن اياس .

« فلما بلغ السلطان ذلك انحصر الى الغاية ، وصار العبيد يقطعون الطريق على الناس ، وينهبوا المغل ،



.. يأخذوا خراج المقطعين وضيافتهم ، فعين السلطان لهم تجريدة ، فتوجهوا اليهم في المراكب ، فتقاتلوا معهم وكسروا سلطانهم وشتتوهم ، وسجنوا جماعة منهم وهرب الباقون ، ثم ان السلطان نادى في القاهرة بأن كل من عنده عبد كبير يطلع به الى باب السلسلة ويقبض ثمنه .»

أمر السلطان باعدام قادة هذه الثورة ، ونفي ما بقي من العبيد الى بلاد العثمانيين ، وانهى وجود العبيد « الشناترة » من مصر .

وكثيرا ما كانت تعلق رؤوس العربان الثائرين في صحاري مصر على البوابة ، وكان بعض الذين يلقون حتفهم على تلك البوابة قد ارتكبوا حوادث طفيفة للغاية . ونلاحظ تكرر ذلك بعد الغزو العثماني لمصر عام ٩٢٢ هـ ، اذ يشنق ملك الامراء خايربك فلاحا فقيرا لانه اقتلع عمودين من خيار الشنبر (نبات طبي) ، كما انه طوال الوجود العثماني تكررت حوادث الشنق والاعدام بجوار البوابة لاتفه الاسباب حتى يذكر لنا الجبرتي في حوادث شعبان سنة ١٢٣٢ هـ انهم شنقوا شخصا بباب زويلة بسبب الزيادة في المعاملة وعلقوا بأنفه ريال ويقول الجبرتي معلقا « مع ان الزيادة سارية في المبيعات والمشتروات من غير انكار » لكنه الظلم الفادح ولا معقولية ما جرى خلال هذا العصر .

الى جانب ذلك فان بعض الذين سلكت حياتهم طرقا غير عادية كانوا احيانا يلقون مصيرهم فوق هذه البوابة الدموية ..

الصعود والهبوط

في يوم الاثنين الثالث والعشرين من محرم سنة ٩٠٩ هـ امر السلطان الغوري بشنق علي بن ابي الجود على باب زويلة ، فشنق وظل جثمانه معلقا لمدة ثلاثة ايام . كان علي بن ابي الجود قد وصل الى اعلى مناصب الدولة ، تولى نظارة الاوقاف وعدة مناصب اخرى هامة في الدولة منها ديوان الوزارة ، والاستادارية ، واصبح متصرفا في امر المملكة واظهر الظلم الفاحش بالديار المصرية فخاف الناس منه ودخل في قلوبهم الرعب الشديد منه . وكان على هذا اصله من العامة وكان ابوه نجارا اسمه المعلم حسن ، ثم بدأ يصنع الحلوى وسمى نفسه ابو الجود واتخذ له مكانا امام حمام شيخو ، واستمر حتى مات ، عندئذ حل مكانه ابنه علي ، الذي كان يقلي المشبك بيده ، ثم بدأت رحلة صعوده عندما التزم بتوريد مال معين على احدى المناطق الصغيرة وهجر بيع الحلوى، ثم التحق بوظيفة صغيرة عند تغري بردي الاستادار ثم انتقل للعمل مع الامير طومانباي ، ثم انتقل للعمل مع الامير الغوري قبل ان يتولى السلطنة ، فلما اصبح سلطانا اصبح مقربا منه ، وجاء على الناس بالظلم . ويبدو ان البعض صار يدس له عند السلطان حتى وقع المحظور في رمضان سنة ٩٠٨ هـ عندما تغير خاطر السلطان عليه .

وتلك العبارة « تغير خاطر السلطان » يوردها ابن اياس وسائر المؤرخين عندما ينقلب مزاج السلطان على امير مقرب ، أو صديق له ، فيتبدل حال الاخير عندئذ وينقلب . لقد قبضوا على حاشية علي ابن ابي الجود وغلمانه واحتاطوا على موجوده (اي على ثروته) ، وسلمه السلطان الى موظف جديد صاعد هو الزيني بركات بن موسى ليعاقبه ويظهر ما خفي من امواله ، ثم قام السلطان بضربه بنفسه ثم سلمه الى الوالي ليواصل تعذيبه ثم امر بأعدامه .. ثم .. استقر جثة هامدة فوق باب زويلة .

معتقدات

واحاط الناس باب زويله بالعديد من المعتقدات ، فقد اعتقد الكثيرون انه مركز لاقامة القطب المتولي ، ويقول ادوارد لين في كتابه « المصريون المحدثون » ان بعض المشايخ اخبروه بوجود القطب المتولي الذي يراقب الاولياء جميعهم مثل النقباء والانجاب . وكثيرا ما يظهر القطب ، لكنه لا يعرف ، وهو يظهر دائما متواضعا ، رث الثياب ، ولا يشتد في مؤاخذة من يخالف الدين او يتظاهر بالتقوى . ومع انه يختفي دائما فان اماكن وجوده معروفة ، لكنه قليلا ما يظهر فيها . والمعتقد ان القطب يكون فوق الكعبة ، وهو يصيح مرتين في الليل قائلا « يا ارحم الراحمين » فيردد المؤمنون حينئذ ذلك الدعاء من مآذن الكعبة ، ان سطح الكعبة هو المركز الرئيسي الذي ينطلق منه القطب لكن بوابة زويلة هي مكانه المفضل في القاهرة ، ومن هنا اصبح الناس يسمونها « بوابة المتولي » . وحتى الآن يطلق عليها ذلك الاسم ويقرأ المارة الفاتحة عند مرورهم بها ويتصدق البعض على الشحاذين الجالسين هناك ، ويذكر الجبرتي في حوادث شهر رمضان سنة ١١٢٣ هـ ، ان واعظا روميا جاء وجلس في مسجد المؤيد وراح يهاجم ما يفعله المصريون عند ضرائح الاولياء من ايقاد شموع وقناديل وتقبيل اعتابهم وقال ان ذلك كفر وهاجم وقوف الفقراء عند باب زويلة في ليالي رمضان وتسبب في فتنة كبيرة بالقاهرة .

ويصف ادوارد لين احد الشحاذين الذين كانوا

يجلسون عند الباب ، ويقول ان الناس كانت تعتقد انه من « خدام القطب » ، ويدق المصابون بالصداع مسماراً في الباب لفك السحر ، أما المصابون بوجع الاسنان فيخلعون سنا ويولجونها في احد الشقوق ، او يلصقونها به بأي حال آخر . وكثيرا ما يحاول بعض الفضوليين الاختباء وراء الباب ، آملين عبثا اختلاس النظر الى القطب ، في لحظة من لحظات ظهوره النادرة ، ويصف ستانلي لين بول في سيرة القاهرة معتقدات الناس في القطب المختفي عند الباب ، ويقول ان له قدرة عجيبة في التنقل من مكان الى آخر مخفيا عن الانظار ، والمؤمنون يسبحون اثناء مرورهم بالباب ، بينما يدفع الفضول غيرهم الى النظر خفية خلف الباب لعلهم يرونه ، ويستنكر ستانلي لين بول ما يقوم به القاهريون من دق للمسامير ، او التماس العلاج عند البوابة ، ويبدو ان من كان يرتبط بالبوابة يصبح مقدسا . في احداث سنة ١١١٥ هـ يذكر الجبرتي موت الشيخ المجذوب احمد ابو شوشة خفير باب زويلة ، وكانت كراماته ظاهرة وكان يضع في فمه مائة ابرة ، ولا تعوقه عن الاكل والشرب والكلام .

وتذكر مراجع تاريخية اخرى ان سبب تسمية البوابة بالمتولي كان لوجود متولي حسبة القاهرة على مقربة من المكان ، ولكني ارجح السبب الاول الخاص باقامة القطب المتولي ، خاصة وانني سمعت الكثير من روايات اهالي المنطقة ومعتقداتهم في البوابة حتى يومنا هذا .

لقد احتلت هذه البوابة موقعا في الادب المصري ، فثمة رواية كاملة تدور حولها كتبها محمد سعيد العريان وتجري احداثها خلال السنوات الاخيرة للسلطنة المملوكية المصرية قبل زوالها على ايدي العثمانيين ، وفي الف ليلة وليلة نجد باب زويلة مسرحا لاحدى حوادث النشل . وتدور « السكرية » احد اجزاء ثلاثية نجيب محفوظ الشهيرة في حارة تقع ملاصقة لبوابة زويلة .

وحتى الان لا تزال البوابة العتيدة ، تقوم في وسط البيوت التي تزاحمت حولها وكادت تخفي معالمها ، رمادية بأحجارها ، قانية بتاريخها ، يلفها غموض وابهام لكثرة ما تسبح حولها من اساطير ، لكن ابرز ما يتعلق بها ان الآلاف لاقوا حتفهم هنا فوقها ، بعضهم من افراد الشعب المصري المغلوب على امره ، وآخرون ارتكبوا جرائم قد تكون صغيرة أو كبيرة ، وامراء متمردون واسرى انتهت حياتهم في ذلك المكان ، وسلطان واحد ، شنق وهو يدافع عن آخر رمق تبقى في سلطنة مصر المستقلة . ■■

القاهرة ـ جمال الغيطاني

اضواء على السويس

ان السويس كان اسمها « كليزما » في عهد الفراعنة ، وكانوا يطلقون عليها باليونانية في عهد البطالمة «كلياس» ، وكان اسمها في عهد الرومان هيا (كيزما وارسينوس) . ثم اطلق عليها العرب بعد فتح عمرو بن العاص لمصر اسم (القلزم) . ثم سماها خمارويه بن احمد بن طولون (السويس) . ويوجد بالسويس ٣٧ مسجدا بخلاف الزوايا الصغيرة وتمتاز بنت السويس بانها لا تدخن ولا تشرب الخمر مهما بلغت درجة ثقافتها واندماجها في المجتمع ...

النوم الصحيح

قرر احد الاطباء الفرنسيين ان افراد العالم المتمدن لا يعرفون كيف ينامون فعند استلقائهم في الفراش يضعون رؤوسهم على وسادات عالية فتبقى مرتفعة والاقدام واطئة وبذا تمتنع دورة الدم ويتعذر الهضم .. قال ان احسن طريقة لحفظ الصحة ان توضع تحت قدمي النائم وسادة عالية ويضع رأسه على الفراش بدون وسادة .

الناس والزمان

غضب الخليفة على الخطاط ابن مقلة فانصرف عنه من كانوا يتقربون اليه عند حظوته ، ولكن محنته لم تطل الا نصف يوم وعاد الخليفة فقربه وارضاه فقال :

تحالف الناس والزمان فحيث كان الزمان كانوا
عادني الدهر نصف يوم فانكشف الناس وبانوا
يا ايها المرضون عني عودوا فقد عاد لي الزمان



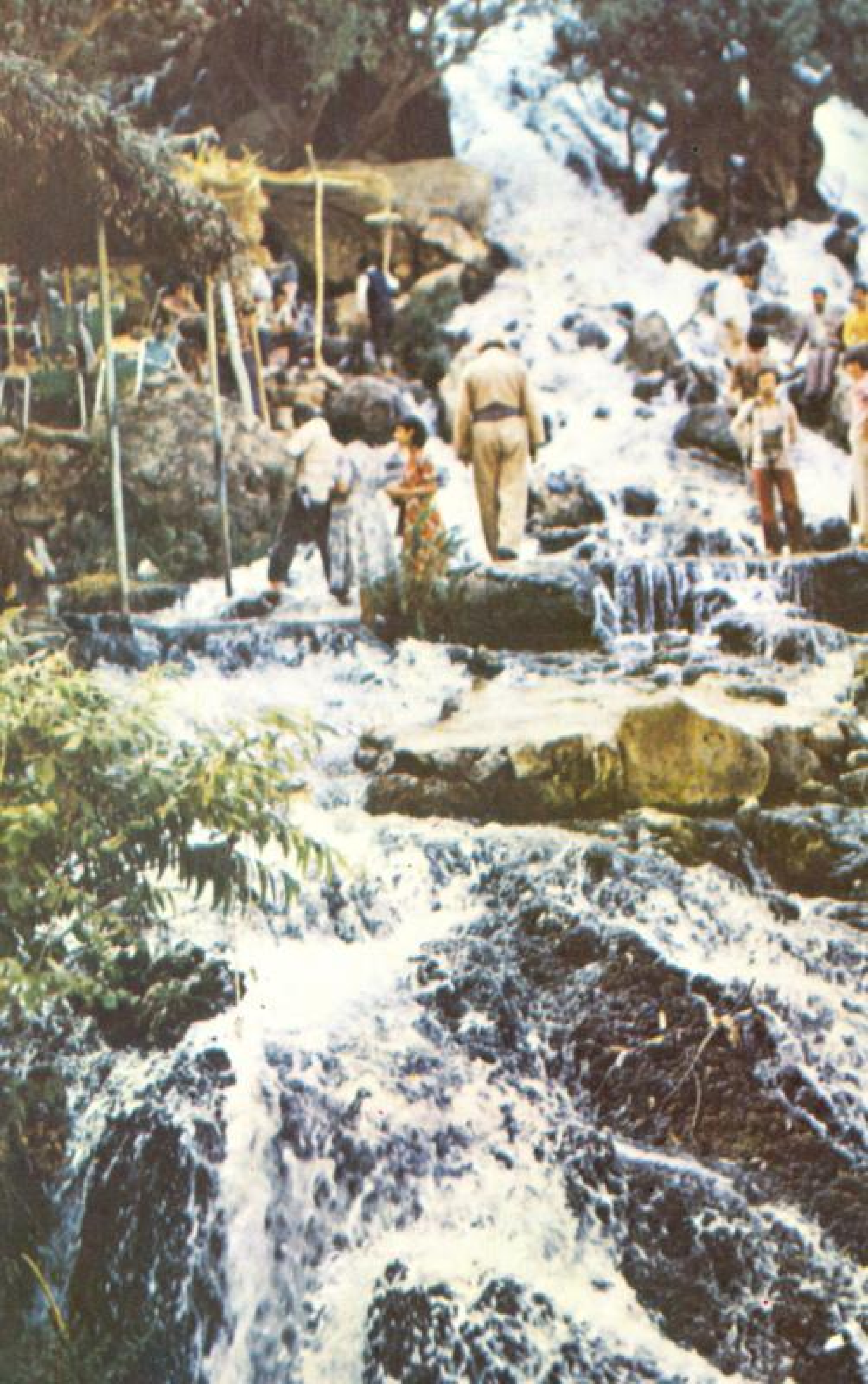
مصايف العراق

فتنة محجوبة عن الأعين

استطلاع : صادق يلي   تصوير : فهد الكوح

شلالات مصيف بيخال تتدفق مياهها العذبة الباردة لتصب في نهر الزاب الكبير . (الى اليسار) .شلال كلي على بك في شمال العراق ، اشهر شلال في مصايف العراق ، وابتسامة عذبة لاحدى المصطافات (الى اسفل) .





قد تبدو هذه الصورة لمصايف العراق اكتشافا « بالنسبة للكثيرين ، اولئك الذين ارتبطت السياحة في اذهانهم بمناطق محدودة في العالم العربي ، مثل لبنان او مصر ، او تونس والمغرب ، او اولئك الذين لا يرون جمال الطبيعة وظروف الراحة والمتعة الا على شواطيء اوروبا ومصايفها ـ لكنها حقيقة كبيرة مشرقة ، ان العراق تتوفر له ظروف مواتية ، تمكنه من أن يلعب دورا بارزا في عالم الاصطياف والسياحة ، .

وهي ايضا حقيقة محزنة ، ان هذا الوجه البديع للطبيعة في العراق بعيد عن اعين الكثيرين ، وبعيد عن معرفتهم !

لقد كانت بداية جولتنا في مصايف العراق من مصيف دوكان ، الذي يبعد عن مدينة السليمانية بنحو ٧١ كيلومتر ، ويمتاز بوجود بحيرة دوكان الجميلة التي تستوعب ما بين ٨,٧ مليار متر مكعب من المياه العذبة ، وسد دوكان الذي اقيم على نهر الزاب الصغير يستطيع توليد قوة كهربائية هائلة تعادل ٢٠٠ الف كيلوات وتقع البحيرة على سلسلة جبال (قره سرت) الجميلة التي تبعث في نفس المصطاف البهجة والسرور ، وأمتع وقت يستطيع أن يقضيه المرء خلال وجوده في دوكان حين يقوم بنزهة بحرية بواسطة أحد القوارب الآلية التي خصصتها المؤسسة العامة للسياحة للمصطافين للتنقل في هذه البحيرة الجميلة التي تحيط بها التلال من كل جانب وباستطاعة المصطاف ان يستكشف البحيرة العميقة الاغوار وأن يمارس هواية صيد السمك .

ويقوم المجمع السياحي في دوكان بتزويد المصطافين بالادوات الخاصة بصيد السمك والتزلج على الماء وهناك زورقان يستوعبان مائة مصطاف للرحلات الجماعية وهما مزودان بكافتريا ومشرب .

وقد تم بناء مجمع سياحي يضم ٦٠ دارا او كابينة من البناء الجاهز وهي مزودة بكافة المرافق السكنية ، وتستطيع ان تقضي فيها الأسر اجازات نهاية الاسبوع بايجار لا يتجاوز ستة دنانير في اليوم ، كما جهز المجمع السياحي هذا بمطعم جاهز يتسع لقرابة مائتي شخص ويعد من الدرجة الأولى رونقا وخدمة ويحق للنزلاء في هذه الدور السياحية ارتياد المطعم لتناول الاطعمة والمشروبات او الاستمتاع بالالعاب المتوفرة في الصالة مثل لعبة البليارد وتنس الطاولة والعاب اخرى مسلية .

يقول السيد نعمت الطالباني مدير المدينة السياحية في دوكان ان هناك عدة مشروعات مستقبلية يوشر في تخطيطها ، منها بناء ٦٠ دارا جاهزة الى جانب فندق سياحي يتسع لمائة سرير ومسبح وسوق مركزي وبلاج واقامة قاعة كبرى متعددة الاغراض وملعب للاطفال ، كما تهتم ادارة المدينة السياحية في دوكان حاليا بتشجير المنطقة وجعلها قطعة سكنية خضراء لتكتمل الصورة المشرقة لهذه المدينة السياحية .

مصيف صلاح الدين

وهو من المصايف العراقية القديمة الذي يتقاطر عليه المصطافون من شتى انحاء البلاد ، ويقع هذا المصيف على جبل (بيرمام) ويمتد في منطقة واسعة تطل على السهل الممتد الى جبل (سفين) من الجهة الاخرى « وهذا المصيف يقع على ارتفاع ١٠٩٠ مترا فوق سطح الارض واقصى درجة حرارة فيه صيفا لا تتعدى ٣٥ درجة مئوية ، ويمتاز بجمال طبيعته حيث تكثر اشجار السرو والبلوط .

ونظرا لاهمية هذا المصيف فقد قامت عدة مشاريع سياحية ترفيهية ، منها فندق صلاح الدين وهو من فنادق الدرجة الاولى وتتوفر فيه الغرف والصالات الواسعة وتحيط به حدائق جميلة وفيه ناد ليلي تقدم عليه الانشطة الفنية من رقص وغناء كما بنيت فيه ٣٢ دارا سياحية مؤثثة ومزودة بوسائل الراحة ، وهي موزعة مجموعات لكل مجموعة منها حرف ابجدي ومكتب استعلامات خاص بها ، وفي مركز المصيف تقع معظم الدوائر الرسمية مثل مصلحة البريد ومصلحة المبيعات الحكومية ثم كازينو بيرمام السياحي حيث تقام على مسرحه الانشطة الفنية وهذا المسرح يتسع لخمسمائة شخص تقدم فيه الفرق المسرحية العراقية اعمالها الفنية ، ثم الاسواق السياحية التي تعرض انواع البضائع ، بأسعار معتدلة ، وهذه الاسواق منتشرة في كافة المصايف العراقية المهمة .

وهناك قرية سياحية نموذجية تطل على واد جميل وهي مجموعة من الدور الجاهزة والمزودة بكافة وسائل الراحة وهي تتسع لاكثر من ٢٠٠ سرير وتتوفر في هذه القرية السياحية حوانيت لبيع المواد الاستهلاكية ومحلات للخدمات الاخرى ومطعم حديث يستطيع المصطاف ان يتناول فيه الوجبات الغذائية بأسعار معتدلة .

اما القطاع الخاص فهو الآخر يقدم خدمات طيبة للمصطافين اذ يقوم هذا القطاع بادارة بعض الفنادق الصغيرة والمطاعم الشعبية التي تساهم بدور هام في تنشيط السياحة . ومن الجدير بالذكر ان المؤسسة العامة للسياحة تقدم قروضا وسلفيات للاهالي لبناء الفنادق والشقق السياحية والمطاعم والكازينوهات حيث يقدم صاحب المشروع طلبا الى المؤسسة للحصول على قرض وبعد دراسة المؤسسة للمواصفات الخاصة بالمشروع والموافقة عليه تقوم المؤسسة بمنحه قرضا طويل الاجل وبفوائد لا تتعدى ٢٪ لصاحب هذا المشروع . وهناك عدة فنادق وكازينوهات أقرضتها المؤسسة مبالغ من المال قد تصل الى ١٠٠ الف دينار .

يقول السيد ملا حسين وهو أحد المستفيدين من هذه القروض وهو يدير فندقا سياحيا اهليا لقد اعدت بناء فندقي هذا العام وادخلت عليه بعض التحسينات وقمت بتجهيز الفندق بأثاثات جديدة وقد اقرضتني المؤسسة مبلغ اربعين الف دينار للقيام بهذا المشروع .

في سره رش

وعلى بعد ٩ كيلومترات من مصيف صلاح الدين وعلى قمة الجبل يقع مصيف « سره رش » ومعناها القمة السوداء باللغة الكردية ، وهذا المصيف هو احدث مصايف العراق حيث قامت المؤسسة العامة للسياحة ببناء ٦٦ دارا جاهزة تتسع كل دار لستة اشخاص . وهي ثلاثة انماط مختلفة منها المثلث الشكل والمربع والمستطيل تتوفر فيها كافة مستلزمات السكن وهناك فندق من البناء الجاهزة يحوي ١٠٠ غرفة كل غرفة مزودة بسريرين ، مع كافة متطلبات أي فندق من صالات ومطاعم ومشرب بالاضافة الى تسع عمارات سياحية تحتوي على مائة شقة مؤثثة بأثاثات من الدرجة الاولى الى جانب قرية سياحية دورها بلاستيكية جاهزة تحوي ٣٧٥ سريرا ومطعما سياحيا وسوقا مركزيا يحوي آلات حديثة لغسل الملابس ومخابز آلية وسوقا لبيع المصنوعات اليدوية الشعبية بالاضافة الى صالة متعددة الاغراض تصلح أن تكون صالة اجتماعات او قاعة للسينما او مسرحا تقدم فيها بعض الفرق المسرحية امسيات غنائية او تمثيلية .

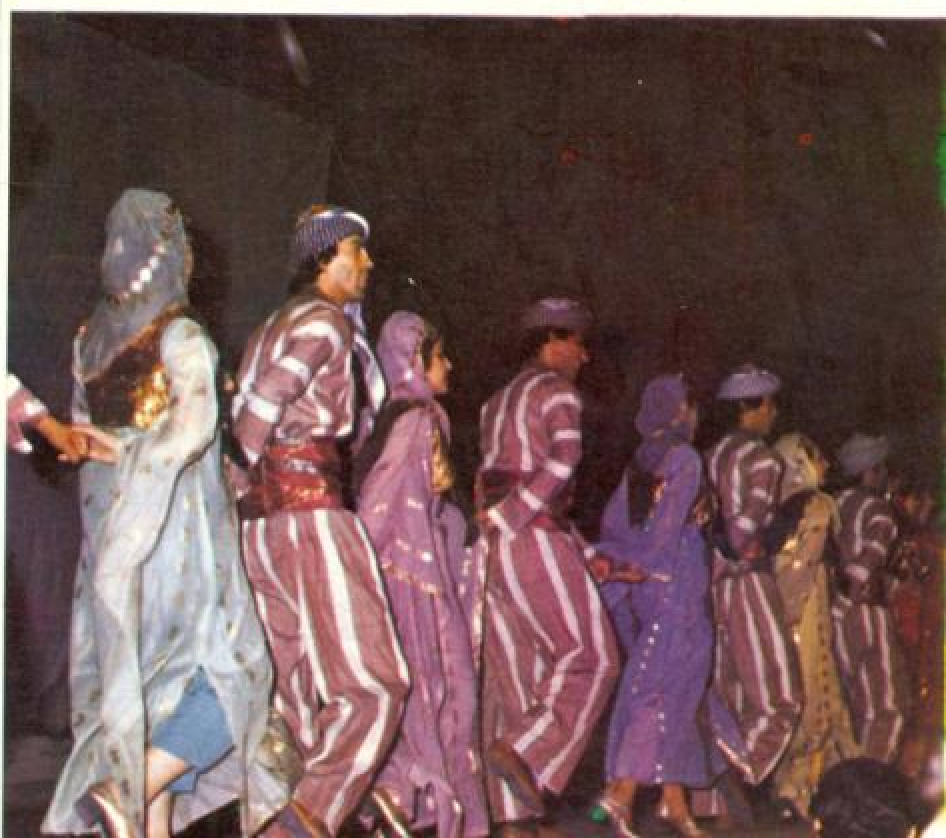
ومصايف أربيل تتقارب فيها المسافة وتختلف في التضاريس من أعلى القمم الى سفوح الوديان تربطها شبكة مواصلات حديثة وطرق معبدة . ومن (سره رش) تستطيع ان تزور مصايف شقلاوة وجنديان وكلي علي بك وبيخال وحاج عمران فمصيف شقلاوة يبعد عن مصيف صلاح الدين مسافة ٢١ كم ويبلغ ارتفاعه ٩٦٦ مترا عن سطح البحر واقصى درجات الحرارة فيه لا تتعدى ٣٠ درجة مئوية ويمتاز مصيف شقلاوة بروعة جماله لتوسطه قمم الجبال التي تحيط به ، وبكثرة بساتينه حيث تنمو اشجار الجوز واللوز والعنب والرمان .

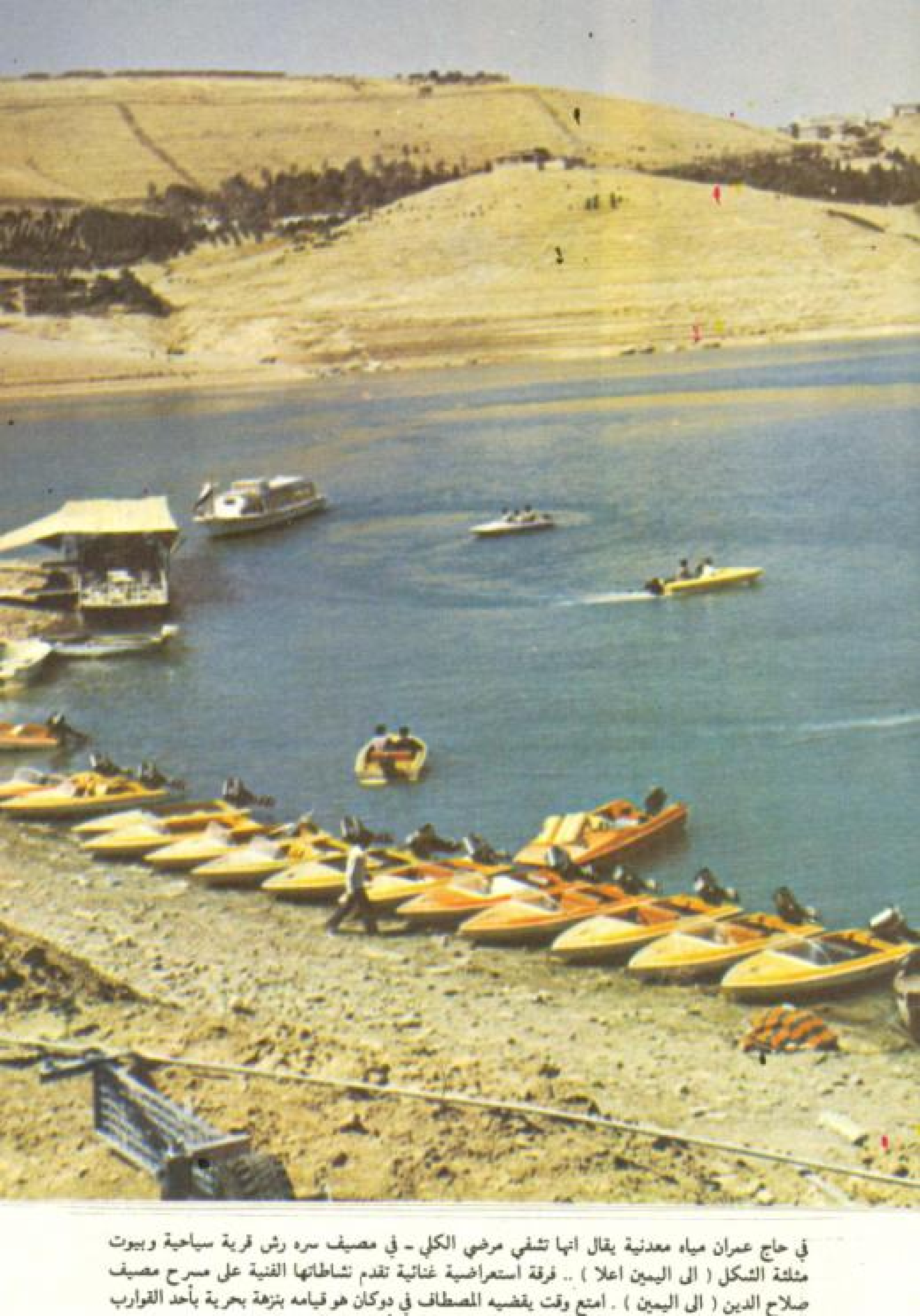
يضم هذا المصيف عددا من الفنادق والمنشآت السياحية منها القرية السياحية وتستوعب ٢٠٠ سرير وفندق شقلاوة السياحي وفنادق ومنشآت أخرى ، كما تكثر في هذا المصيف الفنادق الاهلية والمقاهي والمطاعم ويخترقها شارع رئيسي على جانبيه تصطف الدكاكين الصغيرة التقليدية التي يباع فيها بعض المصنوعات الفولكلورية الخشبية والجلدية التي برع في صناعتها ابناء هذه المنطقة مثل الاحذية الجلدية وقوالب صناعة الكيك والحلوى وسلال الخوص المزركشة الألوان ، كما تجود المنطقة بأنواع عديدة من المكسرات مثل الجوز والبندق .

شلال كلي علي بك

وفي طريقنا الى مصيف كلي علي بك نمر على سهل « حرير » وهو سهل خصب مشهور بعيون مياهه الغزيرة وزراعة التبغ وجني العسل ، وهناك عدة قرى زراعية ، كما يشاهد المصطاف تلولا اثرية يرجع تاريخها الى عصور موغلة في القدم ، ثم يأخذ الطريق في تسلق جبال حرير ويتعرج بعدة دورات ثم يمتد مرة اخرى ليصل قرية خليفان الواقعة على بعد ٢١ كم من بلدة حرير وهنا يبدأ مضيق كلي على بك ، وهذا المضيق اخدود طوله ١٠ كم تمر فيه ثلاثة فروع من فروع نهر الزاب الكبير وهذه الأفرع الثلاثة تكون شلات كلي علي بك الشهيرة ، ويبلغ ارتفاع موقع الشلال عن مستوى سطح البحر ٨٠٠ متر ويمتاز الموقع بجمال الطبيعة والجبال الشاهقة وهدير الشلال . في هذا المصيف كازينو ومطعم يشغل مساحة واسعة بالاضافة الى كبائن خاصة تؤجر للمصطافين وزوار المنطقة .





في حاج عمران مياه معدنية يقال انها تشفي مرضى الكلى ـ في مصيف سره رش قرية سياحية وبيوت مثلثة الشكل (الى اليمين اعلا) .. فرقة استعراضية غنائية تقدم نشاطاتها الفنية على مسرح مصيف صلاح الدين (الى اليمين) . امتع وقت يقضيه المصطاف في دوكان هو قيامه بنزهة بحرية بأحد القوارب الآلية وصيد الاسماك (الى أعلا) .



القرية السياحية في مصيف صلاح الدين وتظهر الدور الجاهزة المتعددة الالوان



عنيت المؤسسة العامة للسياحة بتعبيد

ولكن مصيف كلي علي بك لا يزال يطلب المزيد من الاهتمام والعناية بنظافة الكازينو والمطعم وأكثر ما يفتقده التنظيم . هذا الواقع تجده كلما توغلت بعيدا نحو مصيف جنديان وبيخال الشهير بشلالاته وجمال مناظره الخلابة وبرودة مياهه الهادرة ..

ومن مصيف كلي علي بك ينتهي بنا الطريق الى مصيف حاج عمران الذى يقع على الحدود الشمالية الشرقية من الحدود الايرانية ويبلغ ارتفاع هذا المصيف ١٧٨٠ مترا عن سطح البحر ويمتاز ببرودة طقسه وخاصة في الليل واعتداله في النهار - اذ تبلغ اقصى درجة حرارة فيه الى ٢٥ درجة مئوية خلال النهار وفي موسم الشتاء تهبط درجة الحرارة الى ١٥ درجة مئوية تحت الصفر وتتساقط الثلوج في هذا الفصل .

وهناك عين ماء معدنية يقال انها تشفي الذين يعانون من الحصى في كلاهم ويشتهر هذا المصيف بمناظره الطبيعية حيث تلفه سلسلة جبال حصاروست ، ويحتوى المصيف على دور سياحية جميلة ومنتدى ومطعم كبير وسوق مركزية تلبي كل متطلبات المصطاف ، كما ان المصطاف يستطيع قضاء امسيات ثقافية وفنية طيلة موسم الاصطياف .

يقول احد المسئولين من هذا المصيف ان المنشأة العامة للخدمات السياحية بصدد انشاء ناد رياضي للعبة التزحلق على الجليد في هذه المنطقة لأنها منطقة مناسبة لهذه الرياضة الشتوية في فترة الشتاء .

مصيف سرسنك

ومصيف سرسنك من أقدم مصايف شمال العراق اذ عرف هذا المصيف منذ الاربعينات ويمتاز ببساتينه وفواكهه وكثرة مياهه وشلالاته وقد كان هذا المصيف يعتمد كل الاعتماد على القطاع الاهلي اذ يقوم الاهالي بتأجير بساتينهم ومنازلهم الى المصطافين الذين يتخذونها بيوتا لسكناهم ، وكان ايجارها زهيدا لا يتعدى الخمسة دنانير شهريا ومن ضمن الأقامة حصوله على فواكه تلك البساتين وكان هذا متبعا في كافة المصايف العراقية .

يقول الاستاذ سامي امين الألوسي مدير مكتب وهوك السياحي : لقد أولى المسؤولون عناية فائقة لدعم وتنشيط الحركة السياحية في البلاد فقامت المؤسسة العامة للسياحة بمسح سياحي عام للمناطق السياحية في شمال البلاد كما قامت بانشاء فنادق وشقق سياحية ومطاعم وقرى نموذجية وصالات العاب وصالات سينما . ومكتب وهوك سياحي يشرف حاليا على ثلاثة مجمعات سياحية هي مصيف سرسنك ، ومصيف اتشكي ، ومصيف



في المطعم الجاهز في مصيف سره رش اسرة كويتية تتناول وجبة الغداء



الطرق الموصلة الى كافة مصايف الشمال

سولاف . ففي مصيف سرسنك فندق سرسنك الذى يحتوى على ٦٢ غرفة ومطعم ومشرب وحمام سباحة وتدار هذه المنشآت ادارة مباشرة من قبل مكتب سياحة دهوك وقد حددت اسعار الاقامة في الفندق بأربعة دنانير ونصف للغرفة الواحدة . اما المرفق السياحي الثاني فهو المطعم وهو من المشاريع السياحية العاجلة الذى تقوم بتنفيذه المؤسسة العامة للسياحة ، ويسع هذا المطعم ٢٠٠ شخص وهو مكيف تكييفا مركزيا ويحتوى على احدث وسائل الراحة كما تقوم فيه الحفلات الموسيقية والفنية خدمة وترفيها للمصطافين .

اما المرفق الثالث فهي الصالة المتعددة الاغراض ، وهي ايضا من البناء الجاهز وهذه الصالة تستخدم لعرض الافلام السينمائية والمسرحيات والانشطة الفنية واقامة المعارض الفنية ولعدة اغراض اخرى اجتماعية ، وعلى ذكر النشاطات الفنية فقد اقام المكتب معرضا للفنون التشكيلية ساهمت فيه جامعة الموصل خدمة منها في تنشيط الحركة السياحية . كما اعدت برنامجا موسميا للنشاطات الفنية وهذا البرنامج ينفذ في كافة المرافق السياحية في منطقة الشمال . وهناك قرية سياحية تضم ٥٩ دارا وبأحجام مختلفة يسع كل منزل ما بين اربعة الى تسعة اشخاص بأجرة تتراوح بين ٨ و ١٤ دينارا حسب سعر الدار ، علما بأن هذه الدور مؤثثة ومعدة لايواء المصطافين بكامل احتياجات الاقامة صيفا وشتاء وقد الحقت بهذه الدور محلات لبيع احتياجات المصطافين من مواد غذائية وغيرها .

ومن الابنية التي على وشك الانجاز فندق سرسنك الذى يحتوى على ١٠٠ غرفة تتسع لـ ٢٠٠ شخص وهو من فنادق الدرجة الاولى ومن المؤمل ان يبدأ العمل به خلال هذا الموسم .

كهف فريد

اما مصيف اينشكي الذى يبعد عن سرسنك نحو ١٥ كم فيقع في منطقة جميلة تطل على سهول سرسنك وتمتاز ببرودة طقسها وجمال شلالاتها وهو من المصايف الحديثة ويحوى هذا المصيف ٣٠ (كرفانا) تتسع لستة اشخاص بالاضافة الى ٧٦ شقة سياحية من البناء التقليدى وهي مؤثثة وتتوفر فيها كافة سبل الراحة للمصطاف ، ويضم هذا المصيف كهف اينشكي وهو كهف فريد من نوعه في مصايف شمالي العراق ، وقد اجريت عليه بعض التعديلات ويستغل الآن كمطعم غريب فريد من نوعه ، وتقام فيه الحفلات الفنية والموسيقية ترفيها للمصطافين اما المشاريع المستقبلية في هذا المصيف فهو المنتدى الليلي وفندق اينشكي الذى





كهف جنديان تنساب منه مياه عذبة وكازينو سياحي شعبي اقيم بالقرب من الكهف . (الى اعلا) حمام سباحة يقع في مصيف شقلاوة (الى اليسار) . اطفال يلهون في مياه شلال كلي علي بك الذى يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٨٠٠ متر . (على الصفحة المقابلة) .



سوف يتسع لمائة غرفة على سفح جبل اينشكي ولا يفوتنا أن نذكر أن مصيف اينشكي يحوي سوقا مركزية تقدم للمصطافين حاجاتهم من مواد غذائية مختلفة مثل اللحوم والالبان والمعجنات اضافة الى مخبز آلي ومصبغة لغسيل الملابس وفرع للبريد .

ـ وآخر مصيف يشرف عليه مكتب وهوك السياحي هو مصيف سولاف ، وهو يبعد عن سرسنك نحو ٢٦ كم ويقع على ارتفاع ١١٥٠ مترا فوق سطح البحر بين شلالات رائعة عديدة واشجار الجوز والبلوط ويحتوى هذا المصيف على فندق من الدرجة الاولى يتسع لمائة شخص وهو مؤثث تأثيثا جيدا ومكيف مركزيا ومطعم يتسع لـ ١٣٠ شخصا بالاضافة الى ملحقات سياحية منها محل لبيع المصنوعات الشعبية . كما الحق بالفندق مجمع سياحي يحتوى على ٧٦ شقة سياحية ينتظر ان يتم تشغيلها في هذا العام بالاضافة الى ٣٠ « كرفانا » تستقبل المصطافين اما اسعار كل من هذه الدور فلا تتعدى أربعة دنانير لليوم الواحد وقد استغل مسئولو السياحة شلال سولاف فقاموا بتشييد كازينو سياحي يقدم للمصطافين المأكولات والاطعمة .

مدرسة فندقية

ولما كانت الحاجة ماسة لايجاد الكوادر الفنية المؤهلة التي تتطلب خبرة عملية لادارة المرافق السياحية المنتشرة في شمال العراق ومع وجود هذه النهضة الكبيرة في المرافق السياحية كان من الطبيعي أن يفكر المسؤولون عن السياحة في ايجاد مدرسة فندقية تغطي المشاريع السياحية واماكن الاصطياف .

عن هذه المدرسة تكلم الاستاذ سامي نجم عبد الله المدير العام للمنشأة العامة لادارة المرافق السياحية قائلا : لقد كانت الحاجة ماسة لتوفير الكادر المؤهل لادارة المرافق السياحية المختلفة فقد شرعنا في وضع خطة لتهيئة الكادر المطلوب في ضوء المشاريع المنفذة او التي ستنفذ في المستقبل لذلك وضعت المؤسسة العامة للسياحة خططا قريبة المدى وأخرى بعيدة المدى ، اذ شرعنا بارسال بعثات تدريبية الى خارج البلاد الى كل من تونس والمغرب وايطاليا وسويسرا بلغ عددهم ٨٨ شخصا ، وهناك معهد بغداد للسياحة والفندقة يضم ما يقرب من الف طالب وطالبة موزعين على أربعة اقسام وهي قسم الخدمة وقسم المطبخ وقسم التدبير الفندقي وقسم الاستقبال ، والطلبة في هذا المعهد يتلقون دروسا تطبيقية وعملية اما الموقع الذي يدرسون فيه الآن فيقع في فندق القناة التابع للمؤسسة العامة للسياحة . والدراسة في هذا المعهد تمتد ثلاث سنوات منها سنتان للدراسة النظرية . اما السنة الثالثة فتكون الدراسة فيها عملية حيث يقوم الطلبة بتطبيق ما تعلموه ، في الاماكن التي يرشحون للعمل فيها مثل فنادق الدرجة الاولى او المرافق السياحية المنتشرة في شمالنا الحبيب ، فضلا عن ان النية تتجه حاليا لارسال الطلبة المتفوقين منهم لاستكمال دراستهم في الخارج . ■■

صادق يلي

منطق !

● اعتقل أحد الجنود رجلا انجليزيا اعتاد ان يفقده السكر وعيه فيعربد في الطريق . ولما وقف امام ضابط الشرطة سبه الضابط وقال له :

ـ منذ عشرين سنة وانا اراك هنا كل يوم ، وهذا دليل على انك مدمن تستحق العقاب .

فاجاب الرجل :

ـ بالعكس انه دليل انك محروم من الترقية .

من الرياض :

لماذا لا ننضم للنادي الذري ؟

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

ليس من شك في أن معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ، التي وقعها أربع وثمانون دولة والتي أنقضى على توقيعها نحو عشر سنوات ، قد فشلت في تحقيق أهدافها وفعاليتها ، وليس سرا أن كثيرا من الدول تعمل سرا أو جهرا في صناعة الأسلحة النووية وتتجلى ضخامة هذا الفشل ، بنجاح الهند في المشاركة في عضوية النادي النووي ، ونجاح تفجيرها النووي تحت الأرض . فقد أثبتت الهند بذلك ، وهي الدولة النامية الفقيرة قدرتها على اللحاق بالدول الخمس الكبرى في هذا المجال ، وهي الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتي ، وانجلترا ، وفرنسا ، والصين وانما يكمن هذا الفشل في عدم الالتزام بوقف التجارب النووية ، ووقف الاستباق في تصنيع الأسلحة النووية . بل أن الدولتين العظميين الولايات المتحدة الامريكية ، وروسيا السوفيتية ، لم تلتزما بنصوص المعاهدة ومضتا في تجاربها النووية ، بل وتطوير أسلحتها النووية . فلننظر كيف تدهورت الأمور من سيىء الى أسوأ ؟ وعلينا أن نقرر، بادىء ذي بدء ، ان التفاعل النووي واحد ، سواء كان للسلم أم للحرب ، وانه ليس هناك فرق بين انفجار نووي لأغراض سلمية ، وأخر لأغراض حربية ، انه التفجير الذي يحدث ثقبا هائلا في الأرض ويجمع ركاما على هيئة بركان عند فوهته ، هو نفسه الذي يدمر مدينة بأكملها ، فيجعل عاليها سافلها ، ويقضى على سكانها .

وقد قدر حجم التفجير النووي الهندي بعشرين « كيلوطن » من مادة ت.ن.ت « انه نفس التفجير الذي دمر هيروشيما وناجازكي في سنة ١٩٤٥ . ولم يكن من فرق بين التفجيرين الا الغرض الظاهري أو المزعوم من التفجير ، فقد أعلن زعماء الهند أن الغرض من التفجير سلمى ليس الا ، وأنها لاتهدف الى تصنيع الأسلحة النووية مع أن تعديل هذا القرار أو اهداره مسألة شخصية داخلية بحتة ، لاتحتاج الى اعلان وذلك في غياب الشرعية الخلقية أو القانونية التي ينبغي الالتزام بها . فتستطيع الهند استعمال تفجيراتها النووية لأغراض حربية وقتما تشاء . وعلى ذلك ينبغي أن تعد الهند من الآن في عداد الدول ، التى تستطيع استعمال الأسلحة النووية متى أرادت وأنى أرادت .

لقد أضاءت الهند الطريق ، أمام الدول الأخرى ، التى تسعى الى الهدف نفسه ، من تصنيع للأسلحة النووية من المضى في تجاربها النووية ، تحت ستار الأغراض السلمية .

لقد أنقضى أكثر من خمسة وثلاثين عاما على القاء أول قنبلة نووية على اليابان في الحرب العالمية الثانية ، واذكر أن مجلة الهلال الغراء ، كانت قد سألتنى في موضوع « نحن والقنبلة الذرية » في أعقاب ذلك ، وكانت اجابتى واضحة لا لبس فيها ولا ابهام « فلتصنعها ما استطعنا الى ذلك سبيلا » ، ولو قد فعلنا منذئذ لما تعذر علينا خلال هذه الحقبة الطويلة ، وما أظننا أقل علما أو مالا من الهند ، ولكنه العزم والتصميم والايمان بالهدف . والآن فانه حتى الدول التى وقعت المعاهدة تفكر في التنصل من تعهداتها ، اذ أن ذلك لا يكلفها الا اعلانا قبل ثلاثة أشهر من التنفيذ ، يذكر فيه أنها تجرى تجارب تفجيرات نووية لأغراض سلمية . ويلاحظ ان الدول النووية الخمس الكبرى ، قد أعلنت أنها انما تصنع الأسلحة النووية ، بقصد الدفاع لا

الهجوم . وعلى ذلك فقد غدت « الاغراض السلمية » اشارة المرور الى الأغراض الحربية . والآن تشاهد فصلا جديدا في قصة « نواة الذرة » فيا على الدول التي تريد أن تصنع القنابل النووية ، الا أن تبدأ بالاعلان عن أغراضها السلمية ، ثم تمضي في تصنيع القنابل النووية أو الصواريخ ذات الرؤوس النووية .

ويصر زعماء الهند على القول بانهم لم ينتهكوا قانونا ، ولم يلغوا اتفاقا ، ولم ينقضوا معاهدة باجرائهم تفجير « راجاستان » وهم على صواب . فان اتفاق سنة ١٩٦٣ الذي وقعته الهند يحرم التجارب النووية في الجو ، في الفضاء الخارجي أو تحت الماء ، ولكنه لم يحرمها تحت الأرض ، وانما كان التحريم بالنسبة للتفجيرات تحت الأرضية ، تلك التي ينشأ عنها بقايا اشعاعية يمكن أن تصل خارج نطاق الاقليم وحدوده ، وقد أجرت الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا السوفيتية من التجارب ، ما حمل فضلات اشعاعيه خارج حدودها واعتبر ذلك مجرد تجاوزات تكنولوجيةغير متعمدة ، ومع ذلك فان تجربة الهند لم تترك مثل هذه الآثار .

ان معاهدة منع انتشار النووية ، هي الوثيقة الدولية الوحيدة التي تحرم التفجيرات النووية لأغراض سلمية على الدول التي لاتملك أسلحة نووية ، كما تنص المادة الثانية من المعاهدة . أما التفجيرات النووية لأغراض سلمية فتجريها الدول النووية لفائدة الدول غير النووية وذلك بنص المادة الخامسة ، وكما جاء في مقدمة المعاهدة المذكورة . وعلى أية حال ، لم تكن الهند موقعة على المعاهدة المذكورة . وفي الحق أن الهند قد أعلنت رفضها لها واحتفاظها بحقها في اجراء تجارب التفجيرات النووية لأغراض سلمية وعلى ذلك فان الهند لايمكن أن تتهم بنقض حرفية المعاهدة ولا روحها ومن جهة أخرى فان الهند عضو نشيط مشارك في الهيئة الدولية للطاقة الذرية « أيا » ومقرها فينا ـ فان النظام الأساسي للوكالة الذي أقر في سنة ١٩٥٧ ، يحظر استعمال الطاقة الذرية لأغراض حربية ولكنه يشجع اجراء التجارب النووية لأغراض سلمية ، وفيما بين سنه ١٩٥٨ وسنة ١٩٧١ عقدت عدة مؤتمرات ، كلها تدعو الى تأكيد استعمالات الطاقة الذرية للأغراض السلمية .

ولا مراء في أن انضمام الهند الى النادي النووي ، قد خلق جوا من التوتر بين دول العالم الثالث ، وخاصة باكستان ، وللصين معها علاقات ودية وثيقة . كما أن الهند مرتبطة بروسيا السوفيتية بعلاقات مماثلة . ومن هنا كان الأثر السياسي لهذا التفجير النووي في الهند ، أقوى من أثره الحربي ولعله يشجع « تيوان » على اقتفاء أثر الهند ، وتغدو نووية هي الأخرى ، مما يثير الصين في ناحية أخرى ، وقد يجر دولا أخرى مثل كوريا الجنوبية ، وأندونيسيا ، وايران واستراليا ، فمن يدري لعلها جميعا أن تعمل جاهدة على دخول النادي . ومن جهة أخرى فان ذلك يثير شكوك الدولتين العظميين اللتين تتبنيان معاهدة حظر استعمال الأسلحة النووية . وكذلك الحال ـ في فرنسا وانجلترا ، مما يدل على أن هذه الدول كل تعمل على السبق في هذا المجال تحت ستار « الأغراض السلمية » ، وما تزال كل تجري بحوثها وتفجيراتها في الجو كما تجريها في البحر وتحت الأرض وقد أعلنت الولايات المتحدة أن ما تقدم من « بلوتونيم » ناتج من الوقود النووي لاينبغي أن يستعمل في أي تفجير ، ولمالم تحصل على ما تريده من ضمانات فانها أخرت تسليم اليورانيوم المزود ليكون وقودا لمفاعل « طارابور » الذي أقيم بمعاونة أمريكا فنيا وماليا . ويبدو أن الهند مستعدة لتقديم هذه الضمانات ، وأن الولايات المتحدة ستوالي تقديم اليورانيوم للهند . ولقد أصبحت باكستان وأعلنت انها ستعمل على أن تكون دولة نووية ، واقترحت على الجمعية العامة للأمم المتحدة ، انشاء منطقة محايدة في جنوب آسيا ، وهو اقتراح رفضته الهند ابتداء .

وهناك دول أخرى مثل كندا واليابان والسويد ، لديها المقدرة الفنية والمالية على اجراء تجارب التفجيرات النووية ، انها تقف موقف معارضا للهند ، وقد قطعت كندا كل تعاون نووي مع الهند ، وقد شجبت تفجيرات الهند سواء في الجمعية العامة للأمم المتحدة أو في المؤتمرات الخاصة في جنيف ، وكذلك فعلت استراليا وهولندا . اما الدول النامية . فقد رحبت بالهند (هذه الدولة الفقيرة) عضوا في النادي النووي . أما يوغسلافيا فقد هنأت الهند . وكذلك فعلت نيجيريا التي

أعلنت أن ـ تجارب الهند لم تكن مفاجأة لها ، وأن الدول الخمس الكبرى لم تنجح في وقف التجارب والتفجيرات النووية . وبالتالى لم تنجح في وقف التسابق في التسلح النووي . كما أن الدول النامية لم تلمس بعد الفوائد المتوقعة من الأغراض السلمية ، ولعلها قد لمست فعلا فوائد أن تكون نووية كما فعلت الصين ثم الهند ، وأنها لو نجحت في أن تكون نووية لأبطلت هذا التهديد المستمر من الدول ـ النووية . لقد حاولت الهند عبثا أن تحصل على ضمانات أمن ضد الاسلحة النووية ، ومن ثم سعت حثيثا لتلحق بالنادي ، وكان لها ما أرادت . ولو قد نجحت في أن تحميها المظلة النووية من الدولتين العظميين لتراخت في تجاربها وتفجيراتها النووية ، ولما نجحت بهذه السرعة في الالتحاق بالنادي النووي .

للأغراض السلمية

والآن ، ماذا عسى أن تكون الاغراض السلمية للطاقة النووية ، لقد عقدت آمال عريضة لخير الانسانية منذ كشف الانشطار النووي ، فقد استهدف العلم الافادة من مفاعلات القوى ، ثم من استعمال النظائر المشعة في العلم والطب والزراعة والصناعة . وقد نبذ منذ حين استعمال التفجيرات النووية في حفر القنوات وانشاء الموانىء وما أشبه من مشروعات ، نظرا لما تخلفه من فضلات اشعاعية تنتشر في الجو وتسيء الى السكان ، ثم رؤى استعمال هذه التفجيرات تحت الأرض في تفتيت الصخور حاملة الزيت أو الغاز لتيسر تدفق الزيت أو الغاز ، وكذلك لانشاء خزانات وانفاق لتجميع هذه الثروات واختزانها تحت الارض ، سواء كانت بترولية أو معدنية مثل خامات النحاس ، ومع ذلك فان تجارب الولايات المتحدة في هذا المجال لم تحقق نجاحا يذكر ، فقد تبين أنه لابد من مئات واحيانا آلاف من التفجيرات لتحقيق مثل هذه الأهداف ، مما يكلف كثيرا من النفقة والجهد ، فضلا عن أن الآثار الجانبية للنظائر والنفايات المشعة لم تنجح بعد في التوقى منها .

ومن الغريب أن الخبراء الأمريكان أنفسهم قد أخذوا يفقدون الأمل في الأغراض السلمية للتفجيرات النووية تحت الأرض ، على حين أن نظراءهم الروس ، مازال يحدوهم الأمل في تحقيق هذه الأغراض السلمية ، بل انهم ليحدوهم الأمل في تحويل مياه المحيط القطبي عبر قناة خاصة الى نهر الفولجا ثم الى بحر قزوين وان احتاج ذلك الى عدد من تفجيرات الانفاق يتراوح بين ٢٥٠ ، ٤٠٠ انفجار وقد نجحوا في اقامة سد ، وانشاء بحيرة ، والتحكم في خزانين للغاز . ومع ذلك فلم يثبت بعد أن هذه المشروعات كانت تكون أقل تكلفة ، لو أنشئت بالوسائل العادية . ومن هنا كان يأس الدول النامية من محاولة الاستفادة من الطاقة الذرية في الأغراض السلمية ، انما هي ستار يحجب الأغراض غير السلمية .

وهناك اقتراح بالحد من التفجيرات النووية تحت الأرض والا تزيد التجارب على ١٥٠ كيلو طن ، مما يساوي عشرة أضعاف قنبلة هيروشيما ولو أن ذلك يحد من استعمال الاسلحة النووية . وأن ذلك يشعر الدول النامية ، بأنها خدعت بأمثال هذه القرارات والمعاهدات ولاتنسى الغواصات النووية . التي يتزايد عددها كل حين كما أن ما تحمل من صواريخ نووية يتزايد عددها

فضلا عن عدد الرؤوس النووية التى يحملها كل صاروخ ، وكذلك لم تحدد حجومها ، ـ والمعتقد أن الروسية أكبر حجما وأكثر عددا من الأمريكية ، وما تزال البحوث تجرى لزيادة العدد والحجم ودقة التصويب وطول المسافة التي يقطعها في كل من الدولتين . وقد قيل ان كلا من الدولتين تملك ما يقل عن ٢٠,٠٠٠ من الرؤوس النووية في صواريخ عابرة القارات .

وغير خاف أن هذه القوة التدميرية الهائلة التى تمتلكها كل من الدولتين العظميين كفيلة بتدمير مدن وسكان نصف الكرة الشمالي على الأقل ، وانها لكفيلة كذلك بتلويث جو الكرة الأرضية كله ، فكأنه انتحار جماعي لسكان الأرض جميعا .

والآن يتزايد أعداد طلاب العضوية في النادى النووى من الدول المختلفة ، سواء منها من سبق أن وقعت معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ، أو تلك

التي لم توقعها ، وشعار « الأغراض » يظلل الجميع ، ومن هذه الدول من تعلن رأيها في صراحة ، ومنها من تعمل في الخفاء ، دون جهر بالاعلان ، ومن أمثلة الاولى « باكستان » ومن أمثلة الثانية « اسرائيل » أما الأولى فقد أعلنت ذلك صراحة ، وخاصة بعد أن نجحت الهند جارتها « اللدود » في الالتحاق بالنادي ، وأما الثانية فتقول انها لن تكون الأولى في ادخال الأسلحة النووية في منطقة الشرق الأوسط ، ومع ذلك فقد نشرت بعض الصحف الأجنبية (مجلة تايم) أن لدى اسرائيل ثلاث عشرة قنبلة نووية ، مختزنة وجاهزة للاسقاط .

وهناك دول أخرى عديدة تعمل جاهدة على رفع كفاءتها التكنولوجية في المفاعلات النووية لتلحق بالركب ، ان عاجلا أو آجلا ، ان في السر أو في العلن ، ومظلة الأغراض السلمية تظل الجميع مثل البرازيل ، وشيلي ، وجنوب أفريقيا ، وكوريا الجنوبية ، واندونيسيا ، وتيوان ، واستراليا والنرويج والسويد وايطاليا وبلجيكا والمانيا بشطريها وتشكوسلوفاكيا ، وكندا والسويد والأرجنتين واليابان وايران والبقية تأتي . وعلى ذلك يمكن أن يقال انه اذا كان أعضاء النادي النووي ست دول هي الولايات المتحدة وروسيا ، وانجلترا وفرنسا والصين ـ والهند ، فان عشرين دولة أخرى توشك أن تنضم الى النادي ، اذ لديها الامكانات العلمية والفنية ، لتشرع فورا في صناعة الأسلحة النووية .

ونلاحظ أن بعض هذه الدول غني ومتقدم علميا وتقنيا ، وبعضها الآخر فقير ، لايجد ما يكفى قطانه من غذاء ، ومع ذلك فإن شعار « الأمن قبل الغذاء » هو السائد في هذا العصر فما جدوى ثراء علمي وفني ومالي ، لايحمى صاحبه من شراسة المعتدين .

أفلا تستطيع دولنا العربية الممتدة من المحيط الى الخليج ، أن تخصص جانبا مما أفاء الله على بعضها من ثروات لاجراء البحوث النووية ، واقامة المفاعلات النووية ، واجراء التجارب والتفجيرات النووية ، تحت سطح الأرض ـ كما تنص معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية ، وذلك كله تحت راية الأغراض السلمية .

من الكويت :

تجربة المشروع العام في بلاد النفط

بقلم : الدكتور محمد غانم الرميحي

على الرغم من اختلاف النظم والاجتهادات والشعارات السياسية التي ترفعها أقطار عربية متعددة في وطننا العربي ، طارحة عبرها ومن خلالها حلولا مختلفة للمشاكل التي تواجه شعوبها والتي تتشابه نوعيا في معظمها ، وعلى الرغم من اختلاف التركيبة الاقتصادية ومصادر الدخل من قطر الى آخر وكذلك اختلاف حجم الثروات كما ونوعا .

على الرغم من ذلك كله نلاحظ قاسما مشتركا بين هذه الأقطار في اطار تعاملها الفعلي مع مشاكلها الاقتصادية وطرق حلولها ، وتشترك أقطار الوطن العربي في هذا القاسم المشترك مع الكثير من أقطار العالم الذي أطلق عليه مجازا اسم « العالم النامي » .

وهذا القاسم المشترك هو اعتماد هذه الاقطار على المشروع العام . أي المشروع الممول والمسير كليا أو في معظمه من قبل الدول ومؤسساتها المختلفة .

وقد يبدو لأول وهلة تضاد منطقي أو مبدئي بين اعتماد بعض الاقطار العربية على المشروع العام في سياساتها التنموية ، وخاصة تلك الاقطار التي تميل الى الأخذ بمبدأ سياسة (الاقتصاد الحر) الغربية المنشأ .

ولكن هذا التضاد يتضاءل عندما نأخذ طبيعة مصادر الثروة في هذه الأقطار بعين الاعتبار ، هذه المصادر التي تتكون في معظمها من أموال يحصل عليها من جراء تصدير مواد خام مملوكة للدولة .

ووجود الأموال ومصادرها في يد الدولة يعني وجود امكانات التمويل للمشاريع التنموية الضخمة في يدها كذلك ان لم يقتصر هذا الوجود المالي في ظرف تاريخي معين على الدولة فقط .

ولقد زاد اعتماد عدد من أقطار الوطن العربي على المشروع العام في خططها الاقتصادية وخاصة بعد الارتفاع الكبير في أسعار النفط سنة ١٩٧٣ حيث زادت امكانيات الاقطار النفطية بشكل خاص على تمويل المشاريع الكبرى وخاصة في مجال الانشاءات ومشروعات البنية التحتية والبتروكيماويات وغيرها .

وكان لتوسع أقطار النفط في الاعتماد على المشروع العام في خططها الاقتصادية الطموحة نتائج تحوي في طياتها بعض السلبيات من حيث عدم تحقيق عدد من المشاريع الأهداف المرجوة منها ، مما طرح اسئلة كثيرة حول السبب أو الأسباب التي تعيق القيمين على هذه المشروعات وتمنعهم من تحقيق ما يرسم لمشروعاتهم من أهداف

دراسة هامة

وكمحاولة لايجاد اجوبة مقنعة على الاسئلة والتساؤلات المطروحة والمتعلقة بالسلبيات المرافقة لتأسيس المشاريع العامة وتسييرها ، ولوضع دراسة منهجية جدية حول هذا الموضوع ، فلقد عقدت لهذا الغرض ندوة في ابوظبي بدولة الامارات العربية المتحدة في الفترة ما بين ٢٦ ـ ٢٩ ديسمبر الماضي (١٩٧٩) ، جرى التحضير لها قبل ذلك التاريخ بحوالي السنة والنصف ودعي اليها مجموعة من الشخصيات المعنية بالمشاريع العامة في أقطار الجزيرة العربية كمدراء شركات ، وزراء صناعة ، مهندسين ، محاسبين ، مخططين ، وكلاء وزارات ، مع بعض المختصين بالادارة وترشيدها .

وقد اتبع في منهج المناقشات اسلوب طرح اسئلة استهلالية متعددة في كل جلسة عمل حول موضوع رئيسي يختص بمشكلات الادارة في المشروع العام ، حيث تجرى بعد ذلك مناقشات للاجابات المتعلقة بهذه المشكلات للبحث بعد ذلك عن حلول لها بناء على الخبرات السابقة .

وقد جرى التمهيد والبحث في هذه المشكلات وحلولها من خلال ما قام به مدير مشروع الدراسة (د . علي الكواري قطر) الذي اجرى مجموعة من اللقاءات والمناقشات لواحد وخمسين (٥١) شخصية ادارية رئيسية في (٤١) مشروعا من المشاريع العامة الرئيسية والتي يتراوح رأس المال المستثمر فيها ما بين مائة مليون دولار وما يزيد على الالف مليون دولار (٨٣٪ من المشروعات المذكورة) .

ويشغل عدد لا بأس به من هذه الشخصيات مناصب سياسية حساسة في بلادها .

وقد شملت هذه اللقاءات والحوارات أسئلة تتعلق بطبيعة المشاريع احجامها ، وتطورها ، ادارتها ، سياستها ، أهدفها ، نجاحها أو فشلها .. الخ .

ولقد تمكن الدكتور الكواري عبر لقاءاته التي فرغها في ورقة العمل التي قدمها للندوة من الحصول على نتائج مشيرة الى حد ما ، فيما يتعلق بالفكر الاداري والاقتصادي المسيطر على المشاريع العامة التي تناولتها الدراسة .

وسنحاول طرح الأمور التي نستنتجها من هذه

الدراسة وما دار حولها من نقاشات مبتدئين من القمة ، أي من الشخصية الأساسية صاحبة القرار في المشروع العام (المدير العام)

لقد أبرزت الدراسة فيما يتعلق بقمة الهرم الاداري للمشروع العام الأمور التالية :ـ

٥٥٪ من المدراء العامين يتم تعيينهم من قبل السلطات العليا (فوق المستوى الوزاري) بينما يعتقد ٣٧٪ فقط من هؤلاء المدراء بوجوب هذا التعيين من قبل السلطات المشار اليها .

٨٪ (ثمانية) فقط من المدراء العامين رغبوا ذاتيا في منصبهم الاداري .

٥١٪ من المدراء العامين عرفوا بتعيينهم قبل أقل من شهر واحد من حدوثه .

لا يوجد بين المدراء العامين للمشروعات ـ موضوع الدراسة ـ من عمل في منصب مشابه في مشروع خاص ، ولا يوجد بينهم سوى ١٦٪ ممن عملوا في مناصب مشابهة في مشاريع عامة ، غير مشابهة نوعيا للمشاريع التي يديرونها .

مدير السلطات العليا

لو نظرنا الى هذه الصورة التي نأخذها من المعلومات السابقة لوجدنا ـ بالاضافة الى عنصر الاثارة فيها ـ بأن ما سيرد ذكره لاحقا حول أسلوب ادارة المشاريع العامة في اقطار الجزيرة العربية التي خضعت للدراسة ، ماهو الا نتيجة بديهية لهذا الخلل الواضح في القمة الادارية .

فالمدير العام الذي يعين من « السلطات العليا » في وظيفة « لايتشبث بها » وبشكل ارتجالي حيث لايعرف غالبا شيئا عن تعيينه قبل « شهر » من حدوث التعيين . هذا المدير العام هو عنصر فاقد للاستقلالية في عملية اتخاذ القرار ، اي انه عنصر غير ديناميكي ، فحركته محدودة وامكانياته على اتخاذ القرار المناسب ضعيفة بحكم ضعف خبرته . حيث لم يعمل في وظيفة مشابهة في مشاريع خاصة وكذلك لم يكتسب خبرة في مشاريع عامة مشابهة (فقط ١٦٪ من المديرين عملوا في مشاريع عامة غير مشابهة للمشاريع التي يديرونها كما ذكرنا) .

ولذا فمن البديهي أن ينظر معظم المدراء الى أساليب التعيين المتبعة نظرة سلبية . ٣١٪ لايرون فيها حافزا إيجابيا لتطوير قدرات المدير (لاتأثير) و ٤١٪ يرون تأثير أسلوب التعيين المذكور بمنظار سلبي .

وتنسحب نظرة المدراء العامين الى أساليب معاملتهم ، تعيينهم ، مراقبتهم ، على أساليب ممارستهم العملية حيث تجد ان ٩٦٪ منهم لايرون اية علاقة بين عمل مؤسساتهم التي يديرونها وتطوير العنصر البشري العامل فيها اجتماعيا ، وفي نفس الوقت يعترفون بأن اعاقة الانتاج في مؤسساتهم ناتجه بنسبة ٤٤٪ عن نزعاتهم الشخصية او نزعات مدرائهم الذين لاسلطة لهم في تعيينهم الا بنسبة ١٤٪ . وهذه النسبة تنطبق كذلك على تعيين الاعضاء البارزين في الهيكل الاداري الذين يعينون بنسبة ٤٥٪ من قبل مجلس الادارة وما تبقى تعينهم جهات « اخرى » اي وزارة او سلطات عليا .

ان ضعف المدير في الخبرة وضعف استقلاليته الادارية وضعف علاقاته من حيث فعالياتها في اتخاذ القرار يجعل عملية ايصال المعلومات من القاعدة الى القمة عملية صعبة وبطيئة واذا ما أضفنا الى ذلك حقيقة مؤلمة وهي ان هذه المعلومات المتعلقة بقدرة العنصر البشري في المؤسسة على اداء مهمته ـ سواء كان موقعه في القاعدة او في القمة ـ لا تخضع لتحليل ودراسة اطلاقا اكتملت الصورة السيئة بل المأساوية التي نستنتجها عن هذه المؤسسات .

ففي القمة نجد ان مجلس الادارة لايهتم بشكل جدي بمقدرة الادارة للمشروع العام على تأدية وظيفتها .

٣١٪ من المدراء يعتقدون بأن مجلس الادارة « مهتم بعض الشيء » بهذه المقدرة على الاداء و ٣١٪ يعتقدون بأن المجلس المذكور « غير مهتم » بهذا الموضوع .

وبينما يجرى تدقيق مالي بنسبة ١٠٠٪ على ميزانية المشاريع العامة ، لايجرى أي تدقيق اطلاقا على مقدرة العاملين في المشروع العام على الأداء حسب اقوال ٩٤٪ من المدراء ، بل أن ٩٨٪ من هؤلاء المدراء يجزمون بأن أي

تدقيق على الاداء لم يجر في مؤسساتهم خلال الثلاث أعوام الماضية بينما ٢٪ (اثنان) « يعلمون » بوجود مثل ذلك التدقيق !! والغريب في الامر ان هؤلاء المدراء غير راضين عن مستوى الاداء في مشروعاتهم برغم اعترافهم بعدم وجود معلومات تحليلية حول هذا الموضوع تساعد على اتخاذ قرار بهذا الشأن .

٢٩٪ من المدراء غير راض عن الاداء

١٢٪ غير راض اطلاقا

٢٥٪ راض الى حد ما

لعل من السابق لأوانه الان وبالرغم من الانطباع الاولى المؤلم والذي تعطيه هذه المعلومات عن سير الامور في المشاريع العامة في اقطار الجزيرة العربية النفطية ـ لعل من السابق لأوانه اصدار رأي نهائي في مستقبل هذه المشاريع او طرح اسئلة تتعلق بالمسببات ، ولذا فلعل من الافضل انتظار صدور معلومات اوفى حول نفس الموضوع ، والتي يتوقع صدورها قريبا في كتاب للدكتور على الكواري مدير الندوة المذكورة وكاتب الدراسة التي اعتمد عليها هذا المقال ، وسيصدر كتابه تحت عنوان « تقييم كفاءة اداء المشروع العام في الاقطار المنتجة للنفط في الجزيرة العربية » . ■■

من دمشق :

حول إعادة كتابة التاريخ

بقلم : الدكتور احسان حقي

قرأت في العدد ٢٥٦ من مجلة العربي الزاهرة كلمة مستفيضة للاستاذ احمد بهاء الدين يتحدث فيها عن اعادة كتابة التاريخ الاسلامي . ومع انه قد وفى الموضوع حقه فاني ارى انه موضوع يحتمل الزيادة لأنه موضوع ذو شأن عظيم ولا تضر فيه كثرة الآراء لا سيما وان فكرة اعادة كتابة التاريخ الاسلامي اخذت منذ زمن تداعب افكار علماء المسلمين وادبائهم . وحيث انه كان لي رأي بالموضوع رأيت ان ادلي بدلوى على صفحات « العربي » التي عودتنا الاهتمام بكل ما هو نافع ومفيد واقول :

لقد جاء في كلمة الاستاذ رئيس التحرير قوله : « ان التاريخ ليس شيئا يكتب مرة واحدة بل هو مادة تكتب مئات المرات ... » وهي كلمة عالم بصير بالحقائق وذلك لأن التاريخ ليس مادة جامدة لها مقدمات ولها نتائج ثابتة لاتختلف من شخص لآخر ، او بمعنى آخر انها تقوم على حادث حدث وكاتب كتب ، بل هي مادة حية متحركة يدخل في تركيبها الحادث في حد ذاته ونظرة المؤرخ وعاطفته وميله وتحزبه الى ذاك الحادث ومثال ذلك ان حادثا يحدث امام شخصين او ثلاثة او اكثر فينقله كل واحد بشكل يختلف قليلا او كثيرا عن الشخص الآخر تبعا لهواه وعاطفته وميله الخ . فكيف اذا كان يروى رواية او يحدث بخبر ؟ ومن هنا كان الاختلاف في سرد الحوادث التاريخية وتفسيرها ، فحادثة ما جريمة ومرتكبها مجرم في نظر بعض المؤرخين وهي ذاتها بطولة وفاعلها بطل مقدام في نظر الآخرين والشخص الفلاني بطل مغوار في نظر احدهم وهو عميل خائن في نظر الآخرين .

وليس في هذا الاختلاف من عجب لأن المؤرخ ليس بآلة تصوير تلتقط الصورة كما وقعت بكل دقائقها ولا هو ملاك مبرأ من العيوب ومعصوم عن الخطأ بل هو انسان يخطيء ويصيب ويغضب ويرضى ويحب ويكره وله شعور واحساس وله رأي ولذا فانه ينقل الحادث ممزوجا

بشعوره واحساسه ورأيه وهو في كثير من الاحيان مخلص فيا يفعل ولكن اخلاصه من وجهة نظره هو لامن وجهة نظر الحقيقة والواقع .

واذا كان السابقون قد شوهوا التاريخ ، عمدا او جهلا ، الى حد ما فان تشويه التاريخ الذي يحدث تحت سمعنا وبصرنا اعظم وافظع لأننا نشوهه عن علم وقصد . لقد عاش ستالين شبه إله في قومه وكتب المنافقون والمخدوعون مئات الكتب في مدحه وتحدثت عنه الصحف ورفعته فوق البشر ولكنه ما كاد يلفظ انفاسه الاخيرة حتى رأينا الشتائم تكال له ، من بني قومه ، بالقناطير المقنطرة ورأينا الفئوس تنهال على تماثيله المقامة في كل البلاد الشيوعية ، فتحطمها ورأينا الكتاب يمثلونه شيطانا رجيا ومجرما محترفا حتى ابنته ، التي فرت من الاتحاد السوفيتي ملتجئة الى الولايات المتحدة الامريكية ، كتبت عنه كل مقذع . ومثله كان امر ماوتسي تونج ، الذي بلغ من تقديس الصينيين له انه كان اذا مرض احدهم قرأوا له شيئا من كتب ماوتسي تونج لشفائه ، وعاش يتمتع بين اتباعه بمقام الآلهة ولكنه ما كاد يغمض عينيه حتى زالت عنه هالة القداسة المزعومة .

غير ان الانصاف يقتضينا الا نتهم كل من كتب التاريخ بتعمده تزييف التاريخ ولكننا نستطيع ان نتهم بعضهم بذلك ، ونحن مطمئنون الى ما نقول ، كما اننا نستطيع ان نتهم آخرين بالسذاجة والنقل بلاروية ولا تمحيص ونتهم الجميع بغلبة العاطفة عليهم وهذا شيء طبيعي لا مفر منه ، ولولا هذه العاطفة لكانت آراء الناس واحدة .

الذين يزورون التاريخ

قد يظن بعض الناس ان كتابة التاريخ لا تحتاج الى اكثر من حادث وكاتب ، ولكن الحقيقة غير ذلك . لأن العين تخطيء والسمع يخطيء والذهن يشرد والعاطفة تميل الى ما تهوى وفي مثل هذه الحالة لا يكون التاريخ تاريخا بل رواية تحتمل الصدق والكذب ، وقد رأيت بعض الاخصائيين بالتاريخ يستهينون بكتابة التاريخ . فمن ذلك ان شابا كان يعد اطروحة لشهادة دكتوراه دولة من الصوربون اطلع على ما كتبته عن الهند وباكستان فقال لي : اريد ان اكتب كتابا عن اندونيسيا على غرار ما كتبت عن هذين البلدين . فقلت له ، وقد كنت اعرف موضوع اطروحته ، هل زرت اندونيسيا ؟ قال : كلا ـ قلت : وهل اطلعت على جغرافيتها على وجه الدقة ؟ قال : كلا . قلت : وهل تعرف اللغة الاندونيسية لتقرأ ما كتب اهل البلاد عن بلادهم ؟ قال : كلا . قلت : كيف تجرؤعلى التفكير ، اذن ، بكتابة كتاب عن بلاد لا تعرف عنها شيئا ؟ قال : اقرأ ما كتبه غيري واكتب مثلهم بلغتي . قلت : دع عنك ما كتبه الناس للناس ولا تكن عالة على التاريخ . واظن انه لقي من غيري ما لقيه مني فلم يكتب شيئا عن اندونيسيا .

والذين يزورون التاريخ ، عمدا او جهلا ، كثير في هذا العالم ومن ذلك اني كنت في باريس وكان لي صديق فيها صاحب مجلة كبيرة قال لي ذات يوم : اريد ان آخذ رأيك بمقال كتبته عن الشرق الادنى واخذ يقرأ علي مقالا كتبه عن زيارته لمصر واجتماعه ببعض زعمائها فما كاد يقرأ بضعة اسطر حتى شعرت بأن الرجل يخلط خلطا فاحشا ، فقلت له : متى ذهبت الى مصر واجتمعت بهؤلاء الاشخاص ؟ قال : اني لم اذهب قط الى مصر ولا اعرف واحدا من هؤلاء الناس وانما هو ما قرأت وما سمعت . قلت : انصحك اذن بعدم نشر هذا المقال لأن كذبه ظاهر . فقال : اني لا اكتب لأمثالك بل اكتبه لمن لا يستطيع ان يفرق بين الصدق والكذب .

قلت ولكن كل عربي يقرأ هذا المقال سيعرف كذبك مما ذكرته عن الثياب والاثاث والعادات وغير ذلك فامتثل الرجل لقولي ولم ينشر مقاله . فلو كان هذا المقال نشر وأراد تلميذ يعد اطروحة للدكتوراه ان يستعين بما جاء فيه من معلومات فكيف تكون تلك الاطروحة ؟ واذا كان صديقي هذا لم ينشر مقاله فان هناك عشرات لا بل ومئات من المقالات والكتب التي كتبت ونشرت وقرأها الناس وصدقوها وهي خيال ودجل .

وبهذه المناسبة اذكر اني كنت سنة ١٩٣٨ في باريس وقد عرضت بعض دور السينما فيلما عن الثورة السورية لعام ١٩٢٥ والتي عرفت باسم (ثورة الدروز) فأحببت ان ارى الفيلم لأستعيد في نفسي ذكريات هذه الثورة

العظيمة فوجدت ان الفيلم لا يمت الى سوريا ولا الى الثورة السورية بشيء بل هو فيلم خيالي اخذت كل مناظره في ارض الجزائر ورأيت من كانوا يسمونهم (ثائرين دروز) هم في الواقع جنود جزائريون بلباسهم الجزائري فكتبت كتابا الى محافظ باريس الفت نظره الى هذا الفيلم وانصحه بعدم عرضه لأن مفعوله عكسي على فرنسا .

وبالتالي ان اعادة كتابة التاريخ الاسلامي امر لازم ولكن يجب ان تتم كتابته على الطريقة التي كتبت بها الاحاديث النبوية اي الا تكتب حادثة الا بعد معرفة قائلها وتعديله وتجريحه . ثم اني ارى الا يكتب التاريخ شخص واحد بل لابد لكتابة التاريخ من بضعة اشخاص ذوي اختصاصات متنوعة منهم المؤرخ والجغرافي والجندي العالم الاجتماعي وغيرهم بحسب الموضوع . واذكر اني شاركت بندوة تلفزيونية عقدت حول كتابة التاريخ وكان رأيي ان التاريخ الصحيح يجب الا يكتبه شخص واحد فلم يحتمل بعضهم هذا الاقتراح وعده تحقيرا لشأن المؤرخين وكأنه معصوم عن الخطأ والذلل . اني ما زلت عند هذا الرأي وادعو اليه على صفحات هذه المجلة التي عودتنا ان تهتم بالامور العامة من غير تحيز او محاباة .

الفريق هو الذي يكتب

لقد لعبت بتاريخنا ايد كثيرة وشوهته على هواها وما زالت هناك ايد تلعب وتشوه وتنسخ وتمسخ وتضلل مستعينة بما لها من سلطة ونحن بأشد الحاجة الى اعادة كتابة التاريخ . وقد فكرت دار النفائس البيروتية للطباعة والنشر ، منذ سنوات ، باعادة كتابة التاريخ الاسلامي من جديد وعرضت علي الفكرة فقلت لها ان التاريخ لايستطيع ان يكتبه واحد بل لابد من جماعة اذا كنا نريد تاريخا صحيحا الى حد ما . اذ من يستطيع ان يقول الحقيقة فيا تم بين عثمان وعلي وبين معاوية وعلي وبين الحسين ويزيد ثم يسلم من الانتقاد ؟

فاذا قال قائل : ان هؤلاء الرجال ليسوا هم التاريخ الاسلامي ويمكن تجاوزهم . قلت : نعم . انهم ليسوا هم التاريخ الاسلامي كله ولكنهم هم نواة هذا التاريخ وما لم تحل هذه العقدة سيظل سنيا وشيعيا وخارجيا ويزيديا وسيظل التاريخ مشوها والمغالاة تزداد حدة وشدة .

وطلبت الى سيدةفضل تعد اطروحة للدكتوراه نسخة من مذكراتي لأنها لم تجدها في السوق . فقلت لها : اني لم اكتب مذكرات ولا افكر بذلك لأني انسان عادي وليس في حياتي ما يستحق ان يدون او يعرفه الناس . فقالت هذه السيدة كما قال لي غيرها من قبل ، انك قد عاصرت كل زعماء البلاد العربية وغير البلاد العربية وعاشرت اكثرهم وكانت لك صلات صداقة مع بعضهم وتعلم عنهم ما لا يعمله غيرك فكتابتك عنهم تفيد الجيل الصاعد في معرفة الحقيقة بالمقارنةبين ما كتبوه هم عن انفسهم او كتبه غيرهم . فقلت لهذه السيدة : ان ما تقولينه هو حق ولكني ارى ان تظل هالة الاحترام تجلل هامات الراحلين ما دام ذلك لا يمس الا اشخاصهم . واذكر بهذه المناسبة ان احدهم كتب منذ بضع سنوات كتابا يتهم فيه الشيخين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده بالعمالة للانكليز فسألني صديق لي رأيي بالامر فقلت له : هب ان ما قيل صحيحا فماذا يفيد التشكيك بأمرهما الا هدم الثقة برجالنا وبماضينا ؟ الم يخدما الاسلام والمسلمين فما لنا وللطريقة التي سلكاها لبلوغ هذا الهدف . اقول قولي هذا وانا اجلهما عما نسب اليهما .

وحاصل القول اننا بحاجة الى اعادة كتابة التاريخ على ان نكتبه بحرية تامة وتجرد ودقة وصبر وان يكتبه بضعة علماء من مختلف الطوائف لا يكتبه شخص واحد بل يكتبه بضعة اشخاص حتى اذا مال احدهم او جنف عن سواء السبيل سدده الآخرون ويجب ان يكون هؤلاء المؤرخون احرارا في تفكيرهم جريئين في اقوالهم غير ملتزمين بفريق او طائفة أو فكرة . قادرين على ان يزيلوا هالة القداسة عن رؤوس بعض الناس وان ينزلوهم منزلة البشر الذين يصيبون ويخطئون وان يعيدوا الى بعض الناس اعتبارهم فاذا وجد من يقوم بهذا العمل على هذا الوجه كان لدينا تاريخ اسلامي صحيح ، والا فالاولى ان نترك التاريخ على ما هو عليه ولا نزيده تشويها فوق تشويه .

« .. لم أذق جمال التمثيل الصحيح الا حين شاهدت جورج أبيض يمثل قصة (اوديب ملكا) وغيرها من التمثيليات .. »

طه حسين

في الذكرى المئوية لميلاده :

جورج أبيض

بداية التيار الجاد في المسرح العربي

بقلم : فؤاد دواره

اخيرا ، ها هوذا فوق خشبة المسرح الفرنسي العتيدة ، التي تخرج من فوقها مئات من اعلام المسرح .. لم تبق امامه سوى خطوة واحدة ، يتحقق بعدها امله الاوحد ، الذي عانى من اجله الكثير ..

خطوة واحدة يخطوها فوق هذه الخشبة العتيقة ، ومشهد واحد أجاد حفظه والتدرب عليه ، ويصبح اول طالب عربي يدرس فن التمثيل بكونسرفتوار باريس ...

ألا فلتتماسك ايها القلب المضطرب ، ولتهدىء من خفقانك ، ولتبارك السماء هذه الخطوة ، ليكتب لك الفوز بين خمسمائة متسابق ..

ولكن لم كل هذه الظلمة المتكاثفة حتى لا تكاد تتبين موقع خطوك ، ولا ترى لجنة الامتحان القابعة هناك .. لا تدري اين .. ويمضي الوقت بطيئا متثاقلا قبل ان يقطع الصمت صوت حاد ينادي اسمه .. حاول ان يتبين صاحبه فلم يفلح .. جمع شتات نفسه وخطا الخطوة ..

ها هوذا وسط الاضواء .. وبدأ يلقي دوره ، جملة وثانية ، وقبل ان يقول الثالثة قاطعه نفس الصوت الحاد :

ـ كفى ..

لماذا ؟.. هل نجح ؟.. هل رسب ؟.. هل ؟ هل ؟..

ويعود الصوت الحاد ليضيف :

ـ لا انكر ان بك مزايا واضحة .. هيئتك .. خطواتك .. تعبيراتك الواضحة .. كلها تلائم المأساة ، ولكن صوتك لا يصلح للمسرح ابدا .. نصيحتي اليك ان تجمع حقائبك وتعود من حيث اتيت ولا تفكر بعد ذلك في المسرح ابدا !!

مسافر بلا متاع !.

هكذا في لحظة واحدة انهارت كل القصور الشامخة التي ظل جورج أبيض الفتى يشيدها في خياله منذ كان صبيا صغيرا يتعلم بمدرسة « الفرير » ببيروت ، ويلهث كل فجر خلف ابيه وهو يصعد الجبل .. يستنشق هواء الشفق النقي ، ويتأمل جمال الطبيعة .. ثم ينشد بعض محفوظه من الشعر قبل ان يعود الى عمله بفندقه الصغير



بجوار مسجد الخضر ..

لم يلبث الصبي ان استظهر محفوظ ابيه ، وبدأ يباريه في القائه .. والاب يستمع اليه طربا ويصحح له ويستعيده ..

والتحق الصبي بمدرسة الحكمة الثانوية ببيروت ، وشغف بصفة خاصة بدروس اللغة العربية وآدابها ، فقد اتاحت له زيادة محفوظه من الشعر والنثر .. واصبحت هوايته الاثيرة جمع رفاق الحي والخروج بهم الى الخلاء ، لينشدهم الشعر ، او يشركهم فيما يبتكره من العاب وتمثيل مرتجل ..

ويموت الاب ، ويجد الصبي في دراسته حتى ينال شهادة اتمام الدراسة الثانوية وهو في السادسة عشرة من عمره . وفي حفل التخرج يضطلع ببطولة مسرحية باللغة الفرنسية .. وكان الممثل الفرنسي « جان فريج » بين الحضور ، فهنأه وشجعه على المضي في طريق التمثيل ، ونصحه بدراسة فن التمثيل في فرنسا ..

وقرر جورج ان ينفذ النصيحة .. ولكن كيف ؟ لا هو يدري ولا الايام تدري .. وهو لا يملك غير الموهبة والعزيمة .. ولم تعد بيروت تتسع لطموحاته ، فلم تقدم له سوى وظيفة عامل برق بمرتب هزيل .. واذا كانت فرنسا بعيدة ، فمصر اقرب ، وله فيها عم مستقر بالاسكندرية ، واهم من ذلك فيها حركة مسرحية بدأت تزدهر ، ودار للاوبرا ، وفرق مسرحية عديدة ..

واذا كانت صرامة امه تمنعه من مجرد مناقشة الامر ، فلا مفر من ان يضعها امام الامر الواقع .. وها هو ذا فوق باخرة متجهه الى الاسكندرية ، بلا حقيبة ، ولا تذكرة ، ولا نقود .. ويقدر ربان السفينة ظروفه ، ويعجب بالقائه لشعر « هوجو » و « لامرتين » .. فيستضيفه ..

ناظر محطة سيدي جابر

ويرحب العم بابن اخيه ، ويصحبه الى متجره ليعاونه في عمله .. ولكن جورج يحرص على الاستقلال بحياته ، فيتقدم بالعديد من طلبات التوظف ، حتى يفوز في النهاية ، وبعد امتحان شاق ، بوظيفة ناظر محطة سيدي جابر في مدخل الاسكندرية ، بمرتب معقول ..

ويقضي وقت فراغه في التمثيل بالفرنسية مع جمعية خريجي كلية « سان مارك » ، وبالعربية مع بعض

موظفي السكة الحديد .. وبعد ان ادى دور البطولة في مسرحية فرنسية ، تلقى تهنئة من قنصل فرنسا ، ختمها بقوله :

ـ ان مكانك الحقيقي في كونسرفتوار باريس ..

فيعود الامل ليخفق في قلبه من جديد ، ويكتب لشقيقته في بيروت يرجوها ان تتوسل لوالدته لتعطيه نصيبه في ميراث ابيه ، ليتمكن من السفر الى باريس ، فلا يصله منها سوى اللعنات ..

وذات صباح من عام ١٨٩٩ يفاجأ جورج بوصول خديو مصر عباس حلمي الى محطة سيدي جابر في قاطرة يقودها بنفسه .. وتنشأ علاقة استلطاف بين الشابين شجعت جورج على الكتابة للخديو بآماله ، فلما لم يتلق ردا عاد وكتب رسالة اخرى في تسعين صفحة عن قضية المسرح في مصر والوطن العربي .. وكيف ان المسرح المصري القديم سبق المسرح الاغريقي والهمه بالرغم من انكار الاوربيين ولا مجيب ..

وفي سنة ١٩٠٤ يكتب جورج للخديو مرة ثالثة ، ويرفق رسالته هذه المرة بدعوة لحضور مسرحية « برج نل » التي سيمثلها على مسرح « زيزينيا » ، ويستجيب الخديو ويحضر الحفل .. وبينما جورج يتهيأ للفصل الرابع اذا بكبير الياوران في حجرة خلع الملابس يعلنه بموافقة الخديو على سفره الى باريس لدراسة التمثيل على نفقته ..

ولكن .. ويرن الصوت الحاد في اذنيه مرة اخرى ..

ـ صوتك لا يصلح للمسرح ابدا .. نصيحتي اليك ان تجمع حقائبك ولا تفكر في المسرح بعد ذلك ابدا ...

ويمضي يجرجر قدميه في شوارع باريس ، والدموع تملأ مآقيه .. لم يشعر بالمطر الغزير المنهمر فوق راسه .. ومع أضواء الفجر الاولى كان قد استعاد صلابته ، وقرر ان يحاول من جديد ..

جمع عددا من زملائه الراسبين في امتحان القبول ، واتخذوا « غابة بولونيا » مقرا للقاءاتهم وبدأوا يراجعون ويتدربون ، وينقدون انفسهم .. ويمرحون بين الحين والاخر ..

منار التمثيل

ودار العام دورته ، وها هوذا يقف مرة اخرى في دائرة الضوء امام لجنة القبول ، وعلى راسها مسيو « لي لوار »



يوسف وهبي

نفس الرجل الذي حطم آماله في العام الماضي .. فاذا به يقاطعه هذه المرة ايضا .. ولكن ليسأل باعجاب :

ـ من صاحب هذا الصوت الذهبي الساحر ؟!

واثناء دراسته في الكونسرفتوار اعجب بمحاضرات الممثل الكبير « سيلفان » فقرر ان يستزيد من خبرته في دروس خاصة كان يعلم انها ستكلفه الكثير ، ولكن الفنان الكبير اعجب بمواهب جورج فضمه الى ..وسه الخاصة دون اجر .. وحين انهى دراسته الحقه بفرقته ، واسند اليه العديد من الادوار الهامة ، بل سمح له بان يؤدي بعض ادواره كلما اصابته وعكة .. وطوف معه معظم مدن فرنسا والمغرب العربي .

وكان باستطاعة جورج ان يبقى بفرنسا ، ويبلغ اقصى درجات النجاح الفني .. ولكنه لم يحتمل كل ما احتمل من اجل هذا الهدف .. فقد كان عليه واجب لا يحتمل التأجيل نحو مصر التي اتاحت له فرصة الدراسة على نفقة حاكمها ، ونحو المسرح في الوطن العربي كله الظمىء الى كل خبراته ومواهبه ..

وهكذا شهد ميناء الاسكندرية في ١٠ ابريل ١٩١٠ استقبالا حافلا لجورج ابيض على راس فرقة من الممثلين الفرنسيين المجيدين .. وبعد يومين بدأت عملها على مسرح دار الاوبرا الخديوية بمأساة « هوراس » لكورنبي ، ثم تتابعت عروضها وسط ترحيب كبار المسئولين والصحافة والجمهور باول مسرحي عربي درس فن التمثيل في الخارج ، ووصل الى تلك المكانة الرفيعة .. يقول محمد تيمور :



زكي طليمات



فتوح نشاطي

« .. اصبحت العاصمة في هرج ومرج ، ترى الناس على القهاوي لا حديث لهم غير ابيض ، وتسمع الطالب يقول لصاحبه امام مدرسته (هل اشتريت الاشتراك الاول او الثاني ؟) وفي كل مكان ابيض تلمع لذكره الوجوه وتبرق الاسرة .. اجل كان ابيض منار التمثيل في ذلك الوقت وبه استقلت الشبهة واستقرت الحجة .. »

« جريح بيروت »

في تلك الفترة كان الزعيم المصري سعد زغلول وزيرا للمعارف ، وكان يخوض معركة ضارية ضد سلطات الاحتلال البريطاني ومستشاريهم في الوزارة لتعريب مناهج الدراسة بالمدارس ، وكانت كلها تدرس باللغة الانجليزية . وحضر مسرحيات ابيض الفرنسية واعجب بها وبه ، ودعاه الى زيارته في مكتبه حيث طلب منه ـ تمشيا مع سياسته في تعريب المناهج ـ ان ينشيء فرقة تمثيل عربية ، تسهم في تثقيف الجماهير ، وتكمل الجهود المبذولة في التعليم ، ووعده بتقديم كافة المساعدات التي يحتاجها .

ولم يكن جورج ابيض يتوق لشيء اكثر من ذلك ، فحل فرقته الفرنسية ، وعهد بثلاث من روائع المسرح العالمي الى كبار ادباء العصر لترجمتها .. « اوديب ملكا » لسوفوكليس يترجمها فرح انطون ، و « عطيل » لشكسبير يترجمها الشاعر خليل مطران ، و « لويس الحادي عشر » لكازمير دي لا فيني يترجمها الياس فياض .. واعلن في الصحف عن حاجته الى ممثلين من المحترفين والهواة .. وكون فرقته العربية من افضل العناصر المحترفة بالاضافة الى عدد كبير من الهواة الموهوبين ، وبدأ تدريباته على المسرحيات الثلاث معا ، واستمر عاما وبعض العام ، بلغت تكاليف الفرقة حتى يوم الافتتاح اكثر من عشرة الاف جنيه ، وهو مبلغ ضخم بالقياس الى تلك المرحلة ..

ولم يشأ جورج ان يفتتح عمل فرقته بنص اجنبي ، فعهد الى الشاعر الكبير حافظ رمضان بتأليف مسرحية شعرية عن احداث لبنان وقتذاك ، وكان الايطاليون قد اعتدوا عليها ردا على مقاومة تركيا لغزوهم لليبيا ، فكانت « جريح بيروت » هي المسرحية التي افتتحت بها الفرقة في ١٩ مارس ١٩١٢ ، ثم تبعتها المسرحيات الثلاث المترجمة التي ظلت ـ على كثرة ما قدم من مسرحيات ـ اثيرة الى نفسه والى جمهوره اكثر من نصف قرن . يقول فؤاد رشيد عن الموسم الاول للفرقة :

« امتلأت الدار عن آخرها طوال الموسم ونجح جورج نجاحا كبيرا في ادواره الثلاثة ، حتى انه لم يصل في اي دور من الادوار التي مثلها بعد ذلك طول حياته الى الدرجة التي وصل اليها في تلك الروايات الثلاث . ورأى الجمهور والممثلون في جورج ممثلا يستطيع ان يخلق لكل دور الشخصية التي تناسبه . ويمكننا ان نؤكد ان ذلك الموسم كان انجح المواسم اطلاقا في تاريخ التمثيل العربي .. »

المسرح قبل الجامعة

وتتابعت بعد ذلك مسيرة جورج ابيض الفنية بين صعود وهبوط .. مد وجزر .. صعود مع المثل الفنية الرفيعة حينا ، وسباحة مع التيار احيانا اخرى .. حتى اذا امن الغرق عاد الى استئناف طريقه الفني الاصيل ، ولكن الى حين .. مما لا يتسع المجال لتفصيله .. حسبنا ان نحاول رصد ابرز آثاره على تطور المسرح العربي ، وهي كثيرة ..

قبل جورج ابيض كان المسرح العربي يتجاذبه

تياران رئيسيان : تيار غنائي تطريبي بدأه السوري ابو خليل القباني ، وظل مسيطرا على المسرح في مصر اكثر من نصف قرن ، وخاصة بعد ان تربع على عرشه سلامة حجازي وتلاميذه ومقلدوه . وتيار آخر فكاهي بدأ بالفصول المضحكة التي كانت تقدم عقب المسرحيات الغنائية ، وتطور فيا بعد الى المسرحيات الغنائية ، وتطور فيا بعد الى مسرحيات كاملة ، وبرز فيه نجيب الريحاني « بشخصية كشكش بك » ، وعلى الكسار بشخصية « بربرى مصر الوحيد » ..

وما اكثر ما امتزج التياران . فاستعانت المسرحيات الفكاهية بالغناء والرقص واعتمدت المسرحية الغنائية على موضوعات فكاهية وممثلين مضحكين .. فجاء جورج ابيض ليمثل تيارا ثالثا جادا ، بتقديم المآسي العالمية المشهورة في ترجمات دقيقة ، واخراج مدروس ، واداء تمثيلي منضبط يقول د . محمد يوسف نجم عن المرحلة السابقة على ظهور جورج ابيض :

« الحقيقة اني وجدت بعد طول الدراسة والتمحيص ان هذه الفترة من تاريخ ادبنا « المسرحي » كانت فترة تخبط . يظهر فيها الخطأ الكثير الى جانب الصواب القليل ... وكان التقليد هو الطابع الواضح لهذه الفترة ولكنه تقليد ضعيف لم يخرج بالممثلين الى رحاب الابداع والابتكار إلا حين عاد جورج ابيض من فرنسا ، واخذ في وضع اسس جديدة للمسرح العربي .» .

على ان جورج ابيض لم يكن مجرد ممثل موهوب دارس طور تقنيات الاداء التمثيلي ووسائل العرض المسرحي ، بل لعل اثره الاكبر يتمثل في تعريف جماهير المسرح بكلاسيات المسرح الاوربي وهذا ما يقرره توفيق الحكيم بوضوح :

« من عجيب الامر ان يكون المسرح في بلادنا قبل الجامعة هو الذي عرفنا بروائع الادب اليوناني . وكان صاحب الفضل في ذلك هو الممثل خالد الذكر جورج ابيض ... ثم اتسع فضله فشمل الادب الانجليزي بتمثيله (عطيل) لشكسبير . واحاط بالمسرح الفرنسي فمثل (لويس الحادي عشر) ذلك التمثيل الذي ظلت تذكره الاجيال ... فاذا قلنا ان فضل جورج ابيض على الثقافة المسرحية الحقة قد سبق فضل الجامعة والجامعيين فانما نقرر حقيقة واقعة لا ينكرها احد . وان تاريخنا المسرحي سيظل يذكر هذا الفضل ويدين لجورج ابيض بانه كان أول من أدخل حب المسرح الراقي في الشرق العربي لذاته بغير ظهير من الالحان . ووضع بذلك نهضتنا المسرحية على اساس سليم .» .

مؤلف ببنطلون قصير

وبالرغم من تقديم جورج ابيض للعديد من المسرحيات ـ الاجنبية المترجمة ، فقد كان حريصا على تشجيع المؤلفين المصريين وتقديم الجيد من مؤلفاتهم ، فهو الذي قدم اول دراما مصرية وهي « مصر الجديدة ومصر القديمة » . لفرح انطون . واول ملهاة مصرية وهي « دخول الحمام مش زي خروجه » لابراهيم رمزي ، بالاضافة الى العديد من المسرحيات المؤلفة لعباس علام ، ونجيب الحداد وحسين رمزي وانطون يزبك ، واحمد شوقي ، ومحمد لطفي جمعة .. وغيرهم .. وهو يؤكد هذه الحقيقة بنفسه فيا نقلته عنه ابنته سعاد ابيض :

« يعتقد الكثيرون من انصار المسرح والمهتمون بشئونه انني لست من انصار الرواية الاجنبية ولا من اعدائها ، بل انا من انصار الرواية التي تتوافر فيها الشروط الفنية للتمثيل المسرحي ويوم كانت لي فرقة باسمي كنت حريصا كل الحرص على تقديم روايات محلية واتاحة الفرصة للمؤلف المصري الصميم ليعالج المشاكل الاجتماعية في بلادنا . وقد كان لفرقتي هذه فضل كبير في خلق المؤلف المصري واظهار عدد كبير من المؤلفين المصريين الذي غذوا النهضة المسرحية بروايات ناجحة ..» .

ولعل مما يؤيد صدقه في كل ما ذهب اليه ما رواه الكاتب ابراهيم المصري من انه ، وهو صبي صغير لا يزال يرتدي البنطلون القصير ، ألف مسرحية اغريقية بتأثير اعجابه بجورج ابيض وحملها وذهب اليه في بيته ، فرحب به وجلس يقرأها .. ويضيف :

« .. لم يستكبر علي ، ولم يسخر مني ، بل اقبل علي متلطفا ومشجعا ، وقال لي ان هذه الرواية تصلح للجمعيات وان فيها مع ذلك عبارات تدل ابلغ الدلالة على اني احذق الاسلوب المسرحي . واني لو اجتهدت وثابرت ووضعت يوما رواية محبوكة حقا وطريفة فهو لن يتردد لحظة في اخراجها وتمثيل الدور الاول فيها ... ولكي يسري عني ... كتب لي اذنا بدخول مسرح الاوبرا في الغد بالمجان ... واسعدني ، وابى الا ان اتناول طعام الغداء معه ...» .

فاذا كان هذا تصرفه مع صبي صغير يحاول التأليف ، فلك ان تتصور كيف كان يشجع كبار المؤلفين الناضجين ويرعاهم .

جمعية انصار التمثيل

ولا يقل تأثير جورج ابيض في مجال التمثيل عنه في



عبد الوارث عسر

مجال التأليف . فبالاضافة الى اسلوبه الجديد المنضبط يقول « لاندو » :

« يرجع فضله الى قيامه بتربية زملائه وتلاميذه على اضافة اصناف جديدة من القيم الفنية كالحاجة الى ترجمات دقيقة امينة للنصوص الاجنبية ، والى الاعداد الحاذق لكل مسرحية » .

واذا قلنا تلاميذه ، فمعنى ذلك ان نذكر غالبية معاصريه . فما من ممثل منهم الا وتأثر بجورج ابيض على نحو من الانحاء ، ومن بينهم نخبة من خيرة الشباب المثقفين هجروا - نتيجة افتتانهم به - اعمالهم الناجحة لينخرطوا في فرقته ، كالمحامي عبد الرحمن رشدي والاديب الشاعر فؤاد سليم والمهندس محمد عبد القدوس ، وطالب مدرسة المعلمين زكي طليمات ، ويوسف وهبي ، واحمد علام وفتوح نشاطي وعبد الوارث عسر وشريكة حياته دولت ابيض وعشرات غيرهم ممن كان لهم اكبر الاثر في تطور الحركة المسرحية بعد ذلك ...

وبفضل حرصه على الاسهام في انشاء معهد التمثيل والمشاركة بالتدريس فيه في مختلف مراحله وحتى اخر سنوات حياته ، امتدت استاذيته الى عدة اجيال من كبار ممثلينا المعاصرين ...

وعن طريق اخراجه للعديد من مسرحيات كليات الجامعات المصرية تضاعف عدد تلاميذه والمتأثرين بمدرسته في الاداء .. اتيح لي وانا في مرحلة الدراسة الثانوية ان اشهد بعض جلسات التدريب على مسرحية « اوديب ملكا » التي اخرجها جورج ابيض سنة ١٩٤٣ لكلية الاداب بجامعة الاسكندرية واضطلع ببطولتها محمود مرسي الطالب بقسم الفلسفة وقتذاك ، ولمست مدى الجهد الذي كان يبذله جورج ابيض في تدريب محمود وزملائه مما ترك اعمق الاثر في تكوين فناننا القدير وتوجيهه للاشتغال بالفن بعد ذلك .. والامثلة المشابهة كثيرة ..

ويتصل بهذا الجانب رعايته لفرق الهواة العديدة التي تكونت متأثرة بفنه ، وابرزها جمعية انصار التمثيل برئاسة الاديب الناقد محمد تيمور ، وقد ظل جورج ابيض مستشارا فنيا لها حتى اخريات ايامه .

تجسيد لعروبة مسرحنا

وفي فرقة جورج ابيض الاولى ظهرت لاول مرة وظيفة المخرج بكل مسئولياتها التي نعرفها عليها اليوم وعهد بها الى العبقري البوهيمي عزيز عيد ، كما اهتم باعداد المناظر والملابس المناسبة لكل مسرحية بسخاء ودقة لم يعرفها المسرح العربي قبله وكون فرقة موسيقية كاملة برئاسة عبد الحميد علي ، ومجموعة من راقصات الاوبرا الاجنبيات ، وعهد الى الشيخ سلامة حجازي بتلحين اناشيد الجوقة في اوديب وغيرها من المقطوعات الغنائية ، فكانت اول الحان للشيخ سلامة تسجل بالنوتة الموسيقية وتنشدها جوقة من المنشدين المدربين مع فرقة موسيقية حديثة .

ولم تقتصر جهود جورج ابيض على العاصمة وحدها بل توسع في التقليد الذي بدأته الفرق السابقة عليه فامتدت عروض فرقته الى معظم المدن المصرية ، وخرجت الى جولات عديدة في غالبية الاقطار العربية ، حيث كان يقابل بترحيب حار ويلتف حوله هواة المسرح وعشاقه ، وبصفة خاصة في تونس التي اقام بها عامين منذ سنة ١٩٢١ ، وانشأ اول معهد للتمثيل واول فرقة مسرحية منظمة درب ممثليها واخرج مسرحياتها بنفسه ، فاصبح بذلك تجسيدا حيا لعروبة مسرحنا . فهو اللبناني الذي اختار مصر وطنا ثانيا له ومركزا لعمله ونشاطه ثم هو منشيء الحركة المسرحية في تونس وباعثها في الكثير من اقطار العروبة .

بكل هذه الجهود وضع جورج ابيض اسمه بجدارة الى جوار رواد المسرح العربي من اللبنانيين والسوريين والمصريين ، واصبح يمثل مرحلة هامة وحاسمة في تاريخ تطوره .. رأينا ان نعرف بها في ذكرى مرور قرن على مولده في الخامس من شهر مايو الماضي . ■■

فؤاد دواره

الجمّالون والأدِلّاء

حملوا الإسلام إلى أستراليا



- كان الاسلام اول دين سماوي عرفته القارة المعزولة .
- اكتشاف القارة يدين بالكثير لقوافل المسلمين الهنود والافغان .
- قانون « استراليا البيضاء » أوقف هجرة المسلمين من آسيا .
- استمر المدد بعد الحرب الاولى مع المسلمين الالبان والروس .
- بعد الحرب الثانية فتح باب الهجرة مجددا وأنقذ الاسلام من الاندثار

بقلم : الدكتور علي الحديدي





للهجرة الاسلامية الى استراليا قصة تنبض فصولها بالحياة المفعمة بالعزيمة والايمان . وتحكي احداثها ما يبعثه الاسلام من قوة في قلوب الذين يثبتهم الله بالقول الثابت فينزل السكينة على قلوبهم ويهديهم بنور اليقين ، وهم يواجهون المستحيل ويقابلون المصير المجهول .

ومحاولة البحث والدراسة المبنية على الاستقصاء للهجرة الاسلامية الى استراليا محاولة يكتنفها كثير من الصعوبات . فليس هناك من المصادر المكتوبة ما يمكن للباحث الرجوع اليها والاعتماد على ما فيها من معلومات . ولم يفكر احد من المسلمين الأولين الذين جاءوا الى استراليا ، أو من الاجيال المتعاقبة ، تأريخ دخولهم القارة الجديدة ـ كما فعل غيرهم ـ ومن ثم فلا أدعي حين اتعرض لهذه الدراسة انني وصلت فيها الى درجة الاحاطة الكاملة والاستقراء التام .

وانما هي محاولة تكشف الطريق وتشد الاهتمام لتتبعها بمحاولات اخر ، تتعرف على الحياة الاسلامية في الطرف الآخر من العالم .

والمصادر التي اعتمدت عليها في هذا البحث امور ثلاثة :

اولها : السجلات الرسمية الاسترالية .

والثاني : المشافهة والنقل من المسلمين المعمرين من ابناء الرواد المسلمين واحفادهم في الولايات المختلفة ، وهم منتشرون في طول البلاد وعرضها .

والثالث : التعرف بالمسلمين المعاصرين في استراليا والاشتراك الفعلي في انشطة جالياتهم ، والوقوف على مشكلاتهم ، ومحاولة جمعهم في اتحاد اسلامي عام يرعى مصالحهم ويرفع من شأنهم ، وذلك طوال عامين قضيتها استاذا زائرا في جامعة ملبورن باستراليا .

وتبدأ القصة ... قصة دخول الاسلام استراليا مع بداية الحياة الجديدة في تلك القارة بعد اكتشافها ، فقد دخلها المسلمون مع الافواج الاولى من المهاجرين الاوربيين الذين جاءوها ليكتشفوا مجاهلها ، ويعدوها لانشاء وطن في مستعمرة جديدة ، وعاصروا مراحل تطور القارة السادسة المجهولة وانسان العالم القديم يدب عليها فيستخرج خيراتها ويملأها بالحياة .

القارة المعزولة

واستراليا ـ كما هو معروف ـ احدث قارات العالم اكتشافا ، او هي القارة الجديدة القديمة ، الجديدة بالنسبة لنا نحن سكان العالم القديم ، لانها لم تكتشف الا في القرن السابع عشر ولم تبدأ المدنية في غزوها وتعميرها الا في القرن التاسع عشر ، ومع جدتها وحداثة معرفتنا بها فهي قديمة قدم الزمن الضارب في بطون الماضي السحيق . وكانت تتصل بآسيا وامريكا الجنوبية ثم فصلتها الزلازل والبراكين وعوامل الانفصال الجغرافية من ملايين السنين وعزلها المحيط الهندي من ناحية والباسيفيك من ناحية اخرى ، فتوارت عن الانظار ودخلت في عالم النسيان .

والقارة المعزولة المنسية لم يكن وجودها مجهولا تماما لدى جيرانها القدامى من جنس الملايو ، بل كانت معروفة لديهم معرفة مشوشة غير محددة [١] فقد حدثت زيارات متعددة على مر الزمان لساحل استراليا الشمالي

(١) ظهرت في اساطيرهم وقصصهم الشعبية اشارات اليها ، وكنوا عنها بالبلاد المجهولة تارة والبلاد البعيدة على الشاطيء الاخر تارة اخرى ، وتارة ثالثة بالبلاد التي تسكنها الجنيات وتسحب جنياتها قوارب الصيد ليخطفن الرجال ويتزوجن بهم هناك فلا يعودون .

من بعض سكان اندونيسيا والملايو ، وهي زيارات تقليدية تحدث حتى اليوم . وسواء كانت هذه الزيارات اختيارية لصيد السمك واللؤلؤ من الشاطىء الشمالي لاستراليا ، وهو غني بهما ، ام اضطرارية حين تدفع الرياح والانواء القوارب فتضل حتى تصل اليه ، فقد وجد العلماء اثارا ومخلفات لزيارات قصيرة اجنبية عن البلاد ، اثبت البحث العلمي انها مخلفات تنسب الى جنس الملايو . والشعب « الابوريجينيز » وهو الشعب الاصلي لاستراليا ، الذي وجد بعض افراده مختلطين بدم جيرانهم الاسيويين .

وكأن الشاطىء الشمالي للقارة وهو الصحراوي القاحل الخالي من المياه والزرع والحياة وقف سدا منيعا ليصد عنها غزو جيرانها من اهل سومطرا وجاوه وماليزا ، فلم يكن عنوانا جذابا يغري بالهجرة اليها من تلك البلاد المجاورة التي كانت تفيض بالخير والنعمة ، واعتقدوا ان القارة كلها على هذه الوتيرة من الجفاف والقحط ، فتجنبوها ، واطلقوا عليها اسم « الارض المجهولة » وساد الاعتقاد في الزمن القديم بينهم انها وجدت لتقوم بمهمة التوازن بين نصف العالم الشمالي المليء بالسكان ، ونصفه الجنوبي بسكانه القليلين .

وكان الهولنديون اول من اكتشفها من الاوروبيين عام ١٦٠٦ ، واطلقوا عليها اسم « هولندا الجديدة » ولكنهم كانوا في شغل عنها بمستعمراتهم الواسعة الثراء في آسيا كأندونيسيا وجزر الهند فأهملوها ، وظلت مهملة حتى عام ١٧٧٠ حين وفد اليها « جيمس كوك » الانجليزي وطاف حولها ، وعرفه بعض شواطئها الاخرى واكتشف صلاحيتها للزراعة والحياة فاعلنها مستعمرة بريطانية . وفي عام ١٧٨٨ اتخذتها بريطانيا منفى للمجرمين من بلادها وظلت كذلك حتى عام ١٨٤٠ فأزالت عنها هذه الوصمة واعلنتها مستعمرة للاحرار ، وفتحت ابواب الهجرة اليها لمن شاء من مواطنيها ، وبدأت القارة تأخذ نصيبها من الحياة الحرة الكريمة .

٣ عصور للاسلام

ولم تمض سنة واحدة على اعلانها مهجرا للاحرار ـ اي في عام ١٨٤١ ـ حتى بدأت الهجرة الاسلامية اليها ، واخذ المسلمون يتقدمون الى استراليا فرادى اولا ، ثم وفدوا اليها بعد ذلك جماعات . ولو نظرنا في تاريخ الهجرة الاسلامية الى استراليا منذ بدأ عام ١٨٤١ حتى الآن ، وقد قارب أن يصل عمره قرنا ونصف قرن لأمكن تقسيمه الى عصور ثلاثة :

العصر الاول : عصر الرواد فبعد ان سمحت بريطانيا عام ١٨٤٠ بالهجرة للمدنيين العاديين الى استراليا ، وفد اليها طلاب الثروة ، والباحثون عن المغامرات ، وهاجر اليها الوان شتى من العلماء والمكتشفين ، والنفعيين والافاقين ، ثم الهاربين من الاضطهاد الديني كالكاثوليك ، ومن الاضطهاد السياسي كالاسكتلنديين والايرلنديين .

وسكن القادمون الجدد ومن عفي عنهم من المسجونين المنفيين ، سواحل القارة الشرقية والجنوبية والغربية ، وذلك لوفرة المياه فيها وصلاحية ارضها للزراعة ، وسهولة المواصلات بينها من ناحية ، وبينها وبين الوطن الام انجلترا من ناحية اخرى بطريق البحر . ثم اخذت انظارهم تتجه الى قلب القارة الغني بأرضه وثرواته ولكن السبل وقفت بهم دون التوغل داخلها ، وعاقتهم مشكلة المواصلات عن اقتحام مجاهلها ، ولم يستطيعوا اختراق المساحات الشاسعة من الغابات التي تغطي السهول والجبال ، وعجزوا عن عبور الآفاق المترامية من الصحراء في شمال القارة وغربها .

ولم يستسلم سكان استراليا الجدد لليأس وهداهم التفكير الى الاستعانة بسفن الصحراء ، قوافل الجمال ، فكانت الحل العملي للمشكلة ، والوسيلة الموفقة لاكتشاف المجاهل الداخلية للقارة في وقت لم تكن المواصلات الآلية قد اكتشفها الانسان في قائمة مخترعاته بعد . واستقدموا قوافل الجمال من سهول الهند وجبال افغانستان ، وكان الجمالون الذين وقع عليهم الاختيار ليقودوا القوافل مسلمين ، وقد خبرهم الانجليز في الهند وافغانستان فوجدوهم اصحاب سمعة طيبة سواء من الناحية الخلقية ، او في اداء العمل الذي يوكل اليهم .

نقلت هذه القوافل الحملات الاستكشافية والمواد التجارية وحملت المعدات والاجهزة والمكتشفين . واقتحمت الجمال القارة المستعصية على الاوروبيين ، ووصلت بين اطرافها ، واكتشفت اماكن جديدة ، وشقت طرقا في مجاهل استراليا وادغالها وصحاريها ، ثم سعت بالقوت والتجارة للذين وجدوا مستقبلهم في قلب القارة يكتشفون ثرواتها وخيراتها ، ومع هذه القوافل دخل الاسلام استراليا ، دخلها مع قواد القوافل وحراسها . وكان منظرا مألوفا للاستراليين ـ الذي ينتظرون هذه القوافل بصبر نافد ، يهرعون لاستقبالها فهي تحمل لهم البريد والطعام والصحف وحاجياتهم ومطالب الحياة ـ ان يروا القوافل من المسلمين وقد اذنوا للصلاة واقاموا



شعيرة الله ، ومن ثم اطلق الاوروبيون لقب « شيخ » عليهم ليسبق اسماءهم الاسلامية .

وحملت القوافل الدين الاسلامي معها في حلها وترحالها ، حملته الى كل بلد سافرت اليه ، والى كل طريق سارت فيه ، من « اديليد » جنوبا الى « داروين » شمالا ، ومن « بيرث » غربا الى « سيدني » شرقا . ومن « برمزبين » في اعلا القارة الى « ملبورن » في ادناها ، وقريء القرآن في « اليس سبرنج » وصحراء فيكتوريا قبل ان تقرأ التراتيل المسيحية ، وارتفع صوت المؤذن بالدعوة والتكبير حي على الصلاة في مجاهل « كوينزلاند » والصحراء الغربية قبل ان يدق الناقوس فوق الكنائس هناك .

ولم يمض وقت طويل حتى كانت قوافل الجمال تمثل جزءا هاما من الحياة في القارة المكتشفة ، فقد اشتركت في حملات البحث عن الذهب ، وفي التنقيب عن المعادن ، وكان لها الجهد الكبير في انشاء المزارع ومراعي الابقار والاغنام داخل القارة ، فحملت اليها المعدات والآلات ومواد البناء ونقلت المصانع الخفيفة لتصنيع المنتجات الزراعية والحيوانية فيها ، واصبحت كالشرايين تحمل الحياة ، بين اجزاء القارة واطرافها

رواد مسلمون

وعلى الخريطة التاريخية والجغرافية لاستراليا ترك هؤلاء الرواد من المسلمين آثارا واسماء تخلد ذكراهم ، وترمز الى ما أسهموا به من جهود في اكتشافها واعدادها للحياة ، فهناك اماكن ما زالت تحمل اسماء اسلامية اطلقها هؤلاء الرواد من المسلمين عليها حين اكتشفوها ومنها تل بيجا وخليفر ، وقنطرة ، وكيب جافا ، ويطلق على خط السكك الحديدية الذي يصل بين « اديليد » و « اليس سبرنج » اسم « غان » وهو اختصار لكلمة « افغان » تخليدا للقافلة الافغانية القديمة التي اكتشفت الطريق ، وظلت تقطعه بجمالها تحمل الحياة والطعام للذين يسكنون داخل القارة حتى اكتشفت المواصلات الآلية وانشيء طريق السكة الحديدية .

ويسجل تاريخ استراليا لقواد هذه القوافل من المسلمين اسهامهم الحقيقي في اكتشاف القارة ، وفضلهم على كثير من المكتشفين الاوروبيين الذين دانوا لهم بحياتهم وقد انقذوهم من موت محقق ، حين ضلوا في متاهات الصحراء ، او في قلب الادغال المترامية الاطراف ، وحين لم تغن عنهم شيئا ، وسائل الارشاد الحديثة لمعرفة الاتجاهات ، قادهم الجمالون عندئذ بحاستهم الفطرية وبهدي ايمانهم وثقتهم بالله ، الى الامل بعد اليأس والى السلامة بعد الخطر المحقق ..

ومن الاعلام المسلمين الذين حفروا اسماءهم على صفحات التاريخ الاسترالي « بيجاه درويش » وكان رئيس الجمالين في حملة كالفيرت « Calvert » الاستكشافية المشهورة وكانت تحت قيادة المستكشف « ويلز » Wells وكتب « ويلز » في مذكراته يقول : « لقد اظهر شيخ بيجاه قوة فائقة على الاحتمال وانا ادين له بحياتي ، فقد انقذني ومن بقي معي من رجال الحملة من الموت . واذكر عندما وصلت حملة الرحلة الى اسوأ مراحلها ، بعد ان عمي علينا الطريق ، وبعد ان أمضت الجمال سبعة وعشرين يوما من غير ماء اخبرته ، والالم يعتصر قلبي ، ان الجمال سوف تضطر الى الصوم عن الطعام كذلك ، لتنقذ بغذائها الآدميين ، فلم تتغير خلجاته بل رأيت الهدوء والسكينة على وجهه ثم ادهشني بقوله : وانا معها سوف اصوم !!

وذهب اثنان من اعضاء الحملة للبحث عن بئر في طريق حذرهما منه شيخ بيجاه ، لكنهما مضيا ولم يستمعا لنصحه ، وبعد خمسة ايام تبعهما « بيجاه » ، ثم عاد والاسى على وجهه ينطق بنهايتهما ، ووضع امامي بعض حاجياتهما ، وانصرف ليخفي دمعة ترقرقت في عينيه الجامدتين !!

ومضى « ويلز » في مذكراته يقول : « واشركت « شيخ بيجاه » معي في قيادة الحملة فسار بنا في درب ما كان يخطر ببال احد انه طريق مأمون . ولم نلبث الا اياما قليلة حتى لاحت لنا مدينة « اديليد » في الافق البعيد . ووقفت ومن بقي معي امام « شيخ بيجاه » وقوف الخاشعين لمن وهبهم الحياة » .

ويتابع « ويلز » بقية القصة فيقول « ولم نشأ ان ندخل المدينة على صورتنا المتهالكة فناديت بحط الرجال وبعثت من يأتينا بطعام وشراب ويخبر الناس بنجاتنا ، وبالدور الذي قام به « شيخ بيجاه » في هذا السبيل . وقضيت الليل افكر في المصير الذي كان ينتظرنا ، فبمن انقذنا ، اهو اله بيجاه وصلواته المخلصة للكعبة في

مكة ؟ ام هي حاسته الفطرية لمسالك الارض وشعابها ؟ ويرد « بيجاه » على تساؤلاتي بقوله : انه ربي اسلمت اليه وجهي فهداني الى الطريق ومن يسلم وجهه اليه باخلاص يهديه سواء السبيل . وفي الصباح استقبلته « اديليد » استقبال الابطال ، واقام له نائب الملكة الحاكم العام لجنوب استراليا مأدبة ملكية احتفاء وتكريما ، ومنحه وساما رفيعا اعترافا بفضله » .

وتاريخ الحملات الاستكشافية في استراليا مليء بامثال « شيخ بيجاه » من المسلمين الذين قاموا بادوار عظيمة في هذا المجال .

من الهند وافغانستان

وادرك الاستراليون المستوطنون ضرورة هذه القوافل لحاجياتهم الجديدة ، بعد ان اصبحت كخيط النور الذي يربط الذين يعيشون في قلب ادغالها البعيدة المظلمة والعالم والمدينة على سواحلها . ادركوا ذلك فاغروا قواد القوافل باستقدام اسرهم واقربائهم من الهند وأفغانستان ليستقروا معهم ليشاركوهم الحياة الرغدة والرزق الموفور في الوطن الجديد . وكانت اسر هؤلاء الرواد وعائلاتهم الطلائع الاولى للحياة الاسلامية المستقرة ، ونواة الجالية الاسلامية في استراليا .

وفي الهند وافغانستان سمع اقرباء هؤلاء الجمالين ومواطنوهم بالنجاح الذي احرزوه ، وبالغنى الذي اكتسبوه وبالرخاء واليسر الذي يعيشون فيه وبفرص الحياة الموفورة في القارة الجديدة . فشدوا الرحال اليها فرادى واسرا وجماعات وارتفع الخط البياني لتعداد المسلمين بهذه الهجرات ، فبعد ان كان تعدادهم عام ١٨٤٤ سبعة وخمسين مسلما فقط وصل عددهم عام ١٨٦١ الى ٦٦١ مسلما ، ثم بلغ عام ١٨٨١ خمسة الاف وثلاثة من المسلمين ، ثم ستة آلاف واحد عشر عام ١٩٠١ .

وكان من الطبيعي ان يقيم رجال القوافل اول امرهم حول الآبار ومصادر المياه ، ولكنهم بعد ان استقرت بهم الحياة ، وفاضت عليهم القارة بخيراتها اتخذوا « اديليد » في جنوب القارة اول موطن اسلامي في استراليا . و « اديليد » في ذلك الوقت لا تزيد على بضعة منازل وعدة اكواخ خشبية .

ومن الرواد الاوائل الذين اسهموا بنصيب كبير في استقرار الحياة للجالية الاسلامية في استراليا « محمد غلوم » ، وكان قد جمع ثروة كبيرة من العمل في قوافل الجمال والتجارة ، لكنه انفقها على المسلمين ، فكان يتعهد القادمين منهم وينفق عليهم حتى يجد لهم عملا يتكسبون منه وامتدت يده الطولى بالخير الاسلامي الى انجلترا فأنفق على المجلة الاسلامية التي تصدر في مدينة ووكنج « Woking » واعاد طبعها في استراليا ليقرأها من فيها من المسلمين .

وازداد تعداد الجالية الاسلامية في « إديليد » وبدأت فرص العمل تقل امامهم فانتشروا في بقية ولايات القارة ، واتخذوا اعمالا اخرى غير قيادة الجمال ، فاشتغلوا بالتجارة والزراعة والعمل في المناجم ، وفي البحث عن الذهب ، ووضعوا بذلك لبنات الاستقرار الاولى للجاليات الاسلامية في غرب استراليا ، وفكتوريا ، وكوينزلاند ، ونيو ساوث ويلز ، وتازمانيا ، لكن المدد البشري لهذه الجاليات تجمد من مصادره الرئيسية عام ١٩٠٢ وذلك بصدور قانون يمنع دخول الاسيويين والملونين استراليا ، وقد صدر هذا القانون عقب مطالبات جماهيرية من المستوطنين الاوروبيين الذين داخلهم الخوف من الطوفان البشري الاسيوي الذي لا يفصله عنهم سوى شريط ضيق من مياه المحيط ، وكان شعارهم الذي نادوا به وجعلوه مطلبا « فلتبق استراليا بيضاء Keep Australia White » .

توقف تيار الهجرة الاسلامية من الهند وافغانستان بعد صدور القانون الذي عرف باسم « استراليا البيضاء The White Australia » ، وانقطعت الصلة بين المسلمين في استراليا وبلادهم ودفع الحنين الى الوطن الكثيرين منهم الى العودة لديارهم ، واخذ عدد المسلمين يتناقص ، فنزل من ٦٠١١ عام ١٩٠١ الى ٢٠٢٠ مسلما عام ١٩١١ ، وبدأت فترة الضعف والركود والاضمحلال في الجاليات الاسلامية .

ولم يكن النقص العددي هو اهم اسباب ذلك الضعف ، بل النقص في الثقافة الاسلامية كان اهم هذه الاسباب . ذلك ان تيار المعرفة والثقافة الاسلامية الذي كان يفد اليهم متواصلا مع القادمين من بلادهم قد توقف بذلك القانون . وتجمدت ثقافة المسلمين الاستراليين الدينية ، ثم اخذت معارفهم بأمور دينهم تتناقص ، وبمرور الزمن تأثرت معنوياتهم بالحياة الاوروبية الجديدة . ثم جرفتهم متاهات المدينة بمدارسها وحياتها الاجتماعية .

ولم تقف معرفة الاباء والاجداد بالمعلومات القليلة عن الاسلام امام الدعايات المسيحية المنظمة ، وتزوجت الحفيدات المسلمات وتزوج الاحفاد بالمسيحيات ، ثم كانت ثالثة الاثافي حين تمكن الضعف من بعضهم فتخلى



عن الدين كله !! ومن صمد لم يبق من اسلامه غير الاسم والرسم . ومن قبض على دينه منهم كان كالقابض على الجمر !!

المرحلة الثانية

وفي عام ١٩٢٤ بدأت مرحلة جديدة من الهجرة الاسلامية الى استراليا تلك هي المرحلة الثانية . فقد سمحت استراليا لعدد من الاوربيين الذين شردتهم الحرب العالمية الاولى بالهجرة اليها فجاء مع من جاء عدد محدود من المسلمين الاوربيين وكان اكثرهم من البانيا ، واشتغلوا بفلاحة الارض وادخلوا لاول مرة زراعة الطباق في استراليا ، كما سمحت في هذه الفترة لعدد قليل من الروس المسلمين الذي فروا بدينهم من الثورة الشيوعية ، كذلك جاءها عدد من المسلمين الالمان .

ولم يكن القادمون من المسلمين في المرحلة الثانية احسن حالا في ثقافتهم الاسلامية من المستوطنين المسلمين في استراليا ، فقد كانت معرفتهم بالدين وتعاليمه محدودة ، ومصادر الثقافة الاسلامية لديهم شبه منعدمة . لكن تيار المسيحية لم يؤثر على احد منهم كما حدث مع سابقيهم في استراليا ، وظلوا متمسكين بالدين الاسلامي وان كانت علاقتهم به مع مرور الزمن اصبحت شبه صورية تتمثل في اقامة الشعائر دون فهم لمعانيها واهدافها ، ودون ادراك لحقائق الاسلام وتعاليمه ويمكن اعتبار هذه المرحلة امتدادا لفترة الركود والاضمحلال التي بدأت عام ١٩٠٢ بصدور ذلك القانون الذي اوقف المدد الاسلامي من البشر ومصادر المعرفة والنور .

دم جديد

وامست الحياة الاسلامية في استراليا في فترة ما بين الحربين العالميتين تعيش في ظلمة من الجهل قاتمة ، وباتت تنتظر واحدة من نهايتين :

فجر جديد يضفي عليها النور ويوقظها من مرقدها ويبعث فيها الحياة ، او رقدة ابدية تنتهي بها الى الزوال والفناء ، وابى الله الا ان يتم نوره ، فجاءت الى استراليا اشعاعات جديدة تمتلىء بالحياة والثقافة والقوة مع افواج الهجرة الثالثة الاسلامية وهي الهجرة المعاصرة التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية ، وما زالت مستمرة .

والمسلمون الوافدون الى استراليا في المرحلة الثالثة لم يفرضوا انفسهم عليها ولم يأتوا الى الوطن الجديد مشردين او فارين من بلادهم ، بل دعوا الى الهجرة بشتى المغريات مع من دعي ليهاجر الى القارة الخالية تنفيذا للمخطط الاسترالي الجديد ، ذلك ان استراليا ادركت قبيل الحرب العالمية الثانية واثناءها ان سياسة وقف الهجرة اليها حتى تظل الى الابد محتفظة بحياة الرغد والغنى والمستوى المرتفع لسكانها القليلين سياسة غير سليمة ، فقد تحققت من ان المطامع الاسيوية ممثلة في اليابان قبل هزيمتها في الحرب العالمية الثانية ، وفي الصين واندونيسيا وبلاد الشرق الاقصى بعد الحرب تتجه اليها . وكانت سياسة العزلة من ناحية اخرى ، تشكل خطرا عالميا عليها ، فالقارة لم تستغل ثرواتها . وسكانها قبل الحرب لا يزيدون على ٦ ملايين مستوطنا ، مع انها تكفي لتسعين مليونا يعيشون عليها في مستوى لا يقل عن مستوى الذين يعيشون في الولايات المتحدة الامريكية ، وتواجهها على الضفة الاخرى من المحيط وعلى عشرات من الاميال آسيا التي تغص بمئات الملايين من البشر الذين يقتلهم الجوع وتمرضهم الفاقة ، وتطحنهم قلة الموارد الطبيعية مع كثرة السكان . والحل الطبيعي امام الضمير العالمي الذي لا بد وان يفيق يوما ، هو ملء الفراغ السكاني الذي تعاني منه استراليا بالفائض البشري والزيادة السكانية التي تشكو منها آسيا .

وقد دفع ذلك استراليا الى فتح باب الهجرة على مصراعيه للرجل الابيض ومن يلحق بالرجل الابيض كسكان الشرق الاوسط بمختلف جنسياتهم ودعتهم الى الهجرة اليها . واغرت المهاجرين بحياة افضل ، ومستقبل اكثر ضمانا ، وبمستوى اعلا للحياة . وطلبت الايدي العاملة من اوروبا وبلاد الشرق الاوسط لتعمر القارة الغنية الخالية من السكان ، ولتستغل مصادر الثروات الضخمة فيها ولتواجه السياسة الجديدة في التوسع بالتطوير والاسكان ، ولتذر الرماد في عيون الضمير العالمي بدعواها انها تساعد اوروبا والشرق الاوسط على حل مشكلة ازدحامها بالسكان .

جاء الى استراليا بعد الحرب العالمية الثانية

المهاجرون البيض من كل صوب وحدب ، ودخلتها اشتات متباينة ومختلفة ، ولم يكن يسأل المهاجر عن شيء من ماضيه او دينه او هدفه . والسؤال الذي يوجه اليه هو عن مذهبه السياسي . فان كان شيوعيا منع من الهجرة ، وان كان غير شيوعي فتحت له الابواب حتى من نبذهم المجتمع ودمغتهم الجريمة ، ووفد اليها من الذين خلفتهم الحرب بلا مأوى وبلا وطن . فجاءها كثيرون من دول البلطيق والبلقان وبولندا والمجر وايطاليا . وهاجر اليها كذلك فريق كبير من دول البحر الابيض المتوسط رغبة في حياة افضل .

نقطة تحول

في موجات هذا المد من الهجرة الى استراليا جاءها مسلمون من لبنان وقبرص وفلسطين وسوريا والبانيا ومصر وروسيا ويوجوسلافيا وتركيا ، وهؤلاء هم الموجة الثالثة من الهجرة الاسلامية الى استراليا والتي ما زالت متواصلة الى اليوم ، ومسلمو المرحلة الثالثة من المهاجرين يمثلون الدم الجديد الذي يتدفق اليوم في شرايين الحياة في الجاليات الاسلامية في استراليا .

ومرحلة الهجرة الاسلامية الثالثة هذه هي اغنى المراحل واقواها . ولا اتجاوز الحقيقة حين اقول : انها نقطة التحول في تاريخ الاسلام في القارة السادسة ، فقد انقذت مصيره فيها ، وحولت طريقه من درب الاختفاء والزوال الى جادة القوة والازدهار والانتشار ، ادركت بقايا المرحلة الاولى من المهاجرين المسلمين ، وانقذتهم من ضياع ديني محقق . وبعثت فيهم روح الحياة الاسلامية من جديد ، وغذت مهاجري المرحلة الثانية بدمائها الشابة وثقافتها الاسلامية المعاصرة . فبثت في حياتهم الاسلامية الجامدة تطور الاسلام ومعاصرته للحياة ، وهي بذلك بدأت عصر البعث والنهضة لتاريخ الاسلام في استراليا .

فقد جاءت وفود هذه المرحلة من المهاجرين المسلمين يملأهم الحماس والثقة في دينهم ، وتدفعهم عناصر الاستجابة للتطور الذي طرأ على العقلية المسلمة في فهم الدين فهما صحيحا خاليا من الشوائب ، والجمود في التقليد الذي لحق بالاسلام في عصور الظلام الفكري . وهؤلاء اليوم هم السواد الاعظم الذي يسود الجاليات الاسلامية في الولايات الاسترالية .

وهناك تيار آخر يدخل الاسلام عن طريقه استراليا ذلك هم الطلاب الاسيويون المسلمون الذين يأتون طلبا للعلم في معاهد استراليا وجامعاتها . وهم من الهند والباكستان والملايو واندونيسيا والفلبين وتايلند والدول الاسيوية الاخرى . يأتون على منح دراسية تقدمها استراليا او المنظمات الدولية او يأتون على نفقتهم الخاصة للتعلم ، هؤلاء الطلاب المسلمون يمثلون ركنا مهما من الحياة الاسلامية في استراليا ، فهم يختلطون بزملائهم الاستراليين في معاهد العلم وبالاسر الاسترالية ، ويحتفلون بالمناسبات الدينية الاسلامية ، ويشركون معهم زملاءهم الاستراليين ومعارفهم من الاسر الاسترالية . ويقيمون الشعائر الدينية ، ويشتركون في النشاط الثقافي والاجتماعي والديني مع الجاليات الاسلامية المستوطنة .

وفريق آخر من المسلمين يعيشون في اقصى شمال القارة قرب « داروين » عاصمة الاقليم الشمالي في استراليا وفي الجزر المجاورة لها كجزر « كوكو » و « ناروو » واكثرهم من جنس الملايو . ويعملون في صيد اللؤلؤ . وقد جاءوا الى هذه المنطقة من زمن بعيد ، وانقطعت صلتهم بالعالم الاسلامي والثقافة الاسلامية فتحولت الحياة الدينية عند بعض المسلمين من سكان هذه المنطقة المتفرقين الى مزيج من تعاليم الاسلام وبقايا من العادات والتقاليد الدينية لقبائل « الابوريجينز » سكان استراليا الاصليين .

ولعل اكثر ما يشد انتباه الباحث في الهجرات الاسلامية الى استراليا سكان جزيرة « فيجي » وهي احدى الجزر القريبة من استراليا ، وكانت الى عهد قريب تحت الوصاية الاسترالية ثم نالت استقلالها فالجالية المسلمة في هذه الجزيرة اقرب جاليات المنطقة الى الاسلام الصحيح ، واكثرها شبها بالعرب بملامح افرادها وسمتهم العربي الخالص ، وقامتهم الفارعة واسمائهم العربية ، واعتزازهم بالنفس والكرامة والدين .

وفي نهاية هذا البحث الذي اضطررت الى ايجازه فلم يتعرض بالتفصيل الى المسلمين في كل ولاية او الى اتجاهاتهم الدينية والفكرية ، ارجو ان تتجه انظار العالم الاسلامي الكبير الى اخوانهم في تلك البلاد النائية البعيدة ويمدونهم بالعون الادبي والثقافي ، فيقيمون جسور الاتصال معهم و يزودونهم بنور المعرفة الاسلامية ويحمونهم من الحملات التبشيرية التي تلاحقهم هناك . وذلك بالتبصرة الدينية والمعرفة الحقيقية بامور دينهم عقيدة وشريعة ، حتى يشتد بنيانهم ويثبت كيانهم وتمتد جذورهم في تلك الارض ، وتقوى كلمتهم فتعلو بها كلمة الحق وترتفع منارة الاسلام . ■■

د . علي الحديدي



عبد الحميد بن باديس

بعلمه وبقلمه قاد الجماهير الى ربوع المجد . لقد حارب هذا الفتى القسنطيني عبد الحميد بن باديس فرنسا وتحدياتها ، ودعوتها لمسخ اللغة العربية وطمس الاسلام . وهو القائل « والله لو طلبت مني فرنسا ان اقول لا اله الا الله ما قلتها » . وهو صاحب هذا النشيد الذي ردده الشعب الجزائري ضد الغزاة الذين كانوا يقولون ان الجزائر فرنسية الى الابد :

شعب الجزائر مسلم
والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله
أو قال مات . فقد كذب
أو رام ادماجا له
رام المحال من الطلب
يانشء أنت رجاؤنا
وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها
وخض الخطوب ولا تهب
فاذا هلكت فصيحتي
تحيا الجزائر والعرب

سمعت باسم عبد الحميد بن باديس لاول مرة ، من الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، الذي كانت محاضراته في مساجد الكويت ومحافلها الثقافية ، تجتذب الشباب قبل الشيب ، وكان ذلك في عام ١٩٥٢ .. وكان يرافقه في جولته الشيخ الفضيل الورتلاني العالم الجليل .. والابراهيمي هو القائل عن ابن باديس :

« باني النهضتين العلمية والفكرية في الجزائر ، وامام الحركة السلفية ، وسيف المصلحين ، ومربي جيلين كاملين على الهداية القرآنية ، والهدى المحمدي ، وعلى التفكير الصحيح . وغارس بذور الوطنية الصحيحة ، واول مؤسس لنوادي العلم والادب وجمعيات التربية والتعليم »

ومرت الايام فوجدت نفسي بعد عشر سنوات ، أحد أعضاء سفارة الكويت بتونس . وعندما تشكل وفد الكويت الرسمي للتهنئة بأول عيد وطني للجزائر في غرة نوفمبر ١٩٦٢ كنت أحد أعضائه . غادرنا تونس الى عاصمة الجزائر عن طريق البحر فبتنا ليلة في قسنطينه ، مدينة عبد الحميد بن باديس . وصلنا قسنطينة عند الغروب وغادرناها في الصباح . ولكني اغتنمت فرصة وجودي في قسنطينة ، فهمت على وجهي أجوب شوارعها وسككها ، وحاراتها العربية القديمة ، والتقيت بطريق الصدفة بمواطن جزائري قسنطيني هو رابح طبس ، الذي

هو احد الاعلام البارزين في التاريخ الجزائري الحديث . مكافح ومناضل في سبيل الحرية والاستقلال ، وان لم يحمل سلاحا آليا ولم يخض معركة حربية . فلم يكن سلاحه الا العلم ، ولم تكن معركته الا القلم .

.. مناضل بالعلم والقلم

بقلم : فاضل خلف

كان دليلي في تلك الجولة حتى بعد منتصف الليل . وبرغم لهجته الجزائرية الجبلية فقد استطعت ان افهم منه بعض الكلمات ، وخاصة ما كان يتعلق منها بالشيخ عبد الحميد بن باديس .

وعندما وصلت الى عاصمة الجزائر زادت معرفتي بهذا العالم الديني المناضل ، الذي تحدى فرنسا وثقافتها وعاداتها وتقاليدها ، وذلك بنشر الثقافة العربية ، والتعاليم الاسلامية ، في قسنطينة حيث دار اقامته ، وفي سائر بقاع الجزائر حيث بلغت دعوته المباركة .

حياة عريضة

لم يعش عبد الحميد بن باديس حياة طويلة فقد ولد في ٥ ديسمبر ١٨٨٩ وتوفي في ١٦ ابريل ١٩٤٠ ، وبين هذين التاريخين خمسون سنة ، هي عمره الذي عاشه في هذه الحياة .. لم يعش اذن حياة طويلة ، وانما عاش حياة حافلة بالامجاد .

وكان لهجرته الى تونس في سنة ١٩٠٨ أطيب الاثر في تكوينه الثقافي ، فقد وجد في جامع الزيتونة ، وفي المحافل الثقافية في تونس ، ماكان ينشده من علم وثقافة وادب . وكان جامع الزيتونة على مر العصور منارا يهتدي به طلاب العلم والمعرفة وقد اثر في حياة ابن باديس أثناء دراسته في جامع الزيتونة ثلاثة من الاساتذة هم حمدان لونيسي ومحمد النخلي والطاهر بن عاشور . وبعد خمس سنوات عاد الى قسنطينه للاسهام في تثقيف مواطنيه ضد اكبر معركة قادها الغزاة لطمس الشخصية الجزائرية العربية المسلمة .

أما أعمق الاساتذة اثرا في نفس ابن باديس فهو الشيخ محمد النخلي الذي أوصاه بقوله : « واجعل ذهنك مصفاة لهذه الاساليب المعقدة ، وهذه الاقوال المختلفة ، والاراء المضطربة ، يبقى الصحيح وتستريح »

وحج ابن باديس في ١٩١٣ وهناك في البقاع المقدسة ، في مكة والمدينة التقى بالشيخ محمد البشير الابراهيمي . فأصبحا منذ ذلك اللقاء صديقين حميمين يعملان جنبا الى جنب في سبيل الجزائر المناضلة ، ضد الغزو والاحتلال .

وعندما تأسس المؤتمر الاسلامي في الجزائر في ١٩٣٦ ، كان ابن باديس أحد أعضائه . وكون المؤتمر وفدا لزيارة باريس ، للتعريف بالقضية الجزائرية ، فكان الشيخ عبد الحميد أحد أعضائه البارزين . ولكن الوفد لم يحقق نجاحا في مهمته .

وكانت فرنسا متخوفة دائما من مواقف الشيخ عبد الحميد بن باديس ، لمواقفه الصريحة الواضحة ضدها في كل تصرفاتها واعمالها ، وعندما اقترح نفر من جمعية العلماء في الجزائر تأييد فرنسا قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية ، وقف ابن باديس ضد هذا الاقتراح . لذلك عندما نشبت الحرب فرضت عليه الاقامة الجبرية ، فلم يغادر قسنطينة حتى وفاته .

فتنة اليهود

وكان التسامح من ابرز صفات بن باديس وهو تسامح الاسلام المعروف منذ ان بزغ نور الاسلام . وقد برز هذا التسامح واضحا في عدة مواقف في حياته . ومن اشهرها موقفه من تلك الفتنة التي أشعلها ذلك اليهودي

المسمى « الياهو خليفي » عندما شتم النبي محمد والاسلام والمسلمين ، أمام جمع من المصلين بعد صلاة العشاء ، وهم يخرجون من الجامع الاخضر في اليوم الخامس من شهر اغسطس عام ١٩٣٤ . ولولا هذه الوقفة الحازمة المتسامحة التي وقفها الشيخ عبد الحميد لحماية اليهود من غضبة المسلمين لما بقي يهودي واحد في قسنطينة . ولم يسفر الصدام الا عن مقتل عشرين يهوديا ، بينما استشهد من المسلمين اثنان ، رجل واحد وطفل صرعه شرطي يهودي غدرا ..

وقد وصف ابن باديس نتيجة الصدام بين المسلمين واليهود فقال : « وكان قتل النساء والصبيان دليلا على ان المعتدين لم يكن اندفاعهم عن عقيدة الاسلام ، الذي معلوم « مشهور » عند اهله ، انه يحرم قتل النساء والصبيان ، حتى في الحرب المشروعة . وعلى ان تلك الفظاعة هي من آثار الجهل . وتلك الحالة النفسة الخاصة الطارئة ، لا من آثار الاسلام »

وهذا كلام رجل يدل على انه لم يكن راضيا عما حدث . ولكن مشاعر المسلمين تهيجت ، واعصابهم توترت ، وصدورهم ضاقت ، وهم يسمعون سب نبيهم من شرطي يفترض فيه ان يكون رجل امن واخلاق ، قبل ان يكون رجل اسلام او يهود . وقد ثار المسلمون ثورتهم الجامحة وبخاصة عندما رأوا جماعة اليهود يحمون المعتدى ، ويسندونه بألسنتهم ومسدساتهم ، التي وصفها الشيخ عبد الحميد بقوله « فلو صحت من اليهود زنودهم كما صحت في القتل قصودهم ، لكان القتلى من المسلمين كبارا وصغارا ـ يعدون بالمئات » .

ويصف الشيخ ابن باديس كذلك اصابة دكاكين اليهود بقوله : « اذا كانت دكاكين اليهود قد اصيبت فان دكاكين المسلمين التي في حومة اليهود قد اصيبت كذلك . واذا كانت خسائرها قليلة فذلك لانها قليلة ، ولانها ضعيفة كأصحابها الضعفاء ، بخلاف دكاكين اليهود فقد كانت خسائرها كثيرة ، لانها هي كثيرة ولانها قوية كأصحابها الاقوياء . . »

على ان يهود قسنطينه بعد عشرين سنة من هذه الحوادث ، أثاروها فتنة شعواء اخرى وذلك في ١٢ آيار (مي) عام ١٩٥٦ ، وارتكبوا مجازر رهيبة ضد المسلمين ، مستغلين غياب الرجال في اعالي الجبال ، وهم يحاربون فرنسا في ميادين الشرف ، فبطشوا بالنساء والاطفال والشيوخ . وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس عند حدوث الفتنة الاخيرة في عالم الخلود بعد ان ودع الدنيا منذ اثنتين وعشرين سنة .

المعلم والكاتب

تعدت شهرة الشيخ عبد الحميد بن باديس قسنطينة ، مسقط رأسه ودار اقامته الى جميع انحاء الجزائر ، بل تعدت شهرته العلمية وكفاحه لتحرير وطنه ، ونضاله لتخليص الثقافة العربية من براثن الهيمنة الفرنسية ، وصراعه لانقاذ البقية الباقية من العقيدة الاسلامية التي حاول الغزاة طمسها بشتى الوسائل والطرق الى جميع انحاء العالم الاسلامي ومن الباحثين الاجانب الذين تناولوا سيرة الشيخ عبد الحميد ، المستشرق الانجليزي جيب في كتابه « زعماء الاصلاح في الاسلام » حيث قال : « نظمت في الجزائر جمعية علماء جزائريين لنشر مذهب المنار . والجمعية تعارض بصفة خاصة « المرابطين » والطرق الصوفية » .

وذهب الجزائريون الى ابعد مما ذهب اليه حزب المنار . فزيادة عن دعايتهم المطبوعة والشفوية شرعوا في احياء المدارس القرآنية الابتدائية ، وانشائها في جميع انحاء البلاد للتأثير على الجيل الصاعد . وقد تكللت جهودهم بالنجاح ، اذا اخذنا في الاعتبار العراقيل التي اصطدموا بها »

كان الشيخ عبد الحميد مدرسا للغة العربية والفقه الاسلامي ، يلقي دروسه في المدارس وعلى منابر المساجد ، وخاصة الجامع الاخضر . وكان الى جانب القاء الدروس والمحاضرات ، كثير الاتصال برجال السياسة والاقتصاد والحزبيين . يناقشهم ويدعوهم للاتحاد ، وتغيير اساليبهم القديمة في سبيل مستقبل جزائري افضل .. مستقبل تسوده الحرية ، وتظلله راية الاستقلال ، حيث لا لغة الا اللغة العربية ولا دين الا دين الاسلام ، ولا ثقافة ولا عادات ولا تقاليد الا ثقافة وعادات وتقاليد الاجداد .

ولكن القاء الدروس ، والاتصال بالشعب عن طريق الكلمة السائرة ، لا يؤديان الى نجاح كامل شامل ، كالكلمة المنشورة المقروءة . لذلك فكر في اصدار جريدة حرة فكانت جريدة « المنتقد » في سنة ١٩٢٥ . وبعدها كانت جريدة « الشهاب » وفكر في انشاء مطبعة تعينه في مهمته فكانت هي « المطبعة الجزائرية الاسلامية » التي كانت تطبع جريدة الشهاب ثم جريدة « البصائر » لسان حال جمعية العلماء التي كان يرأس تحريرها الشيخ محمد البشير الابراهيمي .

ونظرة عجلة نلقيها على عناوين مقالاته في الشهاب ، تعطينا صورة واضحة عن ثورة هذا المصلح ضد الغزاة ، مثل : « الشعب الجزائري لن يموت ، دفاع عن العربية ، الدفاع عن الاسلام والقرآن ، أيها المسلم

الجزائري ، هل آن أوان اليأس من فرنسا ، العرب في التاريخ ، العرب في القرآن ، فلسطين الشهيدة .

قلنا ان ثورة الشيخ عبد الحميد بن باديس كانت ثورة المبدأ والعقيدة . لذلك فقد كان مستعدا أن يساند أي قوة تعلن الحرب على فرنسا . وقال أمام حشد من مريديه : « انني سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشهر ايطاليا عليها الحرب »

وعندما وقعت باريس في قبضة الالمان في سنة ١٩٤٠ سارع السيد احمد بوشمال (وهو احد مريديه) الى قبره . وكان الشيخ عبد الحميد قد ودع الدنيا منذ عدة اشهر . وقال مخاطبا روحه « ابشر يا شيخ عبد الحميد فقد سقطت باريس عاصمة الطغيان تحت اقدام الالمان » .

وبسبب هذا التصلب في عدائه لفرنسا رفض الشيخ عبد الحميد بن باديس ان يتولى اية وظيفة تحت الادارة الفرنسية .لذلك فقد كانت وظيفته تشمل عمله في الصحافة ، والقاء المحاضرات ، ومتابعة شئون جمعية العلماء ، والاتصال المباشر مع الشعب . وعدم تعاونه مع الادارة الفرنسية ربما كان بتأثير من أستاذه حمدان لونيس المدرس في جامع الزيتونة بتونس ، الذي حذره وهو شاب وناشيء من قبول أية وظيفة قد تتعارض مع افكاره وآرائه ومعتقداته . وتكون بالتالي عائقا لتنفيذ مشاريعه الاصلاحية في خدمة الوطن كما يشاء الله والوطن .

نضال قسنطينه

وقسنطينة هي مدينة عبد الحميد بن باديس . فهي مسقط رأسه وهي دار إقامته وهي مسرح جهاده . وقد بقيت قسنطينة تجاهد في سبيل الله بضعة اعوام بقيادة البطل الحاج احمد باى ، حتى سقطت شهيدة في سنة ١٨٣٨ أي بعد سقوط العاصمة الجزائرية بسبعة اعوام . وبعد مرور مائة سنة احتفلت فرنسا احتفالا مشهودا بهذه المناسبة وذلك في سنة ١٩٣٧ ، أي انها ارادت ان تجعل هذا الاحتلال شرعيا يتقبله اهل قسنطينة بفرحة وابتهاج . ولكن هيهات هيهات لقد دخلت فرنسا قسنطينة على جسور كثيفة من جثث أبنائها الشهداء الابرار . فهل يقبل الأحفاد بعد مرور مائة سنة ان يشاركوا الغزاة فرحتهم الكبرى بهذا الغزو والاحتلال ؟ انه الذل اذن وخدش العواطف وجرح الاحاسيس ..

وهذا التحدي السافر من قبل قوات الاحتلال جعل جراح القلوب تنزف دما ، بعد ان كاد الزمان بعد مرور قرن كامل ان يضمدها . فوجه الشيخ عبد الحميد بن باديس منشورا الى المجتمع القسنطيني يدعو فيه الى مقاطعة هذه الاحتفالات المهينة ، في شهر نوفمبر ١٩٣٧ . ولكنه كعادته كان متسامحا . واوصى في هذا المنشور بالهدوء والسكينة ، والاكتفاء بالمقاطعة . ولو اراد غير ذلك لاستطاع .. اي لو اراد الاصطدام بالسلطة الحاكمة لأيده في ذلك كافة المواطنين في قسنطينة . ولكنه كان يتحاشى اسالة الدماء بدون فائدة . فهو يعلم علم اليقين ان فرنسا بطغيانها كانت تستطيع ان تسحق كل مقاومة مسلحة بدون شفقه او تسامح .

لذلك دعا الى المقاطعة . فلباه مواطنوه وسكتوا على الاهانة . لأن أوان الثأر والانتقام كان في عالم الغيب : وكان على الشعب أن ينتظر سبعة عشر عاما أخرى بعد ان صبر اكثر من مائة عام مر اكثرها بصدام مسلح ومناوشات سافرة وتحديات صادقة دون ان تؤثر في موقف الغزاة . لذلك فقد كانت دعوة الشيخ عبد الحميد للمقاطعة ، كافية لتذكير الشعب بكفاح الاجداد ، والابتعاد عن كل ما يأتي به الغزاه من اباطيل ، بالاضافة الى عدم الالقاء بالايدي الى التهلكة .

وهكذا انتصر ابن باديس بحكمته التي كان يتحلى بها في كل الاوقات .

وقد بلغ تسامحه الذروة في حادث محاولة اغتياله . اذ دبرت السلطات الفرنسية اغتياله في ليلة ظلماء ، وعقب صلاة العشاء وهو خارج من المسجد في طريقه الى المنزل . عندما هاجمه شخص مسلح بخنجره وعصاه . ولكن الشيخ الشجاع استطاع ان يعرقل الجريمة ، حتى تمكن المارة من القبض على المجرم . وشرعوا في البطش به ، ولكنه منعهم بشدة ، ثم عفا عنه واطلق سراحه ، وفي ذلك يقول شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة :

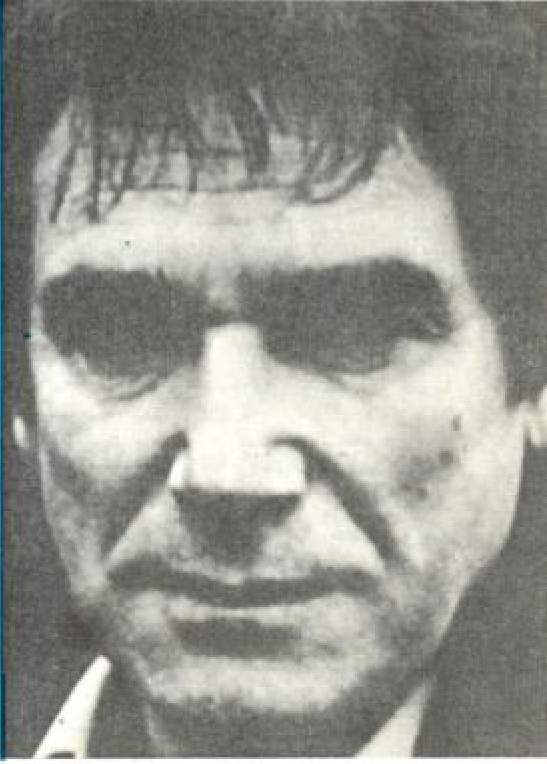
حمتك يد المولى وكنت بها اولى
فيالك من شيخ حمته يد المولى
فيا لوضيع النفس كيف تطاولت
به نفسه حتى أسر لك القتلا
فوافتك بالنصر العزيز طلائع
مباركة تترى من الملأ الأعلى
وان أنس لا أنسى الذين تضافروا
على الفتك بالجاني فقلت لهم مهلا

ان هذا التسامح لهو قمة في الاخلاق ، وان هذه الاخلاق لهي قمة في التسامح .. وان الشيخ عبد الحميد ابن باديس قمة في التسامح والاخلاق . ■■

فاضل خلف

رسالة باريس :

في المسرح الفرنسي ظاهرة اسمها حسين !



روبير حسين

بقلم : محمد صالح القمودي

ثمة ظاهرة في المسرح الفرنسي اسمها (روبير حسين) .. تنتزع الناس من بيوتهم الدافئة ، وتحرمهم من شاشاتهم الملونة ، وتجبرهم على الوقوف في طوابير طويلة ودرجة الحرارة تحت الصفر .. ليشاهدوا عرضا مسرحيا في قاعة تضم من أربعة الى خمسة آلاف متفرج .

لنبدأ أولا بتوضيح عن الاسم .

روبير حسين .. فنان فرنسي الجنسية ، إيراني الأب ، روسي الأم . كان ـ قبل عقد من الزمن ـ نجما لامعا من نجوم (السينما) الفرنسية . غاظه ما أصاب المسرح الفرنسي من انحلال وضعف في نهاية الستينات ، فعاد اليه بأفضل ما في (السينما) من أساليب فنية .. فيها من الابهار ما يفوق اغراء الشاشة الصغيرة ببرامجها المسلية والمتنوعة .

عاد حسين الى المسرح ، فأحدث فيه ثورة ، والتزم بأسلوب سرعان ما تحول الى ظاهرة تتلخص في سطور : إعادة الثقة الى المسرح بتقديم عروض شعبية باهرة الشكل ، سهلة الاستيعاب ، رفيعة المحتوى .. لا بذاءة فيها ولا اسفاف حتى يشاهدها الأهل مع أطفالهم الصغار .. عروض تحطم الجدار الرابع ، وتقذف بالممثلين وسط القاعة ، فاذا بالمشاهدين يشاركون في العرض ويتفاعلون معه وبه .

حسن الاختيار

وحسين يحسن اختيار مسرحياته ، اذ يفضل أرفع المواضيع الانسانية ، وأكثرها شهرة ، وأشدها تعقيدا في التنفيذ .

ما أن يقع اختياره على موضوع حتى يسلمه الى زميلين له يتعامل معهما دائما : أحدهما كاتب مسرحي ـ جورج صوديا والآخر كاتب تاريخي ، الان ديكون .



وجوه الثورة الفرنسية

هذا الثلاثي اشترك في تقديم ثلاثة عروض مسرحية ضخمة شاهدتها عشرات الآلاف من الناس .

العرض الأول عنوانه (بوتكين) وقد وضع على الركع بارجتين . العرض الثاني عنوانه (أحدب الكنيسة) عن رواية الكاتب الكبير (فيكتور هوجو) وفيه وجد المشاهدون أنفسهم أمام كنيسة بحجم ثلاثة أخماس كنيسة (نوتردام) الشهيرة في باريس . أما العرض الثالث فعنوانه (دانتون وروبسبير) ، يتناول الثورة الفرنسية ، لكنه لا يضع على الركح بارجة ولا كنيسة .. حتى المقصلة تظهر على شاشة وبطريقة سينمائية .

قبل أن ينتهي عرض هذه المسرحية ، بدأ في باريس عرض مسرحية أخرى من اخراج - وتمثيل - روبسبير حسين . تذكرة المسرحية الجديدة تحجز قبل مشاهدتها بشهر كامل ، وهي مأخوذة من رواية شهيرة للكاتبة البريطانية (أيملي برونتي) .

التاريخ والمسرح

الذين شاهدوا عرض مسرحية (أحدب الكنيسة)ظنوا أنهم سيشاهدون في (دانتون وروبسبير)رؤوسا تطيح بها المقصلة ، وجيوشا تتقاتل ، وقلاعا تدك .. كم كانت دهشتهم كبيرة عندما وجدوا الركح لا يحمل غير أثاث رمزي يوحي بغرفة (دانتون) الفاخرة على اليسار ، وغرفة (روبسبير) المتواضعة على اليمين .. ثم .. تسعين ممثلا (بينهم ممثلتان فقط) يتنقلون في قاعة تسع أربعة آلاف مشاهد ، يذرعونها صعودا الى الركح وهبوطا منه ، وكأن قاعة العرض قد تحولت الى قاعة لاجتماع الفرنسيين أيام ثورتهم ، وكأن المشاهدين قد تحولوا الى مواطنين يعيشون السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر في باريس .. كل ذلك في عرض مدته ١٦٠ دقيقة ، لاينقطع لحظة ، ولا تفتر قوته أبدا .

يقول (صوريا) الكاتب المسرحي :

- لم نحاب أحدا من رجال الثورة الفرنسية . لقد تعاملنا معهم بشرف . لم نعد كتابة التاريخ . اكتفينا باظهار الأحداث كما وقعت حسب وثائق عصرها . ثلثا النص مأخوذان رأسا من المخطوطات التاريخية .



الثورة الفرنسية ..

نص فكري

عندما يتناول اثنان من ألمع كتاب فرنسا أحداثا تاريخية غاية في التعقيد، مثل أحداث الثورة الفرنسية، وبعد حوالي قرنين من وقوعها .. ينجم عن ذلك التناول نص فكري قد لا يصلح عرضا شعبيا يستمتع به أربعة آلاف مشاهد في كل عرض.

يقول حسين في ذلك :

- لو أردت نجاحا مضمونا، لأخرجت (الفرسان الثلاثة لدوماس). أنا أمام نص تاريخي فكري . اذا ما حقق عرضه نجاحا شعبيا، فمعنى ذلك أن امكانيات المسرح غير محدودة . النص يقدم لي الأحداث كما وقعت . علي أن أبعث فيه حياة تهز المشاهد وتمتعه .

كان حسين يتساءل عن حظوظ العرض من النجاح الشعبي . لقد شاهدت هذا العرض في شهره الثالث، وكانت قاعته (قصر المؤتمرات في باريس) تغص بأربعة آلاف مشاهد ظلوا يصفقون اعجابا أكثر من عشر دقائق في نهاية العرض .

لقد تحول حسين الى صائغ ماهر، يعد المشاهد وكأنه يعد حلية .. يرتب أجزاء الفسيفساء وكأنه يجمع أجزاء لوحة متكاملة . قسم النص الى لوحات، وجمد اللوحات المتحركة في اللحظات التاريخية الحاسمة، لتطابق اللوحات المعلقة في متحف (اللوفر)، والتي رسمها الفنانون الفرنسيون تخليدا لأحداث بلادهم .

الهـرة

قالوا عن الثورة الفرنسية أنها كالهرة أكلت أبناءها . صدرت عنها مئات الكتب . استعرض الفرنسيون وجوهها في حبور، أو اشفاق، أو رعب . أغلبهم لم يدرك أسباب الصراعات ومغزاها .

وجاء عرض حسين ليجعل وجوه الثورة الفرنسية تجلس الى جوار المشاهد، فيسمع تلاحق أنفاسها، ويلمس طرف ثوبها، ويشاركها الغضب والسرور، اليأس والأمل .. ليخرج في النهاية وقد فهم أسباب الصراعات، وأدرك لماذا سقطت الرؤوس بعد أن شمخت، ولماذا تدحرجت في الطين بعد أن تعالت .

أما اذا كان المشاهد مسلما قد صلح ايمانه .. فانه يخرج من العرض وقد ازداد يقينا من أن عملا لا يبتغى به صاحبه وجه الحق .. لا يثمر ... ■■

باريس - محمد صالح القمودي

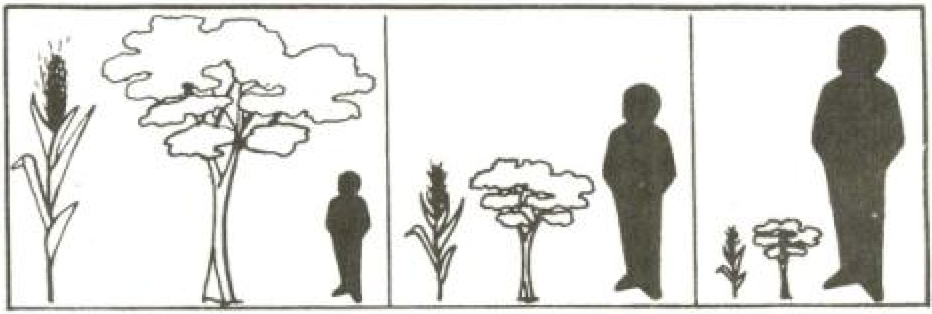
اعداد : يوسف زعبلاوي

موارد الغذاء في تناقص وعدد السكان في تزايد

● ثمة دراسات خطيرة تصدر بين الحين والحين وتنذر البشرية من الطامة الكبرى التي ستحل بها لا محالة ، ما لم يتول العلماء التخطيط المناسب واتخاذ الأجراءات الضرورية قبل فوات الأوان .. من تلك الدراسات التقرير الذي اصدره نادي رومه بعنوان « حدود النمو » سنة ١٩٧٢ . فقد تنبأ كبار العلماء في هذا التقرير بنضوب الموارد الاقتصادية وتقلص عدد السكان في مستقبل قريب .. اقرب بكثير مما توقع الكثيرون ...

ومنها ايضا كتاب « الربيع الصامت » الذي ظهر في مطلع الستينات للكاتبة « راشيل كارسون » والذي لفت الانظار لمخاطر التلوث والحشرات وتفشي الأفات الزراعية ... اما الدراسة الاخيرة في هذا المجال فقد صدرت في مطلع شهر مارس الماضي فدقت الناقوس بأقوى مما دق في السابق . ولكنها لم تقف عند التحذير والانذار ، بل وضعت رؤوس الاقلام لطريق الخلاص وكشفت النقاب عن مجموعة من الحقائق والمعلومات المذهلة ... ولعل هذه الدراسة الاخيرة ، التي تعاونت على وضعها ثلاث هيئات دولية كبيره مختصة في شؤون البيئة ، هي اوسع وادق واعمق ما صدر من دراسات من هذا القبيل حتى الآن .. اما الهيئات المعنية فهي ... « الاتحاد الدولي للمحافظة على الطبيعة » والهيئة المتفرعة عن المنظمة الدولية وتعرف باسم « برنامج البيئة » وكذلك « صندوق الأحياء البرية العالمي » .. ونشير فيما يلي الى بعض ما تضمنه هذا التقرير الخطير .. الذي يعرف باسم « استراتيجية البقاء العالمية » ...

ـ التربة .. التربة التي لا تقوم للزراعة قائمة بدونها آخذة في التلف والاختفاء بمعدل ٦٠٠٠ مليون طن سنويا ... وذلك تبعا للتعرية التي تحدثها الانهار



٢٠٢٠ ٢٠٠٠ ١٩٨٠

والرياح الخ ... والغريب ان الانسان لم يقم وزنا كبيرا للتربة .. ولم يدرك انها ثروة عزيزة وضرورية لبقائه الا في السنوات الاخيرة .. ولو ذكرنا أن التربة الصالحة تحتاج الى ٣٠٠٠ سنة لتتراكم على عمق قدم واحد فقط لقدرنا خطورة المأزق الذي تعاني البشرية منه في الوقت الحاضر .

ـ لا تشكل الارض الصالحة للزراعة في العالم سوى ١١٪ من مساحة سطح الكرة الارضية .. ومع ذلك فان اعمال البناء والتعمير وانشاء المدن ماضية على قدم وساق ، وآخذة في نهب الارض المزروعة او القابلة للزراعة في العالم بسرعة مفزعة .. (٢٠٠) فدان في كل دقيقة واحدة ... فلو استمرت تلك الاعمال بهذه السرعة لفقدت البشرية ثلث الاراضي الزراعية المتاحة لها (ونسبتها كما اسلفنا ، ١١٪) في غضون ٢٠ سنة ..

ـ وقل مثل ذلك في الغابات ... غابات السهول والوديان وغابات المنطقة الاستوائية المطرة فلو واصلت الحضارة الانسانية اجتياحها لهذه الغابات بالسرعة التي تجتاحها بها حاليا ـ وهي قابلة للزيادة كما لا يخفى ـ لاختفت الغابات نهائيا ولن يبقى منها شيء على سطح الكرة في مدة اقصاها ٨٥ عاما ...

ـ ستشهد السنوات العشرون الباقية من القرن العشرين انقراض نصف مليون نوع من انواع الحيوان والنبات ... نذكر منها على سبيل المثال .. النمر والذئب .. ولا يخفى ما يترتب على انقراض هذا العدد الكبير من صنوف الاحياء من اختلال في موازين البيئة وما يترتب على هذا الاختلال من تقلص في فرص البقاء للانسان وسائر المخلوقات ...

ـ ويبلغ من شمول الدراسة التي نحن بصددها انها تناولت فيما تناولت مشكلة (الأوزون ـ Ozone) والغلاف الجوي . فطبقة الاوزون التي تمتص الكثير من اشعة الشمس القاتلة وكذلك الاشعة التي تسبب السرطان .. هذه الطبقة آخذة في الانكماش او التلف بنسبة ١٥٪ . وذلك تبعا لأقبالنا على استعمال المستحضرات التي يدخل في تركيبها الأيروزول والتي غالبا ما تكون معبأة ضمن علب رشاشة ، معدة لاغراض الزينة او لمكافحة الآفات الزراعية ...

ـ خمس سكان العالم (اي ٨٠٠ مليون نسمة) فقراء لا يتجاوز دخلهم السنوي (٥٠) دولارا .. ! وهم يسهمون في « تعمير » العالم في بحثهم عن الوقود وبالتالي في تعرية التربة وزحف الصحراء من جهة ، ويستهلكون من جهة اخرى حوالي ٤٠٠ مليون طن من المحاصيل المهملة أو التالفة وروث الحيوانات سنويا . فهم أذن لا يسببون زحف الصحراء فحسب ، ولكنهم يفوتون على التربة المعراة فرصة استرداد الحياة عن طريق تلك الملايين من الاطنان من ذلك الروث وتلك المحاصيل ، فيما لو ابقوا عليها ولم يجردوا سطح التربة منها ...

نكتفي بهذه الامثلة ، وهي قليل من كثير لنخلص الى لب المشكلة التي تعاني منها البشرية والتي تشخصها هذه الدراسة الفريدة . ولن نحتاج الى كلام كثير لايضاح هذه المشكلة فالصور الايضاحية الثلاثة المرافقة لهذا الكلام تغني عن ذلك .

ففي غضون العشرين سنة القادمة سيحل الدمار بثلث الاراضي الزراعية في العالم (وهي التي يرمز اليها بسنبلة القمح) وبنصف غابات الارض .. (ورمزها في الرسوم هو الشجرة) ... هذا في الوقت الذي يتضاعف عدد سكان العالم فيه بنسبة ٥٠٪ ليصبح ٦٠٠٠ مليون نسمة ... ويزداد هذا المأزق سوءا وحرجا في العشرين سنة الثانية .. التي تبدأ بحلول القرن الواحد والعشرين ..

بنك العباقرة بين الحقيقة والشعوذة

● كثرت بنوك المنويات في بلاد الغرب في المدة الاخيرة .. وشاع التلقيح الصناعي بين النساء اللواتي حرمن نعمة الحمل بسبب عقم الازواج ... الا ان واحدا من تلك البنوك لفت النظر واحتلت اخباره الصفحات الاولى من الصحف العالمية في مطلع شهر مارس الماضي ...

ذلك هو البنك الذي اسسه روبرت جراهام احد كبار رجال الاعمال الاغنياء في ولاية كاليفورنيا . وقد اشتهر المستر جراهام هذا قبل حين بالجهود التي بذلها في سبيل تطوير عدسات البصر البلاستيكية ، وكذلك بملايين الدولارات التي جناها منها .. غير ان باعثه على انشاء بنك المنويات الجديد ليس تجاريا . فهو لا يدفع شيئا لقاء المنويات التي يحصل عليها من اصحابها المتبرعين ولا يقبض اي ثمن مقابل هذه المنويات من المرأة التي يوافق المستر جراهام على اعطائها اياها .. هذا في الوقت الذي درجت فيه سائر بنوك المنويات على دفع ٢٠ دولارا وقبض ٣٨ دولار ثمنا للجرعة الواحدة ...

اما الهدف الذي يسعى اليه المستر جراهام والذي ينفق ويخسر المال والجهد في سبيل تحقيقه انما هو « السوبرمان » ... فهو يطمع الى انجاب المواليد المتفوقين ذهنيا وعقليا ، بل قل النوابغ والعباقرة ، وذلك عن طريق بنكه الفريد الذي اقامه في بلدة سان دييجو ، او بالقرب منها . فهذا بنك منويات يختلف جوهريا عن سائر البنوك .. فهو لا يقبل المنويات الا اذا كان المتبرع بها من الفائزين بجائزة نوبل ، وذلك في احد الميادين العلمية بالذات ... لا في الادب او الاقتصاد . ويشترط ايضا ان يكون المتبرع متفوق الذكاء منذ طفولته وقل مثل ذلك في المرأة التي تتوق الى الحمل وقد حرمته بسبب عقم زوجها ... ينبغي ان تكون عضوا في جماعة منسا (Mensa) او ما يعادل ذلك ... اي من اذكى الاذكياء ، بحكم نتائج امتحانات الذكاء التي حصلت عليها تباعا منذ الصغر . ولا يطلب من هذه المرأة سوى ٢٥٠ دولارا ، تأمينا على قارورة المنويات ، ويرد اليها المبلغ لدى اعادة القارورة .

فهذه العلبة او القارورة مصنوعة من رصاص خاص لحفظ المنويات ووقايتها من الاشعاع والتلوث . ووضع المنويات داخلها ضمن النيتروجين السائل ... اما المستودع الذي تحفظ فيه فمبني تحت سطح الارض ، على عمق ٦ اقدام ... وقوامه الثلاجات ذات التبريد العميق Deep Freeze .

ويقول المستر جراهام انه حصل على منويات ثلاثة من العلماء الفائزين بجائزة نوبل ... احدهم الدكتور وليم شوكلي Shockley وهو الوحيد الذي اعترف بذلك ، وعبر عن حماسته للمشروع .. والامل معقود على الحصول على مزيد من امثاله ، علما بان عدد العلماء الفائزين بجائزة نوبل في ولاية كاليفورنيا وحدها لا يقل عن عشرين .

اما النساء اللواتي لقحن بهذه المنويات تلقيحا صناعيا فثلاث .. وقد حملن ويتوقعن الوضع عما قريب ..

وعندئذ تبدأ المهمة التي تهم المستر جراهام اولا وآخرا ، وهي القيام برصد صحة المولود البدنية والعقلية على نحو متواصل .. وموافاة المستر جراهام بنتائج الفحوص الطبية وامتحانات الذكاء الواجب اعطاؤها للمولود باستمرار ....

وتجدر الاشارة الى ان بنك « العباقرة » هذا تعرض لانتقادات لاذعة وجهها اليه عدد من المفكرين ومن بينهم الفائزون بجائزة نوبل أنفسهم ...

ليس النفط وحده :

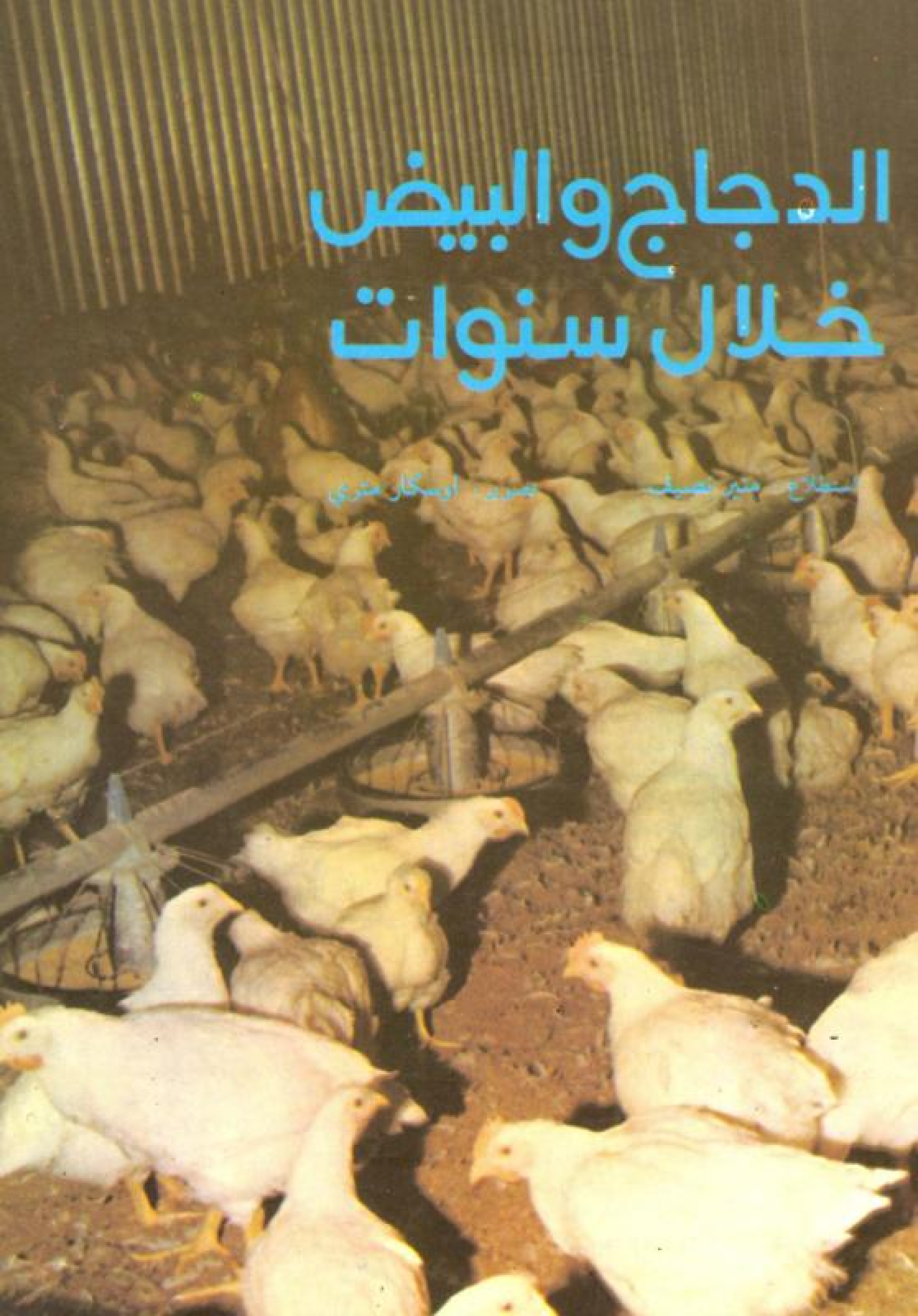
الكويت تصدر



صورة لمزرعة الدجاج اللاحم

الدجاج والبيض خلال سنوات

استطلاع : منير نصيف تصوير : اوسكار متري



العودة الى الارض .. الى مصدر العطاء صيحة هذا الثلث الاخير من القرن العشرين .. ومع التطورات الاقتصادية التي يمر بها العالم اليوم .. والانكماش المتوقع في رقعة الارض المنزرعة نتيجة للزيادة المخيفة المتوقعة ايضا في عدد سكان العالم ، بدأت الحكومات والشعوب تضاعف من اهتمامها بالارض والماء .. اصل الحياة منذ كانت حياة .

وقد شهدت الكويت في السنوات الاخيرة تقدما ملموسا في هذا الاتجاه بعد جهود ضخمة بدأت منذ اكثر من عشرين عاما من اجل بحث ودراسة امكانية استزراع اكبر مساحة ممكنة من الارض الصحراوية الجافة ، وما يمكن ان يقام بجانب هذه الزراعة من صناعات اخرى متصلة بها مثل صناعة تربية الحيوانات والدواجن .

فالكويت ، كما نعلم بلد مصدر للطاقة التي كانت وما زالت شريان الحياة في كل بلاد العالم المتقدمة منها والنامية سواء بسواء .. منذ كان اكتشاف النفط في مطلع هذا القرن العشرين ..

والاهمية الاقتصادية للنفط واضحة ، ويقول تقرير البنك عن الاوضاع الاقتصادية في الكويت ، انه يشكل ما بين ٨٥ الى ٩٠٪ من الدخل القومي و ٩٠ الى ٩٥٪ من عائدات الصادرات ..

والكويت في الوقت نفسه ، بلد مستورد ، وباستثناء بعض الصناعات الاستهلاكية التي قامت في السنوات الاخيرة ، تنفيذا لسياسة تنويع مصادر الدخل القومي ، تعتمد الكويت على الواردات ، والمواد الغذائية بصفة خاصة .

الخبراء .. ماذا قالوا ؟

من هنا أولت الدولة مزيدا من الاهتمام بالعمل في الاتجاهين .. عدم الاعتماد على البترول وحده كمصدر اساسي للثروة في البلاد ، وعدم الاعتماد كليا على الواردات ، وخاصة الغذاء .. لان المواد الغذائية التي تستوردها الكويت او غير الكويت اليوم قد لا يتوفر منها فائض للتصدير غدا ، او لان هذا الغذاء نفسه قد يصبح سلاحا في يد الدول المصدرة يمكن ان تستخدمه متى تشاء !!

وفي شهر اكتوبر من عام ١٩٧٨ ، زار الكويت مجموعة من خبراء البنك الدولي للانشاء والتعمير ، لاجراء مسح شامل للنشاطات الاقتصادية والاجتماعية ، مساهمة منهم في تحديد استراتيجية انمائية متكاملة على المدى البعيد ، واعد الخبراء تقريرا بعد انتهاء مهمتهم ، ننقل منه ما يتصل بالزراعة والانتاج الزراعي ، موضوع هذا الكلام .

قال الخبراء في تقريرهم ان نسبة الاراضي الصالحة للزراعة في الكويت لا تزيد على ٨٦ر٪ فقط من حوالي ١٨ مليون دونم او ١٨ الف مليون متر مربع ، وفيما عدا تربية الدواجن وانتاج البيض والخضروات ، فان امكانية زيادة الانتاج الزراعي محدودة بسبب الظروف المناخية وطبيعة التربة وبناء عليه فان مهمة الحكومة هنا تتركز في القيام بالابحاث والدراسات اللازمة وتوفير المياه الصالحة للزراعة وتشجيع ومشاركة المنتجين حتى يمكن تغطية احتياجات السوق المحلية بتكاليف معقولة .

ويمضي التقرير بعد هذا في شرح الخلاف في الرأي حول المعنى المقصود « بالتكاليف المعقولة » ، فهناك رأي لا يهتم بتكاليف الانتاج في سبيل تحقيق عدم الاعتماد بشكل كبير على الواردات ، بينما يرى الرأي الآخر ان دعم الانتاج الزراعي يشكل عبئا على الاقتصاد ويخلق الميل الى الاعتماد على الحكومة ، الأمر الذي سوف يؤثر على مستقبل البلاد اقتصاديا على المدى البعيد !

النفط .. من اجل الغذاء

ولكن يبدو ان المسؤولين في الدولة يميلون الى الاخذ بالرأي الاول ، ما دام المال متوفرا ، وهو ما يحدث الآن بالفعل ، ويقول السيد سالم المناعي وكيل وزارة الاشغال المساعد لشئون الزراعة شارحا الأسباب التي حدت بالدولة الى تبني كل المشروعات الزراعية ودعمها : « في البداية ، ربما تكون تكلفة الانتاج اكبر بكثير من الاسعار التي نستورد بها المواد الغذائية من الخارج ، ولكن هذا في البداية فقط ، اذ اننا سوف نجد مع مضي الوقت ان تكاليف ما ننتجه محليا ، سيعادل ماكنا ندفعه مقابل استيراد هذه المواد وربما أقل ، ثم ما الذي يضمن لنا ان هذه الدول التي نستورد منها ما

● الكويت تصدر الدجاج والبيض



السيد سالم المناعي وكيل وزارة الاشغال المساعد
النفط من اجل توفير الغذاء في ارضنا العربية .

بعد عشر سنوات

- والانتاج الحيواني ؟

- ربما خلال سنوات او اقل او اكثر اذا مضينا في تنفيذ المشروعات التي لا بد من قيامها لتنمية الثروة الحيوانية في مزارع تربية الابقار وتسمين العجول وتوفير الاعداد اللازمة من الماعز والخراف .. ومن اهم هذه المشاريع واضخمها مشروع إنتاج « الفصة » او « الجت » كما يعرف بين اهل الخليج ، او البرسيم ، مستخدمين في ذلك مياه المجاري بعد معالجتها .. ومساحة هذا المشروع الجديد تصل الى تسعة ملايين دونم ، او تسعة الاف مليون متر مربع في منطقة الصليبية ، وبدأ العمل في تنفيذه منذ ثلاث سنوات . فقد اثبتت التجارب نجاح زراعة « الجت » في الكويت نجاحا كبيرا . وهناك مشروع آخر في مرحلة التنفيذ لزراعة حوالي عشرة آلاف دونم اخرى في منطقة الصليبية ايضا » .

- والمياه ؟

قال السيد المناعي : « لا أتصور انها ستكون مشكلة ، فسوف تتوفر لنا المياه من شط العرب باذن الله ، ثم هناك المياه الجوفية ، ونحن في بحث دائم عن مصادر جديدة لها ، غير المصادر المتاحة حاليا ، ان مستقبل المياه سيكون مشرقا ، واذن فلن تكون هناك مشكلة » .

ان الحكومة تشجع تنمية مزارع الالبان في الكويت ، كما ذكرنا ، ويقول تقرير البنك الدولي : « في سنة ١٩٧٦ كان هناك ٤٢ مزرعة لمنتجات الالبان ، يصل انتاجها الى ١٢ الف طن من الحليب ، وتقدم لها الحكومة الخدمات الفنية والطبية كما تقوم في الوقت نفسه بدعم سعر الحليب ، كما بدأت الحكومة في السنوات الاخيرة بمشاركة القطاع الخاص في انشاء مزارع لتربية الدواجن ، بحيث يمكن القول بامكانية تحقيق اكتفاء ذاتي من البيض ولحوم الدواجن ، بل قد تصبح الكويت مصدرة للبيض والدواجن . »

الكويت تصدر الغذاء

وشدتنا هذه التوقعات التي جاءت في تقرير البنك الدولي : « الكويت تصبح دولة مصدرة للبيض ولحوم الدواجن . » هل هي بداية الثورة الزراعية في ارض النفط ؟

- هل يأتي اليوم الذي تحقق فيه الكويت اكتفاء ذاتيا في بعض المواد الغذائية التي تستوردها ؟ يقول السيد المناعي الذي قضى اكثر من اثنى عشر عاما يشرف على التجارب التي تقوم بها محطة التجارب الزراعية في منطقة العمرية ، بعد تخرجه من كلية الزراعة في جامعة القاهرة وبعد ان انهى دراساته العليا في الجامعات الامريكية .. وتحتل المحطة رقعة تزيد مساحتها على ستمائة دونم او ٦٠٠ الف متر مربع من الارض الغنية باشجارها الوارفة وحيواناتها من الابقار والماعز والخراف ، والدواجن ومن حولها اشجار الخضروات والفاكهة .. يقول : « استطيع ان اؤكد اننا قد وصلنا بالفعل الى مراحل ما قبل تحقيق الاكتفاء الذاتي فيما يتعلق بتربية الدواجن وانتاج البيض . ونحن نعمل الآن بالتعاون مع الشقيقة العراق في تكوين شركة جديدة لتربية الدواجن .. وقد نجحت تجربة تربية الدواجن في رأيي نجاحا اكبر مما كان متوقعا لها .. ولن ندخر جهدا في سبيل توفير كل ما تحتاج اليه الكويت من دجاج وبيض . »

نحتاج اليه الآن وما سوف نحتاج اليه بعد سنوات ، وهو اكثر ، سيكون لديها فائض للتصدير ؟ ! »

فعائدات النفط اذن من اجل تأمين الغذاء .



الدجاج الكويتي من انتاج الشركة الكويتية المتحدة للدواجن .. يختفي
بعد ساعات من عرضه في الجمعيات الاستهلاكية ! انه طازج دائما

فحص البيض الطازج
الأسواق ، للتأكد من





قبل عرضه في
صلاحيته للاستهلاك





المهندس الزراعي ابراهيم محمد حجيج في احدى حظائر تربية الماعز
بمحطة التجارب الزراعية (مراقبة الثروة الحيوانية)



مجموعة من الاغنام التي تجرى التجارب عليها في مراقبة الثروة الحيوانية
للتوصل الى افضل الانواع التي يمكن تربيتها في الكويت

وذهبنا لنرى ، اين وكيف ؟

وكان لنا لقاء بالسيد محمد الفريح ، المدير العام للشركة الكويتية المتحدة للدواجن ، وعنده وجدنا الجواب على السؤال : « متى تحقق الكويت اكتفاء ذاتيا ؟ » وهي مرحلة تسبق بطبيعة الحال توفر الفائض للتصدير .

وقال السيد الفريح : « في خلال عامين باذن الله . فقد نجحت تربية الدواجن نجاحا فاق كل التقديرات .. ان تحقيق الاكتفاء الذاتي من البيض ولحوم الدواجن ممكن اقتصاديا وعمليا وفنيا ، فكل مقومات النجاح متوفرة .. »

وذهبنا الى حيث يجري هذا العمل الكبير الذي لم يمض على البدء فيه اكثر من خمس سنوات .. مزرعة هائلة تعتبر من نوعها اكبر مزرعة لتربية الدواجن في الشرق الاوسط ، وتحتل مساحة من الارض تزيد على ثلاثين مليون متر مربع ، وتقع في منطقة الشقايا التي تبعد عن قلب الكويت العاصمة بحوالي سبعين كيلومترا تقطعها السيارة في ساعة واحدة . زودت بكل الاجهزة والمعدات الحديثة لانتاج الدجاج اللاحم ، وفقاسات نموذجية ومراكز لفرز وتصنيف البيض وحظائر لتربية الدجاج البياض وحضانات واخيرا مصانع لانتاج الاعلاف .. وكلها من احدث ما توصل اليه العلم في تربية الدواجن .. لقد بلغ راس مال الشركة اربعة ملايين دينار تساهم الدولة فيها بنسبة ٥٨٫٧٪ ، والباقي في شكل اسهم يمتلكها المواطنون .

كتاكيت بالطائرة !

قال لنا مدير الشركة : « نحن نستورد الدجاج البياض من هولندا وانجلترا وامريكا .. وهو يصل الينا بالطائرة .. كتاكيت صغيرة او صيصان ، في اليوم الاول من عمرها بعد خروجها من البيضة مباشرة ، لان الصوص او الكتكوت قد وهبه الله عز وجل قدرة على العيش بلا ماء ولا غذاء في الايام الثلاثة الاولى بعد خروجه من البيضة ، فهناك داخل جسمه الصغير يوجد كيس يمده بالماء والغذاء وهو يكفيه طوال هذه الايام الثلاثة .. وتصل الكتاكيت كلها سليمة وتنقل فورا الى مزرعة الحضانة حيث تجد العناية والرعاية حتى الشهر الرابع من عمرها ، وبعدها تصبح دجاجا بياضا !

ـ وكم يتكلف نقل هذه الكتاكيت ؟

ـ نحن ندفع مبلغا يصل الى ٦٩ الف دولار ، وهو اجر الطائرة الخاصة من طراز بوينغ ٧٠٧ لنقل هذه الصيصان من موطنها الى الكويت .. وتتسع الطائرة لحوالي ١٢٠ الف كتكوت ، ومعنى هذا ان نقل الصوص الواحد يتكلف ١٣٠ فلسا او اكثر قليلا .

ويمضي السيد الفريح يكمل لنا قصته مع الدواجن التي تخصص في انتاجها وتربيتها في الجامعات الامريكية .. ويقضي معظم ساعات عمله بينها يتفقد احوالها ، ويستمع الى آراء العاملين معها .. يقول : « ان المفقس الآلي ينتج حاليا ما بين ٧٠ و٩٠ الف صوص اسبوعيا .. ونحن نستطيع بسهولة ان نميز بين الذكر والانثى من لون الريش وطول الريش ، ومن الجهاز التناسلي ولكن عدد الاناث من الكتاكيت البياضة لا يكفي .. ومن اجل هذا نستوردها ، اما استيراد الكتاكيت اللاحمة فقد توقف ، ونحن نطرح في الاسواق يوميا ما يزيد على العشرة آلاف دجاجة معدة للاستهلاك بعد ذبحها وتجهيزها في مصنع تجهيز الدواجن الذي يعد الاول من نوعه في شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج ، حيث يذبح طبقا لاصول الشريعة الاسلامية ، ويتم اعداده للاستهلاك الادمي بصورة آلية لا تقربها الايدي . »

وفي المزرعة اليوم ٤٨ حظيرة لتربية الدجاج اللاحم .. وتنقسم هذه الحظائر الى ثمان مجموعات كل مجموعة منها تضم ست حظائر ، يتم فيها تربية الصيصان ابتداء من الاسبوع الاول حتى يبلغ عمرها ثمانية اسابيع وتصبح معدة للذبح .

ربع مليون بيضة يوميا

والبيض ؟

ويقول السيد الفريح : « هناك ربع مليون بيضة تنتج محليا وتطرح في الاسواق ، وتختفي بعد ساعات قليلة ، لانها طازجة دائما . »

ثم يحكي لنا قصة اهل الكويت مع الدواجن والماعز والابقار .. تلك التي عرفها الانسان منذ ان بدأ يستقر ويزرع الارض ويلتصق بها .. ولم تكن في كويت ما قبل النفط زراعة بالمعنى المعروف ، ولكن علاقة اهل الكويت بالدجاج والماعز والاغنام قديمة ، قدم وجودهم في هذه البقعة من الارض الطيبة ، وكان « الشاوي » او الراعي يجمع الاغنام من بيوت الاهالي ، ويخرج بها الى الصحراء ترعى .. فاذا اقبل المساء ، عاد بها ، وخرج ابناء

الاسر ، وكان هو من بيتهم ، ليجمعوا اغنامهم من « الشاوي » ويعودون بها الى بيوتهم .

« الشاوي » اصبح شركات !

لقد اختفى الشاوي .. وقامت الشركات لتبدأ أول صناعة من نوعها في الكويت .. وقصدنا اول واكبر هذه الشركات « الشركة الكويتية للالبان » .. وهي تقع في منطقة الصليبية ، قريبا من قلب العاصمة ، وعلى بعد عشرين كيلو مترا ، وتحتل مساحة تزيد على المائتي والثلاثين دونما (او ٢٣٠ الف متر مربع) ، وتضم اليوم ١٧٥٠ بقرة حلوب ، وهذا العدد يتزايد سنويا بنسبة تتراوح بين ١٥ و ٢٠٪ .. ويتراوح ثمن البقرة الواحدة بين ٣٥٠ و ٧٠٠ دينار .. واغلاها سعرا البقرة الامريكية أو الكندية التي يصل انتاجها من الحليب يوميا الى اربعين كيلو .. لقد جاءت من هذه المناطق الباردة وعاشت وتأقلمت في الكويت ، ولم يعد الصيف بحره الشديد مشكلة بالنسبة لها !

ولكل قصة بداية

في عام ١٩٦٠ بدأت فكرة انشاء اول مزرعة لتربية الابقار في الكويت . هكذا قال لنا الدكتور عبد الرحمن سلمان المستشار الزراعي لشركات الانتاج الحيواني في الكويت ، الذي عاش التجربة قبل بدايتها .

قال عندما ذهبنا للقائه في الشركة او في ارض المزرعة بين حظائر الابقار : « كانت تربية هذه الحيوانات تشد اهل الكويت ، شأنهم في ذلك شأن كل مجتمع يعتمد على الحيوان والانتاج الحيواني .. ولكن الى حد ، فقد كان اهل الكويت اقل اعتمادا من غيرهم من المجتمعات الاخرى في العالم العربي وفي غيره على الانتاج الحيواني ، لعوامل عدة ، اهمها الرزق الذي كانوا يجدونه في مياه البحر وفوقها مع سفنهم التي يبحرون بها شرقا حاملين تجارتهم الى البلاد البعيدة والقريبة ، عائدين منها بما هم في حاجة اليه .. هذه ناحية ، اما الناحية الاخرى فقد كانت تتمثل في طبيعة جو الكويت القاسي ، والبيئة .. فهنا صحراء ، لا ماء ولا كلأ باستثناء مياه الآبار والنبات الذي ينمو حولها !

اول واكبر مزرعة

ثم يقول : « وكانت هناك بعض المزارع الصغيرة في هذا الوقت المبكر من اوائل الستينات الى جانب الابقار



السيد محمد القريح مدير الكويتية المتحدة للدواجن

التي كانت تربى في بيوت الاهالي ، وعددها اكبر بكثير مما كان موجودا في هذه المزارع .. وبدأ الشركاء مشروعهم الجديد ، بدافع من روح التحدي .. وبقدر كبير من الشجاعة .. وكان هدفهم من البداية اقامة اول واكبر مزرعة من نوعها في الكويت والخليج على ضوء ما شاهدوه خلال رحلاتهم وجولاتهم في مزارع تربية الحيوانات في اوربا .. وضاعف من تصميمهم عدم وجود مزارع انتاجية منظمة في المنطقة وحاجة المواطنين الى الانتاج الحيواني بشكل عام والحليب بشكل خاص ، في الوقت الذي كانت هذه المنتجات تستورد كلها من الخارج .

« وبدأت المزرعة بخمسين بقرة حلوب استوردت من الدانيمرك ، ونظرا لعدم توفر الخبرة الكافية محليا ، فقد رافقها في رحلتها بالباخرة الى الكويت ، احد الخبراء في تربية وتغذية الحيوان من الدانيمرك ايضا ..

« وبدأت المزرعة تكبر وتكبر ، حتى كان عام ١٩٦٢ ، عندما استوردت الشركة مائة بقرة اخرى .. ولكنها ـ اى الشركة ـ مالبثت ان اصطدمت باول مشكلة تواجهها ، وهي تسويق الحليب وكيفية ايصاله

مجموعة من الابقار الفريزيان في محطة التجارب الزراعية ، بقسم مراقبة الثروة الحيوانية .. لقد تأقلمت الأبقار واستطاعت ان تعيش وتنتج في جو الكويت ولم تعد حرارة الجو صيفا تسبب مشكلة لها





جهاز تعبئة الالبان آليا في معمل البسترة بالشركة الكويتية للالبان ، وهو من احدث الاجهزة التي استوردتها الشركة ، وقد اسهم في شرائه اصحاب ١٤ مزرعة لتربية الابقار في الكويت . (أعلا)

زراعة البرسيم نجحت في الكويت ، وقد اعدت مساحات كبيرة من الاراضي لزراعة البرسيم واستخدام مياه المجاري في ريها بعد معالجتها .. الصورة في مزارع الشركة الكويتية للالبان . (أسفل)





طازجا الى المستهلك ، فلم تكن هناك اية اجهزة لبسترة الالبان وتعبئتها وتوزيعها .

« ولكنها لم تدم طويلا ، فقد جاء الحل بوصول اول اجهزة لبسترة الالبان في نفس هذا العام ، وكانت طاقتها صغيرة ، ولكنها كانت النواة الاولى على اية حال لمصنع الالبان الذي يقوم الآن في الكويت وينتج يوميا ما يزيد على الثلاثين الف لتر من الحليب ، ومع ذلك فهي لا تغطي اكثر من ١٥٪ من احتياجات الكويت . »

الارض ..الارض ..

ـ وعن المستقبل .. كيف تراه ؟

ويقول الدكتور سلمان : « اذا اردنا ان نسير على طريق توفير الغذاء والتقليل من اعتمادنا على الواردات ، فلا بد في رأيي من ان تقوم الحكومة بتشجيع اصحاب رؤوس الاموال على استثمار اموالهم في القطاع الزراعي .. وهذا يتطلب قيام الدولة بضمان هذه الاستثمارات من ناحية ، ودعم الانتاج من ناحية اخرى ، كما تفعل الآن بالنسبة للدعم الذي تقدمه للحليب حتى يمكن ان يصل الانتاج للمستهلك بسعر معقول .. ولو انني اعتقد ان هذا الدعم لن يستمر طويلا بعد التوسع في زراعة الاعلاف ، فسوف يأتي اليوم الذي تقف فيه هذه الشركات على قدميها وتغطي نفقاتها وتحقق ربحا معقولا . إنني اعتقد ان اهم انجاز حققته الشركة بعد النجاح الكبير الذي حالفها ، هو استيراد اول مصنع من نوعه في الخليج لبسترة الالبان ، وهو جهاز جديد من خصائصه انه يبستر الحليب فيصبح صالحا للاستهلاك فترة طويلة قد تمتد الى عدة اشهر بحيث يحتفظ به في درجة حرارة عادية خارج الثلاجات . وقد تكلف هذا الجهاز مليون دينار بما في ذلك تكاليف الانشاءات والتركيبات ، وشاركت فيه اربع عشرة شركة من شركات انتاج الحليب ، وهي تنقل انتاجها يوميا الى هذا المصنع لبسترته .

ارقام

في عام ١٩٦٠ كان عدد الابقار لا يزيد على ٦ الاف بقرة في البيوت والمزارع الصغيرة ، و ١٤٠ الف راس من الماعز والاغنام و ٢٠ الف دجاجة بياضة و ٦٠٠ الف دجاجة لاحمة .

في عام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ (اخر احصاء)

ارتفع عدد الابقار الى ١٢ الف بقرة ، والاغنام والماعز الى ٢٠٣ آلاف راس والدواجن البياضه ٢٩٤ ألفا والدواجن اللاحمه الى ٥ ملايين و ٣٦٧ ألفا .

« عن وزارة الاشغال الكويتية »

ـ كم بلغت الاموال المستثمرة حاليا في تربية الابقار في الكويت وانتاج الالبان ؟

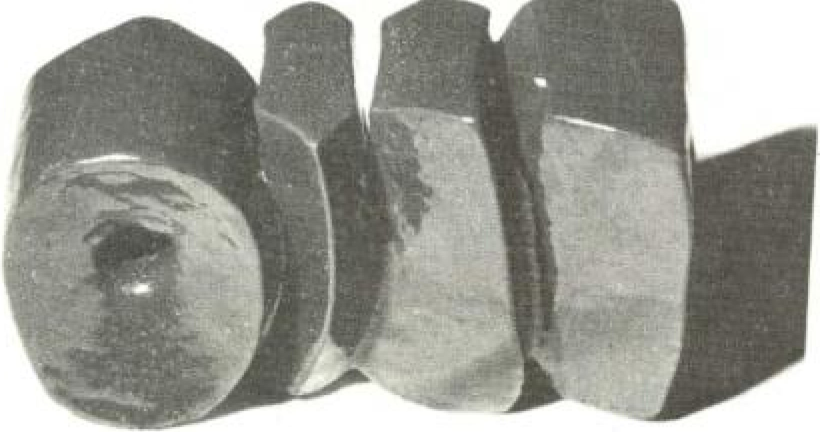
يقول الدكتور سلمان : « حوالي سبعة ملايين دينار .. ويمكن ان تصبح سبعين مليونا اذا شئنا .. ان العالم كله يتجه اليوم الى الارض والماء .. اصل الحياة .. ان المعجزة الحقيقية في امريكا واوربا بدأت بالزراعة وما زالت .. فالزراعة عندهم غذاء وحياة وأمن .. بينما الزراعة عندنا ـ عند العرب . تخلف وفقر وجوع ، والزراعة غذاء ، والغذاء في النهاية هو استمرار للحياة عندهم وعندنا على السواء .. فهو صحة وهو اقتصاد وهو أمن للمستقبل » . ■■

منير نصيف

لماذا احبه

● أنا أحب هذا الرجل فهو لم يقل لى يوما أننى على حق ! حتى عندما كنت أصيب الهدف فى بعض الاحيان ، كنت أرى فى عينيه نظرة اشفاق فاذا سألته « وأين الخطأ الان ؟ » قال : « انك لم تخطىء ولكننى أخشى عليك من الغرور !! »

جيليبرت هاردنج



رسالة بون :

معرض تشكيلي لأسماء الله الحسنى

بقلم : عبد المقصود حبيب

تعتبر التشكيلات الفخارية والتنويعات الخزفية من أول المعطيات التي أنتجتها يد الانسان في صحون وأطباق وأوان للاستعمال في الحياة اليومية . وليس أدل على ذلك من أن كل كشف عن أثر من آثار الانسان القديم توجد فيه أنواع مختلفة من هذه الاواني الفخارية .

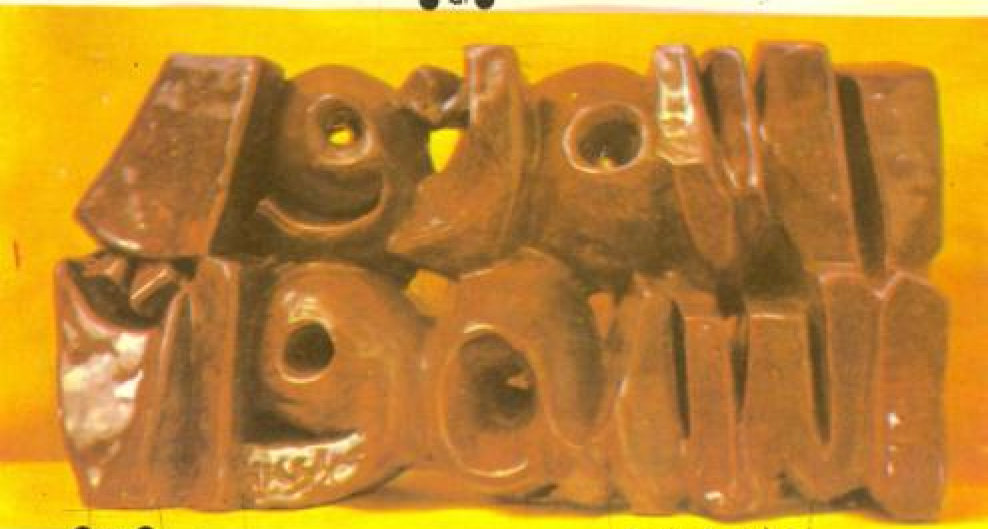
وأحدث كشف في هذا السبيل ما توصلت اليه منذ شهرين البعثة الاثارية الفرنسية الباحثة عن أصل الانسان .. فقد اكتشفت آثارا تدل على وجود الانسان القديم وترجع تاريخها الى ٥٠ ألف سنة مضت .. فوجدت في المكان آثار عظام انسانية وبجانبها آنية مختلفة من الفخار .

لقد اكتشف الانسان الخزف من أقدم العصور لتوظيفه في احتياجاته اليومية .. وبدأ فن الخزف منذ بدأت الحياة على الأرض حينما كان الانسان يبحث عن الماء وكيف يحفظه عندما مد يده الى ينبوع ماء ليغترف منه ما يروى به ظمأه .. فصنع من هذه المادة ما يلزمه في نقل طعامه وشرابه من قدور وأوان وصحاف .

ثم ألحت عليه رهافة الحس الفني بعد أن استوفى من الخزف جميع الاغراض النفعية وبدأ يعطيه ملمسا آخر يهدف منه الى تصوير الجمال وبث الزينة وتجميل الحياة .. فلم تعد الفخاريات عنده مجرد جرة أو قلة يملأها بالماء ولا مجرد طبق يتناول فيه طعامه .. بل تناول من الفخار أعمالا فنية رائعة التكوين خالدة الحياة الى يومنا هذا تزهو بألوانها الرفيعة وتشكيلاتها الدقيقة لا تكاد



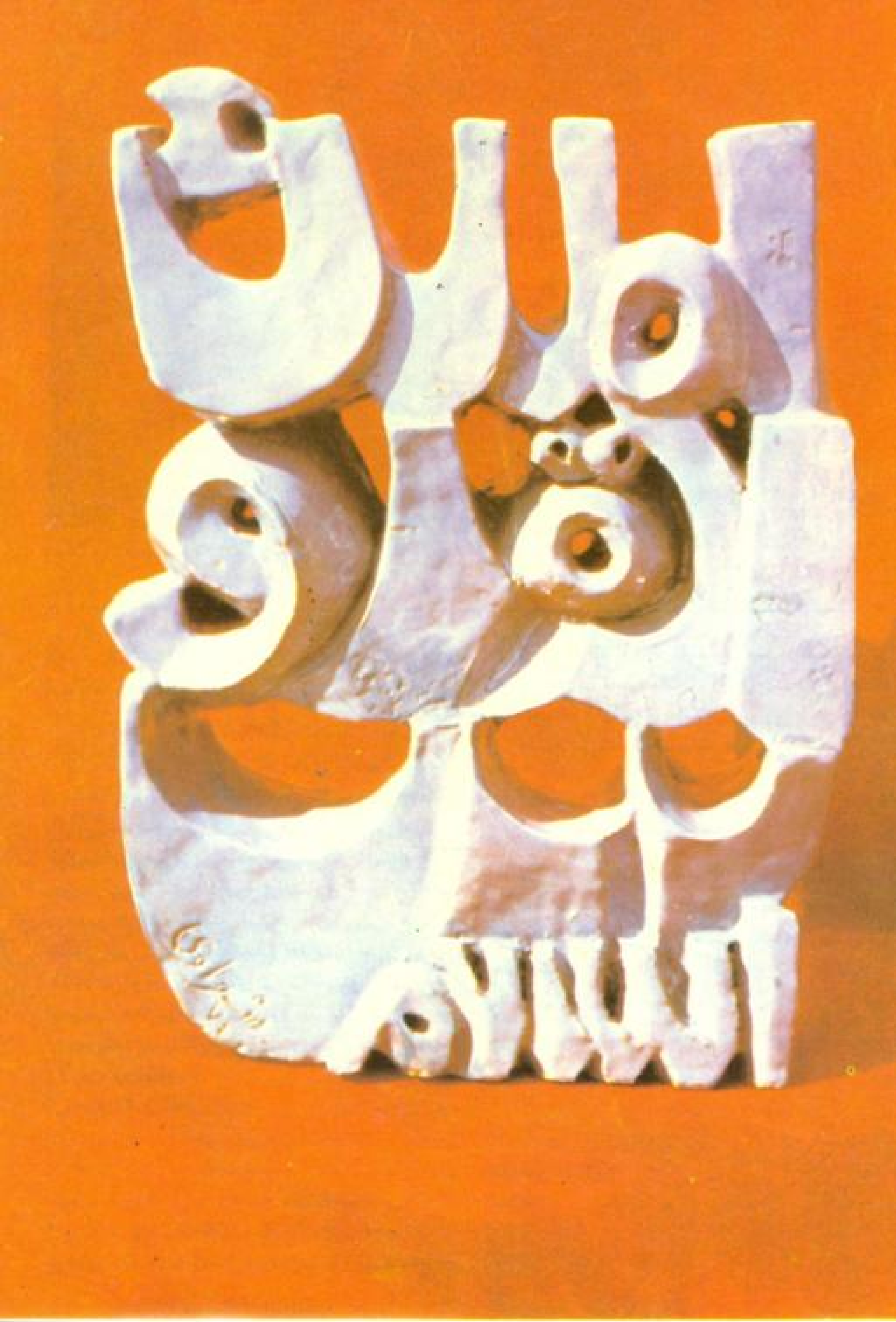
● الله ●



● يس ●

● الله نور السموات ●





● الملك القدوس السلام ●



● سلام هي حتى مطلع الفجر ●

تقف معها ـ عند المقارنة ـ أحدث المنتجات الفخارية في يومنا هذا ..

وكان في البدء الاناء الذى توضع فيه الزهور (الفازة) وحمل التاريخ لنا على مدى العصور أشكالا من ذلك وألوانا .. ثم تعامل مع الوجوه والاجسام والتماثيل الحركية التي تدل على مهنة ما .. مثل الخباز أو الكاتب أو الفخارى .. ثم مع قطع للزينة مثل تلك التي وجدت بين الاثار المصرية القديمة في قصر نفرتيتي ورمسيس الثاني .. ومثل ابداع الفخارى القديم في تشكيل فرس النهر والضفدعة والعقرب والجعران وتماثيل الحيوانات الاخرى .. أو أدوات الزينة مثل الأقراط أو الفازات المختلفة والاطباق المعلقة وغيرها مما يستعمل في (ديكورات) المنازل والقصور وكذلك الجدران والأرضيات المطعمة بالفخار الملون أى الطلاءات الزجاجية كما في قصور الفراعنة والنبطيين والسومريين .. ويكشف التاريخ الفني عن نشأة هذه التحف التي اكتشفت أعمارها بالاشعاعات .. وتثبت العلماء من حقيقتها وطبيعة المواد المصنعة منها باستخدام أحدث الاساليب العلمية والاكتشافية في هذه المجالات .. يكشف كل ذلك أنها تصل الى فترات ما قبل التاريخ .

الا أن هذه التشكيلات التجميلية الفخارية ظلت كسجن كبير يدور فيه أى فنان يريد أن يشكل من الفخار شيئا .. وكما يقول الفنان والناقد المصرى حسين بيكار :

(بقي الاناء أو الزهرية سجين هذه الوظيفة الى أن ظهر ما يمكن أن نسميه بالنحت الخزفي حيث رؤى الافادة من معطيات الخزف من ملمس ولون وبريق في اضافة قيم جديدة على الكتلة المجسمة) .

اضافة جديدة

فقصة الخزف اذن قصة طويلة .. تبدأ باعداد الطينة الصالحة للعمل والتي لها الخصائص المميزة من حيث المرونة والقدرة على تحمل درجات الحرارة وقابليتها للطلاءات الزجاجية فالخامة طيعة ولدنة ويستطيع الفنان أن يؤدى بها كل ما يمكن أن يؤديه .. واستغل

الفنان الشعراوي يشرح احدى القطع لزوار معرضه



الفنان على مر العصور هذه المواصفات في خامة الخزف وأخذ يصنع منها غير مادرج عليه سابقوه فأوجد الشكل الانسانى والتمثال الحيواني والقطع الزخرفية الى غير ذلك للاستفادة من معطيات هذه المادة الطبيعية .

وعلى هذا الطريق بدأ الخزاف محمد الشعراوي تجربة جديدة بأن اتجه الى الخط العربي كعنصر تشكيلي لينقله من مجال المسطحات الى مجال المجسمات .. فصنع من هذا الخط تشكيلات مركبة ذات ايقاعات متجددة واستخرج منه تراكيب مبتكرة تجمع بين النحت والعمارة وأشكال الخط العربي الاصيل .

ويقول الفنان الشعراوى نفسه عن هذا الاتجاه : انه نوع جديد وأسلوب خاص استلزم البحث الطويل والدراسة الجادة الشاقة على مدى نصف قرن لكى أصل الى مفهوم أسلوب فني اسلامي معاصر .. وألتزم بالفن الاسلامي في الحروف العربية وكلمات من القرآن الكريم تضمنت (أسماء الله الحسنى أوفواتح السور القرانية)

ويستطرد قائلا : لقد كانت الكتابات الاسلامية في مختلف العصور الاسلامية توضع على شكل معلقات على الجدران اما بالحفر أو النقش على الجدار نفسه أو على هيئة ملصقات .. ولكنى تجاوزت هذا كله واستطعت أن أحقق تشكيل الكلمات أو الحروف العربية على هيئة مجسمات وكان ذلك من خلال (تكنيك) جديد لم يطرقه أحد من قبل ، حيث أن البناء الكلى للكلمة يبنى وهو مفرغ قابل للحريق والتزجيج .. وما تم على هذا الطريق هو بداية لطريق طويل يتيح للفنانين المشتغلين بفن الخزف أن يتجهوا بهذا الفن الى مسار أوسع حيث أن على الفنان الذى يعيش هذا العصر مهمة اضافة جديدة الى ما طرقه غيره من الفنانين القدامى والسابقين عليه ، وليس المقصود بالاضافة انتاج أعمال فنية متكررة بشكل او بأخر ولكن الاضافة هى تلك التي تحدد مكان الفنان بل وتحدد وجود عصره بين العصور) .

والفنان محمد الشعراوى قد تمكن من هذا الفن الى درجة كبيرة ، أصبح بها الرائد الاول في هذا المجال وذلك كما جاء على لسان أحد النقاد الفرنسيين وهو المسئول الفنى في التلفزيون الفرنسى عن معرض الشعراوى في بارس فقال (ان الاضافة الحقيقية التى قدمها الفنان الشعراوى في أعمال السيراميك يبدو بشكل خاص في أنه تجاوز ذلك الاستخدام التقليدى النفعى المباشر لفن أوانى السيراميك لينتقل الى آفاق التجريد والصياغة للحروف العربية في أحد الاشكال الجديدة لفن النحت) .

في عواصم العالم

انها تجربة رائدة ولا شك .. لأنها نابعة من أصول الحضارة الدينية والتراث الاسلامي ثم انها محاولة لادخال الموضوعية في التجريد من غير الاستعانة بالمشخصات وذلك باستخدام المعاني الصوفية التي يوحى بها الخط العربي كما يتضح من احدى القطع المعروضة في معرضه في بون وهى من كلمات ثلاثة الملك القدوس السلام .. حيث تتوازن هذه الكلمات وتتشابك في تأليف مبتكر جميل فيه روحانية الدين وعبق الشرق وأصالته وفيه تسبيح صوفي تستشعره حواس الانسان .. بعد أن كان التسبيح مقصورا على اللسان والوجدان وحدهما .. أو في قطعته باسم (محمد) عليه الصلاة والسلام .. أو لفظ الجلالة (الله) أو « الله نور السماوات والارض » أو « يس » .. أو « سلام هى حتى مطلع الفجر » ..

والفنان محمد الشعراوى من مواليد ١٩١٦ ودرس الفن في مدرسة الفنون العليا وحصل على الدبلوم منها عام ١٩٣٩ ثم دبلوم في التربية وعلم النفس ١٩٤٧ ومنذ عام ١٩٦٣ عمل رئيسا لقسم المعارض الخارجية بوزارة الثقافة المصرية ويعمل الآن خبيرا للفنون التشكيلية بالوزارة نفسها منذ عام ١٩٧٤ ...

ولقد بدأ العمل الفنى المتميز على هذا الطريق الجديد في فن الخزف منذ أكثر من أربعين عاما .. أسهم فيها من خلال عمله الرسمي في اقامة معارض أجنبية كثيرة في مصر ومن ناحية أخرى تنظيم اقامة معارض كثيرة للفنانين المصريين في الدول الاجنبية .. وفي مجاله الفنى .. أقيمت له المعارض الكثيرة في مصر وخارجها .. واقتنى كثير من المتاحف العديد من قطعه الفنية مثل متاحف برلين وايطاليا وفرنسا .. وفي الوقت الذى كانت ترتبط فيه مصر مع الدول الشرقية أقام معارضه في العديد من هذه الدول مثل الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا وبلغاريا .. ثم في السنوات الاخيرة بدأت تقام المعارض لاعماله الفنية التي تحمل هذه النزعة الجديدة في مسيرة الفن الخزفي في الدول غير الشرقية .. فقد أقيم له معرض مؤخرا في بارسس ومعرضه الحالي في مركز الهيئة الالمانية للتنمية الدولية في مدينة بادنهوف القريبة من بون عاصمة المانيا الاتحادية .. وينتقل بعد ذلك الى واشنطن ■■

المانيا الاتحادية ـ عبد المقصود حبيب

ثم قالوا: "تحبها؟" قلت: "بهرا"

بقلم : محمد خليفة التونسي

في احدى ندوات شيخنا عباس العقاد قبل ثلاثين سنة « سمعت هذه القصة ـ فيا لأذن ـ من المربي الفلسطيني الكبير الاستاذ خليل سكاكيني رحمه الله ، وكان مع وقاره وجلال قدره سمحا كريم العشرة كما كان محدثا لبقا كثير النوادر الطريفة ، ومؤدى القصة ان احد القضاة حكم على لص حكما عجيبا هو : ان يقف اللص في مفترق طرق ، حتى اذا اجتمع حوله الناس اعترف أمامهم بقول : « انا لص » . ونفذ هذا اللص الماكر الشاطر ذلك حتى اذا التف به السابلة نطق الجملة التي أمره بها القاضي ، ولكن بنبرة الاستفهام قائلا « انا لص ؟ » وبذلك فوت على القاضي غرضه ، وان كان لم يخرم حرفا من الجملة .

والحروف واحدة في الجملتين ولكن الفرق في النبرة فقد أرادها القاضي خبرية ، فجعلها اللص استفهامية .

الاستفهام بغير اداة

فهل يجوز ان تنطق مثل هذه الجملة استفهامية ، دون اداة استفهام كالهمزة او هل ؟

في كتاب « ليس في كلام العرب » لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) يقول ما نصه « ليس في كلام العرب ألف استفهام حذفت ، ولا دلالة عليها الا في بيت واحد لابن ابي ربيعة :

ثم قالوا : « تحبها ؟ » قلت « بهرا
عدد الرمل والحصى والتراب »

ثم أورد بيتا آخر ، وعقب بقوله « انما يجوز حذفها اذا كان بعدها « ام » لان « ام » تدل عليها كقول امريء القيس :

تروح في الحي ام تبتكر ؟
وماذا يضرك لو تنتظر ؟

وعلى هذا تقول : قام زيد ام قعد ؟ لأنك تريد ان تقول : أقام زيد ام قعد ؟ . »

ولا خلاف بين النحاة في جواز حذف همزة الاستفهام اذا جاءت ام « بعدها ، لدلالة » ام عليها وانما الخلاف في جواز حذفها بغير « ام » بعدها وهو في نظرنا خلاف لا مسوغ له ولا مبرر . وقد وقع هذا الخلاف بين العلماء قبل ابن خالويه وبعده حتى الان ، بصدد قول عمر بن ابي ربيعة « تحبها ؟ » في بيته السابق ، وممن تشددوا قبله في انكار حذفها العلامة المبرد (٢٨٥ هـ) في كتابه « الكامل » (٣٨٢/١ ـ ٣٨٤) وصرح بان القول بحذفها في البيت « خطأ فاحش » وهذا شطط من المبرد .

وممن اجاز حذفها بعد ذلك العلامة ابن هشام (٧٦١ هـ) في كتابه « مغني اللبيب ص/١٣ ـ ١٦ فقد ذكر هناك اختلاف العلماء في جملة « تحبها ؟ » ثم اشار الى رأي حكيم للأخفش الذي يجعل حذفها قياسيا في الاختيار عند أمن اللبس .

ولا نريد هنا ان نتعرض بتفصيل ولا اجمال ـ لما قاله هؤلاء العلماء من الموافقين والمنكرين . مما لا يتوخاه ولا يصبر على متاعبه غير المختصين ، بل نكتفي بالنظر لما هو اعمق وابسط من كل ما قالوه . فقد جرت عادة الناس ـ ايا كانت اللغة التي يتفاهمون بها ، حتى بالاشارة ـ ان يميزوا بين الخبر والاستفهام ، فاذا تكلموا ميزوا بالنبر بين المعنيين ، فهم يعتمدون في الاستفهام على نبرة صوتية خاصة سواء ذكروا الاداة او حذفوها .

وسواء كان الاستفهام حقيقيا « اي طلب الفهم » او مجازيا حين يخرج الاستفهام الى التعجب او التهكم او الأمر او التوبيخ ... فليست الاصوات وحدها هي التي تؤدي المعاني بل نبرتها او لونها معها . وهذا امر شائع في اللغات ، لا شك في حدوثه بين المتكلمين والسامعين ، فالمتكلم ينطق ملونا صوته او اصواته ، فيفهم السامع مقصوده . ولا تشذ لغتنا الفصيحة عن ذلك ، وهو في

الدارجة عندنا يتكرر يوميا على ألسنتنا بلا انكار من احد ، وهو يجري تلقائيا بغير انتباه من المتكلم والسامع .

يسألك سائل مثلا « فرغت من قراءة الكتاب ؟ » فالجواب « نعم » في الاثبات ، و « لا » في النفي . ويسأل « ما حفظت القصيدة بعد ؟ » فالجواب « بلى » في الاثبات و « نعم » في النفي ، ولا حاجة الى أداة استفهام مثل الهمزة او « هل » ولا الى « ام » وجملة اخرى بعدها معادلة .

وقد يكون في سياق الكلام ـ الى جانب النبر ـ ما يدل على انه استفهام ، ولو كان ذلك مجازيا كالتوبيخ في قولنا « تتعاطى الربا وهو حرام ؟ » والتهكم في قولنا « دينك يأمرك بالظلم ؟ » والامر « تصدقت على الفقير ؟ » ونحوه من المعاني المجازية التي يخرج اليها الاستفهام ، ولا حاجة فيها الى جواب .

ولسنا نريد ان نأتي بالشواهد الشعرية الفصيحة التي تؤيد جواز الاستفهام بغير أداة عند الضرورة ولدينا منها كثير لان للشعر ضروراته من اوزانه وقوافيه ، ولكننا نكتفي بنص واحد يؤيد ذلك قياسيا في الاختيار عند أمن اللبس ، وهو حديث نبوي رواه البخاري ومسلم باسنادهما عن ابي ذر ، وروي عن غيره ايضا في المسانيد الاخرى ـ انه سمع النبي يقول : « ما من عبد قال : لا اله الا الله الا دخل الجنة » واستهول ابو ذر ذلك ، فسأل النبي « وان زنى وان سرق ؟ » فأجابه « وان زنى وان سرق » . وعاوده ابو ذر في ذلك ثلاثا فعاوده النبي بالجواب نفسه ثلاثا ثم قال في الرابعة « على رغم انف ابي ذر » فخرج ابو ذر يقول « وان رغم أنف ابي ذر » .

بين المنطوق والمكتوب

هذا ما يحدث في المنطوق ، وفي هذا النطق وسياق الكلام ايضا ما يدل على الاستفهام . ولكن ماذا يحدث عند كتابة هذا الكلام ؟ المفروض في الكتابة ان تكون صورة صحيحة للكلام على وفق نطقه وان عجزت كل « الابجديات » عن تحقيق ذلك في اللغات حتى اليوم .

ورأينا أن المشكلة الآن أسهل حلا ، فقد صرنا نستعمل في الكتابة ما يستعمله الغربيون من علامات الترقيم Punctuaion ، ومنها علامة الاستفهام (؟) فاذا كانت العبارة استفهامية وضعنا هذه العلامة في آخرها مثل « حضر الضيف ؟ » واذا اردنا الخبر كتبناها هكذا « حضر الضيف . »

ولكن ما الحيلة فيما نقرأ من كتابات لم تستعمل فيها علامة الاستفهام كما في الكتب القديمة ؟ قد يغني السياق احيانا ، كما مر بنا في الحديث النبوي ، وكما في قول الكميت الاسدي .

طربت وما شوقا الى البيض
ولا لعبا مني ، وذو الشيب يلعب ؟

اذ لا شك ان الكميت لم يرد اخبارنا هنا ان ذا الشيب يلعب ، ولكنه يعجب ، وينكر ان ينسب طربه الى حب اللعب بعد ان شاب ، لان الشيب يحول دون اللعب ، كانه قال : « او ذو الشيب يلعب ؟ » فنضع علامة الاستفهام بعد عبارته لنبين انها استفهامية .

ومثل قول المتنبي :

أحيا ؟ وايسر ما قاسيت ما قتلا
والبين جار على ضعفي وما عدلا

فالمتنبي لا يخبرنا بانه يحيا مع هذا البلاء الساحق الذي يعانيه ، بل يريد التعجب من حياته مع محنته ، فهو يستفهم متعجبا .

ثم نعود الى بيت عمر بن ابي ربيعة الذي فيه « تحبها » ونستوعب الموقف كله ، وتبدأ القصيدة بقوله :

قال لي صاحبي ـ ولم يدر ما بي :
« أتحب القتول أخت الرباب ؟ »
قلت : « وجدي بها كوجدك بالما
ء ، اذا ما فقدت برد الشراب »

ثم قال بعد ابيات وضح فيها اثر حبه اياها في بلبلة عقله :

ابرزوها مثل المهاة تهادى
بين خمس كواعب اتراب
ثم قالوا : « تحبها ؟ » قلت : « بهرا
عدد الرمل والحصى والتراب »

فهل حكايته الاخيرة الا صورة من حكايته الاولى لما سئل عنه واجاب عليه .

لكن اذا لم يكن في سياق الكلام او جملة الموقف ما يدل على استفهام فلا بد ان يقع لبس ، ولا سبيل معه للترجيح بين الاستفهام والخبر والقارىء هنا حر في الاختيار لان الوجهين محتملان على سواء .



التنويم المغناطيسي

بين الحقيقه والخيال

بقلم الدكتور عبد الرحمن عيسوي

يحيط بهذا الموضوع من جملته في اذهان الكثيرين منا الغموض والاسرار والمخاطر بل والاهوال ، ولذلك فهو جدير بالبحث العلمي الموضوعي الدقيق لتوضيح طبيعته وحدوده والاسس العلمية التي يرتكن اليها .

وجميع العلوم وان كانت قد انحدرت عن السحر والخرافة الا ان التنويم المغناطيسي كان اكثرها بطئا في التحرر عنها ونحن اذا ما اخترنا مجموعة من الشباب العربي المثقف وطلبنا منهم ان يدونوا ما يدور بخلدهم من اسئلة حول عملية التنويم لتعجبنا من كثرة هذه التساؤلات وتنوعها مما يكشف حاجتهم الملحة الى المعرفة العلمية ومدى الغموض الذي يكتنف هذا الموضوع . ولقد قام بمثل هذه المحاولة فعلا عالم النفس ماركيوس

F . L . Marcuse حيث سأل مجموعة مكونة من الف طالب امريكي ان يدونوا الاسئلة التي يبحثون عن اجابة لها حول موضوع التنويم .

ولعملية التنويم المغناطيسي سمعة سيئة في اذهان الناس ولقد سأل احد الباحثين مجموعة من الطلاب ان يذكروا اول كلمة ترد الى اذهانهم عند سماع كلمة تنويم مغناطيسي وكانت معظم الاجابات سلبية كالقول انه شيء رديء ، غامض غريب ، مخيف ، عين شريرة ... الخ وفي تصوري انه يرتبط في عالمنا العربي المعاصر بعمليات النصب والاحتيال والغش وادعاء التطبيب ، ومعنى ذلك ان الرأي العام مزود بمعلومات خاطئة عن التنويم . وسوف نتناول في هذا المقال الحديث عن طبيعة عملية التنويم وتقنياتها واثرها في العلاج النفسي وفي الحياة اليومية .

للتنويم المغناطيسي المعاصر تاريخ طويل فقد استخدمت الفاظ متعددة للدلالة عليه عبر العصور ، ونحن الآن نستخدم الكلمة اليونانية Hypnosis التي تعني النوم وهو اصطلاح استخدمه بـرايد Braid في القرن ١٩ ، وحاول ابتكار لفظ آخر ولكنه فشل . في القرن العشرين اصبح التنويم يستخدم دون ان يتضمن انه يعني النوم . ومن المصطلحات المستخدمة ايضا للدلالة عليه Mesmerism نسبة الى العالم مسمر . لقد بدأ تاريخ التنويم الحديث بعمل الطبيب النمسوي انطون مسمر (١٧٣٣ ـ ١٨١٥) Anton Mesmer ، الذي يعتبره البعض قديسا بينما يعتبره البعض الآخر شريرا . ولقد تحدث عن امور غريبة كمغنطة الاخشاب والماء كما استخدمه في العلاج النفسي وخاصة في العلاج الجماعي Group Therapy حيث استطاع مغنطة عدد كبير من الافراد يصل الى نحو ثلاثين شخصا عن طريق امساكهم بمقابض معدنية ممغنطة . وكان يضيف الى جو المكان جاذبية باستخدام الموسيقى ، والمشي في وسط الحجرة بطريقة ملكية وهو يرتدي الملابس الحريرية الفضفاضة . وكان في اثناء سيره يلمس بعض افراد الجماعة ، ويضيف بذلك الكثير الى جو المغنطة .

حقيقة واقعة

لقد عرف التنويم أو الاستهواء المغناطيسي Hypnotism منذ اقدم العصور ، فاستخدمه كهنة اليونان قبل الميلاد ، حيث كانوا يؤثرون على شخصية أتباعهم في معابد ابولون وسرس واندور ، كذلك استخدمه فقراء الهنود وما يزالون يستخدمونه . ويرجع الفضل في وضع اصوله كعلم الى الطبيب النمسوي مسمر في اواخر القرن الثامن عشر ، وبعده ظهر كثير من العلماء الذين استخدموه في علاج الامراض النفسية والعقلية والعصبية . والتنويم المغناطيسي عبارة عن نوم صناعي ينتج عن تأثير الايحاء والملل من تكرار تأثير منبه معين ، وليس بواسطة المواد المخدرة . وهو نوم جزئي يشبه النوم الطبيعي في كثير من مظاهره ، ولكنه ليس نوما طبيعيا . ويعرفه جيمس دريفر بانه حالة اصطناعية تشبه في كثير من جوانبها النوم وتمتاز بقابلية الفرد الشديدة ، والواقع تحت تأثيره ، للايحاء او الاستهواء واستمرار الاتصال او الرابطة العاطفية مع المحلل او المنوم . اما اصطلاح Hypnotism فيشير الى الدراسة العلمية للتنويم المغناطيسي وممارسته .

حقيقة إن موضوع التنويم المغناطيسي يثير كثيرا من التساؤلات في اذهان الخاصة او العامة ، ويرتبط بكل من العلم والوهم والخيال والنصب والاحتيال ، ويتصل باساليب العلاج النفسي والجسمي وباستطلاع الغيب . ولقد اكد التنويم المغناطيسي عبر العصور ، انه حقيقي وانه مؤثر الى الحد الذي جعل الجمعية الطبية البريطانية في سنة ١٩٥٥ ، بعد ان قضت عامين في تقويم المعطيات الناتجة عن العلاج التنويمي تقرر ان للتنويم تطبيقات هامة وانه اسلوب مستقر من اساليب العلاج .

التنويم حقيقة واقعة لا جدال فيها ، اما طبيعته فما زالت مجال جدال مستمر : فهل يؤثر الذكاء في التنويم ؟ وهل تتغير موجات المخ اثناء الخضوع له ؟ وهل من الممكن اجراء الجراحات تحت تأثيره دون حدوث النزيف الدموي ؟ مثل هذه التساؤلات توضح اننا ما زلنا في حاجة لمزيد من المعرفة العلمية حول موضوع التنويم . ومن اجل هذه الصعوبات يميل ماركيوس الى تعريفه بما يفعله اكثر من تعريفه بما هو في ذاته فيقول إنه حالة متغيرة للكائن تنتج اصلا وغالبا بواسطة تكرار المثيرات وفيه يصبح الايحاء اكثر فاعلية عنه في الحالة الطبيعية ، ولكن هذا التعريف تعريف وصفي اكثر منه تفسيري . ويعرفه انجلش بانه حالة تنتج صناعيا تمتاز بقابلية شديدة لايحاء المنوم . وفي العادة يمر الفرد بحالة نعاس تشبه النوم ومن هنا كانت التسمية . ويصل الفرد لهذه الحالة عن طريق الاسترخاء الجسدي والانتباه ، بناء على ايحاء المنوم ، الى شيء محدود او لفكرة محددة .

في الحياة اليومية

وهناك مظاهر كثيرة في الحياة اليومية تشبه حالة

التنويم . فقد يسبح الفرد في قراءة كتاب ما وهو مستغرق في الافكار ، وعلى حين فجأة يكتشف انه قطع عدة صفحات من الكتاب دون ان يدري ، والشخص الجالس وسط مجموعة من الناس قد يأخذه التفكير بعيدا عن جو المناقشة الدائرة ، وعلى حين فجأة يفيق ليجد نفسه قد فاته قدر كبير من تلك المحادثات . والشخص المستغرق في ذكريات الماضي قد يلتهم « طبق اللحم المشوي الشهي » الذي كان يحلم به من زمن بعيد دون ان يستشعر لذة طعمه .

وحالات فقدان الحس الذوقي والسمعي والبصري تشبه مثيلاتها في التنويم ، ولكنها ليست هي ذاتها . وهناك حالات اخرى ولكنها عرضة للجدل منها فقدان الحساسية بالالم . في حلبات الملاكمة والمصارعة . في مثل هذه الحالات ينخفض معدل الانتباه ويقل الادراك البصري والسمعي والذوقي . هذه الظواهر تحدث للاشخاص الاسوياء تماما . وفي بعض الطقوس الدينية توجد حالة من الجو التنويمي حيث يخيم الظلام على المكان مع الموسيقى الناعمة ، والتركيز على نقطة معينة عادة ما تكون الصليب ، مع جو الرتابة والتكرار والتأمل مع تحريم الحركات . ولا شك ان هناك بعض النداءات التي تخاطب العقل واخرى تخاطب العاطفة .

ويتميز الاتجاه نحو التنويم المغناطيسي في الوقت الحاضر بالموضوعية والعلمية بالقياس لما كان عليه الوضع في الماضي . ولذلك فقد التنويم كثيرا من مبالغاته . والواقع ان علماء النفس لم يهتموا بدراسة مشكلات التنويم الا في العشرينات من هذا القرن . وان كان يستخدم منذ قرون عديدة في العلاج بواسطة الاطباء ورجال الدين وغيرهم . ومع ذلك فما زالت دراسته مسألة صعبة ومن بين هذه الصعوبات تعدد المصطلحات التي يقابلها الباحث في هذا الميدان ، فهناك مصطلحات مثل الاسترخاء المتتالي ، والنوم التفسجسمي ، والاتجاه الآلي ، وغيرها .

والاتجاه الطبي نحو التنويم يعتبره حالة تشبه النوم ، ناتجة عن وضع اشياء امام العين او تكليف العميل بالنظر والحملقة في نقطة معينة براقة لامعة . وتحدث هذه الحالة عندما تسترخي قوة ارادة العميل ، ولكن مثل هذا الاتجاه يهمل دور الايحاء ، ومن الناحية الاكاديمية فاننا ما زلنا نجهل الكثير عن طبيعة التنويم ويرجع ذلك الى قلة البحوث في هذا الميدان لانها تقابل بكثير من المعارضة .

في الوقت الحاضر تتلخص عملية التنويم المغناطيسي في جلوس العميل على مقعد مريح حيث تطفأ الاضواء ويسود الهدوء التام ارجاء المكان . واذا كانت هناك ثمة تساؤلات في ذهن المريض حول التنويم فان المنوم يجيبه عنها اولا باختصار . وفي حالة استخدام التنويم للاغراض العلمية فان المنوم يعرف العميل بعدم توجيه الاسئلة الشخصية . واذا كان العميل من المرضى فان المنوم يوضح له بان حالة النوم العميق التي ينسى فيها العميل كل شيء لا تنفع في العلاج وفي كل الاحوال يعرف العميل بانه لن يفقد وعيه ، ويطلب منه التعاون ، كما يعرفه انه لن يغط في نوم عميق بالمعنى العادي وانه سوف يظل قادرا على الحديث دون ان يستيقظ من نومه ثم تبدأ عملية التنويم الفعلية .

يقول المنوم : انني اريدك ان تنصت الى ما اقوله جيدا (يكرر هذه العبارة عدة مرات) ان عينيك مغلقتان (تكرر) انت تشعر بالراحة والاسترخاء ، انت لا تفكر في شيء الا فيما اقوله لك . ان عينيك مغلقتان ، مغلقتان ، بارتياح . انك تفكر في لا شيء ، لا شيء الا ما اقوله لك . ذراعاك ورجلاك تشعران بالثقل . ذراعاك ورجلاك تشعران بالثقل وانت مسترخ . كل جسدك مسترخ . كل جسدك يشعر بالاسترخاء (تكرر) عضلاتك ووجهك وذراعاك ورجلاك مسترخية . جسدك يشعر كما لو كنت تعود الى حالة الظلام ، وبينما انت ترتد الى حالة الظلام فانك تشعر بمزيد من الاسترخاء ، ومزيد من الراحة (تكرر) . انك تستمع الى صوتي فقط . تفكر في لا شيء على الاطلاق . تركز على صوتي فقط تستمع الى ما اقول (تكرر) انت تشرع بالراحة والاسترخاء وبينما انت ترتد الى الوراء فانك تبدأ في الشعور بالنعاس القوي . انك لا تفكر في شيء سوى صوتي . انك تشعر بالراحة والاسترخاء (تكرر) انك تتنفس بانتظام وبعمق . انك تستغرق في النوم ، نوم عميق مريح وصحيح .. نومك آخذ في العمق ... أعمق وأعمق وأعمق . وكلما ذهبت للخلف للظلام اصبح نومك اكثر عمقا . انك نائم .. نائم ... نائم وبينما اعد انا من واحد الى عشرة فان نومك يصبح اكثر عمقا .

ثم يسكت المنوم لمدة خمس دقائق . وفي اثناء هذا الكلام يجعل المنوم كلامه اكثر انخفاضا ونعومة وليونة وبطئا واكثر رتابة ...

قبل بدء عملية التنويم يطلب من العميل الحملقة في عين المنوم او في شيء لامع ، كقطعة العملة التي تبعد حوالي قدم عن عين العميل ونحو ٨ بوصات فوق مستوى خط ابصاره . وبهذه الطريقة تشعر العين بالارهاق . وعدما يخبر المنوم العميل بان عينه مرهقة فانها

تكون كذلك بالفعل . وبعد ذلك يطلب منه غلق عينيه .

عرقلة القلب والمخ

بعض المنومين لا يميلون لاستخدام هذه الطريقة في الحملقة لانهم هم انفسهم ينظرون الى الاشياء اللامعة ويشعرون هم انفسهم بالنعاس . على كل حال اذا لم يقبل العميل غلق عينيه فان المنوم يقوم بغلقها بحزم وبرقة . وعلى المنوم ان يتحاشى ذكر الاشياء التي تثير انفعال العميل وحساسيته . فاذا كان العميل فتاة مثلا ذات ارجل ضخمة ، فانه لا ينبغي ان يذكر لها ان ارجلها اصبحت ثقيلة لان ذلك يعوق عملية التنويم . وعلى المنوم ان يتحقق من حدوث الاسترخاء . ومن علاماته حدوث تغيرات في الوجه منها فتح الفم واسترخاء عضلات الوجه وقلة المبادأة وكثرة البلع . ويستطيع المنوم ان يجري اختبارا بسيطا للتأكد من استرخاء العميل بان يرفع ذراعه الى اعلى الى الوضع الافقي ثم يتركه ، فاذا كان العميل مسترخيا فان ذراعه سوف تسقط « كالخرقة » . اما اذا لم يكن مسترخيا فان الذراع تبقى كما هي في اعلى .

وفي نهاية عملية الايحاء يتوقف المنوم عن اعطاء التعليمات للعميل حتى يتعمق النوم . ولا تختلف هذه الاجراءات في حالة التنويم الجماعي عنها في حالة التنويم الفردي باستثناء ارتفاع صوت المنوم في حالة التنويم الجماعي . وهو اقتصادي من حيث الزمن اللازم وفي عملية اختيار الافراد اللازمين للاغراض التجريبية والقابلة للاستهواء .

ويستفيد المنوم من التغذية الرجعية اي بما يقرره العميل من احساسات اثناء العملية .

وهناك مناهج اخرى تعتمد على عرقلة نشاط القلب والدورة الدموية للمخ . وذلك بالتأثير على وعاء دموي قريب من الاذن ولكنه منهج خطير في يد غير المتخصص . انه منهج فسيولوجي حيث يشعر العميل في خلال دقيقة واحدة بالدوخان والاغماء والاضطراب ويصبح مستجيبا للايحاء . وهناك منهج آخر يستخدم النمط اللفظي آنف الذكر دون استخدام كلمة « نوم » على الاطلاق . ويطلق على التنويم في هذه الحالة التنويم المتيقظ ، لان كلمة النوم تعني فقدان الوعي ، وهناك اشخاص كثيرون يترددون في قبول فقدان الوعي وتستخدم كلمة « استرخاء » بدلا من كلمة نوم . ويصلح هذا المنهج للاشخاص المصابين بالقلق .

وهناك منهج آخر يصلح للاشخاص الذين يرفضون الاعتراف بانهم تأثروا بالايحاء او بالتنويم . ويطلق عليه منهج « الاضطراب » . وفي هذا المنهج يأخذ المنوم في الايحاء للعميل بسرعة بان ذراعه الايمن اصبحت ثقيلة ، ثم اصبحت خفيفة ، ثم دافئة ، ثم باردة وهكذا بالنسبة لاطرافه الاخرى وكنتيجة لهذا الخلط او اليأس فان العميل يستسلم ويقبل الايحاء من المنوم .

ومن بين المناهج المتطورة تنويم الفرد « دون ان يدري » ويتم ذلك في اثناء نوم العميل ، حيث ينقله المنوم دون ان يدري من حالة النوم الى حالة التنويم المغناطيسي ، ويتم ذلك باستخدام صوت منخفض يجذب انتباه العميل بواسطة الاتصال الفيزيقي بايدي المنوم ويصبح النائم قادرا على الكلام .

وفيما يختص بالفترة الزمنية لحدوث التنويم فانها تتراوح بين الخمس والعشر دقائق . ويمكن حدوث التنويم بواسطة اجهزة التسجيل . كما تستخدم بعض الالات للمساعدة على حدوث عملية التنويم من ذلك المترونوم والساعات والات التسجيل والنغم والاضواء . الخ . حيث تساعد على التنويم المعتمد على المجهود اللفظي . كذلك من الممكن حدوث التنويم بواسطة الراديو والتلفزيون .

كما يمكن حدوثه عن طريق الهاتف . ويمكن استخدام العقاقير للمساعدة على حصول التنويم . ويمكن الايحاء للمستقبل حيث يوحي للعميل بانه سوف ينام بصورة اعمق في الجلسات القادمة ولا يمكن ان يحدث التنويم بصورة آلية ميكانيكية وحدها . ذلك لان توقع الفرد انه سوف ينام بصورة اعمق في الجلسات القادمة يساعد على سرعة نومه . ولقد وجد ان التنويم الذي يعتمد على اللمس والاحساس السمعي والبصري اكثر فاعلية .

ويمثل الطريقة التي تم بها التنويم يتم بها اعادة العميل لعالم اليقظة ويطلق على ذلك Dehypnosis . ولتحقيق ذلك يقول المنوم للعميل بعد دقيقة سوف أوقظك (تكرر) وعندما تستيقظ ستشعر بالانتعاش والتيقظ ... ستشعر بالانتعاش الكلي واليقظة الكلية ..انت الآن آخذ في التيقظ .. ان نومك آخذ في الخفة . انت الآن آخذ في الاستيقاظ بينما انا اعد من ١٠ ـ ١ سيخف نومك (عملية العد نفسها) انت الآن مستيقظ .. وهكذا . ■■

د. عبد الرحمن عيسوي

ما أغلى الثمن



في عام ١٩٠٦ نشرت مطابع جامعة اكسفورد مجموعة قصصية للاديب الروسي الكبير ليو تولستوي الذي هز العالم آنذاك بعظمة اخلاقه ونبله واستقامته، وذلك حين وزع املاكه وعاش حياة فقيرة بائسة كغيره من الفلاحين، تماما كما هزها من قبل برواياته الرائعة امثال الحرب والسلام وانا كرنينا. وقد كانت هذه هي احدى القصص التي تضمنها الكتاب. وقالت: « انها قصة فرنسية للقصصي الشهير جي دي موباسان، وان تولستوي اقتبسها عنه ».

للاديب الروسي ليو تولستوي

تعريب : سليم الصويص

قرب الحدود الفرنسية ـ الايطالية تقع امارة صغيرة اسمها امارة موناكو، لا يتجاوز عدد سكانها سبعة الاف نسمة. اما مساحة ارضها فانها لو وزعت على السكان لما نال النفر منهم اكرا واحدا. ومع ذلك فان على رأس هذه الامارة امير له قصر وحاشية ووزراء واسقف وقائد جيش. وليس الجيش جيشا، بمعنى الكلمة الدقيق ذلك ان تعداده ستون جنديا فقط، ومع ذلك فهو جيش وهناك ضرائب تجبى في هذه الامارة. ضريبة على التبغ، وأخرى على الخمور، وثالثة تعرف باسم ضريبة الرأس. ومع ان شعب الامارة يشرب الخمور ويدخن التبغ كغيره من الشعوب الا ان الامير كان سيضغط على فئة قليلة لاطعام رجال حاشيته وضباطه ونفسه لو لم يجد موردا خاصا هو بيت الالعاب، حيث يلعب الناس الروليت ـ فسواء ربح اللاعب ام خسر فان حارس اللعبة يقبض نسبة مئوية من دوران الروليت. ومن هذه العائدات يغطي القسم الاكبر من دخل الامير.

والسبب هو ان موناكو هي المكان الوحيد المسموح فيه بممارسة هذه اللعبة بعد ان اصدرت حكومة المانيا مرسوما منعت بموجبه الحكام الصغار من ادارة هذه اللعبة في املاكهم وذلك لما تلحقه من اضرار وتدمير للناس. فالمرء يجيء ليجرب حظه، وقد يقامر بكل ما يملك ويخسر ثم قد يقامر بمال يخص الغير فيخسر، ومن ثم وفي حالة يأس يقدم على الانتحار باطلاق النار على نفسه. ولهذا السبب منعت المانيا حكامها من جمع المال بهذه الوسيلة، ولكنها لم تستطع منع امير موناكو الذي ظل السيد المحتكر لهذه اللعبة.

وهكذا اصبح المقامرون يفدون الى موناكو للعب. وسواء ربحوا ام خسروا فان الامير يربح دائما. ان المثل يقول: « انت لا تربح حجارة القصر بالعمل الشريف »، وامير موناكو يعرف ان هذا عمل قذر، ولكن ما العمل؟ فهو مضطر الى ان يعيش، فيفرض الضرائب على الخمور والتبغ فيعيش ويحيط قصره بكل مظاهر ابهة الامراء.

فهو يحتفل بيوم تتويجه ولديه أختام، ويقدم الجوائز ويوقع العقوبات او يصدر احكام العفو، ولديه مقابلات ومجالس وقوانين وقصر عدل، تماما كغيره من الملوك. ولكن على نطاق ضيق.

وقد وقعت جريمة قتل في مركز العاب الامير قبل عدة سنوات. وهو امر لم يحدث ابدا ولم يعرفه الاهالي المسالمون. فعقدت محكمة اصولية حضرها قضاة ومدعون ومحامون. وبعد مناقشة ومداولة اصدرت المحكمة حكمها باعدام القاتل على المقصلة. ورفع القرار الى الامير للمصادقة عليه فوقعه وقال « اذا كان الحكم واجب التنفيذ فنفذوه ».

ولكن كانت هناك ثغرة في الحكم. اذ لم يكن في الامارة مقصلة ولا جلاد، فتدارس الوزراء في الامر، وقرروا الطلب الى حكومة فرنسا اعارتهم مقصلة وجلادا وخبيرا في قطع الرؤوس. وجاء الرد بعد اسبوع متضمنا ان بالمقدور ارسال المقصلة والجلاد وان الثمن ١٦ الف فرنك. ووضع الرد امام الامير ففكر مليا: ١٦ الف فرنك؟ ولكن الشقي لا يساوي هذا الثمن وسأل الا يمكن تنفيذ حكم الاعدام بثمن ارخص؟ ان دفع ١٦ الف فرنك معناه فرض ضريبة على كل رأس تزيد على فرنكين. وهذا ما لا طاقة للاهالي به، وقد يؤدي الى تمرد!

واجتمع مجلس الوزراء لتقرير ما العمل : فقرروا ارسال كتاب مماثل الى ملك ايطاليا ، فحكومة فرنسا جمهورية ولا احترام للامراء عندها ، بينما ملك ايطاليا شقيق امير موناكو . وقد يوافق على سعر ارخص . وارسل كتاب بهذا الشأن وجاء الرد متضمنا سرور الحكومة الايطالية لتوريد مقصلة وجلاد خبير بكلفة ١٢ الف فرانك بما في ذلك اجور النقل وسفر الخبير ، ومع ان العرض ارخص الا انه ما زال باهظ الثمن ، والشقي لايساوى هذا المبلغ الذي يعني فرض ضريبة فرنكين على كل رأس . فدعي مجلس الوزراء الى عقد اجتماع ثالث وتباحث وتداول في كيفية تنفيذ الحكم بثمن اقل ، هل من الممكن تكليف احد الجنود بتنفيذ الاعدام ولو بطريقة فظة ؟ واستدعي قائد الجيش وسئل : هل عندك جندي يستطيع قطع رأس الرجل . فالجنود لا يبالون بقتل الناس في الحروب . وهم معتادون على ذلك ، ونقل الجنرال المشكل الى الجنود فتناقشوا فيه ، ولكن الجنود رفضوا المهنة وقالوا ، « نحن لم نتعلم ذلك في تدريباتنا » .

ما العمل ؟ اجتمع مجلس الوزراء مرة اخرى لاعادة النظر ، وشكل لجنة ولجنة فرعية واتفق على ان خير وسيلة (هي أن تستبدل بالأعدام عقوبة السجن المؤبد) . وبهذا يظهر الامير رحمته وتكون الكلفة اقل

صادق الامير على الاقتراح . وصدر مرسوم بتخفيض عقوبة الاعدام الى السجن المؤبد ، ولكن ظهرت هنة صغيرة في القرار ، اذ ليس في البلاد سجن يليق برجل محكوم عليه بالسجن المؤبد فقد كان هناك « نظارة » يوقف الناس فيها مؤقتا ، ولم يكن هناك سجن حصين للاستعمال الدائم .وتدبر الوزراء الامر وعثر على مكان يصلح لذلك ، ووضع السجين فيه واقيم عليه حارس لحراسته واحضار طعامه من مطبخ القصر .

بقي السجين الشهر تلو الشهر رهين محبسه حتى انصرم عام . وفي نهاية العام وبينما كان الامير يدقق الموازنة وقعت عينه على بند جديد في النفقات ، وهو يتعلق بحراسة المجرم ولم تكن النفقات يسيرة . فقد عين حارس خاص ، وكانت هناك نفقات اطعامه البالغة ٦٠٠ فرنك في العام . واسوأ ما في الامر ان السجين شاب قوي معافى ، وقد يعيش خمسين عاما ـ . وحين يفكر المرء مليا في المسألة تبدو له جد خطيرة ، فاستدعي الامير وزراءه وقال لهم : « يجب أن تعثروا على وسيلة ارخص للتعامل مع هذا الشقي ، فقراركم الاخير باهظ التكاليف » . فاجتمع مجلس الوزراء ، وتداول في الامر وتداول ، الى ان تفتق ذهن احدهم عن مخرج وقال : « ايها السادة في رايي انه يجب صرف الحارس ـ فاجابه وزير آخر « في هذه الحالة يهرب السجين » فرد عليه « ليهرب » ونقل مجلس الوزراء قراره الى الامير فوافق عليه ، فعرف الحارس وانتظر ما سيقع ، ولكن ما حدث هوان السجين خرج عند الظهر ليبحث عن حارسه وحين لم يجده توجه الى مطبخ القصر لاحضار غذائه بنفسه . فاخذ قصعته وعاد الى السجن واغلق الباب عليه . وتكرر الامر ذاته في اليوم التالي حيث ذهب في الوقت المحدد لاحضار طعامه ، ولم تظهر عليه ادنى بادرة في أنه ينوى الهرب . مالعمل اذا ؟ كان لابد من التداول مرة اخرى .

قالوا « يجب ان نفهمه اننا لا نريد سجنه . وكلفوا وزير العدل بابلاغه القرار . فاستدعاه الوزير وسأله : « لم لا تهرب ، وليس هناك حراسة عليك . تستطيع الذهاب اني شئت والامير لا يعارض .

اجاب الرجل : « اعرف ان الامير لا يعارض ولكن لو هربت فماذا اعمل ؟ لقد افسدتم طبعي بسجني . والناس سيديرون وجوههم عني ، ثم انكم عاملتموني معاملة سيئة . وهذا ظلم . كان عليكم ان تنفذوا حكم الاعدام بي . ولكنكم لم تفعلوا . ولم احتج . ثم خففتم العقوبة الى السجن المؤبد ، واقمتم حارسا علي لاحضار طعامي ، ثم صرفتموه بعد فترة ، وصار لزاما علي ان اذهب بنفسي لاحضار طعامي . ولم احتج . والآن تريدون ان اذهب ! لا استطيع قبول ذلك . افعلوا ما شئتم ولكنني لن اهرب .

ما العمل اذا ؟ استدعي مجلس الوزراء للاجتماع مرة اخرى . وفكر في المسألة وامعن الفكر واستقر رأيه على ان يقدم له تعويضا مقداره ٦٠٠ فرنك ، ونقل القرار الى الامير للمصادقة عليه . فصادق عليه ثم ابلغ القرار الى السجين .

فاجاب « حسنا . اوافق شريطة ان تدفعوه بانتظام ، بهذا الشرط اوافق على الخروج » .

وهكذا سويت المسألة . فتلقى ثلث التعويض السنوى سلفا وغادر الامارة . وما كادت تمر ربع ساعة على سفره بالقطار حتى صار خارج حدود الامارة . فهاجر واقام عند الحدود ، حيث اشترى قطعة ارض وبدأ يزرعها بالزهور ويتاجر بها . وهو يعيش الآن مرتاحا . ويذهب في الوقت المحدد لقبض التعويض ـ وما يكاد يقبضه حتى يذهب الى موائد القمار فيقامر بفرنكين او ثلاثة ليعرف حظه ثم يعود الى بيته حيث يعيش في امان وراحة . ■■







خطر يهدد الاطفال

داء النكاف

بقلم : الدكتور هشام الناظر *

لا يزال الطب يحاول الوقوف بالمرصاد لكل الامراض التي تصيب الانسان ، تدعمه كل يوم اكتشافات جديدة لتقضي على مرض أو آخر من هذه الأمراض ، فالعقل الانساني الذى أزاح الستار عن اسرار الكون يزيح الستار ايضا عن اسرار الجسم الانساني ويسهم بنصيب فعال في الحرب التي يشنها الانسان على الامراض التي تفتك به لكي يحافظ على حياته ومركزه من الحياة فنجده يكافح باستمرار ضد الامراض واسبابها ويمضى في الكفاح بدون توقف للابقاء على الدور الفريد الذى يلعبه في الحياة .

ومن بين ضروب الكفاح القاسية كفاح الانسان ضد اعداء لا ينقرضون لا يصيبهم الفناء مثل الاحياء الدقيقة التي تعيش عيشة الطفيليين على جسم انسان فتسبب له الامراض . ولهذا فقد تم اتخاذ اجراءات وقائية لحماية الانسان ضد هذه الجراثيم وتمثلت هذه الاجراءات في نشر وسائل الصحة العامة وبرامج التطعيم الهادفة في شتى انحاء العالم للوقاية من هذه الامراض ولقتل الجراثيم والاحياء الدقيقة التي تسبب الامراض الخطيرة

* مدرس طب الاطفال كلية الطب ـ الجامعة الاردنية

ولعل احد هذه الامراض الخطيرة المعدية التي تمكن العلم من الحد من خطورتها مرض النكاف الذى حظي كبعض الامراض المثيله به بكثير من الالقاب مثل (ابو كعب) وابو دغيم وغيرها .

النكاف (Mumps) مرض حاد ومعد تسببه حمى (فيروسية) معينة تنتمي الى مجموعة الحمى المخاطية (Paramyxovus) التي تهتم اول ما تهتم بالنسج العصبية والغدد وخاصة النكفية (Parotid Gland) القريبة من منطقة الاذن .

ولقد ثبت ان هذا المرض معروف منذ القديم اذ كان اول ما وصف في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد ، وعرفت بعض مضاعفاته مثل التهاب البربخ والخصية منذ زمن الاغريق .

ويصاحب هذا المرض الم شديد وخاصة عندالشرب والمضغ وخاصة في منطقة الغدة ، كما تصاحب هذا المرض ايضا اعراض مختلفة في اجزاء اخرى من الجسم كالتهاب السحايا والبنكرياس والخصية .

ولقد اكد العالم هاميلتون (Hamilton) عام ١٧٩٠ ميلادية اصابة الخصية بهذا المرض واكتشف مضاعفاته على الجهاز العصبي المركزى .

ويشكل الانسان العائل الاساسي الوحيد لهذا المرض وتكثر الاصابة بهذا المرض بين الاطفال الذين يشكلون حوالي ٩٠٪ من الحالات الا انه قد حدثت اصابات للاطفال حديثي الولادة وللمسنين .

وتزداد نسبة الاصابات المنتشرة عبر اشهر السنة في الشتاء واوائل الربيع وتحدث بشكل أوبئة كل ٥ ـ ٦ سنوات وخاصة في اماكن التجمع كالمستشفيات والمدارس الداخلية والمخيمات .

ولم يتمكن العلم من اكتشاف الجرثومة المسببة للمرض الا في عام ١٩٣٤ حيث ذكر العالم جود باستير ان هذا المرض تسببه حمى فيروسية ذات الاحجام المتفاوتة من ١٠٠ ـ ٦٠٠ ميللي ما يكرون في قطرها .

كيف تتم الاصابة ؟

تتم عملية نقل العدوى بالنكاف عن طريق الرذاذ واللعاب والفضلات ، اذ تدخل الحمى الفيروسية عن طريق الفم خلال فترة الحضانة التي تتراوح من اسبوعين الى ثلاثة وتتكاثر في الغدد اللعابية حيث تنطلق منها عن طريق الدم الى اعضاء مختلفة من الجسم مثل سحايا الدماغ [illegible]لنكرياس والقلب وا[illegible] الكل والغدة الدرقية وا[illegible] الدماغ والقلب .

ومما يدعو للف[illegible] بأن شدة الاصابة والعدوى لا تعتمد على درج[illegible] الغدة النكفية او اذا كان المرض احادي او ثنا[illegible] ، كما ان المناعة المكتسبة من اصابة الطفل بال[illegible] باعراض سريرية ظاهرة على اختلاف شدتها ا[illegible] تحت سريرية غير ظاهرة فانها تكتسـ[illegible] حتى لو لم يصب المرض ظاهريا الا [illegible] مما هو جدير بالذكر ان العدوى [illegible] في درجاتها قبل ظهور التضخم بيومين ثم [illegible] بانخفاض تدريجي حتى اسبوع او اكثر بعد زوال تضخم الغدة .

ومن الطبيعي ان تختفي هذه الاعراض مع اختفاء التضخم المصاحب للغدة وتصل الغدة عادة اقصى درجات التضخم في خلال بضعة ايام ثم تبدأ بعدها في الضمور وكما يلاحظ فان الغدة النكفية لا يمكن حسها في الاحوال الطبيعية .

وهناك بعض الاعراض التي قد تصاحب المرض مثل التهاب البنكرياس والقرنية والقزحية والكلى والكبد وشلل الاطراف واصابة الشبكية والصفائح الدموية والمفاصل وعضلة القلب وتضخم في الطحال ..... الخ .

مضاعفات المرض

مضاعفات داء النكاف عديدة وتشمل اكثر من جهاز من اجهزة الجسم الضرورية وتختلف حدة هذه المضاعفات من شخص لآخر ولو ان الشعور العام بان هذا المرض يمردون مضاعفات تذكر الا انه لا يجب تجاهل مضاعفاته والاعراض الاخرى المصاحبة له ومن اهم هذه المضاعفات :

● الصم (فقدان السمع) : اذ ان التهاب الغدة النكفية من الاسباب الرئيسية المؤدية الى فقدان السمع في سني الطفولة وقد يصيب ذلك اذنا واحدة او اثنتين ، ومن الجدير بالذكر ان فقدان السمع في الاذن المصابة يسبب عادة عاهة دائمة عند الطفل وفقدانا تاما وليس جزئيا وحيث ان ٧٥٪ من الاصابات تكون في اذن واحدة عملت الاذن الثانية على تعويض النقص في الاذن المصابة وتخفيف هول المصيبة .

● التهاب البنكرياس : من الظواهر الرئيسية المصاحبة لمرض النكاف حتى انه اصبح هناك اعتقاد بوجود صلة بين المرض المذكور ومرض السكرى

(Brittle Diapetes) الذي قد يظهر بعد داء النكاف ويصعب علاجه مقارنة بالاحوال العادية .

● التهاب السحايا : وهذا ليس بالامر النادر اذ دلت بعض الاحصائيات ان حوالي ١٠ ـ ١٥٪ من التهاب السحايا الفيروسي (Aseptic Meningitis) سببه فيروس داء النكاف وقد يحدث ذلك بعد ظهور تضخم الغدة النكفية بايام او حتى قبل ظهور الانتفاخ وفي حالات اخرى بدون ظهور الانتفاخ .

● التهاب الخصية والبربخ : وتحدث بنسبة عالية بين الذكور البالغين المصابين بهذا المرض بنسبة تصل ٢٠ ـ ٣٠٪ حيث تنتفخ الخصية او الخصيتان بعد اسبوع او اكثر من المرض احيانا تسبق هذه الاعراض المرض ذاته وفي حالات اخرى حتى بدون ظهور انتفاخ في الغدة النكفية وبنسبة ٧٥٪ من الحالات تكون الاصابة بخصية واحدة وقد يتبع هذا الالتهاب ضمور في حجم الخصية في ٥٠٪ من الحالات . اما بالنسبة للعقم الناجم عن ذلك . فلقد بالغ العامة في ذلك اذ قلما حصل العقم عند الشخص المصاب بذلك ، وهناك مضاعفات اخرى ناجمة عن هذا المرض مثل التهاب عضلة القلب والتهاب المبيض والتهاب الكلى .

ومن المؤكد حاليا انه اذا ما نجا الطفل من مضاعفات هذا المرض فان المناعة المكتسبة من هذا المرض مناعة ابدية اذ لن يصاب الطفل بالمرض مرة ثانية .

ما هو العلاج ؟

ان خطورة هذا المرض تتجسم بمعرفة ان هذا الداء لا علاج فعال محدد له . لذا يقف الطبيب مكتوف الايدي امام علاج هذا المرض . ولحسن الحظ فان اغلب هذه الاصابات تمر بدون مضاعفات ويركز في العلاج عادة على صحة الطفل العامة والفم بصورة خاصة مع اعطاء المسكنات حسب حدة الالم وشدة المرض ويلزم المريض فراشه الى ان تزول السخونة عنه . كما ان حركة الطفل البسيطة في البيت لم تثبت علاقتها المباشرة وغير المباشرة بالمضاعفات المعروفة عن المرض خاصة التهاب الخصية والبربخ ولا شك ان العلاج يجب ان يشمل علاج المضاعفات المصاحبة لهذا المرض .

ومن الجدير بالذكر ان الجاما جلوبولين (Ordinary & Globulin) غير فعالة في منع اصابة الطفل للمرض ولكن العلم تمكن حديثا من تحضير مستحضر (Mumps Immunoglobulin) الذي اثبت جدواه في تخفيف حدة المرض والمضاعفات خاصة التهاب الخصية والبربخ اذا ما اعطى بعد يوم او يومين من تعرض الطفل لطفل مصاب بالداء ، اما الشيء الاكيد فهو ان اعطاء المضادات الحيوية لا يؤثر على مجرى المرض .

ويجب التأكد من عزل الطفل المصاب حتى يزول الانتفاخ والاعراض الاخرى المصاحبة له ولكن علينا ان لاننسى ان الطفل المصاب قد قام بعدوى الاطفال المرضين والملاصقين له في ايام فترة الحضانة فمن الاشخاص من اصيب بالمرض ولكن دون اعراض سريرية مما يدل على ان التمسك بالعزل فقط غير كفيل بمنع انتشار المرض الى اطفال آخرين .

مما سبق تتضح صعوبة الوقاية من المرض اذا ما أصاب احد اطفال البيت او المدرسة ولكن هناك سبل وقائية متبعة حاليا واهمها اعطاء مطعوم داء النكاف (جرثومة الحمى المضعفة) ولقد اثبتت فعالية المطعوم في حماية الطفل من الاصابة بالمرض بدرجة تفوق ٩٧٪ ولا ينتقل المرض عن طريق المطعوم للاشخاص القريبين والملاصقين للطفل الذي اخذ المطعوم .

ومع ان المناعة المكتسبة من المطعوم تقل عن تلك الناتجة من الاصابة بالمرض الا ان الدلائل تشير الى ان المناعة المكتسبة من المطعوم كافية لدرجة كبيرة في حماية الطفل من الاصابة بالمرض مدى الحياة .

ويعطى المطعوم عادة في السنة الثانية من العمر عن طريق ابرة تحت الجلد وهناك حالات لا يعطى هناك فيها المطعوم مثل السيدة الحامل والاطفال المصابين بحساسية للبيض والدجاج او اذا كان الطفل مصابا بمرض في الدم مثل السرطان خاصة اذا كان يتعاطى ادوية ضد المناعة او ادوية الكورتيزون ومشتقاتها وفي الطفل المصاب بنقص في معدل الجاما جلوبولين . ولا تتعدى مضاعفات المطعوم عن السخونة وانتفاخ الغدة النكفية مع الم في منطقة الغدة .

لذا . فانني انصح الاسرة ان تعمل على اعطاء مطعوم او طعم داء النكاف لطفلها في السنة الثانية من العمر خاصة . وان هذا المطعوم قلما تصاحبه اعراض تذكر . ولكنه اثبت فعالية في حماية الطفل من الاصابة بمرض قد تتبعه مضاعفات خطيرة منها ماله علاج ومنها ما يقف الطب امامها مكتوف الايدي بندم حيث لا ينفع الندم ■■

عمان ـ د . هشام الناظر

حوار القراء

احياء لذكراه

● الدكتور احمد زكي رحمه الله كان اول رئيس لتحرير مجلة العربي ... اعطاها عصارة فكره وقلبه ... وحقه علينا وعلى مجلتنا خاصة احياء ذكراه وذلك بان تجمع « العربي » مقالاته في كتاب اشباعا لرغبات قرائه الكثر ، واستنهاضا لهمم الباحثين عن النموذج ... في زمن عزت فيه النماذج .

السيد علي السلاموني
عين شمس / مصر

المسلمون في الاتحاد السوفيتي

● اطلعت في العدد « ٢٥٤ » صفر ١٤٠٠ هـ .. على استطلاعكم المصور عن المسلمين في الاتحاد السوفيتي .

ولكن التبس على البعض أمر حجهم : اذ انني قلت : انهم يحجون الى مكة المكرمة وبيت الله الحرام .. بينما قال بعض اصدقائي : انهم يذهبون الى موسكو فقط نيابة عن الحج بدليل ان نشرات السعودية الدورية الرسمية عن عدد الحجاج لا تذكر اي حجاج قدموا من الاتحاد السوفيتي ... فيرجى بيان ذلك .

عبد الله قره محمد
حلب ـ سوريا

المحرر : المعلومات التي ذكرت في الاستطلاع صحيحة ، والحجاج من المسلمين السوفيت يذهبون الى السعودية كل عام ، بالارقام المتواضعة التي تضمنها الاستطلاع .

عالمية الانسان

● ضمن قراءتي للعدد (٢٥٥) ربيع الاول من مجلتكم الغراء لا حظت التشابه الكبير والملحوظ بين ـ حكم من الصين ـ والحكم والامثال العربية التي يتداولها الخاصة والعامة من الناس عندنا ومثالنا على ذلك :

ما ترجمه السيد خان لي للعربية كقوله :

كلما كبرت السنبلة انحنت ، وكلما تعمق العالم تواضع . وفي العربية تقول السنابل الملأى تنحني تواضعا والفارغات منهن شامخات . وكذلك من استهان بالوقت نبذه الزمن . وقيل عند العرب : الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك .

وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان الامم والشعوب مهما تباعدت بينها المسافات فان

رسالتي للماجستير عن العربي

● ان شغفي بمجلة العربي قد بدأ مذ بدأ ميلي الى المطالعة والادب ، بل لا أغالي اذا قلت انه كان لها اليد الطولى والفضل الاول في صقل ذوقي الادبي وتهذيب اسلوبي ... هذا الشغف تبلور اليوم في اختياري « العربي » موضوعا لرسالتي للماجستير في الادب العربي ...

واني اذ اتوجه لكم بكتابي هذا ، وكلي ثقة وايمان بمساعدتكم لي كتزويدي بنبذة عن « تاريخ العربي » ونشأتها او ارشادي الى المراجع التي يمكن ان استقي منها هذه المعلومات .. وهل من كتب او مقالات او رسائل تناولت هذا الموضوع ؟ وهل بالامكان في حال وجودها ارسال نسخ عن هذه المصادر او المراجع مع كامل استعدادي لدفع التكاليف ، ذلك ان امكانياتي المادية لا تحتمل اعباء السفر الى الكويت والاقامة فيها لاستقصاء هذه المعلومات .

كمال عتريسي
بيروت

الفكر الانساني والحضاري بحد ذاته متشابه ـ ولو بشكل نسبي ـ فالفرح هو الفرح والحزن هو الحزن والتواضع هو التواضع فالانسان عالمي بطبيعته وكينونته ابنما وجد وحيثما حل . ان هو الا غصن قد رفد من شجرة الحياة .....

بشار اوبرى
حلب / سوريا

بين الامس واليوم

● عندما كانت معظم البلاد العربية ترزح تحت نير الاستعمار ، كنا نسمع هدير الشعوب العربية يأتي من كل زاوية من زوايا هذه البلاد .. فيأخذ شكل المظاهرات والاضرابات ومقاومة المستعمر بالحجارة والهراوات .. ورفع شعارات الاستقلال والوحدة العربية الخ ..

اما اليوم وبعد ان زادت الهجمة الاستعمارية ، وتعددت اشكال الاستعمار .. فمن استعمار استيطاني الي استعمار مبرقع الى استعمار سافر .. فقد سكتت هذه الشعوب ولم نعد نسمع لها صوتا .. وتوقفت عن المشاركة وجلست على مقاعد المتفرجين .... تتفرج على بؤسها وذلها وقهرها . وباختصار اصبحت الشعوب العربية سلبية ازاء الاحداث ولم تعد فاعلة كما كانت في الماضي . ما السبب يا ترى ؟

المهندس محمد زاهي الخياط
عمان ـ الاردن

امريكا واسرائيل

● ان العلاقة الخاصة القائمة بين امريكا واسرائيل ليست علاقة تابع بمتبوع كما يحلو للبعض ان يصورها ... ولكنها علاقة مصالح متبادلة بين هاتين القوتين .. فاسرائيل تقدم خدماتها لكل من امريكا واوروبا في هذه المنطقة المسماة الشرق الاوسط .. ومن هذه الخدمات الحيلولة دون توحد شعوب الامة العربية .. وابقاؤها ممزقة متناحرة عن طريق تعميق كل التناقضات بين شعوبها . كاثارة النعرات الاقليمية والطائفية .. والعرقية والشعوبية حتى تسهل لأمريكا نهب هذه الشعوب واستعبادها ويسهل لاسرائيل سرقة المزيد من أرضها وخيراتها .

وقد عبر مناحيم بيغن عن هذه العلاقة عندما حاولت امريكا كبح شهية اسرائيل عن ابتلاع المزيد من الاراضي العربية ، اذ قال : ارجو الا تنسى يا مستر كارتر ان التأييد والمساعدات التي تقدمها لنا ليست صدقة ولكنها ثمن ما تقدمه نحن لامريكا واوربا من خدمات جلى .

ورغم هذا نجد ان مصالح امريكا في العالم العربي مصونة مصونة ..

فما الذي يجبر امريكا على تغيير نهجها ما دام المقتول راض عن القاتل .

الدكتور هشام الظاهر
الاردن

يامي

المهوى يامي صعب ... كيف اشكوه وأصبو ؟
كل ما فيه عذاب ... كل ما فيه يحَبُ
أاذا كنت عميدا ... فيه أرمي وأسب ؟
من له منه نصيب ... أيُرجى فيه طب ؟
حب من كان بقلبي ... اذ بذنياك أشب ؟
ودواعى الحب فيما ... بيننا تنمو وتحبو ؟
نزرع الارض ونمضى ... همنا جرى ووثب
وكلانا في اغتباط ... حسبنا في الجرى رحب

علي عرفة رحيباني
دمشق

ابواب القدس

● قرأت التصحيح الذي نشره السيد رشاد غربين في باب حوار القراء العدد ٢٥٠ من العربي عن ابواب القدس القديمة ، وبدا لي ان تصحيحه يحتاج الى تصحيح ، فانا ابنة القدس واكتب لكم من القدس ، لاقول بأن أبواب القدس القديمة سبعة أبواب هي : باب العامود ، الباب الجديد ، باب النبي دواود ، باب الاسباط ، باب الخليل ، باب الساهرة والباب الذهبي وهو من ابواب القدس الرئيسية ولكنه مقفل في الوقت الحاضر لانه يطل على مقبرة الصهاينة .

غ . ط

القدس المحتلة

زيدوا حصة سوريا من العربي

● قرأت في العدد ٢٥٦ من مجلة العربي ان كمية القطر السوري قد زيدت منذ ديسمبر ١٩٧٩ ... وقد ادهشني الخبر لأني حتى الان لا استطيع الحصول على نسختي الشهرية من العربي الا بشق الانفس وبضعف السعر الرسمي ..

أمل ان تضاعفوا كمية سوريا من العربي حتى يتمكن القارىء من الحصول عليها

محمد عدنان شعبان

ادلب / سوريا

كوكب زحل

● في عدد العربي رقم ٢٥٥ فبراير شباط ١٩٨٠ وضمن مقال السيد مجدي نصيف تحت عنوان (بيونير ١١ تكشف اسرار الكوكب العملاق زحل) ورد ما يلي :

(وزحل هو ثاني اكبر الكواكب بعد المشترى في المجموعة الشمسية . وهو اكبر من الأرض حوالي تسع مرات ونصف مرة لكنه يتكون من غازات لذلك فهو خفيف حتى انه يمكن ان يطفو على سطح احد المحيطات الارضية كما تطفو الكرة على سطح الماء) .

ولي هنا تصحيح واعتراض ...

والتصحيح ان كوكب زحل اكبر بكثير من الرقم الذى اورده الكاتب اذ يبلغ قطره ٧١٥٠٠ ميل وبذلك يفوق حجمه حجم الكرة الأرضية اكثر من ٧٣٥ مرة كما ان كتلة الكوكب تفوق كتلة الارض باكثر من ٩٥ مرة اذ ان كثافته حوالى ٠,٧ /غرام/ سم مكعب . اما الرقم ٩,٥ والذى اورده كاتب المقال فينطبق على البعد وليس على الحجم اذ ان بعد كوكب زحل عن الشمس قدر بعد الارض عن الشمس حوالي تسع مرات ونصف المرة (٩,٥ وحدة فلكية) .

اما الاعتراض فعلى ما جاء في المقال من أن زحل يمكن ان يطفو على سطح احد المحيطات الارضية كما تطفو الكرة على سطح الماء ، قد يكون هذا الكلام للدلالة على قلة كثافة المادة للكوكب زحل والتي تبلغ كما ذكرت ٠,٧ غرام / سم مكعب . ولكن كيف يمكن من الناحية العملية ان نتصور كوكبا يزيد حجمه عن حجم الارض ٧٣٥ مرة ويزيد وزنه عن وزن الكرة الأرضية باكثر من ٩٥ مرة ان يطفو فوق احد المحيطات الارضية كما تطفو الكرة فوق سطح الماء . من المستحيل ان نتصور ذلك حتى في الخيال .

محمد اسماعيل حسن رمضان

بيادر وادى السير / الاردن .

كتاب الشهر :



النصف الجائع

دراسة في الاستغلال الواقع على العالم الثالث
ثرواته مستنزفة ومديونيته ١٠٠ الف مليون دولار !

تاليف :ادريس كوكس

عرض وتقديم : فيليب جلاب

احد العناصر الثابتة يوميا في كل صحافة الغرب ووسائل اعلامه هي ان تؤكد في ذهن القارىء مسئولية الدول المنتجة للبترول (خاصة الدول العربية) عن كل ما يحيق او سيحيق بالاقتصاد الامريكي والأوربي والعالمي من كوارث

والسبب انه منذ اعوام قليلة اصبح لغالبية الدول المنتجة للبترول وهو مصدر ثروتها الوحيد ، الكلمة الاساسية في تحديد سعره وفقا لظروف العرض والطلب في اسواق العالم ، رغم ان جوهر فلسفة الغرب الاقتصادية هو « الاحترام » الذي يرقى الى مرتبة « التقديس » لمبدأ « العرض والطلب » ، او ما يسمى بأهم أسس « الاقتصاد الحر » !

ومنذ اكتشاف البترول والى سنوات قليلة ماضية ، كان للشركات والحكومات الغربية الكلمة الاولى

والاخيرة في التنقيب عن البترول واستخراجه وتصفيته وتسويقه .

ولم تكن الدول صاحبة المصالح الحقيقية تحصل من هذه الثروات الاسطورية إلاعلى « عوائد » رمزية ، بينما يجني الاجانب ثمار كنوز ليست لهم ، ضاعفت من رخائهم وترفهم على حساب الذين يملكون الثروة ويزدادون فقرا .

وعندما حدث اخيرا ما كان يجب ان يحدث منذ عشرات السنين ، لم ينفرد اصحاب الثروات البترولية بثمار هذه الثروات ، بل ظلت الشركات الاجنبية حتى الآن (باعتراف المصادر الغربية) تحقق الاف الملايين من الدولارات ، بالحق او بالباطل .

ومع ذلك تأخذ الحملة الاعلامية والسياسية المعادية لمنتجي البترول في العالم الثالث ابعادا جديدة وخطيرة يوما بعد يوم ، حتى ليرى فيها البعض شيئا من التعبئة المكثفة للرأى العام الاوربي والامريكي ، لكي يؤيد ، او على الاقل لايعترض على اى اجراء او مغامرة عسكرية للاستيلاء بالقوة على منابع البترول في دول العالم الثالث في المستقبل .

لكن المشكلة الحقيقية التي تواجه الغرب وتدفع أعلامه الى هذا الاتجاه الخطير ، هي ان الغربيين « رتبوا انفسهم » واقتصادياتهم منذ عشرات السنين على ان تستنزف ثروات العالم الثالث (او المستعمرات السابقة) لكي يزداد الامريكيون والاوربيون رفاهية ، ولم يكن البترول فقط هو الهدف . فمنذ الثورة الصناعية الاوربية وحتى اليوم تستنزف جميع المواد الخام والثروات الطبيعية والمحاصلات الزراعية بابخس الاسعار ، ثم تصدر المنتجات الغربية الى المستهلكين في الدول « المتخلفة » بأفدح الاسعار . وعندما استردت الدول المنتجة للبترول بعض حقوقها المسلوبة لم يستطع المستهلكون في الغرب حصار هذه الخطوة وقتلها في المهد . لان البترول « بالصدفة » ليس هو « الكاكاو او « البن » او غيره من المحاصيل او المنتجات المعدنية التي يمكن مقاطعتها حتى يعود منتجوها الى « جادة الصواب » ، ولان الظروف العالمية لم تكن مواتية لشركات البترول الاجنبية .

لكن البترول يمكن ان يكون البداية ، لكي يسترد منتجو المواد الخام بعض « حقوقهم » ازاء عمليات الاستنزاف التاريخية التي مازالت قائمة . واذا كان عنصر واحد ، رغم خطورته الانتاجية والاستراتيجية ، لم يؤد بعد الى ان يعيد « المترفون » النظر في اقتصادياتهم ، التي بنيت لتحقق الرفاهية هناك والفقر هنا ، فربما يصعب تجاهل الحقائق الراسخة اذا ما لحقت بالبترول عناصر اخرى ابتداء من المحاصيل الزراعية وحتى اليورانيوم ، التي مايزال الاقتصاد الغربي يعيش وينتعش على استنزافها .

وفي هذا الكتاب الذى اصدره كاتب بريطاني هو « ادريس كوكس » بعنوان : « النصف الجائع (دراسة في الاستغلال الواقع على العالم الثالث) » ، صورة حية للاستنزاف الحقيقي الذى ادى ، ومايزال يؤدى بالفعل ، الى ثراء ورفاهية اقلية من البشر في الغرب على حساب فقر وجوع غالبية سكان العالم سنة ٢٠٠٠ ، الذين يشكلون الآن اكثر من نصفه ، وهم شعوب العالم الثالث .

ودون ان يتعرض المؤلف لعنصر البترول بالتحديد ، الا انه يؤكد بالارقام والوقائع ان فقر وجوع سكان العالم الثالث يرجع في الاساس لعمليات الاستنزاف التاريخي لثروات « الفقراء » مرتين . مرة باستيراد المواد الخام بابخس الاثمان ومرة اخرى بتصدير السلع المصنوعة بافدح الاثمان . اما الخلل الاساسي في اقتصاديات الغرب فهو مسئولية اصحابه اولا واخيرا . فليست الازمات شبه الدوريه لذلك الاقتصاد مسألة طارئه . ولا يمكن ان يستمرجئون الاستهلاك الترفي في عالم يموت فيه البعض جوعا ، ثم يتحمل الجوعى او الفقراء مسئولية التضخم او الانكماش او الافلاس الذى يهدد اقتصاد العالم .

٢٠٠ طفل كل دقيقة

خلال العام الحالى (١٩٨٠) سيصل تعداد العالم الى حوالى ٤٣٣٠ مليون نسمة . واكثر من نصف هذا العدد او حوالي ٢٢١٠ مليون نسمة هم سكان مايسمى الآن بالعالم الثالث . اما تعداد الدول الاشتراكية فيقدر بحوالي ١٣٠٠ مليون نسمة ، والباقون وهم ٨٢٠ مليون نسمة يعيشون في الدول الرأسمالية .

والظروف التي يعيش في ظلها غالبية سكان العالم الثالث او الدول النامية اسوأ بكثير ، كما يرى المؤلف ، من الاحوال الرهيبة التي سادت بريطانيا في الفترة المبكرة للثورة الصناعية منذ مائتي عام . وينطبق ذلك بدرجات متفاوتة على آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . فقلة قليلة من سكان هذه القارات هي التي تعيش في مساكن ملائمة . والباقون يعيشون اما في اكواخ من الطين في القرى ، بدون اى مياه جارية او نظام صحى

للمجاري او كهرباء او غاز (للوقود !) ، او في اكواخ وخرائب داخل المدن تنقصها بالطبع كل مستلزمات الحياة الآدمية ايضا من مياه او صرف صحي او كهرباء .. الخ .

ويرجع ادريس كوكس السبب في عدم حدوث تغير كبير او اساسي في مستوى المعيشة في العالم الثالث ، بعد تحقيق الاستقلال ، الى استمرار الاستغلال الاجنبي لموارد العالم الثالث بأرخص الاسعار ، وتصدير السلع والمنتجات الغربية الى العالم الثالث باعلى الاسعار .

وازاء الزيادة التي لاتتوقف في معدل النسل في العالم الثالث ، الى جانب الاسباب المذكورة آنفا ، ظل معدل الناتج القومى للفرد في العالم الثالث لايتجاوز ١/١٠ مثيله في الغرب .

ومنذ عشرة اعوام فقط كشفت احصائيات الامم المتحدة عن ان ميزانية الخدمات الصحية والعلاجية في العالم الثالث عامة لاتتجاوز ما بين اربعة وسبعة « شلنات » في السنة ، بينما تصل مثيلتها في الدول الرأسمالية المتطورة الى مابين عشرة واربعة عشر جنيها استرلينيا للفرد الواحد في السنة .

لكن اخطر آثار الاوضاع الاقتصادية في العالم الثالث هي التي يتعرض لها الاطفال ، وهم اكثر من ١٠٠٠ مليون تحت سن الخامسة عشر في العالم الثالث . ووفقا للارقام المؤكدة في بيانات الامم المتحدة يولد ٢٠٠ طفل في كل دقيقة في العالم الثالث ، يموت منهم ٤٠ طفلا خلال عامهم الاول .

ولايحصل غالبية الباقين على اى عناية طبية حديثة خلال طفولتهم . ويعاني نصفهم على الاقل من امراض سوء التغذية . ومن بين الذين يعيشون حتى سن الالتحاق بالمدرسة لايتمتع بهذا « الامتياز » سوى نصفهم فقط .

ومن بين كل عشرة يلتحقون بالمدرسة لايزيد عدد من يكملون مرحلة الدراسة الابتدائية عن اربعة اطفال . واقل من واحد بين كل عشرة من هؤلاء هو الذى يلتحق بعد ذلك بمدرسة ثانوية .

حصار محكم

لكن هذه الشعوب التي تلهث دون ان تحقق الحد الادنى للحياة الانسانية الكريمة ، هي التى قدمت للدول الصناعية في الغرب خلال المائتي عام الاخيرة اهم اسباب التقدم والرخاء ، التي ادت بدورها الى انماط الاستهلاك الترفي في عالم لايجد اكثر من نصف سكانه مايملأون به بطونهم .

يقول « كوكس » ان النمو الاقتصادى في العالم الغربي في القرنين الماضيين ادى الى ازدياد الحاجة الى المواد الخام والمنتجات الاولية . وادى ذلك الى عمليات الاستغلال المكثفة للبلاد التي تملك المواد الخام وتنقصها الوسائل الحديثه لتحويلها الى سلع تامة الصنع . ومن ثم اصبحت ضحايا الشهية المتفتحة لرءوس الاموال الاجنبية المتوسعة . »

وتطورت الامور من مجرد الاستغلال الى السيطرة الكاملة على البلاد ومواردها ، بحيث اصبح اقتصاد هذه البلاد يعتمد على انتاج محاصيل محددة بهدف خدمة الصناعة الاجنبية ، التي تستنزف ايضا بقية ثرواته من المناجم والمعادن والمواد الخام .

وعندما حصلت غالبية دول العالم الثالث على استقلالها خلال الاعوام الثلاثين الماضية كانت اوضاعها الاقتصادية ، التي فرضت لصالح الصناعات الاجنبية من قبل ، من اهم العقبات التي عرقلت تقدمها ورفع مستوى معيشة شعوبها .

واضافت السيطرة الاقتصادية للاحتكارات الاجنبية الكبرى اسبابا اخرى للحد من محاولات دول العالم الثالث للخروج من دائرة الفقر ، بسبب ما تفرضه هذه الاحتكارات من اسعار منخفضة للمواد الخام التي تستوردها واسعار مرتفعة للسلع المصنوعة التي تصدرها .

ورغم كل هذه الظروف ـ كما يقول الكاتب البريطاني ـ استطاعت دول العالم الثالث ان تحقق بعض التقدم الاقتصادى في السنوات الاخيرة .

فخلال الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٦٧ بالتحديد وصل معدل النمو السنوى بالنسبة لمجمل الانتاج القومي في ٧٠ دولة في العالم الثالث الى ٥٪ ، وفي ٢٠ دولة اخرى الى ٦٪ ، وكان معدل النمو في العالم الرأسمالي عامة في نفس الفترة لايتجاوز ٨ر٤٪ .

الفجوة تتسع

وتحاول بعض الدوائر ارجاع ذلك النمو او التقدم الى « المعونات الاجنبية » لدول العالم الثالث . لكن « ادريس كوكس » يقول بالارقام ان ٨٥٪ من التقدم

الاقتصادي في دول العالم الثالث يعود الى الاستثمار القائم على المدخرات المحلية المحدودة . ولايساهم راس المال الاجنبي والمعونات الخارجية في التنمية الاقتصادية لدول العالم الثالث باكثر من ١٥٪ .

ومع ذلك فمن الواضح ان دول العالم الثالث لاتزال في قبضة الاقتصاد الرأسمالي الغربي الى حد كبير . وتقول الارقام ان ٧٣٪ من صادرات العالم الثالث تذهب الى الغرب ، وهي عادة من المواد الخام والمعادن والمنتجات الاولية . ورغم ان الدول الغربية تحدد اسعار المواد الخام في « السوق العالمي » بما يتلاءم مع مصالحها ، الا انها تصدر ٢٦٪ من منتجاتها المصنوعة الى دول العالم الثالث بأفدح الاسعار . وهذه - في رأى المؤلف البريطاني - اكبر عقبة في طريق تحقيق تنمية سريعة لاقتصاديات العالم الثالث . وهو ما تؤيده لجان الامم المتخصصة ، مثل اللجنة الاقتصادية لشئون افريقيا التابعة للامم المتحدة ، التي قالت في تقرير لها حول ظروف التنمية الاقتصادية في القارة الافريقية بان « اخطر العقبات في طريق افريقيا هي انخفاض عائد ما يصدره ، مما يحد بالتالي من قدرتها على استيراد سلع رأسمالية » .

وبسبب الانخفاض الواضح في اسعار صادرات العالم الثالث الى « السوق العالمي » وزيادة اسعار ما تستورده من سلع رأسمالية ومصنوعة ، في نفس الوقت ، زادت الفجوة بين العالمين اتساعا ، وخسر العالم الثالث فيما بين عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٦ فقط ما يساوي ١٠٠٠ مليون جنيه استرليني سنويا في ذلك الوقت ، او ضعفه على الاقل بالاسعار الحالية .

ووفقا لارقام النشرة الاحصائية للامم المتحدة ارتفعت مثلا اسعار المواد الغذائية التي تصدرها دول الغرب في عام ١٩٦٦ بنسبة ١٣٪ عن اسعار عام ١٩٥٨ ، بينما هبطت اسعار نفس المواد الغذائية المصدرة من دول العالم الثالث بنسبة ١٨٪ عن نفس الفترة . اي ان الثغرة بين العالمين لا تتسع فقط فيما يتعلق بالمواد الخام والسلع المصنوعة لكنها تتسع ايضا حتى اذا تشابهت السلع !

حجة الاجور

وفي مؤتمر الامم المتحدة الاول للتجارة والتنمية (اونكتاد) الذي انعقد في جنيف منذ اعوام تبين الفارق الرهيب بين ما تحدده الدول الغربية لصادراتها وما تحدده في نفس الوقت لوارداتها من دول العالم الثالث .

ولكي تستورد دول العالم الثالث طنا واحدا من الصلب كان عليها ان تصدر مقابلا له ٢٠٢ رطلا من الكاكاو عام ١٩٥١ ، ثم ٥٧١ رطلا من الكاكاو في عام ١٩٦١ ، او ١٣٢ رطلا من المطاط عام ١٩٥١ ثم ٤٤١ رطلا في عام ١٩٦١ .

وهذه العملية تضع العالم الثالث في موقف صعب ، ليس فقط لان حوالي ٩٠٪ من صادراته من المنتجات الاولية ، لكن لان اكثر من نصف ما تصدره دول العالم الثالث يتكون عادة من محصول واحد . وبذلك يواجه العالم الثالث عقبتين خطيرتين ، الاولى هي الضغوط التي يمارسها الغرب على الاسواق لتخفيض ثمن المنتجات الاولية ، والثانية هي نمو انتاج بدائل صناعية في الغرب لتحل محل كثير من المنتجات الطبيعية مثل المطاط والجوت والقطن وغيرها .

وربما يثير بعض المدافعين عن الاوضاع السائدة في السوق العالمي بعض المبررات لانخفاض اسعار منتجات العالم الثالث ، مثل القول بان انخفاض الاجور في الدول النامية هو الذي يؤدي الى انخفاض قيمة الانتاج . لكن « ادريس كوكس » يرد على هذه « الحجة » بان الاجور ليست ثابتة بشكل ابدي ، وان تحسين الظروف الاجتماعية يعني زيادة الاجور ، وذلك لن يتم اذا لم ترتفع اسعار تلك المنتجات .

وهو يرى في نفس الوقت ان الاحتكارات العالمية الضخمة ، والمؤسسات التجارية العملاقة ، وغيرها من القنوات الاقتصادية التي يسيطر عليها الغرب قادرة دائما على التأثير في الاسعار في السوق العالمي ، وفرض الحصص والتعريفات . وحيث ان ٧٣٪ من تجارة العالم الثالث مع الغرب ، يصبح الفكاك من الاسعار المفروضه المجحفه امرا شبه مستحيل .

ومن جهة اخرى تواجه المنتجات المصنوعة ونصف المصنوعة لدول العالم الثالث قيودا اخرى في التصدير يفرضها نظام الحصص وقوانين الحماية الجمركية التى وضعتها الدول الغربية لتحد من اي منافسة لمنتجاتها .

والهدف من هذا كله بالطبع هو تحقيق اكبر قدر من الربح للاستثمارات الاجنبية ، بصرف النظر عما يلحق بالعالم الثالث من خسائر . وعلى كثرة ما يتردد من ارقام عن الاستثمارات الاجنبية في العالم الثالث ، يقول المؤلف ان كل تلك الارقام تقريبية ، وليس هناك حساب دقيق لقيمة الاستثمارات او للارباح التي تجنيها من العالم الثالث .

اما التقارير الرسمية فتعتمد اساسا على ما تقدمه الاحتكارات والمصارف ، التي تحدد بنفسها ما تكشفه وما تخفيه .

ومما يساعدها على ذلك ، النمو المتواصل لرأس المال الاحتكارى العالمي ، والتداخل او الاندماج الذى يتم من حين لآخر بين الشركات الكبرى . وتملك تلك الاحتكارات مؤسسات كثيرة ملحقة ، بعضها معروف وبعضها الآخر مجهول ، بحيث تستطيع ان ترحل على الورق ماتريد ترحيله من ارباح او خسائر ، لكي تخفى اكثر مما تظهر .

وقد ذكرت صحيفة « التايمز » البريطانية ان الشركات الدولية نمت بشكل متزايد في الستينات حتى اصبح عدد الشركات التي يزيد دخل كل منها عن مجمل الناتج القومي لايرلندا (١٣٠٠ مليون جنيه استرليني) اكبر من عدد بلاد العالم الثالث التي تتجاوز ميزانياتها هذا الرقم .

ومنذ عشرة اعوام بلغت ارصدة واستثمارات الولايات المتحدة الامريكية في الخارج اكثر من ١٢٠ الف مليون دولار ، واستثمارات بريطانيا حوالي ١٣٫٥٥٥ مليون جنيه استرليني .

وفي اكثر التقديرات تواضعا تحصل امريكا وبريطانيا على ارباح سنوية تقرب من ٥٠٪ من قيمة رؤوس اموالها .

لكن كل هذه التقديرات كما يقول « كوكس » تتم على اساس نظرى ، اما القيمة الحقيقية ، على اساس اسعار السوق ، فتزيد كثيرا عن هذه الارقام .

قصة المعونات

ويبدو للبعض احيانا ان عمليات الاستنزاف الهائلة لموارد ومصادر ثروات العالم الثالث تتناقض مع قيام الدول الغربية بما يسمى ببرامج « المعونة الاقتصادية » لدول العالم الثالث . لكن المؤلف لايرى في تلك البرامج ، التي بدأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، الا محاولة للتغطية على عمليات الاستنزاف الاقتصادى المتزايدة من ناحية ، مع تزويد بلاد العالم الثالث بالبناء التحتى اللازم لتسهيل مهام الشركات الاجنبية مثل الطرق والمواصلات ونظم الرى والمدارس والخدمات الصحية والطاقة وغيرها ، من جهة اخرى .

وهو يقدم الدليل على ذلك من تقرير للبنك الدولي ومن وثائق الامم المتحدة . يقول تقرير البنك الدولي : « ان غالبية قروض البنك تستهدف الخدمات الاساسية مثل الطرق السريعة ، والسكك الحديدية ، ومصادر القوى ، والرى ، وماشابه ذلك ، مما يعد اساسيا لنمو المشروعات الخاصة » .

وفي نفس المعنى تقول النشرة الشهرية للامم المتحدة « يجب ان يكون هناك حد ادنى من الطرق ، ومحطات القوى ، والمدارس ، والمستشفيات والمباني الحكومية والمساكن . وقد بينت التجربة ان الانتاج يمكن ان ينمو دون عراقيل . وتلعب المبادرة الفردية دورها الكامل عندما تتوفر تلك الاسس ولا يكتفي المؤلف بهذه الشواهد التي ظهرت في تلك التقارير منذ امد طويل ، لكنه يضيف اليها شهادة حديثة فيا سمى بتقرير ليستر بيرسون للبنك الدولي ، تحت عنوان « شركاء في التنمية » مما يؤكد ان الامر ليس مجرد موقف عارض ولكنه سياسة ثابتة . يقول التقرير : « ان المعونة الرسمية التي تقدم في الحقيقة ، لغالبية الدول ، تستهدف تمويل بناء المدارس والطرق والمستشفيات وغيرها من عناصر البناء التحتى ، تعد متطلبات ضرورية وحوافز للاستثمار الخاص » .

لكن ذلك لا يعنى ان كل مجالات نشاط الامم المتحدة قاصرة على تنمية مصالح القطاع الخاص في العالم الثالث ، مثل غيرها من معونات الدول الغربية . وربما كان الرئيس الامريكي الراحل جون كينيدى هو اكثر المسئولين في الغرب صراحة في هذا الشأن ، حيث اعلن عام ١٩٦١ ان « المعونة الخارجية هى اسلوب تتبعه الولايات المتحدة للحفاظ على النفوذ والسيطرة في مختلف انحاء العالم ، ومساندة حكومات بلاد كثيرة كان يمكن ان تنهار او تنتقل الى الكتلة الشيوعية . » .

بينما ترى مجلة « يو . اس . نيوز اند ورلد ريبورت » الامريكية ان « القصة الحقيقية للمعونة الخارجية هي انها عملية دعم للاقتصاد الامريكي » .

ويضرب المؤلف الكثيرمن الامثلة المدعمة بالارقام عن ضآلة المعونات الاجنبية لدول العالم الثالث ، مع اشتراط ضرورة انفاقها في شراء سلع من الدولة التي تقدم المعونة ، والمطالبة بنسبة فوائد تثقل كاهل اى دولة من دول العالم الثالث .

قروض لتسديد الديون !

ويقدر ادريس كوكس ، بناء على المعدل المعروف

لمديونية دول العالم الثالث ، حجم مجموع الديون في هذا العام حوالي ١٠٠ الف مليون دولار .

وفي تقرير للبنك الدولي عام ١٩٦٨ يتضح ان ٣٤ بلدا في العالم الثالث تدفع كأقساط لديونها سنويا اكثر من نصف « المعونة » المقدمة لها كمنح وقروض ، واصبح الآن من المعروف ان جانبا كبيرا من القروض المقدمة لدول العالم الثالث تستخدم في تسديد ديون سابقة .

وكأن ذلك كله ليس كافيا لتعقيد مشاكل العالم الثالث ، اذ تزداد مشكلة الفقر والجوع حدة بسبب النمو السريع في عدد السكان ، مما يتجاوز كثيرا ما تستطيع هذه الدول توفيره من طعام . ورغم ان عدد السكان في العالم كله سجل زيادة مطردة في القرنين التاسع عشر والعشرين الا ان أكبر نسبة من الزيادة تسجلها دائما الدول التى تدخل الان في نطاق العالم الثالث . ومن المتوقع وفقا للارقام الحالية ان يصل عدد سكان دول العالم الثالث في عام ٢٠٠٠ الى حوالي ٥٠٠٠ مليون نسمة اى ما يساوى خمسة اسداس (٥/٦) سكان العالم كله .

اما الوضع السائد حاليا فهو ان تعداد اوربا وامريكا الشمالية حوالي ٢٨٫٦٪ من سكان العالم ، لكنهما تملكان ٥٦٫٥٪ من غذاء العالم كله ، و٧٧٫٥٪ من الدخل .

وعلى العكس من ذلك يبلغ تعداد العالم الثالث اكثر من ٦٤٪ من سكان العالم ، لكنه لا يملك من الطعام اكثر من ٣٦٪ ، وما يزيد قليلا عن ١٦٪ من الدخل العالمي .

صعوبة تحديد النسل

ويرى « ادريس كوكس » ان مسألة تحديد النسل تبدو مغرية تماما كأسهل واسرع الحلول لمواجهة مشكلة نقص الغذاء . وبنفس الدرجة تبدو نظرية « مالتس » عن حتمية زيادة عدد السكان عن الزيادة في انتاج الغذاء . ومن ثم يرى من يأخذون بها ان تحديد النسل يجب ان يسبق اى محاولة للتغيير الاقتصادى والاجتماعى .

لكن ذلك الاغراء يجتذب الذين يبحثون عن حل « سهل » ، رغم ان مشكلة تحديد النسل ليست في الواقع العملي من المسائل السهلة التنفيذ .

ويؤكد المؤلف ان الحل الاساسي للمشكلة هو توسيع وتكثيف مجال البحث في انتاج الطعام . فما زال الجزء المستغل زراعيا من الارض في العالم كله في حدود ١٠٪ فقط من المساحة الكلية . ومازالت التجارب لانتاج الطعام من النبات والحشائش ومن البحر في بدايتها .

ومشكلة دول العالم الثالث تبدو اكثر تعقيدا ، بسبب ما ورثته من نظم اقتصادية وانتاجية واجتماعية متخلفة وما يسود مجتمعاتها من وسائل بدائية للانتاج ، وما ينقصها من رؤوس اموال ومن الفنيين والعمال المهرة .

وفي مثل هذه الاوضاع لاتحقق برامج تنظيم الاسرة وتحديد النسل شيئا كثيرا ، طالما طبقت هذه النظم بمعزل عن اجراءات التغيير الاجتماعى والاقتصادى الجذرية .

ومن ثم لايقلل المؤلف من أهمية برامج تحديد النسل ، لكنه لا يرى لها اى جدوى اذا لم تقترن بتغيير شامل وجذرى في الانماط المتخلفة السائدة في مجتمعات العالم الثالث . ■■

القاهرة ـ فيليب جلاب

لا .. يا مارشال

● كان نابليون يبحث عن كتاب في مكتبه الخاص واكتشف اخيرا انه موضوع على رف لا يستطيع اخذه منه لقصر قامته ...

فتقدم المارشال لونكي ـ اطول رجال الجيش قامة قائلا : ـ اسمح لي يا سيدى فانا اعلا من جلالتك ..

فاجابه الامبراطور عابسا : ـ بل قل انك اطول مني قامة يا مارشال .

نزهة العقل الذكي بجهوده الذاتية

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٣٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٥٩ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول اغسطس (١٩٨٠) .

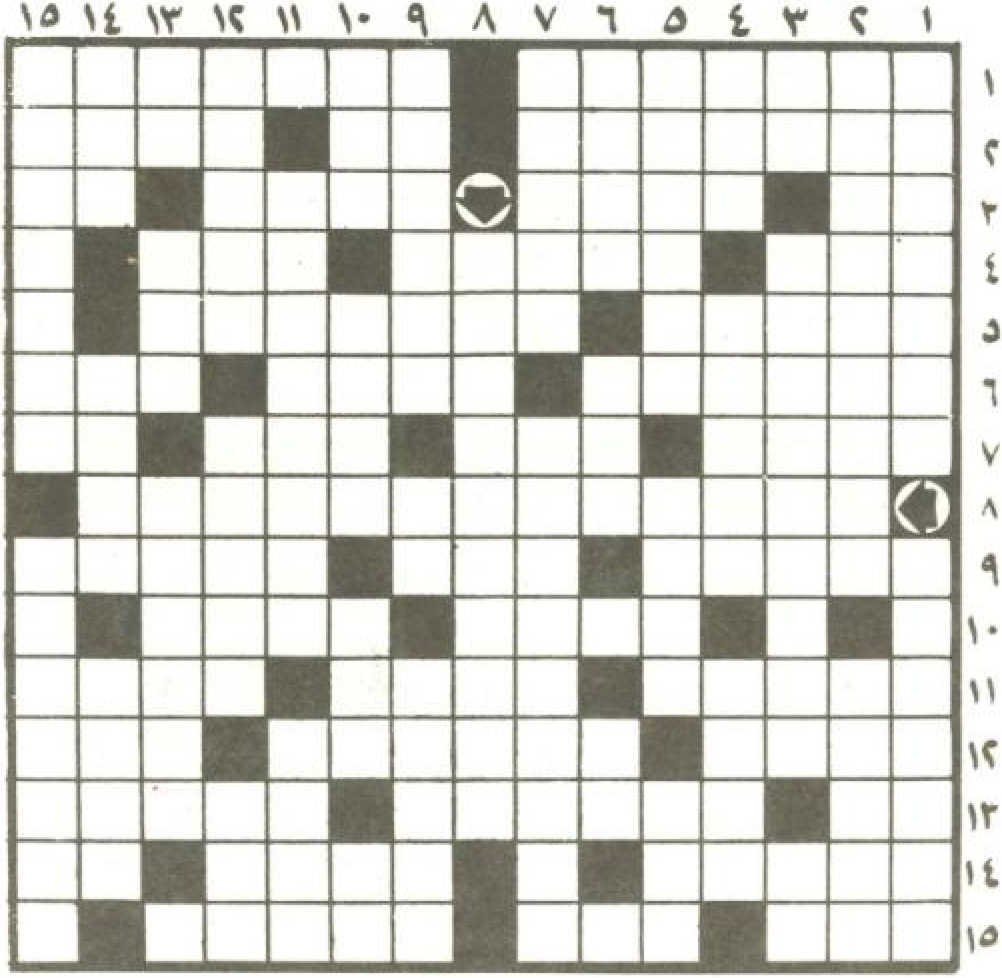
اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم خطيب وشاعر من الصحابة ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم واحدة من حكيات العرب في الجاهلية .

الكلمات الأفقية :

١ ـ جزيرة يابانية كبيرة ـ سهل منبسط كبير بالارجنتين .
٢ ـ من كلاب الرعاة الممتازة ـ نصف كلمة (جياد) ـ كي .
٣ ـ من المقامات الموسيقية ـ من الاقمار الصناعية ـ غطاء .
٤ ـ قنوط ـ سر برها ـ رخص .
٥ ـ للوقاية من الغازات السامة ـ عقيدة أسيوية .
٦ ـ يشيدان ـ طلاء ـ بدون .
٧ ـ حظيت بك ـ منع ـ رشاد ـ نصف كلمة (أجير) .
٨ ـ خطيب وشاعر من الصحابة .
٩ ـ حلوها ـ نسق ـ حينها .
١٠ ـ لقب تبتي ـ أحصاها .
١١ ـ الظل ـ رضيع ـ أعنف .
١٢ ـ عسرذي ـ هبوط ـ تجدها في كلمة (يراع) .
١٣ ـ بحر ـ حرمه الدين ـ لاعبة .

كوبون مسابقة العدد ٢٥٩



١٤ ـ أقتصده ـ ظاهرة جوية ـ من المقامات الموسيقية .
١٥ ـ تشرع ـ ظهر ـ أفزعها .

الكلمات الرأسية :

١ ـ اعصار ـ من قبائل المملكة الحيوانية .
٢ ـ شاعر انجليزي معروف ـ حيوان .
٣ ـ رمز الروح عند الفراعنة ـ نهر معروف بأمريكا الشيا[illegible] حقة .
٤ ـ غاب [illegible] ن ـ بيوت .
٥ ـ يبتغيها ـ مرتفع ـ في النار .
٦ ـ قذيفة ـ كرى ـ من الاقارب .
٧ ـ على السرير ـ آلة موسيقية .
٨ ـ من حكمات العرب في الجاهلية .
٩ ـ أسلافه ـ حرفان متشابهان ـ يمليه .
١٠ ـ حيوان مفترس ـ ضعيف ـ جرى ـ نصف كلمة (بائد) .
١١ ـ من شخصيات ألف ليلة وليلة ـ غى .
١٢ ـ الموت ـ يكسرها ـ اهتم .
١٣ ـ حرف استفهام ـ سلب ـ يقابله .
١٤ ـ وقر ـ عملة عربية ـ للنوم .
١٥ ـ من المنكهات والتوابل ـ الضعيفة .

من رواد المسرح العربي

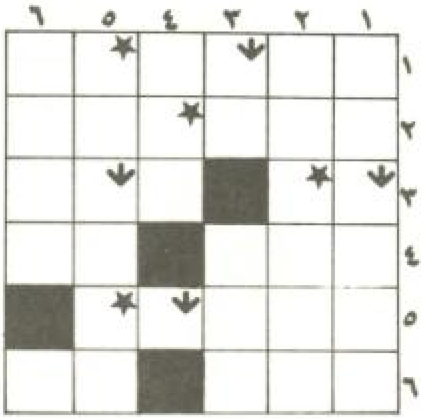
ابدأ بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لأحد رواد المسرح العربي . ثم انقل الحروف التي في المربعات التي بها النجوم ، ورتبها لتصنع لقبه .

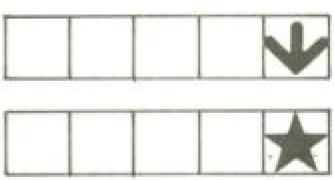
الكلمات الافقية :

١ ـ من الزهور العطرية .
٢ ـ مركز صناعة السينما الامريكية .
٣ ـ نصف كلمة (وبيل) ـ غاب .
٤ ـ وعاء ـ نصف كلمة (قارة) .
٥ ـ يظهره .
٦ ـ فزع ـ نظير .

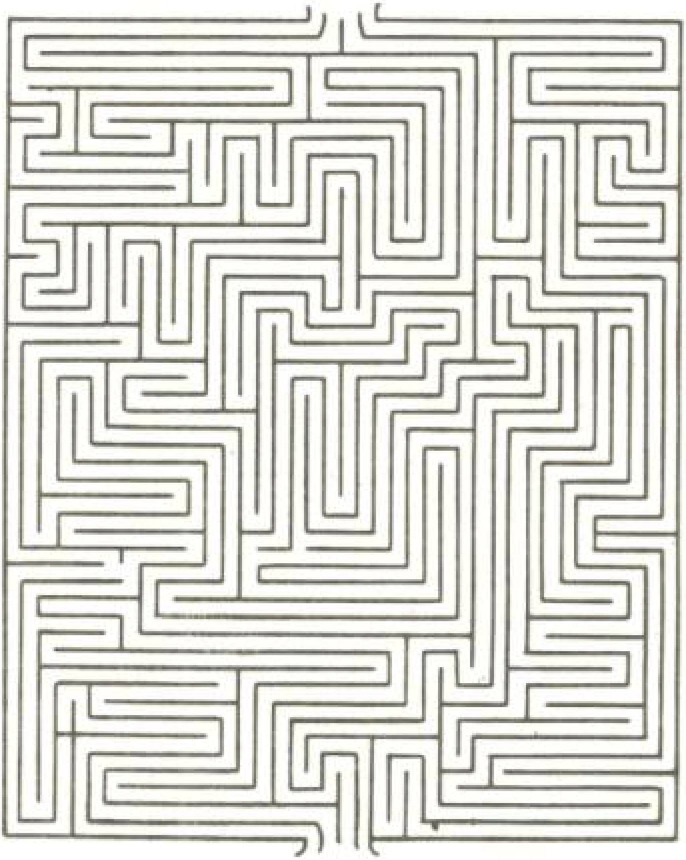
الكلمات الرأسية :

١ ـ من الاديان السماوية .
٢ ـ طائر مغرد .
٣ ـ مقام موسيقي ـ على شاطىء البحر .
٤ ـ وحدة قياس كهرباء (معكوسة) .
٥ ـ يقتصدهن .
٦ ـ ترشده .





أ



ى

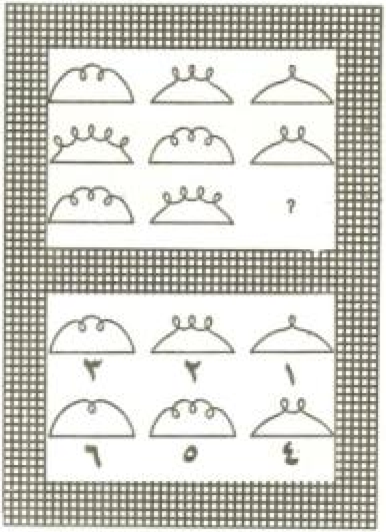
الممر السري

اكتشف العالم الأثري هذه المدينة العجيبة التخطيط ، وما أن دخل من المدخل (أ) حتى ادرك صعوبة الخروج من المدخل (ي) . هل تستطيع أن تدله الى الطريق السليم ؟.

أين الصواب ؟ .. وأين الخطأ ؟ ..

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خطأ ، هل تستطيع التمييز بينها ؟ .

١ ـ فيدياس : فيلسوف اغريقي .
٢ ـ شارل جوديير : أول من اكتشف فلكنة المطاط بالكبريت للاستخدامات اليومية .
٣ ـ سيف الله : لقب خالد بن الوليد .
٤ ـ رومانوف : اسرة حاكمة روسية قديمة .
٥ ـ قصي بن كلاب : قرشي انتزع السيادة على البيت الحرام من خزاعة .
٦ ـ سلامبو : محرر العبيد .
٧ ـ زرقون : من الاحجار الكريمة .
٨ ـ راميسيوم : معبد جنائزي بناه رمسيس الثاني .
٩ ـ كاجلياري : حيوانات من فصيلة القطط .
١٠ ـ ليبانتو : من أكبر المعارك البحرية في التاريخ بين الاتراك والاوروبيين



الشكل المطلوب

من دراسة الاشكال التي في الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أي الاشكال ذات الارقام يحل محل علامة الاستفهام في الصف الثالث .

الحلول

النجمة والسهم :

يوسف وهبي .

اختبار معلومات :

كلها صحيحة فيما عدا :

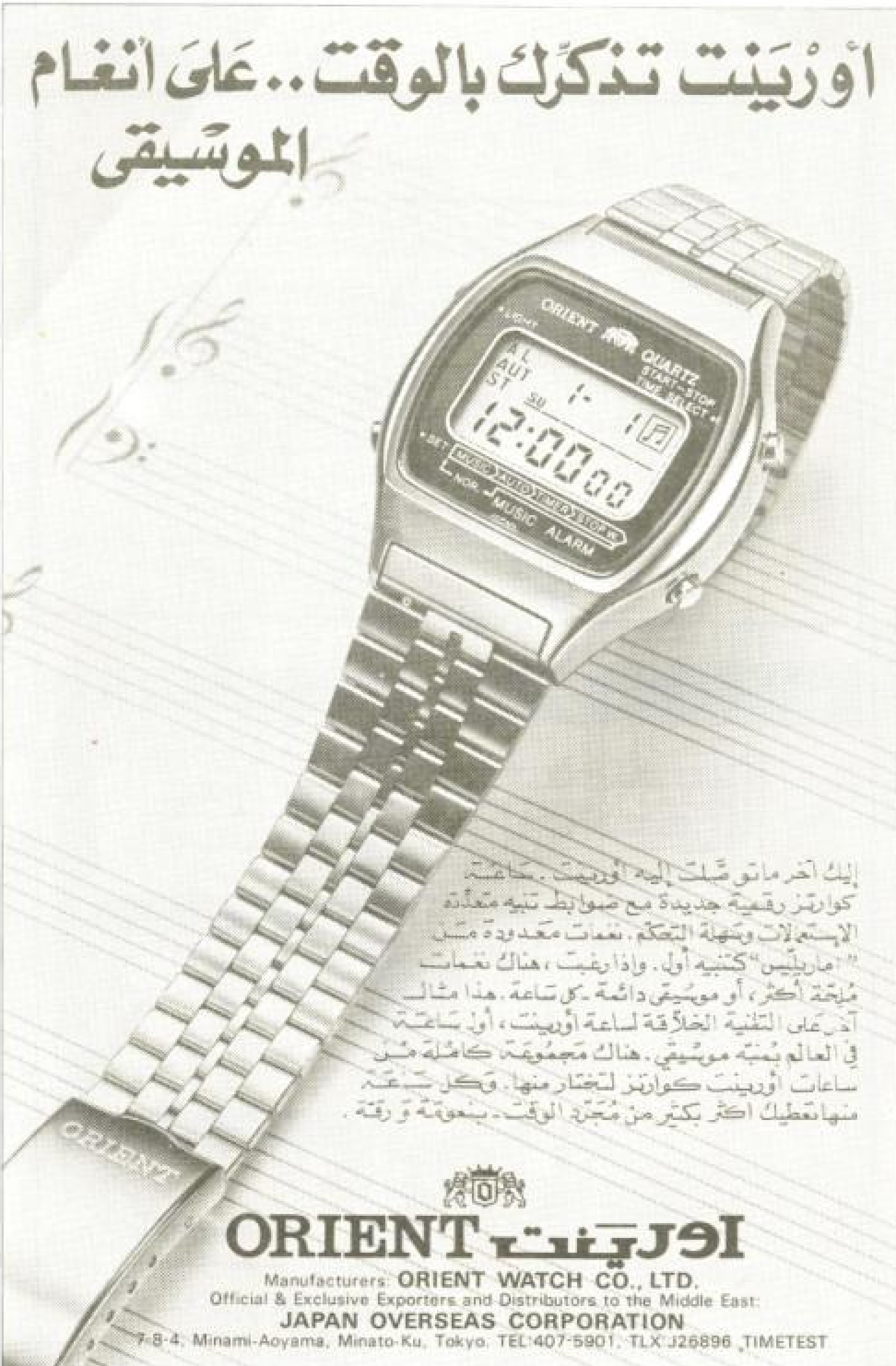
(١) فيدياس : نحات اغريقي صاحب تمثال زيوس ، أحد عجائب الدنيا السبع .
(٦) سلامبو : قصة من تأليف الاديب الفرنسي فلوبير .
(٩) كاجلياري : عاصمة جزيرة سردينيا .

الشكل المطلوب :

رقم ١

الممر السري :

كل ما نستطيع أن نساعدك به ، هو أن ننصح بالبدء من ناحية المدخل (ي) ، على أن يكون العبور من الفتحة الثانية الى يسار المدخل .


أورينت تذكرك بالوقت .. على أنغام
الموسيقى
ORIENT
QUARTZ
START-STOP
TIME SELECT
12:00 00
MUSIC ALARM
إليك آخر ماتوصلت إليه أورينت . ساعة
كوارتز رقمية جديدة مع ضوابط تنبيه متعددة
الاستعمالات وسهلة التحكم . نغمات معدودة من
"ماريليس" كتنبيه أول . وإذا رغبت ، هناك نغمات
ملحة أكثر ، أو موسيقى دائمة - كل ساعة . هذا مثال
آخر على التقنية الخلاقة لساعة أورينت ، أول ساعة
في العالم بمنبه موسيقي . هناك مجموعة كاملة من
ساعات أورينت كوارتز لتختار منها . وكل ساعة
منها تعطيك أكثر بكثير من مجرد الوقت - بنعومة و رقة .
ORIENT اورينت
Manufacturers: ORIENT WATCH CO., LTD.
Official & Exclusive Exporters and Distributors to the Middle East:
JAPAN OVERSEAS CORPORATION
7-8-4, Minami-Aoyama, Minato-Ku, Tokyo. TEL 407-5901, TLX J26896 ,TIMETEST

الامان لأموالكم وفوائد لاتنافس

مع

لومبارد نورث سنترال

العضو في مجموعة الناشيونال وستمنستر بنك التي يفوق رأسمالها واحتياطها ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني.

١٥٪

في السنة

ايداع محدد لمدة سنة.

تدفع كل الفوائد بدون خصم أي ضريبة.

أسعار الفائدة المذكورة سارية إلى حين ارسالها للطباعة.

لومبارد نورث سنترال عضو في أحد مجموعات البنوك المصرفية العالمية ولدينا تاريخ يرجع إلى أكثر من ١٠٠ سنة. نمدكم بتسهيلات ايداعية تعود عليكم باقصى فائدة مع مرونة الاختيار وضمان لأموالكم. لدينا ودائع لأفراد ومؤسسات من جميع انحاء العالم.

اختاروا المنهج الملائم لاحتياجاتكم:
نقدم لكم ثلاث تسهيلات ايداعية لكل منها شروط متعددة ملائمة لاحتياجاتكم الخاصة.

ايداع ذو الأخطار:
بحد ادنى ٥٠٠ جنيه استرليني ويمكن الاضافة اليه أي مبلغ وفي أي وقت كما ويمكن السحب بعد الاخطار في اخر المدة المتفق عليها. تستحق الفائدة اعتبار من تاريخ الايداع وتدفع نصف سنويا أو تضاف إلى الحساب.

ايداع ذو مدة محددة:
بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني بمدة محددة من سنة إلى خمس سنوات بسعر فائدة محدد في هذه المدة. تدفع الفائدة نصف سنوية أو سنويا.

ايداع ذو دخل منتظم:
بحد ادنى ١٠٠٠ جنيه استرليني. هذا المشروع يؤهلكم باستلام شيك بالفائدة كل شهر أو كل ثلاثة أشهر أو كل نصف سنة. ونسبة الفائدة تزداد تدريجيا حسب المدة التي تختارونها. تودع الأموال لمدة محددة تتراوح بين السنة والخمس سنوات بسعر فائدة محدد لهذه المدة.

لتفاصيل أكثر من برامج حسابات الايداع وأسعار الفوائد نرجو ان تملؤا الكوبون وارساله لنا اليوم.

Lombard North Central
Bankers

إلى:
LOMBARD NORTH CENTRAL LTD., DEPT. W182,
17 BRUTON STREET, LONDON W1A 3DH, ENGLAND.
Telephone: 491 7050.

الاسم: ____________________

العنوان بالكامل: ____________________

____

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يونية - حزيران
١٩٨٠ م

العدالة والحرية في فكر النهضة الحديثة

تأليف :
عزت قرني

الكتاب الثلاثون

٢٥٠ فلساً

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

استثمارات

أدخلوا مع ك.د.ب. الألمانية الغربية عالم استثمار الأموال في أسواق العملة العالمية.

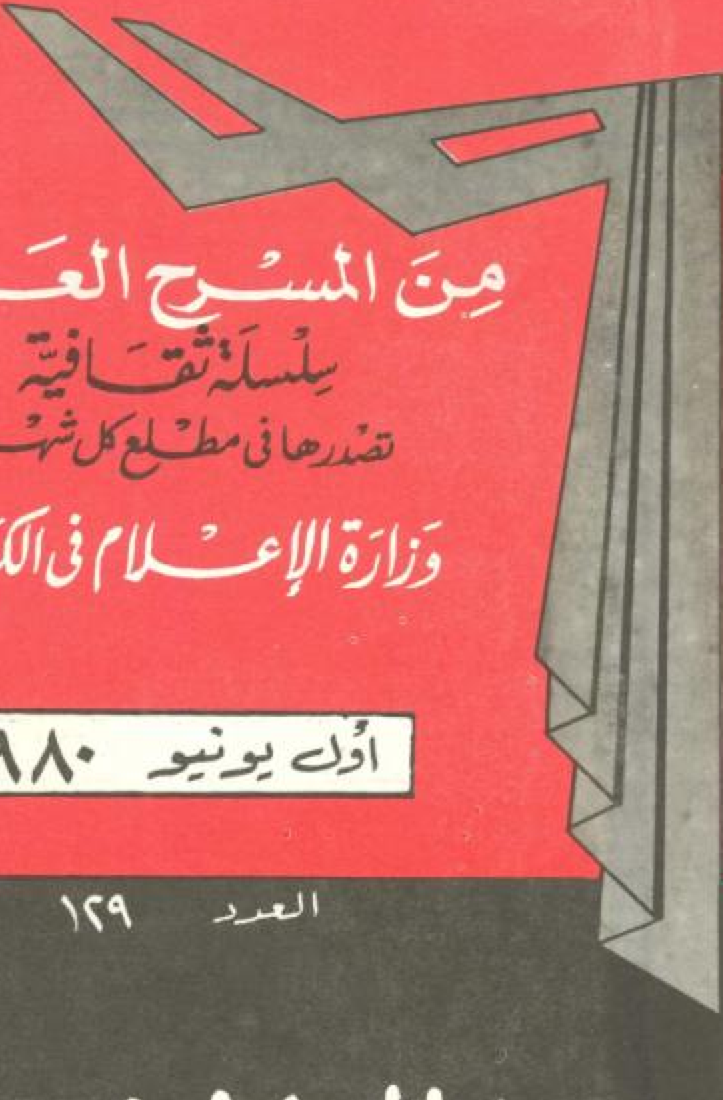
فاستثمار الأموال في البورصات العالمية لم يعد حكراً على طبقة معينة فقط وانما تطور ليشمل طبقات رجال اعمال جديدة ظهروا على السطح بفعل الثورة الاقتصادية الحديثة . ونحن ندعوك لمشاركة زبائننا في ارباحهم الجيدة التي حصلوا عليها من خلال استثمار اموالهم لدينا . وقد حصل زبائننا على نسب صافية من الأرباح بلغت:

عام ١٩٧٦	عام ١٩٧٧	عام ١٩٧٨	عام ١٩٧٩
٪٤٩،٤٣	٪٤٣،٨٤	٪٣٣،٣٣	٪٣٤،٩١

معفاة تماماً من أية رسوم او ضرائب . اذا كنتم راغبين انتم ايضاً في الانضمام الى عداد زبائننا العرب والاوروبيين الراضين تماماً عن نجاحنا في ادارة واستثمار اموالهم في اسواق الانتاج العالمية فيمكنكم الاتصال بنا . ويسرنا ان نعطيكم المزيد من المعلومات في اللغتين العربية والانكليزية معاً . الحد الأدنى للمشاركة: خمسة آلاف دولار اميركي . نعمل في مجال الاستثمار وادارة الاعمال وبنجاح منذ عام ١٩٦٥ .
اكتبوا الينا باللغة العربية او الانكليزية على العنوان التـــالي:

KDB DEPOTBETREUUNG GmbH

HANS-THOMA-STR. 19
P.O. BOX 700650
6000 FRANKFURT/MAIN 70
WEST-GERMANY



من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول يونيو ١٩٨٠

العدد ١٢٩

الناشزون

تأليف : آرثر ميللر

ترجمة وتقديم : د. محمد رجا الدريني

مراجعة : د. طه محمود طه

سوني
SONY



KV 2030ME

في البداية ترينيترون، والآن بيتاماكس
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر



SL-8080E

بال / سيكام
للتسجيل واعادة المشاهدة

انطلقت سوني في تكنولوجيا الفن التلفزيوني الى مرتبة جديدة عالية، بتلفزيون ترينيترون الملون. والآن أوصلت تكنولوجيا سوني متعة المشاهدة التلفزيونية الى مستويات عالية جديدة، بواسطة المسجل التلفزيوني الرائع بيتاماكس. أربط بيتاماكس بجهازك التلفزيوني لتسجيل أي شيء تريده. فيلتقط لك أروع المشاهد، ثم يعيد عرضها أمامك من جديد لمشاهدتها، كلما خطر ببالك، وحيثما سمح لك جدول أوقاتك اليومي. على أن هذه هي البداية فقط لما يمكن أن يفعله بيتاماكس من أجلك. اذا كان لديك برنامجان في نفس الوقت، مثلاً، وعلى قناتين مختلفتين متعارضتين، فلا تفكر طويلاً، ولا تتعب نفسك لاختيار أي منهما تراقب، بل يمكنك مشاهدة أحد العرضين في الوقت الذي يبدأ بيتاماكس تسجيل الآخر لك، لتعود فتشاهده فيما بعد.

وإذا رغبت بمغادرة البيت في المساء؟

اضبط مسجل الوقت الأوتوماتيكي، الذي يخدم ثلاثة أيام، قبل مغادرة المنزل، فيسجل بيتاماكس لك أوتوماتيكيا، وبأمانة ودقة، كل المشاهد، وأنت خارج بيتك. لقد صرفت سوني عشرين عاماً متواصلاً في اجراء التجارب والاختبارات التكنولوجية، لصنع المسجل التلفزيوني (فيديو ريكوردر) القادر على تحقيق كل هذا لك. ومع ذلك يبقى ضخماً كفاية، ومندمجاً بالمنزل وأجوائه، كقطعة أنيقة صغيرة. بالإضافة الى ذلك، تتميز تجربة سوني بصنع شريط التسجيل التلفزيوني الشهير، فيديو كاسيت، والسهل الترضيب، مرن الملمس، مريح التعامل معه، لأنه أصغر كاسيت في السوق حتى اليوم، ويدوم أكثر من ثلاث ساعات في اذاعة البرمجة المسجلة وبدون انقطاع. اضف الى كل ذلك، جهاز بيتاماكس بيرلونغ المضاعف للتسجيل والكشف لمرحلة الاذاعية، وقد أثبت الاختبار جدارته، والاعتماد عليه، والثقة به، إنه الأقوى والأشد استقراراً بين اجهزة التسجيل التلفزيوني، ويوزع الصور الكاملة النقية الوضوح.

في البداية الترينيترون ... الآن بيتاماكس الساحر.
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر.

Sony Betamax سوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته

الموسيقى الأكثر عذوبة تجدها في غاية السهولة



M 9996K



نظام تعيين المحطات AMSS

بإستخدام آلية الإنتقاء الأوتوماتيكي للموسيقى بالزر الضاغط



لا حاجة بك للبحث عن أغانيك المفضلة بعد الآن.

إن جهازنا الستريو النقال بآلية الإنتقاء الأوتوماتيكية للموسيقى يتيح لك التقاط الأغنية التي تريدها أو تخطيها أو تكرار سماعها أو استخدام آلية التفتيش المتعدد أو الجانبي أو الإعادة.

وبإمكانك كذلك برمجته لغاية ٨ أغنيات مقدماً والإستماع إليها بدقة الكمبيوتر الألكترونية مع استخدام طاقة إخراج موسيقية بقوة ٢٠ واط كاملة باتجاهين وعلى ٤ مكبرات للصوت. فابحث الآن عن الراديو/كاسيت ستريو M9996K من سانيو ذي ٤ موجات واتركه يتولى مهمة البحث نيابة عنك.



M 9998K



SANYO سانيو